السُّلوك

لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر

العُبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الأول

سنة ٥٦٨هـ - ٦٦١هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد - ﷺ - النبى الأمى الذى انطلق من ظلام الأمية ليضىء العالم بهدى من ربه سبحانه وتعالى.
لقد شاءت إرادة الله جلت قدرته أن تنطلق البشرية من تلك المرحلة التاريخية المظلمة الشديدة الانحطاط بفضل دينه الخاتم ونبيه المصطفى - ﷺ -.

وقد كانت سيرته - ﷺ - نموذجًا تاريخيًا للاتساق الكامل بين الأقوال والأفعال، وصلنا ذلك من خلال رواة ثقاة، نثق فى أمانتهم وقدرتهم على نقل الأحداث الحقيقية دون زيادة أو نقصان.

على أن الأحداث التاريخية الخاصة بعصر صدر الإسلام - حياة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين - مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنصوص الدينية والتعاليم المقدسة حيث السيرة الذاتية لرسول الهدى ليست إلا نصوصًا وأفعالاً راقية تدعو من يتعلمها - فى سهولة ويسر - للتشبه به ﷺ وبذل الطاقة للسير على هداه.
ثم انفصلت الرؤية التاريخية للأحداث عن النظرة الدينية بفعل استحداث سلوكيات سياسية بعضها تبتعد ابتعادا كاملا عن جوهر الدين الإسلامى الحنيف.
وكان للعصر الذى تلى عصر الخلفاء الراشدين دورًا كبيرا فى ظهور مدارس متعددة للتأريخ تتأثر فى المقام الأول بالمذهب السياسى الذى ينتمى إليه صاحب التأريخ، اتضح ذلك فى نظرتهم التاريخية التى كانت فى غالب الأحيان مشوبة بعدم الحيدة بسبب ارتباط فكرة تسجيل التاريخ بالدعوة للفرقة أو الجماعة التى ينتمى إليها وهذا شكل من أشكال إلباس الفكر السياسى عباءة الحقائق التاريخية وهو ما يعنى الانتصار لوجهة نظر معينة دون النظر إلى الأمانة العلمية ووضع الحيدة محل الاعتبار.

ثم تلى ذلك مرحلة هامة فى تاريخ العالم العربى والإسلامى، ألا وهى مرحلة ظهور مجموعة من الكتاب الذين يركزون نشاطهم العلمى على تسجيل التاريخ والحرص على جمع الأحداث التاريخية من عدة مصادر وثيقة تنقل لنا أو تجعل من الميسور تقريب الصورة الحياتية لفترات زمنية واسعة من التاريخ العربى، ساهمت كتاباتهم التاريخية فى إلقاء الضوء على أشكال الحياة - بشكل شبه دقيق ويومى - خلال الفترة الزمنية التى عاشها هؤلاء الكتّاب مع عرض غير مخل للأحداث السابقة التى سبقت حياتهم.

وإلى هذه الفئة ينتمى صاحب هذا الكتاب **«السلوك لمعرفة دول الملوك»** الذى نعرض له بالتحقيق وهو المؤرخ الكبير أحمد بن على بن عبد القادر أبو العباس الحسينى

العبيدى تقى الدين المقريزى» (٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ).

وهذا الكتاب هو واحد من أهم الكتب وصاحبه علم من أعلام التأريخ العربى والإسلامى فى فترة العصور الإسلامية الوسطى، والكتاب مرجع تاريخى غاية فى الأهمية والقرب من حياة الحاكم والمحكوم بشكل يوحى للقارئ بملازمته للأحداث ومعايشته لها كاملة غير منقوصة.

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

هو كتاب من أبرز كتب المقريزى، ومن أبرز كتب التاريخ المصرى الوسيط. أتم به المقريزى سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل أوسع ما وجد من المعلومات حول عصرى الدولتين الأيوبية والمملوكية من سنة ٥٧٧هـ حتى السنة التى سبقت وفاته سنة ٨٤٥هـ.

اعتمد المقريزى عددًا من المصادر السابقة له. ومن عادته ذكر هذه المصادر أو الإشارة إليها. ونستطيع أن نرى لديه بعضًا من ابن الفرات وبعضًا من ابن أيبك وبيبرس ومن الدوادارى والنويرى والجزرى والبرزالى ونصوصًا من ابن واصل وابن عبد الظاهر.

على أن المقريزى جمع إلى هذه المصادر براعة طيبة وسدادًا فى تخير المعلومات، وعينًا ذكية تعرف كيف تسوقها وتربطها، وحسا تاريخيا مرفها يهديه إلى ما يجب أن يضيف إليها من المعلومات والتفاصيل الضرورية، والمكملة. وربما وصل المقريزى فى هذا الشغف التاريخى حد الثرثرة بأمور يعتبرها معاصروه من المعارف الدارجة التافهة، ولكنها أضحت بالنسبة إلينا اليوم ثروة تاريخية كشفت لنا جوانب كثيرة من مشاكل العصر فى العملة والأسعار مثلاً وفى الأبنية والهدايا والأوبئة والمكوس والحرائق، وفى نقد الحكم أو إحصاء الأنوال أو مشكلة الحجاب...

نظم المقريزى كتابه على منهج مغاير لما شاع فى المؤلفات السابقة له فى تاريخ ابن الفرات أو الدوادار أو النويرى، فقد جعل كتابه حوليا ودوّن حوادث كل عام فى فصل مستقل يحمل عنوان ذلك العام، وختم الحوادث بذكر الوفيات، والترجمة لأصحابها فى شىء من الاختصار المعتمد فى الأرجح. وكثيرًا ما يعمد فى النصف الثانى من كتابه خاصة إلى أن يفتتح السنة بذكر الوظائف الكبرى ومن يتولاها، وبخاصة إن وافق بدء السنة قيام سلطان جديد، وما يصحب ذلك - فى العادة- من تغيير وتبديل بين موظفى البلاط السلطان وكبار الأمراء. وقد يكتفى المقريزى بعبارة افتتاحية فى أصل ذلك السلطان وماضيه، ثم ينتقل إلى ذكر الحوادث والأخبار بترتيبها الزمنى.

وثمة من كتاب السلوك مخطوطات بعضها كامل مثل مخطوط أياصوفيا (فى ٤ مجلدات) رقم ٣٣٧٢، ومخطوط آخر فيها برقم ٣٣٧٣ حتى ٣٣٧٦، ونسخة أخرى فى مكتبة فاتح ٤٣٧٧ حتى ٤٣٧٧ ونسخة أخرى نفيسة برقم ٣٣٨١ حتى ٣٣٨٩، كما أن ثمة قطعا متفلاقة فى أحمد الثالث وفى جامع (لعلها بخط المقريزى) وكوبرللى وحافظ أحمد وغيرها. ومنه قطعة فى الظاهرية بدمشق رقم ٧٣٠٤، ونسخة فى أكسفورد (فى ٤ مجلدات) عنوانها «واسطة السلوك».

وقد طبع بعض من كتاب السلوك فى عهد مبكر. فقد نشرت أجزاء منه بتحقيق كاترمير الفرنسى بعنوان: **«تاريخ السلاطين المماليك بمصر»** فى مجلدين (باريس ١٨٣٧ - ١٨٤٥م). وبعد ذلك بقرن - كان نشره فى مصر، فظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٣٤ بتحقيق محمد مصطفى زيادة، ثم نشر بجزء الثانى (سنة ١٩٥٨م) الذى انتهى ببعض أحداث سنة ٧٥٥هـ. ثم صدر الجزء الثالث ثم الرابع والأخير بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ما بين سنتى ١٩٧٠ - ١٩٧٣م وكل جزء من هذه الأجزاء فى عدد من الأقسام.

وقد اعتمدنا فى عملنا هذا حين العرض لهذه القيمة التاريخية المتمثلة فى كتاب **«السلوك لمعرفة دول الملوك»** على اتباع الآتى:

- اعتمدنا فى نسخة التحقيق على نسخة مطبوعة بتحقيق د: محمد مصطفى زيادة ود: سعيد عبد الفتاح عاشور والذى استغرق استكمال طباعتها قرابة الأربعين عامًا.

- قمنا بضبط متن النسخة المطبوعة من خلال مطابقة دقيقة مع مجموعة من المخطوطات الموجودة بدار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية. وقد أفادنا هذا فى متابعة الأحداث من خلال عدة مصادر تاريخية دُونت فى فترات تاريخية سابقة ولاحقة للفترة الزمنية التى عاشها المؤرخ الكبير **«تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى»**.

- قمنا بترجمة مفصلة للأماكن والأشخاص التى كانت محور الأحداث خلال الفترات الزمنية التى تعرض لها المقريزى فى كتابه بالإيجاز للتيسير على القارئ وإعطائه نظرة أكثر شمولا للأحداث.

- قمنا بتخريج الآيات القرآنية.

حافظنا قدر الإمكان على الشكل الخطى للأسماء والأماكن التى اختلفت من موضع لآخر كما أوردها المقريزى ربما كانت له فى ذلك وجهة نظر.

وأخيرا: لقد سعدنا بالرحلة الممتعة الشيقة التى كان المقريزى خير مرشدا لنا للإطلال من نافذة واسعة على حقبة تاريخية غاية فى الثراء لما تحمله بين طياتها من أحداث لها عظيم الآثر حتى الآن فى صناعة العقل العربى من خلال ما مرت به الأمة من أزمات ومحن وانتصارات كبيرة أدامها الله.

والله من وراء القصد وهو يهدى سواء السبيل.

محمد عبد القادر عطا

المدرسة التاريخية المصرية

تأخرت المدرسة المصرية كثيرًا حتى أطلعت مؤرخها الكبير المقريزى، ولم يكن السابقون له من فحول المؤرخين مثله. فبعد النويرى، والدوادارى، وسبط بن عبد الظاهر، انتظرت مدرسة مصر نصف قرن حتى ظهر فيها ابن الفرات، وابن دقماق، والقلقشندى. لكنها بلغت أوجها دون شك مع المقريزى.

أولا: المقريزى ومسيرته العلمية

اسمه ونسبه:

أبو العباس تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم البعلى، العبيدى الحسينى. أصله من بعلبك من حارة المقارزة فيها، وإليها ينسب. كما كان يدعى النسب الفاطمى، ومن هنا كان العبيدى فى نسبه[١].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن نسب المقريزى يرجع إلى الفاطميين ومنهم صاحبه ابن حجر العسقلانى الذى قال فى ترجمته[٢]:

نشأته:

ولد فى القاهرة سنة ٧٦٦ هـ/ ١٣٥٦ م. وتوفى فيها سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م. وكان جد المقريزى من كبار المحدثين فى بعلبك، وقد تحول والده إلى القاهرة حيث ولى بعض وظائف القضاء وكتب التوقيع بديوان الإنشاء. وكان يسكن حارة برجوان، وهى من أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاء بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد، ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ، كافله ومربيه بعد أن مات أبوه وهو صغير، وابن رزين، والبرهان الأمدى وزين الدين العراقى وابن أبى المجد والسراج البلقينى والهيثمى وابن خلدون. وقد بلغ عدد شيوخه ستمائة فتوفر له التكوين الثقافى اللازم للبروز فى عصره. وكان أكثر شيوخه تأثيرا فيه، أولهم ابن الصائغ فى مرحلة النشأة، وآخرهم ابن خلدون الذى عرفه فى مرحلة النضج.

وقد برع المقريزى فى علوم الدين من فقه وحديث براعته فى الأدب من نظم ونثر، وإن أبدى هواية للتاريخ من جهة، وللعمل بالتنجيم والرمل والزايرجة والاصطرلاب من جهة أخرى. واستمرت هذه الهوايات معه طول حياته. على أن مؤهلاته العلمية فتحت له باب العمل الحكومى. فكان موقعا أول الأمر فى ديوان الإنشاء سنة ٧٨٨هـ، ثم تولى

---

(١) انظر التاريخ والمؤرخون، د. شاكر مصطفى.

(٢) انظر أبناء الغمر بأبناء العمر ١٧١:١٦٩.

وظائف الوعاظ وتدريس الحديث فى عدد من المساجد. كما تولى حسبة القاهرة غير مرة (اعتبارًا من سنة ٨٠١هـ) والخطابة (بجامع عمر ومدرسة السلطان حسن) والإمامة (بجامع الحاكم) وإقراء الحديث (بالمدرسة المؤيدية). وتقلب فى الوقت نفسه فى عدد من وظائف القضاء والإدارة فى مصر والشام. وحج مرات، كما زار دمشق مرات، كانت أولاها سنة ٨١٦هـ بصحبة الناصر فرج بن برقوق. وعرض عليه قضاء دمشق فأباه. لكنه تولى فيها فيما بعد أوقاف المدرسة القلانسية والبيمارستان النورى والتدريس ببعض المدارس مدة عشر سنوات قبل أن يعود إلى القاهرة ليعتزل كل عمل رسمى.

ومواهب المقريزى (مع علمه وطرافة اهتماماته) أهلته للحظوة عند الملك الظاهر برقوق، ثم عند ابنه الملك الناصر فرج من بعده، وكان على صلة طيبة بالأمير يشبك الظاهرى بعض الوقت، ونال فى ظله الجاه والمال. فلما بلغ مشارف الستين واجتمع له من الثروة ما يكفى للعيش الهانئ، عاد ليستقر فى القاهرة، ويتوفر على الاشتغال بالعلم والتاريخ والعبادة، ولم يغادرها إلا إلى مكة للحج سنة ٨٣٤هـ حيث بقى خمس سنوات، يدرس ويملى قبل أن يعود.

ويبدو أن هواية التاريخ قد استبدت بالمقريزى قبل ذلك بسنين طويلة جدا فهو يقول فى مقدمة الخطط: «فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب..» وكل ما جمعه - على ما يظهر - كان متصلا بمصر لأنها كما قال «مسقط رأسى ومجمع ناسى.. لا زلت منذ شدوت العلم أرغب فى معرفة أخبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها..».

وقضى المقريزى ثلاثين سنة بعد الاعتزال يعمل فى التأليف التاريخى خاصة حتى زادت مؤلفاته - حسب ما قرأ السخاوى بخط المؤرخ نفسه - على مائتى مجلد فى الحجم وعلى نيف وثلاثين عنوانا فى التاريخ وحده، بعضها كتيبات ورسائل، وبعضها كتب موسوعية كبيرة فى مجلدات وصلت أحيانًا ستة عشر، كما وصلت المائة. ويمكن تقسيمها خمسة أقسام: فقسم يتناول تاريخ مصر والقاهرة فى مختلف عصورها، وقسم يتناول التاريخ الإسلامى، وقسم ثالث يتجه إلى بعض المواضيع الخاصة (النقود، الموازين، حج الملوك، الغناء، الكعبة، النزاع الأموى الهاشمى) وقسم رابع لبعض البلاد المجهولة (الحبشة، حضرموت، المغرب). أما الخامس فيشمل النبذ والمعلومات المتفرقة كالتذكرة وما إليها. على أننا سنستعرض هذا التراث التاريخى إرسالا:

١ - كتاب **«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»**: وهو أثر فريد فى موضوعه وطريقته ومادته الغزيرة يتحدث عن القاهرة وخططها (طبغرافيتها) القديمة، وتطورات الخطط والشوارع والأرض والأسواق والأحياء والمساجد والقصور والدور والمدارس

والرياض والأسوار، ويظهر من نصوص هذا الكتاب أنه استمر تحت يدى المقريزى يبدى فيه ويعيد أكثر من خمس وثلاثين سنة. فيه صفحات كتبت سنة ٨٠٦هـ وأخرى صممت أو أضيف إليها ما استجد سنة ٨٤٣هـ وإذا كنا نعرف اليوم مدينة القاهرة فى القرون الوسطى أتم المعرفة، فإنما يرجع ذلك إلى هذا الكتاب الذى استوعب ونظم كل المؤلفات التى سبقته فى هذا الموضع، وأضاف إليها الكثير الكثير.

ولا يخفى المقريزى مصادره فى الخطط وهو ينص فى مطلع كل خبر على مصدر نقله. وكثير من هذه المصادر فقد، فليس لدينا منه سوى ما نقله المقريزى الذى نظم معلوماته على سبعة أجزاء (ألغى فى النهاية الجزء السابع منها والمتعلق بأسباب خراب مصر). فالجزء الأول جغرافى عامة فى أخبار مصر ونيلها وخراجها وجبالها. والثانى فى المدن وأجناس السكان. والثالث فى أخبار الفسطاط. والرابع فى أخبار القاهرة. والخامس فى أحوال القاهرة فى عصره. والسادس فى ذكر قلعة الجبل وملوكها ويستطرد المؤلف فيتناول ما فى القاهرة من المساجد والمنشآت. ويختم بفصول عن تاريخ اليهود والقبط والأديار والكنائس... والكتاب بعد هذا منجم تاريخى فيه تسجيل لتاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والفنى والاقتصادى لا نجده فى أى مؤلف آخر. والسخاوى يتهم المقريزى بأنه سطا على مسودة كان الأوحدى قد أعدها لهذا الكتاب، فأخذها بعد موته وزادها زوائد غير طائلة وقذفها للناس باسمه.

كان كتاب «الخطط» موضع عناية المستشرقين منذ أكثر من قرن، وقد وجدوا منه عددًا من المخطوطات: منها مخطوط الأوقاف فى استانبول، فى مجلدين، ومخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٤٦ (فى مجلد)، و٢٩٤٧ فى ثلاثة مجلدات، وعاشر ريس ٦٩٣، وحكيم أوغلو ٧٤٣ - ٧٤٤، وأياصوفيا ٣٤٧١ - ٣٤٧٧ مع نسختين أخريين، وفيض الله ١٥٣٧ - ١٥٣٩، ودامار إبراهيم ٩١٤ - ٩١٥، والظاهرية بدمشق رقم ٧٠٠٤ و٥٦٩٦ و٥٦٩٧، وكلها نسخ كاملة عدا القطع المخطوطة من الكتاب وهى متفرقة فى استامبول ومصر والظاهرية وغيرها.

وقد طبع الكتاب مبكرًا طبعات عديدة منها طبعة بولاق القديمة - القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م. فى مجلدين كبيرين، ثم أعيد طبعه فى مصر (المطبعة الأهلية فى أربعة أجزاء سنة ١٩٠٧م). كما أعيد مؤخرًا طبع نسخة بولاق على الأوفست (مكتبة المثنى - بغداد - دون تاريخ) وطبع قسم منه طبعة أوروبية فخمة.

وترجم كتاب الخطط مبكرًا جدًا إلى اللاتينية. فقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٧٢٤م، ونقل شىء من الكتاب إلى الفرنسية، وطبع فى باريس سنة ١٨٩٥م وسنة ١٩٠١م، واستخرج منه المستشرق كازانوفا وصف قلعة القاهرة وتاريخها، وأوضح

ذلك بالرسوم والخرائط، وطبع كتابه بالفرنسية سنة ١٨٩٤م وسنة ١٨٩٧م فى مجلدين. وقام بنحو هذا العمل المستشرق رافيس فتناول خطط القاهرة وأوضحها بالخرائط وطبع ذلك سنة ١٨٨٨م وسنة ١٧٩٩م فى قسمين، وترجم المستشرق وستنفلد القسم الخاص بتاريخ الأقباط فى مصر إلى الألمانية وطبعه مع الأصل العربى فى توبنغن سنة ١٨٤٥م، وترجم أيضًا ما يتعلق بوصف المارستانات فى القاهرة نقلاً عن مسودات غوطا وفيينا ونشرها فى مجلة خلاصة العلوم.

وتقوم دار الكتب العلمية ببيروت بإعداد الكتاب وتحقيقه وطباعته فى طبعة جديدة، وسيظهر قريبا.

ومن جهة أخرى فقد حظى كتاب الخطط إلى هذا كله بعناية الكثير من العلماء القدامى، وعمد بعضهم إلى اختصاره، ومن ذلك:

• كتاب **«الروضة البهية فى القاهرة المعتزلية»** لمحمد بن أحمد بن محمد الحنفى الشبلى العلائى (أواسط القرن الحادى عشر).

• كتاب **«قطف الأزهار من الخطط والآثار»** لشمس الدين بن أبى السرور البكرى الصديقى المؤرخ (المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م).

٢ - كتاب **«السلوك فى معرفة دول الملوك»**: ونرجئ الكلام عليه فى موضعه.

٣ - كتاب **«اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»**: وهو أوفى مصدر فى التاريخ الفاطمى: يؤرخ أولا للسلالة ولمشكلة النسب الفاطمى ولقيام الدولة فى المغرب وخلفائها الأربعة هناك، ثم يتحدث عن الفتح لفاطمى لمصر، ويسهب فى قصة الصراع مع القرامطة، ويتناول بعد ذلك خلفاء الفاطميين الواحد بعد الأخر حتى نهاية الدولة. وقد استوعب المقريزى فى كتابه هذا خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين الذين أرخوا للدولة الفاطمية قبله ممن عاصروها أو جاءوا بعدها، ومعظمهم ممن ضاعت مؤلفاتهم وبقى للمقريزى الفضل فى حفظ مجموعة واسعة من نصوصها من أمثال ابن زولاق وابن الطوير والأمير ابن شداد، وأخى محسن، وابن المهذب وابن رزاء مما جعل الصورة الفاطمية كاملة.

وكان المعروف حتى الأربعينات من هذا القرن أنه لا توجد من هذا الكتاب سوى نسخة مخطوطة وحيدة ناقصة فى مكتبة غوطا (فى توبنغن بألمانيا رقم ١٦٥٢) وعنها نشر المستشرق بونز الكتاب (سنة ١٩٠٩م) (طبعة دار الأيتام بالقدس) وقدم لها بمقدمة بالألمانية طبعها فى ليبزيغ، وأثبت أن النص مكتوب بخط المقريزى نفسه.

وقد أعاد الدكتور جمال الدين الشيال طبع هذا النص بعد تصحيحه وتقيقه بشكل

علمى (القاهرة ١٩٤٨م)، ثم كشف كلود كاهن أن فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول نسخة كاملة من الكتاب تحت رقم ٣٠١٣، وكشف الدكتور الشيال أن النص السابق ليس أكثر من سدس الكتاب (٣١ ورقة من أصل ١٧٢) فجاء بالنص الكامل ونشرالمجلد الأول منه (القاهرة ١٩٦٧م) ثم توفاه الله فأتم النشر محمد حلمى أحمد فى مجلدين آخرين (القاهرة ١٩٧١ و١٩٧٣م). وهو تحت الطبع بدار الكتب العلمية بتحقيقنا.

٤ - **«كتاب المقفى فى تراجم أهل مصر والواردين إليها»**: وهو كتاب حافل فى تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار (على منهاج تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر) كتب منه المقريزى ستة عشر مجلدًا. وقد ذكر ابن تغرى بردى كلمة المقريزى الذى قال له عنه: «لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلدًا». وقد جعله المقريزى على حروف المعجم.

وقد ضاعت المجلدات المكتوبة من هذا المؤلف و لم يبق منها سوى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف، واحد فى ليدن برقم ١٣٦٨ فيه بعض حرف الألف وحرفا الكاف واللام وبعض الميم. ومجلد آخر فى مكتبة برتو باشا فى المكتبة السليمية باستامبول (رقم ٤٩٦) فيه الباء والثاء، ومجلد ثالث فى المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢١٤٤).

٥ - كتاب **«شذور العقود فى ذكر النقود»**: وهو رسالة نفيسة فى تاريخ النقود العربية الإسلامية. فقد ضربت الدراهم أول مرة زمن عمر بن الخطاب حتى أيام الظاهر برقوق، فيمر المقريزى بالنقود أيام معاوية وعبد الملك والخلفاء العباسيين، ثم يعطف إلى النقود فى مصر فى العهد الأموى والطولونى والفاطمى والأيوبى حتى المملوكى، فى دقة حسنة. ولعله أول كتاب مفرد كتب فى هذا الموضوع، وقد كان فى الأصل فصلا من كتاب «إغاثة الأمة» ثم أفرده المقريزى بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه.

وثمة من هذه الرسالة نسخ مخطوطة عديدة فى برلين وليدن واستامبول والأسكوريال، ولكن أهميتها جعلتها تلقى الكثير من العناية والنشر منذ فترة طويلة. فقد نقلت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٧٩٧م، وترجمها المستشرق دوساسى إلى الفرنسية، ونشرها فى باريس سنة ١٧٩٧م أيضا. ثم نشرت فى القسطنطينية بعناية أحمد ابن فارس الشدياق سنة ١٢٩٨ هـ./١٨٨١ م. بمطبعة الجوائب (ضمن مجموعة رسائل لابن الغديم وياقوت المستعصمى). وطبعت فى الإسكندرية سنة ١٩٣٣م بعناية ماير، ثم فى النجف الأشرف سنة ١٩٣٨م بعناية محمد صادق بحر العلوم، ثم طبعت

فى القاهرة (سنة ١٩٣٩م) بعناية أنستاس الكرملى (ضمن عدة رسائل فى موضوعها) وطبعت بعد ذلك أيضا فى النجف سنة ١٩٦٧م مع دراسة موسعة للمؤلف وللموضوع بقلم محمد بحر العلوم. وهو تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة رسائل المقريزى.

٦ - كتاب **«إغاثة الأمة بكشف الغمة»**: وهو كتيب صغير، ولكنه من خير ما كتب المقريزى عمقا وفهما. استعرض فيه تاريخ المجاعات التى حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة سنة ٨٠٨هـ، السنة التى كتب فيها الكتاب، مع تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمات. ومنه مخطوطات عديدة: فى كمبردج ضمن مجموع برقم Add ٧٤٦ (من ورقة ١٩ ظهر حتى ٥٠ ظهر) وفى باريس بالمكتبة الوطنية وغيرها.

وقد طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٤٠م بتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٧م، كما طبع طبعات أخرى إحداها فى حمص سنة ١٩٥٦، ثم سنة ١٩٧٠م.

وهو أيضا تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة الرسائل.

٧ - كتاب **«الخبر عن البشر»** وهو كتاب فى التاريخ لعله مشروع تاريخ عام كان المقريزى يود كتابته. والمصادر تذكر أنه جعله كالمدخل لكتابه «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع» ويذكر ابن تغرى بردى فى «المنهل الصافى» أنه «فى أربع مجلدات وعمل له مقدمة فى مجلد»، وثمة من هذا الكتاب بعض الأجزاء المخطوطة:

فهناك ستة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث برقم ٢٩٢٦/١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، فالأول من أول الخلق (فى ٢٠٣ أوراق) والثانى من التبابعة إلى قريش البطاح (فى ١٩٨ ورقة) والثالث من بنى عدنان حتى أسواق الجاهلية (فى ٢٢٠ ورقة) والرابع من أيام الفجار إلى يوم أوارة (فى ١٦٨ ورقة) والخامس (فى ١٨٣ وقة) والسدس (فى ٢٤٢ ورقة).

وهناك نسخة فى مكتبة فاتح باستامبول فى ستة أجزاء بخط المؤلف مع فهرس لمحتويات الجزء الأول مصورة فى دار المكتب بمصر (رقم ٩٤٧ تاريخ) فى ستة عشر مجلدًا.

ونسخة ثالثة فى الأزهر رقم تاريخ ٤٣٩ (٦٧٣٣) أباظة (الجزء الثانى فقط). ومنه مجلد فى استراسبورغ أيضا نقلت منه مجلة المستشرق فصلا فى تاريخ الكتابة العربية فى الإسلام (السنة العاشرة ﷺ ٤٧٨ فما بعد).

٨ - كتاب **«إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع»**: طالعه ابن تغرى بودى وذكر أنه «نفيس»، وهو يتحدث فى شمائل النبى ﷺ والنبوات وآل الرسول والسيرة النبوية والهجرة والغزوات، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه.

ومن هذان الكتاب نسخة مخطوطة فى كوبريللى باستامبول رقم ١٠٠٤ فى ستة مجلدات، ومصورة فى دار الكتب بمصر رقم (٨٨٦ تاريخ) فى تسعة مجلدات.

وهناك نسخة من الإمتاع فى مجموعة حسين باشا رقم ٣٥٤ تاريخ، ونسخة أخرى فى غوطا (غوتنغن).

٩ - **«الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام»**: كتبه فى مكة سنة ٨٣٩هـ، وحرره فى مصر سنة ١٤١م بعد تدقيقه. ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع ٣١٩٥ فى مكتبة ولى الدين باستمبول. وقد طبع فى بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م، كما طبع فى مصر سنة ١٨٩٥م. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٠ - **«الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة»**: وهى رسالة كتبها وهو مجاور فى مكة سنة ٨٣٩هـ أيضا، ومنها مخطوطة فى كمبردج وأخرى فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧). وقد طبعت مشروحة مصورة سنة ١٨٦٦م فى بون بعناية المستشرق سكوى باللغتين العربية واللاتينية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١١ - **«البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب»**: ويبحث فى القبائل العربية التى سكنت مصر، ومنه نسخة مخطوطة فى فيينا، ونسخة فى باريس رقم ١٧٢٥، ونسخة مخطوطة أخرى هناك (ضمن مجموع ٤٦٥٧٤)، ورابعة فى دار الكتب بمصر رقم ١٥٠ تاريخ. وقد ترجمه وستنفلد إلى الألمانية ونشره فى غوتنغن سنة ١٨٤٧ فى ثلاثة أجزاء.

وقد طبع فى مصر بتحقيق عبد المجيد عابدين (طبع عالم الكتب سنة ١٩٦١م)، وكان قد طبع بمصر قبل ذلك بتحقيق إبراهيم رمزى (طبعة المعارف) سنة ١٩١٦م نقلا عن النسخة الألمانية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٢ - **«الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك»**: كتبه المقريزى سنة ٨٤١ وذكر فيه ستة عشرين من هؤلاء الحجاج، بدأهم بالرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء. ومنه مخطوطات فى كمبردج، ومخطوط ضمن مجموع ٣١٩٥ فى ولى الدين باستامبول، ورابع فى المكتبة الأهلية فى

باريس ضمن مجموع (رقم ٤٦٥٧). وقد نشره جمال الدين الشيال (القاهرة سنة ١٩٥٤م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٣ - **«النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم»**: رسالة صغيرة منها مخطوط فى فيينا ضمن مجموع وآخر فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧) وثمة نسخة ثالثة فى الظاهرية بدمشق رقمها ٣٧٣١. وقد ترجم إلى الألمانية، ونشر فى ليدن سنة ١٨٨٨م، ثم طبع فى القاهرة أكثر من مرة كما طبع فى النجف (المطبعة الحيدرية سنة ١٩٦٦م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٤ - **«الدرر المضيئة فى تاريخ الدول الإسلامية»** (أو) **«الخلفاء حتى نهاية العباسيين»**: وهو من مقتل عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦هـ). وهو مخطوط فى كمبردج فى ٢٧٣ ورقة كبيرة كتب بعد عهد المؤلف بقليل دون خاتمة وبه تزيينات.

١٥ - **«الضوء السارى فى خبر تميم الدارى»**: وهو أحد الصحابة الأولين. استقر فى أرض الخليل بفلسطين (وتوفى سنة ٤٠ هـ) وله وقف كبير استمر طول التاريخ الإسلامى. ضمن مجموع رقمه٣١٩٥ فى مكتبة ولى الدين باستامبول، ونسخة أخرى ضمن مجموع رقم ٤٦٥٧ فى باريس، وثالثة فى المتحف البريطانى، ورابعة فى ليدن ضمن مجموع رقم ٢٥٠٨.

وقد نشرها شارل د. ماتيوس سنة ١٩٤١ فى مجلة. Jour pal oz soc (المجلد ١٩ ص ١٤٧ - ١٧٩ مع المقدمة).

وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٦ - **«درر العقود الفريدة فى تراجم الأعمال المفيدة»** (ثلاثة مجلدات): ترجم فيه لأعيان عصره البارزين ومنهم علماء اليمن. وقد نقل عنه السخاوى فى الضوء اللامع عددًا من التراجم وبخاصة المتصوفة من أهل اليمن وعدد تراجمه ٥٥٦ ترجمة.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى مجلدين نقلت عن نسخة بخط المؤلف سنة ٨٧٨هـ وتقع فى ٢٩٢ ورقة و١٥٠ ورقة، وهى فى مكتبة آل الجليلى الخاصة فى الموصل. وثمة قطعة فى حرف الألف وأخرى فى حرف العين بخط المؤلف فى مكتبة غوطا.

١٧ - **«عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط» (أو فى ذكر ملوك مصر والفسطاط)**: وهو أول كتاب كتبه المقريزى فى تاريخ مصر الإسلامى الأول ثم أتبعه بكتاب **«اتعاظ الحنفا»** فى تاريخ مصر زمن الفاطميين ليأتى من بعدهما **«السلوك»**

فيغطى العهدين الأيوبى والمملوكى.

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥.

١٨ - **«منتخب التذكرة فى التاريخ»**: ويصفه المقريزى بأنه كتاب عديم المثال فى جمل التاريخ، انتخبه من كتابه المسمى بـ**«التذكرة»** وذكر فيه تاريخ الملوك والأعيان ومدة كل منهم ووقت انقضائه وأنسابهم وتلخيص أحوالهم.

وقد بقى من هذا الكتاب مجلد واحد مخطوط هو المجلد الأول من آدم إلى سنة ٢٧٠هـ. فى ١٦٦ ورقة مع بعض الأوراق الأخرى وهو فى المكتبة الوطنية فى باريس برقم ١٥١٤.

١٩ - **«نبذ تاريخية»**: وهو مجموعة معلومات، أولها نبذة عن الروك الحسامى والروك الناصرى، ثم تراجم مختلفة لبعض الأعيان، ثم وزراء الدولة السلجوقية، ثم من ولى حلب من سنة ٣٠٠هـ، ثم من ولى دمشق من الترك. ولعل هذه النبذ لم تكتب بوصفها مؤلفا ولكنها مما كان المقريزى يجمعه من المصادر لمؤلفاته التاريخية.

وهذه النبذ موجودة بخط المقريزى فى ٥٢ ورقة، والمخطوط فى بلدية الإسكندرية رقم ٢١٢٥ د.

٢٠ - **«مختصر الكامل فى الضعفاء»** وهو الكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين لعبد الله بن عدى الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٥هـ. وقال المقريزى فى مقدمته: «إن ابن عدى شحنه بكثرة الأسانيد فأحببت أن ألخص منه ما قيل فى الرواة على سبيل الإيجاز وحذفت علل الحديث والأسانيد إلا أن تدعو الضرورة ...» ومن الكتاب نسخة بخط المقريزى كتبت (سنة ٧٩٥هـ) فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٥٦٩ فى ٣١٥ ورقة.

٢١ - **«رسالة فى الموازين والمكاييل»** (أو الأوزان والأكيال) الشرعية، ومنها مخطوط فى ليدن وآخر فى دار الكتب فى ١٨ صفحة وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٨٠٠م فى روستك بعناية المستشرق رنك.

٢٢ - **«تراجم ملوك الغرب»**: وقد ذكر فيه أخبار أبى حمو ومن خلفه على تلمسان من بنى زيان. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة منها واحدة فى ليدن، وأخرى فى فيينا وكل ضمن مجموعة تحوى بضعة عشر مؤلفًا (رسالة) للمقريزى.

٢٣ - **«ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال»**: ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة فى فيينا.

٢٤ - **«معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم»**: وهى رسالة كتبها (سنة ٨٤١هـ) ومنها مخطوط فى فيينا (ضمن مجموع) وأخرى فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧).

٢٥ - رسالة فى الغناء، عنوانها **«إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء»**. ومنها مخطوط فى باريس ذكره زيدان و لم أجده فى فهارس المكتبة الوطنية هناك.

٢٦ - **«ذكر بناء الكعبة والبيت»**: وهو مخطوط فى الظاهرية بدمشق فى ٧٨ ورقة رقمه ٤٨٠٥. وللمقريزى كتابان فى هذا الموضع مطول ومختصر ذكرهما السخاوى وهذا أحد الكتابين.

٢٧ - كتاب **«البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد»** (وقد يسمى تجريد التوحيد المفيد) ومنه نسخ عديدة فى تشيستربتى رقم ١٤٩٦، وفى ليدن رقم ٤٥١، وفى باريس برقم ٤٦٥٧، وفى دار الكتب بمصر.

وثمة عدا هذه المؤلفات مجموعة أخرى ضاعت أو فقدنا آثارها حتى الآن:

٢٨ - كتاب **«مجمع الفرائد ومنبع الفوائد»**: وهو كالتذكرة التى تجمع ألوانًا من الأخبار والمواضيع، أكمل المقريزى منه كما ذكر ابن تغرى بردى نحو الثمانين مجلدة. وأما السخاوى فيذكر أنه يشتمل على «علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المائة». ومن الهام أن نلاحظ أن ابن قطلوبغا (المتوفى سنة ٨٧٩) جمع كتابه تاج التراجم فى طبقات الحنفية من تذكرة أستاذه المقريزى ومن الجواهر المضية لابن أبى الوفا (المتوفى سنة ٧٧٥هـ).

٢٩ - **«شارع النجاة»**: ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها. ذكره السخاوى وانفرد بذكره.

٣٠ - كتاب **«ما شاهده وما سمعه مما لم ينقل فى كتاب»**. ذكره السخاوى أيضا وحده.

٣١ - كتاب **«الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام»**: وهو الكتاب الآخر الضائع من الكتابين (الأصل والمختصر) اللذين ذكرهما السخاوى.

وهناك بعد هذا أربعة كتب ذات شجون:

٣٢ - **«جنى الأزهار من الروض المعطار»**: وهو موجز الروض المعطار للحميرى (المتوفى سنة ٩٠٠هـ) وهو منسوب للمقريزى، ويظهر أنه لأحد أحفاده فالنسخة المخطوطة الموجودة منه فى ٥٨ ورقة برقم ٤٥٨ جغرافيا فى دار الكتب المصرية تلقب صاحب الكتاب بشهاب الدين المقريزى لا بتقى الدين. وثمة نسختان مخطوطتان أخريان

من الكتاب فى باريس برقم ٤٧٩٧ و٥٩١٠.

٣٣ - ذكر السخاوى فى الضوء اللامع أن المقريزى **«قرض سيرة المؤيد»** شعرًا لمحمد بن ناهض. وقد ذكر الخبر نفسه فى ترجمة القلقشندى، فإن لم يكن ذلك سهوًا منه، فإن هذا قد يعنى أن السلطان المؤيد شيخ (المتوفى آخر سنة ٨٢٤هـ) بعد سنة أو نحوها من السلطنة أو بعض أمرائه الكبار قد طلب من الاثنين أو أوقع التنافس بينهما فى نظم السيرة التى كتبها ابن ناهض.

٣٤ - نشر للمقريزى كتابان عن تاريخ الأقباط، وهما كتاب واحد مستخرج من كتاب المواعظ والاعتبار (الخطط) نشر أولا بعنوان «دخول قبط مصر فى دين النصرانية» ترجمة لاتينية بعناية المستشرق ونزر فى سالباشى سنة ١٨٢٨م، ونشر باسم أخبار قبط مصر بعناية هماكر فى أمستردام سنة ١٨٢٤م، ثم طبع بعناية وستنفيلد فى غوطا سنة ١٨٤٥م.

٣٥ - **«تاريخ الجراكسة»** وهو مخطوط فى أكسفورد ينسب للمقريزى. ذكره زيدان واستظهر أنه قد يكون مقتطفًا من «واسطة السلوك» المخطوط هناك أيضا.

وأخيرًا نذكر للمقريزى:

٣٦ - كتاب **«نحل عبر النحل وما فيه من غرائب الحكمة»**: وهو مخطوط فى كمبردج، وقد نشره الشيال فى القاهرة سنة ١٩٤٦م. وهو نموذج لاهتمامات المقريزى العلمية التى تمثلت فى كتب أخرى مثل: «المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية» و«الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء». ومنها نسخ خطية موجودة بالإضافة إلى كتب ذات طابع دينى أو ما يشبهه كـ «السير فى سؤال خاتمة الخير» و«الإخبار عن الإعذار»، ومقالة فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر.

٣٧ - لخص كتاب عجائب المقدور فى وقائع (أو أخبار أو نوائب) تيمور لابن عربشاه (المتوفى سنة ٨٥٤هـ) والمقريزى بهذا التراث كله واحد من ثلاثة أو أربعة رجال كانوا أسياد علم التاريخ فى العصر المملوكى أجمع.

ثانيًا: ابن حجر العسقلانى

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل المصرى المولد والنشأة والدار، وقد اشتهر بابن حجر لقب بعض آبائه: ولد سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٦١ م. وتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م. وهو واحد من أكابر تلك السلسلة الطويلة من المحدثين المؤرخين التى كان منها الطبرى وابن الأثير والبغدادى وابن عساكر والذهبى... وإنما دخل علم التاريخ من باب الحديث، وما

يجب لعلومه من المعرفة بالرجال والأحداث والرواية، فكان مؤرخا كبيرًا بقدر ما كان محدثًا كبيرًا.

فقد ابن حجر أبويه وهو طفل فنشأ كالمقريزى يتيمًا فى وصاية أحد كبار التجار من أصدقاء أبيه، وقد صحب هذا الوصى إلى الحج وهو فتى فدرس فى مكة، ثم عاد فدرس فى مصر على أعلام العصر. وكان من شيوخه الزين العراقى، والسراج ابن الملقن، والشهاب البوصيرى، والبدر البشتكى، والعز ابن جماعة، والشمس القطان، والمجد الفيروزآبادى، والشمس الغمارى، والسراج البلقينى، والبرهانه الأبناسى، وغيرهم...

وعن هؤلاء أخذ الفقه وعلوم القرآن واللغة، لكنه انصرف بكليته للحديث منذ كان فى العشرين من عمره. وأكثر من الرحلة فى طلبه فى مصر وفى الشام والحجاز واليمن حتى اجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، «كما بز غيره علوم الحديث مطالعة قراءة وتصنيفا وإفتاء» فصار فيه المفرد العلم. وبلغت مصنفاته فيه وحده أكثر من مائة وخمسين مصنفا. «وانتهت إليه الرحلة فى الحديث فى الدنيا بأسرها، فلم يكن فى عصره حافظ سواه» على حد قول السيوطى.

وقد عمل ابن حجر فى التدريس كغيره من العلماء فى العديد من مدارس القاهرة كالصالحية والمنصورية والجمالية والصلاحية والبيبرسية والشيخونية والمؤيدية. وتولى أيضا منصب القضاء أكثر من مرة، ولمدة تزيد على إحدى وعشرين سنة (عين وعزل خلالها تسع مرات). فلما زهد فى القضاء، وصرف عنه سنة ٨٥٢هـ كان العمر أيضا قد انتهى به، فقد مات بعد أشهر قليلة!

ترك ابن حجر من التراث العلمى ما تنوء به العصبة أولو العزم. ونستطيع أن نحصى من إنتاجه حوالى سبعين ومائتين كتابًا ورسالة، عدا ثلاثة دواوين من الشعر وثلاث عشرة فتوى جوابية. ولا يدخل فى ذلك خمسة وثلاثين مؤلفا نسبت أيضا إليه، أو ثمة شك فى نسبتها إليه. وإذا كان ما يهمنا من هذا التراث هو الجانب التاريخى، فإنه بدوره ليس بالجانب الهين ولا القليل. ونستطيع أن نحصى فيخ حوالى اثنين وثمانين كتابًا ورسالة ضاع منها النصف (٤١) ومعظم الباقى محفوظ (٢٩) ولم يطبع سوى السبع أو أقل (١٢). وإن كان هذا الذى طبع هو الأضخم فى الحجم والأثقل فى الوزن العلمى. وبعضه تاريخى خالص، وبعض حديثى يتصل خاصة بالحفاظ والرواة. والمجموعة الأولى المطبوعة هى:

١ - **«الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة»**: هو أكبر معجم للرجال فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) «وفيات سنة ٧٠١هـ حتى سنة ٨٠٠هـ من

الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والآدباء والشعراء» فى مصر وفى البلاد الإسلامية على السواء. وإن توجت عناية ابن حجر إلى الحفاظ «رواة الحديث النبوى» بصورة خاصة. ولم يهمل النساء فترجم للمحدثات والعابدات وكسب كتابه شأنا تاريخيا خاصا بما أورد من تراجم ملوك المغول وأمراء التتر وسلاطين الترك ومن أحداث السياسة فى مصر والشام.

نظم ابن حجر التراجم التى أوردها - وهى فى الغالب قصيرة مركزة - على حروف المعجم، وكان يأمل أن يكون الكتاب فى أربعة مجلدات، ولكن تلميذه السخاوى بيضه فى مجلدين فقط. وقد فرغ المؤلف منه سنة ٨٣٧هـ.

وقد أدرك ابن حجر عددًا من أصحاب التراجم، ولكنه اعتمد فى معظم الكتاب على موارد أخرى ذكرها - وكانت هذه عادته فى مؤلفاته - فى مقدمة الكتاب، ومنها **«أعيان العصر»** للصفدى، و**«مجانى العصر»** لأبى حيان، و**«ذهبية القصر»** لابن فضل الله، و**«تاريخ مصر»** للقطب الحلبى، و**«ذيل سير النبلاء»** للذهبى، و**«الوفيات»** للدمياطى، والذيل عليه للعراقى، **«وتاريخ ابن خلدون»** و**«تاريخ غرناطة»** للخطيب، و**«الوفيات»** لابن رافع، وذيله لابن حجى، وعلى عدد من معاجم الشيوخ.

وليست هذه أول مرة يعتبر فيها القرن وحدة تاريخية للتأليف، فقد سبق ابن حجر فى هذا كل من الأدفوى فى كتابه **«البدر السافر»** والبرزالى فى **«تاريخ مختصر المائة السابعة»** والصلاح الصفدى فى **«أعيان العصر»** الذى بدأه من مطلع القرن الثامن حتى وفاته (سنة ٧٦٤هـ) كما اتبع الطريق نفسه ابن أبى عذيبة المعاصر لابن حجر فى كتابه **«إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون»** ولكن كتاب **«الدرر»** كان أشهرها، وبدأ سلسلة مماثلة استمرت بعده عدة قرون فى السخاوى (القرن التساع) ثم العيدروس والغزى (القرن العاشر) والمحبى (القرن الحادى عشر) والمرادى (القرن الثانى عشر) والبيطار (القرن ١٣).

ثمة عدة نسخ محفوظة من **«الدرر»** منها نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٢، ونسخة التيمورية رقم ١٣١٢، ونسخة ولى الدين باستامبول رقم ١٣٤، ونسخة المتحف البريطانى، والأهلية فى باريس، وفيينا، وغيرها. وقد طبع الكتاب لأول مرة فى الهند (سنة ١٩٢٩م) فى أربع مجلدات ضخمة، وطبع فى السنة نفسها فى القاهرة (المطبعة الرحمانية) فى أربعة مجلدات أيضا، ثم طبع فى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٩م - ١٣٥٠هـ. ثم طبع فى القاهرة سنة ١٩٦٦م فى خمسة أجزاء (تحقيق محمد سيد جاد الحق). وأخيرًا ظهرت طبعة مصورة عن طبعة الهند الأخيرة فى بيروت (دار الجيل). وقد اختصر كتاب **«الدرر»** كل من جلال الدين السيوطى (٩١١هـ) ومعاصره ابن عبد الهادى (٩٠٩هـ).

٢ - **«ذيل الدرر الكامنة»**: ويتضمن تراجم **«الأعيان المختصة بالمائة التاسعة»** كما قال صاحبه وقد رتبه على السنين «استجابة لرغبة أصحابه ليتحقق له الاستيعاب، ولم يتبسط فى تراجم الشاميين»، ونظم التراجم على سنى الوفاة بالفعل، ولكنه جعلها فى كل سنة على حروف المعجم. واستعان بمؤلفه «إنباء الغمر» فى تأليفه. وقد ذكر السخاوى أنه رأى الكتاب فى دمشق فى مجلد لطيف عند الشهاب اللبودى، وأن ابن حجر وصل به إلى سنة ٨٣٢هـ.

ولم يطبع الذيل. وثمة نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية برقم ٦٤٩ تاريخ تيمورية، وهى مسودة بخط ابن حجر نفسه وفيها شطب وتعديل واستدراك فى ٢٢٢ ورقة تنتهى سنة ٨٣٢هـ. ومع أن المخطوط يحمل عنوان «ذيل الدرر» إلا أنه كما نلاحظ- ليس بذيل عليه، ولا سماه صاحبه ولا تلميذه السخاوى بذلك، ولكنه كتاب خاص بتراجم أعيان المائة التاسعة وإن كان يتابع فيه كتاب **«الدرر الكامنة»** فى ترجمة رجال العصر.

٣ - **«أنباء الغمر بأبناء العمر»**: هو مؤلف حافل فى أكثر من ألف صفحة كبيرة. وإذا كان **«الدرر»** و**«ذيله»** فى الرجال فهذا فى التاريخ وأحداثه، وهو الصورة المكملة للدرر فى إعطاء صورة العصر الذى عاشه ابن حجر مع رجاله، جمع فيه الأحداث التى أدركها منذ ولادته سنة ٧٧٣هـ حتى انتهى إلى سنة ٨٥٠هـ نظمه على السنين وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوعبًا - طبق اهتماماته - لرواة الحديث النبوى خصوصًا - كما قال - لمن لقبه وأجازه.

اعتمد ابن حجر فى **«الإنباء»** على ما سمعه ورآه فى عصره، كما اعتمد على عدد من المصادر ذكرها - على عادته - فى مقدمة الكتاب، منها: ابن الفرات، وابن دقماق، وابن حجى، والمقريزى، والتقى الفاسى، والبدر العينى، والصلاح الأقفهسى، وابن خطيب الناصرية من مؤرخى مصر والشام الذين سبقوا عصره بقليل أو عاصروه.

ويبدو أن ابن حجر، حين قرر الشروع فى الكتاب، كان فى خاطره أن يجعله إكمالاً لبعض عمل السابقين فى التاريخ والرجال؛ لهذا قال المقدمة: «وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلا على تاريخ الحافظ ابن كثير، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه **«البداية والنهاية»** إلى هذه السنة (٧٧٣هـ) ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على وفيات ابن رافع (توفى سنة ٧٧٤هـ) فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة». وآثر ابن حجر شديد الدقة فى التسجيل فلم يكتف بالتاريخ الحولى، ولكنه كان يقيد الأحداث بالشهور والأيام فى الغالب. ومعظم ما دوَّنه خاص بتاريخ مصر فى تلك الحقبة، ولكنه دوَّن بجانبه أيضا ما وقع فى عدد من الأقطار الإسلامية من تركستان إلى

المغرب الأقصى، ومن مملكة الروم العثمانية إلى اليمن وهو يتبع الحوادث بذكر الوفيات حسب التقليد التاريخى الذى استقر فى تلك الفترة. ويسجل وفيات كبريات النساء أيضا. ومقام ابن حجر واتصالاته العليا ودقته العلمية تجعل الكتاب سجلا لتاريخ البلاد الإسلامية على مدى ثلاثة أرباع قرن وبخاصة فى مصر.

وقد ذيل على **«الإنباء»** البرهان البقاعى (المتوفى سنة ٨٨٥هـ) حتى سنة ٨٧٠هـ فى **«إظهار العصر»** كما كتب عليه ذيل آخر بعنوان **«أنباء المصر فى أنباء العصر»** من سنة ٨٥١هـ إلى سنة ٨٨٦هـ. وللسيوطى كتاب **«تاريخ العمر»** أراده ذيلا على **«إنباء»** ابن حجر.

وثمة من **«الإنباء»** نسخ عديدة مخطوطة تزيد على عشرين. وأهمها نسخة المؤلف الموجودة فى دار الكتب الظاهرية (رقم ٢٤١ تاريخ)، وثمة نسخة فى الأزهر (٧١٠ تاريخ) المتحف البريطانى وحيدر آباد واستامبول وفاس والمدينة المنورة (حتى سنة ٨٣٨هـ). وقد طبع الكتاب بتحقيق حسن حبشى فى القاهرة سنة ١٩٦٩م - سنة ١٩٧٣م، فى ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٧٣٨هـ) كما طبع قبيل ذلك سنة ١٩٦٧م فى حيدر آباد بتحقيق عبد المعيد خان.

٤ - **«رفع الإصر عن قضاء مصر»**: وهو فى تراجم رجال القضاء الكبار فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى بداية القرن التاسع، حتى إنه ترجم فيه لنفسه، فقد كان هو واحدًا منهم (إذ ولى وعزل تسع مرات) وقد جمع فيهم مجلدًا ضخمًا رتبه على الطبقات، غير أن تلميذه العز الحنبلى رتبه بعد وفاته على حروف المعجم، وأجرى عليه بعض التنقيح. وكان اعتماد ابن حجر على من سبقه فى هذا الموضوع كالكندى وابن زولاق، وقد اعتبر كتابه ذيلا على ابن زولاق، كما استقى مادته من تاريخ ابن ميسر والقطب الحلبى وكتب المقريزى. ويذكر ابن حجر فى المقدمة أنه وقف على أرجوزة لشمس الدين ابن دانيال نظمها لقاضى القضاة ابن جماعة فى من ولى قضاء الديار المصرية، ثم طلب إليه أن يترجم لمن تضمنه الرجز فاستجاب وكان هذا الكتاب.

وقد ذيل عليه السخاوى (**فى بغية الوعاة فى الذيل على شيخى فى القضاة**) واختصره ابن شاهين سبط ابن حجر فى **«النجوم الزاهرة بتخليص أخبار قضاة مصر والقاهرة»** كما اختصره أيضا على بن عبد اللطيف المقدسى (توفى سنة ٩٠٠هـ).

وثمة من **«رفع الإصر»** نسخ مخطوطة عديدة منها فى مكتبة فيض الله باستامبول (رقم ١٤٥٥) فى ١٤٠ ورقة، وفى دار الكتب المصرية (رقم ١٠٥) وفى الأهلية بباريس (رقم ٥٨٩٣).

طبع قسم من **«رفع الإصر»** فى أعقاب كتاب ولاة وقضاة مصر للكندى (لجنة

جب التذكارية سنة ١٩٠٨م) ثم طبع كاملاً فى قسمين: الأول بتحقيق حامد عبد المجيد وأبى ستة والصاوى (طبعة وزارة التربية - القاهرة ١٩٥٧م) والثانى بتحقيق حامد عبد المجيد أيضًا (وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٦١م).

٥ - **«الإصابة فى تمييز الصحابة»**: وهو أشهر كتب ابن حجر وأهمها فى التاريخ الحديثى، رتب فيه الصحابة على حروف المعجم، ثم داخل كل حرف على أربعة أقسام: من وردت عنه رواية، ومن رأى الرسول ﷺ فقط، ومن لم يره ولكنه من مخضرمى الجاهلية والإسلام، وأخيرًا ورد اسمه عن خطأ أو ذهول فى كتب مصنفى الصحابة. وهذا القسم الأخير هو أهم ما فى الكتاب لما فيه من التحقيق التاريخى الذى لم يسبق إلى غالبه. وقدم ابن حجر لكتابه بمقدمة من ثلاثة فصول عرف فيها الصحابى، وطريقة معرفته، وبيان عدالته، وخصص بابًا للصحابة المعروفين بالكنى وبابًا للصحابيات.

وقد سبق ابن حجر كثير من المؤلفين فى الصحابة، بل سبق أيضًا إلى الاسم الذى استخدمه ابن الجوزى والمقدسى والذهبى والخليلى (محمد بن يعقوب) ولكن كتاب ابن حجر احتل مكانه الخاص وصار واحدًا من ثلاثة أو أربعة كتب معتمدة مشهورة فى موضوعه رغم قصر ترجماته، لأنه استوعب الكتب التى سبقته، واستدرك عليها، ونفى وأثبت الصحبة وفق أسس منهجية ثابتة.

بدأ ابن حجر فى جمع كتابه سنة ٨٠٩هـ، واستمر فى عمله حوالى أربعين سنة، وأعاد كتابة مسودته ثلاث مرات، وبقيت الثالثة مسودة قيد التصحيح أيضًا. ومجموع التراجم فيه (١٢٣٠٤) تراجم بما فى ذلك المكرر، استند فى جمعها إلى ما يزيد على ٩٤٠ مصنفا وقد جاء الكتاب فى خمسة مجلدات ضخمة.

بلغ من شهرة كتاب **«الإصابة»** أن انتشرت منه نسخ مخطوطة فى أعداد كبيرة من المكتبات. فى استامبول منه أكثر من اثنتى عشر نسخة، وفى مصر بدار الكتب، ودمشق (الظاهرية) وتونس (الأحمدية) وبغداد (الأوقاف) نسخ أخرى متعددة.

كما طبع كتاب **«الإصابة»** أكثر من ست طبعات: أولها فى الهند (سنة ١٨٥٣م) فى ثمانية مجلدات، ثم فى كلكوتا (١٨٦٠ - ١٨٧٣م) فى أربعة، ثم فى القاهرة سنة ١٩٠٧م فى ثمان طبعات وتكرر طبعه فى القاهرة بعد ذلك أربع مرات كان آخرها طبعة دار نهضة مصر الطبعات السابقة تصويرًا.

٦ - **«تهذيب التهذيب»**: هو مصنف ضخم فى رجال الحديث فى مختلف العصور. اختصر فيه ابن حجر كتاب **«تهذيب الكمال فى أسماء الرجال»** للحافظ المزى الدمشقى (المتوفى سنة ٧٤٢هـ). وكتاب **«الكمال»** هو فى الأصل للحافظ عبد الغنى

المقدسى الدمشقى (المتوفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م). لكن ابن حجر أضاف إلى تهذيب المزى ما يعادل ثلث حجمه من المعلومات الإضافية، ومع ذلك فقد أخرجه فى ثلث حجم الكتاب المهذب، أى كتاب المزى. فقد حذف التطويل فى المرويات، واقتصر على أشهر شيوخ الرجال، ولم يحذف التراجم الصغيرة، ولكنه زاد فيها ما يدخل فى شرط الكتاب مما وجده فى المراجع الأخرى. وانتهى منه سنة ٨٠٧هـ راضيًا عنه.

جاء الكتاب فى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف (وفى ستة من خط غيره). ثمة نسخة فى خمسة مجلدات فى طوبقابو (من رقم ٦٢١٤٥٣ إلى ٦٣٢٥٤٥٨) ونسخة تشستربتى (رقم ٣٢٨٩ و ٣٣٤٥) ومخطوط ولى الدين رقم ٣٢٥ - ٣٢٧، ومخطوط القرويين فى فاس رقم ٦٢٧ - ٦٢٨ وغيرها.

وقد طبع **«تهذيب التهذيب»** فى دلهى سنة ١٨٩١م، وفى حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ فى ١٢ مجلدًا. وأعيد طبعه مصورًا سنة ١٩٦٨م (دار صادر فى بيروت) عن النسخة الأخيرة.

٧ - **«تقريب التهذيب»**: هو مختصر الكتاب السابق ولا تزيد الترجمة على سطر فكأنه فهرس للتذكرة. ويحوى رجال الكتب الستة مع زيادات كثيرة، منها فصل فى بيان المبهمات من النساء.

ومنه نسخ مخطوطة كثيرة، ومنها نسخة بخط المؤلف فى دار الكتب المصرية - التيمورية رقم ٥٣٣ تاريخ فى ٤٣٠ ورقة، بالإضافة إلى نسخ أخرى فى الدار (أرقام ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥)، وفى الأزهرية، ونسخ عديدة فى استامبول (ينى جامع ٤٣ - ٤٤، ولى الدين ٢٧، وعاطف أفندى ١٠٦، وأسعد أفندى ٢٠، وثلاث نسخ فى طوبقابو أرقامها ٤٥٩ ٦٣١٨ فى ٢٥٧ ورقة، و ٤٦٠ ٦٣١٩ فى ٩١٧ ورقة، و ٥٠٥ ٦٣٢٠ فى ٢٢١ ورقة) عدا ما فى بغداد والموصل غيرها.

وقد طبع **«التقريب»** بتحقيق وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف (دار الكتاب العربى - القاهرة) سنة ١٩٦٠م، وكان قد طبع من قبل فى دلهى سنة ١٨٩١م. وطبع حديثا بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا بدار الكتب العلمية .بيروت.

وعلى كتاب **«التقريب»** بنة ابن عبد الهادى كتابه **«ضبط من غير فى من قيده ابن حجر»**.

٨ - **«لسان الميزان»**: وقد بناه ابن حجر على أساس اختصار كتاب **«ميزان الاعتدال فى نقد الرجال»** للذهبى (وهو فى التعديل والتجريح) ولكنه بجانب الاختصار اقتصر فقط على ذكر التراجم التى وردت فى الميزان، ولم ترد فى تهذيب

الكمال، وأضاف فى الوقت نفسه من عنده زيادات كثيرة جدا سواء فى التراجم نفسها، أو فى تجريح وتعديل المترجمين، مما جعله يقول فيما بعد: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أتقيد بالذهبى ولجعلته كتابًا مبتكرًا...» وقد بلغ من اهتمام ابن حجر بهذا الكتاب أن ظل يتابعه بعد الفراغ منه بالتعديل والإضافة فى كتب أخرى، وهكذا نجد له:

٩ - **«تحرير الميزان»** وفيه تصحيح ما وقع له من وهم فيه، وإضافة ما فاته من تراجم.

١٠ - **«تقويم اللسان»** وفيه أورد من ضعفه الذهبى، ولم يذكر مستنده فى تضعيفه.

١١ - **«ذيل الميزان»** وقد جمع فيه ابن حجر نحوًا من ألفى ترجمة إضافية وبيض قسمًا منه. وثمة من لسان الميزان نسخة كاملة فى ثلاثة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٤٤، الأول إلى آخر حرف الزاى، والثانى إلىآخر اللام والثالث حتى نهاية الكتاب. وثمة فى مكتبة «لاله» الجزء الثانى منه فقط رقم ٦٣١. وفى أيا صوفيا نسخة. وقد طبع الكتاب بحيدر آباد سنة ١٩١١م - ١٩١٢م فى ستة أجزاء.

١٢ - **«تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»**: وهو فى المشتبه من أسماء الرجال الرواة، وما يتصل بذلك من المؤتلف والمختلف، قصد به ابن حجر التحرير والضبط لكتاب المشتبه للذهبى والاستدراك عليه. وقد بلغت زيادات ابن حجر مرة ونصف المرة من الكتاب الأصلى، وجاء كتاب التبصير فى مجلد كبير فرغ منه سنة ٨١٦هـ وهو مرتب على حروف المعجم.

ومنه نسخة كتبت فى عصر المؤلف وعليها خط ابن الشحنة وولده موجودة فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٣٤٣ فى ٢٥٨ ورقة. وثمة نسخة خزائنية كتبها البوصيرى (سنة ٨٢٠هـ) وقرأها على المؤلف موجودة فى رضا رامبور رقم ١٠٢٠، وثالثة فى حيدر آباد رقم ١٠ رجال، ورابعة فى خدابخش رقم ٢٤١٢، وخامسة فى شهيد على رقم ٣٧٧ وغيرها. وقد طبع **«تبصير المنتبه»** بتحقيق على محمد البجاوى فى القاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م فى أربعة اقسام.

١٣ - **«تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»**: ألفه ابن حجر سنة ٨١٥هـ، وجعل المدلسين خمس مراتب أو طبقات. وثمة منه نسخ عديدة منها ثلاث فى دار الكتب المصرية أرقامها ١٤٤ مجاميع، ١٧٥ مجاميع، و٥٢ مجاميع، وفى التيمورية مثل ذلك، عدا نسخ الأزهرية وكوبريللى فى استامبول رقم ١٥٩١. وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٩٠٤.

١٤ - **«المرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية»** أو **«مرحمة الغيث بترجمة الليث»**: هو

الليث بن سعد قاضى مصر وصاحب المذهب الفقهى المعروف باسمه (ولد سنة ٩١ وتوفى سنة ١٧٥هـ).

والمؤلف رسالة كتبها ابن حجر فى يومين (سنة ٨٣٤هـ) فى أوراق، ومنها نسخة فى ١٣ ورقة مخطوطة (خدابخش بتنة رقم ٢٣٨٢).

وقد طبعت الرسالة مرة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م.، وطبعت مع مجموعة من «الرسائل المنيرية» ببيروت سنة ١٩٧٠ ج٢ ٢٣٥ - ٢٦٥.

١٥ - **«توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس»**: وهو بدوره رسالة فى مناقب الإمام الشافعى مرتبة فى بابين فرغ منها ابن حجر سنة ٨٣٥هـ. وثمة نسخة مخطوطة لها فى الظاهريه بدمشق رقم ٩٢٢٤ عام فى أربع وعشرون ورقة، وأخرى فى أياصوفيا (٣٥٠٨) وقد طبعت الرسالة مع الرسالة السابقة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م.

١٦ - **«الزهر النضر فى أبناء الخضر»**: وقد تتبع ابن حجر فى هذه الرسالة أخبار الخضر فى الأقوال المختلفة، وفحص أسانيدها جامعًا ما سبقه إليه الباحثون الآخرون فى هذا الموضوع كابن الجوزى، والرواة الباقون كالقشيرى، والماوردى، وأبى نعيم...

ومن الرسالة مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ١٧٥ مجاميع فى ١٥ ورقة. وهى مطبوعة مع مجموعة الرسائل المنيرية فى بيروت سنة ١٩٧٠م.

١٧ - **«غبطة الناظر فى ترجمة عبد القادر الكيلانى»**: ولعله ملخص عن كتاب «بهجة الأمراء» لابن الملقن فقد ذكر السخاوى فى «الجواهر والدرر» (ورقة ٢٩٦ ظهر) أنه لخصه. ومن **«غبطة الناظر»** نسخة فى الرباط ذكرها بروكلمان (رقم ٧٥). وقد طبع الكتاب فى كلكوتا سنة ١٩٠٣م، وله مختصرات بدوره منها مخطوطات فى تونس وغيرها.

وتأتى بعد هذا مجموعة كتب ابن حجر التاريخية الثانية التى ما تزال مخطوطة وقد تقدم بعضها فى مواضعها، ويبقى:

١٨ - **«تجريد الوافى بالوفيات للصلاح الصفدى»**: والمعجم الوافى ضخم جدًا فى أصله (تسعة وعشرين مجلدًا) ولكن ابن حجر أوجزه فى مجلد كأنه الفهرس، كتبه قبيل وفاته بقليل بحيث لا تزيد الترجمة عامة على سطر. ومنه نسخة مخطوطة بخط ابن فهد المكى فى مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٤١٣ فى ٢٦٩ ورقة.

١٩ - **«المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»**: وهو يضم تراجم ومرويات حوالى ٤٥٠ شيخًا من شيوخ ابن حجر بالسماع والإجازة والإفادة، وقد رتبهم على حروف المعجم فى قسمين: الأول لمن روى عنه، والثانى للباقين، وجعلهم من حيث علو

الأستاذ خمس مراتب أو طبقات. بدأ ابن حجر جمع الكتاب فى عدن سنة ٨٠٦، وفرغ منه سنة ٨١٩هـ فى القاهرة، وقد جاء فى ١٦٢ ورقة.

ومسودة هذا الكتاب الأولى ما تزال مخطوطة، وهى فى المكتبة الأزهرية برقم ١٣٦٠/١٧٨ مصطلح الحديث. وهناك فى الأزهرية نسخة أخرى برقم ٩٣٤ حديثية، وفى دار الكتب المصرية نسخة ثالثة برقم ٧٥ مصطلح (فى قسمين من ١٢٧٧ ورقة). وثمة أيضًا نسخة فى الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥ (٣٧٥ ورقة). وفى مكتبة مراد ملا نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ٨١٦هـ ورقمها ٦٠٣ (وتمثل مشروع المؤسس قبل استكماله) وهناك أيضًا نسخ أخرى فى الحرم الشريف واستامبول وغيرهما.

٢٠ - **«المعجم الفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة»**. ويبدو أنه غير الذى سماه ابن حجر أيضًا - حسب رواية السخاوى - **«المقاصد العليات فى فهرست المرويات»** أو **«المقاصد العلية فى فهرست الكتب والأجزاء المروية»**: وهو فى مجلد يحوى ما رواه ابن حجر بالأسانيد من مطولات الكتب والمختصرات والجوامع فيها والمفرقات والشيوخ والمعاجم والمشيخات والتواريخ وفنون الحديث والتصانيف فى القرآن والفضائل والزهد والفقه والرقائق والمناقب والنوادر وغيرها، مع بيان محتوى بعضها وحجمها وطريق قراءتها... فهو عرض للمكتبة الثقافية التى استوعبها قطب من أقطاب العلم فى ذلك العصر. ومن هنا الشأن التاريخى لهذا المعجم بوصفه إطلالة عالية على ثقافة العصر. ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقم اثنين وثمانين مصطلح وتقع فى ١٨٥ ورقة رويت مباشرة عن ابن حجر. ونسخة أخرى فى المتحف البريطانى رقم ٩٦٧٧.

٢١ - **«الإيثار بمعرفة رواة الآثار»**: وهو فى رواة كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى (قاضى الرشيد المعروف المتوفى سنة ١٨٩هـ) وفى ما رواه عن أبى حنيفة. وقد رتب ابن حجر تراجم هؤلاء الرواة على حروف المعجم فى الأسماء والكنى ثم المبهم، وعقد فى النهاية فصلا فى النساء. وقد فرغ منه أواخر سنة ٨٣٣هـ.

وثمة نسخة مخطوطة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية رقم ١٥٦ مصطلح.

٢٢ - **«تسمية من عرف ممن أبهم فى العمدة»**: (أى عمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ) ويستوفى فيه ابن حجر تراجم أولئك المغمورين المذكورين فى الكتاب بترتيب أبوابه. وهناك نسخة مخطوطة منه فى المكتبة الأزهرية ضمن مجموع (١٠٩ مجاميع).

٢٣ - **«تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة»**: ترجم فيه ابن حجر لمن خرج له فى كتاب من كتب الأئمة الأربعة (دون الكتب الستة) فهو فى تاريخ الرواة الثقات. ومنه

نسخة خطية فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ١٤٦ حديث (من ورقة ٣١ إلى ١٢٤).

٢٤ - «**نزهة الألباب فى الألقاب**»: استوعب فيه ابن حجر واختصر الكتب السابقة فى هذا الموضوع، وأضاف واستدرك وصحح الكثير، وجعل الكتاب فى ثلاثة أبواب، ونظم كل باب على حروف المعجم. وللكتاب شأنه الهام فى التاريخ وعلم الرجال والحديث.

ومنه نسخ مخطوطة عديدة: أهمها نسخة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية برقم ٣٣٦ مصطلح بخط المؤلف. وهناك نسخة أخرى برقم ١٦٦ وثالثة فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٤٨ وغيرها. والكتاب مطبوع.

٢٥ - «**إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا**». وهو مخطوط.

٢٦ - «**تاريخ المدينة المنورة**»: ذكر بروكلمان أنه مخطوط فى مكتبة رضا رامبور، ومنه نسخة أخرى فى المدينة، وليس فى المصادر القديمة ذكر له.

٢٧ - «**رحلة ابن حجر من مصر إلى دمشق**» وتسمى أحيانًا: «**اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر**». وثمة شك فى نسبتها لابن حجر. ومنها مخطوط الظاهرية برقم ١٠٢٢٦ وهى مخرومة الأول وتقع فى ١٣ صفحة.

٢٨ - «**المعنى فى ضبط الأسماء والأنساب**»: وقد ذكر بروكلمان وجود نسخة مخطوطة منه فى رضا رامبور.

٢٩ - «**تحفة أهل الحديث عن شيوخ التحديث**»: ومنه مخطوطان فى المكتبة المركزية بالموصل رقم ١٩٤ و ٢٣٨ وذكرهما بروكلمان وذكر أن الكتاب فى ثلاث مجلدات.

٣٠ - «**منتقى مغازى الواقدى**»: (ويسمى أحيانا تعاليق منها أو تلخيصها). وفى دار الكتب المصرية نسخة منها برقم ٥٢٢ تاريخ تضم أيضًا تلخيص البداية والنهاية. (من الورقة ٣٨ حتى ١٥٠) بخط ابن حجر نفسه.

٣١ - «**تعليق من تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق)**»: ومنه نسخة فى المخطوط السابق نفسه فى دار الكتب المصرية ٥٢٢ تاريخ من الرقم ١٥٠ إلى ١٩٤ مختارات من تراجم المحدثين بخطه.

٣٢ - «**ما ورد من الرواية فى البداية والنهاية لابن كثير**»: لخص فيه ابن حجر من هذا الكتاب أخبار الأنبياء وغيرهم، دون الرسول. ونص فى المقدمة على أنه كتبه لنفسه ولمن ينتفع به. ولعل هذا حال الكتابين اللذين نجدهما مع هذا الكتاب فى

مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢ تاريخ بخط ابن حجر. وكتاب ابن كثير من الورقة الأولى حتى ٧٧.

٣٣ - **«الخيرات الحسان من مناقب أبى حنيفة النعمان»**: ومنه نسخة مخطوطة فى طوبقابو رقم ٢٨٢١ و ٦٥٢٢ (ومعها كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده).

٣٤ - **«ترجمة ابن تيمية»**: (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) ولعلها مستلّة من كتاب «الدرر الكامنة» وثمة من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان: إحداهما فى دار الكتب المصرية رقم ٢٠٥٤٥ ب (ضمن مجموعة من الورقة ٢٣ إلى ٣١) ونسخة فى مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموع (رقم ٦٠١٩) فى ١٣ ورقة.

٣٥ - **«الفتح الذهبى فى مناقب الشاطبى»**: ومنه نسخة مخطوطة فى أيا صوفيا ضمن مجموع رقم عدد عمومى رقم ٥٩.

٣٦ - **«ترجمة السيد أحمد البدوى»**: ومنه نسخة فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٣٧٥٤ فى ورقة وبعض الورقة ذكر أنها منقولة من خط ابن حجر.

٣٧- **«المعجم للحرة مريم»**: (وهى بنت الأذرعى، المحدثة المعمرة المتوفاة سنة ٨٠٥هـ) من مشايخ ابن حجر. ومن **«المعجم»** نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٢١ حديث فى ٨٠ ورقة بخط ريطة بن شاهين.

٣٨ - **«بذل الماعون فى فصل الطاعون»**: وهو مجلد صغير جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والآداب المتعلقة بالطاعون مع بعض أخباره. فرغ منه سنة ٨٣٣هـ، ويبدو أنه عاد إليه بالإضافة سنة ٨٤٨هـ. ومن هذا الكتاب نسختان فى التيمورية رقم ١٩٨ ورقم ٣١٢ مجاميع ونسخة فى الظاهرية بدمشق رقم ٢٣. وفى مكتبات أسعد أفندى وعاشر أفندى وكبريللى وأيا صوفيا فى استامبول نسخ أخورى، وكذلك فى ليدن. وقد اختصر الكتاب كل من الشيخ المناوى (المتوفى سنة ٨٧١هـ) والسيوطى (المتوفى سنة ٩١١هـ) والأنصارى (المتوفى سنة ٩٢٦هـ). وثمة من هذه المختصرات نسخ مخطوطة أيضًا. وفى بلدية الإسكندرية مخطوط لابن حجر عنوانه **«خلاصة ما رواه الواعون من الأخبار الواردة فى الطاعون»** فيه سرد لحوادث الطاعون حتى سنة ٨٤٨هـ، وقد أكمله بعض العلماء المجهولين حتى سنة ١٠٥٣م.

٣٩ - ويمكن أن نعدًّا أخيرًا من كتب التاريخ كتاب ابن حجر **«أسباب نزول القرآن»** فهو متصل بالمناسبات التاريخية أيام الرسالة وهو فى مجلد ضخم. ومنه نسخ مخطوطة لعلها مسودة المؤلف فى جامع القرويين فى فاس.

وتأتى بعد هذا المجموعة الثالثة من أعمال ابن حجر وهى القسم الضائع أو المفقود

حتى الآن على الأقل. وفيها من الكتب الحديثية:

٤٠ - **«ترتيب طبقات الحفاظ للذهبى»**: مرتبة على حروف المعجم وقد بيض ابن حجر منه النصف فى مجلد.

٤١ - **«رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ»**: جمعة وهيأ مادته ابن حجر مختصرًا فيه **«تذكرة الحفاظ»** للذهبى مع الاستدراك، وأعطاه لسبطه يوسف بن شاهين الذى أتمه بعد موت جده، ونظمه وبيضه فهو مشترك بينهما ويحسب فى تراث السبط. وثمة نسخة من المجلد الأول من «الرونق» فى مكتبة المدينة رقم ٢٧٢. وهناك نسخة من المجلد الثانى (من حرف الغين حتى آخر الكتاب أثناء فصل النساء) فى المكتبة الخالدية فى القدس (رقم ١١ تراجم) فى ٣٥٠ ورقة وعليه خطوط بعض العلماء المعروفين كابن قطلوبغا والصدفى وغيرهم.

٤٢ - **«ثقات الرجال ممن لم يذكر فى تهذيب الكمال»**: فى خمسة أسفار كتب منها ابن حجر نحو ثلاثة ولم يكمل.

٤٣ - **«فوائد الاحتفال ببيان أحوال الرجال»** (المذكورين فى البخارى): وهو فى مجلد مسودة.

٤٤ - **«أسماء رجال الكتب التى عمل أطرافها فى إتحاف المهرة»**: ولم يكمله ابن حجر ولو كمل لجاء فى خمسة مجلدات.

٤٥ - **«المهمل من شيوخ البخارى»**.

٤٦ - **«ترتيب المبهمات على الأبواب»** (ولعله الكتاب السابق رقم ٢٢).

٤٧ - **«التعريف الأجود بأوهام من جمع رجال المسند»**.

٤٨ - **«ذيل التبيان لمنظومة الحفاظ بديعة الزمان»**: وقد ذيل بها ابن حجر على شرح الحافظ ابن ناصر الدين لهذه المنظومة التى تجمع أسماء الحفاظ. واشتمل «الذيل» على ٢٨ حافظًا إضافيًا. وفى المجموعة الضائعة من المؤلفات التاريخية العامة ومعظمها رسائل محدودة الحجم.

٤٩ - **«أرجوزة فى وفيات الأعيان للذهبى»**: وصل فيها إلى سنة ٢٠١.

٥٠ - **«الإعلام فى من سمى محمدًا قبل الإسلام»**.

٥١ - **الإعلام بمن ولى مصر فى الإسلام»**.

٥٢ - **«تعريف الفئة فى معرفة من عاش مائة»**: ولعله هو الذى يذكر باسم كتاب المعمرين فى الإصابة ويذكره السخاوى باسم كتاب المعمرين والشبان أيضًا.

٥٣ - **«إقامة الدلائل على معرفة الأوائل»**.

٥٤ - **«النبأ الأنبه فى بناء الكعبة»** كتبه ابن حجر بطلب من السلطان المؤيد سنة ٨٢٢هـ.

٥٥ - **«القصد الأحمد فى من كنيته أبو الفضل واسمه أحمد»**: ظل مسودة.

٥٦ - **«الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل»**: وابن حجر يسميه **«البناء الجليل بحكم بلد الخليل»**.

٥٧ - **«جزء فى أسماء المدلسين»**.

٥٨ - **«جلب حلب»**: وهو صدى رحلته إلى حلب، وما علق من نوادر وفوائد حين رحل إليها سنة ٨٣٦هـ. فى حوالى أربعة أجزاء حديثية (٤٠ ورقة).

٥٩ - **«الدرة المضية من فوائد الإسكندرية»**: وهى صدى رحلته سنة ٧٩٧هـ إلى الإسكندرية وطابعها أدبى.

والمجموعة الثالثة المفقودة تتصل بالمشيخات والفهارس وفيها:

٦٠ - **«الثبت الحديثى»** الذى أثبت فيه شيوخه ومروياته ومسموعه والمشاركين معه وكان فى مجلدين فى المسودة.

٦١ - **«فهرس كتب المحمودية»** التى بناها جمال الدين محمود بن على سنة ٧٩٧هـ فى القاهرة واشترى لها مكتبة البرهان ابن جماعة من ورثته، وكانت مكتبة ضخمة تحوى حوالى أربعة آلاف مجلد فى مختلف الفنون، وحين كانت المكتبة فى عهد ابن حجر كانت تزيد على عشرة الآف فعمل لها فهرسين: الأول على أبواب العلم، والثانى على الحروف.

٦٢ - **فهرس نفسه** وكان فى مجلداته: ضخم يسمى **«المقاصد العليات فى فهرست المرويات»** ويبدو أنه غرق فى رحلته إلى اليمن.

٦٣ - **فهرس مرويات جلال الدين البلقينى بالإجازة** (توفى سنة ٨٢٤هـ).

٥٤ - **فهرس (أخيه) علم الدين البلقينى بالإجازة** (توفى سنة ٨٦٨هـ).

٦٥ - **فهرس الشرف بن الكويك** (محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربعى التكريتى المصرى ٧٣٧ - ٨٢١هـ).

٦٦ - **مشيخة البرهان الحلبى**.

٦٧ - **مشيخة ابن أبى المجد**.

٦٨ - **منتقى من مشيخات ابن عساكر** (٥٧١هـ) وابن السرارى والفخر بن البخارى (ت ٦٩٠).

٦٩ - **مشيخة الشرف أبى الطاهر بن الكويك.**

٧٠ - **«معجم التنوخى»**: (أو المعجم الكبير للشامى) وكان فى مجلدة ضخمة (٢٤ جزءًا حديثيًا) عن أكثر من ٤٠٠ شيخ.

٧١ - **«المنتقى من معجم السبكى».**

٧٢ - **«تعقيب على ابن الجزرى فى مشيخة شيخه الجنيد»** (فى جزء).

وتأتى بعد ذلك مجموعة من كتب المناقب:

٧٣ - **«الأنوار فى خصائص المختار»**: وهو نوع من السيرة النبوية.

٧٤ - **«الإيناس بمناقب العباس»**: وهو نوع من المديح للخليفة العباسى فى القاهرة.

٧٥ - **«مناقب الشيخ أبى العباس أحمد الجرار».**

٧٦ - **«ترجمة الإمام النووى»**: (المتوفى سنة ٦٧٧هـ) ولعله برهان الدين إبراهيم (المتوفى سنة ٨٥٥هـ).

وهناك كتب التخليص التاريخى:

٧٧ - **«منتقى من تاريخ ابن خلدون».**

٧٨ - **«تلخيص المتفق والمتفرق»** للخطيب البغدادى.

٧٩ - **«توضيح المشتبه»** (فى الأنساب) للأزدى.

٨٠ - **«قصة هاروت وماروت».**

٨١ - **«منتخب رحلة ابن رشيد».**

ونضيف بعد هذا كله أن علم التاريخ أثار فى عصر ابن حجر إشكالاً فقهيا يتعلق بتحريمه أو تحليله بوصفه نوعًا من الغيبة. واستفتى كبار العلماء فى ذلك ومنهم ابن حجر الذى دافع عن التاريخ بدقة وسداد. وقد نشر فؤاد سيد خمسًا من هذه الفتاوى ومنها فتوى ابن حجر الذى قسم التاريخ قسمين: قسم يقصد ضبط الوقائع ويلزمه التحرى فى النقل، وقسم يتقصر على تراجم الناس. وهنا لا تكشف مساوئ المشهور بالخير والدين لأنه غير معصوم. وأما المجاهر بالفسق فيجوز ذكر ذلك عنه لكى يرتدع. وأما المحدِّث فالأصل فى فنه بيان الجرح والتعديل ولا يجوز كتمان ذلك. وأما الزعم بأن ذلك غيبة فمرفوض وإن أصر الزاعم عليه فليعلم أو يؤدب... ذلك منهج ابن حجر

فى تراثه كله.

ثالثا: البسطامى

زين عبد الرحمن بن على أحمد بن محمد البسطاى الأنطاكى الحنفى: ولد فى أنطاكية. وتوفى بمدينة بروسة (بالأناضول) سنة ٨٥٨ هـ. /١٤٥٣ م. سنة فتح القسطنطينية. وفيما بين هذا وذاك قضى فترة الدراسة والتكون العلمى فى الشام والقاهرة، ورحل إلى المغرب فى نشدان الروحانيات، وشارك فى أنواع عديدة من علوم الحديث والفقه والتاريخ والتصوف وبرع فى اللغتين العربية والتركية. وكان له ولع بالروحانيات والأسرار الغيبية فانصرف لدراستها والتأليف فيها فله فى خواص الحروف السحرية وفى علم الجفر (التنبؤ للمستقبل من خلال كتب ذات أسرار خاصة) والمكاشفات الروحانية مجموعة من المؤلفات يمازجها الطابع الصوفى الذى كان سيد الفكر فى تلك الحقبة. وطاشكبرى زاده يلقبه بالشيخ العارف با لله ويذكر أنه كان له تصرف عظيم بخواص الحروف وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء ا لله تعالى، وكان له فى ذلك حكايات غربية...

ويبدو أن تألق الدولة العثمانية استهوى البسطامى فهاجر قبل سنة ٨١٦هـ إلى الأناضول حيث عمل في التدريس فى آق شهر، ثم فى مدارس بروسة حيث استقر وتوطن وتوفى تاركًا تراثًا من المؤلفات -رأى طاشكبرى زاده - أكثرها بخطة الذى كان فى غاية الإحكام والإتقان، وعددها يزيد على خمسين كتابًا أكثر من خمسها فى التاريخ الذى كان الهواية الثانية له. و لم تحظ أعمال البسطامى بالعناية المناسبة لانقراض الاهتمام بموضوعاتها، فضاع معظمها. والمؤلفات التاريخية منها لا تعد حوالى عشرة كتب، ولكنها مع المؤلفات الأخرى شبه التاريخية تقارب العشرين:

١ - **«نظم السلوك فى مسامر الملوك»**: وهو مختصر من الهجرة إلى سنة ٧٠٠هـ، أنهاه البسطامى سنة ٨٠٦هـ. ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى أيا صوفيا رقم ٣٥٠٣، ونسخة أخرى فى عاشر رئيس رقم ٧٢١، وثمة نسخة ثالثة فى المتحف البريطانى تحمل عنوان **«جواهر السلوك فى سياسة الخلفاء والملوك»**. إلا أن تكون هذه المخطوطة كتابًا آخر للبسطامى.

٢ - **«مختصر جهينة الأخبار فى ملوك الأمصار»**: ولعله مختصر كتاب «جهينة الأخبار» لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٩هـ، والمؤلف بأسلوب السجع.

ومنه نسخة فى سوهاج بمصر رقم ١٤٩ تاريخ فى ١٤٦ ورقة.

٣ - **«صيحة البوم فى حوادث الروم»**: وهى منظومة طويلة فى كتاب يجمع بين

علم الجفر والتاريخ وينسب الكتاب خطأ لابن عربى. والبسطامى يتنبأ فيه بانهزام الروم البيزنطيين. وقد كتبه سنة ٨١٦هـ بمدرسة فرخ شاه بآق شهر.

٤ - **«مباهج الأعلام فى مناهج الأقلام»**: ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه لنعرف موضوعه وإن كان عنوانه (الذى قد يخدع) يوحى بأنه فى التعليم الديوانى وفى التراجم.

ومن هذا الكتاب نسخة فى المتحف البريطانى رقم ٧٥٢٨.

٥ - **«الفوائح المسكية والفواتح المكية»**: وهو هواجس صوفية روحانية أوحاها له الحج، كتبها فى مكة سنة ٨٨٤هـ فى مجلد صغير. ومنه نسخة مخطوطة فى الحرم المكى برقم ١٢٢. وأخرى فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٠١ فى ١٩٤ ورقة.

٦ - **«درة تاج الرسائل وغرة منهاج الوسائل»**: ويبدو أنه يذكر فيه بعض تجاربه. ومخطوطة الدرة موجودة فى مكتبة نور عثمانية رقم ٥٩٠٤.

وله عدا هذا بعض المؤلفات التاريخية، أو التى يرجح أنها من التاريخ وهى ضائعة.

٧ - **«روضة العباد فى مناقب الصوفية الزهاد»**: والكتاب قد تكون نسخة منه فى بعض مكتبات تركيا. ولكنه فى جمعه بين التاريخ والتصوف والكرامات يمثل الجو الفكرى العام للمؤلف وللعصر الذى عاش فيه.

٨ - **«الدرر فى الحوادث والسير»**: ويصفه حاجى خليفة بأنه مختصر على ترتيب السنين من وفاة الرسول إلى سنة ٧٠٠هـ. ويذكر أسطرًا من مقدمته، وهو غير معروف المصير حتى الآن، ولكنه يماثل كتابه **«نظم السلوك»** فى الموضوع. ولسنا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان الكتابان واحدًا أم أن أحدهما مختصر الآخر.

٩ - **«التواريخ اللطيفة والآثار العجيبة»**: فرغ من تأليفه سنة ٨٣٥هـ ولا يعرف مصيره.

١٠ - **«جواهر الدرر وفواخر الغرر»**.

١١ - **«خرائد الملوك فى فوائد السلوك»**: ألفه للقاضى خضر بن إلياس، وذكر فيه ما قيل فى الخضر وفى إلياس.

١٢ - **«مصباح السلوك فى مسامرة الملوك»**: (وقد ينظر هذا الكتاب إلى المؤلف الأول فى القائمة).

١٣ - **«الفوائد السنية فى تهذيب الأسماء النووية»**: وهو مختصر تهذيب الأسمار واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

١٤ - **«درة من ظهر بالغرائب وأتى من بحر العجائب»**: ولعله ليس فى التاريخ، أو

أنه تراجم لمن عملوا بالروحانيات وأتوا فيها بالخوارق.

١٥ - **«درة الفوائد وغرر العوائد»** وهى رسالة فى مناقب الأقطاب من الصوفية.

١٦ - **«توضيح مناهج الأنوار وتنقيح مباهج الأسرار»**: وهو تاريخ مرموز كتبه سنة ٨٣٩هـ.

١٧ - **«مفاتيح الأسرار ومصابيح الأكوار»**: وهى فى خمسة أبواب وفيه تواريخ ووقائع وحكايات.

١٨ - **«روضة العباد فى مناقب الصوفية والزهاد»**.

١٩ - **«مناهج التوصل فى مباهج التوسل»** بناه على ٤٦ لطيفة. فى كل لطيفة سر مكتوم ثم أورد عقبه نكته وحكاية.

٢٠ - **«ترجمة الإمام البخارى»** (محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. /٨٦٩ م).

ومنه مخطوط الظاهرية رقم ١٠٧٦ فى ٢٦ ورقة بخط المؤلف كتبه سنة ٨٤٩هـ.

٢١ - كتاب فى موضوعات العلوم يقول حاجى خليفة إنه «أورد فيه عجائب وغرائب... حتى بلغت مائة علم وذكر فيه أقسام العلوم الشرعية والعربية».

ونلاحظ أخيرًا أن هذا المؤرخ يمثل بوضوح انحراف الثقافة والعلوم فى عصره نحو الغيبيات الروحانية والمزج بينها وبين التاريخ. وقد ضاعت معظم مؤلفاته عدا النزر منها.

رابعا: ابن تغرى بردى

أبو الحسام جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغرى بردى (والصحيح تنكرى ويردى والكلمة الثانية تركية تعنى عطا الله) الأتابكى اليشبقاوى الظاهرى: ولد سنة ٨١٣ هـ. /١٤١٠ م. وتوفى سنة ٨٧٤هـ. وأبوه مملوك رومى الأصل، صار من كبار الأمراء المماليك لدى الملك الظاهر برقوق، ثم لدى الناصر ابنه، وقد توفى سنة ٨١٥ هـ. م١٤١٢ م بدمشق، لابنه يوسف سنتان وهو أصغر أبنائه. ولما كان الطفل موصول النسب بالسلطان وبأكابر الأمراء عن طريق أخواته المتزوجات، فقد عادوا به إلى القاهرة فتربى لدى إحدى هاته الأخوات هناك. وكانت زوجة لقاضى القضاة ناصر الدين بن العديم. فلما توفى تزوجها قاضى القضاة جلال الدين البلقينى. وعلى يدى هذا الرجل أولاً وعلى كبار مشايخ العصر أمثال ابن حجر العسقلانى وبدر الدين العينى وابن ظهيرة وابن عربشاه نشأ ابن تغرى نشأته العلمية الدينية. ثم لازم مجلس المقريزى فأخذ عنه التاريخ وشغف به حتى أضحى هوايته الكبرى. لكنه درس الثقافة العسكرية أيضا على يدى مماليك أبيه. وهكذا كبر ابن تغرى بردى وهو ينتمى

إلى طبقتى أهل السيف وأهل العمائم فى وقت معا. على أن ابن تغرى بـردى كـان مـن أكابر «أولاد الناس» ومعنى ذلك بلغة العصر: أولاد الأمراء المماليك. وقد كان لديه مـن موارد الرزق ما يسمح له بأن يعيش فى سعة كاملة، واستغناء عن عمـل. وإذ اتقـن ابـن تغرى بردى العربية بجانب التركيـة وبـرع فـى الفروسية براعتـه فـى الضـرب والإيقـاع والنغم وعرف الفقه وقرض الشعر... فـإن دراسـة التـاريخ هـى التـى اسـتولت عليـه... وهذه الهواية مع التفـرغ جعلـت منـه المـؤرخ الكبـير. ويضـاف إلى ذلـك مـا اسـتطاع الاطلاع عليه من معلومات وأخبار عصره نتيجة صلاته الواسـعة مـع البـلاط السـلطانى (وقد توالى عليه فى عصره عشرة سلاطين) وعدد من كبار الأمراء وصانعى السياسة.

قدم ابن تغرى بردى فى ميدان التاريخ اثنى عشر مؤلفًا، وقد دخـل هـذا الميـدان مـن باب التراجم. وكان أول مؤلف له:

١ - **«المنهل الصافى والمستوفى بعـد الوافـى»**: وقـد سـجل تراجـم أعيـان عصـره. وأراده أن يكون تكملة للمعجم الضخم «كتبه لنفسه» وبنفسه «ولم يكن بـأمر أو طلـب من سلطان أو أمير» وابتدأ فيه من أوائل الدولـة التركيـة (المملوكيـة) بترجمـة المعز أيبـك أول سلاطين المماليك (وصرح فى بعض المواضع أنه بدأه بسنة ٦٥٠ هـ. / ١٢٥٢م). ولكنه اتبع فيه بعد ذلك طريقة الصفدى وابن خلكان قبله، فجعله على حروف الهجـاء، ووصل به إلى أيامه، أواسط القرن التاسع. وقد ضم الكتاب نحوًا من ثلاثـة آلاف ترجمـة فيها ما هو للأمراء والسلاطين ومـا هـو للعلمـاء والوجهـاء، وحتـى للمغنـين فـى مصـر والشام، كما تضم بعضًا من مشاهير المشرق والمغرب من المسلمين وغير المسلمين. وقـد حرص ابن تغرى بردى فى كتابه على الحيدة والتعفف فـى الـتراجم دون الإسـراف فـى ذكر المحاسن أو محاولة تسجيل المثالب.

وثمة من هذا الكتاب عدة نسخ خطية بعضها فى ثلاثة مجلدات، وبعض فى خمسـة أو ستة، ومن ذلك نسخة دار الكتب الوطنية فى بـاريس رقـم ٢٠٦٨ حتـى ٢٠٧٢ وهـى منقولة عن خط المؤلـف، ونسـخة نفيسـة فـى مكتبـة نـور عثمانيـة فـى استامبول رقـم ٣٤٢٨ - ٣٤٢٩ نقلت عن نسخة أحمد التركمانى تلميذ المـؤرخ، وثمـة نسـخة أخـرى فى طوبقابو، وأخرى فى فيينا وفى مكتبة عارف حكمة بالمدينة رقم ٦٣٠ تـاريخ وهـى فى ٣ مجلدات (١٠٧٦ ورقة) وفى آخرها ترجمة المؤلف بقلم تلميـذه التركمـانى. وفـى الخزانة التيمورية بالقاهرة نسخة برقم ١٢٠٩ تاريخ.

طبع من هذا الكتاب جزء أول بتحقيق أحمد يوسف نجاتى (القاهرة سنة ١٩٥٦م).

٢ - وقد وضع ابن تغرى بردى مختصـرًا لهـذا الكتـاب سمـاه **«الدليـل الشـافى علـى المنهل الصافى»** لا ينقص من التراجم واحدة، ولكنه يختصرها الاختصـار الشـديد. ومنـه

مخطوط قره جلبى فى استامبول رقم ٢٦٦ فى ١٣٨ ورقة.

٣ - كتاب (منتجات من) **«حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور»**: وهو الخطوة الثانية التى خطاها ابن تغرى بردى فى التاريخ أراد أن يذيل به على كتاب **«السلوك»** للمقريزى. وقد نص فى مقدمته على ذلك قائلاً بعد أن امتدح أستاذه: «إنه انتهى فيه إلى أواخر سنة ٨٤٤ هـ. /١٤٤١ م ولم يأت بعده من نعول عليه فى هذا الفن... إلا الشيخ بدر الدين العينى....» ولكن اختلاط ذهنه مع كبر السن جعله غير قادر على ذلك... فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيى هذه السُّنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ... المقريزى... وجعلته كالذيل ورتبته على السنين... ولم أسلك فيه طريق الشيخ فى تطويل الحوادث وقصر التراجم على الوفيات، بل أطنبت فى الحوادث وأوسعت فى التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين. وما وجدته مختصرًا من التراجم فى التعليق فراجع فيه كتابنا «المنهل الصافى» فإنى هناك شفيت الغلة...». وقد انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ. /١٤٥٦ م.

وثمة من هذا الكتاب مخطوطات عدة، منها مخطوط الجزء الأول فى أيا صوفيا رقم ٣١٧٥ فى ٤٠٠ ورقة كبيرة، ومخطوط برلين رقم ٩٤٦٢.

٤ - ويأتى بعد هذا تاريخ ابن تغرى بردى الأشهر والأكبر شأنًا وضخامة وهو كتاب **«النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»** وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ حتى سنة ٨٧٢هـ قبيل وفاة المؤلف. وبالرغم من أنه نص فى مقدمته أنه كتبه لنفسه غير مستدعى من ملك أو سلطان، إلا أنه اعترف فى أواخره أنه ألفه من أجل صديقه الأمير محمد بن السلطان جقمق (الذى توفى سنة ٨٤٧ هـ. /١٤٤٣ م). والذى كان ابن تغرى بردى ينتظر له أن يصل السلطنة، ويأمل أن يختم الكتاب بحكم هذا الأمير وعدله. ولكن الأمير مات قبل ذلك.

انتهج ابن تغرى بردى فى تاريخه منهجًا خاصا خالف فيه أستاذه المقريزى، فقد جعل كل فترة من فترات الملوك والسلاطين فصلا قائمًا بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعًا داخل الفصل حتى إذا توفى الحاكم أتى على أخباره فى مجموعة واحدة بشكل ترجمة منفصلة، ثم أعقب ذلك بترتيب سنوات العهد ترتيبًا عدديًا، وذكر وفيات كل منها فى فصل واحد، وربما ذكر بعض الحوادث ضمن التراجم.

وإذا لم يكن فى الأقسام الأولى من **«النجوم الزاهرة»** وحتى القرن السادس للهجرة من خبر لا نجده فى المراجع الكبرى الأخرى، فإن ابن تغرى بردى قد توسع حتى الإفاضة فى التاريخ الفاطمى ولعله ورث حبه وتقديره والعلم الواسع به عن أستاذه المقريزى. ويبلغ ابن تغرى بردى الغاية فى الإفاضة حين يصل العصر المملوكى، وهكذا

حتى يصل عصره، وإذ ذاك يتخذ الكتاب شكل السجل اليومى من عهد الناصر فرج تقريبًا إلى عهد الأشرف قايتباى.

أما الميزة التى تجعل من ابن تغرى بردى لامؤرخ مصر، ولكن مؤرخ النيل، أيضًا، فهو العناية التى بذلها لإحصاء تقلبات هذا النهر العظيم وفاء وشحا سنة بعد سنة منذ الفتح العربى حتى عهده، ذكر ذلك فى ختام السنوات. لقد سبقه ابن أيبك إلى ذلك، ولكن سجل ابن تغرى بردى كان أكمل وأتم. وقد عنى إلى هذا بتسجيل النشاط العمرانى فى مصر خلال مختلف عهودها، فلا ينسى ذكر الجوامع والمبانى والميادين ومقياس النيل وغيرها أولا بأول، كما قال: «أذكره فى يوم مبناه، وفى زمان سلطانه، مستوعبًا لهذا المعنى ضابطًا لشأنه». إن هذا الوعى فى تسجيل التاريخ الحضارى مع السياسى كان إحدى ميزات هذا المؤرخ.

طبع كتاب «النجوم الزاهرة» كله فى ستة عشر مجلدًا (طبعة دار الكتب بالقاهرة) وقد امتد طبعه أكثر من أربعين سنة. بدأ سنة ١٩٣٠م وانتهى سنة ١٩٧٢م. وقبل ذلك كان قد عنى به وبنشر عدة أقسام منه عدد من المستشرقين، ومن هؤلاء جوينبل وماتس (سنة ١٨٥٢م) ثم المستشرق بوبر الذى استأنف عمل سابقيه سنة ١٩٠٩م، حتى أتم النشر سنة ١٩٣٠م، مستعينًا بعدد من أعلام الاستشراق (نولدكه، غوتهايل، سيبولد) وغيرهم.

٥ - وقد لخص ابن تغرى بردى تاريخه الواسع هذا فى كتاب صغير سماه: **«الأنوار الظاهرة والكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة»**.

ومن هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى سراى أحمد الثالث رقم ٢٩٧٦ و٢٩٧٧ وهما فى مجلدين وفى مجلد.

٦ - **«مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة»**: وهو تاريخ اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين إلى آخر أيام الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق.

ومنه مخطوط فى مكتبة فيض الله فى استامبول رقم ١٤٠٦ فى ١١٠ ورقات، ثلاثة مخطوطات فى أحمد الثالث برقم ٣٠٣٨ فى استامبول أيضًا فى ١٥٠ ورقة وبرقم ٣٠٣٥ ورقم ٣٠٣٦، ومخطوط فى قره جلبى زاده رقم ٢٨٥ تاريخ. وقد طبع فى كمبردج ذات مرة سنة ١٧٩٢، نشره كارليل.

٧ - **«البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر»**: وهو تاريخ عام واسع من آدم إلى عهده، عارض فيه تاريخ ابن الصيرفى: **«نزهة النفوس والأبدان»**. ومنه مجلد مخطوط فى المكتبة الوطنية فى باريس رقم ١٥٥١. وكان فى العراق منه المجلد الثالث فى مخطوط ضخم اشترته دار الكتب فى مصر وفيه مباحث هامة حول خطط مصر.

٨ - **«نزهة الرأى فى التاريخ»**: وهو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام فى عدة مجلدات تصل العشرة أو تزيد. ومنها الجزء التاسع لحوادث سنة ٦٧٨هـ - سنة ٧٤٧ مخطوط فى أكسفورد.

ولابن تغرى بردى إلى هذا تواريخ أخرى مفقودة حتى الآن إلا أسماءها:

٩ - **«منشأ اللطافة فى من ولى الخلافة»**.

١٠ - «البشارة فى تكميل الإشارة» ذيل به على الذهبى من سنة ٧٠٠هـ إلى سنة ٨٧٠هـ.

١١ - **«حلية الصفات فى اختلاف الأسماء والصناعات»**: هى مجموعة أدبية تاريخية معظمها شعر.

١٢ - **«الأنوار الظاهرة فى الكواكب الطاهرة»**.

١٣ - **«نزهة الألباب فى اختلاف الأسماء والألقاب»**.

ولابن تغرى بردى بعد هذا كتاب فى الرياضة والموسيقى، وآخر سماه **«الانتصار للغة التتار»**.

خامسا: الكنانى

عز الدين أبو البركات أحمد بن البرهان إبراهيم بن نصر الله القاضى من ولد ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى: ولد سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م فى القاهر، وتوفى فيها سنة ٨٧٦هـ./١٤٧١م. مات أبوه وهو فى سن الرضاع فكلفته أمه وكانت على بعض الغنى، فنشأ يطلب العلوم على كبار عصره من علماء القرآن والفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض وعلم الوقت. وأخذ التاريخ ونحوه عن المقريزى والعينى، ولازم العز بن عبد السلام، ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر من الزين أبى بكر الخوافى، ولبسها من خاله الجمال عبد الله وأمه عائشة. وكان ابن حجر يبجله جدًّا. وقد ناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة ... واستنابه ففى التدريس بمدارس الجمالة والحسنية والحاكم وأم السلطان. وتولى القضاء إنابة وأصالة وهو مرغم، وصار قاضى القضاة ثم ترك القضاء جملة، وحج مرتين سنة ٨١٥هـ وسنة ٨٥٣هـ، وزار القدس والخليل والرملة، ودخل الشام مرتين، لقى فى الأولى ابن ناصر الدين حافظ الشام، وفى الثانية البرهان الباعونى. ودخل دمياط والملحة وغيرهما. «وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف حتى إنه قل فن إلا وصنف فيه إما نظمًا، وإما نثرًا، ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك... وصار بيته مجمعًا لكثير من الفضلاء... ولم يتجاوز طريقته فى التواضع... وحدث بالكثير. بيته يجمع

طائفة من الأرامل ونحوهن... وترجمته تحتمل مجلدًا...» وكان عالم الحنابلة جميعًا فى عصره.

أورد السيوطى فى معجم شيوخه أسماء مؤلفاته، والكثرة العظمى منها فى الفقه والحديث والعربية حتى ما كان منها تاريخيًا، فإنه لا يبعد عن الظل الدينى. ومن تلك المؤلفات التاريخية التى أوردها السيوطى فى معجم شيوخه:

١ - «**طبقات الحنابلة الكبرى**»: ذكر أنها كانت فى عشرين مجلدًا أو ١٤ مجلدًا.

٢ - «**الطبقات الوسطى**»: وهى مختصر الأولى فى ثلاثة مجلدات.

٣ - «**الطبقات الصغرى**»: وهى مختصر الثانية فى مجلد.

وليس من أثر لهذه الطبقات جميعًا ولعلها ضاعت، أو لم يعرف بوجودها بعد.

٤ - «**شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب**»: ألفه للملك العادل أحد بقايا الأيوبيين صاحب حصن كيفا (وهو الملك العادل سليمان بن غازى وابنه أحمد) وهو كتاب تراجم لا حوليات يقسم ملوك بنى أيوب طبقات، ويترجم لهم طبقة طبقة فى عشر طبقات، ترجم فيها ١٦٧ شخصا جمع حتى بقاياهم فى حماة وحصن كيفا فى القرنين الثامن والتاسع. وقد نشر الكتاب بتحقيق ناظم رشيد مع مقدمة (من وزارة الثقافة - بغداد ١٩٧٨م) ويتبين منه أنه نقل الكثير عن ابن واصل فى «**مفرج الكروب**» كما نقل عن العماد الأصفهانى والقادسى وابن شداد وسبط ابن الجوزى وابن الأثير وابن خلكان والدوادارى واليونينى وأبى الفداء والذهبى، وفصل فى سيرة العادل وابنه أحمد، ونقل شعرًا من دواوينهما. وفى الكتاب وثائق وخطب ورسائل ومراسيم تقليد وقطع تهانٍ وتعاز.

٥ - وله فتوى فى شرعية كتابة التاريخ نشرها فؤاد سيد فى مجلة معهد المخطوطات العربية فى القاهرة (المجلد ٢ لسنة ١٩٥٦ ص ١٧٣ - ١٧٧).

أما الكتاب الذى يجعله فى طليعة المؤرخين، لو لم يفقد، فهو:

٦ - كتاب «النشر فى التاريخ» وكان فى ٤١ مجلدًا جعل فيه لكل قرن تصنيفان: واحد على الحروف وآخر على السنين. ولو بقى هذا الكتاب لجعل صاحبه فى مقدمة مؤرخى العصر.

٧ - وله أخيرًا أرجوزة فى قضاة مصر ضاعت بدورها.

سادسا: ابن الصيرفى الجوهرى

على بن داوود بن إبراهيم الإسرائيلى المصرى الحنفى المعروف بابن الصيرفى وبابن

الخطيب الجوهرى: ولد فى القاهرة سنة ٨١٩هـ وتوفى فيها سنة ٩٠٠هـ. ولقب الرجل يوحى بعكس واقعه، فقد كسب لقب الصيرفى من أبيه الذى كان صيرفى الدولة وديوان المفردة فى فترات متقطعة من أيام المؤيد شيخ، وبرسباى ثم أواخر عهد السلطان جقمق. وكان يتكسب - حين يصرف من الخدمة - بسوق الجوهريين، فكسب الابن اللقبين عن أبيه، وإن لم يكسب معناهما، فقد كانت حياته منذ صغره أقرب إلى الإملاق. ومع أنه مؤرخ وعاش فى عصر كثر فيه المؤرخون، إلا أنك لا تدرى كيف ضن على نفسه وضن عليه الآخرون بترجمة وافية، إلا بضعة أسطر كتبها عنه السخاوى معاصره فى **«الضوء اللامع»** مليئة بالنقد المرير، وإلا أسطرًا مثلها فى المرارة كتبها ابن إياس، معاصره الآخر. على أن الإشارات والنتف الأخرى التى يذكر بها الرجل فى بعض المراجع تكشف عكس ما ذكره الرجلان. فقد كان ابن الصيرفى قليل البضاعة من العلم وقد درس على كبر. ولكنه ظل يجتهد ويجد حتى صار أحد نواب الحكم. وكان إلى هذا من أعيان الحنفية فى عصره، ويصفه السيوطى فى **«نظم العقيان»** قائلاً: «انتهت إليه رياسة الحنفية فى عصره مع الدين المتين والصلاح المفرط... والقيام فى نصرة الدين، وإبطال المظالم، ومراجعة الملوك، وهم يعظمونه ويقبلون قوله...». وقد ذكروا أن ابن حجر - وهو أستاذه - صلى مرة خلفه. أما أستاذه الآخر أبو زكريا الأقصرائى فأجازه وأثنى عليه تأليفه وقال فى مؤلفه نزهة الأبدان: (سيرة الرسول الكريم) إنه «نظر فى هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد». وشكر مؤلفه، وكذلك فعل أستاذه الآخر الكافيجى الذى كتب له عن الكتاب نفسه: أنه قد اعترف بفضله وكماله وبحسن ترتيبه الحاضر والبادى والدانى والقاصى، واغترف من بحره العذب الرائح والغادى، وأنه أتى بأمر يحيى ذكره فى الآخرين أبد الآبدين. ويبدو أن فى انتقاص السخاوى من ابن الصيرفى شيئًا كبيرًا من المزاحمة بين التلميذين على الأولية عند أستاذهما ابن حجر ومن بعده. كما أن لفقره وكثرة عياله أثرهما فى عدم بروزه فى المكان اللائق به، فقد فشل - على ما يظهر - فى سوق الجواهر بعد أن كسب منها ما ساعده فى بناء بعض الدور فترك العمل بها، ثم نفد غالب ما معه. فانصرف إلى النسخ بالأجرة يعيش عليه باقى حياته.

ولم يذهب اجتهاد ابن الصيرفى عبثًا، فقد زاحم المؤرخين فى عصر غص بكبار المؤرخين كالمقريزى وابن حجر والعينى وابن تغرى بردى والسخاوى والسيوطى وابن إياس الذين قلما اجتمع مثلهم فى قرن آخر. وما فيهم إلا المؤرخ العلم فى كتابة التاريخ. وانتصر الجد الدؤوب، واقتحم ابن الصيرفى المجال ليكتب عددًا من المؤلفات التاريخية، على الرغم من ركاكة أسلوبه التى تقترب أحيانا من العامية، والتى كان يعيبها عليه الآخرون، وعلى الرغم مما ذكره ابن إياس من أنه «كان يكتب التاريخ

مجازفة لا عن قائل ولا راو... وله فى تاريخه خباطات كثيرة، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما قال فى المعنى:

يا من يقول جمعت فى التاريخ كتبًا كامله
لك فى الأباعر نسبة لم تدر ما هى حامله

وهو تهجم مرير من ابن إياس شعر هو نفسه به فأضاف قائلاً: «وكان لا يخلو من فضيلة». ومؤلفات ابن الصيرفى فى التاريخ ليست كثيرة ولكنها - لولا ضعف أسلوبه - لا تقل شأنا عما كتبه المؤرخون الكبار الآخرون وهى:

١ - **«سيرة الملك الأشرف قايتباى»**: وقد أشار إليها السخاوى فى «الضوء اللامع» وبها نسخة فى المتحف البريطانى.

٢ - **«الدر المنظوم فيما ورد فى مصر موجودًا ومعدوم»**: وهو فى فضائل مصر وخطوطه فى باريس.

٣ - **«أنباء الهصر فى أبناء العصر»**: وقد قلد فيه الصيرفى فى كتاب أستاذه حجر: «أنباء الغمر بأبناء العمر». وهو فى أحداث عصره وتراجم معاصريه فى القرن التاسع. ومن هذا الكتاب جزء مخطوط فى باريس يبدأ من سنة ٧٨٣هـ إلى آخر سنة ٨٧٧هـ وفيه بعض أحداث ووفيات سنتى ٨٥ و٨٦ فى ٢٠٨ ورقات. وهو مصور فى التيمورية فى القاهرة برقم ٢٢٨٥ تاريخ. وقد نشره حسن حبشى فى القاهرة سنة ١٩٧٠م (دار الفكر العربى) فى مجلد.

٤ - أما الكتاب الذى يفخر به ابن الصيرفى والذى كان مشروعًا ضخمًا يستغرق التاريخ كله من آدم حتى عصره فهو كتاب: **«نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان»** وقد أراده صاحبه أن يكون موسوعة تاريخية بخاصة منذ صدر الإسلام إلى زمنه. ويبدو أن الجزء الأول منه كان خاصًا «بأنساب الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتصل بنسب آدم الى أن نصل إلى نسب سيد الأنام ومصباح الظلام» كما يقول هو نفسه فى الجزء الثانى من الكتاب المحفوظ بخطه فى مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧ ويقع فى ٤٠٠ ورقة. وهذا الجزء الثانى هو الذى سماه المؤلف بـ«الجوهرية فى سيرة الرسول».

٥ - وبعض المؤلفين يفرد هذه **«السيرة النبوية الشريفة»** ويجعلها كتابًا برأسه مختلفا عن **«نزهة النفوس والأبدان»**. وقد كان ابن الصيرفى يبرزها لوحدها وقد أخذ بها آراء ابن تغرى بردى، والكافيجى، والأقسرائى وغيرهم من كبار أهل العصر فقرظوها وامتدحوه عليها. لكن الأرجح أنها جزء من النزهة، وأن عنوان نزهة النفوس كان «العنوان العام الشامل لسلسلة من المؤلفات التاريخية متصلة الحلقات تعطى الفترة

الإسلامية بأكملها». وما السيرة النبوية سوى جزء منها. ويوجد منها نسخة مصورة يذكر ابن الصيرفى فى ختامها «كمل الجزء الثانى من كتاب نزهة النفوس والأبدان... على يد مؤلفه عام سبع وستين وثمانمائة من الهجرة النبوية ويتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الثالث ذكر الخلافة وأيام الراشدين». ولكن هذا الجزء لم يصلنا، كما لم تصلنا الأجزاء التالية له، ولعل المؤلف لم يكتبها وبقيت مشروعا فى خاطره، ولكن وصلنا منها الجزء الخاص بدولة الجراكسة فى مصر. وهو مخطوط فى المكتبة الأهلية فى باريس بخط المؤلف، وعليه قراءات وتعليقات بالعربية والفارسية. ومنه نسخة مصورة فى دار الكتب بالقاهرة (رقم ١٢٨٦١ ح) وأخرى منسوخة حديثا فى الأزهر كثيرة التصحيف. ومخطوطة باريس تبدأ بالورقة ٢ ب بتولية السلطان برقوق سنة ٧٨٤هـ، وتنتهى فى الواقع بالورقة ٢٠٧ أ، وفيها أحداث ذى الحجة سنة ٨٤٩هـ. أما الورقة التالية فتحوى سطرًا لا علاقة له بالموضوع مع تعليق لبعض القراء. ويبدو أن بعض أجزاء المخطوط قد ضاع، ولعله كان يصل إلى سنة ٨٥٤ بدليل السطر الموجود فى الورقة الأخيرة. وقد كتبه المؤلف على الطريقة الحولية التقليدية ذاكرًا الحوادث فى كل سنة متبوعة بالوفيات. وقد نشر الكتاب حسن حبشى فى القاهرة فى ثلاثة مجلدات (١٩٧٠ - ١٩٧٣م).

ولعل ما يسميه صاحب **«هدية العارفين»** بتاريخ مصر وينسبه إلى ابن الصيرفى هو هذا الكتاب.

سابعا: السخاوى

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان السخاوى المصرى الشافعى: ولد فى القاهرة سنة ٨٣١ هـ./١٤٢٨م وتوفى بالمدينة سنة ٩٠٢هـ./١٤٩٧م.

هو محدث كبير ومؤرخ كبير، ولكنه فى هذا وذاك من كبار الأواخر. كان مع معاصره السيوطى آخر الأنوار اللامعة فى علم الحديث وفى التاريخ، كما كانا آخر الشخصيات الفكرية البارزة التى صنعت النهضة الثقافية الثانية فى التاريخ الإسلامى، فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة وآخر الممثلين لهذه النهضة.

والسخاوى من القلائل الذين كتبوا فى التاريخ الإسلامى، تراجمهم بأقلامهم. وهو يكشف لنا أن الصدفة وضعت مسكنه، وهو لما يزل فى الرابعة من العمر، بجوار دار ابن حجر العسقلانى علامة العصر فكان ذلك الجوار قدره الذى حدد مصيره، فقد تتلمذ عليه السخاوى الفتى منذ سنة ٨٣٨هـ (وهو فى السابعة) وظل ملازما له دون انقطاع ١٤ سنة... إلى أن توفى ابن حجر (سنة ٨٥٢هـ). وقد تركت هذه السنوات

أعمق الانطباع فى نفس السخاوى بقية عمره، فكان فى الجهد العلمى وفى أوان الاهتمام الثقافى استمرارًا لابن حجر على مدى نصف قرن.

قرأ السخاوى على أستاذه ابن حجر الكتب والمتون الكثيرة فى الحديث خاصة، وفى التاريخ والتراجم، ولكنه لم يهمل الأخذ عن شيوخ العصر بعده، فقد أخذ وأكثر عن حوالى أربعمائة شيخ فى مصر نفسها، وفى دمياط ومكة والمدينة والقدس والخليل ونابلس ودمشق وحمص وحماه وحلب... وحصل فى رحلاته التى استمرت عدة أعوام مع الحديث والتاريخ علوم القراءة والنحو والفقه والبلاغة والتصوف... فلما عاد إلى القاهرة كان قد نضج النضج كله فجلس للإقراء والتدريس فى أعظم مدارسها: الكاملية والظاهرية والصرغتمشية والبرقوقية والفاضلية... وخاصة بخانقاه سعيد السعداء، وكانت يومذاك أبرز الدور الصوفية فى مصر.

وقد أكثر السخاوى من الحج حين تقدم به العمر (حج ست مرات وكان ينتهز الحج ليجاور ويقرئ ويدرس حتى غدت مكة أشبه بالوطن الثانى له. وقد نأى بنفسه عن الأعمال العامة فى السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وإن تكاثر عليه الدارسون والطلاب فى منزله. وحين سافر لحجته السابعة وتنقل على عادته بين مكة والمدينة فى الإقراء والتدريس وافاه الأجل فى المدينة وهو فى الحادية والسبعين.

والسخاوى محدث كبير، فتراثه الغزير ينصب بخاصة فى علوم الحديث. ولكنه ضمن هذا الإطار أيضًا كان المؤرخ الكبير، لأنه فى هذا الميدان الكثير والهام من المؤلفات التاريخية. وقد عدد السخاوى بنفسه مؤلفاته فى ترجمته التى كتبها لنفسه وهى تستغرق عدة صفحات، وتبلغ زهاء المائتين. وبين الكتب والرسائل فى الفنون والعلوم المختلفة نجد في التاريخ ربعها، أى حوالى خمسين مؤلفا، منها ما طبع، ومنها ما لا يزال مخطوطا، ومنها ما هو ضائع. ومجمل الموجود منها لا يكاد يبلغ الثلث، فله:

١ - كتاب **«الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع»** وهو موسوعة حافلة. وقد نهج فيه نهج شيخه ابن حجر فى **«الدرر الكامنة»** وإن كان رتبه على الحروف. وهو مطبوع أكثر من مرة منذ سنة ١٣٥٤هـ./١٩٣٦م. فى اثنى عشر جزءًا مع الفهارس، ولا نجد ضرورة لذكر مخطوطاته مع وجود المطبوع. ويمكن أن يعتبر دائرة معارف عصره فى علماء هذا القرن.. غير أنه كان شديد الصراحة والقسوة أحيانا فيه، فلم يسلم من نقده سوى شيخه ابن حجر، وأنحى به على مجموع أعلام عصره كالسيوطى والبقاعى والمقريزى وابن تغرى بردى وابن خلدون. وقد اختصم بسبب قلمه المرير مع الكثيرين. وهذا ما دفع السيوطى إلى التشنيع عليه فى مقالة سماها **«الكاوى فى تاريخ السخاوى»** ثم عاد عليه كرة أخرى فى كتابه «نظم العقبان» (ص ١٥٢).

وقد انتخب منه مجموعة من التراجم اثنان من رجال القرن العاشر:

● زين الدين عمر بن أحمد الشماع المتوفى سنة ٩٣٦هـ./١٥٣٥م. فى كتاب سماه **«القبس الحاوى لغرر ضوء السخاوى»**.

● شهاب الدين أحمد بن العز الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١هـ وسماه: **«البدر الطالع فى الضوء اللامع»** وهو مخطوط فى الأحمدية بتونس تحت رقم ٥٠٣٦ - ف٨.

● ثم اختصر الكتاب الأخير أحمد القسطلانى وسماه **«النور الساطع فى مختصر الضوء اللامع»**.

٢ - **«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم (أهل) التاريخ»**: وهو الكتاب الوحيد الذى ظهر فى جميع التراث الإسلامى بعدد المؤرخين ويذكر ما ألفوا فى هذا العلم. لكنه كتبه من وجهة نظر دينية، أى كتبه كمحدث لا كمؤرخ فغلب فيه المحدثون الذين عملوا فى التاريخ. كما أنه جعله مختصرًا، يكتفى أحيانًا باسم الشهرة للرجل ويمضى إلى غيره. وقد أبان فيه عن علم غزير على أى حال، وسد ثغرة ما سدها غيره من قبل إلا بشكل جزئى جدا. ومنه مخطوطات عديدة فى القاهرة وحلب واستامبول وليدن. وقد طبع الكتاب فى مطبعة الترقى بدمشق (سنة ١٣٤٩هـ./ ١٩٣١م)، ثم طبعه الدكتور صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال **«علم التاريخ عند المسلمين»**. وأفرده لوحده كذلك، ذاكرًا الشروح الواسعة التى أتى بها روزنتال عليه.

٣ - **«التبر المسبوك فى ذيل السلوك»**، وقد ذيل فيه على كتاب السلوك للمقريزى فى عدة مجلدات. ومن المجلد الأول نسخة ملكية هامة ومشكلة فى أيا صوفيا باستامبول برقم ٣١١٣ كتبت سنة ٨٨٠هـ./١٤٤٦م. فى منزل السخاوى نفسه، ونقلا عنه، وتبدأ بحوادث ووفيات سنة ٨٤٥هـ التى توفى فيها المقريزى. والكتاب مطبوع.

٤ - **«الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»**: ومنه نسخة بخط السخاوى فى مكتبة أحمد برقم ٢٩٩١ فى ٣٤٥ ورقة، ونسخة أخرى فى باريس رقم ٢١٠٥ فى مجلدين، وثمة نسخة مصورة فى دار الكتب بمصر تحت رقم ٤٧٦٨ تاريخ فى مجلدين صورت عن نسخة باريس، وثمة نسخة أخرى فى الأحقاف بتريم (مجموعة الكاف ٣٩٦) فى ٢٥٣ ورقة. وقد نشر قسمًا منها صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال. والقطعة ثبت مفصل بالسير وكتابها فى التاريخ الإسلامى.

٥ - **«بغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاة»**، أو **«ذيل رفع الإصر»** ومنه نسخة خدابخش فى بتنه رقم ٣٠٨٨ وهى مجلدان، وثمة نسخة أخرى

برقم ٩٣٠ تاريخ، ومنه مخطوط المدينة رقم ٥٠٢ فى ١٣٢ ورقة، ومخطوط دار الكتب بمصر رقم ٥٢٨٩ تاريخ وهو مصور عن مخطوط آخر فى سوهاج هو بخط السخاوى نفسه فى مجلد.

٦ - **«التحفة اللطيفة فى تاريخ (أو فضلاء) المدينة الشريفة»**: منه الجزء الأول (من إبراهيم إلى محمد بن مبارك) فى مخطوط طوبقابو ٥٢٧، ٦٤٨١ كتب سنة ٩٥٢هـ فى ٨٥١ ورقة. ومنه الثلث الثالث والأخير (من محمد بن محمد حتى النهاية) فى المكتبة ذاتها برقم ٦٤٨٢،٥١٢ فى ٤٠٧ ورقات كتب سنة ٨٨٢هـ وسنة ٩٠٤هـ، ومنه نسخ مخطوطة أخرى فى المدينة تحت رقم ٥٢٧ فى ٨١٥١ ورقة .

وقد نشره حامد الفقى فى ثلاثة أجزاء فى القاهرة ما بين سنتى ١٩٥٧-١٩٥٨، وفى كل فهرس لمن ترجم السخاوى له : الأول ٥٤١ ترجمة، والثانى ٤٨٣، والثالث ٤٨٣ (مطبعة السنة المحمدية).

٧- **«الذيل على دول الإسلام» (الذهبى)** : ومنه مخطوط فى أكسفورد رقم ٣٤٩،٦١١ وآخر فى برلين رقم ٦٤٦٣، وعنوانه **«وجيز الكلام فى الذيل على الإسلام»**، وثالثة فى دار الكتب الوطنية فى تونس فى ٢٧٤ ورقة برقم ٦٨٥٦ (ضمن مجموع من ورقة ٧٨-٣٦١ ورابعة فى مكتبة كوبر يللى باستامبول (رقم ١١٨٩) وعليها خط المؤلف فى مواضع عدة كأنه صححها، وقد كتبت فى حياته فى ٢٢٨ ورقة ونسخة فى العبدلية الصادقية بتونس رقمها ٢٩١٦ فى ٢٨٢ ورقة «باسم الذيل التام على دول الإسلام»، وهو يبدأ من سنة ٧٤٥) باختصار جدا إلا فى السنين المتأخرة.

٨- **«تاريخ خلفاء وسلاطين مصر»** : ألفه سنة ٩٠٠هـ وهو مختصر منه مخطوط فى أيا صوفيا تحت رقم ٣٢٦٦.

٩- **«الشذور فى أسماء الرجال»** : وأوله «هذا جزء رتبت فيه أسماء جماعة أجازوا للرضى الطبرى وللصلاح ابن أبى عمر وعائشة ابنة عبد الهادى و...و... غير ملتزم الاستيعاب ولا أن بعضهم لم يسمع عن بعض...» والأسماء مرتبة فيه على حروف المعجم . ومنه مخطوط نقل عن خط المؤلف فى ٢٥ ورقة فى مكتبة خدابخش فى بتنه رقم ٢٨٩٥.

١٠- كتاب **«تراجم الشيوخ الذين لقيتهم فى الشام ومصر»** : ولعلها طبعة من أحد أثباته التى دونها فى رحلاته، وهى كثيرة، ذكرها الكتانى فى فهرس الفهارس (٣٣٧/١) ومنه مخطوط رواق الشوام فى الأزهر رقم ٤٨ تاريخ فى تسع ورقات .

١١- **«المنهل العذب الروى فى ترجمة قطب الأولياء النووى»**: ذكر فيه سيرة

النووى وشيوخه ومصنفاته وتلاميذه . ومنه مخطوط كتب فى حياة المؤلف نقلا عن خطه فى المدرسة النظامية فى حيدر آباد رقم ١٣١ سير (خمسين ورقة).

١٢- **«رجحان الكفة فى أخبار أهل الصفة»**: ومخطوطته لدى الجمعية الأسيوية فى كلكتا تحت رقم ١٣٢١-ف٣١٤١.

١٣- **«بغية العلماء والرواة فى ذيل الطبقات»** لابن الجزرى : مخطوط فى ٦٨ ورقة فى مكتبة فيض الله باستومبول رقم ١٥١٤.

١٤- **«إرشاد الغاوى بل إسعاد الطالب والرواى للإعلام بترجمة السخاوى»**: ومنه مخطوط ليدن رقم ١١٠٦.

١٥- **«معجم من حملت عنه (شيوخه)»**: ومنه مخطوط فى باريس فى ثلاث مجلدات ضخمة .

١٦- **«ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون»** : وهو مخطوط ضمن رسائل فى مكتبة يحيى باشا فى الموصل تحت رقم ٢٥٦ س ى ر.

١٧- «تلخيص تاريخ اليمن»

١٨- **«مسيرة الإمام ابن عربى»** : وهو حافل لا مزيد عليه . وقد كتب هذه السيرة أيضا كل من النقى الفاسى والعلاء البخارى والكمال إمام الكاملية وبرهان الدين البقاعى وهو يسميه «القول المنبى عن ترجمة ابن عربى».

١٩- **شرح سيرة مغلطاى المنظومة** «وتممت عليه وأرجو تحريره وإبرازه» .

٢٠- **«التاريخ المحيط»** فى نحو ٣٠٠ رزمة.

٢١- كتاب **«طبقات المالكية»** وقد جرده من المدارك ورتبه ترتيبا معتبرا.

٢٢- **«الشفاء (أو الشافى) من الألم فى وفيات الأمم»** : (ثبت وفيات فى القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين) ويسميه السخاوى : «الشفاء من الألم فى وفيات القرنين الأخيرين من العرب والعجم».

٢٣- **«منتقى تاريخ مكة»**.

٢٤- **«ختم السيرة لابن هشام»**.

٢٥- **«القول النافع فى بيان المساجد والجوامع»**.

٢٦- **«كتاب الكنى»** مجلد .

٢٧- **«كتاب الألقاب»** مجلد باسم **«عمدة الأصحاب»**.

٢٨- «بهجة الناظر فى الحكايات والنوادر».

٢٩- «الاهتمام بترجمة الكمال بن همام».

٣٠- «أحسن المساعى فى إيضاح حوادث البقاعى».

٣١- «الاهتمام بترجمة النحوى جمال بن هشام».

٣٢- «الإيناس بمناقب بنى العباس».

٣٣- «بغية الرواى فى من أخذ عنه السخاوى»(وهو معجم شيوخه) ولعله «معجم من حملت عنه» الموجود فى باريس.

٣٤- «التحصيل والبيان فى قصة السيد سليمان».

٣٥- «التذكرة» فى مجلدات

٣٦- «الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة».

٣٧- «دفع الالتباس فى ختم سيرة سيد الناس».

٣٨- «الرحلة الإسكندرية».

٣٩- «الرحلة الحلبية».

٤٠- «رفع الشكوك فى مفاخر الملوك».

٤١- «رفع القلق والأرق لجمع المبتدعين من الفرق».

٤٢- «السيف القاطع فى التاريخ من كتب الوفيات على الأسماء».

٤٣- «عمدة الناس فى مناقب سيدنا العباس».

٤٤-«العقد الثمين فى مشيخة خطيب المسلمين».

٤٥- «فتح القربى فى مشيخة الشهاب القربى».

٤٦- «الفخر العلوى فى المولد النبوى».

٤٧- «القول المبين فى ترجمة القاضى عضد الدين».

٤٨- «القول المرتقى فى ترجمة البيهقى».

٤٩- «القول المرتقى فى ختم دلائل النبوة للبيهقى» (ولعله السابق نفسه).

٥٠- «القول المعهود فى ما على أهل الذمة من اليهود».

٥١- «المفاخرة فيما بين دمشق والقاهرة».

ثامنا: السيوطى

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى الأسيوطى المصرى الشافعى : ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفى بالقاهرة ٩١١هـ. كان سليل أسرة موسرة، فقد أباه مبكرا ونشأ يتيما. وكان دون الثامنة حين كان يحفظ القرآن، وألفية ابن مالك، والعمدة، ومنهاج الفقه والأصول. وقد شرع فى الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤، فدرس الفقه والنحو والفرائض. كانت سنه فى السابعة عشرة حين وضع أول مؤلف له: **«شرح الاستعاذة والبسملة»**. وقرأ على كبار الشيوخ الفقه والحديث والعربية. ووثق به شيوخه ومنهم تقى الدين الشلى وشرف الدين المناوى وعلم الدين البلقينى ومحيى الدين الكافيجى. ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين حين أفتى وحين جلس لإملاء الحديث. ورزق التجد فى علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع تبحرا ما وقف عليه أحد من شيوخه على حد قوله. كما أحاط بالجدل والتصريف والإنشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب واستعصى عليه الحساب!! وكره المنطق!.. وسافر خلال ذلك إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور لكنه استقر حين وصل الأربعين فى القاهرة فى بيت على شاطئ النيل محجوب المناظر بالكتب، واشتغل بالتدريس والتأليف، وقد استغرق التأليف حياته. فله فيما يعد الباحثون ما بين ستمائه إلى سبعمائه كتاب ورسالة مما وضعه فى طليعة المكثرين من المؤلفين الذين لم يعرف مثلهم التراث إلا عددا يعد على الأصابع. كان موسوعى الثقافة والاطلاع وانعكس ذلك فى مجموعة تراثه فهو يشمل متنوعات لا تنتهى من جميع المعارف المتاحة فى عصره، فهو خاتمة الأئمة الذى يمثلون الثقافة الإسلامية الشاملة فى عصر غروبها. وكان الإمراء والكبراء يأتون لزيارته ويقدمون له الهدايا فيردها، ويطلبه السلاطين لزيارتهم فيعتذر، وعبر عن ذلك فى كتاب سماه **«ما وراء الأساطين فى عدم التردد إلى السلاطين»**. وقد أعانه على كثرة المؤلفات انقطاعه الكامل للعلم وكثرة مكتبته وسعة علمه وحفظه وسرعة كتابته. ولو وزع عمره على الأوراق التى كتبها لأصاب اليوم ٤٠ ورقة. على أن القسم الأعظم مما ألف كان جمعا، وتلخيصا وتذييلا على مؤلفات غيره فنصيبه من الإبداع الذاتى جد قليل .

ذكر السيوطى نفسه كتبه فى التاريخ (يوم ألف كتابه حسن المحاضرة وفى هذا الكتاب) فهى تزيد على خمسة وثلاثين كتابا عدا كتبه فى الفنون والعلوم الأخرى من الأدب وفن التفسير والقراءات والحديث الذى يستغرق الكثير، والفقه ومتعلقاته، والعربية ومتعلقاتها، وعدا الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة وعدا فن الأصول والبيان والتصوف. وتستغرق أسماؤها قرابة ست صفحات من ترجمته لنفسه، غير أنه

زاد فى كتبه التاريخية حتى وفاته، كما زاد الكثير فى غيرها. فعدة كتبه فى التاريخ ومتعلقاته تزيد على مائة مؤلف وإن يكن الكثير منها مما يتصل بالحديث النبوى والتاريخ الدينى. وهذه المؤلفات التاريخية بقى منها:

١- «حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة»: وهو مؤلف ضخم فى مجلدين ضمنه بعد ذكر مصر فى القرآن والحديث تاريخها الغابر وفتحها فى الإسلام وخططها، ثم ذكر تراجم من جاءها من الصحابة والتابعين ومن نبغ فيها من الحفاظ والأئمة والقراء والفقهاء والنحويين وأهل الفكر والوعظ والقصص والتاريخ والأدب، وذكر سلاطين مصر وقضاتها وجوامعها ومدارسها والنيل وأحواله، وختم بمختارات من الشعر حول أشجار وفواكه مصر. فهو يشبه فى الخطط المقريزى وإن كان أقل منه بكثير، ويجمع تراجم رجال مصر على الاختصار بشكل شامل. والكتاب مطبوع (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بالقاهرة ١٣٨٧هـ./١٩٦٧م).

٢- «**تاريخ الخلفاء**» وهو بدوره مؤلف واسع ذكر فيه تراجم الخلفاء وتبسط فى ذكر الخفاء الراشيدين وخلفاء بنى العباس فى بغداد ثم فى مصر. ويختم الكتاب بقصيدة من نظمه. والكتاب مطبوع بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٩٦٤هـ بعد أن طبع فى كلكتا سنة ١٨٩٧هـ وفى لاهور سنة ١٨٨٦هـ وفى القاهرة سنة ١٣٠٥م وفى دلهى سنة ١٣٠٦م وترجم إلى الإنكليزية وطبع سنة ١٨٨١م.

٣- «**نظم العقيان فى أعيان الأعيان**»: وهو معجم تراجم لرجال عصره، يوازى ويقلد ابن حجر فى «**الدرر**» والسخاوى فى «**الضوء اللامع**» والبقاعى فى «**عنوان الزمان**». ويذكر فى مطلعه الشروط التى يجب أن تتوفر فى المؤرخ كأنه يريد التعريض بالسخاوى. وفى الكتاب مائتا ترجمة فحسب لأعلام مختلفين فيهم التتر وفيهم من الشام والعراق وبعض النساء كما أن فيهم ترجمة أقرانه من العلماء. وتناول السخاوى بأقسى النقد. وفى التيمورية مخطوطة منه وأخرى فى ليدن رقم ٢/٤١٦،٨٧٣ وفى برلين رقم ٤٢/٩٩١٣ وفى الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٨٦ وفى الأزهر رقم ٦١٣٥ وعارف حكمة ٩٦ مجاميع. وعلى أساس الأولين طبع فى نيويورك سنة ١٩٢٧ بتحقيق فيليب حتى فى حوالى مائتى صفحة.

٤- «**الشماريخ فى علم التاريخ**»: وهى رسالة صغيرة فى ١٥ صفحة جعلها السيوطى من ثلاثة أبواب يتناول فى الأول مبدأ التاريخ، أى مبدأ تاريخ العالم حتى الهجرة، وفى الباب الثانى فوائد التاريخ، وفى الثالث فوائد شتى، منها طريقة احتساب التاريخ بالشهور والأيام. وقد نشر هذه الرسالة المستشرق زايبولد (سنة ١٨٩٤م) فى

ليدن وتقع فى ١٥ صفحة متوسطة. ثم نشرت فى مصر والعراق (سنة ١٩٧١م) ومنها مخطوطات بدار الكتب بمصر وفى برلين والظاهرية ١٤٠ وبرلين وغيرها .

٥- **«بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة»**: وهو كتاب تراجم لهؤلاء تبلغ ٢٣٠٠ ترجمة فيها إيجاز وتركيز، ومنه مخطوطات عديدة موزعة منها واحدة بخط المؤلف فى لينتغراد. لا نجد ضرورة لذكر الباقى بعد أن طبع الكتاب مرات منها فى ليدن بعناية المستشرق مرسنجه سنة ١٨٣٩م وأخرى فى مصر (الخانجى) سنة ١٣٢٦م ثم فى مصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٤م. وقد نشره محمد أبو الفضل إبراهيم فى القاهرة فى سنتى ١٩٦٤و١٩٦٥م فى جزءين ضخمين، وهذا الكتاب هو الموجز الأخير من كتاب ضخم سماه السيوطى طبقات النحويين وضعه فى سبع مجلدات وهو « **الطبقات الكبرى**» ثم لخصه فى مجلد ضخم هو «**الطبقات الوسطى**» ثم اختصره ثانية فى كتاب «**البغية**» المطبوع. وقد ضاعت الطبقات والوسطى .

٦- **«الحبائك فى أخبار الملائك»**: منه مخطوط بدار الكتب بمصر وأخرى فى الرباط وقد نشره عبد الله الصديق (دار التأليف - القاهرة ١٩٦٤م) فى ٢٣٢ صفحة .

٧- **«طبقات المفسرين»**: وهو مرتب على حروف الهجاء، علقه أبو بكر الداودى تلميذ المصنف (سنة ٩٧٣هـ)، ومنه مخطوط ينى جامع فى استامبول (رقم ١/٨٧٢) فى ٢٢ ورقة وأخرى فى الحميدية (١٧٩) فى ٧٢ورقة. وهو غير تام فقد ذكر أن المؤلف لم يتمه. طبع الكتاب فى ليدن سنة ١٨٢٩م ثم طبع مصورا بطهران سنة ١٩٦٠م.

٨- **«طبقات الحفاظ»** لخصه عن الذهبى وذيل عليه من جاء بعده . ومنه مخطوط الحرم المكى فى ١٥٠ ورقة (رقم ٨١ تراجم) ومخطوط عارف حكمة فى المدينة (رقم ٤٣٣ تاريخ) فى ١٣٠ ورقة. وثمة نسخة فى دار الكتب بمصر ونسخة رابعة فى فيض الله باستامبول رقم ١٤٧٣ فى ٢٦٣ ومعها نسخة رقم ١٤٧٤ فى ٢٦٩ ورقة. نشره المستشرق وستنفلد (سنة ١٨٣٤م).

٩- **«المستظرف من أخبار الجوارى»**: وقد نشره صلاح الدين المنجد فى بيروت سنة ١٩٦٢ فى ثمانين صفحة. ضمن سلسلة رسائل ونصوص الصادرة عن دار الكتاب الجديد ومنه مخطوط فى الظاهرية بدمشق وآخر فى الأحمدية بتونس.

١٠- **«نزهة الجلساء فى أشعار النساء»**: نشره المنجد نفسه مع مقدمة وفهارس فى ١٣٧ صفحة (دار المكشوف فى بيروت ١٩٥٨) ومنه مخطوط فى الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٦٨ ومخطوط آخر فى الخزانة العامة بالرباط.

١١- **«تحفة الأريب فى نجاة مغنى اللبيب»**: ومنه المجلد الثانى مخطوط فى فيض الله

في استامبول رقم ١٤١٣ في ٣٣٦ ورقة. وبعض منه مخطوط في الأحمدية بتونس رقم ٤٧٦٣.

١٢- «**المنجم في المعجم**»: وهو معجم شيوخه الذين أخذ عنهم أو أجازوه وقد جعلهم ٣ طبقات ورتبهم على حروف المعجم. ومنه مخطوطة لعلها مسودة المؤلف في دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٢٦ تاريخ .

١٣- «**كوكب الروضة في تاريخ جزيرة الروضة بالقاهرة**»: وهو مقامة فيها تاريخ وأشعار وذكر لنهر النيل وما فيه. فرغ منه سنة ٨٩٥هـ ومنه نسخة في مكتبة الخالدي في القدس رقم ٢٩٢ في ٣٠ ورقة وأربع نسخ في طوبقابو باستامبول منها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف (رقمها ٢٤٠٨،١٦٥٥ في ٢٤٧ورقة) والأخرى برقم (٢٩٧٨،٦١٥٣) والثالثة برقم ١٤٠٢،٦١٥٤ ورقة والرابعة برقم ٧١٣،٦١٥٦ في ٢٨٣ ورقة.

١٤- «**لب اللباب في تحرير الأنساب**»: اختصر فيه لباب ابن الأثير وزاد عليه. ومنه مخطوط خدابخش بتنه رقم ٢٤٢٧ في ٧٠ ورقة ومخطوطات أخرى عديدة في ليدن (١٣٦-١٣٨) وفي باريس الأول منه رقم ٢٨٠٠ وفي تشيستربتي تحت رقم ٣٩٥٧ في ١٢٦ ورقة . وفي القاهرة الثاني منه (رقم ٣١٥/٥) وفي سليم آغا باستامبول رقم ١٢١٥، ١١٢٥٢ وفي رضا رامبور الأول (رقم ٢١٧:٦٤٥) وفي بنكيبور (١٧٤٧/١٢) وفي بتنه (٢٤٢١:٣٠٨/٢) ويختصر فيه السيوطي كتاب الأنساب للسمعاني ويذكر حوالي ٩ آلاف اسم مع تفسيرها .

وقد نشره ليدن المستشرق ب.ج. فيث سنة ١٨٣٠-١٨٣٢م والهولندي بطرس فوت سنة ١٨٥١م وأعيد طبعه مصورا في مكتبة المثنى ببغداد .

١٥- «**ذيل على العقود الدربة في الأمراء المصرية**»: للجزار وهي تكملة الأرجوزة وتكملة التكملة . ومنه مخطوط باريس في المكتبة الأهلية (أول ١٦٠٨). وآخر في فلورنسا رقم ٣٠١٢ (وهو بشعر الرجز).

١٦- كتاب «**الوسائل في معرفة الأوائل**»: وهو مختصر كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م). منه ثلاث مخطوطات في طوبقابو رقم ٢٣٤٣،٥٧٢٦ في ٣١ ورقة. ورقم ٣٠٥٤،٥٧٢٧ ورقم ٢٤٣٧،٥٧٢٨. ومخطوط بدار الكتب في مصر وآخر بمكتبة البريدي في القدس, وقد نشره المستشرق جوخيا سنة ١٨٧٦م ونشره أسعد طلس في العراق سنة ١٩٥٤م.

١٧- «**ما رواه الواعون في أخبار الطاعون**»: ومنه مخطوط كمبردج (٨)١٧٢.

١٨- كتاب **«تبييض الصحيفة فى مناقب أبى حنيفة»**: ومنه مخطوط الظاهرية بدمشق رقم ٤٧٦٨ فى ٢٦ ورقة. وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٧.

١٩- **«در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة»**: وقد لخص فيه كتاب ابن الربيع الجيزى وزاد عليه ما وجده فى المصادر الأخرى ورتبه على حروف المعجم. ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٣١٨ فى ٨٦ ورقة ومخطوط آخر فى دار الكتب بمصر وثالث فى باريس، وقد طبع بمصر ضمن كتاب «حسن المحاضرة» (سنة ١٣٢١م).

٢٠- **« أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (الرسول الأعظم)»**: ومنه مخطوطتان فى الظاهرية رقم ١٨٥٧ فى ٢٤ ورقة ورقم ٣٨٦١ فى ١٣ ورقة ومخطوطة فى ليبيا - مكتبة الأوقاف بطرابلس رقم ٢٣ فى ٣١٠ ورقات . ومخطوطة فى مكتبة شستربتى رقم ٣١٦١ فى ١١ ورقة، وثمة نسخة فى فيض الله ضمن مجموع .

٢١- **«مسالك الحنفا فى والدى المصطفى»** ومنه مخطوط الرباط ١١٩٤ فى مجموع من الورقة٣٨ب إلى ٦٣ب. وقد اختصره السيوطى فى كتاب أصغر ثم عاد فاختصر الأصغر فى موجز هو :

٢٢- **« الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة»**: يقول فيه إنه ثالث كتاب ألفه فى والدى الرسول ﷺ وهو أخصرهما وأوجزهما. ومنه مخطوط الرابط ١٦٣٨ فى مجموع من الورقة ٢٠٣ب إلى ٢٠٧أ.

٢٣- **«نسب بعض الصحابة والأشراف وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين»**: ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤ تاريخ فى ٤٠ ورقة. وآخر برقم ٢٠٢٠ ويحمل الاسم نفسه ولكنه ينسب لابن أبى زيد. ونسخة أيضا فى الخزانة العامة بالرباط. ويشك فى نسبة هذا الكتاب للسيوطى .

٢٤- **« تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك (ابن أنس)»**: ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية فى تونس رقم ٩٨٣٠ وفى المكتبة التيمورية فى القاهرة .

٢٥- **« الأساس فى مناقب بنى العباس»**: ومنه مخطوط الأزهرية ٤٠٢٢ تاريخ (٥٣٥٥٥) فى ١١ ورقة. ومخطوط بالتيمورية وثالث فى الخزانة العامة فى الرباط بمجموع ١١/١٠٢٧ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وبرلين ١٥١٨.

٢٦- **«التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة»**: ومنه مخطوط الرباط رقم ٤٨٦ك فى ١٣ ورقة ومخطوط فى الأسكوريال وثالث فى دار الكتب بمصر.

٢٧- **« أسماء المدلسين من رجال الحديث»**: ومنه مخطوط الأزهر رقم ٦٠٣

مصطلح الحديث فى ٥ ورقات .

٢٨- «وثمة من ضمن مجموع واحد فى مكتبة فيض الله رقم ١٤١٣ فى ٣٣٦ ورقة كل من : **«العجاجة الزرنبية فى السلالة الزينبية»** من ورقة ١٦١ حتى ١٦٨، وهى موجودة أيضا فى عارف حكمت بالمدينة ١٦٢ مجاميع وفى دار الكتب بمصر ٩٢٠٧ح وفى أسعد أفندى باستامبول مجموع ١٦٩٤ وبرلين ٩٤٠١ وشستربتى رقم ٥٥٠٠.

٢٩- «العرض الوردى فى أخبار المهدى» من ورقة ١٧٢ حتى ١٨٣.

٣٠- **«إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء»** من ورقة ٢٠٨ حتى ٢١١.

٣١- **«مسالك الحنفا فى والدى المصطفى»** من ورقة ٢٣٣-٢٤٧.

٣٢- **«الإعلام بحكم عيسى عليه السلام»** من ورقة ٢٠٤ حتى ٢٠٨ (ومنه مخطوط بالتيمورية ٢٨١٩، ٢٤٦٧ ومخطوطات أخرى فى برلين ٣٥٣٩ وجامع صنعاء مجموع ١٨٧ وأسعد أفندى مجموع ٢٦٠ وشستربتى ٥١١٢، ٥٥٠٠ وفى الموصل وغيرها) وفى المجموع نفيه، فى آخره نسخة أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب .

٣٣- وينسب إليه **«إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى»**: وهو ينسب أيضا إلى شمس الدين محمد المنهاجى السيوطى (طلس: الكشاف صـ ٢٢٠) وحاجى خليفة ينسبه إلى كمال الدين بن أبى شريف. وقد طبع المستشرق لامنغ سنة ١٨١٧ قطعة منه. وهو مخطوط بالحرم المكى رقم ١٩٢ وليدن ١٠٣٢ والمتحف البريطانى (ذيل ٥٧٢.

٣٤- وينسب للسيوطى أيضا كتاب **«تاريخ السلطان قايتباى»** (٨٧٢-٩٠١هـ) والدولة الأيوبية ودول المماليك. ومع أن طريقة الكتاب قريبة من منهاج السيوطى إلا أن أحدا لم يذكر هذا الكتاب له سوى المخطوطة التى تحمل اسمه عليها. وهى فى دار الكتب المصرية بالقاهرة فى ٥٧ لوحة مزدوجة متوسطة ورقمها ٦١ تاريخ .

٣٥- **«الرتب المنيفة فى فضل السلطنة الشريفة»**: وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٥ مجاميع فى ثلاث ورقات .

٣٦- **«التعريف بآداب التأليف»**: وهو رسالة صغيرة منها مخطوط دار الكتب بمصر رقم ٣٢ مجاميع فى ٥ ورقات. ومخطوط آخر فى الخزانة العامة بالرباط طبع بعناية إبراهيم السامرائى فى بغداد ثم طبع محققا بعناية عبد الصبور مرزوق سنة ١٩٧٠.

٣٧- **« طبقات الأصوليين»**: نسبة لنفسه فى **«حسن المحاضرة»** ومنه مخطوط فى برلين رقم ٤٣/٩٩١٣.

٣٨- « **طبقات البيانيين**»: نسبة لنفسه فى «**تاريخ الخلفاء**» ومنه مخطوط برلين ٢٩/١٠٠٦٣.

٣٩- «**طبقات الخطاطين**»: نسبة لنفسه فى «**تاريخ الخلفاء**» ومنه مخطوط برلين ٣٠/١٠٠٦٣

٤٠- «**طبقات التابعين**».

٤١- «**طبقات الشعراء**: نسبه لنفسه فى «**حسن المحاضرة**».

٤٢- **طبقات الفرضيين**»: نسبة لنفسه فى «**تاريخ الخلفاء**».

٤٣- «**ذيل الإنباء عن قبائل الرواة**» الأصلى من تأليف ابن عبد البر التمرى القرطبى المتوفى (سنة ٤٦٣).

٤٤- «**الرحلة الفيومية**» نسبها لنفسه فى «**حسن المحاضرة**» ومنها مخطوط فى برلين رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٥- «**الرحلة المكية**»: نسبها السيوطى لنفسه فى «**حسن المحاضرة**» وهى مع المخطوط السابق فى برلين .

٤٦- «**الرحلة الدمياطية**»: نسبها بدورها لنفسه فى «**حسن المحاضرة**» ومنها مخطوط برلين (مع السابقتين) رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٧- «**رفع الباس عن بنى العباسى**»: نسبه السيوطى لنفسه فى «**حسن المحاضرة**» وتحدث عنه .

٤٨- «**مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**»: وهو مختصر «**معجم البلدان**» لياقوت .

٤٩- «**روائد الرجال على تهذيب الكمال**»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» والتهذيب فى الأصل لابن الزكى المتوفى سنة ٦٠٠هـ.

٥٠- «**الزوائد على المال فى معرفة الرجال**».

٥١- «**السماح فى أخبار الرماح**»: ومنه مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية فى القاهرة رقم ٢٣ فروسية .

٥٢- «**إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء**»: منه مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر وآخر بالأحمدية بتونس ٤٩٥١، وأوقاف الموصل ٢٤/٨٤ بجاميع وبرلين ٥٥٧٩ وليدن ١٤/٤٧٤، ٢٧٧٢.

٥٣- **«إحياء الميت بفضائل أهل البيت»**: ومنه مخطوطات عديدة فى الظاهرية ١١١٢ حديث، ٥٢٩٦ مجموع وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وخزانة الرباط مجموع ٢/٩٣٦ وجامع صنعاء ٢ تصوف، وكمبردج ٢/٢٠ ودار الكتب بمصر ٢١ مجاميع، و٣٧ مجاميع. وقد طبع فى الهند وفى القاهرة سنة ١٣١٢ وفى فاس.

٥٤- **«الازدهار فيما عقد الشعراء من الآثار»**.

٥٥- **«إزهار العروش فى أخبار الجيوش»**: وهو مختصر كتابه « رفع شأن الحبشان» ومنه مخطوط التيمورية رقم ٧٢٦ تاريخ وشهيد على بتركيا ٢٨٠٣ وشستربتى ٤٧١٣ و ٥٤٩١ وثمة مخطوطان آخران أحدهما فى غوطا والثانى فى الأسكوريال ومخطوط فى كوبر يللى ٤٥٨ وفى قورشوتلى رقم ٤/١٤٣.

٥٦- **«إسبال الكساء على النساء»**: ومنه مخطوط الظاهرية ١١١٧ حديث ومخطوط التيمورية ضمن مجموع.

٥٧- **«إسعاف المبطا برجال الموطأ»**: وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٦هـ. وله مخطوطات بدار الكتب بمصر رقم ٢٣٣، ٣٤١، ٣٤٢ وفى برلين ٩٩٥٨ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة ١٩١٩ مجاميع .

٥٨- **«أعلام النصر فى إعلام سلطان العصر»**.

٥٩- **«آكام العقيان فى أحكام الخصيان»**: ومنه مخطوطات عديدة فى دار الكتب بمصر (٢٧ مجاميع ٥٢١ مجاميع حديث) وفى خضر موت ٣٢٨ وفى الظاهرية ١٠٧ حديث وفى شستربتى ٥١١٢، ٥٤٩١، ٥٥٠٠ وليدن ٢٧١٦ وبرلين ٢٢٦٤/٤٨١٠ وفى خزانة الرباط .

٦٠- **«إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد»**: نسبه إليه صاحب الكشف.

٦١- **«إنشاب الكثب فى أنساب الكتب»**: ذكر فيه مروياته ومنه مخطوط برلين ٣/٣٠.

٦٢- **«الأوج من أخبار عوج»**: ومنه نسخة مخطوط آخر فى التيمورية ضمن مجموع، وقد طبع ضمن كتاب السيوطى « الحاوى فى الفتاوى».

٦٣- **«الأنوار السنية فى تاريخ الخلفاء والملوك فى مصر السنية»**: ومنه مخطوطات برلين ٩٨٧٩، ٩٨٢٥، ٩٨٢٦.

٦٤- **«بدائع الزهور فى وقائع الدهور»**: وهو تاريخ كبير انتقاه من ٣٢ تاريخا ذكر فيه نوادر الوقائع، ذكره حاجى خليفة فى « كشف الظنون»، من مبدأ الخلق إلى زمانه،

وقد قدم الأنبياء ثم الخفاء ثم الملوك لكنه لم يكمله .

٦٥- **«بذل المجهود لخزانة محمود»**: نشره فؤاد سيد فى مجلة معهد المخطوطات (المجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤-١٣٦).

٦٦- **«بلوغ الأمنية فى الخانقاه الركنية»**: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٦٧- **«بهجة الناظر ونزهة الخاطر»**: (جمع فيه ما قيل فى مصر ونيلها ومتنزهاتها) من مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع .

٦٨- **«تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء»**: وهى قصيدة رائية نظم فيها أسماء الخلفاء وسنى وفاتهم، ومنها نسخة بدار الكتب فى القاهرة ضمن مجموع يضم **«بلبل الروضة»** أيضا وطبعت ضمن « تاريخ الخلفاء» للسيوطى.

٦٩- **«تحفة الكرام بأخبار الأهرام»**: ومنه مخطوط بجامعة بيل فى نيوهافن بالولايات المتحدة وفى برلين ٦١١٢ ودار الكتب بمصر ٧٤٢ مجاميع والأحمدية بتونس/٦١٨٢ وجامعة كمبردج ١/٢٢٧، وخزانة الجليلى بالموصل ٢١/٥ج ١ج٤.

٧٠- **«تحفة المذاكر المنتخب من تاريخ ابن عساكر»**: نسبه لنفسه فى **«حسن المحاضرة»**. ومنه محطوط فى برلين ٥/٩٧٨٨.

٧١- **«تحفة المهتدين بأسماء المجددين»**: وهى أرجوزة فى ٢٧ بيتا منها مخطوط دار الكتب بمصر ضمن مجموع، وقد أكملها الجرجاوى المراغى فى مخطوط بدار الكتب أيضا بخط مؤلفه .

٧٢- **«التحفة الظريفة فى السيرة الشريفة»**: نسبها إليه البغدادى فى «هدية العارفين».

٧٣- **«المنهاج السوى فى ترجمة النووى»** (الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف محيى الدين المتوفى (سنة ٦٧٦هـ) وقد نشرت فى مصر بتحقيق محمد عيد الخطراوى. ومنها نسخة مخطوطة فى مكتبة توبنغن فى ألمانيا برقم ١٩ فى ٢٣ ورقة ونسخة أخرى فى التيمورية وثالثة فى الأسكوريال .

٧٤- **«ترجمة البلقينى»** (الإمام قاضى القضاة صالح بن عمر الشافعى المتوفى سنة ٨٦٨هـ): ذكره فى «حسن المحاضرة» .

٧٥- **«تنبيه الغبى فى تبرئة ابن عربى»**: ومنه مخطوط فى رواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ وآخر فى دار الكتب فى مصر.

٧٦- **«الثغور الباسمة فى مناقب السيدة فاطمة»**: ومنه مخطوط ضمن مجموع فى دار الكتب بمصر .

٧٧- «**حاطب ليل وجارف سيل فى معجم الشيوخ**»: (وقد ذكرنا برقم ١٢ معجما آخر) ومنه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٤٢ تاريخ وعدد صفحاته ٧٢.

٧٨-«**الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة**»: من مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى الخزانة العامة بالرباط (مجموع ١٠٢٧) وثالث فى برلين ٣/٩٧٥٦ وفى الظاهرية ١١٣٤ حديث عام ٧٦٦٤ فى شستربتى رقم ٥١١٢ وفى بلدية الإسكندرية ٣٧٣٥ح وله طبعة فى الهند .

٧٩- «**حلية الأولياء فى طبقاتهم**» (أو طبقات الأولياء): نسبه لنفسه فى تاريخ الخلفاء.

٨٠- «**الدرارى فى أولاد السرارى (أو النجوم الدرارى)**»: ويدافع فيه عن جدته الشركسية. ومنه مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى برلين.

٨١- «**شد الرحال فى ضبط الرجال**»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٨٢- «**شد المطية للفضل بن غياث وعطية**»: نسبه إليه صاحب الكشف .

٨٣- «**شرح الإضافة فى منصب الخلافة**»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٨٤- «**العرف الوردى فى أخبار المهدى**»: وهو مخطوط فى دار الكتب بمصر ٣٢ مجامع ومطبوع ضمن الحاوى للفتاوى .

٨٥- «**عين الإصابة فى مختصر أسد الغابة**» (ولعله عين الإصابة فى معرفة الصحابة نفسه).

٨٦- «**الفاشوش فى أحكام قراقوش**: ومنه مخطوطان بدار الكتب المصرية كتب أحدهما سنة ١٠٧٧ ضمن مجموع ١٩٤ ومجموع ٤١٦ . وفى برلين ٨٤١١ وفى شستربتى ٥٤٩١ وقد طبع فى مصر سنة ١٣١١.

٨٧- «**القول المشيد فى وقف المؤيد**»: طبع ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

٨٨- «**الكاوى فى تاريخ السخاوى**»: (وهى إحدى مقاماته).

٨٩- «**كشف الصلصة عن وصف الزلزلة**»: منه مخطوط بالتيمورية فى مصر وآخر فى المكتبة الأهلية فى باريس (رقم ٤٦٥٩) وثالث فى برلين. ورابع فى غوطا وخامس فى المتحف البريطانى وسادس فى كمبردج وثمة نسخة سابعة فى الخزانة العامة بالرباط. ترجمه شيرانجر إلى الإنكليزية باختصار سنة ١٨٤٣م ثم طبع فى لاهور سنة ١٨٩٠م وترجمه إلى الإنكليزية أيضا أمبراسى سنة ١٩٦١م وحققه وطبعه فى المغرب أخيرا عبد اللطيف السفدانى .

٩٠- «**كشف النقاب عن الألقاب**»: نسبه لنفسه فى «**حسن المحاضرة**».

٩١- «**اللمع فى أسماء من وضع**»: نسبه لنفسه فى «**حسن المحاضرة**».

٩٢- «**مختصر الأحكام السلطانية**»: للماوردى نسبه لنفسه فى «**حسن المحاضرة**».

٩٣- «**المضبوط فى أخبار أسيوط**»: ومنه مخطوط فى برلين رقم ٥٧/٩٨٤٥.

٩٤- «**المكنون فى ترجمة ذى النون**»: ذكره صاحب كشف الظنون . ومنه مخطوط تشستربتى ٤٨٦٥.

٩٥- «**الملتقط من الدرر الكامنة**»: منه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢١٧ تاريخ وعدد صفحاته ٢٧٢ فى نسخة جيدة .

٩٦- «**مسألة أولاد على بن أبى طالب**»: وهى مقاله فى ثلاث ورقات مخطوطة برواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ .

٩٧- «**المنى فى الكنى**»: وهو تلخيص المرصع لابن الأثير. ومنه مخطوط برلين ٧٠١٨.

٩٨- «**نثر الهميان فى وفيات الأعيان**»: منه مخطوط فى برلين رقم ٤١/٩٩١٣.

٩٩- «**النفحة المسكية والتحفة المكية**: ومنه مخطوط الأوقاف بالموصل مجاميع ١٩/٣٢ والظاهرية ٤٢٥٥ وفى الأسكوريال ومكتبة فيينا .

١٠٠- «**والوجيز فى طبقات الشافعية**»: منه مخطوط فى ليدن رقم ٢٦٣٩

١٠١- «الأخبار المستفادة فى من ولى مكة من آل قتادة» : نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

١٠٢- «**الهيئة السنية فى المئة السنية فى الأخبار**»: ومنها نسخ جامعة كمبردج ١٢٤٣/١، برلين ٥٦٩٧، الظاهرية ١١٦٥ حديث مجموع ١٢٦ عام ٦٦١٩ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وتشستربتى ٤٢٠٥،٥٤٩١ وفى خزانة الرباط بمجموع ١٠٠١ وبشير آغا باستامبول بمجموع ٦٥٥.

١٠٣- «**الذيل على المغنى فى الضعفاء**»: والكتاب الأصلى للذهبى .

١٠٤- «**شرح تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش لابن الجوزى**»: ومنه مخطوط فى باريس .

١٠٥- «**ديوان الحيوان خلاصة حياة الحيوان للدميرى**»: ومنها مخطوط فى باريس وآخر فى المكتب الهندى .

١٠٦- **«الدرارى فى أبناء السرارى:** وفيه أسماء الخلفاء المولدين من الجوارى والمخطوطة فى برلين وفى دار الكتب بمصر فى بضع ورقات .

١٠٧- **«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص:** مخطوط عارف حكمت بالمدينة (وهو الثالث ضمن مجموع رقمه ١٢٠ قديم/١٨٨ جديد من ورقة ١٥٢ إلى ١٩٣) وعلى النسخة تعاليق .

١٠٨- **«قصيدة لامية فى من ولى الخلافة والملك منذ كانت الخلافة إلى زمن الأشرف برسباى:** منها مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٥.

١٠٩- **«تاريخ الصحابة:** نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» .

١١٠- **«عين الإصابة فى معرفة الصحابة»:** نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة». وذكر فى «كشف الظنون» أنه يتمه .

١١١- **«رفع شأن الحبشان»:** ومنه مخطوط فى الخزانة التيمورية وآخر فى الأسكوريال وفى كوبريللى باستامبول رقم ٤٥٨ وفى قورشوتلى هناك أيضا برقم ٤/١٤٣.

١١٢- **«ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين»:** ومنه مخطوط فى الأسكوريال وآخر فى الخزانة العامة فى الرباط. وفى شسستربتى رقم ٥١١٢، ٥٤٩١ ودار الكتب المصرية ٥٢١ مجاميع ٥٣٠ مجاميع.

١١٣- **«من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة»:** منه مخطوطة ضمن مجموع فى الخزانة العامة بالرباط.

١١٤- **«الأقوال المتبعة فى مناقب الأئمة الأربعة»:** ومنه مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

١١٥- **«تحفة النابه بتلخيص المتشابه»:** نسبه لنفسه فى **«حسن المحاضرة»**.

١١٦- **«طبقات الكتاب»:** نسبه لنفسه فى **«حسن المحاضرة»**.

١١٧- **«حسن التلخيص لتالى التلخيص»:** وهو ذيل على التالى والأصل كتاب **«وتلخيص المتشابه»** للخطيب البغدادى .

١١٨- **«تاريخ العمر»** نسبه السيوطى فى **«حسن المحاضرة»** وهو ذيل على **«إنباء الغمر»** لابن حجر .

١١٩- **«ذيل (حياة) الحيوان للدميرى:** فرغ منه السيوطى سنة ٩٠١.

١٢٠- **«الزبرجد فى التاريخ»:** نسبه إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون .

١٢١- **«سبل الهدى فى السير»**: نسبة إليه حاجى خليفة فى الكشف .

١٢٢- **«تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك»**: ومنه مخطوط فى التيمورية وآخر فى الأسكوريال . وقد طبع فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥هـ.

١٢٣- **«نسب البوصيرى»**: ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب بمصر .

١٢٤- **«العجائب فى تفضيل المشارق على المغارب»**: نسبه إليه حاجى خليفة فى «كشف الظنون» ومنه مخطوط برلين ٤/٦٠٥٨.

١٢٥- **«فضائل الشام»**: ومنه مخطوط فى مكتبة جامعة برنستون فى الولايات المتحدة.

١٢٦- **«حسن النية فى الخانقاه البيبرسية»**: نسبه إليه حاجى خليفة فى الكشف .

١٢٧- **«المزدهى فى روضة المشتهى»**: نسبه إليه حاجى خليفة (ولعله تاريخه للروضة الجزيرة فى النيل).

١٢٨- **«طبقات الكتاب»**: ومنه مخطوط برلين ٣١/١٠٠٦٣.

١٢٩- **«طبقات النحاة الكبرى»**: ومنه مخطوط فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول رقم ١١٦١.

١٣٠- **«فريدة التبيان ونزهة الحفاظ والإخوان»**: وقد طبع فى مصر سنة ١٣٢٢ ونسخته فى دار الكتب رقم ٢١٣٦.

١٣١- «الدر الثمين فى أسماء المصنفين» : ومنه مخطوط برلين ٤/٣٠ .

١٣٢- **«الأخبار المروية فى سبب وضع العربية»**: ومنه مخطوطتان ضمن مجموعين فى الخزانة العامة بالرباط . وهو مطبوع ضمن مجموعة «التحفة البهية والطرفة الشهية» الصادرة عن مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢هـ.

١٣٣- **«دقائق الأخبار المروية فى سبب وضع العربية»** (ولعله المؤلف السابق).

١٣٤- **«نثر الهميان فى وفيات الأعيان»**: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ ذكر ذلك صاحب الكشف.

١٣٥- **«ورقات الوفيات»**: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ.

١٣٦- **«تحفة العجلان فى فضل عثمان**: وهو أربعون حديثا فى فضل عثمان ومناقبة ومزاياه، منه مخطوط التيمورية ومخطوط أوقاف بغداد.

١٣٧- **«ساجعة الحرم»**: ومنه مخطوط الخزانة فى الرباط (مجموع ١٠٢٧) ودار

الكتب فى مصر ٣٦٠ وبرلين ٨٥٦١.

١٣٨- **«الدرر فى فضل عمر»**: وهو أربعون حديثا فى فضله ومزاياه منه مخطوط فى الخزانة التيمورية بمصر.

١٣٩- **«الروض الأنيق فى فضل الصديق»**: نسبه لنفسه فى **«حسن المحاضرة»**.

١٤٠- **«القول الجلى فى فضل على»**: وهو أربعون حديثا فى مناقبه، منه مخطوط فى التيمورية بمصر.

١٤١- **«مقامات السيوطى»**: وهى ٣٧ مقامة بعضها بطل على التاريخ كالكاوى فى تاريخ السخاوى. ومنها مخطوطات فى مكتبات عديدة عامة وخاصة. وقد طبع بعضها مفردا وطبعت منها مجموعات غير كاملة فى مصر والهند وتركيا.

١٤٢- **«طبقات المفسرين»** ولم يتمه على ما ذكر صاحب **«كشف الظنون»**.

١٤٣- **«بذل المجهود فى خزانة محمود»**: وقد نشره فؤاد فى مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤).

تاسعا: ابن إياس

أبو البركات زين العابدين (أبو شهاب الدين) محمد بن أحمد إياس الجركسى الأصل الناصرى القاهرى: ولد فى القاهرة سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م وتوفى بها سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م. مؤخر عصر الانهيار المملوكى والسنوات الأولى من الحكم العثمانى وهو سليل أسرة من القواد الشراكسة الأمراء (كانوا قديما من أجناد الحلقة) ثم صاروا من **«أولاد الناس»** ولا نجد أى ترجمة وافية لابن إياس لدى المعاصرين له، ولعلهم لم يكونوا يعيرونه أى اهتمام. كما أن الأدب التاريخى كان قد أدركه الانحطاط فلم يكن لما كتب ابن إياس أى رونق أدبى، ولم تحظ كتابته الشبيهة بالعامية بأى تقدير. ومعلوماتنا عن أسرته وعنه إنما نأخذها من ثنايا كتبه نفسها والإشارات التى فيها. ومنها أن لابن إياس خمسة وعشرين أخا لم يبق منهم سوى ثلاثة: هو وأخوه وأخته وكان أخوه يشغل وظيفة الزردكاش (خازن الأسلحة). وقد نشأ ابن إياس بهذا الشكل فى أسرة ذات يسار، ودرس على اثنين من كبار علماء عصره: السيوطى وعبد الباسط ابن خليل الحنفى المؤرخ والفقيه (توفى سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م). وقد اتجه إلى التاريخ لأنه كان على ما يبدو المركب الأسهل الخالى من ضرورات الإسناد كالحديث وتعقيدات الفقه، وقسوة اللغة وفهم أسرارها.

وعلى الرغم من أن ابن إياس لم يكن يملك الحس التاريخى المرهف كسابقيه، ولا اللغة الصحيحة اللازمة للكتابة الحسنة المتينة، ولا الثقافة الضرورية للدقة والمتانة، إلا أنه

كان المخطوط الوحيد بين جميع من سبقه فى أن جميع كتبه قد حفظت وبقيت، وفى أنه كان الشاهد المعاصر الوحيد على الانقلاب التاريخى الذى جرى بين انهيار المماليك وبين العصر العثمانى. ولذلك اعتمده المستشرقون كثيرا وأبرزوا اسمه رغم قلة تراثه التاريخى بالنسبة إلى تراث الآخرين ممن سبقوه، ورغم أسلوبه الضعيف المفكك ولجوئه إلى تكرار النعوت والأوصاف وإلى العامية أحيانا فى التعبير بسبب ضعفه الأصيل فى البيان واللغة.

كتب ابن إياس خمسة كتب فى التاريخ هى:

١- «**بدائع الزهور فى وقائع الدهور**» ويبدو أنه كان يخطط فيه لعمل تاريخ عام وإسلامى لمصر حتى عهده، فإنا نجده يذكر فى خطبته أنه لخصه من نحو سبعة وثلاثين كتابا وذكر فيه فضائل مصر وأخبارها منذ البدء حتى سنة ٩٢٨هـ، كما نجد أيضا فى المخطوطات المحفوظة منه فى متحف الأوقاف باستامبول الأجزاء التالية وهى جميعا بخط المؤلف:

المخطوط الاول رقم ٢١٤٩: من مبدأ التاريخ حتى ذكر طرف يسيرة من أخبار ملوك العرب فى الجاهلية، فى ٢٨٢ ورقة .

المخطوط الثانى رقم ٢١٥٠: جزء من أول سيرة النبى إلى أواسط الدولة العبيدية، فى ٢١١ ورقة .

المخطوط الثالث رقم ٢١٥١ : جزء من أول حوادث سنة ٧٨٩هـ إلى أول ذكر سلطنة الملك المنصور عز الدين، فى ٢٣٨ ورقة .

المخطوط الرابع رقم ٢١٥٢: الجزء السابع من أول ذكر عود الملك الناصر فرج بن برقوق إلى السلطنة الثانية فى رجب (سنة ٩٠٢) فى ٢١٢ ورقة .

المخطوط الخامس رقم ٢١٥٣: من أول حوادث سنة ٨٩١هـ إلى ١٥ محرم سنة ٩١٤هـ، فى ٢١٨ ورقة .

المخطوط السادس رقم ٢١٥٤: الجزء العاشر من أول حوداث سنة ٩١٣هـ إلى آخر الكتاب فى ٢٣٣ ورقة .

وثمة بخط المؤلف مجلدان فى مكتبة فاتح باستامبول :

الجزء الرابع: وينتهى بآخر سنة ٧٤٢هـ بمكتبة فاتح رقم ٤١٩٧، فى ٢٥٤ ورقة.

الجزء الخامس: ويبدأ بذكر سلطنة علاء الدين بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ إلى آخر سنة ٧٨٨، فى ٢٢١ ورقة برقم ٤٢٠٠.

والعرض التاريخى فى الأجزاء الأولى منها سطحى مقتضب، وقد يتبسط أحيانا دون مناسبة، لكنه يظل يتوسع كلما اقترب من عصره دون تعمق، ولكن مع ازدياد فى التفاصيل وينقلب إلى الإسهاب منذ بدء القرن التاسع فإذا كانت أواخر هذا القرن - وهو العصر الذى عاش فيه ابن إياس وشهد حوادثه - ألفيته يجعل من التاريخ نوعا من السجل اليومى كأنه صحيفة يومية تجمع الحوادث العامة مع الخاصة. وتملأ مجلدين كبيرين أو أكثر، وفى هذا يتميز ابن إياس عن سابقيه من المؤرخين .

وثمة من هذا الكتاب مجلد مخطوط يبدأ بسلطنة الأشرف إينال العلائى (سنة ٨٥٧هـ) وينتهى إلى سنة ٩٠٦هـ فى ٢٩٣ ورقة . وهو مخطوط خدا بخش ٢٣١٩. كما أن ثمة المجلد الأخير من نسخة أخرى، مخروم الآخر يبدأ بحوادث سنة ٩٢٢هـ فى عهد السلطان الغورى، وينتهى أثناء حوادث ذى العقدة سنة ٩٢٧هـ وهو فى الآصفية بحيدر آباد رقم ٣٠٨ تاريخ، فى ٢٢٤ ورقة .

وكانت مطبعة بولاق قد أصدرت سنة ١٣١١هـ./ ١٨٩٤م طبعة من **«بدائع الزهور»**، يعالج الجزء الأول منها تاريخ مصر كله حتى (سنة ٨١٥هـ.) فى حين يعالج الجزء الثانى ما بين سنة ٨١٥ وسنة ٩٠٦هـ أى حتى نهاية حكم العادل طومان باى وفى الثالث من سنة ٩٢٢هـ إلى سنة٩٢٨هـ/ ١٥١٦-١٥٢٢م. أى حتى نهاية حكم المملوكى الأخير الأشرف طومان باى. وسقطت من الطبعة فترة السلطان الغورى (٩٠٦-٩٢١هـ/١٥٠١-١٥١٥م.). وظلت هذه الفجوة قائمة حتى تبين بعد ذلك أمران:

الأول - أن ما نشرته بولاق باسم «بدائع الزهور» كان ناقصا ومشوها فكأنه مختصر سيىء للكتاب أو موجز له نفسه وضعه ابن إياس نفسه بدليل أنه يشير فى هذه الطبعة إلى أن من شاء أن ينظر ما وقع فى الديار فينظر إلى الجزء الخامس من تاريخنا بدائع الزهور ...

الثانى - أن الفجوة الناقصة موجودة فى مخطوطات أخرى فى ليننغراد وباريس تمتد ما بين سنة ٨٧٢ وسنة ٩٢٨هـ./١٤٦٧ حتى ١٥٢٢م أى تضم الفترة التى كان ابن إياس فيها شاهد العصر المباشر. وقد نشرت هذه القطعة من البدائع بعناية جمعية المستشرقين الألمان . نشرها باول كاله، الأستاذ بجامعة بون.بمعونة محمد مصطفى مدرس العربية هناك والمستشرق سوبر نهايم فى مجلد من ٥٠٠ صفحة كبيرة (استامبول ١٩٣١) وبين فى مقدمة له وبمقارنة النصوص أن هذا المجلد هو الجزء المكمل لطبعة بولاق، وهو يستند إلى مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ ومخطوط لينغراد رقم ٤٦ فى المتحف الأسيوى. ويضم الأول ما بين سنتى ٩١٣-٩٢١هـ، وهو منقول عن نسخة

المؤلف، فى حين يضم الثانى ما بين سنتى ٩٢٢ ونهاية الكتاب .

وقد عاد المستشرق كاله وزميلاه فنشروا فى استامبول سنة ١٩٣٢م نصا جديدا لهذا القسم نفسه وصفوه بأنه الجزء الخامس . وفى النص الجديد فروق عديدة عن السابق سواء من حيث الاستيعاب أو المدى أو الترتيب، ثم قام العلماء أنفسهم بنشر نص آخر يتضمن تاريخ ما بين سنتى ٨٧٢-٩٠٦ أى من السنة التى توقف عندها ابن تغرى بردى إلى مطالع القرن التالى (استامبول ١٩٣٦) وسموا هذا الجزء بالجزء الثانى .

ويلاحظ أنه فى حين كتبت الأحداث فى الجزء الخامس وحتى سنة ٩٢٢هـ بأسلوب مفكك أشبه بالعامى كتب القسم الأخير بعناية وبلغة مزخرفة، مما دعا المستشرق ك. فولرز إلى التشكك فى أن يكون ابن إياس هو كاتب القسم الأخير . ولكن المستشرق سوبر نهايم عزا ذلك إلى امتزاج نصين: أحدهما كتب على أنه صحيفة شخصية، والثانى كنت ليكون النص الرسمى. وهو يتضمن الكثير عن حياة الحكام فى القاهرة والبلاط فى تلك الآونة مما يعطيه قيمة تاريخية كبيرة. ومن الملاحظ أن موقفه من الفتح التركى العثمانى تغير. ففى حين كان يسهب فى مظالم الأتراك حين فتحوا مصر ويصف مذابحهم ونهبهم، يعود فى أواخر كتابه فيهدئ من لهجته إن لم يكن يمدح السلطان ويشر به.

٢- **«جواهر السلوك فى أخبار الأمم والملوك»**: وهو مختصر الكتاب السابق . ومنه مخطوطات عدة فى : كمبردج ٧٤ وهى مخرومة الآخر فى ٤٢٩ ورقة، وفى دار الكتب المصرية ٦٢٠٣/ تاريخ ف ٦٤٨، ومخطوط طوبقابو ٦١٦٢،٣٠٢٦ فى ١٦٠ ورقة، (فى أحمد الثالث) ومخطوط المتحف البريطانى رقم ٦٨٥٤. وفى الأزهر نسخة كتبت سنة ٩١٦، وأخرى فى باريس رقم ٦٧٣٩. وفى الكتاب تاريخ عام لمصر منذ الفتح الإسلامى حتى سلطنة الظاهر (أبى سعيد قانصوه سنة ٩٠٤هـ) ووفاة المتوكل على الله سنة ٩٠٣هـ، وبلوغ المستمسك بالله (أبى النصر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب) .

ومن الجدير بالذكر أنه ثمة كتابا بالعنوان نفسه مجهول المؤلف فى المتحف البريطانى رقم٦٨٥٤.

٣- **«نشق الأزهار فى عجائب الأقطار»**: يقول فى مطلعه: «... لما طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية فأجبت أن أجمع كتابا أذكر فيه من أعجب ما سمعته وأغرب ما رأيته قاصدا فيه الاختصار لكى لا يطول التأليف ...» ولكنه ذكر فيه عجائب مصر وسير ملوكها، وطلاسم اليرابى فيها، وأخبار النيل والأهرام، وخطط مصر وما قيل فيها وأقاليمها ... وله مخطوطات عديدة : فى الرباط تحت رقم ١٢٣د فى ٢٢١ ورقة وفى مكتبة المسجد الأقصى رقم ٥٧٩ عام فى ٣٠٠

ورقة تقريبا . وفى المتحف البريطانى رقم ٧٥٠٣ فى ٢٩٤ ورقة . ومنه فى المكتبة الأهلية بباريس أربع نسخ تحمل الأرقام : ٢٢٠٨ فى ٤١٠ ورقات، و٢٢٠٩ فى ٣٨٠ ورقة، و٢٢١٠ فى ٥٤ ورقة، و٢٢١١ فى ٤٨ ورقة . وقد استخدم هذا الكتاب بشكل واسع فى القرن التاسع عشر فى أوروبا . ومنه فى استامبول أربع نسخ، وفى تركيا:

- نسخة مكتبة رئيس الكتاب رقم ١٠١١ كتبت سنة ١٠٢٤ فى ٣٣٥ ورقة .
- نسخة مكتبة كوتاهية وحيد باشا رقم ٢٢٣٠ متبت سنة ١٠٢٤ فى ٣١٦ ورقة.
- نسخة نور عثمانية رقم ٣٠٣٩ كتبت سنة ١٠١١ فى ٢٤٤ ورقة .
- نسخة حكيم أوغلى رقم ٨١٥ كتبت فى القرن العاشر فى ٣٩٤ ورقة .

٤- **«نزهة الأمم فى العجائب والحكم»**: وقلما عرفه الباحثون. ومنه نسخة نقلت عن خط المؤلف (سنة ٨٠١هـ) تليها أوراق فى ذكر مدينة الفسطاط، مخطوطة فى أيا صوفيا رقم ٣٥٠٠، فى ٢٨٠ورقة، ومصور فى جامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٩٦٣.

٥- **«المنتظم فى بدء الدنيا وتاريخ الأمم»**: فى ثلاثة مجلدات كاملة مخطوطة فى أحمد الثالث باستامبول نحن رقم ٢٩٠٩، ويشكك بعض المؤرخين فى نسبتها إليه لأنه مطابق لكتاب البدء والتاريخ وينتهى مثله سنة ٣٥٥.

٦- وثمة كتاب **«مرج الزهور فى وقائع الدهور»**: وهو تاريخ شعبى للأنبياء والرسل. وقد لا يكون من تأليفه.

عاشرا: ابن أبى السرور البكرى

محمد بن محمد بن أبى السرور شمس الدين البكرى سليل الأسرة البكرية : ولد سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م بالقاهرة وتوفى بها سنة ١٠٦٠هـ./١٦٥٠م. وقد كان آخر أضواء المدرسة المصرية المملوكية وإن عاش فى العصر العثمانى وأرخ له. ويبدو أنه درس فى القاهرة، وكان على صلة بأولياء الحكم العثمانى وبالولاة منهم مما سمح له أن يكتب فى تاريخ الفتح العثمانى لمصر، وفى سير الولاة والقضاة.

* * *

ذكر حدود أرض مصر وجهاتها وأقطارها على سبيل الاختصار

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود وهو نهاية الشيء. قال أبو الصلت أمية الأندلسى: إن حد مصر فى الطول من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى إلى أيلة من ساحل الخليج، الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين، ومسافة ذلك قريب من أربعين يومًا، وحدها فى العرض من مدينة أسوان وأعمالها من الصعيد الأعلى المزاحم لأرض النوبة إلى الرشيد وما حاذاها من مسافة النيل فى البحر الرومى، ومسافة ذلك من ثلاثين يومًا ويكتنفها فى العرض إلى منتهاها جبلان أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل وهو من المقطمة والآخر من الضفة الغربية وضيعهما من لدن أسوان أن ينتهيا إلى الفسطاط، إلى حين ويمر بسبع مسافة ما بينهما، وينفرج قليلاً تأخذ المقطمة منها شرقًا والآخر مغربًا، ثم يتسع فى أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية، ومن هنا ينقطع فى عرضها الذى هو مسافة ما بين أولها فى الجنوب وأوغلها فى الشمال.

* * *

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسماءها

ويقال كان اسمها فى الدهر الأول قبل الطوفان «جزله»، ثم سميت «مصر»، وقد اختلف أهل العلم عن المعنى الذى من أجله سميت هذه الأرض بمصر. فقال: قوم سميت بمصر بن مركابيل بن دوابيل بن عريان بن آدم عليه السلام، وهو مصر الأول، وقيل: بل سميت بمصر الثانى وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم بن تيصر بن حام بن نوح عليه السلام وذلك بعد الطوفان وهو اسم أعجمى لا ينصرف.

وقال آخرون: هو اسم عربى مشتق فأما من ذهب إلى أن مصر اسم أعجمى فإنه استدل إلى ما رواه أهل العلم بالأخبار من نزول مصريم بن بنيصر بهذه الأرض، وقسمها بين أولاده فعرفت به.

وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان: أن بنى نوح عليه السلام لما تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض، ركب نقراوش فى نيف وسبعين من كبار قومه جبابرة، وكلهم يطلبون موضعًا من الأرض يقطنون فيه، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل، فلما طالوا فى المشى رأوا سعة البلد وحسنها أعجبهم، قالوا: هذا بلد زرع وعمارة أقاموا فيه واستوطنوه وبنوا فيه الأبنية المحكمة والمصانع العجيبة، وبنى نقراوش مصر، ونزل بها فلم يزل مطلعا.

وقد كان وقع إليه من العلوم التى كان رواميل قد علمها لآدم عليه السلام، فلم يزل يقهر الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم، ثم أمر أن تبنى له مدينة مكان خيمته، فقطعوا

الصخور من الجبال وآثار معادن الرصاص، وبنوا وزرعوا الأرض، ثم أمر ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الأرض أقاربه وأصحابه، ثم أمر بحفر النيل حتى أخرجوا ماء إليهم و لم يكن قبل ذلك معتدل مجريانه، وإنما كان ينبطح ويتفرق فى الأرض حتى وجه إلى النوبة، وهندسوه وساقوا منه أنهارًا إلى مواضع كثيرة من المدن.

وقيل أن قليمون الكاهن خرج من مصر وألحق بنوح عليه السلام، وأمن به هو وأهله وولده وتلاميذه، وركب معه فى السفينة وزوج ابنته بنيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما خرج نوح من السفينة وقسم الأرض بين أولاده وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنيصر ابنا سماه مصرايم، فقال قليمون لنوح: ابعث معى يا نبى الله ولد ابنتى حتى أمضى به بلدى «يعنى مصر»، وأظهره على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه، فأرسله نوح عليه السلام مع جماعته من أهل بيته، فلما قرب من مصر بنى له عريشًا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض، ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة سماها درسان أى الجنة، وزرع وغرس فيها الأشجار فصارت هناك زروع وعمارة، وكان الذى مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا أرغد عيش، ويقال أنه لما غرست الأشجار بمصر فكانت ثمارها عظيمة بحيث تشق الأترجة نصفين البعير نصفها، وكان القثاء فى طول أربعة عشر شبرًا.

وقيل أن مصرايم أول من صنع السفن بالنيل، وأن سفينته كانت طولها ثلاثمائة ذراع فى عرض مائة ذراع، ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بنات الكهنة فولدت له ولدًا، يقال له قبطيم، ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة فولدت له أربعة نفر: قبطيم وأشمون وأتريب وصا، فكثروا وعمروا الأرض وبورك فيها، وقيل إنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا، فبنوا مدينة سموها ناقة، ومعنى ناقة يعنى مدينة ثلاثون بلغتهم وهى منف، وكشف أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومها وآثار المعادن وعمل الطلسمات وعمل الكيمياء، ثم أن مصرايم أمرهم عند موته أن يحفروا له فى الأرض سربًا، وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض، ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما فى خزائنه من الذهب والجوهر، وكتبوا عليه أسماء الله المانعة تمنع من أخذه فحفروا سربًا طوله مائة وخمسون ذراعًا، وجعلوا فى وسطه مجلسًا مصحفا بصفائح الذهب، وجعلوا له أربعة أبواب على كل باب منهما تمثال من ذهب، عليه تاج مرصع بالجواهر، وهو يجلس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد، وكتبوا فى صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده فى جرن مرمر مصفحة بالذهب، وكتبوا على مجلسه مات مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان، ومات و لم يعبد الأصنام و لم يصل إلى هذا المكان أحدًا إلا من يكون ولدته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان وذلك آخر الزمان، وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من

الزبرجد المخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برينة مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الإلهية، ومن العقاقير والطلمسات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك الصخور وهالوا فوقها الرمال وذلك عند دير أبى هرمس غربى الأهرام، وهو أول قبر بأرض مصر، وولى ابنه قبطيم الملك.

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها» عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه كان لنوح عليه السلام ثلاثة من الولد وهم: سام وحام ويافث وأن نوحًا رغب إلى الله تعالى وسأله أن يرزقه الإجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده بذلك، فنادى نوح ولده فلم يجبه أحد منهم إلا ولده سام فانطلق به معه حتى أتى الجبل فوضع نوح عليه السلام يمينه على سام وشماله على أرفخشد بن سام وسأل الله تعالى أن تبارك فى سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشد، ثم نادى حامًا وتلفت يمينا وشمالاً فلم يجبه ولم يقيم إليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله تعالى أن يجعل أولاده أذلاء، وأن يجعلهم عبيد لولد سام، وكان مصر بن بنيصر بن حام نائمًا إلى جنب جده، فلما سمع دعاء نوح عليه السلام قام يسعى إليه.

وقال: يا جدى قد أجبتك إذ لم يجبك جدى، ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح بذلك ووضع يده على رأسه، وقال: اللهم أنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها أفضل الأنهار فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذللها وقوهم عليها. ثم دعا ولده يافث فلم يجبه ولا أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق، وعاش سام مباركًا حتى مات، وكان الملك والنبوة والبركة فى ولده أرفخشد ابن سام، وكان أكير ولده.

* * *

ذكر النيل وانبعاثه

أعلم أن البحر المحيط بالمعمور إذا خرج منه بحر الهند، افترق قطعا كما تقدم، وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهى مما يلى بلاد اليمن وبحر بربر.

وفى هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف وإسكان الميم ثم راء مهملة يقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاى وطولها أربعة أشهر فى عرض عشرين يوما إلى أقل من ذلك. وهذه الجزيرة تحاذى جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قمرية، وإليها نسب الطائر القمرى، ويقال أن بهذه الجزيرة خشب منحوت من خشب طول ساقه ستون ذراعا بجذف على ظهر مائة وستون رجلاً، وأن هذه الجزيرة ضاقت

بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها فى سطح جبل يعرف بهم ويقال جبل القمر.

واعلم أن ذلك الجبال متسعة من الجبل بغالب معمور الأرض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها متشعبة منه فتتصل فى موضع وتنقطع فى آخر، وهو كالدائرة لا يعرف لها أول إذا كانت الحلقة مستديرة لا يعرف طرفاها، وإن لم تكن استدارته كرية، ولكنها استدارة إحاطة.

وزعم قوم أن أمهات الجبال جبلان: خرج أحدهما من البحر المحيط بالغرب وأخذ جنوبا، وخرج الآخر من البحر الرومى وأخذ شمالا حتى تلاقيا عند السد، وسموا الجنوبى قاف، فيعرف بذلك فى الجنوب ويعرف فى الشمال بجبل قاقونا. ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذا من وراء صنم الخط المسجوج إليه إلى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذ على غربى صين الصين ثم ينعطف على جنوبه مستقيما فى نهاية المشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندى الداخلة، ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندى المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل مع شعبة البحر الهندى الملاقى لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق بجنوب كثيرة من وراء مخرج البحر الهندى فى الجنوب، ويبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا ويخرج البحر الهندى الجائية على الظلمات حتى تتلاقا الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج برأس البحرين المتلاقيان، [illegible]ان على مبدأ هذا الجبل، ويبقى هذا الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء.

ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة عن شرقها وبعده منها خمس عشر درجة يقال لهذا الجبل فى أوله المجرد ثم يمتد حتى ينتهى فى القسم الغربى إلى طول خمس وستون درجة من أول المغرب، وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه النيل وبه أحجار براقة كالفضة تتلألأ تسمى ضحكة الباهت، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت، ويسمى حجر مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب يسمى أسيفى، أهله كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب إلى نهاية المغرب فى البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال الأنفاق وينعطف دون ذلك تلك الفرجة من جبل قاف شعب منها شعبتان إلى خط الاستواء يلتقيان بمجرى النيل من المشرق والمغرب، فالشرقى يعرف بجبل قاقول، وينقطع عند خط الاستواء والغرب يعرف بادمرية يجرى عليه نيل السودان المسمى ببحر الدمادم وينقطع بتلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينتى سمغرة وحيمى وراء هذه الشعبة، ويمتد شعبة منه هى الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيفى المذكور إلى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك كرسقانة وبه وحوش ضاربة.

ثم ينتهى إلى المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء التكرور عند مدينة قلمتبورا ووراء هذا الجبل سودان ناس يقال لهم تمتم يأكلون الناس يتصل الأم من ساحل البحر الشامى فى شماله شرقى رومية كبرى مسامتا للشعبة المسماة أدمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمى لا يكاد يخطها حيث الطول خمس وثلاثون درجة عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية وتتناهى وصلة هذه الأم إلى البحر والمحيط على نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى منه بقية داخل الجبل ثم تمتد هذه الأم بعد انقطاع لطيف وينعطف مع انعطاف خرجه البحر المحيط فى الغرب بشماله على الصقلب المسماة ببحر الأنفلشين ممتدًا إلى غاية المشرق ويسمى هناك فاقونا ويبقى وراء البحور الجامدة لشدة البرد، ثم ينعطف من الشمال المشرق جنوبا بتغريب إلى كتف السد الشمالى، فيتلاقى هناك الطوفان وبينهما فى الفرجة المنفرجة سوى ذو القرنين بين الصدفين.

وفى جزيرة القمر ثلاثة أنهار أحدهما فى شرقيها أخذ من قنطورا ومعلا، ويأتيها من غربيها، وينصب من جبل فيه قدم آدم عليه السلام. وفى مدينة سبأ ويأخذ مارًا على مدينة فردًا تجرى هناك بحيرة وفى جنوبها مدينة كيما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس ويأتيها فى غربيها أيضا، ويخرج من الجبل المسمى محذوفة الذيل يطوف بمدينة دهما بينه وبين البحر الهندى فى جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وغربا وجنوبا ويصير لذلك الجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندى، وينتفع مدينة قوارة فى غربيه حيث يصب فى البحر الهندى.

ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الأرض، فلما قدم نقراوش الجبار بن مصريم الأول بن مركابيل بن دوابيل بن غرباب بن آدم عليه السلام إلى أرض مصر ومعه عدة بنى غرباب واستوطنوا بها، وبنوا بها مدينة أمسوس وغيرها من المدائن، حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم.

ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق فى الأرض حتى وجه إلى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه أنهار إلى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا إلى مدينة أمسوس ثم لما خربت، ثم خربت أرض مصر بالطوفان وكانت أيام البودشير بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، عدل جانبى على النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلفه الطوفان.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فملك البودشير وتجبر وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كان أعمامه أشمن وأتريب وصا ملوك على أحيازهم، إلا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر عليهم أبوه من قبله لأنه كان أكبرهم ولذلك أغضوا عنه.

فيقال أنه أرسل هرمس الكاهن المصرى إلى جبل القمرى الذى يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك هيكل التماثيل النحاس وعدل البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل. ويقال أنه الذى عدل جانبى النيل وقد كان يقبض وربما انقطع فى مواضع.

وهذا القصر الذى فيه التماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة، وجعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد مدبرة وقنوات تجرى الماء فيها، وينصب إليها إذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تحت الصورة ويخرج من حلوقها، وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصورة من الماء ينصب إلى الأنهار ثم يصير منها إلى بطيحتين ويخرج منها حتى ينتهى إلى البطيحة الجامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصورة مقادير بين الماء يكون معه الصلاح بأرض مصر، وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون إصبعا، وما فضل عن ذلك عدل يمنى تلك الصورة وشمالها إلى مسارب تخرج وتصب فى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء، ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التى يمر بها.

قال: وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف ينتقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها، فلما صار إلى الشام نتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها، وأن أمرها قد صار إلى النساء وباد ملوكها، فوجه غلاما له يقال عون إلى مصر وسار إليها بعده واستباح أهلها وأخذ الأموال وقتل جماعة من كهنتها ثم بدا له أن يخرج ليقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج فى جيش كثيف، فلم يمر بأمة إلا أبادها ومر على أمم السودان وجاورهم ومر على أرض الذهاب فرأى قصابا نابتة من الذهب و لم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب النيل فيها من الأنهار التى يخرج من تحت جبل القمر، وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال إنما سمى بجبل القمر، لأن القمر لا يطلع إلا عليه لأنه خارج من تحت خط الاستواء ونظر إلى النيل يخرجه من تحته حتى ينتهى إلى خطرتين ثم يخرج منهما إلى نهرين حتى ينتهى إلى خطيرة أخرى، فإذا خط الأستواء مدته يمكن تجرى بناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه، ويقال أن نهر مكران قبل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والأسماك التى مثل أسماك النيل ووجد الوليد بن دومع العمليقى القصر الذى فيه التماثيل النحاس التى عملها هرمس الأول فى وقت البودشير بن قفطريم بن مصرايم، وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الأنهار الأربعة تخرج من أصل واحد من قبله فى أرض الذهب التى من وراء البحر المظلم وهى سيحون وجيحون والفرات والنيل، وأن وتلك الأرض من أرض الجنة، وأن تلك القبة من أزبرجد، وأن الماء قبل أن يسلك

البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور وممن وصل إلى هذا المكان رجل من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ووصل إلى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد.

وقال آخرون: هذه الأنهار تنقسم هذه الأنهار على اثنين وسبعين قسما خذاء اثنين وسبعين لسانا للأمم.

وقال آخرون هذه الأنهار من ثلوج تتكاثف ويذيبها الحر فتسيل إلى هذه الأنهار ويشقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا: ولما بلغ الوليد جبل القمر راق جبلا عظيما عاليا إلى الحلية إلى أن صعد إليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الأسود الزفتى المنتن، ونظر إلى النيل يجرى عليه كالخيوط الرقاق فأتته من ذلك البحر روائح منتنة، هلك كثيرًا من أصحابه من أجلها فأسرع النزول بعد أن كان يهلك.

وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمسًا ولا قمرًا إلا نورًا أحر كنور الشمس عند غيابها.

وأما ما ذكروه عند حايد وقطعة البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شيء، وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال أنه أقام يمشى عليه ثلاثين سنة فى عمران، وعشرين سنة فى خراب، قالوا: وأقام الوليد فى غيبته أربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر واستعبد وأهلها واستباح حرمهم وأموالهم وملكهم مائة وعشرة سنين فابغضوه وسيموه إلى أن ركب فى أيامه متصيدا فألقاه فرسه فى وهدة فقتله واستراح الناس منه.

وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج: انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الأستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار، كل خمسة منها تصب إلى بطيحة ثم يخرج من كل نهران، وتجرى الأنهار الأربعة إلى بطيحة كبيرة فى الأقليم الأول، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل.

وقال فى كتاب **«نزهة المشتاق فى اختراق الأوفاق»** أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولهما متوحشين يأكلون من وقع إليهم من الناس، ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة وبحر الحبشة، فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وهم طائفة من السودان بين كاتم والنوبة، فإذا بلغ دنقلة بمدينة النوبة - عطف من غريبها وانحدر إلى الأقليم الثانى، فيكون على شيطه عمارة النوبة، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم تشرق إلى الجنادل.

وقال المسعودى: رأيت فى كتاب جغرافيا: أن النيل مصورًا ظاهرا من تحت القمر ومنبعه ومبدًا ظهوره اثنى عشر عينا، فتصب تلك المياه إلى بحيرتين هنالك كالبطائح، ثم يجتمع الماء منهما جاريا فيمر برمال هنالك وجبال، ويخرق أرض السودان فيما يلى بلاد

الزنج فيتشعب منه خليخ يصب فى بحر الزنج، ويجرى على وجه الأرض تسعمائة فرسخ فى عامر وغامر من عمران وخراب، حتى يأتى أسوان من صعيد مصر.

وقال فى كتاب هروشيش: أن نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل إلى ناحية الغرب، فيصير فى وسطه جزيرة، وآخر ذلك يميل إلى ناحية الشمال فيسقى أرض مصر. وقيل أن مخرجه من عين فيما يجاور الجبل ثم يغيب فى الرمال، ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم، ثم يساير على قفار البشة، ثم يميل على اليسار إلى أرض. قال: ونهر النيل وهو الذى يسمى بأوان مخرجه خفى ولكن ظاهرا إقباله من أرض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم بجراه إليه مائتا ميل. وذكر مخرجه حتى ينتهى إلى البحر.

وقال: وكثيرا ما يوجد فى نهر النيل التماسيح. وإقبال النيل من بحر الحبشة ليس يختلف فيه أحد، وعدة أميال من مخرجه المعروف إلى موقعه مائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل يجرى على مر كل وهو عذب دفىء والنيل إذا وصل إلى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة انحدار، ومركب الصعيد أقلاعا وهناك حجارة مضرسة لمرور المراكب عليها إلا فى أوان زيادة النيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرقية أسوان من الصعيد الأعلى، ويمر بين الجبلين يكتفيان أعمال مصر. أحدهما شرقى، والآخر غربى، حتى يأتى مدينة فسطاط مصر فيكون بره الشرقى، فإذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين تمر حتى تصب فى بحر الروم عند دمياط وتمسى هذه الفرقة بحر الشرق، والفرقة الأخرى هى عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر العرب تمر حتى تصب فى بحر الروم أيضا عند رشيد، وكانت مدينة كبيرة قديم الزمان.

ويقال أن مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب فى البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا، وأنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر، وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الإسلام مسافة شهر.

وذهب بعضهم إلى أن ماء النيل إنما تكون بسبب المد الذى يكون فى البحر، فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضى، ووضع فى ذلك كتابا حاصله أن حركة البحر التى يقال لها المد والجزر - توجد فى كل يوم وليلة مرتين، وفى كل شهر مرتين، وفى كل سنة مرتين كالمد والجزر اليومى تاع لقرص القمر، ويخرج الشعاع عنه من جنبتى جرم الماء... فإذا كان القمر وسط السماء كان البحر فى غاية المد وإذا كان القمر فى وتد الأرض، فإذا بزع القمر طالعا من الشرق أو الغرب كان الجزر والمد الشهر يكون عند استقبال القمر للشمس فى نصف الشهر، ويقال له الامتلاء أيضا عند الاجتماع، ويقال له السرار.

والجزر يكون أيضا فى وقتين: عند تربيع القمر للشمس فى سابع الشهر، وفى ثامن عشريه. والمد السنوى يكون أيضا فى وقتين أحدهما عند حلول الشمس بآخر برج السنبلة والأخرى عند حلول الشمس بآخر برج الحوت.

فإن اتفق أن يكون ذلك فى وقت امتلاء أو الاجتماع فإنه حينئذ يجمع الامتلاء الشهرى والسنوى، ويكون عند ذلك البحر فى غاية الفيض، لاسيما أن وقع الاجتماع والامتلاء فى وسط السماء، ووقع مع النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فإنه يعظم الفيض.

فإن وقع كوكبان فصاعدًا مع أحد النيرين تزايد عظم الفيض، وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدًا، وزاد أيضا نهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الأنوار التى تثير المياه، ويكون بمصر تلك السنة الغلاء والجزر السنوى يكون حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان.

فأما المد اليومى الدافع من البحر المحيط فإنه لا ينتهى فى البحر الخارج من المحيط أكثر من درجة واحدة فلكية، ومساحتها من الأرض نحو من ستين ميلا، ثم ينصرف وانصرافه هو الجزر. وكذلك فى الأودية إذا كانت الأرض.

وهذا المد الشهرى ينتهى إلى أقاصى البحار وهو يمسكها حتى لا تنصب فى البحر المحيط، وحيث المد الشهرى فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه.

وأما المد السنوى فإنه يزيد فى البحار الخارجة عند البحر والمحيط زيادة بينة، وعن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر النيل مهران والديتلو الذى ببلاد السند.

قال: ولما جاء أرسطو إلى مصر مع الإسكندر ورأى مصب النيل، وعلم أنه من المحال أن يكون النيل فى أسوان واديا من الأودية، وما انتحل اتسع حتى أن عرضه فى أسفل ديار مصر لينتهى إلى مائة ميل عند غاية الفيض، وله أفواه كثيرة شارعة فى البحر تسع كل ما يهبط من الميزان فى ذلك الصقع. فرأى محالاً أن يكون الوادى بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتى به أعلاه مع ضيق أعلاه وسعة أسفله.

فلما رأى ذلك قال: أن ريا ما تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك قال الإسكندر الأفردوسى: أن المحال أن يكون الريح يردع الماء السائل فى الوادى حتى يفيض أكثر من مائه ميل، ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من أسفل الوادى، ويسيل إلى البحر لأن الريح لا تمسك إلا أعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل فى أفواه تلك الشوارع التى تقضى إلى البحر، فيعتريها شبه الردم، فيفيض.

قال: وأغفل أن الرمل متخلخل، فالماء يتخلله وينفده سائلا إلى البحر مع أن الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحسن، والماء فى كل حين سائل على حلق تنيس ودمياط، وحلق رشيد وحلق إسكندرية، ففطنوا لاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه إلى الريح والرمل وهما استقص الهواء واستقص الأرض وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذى هو الماء لأنهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لأنها لا تبلغ الغاية إلا فى ثلاثة أشهر، فلا يظهر مقدار صعودها فى يوم للحس وكذلك وضع المقياس بديار مصر.

قال: والمد واحد، وهو أن القمر يقابل الماء، كما تقابل الشمس والأرض فنور القمر إذا قابل كرة الأرض سخنتها كما تسخن الشمس الهواء المحيط بالأرض فيعترى الهواد المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء، ويتنفس وينمى بخاصته كالمرأة والمحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرأة والشمس الملهوبة، ما تلقى الشعاع إلى حلقها فتخترق القطنة أيضا، فالقمر جسم باكتسابه ذلك من الشمس فإذا حال بين الشمس والأرض فيسخن ما قابله فينمى الماء جسم شفاف تخرج عن جانبيه الشعاع كما يخرج عن جانبى الزجاجة فيحدث لها نور يسخن الهواء الذى يحيط بالزجاجة أو الأرض فيعترى الماء شبه تسخين ينمى به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعالة من قبالة وتد القمر فهذا هو المد دائما ويستدير باستدارة الفلك، وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر.

والمد الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس أو يستتر تحتها، ليس إلا كون القمر قبالة الشمس لكونه فى تربيع الشمس أضعف، وفى المقابلة أقوى وكذلك إذا قابلها على وسط كرة الأرض، بحيث الحركة أشد والاكتناف للماء والأرض أعم فذلك هو المد السنوى.

* * *

فصل: فى الرد على من اعتقد أن النيل من سيل يفيض

أما العامة فليس عندهم ما يجىء عليه وجه الأرض إلا سيل. ومن تفطن إلى عظمه واتساعه فى أسفله وضيقة فى أعلاه، ولم ينظر إلى ماء ولا أرض ولا هواء، وينسب ذلك إلى الخيال المحض، كما فعل صاحب الكتاب **«المسالك والممالك»** الذى زعم أن الماء يسافر من كل أرض وموطن إلى النيل تحت الأرض فيمده لأن النيل إنما يفيض فى الخريف، والعيون والأبار فى ذلك الوقت يقل ماؤها، والنيل يكثر فرأوا كثرة وقلة فأضافوا أحدهما إلى الآخر بالخيال.

وقال آخر: إنما ذلك ملك يضع رجليه فى الماء فيكثر ويزيلها عن الماء فيقل ومما يدلك أنه ليس على سبيل الخيل أن السيل يكون فى غير وقت فيض البحر فلا يفيض

النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل نحو البحر فلا يردعه راوع، ومنها أن فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة أشهر من حلول الشمس برأس السرطان إلى حلولها آخر برج السنبلة والناس يحسنون به قبل فيضه بمدة شهرين، ولعامل مصر وسط النيل مقياس موضوع، وهو سارية فيها خطوط يسمونها أذرعا بعا مقدار صعوده فى كل يوم.

ومنها أن فيضه أبدا فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الإختلاف. ومنها أنه قد يجىء السيل فى غير هذا الوقت فلا يفيض. ومنها أن الحذاق بمصر إذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد، لأن شدة الحر تذيب الهواء فيذوب الماء ولا يكون إلا عن زيادة كوكب ودنو نور.

ومنها أن موضع مصبه من أسوان إنما هو واد من الأودية وما استحل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحوا من مائة ميل، وأسوان إنما هى منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل يسيل عرض اتساعه مسيرة نصف شهر لا نسبة بين مصب أعلاه وأسفله كيف كان يكون أعلاه أو كان امتلاء أسفله عن السيل.

ومنها أن أهل أسوان إنما يرقبون بلوغ الردع إليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فإذا جن الليل أخذوا حقه سحاقة خزف، فوضعوا فيها مصباحا ثم وضعوه على حجر معد عندهم لذلك، وجعلوا يرقبونه فإذا أطغى المصباح طفو الماء عليه، علموا أن الزدع قد وصل غاية المعهود عندهم بأخذه فى الجزر، فكتبوا بذلك إلى أمير مصر يعملون أن الدرع قد وصلت غاية المعهود عندهم وأنهم قد أخذوا بقسطهم من الشرب فحينئذ يأمر بكسر الأسداد التى على أفواه قرص المشارب فيفيض الماء على أرض مصر دفعة واحدة.

ومنها أن جميع تلك المشارب تسد عند ابتداء صعود النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من المياه العذبة فى النيل ويكثر فيهم بجميع أرضهم ويمنع بجملة دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلا ما احتاج إلى ذلك ولفتحت له أفواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره.

ومنها أن الخلجان إذا سدت و لم يكن لها وادع فى البحر، كان السيل يمد من جنبه إلى البحر إذا أسفل النيل وانتفع وأخفض من أعلاه.

ومنها أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا فى خلف رشيد وتنيس ودمياط كما يفعل فى سائر الأودية التى تدخلها المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع، لأن الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الأرض وأن يكون صفحته كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط خطوطا متساوية. ومنها أنها إذا افتحت تلك الأسداد وكسرت الخلجان وفاض ماء

النيل على أرض مصر شعر بذلك أهل أسوان.

وقالوا: فى هذه الساعة كسر الخليج بمصر وفاض ماء النيل على أرض مصر لأن ذلك يتبين لهم بجزر الماء دفعة فلو كان سبيلا وهم على أعلا المصب، لقالوا: قد ارتفع المطر على الأرض التى يسيل منها السيل ومنها أن القسمة الذى يمر ببلاد الحبشة المنبعث وإياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر ولا يقيم على وجه الأرض مدة مقامه لكنه إذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها فإذا قضيت مدته أردع عليه فلو كان فيض النيل على السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدًا.

ولا نقول ِأن سبب فيض النيل البحر فقط إذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر إليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر إذ عادة البحر ردم السواحل، وإنما دخل الشك على أهل مصر فى أمر النيل لأنهم لم يشاهدوا منشأه، ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر فى موضع لا ساكن و لم يتحققوا المد السنوى الرادع فلم يتحققوا شىء من أمره لأنه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا أن ماء البحر يعظم فى أيام الصيف لأن المعهود عندهم فى البحر أن يعظم فى أيام الشتاء وطموا البحر فى الشتاء إنما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحد جانبيه، فقبض ويخرج إلى الجانب الآخر إلا ما كان من البحر المحيط فإنه يتحرك أبدا من دواخل البحر إلى البر، وهو أن المحيط يطلب بطبعه أن يكون على وجه الأرض ليست بسيطة فهى تمانعه بما فيها من التركيب فهو يطلب أبدا أن يعلوها ويركبها ببردها.

ومن ناظر النيل علم أن سيلاً سأل فيه ولابد، فإنه لا يزال أيام الشتاء وأوائل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة، فإذا قربت أيام زيادته وكان فى غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه إلى الخضرة، وصار بحيث إذا وضع فى إناء يرسب منه شبه أجزاء صغيرة من طحلب. وسبب ذلك أن البطيحة التى فى أعالى الجنوب تردها الفيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها، فإذا كثرت أمطار الجنوب فى فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة فى هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الماء، وجرى إلى أرض مصر، فيقال عند ذلك وتوحم النيل.

ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزداد عكره بزيادة الماء، فإذا فإذا وضع فيه أيام الزيادة فى إناء رسب بأسفله طين لم يعهد فيه قبل أيام الزيادة، وهذا الطين هو الذى تحمله السيول التى تنصب فى النيل حتى تكون زيادته منها. وفيه يكون الزرع بعد هبوط وإلا فأرض مصر سبخة لا تنبت منها إلا ما مر عليه. قال: والسبب فى عظم المد والجزر كثرة الأشعة فإذا زاحمت الشمس والقمر والكواكب السيارة عظيم

فيض البحر، وإذا عظم فيض البحر فاضت الأنهار، وكذلك إذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار وصعد إلى كورة الزمهرير، ونزل لمطر. فإذا فارق القمر والكواكب ارتفع القمر لكثرة التحليل، كما يكون فى نصف النهار عند توسط الشمس لرؤوس الخلق، وكما يكون عند حلول الكواكب الكثيرة على وسط خط أرين... وا لله أعلم..

قال بعضهم: الذى تحصل من هذا القول أن النيل مخرجه من جبل القمر، وأن زيادته إنما هى من فيض البحر عند المد.

فأما كون مخرجه من جبل القمر فمسلم إذ لا نزاع فى ذلك. وأما كون زيادته لا تكون إلا من ردع البحر له، بما حصل فيه من المد، فليس كذلك. نعم توالى هبوب الرياح الشمالية مغنية على وفور الزيادة وردع البحر له إعانة على الزيادة ماء النيل وركد منه هذا الطين.

وقوله «أن السيل يكون فى غير وقت فيض البحر، ولا يفيض النيل لكونه البحر فى الجزر، فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع» غير مسلم فإن العادة أن السيول التى عليها زيادة ماء النيل لا يكون إلا عن غزارة ماء الأمطار ببلاد الجنوب، لا يكون إلا فى أيام الصيف، ولم يعهد قط زيادة النيل فى الشتاء.

وأول دليل على أن كون زيادته عن سيل يسيل فيه إنما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول. وأما استدلاله يصب النيل فى أسوان وأتساعه أسفل الأرض، فإنما ذلك يصب من علوى فتخرج بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح فى أراضى حتى يصب فى البحر... فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط.

وأما قوله: «أن الأسداد إذا كثرت فاض الماء على الأرض دفعة» فليس كذلك، بل يصير الماء عند كل سد من الأسداد فى كل خليج، ثم يفتح ترع من الخليج إلى الخليج إلى ماجانبيه من الأراضى حتى تروى، فمن تلك الأرض ما يروى سريعا، ومنها ما يروى بعد أيام. ومنها ما يروى لعلوه.

وأما قوله «أن جميع تلك المشارب تسند عند ابتداء صعود النيل، ليجتمع ما يسيل من الماء فى النيل ويكثر، فيعم جميع أرضهم وليمنع بجملته دخول الماء عليه». فغير مسلم أن تكون السداد كما ذكرنا بل أراضى مصر أقسام كثيرة، منها عال لا يصل الماء إلا من زيادة كثيرة، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة، والأراضى متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض تفاوتا كثيرا، ولذلك احتيج فى بلاد الصعيد إلى حفر الترع، وفى أسفل الأرض إلى عمل الجسور حتى تحبس الماء ليتصرف فيه أهل النواحى على قدر حاجتهم إليه عند الاحتياج وإلا فهو يزيد أولا فى غير وقت سقى الأراضى، حتى إذا

اجتمع من زيادته المقدار الذى هو كفاية الأراضى فى وقت خلو الأرض من الغلال - وذلك غالبا فى أثناء شهر مسرى فيفتح حينئذ الخليج حتى يجرى فيه الماء إلى حد معلوم، ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذى وقف عنده الماء من الأراضى، ثم فتح ذلك الحد فى يوم النيروز حتى يجرى الماء إلى آخر يقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثانى من الأراضى، ثم يفتح هذا الحد فى يوم عيد الصليب بعد النيروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء، ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الأراضى، ويصيب فى بحر المالح ... هذا هو الحال فى سدود وأراضى مصر.

وقول «أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا فى رشيد وتنيس ودمياط، فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع» فيقول: هذا قول من لم يعرف أرض مصر، فإن النيل عندهم مصبه بأعمال أسوان يكون أعلا منه عند كونه أسفل الأرض بقامات عديدة فإذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل فيما بين دمياط وفارسكور. وأما فى أيام زيادة النيل فإنه شوهد مصب النيل فى البحر من دمياط، وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه، حتى صارا متمانعين وفى منظرهما حينئذ عبره لمن اعتبر.

وقوله «أن الأسداد إذا فتحت علم أهل أسوان بذلك فى الحال» غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل فى الأعوام الكثيرة إذا فتح منه الخليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضى كثيرة، لا يظهر النقص منه إلا فيما قرب من ذلك الموضع، وأما ما برح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل، وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا، فلا يوفى ذلك بمقياس بمصر إلا بعد ثلاثة أيام أو بعدها.

وأما قوله «أن ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه» فليس كذلك، بل الزيادة فى أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراءها فى الجنوب كما تكون فى أرض مصر، ولا فرق بينهما إلا فى شيئين: أحدهما أنه فى أرض مصر يجرى فى حدود وهناك يتبدد على الأرض. والثانى أن زيادة تعتبر بالقياس فى أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن أمطار الجنوب.

ويقال: أن النيل ينصب من عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم ذكره، كل خمسة أنهار من شعبة، ثم تتبحر تلك الأنهار العشرة فى بحريين، كل خمس أنهار تبحر بحيرة بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقًا على جبل فاقول، ويمتد إلى مدن هناك ثم يصب فى البحر الهندى ويخرج من البحيرتين أيضا ستة أنهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار. وتجتمع الأنهار الستة فى بحيرة متسعة تسمى البطيحة، وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غربى البطيحة وهو نيل السودان، ويصير نهرًا

يسمى بحر الدمادم، يأخد مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبى سمغرة وشمالى غانة، ثـم ينعطف هنا منه فرقة ترجع جنوبا إلى غانة ثم تمر على مدينة برنسة، ويـأخذ تحت جبـل فى جنوبها خارج خط الاستواء إلى زفيلة ثـم تتبحـر فـى بحيرة هنـاك، وتستمر الفرقـة الثانية مغربة إلى بلد مالى والتكرور حتـى تنصـب فـى البحر المحيـط شمـالى مدينـة قلبتبـو ويخرج النصف متشاملا آخذا علـى الشمال إلى شـرقى مدينـة جيمـى ثـم تتشعب منـه هناك شعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سحرته بكسر السين والحاء ثم ترجع جنوبا ثم تعطـف شرقا بجنوب إلى مدينة سحرته ثـم إلى مدينـة مركـة، وينتهـى إلى خـط الاستـواء حيـث الطول خمس وستون درجة وتتبخـر هنـاك بحيرة ويستمر عمـود النيـل مـن قبالـة تلـك الشعبة شرقى مدينة شيمى متشاملا أخذًا على أطـراف بـلاد الحبشـة، ثـم يشـامل علـى بلاد السودان إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى أسـوان، وينحـدر وهـو يشـق بلاد الصعيد إلى مدينة فسطاط مصر، ويمر حتى يصب فى البحر الشامى وقـد استقيض ببلاد السودان أن النيل فى أصله ينحدر فى جبال سودين على بعـد كـأن عليهـا الغمـام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمـة الجنوبـى، والآخـر يصل إلى مصر حتى يصب فى البحر الشامى ويقال أنه فى الجنـوب يتفـرق سبعة أنهـار تدخل فى صحراء منقطعة ثم، تجتمع الأنهـار السبعة ويخـرج مـن تلـك الصحـراء نهـرًا واحدًا فى بلاد السودان.

* * *

ذكر مقاييس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكيم: أول من قاس بمصر يوسف عليه السلام. وضـع مقياسـا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباء - وهى صاحبة حائط العجوز مقياسًـا بأنصنـا وهـو صغير الذراع «ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغـير»، ووضـع أسـامة ابن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها.

قال يحيى بن بكـير: أدركـت القيـاس يقـاس فـى مقيـاس منـف ويدخـل بزيادتـه إلى الفسطاط.

وقال القضاعى: كان أول من قاس النيـل بمصـر يوسـف عليـه السـلام وهـو مقيـاس يمنف، وهو أول مقياس وضعه عليه السـلام. وقيـل أن النيـل يقـاس بمصـر بـأرض علـوة كداء إلى أن بنى مقياس منف، وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل.

ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياســا بأنصنـا، وهـو صغـير الـذراع ومقياسـا آخـر بإخميم وهى التى بنت الحائط المحيط بمصر.

وقيل إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع بالمقيـاس بالرصاصـة، فلـم يـزل المقيـاس

فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالمة هناك إلى بنى المسلمون بين الحصين والبحر أبنيتهم الباقية الآن.

وكان للروم أيضا مقياسا بالقصر خلف الباب يمنة من يدخل منه من داخل الزقاق أثره قائم إلى اليوم، وقد بنى عليه وحوله، ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر قياسا بأسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة.

ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بأنصنا، فلم يزل يقاس عليه إلا أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان وكانت منزله، وكان هذا المقياس صغير الذراع.

فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد، وقيل أنه كسر فيه ألفى أوقية، وهو الذى بنى بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى عامل مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه وكتب عليه سليمان بأن يبنى مقياسًا فى الجزيرة فبناه فى سنة وسبعة وتسعين.

ثم بنى المتوكل فيها مقياسا أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد ا لله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد، وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه، فجعل زيد بن عبد ا لله على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد ا لله بن عبد السلام بن عبد ا لله بن أبى الرداد المؤذن كان يقول أصله من البصرة وقدم مصر وأقام بها، وجعل على القياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر، فلم يزل القياس منذ ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى اليوم وتوفى أبو الرداد فى سنة ست وستين ومائتين.

ثم ركب أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر بها وبنى الخازن فى الصناعة مقياسا وأثره باق لا يعتمد عليه.

وقال ابن عبد الحكم: ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إلى عمرو، حين دخل بؤونة من أشهر القبط، قالوا له: أيها الأمير أن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر من أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى النيل.

قال لهم عمرو: أن هذا لا يكون فى الإسلام، وأن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرًا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه بذلك فكتب إليه عمر: ألم تعلم أن الإسلام يهدم ما قبله وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل.

فلما قدم الكتاب على عمر وفتح البطاقة فإذا فيها: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ست عشر ذراعا فى ليلة، وقطع تلك السنة السوء من أهل مصر.

وقال زيد بن أبى حبيب: أن موسى عليه والصلاة والسلام دعا آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فطلبوا إلى موسى أن يدعو الله، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك فى ليلة الصليب، فأصبحوا وقد أجرى الله فى النيل تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب، كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام.

قال القضاعى: ووجدت فى رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال: لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل، فضلا عن تقاصره وإن أفرطت الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، وأن الاحتكار يدعو إلى تصاعد الأسعار للقحط.

فكتب عمر إلى عمرو يسأله عن شرح الحال، فأجابه إنى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشر ذراعا، والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشر ذراعا، والنهايتان والمخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا فى النقصان، وثمان عشر ذراعا فى القبط، وكمال العمارة فيه.

فاستشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك، فأمره أن يكتب إلى عمرو أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذارعين على اثنى عشر ذراعا، وأن يقر ما بعدها على الأصل، وأن تنقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين، ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الإرجاف، وزوال ما منه كان يخاف، بأن جعل الاثنى عشر ذراعا أربعة عشر لأن كل ذراع أربع وعشرون إصبعًا، فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها إلى الاثنى عشر يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانية وأربعين إصبعا، وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة، والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين.

قال القضاعى: وفى هذا الباب نظر فى وقتنا لزيادة الفساد الأنهار وانتقاض الأحوال وشاهد ذلك أن المقايس القديمة الصعيدية من أولها إلى أخرها أربع وعشرون إصبعا كل ذراع، والمقاييس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناه أسامة بن

يزيد التنوخى بالجزيرة وهو هدمه الماء، وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبروذات، وابن المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذره.

قال ابن عفير عن القبط المتقدمين: إذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة ذراعا، فهى سنة ماؤها ناقص، وإذا تم ستة عشر ذراعا قبل النوروز، فالماء يتم... فاعلم ذلك.

وقال أبو الصلت: وأما النيل وينبوعه، فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدئ فى التزايد فى شهر أبيب. والمصريون يقولون: إذا دخل أبيب كان للماء دبيب، وعند ابتدائه فى التزايد يتغير جميع كيفياته ويفسد، والسبب فى ذلك مروره بنفائع مياه يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله.فإذا بلغ الماء خمسة عشرة ذراعا، وزاد فى السادس عشر أصابع، وكسر الخليج والكسر يوم معدود، ومقام مشهود، ويجتمع العام والخاص. فإذا كسر فتحت للترع، وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح، وانضم الناس إلى مساكنهم من الضياع والمنازل، وهى على آكام وربى لا ينتهى الماء إليها، ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرًا غامرًا لما بين جبليها، ريثما يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل وأكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعا.

ثم يأخذ عائدا فى صبه إلى مجرى النيل ومسربه، فينصب أولا عما كان من الأرض عاليا، ويصير فيما كان منها متطامنا، فيترك كل قرارة كالدرهم، ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم.

وقال القاضى أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب «الأحكام السلطانية» وأما الذراع السوداء فهى أطوال من ذراع الدور بإصبع وثلثى إصبع، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد، قدرها بذارع خادم أسود كان على رأسه قائما، وهى التى تتعامل الناس بها فى ذارع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

وأكثر ما وجد فى القياس من النقصان فى سنة سبع وتسعين ومائة، وجد فى المقياس تسعة أذرع وأحد وعشرون إصبعًا، وأقل ما وجد فيه سنة خمس وستين ومائة فإنه وجد فيه ذراع وأحد عشر إصبعًا. وأكثر ما بلغ فى الزيادة فى سنة تسع وتسعين ومائة فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا. وأقل ما كان فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة الهلالية فإنه بلغ اثنى عشر ذراعا وتسع عشر إصبعا، وهى أيام كافور الأخشيدى.

والمقياس عمود رخام أبيض مثمن، فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين

قسما متساوية تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعًا الأولى فإنها مفصلة على ثمان وعشرين إصبعا كل ذراع.

وقال المسعودى: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول، نحن نعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار.

وقالت الروم: لم يزد قط ولم ينقص وإنما زيادته ونقصانه من عيوب كثرت فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه.

وقيل لم يزد قط ولم ينقص وإنما زيادته بريح الشمال، إذا كثرت واتصلت تحبسه فيقبض على وجه الأرض.

وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن، وذلك أنها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستواء، فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة، فيأتى مدده إلى أرض مصر، ومع ذلك فإن البحر المالح يقف ماؤه فى وجه النيل، فيتوقف ماؤه حتى تروى البلاد وفى ذلك يقول:

فالنيل ذو فضل ولكنه ... الشكر فى ذلك للملتن
فاسمع فللسامع أعلى يدًا ... عندى وأسمى من يد المحسن

ويبتدئ النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤونة وأبيب ومسرى فإذا كان الماء زائدًا زاد شهر توت كله إلى انقضائه. فإذا انتهت الزيادة إلى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج، وخصب الأرض وهو ضار بالبهائم لعدم الرعى والكلأ.

وأتم الزيادات كلها، العامة النفع للبلد كله، سبعة عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع أراضيها، وإذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعا استبحر من أرض مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا فى الاستبحار، وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا وغلقها، وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا، كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء وأكثر الزيادات ثمانية عشر ذراعا.

وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز تسع عشرة ذراعا، ومساحة الذراع إلى يبلغ اثنى عشر إصبعا، ومن اثنى عشر ذراعا إلى ما فوق ذلك يكون يكون الذراع أربعا وعشرين أذرعٍ، وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، فى تلك السنة يموت الماء قليلا.

والأذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسمى منكر ونكيرا، وهى الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر، فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزاد نصف الذراع من الخمسة عشر استسقى الناس بمصر، وكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا

تم خمسة عش ذراع ودخل فى الستة عشر ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس، ولا يستقى فيه، وكان فى ذلك نقص خراج السلطان وأصفى ما يكون ماء النيل فى شهر طوبة بعد الغطاس لعشرة تمضى من طوبة، وأهل مصر يفتخرون بصفاء ماء النيل فى ذلك الوقت، وفيه يخزن الماء أهل تنيس وسائر قرى البحيرة.

وقد كانت مصر كلها تروى فى ستة عشر ذراعا، لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وحفر خلجانها، وكانت الماء إذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليجه المنهى خليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا.

وقد تغير فى زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقنواته إنه يزيد فى القبط إذا دخلت الشمس برج السرطان وبرج الأسد وبرج السنبلة حين تنقص جميع الأنهار، وكذلك أن الأنهار تمده بمائها عند غيضها فيكون زيادته، فى خامس بؤونة وتظهر الزيادة فى ثانى عشر وأول دفعة فى الزيادة تكون فى ثانى أبيب، ومنتهى الزيادة فى الثامن من بابه، ومن هنا يأخذ فى النقصان وذلك فى العشرين من بابه فتكون مدة الزيادة من ابتدائها إلى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرون يوما وهى شهر: أبيب ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابه، ومدة مكثفة بعد زياته اثنا عشر يومًا، ثم يأخذ فى النقصان.

ومن العادة أن ينادى عليه دائما فى السابع والعشرين من بؤونة بعد ما يؤخذ قاعته وهو ما بقى من الماء القديم فى ثالث عشر بؤونة وبفتح الخليج الكبير إذا أكمل الماء ستة عشر ذراعا.

وكانوا يقولون: نعوذ با لله من إصبع من عشرين، وكان إذا بلغ النيل أصابع من عشرين ذراعا، فاض ماء النيل، وغرق الضياع والبساتين، وفارت البلاليع، والآن إذا بلغ الماء فى سنة إصبعا من عشرين لا يهم لما قد فسد من الجسور، وكان إلى بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة، وهى فى الحقيقة ثمانية عشر ذراعا.

وكانوا يقولون: إذا زاد على ذلك ذراعا واحدًا زاد خراج مصر مائة ألف دينار ولما يروى من الأراضى العالية، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فإن الثمانية عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة أثنا وعشرون ذراعا فى الصعيد الأعلى، فإن زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدة، نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستجبر من الأراضى المنخفضة.

قال ابن ميسر، فى حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعين وخمسمائة. وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر

ذراعا وأربعة أصابع، فبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة، وكان الناس يتوجهون إلى القاهرة فى مصر من ناحية المقابر، فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد أن الماء وصل إلى الباب الجديد، أظهر الحزن والانقطاع. فدخل عليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج لهم كتابا فإذا فيه «إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد» ثم قال: فكان الأمر كما ذكر ومرض فى آخر السنة، ومات أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

قال القاضى الفاصل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة: وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول - وهو السادس عشر من مسرى - وفى النيل على ستة عشر ذراعا، وهو الوفاء، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم. وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل فى زماننا، فإنه صار فى أوائل مسرى، ولقد كان الوفاء فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فى اليوم التاسع والعشرين من أبيب قبل مسرى بيوم.

وهذا من أعجب ما يؤرخ فى زيادات النيل. واتفق أن فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة تسع وسبعمائة، وفى النيل كان ذلك فى اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين.

وقال بعض المفسرين أن يوم وفاء النيل هو اليوم الذى وعد فرعون - موسى عليه السلام - بالاجتماع وذلك قول الله تعالى حاكيا عن فرعون **﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾** [سورة طه: ٥٩] وقد جرت العادة أن اجتماع العادة يكون فى هذا الوقت.

ومن أحسن السياسات فى أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق فى سيرة المعز لدين الله، قال: وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائد جوهر، فلما أباح النداء - يعنى لما تم ست عشرة ذارعا وكسر الخليج - فانظر وتأمل إلى حسن هذه السياسة، فإن الناس دائما إذا توقف النيل فى أيام زيادته يقلقون من ذلك ويحدثهم أنفسهم بعدم طلوع النيل فى تلك السنة، فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها، ويجتهد كل من كان معه مال فى اختزان الغلال.

أما لطلب لربح أولاد خار قوت عياله فيحدث بذلك الغلاء فى البلد، فإن زاد المال انحل السعر، وأن توقف ونزل بالعياذ بالله وقع الغلاء والقحط فى البلد، فمن أجل ذلك كتم أمر زيادة النيل عن العامة خوفا مما ذكرنا فى اضطراب البلد وتشحط الغلات فكان فى أيامه لإلا يطلع على زياده النيل غيره، وهذا من أعظم فائدة وأجل عائد.

وقال المسبحى فى تاريخ مصر: وخرج الأمر من بعض الملوك مصر إلى ابن حيران بتحرير ما يستفتحون به القياسون فى كلامهم إذا نادوا على النيل فقال ابن حيران: أحسن ما يقولون: نعم لا تحصى من خزائن الله لا تغنى زاد الله فى النيل المبارك كذا وكذا.

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى منادى البحر:

قد قلت لما أتى القياس فى يده عود بماء النيل قد عودى وقد نودى
أيام سلطاننا سعد السعود وقد صح القاس بجرى الماء فى العود

وقال المسعودى: ومن عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادة النيل يخضر ماء النيل فتقول علمة أهل مصر قد توحم النيل، ويرون أن الشراب منه حتئنذ مضر.

وفى ذلك يقول ابن خطيب داريا:

عجب لنيل ديار مصر لأنه عجب إذا فكرت فيه يعظم
يطاء الأراضى فهى تلقح دائما من مائة وهو الذى تتوحم

والسبب فى اخضراره أن الوحوش ترد البطيحات التى فى أعالى النيل وتستنقع فيها من كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البيطحات من ذلك الوحوش، ولا سيما الفيلة فإذا وقع فى الجبهة الجنوبية فى أوقات معلومة تكاثرت السيول هناك فيخرج من تلك البطيحات، ما كان فيها من الماء الذى منقطع بها وقد تغير بسبب ما ذكرناه من الوحوش فيمر إلى أرض مصر وهو مغير اللون والطعم ويجىء عقيبه الماء الجديد من كثرت السيول وهو الزيادة بمصر فحينئذ يكون محمر اللون لما يخالطه من الطين الحر الذى تاتى به السيول. فإذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التى فى الأقاليم فوق التلال والروابى قد أحاط بها الماء فلا يوصل إليها إلا فى المراكب أو على الجسور الممتدة المقدم ذكرها.

وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية معلوم منها لكنس مجارى ماء النيل للمقياس فى كل سنة مائة دينار تصرف من الذخيرة لأبى الرداد، وكان يأتى من مدينة قوص مركب صغير تسمى المفرد تبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر ابن أبى الرداد بثلاثة أيام، وكان لها على الذخيرة معلوم يسمى المفرد، وكان لها على أرباب الدولة معلوم فى كل سنة فبطل ذلك من مصر ما بطل، وللشعراء فى ذلك تغزلات كثيرة. فمن ذلك قول الأديب الفقيسى:

ليهن أحبابى وفى ومفرد وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم كلا ولا المفرد إلا أنا

وقال الشيخ زين الدين بن الخراط فى النيل:

يا نيل مصر لك بالوفا أوليتنا بالكسر جبرًا دائما
أوقت قبل الكسر خمس أصابع كرمًا فكانت للوفاء خواتما

* * *

ذكر الخلجان الذى شقت بأرض مصر من مجرى النيل

اعلم أن النيل إذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتحرق الماء فيها يمينًا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل، وأكثر الخلجان والترع والجسور والأخوار بالوجه البحرى.

أما الوجه القبلى - وهى بلاد الصعيد فإن ذلك قليل فيه، وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنا.

والمشهور من الخلجان: خليج سخا ومنف والنهى وأشموم طناح وسردوس والإسكندرية ودمياط والقاهرة وأبى المنجا والناصرى.

قال ابن عبد الحكم عن أبى رهم السماعى قال: كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير حتى أن الماء البحرى يجرى تحت منازلها وأفيتها فيحسبونه كيف شاءوا وذلك قول الله تعالى عما حكم عن قوم فرعون ﴿**أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون**﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

قيل لم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعًا - ما بين أسوان إلى رشيد وسبع لجان متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، والزرع من بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء.

وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا، لما قدروا وديروا من قناطرها وخلجانها وجسورها فذلك قوله عز وجل ﴿**كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم**﴾ [سورة الدخان: ٢٥، ٢٦] قيل المقام الكريم أن قام بها ألف منبر، وقيل المقام الكريم هو الفيوم.

* * *

خليج سخا

فأما فخليج سخا فقد حفر تدارس بن صا ين قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهو آخر ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الأول.

قال ابن وصيف شاه: تدارس الملك أول من ملك الأحياز كلها بعد أبيه صا، وصفا له ملك مصر وكان تدارس محكما وقوة معرفة بالأمور فأظهر العدل، وأقام الهياكل قيامًا حسنا ودبر جميع الأحياز، ويقال أنه الذى حفر خليج سخا، وقرر الأموال على

البلاد وهابته الملوك، وسار إلى بلاد السودان من الزنج والنوبة فى ثلاثة آلاف ووجه فى النيل ثلاثمائة سفينة، فى كل سنة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب فهزم الزنج وقتل أكثرهم وأسر منهم خلقًا كثيرة، ثم اتبعهم بجيوشه حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من أعلى بلاد الزنج، فأخذوا منها عدة من النمور والوحوش والفيلة وساقوها إلى أرض مصر، ثم مات بمصر ودفن فى ناووس ونقل إليه شيئا كثيرًا من الذهب والجوهر والصنعة والتماثيل، وكتب على ناوسه باسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلمسان المنيعة وعهد إلى ابنه ماليق بن تدارس.

*   *   *

خليج سردوس

حفره هامان، قال: بن وصيف شاه: جلس فرعون على سرير الملك، وحاز جميع ما كان فى خزائن من كان قبله من الملوك، وقيل هو الذى يذكر القبط أنه فرعون موسى، فأما أهل الأثر فيزعمون أن اسمه الوليد بن مصعب، وأنه من العمالقة وذكروا أن الفراعنة سبعة وقيل عن فرعون موسى أنه كان قصيرًا، طويل اللحية أشهل العين، ضيف العين اليسرى فى جبينه شامة، وكان أعرج.

وزعم قوم أنه القبط ونسب أهل بيته مشهور عنة وذكر آخرون أنه دخل منف ليبيع نطرون، وكانوا قد اضطربوا فى تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم أول من ينظروا من الناس، فلما رأوه ملكوه عليهم لما جلس فى الملك بدل الأموال وأرغب من أطاعه وقتل من خالفه، فاعتدل أمره إلى أن استخلف هامان وكان يقرب منه فى نسبه وأثار له بعض الكنوز وصرفها فى بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة، ويقال أنه حفر خليج سردوس وكان عرجه إلى قرية من قرى الجوف، فحمل إليه أهلها مالا، فاجتمع له من ذلك شيء كثير، فأمر برده على أهله.

وقال ابن عبد الحكم بن عبد الله بن عمرو بن عبد العاص رضى الله عنه: إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم يعطونه مالا، قال: وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق، ثم يرده إلى أهل القرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية فى الغرب ويأخذ من أهل كل قرية مالا جزيلا حتى اجتمع له فى ذلك مائة ألف ألف دينار، فأتى بذلك كله إلى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل فى حفر الخليج، فقال له فرعون: ويحك أنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده، ويفيض عليهم الرزق ولا يرغب فيما بأيديهم، فرد كلما أخذت على أهله.

وقيل لا يعلم بمصر خليج أكثر نفعا منه لما فعل هامان فى حفره.

*   *   *

خليج الإسكندرية

قال ابن عبد الحكم: يقال أن الذى بنى منارة الإسكندرية الملكة قلبطرة وهى التى ساقت خليجها حتى أدخلته إلى الإسكندرية، ولم يكن يبلغها الماء قبل ذلك، فحفرته حتى أدخلته إلى الإسكندرية وهى التى بلطت قاعة الرخام.

قال الأسعد بن مماتى فى كتاب قوانين الدواوين: خليج الإسكندرية عليه نزاع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه من قصبتين ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل فإن كان مقصرا قصرت مدة إقامته فيه، وأن كان عاليا أقام فيه ما يزيد عن شهرين، ويقال أنه إذا عملت من قباله سح إلى سح زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء، ورويت البحيرة جميعًا وززع عليه القصب والقلقاس والنيلة وجرى مجرى بحر الشرق والمحلة وغيره من البلاد، ويقال أنه كان يجرى فيه الماء بطول النسبة وكان السمك فيه غاية الكثرة بحيث تصيده الأطفال بالحرق.

* * *

خليج الفيوم والمنهى

مما حفره نبى الله يوسف عليه السلام عندما عمر الفيوم وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه أبدا وهو الآن يعرف ببحر يوسف لا ينقطع جريانه بطول السنة فيسقى الفيوم دائما ثم يتحصل فاضل ماءه فى بحيرة هناك، ومن العجب أن ينقطع ماءه من فوهبه، ثم يكون له نهرًا لطيفا فى وسطه لا ينقطع جريانه بطول السنة، يعم الفيوم وقراه ومزارعه وبساتينه دائما.

* * *

خليج القاهرة

هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى، فيما بينها وبين المقسم، عرف فى أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين، وتسميه العامة اليوم بالخليج الحاكمى وبخليج اللؤلؤ، وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف، وهو الذى دخل إبراهيم الخليل ﷺ، ووهب لإبراهيم هاجر أم ولده إسماعيل بعثت هاجر إلى طوطيس تقول له: إنه بمكان مجدب وتطلب منه حنطة فعند ذلك أمر بحفر هذا الخليج وبعث إليها فيه السفن تحمل الحنطة وغيرها من الغلال إلى جده، فأحيا أرض الحجاز ثم اندرومانوس الذى يعرف بايليا أحد ملوك الروم بعد الإسكندر بن فلبس المجدوبى جدد حفر هذا الخليج، وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة بنيف وأربعمائة سنة، ثم إن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر وأقام

فى حفره ستة أشهر ودخلت السفن فسمى خليج أمير المؤمنين - يعنى عمرو بن الخطاب - فإنه الذى أشار بحفره و لم يزل يجرى فيه السفن من فسطاط مصر إلى مدينة القلزم التى كانت على شاطئ البحر الشرقى حيث الموقع الذى يعرف اليوم بالسويس، وكان يصب ماء النيل فى البحر عند مدينة القلزم إلى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه فى سنة خمسين ومائة فطم وبقى منه ما هو موجود الآن.

* * *

خليج أبى المنجا

هذا الخليج يسميه العامة بحر أبو المنجا والذى حفره الأفضل ابن أمير الجيوش فى سنة ست وخمسمائة، وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به.

* * *

خليج الناصرى

هذا الخليج فى ظاهر المقسم حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرون وسبعمائة.

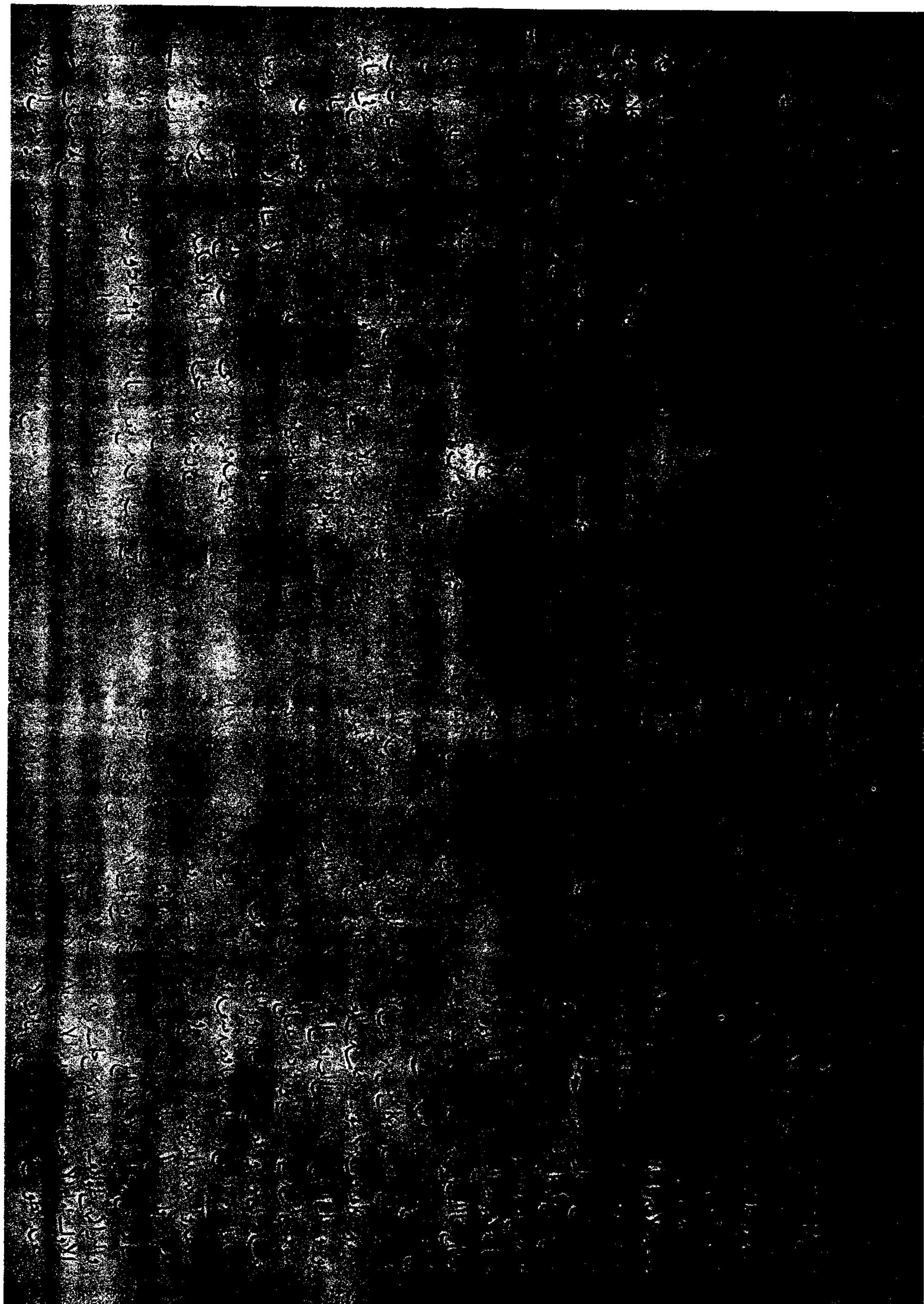
* * *

صور المخطوطات

٢

الجزء الأول من كتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك جمع فقير عفو الله ... علي عبد القادر بن محمد ... بن محمد تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الصمد بن تميم الصدى ... الشهير بالمقريزي الشافعي غفر الله له ...



بسم الله الرحمن الرحيم الله المستعان

مقدمة المؤلف[1]

(١) الجزء الأول مقدمة الناسخ من كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك». جمع فقير عفو الله أحمد ابن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم، الشهير حده بالمقريزى الشافعى، غفر الله له وتغمد زللـه بمَنه:

سطره لنفسه قائله وجامعه

فليعف عن زلاته ناقله وسامعه

لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته، ولا ألجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هى العليا، وأعاذك من عز مفقود وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك فى الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن فى الأخرى منقلبك، إنه سميع قريب جواد مجيب.

الأكراد ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وقيل هم من ولد عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء. وقيل إنهم من بنى حميد بن طارق الراجع، إلى حميد بن زهير ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهم قبائل: منهم الكَوْرَانيَّة بنو كَورَان، والهذبانية، والبَشْنَوية، والشاهنجانية، والسِّرلجية، والبَزُّولية، والمهرانية، والزرزارية، والكيكانية، والجَاك، واللُّو، والدنبلية، والروادية، والدَّيْسَنية، والهكارية، والحُميدية، والوركحية، والمروانية، والجلالية، والشنبكية، والجُوبى.

وتزعم المروانية أنها من بنى مروان بن الحكم بن أبى العاص، وتزعم بعض الهكارية أنهم من ولد عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب.

وأحياء الأكراد تكثر عن الإحصاء، غير أنهم بجميع أحيائهم كانوا مقيمين بفارس، فكانوا يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعَر، يخوج من البيت الواحد نحو العشرين، وكانوا ينتجعون المراعى فى الشتاء والصيف، وبجبال كوران[....].

أولا – العُمَريين بمصر وأعمالها، ينتسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب.

قال الشريف النسابة محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب «الجوهر المكنون فى القبائل والبطون»: وهم يكذبون فى ذلك لأن أنسابهم لا تتصل به، وقد لقيت منهم جماعة وعرفتهم كذبهم بطرائق علمية وغيرها، وعلى قدر اتساع الأوقات.

و قال: وأمر هؤلاء المنتمين إلى ولد عبد الله بن عمر يحتاج إلى دليل، وإلا فهو قول من الأقاويل الداخلة فى الأباطيل.

ثانيا – الحمد لله، وبه أكتفى من عوادى الدهر فى نُوَبه، أقل عبيد الله تعالى محمد بن أحمد بن أينال العلائى الدوادار الحنفى، عامله ربه بخفى لطفه الجلى والخفى.

ثالثا – بليت بحظ ما ارتفع إلا اتضع، ولا قام إلا خرَّ سريعا ووقع، ولا استوى إلا التوى ولا ارتفع إلا انحط وهوى ولا تيسَّر إلا تعذر، ولا تنبه إلا وعن قليل رقد، ولا نشط إلا تخبط وهبط:

لعمرك ما عدمت لواء مجد ولا كَل الجواد عن السباق

ولكننى بُليت بحظ سوء كما تبلى المليحة بالطلاق

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾(١).

فسبحان الله من إله حكيم قادر، ومليك مقتدر قاهر، يعطى العاجز الحقير، ويمنع البطل الأيِّد الكبير، ويرفع الخامل الذليل، ويضع ذا العز المنيع والمجد الأثيل، ويعز المحتقر الطريد المجفو الشريد، ويذل أولى الحد الحديد، والعدِّ العديد، وأرباب الألوية والبنود، ومالكى أزِمَّةِ العساكر والجنود، ويؤتى ملكه من لم يكن شيئا مذكورا، ولا عرف له أبا نبيها وجدا مشهورا، بل نشأ كَلاًّ على مولاه وخادما لسواه، تجبهه وتشنؤه الناس، ولا يرعاه سائر الأجناس، لا يقدر على نفع نفسه فضلا عن الغير، ولا يستطيع دفع ما ينزل به من مساءة وضير، عجزا وشقاء وخمولا واختفاء، وينزع نعت الملك ممن تهابه أسد الشرى فى غِيلها، وتخضع لجلالته عتاة الأبطال بقَظِّها وقِظيظها(٢)، وتخنع لخُنْزُوانة(٣) سلطانه حماة الكماة بجمعها وجميعها، وتذل لسطوته ملوك الجبابرة وأقيالها، ويأتمر بأوامره العساكر الكثيرة العدد، ويقتدى بعوائده الخلائق مدى الأبد.

والحمد لله على حالتى منعه وعطائه، وابتلائه وبلائه، وسرائه وضرائه، ونعمه وبأسائه، أهل الثناء والمجد، ومستحق الشكر والحمد، **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾** (٤) **﴿بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون﴾** (٥) ولا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى **﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾**(٦) والله أكبر

=رابعا – ملكه محمد المقريزى.

خامسا – قَيْدِ شُدَّ فى سنة ١١٣٧ هـ.

سادسا – الحمد لله على نعمه، أنهاه وكذلك ما بعده، مطالعة، داعيا لمؤلفه بالرحمة والرضوان، ولمالكه بالسيادة وطول العز، محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمى، إلى رابعه سنة ٨٤٦.

(١) آل عمران الآية٢٦، ٢٧.

(٢) الوارد فى معاجم اللغة: قضها وقضيضها بالضاد، والقض الحصى الصغار، والقضيض الكبار، والمعنى أنهم يخضعون جميعا.

(٣)الخنزوانة. خنز اللحم بالكسر يخنز خنزا، أى أنتن، مثل خنز على القلب. والخنزوانة: التكبر يقال: هو ذو خنزوانات. قال الشاعر: لئيم نزت فى أنفه خنزوانة.انظر الصحاح (خنز).

(٤) الأنبياء الآية ٢٣.

(٥) يس الآية ٨٣.

(٦) الإخلاص الآية ٣/٤.

﴿لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[(١)] ولا تدرك من عظمته العقول إلا ما أخبر به عنه الرسل والأنبياء . وصلى الله على نبينا محمد الذى أذهب الشرك من الأكاسرة، ومحا بشريعته عظماء الروم القياصرة، وأزال بملته الأصنام والأوثان، وأخمد بظهوره بيوت النيران، وجمع له أسود العرب وقد كانت فى جزيرتها متفرقة، ولم ببركته شعثها بعدما غبرت زمانا وهى متمزقة، وألف قلوبها على موالاته وطاعته، وحبب إليها المبادرة إلى مبايعته على الموت ومتابعته، فتواصلوا بعد القطيعة والتدابر، وتحابوا فى الله كأن لم ينشئوا على البغضاء والتنافر، حتى صاروا باتباع ملته، والاقتداء بشريعته، من رعاية الشاء والبعير، إلى سياسة الجم الغفير، وبعد اقتعاد سنام الناقة والقعود، وملازمة بيت الشعر والعمود، وأكل القيصوم[(٢)] والشيح، ونزول القفر الفسيح، إلى ارتقاء المنابر والسرير، وتوسد الأرائك على الحرير، وارتباط المسوَّمة الجياد، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والعتاد، بما فتح الله عليهم من غنائم ملوك الأرض، الذين أخذوهم بالقوة والقهر، وحووا ممالكهم بتأييد الله لهم والنصر، وأورثوها أبنائهم، وأحفادهم وأحفاد أحفادهم. فلما خالفوا ما جاءهم به رسولهم من الهدى، أحلهم الرزايا المجيحة والردى، وسلط عليهم من رعاع الغوغاء وآحاد الدهماء من ألحقهم بعد الملك بالهلك، وحطهم بعد الرفعة، وأذلهم بعد المنعة، وصيرهم من رتب الملوك إلى حالة العبد المملوك، جزاء بما اجترحوا من السيئات، واقترفوا من الكبائر الموبقات، واستحلوا من الحرمات، واستهواهم به الشيطان من اتباع الشهوات، وليعتبر أولو البصائر والأفهام، ويخشى أهل النهى مواقع نقم الله العزيز ذى الانتقام، لا إله إلا هو سبحانه.

أما بعد، فإنه لما يسر الله وله الحمد، بإكمال كتاب **«عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط»**، وكتاب **«اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء»**، وهما يشتملان على ذكر من مَلَكَ مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء، منذ فتحت[(٣)] إلى أن زالت الدولة الفاطمية[(٤)] وانقرضت، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية[(٥)]، والسلاطين المماليك التركية

---

(١) البقرة الآية ٢٥٥.

(٢) القيصوم القاف والصاد والميم أصل صحيح يدل على الكسر. يقال قصمت الشيء قصما. والقصيمة والقيصوم: نبتان. انظر مقاييس اللغة مادة (قصم).

(٣) كان فتح مصر سنة ٢٠ هـ انظر النجوم الزاهرة ١/٤ نقلا عن الحافظ الذهبى .

(٤) زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ انظر النجوم الزاهرة ١/٦.

(٥) قامت الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ هـ.انظر النجوم الزاهرة ١/٦.

والجركسية[١]، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقصى أعلامهم الذائعة، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالتراجم والوفيات، لأنى أفردت لها تأليفا بديع المثال بعيد المنال، فألفت هذا الديوان، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل، وسميته كتاب **«السلوك لمعرفة دول الملوك»**. وبالله أستعين فهو المعين، وبه أعتضد فيما أريد وأعتمد، فإنه حسبى ونعم الوكيل.

* * *

فصل

ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام

اعلم أن الناس كانوا بأجمعهم، قبل مبعث نبينا محمد ﷺ، ما بين عربى وعجمى، سبع أمم كبار هم: الصين وهم فى جنوب مشرق الأرض، والهند وهم فى وسط جنوب الأرض، والسودان ولهم جنوب مغرب الأرض، والبربر ولهم شمال مغرب الأرض، والروم وهم فى وسط شمال الأرض، والترك وهم فى شمال مشرق الأرض، والفرس وهم فى وسط هذه الممالك، قد أحاطت بهم هذه الأمم الست.

وكانت الأمم كلها فى قديم الدهر، قبل ظهور الشرائع الدينية، صفا واحد مُسَمَّين باسمين: سمنيين وكلدانيين، ثم صاروا على خمسة أديان، وهى الصابئة، والمجوس، والذين أشركوا، واليهود، والنصارى.

فأما الصابئة: فإنها التى تعبد الكواكب، وترى أن سائر ما فى العالم السفلى المعبر عنه بالحياة الدنيا ناشئ وصادر عن الكواكب، وأن الشمس هى المفيضة على الكل.

وهذا الدين أقدم هذه الأديان، وبه كان يدين أهل بابل من الكلدانيين، وإليهم بعث الله نوحا وإبراهيم، صلوات الله عليهما. وكانت الصابئة تتخذ التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وتعبدها، فتصلى إليها وتقرب لها القرابين، وتعتقد أنها تجلب النفع وتدفع السوء. وبقيت منهم بقايا بأرض السواد من العراق وبحران[٢]

---

(١) كان قيام دولتهم سنة ٦٤٨ هـ انظر النجوم الزاهرة ٧/٣.

(٢) البحرين هكذا يتلفظ بها فى حال الرفع والنصب والجر ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن الزمخشرى قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون هذه البحران ... وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. قيل هى قصبة هجر وقيل هجر قصبة البحرين وقد عدها قوم من اليمن، وجعلها آخرون قصبة برأسها وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة وربما عد بعضهم اليمامة من أعمالها. والصحيح أن اليمامة عمل برأسه روى ابن عباس البحرين من أعمال العراق وحده من عمان ناحية جرفار واليمامة على جبالها. انظر معجم البلدان (بحر).

والرها[١] أدركوا الإسلام وعُرفوا بالنبط وبالحرنانيين[٢] و لم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ غلبهم فارس، فلما كانت أيام المأمون[٣] أسقطوا عن أنفسهم اسم الكلدانيين، وتسموا بالصابئين.

وأما المجوس: فإنهم الذين يقولون بإلهين اثنين، أحدهما فاعل الخير وهو النور، والآخر فاعل الشر وهو الظلام، ويقال لهم الثنوية أيضا، واتخذوا لهم بيوت نيران لا تزال تَقِد أبدا، وكانت إلى هذه النيران صلواتهم وقرابينهم، ويعتقدون فيها النفع والضر، وعلى هذا الاعتقاد كانت الأكاسرة ملوك فارس بالعراق.

---

(١) الرُّهاء: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذى استحدثها، وهو الراهاء بن البلندى بن مالك بن دعر... وقال قوم: إنها سميت بالرها بن الروم بن لنطى بن سام بن نوح، عليه السلام، قال بطليموس: مدينة الرها طولها اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ... وقال يحيى بن جرير: الرها اسمها بالرومية أذاسا، بنيت فى السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك سلوقس. انظر معجم البدان ١٠٦/٣.

(٢) نسبة إلى بلدة حران، وهى تقع جنوب شرقى الرها.

(٣) المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ = ٧٨٦ – ٨٣٣م).عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، أبو العباس سابع الخلفاء من بنى العباس فى العراق، وأحد أعاظم الملوك، فى سعة ملكه. نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند وعرفه المؤرخ ابن دحية بالإمام العالم المحدث النحوى اللغوى ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين (سنة ١٩٨هـ) فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة و أتحف ملوك الروم بالهدايا سائلا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم، فاختار لها مهرة التراجمة، فترجمت وحث الناس على قراءتها، فقامت دولة الحكمة فى أيامه. وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، لولا المحنة بخلق القرآن فى السنة الأخيرة من حياته وكان فصيحا مفوها، واسع العلم، محبا للعفو. من كلامه: «لو عرف الناس حبى العفو لتقربوا إلى بالجرائم» وأخباره كثيرة جمع بعضها فى مجلد مطبوع صفحاته ٣٨٤ من تاريخ بغداد لابن أبى طيفوره، وكتاب عصر المأمون – ط لأحمد فريد الرفاعى. وله من التواقيع والكلم ما يطول مدى الإشارة إليه توفى فى بذندون ودفن فى طرسوس. انظر: تاريخ بغداد لابن الخطيب ١٠: ٨٣ والمسعودى ٤: ٢٤٣ :٢٦٩ والنبراس لابن دحية ٤٦ – ٦٣ وابن الأثير ٦: ١٤٤ – ٤٨، والطبرى ٧: ٢٩٣ واليعقوبى ٣: ١٧٢ وتاريخ الخميس ٢: ٣٣٤ وفيه : «كان أبيض ربعة حسن الوجه تعلوه صفرة وخطه الشيب أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين على خده خال». والبدء والتاريخ ٦: ١١٢ وفيه صفته المتقدمة إلا أنه يقول: «تعلوه حمرة ويزيد» على ذلك : «وأمه بادغيسية تسمى مراجل». وفوات الوفيات ١: ٢٣٩.الأعلام ١٤٢/٤

وولد رسول الله ﷺ في أيام كسرى أنوشِروان وأزال العرب ملكهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وملكوا منهم المدائن وجلولاء وغيرها، وقتل يزدجرد آخر ملوكهم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، ولم يقم بعده قائم من الأكاسرة، وتمزق الفرس وذهب ملكهم إلى اليوم. وقد تقدم فى كتاب عقد جواهر الأسفاط ذكر ملوك الفرس فراجعه.

وأما الذين أشركوا فإنهم وإن وافقهم الصائبة والمجوس في عبادة التماثيل والنار من دون الله، فإن العرب الذين بعث الله فيهم نبينا محمدا ﷺ يقال لهم المشركون سمة لهم، واسما لزمهم، وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت من دون الله، فيسجدون ويصلون ويذبحون الذبائح لتماثيل عندهم، قد اتخذوها من الحجر والخشب وغيره، ويزعمون أنها تجلب لهم النفع، وتدفع عنهم الضر[١] ويعتقد المشركون مع ذلك أن الله سبحانه هو الذى خلقهم، وهو الذى أوجدهم ثم يميتهم، وهو الذى يرزقهم[٢]، وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله سبحانه[٣]. وكانوا إذا مسهم الضر فى البحر من شدة هبوب رياحه وعظم أمواجه، وأشرفوا على الهلاك، نسوا عند ذلك الأصنام التى كانوا يعبدونها، ودعوا الله يسألونه النجاة[٤] وقد محا الله- وله الحمد - بنبينا محمد ﷺ الشرك من العرب حتى دخلوا فى دين الله أفواجا، وجاهدوا فى الله حق جهاده، إلى أن ظهر دين الإسلام بهم على سائر الأديان، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها مما تطؤه الدواب، وتمر فيه السفن. وقد ذكرنا أيضا فى كتاب عقد جواهر الأسفاط قبائل العرب وبطونها ذكرا شافيا فتأمله .

وأما اليهود: فإنهم أتباع نبى الله موسى بن عمران، صلوات الله عليه، وكتابهم التوارة. وكلهم أبناء إبراهيم الخليل، ويعرفون أيضا ببنى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، صلوات الله عليهم، وكانوا اثنى عشر سبطا، وملكوا الشام بأسره

---

(١) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ ١٨/يونس.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ ٦١/العنكبوت.

وقال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ٩/الزخرف.

(٣) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ٣/الزمر.

(٤) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ ٦٧/الإسراء.

إلا قليلا منه إلى أن زالت دولتهم على يد بختنصر، ثم على يد طيطش، وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة، وإنما هم أمم متفرقون فى أقطار الأرض، تحت أيدى النصارى. وقد ذكرنا أيضا جميع ملوكهم فى كتاب عقد جواهر الأسفاط.

وأما النصارى: فإنهم أتباع نبى الله المسيح عيسى ابن مريم، صلوات الله عليه، وكتابهم الإنجيل. وجاء الله بالمسيح إلى بنى إسرائيل فكذّبوه إلا طائفة منهم، ثم انتشر دينه بعد رفعه بدهر، فدخل فيه الروم والقبط والحبشة وطائفة من العرب، وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام، فقاتل المسلمون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم هرقل آخر الملوك القياصرة وأتباعه حتى ملكوا منه بلاد الشام وأرض مصر، وأخرجوه إلى جزائر البحر، ثم قاتل المسلمون القوط والجلالقة، وملكوا منهم إفريقية والأندلس وسائر بلاد المغرب، وتابعوا الحرب والقتال للروم حتى انقضى ملكهم، وقام من بعدهم الإفرنج. وقد ذكرنا فى كتاب عقد جواهر الأسفاط وفى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جملة من حروب الروم والفرنج للمسلمين. وإلى وقتنا هذا ملوك الفرنج ورعيتهم، وملوك أكثر بلاد الحبشة ورعيتهم، يدينون بدين النصرانية.

فهذه - أعزك الله- ديانات أهل الأرض عند مبعث نبينا محمد ﷺ.

وكانت الممالك يومئذ على خمسة أقسام: مملكة فارس ويقال لمن ملك منهم كسرى، ومملكة الروم ويقال لملكها قيصر، وكانت الحرب لا تزال بين الروم وفارس وبيدهما أكثر المعمور، ومملكة الترك وكانت ملوكهم تحارب ملوك الفرس، ولم يكن لهم قط فيما بلغنا من أخبار الخليقة غلبة على الممالك، ومملكة الهند وحسب ملوكهم ضبط ما بيدها فقط، ومملكة الصين. وأما بنوحام من الحبشة والزنج والبربر فلم يكن لهم ملك يعتد به.

* * *

فصل

ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء

اعلم أن الله بعث نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ على رأس أربعين سنة من عمره، فدعا قومه من قريش بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها عشر سنين، وتوفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، وقد ذكرنا جملة سيرته فى أول كتاب عقد جواهر الأسفاط. فقام بعد وفاته ﷺ بأمر الإسلام والمسلمين الخلفاء الراشدون مدة ثلاثين سنة، وعدتهم خمسة هم:

أبو بكر الصديق رضى الله عنه[1] واسمه عبد الله بن عثمان أبى قحافة مدة سنتين وثلاثة أشهر غير خمس ليال، وعمر بن الخطاب بن نفيل العدوى[2] مدة عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وعثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[3] مدة اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما، وقيل إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما، وقيل ثمانية عشر يوما. وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم[4] مدة أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أربعة عشر يوما. والحسن بن على بن أبى طالب[5] مدة خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وقيل ستة

---

(١) انظر ترجمته طبقات ابن سعد (انظر فهارس الكتاب)، الإصابة ٤٨٠٨، ابن الأثير ١٦٠/٢، الطبرى ٤٦/٤، اليعقوبى ١٠٦/٢، صفة الصفوة ٨٨/١ الإسلام والحضارة العربية ١٠٧/٢، ٣٥١، حلية الأولياء ٩٣/٤، ذيل المذيل ١١٣ تاريخ الخميس ١٩٩/٢، البدء والتاريخ ٧٦/٥، الرياض النضرة ٤٤ - ١٨٧ منهاج السنة ١١٨/٣ وما بعدها.

(٢) انظر ابن الأثير ١٩/٣ ، الطبرى ١٨٧/١ - ٢١٧ ، ٢/٢ - ٨٢، اليعقوبى ١١٧/٢، الإصابة: ٥٧٣٨، صفة الصفوة ١٠١/١، حلية الأولياء ٣٨/١ تاريخ الخميس ٢٥٩/١، ٢٣٩/٢، أخبار القضاة لوكيع ١٠٥/١، البدء والتاريخ ٨٨/٥ ، ١٦٧، شذور العقود للمقريزى ٥، مورد اللطافة، الكنى والأسماء ٧/١، والإسلام والحضارة العربية ١١/٢، ٣٦٤.

(٣) عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ=٥٧٧ - ٦٥٦م). انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٣٥/غاية النهاية ٥٠٧/١، شرح نهج البلاغة ٦١/٢ وأماكن أخرى فيه. والبدء والتاريخ ٧٩/٥، ١٩٤ - ٢٠٨، اليعقوبى ١٣٩/٢، حلية الأولياء ٥٥/١، الطبرى ١٤٥/٥، صفة الصفوة ١١٢/١، تاريخ الخميس ٢٥٤/٢ المحبر ٣٧٧، الكنى والأسماء ٨/١، منهاج السنة ١٨٦/٢، الرياض النضرة ٨٢/٢، الإسلام والحضارة العربية ١٣٨/٢، ٢٧٣.

(٤) على بن أبى طالب (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ= ٦٠٠ - ٦٦١م). انظر بن الأثير: حوادث سنة ٤٠ هـ والطبرى ٨٣/٦ البدء والتاريخ ٧٣/٥، صفة الصفوة ١١٨/١، اليعقوبى ١٥٤/٢، مقاتل الطالبيين ٢١٤ حلية الأولياء ٦١/١، شرح نهج البلاغة ٥٧٩/٢، منهاج السنة ٢/٣ والمسعودى ٢/٢ - ٣٩، والإسلام والحضارة العربية ١٤١/٢، ٣٧٩، الرياض النضرة ١٥٣/٢ - ٢٤٩، الأصاله: الترجمة ٥٦٩٠.الأعلام ٢٩٦/٤.

(٥) الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثانى الأئمة الإثنا عشر عند الإمامية ولد فى المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة حج عشرين حجة ماشيا. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازيا مجتازا إلى غزاة جرجان، ومعه عبد الله ابن الزبير وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سيفان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. وتقارب الجيشان فى موضع يقال له مسكن بناحية من الأنبار، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضى معاوية، فخلع الحسن نفسه.

أشهر، وبه تمت أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم.وصارت الخلافة ملكا عضوضا، أى فيه عسف وعنف، وانتقل الأمر إلى بنى أمية .

وأول من ولى منهم معاوية بن أبى سفيان،[١] واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ومدته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر إلا أياما. وقام من بعده ابنه يزيد بن معاوية[٢] مدة ثلاث سنين وستة أشهر، وقيل ثمانية

---

(١) معاوية بن أبى سفيان (٢٠ ق هـ ـ ٦٠ هـ =٦٠٣ ـ ٦٨٠م). معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى الأموى: مؤسس الدولة الأموية فى الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار كان فصيحا حليما وقورا ولد بمكة، و أسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ﷺ فى كتابه، ولما ولى أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان، فكان على مقدمته فى فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت، ولما ولى عمر جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعلما فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له وقتل عثمان، فولى على بن أبى طالب، فوجه لفوره بعزل معاوية وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان واتهم عليا بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين على. وانتهى الأمر بإمامة معاوية فى الشام وإمامة على فى العراق ثم قتل على وبويع بعد ابنه الحسن فسلم إلى معاوية سنة ٤١ هـ ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات فى دمشق. له ١٣٠ حديثا، اتفق البخارى ومسلم على أربعة منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة، وهو أحد عظماء الفاتحين فى الإسلام، بلغت فتوحاته المحيط الاتلانطيقى، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان (سنة ٤٣هـ) وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، وفى أيامه فتح كثير من جزائر يونان والدردنيل وحاصر القسطنطينية برا وبحرا (سنة ٤٨ هـ) .وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير، وأول من نصب الحرس والحجاب فى الإسلام وأول من نصب المحراب فى المسجد كان يخطب قاعدا ، وكان طويلا جسيما أبيضا، إذا ضحك انقلبت مشفته العليا، وضربت فى أيامه دنانير عليها صورة أعرابى متقلد سيفا.انظر ابن الأثير ٢/٤، تطهير الجنان، الطبرى ١٨٠/٦، منهاج ٢٠١/٢ اليعقوبى ١٩٢/٢، تاريخ الخميس ٢٩١/٢ ، ٢٩٦ البدء والتاريخ ٥/٦، شذرات العقود ٦، المرزبانى ٣٩٢، المسعودى ٤٢/٢، الإسلام والحضارة العربية ٢، ١٤٦ - ١٦١ النهب المسبوك ٢٤، الأعلام ٢٦٢/٧

(٢) يزيد بن معاوية (٢٥ هـ - ٦٤ هـ = ٦٤٥م - ٦٨٣م). يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى: ثانى ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٠هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن على، فانصرف الأول إلى مكة والثانى إلى الكوفة، وفى أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن على سنة ٦١ هـ وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرى، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يباع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين وفى زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع

أشهر، وقيل غير ذلك، وليس بشيء، فولى بعده معاوية بن يزيد بن معاوية[1] ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوما. وقام بعد يزيد أيضا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بالحجاز[2] وخالف عليه مروان بالشام، فكانت مدة ابن

وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم ويقال إن يزيد أول خدم الكعبة وكساها الديباج الخسروانى= =ومدته فى الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفى بحوارين (من أرض حمص) وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق، وإليه ينسب نهر يزيد فى دمشق، وكان نهرا صغيرا يسقى ضيعتين، فوسعه فنسب إليه، ولابن تيمية سؤال فى يزيد بن معاوية، رسالة نشرها المنجد، ولمحمد بن على بن طولون قيد الشريد من أخبار يزيد . انظر الطبرى: حوادث سنة ٦٤، تاريخ الخميس ٢/٣٠٠، منهاج السنة ٢/٢٣٧ - ٢٥٤، ابن الأثير ٤/٤٩، مختصر تاريخ العرب ٧١ - ٧٦، البدء والتاريخ ٦/٦ - ١٦، اليعقوبى ٢/٢١٥، جمهرة الأنساب ١٠٣، الوسائل إلى مسامرة الأوائل ٣٣، ٣٤، رغبة الأمل ٤/٨٣، ٥/١٢٩، الجهشيارى، تاريخ المانوزى ١٠٥، ١٠٦. الأعلام٨/١٨٩.

(١) معاوية بن يزيد (٤١ - ٦٤ هـ= ٦٦١ - ٦٨٤م). معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان: من خلفاء بنى أمية فى الشام. بويع بدمشق بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤ هـ) فمكث أربعين يوما، أو ثلاثة أشهر، وشعر بالضعف وقرب الأجل، فأمر فنودى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فوقف خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنى ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجد، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم، وأومى أن يصلى الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة، ودخل منزله. ومات بعد قليل وهو ابن ٢٣ سنة توفى بدمشق ولا عقب له، وكانت كنيته أبا ليلى. انظر ابن الأثير ٤/٥١، اليعقوبى ٢/٢٢٦، الطبرى ٧/١٧، البدء والتاريخ ٦/١٦، تاريخ الخميس ٢/٣٠١، نسب قريش ١٢٨، المسعودى ٢/٧٧، المحبر ٢٢/٤٥، ٥٨، بلغة الظرفاء ١٩.الأعلام ٧/٢٦٣.

(٢) عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣ هـ =٦٢٢ - ٦٩٢ م). عبد الله بن الزبير بن العوام القريشى الأسدى، أبو بكر: فارس قريش فى زمنه، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخرسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفى، فى أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج فى الطائف ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير فى مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو فى عمر الثمانين وكان من خطباء قريش المعدودين ، يشبه فى ذلك بأبى بكر. مدة خلافته تسع سنين وكان نقش الدراهم فى أيامه: بأحد الوجهين : محمد رسول الله وبالآخر أمر الله بالوفاء والعدل وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، له فى كتب الحديث ٣٣ حديثا.انظر ابن الأثير ٤/١٣٥، فوات الوفيات ١/٢١٠، تاريخ الخميس ٢/٣٠١ حلية الأولياء ١/٣٢٩، اليعقوبى ٣/٢، صفة الصفوة ١/٣٢٢، الطبرى ٧: ٤٠٢، تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٦، شذور العقود ٦/جمهرة الأنساب ١١٣، ١١٤.الأعلام ٤/٨٧.

الزبير إلى أن قتل بمكة تسع سنين. وقام بعد معاوية بن يزيد بالشام مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[١] مدة عشرة أشهر. وقام من بعده ابنه عبد الملك بن مروان، واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفى[٢] على حرب عبد الله

(١) مروان بن الحكم (٢ - ٦٥ هـ= ٦٢٣ - ٦٨٥م). مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الملك: خليفة أموى، هو أول من ملك من بنى الحكم بن أبى العاصى، وإليه ينسب بنو مروان ودولتهم المروانية ولد بمكة ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه فقاتل مروان فى وقعة الجمل قتالا شديدا وانهزم أصحابه فتوارى. وشهد صفين مع معاوية، ثم أمنه على، فأتاه فبايعه وانصرف إلى المدينة (سنة ٤٢ - ٤٩هـ) وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام ولما ولى يزيد ابن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بنى أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان ثم عاد إلى المدينة وحدثت فتن كان من أنصارها ، وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية (فى شمالى حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن (سنة ٦٤هـ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها وخرج إلى مصر وقد فشت فى أهلها البيعة لابن الزبير فصالحوا مروان، فولى عليهم ابنه عبد الملك وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره، وتوفى فيها بالطاعون وقيل غطته زوجته «أم خالد» بوسادة وهو نائم، فقتلته. ومدة حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوما وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها «قل هو الله أحد» وكان يلقب خيط باطل لطول قامته واضطراب خلقه. وكان نقش خاتمه: «العزة لله» قاله الصاحب فى عنوان المعارف ١٤.الإصابة: ت ٨٣٢٠ وأسد الغابة ٤: ٣٤٨ وتهذيب ١٠: ٩١ والجمع ٥٠١ وابن الأثير ٤: ٧٤ والطبرى ٧: ٣٤ ، ٨٣ والبدء والتاريخ ٦: ١٩ . وفيه: هو أول من أخذ الخلافة بالسيف وأسماء المغتالين من الأشراف: فى نوادر المخطوطات ٢: ١٧٤ وفيه قصة موته خنقا. السالمى ١: ١٧٣ وتاريخ الخميس ٢: ٣٠٦ وفيه أدرك النبى (ﷺ) وهو حى وولى نيابة المدينة مرات، وهو قاتل طلحة بن عبد الله وكان كاتب السر لعثمان، وبسببه جرى على عثمان ما جرى وفيه أيضا يقال له ابن الطريد لأن النبى (ﷺ) طرد أبا الحكم إلى بطن وج بالطائف إذ كان يغمز عليه ويغشى سره، فقال لا ساكنتنى فلم يزل فيها إلى أيام عثمان فرده إلى المدينة وكان ذلك مما نقم على عثمان وفى معجم قبائل العرب ٣: ١٠٧٨ من نسله: المروانية كانوا فى صعيد مصر ومن منازلهم فى الشام دابق إحدى قرى حلب وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٩٦ قطعتان من شعره. انظر الأعلام ص ٧ ص ٢٠٧.

(٢) الحجاج الثقفى (٣٤٠ - ٩٥ هـ ٦٦٠ - ٧١٤م). الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى، أبو محمد : قائد، داهية، سفاك خطيب. ولد ونشأ فى الطائف، وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته، ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد فى ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. انظر معجم البدان ٣٨٢/٨، وفيات الأعيان ١٢٣/١، المسعودى ١٠٣/٢ - ١١٩، تهذيب التهذيب ٢١٠/٢، تهذيب ابن عساكر

ابن الزبير فقتله، وأقام عبد الملك بعد قتله ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال. وقام بعده ابنه الوليد بن عبد الملك[1] مدة تسع سنين وسبعة أشهر. وقام بعده أخوه سليمان بن عبد الملك[2] سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقيل إلا خمسة أيام. وقام بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم[3] سنتين وخمسة أشهر. ثم قام بعده يزيد

٤٨/٤، ابن الأثير ٢٢/٤ سير البنلاء، البدء والتاريخ ٢٨/٦. الأعلام ١٦٨/٢.

(١) الوليد بن عبد الملك (٤٨ - ٩٦ هـ ٦٦٨ - ٧١٥م). الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولى بعد وفاة أبيه - سنة ٨٦هـ فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وامتدت فى زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين شرقا، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال وكان ولوعا بالبناء والعمران، فكتب إلى والى المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأن يعمل فوارة، فعملها وأجرى ماءها. وكتب إلى البلدان جميعا بإصلاح الطرق وعمل الآبار. ومنع المجذومين من مخالطة الناس، وأجرى لهم الأرزاق وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام. وجعل لكل أعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال، وأقام لكل مقعد خادما ورتب للمقراء أموالا وأرزاقا. وأقام منازل يأوى إليها الغرباء وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به، ثم بناه بناء جديدا، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين فى مكة، وبنى المسجد الأقصى فى القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير، المعروف بالجامع الأموى، فكانت نفقات هذا الجامع (...., ..٢٠, ١١) دينار، أى نحو ستة ملايين دينار ذهبى من نقود زماننا، بدأ فيه سنة ٨٨ هـ، وأتمه أخوه سليمان، وكانت وفاته بدير مران (من غوطة دمشق) ودفن بدمشق. ومدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر وكان خاتمه ياوليد إنك ميت. انظر ابن الثير ٣/٥ ، الطبرى ٨، ٩٧، بلغة الظرفاء ٢٣، اليعقوبى ٢٧/٣، تاريخ الخميس ٣١١/٢، ٣١٤، المسعودى ٢، ١١٩ - ١٢٧، الذهب المسبوك ٢٩، عنوان المعارف ١٥. الأعلام ٨: ١٢١.

(٢) سليمان بن عبد لملك (الخليفة الأموى): (٥٤ - ٩٦ هـ، ٦٧٤ - ٧١٧م). سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأموى. ولد فى دمشق، وولى الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد (سنة ٩٦ هـ) وكان بالرملة، فلم يتخلف عن مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين، وأحسن إلى الناس. وكان عاقلا فصيحا طموحا إلى الفتح، جهز جيشا كبيرا وسيره فى السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية. وفى عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانت فى أيدى الترك. وتوفى فى دابق (من أرض قنسرين - بين حلب ومعرة النعمان) وكانت عاصمته دمشق. ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياما. انظر: ابن الأثير ٥: ١٤، والطبرى ٨: ١٢٦، وابن شاكر ١: ١٧٧ واليعقوبى ٣: ٣٦، وابن خلدون ٣: ٧٤.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى القرشى أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم، وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام ولد ونشأ بالمدينة، وولى إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام وولى الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ، فبويع فى مسجد دمشق وسكن الناس فى أيامه، فمنع سب على بن أبى طالب وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر، ولم تطل مدته، وقيل: دس له السم=

ابن عبد الملك بن مروان[(١)] مدة أربع سنين وشهر وأيام. وقام بعده أخوه هشام بن عبد الملك[(٢)] تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما، وقيل ثمانية أشهر

=وهو بدير سمعان من أرض المسرة، فتوفى به ومدة خلافته سنتان ونصف وأخباره فى عدله وحسن سياسته كثيرة وكان يدعى أشج بنى أمية مسحته دابة وهو غلام فشجته وقيل فى وصفه أنه كان نحيف الجسم، غائرا العينين بجبهته أثر الشجة، وخطه الشيب، أبيض رقيق الوجه مليحا وفى كتاب الإسلام والحضارة العربية كانت طريقته فى إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا فى أهم المهمات مما تشكل عليه أمره ورثاه الشريف الرضى بقصيدة مطلعها يا ابن عبد العزيز، لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك، ولابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ط ولعبد الله بن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ط، ولعبد الرءوف المسناوى سيرة عمر بن عبد العزيز ولأحمد زكى صفوت عمر بن عبد العزيز ط ولعبد العزيز سيد الأهل الخليفة الزاهد ط فى سيرته. انظر فوات الوفيات ٢: ١٠٥، تهذيب ٧. ٤٧٥ وسير النبلاء - خ وحلية الأولياء ٥: ٢٥٣ - ٣٥٣ واليعقوبى ٣: ٤٤، وصفة الصفوة ٥: ٦٣، وابن خلدون ٣: ٧٦ والطبرى ٨: ١٣٧، والأعيان ٩: ٢٥٤، والمعوذى ١٣/٢ - ١٣٧ والنجوم الزاهرة ١: ٢٤٦ وتهذيب الأسماء واللغات ٢: ١٩. انظر الأعلام ص ٥ ص ٥٠

(١) يزيد بن عبد الملك (٧١ - ١٠٥ هـ ٦٩٠ - ٧٢٤م). يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد فى دمشق، وولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت فى أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمى مع الترك، وانتصاره عليهم، وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض الجسم مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط فى الانصراف إلى اللذات. مات فى أربد (من بلاد الأردن) أو بالجولان، بعد موت قينة له اسمها حبابة بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرحال إلى دمشق، فدفن فيها وكان لحبابة، هذه أثر فى أحكام التولية والعزل، على عهده. انظر ابن الأثير ٤٥/٥، النجوم الزاهرة ٢٥٥/١ اليعقوبى ٥٢/٣ الطبرى ١٧٨/٨، الأغانى (انظر فهرس الكتاب)، تاريخ الخميس ٣١٨/٢ بلغة الظرفاء ٢٥، غاية الأمل ٦٠/١ ، ١٨١/٦، الوزراء والكتاب ٥٦ - ٥٨ مرآة الجنان ٢٢٤/١، المسعودى ١٣٧/٢، عنوان المعارف ١٧، زبدة الحلب ٤٧/١. الأعلام ١٨٥/٨.

(٢) هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥ هـ ٦٩٠ - ٧٧٣ م).هشام بن عبد الملك بن مروان: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد فى دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥هـ) وخرج عليه زيد بن على بن الحسين (سنة ١٢٠) بأربعة عشر ألفا من أهل الكوفة، فوجه إليه من قتله وقل جمعه. ونشبت فى أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان الترك واستيلاء العرب على بعض بلاده . واجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزائن أحد من ملوك بنى أمية فى الشام وبنى الرصافة وهى غير رصافتى بغداد والبصرة، وكان يسكنها فى الصيف، وتوفى فيها وكان حسن السياسة، يقظا فى أمره، يباشر العمال بنفسه. انظر ابن الأثير ٩٦/٥، الطبرى ٢٨٣/٨، تاريخ الخميس ٣١٨/٢ ٣٢٠، اليعقوبى ٥٧/٣، ابن خلدون ٨٠/٣ ١٣٠، المسعودى ١٤٢/٢ - ١٤٥، الذهب المسبوك ٣٤، مرآة الجنان ٢٦١/١ - ٢٦٣، مختصر تايخ العرب لسيد أمير على ١١٨ - ١٣٥. الأعلام ٨٧: ٨ .

ونصف. وكان قد اتخذ طرازا له قدر، واستكثر منه حتى كان يحمل ما أثر فيه من طرازه على سبعمائة جمل فهذه ثيابه التي لبسها، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه؟ فقام من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك[1] ويعرف بيزيد الناقص، وولى مدة سنة وثلاثة أشهر، وقيل وشهرين واثنين وعشرين يوما. فبويع بعده ابنه يزيد بن الوليد[2]، وفى أيامه اضطربت الدولة، وولى مدة خمسة أشهر وأياما. فقام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد[3] مدة أربعة أشهر، وقيل سبعين يوما، ولم يتم له أمر. وقام بعده مروان بن محمد

---

(١) الوليد بن يزيد(٨٨ هـ - ١٢٦ هـ ٧٠٧ - ٧٤٤م). الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة المروانية بالشام. كان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك فى اللهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقا .. قال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيرا، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به، ولى الخلافة (سنة ١٢٠هـ) بعد وفاه عمه هشام بن عبد الملك فمكث سنة وثلاثة أشهر، ونقم عليه الناس حبه للهو، فبايعوا سرًّا يزيد بن الوليد بن عبد الملك، انظر ابن الأثير ١٠٣/٥ ، اليعقوبى ٧١/٣، ابن خلدون ١٠٦/٣ ، الطبرى ٦٥/٨، ٢٨٨، ٢١٩، الأغانى ١/٧، ٢٧٤/٩، تاريخ خميس ٣٢٠/٢ المسعودى ١٤٥/٢، خزانة البغدادى ٣٢٨/١، تاريخ الإسلام ١٧٣/٥ - ١٧٩، بلغة الظرفاء ٢٧، أعمار الأعيان، الوزراء والكتاب ٦٨ عنوان المعرف ١٨، أمالى المرتضى ١٢٨/١ - ١٣١. الأعلام ١٢٣/٨.

(٢) يزيد الناقص (٨٦ - ١٢٦ هـ ٧٠٥ - ٤٤ م). يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد : من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام مولده ووفاته فى دمشق ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك لسوء سيرته، فبويع بالمزة، واستولى على دمشق وكان الوليد بتدمر، فأرسل إليه يزيد من قاتله فى نواحيها وقتل الوليد، فتم ليزيد أمر الخلافة (فى مستهل رجب ١٢٦) ومات فى ذى الحجة بالطاعون، وقيل: مسموما انظر اليعقوبى ٧٤/٣، ابن خلدون ١٠٦/٣، البداية والنهاية ١١/١٠ ابن الأثير ١١٥/٥، والطبرى: حوداث سنة ١٢٦، تاريخ خميس ٣٢١/٢، ٣٢٢ الحور العين لنشوان ١٩٤، عنوان المعارف ١٩، النجوم الزاهرة ١٢٦/١ - ٣٠٠، بلغة الظرفاء ٢٧، ٢٨، تاريخ الإسلام ١٨٨/٥ - الوزراء والكتاب ٦٩ - ٧٠، مختصر تاريخ العرب لسيد أمير على ١٤٣ الأعلام ١٩١/٦.

(٣) إبراهيم بن الوليد ١٣٢ هـ (٧٤٩ م). إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المروانى الأموى، أبو إسحاق، كان مقيما فى دمشق ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالأمر (سنة ١٢٦ هـ) وكان ضعيفا مغلوبا على أمره تارة يسلم عليه بالإمارة وتارة بالخلافة، فمكث سبعين يوما، فثار عليه مروان ابن محمد بن مروان وكان والى أذربيجان ودعا لنفسه بالخلافة وقدم الشام فاختفى إبراهيم فظهر وقد ضاعت خلافته. وقتل مع من قتل من بنى أمية حين زالت دولتهم. وقيل غرق بالزاب. انظر ابن الأثير فى الكامل ١١٤/٥ ، ١١٥، ١١٩ وما بعدها. واليعقوبى ٧٥/٣ وابن خلدون ١١٢/٣. و الطبرى ٤٦/٩. الأعلام ٧٨/١، ٧٩.

بن مروان بن الحكم[(١)] ويعرف بمروان الجعدى وبمروان الحمار. وفى أيامه ظهرت دولة بنى العباس، وحاربوه حتى قتلوه بأرض مصر، وله فى الخلافة منذ بويع خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما. وانقرضت بمقتل مروان دولة بنى أمية.

وقامت من بعدها دولة بنى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[(٢)] مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشرة أشهر وأيام، فيها افترقت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك فى الديوان، واستولت على الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دول عظيمة جدا، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار

---

(١) مروان بن محمد بن مروان (مروان الجعدى، مروان الحمار، آخر خلفاء بنى أمية). أبو عبد الملك، القائم بحق الله، ويعرف بالجعدى وبالحمار:آخر ملوك بنى أمية فى الشام ولد بالجزيرة وأبوه متوليها، وغزا (سنة ١٠٥ هـ) فافتتح قونية وغيرها وولاه هشام بن عبد الملك على أذربيجان وأرمينية والجزيرة (سنة ١١٤) فافتتح فتوحات وخاض حروبا كثيرة، ولما قتل الوليد بن يزيد (سنة ١٢٦) وظهر ضعف الدولة فى الشام، دعا الناس وهو بأرمينية إلى البيعة له، فبايعوه فيها. وزحف بجيش كثيف فى أيام إبراهيم بن الوليد، قاصدا الشام، فخلع إبراهيم واستوى إلى عرش بنى مروان (سنة ١٢٧) وفى أيامه قويت . الدعوة العباسية، وتقدم جيش قحطبة بن شبي الطائى على طوس يريد الإغارة على الشام، فسار إليه مروان بعسكره، ونزل بالزاب (بين الموصل وإربل)، وتصاول الجمعان، فانهزم جيش مروان ففر إلى الموصل، ومنها إلى حران فحمص فدمشق ففلسطين، وانتهى إلى بوصير (من أعمال مصر) فقتل فيها (قتله عامر أو عمرو بن إسماعيل المرادى الجوحانى) وحمل رأسه إلى السفاح العباس وكان مروان حازما مدبرا شجاعا، إلا أن ذلك لم ينفعه عند إدبار الملك وانحلال السلطان. ويقال له الحمار أو حمار الجزيزة لجرأته فى الحروب انظر الكامل لابن الأثير ٥: ١١٩و ١٥٨ واليعقوبى ٣: ٧٦ وابن خلدون ٣: ١١٢ و ١٣٠ والطبرى ٩: ٥٤ و ١٣٣ والخميس ٢: ٣٢٢ والمسعودى ٢: ١٥٥ والأخبار الطوال ٣٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبى ٥: ٢٩٨ والنجوم الزاهرة ١: ١٩٦ و ٢٥٤ و ٢٧٣ و٢٨٦ و ٣٠٢، ٣٢٢ وفى معجم البلدان ٨: ١٩٦ الدينورى الأخبار الطوال ١٧٨. انظر الأعلام ٢٠٨/٧ . ٤٠٩٠.

(٢) العباس جد العباسيين ٥١٦ ق هـ - ٣٢ هـ ٥٧٣ - ٦٥٣م. العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل : من أكابر قريش فى الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسين قال رسول الله ﷺ فى وصفه : أجود قريش كفا وأوصلها، هذا بقية آبائى وهو عنه وكان محسنا لقومه، سديد الرأى، واسع العقل، مولعا بإعتاق العبيد، كارها للرق، اشترى سبعين عبدا وأعتقهم وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ولا يقول قبيح أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وفاته فى المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث وله فى كتب الحديث ٣٥ حديثا. انظر: أسد الغاية والجهشيارى. ونكت الهميان ١٧٥ والجمع بن رجال الصحيحين والإصابة. وابن سعد والمبرد وصفة الصفوة ١: ٢٠٣ وذيل المذيل ١٠ وابن عساكر ٧: ٢٢٦ والخميس ١: ١٦٥ والمرزبانى ٢٦٢ والمخبر ٦٣.

بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر. وكان أول من قام من خلفاء بنى العباس السفاح[١] واسمه عبد الله بن محمد بن على عبد الله بن عباس، مدة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم، وكان سريعا إلى سفك الدماء، سفك ألف دم فاتبعه عماله فى الشرق والغرب فى فعله، وكان مع ذلك جوادا بالمال، فاقتدى به فى ذلك عماله أيضا. ثم ولى بعده أخوه أبو جعفر المنصور[٢] واسمه أيضا عبد الله بن على، فأقام مدة إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا، وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد على ابن أبى طالب، وكان قبل ذلك أمرهم واحدا، وهو أول خليفة قرب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات، وأول خليفة استعمل مواليه

---

(١) أبو العباس السفاح (١٠٤ - ١٣٦ هـ ٧٢٢ - ٧٥٤ م). عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس: أول خلفاء الدولة العباسية وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب ويقال له المرتضى والقائم. ولد ونشأ بالشراة بين الشام والمدينة وقام بدعوته أبو مسلم الخراسانى مقوض عش الدولة الأموية، فبويع له بالخلافة جهرا فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ وصفا له الملك بعد مقتل مروان بن محمد (آخر ملوك الأمويين فى الشام) وكافأ أبا مسلم بأن ولاه خراسان وكان شديد العقوبة، عظيم الانتقام تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم. وكانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سماها الهاشمية وجعلها مقر خلافته وهو أول من أحدث الوزارة فى الإسلام، وكان سخيا جدا، وهو أول من وصل بمليونى درهم من خلفاء الإسلام وكان يلبس خاتمه باليمين ويوصف بالفصاحة والعلم والأدب. انظر ابن الأثير ١٥٢/٥، الطبرى ١٥٤/٩، اليعقوبى ٨٦/٣، ابن خلدون ١٨٠/٣ تاريخ الخميس ٣٢٤/٢/والبدء والتاريخ ٨٨/٦، النبراس ١٩ - ٢٣، المسعودى ١٦٥/٢ - ١٨٠، تاريخ بغداد ٤٦/١٠، فوات الوفيات ٢٣٢/١ ، المحبر ٣٣، ٣٤. الأعلام ١١٦/٤.

(٢) المنصور العباس (٩٥ - ١٥٨ هـ ٧١٤ - ٧٧٥م). عبد الله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثانى خلفاء بنى العباس، أول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، وكان عارفا بالفقه والأدب، مقدما فى الفلسفة والفلك، محبا للعلماء ولد فى الحميمة من أرض الشراة (قرب عمان) وولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ وهو بانى مدينة بغداد أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح. ومن آثاره مدينة المصيصة والرافقة بالرقة، وزيادة فى المسجد الحرام. وفى أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، صنعه محمد ابن إبراهيم الفزارى وكان بعيدا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية فى البلاغة وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا. وكان أكثرهم شجاعة وحزما إلا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه توفى ببز سمونه (من أرض مكة) محرما بالحج، ودفن فى الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عاما.. وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن. انظر ابن الأثير ١٧٢/٥، ٦/٦، الطبرى ٢٩٢/٩ - ٣٢٢، البدء والتاريخ ٩٠/٦، اليعقوبى ١٠٠/٣، تاريخ الخميس ٣٢٤/٢، ٣٢٩ النبراس لابن دحية ٢٤ - ٣٠، المسعودى ١٨٠/٢ - ١٩٤، تاريخ بغداد ٥٣/١٠، ابن الساعى ١١ - ٢٣، وفات الوفيات ٢٣٢/١. الأعلام ١١٧/٤.

وغلمانه فى أعماله، وقدمهم على العرب، فاقتدى به من بعده من الخلفاء، حتى سقطت قيادات العرب، وزالت رياستها، وذهبت مراتبها. كان قد نظر فى العلم، فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت علومهم، فقام بعده ابنه المهدى أبو عبد الله محمد[1] مدة عشر سنين وشهر ونصف، وكان سخيا جوادا، فسلك الناس فى ذلك مسلكه، واتسعوا فى معايشهم، وأمعن فى قتل الملحدين لظهورهم فى أيامه، وانتشار كتبهم، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين، فصنفت فى أيامه، وعمر مسجد مكة والمدينة والقدس. ثم ولى بعده ابنه الهادى بالله أبو محمد موسى[2] سنة وثلاثة أشهر، وكان جبارا، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة، والأعمدة المشهرة، والقسى الموترة، فاقتدى به عماله، وكثر السلاح فى محضره فقام بعده أخوه هارون بن محمد الرشيد[3] مدة ثلاث وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر

---

(١) المهدى (١٢٧ - ١٦٩ هـ - ٧٤٤ - ٧٨٥م). محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسى، أبو عبد الله، المهدى بالله: من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ولد بإيذج (من كور الأهواز) وولى بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ١٥٨ هـ) وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا، ومات فى ماسبنذان، صريعا عن دابته فى الصيد، وقيل مسموما، كان محمود العهد والسيرة، محببا إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جوادا ، وهو أول من مشى بين يديه بالسيوف المتصلة والقسيى والنشاب والعمد، وأول من لعب بالصوالجة فى الإسلام وهو الذى بنى جامع الرصافة، وتربته بها، وانمحى أثر الجامع والتربة بعد ذلك. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢٥، دول الإسلام ٨٦/٧، البدء والتاريخ ٩٥/٦ اليعقوبى ١٢٥/٣، ابن الأثير ٢٧/٦، الطبرى ١١/١٠ - ٢١، النبراس ٣١ - ٣٥ المسعودى ١٩٤/٢ - ٢٠١، تاريخ بغداد ٢٩١/٥، الوافى بالوفيات ٣٠٠/٣ . الأعلام ٢٢١/٦.

(٢) الهادى (١٤٤ - ١٧٠ هـ ٧٦١ - ٧٨٦م). موسى الهادى بن محمد (المهدى) بن أبى جعفر المنصور، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد ولد بالرى وولى بعد وفاة أبيه (سنة ٢٦٩هـ) وكان غائبا بجرجان فأقام أخوه الرشيد بيعته واستبدت أمه الخيزران بالأمر وأراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، فلم تر أمه ذلك، فزجزها فأمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه، ودفن فى بستانه بعيس آباذ ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر. انظر ابن الأثير ٢٩/٦ - ٣٦ ، اليعقوبى ١٣٦/٣، المرزبانى ٣٧٩ الطبرى ٢١/١٠، ٣٣ ، تاريخ الخميس ٣٣١/٢، بلغة الظرفاء ٤٨، النبراس ٣٥، مروج الذهب ٢٠١/٧، تاريخ بغداد ١٣/البدء والتاريخ ٩٩/٦، الأعلام ٣٢٧/٧.

(٣) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ ٧٦٦- ٨٠٩م). هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور العباسى، أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسة فى العراق، وأشهرهم، ولد بالرى، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان ونشأ فى دار الخلافة ببغداد وولاه أبوه غزو الروم فى القسطنطينية، فصالحته الملكة: إيرينى. وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة فى كل عام. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادى (سنة ١٧٠هـ) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة= =فى أيامه

يوما، وقيل وشهر وستة عشر يوما وكان مواظبا على الحج، متابعا للغزو واتخذ المصانع والآبار والبرك والقصور بطريق مكة، وبمكة ومنى وعرفات والمدينة النبوية، وعم الناس إحسانه وعدله، وبنى الثغور ومدَّن المدن، وحصن فيها الحصون، مثل طرسوس وأدنه، وعمر المصيصة ومرعش وغير ذلك، فاقتدى الناس به، وهو أول خليفة لعب بالصوالجة فى الميدان، ورمى بالنشاب فى البرجاس، ولعب بالشطرنج، وقرب أرباب هذه الأمور، وأجرى لهم الأرزاق، فاقتدى به الناس. وكانت أيامه كأنها من حسنها أعراس. فبويع بعده ابنه الأمين محمد بن هارون، وأقام أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، فقدم الخدم، ورفع منازلهم، وشغف بهم، فاتخذت له أمه الجوارى الغلاميات، فاتخذ الناس فى أيامه ذلك فقام من بعده أخوه المأمون عبد الله بن هارون مدة اثنتين وعشرين سنة منذ سلم عليه بالخلافة، ومدة عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، وقيل وخمسة وعشرين يوما، بعد قتل أخيه. وكان أولا ينظر فى أحكام النجوم ويعمل بموجبها، ويكثر النظر فى كتب القدماء من الحكماء، فلما قدم بغداد أعرض عن ذلك كله، وقال بأقوال المعتزلة، وقرب أرباب العلوم، وطلبهم من الآفاق، وأجرى عليهم الأرزاق، فرغب الناس فى العلوم الجدلية، وصنف كل أحد فيها ما ينصر به مذهبه، وكان كريما عفوا، فاقتدى الناس به فى أحواله كلها. وقام بعد المأمون أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون، مدة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وهو أول من أدخل الأتراك الديوان، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وكان يغلب عليه الفروسية، ويتشبهه بالعجم فى عامة أحواله[......][1] وقام من بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد[2] مدة

واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الملقب بشارلمان فكانا يتهاديان التحف وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث و الفقه، فصيحا، له شعر أورد صاحب الديارات نماذج منه، وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعا كثير الغزوات، يلقب بجبار بنى العباس، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما احتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء. وكان يطوف أكثر الليالى متنكرا... وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان ولايته ثلاث وعشرين سنة وشهران وأيام توفى فى سنابا من قرى طوس، وبها قبره. انظر البداية والنهاية ٢١٣/١٠، اليعقوبى ١٣٩/٣، النهب المسبوك ٤٧ - ٥٨، ابن الأثير ٦٩/٦، الطبرى ٤٧/١٠ - ١١٠، تاريخ الخميس ٣٣١/٢ المرزبانى ٤٨٤، البدء والتاريخ ١٠١/٦، ثمار القلوب ٨٨، النبراس ٣٦ - ٤٢، المسعودى ٢٠٧/٢ - ٢٣١، تاريخ بغداد ٥/١٤، تراجم إسلامية ١١/الديارات ١٤٤ . ١٤٦، بلغة الظرفاء ٤٩، هارون الرشيد لقلبى١، مختصر تاريخ الإسلام ابن على ٢٠٤ - ٢١٧ .الأعلام ٦٢/٨ .

(٢) الواثق بالله (٢٠٠ - ٢٣٢ هـ ٨١٥ - ٨٤٧م). هارون (الواثق بالله) بن محمد المعتصم=

خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام. وفى أيامه كانت المحنة وكان كثير الأكل، واسع الطعام. فقام من بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم[(١)] مدة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام، وقتله الأتراك، وتحكموا من حينئذ فى ممالك الدنيا. وهو الذى رفع المحنة، ونهى عن الجدل وعاقب عليه، وأمر بإظهار رواية الحديث. وأقام بعده ابنه المنتصر محمد بن جعفر[(٢)]، فمات بعد ستة أشهر تنقص أياما. وأقيم بعده المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم[(٣)] فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما، وخلعه

=بالله ابن هارون الرشيد العباس، أبو جعفر : من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٧ هـ) فامتحن الناس فى خلق القرآن وسجن جماعة، وقتل فى ذلك أحمد بن نصر الخزاعى، بيده (سنة ٢٣١ هـ).. ومات فى سامراء، قيل: بعلة الاستسقاء. انظر ابن الأثير ١٠/٧، والطبرى ٢٤/١١، اليعقوبى ٢٠٤/٣، الأغانى ٢٧٦/٩ - ٢٠٠، تاريخ الخميس ٣٣٧/٢، المرزبانى ٤٨٤، البزاس ٧٣ ، ٨٠، مروج الذهب ٢٧٨/٢ - ٢٨٨، تاريخ بغداد ١٤: ١٥. الأعلام ٦٢، ٦٣/٨.

(١) المتوكل (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ ٨٢١ - ٨٦١م). جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة عباسى. بويع بعد وفاة أخيه الواثق (سنة ٢٣٢ هـ) وكان جوادا محبا للعمران، من آثاره المتوكلية بغداد، أنفق عليها أموالا كثيرة، وسكنها. ولما استخلف كتب إلى أهل بغداد كتابا قرئ على المنبر بترك الجدل فى القرآن، وأن الذمة بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام فى سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلا، بإغراء ابنه (المنتصر) ولبعض الشعراء هجاء فى المتوكل لهدمه قبر الحسين وما حوله، سنة ٢٣٦ هـ. انظر الدول الإسلامية ٢٠، تاريخ الخميس ٣٣٧/٢، تاريخ بغداد ١٦٥/٧، النبراس ٨٠ - ٨٥، ثمار القلوب ١٤٩، اليعقوبى ٢٠٨/٣، ابن الأثير ١١/٧، ٢٩، الطبرى ٢٦/١١، ٦٢، مروج الذهب ٢٨٨/٢. الأعلام ١٢٧/٢.

(٢) المنتصر العباسى (٢٢٣ - ٢٤٨ هـ - ٨٣٨ - ٨٦٢م). (المنتصر بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية ولد فى سامراء، وبويع بالخلافة بعد أن قتل أباه (سنة ٢٤٧ هـ) وفى أيامه قويت سلطة الغلمان، فحرضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد (وكان أولى عهده) فخلعهما وهو أول من عدا على أبيه من بنى العباس ولم تطل مدته وكان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترعد فرائضه. قيل: مات مسموما بمبضع طبيب. ووفاته بسامراء. ومدة خلافته ستة أشهر وأيام وهو أول خليفة من بنى العباس عرف قبره، وكانوا لايحفلون بقبور موتاهم، إلا أن أمه طلبت إظهار قبره وكان له خاتمان نقش على أحدهما محمد رسول الله وعلى الثانى المنتصر بالله. انظر بن الأثير ٣٢/٧/٣٦، النبراس ٨٥، الطبرى ٦٩/١١ - ٨١ اليعقوبى ٢١٧/٣ ، الأغانى ٣٠٠/٩، تاريخ خميس ٣٣٩/٢، المرزبانى ٤٤٦، تاريخ بغداد ١١٩/٢، المسعودى ٣١١/٢ - ٣١٩ فوات الوفيات ١٨٤/٢.الأعلام ٧٠:٦

(٣) المستعين بالله (٢١٩ - ٢٥٢ هـ ٨٣٤ - ٨٦٦م). أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبوالعباس، أمير المؤمنين، المستعين بالله من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ولد بسامراء،= وكانت إقامته فيها. بويع بها بعد وفاة المنتصر بن المتوكل (سنة ٢٤٨هـ) قال اليعقوبى : ولم يكن

الأتراك وعذبوه، ثم قتلوه بعد تسعة أشهر من خلعه. والمستعين أول من أحدث لبس الكِمام الواسعة، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار، وصغّر القلانس وكانت قبله طوالا. وأقيم بعده المعتز با لله محمد بن المتوكل[1] ثم خلعه الأتراك وعذبوه بالضرب حتى مات، فكانت خلافته مدة ثلاث سنين وستة أشهر وواحد وعشرين يوما، وقيل وأربعة وعشرين يوما، وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب - وكان من قبله من خلفاء بنى أمية وبنى العباس يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة فى المناطق - واتخاذ

يؤهل للخلافة، ولكن لما توفى المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل، فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة، ففرق أموالا كثيرة فاستقامت أموره وكان المتحكم فى الدولة على عهده «أوتامش» التركى ورحاله، فثارت عصبة من الأتراك والموالى على أوتامش بموافقة المستعين - فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم (سنة ٢٤٩ هـ) وكتب المستعين إلى الآفاق بلعنه. وفى أيامه ظهر يحيى بن عمر الطالبى بالكوفة وقتل وقامت ثورات فى الأردن وحمص والمعرة والمدينة والروذان بين فارس وكرمان، وانتقل إلى بغداد، فغضب القواد وطلبوا عودته إلى سامراء، فامتنع فنادوا بخلعه، واتصلوا بالمعتز - وكان سجينا بسامراء - فأطلقوا وبايعوه، وزحفوا لقتال المستعين ببغداد، فانتشرت الفوضى فيها، فخلع نفسه واستسلم للمعتز لقاء مال معلوم يدفع إليه، ورحل إلى واسط بأمه وأهله أوائل سنة ٢٥٤، فأقام ١٠ أشهر، ونقله المعتز إلى القاطول فسلك فيها إلى حاجب يدعى سعيد بن صالح فضربه حتى مات وقال ابن شاكر كان قبل الخلافة خاملا يرتزق بالنسخ وأورد وله نظما وكان يلثغ بالسين يجعلها ثاء انظر: اليعقوبى ٣: ٢١٨ والطبرى ١١: ٨٢ و١٣٧ - ١٤٦ والمسعودى ٢: ٣١٩ . ٣٣٠ وابن الأثير ٧: ٣٧ - ٥٦ وتاريخ بغداد ٥: ٨٤ والنجوم الزاهرة ٢ - ٣٣٥ والنبراس ٨٦ وشذرات الذهب ٢: ١٢٤ وتاريخ الخميس ٢: ٣٤ وفوات الوفيات ١: ٦٨ والأعلام ١-٢٠٤، ٢٠٥.

(١) المعتز العباسى (٢٣٢ - ٢٥٥ هـ ٨٤٦ - ٨٦٠ م). محمد (المعتز با لله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم: خليفة عباسى (هو أخو المنتصر با لله) ولد فى سامراء وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والرى و أرمينية وأذربيجان وكور فارس، ثم أضاف إليه خزن الأموال فى جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولى المستعين با لله (سنة ٢٤٨ هـ) سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين وبايعوا له (سنة ٢٥١هـ) فكانت أيامه فتن وشغبا وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شاب قيل اسمه الزبير وقيل طلحة وكان فصيحا له خطبة ذكرها ابن الأثير فى الكلام على وفاته وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل الحمام فأغلق عليه حتى مات مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و ١٤ يوما. انظر ابن الأثير ٧/٤٥ - ٦٤، اليعقوبى ٣/٢٢٢، تاريخ بغداد ٢/١٢١، الديارات ١٠٤ : ١٠٩، الطبرى ١١/١٦٢ الأغانى ٩/٣١٨. تاريخ الخميس ٢/٣٤٠، المرزبانى ٤١٦، النبراس ٨٧، المسعودى ٢/٣٣٠ - ٣٣٨ ، فوات الوفيات ٢/١٨٥.

السيوف والسروج واللُّجَم، فلما ركب المعتز بحلية الذهب تبعه الناس فى فعل ذلك. وأقيم بعده المهتدى با لله محمد بن الواثق[١] ثم قتله الأتراك بعد أحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما. وأقيم بعده المعتمد با لله أحمد بن المتوكل[٢] فغلبه الأتراك، واستبد عليه أخوه الموفق با لله أبو أحمد طلحة[٣] وخرج فى أيامه صاحب الزنج[٤]، فحاربه الموفق أعواما

---

(١) محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو عبد الله، المهتدى بالله، العباسى: من خلفاء الدولة العباسية ولد فى القاطول (بسامراء) وبويع له بعد خلع المعتز (سنة ٢٥٥هـ) ولم يلبث أن انتقض عليه الترك ببغداد، فخرج لقتالهم ونشبت الحرب فتفرق منه من كان معه من جنده (وهم من الترك أيضا) وانضموا إلى صفوف أصحابهم، فبقى المهتدى فى جماعة يسيرة من جنده أيضا فانهزم والسيف فى يده، ينادى: يامعشر المسلمين، أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتكم ! فلم يجبه أحد، وأصيب بطعنة مات على أثرها . وكان حميد السيرة، فيه شجاعة، يأخذ مأخذ عمر بن عبد العزيز فى الصلاح مدة خلافته أحد عشر شهرا وأيام.انظر ابن الأثير ٦٤/٧ . ٧٧، الفوات ٢٧٠/٢، تاريخ الخميس ٣٤/٢ المرزبانى ٤٤٧، الطبرى ١٦٢/١١ - ٢١٢، اليعقوبى ٢٢٧/٣، الأعلام ١٢٨/٧.

(٢) المعتمد على الله (٢٢٩-٢٧٩ هـ = ٨٤٣ - ٨٩٢ م). أحمد بن المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم، أبو العباس المعتمد على الله: خليفة عباسى ولد بسامراء، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهتدى بالله بيومين وطالت أيام ملكة، وكانت مضطربة كثيرة العزل والتولية، بتدبير الموالى وغلبتهم عليه، فقام ولى عهده أخوه الموفق بالله (طلحة) فضبط الأمور، وصلحت الدولة وانكفت يد المعتمد عن كل عمل حتى أنه احتاج يوما إلى مائه دينار فلم ينلها. وكان من أسمح آل عباس، جيد الفهم، شاعرا، إلا أنه لما غلب على أمره انتقصه الناس، وكان مقام الخلفاء قبلة فى سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد ، فلم يعد إليها أحد منهم بعده . وكان موته ببغداد، وحمل إلى سامراء فدفن فيها. انظر ابن الأثير ٧٧/٧ - ١٥١، اليعقوبى ٢٢٨/٣، البدء والتاريخ ١٢٤/٦، الطبرى ٢١٤/١١ - ٣٤١، تاريخ الخميس ٣٤٢/٢. تاريخ بغداد ٦٠/٤، النبراس ٨٩/مروج الذهب ٣٤٥/٢، الديارات ٦٣ - ٦٩.الأعلام ١٠٧/١.

(٣) الموفق بالله (... - ٢٧٨ هـ - ... ٨٩١ م). طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، العباس، أبو أحمد أمير، من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يل الخلافة اسما، ولكنه تولاها فعلا، ولد ومات فى بغداد. ابتدأت حياته العملية بتولى أخيه المعتمد على الله الخلافة (سنة ٢٥٦ هـ) وآلت إليه ولاية العهد وظهر ضعف المعتمد عن القيام بأعباء الدولة، فنهض بها الموفق، وصد عنه غارات الطامعين بالملك، ثم حجر عليه، حتى كان المعتمد يتمن الشىء اليسير فلا يحصل عليه وكان شجاعا موفقا عادلا، عالما بالأدب والأنساب والقضاء له مواقف محمودة فى الحروب وغيرها، وتوفى فى أيام أخيه المعتمد. انظر الكامل: حوادث سنة ٢٧٨ هـ، الطبرى ١٥٨/٨، تاريخ بغداد ١٢٧/٢، النجوم الزاهرة ٧٩/٣. الأعلام ٢٢٩/٣.

(٤)صاحب الزنج (... ٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م).على بن محمد الورزنينى العلوى، الملقب صاحب الزنج، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى وفتنته معروفة بفتنة الزنج لأن أكثر أنصاره منهم=

كثيرة ثم مات الموفق بعد قتله صاحب الزنج، فاختلت أمور المعتمد وقتل، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما، وهو أول خليفة قُهِرَ وحجر عليه ووكِّل به، فقام من بعده المعتضد أحمد بن الموفق طلحة[(١)] واستبد بالأمر، وخرجت القرامطة فى أيامه، ومات وله فى الخلافة مدة عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل تسع سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما ولما مات كفن فى ثوبين قيمتهما ستة عشر قيراطا. فولى بعده ابنه المكتفى با لله على [(٢)] وجَدَّ فى حرب القرامطة وهزمهم، وأزال دولة بنى طولون من مصر والشام، ومات وله مدة ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما وقيل تسعة عشر يوما. فأقيم من بعده أخوه المقتدر با لله جعفر بن المعتضد،

=ولد ونشأ فى ورزنين إحدى قرى الرى وظهر فى أيام المهتدى با لله، العباسى سنة ٢٥٥ هـ، وكان يرى رأى الأزارقة والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها. فامتلكها واستولى على الأبلة. وتتابعت لقتاله الجيواش، فكان يظهر عليها ويشتتها ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل وجعل مقامه فى قصر اتخذه بالمختارة وعجز عن قتاله الخلفاء، حتى ظفر به الموفق با لله فى أيام المعتمد، فقتله وبعث برأسه إلى بغداد... وفى نسبه العلوى طعن وخلاف. انظر دول الإسلام ١٢٦/١، المرزبانى ٢٩١، الطبرى ١٧٤/١١ ابن خلدون ١٨/٤. الأعلام ٣٢٤/٤.

(١) المعتضد با لله(٢٤٢ - ٢٨٩هـ، ٨٥٧ - ٩٠٢م). أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس المعتضد با لله بن الموفق با لله بن المتوكل: خليفة عباسى، ولد ونشأ ومات فى بغداد كان عون أبيه فى حياته أيام خلافة المعتمد، وأظهر بسالة ودراية فى حروبه مع الزنج والأعراب وهو فى سن الشباب وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (سنة ٢٧٩هـ) فحل عن بنى العباس عقده المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين. ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشغب فى البلاد فيقمع ثائرتهم. وجعل أمراء الجند مسئولين عن أعمال أتباعهم وكان شجاعا ذا عزم، مهيبا عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن المظالم خوفا منه ومن المؤرخين من يقول: قامت الدولة بأبى العباس وجددت بأبى العباس. يريدون السفاح ولمعتضد.مدة خلافتة ٩ سنوات و ٩ أشهر و١٣ يوما وكان نقش خاتمه أحمد يؤمن با لله الواحد.انظر النجوم الزاهرة ١٢٨/٣، شذرات الذهب ١٢٩/٢، فوات الوفيات ٤٥/١، ابن الأثير ١٤٧/٧ - ١٦٩، والطبرى ٣٧٣/١١، الأغانى ٤١/١١ تاريخ الخميس ٣٤٢/٢، النبراس ٩٠ - ٩٤، المسعودى ٣٦١/٢ - ٣٨٢ تاريخ بغداد ٣٠٤/٤، المنتظم القسم الثانى من ج ١٢٣/٥ - ١٣٨ الأعلام ١/١٤.

(٢)المكتفى العباسى (٢٦٣ - ٢٩٥ هـ ٨٧٦ - ٩٠٨م). على (المكتفى با لله) بن أحمد المعتضد ابن الموفق بن المتوكل ، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية فى العراق. وكان مقيما بالرقة، وجاءه نعى أبيه المعتضد (سنة ٢٨٩هـ) فبويع بها. وانتقل إلى بغداد، فقام بشئون الملك قياما حسنا. وظفر فى أكثر ما كان من الوقائع بينه وبين الثائرين عليه ... وتوفى سابًّا ببغداد. انظر بن الأثير ٣/٨، الطبرى ٤٠٤/١١، الخميس ٣٤٥/٢ النبراس ٩٤، مروج الذهب ٣٨٢/٢، ٣٩٠ تاريخ بغداد ٣١٦/١١، فوات الوفيات ٤١/٢. الأعلام ٢٥٣/٤.

وعمره ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام، لم يبلغ الحُلُم، وهو أول من ولى الخلافة من الصبيان، فغلبت على أموره النساء والخصيان، وأكثر من قتل الوزراء ومن قام وبتغييرهم، فاضطربت عليه الأمور، فلم يقم غير أربعة أشهر، وخلع بعبد الله بن المعتز[١] ثم قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة وأعيد المقتدر، وخرجت القرامطة فى أيامه، وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة إلى بلادهم، وخرج عليه أيضا الديلم، وظهر عبيد الله المهدى بإفريقية ودعا لنفسه، وقطع دعوة بنى العباس من بلاد المغرب وبرقة[٢] ثم إن المقتدر خلع مرة ثانية، وأقيم بدله القاهر بالله محمد بن المعتضد، ثم أعيد المقتدر، وغلب عليه أصحاب الدواوين، ولم يجعلوا له أمرا ينفذ، وصارت ثُمْل القهرمانة إحدى جواريه تجلس للمظالم، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء، وفى أيامه انقطع الحج، وكثر الهزل والمجون، وآخر أمره أنه قتل بعدما أقام فى الخلافة أربعا وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وقيل وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما عندما خرج على الجند وقد شغبوا وهو متشح بالبردة النبوية، فقتل وتلوثت بالدم. فقام من بعده القاهر بالله محمد بن المعتضد، ثم خلع وكُحل بمسمار، وقد حمى فى النار مرتين، حتى سالت عيناه، بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام. وآل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع، ويسأل الناس فيقول: يا معاشر الناس، أنا بالأمس كنت خليفتكم، واليوم أسألكم ما فى أيديكم، فيتصدق عليه. وقام من بعده فى الخلافة الراضى بالله محمد بن المقتدر، وفى أيامه استولى الروم على عامة الثغور وكان مغلوبا عليه مع مواليه، لا يقدر على شىء، ومات بعد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وقيل وتسعة أيام من خلافته. والراضى آخر خليفة خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر بنى، وآخر خليفة

---

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ ٨٦١ - ٩٠٩م). أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة ولد فى بغداد، وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة فى أيامه إلى المقتدر العباسى واستصغره القواد فخلعوه وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه المرتضى بالله وبايعوه بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان وعاد المقتدر فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه وفيه قال مغلقاى مكث فى الخلافه يوما وليلة ، وقتل بعضهم لم يذكره مع الخلفاء وسماه الأمير لا أمير المؤمنين ومذهب بعضهم أنه أمير المؤمنين ولو لم يل الخلافة فإنه كان أهلا لها تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥ وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ - ٢٩٦ وفيه كثير من شعره. ونماذج من نثره وفوات الوفيات ١: ٢٤١ ومفتاح السعادة: ١: ١٩٩انظر الأعلام ٤/١١٩.

(٢) برقة. بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. قال بطليموس طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقايق. انظر معجم البلدان (برقة).

خطب يوم جمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، ووصل إليه العدماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه، وعطاياه وخدمه وجراياته وخزائنه، ومطابخه وشرابه، ومجالسه وحجابه وأموره جارية على ترتيب الخلافة الأول، وآخر خليفة سافر بزى الخلفاء القدماء، وقد سافر بعده المتقى والطائع. ثم قام بعده أخوه المتقى لله إبراهيم بن المقتدر، وكان خيرًا عابدا، وفى أيامه تغلب بنو حمدان على الجزيرة والشام، وكثر الاختلاف عليه، فخلعه توزون التركى، وكحله كما كحل القاهر، ثم حبسه مع القاهر وهما مكحولان، فقال القاهر:

صرت وإبراهيم نخى عمى ... لابد للنخين من صدر

مادام توزون له إمرة ... مطاعة فالميل فى الجمر

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهرا، ومات بعد خلعه بخمس وعشرين سنة. وقام من بعده لما خلع المستكفى با لله عبد ا لله بن المكتفى، فاستولت الديلم على البلاد، ووقع الاختلاف عليه، فقبض وكحل على يد معز الدولة أحمد بن بويه [١] فكانت أيامه سنة وأربعة أشهر ويومين. وأقيم من بعده المطيع لله الفضل بن المقتدر[٢] فأقام تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحدا وعشرين يوما، ليس له سوى الاسم، والمدبر للأمور معز الدولة، وقد فرض لنفقة المطيع فى كل يوم مائتى دينار، وفى أيامه قدمت عساكر المعز لدين ا لله أبى تميم[٣] معد إلى مصر، وانقطعت الدعوة العباسية من

---

(١) أحمد بن بويه (معز الدولة) (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ ٩١٥ - ٩٦٧م). أحمد بن بويه بن فناخسرو ابن تمام، من سلالة سابور ذى الأكتاف الساسانى، أبو الحسن معز الدولة: من ملوك بنى بويه فى العراق. فارسى الأصل، مستعرب. كان فى أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخواه عماد الدولة و ركن الدولة البلاد. انظر وفيات الأعيان ٢٥٦/١ تجارب الأمم ١٤٦/٦، ٢٣١ الأعلام ١٠٥/١.

(٢)المطيع لله (٣٠١ - ٣٦٤ هـ ٩١٣ - ٩٧٤م). الفضل (المطيع لله) بن جعفر (المقتدر با لله) ابن المعتضد العباسى، : أبو القاسم: من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد خلع المستكفى با لله (سنة ٣٣٤هـ). انظر بن الأثير ١٤٨/٨ - ٢١٠، فوات الوفيات ١٢٥/٢، تاريخ الخميس ٣٥٣/٢، المسعودى ٤٢٩/٢، النبراس ١٢١ الأعلام ١٤٧،/٥ .

(٣) المعز الفاطمى (٢٣١٩ - ٣٦٥ هـ ٩٣١ - ٩٧٥/). سعد (المعز لدين ا لله) بن إسماعيل (المنصور) بن القاسم بن المهدى عبيد ا لله الفاطمى العبيدى، أبو تميم: صاحب مصر وأفريقية، وأحد الخلفاء فى هذه الدولة ولد بالمهدية وبويع له بالخلافة فى المنصورية بعد وفاة أبيه ٣٤١هـ. انظر الخلاصة النقية ٤١، وفيات الأعيان ١٠١/٢، المنتظم ٨٢ مورد اللطافة ١- ٣، ابن إياس ٤٥/١، أعمال الأعلام ٢٤، اتعاظ الحنفا ١٣٤، ابن خلدون ٤٦/٤، ابن الأثير ١٦٥/٨ - ٢٢٠، البيان المعرب ٢٢١/١ بلغة الظرفاء ٧٠، هدية العارفين ٤٦٥/٢، حلى القاهرة ٣٨ - ٤٥. الأعلام ٢٦٥/٧.

الشام. وأقام المطيع إلى أن خلع نفسه، وأقام ابنه الطائع لله عبد الكريم[١] فمكث الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام محكوما عليه ببنى بويه، ثم خلع وحبس فقيرا ذليلا حتى مات. وكان الطائع كثير الانحراف على آل على بن أبى طالب، وسقطت الهيبة فى أيامه حتى هجاه الشعراء وطولوا. وقام من بعده القادر بالله أحمد بن إسحاق ابن المقتدر[٢] فأقام إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، وكان دينا بارا بأهله وبالطالبين. وفى أيامه عظمت الديلم والباطنية، واشتهر مذهب الاعتزال، ومذاهب الباطنية والرافضة، وانتشر ذلك فى الأرض. وفى أيامه ظهر السلطان يمين الدولة محمود بن سَبُكْتكين[٣] وغزا الهند. وقام من بعده ابنه القائم بأمر الله عبد الله، فثار عليه أرسلان البساسيرى[٤]، وصار يدعى له

---

(١) الطائع لله (٣١٧ - ٣٩٣هـ ٩٢٩ - ١ - ٣م). عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن المقتدر العباسى، أبو الفضل، الطائع لله: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، أيام ضعفها ولد ببغداد، ونزل له أبوه (المطيع) عن الخلافة (سنة ٣٦٣هـ). انظر فوات الوفيات ٣/٢، تاريخ بغداد ٧٩/١١، نكت الهميان ١٩٦، بن الأثير ٢١٠/٨، ٢٧/٩، ٦١، تاريخ الخميس ٣٥٤/٢، ٣٥٦. النبراس ١٢٤، الأعلام ٥٣/٤.

(٢) القادر بالله (٣٣٦ - ٤٢٢هـ ٩٤٧ - ١٠٣١م). أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله: الخليفة العباسى، أمير المؤمنين ولى الخلافة سنة ٣٨١ هـ وطالت أيامه . انظر ابن الأثير ٢٨/٩، ١٤٣، تاريخ الخميس ٣٥٥/٢، تاريخ بغداد ٣٧/٤، النبراسى ١٢٧. الأعلام ٩٥/١.

(٣) محمود الغزنوى (٣٦١ - ٤٢١هـ ٩٧١ - ١٠٣١-م). محمود بن سبكتكين الغزنوى، السلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبى منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القارءة. امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند، وفيها ولادته ووفاته وقبره فى غزنة . وسيرته مدونة. وهو تركى الأصل، مستعرب كان حازما صائب الرأى، يجالس العلماء ويناظرهم، وكان من أعيان الفقهاء فصيحا بليغا استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة فى فنون مختلفة، نسبت إليه، انظر. ابن الأثير ١٣٩/٩ وما قبلها و ابن خلكان ٨٤/٢ وفيه: وفاته سنة إحدى وقيل اثنين وعشرين وأربعمائة قلت: عرفه ابن الجوزى فى كتاب أعمار الأعيان خ بأمير خراسان، وقال: توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وابن خلدون ٤/ ٣٦٣ والجواهر المضية ١٥٨/٢ والبداية والنهاية ٢/ ٢٧. والأعلام ١٧١/٧.

(٤) أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيرى، قائد، ثائر، تركى الأصل. كان من مماليك بنى بويه، وخدم القائم العباسى فقدمه على جميع الأتراك فى بغداد وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخرسان، فعظم أمره وهابته الملوك، وتلقب بالمظفر. ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر الفاطمى صاحب مصر (سنة ٤٥٠هـ) وأخذ له بيعة القضاة والأشراف ببغداد قسرا ولم يثق به المستنصر فأعمل أمره، فتغلب عليه أعوان القائم من عسكر السلطان طغرلبك، فقتلوه. وكانت ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه. انظر النجوم الزاهرة ٢/٥و ٦٤، ووفيات الأعيان ٦١/١، اللباب ١٢١/١. لأعلام ٢٨٨/١

على منابر العراق والأهواز[١] فكتب القائم إلى السلطان طُغْرِلْبك بن مِيكائِيل بن سلجوق التركمانى، أول ملوك بنى سلجوق، فقدم بغداد وفر منه البساسيرى بمن معه من الأتراك، وانتمى إلى المستنصر با لله مَعَد بن الظاهر الفاطمى صاحب مصر، فأمده بالأموال حتى أخذ بغداد، وقطع منها دعوة بنى العباس، وخطَب للمستنصر بها نحو سنة، والقائم محبوس، ثم قدم طغرلبك وأعاد القائم إلى الخلافة، وقتل البساسيرى، وتحكم فى سائر الأمور، فلم يزل القائم فى الخلافة حتى مات وله أربع وأربعين سنة وثمانية أشهر وكان ديِّنا خيِّرا كثير الصلاة، إلا أنه كان كثير الإصغاء إلى من يشير عليه، فاتفق أن وَزَرَ له رجل من سوقة بغداد يعرف بابن السلة، فحسن له مجيء الغُزِّ لأنه كان منحرفا عن الشيعة، فكاتبهم القائم، فلما جاءوا كان من أمرهم وأمر البساسيرى ما كان. وقام من بعده المقتدى بأمر ا لله عبد ا لله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم، فلم يكن له سوى الاسم، لا يتعدى حكمه بابه، والتدبير إلى ملك شاه بن عضد الدولة، وأقام على ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين، وقيل إلا خمسة أيام. وأقيم بعده ابنه المستظهر با لله أحمد[٢] فأقام محكوما عليه خمسا وعشرين سنة، وقيل أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما، ومات. وفى أيامه أخذ الفرنجة بيت المقدس من المسلمين، واستمر ملكهم به. وقام من بعده ابنه المسترشد با لله الفضل بن أحمد[٣] وقتل بعد سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما. فقام بعده ابنه الراشد

---

(١) الأهواز: آخره زاى وهى جمع هوز وأصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة. وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا منها خوز بنى أسد وغيرها فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز انظر معجم البلدان.

(٢) المستظهر با لله (٤٧٠ - ٥١٢هـ ١٠٧٧ - ١١١٨م). أحمد المستظهر ينعبد ا لله المقتدى، بن محمد بن القائم، أبو العباس، ذخيرة الدين: خليفة عباس ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧هـ واتسق له الأمر على حداثة سنه وكان ممدوح السيرة، قال ابن الأثير: كان المستظهر لين الجانب، كريم الأخلاق يحب اصطناع الناس، ويفعل الخير ، لا يرد مكرمة تطلب منه، وقال فى أخلاقه السياسية: كان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع أو ملفت إلى قول واش، وله توقيعات تدل على فضل غزير. وكانت خلافته ٢٤ سنة و ٣ أشهر و ٢٠ يوما ومات ببغداد، ودفن فى حجرة له كان يألفها. انظر ابن الأثير ١٠: ٨٠ و١٨٨ وتاريخ الخميس ٢: ٦٣٠ والنبراس ١٤٠ ومرآة الزمان ٨: ٧٣ والأعلام ١٥٩/١.

(٣) المسترشد با لله الفضل بن أحمد.(٤٨٥ - ٥٢٩هـ - ١٠٩٢ - ١١٣٥م). الفضل المسترشد با لله، بن أحمد المستظهر با لله. بن المقتدى عبد ا لله بن محمد الهاشمى العباس، أبو منصور: من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٥١٢هـ) وكان عالى الهمة شجاعا، فصيحا، بليغ=

با لله منصور[(١)] وخلع ثم قتل، فكانت خلافته سنة تنقص عشرة أيام. وبويع بعده المقتفى لأمر ا لله محمد بن المستظهر[(٢)] فصفت له الدنيا، وسعد بوزيره عون الدين يحيى ابن محمد بن هبيرة، وقبض على جماعة من المتغلبين، وخرج بنفسه وحارب من ناوءه، وأقام أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما. فبويع بعده ابنه المستنجد با لله يوسف[(٣)] وأقام إحدى عشرة سنة وشهرا واحدا، ومات. فبويع بعده ابنه المستضىء بأمر ا لله الحسن[(٤)] وفى أيامه أعيدت الخطبة العباسية بالقاهرة ومصر، بعد

=التوقيعات له شعر جيد حديث فى أواخر أيامه فتنة بهمذان ، قام بها أمير أمرائه السلطان مسعود ابن ملكشاه السلجوقى فجرد المسترشد جيشا لقتاله، ودس له السلطان مسعود جمعا من رجاله، وأظهروا الطاعة، حتى نشبت الحرب فى موضع يقال له ما يمرج، فانقلبوا على الخليفة، وانهزم عسكره، وثبت وحده فى مقره فاعتقله السلطان مسعود وأخذه معه يريد دخول بغداد به فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جمع من الباطنية أرسلهم السلطان سنجر السلجوقى لقتله، فقتلوه ومثلوا به ودفن فى مراغة. انظر: فوات الوفيات ٢: ١٢٤ وابن الأثير ١٠: ١٨٩ ثم ١١: ١٠ وتواريخ آل سلجوق ١٧٨ وتاريخ الخميس ٢: ٣٧٦١ والنبراس ١٤٥ ومفرج الكروب ١: ٥ - ٦٠ و الإعلام لابن قاضى شهبة فى حوادث سنة ٥٢٩ ومرآة الزمان ٨: ١٥٦ وانظر الأعلام ١٤٧/٥.

(١) الراشد با لله (٥٠٤ - ٥٣٢ هـ ١١١٠ - ١١٣٨م). المنصور الراشد با لله، أو ابن جعفر بن الفضل المسترشد بن المستظهر: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد ولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٥٢٩هـ) وكان حسن السيرة يؤثر العدل ويكره الشر، أديبا شاعرا جوادا، خلف نيفا وعشرين ولدا. انظر: الكامل ١١/١٠- ٢٤، تواريخ آل سلجوق ١٧٨ - ١٨١، النبراس ١٥٦، مرآة الزمان ١٦٧/٨، الأعلام ٧/٣٠٢.

(٢) المقتفى لأمر ا لله (٤٨٩ - ٥٥٥ هـ ١٠٩٦ - ١١٦٠م). محمد بن أحمد، المقتفى بن المستظهر بن المقتدى العباسى: من أعاظم الخلفاء العباسيين، بويع سنة ٥٣٠ هـ، ودامت له الخلافة أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وتوفى ببغداد. انظر: النبراس ١٥٦، ابن الأثير ١١/١٦، ٩٦، تواريخ آل سلجوق ١٨٣ - ١٩٢، مفرج الكروب ١٣١/١ - ١٣٣. الأعلام ٣١٧/٥

(٣) المستنجد با لله (٥١٠ - ٥٦٦هـ ١١٦ ١١٧٠م) يوسف (المستنجد) بن محمد (المقتفى) بن المستظهر، أبو المظفر العباسى: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد، بويع له بعد وفاه أبيه ٥٥٥هـ فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس. انظر: ابن الأثير ٩٦/١١ ، ١٣٤، تاريخ الخميس ٣٦٣/٢، مرآة الجنان ٣، ٣٧٩، النبراس ١٥٨، مرآة الزمان ٢٨٤/٨ مفرج الكروب ١٣٤/١، ١٩٣ - ١٩٥ الأعرم ٨/٢٤٧ .

(٤) المستضىء با لله (٥٣٦ - ٥٧٥ هـ ١١٤٢ - ١١٨٠م). الحسن بن المستنجد با لله يوسف ابن المقتفى العباس الهاشمى، أبو محمد المستضىء با لله: خليفة من العباسيين فى العراق وكان جوادا حليما محبا للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ٥٦٦هـ) وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل. قال ابن شاكر: لما تولى المستضىء با لله نادى برفع المكوس، ورفع المظالم الكبيرة وفرق مالا عظيما، ثم احتجب عن=

انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى الكردى[1] ومات المستضىء بعد عشر سنين تنقص أربعة أشهر، فقام بعده ابنه الناصر لدين الله أحمد، مدة ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما، وفى أيامه ابتدأ ظهور جنكيزخان. ورؤى الناصر مرة وعليه قباء أبيض برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من فنك أو نحوه يتشبه بملوك الأتراك. وقام من بعده ابنه الظاهر بأمر الله محمد، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوما، ومات. فقام بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور[2] مدة سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل خمس عشرة سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، وفى أيامه قصد التتار بغداد، فاستخدم الخليفة منهم العساكر، حتى بلغت عدتها نحو مائة ألف. وقام من بعده ابنه المستعصم بالله عبد الله، فجمع الأموال، وقطع كثيرا من العساكر، فقدم التتار بغداد، وقتلوه فى سادس

=الناس، ولم يركب إلا مع الخدم، وفى أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر، وضربت السكة باسمه، وغلقت الأسواق وعملت القباب، وصنف ابن الجوزى فى ذلك كتاب النصر على مصر وخطب له بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة، ودانت الملوك لطاعته. فوات الوفيات ١: ١٣٧ و ابن خلدون ٣: ٥٢٨ وما قبلها. انظر: مرآة الزمان ٨: ٣٥٦ وابن الأثير ١١: ١٧٣ وتاريخ الخميس ٢: ٣٦٦ والنبراس لابن دحية ١٥٩ - ١٦٤، والأعلام ٢/٢٢٧.

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/٣٧٦، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٧، ابن غياس ١/٦٩، ابن خلدون ٤/٧٩، ٥/٢٥٠ - ٣٣٠، ابن الأثير ١٢/٣٧ الإسلام والحضارة العربية ١/٢٨١، ٢٩٠، ٢/٢٨٩، طبقات لسبكى ٤/٣٢٥، الدارس ٢/١٧٨ - ١٨٨، مرآة الزمان ٨/٤٢٥، مفرج الكروب ١/١٦٨، تزويج المقلوب ٨٧، ٨٨، حلى القاهرة ١٠٧ - الأعلام لابن قاضى سكبة، النجوم الزاهرة ٦/٣ - ٦٣ شذرات الذهب ٤/٢٩٨، الفاطميون فى مصر ٣٠٨، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ٢٠٣ - ٣٢-، الأعلام ٨/٢٢٠.

(٢) المستنصر بالله (... - ٦٦- هـ - ..... - ١٢٦٢م). أحمد المستنصر بن محمد الظاهر بن الناصر المستضىء، أبو القاسم العباس: أول الخلفاء العباسيين بمصر دخلها بعد ثلاث سنين من انقراض عباسية العراق فأثبت نسبه فى مجلس الظاهر بيبرس البندقرارى أمام جمع من العلماء وأركان الدولة، فسر به الظاهر ووجد فيه قوة جديدة لملكه فجمع الناس وأعلن فيهم الأمر وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، وأمر أن يخطب باسمه على المنابر وأن ينقش اسمه على النقود وأقيمت له المظاهر وأنزل فى دار فخمة. وكان ذلك سنة ٦٥٩ هـ ولم يكن له ولا لمن ولى بعده عظيم أثر يذكر فى الملك، لأنهم إنما كان لهم من الخلافة اسمها وابنها - ودام لهم ذلك فى مصر مدة ٢٥٥، عاما - ولم تطل مدة أبى القاسم المستنصر، فإن الظاهر سيره فى حبس إلى العراق سنة ٦٥٩ لاسترداد بغداد من أيدى التتار فزحف وحارب التتر وانهزم جيشه، وفقد هو، وقيل: قتل فى المعركة قريبا من هيت. ويعدونه الثامن والثلاثين من خلفاء ابن العباس . انظر: ابن إياس ١: ١٠١ والنجوم ٧: ٢٠٦ والخميس ٢: ٣٧٨ . والأعلام ١/٢١٩. ٢٢٠.

صفر سنة ست وخمسين وستمائة، وله فى الخلافة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت دولة بنى العباس بزواله، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة، فأقيم فى تلك السنة خليفة بمصر قدم إليها من بغداد، لقب بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر، وسار يريد بغداد فحاربه التتار وقتلوه، قبل أن تتم له سنة منذ بويع بمصر، فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلا يسمونه الخليفة، ويلقبونه بلقب الخلفاء، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة، لتهنئتهم بالأعياد والشهور، وسيأتى ذكرهم إن شاء الله.

* * *

ذكر دولة بنى بويه الديلم(١)

ويقال فى أصل الديلم إن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان خرج مغاضبا لأبيه، فوقع فى أرض الديلم، فتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلم بن باسل فهو أبو الديلم كلهم. وهم أفخاذ وعشائر، ومنهم ملوك بنى بويه. وكان سبب ظهورهم أن الحسن بن على بن الحسن بن زيد بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الزيدى الأطروش دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للحق، واجتمعوا عليه، وبنى فى بلادهم مساجد، وحثهم على الخروج معه إلى طبرستان حتى أجابوه، وقاتل بهم أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك وهزمه، وقتل من أصحابه سبعة آلاف، وعاد إلى آمل ظافرا، واستولى على طبرستان فى جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وعاد إلى بغداد. ومات الناصر - بعد أن ملك طبرستان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما - فى شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله تسع وسبعون سنة. فبقيت بعده طبرستان فى أيدى العلوية اثنتى عشرة سنة، ثم انتقلت عنهم إلى أمراء الديلم. ولما مات الناصر ولى ابنه أبو الحسين، فقدم جرجان(٢) وأقام بها، وصاحب

---

(١) الديلم: تسمية للصقيع الجبلى من بلاد جيلان التى تقع فى الجنوب الغربى من بحر قزوين، ويحده فى شماله جيلان نفسها، وفى شرقه طبرستان، وفى جنوبه جهات قزوين، وفى غربه أذربيجان. انظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٩٧.

(٢) جرجان: بالضم، وآخره نون، قال صاحب الزنج: طول جرجان قانون درجة ونصف وربع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة، فى الإقليم الخامس، وروى بعضهم أنها فى الإقليم الرابع... وجرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فالبعض يعدها من هذه والبعض

جيشه سرخاب بن وهسوذان، فكانت له حروب وأنباء مع عساكر السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان إلى أن مات سرخاب. فاستخلف أبو الحسين بن الناصر بعده ماكان بن كالى على أستراباذ [1] فاجتمع إليه الديلم، وقدموه وأمروه على أنفسهم، فكانت له بتلك النواحى أخبار كثيرة إلى أن قوى أبو الحجاج مرداويج بن زيار، وقيل مرداويج بن قافيج الجيلى الديلمى، وملك جرجان وغيرها مما كان، وعاد إلى أصفهان ظافرا، ودامت الحرب بينهما عدة سنين، فقوى مرداويج واستولى على بلد الجبل والرى، وأتته الديلم من كل ناحية، فعظمت جيوشه. وكان من الديلم رجل يقال له بُوَيه، وكنيته أبو شجاع، متوسط الحال، وله ثلاثة أولاد: أبو الحسين على أكبرهم، وأبو على الحسن أوسطهم، وأبو الحسين أحمد أصغرهم، وكان ينتسب إلى الفرس، ويزعم أنه أبو شجاع بويه بن فنا خسرو بن تمان بن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شيركذة بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سناذر شاه بن سيس فيروز بن شيزوزيل بن سناذر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك. فبنو بويه من قبيلة من قبائل الديلم يقال لها شيرزيل أو نداره. ثم إن أبا شجاع بويه رأى فى منامه كأنه يبول، فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب، وتولد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران، ورأى البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران. فقصه على منجم، فقال له: إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو ذكرهم فى الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب .فقال له أبو شجاع: أتسخر بى وأنا رجل فقير، وأولادى هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا؟ فقال المنجم: أخبرنى بوقت ميلادهم فأخبره، فجعل يحسب، ثم قبض على يد أبى الحسن على الذى لقب بعد ذلك عماد الدولة فقبلها، وقال: هذا والله يملك البلاد، ثم هذا من بعده، وقبض على يد أخيه أبى على الحسن، الذى لقب بعد ذلك ركن الدولة ثم هذا، وقبض على يد أخيهما أبى الحسين أحمد، الذى لقب معز الدولة. فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده: اصفعوا هذا

يعدها من هذه .انظر معجم البلدان٢/١١٩وما بعدها.

(١) أستراباذ: بالفتح ثم السكون، وفتح التاء المثناة من فوق، وراء، وألف، وباء موحدة، وألف وذال معجمة، بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقا من أهل العلم فى كل فن، وهى من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان فى الإقليم الخامس، طولها تسع وسبعون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونصف وربع. انظر معجم البلدان١/١٧٤، ١٧٥

فقد أفرط فى السخرية بنا، فصفعوه وهو يستغيث وهـم يضحكـون منه، ثـم أمسكـوا. فقال لهم المنجم: اذكروا لى هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك، وأعطـاه أبـو شـجاع عشـرة دراهم، فلما خرج الديلم مع ماكان بن كالى كان أولاد أبى شجاع من جملة قـواده، إلى أن استولى مرداويج على ما بيد ماكان من طبرستان وجرجـان وانهـزم ماكـان، قـال لـه على والحسن ابنا أبى الشجاع بُوَيْه، وكانا ضَعَفَةً عجزة: نحـن فـى جماعـة، وقـد صرنـا ثقلا عليك وعيالا، وأنت مضيق، والأصلح لك أن نفارقك لنخفف عنـك مئونتنـا، فـإذا صلح أمرك عدنا إليك. فأذن لهما فسار إلى مرداويج، واقتدى بهما جماعة مـن قـواد مـا كان وتبعوهم. فأقبل عليهم مرداويج، وخلع على ابنىْ بويه، وقلد عماد الدولة على بـن بويه كرج[١]، فأحسن السيرة وافتتح قلاعـا ظفـر منهـا بذخائر كثيرة فاستمال الرجـال حتى شاع ذكره وقصده الناس واستوحش منه مرداويج واستدعاه فدافعه ثم سار عمـاد الدولة من كرج إلى أصبهان[٢] وقاتل المظفر محمد بن يـاقوت وهزمـه، وملـك أصبهـان يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة سنة إحـدى عشـرة وثلاثمائـة، فعظـم فـى أعـين الناس، لأنه كان فى تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف. وبلغ ذلك الخليفـة القاهر با لله محمد بن المعتضد فاسـتعظمه، وخـاف مرداويـج عاقبتـه، فـأخذ يتحيـل فـى أخذه. وأخذ ابن بويه أيضا أَرَّجَانَ[٣] مـن أبـى بكـر بـن يـاقوت، فـى ذى الحجـة سنة

---

(١) كرج: بفتح الكاف والراء المفتوحـة وبـالجيم المعجمـة، أول حصـن مـن معـاقل الجبـل، فمـن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهـاوند إلى الكـرج مرحلتـان، ولم تكـن فـى أيام الأعـاجم مدينـة مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلـف القاسـم بـن عيسـى العجلى أحد أكابر قواد المأمون. انظر الروض المعطار ٤٩١، ومعجم البلـدان ٤/٤٤٦، وابـن حوقـل ٣١٣، والمقدسى ٣٩٤، وابن الوردى ٤٩، والمعلومات الإخبارية عن معجم ما اسـتعجم ٤/١١٢٤، وابن خلكان ٤/٧٩.

(٢) أصبهان منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون منهم السمعانى وأبو عبد البكرى الأندلسى، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسـرفون فـى وصـف عظمهـا حتـى يتجاوز أحد الاقتصاد إلى غاية الإسراف. وأصبهان اسم للإقيم بأسره وهى من نواحى الجبل فى آخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة. انظر معجم البلدان (أصبهان).

(٣) أرجان بالفتح أوله وتشديد الراء وجيم وألف ونون وعامة العجم يسمونها أرغان وقد خففـه المتنبى فقال : أرجان أيتها الجياد فإنه عزمى الذى يدع الوشيج مكرا .... وقال الاصطخرى: أرجان مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثير وزيتون وفواكه وهى بريـة بحريـة سـهلية جبلية ماؤهـا يسـيح، بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخا وبينها وبين سـوق الأهـواز ستون فرسـخا، وكان أول من أنشأها فيما حكته الفرس قياذ بن فيروز أبو شروان العادل لما استرجع الملك مـن أخيـه جاما سب وغزا الروم ففتح فى ديار بكر مدينتين متيافارقين وآمد وكانتا فى أيدى الـروم وأمر فبنـى

إحدى وعشرين وثلاثمائة، وقوى بها. وبعث أخاه ركن الدولة الحسن[١]، فأخذ كَازَرُون، ثم ملك عماد الدولة شيراز[٢] فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين، فلما ملك شيراز وفارس كتب إلى الخليفة الراضى با لله محمد بن المقتدر، وقد أفضت إليه الخلافة، وإلى وزيره أبى على محمد بن على بن مقلة[٣] يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب أن يقاطع على ما بيده من البلاد، وبذل ألف ألف درهم، فأجيب إلى ذلك، وسيرت له الخلع واللواء، فلبس الخلع ونشر اللواء بين يديه، وغالط الرسول بالمال، فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين، وعظم شأنه، وقصده الرجال من الأطراف فقام مرداويج وقعد، فقدر ا لله قتله على يد غلمانه، يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وسارا أكثر أصحابه إلى ابن بويه، ومضى كثير منهم إلى بُجْكم فقدم بهم بغداد، ثم سار عماد الدولة بن بويه إلى كرمان[٤] فى سنة أربع وعشرين، وكانت

فيما بين حد فارس والأهواز مدينة وسماها أبزقباد وهى التى تدعى أرجان وأسكن فيها سبى هاتين البلدان (أرجان).١٣

(١) ركن الدولة (٢٨٤ - ٣٦٦ هـ - ٨٩٧ - ٩٧٦م). الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمى، ركن الدولة، من كبار الملوك فى الدولة البويهية. كان صاحب أصبهان والرى وهمذان وجميع عاق العجم استوزر أبا الفضل بن العميد، ثم ابنه أبا الفتح . واستمر فى الملك ٤٤ سنة وشهرا و ٩ أيام. وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة بويه وفخر الدولة على قسم عليهم الممالك فى حياته. وتوفى بالدرى.انظر ابن خلكان ١٤١/١، الأعلام ١٨٥/٢.

(٢) شيراز: بالكسر، وآخره زاى : بلد عظيم مشهورة معروف مذكور، وهو قبضة بلاد فارس فى الإقليم الثالث، طولها ثمان وسبعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، قال أبو عون: طولها ثمان وسبعون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة. وقيل: سميت بشيراز بن قيل: أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبى عقيل بن عم الحجاج. انظر معجم البلدان٣/٣٨٠

(٣) ابن مقلة. ٢٧٢ - ٣٢٨ هـ ٨٦٦ - ٩٤٠م. محمد بن على بن الحسين بن مقلة، أبو على: وزير، من الشعراء الأدباء ، يضرب بحسن خطه المثل، ولد في بغداد، وولى جباية الخراج فى بعض أعمال فارس، ثم استوزره المقتدر العباسى سنة ٣١٦ هـ ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر با لله سنة ٣٢٠ هـ فجيء به بلاد فارس فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على الإهمال، فاختبأ (سنة ٣٢٠هـ) واستوزره الراضى با لله سنة ٣٢٢ هـ ونقم عليه سنة ٣٢٤ فسجنه مدة، وأخلى سبيله ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦هـ) وسجنه، فلحقه فى حبسه شقاء شديد حتى كان يستقى الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات فى سنة ٣٢٨هـ . انظر وفيات الأعيان ٦١/٢ ثمار القلوب ١٦٧، الأعلام ٢٧٣/٦.

(٤) كرمان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان فى

له بها حروب ظفر فيها، ثم قدم عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى فى سنة ست وعشرين، وأطمعه فى العراق والاستيلاء عليه، فسار وملك عدة بلاد، وسير أخاه ركن الدولة على عساكر، وكانت لهما أنباء وقصص. وجرت فى بغداد حوادث عظيمة آلت إلى مسير معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه[1] إلى بغداد فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، فحاربه أمير الأمراء توزون فى ذى القعدة، وهزمه عن بغداد فلما مات توزون قدم معز الدولة بغداد، واستولى عليها فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. قال الوزير أبو على محمد بن على بن مقلة: «إننى أزلت دولة بنى العباس وأسلمتها إلى الديلم، لأنى كاتبت الديلم وقت إنفاذى إلى أصبهان، وأطمعتهم فى سرير الملك ببغداد، فإن اجتنيت ثمرة ذلك فى حياتى، وإلا فهى تجتنى بعد موتى»، فكان كما قال . ولما ملك معز الدولة بغداد خلع الخليفة المستكفى بالله عبد الله، ونهب الديلم دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء، وأقام المطيع لله الفضل بن المقتدر، ولم يجعل له أمرا ولا نهيا ولا رأيا، ولا مكنه من إقامة وزير، بل صارت الوزارة إليه يستوزر لنفسه من يريد، وشنّع هو والديلم على بنى العباس، بأنهم غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها، وأراد معز الدولة إبطال دعوة بنى العباس، وإقامة دعوة المعز لدين الله أبى تميم معز الفاطمى، حتى رجعه أصحابه عن ذلك. وبعث نوابه فتسلموا العراق، ولم يبق بيد الخليفة منه شىء ألبتة، إلا ما أقطعه مما لا يقوم ببعض حاجته، وملك البصرة فناخسرو بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه، فكانت مدة إمارته ست عشرة سنة،

الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة: وهى ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وخراسان، فشرقيها سكران ومفازة ما بين= =مكران والبحر من وراء البلدوس، وغربيها أرض فارس، وشماليها مفازة وخراسان، وجنوبيها بحر فارس، ولها فى حد السيرجان دخلة فى حد فارس وهى بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشى والضرع تشبه بالبصرة فى كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٤

(١) معز الدولة (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ - ٩١٥ - ٩٦٧م). أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، من سلالة سابور ذى الأكتاف الساسانى، أو الحسن، معز الدولة: من ملوك بنى بويه فى العراق فارسى الأصل مستعرب. كان أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخوه. عماد الدولة وركن الدولة البلاد وكان أصغر منهما سنا ويقال له الأقطع لأن يده اليسرى قطعت فى معركة مع الأكراد، تولى فى صباه كرمان وسجتان والأهواز ، تبعا لأخيه عماد الدولة، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤ هـ فى خلافة المستكفى، ودام ملكه فى العراق ٢٢ سنة إلا، شهرا. وتوفى ببغداد. انظر وفيات الأعيان ١/٥٦ ، تجارب الأمم ٦/١٤٦، ٢٣١. الأعلام ١/١٠٥

ولم يترك غير بنت واحدة. وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه أمير الأمراء . وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد هو المستولي على العراق والخلافة، وهو كالنائب عنهما إلى أن مات ببغداد، لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة، فكانت مدة ملكه لبغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين. وقام من بعده ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار[(١)] فسار إليه ابن عمه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة في سنة أربع وستين، وقبض عليه ثم أطلقه، وضرب عليه الجند، وعاد من بغداد، فمات ركن الدولة لخمس بقين من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة، واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة[(٢)] فسار إلى العراق ثانيا وأخذ بغداد من بختيار، وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد سوى الخليفة وضرب عضد الدولة أيضا على بابه الطبول ثلاث نوبات، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ولي النعم تاج الملة عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع سبويه بن فناخسرو بن ثمان بن كوهي، وقتل بختيار في الحرب لاثنتي عشرة بقيت من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وعظم أمر عضد الدولة إلى أن مات لثمان خلون من شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، ومدته منذ مات عمه عماد الدولة بفارس أربع وثلاثون سنة، ملك منها بغداد خمس سنين وستة أشهر وأربعة أيام. فقام من بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان ببغداد، أربع سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما، وغلبه أخوه شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل[(٣)] في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة، ثم سَمَلَه وقام

---

(١) عز الدولة (٣٣١ - ٣٦٧ هـ - ٩٤٣ - ٩٧٨م). بختيار، ابو منصور، عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه: أحد أساطين العراق من بني بويه، ديلمي الأصل، مولده بالأهواز. كان شديد البأس يمسك الثور بقرنيه ويصرعه. تسلطن بعد أبيه (سنة ٣٥٦ هـ). انظر سير النبلاء، يتيمة الدهر ٤/٢، تلخيص مجمع الآداب ٤٢/١، الأعلام ٤٤/٢.

(٢) عضد الدولة البويهي (٣٢٤ - ٣٧٢ هـ ٩٣٦ - ٩٨٣م). فناخسرو، الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمي، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم الملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام شاهنشاه... توفي ببغداد وحمل في تابوت، فدفن في مشهد النجف. انظر ابن الأثير ج ٨، ٩، بغية الوعاة ٣٧٤، سير النبلاء ، ابن الوردي ٣٠٥/١، ابن خلكان ٤١٦/١، البداية والنهاية ٢٩٩/١١، مرآة الجنان ٣٩٨/٢، يتيمة الدهر ٢/٢، روض الأخبار المختصر من ربيع الأبرار، الأعلام ١٥٦/٥.

(٣) شرف الدولة (٣٤٥ - ٣٧٩ هـ - ٩٥١ - ٩٨٩م). شيرويه بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، أبو الفوارس ، الملقب شرف الدولة: سلطان بغداد وابن سلطانها. تملك، وظفر بأخيه=

بالأمر، فلقبه الخليفة الطائع بشرف الدولة وزين الملة. ومات شرف الدولة بعد سنتين وثمانية أشهر وأيام ببغداد، فى ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. فملك بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر خُرَّه فيروز[1] بن عضد الدولة، ولقبه الطائع بهاء الدولة وضياء الملة، ثم زاد القادر فى ألقابه غياث الأمة شاهنشاه، ثم زاده قِوام الدين ونقله عن مولى أمير المؤمنين إلى صفى أمير المؤمنين، ومات بأرجان فى خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة، فكانت مدته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما وقام من بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فناخسرو، فكانت أيامه ببغداد - سنة واحدة وستة أشهر تنقص ثلاثة أيام - على انزعاج، لكثرة مطالب الأتراك، فخرج منها وقد رتب أخاه مشرف الدولة أبا على الحسن، وسار إلى الأهواز، واستقر مشرف الدولة فى ملك العراق خمس سنين وشهرين وأياما. ومات سلطان الدولة بفارس، لأربع بقين من شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة، فكانت إمارته اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما. ومات بعده أخوه مشرف الدولة ببغداد، لثمان بقين من ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة، فسار أخوهما جلال الدولة أبو طاهر فيروز خره بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد، باستدعاء الخليفة القادر، لما حصل فى بغداد من مصادرات الأتراك للناس، فلما قدمها تلقاه القادر ولقبه ركن الدين جلال الدولة وفى أيامه انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، وانطلقت الأيدى، وعجز جلال الدولة عن إقامة الأمر إلى أن مات، فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فكانت مدته ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا فاستدعى الجند ابنه الملك العزيز أبا منصور خره فيروز، فلم ينتظم له أمر، واستنجد الملوك فلم ينجدوه، فكاتب عسكر بغداد عز الملوك أبا كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبى شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة أبى نصر خره فيروز بن عضد الدولة، ولقبه الخليفة القائم بأمر الله شاهنشاه عز الملوك، وحملت إليه الخلع واللواء وخطب له ، فسار وقدم بغداد، ومات سنة أربعين وأربعمائة. وملك بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز بن عز الملوك، وكان عز الملوك قد سار إلى كرمان، فهلك فى طريقه لأربع سنين

=صمصام الدولة فحبسه وكان فيه خير وقلة ظلم، أزال المؤامرات واعتل بالاستسقاء، فمات شابا وكانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. انظر سير النبلاء، مرآة الجنان ٤٠٨/٢، النجوم الزاهرة ١٤٨/٤، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ابن الأثير: حوادث سنة ٣٧٩. الأعلام ١٨٣/٣.

(١) بهاء الدولة (٣٦٠ - ٤٠٣ هـ- ٩٧١ - ١٠١٢م).بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه: السلطان أبو نصر. من ملوك الدولة البويهية تولى نحو سنة ٣٨٠ هـ ومات بأرجان. انظر الفتح الوهبى ٢٠١/٢، شذرات الذاهب ١٦٦/٣، ابن خلكان . الأعلام ٧٥/٢.

من ولايته. فقام من بعده ببغداد الملك الرحيم بمبايعة الجند له، وثار فى أيامه الأمير أرسلان البساسيرى وملك بغداد، ثم قدم طغرلبك والسلجوقية، وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات. فكانت عدة من ملك بغداد من بنى بويه أحد عشر، ومدتهم ببغداد إلى أن انقرضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، أولها يوم وصل معز الدولة إلى بغداد وآخرها يوم وصول طغرلبك إلى بغداد، ومدتهم منذ ملك عماد الدولة بلاد فارس مائة وخمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام.

* * *

ذكر دولة السلجوقية

وكان ابتداء أمر السلجوقية أنهم أخلاط من الترك، كانوا يصيفون فى بلاد البلغار[١] ويشتون فى تركستان[٢] وينهبون ما طرقوه. وكان من مقدميهم رجل يقال له دقاق، فولد له سلجوق فنجب، وقدمه بيغو ملك الترك، فقوى وكثر جمعه فخافه بيغو، فخرج سلجوق بجموعه مهاجرا من دار الحرب إلى ديار الإسلام وأسلم وأقام بنواحى بخارى[٣] وصار يغزو الترك، وكان له من الولد أرسلان وميخائيل وموسى. ومات سلجوق بجند وراء بخارى، عن مائة وسبعة أعوام، وبقى ولده على ما كان عليه من غزو الترك، فقتل ميخائيل شهيدا. وخلف ميخائيل بيغو وطغرلبك وينال وجغرى بك داود. ثم إنهم قربوا من بخارى فأساء أميرها جوارهم، فرجعوا إلى بغراخانى ملك تركستان وجاوروه، وتعاهد طغرلبك وأخوه داود ألا يجتمعا عند بغراخان. وحاول على بجتمعهما فلم يطق، فقبض على طغرلبك وأرسل عسكره إلى أخيه داود، فانهزم العسكر وأتبعوه وخلصوا طغرلبك من أسره، وعادوا إلى جَنْد، وأقاموا بها إلى انقراض الدولة السامانية وملك أيلك خان بخارى، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق.

---

(١) بلغار : بالضم والغين مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاء انظر معجم البلدان (بلغار).

(٢) تركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك. انظر معجم البلدان ٢/٢٢ وما بعدها.

(٣) بُخَارَى: بالضم من أعظم مُدُن ما وراء النهر وأجلها يعبر إليها من أمل الشط وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه وكانت قاعدة ملك السامانية... وهى مدينة قديمة كثيرة البساتين واسعة الفواكه مهدى بفواكهها تُحمل إلى مرو وبينهما اثنتا عشرة مرحلة وإلى خوارزم وبينهما أكثر من خمس عشرة يوما وبينها وبين سمرقند سبعة أياما أو سبعة وثلاثون فرسخا بينهما بلاد القُغْد.انظر معجم البلدان (بخارى).

ولما رجع أيلك خان عن بخارى ولى عليها علىَّ تِكين فبقى معه أرسلان إلى أن عبر محمود بن سبكتكين [1] النهر إلى بخارى، وهرب علىٌّ تِكين فدخل أرسلان وقومه المفازة، وكاتبه محمود ولاطفه حتى قدم عليه، فقبضه ونهب أحياءه، وأجازهم النهر وفرقهم فى نواحى خراسان، ووضع عليهم الخراج، فلحقهم جور العمال. فسار منهم جماعة أرسلان إلى أصبهان، وحاربهم علاء الدين بن كاكويه حروبا كثيرة، إلى أن ساروا إلى أذربيجان[2] وكانوا يعرفون بين الترك بالغز. وسار طغرلبك وأخوه داود وبيغو من خراسان[3] إلى بخارى، وجمع على تكين عسكره وأوقع بهم، فعادوا إلى

---

(١) السلطان الغزنوى (٣٦١ - ٤٢١ هـ = ٩٧١ - ١٠٣٠م). محمود بن سبكتكين الغزنوى، السلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبى منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها إلى نيسابور وكانت عاصمته غزته (بين خراسان والهند) وفيها ولادته ووفاته.انظر ابن الأثير ١٣٩/٩، ابن خلكان ٨٤/٢، ابن الجوزى أعمال الأعيان، ابن خلدون ٣٦٣/٤، الجواهر المضيئة ١٥٨/٢. البداية والنهاية ٢٧/٢. الأعلام ١٧١/٧.

(٢) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم هكذا جاء فى شعر الشماخ.

تذكرتها وهنا وقد حال دونها ... قرى أذربيجان المسالح وبحال

وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء، ومد آخرون الهمزة مع ذلك، وروى عن المهلب.. هذا آذربيجان بمد الهمزة وسكون الذال فيلتقى ساكنان وكسر الراء، ثم ياء ساكنة وباء موحدة مفتوحة وجيم وألف ونون... قال ابن المقفع: أذربيجان مسماة بأذربا ذين إيران بن الأسود بن سام بن نوح وقيل: أذربيجان بيوراس، وقيل: بل أذرا سمر النار بالفهلوية. وبايكان معناه الحافظ والخازن فكان معناه بيت النار أوخازن النار وهذا أشبه بالحق وأجدى، لأن بيوت النار فى هذه الناحية كانت كثيره جدا. وحد أذربيجان من برذعة مشرقا إلى أرزنجان مغربا، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والطرم وهو إقليم واسع ومن أشهر مدنها تبريز وهى اليوم قصبتها وأكبر مدنها، وكانت قصبتها قديما المراغة، ومن مدنها خوى وسلماس وأرمية وأردبيل ومرند وغير ذلك. وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيه خيرات واسعة وفواكه جمة.انظر معجم البلدان (أذربيجان).

(٣) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها ممايلى العراق أزاذوا قصبة جوين وبيهى، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجتان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونيسابور وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التى دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل اعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا. انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢ وما بعدها.

خراسان وخيموا بظاهر خوارزم[١] في سنة خمس وعشرين وأربعمائة، واتفقوا مع خوارزم شاه هارون بن التونتاش، ثم غدر بهم وكبسهم، فساروا إلى جهة مرو، فأرسل إليهم مسعود بن محمود بن سبكتكين[٢] جيشا فهزمهم، واشتغل أصحابه بالغنائم فرجع الغز وهزموهم ونهبوهم، فاستمالهم مسعود بعدها وكان ببلخ، فطلبوا منه إطلاق عمهم أرسلان الذى قبضه محمود بن سبكتكين، فشرط حضورهم فأبوا. وعادت الحرب وهزموا عساكره، وقوى أمرهم واستولوا على غالب خراسان، وفرقوا العمال وخطب لطغرلبك في نيسابور. وسار داود إلى هراة، ففرت عساكر مسعود، وتركوا خراسان حتى أتوا غزنة[٣] وسار مسعود من غزنة إلى خراسان في جيوشه، ففروا أمامه وهو

---

(١)خوارزم: أوله بين الضم والفتحة، والألف مسترقة مختلة ليست بألف صحيحة، هكذا= =يتلفظون به، ... قال بطليموس فى كتاب الملحمة: خوارزم طولها مائة وسبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهى فى الإقليم السادس،... وخوارزم ليس اسما للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية. انظر معجم البلدان ٣٩٥، ٢ وما بعدها.

(٢) مسعود بن سبكتكين (... ٠ ٤٣٢ هـ - ... - ١٠٤٠م). مسعود بن محمود بن سبكتكين من ملوك الدولة الغزنوية. ولد بغزنة (بين خراسان والهند) ونشأ فى بيت سلطنة وجهاد وعدل وولى أصبهان فى أيام أبيه وتوفى أبوه (سنة ٤٢١ هـ). وبويع لأخ له اسمه محمد بغزنة ، فأقبل مسعود يريدها، فثار الجند على محمد وقيدوه وخلعوه ونادوا بشعار مسعود وكتبوا إليه بما فعلوا، فدخل غزنة (سنة ٤٢٢) وبايعه الناس وأتته رسل الملوك، واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى وأصبهان وبلاد الجبل. وعظم سلطانه وفتح قلاعا فى الهند كانت ممتنعة على أبيه . ودخل السلاجقة خراسان، فقاتلهم وأجلاهم عنها ، وعاد إلى غزنة ثم خرج منها يريد أن يستوفى الهند على عادة والده، وأخذ معه أخاه محمدا الذى كان قد بويع قبله وخلع، فلما عبر سجون ائتمر به بعض عسكره وأكرهوا أخاه على موافقتهم فقبضوا على مسعود واعتقلوه فى قلعة كيكى ثم قتلوه وكان شجاعا كريما، كثير الصدقات، محبا للعلماء، وصنفوا له كتبا كثيرة فى علوم مختلفة، وله آثار فى العمران، وصنف عدة كتب فى سيرته. انظر: ابن الأثير ٩: ١٣٨ - ١٦٨ وأخبار الدولة السلجوقية ١٣ وابن العبرى ٣١٥ - ٣٢٠. والأعلام ٧/٢٢٠.

(٣) غزنة: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، هكذا يتلفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء غزنين ويعربونها فيقولون جزنة، ويقال لمجموع بلادها زابلستان، وغزنة قصبتها، وغزن فى وجوهه الستة مهمل فى كرم العرب، وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند فى طريق به خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جدا، بلغنى أن بالقرب منها عقبة بينهما مسيرة يوم واحد إذا قطعها القاطع وقع فى أرض دفينة شديدة الحر، ومن هذا الجانب برد كالزمهرير، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء، وما زالت آهلة بأهل الدين ولزوم طريق أهل الشريعة والسلف الصالح، وهى كانت منزل بنى محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا. انظر: معجم البلدان ٤/٢٠١.

يتبعهم، حتى قلت الأزواد وطال الأمد، ودخلوا البرية ومسعود فى إتْبَاعهم مدة ثلاث سنين، فانتقض عليه عسكره، ورجع السلجوقية وهزموهم أقبح هزيمة، وولى مسعود وغنموا منه ما لا يحصى، وعادوا إلى خراسان فملكوها، وثبتت أقدامهم بها، وخطب لهم على منابرها، ووصل مسعود إلى غزنة، واختلف عليه أمراؤه حتى قتل وملك طغرلبك جرجان وطبرستان[١] وملك بعد ذلك خوارزم، ثم سار إلى بلد الجبل واستولى عليها، فأسلم من الترك خمسة آلاف خركاه[٢] وتفرقوا فى بلاد الإسلام، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتتار بنواحى الصين. وبعث طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بن ميخائيل فملك همذان[٣] والدِّيْنَوَر[٤]، ثم استوحش منه وقاتله وأخذه، فبعث ملك الروم يطلب الهدنة من طغرلبك وهاداه، وعمَّر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك. ثم سار طغرلبك وحاصر أصبهان حتى أخذها صلحا، ونزلها ونقل إليها ذخائره، وأتاه ملك الأكراد فأقره على بلاده شهرزور[٥] وغيرها، ثم أنفذ رسوله إلى الخليفة القائم بأمر الله بالهدايا، وسار يريد بغداد، فدخلها لخمس بقين من رمضان

---

(١) طبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، والطبر: هو الذى يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، واستان: الموضع أو الناحية كأنه يقول: ناحية الطبر... وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الأسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحى الجبال، فمن أعيان بلدانها دمستان و جرجان واستراباذ وآمل، وهى قصبتها، وسارية، وهى مثلها، وشالوس، وهى مقاربة لها، وربما عدت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان فى البلاد المعروفة بمازندران... انظر معجم البلدان ١٣/٤وما بعدها.

(٢) كلمة فارسية بمعنى خيمة أو نجع.انظر المعجم الفارسى الكبير.

(٣) كانت همذان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ فى مثلها، انظر معجم البلدان٥/٤١٠وما بعدها.

(٤) الدينور: مدينة من كور الجبل ما بين الموصل وأذربيجان، وهى فى قبلة همذان، وهى كثيرة الثمار والزروع والبساتين والمياه حصينة، وأهلها أكرم جبلة من أهل همذان، وعلى القرب منها مدينة الصيمرة والشيروان، وابن قتيبة من أهل الدينور، وأبو حنيفة الدينورى اللغوى الإمام صاحب كتاب «النبات». انظر الروض المعطار ٢٤٩، و بمعجم البلدان (دينور) ٢/٥٤٥، والكرخى ١١٧، وابن حوقل ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) شهرزور: فى جهة حلوان، ومعنى شهرزور نصف الطريق، وكان منتصف طريقهم إلى بيت نار لهم، وكانت شهرزور مضمومة إلى الموصل حتى فرقت فى آخر خلافة الرشيد، وبشهرزور توفى الإسكندر بعد أن غزا الهند ومشارق الأرض، وشهرزور مشهورة بالعقارب، ولذلك قال ابن الرومى:

فقرطها بعقرب شهرزور ذا غنت وطوّقها بأفعى

انظر: الروض المعطار ٣٥٠، ٣٥١، ومعجم البلدان ٣٧٥/٣ وما بعدها، والكرخى١١٨.

سنة سبع وأربعين وأربعمائة. ونعت بالسلطان ركن الدين أبى طالب محمد طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن قِنِق بن جبريل بن داود بن أيوب بن دقاق بن إلياس بن بهرام ابن يوسف بن عزيز بن أحمد بن دهقان، وقبض على الملك الرحيم أبى نصر وعلى قواده، وأزال دولة بنى بويه . ثم توجه إلى نصيبين[١] وديار بكر[٢] واستولى على الموصل، وترك عليها أخاه ينال إبراهيم، فخالف على طغرلبك، وتوجه إلى همذان، فسار إليه طغرلبك وقتله، ثم عاد إلى بغداد، وقد ملكها أبو الحارث أرسلان البساسيرى، فأعاد القائم إلى الخلافة وقتل البساسيرى، ثم سار إلى بلاد الجبل فمات بالرى [٣] فى ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة، فكانت مدة ملكه ثمانية وثلاثين سنة تنقص عشرين يوما، ولم يخلف ولدا، فملك بعده ابن أخيه عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن جغرى بك بن داود ميخائيل بن سلجوق، وسار إلى

---

(١) نصيبين: مدينة فى ديار ربيعة العظمى، وهى من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، وهى قديمة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين، ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة، وأهلها قوم من ربيعة من بنى تغلب، وهى فى مستو من الأرض، ذات سور حصين وأسواق عامرة، وتجارات، وبها مياه كثيرة وعقارب قتالة. وافتتحها غياض بن غنم الفهرى فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثمان عشرة، وكانت مدينة رومية، فلما افتتحها غياض أسكنها المسلمين، وهى كبيرة، ومنها إلى دارا خمسة فراسخ، ويمتد أمام نصيبين بسيط أخضر مدّ البصر، وفيها مدرستان ومارستان واحد. انظر الروض المعطار ٥٧٧، ومعجم البلدان ٥/٢٨٨ وما بعدها، واليعقوبى ٣٦٢، ونزهة المشتاق ١٩٩، ورحلة ابن جبير ٢٣٩، والكرخى ٥٢، وابن حوقل ١٩٣، ١٩٤، والمقدسى ١٤٠، وآثار البلاد ٤٦٧، وابن الوردى ٢٨.

(٢) ديار بكر: هى بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وحدها من الغرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميافاوقين، وقد يتجاوز إلى سعرت وحيزان وحينى وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل. انظر معجم البلدان ٢/٤٩٤.

(٣) الرى: بفتح أوله، وتشديد ثانيه... وهى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخا ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخا ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا، ... قال العمرانى: الرى بلد بناه فيروز بن يزدجرد وسماه رام فيروز، ثم ذكر الرى المشهورة بعدها وجعلها بلدين، ولا أعرف الأخرى، فأما الرى المشهورة فإنى رأيتها، وهى مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم الملمع بالزرقة مدهون كما تدهن الضفائر فى فضاء من الروض، وإلى جانبها مشرق عليها أقرع لا ينبت فيه شىء، وكانت مدينة خرب أكثرها... وقد حكى الاصطخرى: أنها كانت من أكبر أصبهان. انظر معجم البلدان ٣/١١٦ وما بعدها.

حلب وأقر صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس[١] عليها، ولقى ملك الروم وهزمه، وبعث جيوشه فأخذت القدس والرملة[٢] من خلفاء مصر الفاطمين وحصرت دمشق. ومات ألب أرسلان بعدما رجع من حلب إلى ما وراء النهر، فى ربيع الأول سنة خمس وستين. وملك بعده ابنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه بن عضد الدولة أبى شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميخائيل بن سلجوق تسع عشرة سنة وشهرا، ومات فى نصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وعمره سبع وثلاثون سنة وخمسة أشهر، وكان يخطب له من أقصى بلاد الترك إلى بلاد اليمن، وفى أيامه ملك دمشق أتسز، ثم أخذها منه تُتُش بن ألب أرسلان، فاستمرت بأيدى الترك، وبعث ملك شاه أيضا آقسنقر قسيم الدولة فملك الموصل، وآقسنقر هذا هو والد عماد الدين زنكى[٣]. ثم قدم ملك شاه إلى حلب وسلمها إلى آقسنقر، وعاد إلى بغداد. وملك بعد ملك شاه ابنه محمود[٤] وعمره أربع سنين، فقامت أمه تركان خاتون بتدبيره، فثار عليه أخوه بركيارق بن ملكشاه واستبد بالأمر، وكانت له أيضا حروب مع أخويه محمد وسنجر إلى أن مات ثانى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين، عن خمس وعشرين سنة،

(١) ابن شبل الدولة (... - ٤٦٧ هـ - ... - ١٠٧٥ م). محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى، عز الدولة بن شبل الدولة: أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب. وليها سنة ٤٥٢ هـ وكان شجاعا فيه حزم. انظر دول الإسلام ٢/٢ ، الإسلام ٢/٢ ، الأعلام، شذرات الذهب ٣٢٩/٣، المنتظم ٢٠٠/٨، الكامل ٣٦/١٠، المختصر ١٩٢/٢ - ١٩٣ زبيدة النصرة ٣٧ - ٣٨ . الأعلام ١٨٩/٧

(٢) الرملة: واحدة الرمل: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطا للمسلمين، وهى فى الإقليم الثالث، طولها خمس وخمسون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان، وقال المهلبى: الرملة فى الإقليم الرابع، وقد نسب إليها من أهل العلم. انظر معجم البدان ٦٩/٣.

(٣) الأتابك زنكى (٤٧٨ - ٥٤١ هـ - ١٠٨٥ - ١١٤٦ م).

زنكى (عماد الدين) بن قسيم الدلوة الحاجب آقسنقر: أبو غازى ومردود ومحمود كان من كبار الشجعان. انظر التاريخ الباهر ٣، ٢٦، ٥٥، ٥٦، ٧٤ - ٨٤، العبر ٤٩/٤ - ٢١٥، شذرات ١٢٨/٤. الأعلام ٥٠/٣.

(٤) العادل نور الدين (٥١١ - ٥٦٩ هـ - ١١١٨ - ١١٧٤م). محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن آقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر ، وهو أعدل ملوك زمانه وأحلهم وأفضلهم. انظر كتاب الروضتين ٢٢٧/١ - ٢٢٩، ابن الأثير ١٥١/١١، ابن خلدون ٢٥٣/٥، ابن الوردى ٨٣/٢، ابن شقدة، ابن خلكان ٨٧/٢، مرآة الزمان ٣٠٥/٨، مفرج الكروب ١٠٩/١، الدارس ٩٩/٤، ٣٣١ ٣٦١، ٤٤٧، ٦٠٧ - ٦١٥، النجوم الزاهرة ٧١/٦، أمراء دمشق ١٤٧ . الأعلام ١٧٠/٧.

منها مدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر، قاسى فيها من الحروب واختلاف الأمور ما لم يقاسه غيره. وأقيم بعده ابنه ملكشاه بن بركياروق، وعمره أربع سنين وثمانية أشهر، ولقبه جلال الدولة، وقام بأمره الأمير أياز الأتابك إلى أن قتل في ثالث عشر جمادى الآخرة، بعدما سلم أمر الدولة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان. فقام محمد بأمر المملكة إلى أن مات، في رابع عشرى ذى الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر، منها مدة اجتماع الناس عليه اثنتا عشرة سنة وستة أشهر، ولقى مشاق وأخطارا كثيرة فأقيم بعده ابنه محمود بن ملكشاه[1] وعمره أربع عشرة سنة، فنازعه عمه السلطان ناصر الدين معز الدولة أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان وقاتله، فانهزم منه محمود، خطب لسنجر ببغداد في سادس عشرى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقطعت خطبة محمود، ثم اصطلحا وجعل سنجر ابن أخيه محمودا ولى العهد بعده، وكتب إلى جميع الأعمال التى بيده بأن يخطب للسطان محمود بعده، وأعاد جميع ما أخذ من البلاد، فخطب لهما ببغداد وغيرها. وعاد سنجر إلى ولايته، واستمر محمود في السلطنة، فتنكر الحال بينه وبين الخليفة المسترشد با لله واقتتلا، ثم اصطلحا في عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وسار محمود عن بغداد، وولى عماد الدين زنكى بن آقسنقر شِحْنَكِيتها، ثم نقله إلى الموصل، وأضاف إليه الجزيرة، فاشتدت وطأته بها حتى ملك حلب أول المحرم سنة اثنتين وعشرين، ثم ملك حماة وعدة حصون بالشام. ومات السلطان محمود في شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة بهمذان عن سبع وعشرين سنة، منها ولايته السلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما، فأقعد بعده في

---

(١) محمود بن محمد بن ملكشاه اللجوتى، أبو القاسم، الملقب بمغيث الدنيا والدين، يمين أمير المؤمنين: من سلاطين السلاجقة. خلف أباه في السلطنة بالرى وهو في سن الحلم (سنة ٥١١هـ) وكانت أواخر أيام المستظهر با لله العباس. وتولى المسترشد با لله، فجدد له التقليد بالسلطنة، وانتهز وزراؤه فرصة صغر سنه فتصرفوا في الأمور وأساءوا الساسية وأتوا بمفاسد، وأوقعوا بينه وبين عمه السلطان سنجر (صاحب خراسان) فزحف عليه هذا، فخضع. وكان ينتقل في الإقامة بين الرى وبغداد. وعاجلته الوفاة وهو شاب. مات بهمذان، وعمره نحو ٢٧ سنة. قال عماد الدين الأصفهانى: كان قوى المعرفة بالعربية، حافظا للأشعار والأمثال، عارفا بالتواريخ والسير. وقال ابن قاضى شهبة: خطب له على منابر بغداد وغيرها وهو أمرد. ومدحه الشاعر «حيص بيص» بقصيدة دالية. انظر الأعلام لابن قاضى شهبة -خ. وأخبار الدولة السلجوقية: انظر فهرسته وتاريخ دولة آل سلجوق ١٠٩ - ١٤٢ والكامل لابن الأثير ١٨٤/١٠ و١٨٧ و١٩٣ و١٩٩ و٢٢٦ و٢٣٣ وابن خلكان ٨٧/٢ وزبدة النصرة: انظر فهرسته، انظر الأعلام ١٨١/٧.

السلطنة ابنه داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فنازعه عمه السلطان مسعود، وقاتله ثم اصطلحا، وطلب مسعود من الخليفة المسترشد أن يخطب له ببغداد، فأجاب بأن الحكم فى الخطبة ينبغى أن تكون له وحده، فوافق ذلك غرض سنجر، فاشتد ذلك على مسعود، وعزم على أخذ السلطنة، فسبقه أخوه السلطان سلجوق شاه بن السلطان محمد إلى بغداد، وكانت أمور آلت إلى أن يكون مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه سلطانا، وسلجوق شاه ولى عهده، وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه. وكان عماد الدين زنكى قد قدم نصرة لمسعود، فهزمه أصحاب سلجوق شاه هزيمة قبيحة، فلما وصل تكريت أقام [(١)] له نجم الدين أيوب بن شادى الدزدار [(٢)] بها المعابر حتى خلص إلى بلاده، فشكر ذلك لنجم الدين وقربه، فكان ذلك سببا لاتصال نجم الدين به والمصير فى جملته، حتى آل بهم الأمر إلى ملك مصر والشام وغيرهما. واقتتل مسعود وسنجر، فانهزم مسعود وقتل أصحابه، ثم أحضر إلى سنجر فعاتبه، وأعاده إلى كنجة[(٣)] وأجلس ابن أخيه الملك طغرل بن السلطان محمد فى السلطنة، وخطب له فى جميع البلاد، وذلك فى ثامن رجب سنة وعشرين فلما كان فى رمضان اقتتل الملك طغرل بن محمد هو وابن أخيه الملك داود بن محمود، فانهزم داود، فلما سمع ذلك السلطان مسعود بن محمد سار

---

(١) تَكْرِيت: بفتح التاء والعامة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهى إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا، وهى قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهى غربى دجلة، وكان أول من بنى هذه القلعة سابورين بن أردشير بن بابك لما نزل المد، وهو بلد قديم مقابل تكريت فى البداية،.. وقيل: سميت بتكريت بنت وائل،... وافتتحها المسلمون فى أيام عمر ابن الخطاب فى سنة ١٦هـ، وأرسل إليها سعد ابن أبى وقاص جيشًا عليه عبد الله بن المعتصم فحاربهم حتى فتحها عنوة، وقال فى ذلك:

ونحن قتلنا يوم تكريت جمعها فالله جمع يوم ذاك تتابعوا

انظر معجم البلدان ٢/٣٨،٣٩

(٢) أيوب بن شاذى (... ٦٥٨ هـ = ... ١١٧٣ م). أيوب بن شاذى بن مروان، أبو الشكر، الملك الأفضل نجم الدين: والد صلاح الدين الأيوبى، وإليه نسبة الأيوبيين كافة. أصله من دوين وولى أبوه قلعة تكريت، فكان أيوب معه فيها إلى أن مات وولى مكانه، ثم عزل عنها فرحل إلى الموصل، فأقام مدة وولى قلعة بعلبك، ثم انتقل إلى دمشق فأقام فى خدمته نور الدين محمود بن زنكى مات ودفن فى القاهرة ثم نقل إلى المدينة المنورة. انظر وفيات الأعيان ١/٨٤، خطط مبارك ٦/٤٧، كتاب الروضتين ١/٢٠٩، مرآة الزمان ٨/٢٩٥، الأعلام ٢/٣٨.

(٣) كَنْجَةُ: بالفتح ثم السكون، وجيم: مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد أران، وأهل الأدب يسمونها جنزة، بالجيم والنون والزاى، وكنجة: من نواحى لُرستان بين خوزستان وأصبهان. انظر معجم البلدان ٤/٤٨٢.

إلى بغداد، فلقيه داود ودخل معه إليها، فى صفر سنة سبع وعشرين، وأعيدت له الخطبة بها ولداود معه، وخلع عليهما الخليفة. ثم سارا لمحاربة طغرل، فحارباه وهزماه فى شعبان، فامتدت الحرب بينهم إلى شوال. ثم عاد طغرل بن محمد، وأجلى أخاه مسعودا عن بلاده فى رمضان سنة ثمان وعشرين، فقدم بمسعود بغداد فى نصف شوال، فأكرمه الخليفة المسترشد وأنزله وأنعم عليه. ثم قدم الخبر بوفاة طغرل بن محمد، فى المحرم سنة تسع وعشرين، فسار مسعود إلى همذان واستولى عليها، وكان قبل ذلك قد نافر الخليفة، فقطع المسترشد خطبته من بغداد وسار لقتاله، فبرز إليه مسعود وقاتله فى عاشر رمضان وأخذه أسيرا، وبعث إلى بغداد فقبض على أملاك الخليفة، وكسر منبره وشباكه. ثم قتل الخليفة بيد الباطنية، وأقيم بعده الراشد خليفة، فسار الملك داود بن السلطان محمود فى عسكر أذربيجان إلى بغداد، فقدمها رابع صفر سنة ثلاثين وخمسمائة، وأقام برنقش على شحنكيتها. وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود، فسار مسعود إلى بغداد وحصرها نيفا وخمسين يوما، فكانت أمور آلت إلى عود الملك داود إلى بلاده فى ذى القعدة، وإلى تفرق الأمراء الذين كانوا معه، وسار الخليفة الراشد من بغداد إلى الموصل فى نفر يسير مع عماد الدين زنكى فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكى بغداد سار إليها ودخلها فى نصف ذى القعدة، وخلع الراشد وأقام المقتفى لأمر الله أبا عبد الله محمد بن المستظهر فى الخلافة، وزوجه أخته فاطمة على مائة ألف دينار صداقا. فسار الراشد بالله من الموصل[١] إلى مراغة[٢] فأتاه الملك داود فى جماعة ليرده

---

(١) المَوْصِلُ: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرًا وعظمًا خلق وسعة رقعة فهى محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيرًا ما سمعتُ أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها، قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل: بل الملك الذى أحدثها كان يسمى الموصل، وهى مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى، وفى وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبى. انظر معجم البلدان ٢٢٣/٥وما بعدها.

(٢) مَرَاغَةُ: بالفتح، والغين المعجمة، بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، طولها ثلاث وسبعون درجة وثلث، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلث، قالوا: وكانت المراغة تدعى أفرازمروذ فعسكر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو والى إرمينية وأذربيجان منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرجين كثير فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون بنوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة، فحذف الناس القرية وقالوا مراغة. انظر معجم البلدان ٩٣/٥وما بعدها.

إلى الخلافة، فسار السلطان مسعود من بغداد فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين، وحاربهم وهزمهم، فحمل عليه بعض من انحاز منهم إلى تل فلم يثبت لهم وانهزم، ومازال حتى صار إلى أذربيجان، وقصد داود همذان ومعه الراشد، وسار سلجوق شاه بن محمد إلى بغداد ليملكها فمنع منها، وسار مسعود ليمنع داود من أخذ الراشد ومسيره به إلى العراق، فترك داود الراشد، وعاد إلى فارس، فقتل الراشد بيد الباطنية أيضا. وضاقت الأمور على السلطان مسعود، وكثرت الخوارج عليه وسار عماد الدين زنكى إلى دمشق، وحصرها مرتين وملك بعلبك، [١] وحارب السلطان سنجر بن ملكشاه خوارزم شاه أتسز بن قطب الدين محمد بن أنوشتكين، فقتل ابن خوارزم شاه، فبعث خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر فأطمعهم فى البلاد وتزوج منهم، فساروا فى ثلاثمائة ألف فارس، فحاربهم سنجر، فقتلوا منه نحو مائة ألف، وهزموه فى صفر سنة ست وثلاثين، فأخذ خوارزم شاه مدينة مرو[٢]. فسار السلطان مسعود إلى الرى، وقد استقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر، وأخذ خوارزم شاه نيسابور [٣] أيضا، وقطع خطبة السلطان سنجر أول ذى القعدة، وخطب باسمه، وعاث أصحابه فى خراسان وعملوا أعمالا قبيحة. ثم آل أمر أتسز خوارزم شاه إلى مصالحة السلطان سنجر، فى سنة ثمان وثلاثين، وأقام بخوارزم على ما كان عليه، وأقام سنجر بمرو.

---

(١) بَعْلَبَكُّ: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها فى الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل: اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل... وهو اسم مركب من بَعْل اسم صنم بك أصله من بَكَّ عُنُقَه أى دقها وتباك القوم أى ازدحموا فأما أن يكون نسب الصنم إلى بك وهو اسم رجل أو جعلوه يك الأعناق هذا إن كان عربيًا وإن كان عجميًا فلا اشتقاق. انظر معجم البلدان (بعلبك).

(٢) مَرْوُ الشاهجان: هذه مرو العظمى أشهر مَدُن خراسان وقصبتها، نص عليها الحاكم أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور... وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا واثنان وعشرون منزلاً. انظر معجم البلدان ١١٢/٥وما بعدها.

(٣) نَيْسَابور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نَشَاوُور: وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها... وأكثر شرب أهل نيسابور من قنى تجرى بالأرض ينزل إليها فى سراديب مُهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض ينزل إليها فى الحلاوة، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات، وبها يابس ليس فى الدنيا مثله تكون الواحدة منه منا وأكثر... وكان المسلمون قد فتحوها فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه، والأمير عبد الله بن عامر بن كريز فى سنة ٣١ هـ عقد صلحا وبنى بها جامعًا، وقيل: إنما فتحت فى أيام عمر، رضى الله عنه، على يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت فى أيام عثمان فأرسل إليها عبد الله بن مرفقتها ثانية. انظر معجم البلدان ٣٣١/٥.

ومات أتابك عماد الدين زنكى آقسنقر صاحب الموصل والشام، قتله بعض مماليكه فى خامس ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فسار ابنه نور الدين محمود بن زنكى[1] إلى حلب فملكها، وملك سيف الدين غازى بن زنكى الموصل. ومات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان، أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وماتت معه سعادة بنى سلجوق، فلم يقم بعده لهم راية يعتد بها.

فقام بعده ملكشاه بن السلطان محمود، وخطب له، فلما بلغ الخليفة المقتفى لأمر الله موت السلطان مسعود أحاط بداره ودور أصحابه، وأخذ كل ما لهم، وجمع الرجال والعساكر وأكثر من الأجناد، وجهز إلى الحلة[2] والكوفة وواسط العساكر فأخذوها. ثم إن الأمير خاص بك قبض على ملكشاه وبعثه إلى خوزستان[3] واستدعى أخاه محمد بن محمود من خوزستان، وأجلسه على تخت السلطنة، فى أوائل صفر سنة ثمان وأربعين، فقتل محمد خاص بك ثانى يوم قدومه. وملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق فى صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واستولى شملة التركمانى على خوزستان فى سنة خمسين وخمسمائة، وأزاح عنها ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد.

---

(١) العادل نور الدين (٥١١ - ٥٦٩ هـ = ١١١٨ - ١١٧٤ م). محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن آقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. كان من المماليك جده من موالى السلجوقيين. ولد فى حلب، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١ هـ). انظر الروضتين ١/٢٢٧ - ٢٢٩، ابن الأثير ١٥١/١١، ابن خلدون ٢٥٣/٥، ابن الوردى ٨٣/٢، ابن خلكان ٨٧/٢، مرآة الزمان ٣٥/٨، مفرج الكروب ١٠٩/١، الدارس ٩٩/١، ٣٣١، ٣٥٦١، ٢٤٧، ٦٠٧ - ٦١٥ منتخبات من كتاب التاريخ ٢٦٨، النجوم الزاهرة ٧١/٦، أمراء دمشق ١٤٧ الأعلام ٧/١٧٠.

(٢) الحِلّة: بالكسر ثم التشديد، وهو فى اللغة القوم النزول وفيهم كثرة والحِلّة: علم لعدة مواضع، وأشهرها حِلة بنى مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسدس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة... والحلة أيضا: حلة بنى قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة. والحلة أيضا: حلة بنى دبيس بن عفيف الأسدى قرب الحويذة من ميسان واسط والبصرة، والأهواز فى موضع آخر. انظر معجم البلدان ٢٩٤/٢، ٢٩٥.

(٣) خوزِسْتانُ: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة زاى، وسين مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون: وهو اسم لجميع الخوز... واستان كالنسبة فى كلام الفرس... قال أبو زيد: وليس بخورستان جبال ولا رمال إلا شىء يسير وأما أرض خوزستان فأشبه بأرض العراق وهوائها وصحتها، فإن مياهها طيبة جارية ولا أعرف بجميع خوزستان بلدًا ماؤهم من الآبار لكثرة المياه الجارية بها، وأما تربتها فإن ما بَعُدَ عن دجلة إلى ناحية الشمال أيبس وأصح، وما كان قريبا من دجلة فهو من جنس أرض البصرة فى السبخ وكذلك فى الصحة. انظر معجم البلدان ٤٠٤/٢ وما بعدها.

وضعفت يد السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، حتى لم يبق له إلا اسم السلطنة، وأخذ الغز نيسابور بالسيف، ففر منهم سنجر فى رمضان سنة إحدى وخمسين إلى ترمذ [١] ثم إلى جيحون يريد خراسان، ثم عاد إلى دار ملكه بمرو. وسار السلطان محمد شاه بن محمود من همذان، وحصر بغداد فى ذى الحجة منها، لامتناع الخليفة من الخطبة له، إلى أن عاد إلى همذان فى أخريات ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين، ولم ينل طائلا من بغداد. ومات السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان فى ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين، وقد خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة. واستخلف بعده على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخته. ومات السلطان محمد شاه ابن محمود بن محمد فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين بهمذان، عن اثنتين وثلاثين سنة، وترك ولدا صغيرا، فاختلف الأمراء بعده، فمنهم من أراد أن يملك ملكشاه بن محمود، ومنهم من طلب سليمان شاه بن محمد وطلب قوم أرسلان شاه بن طغرل.

فسار ملكشاه من خوزستان إلى أصفهان وملكها، فخالف عليه أهل همذان وطلبوا سليمان شاه، فسار من الموصل أول سنة خمس وخمسين يريد همذان، فقبض عليه بها فى شوال سنة ست وخمسين، وخطب لأرسلان شاه بن الملك طغرل بن محمد. ومات ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصبهان فى أثناء السنة، وخطب بعده لأرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن جغرى بك داود بن ميخائيل بن سلجوق بهمذان وأعمالها. وطلب أرسلان شاه من الخليفة المستنجد بالله أن يخط له ببغداد، كما كانت العادة فى أيام السلطان مسعود، فأهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة، فكثر الخلاف والقتال بين عساكر السلجوقية، فمات أرسلان فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وأقيم من بعده ابنه طغرل بن أرسلان آخر السلاطين السلجوقية، وكان تحت أمر قزل أرسلان إيلدكز، ثم استبد بسلطنته، وفارق قزل أرسلان، فأقام عوضه معز الدين سنجر بن سليمان بن محمد بن ملكشاه، وطرده ثم ظفر به وسجنه، ثم خلص وقتل فى محاربة خوارزم شاه قريبا من الرى، فى رابع عشرى

---

(١) تَرْمِذ: قال أبو سعد: الناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذى كنا نعرفه قديما بكسر التاء والميم جميعًا، والذى يقوله المتأنقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه. وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى، متصلة العمل بالطغانيان، يحيد بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب من الصغانيان لأن جيحون يستقل من شراب قواصم. انظر معجم البلدان ٢/٢٦ وما بعدها.

ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، وحمل رأسه إلى بغداد فكان آخر السلجوقية، وملك بعده خوارزم شاه. فكانت مدتهم، من سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إلى سنة تسعين وخمسمائة، مائة وثمانية وخمسين سنة. وكان أسد الدين شيركوه بن شادى قد تقدم عند نور الدين محمود بن زنكى، وبعثه أمير الحاج من دمشق، ثم سيره مع شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد الفاطمى على عسكر من الغز إلى مصر.

وكان شيركوه هذا وأخوه نجم الدين من بلد دَوِين[1] أحد بلاد أذربيجان، وأصلهما من الأكراد، فخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد، فجعل أيوب مستحفظا لقلعة تكريت، فسار إليها ومعه أخوه شيركوه، وهو أصغر منه سنا، فخدم الشهيد زنكى لما انهزم، فشكر له ذلك. ثم إن شيركوه قتل رجلا بتكريت، فطرد هو وأخوه من القلعة، فسارا إلى زنكى فأحسن إليهما، وأقطعهما إقطاعا حسنا، ثم جعل أيوب مستحفظا لقلعة بعلبك، ثم ترقى وصار من أمراء دمشق. واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكى، وخدمه فى أيام أبيه، فلما ملك حلب بعد أبيه، كان لنجم الدين أيوب عمل كبير فى أخذه دمشق، فزادت مكانتهما عنده، ولم ير أحدا يليق به أن يسير مع شاور إلى مصر سوى شيركوه، فبعثه إليها ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف، فكان من أمره ما ذكر فى أخبار العاضد، فلما مات شيركوه قام من بعده صلاح الدين يوسف، كما سنقف عليه فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

* * *

السلطان الملك الناصر صلاح الدين

يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان بن أبى على بن عنترة الحسن بن على بن أحمد ابن أبى على بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة ابن عوف. ومن هنا اختلف النسابون: فقيل عوف بن أسامة بن نبهش بن الحارثة صاحب الحمالة بن عوف بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويقال إن على بن أحمد يعرف بالخراسانى، مدحه المتنبى بقصيد منها:

شرق الجو بالغبار إذا ... سار على بن أحمد القمقام

وقيل إن مروان من أولاد بنى أمية، زعم ذلك إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، وأنكر

---

(١) دَوِينُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناه من تحت ساكنة، وآخره نون: بلدة من نواحى أران فى آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنى أيوب. انظر معجم البلدان ٢/٤٩١.

ذلك عمه العادل أبو بكر. وذكر ابن القادسى أن شادى كان مملوكا لبهروز الخادم.والحق أنه من الأكراد الروادية أحد بطون الهذبانية، من بلد دوين فى آخر أذربيجان من جهة أران[١] وبلاد الكرج. وكان له ابنان، أكبرهما أيوب ثم شيركوه، قدم بهما العراق فخدما عند بهروز، فجعل أيوب على قلعة تكريت وكانت فى إقطاعه، وقيل جعله بعد أبيه شادى، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكى لما انهزم إليها، ثم قتل شيركوه رجلا فأخرجه بهروز من تكريت هو وأخاه أيوب، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة. فلحقا بزنكى، واتصل أيوب بولده غازى بن زنكى، وخدم شيركوه محمود بن زنكى.فأقام عماد الدين غازى أيوب بن شادى على قلعة بعلبك، وما زال يترقى حتى صار من أمراء دمشق.

ولد صلاح الدين يوسف بقلعة تكريت فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها، ثم انتقل بابنه يوسف إلى الموصل، وصار منها إلى الشام، فأعطى بعلبك، فأقام بها مدة. ونشأ يوسف وعليه لوائح السعادة، وجالس مشايخ أهل العلم، فجمع له الشيخ الإمام قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى عقيدة تحوى جميع ما يحتاج إليه، فمن شدة حرصه عليها كان يعلمها صغار أولاده ويأخذها عليهم. وكان يواظب الصلاة مع الجماعة، حتى قال يوما: «لى سنين ما صليت إلا فى جماعة». وكان إذا مرض استدعى الإمام وحده، وصلى خلفه.وصار فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقدمها.ثم عاد إلى الشام، وقدمها ثانيا مع عمه، وحضر وقعة البابين، وحصره الفرنجة بالإسكندرية. ثم خرج مع عمه إلى الشام، وسار معه فى الكرة الثالثة على كره منه فى المسير إلى مصر، فقدمها فى سنة أربع وستين. ولما تقاعد شاور عن إجابة شيركوه، وإعطائه ما تقدم به الوعد لنور الدين وللعسكر، تشاوروا على الإحاطة به والقبض عليه، فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين، فإنه لما قدم عليهم شاور على عادته فى كل يوم، وساروا معه لقصد أسد الدين، سار صلاح الدين إلى جانبه وأخذ بتلابيبه، وأمر العسكر بأخذ أصحابه، ففروا عن شاور، ونهب الغز ما كان معهم، وسيق شاور إلى المخيم وقتل. فاستقر أسد الدين شيركوه بعده فى وزارة

---

(١) أرّان: بالفتح وتشديد الراء وألف ونون: اسم أعجمى لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها جنزة، وهى التى تسميها العامة كنجة، وبرذعة، وشمكور، وبيلقان. وبين أذربيجان وأرّان نهر يقال له الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من أرّان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان، قال نصر: أران من أصقاع إرمينية، يذكر مع سيسجان، وهو أيضا اسم لحَرّان، البلد المشهور بين ديار مضر. انظر معجم البلدان ١/١٣٦.

العاضد إلى أن مات، فى ثانى عشرى جمادى الآخرة من سنة أربع وستين. ففوض العاضد وزراته إلى صلاح الدين، ونعته بالملك الناصر، فمشَّى الأحوال، وبذل الأموال، واستعبد الرجال، وتاب عن الخمر فترك معاقرته، وأعرض عن اللهو ودبر الأمر فى نوبة نزول الفرنج على دمياط[١] أحسن تدبير، حتى رحلوا عنها خائبين، فنهبت آلاتهم، وأحرقت مجانيقهم، وقتل منهم خلق كثير، وتمكن صلاح الدين فى مصر، فقدم عليه أبوه نجم الدين أيوب وأخوته وأهله ثم إنه دأب فى إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها، فأعانه الله على ذلك، ومات العاضد وقد قطع صلاح الدين خطبته، وأمر الخطباء بالدعاء للمستضىء بنور الله العباسى فاستولى على القصر وما يحويه من عاشر المحرم سنة سبع وستين. وأخذ يتأهب لغزو الفرنجة، وقد انفرد بسلطنة ديار مصر. وكتب العماد الأصفهانى بشارة تقرأ فى سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر، وبشارة ثانية تقرأ بحضرة الخليفة المستضىء بنور الله فى بغداد، على يد القاضى شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عصرون، فسار القاضى ولم يترك مدينة ولا قرية إلا وقرأ فيها المنشور، حتى وصل بغداد، فخرج الناس إلى لقائه، ودخل يوم السبت ثانى عشريه، فعلقت أسواق بغداد بالزينة، وخلع عليه.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: أخرج الكامل شجاع بن شاور، من المكان الذى قتل فيه بالقصر ودفن فيه، فوجدت الجثة مختلطة بجثتى عمه وأخيه، فجمعوا فى تابوت حمل إلى قبر شاور، فنبش عنه وأخرج منه، وكان فى مكان غامض، وحمل فى تابوت وساروا بالتابوتين إلى تربة طى بن شاور فدفنوا بها.

وفى تاسع عشره: رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة، ونزل البئر البيضاء يريد بلاد الشام، فوصل إلى الشوبك[٢] فواقع الفرنج، وعاد على أيلة[٣] وهلك منه نحو الخمسة الآلاف رأس، ما بين جمل وفرس، فى هذه السفرة.

---

(١) دِمْيَاط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوص بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهى ثغر من ثغور الإسلام. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢ وما بعدها.

(٢) الشَّوْبَكُ: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة، وآخره كاف، إن كان عربيا فهو مرتجل، قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر معجم البلدان٣/ ٣٧٠.

(٣) أَيْلَة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القُلْزم مما يلى الشام، وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرعٌ يسيرٌ، وهى مدينة لليهود الذين حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير، وبها فى يد اليهود عهد لرسول الله - صلى الله عليه وسلام - وقال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر معجم البلدان ٢٩٢/١ وما بعدها.

وفيها فرقت الزكوات فى ثالث ربيع الأول على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل والغارمين، ورفع إلى بيت المال سهم العاملين والمؤلفة وفى سبيل ا لله وفى الرقاب. وأخذت الزكاة من البضائع، وعلى ما اقتدر عليه من المواشى والنخل والخضراوات، وقررت السكة باسم المستضىء بأمرا لله، وباسم الملك العادل نور الدين، فنقش اسم كل منهما فى وجه، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر. وفيه قلعت المناطق الفضة التى كانت بمحاريب جوامع القاهرة التى فيها أسماء الخلفاء الفاطميين، وكان وزنها خمسة آلالف درهم فضة نقرة.

وفيه أنزل الغز بالقصر الغربى، وأخرج من كان ساكنا فيه، وورد الخبر بأن الخمور - بعد تعطيلها، وغلق حاناتها وقطع ذكرها، بالإسكندرية - أعيدت ببذل مال لديوان نجم الدين أيوب، ففتحت مواضعها وظهرت مناكرها.

وفى جمادى الآخرة: قُرِّر دينار الأسطول بنصف وربع دينار، بعد أن كان بنصف وثمن دينار.

وفى سابعه: ولد عثمان الملك العزيز.

وفى ثالث عشريه: كشف حاصل القصر بالخزائن الخاصة، فوجد فيها مائة صندوق كسوة فاخرة، ما بين موشح ومرصع، وعقود ثمينة، وذخائر فخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر عظيمة. وكان الذى تولى كشفها بهاء الدين قراقوش.

وفيها كثرت عادية الفار فى أكل ثمار النخل والأقصاب والأشجار، وانتهى الحال إلى أن اعتصر من مائة فدان مزروعة قصبا ستون أبلوجا. ومع هذا بالأسعار رخيصة، والغلة كل ثلاثة أرادب من القمح بدينار، والشعير كل ثمانية أرادب بدينار، والفول كل أربعة عشر أردبا بدينار، والسكر كل قنطار بثلاثة دنانير .

وفى تاسع رجب: وصلت الخلع التى نفذت إلى نور الدين من الخليفة ببغداد، وهى فرجيَّة سوداء وطوق من ذهب، فلبسها نور الدين، وسيرها إلى الملك الناصر ليلبسها، وكانت نفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستصغرها دون قدره. فبات الواصل بالخلع برأس الطابية، فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة صدر الدين بن درباس والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخلعة، وهو من الأصحاب النجمية، وزينت البلد.

وفيه ضربت نوب الطبلخاناه بالباب الناصرى ثلاث مرات فى كل يوم، وضربت بدمشق خمس مرات كل يوم بالباب النورى.

وفى حادى عشره: ركب السلطان بالخلع، وشق بين القصرين والقاهرة، فلما بلغ باب زويلة[1] نزعها وأعادها إلى داره، وبرز للعب الكرة.

وفيها عمت بلوى الضائقة بأهل مصر، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا، وعدما فلم يوجدا، ولهج الناس بما عمهم من ذلك، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة الغيور له، وإن حصل فى يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له. ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفى به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر، ولا تشتمل على نيله الممالك، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة.

وفيها عرض السطان العربان الجذاميين، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار، وكُلِّف الثعالبة مثل ذلك فامتعضوا، ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج.

وفى ثانى عشرى رجب: أقيمت الخطبة فى صلاة الجمعة بمصر والقاهرة، وقد نصبت على المنابر الأعلام السود، ولبس الخطباء ثيابا سودا أرسل بها من بغداد. وجرس فى البلد بألا يتأخر أحد عن الجمعة وحضورها، والفريضة وأدائها، ومن عثر عليه عومل بالحبس والتقييد واللوم والتفنيذ، فحضر من لا يريد الحضور.

وفى ثالث عشريه: خلع على الوفد الشامى خلع مذهبات من بقايا ما أخذ من القصر، وأقيمت ضيافاتهم وأدرت أنزلاتهم.

وفى شعبان: وقع برد فى الدقهلية والمرتاحية كأنه الأحجار المدورة، فاستهلك الغلات، وأصاب منها واحد رأس ثور فمات من ساعته. وبلغ وزنها ما بين رطل كل بردة إلى رطلين.

---

(١) باب زويلة: كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح، فلما قدم المعز إلى القاهرة دخل من أحدهما، وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه اليوم عقد، ويعرف بباب القوس، فتيمن الناس به، وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه، وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة. قال المقريزى: وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم. فلما كانت سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير، الذى هو باق إلى الآن، ثم قال: وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة، ولا يرى مثل بدنيته اللتين عن جانبيه ومن تأمل الأسطر التى كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر، وتاريخ بنائها وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد لما بنى الجامع داخل باب زويلة، وعمل على البدنتين منارتين. انظر الخطط التوفيقية لمصر ٣/٢٠٢.

وفيه سارت الرسل من القاهرة إلى نور الدين بلبس الخلع، وبتقرير ما أمر به صلاح الدين من المال فى كل سنة.

وفيه أمر السلطان بصرف أهل الذمة والمنع من استخدامهم فى أمر سلطانى ولا شغل ديوانى، فصرف جماعة، ولم ينصرف واحد منهم من كتابة الغز، وأرجف بإخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم. فلما كان الخامس عشر منه صرفت جماعة من وجوه أهل الذمة من الأشغال السلطانية، وبقى بعضهم، وكتاب الغز على حالهم، وامتنعوا من صرفهم بأنهم قد دبروا أمرهم، ويخشون بإخراجهم ضياع أمورهم.

وفى حادى عشريه: خرج السلطان إلى الإسكندرية، وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة أمواله بحيث ضاق به التدبير، فقيل له إن فى بلاد برقة أموالا متسعة، وليس بها إلا عربان غير مانعة، فخرج لذلك. وعقد بالإسكندرية منشورا، حضره أبوه نجم الدين أيوب وشهاب الدين الحارمى وتقى الدين عمر بسبب المسير إلى بلاد الغرب، ومبادرة زرعها قبل حصاده. وكوتب من بمصر والقاهرة من الجند بالحضور، وتجهيز الأسواق من السقطين والبياطرة وغيرهم، وكوتب العربان بطلب الزكوات والإنكار عليهم فى قطع الطريق على الجلابين. واتضح أنه عدم فى هذه السنة مائة ألف رأس من الغنم. واستقر الرأى على أن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب يتوجه بعسكره ومعه خمسمائة فارس أخر، وتقررت حوالتهم فى النفقة عليهم على كورة البحيرة.

وفى ذى القعدة: كثرت المناسر، وهجموا على الدروب بالسلاح والشموع، وحاربوا الناس، وأخذوا المنازل، وأحرقوا الدور بمصر.

وفى ذى الحجة: وصل رسول متملك الحبشة بهدية وكتاب إلى الخليفة العاضد، فقرئ كتابه وأخذت هديته. ووصل عسكر ملك النوبة إلى القرى المتاخمة لثغر أسوان[(١)] وفيها ابتدأت الوحشة والنفرة بين الملك العادل نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف وذلك لأن نور الدين بعث إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية، والمسير بها إلى بلاد الفرنجة ومحاصرة الكرك، ليجتمع هو وإياه على ذلك. فبرز صلاح الدين وكتب إلى نور الدين بذلك، فخوفه أصحابه من الاجتماع

(١) أسوان: بالضم ثم السكون، وواو، وألف، ونون، ووجدته بخط أبى سعيد السكرى سُوَانُ بغير الهمزة، وهى مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه، وهى فى الإقليم الثانى، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. انظر معجم البلدان ١/١٩١ وما بعدها.

بنور الدين. وكان نور الدين قد جمع عساكره، وأقام ينتظر الخبر، فلما أتاه الخبر بأنه قد برز رحل عن دمشق، ونازل الكرك وهو ينتظر قدوم صلاح الدين، فأتاه كتابه يعتذر عن الوصول باختلال بلاد مصر والخوف عليها، ويعلمه أنه عاد إلى القاهرة، فعظم ذلك على نور الدين، وعزم على دخول مصر وقلع صلاح الدين منها. فبلغ ذلك صلاح الدين، فخاف وجمع أهله وخواصه واستشارهم، فقال تقى الدين عمر بن أخيه[1]: «إذا جاء قابلناه كلنا، وصددناه عن البلاد»، ووافقه جماعة من أهله على ذلك. فسبهم نجم الدين أيوب، وأنكر عليهم، وكان ذا رأى ومكر، وقال لابن ابنه تقى الدين: «اقعد»، وسبه. والتفت إلى ولده السلطان صلاح الدين وقال: «أنا أبوك، وهذا شهاب الدين الحارمى خالك! أتظن فى هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير أكثر منا؟» قال: «لا». فقال نجم الدين: «والله لو رأيت أنا وخالك هذا السلطان نور الدين لم يمكنا إلا أن نترجل له، ونقبل الأرض بين يديه، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا. فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر، ولو رأى السلطان نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات فى سرجه، وما يسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه، هذه البلاد له، وقد أقامك فيها نائبا عنه، فإن أراد عزلك فأى حاجة إلى المجيء؟ يأمرك بكتاب مع نجّاب حتى تقصد خدمته، ويولى البلاد من يريد». وقال للجماعة كلهم: «قوموا عنا، فنحن مماليك السلطان نور الدين وعبيده، يفعل بنا ما يريد». فتفرقوا على هذا، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بهذا الخبر. ثم إن نجم الدين خلا بابنه صلاح الدين وقال له: «أنت جاهل قليل المعرفة، تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما فى نفسك، فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد، جعلك أهم أموره وأولاها بالقصد، ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا لعسكر، وأسلموك إليه. وأما بعد هذا المجلس فإنهم سيكتبون إليه بقولى، فاكتب أنت إليه أيضا فى المعنى وقل له: أى حاجة إلى قصدى؟ نجاب يجيء فيأخذنى بحبل يضعه فى عنقى، فإنه إذا سمع هذا عدل عن قصدك، واشتغل بما هو أهم عنده، والأيام تندرج، والله عز وجل كل يوم هو فى شأن». ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه، فانخدع نور الدين وعدل عن قصده، واندرجت الأيام كما قال نجم الدين، ومات نور الدين.

---

(١) المظفر الأيوبى (٥٨٧ هـ = ١١٩١م). عمر بن شاهنشاه بن أيوب، تقى الدين، الملقب بالمظفر: أمير كان صاحب حماة، وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين. وكان شجاعًا مظفرًا، له مواقف مع الإفرنج. انظر وفيات الأعيان ٢٨٣/١، خطط مبارك ١٥/٦، ابن الوردى ١٠٣/٢، النعيمى ٢١٦/١، أبو الفداء ٨٠/٣، الأعلام ٤٧/٥

وفيها اتخذ نور الدين محمود بالشام الحمام الهوادى لنقل البطائق.

وفيها ولى أمير الينبع خطابة الجامع العتيق، بعد موت الشريف تاج الشرف حسن ابن أبى الفتوح ناصر فى المحرم.

* * *

سنة ثمان وستين وخمسمائة[1]

فيها خرج السلطان صلاح الدين بعساكره يريد بلاد الكرك والشوبك، فإنه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها من الفرنج، فأراد التوسيع فى الطريق وتسهيلها، وسار إليها وحاصرها، فلم ينل منها قصدا وعاد.

وفيها جهز صلاح الدين الهدية إلى السلطان نور الدين، وفيها من الأمتعة والآلات الفضية والذهبية والبلور واليشم أشياء يعز وجود مثلها، ومن الجواهر واللآلئ شيء عظيم القدر، ومن العين ستون ألف دينار، وكثير من الغرائب المستحسنة، وفيل وحمار عتابى، وثلاث قطع بلخش فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالا، وكان ذلك فى شوال .

وفيها خرج العبيد من بلاد النوبة لحصار أسوان، وبها كنز الدولة، فجهز السلطان الشجاع البعلبكى فى عسكر كبير فسار إلى أسوان، وقد رحل العبيد عنها، فتبعهم ومعه كنز الدولة، وواقعهم وقتل منهم كثيرا، وعاد إلى القاهرة.

وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تورانشاه بن أيوب[2] أخو السلطان صلاح الدين، إلى بلاد النوبة، وفتح قلعة إبريم وسبى وغنم، وعاد إلى أسوان، وأقطع إبريم رجلا يعرف بإبراهيم الكردى، فسار إليها فى عدة من الأكراد، وانبثوا يشنون الغارات على بلاد النوبة، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشى بعد فقر وجهد فوافى

---

(١)سنة ٥٦٨ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢١/٦، الكامل ٣٧/١١وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١١٦/٢، ١١٧

(١) تورانشاه بن أيوب بن شادى، شمس الدولة، فخر الدين: أمير، من الأيوبيين، وهو أخو السلطان صلاح الدين لأبيه، نشأ فى دمشق وسيره صلاح الدين إلى اليمن ومعه الأمراء «بنو رسول» سنة ٥٦٩ هـ. فأخضع عصاتها، وعاد منها، وصلاح الدين على حصار حلب، فوصل إلى دمشق (سنة ٥٧١ هـ) فاستخلفه صلاح الدين فيها، فأقام مدة وانتقل إلى مصر (سنة ٥٧٤ هـ) فمات فيها. وكان شجاعًا فيه كرم وحزم. وذكر سبط ابن الجوزى أنه كان أكبر من صلاح الدين ويرى نفسه أحق بالملك منه، وكانت تبدر منه كلمات فى حال سكره، ولذلك أبعده صلاح الدين إلى اليمن فسفك الدماء ولما عاد أعطاه بعلبك ثم أبعده إلى الإسكندرية فعكف بها على اللهو ولم يحضر حروب صلاح الدين، ومات بالإسكندرية، فأرسلت أخته «ست الشام» وكانت شقيقته، فحملته فى تابوت إلى دمشق فدفنته فى تربتها. انظر العقود اللؤلؤية ١: ٢٦ووفيات الأعيان ١: ٩٩وبلوغ المرام ٤١ وابن الأثير ١١: ١٤٨ ومرآة الزمان ٨: ٣٦٢.

كتاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو بقوص[(١)] مع هدية، فأكرم رسوله وخلع عليه، وأعطاه زوجين من نشاب، وقال له: «قل للملك مالك عندى جواب إلا هذا» وجهز معه رسولا ليكشف له خبر البلاد، فسار إلى دمقلة[(٢)] وعاد إليه، فقال: «وجدت بلادا ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم، ويخرج الملك وهو عريان على فرس عرى، وقد التف فى ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى، وأمر بى فكويت على يدى هيئة صليب، وأنعم على بنحو خمسين رطلا من دقيق وليس فى دمقلة عمارة سوى دار الملك، وباقيها أخصاص». وفيها عظم همُّ السلطان نور الدين بأمر مصر، وأخذه من استيلاء صلاح الدين عليها المقيم المقعد، وأكثر من مراسلته بحمل الأموال، ثم بعث بوزيره الصاحب موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير[(٣)] القيسرانى إلى مصر، لعمل حساب البلاد، وكشف أحوالها، وتقرير القطيعة على صلاح الدين فى كل سنة، واختيار طاعته، فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

---

(١) قوص: بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، وهى قبطية: وهى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وأهلها أرباب ثروة واسعة. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة قوص: أعلم أن قوص من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطئ النيل بنيت أيام شدات بن عديم: قال ابن وصيف شاه: وهو الذى بنى الأهرام الدهشورية وغيرها من البرابى. انظر نزهة الأمم ٢٢٥، وفى الروض المعطار مدينة كبيرة فى البلاد المصرية فى الجهة الشرقية من النيل، وهى كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج، وشرب أهلها من ماء النيل، وهى أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل، وبينها وبين أسوان غيران منحوتة فى جبال منها قبور الأموات لا يعلم لها عهد تستخرج منها المومياء الطبية، وهم يجدونها فى رممهم وبين أكفانهم. انظر الروض المعطار ٤٨٤، ٤٨٥، والإدريسى ٤٩، والاستبصار ٨٥.

(٢) دمقلة - وتكتب أيضًا دنقلة -: فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها، وبينها وبين مصر مسيرة أربعين يومًا، وتسير من دمقلة فى جبال وشعاب حتى تنتهى إلى صورا وهو آخر بلادهم. ولما افتتحت مصر أمر عمر رضى الله عنه أن تغزى النوبة فوجدهم المسلمون يرمون الحدق فذهبوا إلى المصالحة فأبى عمرو بن العاص رضى الله عنه من مصالحتهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد بن أبى السرح سنة إحدى وثلاثين فقاتلوه قتالاً شديدًا فأصيبت عين معاوية بن حديج رضى الله عنه وعيون جماعته، فحينئذ سموا رماة الحدق. انظر الروض المعطار ٢٣٦، ٢٣٧، ومعجم البلدان ٢/٤٧٠ الإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٥/٢٧٥، والبكرى ٥٩تورانشاه (شمس الدولة) - (الملك المعظم). (.. - ٥٧٦ هـ = .. ١١٨٠ م).

(٣) موفق الدين (... ٥٨٨ هـ - ١١٩٢م). خالد بن محمد بن نصر بن صقر القريشى المخزومى، أبو البقاء، موفق الدين، ابن القيسرانى: وزير من أعيان الكتاب، أصله من قيسارية الشام، ومولده بحلب. استوزره نور الدين الشهيد بدمشق ومات بها فى أيام صلاح الدين. انظر البداية والنهاية ١٤/٣١ الأعلام ٢/٢٩٨.

وفيها مات أيوب بن شادى بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل أبى سعيد الكردى، والد السلطان صلاح الدين يوسف وذلك أنه خرج من باب النصر[1] بالقاهرة، فألقاه الفرس إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى الحجة، فحمل إلى داره فى تاسع عشره وقيل لثلاث بقين منه، فقبر عند أخيه أسد الدين شيركوه، ثم نقلا إلى المدينة النبوية فى سنة ثمانين وخمسمائة.

* * *

(١) قال المقريزى: وكان أولا دون موضعه اليوم: قال: وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى، بحيث تكون الرجعة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة. فلما كان أيام المستنصر، وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا، وتقلد وزارته، وعمر سور القاهرة، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن، فصار قريبا من مصلى العيد. انظر خطط التوفيقية ١٩٥/٢.

سنة تسع وستين وخمسمائة[1]

فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد بن محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسرانى من عند السلطان الملك العادل نور الدين، مطالبا لصلاح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصَّل من الارتفاع.

فشق ذلك عليه وقال: «إلى هذا الحد وصلنا ؟» وأوقفه على ما تحصل له، وعرض عليه الأجناد، وعرفه مبالغ إقطاعاتهم وجامكياتهم[2]، ورواتب نفقاتهم، ثم قال: «وما يضبط هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة، وقد تصرفوا فى أماكن لا يمكن انتزاعها منهم، ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها»، وأخذ يجمع المال.

وفيها سار الأمير شمس الدولة تورانشاه، أخو السلطان صلاح الدين، إلى اليمن وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل إلى مصر وينتزعهم منها، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها. وكان اختيارهم قد وقع على النوبة[3]، فلما سار إليها لم تعجبه وعاد. وكان الفقيه عمارة اليمانى قد انقطع إلى الأمير شمس الدولة، ومدحه واختص به، وحدثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها، وهون أمرها عنده، وأغراه بأن يستبد بملك اليمن، وتعرض لذلك فى كلمته التى أولها:

العلْمُ مذ كان محتاج إلى العَلَمِ ... وشفرة السيف تستغنى عن القلم

ومنها:

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به ... إلى سواك وأور النار فى العلم

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته ... كما يقول الورى لحما على وضم

---

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٦٣ - ٦٧ الكامل ٣٩٦٦/١١ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١١٧: ١١٩

(٢) الجامكية: وتجمع على جوامك وجامكيات وهى الرواتب عامة، صبح الأعشى ٣/٤٥٧.

(٣) النوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة...

وهو فى عدة مواضع : النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر وهم نصارى أهل شدة فى العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجيئون إلى مصر فيباعون بها... ومدينة النوبة: اسمها دمقلة وهى منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة. انظر معجم البلدان ٥/٣٠٨: ٣٠٩.

وكان شمس الدولة مع ذلك جوادا كثير الإنفاق، فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر، وأحب الوسع، فأستأذن صلاح الدين فى المسير، فأذن له واستعد لذلك، وجمع وحشد، وسار مستهل رجب. فوصل إلى مكة فزار، ثم خرج منها يريد اليمن، وبها يومئذ أبو الحسن على بن مهدى[1] ويقال له عبد النبى. فاستولى على زبيد[2] فى سابع شوال، وقبض على عبد النبى، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن، وتلقب بالملك المعظم، وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضىء بأمر الله فى جميع ما فتحه، وبعث إلى القاهرة بذلك. فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستضىء ببغداد.

وفى سادس شعبان: قبض على أولاد العاضد وأقاربه، وأخرجوا من القصر إلى دار المظفر بحارة برجوان، فى العشر الأخير من رمضان .

وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكاتبوا الفرنج، منهم القاضى المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله ابن كامل القاضى، والشريف الجليس، ونجاح الحمامى، والفقيه عمارة بن على اليمانى، وعبد الصمد الكاتب، والقاضى الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ثم القضاء، وداعى الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى [3] والواعظ زين الدين بن نجا،

---

(١) على بن مهدى (.... - ٥٥٤ هـ= ... ١١٥٩٠م). على بن مهدى بن محمد الحميرى الرعينى: القائم فى اليمن. كان فى بداءة أمره من رجال الصلاح والإرشاد والوعظ من أهل قرية تدعى العنبرة من سواحل زبيد وكان يحج كل سنة ولقى بعض علماء العراق والشام والحجاز، فاستمال إليه القلوب واتبعه خلق، فكانت تأتيه الهدايا والصدقات فيردها، إلى أن كانت سنة ٥٤٥هـ. فبايعه بالإمامة عدد كبير من أهل اليمن. ورقى أمره، فارتفع إلى الجبال وسمى ومن ارتفع معه من المهاجرين وأخذ يغير على قرى تهامة، ويعود إلى بجال ، فملك كثيرا من التهائم... واستولى على زبيد قبل وفاته بشهرين، ورأيه رأى الخوارج. انظر بلوغ المرام ١٧، بهجة الزمن ٧١، تاريخ اليمن لعمارة ١٢٠، الأعلام ٥/٢٥.

(٢) زبيد: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ، المراد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف إلا به، وهى مدينة مشهورة باليمن أحدثت فى أيام المأمون.

(٣) ردا على الدعاة (... - ٥٦٩ هـ - ... - ١١٧٤م). عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، الملقب بداعى الدعاة، ويقال له الحاج بن عبد القوى من هايا أنصار الفاطميين بمصر، بعد ذهاب دولتهم. اتفق مع جماعة من الباطنية الإسماعيلية، وغيرهم، وبينهم عمارة اليمين، على اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبى، وعلم السلطان بخبرهم، فأحاط بهم، وشنقهم فى أماكن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار فى جملتهم. انظر النجوم الزاهرة ٦/٧٠. الأعلام ٣/٢٧٤

فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان، وسأله فى أن ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعى من الدور والموجود كله، فأجيب إلى ذلك، فأحيط بهم وشنقوا فى يوم السبت ثانى شهر رمضان بين القصرين، فشنق عمارة وصلب فيما بين بابى الذهب وباب البحر، وابن كامل فى رأس الخروقيين التى تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش، والعوريس على درب السلسلة، وعبد الصمد وابن سلامة وابن المظبى ومصطنع الدولة والحاج ابن عبد القوى بالقاهرة، وشنق ابن كامل القاضى بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال، وشنق أيضا شبرما وأصحابه وجماعة من الأجناد والعبيد والحاشية وبعض أمراء صلاح الدين. وقبض صلاح الدين سائر ما وجد عندهم من مال وعقار، ولم يمكن ورثتهم من شىء ألبتة، وتتبع من له هوى فى الدولة الفاطمية، فقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا، ونودى بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد.وقبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية، من دعاة الفاطميين، يوم الأحد خامس عشرى رمضان، وقبض على كثير من السودان، وكووا بالنار فى وجوههم وصدورهم.

وفيها جهز السلطان مع الوزير ابن القيسرانى ما تحصل عنده من المال، وأصحبه هدية لنور الدين، وهى خمس ختمات إحداها فى ثلاثين جزءا، مغشاة بأطلس أزرق ومضببة بصفائح ذهب، وعليها أقفال من ذهب مكتوبة بخط ذهب، وأخرى فى عشرة أجزاء مغشاة بديباج فستقى، وأخرى فى جلد بخط ابن البوّاب بقفل ذهب وثلاثة أحجار بلخش، منها حجر زنته اثنان وعشرون مثقالا، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا، وآخر عشرة مثاقيل ونصف وست قصبات زمرد إحداها وزنها ثلاثة مثاقيل، وحجر ياقوت أحمر، وزنه سبعة مثاقيل، وحجر ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا، وخمسون قارورة دهن بلسان، وعشرون قطعة بلور، وأربع عشرة قطعة جزع[1] ما بين زبادى وسكارج، وإبريق يشم وطشت يشم، وسقرق مينا مذهب، بعروة فيها حبتا لؤلؤ وفى الوسط فص ياقوت أزرق، وصحون وزبادى وسكارج من صينى عدتها أربعون قطعة، وعود قطعتين كبارا، وعنبر منه قطعة زنتها ثلاثون رطلا، وأخرى عشرون رطلا، ومائة ثوب أطلس، وأربعة وعشرون بقيارا مذهبا وأربعة وعشرون ثوبا وشيا حريرية بيضاء، وحلة خلفى مذهب، وحلة مرايش أصفر مذهب، وحلة مرايش أزرق بذهب، وحلة مرايش بقصب أحمر وأبيض، وحلة فستقى بقصب مذهبة، وقماش كثير، قدر قيمتها بمائتى ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار. وساروا بذلك، فبلغهم موت نور الدين، فأعيدت وهلك بعضها.

---

(١) الخرز اليمانى فيه سواد وبياض.

وفيها مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكى، فى يوم الأربعاء حادى عشر شوال، بعلة الخوانيق، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن. وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، فخطب له السلطان صلاح الدين بمصر، وضرب السكة باسمه وفيها نزل أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية، لأربع بقين من ذى الحجة بغتة، وكان الذى جهز هذا الأسطول غليالم بن غليالم بن رجار متملك صقلية[1]، وولى ملك صقلية بعد أبيه فى سنة ستين وخمسمائة وهو صغير، فكفلته أمه، وتولى التدبير خادم اسمه باتر مدة سنة، ثم فر إلى السيد أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد المغربية.

ثم استبد غليالم بتدبير ملكه، واحتفل فى سنة إحدى وسبعين بعمارة هذا الأسطول، فاجتمع له ما لم يجتمع لجده رجار، وحمل فى الطرائد ألف فارس. وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكيم موذقة، وقصد الإسكندرية، ومات غليالم فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. ولما أرسى هذا الأسطول على البر، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسمائة فرس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، وعدة طرائدهم ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل، ومائتى شينى فى كل شينى مائة وخمسون رجلا، وعدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن، والتى تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبا، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل. ونزلوا على البر مما يلى المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السمور، وقتل من المسلمين سبعة. وزحفت مراكب الفرنجة إلى الميناء، وكان بها مراكب المسلمين فغرقوا منها. وغلبوا على البر وخيموا بها فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها، وثلاثة مجانيق كبارا تضرب بحجارة سود عظيمة.

وكان السلطان على فاقوس[2] فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنجة، فشرع فى تجهيز العساكر، والقتال والرمى بالمجانيق مستمر. فوصلت العساكر، وفتحت الأبواب،

---

(١) صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام. من جزائر بحر المغرب مقابلة أفريقية، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. انظر معجم البلدان ٣/٤١٦.

(٢) فاقوس: بالقاف، وآخره سين مهملة: اسم مدينة فى حوض مصر الشرقى، من مصر إلى مشتول ثمانية عشر ميلا، ومن مشتول إلى سقط طرابية ثمانية عشر ميلا، وإلى مدينة فاقوس ثمانية عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٢.

وهاجم المسلمون الفرنجة، وحرقوا الدبابات، وأيدهم الله بنصره، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر، وهو الرابع من نزول الفرنجة. ثم حملوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام، فتسلموها بما فيها، وقتلوا من الرجالة عددا كثيرا ومن الفرسان. فاقتحم المسلمون البحر، وأخذوا عدة مراكب خسفوها فغرقت، وولت بقية المراكب منهزمة، وقتل كثير من الفرنجة، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يقدر على مثله إلا بعناء وأقلع باقى الفرنجة مستهل سنة سبعين.

وفيها، - أعنى سنة تسع وستين وخمسمائة - وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى، وثلث ناحية سندبيس من القليوبية، على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى، وضمن ذلك كتابا ثابتا تاريخه ثامن عشرى شهر ربيع الآخر منها، فاستمر ذلك إلى اليوم.

وكان قاع النيل ستة أذرع وعشرين أصبعا، وبلغ سبعة عشر ذراعا وعشرين أصبعا.

* * *

[سنة سبعين وخمسمائة][1]

وفيها جمع كنز الدولة والى أسوان العرب والسودان، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق فى جموعه أموالا جزيلة، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين. وخرج فى قرية طود[2] رجل يعرف بعباس بن شادى، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها. فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل فى جيش كثيف، ومعه الخطير مهذب بن مماتى، فسار وأوقع بشادى وبدد جموعه وقتله، ثم سار فلقيه كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة، بعدما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كنز الدولة فى سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة فى ثامن عشريه.

وفيها ورد الخبر على السلطان بسير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين[3] إلى حلب، ومصالحته للسلطان سيف الدين غازى[4] صاحب الموصل، فأهمه وخرج يريد المسير إلى الشام فنزل ببركة الجب أول صفر، وسار منها فى ثالث عشر ربيع الأول، على صدر وأيلة، فى سبعمائة فارس، واستخلف على ديار مصر أخاه الملك العادل. ونزل بصرى وخرج منها، فنزل الكسوة يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول، وخرج الناس إلى لقائه، فدخل إلى دمشق يوم الإثنين أول شهر ربيع الآخر، وملكها من غير مدافع.وأنفق فى الناس مالا جزيلا، وأمر فنودى بإطابة النفوس وإزالة

---

(١) ٥٧٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦٧ - ٦/٦٩، الكامل ١١/٤١٢ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ١١٩: ٢/١٢٣.

(٢) طود: بفتح أوله، وسكون ثانية ، والدال: بليدة بالصعيد الأعلى فوق قوص ودون أسوان، لها مناظر وبساتين.انظر معجم البلدان ٤/٤٧.

(٣) الملك الصالح (٥٥٨- ٥٧٧ هـ = ١١٦٣ - ١١٨١م). إسماعيل بن محمود بن زنكى: من ملوك بنى زنكى فى الشام والجزيرة. بويع له بدمشق بعد وفاة أبيه (سنة ٥٦٩ هـ) وهو ابن إحدى عشرة سنة. فقام بأمور دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم بن خلدون. مرآة الزمان ٨، ٣٦٦. الأعلام ١/٣٢٦.

(٤) غازى بن زنكى (٤٩٠ - ٥٤٤ هـ= ١٠٩٧ - ١١٤٩م). غازى بن زنكى بن آق سنقر، سيف الدين، أخو نور الدين الشهيد. أمير، كان صاحب الموصل. أقام فى الملك ثلاث سنين وشهورا. وهو أول من حمل النجق على رأسه من الأتابكية. انظر اللماعات البرقية ١٢، مفرج الكروب ١/١١٦، النجوم الزاهرة ٥/٢٨٦، مرآة الزمان ٨/٢٠٣. الأعلام ٥/١١٢.

المكوس، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبائح والمنكرات والضرائب، وأظهر أنه إنما جاء لتربية الصالح بن نور الدين، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته، وكاتب الأطراف بذلك. وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع، فأنزل بها أخاه ظهير الإسلام طغتكين ابن أيوب[١]، وبعث بالبشارة إلى القاهرة، وخرج مستهل جمادى الأولى، فنازل حمص حتى تسلمها فى حادى عشره، وامتنعت عليه قلعتها، فأقام على حصارها طائفة، وسار إلى حماة فنزل عليها فى ثالث عشريه، وبها عز الدين جرديك، فسلمها إليه.

وفى جمادى الأولى: ولى ابن عصرون القضاء بديار مصر.

وسار صلاح الدين إلى حلب، وبعث إلى الصالح إسماعيل فى الصلح مع جرديك، فأبى أصحابه ذلك، وقبضوا على جرديك وقيدوه، فبلغ ذلك صلاح الدين، وقد سار عن حماة[٢] يريد حلب، فعاد إليها .ثم سار منها إلى حلب، ونزل جبل جوش ثالث جمادى الآخرة، واستعد أهل حلب وخرجوا لقتاله، وقاتلوه قتالا شديدا إلى أول رجب. فرحل صلاح الدين يريد حمص، وقد بلغه مسير القومص ملك الفرنج بطرابلس، بمكاتبة أهل حلب، وأنه منازل لحمص. فلما قرب من حمص عاد القومص إلى بلاده، فنازل صلاح الدين قلعتها، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان، فى حادى عشرى شعبان، وسار إلى بعلبك، فحاصرها حتى تسلم قلعتها فى رابع رمضان، وعاد إلى حمص. وكانت بينه وبين أصحاب الصالح وقعة على قرون حماة، فى يوم الأحد تاسع عشره، انتصر فيها صلاح الدين، وهزمهم وغنم كل ما معهم، ولم يقتل فيها أكثر من سبع أنفس، وسار حتى نزل على حلب، وقطع الخطبة للصالح، وأزال اسمه عن السكة فى بلاده، فبعث أهل الصالح إليه يلتمسون منه الصلح، فأجاب إليه

---

(١) طغتكين (٥٩٣ هـ - ١١٩٧م). طغتكين، سيف الإسلام، بن أيوب بن شاذى: صاحب اليمن ، الملقب بالملك العزيز. كان شجاعا أديبا عاقلا بعثه أخوه الناصر صلاح الدين إلى اليمن، فدخل مكة ٥٧٩ هـ، ودخل وبيدا، فتعز وملك اليمن كله، طوعا وكرما. وكان فقيها . انظر العقود اللؤلؤية ٢٩/١، الوفيات ٢٣٧/١، العبر ٢٨١/٤. الأعلام ٢٢٧/٣.

(٢) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وفيه قيل:

ولما جرى العاصى وطيع أدمعى ... لدى الناس قال الناس أيهما النهر

وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وعليه نواعير كثيرة تخرج الماء إلى ما على جانبيه من غيطان المدينة، وبينها وبين كفرطاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء، وربضها كبير، والعاصى سمى بذلك لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقربة منها. انظر الروض المعطار ١٩٩، ومعجم البلدان ٣٠٠/٢، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، ولهم ما بأيديهم منها، واستزاد منهم المعرة وكفر طاب، وكتبت نسخة يمين وعليها خط صلاح الدين، بعدما حلف وعاد إلى حماة.

وكان صلاح الدين قد كتب إلى بغداد يعدد فتوحاته وجهاده للفرنج، وإعادته الخطبة العباسية بمصر، واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها، وأنه قدم إليه فى هذه السنة وفد سبعين راكبا، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا. وطلب صلاح الدين من الخليفة تقليد مصر واليمن والمغرب والشام، وكل ما يفتحه بسيفه. فوافته بحماة رسل الخليفة المستضىء بأمر الله، بالتشريف والأعلام السود، وتوقيع بسلطنة بلاد مصر والشام وغيرها. فسار ونزل على بعرين ويقال بارين، وحاصر حصنها حتى تسلمه فى العشرين منه، ورجع إلى حماة.

وفيها تقرر العماد الأصفهانى نائبا فى الكتابة عن القاضى الفاضل[١] بسعاية نجم الدين محمد بن مصال. وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها، فنزل مرج الصفر[٢] ووافته به رسل الفرنج فى طلب الهدنة، فأجابهم إليها بشروط اشترطها. وأذن للعساكر فى المسير إلى مصر لجدب الشام فساروا، ورجع هو إلى دمشق فى محرم سنة إحدى وسبعين، وفوض أمرها إلى ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

* * *

---

(١) القاضى الفضل (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ = ١١٣٥ - ١٢٠٠م). عبد الرحيم بن على بن السعيد اللخمى، المعروف بالقاضى الفاضل: وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفى فيها، كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، وكان سريع الخاطر فى الإنشاء، كثير الرسائل. انظر النجوم الزاهرة ١٥٦/٦، ابن خلكان ٢٨٤/١، خطط مبارك ٦: ١٢ كتاب الروضتين ٢٤١/٢، الكتبخانة ٢٩٠/٤، النعيمى ٩٠/١، النويرى ١/٨ - ٥١ ،السبكى ٢٥٣/٤ ، كشف الظنون ١٠١٦/٢. الأعلام ٣٤٦/٣.

(٢) مرج الصفر: بالضم، وتشديد الفاء: بدمشق .

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة [1]

وفيها سار شرف الدين قراقوش - أحد أصحاب تقى الدين عمر - إلى بلاد المغرب فى حادى عشر محرم فى جيش، فأخذ من صاحب أوجلة[2] عشرين ألف دينار فرقها فى أصحابه، وعشرة آلاف دينار لنفسه، وسار منها إلى غيرها، ثم بلغه موت صاحب أوجلة، فعاد إليها وحاصر أهلها، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة، وقتل من أهلها سبعمائة رجل، وغنم منها غنيمة عظيمة، وعاد إلى مصر.

وفيها تجهز الحلبيون لقتال صلاح الدين، فاستدعى عساكر مصر، فلما وافته بدمشق فى شعبان سار فى أول رمضان، فلقيهم فى عاشر شوال. وكانت بينهما وقعة تأخر فيها السلطان سيف الدين غازى صاحب الموصل، فظن الناس أنها هزيمة، فولت عساكرهم، وتبعهم صلاح الدين، فهلك منهم جماعة كثيرة، وملك خيمة غازى، وأسر عالما عظيما، واحتوى على أموال وذخائر وفرش وأطعمة وتحف تجل عن الوصف. وقدم عليه أخوه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من اليمن، فأعطاه سرادق السلطان غازى بما فيه من الفرش والآلات، وفرق الإسطبلات والخزائن على من معه، وخلع على الأسرى وأطلقهم. ولحق سيف الدين غازى بمن معه، فالتجأوا جميعا لحلب، ثم سار إلى الموصل وهو لا يصدق أنه ينجو، وظن أن صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل. ورحل صلاح الدين ونزل على حلب فى رابع عشر شوال، فأقام عليها إلى تاسع عشره، ورحل إلى بزاعة، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه. وسار إلى منبج، فنزل عليها يوم الخميس رابع عشريه، ولم يزل يحاصرها أياما حتى ملكها، وأخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار، ومن الفضة والآنية والأسلحة ما يناهز ألفى ألف دينار. ورحل إلى عزاز، وحاصرها من يوم السبت رابع ذى القعدة إلى حادى عشر ذى الحجة، فتسلمها وأقام فيها من يثق به، وعاد إلى حلب.

---

(١) سنة ٥٧١ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٣، ٦٩ - ٦/٧١، الكامل ١١/٤٢٧ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٢٣.

(٢) أوجلة: مدينة بينها وبين برقة فى البر عشر مراحل، وهى مدينة صغيرة متحضرة، وهى فى ناحية البرية يطيف بها نخل وغلات لأهلها، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان، والوارد عليها والصادر عنها قليل، وأرض أوجلة وبرقة واحدة، وشرب أهلها من المراحل. انظر الروض المعطار ٦٤، ومعجم البلدان، والإدريسى ٩٩/١٢٣).

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرة: وثب عدة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين، فظفر بهم بعدما جرحوا عدة من الأمراء والخواص. ثم سار إلى حلب فنزل عليها فى سادس عشره، وأقطع عسكره ضياعها، وأمر بجباية أموالها، وضيق على أهل حلب من غير قتال، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها.

* * *

[سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة][1]

فلما كان رابع المحرم سنة اثنتين وسبعين: ركب العسكران وكانت الحرب، فقتل جماعة من أصحاب صلاح الدين. ثم تقرر الصلح بينه وبين الملك الصالح، على أن يكون للصالح حلب وأعمالها. ورحل صلاح الدين فى عاشره، فنازل مصياب، وفيها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية، وإليه تنسب الطائفة السنانية، ونصب عليها المجانيق والعرادات من ثالث عشريه إلى أيام، ثم رحل ولم يقدر عليهم، وقد امتلأت أيدى أصحابه بما أخذوه من القرى. وفوض صلاح الدين قضاء دمشق لشرف الدين أبى سعد عبد الله بن أبى عصرون، عوضا عن كمال الدين الشهرزورى بعد وفاته.

وفيه أغار الفرنج على البقاع[2] فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم من بعلبك، فأوقع بهم وقتل منهم وأسر. وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقيهم بعين الحر، وأوقع بهم، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين، فوافاه فى الثانى من صفر. ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره، فأقام بها إلى رابع شهر ربيع الأول، وخرج منها إلى القاهرة، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب، فوصل إليها لأربع بقين منه.

وفيها أمر السلطان ببناء السور على القاهرة والقلعة ومصر، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل. فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، وشرع فى بناء القلعة، وحفر حول السور خندقا عميقا، وحفر واديه وضيق طريقه. وكان فى مكان القلعة عدة مساجد منها مسجد سعد الدولة، فدخلت فى جملة القلعة، وحفر فيها بئرا ينزل إليها بدرج منحوتة فى الحجر إلى الماء.

وفيها أمر السلطان ببناء المدرسة بجوار قبر الشافعى بالقرافة، وأن تعمل خزانة الأشربة التى كانت للقصر مارستانا للمرضى، فعمل ذلك. وسار السلطان إلى الإسكندرية فى ثانى عشرى شعبان، ومعه ابناه الأفضل على[3] والعزيز عثمان، فصام

---

(١)سنة ٥٧٢ هـ .انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٤، ٧١ - ٦/٧٤، الكامل ١١/٤٣٦ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٢٤.

(٢) أرض واسعة بين دمشق وبعلبك وحمص، فيها قرى كثيرة انظر معجم البلدان ٦٩٩/١.

(٣) الأفضل الأيوبى (٥٦٦ - ٦٢٢ هـ= ١١٧١ - ١٢٢٥ م). على (الملك الأفضل نور الدين) ابن يوسف (صلاح الدين) بن أيوب: صاحب الديار الشامية. استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه=

بها شهر رمضان، وسمع الحديث على الحافظ أبى الطاهر أحمد السلفى[١] وأمر بتعمير الأسطول بها، ووقف صادر الفرنج على الفقهاء بالإسكندرية.ثم عاد إلى القاهرة، فصام بها بقية رمضان.

وفيها عاد شرف الدين قراقوش غلام تقى الدين إلى بلاد المغرب، وعاد فأخذ جماعة من الجند، وخرج إلى المغرب، فأمر العادل الأمير خطلبا بن موسى والى القاهرة بالقبض عليه، فسار إلى الفيوم وأخذه محمولا إلى القاهرة.

وفيها أبطل السلطان المكس المأخوذ من الحجاج فى البحر إلى مكة على طريق عيذاب[٢] وهو سبعة دنانير مصرية ونصف على كل إنسان، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب أو بجدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج، وعذب بتعليقه بأنثييه، وعوض أمير مكة عن هذا المكس بألفى دينار، وألف أردب قمح، سوى إقطاعات بصعيد مصر وباليمن، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه إلى جدة.

* * *

=سنة ٥٨٩ هـ وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٣ هـ وأعطياه صرخد ثم دعى إلى مصر بعد وفاة صاحبها العزيز (أخيه) وولاية ابنه المنصور (محمد بن العزيز) وكان صغيرا، فتولى الأفضل شئون مصر سنة ٥٩٥ مساعدا للمنصور إلى أن أخرجه منها العادل وأعطاه سميساط. فأقام فيها إلى أن توفى. انظر بن الأثير ١٦٤/١٢، وفيات الأعيان ٣٧١/١، حلى القاهرة ١٩٩، الأعلام ٥/٣٣.

(١) السلفى (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ = ١٠٨٥ - ١١٨٠م).أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهانى، صدر الدين، أبو طاهر السلفى: حافظ مكثر، من أهل أصبهان. رحل فى طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالى كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الظافر العبيدى) مدرسة فى الإسكندرية ، سنة ٥٤٦ هـ، فأقام إلى أن توفى فيها له معجم مشيخة أصبهان ومعجم شيوخ بغداد - خ ومعجم أسفاره - خ نشرت منه نسخة كثيرة النقص باسم أخبار وتراجم أندلسية وله الفضائل الباهرة فى مصر والقاهرة - خ فى الخزانة الحميدية بالأستانة وللمعاصر محمد محمود زيتون، الإسكندرى الحافظ السلفى أشهر علماء الزمان .

(٢) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة، ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة وماسكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهى تقابل على الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. انظر الروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، ومعجم البلدان ١٧١/٤، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

[سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة][1]

وخرج السلطان من القاهر، لثلاث مضين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، لجهاد الفرنج. وسار إلى عسقلان[2] فسبى وغنم وقتل وأسر ومضى إلى الرملة، فاعترضه نهر تل الصافية فى يوم الجمعة ثانى جمادى الآخرة، فازدحم الناس بأثقالهم عليه وأشرف الفرنج عليهم، ومقدمهم البرنس أرناط صاحب الكرك فى جموع كثيرة، فانهزم المسلمون وثبت السلطان فى طائفة، فقاتل قتالا شديدا، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أثقال المسلمين، فمر بهم فى مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف، ومات منهم ومن دوابهم كثير، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى. ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة، لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج، وقطع أخباز جماعة من الأكراد، من أجل أنهم كانوا السبب فى هذه الكسرة.

وفيها نزل الفرنج على حماة، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة أشهر، ثم رحلوا إلى بلادهم.

وفيها أطلق شرف الدين قراقوش التقوى، وسار إلى أوجلة وغيرها من بلاد المغرب.

وخرج السطان فى سادس عشرى شعبان سنة ثلاث وسبعين من القاهرة يريد الشام، واستخلف بديار مصر أخاه العادل، فلم يزل مقيما على بركة الجب إلى أن صلى صلاة عيد الفطر. فبلغه نزول الفرنج على حماة، فأسرع فى المسير حتى دخل دمشق فى رابع عشرى شوال، فرحل الفرنج عن حماة. ووافته بدمشق رسل الخليفة بالتشريفات.

وفيها سار الفرنج إلى قلعة صدر، وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصدا، فساروا يريدون الغارة على ناحية فاقوس، ثم عادوا بنية الحشد والعود.

---

(١) ٥٧٣ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٤ - ٦/٧٦ الكامل ١١/٤٤٢ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١٢٥.

(٣) عسقلان: بفتح أوله، وسكون ثانية ثم قاف، وآخره نون وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت حبرين، ويقال لها عروس الشام. انظر معجم البلدان ٤/١٢٢.

وفيها عصى شمس الدين بن المقدم بمدينة بعلبك على السلطان.

وفيها ولد الملك الزاهد مجير الدين داود، شقيق الظاهر غياث الدين غازى بن السلطان صلاح الدين، لسبع بقين من ذى القعدة.

وفيها غلت الأسعار ببلاد الشام لكثرة الجدب، واشتد الأمر بحلب.

وفيها سار الأمير ناصر الدين إبراهيم، سلاح دار تقى الدين عمر فى عسكر إلى بلاد المغرب، فوصل إلى قراقوش التقوى، وسارا إلى مدينة الروحان، فنازلاها أربعين يوما، حتى فتحت وقتل حاكمها، وقررا عليها أربعة عشر ألف دينار، وملكا مدينة غدامس [١] بغير قتال، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف دينار، وسار إبراهيم إلى جبال نفوسة[٢]، فملك عدة قلاع، وصار إليه مال كثير ورجال، وسار البعث من عند قراقوش إلى بلاد السودان، فغنموا غنيمة عظيمة.

وفيها ظهر العمل فى سور القاهرة، وطلع البناء وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقس[٣].

وفيها مات الأمير شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى، خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، فى سابع عشرى جمادى الآخرة بحماة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعا عاقلا سيوسا ممدحا.

* * *

---

(١) غدامس: فى الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة، وهى مدينة لطيفة قديمة أزلية إليها ينسب الجلد الغدامسى، وبها دواميس وكهوف كانت سجونًا للملكة الكاهنة التى كانت بإفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين، وفيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الأرض يحار الناظر فيها إذا تأملها، تبين أنها آثار ملوك سالفة وأمم دارسة، وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وأنها كانت خصيبة عامرة. وأكثر طعامهم التمر والكمأة، وتعظم الكمأة فى تلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أحجارًا، ومن غدامس يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان، وبينهما أربعون مرحلة، وأهلها بربر مسلمون وملثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرهم. انظر الروض المعطار ٤٢٦، ٤٢٧، ومعجم البلدان ٤/١٨٧، والاستبصار ١٤٥، والبكرى ١٨٢.

(٢) تقع فى أقصى الشمال الشرقى من غدامس.

(٣) فرضة فى القاهرة منذ عصر الفاطميين. انظر المواعظ ولا عتبار ٢/١٢١، ١٣٠.

[سنة أربع وسبعين وخمسمائة][1]

وفى أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين، هجم العدو من الفرنج على مدينة حماة، فنهض إليهم المسلمون وأسروا مقدمهم فى جماعة، وبعثوا بهم إلى السلطان بدمشق، فضرب أعناقهم.

وفيها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم ببعلبك، فى جيش كثيف، فحاصرها مدة، ثم سار إليه السلطان، وأقام على الحصار حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان، وسلمها لأخيه تورانشاه فى شوال، فبنى الفرنج فى مدة اشتغال السلطان ببعلبك حصنا على مخاضة بيت الأحزان، وهو بيت يعقوب عليه السلام، وبينه وبين دمشق نحو يوم، ومنه إلى طبرية وصفد نصف يوم. فعاد السطان إلى دمشق، وقدم عليه من الديوان العزيز خادم اسمه فاضل فأصحبه معه للغزو، حى وقف على الحصن، وتخطف من حوله من الفرنج، ثم عاد إلى دمشق، فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لغزو بلاد المسلمين، فأخرج السلطان ابن أخيه الأمير عز الدين فرخشاه أمامه، فواقعه الفرنج وقعة قتل فيها جماعة من مقدمى الفرنج وغيرهم، منهم الهنفرى وصاحب الناصرة، فانهزموا وأسر منهم جماعة. فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة[2] لنجدة عز الدين، فوافته الأسرى والرءوس، فسر بذلك وعاد إلى دمشق.

وفيها أغار أبرنس مالك الفرنج بأنطاكية على شيزر، وغدر القومص ملك طرابلس بالتركمان.

وفيها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لجدب الشام فى سادس عشرى ذى القعدة، وأغار السلطان على حصن بيت الأحزان وعاد بالغنائم والأسرى، ووالى الغارة والبعث إلى بلاد الفرنج.

وفيها قوى قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب، وأخذا عدة حصون.

---

(١) سنة ٥٧٤ هـ. انظر: أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٦ - ٦/٧٨. الكامل ١١/٤٥٠ وما بعدها ، تاريخ بن الوردى ٢/١٢٦.

(٢) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم البلدان ٤/٤٦١.

ودخلت سنة خمس وسبعين [وخمسمائة][1]

والسلطان مواصل الإغارة على بلاد الفرنج، وكان نازلا على بانياس، وسرح العساكر ومقدمها عز الدين فرخشاه بن أيوب، فأكثر من قتلهم وأسرهم. وفتح بيت الأحزان في رابع عشرى ربيع الآخر، بعد قتال وحصار، فغنم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة، وشيئا كثيرا من الأقوات وغيرها، وأسر عدة نحو السبعمائة، وخرب الحصن حتى سوى به الأرض، وسد البئر التى كانت به، وعاد بعدما أقام عليه أربعة عشر يوما، فأغار على طبرية[2] وصور[3] وبيروت ثم رجع إلى دمشق، وقد مرض كثير من العسكر ومات عدة من الأمراء.

وفي يوم الأحد ثامن المحرم: ركب السلطان ومعه صمصام الدين أجك والى بانياس فى عسكره، فلقيه الفرنج فى ألف رمح وعشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل، فاقتتلوا قتالا كثيرا انهزم فيه الفرنج، وركب المسلمون أقفيتهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، وعاد السلطان إلى مخيمه، وقد مضى أكثر الليل، وعرض الأسرى، فقدم أولهم بادين بن بارزان، ثم أود مقدم الداوية، وابن القومصية، وأخو صاحب جبيل فى آخرين، فقيدوا بأجمعهم وهم نحو المائتين وسبعين، وحملوا إلى دمشق فاعتقلوا بها، وعاد السلطان إلى دمشق، ففدى ابن بارزان بعد سنة بمائة وخمسين ألف دينار وألف أسير من المسلمين، وفدى ابن القومصية بخمسة وخمسين ألف دينار صورية، ومات أود فأخذت جيفته بأسير أفرج عنه.

وقدم الخبر بأن الملك المظفر تقى الدين أوقع بعسكر قلج أرسلان صاحب الروم السلجوقية فهزمهم وأسر منهم جماعة، فكتب السلطان البشائر بظفره بالفرنج على

---

(١) سنة ٥٧٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٨ - ٦/٧٩ الكامل ١١/٤٥٥ وما بعدها، تاريخ ابن الودى ٢/١٢٧.

(٢) فى الإقليم الثالث، وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة فى سنة ١٣ هـ صلحا على إنصاف منازلهم وكنائسهم. انظر معجم البلدان ٤/١٧.

(٣) صور: بضم أوله، وسكون ثانية، وآخره راء، وهى فى الإقليم الرابع، وهى مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام داخلة فى البحر مثل الكف على الساعد، يحيط بها البحر من جميع جوانبها. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٣.

مرج عيون[1] وبظفر أخيه بعسكر الروم وسيرها إلى الأقطار فأتته تهانى الشعراء من الأمصار، ثم اهتم السلطان بأمر بيت الأحزان، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرموا عليه، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة ألف دينار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركمان وأجناد البلاد يستدعيهم، وحمل إليهم الأموال والخيول والتشاريف، فقدم إليه خلق كثير، وسار الملك المظفر من حماة، فقدم دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلقاه السلطان، ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس خامسه، فى عسكر عظيم، ونزل على حصن بيت الأحزان يوم الثلاثاء حادى عشره، وكانت قلعة صفد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صفد، وحاصر الحصن ونقبه من جهات، وحشاه بالحطب وأحرقه، حتى سقط فى رابع عشريه، وأخذه فقتل من فيه وأسرهم، ووجد فيه مائة أسير من المسلمين، فقتل عدة من أسرى الفرنج، وبعث باقيهم فى الحديد إلى دمشق، وأخرب الحصن حتى سوى به الأرض، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوما وعاد إلى دمشق، فمدحه عدة من الأمراء والشعراء وهنأوه بالفتح.

وفى صفر: ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذى كان فى جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته، ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند نقصان الماء فى قاع المقياس، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس، وأكثر الناس ما علموا ما هو .

وفيها نافق جلدك الشهابى بالواحات، فأخذه العادل بالأمان وسيره إلى دمشق.

وفيها أغار عز الدين فرخشاه على صفد [2] فأكثر من القتل والسبى وأحرق الربض[3] فى رابع عشر ذى القعدة، وعاد إلى دمشق.

وفيها مات الخليفة المستضىء بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتى عشرة مضت من شوال، وكانت خلافته عشر سنين غير أربعة أشهر. واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد، فخرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان صلاح الدين وسار معه إلى مصر شهاب الدين بشير الخاص كما يأتى ذكره.

---

(١) مرج عيون: بسواحل الشام. انظر معجم البلدان ٥/١٠١.

(٢) صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٣/٤١٣.

(٣) الرَّبَضُ: ما المدينة، وقيل: هو الفضاء حول المدينة، قال بعضهم: الرُّبْضُ بالضم نواحيه، وجمعها: أرباض. انظر: لسان العرب (ربض).

وفيها ختن السطان ابنه الملك العزيز عثمان، وسلمه إلى صدر الدين بن المجاور معلما له.

وفيها فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر ، وتغيرت رائحة الهواء، ومات بالقاهرة ومصر فى أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.

* * *

ودخلت سنة ست وسبعين [وخمسمائة][1]

وفيها سار السلطان إلى حرب عز الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقى صاحب قونية[2] وعاد بغير قتال، فدخل دمشق أول شهر رجب .

وفيها مات السلطان سيف الدين غازى بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل فى ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه، فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يفوض إليه، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمن وشهاب الدين بشير الخاص، بالتفويض والتقليد والتشريف فى رجب، فتلقاهم السلطان وترجل لهم، ونزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقبل الأرض، ودخل دمشق بالخلع، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبته ضياء الدين الشهرزورى. وسار السلطان إلى بلاد الأرمن لقمع ملكهم، فأوغل فيها وأطاعه ملكهم، ثم عاد بعدما وصل إلى بهسنا وأحرق حصنا وخربه، وخرج من دمشق يريد مصر فى ثامن عشر رجب، ومعه شيخ الشيوخ صدر الدين، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان، وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة فى البحر، وعاد منها إلى بغداد.

وفيها مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة السلفى فى يوم الجمعة خامس ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة.

ومات الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شادى فى خامس صفر بالإسكندرية، وحمل إلى دمشق فدفن بها.

وفيها ولدت امرأة غرابا.

وفيها كان قاع النيل ثلاثة أذرع وعشرين إصبعا، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلثى ذراع.

* * *

---

(١) سنة ٥٧٦هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٥، ٧٩ - ٦/٨٠،الكامل ٤٦٢، ١١ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٢٩.

(٢) قونية: بالضم ثم السكون، ونون مسكورة، وياء مثناة من تحت خفيفة: من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها وبأقصرى سكنى ملوكها. انظر معجم البلدان ٤/٤١٥.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

فى محرم خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية، وأمروا بالتعدية إلى البحيرة، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثعلبة، لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج، وكثر الفار بالمقاثى والغلال بعد حصادها، فأتلف شيئا كثيرا، واحترق النيل حتى صار يخاض، وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر، وربى جزائر رملة خيف منها على المقياس أن يتقلص الماء عنه، ويحتاج إلى عمل غيره، وبعد الماء عن السور بالمقس، وصارت قوته من بر الغرب، وخيم السلطان فى بركة الجب للصيد ولعب الأكرة، وعاد بعد ستة أيام وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط ملك الفرنج بالكرك جمع وعزم على المسير إلى تيماء[1] ودخول المدينة النبوية، فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بعساكره إلى الكرك، ونهب وحرق، وعاد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج.

وفى صفر: قدم رسول ملك القسطنطينية إلى القاهرة، فوقع الصلح مع صاحبها، وأطلق فى جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيرا من المسلمين، وسار صارم الدين خطلبا إلى الفيوم، وقد أضيفت إليه ولايتها، وأفردت برسمه الخاص، ونقل عنها مقطوعها، ثم صرف عن ولاية الفيوم بابن شمس الخلافة، وأحضر خطلبا ليسير إلى اليمن، وكتب إلى دمياط بترتيب المقاتلة على البرجين، وسد مراكب السلسلة وتسييرها ليقاتل عليها، ويدافع عن الدخول من بين البرجين بها.

وفى ربيع الأول: طرق الفرنج ساحل تنيس وأخذوا مركبا للتجار، ووصلت مراكب من دمياط كانت استدعيت من خمسين مركبا لتكون فى ساحل مصر وكمل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارسا، ورتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد، التى يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج، وأمر بعمارة قلعة تنيس، وورد تجار الكارم من عدن، فطلب منهم زكاة أربع سنين. وكثرت بيوت المزر بالإسكندرية، فهدم منها مائة وعشرون بيتا.

ووصل المفرد فى حادى عشرين ربيع الأول بالوفاء فى سابع عشره، فأوفى النيل بمصر فى سادس عشريه الموافق يوم السادس عشر من مسرى، ولا يعرف وفاؤه بهذا

---

(١)تيماء: بالفتح والمد: بليدة فى أطراف الشام، بين الشام ووادى القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. انظر معجم البلدان ٢/٦٧.

التاريخ فى زمن متقدم، فركب السلطان لتخليق المقياس فى غده، وخلع على ابن أبى الرداد فى سلخه، وفتح الخليج فى رابع ربيع الآخر، والماء على خمسة عشر إصبعا من سبعة عشر ذراعا، بمحضر والى القاهرة.

وفيه أنفق السلطان فى الأجناد البطالين وجردهم إلى الثغور، وأنفق فى رجال الشوانى وجردهم للغزو، وورد الخبر بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم، وأن ذلك خرج عن الحد فى الزيادة على المعهود، وأن الغزال فى البرية كله أتأم، وكذلك النسوان أتأمن أكثر من الإفراد، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة ظهرت.

وفيه ماتت امرأة الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعمى، بعد الدنيا والملك الذى كانت فيه.

وركب السلطان فى أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا، وعاد إلى قلعة الجبل، وركب منها إلى المخيم بالبركة. وسار متسلم الأمير صارم الدين خطلبا إلى اليمن، وانتصب السلطان ليلا ونهارا فى ترتيب أحوال الأجناد، واقتطع من إقطاعات العربان الثلثين، وعوض به مقطعو الفيوم، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان.

وفيه قرر ديوان الأسطول وفيه الفيوم والحبس الجيوشى والخراجى والنطرون، وضمن الخراج بثماينة آلاف دينار.

وفى هذه السنة: رتبت المقاتلة على البرجين بدمياط وجهزت خمسمائة دينار لعمارة سورها والنظر فى السلسلة التى بين البرجين، وعمل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تنيس وإعادته كما كان فى القديم، فجاء ثلاثة آلاف دينار، وكتب إلى قوص بإبطال المكوس التى تستأدى من الحجاج وتجار اليمن.

وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد هوارة، وزواوة[١] ولواتة[٢]، وجبل نفوسة، وغدامس، وأعمالا طولها وعرضها خمسة وعشرون يوما، وأنه خطب على منابرها للسلطان وضربت السكة باسمه، وأنه إذا أنعم عليه بتقوية بلغ أغراضا بعيدة، وسير أموالا عتيدة. وأنشئت أربع حراريق بصناعة مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن وجردت أمراء العسكر السائرين إلى اليمن، وكبر فى بحر تنيس تعدى العربان على المراكب، وعمرت عليهم حراريق فيها، فلم يظفر بهم لإيوائهم إلى الهيش.

---

(١) زواوة: بفتح أوله، وبعد الألف واو أخرى: بلد بين إفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ٣/١٥٥.

(٢) لواتة: بالفتح، وتاء مثناة: ناحية بالأندلس من أعمال قريش: ولواته قبيلة من البربر. انظر معجم البدان ٥/٢٤.

وفى جمادى الآخرة: قطع الفرنج أكثر نخل العريش وحملوه إلى بلادهم، وسيرت مراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن، وأسند أمر الجسور إلى والى الغربية ووالى الشرقية، ليتوفرا على عمارتها، وكتب إلى الأمير فخر الدين نشر الملك بن فرحون والى البحيرة ومشارفها بذلك.

وفى رجب: استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستمائة وأربعين، وأمراء مائة أحد عشر، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعين، وقرا غلامية[١] ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين. والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، خارج عن المحلولين وعن العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، والكنانيين والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين، ولا يقصر ما معهم عن ألف ألف دينار. ووصل الإبرنس أرناط إلى أيلة، وسار عسكره إلى تبوك[٢].

وفى شعبان: كثر المطر بأيلة حتى تهدمت قلعتها، وشرع فى بناء سور دمياط، وذرعه أربعة آلاف وستمائة وثلاثون ذراعا، و شرع أيضا فى بناء برج بها.

وفى شوال :مات منكورس الأسدى أحد الأمراء المماليك، وأخذ إقطاعه يازكج الأسدى، وقبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل الكنانى، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن، وأخذ منه ثمانون ألف دينار وأفرج عنه. وسار خطلبا والى مصر واليا على زبيد، وصحبته خمسمائة رجل، ومعهم الأمير باخل، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف دينار، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن، إن كان من الإقطاعية، وللبطالين والمترجلة فى الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا، وسيرت الحراريق - وهى خمس - وقد شحنت بالرماة.

وفى سابع عشره :سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشرى شوال، وشرع فى قراءة الموطأ يوم الخميس - ثانى يوم دخوله - على الفقيه أبى الطاهر بن عوف، وأنشا بها مارستانا ودارا للمغاربة، ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه، وشرع فى عمارة الخليج، ونقل فوهته إلى مكان آخر، وسار منها أول ذى القعدة إلى دمياط، وعاد إلى القاهرة فى سابعه.

وفى تاسعه: أمر بفتح المارستان الصلاحى، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلات جهتها الفيوم، واستخدم له أطباء وغيرهم.

---

(١) هى جماعات وعملهم المراقبة أثناء سير الجيوش.

(٢) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادى القرى والشام. انظر معجم البلدان.

وفى حادى عشره: خرج السلطان إلى بركة الجب، لتجريد العساكر والمسير إلى الشام، وخرج الملك العادل فى ثالث عشره إلى المخيم، ونزل ناحية بركة الجب وسومح برسوم الولاة بمصر والقاهرة، ورسوم الفيوم ورسوم الصعيد الأعلى، وأخرجت منجنيقات إلى الخيام برسم الغزاة.

وفى حادى عشره: سار سيف الإسلام طغتكين أخو السلطان صلاح الدين إلى أخميم، لجباية الجوالى والنظر فى أمر الشب.

وظفر والى قوص برجلين من أهل إسنا[١] يدعوان إلى مذهب الباطنية.

وفى ثالث عشريه: عقد نكاح بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين، وهم: غياث الدين غازى، ومظفر الدين خضر، ونجم الدين مسعود، وشرف الدين يعقوب، والصداق فى كل كتاب عشرون ألف دينار.

وعقد السلطان الهدنة مع رسول القومص ملك الفرنج بطرابلس، ونودى بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال، من غير استثناء طبيب ولا كاتب.

ومات الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى صاحب حلب فى يوم الجمعة خامس عشرى رجب، فقام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى[٢]. وكان موت الصالح هو المحرك للسلطان صلاح الدين على السفر، وكتب لابن أخيه المظفر تقى الدين عمر صاحب حماة وغيره من النواب بالتأهب، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب.

* * *

---

(١) إسنا بالكسر ثم السكون ونون وألف مقصورة: مدينة بأقصى الصعيد وليس وراءها غير أسوان ثم بلاد النوبة وهى على شاطئ النيل من الجانب الغربى. انظر معجم البلدان.

(٢) مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر، أبو الفتح وأبو المظفر عز الدين صاحب الموصل وسنجار فى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبى ولد ونشأ بالموصل. انظر بن خلكان ٩٤/٢. الإعلام، حوادث سنة ٥٨٩ هـ، والنجوم الزاهرة ١٢٣/٦. الإعلام ٢٢٠، ٧/٢٢١.

[سنة ثمان وسبعين وخمسمائة](١)

وأهلت سنة ثمان وسبعين، والسلطان مبرز بظاهر القاهرة، فلما خرج الناس لوداعه، وقد اجتمع عنده من العلماء والفضلاء كثير، وهم يتناشدون ما قيل فى الوداع، فأخرج بعض مؤدبى أولاد السلطان رأسه من الخيمة، وقال:

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار

فتطير الحاضرون من ذلك، وصحت الطِّيرة، فإن السلطان رحل من ظاهر القاهرة فى خامس المحرم من هذه السنة، و لم يعد بعد ذلك إلى القاهرة، فسلك فى طريقه على أيلة، فأغار على بلاد الفرنج، وسار على سمت الكرك، وبعث أخاه تاج الملوك بالعسكر على الدرب، وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق، فأغار على طبرية وعكا، وأخذ الشقيف أرنُون، وعاد بألف أسير وعشرين ألف رأس غنم، وأنزل فيه طائفة من المسلمين وألقى الريح بُطْسَةً للفرنج إلى بر دمياط، فأسر منها ألف وستمائة وتسعون نفسا سوى من غرق، فدخل السلطان إلى دمشق، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فأقام بها يسيرا، ثم أغار على طبرية، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة كوكب، واستشهد جماعة من المسلمين، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر ربيع الأول، وخيم بالفوَّار من عمل حوران، وأقام به حتى رحل إلى حلب .وخرج سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب بن شادى، من القاهرة إلى اليمن، بعد مسير السلطان، ووصل إلى زبيد فملكها، وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار، واحتوى على عدن أيضا.

وخرج السلطان من دمشق يريد حلب، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، ونازلها ثلاثة أيام، ثم رحل إلى الفرات، فخيم على غربى البيرة، ومد الجسر، وكاتب ملوك الأطراف، ورحل إلى الرها(٢) فتسلمها، وسار عنها إلى حران(٣) فرتبها،

---

(١) سنة ٥٧٨ هـ . انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ٨٣ - ٦/٨٦ الكامل ١١/٤٧٨ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٠ وما بعدها.

(٢) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذى استحدثها .انظر معجم البلدان ٣/١٠٦.

(٣) حران: بالضم، تثنية الحر، واديان بنجد وواديان بالجزيرة أو على أرض الشام. انظر معجم البلدان ٢/٢٣٦.

وانفصل عنها إلى الرقة [1] فملكها وما حولها، ونازل نصيبين حتى ملكها وقلعتها، فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى، فسار ونازل الموصل فى يوم الخميس حادى عشر رجب، وألح فى القتال فلم ينل غرضا، ورحل يريد سنجار، فنازلها وضايقها من يوم الأربعاء سادس عشرى شعبان.

ودخل رمضان: فكف عن القتال، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانيه، وأعطاها ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد، وسار عنها إلى حران، ثم رحل ونزل على آمد، لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة.

وفيها قصد الفرنج بلاد الحجاز، وأنشا البرنس أرناط صاحب الكرك سفنا، وحملها على البر إلى بحر القلزم، وأركب فيها الرجال، وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة القلزم، لمنع أهلها من استقاء الماء.

وسارت البقية نحو عيذاب، فقتلوا وأسروا، وأحرقوا فى بحر القلزم نحو ست عشرة مركبا وأخذوا بعيذاب مركبا يأتى بالحجاج من جدة، وأخذوا فى الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب، وقتلوا الجميع، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين، وأحدثوا حوادث لم يسمع فى الإسلام بمثلها، ولا وصل قبلهم رومى إلى ذلك الموضع، فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة النبوية. فجهز الملك العادل، وهو يخلف السلطان بالقاهرة، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم فعمر مراكب بمصر والإسكندرية، وسار إلى أيلة، وظفر بمراكب للفرنج، فحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب، وتبع مراكب الفرنج، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها، وأطلق من فيها من التجار المأسورين، ورد عليهم ما أخذ لهم، وصعد البر، فركب خيل العرب حتى أدرك من فرَّ من الفرنج وأخذهم، فساق منهم اثنين إلى منى ونحرهما بها كما تنحر البدن، وعاد إلى القاهرة بالأسرى فى ذى الحجة، فضربت أعناقهم كلهم. وعاد الأسطول من بحر الروم بعد نكاية أهل الجزائر، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلا.

ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور فى دمشق فى أول جمادى الآخرة.

ومات الشيخ الزاهد روزبهار بن أبى بكر بن محمد أبى القاسم الفارسى الصوفى، يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة، ودفن بقرافة مصر.

---

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديد الثانى، وهى مدينة مشهورة على الفرات الشرقى. انظر معجم البلدان ٣/٥٩.

وفيها انقرضت دولة آل سبكتكين، وكان ابتداؤها سنة ست وستين وثلاثمائة، فملكوا مائتى سنة وثلاث عشرة سنة. وأولهم محمود بن سبكتكين، وآخرهم خسرو شاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين. وقام بعدهم الغورية وأولهم عز الدين حسن، صاحب بلاد الغور.

وفيها ورد الخبر بأن الماء الذى فى زقاق سبتة قلّ، حتى ظهرت القنطرة التى كا يعبر الناس عليها فى قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمَّها، فلما قل الماء فى هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قامتين، ورأى الناس آثار بنيانها، وأن مركبا انكسر عليها.

* * *

[سنة تسع وسبعين وخمسمائة](1)

وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، فتسلمها فى أوئل المحرم، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان. وخرج الفرنج إلى نواحى الداروم ينهبون، فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر وأيلة، فأظفرهم الله، وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين.

وفيه سار الأسطول من مصر، فظفر ببطسة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون علجًا، قدموا بهم فى خامس المحرم إلى القاهرة، وتوجه سعد الدين كمشبه الأسدى وعلم الدين قيصر إلى الداروم، فأوقعوا بالفرنج على ماء، وقتلوهم جميعا، وقدموا بالرءوس إلى القاهرة فى رابع عشريه. ورحل السلطان عن آمد، وعبر الفرات يريد حلب، فملك عين تاب وغيرها، ونزل على حلب - بكرة يوم السبت سادس عشرى المحرم - وقد خرب السلطان عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى قلعته فى جمادى من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. وتسلمها صلاح الدين بصلح، يوم السبت ثامن عشر صفر، على أن تكون لعماد الدين منجار.

ومات تاج الملوك بُورى بن أيوب بن شادى (2) فى يوم الخميس ثالث عشريه بحلب. وسار عماد الدين إلى سنجار، فولى السلطان قضاء حلب محيى الدين محمد بن الزكى على القرشى (3) قاضى دمشق، فاستناب بها زين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسى، وولى يازكج قلعتها، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى

---

(1) سنة ٥٧٩ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٦، ٨٦ - ٦/٨٨ ، الكامل ١١/٤٩٣، وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٣.

(2) تاج الملوك (٥٥٦ - ٥٧٩ هـ = ١١٦١ - ١١٨٣م). بورى بن أيوب بن شادى بن مروان، مجد الدين، أبو سعيد: أخو السلطان صلاح الدين: كان أصغر أولاد أبيه. وهو فاضل، له ديوان شعر وفى شعره رقة وكان مع أخيه صلاح الدين لما حاصر حلب، فأصابته طعنة بركبته مات منها بقرب حلب. انظر وفيات الأعيان ١/٩٤، مرآة الزمان ٨/٣٧٨.

(3) ابن الزكى (٦٤٠ - ٦٨٥ هـ= ١٢٤٣ - ١٢٨٧م). يوسف بن يحيى بن محمد بن زكى الدين على القرشى الدمشقى: أبو الفضل، بهاء الدين: آخر القضاة من بنى الزكى من فقهاء. الشافعية. ولى القضاء بدمشق ٦٨٢ إلى أن توفى. كان أديبا إخباريا، كثير المحفوظ، علامة، مليح الفتاوى. انظر شذرات الذهب ٥/٣٩٤ الطبقات الوسطى للسبكى، الفرق الإسلامية ٨. الأعلام ٨/٢٥٧ .

ملكا بها، ورحل عنها لثمان بقين من ربيع الآخر. فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى، وأقام بها إلى سابع عشريه، وبرز وسار إلى بيسان، فعبر نهر الأردن فى تاسع جمادى الآخرة، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها وفعل ذلك بعدة قلاع، وأوقع بكثير من الفرنج واجتمع بعين[١] جالوت من الفرنج خلق كثير، ثم رحلوا، وأسر السلطان منهم كثيرا، وخرب من الحصون حصن بيسان وحصن عفر بلا وزرعين، ومن الأبراج والقرى عشرة، وعاد إلى دمشق لست بقين من جمادى الآخرة، ثم خرج فى يوم السبت ثالث رجب يريد الكرك، فنازله مدة و لم ينل منه غرضا، فسار إلى دمشق، وقد وصل إليه أخوه الملك العادل من مصر فى رابع شعبان. فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك، وقد خرج إليه بعسكر مصر.

وفى يوم الخميس خامس عشره: رحل الملك المظفر تقى الدين من الكرك إلى مصر عوضا عن العادل، وارتجع عن العادل إقطاعه بمصر، وهو سبعمائة ألف دينار فى كل سنة، فجهز إليها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ومعه القاضى الفاضل، وأنعم على تقى الدين بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش [٢] وأبقى عليه مدينة حماة وجميع أعمالها.

ووصل السلطان إلى دمشق لثمان بقين من رمضان، وبعث بالملك العادل إلى حلب فى ثانى رمضان.فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج، وقدم شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر، ليصلحا بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل، ومعهما القاضى محيى الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزورى، وبهاء الدين بن شداد[٣]، فأقاموا مدة ورحلوا بغير طائل، فى سابع ذى الحجة.

---

(١) عين جالوت: اسم أعجمى لا ينصرف: وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف أيوب فى سنة ٥٧٩ هـ. انظر معجم البلدان ٤/١٧٧.

(٢)بوش كورة ومدينة بمصر من نواحى الصعيد الأدنى فى غربى النيل بعيدة عن الشاطئ. انظر معجم البلدان.

(٣) ابن شداد (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ = ١١٤٥ - ١٢٣٤م). يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدى الموصلى، أبو المحاسن بهاء الدين شداد: مؤرخ، من كبار القضاة ولد بالموصل، ولاه صلاح الدين قضاء العسكر ببيت المقدس والنظر على أوقافه، وله مؤلفات منها: فضل الجهاد، الموجز الباهر وغيرهم. انظر وفيات الأعيان ٢/٣٥٤، طبقات الشفاعية ٥/١١٥ ذيل الروضيتن ١٦٣، غاية النهاية ٣٩/٥٢، ابن الوردى ٢/١٦٠ الأنس الجلل ٢/٤٤٧، ٤٦٣، مرآة الجنان ٤/٨٢، مفتاح الكنوز ٢/٥١٦. الأعلام ٨/٢٣٠ .

وفيها ظهر بقرية بوصير بيت هرمس، فخرج منه أشياء، منها كباش وقرود وضفادع بازهر ودهنج وأصنام من نحاس.

وفيها قتل شرف الدين برغش على الكرك فى ثانى عشرى رجب، فحمل إلى زرع ودفن فى تربته.

وفى سنة تسع وسبعين هذه وقعت بالوجه البحرى قطع برد كبيض الأوز أخربت ما صادفته من العامر، ودمرت الزروع، وأهلكت كثيرا من الماشية والناس.

* * *

سنة ثمانين وخمسمائة[1]

فى خامس المحرم: توجهت قافلة بغلات وسلاح وبدل بجرد إلى قلعتى أيلة وصدر، وخرج من الشرقية جماعة يخفرونها مع قيصر والى الشرقية، فأوصلها إلى أيلة وصدر. وعاد فى خامس عشريه، وكان العدو قد نهض إليها وعاد عنها.

وأهلت هذه السنة: والسلطان بدمشق، فبعث إلى الأطراف يطلب العساكر، فقدم عليه ابن أخيه تقى الدين بعساكر مصر، ومعه القاضى الفاضل.و خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول إلى جسر الخشب، وقدم الملك العادل من حلب ومعه نور الدين بن قرا أرسلان إلى دمشق يوم الخميس رابع عشريه، وخرجا إلى الكسوة، فرحل السلطان فى ثانى ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك، وخرج تقى الدين فى عسكر مصر، ومعهم أولاد الملك العادل وأهله، يوم الأربعاء مستهله، فساروا إلى أيلة، ووصلوا إلى السلطان فى تاسع عشره وهو على الكرك.

وسارت أولاد العادل فى حادى عشريه، فلقوا العادل وهو على الفوار فى خامس عشريه ووصل معهم زرافة، فاجتمعوا به وساروا إلى حلب، ومعهم بكمش بن عين الدولة الياروقى، وعلى بن سليمان بن جندر، ونزل العسكر الحلبى على عَمَّان مدينة البلقاء فى ثامن جمادى الأولى، ورحل عنها فى ثانى عشره إلى الكرك، وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك فى سابع عشره، وعملت المجانيق إلى ليلة الخميس حادى عشريه ثم رميت تلك الليلة، ورحل العسكر كله لخبر ورد عن اجتماع الفرنج، وساروا إلى اللجون، ونزل الفرنج بالواله. ثم سار العسكر إلى ناحية البلقاء، فنزلوا حسبان تجاه الفرنج، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشريه. فرحل الفرنج إلى الكرك، والعسكر وراءهم إلى نابلس، فهاجمها العسكر يوم الجمعة سلخه، وحرقوها ونهبوها، وساروا فأخذوا أربعة حصون، ونزلوا على جينين[2] ونقبوا قلعتها حتى وقعت، وقتل تحتها من النقابين عدة، وأخذت عنوة وغنم منها شىء كثير. ورحلوا فى ليلتهم إلى زرعين وعين جالوت، وأحرقوهما فى الليل، وعبروا الأردن يوم الأحد ثانى جمادى الآخرة، ونزلوا الفوار رابعه.

---

(١) سنة ٥٨٠ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٨٨ - ٦/٩٠ .الكامل ١١/٥٠٤ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٤.

(١) جينين: بكسر الجيم، وسكون ثانيه، ونون مسكورة أيضا، وياء أخرى ساكنة أيضا، ونون أخرى: بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن، بها عيون ومياه. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٢.

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعه، ومعه عساكره كلها، وقدم أخوه العادل من حلب، وأتته العساكر المشرقية وعساكر الحصن وآمد، وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج، فنازلها فى رابع عشر جمادى الأولى ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها.

وقدمت الأمداد من الفرنج، فرحل السلطان إلى نابلس، ونهب كل ما مر به من البلاد، وأحرق نابلس وخربها ونهبها، وقتل وسبى وأسر، واستنقذ عدة من المسلمين كانوا أسرى، وسار إلى جينين، وعاد إلى دمشق، فقدم عليه رسل الخليفة، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبى سعد أحمد، وشهاب الدين بشير الخادم، ومعهما خلع للسلطان والملك العادل، فلبساها. وطلب الرسولان تقرير الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل، فلم يتقرر بينهما صلح، وخرجا من دمشق، فماتا قبل وصولهما إلى بغداد.

وخلع السلطان على جميع العساكر، وأذن لهم فى المسير إلى بلادهم، بعدما أعطاهم شيئا كثيرا، فساروا.

وفى نصف شعبان: سار المظفر تقى الدين بعساكر مصر يريد العود إلى القاهرة، وقرئت وصية سلطانية، تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقى الدين عمر، وولاية الملك الأفضل أكبر أبناء السلطان على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب، وأن مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر، ويستقر الكافلان فى خبزيهما وما بأيديهما، ومن عدم من الولدين قام الأمثل من إخوته مقامه، أو من الكافلين قام الباقى منهما مقام الآخر، واستحلف الحاضرون من الأمراء، وولى قراءة العهد بذلك القاضى المرتضى بن قريش. وسومح بهلالى البهسنا[1]، وهو ألف ومائتا دينار، وسومح بالأتبان، وما تقصر عن ألفى دينار، ومنع من ضمان المزر والخمر والملاهى، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان بديار مصر.

---

(١) بهسنا بفتحتين وسكون السين ونون وألف: قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط ورستاقها. انظر معجم البلدان. قال ابن إياس فى ذكر مدينة البهسنا: هذه المدينة بناها ملك من ملوك القبط يقال له مناوش بن منقاوش، وقال ابن وصيف شاه: وهو أول من عبد البقر من أهل مصر وكان السبب فى ذلك أنه اعتل علة حتى أيس منه فيها رأى فى منامه صورة روحانى عظيم يقول له أنه لا يخرجك من علتك إلا عبادتك للبقر ففعل ذلك، فبرئ من علته، فأمر أهل مملكته بعبادة البقر وفى زمانه بنيت البهسنا ويقال إنه عاش ثمانمائة سنة، وكان بالبهسنا من العجائب والحكم ما ليس فى غيرها من البلاد. انظر نزهة الأمم ٢٢٦.

وخرج السلطان من دمشق يريد البلاد الشرقية، فأقام بحماة بقية السنة، وكان نزوله عليها. فى عشرى ذى القعدة.

وفى هذه السنة: أقيمت خطبة فى سابع المحرم عند قبر سارية بلحف الجبل، فى غير بنيان وبغير سكان، وتم ذلك بعصبية جماعة، ثم أحدث جامع عند قبة موسك وبقيت سنين.

وبلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم، وغرقت البساتين والأقصاب، وفاضت الآبار، وانقطعت الترع، وكثر الضرر، كما حصل فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وفى هذه السنة: مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على ملك[1] المغرب، لسبع خلون من رجب.

ومات إيلغازى بن نجم الدين بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى قطب الدين، صاحب ماردين، فى جمادى الآخرة.

وفيها مات آقسنقر الساقى، صهر قراجا الهمام، بحلب فى يوم الجمعة حادى عشر رجب .

وفيها رسم السلطان بتقييد أولاد الخليفة العاضد الفاطمى ومن بقى من أقاربه.

* * *

تتمة سنة ثمانين وخمسمائة

أول المحرم يوم الإثنين: فيه ابتدئ بالتدريس فى المدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا من القاهرة.

وفى خامسه: توجهت القافلة بالبدل المجرد إلى قلعتى صدر وأيلة مع قيصر والى الشرقية.

---

(١) يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣ - ٥٨٠ هـ = ١١٣٨ - ١١٨٤م).

يوسف بن عبد المؤمن بن على القيسى الكومى، أبو يعقوب ، أمير المؤمنين: من ملوك دولة الموحدين بمراكش. وهو الثالث فيهم مولده فى يتنمل، بويع له وهو بإشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٥٨٨ هـ) ثم بويع البيعة العامة فى مراكش، سنة ٥٦٠ هـ . انظر الاستقصا ١/١٥٩ - ١٦٤، أعمال.الأعلام ابن خلدون ٦/٢٣٨، الأنيس المطرب ١/١٩، ابن خلكان ٢/٣٧٣ الحلل الموشية ١٣١، ١٣٢. الأعلام ٨/٢٤١.

وفى سابعه: أقيمت الخطبة عند قبر سارية بلحف الجبل فى غير بنيان ولا سكان.

وفى ثامنه: وردت كتب السلطان من دمشق، باستدعاء العساكر، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة.

وفى حادى عشره: كانت فتنة بين العرب الجذاميين، فخرج عسكر إلى الشرقية، وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده، لدعوة عملها الطواشى قراقوش عند قناة طرة، وعاد من الغد.

وفى ثامن عشره: وردت كتب السلطان من دمشق، لاستنهاض العساكر لغزاة الكرك، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه، فبرزت الخيام إلى بركة الجب فى عشريه، وخرج من الغد الملك المظفر تقى الدين النائب بمصر.

وفى ثانى عشريه: ورد الخبر من ناظر قوص بغرق أربع جلاب، بها ألف وثلاثمائة رجل من الحجاج، هلكوا كلهم.

وفى خامس عشريه: عاد قيصر والى الشرقية من صدر، بعد أن أوصل القافلة إلى أيلة، وعاد بالقافلة العائدة، وكان العدو قد نهض إليها، ثم عاد عنها.

وفى سلخه: ورد الخبر بأن المؤيد سيف الإسلام مَلَكَ بلاد اليمن، واعتقل خطاب ابن منقذ بزبيد.

وأهلَّ صفر:

فى رابعه: ورد الخبر بوصول تابوتى نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، إلى المدينة النبوية، ودفنهما بها، وكان قد حمل بهما إلى قوص، وعدى بهما من بحر عيذاب إلى المدينة، وكان سيرهما فى أول السنة الماضية.

وفى سادسه: سار الأسطول، وهو أحد وثلاثون شينيا وحراقة.

وفى سابعه: جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة، سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسى تكلمه فى مسألة من مسائل الكلام فى مجلس وعظه، وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه، فرسم برفع كراسى وعظ الفريقين، وقد أطلق كل من الفريقين لسانه فى الآخر.

وفى ثامنه: وقع مطر عظيم، ورعد قاصف وريح عاصف، وبرق خاطف وبرد كثير كبار، فحل بالعسكر المبرز بلاء شديد، وعطبت الثمار، وتفسخت الأشجار، وانقعر النخل، وعمت الجائحة الثمار والزروع، التى لم تحصد وما حصد، وتلفت المقاثى.

وفى عاشره: عقد مجلس لأصحاب الدواوين للمفاضلة ما بين ابن شكر [1] وابن عثمان، فتسلم ابن عثمان الدواوين، بعد أن أخذ خطه بزيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع، ثم صرف بابن شكر فى ثالث عشره.

وأهل شهر ربيع الأول:

فى ثانى عشره: سار المظفر تقى الدين من بركة الجب، يريد السلطان بدمشق، وعاد ابن السلار إلى القاهرة نائبا عن المظفر.

وعاد ابن شكر ناظر الدواوين إلى القاهرة فى خامس عشره، ومعه ولد المظفر، فخرج الناس لتلقيه.

وأهل شهر ربيع الآخر:

فى عشريه: قدم المظفر على السلطان صلاح الدين بالقرب من الكرك.

و فى عاشر جمادى الآخرة: أخلت أهل بلبيس بلدتهم فى ليلة واحدة، وقد سمعوا بمسير الفرنج إلى فاقوس، واضطرب الناس بالقاهرة ومصر والجيزة، فسميت الهجة الكذابة.

وقدم الخبر بأن سيف الإسلام قتل خطاب بن منقذ ومثل به، واستصفى أمواله باليمن، وقبض على ألزامه. وكان العسكر عقيب الهجة خرج إلى بلبيس، فنهبها الغلمان، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيرا، وساقوا أغناما لا تدخل تحت حصر.

---

(١) ابن شكر ٥٤٨ - ٦٢٢ هـ = ١١٥٣ - ١٢٢٥م. عبد الله بن على بن الحسين، أبو محمد، صفى الدين الشيبى الدميرى، المعروف بالصاحب بن شكر: وزير مصرى من الدهاة ولد فى دميرة البحرية (من إقليم الغربية بمصر) ونشأ نشأة صالحة، فتفقه فى القاهرة، وصنف كتابا فى الفقه على مذهب مالك واتصل بالملك العادل أبى بكر بن أيوب فولاه مباشرة ديوانه سنة ٥٨٧ هـ ثم استوزره، فعمد إلى سياسة العنف والمصادرة واستبد بالأعمال، فعزله العادل، فخرج إلى آمد وإقام عند أزق إلى أن مات العادل سنة ٦٥١ هـ فطلبه الكامل محمد بن العادل، وهو فى نوبة قتال مع الإفرنج على دمياط، فجأة، فكاشفه بما هو عليه من الاضطراب بثورة العرب فى مصر ومحاربة الفرنج وعصيان بعض الأمراء، فنهض بن شكر بالأمر عنيفا على سابق عادته، فخافه الناس وهابوه، فاستقر الملك، وعظم أمره عند الملك الكامل. واستمر على ذلك إلى أن مات بالقاهرة قال مؤرخوه: كان طلق المحيا، حلو اللسان، حسن الحينة، صاحب دوهاء مع هوج، شديد الحقد، منتقما لا ينام عن محدوه ولا يقبل معذرة أحد. فوات الوفيات ٢١٩/١. الأعلام لابن قاضى شقبة، خطط مبارك ٥٧/١١. الأعلام ٤/١٠٦.

وفى رابع عشرى شعبان: قدم المظفر تقى الدين إلى القاهرة بالعسكر، بعد شدة لحقتهم فى طريقهم.

وفى ذى القعدة: ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلاثة وسبعين حصنا، وقدم أهل خطاب بن منقذ وأخوه محمد إلى مصر. وخرج تقى الدين ابن أخى صلاح الدين إلى البحيرة ليكشف أحوالها.

وكان معه كاتبه الرضى بن سلامة، فاستدفع من الدواوين حساباتهم، وسار بها على بغل صحبة تقى الدين، فأرسل الله صاعقة من السماء أحرقت البغل وما عليه من الحساب، وعاد تقى الدين.

* * *

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة(١)

وأهلت سنة إحدى وثمانين فسار السلطان وبلغ حران، فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر فقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبرى، واستولى عليها. ورحل عنها فى ثانى ربيع الأول فوافته رسل الملك قلج أرسلان بن مسعود السلجوقى صاحب الروم باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده، إن لم يعد عن الموصل وماردين، فسار يريد الموصل، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل، ونزل عليها وحاصر أهلها وقاتلهم. فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقمان الثانى ناصر الدين محمد بن إبراهيم صاحب خلاط فى تاسع ربيع الأول، فرحل صلاح الدين فى آخره يريد خلاط، ثم عاد و لم يملكها، وسار إلى ميَّافارقين فتسلمها، ثم عاد إلى الموصل، ونزل على دجلة فى شعبان، وأقام إلى رمضان، فمرض مرضا مخوفا، فرحل فى آخر رمضان، وهو لما به وقد أيس منه، فنزل بحران، فتقرر فيها الصلح بينه وبين المواصلة فى يوم عرفة، وخطب له بجميع بلاد الموصل، وقطعت خطبة السلجوقية، وخطب له فى ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية، وضربت السكة باسمه، وأمر بالصدقات فى جميع ممالكه.

وفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول: حدثت بمصر زلزلة، وفى مثل تلك الساعة كانت زلزلة فى بعلبك أيضا.

وفيه كانت بالإسكندرية فتنة بين العوام، نهبوا فيها المراكب الرومية، فقبض على عدة منهم ومثل بهم.

ومات فى هذه السنة

الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، ليلة عيد الأضحى. واتهم السلطان بأنه سمه فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده.

ومات فخر الدولة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسوانى ابن أخت الرشيد والمهذب ابنى الزبير فيها. وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان، ثم كتب لأخيه العادل.

ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد.

---

(١) سنة ٥٨١ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٩٠ - ٦/٩٢، الكامل ١١/٥١١ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٥.

ومات الأمير مالك بن ياروق فى منبج ليلة السبت مستهل رجب، فحمل إلى حلب ودفن بها.

وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين أنار التى تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق، وكانت وفاتها يوم الإثنين ثالث ذى القعدة.

وفيها خرج المظفر تقى الدين عمر إلى كشف أحوال الإسكندرية، وشرع فى عمل سور على مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسى، واتصلت العمارة فى خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين وبجوار جامع ابن طولون والكبش، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع بشقاف القنز والخرشتف وتراب الأرض، وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة.

وفى شعبان ورمضان: وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة، وكثر الوباء فى الدجاج أيضا.

* * *

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[(١)]

وأهلت سنة اثنتين وثمانين: وقد أبل السلطان من مرضه، فرحل من حران، و نزل حلب فى رابع عشر المحرم، ومر من حلب إلى حمص، فرتب أمورها وأسقط المكوس منها. ودخل إلى دمشق فى ثانى ربيع الأول، واستدعى ابنه الأفضل عليا من مصر، لمنافرة كانت بينه وبين ابن عمه المظفر تقى الدين، فقدم عليه بأهله وحشمه، لسبع بقين من جمادى الأولى، وصرف العادل عن حلب، وتقرر عوضه بها الملك الظاهر غياث الدين غازى ابن السلطان، وعوض العادل الشرقية بديار مصر.

وصرف المظفر تقى الدين عمر من ديار مصر ونيابتها، فغضب لذلك، وعبر بأصحابه إلى الجيزة يريد اللحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى، وأخذ بلاد المغرب، وجعل مملوكه بورى فى مقدمته، فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فقبح الأكابر عليه مشاقته السلطان وحذروه، فأجاب وتوجه إلى دمشق، فوصلها ثالث عشرى شعبان، واستمر على ما بيده من حماة والمعرة ومنبج وأضيف إليه ميافارقين، وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه من مصر، ماخلا زين الدين بورى مملوكه، فإنه سار إلى المغرب، وملك هناك مواضع كثيرة. ثم قصده صاحب المغرب وأسره، ثم أطلقه وقدمه.

ووصل الأفضل على ابن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى، وهو أول قدومه إليها، وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر، ومعه عمه العادل أتابكا.

وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشرى صفر، فدخلا إلى القاهرة فى خامس رمضان.

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس، فالتجأ القومص إلى السلطان، وصار يناصحه، واستولى الإبرنس ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة، فأسر من فيها وامتنع من إجابة السلطان إلى إطلاقهم، فتجهز السلطان لمحاربته، وكاتب الأطراف بالمسير لقتاله.

وفيها مات بمصر عبد الله بن أبى الوحش برى بن عبد الجبار بن برى النحوى، ليلة

---

(١) سنة ٥٨٢ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٩٢ - ٦/٩٥، الكامل ١١/٥٢٣ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١٣٧.

السبت لثلاث بقين من شوال، ومولده بدمشق فى خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

* * *

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة[1]

وأهلت سنة ثلاث وثمانين وقد برز السلطان من دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول المحرم، وأقر ابنه الأفضل على رأس الماء، ونزل بصرى، فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا فى آخر صفر. فسار إلى الكرك، فى اثنى عشر ألف فارس، ونازلها وقطع أشجارها، ثم قصد الشوبك، ففعل بها مثل ذلك. وخرج الحاجب لؤلؤ على الأسطول من مصر، وهو خمسة عشر شينيا، ليسير إلى الإسكندرية. وخرج العادل من القاهرة فى سابع المحرم إلى بركة الجب، وسار إلى الكرك، فمر على أيلة، والتقى مع السلطان على القريتين، وعادا إلى الكرك، فنازلاها فى ربيع الأول، وضايق السلطان أهلها، ثم رحل عنها، ونازل طبرية، فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفا بأرض عكا، ورفعوا صليب الصلبوت، فافتتح السلطان طبرية عنوة فى ثالث عشرى ربيع الآخر، وغاظ ذلك الفرنج وتجمعوا، فسار إليهم السلطان، وكانت وقعة حطين، التى نصر الله فيها دينه، فى يوم السبت رابع عشريه. وانهزم الفرنج بعد عدة وقائع ، وأخذ المسلمون صليب الصلبوت، وأسروا الإبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وعدة ملوك آخرين وقتل وأسر من سائر الفرنج ما لا يعد كثرة.

ثم قدم الإبرنس أرناط، وضرب السلطان عنقه بيده، وقتل جميع من عنده من الفرنج الداوية والإسبتارية[2] ورحل السلطان إلى عكا، فنازلها سلخ ربيع الاخر، ومعه عالم عظيم.

قال العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى [3]: كان السوق الذى فى عسكر

---

(١) سنة ٥٨٣ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٧ - ٦/٣٤، ٩٥ - ٦/٩٧، الكامل ١١/٥٢٩ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١٣٨. وما بعدها .

(٢) الاستبار أوالاستبارية، أو استبارية هو تعريب لكلمة LES HOS PITO LIERS الفرنسية. وقد أنشأ الفرنجة فى القدس مشافى يشرف عليها الرهان، ونجم عنها تأسيس ثلاث منظمات رهبانية عسكرية هدفها إيواء ومداواة المرضى والجرحى من الجنود والحجاج المسيحين، وهذه المنظمات هى: منظمة فرسان القديس يوحنا، ومنظمة فرسان الهيكل وهما فرنستيان، ومنظمة الفرسان التوترنبين وهم من الألمان. أما منظمة فرسان القديس يوحنا أو فرنسان بيك المقدس، وأسماهم العرب الاسبتارية، فقد تأسست فى السنة التى استولى فيها الصليبيون على القدس سنة ٤٩٣ هـ/١٠٩٩م .انظر الموسوعة الفلسطينية : ٢٠٥/١ - ٢٠٦، وهامش النجوم الزاهرة ٦/٢٩.

(٣) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى ٥٥٧ - ٦٢٩ هـ - ١١٦٢ - ١٢٣١م). عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد=

السلطان على عكا عظيما، ذا مساحة فسيحة، فيه مائة وأربعون دكان بيطار، وعددت عند طباخ واحد ثمانيا وعشرين قدرا، كل قدر تسع رأس غنم.

وكنت أحفظ عدد الدكاكين، لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق، وأظنها سبعة آلاف دكان، وليست مثل دكاكين المدينة، بل دكان واحد مثل مائة دكان، لأن الحوائج فى الأعدال والجوالقات، ويقال إن العسكر أنتنت منزلتهم لطول المقام، فلما ارتحلوا غير بعيد، وزن سمان أجرة نقل متاعه سبعين دينارا، وأما سوق البز العتيق والجديد، فشىء يبهر العقل. وكان فى العسكر أكثر من ألف حمام، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين فيطلع الماء، ويأخذون الطين فيعملون منه حوضا وحائطا، ويسترونه بحطب وحصير، ويقطعون حطبا من البساتين التى حولهم، ويحمون الماء فى قدور، وصار حماما يغسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر.

فلم يزل صلاح الدين على محاصرة عكا إلى أن تسلمها بالأمان، فى ثانى جمادى الأولى، واستولى على ما فيها من الأموال والبضائع، وأطلق من كان بها من المسلمين

=وبابن نقطة: من فسقة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف فى الحكمة وعلم النفس والطلب والتاريخ والبلدان والأدب مولده ووفاته ببغداد أقام مدة بحلب، وزار مصر والقدس ودمشق وحران وبلاد الروم وملطية والحجاز وغيرها. وحظى عند الملوك والأمراء وكان دميم الخلقة قليل لحم الوحه، قوى الحافظه من كتبه الإفاده والاعتبارلما فى مصر من الآثار - ط رسالة وقوانين البلاغة والإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب، فى كرمها على المقامات، والجامع الكبير فى المنطلق الطبيعى والإلهى، عشر مجلدات، وبلغة الحكيم والكلمة والإهى، عشر مجلدات، وبلغة الحكيم، والكلمة فى الربوبيه، والحكمة الكلاميه، و تهذيب كلامة أفلاطون، والقياس أربع مجلدات، والسماع الطبيعى، وغريب الحديث، و المعتنى الجلى فى الحساب والتجريد - خ فى اللغة، وملخص مقالات التاج - ح فى الحل البتويه، وذيل الصبح - ط الثعلب و شرح أحاديث بن مساحة المتعلقة بالطلب واختصارات كثيرة منها الحيوان للجاحظ وكتاب فى البنات ، وكتب رحلات وصف بها أسفاره والبلدان التى زارها. وله رسائل صغيرة سماها مقالات منها النفس والعلم الإلهى والماء والحركات وحقيقته الدواء والغذاء والحواس والنفس والصون و الكلام، والمدينة الفاضلة، العلوم الضارة، وتزييف ما يعتقده ابن سينا، وإبطال الكمياء، واللغات وكيفية تولدها، والقدر. فوات الوفيات ٢: ٧ وبغية الوعاة ٣١١ والسبكى ٥: ١٣٢ وآداب اللغه ٣: ٩٠، وخزائن الكتب ٨٩ وخطط مبارك ١٥: ٧٩ وطبقات الأطباء ٢: ٢٠١ - ٢١٣ وبن شقده - ح و الشذرات ٥: ١٣٢ ومعجم المطبوعات ١٢٩٢ وإنباه الرواة ٢: ١٩٣، والإعلام لا بن قاضى شهبه - خ - وفى مذكرات الميمنى - ح، ما يفيد اطلاعه على مخطوطة من كتاب المجرد فى غريب الحديث لصاحب الترجمة أوراقها ٧١ كتبت سنة ٦١٦هـ فى خزانه لا له لى -باستتبول الرقم ٤٠٧ - قلت لعلها الوارد ذكرها فى الترجمة باسم غريب الحديث أو هى نسخة أخرى من التجريد. انظر الأعلام ص ٤ ٦١ .

مأسورا، وكانوا أربعة آلاف نفس، ورتب فى كنيستها العظمى منبرا، وأقيم فيها الجمعة. وأقطع عكا لابنه الأفضل على، وأعطى جميع ما للداوية من إقطاع وضياع للفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى. وسار العادل بعساكر مصر إلى مجدليابا[١] فحصره وفتحه وغنم ما فيه. وافتتحت عدة حصون حول عكا: وهى الناصرة[٢] وقيسارية وحيفا[٣] وصفورية[٤] ومعليا والشقيف والتولع[٥] والطور[٦] ونهب ما فيها، وسبيت النساء والأطفال، فقدموا بما سد الفضاء. وأخذت سبسطية ونابلس، وكتب السلطان للخليفة بخبر فتح هذه البلاد. ونزل العادل على يافا، حتى ملكها عنوة ونهبها، وسبى الحريم وأسر الرجال، ونازل المظفر تقى الدين عمر تبنين، وأدركه السلطان فوصل إليها فى حادى عشر جمادى الأولى ومازال محاصرًا لها حتى تسلمها فى ثامن عشره بأمان، وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم السلطان العدد والدواب والخزائن، وسار فأخذ صرخد[٧] بغير قتال، ثم رحل إلى صيداء، ففر أهلها وتركوها، فتسلمها السلطان فى حادى عشريه. ونازل بيروت وضايقها ثمانية أيام، إلى أن طلب أهلها الأمان، فأجابهم واستولى عليها فى تاسع عشريه، وأخذ جبيل[٨] فكان من استنقذ الله من المسلمين المأسورين عند الفرنج، فى هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وأسر المسلمون من الفرنج مائة ألف أسير.

---

(١) مجدليابا: بعد اللام ياء مثناة من تحتها، وبعد الألف باء موحدة: قرية قرب الرملة فيها حصن محكم. انظر معجم البلدان ٥/٥٧.

(٢) الناصرة: فاعلة من النصر: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا، فيما كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى. انظر معجم البلدان ٥/٢٥١.

(٣) حيفا: غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل فى أيدى المسلمين إلى ان تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس فى سنة ٤٩٤ هـ، وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٣ هـ وخربه. انظر معجم البلدان ٢/٣٣٢.

(٤) صفورية: بفتح أوله، وتشديد ثانية، وواو ، وراء مهملة ثم ياء مخففة: كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام وهى قرب طبرية . انظر معجم البلدان.

(٥) تولع: بالعين المهملة: قرية بالشام فى قول عبد الله بن سليم. لمن الديار بتولع فيجوس. انظر معجم البلدان ٢/٥٩.

(٦) الطور: جبل بعينه مطل على طبرية الأردن . انظر معجم البلدان ٤/٤٧.

(٧) صرخد: بالفتح ثم السكون، والخاء معجمة، والدال مهملة بلدل ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة، ينسب إليها الخمر. انظر معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٨) جبيل : بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع. انظر معجم البلدان ٢/١٠٩.

وهلك فى هذه السنة القومص صاحب طرابلس، وقدم المركيس - أكبر طواغيت الفرنج - إلى صور، وقد اجتمع بها أمم من الفرنج، فتملك عليهم، وحصن البلد، فسار السلطان بعد فتح بيروت، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم، واجتمع بأخيه العادل، ونازلا عسقلان، فى سادس عشر جمادى الآخرة، ونصبا المجانيق عليها، ووقع الجد فى القتال، إلى أن تسلم السلطان البلد فى سلخه، وخرج منه الفرنج إلى بيت المقدس، بعد أن ملكوه خمسا وثلاثين سنة. وتسلم السلطان حصون الداوية وهى غزة والنطرون وبيت جبريل[1] وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، ووافته الأساطيل وعليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كسفت، قبل أخذ عسقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب فى يوم الجمعة ثامن عشريه.

وسار السلطان - وقد اجتمعت إليه العساكر - يريد فتح بيت المقدس، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، واقتتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور ونقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنيا أو فقيرا، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشرى رجب، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفا، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفا، ما بين رجل وامرأة وصبى، وهم من لا يقدر على شراء نفسه.

وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة.

والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالا وركابنا من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع ما لا ينحصر، فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، وخطب القاضى محيى الدين بن الزاكى بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين

---

(١) بيت جبريل: لغة فى جبرين: بليدة بين بيت المقدس وغزة، وبينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذ من الإفرنج وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادى النمل التى خاطت سليمان بن داود وعليه السلام. انظر معجم البلدان.

الدين بن نجا، فوعظ الناس. وأمر السلطان بترميم المحراب العمرى القديم، وحمل منبر مليح من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب فى المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة قمامة، ثم فتحت، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فنزلا على عكا أول شهر رمضان، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور فى تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شوانى، وصار القتال فى البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شوانى ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل عن صور فى آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس.

وفى هذه السنة: – أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة –: اجتمع الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد والمشترى وزحل وأظفار الذئب، فى برج الميزان، أربع عشرة ساعة، فاجتمع المنجمون كلهم، وحكموا بكون طوفان الريح، وأنه كائن وواقع ولابد، فتنقلب الأرض من أولها إلى آخرها، وأنه لا يبقى من الحيوان شىء إلا مات، ولا شجرة ولا جدار إلا سقط. وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم، وأرجفوا بأنها هى القيامة، فاتخذ قوم الكهوف والمغائر فى الجبال، وبالغوا فى الاعتداد لهول ذلك اليوم. وقال القوم: «كتب القدماء كلها أحالت على هذا الاجتماع، وإن فيه دمار الدنيا». وكان ذلك فى مسرى، وفى جمادى الآخرة للسابع والعشرين منه، وهو يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم الأربعاء. فلم تهب ريح، ولا تحرك نيل مصر، وهو فى زيادته فى مسرى، ومن العادة أن تهب الريح من العصر إلى العشاء فى وجه الماء، ليقف بإذن الله، فتكون فيه الأمواج، فلم يحدث تلك الليلة، ولا ثانى يوم ولا قبلها بيوم شىء من ذلك، وطلع الناس بالسرج الموقدة على السطوحات لاختبار الهواء، فلم تتحرك نار ألبتة. وكان أشد الناس إرجافا بهذه الكواكب الروم، فأكذبهم الله، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، فأخذ كبارهم، وملأ الأرض من

الأسرى شرقا وغربا، وأخذ القدس، وأصاب جماعة ممن كان يرجف بهذه الريح آفات، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم.

وفيها خرج فى سادس عشر جمادى الآخرة قفل شامى إلى مصر، وهو أول قفل سلك بلاد الساحل، بلا حق يدفعه ولا مكس يؤديه.

وفيها سار قراقوش التقوى، واستولى على القيروان، وحاربه ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه، وأقيمت الخطبة فى ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين. فجمع ابن عبد المؤمن، وواقع قراقوش وهزمه، ففر قراقوش فى البرية.

وفيها أمر السلطان بأن تبطل النقود التى وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها، وأن يكون ما يضرب من الدنانير ذهبا مصريا، ومن الدراهم الفضة الخالصة، وأبطل الدراهم السود لاستثقال الناس الميزان، فسر الناس ذلك.

* * *

سنة أربع وثمانين وخمسمائة[1]

فيها نازل السلطان حصن كوكب أياما، و لم ينل منها شيئا، فأقام الأمير صارم الدين قايماز النجمى فى خمسمائة فارس عليها، ووكل بصفد الأمير طغرل الخازندار فى خمسمائة فارس، وبعث إلى الكرك والشوبك الأمير سعد الدين كمشبه الأسدى، واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى من مصر، فاستخلف على عمارة سور القاهرة، وقدم والسلطان على كوكب، فندبه لعمارة عكا، فشرع فى تجديد سورها وتعلية أبراجها، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والدواب، وسار السلطان يريد دمشق، فدخلها سادس ربيع الأول، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام، كسر فيها الفرنج، وفتح بيت المقدس، فلازم الجلوس فى دار العدل بحضرة القضاة، وكتب إلى الجهات باستدعاء الأجناد للجهاد، وخرج بعد خمسة أيام على بعلبك، فوافاه عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار على أعمال حمص، فنزلا على بحيرة قدس. وبعث السلطان ابنه الظاهر وابن أخيه المظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية، وسار أول ربيع الآخر وشن الغارات على صافيتا وتلك الحصون المجاورة. وسار فى رابع جمادى الأولى على تعبية لقاء العدو، فأخذ أنطرسوس، واستولى على ما بها من المغانم، وخرب سورها وبيعتها، وكانت من أعظم البيع، ووضع النار فى البلد فأحرق جميعه، وسار يريد جبلة، فنازلها لاثنتى عشرة بقيت منه، وتسلمها بغير حرب، ثم أخذ اللاذقية[2] بعد قتال، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة. وسار إلى صهيون[3]، فقاتل أهلها إلى أن ملكها فى ثانى جمادى الآخرة، واستولى على قلعتى الشغر وبكاس وعدة حصون، وأسر من فيها، وغنم شيئا كثيرا.

فلما فتح بغراس[4] بعث الإبرنس ملك أنطاكية يسأل الصلح، فأجيب إلى ذلك، على

---

(١) سنة ٥٨٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٥ ٠ ٦/٣٨، ٩٧ - ٦/٩٩، الكامل ١٢/٥ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٤٢ وما بعدها .

(٢) اللاذقية: بالذال معجمة مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص وهى غربى حبلة بينها و بين حيلة ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ٥/٥.

(٣) صهيون: موضع معروف ببيت المقدس: محلة فيها كنيسة صهيون وصهيون أيضا حصن من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص انظر معجم البلدان ٤٣٦/٣.

(٤) بغراس: بالسين مكان الراء مدينة فى لحف. حبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس. انظر معجم البلدان.

شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين، وهم ألف إنسان، وعاد صاحب سنجار إلى بلده، وسار السلطان إلى حلب، فأقام بها ثم سار عنها، ودخل إلى دمشق فى آخر شعبان وما زال كمشبه محاصرا للكرك حتى تسلم قلعتها، ومعها الشوبك والسلع، وعدة حصون هناك، فى رمضان. فلما وردت البشرى بذلك على السلطان سار من دمشق، ونازل صفد حتى ملك قلعتها بالأمان فى رابع عشر شوال ولحق من كان فيها من الفرنج بصور ثم سار إلى كوكب[١] وضايقها حتى تسلمها، فى نصف ذى القعدة بأمان، وأرسل أهلها إلى صور. فكثر بها جموع الفرنج، وكاتبوا إفرنج صقلية والأندلس، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بخبر هذه الفتوح، ورحل فنزل فى صحراء بيسان.

وفيها ثار بالقاهرة اثنا عشر رجلا من الشيعة فى الليل، نادوا: «يال على.. يال على». وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك، ظنا منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم، ويقومون فى إعادة الدولة الفاطمية، فيخرجون من فى الحبوس، ويملكون البلد. فلما لم يجبهم أحد تفرقوا.

وسار السلطان إلى القدس، فحل به فى ثامن ذى الحجة، وسار بعد النحر إلى عسقلان، وجهز أخاه العادل إلى مصر لمعاضدة الملك العزيز، وعوضه بالكرك عن عسقلان، وكان قد وهبها له، ثم نزل بعكا.

* * *

---

(١) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية حصينة رصينة تشرف على الأردن افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد. انظر معجم البلدان ٤/٤٩٤.

سنة خمس وثمانين وخمسمائة[1]

ودخلت سنة خمس وثمانين: فسار السلطان عن عكا، ودخل دمشق أول صفر، فورد عليه فى ثانى عشره ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة، رسول الخليفة الناصر، بالخطبة لابنه ولى العهد ، عدة الدنيا والدين أبى نصر محمد، فأقيمت له. وجهز الرسول، ومعه ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزورى، وبعث معه بهدايا وتحف وأسارى من الفرنج للخليفة، ومعهم تاج ملك الفرنج والصليب الذى كان فوق صخرة بيت المقدس، وأشياء كثيرة. فدفن الصليب تحت عتبة باب النوبى ببغداد وديس عليه، وكان من نحاس مطلى بالذهب.

وخرج السلطان من دمشق فى ثالث ربيع الأول ونازل شقيف أرنون[2] وهو منزعج، لانقضاء الهدنة مع صاحب أنطاكية، ولاجتماع الفرنج بصور، واتصال الأمداد بهم. فكانت للمسلمين مع الفرنج فى بلادهم الساحلية عدة وقائع، قتل فيها من الفريقين عدة، وكثر القتل فى المسلمين، واشتدت نكاية الفرنج فيهم، فرحل السلطان إلى عكا، وقد سبقه الفرنج ونزلوا عليها. ونزل السلطان بمرج عكا وصار محاصرا للفرنج، والفرنج محاصرين للبلد. وتلاحقت به العساكر الإسلامية، والأمداد تصل إلى الفرنج من البحر. فلم يقدر السلطان على الوصول إلى البلد، ولا استطاع أهل عكا أن يصلوا إلى السلطان. وشرع السلطان فى قتال الفرنج من أول شعبان، إلى أن تمكن من عكا، ودخلها فى ثانيه، فما زالت الحرب قائمة إلى رابع رمضان. فتحول إلى الخروبة[3]، وأغلق من فى عكا من المسلمين أبوابها، وحفر الفرنج خندقا على معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر، وأداروا حولهم سورا مستورا بالستائر، ورتبوا عليه الرجال، فامتنع وصول المسلمين إلى عكا.

وقدم العادل بعسكر مصر فى نصف شوال، وقدم الأسطول من مصر إلى عكا فى

---

(١) سنة ٥٨٥ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٩، ٦/٤٠ ٩٩ - ٦/١٠١، الكامل ١٢/٢٧ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٤٤.

(٢) شقيف أرنون: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، وفاء، وبعد الراء الساكنة نون ثم واوساكنة، ونون أخرى، وهو قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٦.

(٣) الخروبة : حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا . انظر معجم البلدان ٢/٣٦٢.

خمسين قطعة، وعليه الحاجب لؤلؤ فى منتصف ذى القعدة، فبدد شمل مراكب الفرنج، وظفر ببطستين للفرنج. فاستظهر المسلمون الذين بعكا، وقوى جأشهم بالأسطول، وكانوا نحو العشرة آلاف.

وبعث السلطان إلى الأطراف يحث الناس على الجهاد، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طغتكين باليمن، يطلب منه الإعانة بالمال، وإلى مظفر الدين قز أرسلان صاحب العجم، وكتب إلى الخليفة. ووصلت الأمداد إلى الفرنج، وورد الخبر من حلب بخروج ملك الألمان من القسطنطينية، فى عدة عظيمة تتجاوز الألف ألف، يريدون البلاد الإسلامية، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين.

وتوفى فى هذه السنة حسام الدين سنقر الخلاطى ليلة الإثنين سابع عشرى رجب، والأمير حسام الدين طمان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان، والأمير عز الدين موسك ابن جكو فى شعبان، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين.

ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبى عصرون بدمشق، يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان، ومولده أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

ومات ضياء الدين عيسى الهكارى، يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة بمنزلة الخروبة.

* * *

سنة ست وثمانين وخمسمائة[1]

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتى عشرة بقيت من ربيع الأول إلى تل كيسان[2] وتتابع مجىء العساكر. وكملت أبراج الفرنج الثلاثة، التى بنوها تجاه عكا فى مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتلأت بالعدد والعدة، وطموا كثيرا من الخندق، وضايقوا البلد. واشتد خوف المسلمين، واشتدت الحرب بين الفريقين، حتى احترقت الأبراج الثلاثة، وخرج أهل عكا منها، فنظفوا الخندق، وسدوا الثغر، وغنموا ما كان فى الأبراج من الحديد، فتقووا به.

وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك، قتل فيها كثير من الفرنج. ودخل ملك الألمان بجيوشه إلى حدود بلاد الإسلام، وقد فنى منهم كثير، فواقعهم الملك عز الدين قلج بن أرسلان السلجوقى، فانكسر منهم، فلحق به الفرنج إلى قونية [3] وهاجموها، وأحرقوا أسواقها، وساروا إلى طرسوس[4] يريدون بيت المقدس، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون، فمات بها ملكهم. وقام من بعده ابنه، فسار إلى أنطاكية. وندب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب

---

(١) سنة ٥٨٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/١٠٢، ١٠١، الكامل ١٢/٤٤ وما بعدها، تاريخ الوردى ٢/١٤٦.

(٢) تل كيسان: الكاف مفتوحة، وياء ساكنة موضع فى مرج عكا من سواحل الشام.

(٣) قونية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٤٨٤، ومعجم البلدان ٤/٤١٥، ونزهة المشتاق ٢٦١.

(٤) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليها. وفى سنة سبعين ومائة بنى سور طرسوس على يد مسلم فرج الخصى التركى، وجهه مولاه هارون الرشيد لذلك، وأنزلها الناس عام ولى الخلافة، فى جيش كثيف وعسكر ضخم إلى الثغور، وأمره أن يبنى مدينة طرسوس فى المرج الذى فى سفح الجبل، ولم يكن هناك بناء قط، وأن يجعل النهر يشق وسطها، فابتداء بناءها فى جمادى سنة سبعين ومائة، فكمل بناؤها فى سنة اثنتين وسبعين ومائة، فلما نزل الرشيد طرسوس أفرد الثغور من الجزيرة والشام، وسمى الثغور الشامية والثغور الجزرية، ونهرها يأتى من جبل الروم حتى يشق وسطها، وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، ومعجم البلدان ٤/٢٨، وصبح الأعشى ٤/١٣٣. انظر معجم البلدان ٢/٤٣.

عكا إلى جهة أنطاكية، ووقع فيمن بقى معه مرض كثير، وأمر بتخريب سور طبرية ويافا وأرسوف[١] وقيسارية وصيدا وجبيل فخرب ذلك، ونقل من كان فيها إلى بيروت وطمع الفرنج فى السلطان لقلة من بقى معه، فركبوا لحربه ونهبوا وطاق الملك العادل. وكانت للمسلمين معهم حرب، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم، وقتل منهم آلاف، فوهت قواهم. غير أن المدد أتاهم، ونصبوا المجانيق على عكا، فتحول السلطان إلى الخروبة، فوافى كتاب ملك الروم بقسطنطينية، يخبر بوصول المنبر من عند السلطان، وكذلك الخطيب والمؤذنين والقراء، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر لدين الله.

وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس فى جيوشه، وركب منها البحر إلى عكا، فوصل إليها سادس رمضان، فأقام عليها إلى أن هلك ثانى عشر ذى الحجة، بعدما حارب المسلمين فلم ينل منهم كبير غرض. ودخل الشتاء وقد طالت مدة البيكار، وضجرت العساكر من كثرة القتال، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل.

وفيها تولى سيف الدولة أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ[٢] شد الدواوين بديار مصر، وباشر الأسعد بن مماتى [٣] معه الديوان فى محرم.

* * *

---

(١) أرسوف بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسكون الواو وفاء: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. انظر معجم البلدان.

(٢) سيف الدولة بن منقذ (٥٢٦ - ٥٨٩ هـ - ١٣٢ - ١١٩٣م). المبارك بن كامل بن على ابن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، أبو الميمون، سيف الدولة، مجد الدين من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ومن بيت كبير ولد بقلعة شيزر وذهب مع تورانشاه إلى اليمن، وناب عنه فى زبيد سنة ٦٦٩هـ ثم فارقها، وأناب عنه أخا له اسمه حطان، وذهب إلى دمشق، ومنها إلى مصر، مع تورانشاه. انظر وفيات الأعيان ٤٤١/١، الروضتين ٢٥/٢، النجوم الزاهرة ٨٩/٦. الأعلام ٢٧١/٥.

(٣) ابن مماتى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ ١١٤٩ - ١٢٠٩ م). أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبى سعيد) بن مينا بن زكريا، بن مماتى: وزير أديب. كان ناظر الدواوين فى الديار المصرية. ومولده بمصر ووفاته بحلب. وكان نصرانيا، فأسلم هو وجماعته فى ابتداء الدولة الصلاحية. انظر معجم البلدان ٢٤٤/٢، وفيات الأعيان ٦٨/١، قوانين الدواوين مقدمته، أداب اللغة ٣/ى ١٠٩، إنباء الرواة ٢٣١/١، حريدة القصر: قسم شعراء مصر ١٠٠، النجوم الزاهرة ١٧٨/٦، كشف الظنون ١٢١٥، مرآة الجنان ١٣/٤، الشذرات ٢٠/٥، حسن المحاضرة. ٣٢٥/١ .الأعلام ٣٠٢/١.

سنة سبع وثمانين وخمسمائة [1]

ودخلت سنة سبع وثمانين: فسار الظاهر صاحب حلب إليها، وسار المظفر إلى حماة. وبقى السلطان فى جمع قليل، والحرب بين أهل عكا وأميرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج. ودخل فصل الربيع، فوافت العساكر السلطان، ووصل إلى الفرنج مددهم، فضايقوا عكا وجدوا فى حصارها، ونصبوا عليها المجانيق. وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفا. وخرجوا يريدون الحرب، فواقعهم السلطان وكسرهم، ووقع كلامه فى الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم.

فلما كان فى سابع عشرى رجب برز الفرنج بخيامهم، وأحضروا أسارى المسلمين، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا فيها بأجمعهم فى سبيل الله صبرا، واليزك الإسلامى ينظر إليهم. فحمل المسلمون عليهم، وجرت بينهما حرب شديدة، قتل فيها عدة من الفريقين.

ولما أهل شعبان: سار الفرنج إلى عسقلان، ورحل السلطان فى اثرهم، وواقعهم فى رابع عشره بأرسوف، فانهزم المسلمون، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى القتال، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف.

ورحل السلطان فى تاسع عشره، ونزل على عسقلان يريد تخريبها، لعجزه عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء، ووقع الضجيج والبكاء فى الناس أسفا وغما لخرابها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكنا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلخ شعبان.

قال الحافظ عبد العظيم المنذرى فى المعجم المترجم: «سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله - يعنى أبا المنصور البانياسى الناصرى - يقول: لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج برجا وجدنا عليه مكتوبا عمر على يدى خطلج، وهذا من عجيب الاتفاق. وشبيه بذلك ما أخبرنى به القاضى الأجل أبو الحسن على بن يحيى الكاتب قال: رأيت بعسقلان برج الدم، وخطلج المعزى يهدمه يعنى فى شعبان.

---

(١) سنة٥٨٧ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٤١ - ٦/٤٣، ١٠٢ - ٦/١٠٥، الكامل ١٢/٦٠ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٤٧ وما بعدها

ورأيت عليه مكتوبا: مما أمر بعمارته السيد الأجل أمير الجيوش[١] - يعنى بدرا الجمالى- على يد عبده ووليه خطلج فى شعبان فعجبت من هذا الاتفاق، كيف عمر فى شعبان على يد خطلج، وهدم فى شعبان على يد خطلج».

ثم رحل السلطان عن عسقلان وقد خربت فى ثانى رمضان، ونزل على الرملة فخرب حصنها، وهدم كنيسة لُدّ، وركب إلى القدس جريدة، ثم عاد وهدم حصن النطرون.

وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع فى البر والبحر، فعاد السلطان إلى القدس فى آخر ذى القعدة. وقدم أبو الهيجاء السمين بعسكر مصر، ووقع الاهتمام فى عمارة سور بيت المقدس وحفر الخندق.

وفيها مات علم الدين سليمان بن جندر[٢] فى آخر ذى الحجة.

ومات الملك المظفر تقى الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شادى صاحب حماة، وهو الذى أوقف منازل المعز بمصر مدرسة، فى ليلة الجمعة تاسع رمضان، ودفن بحماة.

ومات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن حسن بن عبد الله الخبوشانى[٣] الفقيه الشافعى الصوفى، يوم الأربعاء ثانى عشرى ذى القعدة، ودفن بالقرافة.

---

(١) بدر الجمالى (أمير الجيوش) (٤٠٥ - ٤٨٧ هـ - ١٠١٤ - ١٠٩٤م). بدر بن عبد الله الجمالى، أبو النجم: أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمارة غلاما ، فتربى عنده، ونسب إليه، وتقدم فى الخدمة حتى ولى إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر (سنة ٤٥٥ هـ). ثم استدعاه إلى مصر واستعان به على إطفاء فتنة نشبت، فوطد له أركان الدولة، فقلده وزارة السيف والقلم وأصبح الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع إليه وكان حازما شديدا على المتمردين وافر الحرمة. توفى فى القاهرة. انظر ابن الأثير ١٠: ٨١ والنجوم الزاهرة٥: ١٤١ وما قبلها. وفى شذرات الذهب ٣: ٣٨٣. انظر الأعلام ص ٢/١٣.

(٢) ابن جندر (٥٨٧ هـ ١١٩٢م). سليمان بن جندر ، علم الدين: أمير من رجال الدولة الصلاحية فى بلاد الشام كان من أكابر أمراء حلب، وخدم السلطان صلاح الدين بالقدس، حتى صار شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذى أشار بتخريب عسقلان لتتوفر العناية بالقدس. توفى فى قرية عباغب على مرحلة من دمشق، فى طريق من القدس إلى حلب. انظر الروضيتن ١٩٥/٢، النجوم لزاهرة ١١٣/٦. الأعلام ٣/١٢٢.

(٣) نجم الدين الخبوشانى (٥١٠ - ٥٨٧ هـ - ١١١٦ - ١١٩١م). محمد بن الموفق بن سعيد ابن على، أبو البركات نجم الدين الخبوشانى: فقيه شافعى، نسبته إلى خبوشان من نواحى نيسابور، ومولده بقربها، انتقل إلى مصر، وحظى عند السلطان صلاح الدين، وصنف تحقيق المحيط فى الفقة. انظر ابن خلكان ٤٧١/١، اللباب ٣٤٤/١، لب اللباب ٨٨، معجم البلدان ٣٩٨/٣، خطط مبارك ٢٨/٥، مفتاح السعادة ٢١٠/٢. الأعلام ٧/١٢٠.

وفيها سلم أمر الأسطول بمصر للملك العادل، فاستخدم فيه من قبله، وأفرد برسمه الزكاة بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية وإشنين[1] وطنبذة[2] فاستناب العادل فى مباشرة ذلك، واستخدم فى ديوان الأسطول صفى الدين عبد الله بن على بن شكر. وأحيل الورثة الجيوشية على غير الحبس الذى لهم.

وعظمت زيادة النيل وغرق النواحى، وكثر رخاء الأسعار بمصر، فأبيع القمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا، والخبز البائت ستة أرطال بربع درهم، والرطب الأمهات ستة أرطال بدرهم، والموز ستة أرطال بدرهم، والرمان الجيد مائة حبة بدرهم، وحمل الخيار بدرهمين، والتين ثمانية أرطال بدرهم، والعنب ستة أرطال بدرهم فى شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين، والياسمين خمسة أرطال بدرهم، وثمر الحناء عشرة أرطال بدرهم، والبسر الجيد عشرة أرطال بدرهم، وما دونه خمسة عشر رطلا بدرهم. وكثر بمصر والقاهرة التجاهر بمعاصى الله، وظفر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف جبنة، كل جبنة قدر الرحى لا يقلها الراجل. وحصلت بمصر زلزلة، وهبت سموم حارة فيها إعصار ثلاثة أيام، أتلفت الخضروات التى فضلت من الغرق. وانشقت زريبة جامع المقس لقوة الزيادة، وخيف على الجامع أن يسقط، فأمر بعمارتها.

* * *

(١) إشنين بالشين و النون وياء ساكنة ونون أخرى والعامة تقول إشنى قرية بالصعيد إلى جنب طنبذى على غربى للنيل وتسمى هذه وطنبذى العروسين لحسنهما وخصبهما وهما من كورة البهنسى. انظر معجم البلدان

(٢) طنبذة: ثانيه ساكن، والباء مفتوحة موحدة، وآخره ذال معجمة قرية من أعمال بهنسا من صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٣/٤٢.

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة[1]

وأهلت سنة ثمان وثمانين: والسلطان بالقدس مجتهد فى عمارته.

وفى ثالث المحرم: نزل الفرنج على ظاهر عسقلان، لقصد عمارتها فما مكنوا، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج وغيره، وتوالت الوقائع بينهم.

وفى صفر: سار الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان إلى البلاد الشرقية، على ما كان بيد الملك المظفر تقى الدين عمر من البلاد التى هى قاطع الفرات، وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع والتشريفات. ثم نزل الملك العادل أبو بكر عن كل ماله فى الشام، ماخلا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ونصف خاصة بديار مصر، وعوض البلاد الشرقية.

وسار السلطان من القدس فى أوائل جمادى الأولى، وكتب بعود الملك الأفضل، فعاد منكسر القلب إلى السلطان. ولحق العادل بحران والرها وقرر أمرهما، ثم عاد إلى السلطان فى آخر جمادى الاخرة.

وفى جمادى الآخرة: ملك الفرنج قلعة الداروم، وخرج العسكر المصرى يريدون السلطان، فكبسهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم، وتبدد الناس فى البرية. وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل، وعادوا إلى خيمهم وقد طمعوا، فقصدوا المسير إلى القدس، ثم اختلفوا ونزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم فى طلب الصلح، فبرز السلطان من القدس فى عاشر رجب، وسار إلى يافا فحاصرها، و لم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة، وغنم الناس منها شيئا عظيما. وتسلم السلطان القلعة، وأخرج من كان فيها من الفرنج، فقدم من الفرنج نجدة كبيرة فى خمسين مركبا، فغدر أهل يافا بجماعة من المسلمين، وعاد القتال والمراكب فى البحر لم تصل إلى البر، فسارع أهل المراكب إلى البر، وحملوا على السلطان، فرحل إلى يازور[2] وأمر بتخريبها، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس، وعزم على لقاء الفرنج، فاختلف عليه أصحابه، وأسمعه بعضهم كلاما جافيا، فانثنى عن ذلك. وقدم عسكر مصر فخرج إلى

---

(١) سنة ٥٨٨ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٤٤ - ٦/٤٦، ١٠٦ - ٦/١٠٩ الكامل ١٢/٧٨ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٠ وما بعدها.

(٢) يازور: بالزاى، والواو ساكنة ثم راء: بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام. انظر معجم البلدان ٥/٤٢٥.

الرملة، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثمان بقين من شعبان. وعقدت هدنة عامة فى البر والبحر مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر أولها حادى عشر شعبان - وهو أول شهر أيلول- على أن يكون للفرنج من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وأنطاكية. ونودى فى الوطاقات وأسواق العسكر: ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفعل. وكان يوم الصلح يوما مشهودا، عم فيه الطائفتين الفرح والسرور، لما نالهم من طول الحرب. فاختلط عسكر الفرنج بعسكر المسلمين، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة، ودخل خلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة، فأكرمهم السلطان ومد لهم الأطعمة وباسطهم. ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا، ورحل السلطان إلى القدس، وسار منها إلى دمشق، فلقيه الأمير بهاء الدين قراقوش - وقد تخلص من الأسر - على طبرية.

ودخل السلطان إلى دمشق، لخمس بقين من شوال، فكانت غيبته عنها أربع سنين. وأذن للعساكر فى التفرق إلى بلادهم فساروا إليها، وبقى عند السلطان ابنه الأفضل على والقاضى الفاضل.

وفيها انتقل سعر الفول بديار مصر من خمسة عشر دينارًا إلى ثلاثين دينارًا المائة أردب، بحكم أن المشترى لعلوفة الوسية العادلية خمسون ألف أردب.

وفيها عثر على رجل اسمه عبد الأحد، من أولاد حسن ابن الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة، فقيل له: «أنت تدعى أنك الخليفة؟» قال: «نعم». فقيل له: «أين كنت فى هذه المدة؟» فذكر أن أمه أخرجته من القصر فتاه، ووصل إلى طنبذة فاختفى بها، ثم خرج إلى مصر، فأواه رجل وشرع يتحدث له فى الخلافة، وأنه وقع بعدة بلاد وأقطع أناسا ممن بايعه، فسجن. وعثر على بعض أقارب الوزير شاور، وقد ثار بالقاهرة، فسجن هو وجماعته.

وفيها انعقد ارتفاع الديوان الخاص السلطانى على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف دينار وأربعمائة وأربعة وأربعين دينارا.

ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطائحى جامع السيرة المأمونية - وهو بقية بيته - فى سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة.

وفيها وقع الشروع فى حفر الخندق من باب الفتوح إلى المقس.

وكتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين فى الإيوان ودار المظفر ليلا،

بحيث لا يشعر بهم أحد، حتى يوصلهم المكلف بذلك إلى صرخد.

وفيها كتب بإخلاء مدينة تنيس، ونقل أهلها إلى دمياط، وقطع أشجار بساتين دمياط وإخراج النساء منها. فخلت تنيس إلا من المقاتلة، وحفر خندق دمياط[1] وعمل جسر عند سلسلة البرج بها.

وفيها كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر، وعظمت الشناعات، وارتفعت الأسعار.

وفيها ورد الخبر فى كتاب من اليمن بأن ثلاثة أنهار بالحبشة تغيرت بعدما كانت عذبة، فصار أحدها أجاجا، والآخر لبنا، والآخر دما.

وفيها مات قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وقد تغلب عليه ابنه قطب الدين - صاحب سيواس وأقصرا - وزاد فى أن حجر عليه.وكان موته فى شعبان، فولى قونية بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان، وبقيت أخوته على ولاياتهم من عهد أبيهم، فاختلفوا، وثار عليه أخوه ركن الدين سليمان صاحب ووقاط[2] وملك سيواس وأقصرا وقيسارية[3] وهى أعمال أخيه قطب الدين ثم ملك قونية من غياث الدين، ففر غياث الدين ونزل حلب.

* * *

---

(١) دمياط: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ٣٢٠/١٢، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦، وخطط المقريزى ٢١٥/١ وما بعدها. ومعجم البلدان ٤٧٢/.

(٢) لعلها توقات وهى بلدة فى أرض الروم بين قونيا وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة. انظر معجم البلدان ٥٩/٢.

(٣) قيسارية: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثم ياء مشددة: مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم وهى كرسة ملك بنى سلجوق ملوك الروم أولاد قلج أرسلان.انظر معجم البلدان ٤٢١/٤.

سنة تسع وثمانين وخمسمائة[1]

أهلت: والسلطان بدمشق، فخرج العادل إلى الكرك، وقدم من اليمن الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين[2] فى نصف صفر، فسربه السلطان.

فلما كانت ليلة السبت سادس عشره: نزل بالسلطان مرض، فأمر يوم السبت ولده الفضل أن يجلس على الطعام، فجلس في موضع السلطان. وتزايد به المرض إلى اليوم الحادى عشر من مرضه، فحلف الأفضل الناس، واستمر السلطان فى تزايد من المرض إلى ليلة الأربعاء سابع عشرى صفر - وهى ليلة الثانى عشر من المرض - فاحتضر ومات بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور. فركب الأفضل، ودار فى الأسواق، وطيب قلوب العامة.

وكان رحمه الله كثير التواضع، قريبا من الناس، كثير الاحتمال، شديد المداراة، محبا للفقهاء وأهل الدين والخير محسنا إليهم، مائلا إلى الفضائل، يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلسه. ومدحه كثير من الشعراء، وانتجعوه من البلدان. وكان شديد التمسك بالشريعة، سمع الحديث من أبى الحسن على بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبى سعد، وأبى محمد بن برى النحوى، وأبى الفتح محمود بن أحمد الصابونى، وأبى الطاهر السلفى، وابن عوف، وجماعة غيرهم. وكان كريما: أطلق من الخيل بمرج عكا لمن معه اثنى عشر ألف رأس، سوى أثمان الخيل التى أصيبت فى الجهاد. ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به، وصاحبه ملازم فى طلبه، وتأخر عنه الأمير أيوب بن كنان فى بعض سفراته لدين لزمه، فتقبل لغرمائه باثنى عشر ألف دينار مصرية. وكان ورعا، رأى يوما العماد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها، وقال هذا حرام، فلم يعد يكتب منها عنده. وكان لا يصلى إلا فى جماعة، وله إمام راتب ملازم، وكان يصلى قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ، وكان يسوى فى المحاكمة بين أكبر الناس وبين

---

(١) سنة ٥٨٩ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٤٧ - ٦/٥٧، ١١٩ - ٦/١٢١، الكامل ١٢/٩٥ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٢.

(٢) المعز فتح الدين أبو الفداء (٥٩٨هـ - ١٢٠٢م). إسماعيل بن طغتكين بن أيوب: سلطان اليمن . خرج فى زمان أبيه عن مذهب أهل السنة فى اليمن، واتبع مذهب الإسماعيلية، فطرده أبوه، فخرج من زبيد يريد بغداد فتوفى أبوه عقب خروجه فعاد قبل أن يبتعد، ودخل زبيدا فمكث يوما وخرج إلى تعز فأظهر فيها مذهبه، وقويت به الإسماعيلية. انظر تاريخ ثغر عدن، بلوغ المرام ٤١ . الأعلام ١/٣١٦.

خصمه. وكان شجاعا فى الحروب، يمر فى الصفوف وليس معه سوى صبى. وقرئ عليه جزء من الحديث بين الصفين، وهو على ظهر فرسه، وكان ذاكرا لوقائع العرب وعجائب الدنيا، ومجلسه طاهر من المعايب، رحمه الله وغفر له.

ولما مات جلس الأفضل للعزاء، وكثر بكاء الناس عليه. وغسله الفقيه خطيب دمشق، وأخرج بعد صلاة الظهر، وصلى الناس عليه أرسالا، ودفن بداره التى مرض فيها بالقلعة، ثم نقل فى يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بنى أمية. وكتب بوفاته إلى العزيز بمصر، وإلى العادل بالكرك. وكان عمره يوم مات نحوا من سبع وخمسين سنة، منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وأيام. وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرا وبنتا واحدة صغيرة، ولم يخلف فى خزائنه سوى سبعة وأربعين درهما، ولم يترك دارا ولا عقارا. وكان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى صاحب سره، وبمنزلة الوزير منه.

وفيها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق فى رابع عشرى شهر ربيع الأول، وهو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية، وابتداء دولتهم فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وأولهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانيا وخمسين سنة.



السلطان الملك العزيز عماد الدين

أبو الفتح عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة. ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة، وعنده جل العساكر والأمراء من الأسدية والصلاحية والأكراد. فلما بلغه موت أبيه جلس للعزاء وأخذ بالحزم، وقرر أمور دولته، وخلع على الأمراء وأرباب الدولة بعد انقضاء العزاء. فقام أخوه الأفضل نور الدين على بدمشق، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه بوفاة أبيه، من إنشاء العماد الكاتب. وبعث بذلك مع القاضى ضياء الدين أبى الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى، ومعه عدد والده وملابسه وخيله، وهدية نفيسة. وسار العادل من الكرك إلى بلاد المشرق، فأقام بقلعة جعبر[1] وبعث نوابه إلى حران والرها، واستوزر الأفضل الوزير

---

(١) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفين التى كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنهما. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٠.

ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، وفوض إليه أموره كلها، فحسن له إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه، وأن يستجد أمراء غيرهم، ففارقه جماعة منهم الأمير فخر الدين جهاركس، وفارس الدين ميمون القصرى، وشمس الدين سنقر الكبير، وكانوا عظماء الدولة، فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم، وولى فخر الدين أستاداره، وفوض إليه أمره، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيداء وأعمالها، وكان ذلك لهما، وزادهما نابلس وبلادها، وسار القاضى الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة، فخرج العزيز إلى لقائه وأجل قدومه وأكرمه، فشرع القوم فى تقرير قواعد ملك العزيز والأفضل فى شغل عنهم، وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل، فكتب إلى أخيه العزيز يرغب عنها له. وكان ذلك من تدبير وزيره ابن الأثير، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموال ورجال لمدافعة الفرنج، فسر العزيز بذلك، وجهز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك النورى متولى القدس، لينفقها فى عسكر القدس، فخطب له به. وخشى العزيز من نقض الهدنة بينه وبين الفرنج، فبعث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج. ثم بدا للأفضل أن يعود فيما رغب عنه لأخيه من القدس، ورجع عن ذلك، فتغير العزيز من هذا، وأخذ الأمراء فى الإغراء بينهما، وحسنوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه، فبلغ ذلك الأفضل.

* * *

سنة تسعين وخمسمائة

ودخلت سنة تسعين: وقد تنافرت القلوب، وقويت الوحشة بين الأخوين، واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزيز، فاضطربت أحوال الأفضل. وخرج العزيز من القاهرة بعساكر مصر، من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم، يريد الشام وانتزاعها من أخيه الأفضل، من أجل أمور منها أن جبيل - وهو من جملة الفتوح الصلاحية - كان مع رجل كردى فقيه أقامه صلاح الدين مستحفظا بها، فأرغبه الفرنج بمال حتى سلمه لهم. وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه من الفرنج، فتعذر عليه، وظهر العجز عن استخلاصه، فامتعض الأمراء لذلك، وخوفوا العزيز من عاقبة أمر الفرنج، فسار فى صفر واستخلف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود، وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدى وصيرم وسيف الدين يازكج وخطلج فى تسعمائة فارس. واتفق أن الأمير صارم الدين قايماز النجمى - أحد أكابر الأمراء الصلاحية - استوحش من الأفضل لإعراضه عنه، فخرج من دمشق يريد إقطاعه، ولحق بالعزيز فأكرمه ورفع محله. وهم الأفضل بمراسلة أخيه العزيز واستعطافه، فمنعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه، وحسنوا له محاربته، فمال إليهم. وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق، وإلى أخيه الظاهر بحلب، وإلى المنصور بحماة، وإلى الأمجد صاحب بعلبك وإلى المجاهد شيركوه صاحب حمص، يستنجدهم على أخيه العزيز. فوردت رسلهم فى جمادى الآخرة، يعدون بالقدوم عليه. ثم إنه برز من دمشق، ونزل برأس الماء. فلما وصل العزيز إلى القصير[1] من الغور ضاق الأفضل، ورجع من الفوار إلى رأس الماء، فأدركت مقدمة العزيز ساقته، وكادوا يكبسونه فانهزم إلى دمشق، ودخلها لخمس مضين منه. ونزل العزيز فى غده على دمشق فى قوة قوية، ونازل البلد. وكان الأفضل قد استعد لقتاله، فقدم العادل والظاهر والمنصور والمجاهد والأمجد إلى دمشق. وبعث العادل إلى ابن أخيه الملك العزيز يشفع فى الأفضل، ويستأذنه فى الاجتماع به، فأذن له. وخرج العادل فاجتمع بالعزيز - وكل منهما راكب - وتحدث معه فى الصلح، وأن ينفس الخناق عن البلد، وكان قد اشتد الحصار، وقطعت الأنهار، ونهبت الثمار، والوقت زمن المشمش. فوافق العزيز عمه، وتأخر إلى

---

(١) القصير: بلفظ تصغير قصر، فى عدة مواضع، منها: قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن يكثر فيه قصب السكر. انظر معجم البلدان ٤/٣٦٧.

داريا [1] ونزل على العوج، وسير الأمير فخر الدين جهاركس الأستادار - وهو يومئذ أجل الصلاحية - إلى العادل، فقرر الصلح على شروط، وعاد إلى العزيز. فرحل ونزل مرج الصفر فحدث له مرض شديد، وأرجف بموته، ثم أبل منه. وأمر بعمل نسخة اليمين، وهى جامعة لمقترحات جميع الملوك، وحسم مواد الخلاف، وأن الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه، والملك المجاهد شيركوه، يكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له، وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون فى حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزرا له. وبعث كل من الملوك أميرا من أمرائه ليحضر الحلف، فاجتمعوا يوم السبت ثانى عشر شهر رجب، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دخن. وتزوج العزيز بابنة عمه العادل، وقبل العقد عنه القاضى المرتضى محمد بن القاضى الجليس عبد العزيز السعدى. ووكل العادل القاضى محيى الدين محمد بن شرف الدين ابن عصرون فى تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز، وعقد بينهما قاضى القضاة محيى الدين. وكتب العماد الكاتب الكتاب فى ثوب أطلس، وقرئ بين يدى الملك الظاهر، وعقد العقد عنده.

فلما كان يوم الجمعة أول شعبان: خرج الملك الظاهر غازى صاحب حلب لوداع أخيه، فركب العزيز إلى لقائه وأنزله معه، وأكلا ثم تفرقا، بعد ما أهدى كل منهما لأخيه هدية سنية. ثم خرج العادل لوداع العزيز فى خواصه، ثم خرج الأفضل فودعه أيضا، وهو آخر من ودعه. ورحل العزيز من مرج الصفر فى ثالث شعبان يريد مصر، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لعمه وبقية الملوك وودعهم، ثم رحلوا من الغد إلى بلادهم إلا العادل، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان، ثم رحل إلى بلاده بالشرق.

وقدم العزيز إلى القاهرة فى يوم [......] [2] وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح، فأماله عن ذلك خواصه، وأغروه بأخيه، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكاتبون العزيز، فاستوحش منهم، وفطنوا بذلك فتفرقوا عنه. وسار الأمير عز الدين أسامة صاحب كوكب وعجلون عن الأفضل، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام، وأخذ يحرضه على الفضل، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه، ويقول له: «إن الأفضل قد غلب على اختياره، وحكم عليه وزيره الضياء ابن الأثير الجزرى، وقد افسد أحوال دولته برأيه الفاسد، ويحمل أخاك على مقاطعتك، ويحسن له نقض اليمين، فإن

---

(١) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة .انظر معجم البلدان ٢/٤٣١.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

من شرطها صفو الوداد وصحة النية، و لم يوجد ذلـك، فحنثهـم فـى اليمـين قـد تحقق، وبرئت أنت من العهدة، فاقصد البلاد فإنهـا فـى يـدك، قبـل أن يحصـل فـى الدولـة مـن الفساد ما لا يمكن تلافيه»، وبينا هو فى ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الديـن أيدمر ابن السلار، وصل إلى العزيز، فساعد الأمير أسامة على قصده، ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضى محيى الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بـن أبى عصرون، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية، وضم إليه نظر الأوقاف.

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره، وتظـاهر بلذاتـه، وفـوض الأمـور إلى وزيره، ثم ترك اللعب من غير سبب، وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمور، وأقبل علـى العبادة، ولبس الخشن من الثياب، وشرع فى نسخ مصحف بخطه، واتخذ لنفسه مسـجدا يخلو فيه بعبادة ربه، وواظب على الصيام، وجالس الفقـراء، وبـالغ فـى التقشـف، حتـى صار يصوم النهار ويقوم الليل.

وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيـه الكمـال الكـردى مـن مصـر، فأفسـد جماعـة علـى السلطان، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية، فسار إليه العسكر فلـم يظفـروا به. وقطع العزيز أيضا خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعـز الديـن صهـر الفقيـه، فساروا من القاهرة إلى دمشق، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات.

وفى شهر رمضان: كسر بحر أبى المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام، وتجاهر النـاس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم.

وفيه وقعت الآفة فى البقر والجمال والحمير، فهلك منها كثير.

وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بـلاد المغـرب، لشـدة الغـلاء بهـا، وكـثرت بـين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخـذ منهـم، فقصـروا فـى عمـارة البـلاد. وارتفـع السـعر بالإسكندرية، ونقص ماء النيل بعدما بلغ اثنين وعشرين إصبعا مـن سـبعة عشـر ذراعـا، فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد، وبلغ القمح كل أردب بدينار، وأخذ فى الزيادة وتعذر وجود الخبز، وضج الناس، وكثرت المنكـرات، وغـلا سـعر العنـب لكثرة مـن يعصـره. وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وحميت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب، فمنها ما كان عليه فى اليوم ستة عشر دينـارا، ومنـع مـن عمـل المـزر البيوتـى، وتجـاهر الكافة بكل قبيح، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

وفيها قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصلبوت، فأحضر من القـدس،

وكان مرصعا بالجوهر، وسلم إليه على أن يعاد ثغر جبيل من الفرنج. وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك.

* * *

تتمة سنة تسعين وخمسمائة[1]

فى يوم الخميس رابع محرم: عقد مجلس بحضرة السلطان، حضره أصحاب الدواوين.

وفى عاشره: قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاه السلطان والأمراء، وحمل إليه سماط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل.

وفى سادس عشره: ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر بباب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الحوانيت فى الأسواق، ورسم بهدمها، فهدمت بمباشرة محتسب القاهرة. ومر بصناعة العمائر، فرسم بسد طاقات الدور المجاورة للنيل فسدت.

وفى صفر: غيرت ولاة الأعمال.

وفى عاشره: حلف العزيز لعمه العادل.

وفى ثالث عشريه: عاد العزيز من الصيد بالجيزة.

وفى هذا الشهر: غلت الأسعار، فبلغ كل مائة أردب ثمانين دينارا.

وفى خامس عشره: قدم فارس الدين ميمون القصرى مقطع صيداء، وسيف الدين سنقر المشطوب، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف، مفارقين الملك الأفضل، فدفع العزيز لميمون خمسمائة دينار، ولسنقر أربعمائة دينار، وللمشطوب ثلاثمائة دينار .

وفى ربيع الأول: اشتد الأمر فى الزحام على الخبز لقلته فى الأسواق، ووقع الحريق فى عدة مواضع بالقاهرة.

وفى عاشره: أخرجت خيمة السلطان للسفر.

وفى ثالث عشره: انحل السعر قليلا، ووجد الخبز فى الأسواق .

وفى نصفه: ورد كتاب علم الدين قيصر بأنه تسلم القدس من جرديك فى تاسعه، وتسلم صليب الصلبوت، وقرر أيضا إعادة جبيل من الفرنج.

---

(١) سنة ٥٩٠ هـ .انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٢١ - ٦/١٢٣ الكامل ١٢/١٠ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٦ وما بعدها

وفى سادس عشره: قدم بدر الدين لؤلؤ[1] بكتاب الأفضل بخبر جبيل، وسبب قدوم ميمون ورفيقيه.

وفيه نزع السعر، وبلغ كل مائه أردب إلى مائة وخمسة وسبعين دينارا، وعظم ضجيج الناس من الجوع.

وفى سابع عشريه: وصل صليب الصلبوت من القدس، وهو خشبة مرصعة بجواهر فى ذهب .

وفى ثامن عشريه: ولى زين الدين على بن يوسف الدمشقى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن صدر الدين بن درباس، بعناية جماعة من المماليك به، وخلع عليه.

وفى سلخه: قدم رسول الملك العادل.

وفى تاسع ربيع الآخر: هدم المحتسب حوانيت وإصطبلا كان صدر الدين بن درباس أنشاها فى زيادة الجامع الأزهر بجوار داره، ورفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره.

وقوى عزم السلطان على السفر، وبعث بهرام يقترض له مالا من تجار الإسكندرية، وطلب من قاضى القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار، فحملت إلى الخزانة. وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه، وأحال به على بيت المال، وقرر استخراجه منه وأمر بحمله إلى القاضى. هذا وقد تأخر القرض الذى كان السلطان صلاح الدين أُقرضه فى نوبة عكا، وهو ثلاثون ألف دينار، فلم يوف منه إلا يسيرا.

وفى سادس عشره: توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبيل.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خرج السلطان إلى مخيمه ببركة الجب، واستناب فى غيبته بهاء الدين قراقوش، ومعه ثلاثة عشر أميرا، ونحو سبعمائة فارس. وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميرا، فى ألفى فارس وألف من الحلقة.

---

(١) لولو الأتابك (الملك الرحيم بدر الدين لولو). الملك الرحيم (٥٧٠ - ٦٥٧ هـ - ١١٧٤ - ١٢٥٩م). لولو بن عبد الله الأتابكى، أبو الفضائل. بدر الدين، الملقب بالملك الرحيم: صاحب الموصل. طالت أيامه بها، وكان من أحل الملوك ومن أعلاهم همة، وأسهرهم على رعاياه. قال ابن تغرى بردى: « ما أحوج الناس إلى ملك مثله، يملك الدنيا بأسرها!».وتوفى بالموصل. النجوم الزاهرة ٧: ٧. انظر الأعلام ١١/٥.

وفى ثالث جمادى الأولى: استقل السلطان بالمسير، ونزل على دمشق فى تاسع جمادى الآخرة، ورحل عنها فى ثامن عشريه بشفاعة عمه الملك العادل.

وفى تاسع رجب: دخل الأفضل دمشق، بعد أن تقرر الصلح بينه وبين أخيه الملك العزيز فى سادسه.

وفى رابع شعبان: دقت البشائر بالقاهرة، فرحا بالصلح بين الأولاد الناصرية، وزينت الأسواق.

وفيه انحط السعر.

وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلخ شعبان.

وفى سابع رمضان: وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعيالهم من دمشق، والديوان فى ضائقة شديدة، فعجزوا عن إقامة وظائفهم ومطابخهم وجراياتهم، فنزلوا فى الدار العزيزية. ونزعت الأسعار فى المأكولات كلها.

وفى تاسع عشره: وصل عز الدين أسامة مفارقا للأفضل.

* * *

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة[1]

ودخلت سنة إحدى وتسعين، والعزيز على عزم المسير إلى الشام، فاستشار الأفضل أصحابه ، فمنهم من أشار عليه بمكاتبة العزيز واسترضائه، وأشار الوزير ابن الأثير عليه بالاعتصار بعمه العادل، واستنجاده على العزيز، فأصغى إليه، وكثرت الإشاعة بقصد العزيز إقامة الخطبة فى دمشق باسمه، وضرب السكة له. فانزعج الأفضل، وخرج من دمشق فى رابع عشر جمادى الأولى، وسار جريدة إلى عمه العادل، فلقيه بصفين[2]، فلما نزلا ألحف الأفضل فى المسألة له أن ينزل عنده بدمشق، ليجيره من أخيه العزيز، فأجابه وأنزله بقلعة جعبر[3]، ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها فى تاسعه، ودخل الأفضل إلى حلب على البرية، مستصرخا بأخيه الملك الظاهر، فتلقاه وحلف له على مساعدته، ثم رحل عنه إلى حماة، فتلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد ابن المظفر، وحلف له، ثم سار عنه إلى دمشق، فدخلها فى ثالث عشره وبها العادل،

---

(١) سنة ٥٩١ هـ . انظر حداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٣ - ٦/١٢ الكامل ١٢/١١ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٨.

(٢) صفين: موضع بالعراق معروف على الفرات، ويقال فيه صفون أيضًا.فهو يقال صفين فى حال الرفع والنصب والجر، ومنهم من يقول صفون فى الرفع، والغالب على صفين التأنيث. وقيل لأبى وائل شقيق بن سلمة: «أشهدت صفين؟ قال: نعم، وبئست صفون»، وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى:

كما بلغت أيام صفين نفسه ... تراقيه والشامتى شهود

وهى صحراء ذات كدى وأكمات، وبها كانت الوقيعة العظيمة بين على ومعاوية رضى الله عنهما، وأهل العراق وأهل الشام، والتى جاء فيها الحديث المتفق على صحته: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة»، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل فى ربيع الآخر، وأقام على ومعاوية رضى الله عنهما بصفين سبعة أشهر، وكان أهل الشام خمسة وثلاثين ألفًا ومائة ألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ألفًا ومائة ألف. قال الإمام عبد القاهر فى كتاب «الإمامة» من تأليفه: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقى أهل الحديث والرأى، منهم مالك والشافعى وأبو حنيفة والأوزاعى والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليًا رضى الله عنه مصيب فى قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته فى قتاله لأهل الجمل، وقالوا أيضًا: إن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم. قال إمام الحرمين: كان على رضى الله عنه إمامًا حقا ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه. انظر: الروض المعطار ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ومعجم ما استعجم ٨٣٧/٣.

(٣) قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين .

فأفضى إليه بأسراره. وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل، وسوء تدبيره وقبيح سيرته، فانحرف عنه ونهاه فلم ينته إلا أنه مبالغ فى كرامة عمه، حتى أنه ترك له السنجق. وصار العادل يركب بالسنجق السلطانى فى كل يوم، ويركب الأفضل فى خدمته.

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة، من أجل ميل الملك المنصور صاحب حماة إلى العادل. فسير الظاهر إلى أخيه العزيز يحرضه على قصد الشام، ووعده بالمساعدة له على الأفضل، فوافق ذلك غرضه، وخرج من القاهرة بعساكره فى [....](١).

فلما قارب العزيز دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستمالهم، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسدية تنافس، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسدية. فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطائفتين، ونفرت الأسدية من الملك العزيز. وكاتب العادل العزيز سرا يخوفه من الأسدية، ويحثه على إبعادهم عنه، وكاتب الأسدية، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه. فحاق ما مكره وتم له ما دبره، وعزموا على مفارقة العزيز، وحسنوا للأكراد والمهرانية موافقتهم، فانقادوا إليهم. وكان مقدم أمراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية، واتفقوا بأجمعهم على مفارقة العزيز والانضمام إلى العادل والأفضل، ومضايقة العزيز وعقدوا النية على مكاتبة من بقى منهم بمصر، أن يستقبلوا العزيز ويحولوا بينه وبين القاهرة، فيصير بذلك بين الفريقين، ويؤخذ باليد.

فلما كان فى عشية الرابع من شوال: رحل الأمير أبو الهيجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية، وهم لابسون لامة الحرب، ولحقوا بالعادل فسر بهم، لأنهم معظم الجيش. فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل العزيز يريد مصر، وهو متخوف من الأسدية المقيمين بالقاهرة. وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، فلم يتغير على العزيز، ووصل إلى القاهرة فى [.......](٢) فاستقر بها. ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق، ومعه العساكر يريد أخذ القاهرة، لما داخله من الطمع فى العزيز، واتفق مع الأفضل على أن يكون للعادل ثلث البلاد المصرية، ويكون ثلثاها للأفضل. فأجابه إلى ذلك ورحلا من دمشق، وخرج معهم أيضا المنصور صاحب حماة، وعز الدين بن

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

المقدم[1] وسابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر واستخلف الأفضل بدمشق أخاه الملك الظافر خضر صاحب بصرى وانضم إليهم عز الدين جرديك النورى نائب القدس، فلما وصلوا تل العجول، أخلع الأفضل على جميع الأسدية، وعلى الأكراد الأفضلية، وأعطاهم الكوسات. وسار الأفضل إلى القدس، وتسلمه من جرديك، وأعطاه بيسان وكوكب والجولان[2] والمنيحة[3] ثم سار العسكر حتى نزل على بلبيس، وبها جموع الصلاحية والعزيزية، ومقدمهم فخر الدين جهاركس على الصلاحية، والأمير هكدرى بن يعلى الحميدى على طائفة الأكراد، فنازلهم العادل والأفضل .

وكانت أيام زيادة ماء النيل، والأسعار غالية والعلف متعذر، فبلغ العسكر الواصل الجهد، وندم أكابرهم على ما كان منهم، هذا والعزيز يمد أهل بلبيس بالمراكب المشحونة بالرجال والعدد، فبلغ ذلك الأسدية، فركبوا إلى المراكب، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها، وأسروا خلقا، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة، واشتد الحصار على بلبيس حتى كادت تؤخذ، وضاق العزيز بالقاهرة، وقلت الأموال عنده، وكان محببا إلى الرعية، لما فيه من حسن السيرة، وكثرة الكرم والرفق، فلما نازل العادل والأفضل بلبيس احتاج إلى استخدام الرجال، فلم يجد عنده مالا، فبذل له الأغنياء جملة أموال، فلم يقبلها، وكان القاضى قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال، وكان عبد الكريم بن على البيسانى يتولى الحكم والإشراف فى البحيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جما. ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضى الفاضل مشاجرة اقتضت اتضاع حاله عند الناس بعد احترامهم إياه، فصرف عن عمله. وكان متزوجا بامرأة موسرة من بنى ميسر، فسكن بها فى ثغر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه، فسار أبوها إلى الإسكندرية، وأثبت عند قاضيها ضرر ابنته، فمضى القاضى بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذى من داخله المرأة،

---

(١) ابن المقدم (٥٨٣ هـ - ١١٨٨م). محمد بن عبد الملك ، المعروف بابن المقدم، الأمير شمس الدين: قائد من الولاة المقدمين فى العهدين النورى والصلاحى، تمرس على القيادة فى أيام أبيه المقدم مستحفظ سنجار فى أيام نور الدين الشهيد. واستخلفه أبوه على قلعتها قبل أن يدخلها نور الدين سنة ٥٤٤ هـ ثم كان شمس الدين بن المقدم من قادة الجيش النوى . انظر ابن الأثير ٢١٢/١١، كتاب الروضتين ١٢٣/٢ . الأعلام ٦/٢٤٩.

(٢) الجولان بالفتح ثم السكون : قرية وقيل جبل من نواحى دمشق ثم من عمل حوران، قال ابن دريد: يقال للجبل حار الجولان. انظر معجم البلدان ٢/١٨٨.

(٣) منيحة: بالفتح ثم الكسر ثم ياء، وحاء مهملة، واحدة المنايح، وهو كالهبة والعطية، والمنيحة: من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٥/٢١٧.

فأمر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها وأعاد بناء النقب، فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمير فخر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية، وحمل ذلك بأجمعه إلى فخر الدين جهاركس. فأحضره جهاركس إلى العزيز، وهو حينئذ فى غاية الضرورة إلى المال، وقال: «هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب»، وعرفه الخبر. فأطرق العزيز مليا، ثم رفع رأسه وقال: «أعد المال إلى صاحبه، وقل له إياك والعود إلى مثلها، فما كل ملك يكون عادلا، وعرفه أنى إذا قبلت هذا منه أكون قد بعت به أهل الإسكندرية، وهذا لا أفعله أبدا». فلما سمع هذا جهاركس وجم، وظهر فى وجهه التغير. فقال له العزيز: «أراك واجما، أظنك أخذت على الوساطة شيئا». قال: «نعم خمسة آلاف دينار». فأطرق العزيز، ثم قال: «أعطاك مالا تنتفع به، وأنا أعطيك فى قبالته ما تنتفع به مرات عديدة»، ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبدة، ومغلها فى السنة سبعة آلاف دينار، فلامه أصحابه وألحوا عليه فى الاقتراض من القاضى الفاضل، فاستدعاه إلى مجلسه، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق، فعندما عاين القاضى الفاضل استحيا منه، ومضى إلى دار الحرم، احتراما له من مخاطبته فى القرض، فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من عند الحرم. فلما اجتمع بالفاضل قال له، بعد أن أطنب فى الثناء عليه: «قد علمت أن الأمور قد ضاقت على، وقلت الأموال عندى، وليس لى إلا حسن نظرك، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك». فقال القاضى الفاضل: «جميع ما أنا فيه من نعمتكم، ونحن نقدم أولا الرأى والحيلة، ومتى احتيج إلى المال فهو فى يديك».

واتفق أن العادل - لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق - استدعى القاضى الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه. وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التى جهزها إلى بلبيس ما جرى، خاف على الملك أن يخرج من يده، فسير إلى عمه فى السر يعرفه أنه قد أخطأ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب، ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده. فرق له العادل، واستدعى القاضى الفاضل، فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه، ومازالا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز، من غير أن يؤاخذهم بشىء، ويرد عليهم إقطاعاتهم، ويحلف العزيز لهم ويحلفون له، وأن يكون العادل مقيما بمصر عند العزيز، ليقرر قواعد ملكه، وأن العزيز والأفضل يصطلحان، ويستقر كل منهما على ما بيده. فعاد القاضى الفاضل، وقد تقرر الأمر على ما ذكر، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء.

وخرج العزيز من القاهرة إلى بلبيس، فالتقاه عمه العادل وأخوه الأفضل، ووقع الصلح التام فى الظاهر. ورحل الأفضل يريد الشام، ومعه الأمير أبو الهيجاء السمين، وصار الساحل جميعه مع الأفضل، وعاد العزيز إلى القاهرة، وصحبته عمه العادل، فأنزله فى القصر من القاهرة. وأخذ العادل فى إصلاح أمور مصر، والنظر فى ضياعها ورباعها، وأظهر من محبة العزيز شيئا زائدا، وصار إليه الأمر والنهى والحكم والتصرف فى سائر أمور الدولة، جليلها وحقيرها، وصرف القاضى محيى الدين محمد بن أبى عصرون عن قضاء مصر، وولى زين الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقى.

وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج.

وفيها ورد كتاب ملك الروم، يتضمن أن كلمة الروم اجتمعت عليه، وأنه أحسن إلى المسلمين وأمرهم بإقامة الجامع، فأقيمت الصلاة فيه يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة، وأنه عمر جانبا منه كان انهدم من ماله، فتمكن من فى القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها. والتمس ملك الروم الوصية بالبطرك والنصارى، وأن يمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد، وإظهار شعائرهم بكنائسهم، وأن يفرج عن أسارى الروم بمصر.

وفيها عزل زين الدين على بن يوسف بن بندار عن القضاء، فى حادى عشر جمادى الأولى، بمحيى الدين أبى حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن عصرون.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1]

وأهلت سنة اثنتين وتسعين:

ففى أولها: وصل الملك الأفضل إلى دمشق، وتفرقت العساكر إلى بلادها، ولزم الأفضل الزهد، وأقبل على العبادة، وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير، فاختلت به الأحوال غاية الاختلال، وكثر شاكوه. وضبط العادل أمور مملكة مصر، وغير الإقطاعات، ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال، وثمر الأموال، وقرب إلى العزيز الأمير عز الدين أسامة، فصار صاحب سره وحاجبه، والواسطة بينه وبين عمه. واختص الأمير صارم الدين قايماز النجمى بالعادل، وصار صفوته.

وفى يوم السبت ثانى عشر المحرم: رفعت يد ابن أبى عصرون وأيدى نوابه من الحكم، وأمر أن يعتزل فى بيته، وأن يخرج عن مصر، فأغلق بابه، وشرع فى تجهيز نفسه، وتوسل فى إقامته.

وفى سابع عشريه: خلع على زين الدين على بن يوسف بن بندار وأعيد إلى القضاء، عوضا عن ابن أبى عصرون.

وفى أول صفر: حبس الملك العزيز ناحية الخربة[2] من المنوفية على زاوية الإمام الشافعى بالجامع العتيق بمصر، وفوض تدريسها إلى البهاء بن الجميزى.

وفى صفر وشهر ربيع الأول: كثرت الطرحى من الأموات على الطرقات، وزادت عدتهم بمصر والقاهرة فى كل يوم عن مائتى نفس، وبقى بمصر من لم يوجد من يكفنه، وأكثرهم يموت جوعا.

وانتهى القمح إلى مائة وثمانين دينارا المائة أردب، والخبز إلى ثلاثة أرطال بدرهم، وعمد الضعفاء إلى شراء الجرار، وغدوا إلى البحر وترددوا إليه، ليستقوا منه فى الجرار، ويبيعوها بثمن درهم الجرة، وقد لا يجدون من يشتريها منهم، فيصيحون: «من يتصدق علينا بثمن هذه الجرة، ومن يشتريها منا بكسرة؟». وزاد السعر، وضاق الخناق، وهلك

---

(١) سنة ٥٩٢ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٥ - ٦/١٢٧، الكامل ١٢/١٢١ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٩.

(٢) الخربة: بالتحريك وخربة أرض به معدن يقال له معدن خربة.انظر معجم البلدان ٢/٥٧٠.

الضعفاء، وفشا الموت، وأكثره فى الجياع. وصارت الأقفاص التى يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات، ولا يقدر على النعوش إلا بالنوبة، وامتدت الأيدى إلى خطف ألواح الخبز - ويضرب من ينهب، ويشج رأسه، ويسال دمه، ولا ينتهى ولا يرمى ما فى يده مما خطفه، وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب، فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه.

وورد الخبر فى تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نقل فى يوم عاشوراء، من قلعة دمشق إلى تربة عملت له، فكان يوما مشهودا.

وفى تاسع عشريه: قدم الملك الزاهر داود مجير الدين صاحب البيرة، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر، وبهاء الدين بن شداد قاضى حلب، فخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب، وقدم العماد الكاتب أيضا. وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة، واشتروا القمح كل ويبة بدينار، وأن بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات فى السنة الخالية، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة، وزاد الجراد بالشام ، وعظم خطبه، وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة، وزادت وأفرطت. وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما، وصار الفروج لا يقدر عليه، وانتهى سعر القمح إلى مائتى دينار كل مائة أردب، وغلظ الأمر فى الغلاء، وعدم القوت، وكثر السؤال، وكثرت الموتى بالجوع. وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الزبل.

وازدحم الناس على الطير الذى يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات، وعدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات الموائد وكناسات الآدر، ومن يقفل بابه ويموت، ومن عمى من الجوع ويقف على الحوانيت ويقول: أشمونى رائحة الخبز.واستخدم رجل فى ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة، وجعل الطواشى ببهاء الدين قراقوش الشاد فى هذا المال، وألا يتصرف فيه، وأن يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يؤمر بها.ووقع لابن ثعلب الشريف الجعفرى بخبز مبلغه فى السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس وعلم. وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية عليه من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل فى بعض الأوقات لا كلها، لبعض ما يتبلغ به أهلها من خبز، وكثر ضجيجهم وشكواهم، فلم يسمع.

وفى شهر ربيع الآخر: صرف صارم الدين خطلج الغزى عن شد الأموال بالدواوين، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش، مضافا إلى شد الزكوات، فكمل شد المال له.

وفيه كثر الموت، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض، واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام، وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضى يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة.وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطاع مقالتها، ولا زيارة قبورها، وأخذت الأسعار فى الانحلال.

وفى جمادى الأولى: تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق، فوقع العزم على المسير إلى الشام، ووقع الشروع فى الإنفاق فى الحاشية، فقبضوا شهرا واحدا، وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا، فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم، فأحيل بعضهم على جهات. وامتنع الجاندارية[1] من قبض شهر، وأنهى ذلك إلى العزيز، فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى المخيم، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشى قراقوش، واستخدمه فى السور، فخرجوا بأنفس غير طيبة، وألسنة بالشكوى معلنة، وكان المال الذى أنفق فى الحاشية قد افترض من الأمراء، وأحيل به على الجوالى لسنة ثلاث وتسعين، وخرج العزيز إلى المخيم، وحرك الأمراء تحريكا قويا، وسير الحجات إلى البلاد تحت الأجناد، فتتابع خروج الناس، ووقع الرحيل من بركة الجب فى ثامنه، فرحل السلطان العادل والعزيز، وجميع الأسدية والمماليك. وفشت الأمراض الحادة، فما ينقضى وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز. وغلت الأدوية، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهما، والبطيخة إلى مائة درهم. وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية، وأموات لا تتلاحق.وكثر الوباء والموت بالإسكندرية.

وفى آخره: انحلت الأسعار، ونزلت الغلة إلى ثمانين دينارا كل مائة أردب، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم. وقل السؤال، وارتفع الموتان، بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دنانير، وهذا لم يسمع بمثله فى مصر قبل ذلك. وفيه نودى فى القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج، فليتجهز أرباب النيات.

---

(١) الجاندارية: فئة من مماليك السلطان أو الأمير ، ومثلها الخاصكية، وهى مركبة من لفظين فارسين أحدهما جان ومعناه سلاح، والثانى دار ومعناه ممسك ووظيفة الجاندار أنه يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان (صبح الأعشى: ٢/٤).

وفى جمادى الآخرة: وقف الحال فيما ينفق فى دار السلطان، وفيما يصرف إلى عياله، وفيما يقتات به أولاده، وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن، وما يغصب من أربابه، وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون فى الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان، فاقتضى ذلك النظر فى المكاسب الخبيثة. وضمن باب المزر والخمر باثنى عشر ألف دينار، وفسح فى إظهاره وبيعه فى القاعات والحوانيت، ولم يقدر أحد على إنكار ذلك، وصار ما يؤخذ من هذا النيحت ينفق فى طعام السلطان وما يحتاج إليه، وصار مال الثغور والجوالى إلى من لا يبالى من أين أخذ المال.

وفيه وصل العادل والعزيز إلى الداروم[1] وأمر بإخراب حصنها، فقسم على الأمراء والجاندارية فشق على الناس تجريبه، لما كان به من الرفق للمسافرين، وانتهى الملكان إلى دمشق - وقد استعد الأفضل للحرب فى أول شهر رجب - فحاصراها إلى أن ملكاها فى العشرين منه، بعد عدة حروب، خان الأفضل فيها أمراءه، فلما أخذ المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما، فاستحيا العادل منه، لأنه هو الذى حمل العزيز على ذلك، ليوطئ لنفسه، كما يأتى.وأمره العادل أن يعود إلى القلعة، فلم يزل بها أربعة أيام، حتى بعث إليه العزيز أيبك فطيس أمير جاندار، وصارم الدين خطلج الأستادار، فأخرجاه عياله وعيال أبيه.

وأنزل الأفضل فى مكان، وأوفى ما كان عليه من دين، وما للحواشى من الجوامك.فبلغ ذلك نيفا وعشرين ألف دينار، بيع فيها بركه وجماله وبغاله وكتبه ومماليكه وسائر ماله، فلم توف بما عليه، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حظه، ثم بعث إليه عمه العادل يأمره أن يسير إلى صرخد، فلم يجد عنده من يسير بأهله، حتى بعث إليه جمال الدين محاسن عشرة أوصلوه إلى صرخد.وأخذت من الملك الظافر مظفر الدين خضر[2] بصرى وأعطيت للملك العادل، وأمر الظافر أن يسير إلى حلب، فلحق بأخية الظاهر صاحبها. ويقال إن العادل كان قد قرر مع الملك العزيز - وهو بالقاهرة - أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل

---

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر.انظر معجم البلدان ٢/٤٢٤.

(٢) الظافر الأيوبى (٥٦٨ - ٦٢٧ هـ ١١٧٢ - ١٢٣٠م). خضر الظافر، مظفر الدين، أبو العباس بن يوسف بن أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية ولد وأقام بمصر وروى الحديث وحدث، وسمع الكثير وهو شقيق الأفضل. ترويح القلوب ٩٤/الدارس ١٨٧/٢. الأعلام ٢/٣٠٨.

إلى مصر نائبا عن العزيز فلما ملك العزيز دمشق، وأخرجه أخاه الأفضل منها، انكشفت له مستورات مكائد عمه، فندم على ما قرره معه، وبعث إلى أخيه الأفضل سرا يعتذر إليه، ويقول له: لا تنزل عن ملك دمشق . فظن الأفضل هذا من أخيه خديعة، وأعلم عمه العادل به، فقامت قيامته، وعتب على العزيز وأنبه. فأنكر العزيز أن يكون صدر هذا منه، وحنق على أخيه الأفضل، وأخرجه إلى صرخد على قبح صورة. واختفى الوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزرى خوفا من القتل، ثم لحق بالموصل. واستقر الأمر بدمشق للعزيز فى رابع عشر شعبان، فأظهر العدل، وأبطل عدة مكوس، ومنع من استخدام أهل الذمة فى شىء من الخدم السلطانية، وألزموا لبس الغيار، ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة، واستخلف عمه العادل على دمشق، وسار إلى القدس، فملكها من أبى الهيجاء السمين وسلمها إلى الأمير شمس الدين سنقر الكبير، وسار أبو الهيجاء إلى بغداد.ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعا للملك العادل، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط.

وفى ثامن عشره: ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلقه، ونودى فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع السابعة عشرة.

وفى العشرين منه: فتح سد الخليج، فركب العزيز لذلك، وكثر المتفرجون وازدحم الغوغاء، وحملوا العصى وتراجموا بالحجارة، وقلعت أعين، وخطفت مناديل. وكانت العادة جارية بأن يوقر شهر رمضان من اعتصار الخمر، وألا يجهر بشراء العنب والجرار، ولا يحدث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك الستر.

وفى هذا الشهر: غلا سعر الأعناب لكثرة العصير منها، وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطانى، واستيفاء رسمه بأيد مستخدميه، وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار، وحصل منه شىء حمل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب.

وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج - لما فتح - وعلى ساحل مصر، وتلوث النيل بمعاصى قبيحة.واستمر جلوس العزيز للمظالم فى يومى الإثنين والخميس.

وفى ثانى شوال: كان النوروز، فجرى الأمر فيه على العادة من رش الماء، واستجد فيه التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع. وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس فى إظهار المنكرات، ولم ينههم أحد.

وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، وأحيل على الجهات

بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدى عن استخراجها، وانتمى العاملون إلى من حماهم، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من يحميهم، فضلا عن أخذ الحق منهم، ورفع يده عن حماية من حماه. وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر.

وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفى رابع عشره: خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج، وخيم على سقاية ريدان[١] وكثر القتل بالقاهرة بأيدى السكارى، وأعلن المنكر بها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المعربدين. وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق، نهارا نادرا وليلا راتبا.

واستقرت المظالم للطواشى قراقوش، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد الأموال لفخر الدين جهاركس، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج.

وفى تاسع عشره: كسر بحر أبى المنجا، وباشر العزيز كسره، وزاد النيل فيه إصبعا، وهى الإصبع الثامنة عشرة، من ثمانى عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى.

وفى ثانى عشريه: رحل الحاج، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسى حكمه فى مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله[٢] من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفايع التى كان القبط يختلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات، وخراب البيوت، وعمارة الحبوس، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت، فأجمع ابن وهيب وكاتب نصرانى وغيرهما على أوراق عملت، وانتدب الأسعد بن مماتى والشاد للكشف والرفع إلى فخر الدين جهاركس .

وفى ذى القعدة :كثر وثوب السكارى بمن يلقونه ليلا، وضربهم إياه بالسكاكين،

---

(١)سقاية ريدان: بالراء: بمصر بين القاهرة وبلبيس . انظر معجم البلدان ٣/٢٢٦.

(٢) الحافظ لدين الله (٤٦٧ - ٥٤٤ هـ - ١٠٧٤ - ١١٤٩م). عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله العبيدى، أبو الميمون الملقب بالحافظ لدين الله: من خلفاء الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر ولد فى عسقلان، وتملك الديار المصرية سنة ٥٢٤ هـ. انظر وفيات الأعيان ٣٠٩/١، شذرات الذهب ١٣٨/٤، ابن الأثير ٥٣/١١، ابن إياس ٦٣/١، ابن خلدون ٧١/٤، اتعاظ الحنفا ٢٨٤، حلى القاهرة ٨٦. الأعلام ١٥٠/٤.

فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين، ولم يؤخذ لأحد بثأر، ولا وقع كشف عن مقتول منهم، ولا تمكن والى القاهرة من منعهم.ووجد فى الخليج ستة نفر قتلى مربطين، فلم يسأل عنهم، ولا وقع إنكار لأمرهم.

وفى ذى الحجة: عزم العزيز على نقض الأهرام، ونقل حجارتها إلى سور دمياط، فقيل له إن المؤنة تعظم فى هدمها، والفائدة تقل من حجرها.فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير - وهو مبنى بالحجارة الصوان - فشرع فى هدمه.

وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش، وفخر الدين جهاركس.

وتوفى فى هذه السنة

القاضى الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضى الإسكندرية، وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة فى سابع عشرى شوال. ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة. وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته فى الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها فى ثالث جمادى الآخرة.

وفى خامس ذى الحجة: مات القاضى الرشيد [......] (١) ابن سناء الملك. قال القاضى الفاضل فيه: «ونعم الصاحب الذى لا تخلفه الأيام، ولا يعرف له نظير من الأقوام: أمانة سمينة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع فى نفع المعارف جاهدة. وكان حافظا لكتاب الله، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات، نفعه الله، والأعمال الصالحات، عرفه الله بركاتها».

وفيها حج بالناس الشريف ابن ثعلب، وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفرنج، وفيها أموال فغنموها.

وفيها بنى الأمير فخر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة.

وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن على بن عثمان بن يوسف المخزومى، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى، ومولده فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ على بن برى، وله شعر.

* * *

---

(١) مابين المعقوفتين بياض فى الأصل.

[سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة][1]

ودخلت سنة ثلاث وتسعين، وفيها أقيمت الخطبة للعزيز بحلب، وضربت السكة باسمه، بصلح وقع بين العزيز وبين أخيه الظاهر وقد تولاه القاضى بهاء الدين أبو المحاسن بن شداد، وغرس الدين قلج ، قدما من حلب إلى العزيز بالقاهرة بهدايا، فانعقد الصلح بين الأخوين على ذلك.

وعادا إلى الظاهر، فخطب للعزيز فى شهر ربيع الأول وضربت السكة باسمه.

وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام، فخرج العادل من دمشق، وسير جيشا إلى بيروت لهدم ربضها.

وفيها مات الملك العزيز ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب ملك اليمن فى شوال، وقام من بعده بمملكة اليمن المعز ابنه الملك فتح الدين أبو الفداء إسماعيل.

وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق يافا عنوة، وغنم وأسر كثيرا، يقال إنهم سبعة آلاف نفس، ما بين ذكر وأنثى.

وفيها سار العادل من يافا إلى صيداء وبيروت فأخربهما، ونهبت بيروت، وفر من كان بها. وبعث العادل إلى الملك العزيز يستنجده، فسير إليه عسكرا خرج من القاهرة أول شوال، وسار إلى بلبيس. ثم بدا للعزيز أمر ففرق العسكر و لم يسر.

* * *

---

(١) سنة ٥٩٣ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٧ - ١٢١/ ٦ الكامل ١٢/١٢٥ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ١٦٠/ ٢.

سنة أربع وتسعين وخمسمائة[1]

ودخلت سنة أربع وتسعين، فانتشر من وصل فى البحر من الفرنج ببلاد الساحل، وملكوا قلعة بيروت، وقتلوا عدة من المسلمين فى أطراف بلاد القدس، وأسروا وغنموا شيئا كثيرا، فبعث الملك العادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة، فسارت إليه العساكر من مصر، ومن القدس وغيرها.ثم خرج الملك العزيز بنفسه، ومعه سائر عساكر مصر لقتال الفرنج، فنزل على الرملة فى سادس عشرى صفر، وقدم الصلاحية والأسدية، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادار، وسرا سنقر وعلاء الدين شقير، وعدة من الأكراد، فلحقوا العادل وهو على تبنين.وسار العزيز فى أثرهم، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور، وركب العادل والعزيز أقفيتهم، فقتلوا منهم. وترك العزيز العساكر عند العادل، ورجع إلى القاهرة فى ثامن جمادى الآخرة، قبل انفصال الحال مع الفرنج، من أجل أن ميمون القصرى، وأسامة وسرا سنقر، والحجاف، وابن المشطوب، كانوا قد عزموا على قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقائه، وكان يوما مشهودا.

ووقعت الهدنة بين العادل وبين الفرنج لمدة ثلاث سنين، وعاد العادل إلى دمشق.

وفى رجب: تجدد للعادل والعزيز رأى فى تخريب عسقلان، وتعفية جدرانها وهدم بنيانها. فندب من القدس جماعة لتغليقها وحط أبرجة سورها؛ فتلفت مدينة لا مثل لها، وثغر لا نظير له فى الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف بها، لعجز الملوك عن ممانعة الفرنج بالسلاح، واضطرارهم إلى هدم المدن وتعفية رسومها.

وفى شعبان: ركب قاضى القضاة صدر الدين بن درباس لرقبة الهلال وكلف الشهود ما بين شمعتين كل شاهد إلى شمعة. فخرجوا بالشموع، وقد كثر الجمع والشمع، واحتفل الموكب، وثقلت على الشهود الوطأة.

وفيه أمر الملك العزيز بمنع البناء فى المواضع التى كان الأمراء قد شرعوا فى بنائها على النيل، واستولوا فيها على الساحل، فخرج الجاندارية وألزموا كل من حفر أساسا بردمه، فامتثل الأمر.

---

(١) سنة ٥٩٤ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٩ - ١٣١/ ٦ الكامل ١٢/١٣٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٦١/ ٢.

وفى شهر رمضان: أمر العزيز بقطع أشجار بستان البغدادية تجاه قصر اللؤلؤة[1] وجعله ميدانا.

وفيه كثر التظاهر بعصير العنب واستباحة الحرمان، وعدم المنكر لهذا الأمر، فغلا العنب حتى بلغ أربعة أرطال بدرهم.

وفيه قصر مد النيل، وارتفعت الأسعار، وعدمت الأرزاق من جانب الديوان، وتعذرت وجوه المال حتى عم المرتزقة الحرمات. واستبيح ما كان محظورا من فتح أبواب التأويلات، وأخذ ما بأيدى الناس بالمصادرات: فأخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار، وصودر جماعة آخرون وصار الإنفاق فى السماط السلطانى فى هذه الوجوه.

وفى يوم عيد الفطر: أقيمت سنة العيد بظاهر البلد، وحضر العزيز الصلاة والخطبة، وعم الأمراء وأرباب العمائم بخلعه، وقدم سماط توسعت الهمة فيه.

وفى ثالث عشره: وفى النيل ستة عشر ذراعا، فركب العزيز فى سادس عشره لتخليق المقياس، وفتح الخليج فى ثامن عشره، وتظاهر الناس فى هذه الأيام بالمنكرات من غير منكر.

وفى ثالث عشريه: كان النوروز، فجرى الرسم فى لعبه على العادة.

وفى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة: قتل ابن مرزوق بالقاهرة، قتله ابن المنوفى قاضى بلبيس غيلة، بدار سكنها بالفهادين، وحفر له فيها ودفنه، ومملوكا صغيرا معه، وبلط فوقه، وجعل عليه شعيرا، فشنق ابن المنوفى، بعدما طيف به على جمل مصر والقاهرة.

وفى هذه السنة: توجه العادل من دمشق إلى مدينة ماردين، ونازلها وأخذ ربضها. وفيها خرج الملك الكامل محمد بن العادل من حران، وقاتل عسكر المواصلة.

وفيها أغاز الفرنج، ونهبوا وأسروا خلقا، وانتهوا إلى عكا. فعاد العادل إلى دمشق فى رمضان، ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردين.

وفيها ادعى معز الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين ملك اليمن الإلهية نصف نهار، وكتب كتابا وأرخه من مقر الإلهية. ثم رجع عن ذلك، وادعى الخلافة، وزعم

---

(١) سنة ٥٩٥ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٣٧ - ١٣٩/ ٦. الكامل ١٤٠/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٦٢/ ٢ وما بعدها .

أنه من بنى أمية، ودعا لنفسه فى سائر مملكته بالخلافة، وقطع الدعاء من الخطبة لبنى العباس، ولبس ثيابا خضرا وعمائم خضرا مذهبة، وأكره من كان فى مملكته من أهل الذمة على الإسلام، وخطب بنفسه، وعزم على قصد مكة، وجهز من بنى له بها دارا، فأسرهم الشريف أبو عزيز قتادة.

* * *

سنة خمس وتسعين وخمسمائة[1]

ودخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة والعادل مضايق مدينة ماردين، والمعز صاحب اليمن قد تجهز يريد مكة، والعزيز صاحب مصر قد سار إلى الإسكندرية، من آخر ذى الحجة. فتصيد العزيز إلى سابع المحرم، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه، ثم ركب وقد حم، فدخل القاهرة يوم عاشوراء فلم يزل لما به حتى مات، منتصف ليلة السابع والعشرين منه، ودفن بجوار قبر الشافعى، رحمة الله عليه. وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا، ومدة ملكه ست سنين تنقص شهرا وستة أيام.

وكان ملكا كريما، عادلا رحيما، حسن الأخلاق شجاعا، سريع الانقياد مفرط السخاء. سمع الحديث من السلفى، وابن عوف، وابن برى، وحدث. وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة، وكان يعطى العشرة آلاف دينار، ويعمل سماطا عظيما يجمع الناس لأكله، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله، ولا يطيب له ذلك، وهذا من غرائب الأخلاق.

وفيها عظمت الفتنة فى عسكر غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام [2] ملك الغورية، وسببها أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الفقيه الشافعى المشهور، كان قد بالغ غياث الدين فى إكرامه، وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة، ومعظم أهلها كرامية. فأجمعوا على مناظرته، وتجمعوا عند غياث الدين معه، وكبيرهم القاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة. فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة، واستطال عليه وبالغ فى شتمه، وهو لا يزيده على أن يقول: «لا يفعل مولانا لا آخذك الله استغفر الله». فغضب الملك ضياء الدين له، ونسب الإمام الرازى إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة. وقام من الغد ابن عمر بن القدوة بالجامع، وقال فى خطبته: «ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين. أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا

---

(٢) ابن سام (٥٩٩ هـ - ١٢٠٣م). محمد بن سام بن الحسين بن الحسن المسعودى، أبو الفتح، السلطان غياث الدين: صاحب غزنة، كان عادلا، داهية، مظفرا فى حروبه، فيه فضل وأدب قرأ شيئا من الفقه على مذهب الشافعى، ونسخ بخطه عدة مصاحف ووقفها فى مدارس أنشأها بخراسان، كما بنى رباطات ومساجد وخانات فى الطرق والمفاوز، وكان إذا نزل ببلدة من بلاده عم أهلها بإحسانه ولاسيما الفقهاء والأدباء. ولم يكن يتعصب لمذهب. طالت أيامه ومات بالنقرس، فى هراة. انظر الإعلام لابن قاضى شهبة حوادث سنة ٥٩٩، الجامع المختصر ١٠٥ . الأعلام ١٣٥/٦.

عن رسول الله، وأما علم أرسطو، وكفريات ابن سينا، وفلسفة الفارابى، فلا نعلمها. فلأى حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة نبيه؟»، وبكى وأبكى، فثار الناس من كل جانب، وامتلأت البلد فتنة، فسكّتهم السلطان غياث الدين، وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة، فخرج إليها، ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية، وتقلد الشافعى رحمه الله.

* * *

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد ابن الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة فى [......][1] جمادى الأولى، سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ومات أبوه وعمره تسع سنين وأشهر. وقد أوصى له أبوه بالملك من بعده، وأن يكون مدبر أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى. فأجلس على سرير الملك فى غد وفاة أبيه، يوم الإثنين حادى عشرى المحرم، وجعل قراقوش أتابكا. وحلف له الأمراء كلهم، ماخلا عماه الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك المعز، فإنهما أرادا أن تكون الأتابكية لهما، وجرت منهما منازعة، ثم حلفا. ووقع الخلف بين أمراء الدولة، فطعن عدة منهم فى قراقوش، بأنه مضطرب الرأى ضيق العطن، ولا يصلح لهذا الأمر، وتعصب جماعة معه، ورأوا أنه أطوع من غيره. وكثر النزاع فى ذلك، وصاروا إلى القاضى الفاضل، ليأخذوا رأيه، فامتنع من المشورة عليهم، فتركوه.

وأقاموا ثلاثة أيام يمحصون الرأى ، حتى استقر على مكاتبة الملك الأفضل، ليحضر أتابكا عوض قراقوش، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنجق، ولا يذكر له اسم فى خطبة ولا سكة، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين، فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدبير، وسيروا إليه القصاد بذلك، وأقيم الملك الظافر مظفر الدين خضر ابن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة، حتى يقدم الأفضل. فخرج الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر، فى تسعة عشره نفسا، متنكرا، خوفا من العادل.

وكان الأمير فخر الدين جهاركس - لما قرر أمراء مصر أمر الأفضل، وكتبوا إليه بالحضور - كره ذلك، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس، ينهاه عن الموافقة على إقامة الأفضل. فوقع الأفضل على القاصد، وأخذ منه الكتاب، وعلم ما فيه، وقال له: «ارجع فقد قضيت الحاجة»، وسار الأفضل، ومعه ذلك القاصد،

---

(١) مابين المعقوفتين بياض فى الأصل.

حتى وصل بلبيس، وقد خرج الأمراء إلى لقائه، فى خامس شهر ربيع الآخر. فنزل فى خيمة أخيه الملك المؤيد مسعود. وكان فخر الدين جهاركس يؤمل أنه ينزل فى خيمته، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل، ولم يجد بدا من المجيء إلى عنده، فأكرمه الأفضل. ثم لما فرغ الأفضل من طعام أخيه، صار إلى خيمة فخر الدين وأكل طعامه، فحانت من فخر الدين التفاتة، فرأى القاصد الذى بعثه إلى نابلس، فدهش وخاف من الأفضل، وأخذ يستأذنه فى التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أمرهم، فأذن له. وللحال قام فخر الدين واجتمع بزين الدين قراجا وأسد الدين سراسنقر، وسار بهما مجدا إلى القدس، فإذا بشجاع الدين طغرل السلاح دار سائر إلى مصر، فألفتوه عن الأفضل، وساروا به إلى القدس، فاتفق معهم الأمير صارم الدين صالح نائب القدس، ووافقهم أيضا الأمير عز الدين أسامة وميمون القصرى، وقدما إلى القدس، ومع ميمون سبعمائة فارس منتخبة، وكاتبوا الملك العادل، يستدعونه لأتابكية الملك المنصور.

وأما الأفضل فإنه سار من بلبيس إلى القاهرة، فخرج المنصور وتلقاه، فى سابع ربيع الآخر وكانت مدته شهرين و[......][1] وتحكم الأفضل. ولما استقرا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل، يخبره بوصوله إلى مصر، حفظا لدولة ابن أخيه، وأنه لا يخرج عما يأمره به، فورد جوابه بأن «العزيز إن كان مات عن وصية فلا يعدل عنها، وإن كان مات عن غير وصية، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك، حتى نرى الرأى». فاستولى الأفضل على أمر مصر كله ولم يبق للمنصور غير مجرد الاسم فقط. وعزم الأفضل على قبض من بقى من الأمراء الصلاحية بمصر ففر منهم جماعة، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس. وقبض الأفضل على جماعة: منهم الأمير علاء الدين شقير، والأمير عز الدين البكى الفارس، والأمير عز الدين أيبك فطيس، وخطلبا، ونهب أموالهم، ثم برز إلى بركة الجب، فأقام أربعة أشهر، وحلف بها الأمراء والأجناد، فبلغه عن أخيه الملك المؤيد مسعود أنه يريد الوثوب عليه، فقبضه وسجنه.

وبعث الملك الظاهر غازى صاحب حلب إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعة القدوم من مصر إلى دمشق، واغتنام الفرصة فى أمرها والملك العادل غائب عنها فى حصار ماردين. فقبض الصلاحية بالشام على القاصد، وأهانوه ثم أطلقوه، فسار إلى الأفضل، وبلغه رسالة أخيه الظاهر. فرحل الأفضل من بركة الجب ثالث شهر رجب، ومعه الملك المنصور، فأقام بالعباسة[2] خمسة أيام. واستخلف على القاهرة سيف الدين يازكج

(١) مابين المعقوفتين بياض فى الأصل .

(٢) العباسة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه ، وبعد اللف سين مهملة؛ وهى بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طويل . انظر معجم البلدان ٧٥/ ٤، وقال ابن إياس=

الأسدى ثم سار إلى دمشق، فنزل عليها فى ثالث عشر شعبان، وقد بلغ العادل خروجه من مصر، وهو على حصار ماردين، فرتب ابنه الكامل محمدا [1] على حصارها، وسار فى مائتى فارس إلى دمشق فقدمها فى ثمانية أنفس، لكثرة ما أسرع فى السير، قبل منازلة الأفضل لها بيومين وتلاحق به أصحابه. وقدم الأفضل فنزل الشرفين والميدان الأخضر، وهجم بعض أصحابه على البلد وأحرقوا، وصاحوا: «يا أفضل يا منصور». فصاحت العامة معهم بذلك، لميلهم إلى الأفضل، فبرز إليهم العادل، وأخرجهم من البلد، وامتنع بها، ففر من أمراء الأفضل عدة، فتأخر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة. فدس العادل إلى جماعة ممن فى صحبة الأفضل بكلام منه: «إنى أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أخى»، ففندوا الأفضل عن الحرب. وبذل العادل لهم مالا، فمشى ذلك من مكره عليهم، وخذلوا الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم أخوه الظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مدة، والعادل يكاتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شىء، وهم يأتونه فيبذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب فى آخر شعبان، فقوى به الأفضل، ورحلا إلى مسجد القدم، وحاربا العادل وحاصراه، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة الحصار. فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل، فاشتد عضد العادل بقدومهم، وجهز إلى القدس من يمنع الميرة

=فى ذكر العباسة: هذه القرية فيما بين بلبيس والصالحية ولم تزل متنزها لملوك مصر، وقيل أنها ولد بها العباس بن أحمد بن طولون فسماه وبذلك أبوه العباس وولد بها أيضًا الملك الأمجد تقى عباس ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وكان الملك الكامل محمد يقيم بها كثيرًا ويقول هذه أحسن من مصر إذا قمت بها أصطاد الطير من السماء والسمك من الماء والوحش من الفضا ويصل إلينا الخبر من القلعة فى يومه. وبنى بها مناظر وبساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى إنشاء الملك الصالح مدينة الصالحية فحينئذ تلاشى فخربت تلك المناظر، فلما كانت دولة الملك الظاهر بيبرس مر عليها فأعجبته فبنى على فم الوادى قرية، وسماها الظاهرية وأنشأبها جامعًا وذلك فى سنة ست وستين وستمائة. وقيل إنما سميت العباسة باسم عباسة الست قطر النداء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون ولما أمر المعتضد با لله بحملها ليتزوج بها فعند ذلك ضربت خيامها العباسة بتلك الأرض فسميت بها وبنيت قرية على اسمها. وا لله أعلم. انظر نزهة الأمم ٢٢٢.

(١) الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥ هـ - ١١٨٠ - ١٢٣٨ م). محمد الملك الكامل بن محمد العادل بن أيوب، أبو المعالى، ناصر الدين: من سلاطين الدولة الأيوبية كان عارفا بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه ولد بمصر وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلا بعد وفاته (سنة ٦١٥ هـ) وحسنت سياسته فيها. انظر الوافى ١/ ١٩٣، ابن إياس ١/ ٧٧، ابن الأثير ١٢/ ١٢٦، ١٣٥، ١٨٦، السلوك ١/ ١٩٤ - ٢٦٠، ابن خلكان ٢/ ٥٠ ، الدارس ٢/ ٢٧٧، مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥. الأعلام ٧/ ٢٨

الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا يازكج قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل، فقاتلوهم وكسروهم وغنموا ما معهم. وصارت أهل دمشق فى جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالا من التجار. وقوى الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبين أخيه الأفضل.

* * *

سنة ست وتسعين وخمسمائة[1]

وأهلت سنة ست وتسعين والأخوان على حصار عمهما العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت الغلال، وقلت الأقوات. وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه من المال، وكانت أموال العادل بها، فسار إليه الكامل فى العسكر الذى معه، وأخذ من قلعة جعبر أربعمائة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوى بقدومه قوة عظيمة، ووقع الوهن فى عسكر الأفضل والظاهر؛ لكثرة من خامر منهم، ودس العادل مكيدة بين الأخوين، وهى أن الظاهر كان له مملوك يقال له أيبك[2] وقد شغفه حبا، ففقده وظن أنه دخل دمشق فعلق، وبلغ ذلك العادل، فبعث إليه بكلام فيه: «أن محمود بن الشكرى أفسد مملوكك، وحمله إلى الفضل»، فقبض الظاهر حينئذ على ابن الشكرى، وظهر المملوك عنده، فما شك فى صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وامتنع من لقائه، وكان البرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسار إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء، فغلت الأسعار، وقوى البرد، فرحل الظاهر على القريتين، ورحل الأفضل بعساكره يريد مصر، وتركوا من أثقالهم ما عجزوا عن حمله فأحرقوه، وهلك لهم عدة مماليك ودواب، ودخل الأفضل إلى بلبيس فى خامس عشرى شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها.

وورد الخبر بأن العادل خرج من دمشق، ونزل تل العجول، وأنه كتب الإقامات للعربان، واستدعى الكنانية، فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بلبيس، وأمر قراقوش بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقى من سور مصر والقاهرة، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويجعل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون

---

(1) سنة ٥٩٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى الكامل ١٥٣/ ١٢. تاريخ ابن الوردى ٢/١٦٥.

(2) أيبك المعظمى (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨م). أيبك، أبو المنصور، عز الدين المعظمى : أمير، من المماليك يعرف بصاحب صرخد. كان مملوكا للملك المعظم شرف الدين عيس الأيوبى فى دمشق، وأقطع مدينة صرخد وما حاورها. وعين أستادار اللمعظم ثم أخذ منه الصالح أيوب صرخد وعوضه عنها، فأقام بدمشق. ووشى به أنه يكاتب الصالح إسماعيل، فحجز عليه وعلى أمواله، ثم اعتقل بالقاهرة إلى أن مات، له آثار عمرانية كثيرة. انظر الدرر: ١/ ٥٥١، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٧. الأعلام ٣٤/ ٢.

مثل الباشورة، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقس، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها.

وفى ثانى ربيع الآخر: نزل العادل قطية[١] فهم الفضل بتحريق بلبيس، فنفرت القلوب منه، وقطع أرزاق المرتزقة من جانب السلطان ، ومن الأحباس على مكة والمدينة والفقهاء وأرباب العمائم، ليغلق الذى للجند، فما سد المأخوذ، ولا انقطع الطلب من الأجناد، وثار الضجيج من المساكين. ووصل العادل فواقعه الأفضل ، فانكسر منه وانهزم، فتبعهم العادل إلى بركة الجب، فخيم بها وأقام ثمانية أيام، ولحق الأفضل بالقاهرة، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر، وخامر جماعة عليه، وصاروا إلى العادل، وألجات الضرورة الأفضل إلى مراسلة العادل، فطلب منه أن يعوضه عن ديار مصر بدمشق، فامتنع العادل، وقال: «لا تحوجنى أن أخرق ناموس القاهرة، وآخذها بالسيف، اذهب إلى صرخد، وأنت آمن على نفسك» فلم يجد الأفضل بدا من التسليم، لتخاذل أصحابه عنه. فتسلم العادل القاهرة، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر، وخرج منها الفضل منهزما فى ذلك اليوم، وكان الوزير ضياء الدين ابن الأثير قد قدم إلى مصر، وتمكن من الأفضل؛ فلما تسلم العادل القاهرة فر، ولحق بصرخد، وكانت مدة استيلاء الفضل على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوما، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بسميساط، وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه فى ليل ولا نهار، وكان الأمراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم. وأقام العادل بالقاهرة على أتابكية الملك المنصور، وحلف له الأمراء على مساعدته، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأمور المملكة، فلم يستمر ذلك [.......][٢] فانتقض الأمر فى الحادى والعشرين من شوال، وذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء وقال لهم: «إنه قبيح بى أن أكون أتابك صبى، مع الشيخوخة والتقدم، والملك ليس هو بالإرث، وإنما هو لمن غلب، وإنه كان يجب أن أكون بعد أخى الملك الناصر صلاح الدين، غير أنى تركت ذلك إكراما لأخى، ورعاية لحقه، فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم خفت أن يخرج الملك عن يدى ويد أولاد أخى، فسست الأمر إلى آخره، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامى فيه، ونهوضى بأعبائه، فلما ملكت هذه البلاد، وطنت نفسى على أتابكية هذا الصبى، حتى يبلغ

---

(١) قطية: كائن تصغير قطاة من الطير: وهو ما بين جبلى طىء وتيماء. انظر معجم البلدان ٤/٣٧٨.

(٢) مابين المعقوفتين بياض فى الأصل.

أشده، فرأيت العصبيات باقية، والفتن غير زائلة، فلم آمن أن يطرأ علىَّ ما طرأ على الملك الأفضل، ولا آمن أن يجتمع جماعة ويطلبون إقامة إنسان آخر، وما يعلم ما يكون عاقبة ذلك، والرأى أن يمضى هذا الصبى إلى الكُتّاب، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه، فإذا تأهل وبلغ أشده نظرت فى أمره، وقمت بمصالحه». هذا والأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأى، فلم يجد من عداهم بدا من موافقته، فحلفوا له، وخلعوا المنصور فى يوم الخميس، وخطب للعادل من الغد يوم الجمعة حادى عشرى شوال، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوما.

* * *

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب

ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر فى حادى عشرى شوال، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميافارقين، واستحلف الناس بهذه البلاد، وضربت السكة باسمه واستدعى العادل ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمدا، فحضر إلى القاهرة فى يوم الخميس لثمان بقين من رمضان، ونصبه نائبا عنه بديار مصر، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعه كما كانت إقطاعا للعادل فى أيام السلطان صلاح الدين، وجعله ولى عهده، وحلف له الأمراء.

وفيها أقيمت الخطبة للعادل بحماة وحلب، وضربت السكة باسمه.

وفيها توقفت زيادة النيل، فلم يجر إلا ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع، وشرق معظم أرض مصر فارتفعت الأسعار.

وفيها استناب العادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى[1] واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين، وبحماة الملك المنصور بن تقى الدين عمر.

---

(١) الملك المعظم (٥٧٦ - ٦٢٤ هـ - ١١٨٠ - ١٢٢٧ م). عيسى الملك المعظم بن محمد الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، شرف الدين الأيوبى: سلطان الشام من علماء الملوك كان له ما بين بلاد حمص والعريش وكان وافر الحرمة، فارسا شجاعا، كثيرا ما كان يركب وحده لقتال الفرنج ثم تتلاحق به المماليك والجنود وكان عالما بفقه الحنفية والعربية. انظر مرآة الزمان ٨/ ٦٤٤ ، ٦٥٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٢١، ابن خلكان، القلائد الجوهرية ١٤٣، ذيل الروضتين ١٥٢/ النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٧، ابن الأثير ١٢/ ١٨٣، الجواهر المضية ١/ ٤٠٢، هدية العارفين ١/ ٨٠٨. الأعلام ٥/ ١٠٧.

وفيها أخرج الملك العادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر، ومعه إخوته وأخواته ووالدته فساروا إلى الشام، ثم سيرهم إلى الرها، فهربوا منها إلى حلب وبقى الملك المنصور بمدينة الرها، حتى مات سنة عشرين وستمائة، وكان قد أصبح أميرا عند الظاهر صاحب حلب.

* * *

ومات فى هذه السنة

إبراهيم بن منصور بن المسلم أبو إسحاق المعروف بالعراقى، خطيب الجامع العتيق بمصر، فى حادى عشرى جمادى الأولى، عن ست وثمانين سنة.

ومات القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج ابن أحمد اللخمى، العسقلانى مولدا، البيسانى، أبو على محيى الدين، فى سابع ربيع الآخر.

ومات الأثير ذو الرياستين أبو الطاهر محمد بن ذى الرياستين أبى الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنبارى فى ليلة الثالث من ربيع الآخر، ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة.

وفى هذه السنة: ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد، ورأس فيه وجهان، فى كل وجه عينان وأذنان وأنف وحاجب.

وولد أيضا بها مولود له غرة كغرة الفرس، ويداه ورجلاه محجلتان، وأليته ملمعة.

وولد بها أيضا مولود أشيب الرأس؛ ونعجة لها أربع أيادى، وأربع أرجل. ووجد فى بطن نعجة ذبحت خروف صدره ووجهه صورة إنسان، وله أظافير الآدمى.

* * *

سنة سبع وتسعين وخمسمائة(١)

فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه صلاح الدين وهما الملك المؤيد مسعود والملك المعز إسحاق، وسجنهما فى دار بهاء الدين قراقوش بالقاهرة،

وتسلم الأمير فخر الدين جهاركس بانياس من الأمير حسام الدين بشارة بعد حصار وقتال.

وفيها حدثت الوحشة بين الملك العادل وبين الصلاحية من أجل أنه خلع المنصور ابن العزيز، وكتب الأمير فارس الدين ميمون القصرى من نابلس إلى العادل بإنكار خلع المنصور، فأجابه العادل جوابا خشنا، وتكررت المكاتبة بينهما غير مرة، فكتب ميمون إلى الصلاحية يغريهم بالعادل، فلم يجد فيهم نهضة للقيام، وفى أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل، وسير إليه وزيره علم الدين قيصر ونظام الدين، فمنعهما العادل أن يعبرا إلى القاهر، وأمرهما أن يقيما ببلبيس، ويُحَمِّلا قاضى بلبيس ما معهما من الرسالة، فعادا مغضبين، واجتمعا بميمون القصرى فى نابلس، ومازالا به حتى مال إلى الفضل وإلى أخيه الظاهر، فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه، وكاتب الصلاحية ورغبهم، وكاتب ميمون القصرى، وشرع الأفضل أيضا فى مكاتبتهم وهو بصرخد، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة صاحب عجلون وكوكب، وحلف له، فبلغ ذلك العادل فتيقظ لنفسه، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق بمحاصرة الأفضل فى صرخد، فجمع وخرج من دمشق، فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظافر خضر، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عاشر جمادى الأولى، فنزل المعظم على بصرى، وكاتب فخر الدين جهاركس وميمون القصرى، يأمرهما بالمسير إليه لحصار صرخد، فلم يجيبا، وجمعا من يوافقهما، وصارا إلى الظافر بصرخد. وكتبوا إلى الظاهر بحلب يحثونه على الحركة وأخذ دمشق، فوافته الكتب وعنده الأفضل، فجمع الناس وعزم على المسير، ثم سار الظاهر، فلم يوافقه المنصور صاحب حماة، فحاصره مدة، ثم رحل عنه بغير طائل، فنازل دمشق ومعه الأفضل، وأتته الصلاحية هناك، فخرج العادل من القاهرة بعساكره، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل محمدا، وسار حتى نازل نابلس.

وقدم العادل طائفة من العسكر، فساروا إلى دمشق، واستولوا عليها قبل نزول

---

(١) سنة ٥٩٧ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٥٦ - ١٦١/ ٦. الكامل ١٦٠/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٦٧/ ٢ وما بعدها.

الأفضل والظاهر عليها، فقدما بعد ذلك، وضايقا دمشق فى رابع عشر ذى القعدة، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد، فوقع بينهما الاختلاف بمكيدة دبرها العادل، ففترت الهمة عن القتال، وذلك أن العادل كتب إلى كل من الأفضل وإلى الظاهر سرا، بأن: «أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على ذلك» فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع، فبعث العادل فى السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التى عينت له بالشرق، وهى رأس عين[1] والخابور[2] وميافارقين، وغير ذلك، وبذل له مع ذلك مالا من مصر فى كل سنة بمبلغ خمسين ألف دينار، فانخدع الأفضل وقال للأمراء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد: «إن كنتم جئتم إلىّ فقد أذنت لكم فى العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أخى فأنتم به أخبر». وكانوا يحبون الفضل من أجل أنه لين العريكة، فقالوا كلهم: «لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك». فأذن لهم فى العود إلى العادل، فسار إليه الأمير فخر الدين جهاركس، والأمير زين الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر، فوقع الوهن والتقصير فى القتال بعدما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق. وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق.

---

(١) رأس عين: وهى مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهى إلى دنيسر أقرب، بينهما نحو عشر فراسخ، وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور. انظر معجم البلدان ١٤/ ، وفى الروض المعطار رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الوردة، من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهى كلها بين الجزيرة والشام، وهى مدينة عليها سوران، وهذا الاسم لها صادق جدًّا، قالوا: وهذه المدينة للبداوة بها اعتناء وللحضارة عنها استغناء، لا سور يحصنها ولا دور أنيقة البناء فيها، وهى مع ذلك كاملة مرافق المدن، وبعين الوردة كانت الوقيعة بين سليما بن صرد وأصحابه التوابين الخارجين للطلب بدم الحسين رضى الله عنه مع أهل الشام وفيهم عبيد الله بن زياد، فقتل سليمان وأكثر أصحابه، وذلك سنة خمس خمسين وستين. انظر الروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، وابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٦٢٣/٢، وابن حوقل ٢٠٠، والكرخى ٥٣.

(٢) الخابور: بعد الألف باء موحدة، وآخره راء، فهو اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمها. انظر معجم البلدان ٣٣٤/ ٢، وفى الروض المعطار الخابور نهر يمر بديار ربيعة حتى يصب فى الفرات بعد مروره على وسط مدينة قرقيسيا، ويسمى الهرماس، وهو المذكور فى قول عدى بن زيد:

أخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ـلة تجبى إليه والخابور

والخابور مدينة لطيفة على شاطئ الفرات لها بساتين وحدائق، وبها مات مسلمة بن عبد الملك، وكان يلقب بالجرادة الصفراء. انظر الروض المعطار ٢١١.

وفيها تعذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، وعظم الغلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم، وابتدأ الغلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير، وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا، حتى عدمت الأقوات، وخرج من مصر عالم كبير بأهليهم وأولادهم إلى الشام، فماتوا فى الطرقات جوعا. وشنع الموت فى الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفّنه العادل من الأموات - فى مدة يسيرة - نحوا من مائتى ألف إنسان وعشرين ألف إنسان، وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرته بحيث لا ينكر ، ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض، ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوى ضعيفا ذبحه وأكله، وفُقِدَ كثير من الأطباء؛ لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله، واتفق أن شخصا استدعى طبيبا، فخافه الطبيب وسار معه على تخوف، فصار ذلك الشخص يكثر فى طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقير إلا ويتصدق عليه، حتى وصلا إلى الدار، فإذا هى خربة. فارتاب الطبيب مما رأى، وبينا هو يريد الدخول إليها إذ خرج رجل من الخربة، وقال للشخص الذى قد أحضر الطبيب: «مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحد؟». فارتاع الطبيب، وفر على وجهه هاربا. فلولا عناية الله به، وسرعة عدوه، لقبض عليه، وخلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر أهلها، وصار من يموت لا يجد من يواريه، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى، واتفق أن النيل توقف عن الزيادة فى سنة ست وتسعين، فخاف الناس، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء، وكثر الجوع، وعدم القوت حتى أكلت صغار بنى آدم، فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا، وكذلك الأم، وظفر الحاكم منهم بجماعة، فعاقبوهم حتى أعياهم ذلك، وفشا الأمر: فكانت المرأة توجد وقد خبأت فى عبها كتف الصغير أو فخذه، وكذلك الرجل، وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار، فينتظرها حتى تنزل ليأكل منها، فإذا فيها لحم الأطفال؛ وأكثر ما كان يوجد ذلك فى أكابر البيوت، ويوجد النساء والرجال فى الأسواق والطرقات، ومعهم لحوم الأطفال، وأُحرق فى أقل من شهرين ثلاثون امرأة وجد معهن لحوم الأطفال، ثم فشا ذلك حتى اتخذه الناس غذاء وعشاء وألفوه، وقل منعهم منه، فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت، لا الحبوب ولا الخضروات.

فلما كان قبل أيام زيادة النيل - فى سنة ست وتسعين هذه - احترق الماء فى

برمودة، حتى صار فيما بين المقياس والجيزة بغير مـاء، وتغير طعم المـاء وريحه، وكـان القاع ذراعين، وأخذ يزيد زيـادة ضعيفـة إلى سـادس عشـر مسـرى، فـزاد، إصبعـا، ثـم وقف، ثم زاد زيادة قوية أكثرها ذراع حتى بلغ خمسة عشر ذراعا وستة عشـره إصبعـا، ثم انحط من يومه فلم ينتفع به، وكان الناس قد فنوا بحيث بقـى مـن أهـل القريـة الذيـن كانوا خمسمائة نفر إما نفران أو ثلاثة، فلم تجد الجسور مـن يقـوم بهـا، ولا القـرى مـن يعمل مصالحها، وعدمت الأبقار بحيث أبيع الرأس بسبعين دينارا، والهزيل بستين دينـارا. وجافت الطرقات بمصر والقاهرة وقراهما، ثم أكلت الـدودة مـا زرع، فلـم يوجـد مـن التقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده.

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة: والنـاس تـأكل الأطفـال، وقـد صـار أكلهـم طبعا وعادة، وضجر الحكـام مـن تـأديبهم، وأبيـع القمـح - إن وجـد - بثمانيـة دنانـير الأردب، والشعير والفول بستة دنانير، وعدم الدجاج من أرض مصر، فجلبه رجـل مـن الشام، وباع كل فروج بمائة درهم، وكل بيضتين بدرهم. هذا وجميـع الأفـران إنمـا تقـد بأخشاب المساكن، حتى دخلت سنة ثمان وتسعين، وكـان كثـير مـن المسـاتير يخرجـون ليلا، ويأخذون أخشاب الدور الخالية، ويبيعونها نهارا، وكانت أزقة القـاهرة ومصـر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة، ولم يبق بمصـر عـامر إلا شـط النيـل، وكـانت أهـل القـرى تخرج للحرث فيموت الرجل وهو ماسك المحراث.

وفى هذه السنة: قدم غلام سنه نحو عشر سنين - من عرب الحوف بالشـرقية - إلى القاهرة، أسمر حلو السمرة، على بطنه خطوط بيـض ناصعـة البيـاض، متسـاوية القسـمة من أعلاه إلى أسفله، كأحسن ما يكون من الخطوط.

وفيها مات الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، فى غرة شهر رجب بالقاهرة، ودفـن بسفح المقطم.

* * *

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[1]

فى أول المحرم: رحل الأفضل والظاهر عن دمشق، فصار الظاهر إلى حلب ومعه جماعة من الأمراء الصلاحية، منهم فارس الدين ميمون القصرى، وسرا سنقر، والفارس البكى، فأقطعهم الإقطاعات وأكرمهم، وتوجه الأفضل إلى حمص، وبها أمه وأهله عند الملك المجاهد، وقدم العادل إلى دمشق، ونزل بالقلعة؛ ثم سار منها إلى حماة، ونزل عليها بعساكره، فقام له الملك المنصور بجميع كلفه ونفقاته، وأظهر أنه يريد حلب، فخافه الظاهر واستعد للقائه، وراسل العادل وبعث إليه بهدايا جليلة ولاطفه، فانتظم الصلح بينهما على أن يكون للعادل مصر ودمشق والسواحل وبيت المقدس وجميع ما هو فى يده ويد أولاده من بلاد الشرق، وأن يكون للظاهر حلب وما معها، وللمنصور حماة وأعمالها، وللمجاهد حمص والرحبة[2] وتدمر، وللأمجد بعلبك وأعمالها، وللأفضل سميساط وبلادها لا غير، وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد جميعها، وحلفوا على ذلك. فخُطب للعادل بحلب فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة، وأُقطع الأفضل قلعة النجم مع سروج[3] وسميساط، وجهز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى الجزيرة، ليتسلم حران والرها وما معهما، ويستقر بالجزيرة؛ ويستقر الأوحد أيوب أخوه فى ميافارقين وترتب بقلعة جعبر ابنه الحافظ نور الدين أرسلان. وأقر العادل ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق، وعاد العادل من حماة إلى دمشق، وقد اتفقت كلمة بنى أيوب.

---

(١) سنة ٥٩٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٦١ - ١٦٣/ ٦. الكامل ١٢/١٧٣ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧٠/ ٢.

(٢) رحبة مالك بن طوق: بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام وإلى بغداد مائة فرسخ وإلى الرقاة نيف وعشرون فرسخا، وهى بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا. انظر معجم البلدان ٣٤/ ٣، وفى الروض المعطار رحبة مالك بن طوق: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابور مرحلتان. انظر ٢٦٨.

(٣) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر. انظر معجم البلدان ٢١٦/ ٣، وفى الروض المعطار: سروج: بلد من أرض الجزيرة وبمقربة من ملطية، وهى رستاق كثير القرى والكروم فى بطن بين جبال، ومن سروج إلى حصن كيفا ستة فراسخ، ثم إلى سميساط سبعة فراسخ، ثم إلى ملطية عشرة فراسخ، ثم إلى زبطرة خمسة فراسخ، وسروج كثيرة الفواكه، وهى التى نسبها الحريرى لأبى زيد تاج الغرباء وفيها البساتين والمياه المطردة. انظر الروض المعطار ٣١٥، ٣١٦، وابن حوقل ٢٠٧، والكرخى ٥٥.

وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الديم أيوب، وذلك أنه لما ملك اليمن - بعد أبيه - خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى، ثم خرج عليه نحو ثمانمائة من مماليكه، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء، فكسرهم وجلاهم عنها، فادعى الربوبية، وأمر أن يكتب عنه ويكاتب بذلك، وكتب: «صدرت هذه المكاتبة من مقر الإلهية».ثم خاف المعز إسماعيل من الناس، فادعى الخلافة وانتسب إلى بنى أمية، وجعل شعاره الخضرة، ولبس ثياب الخلافة، وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبرا فى سعة ستة أشبار، وقطع من الخطبة الدعاء لبنى العباس، وخطب لنفسه على منابر اليمن، وخطب هو بنفسه يوم الجمعة، فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه، فلم يلتفت إلى قوله، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة، فثار عليه مماليك أبيه؛ لهوجه وسفكه الدماء وحاربوه وقتلوه، ونصبوا رأسه على رمح، وداروا به بلاد اليمن، ونهبوا زبيد تسعة أيام، وكان قتله فى رابع عشر رجب، من سنة ثمان وتسعين، وقام من بعده أخوه الناصر أيوب - وقيل: محمد -، وترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر، ثم استقل سنقر بالسلطنة.

وفيها كان الغلاء بمصر، فلما طلع النيل رويت البلاد، وانحل السعر.

* * *

سنة تسع وتسعين وخمسمائة[1]

فيها وصل الفرنج إلى عكا، وتحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر، فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل نجدة إلى العادل وهو بدمشق، فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن خمارتكين، صاحب صهيون، يخبر بنزول صاحب الأرمن على جسر الحديد لحرب أنطاكية، وأن أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر، و لم يبق بها إلا من عجز عن السفر، وأن بها غلاء عظيما.

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة، ومعه الأفضل، ثم تقرر الصلح على أن يحمل ناصر الدين أرسلان الأرتقى صاحب ماردين للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه، فعاد الأشرف إلى حران. وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز عثمان من صمر إلى الرها بأمه وإخوته، خوفا من شيعته.

وفيها شرع العادل فى بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير، وفى تعميق الخندق وإجراء الماء إليه، وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج.

وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة، فركب إليهم المنصور فى ثالث رمضان، وقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وغنم، وعاد مظفرا، فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر فى نحو سبعين ألفا، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين، وخرج جمع من الإسبتار من حصن الأكراد والمرقب، فى شهر رمضان أيضا، فخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهزم من بقى.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل علىّ ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف موسى أن ينتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا ذلك، و لم يبق معه سوى سميساط لا غير، فسير الأفضل أمه إلى العادل لتشفع فيه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها وأعادها خائبة، وكان هذا عبرة، فإن صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكيات، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن

---

(١) سنة ٥٩٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٦٣/ ٦ وما بعدها الكامل ١٧٩/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧١، ٢ وما بعدها.

زنكى، يستغثن إليه فى أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات، فعوقب صلاح الدين فى ولده الأفضل على بمثل ذلك، وعادت أمه خائبة من عند العادل، ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه قطع خطبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان السلجوقى، صاحب الروم.

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار.

وفيها انقضت دولة الهواشم بمكة، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع، فخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة، ثم وصل محمد بن مكثر إلى مكة، فحاربوه وهزموه، ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة.

* * *

سنة ستمائة(١)

فيها تقرر الصلح بين العادل وبين الفرنج، وانعقدت الهدنة بينهما، وتفرقت العساكر.

وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس بقلعتها، فخرج الظاهر من حلب نجدة له، ففر ابن لاون.

وفيها أوقع الأشرف موسى بن العادل بعسكر الموصل، وهزمهم ونازلها وبها السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى أتابك بن آقسنقر، ونهب الأشرف البلاد نهبا قبيحا، وبعث إلى أبيه العادل بالبشارة، فاستعظم ذلك وما صدقه، وسر به سرورا كثيرا.

وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية من الروم.

وفيها تجمع الإفرنج بعكا من كل جهة يريدون أخذ بيت المقدس، فخرج العادل من دمشق، وكتب إلى سائر الممالك يطلب النجدات، فنزل قريبا من جبل الطور على مسافة يسيرة من عكا، وعسكر الفرنج بمرج عكا، وأغاروا على كفركنّا(٢) وأسروا من كان هناك، وسبوا ونهبوا، وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك.

وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلوش بن بيغو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم، فى سادس ذى القعدة، وقام من بعده ابنه عز الدين قلج أرسلان، وكان صغيرا، فلم يستتب أمره.

وفيها عاد الأشرف موسى بن العادل إلى حران بأمر أبيه، وهم العادل برحيله إلى مصر، فقدم عليه ابنه الأشرف، ثم عاد إلى حران.

وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر، وعبر النيل من جهة رشيد، فوصل إلى فوة، وأقام خمسة أيام ينهب، والعسكر تجاهه ليس له إليه وصول لعدم وجود الأسطول العادلى.

---

(١) سنة ٦٠٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/١٦٥ الكامل ١٢/١٨٥ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٧٤.

(٢) كفركنا: بفتح الكاف، وتشديد النون: بلد بفلسطين. انظر معجم البلدان ٤/٤٧٠.

وفيها أوقع الأمير شرف الدين قراقوش التقوى المظفرى ببلاد المغرب، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن.

وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر أرض مصر والشام، والجزيرة وبلاد الروم، وصقلية وقبرس، والموصل والعراق؛ وبلغت إلى سبتة[١] ببلاد المغرب.

وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدى الروم، فلم يزالوا بها حتى استعادها الروم منهم، فى سنة ستين وستمائة.

* * *

(١) سبتة: هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب. انظر معجم البلدان ٣/ ١٨٢، وفى الروض المعطار سبتة: مدينة عظيمة على الخليج الرومى المعروف بالزقاق وهو أوّل البحر الشامى المنتهى إلى مدينة صور من أرض الشام، وهى تقابل الجزيرة الخضراء، والبحر يحيط بسبتة شرقًا وجوفًا وقبلة، وليس لها على البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعوه، ولها بابان أحدهما محدث، ولها من جهات البحر أبواب كثيرة، وفى آخر المدينة بشرقيها جبل كبير فيه شعراء كثيفة يسمى جبل المينا، وسبتة سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض، معمورة، طولها من المشرق إلى المغرب نحو ميل، ويتصل بها من جهة المغرب وعلى ميلين منها جبل موسى، وهذا الجبل منسوب إلى موسى بن نصير الذى على يديه افتتاح الأندلس فى صدر الإسلام. انظر الروض المعطار ٣٠٣، ٣٠٤، والبكرى ١٠٢، والاستبصار ١٣٧، ابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ٥/ ١٧٥.

سنة إحدى وستمائة[1]

فيها تم الصلح بين الملك العادل وبين الفرنج، وتقررت الهدنة مدة، وشرطوا أن تكون يافا لهم، مع مناصفات لد والرملة، فأجابهم العادل إلى ذلك، وتفرقت العساكر، وسار العادل إلى القاهرة، فنزل بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل، وشرع فى ترتيب أمور مصر.

وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجوينى والى القاهرة، فى سلخ جمادى الأولى.

وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية من الروم.

وفيها غارت الفرنج الإسبتارية على حماة فى جمع كبير، لأن هدنتهم انقضت، فقتلوا ونهبوا، ثم عادوا.

وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة، فسر به وأكرمه، ثم رجع بعد أيام.

وفيها أغار الفرنج على حمص، وقتلوا وأسروا، فخرج العادل من القاهرة إلى بركة الجب، ثم عاد.

وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية، وقتلوا عدة من المسلمين، وغنموا وسبوا شيئا كثيرا.

وفيها أخذ الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر يغرى الملك العادل بأبى محمد مختار بن أبى محمد بن مختار، المعروف بابن قاضى دارا، وزير الملك الكامل، حتى نقم عليه وطلبه، فخاف عليه الكامل، وأخرجه من مصر - ومعه ابناه فخر الدين وشهاب الدين - إلى حلب، فأكرمهم الملك الظاهر، ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر، فخرج ونزل بعين المباركة ظاهر حلب.

فلما كان فى ليلة الرابع والعشرين من ذى القعدة: أحاط به نحو الخمسين فارسا فى أثناء الليل، وأيقظوه وقتلوه، ثم قالوا لغلمانه: «احفظوا أموالكم، فما كان لنا غرض سواه». فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له، وركب بنفسه حتى شاهده، وبعث الرجال فى سائر الطرقات، فلم يقف لقتله على خبر، فكانت هذه القضية من أعجب ما سمع.

* * *

(١) سنة ٦٠١ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ٦/١٦٦ الكامل ١٢/٢٠٠ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٧٥.

سنة اثنتين وستمائة[1]

فيها قبض على السعد أبى المكارم بن مهدى بن مماتى صاحب الديوان فى جمادى الآخرة، وعلق برجليه.

وفيها قبض على الأمير عبد الكريم أخى القاضى الفاضل، وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأداها، وأخذ من شرف الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن قريش خمسة آلاف دينار.

وفيها باشر التاج[......][2]بن الكعكى ديوان الجيش.

وفيها ضرب الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر الفقيه نصرا فى وجهه بالدواة، فأدماه.

* * *

(١) سنة ٦٠٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/١٦٨ الكامل ١٢/٢٠٨ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٧٦.

(٢) مابين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة ثلاث وستمائة[١]

فيها كثرت الغارات من الفرنج على البلاد، فخرج الملك العادل إلى العباسة، ثم أغذَّ السير إلى دمشق، ثم برز منها إلى حمص، فأتته العساكر من كل ناحية، فاجتمع عنده عشرات آلاف، وأشاع أنه يريد طرابلس، فلما انقضى شهر رمضان توجه إلى ناحية حصن الأكراد فنازله، وأسر خمسمائة رجل وغنم، وافتتح قلعة أخرى. ثم نازل طرابلس، وعاثت العساكر فى قراها، ولم يزل على ذلك إلى أيام من ذى الحجة ، ثم عاد إلى حمص - وقد ضجرت العساكر - فبعث صاحب طرابلس يلتمس الصلح، وسير مالا وثلاثمائة أسير وعدة هدايا، فانعقد الصلح فى آخر ذى الحجة.

وفيها حدثت وحشة بين العادل وبين ابن أخيه الملك الظاهر، صاحب حلب، فترددت بينهما الرسل حتى زالت، وحلف كل منهما لصاحبه.

وكثر فى هذه السنة تخريب العادل لقلاع الفرنج وحصونهم.

وفيها عزل الصاحب ابن شكر البدر بن الأبيض قاضى العسكر، وقرر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودى الحموى.

وفيها قدم مانع بن سلمان شيخ آل دعيج من غزية[٢] التى فيما بين بغداد ومكة.

* * *

ومات فى هذه السنة

عبد الرحمن بن سلامة قاضى الإسكندرية بها، يوم الأربعاء ثامن صفر.

وفيها نفى الأشرف[...] بن[٣] عثمان الأعور، واعتقل أخوه علم الملك.

وفيها ماتت أم الملك المعظم بن العادل بدمشق، فى يوم الجمعة عشرى ربيع الأول، ودفنت بسفح قاسيون.

* * *

---

(١) سنة ٦٠٣ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٧٠/ ٦ الكامل ٢٤٤/ ١٢ ومابعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧٧/ ٢.

(٢) غزية: بضم الغين، وفتح الزاى، وتشديد الياء، وقيل: بفتح الغين، وكسر الزاى، وقيل: بفتح الراء المهملة: موضع قرب فيد وبينهما مسافة يوم. انظر معجم البلدان ٢٠٣/ ٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة أربع وستمائة[1]

فيها عاد الملك العادل إلى دمشق، بعد انعقاد الصلح بينه وبين ملك الفرنج بطرابلس.

وفيها بعث العادل أستاداره الأمير أَلْدَكُزْ العادلى، وقاضى العسكر نجم الدين خليل المصمودى إلى الخليفة فى طلب التشريف والتقليد بولاية مصر والشام والشرق وخلاط، فلما وصلا إلى بغداد أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله، وأحسن إليهما وأجابهما، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردى[2] ومعه التشريف الخليفتى والتقليد، وخلعة للصاحب صفى الدين بن شكر، وخلع لأولاد العادل: وهم الملك المعظم؛ والملك الأشرف، والملك الكامل، فعندما قارب بالشيخ أبو حفص حلب خرج الملك الظاهر بعساكره إلى لقائه، وأكرم نزله.

وفى ثالث يوم من قدومه أمر بكرسى فنصب له، وجلس عليه للوعظ، وجلس الظاهر ومعه الأعيان، فصدع بالوعظ حتى وجلت القلوب ودمعت العيون، وأخبر الشيخ فى وعظه بأن الخليفة أطلق - فى بغداد وغيرها - من المؤن والضرائب، ما مبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار، ثم سار من حلب، ومعه القاضى بهاء الدين بن شداد، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار، برسم النثار إذا لبس عمه العادل خلعة الخليفة، وبعث الملك المنصور من حماة أيضا مبلغا للنثار، وخرج العسكر من دمشق إلى لقائه، ثم خرج العادل بابنيه الأشرف موسى والمعظم عيسى، وبرز سائر الناس لمشاهدة ذلك، فكان يوما مشهودا، ولما دخل الشيخ أبو حفص دمشق جلس العادل فى دار رضوان، وأفيضت عليه الخلع، وهى جبة أطلس أسود واسعة الكم بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب بجوهر ثقيل، وقلد العادل أيضا بسيف محلى، جميع قرابه من ذهب، وركب حصانا أشهب بركب ذهب، ونُشر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة، مركب فى قصبة ذهب، وتقدم القاضى ابن شداد فنثر الذهب، وقدم له خمسين خلعة؛ ونثرت رسل الملوك بعده، ثم لبس الأشرف والمعظم خلعتيهما،

---

(١) سنة ٦٠٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٧٢/ ٦ والكامل ٢٥٩/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧٨/ ٢.

(٢) نسبه إلى سهرورد: بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الراء والواو، وسكون الراء، ودال مهملة: بلدة قريبة من زنجان بالجبال، خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء. انظر معجم البلدان ٢٨٩/ ٣، وفى الروض المعطار سهرورد: بلدة بين زنجان وهمذان. انظر الروض المعطار ٣٢٨، ومعجم ما استعجم ٧٦٧/٣.

وهما عمامة سوداء، وثوب أسود واسع الكم، ثم خلع على الصاحب صفى الدين بن شكر الوزير كذلك، وركب العادل - ومعه ابناه ووزيره - بالخلع الخليفتية، وقد زينت البلد، ثم عادوا إلى القلعة، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام، وقرأ التقليد الصاحب صفى الدين على كرسى ، وخوطب العادل فيه بشاهنشاه، ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين، وكان الوزير فى حال قراءته قائما على الكرسى، والعادل وسائر الناس أيضا قياما، إجلالا للخليفة، ثم سار الشهاب السهروردى إلى مصر، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفتية، وجرى من الرسم كما وقع بدمشق، ثم عاد إلى بغداد.

وفيها أمر العادل بعمارة قلعة دمشق، وفرق أبراجها على الملوك، فعمروها من أموالهم.

وفيها اتسعت مملكه العادل، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده، فأعطى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمدا مملكة مصر، ورتب عنده القاضى الأعز فخر الدين مقدام بن شكر، وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش[(١)] إلى حمص، وأدخل فى ولايته بلاد الساحل الإسلامية، وبلاد الغور وأرض فلسطين، والقدس والكرك، والشوبك وصرخد، وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وهى الرها وما معها من حران وغيرها، وأعطى ابنه الملك الأوحد نجم الدين أيوب[(٢)] خلاط وميافارقين وتلك النواحى، وكان الأوحد قد بعث إليه أهل خلاط ليملكها، فسار من ميافارقين وملكها.

وفيها كمل الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل، وتحول إليها من دار الوزارة بالقاهرة، فكان أول من سكنها من ملوك مصر، ونقل إليها أولاد الخليفة العاضد

---

(١) العريش: بفتح أوله، وكسر ثانيه، ثم شين معجمة بعد الياء المثناة من تحت: وهى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل. انظر معجم البلدان ١١٣/ ٤، وفى الروض المعطار العريش: من ديار مصر فى أسفل الأرض، وهى أول مسالح مصر وأعمالها، وهى من سواحل البحر، ومن العريش تفترق الطريق فتصير طريقين: طريق الجفار وهو الرمل، وطريق الساحل على البحر، فأما طريق الجفار فمن العريش إلى الواردة إلى العذيبة إلى البقارة إلى الفرما، وأما طريق الساحل فمن العريش إلى الدقهلة إلى القيس إلى الفرما، وكانت مدينة العريش ذات جامعين مفترقى المبانى، والغالب على أرضها الرمال، ولها ثمار ونخل وفواكه. انظر الروض المعطار ٤١٠، وصبح الأعشى ٣٨٢/٣.

(٢) الأوحد الأيوبى (٦٠٩ هـ- ١٢١٢م). أيوب الأوحد بن محمد أبى بكر العادل بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية. تملك مدينة خلاط بأرمينية خمس سنين وكان ظلوما سفاكا لدماء الأمراء. انظر العبر ٣١/٥، ترويح القلوب ٦٠، الأعلام ٣٨/ ٢.

الفاطمى وأقاربه فى بيت على صورة حبس، فأقاموا به إلى أن حولوا منه فى سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وفيها توفى الأمير داود بن العاضد فى محبسه. وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد إليه، وأنه الإمام من بعده، فاستأذن أصحابُه الملك الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه، فأذن لهم، فبرزت النساء حاسرات، والرجال فى ثياب الصوف والشعر، وأخذوا فى ندبه والنياحة عليه، واجتمع معهم من كان فى الاستتار من دعاتهم، فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم، وقبضوا على المعروفين منهم، فملأ بهم السجون، واستصفى أموال ذوى اليسار منهم، ففر من بقى، وزال من حينئذ أمر الإسماعيلية من ديار مصر، و لم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم.

* * *

سنة خمس وستمائة[1]

فيها سار الكرج ونهبوا أعمال خلاط، وأسروا وغنموا؛ فلم يجسر الأوحد أن يخرج إليهم من مدينة خلاط، فلما بلغ ذلك الملك العادل أخذ فى التجهيز لحرب الكرج، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق.

وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى، صاحب الجزيزة، قتله ابنه محمود، وقام فى الملك من بعده.

وفيها بعث الأمير سيف الدين سنقر، أتابك اليمن عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل، عليها اسمه.

وفيها مات القاضى مكين الدين مطهر بن حمدان، بقلعة بصرى فى شهر رجب، ومات هلال الدولة وشاب بن رزين، والى القاهرة، وعزل الأمير سيف الدين علىّ بن كهدان عن ولاية مصر، وعزل الأسعد بن حمدان عن الشرقية، وباشرها خشخاش الوراق.

وفيها توفى قاضى القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى، يوم الأربعاء خامس رجب، وكان قد قدم مصر فى رابع رجب سنة خمس وستين خمسمائة، فتكون مدة مقامه بديار مصر أربعين سنة.

* * *

---

(١) سنة ٦٠٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٧٤/ ٦ الكامل ٢٧٩/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٨٠/ ٢.

سنة ست وستمائة[1]

فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة الكرج، ومعه الملوك من بنى أيوب: وهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك المجاهد صاحب حمص، والملك الأمجد صاحب بعلبك، وأرسل إليه الملك الظاهر غازى صاحب حلب جيشا، فنزل العادل حران، وأتته النجدات مع ولديه الملك الأوحد صاحب خلاط وميافارقين، والملك الأشرف موسى، وغيرهما ، فاستولى على نصيبين، ونازل سنجار، وبها الملك قطب الدين محمد ابن زنكى، فكانت بينهما عدة وقائع، بعث فى أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر لدين الله، وإلى الملك الظاهر غازى صاحب حلب، وإلى كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم، وغيرهم يستنجد بهم على العادل، فمال إليه عدة من الملوك، عونا على العادل، ففارقه عدة ممن كان معه على حصار سنجار، ودسوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس، ففسدت أحواله، وقدم عليه رسول الخليفة، وهو هبة الله بن المبارك ابن الضحاك يأمره بالرحيل، فقال له عم الإمام الخليفة الناصر: «قال لك بحياتى ياخليلى ارحل». فعاد العادل إلى حران، وتفرقت العساكر عنه.

وفيها حصلت بين العادل وبين وزيره الصاحب ابن شكر منافرة أوجبت غضبه وسفره فى البرية فركب المنصور صاحب حماة، وفخر الدين جهاركس صاحب بانياس حتى لحقاه فى رأس عين، وقدما به على العادل فرضى عنه، ومن حينئذ انحطت منزلته.

وفيها مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين، وقيل إنه سُمَّ، فحمل إلى حلب ليدفن بها.

وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق.

وفيها ولى الأمير المكرم بن اللمطى قوص، فى ذى القعدة.

* * *

(١)٦٠٦ هـ.(١٧٥ - ١٧٧ /٦). الكامل ٢٨٤/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٨١/ ٣.

سنة سبع وستمائة[1]

فيها ظفر الملك الأوحد بن العادل بملك الكرج، ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين، وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة، وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها، فأطلقه الأوحد، وردت على المسلمين عدة قلاع.

وفيها مات الأوحد، وملك خلاط بعده أخوه الأشرف.

وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل، واجتمعوا فى عكا، فخرج الملك العادل من دمشق، فوقع بينه وبينهم صلح، وأخذ العادل فى عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا، وسار إلى الكرك، فأقام بها أياما، ثم رحل إلى مصر، فدخل القاهرة، ونزل بدار الوزارة.

وفيها مات الأمير فخر الدين جهاركس.

وفيها تحرك الفرنج ثانيا، فتجهز العادل للسفر إلى الشام.

وفيها كفت يد الصاحب صفى الدين بن شكر عن العمل.

وفيها مات السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكى صاحب الموصل، فى شهر رجب، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا، وقام من بعده ابنه الملك القاهر عز الدين مسعود، وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك، مملوك أبيه.

وفيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر، ولبسوا سراويل الفتوة أيضا، فوردت عليهم الرسل بذلك؛ ليكون انتماؤهم له، وأمر كل ملك أن يسقى رعيته ويلبسهم؛ لتنتمى كل رعية إلى ملكها، ففعلوا ذلك، وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها، وألبس كلا منهم له، وسقاه كأس الفتوة، وكان الخليفة الناصر مغرما بهذا الأمر، وأمر الملوك أيضا أن تنتسب إليه فى رمى البندق، وتجعله قدوتها فيه.

وفيها قدم إلى القاهرة كليام الفرنجى الجنوى تاجرا، فاتصل بالملك العادل، وأهدى إليه نفائس، فأعجب العادل به، وأمره بملازمته، وكان كليام فى باطن الأمر عينا للفرنج، يطالعهم بالأحوال، فقيل هذا للعادل، فلم يلتفت إلى ما قيل عنه.

---

(١) سنة ٦٠٧ هـ. الكامل ٢٨٩/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٨٣.

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن مماتى، فى الرابع من جمادى الأولى بالقاهرة.

ومات الأمير سياروخ فى خامس عشر رجب.

وفيها قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى صاحب قونية، وقد حدث ذلك فى أوائل السنة، وهو يواقع الأرمن حلفاء الروم، عند بلده خونا من أعمال أذربيجان، وكان قد غلبه أخوه ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان على قونية، وألجأه إلى الفرار منها سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة، وقام بعده فى قونية ابنه قلج أرسلان بن ركن الدين، وعند ذلك عاد كيخسرو إلى بلاده بعد فراره إلى حلب وغيرها، وملك كيخسرو قونية ثانيا، بعد خطوب جرت له، وقد قبض أهلها على قلج أرسلان بن ركن الدين، ثم قتل كيخسرو بعدما استفحل أمره، وولى ابنه عز الدين كيكاوس بن غياث الدين.

وفيها كانت وقعة بين حاج العراق وبين أهل مكة بمنى، قتل فيها عبد للشريف قتادة اسمه بلال، فقيل لها سنة بلال.

* * *

سنة ثمان وستمائة[1]

فيها قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أسامة الصلاحى، نائب كوكب وعجلون واعتقله وأخذ ماله، وسيره إلى الكرك فاعتقل فيها هو وولده، وتسلم المعظم قلعة كوكب وعجلون، وهدم قلعة كوكب، وعفى أثرها.

وفيها توجه الملك العادل إلى الإسكندرية؛ لكشف أحوالها.

وفيها قدم بهاء الدين بن شداد من حلب إلى القاهرة يخطب صفية خاتون ابنة العادل شقيقة الكامل، لابن عمها الظاهر، فأجيب إلى ذلك، وعاد مكرما.

وفيها ماتت أم الملك الكامل، يوم الأحد خامس عشرى صفر، فدفنت عند قبر الإمام الشافعى، ورتب ابنها عند قبرها القراء والصدقات، وأجرى الماء من بركة الحبش[2] إلى قبة الشافعى، ولم يكن قبل ذلك، فنقل الناس أبنية القرافة الكبرى[3] إلى هذه القرافة من حينئذ، وعمروها.

وفيها خرج العادل من القاهرة، فسار إلى دمشق وبرز منها يريد الجزيرة، فوصل إليها ورتب أحوالها، وعاد إلى دمشق، ومعه كليام الفرنجى.

وفيها انقضى أمر الطائفة الصلاحية بانقضاء الأمير قراجا والأمير عز الدين أسامة، والأمير فخر الدين جهاركس، وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم.

وفيها نقل أولاد العاضد الفاطمى وأقاربه إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس ثانى عشرى رمضان، وتولى وضع القيود فى أرجلهم الأمير فخر الدين ألطونبا أبو شعرة بن الدويك، والى القاهرة، وكانت عدتهم ثلاثة وستون نفسا.

وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر، وزلزت الكرك

---

(١) سنة ٦٠٨ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٠ - ١٨٢/ ٦ الكامل ٢٩٦/ ١٢ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ١٨٦/٢.

(٢) بركة الحبش أرض فى وهدة من الأرض واسعة طوالها نحو ميل مشرفة على نيل مصر خلف القرافة وقف على الأشراف تزرع فتكون نزهة خضزة لزكاء أرضها وريها وهى من أجل متنزهات مصر. انظر معجم البلدان.

(٣) القرافة: خطة بالفسطاط من مصر كانت لبنى غصن بن سيف واتل بن المعافر، وهو اليوم مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة. انظر معجم البلدان ٣١٧/ ٤.

والشوبك، فمات تحت الهدم خلق كثير، وسقط عدة من أبراج قلعتهـا، ورؤى بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض، فيما بين المغرب والعشاء عند أرض قصر عاتكة.

وفيها مات الموفق بن أبى الكرم التنيسى فى يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول.

ومات ظافر بن الأرسوفى بمصر فى سلخ رجب.

وفيها اجتمع بالإسكندرية ثلاثة آلاف تاجر وملكان من الفرنج، فسار العادل وقبض على التجار، وأخذ أموالهم، وسجن الملكين.

وفيها- أعنى سنة ثمان وستمائة - كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة، سببها أن حشيشيا جاء لقتل الشريف قتادة، فقتل شريفا اسمه أبو هارون عزيز، ظنا منه أنه قتادة، فثارت الفتنة، وانهزم أمير الحاج، ونهب الحاج عن آخره، وفر من مكة من بمكة من نواب الخليفة، ومن المجاورين، فبعث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة[1] إلى الخليفة يعتذر له عما جرى، فقبل عذره وعفى عنه.

* * *

---

(١) راجح بن قتادة (٦٥٤ هـ - ١٢٥٦م). راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن: شريف، ممن تولوا إمارة مكة. انتزعها من عمال مصر سنة ٦٢٧ هـ، واستعادها منه، وتوالى ذلك مرارا حتى وليها ثمانى مرات. انظر خلاصة الكلام ٢٥ - ٢٧/ حوادث الجامعة ٢٧٣. الأعلام ١٠/ ٣.

سنة تسع وستمائة[1]

فيها نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور، وأحضر الصناع من كل بلد، واستعمل جميع أمراء العسكر فى البناء ونقل الحجارة، فكان فى البناء خمسمائة بنّاء، سوى الفعلة والنحاتين، ومازال مقيما حتى كملت.

وفيها قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق بمال كثير وخلع، برسم عقد نكاح صفية خاتون ابنة العادل على ابن عمها الظاهر صاحب حلب، فخرج إلى لقائه عامة الأمراء والأعيان، وعقد النكاح فى المحرم على مبلغ خمسين ألف دينار، ونثر النثار على من حضر بقلعة دمشق، وذلك فى المحرم، ثم جهزت إليه بحلب فى تجمل عظيم، من جملة قماش وآلات ومصاغ يحمله خمسون بغلا، ومائة بختى، وثلاثمائة جمل؛ وجوارى فى المحامل على مائة جمل، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع الملهى، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة، فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما، وقدم لها الظاهر تقادم: منها خمسة عقود جوهر بمائة وخمسين ألف درهم، وعصابة جوهر لا نظير لها، وعشر قلائد عنبر مذهب، وخمس قلائد بغير ذهب، ومائة وسبعون قطعة من ذهب وفضة، وعشرون تختا من ثياب، وعشرون جارية، وعشرة خدام.

وفيها عزل الهمام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة، وولى فخر الدين ألطونبا أبو شعرة مملوك المهرانى فى [....][2].

وفيها تغير الملك العادل على الوزير صفى الدين بن شكر، ورفع يده من الوزارة، وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى آمد، فلم يزل بها حتى مات العادل.

وفيها فوض العادل تدبير مصر، والنظر فى أموالها ومصالحها إلى ولده الملك الكامل؛ فرتب الكامل القاضى الأعز فخر الدين مقدام بن شكر ناظر الدولتين.

وفيها خرج العادل من الشام يريد خلاط، فسار إليها ودخلها، وفيها ابنه الأشرف، وقد استولى على ما بها من الأموال.

* * *

(١) سنة ٦٠٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٢ - ١٨٤/ ٦ الكامل ٣٠٠/ ١٢، تاريخ ابن الوردى ٢/١٨٨.

(٢) مابين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة عشر وستمائة[1]

فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه العادل، وأخذ فى الاستعداد، ثم تراسلا حتى سكن الحال.

وفيها ولدت صفية ابنة العادل لابن عمها الظاهر مولودا سماه محمدا ولقبه بالملك العزيز غياث الدين، وذلك فى خامس ذى الحجة، فزينت حلب، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا، وأمر فصيغ له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطير، وصاغ له عشرة مهُود من ذهب وفضة، سوى ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره، ونسج للصبى ثلاث فرجيات من لؤلؤ، فى كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولَعْل وزمرد، ودرعان وخوذتان وبركستوان، كل ذلك من لؤلؤ؛ وثلاثة سروج بجوهرة، فى كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد؛ وثلاثة سيوف علائقها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر؛ وعدة رماح من ذهب أسنتها جوهر.

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب، فلما قارب مكة صده قصاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج، وقالوا: «إنما جئت لأخذ بلاد اليمن»، فقال الظاهر خضر: «ياقوم! قيدونى، ودعونى أقضى مناسك الحج». فقالوا: «ليس معنا مرسوم إلا بردك». فرد إلى الشام، من غير أن يحج، فتألم الناس لذلك.

وفيها مات الأمير فخر الدين إسماعيل والى مصر بها.

وفيها دخل بنو مرين إحدى قبائل زناتة من القفر، ونهبوا أعمال المغرب، وحاربوا الموحدين وهزموهم، وكان أمير بنى مرين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن ورصيص بن فكوس بن كوماط بن مرين.

* * *

تتمة سنة عشر وستمائة

فيها حفر خندق مدينة حلب، فوجد فيه بلاطة صوان عليها أحرف مكتوبة بالقلم

---

(١) سنة ٦١٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٤ - ١٨٦/ ٦ الكامل ٣٠١/ ١٢، ٣٠٢/١٢، تاريخ ابن الوردى ٨٩/ ٢.

السريانى، فترجموه بالعربية، فإذا هو: «لما كان العالم محدثـا دل أن لـه محدثـا، لا كهـو»، وكتب تحت هذه الأحرف: «لخمسة آلاف من السنين خلـون مـن الأسـطوان الصغير». فقلعت البلاطة، فوجد تحتها تسع عشرة قطعـة مـن ذهـب وفضـة وصـورى علـى هيئـة اللبن، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين رطـلا بـالحلبى، وكـان منهـا فضـة أربعة وعشرين رطـلا، وحلقـة ذهـب وزنهـا رطـلان ونصـف رطـل، وصـورى عشـرة أرطال ونصف، فكان الجمع زنته قنطار واحد بالحلبى.

* * *

سنة إحدى عشر وستمائة(١)

فيها فرَّ الملك المنصور بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف من اعتقال عم أبيه الملك العادل، ولحق بالظاهر صاحب حلب، ولاذ به هو وإخوته، فأكرمهم الظاهر.

وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، وانضم إليهم عسكر ابن ملك الأرمن، لقصد بلاد المسلمين، فخافهم المسلمون، وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فنازلوا قلعة الخوابى، ثم ساروا عنها إلى أنطاكية.

وفيها ظفر السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم بالأشكرى ملك الروم.

وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصر، فنزل فى القاهرة بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل، وأمر العادل أن يقيم معه كليام الفرنجى الجنوى بدار الوزارة.

وفيها ورد الخبر بموت سنقر أتابك اليمن، واستقر بعده الملك الناصر أيوب صاحب اليمن فى ملكه، وقام بأتابكيته غازى.

وفيها شرع الملك العادل فى تبليط جامع بنى أمية بدمشق، وكانت أرضه حفرا وجورا، وتولى العمل الوزير صفى الدين بن شكر.

وفيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية، ثم بطلت بعد ذلك وفنيت.

وفيها تولى سهم الدين عيسى القاهرة فى شوال، وتولى جمال الدين بن أبى المنصور وكالة بيت المال بها.

ومات سعد بن سعد الدين بن كوجيا فى عشر ربيع الآخر.

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن العادل من دمشق، وحج معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسينى أمير المدينة النبوية، فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه فلم يتمكن منه، فعاد الشريف سالم صحبة الملك المعظم إلى دمشق، فبعثه المعظم على

---

(١)سنة ٦١١ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٦ - ١٨٨/ ٦ الكامل ٣٠٣/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٩٠.

عسكر إلى مكة، فمات فى الطريق قبل وصوله مكة فقام جماز بن قاسم - وهو ابن أخيه - بتدبير الجيش، فجمع قتادة، وسار إلى ينبع ولقيه، فهزم قتادة.

* * *

سنة اثنتى عشرة وستمائة[1]

فيها نازل الفرنج قلعة الخوابى، وحاربوا الباطنية، ثم صالحوهم.

وفيها سير الخليفة الناصر لدين الله كتابه الذى ألفه وسماه «روح العارفين» إلى الشام ومصر وغيرها ليسمع.

وفيها ملك الفرنج أنطالية، وقتلوا من بها من المسلمين، وكانت بيد الملك غياث الدين كيخسرو منذ فتحها سنة اثنتين وستمائة إلى أن أجلاه الفرنج عنها سنة سبع وستمائة، ثم استردها منهم الملك الغالب عز الدين كيكاوس سنة ثلاث عشرة وستمائة، بعد أن بقيت بأيدى الفرنج تلك المدة.

وفى هذه السنة أيضا: سار عز الدين إلى بلاد الأرمن، وحاصر قلعة جابان، وهزم عندها جيوش الأرمن، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولى على قلعة جابان، ثم طلب الأرمن الصلح، وأجابهم إليه عز الدين، فأخذ فى مقابل الصلح من بلاد الأرمن قلعة لؤلؤة ولوزاد.

وفيها مات الملك المعظم أبو الحسن على ابن الخليفة الناصر لدين الله، وهو أصغر أولاده، فلما قدم نعيه على ملوك الأطراف جلسوا فى العزاء، لابسين شعار الحزن خدمة للخليفة.

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن، فخرج فى جيش كثيف من مصر، وسار إلى بلاد اليمن، فاستولى على معاقلها، وظفر بصاحبها الملك سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه ابن الملك المظفر تقى الدين عمر ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب فسيره تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فخرج إلى المنصورة غازيا، فقتل شهيدا، ودانت بلاد اليمن للملك المسعود.

وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى القاهرة، فلما قرئ عليه ما أنفق على الملك المسعود فى خروجه إلى اليمن استكثره وأنكر العادل خروجه، فإنه كان بغير أمره، وأمر العادل بالقاضى الأعز فضرب وقيد، واعتقل بقلعة الجزيزة، ثم حمله إلى قلعة بصرى، فسجنه بها.

---

(١) سنة ٦١٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٨ - ٦/١٩٠. الكامل ٣٠٦/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩/ ٢.

وفيها نقل العادل أمواله وذخائره وأولاده إلى الكرك.

وفيها أبطل الملك العادل ضمان الخمر والقيان.

وفيها مات تقى الدين اللر، شيخ الخانقاه الصلاحية، دار سعيد السعداء، فى المحرم.

وفيها مات ابن سورروس بن أبى غالب بطريق اليعاقبة فى يوم الخميس عيد الغطاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة للشهداء - وهو الرابع عشر من رمضان - وله فى البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما، وكان أولا يتجر إلى بلاد اليمن، فغرق مرة، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بحشاشته، وكان لأولاد الجبَّاب معه مال، فأيسوا منه فلما اجتمع بهم أعلمهم أن مالهم سلم، فإنه كان قد عمله فى مقاير من خشب، وسمرها فى المراكب، وأحضره إليهم، فتميز عندهم بذلك، حتى مات البترك مرقص بن زرعة، فتحدث ابن سورروس فى البتركية للقس أبى ياسر، وكان مقيما بالعدوية[1] فحسن له بنو الجباب أن يقوم هو بأمر البتركية، فتحدث فى ذلك، وزكوه فتولى، وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية، فرقها فى مدة بطركيته على الفقراء، وأبطل الديارية، ومنع الشرطونية، ولم يأكل فى ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا، ولا قبل لصغير ولا لكبير منهم هدية، وكان القس داود بن يوحنا - المعروف بابن لقلق، من أهل الفيوم - ملازما للشيخ نشىء الخلافة أبى الفتوح بن الميقاط، كاتب الجيوش العادلية، وكان يسافر معه ويصلى به، فلما مات ابن سورروس سأل أبو الفتوح الملك العادل أن يولى القس داود البتركية، فأجابه وكتب له توقيعا بذلك، من غير أن يعلم الملك الكامل، فلم يعجب بعض النصارى ولاية داود، وقام منهم رجل يعرف بالأسعد بن صدقة، كاتب دار التفاح بمصر، وجمع كثيرا من النصارى العصارين بمصر، وطلع فى الليلة التى وقع الاتفاق على تقدمة القس داود فى صبيحتها، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل، واستغاثوا بالملك الكامل، وقالوا: «إن هذا الذى يريد أبو الفتوح يعمله بطركا بغير أمرك ما يصلح، ونحن فى شريعتنا لا يقدم البطرك إلا باتفاق الجمهور عليه» . فخرج إليهم الأمر من عند الكامل بتطييب قلوبهم، وفى سحر النهار ركب القس داود، ومعه الأساقفة - وعالم كبير من النصارى - ليقدموه بكنيسة المعلقة بمصر، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتونة. فركب الملك الكامل إلى أبيه، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطركية داود، ولا يجوز عندهم تقدمته إلا باتفاق جمهورهم. فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضرهم حتى يتحقق

---

(١) العدوية: قرية ذات بساتين قرب مصر على شاطئ شرقى النيل تلقاء الصعيد. انظر معجم البلدان ٩٠/ ٣.

الأمر، فوافاهم الرسل مع القس داود، عند زقاق كنيسة الحمراء، فأحضرت الأساقفة إلى الملك العادل، ودخل داود إلى كنيسة الحمراء، وانحل أمره، وخلا الكرسى من بطريق تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما.

وفى جمادى الأولى: صرف الملك العادل زكى الدين الطاهر بن محيى الدين محمد بن على القرشى عن قضاء دمشق، وألزم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الحرستانى[1] بولاية القضاء بها وله من العمر اثنتان وتسعون سنة.

وفيها قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار له سنام كسنام الجمل، يرقص ويدور، ويستجيب له إذا دعاه.

* * *

(١) نسبة إلى حرستا وهى بالتحريك، وسكون السين، وتاء فوقها. نقطتان: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. انظر معجم البلدان ٢٤١/ ٢.

سنة ثلاث عشرة وستمائة[1]

فيها ولى بهاء الدين[....][2]بن الجميزى خطابة القاهرة فى ثالث عشر المحرم.

وولى أبو الطاهر المحلى خطابة مصر فى ثانى صفر.

وفيها سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية، فرتب أمورها وعاد.

وفيها قدم البهاء بن شداد برسالة الظاهر من حلب إلى العادل، وهو بالقاهرة، فمرض الظاهر فى خامس عشرى جمادى الأول، ومات فى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة عن أربع وأربعين سنة وأشهر، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون سنة، وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب، وكان سفاكا للدماء، شهما يقظا صاحب سياسة، وله شعر حسن، وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد، وعمره يومئذ سنتان وأشهر، بعهد من أبيه، وكان الملك العادل - عندما مرض الظاهر - رتب بريدا من مصر إلى حلب يطالعه بخبره، فأتاه نعيه قبل كل أحد، فأحضر الملك العادل ابن شداد، وقال له: «ياقاضى! صاحبك قد مات فى ساعة كذا من يوم كذا». فعاد ابن شداد إلى حلب.

وفيها كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العجم.

وفيها قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية، فأغار على جدة، فخرج إليه الشريف قتادة أمير مكة، وكسره يوم عيد النحر.

* * *

---

(١) سنة ٦١٣ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٩٠ - ١٩٣/ ٦ الكامل ٣١٣/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩٢/ ٢.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة أربع عشرة وستمائة[1]

فيها وصل الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد، بجواب رسالة الملك العادل إلى الخليفة الناصر لدين الله.

وفيها تتابعت أمداد الفرنج فى البحر من روما وغيرها إلى عكا، وفيهم عدة من ملوكهم - وقد نقضوا الصلح، وعزموا على أخذ القدس وسائر بلاد الساحل وغيرها - فعظم جمعهم، فخرج العادل من مصر بعساكره، وسار إلى لد، فبرز الفرنج من عكا فى خلق عظيم، فرحل العادل على نابلس، ونزل فى بيسان، فقال له ابنه المعظم لما رحل: «إلى أين يابه؟». فسبه العادل بالعجمية، وقال : «بمن أقاتل؟ أقطعت الشام مماليك، وتركت من ينفعنى من أبناء الناس الذين يرجعون إلى الأصول» وذكر كلاما فى هذا المعنى.

فقصده الفرنج، فلم يطق لقاءهم، لقلة من معه، فاندفع من بين أيديهم على عقبة فيق، وكتب بتحصين دمشق، ونقل الغلات من داريا إلى القلعة، وإرسال الماء على أراضى داريا وقصر حجاج والشاغور[2] ففزع الناس وابتهلوا إلى الله، وكثر ضجيجهم بالجامع، فزحف الفرنج على بيسان - وقد اطمأن أهلها بنزول العادل عليهم - فانتهبوها وسائر أعمالها، وبذلوا فى أهلها السيف، وأسروا وغنموا ما يجل وصفه، وانبثت سراياهم فيما هنالك حتى وصلت إلى نوى ونازلوا بانياس ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى مرج عكا، وقد أنكوا فى المسلمين أعظم نكاية، وامتلأت أيديهم بالأسر، والسبى والغنائم، وأتلفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف. فلم يمكثوا بالمرج سوى قليل، ثم أغاروا ثانيا، ونهبوا صيداء والشقيف ورجعوا، وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد الفطر، ونزل العادل بمرج الصفر، ورأى فى طريقه رجلا يحمل شيئا، وهو يمشى تارة ويقعد أخرى، فقال له: «ياشيخ ! لا تعجل، ارفق بنفسك». فقال له: «ياسلطان المسلمين! أنت لا تعجل، أو أنا؟ إذا رأيناك قد سرت من بلادك، وتركتنا مع الأعداء، كيف لا نعجل؟». وعندما استقر بمرج الصفر، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه: فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه صاحب حمص، وهو ابن ناصر

---

(١) سنة ٦١٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٩٣ - ١٩٦/ ٦ الكامل ١٢/٣١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩٣/ ٢.

(٢) الشاغور: محلة بالباب الصغير مشهورة وهى فى ظاهر المدينة. انظر معجم البلدان ٣/٣١٠.

الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، عم السلطان صلاح الدين يوسف، ثم إن العادل جهز ابنه المعظم عيسى صاحب دمشق، بطائفة من العسكر إلى نابلس، كى يمنع الفرنج من بيت المقدس، فنازل الفرنج قلعة الطور التى أنشأها العادل، وجدوا فى قتال أهلها، حتى تمكنوا من سورها، وأشرفوا على أخذها. فقدر الله أن بعض ملوكهم قتل، فانصرفوا عنها إلى عكا بعدما أقاموا عليها سبعة عشر يوما، وانقضت السنة والحال على ذلك، من إقامة الفرنج بمرج عكا، والعادل بمرج الصفر.

وفيها مات القاضى الأجل قاضى قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل بن على بن عبد الواحد الأنصارى الخزرجى العبادى السعدى الدمشقى الشافعى جمال الدين الحرستانى، فى رابع ذى الحجة، ومولده بدمشق فى أحد الربيعين، سنة عشرين وخمسمائة.

ومات الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبى القاسم بن محمد الهكارى[1] قتله الفرنج على حصن الطور، فنقل إلى القدس، ودفن بتربته.

ومات الشجاع محمود بن الدباغ، مضحك الملك العادل، وترك مالا جزيلا.

* * *

(١) الهكارى (٦١٤ هـ - ١٢١٧م). محمد بن محمد أبى القاسم الهكارى، أبو عبد الله، بدر الدين: قائد من المجاهدين فى حرب الصليبيين. له مواقف مشهورة، كان من أمراء الملك المعظم. انظر مرآة الزمان ٥٩٢/٨، الوافى ٣٥٠/٤. الأعلام ٢٧/ ٧.

سنة خمس عشرة وستمائة[1]

فيها اجتمع رأى الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر، والاجتهاد فى تملكها، فأقلعوا فى البحر، وأرسوا على دمياط، فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول - الموافق لثامن حزيران - على بر جيزة دمياط، فصار النيل بينهم وبين البلد، وكان إذ ذاك على النيل برج منيع، فى غاية القوة والامتناع، فيه سلاسل من حديد، عظام القدر والغلظ، تمتد فى النيل لتمنع المراكب الواصلة فى بحر الملح من عبور أرض مصر، وتمتد هذه السلاسل فى برج آخر يقابله، وكانا مشحونين بالمقاتلة، ويعرف اليوم مكانهما فى دمياط ببين البرجين. وصار الفرنج فى غربى النيل، فأحاطوا على معسكرهم خندقا، وبنوا بدائره سورا. وأخذوا فى محاربة أهل دمياط، وعملوا آلات ومرمات، وأبراجا متحركة يزحفون بها فى المراكب إلى برج السلسة ليملكوه، حتى يتمكنوا من البلد، فخرج الكامل بمن بقى عنده من العسكر، فى ثالث يوم من سقوط الطائر، لخمس خلون من ربيع الأول، وتقدم إلى والى الغربية بجمع سائر العربان، وسار فى جمع كثير، وخرج الأسطول، فأقام تحت دمياط، ونزل السلطان الكامل بناحية العادلية، قريبا من دمياط، وسير البعوث ليمنع الفرنج من العبور، وصار يركب فى كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط، بتدبير الأمور وإعمال الحيلة فى مكايدة الفرنج.

وألح الفرنج فى مقاتلة أهل البرج، فلم يظفروا بشىء، وكسرت مرماتهم وآلاتهم، وتمادى الأمر على ذلك أربعة أشهر، هذا والملك العادل يجهز عساكر الشام شيئا بعد شىء إلى دمياط، حتى صار عند الكامل من المقاتلة ما لا يكاد ينحصر عدده.

وفى أثناء ذلك ورد الخبر بحركة الملك الغالب عز الدين كيكاوس السلجوقى، سلطان الروم، إلى البلاد الشامية، بموافقة الملك الصالح[2] صاحب آمد وغيره من ملوك الشام، وأنه وصل إلى منبج، وأخذ تل باشر[3] واتفق كيكاوس مع الملك الأفضل على

---

(١) سنة ٦١٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٩٦ - ٢٠٠/ ٦ الكامل ٣٣٣/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩٣/ ٢.

(٢) الصالح الأيوبى (٦٤٨ هـ - ١٢٥١م). إسماعيل بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية تسلطن بدمشق (٦٣٥هـ) بعد وفاة صاحبها (أخيه) الأشرف. انظر العبر، شذرات النهب ٥/ ٢٤١، ترويح القلوب ٦١/ ٦٧. الأعلام ٣٢٤/ ١ .

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب. انظر معجم البلدان ٤٠/ ٢.

ابن صلاح الدين صاحب سميساط أنه يسلمه ما يفتحه من البلاد، فلم يف كيكاوس بما وعد، وسلم ما فتحه لنوابه، فتقاعد عنه كثير من الناس، وأوقع العرب بطائفة من عسكره، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا، ونهبوا لهم شيئا له قدر ، فرجع إلى بلاده بغير طائل. هذا والعادل بمرج الصفر، فبينا هو فى الاهتمام بأمر الفرنج، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرنج برج السلسلة بدمياط، فتأوه تأوها شديدا، ودق بيده على صدره أسفا وحزنا، ومرض من ساعته، فرحل من المرج إلى عالقين، وقد اشتد مرضه، فمات فى سابع جمادى الآخرة يوم الخميس ، فكتم أصحابه موته، وقالوا: «قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى، فحمل فى محفة، وعنده خادم، والطبيب راكب بجانب المحفة، والشربدار يصلح الأشربة، ويحملها إلى الخادم ليشربها السلطان، يوهم الناس بذلك أنه حى، إلى أن دخل قلعة دمشق، وصارت بها الخزائن والحرم وجميع البيوتات، فأعلم بموته، بعدما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله، التى كانت معه، وسائر رخته وثقله، ودفنه بالقلعة، فاختبط الناس حتى ركب المعظم، وسكن أمر الناس، ونادى فى البلد: «ترحموا على السلطان الملك العادل، وادعوا لسلطانكم الملك المعظم» أبقاه الله فبكى الناس بكاء كثيرا، واشتد حزنهم لفقده.

وكان مولده فى المحرم سنة أربعين - وقيل سنة ثمان وثلاثين - وخمسمائة بدمشق، وسمع من السلفى وابن عوف، وعرفت مواقفه فى جهاد العدو بثغر دمياط فى سنة خمس وستين وخمسمائة، فى أيام الخليفة العاضد، وفى مدينة عكا، وملك دمشق فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة، وملك مصر، فى سنة ست وتسعين، فكانت مدة ملكه لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما، ورزق فى أولاده سعادة قلما يتفق مثلها لملك، فبلغوا تسعة عشر ولدا ذكرا، سوى البنات، وهم : الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط، وكان قصيرا فى الغاية، شهما مقداما سفاكا للدماء، مات فى حياة أبيه، والملك الفائز إبراهيم، والملك المغيث عمر - وقد توفيا أيضا فى حياته - وترك عمر ابنا سمى بالملك المغيث وشهاب الدين محمود، رباه عمه الملك المعظم عيسى، والملك الجواد شمس الدين مودود، ومات فى حياته أيضا - وترك الملك الجواد ولدا اسمه مظفر الدين يونس بن مودود[1] بقى عند عمه الملك الكامل بمصر، ثم ملك دمشق وغيرها، وكان جوادا شجاعا؛ والملك الكامل

(١) الملك الجواد (٦٤١ هـ - ١٢٤٣م). يونس (بن مظفر الدين) بن مودود (شمس الدين) بن الملك العادل ومحمد بن أيوب: من أمراء الدولة الأيوبية كان جوادا فيه طيش وحمق، يظلم خدامه للناس ولا يبالى. انظر مرآة الزمان ٨/ ٧٠٤ - ٧٣٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٣٥ - ٣٤٨، أبو الفداء ٣/ ١٦٩.الأعلام ٨/٢٦٣.

ناصر الدين محمد، صاحب مصر، والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى صاحب دمشق، وشقيق الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب بانياس - وكان جوادا شهما - والملك الأمجد مجد الدين حسن، ومات فى حياة أبيه بالقدس، ودفن فى مدرسة بنيت له، ثم نقل إلى الكرك والملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب الشرق وخلاط، بعد أخيه الملك الأوحد، والملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين، وشقيقاه الملك المعز مجير الدين يعقوب، والملك القاهر بهاء الدين تاج الملوك إسحاق، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، صاحب بصرى، ثم دمشق، والملك المفضل قطب الدين أحمد، ومات بمصر فى أيام أخيه الكامل بالفيوم، ووصل فى تابوت إلى القاهرة، فى نصف رجب سنة ثمان عشرة وستمائة، والملك الأمجد تقى الدين عباس، وهو أصغرهم، ولد فى سنة ثلاث وستمائة، ومات آخرهم بدمشق، فى سنة تسع وستين وستمائة، فى أيام الملك الظاهر بيبرس، والملك الحافظ نور الدين أرسلان صاحب قلعة جعبر، والملك القاهر بهاء الدين خضر، والملك المغيث شهاب الدين محمود؛ والملك الناصر صلاح الدين خليل.

ووزر للملك العادل صنيعة الملك أبو سعيد بن أبى اليمن بن النحال مدة يسيرة، وكان نصرانيا فأسلم على يده بعد عوده مع الأفضل علىّ بن صلاح الدين إلى مصر فى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، فلما ماتابن النحال استوزر العادل الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى،فتجبر وسطا، وتمكن من السلطان، واستولى عليه، وعظم قدره. وأوقع ابن شكر بعدة من الأكابر، وصادر أكابر كتاب الدولة، واستصفى أموالهم. ففر منه القاضى الأشرف ابن القاضى الفاضل إلى بغداد، واستشفع بالخليفة الناصر لدين الله، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل، وفر منه علم الدين بن أبى الحجاج، صاحب ديوان الجيش، والأسعد بن مماتى صاحب ديوان المال، إلى حلب، فأكرمهما الملك الظاهر، حتى ماتا عنده، وصادر بنى حمدان وبنى الجباب وبنى الجليس، وأعيان الكتاب المستوفين، والعادل لا يعارضه فى شىء، هذا وهو يتغضب على السلطان، واستمر على هذا الحال إلى أن غضب على السلطان مرة فى سنة تسع وستمائة، وحلف أنه ما بقى يخدمه، فأخرجه السلطان العادل من مصر، بجميع أمواله وحرمه، فكان ثقله على ثلاثين جملا، وحسن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله، فامتنع واكتفى بإخراجه إلى آمد. وسار صفى الدين إلى آمد، فأقام عند الصالح بن أرتق، فأقام العادل من بعده القاضى فخر الدين مقدام بن شكر، ثم نقم عليه فى سنة اثنتى عشرة وستمائة، وضربه وقيده، وأخرجه من مصر، و لم يستوزر بعده أحدا.

من أعجب الاتفاقات أن الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه: فأول ذلك أن أباه أقطعه حران والرها وميافارقين فى سنة ست وثمانين وخمسمائة، فسار إليها، حتى إذا بلغ حلب رده أبوه، وبعث الملك العادل بدله، ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق، فأخذها العادل منه، ثم ملك مصر بعد ذلك، فأخذها منه العادل، ثم ملك صرخد، فأخذها منه العادل، وعوضه قلعة نجم وسروج، ثم استرجعهما منه بعد ذلك.

فلما تمهدت للملك العادل الممالك قسمها بين أولاده، فملك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن، ورأى العادل فى أولاده ما يحب، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى فى أولاده ما رآه العادل، فإنه اجتمع فى كل منهم من النجابة والنبل، والكفاية والمعرفة، والفضيلة وعلو الهمة، ما لا مزيد عليه، ودانت لهم العباد، وملكوا خيار البلاد، وكان كثيرا ما يتردد العادل فى ممالك أولاده، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق، ويشتى بمصر، وكان أكولا نهما، يأكل خروفا مشويا بمفرده، وله اقتدار زائد على النكاح، ومتع فى دنياه بأرغد عيش، وتمكن من السعادة فى سائر أحواله، وكان حميد السيرة، حسن العقيدة، كثير السياسة، صاحب معرفة بدقائق الأمور، قد حنكته التجارب، فسعدت آراؤه، ونجحت تدبيراته، وكان لا يرى محاربة أعدائه، ويستعمل فى مقاصده المكائد والخدع، فهادنته الفرنج لقوة حزمه وشدة تيقظه، وغزارة عقله وقوة كيده، ومكره ومداومته على المخادعة والمخاتلة، وكثرة صبره وحلمه وأناته، بحيث إنه كان إذا سمع ما يكره يغضى عنه تجاوزا وصفحا، كأنه لم يبلغه، وكان لا يخرج المال إلا عند الاحتياج إلى إخراجه، فيسمح حينئذ ببذل الكثير منه، ولا يتوقف فيما ينفق، فإذا لم يحتج إلى أخرج المال ضن به وأمسكه، فثابت له بذلك أغراضه كما يجب، وانقادت له الأمور مثل ما يختار، وكان يحافظ على أداء الصلوات فى أوقاتها، ويحب السنة، ويكرم العلماء، مع العظمة وقوة المهابة المتمكنة فى القلوب، وله صنف الإمام فخر الدين الرازى كتاب تأسيس التقديس، وبعث به إليه من بلاد خراسان.

ومات الملك العادل عن خمس وسبعين - وقيل ثلاث وسبعين - سنة، وترك مالا كثيرا، منه فى خزائنه - التى استولى عليها ابنه المعظم - سبعمائة ألف دينار مصرية، سوى ما كان له فى الكرك، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم، وكتب المعظم إلى أخوته بموت أبيه، فجلس الملك الكامل للعزاء فى معسكره بظاهر دمياط، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج.

* * *

السلطان الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالى محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، سادس ملوك مصر من الأيوبيين، استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه، بعهده إليه فى حياته، وكانت سلطنته بعد السابع من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة عندما وصل إليه نعى أبيه، وهو بالمنزلة العادلية على محاربة الفرنج - وقد ملكوا البر الغربى، واستولوا على برج السلسلة، وقطعوا السلاسل المتصلة به، لتعبر مراكبهم فى بحر النيل، ويتمكنوا من أرض مصر، فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما، يمنع الفرنج من عبور النيل، فقاتل الفرنج عليه قتالا كثيرا حتى قطعوه، وكان قد أنفق على هذا البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار، فأمر الكامل بتغريق عدة من المراكب فى النيل، منعت الفرنج من سلوكه، فعدل الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالأزرق، كان النيل يجرى فيه قديما، فحفروه حفرا عميقا، وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح، فجرت سفنهم فيه إلى ناحية بورة[1] على أرض جيزة دمياط، تجاه المنزلة التى فيها الكامل، ليقاتلوه من هناك، فلما استقروا فى بورة حاذوه، وقاتلوه فى الماء، وزحفوا إليه غير مرة، فلم ينالوا منه غرضا طائلا، ولم يضر أهل دمياط ذلك؛ لتواصل الأمداد والميرة إليهم، وكون النيل يحجز بينهم وبين الفرنج، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة، وليس عليها حصر ولا ضيق ألبتة.

هذا والعربان تخطف الفرنج فى كل ليلة، بحيث منعهم ذلك من الرقاد، خوفا من غاراتهم وفتكالب العرب عليهم حتى صاروا يختطفونهم نهارا، ويأخذون الخيم بمن فيها، فأكمن لهم الفرنج عدة كمناء، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأدرك الناس الشتاء، فهاج البحر على معسكر المسلمين، وغرق الخيم، فعظم البلاء، واشتد الكرب، وألح الفرنج فى القتال، ولم يبق إلا أن يملكوا البلاد، فأرسل الله سبحانه ريحا قطعت مراسى مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا، فمرت تلك المرمة إلى البر الذى فيه المسلمون فملكوها، فإذا هى مصفحة بالحديد، لا تعمل فيها النار، ومساحتها خمسمائة ذراع،

---

(١) بورة: مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط تنسب إليها العمائم البورية والسمك البورى. معجم البلدان ١/ ٧٥٥، وفى الروض المعطار بورى - أو بورة -: فى أسفل الديار المصرية، فى سنة عشر وستمائة وصل العدو إليها بشوانية فسباها، وكان حلق رشيد قد حرس بالقطائع المصرية فعدل عنها إلى هذا المكان. انظر الروض المعطار، وخطط المقريزى ١/ ١٨١، ١٨٢، واليعقوبى ٣٣٨، وكذلك الإدريسى ١٥٧، وقاموس رمزى ١٧٦/١.

وفيها من المسامير ما زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا، وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا، يستنجد أهل الإسلام على قتال الفرنج، ويستحثهم على إنقاذ المسلمين منهم وإغاثتهم، ويخوفهم من تغلب الفرنج على مصر، فإنه متى ملكوها لا يمتنع عليهم شيء من الممالك بعدها، فسارت الرسل فى شوال، فقدمت النجدات من حماة وحلب، إلا أنه لما قدم على المعسكر موت العادل وقع الطمع فى الملك الكامل، وثار العرب بنواحى أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم، واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد بن الأمير سيف الدين أبى الحسين على بن أحمد الهكارى، والمعروف بابن المشطوب، وكان أجل الأمراء الأكابر، وله لفيف من الأكراد الهكارية، ينقادون إليه ويطيعونه، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك، معدودا بينهم كواحد منهم، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود، وسعة الكرم والشجاعة، تهابه الملوك، وله وقائع مشهورة فى القيام عليهم، ولما مات أبوه، وكانت نابلس إقطاعا له، أرصد ثلثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها، فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية، فاتفق عماد الدين مع جماعة من الأكراد والجند على خلع الملك الكامل، وتمليك أخيه الفائز إبراهيم، ليصير لهم التحكم فى المملكة، ووافقه على ذلك الأمير عز الدين الحميدى، والأمير أسد الدين الهكارى، والأمير مجاهد الدين، وعدة من الأمراء، فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف، وهم يحلفون لأخيه الفائز، فعندما رأوه تفرقوا، فخشى على نفسه منهم، وخرج، فاتفق قدوم الصاحب صفى الدين بن شكر من آمد، فإنه كان قد استدعاه الكامل بعد موت أبيه، فتلقاه الكامل وأكرمه، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء، فشجعه وضمن له تحصيل المال وتدبير الأمور، فلما كان فى الليل ركب الكامل من المنزلة العادلية، فى الليل جريدة، وسار إلى أشموم طناح[1] فنزل بها، وأصبح العسكر وقد فقدوا السلطان، فركب كل أحد هواه، ولم يعرج واحد منهم على آخر، وتركوا أثقالهم وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم، ولم يأخذ كل أحد إلا ما خف حمله، فبادر الفرنج عند ذلك، وعبروا بر دمياط وهم آمنون، من غير منازع ولا مدافع، وأخذوا كل ما كان فى معسكر المسلمين، وكان شيئا لا يقدر قدره، وذلك لبضع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة، فكان نزول الفرنج قبالة دمياط فى يوم الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة، ونزولهم فى البر الشرقى - حيث مدينة

---

(١) أشموم بضم الميم وسكون الواو اسم لبلدتين بمصر يقال لإحداهما أشموم طناح وهى قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية، والأخرى أشموم الجريسان بالمنوفية. انظر معجم البلدان.

دمياط - يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ست عشرة، فتزلزل الملك الكامل، وهم بمفارقة أرض مصر، ثم تثبت، فتلاحق به العسكر، وبعد يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق - وهو بأشموم - فى ثامن عشر ذى القعدة، فقويت به شوكته، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب، فوعده بإزالته عنه. ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب، واستدعاه للركوب معه للمسايرة، فاستمهله حتى يلبس خفيه وثيابه، فلم يمهله وأعجله، فركب معه وهو آمن، وسايره حتى خرج به من المعسكر وبعد عنه، فالتفت إليه المعظم، وقال: «يا عماد الدين! هذه البلاد لك، أشتهى أن تهبها لنا». وأعطاه نفقة، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم، كان قد أعدهم لهذا الأمر، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرمل، ويحتفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام، فما وجد ابن المشطوب سبيلا إلى الامتناع، ولا قدر على المدافعة، لأنه بمفرده بينهم، فساروا به على تلك الحالة إلى الشام، فنزل بحماة عند الملك المنصور، ومعه أربعة من خدمه، ولما سار ابن المشطوب رجع المعظم إلى أخيه الكامل، وتقدم إلى أخيه الفائز بأن يمضى إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق رسولا عن الملك الكامل، بسبب إرسال عساكر الإسلام، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرنج، وكتب الكامل إلى أخيه الأشرف موسى شاه أرمن، يستحثه على سرعة الحضور، وصدر المكاتبة بهذه الأبيات:

يامسعدى إن كنت حقا مسعفى	فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قلوصك مرقلا أو موجفا	بتجشم فى سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ	إلا على باب المليك الأشرف
واقر السلام عليه من عبد له	متوقع لقدومه متشوف
وإذا وصلت إلى حماة فقل له	عنى بحسن توصل وتلطف
إن تأت عبدك عن قليل تلقه	ما بين كل مهند ومثقف
أو تبط عن إنجاده فلقاؤه	بل فى القيامة فى عراص الموقف

فسار الفائز - وكان الغرض إخراجه من أرض مصر - فمضى إلى دمشق، ورحل إلى حماة، ثم سار إلى الشرق، فانتظم أمر الكامل، وقوى ساعده، وترتبت قواعد ملكه، وسار عنه المعظم، هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر، وأحدقوا بها وحصروها، وضيقوا على أهلها، ومنعوا الأقوات أن تصل إليهم، وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقا، وبنوا عليه سورا، وأهل دمياط يقاتلونهم أشد قتال، وأنزل الله عليهم الصبر، فثبتوا مع قلة الأقوات عندهم وشدة غلاء الأسعار، وأخذ الكامل فى محاربة الفرنج، وهم قد حالوا بينه وبينها، ولم يصل إليها أحد من عنده

سوى رجل من الجاندارية، وكان هذا الرجل قد قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة، و يسمى شمايل، فتوصل حتى صار يخدم فى الركاب السلطانى جاندار، وكان يخاطر بنفسه، ويسبح فى النيل - ومراكب الفرنج به محيطة، والنيل قد امتلأت به شوانى الفرنج - فيدخل إلى مدينة دمياط، ويأتى السلطان بأخبار أهلها، فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها، ووعدهم بقرب وصول النجدات، فحظى بذلك عند الكامل، وتقدم تقدما كثيرا، وجعله أمير جانداره وسيف نقمته، وولاه القاهرة، وإليه تنسب خزانة شمايل، وكان فى دمياط من أهلها الأمير جمال الدين الكنانى، فكتب هذه الأبيات، وألقاها إلى الملك الكامل فى سهم نشاب، وهى:

يا مالكى دمياط ثغر هدمت ... ا الله ضامن أجره وكفيلهشرفاته
يقريك من أزكى السلام تحية ... كادت تجث أصوله
ويقول عن بعد وإنك سامع ... كالمسك طاب دقيقه وجليله
يأيها الملك الذى ما إن يرى ... حتى كأنك جاره ونزيله
هذا كتاب موضح من حالتى ... بين الملوك شبيهه وعديله
أشكو إليك عدو سوء أحدقت ... ما ليس يمكننى لديك أقوله
فالبر قد منعت إليه طريقه ... بجميعه فرسانه وخيوله
فخضوعه باد على أبراجه ... والبحر عز لنصره أسطوله
ولو استطاع لأمَّ بابك لائذا ... وحنينه وبكاؤه وعويله
ورسوله فى أن تجيب دعاءه ... لكنه سدت عليه سبيله
فقد انتهت أدواؤه وتحكمت ... دين الإله وخلقه ورسوله
وبقى له رمق يسير يرتجى ... علاته ونحا عليه نحوله
فاحرس حماك بعزمة تشفى بها ... أن يشتفى لما دعاك عليله
فالله أعطاك الكثير بفضله ... داء لمثلك يرتجى تعليله
فالعذر فى نصر الإله ودينه ... ورضاه من هذا الكثير قليله
والثغر ناظره إليك محدق ... ماساغ عند المسلمين قبوله
ولئن قعدت عن القيام بنصره ... ما إن يمل من الدموع هموله
ووهت قوى القرآن فيه ورفعت ... جفت نضارته وبان ذبوله
وعلا صدى الناقوس فى أرجائه ... صلبانه وتلى به إنجيله
هذا وحقك وصف صورة حاله ... وخفى على سمع الورى تهليله
وكفاك يابن الأكرمين بأنه ... حقا وجملته وذا تفصيله

حقق رجاء فيك يا من لم يخب أضحى عليك من الورى تعويله
واذخر ليوم البعث فعلا صالحا أبدا لراجى جوده تأميله

فلما وقف السلطان على هذه الأبيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد، وخرجت السنة والحال على ذلك.

وفيها استدعى الملك الغالب كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان، ملك الروم، بالملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف[1] - وكان بسميساط[2]، ويخطب للملك الغالب، فلما قدم عليه أكرمه، وحمل إليه شيئا كثيرا من المال والخيل والسلاح وغيره، وتحالفا على المسير إلى المملكة الحلبية وأخذها، بشرط أن يدفعها الملك الغالب، هى وسائر ما يفتحه إلى الملك الأفضل؛ ليقيم له فيها الخطبة والسكة، ويصير فى طاعته، فإذا تم ذلك سارا إلى الشرق ، وأخذا حران والرها وغيرها، فسارا بالعساكر وأخذا قلعة رعبان[3] فتسلمها الأفضل، ومال إليه الناس، واجتمعوا على الملك الغالب؛ لمحبتهم فى الأفضل، ثم سار إلى قلعة تل باشر، فحصراها حتى ملكاها، فلم يسلمها الملك الغالب للأفضل، وأقام نائبا من قبله، فنفر منه الأفضل وفترت همته، وعلم أن هذا أول الغدر، وأعرض أهل البلاد أيضا عن الملك الغالب، واستعد أهل حلب، واستدعوا الملك الأشرف من بحيرة قدس، وكان نازلا عليها تجاه الفرنج، فقدم إليهم بعساكره، وحضرت عرب طيء وغيرها، إلى ظاهر حلب، فحسن الأفضل للملك الغالب التوجه إلى منبج، فسارا إليها، فواقع العرب مقدمة الملك الغالب، فانهزمت، وأسر العرب وأصحاب الأشرف كثيرا منهم، فرجع عند ذلك الملك الغالب إلى بلاده، وسار الأشرف، فاستولى على رعبان وتل باشر.

---

(١) الأفضل الأيوبى (٥٦٦ - ٦٢٢ هـ = ١١٧١ - ١٢٢٥م). على الملك الأفضل نور الدين ابن يوسف صلاح الدين بن أيوب: صاحب الديار الشامية، استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه (سنة ٥٨٩ هـ) وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٢٩ هـ وأعطياه صرخد. انظر ابن الأثير ١٢/ ١٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٧١ حلى القاهرة ١٩٩. الأعلام ٣٣/ ٥.

(٢) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات فى طرق بلاد الروم على غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرض. انظر معجم البلدان ٢٥٨/ ٣، وفى الروض المعطار: سميساط: بلد من بلاد العجم منها السميساطى، رجل من العجم كان موصوفًا بالورع والزهد، كان بنى خانقة للصوفية بدمشق فى موضع الدار التى كانت لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. انظر الروض المعطار ٣٢٣، ٣٢٤، وابن جبير ٢٨٩.

(٣) رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم. انظر معجم البلدان ٥١/ ٣.

وفيها مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى آقسنقر، صاحب الموصل، لثلاث بقين من ربيع الأول، وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر، وقام من بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه، وعمّره عشر سنين، فدبر أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك، فأقرهما الخليفة الناصر.

* * *

سنة ست عشرة وستمائة[1]

فيها قدم الملك المظفر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب - صاحب حماة - إلى الملك الكامل، نجدة فى عسكر كثيف، ومعه الطواشى مرشد المنصورى، فتلقاه السلطان وأعظم قدره، وأنزله على مينته، وهى المنزلة التى كانت لأبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف، ووصل الفائز إبراهيم بن العادل إلى أخيه الأشرف موسى برسالة أخيهما الكامل للاستنجاد على الفرنج، فأكرمه وأمسكه عنده، فإن الغرض إنما كان إخراجه من أرض مصر.

وفيها اشتد قتال الفرنج، وعظمت نكايتهم لأهل دمياط، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل، فنهكتهم الأمراض، وغلت عندهم الأسعار، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير، وامتلأت الطرقات من الأموات، وعدمت الأقوات، وصار السكر فى عزة الياقوت، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه، وآلت بالناس الحال إلى أن لم يبق عندهم غير شىء يسير من القمح والشعير فقط، فتسور الفرنج السور، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما، وعندما أخذوا دمياط وضعوا السيف فى الناس، فلم يعرف عدد من قتل لكثرتهم، ورحل السلطان بعد ذلك بيومين، ونزل قبالة طلخا، على رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط، وخيم بالمنزلة التى عرفت بالمنصورة[2] وحصن

---

(١) سنة ٦١٦ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ٢١٦ - ٢١٩/ ٦ ، الكامل ٣٥٤/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩٦/ ٢.

(٢) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، بين دمياط والقاهرة، ورابط بها فى وجه الإفرنج لما ملكوا دمياط وذلك سنة ٦١٦ هـ. انظر معجم البلدان ٢١٢/ ٥، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة المنصورة: هذه البلد على بحر أشموم تجاه ناحية طلخا، بناها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة عشرين وستمائة عندما ملكوا الفرنج مدينة دمياط فنزل فى موضع هذه البلد وبنا بها عدة دور، ودار عليها سور مما يلى البحر وبنا بها الأسواق والحمامات والفنادق وسماها المنصورة لكونه انتصر هناك على الفرنج، ولما انتصر على الفرنج جلس فى قصره الذى أنشأ بها وبين يديه أخويه هما الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الشرق وعدة من خواصه فعند ذلك أحضر الملك الأشرف موسى جارية تغنى على عود فغنت شعر:

ولما طغا فرعون على بسحره ... وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض

أتى نحوهم موسى وفى يده العصا ... فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

الفرنج أسوار دمياط، وجعلوا جامعها كنيسة، وبثوا سراياهم فى القرى يقتلون ويأسرون، فعظم الخطب واشتد البلاء، وندب السلطان الناس وفرقهم فى الأرض، فخرجوا إلى الآفاق يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدى الفرنج، وشرع السلطان فى بناء الدور والفنادق والحمامات والأسواق بمنزلة المنصورة وجهز الفرنج من حصل فى أيديهم من أسارى المسلمين فى البحر إلى عكا وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة، فنازلوا السلطان تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين العسكر بحر أشموم وبحر دمياط، وكان الفرنج فى مائتى ألف رجل وعشرة آلاف فارس، فقدم السلطان الشوانى تجاه المنصورة، وهى مائة قطعة، واجتمع الناس من أهل ومصر وسائر النواحى ما بين أسوان إلى القاهرة، ووصل الأمير حسام الدين يونس، والفقيه تقى الدين طاهر المحلى، فأخرجا الناس من القاهرة ومصر؛ ونودى بالنفير العام، وألا يبقى أحد، وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه.

فقال:

يهددونا بأهل عكا ... أن يملكونا وأهل يافا
ومن لنا أن يلوا علينا ... فالروم خير من الريافا

يعنى أهل الريف، فإنه كان قد كثر تسلطهم، وطمعوا فى أمرالسلطان، واستخفوا به؛ لشغله بالفرنج عنهم، وخرج الأمير علاء الدين جلدك، والأمير جمال الدين بن صيرم؛ لجمع الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحوف الشرقى [1] فاجتمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصر، وأنزل السلطان على ناحية شار مساح ألفى فارس، فى آلاف من العربان، ليحولوا بين الفرنج وبين دمياط، وسارت الشوانى - ومعها حراقة كبيرة - إلى رأس بحر المحلة، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون، فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر، وقدمت النجدات للملك الكامل من بلاد الشام، وخرجت أمم الفرنج من

=فطرب الأشرف موسى لذلك فشق على أخيه الملك الكامل محمد وأتى بجارية من عنده فأخذت العود وغنت شعر فى المعنى:

يا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا ... لما قد جرى فى وقتنا وتجددًا
إلا أن موسى قد أتانا وقومه ... وعيسى جميعا ينصرون محمدًا

فطرب الملك الكامل لذلك وأمر لكل بخمسمائة دينار. وكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليالى الدهر، وقيل أن الذى نظم هذه الأبيات إنما هو راجح الحلى الشاعر المشهور.

(١) الحوف: بالفتح، وسكون الواو، والفاء؛ والحوف بمصر حوفان: الشرقى والغربى، وهما متصلان، أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة، انظر معجم البلدان ٣٢٢/ ٢.

داخل البحر تريد مدد الفرنج على دمياط، فوافى دمياط منهم طوائف لا يحصى لهم عدد، فلما تكامل جمعهم بدمياط خرجوا منها، فى حدهم وحديدهم، وقد زين لهم سوء عملهم أن يملكوا أرض مصر، ويستولوا منها على ممالك البسيطة كلها، فلما قدمت النجدات كان أولها قدوما الملك الأشرف موسى بن العادل، وآخرها على الساقة الملك المعظم عيسى، وفيما بينهما بقية الملوك: وهم المنصور صاحب حماة، والناصر صلاح الدين قلج أرسلان، والمجاهد صاحب حمص، والأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك وغيرهم، فهال الفرنج ما رأوا، وكان قدوم هذه النجدات فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، وتتابع قدوم النجدات حتى بلغ عدد فرسان المسلمين نحو الأربعين ألفا، فحاربوا الفرنج فى البر والبحر، وأخذوا منهم ست شوانى وجلاسة وبطسة، وأسروا منهم ألفين ومائتى رجل، ثم ظفروا أيضا بثلاث قطائع، فتضعضع الفرنج لذلك، وضاق بهم المقام، وبعثوا يسألون فى الصلح، كما سيأتى إن شاء الله.

وفيها مات قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود، صاحب سنجار، وقام من بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه، ثم قتله أخوه الأمجد عمر.

ومات نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل، فقام من بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ بأمر أخيه ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين، وعمره ثلاث سنين.

وفيها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود - وكان من غربى البلد - فإنه أبقاه، وخرج معظم من كان فى القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نفر يسير، ونقل المعظم ما كان فى القدس من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط.

وفيها هدم المعظم أيضا قلعة الطور التى بناها أبوه العادل، وعفى آثارها.

وفيها خرجت كتب الخليفة الناصر لدين الله إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط.

وفيها مات عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، ملك قونية، بعدما ملك أرزن الروم[1] من عمه طغرل شاه

---

(١) أرزن الروم: مدينة فى تركيا من بلاد أرمينية. انظر بلدان الخلافة الشرقية: ١٤٩، مراصد الاطلاع ١: ٥٥، تقويم البلدان ٣٧٨، وجاء ذكر أرزن فقط فى الروض المعطار بأنها: مدينة بينها=

ابن قلج شاه بن قلج أرسلان، وملك أنكورية من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم، وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد.

وفيها ابتدأ ظهور التتار - ومساكنهم جبال طمغاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر - واستولوا على كثير من بلاد الإسلام، وكانوا لا يدينون بدين، إلا أنهم يعترفون با لله تعالى، من غير اعتقاد شريعة، فملكوا الصين - وكان ملكهم يقال له جنكزخان - ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر [1] فملكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان محمد بن جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم استولوا على بخارى وغيرها من بلاد العجم.

* * *

=وبين ميافارقين سبعة فراسخ، فتحها عياض بن غنم على مثل صلح الرها، وهى مدينة كبيرة كثيرة الأسواق والعمران سهلية جبلية. انظر الروض المعطار ٢٦ (أرزن).

(١) كاشغر: بالتقاء الساكنين، والشين معجمة والغين أيضا، وراء: وهىمدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحى، وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. انظر معجم البلدان ٤/٤٣٠، وجاء ذكر كاشغر فى الروض المعطار - كاشغرا أو كاشغر أو قاشغر - وهى: مدينة من بلاد الصين عامرة كثيرة الخيرات فيها متاجر وبضائع، وهى على نهر صغير يأتى إليها من جهة شمالها من جبل قيطغورا، وفيه معادن فضة طيبة فائقة فى الجودة سهلة التخليص من خبثها. انظر الروض المعطار ٤٨٩، ونزهة المشتاق ٦٨، ٦٩، وتقويم البلدان ٥٠٤، وحدود العالم ٩٦، ٢٨٠، وابن الوردى ٣٤.

سنة سبع عشرة وستمائة[1]

أهلت وانقضت، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط، فى منزلة المنصورة.

وفيها استولى التتر على سمرقند[2] وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الرى وهمذان وقزوين، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة[3] والترمذ وخوارزم، وخراسان

---

(١)انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢١٩ - ٢٢/ ٦، الكامل ٣٥٨/ ١٢ وما بعدها تاريخ ابن الوردى ١٩٩/ ٢ وما بعدها .

(٢) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر . انظر معجم البلدان ٢٤٦/ ٣، وفى الروض المعطار سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن أفريش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيل شمرقند، وعربت فقيل سمرقند، وإلى ذلك أشار دعبل فى قوله من قصيدته التى افتخر فيها على الكميت:

هم كتبوا الكتاب بباب مرو   باب الصين كانوا الكاتبينا
هم سموا بشمر سمرقندًا   هم غرسوا هناك الشبتينا

وهى مدينة حسنة كبيرة على حنوب وادى الصغد، وقصبة الصغد سمرقند، ولها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات، وعليها سور تراب متسع يطيف به خندق، وهى كثيرة الخصب والنعم والفواكه، ولها أربعة أبواب، ويدخل المدينة ماء يجلب إليها، يدخل على باب كبير ويعم أكثر قصورها، وهى فى الأقليم الخامس، وكان طولها فى قديم الدهر اثنا عشر فرسخًا، وقد تهدم وخرب منها كثير، والعمران منها اليوم أربعة فراسخ، ويضم سورها اثنى عشر ألف بستان، ويشتمل على سمرقند سور له أربعة أبواب: باب من ناحية المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن الأرض ينزل فى عدد درج مطل على وادى الصغد، وبابها مما يلى المغرب يسمى النوبهار وهو على شرف من الأرض أيضًا، ومما يلى الشمال باب بخارى، ومما يلى الجنوب باب كش، وفى الشمال من سمرقند جبل كبير يخرج من تحته عين حرارة قد صنع لها فى أصل الجبل طيقان وحلب عليها الماء فى قنوات رصاص حتى يصب فى سمرقند بمجرى اسمه بارمس يصب فى البحيرة التى فى أصل بنكث من سمرقند على نحو ثلاثين فرسخًا، ويخرج فى شرقى سمرقند فيصير إلى ماء الصغد وهو موضع درغش ومن مدينة سمرقند على أربعة فراسخ يخرج خليج من هذا الوادى يسمى العريش يسقى الرساتيق. وسمرقند من عمل الصغد وهو كله من خراسان، وحدّ عمل الصغد غربًا ما بين كرمينية والدبوسية، وشمالاً وادى الشاش، ومنبرها الأجل سمرقند، ثم كش، ثم نسف، ثم الكشانية، ثم أوفر، ثم الدبوسية، ثم درغش. انظر الروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣، وابن الوردى ٣١.

(٣) فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد=

ومرو ونيسابور، وطوس[١] وهراة وغزنة.

وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردين وسنجار.

وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى[٢] صاحب حماة - وكان إماما مفتيا فى عدة علوم، وله شعر جيد - فى ذى القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة، وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقى الدين محمود فى معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج، فقام بمملكة حماة الملك الناصر قلج أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة، فشق بذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل فى العود إلى حماة، ظنا منه أنه يملكها، فإنه كان ولى عهد أبيه، فأذن له الملك الكامل، وسار فلقى الملك المعظم فى الغور، فخوفه من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق، ثم رجع المظفر إلى الملك الكامل، فأقطعه إقطاعا، وأقام فى خدمته.

وفيها كثرت مصادرة الصاحب صفى الدين بن شكر أرباب الأموال بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب: وقرر التبرع على الأملاك، وهو مال جُبى من الناس، وأحدث ابن شكر حوادث كثيرة، وحصل مالا جما.

وفيها قوى طمع الفرنج فى ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين؛

=لبلاد الترك. انظر معجم البلدان ٢٥٣/ ٤، وفى الروض المعطار فرغانة: فى خراسان، بينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخًا، كان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل بيت قومًا، وفرغانة اسم الأقليم، وهو عريض على سبع مدائن، واسمها بالعجمية اخشيكث، وقيل إن فرغانة اسم الكورة، واسم قصبتها اخشيكث، وهى على شط نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهى على شمال النهر. انظر الروض المعطار ٤٤٠.

(١) طوس: مدينة من نيسابور على مرحلتين، وقيل على ستة عشر فرسخًا، وطوس يقال لها نوقان، وهى مدينة كبيرة حسنة المبانى، كثيرة الأسواق شاملة الأرزاق، عامرة الأمكنة رائقة الجهات، ولها مدن بها منابر ولما فتح ابن عامر مدينة نيسابور، قيل صلحًا وقيل عنوة، فتح ما حولها طوس وبيورد وحمران وسرخس، وقيل بعث إلى سرخس عبد الله بن خازم ففتحها، وبطوس قبر الرشيد أمير المؤمنين، وفيها توفى الرضا بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين. انظر الروض المعطار ٣٩٨، ٣٩٩، ومعجم البلدان ٤/٤٩، ونزهة المشتاق ٢٠٩.

(٢) الملك المنصور (٦١٧ هـ - ١٢٢١م). محمد بن عمر المظفر بن شاهذنشاه، الأيوبى أبو المعالى، ناصر الدين، المنصور بن المظفر: صاحب حماة، وأحد العلماء بالتاريخ والأدب، سمع الحديث فى الإسكندرية وصار إليه ملك حماة بعد أبيه. انظر تاريخ حماة ٨٤، فوات الوفيات ٢/ ٢٥٢، وفيات الأعيان ابن الوردى ٢/ ١٣٩، أبو الفداء ٣/ ١٢٥، ذيل الروضتين ١٢٤. الأعلام ٦/٣١٣.

ليدفعوهم عن منزلتهم، ويستولوا على البلاد، فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط.

وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدها على أهل مصر.

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبى مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، سلطان مكة، فى آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة، وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع[1]. وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة[2] فسار راجح بن قتادة مغاضبا له، وقطع الطريق فى الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش أمير الحاج العراقى، فبعث الشريف حسن لأقباش يعده بمال ليسلمه راجحا، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم أقباش على أن يسلمه مكة، وتقدم لمقاتلة أميرها، فقتل أقباش، وفر راجح إلى المملك المسعود باليمن.

* * *

(١) ينبع: بالفتح ثم السكون، والباء الموحدة مضمومة، وعين مهملة: هى عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل. انظر معجم البلدان ٤٥٠/ ٥، والروض المعطار ٦٢١، ورحلة الناصرى ٢١٦.

(٢) حسن بن قتادة (٦٢٢ هـ = ١٢٢٥م). الحسن بن قتادة بن إدريس العلوى الحسنى: أمير مكة، وأحد الفتاك العتاة، أرسله أبوه مع عسكر بقيادة عم له، للاستيلاء على المدينة، فقتل عمه فى الطريق، وعاد إلى مكة فخنق أباه، وكان له أخ ينوب عن أبيه بقلعة ينبع ، فاستحضره وقتله. واستقر فى ملك مكة سنة ٦١٨ هـ. ونازعه أخوه راجح. انظر دائرة البستان ٧/ ٤١، ابن الوردى ٢/ ١٤٣، خلاصة الكلام ٢٤. الأعلام ٢١١/ ٢.

سنة ثمان عشرة وستمائة(1)

فيها اشتدت قوة الفرنج، بكثرة من قدم إليهم فى البحر، فتابع الملك الكامل الرسل فى طلب النجدات، فقدمت عليه الملوك كما تقدم، واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا، وقد اجتمع من الفرنج والمسلمين ما لا يعلم عددهم إلا الله، وكانت العامة تكر على الفرنج أكثر ما يكر عليهم العسكر، وتقدم جماعة من العسكر إلى خليج من النيل فى البر الغربى، يعرف ببحر المحلة، وقاتلوا الفرنج منه، وتقدمت الشوانى الإسلامية فى بحر النيل؛ لتقاتل شوانى الفرنج، فأخذوا منها ثلاث قطع برحالها وأسلحتها.

هذا والرسل تتردد من عند الفرنج فى طلب الصلح بشروط: منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية، وجبلة واللاذقية، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل، فأجابهم الملوك إلى ذلك، ماخلا الكرك والشوبك، فأبى الفرنج، وقالوا: «لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله» فرضى الكامل، فامتنع الفرنج، وقالوا: لا بد أن تعطونا خمسمائة ألف دينار؛ لنعمر بها ما خربتم من أسوار القدس، مع أخذ ما ذكر من البلاد، وأخذ الكرك والشوبك أيضا، فاضطر المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم، وعبر جماعة من المسلمين فى بحر المحلة إلى الأرض التى عليها معسكر الفرنج، وفتحوا مكانا عظيما فى النيل، وكان الوقت فى قوة الزيادة، فإنه كان أول ليلة من توت، والفرنج لا معرفة لهم بحال أرض مصر، ولا بأمر النيل، فلم يشعر الفرنج إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التى هم عليها، وصار حائلا بينهم وبين دمياط، وأصبحوا وليس لهم جهة يسلكونها، سوى جهة واحدة ضيقة، فأمر السلطان فى الحال بنصب الجسور عند بحر أشموم طناح، فتهيأ الفراغ منها، وعبرت العساكر الإسلامية عليها، وملكت الطريق التى تسلكها الفرنج إلى دمياط، فانحصروا من سائر الجهات، وقدر الله سبحانه بوصول مرقة عظيمة فى البحر للفرنج، وحولها عدة حراقات تحميها، وسائرها مشحونة بالميرة والسلاح، وسائر ما يحتاج إليه، فأوقع بها شوانى الإسلام، وكانت بينهما حرب، أنزل الله فيها نصره على المسلمين، فظفروا بها وبما معها من الحراقات، ففت ذلك فى أعضاد الفرنج، وألقى فى قلوبهم الرعب والذلة، بعدما كانوا فى غاية الاستظهار والعنت على المسلمين، وعلموا أنهم مأخوذون لا محالة، وعظمت نكاية المسلمين بهم،

---

(1) سنة ٦١٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٢ - ٢٢٤/ ٦ ، الكامل ٤٠١/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢٠٤/ ٢.

برميهم إياهم بالسهام، وحملهم على أطرافهم، فأجمعوا أمرهم على مناهضة المسلمين، ظنا منهم أنهم يصلون إلى دمياط، فخربوا خيامهم ومجانيقهم، وعزموا على أن يحطموا حطمة واحدة. فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا؛ لكثرة الوحل والمياه التى قد ركبت الأرض من حولهم، فعجزوا عن الإقامة لقلة الأزواد عندهم، ولاذوا إلى طلب الصلح، وبعثوا يسألون الملك الكامل - وإخوته الأشرف والمعظم - الأمان لأنفسهم، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض، فاقتضى رأى الملك الكامل إجابتهم، واقتضى رأى غيره من إخوته مناهضتهم، واجتثاث أصلهم ألبتة، فخاف الملك الكامل إن فعل ذلك أن يمتنع من بقى منهم بدمياط أن يسلمها، ويحتاج الحال إلى منازلتها مدة، فإنها كانت ذات أسوار منيعة، وزاد الفرنج عندما استولوا عليها فى تحصينها، ولا يؤمن فى طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرنج نجدة لمن فيها، وطلبا لثأر من قتل من أكابرهم، هذا وقد ضجرت عساكر المسلمين، وملت من طول الحرب، فإنها مقيمة فى محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهرا، وما زال الكامل قائما فى تأمين الفرنج إلى أن وافقه بقية الملوك على أن يبعث الفرنج برهائن من ملوكهم - لا من أمرائهم - إلى أن يسلموا دمياط، فطلب الفرنج أن يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة، إلى أن تعود إليهم رهائنهم، فتقرر الأمر على ذلك، وحلف كل من ملوك المسلمين والفرنج، فى سابع شهر رجب، وبعث الفرنج بعشرين ملكا من ملوكهم رهنا، منهم يوحنا صاحب عكا، ونائب البابا، وبعث الملك الكامل إليهم بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب[1] وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة، ومعه جماعة من خواصه، وعندما قدم ملوك الفرنج جلس لهم الملك الكامل مجلسا عظيما، ووقف الملوك من إخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر البرمون، فى يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب، فهال الفرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبهاء ذلك الناموس، وقدمت قسوس الفرنج ورهبانهم إلى دمياط؛ ليسلموها إلى المسلمين، فتسلمها المسلمون فى يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب ، فلما تسلمها المسلمون قدم فى ذلك اليوم من الفرنج نجدة عظيمة، يقال إنها ألف مركب، فعد تأخرهم إلى ما بعد تسليمها من الفرنج صنعا جميلا من الله سبحانه، وشاهد المسلمون عندما تسلموا دمياط من تحصين الفرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة ألبتة، وبعث السلطان بمن كان عنده فى الرهن من الفرنج، وقدم الملك الصالح ومن كان معه،

---

(١) الملك الصالح (٦٠٣ - ٦٤٧ هـ - ١٢٠٦ - ١٢٤٩ م). أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. انظر خطط المقريزى ٢/٢٣٦، ابن إياس ١/٨٣، تاريخ الإسحاقى ١٨٩، مرآة الزمان ٨/٧٧٥. الأعلام ٢/٣٨.

وتقررت الهدنة بين الفرنج وبين المسلمين مدة ثمانى سنين، على أن كلا من الفريقين يطلق ما عنده من الأسرى، وحلف السلطان وإخوته، وحلف ملوك الفرنج، على ذلك، وتفرق من كان قد حضر للقتال، فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما، ثم دخل الملك الكامل إلى دمياط بعساكره وأهله، وكان لدخوله مسرة عظيمة وابتهاج زائد، ثم سار الفرنج إلى بلادهم وعاد السلطان إلى قلعة الجبل، فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر رمضان، ودخل الوزير الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر فى البحر، وأطلق من كان بمصر من الأسرى، وكان فيهم من أسر من الأيام الصلاحية، وأطلق الفرنج من كان فى بلادهم من أسرى المسلمين، واتفق أنه لما رحل الفرنج اجتمع فى ليلة عند الملك الكامل أخواه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس، فأمر الأشرف جاريته ست الفخر فغنت على عودها:

ولما طغى فرعون عكا ببغيه ... وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا ... فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

فطرب الأشرف، وقال لها: كررى، فشق ذلك على الملك الكامل، وأمرها فسكتت، وقال لجاريته: «غنِّ أنت» فغنت على العود:

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا ... لما قد جرى فى وقتنا وتجدَّدا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه ... وموسى جميعا ينصرون محمدا

فأعجب الكامل بها، وأمر لها بخمسمائة دينار، ولجارية أخيه الأشرف بخمسمائة دينار، فنهض القاضى الأجل هبة الله بن محاسن، قاضى غزة[1] وكان فى جملتهم، وأنشد:

حبانا إله الخلق فتحا لنا بدا ... مبينا وإنعاما وعزا مجددا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ ... طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه ... صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم تر الا كل شلو مجدل ... ثوى منهم أو من تراه مقيدا

---

(١) غزة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه وفتحه، مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان، انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢، وفى الروض المعطار: غزة موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم ابن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا عقيرتـه فـى الخـافقين ومنشـدا
أعباد عيسى إن عيسـى وحزبـه وموسى جميعا ينصـران محمـدا

ويقال إن هذا المجلس كان بـالمنصورة، ولمـا استقر الملك الكـامل على تخت ملكه سارت الملوك إلى ممالكها، وعمت بشارة أخذ المسلمين دمياط آفاق الأرض، فـإن التتـار كانوا قد دمروا ممالك الشرق، وكادت مصر مع الشـام يستأصل شـأفة أهلهـا الفرنـج، حتى مَنَّ الله بجميل صنعه وخفى لطفه، ونصـر عباده المؤمنـين، وأيدهـم بجنـده، بعدمـا ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا، وقدمت على الملك الكـامل تهـانى الشعراء بهـذا الفتح، فكان أولهم إرسالا شرف الدين بن عنين، بكلمته التى أولها:

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا إذا جهلـت آياتنـا والقنـا اللدنـا
غداة التقينـا دون دميـاط جحفـلا من الروم لا يحصى يقينـا ولا ظنـا
قـد اجتمعـوا رأيـا ودينـا وهمـة وعزما وإن كانوا قد اختلفوا سـنا
تداعوا بأنصـار الصليـب وأقبلـت جموع كأن الموج كان لهـم سـفنا
وأطمعهـم فينـا غـرور فـأرقلوا إلينـا سـراعا بالجهـاد وأرقلنـا
فما برحت سمـر الرمـاح تنوشـهم بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
سقيناهم كأسا نفت عنهم الكرى وكيف ينام الليل من عـدم الأمنا
لقد صـبروا صـبرا جميـلا ودافعـوا طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنـى
بدا الموت من زرق الأسـنة أحمـرا فـألقوا بـأيديهم إلينـا فأحسـنا
ومـا بـرح الإحسان منـا سـجية نورثهـا مـن صيـد آبائنـا الإبنـا
وقـد جربونـا قبلهـا فـى وقـائع تعلم غمـر القـوم منا بهـا الطعنـا
أسـود وغـى لـولا وقـائع سمرنـا لما لبسوا قيـدا ولا سـكنوا سـجنا
وكـم يـوم حَرٍّ مـا وقينـا هجيره وكـم يـوم قـر مـا طلبنـا لـه كِنـا
فإن نعيم الملك فى وسطه الشقا ينال وحلو العيش مـن مـره يجنـى
يسـير بنـا مـن آل أيـوب مـاجد أبـى عزمـه أن يستقر بنـا مغنـى
كريم الثنا عـار عـن العار باسـل جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
سرى نحـو دميـاط بكـل سُـمَيْدَع إمام يرى حسن الثنا المغنم الأسنى
مـآثر مجـد خدرتهـا سـيوفه طوال المدى يفنى الزمان ولا تفنى
وقـد عرفـت أسـيافنا ورقـابهم مواقعهـا منـا فـإن عـاودوا عدنـا
منحنـاهم منـا حيـاة جديـدة فعاشـوا بأعنـاق مقلـدة منـا
ولو ملكونا لاستباحـوا دمـاءنـا ولوغا ولكنّا ملكنـا فأسجحنـا

وقال:

قسما بما ضمت أباطح مكة ... وبمن حواه من الحجيج الموقف
لو لم يقم موسى بنصر محمد ... لرقى على درج الخطيب الأسقف
لولاه ما ذل الصليب وأهله ... فى ثغر دمياط وعز المصحف

ووردت أيضا قصيدة القاضى الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن على[١] القاضى، وغيره من الشعراء.

وفيها ملك التتر مراغة وهمذان وأذربيجان وتبريز[٢].

وفيها مات الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق الأرتقى، صاحب حصن كيفا، وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود.

وفيها ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى منظرة الصاحب صفى الدين بن شكر - التى على الخليج بمصر - فى ذى القعدة، وتحدث معه فى نفى الأمراء الذين وافقوا الفائز وكانوا فى جيزة دمياط لعمارتها، فكتب لهم بالتوجه من أرض مصر إلى حيث شاءوا، فمضوا بأجمعهم من الجيزة إلى الشام، ولم يتعرض الملك الكامل لشىء من موجودهم، وفرق أخبازهم على مماليكه.

وفيها مات أمين الدين مرتفع بن الشعار والى مصر، فى يوم الجمعة ثالث محرم.

ومات متولى تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى بن أبى حفص عمر بن ونودين الهنتاتى[٣] فى يوم الخميس أول المحرم، وكان قد

---

(١) البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦ هـ = ١١٨٦ - ١٢٥٨م). زهير بن محمد بن على المهلبى العتكى، بهاء الدين: شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرقه فتعجب به العامة وتستمله الخاصة ولد بمكة، ونشأ بقوص واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر) فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير فى داره إلى أن توفى بمصر. له ديوان شعر مطبوع. انظر وفيات الأعيان ١/ ١٩٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٢، آداب اللغة ٣/ ١٨، وروض المناظر ١٢/ ١٤٥. الأعلام ٥٢/ ٣

(٢) تبريز: هى أشهر مدن أذربيجان، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجص، وفى وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة. انظر معجم البلدان ٢/١٣، واقتصر فى الروض المعطار على ذكرها بأنها فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر الروض المعطار ١٣٠.

(٣) ابن أبى حفص (٦١٨ هـ =١٢١٢م). عبد الواحد بن عمر أبى حفص بن يحيى الهنتاتى الحفصى، أبو محمد: مؤسس دولة الحفصيين فى إفريقية الشمالية، كان أبوه من موطدى دعائم الملك لعبد المؤمن الكومى، استوزره الناصر لدين الله، ثم ولاه تونس سنة ٦٠٣ هـ . انظر الخلاصة النقية ٥٧ - ٥٩، الاستقصا ١/ ١٩٤، الدولة الحفصية ٣٧ - ٤٢، الأعلام ١٧٦/ ٤.

ولى تونس من قبل الناصر أبى عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف العسرى بن عبد المؤمن[١] ملك الموحدين، فى سنة اثنتين وستمائة، وكان أبو محمد قد قدَّم أكبر بنيه، الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد، فقام بأمر تونس، حتى قدم أخوه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد، متوليا إفريقية من قبل العادل عبد الله بن المنصور يعقوب ملك الموحدين، فى خامس رمضان منها، فاستمر أبو محمد عبد الله حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد[٢].

هذا والأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص هو أول من قام من الحفصيين بإمرة تونس، وهو جد ملوك تونس الحفصيين.

* * *

---

(١) الناصر المؤمنى (٦١٠هـ = ١٢١٣م). محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتى الكومى الموحدى، الناصر لدين الله: من خلفاء دولة الموحدين، كان له المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس، بويع فى حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته (سنة ٥٩٥ هـ) وكان فى مراكش فانتقل إلى فاس. انظر دول الأعلام ٢/ ٨٥، الأنيس المطرب القرطاس ١٦٤ الاستقصا ١: ١٨٩ - ١٩٤، ابن خلدون ٦/ ٢٤٦، الحلل الموشية ١٢٢، الذخيرة السنية ٢٢، جذوة الاقتباس ١٢٩. الأعلام ١٤٥/ ٧.

(٢) أبو زكريا الحفصى . (٥٩٨ - ٦٤٧ هـ = ١٢٠٢ - ١٢٤٩م) يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى الحفصى، أبو زكريا: أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس، ثار على أخيه عبد الله، واستمال إليه الجند، فتغلب على الملك سنة ٦٢٥ هـ، وكانت الخطبة لبنى عبد المؤمن (أصحاب مراكش) فقطعها، واستقل بدولته (سنة ٦٢٦هـ) وخطب لنفسه، وفى أيامه استفحلت فتنة ابن غانية فقتله (سنة ٦٣١هـ) ووجه نظره إلى توسيع ملكه، فاستولى على الجزائر وتلمسان وسجلماسة وسبتة وطنجة ومكناسة. وخاف فريدريك الثانى، فهادنه عشر سنوات، وخدم العلم، فأنشأ عدة مدارس ومساجد، وجعل لها الأوقاف ، وأنشأ د ارا للكتب جمع فيها ٣٦٠٠٠ مجلد، وكان كاتبا شاعرا، كثير الإحسان للمستورين، وفيه قال (ابن الأبار) سينيته المشهورة؛ وأنشدها بين يديه، أولها:

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

ومنها:

هذى رسائلها تدعوك من كثب وأنت أفضل مرجو لمن يئسا

وكانت وفاته ببونة ودفن فى جامعها، ثم نقل إلى قسنطينة . انظر الخلاصة النقية ٦٠، الدول الحفصية ٤٣ - ٥٤، المؤنس ١١٨- ١٢٠، وفوات الوفيات ٢/ ٣٢١، أزهار الرياض ٣/ ٢٠٨، المنتخب المدرس ١٠٠ - ١٠٢، ابن خلدون ٦/ ٢٨٠ - ٢٨٥، صبح الأعشى ٥/ ١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٤٧٤، التعريف بابن خلدون ١١.

سنة تسع عشرة وستمائة[1].

فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر، فأقام بها عند أخيه السلطان الملك الكامل مدة، ثم عاد فى رمضان.

وفيها أوقع التتر بالكرج.

وفيها قدم المظفر موسى على أخيه الكامل بمصر.

وفيها قدم الملك المسعود يوسف بن الكامل من اليمن إلى مكة فى ربيع الأول، وقد رحل عنها الشريف حسن بن قتادة، وقدم معه راجح بن قتادة إلى مكة، فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من الدور بمكة والوادى، ثم عاد إلى اليمن بعدما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة، وبدا منه بمكة ما لا يحمد من رمى حمام الحرم بالبندق من فوق زمزم، ونحو ذلك، فهمَّ أهل العراق بقتاله، فلم يقدروا على ذلك عجزا عنه، واستناب الملك المسعود بمكة الأمير نور الدين عمر بن على بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس وكان الشريف حسن بن قتادة قد نزل ينبع، وولى الملك المسعود أيضا راحج بن قتادة السرين وحلى ونصف المخلاف، فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة، وكسر ابن رسول، وملك منه مكة.

وفيها مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبى الحسن على بن أحمد الهكارى، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، فى الاعتقال بحران، فى ربيع الآخر.

* * *

---

(١) سنة ٦١٩ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٢٤، الكامل ١٢/٤٠٦ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/٢٠٦

سنة عشرين وستمائة[1]

فيها أخذ المعظم عيسى المعرة وسليمة[2] ونازل حماة، فشق ذلك على أخيه الأشرف - وكان بمصر - وتحدث مع الكامل فى إنكار ذلك، فبعث السلطان الكامل إلى المعظم يسأله فى الرحيل عن حماة، فتركها وهو حنق.

وفيها حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل فى طلوع عرفة.

وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسلطنة حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازى، فوصل إلى حلب فى شوال، وتلقاه العزيز - وعمره عشر سنين - فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الغاشية بين يديه، وأقام عنده أياما، ثم سار إلى حران.

وفيها عمَّ الجراد بلاد العراق والجزيزة، وديار بكر والشام.

وفيها أوقع التتر بالروس.

وفيها شنق سهم الدين عيسى والى القاهرة نفسه - وهو معتقل بدار الوزارة - ليلة الخميس سادس شوال.

* * *

---

(1) سنة ٦٢٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٢٥ - ٢٢٨/ ٦ ،الكامل ٤١٣/ ١٢ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢٠٧/ ٢.

(٢) سليمة: قرب المؤتفكة، وهى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة. انظر معجم البلدان ٢٤٠/٣.

سنة إحدى وعشرين وستمائة[1]

فيها ملك التتر قم[2] وقاشان[3] وهمذان .

وفيها اختلف الحال بين المظفر غازى، صاحب إربل وبين أخيه الأشرف، فخرج المعظم من دمشق يريد محاربة الأشرف، فبعث إليه الكامل يقول له: «إن تحركت من بلدك سرت وأخذته منك». فخاف وعاد إلى دمشق.

وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد، المعروف بفخر الدين مقدام بن شكر، فى آخر شعبان بالقاهرة.

وفيها أخذ عسكر مصر ينبع من بنى حسن، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين.

* * *

---

(١) سنة ٦٢١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٢٨ - ٢٣٠/ ٦ ، الكامل ١٢/٤١٩ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢٠٨/ ٢.

(٢) قم: بالضم، وتشديد الميم، وهى كلمة فارسية: مدينة تذكر مع قاشان، وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها. انظر معجم البلدان ٣٩٧/ ٤، وفى الروض المعطار قم: مدينة من كور الجبل، من همذان إليها خمس مراحل، وهى مدينة كبيرة كثيرة الأهل، عليها سور تراب، وبها فواكه وأشجار، وسورها حصين، ومياههم من الآبار، ومياه بساتينهم تستخرج من الأرض بالسواقى، وعليه زراعاتهم، والغالب على أهلها التشيع، وأكثر أهلها عرب، وحكى أن مدينة قم الكبرى يقال لها منيجان وهى جليلة المقدار، يقال إن فيها درب، وداخل المدينة حصن قديم للعجم، وإلى جانبها مدينة يقال لها كمندان ولها واد يجرى فيه الماء بين المدينتين، عليه قناطر معقودة بحجارة يعبر عليها من مدينة منيجان إلى مدينة كمندان وأهلها قوم من مذحج ثم من الأشعريين، وبها عجم وقوم من الموالى يذكرون أنهم موال لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما. انظر الروض المعطار ٤٧٢، ونزهة المشتاق ٢٠٤، والكرخى ١١٨، وابن حوقل ٣١٥، وابن الفقيه ٢٦٣.

(٣) قاشان: بالشين المعجمة، وآخره نون : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم، ومنها تجلب الغضافر القاشانى، والعامة تقول القاشى، وأهلها كلهم شيعة إمامية، انظر معجم البلدان ٢٩٦/ ٤، وفى الروض المعطار قاشان: أهل قاشان حشوية جهال، والغالب على هذه النواحى الجبال الشاهقة إلا ما بين همذان إلى الرى إلى قم فإن الجبال هناك قليلة، وإنما الجبال الصعبة فيما بين حدود شهرزور إلى آمد، فيما بين حدود أذربيجان والجزيرة ونواحى الموصل، وأكثرها مسكونة بالأكراد. انظر الروض المعطار ٤٤٧.

سنة اثنتين وعشرين وستمائة[1]

فيها فرَّ الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر، خوفا من عمه الملك الكامل، ولحق بعمه المعظم.

وفيها تخوف الكامل من أمرائه، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم، فقبض على جماعة، وبعث إلى الطرقات من يحفظها، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق وألا يخالفوه.

وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خورازم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاده، وقوى أمره على التتر، واستولى على عراق العجم، وسار إلى ماردين وأخذها، وسار إلى خوزستان، وشاقق جلال الدين الخليفة الناصر لدين الله، وسار حتى وصل بعقوبا، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ، فاستعد الخليفة للحصار، ونهب جلال الدين البلاد، وأخذ منها ما لا يقع عليه حصر، وفعل أشنع ما يفعله التتر، فكاتبه الملك المعظم، واتفق معه معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية، فسير السلطان جلال الدين بن القاضي مجد الدين - قاضي الممالك - في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فظاهر بأنواع الفسوق، وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فملك همذان وتبريز، وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط، فجأة بسميساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس - وقيل ست - وستين وخمسمائة، وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده، وسمع الأفضل من ابن عوف وابن برى، واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينتظم له أمر لقلة حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر، ثم صار الأفضل أتابكا للمنصور بن العزيز بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه العادل، وأشرف على أخذها منه؛ فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فانتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخد، ثم قصد الأفضل دمشق ثانيا، مع أخيه الظاهر غازى صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكاوس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم

---

(1) سنة ٦٢٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٣٠ - ٢٣٤/ ٦ ،الكامل ٤٢٥/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢٠٩/ ٢.

لهما أمر، وعاد الأفضل إلى سميساط، فلم يزل بها يتجرع الغصص حتى مات كمدا، وكان فاضلا أديبا حليما، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح، جامعا لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ، وشعره جيد، كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله - لما انتزع منه دمشق أخوه عثمان وعمه العادل أبو بكر - فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كتابا يشكو إليه اغتصابهما ميراثه من أبيه، وأوله:

مولاى إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد أخذ بالسيف إرث على
فانظر إلى حظ ههذا اقسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الأول

وله أيضا فى معناه:

أما آن للسعد الذى أنا طالب ... لإدراكه يوما يُرى وهو طالبى
ترى هل يرينى الدهر أيدىَ شيعتى ... تمكن يوما من نواصى النواصب

فأجابه الخليفة بقوله:

وافى كتابك يابن يوسف معلنا ... بالود يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبى له بيثرب ناصر
فابشر فإن غدًا يكون حسابهم ... واصبر فناصرك الإمام الناصر

ومن شعره:

أيا من يسود شعره بخضابه ... لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة ... ولك اللمان بأنه لا ينصل

وقام من بعده بسميساط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى [1] شقيقه، فاختلف عليه أولاد الأفضل.

وفيها مات الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف، فى ثانى شوال، ومولده فى العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وله فى الخلافة سبع وأربعون سنة، غير ستة وثلاثين يوما، وكانت أمه أم ولد، يقال لها زمرد، وقيل نرجس، وكان شهما أبى النفس، حازما متيقظًا، صاحب فكر صائب، ودهاء ومكر، وكان مهيبا، وله أصحاب أخبار - بالعراق وفى الأطراف - يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته، حتى أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته، لما يظن أن ذلك يطلع عليه

---

(١) المفضل الأيوبى (٦٣١ هـ = ١٢٣٤م). موسى (المفضل، قطب الدين) بن يوسف بن أيوب: من أمراء هذه الدولة، له رواية للحديث، ومعرفة بالنحو. انظر ترويح القلوب ٩٣. الأعلام ٧/٣٣١.

الخليفة فيعاقب عليه، وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يده قبل أضيافه، فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره، فكتب فى الجواب: «سوء أدب من صاحب البلد، وفضول من كاتب المطالعة». وكان ردىء السيرة فى رعيته، ظالما عسوفا، خرب العراق فى أيامه، وتفرق أهله فى البلاد، فأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يحب جمع المال، ويباشر الأمور بنفسه، ويركب بين الناس ويجتمع بهم، مع سفكه للدماء، وفعله للأشياء المتضادة: فيغتصب الأموال ويتصدق، وشغف برمى الطير بالبندق، ولبس سراويلات الفتوة، وحمل أهل الأمصار على ذلك، وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموى فى ذلك رسالة بديعة، وصنف الناصر لدين الله كتابا فى مروياته، سماه روح العارفين، وأسمعه للفقهاء بمصر والشام، وله شعر، وفى خلافته خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا إلى همذان، وكان هو السبب فى ذلك، فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد، خوفا من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه لما هم بالاستيلاء على بغداد، وأن يجعلها دار ملكه، كما كانت السلجوقية، ولم يمت الخليفة الناصر لدين الله حتى عمى، وقيل كان يبصر بإحدى عينيه، وقام من بعده فى الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد - بعهد من أبيه - يوم مات أبوه، وعمره ما ينيف على خمسين سنة، وكان يقول «من يفتح دكانه العصر متى يستفتح؟» ولما ولى أظهر العدل، وأزال عدة مظالم، وأطلق أهل السجون، وظهر للناس، وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا.

وفيها وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة، ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب، فقدم على أبيه الكامل بقلعة الجبل، ومعه هدايا جليلة.

وفيها مات الوزير الصاحب صفى الدين عبد الله بن أبى الحسن على بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن على الشيبى، أبو محمد المعروف بابن شكر، الفقيه الدميرى المالكى، فى يوم الجمعة ثامن شعبان - وقيل شوال - بالقاهرة، ودفن برباطه منها، وكان مولده بدميرة [1] إحدى قرى مصر البحرية، فى تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وسمع من ابن عوف وغيره، وحدث، وكان جبارا جباها عاتيا، عانيا بتقدمة الأراذل وتأخر الأماثل، أفقر خلقا كثيرا.

وفيها قدم الشريف قاسم الحسينى أمير المدينة، بعسكر إلى مكة، وحصرها نحو شهر، وبها نواب الملك الكامل، فلم يتمكن منها، بل قتل.

---

(١) دميرة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط. انظر معجم البلدان ٤٧٢/ ٢.

سنة ثلاث وعشرين وستمائة[1]

فيها تأكدت الوحشة بين المعظم وبين أخويه الكامل والأشرف.

وفيها بعث الخليفة الظاهر بأمر الله التشاريف لملوك بنى أيوب، على يد محيى الدين أبى المظفر بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى[2]: فبدأ بالأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية، وأفاض عليه الخلع الخليفتية، ثم بالعزيز غياث الدين محمد بن الظاهر صاحب حلب، فأفاض عليه فرجية واسعة الكم سوداء، وعمامة سوداء مذهبة، وثوبا مطرزا بالذهب أيضا، ثم ألبس المعظم عيسى، صاحب دمشق، بدمشق. وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلع للملك الكامل، ولأولاده الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود، وللصاحب صفى الدين بن شكر، فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة، ولبس الخلع الخليفتية هو وولداه. وكان الصاحب صفى الدين قد مات، فألبس الكامل الخلعة التى باسمه للقاضى فخر الدين سليمان بن محمود بن أبى غالب أبى الربيع الدمشقى، كاتب الإنشاء، وعبر الكامل من باب النصر، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودا.

وفيها قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفى الدين بن شكر، وأحاط بجميع موجوده، واعتقل ابنيه تاج الدين يوسف وعز الدين محمد، فى قاعة سهم الدين، بدرب الأسوانى من القاهرة، ولم يستوزر الكامل بعد ابن شكر أحدا.

وفيها سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن.

وفيها كثر وهم الملك الكامل من عسكره، فإن المعظم أرسل إليه فى جملة كلام:

---

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٣٤ - ٢٣٧/ ٦، الكامل ٤٥٠ - ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢١١/ ٢.

(٢) ابن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ - ١١١٤ - ١٢٠١ م). عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى، أبو الفرج: علامة عصره فى التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده وفاته ببغداد، ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: تلقيح فهوم أهل الآثار فى مختصر السير والأخبار، الناسخ والمنسوخ، فنون الأفنان، المنتظم ، تقويم اللسان، زاد المسير فى علم التفسير. انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨، مفتاح السعادة ١/ ٢٠٧، ذيل الروضتين ٢١، ابن الوردى ٢/ ١١٨ آداب اللغة ٣/ ٩١، مرآة الزمان ٨/ ٤٨١، الكامل ١٠/ ٢٢٨، الأعلام ٣١٧/ ٣.

«وإن قصدتنى لا آخذك إلا بعسكرك». فوقع فى نفسه الخوف ممن معه، وهم أن يخرج من مصر، فلم يجسر، وخرج المعظم فنازل حمص، وخرب قراها ومزارعها، ولم ينل من قلعتها شيئا، لامتناعها هى والمدينة عليه، فلما طال مقامه على حمص رحل عنها؛ لما أصاب عسكره ودوابه من الموت، وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة، فسر به سرور عظيما وأكرمه زائدا.

وفيها مات الخليفة الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر، فى رابع عشر شهر رجب، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام، وكان حسن السيرة كثير المعروف، واستقر فى الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وعمره عشرون سنة، فوردت عليه رسل ملوك الأطراف، وبعث الملك الكامل فى الرسالة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه[1] فلما قدم بغداد قال نيابة عن الملك الكامل، وهو بين يدى الوزير مؤيد الدين أبى الحسن محمد بن محمد القمى: عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات التى يستشفى بتقبيل ثراها، ويستكفى بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها، ويوالى شكر الله تعالى على إماطة ليل العزاء الذى عم مصابه، بصبح الهناء الذى تم نصابه، حتى تزحزح عن شمس الهدى شفق الإشفاق، فجعل كلمتها العليا، وكلمة معاديها السفلى، وزادها شرفا فى الآخرة والأولى.

وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد، ملك الروم، بتقدمة جليلة إلى الملك الكامل.

* * *

---

(١) ابن حمويه (٥٨٢ - ٦٤٧هـ = ١١٨٦ - ١٢٥٠م). يوسف (فخر الدين) بن محمد (صدر الدين) بن عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى، الصاحب أبو المظفر: قائد، من الأدباء من أسرة أصلها من جوين بنيسابور . انظر شذرات الذهب ٥/ ٢٣٨ - ٢٣٩، دولة الإسلام ٢/١١٦، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٣، طبقات السبكى ٥/ ١٥٢، البداية والنهاية ١٣/ ٣، الكامل ١٢/ ١٥٤، الأعلام ٢٤٩/ ٨.

سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق، بعدما حلف للمعظم أنه يعاضده على أخيه الملك الكامل، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص، والناصرصاحب حماة.

وفيها سافر رسول علاء الدين كيقباد ملك الروم، من مصر إلى مخدومه.

وفيها تأكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المعظم والأشرف، وخاف الكامل من انتماء أخيه المعظم إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، فبعث الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه إلى ملك الفرنج، يريد منه أن يقدم إلى عكا، ووعده أن يعطيه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل؛ ليشغل سر أخيه المعظم، فتجهز الإمبراطور ملك الفرنج لقصد الساحل، وبلغ ذلك المعظم، فكتب إلى السلطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل، ووعده أن يخطب له، ويضرب السكة باسمه، فسير إليه جلال الدين خلعة لبسها، وشق بها دمشق، وقطع الخطبة للملك الكامل، فبلغ ذلك الكامل، فخرج من القاهرة بعساكره، ونزل ببلبيس في شهر رمضان فبعث إليه المعظم: «إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدى أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكرك معى، وكتبهم عندى، وأنا آخذك بعسكرك»، وكتب المعظم مكاتبة بهذا فى السر، ومعها مكاتبة فى الظاهر فيها: «بأنى مملوكك، وما خرجت عن محبتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلنى، وأنا أول من أنجدك، وحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق»، فأظهر الكامل هذا بين الأمراء، ورجع من العباسة إلى قلعة الجبل، وقبض على عدة من الأمراء ومماليك أبيه؛ لمكاتبتهم المعظم: منهم فخر ألطبنا الحبيشى، وفخر الدين ألطن الفيومى - وكان أمير جانداره، وقبض أيضا على عشرة أمراء من البحرية العادلية، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم؛ وأنفق فى العسكر ليسير إلى دمشق.

وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنية وتحف غريبة إلى الملك الكامل، وكان فيها عدة خيول، منها فرس الملك بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر، فتلقاه الكامل بالإقامات، من الإسكندرية إلى القاهرة، وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه، وأكرمه إكراما زائدا، وأنزله فى دار الوزير صفى الدين بن شكر، واهتم الكامل بتجهيز هدية سنية إلى ملك الفرنج فيها من تحف الهند واليمن، والعراق والشام، ومصر والعجم ما قيمته أضعاف ما سيره، وفيها سرج من ذهب، وفيها جوهر بعشرة آلف دينار مصرية، وعين الكامل للسير بهذه الهدية جمال الدين بن منقذ الشيزرى.

وفيها وصل رسول الأشكرى فى البحر إلى الملك الكامل، فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فخرب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس، لما بلغه من حركة ملك الفرنج.

وفيها جهز الملك الكامل كمال الدين ومعين الدين، ولدى شيخ الشيوخ ابن حمويه - ومعهما الشريف شمس الدين الأرموى، قاضى العسكر - إلى المعظم، وأمر السلطان الكامل أن يسير الكمال بجواب المعظم إلى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بحمص، ويعرفه الحال، وأن يتوجه المعين إلى بغداد، برسالة إلى الخليفة، فتوجها فى شعبان.

وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصارى.

وفيها ختن الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل فى تاسع شوال.

وفيها مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل، صاحب دمشق، يوم الجمعة سلخ ذى القعدة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى الصالحية، ومولده بدمشق، فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وكان قد خافه الملك الكامل، فسر بموته، وكان كريما شجاعا، أديبا لينا، فقيها متغاليا فى التعصب لمذهب أبى جنيفة - رحمه الله - وشارك فى النحو وغيره، وقال له أبوه مرة: «كيف اخترت مذهب أبى حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟» فقال: «ياخوند! أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟».وصنف كتابا سماه السهم المصيب فى الرد على الخطيب البغدادى أبى بكر أحمد بن ثابت، فيما تكلم به فى حق أبى حنيفة، وفى تاريخ بغداد. وكان مقداما، لا يفكر فى عاقبة، جبارا مطرحا للملابس، وهو الذى أطمع الخوارزمى فى البلاد، وكانت مدة ملكه - بعد أبيه - ثمانى سنين وسبعة أشهر غير ثمانية أيام، فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود[1] وعمره إحدى وعشرون سنة، وسير الناصر كتبه إلى عمه الملك الكامل، فجلس الكامل للعزاء، وسير إليه الأمير علاء الدين بن شجاع الدين جلدك المظفرى التقوى بالخلعة وسنجق السلطنة، وكتب معه بما طيب قلبه، فلبس الناصر خلعة الكامل، وركب بالسنجق، ثم أرسل إليه الكامل يريد منه أن يترك له قلعة الشوبك؛ ليجعلها خزانة له، فامتنع من ذلك، وبهذا وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل.

---

(١) الملك الناصر (٦٠٣ - ٦٥٦ هـ = ١٢٠٦ - ١٢٥٨م). داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين: صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدباء . ولد ونشأ فى دمشق، وملكها بعد أبيه (سنة ٦٢٦ هـ) وأخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى الكرك فملكها إحدى عشرة سنة، ثم استخلف عليها ابنه عيسى (سنة ٦٤٧ هـ) فانتزعها منه الصالح (أيوب بن عيسى) فى هذه السنة، فرحل الناصر مشردا فى البلاد، وحبس بقلعة حمص ثلاث سنوات، ثم أقام فى حلة بنى مزيد، وتوفى بقرية البويضاء بالطاعون. انظر صبح الأعشى ٤/ ١٧٥، فوات الوفيات ١/ ١٥٦، والنجوم والزاهرة ٧/ ٣٤، ٦١، شذرات النهب ٥/ ٢٧٥. الأعلام ٣٣٤/ ٢.

وفيها أمر الملك الكامل بتخريب مدينة تنيس، فخربت أركانها الحصينة وعمائرها المكينة، ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خرابا.

وفى شهر رجب من هذه السنة: دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[١] وتلقب بالسلطان السعيد فلم ينازعه أحد فى مملكة إفريقية، وكان قد ضعف أمر بنى عبد المؤمن.

* * *

(١) سبق ترجمته.

سنة خمس وعشرين وستمائة[1]

فيها سير الملك الكامل شيخ الشيوخ ابن حمويه بالخلع إلى ابن أخيه الناصر داود ابن المعظم، بدمشق، فحمل الرسول الغاشية بين يديه، ثم حملها عماه: الملك العزيز عثمان صاحب بانياس والملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بصرى.

وفيها جهز الملك الكامل أيضا الخلع للمجاهد صاحب حمص.

وفيها استوحش الملك الكامل من أخيه الناصر داود، وعزم على قصده، وأخذ دمشق منه، وعهد الكامل إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده بديار مصر، وأركبه بشعار السلطنة - وشق الصالح القاهرة، وحملت الغاشية بين يديه، تداول حملها الأمراء بالنوبة - وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة.

وفيها ظلم الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه - صاحب بعلبك - وتعدى، وأخذ أموال أهل بعلبك وأولادهم، فقام عدة من جنده مع العزيز فخر الدين عثمان بن العادل فى تسليمه بعلبك، فسار العزيز إليها ونازلها، فقبض الأمجد على أولئك الذين قاموا معه، وقتل بعضهم، واعتقل باقيهم، ثم إن الناصر داود صاحب دمشق، بعث إليه من رحَّله عن بعلبك قهرا، فغضب وسار إلى الملك الكامل ملتجئا إليه، فسر به الكامل، ووعده بانتزاع بعلبك من الأمجد وتسليمها إليه.

وفيها ظلم الناصر داود أهل دمشق، وأخذ أموالهم، واشتغل باللهو، وأعرض عن مصالح الدولة، فشق ذلك على الكامل، وجعله سببا يؤاخذه به، وتجهز فى شهر رجب للمسير لمحاربته، واستناب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقام معه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ؛ ليحصل الأموال ويدبر أمور المملكة، وخرج الكامل من القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان - فى عساكره المتوافرة - ومعه المظفر تقى الدين محمود بن المنصور، وقد وعده أن يسلمه حماة، وكانت بيد أخيه قلج أرسلان، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل، وكان قد رباه عمه الملك الكامل بعد موت أبيه، وأقطعه البحيرة من ديار مصر، فلما بلغ الناصر

---

(1) سنة ٦٢٥ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٠/ ٦، الكامل ٤٧٥/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢١٥/ ٢.

خروج عمه لم يمل إلى استعطافه، والتجأ إلى عمه الأشرف، فسار الكامل بالعسكر والعربان إلى تل العجول، وبعث منها إلى نابلس والقدس وأعمالها، وسير الكامل الأمير حسام الدين أبا على بن محمد بن أبى على الهذبانى - أحد أصحاب المظفر تقى الدين محمود - إلى القاهرة، فاستخدمه الملك الصالح، وجعله أستاداره، فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس، وبلغ ذلك الناصر، فحلف عسكره، واستعد للحرب، وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى، والأمير عز الدين أيبك من صرخد، وأصله مملوك أبيه المعظم، فقويت بهما نفسه، وسير بالناصر يستدعى عمه الأشرف من البلاد الشرقية، مع الأمير عماد الدين بن موسك، وفخر القضاة نصر الله بن بصاقة، وأردفهما بالأشرف بن القاضى الفاضل، فأجاب الأشرف إلى معاونته، واستناب فى بلاده الملك الحافظ بن العادل، وسار إلى دمشق، فتلقاه قلج أرسلان صاحب حماة من سليمة بأموال وخيول، وتلقاه أسد الدين شيركوه، صاحب حمص، وأولاده، وقدم الأشرف إلى دمشق، فتلقاه الناصر فى أخريات شهر رمضان، وزين دمشق لقدومه، فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير، وهو مشدود الوسط بمنديل، وقد سر الناصر به سرورا كبيرا، وحكّمه فى بلاده وأمواله، فأعجب الأشرف بدمشق، وعمل فى الباطن على انتزاعها لنفسه من الناصر، ثم قدم إلى خدمة الأشرف بدمشق المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد، صاحب حمص، وسار العزيز بن العادل إلى خدمة الملك الكامل، وهو فى الطريق، فسر بقدومه، وأعطاه شيئا كثيرا، وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين على بن قلج، يشفع فى الناصر، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه، ويقول: «إنا كلنا فى طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك» فأكرم الملك الكامل الرسول، ثم سار الأشرف - ومعه الناصر - من دمشق، يريدان ملاقاة الملك الكامل والترامى عليه؛ ليصلح الأشرف الأمر بينهما، فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه، ورحل من نابلس يريد العود إلى القاهرة فنزل الأشرف والناصر بنابلس، فأقام بها الناصر، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل، فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل العجول، فقام إلى لقائه، وقدم به إلى معسكره، ونزلا، فكان الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيهما الناصر داود، وأن تكون للملك الأشرف وما معها إلى عقبة فيق، ويكون للكامل ما بين عقبة فيق وغزة من البلاد والحصون، وهو الفتح الصلاحى بأسره، ويكون للناصر - عوضا من دمشق - حران والرقة[1] وسروج ورأس عين، وهى ما كان مع

(١) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، انظر معجم البلدان ٣/٥٩، وفى الروض المعطار الرقة: مدينة بالعراق مما يلى الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المدّ فهى رقة، وبه سميت المدينة. والرقة واسطة بلاد مضر، ومن مدنها الرها وسروج وشمشاط ورأس العين وغيرها،

الأشرف، وأن تنزع بعلبك من الأمجد بهرام، وتعطى لأخيهما العزيز عثمان، وأن تنزع حماة من الملك الناصر قلج أرسلان بن المنصور، وتعطى للمظفر تقى الدين محمود بن المنصور، وأن تؤخذ من المظفر سليمة، وتضاف إلى المجاهد صاحب حمص.

وفيها مات طاغية المغل والتتر جنكزخان، بالقرب من صارو بالق، وحمل ميتا إلى كرسى ملك الخطا. ورتب بعده ابنه الأصغر عوضه خانا كبيرا، على كرسى مملكة الخطا، وأخذ إخوته الثلاثة بقية الأقاليم.

وفيها خرج التتار إلى بلاد الإسلام، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين خوارزم شاه، كسر فيها غير مرة، ثم ظفر أخيرا بهم، وهزمهم، فلما خلا سره منهم سار إلى خلاط - من بلاد الأشرف - فنهب وسبى الحريم، واسترق الأولاد، وقتل الرجال، وخرب القرى، وفعل ما لا يفعله أهل الكفر، ثم عاد إلى بلاده، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك، ورحل أهل سروج إلى منبج، وكان قد عزم على قصد بلاد الشام، لكن صرفه الله عنها.

وفيها قدم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا، باستدعاء الملك الكامل له- كما تقدم - ليشغل سر أخيه المعظم، فاتفق موت المعظم، ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل، وأمره أن يقول له: «الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء، ولا أجيء إليهم، والآن فقد كنتم بذلتم لنائبى - فى زمن حصار دمياط - الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادتها إليكم. ومن نائبى إن هو إلا أقل غلمانى، فلا أقل من إعطائى ما كنتم بذلتموه له». فتحير الملك الكامل، و لم يمكنه دفعه ولا محاربته، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق؛ فراسله ولاطفه، وسفر بينهما الأمير فخر الدين بن الشيخ، وشرع الفرنج فى عمارة صيداء - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج، وسورها خراب - فعمروها وأزالوا من فيها من المسلمين، وخرجت السنة والكامل على تل العجول، وملك الفرنج بعكا، والرسل تتردد بينهما.

* * *

والرقة على شارعة الفرات فى الشمال منه، وعليها سوران، وهى فى فحص يبعد عن الجبال على مسافة أكثر من يومين، وفى شرقيها جبلان يسميان المنخرين. وفتح الرقة عياض بن غنم سنة ثمان عشرة. انظر الروض المعطار ٢٧٠، ٢٧١، ومعجم ما استعجم ٢/٦٦٦.

سنة ست وعشرين وستمائة[1]

فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق، ووصلت نجدة من حلب إلى الغور.

وفيها قفز الأمير عز الدين أيدمر المعظمى إلى الملك الكامل، فأحسن إليه. ففارق الناصر داود من نابلس لما بلغه اتفاق الأشرف مع الكامل عليه، وعاد إلى دمشق، فبلغ الأشرف وهو بتل العجول ذلك، فسار ليدركه، فوافاه بقصير ابن معين الدين من الغور، تحت عقبة فيق، وأعلمه الأشرف - بحضور الملك الصالح إسماعيل، والملك المغيث، والأمير عز الدين أيبك المعظمى - أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما، وأنه اجتهد وحرص على «أن يرجع عنك، فامتنع وأبى إلا أن يأخذ دمشق، وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم، وصاحب الديار المصرية، ولا يمكن الخروج عما يأمر به، وقد وقع الاتفاق على أن تسلم إليه دمشق، وتعوض عنها من الشرق كذا» وذكر ما وقع الاتفاق عليه، فلما فرغ الأشرف من كلامه قام الأمير عز الدين أيبك وهو أكبر أمير مع الناصر داود وقال: لا كيد ولا كرامة، ولا نسلم من البلاد حجرا واحدا، ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم، ومعنا العساكر المتوافرة، وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا، وقوضت الخيام، وسارا إلى دمشق، وتحالف على الناصر عمه الصالح، وابن عمه المغيث، ولما وصل الناصر إلى دمشق استعد للحصار، وقام معه أهل البلد، لمحبتهم فى أبيه، وسار الأشرف بمن معه، وحاصر دمشق، وقطع عنها أنهارها - بانياس، والقنوات، ويزيد [2] وثورا - فخرج إليه العسكر وأهل البلد وحاربوه، وفى أثناء ذلك كثر تردد الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف شمس الدين الأرموى قاضى العسكر، بين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج، إلى أن وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين، ويبقيها على ما هى من الخراب، ولا يجدد سورها، وأن يكون سائر قوى القدس للمسلمين، لا حكم فيها للفرنج، وأن الحرم - بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى - يكون بأيدى المسلمين، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقيمون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة، وأن تكون القرى التى فيما بين عكا وبين يافا، وبين القدس، بأيدى الفرنج، دون ما عداها من

---

(١) ٦٢٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤١ - ٢٤٣/ ٦، الكامل ١٢/٤٨٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢١٦/ ٢.

(٢) نهر يزيد بدمشق مشهور منسوب إلى يزيد بن أبى سفيان، انظر معجم البلدان ٣٢٤/ ٥.

قرى القدس، وذلك أن الكامل تورط مع ملك الفرنج، وخاف من غائلته، عجزا عن مقاومته، فأرضاه بذلك، وصار يقول: «إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب، والمسجد على حاله، وشعار الإسلام قائم، ووالى المسلمين متحكم فى الأعمال والضياع». فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوما، أولها ثامن عشرى شهر ربيع الأول من هذه السنة، واعتذر ملك الفرنج للأمير فخر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه، ما كلف السلطان شيئا من ذلك، وأنه ما له غرض فى القدس ولا غيره، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج، وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر؛ وبعث السلطان فنودى بالقدس بخروج المسلمين منه، وتسليمه إلى الفرنج، فاشتد البكاء، وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذنوا على بابه فى غير وقت الأذان، فعز عليه ذلك، وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات، وزجرهم. وقيل لهم: امضوا إلى حيث شئتم، فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه فى سائر الأقطار، وبعث الإمبراطور بعد ذلك يطلب تبنين وأعمالها، فسلمها الكامل له، فبعث يستأذن فى دخول القدس، فأجابه الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضى شمس الدين قاضى نابلس فى خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات، وأعجب الأمبراطوار بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة، وصعد درج المنبر، فرأى قسيسا بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى، فزجره وأنكر مجيئه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه، «فإنما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس، على سبيل الإنعام منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره، فانصرف القس وهو يرعد خوفا منه». ثم نزل الملك فى دار، وأمر شمس الدين قاضى نابلس المؤذنين ألا يؤذنوا تلك الليلة، فلم يؤذنوا ألبتة، لما أصبح قال الملك للقاضى: «لم لم يؤذن المؤذنون على المنابر؟» فقال له القاضى: «منعهم المملوك إعظاما للملك واحتراما له». فقال له الإمبراطور: أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضى فى المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم فى الليل».

ثم رحل الإمبراطور إلى عكا، وكان هذا الملك عالما متبحرًا فى علم الهندسة والحساب والرياضيات، وبعث إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشكلة فى الهندسة والحكمة والرياضة، فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفى - المعروف بتعاسيف - وغيره، فكتب جوابها، وعاد الإمبراطور من عكا إلى بلاده فى البحر، آخر جمادى

الآخرة، وسير الكامل جمال الدين الكاتب الأشرف إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة، في تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس.

وفي خامس جمادى الأولى – وهو يوم الأحد –: وقعت الحوطة على دار القاضى الأشرف أحمد بن القاضى الفاضل، وحملت خزائن الكتب، جميعها إلى قلعة الجبل، في سادس عشريه، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة، وحمل من داره – فى ثالث جمادى الآخرة – خشب خزائن الكتب مفصلة، وحملها تسعة وأربعون جملا، وكانت الجمال التى حملت الكتب تسعة وخمسون جملا، ثلاث دفعات.

وفي يوم السبت ثاني عشرى رجب منها: حملت الكتب والخزائن من القلعة إلى دار الفاضل، وقيل إن عدتها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك والغصون لأبى العلاء المعرى، فى ستين مجلدا.

وفيها وصل ملك ملطية(١) فكثرت غاراته وقتله وسبيه.

وفيها اشتد تشنيع الملك الناصر داود بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج، فنفرت قلوب الرعية، وجلس الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزى(٢) بجامع دمشق، وذكر فضائل بيت المقدس، وحزن الناس على استيلاء الفرنج عليه، وبشع القول فى هذا الفعل، فاجتمع فى ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس، وعلت أصواتهم بالصراخ، واشتد بكاؤهم، وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة، أبياتها ثلاثمائة بيت، منها:

على قبة المعراج والصخرة التى ... تفاخر ما فى الأض من صخرات

---

(١) ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هى من بناء الإسكندرية وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين، انظر معجم البلدان ١٩٢/ ٥.

(٢) سبط ابن الجوزى (قز أوغلى) (٥٨١ – ٦٥٤ هـ = ١١٨٥ – ١٢٥٦م). يوسف بن قز أو غلى – أو قز غلى – بن عبد الله، أبو المظفر، شمس الدين، سبط أبى الفرج بن الفرج بن الجوزى: مؤرخ من الكتاب الوعاظ، ولد ونشأ ببغداد، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها وتوفى فيها، من كتبه مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان. انظر مفتاح السعادة ١/ ٢٠٨ والتبر المسبوك ١٧١ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٤ والجواهر المضيئة ٢/ ٢٣٠ وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٩ وخيرات الاعتدال ٣/ ٣٣٣ والنعيمى ١/ ٤٧٨ وتاريخ علماء بغداد وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٦ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٩ وابن خلكان ٢/ ٢٥٠ ومرآة الجنان ٤/ ١٣٦ والفهرس التمهيدى ٤٢٩ وآداب اللغة ٣/ ٨٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٢٦ والمخطوطات المصورة ١/ ٥١٧. والأعلام ٢٤٦/٨.

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم، وكان الأشرف على منازلة دمشق، فبعث إلى الكامل يستحثه، فرحل الكامل من تل العجول بعد طول مقامه بها، فتلقاه فى قرية يبنا[1] أخوه العزيز عثمان، صاحب بانياس، بابنه الظاهر غازى، فوصل الكامل العزيز بخمسين ألف دينار، وابنه غازى بعشرة آلاف دينار، وقماش وخلع سنية، وأمر الكامل فضربت له خيمة عظيمة، وحولها بيوتات، وسائر ما يحتاج إليه من الآلات والخيام، برسم أصحابه ومماليكه، ثم وصل إليه أيضا الأمير عز الدين أيدمر المعظمى، فدفع إليه الكامل عشرة آلاف دينار - وقيل عشرين ألف دينار - وكتب له على الأعمال القوصية بعشرين ألف أردب غلة، وأعطاه أملاك الصاحب صفى الدين بن شكر، ورباعه وحمامه، وسار الكامل إلى دمشق، فنزل على ظاهرها فى جمادى الأولى، وجدَّ هو والأشرف فى حصارها، حتى اشتد عطش الناس فى دمشق، لانقطاع الأنهار عنهم، ومع ذلك فالحرب بينهم قائمة فى كل يوم إلى آخر رجب، فغلت الأسعار ، ونفدت أموال الناصر، وفارقه جماعة من أصحابه، وصاروا إلى الكامل والأشرف. فأخذ الناصر فى ضرب أوانيه من الذهب والفضة دنانير ودراهم، وفرقها حتى نفد أكثر ما كان عنده من الذخائر، وناصحته العامة مناصحة كبيرة، وأبلوا فى عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيما.

وفى أثناء ذلك قدم القاضى بهاء الدين بن شداد ومعه أكابر حلب وعدولها، من عند الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى صلاح الدين، صاحب حلب، لتزويج ابنة الملك الكامل بالملك العزيز، فخرج الملك الكامل من مخيمه بمسجد القدم إلى لقائه، وأنزله قريبا منه، ثم أحضره فقدم تقدمة كانت معه من الملك العزيز، وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، فقبل العقد ابن شداد فى سادس عشر شهر رجب ، فضعف قلب الملك الناصر داود، وقلت أمواله، فخرج ليلا من قلعة دمشق فى آخر شهر رجب ، ومعه نفر يسير، وألقى نفسه على مخيم الكامل، فخرج إليه الكامل، وأكرمه إكراما زائدا، وباسطه وطيب قلبه، بعد عتب كثير، وأمره أن يعود إلى القلعة، فعاد إليها، ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى القلعة - وكان يوم جمعة - فصلى بها الجمعة، وخرج ومعه الناصر داود إلى الملك الكامل،

---

(١) يبنا: بالضم ثم السكون، ونون، وألف مقصورة، بلفظ الفعل الذى لم يسم فاعله من بنى يبنى: بليدة قرب الرملة. انظر معجم البلدان ٤٢٨/ ٥.

فتحالفا، وعوضه الكامل عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالهما، مع الصلت والبلقاء والأغوار جميعها، ونابلس وأعمال القدس وبيت جبريل، ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام، وطبرية وغزة، وعسقلان والرملة ولدّ، وما بأيدى المسلمين من الساحل.

وفتحت أبواب دمشق فى أول يوم من شعبان، فشق ذلك على أهل دمشق، وتأسفوا على مفارقة الناصر، وكثر بكاؤهم، ثم تسلمها الملك الأشرف، وبعث الكامل قصاده لتسلم بلاد الأشرف، وهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والخادم شمس الدين صواب، وجماعة، فتسلما حران والرها وسروج، ورأس عين والرقة، وغير ذلك، وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك، وسار الكامل إلى حماة، وبها الناصر صلاح الدين قلج أرسلان بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وقدم مع الكامل المظفر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى جماعة، فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلج أرسلان، وسبق إلى الملك الكامل وهو بسليمة، فأهانه واعتقله، وتسلم المظفر حماة، فكانت مدة الناصر بحماة تسع سنين تنقص شهرين، وبعث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر، فاعتقل بها، ثم سار الكامل يريد البلاد الشرقية، فقطع الفرات، ودخل قلعة جعبر، ثم توجه إلى الرقة، وخافه ملوك الشرق، فعيد بالرقة عيد الفطر، وسار إلى حران والرها، واستخدم بها عسكرا عدته نحو ألفى فارس، فقدمت عليه رسل ماردين وآمد، والموصل وإربل[1] وحضر إليه أيضا عدة ملوك، وبعث الكامل فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى الخليفة؛ وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلج أرسلان من اعتقاله، وخلع عليع، وأعطاه بارين، وكتب له بها توقيعا، وأمر أن يحمل إليه ما كان فى قلعة حماة - وهو أربعمائة ألف درهم - وكتب إلى المظفر تقى الدين بتسليم ذلك إليه.

فوصل الناصر إلى بارين وتسلمها، ثم ورد الخبر على الكامل بأن جلال الدين خورازم شاه نازل خلاط، ونصب عليها عشرين منجنيقا، وكان وصوله إليها فى نصف شوال، وكانت خلاط للملك الأشرف، وبها عسكره، فأرسلوا إلى الملك الكامل يسألون فى نجدة، فلم يرسل الكامل إليهم أحدا، وورد الخبر بإقامة الخطبة فى

---

(١) إربل بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة ولام بوزن إثمد، ولا يجوز فتح الهمزة لأنه ليس فى أوزانهم ، وإربل قلعة حصينة و مدينة كبيرة فى فضاء من الأرض واسع بسيط ولقلعتها خندق عميق . انظر معجم البلدان، واقتصر فى الروض المعطار على ظنه بأنها من أعمال الشام. انظر الروض المعطار ٢٦، وآثار البلاد ٢٩٠.

ماردين للملك الكامل، وضربت السكة باسمه هناك. ثم توالت الرسل من خلاط، وكلها تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد، فبعث الكامل يطلب عساكر حلب وحماة وحمص، فخرجت عساكر حلب إلى خلاط، ومعها الأشرف، ثم ورد الخبر بأن الفرنج قد أغارت على بارين، وأنهم نهبوا ما بها، وأسروا وسبوا.

وفيها مات الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بمكة، عن ست وعشرين سنة، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة، وهو آخر ملوك بنى أيوب ببلاد اليمن، وترك المسعود ابنا يقال له صلاح الدين يوسف، ولقب بالملك المسعود، كلقب أبيه، وبقى يوسف هذا حتى مات فى سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر.

ثم ولى ابنه موسى بن يوسف بن يوسف بن الكامل مملكة مصر، ولقب بالأشرف، شركة مع المعز أيبك، كما سيأتى إن شاء الله تعالى، فاشتد حزن الملك الكامل على ولده يوسف، وتسلم مماليكه وخزائنه وأولاده، ولبس لشدة حزنه البياض، وكان المسعود قد استخلف على اليمن نور الدين على بن رسول التركمانى، فتغلب عليها، وبعث إلى الملك الكامل عدة هدايا، وقال: أنا نائب السلطان على البلاد، فاستمر ملك اليمن فى عقبه بعد ذلك.

* * *

سنة سبع وعشرين وستمائة[1]

أهلت والملك الكامل بحران، والخوارزمى على خلاط، والأشرف محاصر بعلبك.

وفيها قدم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد .

وفيها ورد رسول الإمبراطور، ملك الفرنج، بكتابه إلى الملك الكامل بحران، ومعه أيضا كتاب للأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ.

وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة.

وفيها استولى الأشرف بن العادل على بعلبك، بعدما أقام على حصارها عشرة أشهر، وعوض الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى، عوضا من بعلبك وأعمالها، قصير دمشق والزبدانى[2]، فكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة، فبعث الكامل الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الأشرف، فى مهمات تتعلق به؛ وولى كمال الدين بن شيخ نائبا بالجزيرة.

وفيها قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى- صاحب الروم- على الملك الكامل، وأخبره بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى أرزنجان[3] وعشرة آلاف إلى ملطية، «وأنا حيث تأمر». فطاب قلب السلطان الكامل بذلك، وكان مهتما من أمر الخوارزمى.

وفيها سار الأشرف، صاحب دمشق، من الشام إلى جهة الشرق، فوصل إلى الكامل وهو بالرقة، ووصل أيضا مانع بن حديثة أمير العرب.

وفيها ملك الخوارزمى مدينة خلاط بعد حصار طويل وقتال شديد، فى ثامن

---

(١) سنة ٦٢٧ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٣ - ٢٤٥/ ٦، الكامل ٤٨٩/ ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢١٩/ ٢.

(٢) الزبدانى: بفتح أوله وثانيه، ودال مهملة، وبعد الألف نون ثم ياء مشددة كياء النسبة: كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك منها خرج نهر دمشق. انظر معجم البلدان ١٣٠/٣.

(٣) أرزنجان بالفتح ثم السكون وفتح الزاى وسكون النون وجيم وألف ونون، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف، وهى بلدة طيبة مشهورة، نزهة، كثيرة الخيرات والأهل، من بلاد أرمينية بين الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم وغالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون، وهم أعيان أهلها، وشرب الخمر والفسق بها ظاهر شائع. انظر معجم البلدان.

عشرى جمادى الأولى فوضع السيف فى الناس، وأسرف فى القتل والنهب، فرحل الملك الكامل يريد مصر؛ لأمور منها أنه بلغه موت ولده الملك المسعود صاحب اليمن، فكتمه وكان قد ورد عليه أيضا من أم ولده العادل كتاب تشكو فيه من ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه قد عزم على التوثب على الملك، واشترى جماعة كبيرة من المماليك الأتراك، وأنه أخذ مالا جزيلا من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال؛ ومتى لم تتدارك البلاد وإلا غلب عليها، وأخرجنى أنا وابنك الملك العادل منها، فانزعج الكامل لذلك، وغضب غضبا شديدا، ثم ورد عليه الخبر بأن ابنه الصالح اشترى ألف مملوك، فعزم على الرحيل إلى مصر، فرتب الطواشى شمس الدين صواب العادلى نائبا فى أعمال المشرق، وأعطاه إقطاع أمير مائة فارس، زيادة على ما بيده من الديار المصرية، وهى أعمال أخميم[1] بكمالها، وقاى والقايات ودجوة[2] بإمرة مائتين وخمسين فارسا، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارسا، ورتب الملك الكامل كمال الدين ابن شيخ الشيوخ وزيرا، وتوجه الكامل إلى مصر، فدخلها فى رجب، وتغير على ابنه الملك الصالح تغيرا كثيرا، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنهم، وألزمهم إحضار الأموال التى فرط فيها الملك الصالح، وخلع الصالح من ولاية العهد.

وفيها واقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين خوارزم شاه وكسره، وقتل كثيرا ممن كان معه، وخلص جلال الدين فى عدة من أصحابه إلى تبريز، وكان ذلك فى سابع عشرى رمضان، فملك الأشرف- صاحب دمشق- مدينة خلاط.

---

(١) أخميم: مدينة فى البلاد المصرية فى الجانب الشرقى من النيل لها ساحل، وهى مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وحمامات ومساجد كثيرة وفيها من البرابى وعجائب المبانى والآثار ما يعجز الوصف عنه وهى بصعيد مصر. انظر الروض المعطار ١٥، ١٦، ١٨، والاستبصار ٨٤، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة أخميم: قال ابن وصف شاه: هذه المدينة من أجل مدن الصعيد، وكان بها من العجائب الكثيرة والبرابى المحكم، وكان بها السحرة الذين استعان بهم فرعون يوم ألقى موسى العصا، وذكر عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسى: أن هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة أبواب يفضى كل باب إلى بيت منها وله أربعة أبواب كلها مظلمة ويصعد منها إلى بيوت كثيرة، ولم تزل على ذلك حتى سد بعض الولاة بابها خوفا على الناس وكانت تجلب الأنطاع إلى مصر من أخميم وإليها ينسب سيدى ذى النون المصرى الأخميمى، ولم تزل عامرة محكمة إلى سنة ثمانين وسبعمائة. انظر نزهة الأمم ٢٢٧.

(٢) دُجْوَةُ: بضم أوله، وسكون ثانيه: قرية بمصر على شط النيل الشرقى على بحر رشيد، بينها وبين الفسطاط ستة فراسخ من كورة الشرقية، وبعضهم يقولها بكسر الدال. انظر معجم البلدان ٤٤٣/ ٢.

وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين، وانتهت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا لا غير، فارتفعت الأسعار.

وفيها قصد الفرنج حماة، فأوقع بهم المظفر تقى الدين، وقتل عدة منهم، وأسر كثيرا، وذلك فى رمضان.

وفيها مات الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب- صاحب بعلبك - ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال، وكانت مدة ملكه تسعا وأربعين سنة، وكان أديبا شاعرا. ومات الملك الظافر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعرف بالمشمِّر.

* * *

سنة ثمان وعشرين وستمائة[1]

فيها عاد الأشرف إلى دمشق.

وفيها انفرد العزيز صاحب حلب بالملك، وقد بلغ ثمانى عشرة سنة، وتسلم الخزائن من أتابكه شهاب الدين طغريل، فقام بتدبير الملك قياما مشكورا، وسير القاضى بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل، بسبب إحضار صفية خاتون ابنة الكامل - وهى زوجة العزيز - فأقام بالقاهرة حتى سنة تسع وعشرين وستمائة.

وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل ومعه الملك المعظم - صاحب الجزيرة - فى عاشر جمادى الأولى، فسر السلطان بقدومهما.

وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية، وترك الأشرف بالقاهرة، واستصحب معه صاحب الجزيزة بعدما أنعم عليه إنعاما موفورا.

وفيها تحرك التتر.

وفيها قدم الملك مجير الدين بن العادل إلى القاهرة، وكان مأسورا عند الخوارزمى، فسر به الكامل، وأكرمه هو وأخوه تقى الدين عباس.

وفيها مات السلطان جلال الدين خوارزم شاه، بعدما هزمه التتر ببعض قرى ميافارقين؛ قتله بعض الأكراد.

وفيها وصل التتر إلى إربل، وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم.

وفيها شرع الملك الكامل فى حفر بحر النيل، الذى فيما بين المقياس وبر مصر؛ وعمل فيه بنفسه، واستعمل الملوك والأمراء والجند، فلما فرغ من الحفر صار فى أيام احتراق النيل يمشى من المقياس والروضة إلى بر الجيزة، واستمر الماء فيما بين مصر والروضة لا ينقطع فى زمن الاحتراق ألبتة، وكان السلطان قد قسط حفر هذا البحر على الدور التى بالقاهرة، ومصر والروضة، بالمقياس، واستمر العمل فيه - من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر.

---

(١) ٦٢٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٥ - ٢٤٧/ ٦، الكامل ١٢/٤٩٥ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢٢٠/ ٢ وما بعدها.

وفيها قدم رسول الخليفة المستنصر بالله بالخلع والتقليد للملك الكامل، ومُيِّز بزيادات كثيرة، لم تفعل فى حق غيره، من السلجوقية وغيرهم، ووردت خلع للملك الأشرف أيضا.

وفيها تسلطن عمر بن على بن رسول[1] باليمن، ونشر دعوته.

* * *

---

(١) (٦٤٧ هـ - ١٢٥٠م).عمر بن على ابن رسول (واسمه محمد) بن هارون بن أبى الفتح الغسانى التركمانى، نور الدين، الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرسولية فى اليمن، وأحد الدهاة الأجواد الشجعان. ولد بمصر ونشأ أديبا فاضلا، حسن الاتصال ببنى أيوب. انظر العقود اللؤلؤية ١/ ٤٣ - ٨٨، بغية المستفيد، النهب المسبوك ٣٩. الأعلام ٥٦/ ٥.

سنة تسع وعشرين وستمائة[1]

فيها تكمل استيلاء التتر على إقليم أرمينية وخلاط، وسائر ما كـان بيد الخوارزمى. فاهتم الخليفة المستنصر با لله غاية الاهتمام، وسير عدة رسل يستنجد الأشرف من مصر، ويستنجد العربان وغيرهم، وأخرج الخليفة الأموال، فوقـع الاستخدام فـى جميـع البلاد لحركة التتر.

وفيها خرج الملك الكامل من القاهرة فى جمادى الآخرة، واستخلف على مصـر ابنه الملك العادل أبا بكر، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه، وأخرج الصالح أيوب معه، وقدم الأشرف - والمعظم صاحب الجزيزة - بالعساكر، ومضى الكامل جريدة إلى الشوبك والكرك، وسار إلى دمشق، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بعساكره، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون، وعقد عقده عليها بمنزلة اللجون، وأقام الكامل بدمشق يسرح العساكر، وجعل فى مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب، وورد الخبر بدخول التتر بلاد خلاط، فأسرع الكامل فى الحركة، وخرج من دمشق، فنزل سليمة - وقد اجتمع بها بعساكر يضيق بها الفضاء - وسار منها فى أخريات رمضان على البرية، وتفرقت العساكر فى عدة طرق لكثرتها، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب، لقلة الماء، وأتته رسل ملوك الأطراف، وهم عز الدين بيقرا، وفخر الدين بن الدامغانى، رسل الخليفة المستنصر با لله، وألبسوه خلعة السلطنة، فاستدعى الكامل عند ذلك رسل الخوارزمى، ورسول الكرج، ورسل حماة وحمص، ورسول الهند، ورسل الفرنج، ورسل أتابك سعد صاحب شيراز، ورسل صاحب الأندلس ولم تجتمع هذه الرسل عند ملك فى يوم واحد قط غيره، وقدم عليه بهاء الدين اليزدى - شيخ رباط الخلاطية - من بغداد، وجماعة من النخَاس، يحثونه على الغزاة.

فرحل التتر عن خلاط، بعد منازلتها عدة أيام، وجاء الخبر برحيلهم والكامل بحران، فجهز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولا إلى الخليفة، وسار إلى الرها، وقدم العساكر إلى آمد، وسار بعدهم، فنزل على آمد، ونصب عليها عدة مجانيق، فبعث إليه صاحبها يستعطفه، ويبذل له مائة ألف، وللأشرف عشرين ألف دينار، فلم يقبل، ومازال عليها حتى أخذها، فى سادس عشرى ذى الحجة، وحضر صاحبها إليه بأمان، فوكل به حتى سلم جميع حصونها، فأعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصاح نجم الدين أيوب.

وفيها وردت هدية من ماردين.

---

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٧ - ٢٤٩/ ٦، تاريخ ابن الوردى ٢/٢٢٦.

وفيها سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالى الصاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة؛ والستر العالى الصاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة الملك العزيز، صاحب حلب، وخرج معها أيضا الأمير فخر الدين البانياسى، والشريف شمس الدين قاضى العسكر.

وفيها مات الأمير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل، و صاحب المدوسة الفخرية بالقاهرة، فى ثامن عشر ذى الحجة بحران.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن، عسكرا إلى مكة، فيه الشريف راجح بن قتادة، فملكها من الأمير شجاع الدين طغتكين، نائب الملك الكامل، فى ربيع الآخر. وفر شجاع الدين إلى نخلة ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك، فبعث إليه الكامل عسكرا سار بهم إلى مكة، فقدموها فى شهر رمضان، وملكوها بعدما قتلوا جماعة، وكان مقدم العسكر الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ.

* * *

سنة ثلاثين وستمائة[1]

فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا، وسيره إليها، وعاد هو إلى الديار المصرية، ومعه الملك المسعود، صاحب آمد، فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر.

وفيها قبض الكامل على جماعة من الأمراء المصرية.

وفيها استولى الملك المظفر، صاحب حماة على حصن بارين، وانتزعه من أخيه الناصر قلج أرسلان، فسار قلج أرسلان إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله فى قلعة الجبل حتى مات.

وفيها جهز الملك الكامل عسكرا من الغزّ والعربان إلى ينبع، من أرض الحجاز - عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدى [......][2] - فى شوال وعدتهم سبعمائة، وسبب ذلك ورود الخبر بمسير الشريف راجح من اليمن بعسكر إلى مكة، وأنه قدمها فى صفر، وأخرج من بها من المصريين بغير قتال، فقدم الزاهدى فى الموسم، وتسلم مكة، وحج بالناس، وترك بمكة ابن محلى، ومعه خمسون فارسا، ورجع إلى مصر.

وفيها توفى الفخر سليمان بن محمود بن أبى غالب الدمشقى، كاتب الإنشاء. فاستحضر الملك الكامل ناسخا يقال له الأمين الحلبى، كان عند الأمير عز الدين أيبك - أستادار الملك المعظم - فى خدمته يكتب له، فلما حضر الأمين ليكتب بين يديه خلع عليه، وأعاده إلى صاحبه، فتزهد استحياء من الناس، وبعث الكامل إلى ميافارقين، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكتبه، فلما حضر خلع عليه، وأعاده ولم يستكتبه الأشرف صاحب دمشق.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان: سلطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر، وأركبه بشعار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه، ويحب أمه حبا زائدا.

---

(١) سنة ٦٣٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٩ - ٢٥١/ ٦، تاريخ ابن الوردى ١٢٢٧/ ٢.

(٢) مابين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وفى ذى القعدة: وصل محيى الدين يوسف بن الجوزى[١] من بغداد، بالتقليد من الخليفة المستنصر با لله للملك الكامل.

وفيها أبطل السلطان المعاملة بالفلوس فى القاهرة ومصر، فتلف مال كثير للناس.

وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة، أمير العربان من آل فضل، فأمَّر الأشرف بعده ابنه مهنا[٢].

وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر، فنزل بدار الوزارة من القاهرة، وركب فى خدمة عمه الملك الكامل.

وفيها مات العزيز فخر الدين عثمان بن العادل بدمشق، يوم الإثنين عاشر رمضان. وفيها مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك، ملك إربل، فى تاسع عشرى شعبان عن أربع وثمانين سنة، وكان يهتم بعمل المولد النبوى فى كل سنة اهتماما زائدا، فتسلم إربل من بعده نواب الخليفة، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد.

* * *

---

(١) ابن الجوزى (٥٨٠ - ٦٥٦ =١١٨٥ - ١٢٥٨ م). يوسف بن عبد الرحمن بن على بن الجوزى القرشى التيمى البكرى البغدادى، محيى الدين، أبو المحاسن: أستادار الخلافة المستعصمية، وسفيرها. من أهل بغداد وهو ابن العلامة أبى الفرج (النجوزى) توفى والده وعمره سبع عشرة سنة، فكلفته والدة الخليفة الناصر تفقه على أبيه وغيره. وولى الحسبة بجانبى بغداد، والنظر فى الوقوف العامة. انظر المنهج الأحمد - خ، الدارس ٢/ ٦٢، ذيل مرآة الزمان ١: ٣٣٢ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٨، البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٣ شذرات الذهب ٥/ ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٦. الأعلام ٢٣٦/ ٨.

(٢) مهنا بن حسام الدين (٦٦٠ هـ - ١٢٦٢م). مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة (أو عصية) بن فضل بن ربيعة، من طىء، من قطحان: رأس آل مهنا من آل فضل أمراء البادية تولى بعد وفاة أبيه. انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦ الضوء اللامع ٥/ ١٤٦ ابن خلدون ٢/ ٢٥٥، المختصر ٢/ ٢٠٥. الأعلام ٣١٧/ ٧.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة(1)

فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقى، صاحب بلاد الروم، مدينة خلاط، فخرج الملك الكامل من القاهرة بعسكره، ليلة السبت خامس شعبان، واستناب ابنه الملك العادل، فوصل إلى دمشق، وكتب إلى ملوك بنى أيوب يأمرهم بالتجهيز، للمسير بعساكرهم إلى بلاد الروم، وخرج الكامل من دمشق، فنزل على سليمة فى شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وغيره من العساكر، فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزا، لستة عشر ملكا - وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكا، فعرضهم الكامل على إلبيرة أطلابا بأسلحتهم، فلكثرة ما أعجب بنفسه قال: «هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام».

وأمر بها فسارت شيئا بعد شىء نحو الدربند، وقد جدَّ السلطان علاء الدين فى حفظ طرقاته بالمقاتلة، ونزل الكامل على النهر الأزرق، وهوبأول بلد الروم، ونزل عساكر الروم فيما بينه وبين الدَّربند، وأخذوا عليه رأس الدربند، وبنوا عليه سورا يمنع العساكر من الطلوع، وقاتلوا من أعلاه، فقلّت الأقوات عند عسكر الكامل، واتفق - مع قلة الأقوات وامتناع الدربند - نفور ملوك بنى أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حُفظ عنه أنه لما أعجبته كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: «إن صار لنا ملك الروم فإنا نعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم، ونجعل الشام والشرق مضافا إلى ملك مصر». فحذر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق، فأوجس فى نفسه خيفة موسى، وأحضر بنى عمه وأقاربه من الملوك، وأعلمهم ذلك، فاتفقوا على الملك الكامل، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل، وسيروا الكتب بذلك، فاتفق وقوعها فى يد الملك الكامل، فكتمها ورحل راجعا، فأخذ السلطان علاء الدين طيقباد - ملك الروم - قلعة خرتبرت(2) وست قلاع أخر كانت مع الملوك الأرتقية، فى ذى القعدة، فاشتد حنق الملك الكامل، لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم فى قلاع خرتبرت، ونسب ذلك إلى أهله من الملوك، فتنكر ما بينه وبينهم.

---

(1) ٦٣١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٥١ - ٢٥٥/ ٦، تاريخ ابن الوردى ٢٢٨/ ٢.

(2) خَرْتَبِرْت: بالفتح ثم السكون، وفتح التاء المثناة، وباء موحدة مكسورة، وراء ساكنة ، وتاء مثناة من فوقها ، هو اسم أرمينى: وهو الحصن المعروف بحصن زياد الذى يجىء فى أخبار بنى حمدان فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣٥٥/ ٢.

وفيها مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فى ذى الحجة.

وفيها بعث المنصور عمر بن على بن رسول - ملك اليمن- عسكرا، وخزانة مال إلى الشريف راجح بن قتادة، فأخرج من بمكة من المصريين.

وفيها حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبى سماعا، بزقاق الطباخ بمدينة مصر، فى أول يوم من شهر رجب، وكان هناك الشيخ أبو عبد الله القرشى، وأبو عباس القسطلانى، وجماعة غيرهما، فلما أنشد القوَّال صفق أبو يوسف الدهمانى بيديه، وارتفع عن الأرض متربعا، إلى أن بلغ إلى أنبدارية المجلس، ودار ثلاث دورات، ثم نزل إلى مكانه، فقام الشيخ القرطبى، وقدَّر ارتفاع الأنبدارية، فكان أطول من قامته رافعا يديه.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة(١)

فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق - فى جمادى الأولى - وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف - صاحب دمشق - وغيره من الملوك.

فقبض الكامل على المسعود صاحب آمد، واعتقله فى برج هو وأهله، يوم الإثنين سادس عشر جمادى الأولى، لممالأته لهم، فملك صاحب الروم وحران بالسيف، وعاد إلى بلاده، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال، فلما بلغ الكامل ذلك أمر العساكر أن تتجهز للمسير إلى الشرق، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلى صنافير بالقليوبية ، وجعل أقارب والده ومماليكه معه، وعدتهم سبعة عشر رجلا.

وفيها بعث ابن رسول إلى الشريف راجح بن قتادة بخزانة مال؛ ليستخدم عسكرا، فلم يتمكن من ذلك، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جغريل، أحد المماليك الكاملية، إلى مكة بسبعمائة فارس، وحضر جغريل إلى مكة، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن، وملك جغريل مكة فى شهر رمضان، وأقام العسكر بها.

وفيها مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب البيرة - فى سابع صفر، فاستولى العزيز - صاحب حلب - عليها من بعده.

وفيها مات الأمير شمس الدين صواب - الطواشى الكاملى - بحران فى أواخر شهر رمضان.

* * *

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٥٥ - ٢٦٠/ ٦، تاريخ ابن الوردى ٢٣٠/ ٢.

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة(١)

فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثير، بلغت عدتهم زيادة على اثنى عشر ألفا، سوى من مات بالريف.

وفيها سار التتر إلى جهة الموصل، فقتلوا ونهبوا وسبوا.

وفيها سار الناصر داود - صاحب الكرك - إلى الخليفة المستنصر با لله؛ خوفا من عمه الملك الكامل، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل، فخشى أن ينتزع منه الكرك، فوصل إلى بغداد، فأكرمه الخليفة، ومنعه من الاجتماع به، رعاية للملك الكامل، ثم اجتمع به سرا، وخلع عليه، وبعث معه رسولا مشربشا، من خواصه إلى الكامل، يشفع فيه، فلما وصل الرسول إلى الكامل تلقاه وقبل الشفاعة.

وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بعساكره يريد بلاد الشرق، فنازل الرها حتى أخذها، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى، وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء، وهدم قلعتها، ونازل حران، وأخذها بعد حصار وقتال فى رابع عشر جمادى الآخر، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين، وأمرائه ومقدميه الصوباشية، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا، فمات كثير منهم فى الطرقات، ثم نزل الكامل على دنيسر(٢) وخربها. فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلو إلى سنجار، فى مائة طلب، كل طلب خمسمائة فارس، وأخذ الكامل قلعة السويداء عنوة، وأسر من بها فى سابع عشر جماى الآخر، وهدمها؛ وأخذ قطينا، وأسر من بها فى رجب.

وفى تاسع عشره: بعث الكامل جميع الأسرى إلى ديار مصر، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف، وعاد إلى دمشق، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح أيوب.

وفيها هدمت دنيسر، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين.

وفيها خرج عسكر الروم، بعد عود الكامل، وحاصر آمد وأخرب

---

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٦٠ - ٢٦٣ /٦، تارريخ ابن الوردى ٢/٢٣٤.

(٢) دُنَيْسِر: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة من نواحى الجزيرة قرب ماردين، بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال: لها قوج حصار. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٨.

دارا[١] فى خامس ذى القعدة.

وفيها استولى الفرنج على مدينة قرطبة[٢] بالأندلس.

وفيها قُدِّمَ أنبا كيرلس داود بن لقلق بطركا على الإسكندرية لليعاقبة، فى يوم الأحد ثالث عشرى بؤونة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء، الموافق لتاسع عشرى رمضان، فأقام فى البطركية سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وكان عالما، محبا للرياسة، وجمع المال، وأخذ الشرطونية، وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة، قبل اعتلائه كرسى البطركية، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير، ومرت به شدائد كثيرة، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى فى ولايته البطركية، وشرط عليه ألا يقدم أسقفا إلا برأيه، فلم يف له، ولا التفت إليه، فانحرف عنه ورافعه، فوكل عليه وعلى عدة من أقاربه وألزامه، وقام أيضا عليه الشيخ السنى بن التعبان الراهب، وعانده وذكر مثالبه، وأنه إنما تقدم بالشوة، وأنه أخذ الشرطونية، فلا تصح له كهنوتية، على حكم القوانين، ومال معه جماعة، وعقدوا له مجلسا بحضور الصاحب - معين الدين بن شيخ الشيوخ، فى أيام أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبتوا عليه أمورا شُنْعَة، وعزموا على خلعه، فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين، فقرر مالا حمله البطريك إلى السلطان، واستمر أنبا كيرلس على

---

(١) دارا: وهى بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين . انظر معجم البلدان ٤١٨/ ٢، وفى الروض المعطار دارا: بلد ديار ربيعة بينها وبين نصيبين خمسة فراسخ، صلى بها أبو موسى رضى الله عنه صلاة الخوف، وهى من بلاد الجزيرة، وهى مدينة رومية، وهى بيضاء كبيرة ولها قلعة مشرفة، ويليها بمقدار نصف مرحلة مدينة ماردين، وهى فى سفح جبل فى قنته قلعة لها كبيرة هى من قلاع الدنيا المشهورة، وكلتا المدينتين معمورتان، وفتحها عياض بن غنم، وهى فى سفح جبل عليها سور حجارة، وبها أنهار وكروم وأسواق ومسجد جامع ومنبر، وبينها وبين كفرتوثا سبعة فراسخ. انظر الروض المعطار ٢٣٠، والكرخى ٥٣.

(٢) قرطبة: وهى مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بنى أمية. انظر معجم البلدان ٤/٣٢٤، وفى الروض المعطار قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزى وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وقرطبة على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة من أجل البنيان قدرًا وأعظمه خطرًا، وهى من الجامع فى قبلته، وبالقرب منه، فانتظم بها الشكل، وبأمر عمر بن عبد العزيز قام على نهر قرطبة الجسر الأعظم الذى لا يعرف فى الدنيا مثله، وحول الأندلس من عمل إفريقية وجرَّد لها عاملاً من قبله، ووقعت المغانم فيها عن أمره. انظر الروض المعطار ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، والإدريسى ٢٠٨، ٢١٢.

بطركيته حتى مات يوم الثلاثاء رابع عشر برمهات، سنة تسعمائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستمائة وخلا الكرسى بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن على بن رسول - ملك اليمن - عسكرا إلى مكة، مع الشهاب بن عبد الله، ومعه خزانة مال، فقاتله المصريون وأسروه، وحملوه إلى القاهرة مقيدا.

* * *

سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل فى [......][1] ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه محيى الدين يوسف بن الجوزى رسولا من الخليفة، وهو بها، وسافر محيى الدين إلى السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان - صاحب الروم - ومعه الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى، رسولا من جهة الملك الكامل.

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب حلب - يوم الأربعاء رابع عشرى شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر، وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين، وقام بتدبير أمره الأميران لؤلؤ الأمينى، وعز الدين عمر بن محلى، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستر الرفيع صفية خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال، وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبى الهيجاء، وزين الدين قاضى حلب، إلى الملك الكامل، بزردية العزيز وكُزَا غَنْده، وخوذته ومركوبه، فأظهر الكامل الألم لموته، وقصر فى إكرامهما، وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرسولين، ثم أرسل خلعة للناصر بغير مركوب، ومعها عدة خلع للأمراء الحلبيين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازى، صاحب عينتاب، فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمراء الخلع، فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، ورد الرسول الوارد إلى الصالح صلاح الدين بخلعته.

وفيها تنكر الأشرف - صاحب دمشق - على الملك الكامل، وراسل أهل حلب، فوافقوه على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبة السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون معهم، فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعز ذلك عليه، وكان حين بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلا، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع فى تدبير أمره، فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان - ملك الروم - وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد من بعده، فى سابع شوال، قبل اجتماعه بالحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى رسول السلطان فبعث ملوك الشام رسلهم إلى السلطان

---

(١) مابين المعقوفتين بياض فى الأصل.

غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى - صاحب الروم - يعزونه فى أبيه، ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل، وسير الكامل أفضل الدين محمد الخونجى يعزى غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه، وثياب أطلس برسم أغشية القبر.

وفيها كان الوباء أشد من السنة الماضية.

وفيها ضرب الملك الكامل الفلوس.

وفيها بعث الملك الكامل القاضى الأشرف بن القاضى الفاضل إلى الملك الناصر داود - صاحب الكرك - يدعوه إلى موافقته. فرحل الملك الناصر إلى القاهرة مع القاضى الأشرف؛ فسر الكامل بقدومه، وركب إلى لقائه، وأنزله بدار الوزارة، وقدم له أشياء كثيرة، وخلع عليه، وقلده الكامل دمشق، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية، فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحدا بعد واحد، إلى أن صعد قلعة الجبل، وجدد الناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل، فى تاسع عشر ذى الحجة، فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس، وأخذ ما كان فيها للناصر داود.

وفيها سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيفا، يستأذن أباه فى استخدام من خالف السلطان غياث الدين كيخسرو - صاحب الروم - من الخوارزمية، فأذن له فى ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم.

وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى نتنت من كثرة القتلى، ثم رحلوا عنها.

وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: «إنا اتفقت كلمتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك». فاتفق مرض الأشرف بالذرب، فكان لا يستقر بباطنه طعام ألبتة، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب.

وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فحاربهم الأمير أسد الدين جغريل، وكسرهم، فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بغير قتال، وتصدق بمال، وترك بها جماعة، فقدم الشريف شيحة بن قاسم - أمير المدينة - وملك مكة منهم ونهبهم، ولم يقتل أحدا.

* * *

سنة خمس وثلاثين وستمائة(1)

فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبى بكر بن أيوب - صاحب دمشق بها - يوم الخميس رابع المحرم، وعمره نحو من ستين سنة، ومدة ملكه بدمشق ثمانى سنين وأشهر، ولم يترك سوى ابنة، تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل، فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، صاحب بصرى، بعهد من أخيه له، فاستولى الملك الصالح عماد الدين على دمشق وبعلبك؛ وبعث ابنه الملك المنصور محمودا إلى الشرق، ليتسلم سنجار ونصيبين والخابور من نواب الشرق، وبعث إلى المجاهد صاحب حمص، وإلى المظفر صاحب حماة، وإلى الحلبيين أيضا، ليحلفوا له ويتفقوا معه - على القاعدة التى تقررت بينهم وبين الأشرف - على مخالفة الكامل، فأجابوا إلا صاحب حماة، فإنه مال مع الكامل، وبعث إليه يعلمه بميله إليه، فسر الكامل بذلك، ثم إن الملك الصالح عماد الدين صادر جماعة من الدماشقة، الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد مزهر، وحبسهم فى بصرى، فتجهز الكامل، وخرج من قلعة الجبل بعساكره، بكرة يوم الخميس ثالث عشرى صفر، واستناب على مصر ابنه الملك العادل، وأخذ معه الناصر داود، وهو لا يشك أن الملك الكامل يسلم إليه دمشق، لما كان قد تقرر بينهما. فكاتب الكامل نائب قلعة عجلون حتى سلمها، ونزل على دمشق بمسجد القدم، فى ثالث عشرى ربيع الأول، وقد تحصنت وأتتها النجدات، فحاصرها وقطع عنها المياه، وضايقها حتى غلت بها الأسعار، وأحرق العقيبة والطواحين، وألح على أهلها بالقتال، وكان الوقت شتاء فأذن الصالح إسماعيل، وسلم دمشق لأخيه الكامل، فعوضه عنها بعلبك والبقاع، وبصرى والسواد.

وكان السفير بينهما الصاحب محيى الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى - رسول الخليفة - الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بنى أيوب، فتسلم الكامل دمشق فى عاشر جمادى الأولى، وسار الصالح إسماعيل إلى بعلبك، لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى، فنزل الملك الكامل بالقلعة، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص، وأطلق الفلك المسيرى من سجن قلعة دمشق - وكان

(1) ٦٣٥هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٦٨، ٢٦٥، تاريخ ابن الوردى ٢/٢٣٧.

قد سجنه الملك الأشرف - ونقل الأشرف إلى تربته، وأمر الكامل فى يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصلى أحد من أئمة الجامع المغرب، سوى الإمام الكبير فقط، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين، وورد الخبر باستيلاء الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على سنجار ونصيبين والخابور، وقدم رسول الخليفة بمال إلى الملك الكامل؛ ليستخدم به عسكرا للخليفة، فإنه بلغه توجه التتر إلى بغداد، فقام الملك الكامل لما سلم إليه كتاب الخليفة، ووضعه على رأسه، وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية، فأمر الملك الكامل أن يخرج من بيت المال مائتا ألف دينار؛ ليستخدم بها العساكر، وأن يجرد من عساكر مصر والشام عشرة آلاف؛ نجدة للخليفة، وأن يكون مقدم العساكر الناصر داود، وألا يصرف مما حضر من المال شىء، بل يعاد بكماله إلى خزانة الخليفة، فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجاوى، وعماد الدين بن موسك، وأن يكونا مع الناصر داود فى خدمته، فاستخدم الناصر العسكر، وسار إلى بغداد، وهم نحو ثلاثة آلاف فارس، وشرع الكامل يتجهز لأخذ حلب، فخاف المجاهد صاحب حمص، وبعث ابنه المنصور إبراهيم[١] فتقرر الأمر على أن يحمل المجاهد كل سنة للملك الكامل ألفى ألف درهم، فعفا عنه.

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام، فدخل فى ابتدائه إلى الحمام، وصب على رأسه الماء الحار، فاندفعت المواد إلى معدته، فتورم وعرضت له حمى، فنهاه الأطباء عن القىء، وحذروه منه، فاتفق أنه تقيأ لوقته، فى آخر نهار الأربعاء حادى عشرى شهر رجب، بقاعة الفضة من قلعة دمشق، فدفن بها بكرة الغد، وعمره نحو من ستين سنة، وذلك بعد موت أخية الأشرف بنحو ستة أشهر، فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحدا وسبعين يوما، ومدة مملكته بمصر - بعد موت أبيه - عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوما - وقيل وخمسة وأربعين يوما- وكانت فى أيام أبيه نحوها فحكم مصر قريبا من أربعين سنة؛ ومولده فى الخامس والعشرين من ربيع الأول، سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وكان يحب أهل العلم، ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوى، وحدث بالإجازة من أبى محمد بن برى، وأبى القاسم البوصيرى، وعدة من المصريين، وغيرهم، وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية، وبنى له دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وجعل عليها

---

(١) إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبى (٦٢٤ - ٦٤٤هـ= ١٢٢٧ - ١٢٤٦م) أمير يلقب بالملك، كان صاحب حمص، وكان شجاعا متواضعا على صغر سنه. انظر روض المناظر، المختصر لأبى الفداء ٣/ ١٧٦ النجوم الزاهرة. ٦/ ٣٥٦. الأعلام ٤٣/ ١.

أوقافا، وكان يناظر العلماء، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم: كالجمال اليمنى النحوى، والفقيه عبد الظاهر، وابن دحية، والأمير صلاح الدين الإربلى - كان أحد الفضلاء - فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره؛ ليسامروه، فنفقت العلوم والآداب عنده، وقصده أرباب الفضائل، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة، فممن قصده التاج بن الأرموى، وأفضل الدين الخونجى، والقاضى الشريف شمس الدين الأرموى - قاضى العسكر - وهؤلاء أئمة وقتهم فى المنقول والمعقول، وكان مهيبا، حازما سديد الآراء، حسن التدبير لمماليكه، عفيفا عن الدماء، وبلغ من مهابته أن الرمل - فيما بين العريش ومصر - كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحمال من الثياب، من غير خوف، وسرق مرة فيه بساط، فأحضر الكامل العربان الذين يخرون الطريق، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه، فبذلوا عوضه شيئا كثيرا، وهو يأبى إلا إحضار السارق، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله، فلم يجدوا بدا من إحضار السارق والبساط، وكان يباشر أمور الملك بنفسه، من غير اعتماد على وزير ولا غيره، واستوزر أولا الصاحب صفى الدين بن شكر ست سنين، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات، وكان الأمير فخر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه فى الأشغال، فلما مات الصاحب صفى الدين لم يستوزر الكامل بعده أحدا، بل كان يستنهض من يختار فى تدبير الأشغال: فأقام معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة، وسماه نائب الوزارة، ومرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفى الدين، ومرة جمال الدين البورى، وصار يباشر أمور الدولة بنفسه، ويحضرعنده الدواوين، فيحاققهم ويحاسبهم، واذا ابتدات زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور، ورتب فى كل جسر من الأمراء من يتولاه، ويجمع الرجال لعمله، ثم يشرف على الجسور بعد ذلك، فمتى اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة، فعمرت أرض مصر فى أيامه عمارة زائدة.

وأخرج الكامل من زكوات الأموال - التى كانت تجبى - سهمى الفقراء والمساكين، وجعلهما مصروفين، ورتب عليهما جامكيات الفقهاء والفقراء والصلحاء، وكان يجعل فى كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم عنده، ويجلس معهم للمباحثة، وكان كثير السياسة، وأقام فى كل طريق خفراء تحفظ المسافرين، إلا أنه كان مغرى بجمع المال، مجتهدا فى تحصيله وأحدث فى البلاد حوادث سماها الحقوق، لم تكن فى أيام من تقدمه، وله شعر، منه قوله:

إذا تحققتم ما عند صاحبكم … من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد، من قصيدة عند فتح دمياط:

هو الكامل المولى الذى إن ذكرته فيا طرب الدنيا ويا فرح العصر
به ارتجعت دمياط قهرا من العدى وطهر بالسيف والملة الطهر
لك الله من ملك إذا جاد أوسطا فناهيك من عرف وناهيك من نكر
يقصر عنه المدح من كل مادح ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه هم أكابر دولته وأعيانها، وهم الأمير فخر الدين يوسف، وعماد الدين عمر، وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن، وكان فخر الدين قد ترك لبس العمامة، ولبس الشربوش والقباء، ونادم السلطان، وكان فاضلا أديبا، يشارك فى فنون، وإخوته لهم فضائل، وإليهم مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، وتدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبر الشافعى من القرافة، وتدريس المشهد الحسينى بالقاهرة، وما منهم إلا من تقدم على الجيوش، وباشر الحرب، وأرضعت أمهم - وهى ابنة القاضى شهاب الدين ابن عصرون - الملك الكامل، فصاروا إخوته من الرضاع.

فلما مات السلطان الكامل اتفق أولاد الشيخ، والأمير سيف الدين على بن قلج، وأخوه الأمير عماد الدين، والملك الناصر داود، وأرباب الدولة، على تحليف الأجناد للملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل - وهو يومئذ يخلف أباه بقلعة الجبل - على ديار مصر، وأن يرتب الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر بن أيوب، فى نيابة دمشق، وكتموا ذلك الأمر الثانى عن الناصر داود، وحلفوا على ذلك فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، وبعثوا الأمير نور الدين على بن الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الناصر داود، فأخرجه من دمشق إلى الكرك، واستقر الجواد بدمشق، نائبا لابن عمه الملك العادل، وسار العسكر من دمشق إلى مصر، وتأخر بدمشق أمراء عدة - فى جمع من عسكر مصر ومماليك الأشرف - لحفظها، ومقدمهم عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبذل الجواد الأموال، وطمع فى الاستبداد بملك دمشق، وألزم الخطيب بذكره فى الخطبة بعد العادل.

* * *

السلطان الملك العادل الثانى[1]

سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب. أمه

الست السوداء، المعروفة ببنت الفقيه نصر، ومولده فى سنة سبع عشرة وستمائة. استقر الأمر له بسلطنة مصر و دمشق فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، سنة خمس وثلاثين وستمائة، الموافق لسادس عشر برمهات. وخطب له بالقاهرة ومصر فى رابع شعبان، وهو السلطان السابع من بنى أيوب بديار مصر، فقدمت عليه القصاد من دمشق بوفاة أبيه واستقراره من بعده، فشرع الأمير سيف الدين قلج فى تحليف الأمراء للملك العادل فى داره، وحط الملك العادل المكوس، ووسع فى العطاء وفى الرزاق على كل أحد.

وفى رابع شعبان: خطب له بمصر، وأعلن بموت الملك الكامل.

وفى رابع عشر شعبان: ضربت السكة باسمه.

وفى ثامن عشر رمضان: نقش الدينار والدرهم باسمه.

وفى عشريه: قرئ توقيعه على المنبر، بإبطال جميع المكوس.

وفى سابع عشرى شوال: وصل محيى الدين أبو محمد يوسف بن الجوزى، رسولا من بغداد، بتعزية الملك العادل، وهنأه بالملك من قبل الخليفة. وكان العادل قد بعث إلى دمشق بالخلع والسنجق، فركب الجواد بالخلع فى تاسع عشر رمضان.

وفيها أنفق العادل على العساكر.

وفى ثانى ذى القعدة: استحلف ابن الجوزى الملك العادل للخليفة المستنصر.

وفيه ورد الخبر بأن الناصر داود تحالف هو والجواد، وقد اتفقا وخرجا عن طاعة العادل ووصل الناصر داود إلى غزة، وخطب بها لنفسه، ثم وقع بينه وبين الجواد خلف، فأظهر الجواد أنه عاد إلى طاعة الملك العادل، ولما قربت العساكر الواردة من دمشق إلى القاهرة ركب العادل إلى لقائهم وأكرمهم، وسير إليهم فى منازلهم الأموال والخلع والخيول، فجددوا له الأيمان والعهود؛ فاستقر أمره، وأخرج العادل الأموال، وبذلها فى الأجناد، وأكثر من العطاء والبذل، حتى بدد فى مدة يسيرة ما جمعه أبوه فى مدد متطاولة، وأخذ فى إبعاد أمراء الدولة عنه، وقطع رواتب أرباب الدولة، واختص بمن أنشأه فنفرت قلوب الأكابر منه، واشتغل هو عنهم لانهماك شرب الخمر، وكثرة اللهو والفساد، وسار الناصر وأبو داود من الكرك، واستولى على غزة والسواحل، واستجد عسكرا كبيرا، وبرز عن غزة، وبعث إلى الملك العادل يريد منه المساعدة على أخذ دمشق.

وقوى المجاهد أسد الدين صاحب حمص بعد موت الكامل، وأغار على حماة وحصرها واستعد أهل حلب، واستجدوا عسكرا من الخوارزمية، وعسكرا من التركمان، كان قد صار إليهم عدة من أصحاب الملك الكامل، فأكرموهم، وبعثوا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد، ملك الروم، يسألونه إرسال نجدة، فأمدهم بخيار عسكره، وخرجوا فملكوا المعرة، ونازلوا حماة، وقاتلوا المظفر صاحبها، فثبت لهم، وامتنع عليهم وقاتلهم، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على الرحبة، منازلا لها، فلما بلغه موت أبيه الملك الكامل رحل عنها، فطمع فيها من معه من الخوارزمية، وخرجوا عن طاعته، وهموا بالقبض عليه، فقصد سنجار، وامتنع بها مدة، وترك خزائنه وأثقاله، فانتهبها الخوارزمية، وتحكموا فى البلاد الجزرية، وطمع فيه السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد - ملك الرومية - وبعث إلى الناصر صلاح الدين أبى المظفر يوسف صاحب حلب توقيعا بالرها وسروج، وكانا مع الصالح نجم الدين أيوب، وأقطع المنصور ناصر الدين الأرتقى، صاحب ماردين، مدينة نجار ومدينة نصيبين، وهما من بلاد الصالح أيضا، وأقطع المجاهد أسد الدين شيركوه، صاحب حمص بلدة عانة[1] وغيرها من بلاد الخابور؛ وعزم السلطان غياث الدين كيخسرو على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح أيضا آمد وسميساط، وصار الملك الصالح محصورا بسنجار، فطمع فيه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - وحصره بسنجار فى ذى القعدة، وأراد حمله إلى بغداد فى قفص حديد؛ كراهة فيه، لما كان عنده من التجبر والظلم والتكبر، فلما أشرف بدر الدين لؤلؤ على أخذ سنجار بعث الصالح إليه القاضى بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزارى قاضى سنجار، بعد ما حلق لحيته، ودلاه من السور.

وكان القاضى الزرزارى متقدما فى الدولة الأشرفية، ولاه الملك الأشرف موسى - قضاء بعلبك ثم بعد موت الملك الأشرف ولاه الصالح نجم الدين أيوب قضاء سنجار، وكان كثير التجمل جدا، واسع البر والمعروف، وله مماليك وغلمان وحواشى، لهم من التجمل ما ليس لغيرهم، فصار كأحد الأمراء الأكابر، وصار يقصد لسائر من يرد عليه من أهل العلم وذوى البيوتات، فتوجه القاضى فى خفية إلى الخوارزمية، واستمالهم وطيب خواطرهم، بكثرة ما وعدهم به فمالوا إليه، بعد ما كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردين، وقصدوا بلاد الملك الصالح نجم الدين أيوب، واستولوا على العمال، ونازلوا

---

(١) عانة: بلدة مشهورة بين الرقة وهيت تعد فى أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٧٢/ ٤.

حران - وكان الملك الصالح قد ترك بها ولده المغيث فتح الدين عمر بن الصالح[1] فخاف من الخوارزمية، وسار مختفيا حتى فرد إلى قلعة جعبر، فساروا خلفه، ونهبوا ما كان معه، وأفلت منهم فى شرذمة يسيرة إلى منبج، فاستجار بعمة أبيه، الصاحبة ضيفة خاتون، أم الملك العزيز، صاحب حلب، فلم تقبله، فر إلى حران، وفيها أتاه كتاب أبيه يأمره بموافقة الخوارزمية، والوصول بهم إليه لدفع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فاجتمع المغيث عمر، والقاضى بدر الدين قاضى سنجار بالخوارزمية، والتزم لهم القاضى أن يقطعوا سنجار وحران والرها، فطابت قلوبهم، وحلفوا للملك الصالح، وقاموا فى خدمة ابنه الملك المغيث، وساروا معه إلى سنجار، فأفرج عنها عسكر الموصل، يريدون بلادهم. وأدركهم الخوارزمية، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، فر فيها بدر الدين لؤلؤ بمفرده على فرس سابق، ثم تلاحق به عسكره. واحتوت الخوارزمية على سائر ما كان معه، فاستغنوا بذلك، وقوى الملك الصالح بالخوارزمية وبهذا الفتح قوة زائدة، وعظم شأنه، وسير الخوارزمية إلى آمد، وعليها عسكر السلطان غياث الدين كيخسروصاحب الروم، وبها المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب [2] وهو محصور منهم، فأوقعوا بهم ورحلوهم عن آمد، فخرج الصالح من سنجار إلى حسن كيفا، وبعث الملك العادل من مصر إلى أهل حلب يريد منهم أن

---

(١) المغيث الأيوبى (٦٤٢ هـ = ١٢٤٤م). عمر المغيث جلال الدين بن أيوب الصالح بن محمد الكامل بن العادل الأيوبى: من أمراء هذه الدولة، كان نائب دمشق وتوفى بها. انظر ترويح القلوب ٨٣، شذرات النهب١ ٥/ ٢١٥، الأعلام ٤٢/ ٥.

(٢) توارن شاه (المعظم غياث الدين بن الصالح أيوب). (... - ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م). تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، بن الملك الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر، وآخرهم، وثالث من سمى الملك المعظم منهم وحد ملوك حصن كيفا كانت إقامته فى حصن كيفا بديار بكر نائبا عن أبيه. ولما توفى أبوه سنة ٦٤٧هـ وكتمت شجرة الدر خبر موته ، استدعته، فجاء إلى مصر، والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب المنصورة فلبس خلعة السلطان بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه ، وقاتل الفرنج، فهزمهم واسترد دمياط ثم تنكر لشجرة الدر، فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه فى فارسكور ومدة سلطته نحو ٤٠ يوما لم يدخل فيها القاهرة ولم يجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وبمقتله انقرضت دولة بنى أيوب بمصر ومدتها نحو ٨٦ سنة. انظر بن إياس ١: ٨٥ وابن الوردى ٢: ١٨١ وابن شاكرا ١: ٩٧ وفيه ما يخالف رواية غيره ما فهو يذكر أن الملك المعظم ساءت سيرته مع المماليك البحرية فقتلوه، ولا يذكر شجرة الدر، ويقول: إن مدة بنى أيوب بمصر ٨١ سنة ومرآة الزمان ٨٠٠: ٧٨١ وفيه : كان إذا سكر يجمع الشموع ويضرب رءوسها بالسيف يقول هكذا أفعل بالبحرية يعنى المماليك الذين قتلوه بعد ذلك ومثلوا به: ومحلة المجمع العالمى ١٦: ٣٠٨.

يجروا معه على ما كانوا عليه مع أبيه الملك الكامل - من إقامة الخطبة له على منابر حلب، وأن تضرب له السكة - فلم يجب إلى ذلك، وقدم رسول غياث الدين كيخسرو ملك الروم، فزوج غازية خاتون ابنة العزيز السلطان غياث الدين، وأنكح الملك الناصر - صاحب حلب - أخت السلطان غياث الدين، وتولى العقد الصاحب كمال الدين بن أبي جرادة بن العديم، وخرج فى الرسالة إلى بلاد الروم، وعقد للملك الناصر صاحب حلب على ملكة خاتون أخت السلطان غياث الدين، فبعث غياث الدين رسولا إلى حلب، فأقيمت له بها الخطبة، وخرج الملك الجواد من دمشق فى أول ذى الحجة، يريد محاربة الناصر داود صاحب كرك، بأذنبا بالقرب من نابلس فانكسر الناصر كسرة قبيحة، فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة، وانهزم إلى الكرك. فغنم الجواد ما كان مه، وعاد إلى دمشق، وفرق ستمائة ألف دينار وخمسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى المغانى. وعاد من كان فى دمشق من عسكر مصر ومعهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ - إلى القاهرة، بسناجق الناصر، فى سادس عشرى ذى الحجة، فلم يعجب الملك العادل ذلك، وخاف من تمكن الملك الجواد.

وفيها قصد التتار بغداد، فبعث إليهم الخليفة جيشا، قتل كثيرا منه، وفر من بقى .

وفيها مات قاضى القضاة بدمشق وهو شمس الدين أبو البركات يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن بنى الدولة الشافعى، فى خامس ذى القعدة فأعيد فى سابعه قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويى، ورتب مراكز الشهود - وكانوا أولا بدمشق وراقين يورقون المكاتيب وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا إلى بيوت العدول، فيشهدونهم على ما يريدون؛ واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة ومصر بهم.

وفيها تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموى قضاء العسكر ونقابة الأشراف بديار مصر، وقرئ سجله بجامع مصر، بحضرة الأمير جمال الدين موسى ابن يغمور والفلك المسيرى.

وفيها بطلت الفلوس.

وفيها سار الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول من اليمن يريد مكة، فأحرق الأمير أسد الدين جغريل ما كان معه من الأثقال، وخرج هو ومن معه من مكة فى سابع شهر رجب، قبل وصول ملك اليمن بيومين، فالتقوا بين مكة والسرين، فانهزم العرب أصحاب الشريف راجح، وأسر الأمير شهاب الدين بن عدان من أمراء

اليمن، فقيده الأمير جغريل، وحث به إلى القاهرة، وسار هو إلى المدينة النبوية فبلغه موت السلطان الملك الكامل، فسار بمن معه إلى القاهرة، فدخلوها أثناء شهر شعبان متفرقين، وأقام عسكر اليمن بمكة.

* * *

سنة ست وثلاثين وستمائة[1]

فيها قبض الملك الجواد على صفى الدين بن مرزوق، وأخذ منه أربعمائة ألف دينار، وسجنه بقلعة حمص، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء، وأقام الجواد بمشق خادما لزوجته يقال له الناصح، فصادر الناس، وأخذ منهم مالا كثيرا، وقبض الملك الجواد على عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، ثم خاف من أخيه فخر الدين، وقلق من ملك دمشق، وقال: إيش أعمل بالملك باز؟ وكلب أحب إلى من هذا» ثم خرج إلى الصيد، وكاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، على أن يعوضه عن دمشق بحصن كيفا وسنجار، فسر الصالح بذلك وتحرك للمسير إلى دمشق.

وفيها قدم رسول ملك الروم إلى القاهرة بالعزاء للملك العادل.

وفيها أفرج أهل حلب عن حصار حماة، بعد ما ضاق الأمر على المظفر صاحب حماة، عنه رحلوا عناهم قلعة بارين وكانت حصينة.

وفيها استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل، لتقريبه الشباب والترابى، وإعطائهم الأموال والإقطاعات، والاقتداء بآرائهم، ولكثرة تحجبه، واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة. فطمع الناصر داود صاحب الكرك فى ملك مصر، فسار إليها ومعه تقادم فاخرة: ما بين جوارى جنكيات، وعوديات ورقاصات، وأوانى للشرب بديعة، فخرج العادل إلى لقائه فى ثامن شوال ، وأكرمه، وقدم له الناصر ما انتخبه له من الجوارى والأوانى وغيرها، فصادف منه الغرض، ووضه عنه بأمثاله. ولازم الناصر القيام بخدمه العادل والإقامة فى بابه: فتارة يعمل حاجب الباب، وتارة أستادارا، وتارة دوادارا؛ ليدخل فى كل وقت عليه، ويتوصل متى شاء إليه، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل إلى جهته، فلما تمكن الناصر داود منه أوهمه من الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، بأنه قد اتفق مع الملك المعز مجير الدين يعقوب، وأمال إليه عدة من الأمراء وحسن له القبض عليه، فانخدع له الملك العادل، وقبض على فخر الدين واعتقله بقلعة الجبل، وأخرج عمه الملك المعز من أرض مصر، ومعه أخوه الأمجد تقى الدين عباس، فلما تم للناصر ما أراد خيل العادل من الملك الجواد نائبه على دمشق، بأن الأمراء قد مالت إليه، وقام بأمره الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبلغ ذلك

---

(1) ٦٣٦هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهراة ٢٧٧ - ٢٧٩/ ٦، تاريخ ابن الوردى ٢٣٩/ ٢.

العماد، فخاف أن يتفق عليه ما اتفق على أخيه، واجتمع بالملك العادل، والتزم له بإحضار الملك الجواد إلى طاعته بمصر، فسيره العادل من القاهرة؛ ليحضر الملك الجواد من دمشق؛ فأكرمه الجواد، وأخذ العماد فى التحدث معه فى المسير إلى الملك العادل، فسوَّف به وماطله، حتى فطن العماد بامتناعه؛ فأحضر حينئذ الولاة والمشدين والنواب والدواوين بدمشق وأعمالها، وقال لهم: «قد عزل السلطان الملك العادل الجواد عن نيابة دمشق، فلا تدفعوا إليه مالا، ولا تقبلوا له قولا، فعز ذلك على الملك الجواد، ووكل بعماد الدين، وسجنه بقلعة دمشق، وتقرر الأمر بين الملك الجواد وبين المجاهد، صاحب حمص، أن يكونا يدا واحدة؛ ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلج، نائب الملك الجواد بدمشق، فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا قتل العماد بن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية فى ذلك، ودفعوا إليهم مالا وقربة، فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع، فى سادس عشرى جمادى الأولى، وأشيع أنهما غلطا فى قتله، وإنما كانا يريدان قتل الملك الجواد ، فإنه كان كثير الشبه به فبلغ ذلك الملك العادل فشق عليه.

وفى العشرين من شوال: ورد الخبر بوصول عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب، صحبة ولده الملك المغيث جلال الدين عمر، إلى جينين فجمع الملك العادل والملك الناصر الأمراء وتحالفوا على قتال الصالح، وخرج الناصر داود من القاهرة، فى تاسع ذى القعدة؛ لقتال الصالح، وجهز العادل جماعة من الأمراء، وعدة من العساكر بديار مصر؛ لتأخذ دمشق، وقدم الملك العادل إلى الملك الجواد رسولا بكتاب فيه أنه يعطيه قلعة الشوبك وبلادها، وثغر الإسكندرية، وأعمال البحيرة وقليوب، وعشر قرى من بلاد الجيزة بديار مصر، لينزل عن نيابة السلطنة بدمشق، ويحضر إلى قلعة الجبل، ليعمل برأيه فى أمور الدولة، فلما ورد ذلك أوهمه نائبه عماد الدين قلج من أنه متى دخل مصر، قبض عليه الملك العادل، وسلبه أولاد عماد الدين بن شيخ الشيوخ بدمه، فامتنع من تسليم دمشق، فبرز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق، يوم الثلاثاء سلخ ذى الحجة، ونزل بلبيس، فخاف الجواد، وعلم عجزه عن مقاومة العادل، فبعث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله المشهور بابن العديم العقيلى، و ابن طلحة خطيب جامع دمشق إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب- صاحب حصن كيفا وديار بكر وغيرها من بلاد الشرق - يطلب منه أن يتسلم دمشق، ويعوضه عنها سنجار والرقة وعانة، فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع، وأجابه إليه، وزاده الجديدة، وحلف له على الوفاء، ورتب الملك الصالح ابنه الملك المعظم توران شاه على بلاد الشرق، وألزمه بحصن كيفا، وأقام نوابا بآمد وديار بكر، وسلم حران والرها وجميع البلاد

للخوارزمية الذين فى خدمته، وطلب نجدة من الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد صالحه - فبعث إليه بدر الدين نجدة، وسار الملك الصالح من الشرق يريد دمشق، فقطع الجواد اسم الملك العادل من الخطبة، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وضرب السكة باسمه، ودخل الصالح إلى دمشق، فى مستهل جمادى الأولى، ومعه الجواد بين يديه بالناشية، وقد ندم الجواد على ما كان منه، وأراد أن يستدرك الفائت فلم يقدر، وخرج من دمشق والناس تلعنه فى وجهه، لسوء أثره فيهم، وبعث الصالح إليه برد أموال الناس إليهم، فأبى وسار.

وكان قد وصل مع الصالح أيضا الملك المظفر صاحب حماة، وقد تلقاه الجواد، فكان دخوله يوما مشهودا، فاستقر فى قلعة دمشق، وخرج الجواد إلى بلاده، فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوما، صرف فيها الأموال التى كانت فى خزائن الملك الكامل كلها، وكانت تزيد على ستمائة ألف دينار مصرية، سوى القماش وغيره، وسوى ما ظلم فيه الناس من التجار والكتاب، وسوى ما أخذه من صفى الدين ابن مرزوق لما صادره، وكان ينيف على خمسمائة ألف دينار، فلما استقر الملك الصالح بدمشق سار المظفر إلى حماة، وقدمت الخوارزمية، فنازلوا مدينة حمص - وهو معهم - مدة ثم فارقوها بغير طائل، وعادوا إلى بلادهم بالشرق. وقد زوج الملك الصالح أخته من أمه، وأبوها الفارس قليب مملوك أبيه الملك الكامل، لمقدم الخوارزمية الأمير حسام الدين بركة خان، وفى أثناء ذلك تواترت رسل المظفر صاحب حماة إلى الملك الصالح يستحثه على قصد حمص، وكتب الأمر من مصر تستدعيه إلى القاهرة، وتعده بالقيام بتصرفه، فبرز الملك الصالح من دمشق إلى البثنية، وكانت الخوارزمية، وصاحب حماة، على حصار حمص، فأرسل المجاهد أسد الدين شيركوه مالا كثيرا فرقه فى الخوارزمية، فرحلوا عنه إلى الشرق، ورحل صاحب حماة إلى حماة، وعاد الملك الصالح إلى دمشق طالبا مصر، وخرج منها إلى الخربة وعيَّد بها عيد الفطر، وعسكر تحت ثنية العقاب، وقد تحير فلا يدرى أيذهب إلى حمص أم إلى مصر، وما زال بمعسكره إلى أول شهر رمضان فعاد إلى دمشق وتقدم إلى الأمير حسام الدين أبى على بن محمد بن أبى على الهذبانى، أستاداره بدمشق، أن يرحل بطائفة من العسكر إلى جينين، فرحل، ولم يزل هو تحت عقبة الكرسى، على بحيرة طبربة، إلى آخر رمضان.

فلما وردت الأخبار بحركة الملك الصالح إلى القاهرة، خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميرا - منهم الأمير نور الدين على بن فخر الدين عثمان الأستادار، والأمير علاء الدين ابن الشهاب أحمد، والأمير عز الدين أيبك الكربدى العادلى، والأمير عز الدين

بلبان والأمير حسام الدين لؤلؤ المسعودى، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمى، والأمير عز الدين قضيب البان العادل، والأمير شمس الدين سنقر الدنيسرى - فى عدة كبيرة من أتباعهم وأجنادهم، وخلق من مقدمى الحلقة والمماليك السلطانية، وساروا يريدون الملك الصالح بدمشق.

وذلك أن الملك العادل تقدم بتوجه العسكر إلى الساحل، وقدم عليه الركن الهيجارى وأنفق فيهم، فلما نزلوا بلبيس اختلفوا، وخامر جمعة من الأمراء على العادل، وعزموا على المسير إلى الملك الصالح، فبعث العادل إليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وبهاء الدين مليكيشو، ليطيب خواطرهم، فلم يجيبوا، وخرج من القاهرة عدة من الحلقة، ومعهم طائفة، ومنعوا من غلق باب النصر، وساروا طائفة بعد طائفة على حمية، فبطق العادل إلى من بقى معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببلبيس، قبل قدوم هؤلاء عليهم، فاقتتل الأكراد مع الأتراك ببلبيس، و انكسر الأتراك المخامرون وأخذ منهم أمير، وانهزم باقيهم وهم فى طلبهم إلى ناحية سُنَيِّكسة. فلحق بهم من خرج من الحلقة ومضوا جميعا إلى تل العجول، وعادت الخزانة التى كانت معهم سالمة إلى القاهرة، ثم بعثوا يطلبون من العادل العفو، فأمنهم وحلف لهم، فلم يرجعوا، وساروا إلى الملك الصالح، فلما بلغوا غزة أمر الملك الصالح أستاداره بالعود إلى خربة اللصوص، وخرج هو ببقية عسكره من دمشق، لليلتين بقيتا من شهر رمضان، ونزل الملك الصالح الخربة، ووصل الأمير نور الدين بن فخر الدين بمن معه، فسر بهم سرورا كثيرا، وأخذوا فى تقوية عزمه على قصد مصر، فرحل واستولى على نابلس والأغوار. وأعمال القدس والسواحل، وبعث ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق، وأقطع من قدم عليه من أمراء مصر نابلس وأعمالها؛ ليتقووا بمغلها، فخرج الناصر داود من مصر، وصار إلى الكرك، فانزعج الملك العادل وأمه لقدوم الصالح انزعاجا عظيما، وخافاه خوفا كبيرا، واضطربت مصر اضطرابا زائدا، وخرج فخر القضاة نجم الدين بن بصاقة فى الرسالة إلى الملك الصالح من الكرك عن الناصر داود بأنه فى نصرة الملك الصالح ومعاونته، ويسأله دمشق وجميع ما كان لأبيه؛ فلم تقع موافقة على ذلك، فسار الناصر إلى الملك العادل، ونزل بدار الوزراة من القاهرة؛ ليعينه على محاربة أخيه الملك الصالح، فقدم فى ذى الحجة الصاحب محيى الدين بن الجوزى برسالة الخليفة إلى الملك الصالح؛ ليصالح أخاه الملك العادل فأجل الملك الصالح قدومه إجلالا كثيرا ومع ذلك فإن كتب الأمراء- وغيرهم - ترد فى كل قليل على الملك الصالح من مصر، تعده بالقيام معه، وأن البلاد فى يده، لاتفاق الكلمة على سلطنته.

وفيها مات المنصور ناصر الدين أرتق بن أرسلان التركمانى الأرتقى، صاحب ماردين، قتله ابنه وهو سكران، واستولى بعده على ماردين.

وفيها وقعت بين جرم وجذام وثعلبة بالشرقية حروب قتل فيها كثير منهم، وقتل شيخهم شمخ بن نجم فجرد الملك العادل إليهم الأمير بهاء الدين بن ملكيشو؛ ليصلح بينهم، وكان السلطان فى بلبيس، قد خرج فى سلخ ذى الحجة من قلعة الجبل، بعساكر مصر.

* * *

سنة سبع وثلاثين وستمائة

أهلت والملك العادل على بلبيس بعساكره يريد الشام؛ لمحاربة أخيه الملك الصالح، فأقام على بلبيس، فقصد الأمراء القبض عليه، وعمل بعضهم دعوة، وحضر إليه العادل، ففطن بما هم عليه، فقام و دخل الخريشته لقضاء الحاجة، وخرج من ظهر الخريشته، وركب فرسا وساق إلى القلعة فبعث إليه الأمراء يطلبونه، فأظهر أنه ما دخل القاهرة إلا لكسرة الخليج، وأنه سيعود إليهم ثم ألجأته الضرورة حتى خرج إلى العباسة فى رابع عشرى المحرم، وقبض على جماعة من الأمراء.

وفى نصف صفر: توجه الناصر داود من العباسة إلى الكرك، وصحبته الأمير سيف الدين على بن قلج، وجماعة من أمراء مصر، فبلغ العادل عن فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أنه يكاتب الصالح، فقبض عليه واعتقله، هذا ومحيى الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى أخذ فى الإصلاح بين الملوك، على أن تكون دمشق للصالح نجم الدين أيوب، ومصر للعادل، وأن يرد إلى الناصر داود ما أخذ من بلاده، وكان محيى الدين بن الجوزى مقيما عند الصالح، وابنه شرف الدين يتردد من نابلس إلى مصر فى السفارة، حتى تقارب الأمر. ثم قدم محيى الدين إلى مصر، ومعه جمال الدين يحيى بن مطروح، ناظر ديوان الجيوش للملك الصالح، فأديا الرسالة، وأقاما عند الملك العادل، وكان قد أخذ الصالح يكاتب عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل فى الوصول إليه بنابلس، وبعث إليه الطبيب سعد الدين الدمشقى، ومعه حمام ليسرح إليه بالبطائق على جناحها ما يتجدد فاتفق أمر عجيب: وهو أنه لما وصل سعد الدين إلى قلعة بعلبك أنزل الصالح عماد الدين إسماعيل بدار، وبدل عرض الحمام الذى فى قفص سعد الدين بحمام آخر، من حمام القلعة ببعلبك، وأخذ الصالح عماد الدين فى التدبير على أخذ دمشق، وانتزاعها من يد ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ وأرسل جواسيسه سرا إلى ابن أخيه الملك العادل، بما عزم عليه من أخذ دمشق، وأنه منتم إليه وفى طاعته، وإذا ملك دمشق خطب له على منابرها، وضرب السكة باسمه، وكتب الصالح عماد الدين إسماعيل أيضا إلى المجاهد - صاحب حمص - فى معاونته، وهو يواصل كتبه مع ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين، يعده بالوصول إلى نصرته، وشرع الصالح عماد الدين فى جمع الرجال، ففطن بذلك الطبيب سعد الدين، وكتب البطائق على أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الملك

الصالح نجم الدين، فكان كلما سرح سعد الدين منها طائرا وقع فى برجه بقلعة بعلبك، فأتى به البَّراج إلى الملك الصالح عماد الدين، ثم إن الصالح عماد الدين زور بطاقة عن الطبيب سعد الدين، فيها «إن المولى الملك الصالح عماد الدين فى الاهتمام للمسير إلى المعسكر المنصور، وإنه باق على الطاعة» وسرح هذه البطاقة المزورة على جناح طائرة من الطيور التى وصلت مع الطبيب سعد الدين، فلما وقف عليها الملك الصالح نجم الدين، ظن أنها من عند رسوله، فطاب قلبه، ووالى الصالح عماد الدين إرسال البطائق المزورة، وكلما سرح الطبيب طائرا ببطاقة وقع فى قلعة بعلبك، فيصل إلى الصالح عماد الدين.

واتفق مع ذلك أمر آخر من عجيب ما يجرى: وهو أن المظفر صاحب حماة كان منتميا إلى الصالح نجم الدين، ومهتما بنصرته، ويخطب له فى بلاده، وكان الحلبيون والمجاهد صاحب حمص معاندين له، ومساعدين عليه فعلم المظفر صاحب حماة ما عليه خاله الصالح عماد الدين - صاحب بعلبك - من قصد دمشق، وموافقة المجاهد صاحب حمص له، وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين أيوب على نابلس، وهم خمسة آلاف، وليس بدمشق من يحفظها؛ فخاف الملك المظفر صاحب حماة على دمشق، وباطن الأمير سيف الدين على بن أبى على الهذبانى على أنه يظهر الحرد عليه وفارقه، ويوهم أكابر البلد بأن المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج؛ لما حصل عنده من الغبن من المجاورين له، وأخذ بلاده منه، وقصد المظفر بهذه الحيلة مكيدة صاحب حمص، وأن الأمير سيف الدين إذا ذهب بالعسكر وأكابر الرعية إلى دمشق أقاموا بها وحفظوها، حتى يتوجه الملك الصالح إلى مصر، أو يعود إلى دمشق، فأظهر سيف الدين الغضب على المظفر، وأخذ قطعة من العسكر، ومن أكابر حماة، وخرج فسار حتى نزل على حمص، عند بحيرة قدس فلم يخف على المجاهد صاحب حمص ما دبره المظفر من مكيدته، وخرج من حمص، وبعث إلى الأمير سيف الدين يريد الاجتماع به، فأتاه سيف الدين منفردا؛ وأعلمه بأنه كره مجاورة المظفر، لما هو عليه من الميل للفرنج، والعزم على تسليمهم حماة، فأظهر له الملك المجاهد البشر ولاطفه، واستدعاه إلى ضيافته بداخل حمص، فلما صار به إلى القلعة، استدعى أصحابه لينزلوا فى البلد، فدخل بعضهم وامتنع بعضهم من الدخول إلى حمص، فلما تمكن المجاهد من الأمير سيف الدين قبض عليه، واعتقله هو ومن دخل من أصحابه، وفر الباقون، فعاقب المجاهد من صار فى قبضته أشد العقوبة، واستصفى أموالهم، ومازال بسيف الدين حتى هلك فضعف المظفر لتلف رجال عسكره.

وسار الصالح عماد الدين - ومعه المجاهد - إلى دمشق فى جمع كبير، وأخذاها وأظهرا طاعة الملك العادل صاحب مصر، وكان ذلك فى سابع عشرى صفر، ثم ملكا قلعة دمشق، واعتقلا المغيث بن الصالح نجم الدين، فبلغ ذلك الصالح وهو بنابلس، فكتم الخبر، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبى على الهذبانى أستاداره فى جماعة، وسار بعده يريد دمشق، فلما وصل ابن أبى على إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح - وقد نزل بيسان - فأعلمه الخبر، وسار معه حتى وصل القصير المعينى من النور فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق، فورود مكاتبات الصالح عماد الدين إليهم؛ باستمالتهم إليه، ففسدت نياتهم، وطمعوا فى الملك الصالح نجم الدين؛ لتلاشى أمره، وفارقوه، فبقى الصالح نجم الدين فى دون المائة من أمرائه وأجناده، وتركه من كان معه من أهل بيته وأقاربه، وتركه أيضا بدر الدين قاضى سنجار - وكان أخص أصحابه، وصاروا كلهم إلى دمشق، وقد أيسوا من أن يقوم بعدها للصالح (نجم الدين) قائمة، وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبى على أستادراه، وزين الدين أمير جانداره، وشهاب الدين بن سعد الدين كوجبا - وكان أبوه سعد الدين ابن عمة الملك الكامل - والأمير شهاب الدين البواشقى، ونحو الثمانين من مماليكه، وثبت معه أيضا كاتبه بهاء الدين زهير، وهرب الطواشى شهاب الدين فاخر، وأخذ معه شيئا كثيرا من قماش الصالح، وعدة من مماليكه الصغار وغلمانه، وصار مع من لحق بدمشق، ففت فى عضد الصالح مفارقة العسكر له، وأيقن بزوال أمره ورحل فى الليل، فلقيه طائفة من العربان يريدون أخذه، فحاربهم بمن معه، حتى خلص منهم إلى نابلس، فنزل بظاهرها، ولما وصل العسكر المخامر على الصالح نجم الدين إلى دمشق، قبض الملك الصالح عماد الدين على أخويه الملك المعز مجير الدين يعقوب والملك الأمجد تقى الدين عباس، واعتقل الأمراء المصريين أيضا: وهم عز الدين أيبك الكردى، وعز الدين قضيب البان، وسنقر الدينسرى، وبلبان المجاهدى، وتوجه نور الدين بن عثمان إلى بغداد، واتفق تغير الملك العادل على الناصر داود، ففارقه من بلبيس - وصحبته الأمير سيف الدين على بن قلج - وسار إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعده النصرة، وكان ذلك خدعة منه ثم سار الناصر إلى نابلس بعساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه بعد ما صار وحده، وأركبه على بلغة فى إهانة، بغير مهماز ولا مقرعة، فى ليلة السبت ثانى عشر ربيع الأول، وبعث الناصر به إلى الكرك، ولم يترك معه غير مملوك واحد، يقال له ركن الدين بيبرس، وبعث معه جاريته شجر الدر[1] أم ولده

---

(١) شجرة الدر (.. - ٦٥٥ هـ ..= ١٢٥٧م). شجرة الدر الصالحية، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين ملكة مصر: أهلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب: اشتراها فى أيام أبيه وحظيت=

خليل، وأنزله بالقلعة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه بحيث لم يختل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط، وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود، هو وجماعة المماليك، بعد ما خيرهم فاختاروا الإقامة عنده وطلب الأمير حسام الدين بن أبى على، وزين الدين أمير جاندار من الناصر المسير إلى دمشق فسيرهما، وعندما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين.

وفى سابع عشر ربيع الأول: عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن [......].(1)

الهبجاوى على جماعة؛ لحفظ الساحل، فلما بلغ الملك العادل ما جرى على أخيه - من أخذه ذليلا، ونهب أحر، وسجنه بالكرك - سره ذلك سرورا كثيرا، وظن أنه قد أمن، ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وعمل سماطا عظيما فى الميدان الأسود تحت قلعة الجبل، وعمل قصورا من حلوى، وأحواضا من سكر وليمون، وألفا وخمسمائة رأس شواء، ومثلها طعاما؛ فكان ما عمل من السكر ألف وخمسمائة أبلوجة، ونادى الملك العادل فى العامة بالحضور إلى السماط، فحضر الجليل والحقير، وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك.

ولم يقنع الملك العادل بسجن أخيه، حتى أنه بعث الأمير علاء الدين بن النابلس إلى الناصر داود، يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح فى قفص حديد تحت الاحتفاظ، ويبذل له فى مقابلة إرساله أربعمائة ألف دينار و دمشق؛ وحلف على ذلك أيمانا عظيمة، فلما وصل الكاتب إلى الناصر أوقف عليه الملك الصالح، و أدخل إليه بالقاصد الذى أحضره، ثم كتب الناصر إلى الملك العادل: «وصل كتاب السلطان، وهو يطلب أخاه إلى عنده فى قفص حديد، وأنك تعطينى أربعمائة ألف دينار مصرية، وتأخذ دمشق ممن هى بيده، وتعطينى إياها، فأما الذهب فهو عندك كثير، وأما دمشق فإذا أخذتها ممن هى معه، وسلمتها إلى، سلمت أخاك إليك، وهذا جوابى والسلام». فلما ورد هذا الجواب على الملك العادل أمر بتجهيز العساكر؛ ليخرج إلى الشام، وخرج محيى الدين بن الجرزى من القاهرة، ومعه جمال الدين بن مطروح رسول الصالح نجم

=عنده، وولدت له ابنه خليلا فأعتقها وتزوجها، فكانت معه فى البلاد الشامية، لما كان مستوليا على الشام مدة طويلة ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة كانت فى بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه فى الغزوات. انظر دول الإسلام ٢/ ١٢٢ وابن إياس ١/ ٨٩ ، ٩٢، ٩٣ وخطط مبارك ٥/ ٣٢ وتراجم إسلامية ٦١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٧٤، ٧٧٥ و، ٧٨٢، و ٧٨٣ وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٨. والأعلام ٣/ ١٥٨

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

الدين، وكان قد استجار به بعدما قبض على الصالح نجم الدين وسجن بالكرك، وكتب الناصر داود إلى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوس عنده بالكرك:

وإذا مسك الزمان بضر   عظمت عنده الخطوب وجلت
وتوالت منه نوائب أخرى   سئمت عندها النفوس وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الأماني   فالرزايا إذا توالت تولت

وهذه الأبيات لغيره، فكتب إليه الصالح نجم الدين أيوب يشكره، وكتب فيما كتب أبيات شمس المعالى قابوس وشمكير:

قل للذى بصروف الدهر عيرنا   هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف   ويستقر بأقصى قعره الدرر
وإن تكن عبثت أيدى الزمان بنا   وما لنا من تمادى بؤسه ضرر
ففى السماء نجوم لا عداد لها   وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وازداد فيها الرشيد النابلسى:

وكم على الأرض من خضراء مورقة   وليس يرجم إلا ما له ثمر

وفى أثناء هذا الاختلاف بين الملوك عمر الفرنج فى القدس قلعة، وجعلوا برج داود أحد أبراجها، وكان قد تُرِكَ لما خرب الملك المعظم أسوار القدس، فلما بلغ الناصر داود عمارة هذه القلعة سار إلى القدس، ورمى عليها بالمجانيق حتى أخذها، بعد أحد وعشرين يوما - فى يوم تاسع جمادى الأولى - عنوة بمن معه من عسكر مصر، وتأخر أخذ برج داود إلى خامس عشره فأخذ من الفرنج صلحا على أنفسهم دون أموالهم، وعمر الناصر برج داود، واستولى على القدس، وأخرج منه الفرنج. فساروا إلى بلادهم، واتفق يوم فتح القدس وصول محيى الدين بن الجوزى إلى الملك الناصر داود، ومعه جمال الدين بن مطروح، فقال جمال الدين بن مطروح يمدح الملك الناصر داود، ويذكر مضاهاته لعمه الناصر صلاح الدين يوسف[1] فى فتح القدس، مع اشتاركهما

---

(١) الملك الناصر (٦٢٧ - ٦٥٩ هـ = ١٢٣٠ - ١٢٦١م). يوسف الناصر، بن محمد العزيز، ابن الظاهر غازى بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: آخر ملوك بنى أيوب ولد بقلعة، ولى الملك بعد وفاة والده (سنة ٦٣٤ هـ) وعمر نحو سبع سنين، فقام وزراء أبيه بتدبير مملكته لا يمضون أمرا قبل الرجوع إلى جدته الصاحبة ضيفة خاتون أخت الملك الكامل ، إلى أن توفيت (سنة ٦٤٠هـ) فجلس يوسف فى دار العدل، وأمر ونهى، وعمره ١٣ سنة . وأضاف إلى دولة حلب بلاد الجزيرة وحران والرها والرقة ورأس عين وحمص، ثم دمشق (سنة ٦٤٨هـ)، وأطاعه صاحب الموصل وماردين. انظر أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣ ومرآة الجنان ٤/ ١٥١ والقلائد الجوهرية ٨٨ وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٩ وذيل مرآة الزمان ١/ ٤٦ و ٢/ ١٣٤. والأعلام ٨/ ٢٥٠.

فى اللقب والفعل، وهو معنى لطيف مليح:

المسجد الأقصى له عادة ... سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا بالكفر مستوطنا ... أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا ... وناصر طهره آخرا

وفى يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول: وقع بين الفرنج وبين العسكر المصرى المقيم بالساحل حرب، انكسر فيها الفرنج، وأخذ من الفرنج ملوكهم وأكنادهم، وثمانون فارسا، ومائتان وخمسون راجلا - وصلوا إلى القاهرة، وقتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشر، ثم سار ابن الجوزى إلى دمشق، وحاول إصلاح الحال بين الصالح عماد الدين وبين الناصر داود وبين الملك العادل، فلم يتأت له ذلك، فعاد إلى القاهرة فى رمضان، وقد وصل الملك ابن سنقر بخلعة الملك العادل وابنه، وأمه وامرأته وكاتبه ، ونزل ابن مطروح عند المظفر بحماة، فبعثه فى الرسالة إلى الخوارزمية بالشرق، يستحثهم على القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين، واستصحب معه أيضا رسالة الناصر داود، ومنه: «إنى لم أترك الملك الصالح بالكرك إلا صيانة لمهجته، خوفا عليه من أخيه الملك العادل، ومن عمه الملك الصالح عماد الدين، وسأخرجه وأملكه البلاد، فتحركوا على بلاد حلب، وبلاد حمص». فسار إليهم ابن مطروح وقضى الأمر معهم، وعاد إلى حماة، فاتفق موت الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه - صاحب حمص - يوم التاسع عشر من شهر رجب، فكانت مدة ملكه بحمص نحوا من ست وخمسين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم، واتفق مع الصالح عماد الدين على المعاضدة، فصار الناصر داود مواحشا للملك العادل، بسبب أنه لم يوافقه على أخذ دمشق، والملك العادل مواحشه؛ لأنه لم يسلمه الملك الصالح نجم الدين، والناصر أيضا مواحش للصالح عماد الدين، ويهدده بأنه يطلق الملك الصالح نجم الدين، ويقوم معه فى أخذ البلاد، والمظفر صاحب حماة لا يخطب للعادل من حين قطع الخطبة للصالح نجم الدين؛ لميله إلى الصالح نجم الدين.

فلما دخل شهر رمضان: سير المظفر القاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبى الدم - قاضى حماة - رسولا إلى الملك العادل بمصر، وحمله فى الباطن رسالة إلى الناصر داود بالكرك، أن يطلق الصالح نجم الدين، ويساعده على أخذ البلاد، فبلغ القاضى شهاب الدين الملك الناصر ذلك، وتوجه إلى مصر، فأفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين، فى سابع عشر من رمضان، واستدعاه إليه وهو بنابلس، فلما

قدم عليه التقاه وأجله، وضرب له دهليز السلطنة، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه الذين كانوا عند الناصر: منهم الأمير شهاب الدين بن كعب كوجبا، وشهاب الدين الغرس، وكاتبه بهاء الدين زهير، وتقدم الناصر للخطيب بنابلس فى يوم عيد الفطر، فدعا الملك الصالح، وأشاع ذكره، وسار الناصر داود والصالح نجم الدين إلى القدس وتحالفا على أن تكون ديار مصر للملك الصالح، والشام والشرق للناصر، وأن يعطيه مائتى ألف دينار، فكانت مدة اعتقال الملك الصالح سبعة أشهر و أياما، ثم سارا إلى غزة، فورد الخبر بذلك على الملك العادل بمصر، فانزعج وأمر بخروج الدهليز السلطانى والعساكر، و برز إلى بلبيس فى نصف ذى العقدة، وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج بعساكر دمشق، فخرج الصالح عماد الدين بعساكره إلى الغوار، فخاف الملك الصالح والملك الناصر من التقاء عساكر مصر والشام عليهما، ورجعا من غزة إلى نابلس؛ ليتحصنا بالكرك، وكان الملك العادل قد شره فى اللعب، وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو، حتى حسبت نفقاته فى هذا الوجه خاصة، فكانت ستة آلاف ألف وعشرين ألف ألف درهم، و أعطى العادل عبدا أسودا، عمله طشت داره، يعرف بابن كرسون منشورا بخمسين فارسا، فلما خرج به من باب القلة بقلعة الجبل وجده الأمير ركن الدين الهيجارى، أحد الأمراء الأكابر، فأراه المنشور، فحنق ومكة فى وجهه، وأخذ منه المنشور، وصار بين الأمراء وبين الملك العادل وحشة شديدة، ونفرة عظيمة، واتفق ما تقدم ذكره إلى أن نزل العادل ببلبيس، فقام الأمير عز الدين أيبك الأسمر - مقدم الأشرفية - وباطن عدة من الأمراء والمماليك الأشرفية على خلع العادل والقبض عليه، ووافقهم على هذا جوهر التوبى وشمس الخواص - وهما من الخدام الكاملية، وجماعة أخر من الكاملية، وهم مسرور الكاملى، وكافور الفائزى، وركبوا ليلا وأحاطوا بدهليز الملك العادل، ورموه وقبضوا عليه، ووكلوا به من يحفظه فى خيمة، فلم يتحرك أحد لنصرته، إلا أن الأكراد هموا بالقيام له، فمال عليهم الأتراك والخدام ونهبوهم، فانهزم الأكراد إلى القاهرة، ويقال إنه بلغ أيبك الأسمر أن الملك العادل سكر مع شبابه وخواصه، وقال لهم: «عن قليل تشربون من دم أيبك الأسمر وهؤلاء العبيد السوء فلان وفلان» وسماهم فاجتمعوا على خلعه، لاسيما لما طلب ابن كرسون منه أن يسلمه الأمير شجعاع الدين بن بزغش - وإلى قوص- فأمكنه منه وعاقبه أشد عقوبة وتنوع فى عذابه، و لم يقبل فيه شفاعة أحد من الأمراء، وكان الملك العادل قد قربه تقريبا زائدا، حتى كان يقضى عنده الحوائج الجليلة، فأنفت الأنفس من ذلك، وخلع العادل فى يوم الجمعة تاسع شوال، فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وثمانية عشر يوما،

أولها يوم الخمس، وآخرها يوم الخميس تاسع شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة، أسرف فيها إسرافا أفرط فيه، بحيث أن أباه الملك الكامل ترك ما ينيف على ستة آلاف ألف دينار مصرية، وعشرين ألف ألف درهم فرقها كلها، وكان العادل يحمل المال إلى الأمراء وغيرهم على أقفاص الحمالين، و لم يبق أحد فى دولته إلا وشمله إنعامه، فكانت أيامه بمصر كلها أفراح ومسرات للين جانبه، وكثرة إحسانه، قال الأديب أبو الحسين الجزار فى الملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب:

هو الليث يخشى بأسه كل مجتر ... هو الغيث يرجو جوده كل مجتدى
لقد شاد ملكا أسسه جدوده ... فأصبح ذا ملك أثيل مشيد
وصح به الإسلام حتى لقد غدت ... بسلطانه أهل الحقائق تقتدى
فقل للذى قد شك فى الحق إنما ... أطعنا أبا بكر بأمر محمد

يشير بذلك إلى أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، فإن أباهما الكامل محمدا أقام العادل هذا بمصر، وبعث الصالح أيوب إلى الشرق، وقال البرهان بن الفقيه نصر، لما استقر العادل فى السلطنة بعد أبيه:

قل للذى خاف من مصر وقد أمنت ... ماذا يؤمله منها وخيفته
إن كان قد مات عن مصر محمدها ... فقد أقام أبا بكر خليفته

* * *

السلطان الملك الصالح

أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، لما قبض على أخيه الملك العادل، كان الأمير عز الدين أيبك الأسمر يميل إلى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل - صاحب دمشق - وكانت الخدام والمماليك الكاملية تميل إلى الملك الصالح نجم الدين - وهم الأكثر - فلم يطق عز الدين مخالفتهم، فاتفقوا كلهم، وكتبوا إلى الملك الصالح نجم الدين يستدعونه فأتته كتبهم، وقد بلغ هو والناصر داود الغاية من الخوف وزلزلا زلزالا شديدا، لضعفهما عن مقاومة عساكر مصر والشام، فأتاهما من الفرج ما لم يسمع بمثله، وقاما لوقتهما، وسارا إلى مصر، فلما دخلا الرمل لم ينزلا منزلة إلا وقدم عليهما من أمراء مصر طائفة، حتى نزلا بلبيس، يوم الإثنين تاسع[....][1] بعدما خطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة خامس عشره، ومنذ فارقا غزة تغير الناصر

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

داود على الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتحدث فى قتله، فلما نزلا بلبيس، سكر الملك الناصر، ومضى إلى العادل ، وقال له: «كيف رأيت ما أشرت به عليك، و لم تقبل منى؟» فقال له العادل: «ياخوندا التوبة». فقال الناصر: «طيب قلبك، الساعة أطلقك» ثم جاء الناصر، ودخل على الملك الصالح، ووقف فقال له الصالح: «بسم الله اجلس». قال: «ما أجلس حتى تطلق العادل» فقال له: «أعد»، وهو يكرر الحديث، فما زال به حتى نام، فقام من فوره الملك الصالح، وسار فى الليل ومعه العادل فى محفة، ودخل به إلى القاهرة، واستولى على قلعة الجبل، يوم الجمعة ثالث عشرى شوال، بغير تعب، وجلس الملك الصالح نجم الدين أيوب على سرير الملك، واعتقل العادل ببعض دوره، واستحلف الأمراء، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعة الجبل زينة عظيمة، وسر الناس به سرورا كثيرا، لنجابته وشهامته، ونزل الناصر داود بدار الوزارة من القاهرة، و لم يركب الملك الصالح يوم عيد النحر؛ لما بلغه من خلف العسكر.

وفى ذى الحجة: أحضر الملك الصالح إليه الملك العادل، وسأله عن أشياء، ثم كشف بيت المال والخزانة السلطانية، فلم يجد سوى دينار واحد وألف درهم. وقيل له عما أتلفه أخوه، فطلب القضاة والأمراء الذيم قاموا فى القبض على أخيه، وقال لهم: «لأى شىء قبضتم على سلطانكم؟» فقالوا: «لأنه كان سفيها» فقال: «ياقضاة السفيه يجوز تصرفه فى بيت مال المسلمين؟» قالوا: «لا» قال: «أقسم بالله متى لم تحضروا ما أخذتم من المال، كانت أرواحكم عوضه». فخرجوا وأحضروا إليه سبعمائة ألف وخمسة وثمانين ألف دينار، وألفى ألف وثلاثمائة ألف درهم، ثم أمهلهم قليلا، وقبض عليهم واحد بعد واحد، واستدعى الملك الصالح بالقاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن على بن محمد، المعروف بابن أبى الدم - وكان بمصر منذ قام من عند المظفر صاحب حماة، وبعث به مكرما إلى حماة وخلع على ابن الجوزى رسول الخليفة، وكتب معه إلى الديوان العزيز يشكو منه، وكانت الخلع الخليفتية قد وصلت إلى القاهرة، فلبسها الملك الصالح، ونصب منبرا صعد عليه ابن الجوزى، وقرأ تقليد الملك الصالح، والملك الصالح قائم بين يدى المنبر على قدميه، حتى فرغ من قراءته، وشيع الملك الصالح أيضا الصاحب كمال الدين بن العديم رسول حلب، وتخوف السلطان من الناصر داود؛ لكثرة ما بلغه عنه من اجتماعه بالأمراء سرا، ولأنه سأله أن يعطيه قلعة الشوبك، فامتنع السلطان من ذلك، واستوحش الناصر فطلب الإذن بالرحيل إلى الكرك، فخرج من القاهرة وهو متغيظ، وقد بلغه أن الصالح إسماعيل خرج من دمشق، ووافق الفرنج على أن يسلمهم الساحل، ووصل الفرنج إلى النابلس، وتأول

السلطان أنه ما حلف للناصر بالقدس إلا مكرها، لأنه كان إذ ذاك تحت حكمه وفى طاعته، فلما وصل الناصر إلى الكرك طلب من السلطان ما التزم له به من المال، فحمله إليه، وماطله بتجريد العساكر معه لفتح دمشق، مستندا لما تأوله، وفى أثناء ذلك تحدث الأشرفية بالوثوب على السلطان، فخافهم وامتنع من الركوب فى الموكب مدة، واستوزر السلطان الصاحب معين الدين الحسن بن الشيخ، وسلم إليه أمور المملكة كلها، وهو ببركة الحاج، فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة قبل الظهر، فشرع الصاحب معين الدين فى تدبير المملكة، والنظر فى مصالح البلاد.

وولدت شجر الدر من الملك الصالح ولدا سماه خليلا، ولقبه بالملك المنصور، وعندما نزل الملك الصالح العباسة، فى يوم الحج سابع عشر ذى القعدة، قبض على الركن الهيجارى العادلى فى يوم الإثين ثامن عشره، وبعثه إلى القاهرة.

وفيها زار الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم خطابة دمشق، فى يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر، ولاه الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، وخطب لصاحب الروم.

وفيها قتل عثمان بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة، أمير بنى مرين، وأول من عظم أمره منهم، وغلب على ريف المغرب، ووضع على أهله المغارم، فبايعه أكثر القبائل، وامتدت يده إلى أمصار المغرب، مثل فاس وتازا ومكناسة، وفرض عليها ضرائب تحمل إليه، وقام بعد عثمان أخوه محمد بن عبد الحق.

وفيها قدم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة إلى مكة، فى ألف فارس من عسكر مصر، فبعث ابن رسول ملك اليمن بالشريف راجح وعسكر، ففر شيحة من مكة، وملكها عسكر اليمن.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وستمائة(1)

فيها شرع السلطان الملك الصالح أيوب فى النظر فى مصالح دولته، وتمهيد قواعد مملكته، ونظر فى عمارة أرض مصر، وبعث زين الدين بن أبى زكرى على عسكر إلى الصعيد؛ لقتال العرب، وتتبع من قام فى قبض أخيه الملك العادل، فقبض عليهم، واستصفى أموالهم وقتل عدة منهم، وفر عدة من الأشرفية، وقبض على الأمير عز الدين أيبك الأسمر الأشرفى بالإسكندرية، ونودى بالقاهرة وظواهرها: من أخفى أحدا من الأشرفية نهب ماله. وأغلقت أبواب القاهرة كلها ثلاثة أيام، ما خلا باب زويلة. حرصا على أخذ الأشرفية، فأخذوا وأودعوا السجون، وقبض على جوهر النوبى، وشمس الخواص مسرور بدمياط - وكان من الخدام الكاملية، وممن أعلن على خلع العادل، وقبض على شبل الدولة كافور الفائزى بالشرقية، وسجن بقلعة الجبل، وقبض على جماعة من الأتراك، ومن أجناد الحلقة، وعلى عدة من الأمراء الكاملية. وصار السلطان الملك الصالح أيوب كلما قبض على أمير أعطى خبره لمملوك من مماليكه وقدمه، فبقى معظم أمراء الدولة مماليكه؛ لثقته بهم، واعتماده عليهم، فتمكن أمره وقوى جأشه.

وفى سلخ ربيع الآخر وهو يوم السبت: ولد للملك الصالح نجم الدين أيوب من حظيته ولد ذكر وأحب الصالح أن يبقى له ذكرا، فأمر ببناء قلعة الجزيرة - المعروفة بالروضة - قبالة مصر الفسطاط، وشرع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدئ ببنائها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره.

وفى عاشر ذى القعدة: وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التى كانت بها، و بنى الملك الصالح فيها الدور السلطانية، وشيد أسوارها، وأنفق فيها أموالا تتجاوز الوصف، فلما تكامل بناؤها تحول السلطان من قلعة الجبل إليها، وسكنها بأهله وحرمه ومماليكه، وكان مغرى بالعمائر.

وفيها عاد العسكر الذى قصد المسير إلى اليمن فى رمضان؛ خوفا من المماليك الأشرفية وأتباعهم، وذلك أنهم كانوا قد عزموا على الخروج من القاهرة، ونهب العسكر ببركة الجب فبطل سفرهم، وبعث السلطان منهم ثلاثمائة مملوك إلى مكة؛

---

(1) ٦٣٨هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٠، ٣٠١/ ٦، تاريخ ابن الوردى ٢٤٣/ ٢٠.

لأخذها من أهل اليمن وعليهم الأمير مجد الدين أحمد بن التركماني و الأمير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس، وذلك أن الخبر ورد بأن ملك اليمن بعث جيشا لأخذ مكة، فساروا آخر شهر رمضان، ودخلوا مكة فى أثناء ذى القعدة، ففر من كان بها من أهل اليمن.

وفيها عاد القاضى بدر الدين قاضى سنجار من بلاد الروم، وكان قد توجه إليها برسالة الملك الصالح عماد الدين صاحب دمشق، فبلغه أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر، فخرج من بلاد الروم، وقد عزم ألا يدخل دمشق، فمضى إلى مصياف من بلاد الإسماعيلية، وأخذ يتحيل فى الوصول إلى مصر، فبلغ ذلك الصالح إسماعيل، فأرسل إليه ليحضر، فامتنع من الحضور واستجار بالإسماعيلية، فأجاروه ومنعوا الصالح إسماعيل منه، وأوصلوه إلى حماة فأكرمه المظفر، وأنزله عنده، وكان قد نزل عنده أيضا جمال الدين بن مطروح، فصارت حماة ملجأ لكل من انتمى للسلطان الصالح نجم الدين، ومنها يرد إليه بمصر كل ما يتجدد بالشام والشرق.

وفيها أيس الناصر داود من إعطاء الملك الصالح نجم الدين له دمشق، فانحرف عنه، ومال إلى الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص، واتفقوا جميعا على الصالح نجم الدين.

وفيها أغار الخوارزمية على بلاد قلعة جعبر وبالس[1] ونهبوها، وقتلوا كثيرا من الناس، ففر من بقى إلى حلب ومنبج، واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار، وأخرج منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن نجم الدين أيوب، فسار الجواد إلى الشام، حتى صار فى يد الناصر داود، فقبض عليه بغزة يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة، وبعث به إلى الكرك، وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل، فصاروا نحو الاثنى عشر ألفا، وقصدوا حلب، فخرج إليهم من حلب، فانكسر وقتل أكثره، وغنم الخوارزمية ما معهم، فامتنع الناس بمدينة حلب، وانتهبت أعمال حلب، وفعل فيها كل قبيح من السبى والقتل والتخريب، ووضعوا السيف فى أهل منبج، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس، وخربوا وارتكبوا الفواحش بالنساء فى الجامع علانية، وقتلوا الأطفال وعادوا وقد خرب ما حول حلب، وكان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزبا على الصالح صاحب مصر. فسار المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص، بعساكره وعساكر حلب ودمشق، وقطع الفرات إلى سروج والرها، وأوقع بالخوارزمية،

---

(١) بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة. انظر معجم البلدان ج ١/ ٤٧٧.

وكسرهم واستولى على ما معهم، ومضوا هاربين إلى عانة.

وفيها خاف الصالح عماد الدين من الملك الصالح نجم الدين؛ فكاتب الفرنج، واتفق معهم على معاضدته ومساعدته، ومحاربة صاحب مصر، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها، وقلعة الشقيف وبلادهما، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل، وعزم الصالح عماد الدين على قصد مصر، لما بلغه من القبض على المماليك الأشرفية والخدام ومقدمى الحلقة وبعض الأمراء، وأن من بقى من أمراء مصر خائف على نفسه من السلطان، فتجهز وبعث إلى المنصور صاحب حمص، وإلى الحلبيين وإلى الفرنج يطلب منهم النجدات، وأذن الصالح إسماعيل للفرنج فى دخول دمشق وشراء السلاح، فأكثروا من ابتياع الأسلحة وآلات الحرب من أهل دمشق، فأنكر المسلمون ذلك، ومشى أهل الدين منهم إلى العلماء واستفتوهم، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل، وصار يدعو فى الخطبة بدعاء منه: «اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد، تعز فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه معصيتك»، والناس يضجون بالدعاء. وكان الصالح غائبا عن دمشق، فكوتب بذلك، فورد كتابه بعزل بن عبد السلام عن الخطابة، واعتقاله هو والشيخ أبى عمرو بن الحاجب؛ لأنه كان قد أنكر، فاعتقلا، ثم لما قدم الصالح أفرج عنهما، وألزم بن عبد السلام بملازمة داره، وألا يفتى، ولا يجتمع بأحد ألبتة، فاستأذنه فى صلاة الجمعة، وأن يعبر إليه طبيب أو مزين إذا احتاج إليهما، وأن يعبر الحمام، فأذن له فى ذلك، وولى خطابة دمشق بعد عز الدين عبد السلام، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار، وبرز الصالح من دمشق، ومعه عساكر حمص وحلب وغيرها، وسار حتى نزل بنهر العوجاء، فبلغه أن الناصر داود قد خيم على البلقاء، فسار إليه، وأوقع به، فانكسر الناصر، وانهزم إلى الكرك وأخذ الصالح أثقاله، وأسر جماعة من أصحابه، وعاد إلى العوجاء، وقد قوى ساعده واشتدت شوكته، فبعث يطلب نجدات الفرنج، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف ورحل، ونزل تل العجول فأقام أياما، ولم يستطع عبور مصر، فعاد إلى دمشق، وذلك أن الملك الصالح نجم الدين، لما بلغه حركة الصالح إسماعيل من دمشق ومعه الفرنج، جرد العساكر إلى لقائه، فألقاهم. وعندما تقابل العسكران ساقت عساكر الشام إلى عساكر مصر طائعة، ومالوا جميعا على الفرنج، فهزموهم وأسروا منهم خلقا لا يحصون، وبهؤلاء الأسرى عمر السلطان الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة، والمدارس الصالحية بالقاهرة.

وفيها تم الصلح مع الفرنج، وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الجنود والفرسان والرجالة.

وفي ذى القعدة: كانت وقعة بين أمراء الملك الصالح أيوب المقيمين بغزة، وبين الجواد والناصر، وكسر أصحاب الملك الصالح، وكسر كمال الدين بن الشيخ.

وفيها استقر الصلح بين الملك الصالح والناصر، ورحل الناصر عن غزة بعد قبضه على الجواد.

وفي ذى القعدة: وصل الجواد إلى العباسة ومعه الصالح بن صاحب حمص، فأنعم عليهما الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم يمكنهما من دخول القاهرة فعاد الجواد؟، ولجأ إلى الناصر، فقبض عليه.

وفيها عزل القاضى عبد المهيمن عن حسبة القاهرة، فى تاسع المحرم، واستقر فيها القاضى شرف الدين محمد بن الفقيه عباس، خطيب القلعة.

وفي رابع عشره: شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين فى بناء القنطرة التى على الخليج الكبير، المجاور لبستان الخشاب، التى تعرف اليوم بقنطرة السد، خارج مدينة مصر.

وفي سادس عشره: أمر السلطان الملك الصالح أيوب بتجهيز زرد خاناه وشوانى وحراريق إلى بحر القلزم[١] لقصد اليمن، وجرد جماعة من الأمراء والأجناد بسبب ذلك.

---

(١) بحر القلزم: شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان. انظر معجم البلدان، قال ابن إياس فى ذكر بحر القلزم: أعلم أن هذا البحر فيما عرف فى ناحية ديار مصر بالقلزم، لأنه كان بساحله الغربى فى شرقى أرض مصر مدينة تسمى القلزم، وقد خربت فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة، وهذا البحر إنما هو خليج من البحر الكبير المحيط بالأرض الذى يقال بحر اقيانس، ويعرف أيضًا بحر الظلمات لتكاثف المياه المتصاعدة منه وضعف الشمس عن ساحله، فيغلظ وتشتد الظلمة فيه وتعظم أمواجه وتكثر أهواله، ولم يقف أحد على خبره سوى على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره، وقد قيل فيه ست جزائر يسكنها قوم متوحشون، وفى جانب هذا البحر الشرقى مما يلى الصين ست جزائر أيضًا تعرف بجزائر السبلى وقد نزل بها بعض العلويين فى أول الإسلام خوفًا على أنفسهم من القتل، ويخرج من هذا البحر المحيط ستة أبحر أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿**مرج البحرين يلتقيان**﴾ وقوله: ﴿**وجعل بين البحرين حاجزا**﴾ فأحدهما من جهة الشرق والأخر من جهة الغرب، فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصينى والهندى والفارسى واليمنى والحبشى بحسب ما يمر عليه من البلدان، وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومى. انظر نزهة الأمم ١٥.

وفى خامس عشريه: نزل خمس نفر فى الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفيسى، وأخذوا من فوق القبر ستة عشر قنديلا من فضة، فقبض عليهم من الفيوم، وأحضروا فى رابع صفر، فاعترف أحدهم بأنه هو الذى نزل من طاقات القبة الزجاج وأخذ القناديل، وبرأ بقية أصحابه، فشنق تجاه المشهد فى عاشره، وترك مدة متطاولة على الخشب، حتى صار عظاما.

وفى سابع عشرى ربيع الأولى: ولى الملك الصالح الأمير بدر الدين باخل الإسكندرية، و نقله إليها من ولاية مصر.

وفى شهر ربيع الآخر :رتب السلطان نوابا عنه بدار العدل، يجلسون لإزالة المظالم. فجلس لذلك افتخار الدين ياقوت الجمالى، وشاهدان عدلان، وجماعة من الفقهاء: منهم الشريف شمس الدين الأرموى ، نقيب الأشراف وقاضى العسكر ومدرس المدرسة الناصرية بمصر، والقاضى فخر الدين بن السكرى، والفقيه عز الدين عباس، فهرع الناس لدار العدل من كل جانب، ورفعوا ظلاماتهم، فكشفت، واستراح السلطان من وقوف الناس إليه، واستمر هذا بمصر.

وفى ذى الحجة: سار القاضى بدر الدين أبو المحاسن يوسف السنجارى على الساحل إلى مصر، فلما قدم على السلطان أكرمه غاية الإكرام، وكان قضاء ديار مصر بيد القاضى شرف الدين ابن عين الدولة الإسكندرى، فصرفه السلطان عن قضاء مصر والوجه القبلى، وفوض ذلك للقاضى بدر الدين السنجارى، وأبقى مع ابن عين الدولة قضاء القاهرة والوجه البحرى.

وفيها ظهر ببلاد الروم رجل ادعى النبوة، يقال له البابا، من التركمان. وصار له أتباع، وحمل أتباعه على أن يقولوا: لا إله إلا الله، البابا رسول الله، فخرج إليه جيش صاحب الروم، فقاتلهم وقتل بينه وبينهم أربعة آلاف نفر، ثم قتل البابا فانحل أمره.

وفيها وصل رسول التتار من ملكهم خاقان إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل، صاحبميافارقين، ومعه كتاب إليه وإلى ملوك الإسلام، عنوانه: «من نائب رب السماء، سامح وجه الأرض ، ملك الشرق والغرب، قاقان». فقال الرسول لشهاب الدين صاحب مياقارفين: «قد جعلك قاقان سلاح داره، وأمرك أن تخرب أسوار بلدك» فقال له شهاب الدين: «أنا من جملة الملوك، وبلادى حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم، وما فعلوه فعلته».

وفى يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة: رسم الصالح إسماعيل أن يخطب على

منبر دمشق للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو، ملك الروم، فخطب له، ونثر على ذلك الدنانير والدارهم، وكان يوما مشهودا، وحضر رسل الروم وأعيان الدولة، وخطب الملك فى جوامع البلد، وأنعم على الرسول وخلع عليه.

* * *

سنة تسع وثلاثين وستمائة[1]

فيها شرع الملك الصالح فى عمارة المدارس الصالحية بين القصرين.

وفيها غلت الأسعار بمصر، وأبيع القمح كل أردب بدينارين ونصف، وقدم جمال الدين بن مطروح من طرابلس - فى البحر - إلى القاهرة، وكثرت قصاد المظفر صاحب حماة إلى مصر.

وفى يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول: كسف جميع جرم الشمس، وأظلم الجو، وظهرت الكواكب، وشغل الناس السرج بالنهار.

وفيها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام[2] إلى مصر، وقد أخرجه الصالح إسماعيل من دمشق، فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقلده قضاء مصر والوجه القبلى يوم عرف عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين ابن عين الدولة، عندما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، فى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ما نصه: «إن القاهرة لما كانت دار المملكة، وأمراء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مختص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضى على القاهرة وعملها لا غير. وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها - وهو الوجه القبل - لبدر الدين أبى المحاسن يوسف السنجارى: المعروف بقاضى سنجار. فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجارى فى قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجع القبلى لابن عبد السلام.

---

(١) سنة ٦٣٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٢ - ٣٠٥/ ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٤٦/ ٢.

(٢) ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠هـ - ١١٨١ ت: ١٢٦٢م). عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعى بلغ رتبة الاحتهاد. ولد ونشأ فى دمشق وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ، فأقام شهرا وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالى، ثم الخطابة بالجامع الأموى. ثم حاء إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهى ثم اعتزل ولزم بيته . انظر فوات الوفيات ١/ ٢٨٧ وطبقات السبكى ٥/ ٨٠، ١٠٧ وغربال الزمان، والمكتبة الأزهرية، والفهرس التمهيدى ٢٠٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨ وعلماء بغداد ١٠٤ وذيل الروضتين ٢١٦ ومفتاح السعادة ٢/ ٢١٢ ومعجم المطبوعات ١٦٤. الأعلام ٤/ ٢١.

وفيها كث تردد الناس إلى فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ، بعدما أطلقه السلطان من السجن فكره السلطان ذلك، وأمره أن يلازم داره.

وفيها بلغ السلطان أن الناصر داود صاحب الكرك، قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، على محاربته، فسير السلطان كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر إلى الشام، فخرج إليه الناصر وقاتله ببلاد القدس، وأسره فى عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة. وكان من خبر ذلك أنه فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد، وقد نزل على الغوار، فكسره وأخذ الأثقال، وكان معه الأمير شمس الدين شرف - المعروف بالسبع مجانين - وشمس الدين أبو العلاء الكرديان، وشرف الدين بن الصارم صاحب بنين، وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قلج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر.

وفيها سار الخوارزمية إلى الموصل، فسالمهم صاحبها بدر الدين لؤلؤ [....](١) نصيبين، ووافقهم المظفر شهاب الدين غازى بن العادل ، صاحب ميافارقين، ثم ساروا إلى آمد فخرج إليهم عسكر حلب، عليه المعظم فخر الدين توران شاه(٢) بن صلاح الدين، فدفعوهم عنها، ونهبوا بلاد ميافارقين، وجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع ثم عاد العسكر إلى حلب، فغار الخوارزمية على رساتيق الموصل.

وفيها فلج المظفر صاحب حماة فى شعبان وهوجالس بغتة، فأقام أياما ملقى لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق وبطل شقه الأيمن فسير إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصرانى، فلم ينجح فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهورا حتى مات.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) توران شاه (المعظم توارنشاه ابن الناصر). (٥٧٧ - ٦٥٨ هـ ١١٨١ - ١٢٦٠م). تورانشاه (المعظم بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى، أبو الفاخر .من أمراء الأيوبيين ورابع من تلقب بالملك المعظم منهم، ولم يل السلطنة. ولد بمصر وكان كبير البيت الأيوبى وآخر من بقى من أولاد السلطان صلاح الدين، وتفقه وتلقى الحديث فى دمشق وحدث وخرج له الحافظ التونفى جزءا فى الحديث وتولى قيادة الجيش الحلبى زمنا. وحضر وقائع، وكان شجاعا عاقل، وأسره الخوارزمية بقرب الفرات، بعد أن أثخن بالجراح، وانهزم عسكره . ولما استولى التتار على حلب، اعتصم بقلعتها وحماها، ثم نزل منها بالأمان، وتوفى على الأثر، ودفن بدهليز داره بحلب. انظر صلة التكملة للحسينى- خ . وأعلام النبلاء ٤: ٤٢٥ وترويح القلوب ١٠٠ والعبر ٥: ٢٤٥.

وفى خامس عشر ذى القعدة: قدم الأمير ركن الدين ألطونبا الهيجارى من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه فى شهر رمضان إلى الناصر داود؛ ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى يبقى على طاعة الصالح نجم الدين، فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من العسكر ولحق الجواد بالفرنج، وأقام عندهم.

وفيها وصل الملك المنصور نور الدين عمر بن على رسول من اليمن فى عسكر كبير إلى مكة، فى شهر رمضان، ففر المصريون بعدما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره.

* * *

سنة أربعين وستمائة[1]

فى ربيع الأول: أبطلت خطبة ملك الروم من دمشق، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب.

وفى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى: دخل الفرنج من عكا إلى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا منبر الخطيب، وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالا كثيرة.

وفى يوم السبت ثامن عشر المحرم: وصل إلى القاهرة الشريف علاء الدين عالم بن الأمير السيد على.

وفيها وصل التتار إلى أرزن الروم، وأوقع الملك المظفر غازى، صاحب ميلادقين بالخوارزمية.

وفيها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبى بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى فاستبد ابن ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازى بمملكة حلب بعدها، وقام بتدبيره بعد جدته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين العادل الأسود [الحسن][2] الخاتون، والوزير الأكرم جمال الدين بن النفطى، وخرج إقبال من حلب بعسكر، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباس أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكان سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة وشهر، وقيل مات فى ثانى عشريه، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. وكان حازما عادلا، وفى أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبنى بها المدرسة المستنصرية، وفى أيامه قصد التتر بغداد، فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان. فقام من بعده فى الخلافة ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة، وحسنوا له جمع الأموال، وإسقاط أكثر الأجناد، فقطع كثيرا من العساكر، وسالم التتر، وحمل إليهم المال.

---

(١) سنة ٦٤٠ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٥ - ٣٠٧ / ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٤٧ / ٢.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وفيها بنى بعض غلمان الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب، بناء بأمر مخدومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين ابن شيخ الشيوخ، فأنكر ذلك قاضى القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح، ثم أشهد قاضى القضاة على نفسه أنه قد أسقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء، فلما فعل ذلك ولى الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب ابن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزرى الفقيه الشافعى، وكان ينوب عن ابن عبد السلام فى الحكم، فى ثالث عشرى ذى القعدة.

وفيها قدم مكة الحاج من بغداد، بعدما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة وكان من خبر مكة - شرفها الله تعالى - أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس عليهم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة، فى سنة سبع وثلاثين، فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول من اليمن بابن النصيرى، ومعه الشريف راجح، إلى مكة فى عسكر كبير، ففر الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة، فجهز السلطان الملك الصالح معه عسكرا قدم بهم مكة، فى سنة ثمان وثلاثين، وحجوا بالناس، فبعث ابن رسول من اليمن عسكرا كبيرا، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة، فبعث إليهم بالأمير بارز الدين على بن الحسين برطاس، والأمير مجد الدين أحمد بن التركمانى، فى مائة وخمسين فارسا، فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه فى جمع كبير يريد مكة، ففر المصريون على وجوههم، وأحرقوا ما فى دار السلطان بمكة من سلاح وغيره، فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح.

* * *

سنة إحدى وأربعين وستمائة[1]

فيها قدم التتر بلاد الروم، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد، فدخل غياث الدين فى طاعتهم، على مال يحمله إليهم، وملكوا أيضا سيواس وقيسارية بالسيف، وقرروا على صاحبهما فى كل سنة أربعمائة ألف دينار ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه - وهو صغير - إلى أن قتل.

وفيها تكررت المراسلة بين الصالح نجم الدين أيوب، وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وبين المنصور صاحب حمص، على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح إسماعيل، ومصر للصالح أيوب، وكل من صاحب حمص وحماة وحلب على ما هو عليه، وأن تكون الخطبة والسكة فى جميع هذه البلاد للملك الصالح نجم الدين أيوب، وأن يطلق الصالح إسماعيل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين من الاعتقال، وأن يخرج الأمير حسام الدين أبو على بن محمد بن أبى على باشاك الهذبانى، المعروف بابن أبى على من اعتقاله ببعلبك، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك من الملك الناصر داود، فلما تقرر هذا خرج من القاهرة الخطيب أصيل الدين الإسعردى - إمام السلطان - فى جماعة، وسار إلى دمشق، فخطب للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بجامع دمشق وبحمص، وأفرج عن المغيث ابن السلطان، وأركب ثم أعيد إلى القلعة، حتى يتم بينهما الحلف، وأفرج عن الأمير حسام الدين، وكان قد ضيق عليه وجعل فى جب مظلم فلما وصل حسام الدين إلى دمشق خلع عليه الصالح إسماعيل، وسار إلى مصر، ومعه رسول الصالح إسماعيل، ورسول صاحب حمص - وهو القاضى عماد الدين بن القطب قاضى حماة - ورسول صاحب حلب، فقدموا على الملك الصالح نجم الدين، ولم يقع اتفاق، وعادت الفتنة بين الملوك، فاتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الملك الصالح نجم الدين وعاد رسول حلب، وتأخر ابن القطب بالقاهرة، فبعث الناصر داود والصالح إسماعيل، ووافقا الفرنج على أنهم يكونون عونا لهم على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلما إليهم القدس وسلماهم طبرية وعسقلان أيضا فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما،

---

(١) سنة ٦٤١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٧ - ٣١٠/ ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٤٨/ ٢.

وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس، وجلسوا فوقها بالخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى.

فبرز الملك الصالح نجم الدين أيوب من القاهرة، ونزل بركة الجب وأقام عليها،

وكتب إلى الخوارزمية يستدعيهم إلى ديار مصر؛ لمحاربة أهل الشام، فخرجوا من بلاد الشرق.

وفى يوم عيد النحر: صرف الملك الصالح نجم الدين قاضى القضاة صدر الدين موهوب الجزرى، وقلد الأفضل الخونجى قضاء مصر والوجه القبلى .

وفيها هرب الصارم [... (١)] المسعودى من قلعة الجبل، وقد صبغ نفسه حتى صار أسودا، على صورة عبد كان يدخل إليه بالطعام، فأخذ من بلبيس، وأعيد إلى معتقله.

وفيها أنشأ شهاب الدين ريحان - خادم الخليفة - رباط الشرابى بمكة، وعمر بعرفة أيضا.

* * *

(١) ما بين معقوفتين سقط من الأصل.

سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، وفيه يقول: «إنى قررت على أهل الشام قطيعة التتر فى كل سنة، من الغنى عشرة دراهم، ومن المتوسط خمسة دراهم، ومن الفقير درهم» فقرأ القاضى محيى الدين بن زكى الدين الكتاب على الناس، ووقع الشروع فى جباية المال.

وفيها قطع الخوارزمية الفرات، ومقدموهم: الأمير حسام الدين بركة خان، وخان بردى، وصاروخان، وكشلوخان، وهم زيادة على عشرة آلاف مقاتل، فسارت منهم فرقة على بقاع بعلبك، وفرقة على غوطة دمشق، وهم ينهبون ويقتلون ويسبون، فانجفل الناس من بين أيديهم، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضم عساكره إليه، بعدما كانت قد وصلت غزة وهجم الخوارزمية على القدس، وبذلوا السيف فى من كان به من النصارى، حتى أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد، وهدموا المبانى التى فى قمامة، ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وساروا إلى غزة فنزلوها، وسيروا إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب - فى صفر - يخبرونه بقدومهم، فأمرهم بالإقامة فى غزة، ووعدهم ببلاد الشام، بعدما خلع على رسلهم ، وسير إليهم الخلع والخيل والأموال، وتوجه فى الرسالة إليهم جمال الدين أقوش النجيبى، وجمال الدين بن مطروح، وجهز الملك الصالح نجم الدين أيوب عسكرا من القاهرة عليه الأمير ركن الدين بيبرس، أحد مماليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك، فسار إلى غزة، وانضم إلى الخوارزمية جماعة من القميرية، كانوا قد قدموا معهم من الشرق، ثم خرج الأمير حسام الدين أبوعلى- بن محمد بن أبى على الهذبانى بعسكر، ليقيم على نابلس.

وجهز الصالح إسماعيل عسكرا من دمشق، عليه الملك المنصور صاحب حمص، فسار المنصور جريدة إلى عكا، وأخذ الفرنج ليحاربوا معه عساكر مصر، وساروا إلى نحو غزة، وأتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك مع الظهير بن سنقر الحلبى والوزيرى، فالتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة، وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حمص، والأقسة تصلب، وبأيديهم أوانى الخمر تسقى الفرسان وكان فى الميمنة الفرنج، وفى الميسرة عسكر الكرك، وفى القلب المنصور صاحب حماة، فساق الخوارزمية وعساكر مصر، ودارت بين الفريقين حرب شديدة،

فانكسر الملك المنصور، وفر الوزيرى، وقبض على الظهير وجرح. وأحاط الخوارزمية بالفرنج ، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلا وأسرا، ولم يفلت منهم إلا من شرد، فكان عدة من أسر منهم ثمانمائة رجل، وقتل منهم ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين ألفا، وحاز الخوارزمية من الأموال ما يجل وصفه، ولحق المنصور بدمشق فى نفر يسير.

وقدمت البشارة إلى الملك الصالح نجم الدين بذلك فى خامس عشر جمادى الأولى، فأمر بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعتى الجبل والروضة، فبالغ الناس فى الزينة، وضربت البشائر عدة أيام.

وقدمت أسرى الفرنج ورءوس القتلى، ومعهم الظهير بن سنقر وعدة من الأمراء والأعيان؛ وقد أركب الفرنج الجمال، ومن معهم من المقدمين على الخيول، وشقوا القاهرة، فكان دخولهم يوما مشهودا، وعلقت الرءوس على أبواب القاهرة وملئت الحبوس بالأسرى، وسار الأمير بيبرس، والأمير ابن أبى على بعساكرهما إلى عسقلان، ونازلاها فامتنعت عليهم لحصانتها فسار ابن أبى على إلى نابلس، وأقام بيبرس على عسقلان، واستولت نواب الملك الصالح نجم الدين على غزة والسواحل، والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار، ولم يبق بيد الناصر داود سوى الكرك والبلقاء، والصلت وعجلون.

فورد الخبر بموت الملك المظفر تقى الدين محمود بن المنصور بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب - صاحب حماة، فى يوم السبت ثامن جمادى الأول، فاشتد حزن الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه، ثم ورد الخبر بموت ابنه الملك المغيث عمر بقلعة دمشق، فزاد حزنه، وقوى غضبه على عمه الصالح إسماعيل، وقدم إلى القاهرة الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب من حماة، بسيف الملك المظفر، ومعه تقدمة من عند ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد، لتسع مضين من شوال.

وخرج الصاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ على العساكر من القاهرة، ومعه الدهليز السلطانى والخزائن، وأقامه السلطان مقام نفسه، وأذن له أن يجلس على رأس السماط، ويركب كما هى عادة الملوك، وأن يقف الطواشى شهاب الدين رشيد أستادار السلطان فى خدمته على السماط، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه، كعادتهم فى خدمة السلطان، وكتب إلى الخوارزمية أن يسيروا فى خدمته. فسار الصاحب معين الدين من القاهرة بالعساكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر

إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر، وسار إلى بيسان ، فأقام بها مدة، ثم سار إلى دمشق فنازلها، وقد امتنع بها الصالح إسماعيل والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وعاثت الخوارزمية فى أعمال دمشق، فبعث الصالح إسماعيل إلى ابن شيخ الشيوخ بسجادة وإبريق وعكاز، وقال له: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك.

فلما وصل ذلك إليه حهز إلى الصالح إسماعيل جنكا وزمرا وغلالة حرير، وقال: السجادة والإبريق والعكاز يليقون بى، وأنت أولى بالجنك والزمر والغلالة، واستمر الصاحب معين الدين على محاصرة دمشق، فبعث الخليفة بمحيى الدين بن الجوزى إلى الملك الصالح نجم الدين ومعه خلعة، وهى عمامة سوداء، وفرجية مذهبة، وثوبان ذهب، وسيف بذهب، وطوق ذهب ، وعلمان حرير، وحصان وترس ذهب، فلبس الملك الصالح نجم الدين الخلعة على العادة وكانت الأقاويل بمصر قد كثرت لمجيئه، وتأخر قدومه، فقال الصلاح [... ...][1] بن شعبان الإربلى:

قالوا الرسول أتى قالوا إنه ... ما رام يوما عن دمشق نزوحا
ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم ... يروى الحديث عن الرسول صحيحا

وفيها قتل أمير بنى مرين محمد بن عبد الحق محيو بن أبى بكر بن حمامة، فى حربه مع عسكر الموحدين وولى بعده أخوه أبوه يحيى بن عبد الحق.

وفيها ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ من الموصل بجباية قطيعة[2] التتر من دمشق، فقرأ كتاب القاضى محيى الدين من الزكى على العادة.

وفيها استوزر الخليفة أستاداره مؤيد الدين محمد بن العلقمى، فى ثامن ربيع الأول، عوضا عن نصير الدين أبى الأزهر أحمد بن محمد بن على بن العاقد.

وفيها استولى التتر على شهر زور.

وفيها بلغ الأردب القمح بمصر أربعمائة درهم نقرة.

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) قطية: قرية فى طريق مصر فى وسط الرمل قرب الفرما. انظر معجم البلدان ٣٧٨/ ٤.

سنة ثلاث وأربعين وستمائة [1]

فيها كثرت محاربة ابن شيخ الشيوخ لأهل دمشق ومضايقته للبلد، إلى أن أحرق قصرحجاج فى ثانى محرم، ورمى بالمجانيق وألح بالقتال.

فأحرق الصالح إسماعيل فى ثالثه عدة مواضع، ونهبت أموال الناس، وجرت شدائد، إلى أن أهل شهر ربيع الأول، ففيه خرج المنصور صاحب حمص من دمشق، وتحدث معه بركة خان مقدم الخوارزمية فى الصفح، وعاد إلى دمشق فأرسل الوزير أمين الدولة كمال الدين أبو الحسن بن غزال [2] المعروف بالسامرى إلى الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، يسأله الأمان ليجتمع به، فبعث إليه بقميص وفرجية وعمامة ومنديل، فلبس ذلك وخرج ليلا، لأيام مضت من جمادى الأولى؛ فتحادثا ورجع إلى دمشق، ثم خرج فى ليلة أخرى، وقرر أن الصالح إسماعيل يسلم دمشق، على أن يخرج منها هو والمنصور بأموالهم، ولا يعترض لأحد من أصحابهم ولا لشىء مما معهم، وأن يعوض الصالح عن دمشق ببعلبك وبصرى وأعمالها، وجميع بلاد السواد، وأن يكون للمنصور حمص وتدمر والرحبة، فأجاب أمين الدولة إلى ذلك، وحلف الصاحب معين الدين لهم، فخرج الصالح إسماعيل والمنصور من دمشق.

ودخل الصاحب معين الدين فى يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى، ومنع الخوارزمية من دخول دمشق ودبر الأمير أحسن تدبير، وأقطع الخوارزمية الساحل بمناشير كتبها لهم، ونزل فى البلد، وتسلم الطواشى شهاب الدين رشيد القلعة، وخطب بها وبجامع دمشق وعامة أعمالها للملك الصالح نجم الدين، وسلم أيضا الأمير سيف الدين على بن قلج قلعة عجلون لأصحاب الملك الصالح، وقدم إلى دمشق، فلما وردت الأخبار بذلك على السلطان أنكر على الطواشى شهاب الدين والأمراء كيف مكنوا الصالح إسماعيل

---

(١) سنة ٦٤٣ هـ . انظر أحداث السنة فى النجوم الزاهرة ٣١٢ - ٣١٥/ ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٥١/ ٢.

(٢) أمين الدولة (٦٤٨ هـ - ١٢٥٠م). أمين الدولة بن غزال بن أبى سعيد، أبو الحسن: وزير عالم طبيب. كان سامريا وأسلم فى دمشق، واستوزره بها الملك الأمجد بهرام شاه فلم يزل عنده إلى أن توفى الأمجد (سنة ٦٢٨ هـ) فاستوزره الملك الصالح إسماعيل، فأقام إلى أن ملك دمشق نجم الدين أيوب (سنة ٦٢٣ هـ) ونقل الصالح إسماعيل إلى بعلبك واليا عليها، فأراد ابن غزال اللحاق به فاعتقله نائب السلطنة فى دمشق، وأرسل إلى مصر فسجن فى قلعة القاهرة خمس سنوات، ثم أعدم شنقا. وكان غزير العلم ، له المنهج الواضح. طبقات الأطباء ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٩. الأعلام ١٧/ ٢.

من بعلبك، وقال: إن معين الدين حلف له، و أما أنتم فما خلفتم، وأمر الملك الصالح نجم الدين أن يسير ركن الهيجاوى، والوزير أمين الدولة السامرى، تحت الحوطة إلى قلعة الروضة، فسيرا من دمشق إلى مصر، واعتقلا بقلعة الجبل فاتفق مرض الصاحب معين الدين ووفاته بدمشق، فى ثانى عشرى شهر رمضان، فكتب السلطان إلى الأمير حسام بن أبى على الهذبانى، وهو بنابلس، أن يسير إلى دمشق ويتسلمها، فسار إليها وصار نائبا بدمشق، والطواشى رشيد بالقلعة، وأفرج السلطان عن الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ - وكان قد لزم بيته - وخلع عليه وأمره وقدمه، وبالغ فى الإحسان إليه، و كان لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره.

وأما الخوارزمية، فإنهم ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد، فلما منعوا من دمشق، وصاروا فى الساحل وغيره من برد الشام، تغيرت نياتهم، واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان، وساروا إلى داريا وانتهبوها، وكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس وهو على غزة بعسكر جيد من عساكر مصر، وحسنوا له أن يكون معهم يدًا واحدة ويزوجوه منهم، فمال إليهم، وكاتبوا الناصر داود صاحب الكرك، فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم، وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبى على، من نابلس والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار.

وخاف الصالح إسماعيل، فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم، فحلفوا له على القيام بنصرته، ونازلوا دمشق، فقام الأمير حسام الدين بن أبى على بحفظ البلد أحسن قيام، وألح الخوارزمية - ومعهم الصالح إسماعيل - فى القتال ونهب الأعمال، وضايقوا دمشق، وقطعوا عنها الميرة، فاشتد الغلاء بها، وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة، ومات كثير من الناس جوعا، وباع شخص دارا قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسمائة درهم اشترى بها غرارة قمح، فقامت عليه فى الحقيقة بعشرة آلاف درهم، وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، واللحم كل رطل بسبعة دراهم، ثم عدمت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطاط والكلاب والميتات؛ ومات شخص بالسجن، فأكله أهل السجن، وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى، لعجز الناس عن مواراة موتاهم، و لم تنقطع مع هذا الخمور والفسوق من بين الناس.

و أخذ الملك الصالح نجم الدين مع ذلك فى إعمال الحيل والتدبير، وما زال بالمنصور

إبراهيم صاحب حمص حتى مال إليه، واتفق أيضا مع الحلبيين على محاربة الخوارزمية، فخرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بعساكر مصر، ونزل العباسة؛ فوافاه بها رسل الخليفة، وهما القلك محمد ابن وجه السبع، وجمال الدين عبد الرحمن بن محيى الدين أبى محمد يوسف بن الجوزى فى آخر شوال، ومعهما التقليد والتشريف الأسود: وهو عمامة سوداء، وجبة وطوق ذهب، وفرس بمركوب بحلية ذهب، فنصب المنبر، وصعد عليه جمال الدين عبد الرحمن محيى الدين بن الجوزى الرسول، وقرأ التقليد بالدهليز السلطانى، والسلطان قائم على قدميه، حتى فرغ من القراءة، ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتى، فكان يوما مشهودا. وكان قد حضر أيضا من عند الخليفة تشريف باسم الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، فوجد أنه قد مات؛ فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلبسه.

فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر، ومسير الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص بعساكر حلب، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور. فوجد أهل دمشق برحيلهم فرجا، ووصلت إليهم الميرة، وانحل السعر.

* * *

سنة أربع وأربعين وستمائة[1]

فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضى نجم الدين محمد بن سالم النابلسى، المعروف بابن قاضى نابلس - وكان متقدما عنده - إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس، فما زال يخدعه ويمنيه، حتى فارق الخوارزمية؛ وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، وكان آخر العهد به.

وفيها عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام، وكثر نهبهم للبلاد، وسفكهم للدماء وانتهاكهم للحرمات، والتقوا مع الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وعساكر حلب، وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان، نصرة للملك الصالح نجم الدين، وذلك بظاهر حمص أول يوم من المحرم، وقيل ثانيه فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة، تبدد منها شملهم، ولم يقم لهم بعدها قائمة وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران، وأسر كثير منهم واتصل من فر منهم بالتتار، وفيهم من مضى إلى البلقاء، وخدم الملك الناصر داود صاحب الكرك، فتزوج الناصر منهم، واختص بهم، وقويت شوكته وسار بعضهم إلى نابلس، فاستولوا عليها، ووصل بعض من كان معهم ممن انهزم إلى حران، ولحق أيبك المعظمى بقلعة صرخد، وامتنع بها، وسار الصالح إسماعيل إلى حلب فى عدة من الخوارزمية، فأنزله الملك الناصر صاحب حلب وأكرمه، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية ووردت البشرى بهذه الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى المحرم، فزينت القاهرة ومصر والقلعتان.

وسار الأمير حسام الدين بن أبى على الهذبانى من دمشق، واستولى على بعلبك بغير حرب فى رجب، وحمل منها الملك المنصور نور الدين محمود بن الملك الصالح إسماعيل، وأخذه الملك السعيد عبد الملك إلى الديار المصرية تحت الاحتياط، فاعتقلوا وزينت القاهرة لفتح بعلبك زينة عظيمة، هى ومصر، وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن موقعا من أخذه لدمشق، حنقا منه على عمه الصالح إسماعيل، وانصلحت الحال بين السلطان وبين المنصور صاحب حمص والناصر صاحب حلب، واتفقت الكلمة وبعث السلطان إلى حلب يطلب تسليم الصالح إسماعيل، فلم يجب إلى تسليمه وأخرج السلطان عسكرا كبيرا، قدَّم عليه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وسيره

---

(١) سنة ٦٤٤ هـ. انظر احداث السنة فى النجوم الزاهرة ٣١٥ ، ٣١٧/ ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٥٣/ ٢.

لمحاربة الكرك، فسار إلى غزة، وأوقع بالخوارزمية، ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت، وكسرهم وبدد شمالهم، وفر الناصر إلى الكرك في عدة.

وكانت الكسرة على الصلت في سابع عشرى ربيع الآخر، وسار فخر الدين عنها بعد ما حرقها واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولى عليها النواب ونازل فخر الدين الكرك، وخرب ما حولها، واستولى على البلقاء، وأضعف الناصر حتى سأله الأمان، فبعث فخر الدين يطلب منه من عنده من الخوارزمية، فسيرهم الناصر إليه، فسار عن الكرك وهم في خدمته ثم نازل فخر الدين بصرى، حتى أشرف على أخذها، فنزل به مرض أشفى منه على الموت وحمل في محفة إلى القاهرة، وبقى العسكر حتى استولوا عليها، وقدم المنصور إبراهيم صاحب حمص إلى دمشق منتميا إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فنزل به مرض مات به في صفر، فحزن عليه السلطان حزنا كثيرا؛ لأنه كان يتوقع وصوله إليه فقام من بعده بحمص ابنه الأشرف مظفر الدين موسى.

وفيها تسلم الملك الصالح نجم الدين عجلون، بوصية صاحبها سيف الدين بن قلج عند موته.

وفيها سير الصاحب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح إلى دمشق وزيرا وأميرا، وأنعم عليه بسبعين فارسا بدمشق، وصرف الأمير حسام الدين بن أبي على الهذباني عن نيابة دمشق، وولى مكانه الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وأقر الطواشي شهاب الدين بالقلعة على حاله، فلما دخل ابن مطروح إلى دمشق خرج منها الأمير حسام الدين، وسار إلى القاهرة، فلما قدم على السلطان، وهو بقلعة الجبل، أقره في نيابة السلطنة بديار مصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة.

وخرج السلطان بالعساكر في شوال يريد دمشق من قلعة الجبل، واستناب بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي على، فدخل إلى دمشق في سابع عشر ذى القعدة، وكان دخوله يوما مشهودا، فأحسن إلى الناس، وخلع على الأعيان، وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم، وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك، فرتب أحوالها، وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم، وسار إلى بصرى، وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير شهاب الدين غازى، نائب الملك الصالح إسماعيل، فتصدق على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم وجهز السلطانالأمير ناصر الدين القيمرى، والصاحب[....][1]

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

الدين بن مطروح ، إلى صلخد - وبها الأمير عز الدين أيبك المعظمى، فمازالا به حتى سلم صلخد، وسار إلى مصر، وتصدق السلطان فى القدس بألفى دينار مصرية؛ وأمر بذرع سور القدس، فكان ذراعه ستة آلاف ذراع بالهاشمى، فأمر بصرف مغل القدس فى عمارته، وإن احتاج إلى زيادة حملت من مصر.

وفيها سار الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بعسكر إلى طبرية، فنازلها حتى أخذها من يد الفرنج، وهدم الحصون.

وفيها مات الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد خنقا، بقلعة الجبل. وقيل كان خنقه قبل هذه السنة، وقيل بل كان فى ستة خمس وأربعين، والقول الثانى أثبت. وسبب قتله أنه كان معتقلا فى برج العافية من قلعة الجبل، فلما عزم السلطان على المسير إلى الشام، بعث يأمره أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ليعتقل بها، فامتنع من ذلك، فبعث السلطان إليه من خنقه، وأشاع أنه مات، ثم ظهر أمره وأخرج ابنه المغيث عمر إلى الشوبك، فاعتقل بها، ولما مات العادل دفن خارج باب النصر، و لم يجسر أحد يبكى عليه ولا يذكره، وترك العادل ولدا يقال له الملك المغيث عمر ، أنزل إلى القاهرة عند عماته، ثم أخرج إلى الشوبك. وكان عمر العادل يوم مات نحو ثلاثين سنة، وأقام مسجونا نحو ثمانى سنين.

وفيها وقع الاختلاف بين الفرنج.

* * *

سنة خمس وأربعين وستمائة(1)

فيها عاد السلطان الملك الصالح من دمشق إلى ديار مصر، بعد ما أخذ عسقلان وخربها فى جمادى الآخرة، و بعد أن تسلم أيضا قلعة بارزين من عمل حماة، فى رمضان، وفى عوده إلى مصر عرض له - وهو بالرمل - وجع فى حلقه، أشفى منه على الموت، ثم عوفى ودخل إلى قلعته سالما، وزينت البلدان والقلعتان فرحًا به وكتب السلطان إلى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن يسير من بلاد الفرنج بالساحل إلى دمشق، فسار إليهما بمن معه من العسكر،، وأنعم على من بها من الأمراء وغيرهم، وخلع عليهم، وأخذت عسقلان، يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة بعساكر السلطان.

وفيها تسلم نواب السلطان قلعة الصبيبة وحضر إلى حلب من حماة الطواشى شجاع الدين مرشد المنصورى، والأمير مجاهد الدين أمير جاندار، لإحضار سيدة الخواتين عصمة الدنيا والدين عائشة خاتون، ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب فسارت ومعها أمها الستر الرفيع فاطمة خاتون، ابنة الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، فى رمضان - وهى فى تجمل زائد، ومحفتها ملبسة ثوب حرير بذهب مكلل بالجواهر فتلقاها زوجها الملك المنصور صاحب حماة.

وفيها حكر الناس البستان الكافورى بالقاهرة، وعمروا فيه الدور.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك المعظمى بدمشق، وحمل إلى القاهرة تحت الحوطة، فاعتقل بها فى دار صواب ورافعه ولده أن الذى حمله من صلخد، كان مبلغ ثمانين خرجا أودعها، فلما بلغه ذلك سقط إلى الأرض، وقال: هذا آخر العهد بالدنيا، و لم يتكلم بعدها حتى مات.

وفيها سار السلطان من قلعة الجبل، ونزل بقصره فى أشموم طناح.

وفيها خنق الملك العادل أبو بكر بن محمد الكامل، فى ثانى عشر شوال.

* * *

(1) سنة ٦٤٥ هـ. انظر أحداث السنة فى النجوم الزاهرة ٣١٨/ ٦ تاريخ ابن الوردى ٢/٢٥٤.

سنة ستة وأربعين وستمائة

فيها كتب السلطان من أشموم طناح[1] إلى نائبه بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبى على، أن يرحل بالحلقة السلطانية والدهليز السلطانى إلى دمشق؛ وأقام السلطان بدله فى نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير الجواد جمال الدين، وأبا الفتح موسى بن يغمور بن جلدك. فسار الأمير حسام الدين، ونزل بالقصور التى أنشأها [السلطان الملك الصالح أيوب[2]، وجعلها مدينة بالسانح فى أول الرمل، وجعل فيها سوقا جامعا؛ ليكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل، وسماها الصالحية. وأقام حسام الدين بالصالحية مقام السلطان، وطال مقامه بها نحو أربعة أشهر، ثم سار ليدرك الملك الأشرف صاحب حمص، فإن الأخبار وردت بمسير عساكر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ الأسيفى، والملك الصالح إسماعيل[3]؛ لأخذ حمص. فلم يدركه حسام الدين، وسلم الأشرفُ حمص، وصارت للناصر صاحب حلب، وتعوض الأشرفُ عن حمص تل باشر[4].

---

(١) بلد بمصر قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٣٨٢/١.

(٢) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة. وولى بعد خلع أخيه (العادل) سنة ٦٣٧هـ. وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ) واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائبا فى دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة، ونقل إلى القاهرة. من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة. انظر خطط المقريزى ٢: ٢٣٦، وابن إياس ١: ٨٣، تاريخ الإسحاقى ١٨٩، مرآة الزمان ٨: ٧٧٥.

(٣) إسماعيل (الصالح، عماد الدين أبو الخيس) بن محمد بن أبو بكر (العادل) بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية. قالوا فى وصفه: كان ملكا شهما محسنا لحاشيته، كثير التجمل. تسلطن بدمشق (٦٣٥هـ) بعد وفاة صاحبها (أخيه) الأشرف. وجاءه الملك الكامل فأخذها منه بعد حصار. ورحل إسماعيل إلى بعلبك، ثم هاجم دمشق وملكها (فى صفر ٦٣٧هـ) وأحرم (٦٣٨هـ) بتسليمه قلعة الشقيف للفرنج. قال الذهبى: لغرض فى نفسه ... فمقته المسلمون. وأخرجته «الخوارزمية» من دمشق (٦٤٣هـ) ثم صالحهم ووالوه. وانتهى أمره بالخروج لاجئا إلى حلب (٦٤٤) وفيها الناصر ابن أخيه. وبينما هو فى رحلة معه إلى دمشق أسره بعض رجال صاحب مصر وقتلوه. انظر اختصار القدح المعلى ١٣٨ ودليل ١: ٢٧١ - ٢٧٢ والأحمدية ٦٢ والمشرق ٣٢: ٣٠٥ والأعلام ٣٢٤/١.

(٤) أطلق هذا الاسم على قلعة حصينة وكورة واسعة أيضا فى شمالى حلب. انظر: معجم البلدان ٧٦٤/١.

فلما بلغ السلطان ذلك عاد من أشموم طناح إلى القاهرة، وخرج منها إلى عسكره بالصالحية، وسار فى محفة لما به من المرض، بسبب ورم مأبضه[١] وكان قد اشتدّ به حتى حصل منه ناصور. وحدث قرحة فى الصدر؛ إلا أن همته كانت قوية، فلم يُلْقِ نفسه وسار السلطان إلى دمشق، ونزل بقلعتها.

وبعث السلطان بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، ومعه الأمراء والعساكر، وفيهم الأمير ابن أبى على الهذبانى، إلى حمص، فنازلها ورمى عليها بمنجنيق زنة حجره مائة وأربعون رطلا، ومعه ثلاثة عشر منجنيقا آخر، وسخر الناس فى حمل هذه المجانيق من دمشق، حتى كان يحمل كل عود ثمنه نحو عشرين درهما بألف درهم، فإن الوقت كان شتاء صعبا. وألح الأمير فخر الدين فى الحصار إلى أن قدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادرائى، رسولا من الخليفة المستعصم با لله [٢]، بالصلح بين الحلبيين وبين السلطان، فتقرر الصلح، ورحل العساكر عن حمص، بعدما أشرف على أخذها.

وقدم من حلب الشيخ شمس الدين الخُسْرُوشاهى، فسأل السلطان على لسان الملك الناصر داود[٣] صاحب الكرك، أن يسلم الكرك إلى السلطان، ويعتاض عنها بالشوبك، فأجيب الناصر داود إلى ذلك، وتوجه من يتسلم منه الكرك، ثم رجع الناصر عن ذلك، لما بلغه من شدة مرض السلطان، وتحرك الفرنج لأخذ ديار مصر فخرج السلطان من

---

(١) والمأبض: كل ما يثبت عليه فخذك؛ وقيل: المأبضان ما تحت الفخذين فى مثانى أسافلهما؛ وقيل: المأبضان باطنا الركبتين والمرفقين. التهذيب: ومأبضا الساقين ما بطن من الركبتين، وهما فى يدى البعير باطنا المرفقين. الجوهرى: المأبض باطن الركبة من كل شيء، والجمع مآبض. انظر (محيط المحيط) مادة أبض، ولسان العرب ٨ مادة (أبض).

(٢) عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) من سلالة هارون الرشيد العباسى، وكنيته أبو أحمد: آخر خلفاء الدولة العباسية فى العراق. ولد ببغداد، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤٠هـ). وكانت مدة خلافته ١٥ سنة و٨ أشهر وأيام. وبموته انقرضت دولة بنى العباس فى العراق. انظر ابن خلدون ٥٣٦/٣. وتاريخ الخميس ٢/ ٣٧٢ وفوات الوفيات ٢٣٧/١ والنجوم الزاهرة ٦٣/٧ والأعلام ١٤٠/٤.

(٣) داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين: صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدباء. ولد ونشأ فى دمشق. وملكها بعد أبيه (سنة ٦٢٦هـ) وأخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى «الكرك» فملكها إحدى عشرة سنة، ثم استخلف عليها ابنه عيسى (سنة ٦٤٧هـ) فانتزعها منه الصالح (أيوب بن عيسى) فى هذه السنة، فرحل الناصر مشردا فى البلاد، وحبس بقلعة حمص ثلاث سنوات، ثم أقام فى حلة بنى مؤيد، وتوفى بقرية البويضاء بالطاعون. انظر صبح الأعشى ١٧٥/٤ وفوات الوفيات ١/ ١٥٦ والوفيات ١/ ٣٩٧. والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٣٤. وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٥ والفهرس التمهيدى ٢٨٤ والأعلام ٢/ ٣٣٤.

دمشق فى محفة، وسار إلى الغور، وقدم الأمير حسام الدين بن أبى على إلى القاهرة، لينوب عنه بها، واستُدعى بالأمير جمال الدين بن يغمور من القاهرة لينوب بدمشق؛ وعُزل الصاحب جمال الدين بن مطروح عن دمشق، وعزل الطواشى شهاب الدين رشيد عن قلعة دمشق، وفوّض ما كان بيدهما للأمير جمال الدين بن يغمور.

وفيها احترق المشهد الحسينى بالقاهرة، واحترقت المنارة الشرقية بجامع دمشق.

وفيها مات قاضى القضاة أفضل الدين الخونجى، فى شهر رمضان، فولى من بعده ابنه قاضى القضاة جمال الدين يحيى.

وفيها مات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب[١]، صاحب الرها؛ وقام من بعده ابنه الكامل محمد فى سلطنة الرها وميافارقين.

وفيها عزل الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول [٢] صاحب اليمن الأمير فخر الدين بن الشلاح عن مكة وأعمالها، وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيب، على مال يقوم به، وقَوْد عدده مائة فرس كل سنة فقدم ابن المسيب مكة، وخرج الأمير فخر الدين فسار بنفسه ابن المسيب، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وأخذ الصدقة الواردة من اليمن، [.......][٣] عن مال السلطان وبنى حصنا بنخلة يسمى العطشان وحلّف هذيلا[٤] لنفسه، ومنع الجند النفقة فوثب عليه الشريف أبو سعد بن على بن قتادة، وقيّده وأخذ ماله، وقال لأهل الحرم: «إنما فعلت به هذا لأنى تحققت أنه يريد الفرار بالمال إلى العراق، وأنا غلام مولانا السلطان والمال عندى محفوظ

---

(١) غازى (المظفر) بن أبى بكر (العادل) ابن أيوب: صاحب ميافارقين وخلاط والرها وإربل من ملوك الدولة الأيوبية. كان فارسًا مهيبًا جوّادًا، كنيته: شهاب الدين. له أخبار مع أخيه الملك الأشرف موسى، وغيره. انظر الرحلة العباسية ١/٣٤٤ وشذرات الذهب ٥/٢٣٣ ومرآة الزمان ٨/٧٦٨ - ٧٧٠، والنجوم الزاهرة ٦/٢٥٥ -٢٥٧ والأعلام ٥/١٢.

(٢) عمر بن على بن رسول (واسمه محمد) بن هارون بن أبى الفتح الغسانى التركمانى نور الدين، الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرسولية فى اليمن. ولد بمصر، وأحسن الاتصال ببنى أيوب: ولما دخل الأيوبيون اليمن كان الرسولى مع أحدهم الملك المسعود بن الملك الكامل، فقلده المسعود أعمالا كثيرة ظهرت كفائته، ولما توجه إلى مصر جعله نائبا عنه فى اليمن. ثم لما سار المسعود إلى مكة وتوفى فيها (سنة ٦٢٦ هـ) استولى الرسولى على اليمن وأظهر النيابة عن الأيوبيين إلى أن أعد جيشا ضخما حارب به عساكرهم واستقل بالملك، وتلقب بالملك المنصور. انظر العقود اللؤلؤية ١/٤٣ - ٨٨، وبغية المستفيد، والذهب المسبوك ٣٩، والأعلام ٥/ ٥٦.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) كانت هذيل هذه قبيلة صغيرة، مساكنها شرقى مكة. انظر العقود اللؤلؤية ٣/٦٤.

والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسومه» فلم يكن غير أيام، وورد الخبر بموت السلطان نور الدين عمر بن رسول.

* * *

سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها قدم السلطان من دمشق، وهو مريض فى محفة، لما بلغه من حركة الفرنج. فنزل بأشموم طنّاح فى المحرم، وجمع فى دمياط من الأقوات والأسلحة شيئا كثيرا، وبعث إلى الأمير حسام الدين بن أبى على نائبه بالقاهرة، أن يجهز الشوانى من صناعة مصر؛ فشرع فى تجهيزها، وسيرها شيئا بعد شىء. وأمر السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن ينزل على جيزة دمياط بالعساكر؛ ليصير فى مقابلة الفرنج إذا قدموا فتحول الأمير فخر الدين بالعساكر، فنزل بالجيزة تجاه دمياط، وصار النيل بينه وبينها، ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه، ونودى فى مصر: «من كان له على السلطان أو عنده له شىء، فليحضر ليأخذ حقه»، فطلع الناس وأخذوا ما كان لهم.

وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفر: وصلت مراكب الفرنج البحرية، وفيها جموعهم العظيمة صحبة ريدَافْرنس - ويقال له الفرنسيس، واسمه لُوَيْس ابن لُوَيْس. وريدَافْرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أَفْرنس - وقد انضم إليهم فرنج الساحل كله، فأرسوا فى البحر بإزاء المسلمين. وسير ملك الفرنج إلى السلطان كتابا، نصه بعد كلمة كفرهم: «أما بعد فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية، كما أنى أقول إنك أمين الأمة المحمدية. وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجل ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلى منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لى بكل الأيمان، ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان، ما ردنى ذلك عن الوصول إليك، وقتلك فى أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لى، فيا هدية حصلت فى يدى، وإن كانت البلاد لك والغلبة علىّ، فيدك العليا ممتدة إلىّ. وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضا».

فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرئ عليه، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع. فكتب الجواب بخط القاضى بهاء الدين زهير بن محمد، كاتب الإنشاء، ونسخته بعد البسملة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين: «أما بعد فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك. فنحن أرباب السيوف،

وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه. فلو رأت عيناك - أيها المغرور - حد سيوفنا وعظم حروبنا، وفَتَحْنا منكم الحصون والسواحل، وإخرابنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، ولابد أن تزلَّ بك القدم، فى يوم أوله لنا وآخره عليك. فهنالك تسىء بك الظنون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. فإذا قرأت كتابى هذا، فكن فيه على أول سورة النحل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ وكن على آخر سورة ص: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[1]. ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وإلى قول الحكماء: «إن الباغى له مصرع» وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يقلبك، والسلام».

وفى يوم السبت: نزل الفرنج فى البر الذى عسكر المسلمين فيه، وضُربت للملك رِيْدافرنس خيمة حمراء. فناوشهم المسلمون الحرب، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام - وكان رجلا صالحا، ورتبه الملك داود مع الملك الصالح نجم الدين لما سجن بالكرك، لمؤانسته، وممن استشهد أيضا الأمير صارم الدين إزبك الوزيرى. فلما أمسى الليل رحل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بمن معه من عساكر المسلمين، وقطع بهم الجسر إلى الجانب الشرقى، الذى فيه مدينة دمياط. وخلا البر الغربى للفرنج، وسار فخر الدين بالعسكر يريد أشموم طناح.

فلما رأى أهل دمياط رحيل العسكر، خرجوا كأنما يسحبون على وجوههم طول الليل، ولم يبق بالمدينة أحد ألبتة، وصارت دمياط فارغة من الناس جملة. وفروا إلى أشموم مع العسكر، وهم حفاة عراة جياع فقراء، حيارى بمن معهم من الأطفال والنساء، وساروا إلى القاهرة، فنهبهم الناس فى الطريق، ولم يبق لهم ما يعيشون به فعُدَّت هذه الفعلة من الأمير فخر الدين من أقبح ما يشنع به. وقد كانت دمياط فى أيام الملك الكامل، لما نازلها الفرنج، أقل ذخائر وعددا منها فى هذه النوبة، ومع ذلك لم يقدر الفرنج على أخذها إلا بعد سنة، عندما فنى أهلها بالوباء والجوع، وكان فيها هذه المرة أيضا جماعة من شجعان بنى كنانة، فلم يغن ذلك شيئا.

وأصبح الفرنج يوم الأحد، لسبع بقين من صفر، سائرين إلى مدينة دمياط. فعندما رأوا أبوابها مفتحة ولا أحدَ يحميها، خشوا أن تكون مكيدة، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها. فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار، واستولوا على ما

(١) سورة ص آية ٨٨.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩.

فيها من الآلات الحربية، والأسلحة العظيمة والعدد الكثيرة، والأقوات والأزواد والذخائر، والأموال والأمتعة وغير ذلك، صفوا عفوًا.

وبلغ ذلك أهل القاهرة ومصر، فانزعج الناس انزعاجا عظيما، ويئسوا من بقاء كلمة الإسلام بديار مصر. لتملك الفرنج مدينة دمياط، وهزيمة العساكر، وقوّة الفرنج بما صار إليهم من الأموال والأزواد والأسلحة، والحصن الجليل الذى لا يُقدر على أخذه بقوّة، مع شدة مرض السلطان، وعدم حركته.

وعندما وصلت العساكر إلى أشموم طناح، ومعهم أهل دمياط، اشتدّ حنق السلطان على الكنانيين، وأمر بشنقهم، فقالوا: «وما ذنبنا إذا كانت عساكره جميعهم وأمراؤه هربوا، وأحرقوا الزردخاناه، فأى شىء نعمل نحن؟» فشنقوا لكونهم خرجوا من المدينة بغير إذن، حتى تسلمها الفرنج، فكانت عدّة من شنق زيادة على خمسين أميرا من الكنانيين. وكان فيهم أمير حَشِيم، وله ابن جميل الصورة. فقال أبوه: «با لله اشنقونى قبل ابنى». فقال السلطان: «لا! بل اشنقوه قبل أبيه». فشنق الابن، ثم شنق الأب من بعده، بعد أن استفتى السلطان الفقهاء فأفتوا بقتلهم.

وتغير السلطان على الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وقال: «أما قدرتم تقفون ساعة بين يدى الفرنج؟ هذا وما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين». وكان الوقت لا يسع إلا الصبر والتغاضى، وقامت الشناعة من كل أحد على الأمير فخر الدين، فخاف كثير من الأمراء وغيرهم سطوة السلطان، وهموا بقتله، فأشار عليهم فخر الدين بالصبر، حتى يتبين أمر السلطان: «فإنه على خُطّة، وإن مات كانت الراحة منه، وإلا فهو بين أيديكم».

ولما وقع ما ذكر السلطان بالرحيل إلى المنصورة، وحمل فى حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر، فشرع كل أحد من العسكر فى تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة، ونصبت [...[1]...] بالأسواق، وأبراج السور الذى على البحر وستر بالستائر. وقدمت الشوانى المصرية بالعدد الكاملة والرجالة، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد، من كل النواحى، ووصلت عربان كثيرة جدا، وأخذوا فى الغارة على الفرنج ومناوشتهم. وحصن الفرنج أسوار دمياط، وشحنوها بالمقاتلة.

فلما كان يوم الإثنين سلخ شهر ربيع الأوّل: وصل إلى القاهرة من أسرى الفرنج

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

الذين تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيرا، منهم فارسان، وفى خامس شهر ربيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيرا، وفى سابعه وصل اثنان وعشرون أسيرا، وفى سادس عشره وصل خمسة وأربعون أسيرا، منهم ثلاثة من الخيالة. ولما بلغ أهل دمشق أخذ الفرنج لمدينة دمياط ساروا منها، وأخذوا صيداء من الفرنج، بعد حصار وقتال فورد الخبر بذلك لخمس بقين من شهر ربيع الآخر، فسر الناس بذلك.

هذا والأسرى من الفرنج تصل فى كل قليل إلى القاهرة، ووصل فى ثامن عشر جمادى الأولى خمسون أسيرا. ومع ذلك والمرض يتزايد بالسلطان، وقواه تنحط، حتى وقع بأمر الأطباء من برئه وعافيته، لاجتماع مرضين عظيمين، هما الجراحة الناصورية فى مأبضه والسل.

وأما الناصر داود صاحب الكرك، فإنه لما ضاقت به الأمور استخلف ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى، وأخذ معه جواهره، وسار فى البر إلى حلب مستجيرا بالملك الناصر يوسف بن الملك العزيز فأنزله وأكرمه وسيَّر الناصرُ بجواهره إلى الخليفة المستعصم بالله؛ لتكون عنده وديعة، فقبض الخليفة ذلك، وسير إليه الخط بقبضه وأراد الناصر بذلك أن يكون الجوهر فى مأمن، فإذا احتاج إليه طلبه، وكانت قيمته ماينيف على مائة ألف دينار. فحنق ولدا الناصر - وهما الملك الظاهر شادى والملك الأمجد حسن[1] - على أبيهما، لكونه قدم عليهما المعظم، وقبضا على المعظم، واستوليا على الكرك، وأقام الملك - الظاهر شادى وهو أسن إخوته - بالكرك، وسار الملك الأمجد حسن إلى الملك الصالح نجم الدين، فوصل إلى المعسكر بالمنصورة، يوم السبت لتسع مضين من جمادى الآخرة، وبشَّره بأنه هو وأخوه الظاهر أخذا الكرك له، وسأله فى خبز بديار مصر يقوم بهما. فأكرمه السلطان، وأعطاه مالا كثيرا، وسير الطواشى بدر الدين الصوابى إلى الكرك نائبا بها وبالشوبك، فتسلمها بدر الدين، وسير أولاد الناصر داود جميعهم، وأخويه الملك القاهر عبد الملك، والملك المغيث [عبد العزيز][2]،

---

(١) الحسن بن داود الناصر بن الملك المعظم عيسى. من بنى أيوب، أبو محمد، مجد الدين، الملقب بالملك الأمجد: صاحب الكرك، من أمراء الدولة الأيوبية. كان من الفضلاء له معرفة جيدة بالأدب ومشاركة فى كثير من العلوم. انظر النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٦، ٢٣٨ وترويح القلوب ٧٦ ودار الكتب ٣/ ٢٧٤ والأعلام ٢/ ١٩٠.

(٢) عبد العزيز (المغيث شهاب الدين) بن عيسى بن العادل بن الكامل: من أمراء الدولة الأيوبية كان صاحب الكرك والشوبك. وتحيل عليه الملك الظاهر حتى دخل الشام (٦٦١هـ) حتى نزل إليه فكان آخر العهد به. انظر العبد ٥/٢٠١،٢٢١، ٢٦٣ وشذرات الذهب ٥/٣٠٥ وفى الذيل على الروضتين ١٦١ النجوم ٧/ ٢٧٨ والأعلام ٤/ ٢٤.

ونساءهم وعيالاتهم كلها. إلى المعسكر بالمنصورة، فأقطعهم السلطان إقطاعا جليلا، ورتب لهم الرواتب، وأنزل أولاد الناصر فى الجانب الغربى قبالة المنصورة.

وكان استيلاء نائب السلطان على الكرك يوم الإثنين، لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة؛ وسر السلطان بأخذ الكرك سرورا عظيما، وأمر فزينت القاهرة ومصر، وضربت البشائر بالقلعتين، وجهز السلطان إلى الكرك ألف ألف دينار مصرية، وجواهر وذخائر وأسلحة، وشيئا كثيرا مما يعز عليه.

وفى ثالث عشر شهر رجب: وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا من الفرنج، وأحد عشر فارسا منهم؛ وظفر المسلمون بعد أيام بمُسَطَّح [1] للفرنج فى البحر، فيه مقاتلة، بالقرب من نَسْتَرَاوَة [2].

فلما كان ليلة الإثنين نصف شعبان: مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة، وهو فى مقابلة الفرنج، عن أربع وأربعين سنة، بعدما عهد لولده الملك المعظم تورانشاه، وحلّف له فخر الدين بن الشيخ ومحسن الطواشى، ومن يثق به، وبعدما علّم قبل موته عشرة آلاف علامة. يستعان بها فى المكاتبات على كتمان موته، حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا وكانت أم السلطان الملك الصالح أم ولد، اسمها ورد المنى. وكانت مدة ملكه بمصر عشر سنين إلا خمسين يوما، فغسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه، لكى يخفى موته. وحمل فى تابوت إلى قلعة الروضة، وأخفى موته، فلم يشتهر إلى ثانى عشرى رمضان، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة.

والملك الصالح هو الذى أنشأ المماليك البحرية بديار مصر: وذلك أنه لما مر به ما تقدم ذكره، فى الليلة التى زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه، رعى لهم ذلك. فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه، واعتقلهم وقطع أخبازهم؛ وأعطى مماليكه الإمريات، فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه فى قلعة الروضة على بحر النيل.

---

(١) على هامش ط: نوع من السفن، جمعه مسطحات، والغالب أنه سمى بذلك لأنه كان له سطح.

(٢) على هامش ط: وتسمى أيضا نسترو، وكانت تطلق فى تلك العصور على بلدة البرلس الحالية، وعلى بحيرة البرلس أيضا.

وكان ملكا شجاعا حازما مهيبا، لشدة سطوته وفخامة [.......][١]، مع عزة النفس وعلو الهمة، وكثرة الحياء والعفة وطهارة الذيل عن الخنا، وصيانة اللسان من الفحش فى القول، والإعراض عن الهزل والعبث بالكلية، وشدة الوقار ولزوم الصمت، حتى إنه كان إذا خرج من عند حرمه إلى مماليكه، أخذتهم الرعدة عندما يشاهدونه - خوفا منه - ولا يبقى أحد منهم مع أحد. وكان إذا جلس مع ندمائه كان صامتا، لا يستفزه الطرب ولا يتحرك، وجلساؤه كأنما على رءوسهم الطير. وإذا تكلم مع أحد من خواصه، كان ما يقوله كلمات نزرة وهو فى غاية الوقار، وتلك الكلمات لا تكون إلا فى مهم عظيم، من استشارة أو تقدّم بأمر من الأمور المهمة، لا يعدو حديثه قط هذا النحو، ولا يجسر أحد يتكلم بين يديه إلا جوابا. وما عُرف أبدا عن أحد من خواصه أن تكلم فى مجلسه ابتداء ألبتة، ولا أنه جسر على شفاعة ولا مشورة ولا ذكر نصيحة، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان، فإذا انفرد بنفسه لا يدنو منه أحد. وكانت القصص ترد إليه مع الخدام فيوقع عليها، ويخرج بها الخدام إلى كاتب الإنشاء، ولا يستقل أحد من أرباب الدولة بانفراد بأمر، بل يراجع القصص مع الخدام. ومع هذه الشهامة والمهابة لا يرفع بصره إلى من يحادثه؛ حياء منه وخفرا، ولم يُسمع منه قط فى حق أحد من خدمه لفظة فحش، وأكثر ما يقول إذا شتم أحدا: «متخلف»، ولا يزيد على هذه الكلمة، ولا عَرَف قط من النكاح سوى زوجته وجواريه.

وكانت البلاد فى أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة، إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع بلغ من كبره وترفعه أن ابنه الملك المغيث عمر[٢]، لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده، لم يسأله فيه ولا طلبه منه، حتى مات فى حبسه. وكان يحب جمع المال، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل، إلى أن أخذ منها مالا عظيما وجواهر نفيسة.

وقَتَل السلطان الملك الصاح أيوب أخاه الملك العادل، ومن حين قتله ما انتفع بالحياة ولا تهنى بها: فنزل به المرض، وطرقه الفرنج، وقبض على جميع أمراء الدولة، وأخذ أموالهم وذخائرهم. ومات فى حبوسه ما ينيف على خمسة آلاف نفس، سوى من قتل وغرق من الأشرفية فى البحر ولم يكن له مع ذلك ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب، إلا أنه كان يجرى على أهل العلم والصلاح المعاليم والجرايات، من غير أن يخالطهم. ولم يخالط غيرهم. لمحبته فى العزلة ورغبته فى الانفراد، وملازمته للصمت ومداومته على الوقار والسكون.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) عمر (المغيث، جلال الدين بن أيوب الصالح) بن محمد (الكامل). كان نائب دمشق وتوفى بها. انظر ترويح القلوب ٨٣ وشذرات الذهب ٥/٢١٥ والأعلام ٥/٤٢.

وكان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب: فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر، وأنفق فيها أموالا جمة، وهدم كنيسة كانت هناك لليعاقبة من النصارى، وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك - وقيل ثمانمائة - سماهم البحرية وكان الماء حينئذ لا يحيط بها. فلم يزل يُغَرِّقُ السفن، ويرمى الحجارة فيما بين الجيزة والروضة، إلى أن صار الماء فى طول السنة محيطا الروضة وأقام جسرا من مصر إلى الروضة، يمرّ عليه الأمراء. وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة، ولم يكن أحد يمرّ على هذا الجسر راكبا، احتراما للسلطان فجاءت هذه القلعة من أجل مبانى الملوك وبنى أيضا على النيل بناحية اللوق[1] قصورا بلغت الغاية فى الحسن، جعلها إلى جانب ميدانه الذى يلعب فيه بالكرة، وكان مغرم بلعبها وبنى قصرا عظيما فيما بين القاهرة ومصر، سماه الكبش، على الجبل بجوار جامع ابن طولون. وبنى قصرا بالقرب من العَلاَقِمَة [2] فى أرض السانح، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية، فيها جامع وسوق، لتكون مركزا للعساكر بأول الرمل الذى بين الشام ومصر.

وكان له من الأولاد الملك المغيث فتح الدين عمر، وهو أكبر أولاده، مات فى سجن قلعة دمشق، والملك المعظم غياث الدين تورانشاه، وملك مصر بعده، والملك القاهر، ومات فى حياته أيضا وولد له أيضا من شجر الدر ولد سماه خليلا، مات صغيرا.

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية - وفسد مخرجه، وامتد الجرح إلى فخذه اليمين، وأكل جسمه - اجتهد فى مداواتها، وحدث له مرض السل من غير أن يفطن به. فورد كتابه إلى الأمير حسام الدين بن أبى على بالقاهرة: «إن الجراحة قد صلحت وجفت رطوباتها، ولم يبق إلا ركوبى ولعبى بالصولجة، فتأخذ حَظَّك من هذه البشرى». وفى الحقيقة لم تجف الجراحة إلا لفراغ المواد، وتزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات.

وقيل إنه لم يعهد إلى أحد بالملك، بل قال للأمير حسام الدين بن أبى على: «إذا مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم بالله، ليرى فيها رأيه»؛ فإنه كان يعرف ما فى

---

(١) أطلق اسم ناحية اللوق فى الأصل - ومعنى اللوق الأرض اللينة - على الجهة التى انحسر عنها ماء النيل، من ساحل المقسى إلى منشأة المهرانى بالقاهرة. وعرفت تلك الناحية باسم باب اللوق. انظر خطط المقريزى ١٣٧/٢، ١٣٨.

(٢) هى بليدة من دون بلبيس. انظر معجم البلدان ٧١/٢. والخطط التوفيقية ٥٣/٤، ٥٤، أن هذه البلدة كانت فى زمنه إحدى مراكز مديرية الشرقية.

ولده المعظم تورانشاه من الهوج فلما مات السلطان أحضرت زوجته شجرُ الدر الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والطواشى جمال الدين محسن -وكان أقرب الناس إلى السلطان، وإليه القيام بأمر مماليكه وحاشيته - وأعلمتهما بموت السلطان، ووصتهما بكتمان موته؛ خوفا من الفرنج. وكان الأمير فخر الدين عاقلا مدبرا، خليقا بالملك، جوادا محبوبا إلى الناس، فاتفقا مع شجر الدر على القيام بتدبير المملكة، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه. فأحضرت شجر الدر الأمراء الذين بالمعسكر، وقالت لهم: «إن السلطان قد رسم بأن تحلفوا له، ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا أن يكون سلطانا بعده، وللأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بالتقدمة على العساكر والقيام بالأتابكية وتدبير المملكة» فقالوا كلهم سمعا وطاعة؛ ظنا أن السلطان حى، وحَلفوا بأسرهم، وحلفوا سائر الأجناد والمماليك السلطانية.

وكُتب على لسان السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبى على الهذبانى بالقاهرة، أن يحلِّف أكابر الدولة وأجنادها بالقاهرة، فحضر إلى دار الوزارة قاضى القضاء بدر الدين يوسف بن الحسن قاضى سنجار، والقاضى بهاء الدين زهير بن محمد[1] كاتب الإنشاء - وكان الملك الصالح قد أبعده لأمر نقمه عليه -، وحلَّفا من حضر من الأعيان على ما تقدّم ذكره، وكان ذلك فى يوم الخميس ثامن عشر شعبان. واستدعى القاضى بهاء الدين زهير من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة.

وقام الأمير فخر الدين بتدبير المملكة، وأقطع البلاد مناشيره، وأعاد إليها زهيرا إلى منصبه فكانت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة[2] السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، فقيل إنها كانت بخط خادم يقال له سهيل، ولا يشك من رآه أنه خط السلطان ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مدة، إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب فى العلامة، يخالف علامة السلطان ففحص عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر حتى عرف موته، فاشتد خوفه من الأمير فخر الدين، وخشى أن يتغلب على الملك، فاحتاط لنفسه.

---

(١) زهير بن محمد بن على المهلبى العتكى، بهاء الدين. شاعر، كان من الكتاب. ولد بمكة، ونشأ بقوص. واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر) فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير فى داره إلى أن توفى بمصر. انظر: وفيات الأعيان ١/ ١٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٢ وآداب اللغة ٣/ ١٨ وروض المناظر ١٢/ ١٤٥ والأعلام ٣/ ٥٢.

(٢) العلامة السلطانية هى ما يكتب السلطان بخطه على صورة اصطلاحية خاصة، وكانت صورة علامة الملك الصالح نجم الدين أيوب «أيوب بن محمد أبى بكر بن أيوب». انظر ابن واصل ٣٦٢.

وأخذ الأمير فخر الدين يطلق المسجونين، ويتصرف فى إطلاق الأموال والخلع على خواص الأمراء، وأطلق السكر والكتان إلى الشام فعلم الناس بموت السلطان من حينئذ، غير أن أحدا لا يجسر أن يتفوه به.

وسار من المعسكر الفارس أقْطَاى، وهو يومئذ رأس المماليك البحرية، لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا، وبعث الأمير حسام الدين محمد بن أبى على، نائب السلطنة بالقاهرة، من عنده قاصدا من قبله أيضا. فلما كان يوم الإثنين لثمان بقين من شعبان، أمر الأميرُ حسام الدين الخطباء بأن يدعوا يوم الجمعة للملك المعظم، بعد الدعاء لأبيه، وأن ينقش اسمه على السكة، بعد اسم أبيه وتوهم الأمير حسام الدين من الأمير فخر الدين أن يقيم الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل، ويستولى على الأمر، فنقله من عند عمات أبيه بنات الملك العادل أبى بكر بن أيوب، من القاهرة إلى قلعة الجبل، ووكل به من يحتاط عليه، ولا يسلمه لأحد.

هذا والمكاتبات ترد من الأمير فخر الدين، وعنوانها «من فخر الدين الخادم يوسف» فيجيب عنها الأمير حسام الدين، ويجعل العنوان «المملوك أبو على»، فيتجاملان فى ظاهر الأمر، وأما فى الباطن فإن الأمير فخر الدين أخذ فى الاستبداد والاستقلال بالمملكة، واختص بالصاحب جمال بن مطروح، وبالقاضى بهاء الدين زهير؛ وصار يركب فى موكب عظيم، وجميع الأمراء فى خدمته، ويترجلون له عند النزول ويحضرون سماطه.

ووصل قاصد الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا، وطالع الملك المعظم بأن المصلحة فى السرعة، ومتى تأخر فات الفوت، وتغلب الأمير فخر الدين على البلاد، ثم وصل إليه بعد ذلك قُصَّادُ فخر الدين وشجر الدر. فخرج المعظم من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فى خمسين فارسا من ألزامه. وقص عانة[1] ليعدى الفرات، وقد أقام له بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جماعة، وأقام له الحلبيون أيضا جماعة، يقبضون عليه فنجاه الله منهم وعدى الفرات من عانة، وسلك البرية، فخاطر بنفسه وكاد يهلك من العطش.

هذا وشجر الدر تدبر الأمور حتى لم يتغير شىء، وصار الدهليز السلطانى على حاله، والسماط فى كل يوم يمد، والأمراء تحضر الخدمة، وهى تقول: «السلطان مريض، ما يصل إليه أحد».

---

(١) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٧٢/٤.

وأما الفرنج فما هم إلا أن فهموا أن السلطان قد مات حتى خرجوا من دمياط، فارسهم وراجلهم، ونزلوا على فارسكور[١]، وشوانيهم فى بحر النيل تحاذيهم؛ ورحلوا من فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد فى يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب، فيه حضّ الناس على الجهاد، أوّله: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفسِكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ**﴾[٢] وكان كتابا بليغا فيه مواعظ جمة، فقرئ على الناس فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والنحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف. وارتجت القاهرة ومصر؛ لكثرة انزعاج الناس وحركتهم للمسير، فخرج من البلاد والنواحى لجهاد الفرنج عالم عظيم، وقد اشتدّ كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوّتهم وأَخْذِهم البلاد، مع موت السلطان.

فلما كان يوم الثلاثاء أوَّل يوم من شهر رمضان: واقع الفرنج المسلمين، فاستشهد العلامى أمير مجلس، وجماعة من الأجناد، وقتل من الفرنج عدّة ونزل الفرنج بشارمساح[٣].

وفى يوم الإثنين سابعه: نزلوا البَرَمُوْن، فاشتدّ الكرب وعظم الخطب، لدنوّهم وقربهم من المعسكر. وفى يوم الأحد ثالث عشره وصلوا إلى طرف بر دمياط، ونزلوا تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم. وكان معظم عسكر المسلمين فى المنصورة بالبر الشرقى، وفى البر الغربى أولاد الملك الناصر داود صاحب الكرك: وهم الملك الأمجد، والملك الناصر، والملك المعظم، والملك الأوحد، وفى عدّة من العسكر وكان أولاد الملك الناصر داود، الأكابر منهم والأصاغر الذين قدموا القاهرة، اثنى عشر ولدا ذكرا. وكان بالبر الغربى أيضًا أخو الملك الناصر داود: وهما الملك القاهر عبد الملك، والملك المغيث عبد العزيز، فاستقر الفرنج بمنزلتهم هذه، وخندقوا عليهم خندقا، وأداروا أسوارا وستروه بالستائر، ونصبوا المجانيق ليرموا بها على معسكر المسلمين، ونزلت شوانيهم بإزائهم فى بحر النيل، ووقفت شوانى المسلمين بإزاء المنصورة، ووقع القتال بين الفريقين برا وبحرا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: قفز إلى عند المسلمين ستة خيالة، وأخبروا بضائقة الفرنج.

---

(١) من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٤/٢٢٨.

(٢) سورة التوبة آية ٤١.

(٣) قرية كبيرة بمصر، بينها وبين بورة أربعة فراسخ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ من كورة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٣/٣٠٨.

وفى يوم عيد الفطر: أسر كُنْدٌ كبير من الفرنج، له قرابة من الملك ريدافرنس. واستمر القتال، وما من يوم إلا ويقتل من الفرنج ويؤسر، وقد لقوا من عامة المسلمين وسواهم نكاية عظيمة، وتخطفوا منهم وقتلوا كثيرا وكانوا إذا شعروا بالفرنج ألقوا أنفسهم فى الماء، وسبحوا إلى أن يصيروا فى بر المسلمين. وكانوا يتحيلون فى خطفهم بكل حيلة حتى أن شخصا أخذ بطيخة أدخل فيها رأسه، وغطس فى الماء إلى أن قرب من الفرنج فظنوه بطيخة، فما هو إلا أن نزل أحدهم فى الماء ليتناولها إذ اختطفه المسلم، وعام به حتى قدم به إلى المسلمين.

وفى يوم الأربعاء سابع شوال: أخذ المسلمون شينيا، فيه نحو مائتى رجل من الفرنج وكند كبير.

وفى يوم الخميس النصف منه: ركب الفرنج والمسلمون، فدخل المسلمون إليهم البر الذى هم فيه، وقاتلوهم قتالا شديدا، قتل فيه من الفرنج أربعون فارسا، وقتلت خيولهم.

وفى يوم الجمعة تاليه: وصل القاهرة سبعة وستون أسير من الفرنج، منهم ثلاثة من أكابر الداوية.

وفى يوم الخميس ثانى عشريه: أحرقت للفرنج مَرَمَّة عظيمة فى البحر، واستظهر عليهم استظهارا عظيما.

وما زال الأمر على ذلك إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس ذى القعدة، دَلَّ بعض منافقى أهل الإسلام الفرنج على مخائض فى بحر أشمون، فلم يشعر الناس إلا والفرنج معهم فى المعسكر، وكان الأمير فخر الدين فى الحمام، فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على العسكر؛ فخرج مدهوشا وركب فرسه فى غير اعتداد ولا تحفظ، وساق لينظر الخبر ويأمر الناس بالركوب، وليس معه سوى بعض مماليكه وأجناده فلقيه طُلْبُ الفرنج الداوية [(١)] وحملوا عليه، ففر من كان معه وتركوه وهو يدافع عن نفسه؛ فطعنه واحد برمح فى جنبه، واعتورته السيوف من كل ناحية. فمات رحمه الله ونزل الفرنج على جَدِيْلَة [(٢)]، وكانوا ألفًا وأربعمائة فارس ومقدمهم أخو الملك ريدافرنس.

وما هو إلا أن قتل الأمير فخر الدين، وإذا بالفرنج اقتحموا على المنصورة فتفرق

---

(١) على هامش ط: كان ملك فرنسا قد رتب الجيوش على أن تكون فئة الداوية لطليعة وأن تليها الفرقة التى يقودها أخوه.

(٢) على هامش ط: هى تل مطل على الشاطئ الجنوبى لبحر أشموم.

الناس وانهزموا يمينًا وشمالا، وكانت الكسرة أن تكون، فإن الملك ريدافرنس وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان إلا أن الله تدارك بلطفه، وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية، التى تعرف بالبحرية والجمدارية، وفيهم ركن الدين بيبرس البُنْدُقدَارِى الذى تسلطن بعد هذه الأيام فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها، وأزاحوهم عن باب القصر فلما ولوا أخذتهم السيوف والدبابيس، حتى قتل منهم فى هذه النوبة نحو ألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم. وكانت رجالة الفرنج قد أتوا الجسر ليعدوا منه، فلولا لطف الله لكان الأمر يتم لهم بتعديتهم الجسر. وكانت المعركة بين أزقة المنصورة، فانهزموا إلى حديلة منزلتهم، وقد حال بين الفريقين الليل، وأداروا عليهم سورا وخندقوا خندقا. وصارت منهم طائفة فى البر الشرقى، ومعظمهم فى الجزيرة المتصلة بدمياط فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج.

وعندما هجم الفرنج على المعسكر سرح الطائر بذلك إلى القاهرة، فانزعج الناس انزعاجا عظيما، وقدم المنهزمون من السوقة والعسكر، فلم تغلق أبواب القاهرة فى ليلة الأربعاء لتوارد المنهزمين.

وفى صبيحة يوم الأربعاء: وقعت البطاقة تبشر بالنصرة على الفرنج، فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل، وكثر فرح الناس وسرورهم وبقى العسكر يدبر أمره شجر الدر، فكانت مدّة تدبير الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد موت الملك الصالح لمملَكة مصر خمسة وسبعين يوما، وفى يوم قتله نهب مماليكه وبعض الأمراء داره، وكسروا صناديقه وخزائنه، وأخذوا أمواله وخيوله وأحرقوا داره.

* * *

السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه

ابن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ابن مروان، سار من حصن كيفا [١] إلى دمشق، لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان؛ فنزل عانة فى خمسين فارسا من أصحابه، يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة سبع وأربعين؛وخرج منها يوم الأحد يريد دمشق على طريق السَّمَاوَة[٢]

---

(١) هى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين أمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر معجم البلدان ٢/٢٦٥.

(٢) السماوة: مفازة بين الكوفة والشام، وقيل: بين الموصل والشام، وهى من أرض كلب، وكانت باسم ابن عمليق بن لاوذ بن ارم من العماليق صارت إلى أرض السماوة وهى بين العراق=

فى البرية فنزل القُصَيْر فى دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان.

ودخل المعظم تورانشاه من الغد - وهو يوم السبت سلخه - إلى دمشق، ونزل بقلعتها، فكان يوما مشهودا وقام الأمير جمال الدين بخدمته، وحلف له الأمراء، وتسلطن فى يومئذ. وخلع المعظم على الأمراء وأعطاهم أموالا جزيلة، بحيث أنه أنفق ما كان فى قلعة دمشق، وهو ثلاثمائة ألف دينار. واستدعى من الكرك مالا آخر حتى أنفقه، وأفرج عمن كان بدمشق فى حبس أبيه، وأتته الرسل من حماة وحلب تهنئه بالقدوم.

ولأربع مضين من شوال: سقطت البطائق إلى العسكر والقاهرة، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطنته بها فضربت البشائر بالمعسكر وبالقاهرة.

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشريه يريد مصر، بعدما خلع على الأمير جمال الدين، وأقرّه على نيابة السلطنة بدمشق. وقدم معه القاضى الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى [(١)]، وكان مقيما بدمشق عند الأمير جمال الدين. وقدم معه أيضا هبة الله بن أبى الزهر بن حشيش الكاتب النصرانى وقد وعده السلطان بوزارة مصر، فأسلم وتلقب بالقاضى معين الدين. وسيره السلطان أول يوم من ذى القعدة إلى قلعة الكرك؛ ليحتاط على خزائنها، فأنهى أشغاله بها ولحقه فى الرمل، وأسلم على يده هناك.

وعندما تواترت الأخبار فى القاهرة بقدوم السلطان، خرج قاضى القضاة بدر الدين السنجارى، فلقيه بغزة وقدم معه وخرج الأمير حسام الدين بن أبى على نائب السلطان إلى الصالحية، فلقيه بها يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة، ونزل السلطان المعظم تورانشاه فى قصر أبيه، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح نجم الدين أيوب ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته، بل كانت الأمور على حالها - والدهليز الصالحى والسماط ومجىء الأمراء للخدمة، على ما كان عليه الحال فى أيام حياته؛ وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها، وتقول: «السلطان مريض، ما إليه وصول» - فلم يتغير عليها شىء، إلى أن استقرّ الملك المعظم بالصالحية.

=والشام، فأهلكها الله تعالى بالريح السوداء لإفسادها فلم يبق به منهم باقية. انظر معجم البلدان ١٣١/٣، والروض المعطار ٣٢٢.

(١) هبة الله بن صاعد الفائزى، شرف الدين: من وزراء دولة المماليك البحرية بمصر. خدم «الفائز» إبراهيم بن أبى بكر، ونسب إليه وخدم بعده «الكامل» ثم ولده «الصالح». انظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٣٥٨٠ والنجوم الزاهرة ٥٨/٧ والأعلام ٧٢/٨.

فتسلم السلطان المعظم مملكة مصر، وخلع على الأمير حسام الدين بن أبى على خلعة سنية، ومنطقة وسيفا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية، وأنشده الشعراء عدّة تهانى، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات فى أنواع من العلوم وكان السلطان المعظم قد مهر فى العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم، ويلقى عليه من صغره المسائل المشكلة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها فى مجلسه. ولازم المعظم الاشتغال إلى أن برع، إلا أنه فيه هوج وخفة، مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء.

ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تِلْبَانة (١)، ثم نزل بعدها منزلة ثالثة، وسار منها إلى المنصورة. وقد تلقاه الأمراء المماليك، فنزل فى قصر أبيه وجده يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة. فأول ما بدأ أن أخذ مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار، وكثيرا من مُخَلَّفِه، بدون القيمة، ولم يعط ورثته شيئا، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار. وأخذ يسب فخر الدين ويقول: «أطلق السكر والكتان، وأنفق المال وأطلق المحابيس إيش ترك لى؟».

وكانت الميرة ترد إلى الفرنج فى منزلتهم من دمياط فى بحر النيل، فصنع المسلمون عدة مراكب، وحملوها وهى مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة، وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة؛ وكانت أيام زيادة النيل، فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة، وهذه المراكب مكمنة فيه، خرجت عليها بغتة وقاتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة، فَأُخِذَتْ مراكب الفرنج أخذا وبيلا، وكانت اثنتين وخمسين مركبا، وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجى، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات، وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء عندهم، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب، واستضرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم.

وفى أوّل ذى الحجة: أخذ الفرنج من المراكب التى فى بحر المحلة سبع حراريق، ونجا من كان فيها من المسلمين. وفى ثانى ذى الحجة تقدّم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبى على بالسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته فى نيابة السلطنة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين بن الجميزى، والشريف عماد الدين، والقاضى عماد الدين القاسم

(١) هى قرية صغيرة بمركز منية القمح من مديرية الشرقية، واسمها أيضا تلبانة ديرى. انظر الخطط التوفيقية ٩/ ٤٠ /٤١.

ابن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نبهان بن محمد بن المقنشع الحموى - قاضى مصر، وكان قد ولى القضاء بعد موت الجمال يحيى، فى جمادى الأولى -، وسراج الدين الأرموى [١] فجلس السلطان المعظم معهم وناظرهم.

وفى يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، فالتقت بها شوانى المسلمين عند مسجد النصر، فأخذت شوانى المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركبا، منها تسع شوانى. فاشتد الغلاء عند الفرنج، وشرعوا فى مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة، فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار، وقاضى القضاة بدر الدين السنجارى؛ فسألوا أن يسلموا دمياط، ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك.

وفى يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذى الحجة: أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، وخرجت السنة وهم فى منزلتهم.

وفى هذه السنة: قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس.

وفيها استولى على بن قتادة على مكة، فى ذى القعدة.

وفيها قتل الشريف شيخة أمير المدينة النبوية، وقام من بعده ابنه عيسى.

وفيها قتل المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف.

وفيها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى آخر جمادى الآخرة، عن تسع وأربعين سنة. وكان أبو زكريا يحيى قد قام وملك تونس، واستبدّ بأمرها ودعا لنفسه، وقد ضعف أمر ملوك الموحدين من بنى عبد المؤمن بن على. فأقام أبو زكريا يحيى على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة، وامتدت مملكته إلى

---

(١) محمود بن أبى بكر بن أحمد، أبو الثناء، سراج الدين الأرموى: عالم بالأصول والمنطق، من الشافعية. أصله من أرمية من بلاد أذربيجان. قرأ بالموصل وسكن دمشق. وتوفى بمدينة «قونية» له تصانيف، منها مطالع الأنوار فى المنطق، شرحه كثيرون والتحصيل من المحصول فى الأصول، ولطائف الحكمة وشرح الإشارات لابن سينا، وشرح الوجيز للغزالى فى فروع الفقه، وبيان الحق منطق وحكمة، ولباب الأربعين فى أصول الدين. انظر السبكى فى الطبقات ١٥٥/٥، والوسطى والصغرى، وكشف الظنون ٢٦١، ١٧١٥ معجم المطبوعات ٤٢٧/١، وهدية العارفين ٢/ ٤٠٦. الأعلام ١٦٦/ ٧.

تلمسان وسِجِلْمَاسَة وسَبْته، وبايعه أهل إشْبِيْلِيَّة(١) وشاطِبَة(٢) والمرية(٣) ومَالَقَة(٤)

---

(١) إشبيلية: مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهى مدينة قديمة أزلية يذكرها أهل العلم باللسان اللطينى أن أصل تسميتها إشبالى معناه المدينة المنبسطة. ويقال إن الذى بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر، وكان سبب بنيانه إياها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها أعجبه كرم ساحته وطيب أرضه وجبله المعروف بالشرف، فردم على النهار الأكبر مكانًا وأقام فيه المدينة وأحدق عليها بسور من صخر، وبنى فى وسط المدينة قصبتين متقنتين عجيبتى الشأن تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس واشتق لها اسما من اسمه ومن اسم رومية فسماها رومية يوليش. ويقال إن إشبانية اسم خاص ببلد إشبيلية الذى كان ينزله إشبان ابن طيطش وباسمه سميت الأندلس إشبانية، ولم تزل معظمة عند العجم من ذلك الوقت، وقد كان فيها رجال ولوا قيادة العجم العظمى والمملكة بمدينة رومية، وروى أن المرأة التى قتلت يحيى بن زكريا عليه السلام من إشبيلية من قرية طالقة. وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقها كثير وأهلها مياسير، وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم بناه بعد غلبة المجوس عليها بالحجر، وأحكم بناءها وكذلك جامعها من بنائه، وهو من عجيب البنيان وجليلها، وصومعته بديعة الصناعة غريبة العمل، وبإشبيلية آثار للأول كثيرة، وبها أساطين عظام تدل على هياكل كانت بها. وإشبيلية من الكور المجندة، نزلها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق، وهى من أمصار الأندلس الجليلة الكثيرة المنافع العظيمة الفوائد. وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة فى جماداها الآخر كان السيل العظيم الجارف بإشبيلية، وفى سنة ست وأربعين وستمائة تغلب العدو على مدينة إشبيلية فى شعبان منها بعد أن حوصرت أشهرًا حتى ساءت أحوال أهلها وخافوا ويئسوا من الإعانة، فأتفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها فكان ذلك، وأجلهم الفنش ريثما يستوفون احتمال ما استطاعوا حمله من أموالهم ثم خرجوا عنها وأقامت خالية ثلاثة أيام وسرح معهم الطاغية خيلاً توصلهم إلى مأمنهم وكان صاحب أناة وسياسة، ويقال إنه لما مات دفن فى قبلة جامعها الأعظم. انظر معجم البلدان ١/ ٣٧، والروض المعطار ٥٩، ٦٠.

(٢) شاطبة: بالأندلس، مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهى كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، وهى قريبة من جزيرة شقر، ويعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعم المشرق والمغرب، وفيها بنيان قديم من عمل الأول يقولون له الصنم، وهى حاضرة آهلة بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادى. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٠٩، والروض المعطار ٣٣٧.

(٣) مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. انظر معجم البلدان ٥/ ١١٩.

(٤) مالقة: بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر فى قبليها، وهى حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيبًا وعذوبة، ولها ربضان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها واد يجرى فى زمان الشتاء وليس بدائم الجرى. وهى من تأسيس الأول، وأكثر المدينة على جسرين من بناء الأول، والجسر فى البحيرتين هناك، قد بنى بصخر كأنوف الجبال، وقصبتها فى شرقى مدينتها عليها سور صخر، وهى فى غاية الحصانة والمنعة، وفى=

وغَرْنَاطَة[1]، وخلف مالا جما، فبويع بعده ابنه محمد المستنصر. وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين، وأما من كان قبله منهم فإنما كانوا عمالا لبنى عبد المؤمن.

وفيها قبض الشريف أبو سعد بن على بن قتادة على الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة فى آخر شوّال، كما تقدّم فى السنة الخالية، وقام هو بإمرة مكة.

* * *

=هذه القصبة مسجد بناه الفقيه المحدث معاوية بن صالحى الحمصى، وكان ممن حضر وقعة مروان بن محمد ليلة بوصير فأنجاه ولجأ إلى الأندلس فرقًا من المسودة، ومات بها، وله روايات وتقدم فى السنة والعلم. وجامع مدينة مالقة بالمدينة، وهو خمس بلاطات، ولها خمسة أبواب: بابان منها إلى البحر، وباب شرقى يعرف بباب القصبة، وباب غربى يعرف بباب الوادى، وباب حوفى يعرف بباب الخوخة. وبها مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق حامعة كثيرة فى الربض والمدينة. ومن مالقة إلى أرشذونة ثمانية وعشرون ميلاً، ومرسى مالقة صيفى يكنى بالغربى وبإزائه مما يلى المدينة الجسر الذى ذكرناه، ينكسر عليه الموج. انظر معجم البلدان ٥/ ٤٣، والروض المعطار ٥١٧، ٥١٨.

(١) غرناطة - أو أغرناطة -: مدينة بالأندلس بينها وبين وادى آش أربعون ميلاً وهى من مدن إلبيرة، وهى محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى أغرناطة؛ ومدنها وحصن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجى ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس، فكملت فى أيامه وعمرت إلى الآن، ويشقها نهر يسمى حدره وبينها وبين إلبيرة ستة أميال، وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودًا، وهى اليوم مدينة كبيرة قد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة. انظر معجم البلدان ٤/١٩٥، والروض المعطار ٤٥، ٤٦.

سنة ثمان وأربعين وستمائة

فى ليلة الأربعاء ثالث المحرم: رحل الفرنج بأسرهم من منزلتهم يريدون مدينة دمياط، وانحدرت مراكبهم فى البحر قبالتهم. فركب المسلمون أقفيتهم، بعد أن عدوا برهم واتّبعوهم. فطلع صباح نهار يوم الأربعاء، وقد أحاط بهم المسلمون، وبذلوا فيهم سيوفهم، واستولوا عليهم قتلا وأسرا، وكان معظم الحرب فى فارسكور، فبلغت عدّة القتلى عشرة آلاف فى قول المقل، وثلاثين ألفا فى قول المكثر. وأسر من خيالة الفرنج ورجالتهم المقاتلة، وصناعهم وسوقتهم، ما يناهز مائة ألف إنسان؛ وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة، واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل، وأبْلَت الطائفة البحرية - لاسيما بيبرس البندقدارى - فى هذه النوبة بلاء حسنا، وبان لهم أثر جميل.

والتجأ الملك ريدافرنس - وعدة من أكابر قومه - إلى تل [المُنْيَة][1]، وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى، ونزلوا على أمانه. وأخذوا إلى المنصورة، فقيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد، واعتقل فى دار القاضى فخر الدين إبراهيم ابن لقمان[2] - كاتب الإنشاء، التى كان ينزل بها من المنصورة ووكل بحفظه الطواشى صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه، وأجرى عليه راتب فى كل يوم. وتقدّم أمر الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطودى - أحد من وصل معه من بلاد الشرق - بقتل الأسرى من الفرنج، وكان سيف الدين يُخرج كل ليلة منهم ما بين الثلاثمائة والأربعمائة ويضرب أعناقهم ويرميهم فى البحر، حتى فنوا بأجمعهم.

ورحل السلطان من المنصورة، ونزل بفارسكور وضرب بها الدهليز السلطانى، وعمل فيه برجا من خشب، وأقام على لهوه. وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتابا بخطه نصه: «من ولده تورانشاه الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن،

---

(١) المقصود هنا منية عبد الله، القرية من ناحية شرمساح. انظر العينى، عقد الجمان ٢١٠.

(٢) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعرودى ثم المصرى، أبو العباس فخر الدين: وزير، من الكتاب له شعر. أصله من إسعرد وتتلمذ للبهاء زهير بمصر. وولى ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. ولى الوزارة مرتين. وهو الذى حبس فى داره سنة ٦٤٨ هـ لويس التاسع ملك فرنسا. توفى ابن لقمان بالقاهرة. انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/٦ ثم ٨/ ٥٠،٥١ والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣ ومجلة الزهراء ٢/ ٥ ومرآة الزمان ٨/ ٧٧٨-٧٧٩ والأعلام ٥٨/١.

﴿وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾(١) ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾(٢)، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٣)، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾(٤)، نبشر المَجْلِس السَّامِيّ الجَمَالِي، بل نبشر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تيأسوا من روح الله. ولما كان يوم الإثنين مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرَّقنا السلاح، وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين. وما زال السيف يعمل فى أدبارهم عامة الليل، فيوحلَّ بهم الخزى والويل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفًا، غير من ألقى نفسه فى اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوّته، وجلاله وعظمته»، وذكر كلاما طويلا. وبعث المعظم مع الكتاب غفَارَة(٥) الملك الفرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهى أَشْكَرْلاط(٦) أحمر بفرو سنجاب، فيها بُكْلَة ذهب فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

إن غفارة الفرنسيس التى ... جاءت جباء لسيد الأمراء
كبياض القرطاس لونا ولكن ... صبغتها سيوفنا بالدماء

---

(١) سورة الأنفال آية ١٠.

(٢) سورة الروم آية ٤.

(٣) سورة الضحى ١١.

(٤) سورة النحل ١٨.

(٥) الغفارة: والْمِغْفَرُ وَالْمِغْفَرَةُ والْغِفارَةُ: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو رفرف البيضة، وقيل هو حلق يتقنع به المتسلح. قال ابن شميل: المغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه، قال: وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقيها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع، ثم يلبس البيضة فوقها، فذلك المغفر يرفل على العاتقين، وربما جعل المغفر من ديباج وخز أسفل البيضة، وفى حديث الحديبية: والمغيرة بن شعبة عليه المغفر؛ وما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه. والغفارة، بالكسر: خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها ما قبل منه وما دبر غير وسط رأسها، وقيل: الغفارة خرقة تكون دون المقنعة توقى بها المرأة الخمار من الدهن، والغفارة الرقعة التى تكون على حز القوس الذى يجرى عليه الوتر، وقيل: الغفارة جلدة تكون على رأس القوس يجرى عليها الوتر، والغفارة السحابة فوق السحابة، وفى التهذيب سحابة تراها كأنها فوق سحابة، والغفارة رأس الجبل. والغفر البطن. انظر لسان العرب ٣٢٧٤.

(٦) على هامش ط: نوع من القماش، كان يرد من بلاد إيرلندة. لونه قرمذى.

وقال آخر:

أسَيِّدَ أملاك الزمن بأسرهم تنجزت من نصر الإله وُعُودَه
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ويُلبس أسلابَ الملوك عبيدَه

وأخذ الملك المعظم فى إبعاد رجال الدولة، فأخرج الملكَ المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها. وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن بن الملك العزيز عثمان بن العادل أبى بكر بن أيوب[1] من مصر إلى دمشق، فلما وصل دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله.

وفى يوم الجمعة لخمس من المحرم: ورد إلى القاهرة كتاب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبى على نائب السلطنة بالقدوم عليه، وأقام بدله فى نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقوش النجيبى ووصل الأمير أبو على إلى المعسكر، فنزل به مُطَّرَحَ الجانب، بعدما كان عدَّة الملك الصالح وعمدته، وبعث المعظم إلى شجر الدر يتهددها، ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كثير، لما بدا منه الهوج والخفة، وكاتبت المماليك البحرية بما فعلته فى حقه، من تمهيد الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم المملكة، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها. فأنفوا لها، وحنقوا من أفعال السلطان. وكان السلطان المعظم قد وعد الفارس أقطاى لما أتاه فى حصن كيفا بأن يُؤَمِّره، فلم يف له بذلك، فتنكر له أقطاى وكتم الشر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنا.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن السلطان المعظم أعرض عن مماليك أبيه الذين كانوا عنده لمهماته، واطّرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه، واختص بجماعته الذين قدموا معه، وولاّهم الوظائف السلطانية. وقدَّم الأراذل: وجعل الطواشى مسرورًا - هو خادمه - أستادار السلطان، وأقام صبيحًا - وكان عبدا حبشيًا فَحْلاً - أمير جاندار، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة، وأمر أن يُصاغ له عصا من ذهب. وأساء السلطان إلى المماليك وتوعَّدهم، وصار إذا سكر فى الليل جمع ما بين يديه من الشمع، وضرب رءوسها بالسيف حتى تتقطع، ويقول: «هكذا أفعل بالبحرية»، ويسمى كل واحد منهم باسمه. واحتجب أكثر من أبيه، مع الانهماك على الفساد بمماليك أبيه، ولم يكونوا يألفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بخطايا أبيه.

---

(١) حسن (السعيد) بن عثمان (العزيز) بن محمد (العادل الأيوب) كان صاحب الصبية وبانياس قرب دمشق تملك سنة ٦٤١ وأخذ الصبية منه الملك الصالح (أيوب) حوالى ٦٤٠ وأعطاه إمرة فى مصر، فلما قبل المعظم بن الصالح (٦٤٨) عاد إلى الصبية. انظر العبد ٥/٢٤٥، ٢٤٦ وترويح القلوب ٧١ والذيل على الروضتين ٢٠٧ والشذرات ٥/٢٤٠ والأعلام ٢/ ١٩٨.

وصار مع هذا جميعُ الحل والعقد، والأمر والنهى لأصحابه الذين قدموا معه، فنفرت قلوب البحرية منه، واتفقوا على قتله، وما هو إلا أن مد السماط بعد نزوله بفارسكور، فى يوم الإثنين سادس عشرى المحرم، وجلس السلطان على عادته، تقدم إليه واحد من البحرية - وهو بيبرس البندقدارى، الذى صار إليه مُلك مصر - وضربه بالسيف: فتلقاه المعظم بيده فبانت أصابعه، والتجأ إلى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور وهو يصيح: «من جرحنى؟» قالوا: «الحشيشة»، فقال: «لا والله إلا البحرية! والله لا أبقيت منهم بقية!» واستدعى المزين ليداوى يده. فقال البحرية بعضهم لبعض: «تمموه وإلاّ أبادكم»، فدخلوا عليه بالسيوف. ففر المعظم إلى أعلى البرج وأغلق بابه، والدم يسيل من يده، فأضرموا النار فى البرج، ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج، وتعلق بأذيال الفارس أقطاى، واستجار به فلم يجره، وفر المعظم هاربا إلى البحر، وهو يقول: «ما أريد ملكا، دعونى أرجع إلى الحصن يا مسلمين! ما فيكم من يصطنعنى ويجيرنى؟». هذا وجميع العسكر واقفون، فلم يجبه أحد، والنشاب يأخذه من كل ناحية. وسبحوا خلفه فى الماء، وقطعوه بالسيوف قطعا، حتى مات جريحا حريقا غريقا؛ وفرّ أصحابه واختفوا.

وتُرك المعظم على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه، إلى أن شفع فيه رسول الخليفة، فحمل إلى ذلك الجانب ودفن، فكانت مدّة ملكه أحدًا وسبعين يوما. وقيل مرة لأبيه فى الإرسال إليه، ليحضر من حصن كيفا إلى مصر، فأبى، وألح عليه الأمير حسام الدين أبو على فى طلب حضوره، فقال: «متى حضر إلى هنا قتلته». وكان المباشر لقتله أربعة من مماليك أبيه، وكان الملك الصالح نجم الدين لما أراد أن يقتل أخاه العادل، قال الطواشى محسن: «اذهب إلى أخى العادل فى الحبس، وخذ معك من المماليك من يخنقه»، فعرض محسن ذلك على جماعة من المماليك، وكلهم يمتنع إلاّ أربعة منهم، فمضى بهم حتى خنقوا العادل. فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه المعظم أقبح قتلة. ورؤى فى النوم الملكُ الصالح نجم الدين بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه، وهو يقول:

قتلوه شرّ قتله ... صار للعالم مُثله
لم يراعوا فيه إلاّ ... لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب ... لأقل الناس أكْلَه

فكان ما يأتى ذكره من الوقعة بين المصريين والشاميين، بين المعز أيبك[1] والناصر

---

(١) أيبك بن عبد الله الصالحى النجمى، عز الدين التركمانى: أول سلاطين المماليك البحرية=

صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف، وهو صاحب حلب وعدم فيها عدّة من الأعيان. وبقتل المعظم انقرضت دولة بنى أيوب من أرض مصر، وكانت مدتهم إحدى وثمانين سنة، وعدّة ملوكهم ثمانية، كما مرَّ ذكرهم. فسبحان الباقى، وما سواه يزول.

* * *

الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس، وقيل بل أرمنية، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرا ولا حضرا. وولدت منه ابنا اسمه خليل، مات وهو صغير. وهذه المرأة شجر الدر، هى أوّل من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، كما تقدّم ذكره، اجتمع الأمراء المماليك البحرية، وأعيان الدولة وأهل المشورة، بالدهليز السلطانى؛ واتفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مملكة مصر، وأن تكون العلامات السلطانية على التواقيع[1] تبرز من قبلها، وأن يكون مقدّم العسكر الأمير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحرية. وحلفوا على ذلك فى عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومى من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فأعجبها، وصارت الأمور كلها معقودة بها، والتواقيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها «والدة خليل». وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة، ومثاله «المستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين»، وكان الخطباء يقولون فى الدعاء: «اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل»، وبعضهم يقول، بعد الدعاء للخليفة: «واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح».

=فى مصر والشام. كان مملوكًا للصالح نجم الدين أيوبى، وأعتقه فصار فى جملة الأمراء عنده. وجعله مقدما للعساكر بعد مقتل الملك المعظم تورانشاه وقيام زوجة أبيه شجرة الدر بالأمر، وتزوج بشجرة الدر، فنزلت له عن الملك، وتولاه بمصر سنة ٦٤٨هـ، وتلقب بالملك المعز. انظر ابن إياس ٩٠/١ والنجوم الزاهرة ٣/٧-٤١ والأعلام ٣٣/٢.

(١) التواقيع جمع توقيع، ومعناه هنا نسخة الأمر بتعيين شخص على إقطاع. انظر: صبح الأعشى ١٤٤/٣.

ولما حلف الأمراء والأجناد واستقرّت القاعدة، نُدِب الأمير حسام الدين محمد بن أبى على للكلام مع الملك ريدافرنس فى تسليم دمياط، فجرى بينه وبين الملك مفاوضات ومحاورات ومراجعات، آلت إلى أن وقع الاتفاق على تسليمها من الفرنج، وأن يخلّى عنه ليذهب إلى بلاده، بعدما يؤدى نصف ما عليه من المال المقرر. فبعث الملك ريدافرنس إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها، فأبوا وعاودهم مرارًا، إلى أن دخل العلم الإسلامى إليها، فى يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر، ورفع على السور وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق. فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهرًا وتسعة أيام.

وأفرج عن الملك ريدافرنس، بعدما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار، وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقى من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة، ممن أسر فى هذه الواقعة، ومن أيام العادل والكامل والصالح وكانت عدتهم اثنى عشر ألف أسير ومائة أسير وعشر أسارى، وساروا إلى البر الغربى، ثم ركبوا البحر فى يوم السبت تاليه، وأقلعوا إلى جهة عكا. فقال الصاحب جمال الدين بن مطروح فى ذلك:

قل للفرنسيس إذا جئته	مقال نصح من قوول فصيح
آجرك الله على ما جرى	من قتل عُبَّاد يسوع المسيح
أتيتَ مصرًا تبتغى ملكها	تحسب أن الزمر ياطبل ريح
فساقك الحين إلى أدْهَمٍ	ضاق به عن ناظرتك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفًا لا يُرى منهمُ	إلا قتيل أو أسير جريح
ألهمك الله إلى مثلها	لعل عيسى منكُم يستريح
إن يكن الباب بذا راضيا	فرب غش قد أتى من نصيح
فاتخذوه كاهنا إنه	أنصح من شِقّ لكم أو سطيح
وقل لهم إن أزمعوا عودة	لأخذ ثأر أو لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشى صبيح

واتفق أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من أيدى المسلمين، عزم على الحركة إلى تونس من بلاد إفريقية، لما كان فيها من المجاعة والموتان. وأرسل يستنفر ملوك النصارى، وبعث إلى البابة [١] خليفة المسيح بزعمهم. فكتب البابة إلى ملوك النصارى بالمسير معه، وأطلق يده فى أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء. فأتاه من الملوك

(١) على هامش ط: المقصود البابا.

الإنْكِتار[١]، وملك اسكوسنا، وملك ثُورَل، وملك برشلونة واسمه ريداركون، وجماعة أخر من ملوك النصارى، فاستعد له السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن الأمير أبى زكريا يحيى بن الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص عمر[٢]، ملك تونس، وبعث إليه رسله فى طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار، فأخذها الفرنسيس ولم يصالحهم، وسار إلى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين وستمائة، ونزل بساحل قُرْطَاجَنَّة[٣] فى ستة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل. وأقام الفرنسيس

---

(١) على هامش ط: أطلق مؤرخى المسلمين هذا الاسم على ملك انجلترا فى العصور الوسطى.

(٢) محمد بن يحيى الواثق بالله بن محمد المستنصر الأول، أبو عصيدة أمير المؤمنين المستنصر بالله. من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع له بعد وفاة المستنصر الثانى أبى حفص عمر بن يحيى (سنة ٦٩٤ هـ) وكان مهيبًا حميد السيرة، فيه دماء وأيامه أيام هدنة ورخاء. استمر إلى أن توفى. انظر الخلاصة النقية ٦٨ - الدرر الكامنة ٤/ ٢٨٥- الدولة الحفصية ٩٥ - خلاصة تاريخ تونس ١١١ الأعلام ٧/ ١٣٨.

(٣) قرطاجنة إفريقية: وهى أجلها وأشهرها، حتى قال المسعودى: لما ذكرت البيوت المعظمة عند أوائل الروم، قال: كان بيت معظم قبل ظهور دين النصرانية ببلاد المغرب بقرطاجنة، وهى تونس وراء بلاد القيروان، وهى من أرض الإفرنجة، وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال أو نحوها، ومرساهما واحد، وقرطاجنة من المدن المشهورة، وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس فى بلد شرقًا ولا غربًا، ولو دخلها إنسان ومشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى كل يوم فيها أعجوبة لم يرها قبل ذلك. وهى الآن خراب لأن المسلمين لما غزوها فى صدر الإسلام هرب أهلها من باب يقال له باب النساء، فمنهم من فر إلى الأندلس، ومنهم من فر إلى جزيرة صقلية، ويقال إن حسان بن النعمان لما غزاها فى سلطان عبد الملك أو غيره خربها وكسر قناتها. ومن غريب مبانى قرطاجنة الدواميس التى عددها أربعة وعشرون فى سطر واحد، طول كل داموس منها مائة وثلاثون خطوة فى عرض ست وعشرين، فى أعلاها أقباء، بين كل داموسين منها خوخات يصل منها الماء إلى جميعها بهندسة وحكمة، وبقرطاجنة دار الطياطر وهو كله أقباء معقودة على سوارى رخام وعليها مثلها نحو أربع مرات قد أحاطت بالدار، والدار دائرة، من أغرب ما يكون من البناء، وبها من أبواب كثيرة قد صور على كل باب منها صورة نوع من الحيوان وقد صور على الحيطان صور جميع الصناع بأيديهم آلاتهم، وفى هذه الدار من الرخام ما لو أجمع أهل إفريقية على نقله ما قدروا عليه لكثرته، وكان فيها قصران يعرفان بالأختين ليس فيهما حجر سوى الرخام، وداخل المدينة ميناء تدخله المراكب بشرعها؛ وفيها مواجل كثيرة للماء، وبعضها يسمى بالجرير، وآخر فيها يعرف بمواجل الشياطين بسبب أن من يقرب منها يسمع لها دويًا والناس يتنافسون فى الدخول فيها، فمن حسر على دخولها ليلاً علم أنه جرىء القلب ثبت الجنان، وفى وسط المدينة صهريج كبير حوله نحو ألف وسبعمائة حنية سوى ما تهدم منها، كان يقع فيها الماء المجلوب فى هذه القناة ويخرج من هذا الصهريج إلى بعض تلك المواجل، وفى بعض أرجل القناطر كتابة فى حجر قيل إن ترجمتها: هذا من أعمال سمرقند، وقيل إن ذلك الماء جلب فى أربعين سنة، ولو قيل فى أربعمائة سنة لكان أعجب. انظر معجم البلدان ٤/٥٧، ٥٨، والروض المعطار ٤٦٣، ٤٦٤.

هناك ستة أشهر، فقاتله المسلمون - للنصف من محرم سنة تسع وستين - قتالا شديدا قتل فيه من الفريقين عالم عظيمة وكاد المسلمون أن يغلبوا، فأتاهم الله بالفرج وأصبح ملك الفرنجة ميتا، فجرت أمور آلت إلى عقد الصلح ومسير النصارى. ومن الغريب أن رجلا من أهل تونس اسمه أحمد بن إسماعيل الزيات، قال:

يا فرنسيس هذه أخت مصر ... فتأهَّب لما إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبرًا ... وطواشيك منكر ونكير

فكان هذا فألا عليه ومات[......][1]؛ وكان ريدافرنس هذا عاقلا داهيا خبيثا مُفكِّرًا.

ولما استولى المسلمون على دمياط، سارت البشائر إلى القاهرة ومصر وسائر الأعمال، فضربت البشائر وأعلن الناس بالسرور والفرح، وعادت العساكر إلى القاهرة فى يوم الخميس تاسع صفر.

فلما كان يوم الإثنين ثالث عشره: خلعت شجر الدر على الأمراء وأرباب الدولة، وأنفقت فيهم الأموال وفى سائر العسكر.

ووصل خبر قتل الملك المعظم وإقامة شجر الدر فى السلطنة إلى دمشق، بمسير الخطيب أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الإسعردى؛ لاستخلاف الأمراء بها. وكان فيها الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة، والأمراء القيمرية، فلم يجيبوه وأخذوا فى مغالطته. واستولى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبى بكر ابن أيوب على مال مدينة غزة، وصار إلى قلعة الصبَيْبَة فملكها. فلما ورد الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فى يوم الإثنين لثلاث ليلة خلت من صفر، أحيط بداره من القاهرة، وأخذ ما كان له بها. وثار الطواشى بدر الدين لؤلؤ الصوابى الصالحى - نائب الكرك والشوبك، وركب إلى الشوبك، وأخرج الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل الصغير من الحبس، وملّكه الكرك والشوبك وأعمالها وحلّف له الناس، وقام يدبر أمره لصغر سنه.

وكتب الأمراء القيمرية من دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب حلب، يخبرونه بامتناعهم من الحلف لشجر الدر، ويحثونه على المسير إليهم حتى يملك دمشق. فخرج من حلب فى عساكره مستهل شهر ربيع الآخر، ووصل إلى دمشق يوم السبت

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

ثامنه، ونازلها إلى أن كان يوم الإثنين عاشره زحف عليها. ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد، وكان القائم بذلك من القيمرية الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرى الكردى. فدخلها الناصر صلاح الدين هو وأصحابه بغير قتال، وخلع على الأمراء القيمرية، وعلى الأمير جمال الدين بن يغمور، وقبض على عدّة من الأمراء المماليك الصالحية وسجنهم. وملك الناصر صلاح الدين قلعة دمشق، وكان بها مجاهد الدين إبراهيم أخو زين الدين أمير جندار، فسلمها إلى الناصر، وبها من المال مائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم سوى الأثاث. ففرق الناصر جميع ذلك على الملوك والأمراء، وأعطى شمس الدين لؤلؤ من خزائنه عشرة آلاف دينار، وخلعة وفرسا وثلاثمائة ثوب، فرد شمس الدين ذلك، إلا الخلعة والفرس.

وكان الخبر قد ورد إلى قلعة الجبل - فى سادس ربيع الآخر - بخروج الناصر من حلب، فجدَّد الأمراء والمماليك وغيرهم الأيمان لشجر الدر، ولعز الدين أيبك بالتقدمة على العساكر، ودارت النقباء على الأجناد، وأمروهم بالسفر إلى الشام. وفى يوم الأربعاء ثانى عشره رُسم أن يسير الأمير أبو على بالعسكر. وفى رابع عشره ورد الخبر بمنازلة الناصر لدمشق، فوقع الحث على خروج العسكر. وفى حادى عشريه ورد الخبر بأن الناصر مَلَك دمشق، بتسليم القيمرية البلد له، فقُبض على عدّة من أمراء مصر الذين ليسوا من الترك، ووقع اضطراب كثير فى القاهرة، وقبض على القاضى نجم الدين ابن قاضى نابلس، وعدة ممن يتهم بالميل إلى الناصر وتزوج الأمير عز الدين أيبك بشجر الدر، فى تاسع عشرى شهر ربيع الآخر، وخلعت شجر الدر نفسها من مملكة مصر، ونزلت له عن الملك، فكانت مدّة دولتها ثمانين يوما.

* * *

الملك المعز عز الدين أيبك[1] الجاشنكير التركمانى الصالحى

كان تركى الأصل والجنس، فانتقل إلى مِلك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من بعض أولاد التركمانى، فعرف بين البحرية بأيبك التركمانى؛ وترقى عنده فى الخدم، حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكيرا، إلى أن مات الملك الصالح، وقتل بعده ابنه الملك المعظم. فصار أيبك أتابك العساكر، مع شجر الدر؛ ووصل الخبر بذلك إلى بغداد، فبعث الخليفة المستعصم بالله من بغداد كتابا إلى مصر، وهو ينكر

---

(١) على هامش ط: هذا الاسم مركب من لفظين مركبين، وهما أى بك. ومعنى أولهما القمر، ومرادف ثانيهما فى العربية لفظ الأمير.

على الأمراء ويقول لهم: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا».

واتفق ورود الخبر باستيلاء الملك الناصر على دمشق، فاجتمع الأمراء والبحرية للمشور[١]، واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أيبك مقدم العسكر فى السلطنة، ولقوه بالملك المعز؛ وكان مشهورا بينهم بدين وكرم وجودة رأى.

فأركبوه فى يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر، وحمل الأمراء بين يديه الفاشية نوبا واحدا بعد آخر إلى قلعة الجبل، وجلسوا معه على السماط؛ ونودى بالزينة فزينت القاهر ومصر.

فورد الخبر فى يوم الأحد تاليه تسليم الملك المغيث عمر الكرك والشوبك، وبتسلم الملك السعيد قلعة الصبيبة فلما كان بعد ذلك تجمع الأمراء، وقالوا: «لابد من إقامة شخص من بيت الملك مع المعز أيبك ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله».

قاتفقوا على إقامة الملك شرف مظفر الدين موسى بن الملك المسعود - ويقال له الناصر صلاح الدين - يوسف بن الملك المسعود يوسف - المعروف باسم القسيس - ابن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، وله من العمر نحو ست سنين، شريكا لملك المعز أيبك، وأن يقوم الملك المعز بتدير الدولة.

فأقاموه سلطانا فى ثالث جمادى الأولى، وجلس على السماط وحضر الأمراء فى خدمه يوم الخميس خامس جمادى الأولى. فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين الأشرف والمعز، إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم فى الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيبك.

وكان بغزة جماعة من العسكر، عليهم الأمير ركن الدين خاص ترك، فرجعوا إلى الصالحية واتفقوا مع عدة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل الصغير، صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية، يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة.

فلما ورد الخبر بذلك نودى فى القاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسى، وأن الملك المعز عز الدين أيبك نائبه بها، وذلك فى يوم الأحد سادسه.

ووقع الحث فى يوم الإثنين على خروج العساكر، وجددت الأيمان للملك الأشرف موسى والملك المعز أيبك، وأن يبرز اسمهما على التواقيع والمراسيم، وينقش اسمهما على

---

(١) المشور صيغة عامية للفظ المشورة. انظر محيط المحيط.

السكة، ويخطب لهما على المنابر، وأقيم شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن ساعد الفائزى المنعوت بالأسعد فى الوزارة.

وتسحب من الصالحية الطواشيان شهاب الدين رشيد الكبير، وشهاب الدين الصغير، وركن الدين خاص ترك، وأقش المشرف فقبض على الطواشى شهاب الدين رشيد الصغير، وأحضر إلى القاهرة فاعتقل بها، ونجا الباقون.

وسارت الخلع لمن بقى بالصالحية، وعفى عنهم وأمنوا، وأرسل إليهم بنفقة.

وفى يوم الخميس عاشره: ركب الملكان الأشرف والمعز بالصناجق السلطانية، وشقا القاهرة، والمعز يحجب [١] الأشرف، والأمراء تتناوب فى حمل الغاشية واحدا بعد واحد. وقدمت عساكر الملك الناصر إلى غزة، فخرج الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار - وكانت إليه تقدمة المماليك البحرية - من القاهرة، فى يوم الخميس خامس شهر رجب، بألفى فارس وسار إلى غزة ، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم.

وفى يوم الخميس لخمس بقين من رجب: اتفق أهل الدولة على نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة، إلى تربته التى بنيت له بجوار مدارسه الصالحية من بين القصرين. فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة، وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض، وقطع المماليك شعورهم، وأقيم عزاؤه ودفن ليلا. ونزل الملكان الأشرف والمعز من قلعة الجبل إلى التربة الصالحية فى يوم السبت، ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية، والأمراء والقضاء والأعيان. وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين، واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الإثنين. وجعل عند القبر سناجق السلطان وبقجه [٢] وقوسه وتركاشه[٣]، وترتبت القراء يقرءون عند قبره.

وفى هذه السنة: عزل بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى عن قضاء القاهرة، وولى بعده عماد الدين أبو القاسم بن المقنشع بن القطب الحموى. فلما مات أفضل الدين الخونجى، ولى ابن القطب الحموى بعده قضاء مصر. ثم ولى صدر الدين موهوب الجزرى قضاء مصر، عند انتقال ابن القطب إلى قضاء القاهرة.

---

(١) المقصود هنا أن المعز أيبك كان يودى وظيفة الحاجب فى ذلك الموكب، أى أنه كان راكبا أمامه بعصا فى يده. انظر صبح الأعش ٤٥١/٥.

(٢) البقجة الصرة من القماش، توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة، وهى فارسية الأصل، وتجمع على بقج. انظر محيط المحيط.

(٣) التركاش لفظ فارسى الأصل، معناه الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب.

وفى آخر شهر رجب: أعيد البدر السنجارى إلى قضاء القاهرة، وابن القطب إلى قضاء مصر. ثم جمع قضاء مصر والقاهرة للسنجارى، وصرف ابن القطب عن مصر. وعاد الفارس أقطاى من غزة إلى القاهرة، فى رابع شعبان. وفى خامسه قبض على الأمير زين الدين أمير جاندار الصالحى، وعلى القاضى صدر الدين قاضى آمد - وكان من كبراء الدولة الصالحية، واعتقلا.

ولاثنتى عشرة بقيت من شعبان: وقع الهدم فى مدينة دمياط، باتفاق أهل الدولة على ذلك، وخرج الحجارون والصناع والفعلة من القاهرة، فأزيلت أسوارها ومحيت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع. وسكن طائفة من ضعفاء الناس فى أخصاص على شاطئ النيل من قبليها، وسموها المنشية وهو موضع دمياط الآن. ولِستّ بقين قُبض على الأمير جمال الدين النجيبى واعتقل وبعده بيوم قبض على أقش العجمى.

وأخذ الملك الناصر صاحب الشام فى الحركة لأخذ مصر، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى له على ذلك. وخرج الناصر من دمشق بعساكره، يوم الأحد النصف من شهر رمضان، ومعه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب والملك الأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه[1]، والملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين الكبير[2] وأخوه نصرة الدين الظاهر شادى بن الناصر داود وأخوه الملك الأمجد حسن، والملك الأمجد تقى الدين عباس بن العادل، وعدة ملوك.

فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة، ورُسِم بجمع العربان من الصعيد، وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر فى ثانى شوال، عندما ورد الخبر بوصوله إلى غزة. وفى غَدِه كثر الإرجاف ووقع التهيؤ للحرب، وأحضرت الخيول من الربيع[3].

---

(١) موسى (الأشرف) بن إبراهيم (المنصور) بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير: ملك حمص والرحبة. يلقب مظفر الدين وكانت ولايته سنة ٦٤٤هـ. انظر مرآة الجنان ٤/١٦٠ والشذرات ٥/٣١١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣ والأعلام ٧/٣١٩.

(٢) تورانشاه (المعظم) بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، أبو المفاخر: من أمراء الأيوبيين ورابع من تلقب بالملك المعظم منهم. ولم يل السلطنة. ولد بمصر وتفقه وتلقى الحديث فى دمشق. وتولى قيادة الجيش الحلبى زمنا. انظر صلة التكملة للحسينى. وأعلام النبلاء ٤/٤٥٢ وترويح القلوب ١٠٠ والعبر ٥/ ٢٤٥ والأعلام ٢/٩٠.

(٣) الربيع هنا مكان الرعى.

وفى يوم الإثنين ثامنه: برز الأمير حسام الدين أبو على من القاهرة، وكان الوقت شتاء. وفى تاسعه برز الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار - مقدم البحرية - فى جمهور العسكر من الترك. وسارت العساكر فى حادى عشره، واجتمعت بالصالحية.

وفى يوم السبت ثالث عشره: استناب الملك المعز أيبك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نوّاب دار العدل، لترتيب الأمور وكشف المظالم ونودى يوم السبت العشرين منه بإبطال الخمور، والجهة[1] المفردة.

وفيه كثر الإرجاف بوصول الناصر الدَّارُوْم.

وفى تاسع عشريه: خلع الملك المعز على الملك المنصور محمود، وعلى أخيه الملك السعيد عبد الملك، ولدى الملك الصالح إسماعيل عماد الدين - وكانا فى حبس الملك الصالح نجم الدين أيوب - وأركبهما فى القاهرة، ليوهم الناس أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر، حتى يقع بينهما.

وفى يوم الثلاثاء أوّل ذى القعدة: نودى بالقاهرة أن الصلح انتظم بين الملك المعز والبحرية، وبين الملك المغيث عمر بن العادل صاحب الكرك ولم يكن لما نودى به حقيقة، وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة.

وفى يوم الخميس ثالثه: نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقى عنده من العساكر، وسار إلى الصالحية وبها العساكر التى خرجت قبله، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى فاستقرت عساكر مصر بالصالحية إلى يوم الإثنين سابعه، فوصل الملك الناصر بعساكره إلى كُراع[2] - وهى قريبة من العباسية، فتقارب ما بين العسكرين وكان فى ظن كل أحد أن النصرة إنما تكون للملك الناصر على البحرية، لكثرة عساكره ولميل أكثر عسكر مصر إليه. فاتفق أنه كان مع الناصر جمع كبير من ممالك أبيه الملك العزيز، وهم أتراك يميلون إلى البحرية لعلة الجنسية، ولكراهتهم فى الأمير شمس الدين لؤلؤ مدير المملكة.

فعندما نزل الناصر بمنزلة الكراع، قريبا من الخَشِبِى[3] بالرمل، رحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية، ونزل اتجاهه بَسَمُوْط[4] إلى يوم الخميس عاشره. فركب

---

(١) الجهة هنا الضريبة.

(٢) واقعة بين العباسية والدير.

(٣) الخشبى يعرف اليوم بالسعيدية، فيما بين بلبيس والصالحية. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٤٥.

(٤) وهى موضع بين الخشبى والعباسية. انظر أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٠١.

الملك الناصر فى العساكر، ورتب ميمنة وميسرة وقلبا، وركب المعز، ورتب أيضا عساكره. وكانت الوقعة فى الساعة الرابعة، فاتفق فيها أمر عجيب قلّ ما اتفق مثله، فإن الكرة كانت أوّلا على عساكر مصر، ثم صارت على الشاميين: وذلك أن ميمنة عسكر الشام حملت هى والميسرة على من بإزائها حملة شديدة، فانكسرت ميسرة المصريين وولوا منهزمين، وزحف أبطال الشاميين وراءهم، وما لهم علم بما جرى خلفهم. وانكسرت ميمنة أهل الشام، وثبت كل من القلبين واقتتلوا. ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد، وقد نهبت أثقالهم. وعندما مروا على القاهرة خطب بها للملك الناصر، وخطب له بقلعة الجبل ومصر، وبات الأمير جمال الدين بن يغمور بالعباسية، وأحمى الحمام للملك الناصر وجهز له الإقامة. هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خبر، وإنما هو واقف بسناجقه وخزائنه وأصحابه. وأما ميمنة أهل الشام فإنها لما كُسرت قَتل منهم عسكر مصر خلقا كثيرا فى الرمل، وأسروا أكثر مما قتلوا.

وتعين الظفر للناصر وهو ثابت فى القلب، واتجاه المعز أيبك أيضا فى القلب فخاف أمراء الناصر منه أن يفنيهم إذا تم له الأمر، وخامروا عليه وفروا بأطلابهم إلى الملك المعز وهم، الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى، والأمير جمال الدين أقوش الحامى، والأمير بدر الدين بكتوت الظاهرى، والأمير سليمان العزيزى، وجماعة غيرهم. فخارت قوى الناصر من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر، ظنا منه أن الناصر تحتها. وكان الناصر - لما فارقه الأمراء إلى عند المعز - قد خرج من تحت السناجق فى شرذمة قليلة، فخاب ما أمَّله المعز أيبك، وعاد إلى مركزه خائبا وقد قوى الشاميون بذلك، وتبعوه يقتلون منه وينهبون.

وسُرَّ الأمراء القيمرية بذلك، وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه، فوجدوا أصحابهم قد تفرقوا فى طلب الكسب والنهب. فحمل المعز عليهم وثبتوا له، ثم انحاز إلى جانب يريد الفرار إلى جهة الشوبك. ووقف الناصر فى جمع من العزيزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن، فخرج عليهم المعز - ومعه الفارس أقطاى - فى ثلاثمائة من البحرية، وقرب منه فخامر عدّة ممن كان مع الناصر عليه، ومالوا مع المعز والبحرية، فولى الناصر فارا يريد الشام فى خاصته وغلمانه. واستولى البحرية على سناجقه، وكسروا صناديقه ونهبوا أمواله.

وساق المعز يريد الأطلاب، فوقع بطلب الأمير شمس الدين لؤلؤ، والأمير حسام الدين القيمرى، والأمير ضياء الدين القيمرى، وتاج الملوك بن المعظم، والأمير شمس

الدين الحميدى، والأمير بدر الدين الزرزارى، وجماعة غيرهم. فبدّد الملك المعز شملهم، وأَسَر المعظمَ تورانشاه بن صلاح الدين، وأخاه نُصرة الدين محمد، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، والملك الأشرف صاحب حمص، والملك الزاهر، والأمير شهاب الدين القيمرى، والأمير حسام الدين طرنطاى العزيزى، والأمير ضياء الدين القيمرى، والأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية، وأعيان الحلبيين وخلقا كثيرا وقُتِل الأمير شمس الدين الحميدى، والأمير بدر الدين الزرزارى، وجماعة غيرهم.

وكان الأمير حسام الدين أبو على الهذبانى على ميسرة عسكر المصريين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة تفرق عنه أصحابه، وتقنطر عن فرسه وكاد يؤخذ، لولا أنه وقف معه من أركبه، فلحق بالمعز أيبك، فأمر الملك بضرب عنق الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع؛ وضُربت عنق الأمير ضياء الدين القيمرى وأتى بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المعز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبى على: «ما تُسَلِّم على المولى الصالح»، فدنا منه الأمير حسام الدين وعانقه وسلم عليه. وجُرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك، وضُرب الشريف المرتضى فى وجهه ضربة عظيمة، وهموا بقتله ثم تركوه.

وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا فى الرمل أياما، وصار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدى وعلىّ السعدى إلى دمشق. وأما العسكر الشامى الذى كَسَر ميسرة المصريين، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدهليز الناصرى هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكُّون أن أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مُقْدِم عليهم ليسيروا فى خدمته إلى القاهرة. فبينا هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم. فهمَّ طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع.

وأما من انهزم من عسكر مصر أولا، فإنهم وصلوا إلى القاهرة فى يوم الجمعة حادى عشره، غد يوم الوقعة، فما شك فى أن الأمر تم للملك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال. وكان بقلعة الجبل الأمير ناصر إسماعيل [...[1]...] بن يغمور، أستادار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، فى جب وهو أمين الدولة أبو الحسن بن غزال - المتطبب المعروف بالسامرى وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين القيمرى، وجماعة غيرهم

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

أيضا، لهم من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى الاعتقال. فلما بلغهم ذلك خرجوا من الجب، وأظهروا الفرح والاستبشار، وأرادوا أخذ القلعة. فلم يوافق الأمير سيف الدين القيمرى على ذلك، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيبك التى فيها عياله، وحماها وصدّ الناس عنها. وصاح البقية: «الملك الناصر يا منصور!».

وخُطب للناصر بالقلعة ومصر، وسائر البلاد التى بلغها خبر نصرته. وكان بجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فقام على قدميه وخطب خطبتين خفيفتين، وصلى بجماعة الجمعة، وصلى قوم صلاة الظهر. فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة، حتى وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر، فدُقّت البشائر. وقدم جماعة ومعهم نصرة الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاعتقلوه بقلعة الجبل. وقُبض على الأمير ناصر الدين بن يغمور، والوزير أمين الدولة أبى الحسن بن غزال، ومن كان معهما، وأعيدوا إلى الجب. ونودى آخر النهار فى القاهرة ومصر بالزينة.

وأما الملك المعز فإنه ساق - بعدما تقدم ذكر من قتله الأمراء - إلى العباسية، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهم، وعرج عن الطريق على العلاقمة إلى بلبيس[1]، ظنا أن واقعة وقعت بالقاهرة. فبلغ من كان بالدهليز الخبر فهدموه فى الليل، وساروا إلى الشام. فبلغ ذلك الملك المعز وهو فى بلبيس، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن، ودخلها يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة بالأسرى بين يديه، وسناجقهم مقلبة وطبولهم مشققة، وخيولهم وأموالهم بين يديه، إلى أن وصل إلى بين القصرين، فلعبت المماليك بالرماح وتطاردوا، والملك المعز فى الموكب، وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبى على، وقدامه الملك الصالح إسماعيل تحت الاحتياط، فعندما وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أحدق المماليك البحرية بالصالح إسماعيل، وصاحوا: «يا خوند أين عينك ترى عدّوك إسماعيل» ثم ساروا إلى قلعة الجبل، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقية الملوك، وألقى الأسرى من الشاميين فى الجباب. وعندما دخل الملك المعز إلى القلعة، تلقاه الملك الأشرف موسى وهنأه بالظفر؛ فقال الأمير فارس الدين أقطاى للأشرف: «كلنا حصل بسعادتك، وما سعينا إلا فى تقرير ملكك»، وكان يؤثر بقاء الأشرف خوفا من استبداد المعز أيبك وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة، واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدّة أيام.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: شُنق الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يغمور، أستادار

---

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ١/٩١٢.

الصالح إسماعيل، وشنق بكجا ملك الخوارزمى وأمين الدولة أبو الحسن السامرى الوزير، على باب قلعة الجبل، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق. وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعا ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلدة، كلها بخطوط منسوبة، وكتب نفيسة.

وفى ليلة الأحد السابع والعشرين من ذى القعدة: قُتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بقلعة الجبل؛ وعمره نحو الخمسين سنة. قال ابن واصل: من أعجب ما مَرّ بى أن الملك الجواد مودودا، لما كان فى حبس الملك الصالح إسماعيل، سير إليه الملك الصالح إسماعيل من خنقه، وفارقه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه قد أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات. وفى هذه الليلة لما أخرجوا لذلك الصالح إسماعيل بأمر المعز أيبك إلى ظاهر القلعة، وكان معهم ضوء فأطفأوه، وخنقوه وفارقوه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات. فانظر ما أعجب هذه الواقعة! ودفن هناك؛ وكانت أمه رومية، وكان رئيس النفس نبيل القدر، مطاعا، له حرمة وافرة، وفيه شجاعة.

وفى ثامن عشريه: أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر، إلى دمشق على حمير، هُمْ وأتباعهم، ولم يمكن أحدا منهم أن يركب فرسا، إلا نحو الستة أنفس فقط، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل.

وفيها وصل إلى الملك الناصر من قبل القان[١] ملك التتر طَمَغَا[٢] صورة أمان، فصار يحملها فى حياصته[٣]، وسير إلى القان هدايا كثيرة، فلما خرج هولاكو واستولى على الممالك، تغافل الناصر عنه ولم يبعث إليه شيئا؛ فعز ذلك عليه، وصار فى كل قليل ينكر تأخر تقديمة الناصر الهدايا والتحف إليه.

وفيها كثر ضرر المماليك البحرية بمصر، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال، وسبوا الحريم وبالغوا فى الفساد، حتى لو ملك الفرنج ما فَعَلوا فِعْلهم.

---

(١) على هامش ط: كان قان -أو خاقان- التتر فى تلك السنة كيوك.

(٢) الطمغا كلمة تركية، معناها هنا البراءة التى تصدر من قبل السلطان أو الملك بالعفو عن مجرم أو تأمين خائف. والطمغا أيضا شعار السلطان أو الأمير.

(٣) على هامش ط: الحياصة هنا الحزام أو المنطقة.

وفى سابع عشر ذى الحجة: سار الأمير فارس الدين أقطاى من القاهرة فى ثلاثة آلاف إلى غزة، واستولى عليها.

وفى هذه السنة: قُدِّم البطرك أثنامبوس(١) بن القس أبى المكارم، فى يوم الأحد رابع شهر رجب، الموافق الخامس بابه سنة سبع وستين وتسعمائة للشهداء. فأقام فى البطركية إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما، ومات يوم الأحد أوَّل كيهك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة للشهداء، الموافق لثالث المحرم سنة ستين وستمائة هجرية، وخلا الكرسى بعده خمسة وثلاثين يوما. وفيها مات الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بصقلية(٢)، وقام من بعده ابنه.

وخرجت هذه السنة والناصر يوسف بدمشق، وبيده ملك الشام والشرق؛ ومملكة مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى، ويخطب معه للأشرف موسى، والمعتمد عليه فى أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء: وهم الأمير فارس الدين أقطاى، وركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان الرشيدى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، قتيلا فى يوم الإثنين تاسع عشرى المحرم. ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، قتيلا فى ليلة الأحد سابع عشرى ذى القعدة، عن نحو خمسين سنة. ومات

---

(١) اسم هذا البطريق أثنامبوس وهو السادس والسبعون من بطاريقة الأقباط بالإسكندرية.

(٢) جزيرة صقلية فى قطعة من البحر الشامى بينها وبين أقرب برّ من مالطة ثمانون ميلاً؛ افتتحها المسلمون فى صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميرًا وقاضيًا سنة اثنتى عشرة ومائتين، ففزع فيه البطريق النصرانى قائد صاحب صقلية إلى زيادة الله فعرض عليه أمر صقلية والظفر بها، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها، وفيها مدن كثيرة، وهى جزيرة عظيمة ضخمة حصينة خطيرة قيل إن فيها مائة بلد وثلاثين بلدًا بين مدينة وقلعة غير ما بها من الضياع والمنازل. وطول هذه الجزيرة سبعة أيام وعرضها خمسة أيام، وفتحت فى سنة اثنتى عشرة ومائتين، فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان، بعث إليها أسد بن الفرات، كما قدمناه، فمشى فى مراكبه إلى سرقوسة، مدينة من مدن الجزيرة، فنزل بمرساها، وقاتل البطريق الذى كان بها حتى قتله. قالوا: ومعنى صقلية باللسان القديم: تين وزيتون. انظر معجم البلدان ٣/ ٤١٦، والروض المعطار ٣٦٦، ٣٦٧.

الأمير شمس لؤلؤ الأمينى، مقدم عسكر حلب، قتيلا فى يوم الخميس عاشر ذى القعدة.
وتوفى رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن على بن فتوح بن رواج الإسكندرى المالكى، عن أربع وتسعين سنة، فى [...[1]...] وتوفى الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقى بحلب[2]، عن ثلاث وتسعين سنة.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقى ثم الحلبى: محدث، حنبلى. ولد وتفقه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرد فى وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانين، فكان أوسع معاصريه رحلة وأكثرهم كتابة. وجمع لنفسه «معجما» عن أزيد من خمسمائة شيخ باسم «الفوائد العوالى الصحاح». انظر الذيل على طبقات الحنابلة، طبعة الفقى ٢/ ٢٤٤ وشذرات الذهب ٥/ ٢٤٣ والتبيان لابن ناصر الدين ودار الكتب ١/ ١٣٦ والأعلام ٨/٢٢٩.

سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاى على الساحل ونابلس إلى نهر الشَّرِيْعَة[1]، وعاد إلى القاهرة. فسير الملك الناصر عسكرا من دمشق إلى غزة ليكون بها، فأقاموا على تل العجول. فخرج المعز أيبك، ومعه الأشرف موسى والفارس أقطاى وسائر البحرية، ونزل بالصالحية. فأقام العسكر المصرى بأرض السانح قريبًا من العباسة، والعسكر الشامى قريبا من سنتين، وترددت بينهما الرسل. وأحدث الوزير الأسعد الفائزى ظلامات عديدة على الرعية.

وفيها أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من المماليك والحَرَسِيَّه[2] وغيرهم. وفيها عزل قاضى القضاة عماد الدين أبو القاسم بن أبى إسحاق ابن المقنشع - المعروف بابن القطب الحموى، عن قضاء مصر؛ وأضيف ذلك إلى قاضى القضاة بدر الدين السنجارى. وسافر الأمير حسام الدين أبو على إلى الحجاز - وترك طلبه بالسانح وفيه من ينوب عنه - من البحر إلى قوص، ثم ركب البحر الملح إلى مكة. وفيها أشيع وصول البادرائى رسول الخليفة، ليصلح بين الناصر والمعز. فلما أبطأ قدومه، وكثرت الأقاويل، قال الأمير شهاب الدين غازى ابن آيار المعروف بابن المعمار - أحد المجردين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور: -

يُذكِّرنا زمانُ الزهد ذكرى ... زمانِ اللهو فى تَلِّ العجول

ونطلب مسلمًا يروى حديثا ... صحيحا من أحاديث الرسول

وفيها وقع بمكة غلاء عظيم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة ببغداد، واسمه كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللمغانى الحنفى.

وفيها توفى بهاء الدين أبو الحسن على بن هبة الله بن سلامة الجميزى الشافعى،

---

(١) أطلق هذا الاسم على نهر الأردن، بعد زمن الحروب الصليبية، وخصوصا جزؤه الواقع بين بحيرة طبرية إلى مصبه فى البحر الميت.

(٢) على هامش ط: جمع حرس، وهو الجندى الموكل بحراسة مكان من الأمكنة.

خطيب القاهرة - وقد انتهت إليه مشيخة العلم - عن تسعين سنة، فى يوم [......][١].

وفيها توفى الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح - الوزير بالشام، و الشاعر أيضًا - عن سبع وخمسين سنة، فى [...[٢]...].

وفيها توفى رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدى شيخ القراءات [......][٣].

وفيها توفى علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر - المعروف بتعاسيف، الفقيه الحنفى، بدمشق فى [......][٤] رجب، ومولده بأَصْفُون من صعيد مصر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وهو أحد الأئمة فى العلوم الرياضية.

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة خمسين وستمائة

فيها قدم الأمير حسام الدين أبو على من الحجاز، فنزل فى المعسكر من أرض السانح بالصالحية، وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن أبى سعد البادرائى، رسولا من الخليفة للإصلاح بين الملك المعز أيبك والملك الناصر. فتلقاه القاضى بدر الدين الخضر بن الحسن السنجارى من قطيا، ومعه جماعة، وتحدَّث معه فى ذلك. فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر، فلم يرض الملك المعز، وزاد بأن طلب أن يكون بيده - مع مصر - من غزة إلى عقبة فِيق.

وفيها وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سير أخاه هولاكو لأخذ العراق فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلا ونهبا، وأسرا وسبيا، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين، وجاءوا إلى رأس عين وسروج، وقتلوا ما ينيف على آلاف، وأسروا مثل ذلك، وصادفوا قافلة سارت من حران تريد بغداد، فأخذوا منها أموالا عظيمة، من جملتها ستمائة حمل سكر من عمل مصر، وستمائة ألف دينار. وقتلوا الشيوخ والعجائز، وساقوا النساء والصبيان معهم فقطع أهل الشرق الفرات، وفرّوا خائفين.

فعند ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطبة، وانفرد باسم السلطنة، وسجن الأشرف، واستولى على الخزائن، وشرع فى تحصيل الأموال فأحدث الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزى حوادث، وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار أموالا، ورتب مكوسًا وضمانات سَّماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية، وأخذ الجوالى[1] من الذمة مضاعفة، وأحدث التصقِيع والتقويم[2] وعدَّة أنواع من المظالم، ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة بديار مصر، وأمَّر عدَّة من مماليكه فقويت شوكة البحرية وزاد شرهم، وصار كبيرهم، الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار الصالحى ملجأ لهم، يسألونه فى حوائجهم، ويكون هو المتحدّث مع الملك المعز.

---

(١) الجوالى جمع حالية، ولفظ حالية يطلق على أهل الذمة، وقد قيل لهم ذلك لأن الإمام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة... وإن لم يجلوا من أوطانهم.انظرمحيط المحيط.

(٢) التصقيع هنا إحصاء البيوت والعقارات، لأجل فرض ضريبة عليها. والتقويم: تقدير قيمة كل من البيوت المحصاة، من أجل الغرض نفسه.

وفيها أقطع الفارس أقطاى ثغر الإسكندرية، وكتب له به منشور. وتعدى شر البحرية، وكثر تمرّدهم وطغيانهم.

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسانح، وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المغيث عمر بالكرك. وكان النيل عاليا: بلغ ثمانية عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا، وسدّ باب البحر عند المقس.

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج، و تلف فيه أموال لا تحصى، واحترقت ستمائة دار.

وحج فى هذه السنة ركب العراق.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الحسن بن حيدر العمرى الهندى الصنعانى الحنفى اللغوى، مات ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفى فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقى بن هبة الله بن الحسينى بن يحيى بن بصاقة الكنانى، الكاتب الوزير للناصر داود، و الأديب المنشئ، فى [......][1].

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله بن سعد الله بن عبد الله بن سعد الأنصارى القدسى، الفقيه الشافعى المحدّث المقرئ، النحوى الأديب الكاتب المجوّد؛ مات بدمشق عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى مُسْنَدُ العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبى القاسم بن الحسن بن قميرة التميمى، التاجر السفار، عن خمس وثمانين سنة، حدّث بمصر وغيرها.

وتوفى نقيب الأشراف - وقاضى العسكر، ومدّرس المدرسة الشريفية بمصر - الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوى الحسينى الأرموى، على ما حدّثنا الأشراف، فى ثالث عشر شوّال خمسين وستمائة. وكان إماما فى الفقه والأصول مناظرا، تفقّه على الصدر بن حمويه، وشرح المحصول، ومات عن نيف وسبعين سنة.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها تقرّر الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادرائى. وقد قدم نجم الدين إلى القاهرة، وصحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء بحلب نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبى، لتمهيد القواعد، فلم يبرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للمصريين إلى الأردن، وللناصر ما وراء ذلك؛ وأن يدخل فيها للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله؛ وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الملك الناصر. وحلف كل منهما على ذلك، وكتبت به العهود، وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء سابع صفر، ونزل البادرائى بالقاهرة، وأطلق الملك المعز الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأخاه نصرة الدين، وسائر أولاد الملوك والأمراء، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للملك الناصر. ثم قدَّم الملك المعز أيبك للملك المعظم تقدمة سنية، وأعطى نظام الدين بن المولى، ورفيقه عز الدين أزدمر، عشرة آلاف دينار.

وفيها قويت البحرية - وكبيرهم فارس الدين أقطاى - على المعز، وكثر قبضتهم واستطالتهم وتوثبهم على الملك المعز، وهموا بقتله.

وفيها تسلم المصريون قلعة الشوبك، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور. وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين بن أبى على ، فلزم داره، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له، فأكرمه الملك الناصر وأقامه فى خدمته بمائة فارس.

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحرى، وقطعوا الطريق برا وبحرا، فامتنع التجار وغيرهم من السفر. وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين على بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مُسْلِم بن أبى جميل الجمدى، وقال: «نحن أصحاب البلاد»، ومَنَع الأجناد من تناول الخراج، وصرَّح هم وأصحابه: «بأنا أحق بالملك من المماليك وقد كفى أنا خدمنا بنى أيوب، وهم خوارج خرجوا على البلاد». وأنفوا من خدمة الترك، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج؛ وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر.

واجتمع العرب - وهم يومئذ فى كثرة من المال والخيل والرجال، إلى الأمير حصن الدين ثعلب، وهو بناحية دَهْرُوط[١] صَرَبان؛ وأتوه من أقصى الصعيد، وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم، وحلفوا له كلهم. فبلغ عدّة الفرسان اثنى عشر ألف فارس، وتجاوزت عدّة الرجالة الإحصاء لكثرتهم. فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاى المستعرب، فى خمسة آلاف فارس. فساروا إلى ناحية ذَرَوَة[٢]، وبرز إليهم الأمير حصن الدين ثعلب، فاقتتل الفريقان من بكرة النهار إلى الظهر. فقدر الله أن الأمير حصن الدين تقنطر عن فرسه، فأحاط به أصحابه وأتت الأتراك إليه، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل، حتى أركبوه. فوجد العرب قد تفرقوا عنه، فولى منهزما. وركب الترك أدبارهم، يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، فَحَووا من الأسلاب والنسوان والأولاد والخيول والجمال والمواشى، ما عجزوا عن ضبطه، وعادوا إلى المخيم ببلبيس. ثم عدوا إلى عرب الغربية والمنوفية من قبيلتى سِنْبِس[٣] ولَوَاتَة[٤]، وقد تجمعوا بناحية سخا وسنهور، فأوقعوا بهم وسبوا حريمهم وقتلوا الرجال، وتبدد شمل عرب مصر وخمدت جَمْرَتُهم من حينئذ.

ولحق الشريف حصن الدين من بقى من أصحابه، وبعث يطلب من الملك المعز الأمان، فأمنه ووعده بإقطاعات له ولأصحابه، ليصيروا من جملة العسكر وعونا له على أعدائه. فانخدع الشريف حصن الدين، وظن أن الترك لا تستغنى عنه فى محاربة الملك الناصر، وقدم فى أصحابه وهو مطمئن إلى بلبيس. فلما قرب من الدهليز نزل عن فرسه ليحضر مجلس السلطان، فقبض عليه وعلى سائر من حضر معه، وكانت عدتهم نحو ألفى فارس وستمائة راجل. وأمر الملك المعز فنُصبت الأخشاب من بلبيس إلى القاهرة وشُنق الجميع، وبعث بالشريف حصن إلى ثغر الإسكندرية، فحبس بها وسلّم لواليها الأمير شمس الدين محمد بن باخل. وأمر المعز بزيادة القطعية[٥] على العرب، وبزيادة

---

(١) تسمى تلك الناحية دروت سربام، ودروط سريان، وذروة سريام، ودروط الشريف، وديروط الشريف. ودهروط هى ديروط الحالية إحدى مراكز مديرية أسيوط. انظر الخطط التوفيقية ١١/ ٣،٦٠.

(٢) توجد قريتان بهذا الاسم إحداهما بمديرية المنوفية، والثانية فى المرتاحية من قسم نوسة الغيط. انظر الخطط التوفيقية ١١/٧٣.

(٣) كان مقر تلك القبيلة مدينة سخا بالغربية. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١١/٤.

(٤) كانت لواتة بالمنوفية.انظر الخطط التوفيقية ١١/٤.

(٥) على هامش ط: القطعية ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا.

القَوْد(١) المأخوذ منهم، ومعاملتهم بالعنف والقهر. فذلّوا وقلوا، حتى صار أمرهم على ما هو عليه الحال فى وقتنا.

وفيه صاهر الأمير فارس الدين أقطاى الملك المظفر صاحب حماة، وسير إليه فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا - قبل أن يتقلد أبوه الوزارة، وإنما كان قد ترشح لها - لإحضار ابنة المظفر من حماة، فحملها إلى دمشق فى تجمل عظيم. فطلب أقطاى من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل بالعروس، فشق ذلك عليه وأخذ يتحيل فى قتله، وكان قد ثقل عليه، وصار ليس له مع البحرية أمر ولا نهى ولا حل ولا عقد، ولا يسمع أحد منهم له قولا فإن رسم لأحد بشىء لا يُمَكَّن من إعداده وإن أمر لأحد منهم بشىء أخذ أضعاف ما رسم له به. واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاى، وقد استولى على الأمور كلها. وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه، ولا يقدر أحد يفتح كتابا، ولا يتكلم بشىء ولا يبرم أمرًا، إلا بحضور أقطاى لكثرة خُشْدَاشِيَته(٢).

وفى هذه السنة: حج من البر والبحر عالم كبير، فإنها كانت وقفة الجمعة، وفيها أخذ الشريف جماز بن حسن مكة، وأقام بها إلى آخر ذى الحجة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الشريف أبو سعد الحسن بن على بن قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة، واستقر بعده فى الإمارة ابنه أبو نمىّ، وأخوه إدريس بن على.

ومات الصالح أحمد بن الظاهر غازى بن الناصر يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان، صاحب عينتاب، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصارى الزَّملكانى الدمشقى الشافعى، بدمشق.

وتوفى جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن عبد الرحمن الإسكندرى، سبط الحافظ أبى الطاهر السلفى، وقد انتهى إليه علو الإسناد.

* * *

(١) القود ما يبعث من قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا.

(٢) على هامش ط: جمع خشداش وهو معرب .اللفظ الفارسى خواجاتاش، أى الزميل فى الخدمة.

سنة اثنتين وخمسين وستمائة

فيها استفحل أمر الفارس أقطاى الجمدار وانحازت إليه البحرية، بحيث كان أقطاى إذا ركب من داره إلى القلعة شَعَل بين يديه جماعة بأمره، ولا يُنْكِر هو ذلك منهم وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم، فلا يقدر أحد على منعهم، وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصبا، وكثر ضررهم.

هذا والمعز يحصل الأموال، وقد ثقل عليه أقطاى، فواعد طائفة من مماليكه على قتله: وبعث المعز إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان، ليحضر إليه بقلعة الجبل فى مَشُوْر يأخذ رأيه فيه. فركب أقطاى على غير أهبة ولا اكتراث فعندما دخل من باب القلعة، وصار فى قاعة العواميد[1]، أغلق باب القلعة، ومُنع مماليكه من العبور معه. فخرج عليه جماعة بالدهليز قد أعِدّوا لقتله: وهم قُطُز وبَهَادُر وسَنْجَر الغَنْمِى، فَهَبَروه بالسيوف حتى مات. فوقع الصريخ فى القلعة والقاهرة بقتله، فركب فى الحال من أصحابه نحو السبعمائة فارس ووقفوا تحت القلعة، وفى ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه، وأنهم يأخذونه من المعز، وكان أعيانهم بيبرس البندقدارى، وقلاوون والألفى، وسنقر الأشقر، وبَيْسرِى، وسِكِز، وبرامِق. فلم يشعروا إلا ورأس أقطاى قد رَمَى بها المعز إليهم، فسُقِط فى أيديهم وتفرقوا بأجمْعهم. وخرجوا فى الليل من القاهرة وحرقوا باب القراطين فعرف بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم[2] فمنهم من قصد الملك المغيث بالكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر بدمشق، ومنهم من أقام ببلاد الغور والبلقاء والكرك والشوبك والقدس، يقطع الطريق ويأكل بقائم سيفه.

واتفق أن اثنى عشر من البحرية مرَوا فى تيه بنى إسرائيل[3]، فأقام به خمسة أيام حائرين، فلاح لهم فى اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه، فإذا مدينة عظيمة، ذات أسور وأبواب حصينة، كلها من رخام أخضر. فطافوا بداخل المدينة، وقد غلب عليها الرمل فى أسواقها ودورها، وصارت أوانيهم وملابسهم إذا أخذت تتفتت وتبقى هباء. فوجدوا فى صوانى بعض البزازين تسعة دنانير، قد نقش عليها صورة غزال حوله كتابة

---

(١) كان بالقلعة عدة قاعات، وكلها مخصصة لحاجات السلطان المنزلية.انظرابن شاهين، زبدة المماليك ٧٧٢٧٦.

(٢) المقصود باب القاهرة الشرقى.

(٣) بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام. انظر ومعجم البلدان ٩١٢/١.

عبرانية. وحفروا مكانا، فإذا ببلاطة، فلما رفعوها وجدوا صهريجا فيه ماءٌ أبرد من الثلج، فشربوا وساروا ليلتهم. فإذا بفريق عرب فحملوهم إلى الكرج، فعرضوا تلك الدنانير على الصيارف، فقال بعضهم هذه ضربت فى أيام موسى عليه السلام. وسألوا عن المدينة، فقيل هذه المدينة الخضراء، بنيت لما كان بنو إسرائيل فى التيه، ولها طوفان من رمل يزيد تارة وينقص أخرى، ولا يقع عليها إلا تائه. وصرفوا كل دينار بمائة درهم.

وسار منهم قشتمر العجمى، وشارباش العجمى، وسنجر الحاووك، والركن الفارقانى وسنقر الجبيلى، وسنقر الحُبَيْشِى الكبير، والحبيشى الصغير الحاجب، والصقلى، والغتمى وبلبان النجمى، وبكمش المسعودى، وأبو عبية، والنميسى، وفخر الدين ماما، وأيدمر، الجمدار الرومى، وسنقر الركنى، والحسام قريب سكز، وإيدغدى الفارسى، وبلبان الزُهَيرى، وسنجر البدرى، وإزدمر السيفى وإزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير، والعنتابى، والمستعربى وسنقر البُدَيْوِى، وأيبك الشقارى، وإيدغدى فتنة، وسيف الدين الأشل، والخولانى، وسنجر الشكارى، والمطروحى، وأيبك الفارسى، وأياس المقرى، فى جماعة كبيرة من المماليك الصغار الجمدارية الصالحية. وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردى -وهو أعقلهم وأعرفهم -، والأمير شمس الدين سنقر الجبلى - وهو أفرسهم وأشهرهم بالشطارة. فمضى هؤلاء إلى السلطان علاء الدين ملك السلاجقة الروم. فلما أصبح الملك المعز أيبك، وعلم بخروج الجماعة من القاهرة، قبض على من بقى منهم، وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وأوقع الحوطة على أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم، واستصفى أموالهم وذخائرهم وشونهم. وظفر للفارس أقطاى بأموال عظيمة. ونودى فى القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحد من البحرية، وتمكن عند ذلك الملك المعز، وارتجع الإسكندرية إلى الخاص السلطانى، وخفف بعض ما أحدث من المصادرات والجبايات.

فلما وصل البحرية إلى غزة، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان الرشيدى وعز الدين أزدمر السيفى، وشمس الدين سنقر الأشقر، وسيف الدين سكز، وسيف الدين قلاوون، وبدر الدين بيبرس - كتبوا إلى الملك الناصر بأنهم قد وصلوا إلى خدمته، فأذن لهم وعَرَوا[1] على بلاد الفرنج بالساحل، فقتلوا ونهبوا حتى قاربوا دمشق. فخرج إلى لقائهم الملك الناصر، وخلع عليهم وأعطاهم. هذا وهم يحثونه على قصد مصر وهو يدافعهم.

---

(١) عراة معربه، أى ألم به وأتاه طالبا معروفا. وهو فعل متعد. انظر محيط المحيط.

فخاف المعز غائلتهم، وكتب إلى الناصر يوهمه منهم، ويخوفه عاقبة شرهم وطلب منه الناصر البلاد التى كان قد أخذها بالساحل لأجل البحرية، وأنها فى إقطاعتهم. فأعادها المعز إلى الملك الناصر، فأقر كل إقطاع منها بيد من كان له، وكتب مناشيرها عنه للبحرية.

وكتب الملك المعز إلى سلطان الروم بأن «البحرية قوم مناحيس أطراف[١]، لا يقفون عند الأيمان، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم، وإن استأمنتهم خانوا، وإن استحلفتهم كذبوا، وإن وثقت بهم غدروا. فتحرَّر منهم على نفسك، فإنهم غدّارون مكارون خوانون، ولا آمن أن يمكروا عليك». فخاف سلطان الروم منهم، وكانوا مائة وثلاثين فارسا، فاستدعاهم وقال: «يا أمراء ما لكم ولأستاذكم؟»، فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردى، وقال: «يا مولانا من هو أستاذنا؟»، قال: «الملك المعز صاحب مصر»، فقال الباشقردى: «يحفظ الله مولانا السلطان! إن كان الملك المعز قال فى كتابه أنه أستاذنا فقد أخطأ، إنما هو خوشداشنا ونحن ولبيناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه سنا وقدرا وأفرس وأحق بالمملكة، فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرق بعضنا، فمر بنا منه وتشتتنا فى البلاد، ونحن التجأنا إليك» فأعجب سلطان الروم بهم، واستخدمهم عنده.

وفيها وقع الصلح بين الملك الناصر وبين الفرنج أصحاب عكا، لمدة عشر سنين وستة أشهر وأربعين يوما أولها مستهل الحرم، على أن يكون للفرنج من نهر الشريعة مغربا، وحلف الفريقان على ذلك.

وفيها أقطع الملك المعز أيبك الأمير علاء الدين إيدغدى العزيزى دمياط، زيادة على إقطاعه، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار، وفيها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالعساكر وخيم بالبارِدَة[٢] قرب العباسية خوفا من البحرية لنزولهم بالموجاء.

وفيها سَفَّر الملك المعز أيبك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود إلى بلاد الأشكرى منفيا، وفيها درَّس الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية بين القصرين. وفيها وصل الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى ابن أبى طالب أحمد بن محمد بن جعفر الحسينى إلى دمشق، ومعه الخونده ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباد ملك السلاجقة الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف. فزفت إليه، وقد احتفل بقدومها، وبالغ فى عمل الوليمة لها.

---

(١) جمع طرف، وهو هنا الرجل الذى لا يثبت على صحبة أحد. انظر محيط المحيط.

(٢) البارِدة يقال لها السعيدية وهى التى سميت فيما بعد باسم الخشبى.

وفيها ظهرت نار بعدن روعت القلوب. وفيها ولّى المنصورُ قضاء حماة شمسَ الدين إبراهيم بن هبة الله البارزى، بعد المحبى حمزة بن محمد.

وفيها مات ملك التتر طَرْطَق خان بن دوشى خان بن جنكز خان، فكانت مدّته سنة وشهورا. فقام بعده بركة خان بن جوشى خان بن جنكز خان، وأسلم وأظهر شعائر الإسلام فى مملكته واتخذ المدارس وأكرم الفقهاء. وأسلمت زوجته ججك، واتخذت لها مسجدا من الخيم، وذلك على يد الشيخ نجم الدين كِبْرا.

وفيها توفى مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد ابن تَيْمِيَة الحرانى الحنبلى[1] عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو سالم محمد بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبينى الشافعى خطيب دمشق بحلب، وقد قدم القاهرة.

وفيها أخذ مكة الشريف راجح بن قتادة من الشريف جماز بن حسن، بغير قتال؛ ثم أخذها ابنه غانم بن راجح فى ربيع الأول بغير قتال؛ فقام عليه الشريف أبو نُمِىّ بن أبى سعيد بن على بن قتادة فى شوّال ومعه الشريف إدريس، وحارباه وملكا مكة. فقدم فى خامس عشرى ذى القعدة مبارز الدين الحسين بن على بن برطاس من اليمن، وقاتلهما وغلبهما، وحج بالناس.

* * *

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى، أبو العباس، تقى الدين بن تيميه الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فذيع واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها فى جنازته. كان كثير البحث فى فنون الحكمة داعية إصلاح فى الدين. آية فى التفسير والأصول، فصيح اللسان قلمه ولسانه متقاربان. وفى الدرر الكامنة: أنه ناظر العلماء واستدل وبرع فى العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففى الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفى فوات الوفيات: أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها «بجوامع» فى السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى «السياسية الشرعية» و«الفتاوى» و«الإيمان» و«يجمع بين النقل والعقل» و«منهاج السنة» و«الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» و«الواسطة بين الحق والخلق» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» ومجموع الرسائل فيه ٢٩ رسالة، و«نظرية العقد» وغير ذلك. انظر فوات الوفيات ١١/٣٥-٤٥، والمنهج الأحمد، والدرر الكامنة ١/١٤٤ والبداية والنهاية ١٤/١٣٥، وابن الوردى ٢/٢٨٤، وآداب اللغة ٣/٢٤٣، والنجوم الزاهرة ٩/٢٧١، ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٩ والأعلام ١/١٤٤.

سنة ثلاث وخمسين وستمائة

فيها سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى إلى بلاد الصعيد، وأظهر الخروج عن طاعة الملك المعز، وجَمَع العربان. فسير إليه الملك المعز الوزيرَ الصاحب الأسعد شرف الدين الفائزى، ومعه طائفة من العسكر، حتى سكَّن الأمور. وأخرج الملك الناصر عسكرًا إلى جهة ديار مصر، ومعهم البحرية: وهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيد، وعز الدين أزدمر، وشمس الدين سنقر الرومى، وشمس الدين سنقر الأشقر، وبدر الدين بيسرى، وسيف الدين قلاوون، وسيف الدين بلبان المسعودى، وركن الدين بيبرس البندقدارى، وعدة من مماليك الفارس أقطاى.

وفيها قَتَل الملكُ المعز الأميرَ علاء الدين إيدغدى العزيزى، بعدما قبض عليه؛ وكان قد قبض أيضًا على الفارس أقطاى العزيزى، والفارسى أقطاى الأتابك، وهرب منه أقش الركنى، وأمر الملك المعز ألا تخرج امرأة من بيتها، ولا يمشى رجل بلا سراويل. فقال أبو الحسين الجزار فى ذلك:

حَنَا الملك المعز على الرعايا   وألزمهم قوانين المُرُوَّة

وصان حريمهم من كل عار   وألبسهم سراويل الفتوّة

وفيها توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد، يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجوهر، وقيمته مائة ألف دينار. فمُطِل مدة، فتوجه إلى الحجاز، واستشفع إلى الخليفة فى ردّ وداعته، وعاد إلى العراق. فعوض عن جوهره بما لا يذكر، ورُدّ إلى الشام، وفيها قدم مكة أبو نُمِيّ وإدريس، ومعهما جماز بن شيحة أمير المدينة، فقاتلوا المبارز بن بِرطاس، وأخذوا مكة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير شرف الدين يوسف بن أبى الفوارس بن موسك القيمرى بنابلس، ودفن بدمشق. وتوفى نقيب الأشراف بحلب، وهو الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبى طالب أحمد بن أحمد بن أبى الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم محمد بن ممدوح أبى العلاء، عن أربع وسبعين سنة بحلب.

وتوفى نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان البلخى الحنفى البغدادى، بحلب عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى ضياء الدين أبو محمد جعفر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر المحلى الشافعى، عن نيف وتسعين سنة بحلب، قدم مصر وحدَّث بها.

* * *

سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها ورد الشيخ نجم الدين علم عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائى، من قبل الخليفة المستعصم بالله؛ ليجدد الصلح بين الأوّل وبين الملك الناصر والملك المعز، فبعث السلطان إلى القائد برهان الدين خضر السنجارى، فسار إلى قطبا، ومعه جماعة من أعيان الفقهاء، حتى قدم به. فقرَّر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام، مع مُلك مصر، وأن الملك الناصر لا يأوى عنده أحدا من البحرية، فمضوا إلى المغيث بالكرك. وتولى الصلح قاضى القضاة بدر الدين السنجارى؛ فلما تم الصلح عاد البادرائى، ورحل الملك الناصر عن تل العجول إلى دمشق، وعاد المعز من العباسية - بعد إقامته عليها ثلاث سنين - إلى قلعة الجبل.

وسار الأمير شمس الدين سنقر الأقرع رسولا إلى الخليفة ببغداد، وصحبه الشيخ نجم الدين البادرائى، يلتمس تشرفه بالتقلد والخلع والأولوية للملك المعز، أسوة من تقدمه من ملوك مصر؛ فسار إلى بغداد. وبعث الملك المعز إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة[1] وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، يخطب ابنتيهما لنفسه. فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه، فتنكر لها وفسد ما بينهما، فأخذت تدبر فى قتله.

وفى خامس جمادى الآخرة: ظهرت نار بأرض الحجاز، واستمرت شهرا فى شرقى المدينة النبوية، بناحية وادى شَظَا[2] تلقاء جبل أُحُد[3]، حتى امتلأت تلك الأودية منها وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وزلزلت المدينة بسببها. وسمع الناس أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أولها يوم الإثنين أوّل الشهر، فلم تزل الأصوات ليلا ونهارا، حتى ظهرت النار يوم الجمعة. وقد انبجست الأرض عن نار عظيمة عند وادى شظا، وامتدت أربعة فراسخ فى عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف، وسال الصخر

---

(١) محمد بن محمود المنصور بن عمر المظفر بن شاهنشاه، تقى الدين، الملك المظفر: صاحب حماة. مولده ووفاته فيها. كان شجاعا كريما ذكيا محبا للعلماء. ولى حماة سنة ٦٢٦ هـ إلى أن توفى. انظر روض المناظر وتاريخ ابن الوردى ٢/ ١٧٤ وأبو الفداء ٣/ ١٤٤ والأعلام ٧/ ١٨٢.

(٢) هو جبل بمكة. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٩٢.

(٣) هو جبل بشمالى المدينة بينه وبينها قرابة ميل. انظر معجم البلدان ١/ ١٤٤.

منها، ثم صار فحما أسود. وأضاءت بيوت المدينة منها في الليل، حتى كأن في كل بيت مصباحا، ورأى الناس سناها بمكة، فالتجأ أهل المدينة إلى قبر رسول الله ﷺ، ودَعَوا واستغفروا الله تعالى، وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا، وقال بعضهم:

ياكاشف الضر صفحا عن جرائمنا	لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها	حَمْلا ونحن لها حقا أحقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها	وكيف يقوى على الزلزال شماء
بحرا من النار تجرى فوقه سفن	من الهضاب لها في الأرض إرساء
ترى لها شررا كالقصر طائشة	كأنهما دِيْمَة تنصبُّ هطلاء
تُحَدِّث النيراتِ السبعَ ألسنُها	بما تلاقى به تحت الثرى الماء
منها تكاثف في الجوّ الدخان إلى	أن عادت الشمس منها وهي دهماء
فيالها آية من معجزات رسول	الله يعقلها القوم الألباء
فاسمحْ وهبْ وتفضلْ وامحُ واعفُ وجدُ	واصفح فكل لفرط الحلم خُطَّاء

وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بحاضرة بلدة بُصْرى من أرض الشام، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار. وفي ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان، احترق مسجد محمد رسول الله - ﷺ - من مَسرَجه القيِّم، وذهبت سائر صفوفه، وبعض عمده، واحترق سقف الحجرة الشريفة.

وفيها غرقت بغداد وهلك بها عالم عظيم، وسارت السفن في أزقتها. وفيها قوى أمر هولاكو بن طولو خان بن جنكز خان، وظهر اسمه، وفتح عدّة قلاع بالشرق وفيها دخل مُقَدَّم من التتار إلى أرض الروم السلاجقة، ففر منه السلطان غياث الدين كيخسرو ومات في فراره، فقام من بعده أولاده الثلاثة، وأخذ التتار قيسارية وما حولها، فصار لهم من بلاد الروم مسافة شهر.

وفيها وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي[١] ببغداد،

---

(١) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدى البغدادى المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي وصاحب الجريمة النكراء، في ممالأة «هولاكو» على غزو بغداد. ارتقى إلى رتبة الوزارة (سنة ٦٤٢) فوليها أربعة عشر عاما. ووثق به «المستعصم» فألقى إليه زمام أموره، وولى له الوزارة مدة قصيرة ومات ودفن في شهد موسى بن جعفر (الكاظمية) ببغداد. انظر الحوادث الجامعة لابن الفوطي ٢٠٨: ٣٣٦، والفخرى لابن الطقطقى، والبداية والنهاية ٢١٢/١٣ وشذرات الذهب ٢٧٢/٥، والوافي بالوفيات ١٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٢٠/٧.

وتحدّثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد، والخليفة فى لهوه لا يعبأ بشىء من ذلك.

وفيها ولى تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز(١) قضاء القضاة، عوضا عن بدر الدين يوسف السنجارى. وفيها سار إدريس إلى راجح، وأخذ مكة أبو نمى، فجاء راجح مع إدريس وأصلح بينه وبين أبى نمى. وفيها قدم مكة ركب الحاج من العراق، ولم يحج بعدها ركب من العراق.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شمس الدين يوسف بن قزغلى بن عبد الله أبو المظفر - هو سبط الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - الفقيه الحنفى الواعظ.

وتوفى شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن هبة الله بن قرناص الخزاعى الحموى الفقيه الشافعى الأديب.

وتوفى زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الوحد بن ظافر بن أبى الأصبع(٢) الفقيه الشافعى النحوى الأديب، عن خمس وستين سنة.

وتوفى الشيخ أبو الروح عيسى بن أحمد بن إلياس البونينى ببعلبك.

ومات ملك الروم غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، وقد ملك التتر قيصرية وميسرة معها، فقام بعده ابنه عز الدين كيقباد بن كيخسرو.

* * *

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى: وزير، فقيه، له نظم حسن. ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى. انظر فوات الوفيات ٢٥٦/١ وابن كثير ٣٤٦/١٣ والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ الأعلام ٣١٥/٤.

(٢) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبى الإصبع العدوانى، البغدادى ثم المصرى: شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته حسنة، منها « بديع القرآن» فى أنواع البديع الواردة فى الآيات الكريمة وتحرير التحبير. انظر فوات الوفيات ٢٩٤/١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧ ومعاهد التنصيص ١٨٠/٤ والفهرس التمهيدى ٢٣٨ والخزانة التيمورية ١٦٢،١٦١/١ والأعلام ٣٠/٤.

سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر، فعزم على قتلها. وكان له منجم قد أخبره أن سبب قتلته امرأة، فكانت هى شجر الدر. وذلك أنه كان قد تغير عليها، وبعث يخطب ابنة صاحب الموصل.

واتفق أن المعز قبض على عدّة من البحرية، وهو على أم البادر، وسيرهم ليعتقلوا بقلعة الجبل، وفيهم أَيْدِكِين الصالحى. فلما وصلوا تحت الشباك الذى تجلس فيه شجر الدر علم أيدكِين أنها هناك، فخدم برأسه وقال التركى: «المملوك أيدكِين بشمقدار والله يا خوند ما علمنا ذنبا يوجب مسكنا! إلا أنه لما سير يخطب بنت صاحب الموصل، ما هان علينا لأجلك، فإنا تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم، فلما عتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترين» فأومأت شجر الدر إليه بمنديل، يعنى: «قد سمعت كلامك، فلما نزلوا بهم إلى الجب قال أيدكِين: «إن كان حبسنا فقد قتلناه».

وكانت شجر الدر قد بعثت نصرًا العزيزى بهدية إلى الملك الناصر يوسف، وأعلمته أنها قد عزمت على قتل المعز، والتزوج به وتمليكه مصر. فخشى الملك الناصر يوسف أن يكون هذا خديعة، فلم يجبها بشىء.

وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يحذر الملك المعز من شجر الدر وأنها باطنت الملك الناصر يوسف، فتباعد ما بينهما، وعزم على إنزالها من القلعة إلى دار الوزارة. وكانت شجر الدر قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه وألزمته بطلاقها، و لم تطلعه على ذخائر الملك الصالح.

فأقام الملك المعز بمناظر اللوق أياما، حتى بعثت شجر الدر من حَلَف عليه. فطلع القلعة وقد أعدت له شجر الدر خمسة ليقتلوه: منهم محسن الجَوْجَرى، وخادم يعرف بنصر العزيزى، ومملوك يسمى سنجر. فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشرى شهر ربيع الأوّل، ركب الملك المعز من الميدان بأرض اللوق، وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار. ودخل إلى الحمام ليلا، فأغلق عليه الباب محسن الجوجرى، وغلام كان عنده شديد القوة ومعهما جماعة. وقتلوه بأن أخذه بعضهم بأنثييه وبخناقه، فاستغاث المعز بشجرة الدر فقالت اتركوه، فأغلظ لها محسن الجوجرى فى القول، وقال لها: «متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك»، ثم قتلوه.

وبعثت شجر الدر فى تلك الليلة أصبع المعز وخاتمة إلى الأمير عز الدين أيبك الحلبى الكبير، وقالت له: «قم بالأمر»؛ فلم يجسر وأشيع أن المعز مات فجأة فى الليل، وأقاموا الصائح فى القلعة، فلم تصدق مماليكه بذلك: وقام الأمير علم الدين سنجر الغتمى - وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم -، وبادر هو والمماليك إلى الدور السلطانية، وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم، فأقروا بما جرى. وعند ذلك قبضوا على شجر الدر، ومحسن الجوجرى، ناصر الدين حلاوة، وصدر الباز؛ وفَرَّ العزيزى إلى الشام.

فأراد مماليك المعز قتل شجر الدر، فحماها الصالحية، ونقلت إلى البرج الأحمر[1] بالقلعة ثم لما أقيم ابن المعز فى السلطنة، حُمِلت شجر الدر إلى أمه فى يوم الجمعة سابع عشريه فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت فى يوم السبت. وألقوها من سور القلعة إلى الخندق، وليس عليها سراويل وقميص، فبيت فى الخندق أياما، وأخذ بعض أراذل العامة تكتة سراويلها. ثم دفنت بعد أيام - وقد نتنت، وحملت فى قفة - بتربتها قريب الشهد النفيسى. وكانت من قوة نفسها، لما علمت أنها قد أحيط بها، أتلفت شيئا كثيرا من الجواهر واللآلى، كَسَّرته فى الهاون.

وصُلب محسن الجوجرى على باب القلعة، ووُسِّط[2] تحت القلعة أربعون طواشيا وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة. وقبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا؛ لكونه وزير شجر الدر، وأخذ خطة بستين ألف دينار.

فكانت مدّة سلطنة الملك المعز سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما، وعمره نحو ستين سنة وكان ملكا حازما شجاعا سفاكا للدماء: قتل خلقا كثيرا، وشنق عالما من الناس بغير ذنب ليوقع فى القلوب مهابته، وأحدث مظالم ومصادرات عمل بها من بعده ووزر له الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ثم صرفه، واستوزر القاضى الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى، فتمكن منه تمكنا زائدا. وأحدث القاضى الأسعد حوادث شنيعة من المظالم، واستناب فى الوزارة القاضى زين الدين يعقوب بن الزبير - كان يعرف اللسان التركى -؛ ليحفظ له مجالس أمراء الدولة، ويطالعه بما يقال عنه.

* * *

---

(١) على هامش ط: كان بقلعة الجبل عدة أبراج، وفيها هذا البرج الذى بناه السلطان الملك الكامل.

(٢) على هامش ط: معنى وسط هنا قطع نصفين.

الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيبك(١)

أقامه أمراء الدولة سلطانا بقلعة الجبل، يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وستمائة، وعمره خمس عشرة سنة تقريبا، وحلفوا له واستحلفوا العسكر، ماخلا الأمير عز الدين أيبك الحلبى المعروف بأيبك الكبير، فإنه توقّف وأراد الأمر لنفسه، ثم وافق خوفا على نفسه. فركب الأمير قطز - هو والأمراء - وقبض على الأمير سنجر الحلّبى، يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر، واعتقله فركب الأمير أيبك الحلبى الكبير فى الأمراء الصالحية فلم يُوَفّق، وتقنطر عن فرسه خارج باب زويلة، فأدخل إلى القاهرة ميتا.

وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة على عادته، وصار مدبر الدولة الملك المنصور على.

وأقيم الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب الصالحى أتابك العساكر، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الحلبى واستمر الوزير شرف الدين الفائزى على عادته فَنَقَل عنه الأمير سابق الدين بوزيا الصيرفى، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردى أمير جاندار، أنه قال: «المملكة ما تمشى بالصبيان، والرأى أن يكون الملك الناصر». فتوهمت أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور، وأخذ خطة بمائة ألف دينار. واستقر فى الوزارة بعده قاضى القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى، مضافا إلى القضاء وقد أعيد إليه. وأحيط بأموال الفائزى، وقبض على جماعة بسببه. ثم إن السنجارى استعفى من الوزارة وتركها فى ربيع الآخر، فتقلد الوزارة قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلائى، المعروف بابن بنت الأعز، بعد السنجارى.

وفى ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة: خسف القمر بحمرة شديدة؛ وأصبحت الشمس حمراء، فأقامت كذلك أياما وهى ضعيفة اللون متغيرة.

وفيها بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد السلاجقة الروم موت الملك المعز، فساروا فى البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة. فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرته بالديوك، ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير الفُرْء فى القلعة، ومناطحته بالكباش.

---

(١) انظر ابن إياس ١/٩٣ والأعلام ٤/ ٢٦٥.

وفيها دخل الصارم أحمد عينه الصالحى بجماعة، فقتلوا الوزير الفائزى فى جمادى الأولى. وأخرج فى نخ[١]. قال ابن واصل: حكى القاضى برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حنا قال: «دخلتُ على شرف الدين الفائزى وهو معتقل، فسألنى أن أتحدّث فى إطلاقه، بحكم أنه يحمل فى كل يوم ألف دينار علينا. فقلت له: وكيف تقدر على ذلك. فقال: أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضى سنة يفرج ا لله تعالى». فلم يلتفت مماليك الملك المعز إلى ذلك وعجلوا بهلاكه وخنقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها.

وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه فى شوّال، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك. فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر الصالحية، فواقعوهم فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاوون[٢]، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدى؛ وقُتِل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفى. وانهزم عسكر الكرك، وفيهم بيبرس البندقدارى الذى ملك مصر. وعاد العسكر إلى القاهرة، فَضَمَن الأميرُ شرف الدين قيران - المعزى وهو أستادار السلطان - الأميرَ قلاوون وأطلقه. فأقام قلاوون بالقاهرة قليلا، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومى، فزوَّده وسار إلى الكرك.

وفيها بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خلعة وتقليدا وطوقا. وفيها حسَّن البحرية للملك المغيث أخذ ملك مصر، فكاتب عدّة من الأمراء ووعدهم. وفيها قوى هولاكو بن طولو بن جنكزخان، وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة فكثر الإرجاف ببغداد، وخرج الناس منها إلى الأقطار. ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر بغداد، وقَتَل من الناس عالما كبيرا.

وفيها قدم إلى دمشق الفقراء الحَيْدَرِيَّة، وعلى رءوسهم طراطير، ولحاهم مقصوصة وشواربهم بغير قص. وذلك أن شيخهم حيدر، لما أسره الملاحدة قصوا لحيته وتركوا شاربه. فاقتدوا به فى ذلك، وبنوا لهم زاوية خارج دمشق، ومنها وصلوا إلى مصر.

* * *

---

(١) غطاء، والنخ البساط الطويل، وجمعه أنخاخ. انظرمحيط المحيط.

(٢) قلاوون الألفى العلائى الصالحى الغيمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ. وتولى سلطنة مصر سنة ٦٧٨ هـ مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة شهر. انظر مورد اللطافة، لابن تغرى بردى ٤٢، ٤٤ وابن إياس ١/١١٤ وخطط المقريزى ٢/٢٣٨ ووليم موير ٥٥ والنجوم الزاهرة ٧/٢٩٢ وفوات الوفيات ٢/١٣٣ والنهج السديد ٤٧٥ وما بعدها والأعلام ٥/ ٢٠٣.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن أبى سعد البادرائى البغدادى الشافعى، رسول الخلافة وقاضى بغداد، عن إحدى وستين سنة.

وتوفى الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى.

وتوفى عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد المدائنى، مؤلف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر.

ومات متملك الروم علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان. وقام بعده أخوه عز الدين كيكاوس ابن غياث كيخسرو، فملك الططر قونية منه، فقفز منها إلى العَلايا[1].

* * *

(١) على هامش ط: هو ثغر بجنوبى آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

سنة ست وخمسين وستمائة

فيها وقع الغلاء بسائر البلاد، وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر، وأبيع المكوك[1] القمح بحلب بمائة درهم، والشعير بستين درهما، والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما، وبقية الأسعار من هذه النسبة.

وفى رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسانّ فرعون التى بعين شمس، فَوُجِد فيها نحو المائتى قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار.

وفيها ملك هولاكو بغداد، وقتل الخليفة المستعصم با لله عبد ا لله فى سادس صفر، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت بمهلكه دولة بنى العباس من بغداد، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة؛ فصحَّ حديث حبيب بن أبى ثابت، عن عبيد ا لله بن عبد ا لله بن عتبة[2]، أن رسول ا لله قام فقال: «يا معشر قريش! إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط ا لله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحى القضيب».

وقُتل الناس ببغداد وتمزقوا فى الأقطار، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد، وسفكوا الدماء حتى جرت فى الطرقات، واستمروا على ذلك أربعين يوما. وأمر هولاكو بَعدِّ القتلى، فبلغت نحو الألفى ألف قتيل، وتلاشت الأحوال بها. وملك التتار أربل[3]، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى طاعتهم.

وفيها كثر الوباء ببلاد الشام، فكان يموت من حلب فى كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير، وبلغ الرطل التمر هندى ستين درهما.

---

(١) المكوك جمعه - مكاكيك - مكيال للحبوب يسع صاعا ونصفا، والصاع قدر نصف ويبة، والويبة ثلاث كيلات. انظر محيط المحيط.

(٢) عبيد ا لله بن عبد ا لله بن عتبة بن مسعود الهذلى، أبو عبد ا لله: مفتى المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها. من أعلام التابعين. وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز. وقد ذهب بصره. مات بالمدينة. انظر تذكرة الحفاظ ٧٤/١ وسمط اللآلى ٧٨١ والوفيات ٢٧١/١ وتهذيب ٢٣/٧ وسير النبلاء المجلد الرابع، والجمع ٣٠١ وصفوة الصفوة ٥٧/٢ وحلية ٢/ ١٨٨ والأغانى ١٣٩/٩ وأمالى المرتض ٦٠/٢، ٦٣ ونكت الهيمان ١٩٧ والتبريزى ٦٧/٣ والأعلام ١٩٥/٤.

(٣) قلعة حصينة ومدينة كبيرة فى طرف من المدينة. انظر معجم البلدان ٢٨٩/١.

وفيها أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو، ومعه تقادم وعدة من الأمراء فلما وصل الملك العزيز إلى هولاكو قدّم إليه ما معه، وسأله على لسان أبيه فى نجدة ليأخذ مصر من المماليك، فأمر هولاكو أن يُتَوَجَّه إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس. فطار هذا الخبر إلى دمشق، فرحل من كان بها من المماليك البحرية، وصاروا إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرَّضوه على أخذ مصر، فَجَمع الملكُ المغيث وسار.

فتجهز الأمير قطز، وخرج من القلعة بالعساكر فى [...[1]...] فلما وصل الصالحية تسلل إلى الملك المغيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه، فلقيهم قطز وقاتلهم. فانهزم الملك المغيث فى شرذمة إلى الكرك، ومضى البحرية نحو الطور[2]، واتفقوا مع الشهْرَزُوْرِيَّة من الشرق. واستولى المصريون على من بقى من عساكر المغيث وأثقاله، وأسروا جماعة، وعادوا إلى قلعة الجبل. وقد تغير قطز على عدّة من الأمراء، لميلهم إلى الملك المغيث: فقبض على الأمير عز الدين أيبك الرومى الصالحى، والأمير سيف الدين بلبان الكافورى الصالحى الأشرفى، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفى، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفى، وجماعة غيرهم، وضرب أعناقهم فى سادس عشرى ربيع الأوّل، وأخذ أموالهم كلها.

وفيها فر طائفة من الأكراد من وجه عسكر هولاكو، يقال لهم الشهرزورية، وقدموا دمشق وعدّتهم نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أولادهم ونساؤهم. فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم، فزاد عنتهم وكثر طلبهم حتى خافهم، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردًا عليه، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المغيث بالكرك، فسر بهم وتاقت نفسه إلى أخذ دمشق، فخاف الناصر وتخيل من الأمراء القيمرية اللذين فى دمشق فاضطرب وتحير.

وفيها مات أمير بنى مَرِين أبو يحيى بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة[3]،

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) المقصود هنا طور سيناء.

(٣) أبو بكر بن عبد الحق محيو بن أبى بكر بن حمامة الزناتى المدينى، وكنيته أبو يحيى: أول من نهض ببنى مرين إلى مرتبة المغرب الأقصى. بايعه قومه بعد مصرع أخيه الأمير محمد سنة (٦٤٢ هـ). توفى بقصره فى فاس. انظر الاستقصا ٢/٦ والذخيرة السنية ٦٧-٩١ وجذوة الاقتباس ١٠١ وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٢١ وصاحب السلوك ٧٦ والأعلام ٢/٦٥.

فى رجب. وقام من بعده ابنه عمر[١]، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق[٢] وأبو يحيى هو الذى فتح الأمصار، وأقام رسوم المملكة، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بنى مريس، وقام بدعوة الأمير أبى زكريا بن أبى حفص صاحب تونس. وأبو يحيى أوّل من اتخذ الموكب الملكى منهم، وملك مدينة فاس. وقد استبد أبو يحيى بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبى حفص بإفريقية. وهذا وقد أشرفت دولة الموحدين بنى عبد المؤمن على الزوال.

وفى سنة ست خمسين هذه: قدم أولاد حسن مكة، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام، فجاء أبو نميّ وأخرجهم و لم يُقتل بينهم أحد.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الخليفة العباسى المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر منصور ابن الظاهر بالله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد، آخر خلائف بنى العباس مقتولا فى سادس صفر، بعدما أتلف عساكر بغداد لنهمته فى جمع المال فَدُهِيَ الإسلام وأهله بلينه وإسناده الأمر إلى وزيره ابن العلقمى، فإنه قطع أرزاق الأجناد، واستجر التتار حتى كان ما كان ومات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، صاحب دمشق والكرك، بعدما مرت به خطوب كثيرة، عن ثلاث وخمسين سنة خارج دمشق. وله شعر بديع.

---

(١) عمر بن أبى بكر (وكنيته أبو يحيى) بن عبد الحق المرينى، أبو حفص من أمراء الدولة المرينية فى المغرب الأقصى. بويع بجاس بعد وفاة أبيه (سنة ٦٥٦) و لم يلبث أن تغلب عليه عمه يعقوب بن عبد الحق فنزل عن الإمارة. وأقطعه عمه مدينة مكناسة فرحل إليها وتولاها وقتله بعض أقربائه اغتيالا. انظر الاستقصا ٢/١٠ أو الذخيرة السنية ٩٢، ٩٨ وجذوة الاقتباس ٢٨٤ والأعلام ٥/٤٣.

(٢) يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة المرينى الزناتى، أبو يوسف السلطان المنصور بالله: سيد بنى مرين على الإطلاق من بربرى، من أصل عربى كانت له فى عهد أخيه وأبى بكر، إمارة بلاد تازاو بطوية وملوية (فى المغرب الأقصى) ولما مات أخوه (سنة ٦٥٦هـ) وولى ابنه (عمر ابن أبى بكر بن يعقوب كان فى رباط نازا). فأقبل إلى فاس، فجاءه الناس يبايعونه، فقاتل عمر (ابن أخيه) فنزل له هذا عن الأمر. وحدثت البيعة ليعقوب. انظر الاستقصا ٢/١٠،٣٢ والذخيرة السنية ٩٢ وجذوة الاقتباس ٣٤٩ واللمحة البدرية ٤٢، وروضة النسرين ١٢-١٦ والأنيس المطرب القرطاس ٥ والحلل الموشية ١٤٣-١٤٨ ونظم السلوك ٧٧-١٤٥ والأعلام ٨/٢٠٠.

وتوفى الحافظ زكى الدين أبو عبد الله عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة المنذرى الشافعى الإمام الحجة[(١)] عن خمس وسبعين سنة.

ومات محيى الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن محمد بن على بن محمد بن جعفر بن الجوزى البكرى البغدادى الحنبلى، محتسب بغداد ورسول الخلافة، عن ست وسبعين سنة.

وتوفى الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زيد بن هارون بن موسى بن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عامر أبى جرادة العقيلى بن العديم الحنفى، عن ست وستين سنة بحلب.

وتوفى نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد المجيد بن المولى الأنصارى الحلبى، صاحب الإنشاء بحلب.

وتوفى ناظر الجيش بحلب، واسمه عون الدين أو المظفر بن البهاء أبى القاسم عبد الحميد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن العجمى الحلبى، عن خمسين سنة وتوفى الصاحب عز الدين أبو حامد محمد بن محمد بن خالد بن محمد نصر بن القيسرانى الحلبى، ناظر الدواوين بدمشق.

وتوفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى الأزدى المكى[(٢)] الكاتب الشاعر الماهر، صاحب الإنشاء بديار مصر، عن خمس وسبعين سنة.

---

(١) عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله، أبو محمد، زكى الدين المنذرى: عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين. له «الترغيب والترهيب» و«التكملة لوفيات النقلة»، أصله من الشام، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية (بالقاهرة) وانقطع بها نحو عشرين سنة، عاكفا على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث. مولده ووفاته بمصر. انظر البداية والنهاية ٢١٢/١٣ والتبيان وفوات الوفيات ٢٩٦/١ وطبقات الشافعية ٥/ ١٠٨ وصلة التكملة للحسينى وخزانة القرويين ونوادرها والأعلام ٦١/٤.

(٢) زهير بن محمد بن على المهلبى العتكى، بهاء الدين: شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه فتعجب به العامة وتستملحه الخاصة. ولد بمكة، ونشأ بقوص. واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بمصر، فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير فى داره إلى أن توفى بمصر. انظر وفيات الأعيان ١٩٤/١ والنجوم الزاهرة ٦٢/٧ وآداب اللغة ١٨/٣ وروض المناظر ١٤٥/١٢ والأعلام ٥٢/٣.

وتوفى الأمير سيف الدين على بن سابق الدين عمر بن قـزل[١] - المعـروف بالمشدّ، عن أربع وخمسين سنة، وشعره غاية فى الجودة.

وتوفى شاعر بغداد جمال الدين أبو زكريـا يحيى بـن يوسـف بـن يحيى بـن منصور الصرْصَرِى[٢] الحنبلى شهيدا، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى الأديب شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفاء بـن الحَـلاَوِى[٣] الموصلى، عن ثلاث وخمسين سنة بالموصل.

وتوفى الأديب سعد الدين أبو سعد محمد بن محيى الدين محمـد بـن علـى بـن عربى، بدمشق[٤].

وتوفى الأديب نور الديـن أبـو بكـر محمـد عبـد العزيـز بـن عبـد الرحيـم بـن رستم الإسعردى، بدمشق.

---

(١) على بن عمر بن قزل التركمانى الياروقى المصـرى، سيف الديـن، المشـدّ شـاعر، مـن أمـراء الديوان كان « مشدّ الديوان» بدمشق. ولد بمصر. وتقلب فى دواوين الإنشاء، وتوفى بدمشـق. انظـر دايون الإسلام وفوات الوفيات ٦٣/٢ والنجـوم الزاهـرة ٧/ ٦٤ والبدايـة والنهايـة ١٣/ ١٩٧و آداب اللغة ٣/ ١٨ والأعلام ٣١٥/٤.

(٢) يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصارى، أبو زكريا، جمـال الديـن الصرصـرى شـاعر، مـن أهـل صرصر على مقربة من بغداد، سكن بغداد. وكان ضريرا. له ديوان شعر صغير ومنظومـات فـى الفقـه وغيره. قتله التتار يوم دخلوا بغداد. انظر المنهج الأحمد والبداية والنهاية ٢١١/١٣ وذيل مرآة الزمـان ٣٢٢،٢٥٧/١ وكشف الظنون ١٣٤٠ ودار الكتب ١٣٦/٣ والنجوم الزاهرة ٦٦/٧، ومرآة الجنـان ٤٧/٤ أو الفهـرس التمهيـدى ٣٠٣ وحولـة فـى دور الكتـب الأمريكيـة ٧٤ وانظـر هديـة العـارفين ٥٢٣/٢ والأعلام ٨/ ١٧٧.

(٣) أحمد بن محمد بن أبى الوفاء بـن الخطـاب الربعـى الموصلـى، أبـو الطيـب شـرف الديـن بـن الحلاوى: شاعر، من أهل الموصل، فيه ظرف ولطف، وفى شعره رقة وجزالة. رحل فى البلاد ومـدح الخلفاء والملوك، ودخل فى خدمة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صـاحب الموصـل، ولبـس زى الجنـد، وتوجه معه إلى بلاد العجم للاجتماع بهولاكـو، فمـرض ومـات فـى الطريـق. انظـر فـوات الوفيـات ١٨٢،٦٩/١ والنجوم الزاهرة ٦٠/٧ والأعلام ٢١٩/١.

(٤) محمد بن محمد بن على بن عربى الطائر الحاتمى، سعد الدين بن الشيخ محيى الدين ابن عربى: شاعر. ولد فى ملطية، وسمع الحديث ودرس وناب فى دمشق وتوفى بها، ودفن بقرب أبيه. له «ديوان شعر» و«زاد المسافر وأدب الحاضر». انظر الوافى بالوفيات ١٨٦/١ ونفح الطيب ٤٠١/١ وشـذرات النهب ٢٨٣/٥ ومنتخبات التواريـخ ٥١١ وفـوات الوفيـات ١٥٨/٢ بجلة المـورد المجلـد٢ العـدد ٢ ٢٥٥ والأعلام ٣٩/٧.

وتوفى الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الحق بن يوسف الشاذلى[1] الزاهد، بصحراء عيذاب.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبى الفتح، خطيب مَرَدا، التركى الحنبلى عن سبعين سنة، بمردا من عمل دمشق، وكان قد حدّث بالقاهرة.

* * *

(١) على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلى المغربى، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفية ولد فى بلاد «غمارة» بريف المغرب، ونشأ فى بنى زرويل أقرب شفشاون، وتفقه وتصوف بتونس، وسكن «شاذلية» قرب تونس، فنسب: لها ورحل إلى بلاد المشرق فحج ودخل العراق ثم سكن الإسكندرية. وتوفى بصحراء عيذاب فى طريقه إلى الحج. وكان ضريرا. انظر نكت الهيمان ٢١٣ وطبقات الشعرانى ٢/٤ ونور الأبصار ٢٣٤ وفهرست الكتبخانة ١١٢/٢، وخطط مبارك ١٤/ ٥٧ والرحلة العياشية ٢٥٩/٢ والتاج للزبيدى ٧/ ٣٨٨ والأعلام ٣٠٥/٤.

سنة سبع وخمسين وستمائة

فيها نازل التتار ماردين فلم ينالوا منها شيئا، فرحلوا عنها إلى ميافارقين وحاصروا أهلها، حت أكلوا من عدم الأقوات جلود النعال التى تلبس فى الرجلين.

وفيها خرج الملك المغيث من الكرك بعساكره يريد دمشق، فخرج الملك الناصر من دمشق إلى محاربته، ولقيه بأرِيْحَا[1] وحاربه، فانهزم المغيث إلى الكرك. وسار الناصر إلى القدس فأقام بعد أياما، ثم رحل إلى زَيْراء[2] فخيم على بركتها. وأقام هناك مدة ستة أشهر، والرسل تتردد بينه وبين المغيث إلى أن وقع الاتفاق بينهما، على أن الناصر يتسلم الطائفة من المغيث البحرية جميعهم، وأن المغيث يبعد عنه الشهرزورية، صارت الشهرزورية من بلاد الكرك إلى الأعمال الساحلية.

وسيّر الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى إلى الملك الناصر يلتمس منه الأمان، فحلف له وحضر ركن الدين بيبرس إليه على بركة زيزاء، ومعه بدر الدين بيسرى، وإيتمش المسعودى، وطيبرس الوزيرى[3]، وبلباى الرومى الدوادار، وأقوش الرومى ولاجين الدرفيل الدوادار، وكشتغدى المشرف، وأيدغمش الشيخى، وأيبك الشيخى، وبلبان المهرانى، وخاص ترك الكبير، وسنجر المسعودى، وأياز الناصرى، وسنجر الهمامى، وأيبك العلائى، وطمان الشقيرى، ولاجين الشقيرى، وسلطان الإلدكزى، وبلبان الإقسيسى، وعز الدين بيبرس. فأكرمه الملك الناصر، وأقطعه نصف نابلس وجينين وأعمالها، بمائة وعشرين فارسا. وبعث المغيث سائر البحرية إلى الملك الناصر، فرحل عن زيزاء إلى دمشق، وقبض على البحرية واعتقلهم.

---

(١) مدينة من أحل بلاد الغور بالشام، وفى الخبر أن عمر رضى الله عنه أحلى اليهود إلى أريحا وكانوا طلبوا إلى النبى ﷺ حين غلب عليهم أن يقرهم على أن لهم نصف الثمر، فقال: «نقركم متى شئنا»، فبقوا كذلك خلافة أبى بكر رضى الله عنه وصدرًا من خلافة عمر رضى الله عنه ثم أحلاهم إلى أريحا، ذكره مسلم بن الحجاج. انظر معجم البلدان ١/٢٢٧، ٢٢٨، والروض المعطار ٢٥.

(٢) وهى قرية كبيرة تابعة للبلقاء، وتطل على بركة واسعة. انظر معجم البلدان ٢/٩٦٦.

(٣) طيبرس بن عبد الله الجندى علاء الدين: أديب نحوى، من المماليك اشتراه أحد الأمراء فى «البيرة» وعلمه القرآن والخط، وأعتقه، فتقدم دمشق، فتفقه ومهر فى الأدب. ونظم ألفية ابن مالك ومقدمة ابن الحاجب، جامعًا بينهما فى أرجوزه سماها «الطرقة» تسعمائة بيت، وشرحها، ومات بالطاعون فى صالحية دمشق. انظر الكامنة ٢/٢٢٩ وشذرات الذهب ٦: ١٦١ وبغية الوعاة ٢٧٣. انظر الأعلام ٣ /٢٣٥.

وفيها قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاكو، وعلى يده كتابه ونصه: «الذى يعلم به الملك الناصر صاحب حلب أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز: **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾**[١] واستحضرنا خليفها[٢] وسألناه عن كلمات فكذب، فواقعه الندم واستوجب منا العدم. وكان قد جمع ذخائر نفيسة، وكانت نفسه خسيسة فجمع المال و لم يعبأ بالرجال. وكان قد نمى ذكره وعظم قدره، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال.

إذا تم أمر دنا نقصه ... توقَّ زوالا إذا قيل تم

إذا كنت فى نعمة فارعها ... فإن المعاصى تزيل النعم

وكم من فتى بات فى نعمة ... فلم يدر بالموت حتى هجم

إذا وقفت على كتابى هذا، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روُى زَمِيْن[٣]، تأمن شره وتنل خيره، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾**[٤] ولا تعوّق رسلنا عندك كما عَوَّقت رسلنا من قبل، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى كروان سراى[٥] فإن كانوا فى الجبال نسفناها، وإن كانوا فى الأرض خسفناها.

أين النجاة ولا مناص لهارب ... ولِّى البسيطان الثرى والماء

ذلّت لهيبتنا الأسود وأصبحت ... فى قبضتى الأمراء والوزراء

فانزعج الناصر وسير حريمه إلى الكرك، وخاف الناس بدمشق خوفا كثيرًا لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات، وسار كثير منهم إلى جهة مصر، وكان الوقت شتاء فمات خلائق بالطريق، ونهب أكثرهم. وبعث الناصر، عندما بلغه توجه هولاكو نحو الشام بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم[٦] إلى مصر، يستنجد بعسكرها.

---

(١) سورة النمل آية ٣٤.

(٢) صيغة تحقير وتصغير على غير قياس.

(٣) معنى شاهنشاه روى زمين: ملك الملوك على وجه الأرض.

(٤) سورة النجم آيتا ٣٩، ٤٠.

(٥) كانت مصر تعرف فى بلاد التتر باسم كروان سراى.

(٦) عمر بن أحمد بن هبة بن أبى جرادة العقيلى، كمال الدين بن العديم مؤرخ، محدث، من الكتاب. ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «بغية الطلب فى تاريخ حلب». انظر فوات الوفيات ١٠١/٢ وإرشاد الأريب ١٨/٦ والجواهر المضيئة=

فلما قدم ابن العديم إلى القاهرة، فى يوم [......][1] عُقِد مجلس بالقلعة عند الملك المنصور، وحضر قاضى القضاة بدر الدين حسن السنجارى، والشيخ عز الدين بن عبد السلام: وسُئلا فى أخذ أموال العامة ونفقتها فى العساكر، فقال ابن عبد السلام: «إذا لم يبق فى بيت المال شىء أو أنفقتم الحوائض الذهب ونحوها من الزينة، وساويتم العامة فى الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للجندى إلا فرسه التى يركبها، ساغ أخْذ شىء من أموال الناس فى دفع الأعداء. إلا أنه إذا دهم العدو، وجب على الناس كافة دَفْعُه بأموالهم وأنفسهم» وانفضوا. فوجد الأمير سيف الدين قطز سبيلا إلى القول، وأخذ ينكر على الملك المنصور وقال: «لابد من سلطان ماهر قاهر يقاتل هذا العدو، والملك المنصور صبى صغير لا يعرف تدبر المملكة». وكانت قد كثرت مفاسد الملك المنصور علىّ بن المعز أيبك، واستهتر فى اللعب وتحكّمت أمه فاضطربت الأمور. وطمع الأمير يوسف الدين قطز فى أخذ السلطنة لنفسه، وانتظر خروج الأمراء للصيد: فلما خرج الأمير علم الدين سنجر الغتمى، والأمير سيف الدين بهادر، وغيره من المعزية لرمى البندق - وكان يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة - قبض قطز على المنصور وعلى أخيه قاقان وعلى أمهما، واعتقلهم فى برج بقلعة الجبل. فكانت مدّة المنصور سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

* * *

الملك المظفر سيف الدين قَطز[2]

جلس على سرير بقلعة الجبل يوم السبت، الرابع والعشرين من ذى القعدة، سنة سبع وخمسين وستمائة. وهو ثالث ملوك الترك بمصر.

وفى خامسه: وَلِى الوزراء زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن يزيد بن الزبير، وصُرف تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فبلغ ذلك الأمراء فقدموا إلى قلعة الجبل، وأنكروا ما كان من قَبْض قطز على الملك المنصور، وتوثبه على المُلْك. فخافهم واعتذر إليهم بحركة التتار إلى جهة الشام ومصر، والتخوف مع هذا من الملك الناصر

=١/٣٨٦ وإعلام النبلاء ٢/٣١٣، ٤/٤٦٤ مجلة المجمع العربى ٢٣/ ٢٥١ والفهرس التمهيدى ٥٦٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢٠٨ وتاج التراجم وابن الوردى ٢/٢١٥ ومرآة الجنان ٤/١٥٨ وشذرات الذهب ٥/٣٠٣ وزبدة الحلب مقدمة الناشر. صاحب آداب اللغة ٣/ ١٧٠ والأعلام ٥/٤٠.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٣٥، ٣٨ وابن إياس ١/ ٩٦ والنجوم الزاهرة ٧/٧٢ وفوات الوفيات ٢/١٣٢ وذيل الروضتين ٢١٠ والأعلام ٥/٢٠١.

صاحب دمشق، وقال: «وإنى ما قصدت إلاَّ أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتَّى ذلك بغير مَلِك. فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدوّ فالأمر لكم، أقيموا فى السلطنة من شئتم» فتفرقوا عنهُ، وأخذ يرضيهم حتى تمكَّن. فبعث بالمنصور وأخيه وأمه إلى دمياط، واعتقلهم فى برج عمره وسماه برج السلسلة، ثم سيرهم إلى بلاد الأشكرى[1] وقبض على الأمير علم الدين سنجر الغنمى المعظمى، والأمير عز الدين أيدمر النجيبى الصغير، والأمير شرف الدين قيران المعزى، والأمير سيف الدين بهادر، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير عز الدين أيبك النجمى الصغير، والأمير سيف الدين الدود خال الملك المنصور على بن المعز، والطواشى شقبل الدولة كافور لالا الملك المنصور، والطواشى حسام الدين بلال المغيثى الجمدار. واعتقلهم وحلَّف الأمراء والعسكر لنفسه، واستوزر الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير فى خامس ذى القعدة، واستمر بالأمير فارس الدين أقطاى الصغير الصالحى المعروف بالمستغرب أتابكا، وفوّض إليه وإلى الصاحب زين الدين؟ تدبير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة، واحتفل باستخدام الجنود والاستعداد للجهاد.

وورد الخبر بقدوم نجدة من عند هولاكو إلى الملك الناصر بدمشق، فكتب إليه الملك المظفر قطز وقد خافه كتابا يترقق فيه، ويقسم بالأيمان أنه لا ينازعه فى الملك ولا يقاومه، وأنه نائب عنه بديار مصر، ومتى حلَّ بها أقعده على الكرسى، وقال فيه أيضًا: «وإن اخترتنى خَدَمْتُك، وإن اخترتَ قدمتُ ومن معى من العسكر نجدة لك على القادم عليك، فإن كنت لا تأمن حضورى سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره». فلما قدم على الملك الناصر كتاب قطز اطمأن.

وفيها سار هولاكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر، ونزل على آمد يريد حلب، ونازل حران ونصب عليها المجانيق - وكانت فى مملكة الناصر يوسف - حتى أخذها. وقطع بعضُ جيشه الفرات وعاثوا فى البلاد، فأجمع أهل حلب على الرحلة منها، وخرجوا جافلين. فاحترز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف، وجمع أهل الأطراف. وتقدم التتار حتى دنوا من حلب، فقتلوا كثيرًا من عسكرها الذين خرجوا إليهم، ثم رحلوا عنها عاجلا. فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولاكو، وخيَّم على بَرْزَة[2]. وكتب إلى الملك المغيث صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما نجدة. ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت، وعظم خوف الأمراء

---

(١) على هامش ط: المقصود ببلاد الأشكرى هى الإمبراطورية البيزنطية بنيقته.

(٢) برزة: مدينة بالشام من عمل الغوطة. انظر معجم البلدان ٥٦٢/١، والروض المعطار ٨٧.

والعساكر من هولاكو: فأخذ الأمير زين الدين الحافظى يعظم شأن هولاكو، ويشير بألا يقاتل وأن يدارَى بالدخول فى طاعته. فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، وضربه وسبه وقال: «أنتم سبب هلاك المسلمين» وفارقه إلى خيمته فمضى زين الدين الحافظى إلى الملك الناصر، وشكا إليه ما كان من الأمير بيبرس. فلما كان الليل هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر، ليقتلوه ويملّكوا غيره، وكان فى بستان، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق. فبادر الأمراء القيمرية جمال الدين ابن يغمور والأكابر إلى القلعة، وأشاروا على الناصر بأن يخرج إلى المخيم، فخرج. وعندما خرج ركب بيبرس وسار إلى غزة، وبها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية، فتلقاه وأنزله. وسير بيبرس إلى الملك المظفر قطز علاء الدين طيبرس الوزيرى ليحلّفه، فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه. ووعده الوعود الجميلة. ففارق بيبرس الناصرية، ووصل فى جماعة إلى مصر، فأنزله الملك المظفر بدار الوزارة، وأقبل عليه وأقطعه قليوب وأعمالها.

وبلغ الناصر أن هولاكو أخذ قلعة حران وسائر تلك النواحى، وأنه عزم على أخذ حلب، فاشتد جزعه وسيَّر زوجته وولده وأمواله إلى مصر، وخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس. فتفرقت العساكر، وبقى الناصر فى طائفة من الأمراء. ونزل هولاكو على البيرة وأخذ قلعتها - وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز عثمان بن العادل، وله بها تسع سنين فى الاعتقال، وولاه الصبيبة وبانياس -، ونزل على حلب.

ففر أهل دمشق وغيرها، وباعوا أموالهم بأبخس ثمن وساروا وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير، وسير الملك المغيث من بقى عنده من البحرية مقيدين على الجمال، وهم نحو الخمسين: منهم الأمير سنقر الأشقر. وسار أربعة من البحرية إلى مصر: وهم قلاوون الألفى، وبكتاش الفخرى أمير سلاح، وبكتاش النجمى، والحاج طيبرس الوزيرى.

وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: جُبى التصقيع من أملاك القاهرة ومصر.

وفى شعبان: قُبض على رجل يعرف بالكورانى. وضرب ضربا مبرحا بسبب بدع ظهرت منه، وجَدّد إسلامه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر.

وفيها بنى هولاكو الرَّصَد بمدينة مَرَاغة[١]، بإشارة الخَوَاجا[٢] نصير الدين محمد الطوسى، وهو دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء، بها من كتب بغداد شىء كثير وعليها أوقاف لخدامها.

وفيها استقل يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة، ملك بنى مرين، بملك فاس وعامة المغرب الأقصى.

وفيها سار عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباد من قونية إلى هولاكو، فأقاما عنده مدّة ثم عادا إلى بلادهما.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى صاحب الموصل، فى ثالث عشر شعبان عن ثمانين سنة، دبَّر فيها الموصل نحو خمسين سنة. وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل، وسار ابنه علاء الدين علىّ مفارقا لأخيه إسماعيل إلى الشام.

وتوفى الشريف منيف بن شيحة الحسينى أمير المدينة النبوية.

وتوفى صدر الدين أبو الفتوح أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى، ناظر الجامع الأموى، عن ستين سنة بها.

وتوفى نجم الدين أبو الفتح مظفر بن محمد بن إلياس بن السيرجى الأنصارى الدمشقى الشافعى، محتسب دمشق ووكيل بيت المال بها.

وتوفى الأديب بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن مكى بن محمد بن الحسين بن الدجاجية القرشى الدمشقى[٣] بها عن ست وستين سنة.

* * *

---

(١) هى من بلاد أذربيجان. انظر معجم البلدان ٤٧٦/٤، والروض المعطار ٥٣٥.

(٢) الخواجا هو المعلم من معانيه الكاتب والتاجر.

(٣) محمد بن مكى بن محمد القرشى بهاء الدين: أديب، له شعر فيه رقة. من أهل دمشق يقال له «ابن الدجاجية». انظر فوات الوفيات ٢٦٦/٢ وصلة التكملة والأعلام ١٠٨/٧.

سنة ثمان وخمسين وستمائة

فى المحرم: نزل هولاكو على مدينة حلب وراسل متوليها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف، على أن يسلمه البلد ويؤمنه ورعيته، فلم يجبه إلى طلبه وأبى إلا محاربته. فحصرها التتار سبعة أيام وأخذوها بالسيف، وقتلوا خلقا كثيرا وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال مدّة خمسة أيام، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتلى. وصارت عساكر التتر تمشى على جيف من قُتِل، فيقال إنه أسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان. وامتنعت قلعة حلب، فنازلها هولاكو حتى أخذها فى عاشر صفر، وخربها وخرب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها، حتى عادت موحشة. وخرج إليه الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلم يعترضه بسوء لكبر سنه، فمات بعد أيام. ووجد هولاكو من البحرية تسعة أنفس فى حبس الملك الناصر، فأطلقهم وأكرمهم: منهم سنقر الأشقر، وسيف الدين سكز، وسيف الدين يرامق، وبدر الدين بكمش المسعودى، ولاجين الجمدار الصالحى، وكندغدى الصغير.

فلما وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب اضطربت بأهلها. وكان الملك الناصر قد صادر الناس، واستخدم لقتال التتر، فاجتمع معه ما يناهز مائة ألف ما بين عرب وعجم فتمزق حينئذ الناس، وزهدوا فى أمتعتهم وباعوها بأبخس الأثمان، وخرجوا على وجوههم. ورحل الملك الناصر عن برزة، يوم الجمعة منتصف صفر، بمن بقى معه يريد غزة، وترك دمشق خالية، وبها عامتها قد أحاطت بالأسوار، وبلغت أجرة الجمل سبعمائة درهم فضة، وكان الوقت شتاء. فلم يثبت الناس عند خروج الناصر، ووقعت فيهم الجفلات حتى كأن القيامة قامت، وكانت مدّة مملكة الناصر بحلب ودمشق ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر، منها مدّة تملكه لدمشق عشر سنين تنقص خمسين يوما.

ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حمص بهولاكو، وسار الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة إلى مصر بحريمه وأولاده، وجفل أهل حمص وحماة.

وصار هولاكو إلى دمشق، بعد أخذ حلب بستة عشر يوما، فقام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد بن عامر العَقْرَبانى المعروف بالزين الحافظى، وأغلق أبواب دمشق، وجمع من بقى بها وقرر معهم تسليم المدينة إلى هولاكو فتسلمها منه فخر الدين المردفائى وابن صاحب أرزن، والشريف على - وكان هؤلاء قد بعث بهم هولاكو إلى

الملك الناصر وهو على برزة. فكتبوا بذلك إلى هولاكو، فسير طائفة من التتر وأوصاهم بأهل دمشق، ونهاهم أن يأخذوا لأحد درهما فما فوقه.

فلما كان ليلة الإثنين تاسع عشر صفر: وصل رسل هولاكو صحبة القاضى محيى الدين بن الزكى، - وكان قد توجه من دمشق إلى هولاكو بحلب، فخلع عليه وولاه قضاء الشام، وسيره إلى دمشق ومعه الوالى. فسكن الناس، وجُمعوا من الغد بالجامع، فلبس ابن الزكى خلعة هولاكو وجَمع الفقهاء وغيرهم وقرأ عليهم تقليد هولاكو. وقُرئت فرمانات هولاكو بأمان أهل دمشق، فكثر اضطراب الناس واشتدّ خوفهم.

وفى سادس عشر ربيع الأوّل: وصل نوّاب هولاكو، فى جمع من التتر صحبة كتبغا[١] نُويْن[٢] فقرئ فرمان بالأمان. وورد فرمان على القاضى كمال الدين عمر التفليسى، نائب الحكم عن قاضى القضاة صدر الدين أحمد بن سنى الدولة، بأن يكون قاضى القضاة بمدائن الشام والموصل وماردين وميافارقين، وفيه تفويض نظر الأوقاف إليه من جامع وغيره، فقرئ بالميدان الأخضر.

وغارت جمائع التتر على بلاد الشام، حتى وصلت أطراف بلاد غزة وبيت جبريل والخليل وبركة زيزاء والصلت، فقتلوا وسبوا وأخذوا ما قدروا عليه، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشى وغيرها.

واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم: فتظاهروا بالخمر فى نهار رمضان، ورشّوه على ثياب المسلمين فى الطرقات، وصبّوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب وصاروا يمرون به فى الشوارع إلى كنيسة مريم[٣]، ويقفون به ويخطبون فى الثناء على دينهم، وقالو جهرا: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح». فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو وهو كتبغا فأهانهم وضرب بعضهم، وعظّم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم. وجمع الزين الحافظى من الناس أموالا جزيلة، واشترى بها ثيابا وقدّمها لكتبغا نائب هولاكو، ولبِيْدَرا وسائر الأمراء والمقدمين من التتر، وواصل حمل الضيافات إليهم فى كل يوم، ثم خرج كتبغا وبيدرا إلى مَرْج بَرغُوْث[٤].

---

(١) على هامش ط: هو صهر هولاكو.

(٢) على هامش ط: هو لفظ فارسى معناه مقدم ألف.

(٣) كانت تلك الكنيسة تابعة للطوائف اليونانية المسيحية.

(٤) هو على مسافة يوم من دمشق.

ووصل الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولاكو، وبيده مرسوم أن يكون نائب السلطنة بدمشق والشام، فامتثل ذلك كتبغا، وصارت الدواوين وغيرها تحضر إلى الأشرف. ثم بعد أيام ثار الأمير بدر الدين محمد بن قَرْمَجاه والى قلعة دمشق، هو والأمير جمال الدين بن الصيرفى، وأغلقا أبوابها. فحضر كتبغا بمن معه من عساكر التتار، وحصروا القلعة فى ليلة السادس من ربيع الآخر. فبعث الله مطرا وبردا، مع ريح شديدة ورعود وبروق وزلزلة، سقط منها عدّة أماكن، وبات الناس بين خوف أرضى وخوف سمائى، فلم ينالوا من القلعة شيئا، واستمرّ الحصار عليها بالمجانيق - وكانت تزيد على عشرين منجنيقا - إلى ثانى عشرى جمادى الأولى. عند ذلك اشتدّ الرمى، وخرب من القلعة مواضع، فطلب من فيها الأمان ودخلها التتر فنهبوا سائر ما كان فيها، وحرقوا مواضع كثيرة، وهدموا من أبراجها عدّة، وأتلفوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد. وساروا إلى بعلبك فخربوا قلعتها، وسارت طائفة منهم إلى غزة، وخربوا بانياس وأسعروا البلاد خربا وملأوها قتلا ونهبا.

وفى يوم السبت ثانى عشرى شهر ربيع الأول: قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى إلى القاهرة، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه، وأنزله فى دار الوزارة بالقاهرة، وأقطعه قصبة قليوب الخاصة.

وفيها ملك هولاكو ماردين، وقتل أمراءها وخرب أسوار قلعتها.

وفيها وصل الملك الناصر إلى قطيا، فخافه قطز وبرز بالعسكر إلى الصالحية. ففارق الناصر عدة من أمرائه ومن الشهرزورية، ولحقوا بقطز وأقاموا ببلبيس: منهم حسام الدين طرنطاى، وبدر الدين طيدمر الأخوث، وبدر الدين أيدمر الدوادار، وإيدغدى الحاجى. فعاد الناصر من قطيا وقد تمزق ملكه وتفرق الناس عنه، فنزل البلقاء.

ورجع قطز إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، وأعتقه بقلعة الجبل وصادر كل من وصل إليه من غلمان الملك الناصر وكتابه وأخذ أموالهم، وألزم زوجة الملك الناصر بإحضار ما عندها من الجواهر، فأخذ منها جوهرا كثيرا، وأخذ من نساء الأمراء القيمرية أموالا جمة، وعاقب بعضهن، وأما الملك الناصر، فإن شخصا من غلمانه - يعرف بحسين الكردى الطَّبَرْدار[1] - قبض عليه وعلى ولده الملك العزيز، وعلى أخيه غازى، وإسماعيل بن شادى ومن معه، وبعث بهم إلى هولاكو.

---

(١) الطبرادر هو الذى يحمل طبر - أى فأس - السلطان، عند ركوبه فى المراكب وغيرها.

وفيها رحل هولاكو عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق، وجعل كتبغا نوين نائبا عنه بحلب، وبيدرا نائبا بدمشق. وأخذ هولاكو معه من البحرية سبعة منهم: سنقر الأشقر، وسكز، وبرامق، وبكمش المسعودى.

وفيها وصلت رسل هولاكو إلى مصر بكتاب نصه: «مِن مِلك الملوك شرقا وغربا، القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسار أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله فى أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه. فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب. فأى أرض تأويكم، وأى طريق تنجيكم، وأى بلاد تحميكم؟ فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ومطركم علينا لا يُسمع فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفّون عند الكلام، وخُنتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان، ﴿**فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾[1] ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[2] فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلّطنا عليكم من له الأمور المقدّرة والأحكام المدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة لملوككم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمى نحوكم شِرارها، فلا تجدون منا جاها ولا عزا، ولا كافيا ولا حرزا. وتُدْهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد أنصفنا إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقى لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشى عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى.

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

ألا قل لمصرٍ ها هُلاوُن[١] قد أتى   بحدّ سيوف تُنتضى وبواتر
يَصير أعز القوم منا أذلة   ويُلحق أطفالا لهم بالأكابر

فجمع قطز الأمراء، واتفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية: فقبض على الرسل واعتقلوا وشرع فى تحليف من تخيّره من الأمراء، وأمر بالمسير، والأمراء غير راضين بالخروج كراهة فى لقاء التتر.

فلما كان يوم الإثنين خامس عشر شعبان: خرج الملك المظفر بجميع عسكر مصر، ومن انضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم، من قلعة الجبل يريد الصالحية.

وفيه أحضر قطز رسل التتر، وكانوا أربعة، فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث ظاهر باب النصر، ووسط الرابع بالريدانية. وعلقت رءوسهم على باب زويلة، وهذه الرءوس أوّل رءوس علّقت على باب زويلة من التتار. وأبقى الملك المظفر على صبى من الرسل، وجعله من جملة مماليكه.

ونودى فى القاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر، بالخروج إلى الجهاد فى سبيل الله، ونصرة لدين رسول الله ﷺ.

وتقدّم الملك المظفر لسائر الولاة بإزعاج الأجناد فى الخروج للسفر، ومن وُجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع[٢]. وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم فى الرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل. فقال لهم: «يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين». فتكلم الأمراء الذين تخيرهم وحلّفهم فى موافقته على المسير، فلم يسع البقية إلا الموافقة، وانفضَّ الجمع.

فلما كان فى الليل ركب السلطان، وحرك كوساته وقال: «أنا ألقى التتار بنفسى» فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره. وأمر الملك قطز الأميرَ ركن الدين بيبرس البندقدارى أن يتقدّم فى عسكر ليعرف أخبار التتر، فسار بيبرس إلى غزة وبها جموع التتر، فرحلوا عند نزوله، وملك هو غزة.

---

(١) على هامش ط: صيغة لاسم هولاكو.
(٢) مفردها مِقْرَعَة: وهى خشبة يضرب بها. انظر المعجم الوسيط ٧٣٥/٢.

ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام بها يوما، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم وأخلع عليهم، واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رَجَع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر.

وأمر الملك المظفر بالأمراء فجمعوا وحضَّهم على قتال التتر، وذكّرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبى والحريق، وخوّفهم وقوع مثل ذلك، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين، وحذرهم عقوبة الله. فضجوا بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد فى قتال التتر ودفْعِهم عن البلاد. فأمر السلطان حينئذ أن يسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى بقطعة من العسكر، فسار حتى لقى طليعة التتر. فكتب إلى السلطان يعلمه بذلك. وأخذ فى مناوشتهم، فتارة يقدم وتارة يحجم، إلى أن وافاه السلطان على عين جالُوْت[1].

وكان كتبغا وبيدرا نائبا هولاكو، لما بلغهما مسير العساكر المصرية، جمعا من تفرق من التتر فى بلاد الشام، وسارا يريدان محاربة المسلمين، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها.

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان: التقى الجمعان، وفى قلوب المسلمين وهْمٌ عظيم من التتر، وذلك بعد طلوع الشمس. وقد امتلأ الوادى وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء، فتحيز التتر إلى الجبل. فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتفض طرف منه، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته على رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: «وا إسلاماه!»، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة، فأيده الله بنصره وقتل كتبغا مقدم التتر، وقُتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز - وكان مع التتر. وانهزم باقيهم، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون، وأبلى الأمير بيبرس أيضا بلاء حسنا بين يدى السلطان.

ومما اتفق فى هذه الوقعة، أن الصبى الذى أبقاه السلطان من رسل التتر وأضافه إلى مماليكه، كان راكبا وراءه حال اللقاء. فلما التحم القتال فوّق سهمه نحو السلطان، فبصر به بعض من كان حوله فأُمْسَك وقُتل مكانه. وقيل بل رَمى الصبى السلطانَ بسهمه فلم يخطئ فرسه وصرعه إلى الأرض، وصار السلطان على قدميه، فنزل إليه فخر الدين ماما وأركبه فرسه، حتى حضرت الجنائب[2] فركب فخر الدين منها.

---

(١) هى بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. انظر معجم البلدان ٣/ ٧٦٩.

(٢) جمع جنب، وهى الخيول التى كانت تسير وراء السلطان فى الحروب لاحتمال الحاجة إليها.

ومر العسكر فى أثر التتر إلى قرب بيسان[1]، فرجع التتر وصافوا مصافا ثانيا أعظم من الأول، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدًا فصرخ السلطان صرخة عظيمة، سمعه معظم العسكر وهو يقول: «وا إسلاماه!» ثلاث مرات، «يا لله! انصر عبدك قطز على التتار». فلما انكسر التتار الكسرة الثانية، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها، وصلى ركعتين شكرًا لله تعالى ثم ركب، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم.

فورد الخبر بانهزام التتر إلى دمشق ليلة الأحد سابع عشريه، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار إلى القاهرة، ففرَّ الزين الحافظى ونوّاب التتار من دمشق، وتبعهم أصحابهم فامتدّت أيدى أهل الضياع إليهم ونهبوهم، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام.

وفى يوم الأحد المذكور: نزل السلطان على طبرية، وكتب إلى دمشق يبشر الناس بفتح الله له وخذلانه التتر، وهو أوّل كتاب ورد منه إلى دمشق، فلما ورد الكتاب سر الناس به سرورا كثيرا، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوها وأخربوا ما قدروا على تخريبه، وهدموا كنيسة اليعاقبة وكنيسة مريم وأحرقوها حتى بقيتا كوما، وقتلوا عدة من النصارى، واستتر باقيهم. وذلك أنهم فى مدّة استيلاء التتر هموا مرارا بالثورة على المسلمين، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، وأعلنو بضرب الناقوس وركبوا بالصليب، وشربوا الخمر فى الطرقات ورشوه على المسلمين.

وفى ثامن عشريه: نهب المسلمون اليهود بدمشق حتى لم يتركوا لهم شيئا، وأصبحت حوانيتهم بالأسواق دكا، فقام طائفة من الأجناد حتى كفوا الناس عن حريق كنائسهم وبيوتهم. وفيه ثار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم، وخربوا الدور المجاورة للكنائس، وقتلوا جماعة من المُغُل، فكان أمرا مهولا.

وفى تاسع عشريه: وصل بكرة النهار الأمير جمال الدين المحمدى الصالحى بمرسوم الملك المظفر قطز، فنزل بدار السعادة، وأمن الناس ووطنهم.

وفى يوم الأربعاء آخر شهر رمضان: وصل الملك المظفر إلى ظاهر دمشق، فخيم هناك وأقام إلى ثانى شوال، فدخل إلى دمشق ونزل بالقلعة وجرد الأمير ركن الدين بيبرس إلى حمص، فقتل من التتر وأسر كثيرا، وعاد إلى دمشق.

---

(١) بيسان: مدينة بالشام صغيرة جدًا وتنسب الخمر الطيبة إليها، ويقال إن الموضع الذى قتل فيه جالوت كان بيسان من أرض الغور من بلاد الأردن. انظر معجم البلدان ١/٧٨٨، والروض المعطار ١١٩.

واستولى الملك المظفر على سائر بلاد الشام كلها من الفرات إلى حد مصر، وأقطع الأمراء الصالحية والمعزية وأصحابه إقطاعات الشام، واستناب الأمير علم الدين سنجر الحلبى فى دمشق، ومعه الأمير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتر الأزكشى الكردى. وبعث إليه الملك الأشرف موسى - صاحب حمص، ونائب هولاكو ببلاد الشام - يطلب الأمان فأمّنه. وبعث السلطان أيضا بالملك المظفر علاء الدين على بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار إلى حلب نائبا بها، وأقطع أعمالها بمناشيره. وأقر الملك المنصور على حماة[1] وبارين، وأعاد عليه المعرة - وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأخذ سليمة منه وأعطاها الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب. ورتب الأمير شمس الدين أقوش البُرْلِى العزيزى أميرًا بالساحل وغزة، ومعه عدة من العزيزية - وكان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فأكرمه السلطان، وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت، وأمر بشنق حسين الكردى الطبرادار، فشنق من أجل أنه دل على الملك الناصر.

وثار عدة من الأَوْشَاقِيَّة[2] مماليك السلطان بالنصارى ونهبوا دورهم، وكان معهم عدة من عوام دمشق، فشنق منهم نحو الثلاثين نفسا. وأمر السلطان أن يقرر على نصارى دمشق مائة وخمسون ألف درهم، فجمعوها وحملت إلى السلطان، بسفارة الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب أتابك العسكر.

وأما التتر فإنهم لما لحقهم الطلب إلى أرض حمص، ألقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى، وعرجوا نحو طريق الساحل. فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرًا، وأسروا أكثر. فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره وقتل نائبه كتبغا عظم عليه، فإنه لم يكسر له عسكر قبل ذلك، ورحل من يومه.

وكان هولاكو لما قدم عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وهذا النهر عظيم عليه حسور يعبر عليها، وعليه نواعير كثيرة تخرج الماء إلى ما على جانبيه من غيطان المدينة، وبينها وبين كفر طاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء، وربضها كبير وفيه الحمامات والديار، وبها جامعان وثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير وبخارج البلد بسيط فسيح عريض فيه شجر الأعناب والمزارع والمحارث والبساتين على شطى النهر، وهو العاصى لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقربة منها. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، والروض المعطار ١٩٩.

(٢) مفردها أوشاقى، وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٥٤.

صاحب الشام أكرمه وأجرى له راتبا، واختص به وأجلسه على كرسى قريبا منه، وشرب معه، ثم كتب له فرمانا وقلده مملكتى الشام ومصر، وأخلع عليه وأعطاه خيولا كثيرة وأموالا، وسيّره إلى جهة الشام. فأمر هولاكو لما ورد عليه خبر الكسرة برده، فأحضر وقُتل بجبال سَلَماس[1] فى ثامن عشر شوّال؛ وقتل معه أخوه الملك الظاهر غازى، والملك الصالح ابن شيركوه، وعدة من أولاد الملوك، وشفعت طُقُز خاتون زوجة هولاكو فى الملك العزيز بن الناصر، فلم يسلم من القتل غيره، ورجع هولاكو إلى بلاده.

وتراجع الناس إلى دمشق، وسارت الأسعار بها غالية جدا لقلة الأقوات. وعدمت الفلوس فيها، وتضرر الناس فى المعاملة بسبب الدراهم وعزَّ كل ما كان قد هان.

فلما رتب السلطان أحوال النوّاب والولاة والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشرى شوَّال يريد مصر بعدما كان قد عزم على المسير إلى حلب، فثناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وغيره عليه، فإنه قد عزم على القيام بمحاربته: وسبب ذلك أن الأمير بيبرس سأل السلطان أن يوليه نيابة حلب فلم يرض فتنكر عليه؛ ليقضى الله أمرا كان مفعولا. فخافه السلطان وأضمر له السوء، وسار إلى جهة مصر. وبلغ بيبرس، فاحترس كل منهما من الآخر، وعمل فى القبض عليه. وحدَّث بيبرس جماعة من الأمراء فى قتل السلطان: منهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، والأمير سيف الدين بهادر المعزى، والأمير بدر الدين بكتوت الجُوْكَنْدار[2] المعزى، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بدر الدين أنس الأصبهانى.

فلم يزل السلطان سائرا إلى أن خرج من الغرابى وقارب الصالحية، وانحرف فى مسيره عن الدرب للصيد ومعه الأمراء. فلما فرغ من صيده وعاد يريد الدهليز السلطانى، طلب منه الأمير بيبرس امرأة من سبى التتر، فأنعم بها عليه. فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء: فبدره الأمير بدر الدين بكتوت بالسيف و ضرب به عانقه، واختطفه الأمير أنس وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على روحه، وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ودفن بالقُصَير[3] فكانت مدّة ملكه أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما.

---

(١) سلماس مدينة فى أذربيجان، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٣/١٢٠، والروض المعطار ٣٢١.

(٢) على هامش ط: الجوكندار هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة.

(٣)على هامش ط: هو بلد بمصر.

وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقى الدين قبل أن تعمر، ثم نقله الحاج قطز الظاهرى إلى القرافة ودفن قريبا من زاوية ابن عبود. ويقال إن اسمه محمود بن ممدود، وإن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وإن أباه ابن عم السلطان جلال الدين، وإنما سبى عند غلبة التتار، فبيع بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة.

* * *

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

كان بيبرس تركى الجنس، فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وترقى فى خدمته واستفاد من أخلاقه. فلما مات الملك الصالح، قام بيبرس فى خدمة ابنه الملك المعظم تورانشاه إلى أن قتل، فلم يزل يترقى إلى أن قُتل الفارس أقطاى، فخرج من القاهرة وتنقل فى بلاد الشام. ثم عاد إلى مصر، وخرج مع الملك المظفر قطز إلى قتال التتر. فلما قتل قطز، سار الأمراء الذين قتلوه إلى الدهليز السلطانى بالصالحية، واتفقوا على سلطنة الأمير بيبرس. فقام الأمير أقطاى المستعرب الأتابك - وكان بالدهليز - وقال للأمراء عند حضورهم: «من قتله منكم؟» فقال الأمير بيبرس: «أنا قتلته». فقال الأمير أقطاى: «يا خوند! اجلس فى مرتبة السلطنة مكانه». فجلس بيبرس، وبايعه أقطاى وحلف له، ثم تلاه الأمير بلبان الرشيدى، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير سيف الدين قلاوون، والأمير بِيْلِيْك الخازندار، ثم بقية الأمراء على طبقاتهم.

وتلقب بيبرس بالملك القاهر، وذلك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة المذكور. فقال له الأمير أقطاى الأتابك: «لا تتم السلطنة إلا بدخولك إلى قلعة الجبل». فركب بيبرس لوقته، ومعه الأمير أقطاى، والأمير قلاوون، والأمير بيسرى، والأمير بلبان، والأمير بِيْلِيْك، ومماليكه. وتوجه إلى قلعة الجبل، فلقيه الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة بديار مصر، وكان قد خرج إلى لقاء الملك المظفر قطز. فأعلمه بيبرس بما جرى فحلف له الحلى وتقدّمه إلى القلعة، ووعد من فيها من الأمراء بمواعيد جيدة عن بيبرس، فلم يخالف منهم أحد. وجلس الأمير عز الدين أيدمر الحلى على باب القلعة حتى قدم بيبرس والأمراء فى الليل، فتسلم القلعة ليلة الإثنين تاسع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وحضر إليه الصاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير، وأشار عليه أن يغير اللقب بالملك القاهر، فإنه ما تلقب به أحد فأفلح، فاستقر لقبه الملك الظاهر.

وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر قطز، والناس فى فرح ومسرات بقتل التتر. فلما طلع النهار نادى المنادى فى الناس: «ترحموا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس». ثم فى آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر. فغمَّ الناس ذلك، وخافوا من عودة دولة المماليك البحرية، وسوء مملكتهم وجورهم.

وكان قطز قد أحدث فى هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر: منها تصقيع الأملاك وتقويمها، وأخَذ زكاتها من أربابها، وأخَذ من كل واحد من الناس من جميع أهل إقليم مصر دينارا، وأخذ من الترَك الأهلية[1] ثلثها. فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز، وكتب به توقيعا قرئ على المنابر، فكان جملة ما أبطله ستمائة ألف دينار. فسر الناس ذلك، وزادوا فى الزينة.

وفى يوم الإثنين: صبيحة قدوم السلطان، جلس الملك الظاهر بيبرس بالإيوان من القلعة، وحلّف العساكر، واستناب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، واستقر الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب أتابكا على عادته، والأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى أستادارا، والأمير عز الدين الأقرم الصالحى أمير جاندار، والأمير صيام الدين لاجين الدرفيل والأمير سيف الدين بلبان الرومى دوادارية، والأمير بهاء الدين أمير آخُوْر[2] على عادته. ورتب فى الوزارة الصاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير، والأمير ركن الدين إياجى والأمير سيف الدين بكجرى حاجبين. وكتب بإحضار البحرية البطالين من البلاد؛ وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطنته، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة، خلا الأمير سنجر الحلبى نائب دمشق؛ فإنه لما استقر فى نيابة دمشق كان قد عمر سورها وحصنها، فورد عليه الخبر بقتل قطز وسلطنة بيبرس فى أوائل ذى الحجة، فامتعض لذلك وأنف من طاعة بيبرس. ودعا لنفسه وحلّف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد، وخُطب له يوم الجمعة سادس ذى الحجة، فدعا الخطيب للملك الظاهر أوّلا ثم للملك المجاهد ثانيا، وضُربت السكة باسمهما. ثم ارتفع المجاهد عن هذا، وركب بشعار السلطنة والغاشية بين يديه، وشرع فى عمارة قلعة دمشق، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس، وعملوا فيها حتى عملت النساء أيضا، وكان عند الناس بذلك سرور

---

(١) هى التركات التى مات عنها أصحابها من غير المماليك.

(٢) وهى التى يتحدث متوليها على إصطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل. وهذا أو أمير آخور مركب من لفظين، أحدهما عربى وهو أمير، والثانى فارسى وهو آخور ومعناه المعلف.

كبير. فقدم رسول الملك الظاهر بيبرس بكتابه بعد يومين، فوجد الأمير سنجر قد تسلطن، فعاد إلى مصر. فكتب الملك الظاهر إليه يعنفه ويقبح فعله، فغالطه فى الجواب.

فولى دمشق فى هذه السنة - من أوّلها إلى نصف صفر - الملك الناصر، ثم ملكها هولاكو إلى أن سار إلى الشرق، فاستناب بها كتبغا وبيدرا، فحكم فيها التتر إلى خامس عشرى رمضان، ثم صارت فى مملكة قطز إلى أن قتل فى خامس عشرى ذى القعدة، فملكها الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبى بقية السنة. وكان القضاء بها أولا بيد القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سنى الدولة، ثم ولىّ التترُ القاضى كمال الدين عمر بن بندار التفليسى، ثم بعده القاضى محيى الدين بن الزكى، ثم القاضى صدر الدين أبو القاسم. ثم ولى القاضى صدر الدين بعلبك، فاستقل ابن الزكى بالقضاء بدمشق إلى أن صرفه قطز بنجم الدين أبى بكر محمد بن صدر الدين أحمد بن سنى الدولة.

وفيها ثار بحلب العزيزية والناصرية على الملك السعيد علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل، وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه، وقدَّموا عليهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزى الجوكندار. وكان الأمير حسام الدين المذكور قد أخذ إذنا من الملك المظفر قطز - رحمه الله تعالى - وتوجّه لاستخلاص ما بقى له من الإقطاع والودائع التى كانت له من أيام الملك الناصر. فلما أنفق ما اتفق وهو بحلب أجمع الحلبيون على تقديمه، فكتب إليه الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبى بأن يخطب له فى حلب وأن يكون نائبا له، وأن يزيده على إقطاعه زيادات كثيرة. فامتنع لاجين من إجابة الملك المجاهد سنجر، وقال: «أنا نائب ملك مصر»، وأقام على طاعة الظاهر بيبرس، فبعث إليه الظاهر بالتقليد بنيابة حلب.

وفيها ثار جماعة من السودان والرِّكْبدارية[١] والغلمان[٢]، وشنقوا بالقاهرة وهم ينادون «يآل علىّ!»، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكورانى، أظهر الزهد بيده سبحة وسكن قبة بالجبل، وتردد إليه الغلمان فحدثهم فى القيام على أهل الدولة، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعا. فلما ثاروا فى الليل ركب العسكر وأحاطوا بهم وربطوهم، فأصبحوا مصلبين خارج باب

---

(١) الركبدارية هم الذين يحملون الغاشية بين يدى السلطان فى المواكب الحفلة. انظر صبح الأعشى ١٢٢٧/٤.

(٢) هو من يقوم بخدمة الخيل.

زويلة، وسكنت الثائرة. وخرجت السنة ولم يركب الملك الظاهر بيبرس بشعار السلطنة على العادة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف بن العزيز شادى بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب كبير البيت الأيوبى، ونائب حلب، عن ثمانين سنة.

ومات الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى[1] صاحب ميافارقين، وكان عالما عادلا محسنا، قتله التتار وحملوا رأسه إلى دمشق.

وتوفى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، صاحب قلعة الصبيبة وبانياس، بعد ما أخذتا منه وسار إلى البيرة، فأعاده التتار إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت، فأسِر وضُرب عنقه.

ومات الملك السعيد إيلغازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرقاش بن إيلغازى بن أرتق، صاحب ماردين بها؛ وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان.

وتوفى قاضى القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبى البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة التغلبى الدمشقى الشافعى ببعلبك، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى شيخ الإسلام تقى الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الحسين أحمد بن عبد الله ابن عيسى اليونينى الحنبلى[2]، عن ست وثمانين سنة ببعلبك.

---

(١) محمد بن غازى (المظفر) بن محمد (العادل): صاحب ميافارقين، الملقب بالملك الكامل. كان شجاعا صبر زمنا على حرب التتار، وحاصروه أكثر من سنة ونصف، وهو ظاهر عليهم، إلى أن فنى أهل البلد؛ لفناء زادهم، ودخلها التتار فوجده مع من بقى من أصحابه موتى أو مرضى، فقطعوا رأسه وحملوه إلى البلاد وطافوا به فى دمشق على رمح قصير، علق عليه بشعره فوق قطعة شبكة. انظر ذيل الروضتين ٢٠٥ وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٥ والأعلام ٦/ ٣٢٤.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الله من سلالة جعفر الصادق، أبو عبد الله تقى الدين اليونينى: من حفاظ الحديث. حنبلى. ولد فى يونين، واشتهر وتوفى فى بعلبك. وكان مقربا من ملوك عصره. انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٧ وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٩- ٢٧٣ وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٤ والأعلام ٦/ ٣٢٢.

وتوفى الصاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطى الشيبانى، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو عبد الله المبارك يحيى بن المبارك بن فضيل الغسانى الحمصى، بها فى الجفلة.

وتوفى الأديب جلال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصفار الماردينى الشاعر(١)، بها قتيلا عن ثلاث وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ أبو بكر بن قوام بن على بن قوام البالسى(٢) الصالحى الزاهد، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة.

* * *

---

(١) على بن يوسف بن شيبان الماردينى، جلال الدين بن الصفار: كاتب شاعر. مولده ووفاته بماردين. كان كاتب الإنشاء لصاحبها الملك المنصور ناصر الدين «أرتق» وكتب لأشراف بنى دبيس ثمانية عشر عاما. وصنف «أنس الملوك» فى الأدب وقتله التتر يوم دخلوا ماردين. انظر فوات الوفيات ٩٧/٢ والنجوم الزاهرة ٢٥٢/٧ والأعلام ٣٣/٥، ٣٤.

(٢) أبو بكر بن قوام بن على بن قوام بن منصور الهلالى البالس: زاهد شافعى المذهب أشعرى العقيدة. كانت له زاوية وأتباع. ولد بمشهد صفين (غربى الفرات) ونشأ ببالس، على مقربة منها. ومات قرب حلب ثم نقل تابوته إلى دمشق ودفن بجبل قاسيون أسفل عقبة دمر. انظر الشذرات ٢٩٥/٥ وقلادة النحر وفوات الوفيات ١/ ٢٢٤ ومخطوطات الظاهرية ١٩٣ وفى دار الكتب ٣٦١/٥ و٢٥١/٨ والأعلام ٦٨/٢.

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها عظم الفأر فى[1] أرض حَوْرَان[2] أيام البيادر[3] حتى أكل معظم الغلال، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح.

وفيها اجتمع من التتار ستة آلاف فارس، وقاموا بحمص. فبرز إليهم الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة، واجتمع إليهما قدر ألف وأربعمائة فارس. وقدم زامل بن على أمير العرب فى عدة من العربان وواقعوا التتر يوم الجمعة خامس المحرم على الرَّسْتَن[4]، فأفنوهم قتلا وأسرا، ووردت البشارة إلى مصر بذلك. وكانت التتار فى ستة آلاف، والمسلمون ألف وأربعمائة، وحُملت رءوس القتلى إلى دمشق وفيها اشتد الغلاء بدمشق.

وفى يوم الإثنين سابع صفر: ركب الملك الظاهر بيبرس من قلعة الجبل بشعار السلطنة[5] إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر، فترجل الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة، ثم ركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة، ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان، وخلع على الأمراء والمقدمين وسائر أرباب الدولة، وكان هذا أول ركوبه، ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأُكْرَة[6]. وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والثغور بقيامه فى سلطنة مصر والشام.

وفيها بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدى إلى دمشق، ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفى دينار عينا، ليستميل الناس على المجاهد سنجر.

---

(١) الفاء والألف والراء أصل، ويسمون الألف فيه همزة، الفأر معروف ويقال منه: مكان فئر أى: كثير الفأر. انظر مقاييس اللغة مادة الفأر فأر.

(٢) حوران: حبال بالشام، وحوران أيضا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخا فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٢/٣٥٧، ٣٥٨، والروض المعطار ٢٠٦.

(٣) جمع بيدر، وهو الموضع الذى تدرس فيه الغلال. انظر محيط المحيط.

(٤) وهى فى نصف الطريق بين حماة وحمص. انظر معجم البلدان ٢/٧٧٨.

(٥) المقصود بشعار السلطنة أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التى كان السلطان يظهر بها فى المواكب الحفلة. انظر صبح الأعشى ٤/٧، ٨.

(٦) على هامش ط: الأكرة لُغَيَّة من الكرة، والمراد بلعب الأكرة.

فقدم دمشق ثالث صفر وعَمِل ما أمر به، فأجابه الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق: ومعهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحى، والأمير بهاء الدين بُغْدِى الأُشرفى، والأمير قراسنقر الوزيرى، وعدّة من الأمراء. ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس، فارتجت دمشق.

وبعث المجاهد سنجر إليهم بعسكر فانهزم، فخرج بنفسه وحمل بأصحابه، ففروا عنه ثم عادوا عليه، فخرج وقتل عدّة من جماعته، والتجأ هو إلى القلعة فامتنع بها يوم السبت حادى عشر صفر. فدخل الأمير إيدكين البندقدار - أستاذ الملك الظاهر - إلى المدينة وملكها، وحلّف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها. وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظا به. فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس ذلك قرر الأمير علاء الدين طيبرس الحاج الوزيرى فى القلعة، وجعل إليه التحدث فى الأموال، واستدعى الأمير سنجر الحلبى، وأقام إيدكين مدّة شهر فى نيابة دمشق، ثم صرفه عنها بالأمير طيبرس الوزيرى، وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين ابن رحال، وأحضر فى سادس عشر صفر وهو مقيد إلى مصر. فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسرى، وأدخله ليلا من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة، من غير أن يعلم به أحد من الناس.

وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليغمرى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت وهَت. وأخرج ما كان فى إقطاعات الأمراء من أوقاف الخليل عليه السلام، ووقف عليه قرية تعرف باذنا. ورسم للأمير جمال الدين بن يغمور بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة، فرمّ ما فسد منها ورتب بها الجندارية وأعاد لها حرمتها، وفرق أبراجها على الأمراء: وهم الأمير قلاوون، والأمير عز الدين الحلى والأمير عز الدين أوغان، والأمير بيسرى، وغيرهم -لكل أمير منهم برج، وأمرهم أن تكون اصطبلاتهم وبيوتهم فيها، وسلمهم مفاتيح القلعة. وأمر بعمارة القناطر بجسر شبرامنت[(١)] من الجيزية؛ لكثرة ما كان يشرق من الأراضى فى كل سنة، فانتفعت البلاد بهذه القناطر. وأمر بعمارة أسوار الإسكندرية، ورتب لذلك جملة من المال فى كل شهر. وبنى بثغر رشيد مرقبا لكشف البحر. وأمر بردم فم بحر دمياط، فخرج جماعة الحجارين وألقوا فيه القَرَابِيْص[(٢)]، حتى تمتنع السفن الكبار من دخوله، واستمر ذلك إلى اليوم.

---

(١) وهى قرية من مديرية الجيزة، وتقع شمالى بوصير، وفى قبليها جسر ممتد من النيل إلى الجبل. انظر الخطط التوفيقية ١٢/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) على هامش ط: القرابيص مفردها قرباص، وهى الحجارة.

وأمر السلطان بإخراج الأمير سيف الدين الرشيدى إلى بحر أشموم، فتوجه إليه وأحضر الولاة وحفر هذا البحر، وأزال منه ما تربى به من الأطيان، وغرّق عدة مراكب حتى ردّ إليه الماء. وأمر بعمارة ما خربه التتر من قلاع الشام: وهى قلعة دمشق، وقلعة الضلت، وقلعة عجلون، وقلعة صرخد[1]، وقلعة بصرى[2] وقلعة شيزر، وقلعة الصبيبة، وقلعة شُمَيْمِيْش[3] وقلعة حمص. فعمرت كلها ونظفت خنادقها، ووسعت أبراجها وشحنت بالعدد، وجرد إليها المماليك والأجناد، وخزنت بها الغلات والأزواد. وحملت كثيرة إلى دمشق، وفرقت فى البلاد لتصير تقاوى الفلاحين. ورتب السلطان بدمشق بعدل، وبنى مشهدا فى عين جالوت عرف بمشهد النصر.

ورتب السلطان البريد فى سائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق فى أربعة أيام ويعود فى مثلها. فصارت أخبار الممالك ترد إليه فى كل جمعة مرتين، ويتحكم فى سائر المماليك من العزل وهو مقيم بقلعة الجبل، وأنفق فى ذلك مالا عظيما حتى تمّ ترتيبه. ونظر فى أمر الشوانى الحربية، وكان قد أهمل أمر الأسطول بمصر وأخذ الأمراء رجاله واستعملوهم فى الحراريق وغيرها، فأعادهم إلى ما كانوا عليه فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب. وأنشأ عدة شوانى بثغرى دمياط والإسكندرية، ونزل بنفسه إلى دار الصناعة ورتب ما يجب ترتيبه، وتكامل عنده ببرّ مصر ما ينيف على أربعين قطعة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد ونحوها.

فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصقلى، وأخبره أن أستاذه فرق مالا على جماعة من المعزية وقرر معهم قتل السلطان: منهم الأمير علم الدين الغتمى، والأمير بهادر المعزى، والأمير شجاع الدين بكتوت، فقبض على الجميع فى ثامن ربيع الأول.

و فيها قُبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، وعوق فى قاعة الوزارة؛ فشفع فيه الأمير سيف الدين أنس، فخلع فى يومه. و لم يقم سوى أيام وقبض السلطان على الأمير أنس، فقبض على الصاحب زين الدين بن الزبير فى صبيحة مسكه. ثم طلب قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ليلى الوزارة فأبى ، وأقام الأمير فارس

---

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٤٠١/٣.

(٢) بصرى: من أرض الشا ممن أعمال دمشق وهى مدينة حوران وفى شرقى هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخًا فتدخل دمشق. .انظر معجم البلدان ٣٥٤/١، والروض المعطار ١٠٩.

(٣) هى إحدى بلاد كورة حمص.

الدين أقطاى يراوده زمانا وهو لا يقبل، ثم نزل إلى داره، فطلب السلطان بهاء الدين على سديد الدين محمد بن سليم بن حنا، فولى الوزارة، وفُوّض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة بأسرها، وخلع عليه. فركب معه جميع الأعيان والأكابر، وعدّة من الأمراء منهم سيف الدين بلبان الرومى الدوادار.

وورد الخبر عن عكا أن سبع جزائر من جزائر الفرنج فى البحر خسف بها وبأهلها، بعدما نزل عليهم دم عشرة أيام، فهلك بها خلق كثير، وصار أهل عكا فى خوف واستغفار وبكاء.

وجهز السلطان الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى فى جماعة، ولم يعرف مقصده فى ذلك أحد ممن جرده ولا غيرهم، فساروا إلى الشوبك وتسلموها من نواب الملك المغيث فتح الدين عمر فى سادس عشرى ربيع الأخر، واستقر فى نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المختصى واستخدم فيها النقباء والجنادرة، وأفرد بخاص القلعة ما كان فى الأيام الصالحية.

وفيه قبض على الأمير بهاء الدين بغدى، وحبس بقلعة الجبل حتى مات.

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى: فَوُض قضاء القضاة بديار مصر للقاضى تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز خلف، المعروف بابن بنت الأعز، عوضا عن بدر الدين السنجارى، بعد عدّة شروط اشترطها على السلطان أغلظ فيها. وقصد القاضى تاج الدين بكثرة الشروط أن يعفى من ولاية القضاء، فأجاب السلطان إلى قبول ما اشترط عليه رغبة فيه وثقة به، وصلى بالسلطان صلاة الظهر، وحكم بعد ذلك. وقبض السلطان على البدر السنجارى وعوقه عشرة أيام، ثم أفرج عنه.

وفيها سار الأمير أبو القاسم أحمد(١) بن الخليفة الظاهر أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء با لله العباسى(٢) - الذى يقال له الزراتيقى لقب لقبه به

---

(١) أحمد (المستنصر) بن محمد الظاهر بن الناصر المستضىء، أبو القاسم العباس أول الخلفاء العباسيين بمصر. دخلها بعد ثلاث سنين من انقراض عباسية العراق، فأثبت نسبه فى مجلس الملك الظاهر بيبرس البندقدارى أمام جمع من العلماء وأركان الدولة، فسر به الظاهر ووجد فيه قوة حديدة لملكه فجمع الناس وأعلن فيهم الأمر وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، ولم تطل مدة أبى القاسم (المستنصر) فإن الظاهر سيره فى حيش إلى العراق لاسترداد بغداد من أيدى التتار فزحف وحارب التتر وانهزم حيشه، وفقد. انظر ابن إياس ١/١٠١ والنجوم ٢٠٦/٧ والخميس ٣٧٨/٢ والأعلام ١/ ٢١٩.

(٢) محمد بن أحمد، أبو نصر، الظاهر بن الناصر بن المستضىء العباسى: من خلفاء الدولة=

العامة - مع جماعة من العرب بنى مهنا، يريد دمشق. وكان قد فرّ من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم با لله، ونزل عند عرب العراق فى هذه المدة، ثم أراد أن يلحق بالملك الظاهر بيبرس بمصر. فوردت مكاتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى نائب دمشق: بأنه ورد إلى الغوطة رجل ادعى أنه أبو القاسم أحمد الأسمر بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، ومعه جماعة من عرب خفاجة فى قريب الخمسين فارسا، وأن الأمير سيف الدين قلج البغدادى عَرف أمراء العرب المذكورين، وقال: «بهؤلاء يحصل المقصود». فكتب السلطان إلى النواب بالقيام فى خدمته وتعظيم حرمته، وأن يسير معه حجاب من دمشق فسار من دمشق بأوفر حرمة إلى جهة مصر. فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع شهر رجب إلى لقائه، ومعه الوزير الصاحب بهاء الدين بن حنا، وقاضى القضاه تاج الدين ابن بنت الأعز ، وسائر الأمراء وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل. فسار السلطان به إلى باب النصر، ودخل إلى القاهرة وقد لبس الشعار العباسى، وخرج الناس إلى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة. وشق القصبة إلى باب زويلة، وصعد قلعة الجبل وهو راكب، فأنزل فى مكان جليل قد هيىء له بها، وبالغ السلطان فى إكرامه وإقامة ناموسه.

فلما كان يوم الإثنين ثالث عشره: حضر قاضى القضاة ونواب الحكم، وعلماء البلد وفقهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدّمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر أيضا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متأدبا بغير كرسى ولا طَرَّاحَة[1] ولا مسند. وشهد العربان وخادم من البغاددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين بن الإمام الناصر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيى نائب الحكم بمصر، والفقيه علم الدين محمد بن الحسين ابن عيسى بن عبد ا لله بن رشيق، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، ونجيب الدين الحرَّانى، وسديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة، و أبو عمرو بن أبى

=العباسية فى العراق. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٦٢٢ هـ). وكانت خلافته تسعة أشهر وأياما. انظر الكامل لابن الأثير ١٢/ ٦٦٩، ١٤٧ والأعلام لابن قاضى شهبة ونكت الهميان ٢٣٨ وتاريخ الخميس ٢/٣٦٩ وابن العبرى ٤٢٢ والبداية والنهاية ١٣/ ١١٢ ومرآة الزمان ٨/ ٦٤٢ والأعلام ٥/ ٣٢٠.

(١) على هامش ط: الطراحة وجمعها طراريح. مرتبة يفترشها السلطان إذا جلس.

محمد الصنهاجى التَّزْمَنْتِى، أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر. فقبل قاضى القضاة تاج الدين شهادات القوم، وأسجل على نفسه بالثبوت، وهو قائم على قدميه فى ذلك المحفل العظيم حتى تم الإسجال والحكم.

فلما تم ذلك كان أول من بايعه القاضى تاج الدين، ثم بعده قام السلطان وبايع أميرَ المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله، وأخذ أموال الله بحقها وصرفها فى مستحقها. ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة. فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار، ثم قام الناس فبايعوا الخليفة المستنصر بالله على اختلاف طبقاتهم. وكتب فى الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر بالله أبى القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، وأن يُدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده، وأن تنقش السكة باسمهما.

فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة: خطب الخليفة المستنصر بالله فى جامع القلعة، فاستفتح بقراءة صدر سورة الأنعام، ثم صلى على النبى ﷺ، وترضى عن الصحابة وذكر شرف بنى العباس، ودعا للملك الظاهر، وقضى الخطبة، فاستحسن الناس ذلك منه، واهتم السلطان بأمره، ونثر عليه جملا مستكثرة من الذهب والفضة. فلما شرع فى الخطبة تلكأ فيها، ثم نزل بعد تمامها وصلى بالناس الجمعة.

وكان منصب الخلافة شاغرا ثلاث سنين ونصف سنة، منذ قتل الخليفة المستعصم فى صفر سنة ست وخمسين، فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أبا. وكان أسمر اللون وسيمًا، شديد القوى عالى الهمة، له شجاعة وإقدام. واتفق له ما لم يتفق لغيره، وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه بانى المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يقع لغيره أن الخليفة لقب بلقب أخيه سواه.

فى يوم الأحد تاسع عشره: ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مدينة مصر، وركبا فى الحراريق وسارا فى النيل إلى قلعة الجزيرة، وجلسا فيها، وأحضرت الشوانى الحربية، فلعبت فى النيل على هيئة محاربتها العدو فى البحر، ثم ركبا إلى البر وسار إلى قلعة الجبل، وقد خرج الناس لمشاهدتهما، فكان من الأيام المشهودة.

وفيه قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبى - الذى ثار قبلا بدمشق - نيابة حلب، وجهز معه أمراء لكل منهم وظيفة وهم: الأمير شرف الدين قيران الفخرى أستادار، والأمير بدر الدين جماق أمير جاندار، والأمير علاء الدين أيدكين الشهابى شاد الدواوين. وسار الأمير علم الدين من القاهرة كما تسافر الملوك، فدخل حلب فى ثالث شعبان فحضر إليه جماعة من العزيزية والناصرية وسألوا الأمان - كانت العزيزية والناصرية قد اختلفوا وخرجوا إلى الساحل، فأقطعهم السلطان إقطاعات، وأحضر منهم عدة إلى مصر.

وفى يوم الإثنين رابع شعبان: ركب السلطان إلى خيمة ضربت له فى البستان الكبير خارج القاهرة، ومعه أهل الدولة. وحُملت الخلع صحبة الأمير مظهر الدين وشاح الخفاجى، وخادم الخليفة المستنصر با لله. فدخل السلطان إلى خيمة أخرى. وأفيضت عليه الخلع الخليفتية وخَرَج بها وهى: عمامة سوداء مذهبة مزركشة، ودُرّاعَة[١] بنفسجية اللون، وطوق ذهب، وقيد من ذهب عُمل فى رجليه، وعدة سيوف تقلد منها واحدا - وحُملت البقية خلفه، ولواءان منشوران على رأسه، وسهمان كبيران وترس. فقدّم له فرس أشهب، فى عنقه مِشَدَّة[٢] سوداء وعليه كُنْبُوْش[٣] أسود. وطلب الأمراء واحدًا بعد واحد وخلع عليهم، وخلع على قاضى القضاة تاج الدين، وعلى الصاحب بهاء الدين، وعلى فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء. ونُصب منبر، فصعد عليه ابن لقمان بعدما جلل بثوب حرير أطلس أصفر، وقرأ تقليد الخليفة للسلطان، وهو من إنشائه، ونصه بعد البسملة: «الحمد لله الذى اصطفى الإسلام بملابس الشرف، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف، وشيَّدها وهى من غلائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقيَّد لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف. أحمده على نعمه التى رتعت الأعين منها فى الروض الأُنُف، وألطافه التى وقف الشكر عليها فليس عنها منصرف. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة توجب من المخاوف أمنا، وتسهل من الأمور ما كان حزنا. وأشهد أن محمدا عبده الذى جبر من الدين وهنا، ورسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنا، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تفنى، وأصحابه الذين أحسنوا فى الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى».

---

(١) الدراعة جبة مشقوقة المقدم، ولا تكون إلا من صوف. انظر محيط المحيط.

(٢) المشدة مرادفة للفظ الرقبة. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٤/٨.

(٣) على هامش ط: هى البرذعة تجعل تحت سرج الفرس.

«وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يصبح القلم راكعا وساجدا فى تسطير مناقبه وبره، من سعى فأضحى بسعيه الحميد متقدّما، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان مُنْجدا ومُتْهما، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصما، ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرمه نارا وأجراه دما. ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام[1] العالى المولوى[2] السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه، ذكره الديوان العزيز النبوى الإمامى المستنصرى أعز الله سلطانه، تنويها بشريف قدره، واعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره. وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية، بعد أن أقعدتها زمانة الزمان، وأذهبت ما كان من محاسن وإحسان، وأعتب دهرها المسىء لها فأعتب، وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب. فأعاده لها سلما بعد أن كان عليها حربا، وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعا رحبا، ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا، وأظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله ما لا يخفى، وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمر لو رامه غيره لامتنع عليهن ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه. لكن الله تعالى ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، ويخفف بها يوم القيامة حسابه، والسعيد من خفف من حسابه. فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه».

«وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع. وقد قلّدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا، وفوّض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردا، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى، ولا جهة من الجهات تعد فى الأعلى ولا فى الأدنى».

«فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا، وخلّص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولا لا سائلا، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدّم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة. وابسط يدك بالإحسان والعدل، فقد أمر الله بالعدل وحثّ على الإحسان، وكرّر ذكره فى مواضع من

---

(١) لفظ المقام كان من الألقاب الخاصة بالملوك والسلاطين، وأنه كان يستعمل فى المكاتبات السلطانية للكناية عن السلطان تعظيما له من التفوه باسمه.

(٢) نسبة للمبالغة من كلمة مولى.

القرآن، وكَفّر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما، وجعل يوما واحدا منها كعبادة العابد ستين عاما. وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنبت ثماره من أفنان، ورجع الأمر به بعد بُعْد تداعِي أركانه وهو مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان، وكانت أيامه فى الأيام أبهى من الأعياد، وأحسن فى العيون من الغرر فى أوجه الجياد، وأحلى من العقود إذا حلى بها عاطل الأجياد».

«وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نوّاب وحكام. وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم فى أمورك فنقّب عليه تنقيبا، واجعل عليه فى تصرفاته رقيبا. وسل عن أحواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم مطلوبا، ولا تول إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا. وأمُرْهم بالأناة فى الأمور والرفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق، وألا يعاملوا أحدا على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخوانا، وأن يوسعوهم برًا وإحسانا، وألا يستحلوا حرماتهم إذا استحل الزمان لهم حرمانا، فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميرا عليه وسلطانا. والسعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله، واستنوا بسنته فى تصرفاته وأحواله، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله».

«ومما تؤمرون به أن يمحى ما أحدث من سيئ السنن، وجدد من المظالم التى هى من أعظم المحن، وأن يشترى بإبطالها المحامد فإن المحامد رخيصة بأغلى ثمن. ومهما جبى منها من الأموال فإنما هى باقية فى الذمم حاصلة، وأجياد الخزائن وإن أضحت بها حالية فإنما هى على الحقيقة منها عاطلة، وهل أشق ممن احتقب إثما، واكتسب بالمساعى الذميمة ذما، وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصما، وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلما. وحقيق بالمقام الشريف المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعدله، وعزائمه تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادرا، وصنعت له الأيام ما لم تصنع لغيره ممن تقدم للملوك وإن جاء آخرا. فأحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك مزية التعظيم، ونبه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم. وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى، وأن توالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليه عقلا وشرعا، وقد تبين أنك صرت في الأمور أصلا وصار غيرك فرعا».

«ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضا، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا. وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصّهم بالجنة التى لا لغو فيها ولا تأثيم. وقد تقدمت لك فى الجهاد بيضاء أسرعت فى سواد الحُساد، وعرفت منك عزمة هى أمضى مما تجنه ضمائر الأغماد، وأشهى إلى القلوب من الأعياد. وبك صان الله حمى الإسلام من أن يتبدَّل، وبعزك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول، وسيفُك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأول. فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا، وكن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا، وأيِّد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا».

«ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور، واحتفال يبدِّل ما دجى من ظلماتها بالنور. واجعل أمرها على الأمور مقدما، وشيِّد منها كل ما غادره العدو منهما، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع. وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا، والعدو له ملتفتا ناظرا، لاسيما الديار المصرية، فإن العدو وصل إليها رابحا وراح خاسرا، واستأصلهم الله فيها ما أقال منهم عاثرا».

«وكذلك أمر الأسطول الذى تزجى خيله كالأهلة، وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة. وهو أخو الجيش السليمانى، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة، وهذا تكلفت بحمله المياه السائلة. وإذا لحظها جارية فى البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام».

«وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب، وأتاك من أصالة الرأى الذى يريك المغيب، وبسط بعد القبض منك الأمل، ونشط بالسعادة ما كان من كسل، وهداك إلى مناهج الحق ومازلت مهتديا إليها، وألزمك المراشد ولا تحتاج إلى تنبيه عليها. والله يمدك بأسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه، فإن النعمة ستتم بشكره».

ولما فرغ من قراءته، ركب السلطان بالخلعة والطوق الذهب والقيد الذهب، وكان الطالع برج السنبلة. وحمل التقليد الأمير جمال الدين التجيبى أستادار السلطان، ثم حمله الصاحب بهاء الدين وسار به بين يدى السلطان وسائر الأمراء ومن دونهم مشاة سوى الوزير. ودخل السلطان من باب النصر وشق القاهرة، وقد زُينت وُبسط أكثر الطريق بثياب فاخرة مشى عليها فرس السلطان. وضج الخلق بالدعاء بإعزاز أيامه وإعزاز

نصره وأن يُخْلَعها خلع الرضى، إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة، فكان يوما مشهودا تقصر الألسنة عن وصفه.

وشرع السلطان فى تجهيز الخليفة للسفر، واستخدم له عساكر، وكتب للأمير سابق الدين بوزنا أتابك العسكر الخليفتى بألف فارس، وجعل الطواشى بهاء الدين سندل الشرابى الصالحى شرابيا بخمسمائة فارس، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازندارا بمائتى فارس، والأمير الشريف نجم الدين أستادارا بخمسمائة فارس، وسيف الدين بلبان الشمسى دوادارا بخمسمائة فارس، والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى دوادارا أيضًا، والقاضى كمال الدين محمد بن عز الدين السنجارى وزيرا، وشرف الدين أبا حامد كاتبا، وأقام عدة من العربان أمراء، وحمل السلطان إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصناجق والطبلخاناه، وانفق أموالا كثيرة واشترى مائة ملوك كبارا وصغارا، ورتبهم سلاح دارية وجامدراية، وأعطى كلا منهم ثلاثة أرؤس من الخيل وجملا لعدته، ورتب سائر ما يحتاج إليه الخليفة: من صاحب ديوان وكاتب إنشاء ودواوين وأئمة، وغلمان وجرائحية وحكاء وبيوتات، وكملها كلها مما تحتاج إليه، ورتب الجنائب وخيول الإصطبلات، واستخدم الأجناد، وعين لخاص الخليفة مائة فرس وعشر قُطُر بغال وعشر قُطُر جمال، وطشتخاناه وحوائج خاناه، وكتب لمن وفد معه من العراق تواقيع ومناشير بالإقطاعات.

فلما تهيأ ذلك كله برز الدهليز الخليفتى والدهليز السلطانى إلى البركة ظاهر القاهرة، وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل فى السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان، وسار إلى البركة فنزل كل منهما فى دهليزه، واستمرت النفقة فى أجناد الخليفة، وفى يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة، وصليا صلاة العيد، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر، ورتب السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة بديار مصر، وأقام معه الصاحب بهاء الدين بن حنا.

وفى يوم السبت سادس شوّال: رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر بجميع العساكر، فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق، وخرج إلى لقائهم عسكر دمشق فى يوم الإثنين سابع ذى القعدة، فنزل الخليفة بالتربة الصالحية فى سفح قاسِيُوْن[1]، ونزل السلطان بقلعة دمشق.

---

(١) هو جبل مطل على الشمال الغربى من دمشق.

وفى يوم الجمعة عاشره: دخل الخليفة الجامع الأموى بدمشق من باب البريد[١]، وجاء السلطان من باب الزيادة، واجتمعا بمقصورة الجامع حتى فرغا من صلاة الجمعة، وخرجا إلى باب الزيادة فمضى الخليفة وعاد السلطان.

وكان قد قدم إلى السلطان وهو بقلعة الجبل الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وولده الملك السعيد علاء الملك وأهله، فى شعبان إلى القاهرة فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه، وأمر له ولمن معه بالإقامات والأموال من دمشق إلى القاهرة، وتلقاه وأنزله بدار تليق به. ثم وصل أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة، فتلقاه السلطان كما تلقى أخاه. وكان أخوهما الملك السعيد علاء الدين علىّ صاحب سنجار قد رتبه الملك المظفر قطز فى نيابة حلب، فقبضه العزيزية واعتقلوه، فسأل إخوتُه الملك الظاهر فيه فأفرج عنه، وبالغ فى إكرامهم وعطائهم. وكان السلطان لما نزل بالبركة خارج القاهرة، قد جهز إليهم خيل[٢] النوبة والعصائب والجمدارية والخلع، وكتب لهم التقاليد ببلادهم التى فوضت إليه من الخليفة، فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعَقْر[٣] و شُوْش[٤] ودارا والقلاع العمادية[٥]، وكتب للمجاهد بالجزيرة، وكتب للمظفر بسنجار. فقبلوا الأرض عند لبس الخلع، وسير السلطان إليهم الكوسات والسناجق والأموال، وأعفوا من الحضور والخدمة. فساروا إلى دمشق، وحضروا مجلس الشام بقلعة دمشق، ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض، وخرجوا والأتابك فى خدمتهم بشعار السلطنة؛ وأعطاهم السلطان فى لعب الكرة شيئا كثيرا.

ووصل إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة. فوصل السلطان كلا منهما بثمانين ألف درهم وحملين من الثياب وخيول، وركب كل منهما بدمشق والأمراء مشاة فى خدمته بشعائر السلطنة. وكتب السلطان لهما التقاليد باستقرارهما على ما بأيديهما وزادهما، ثم عادا إلى بلادهم.

---

(١) على هامش ط: باب البريد أحد الأبواب الأربعة التى لجامع دمشق، وهى باب البريد، وباب جيرون، وباب الزيات، وباب الساعات.

(٢) خيل النوبة هى التى تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب.

(٣) هى قلعة فى الجبال الواقعة شرقى الموصل. انظر معجم البلدان ٣/٦٩٦.

(٤) هى قلعة عالية جدًا قرب عقر الحميدية.

(٥) هى قلعة فى شمالى الموصل.

وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ويكون أولاد صاحب الموصل فى خدمته. فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل: «فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر». فرجع إليه الوسواس، ولم يبعث مع الخليفة سوى ثلاثمائة فارس. وجرّد السلطان الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، والأمير شمس الدين سنقر الرومى إلى حلب، وأمرهما بالمسير إلى الفرات، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار.

وركب السلطان لوداع الخليفة، وسافر الخليفة فى ثالث عشر ذى القعدة، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة ففارقوه فى أثناء الطريق وتوجه كل منهم إلى مملكته. فوصل الخليفة إلى الرحْبَة(١)، وأتاه الأمير على بن حذيفة من آل فضل بأربعمائة فارس من العرب، وانضاف إليه من مماليك المواصلة نحو الستين مملوكا، ولحق به الأمير عز الدين بركة من حماة فى ثلاثين فارسا ورحل الخليفة من الرحبة إلى مشهد على، فوجد رجلا ادَّعى أنه من بنى العباس قد اجتمع إليه سبعمائة فارس من التركمان، كان الأمير شمس الدين أقوش البرلى قد جهزهم من حلب. فبعث الخليفة إلى التركمان واستمالهم ففارقوه وأتوا الخليفة، فبعث إليه الخليفة يستدعيه وأمنه ورغّبه فى اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية، ولاطفه حتى أجاب وقدم إليه، فوفى له وأنزله معه. وسار الخليفة إلى عانة ثم إلى الحنيشة، وخرج يريد هيت(٢)؛ وكتب إلى الملك الظاهر بيبرس بذلك.

وأما حلب فإن الأمير سنجر الحلبى فارقها وسار إلى دمشق، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أقوش البرلى وبعث بالطاعة إلى السلطان، فأبى إلا حضوره، فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدى والأمير سنقر الرومى من دمشق رحل أقوش عن حلب، فدخلاها، وسارا منها إلى الفرات، وأغارا على بلاد أنطاكية، وكسب العسكر وغنم، وحرق غلال الفرنج ومراكبهم وعاد. فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقدار نيابة حلب، فأقام بها فى شدة من غلاء الأسعار وعدم القوت، ثم رحل عنها.

---

(١) الرحبة: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابورى مرحلتان. انظر معجم البلدان ٢/٧٦٤، والروض المعطار ٢٦٨.

(٢) هيت: مدينة بين الرحبة وبغداد، وهى على شاطئ الفرات، والهيت الهوة، وسميت لأنها فى هوة، وهى الأرض المنخفضة، وقيل سميت باسم بانيها هيت بن البلندى ملك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام. وهى فى غربى الفرات، وعليها حصن، وهى من أعمر البلاد. وبأرض هيت عيون تسيل بالقار. انظر معجم البلدان ٥/٤٢١، والروض المعطار ٥٩٧.

وقدمت الإقامات من الفرنج إلى السلطان، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا لم يجيبوا إليها، فأهانهم. وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك، فسألوا رجوعه. واتفق الغلاء ببلاد الشام، فتقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية. فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا ومتملك بيروت، فكاسر الفرنج فى أمر الأسارى، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم فى العمائر. فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين، فأجيبوا: «بأنكم أخذتم العوض عنها فى الأيام الناصرية مرج عيون، وقايضتم صاحب تبنين[1] والمقايضة فى أيديكم. فكيف تطلبون العوض مرتين؟ فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد». وخرج الأمير جمال الدين المحمدى فى عسكر، وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانما سالما.

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زُبَيْد[2] لكثرة فسادهم، وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين. وأحضر السلطان أمراء العربان، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات، وسلمهم دَرَك[3] البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق؛ وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وفوّض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيرى نيابة دمشق، وفوّض قضاءها للقاضى شمس الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان[4] - وكان قد خرج معه من مصر - عوضا عن نجم الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن يحيى ابن السنى، ووكل به وسفّره إلى القاهرة. وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع

---

(١) بلدة فى جبال بنى عامر مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. انظر معجم البلدان ٨٣٤/١.

(٢) اسم لقبيلة كانت مساكنها حول دمشق. انظر صبح الأعشى ٢١٣/٤،٢١٤.

(٣) الدرك التبعة، فيقال درك السلطان أمراء العربان بالبلاد أى جعلها تحت دركهم. انظر محيط المحيط.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى الإربلى أبو العباس المؤرخ الحجة، والأديب الماهر صاحب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما. ولد فى إربل بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقى، وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعزل بعد عشر سنين، فعاد إلى التدريس فى كثير من مدارس دمشق. وتوفى فيها فدفن فى سفح قاسون. انظر وفيات الأعيان ٤٢٠/٢،٤٢١ وفوات الوفيات ٥٥/١ والنعيمى ١٩١/١ والنجوم الزاهرة ٣٥٣/٧ وبروكلمان فى دائرة المعارف الإسلامية ٥٧/١ والأعلام ٢٢٠/١.

ذى الحجة، وفُوّض إليه الحكم من العريش إلى الفرات، والنظر فى جميع أوقاف الشام من الجامع والمارستان والمدارس والأحباس وتدريس سبع مدارس.

وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر. وصُرف قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز فى سلخ شوّال عن قضاء مصر والوجه القبلى، واستقر مكانه قاضى القضاة برهان الدين السنجارى، وبقى قضاء القاهرة والوجه البحرى بيد ابن بنت الأعز. وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت.

وفيها كتب السلطان إلى الملك بركة خان يغريه بقتال هولاكو ويرغبه فى ذلك، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة.

وفيها أغار التتار الذين تخلّفوا على أعمال حلب وعاثوا، ونزل مقدمهم بيدرا على حلب، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعذّر وجود القوت، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا.

وفيها استولى الأمير شمس الدين أقوش البُرْلى العزيزى على حلب، وجمع معه التركمان والعرب، فأقام نحو أربعة أشهر. ثم توجه إلى البيرةوأخذها ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفا من السلطان وفيها عدى بنو مرين العَدْوَة[1] لقتال الفرنج فظفروا. وفيها حج الملك المظفر يوسف بن عمر رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، صاحب حلب و دمشق - وهو آخر ملوك بنى أيوب -، بعد أربعة وعشرين عاما من ملكه، واثنتين وثلاثين سنة من عمره، مقتولا بأمر هولاكو.

ومات الملك الصالح إسماعيل بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى، صاحب حمص، مقتولا بأمر هولاكو أيضا.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الحموى.

* * *

---

(١) المقصود الشاطئ المراكشى لبوغاز جبل طارق.

سنة ستين وستمائة

فى ثانى المحرم: وصل السلطان من دمشق. واشتد الغلاء بدمشق، فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهما فضة، وهلك خلق كثير من الجوع.

وفيه سار قرابُغا مقدم التتار من بغداد - وكان قد استخلفه هولاكو عليها عند عوده إلى بلاد الشرق - يريد لقاء الخليفة المستنصر با لله ومحاربته، فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها، وتلاحقت به بقية التتار من بغداد. ولقيهم الخليفة وقد رتّب عسكره: فجعل التركمان والعرب جناحى العسكر، واختص جماعة جعلهم فى القلب، وحمل بنفسه على التتار فكسر مقدَّمتهم، وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا، وخرج كمين للتار ففر العرب والتركمان، وأحاط التتار بمن بقى معه فلم يفلت منهم سوى الأمير أبى العباس أحمد الذى قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم با لله، والأمير ناصر الدين بن مهنا، والأمير ناصر الدين بن صيرم، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفى، والأمير أسد الدين محمود، فى نحو الخمسين من الأجناد. ولم يعرف للخليفة خبر: فيقال قتل بالمعركة فى ثالث المحرم، ويقال بل نجا مجروحا فى طائفة من العرب فمات عندهم. وكانت هذه الواقعة فى العشر الأول من المحرم، فكانت خلافته دون السنة، وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك المواصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا.

واستقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ فى مملكته بالموصل، وسار أخواه إسحاق وعلىّ إلى الشام خوفا من التتار، وقدما على السلطان بقلعة الجبل فأبرَّ مقدمهما، وسألاه فى تجهيز نجدة لأخيهما، فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومى فى جماعة من البحرية والحلقة، وساروا من القاهرة فى رابع جمادى الأولى. وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طيبرس، فسار العسكران من دمشق فى عاشر جمادى الآخرة.

وفوّض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة. وتسلم نوّاب السلطان قلعة البيرة. ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك. وباشر السلطان عرض عساكر مصر بنفسه، وحلفهم لولىّ عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركة خان.

وفى يوم الأحد ثانى عشرى صفر: وصل الأمير أبو العباس أحمد الذى تلقب

بالحاكم بأمر الله[١] إلى دمشق، وخرج يريد مصر يوم الخميس سادس عشريه فوصل إلى ظاهر القاهرة فى سابع عشرى شهر ربيع الأول، فاحتفل السلطان للقائه، وأنزله فى البرج الكبير داخل قلعة الجبل، ورتب له ما يحتاج إليه.

وفى نصف رجب: قدم جماعة من البغاددة مماليك الخليفة المستعصم، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة، ومقدمهم الأمير سيف الدين سلار. فأكرمهم السلطان، وأعطى الأمير سلار إمرة خمسين فى الشام ونصف مدينة نابلس، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر. وفيها أطلق السلطان الأمير سيف الدين قلج البغدادى المستنصرى من الاعتقال، وكان قد اعتقله، فمنّ عليه وأذن له فى لعب الكرة معه.

وفى شعبان: قدم الأمير سيف الدين الكرزى، والقاضى أصيل الدين خواجا إمام، من عند الأنبرو ملك الفرنج بكتابه. ثم قدم رسوله بهدية ومعه نفران من البحرية، فاعتقلا بقلعة الجزيرة تجاه مصر. وقدم الأمير شرف الدين الجاكى، والشريف عماد الدين الهاشمى، من عند صاحب الروم - وهو السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو، ومعهما رسل المذكور وهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوح رسلان أمير حاجب، والصدر صدر الدين الأخلاطى، وكتابه المتضمن أنه نزل عن نصف بلاده للسلطان، وسيَّر دُرُوْجًا[٢] فيها علائم بما يُقطِع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمّره، وسأل أن يكتب له السلطان منشورا قرين منشوره[٣]. فأكرمهم السلطان، وشرع فى تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم، وأمر بكتابة المناشير[٤]. وعين السلطان الأمير ناصر الدين أغلمش السلاح دار الصالحى لتقديمه العسكر ومعه ثلاثمائة فارس، وأقطعه إقطاعا ببلاد الروم منه آمد وبلادها.

---

(١) أحمد بن على بن أحمد بن المسترشد بن المستظهر، أبو العباس، الحاكم بأمر الله: ثانى خلفاء الدولة العباسية فى الديار المصرية. نشأ ببغداد واختفى فى واقعتها، وتوجه إلى حسين بن فلاح أمير خفاجة وقاتل التتر، وتوجه إلى مصر عن طريق دمشق، فاتصل بالظاهر بيبرس بعد فقدان المستنصر، فأثبت نسبه أمام بيبرس سنة ٦٦٠ هـ فبايعه وجعل له ما كان لسلفه (المستنصر) من الخطبة باسمه على المنابر. فأقام فى القاهرة إلى أن توفى. انظر بدائع الزهور ١٠٢/١ وابن الوردى ١١٤/٢ وأبو الفداء ٢١٥/٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩ والدرر الكامنة ١١٩/١ وتاريخ الخميس ٣٧٩/٢ وشذرات النهب ٦/ ٢ والأعلام ١/ ١٧٥.

(٢) جمع درج وهى الورق المستطيل المركب منه عدة أوصال.انظر صبح الأعشى ١٣٨/١.

(٣) لفظ المنشور هو كل ما يصدر عن سلطان أو ملك من المكاتبات مما لا يحتاج إلى ختم. انظر صبح الأعشى ١٥٧/١٣.

(٤) المناشير جمع منشور وهو ما يكتب فى الإقطاعات خاصة. انظر صبح الأعشى ١١٨/١٣-١٥٧.

وفى شهر رجب: قدم الأمير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون، رسولا من جهة أخيه الأمير سيف الدين، وصحبته هدية. فأكرمه السلطان وكتب له منشورا بإمرة ثلاثين فى حلب، ومنشورا آخر بإمرة مائة فى بلاد الروم. وفى هذا التاريخ ورد كتاب ملك الروم، بأن العدّو هولاكو لما بلغه اتفاق الروم مع السلطان خاف من هيبته وولى هاربا، وأنه سيرّ إلى قونية يحاصرها ليأخذها من أخيه.

وفى هذا التاريخ قدم كتاب الملك المنصور صاحب حماة، وصحبته قصاد من التتار معهم فرمان[١] له، فشكره السلطان على ذلك، واعتقل التتار.

وفى هذا التاريخ سار الأمير عز الدين الأقرم أمير جاندار بعسكر إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالعربان وبدَّد شملهم، وذلك أنهم كثر طمعهم وهمَّوا بتغيير الممالك، ووثبوا على الأمير عز الدين الهواش والى قوص وقتلوه.

وفى شعبان: كثر قدوم العزيزية والناصرية الذين كانوا صحبة الأمير البرلى: فأكرمهم السلطان وعفا عنهم.

وفى هذه المدَّة وصل الأمير فارس الدين أقوش المسعودى الذى كان قد توجه رسولا إلى الأشكرى. وكان الأشكرى قد بعث يطلب من السلطان بطركا النصارى الملكية، فعين الرشيد الكحال لذلك، وسيرّه إليه مع الأمير فارس الدين أقوش المسعودى فى عدَّة من الأساقفة. فلما وصلوا إليه أكرمهم وأعطاهم، ووأوقف الأمير أقوش على جامع بناه بالقسطنطينية ليكون فى صحيفة السلطان ثوابه. وعاد الأمير أقوش وصحبته البطرك المذكور، فقدَّم البطرك ما ورد على يده من هدية الأشكرى للسلطان، وقدَّم أيضا ما حصل له من المال، فرد السلطان ذلك عليه. وجهز السلطان برسم جامع قسطنطينية الحصر العبدانى، والقناديل المذهبة والستور المرقومة، والمباخر والسجادات إلى غير ذلك من البسط الرومية، والعود والعنبر والمسك وماء الورد.

وفيها أغار الأمير شمس الدين سنقر الرومى على أنطاكية، ونازل صاحبها البِرِنْس وأحرق الميناء بما فيها من المراكب، وكان معه الملك الأشرف موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة. ثم حاصر السويداء، واستولى عليها وقتل وأسر وعاد، فوصل إلى القاهرة يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان، وصحبته من الأسرى نحو مائتين وخمسين أسيرا. فأكرمه السلطان، وأحسن إلى الأمراء، وسير الخلع إلى الملكين المذكورين.

(١) الفرمان فى اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاة والوكلاء والقضاة، يعلن فيها تنصيبهم ومأموريتهم، والجمع فرمانات وفرامين وفرامنه. انظر محيط المحيط.

وفى ثالث شهر رمضان: عزل السلطان قاضى القضاة برهان الدين السنجارى عن قضاء مصر والوجه القبلى، وأعاد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها. وكان متشددا فى أحكامه، فرسم له فى ذى القعدة أن يستنيب عنه مدرسى المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية والحنابلة، فاستنابهم فى الحكم عنه، ولم يعرف ذلك بمصر قبل هذا الوقت: فجلس القاضى صدر الدين سليمان الحنفى، والقاضى شرف الدين عمر السبكى المالكى، والقاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلى، فى أول ذى القعدة وحكموا بين الناس بمذاهبهم.

وفى رابعه: قبض على الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيرى نائب الشام، وحمل إلى مصر فاعتقل بقلعة الجبل، وكانت مدّة نيابته سنة وشهرا. وحكم فى دمشق بعده الأمير علاء الدين إيدغدى الحاج الركنى إلى أن يحضر نائب.

وفيها كثر الإرجاف فى دمشق بحركة التتار، فكتب السلطان برحيل أهل الشام بأهليهم إلى مصر. فحضر من تلك البلاد خلق كثير، بعدما كتب السلطان إلى الولاة بتخفيرهم، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة، ولا يُتعرض لما معهم من متجر ولا غيره، ولا تُغش تجارة، فاعتمد ذلك. وكتب السلطان إلى حلب بتحريق الأعشاب، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرقت الأعشاب التى كانت بالمروج التى جرت عادة هولاكو أن ينزلها. فعمَّت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رمادا، وهمّ الحريق بلاد خلاط، وقُطع السنبل وهو أخضر.

وفيها خرجت الكَشَّافة (١) من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين. وقد كان الملك بركة بعثهم نجدة إلى هولاكو، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم إن تعذّر عليهم اللحاق به أن يصيروا إلى عساكر مصر. وكان سبب عداوة بركة وهولاكو أن وقعة كانت بينهما، قُتل فيها ولد هولاكو وكُسر عسكره وتمزقوا فى البلاد، وصار هولاكو إلى قلعة بوسط بحيرة أذربيجان محصورا بها. فلما بلغ ذلك السلطان سُرّ به، وفرح الناس باشتغال هولاكو عن قصد بلاد الشام. وكتب السلطان إلى النوّاب بإكرام الوافدية من التتار، والإقامة لهم بما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره، وسيرت إليهم الخلع والإنعامات والسكر ونحوه. وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم فى سادس عشرى ذى الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فتلقاهم وأنزلهم فى دور بنت لهم فى اللوق ظاهر

(١) الكشافة جمع كشاف. ومعناها هنا فئة معينة من العسكر وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو.

القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك، وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال. وأمَّر السلطان أكابرهم، ونزل باقيهم فى جملة البحرية، وكانوا مائتى فارس بأهاليهم، فحسنت حالهم، ودخلوا فى الإسلام. وكتب السلطان إلى الملك بركة كتابا، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك.

وفيها سار صَنْدَغُوْن مقدم التتار إلى الموصل، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء. وحاصرها صندغون حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى، فى يوم الجمعة النصف من شعبان، فقبض عليه وعلى من معه. ووقع التخريب فى سور المدينة وقد اطمأن أهلها، ثم اقتحموها ووضعوا السيف فى الناس تسعة أيام، ووسّطوا علاء الدين ابن الملك الصالح، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية، وهدموا المبانى وتركوها بلاقع، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل، ثم قتلوه وهم فى طريقهم إلى هولاكو.

وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البُرْلى من حلب نجدة للملك الصالح، فأدركه التتار بسنجار وواقعوه، فانهزم منهم إلى البيرة فى رابع عشر جمادى الآخرة. ثم استأذن الأمير شمس الدين السلطان فى العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أوّل ذى القعدة، فأنعم عليه السلطان وأقطعه إمرة سبعين فارسا. وولى السلطان بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيدمر الشهابى، فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة، وبعثهم إلى مصر فوُسْطوا.

وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة، وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادى، وشهرى بن أحمد الخفاجى، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديثة، ووشاح وغيرهم. فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عينا على التتار.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد العباسى، قتيلا فى المعركة قريبا من هيت.

وتوفى شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم ابن الحسن المهذب السلبى الشافعى، عن اثنتين وستين سنة فى[......][1].

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وتوفى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفى بالقاهرة[١]. عن نيف وستين سنة.

وتوفى الأديب محيى الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن يوسف بن شبرمة بن زبلاق[٢] الهاشمى الموصلى الأديب الشاعر الكاتب، قتيلا بالموصل، عن سبع وخمسين سنة.

* * *

---

(١) جاء فى أن الصاحب كمال الدين بن العديم، وهو مؤلف كتاب تاريخ حلب المشهور، كان قد هرب مع الناصر صاحب حلب من وحه التتر إلى القاهرة استدعاه هولاكو إلى الشام ليوليه قضاء القضاة بها، غير أنه ظل مقيما بالقاهرة حتى مات.

(٢) يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن موسى الهاشمى العباسى، أبو المحاسن، محيى الدين الموصلى، المعروف بابن زبلاق: شاعر مجيد، من الفضلاء كان كاتب الإنشاء بالموصل. وقتله بها التتار، لما استولوا عليها. انظر البداية والنهاية ٢٣٦/١٣ وذيل مرآة الزمان ٥١٣/١ و١٨١/٢ وفوات الوفيات ٣٢١/٢، ٣٢٧ والحوادث الجامعة ٣٤٨ شذرات الذهب ٣٠٤/٥ والأعلام ٢٥٩/٨.

سنة إحدى وستين وستمائة

فى الخميس ثامن المحرم: جلس الملك الظاهر مجلسًا عاما جمع فيه الناس. وحضره التتار الذين وفدوا من العراق والرسل المتوجهون إلى الملك بركة. وجاء الأمير أبو العباس أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر بن أحمد بن المسترشد با لله العباسى، وهو راكب إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجلس إلى جانب السلطان، وقُرئ نسبه على الناس بعدما ثبت على قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ولقب بالإمام الحاكم بأمر ا لله أمير المؤمنين، وتولى قراءة نسبه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر كاتب السر. فلما ثبت ذلك مدّ السلطان يده وبايعه على العمل بكتاب ا لله وسنة رسوله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد أعداء ا لله وأخذ أموال ا لله بحقها وصرفها فى مستحقها، والوفاء بالعهود وإقامة الحدود، وما يجب على الأمير فعله فى أمور الدين وحراسة المسلمين. فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد، وجعل إليه تدبير الخلق، وأقامه قَسِيمه فى القيام بالحق، وفوّض إليه سائر الأمور، وعلّق به صلاح الجمهور. ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم فى مبايعته، فلم يبق ملك ولا أمير ولا وزير ولا قاض ولا مشير ولا جندى ولا فقيه إلا وبايعه. فلما تمت البيعة تحدث السلطان معه فى إنفاذ الرسل إلى الملك بركة، وانفض الناس.

فلما كان يوم الجمعة ثانى هذا اليوم: اجتمع الناس وحضر الرسل المذكورون، وبرز الخليفة الحاكم بأمر ا لله وعليه سواده، وصعد المنبر لخطبة الجمعة فقال: «الحمد لله الذى أقام لكل العباس ركنا وظهيرا، وجعل لهم من لديه سلطانا ونصيرا. أحمده على السراء والضراء، وأستنصره على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء الأربعة الخلفاء، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبى السادة الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين، وعلى بقية الصحابة التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أيها الناس! اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم عَلَم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سُبيت الحُرُم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم. فلو شاهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام[1]،

(1) المقصود بها بغداد.

واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال، وهتكوا حرم الخليفة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات بالبكاء والعويل، وعَلَت الضجَّات من هول ذلك اليوم الطويل. فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم طفل بكا فلم يرحم لبكائه. فشمِّروا عن ساق الاجتهاد فى إحياء فرض الجهاد **﴿وَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُم وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[1] فلم تبق معذرة عن أعداء الدين، والمحاماة عن المسلمين».

«وهذا السلطان الملك الظاهر، السيد الأجل العالم العادل المجاهد الرابط ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرَّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار. فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود. فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة، وأخلصوا نياتكم تنتصروا، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ولا يُرَوِّعَنَّكم ما جرى، فالحرب سجال والعاقبة للمتقين، والدهر يومان والأخرى للمؤمنين. جمع الله على التقوى أمركم، وأعز بالإيمان نصركم، وأستغفرُ الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم».

وجلس الخليفة جلسة الاستراحة، ثم قام للخطبة الثانية وقال: «الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة للقائه، وأشهد أن محمدا سيد رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق فى أرضه وسمائه. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الإنسان كلام الديَّان: **﴿يأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُم، فَإنْ تَنَازَعْتُم فى شَىءٍ فَرُدُّوه إلى اللهِ والرَّسُولِ إنْ كُنْتُم تُؤمِنونَ باللهِ والْيَومِ الآخرِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[2] نفعنا الله وإياكم بكتابه، وأجزل لنا ولكم من ثوابه، وغفر لى ولكم وللمسلمين أجمعين، والحمد لله رب العالمين». ثم نزل الخليفة وصلى بالناس صلاة الجمعة، وانصرف.

وفى هذا اليوم خُطب على منابر القاهرة ومصر بالدعاء للخليفة الحاكم بأمر الله، وكُتب إلى الأعمال بذلك، فخطب له بدمشق فى يوم الجمعة سادس عشره. وقد قيل فى نسبه إنه أبو العباس أحمد بن الأمير محمد بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن على القُبِّى بن الحسن بن أمير المؤمنين الراشد بن المسترشد، وهو الخليفة التاسع والثلاثون من

---

(١) سورة التغابن آية ١٦

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

خلفاء بنى العباس، وليس فيهم بعد السفاح[1] والمنصور[2] من ليس أبوه وجده خليفة غيره، وأما من ليس أبوه خليفة فكثير.

وتجهز الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كش تك، وكُتب على يدهما كتب بأحوال الإسلام ومبايعة الخليفة، واستمالة الملك بركة وحثه على الجهاد، ووصف عساكر المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم، وما فيها من خيل وتركمان وعشائر وأكراد، ومن وافقها وهاداها وهادنها، وأنها كلها سامعة مطيعة لإشارته، إلى غير ذلك من الإغراء بهلاون وتهون أمره والإشلاء عليه وتقبيح فعله، ونحو ذلك. وجهز السلطان معهما أيضا نسخة نسبة الخليفة إلى رسول الله ﷺ، وأُذْهِبَت وكتب فيها الإسجال بثبوتها. وجُمعت الأمراء والمفاردة[3] وغيرهم وقرئت عليهم الكتب، وسلمت إلى الرسل. وسُير معهما نفران من التتر أصحاب الملك بركة ليعرفاهما بالطرق، وساروا فى الطرائد ومعهم زوادة أشهر. فوصلوا إلى الأشكرى فقام بخدمتهم، واتفق وصول رَسَلِ[4] الملك بركة إليه فسيّرهم صحبته وعاد الفقيه مجد الدين لمرض نزل به، ومعه كتاب الأشكرى بمسير الأمير سيف الدين ورفقته. وسار الأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى إلى نيابة دمشق، ومعه الصاحب عز الدين عبد العزيز بن وداعة وزير دمشق، وعلى يده تَذاكر[5] شريفة بعدما خلع عليهما.

---

(١) عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. ولد ونشأ بالشراة (بين الشام والمدينة) بويع له بالخلافة جهرا فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء بنى أمية. كانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سماها (الهاشمية) وجعلها مقر خلافته. انظر ابن الأثير ١٥٢/٥ والطبرى ١٥٤/٩ واليعقوبى ٣/ ٨٦ وابن خلدون ١٨٠/٣ تاريخ الخميس ٣٢٤/٢ والبدء والتاريخ ٨٨/٦ والنبراس ١٩، ٢٣ والمسعودى ١٦٥/٢–١٨٠ وتاريخ بغداد ٤٦/١٠ وفوات الوفيات ٢٣٢/١ والأعلام ١١٦/٤.

(٢) عبد الله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثانى خلفاء بنى العباس، وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب. ولد فى الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) وولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ. وهو بانى مدينة «بغداد» أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح. انظر ابن الأثير ١٧٢/٥ والطبرى ٢٩٢/٩–٣٢٢ والبدء والتاريخ ٩٠/٦ واليعقوبى ١٠٠/٣ وتاريخ الخميس ٣٢٤/٢ و٣٢٩ والنبراس لابن بحية ٢٤–٣٠ والمسعودى ١٨٠/٢–١٩٤ وتاريخ بغداد ٥٣/١٠ وابن الساعى ٢٣/١١ وفوات الوفيات ٢٣٢/١ والأعلام ١١٧/٤.

(٣) جمع مفردى، والمفاردة نوع من عساكر السلطان. ويظهر أنهم أفردوا بهذه النسبة لتبعيتهم مباشرة لديوان المفرد.

(٤) الرسل هم الجماعة والقطيع من كل شىء وجمعه أرسال. انظر محيط المحيط.

(٥) التذاكر جمع تذكرة وهى كما يدل معناها اللفظى: كل مكتوب يصدر من السلطان إلى نوابه بالأقاليم المصرية ونيابات الشام، أو إلى قصاده الذين يرسلهم فى مهام الدولة.

وفى سابع ربيع الآخر: سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، ونزل خارج القاهرة. ورحل فى حادى عشره، ودام الصيد إلى أن دخل غزة، بعدما ضرب حلقة بثلاث آلاف فارس فى العريش، فوقع فيها صيد كثير جدا، وتقنطر الأمير شمس الدين سنقر الرومى عن فرسه، فسار السلطان إليه ونزل عنده، وجعل رأسه على ركبته وأخرج من خريطته المومِيا[1] وسقاه، وأخذه معه إلى خيمته. وتقنطر الأمير سيف الدين قلاوون، فاعتمد السلطان معه مثل ذلك.

وقدم عليه فى غزة جماعة منهم أم الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الكرك، فأنعم عليها إنعاما كثيرا وأعطى سائر من كان معها، وحصل الحديث فى حضور ولدها إلى السلطان، وعادت إلى ابنها بالكرك. من جملة ما زوّدها به السلطان من صيده خمسة عشر حملا، وسار معها الأمير شرف الدين الجاكى المهمندار، برسم تجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر. ونظر السلطان فى أمر التركمان، وخلع على أمرائهم وعلى أمراء العربان من العابد وجرم وثعلبة، وضمنهم البلاد وألزمهم القيام بالعِدَاد، وشرط عليهم خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار، وإلى عرب خفاجة، يستحثهم على قتال هولاكو ملك التتار، وأن الأخبار قد وردت من البحر بكسر الملك بركة له غير مرة.

ثم رحل السلطان من غزة إلى جهة الساحل، ونزل الطور فى ثانى عشر جمادى الأولى، وقدم إليه هناك الملك الأشرف صاحب حمص فى خامس عشره بإذن منه فتلقاه السلطان وأكرمه، وبعث إليه سبعين غزالا فى دفعة واحدة، وقال: «هذا صيد يومنا هذا، جعلته لك». وخرج إليه المغيث من الكرك، بعدما كاتبه الملك الظاهر يستدعيه وهو يسوّف به. فأظهر السلطان من الاحتفال له شيئًا كثيرا، وخدعه أعظم خديعة، وكتم أمره عن كل أحد. فلما وصل المغيث بيسان ركب السلطان إلى لقائه فى سادس عشرى جمادى الأولى، وافاه فى أحسن زىّ. فعندما التقيا ساق الملك المغيث إلى جانب السلطان، فسار به إلى الدهليز السلطانى، ودخلا إلى خركاه، وللوقت قُبض عليه. وأحضر السلطانُ الملوكَ والأمراء، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان - وكان قد استدعاه من دمشق، والشهود والأجناد ورسل الفرنج. وأخرج السلطان إليهم كُتب الملك المغيث إلى التتار وكُتب التتار إليه، وأخرج أيضا فتاوى الفقهاء بقتاله، وأحضر أيضا القصاد الذين كانوا يسفرون بينه وبين هولاكو. ثم قال الأميرُ الأتابكُ لمن حضر:

---

(١) على هامش ط: الموميا - وهى لفظة يونانية الأصل - مادة دواء يستعمل شربا وضمادا، ويستخدم كثيرا لجبر العظام للكسورة.

«السلطان الملك الظاهر يسلم عليكم، ويقول ما أخذتُ الملك المغيث إلا بهذا السبب»، وقرئت الكتب المذكورة عليهم. فكُتب بصورة الحال، وأثبت القضاة خطوطهم في المكتوب، وانفض الجمع. وجلس السلطان وأمر فكتب إلى من بالكرك يعدهم ويحذرهم، وسير الأمير بدر الدين بيسرى، والأمير عز الدين الأستادار، بالكتب والخلع والأموال إلى الكرك. وأرسل الملك المغيث عِشَاء إلى مصر مع الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى السلاح دار، فسار به إلى قلعة الجبل وسجنه بها، وأطلق السلطان حواشيه، وبعث بحريمه إلى مصر، وأطلق لهم الرواتب.

ولما خلا بال السلطان من همّ الملك المغيث، توجه بكليَّته إلى الفرنج: فإنهم كانوا قد شرعوا فى التعلل وطلبوا زرعين، فأجابهم السلطان «بأنكم تعوضتم عنها فى الأيام الناصرية ضياعا من مرج عيون»، وهم لا يزدادون إلاّ شكوى. وآخر الحال طلب الفرنج من والى غزة كتابا بتمكين رسلهم إذا حضروا، فكتب لهم الكتاب، وتواصلت بعد ذلك كتبهم. ووردت كتب النواب بشكواهم، وأنهم اعتمدوا أمورا تفسخ الهدنة فلما صار السلطان فى وسط بلادهم وردت عليه كتبهم، وفيها: «ما عرفنا بوصول السلطان». فكتب إليهم: «من يريد أن يتولى أمرا ينبغى أن يكون فيه يقظة، ومن خفى عنه خروج هذه العساكر، وجهل ما علمته الوحوش فى الفلاة والحيتان فى المياه، من كثرتها التى لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا ويُكْنَسُ منه التراب الذى أثارته خيل هذه العساكر، ولعلّ وقع سنابكها قد أصمَّ أسماع من وراء البحر من الفرنج، ومن فى مُوتان[1] من التتار. فإذا كانت هذه العساكر تصل جميعها إلى أبواب بيوتكم ولا تدرون، فأى شىء تعلمون؟ وماذا تحطون به علما؟ ولَم لا أعطيتم لوالى غزة الكتاب الذى كنا سيرناه لكم بتمكين رسولكم إذا حضر؟» قال الرسول: «نسينا، وما علمنا كيف عُدِم». فكان الجواب: «إذا نسيتم هذا فأى شىء تذكرون؟ وإذا ضيّعتموه فأى شىء تحفظون؟» وانفعل الحال على هذا. ووصلت نوّاب يافا ونواب أرسوف بهدية، فأخذت منهم تطمينا لقلوبهم، وتسكينا لهم. هذا وقد أمر السلطان ألا ينزل أحد فى زرع الفرنج ولا يسيب فرسا، ولا يؤذى لهم ورقة خضراء، ولا يتعرض إلى شىء من مواشيهم ولا إلى أحد من فلاحيهم.

وكانت كتبهم أولا ترد بندمهم على الهدنة وطلبهم فسخها، فلما قرب السلطان منهم صارت ترد بأنهم باقون على العهد متمسكون بأذيال المواثيق.

وفى اليوم الذى قُبض فيه على الملك المغيث، أمر السلطان بإحضار بيوت الفرنجية وقال: «ما تقولون؟» قالوا: نتمسك بالهدنة التى بيننا. فقال السلطان: «لم لا كان هذا

---

(١) هى إحدى أقسام آذربيجان. انظر ومعجم البلدان ٤/٦٨٦.

قبل حضورنا إلى هذا المكان، وإنفاق الأموال التى لو جرت لكانت بحارا؟ ونحن لما حضرنا إلى ها هنا ما آذيناكم زرعا ولا غيره، ولا نُهب لكم مال ولا ماشية، ولا أسر لكم أسير. وأنتم منعتم الجَلْب[1] والميرة عن العسكر، وحرّمتم خروج شيء من الغلات والأغنام وغير ذلك، ومن انفرد من غلمان العسكر أسرتموه. إلينا بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها، وسَيَّرنا نسخة يمين من عندنا لم تحلفوا عليها، وعلمتم أنتم نسخة حلفتم عليها، وشرط اليمين الأولى تتعلق بالثانية. وسيرنا الأسارى إلى نابلس ومنها إلى دمشق، وما سيرتم أنتم أحد، وكل بيت يحيل على الآخر، وما سيرنا الأسارى إلا وفاء بالعهد وإقامة الحجة عليكم وسَيَّرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الأسرى، فلم تبعثوا أحدا، ولم ترحموا أهل ملتكم الأسرى وقد وصلوا إلى أبواب بيوتكم، كل ذلك حتى لا تبطل أشغالكم من أسرى المسلمين عندكم. وأموال التجار شَرَطتم القيام بما أخذتموه منها، ثم قلتم ما أخِذَت من بلادنا وإنما أخذت فى أنطرسوس[2] وحُمل المال إلى خزانة بيت الديوية والأسرى فى بيت الديوية، فإن كانت أنطرسوس ما هى لكم فالله يحقق ذلك. ثم إنا سيرنا رسلا إلى بلاد السلاجقة الروم، وكتبنا إليكم بتسفيرهم فى البحر فأشرتم عليهم بالسفر إلى قبرص فسافروا بكتابكم وأمانكم، فأُخِذُوا وقُيدوا وضُيِّق عليهم، وأتلف أحدهم على ما ذكر. فإن كان هذا برضاكم فقبيح أنْ يعتمدوا هذا الاعتماد. هذا مع إحساننا إلى رسلكم وتجاركم، والوفاء أحد أركان الملك. وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذى، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردّد، وما القدرة على الرسول بشىء يسكن غيظا. فإن كان هذا بغير رضاكم فإنه نقص فى حرمتكم، وإذا كان صاحب جزيرة قبرص من أهل ملتكم، يخرق حرمتكم ولا يفى بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فأى حرمة تبقى لكم وأى ذمام يوثق به منكم، وأى شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجية؟ وهل كانت الملوك الماضية تقى النفوس والرجال والأموال إلا بحفظ الحرمة؟ وما صاحب جزيرة قبرص ملك عظيم، ولا صاحب حصن منيع، ولا قائد جيش كثير، ولا هو خارج عنكم. بل أكثر تعلقاته فى عكا والساحل، وله عندكم المراكب والتجار والأموال والرسل، وليس هو منفرد بنفسه، وعنده الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده، وعنده كُنْد يافا وغيره. فلو كنتم لا تؤثرون ذلك كنتم قمتم جميعكم عليه، وأحطتم على كل ما يتعلق به وأصحابه، واسترحتم من هذه

---

(١) الجلب هنا ما تجلبه البلاد من الأطعمة للجيوش النازلة بقربها. انظر ابن أبى الفضائل، النهج السديد ١٠٨.

(٢) بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص. انظر معجم البلدان ١/٣٨٨.

الفضيحة، وكتبتم إلى ملوك الفرنجية وإلى البابا بما فعله. وإذا قلتم صاحب قبرص لا يسمع منكم ولا يعطيكم، فإذا لم يسمع منكم صاحب قبرص وهو من أهل ملتكم، فمن يسمع منكم؟ وهل لهذه التقدمة إلى الأمر والنهى؟ ولاسيما أنتم تقولون أن أموركم دينية، ومن ردّها عصى المعبود، ويغضب عليه المسيح. فكيف لا يعصى المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرص، وقد ردّ أمركم وأغرى بكم وقبح قولكم؟ وكنا لو اشتهينا أخذنا حقنا منه، وإنما الحق عندكم نحن نطلب منكم، وأنتم تطلبون منه. وأنتم فى أيام الملك الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف[1]، على أنكم تنجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين أيوب. وخرجتم جميعكم فى خدمته ونجدته، وجرى ما جرى من خذلانه، وقَتْلِكم وأسركم وأسر ملوككم وأسر مقدّميكم، وكل أحد يتحقق ما جرى عليكم من ذهاب الأرواح والأموال. وقد انتقضت تلك الدولة، ولم يؤاخذكم السلطان الشهيد عن فتوحه البلاد، وأحسن إليكم فقابلتم ذلك بأن رحتم إلى الريدافرنس، وساعدتموه وأتيتم صحبته إلى مصر، حتى جرى ما جرى من القتل والأسر. فأىّ مرة وفيتم فيها لمملكة مصر، أم أى حركة أفلحتم فيها؟ وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الملك الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام، وطاعة ملكها ونصرته والخروج فى خدمته، وإنفاق الأموال فى نجدته. وقد صارت بحمد الله مملكة الشام وغيرها لى، وما أنا محتاج إلى نصرتكم ولا إلى نجدتكم، ولم يبق لى عدو أخافه. فردّوا ما أخذتموه من البلاد، وفكّوا أسرى المسلمين جميعهم، فإنى لا أقبل غير ذلك».

فلما سمع رسل الفرنج هذه المقالة بهتوا، وقالوا: «نحن لا ننقض الهدنة، وإنما نطلب مراحم السلطان فى استدامتها، ونحن نزيل شكوى النوّاب، ونخرج من جميع الدعاوى ونفك الأسرى، ونستأنف الخدمة». فقال السلطان: «كان هذا قبل خروجى من مصر، فى هذا الشتاء وهذه الأمطار، ووصول العساكر إلى هنا». وانفصلوا على هذه الأمور، فأمر السلطان بإخراجهم وألا يبيتوا فى الوطاق. ووجّه الأمير علاء الدين طيبرس إلى كنيسة الناصرة، وكانت أجل مواطن عباداتهم ويزعمون أن دين النصرانية ظهر منها، فسار إليها وهدمها، فلم يتجاسر أحد من الفرنج أن يتحرّك. ثم وجه السلطان الأمير بدر الدين الأيدمرى فى عسكر إلى عكا، فساروا إليها واقتحموا أبوابها وعادوا. ثم ساروا ثانيًا، وأغاروا على مواشى الفرنج، وأحضروا منها شيئًا كثيرا إلى المخيم.

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز بصُفَّة[2] عمرها، من غير

---

(١) حصن بالقرب من صور، أو قلعة من نواحى حلب قبلى حارم أو قلعة صغيرة قرب أنطاكية. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٦.

(٢) الصفة هنا مسطبة مرتفعة تستعمل للجلوس عليها. انظر محيط المحيط.

احتجاب عن أحد، فمن وقف له أحضره وأخذ قِصته[١] وأنصفه، وهو في أمر ونهي وعطاء وتدبير، واستجلاب قلوب أهل الكرك. وقدمت رسل دار الدعوة[٢] بالهدايا، فأحسن إليهم وعادوا. وأمَّر جماعة في الشام والساحل، وأعطى الأمير علاء الدين أيديكن البندقدار إقطاعا جيدا بمصر. وطلب أهل بلاد الساحل من الفلاحين، وقرر عليهم أموالا سَّماها جنَايات[٣]، وألزمهم بحملها إلى بيت المال، عن ديات من قتل وليس له وارث وهم ما نهبوه من مال جهل مالكه. فحملت من ذلك أموال كثيرة جدا من بلاد نابلس وبلاد الساحل، وانكسرت شوكة أهل العيث والفساد بذلك بعدما كان الضرر عظيما بهم، من تسلطهم على الرعية ونقلهم الأخبار للفرنج. فرأى السلطان عقوبتهم بهذا الفعل أولى من قتلهم، فإنهم أصحاب زرع وضرع.

ركب السلطان وجرَّد من كل عشرة فارسا، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلي المهمندار في الدهليز السلطاني، وساق من منزلة الطور نصف الليل. فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر، وندب جماعة لحصار برج كان قريبًا منه فشرعوا في نقبه، وأقام السلطان على ذلك إلى قريب المغرب وعاد. وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا، فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحدا لا يجسر أن يقرب منها، فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة. ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح، وأركب الناس معه، وساق إلى عكا. فإذا الفرنج قد حفروا خندقا حول تل الفضول، وجعلوا مَعاثِر[٤] في الطريق، ووقفوا صفوفا على التل، فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه، وشرع الجميع في ذكر الله وتهليله وتكبيره، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم. وللوقت رُدمت الخنادق بأيدى غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين، وصعد المسلمون فوق تل الفضول، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة.

وامتدت الأيدى إلى ما حول عكا من الأبراج فهدمت، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها. وساق العسكر إلى أبواب عكا، وقتلوا وأسروا عدّة من الفرنج في ساعة واحدة، والسلطان قائم على رأس التل يعمل في أخذ رأى المدينة، والأمراء تحمل على الأبواب واحدا بعد واحد. ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج في

---

(١) على هامش ط: القصة هي الطلب والالتماس، ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصته دار.

(٢) على هامش ط: المقصود بدار الدعوة مركز الإسماعيلية بالشام.

(٣) على هامش ط: الجنايات جمع جناية، وهو ما يفرضه السلطان من الضرائب والغرامات التأديبية على رعيته.

(٤) المعاثر جمع العاثور، وهو ما يعد في الأرض من حفرة ونحوها ليقع فيه أحد. انظرمحيط المحيط.

الخنادق، وهلك منهم جماعة فى الأبواب. فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذى نقُب، وقد تَعَلَّق حتى رُمى بين يديه، وأخِذ منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلا، وبات السلطان على ذلك. فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكانا مكانا، وعبر على الناصرة[١] حتى شاهد خراب كنيستها وقُد سُوِّى بها الأرض، وصار إلى الصفة التى بناها قبالة الطور، فوافاها ليلا وجلس عليها. وأحضر الشموع[٢] التى بالمنجنيقات ونصب عليها خمسة، وأحضر الصاحب فخر الدين محمد بن حنا وزير الصحبة. وجماعة كتاب الدَّرْج[٣] وهم سبعة: الصاحب فخر الدين بن لقمان، والصدر بدر الدين حسن الموصلى، والصدر كمال الدين أحمد بن العجمى، والصدر فتح الدين ابن القيسرانى، والصدر شهاب الدين أحمد بن عبيد الله، والصدر برهان الدين. وأحضر كتاب الجيش، وأمر الأمير سيف الدين الزينى أمير علم[٤] أن يجلس مع كتاب الجيش، لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطبلخانا، وأن يكون الأتابك بين يدى السلطان. واستدعى من الجُشارات[٥] بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء، وأحضرت خلع كثيرة، وأمر السلاح دارية أن يستريحوا بالنوبة ويحضروا. فلم تزل المِثالات[٦] والمناشير تكتب وهو يعلّم، فكُتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا يخطب لأمراء كبار. وظل الصاحب فخر الدين يعلّم، وفتح الدين بن سناء الملك صاحب ديوان الجيش وصاحب ديوان الخزائن يعلّم، والأمير بدر الدين الخازندار واقف، والمستوفى ينزّل، حتى كملت بين يديه. وأصبح السلطان فخلا بنفسه، وجهز الطبلخاناه والسناجق والخيل والخلع إلى الأمراء، وجعل الأمير ناصر الدين القيمرى[٧] نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية.

---

(١) قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٥/٢٥١.

(٢) الشموع جمع شمعة أو معناها هنا الأعمدة الخشبية الدقيقة.

(٣) كان كتاب الدرج من موظفى ديوان الإنشاء. انظر صبح الأعشى ١/١٣٧.

(٤) كان صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخاناه.انظر صبح الأعشى ٤/٢٢.

(٥) الجشارات جمع حشار، وهو مكان رعى الماشية من خيل وغيرها.

(٦) المثالات جمع مثال، وهو أول ما كان يكتب من الأوراق الرسمية إيذانا بإعطاء أحد المماليك إقطاعا من الإقطاعات الخالية. انظر صبح الأعشى ١٣/١٥٣.

(٧) الحسين بن على القيمرى، ناصر الدين: أمير، كردى الأصل، مستعرب. كان صاحب القيمرية الجوانية فى دمشق. كان شجاعا موفقا، أقطعه الظاهر إقطاعا جيدا وجعله مقدم العسكر بالساحل، فمات فيه. نسبته إلى قيمر ببلاد الأكراد. انظر المجموعة التاجية والأعلام ٣/٢٤٦،٢٤٧.

ورحل السلطان من الطور يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة، وسار إلى القدس فوافاه يوم الجمعة عشره، وكشف أحوال البلد وما يحتاج إليه المسجد من العمارة، ونظر فى الأوقاف وكتب بحمايتها، ورتّب برسم مصالح المسجد فى كل سنة خمسة آلاف درهم وأمر ببناء خان خارج البلد، ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العِيد[1]، ونادى بالقدس ألا ينزل أحد فى زرع.

ثم سار السلطان إلى الكرك فنزله يوم الخميس ثالث عشريه بعساكره، وأحضر السلالم الخشب من الصلت وغيره، والحجارين والبنائين والنجارين والصناع من مصر ودمشق. وكتب إلى من فى الكرك فخافوا، وترددت الرسل بينهم وبينه، حتى استقر الحال على أنه يعطى الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث إمرة مائة فارس، فأنعم بذلك. ونزل أولاد المغيث، وقاضى المدينة وخطيبها وعدة من أهلها ومعهم مفاتيح المدينة والقلعة، فحلف لهم السلطان وأرضاهم، وسير الأمير عز الدين أيدمر الأستادار، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا[2] فى ليلة الجمعة رابع عشريه، فتسلما القلعة. وفى بكرة الجمعة دُعى للسلطان على الأسوار، ونُصبت سناجقه على الأبراج، وركب فى الساعة الثالثة وطلع إلى القلعة ورتب أمر جيش الكرك، وأنفق فيهم ثلاثة أشهرمن خزائنه واهتم السلطان ببلادها وعين لها خاصا، وزاد جماعة، وأنعم على أولاد الملك المغيث بجميع ما كان فى القلعة من مال وقماش وأثاث. وصلى بها صلاة الجمعة، ونزل قريب المغرب، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهلها بسوء. وأصبح السلطان فبعث إلى العزيز بن المغيث الخلع والقماش، وإلى الطواشى بهاء الدين صندل، والأمير شهاب الدين صعلوك أتابكة. وكُتب بالبشارة إلى مصر والشام بأخذ الكرك، وأن تُحمل إليه الغلات والأصناف وطلع السلطان إليها يوم الإثنين، وأحضر الدواوين ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد، فكتب بين يديه زيادة على ثلاثمائة منشور، وسلمت لأربابها بعدما حلفوا بين يدى السلطان، وكتبت أيضا تواقيع لأهل الكرك بمناصب دينية وديوانية. وجرّد السلطان بها عدة من البحرية والظاهرية، وحلف مقدمى الكرك وأنصارها، وقال لأهل الكرك: «اعلموا أنكم قد أسأتم إلىّ فى الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم

---

(١) كان ذلك الباب أحد أبواب القصر الكبير الفاطمى. انظر خطط المقريزى.

(٢) على بن محمد بن سليم المصرى المعروف ببهاء الدين بن حنا: وزير كان من أكابر الرجال فى عصره، حزما وعزما ذو رأى ودهاء وخبرة، مولده ووفاته بمصر. استوزره «الظاهر» وفوض إليه الأمور. انظر فوات الوفيات ٧٦/٢ وابن الفرات ١٢٥/٧ والأعلام ٣٣٣/٤.

ما خامرتم على صاحبكم. وقد ازددت فيكم محبة فتناسوا الحقود». وأحضر الأمير عبية وغيره عن هرب من بنى مهدى، وألزمهم أدراك البلاد وخفّرهم إلى أرض الحجاز. وأمر بعمارة ما يحتاج إليه فى السور وحصّنه وحفر الخندق وأحاطه بالحصن، ولم يكن قبل ذلك كذلك. وأشحن الحصن بالأسلحة والغلال وآلات الحرب والأقوات، ووضع فيه مبلغ سبعين ألف دينار عينا ومائة وخمسين درهم نقرة. واستناب بالكرك الأمير عز الدين أيدمر من مماليكه، وأضاف إليه الشوبك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وكثيرا من القماش.

ورحل السلطان إلى مصر، ومعه أولاد الملك المغيث وحريمه، فى يوم الأربعاء تاسع عشريه. فدخل القاهرة فى سابع عشر رجب وقد زينت أحسن زينة، فشق القصبة إلى قلعة الجبل على شقق الحرير الأطلس والعتابى، وخلع على الأمراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلمانه ومباشريه، وأعطى العزيز بن الملك المغيث إمرة مائة فارس وخلع عليه وأعطاه طبلخاناه، وأطلق لأخويه وحرم أبيه سائر ما يحتاجون إليه هم وغلمانهم، وأنزلهم بدار القطبية بين القصرين من القاهرة.

وأصبح السلطان فقبض على الأمير سيف الدين الرشيدى واعتقله. وفى تاسع عشره قبض على الأمير عز الدين أيبك الدمياطى والأمير شمس الدين أقوش البرلى واعتقلهما، فكان آخر العهد بأقوش البرلى. ولما قبض السلطان عليهما أحسن إلى مماليكهما وحواشيهما، ولم يغر على أحد منهم ولا تعرض إلى بيوت الأمراء. وكان سبب تنكره على هذه الأمراء أنه كان قد فوّض إلى الرشيدى أمر المملكة حتى تصرفت يده فى كل شيء، وأطلق له فى كل جمعة خِوَانين من عنده يُمدّان له حتى ماء الورد، ورتب له كل شهر كَلّوتَتَين[1] زركش قيمة كل منهما مبلغ خمسين دينارا عينا وقيمة كلبندها[2] مبلغ أربعين دينارا ورتب له برسم مشروبه اثنى عشر ألف دينار فى كل سنة. هذا سوى ما له من الإقطاعات الجليلة والمرتبات الكثيرة، وسوى الإنعامات وجوامك البَزْدارِية[3] والفَهّادة[4] وعليق الخيل. فأقبل الرشيدى على اللهو وشرب الخمر، وحمت حواشيه عدّة بلاد، وحدثت منه أمور لا تسر، فأغضى عنه السلطان. فلما كان بالطور بلغه أن الرشيدى قد فسدت نيته، فأقام عليه عيونا تحفظ كل ما يجرى منه: فبلغه عنه

---

(١) هذا اللفظ مثنى كلونة، وهى غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة.

(٢) على هامش ط: الكلبند جزء من غطاء الرأس سواء أكان عمامة أو كلونة.

(٣) البزدارية جمع بزدار - أو بازدار -

(٤) الفهادة هم الأشخاص الموكول إليهم حراسة الفهود.

أنه كان يكاتب المغيث بالكرك ويحذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه، وأنه كتب إلى أهل الكرك أيضًا بعد القبض على المغيث يأمرهم بألا يسلموا الكرك، فأسرّ السلطان ذلك فى نفسه إلى أن سار إلى الكرك، فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك، فسارع إليه ولاطفه وركب معه إلى الكرك وأخذها. وبلغ السلطان عنه أيضا عدّة أمور من هذا النحو.

وقدمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاكو - وهم الأمير جلال الدين ابن القاضى، والشيخ نور الدين على، فى عدة - ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه، وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأوّل رجب سنة إحدى وستين وستمائة. وقدم أيضا رسول الأشكرى، ورسول مقدّم الجَنَوِية[1]، ورسول صاحب الروم السلاجقة، فأحسن السلطان إلى الرسل وعمل لهم دعوة بأراضى اللوق، وواصل الإنعام عليهم فى يومى الثلاثاء والسبت عند اللعب فى الميدان.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك بركة، ودعا للسلطان وللملك بركة فى الخطبة، وصلى بالناس صلاة الجمعة، واجتمع بالسلطان وبالرسل فى مهمات أمور الإسلام.

وفى ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان: سأل السلطانُ الملكُ الظاهر الخليفةَ الحاكم بأمر الله: «هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين أو من أوليائهم المتقين؟» فقال: «لا»، والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود. فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة، وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضى الله عنه قد افترضه. ولبس الخليفة فى الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره فى مثل ذلك، وباشر اللبس الأتابك فارس الدين أقطاى بطريق الوكالة عن السلطان، بحق لبسه عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولدِ الإمام الظاهر - وأبوه لجده الناصر لدين الله - والناصر لعبد الجبار، لعلى ابن دُغيم لعبد الله بن القير، لعمر بن الرصاص، لأبى بكر بن الجحيش، لحسن بن الساريار، لبقاء بن الطباخ، لنفيس العلوى، لأبى هاشم بن أبى حية، لعمر بن ألبس، لأبى على الصوفى، لمهنا العلوى، للقائد عيسى، لأمير وهران، لرؤية الفارسى، للملك أبى كاليجار، لأبى الحسن النجار، لفضل القرقاشى، للقائد شبل بن المكدم، لأبى الفضل القرشى، للأمير حسان، لجوشن الفزارى، للأمير هلال النبهانى، لأبى مسلم الخراسانى[2]، لأبى العز النقيب، لعوف الغسانى، لحافظ الكندى، لأبى على النوبى،

(١) أهل مدينة جنوة. انظر صبح الأعشى ٥/٤٠٥.

(٢) عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد فى حماة البصرة=

لسلمان الفارسى[1]، للإمام الطاهر النقى التقى على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله.

وفى الليلة الثانية: حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل، وألبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للأتابك، وحمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم. وجهز السلطان هدية جليلة للملك بركة، وكتب جواب كتابه فى قَطْع النصف فى سبعين ورقة بغدادية[2] بخط محيى الدين بن عبد الظاهر، وهو الذى قرأه على السلطان بحضور الأمراء. وسُلْمت الهدية للأمير فارس الدين أقوش المسعودى، والشريف عماد الدين الهاشمى، فسارا فى يده طريدة فيها عدة رماة وجَرْخِيْة[3] وزراقين[4]، وأشحنت الأزودة لمدة سنة، وسارا سابع عشره. وخرجت النجابة إلى مكة والمدينة بأن يدعى للملك بركة ويعتمو عنه، وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة، وبعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر.

وفى سادس شوّال: توجه السلطان إلى جهة الإسكندرية، فأقام بَتَرُوْجَة[5] أيام ودخل البرية وضرب حلقة فوقع فيها كثير من الصيد. واهتم السلطان بأمر المياه وولى

=(مما يلى أصبهان) عند عيسى ومعقل بن إدريس العجلى، قريباه إلى أن شب. انظر ابن خلكان ١/ ٢٨٠ وابن الأثير ١٧٥/٥ والطبرى ١٥٩/٩ والروض المطار والبدء والتاريخ ٧٨/٦، ٩٥ وميزان الاعتدال ١١٧/٢ ولسان الميزان ٤٣٦/٣ وتاريخ بغداد ٢٠٧/١٠ والذريعة ٣١٨/١ وفى المعارف لابن قتيبة ١٨٥ والأعلام ٣٣٧/٣.

(١) سلمان الفارسى: صحابى: من مقدميهم. كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمرًا طويلاً، واختلفوا فيما كان يسمى به فى بلاده. وقالوا: نشأ فى قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بنى كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من بنى قريظة فجاء به إلى المدينة. وعلم سلمان بخبر الإسلام، فقصد النبى صلى الله عليه وسلام بقباء وسمع كلامه، ولازمه أيامًا. وأبى أن يتحرر بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه. فأظهر إسلامه. وكان قوى الجسم، صحيح الرأى، عالما بالشرائع وغيرها. وهو الذى دلّ المسلمين على حفر الخندق، فى غزو الأحزاب. وله فى كتب الحديث ٦٠ حديثا. ولابن بابوى القمى كتاب «أخبار سلمان وزهده وفضائله» ومثله للجلودى. انظر: طبقات ابن سعد ٤: ٥٣، وتهذيب ابن عساكر ٨٨/٦ والأصابة، وحلية الأولياء ١: ١٨٥ وصفة الصفوة ١: ٢١٠.

(٢) كان الورق البغدادى أجود أنواع الورق وأكبره سعة، وكان مخصوصا لكتابة المصاحف، ولا يستعمل فيما عدا ذلك سوى لمكاتبة كبار الملوك.

(٣) الجرخية جمع جرخى أى رامى الجرخ.

(٤) على هامش ط: جمع زراق، ومعناه هنا رامى النفط من الزراقة.

(٥) هى قرية من كورة البحيرة. انظر معجم البلدان ٨٤٥/١.

أمرها الأخير شجاع الدين الزاهدى أحد الحجاب، وأحضر من الإسكندرية الرجال لحفر الآبار. ثم سار السلطان من تروجة إلى الإسكندرية، وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا قد سبق إليها وحصل جملا كثيرة من المال: منها حمل بلغ خمسة وتسعين لفة من القماش السكندرى، ولم يعامل أحد من أهلها بغير العدل، ولم يضرب بها أحدا بمقرعة. فضرب السلطان خيامه ظاهر المدينة، ونادى ألا يقيم بالثغر جندى ولا ينزل أحد فى دار.

وفى يوم الخميس مستهل ذى القعدة: دخل السلطان إلى المدينة من باب رشيد، فتلقاه الناس بالسرور والفرح والدعاء. واستدعى السلطان بالخزائن والأمتعة، وشرع فى تعبئة ما يعبيه للأمراء على قدر مراتبهم، ورسم بمكتوب يرد مال السهمين وصلة أرزاق الفقراء، وسامح بما كان يؤخذ من أهل الإسكندرية وهو ربع دينار عن كل قنطار يباع من [...(١)...] ولعب بالكرة وخلع على الأمراء، وأعطى الأتابك ثلاثة آلاف دينار وأعطى الأمراء على حسب مراتبهم، وركب لزيارة الشيخ المعتقد محمد بن منصور بن يحيى أبى القاسم القبارى، فلم يمكنه من الطلوع إليه ولم يكلمه إلا وهو فى البستان والشيخ فى عِليته، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبى(٢).

وحضر إلى السلطان رجلان من أهل الثغر: أحدهما يقال له ابن البورى والآخر يعرف بالمكرم بن الزيات، ومعهما أوراق تتضمن استخراج أموال ضائعة فاستدعى السلطان فى يوم الثلاثاء سادسه الأتابك والصاحب والقضاة والفقهاء وأمرت فقرئت وصار كلما ذكر له باب مظلمة سده ويعود على المذكورين بالإنكار، حتى انتهت القراءة. فقال: «اعلموا أنى تركت لله تعالى ستمائة ألف دينار من التصقيع والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النخل فعوضنى الله من الحلال أكثر من ذلك، وطلبت جرائد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة، ومن ترك شيئا لله عَوضه الله خيرا» وأمر بإشهار ابن البورى.

وفى سابعه: قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة وردت إلى الباب العزيز، عدتها فوق الألف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية، فكتب بالإحسان إليهم.

وفى يوم الخميس ثامنه: جلس السلطان بدار العدل، وأمر بتطهير الثغر من الخواطى(٣) الفرنجيات.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) محمد بن سليمان بن محمد المعافرى أبوى عبد الله الشاطبى، ويقال له ابن أبى الربيع: عالم بالقراءات. مولده شاطبة، تفقه وروى الحديث فى الأندلس والشام والحجاز ومصر وانقطع للعبادة فى الإسكندرية فتوفى بها. انظر: نفح الطيب ١/٣٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٣،٢٤٥ والوافى للوفيات ٣/ ١٢٨ والأعلام ٦/١٥٠

(٣) على هامش ط: جمع خاطية، وهى المرأة الداعرة.

وفى ثامن عشره: سار السلطان من الإسكندرية يريد القاهرة، فنزل تروجة وأمر عربانها بالسباق بين يديه، فاجتمه ألف فارس من عرب تروجة، وانضم إليها جملة من خيل العسكر. وعّين السلطان لهم المدى، ووقف على تل، وأوقف الرماح وعليها الثياب الأطلس والعتابى وفيها المال. فأقبلت الخيل، وأخذ كل راكب سَبْق ما فرض له. ثم سار السطان إلى قلعة الجبل، فلما وصل فوض قضاء الثغر للفقيه برهان الدين إبراهيم بن محمد على البوشى المالكى، وكان زاهدا عابدا يأوى إلى مسجد بمصر؛ وفوّض الخطابة لقاضى زين الدين أبى الفرج محمد بن القاضى الموفق بن أبى الفرج الإسكندرى الذى كان حاكما بالثغر.

وفى آخر ذى العقدة: نزل السلطان إلى القاهرة، وعاد الأمير سيف الدين قلاون الألفى، والأمير علاء الدين الحاج أيدغدى الركنى، والأمير حسام الدين بن بركة خان.

وفى ليلة الأربعاء خامس ذى الحجة: توفى الأمير حسام الدين بن بركة خان، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها مع الناس.

وفى سادسه: وصلت التتار المستأمنة، وأعيانهم كَرَمُون وأمطغية ونُركيَه وجَبْرك وقيان وناسيسة وطيشور ونبتو وصبحى وجرجلان واجقرقا وارقرق وكراى وصلاغيه ومتقدم وصراغان. فركب السلطان إلى تلقيهم فنزلوا عند مشاهدته عن خيولهم وقبلوا الأرض وهو راكب فأكرمهم وعادوا إلى القلعة.

وفى ثامنه: خلع عليهم السلطان، ونزل إلى تربة ابن بركة خان. ثم وردت الكتب بقدوم طائفة أخرى، فأحتفل بهم وركب لتلقيهم. ثم وردت طائفة ثالثة، فاعتمد معهم مثل ذلك وأمَّر أكابرهم، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا بأجمعهم.

واتفق أن الأمير بهاء الدين أمير آخور ضرب بعض دلالى سوق الخيل، فمات قلاوون واستتر عنده فدخل قلاوون على الأتابك فى أمره، وأخرج لأولاد الميت من ماله خمسة آلاف درهم ومائة أردب غلة وكسوة، فأبرؤه وأقروا أن أباهم مات بقضاء ا لله وقدره.

ودخل الأتابك إلى السلطان وحدثه فى ذلك، فاشتد غضبه، فقال له الأتابك: «تغضب والشرع معنا! فإن كان قد قتله عمدا أو خطأ فقد أبرأ الأولياء». وتحدث الأمراء فى العفو عنه فعفه، وأمر بعمل جامع من الثياب المفصلة بضرب على يمنة الخيمة السلطانية فعمل ونصبت ؟ وأبرايه وعملت فيه مقصورة برسم السلطان.

وفى هذه السنة: جددت دار العدل تحت قلعة الجبل، وجلس بها السلطان فى يومى الخميس والإثنين لعرض العساكر. وفيها وردت هدية من بلاد اليمن.

وفيها أمر بتنصيب أربعة قضاه نوابا لقاضى القضاه تاج الدين ابن بنت الأعز، فاستناب حنفيا ومالكيا وشافعيا ولم يجد من يستنيبه من الحنابلة فولى نائبا حنبليا.

وفيها جهز السلطان عرب خفاجة بالخلع إلى أكابر أهل العراق، وكتب إلى صاحب شيراز وغيره يغويهم بهولاكو، وألبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة، وجهز معهم الأمير عز الدين إلى شيراز.

وفيها جهز السلطان فى البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين، وعدة أخشاب وغيرها من الآلات، برسم عمارة الحرم النبوى. وعُملت كسوة الكعبة على العادة، وحملت على البغال وطيف بها فى القاهرة ومصر، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة، والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والأئمة. وسفرت إلى مكة فى العشر الأوسط من شوال، وفوضت عمارة الحرم لزين بن البوزى.

وفيها جمع الفرنسيس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط، فأشار عليه أصحابه يقصد تونس أولا، ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازلها حتى أشرف على أخذها، فبعث الله فى عسكره وباءَ هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه، وعاد من بقى منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير الكبير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأركسى الكردى بدمشق.

وتوفى عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسغى الحنبلى، شيخ البلاد الجزرية، بسنجار عن اثنتين وسبعين.

وتوفى علم الدين أبو محمد بن أحمد بن موفق جعفر المرسى اللورى بدمشق، وقد انتهت إليه مشخية الإقراء، عن ستين سنة.

* * *

المحتويات

السلوك
لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الثاني
سنة ٦٦٢هـ - ٧١٧هـ

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة اثنتين وستين وستمائة

استفتح السلطان هذه السنة بالجلوس فى دار العدل فأحضرت إليه ورقة مختومة مع خادم أسود تتضمن مرافعة فى شمس الدين شيخ الحنابلة، أنه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته، لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا فى المدرسة التى أنشاها بجوار قبة الملك الصالح، ولا ولى حنبليا قاضيا، وذكر أشياء فادحة فيه. فبعث السلطان بها إلى الشيخ، فأقسم أنه ما جرى منه شىء، «وإنما هذا الخادم طردته من خدمتى». فقال السلطان: «ولو شَتَمْتَنى أنت فى حل» وأمر فضرب الخادم مائة عصا.

وفى المحرم: نودى بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال، ومنْ فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة وطُلب الطواشى شجاع الدين مرشد الحموى إلى قلعة الجبل، وأنكر عليه السلطان اشتغال مخدومه صاحب حماة باللهو، وقرّر معه إلزام الأجناد بإقامة البزك وتكميل العدد، وكتب له تقليدا وسافر إلى حماة. وقدم للأمير جلال الدين يشكر ابن الدوادار المجاهد دوادار الخليفة ببغداد - وكان قد تأخر حضوره فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه.

وفى يوم الأحد الخامس من صفر: اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب فى إيوانهم. وفُوّض تدريس الحنفية للصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين بن العديم، وتدريس الشافعية للشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين، والتصدير لإقراء القرآن للفقيه كمال الدين المحلى، والتصدير لإفادة الحديث النبوى للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى.

وذكروا الدروس ومدّت الأسمطة، وأنشد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ:-

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى	ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت الظاهر المَلْك همة	بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفرّق	فراقت قلوبا للأنام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه	النفيسة منها فى سرور وفى هنا
وما هى إلا جنة الخلد أزلفت	له فى غد فاختار تعجيلها هنا

وأنشد عدّة من الشعراء أيضا ومنهم السراج الورّاق[١]، والشيخ جمال الدين يوسف ابن الخشاب، فخلع عليهم وكان يوما مشهودا. وجعل السلطان بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة، وبنى بجانبها مكتبا للسبيل، وقرّر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز فى كل يوم والكسوة فى فصل الشتاء والصيف.

وفيه ورد الخبر مع الحاج بأنه خُطب للسلطان بمكة، وأن الصدر جمال الدين حسين ابن الموصلى، كاتب الإنشاء المتوجه إلى مكة، تسلم مفتاح الكعبة وقَفَله بالقفل المسير صحبته، وأباح الكعبة للناس مدة ثلاثة أيام بغير شىء يؤخذ منهم. وفيه قرئ كتاب وقف الخان بمدينة القدس فى مجلس السلطان بقلعة الجبل، وحضر قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قراءته، وكتب به عدة نسخ. ووقف السلطان أيضا اصطبلين تحت القلعة، يعرف أحدهما بجوهر النوبى، على وجوه البر.

وفيه ورد الخبر بأنه رُتّب بمدينة الخليل السماط والرواتب للمقيمين والواردين، وكان قد بطل ذلك من مدة أعوام كثيرة.

وفيه سار السلطان إلى وَسِيم[٢] ومضى إلى الغربية، فصار يسير منفردا فى خفية ويسأل عن والى الغربية الأمير بن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشريه، فذكرت له عنه سيرة سئية، فقبض عليه وأدبه وأقام غيره، وشُكى إليه من ظلم بعض المباشرين النصارى، فأمر به فشُنِق من أجل أنه تكلم بما يوجب ذلك. ودخل السلطان دمياط، ثم عاد إلى أشموم، وسار من المنزلة إلى الشرقية. وفيه سأل الفرنج أن يؤذن لهم فى زراعة ما بيدهم من بلاد الشام وتقويتها بجملة من الغلال، فتقررت الهدنة معهم إلى أيام، وأذن لهم ذلك فزرعوا.

وفى يوم الجمعة حادى عشريه: مات الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور أبو إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان صاحب حمص، عن غير ولد ولا أخ ولا ولى عبد. فبعث السلطان إلى الأمير عز الدين بيليك العلائى أحد الأمراء، فتسلّمها فى سابع عشريه وحلّف الناس بها للملك الظاهر، وتسلم الرحبة أيضا، وبعث السلطان إليها عشرين ألف دينار عينا، وولّى مدينة حران الأمير جمال الدين الجاكى، وولى مدينة الرقة أميرا

---

(١) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق: شاعر مصر فى عصره. كان كاتبا لواليها الأمير يوسف بن سباسلار. له ديوان شعر الكبير، فى سبعة مجلدات، اختار منه الصفدى «لمع السراج - خ»، وله «نظم درة الغواص -خ». و«شرحه - خ» فى أوقاف بغداد. توفى بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢: ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٨: ٨٣ وآداب اللغة ٣: ١٠ والأعلام ٥/ ٦٣.

(٢) هى بلدة من مديرية الجيزة غربى ناحية إمبابة. انظر معجم البلدان ٤/٩٢٩.

آخر. وورد الخبر بأن متملك جزيرة دَهْلَك[١] ومتملك جزيرة مَواكِن[٢]، يتعرضان إلى أموال من مات من التجار فسير السلطان إليها أحد رجال الحلقة رسولا، ينكر عليهما.

وفى هذه السنة: بلغ ثمن القرط[٣] الذى قضمته الخيول السلطانية وجمال المُناخات[٤] بأرض مصر، ما مبلغه خمسون ألف دينار.

وفى هذه السنة: ارتفعت الأسعار بمصر، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز.

وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم، واللحم كل رطل بدرهم وثلث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الوَرق.

ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرنب ونحوه، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق الفول الأخضر.

فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر: نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير، وكتب إلى الأهراء[٥] ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس، ويكون البيع

---

(١) جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يوميمن، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبلا عاليا يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه نارا فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس، ومن هذه الجزيرة يحمل العبيد والإماء من الحبشة إلى سائر الآفاق وأهل اليمن والحجاز ومكة يستحسنون اتخاذ السرارى منهم ويفضلونهن على جميع ما يتخذون، وفى هذه الجزيرة فعاصى اللؤلؤ الجيد. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٤٤ وابن خلكان ٦/ ٣٠٠ وتقويم البلدان ٣٧١ ومعجم البلدان.

(٢) هى سواكن الحالية وتقع على الساحل البحر الأحمر وسواكن هذه بقرب جزيرة عيذاب وهى ذات مرسى ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة ويخرج منها رقيق البجاة والحبشة واللؤلؤ الجيد، وفيها قطاط برية فى عظم الكلب الكبير تؤذى الناس، وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان ١٨٢/٣ الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٣٢ وتقويم البلدان ٣٧ ونخبة الدهر ١٥١.

(٣) القرط هو: الذى تُعْلَفُهُ الدوابُّ، وهو شبيه بالرُّطبة. انظر: لسان العرب (قرط).

(٤) المناخات جمع مناخ، وهى الأمكنة المخصصة لأنواع الجمال السلطانية.

(٥) فى اللسان الأهراء متاع البيت ووقع فى صبح الأعش: الأهراء السلطانية هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتيان الخاصة بالسلطان وهى مثل الشون، غير أنها توضع بها الغلال للطوارئ الاقتصادية أما الشون فيوضع فيها ما يستهلك. انظر: صبح الأعش ٤/ ٣٣.

من ويبتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشترى من يخزن.

ونودى للفقراء فاجتمعوا تحت القلعة، ونزل الحجاب إليهم فكتبوا أسماءهم، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقى فى القاهرة ومصر من الفقراء، وأحضروا عدّتهم فبلغت ألوفا.

فقال السلطان: «والله لو كانت عندى غلة تكفى هذا العالم لفرّقتها».

ثم أخذ ألوفا منهم، وأعطى لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك، وأمر ديوان الجيش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته، وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية، وعزل التركمان ناحية والأكراد ناحية. وأمر أن يعطى كل فقير كفايته مدّة ثلاثة أشهر، وأعطى للتجار طائفة من الفقراء، وأعطى الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله. وأمر أن يُفرّق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا فى كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل خبزا بجامع ابن طولون.

ثم قال السلطان: «هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم وانقضى نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا، ومن غدٍ يتقرر الحال» ففرّق فيهم جملة كبيرة.

وأخذ الصاحب بهاء الدين طائفة العميان، وأخذ الأتابك جماعة التركمان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الطاشى ولا من الحجاب، ولا من الولاة وأرباب المناصب وذوى المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين. وقال السلطان للأمير صارم الدين المسعودى والى القاهرة: «خذ مائة فقير أطعمهم لله». فقال الأمير: «قد فعلتُ ذلك، وأخذتُهم دائما». فقال السلطان: «ذلك فعلتَه ابتداء من نفسك، وهذه المائة خذها لأجلى» فأخذ مائة مسكين أخرى.

وشرع الناس فى فتح المخازن وتفرقة الصدقات، فانحط السعر عشرين درهما الأردب، وقلت الفقراء. واستمرّ الحال إلى شهر رمضان، فدخل المغل الجديد وانحل السعر فى يوم واحد أربعين درهما الأردب.

وفى اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل، رُفعت إليه قصة ضُمان دار الضرب فيها بوقف الدراهم، وسألوا إبطال الدراهم الناصرية، وأن ضمَانهم مبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم، فأمر السلطان أن يحط من ضمانهم مبلغ خمسين ألف درهم، وقال: «لا نؤذى الناس فى أموالهم».

وفى العشرين من ربيع الآخر: كانت زلزلة عظيمة هدمت عدّة أماكن.

وفى ثالث عشريه: رُسم بمسامحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى بما وجب للديوان فى تركة أبيهن - وكان قد مات بدمشق فى رابع عشر المحرم - وهو مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، خارجا عن ماله من الأملاك والغلال والخيل. وكتب السلطان بذلك إلى الشام، وقصد بذلك أن يفهم أمراءه أن من مات فى خدمته وحَفِظ يمينه، ينظر فى أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه.

ومات الأمير شهاب الدين القيمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية، فأعطى ابنه إقطاعه وهو مائة طواش.

ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والى سَرْمِيْن[1] أبقى السلطان إقطاعه بيد إخوته وغلمانه، كل ذلك استجلابا للقلوب.

وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن جمع وسار إلى هرقلة، ونزل على قلعة صَرْخد. فخرج البريد من قلعة الجبل إلى حماة وحمص بالمسير إلى حلب، فخرجوا وأغاروا على عسكر الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستنجدوا بالتتار، فقدم منهم من كان فى بلاد الروم - وهم سبعمائة فارس - فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة الثلج، وقد هلك منهم كثير.

وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسد وامتلأت فوهته بالطين، وقل الماء فى ثغر الإسكندرية بهذا السبب، فسيّر السلطان الأمير عز الدين أمير جاندار فحفره، وبعث الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستادار لحفر بحر جزيرة بنى نصر عند قلة ريها.

وفى جمادى الأول: سافر الأمير سيف الدين بلبان الزينى أمير علم إلى الشام برسم تجهيز مهمات القلاع، وعَرْض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأمراء بتكميل العَدد والعُدة، وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذاكر بما يعتمده، وأن يحمل من دمشق خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها. ورحلت جماعة من عرب خفاجة كانوا قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التتار حتى وصلت غاراتهم باب مدينة بغداد، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز، فأجيبوا وأحسن إليهم. وفيه توجه قصاد إلى الملك بركة، وأسْلَم عالم كبير على يد السلطان من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسرى ومن النوبة القادمين من عند ملكها، ففرّق فيهم فى يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرسا.

---

(١) هى بلدة من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٣/٨٣.

وفى جمادى الآخرة: قبض على جاسوسين من التتار. وتنجز البرج الذى بناه السلطان فى قارّة[1]، وشرع فى بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج.

واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام، وأعدّ ألف قباء تترى وألف سراقوج[2]، ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر ولما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج عسكرها إلى حمص، وخروج عسكر حماة، وألا يخرج عربان الشام فى هذه السنة إلى البرية. فخرجت العساكر، ووالت الغارات من كل جهة، فانهزم الأرمن، ونزل العسكر على أنطاكية فقتل وأسر وغنم، وأغار العسكر أيضا ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا.

وشرع السلطان البناء فى شقيف تيرون، وكان قد خرب من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فلما تم بناؤه حَمل إليه زردخاناه وذخائر، وبعث إلى عسكر الساحل مائتى ألف درهم فرقت فيهم. وورد البريد بأن جماعة من شيراز، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية.

وفى أول رجب: رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسينى مسجدا إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الديوان. فأمر السلطان بردها وعَمَل الجميع مسجدا، وأمر بعمارته، ووقف أحد الجند بيتيم معه ذكر أنه وصيه، فقال السلطان لقاضى القضاة: «إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده، ويُجعل اليتيم من الأوشاقية، فإذا مات اليتيم أخذ الوصى موجوده، أو يكبر اليتيم فلا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجوده، أو يموت الوصى فيذهب مال اليتيم فى ماله، والرأى أن أحدا من الأوصياء لا ينفرد بوصية، وليكن نظر الشرع شاملا، وأموال اليتامى مضبوطة، وأمناء الحكم يحاققون على المضروف». وطلب السلطان نوّاب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك، فاستمرّ الحال عليه

وفى ثالثه: قدم الوافدون من شيراز، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكلك، ومعهم سيف الدين اقتبار الخوارزمى جمدار جلال الدين خوارزم شاه، وغلمان أتابك سعد، وهم شمس الدين سنقرجاه ورفقته. ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح بن شهرى، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق، وكثير من أمراء خفاجة. فتلقاهم السلطان بنفسه، وأعطى سيف الدين بكلك إمرة طبلخاناه، وأحسن إلى سائرهم.

---

(١) هى قرية جنوب حمص، على مسافة ستة وثلاثين ميلا منها، وتقع على الطريق بين حمص ودمشق. انظر: معجم البلدان ٤/١٢، ١٣.

(٢) على هامش ط: هى قلنسوة تترية.

وفى شعبان: أمر السلطان الأمراء والأجناد والمماليك بعمل العدد الكاملة، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك، وكثر الازدحام بسوق السلاح، وارتفع سعر الحديد وأجْر الحدادين وصناع آلات السلاح، ولم يبق لأحد شغل إلا ذلك، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله فى شيء سوى السلاح، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح ونحوه، وتفننوا فى أنواع الفروسية. وورد كتاب أمير المدينة النبوية أنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها فى البيت.

وفى شهر رمضان: تنجزت كسوة قبر النبى ﷺ، وتعيّن سفرها مع الطواشى جمال الدين محسن الصالحى. ووقع الشروع فى تجهيز الشمع والبخور وَالزَّيْت وَالطِّيبِ.

وخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين القيمرى بالغارة على قَيْسَارِيّة[١] وَعَثْلِيث[٢] فساق إلى باب عثليث ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج. وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها.

وفيه جرى السلطان على عادته فى إجراء الصدقات مطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء، فكان يصرف فى كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ، وجرى أيضًا على عادته فى عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين، سوى من أعتقه من مماليكه. وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخيذة كبيرة للمسلمين، فكتب إلى نوّاب الشام بالاجتهاد فى ردّها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيسرى بأن الفرنج ردّوها، وكانت تشتمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشى. فسمع فى ساعة ردها من اختلاف الأصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الأطفال، ما تكاد ترق له الحجارة.

وقدم البريد من البيرة أن صارم الدين بكتاش الزاهدى أغار على باب قلعة الروم مرارا.

وورد كتاب الملك شارل أخى الفرنسيس ملك الفرنج، ومعه هدية وكتاب

---

(١) مدينة بالشام على ساحل البحر كبيرة عظيمة لها ربع عامر وحصن منيع، بينها وبين يافا ثلاثون ميلا، وكانت من أمنع مدن فلسطين، افتتحها معاوية فى خلافة عمر بن الخطاب، فيها الكروم والبساتين وماؤها من العيون، ومنها تسقى كرومهم، وفى سنة سبع ومائة هـ افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة قيسارية عنوة، وتخرج منها فتسير فى رمال مقدار ثمانية فراسخ حتى تنتهى إلى مدينة صور. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٨٦، نزهة المشتاق ١١٥ والمقدسى ١٤٧ واليعقوبى ٣٢٩ وعن فتحها على يد معاوية انظر فتوح البلدان ١٦٧. معجم البلد ٤/٢١٤.

(٢) حصن بساحل الشام بين حيفا وقيسارية. انظر: معجم البلدان ٣/ ٦١٦.

أستاداره: «بأن مندوبه أمرَه أن يكون أمْرُ الملك الظاهر نافذا فى بلاده، وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه».

وفى يوم الجمعة خامس عشريه: قرئ مكتوب فى جامع مصر بإبطال ما قـرّر على ولاية مصر من الرسوم، وهى مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة. وورد الخبر بأن الأشكرى عوَّق الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم من الحيوان، فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة، وسألهم عمن خالف الأيمان وما كتب به الأشكرى، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه، فأخذ السلطان خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حينئذ نسخ أيمان الأشكرى، وقال: «إنه قد نكث بإمساك رسلى، ومال إلى جهة هولاكو». ثم جهز إليه الراهب الفيلسوف اليونانى، ومعه قسيس وأسقف، بحرمانه من دينه، وكتب له كتابا أغلظ فيه. وكتب السلطان أيضا إلى الملك بركة كتابا وسيره إلى الأمير فارس الدين أقوش المسعودى المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكرى أطلقهم لوقته، فساروا إلى الملك بركة.

وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدّة من التتار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر السلطان بجمع الأمراء وأعلمهم بذلك، وقال: «أخشى أن يكون فى مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأى أن نخرج إليهم، فإن كانوا طائعين عاملناهم بما ينبغى، وإلا فنكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شىء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفينى فرس واحد، وجميع ما عندى من خيل وجمال ومال كله لكم ولمن يجاهد فى سبيل الله».

فأشار الأمراء عليه بسلطنة ولده، ليكون مقيما بديار مصر فى غيبته.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر شوال: أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه فى ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه ولم تزل الأمراء والعساكر فى خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من القاهرة رجالة يحملون الغاشية، وقد زينت المدينة أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب: فسار الملك السعيد، والأمير عز الدين أيدمر الحلى راكب إلى جانبه وقد تقرّر أن يكون أتابكه، والنياب الأطلس والعتابى تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل ولم يبق أمير حتى فرش من جهته الثياب الحرير، فاجتمع من ذلك أحمال تفرّقها المماليك السلطانية. وكتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء، وقرئ التقليد المذكور، وشُرع فى ختان الملك السعيد، فأمر السلطان الناس بالتأهب للعرض عليه بالأسلحة وآلات الحرب. وقدمت طائفة من جهة التتار المستأمنة، فكتب السلطان إلى أمراء خفاجة بخدمتهم. وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب. وصار يطلع قبيل الفجر، ويتقدم قليلا قليلا حتى صار يطلع مرتفعا، وأضاء ذنبه كثيرا و لم يتغير عن منزلة الهَقْعَة وبعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل. واستمرّ من آخر رمضان إلى أوّل ذى القعدة، وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم فى الجو، وظهر أيضا فى الغرب مما يلى الشمال، بعد عشاء الآخرة فى ليال عديدة من أخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضيئة شبه الأصابع مرتفعة فى جو السماء. واحمرّت الشمس فى رابع شوّال قبيل الغروب، وذهب ضوؤها حتى صارت كأنها منكسفة إلى أن غربت، فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك.

وأحضر من المقس ظاهر القاهرة طفل ميت، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدى، وُجِد بساحل المقس.

وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل صاحب الكرك، وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة، وإكرامه إياهم وتجهيزه لهم.

وفى أوّل ذى القعدة: جلس السلطان لعرض العساكر عند طلوع الشمس، وقد ملأوا الدنيا، فساق كل أمير فى طلبه وهو لابس لامة حربه، وجرّوا الجنائب وعليها عُدد الحرب، وأمر السلطان ألا يلبس أحد فى هذا اليوم إلا شعار الحرب. فما زال السلطان جالسا على الصُّفَّة التى بجانب دار العدل، والعساكر تسوق وهى لابسة، وديوان الجيش بين يديه، والعساكر تعبر خمسة، ثم عبرت عشرة عشرة. وكاد الناس يهلكون من الزحام وحُمُوّ الحديد، فعبروا بغير حساب. وهلك عدة من الناس فى الزحام، منهم أيبك مملوك الأمير عز الدين أيدمر الحلى، فدفن ثم نبش ودفن فى قبر آخر. فقال فى ذلك القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

ما نقلوا أيبك من قبره ... لحادث كلاّ ولا عن ثبور
لكبه فى يوم عرض قضى ... والعرض لابد له من نشور

وأراد السلطان بركوب العسكر فى يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استعار شيئا، فكان من يعرض يدخل من باب القرافة، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى

الدهليز المضروب هناك. فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقباء أبيض لا غير، وساق فى وسط العساكر اللابسة - ومعه يسيرٌ من سلاح داريته وخواصه - إلى الدهليز، فنزل به ورتب المنازل، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب. ثم إن الناس اهتموا باللعب، ولبَّسوا خيولهم النَّشاهِيْر[١] والبرلسم [٢] البحرية، والمراوات[٣] والأهلة الذهب والفضة، والأطلس الخطابى[٤].

ونزل السلطان وجانبه تجر، فكان منظرا يبهر العيون حسنه. وكان الذى دخل فى المراوات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى. وساق السلطان إلى ميدان العيد وقُدّامه جنائبه، وشَرط لكل أمير يصيب القَبَق[٥] فرسا من الجنائب بما عليه من التشاهير، وخلعة لكل مفردى أو مملوك أو جندى. وساق هو والأمراء، ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرماح بكرة النهار. ونزل السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام، ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرمى النشاب وأعطى وخلع.

وفى هذا اليوم: حضر رسل الملك بركة، فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم، ووقفوا بجانب السلطان يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها. واستمر ذلك أياما.

وفى تاسعه: خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب والحلقة، وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وذوى البيوت، وحضروا بالخلع، واستمر اللعب بقية النهار. فسألت الرسل عن العساكر، هل هى عساكر مصر والشام، فقيل لهم: «هذا عسكر مصر فقط، غير من فى الثغور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص، والمجردين والذين سافروا فى إقطاعاتهم». فكثر تعجّبهم من ذلك.

وفى عاشره: عُمل السماط بقلعة الجبل، وحضر الملك السعيد وفى خدمته أولاد الملوك وأولاد الأمراء. فختن الملك السعيد، ثم ختن ابن الأمير عز الدين الحلى الأتابك، وابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الرومى، وابن الأمير سيف الدين سكز، وابن حسام الدين ابن بركة خان، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة، وابن فخر الدين الحمصى، وعدّة من أولاد الأمراء.

---

(١) هى الأشرطة التى توضع حول صدر الحصان.

(٢) هى السروج الحربية.

(٣) هى قطع المعدن التى يزان بها سرج الحصان.

(٤) هى نوع من أنواع الحرير يصنع فى تبريز. انظر: معجم البلدان ١/ ٨١٢.

(٥) وصف المصنف فى خططه هذه اللعبة ٢/ ١١١ بأنها من ألعاب الرماية.

وكان ذلك بعدما عمل لعدّة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة، فأحضروا فى هذا اليوم وختنوا. ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التى جرت العادة بها للملوك فى مثل هذا المهم، فلم يقدّم أحد من الخاصة شيئا ألبتة.

ولما انقضى هذا المهم خرج السلطان إلى الطَرّانَة(١) وسار إلى وادى هُبَيْب(٢) ونزل الأديرة التى هناك، ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد، وأدركه عيد النحر هناك. وجرد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم، وأحضر هوارة وعرب سليم، وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد، وألا يؤوا أحدا من أهل الفساد. ثم عاد إلى ثغر الإسكندرية، وعمّ المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش، ولعب الكرة بالميدان، وزار الشاطبى. ثم سار إلى القاهرة، فنزل تروجة، ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزار على عرب برقة، وألزمه بجباية زكاة المواشى وأخذ عُشر الزروع والثمار بفريضة الله، فالتزم بذلك. وأنعم عليه بسنجق ونقارات، وتوجه لحفظ البلاد واستخرج الزكاة والعشور من العربان ببرقة.

ووصل السلطان إلى قلعة الجبل، فقدم شِحْنَة تكريت بجماعة. وجهز السلطان الأمير أمين الدين موسى بن التركمانى، ومعه عدة من الرماة والمقاتلة. وخزانة مال وعدة خلع، وكثير من أمراء عربان الكرك وبحريتها، ومبلغ من الغلال والذخائر. فساروا إلى خيبر واستولوا على قلعتها.

وكثر فى هذه السنة قتل الناس فى الخليج، وفُقِد جماعة، والتبس الأمر فى ذلك. ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزينتها ومعها عجوز، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز: «لا يمكنها المصير إلى أحد، ولكن من أرادها فليأت منزلنا»، فإذا وافى الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه. وكانت المرأة فى كل قليل تنتقل من منزل إلى منزل، حتى سكنت خارج باب الشعرية على الخليج. فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرح، فسارت الماشطة معها بالحلى على العادة ومعها جاريتها، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها. وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاتها فأنكروها، فمضت إلى الوالى وعرّفته الخبر، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب، فأقرتا فحبسهما. واتفق أن رجلا خارجا لفقد

---

(١) هى بلدة واقعة على الشاطئ الغربى لفرع رشيد. انظر: الخطط التوفيقية ٣٤/١٣.

(٢) هو وادى النطرون. انظر: الخطط التوفيقية ٤٨/١٧.

أحوالهما، فقُبض عليه وعوقب فدل على رفيقه، فإذا هو صاحب أقمنة طوب فعوقب أيضا. فوجد أنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه فى القمين حتى تحترق عظامه، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى، فسُمِّروا جميعا. ثم انطلقت المرأة بعد يومين، فأقامت قليلا وماتت، ثم عملت الدار التى كانوا بها مسجدا، وهو المعروف بمسجد الخَنّاقة.

وفى هذه السنة: وقف السلطان عدّة قرى بأعمال الشام والقدس، لصرف ريعها فى خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة، ومبلغ فلوس. وأنشأ خانا وفرنا وطاحونا، وجعل النظر فى ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار.

وفيها قبض الأشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم. وسبب وجود عز الدين عند الأشكرى هو اختلافه مع أخيه ركن الدين قلج أرسلان، حتى غلبه أخوه ففر منه، وملك أخوه ركن الدين قلج أرسلان بلاد الروم. فمضى عز الدين إلى الأشكرى، فآواه وأنزله ومن معه من الأمراء، وقام بأمرهم مدّة، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله وأخذ المملكة منه، فقبض عليهم واعتقل عز الدين، وكحل أصحابه كلهم فأعماهم.

وفيها ولى محيى الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدى الشافعى قضاء حلب، عوضا عن ابن عمه كمال الدين أبى بكر أحمد المتوفى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابن شادى صاحب الكرك، مقتولا بقلعة الجبل، عن ثلاثين سنة.

ومات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور بن شيركوه بن شادى صاحب حمص، عن خمس وثلاثين سنة بها، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه.

ومات الأمير حسام الدين لاجين العزيزى الجوكندار بدمشق، عن نحو خمسين سنة.

وتوفى قاضى قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين أبى القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن الحرستانى الدمشقى الشافعى، وهو معزول وبيده خطابة الجامع وتدريس الحديث بالأشرفية، عن خمس وخمسين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان الأسدى الشافعى، المعروف بابن الأستاذ، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفى شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى[1] عن ست وسبعين سنة، فى ثامن رمضان، ومولده فى جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وتوفى الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القبارى بالإسكندرية، عن خمس وسبعين سنة.

* * *

(١) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى الأوسى، شرف الدين، المعروف بابن قاضى حماة: شاعر، فقية. ولد فى دمشق وسكن حماة. وتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ١/٢٨٩ - ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٤ وصلة التكملة للحسينى وتعليقات عبيد، والأعلام ٤/٢٥،٢٦.

سنة ثلاث وستين وستمائة

فى المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد فأقام برسيم، ثم صار إلى العباسية ورمى البندق، وادّعى له جماعة منهم الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث صاحب الكرك. فورد الخبر بنزول التتر على البيرة، فجهز السلطان من فوره الأمير بدر الدين الخازندار على البريد، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام.

وركب السلطان من موضعه وساق إلى القلعة، وكانت الخيول على الربيع، فلم يقم بقلعة الجبل بعد عوده من الصيد غير ليلة. وعين الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت لتقدمة العساكر، ومعه من الأمراء فخر الدين الحمصى، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، والأمير علاء الدين كشتغاى الشمسى، وعدّة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس، فخرجوا من القاهرة جرائد فى رابع شهر ربيع الأول. ثم عين الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير جمال الدين أيدغدى الحاجى، ومعهما أربعة آلاف أخرى، فبرزوا ثانى يوم خروج الأمير عز الدين إيغان إلى ظاهر القاهرة، وساروا فى عاشره.

وفى يوم السبت رابع ربيع الآخر: شرع السلطان فى السفر، وخرج بنفسه فى خامس شهر ربيع الآخر ومعه عساكر كثيرة، فوقع فناء فى الدواب هلك منها عدد كثير، وصارت الأموال مطروحة، والسلطان لا يَقصر فى المسير. فلما شُكى إليه قلة الظهر قال: «ما أنا فى قيد الجمال، أنا فى قيد نصرة الإسلام».

ونزل السلطان غزة فى العشرين منه، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا، فكتم ذلك ولم يعلم به سوى الأمير شمس الدين سنقر الرومى والأمير سيف الدين قلاوون فقط.

وكتب السلطان للأمير إيغان: «متى لم تدركوا قلعة البيرة؟ وإلا سقت إليها بنفسى جريدة»، فساق الأمير إيغان العسكر، ورحل السلطان من غزة، ونزل قريبا من صيداء، فركب للصيد فتقطر عن فرسه وتهشم وجهه، فتجلد ورحل، وأتاه قَسْطِلان يافا بتقادم.

ونزل السلطان بِيُبْنَى فى سادس عشريه، فورد البريد من دمشق وهو فى الحمام

بالدهليز، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان: فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر، صحبة الأمير عز الدين إيغان وجماعة الأمراء - يوم الإثنين، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم، وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها يبنى أربعة أيام، ثم توالت كتب الأمراء بالبشارة، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها. واستشهد على البيرة الأمير صارم الدينبكناش الزاهدى، وترك موجودا كبيرا وبنتا واحدة، فرسم السلطان أن يكون جميع الإرث لها لا يشاركها فيه أحد وكتب السلطان بعمارة ما خرب من البيرة، وحَمْل آلات القتال والأسلحة إليها من مصر والشام، وأن يعبأ فيها كلُ ما يحتاج إليه أهلها فى الحصار لمدة عشر سنين. وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التى ردمها العدو فيه، فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدّة. وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه، وفى يده القَطَّاعَة وقد تجرحت يده. فكتب جوابهم: «إنا بحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم فى ضيق ونحن فى سعة. ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل والنهار، وناقل الأحجار ومرابط الكفار. وقد تساوينا فى هذه الأمور، وما ثَمَّ ما تضيق به الصدور».

وكتب السلطان إلى القاهرة باستدعاء مائتى ألف درهم ومائتى تشريف، وإلى دمشق بتجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف، وحمل جميع ذلك إلى البيرة. وكتب إلى الأمير إيغان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير ومأمور وجندى وعامى، وينفق فيهم المال حتى الحراس وأرباب الضوء، فاعتمد ذلك كله وكتب إلى الديار المصرية بتبطيل المِزْر، وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه، وأن يسقط ارتفاعه من الديوان، «ومن كان له على هذه الجهة شىء نعوضه من مال الله الحلال»، فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر.

ثم ركب السلطان من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد فى غابة أرسوف، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فليحضر، فإن الغابة كثيرة السباع وساق إلى أرسوف وقيسارية، فشاهدهما وعاد إلى الدهليز، فوجد أخشاب المنجنيقات قد أحضرت بصحبة زرد خاناه، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها. وجلس السلطان مع الصناع يستحثهم، فعمل فى يوم واحد أربع منجنيقات كبار سوى الصغار. وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق والصناع والحجارين، ورسم للعسكر بعمل سلالم. ورحل

السلطان إلى قريب عيون الأَسَاوِر[١] من وادى عارَة وعَرْعَرة، فلما كان بعد عشاء الآخر أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب، وركب آخر الليل وساق إلى قيسارية، فوافاها بكرة نهار الخميس تاسع جمادى الأولى على حين غفلة من أهلها، وضرب عليها بعساكره. وللوقت ألقى الناس أنفسهم فى خندقها، وأخذوا السِّكَك[٢] الحديد التى برسم الخيول - مع المَقاوِد والشُّبُح[٣]، وتعلقوا فيها من كل جانب حتى صعدوا، وقد نُصبت المجانيق ورمى بها. فحرقوا أبواب المدينة واقتحموها، ففر أهلها إلى قلعتها، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بالخضراء وكان قد حمل عليها الفرنج العُمُد الصوان، وأتقنوها بتصليب العمد فى بنيانها، حتى لا تعمل فيها النقوب ولا تقع إذا عُلِّقَت، فاستمر الزحف والقتال عليها بالمجانيق والدبابات والزحافات ورمى النشاب. وخرجت تجريدة من عسكر السلطان إلى بيسان مع الأمير شهاب الدين القيمرى، فسيّر جماعة من التركمان والعربان إلى أبواب عكا، فأسروا جماعة من الفرنج.

هذا والقتال مُلِحٌّ على قلعة قيسارية، والسلطان مقيم بأعلى كنسية تجاه القلعة ليمنع الفرنج من الصعود إلى علو القلعة، وتارة يركب فى بعض الدبابات ذوات العجل التى تجرى حتى يصل إلى السور ليرى النقوب بنفسه. وأخذ السلطان فى يده يوما من الأيام ترسا وقاتل، فلم يرجع إلا وفى ترسه عدة سهام.

فلما كان فى ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى: سلم الفرنج القلعة بما فيها، فتسلق المسلمون من الأسوار، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها، وأذّن بالصبح عليها. وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها، وقسّم المدينة على الأمراء والمماليك والحلقة، وشرع فى الهدم ونزل وأخذ بيده قطاعة وهدم بنفسه. فلما قارب الفراغ من هدم قيسارية بعث السلطانُ الأمير سنقر الرومى والأمير سيف الدين المستعرب فى جماعة، فهدموا قلعة كانت للفرنج عند المُلوحة[٤] قريب دمشق - وكانت عاتية - حتى دكوها دكا.

---

(١) هى منزلة قرب قيمون والرملة من أعمال فلسطين. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢١٨.

(٢) السكك جمع سكة، وهى الوتد الذى يربط به مقود الحصان، وكل مسمار عند العرب سَكٌّ. انظر: محيط المحيط ولسان العرب (سك).

(٣) جمع شبحة، هى مدك الشىء بين أوتاد، أو الرحل بين شيئين وهى السلسلة التى يربط بها قدم الحصان فى أحد طرفيها عروة وتزرر فى القدم، وفى طرفها الآخر وزة تدق فى الأرض انظر: محيط المحيط (شبح).

(٤) قرية كبيرة من قرى حلب، وتقع فى الجنوب الشرقى منها. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٦٨.

وفى سادس عشريه: سار السلطان جريدة إلى عثليث، وسيّر الأمير سنقرا السلاح دار، والأمير عز الدين الحموى، والأمير سنقرا الألفى إلى حيفا. فوصلوا إليها، ففرّ الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدّة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا، وخربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها فى يوم واحد، وعادوا بالأسرى والرءوس والغنائم سالمين. ووصل السلطان إلى عثليث فأمر بتشعيثها وقطع أشجارها، فقطعت كلها وخربت أبنيتها فى يوم واحد. وعاد إلى الدهليز بقيسارية، وكمّل هدمها حتى لم يدع لها أثرا، وقدمت منجنيقات من الصبيبة وزرد خاناه من دمشق، وورد عدّة من الفرنج للخدمة، فأكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات.

وفى تاسع عشريه: رحل السلطان من قيسارية، وسار من غير أن يعرف أحد قصده فنزل على أرسوف مستهل جمادى الآخرة، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر، وحفر سربين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقّفه بالأخشاب. وسلم أحدهما للأمير سنقر الرومى، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير شمس الدين الذكر الكركى، وجماعة غيرهم. وسلم الآخر للأمير سيف الدين قلاوون، والأمير علم الدين الحلبى الكبير، والأمير سيف الدين كرمون، وجماعة غيرهم. وعمل السلطان طريقا من الخندقين إلى القلعة، وردمت الأحطاب فى الخندق، فتحيل الفرنج وأحرقوها كلها. فأمر السلطان بالحفر من باب السربين إلى البحر، وعمل سروبا تحت الأرض يكون حائط خندق العدو ساترا لها، وعمل فى الحائط أبوابا يرمى التراب منها وينزل فى السروب حتى تساوى أرضها أرض الخندق. وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك، وولى أمره للأمير عز الدين أيبك الفخرى. فاستمر العمل، والسلطان بنفسه ملازم العمل بيده فى الحفر وفى جر المنجنيقات ورمى التراب ونقل الأحجار، أسوة لغيره من الناس. وكان يمشى بمفرده وفى يده ترس، تارة فى السرب وتارة فى الأبواب التى تفتح، وتارة على حافة البحر يرامى مراكب الفرنج. وكان يجر فى المجانيق، ويطلع فوق الستائر يرمى من فوقها، ورمى فى يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده. وحضر فى يوم إلى السرب وقد فى رأسه خلف طاقة يرمى منها، فخرج الفرنج بالرماح وفيها خطاطيف ليجبذوه[1] فقام وقاتلهم يدا بيد - وكان معه الأمير سنقر الرومى، والأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، فكان سنقر يناوله الحجارة - حتى قتل فارسين من الفرنج، ورجعوا على أسوأ حال. وكان

---

(١) الجبذ لغة فى الجذب عند البصريين، ونحاة الكوفة يعدونه من القلب المكانى. ينظر: المزهر للسيوطى (باب القلب المكانى).

يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشير إليه بأصبعه.

وحضر فى هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس، ولم يعهد فيها خمر ولا شيء من الفواحش. بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء فى وسط القتال، ويعملن فى جَرِّ المجانيق. وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصلحاء، وأعطى الشيخ على البكا جملة مال. ولا سُمِع عن أحد من خواص السلطان أنه اشتغل عن الجهاد فى نوبته بشغل، ولا سيَّر أميرٌ غلمانه فى نوبته واستراح. بل كان الناس فيها سواء فى العمل، حتى أثرت المجانيق فى هدم الأسوار، وفرغ من عمل الأسربة التى بجانبى الخندق، وفتحت فيها أبواب متسعة. فلما تهيأ ذلك وقع الزحف على أرسوف فى يوم الخميس ثامن رجب، ففتحها الله فى ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة. فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلَّقوا وطلعوا القلعة، ورُفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة، وحَفَّت بها المقاتلة وطَرَحت النيران فى أبوابها.

هذا والفرنج تقاتل، فدفع السلطان سنجقه للأمير سنقر الرومى وأمره أن يؤمن الفرنج من القتل، فلما رآه الفرنج تركوا القتال. وسُلِّم السنجق للأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط الحاجب، ودُلِّيت له الحبال من القلعة فربطها فى وسطه والسنجق معه، ورُفع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالحبال وساقهم إلى السلطان والأمراء صفوف وهم ألوف.

وأباح السلطان القلعة للناس، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال ووجد فيها عدَّة من أسرى المسلمين فى القيود فأطلقوا، وقيد الفرنج بقيودهم، وعين السلطان جماعة مع الأسرى من الفرنج ليسيروا بهم، وقسم أبراج أرسوف على الأمراء، وأمر أن يكون أسرى الفرنج يتولون هدم السور، فهدمت بأيديهم.

وأمر السلطان بكشف بلاد قيسارية وعَمَلِ متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطَلَب قاضى دمشق وعدوله ووكيل بيت المال، وتقدم بأن يُمَلِّك الأمراء المجاهدون من البلاد التى فتحها الله عليه ما يأتى ذكره. وكتبت تواقيع كل منهم من غير أن يطلعوا على ذلك، فلما فَرَغت التواقيع فُرّقت على أربابها، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك، ونسخته:

«أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذى رفلت به الملة الإسلامية فى أصفى البرود، وفتحه الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار بالسيف البتار، وأعلمهم لمن عقبى الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والإبكار، فإن خير النعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العدوين، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار، وتقود مَنْ فَضَلَ عن شِبَع السيف الساغب إلى حلقات الإسار، ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا، وفرقة تبقى ما هدم للتتار بالمشرق وتعليه تحصينا، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعا شاهقة وتقسم هضابا سامقة. فهى بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرد سيفا فَفَرَى، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيرا فسار إلى مواطن الظفر وَسَرَى، وكونته السعادة ملكا إذا رأته فى دستها قالت تعظيما له ما هذا بَشَرا. وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتح البلاد، وأعلامه أعلاما من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه آخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها. وإذا عامله الله بلطفه شَكَر، وإذا قدر عفى وأصلح فوافقه القدر، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحات قسمها فى حاضريها لديه متكرما وقال لمن حضر، وإذا خوّله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار، والدماء للبتار، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار. ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة فى الصحائف لصِفَاحِهِ[1] من الأجور، وما تطوى عليه طربات السير التى غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمةَ الثغور».

فتى جعل البلاد من العطا ... فأعطى المدْن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد أرانا ... عيانا ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس ... جميلا كان ما فعل ابتداعا

ولما كان بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات التى أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء النجوم ضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسقا، وكالوَبْل تلاحقا إلى

---

(١) صفح الشىء عُرْضُ وجهه، وصفح السيف وصفحُهُ: عرْضُهُ. انظر: لسان العرب (صفح).

الطاعة وتسابقا، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ، وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم على نفسه، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه، ويبقى للولد منهم وولد الولد، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد، ويعيش الأبناء فى نعمته كما عاش الاباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد. فخرج العالى لازال يشمل الأعقاب والذرارى، وينير إنارة الأنجم الدرارى، أن يُمَلِّك أمراؤه وخواصه الذين يُذكرون، وفى هذا المكتوب يُسطرون، ما يُعَيّن من البلاد والضياع، على ما يُشرح ويبين من الأوضاع، وهو الأتابك فارس الدين أقطاى الصالحى عَتّيل بكمالها، الأمير جمال الدين إيدغدى العزيزى النصف من زِيتا، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى نصف طُورْكَرَم، الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طوركرم، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا، الأمير سيف الدين قلج البغدادى ربع زيتا، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أَفْرَاسِينْ بكمالها، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى باقة الشرقية بكمالها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبى الصالحى نصف قَلَنْسُوَة، الأمير شمس الدين سنقر الرومى نصف قلنسوة، الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى نصف طَيِّبة الاسم، الأمير عز الدين إيغان سم الموت نصف طيبة الاسم، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفَحم بكمالها من قيسارية، الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى بَتان بكمالها، الأمير جمال الدين أقوش المحمدى نصف بُورِين، الأمير فخر الدين ألطنبا الحمصى نصف بورين، الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى نصف بيزّين، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى نصف بيزّين، الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث ثلث حَلْبة، الأمير شمس الدين سلار البغدادى ثلث حلبة، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزبنى الصالحى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إبتامش السعدى نصف يمّا، الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار نصف يمّا، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دَنّابة، الأمير بدر الدين محمد بى ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القُصُوْن بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار نصف الشُوَيْكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التترى نصف الشويكة، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طُبَرْس، الأمير ركن الدين منكورس الديدارى نصف طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمى عَلاّر بكمالها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عَرْعَرَا، الأمير سيف الدين قَفْجَق البغدادى نصف عرعرا، الأمير سيف الدين دكجل

البغدادى نصف فَرْعُوْن، الأمير علم الدين سنجر الأزكشى نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطج الأسدى أَقْتَابَة بكمالها، الأمير حسام الدين إيمتش بن أطلس خان سِيْدا بكمالها، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصُّفْرا بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى نصف أرْقاح، الأمير شمس الدين سنقر الألفى نصف أرقاح، الأمير علم الدين طيبرس الظاهرى نصف باقة الغربية، الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية، الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكمالها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أَخْصاص بكمالها، الأمير ركن الدين بيبرس المغربى نصف قَفّين، الأمير شجاع الدين طغربل الشبلى أمير مهمندار نصف كفر راعى، الأمير علاء الدين كندغدي الحُبيشى مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعى، الأمير شرف الدين بن أبى القاسم نصف كسفا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كسفا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستادار العالية نصف بَرْنِيْكِيَّة، الأمير علم الدين سنجر الحلى الغزاوى نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانُوْتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركنى فَرْدِيْسِيَا بكمالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الكرك ثلث حَبْلَة من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومى ثلث حبلة، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهرى ثلث حبلة، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ثلث جُلْجُوْلِيَّة، الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومى ثلث جلجولية.

وكُتب من كتاب التمليك الشرعى الجامع نسخ، وفُرّقت على كل أمير نسخة، وخُلع على قاضى دمشق وعاد إلى بلده. ونُقلت المنجنيقات إلى القلاع، وهى الكرك وعجلون ونحوهما.

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمهما فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شهر رجب إلى غزة وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلى نائب السلطنة إلى لقائه ببركة الحجاج، فلقوه هناك. ودخل السلطان من القاهرة فى يوم الخميس حادى عشر شعبان والأسرى بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصمد إلى قلعة الجبل فاستراح. وعَرَض ما حصّله الأمير عز الدين الحلى، والصاحب بهاء الدين بن حنا من الخزائن، ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى، ولا أحدا من خواصه ولا بَزْدَارِيته، وبردِدَارِيَّته وسائر حواشيه، حتى عمَّ الجميع بالخلع وأحسن إلى رسل الملك بركة، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور بالبشارة، وأخرج جملة من الدراهم والغلة والكساوى تصدّق بها على الفقراء.

وكان قد كثر الحريق بالقاهرة ومصر فى مدّة سفر السلطان، وأشيع أن ذلك من النصارى. ونزل بالناس من الحريق فى كل مكان شدّة عظيمة، ووُجد فى بعض المواضع التى احترقت نفط وكبريت. فأمر السلطان بجمع النصارى واليهود، وأنكر عليهم هذه الأمور التى تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم. فجَمع منهم عالم عظيم فى القلعة، وأحضرت الأحطاب والحَلْفَاء، وأمر بإلقائهم فى النار، فلاذوا بعفوه وسألوا المنّ عليهم. وتقدم الأمير فارس الدين أقطاى أتابك العساكر فشفع فيهم، على أن يلتزموا بالأموال التى احترقت، وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار. فأفرج عنهم السلطان، وتولى البطرك توزيع المال، والتزموا ألا يعودوا إلى شيء من المنكرات، ولا يخرجوا عما هو مرتّب على أهل الذمة، وأطلقوا.

وكان الأمير زامل بن على لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة. فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طيبرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية، وحُمل إلى قلعة عجلون. ثم نُقل إلى القاهرة واعتقل، ثم أفرج عنه وصار يلعب مع السلطان فى الميدان، وحضر الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا وأحمد بن حجى[1] والأمير هارون، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل، وردّ على زامل إقطاعه وإمرته، وأذن لهم فى السفر. فساروا حتى دخلوا إلى الرمل، فساق زامل وهجم على بيوت عيسى وأفسد، وقبض على قصّاد السلطان المتوجهين إلى شيراز، وأخذ منهم الكتب وسار بها إلى هولاكو وأطمعه فى البلاد، فأعطاه هولاكو إقطاعا بالعراق.

وسافر زامل إلى الحجاز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام، وكان السلطان قد أعطى إقطاعه لأخيه أبى بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو، فقرر السلطان معه الحضور إلى مدة عيّنها له، وأنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا أيمان فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلعة الجبل.

وفى خامس عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطى، فلما حضر قال السلطان له: «أضجرتنى مما تقول. عندى مصالح لبيت مال المسلمين، فتحدث الآن بما عندك». فتكلم القرطى فى حق قاضى القضاة، وفى حق صاحب سواكن، وقال: إن الأمراء الذين ماتوا أخذ ورثتهم أكثر من حقوقهم. فأمر السلطان

---

(١) أحمد بن حجى بن بريد البرمكى، شهاب الدين، أمير آل مرى فى بادية الشام . توفى فى بصرى بالشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٣ والأعلام ١/ ١١٠.

بإحضار زيَار[١]، وأراه لمن حضر وقال: «من يصبر على هذا الزيار يُسْتَكْثَر عليه إقطاع، أو يستكثر على ورثته موجود يخلفه لهم؟»، وأنكر عليه وأمر به فحبس وتحدث السلطان فى أمر الجند، وأنهم إذا كانوا فى البيكار وفى مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيُشْهِد أحدهم أصحابه عند موته، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم، وتضيع أموال الناس بهذا السبب. وقال: «الرأى أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير ليسمع قوله، وكل مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، لتسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس». فسرّ الأمراء بذلك، وشرع قاضى القضاة فى اختيار الناس الجياد من الجند لذلك.

وجلس السلطان فى تاسع عشريه بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن فى شىء من الأملاك الديوانية لا يُمَكن من الخلو، فأنكر السلطان ذلك وأمر بتمكين الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة. ووردت رسل الأنبرور، ورسل الملك الأشكرى، بالهدايا.

وفى سابع شهر رمضان: قدمت العساكر من البيرة، مع الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير عز الدين إيغان. وقدمت هدية ملك الكرج. وورد الخبر باستيلاء عز الدين الكندرى نائب الرحبة على قرقيسياء[٢]، وقتلوا من كان فيها من التتر والكرج، وأسروا نيفا وثمانين رجلا فى نصف شهر رمضان.

وفيه رسم بتحصيل المراكب لتفرق فى بحر أشموم، فلما كان ثانى شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه، وقسم عمل البحر على الأمراء، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده فوقع الاجتهاد فى الحفر، واستمر السلطان على العمل بنفسه فى كل يوم، وصار يركب فى المراكب وتُفَرّق المراكب قدامه. فتنجّز العمل فى ثمانية أيام، وتكامل الحفر فى بحر أشموم، وفى الجهة التى من ناحية جَوْجَر[٣] وسار السلطان إلى منزلة ابن حسون، وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشريه.

---

(١) شىء يجعل فى فم الدابة إذا استصعبت لتنقاد وتذل، وهى - أيضا - آلة حربية تشبه القوس الذى يرمى به البندق. انظر: لسان العرب.

(٢) كورة من كور ديار ربيعة بين الحيرة والشام، وفى الجانب الشرقى من الفرات، فتحها عنوة عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، وإلى قرقيسيا فر زفر بن الحارث العامرى ثم الكلابى بعد وقيعة مرج راهط وكان مع الضحاك بن قيس الضهرى. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٥٥- معجم ما استعجم ٣/ ١٠٦٦.

(٣) بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٧٨.

ورسم بإبطال حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة، وكتب توقيع بإبطالها، وكتب أيضا بمسامحة الأعمال الدقهلية والمرتاحية أربعة وعشرين ألف درهم نقرة عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى[1] وتوجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عُمَر اعتمر بها عنه بمكة، عُمِلت فى أوراقَ مذهبة، وشىء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.

وفى آخره: نزل بالسلطان وعك، فدارى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا.

وفى ذى القعدة: قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكرى. وكان الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى يكره قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ويضع من قدره ويحطّ عليه عند السلطان، بسبب تشدّده فى الأحكام وتوقّفه فى القضايا التى لا توافق مذهبه. فاتفق جلوس السلطان بدار العدل فى يوم الإثنين ثانى عشر ذى الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضى القضاة بدر الدين السنجارى فى حياته، فلما مات ذكر ورثته أنها وقف. فعندما قُرئت أخذ الأمير أيدغدى يحط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضى تاج الدين: «يا قاض! هكذا تكون القضاة؟». فقال تاج الدين: «يا مولانا! كل شاة معلقة بعُرقوبها». قال: «فكيف الحال فى هذا؟» قال: «إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة». فقال السلطان: «فإذا لم يكن مع الورثة شىء؟» قال القاضى: «يرجع الوقف إلى أصله، ولا يستعاد الثمن». فغضب السلطان من ذلك، وما تمّ الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال: «يا مولانا السلطان! سألتُ هذا القاضى أن يسلم إلى مبلغ ربع الوقف الذى تحت يده، لينفقه صاحب المدينة فى فقراء أهلها، فلم يفعل». فسأل السلطان القاضى عما قاله، فقال: «نعم». قال السلطان: «أنا أمرتُه بذلك فكيف رددتّ أمرى؟» قال: «يا مولانا! هذا المال أنا متسلمه وهذا الرجل لا أعرفه، ولا يمكننى أن أسلمه لمن لا أعرفه، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته، فإن كان السلطان يتسلمه منى أحضرته إليه». فقال السلطان: «تنزعه من عنقك وتجعله فى عنقى؟» قال: «نعم». قال السلطان: «لا تدفعه إلا لمن تختاره». ثم تقدم بعض الأمراء وقال: «شهدت عند القاضى فلم تسمع شهادتى فى ثبوت الملك وصحته»، فسأل السلطان القاضى عن ذلك فقال: «ما شهد أحد عندى حتى أثبته»، فقال الأمير: «إذا لم تسمع قولى فمن تريد؟» قال السلطان: «لم لا سمعت قوله؟» فقال: «لا حاجة فى ذكر ذلك». فقال الأمير أيدغدى: «يا قاضى! مذهب الشافعى لك، ونولى من كل مذهب

---

(١) اسم موضع قرب فم خليج الإسكندرية.

قاضيا». فصغى السلطان لقول أيدغدى وانقضى المجلس، إلى أن كان يوم الإثنين تاسع عشره، ولى السلطان القاضى صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الأذرعى الحنفى(١) مدرس المدرسة الصالحية، والقاضى شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح ابن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب السبكى المالكى، والقاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلى(٢) ليكونوا قضاة القضاة بديار مصر، وجعل السلطان لهم أن يولوا فى سائر الأعمال المصرية، مضافا لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وأبقى على ابن بنت الأعز النظر فى مال الأيتام والمحاكمات المختصة ببيت المال، وكتب لكل منهم تقليدا وخلع عليهم. فصار بديار مصر قضاة القضاة من حينئذ أربعة، يحكم كل منهم بمذهبه، ويلبس كل منهم الطرحات(٣) فى أيام الخدمة السلطانية. ورسم السلطان أيضا لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم بخطابة القاهرة.

وفى رابع عشرى ذى الحجة: قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الرومى واعتقل، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد، فاحتجب عن الاجتماع بالناس، وفيها تولى الأمير نور الدين على بن مجلى المكارى نيابة حلب، عوضا عن أيدكين الشهابى.

وفيها نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متنكرا، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعرّاها سروالها بيده، ولم يجسر أحد ينكر عليه. فلما أصبح السلطان قطع أيدى جماعة من نوّاب الولاة والمقدمين، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة.

---

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم. من أهل أذرعات (بقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة فى أيام الظاهر بيبرس. ثم استعفاه من القضاء بالقاهرة، وعاد إلى دمشق. فدرس بالظاهرية. وولى القضاء قبل وفاته. فباشر مدة ثلاثة أشهر. ومات بدمشق. انظر: الدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٨١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧ ومرآة الجنان ١٨٨/٤ وفهرست الكتبخانة ١٤٨/٣ والفوائد البهية ٨٠ والأعلام ١٣٨/٤.

(٢) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٣٥٣/٥ والأعلام ٢٩٦/٥، ٢٩٧.

(٣) جمع طرحة، وهى من مميزات لباس قضاة القضاة فى عصر المماليك بمصر.

وفيها ولى السلطان إمرة عرب آل فضل لعيسى بن مهنا، فسار وطرد التتار عن البيرة وحران[١]، وفيها هلك القان هولاكو بن طولوخان بن جنكيزخان - فى تاسع عشر شهر ربيع الأول بالقرب من كورة مراغة - بالصرع، عن نيف وستين سنة، منها مدّة سلطته عشر سنين. وقام من بعده ابنه أباغا، وجهز جيشا لحرب الملك بركة خان، فانهزم هزيمة قبيحة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الباروقى، نائب السلطنة بديار مصر ودمشق، وهو معزول بالقصير[٢] من عمل مصر، عن أربع وستين سنة.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، وهو معروف، بالقاهرة عن نيف وستين سنة.

وتوفى نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصرى المغربى، قاضى سيوط بها.

* * *

---

(١) مدينة من ديار مصر، قديمة عتيقة لا يدرى متى بنيت ويقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام ويقال هارن وإليه تنسب حران. وهى من غر البلاد لكنها قليلة الماء والشجر ولها رساتيق وعمارات وموضعها فى مستوى من الأرض يحيط بها جبل شامخ مسافة يومين. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩١، ١٩٢ ونزهة المشتاق ٢٠٠ وابن حوقل ٢٠٤ والكرخى ٥٤ والمقدسى ١٤١، وابن جبير ٢٤٤: ٢٤٧.

(٢) موضع قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٤/٣٦٧.

سنة أربع وستين وستمائة

فى المحرم: عقد الأمير سيف الدين قلاوون عنده على ابنة الأمير سيف الدين كرمون التترى الوافد. فنزل السلطان من قلعة الجبل، وضرب الدهليز بسوق الخيل، عندما دخل الأمير قلاوون عليها. وقام السلطان بكل ما يتعلق بالأسمطة، وجلس على الخوان، ولم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاوون الخيل وبقج الثياب، وأرسل إليه السلطان تعابى[1] قماش وخيلا وعشرة مماليك، فقبل قلاوون المتقدمة واستعفى من المماليك، وقال: «هؤلاء خوشداشيتى فى خدمة السلطان»، فأعفى.

وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة تقاليد: أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا الحنفى قاضى القضاة، والآخر بتقليد زين الدين أبى محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوى[2] المالكى قاضى القضاة المالكية، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى[3] قاضى القضاة الحنابلة. فصار بدمشق أربعة قضاة، وكان قاضى القضاة الشافعى شمس الدين أحمد بن خلكان، فصار الحال كما هو بديار مصر، واستمر ذلك. واتفق أنه لما قدمت عهود القضاة الثلاثة لم يقبل المالكى ولا الحنبلى، وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك، وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن لم يفعلا، فأجابا. ثم أصبح المالكى وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية على القضاء. وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين:

أهل دمشق استرابوا   من كثرة الحكام

---

(١) هى جمع تعبية ويقصد بها قطع من قماش. انظر: صبح الأعشى ٤/ ٤٢.

(٢) عبد السلام بن على بن عمر بن سيد الناس، أبو محمد الزواوى المالكى: أول من ولى قضاء المالكية بدمشق، لما صار القضاة أربعة. وانتهت إليه رياسة الإقراء فيها. ولد بباجة، وانتقل شابا إلى مصر، ثم استقر بدمشق سنة ٦١٧هـ . وتوفى بها. انظر: غاية النهاية ٣٨٦/١ والأعلام ٤/ ٦.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الجماعيلى الحنبلى، أبو الفرج شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفى فى دمشق. وهو أول من ولى قضاء الحنابلة. استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه «معلوما» ثم عزل نفسه. انظر: المقصد الأرشد والنجوم الزاهرة ٣٥٨/٧ وفوات الوفيات ٢٦٢/١ والذيل على طبقات الحنابلة ٣٠٤/٢ والأعلام ٣٢٩/٣.

إذ هـم جميعـا شمـوس وحالهـم فـى ظـلام

وقال الآخر:

بدمشق آيـة قـد ظهـرت للنـاس عامـا
كلمـا وُلِّـى شمـس قاضيـا زادت ظلامـا

وكان استقلالهم بالقضاء فى سادس جمادى الأولى.

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسل الفنش، ورسل ملوك الفرنج، ورسل ملك اليمن، ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية. فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية، إفسادا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزا لمن اكتفى شرّهم بالهدية.

وفى ثامن صفر: كانت وقعة بين الأمير علم الدين سنجر الباشقردى نائب حمص، وبين البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس، انهزم فيها الفرنج. وفيه كُتب إلى دمشق بعمل مراكب، فعُملت وحملت إلى البيرة. وفيه توجّه السلطان إلى الإسكندرية، واهتم بحفر خليجها وباشر الحفر بنفسه، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس، حتى زالت الرمال التى كانت على الساحل بين النقيدى وفم الخليج، ثم عدى السلطان إلى بر أبْيار[1]، وغرّق هناك عدّة مراكب، وألقى فوقها الحجارة، ثم عاد إلى قلعة الجبل، وحفر بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشاة بجوار جرف الروضة، وجهز المحمل وخلع على المتوجّه به إلى الحجاز، وهو الأمير جمال الدين [...[2]...] نائب دار العدل، وسيّر معه مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله ﷺ، وسُيّرت الغلال لجرايات الصناع.

وفى جماد الأولى: قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى، قد افْتكّهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق. فحضر عدّة من النساء والأطفال، فسيّرت النساء إلى دمشق ليزوِّجهن القاضى من أكفائهن. وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهمندار الصالحى لبناء جسر على نهر الشَّرِيْعَة، ورسم لنائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف. وفيه كمل بناء الدار الجديدة عند باب السر المطل على سوق الخيل من قلعة الجبل، فعمل بها دعوة للأمراء.

وفى جمادى الآخرة: سار الأمير أقوش السفيرى، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التى فرضها الله وأخذ منهم الحقوق.

---

(١) هى بلدة من مديرية الغربية بقسم محلة منوف. انظر: الخطط التوفيقية ٨/ ٢٨.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى ثالث رجب: اهتم السلطان بأمر الغزو، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم، فتأخروا. فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال، فعلّقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد، فحضروا بأجمعهم.

وخرج السلطان فى مستهل شعبان، ورحل فى ثالثه وسار إلى غزة. وقدم الأمير أيدغدى العزيزى، والأمير قلاوون، فى عدّة من العسكر إلى العوجاء. ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منعهم. وسار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد، وأخذوا قلعة عرْقَة[1] وحَلْبَاء والقُلَيْعات[2] وهدموها، فلما ورد الخبر بذلك جرّد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار، والأمير عز الدين أوغان، فى عدّة من العسكر إلى صور فأغاروا على الفرنج، وغنموا وأسروا كثيرا. وتوجه الأمير إيتامش إلى صيداء، وصار السلطان إلى مدينة عكا، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير بدر الدين بيسرى إلى جهة القَرْن[3]، وأرسل الأمير فخر الدين الحمصى إلى جبل عاملة. فأغارت العساكرعلى الفرنج من كل جهة، وكثرة المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشترى البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف. ونزل عسكر السلطان على صور، وأقام السلطان فى جهة عكا، والأمير ناصر الدين القيمرى فى عثليث، فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث فى الصلح. فاهتم السلطان بأمر صفد، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بالدهليز السلطانى ونزل على صفد، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان فى جماعة، وحاصروها.

هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدّة مجانيق. ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول. ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفد يوم الإثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسول الفداوية، ورسول صاحب بيروت، ورسل صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون. وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من

---

(١) بكسر أوله موضع من ثغور مرعس من بلاد الروم. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٠٩ ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٣٤، ومعجم البلدان عرقة: بلد من العواصم بين رفنية وطرابلس وعرقة بفتح العين وهى من نواحى الروم.

(٢) اسم حصن قرب طرابلس.

(٣) إحدى قرى دمشق.

دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد - وقد عجزت الجمال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء، لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجَرَّ الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجرّ، وهو لا يسأم من الجرّ ولا يبطله، إلى أن نُصبت المجانيق رُمى بها فى سادس عشريه، وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهى ترمى.

وأتت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمرى للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان بألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غِرَّة العسكر ونودى يوم عيد الفطر فى الناس: «من شرب خمرا أو جلبها شُنق».

وفى ثانيه: وقع الزحف على صفد، ودفع الزرّاقون النفط. ووعد السلطان الحجارين أنه من أخذ أوّل حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثانى والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قُتل جَرَّه رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان فى هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يُجرح من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.

وفى ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا مَقَاتل.

وفى ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فتفرق الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسَّوْق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس، وقال: «المسلمون عل هذه الصورة، وأنتم تستريحون؟»، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيّدهم وسجنهم بالزردخاناه، ثم شُفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضُربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شىء من الفِضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وُجد مع أحد منهم شىء من ذلك انتقض العهد.

ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره، ثم طلعت السناجق الإسلامية، وكان لطلوعها ساعة مشهودة. هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم، فوجد معهم ما يناقض الأمان من

السلاح والفضيات، ووجد معهم عدّة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى. فأخذ ما وُجد معهم وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا فى خيمة ومعهم من يحفظهم. وتسلم المسلمون صفد، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطورى، وجعل الأمير عز الدين العلائى نائب صفد، فلما أصبح حضر إليه الناس، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم، وأنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم، وقال: «من هذا الوقت نتحالل»، وأمرهم فركبوا. وأُحضرت خيالة الفرنج وجميع من صفد، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين: أحدهما الرسول، فإنه اختار أن يقم عند السلطان ويسلم، فأسلم وأقطعه السلطان إقطاعا وقرّبه، والآخر تُرِك حتى يخبر الفرنج بما شاهده. وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وفرق على الأمراء العدد الفرنجية والجوارى والمماليك، ونقل إليها زردخاناه من عنده، وحمل السلطان على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة، فتشبه به الناس ونقلوا الزردخاناه فى ساعة واحدة. واستدعى السلطان الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقرّر نفقة رجال القلعة فى الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة واستخدم على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا فى القلعة وجامعا بالربض ووقف على المجنون نصف وربع الحباب[1]، وللربع الآخر على الشيخ إلياس، ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بحمص.

وفى سابع عشريه: رحل السلطان من صفد إلى دمشق، فنزل الجسورة وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير إلى سِيْس[2] ودخل السلطان إلى دمشق جريدة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فأخرجهم مُكتّفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدّما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوغان، والأمير قلاوون، فساروا فى خامس ذى القعدة إلى سيس.

وفى ثالث ذى القعدة: مات كرمون أغا.

وفى ثامنه: أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاتها وأرباب مناصبها بالتشاريف، ونظر فى أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التى كانت للناس.

وفى عاشره: جلس الأتابك – هو والأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق – لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص، بدار السعادة. وخرج السلطان للصيد

(١) هى إحدى بلاد وادى القرى، بين دمشق والمدينة. انظر: معجم البلدان ٨١/٤.

(٢) هى عاصمة أرمينية الصغرى، موقعها بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٣.

فضرب عدّة حلق، وسار إلى جَروْد[١] ثم إلى أَفَامِيةَ[٢]، وجهزّ السلطان إلى مصر شخصا كان قد حضر إلى دمشق و ادّعى أنه مبارك بن الإمام المستعصم وصحبته جماعة من أمراء العربان، فلم يعرفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطواشى مختار، وتبين كذبه فسير إلى مصر تحت الاحتياط، وجهّز السلطان بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر أنه من أولاد الخلفاء، فسُيِّر إلى مصر أيضا، وكان قد وصل إلى دمشق فى ذى القعدة.

وفيه استولى السلطان على هُونَيْن[٣] وتِبْنين وعلى مدينة الرملة، فعمرها وصيّر لها عملا وولّى فيها. وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة، وأمر بتأديب من أكلها، وقدم رسول الاسبتار ملك الفرنج، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة، فقال السلطان: «لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة وهى أربعة آلاف دينار، وما لكم من القطيعة على بلاد أبى قبيس[٤] وهى ثمانمائة دينار، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهى ألف ومائتا دينار ومائة مدّ حنطة وشعير نصفين». فأجابوا إلى إبطال ذلك، وكتبت الهدنة وشُرط فيها الفسخ للسلطان متى أراد، ويعلمهم قبلُ بمدّة. وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين فى طين[٥]شيحا فشنقوهم، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج، فقتلت العساكر منهم فوق المائتين، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا. وورد كتاب والى قوص[٦] أنه وصل إلى عيذاب، وبعث عسكرًا إلى سواكن، ففر صاحب سواكن، ففر صاحب سواكن، وعادوا إلى قوص وقد تمهدت البلاد، وصارت رجال السلطان بسواكن.

وفى يوم الإثنين النصف من ذى الحجة: جلس الأمير عز الدين الحلى نائب السلطنة بديار مصر، ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة، بدار العدل على العادة: وإذا بإنسان يخرق الصفوف - وبيده قصة - حتى وقف قدام الأمير، ووثب عليه بسكين

---

(١) إقليم من أعمال غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ٢/١٣٠.

(٢) هى إحدى بلاد حمص. انظر: معجم البلدان ١/٣٢٣.

(٣) هى بلد فى جبال عاملة قرب بانياس. انظر: معجم البلدان ٤/٩٩٦.

(٤) حصن فى مقابلة شيزر. انظر: معجم البلدان ١/١٠٣.

(٥) المقصود هنا الأرض الزراعية الواقعة قرب جبل شيحان.

(٦) مدينة مصرية كبيرة فى البلاد المصرية فى الجهة الشرقية من النيل، و هى أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل وبينها وبين أسوان غيران منحوته فى جبال. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٨٤ والإدريسى ٤٩.

أخرجها من تحت ثيابه، وطعنه فى حلقه. فأمسك الأمير بيده فجرحها، ورفسه برجله ونام على ظهره، فوقع الجرم وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى، أو يضرب الصاحب، فرجعت السكين فى فؤاد الأمير صارم الدين المسعودى، فمات من ساعته، فقام الأمير فخر الدين والى الجيزة وقبض عليه ورماه، فوقع على قاضى القضاة، وأخذته السيوف حتى هلك. وحُمل الأمير عز الدين الحلى إلى داره بالقلعة، وحضر المزينون إليه فوجدوا الجرح بين البلعوم والمنحر، وكان الذى ضربه جندارٌ به شعبة من جنون، وتعاطى أكل السمنة فقوى جنه وكتب بهذا الحادث إلى السلطان، فوافاه الخبر وهو راجع من أفامية، فشق عليه ذلك وقال: «والله يهون على موت ولدى بركة، ولا يموت الحلى». فقال له الأتابك: «يا خوند! والله طيبتَ قلوبنا إذا كنت تشتهى لو فديتَ غلاما من غلمانك بولدك وولى عهدك». ثم ورد الخبر بعافية الحلى مع مملوكه، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألف دينار، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودى.

وأما الملك المنصور ومن معه، فإنهم ساروا إلى حصن دَيْر بساك[١] ودخلوا الدّرْبَنْد[٢]، وقد بنى التّكَفُوْر[٣] هيتوم بن قسطنطين بن باساك ملك الأرمن على رءوس الجبال أبراجا - وهو الذى تزهّد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون - فاستعدّ ووقف فى عسكره، فعندما التقى الفريقان أسِر ليفون ابن ملك سيس، وقتل أخوه وعمه، وانهزم عمه الآخر، وقتل ابنه الآخر، وتمزق الباقى من الملوك - وكانوا اثنى عشر ملكا - وقُتلت أبطالهم وجنودهم. وركب العسكر أقفيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق، وأخذ العسكر قلعة حصينة للديوية[٤]، فقُتلت الرجال وسُبيت النساء وفرّقت على العسكر وحُرقت القلعة بما فيها من الحواصل. ودخلوا سيس فأخرجوها وجعلوا عاليها سافلها، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون. وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم، والأمير قلاوون إلى المصيصة وأذنة[٥] وأياس وطرسوس، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا هذا وصاحب حماة مقيم بسيس، ثم عادوا إليه و قد اجتمع معهم من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، حتى أبيع رأس البقر بدرهمين و لم يوجد من يشتريه.

---

(١) موقع قرب أنطاكية. انظر: معجم البلدان ٦٤٦/٢.

(٢) لفظ فارسى ومن معانيه المضايق والطرقات والمعابر الضيقة.

(٣) لفظ أرمنى معناه الملك المتوج.

(٤) لعلها قلعة العامدين وهى حصن بأرمينية الصغرى.

(٥) واد من أودية القبلية. انظر: معجم البلدان ٢٨٠/١.

فورد الخبر بذلك والسلطان فى الصيد بجرود، فأعطى المبشر ألف دينار وإمرة طبلخاناه. ودخل السلطان إلى دمشق، وتجهز وخرج للقاء العسكر فى ثالث عشر ذى الحجة فشكى إليه وهو بقارا[١] من أهلها وهم نصارى: أنهم يتعدون على أهل الضياع، ويبيعون من يقع إليهم إلى الفرنج بحصن عكا، فأمر العسكر بنهبهم فنهبوا، وقتل كبارهم وسبى النساء والأولاد، وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس، وقدموا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره، وأحسن إلى متملك سيس ومن معه من الأسرى. وعاد السلطان إلى دمشق فى رابع عشريه - ومتملك سيس بين يديه - وخلع على الأمراء والملوك والأجناد، فامتلأت بالمكاسب، وأبيع من الجواهر والحلى والدقيق والحرير ما لا يحصى كثرة، ولم يتعرض السلطان لشىء من ذلك، وعاد صاحب حماة إلى مملكته، بعد ما أنعم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال والخلع.

وفيها قدمت رسل الملك أبغا بن هولاكو بهدايا وطلب الصلح وفيها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات، فجُمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة، ونُقلوا إلى مدينة الفيوم وأفْرِدت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم، فلم يستقرّوا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر، وأراق الخمور وعفّى آثار المنكرات، ومنع الحانات والخواطئ بجميع أقطار مملكته بمصر والشام، فطهرت البقاع من ذلك. وقال القاضى ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبى بكر بن قاسم بن مختار بن المنير[٢] قاضى الإسكندرية، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات:

ليس لإبليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه
حَرَمْتَهُ الخمرَ والحشيشَ معا ... حَرَمْتَهُ ماءه ومرعاه

وقال أبو الحسين الجزار:

قد عُطِّل الكوب من حَبابه ... وأخْلِىَ الثغر من رِضابه
وأصبح الشيخ وهو يبكى ... على الذى فات من شبابه

وفيها قدم علىٌّ بن الخليفة المستعصم من الأسر عند التتار.

* * *

---

(١) تقع هذه البلدة على الطريق من دمشق إلى حمص. انظر: معجم البلدان. ٤/ ١٢، ١٣

(٢) ابن المنير السكندرى (٦٢٠ - ٦٨٣هـ = ١٢٢٣ - ١٢٨٤م) أحمد بن محمد بن منصور من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولى قضاءها وخطابتها مرتين. انظر: فوات الوفيات ١/ ٧٢ والأعلام ١/ ٢٢٠.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى، بعد فَتْح صفد.

وتوفى الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبى الغنائم سالم ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى، ناظر الدواوين بها، عن تسع وستين سنة.

وتوفى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقانى المقدسى الشافعى، المحدث الأديب.

* * *

سنة خمس وستين وستمائة

فى المحرم: بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، والأمير شهاب الدين بوزيا، فى عدّة من العسكر ورجال جَبَلِيّة[1] فقطعوا أقصاب الفرنج، وعادوا إلى صفد. وفيه قدمت نجدة للفرنج من قبرص، وعدّتها نحو ألف ومائة فارس، وأغاروا على بلد طبرية، فخرج العسكر إلى عكا، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيرًا، وانهزم الباقى إلى عكا وعَمل فيها عزاء من قُتل.

وفى ثانية: خرج السلطان من دمشق بعساكره إلى الفَوّار يريد الديار المصرية، وسار منه جريدة إلى الكرك ونزل ببركة زَيْزَاء، وركب ليتصيد فتقطّر عن فرسه فى ثامنه، وتأخر هناك أياما حتى صلح مزاجه، وأكثر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلفهم من غلات الكرك، وعمّ بذلك الخواص والكتاب، وفرّق فيهم جملا كثيرة من المال. واستدعى السلطان أمراء غزة وأحسن إليهم، وطلب الأميرَ عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه ألف دينار وخلع عليه، وسير الخلع إلى أهل الكرك ثم سار فى محفة على أعناق الأمراء والخواص إلى غزة، وسار منها إلى بلبيس، فتلقاه ابنه بركة فى ثالث صفر ومعه الأمير عز الدين الحلى، وزينت القاهرة، فلم يزل السلطان موعوكا إلى غرة شهر ربيع الأوّل، فركب الفرس وضربت البشائر لعافيته، وسار إلى باب النصر فأقام هناك إلى خامسه.

وصعد السلطان إلى القلعة، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سيس يشفع فى ولده للسلطان، ففَكّ قيده فى ثانى عشريه وكتب له مُوَادَعَة[2] على بلاده إلى سنة، وركب مع السلطان لرماية البندق فى بركة الجب.

وفى آخر ربيع الأول: بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاى المستعرب، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية. فسارا واتفقا على مناخ الجمال السلطانية، فلما عادا قال السلطان: «لا والله! لا جعلت الجامع مكان الجمال، و أولى ما جعلت ميدانى الذى ألعب فيه الكرة

---

(١) المقصود بهذا الوصف أهل البلاد الجبلية بالشام.

(٢) يقال الوديع: الرجل الهادى الساكن ذو الدعة، ويقال: ذو وداعة، ودع يودع دعة ووداعة، والمقصود بالموادعة أى المهادنة. ينظر: لسان العرب (ودع).

- وهو نزهتى - جامعا» وركب السلطان فى ثامن ربيع الآخر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش، ورتب بناءها جامعا، وأن يكون بقية الميدان وقفا عليه. عاد إلى المدرسة التى أنشأها بين القصرين، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء، فقال: «هذا مكان جعلته لله تعالى، فإذا مِتُّ لا تدفنونى هنا، ولا تغيروا معالم هذا المكان». وصعد إلى القلعة.

وفيه وردت مكاتبة المنصور صاحب حماة، يستأذن فى الحضور إلى مصر ليشاهد عافية السلطان، فأجيب إلى ذلك وقدم فى سابع عشريه. فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسية، وبعث إليه وإلى من معه التشاريف، وعاد إلى القلعة. فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى الإسكندرية فأذن له، وسار معه الأمير سنقرجاه الظاهرى، وحملت له الإقامات حتى عاد.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر: أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة، وكانت قد بطلت منه منذ ولى قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلى بجواره، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له بمال جزيل، واستطلق له من السلطان مالا، وعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وبلطه ورمّ سقوفه، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبرا، فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أم لا، فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء، ومنع منه قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره، فشكى الحلى ذلك إلى السلطان، فكلم فيه قاضى القضاة فصمَّم على المنع، فعمل الحلى بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة. وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضى القضاة، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدّة من الأمراء والفقهاء، ولم يحضر السلطان ولا قاضى القضاة تاج الدين. وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى، ورتب محدثا يسمع بالحديث النبوى والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه.

وفى جمادى الآخرة: وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب، وقالوا: «هذا المال الذى كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين، لينفق فى المجاهدين». وقد كان أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يَقْطَعُون مصانعات[1] الملوك، ويجبون

---

(١) يقصد بها المداراة للحكام والملوك.

القطيعة من الخلفاء، ويأخذون من مملكة مصر القطيعة فى كل سنة، فصاروا يحملون القطيعة لذلك الظاهر لقيامه بالجهاد فى سبيل الله.

وفيه عمرت قلعة قاقُوْن عوضا عن قيسارية وأرسوف، وعمرت الكنيسة التى كانت للنصارى هناك جامعا. وسكن هناك جماعة فصارت بلدة عامرة بالأسواق، وفيه أمر السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات: فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة. وبعث السلطان إلى الحجاز الأمير شكال بن محمد، فطلب العِدَاد من الأمير جماز أمير المدينة النبوية، فدافعه فمضى إلى بنى خالد يستعين بهم على عرب جماز، ثم خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله.

وفى سابع عشريه: توجه السلطان فى جماعة من أمرائه إلى الشام، وترك أكثر العساكر بالديار المصرية. و كان معه المنصور صاحب حماة، فنزل السلطان غزة، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزة، ومعهم الهدايا وعدّة من أسرى المسلمين، فكسا الأسرى وأطلقهم. ورحل السلطان إلى صفد، فورد الخبر عليه هناك بتوجه التتار إلى الرحبة، فسار إلى دمشق مسرعا فدخلها فى رابع عشر رجب، وجاء الخبر بقدوم التتار إلى الرحبة، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزموهم، فأقام بدمشق خمسة أيام، وعاد إلى صفد فى رابع عشريه. ورتّب السلطان أمر عمارة صفد، وقسم خندقها على الأمراء، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه، فتبعه الأمراء والناس فى العمل ونقل الحجارة ورمى التراب وصاروا يتسابقون، فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فرأوا الاهتمام فى العمارة.

ثم إنه بلغه فى بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى صحوة، فَسَرَى ليلة ببعض عسكره و أمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا، ووضع السيف فى الفرنج، وصارت الرءوس تحمل إليه من كل جهة، وكان الحر، فعملت عباءة على رمح ليستظل بها، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله، ثم عاد إلى صفد، وقدمت رسل سيس بالهدية، فرأوا رسل الفرنج ورأوا رءوس القتلى على الرماح. وقدمت الأسرى من هذه الغارة فضربت أعناقهم، وطلب السلطان رسل الفرنج وقال لهم: «هذه الغارة فى مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف» وردّهم من غير إجابتهم إلى الصلح.

ثم ركب السلطان فى حادى عشرى شعبان وساق من صفد إلى عكا، فلما علم به الفرنج حتى وقف على أبوابها، فقسم البنائين والحجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها، فاقتسموا ذلك وشرعوا فى الهدم وقطع الأشجار. وعمل السلطان اليزك بنفسه على باب عكا، وصار واقفا على فرسه وبيده رمح مدّة أربعة أيام، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار. ثم رجع إلى صفد، فوردت رسل سيس ورسل بيروت فأجيبوا عن مقاصدهم.

وفى شهر رمضان: وردت رسل صور يطلبون استمرار الهدنة، فأجيبوا إلى الصلح، وكُتبت هدنة لمدّة عشر سنين لصور وبلادها - وهى مائة قرية إلا قرية - بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذى قتلوه لأولاده - وهى خمسة عشر ألف دينار صورية، قاموا بنصفها وأمْهلوا بالباقى - وأحضروا أيضا عدّة أسرى مغاربة. وقدمت رسل بيت الاسبتار من الفرنج يطلبون الصلح على حصن الأكراد والمرقب، فأجيبوا وتقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وبطلت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشيزر وأفامية وعن أبى قبيس، وقد تقدم ذلك، وبطل أيضا ما كان على عَيْناب، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم.

وقدم الشريف بدر الدين ملك بن منيف بن شيحة من المدينة النبوية يشكو من الشريف جماز أمير المدينة، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالده جماز. فكُتب لجماز أن يسلمه نصف الإمرة، وكُتب له تقليد بذلك وبنصف أوقاف المدينة النبوية التى بالشام ومصر وسُلّمت إليه، فامتثل جماز ما رُسم به.

وفى ذى الحجة: نزحت بئر السقاية التى بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلمَ الأمير علاء الدين الحاج الركنى نائب القدس، فأحضر الأمير بنائين وكشف البناء، فأفضى بهم فى قناة إلى تحت الصخرة، فوجدا هناك بابًا مقنطرا قد سُدَّ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم، فكُتب بذلك إلى السلطان، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سدّا نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوما، ووُجد سقف مُقَلْفَط[1] فنقِب فيه قدر مائة وعشرين ذراعا بالعَمَل[2]، فخرج الماء وملأ القناة.

---

(١) اسم مفعول من قلفط، يقال قلفط السفينة: حدر ألواحها بالليف وجعل فى خللها القار. انظر: لسان العرب.

(٢) المقصود الذراع المعمارى، الذى تقاس به أرض البنيان، وقياسه ثلاثة أشبار بشبر الرجل المعتدل. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٤٤٦/٣.

وفى هذه السنة: أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبى المنجا بناحية بيسوس[١] وتولى عملها الأمير عز الدين أيبك الأفرم، فجاءت من أعظم القناطر. وفيها أنشأ السلطان القصر الأبلق بدمشق بالميدان الأخضر على نهر بَرَدَى، فتولى عمل ذلك الأمير أقوش النجيبى نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، وجعل جانبا عظيما منه تحف به البساتين والأنهار من كل ناحية، و لم يعمل بدمشق قبله مثله. ومازال عامرا تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وخرابها.

وفيها جلس منكوتمر بن طغان بن باتوتان بن دوشى خان بن جنكيزخان على كرسى مملكة القفجاق صَرَاى، عوضا عن الملك بركة خان ين دوشى خان بن جنكيزخان، بعد وفاته هذه السنة. وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك التتر، وكرسى مملكته مدينة صراى.

وفيها مات قاضى القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم العلامى الشافعى، المعروف بابن بنت الأعز، فى سابع عشرى شهر رجب، من إحدى وخمسين سنة، فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى، وولى قضاء مصر محيى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص، المعروف بابن عين الدولة، فى يوم الخميس تاسع شعبان، بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعز، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلى. وفيها حج الأمير الحلى، وتصدق بمال بعثه به السلطانُ الملك الظاهر، وحج الصاحب محيى الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا.

ومات فى هذه السنة الأمير ناصر الدين حسن بن عزيز القيمرى، نائب السلطنة بالساحل.

وتوفى شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان - المعروف بأبى شامة[٢] - المقدسى الشافعى، بدمشق عن ست وستين سنة.

* * *

---

(١) وهى قرية صغيرة بمديرية القليوبية الحالية، وموقعها على الشاطىء الشرقى لفرع دمياط. انظر: الخطط التوفيقية ٢٥/١٠.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى، أبو القاسم شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، ومولده فى دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودخل عليه اثنان فى صورة مستفتين فضرباه، فمرض ومات. وقد لقب أبو شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. انظر: فوات الوفيات ٢٥٢/١ وبغية الوعاة ٢٩٧ وابن شقدة وغربال الزمان والبداية والنهاية ٣٦٥/١ والنعيمى ٢٣/١ وطبقات الشافعية ٦٧٥ والأعلام ٢٩٩/٣.

سنة ست وستين وستمائة

فى صفر: وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية، وعدّتها مائة وثمانون جملا ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر بردّه، فورد بنو صخر وبنو لام وبنو عنزة من عرب الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك. وفيه قسّمت عمارة صفد على الأمراء، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا، وأقيم فى عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزينى، وعُمِل لها أبواب سرّ إلى الخندق، فلما كملت كتب على أسوارها: «﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُوْرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾[1]، ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها، وتكميل عمارتها، وبعد ما خلصها من أسر الفرج الملاعين، وردها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الدنيوية إلى حوزة المؤمنين، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرّة، وجعلها للكفار خسارة وحسرة، واجتهد وجاهد حتى بدّل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرءوس، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام، ومن سكنها من المجاهدين، فليجعل له نصيبا من أجره، ولا يخله من الترحم فى سرّه وجهره، فقد صار يقال عمر الله صرحها، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين».

وفيه كتب السلطان إلى الملك منكوتمر القائم مقام الملك بركة، بالتعزية والإغراء بولد هولاكو. وفيه رسم السلطان بعمارة مسجد الخليل عليه السلام، فتوجه الأمير جمال الدين بن نهار لعمل ذلك، حتى أنهى عمارته. وفيه سار السلطان من صفد إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل سالما فى [...[3]...] وقدمت رسل السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول[4] الملك اليمنى، بعشرين فرسا عليها لامة الحرب،

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد بمكة وولى بعد مقتل أبيه (سنة ٦٤٧هـ) بصنعاء طالت مدته. واستمر إلى أن توفى بقلعة تعز. انظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠، ٨٥، ٨٨ - ٢٨٤ وابن=

وفيلة وحمارة وحشية عنابية اللون وعدّة تحف وطرف، فجُهزت له خلعة وسنجق، وهدية فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا، وسُيّر إليه أيضا جَوْشَن[1] وغيره من آلة الحرب، وقيل له: «قد سيّرنا إليك آلة السلم وآلة الحرب مما لاصق جسدنا فى مواطن الجهاد» وكتب له المقام العالى المولوى السلطانى، وكتب له السلطان بخطه المملوك.

وفيه احتاز السلطان على السَّدِيْر[2] قرب العباسية، فأعجبه فاختار منه مكانا بنى فيه قرية سماها الظاهرية، وعمر بها جامعا. وبينا هو فى الصيد هناك إذ بلغه حركة التتار على حلب، فعاد إلى القلعة وأمر بخروج الخيام. فلم يعجبه خيام جماعة فأدَّبهم وجرسهم. وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العساكر، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريدى كتبا مختومة باسم الأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى، وفيها منازلتهم للشقيف، فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف.

وسار السلطان من مخيمه بباب النصر فى ثالث جمادى الآخرة إلى غزة، فبلغه عن جماعة من الجمالين أنهم تعرّضوا إلى زرع فقطع أنوفهم، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموى أنه ساق فى زرع، فأنزله عن فرسه وأعطاه بما عليه من السرج واللجام لصاحب الزرع ثم رحل السلطان إلى العوجاء.

فلما كان يوم العشرين منه: ساق السلطان من العوجاء إلى يافا، وحاصرها حتى ملكها من يومه، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها وحمله فى البحر إلى القاهرة، فعُمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهرى بالحسينية، ومن الرخام بحرابه. وأمر السلطان ببناء الجوامع بتلك البلاد، وأزال منها ومن قرية المنكرات[3]، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها. ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره، وجعله لمأكله ومشربه. وأعطى الأمير علاء

=الوردى ٢/ ٢٤٠ وابن الفرات ٨/ ٢٠٢ وأنباء الزمن والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤١ والنجوم الزاهرة ٧١/٨ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٤١/٦ ومعجم المطبوعات ١٤١٧ والأعلام ٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) الجوشن: الصدر، والدرع، وجمع جواشن. انظر المعجم الوسيط ١٥٣/١.

(٢) بالعراق وهو سودا النخل، وقيل السدير النهر الذى هناك وقيل هو قصر عظيم من إنشاء ملوك لخم فى القديم وسمى سديرا لأن العرب لما نظرت إلى سواد نخله سدرت أعينهم. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٠٨ ومعجم ما استعجم (الخورنق) ٣/ ٧٢٩، معجم البلدان ٦١/٣

(٣) قرية قرب بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣٥٤/٤.

الدين الحاج طيبرس منها قرية، وأعطى الأمير علم الدين سنجر الحموى قرية، و ملكهما إياهما وأنزل التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها، وقرر عليهم خيلا وعدة، فتجدد له عسكر بغير كلفة، وفيه رسم بتجديد عمارة الخليل عليه السلام، ورسم أن يكون عمل الخوان الذى يَمُدّ ناصيةً عن مسجد الخليل.

وجهز السلطان عسكرا إلى الشقيف، ثم سار إليها بنفسه فنزل عليها فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، وقَدِم الفقهاء للجهاد، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم إلى صور، وقيّد الرجال كلهم وسلّمهم للعساكر. وهدم السلطان قلعة استجدها الفرنج هناك، واستناب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايماز الكافرى، ورتّب بها الأجناد والرجالة، وقرّر فيها قاضيا وخطيبا، وولى أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزينى. وفيه وردت كتب من الكرج.

وفى شعبان: وصل رسول صاحب بيروت بهدية وتجار كانوا قد أخذوهم فى البحر من سنين، فما زال السلطان حتى خلّصهم وخلّص أموالهم.

وفى عاشره: رحل السلطان من الثقيف إلى قرب بانياس، وبعث الأثقال إلى دمشق وجهّز الأمير عز الدين أوغان بجماعة لجهة، وجهز الأمير بدر الدين الأيدمرى فى جماعة إلى جهة أخرى، فحفظت العساكر الطرقات.

ثم سار السلطان إلى طرابلس وخيم عليها فى النصف منه، وناوش أهلها القتال وأخذ برجا كان هناك، وضرب أعناق من كان من الفرنج، وأغارت العساكر على من فى تلك الجبال، وغنموا شيئا كثيرا وأخذوا عدة مغاير بالسيف، وأحضروا المغانم والأسرى إلى السلطان فضرب أعناق الأسرى، وقطع الأشجار وهدم الكنائس، وقسّم الغنائم فى العسكر.

ودخل السلطان عن طرابلس فى رابع عشريه، فتلقاه صاحب صافيتا وأنطرسوس بالخدمة، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده، فشكره السلطان و لم يتعرض لبلاده، ونزل السلطان على حمص، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات. ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد أى جهة يقصد، فرتب العسكر ثلاث فرق: فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار، وفرقة مع الأمير عز الدين إيغان، وفرقة مع السلطان، فتوجه الخازندار إلى السُّوَيْدِيَّة[1]،

---

(١) هى مدينة أنطاكية على البحر وبها يقع نهر أنطاكية المسمى بالعاصى. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٣٠ ونزهة المشتاق ١٩٥.

وتوجه إيغان إلى درب بساك، فقتلوا وأسروا، ونزل السلطان أفامية، ووافاه الجميع على أنطاكية.

وأصبح أول شهر رمضان: والسلطان مغير على أنطاكية، وأطاقت العساكر بها من كل جانب، فتكملوا بخيامهم فى ثالثه. وبعث السلطان إلى الفرنج يدعوهم وينذرهم بالزحف عليهم، وفاوضهم فى ذلك مدّة ثلاثة أيام وهم لا يجيبون، فزحف عليها وقاتل أهلها قتالا شديدا، وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة، ونزلوا المدينة ففر أهلها إلى القلعة، ووقع النهب والقتل والأسر فى المدينة، فلم يُرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفرّ منها أحد، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد، فبعثوا يطلبون الأمان فأمنوا، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال، فكتفوا وفرّقوا على الأمراء، والكتاب بين يدى السلطان ينزلون الأسماء.

وكانت أنطاكية للبرنس بيموند بن بيموند، وله معها طرابلس، وهو مقيم بطرابلس وكتبت البشائر بالفتح إلى الأقطارالشامية والمصرية والفرنجية، وفى الجملة كتاب إلى صاحب أنطاكية - وهو يومئذ مقيم بطرابلس - وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى.

وسلم السلطان القلعة إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وأمر بإحضار المغانم لتقتسم، وركب وأبعدَ عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته مماليكه وخواصه، وقال: «والله ما خبأت شيئا مما حمل إلى ولا خليت مماليكى يخبئون شيئا، ولقد بلغنى أن غلاما لأحد مماليكى خبأ شيئا لا قيمة له فأدّبته الأدب البالغ، ويتبقى لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلّف الأمراء والمقدمين، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم». فأحضر الناس الأموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلاًّ بها، وقسّمت فى الناس، وطال الوزن فقسّمت النقود بالطاسات، وقسّمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير باثنى عشر درهما والجارية بخمسة دراهم، وأقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه، وقصر الناس فى إحضار الغنائم فعاد السلطان مغضبا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويعتذرون إليه، حتى وقف على فرسه وما ترك شيئا حتى قسّمه.

ثم ركب السلطان إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من

حديد أبوابها ورصاص كنائسها ما لا يوصف كثرة، وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجّه إليهم الأمير بيليك الأشرفى و تسلمها فى حادى عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل فى إطلاق ولده ليفون، ويعرض فى فدائه الأموال والقلاع، وكان التتر قد أسروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فاقترح السلطان على سيس إحضار سنقر عوضا عن ولده ورد القلاع التى أخذها من مملكة حلب، وهى بَهَسْنا ودَرْبَسّاك ومَرْزَبان ورَعْبان وشِيح الحديد، فسأل هيتوم المهلة سنة إلى أن يبعث إلى الأرْذو[1] فلما كان فى هذه الأيام، بعث هيتوم إلى السلطان بأنه وجد سنقر، وأنه أجيب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحْضَر هيتوم كتاب سنقر إلى السلطان بأماير[2]، إلا أنه غيّر قوله فى تسليم القلاع، فكُتب إليه. «إذا كنت تقسو على ولدك وولى عهدك، فأنا أقسو على صديق ما بينى وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا منى. ونحن خلف كتابنا، فمهما شئت افعل بسنقر الأشقر» فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقّرر الصلح على تسليم قلعة بَهسْنا[3] ودر بساك وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرد الجميع بحواصلها كما تسلمها، ويطلق سنقر الأشقر، ويطلق السلطان ولَده وابن أخيه وغلمانهما، وأنه يحضر رهينة حتى يتسلم السلطان القلاع، فكتبت الهدنة بأنطاكية، وتوجه الأمير بلبان الرومى للدوادار، والصدر فتح الدين بن القيسرانى كاتب الدرج. لاستحلافه، وتوجه الأمير بدر الدين يحكا الرومى لإحضار الملك ليفون من مصر على البريد فى ليلة الثالث عشر من رمضان، فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثانى يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الإثنين سادس عشريه، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما، وحلف التكفور هيتوم صاحب سيس فى سابع عشريه، فانتظم الصلح.

ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرّية إلى حمص وهو يتصيد

---

(١) الأرذو لفظ مغولى معناه المعسكر. انظر: ابن أبى الفضائل، المنهج السديد ١١٦، ١١٧.

(٢) الأماير جمع أمارة، ومعناها العلامة المكتوبة أو الشفوية التى تتخذها اللهجات الرسمية وغيرها بمثابة علامة سرية متفق عليها، للاطمئنان على صحة ما يتبادل من مراسلات أو مشافهات بين طرفين.

(٣) هى قلعة بين مرعش وسميساط. انظر: معجم البلدان ١/ ٧٧.

فدخل حماة فى ثلاثة نفر: وهم الأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير حسام الدين الدوادار، ونزل العسكر حماة. ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق، فدخلها فى سادس عشريه، والأسرى بين يديه و ليفون ابن صاحب سيس فى خدمته، فأحسن إليه، وحلف ليفون للسلطان فى ثالث شوّال على النسخة التى حلف عليها أبوه، وهو قائم مكشوف الرأس، وسار إلى بلاده فى حادى عشره صحبة الأمير بجكا على البريد، حتى قرّره فى مملكته. ووصلت الرهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم، ومازالوا إلى أن تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سيس، فأعيدت الرهائن إليهم بما أنعم عليهم، وعندما وصل ليفون إلى سيس أطلق سنقر الأشقر، وبعث به إلى السلطان فتلقاه السلطان وهو فى الصيد من غير أن يعرف أحد بقدومه، وقدم به وهو مختف وأنزله عنده فى الدهليز، وبات معه. فلما أصبح، واجتمع الناس فى الخدمة، خرج السلطان ومعه سنقر الأشقر، فبهت الناس لرؤيته، وأخرج له السلطان المال والخلع والحوائص، والخيل والبغال والجمال والمماليك، وسائر ما يحتاج إليه، وحمل إليه الأمراء التقادم، وبالغ السلطان فى الإحسان إليه، وبنى له دارا بقلعة الجبل ولما حضر سنقر إلى القاهرة أعطاه السلطان إمرة، وعَمله من خواصه.

وفى ثالث عشره: تسلم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى أستادار السلطان حصن بفراس من الفرنج الداويه و كانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوى عجوز واحد، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر، وفيه وردت رسل صاحب عكا بهدية، فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع، وأن تكون مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هى وبلاد الكِرْمِل[1]، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجبليات للسلطان، وأن الهدنة لعشر سنين، وأن الرهائن تطلق وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون نفسا من أسرى أنطاكية، وتوجه القاضى محيى الدين عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيث لاستحلافه، فدخلا عكا فى عشرى شوّال، وقد وصّاهما السلطان ألا يتواضعا له فى جلوس ولا مخاطبة، فلما دخلا كان الملك على كرسى، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرستين جلسا عليهما قبالته، ومدّ الوزير يده ليأخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مدّ الملك يده وأخذه، و لم يوافق على أشياء فتركوه و لم يحلف.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة، فخرج

---

(١) حصن من حصون أوغة من بلاد الإفرنج الساحلية مشرفا. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٩٣، آثار البلاد ٦٠٧ نقلا عن العذرى، معجم البلدان ٤/٢٦٧.

الملك السعيد إلى أم الباردة وهى السعيدية، وعيّد مع السلطان بها. وسارا إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ذى الحجة، وحمل السلطان عن الناس كلفة الزينة. وفيها مات السلطان ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، ملك الروم. وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وعمره أربع سنين، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان البَرْوَاناه[١] وكان موت ركن الدين خنقا بالوتر، وذلك أن معين الدين البرواناه اتفق مع التتر المقيمين معه على قتل ركن الدين فخنقوه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن الشهيد أبى صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى كاتب الإنشاء، ظاهر صور من الساحل.

وتوفى الصاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبى وزير دمشق، بالقاهرة.

وتوفى الأديب عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الموصلى[٢] بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الأمير عماد الدين أبو حفص عمر بن هبة الله ابن صديق الخلاطى الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو داود مُسَلْم السُلَمى شيخ الطائفة المسلمية، فى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان فى ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعنى به الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا.

* * *

---

(١) البرواناه لفظ فارسى معناه الحاجب.

(٢) على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلى: فاضل انفرد بمعرفة الألغاز. وكان من أذكياء العالم. ولد بالموصل. وتصدر بجامع الصالح (ظاهر القاهرة) وكانت له اليد الطولى فى حل التراجم والألغاز. ومات بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٥٩ وبغية الوعاة ٣٤٣ وصلة التكملة والمخطوطات المصورة ١/٣٧٩ والأعلام ٤/ ٣١٢.

سنة سبع وستين وستمائة

فى أول المحرم: ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لفتح بحر أبى المنجا، وعاد إلى القلعة. وفيه احتفل السلطان برمى النشاب وأمور الحرب، وبنى مسطبة بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة، وصار ينزل كل يوم من الظهر ويرمى النشاب، فلا يعود من الميدان إلى عشاء الآخرة، وأخذ السلطان يحرّض الناس على الرمى والرهان، فما بقى أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله تحريض الناس على لعب الرمح ورمى النشاب.

وفيه قدمت الرسل من جميع الأقطار تهنئ السلطان بما فتحه الله عليه.

وفى يوم الخميس تاسع صفر: جلس الملك بركة فى مرتبة الملك، وحضر الأمير فقبّلوا الأرض، وجلس الأمير عز الدين الحلى والأمير فارس الدين الأتابك بين يديه، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود، وحلف له الأمراء وسائر العساكر.

وفى ثالث عشره: ركب الملك السعيد الموكب كما يركب والده وجلس فى الإيوان وقرئت عليه القصص.

وفى العشرين منه: قرئ بالإيوان تقليده بتفويض السلطنة إليه، واستمر جلوسه فى الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، وصار يوقع ويطلق ويركب فى الموكب، وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائبا عنه، عوضا عن الأمير عز الدين الحلى.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: خرج السلطان، ومعه الأمير عز الدين الحلى وأكابر الأمراء فى عدّة من العسكر يريد بلاد الشام، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد، فلما وصل إلى غزة أنفق فى العسكر، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها، فقدم عليه كتاب متملك سيس بأن رسول رسول أبغا بن هولاكو قدم ليحضر إلى السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشدّ حلب ليتسلمه من سيس، ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدّث مع أحد فسار به إلى دمشق، ولم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل فى قلعتها، فورد الخبر بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأثقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق، وأحضر الرسول إليه، فكان من جملة كتابه: «إن الملك أبغا لما

خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلّصت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا».

وكان فى المشافهة: «أنت مملوك وأبِعْتَ فى سيواس، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض؟» فأجيب وأعيد الرسول.

وفى أوّل شعبان: مات الأمير عز الدين الحلى بدمشق.

وفيه خرج السلطان من دمشق، وودّع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر، ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوى الأمير الأتابك، والمحمدى، والأيدمرى، وابن أطلس خان، وأقوش الرومى. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصفد، وكتب بحضور الأثقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما. وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر خفية، فكتم ذلك وكتب إلى النوّاب بمكاتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء بريد يقرأ عليه وتخرج علائم على بياض تكتب عليها الأجوبة.

فلما كان فى رابع عشره: أظهر السلطان أنه تشوش فى بدنه، واستدعى الحكماء إلى الخيمة، ووقع احتفال فى الظاهر بتوعكه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعا على هيئة متألم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشربة. وتقدم السلطان إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير سيف الدين بكتوت جرمك الناصرى، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد وصحبتهما بريدى، فتوجهوا ليلة السبت سادس عشره، وكان السلطان قد أوصاهم أنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتحدّث معهم مشافهة، وجهز السلطان الأمير آقسنقر الساقى على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف خلف خيمة الجمدارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر، ولبس السلطان جوخة مقطّعة، وتعتم بشاش دخانى عتيق، وقصد أن يخرج به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض المماليك، فاستدعى خادما من خواصه وقال: «أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدّامى فإن سألك أحد فقل هذا بعض معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر يحضر الخدمة الليلة، وخارج إليه بقماشه». فخرج السلطان بهذه اليلة ولم يفطن به أحد، وكان قد أسرّ إلى الأمير شمس الدين الفارقانى أنه يغيب مدة أيام عيّنها.

ولما خرج السلطان من الدهليز مشى إلى الجهة التى واعد آقسنقر الساقى إليها، وكان قبل ذلك قد أقام هناك أربعة أرؤس من الخيل سيّرها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور، وأمره أن يقف بها فى مكان فأخذ آقسنقر الخيل، وسيّر بهاء الدين أمير آخور إلى التل، فوجد الأيدمرى ورفقته، فصار إليهم السلطان واختلط بهم فى السَّوْق وهم لا يعرفونه، فلما طال سَوْقهم قال السلطان للأيدمرى: «تعرفنى» فقال: «إى وا لله» وأراد أن ينزل عن فرسه ليقبّل الأرض، فمنعه. وقال السلطان لجرمك: «تعرفنى؟» فقال: «إيش هذا يا خوند؟» فقال له: «لا تتكلم». وكان معهم الأمير علم الدين شُقير مقدّم البريدية، فصارت جملتهم خمسة أنفس، ومعهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص، فساقوا إلى القصير المعينى ووافوه نصف الليل، فدخل السلطان إلى الوالى ليأخذ فرسه، فقام إليه بنحو خمسين راجلا ليهاوشه وقال: «الضيعة ملك السلطان، ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا، تروحوا وإلا قتلناكم». فتركوه وساقوا إلى بيسان، وأتوا دار الوالى وقالوا: «نريد خيلا للبريد»، فأنزلهم وقعد السلطان عند رجلى الوالى وهو نائم، ثم التفت إلى الأيدمرى وقال: «الخلائق على بابى، وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت إلى، ولكن الدنيا نوبات». وطلب السلطان من الوالى كوزا، فقال: «ما عندنا كوز إن كنت عطشان اخرج واشرب من برَّا»، فأحضر إليه الأيدمرى كرازا[1] شرب منه. وركبوا وصبحوا بجينين، فوجدوا بها خيلا للبريد عُرْجًا مُعقَّرة[2]، فركب السلطان منها فرسا لم يكد يثبت عليه من رائحة عقوره. وساروا فلما نزلوا تل العجول بقى كل منهم ماسكا فرسه، فلما وصلوا إلى العريش قام السلطان والأمير حرمك ونَقَّيا الشعير، وقال السلطان لجرمك: «أين السلطنة والأستادار وأمير جاندار، وأين الخلق الوقوف فى الخدمة؟ هكذا تخرج الملوك من ملكهم، وما يدوم إلا ا لله سبحانه».

ولم يبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذى على يد السلطان يقوده، ووصل معه إلى الصالحية، وصعدوا إلى القلعة ليلة الثلاثاء الثلث الأوّل من الليل، فأوقفهم الحرّاس حتى شاوروا الوالى، ونزل السلطان فى باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتّب مع زمام الأمر ألا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السر وذكر للزمام العلائم التى بينه وبينه، ففتح الباب ودخل السلطان ورفقته. وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء، وليلة الخميس الحادى والعشرين من شعبان، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط، وصار

---

(١) الكراز. القارورة، قال ابن دريد: لا أدرى أعربى أم عجمى، غير أنهم قد تكلموا بها: والجمع كرزان، وكرز وكرز وكارز ومكرز وكريز وكريز وكراز: أسماء، وكراز فرس حصين بن علقمة. انظر: لسان العرب ٣٨٥٣. يقصد به كوز ضيق الرأس.

(٢) المراد وصف خيل البريد بأنها كانت مجرحة الظهر.

السلطان يتفرج فى الأمراء بسوق الخيل، فلما قدَّم الفرس للملك السعيد يوم الخميس على العادة قَدَّم أمير آخور للسلطان فرسا آخر، وعندما خرج الملك السعيد ليركب ما أحسّ إلا والسلم قد خرج إليه، فرعب وقبّل له الأرض، وركب السلطان وخرج على غفلة و[......](١) بغلس، فأنكر الأمراء ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم، ونظروا فى وجه السلطان حتى تحقّقوه، فقبّلوا له الأرض، وساق السلطان إلى ميدان العيد، وعاد إلى القلعة وأقام بقية يوم الخميس ويوم الجمعة ولعب بالكرة يوم السبت. وتوجه يوم الأحد إلى مصر، ورمى الرجال بالشوانى قدّامه، وركب فى الحراريق وعاد إلى القلعة، فلما كان ليلة الإثنين خامس عشرى شعبان، ركب السلطان خيل البريد من القلعة، وعاد إلى معسكره بخربة اللصوص.

وأما ما جرى فى معسكرالسلطان بالخربة، فإن الأمير شمس الدين الفارقانى لما أصبح، وقد فارق السلطان الدهليز، أظهر الأمراء أن السلطان منقطع لضعف حصل له، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح للمتوعك الذى يشكو صداعا وخَدَرا(٢) وعطشا، وأوهمهم أن السلطان يشكو ذلك، فوضعوا له ما يوافق. وأمر الأميرُ شمس الدين الشراب دارية فأحضروا الشراب، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليوهم العسكر صحة ذلك، إلى أن وصل ليلة الجمعة تاسع عشريه إلى قرب الدهليز، فأمر السلطان الأيدمرى وجرمك بالتوجه إلى خيامهما، وأخذ على يده جراب البريد وفى كفّه فُوْطة(٣)، ومشى على قدميه إلى جهة الحراس، فمانعه حارس وأمسك طوقه، فانجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز. وبات السلطان، فلما أصبح أحضر الأمراء وأعلمهم أنه كان متغير المزاج، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان، ومشى كل ما وقع على العسكر، ولم يعلم به سوى الأتابك والأستادار والدوادار وخوّاص الجامدارية وكانت فى هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شىء من الأمور، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد فى مصر، فتم له ما أراد.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) الخدر: الذلالٌ يغشى الأعضاء: الرجل واليد والجسد، وقد خدرت الرجل تخدر، والخدر من الشراب والدواء: فتور يعترى الشارب وضعف، ابن الأعرابى الخدرة ثقل الرجل خدر، وأخدره ذلك، والخدر فى العين: فتورها، وقيل هو ثقل فيها من قذى يصيبها، وعين خدراء: خدرة والخدر: الكسل والفتور وخدرت عظامه. انظر لسان العرب ١١١٩، (خدر).

(٣) ثوب قصير غليظ يكون متزرًا يجلب من السند، والفوطة هى مرادف [illegible]، وهى قطعة من قماش من الحرير السكندرى، تحمل فيها الأوراق الرسمية. انظر: لسان العرب (فوط).

وكتب السلطان بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فطهرت كلها من المنكر، ونهبت الحانات التى جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها، وسلبت جميع أحْوَال[١] المفسدات وحبسن حتى يتزوجن، وفى كثير من المفسدين، وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحطّ المقرر على هذه الجهة من المال، وعوّض المقطعين جهات حلالا.

وورد الخبر بحصول زلزلة فى بلاد سيس خرب منها قلعة سَرْفَنْد وعدّة قلاع، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما، وتلفت عدّة جهات. وورد الخبر بأن الفرنج شنعوا بموت السلطان، وحضر رسولهم يطلب المهادنة: وكان قد هرب من المماليك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث السلطان بإحضارهم فامتنع الفرنج من إحضارهم إلا بعوض، فأنكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم، فسيروا المماليك وقد نَصّروهم، فعند ذلك قبض السلطان على رسل الفرنج وقيّدهم، وكتب إلى النواب بوقوع الفسخ، وأغار عليهم الأمير أقوش الشمسى وقتل وأسر منهم جماعة. وركب السلطان فى العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى المخيم وأمهل مدة، ثم جرد طائفة لأخْذ المَغَلّ وقَطْع الميرة عن صور.

وفى سادس عشريه: تسلم نواب السلطان بَلاَطُنُس[٢] من عز الدين عثمان صاحب صهيون، وهى حصن عظيم، وفيه سارت العساكر من البيرة إلى كَرْكَر[٣] فأحرقوا وغنموا، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين كختا[٤]، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا، وأخرجوا منه الخمس للديوان.

وفيه كان خلف فى مكة بين الشريف نجم الدين أبى نمى وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى مكة، ثم اتفقا فرتّب لهما السلطان عشرين ألف درهم نقرة فى كل سنة، ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان فى الحرم والشارع، وتضرب السكة باسمه، وكُتب لهما تقليد بالإمارة، وسُلمت أوقاف الحرم التى بمصر والشام لنوّابهما.

وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضى المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها - وقد حضر فى رسالة الأمير عز الدين جماز أمير المدينة - الجمال التى نهبها أحمد بن

---

(١) الأحوال جمع محال، ومعناها هنا الأموال.

(٢) حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية. انظر: معجم البلدان ١/ ٧١٠.

(٣) على هامش ط: حصن على الفرات بين آمد وملطية.

(٤) هى قلعة قديمة على نهير كختاسو.

حَجّى[1] لأشراف المدينة، وهى نحو الثلاثة آلاف جمل، وأمره أن يوصلها لأربابها وفيها قدم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة بشِقّة[2] على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتى ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضى والجمال مع الركب الشامى، وجهز من الكسوة لمكة والمدينة.

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأسارى مسلمين، فأطلقوا بباب الدهليز، وكتبت لهم هدنة. وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب، فأوهمه السلطان أنه يريد الحركة إلى العراق، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعى، وأمره فانصرف إلى بلاده، وكان السلطان فى الباطن إنما يريد بحركته الحجاز.

وفيه أعطى السلطان ناصرَ الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحلى إمرة أربعين فارسا، ورسم للأمير قلاوون والأمير أوغان والأمير بيسرى والأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على رمال الحلى لورثته، ولم يتعرض السلطان لشىء من موجوده مع كثرته.

ودخل شوّال: والسلطان على عزم الحركة للحجاز، فأنفق فى العساكر جميعها، وجرّد عدة مع الأمير أقوش الرومى السلاح دار ليسيروا مع السلطان، وجرّد البقية مع الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار إلى دمشق، فنزلوا بظاهرها وأقاموا بها، ثم توجّه السلطان إلى الحج ومعه الأمير بدر الدين الخازندار، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى، وفخرالدين بن لقمان، وتاج الدين بن الأثير، ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة إلى الحجاز، وذلك أن الأمير جمال الدين ابن الداية الحاجب كتب إلى السلطان: «إنى أشتهى التوجّه بصحبة السلطان إلى الحجاز» فأمر بقطع لسانه، فما تفوّه أحد بعدها بذلك.

وسار السلطان من الفوّار يوم الخميس خامس عشريه، ووصل إلى الكرك مستهل

---

(١) أحمد بن حجى بن بريد البرمكى، شهاب الدين: أمير آل مرى (بكسر الميم وفتح الراء) فى بادية الشام. عرَّفه ابن كثير بملك عرب آل مرى وقال ابن تغرى بردى: من فرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدون له الخفر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك، كانوا يدارونه ويتقون شره. وكان يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى البرمكى من أخت الخليفة هارون الرشيد التى قتل جعفر بسببها. وكانت بينه وبين عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة. توفى فى بصرى الشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧، البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ الأعلام ١/١١٠.

(٢) على هامش ط: الشقة جنس من الثياب وتصغيرها شقيقة.

ذى القعدة، وكان قد دبّر أموره خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك، حتى أنه جهز البشماط[١] والدقيق والروايا والقرب والأشربة، والعربان المتوجهين معه والمرتبين فى المنازل، ولا يشعر الناس بشىء من ذلك، فلما وصل الكرك وجد الأمور كلها مجهزة، فأعطى المجردين معه بقدر الشعير كفايتهم. وسار الثقل فى رابعه، وتبعهم السلطان فى سادسه ومعه المجردون، فنزل الشوبك ورسم بإخفاء خبره، وتوجه فى حادى عشره، وسار البريد إلى مصر، فجهزت الكتب إليه مع العربان من جهة الكرك فكتبت أجوبتها من هناك.

ووصل السلطان إلى المدينة النبوية فى خامس عشريه، فلم يقابله جماز ولا مالك أميرا المدينة وفرّا منه، ورحل منها فى سابع عشريه، وأحرم فدخل مكة فى خامس ذى الحجة، وأعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرّا، وفرّق كساوى على أهل الحرمين وصار كواحد من الناس، لا يحجبه أحد ولا يحرسه إلا الله، وهو منفرد يصلى ويطوف ويسعى، وغسل البيت، وصار فى وسط الخلائق، وكل من رمى إليه إحرامه غسله وناوله إياه. وجلس على باب البيت، وأخذ بأيدى الناس ليطلعهم إلى البيت، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع فقطعه، وكاد يرمى السلطان إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك، وعلق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين.

هذا وقاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى مرافقه طول الطريق، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه، ولم يقفل السلطان مع ذلك تدبير الممالك، وكتاب الإنشاء تكتب عنه فى المهمات، وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أمورا، ويقول فيه: «سطرتها من مكة المشرفة، وقد أخذت طريقها فى سبع عشرة خطوة» - يعنى بالخطوة المغزلة ويقول له: «الملك هو الذى يجاهد فى الله حق جهاده، ويبذل نفسه فى الذب عن حوزة الدين، فإن كنت ملكا فأخرج التتار».

وأحسن السلطان إلى أميرى مكة، وهما الأمير نجم الدين أبى نمى والأمير إدريس بن قتادة، وإلى أمير ينبع وأمير خُلَيْص[٢] وأكابر الحجاز وكتب منشورين لأميرى مكة، فطلبا منه نائبا تقوى به أنفسهما، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جاندار بمكة، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه، وزاد أميرى مكة مالا وغلالا فى كل سنة بسبب تسبيل البيت للناس، وزاد أمراء الحجاز إلا جماز ومالك أميرا المدينة، فإنهما انتزحا من بين يديه.

---

(١) على هامش ط: يقصد به البقسماط.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٤٦٧/٣.

وقضى السلطان مناسك الحج وسار من مكة فى ثالث عشره، فوصل إلى المدينة فى العشرين منه، فبات بها وسار من الغد، فجدّ فى السير ومعه عدّة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه، ولم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيارة بمؤتة، فالتقوه هناك. ودخل السلطان مدينة الكرك وهو لابس عباءة، وقد ركب راحلة، فبات بها ورحل من الغد.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين أيدمر الحلى الصالحى نائب السلطنة، عن نيف وستين سنة، بدمشق فى أوّل شعبان. ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود بن موسك الهذبانى، بعد ما ترك الخدمة تعففا، وله فضل ونظم جيد.

وتوفى مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبى الفرج بن محمد الرُّوْذْرَاوَرِى بدمشق.

وتوفى نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهير بسيبويه المغربى النحوى، عن سبع وستين سنة بالقاهرة، وله شعر جيد.

وتوفى شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبى[1] وله شعر جيد.

* * *

(١) على بن يوسف بن حيدرة الرحبى، شرف الدين: طبيب، من العلماء الشعراء، مولده ووفاته فى دمشق. خدم فى البيمارستان الكبير، وتولى تدريس الطب مدة وصنف كتبا. انظر: طبقات الأطباء ٢/ ١٩٥، ٢٠١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٥ والدارس ٢/ ١٣٠ وأخبار التراث العربى ٦٥/ ٢٥ والأعلام ٥/ ٣٤.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها صلى الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب فى مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. هذا والناس بمصر والشام لا يعرفون شيئا من خبر السلطان: هل هو فى الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطيع من مهابته والخوف منه أحد أن يتكلم، فلما قارب السلطان دمشق سير أحد خواصه على البريد بكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج، فأحضر الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينا هم فى القراءة إذ بلغهم أن السلطان فى الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطى فرسه لبعض مناديه سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض وحضر الأمير آقسنقر الأستادار والأمراء المصريون، فأكل السلطان شيئا وقام يستريح، وانصرف الناس، فركب السلطان فى نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان، ودخل السلطان إلى حلب والأمراء فى الموكب، فساق إليهم وبقى ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فنزلوا وقبلوا الأرض. ودخل السلطان دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب ولم يعرف به أحد، فوصل دمشق فى ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب فى الليل وسار إلى القدس، وزار الخليل وتصدق. وكان العسكر المصرى قد صار به الأمير آقسنقر الفارقانى من دمشق ونزل بتل العجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك فى عشرين يوما، ما غير السلطان فيها عباءته التى حج فيها.

ثم سار السلطان من تل العجول بالعساكر فى حادى عشريه إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل، فأقام السلطان بها إلى ثانى عشر صفر، ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب فى الحراريق إلى الطرّانة، ودخل السلطان البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشرة نعامة: أعطى عن كل غزال بَغْلِطَاق[1] بسنجاب، وعن كل نعامة فرسا ثمينا بسرجه ولجامه.

وصل السلطان إلى الإسكندرية في حادى عشريه، وكان الصاحب بهاء الدين بن

---

(١) على هامش ط: البغلطاق لفظ فارسى، وهو قباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جدا يلبس تحت الفرجية.

حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقماش، فخلع السلطان على الأمراء، وحمل إليهم التعابى والنفقة، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوّجه إلى الحمامات ونزل باللّيُونة[١] وابتاعها من وكيل بيت المال، فبلغه هناك حركة التتار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل، فورد الخبر بغارة التتار على السَّاجُور[٢] بالقرب من حلب، فجرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار فى جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم فى أوائل البلاد الشامية على أهبة.

وسار السلطان من قلعة الجبل فى ليلة الإثنين حادى عشرى ربيع الأول ومعه نفر يسير فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق فى سابع ربيع الآخر، ولحق الناس فى الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق. ووردت الأخبار بانهزام التتار عندما بلغهم حركة السلطان، وكأن قد ألقى الله فى أنفس الناس أن السلطان وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة فى هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب، فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب، وبعثوا إلى أبغا بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعدته من جهة سيس فى سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أتلفت عدّة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقى فى الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبتهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد، فخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد فى مرج بَرْغُوْث[٣] وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادى عشريه بمرج برغوث، وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وساق بهم فى الليل فأصبح فى أول المرج.

وكان السلطان قد سيرّ إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإغارة فى ثانى عشريه، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك، ودخل السلطان الكمين، فعندما خرج جماعة من الفرنج لقتال عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيغان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجبى، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدى، والأمير كندغدى أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال، وتبع السلطان مقدمى الحلقة، فما أدركهم إلا والعدو قد انكسر، وصارت الخيالة بخيلها مطرحة فى المرج. وأسر السلطان كثيرا من أكابرهم، ولم يعدم من المسلمين سوى الأمير فخر الدين ألطونبا الفائزى، فسارت البشائر إلى البلاد.

---

(١) هى بلدة من أعمال مريوط. انظر: ابن دقماق، كتاب الانتصار ١٢٩/٥.

(٢) هو نهر بجهات منبج. انظر: معجم البلدان ٨/٣.

(٣) جهة على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب. انظر: أبا شامة، كتاب الروضتين ٣٨٤.

وعاد السلطان إلى صفد والرءوس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها فى سادس عشريه، والأسرى ورءوس القتلى قُدامه، وخلع على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، ولم يعلم أحد قصده، وفرق العساكر وترك النقل، وأخذ خِيَار عسكره وساق إلى جهة المرقب (١) فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهرها تسعة عشر يوما، وتوجه على جهة المرقب، فانتهى إلى قريب بلاد الإسماعيلية، وعاقته الأمطار والثلوج فعاد.

ثم ركب السلطان فى ثالث جمادى الآخرة بمائتى فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكْرَاد (٢) وصعد الجبل الذى عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم، وقال يستخف بهم: «خلوا الفرنج يخرجوا، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأتبية بيض»، وعاد إلى مخيمه، ورعى الخيول مروجها وزروعها.

وفى أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان مثل: صاحب حماة، وصاحب صهيون، إلا نجم الدين حسن بن الشعرانى صاحب قلاع الإسماعيلية، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيض القطيعة التى حملوها لبيت المال، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج. وكان صارم الدين مبارك بن الرضى - صاحب العُلَيْقَه(٣) - قد تغير السلطان عليه من مدّة، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان فى الصلح، وأحضره إلى الخدمة، فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا، وأعطاه طبلخاناه، وعزل نجم الدين حسن بن الشعرانى وولده من نيابة الدعوة، وتوجّه صارم الدين إلى مَصْيَاف كرسى بلاد الإسماعيلية فى سابع عشرى جمادى الآخرة، وصحبته جماعة لتقرير أمره.

ويقال: بل الذى قام فى حقه الملك المنصور صاحب حماة، وإنه شفع فيه إلى أن عفى عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان، وكتب له منشورًا بالحصون كلها: وهى قلعة الكَهف وقلعة الخَوَابِى والمَينَقه والعُلَيْقَة والقُدْموس والرُّصافة(٤)، ليكون نائبا

---

(١) هو بلد وحصن بساحل الشام، بينه وبين سوس ثمانية أميال. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٠٠

(٢) يقع هذا الحصن على الجبل الذى يقابل حمص جهة الغرب، بين بعلبك وحمص. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٧٦و الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢ وانظر تفصيلا مفصلا له فى الأملاق الخطيرة (الجزء الخاص بلبنان والأردن وفلسطين) ١٥.

(٣) هى إحدى حصون الإسماعيلية بالشام.

(٤) تقع فى غربى الرقة. انظر: معجم البلدان ٣/ ١١٢.

عن السلطان، وكتب له بأملاكه التى كانت بالشام على أن تكون مَصْيَاف وبلادها خاصا للسلطان. وبعث السلطان معه نائبا بمصياف، وهو الأمير بدر الدين العديمى أحد مفاردة الشام، وجرّد معه جماعة من شيزر وغيرها، فلما وصلوا إلى مصياف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا: «لا نسلمها إلا لنائب السلطان»، فقال العديمى: «أنا نائب السلطان». فلما فتحوا هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وتسلم الحصن فى نصف رجب، فلم يجد نجم الدين وولده بدًّا من الدخول فى الطاعة، فسألا فى الحضور فأجيبا، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرق له السلطان وولاه النيابة شريكا لصارم الدين بن الرضى، وقرر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم نقرة فى كل سنة، وتوجه نجم الدين وترك ابنه شمس الدين فى الخدمة. وتقرر على صارم الدين بن مبارك بن الرضى فى كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤدون المال بعد ما كانوا يجبون من ملوك الأرض القطائع.

ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها فى ثامن عشريه وقدم الخبر بأن الفرنسيس وعدة من ملوك الفرنج قد ركبوا البحر ولا يُعلم قصدهم، فاهتم السلطان بالثغور والشوانى، وسار إلى مصر فدخلها فى ثانى شوال. وفيه تمت عمارة الجامع الظاهرى بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفى المذهب، ووقف عليه حكر ما بقى من الميدان. وفيه بعث السلطان عدة رسل بهدايا إلى بلاد الفرنج.

وفى هذه السنة: قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولى مكة منفردا أربعين يوما، فاستبد ابن أخيه أبو نمى بإمرة مكة وحده.

وفيها مات الطواشى جمال الدين محسن الصالحى النجمى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى.

وفيها تنكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التتر ببلاد الشمال، على الأشكرى ملك قسطنطينية، فبعث الخان جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحملوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو - وكان محبوسا كما تقدم فى القلعة - وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوّجه وأقام معه حتى مات فى سنة سبع وسبعين، فسار ابنه مسعود ابن عز الدين وملك بلاد الروم، كما سيأتى ذكره إن شاء الله.

وفيها انقرضت دولة بنى عبد المؤمن بقتل الواثق أبى العلاء إدريسى - المعروف بأبى دبوس - بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على[1]، فى محرم

---

(١) إدريسى بن محمد بن عمر بن عبد الله المؤمن الكومى، أبو العلاء، ويقال له أبو دبوس،=

على يد بنى مرين. وبنو مرين قبيلة من البربر - يقال لهم حمامة - كان مقامهم قبلى تازا[(١)]، فخرجوا عن طاعة الموحدين بنى عبد المؤمن، وتابعوا الغارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة بضع وثلاثين وستمائة: وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق ابن محبو بن حمامة، ومات سنة ثلاث وخمسين. فملك بعده يعقوب بن عبد الحق، وقوى أمره وحصر مراكش وبها أبو دبوس، وملكها وأزال ملك بنى عبد المؤمن فى أول سنة ثمان وستين هذه، وملك مراكش.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة بدمشق محيى الدين أبو الفضل يحيى بن محيى الدين أبى المعالى محمد ابن زكى الدين أبى الحسن على بن المجد أبى المعالى محمد بن زكى الدين أبى الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثمانى المعروف بابن الزكى القرشى الأموى الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الوزير الصاحب زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع بن بكر بن مالك القرشى الزبيرى، عن اثنتين وثمانين سنة بالقاهرة، بعد عزله ومحنته، وله شعر جيد.

وتوفى زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى الحنبلى[(٢)]وقد انتهى إليه علو الإسناد، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى الولى العارف داود الأعزب بناحية تَفَهْنا[(٣)]، فى ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الآخرة، وبها دفن، وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جُمعت فى مجلد.

=الملقب بالواثق با لله المعتمد عليه: آخر ملوك دولة «الموحدين» بالمغرب، ولى بمراكش بعد مقتل المرتضى المؤمنى (سنة ٦٦٥هـ) واستقر سنتين وأحد عشر شهرا وعشرة أيام. وكانت أيامه نكدة، كثر الخارجون عليه، وقوى أمر «المرينيين»، فقتلوه فى معركة بظاهر مراكش. وبموته انقرضت دولة «الموحدين». انظر: حذوة الاقتباس ٩٦، والاستقصاء ١/٢٠٨، والنجوم الزاهرة ٧/٢٣٠، وشذرات الذهب ٥/٣٢٧، والحلل الموشية ١٢٧، والأعلام ١/٢٨٠.

(١) موضع بالشام. انظر: معجم البلدان ١/٨١١.

(٢) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ (من أرض نابلسى) وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. انظر: المنهج الأحمد والمقصد الأرشد وفوات الوفيات ١/ ٤٦ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١/١٤٥.

(٣) هى قرية بمركز زفتى من مديرية الغربية، وتقع على طريق السكة الحديدية بين بنها وزفتى. انظر: الخطط التوفيقية ١٠/ ٣٩.

وتوفى الولى العارف تقى الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن [...[١]...] الماجرى من هوارة، فى يوم الأحد ثامن ذى الحجة، بناحية قليب[٢]. وله كرامات كثيرة، وأخذ الطريق عن الشيخ أبى الفتح الواسطى عن الشيخ أحمد بن أبى الحسن الرفاعى، وقبره يُزار بقليب ويتبرك به.

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) هضيبة القليب جبل الشربة انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٤٤.

سنة تسع وستين وستمائة

فى المحرم: ورد كتاب بيسو نوغاى قريب الملك بركة ملك التتار، وهو أكبر مقدمى جيوشه، يخبر فيه أنه دخل فى دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء عليه. وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وأمرهم بحَفْرَ الآبار فى الطرقات برسم العساكر، وشرع فى تجريد العساكر، فورد الخبر بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس فى خامس صفر.

وفى سابعة: توجه السلطان إلى عسقلان؛ ليهدم ما بقى منها خوفا من مجىء الفرنج إليها، فنزل عليها وهدم بنفسه ما تأخر من قلعتها وأسوار المدينة حتى سوّى بها الأرض وعاد إلى قلعة الجبل فى ثامن ربيع الأول.

وفى حادى عشريه: هلك الملك المجير هيتوم بن قنسطنطين متملك سيس.

وفى عاشر جمادى الآخرة: سار السلطان من القاهرة - ومعه ابنه الملك السعيد - إلى الشام، فدخل دمشق فى ثامن رجب، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر. واتصلت الغارات إلى صافِيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها، وعدتهم سبعمائة رجل سوى النساء والأطفال، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره.

وفى تاسع رجب: نازل السلطان حصن الأكراد، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية الصاحب نجم الدين.

وفى آخره: نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة فى سادس عشر شعبان فطلب أهلها الأمان فأمنهم السلطان على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فخرج الفرنج منها فى رابع عشريه، ورتب السلطان الأمير صارم الدين الكافرى نائبا بحصن الأكراد، وأمر بعمارته.

وبعث صاحب أنطرسوس - وهو مقدم بيت الداوية يطلب الصلح من السلطان، فصولح على أنطرسوس خاصة، خارجا عن صافيتا وبلادها. واسترجع السلطان منهم

جميع ما أخذوه فى الأيام الناصيرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين الإسبتار، وعلى ألا تجدّد عمارة فى المرقب، فتمَّ الصلح، وأخلى الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان.

وفى سابع عشر رمضان: نازل السلطان حصن عَكار[١]ونصب عليه المجانيق، وجدّ أهله فى المناضلة وقاتلهم السلطان قتالا شديدا، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى وهو يصلى فى خيمته بحجر منجنيق أصابه.

ولما كان فى تاسع عشريه: سأل الفرنج الأمان، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج، وخرجوا منه فى سلخه، وعيّد السلطان بالحصن، ورحل إلى مخيمه بالمرج، وكتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره.

وفى رابع شوّال: ركب السلطان بجميع عساكره جريدة من غير ثقل يريد طرابلس، وساق إليها، فبينا هو عازم على ذلك، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكتار وصل إلى عكا فى أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثمانى بطس وشوانى ومراكب تكملة ثلاثين مركبا، غير ما سبقه صحبة أستاداره، وأنه يقصد الحج إلى القدس، فغيّر السلطان عزمه ونزل قريبا من طرابلس، وبعث إليهم الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعا بصاحبها، وجرت أمور آخرها أنهم سألوا السلطان الصلح فكتبت الهدنة لمدة عشر سنين، وجهز الأمير فخر الدين بن جلبان، والقاضى شمس الدين الإخنائى شاهد الخزانة، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكاك الأسرى، وعاد السلطان إلى مخيمه، وسار إلى حصن الأكراد فدبر أمر عمارته، ورتب أحوال تلك الجهات.

وفى حادى عشره: استولى السلطان على حصن العُلَيْقَة من حصون الإسماعيلية، واستخدم به الرجال، ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه، ورحل منها فى رابع عشريه، فنزل صفد وحمل منها المجانيق إلى القُرَيْن[٢] وساق إليه ونازله حتى أخذه فى ثانى ذى القعدة، وركب منه فما أصبح إلا على أبواب عكا مُطِّلبا، فما تحرك أحد من الفرنج، فعاد إلى مخيمه بالقرين، وهدم القلعة فى رابع عشرى ذى القعدة، ورحل منه إلى قريب عكا، ونزل اللَّجُوْن[٣].

---

(١) حصن على جبل موقعه شمالى طرابلس.

(٢) هو حصن فى أرض معليا قرب صفد.

(٣) بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلا. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٥١.

وكان السلطان قد كتب إلى مصر بتسفير الشوانى لقصد قبرص، فسارت فى شوال حتى قاربت قبرص، فانكسرت كلها. وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقرّعه فيه بأن شوانى مصر - وهى أحد عشر شينيا - خرجت إلى قبرص فكسرها الريح، وأخذتها وأُسرت من فيها فلما قرأه السلطان قال: «الحمد لله! منذ ملكنى الله تعالى الملك ما خُذلت لى راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فبهذا ولا بغيره» وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا، وإحضار خمس شوانى كانت بقوص، وكتب إلى قبرص جوابا أرعد فيه وأبرق.

وقدمت رسل صاحب صور تطلب الصلح، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج من بلاد صور عشرة بلاد فقط، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها، وبقية البلاد تكون مناصفة، ووقع الحلف على ذلك. وسار السلطان إلى القاهرة، ودخل قلعة الجبل فى ثانى عشر ذى الحجة، فبلغه أن الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان السلطان قد جعلة أحد أمراء مصر، فقبض عليه وعلى عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوبا؛ وقبض أيضا على عدة أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف: منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير أقوش المحمدى، والأمير أيدغدى الحاجبى، والأمير إيغان سم الموت، والأمير سنقر المساح، والأمير بيدغان الركنى، والأمير طرطح الآمدى وسجنهم بقعلة الجبل.

و فيه جهز السلطان الأمير آقسنقر الفارقانى بعسكر إلى الشام، وفيه وردت هدية صاحب اليمن، وفيها تحف ودب أسود وفيل. وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشوانى، حتى كملت ضعفى ما انكسر.

وفى سابع عشريه: أمر السلطان بإهراق الخمور، وأبطل ضمانها وكان فى كل سنة ألف دينار، وكتب بذلك ترقيما قرئ على المنابر.

وفيه خلع السلطان بالميدان، وفَرّق على ألف وسبعمائة شخص لثمان خيل، وفرّق ألفا وثمانمائة فرس، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ وفيه لازم السلطان الصناعة بمصر عدّة أيام لرمى النشاب. وفيه ورد الخبر بأن الفرنج أغاروا على جهة الشّاغُور، وأخذوا غلة وخربوا وأحرقوا غلالا.

وفيها عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق، وأعيد عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقى بن خليل بن مقلد بن جابر،

الشهير بابن الصائغ.

وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق، فأخذ كثيرا من الناس والدواب، وقلع الأشجار وردم الأنهار، وخرب الدور وارتفع حتى نزل مرامى السور، وذلك زمن الصيف.

وفيها ولى قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد المخلص ضياء الدين أبى الفخر هبة الله بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى. ولم يحج أحد فى هذا العام من مصر، لا فى البرّ ولا فى البحر. وهجم مكة سيل عظيم فى شعبان حتى دخل الكعبة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير علم الدين سنجر الصيرفى، فى سادس صفر بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة المالكى شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب السبكى، فى ليلة الخامس والعشرين من ذى القعدة، عن أربع وثمانين سنة. وولى بعده قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضى المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر.

وتوفى الشريف إدريس بن على بن قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة، قتيلا بظاهر مكة، فانفرد بعده أبو نمى بن أبى سعد.

وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور البارزى الجهنى الحموى الشافعى، عن تسع وثمانين سنة بحماة.

وتوفى الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن شِقير المغربى الحنفى[١] بدمشق، عن ثلاث وستين سنة.

---

(١) محمد عبد المنعم بن نصر الله التنوخى، أبو المكارم، المعروف بابن شقير: شاعر، دمشقى المولد والوفاة. له اشتغال بفقه الحنفية والحديث. أصله من معرة النعمان (بسورية) كان يلقب بالهدهد. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٢٩ والجواهر المضية ٢/ ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٣ وصلة

وتوفى قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين[1] المرسى الصوفى بمكة، عن نحو خمسين سنة.

* * *

التكملة والأعلام ٦/ ٢٥٠.

(١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلى المرسى الرقوطى، قطب الدين، أبو محمد: من زهاد الفلاسفة. درس العربية والآداب فى الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره. وصنف كتاب «الحروف الوضيعة فى الصور الفلكية». كفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. انظر: حلاء العينين ٥١ وفوات الوفيات ١/ ٢٤٧ ونفح الطيب ١/ ٤٢١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦١ ولسان الميزان ٢/ ٣٢٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٨٨ ودار الكتب ١/ ٢٤٤ والأعلام ٣/ ٢٨٠.

سنة سبعين وستمائة

أهلّت والسلطان متشدّد فى إراقة الخمور وإزالة المنكرات، فكان لذلك يوما مشهودا. وفيه أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين بيدغان الركنى، وأعطاه إقطاعا بالشام، ثم أحضره بعد قليل، هو وسيف الدين ملاجا الركنى، واشتراهما ورتبهما سلاح دارية وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسى بن مهنا وبين العربان، وأنه يريد التوجه إلى التتار. فخشى السلطان أنه إن استدعاهم لا يحضروا، وإن توجه إلى الشام تسحبوا، فكتم أمره.

ونزل السلطان إلى الميدان فى سابعه، وفرّق فى خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، واثنى عشر ألف دينار عينا، ونيفا وستين حياضة، وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع، ولازم النزول إلى الصناعة فى كل يوم حتى تنجزت الشوانى، ونزل الأمير آقسنقر الفارقانى بمن معه من العسكر على جينين.

فلما كان ليلة السابع عشر: منه توجه السلطان بعد المغرب، ومعه جماعة يسيرة من خواصه، وأخفى حركته ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشترى عليقا ولا مأكولا، وقرر لهم ما يحتاجون إليه. وسار إلى الزَّعْقَة(١)، ثم عرج منها فى البرية إلى الكرك، ودخلها من غير أن يعلم به أحد فى سادس صفر، ونزل قلعتها. وقرّر السلطان فى نيابة الكرك علاء الدين أيدكين الفخرى، ونقل الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك إلى نيابة الشام، ولم يظهر السلطان ذلك حتى نسلم أيدكين نيابة الكرك فى ثامنه، واستدعى عز الدين أيدمر وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا فى يوم وليلة، إلى النواب والأمراء بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيدمر الظاهرى، عوضا عن أقوش النجيبى، وسير السلطان تشريفا للنجيبى نائب دمشق، وأمره أن يتوجه إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيدمر، فاعتمد ذلك.

وأنفق السلطان فيمن خرج معه مالا وافرا وخيولا، وركب بهم فى ليلة السادس

---

(١) هى بلدة واقعة قرب الحدود بين مصر والشام.

عشر منه، ونـزل خـارج حماة بالجَوْسَق[1]، ونـزل صاحب حماة فى خيمـة. ورتـب السلطان أستادارا وأمير جاندار وحاشية السلطنة، فإنه كان قد خرج من مصـر جريـدة، وقام له صاحب حماة بالأسمطة، وقدم عليه وهو بحماة جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكتم عنهم أمره وما أظهر لهم شيئا، وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولا عيّنهـا له ليطمّنه، وكتب إليه: «إنك بعثتَ وأنا بمصر تطلب الحضـور، فكتبتُ إليـك لا تحضـر حتى أطلبك، وقد حضرتُ إلى حماة فإن أردتَ الحضور فاحضر». فحضر عيسى وسـأله السلطان عما نقل عنه، فقال: «نعم! والصدق أنجى من الكذب» فأحسـن السلطان إليـه وإلى أكابر العرب.

وفى سادس عشريه: قدم شمس الدين بـن نجم الديـن صـاحب الدعـوة الإسماعيليـة، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر، واستمرت مضايقة حصونهـم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخَوَابى وحصن العُلَيْقَة.

وفى أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخـرة، مـن غير أن يعلم أحد قصده، وسار على طريـق حلـب، ثـم عـرج مـن شيزر وأصبح علـى حمص، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكّار وكشف أمورهمـا، وسـار إلى دمشـق، وكتـب إلى مصر كتابـا يقـول فيـه لأكـابر الأمـراء: «ولدكـم» - ولبقيتهـم أخوكـم - ووالدكم يسلم عليكم ويتشوّق إليكم، وإيثاره ألا يفارقكم. وإنما قدّمنـا راحتكـم علـى راحتنـا، فطالما تعبـوا واسـترحنا ونعلمهـم بـالمتجددات ليكونـوا لهـا كالمشـاهدين وكمشاركينا فى أكثر المجاهدين: فمنها حديث الإسماعيلية وحديـث العربـان، وقـد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد. وأما الفرنج فعملوا سـلالم مـن حديـد، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يـدل على التمكين تارة بالسيف وتـارة بالسـكين، أن صـاحب مَرَقِيـة[2] الـذى أخذنـا بـلاده توجه إلى التتار مستصرخا، وسيرنا وراءه فداوية، وقـد وصـل أحدهـم وذكـر أنهـم قـد قفزوا عليه وقتلوه، وبلغتنا حركة التتـار وأنـا واالله لا أبيـت إلا وخيلـى مشـدودة، وأنـا لابس قماشى حتى المهماز».

وورد الخبر بأن التتار أغاروا على عين تاب، وتوجهوا على العَمْـق فـى نصـف ربيـع الأوّل، فكُتب إلى مصر بتجريد الأمير بيسـرى بثلاثـة آلاف فـارس. وخـرج البريد مـن دمشق فى الثالثة من يوم الأحد ثـامن عشـره، فدخـل القـاهرة الثالثـة مـن ليلـة الأربعـاء

---

(١) معرب اللفظ الفارسى كوسك، ومعناه القصر، ويجمع على جواسق. انظر: محيط المحيط.

(٢) هى قلعة بساحل الشام قرب حمص. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٠١.

حادى عشريه، فخرج بيسرى والعسكر بكرة يوم الأربعاء المذكور. وقدم التتار إلى حارم وقتلوه جماعة، وتأخر العسكر الحلبى إلى حماة، ووصل آقسنقر بالعسكر من جينين، فجفل أهل دمشق، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وأجرته إلى مصر مائتى درهم. ودخل الأمير بيسرى بالعسكر المصرى إلى دمشق فى رابع ربيع الآخر، فخرج السلطان بالعساكر إلى حلب، وجرّد الأمير آقسنقر ومعه عدة من العربان إلى مرعش، وجرّد الحاج طيبرس الوزيرى والأمير عيسى بن مهنا إلى حرّان والرّها. فوصل العسكر إلى حرّان وقتل من فيها من التتار، وهزم باقيهم.

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون[١] بمواعدة التتار، وقتل الأمير حسام الدين الأستادار، وجرح الأمير ركن الدين الجالق، ورحل بجكا العلائى والى قاقون، فخرج السلطان من حلب، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خبره، ودخل إلى دمشق وبين يديه عدة من التتار المأسورين من حران، وسار الأمير أقوش الشمسى بعسكر عين جالوت، فولى الفرنج منهزمين من قاقون، وتبعهم العسكر فاسترجعوا منهم عدّة من التركمان، وقتلوا كثيرًا حتى أنه عدّ ما تلف من خيل الفرنج وبغالهم فكان خمسمائة رأس.

وخرج السلطان من دمشق فى ثالث جمادى الأولى، ومعه عساكر مصر والشام للغلوة على عكا، فتكاثرت الأمطار عليه فى مرج برغوث، وزاد الأمر عن الوصف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به، فرد السلطان عسكر الشام وسار إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى ثالث عشريه.

وقدمت هدية صاحب تونس، وفى مكاتبته تقصير فى المخاطبة، ففرّقت هديته على الأمراء، وكتب إليه بالإنكار عليه فى التظاهر بالمنكرات واستخدام الفرنج، وكونه لم يخرج لما نازلوه، وكان مستخفيًا، وقيل له: «مثلك لا يصلح أن يلى أمور المسلمين»، وخوّف وأنذر، وقدمت رسل رجار وهو يشفع فى صاحب عكا، والسلطان فى الصناعة جالس بين الأخشاب والصناع، والأمراء تحمل بأنفسهم آلات الشوانى وهى تمدّ فراعهم ما شاهدوا.

وفى رجب: خرج السلطان متصيّدا بجهة الصالحية، فورد الخبر بحركة التتار فعاد إلى القلعة، وخرج فى ثالث شعبان إلى الشام، وأتته رسل الفرنج بعكا - وهو بالسَوَاد[٢] -

---

(١) حصن بفلسطين قرب الرملة. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.

(٢) موضع بنواحى البلقاء. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

تطلب الهدنة، فسار وبعث إليهم الأمير فخر الدين أغار القرى، والصدر فتح الدين ابن القيسرانى كاتب الدرج، فى حادى عشرى رمضان، ونزل السلطان بمروج قيسارية فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة ساعات من التاريخ المذكور وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرمح.

ورحل السلطان إلى دمشق فدخلها ثانى شوال، وحضرت رسل التتار فى طلب الصلح. فجهز السلطان إليهم الأمير مبارز الدين الطورى أمير طبر، والأمير فخر الدين القرى الحاجب، ومعهما الرسل وهدية لأبغا بن هولاكو وغيره، فساروا فى خامس عشره، فلما قدما على أبغا أكرمهما وأخلع عليهما وأعادهما.

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده، فاقتدى به جميع الأمراء والخواص، وكتب إلى الملك السعيد وسائر النواب بذلك، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل. وعمل السلطان جملة نشاب بيده، نحتها وريشها ونصلها.

فلما صحى السلطان توجه إلى حصن الأكراد، ووصل إليه فى حادى عشرى ذى الحجة، وشاهد العمارة به، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة، ونقل معهم بنفسه، ثم نزل وعمل بيده فى مرئة مكان بالخندق، وحفر بنفسه، ثم سار إلى حصن عكّار، وعمل فى عمارته بيده أيضا، وأمر برمى المنجنيقات ليعرف مواضع سقوط أحجارها، وعاد إلى حصن الأكراد، وخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف، وخرج يتصيد، فكان الذى خلعه خمسمائة تشريف على من أحضر إليه الصيد.

وفى هذه السنة: امتحن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن على بن سرور بن واقع بن حسن بن جعفر[1] المقدسى الحنبلى: وذلك أن القضاة الأربعة الذين ولّاهم السلطان الملك الظاهر بديار مصر، كان كل منهم يستنيب قضاة عنه فى النواحى، وكان لتقى الدين شبيب الحرانى أخ ينوب عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى بالمحلة فعزله، فغضب شبيب لذلك، وكتب ورقة للسلطان بأن عند القاضى القضاة شمس الدين الحنبلى ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام، بجملة

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٥/ ٣٥٣ والأعلام ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧.

كبيرة وقد ماتوا، فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك، فأنكر وحلف وورى فى يمينه، فأمر السلطان بالهجم على داره، فوُجد فيها كثير مما ادعاه شيب: بعضه قد مات أهله، وبعضه لقوم أحياء فأخذ السلطان مما وجد لمدة الزكاة سنين، وسلم لمن كان حيا وداعته وغضب السلطان عليه واعتقله، وأوقع الحوطة على داره فى يوم الجمعة ثانى شعبان.

وسار السلطان إلى الشام قاضى شمس الدين الحنبلى فى الاعتقال بمصر، فتسلط شبيب عليه وادعى أنه حَشَوِى(١)، وأنه يقدح فى السلطان، وكتب بذلك محضرًا، فأمر الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة بعقد مجلس، فعقد فى يوم الإثنين حادى عشره، وحضر الشهود، فنكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته فأَحْرَق النائب بمن شهد وجرسهم(٢)، وذلك أنه تبين له تحامل تقى الدين شبيب على القاضى، واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده، وأعيد القاضى إلى اعتقاله بقلعة الجبل، فأقام معتقلا سنتين، و لم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدًا.

وفيها قدم الشريفان جماز وغانم بن إدريس مكة، وملكاها أربعين يوما، ثم قدم أبو نمى فملكها منهما. وفيها ولدت زرافة بقلعة الجبل فى جمادى الآخرة، فأرضتها بقرة، وفيها ولدت امرأة بدمشق فى بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات، وكانت مدة حملها أربعة أشهر وعشرة أيام، فماتوا كلهم وعاشت الأم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضى الدين أبى عبد الله محمد بن عماد الدين أبى حامد محمد بن يونس الموصل الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة ببغداد.

وتوفى كمال الدين أبو الفضل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلى الشافعى، بدمشق عن سبعين سنة.

وتوفى عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سنى الدين أبى الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى، بها عن سبعين سنة.

---

(١) كانت أحد التهم التى توجه إلى من يثبت صفات الله كاليد والساق والعين، فأهل السنة والجماعة يثبتون تلك الصفات بلا تحريف ولا تكيف ولا تعطيل ولا تشبيه، وأدعيائهم يعتبرون ذلك من التجسيم والحشو.

(٢) جرس القوم وسمع بهم وأشهر عيوبهم. انظر: محيط المحيط.

وتوفى أمين الدين أبو الحسن على بن عثمان بن على بـن سـليمان الإربلـى الأديـب الشاعر، وقد ترك الجندية وتنتك، عن ثمان وستين سنة، بطريق الفيوم.

ومات ببلد الخيل عليـه السـلام الشيخ علـى البكـا، الرجـل الصـالح، فـى أوّل شـهر رجب، وله كرامات كثيرة.

* * *

سنة إحدى وسبعين وستمائة

فى خامس المحرم: دخل السلطان إلى دمشق، وقد تواترت الأخبار بحركة التتار، فركب خيل البريد من دمشق فى ليلة سادسه بعد عشاء الآخرة، ومعه الأمير بيسرى، والأمير أقوش الرومى، وجرمك السلاح دار، وجرمك الناصرى، وسنقر الألفى السلاح دار، وعلم الدين شقير مقدّم البريد. وساق فدخل قلعة الجبل فى يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة، و لم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راكبا، ثم ركب إلى الميدان ولعب بالكرة، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام. وكتب السلطان إلى الأمراء المقيمين بدمشق، وذكر فى الكتب أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدبير أمورها، وسير علائم بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد للأطراف، وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: ركب السلطان إلى مصر، وركب فى البحر ولعبت الشوانى قدّامه.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشره: جُهّز العسكر المجرد إلى الشام.

وفى ليلة تاسع عشره: توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد، فدخل قلعة دمشق ليلا.

وفى صفر: قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم، فلم يُحتفل بهم، وأمِرُوا أن يضربوا جُوكا قدّام نائب حلب وقدّام صاحب حماة. وكان مجيؤهم بأن يحضر سنقر الأشقر حتى يمشى فى الصلح، ثم غيّروا كلامهم وقالوا: «يمشى السلطان أو من يكون بعده فى المنزلة إلى أبغا لأجل الصلح» فقال السلطان للرسل: «بل أبغا إذا قصد الصلح يمشى هو فيه أو أحد من إخوته» وأمر السلطان بلبس العساكر فلبسوا عُدَد الحرب ولعبوا فى الميدان خارج دمشق، والرسل تشاهد ذلك، ثم سُفّروا فى رابع ربيع الأوّل. وفيه تسلم السلطان سهيرن من سابق للدين وفخر الدين ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس بعد موته، وكان هذا بوصيته لهما بذلك، فأمَّرهما السلطان وأحسن إليهما، وقدم أهلهما إلى دمشق.

وفى خامس جمادى الأولى: ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها

وأنهم قد حفظوا محاوض الفرات ونزلوا عليها، ليعوقوا من يصل إليهم. فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصى بعدة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الرزبرى فى جماعة، ورحل هو من ظاهر دمشق فى ثامن عشر جمادى الأولى، ومعه مراكب مفصلة محمولة. وجدّ للسلطان فى المسير حق وصل إلى الفرات، فوجد التتار على الشط، فألقى المراكب التى حملها معه فى الفرات وأشحنها بالمقاتلة، فتراموهم والتتار. واقتحم الأمير قلاوون الألفى الصالحى الفرات، فخاض ومعه عدّة وافرة، وصدم التتار صدمة فرّقهم بها ومزّقهم، فألقت الأطلاب أنفسها فى الفرات، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس، وهم متماسكون بالأعنة وبجاديفهم ورماحهم، وعليهم وعلى خيولهم الحديد، وازدحموا فى الماء، فكان لقعقعة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان فى أوّلهم، وصلى فى منزلة العدو ركعتين شكرًا لله تعالى، وبث العساكر يمينًا وشمالا، فقتلوا وأسروا عددًا كثيرًا.

وبات العسكر ليلة الإثنين، فورد الخبر بهزيمة التتار من البيرة مع مقدمهم دربای، وتَرْكِهم الأثقال والأزواد، وأن أهل البيرة أخذوا ذلك فتقووا به وأقام السلطان ينتظر من يلاقيه من التتار فلم يأت أحد، فعدى بجميع عساكره فى الفرات كما فعلوا أول مرة ونزل بهم فى ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة، وعَظُم الهول حتى طلعت العساكر إلى البر وسار السلطان إلى البيرة، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار، وعم بالتشاريف والأنعام أهل البيرة، وفرق فيهم مائة ألف درهم فضة، وجرّد هناك عدّة من العسكر زيادة على من كان فيها، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث جمادى الآخر والأسرى بين يديه.

وخرج السلطان إلى مصر، فوصل قلعة الجبل فى خامس عشريه، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى، وأنزله بدار الوزارة وأجرى عليه الرواتب، ثم استدعاه وشرب معه القِمِز[١]، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك، فلما ناوله السلطان الهَنّاب[٢] بيده وهو مملوء قال عز الدين: «يا خوند لقد شبنا وشاب نبيذنا». وعمّ السلطان بالخلع الأمراء والوزراء والقضاة والمقدمين، وجهز رسل الملك منكوتمر ورسل الملك الأشكرى ورسل الدعوة، فساروا فى شعبان.

وفى ثانى عشر شوال: قبض على الشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى شيخ السلطان، وكان السلطان قد استدعاه إلى القلعة، وأحضر جماعة ليحاققوه على أشياء كبيرة بدت منه كاللواط والزنا وغيره، فأمر السلطان باعتقاله، وسجن بقلعة الجبل.

---

(١) القمزة هى كتلة من التمر، جمع قمز، وهو نوع من النبيذ الذى يصنع منه. انظر لسان العرب.

(٢) على هامش ط: قدح الشراب.

وفى ثانى عشرى ذى الحجة: استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية: وهى المَيْنَقَة والقُدْمُوْس[١] والكَهْف، وأقيمت هناك الجمعة وتُرُضِّى عن الصحابة بها، وعُفِّيت المنكرات منها، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره.

وفى هذه السنة: سار والى قوص من أسوان حتى قارب دنقلة من بلاد النوبة، وقتل وأسر ثم عاد. وفيها استولى السلطان على عامة مدن برقة وحصونها. وفيها حصل الاحتفال بأمر الشوانى ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية، فكمل هناك نصب مائة منجنيق، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لقصد ثغور ديار مصر. وفيها فتحت قلعة كَيْنُوْك من بلاد الأرمن، على يد الأمير حسام الدين لاجين العنتابى. وفيها تنجزت عمارة صخرة بيت المقدس. وفيها نزل السلطان يعوم فى النيل وهو لابس زردية مُسْبَلَة[٢]، وعمل بسطا كبيرة، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدى الأستادار، وجرها وجر فرسين - وهو يعوم لابس الزردية - من البر إلى البر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو صاح عبيد الله بن الكمال أبى القاسم عمر بن الشهيد شهاب الدين أبى صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى، بها عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى، عن نحو ستين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموى[٣].

وتوفى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسينى، الناسخ الكاتب المجود المؤرخ، عن تسع وستين سنة.

* * *

---

(١) تقع بين ملطية وسميساط. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

(٢) على هامش ط: أى أن زردية السلطان كانت واسعة مرخاة وتطفو على الماء.

(٣) إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص الخزاعى الحموى، مخلص الدين، أبو إسحاق: شاعر أديب، من أهل حماة. له «ديوان شعر». انظر: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٧ وهدية العارفين ١/ ١٢ والأعلام ١/ ٦٣.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فى المحرم: نُقض باب القصر المعروف بباب البحر تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين لأجل نقل عمد منه لبعض العمائر السلطانية، فوجد فيه صندوق فى داخله صورة من نحاس أصفر، مُفَرّغ على كرسى شكل هرم ارتفاعه قدر شبر بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويداه مرتفعتان تحملان صفحة دورها ثلاثة أشبار مكتوبة بالقبطى، وإلى جانب الكتابة فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة، وإلى الجانب شكل ثان وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث فى يده عكاز وعلى رأسه صليب. ووجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد تكشط أكثر ما فيه من الكتابة وبقى فيه بيبرس، فَتُعُجِّب من ذلك.

وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل فى ليلة سادس عشريه، ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير أنامش السعدى. فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، صحبه الأمير بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من فى سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة، وأن تخرج كل قرية من قرى الشام رجَّالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه، ودخل السلطان إلى دمشق فى سابع عشر صفر.

فخرج من عساكر مصر فى حادى عشره عدة أربعة آلاف فارس، صحبة مقدميهم: وهم الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، وجمال الدين أقوش الرومى، وعلاء الدين قطليجا، وعلم الدين ططح. ثم خرج فى ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة، فورد مرسوم السلطان على الأمير بيليك بالنزول قريبا من يافا، وعندما قارب عسكر مصر دمشق ركب السلطان من دمشق فى نحو أربعين نفسا جرائد بغير ركيدار، وقد طلب العسكر وقارب المنزلة فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنّهم حجاب من بعض التركمان، فأمروهم بالترجل فأبوا، وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف سناجق وحسر لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية، ودخل السلطان وساق فى ركبه، فنزل الناس وقبلوا الأرض، وسار حتى نزل ورتب العسكر. وأصبح السلطان فركب فى موكبه، وقضى أشغال الناس إلى أن أمسى، ثم

ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا فى موكبه. وفى مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يرتب الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على علائم فوق أوراق بيض.

وفيه فرّ الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج من التتار إلى السلطان بيبرس. وكان الملك فرج فى أول أمره أمير طشت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وكان له سميساط، وبعد وفاة جلال الدين سَلَك قلعة كِيْرَان[1] وعدّة قلاع بناحية تَقْجَوَان[2] ثم وصل الملك فرج هذا إلى بلاد السلاجقة الروم، فَقْطع بها ناحية أَفْصَرَا. وكان بهادر قد كاتب السلطان بيبرس وراسله وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو فعلم به التتار فأمسكوه وحملوه إلى الأردو، فهرب وحضر إلى البيرة، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر، فأكرمه وأعطاه بمصر إمرة عشرين فارسا. وخرج السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشرى جمادى الآخرة. فتواترت الأخبار بحركة التتار، فرسم للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب بالغارة، فأغار ووصل إلى الأنبار فى ثامن عشر شعبان، فظن التتار أن السلطان قد قدم، فانهزموا إلى أبغا، فرجع إلى بلاده.

وفى نصف شعبان: أفرج عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى.

وفى شهر رمضان: رسم للعسكر بالتأهب للعب القبق ورمى النشاب، فركب من كل عشرة فارسان فى أحسن زيهم وقت الحرب، وركب السلطان فى مماليكه ودخلوا فى الطعن بالرماح، ثم أخذ السلطان الحلقة ورمى النشاب، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره، وقلسلقة والبحرية بغلطاق. فاستمر ذلك أياما، تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس، وفرّق السلطان فيها من الخيل والبغالطيق جملة. وساق السلطان يوما عادته فى اللعب، وسل سيفه فسلت مماليكه سيوفها، وحمل هو ومماليكه الخواص حملة وحمل واحد واصطدموا، فكان منظرا مهولا، وأطلق السلطان من التشاريف ما عمّ به سائر من فى خدمته: من ملك وأمير ووزير، ومقدمى الحلقة والبحرية، ومقدمى المماليك والمفردية، ومقدمى البيوتات السلطانية، وكل صاحب شغل وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.

وفى يوم عيد الفطر: خُتن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعدّة من أولاد الأمراء، وجرى السلطان على عادته فى عدم تكليف الناس، فلم يقبل من أحد هدية

(١) هى مدينة بآذربيجان بين تبريز وبيلقان. انظر: معجم البلدان ٣٣٢/٤.

(٢) هى بلدة من نواحى أيران.

ولا تقدمة، ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف، إلا المغانى وأرباب الملاهى فإنه لم تنفق لهم فى طول أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق ألبتة.

وفى ثانى عشر شهر رمضان: سار الملك السعيد من قلعة الجبل فى عدّة من الأمراء جريدة إلى الشام، من غير أن يعلم به أحد، فدخل دمشق فى سادس عشريه على حين غفلة من النائب، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم فى سوق الخيل، فقبلوا له الأرض، ودخل الملك السعيد إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق، فمنعته كثرة الأمطار.

وفى ليلة عيد الفطر: خلع الملك السعيد على أمراء الشام والمعكمين والمفاردة والأكابر، وخرج يتصيد بالمرج، وسار إلى الشقيف وصفد، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل فى حادى عشرى شوال.

وفى هذه السنة: كان بمصر وأريافها وباء، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال. وحصل فى بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحميات، فقدم رجل نصرانى إلى الأمير غرس الدين بن شاور والى الرملة، وقال له: «هذه الآبار قد حاضت، كما جرى فى السنة التى جاء فيها التتار فيها إلى الشام. وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابُوْد[1] فى الجبل، و أخذوا من مائها وصبوه فى الآبار فزال الوخم»، وأشار بعمل ذلك فبعث والى الرملة إلى القرية المذكورة، وأخذ من مائها وصبه فى الآبار التى بيافا، وكان الماء قد كثر فيها فنقصت إلى حدّها المتعارف، وكُتب إلى السلطان بذلك وقيل له: «إن هذه الآبار إناث تحيض، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود المذكورة».

وفيها ولى تقى الدين أبو عبد الله محمد بن [......][2] بن يحيى الرقى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة محيى الدين محمد بن الأستاذ.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير فارس الدين أقطاى الصغير المستعرب الصالحى النجمى، أتابك العساكر بديار مصر، عن سبعين سنة فى تاسع جمادى الأولى.

ومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل، دَاوَدَار السلطان.

وتوفى قاضى حلب محيى الدين أبو المكارم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعى بها، وقد قدم القاهرة ودرّس بالمَسْرُوْرِية[3].

---

(١) هى قرية جبلية بنواحى بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٨٣.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) اسم مدرسة كانت فى الأصل دار الشمس الخواص مسرور. انظر: المواعظ والاعتبار ٣٧٨/٢.

وتوفى قاضى قضاة دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شدّاد بن على التقايسى الشافعى، عن سبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسى التميمى، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة، بعد ما قدم القاهرة.

وتوفى النحوى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجَيّانِى بدمشق، عن بضع وسبعين سنة.

وتوفى تقى الدين أبو إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن أبى اليسر التنوخى المعوى، المحدث الأديب كاتب الإنشاء، عن ثلاث وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى، مدرس دار الحديث الكاملية، عن خمس وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى جمال الدين أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن علاقة الأنصارى، عن ست وثمانين سنة.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبى بالإسكندرية، عن بضع وثمانين سنة.

ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى[1] الإمام المشهور، فى ذى الحجة. و قد خدم أولا صاحب الألموت، ثم خدم هولاكو وحظى عنده، وعمل له رصدا بمراغة، وصنّف كتبا عديدة. وقد توفى فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

* * *

(١) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسى: فيلسوف. كان رأسا فى العلوم العقلية، وعلامة بالأرصاد والرياضيات. علت منزلته عند «هولاكو» فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ خزانه ملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان «هولاكو» يمده بالأموال، وصنف كتبا جليلة. وله شعر كثير بالفارسية. وتوفى ببغداد. انظر: فوات الوفيات ٢/ ١٤٩ والوافى ١/ ١٧٩ وابن الوردى ٢/ ٢٢٣ وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٩ ومفتاح السعادة ١/ ٢٦١ ونشر دار الكتب ١/ ٥١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٧ والفهرس التمهيدى ٤٧٢ و ٤٨٧ و ٥١٦ وآداب اللغة ٣/ ٢٣٤ والذريعة ١/ ٢٦ ثم ٤/ ٥٠ ومعجم المطبوعات ١٢٥٠ وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٦٧ والأعلام ٧/ ٣٠، ٣١.

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فى المحرم: قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى قلعة الجبل، ومعه أخوه الملك الأفضل على، وولده المظفر تقى الدين محمود فأنزل بمناظر الكبش، وعندما حل بها وصل إليه الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار بالسماط، فمدّه بين يديه ووقف كما يقف بين يدى السلطان فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى جلس، فلما فرغ السماط قُدِّمت الخلع والتعابى وغيرها.

وفى ثامن صفر: توجه السلطان من قلعة الجبل، وسار إلى الكرك فأقام بها ثلاثة عشر يوما، وكشف أحوال الشوبك، وعاد إلى قلعة الجبل ثانى عشرى ربيع الأول. ثم توجه إلى العباسية ومعه الملك السعيد، فصرع الملك أوزة خبية. وقيل له: «لمن تدعى؟» فقال: «لمن أدعو بحياته، ومن أتقرْب إلى الله بدعواته، الذى حسبى افتخارا أن أقول والدى، ومن يتمرن لصرع أعدائه ساعدى»، فقبله السلطان ووهبه من كل شيء.

وفيها تحيل السلطان على استخلاص رؤساء الشوانى الذين أسروا بقبرص ميناء نمسون، وكان الفرنج لما كسرت الشوانى على قبرص وأسروا من فيها، السلطان الأمير فخر الدين المقرى الحاجب إلى صور لابتياع الأسرى، فتغالى الفرنج الرؤساء وباعوا القوّاد والرماة لطائفة منهم، فغادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان، وبقى الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة: منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دمياط، فحبسوهم بعكا فى قلعتها. فبعث السلطان إلى الأمير سيف الدين خطابا - وهو بصفد - يأمره بالتحيّل فى سرقتهم، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل إليهم بمبارد ومناشير، وسُرقوا من جبّ قلعة عكا، وساروا فى مركب إلى خيل قد أعدت لهم، فركبوها ووصلوا إلى القاهرة. و لم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان، فكانت بعكا لأجلهم فتنة بين الفرنج.

وقدم كتاب متملك الحبشة وهو الحَطّى يعنى الخليفة، يخاطب السلطان فيه بعبارة: «أقل المماليك يقبّل الأرض وينهى»، وسأل فيه أن يجُهَّزْ له مِطْران من عند البطرك، فأجيب. وسار السلطان إلى الإسكندرية، وأمر ببناء ما تهدم من المنار، وعاد إلى قلعته. وكتب السلطان بأن تخرج عساكر حلب للغارة، فخرجت وأغارت على بلاد سيس، وغنموا وقلعوا أبواب رَبَض مرعش.

وفى ثالث شعبان: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام، فدخل دمشق فى سلخه، وخرج منها فى سابع رمضان فدخل حماة، ثم صار منها بالعساكر والعربان. وجرد السلطان عيسى بن مهنا، والأمير حسام الدين العنتابى، بعسكر إلى البيرة، وجهّز الأمير قلاوون الألفى والأمير بيليك الخازندار، بعسكر إلى بلاد سيس، فساروا وهجموا النصِّيْصَة[١]على الأرمن، وقتلوا من بها، وكانت المراكب قد حُملت معهم على البغال وهى مفصلة، ليعدوا فيها من نهر جَهَان[٢] والنهر[٣] الأسود، فلم يحتج إليها.

ووصل السلطان على الأثر بعد ما قطع بعساكره النهر الأسود وقاسوا مشقة، وملكوا الجبال وغنموا عنها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل السلطان إلى سيس وهو مُطّلب فى تاسع عشريه وعيّد بها، وانتهبها وهدم قصور التكفور ومناظره وبساتينه، وبعث إلى دَرْبَنْد[٤]الروم، فأحضر إليه من سبايا التتار عدّة نساء وأولاد، وسيّر إلى طرسوس، فأحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال، وبعث إلى البحر عسكرا فأخذ مراكب، وقتل من كان فيها. وانبثت الغارات فى الجبال، فقتلوا وأسروا وغنموا. وبعث السلطان إلى أَيَاس[٥] بالعساكر، وكانت قد أخليت، فنهبوا وحرقوا وقتلوا جماعة، وكان قد فرّ من أهلها نحو الألفين - ما بين فرنج وأرمن - فى مراكب، فغرقوا بأجمعهم فى البحر، واجتمع من الغنائم ما لا يحصره قلم لكثرته، ووصلت العربان والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التتار منهم وعادوا. فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة من الدربند، فلما قطعه جعل الغنائم بمرج أنطاكية حتى ملأته طولا وعرضا، ووقف بنفسه حتى فرّقها، ولم يترك صاحب سيف ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئا. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق، فدخلها فى النصف من ذى الحجة.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعى.

* * *

---

(١) مدينة على شاطىء نهر جيحان وتقارب طرسوس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٥٧.

(٢) يخرج هذا النهر من بلاد الروم عند زبطرة. انظر: معجم البلدان ١/ ١٧٠.

(٣) منبعه فى بلاد الروم، ومجراه غربى بلاد المصيصة وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٨٣٤.

(٤) باب من الأبواب. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٤٩.

(٥) هى ثغر بأرمينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

ومات فيها من الأعيان

قاضى القضاة الحنفى بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن الحسن بن عطاء الأذرعى، عن ثمان وسبعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو بكر محمد بن على بن موسى بن عبد الرحمن الخزوجى[١] المحلى النحوى الأديب.

وتوفى الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدى الدمشقى المعروف باليغمورى[٢]، بالمحلة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن فتوح بن العماد الهَمْدَانى، الإسكندرى الملكى المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية.

* * *

(١) محمد بن على بن موسى، أبو بكر، أمين الدولة، الأنصارى المحلى، نحوى، من أهل المحلة (بمصر) درس النحو وتوفى بالقاهرة. له شعر حسن وكتب. انظر: مفتاح السعادة ١/ ١٥٧ ومخطوطات الظاهرية ٢٩٦ ودار الكتب ٢/ ٢٣١ والمخطوطات المصورة ١/ ٩، ٤١٥ وصلة التكملة والأعلام ٦/ ٢٨٢.

(٢) يوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن اليغمورى: باحث دمشقى يعرف بالحافظ اليغمورى. له كتاب «نور القبس». انظر مجمع اللغة العربية ٤٦/ ٨٠٧ والأعلام ٨/ ٢١٤.

سنة أربع وسبعين وستمائة

فى ثامن المحرم: وصل الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس فى تجمل كبير، ومعه كتاب السلطان إلى متملكها، فما زال حتى قرّر عليه فى كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيرًا.

وفى رابع عشريه: خرج الأمير بدر الدين الخازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد، ومعه أولاد الأمراء، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل البريد فى سلخه، فوصل إلى دمشق فى سادس صفر، وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق.

وفى صفر: هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج، فقتل الطاغية فى المعركة فى نحو ستة آلاف، و لم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلا وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير، وعجزت القدرة عن إحصاء الغنم، حتى أبيعت الشاة بدرهم، وحمل الكراع[١] على أربعة عشر ألف وستمائة جمل.

وفيها نبش عمال بنى مرين قبور خلفاء الموحدين، وأخرجوا عبد المؤمن بن على وابنه يعقوب المنصور من قبريهما، وقطعت رأسهما، وضربت أعناق من كان بجبل تَيْنتَمِل[٢] وصلبوا بمراكش وأخذت أموالهم. وفيها بنيت فاس الجديد[٣] وصارت دار ملك بنى مرين.

وفى ثالث عشرى جمادى الأولى: أخذ السلطان القُصَيْر[٤] حصن أنطاكية، وحمل أهله إلى الجهات التى قصدوها. وقدم الخبر بورود التتار إلى البيرة، فجمع السلطان للعساكر وأنفق، وخرج من دمشق إلى حمص، فجاء الخبر برجوع التتار فعاد إلى دمشق.

وفى هذه الأيام: اختلفت أمراء الروم على البرواناه، ففارقه جماعة من قيسارية، وقدم

---

(١) ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة.

(٢) بلد بجبال مراكش فى الجنوب الغربى من مدينة مراكش نفسها.

(٣) تتكون مدينة فاس المعروفة من بلدين فاس البالى، وفاس الجديد.

(٤) من أعمال الأردن جنوب أنطاكية. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

منهم إلى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير، والأمير سنان الدين موسى بن طرنطاى، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك بعيالاتهم؛ يريدون الانتماء إليه، فجهزهم السلطان إلى القاهرة، ثم إن محمود بن الخطير سعى بهم، فاعتقلوا بقلعة الجبل مدة ثم أطلقوا.

وفى مستهل رجب: توجه السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى ثامن عشره، وقدمت هدية صاحب اليمن، ومن جملتها كَرْكَدَن وفيل وحمار وحش عتابى، فسيّر السلطان إليه هدية مع رسله، وجهز السلطان هدية للملك منكوتمر مع الأمير عز الدين أيبك الفخرى، وجهز رسل الأشكرى، ورسل الملك الفنش ورسل جَنَوَة.

وفيها حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد متظلما من داود ملك النوبة، فجرّد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقانى، بعدة من العسكر وأجناد الولاة والعربان، ومعه الزرّاقون والرماة ورجال الحراريق والزردخاناه، فخرج فى مستهل شعبان حتى عدى أسوان، وقاتل الملك داود ومن معه من السودان، فقاتلوه على النُجُب، وهزمهم وأسر منهم كثيرًا. وبث الأمير آقسنقر الأمير عز الدين الأفرم، فأغار على قلعة الدقم، وقتل وسبى، ثم توجه الأمير سنقر فى أثره يقتل ويأسر حتى وصل إلى جزيرة ميكائيل - وهى رأس جنادل النوبة - فقتل وأسر وأقر الأمير آقسنقر قمر الدولة صاحب الجبل - وبيده نصف بلاد النوبة - على ما بيده، ثم واقع الملك داود حتى أفنى معظم رجاله قتلا وأسرا، وفرّ داود بنفسه فى البحر وأسر أخوه شنكو، فساق العسكر خلفه ثلاثة أيام، والسيف يعمل فيمن هناك حتى دخلوا كلّهم فى الطاعة، وأسرت أم الملك داود وأخته.

وأقيم مشكد فى المملكة، وألبس التاج وأجلس فى مكان داود، وقررت عليه القطيعة فى كل سنة وهى فيلة ثلاثة، وزرافات ثلاث، وفهود إناث خمس، و صهب جياد مائة، و أبقار جياد منتخبة مائة وقرّر أن تكون البلاد مشاطرة، نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها، وأن تكون بلاد العِلى وبلاد الجبل للسلطان - وهى قدر ربع بلاد النوبة - لقربها من أسوان، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجارى بها العادة من القديم وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختاروا الجزية، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا فى كل سنة. وعملت نسخة يمين بهذه الشروط، وحلف عليها مشكر وأكابر النوبة، وعملت أيضًا نسخة للرغبة بأنهم يطيعون نائب السلطان

مادام طائعا، ويقومون بدينار عن كل بالغ. وخربت كنيسة سرس، التى كان يزعم داود أنها تحدّثه بما يؤدّيه، وأخذ ما فيها من الصلبان الذهب وغيرها، فجاءت مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين دينارا ونصف، وبلغت الأوانى الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين دينارا. وكان داود قد عمرها على أكتاف المسلمين الذين أسرهم من عيذاب وأسوان، وقُرّر على أقارب داود حمل ما خلفه من رقيق وقماش إلى السلطان، وأطلقت الأسرى الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردّوا إلى أوطانهم. من العسكر من الرقيق شيئًا كثيرًا، حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس، وأقام العسكر بمدينة دمقلة سبعة عشر يوما، وعادوا إلى القاهرة فى خامس ذى الحجة بالأسرى والغنائم، فرسم السلطان للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالها، فعُمل لذلك ديوان.

وفى ثانى عشره: اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل، وعُقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفى، بوكالة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاوون الأميرُ آقسنقر الفارقانى، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجّل منها ألفا دينار، وكتب الصداق بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وإنشائه، ومن جملته: «هذا كتاب تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع الأنوار ومشارق الأنوار على تسطيره، وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصدق، وقال العرف هذا ما أصدق».

وفيه شنق السلطان الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز - وكان قد تمكن منه تمكنا عظيما - من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلعة الجبل.

وعندما انقضى أمر العقد، ركب السلطان من يومه على الهجن فى نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها فى ثالث عشريه، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبية، فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعى له ذلك وزاد إقطاعه، ونظر السلطان فى أمر أهل الكرك، وقطع أيدى ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة، ورتب رجالا بها عوضا عمن كان فيها. وفيها أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يعهد مثله.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، فى ثالث عشر ربيع الأوّل.

ومات الأمير حسام الدين قيماز الكافرى، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات.

وتوفى سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبى محمد عبد الله بن العماد أبى الفتح عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى[١]شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة.

وتوفى تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابدين الحسين بن محمد بن على التميمى الصرخدى الحنفى، بدمشق عن ست وتسعين سنة.

وتوفى زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، الإنشاء بقلعة الجبل فى [.......][٢].

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن على شيث الأموى [.......][٣].

وتوفى الأديب أبو الحسن على بن أحمد بن العُقَيب العامرى ببعلبك.

* * *

(١) عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى السرخسى ويسمى بعبد السلام أبو محمد، تاج الدين: مؤرخ باحث، خراسانى الأصل. كان شيخ الشيوخ بدمشق، ومولده ووفاته فيها. زار المغرب سنة ٥٩٣هـ فأقام إلى سنة ٦٠٠هـ: وعاد إلى دمشق مارا بمصر. انظر: مرآة الزمان ٧٤٨/٨ ونفح الطيب ٢/ ٧٣٧ وشذرات الذهب ٥/ ٢١٤ والأعلام ٤/ ١١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة خمس وسبعين وستمائة

فى المحرّم: سار السلطان من الكرك، فدخل إلى دمشق فى رابع عشره، وقدم عليه عدّة من أمراء الروم مغاضبين للبرواناه، وهو معين الدين سليمان بن على بن محمد بن حسن، وكان منهم الأمير حسام الدين بَينجَار الرومى، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر، واثنا عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم، من جملتهم قرمشى وسكتاى ابنا قراجين بن جيفان نوين، فأحسن السلطان إليهم، وبعث حريمهم إلى القاهرة، وأجرى عليهم الأرزاق، ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأَبُلُسْتِين[1]، والأمير مبارز الدين سوار بن الجاشنكير، فى كثير من أمراء الروم، فتلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم، ثم كتب السلطان إلى الأمراء بمصر يستشيرهم فى بعث عسكر إلى الروم، وأن يحضر الأمير بيسرى والأمير أقش بما يتفق الرأى عليه، فحضرا على البريد، ووصل أيضا الأمير سنقر الأشقر، وتتابع وصول حريم أمراء الروم، فأكرمهم السلطان وجهّزهم إلى القاهرة، وسار السلطان إلى حلب، وجرّد منها الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى فى عسكر، فوصلوا إلى عين تاب.

وعاد السلطان من حلب إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأول، ورسم بتجهيز مهمات العرض، فأخذ الناس فى التجهيز، وغلت الخيول والأسلحة، وعدم صنّاع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء، وعزّ وجود صنّاع النشاب ومقوّمى الرماح.

وفى خامس جمادى الأولى: وقع العرض، فركبت العساكر بكمالها فى يوم واحد وقد لبسوا أجمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم فى يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا، وفرّق السلطان على مماليكه العدد الجليلة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان، ونزلوا من الغد فى الوطاقات للعب، وقد لبس المماليك السلطانية الجواشن والخوذ، وعملت الأبرجة الخشب على الفيلة، ودخلوا فى الحلقة وساقوا. ثم نُصب القبق بالميدان الأسود تحت القلعة ورموا النشاب، وأنعم السلطان على كل من أصاب القبق من الأمراء بفرس من الجنائب الخاص، بسرجه ولجامه وتشاهيره بالمراوات الفضة وغيرها، وأنعم على من أصاب من المماليك

---

(١) هى مدينة ببلاد الروم قريبة من أفسوس. انظر: معجم البلدان ١/ ٩٤.

والأجناد بالخلع. كل ذلك والسلطان يسعى، وقد تنوع فى لامات حربه، وصار يأخذ بقلوب الناس ويحسن إليهم وساق السلطان بالرمح أحسن سَوْق حتى تعجبوا من فروسيته، إلى أن انقضى النهار على هذا.

وفى اليوم الثالث: ركب السلطان، ولعب الناس ورموا فى القبق، والسلطان يطاعن بالرمح. وفى الغد ترتب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان، وكان السلطان بينا يراه الناس آخرا قد شاهدوه أوّلا، وهو لا يسأم من الكر والفر، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يبهر العقول، وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف.

وكان قفجاقى الأصل، طويل القامة أسمر اللون، فى عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة، صوته جهوريا، وكان شجاعا عسوفا عجولا. وكان قد حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه، وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم، فرّد مشتريه لبياض فى إحدى عينيه، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو بحماة معتقل بها، وأقام فى خدمته مدّة ثم أخذ منه الملك الصالح، فترقّى فى الخلع، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام.

وكانت الأمراء تخافه مخافة شديدة، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم عليه إلا بإذن. وكان مقداما خفيف الركاب طول أيامه يسير على الهجن وخيول البريد؛ لكشف القلاع والنظر فى الممالك، فركب للعب الكرة فى الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق، وفى ذلك يقول سيف الدولة المَهْمَنْدار[1] من أبيات يمدحه بها:

يوما بمصر ويوما بالحجاز وبالشام   يوما ويوما فى قرى حلب

وكانت عدّة عسكره اثنى عشر ألفا، ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب. وكان هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة. وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وهدمها، وفتح صفد وعمرها، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وخربها. واستولى على بغراس والقُصَير وحصن الأكراد والقُرين وحصن عكّار وصافيتا ومرقية وحلبا، وناصَفَ الفرنج المرقب وبانياس وأنطرسوس، وأخَذَ من

---

(١) صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتصدى لتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩.

متملك سيس دربساك ودركوش وتلميش وكفر دنين ورعبان ومرزبان، ومَلَكَ دمشق وعجلون وبصرى، وصرخد والصّلت وحمص، وتدمر الرحبة وتل باشر، وصهيون وبلاطنس، وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابى والرصافة ومصياف، والكرك والشوبك وبلاد الحلب وشيزر وبلاد النوبة وبرقة، وسائر إقليم مصر والشام، ومَلَك قيسارية من بلاد الروم. وقد قال فيه بعض الأدباء:

تدّبر الملك من مصر إلى يمن ... إلى العراق وأرض الروم والنوبى

وله عدة أوقاف بمصر: منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم، وهو من أكثر الأوقاف نفعا، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة، والمدرسة الظاهر بخط بين القصرين من القاهرة، والجامع الظاهرى خارج باب الفتوح من القاهرة. وعمر السلطان بيبرس الجسر الذى يسلك عليه إلى دمياط، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل، ووقفوا وقفة رجل واحد. وقدّم السلطان عدة من مماليكه وخواصه، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم ردفهم بنفسه، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة. فترجل التتار عن خيولهم، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم، فولى طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم. ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم، فانهزم أصحابه، وصار هو إلى قيسارية فوصلها بكرة يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة، وأشار على سلطانها غياث الدين كيكاوس بن كيخسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها، فإن التتر المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حنقا على المسلمين، ثم أخذ البرواناه السلطان غياث الدين كيكاوس بن كيخسرون صاحب الروم، وجماعة من أعيان البلد، وصار بهم إلى تَوْقَات، وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام.

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التتار فى منزلتهم، وأحضر إليه من أسر من أمراء المغول، فعفا عنهم وأطلقهم. وقتل فى المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير، والأمير سيف الدين قيران العلائى أحد مقدمى الحلقة، وسيف الدين قفجاف الجاشنكير، وعدة من العسكر، وجرح جماعة. وقتل قتاوون مقدم التتار فى المعركة، وأمر السلطان بقتل من أسر من التتار، وأبقى من أسر من أمراء الروم وأعيانهم معه، وفيهم أم البرواناه، وابنه مهذب الدين علىّ وابن ابنته.

وجردّ السلطان الأمير سنقر الأشقر فى جماعة؛ لإدراك المنهزمين من التتر وللتوجه إلى قيسارية، وكتب معه كتابا إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل بالدراهم الظاهرية، فمرّ الأمير سنقر بفرقة من التتار معهم البيوت، فأخذ منهم جانبا،

وأدركه الليل فتفرق من بقى منهم.

ورحل السلطان فى يوم السبت حادى عشره يريد قيسارية الروم، فاستولى فى طريقه على عدّة بلاد. وفى يوم الأربعاء خامس عشرة تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه، وقد نصبت فى وطاة بالقرب من المناظر التى كانت لملوك الروم، فترجل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، وأقبل الروم من كل جهة، وضُربت نوبة آل سلجوق على عادتها، وحضر أصحاب الملاهى كما هى عادة الروم، فَنُهُوا عن الضرب بالآلت وعن الغناء أيضا، وقيل لهم: «هذه الهيئة لا تتفق عندنا، وما هذا موضع الغناء، بل موضع الشكر». وشرع السلطان فى إنفاق المال، وعيّن لكل جهة شخصان وكتب إلى أولاد قرمان[1] أمراء التركمان، وأكد عليهم فى الحضور، واستمال النازحين، فما خرج البرواناخ عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه أنه لا يحضر.

وركب السلطان فى يوم الجمعة سابع عشريه وعلى رأسه جتْر بنى سلجوق، ودخل قيسارية دار السلطنة، وعبر القصور وجلس على آل سلجوق، وأقبل الناس للهناء وقبلوا الأرض، وحضر القضاه والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب، على عادة الملوك السلجوقية فى أيام الجمع، ووقف أمير المحفل - وهو عندهم ذو حرمة ومكانة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة - فرتب المحفل على قدر الأقدار، وانتصب قائما بين يدى السلطان منتظرا ما يشير به. وقرأ القراء أحسن قراءة، ورفعوا أصواتهم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا، فأنشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح فى السلطان، ومُدّ سماط الطعام فأكل من حضر، ثم أحضرت دراهم عليها السكة الظاهرية. وتهيأ السلطان لصلاة الجمعة، وقام السلطان إلى الجامع، وخطب الخطيب بنعوته وصلّى، وخطب له الخطباء بجوامع قيسارية وهى سبعة، فلما قضى السلطان صلاة الجمعة، حُمِل إليه ما تركته كُرْجى خاتون امرأة البرواناه من الأموال التى لم تقدر على حملها معها، وما خلفه سواها ممن انتزح معها، وظهر لها ولزوجها معين الدين البرواناه موجود نفيس، فأخذ السلطان ذلك.

وبعث البرواناه يهنئ السلطان بيبرس بجلوسه على تخت الملك، فكتب إليه أن يفد

(١) تأسست دولة بنى قرمان بجهات أرمناك وقسطمونى بجنوبى آسيا الصغرى، فى أواسط القرن السابع.

عليه ليقرّه مكانه، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما. ورجا البرواناه بذلك أن يصل الملك أيضا - وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه - ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم، فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية فى ثانى عشريه، بعد ما أعطى الأمراء والخواص الخيول والأموال. ولما وصل السلطان إلى خان كيقباد بعث إلى الأرمن بجهة الرمانة لأمير طيبرس الوزيرى، فحرق وقتل وسبى من بها من الأرمن وعاد، وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر، فسار السلطان إلى الأبلستين، ومرّ على مكان المعركة ليرى رمم القتلى من التتار، فذكر أهل الأبلستين أنهم عدّوا من القتلى ستة آلاف وسبعمائة وستين، وضاع الحساب بعد ذلك، فأمر السلطان بجمع من قُتل من عساكره ودفنوا، وتَرَك منهم قليلا بغير دفن، وقصد بذلك نكاية التتار فى إظهار كثرة من قُتل منهم وقلة من قُتل من عسكره، ثم رحل.

ودخل السلطان إلى الدربند فى رابع ذى الحجة، وأصاب الناس فيه مشقّة عظيمة، ونزل بحارم فى سادسه وعيّد هناك، فورد كتاب الأمير شمس الدين محمد بن قرمان أمير التركمان، يتضمّن أنه جمع التركمان وحضر فى عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل مُتَرْكَشَة(١) للخدمة، فوجد السلطان قد عاد، وحضر أيضا أمراء بنى كلاب، ووفود التركمان، ثم رحل السلطان طالبا دمشق.

وقدم الملك أبغا بن هولاكو بالتتار لمحاربة السلطان، فوافاه البرواناه فى الطريق. وكان السلطان قد رحل فتبعه أبغا، وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رمم التتار التى هناك فشق عليه ذلك، وكان قد وشى إليه بالبرواناه أنه هو الذى كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فخنق لقلة عدد قتلى الروم. وعاد أبغا إلى قيسارية، فنهبها وقتل من ببلاد الروم من المسلمين، وأغار التتار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتى ألف نفس، ولم يقتل أحدا من النصارى. وشمل القتل من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت خمسمائة ألف، ثم سار أبغا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان بيبرس من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت، أحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل

(١) الجنود المتركشة هى التى تكون حاملة تركاشها، والتركاش جعبة النشاب.

مسجونا، فدفن خارج باب النصر. وفيها حج الصاحب تاج الدين حنا، وكان بمكة غلاء عظيم.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحرّانى الحنفى بدمشق، بعد ما أقام بالقاهرة عينا، وكان قد ولى قضاء بعض الأعمال.

وتوفى بدر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن القُوَيرة، الحنفى الفقيه الأديب، نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكنانى الشاطبى، الحنفى النحوى الأديب، عن ستين سنة بدمشق.

وتوفى قطب الدين أبو المعالى أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عُصْرون التميمى الموصلى الشافعى، عن ثلاث وثمانين سنة بحلب.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيبانى التَّلَمْفَرِى[1]، عن اثنتين وثمانين سنة بحماة.

ومات الشيخ العباس خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العَدَوى الكردى، فى محبسه بقلعة الجبل، فى يوم الخميس سادس المحرم عن نيف وخمسين سنة، ودفن بزاويته خارج باب الفتوح.

ومات متملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[2]، فى عاشر ذو الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيى الواثق.

* * *

---

(١) محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، شهاب الدين، أبو عبد الله، التعفرى: شاعر. نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل. ولد وقرأ بالموصل وسافر إلى دمشق ثم طرده الأشرف موسى إلى حلب فضاقت عليه الأرض فيها، فعاد إلى دمشق فساءت حاله، فقصد حماة، وتوفى فيها. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٧٧ ومعجم البلدان ٢/ ٤٠٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥ وابن الفرات ٧/ ٩٦ - ٧٩ والأعلام ٧/ ١٥١.

(٢) المستنصر الأول (٦٢٥ - ٦٧٥هـ = ١٢٢٨ - ١٢٧٧م). محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن أبى حفص الهنتاتى، أبو عبد الله، أمير المؤمنين المستنصر بن السعيد: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع له فيها بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤٧هـ). وكان شجاعا حازما خبيرا بسياسة الملك فيه شدة وعنف. انظر: دول الإسلام النهبى ٢/ ١٣٦ والدولة الحفصية ٥٥، ٦٨ والخلاصة النقية ٦٢ وابن خلدون ٦/ ٢٨٠ وخلاصة تاريخ تونس ١٠٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٩ والأعلام ٧/ ١٣٨.

سنة ست وسبعين وستمائة

فى خامس المحرم: دخل السلطان من أنطاكية إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر الأبلق، فكثرت الأخبار بقدوم أبغا إلى الأبلستين وأنه يريد بلاد الشام، فضرب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع ألبغا إلى بلاده فردّ الدهليز إلى دمشق.

ولما كان فى يوم الخميس رابع عشره: جلس السلطان لشرب القمز، وقد عظم سروره وفرحه وتناهى سعده، فأكثر من الشرب، وانقضى المجلس فتوعك بدنه، وأصبح يشكو فتقياً، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأبلق آخر النهار وبات فيه، فلما أصبح وهو يشكو حرارة فى باطنه، استعمل دواء لم يكن عن رأى طبيب، فلم ينجح وتزايد ألمه، فاستدعى الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، واتفقوا على أخذ مسهل وسقوه فلم يفد، فحركوه بدواء آخر فأفرط به الإسهال، وتضاعفت الحمى ورمى دما يقال إنه كبده، فعولج بجواهر ومات.

وقال الشيخ قطب الدين اليونينى[1] فى تاريخه: إن الظاهر كان مولعا بعلم النجوم، فقيل له أنه يموت بدمشق فى سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتم من ذلك ويقال إنه كان فيه حد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، أبلى فى المصاف بلاءً عظيما أنكى به العدو، وتعجب الناس لعظم شجاعته، فأثر ذلك عند السلطان. واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فتور، وظهر عليه الخوف والندم على ما فعله من تورط نفسه وعساكره ببلاد الروم، فأنكر عليه الملك القاهر وقَبح فعله، فأسرّ له السلطان ذلك إلى أن قدم دمشق، فسمع السلطان الناس تلهج مما فعله الملك القاهر فى وقت المصاف، فاشتد حنقه وأخذ يتحيل فى سمه، ليصح فيه ما دلت عليه النجوم من موت ملك بالشام، فإنه يطلق عليه اسم الملك؛ فعمل دعوة لشرب القمز حضرها الملك

---

(١) موسى بن محمد بن أبى الحسين أحمد اليونينى البعلبكى، قطب الدين أبو الفتح: مؤرخ، أصله من بعلبك. ولد وتوفى بدمشق. وصار شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه على وكان فاضلا مليح المحاضرة، معظما جليلا. له «مختصر مرآة الزمان». انظر: المقصد الأرشد والدرر الكامنة ٤/ ٣٨٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٦ والفهرس التمهيدى ٣٩٣ والأعلام ٧/ ٣٣٨.

القاهر، وقد أعدّ السلطان سمّا من غير أن يشعر به أحد. وكان له ثلاث هنابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده، فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته، جعل السلطان السم الذى أعده فى هناب وأمسكه بيده، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه، فقبل الأرض وشرب جميع ما فيه وقام السلطان لقضاء حاجة، وأخذ الساقى المناب من يد الملك القاهر، وملأه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السم فيه، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة، فلما عاد السلطان من الخلاء تناول ذلك المناب بعينه، وشرب ما فيه وهو لا يعلم أنه المناب المسموم، فعندما شربه أحس بالتغير، وعلم أنه قد شرب بقايا السم الذى كان فى المناب، فتقيأ فلم يفد، وما زال به حتى مات.

وذكر ركن الدين بيبرس المنصورى المؤرخ(١) أن القمر خسف جميع جرمه، ودلّ على موت رجل جليل القدر، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف، وقصد صرف ذلك إلى غيره، فسم الملك القاهر فى كأس قمز، وأحسّ الملك القاهر بالشر فقام، وغلط الساقى فملأ الكأس وسقاه السلطان، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء، حتى تمكن منه ومات.

وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى المحرم بعد الزوال، فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما، وقد تجاوز الخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما.

وفى يوم الثلاثاء: أنعم السلطان على جميع الأمراء والمقدمين والقضاة والمتعممين بالتشاريف، ولبس السلطان تشريفا كاملا بشربوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاوون الألفى، ولعبوا على عادتهم. وحصل الاهتمام بأمر السماط، ونقل له من أصناف الحوائج ما لا يعد، وسيق من الأغنام ألوف كثيرة. ومُدّت الأسمطة، وحضر السلطان والناس فى خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نُقل جميع ذلك وأخذ. وحضرت التقادم، فقبل السلطان منها اليسير مثل تفصيلة أو رمح أو شىء لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك فى وقته، ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاوون.

---

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. وكان من مماليك المنصور قلاوون، له تصانيف منها «زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية». انظر: ديوان الإسلام ٨/ ٢٣٢ - ٢٧٦ والأعلام ٢/ ٨٠.

وشرع السلطان فى السفر لأخذ بلاد الروم وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والخيام وكل ما يصلح من أمور السفر. وتقرّر الأمير آقسنقر الفارقانى نائب الغيبة بقلعة الجبل، ومعه الصاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونا فى خدمة الملك السعيد. وتعين الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين لوزارة الصحبة[١].

وخرج السلطان مس قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل فى يوم السبت ثانى عشريه ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية، فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوّال، وخرج منها إلى حلب فى العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهل ذى القعدة، وخرج منها يوم الخميس ثانيه إلى حَيْلاَن[٢] وجرّد السلطان الأمير نور الدين على بن مجلى نائب حلب ليقيم على الفرات بعسكر حلب ويحفظ معابر الفرات، لئلا يدخل أحد من التتار إلى بلاد الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب، لم يمرّ بمملكة إلا أخذ معه عسكرها وخزائنها وأسلحتها، فترك بعض الثقل بحيلان، وصار منها يوم الجمعة ثالثه إلى عين تاب، وقطع الدربندربات فى وطأة[٣]. وتوجهت العساكر جرائد على الأمر المعهود، وخففوا كل شيء وتقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا[٤] فى عدة من العسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار ومقدمهم يسمى كراى، فانهزموا قدامه وأسر منهم جماعة، وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر. وبلغ ذلك الملك أبغا، فجهّز جماعة من عرب خفاجة لينازلوا عسكر حلب على غرّة، فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفا ومائتى جمل.

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التتار ومقدمهم تتاوون وعسكر الروم ومقدمهم معين الدين البرواناه، قد اتفقوا جميعا على لقائه، فرتب عساكره وتأهب للقاء، وطلع بعساكره على جبال تشرف على صحراء هوتى من بلد أبلستين. وترتب المغول أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم

---

(١) صاحب هذا المنصب وزيرا متنقلا، يرافق السلطان فى أسفاره وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف شؤونها معه.

(٢) هى من قرى حلب. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٢.

(٣) يقال: وطئَ الشيء يطؤه وطئًا: داسه. انظر: لسان العرب (وطء).

(٤) على هامش ط: الطليعة.

وجعلوه طلبا بمفرده لئلا يكون محاصرا عليهم، وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من جبل أبى المنجا، وهى أجل قناطر أرض مصر. وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طناح وبحر الصماصم بالقليوبية، وحفر خليج سردوس[1]، وأصلح بحر دمياط وردم فمه بالصخور.

ومن غريب أمره أنه أوّل ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل وآخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم. وأول جلوسه على مرتبه الملك يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وآخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق فى قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وأوّل من بنى مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر، والذى أخربها الملك الظاهر. وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرلبك، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم فى الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة. وركن الدين طغرلبك هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة البساسيرى، وركن الدين بيبرس هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة هولاكو. والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى للظاهر لإعزاز دين الله[2] وكذا وقع له، فقد كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى للملك الظاهر بيبرس.

وكان راتب مخابزة وعليقة لخاصة نفسه ومماليكه، فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف أردب، وكان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسو فى كل سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من يده من الكساوى، وكان له من الخبز ألفا قنطار وخمسمائة فى كل يوم. إلا أنه كان كثير المصادرات للدواوين، كثير الجباية للأموال من الرعية. وأحدث وزيره ابن حنا فى أيامه حوادث جليلة، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة، وصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة، وأخذ جوالى الذمة مضاعفة، وأمر بإحراقهم كلهم، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة قدّام دار النيابة بقلعة الجبل، ثم عفى عنهم وقرر عليهم أموالا

(١) أحد فروع النيل، ومخرجه من سردوس بين باسوس وقليوب. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ١/٧.

(٢) على (الظاهر لإعزاز دين الله) بن منصور (الحاكم بأمر الله) بن العزيز ابن الفاطمى العبيدى، أبو الحسن: من ملوك الدولة الفاطمية. كانت له مصر والشام وخطبة إفريقية. ولى بعد وفاة أبية (سنة ٤١١هـ) ودامت دولة الظاهر قرابة ستة عشر عاما. مولده ووفاته بالقاهرة. انظر: اتعاظ الحنفا ٢٧١ وابن خلدون ٤/ ٦١ وابن الأثير ٩/ ١١٠ و١٥٤ وابن إياس ١/ ٥٨ وابن خلكان ١/ ٣٦٦ والأعلام ٥/ ٢٥.

أخذت منهم بالمقارع، ومات أكثرهم فى العقوبة. ولما توجه السلطان بيبرس إلى بلاد الروم كلّف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخيل، وفرض عليهم ألف ألف درهم نقرة تُجبى من المدينة ومن الضياع.

ولم يل الوزارة له سوى الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا، وقضاته بمصر قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب، بن بنت الأعز إلى أن أحدث القضاة الأربعة، واستمر ذلك من بعده. ورؤى السلطان بيبرس بعد موته فى النوم، فقيل له: «ما فعل الله بك؟» فقال: «ما رأيت شيئا أشد على من ولاة قضاة أربعة، وقيل لى فَرقتَ الكلمة». وكان كل من ولاه بيبرس فى مملكة أو عمل أبقاه، ولم يغير عليه ولا يعزله. وتزوج بيبرس من النساء - وهو ببلاد غزة، قبل أن يلى الملك - امرأة من طائفة الشهر زورية، ثم طلقها بالقاهرة. وتزوج ابنه حسام الدين بركة خان بن دولة خان التترى، وابنة الأمير سيف الدين نوكلى التترى، وابنة الأمير سيف الدين كراى بن تماجى التترى، وابنة الأمير سيف الدين [......(1)] التترى. وولد له من الأولاد عشرة، الذكور منهم ثلاثة - وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان، ووُلد فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمنزلة العُش(2)، من بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمى، والملك العادل بدر الدين سلامش، والملك المسعود نجم الدين خضر -، والإناث سبع.

ولما مات السلطان بيبرس كتم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة موته عن العساكر، وحمله فى محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة فى الليل، وجعله فى تابوت وعلقه فى بيت، وأشاع أنه مريض ورتب الأطباء على العادة، ثم أخذ العساكر والخزائن، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض، وخرج من دمشق يريد مصر، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى القاهرة، وصعدت الخزائن والمحفة إلى قلعة الجبل، فأشيع حينئذ موته. والجملة فلقد كان من خير ملوك الإسلام.

* * *

السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد بركة قان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما

---

(1) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(2) من ضواحى القاهرة. انظر: ابن أبى الفضائل، النهج السديد ٢٩١.

مات الملك الظاهر بدمشق، كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى الملك السعيد وهو بقلعة الجبل كتابا بموت أبيه، فأظهر الملك السعيد عند ورود الكتاب فرحا كبيرا، وأخلع على من أحضره، وأشاع أن الكتاب يتضمن البشارة بعود الملك الظاهر إلى ديار مصر، وأصبح فركب الأمراء على العادة تحت القلعة، من غير أن يظهر عليهم شيء من الحزن.

وسار الأمير بيليك بالمحنة والأطلاب، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس عشر صفر وهو تحت السناجق الظاهرية، وصعد قلعة الجبل. وجلس الملك السعيد بالإيوان، وسلم إليه الأمير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه، فصاح الحجاب حينئذ. «يا أمراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر». فارتفع الضجيج والعويل، ووقع الأمراء إلى الأرض يقبلونها للملك السعيد، فجددت الأيمان، وحلف له سائر العسكر والقضاة والمدرسين والأعيان، وتولى تحليفهم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بحضرة القضاة. فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة، وأقرّ الصاحب بهاء الدين ابن حنا على وزارته، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف.

وفى يوم الجمعة سابع عشريه: دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلى بها على الملك الظاهر صلاة الغائب. وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف العساكر للملك السعيد فحلفوا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول: ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسيّر إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة، وكان يوما مشهودًا.

وفى سادس ربيع الآخر: مات الأمير بدر الدين بيليك النائب، واتهم أن الملك السعيد سمّه - وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث، فأوهموه من الأمير بيليك، وكانت جنازته حفلة، ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد. وأقام الملك السعيد بعده فى نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى، وكان حازما، فضم إليه جماعة منهم شمس الدين أقوش، وقطليجا الرومى، وسيف الدين قلج البغدادى، وسيف الدبن بيجو البغدادى، وعز الدين ميغان أمير شِكَار[1]، وسيف الدين بكتمر السلاح دار فثقل الأمير آقسنقر على خاصكية[2] السلطان، وحدثوا السلطان فى أمره،

(١) صاحب هذه الوظيفة يتحدث على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد. انظر: القلشندى، صبح الأعشى ٤/ ٢٢.

(٢) قسم من المماليك السلطانية، يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغارا=

واستعانوا بالأمير سيف الدين كُونْدُك الساقى - وكان الملك السعيد قد قدّمه وعظّمه، لأنه ربى معه فى المكتب، فقبض على آقسنقر وهو جالس فى باب القُلة، وسجن وأهين ونتفت لحيته وضرب، ثم أخرج بعد أيام يسيرة ميت. فاستقر بعده فى النيابة الأمير شمس الدين سنقر الألفى المظفرى، فكرهه الخاصكية وقالوا: «هذا ما هو من الظاهرية»، وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بخشداشيته مماليك الملك المظفر قطز، فعزله سريعا. وولى الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة - وهو شاب، فعضده الأمير سيف الدين قلاوون الألفى ومال إليه.

وكان من جملة المماليك السلطانية الخاصكية شخص يعرف بلاجين الزينى، وقد غلب على الملك السعيد فى سائر أحواله، وضم إليه عدّة من الخاصكية، وأخذ لاجين لهم الإقطاعات والأموال الجزيلة، وصار كلما انحل خُبْز أخذه لمن يختار، وتنافر النائب والمذكور، فتورغّرت بينهما الصدور، ودبت بينهما عقارب الشرور، وأعمل كل منهما مكره فى أذية الآخر، وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار، وصار العسكر حزبين، فآل الأمير إلى ما آل إليه من الفساد.

وتغير السلطان على الأمراء، وقبض فى سابع عشره على الأمير جودى القيمرى الكردى فنفرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية: مثل الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير بدر الدين بيسرى، وأقرانهم فإنهم كانوا يأنفون من تملك الملك الظاهر عليهم، ويرون أنهم أحق منه بالملك، فصار ابنه الملك السعيد يضع من أقدارهم، ويقدّم عليهم مماليك الأصاغر، ويخلو بهم وكانوا صباح الوجوه، ويعطيهم مع ذلك الأموال الكثيرة، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار.

واستمر الحال على هذا إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشريه، وفيه قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير بدر الدين بيسرى، وسجنهما بالقلعة ثلاثة وعشرين يوما، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بركة خان إلى أخته أم السلطان، وقال لها: «قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب، لئلا يفسد نظامه وتقصر أيامه». فلما بلغ الملك السعيد ذلك قبض عليه. واعتقله، فلم تزل به أمه تعنفه وتتلطف به، حتى أطلقهم وخلع عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه، وقد تمسكت عداوته من قلوبهم.

=ويجعلهم حرسه الخاص.

وتوهم منه بقية الأمراء، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار، مع حفظة له الملك وتسليم الخزائن والعساكر إليه، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالسم. فاجتمع الأمراء وهمّوا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام، ثم اتفقوا وصعدوا إلى قلعة الجبل، ومعهم مماليكهم وألزامهم وأجنادهم وأتباعهم، ومن انضم إليهم من العساكر، فامتلأ منهم الإيوان ورحبة القصر، وبعثوا إلى الملك السعيد: «بأنك قد أفسدت الخواطر، وتعرضت إلى أكابر الأمراء، فإما أن ترجع عما أنت عليه: وإلا كان لنا ولك شأن». فلاطفهم في الجواب، وتنصل مما كان منه، وبعث إليهم التشاريف فلم يلبسوها، وترددت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن تقرر الصلح، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا، وتولى تحليفه الأمير بدر الدين الأيدمرى وفرضوا وانصرفوا.

وكتب السلطان الملك السعيد إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة فاشترى الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام دار العقيقى داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم، وجعلها مدرسة وبنى بها قبة، وابتدأ بالعمارة في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، وفرغ منها فى آخر جمادى الآخرة. وخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بأبى خرص، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى، وسار إلى دمشق فدخلاها فى ثالث رجب فلما كان فى ليلة الجمعة خامسه، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال، ووضع فى جامع بنى أمية وصلى عليه، وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التى بنيت له، بحضور نائب الشام، وألحده قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد أبو المفاخر المعروف باب الصائغ، وترتب القراء من ثانى يوم، ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة، ووقف عليها قرية من شعرا بانياس، وغير ذلك.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: صرف قاضى القضاة محيى الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلى، وأضيف إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين، فكمل له قضاء القضاة بديار مصر، وأعيد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق فى سابع عشر ذى الحجة، فكانت مدة عزله سبع سنين.

وفيها ولى شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبى المعالى أحمد بن الخليل ابن سعادة الخوى قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة تقى الدين محمد بن حياة الرّقى.

وفى هذه السنة عمّ ماء النيل أرض مصر كلها، ورخص سعر الغلة حتى أبيع الأردب القمح بخمسة دراهم، والأردب الشعير بثلاثة دراهم، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين.

وفيها قتل الملك أبغا البرواناه فى صفر، واسمه معين الدين سليمان بن على بن محمد ابن حسن، ومعنى البرواناه الحاجب، وكان شجاعا حازما كريما عارفا، فيه دهاء ومكر.

وفيها عزل نفسه قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز الحنفى من القضاء فى سلخ المحرم، فشغر منصب قضاء الحنفية بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة، فى سادس شهر ربيع الآخر، وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم ابن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى وهو مصروف، فى يوم السبت ثانى عشرى المحرم، ودفن بالقرافة، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة.

وتوفى قاضى القضاة بحلب تقى الدين أبو عبد الله محمد بن حياة بن يحيى بن محمد الرّقى الشافعى بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفى الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن الحسن بن الحسين ابن جمعة بن حرام النّوَوى[1] الشافعى، عن نيف وأربعين سنة، بقرية نَوَى.

وتوفى الواعظ نجم الدين أبو الحسن على بن على بن أسفنديار البغدادى بدمشق، عن ستين سنة.

وتوفى الشريف شهاب الدين أحمد بن أبى محمد الحسينى الواسطى الغرّافى،

---

(١) يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى، النووى: الشافعى أبو زكريا، محيى الدين: علامة بالفقة والحديث. مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران، بسورية)، وإليها نسبته. تعلم فى دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. انظر: طبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٦٥ وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة والنعيمى ١/ ٢٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨ ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٨ والأعلام ٨/ ١٤٩، ١٥٠.

بالإسكندرية.

وتوفى الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبى القاسم عبد الرحمن بن رشيق المالكى.

وتوفى أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلى النحوى المترجم، بالقاهرة.

* * *

سنة سبع وسبعين وستمائة

فى سابع عشرى المحرم: عمل عزاء الملك الظاهر، عند تمام سنة من وفاته، بالأندلس من قرافة مصر، ومدت هناك الأسمطة فى الخيام للقراء والفقهاء، وفرْقت الأطعمة على أهل الزوايا، وكان من الأرقات العظيمة، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم، وعُمل مجمع آخر بجامع ابن طولون، وفى الجامع الظاهرى، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الصالحية، ودار الحديث الكاملية، والخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، والجامع الحاكى وعمل للنكارزة[1] والفقراء خوان حضَره كثير من أهل الخير.

وفى عاشر جمادى الأولى ولى قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الحنفى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم بحكم وفاته. فلما مات صدر الدين بعد أربعة أشهر، ولى عوضا عنه فى تاسع عشرى رمضان حسام الدين حسن بن أحمد بن حسن الرازى. قاضى الروم الواصل من قيسارية.

[وفى[2]] **شوّال** خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج فى دمشق، ومعه أخوه نجم الدين خضر، وأمه وأمراؤه وعساكره، فدخل إلى دمشق فى خامس ذى الحجة.

وفى سلخ ذى القعدة مات الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فكتب من دمشق بالحوطة على وجوده. وقبض الملك السعيد على الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين، وأخذ خطه بمائة ألف دينار، وسيّره على البريد إلى مصر، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين محمد بن أحمد بن على تكملة ثلاثمائة ألف دينار واستقر فى الوزارة عوضا عن الصاحب بهاء الدين بن حنا قاضى القضاة وعز الدين الخضر بن الحسن السنجارى، وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وجفون كامنة، فبلغ من التمكن فى أولاده وأمواله ما كان يؤمله. وساعده على ذلك عدّة من الأمراء: منهم عز الدين الأفرم، وبدر الدين بيسرى، الحاقى تقومهم من بهاء الدين بن حنا. وولى وزراة الصحبة فخر الدين بن لقمان، عوضا عن تاج الدين محمد بن حنا.

---

(١) التكاردة أهل بلاد التكرور، وهى أحد الأقاليم الإفريقية الواقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من مصر. انظر: صبح الأعشى ٥/ ١١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى سادس عشرى ذى الحجة: جلس الملك السعيد بدار العدل فى دمشق، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قرره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين فى كل سنة، وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكابر عنه، فجّهز الأمير قلاوون الألفى بعسكر، وجهز الأمير بيسرى بعسكر، وأنفق فيهم الأموال، فساروا إلى جهة سيس، وفى نفوسهم من ذلك إحن.

وفيها ولى الأمير علاء الدين أيدغدى الكبكى نيابة حلب، عوضا عن الأمير نور الدين على بن مجلى الهكارى. وفيها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولا بمبلغ تسعمائة درهم، انصرف منها حمولة ومكوس، بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وثمانين درهما.

وفيها مات عز الدين كيكاوس ملك الروم، بعد ما جرت له خطوب. فملك أبغا ابن هولاكو من بعده ابنه مسعود بن كيكاوس سبواس وأرزن الروم وأرزنكان[1]. وفيها حصلت زحمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح، فمات منهم ستة وثلاثون إنسانًا، وذلك فى ثالث عشر ذى الحجة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى نائب الشام، فى خامس ربيع الأول بالقاهرة، عن نحو سبعين سنة. ومات الأمير شمس الدين آقسبقر القارقانى الصالحى قائد السلطنة، عن نحو خمسين سنة. ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائب حلب، وهو مصروف، عن نحو خمسين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة. ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان ابن أبى العز ابن وهيب الأذرعى[2]، بعد ثلاثة أشهر من ولايته، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الوزير الصاحب بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا،

---

(١) اسم هذا البلدان أرزنجان وهى بلدة من أرمينية. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٠٥.

(٢) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم من أهل أذرعات (بقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة. مات بدمشق. انظر: الدارس ١/ ٥٤٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٨١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧ ومرآة الجنان ٤/ ١٨٨ وفهرست الكتبخانة ٣/ ١٤٨ والأعلام ٣/ ١٣٨.

سلخ ذى القعدة. وتوفى مجد الدين أبو عبد الله

وتوفى نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيبانى الدمشقى[1] الصوفى الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن أبى بكر الهذبانى الإربلى، بالقاهرة.

وتوفى الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى البعلبكى، بالقاهرة .

* * *

(١) محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر، أبو المعالى، نجم الدين الشيبانى شاعر غزل. مولده ووفاته فى دمشق. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢١٦ - ٢٢٠ والوافى بالوفيات ٣/ ١٤٢ وابن الفرات ٧/ ١٣١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٩ والأعلام ٦/ ١٥٣.

سنة ثمان وسبعين وستمائة

فى المحرم: قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا إقطاعتهم لأناس منهم، وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك. واستغرق السلطان فى لذاته، وبسط يده بعطاء الأموال الكثيرة لخاصكيته، وخرج عن طريقة أبيه، وفى أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض السكة ألف دينار فتوقف النائب فى إطلاقها، فاجتمع الخاصكية عند النائب وقاضوه فى أمر المبلغ، وأسمعوه ما يكره، وقاموا على حَرَد، وتكلموا مع السلطان فى عزله عن النيابة، فامتنع، وأخذ الخاصكية فى الإلحاح عليه بعزل كوندك، وعجز عن تلافى أمرهم معه.

وأما الأمراء فإنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا، وسار الأمير بيسرى إلى قلعة الروم، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج، فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة، وأخبرهم بما وقع من الخاصكية فى حقهم وحقه، فحرَّك قوله ما عندهم من كوامن الغضب، وتحالفوا على الاتفاق والتعاون، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه أنهم مقيمون بالمرج، وأن الأمير كوندك شكى إليهم من لاجين الزينى شكاوى كثيرة، «ولابد لنا من الكشف عنها»، وسألوا السلطان أن يحضر إليهم حتى يسمعوا كلامه وكلام كوندك.

فلما بلغ بذلك السلطان ذلك لم يعبأ بقولهم، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية يأمرهم بمفارقة الصالحية ودخول دمشق. فوقع القاصد الذى معه الكتب فى يد أصحاب كوندك، فأحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التى معه، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجورة من جهة داريا، وأظهروا الخلاف، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف وأفرط فى سوء الرأى وأفسد التدبير.

فخاف السلطان عند ذلك سوء العاقبة، وبعث إليهم الأمير سنقر الأشقر، والأمير سنقر التكريتى الأستادار، ليلطفا بهم ويعملا الحيلة فى إحضارهم، فلم يوافقوا على ذلك. وعادا إلى السلطان فزاد قلقه، وترددت الرسل بينه وبين الأمراء، فاقترحوا عليه إبعاد الخاصكية، فلم يوافق، وبعث السلطان بوالدته مع الأمير سنقر الأشقر لتسترضيهم، فحدثتهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا، وعادت بالخيبة.

فرحل الأمراء بمن معهم من العساكر إلى مصر، وتبعهم الملك السعيد ليلحقهم ويتلافى أمرهم فلم يدركهم، فقاد إلى دمشق وبات بها. وأصبح الملك السعيد فجهز أمه وخزائنه إلى الكرك، وجمع من بقى من عساكر مصر والشام، واستدعى العربان وأنفق فيهم. وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر، فنزل بلبيس فى نصف ربيع الأول، وكان قد سبقه الأمير قلاوون بمن معه إلى القاهرة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر.

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل، وهم الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، والأمير أقطوان الساقى، والأمير بلبان الزرْبَقِى، فامتنعوا بها وحصّنوها، وتقدموا إلى متولى القاهرة فسد أبوابها، فراسلهم قلاوون والأمراء فى فتح أبواب القاهرة، ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويُبْصِروا أولادهم، فإن عهدهم بَعُد بهم. ونزل الأمير لاجين البركخاى وأيبك الأفرم وأقطوان إلى الأمراء لمعرفة الخبر، فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها، ودخل كل أحد إلى داره، وسجن الثلاثة الأمراء فى دار الأمير قلاوون بالقاهرة، وزحفوا إلى القلعة وحاصروها، وقد امتنع بها بلبان الزريقى.

وأما السلطان فإنه لما نزل بلبيس وبلغه خبر الأمراء، خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه فى بلبيس، وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام، فصاروا إليه، ولم يبق مع السلطان إلا مماليكه، ومنهم الأمير لاجين الزينى، ومغلطاى الدمشقى، ومغلطاى الجاكى، وسنقر التكريتى، وأيدغدى الحرانى، والبكى الساقى، وبكتوت الحمصى، وصلاح الدين يوسف بن بركة خان، ومن يجرى مجراهم، ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط، فسار السلطان من بلبيس، ففارقه سنقر الأشقر من المَطَرِية[1] وأقام بموضعه.

وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر، فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة، وكان الضباب كثيرا فنجا منهم، واستتر عن رؤيتهم وطلع إلى القلعة، فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة، فعادوا إلى حصارها، وعندما استقر السلطان بالقلعة تشاجر لاجين الزينى مع الزربقى، فنزل الزربقى إلى الأمراء وصار معهم، وتبعه المماليك شيئا بعد شيء. وصار السلطان يشرف من برج الرَّفْرَف المطل على الإسطبل، ويصيح بهم: «يا أمراء! أرجع إلى رأيكم، ولا أعمل إلا ما تقولونه»، فليجبه أحد منهم، وأظهروا كتبا عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم، وأحاطوا

---

(١) قرية بقرب عين شمس القديمة بالشمال الشرقى من القاهرة. انظر: معجم البلدان ٥/٥٦٠.

بالقلعة وحصروه، وكان الأمير سنجر الحلبى معتقلا بالقلعة، فأخرجه السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدّة أسبوع.

وكان الذى قام فى خَلْع السلطان جماعة كثيرة من الأمراء، وهم الأمير بيسرى، والأمير قلاوون، والأمير أيتمش السعدى، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمرى، والأمير سنقر البكتوتى، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحبيشى، والأمير بكتاش النجمى، والأمير كشتغدى الشمسى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بيبرس الرشيدى، والأمير كندغدى الوزيرى، والأمير يعقوبا الشهرزورى، والأمير أيتمش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بكتوت بن أتابك، والأمير كندغدى أمير مجلس، والأمير بكتوت جرمك، والأمير بيبرس طقصو، والأمير كوندك النائب، والأمير أيبك الحموى، والأمير سنقر الألفى، والأمير سنقر جاه الظاهرى، والأمير قلنج الظاهرى، والأمير ساطلمس، والأمير قجقار الحموى، ومن انضاف إليهم من الأمراء الصغار ومقدمى الحلقة، وأعيان المفاردة والبحرية[١] ولما طال الحصار بعث السلطانُ الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد، يقول: «يا أمراءإيش غرضكم؟» فقالوا: «يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ونعطيه الكرك»، فأذعن السعيد لذلك، وحلف له الأمراء، وحضر الخليفة والقضاة، الأعيان، وأنزل بالملك السعيد، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك.

وخلع السعيد نفسه، وحلف أنه لا يتطرق إلى غير الكرك، ولا يكاتب أحدا من النواب، ولا يستميل أحد من الجند، وسُفر من وقته إلى الكرك مع الأمير بيدغان الركنى، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر، فكانت مدّة ملكه من حين وفاة أبيه إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وثمانية أيام، فوصل إلى الكرك وسلّمها فى خامس عشرى جمادى الآخرة، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا.

ولم يقتل فى هذه الحركة سيف الدين بكتوت الخمصى، فإنه كان بينه وبين سنقرجاه الظاهرى مشاجرة، فلما طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل يوم وصوله من بلبيس صادفه سنقر جاه – وهو من حزب الأمير قلاوون ومن معه –، فطعنه فى حلقه فحمل إلى قبة القَلَنْدَرِية[٢]، فمات من يومه ودفن بها، وكانت أيامه رخية الأسعار.

* * *

---

(١) طائفة من الأحناد السلطانية، وكان عملهم المبيت بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٤/ ١٦.

(٢) زاوية خارج باب النصر من الجهة التى فيها الترب والمقابر بالقاهرة. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٣١.

السلطان الملك العادل بدر الدين سُلاَمِش(١)

وهو ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما تم خلع الملك السعيد وسافر إلى الكرك، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون الألفى فامتنع وقال: «أنا ما خلعتُ الملك السعيد طمعا فى السلطنة، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر». فاسْتُحْسِن ذلك منه، لأن الفتنة سكنت فإن الظاهرية كانوا معظم العسكر، وكانت القلاع بيد نواب الملك السعيد، وقصد قلاوون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير النواب ويتمكن مما يريد، فمال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه، واستدعوا سلامش، واتفقوا أن يكون الأمير قلاوون أتابكه، وأن يكون إليه أمر العساكر وتدبير الممالك، فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا، وإقامة الأمير قلاوون أتابك العساكر، ولقبوه الملك العادل بدر الدين، فاستقر الأمر على ذلك. وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم فى نيابة السلطنة، واستقر قاضى القضاة برهان الدين خضر بن الحسن السنجارى فى الوزارة.

وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بلبيس ودخل إلى دمشق، وكان بحلب الأمير عز الدين إزدمر العلائى، والأمير قراسنقر المعزى، والأمير أقوش الشمسى، والأمير برلغو، فى نحو ألفى فارس، فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بلبيس، فاتفقوا مع الأمراء الذين بدمشق على إقامة الأمير أقوش الشمسى مقدما على الجيوش، والقبض على الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق، لأنه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بلبيس، فأخذه الأمير أقوش إلى داره، فجاء الأمير أزدمر العلائى وركن الدين الجالق إلى دار أقوش، وأخذ الأمير أيدمر وصعدا به إلى قلعة دمشق، وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداری نائب القلعة.

فلما تقرّر الحال على إقامة الملك العادل سلامش والأمير قلاوون كُتب إلى الشام بذلك، وسار الأمير جمال الدين أقوش الباخلى وشمس الدين سنقرجاه الكنجى بنسخة الأيمان، فحلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر.

وفى النصف من جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة صدر الدين عمر ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين بحكم عزله. و صُرف أيضا قاضى القضاة

---

(١) انظر: ابن إياس ١/ ١١٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٨٦ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام ٣/١٠١.

معز الدين النعمان الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى، وقاضى القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى، ثم أعيدا، وولى عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبلى[1] قاضى القضاة الحنابلة، واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى نيابة السلطنة بدمشق، فدخلها فى ثامن جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء والعسكر، فعامله الناس معاملة الملوك، وأنزل الأمير سنجر الدوادارى من القلعة لمباشرة الشدّ، وقُرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، و لم يحضر النائب قراءته.

وفى تاسع رجب: قُبض على فتح الدين عبد الله بن محمد بن القيسرانى، وزير دمشق. وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسى فى نيابة السلطنة بحلب، عوضا عن أيدغدى الكبكى.

وشرع الأمير قلاوون فى القبض على الأمراء الظاهرية، فقبض على أعيانهم وبلغهم إلى الثغور فسحنوا بها، وأمسك أيضا كثيرا من الظاهرية وملأ الحبوس بهم، وأعطى قلاوون ومنع وقطع، ووصل واستخدم وعزل، فكان صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك. واشتغل الأمير بيسرى باللهو والشرب، فانفرد الأتابك قلاوون بالمملكة وأجد فى تدبير أحواله وفرق قلاوون على المماليك واستمالهم، وقرب الصالحية وأعطاهم الإقطاعات، وكبر منهم جماعة كانوا قد نُسُوا وأهملوا، وسَّير عدّة منهم إلى البلاد الشامية واستنابهم فى القلاع، وتتبع ذراريهم وأخذ كثيرا منهم كانوا قد تصنفوا بالصنائع والحرف، فرتب طائفة منهم فى البحرية، وقرر لجماعة منهم جامكية، فعادت لهم السعادة، وقوى بهم جانبه وتمكنت أسبابه، ثم جمع قلاوون الأمراء فى العشرين من رجب وتحدث معهم فى صغر سن الملك العادل، وقال لهم: «قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل»، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدّة ملكه مائة يوم، و لم يكن حظه من الملك سوى الاسم فقط، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاوون.

* * *

---

(١) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاضى القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس توفى بالقاهرة. انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٣٦ ومجلة الكتاب ٤/ ١٣٠١ والأعلام ٥/ ٥٢.

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون
الألفى الصالحى النجمى العلائى

كان من جنس القبجاق، ومن قبيلة برج أغلى، فجلب إلى مصر وهو صغير، واشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر الساقى العادلى أحد مماليك الملك العادل أبى بكر بن أيوب بألف دينار، فعرف من أجل ذلك بالألفى.

فلما مات أستاذه الأمير علاء الدين صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عدة من المماليك، فعرفوا بالعلائية، وذلك فى سنة سبع وأربعين وستمائة. وجعل الملك الصالح قلاوون من جملة المماليك البحرية، ومازال حتى كانت وفاة الملك الصالح، ثم إقامة شجر الدر بعد الملك توران شاه بن الصالح. فلما قام المعز أيبك فى سلطنة مصر، وقتل الفارس أقطاى، خرج قلاوون من مصر فيمن خرج من البحرية. وتنقلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر بديار مصر فى سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر، فى سابع شهر ربيع الآخر، وصار يذكر اسمه مع اسم العادل على المنابر وتصرف تصرف الملوك مدة ثلاثة أشهر، إلى أن وقع الاتفاق على خلع العادل وإقامة قلاوون.

فأجلس قلاوون على تخت الملك فى يوم الأحد العشرين من رجب، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة، وتلقب بالملك المنصور، وأمر أن يكتب فى صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات لفظ «الصالحى»، فكتب بذلك فى كل ما يكتب عن السلطان، وجعل عن يمين البسملة تحتها بشىء لطيف جدًا. وخرج البريد بالبشائر إلى الأعمال، وجهزت نسخة اليمين إلى دمشق وغيرها، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر.

وأول ما بدأ به السلطان قلاوون إبطال زكاة الدولبة[١]، وكانت مما أجحفت بالرعية، وأبطل مقرر[٢] النصارى، وكان له منذ أحدث ثمان عشرة سنة، وانحطت الأسعار.

ووصل البريد إلى دمشق، وعليه لاجين الصغير والأمير ركن الدين بيبرس الجالق، فى ثامن عشريه، بعد يومين وسبع ساعات من مفارقة قلعة الجبل، ولم يعهد مثل هذا. فحلفت عساكر دمشق، وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة ثانى شعبان، وزينت المدينة سبعة أيام.

---

(١) زكاة الدولبة هذه كانت تفرض على كل مستخدم للدواليب أى العجلات.

(٢) قال المقريزى بأن هذا المقرر كان يجبى من أهل الذمة وهو دينار. انظر خطط المقريزى.

وأفرج السلطان عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، وأقامه فى نيابة السلطنة بديار مصر، وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى علـى وزارتـه، ولازم الجلوس بـدار العدل فى يومى الإثنين والخميس.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: ركب السلطان الملك المنصور قلاوون بشعار السلطنة وأبهة المملكة، وشق القاهرة وهى مزينة، فكان يومًا مشهودًا، لأنه أول ركوبه. وكتب السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر كتابا، بخط القاضى عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، ويخبره فيه بركوبه، وخاطبه بالمملوك. وأعفى تقى الدين التكريتى مما عليه من البواقى[1]، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق. وصام الناس شهر رمضان يوم الجمعة، على اختلاف شديد وشك كبير.

وفى ثالثه: استقر الأمير جمال الدين أقش الشريفى أمير جاندار، فى نيابة السلطنة بالصلت والبقاء.

وفى ثامنه: أفرج عن فتح الدين عبد الله بن القيسرانى وزير دمشق، بعد ما اعتقل بقلعة الجبل زيادة على ثلاثين يوما.

وفى عاشره: استقر الأمير فخر الدين الطنبا فى نيابة السلطنة بالقصر الذى بالقرب من أنطاكية، واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصورى فى نيابة السلطنة ببلاطنس، واستقر الأمير فخر الدين أياز الملوحى فى ولاية الأعمال الغربية، عوضًا عن الأمير ناصر الدين بيليك بن المحسنى الجزرى.

وفى رابع عشره: استقر الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضًا عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه فى استقرار حسام الدين طرنطاى. وذلك أنه تمارض، فلما عزم السلطان على عيادته صنع له طبيبه شيئًا تهيج به وجهه واصفر، ودخل عليه السلطان فتألم له وسأله عن حوائجه، فأشار عليه أن يقدم مماليكه وأثنى عليهم، ثم قال: «وتعفينى من النيابة»، وأظهر العجز عنها. فلم يوافقه السلطان على ذلك، فأخذ يلح عليه، فقال له السلطان: «فأشر على بمن يصلح لها، فقال: طرنطاى»، فوافق قوله غرض السلطان.

---

(١) لفظ اصطلاحى كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج. انظر المواعظ والاعتبار.

وفي سابع عشره: قبض على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، وعلى عدة من الناصرية.

وفي سادس عشريه: صرف الصاحب برهان الدين خضر السنجارى عن الوزارة، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى، وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما. وسجنا بدار الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وأحيط بسائر أتباعهما، وألزموا بمائتى ألف وستة وثلاثين ألفا.

وفي ثانى شوال: استقر القاضى فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء فى الوزارة، بعد ما حمل إليه الأمير علاء الدين كندغدى الشمسى الأستادار خلع الوزارة إلى بيته بقلعة الجبل، وامتنع امتناعًا شديدًا فلم يسمع منه وألبسه الخلع، وباشر عوضًا عن الصاحب برهان الدين السنجارى. وأفرج عن السنجارى، فلزم مدرسة أخيه بالقرافة.

وفيه استقر القاضى فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى قراءة البريد وتلقى الأجوبة، عوضًا عن ابن لقمان.

وفيه قبض على جماعة من الأمراء: منهم الأمير علاء الدين مغلطاى الدمشقى، وسيف الدين بكتمر الأمير آخورى قرطاى المنصورى، وصارم الدين الحاجب، واعتقلوا. وفوضت وزارة دمشق لتقى الدين توبه ناظر الخزانة، وخلع عليه الوزراء وتلقب بالصاحب.

وفي تاسعه: خرج الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى على عسكر من القاهرة إلى جهة الشوبك وكان قد بعث إليها الملك السعيد بركة قان بن الظاهر وهو بالكرك الأمير حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية السعيدية، وتغلب عليها، وبعث السعيد إلى النواب أيضًا يدعوهم إلى القيام معه، فسار الأمير بدر الدين الأيدمرى ونزل على الشوبك، وضايقها حتى تسلمها فى عاشر ذى القعدة، بعد ما فر منها الملك نجم الدين خضر بن الظاهر، ولحق بأخيه السعيد فى الكرك.

وقدمت رسل الفونش بكتب للملك السعيد وهدية، فقبض على هديتهم وكتبهم، وأعيدوا فى خامس عشر شوال.

وفى حادى عشريه: قبض على الملك الأوحد[....][١] وأخيه شهاب الدين محمد، ولدى الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك، واعتقلا.

وفيه استقر الأمير بدر الدين بيليك الطيارى فى نيابة السلطنة بقلعة صفد، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجى إلى الولاية، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادى إلى خزندارية القلعة.

وفى ثالث عشريه: استقر شرف الدين أبو طالب بن علاء الدين[....][٢] بن النابلسى ناظر النظار بديار مصر، عوضًا عن نجم الدين بن الأصفونى فى الوجه القبلى، وعن تاج الدين بن السنهورى فى الوجه البحرى.

وفى رابع عشريه: صرف النصارى من ديوان الجيوش، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون، فاستقر أمين الدين شاهد صندوق النفقات فى كتابة الجيش، عوضًا عن الأسعد إبراهيم النصرانى.

وفيه هدم دير الخندق[٣] خرج باب الفتوح من القاهرة، واجتمع لهدمه عالم كثير، وكان يومًا مشهودًا.

وفى خامس عشريه: وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى ظاهر القاهرة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش، واهتم به اهتماما زائدا. ورسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر، وكثرت السكارى وزال الاعتراض عليهم، فلم يقم ذلك غير أيام قلائل حتى رسم فى سادس عشريه بإراقة الخمور وإبطال ضمانها، ومنع من التظاهر بشىء من المسكرات.

وفى يوم الجمعة سابع عشريه: كتبت تقاليد القضاة الأربعة، واستقر الحال على أن يكون قاضى القضاة صدر الدين عمر، ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى، هو الذى يولى فى أعمال مصر قضاة ينوبون عنه فى الأحكام، وأن قاضى القضاة معز الدين الحنفى، وقاضى القضاة المالكى، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى، يحكمون بالقاهرة ومصر خاصة، بغير نواب فى الأعمال، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها ، عمره القائد جوهر الصقلى عوضا عن دير هدمه فى القاهرة.

وأمر السلطان بإحضار الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى من دمشق تحت الحوطة، فلما وصل اعتقل بقلعة الجبل.

وفى ثانى ذى القعدة: ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، وهو أول ما ركب إليه. وفرق السلطان فيه مائة وبضعًا وثلاثين فرسًا بسروج مخلاة، وخلع على الأمراء خلعًا سنية.

وفى خامسه: حمل إلى المنصور صاحب حماة تقليد باستقراره بحماة، وسير السلطان له السناجق، وأربعة صناديق ذهبًا وفضة، وأربعة صناديق ثيابًا من الإسكندرية والعتابى، وعدة من الخيل، وخلع عليه وعلى من يلوذ به، وأذن له فى العود فسافر فى تاسعه. وخرج السلطان معه لوداعه، وأقام نهاره بناحية بهتيت[1]، ثم عاد إلى القلعة.

وفى حادى عشره: مات الملك السعيد بركة قان بن الظاهر بيبرس بالكرك، وكان قد ركب فى الميدان فتقنطر عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فصدع وحم أيامًا، ومات وعمره نيف وعشرون سنة، فاتهم أنه سم.

وورد الخبر بوفاته فى العشرين منه، فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل، وجلس كثيبًا ببياض، وقد حضر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعيان، فكان يومًا مشهودًا.

وأقام القراء شهرًا يقرأون القرآن، وكتب إلى أعمال مصر والشام بأن يصلى عليه صلاة الغائب. وعندما مات السعيد أقام الأمير علاء الدين أيدغدى الحرانى نائب الكرك نجم الدين خضر بن الظاهر ملكا مكان أخيه بالكرك، ولقبه الملك المسعود. فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير، وفرقوا الأموال ليستجلبوا الناس، فصار إليهم من قطع رزقه، وحضر إليهم طائفة من البطالين فساروا إلى الصلت واستولوا عليها، وبعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها، وأتتهم العربان وتقربوا إليهم بالنصيحة، وأخذوا مالا كثيرا من المسعود ثم تسللوا عنه.

ولم يزل المسعود فى إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التى كان الملك الظاهر قد أعدها لوقت الشدة، وبعث المسعود إلى الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق يستدعيه، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك.

وفيه استقر شهاب الدين غازى بن الواسطى فى نظر حلب، وقرر له فى الشهر

---

(١) هى قرية من قرى مديرية القليوبية بضواحى القاهرة.

أربعمائة درهم وستة مكاكى قمح ومكوكان شعير، وأضيف معه جلال الدين بن الخطير فى الاستيفاء.

واستقر الطواشى افتخار الدين فى خزندارية حلب، وبدر الدين بكتوت القطزى شاد الدواوين بها، واستقر جمال الدين إبراهيم بن صصرى فى نظر دمشق، بعد وفاة علم الدين محمد بن العادلى. واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخى فى نيابة حصن الأكراد.

وفى رابع ذى الحجة: استقر الأمير عماد الدين داود بن أبى القاسم فى ولاية نابلس.

وفى سابعه: سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بالعساكر من القاهرة إلى جهة الكرك.

وفى تاسعه: أفرج عن الأمير غرس بن شاور من الاعتقال، واستقر فى ولاية الرملة.

وفى ثامن عشره: تسلم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى قلعة الشوبك من نواب الملك السعيد بالأمان، ووردت كتبه بذلك فى ثالث عشريه، فسيرت الخلع لمن بها، ودقت البشائر بقلعة الجبل، وكتب بالبشارة إلى الأقطار.

وفيه استقر مجد الدين عيسى بن الخشاب محتسبًا بالقاهرة.

وفيه استقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المنصورى، المعروف بلاجين الصغير، فى نيابة قلعة دمشق. فلما وصل إليها كما تقدم، وحلف سنقر الأشقر وخلع عليه، تحيل منه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، وجمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد قتل وهو يشرب القمز، ودعاهم إلى طاعته وحلفهم على موافقته. وتلقب بالملك الكامل، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة رابع عشريه.

وقبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى المعروف بالجالق المنصورى لامتناعه من الحلف، وقبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة، وعلى الصاحب تقى الدين توبة التكريتى. وبعث الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى إلى المماليك، ليحلف أهلها ويقيم فى القلاع من يختاره. وكتب إلى مهنا وإلى أحمد بن حجى يعلمهما، فقدما عليه واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات الموصلى، وأقر فى وزارة الصحبة عز الدين أحمد بن ميسر المصرى.

وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها النواب إلى القلعة، وأمر بغلق باب النصر، وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر. فتطير الناس من ذلك،

وقالوا: «أَغْلَقَ باب النصر، وانتقل من دار السعادة، واستوزر ابن كسيرات؟، فهذا أمر لا يتم»، وكان كذلك.

وكان وفاء النيل بمصر ستة عشر ذراعًا، فى ثالث ربيع الآخر. وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقش الباخلى، وسار الركب فى سابع عشر شوال، وقاضيه فخر الدين عثمان ابن بنت أبى سعيد.

وفيها ولى نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى ابن سنى الدولة قضاء حلب، عوضًا عن شهاب الدين محمد بن أحمد الخوى.

وفيها أنعم السلطان على أربعين من مماليكه بإمريات: منهم كتبغا، وسنجر الشجاعى، وأيبك الخازندار، وقبجق، ولاجين، وبلبان الطباخى، وكراى، وسنقر جركس، وأقوش الموصلى، وطقصوا، وأزدمر العلائى، وبهادر أص رأس نوبة، وبكتوت بكجا، وتغريل السلحدار، وسنقر السلحدار. وأنعم على جماعة من عدته أيضًا بإمريات: منهم كشكل، وأيدمر الجناحى، وقيران الشهابى، ومحمد الكورانى، وإبراهيم الجاكى وإخواته. وأنعم على عدة من المماليك الظاهرية بإمريات: منهم الحاج بهادر، وسنجر المسرورى.

وفيها ترك السلطان ركوبه مدة، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر. فلما بلغ السلطان هذا عنهم خشى من اغتيالهم إياه، وأخذ فى التدبير عليهم، فكثرت قالة العامة، وجهروا بقولهم فى الليل تحت القلعة بأصوات عالية «يابو عيشه اركب وكن طيب، يابوعيشه» وصاروا يلطخون رنك[1] السلطان فى الليل بالقذر، فيتغافل عنهم، وهو يسمع صياحهم فى الليل ويبلغه فعلهم برنكه. وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب، وهم يعرضون عنهم.

وفيها ظهر بالقاهرة ومصر رجلان من بزدارية الأمير جمال الدين أقوش الملقب بهيطلية، عرف أحدهما بالجاموس لسواد لونه، وعرف الآخر بالمحوجب. وأفسدا فسادًا كثيرًا، وشغفا بشرب الخمر، وصارا يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شيء من إحسانهم ويوصلونها إليهم، فإن لم يبعث لهم المكتوب إليه بشيء، وإلا أتوه ليلا. وشنع أمرهما، حتى إنهما ليمشيان فى مواضع النزه وسيوفهما على أكتافهما فلا يجسر أحد عليهما. ورتب لهما الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة جماعة لتقبض عليهما، فكانا يحملان فى مائة رجل، ويحوط عنهم. وهجما القاهرة فى الليل، وأخذا والى الطوف وعلقاه بذراعه، وقطعا أنف المقدم وأذنيه، وتتبعا كل من أرصدة الوالى لأخذهما.

---

(١) الرنك ـ لفظ فارسى معناه اللون.

فذعر الناس منهما، إلى أن كانا ليلة ببستان فى المطرية وخرجا منه يريدان القاهرة، فصدفهما مملوك الوالى وهو سائر إلى بلبيس ومعه غلامه، وقد عرفهما. فضرب بسهمه وأصاب رجلى أحدهما فسقط، وهم الآخر بصعود حائط البساتين فوقع و انكسرت رجله، ووقع الصوت فى البستان. فنزل غلام المملوك وكتف الجاموس، وأخرج الناس المحوجب من البستان، وساروا بهما مربوطين إلى القاهرة. فطلع بهما الوالى إلى السلطان ومعه مملوكه، وكان زريا قصيرًا لا يؤبه إليه، فعجب السلطان من ذلك، وسألهما على لسان الحاجب: «كيف مسككما هذا بمفرده وأنتما لا تهابان رجالا كثيرة؟» فقالا: «إذا نزل القضاء قلت الحيلة، والله لقد كنا إذا رأينا عشرين فارسًا أو مائة راجل خرجنا عنهم سالمين بعدما ننال منهم، فلما فرغ الأجل عندما وقع نظرنا على هذا ارتعدت فرائصنا حتى ما قدرنا على الحركة» فرسم بتسميرهما فسمرا عند باب زويلة، وشهرا عدة أيام، وخلع على المملوك وأنعم عليه بألف درهم وإقطاع فى الحلقة، وهو أول من أخذ من مماليك الأمراء إقطاعا فى الحلقة.

وفيها خلع متملك تونس الأمير أبو زكريا يحيى الواثق بن أبى عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص فى غرة ربيع الآخر، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد[1].

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير أقش الشهابى أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير الطنبا فخر الدين الحمصى، فى سادس عشر رمضان.

ومات علم الدين إسحاق بن العادلى ناظر دمشق، فى خامس عشرى شوال.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشيخ، فى ذى الحجة.

---

(١) أبو إسحاق (٦٨٢هـ=١٢٨٣م) إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى المهنتاتى، أبو إسحاق: أمير المؤمنين بتونس وبلاد إفريقية. كان قبل تمليكه مقيما فى الأندلس فبلغه موت أخيه المستنصر (محمد بن يحيى) أمير تونس وما يليها، فركب البحر ولحق بتلمسان فامتلك بجاية ثم تغلب على حامية تونس وكانت قد بايعت ليحيى بن المستنصر، ولقب بالواثق بالله، فلما علم باستفحال أمر إبراهيم خلع نفسه، فدخل إبراهيم تونس وتمت له البيعة سنة ٦٧٨هـ. انظر الخلاصة النقية ٦٥، وابن خلدون ٢٩٧/٦ الأعلام ٨٠/١.

ومات الأمير ناصر الدين بلبان النوفلى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير علم الدين بلبان المشرفى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين جمق أحد الطبلخاناه.

ومات شرف الدين أبو بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد عبد السلام ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الحموى الجوينى، شيخ الشيوخ بدمشق، فى ثامن شوال، دفن بقاسيون.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمى، خال الملك السعيد بن الظاهر، فى تاسع ربيع الأول بدمشق.

ومات الأمير نور الدين على ابن الأمير عز الدين مجلى الهكارى نائب حلب بها، عن سبع وتسعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة محيى الدين أبو الصلاح عبد الله بن شرف الدين أبى المكارم محمد بن عين الدولة الشافعى، فى خامس رجب وهو مصروف، وقد أناف على ثمانين سنة.

* * *

سنة تسع وسبعين وستمائة

فى يوم الخميس أول المحرم: ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع، ثم عاد.

وفى يوم الجمعة ثانيه: خطب له على منبر الجامع بدمشق، وكَتَب إلى الأمير عز الدين الأفرم وهو بالكرك يعتذر عن قيامه، وأتبع الكتاب بعسكر. فلما ورد كتابه جهزه الأفرم إلى السلطان بمصر، فكتب السلطان عند وروده إلى الأشقر يقبح فعله، وكتب أمراء مصر إليه بذلك، ويحثونه على الإذغان وترك الفتنة. وسار بالكتب بلبان الكريمى، فوصل دمشق فى ثامنه، وخرج سنقر الأشقر إلى لقائه وأكرمه، ولم يرجع عما هو فيه.

واستقر الأفرم بغزة، فوافاه عسكر سنقر الأشقر بها، فاندفع من قدامهم إلى الرمل، وملك العسكر غزة واطمأنوا، فطرقهم الأفرم وأوقع بهم فانهزموا إلى الرملة، وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمى، الأمير بدر الدين بيليك الحلبى، وبهاء الدين يمك الناصرى، وناصر الدين باشقرد الناصرى، وعلم الدين سنجر التكريتى، وسنجر البدرى، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون، وغنم منهم مالا وخيولا وأثقالا كثيرة. وبعث الأفرم بالبشارة على يد ناصر الدين محمد ولد الأمير بكتاش الفخرى، فقدم فى خامس عشره بالأمراء المأسورين، فعفا السلطان عنهم وأحسن إليهم، وأعادهم على أخبازهم وجعلهم فى العسكر.

وفى رابع عشره: مات الأمير علاء الدين كندغدى الحبيشى من ضربة بسكين، ضربه بها سنقر الغتمى الأشقر الأستادار، وقبض عليه وسمر على باب زويلة.

ولما بلغ سنقر الأشقر كسرة عسكره، جمع وحشد وبعث إلى الأمراء بغزة يعدهم ويستميلهم، فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن حجى أمير العربان بالبلاد القبلية، والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية، وأتته النجدات من حلب وحماة ومن جبال بعلبك، واستخدم عدة كبيرة وبذل فيهم المال، وكثرت عنده بدمشق الأرجاف أن عسكر مصر قد سار إليه، فاشتد استعداده. وجرد السلطان من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، ومعه الأمير بدر الدين الأيدمرى

والأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى أربعة آلاف فارس. فسار إلى غزة، واجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمرى، وساروا جميعًا والمقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبى، فرحل عسكر سنقر الأشقر من الرملة إلى دمشق. فخرج سنقر الأشقر فى ثانى عشر صفر بعساكره وخيم بالجسورة خارج دمشق، ونزل عسكر مصر الكسوة والعقوة فى يوم الإثنين سابع عشره بالجسورة. فوقعت الحرب فى تاسع عشره، وثبت سنقر الأشقر وأبلى بلاء عظيما، ثم خامر من عسكره طائفة كبيرة إلى عسكر مصر، وانهزم كثير منهم، ورجع عسكر حلب وحماة عنه إلى بلادهم، وتخاذل عنه عسكر دمشق، وحمل عليه الأمير سنجر الحلبى فانهزم منه. وهرب سنقر الأشقر وتبعه من خواصه الأمير عز الدين أزدمر الحاج، والأمير علاء الدين السبكى، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزى، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، وساروا معه هم والأمير عيسى بن مهنا إلى برية الرحبة وأقاموا بها أياما، وتوجهوا إلى الرحبة، وكان سنقر قبل ذلك قد بعث حرمه وأمواله إلى صهيون. وأسر يومئذ أحد عشر أميرًا: منهم بدر الدين سنجق البغدادى، وبدر الدين بيليك الحلبى، وعلم الدين سنجر التكريتى، وبهاء الدين تملك الناصرى، وباشقرد الناصرى، ونوديه الناصرى.

ولما انهزم سنقر الأشقر تفرق عسكره فى سائر الجهات، وغلقت أبواب دمشق، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها، ونزلوا فى الخيام ولم يتعرضوا لشىء. وأقام الأمير سنجر الحلبى بالقصر الأبلق فى الميدان الأخضر خارج دمشق، فلما أصبح أَمَرَ فنودى بالأمان. وكان بقلعة دمشق الأمير سيف الدين الجكندار، وهو متولها من جهة سنقر الأشقر، فأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى، والصاحب تقى الدين توبه، وحلفهم ألا يؤذوه إذا أطلقهم. ثم فتح باب القلعة، ونزل لاجين إلى باب الفرج فوقف عليه، ومنع العسكر من دخول المدينة.

ونودى بإطابة قلوب الناس وزينة البلد، فوقف البشائر بالقلعة. وقدم كثير ممن كان مع سنقر الأشقر فأمنهم الأميرسنجر الحلبى، وحضر أحمد بن حجى بأمان. وقتل فى هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن الأتابك وكان شجاعًا، ونور الدين على بن الطورى، وكان شجاعًا، وثمانية من جند دمشق، واثنان من عسكر مصر، وجرح الأمير بكتاش الفخرى[... (١)] وكتب إلى السلطان بذلك على يد ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، فلما قدم على السلطان فى أول ربيع الأول أنعم عليه بإمرة عشرة، وهو أول من تأمر من أولاد الأمراء فى الدولة المنصورية.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر فى نيابة الأمير بدر الدين بكتوت العلائى، واستقر الوزير تقى الدين توبه على حاله، واستقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى فى نيابة حلب، بعد الأمير جمال الدين أقش الشمسى نائب حلب.

وفى خامس عشرى أبيب وهو فى صفر: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعًا.

وفى رابع عشرى صفر: سار الأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى عدة من الأمراء ومعه ثلاثة آلاف فارس من دمشق، فى طلب شمس الدين سنقر الأشقر، وتبعهم فى أول ربيع الأول الأمير عز الدين الأفرم على عسكر آخر. وكان سنقر الأشقر قد أقام عند الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، ثم فارقه وسار إلى الرحبة، وقد تركه كثير ممن كان معه، فامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبى نائب القلعة بالرحبة من تسليمها إلى سنقر الأشقر. فلما أيس منه سنقر كتب إلى الملك أبغا بن هولاكو يحثه على الحضور لأخذ البلاد الشامية، وكتب معه أيضًا الأمير عيسى بمثل ذلك[1]. فبلغهما خبر توجه العساكر من دمشق، فسار سنقر فى البرية إلى صهيون فتحصن بها، ولحق به الأمير عز الدين الحاج أزدمر فى طائفة، فبعثه إلى قلعة شيزر فأقام بها، وبلغ ذلك العساكر المتوجهة من دمشق فنازلت شيزر.

وفى هذه المدة أوقعت الحوطة بدمشق على الصاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير سنقر الأشقر، وعلى جمال الدين بن صصرى ناظر دواوين دمشق، واعتقلا على مال ألزما به.

وضرب الزين وكيل بيت المال، ورسم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان، واتهم بأنه أفتى سنقر الأشقر بجواز قتال السلطان، وورد كتاب السلطان من مصر بشنقه.

ثم ورد بريد من مصر إلى الشام بأمان أهل دمشق، فقام فى حق قاضى القضاة شمس الدين الأمير علم الدين الحلبى، وقال: «قد ورد كتاب السلطان بأمان من سمعه من أهل دمشق، وقد سمعه ابن خلكان فهو آمن من القتل».

وصرف ابن خلكان عن قضاة دمشق فى حادى عشرى من صفر، وعرض القضاء على قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن

---

(١) انظر بيبرس المنصورى زبدة الفكر ١٠٤/٩ والنويرى نهاية الإرب ٢٧٠/٢٩.

الصائغ، فامتنع من ذلك، ففوض لنجم الدين أبى بكر بن صدر الدين بن أحمد بن يحيى ابن سنى الدولة.

واعتقل ابن خلكان فى رابع عشريه بالخانقاه النجيبية، ثم أفرج عنه فى تاسع ربيع الأولى بكتاب السلطان. فثار عليه ابن سنى الدولة، وألزمه أن يخرج من المدرسة العادلية، ورسم عليه فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول حتى ينتقل عنها، وشدد عليه بسبب ذلك و لم يمهل، فشرع ابن خلكان فى نقل كتبه وأمتعته فى الرابعة من النهار، وإذا بالطلب قد أتاه فظن أنه من جهة الاستحثاث فى النقلة، فأراهم الاهتمام بذلك، فقيل له قد حضر البريد من مصر، فخاف من حلول البلاء به، وتوجه إلى نائب دمشق، فإذا بكتاب السلطان يتضمن إنكار ولاية ابن سنى لما به من الصَّمَم، ويقول: «إنا قد عفونا عن الخاص والعام، وما يليق أن نخص بالسخط أحدًا على انفراده، وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضى شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته، وأنه من بقايا الدولة الصالحية، وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء»، فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبى، وركب ابن خلكان من ساعته إلى المدرسة العادلية، ونزلها وقت الظهر وباشر الحكم، فعدّ ذلك من الفرج بعد الشدة، وكانت مدة ابن سنى الدولة عشرين يومًا.

وفى حادى عشر شهر ربيع الأول: فوضت نيابة دمشق إلى الأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصورى، وقد كتب تقليده وتوجه به بكتوت العلائى، وولى الأمير بدر الدين بكتوت العلائى شد الدواوين بدمشق، والصاحب تقى الدين توبة التكريتى وزارة الشام، وأُقْطِع الأمير فخر الدين عثمان بن مانعن بن هبة، والأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر، إقطاع الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، واستقرا فى إمرة آل فضل وآل على على أن ينزل فخر الدين من الرَّسْتَن إلى المَلُّوْحة، وتكون منزلة شمس الدين من الملوحة إلى الفرات، وأعطى أيضًا الأمير حسام الدين دراج إمرة آل عامر، وتكون منزلته من الرستن إلى العقابيات.

وتوجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى من القاهرة إلى الملك منكوتمر فى البحر، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقى. وتوجه الأمير ناصر الدين بن المحسنى الجزرى والبطرك أنباسيوس، فى الرسالة إلى الملك الأشكرى.

وفى ثالث ربيع الآخر: ورد رسول صاحب تونس بكتابه.

وفى سابعه: قدم الأمير عز الدين أزدمر العلائى إلى قلعة الجبل، فأنعم عليه بخبز

الأمير قيران البندقدارى، المنتقل إليه عن علم الدين سنجر الدوادارى.

وفى النصف منه: قدم الأمير بدر الدين بكتوت ابن الأتابك.

وفى ثامن عشريه: كسر الخليج الذى بظاهر المقس، وورد المفرد فى ثالث عشريه.

وفى سادس عشريه وهو أول أيام النسىء: وفى النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان إلى القياس وخلق العمود، ثم ركب فى الحراقة وكسر الخليج الكبير، فكان يوما مشهودًا.

ونودى فى نهاره إصبعان من ستة عشر ذراعا، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وفيه صرف الأمير علم الدين أقش البدرى والى قلعة الشوبك، وقرر عوضه الأمير علم الدين سنجر الإيغانى.

وفى سابع عشريه: مات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار(١) والى مصر، وأحيط بتركته، وقرر عوضه الأمير عز الدين أيبك الفخرى.

وفى أول جمادى الأولى: كان يوم النوروز بمصر.

وفى تاسعه: وصل الأمير سيف الدين الحبيشى إلى قلعة الجبل.

وفى خامس عشريه: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاثة وعشرين إصبعًا من سبعة عشر ذراعا، وأعطى الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى تكملة مائة فارس، ورسم بإيقاع الحوطة على تقى الدين توبة وزير الشام: فقبض على موجوده وسجن.

وفى ثالث جمادى الآخرة: وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبى من بلاد الشام، فركب السلطان إلى لقائه وخلع عليه وعلى من كان معه من الأمراء، وأنعم على كل منهم بألف دينار.

وفى سادسه: خلع على الأمير سيف الدين بلبان الرومى، وجعل دوادار العلامة لا غير، مع القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر.

وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق: فرقة سارت من جهة بلاد الروم ومقدمهم صمغار وتنجى وطرنجى، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاى بن هولاكو وصحبته صاحب ماردين، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل منكوتمر بن هولاكو. فخرج من دمشق الأمير ركن الدين إياجى

---

(١) لفظ لوظيفة معروفة فى الأنظمة الحكومية.

على عسكر، وانضم مع العسكر المحاصر لشيزر، وخرج من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى على عسكر. واجتمع الجميع على حماة، وراسلوا الأمير سنقر الأشقر فى إخماد الفتنة والاجتماع على قتال التتر، فبعث إليهم عسكرا من صهيون أقام حول صهيون، ونزل الحاج أذدمر من شيزر وخيم تحت قلعتها.

ووقعت الجفلة فى البلاد الحلبية، فسار منها خلق كثير إلى دمشق فى النصف من جمادى الآخرة، وكثر الاضطراب فى دمشق وأعمالها، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر.

فلما كان فى حادى عشريه:هجمت طوائف التتار على أعمال حلب، وملكوا عين تاب وبغراص ودربساك، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر، فقتلوا ونهبوا وسبوا، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء. وأقاموا بها يومين يكثرون الفساد بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفى فى المغائر والأسرية، ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشريه عائدين إلى بلادهم بما أخذوه، وتفرقوا فى مشاتيهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشريه: أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا بشعار السلطنة، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولى عهده، فشق القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل. وكتب له تقليد بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر من إنشائه، أجاد فيه وأبلغ، وخطب للملك الصالح بعد ذلك على منابر مصر كلها بعد والده، وكتب إلى البلاد الشامية بذلك.

وفى آخره: عزل السلطان الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية، فعاد إلى ديوان الإنشاء، وكتب مع كتاب الإنشاء، وتصرف بأمر صاحب ديوان الإنشاء، وفوضت الوزارة بعده إلى الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى.

وتوجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتار، بعد ما أنفق فى كل أمير ألف دينار، وفى كل جندى خمسمائة درهم، واستخلف على مصر بقلعة الجبل ابنه الملك الصالح عليا. فسار السلطان إلى غزة، وقدم عليه بغزة من كان فى البلاد الشامية من عساكر مصر، وقدم عليه أيضًا طائفة من أمراء سنقر الأشقر فأكرمهم. ولم ينزل السلطان بغزة إلى عاشر شعبان، فرحل منها عائدًا إلى مصر، بعد أن بلغه رجوع التتر، وكانت غيبته خمسين يومًا. وولى الأمير بدر الدين درباس ولاية جينين ومرج بنى عامر.

وفيها ولى الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين على بن السديد ولاية مصر، عوضًا عن الأمير عز الدين أيبك الفخرى. وسفر الأمير سيف الدين باسطى نائبًا بقلعة صرخد، والأمير عز الدين أيبك الفخرى واليًا بالقلعة المذكورة.

وفى يوم السبت سادس عشرى شهر رمضان: صرف قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر، وكان قد سلك فى ولايته طريق الخير والصلاح، وتحرى الحق والعدل وتصلب فى الأحكام، واستقر عوضًا عنه قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بكتاش النجمى إلى حمص مجردا، وخرج الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى لحفظ الساحل من الفرنج. وكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب، لمساعدتهم التتار عند وصولهم حلب، فجمع التركمان وغيرهم، وحمل المجانيق والآلات، ونازل المرقب، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج، وعدم من المسلمين مقدار مائتى فارس وراجل. فكبر ذلك على السلطان، وتحرك للسفر وخرج فى أول ذى الحجة، واستخلف ابنه الملك الصالح، وخيم بمسجد تبر. ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى. فى استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة، وجعله فى خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجارى. وأقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال، وأقر فى نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصورى.

وقدم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق، وترامى على السلطان، فعفا عنه وأكرمه، وركب إلى لقائه وأحسن إليه.

* * *

ومات فى هذه السنة

الشيخ الصالح المعمر طير الجنة، ودفن بقرافة مصر.

ومات الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد ابن على الجزار، فى ثانى عشر شوال.

ومات الأمير الكبير جمال الدين أقوش الشمسى نائب حلب بها، فى خامس المحرم، وهو الذى قتل كتبغا نوين مقدم التتار يوم عين جالوت، وهو الذى أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى، وولى نيابة حلب بعده علم الدين سنجر الباشقردى.

ومات الأمير على بن عمر الطورى، وقد أناف على تسعين سنة، وكان أحد أبطال المسلمين، وله شهرة عند الفرنج، وتنقل فى ولايات عديدة.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار والى مصر فى ربيع الأول، بعد ما ولى مصر عدة سنين، وكان خبيرًا عظيم السمن.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النن البغدادى الشافعى بالإسكندرية، عن ثمانين سنة.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن بركة خان خال الملك السعيد، وهو بدمشق.

* * *

سنة ثمانين وستمائة

فيها سار السلطان قلاوون من ظاهر القاهرة، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا فى تقرير الهدنة، فتقررت بين مقدم بيت الإسبتار وسائر الإسبتارية بعكا، وبين السلطان وولده الملك الصالح لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم السبت ثانى عشرى المحرم.

وتقررت الهدنة أيضًا مع متملك طرابلس الشام بيتند بن بيمند لمدة عشر سنين، أولها سابع عشرى شهر ربيع الأولى. وعادت الرسل، وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب لتحليف الفرنج ومقدم الإسبتار على ذلك، فخلفهم.[1]

---

(١) ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج على ما نذكر. وفيها تقررت الهدنة بين السلطان وولده معا، وبين مقدم بيت الإسبتار وجميع الإخوة الإسبتارية لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ثمانين وستمائة، الموافق الثالث من شهر إيار سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع، والمدن والحصون والبلاد والقرى، والمزارع والأراضى والموانى والبحور، والمراسى والثغور، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة، وعلى التجار والمسافرين فى البر والبحر والسهل والجبل، فى الليل والنهار، وعلى قلعة المرقب وربض المرقب بحقوقه وحدوده. وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس بيمند بن بيتمند، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضها بعضًا، أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة. الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة واثنين وتسعين للإسكندر، وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية. وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح أعز الله نصرهما، قريبها وبعيدها، سهلها وجبلها، غورها ونجدها، قديمها ومستجدها، وما هو مجاور لطرابلس ومحدد لها من المملكة البعلبكية جميعها، وجبالها وقراها الرحلية والجبلية، وجبال الضنيين والغضبين وما هو من جملتها وحقوقها، وعلى الفتوحات المستجدة: وهى حصن الأكراد وبلاده وأفليس وبلادها، والقليعات وبلادها، وصافيتا وبلادها ، وميعار وبلادها، وأطليعا وبلادها، وحصن عكا وبلاده، ومراقية ومدينتها وبلادها، ومناصفاتها: وهى بلاد الكمة وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها، ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الإسبتار وبلده ومدينته وبلادها، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها، وقرفيص وبلادها، وجبلة وبلاد اللاذقية وأنطاكية وبلادها، والسويدية وميناؤها، وحصن بغراس وبلاده، وحصن دير كوش وبلاده وشقيف تاميس وبلاده، وكفر دنين وبلاده، والدربساك وبلاده، وثغرى الشغر وبكاس وبلادهما، والقصير وبلاده، وصهيون وبلادها، وبرزية=

وفيه بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهرى السعيدى قد وافق عدة من الظاهرية والسعيدية على الفتك بالسلطان عند المخاضة بنهر الشريعة، بعد الرحيل من بيسان، فأعلم السلطان بذلك. واتفق ورود كتب من عكا تتضمن أن السلطان يحترز على نفسه، فإن عنده جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتله، وكاتبوا الفرنج بأنهم لا يصالحون، فإن الأمر لا يبطئ، فاحترز السلطان على نفسه.

وهم كوندك بأن يغتال السلطان وهو بمنزلة الروحا، فوجده قد تحفظ واستعد. ثم إن السلطان رحل من الروحا، ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده فى حمراء

=وأعمالها، والقلعية وأعمالها، وعيدوا وأعمالها، ومصياف وبلادهما، وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع: وهى القدموس والكهف والمينقة والخوابى والرصافى والقليعة والعليقة، والمملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها، وشيزر وأبو قبيس وبلادها، والمملكة الحموية وبلادها، والمملكة الحمصية وبلادها، وجميع ما لمولانا السلطان من ممالك وحصون وبلاده، وقلاع وثغور وأبراج، وموان وسواحل وبرور وأنهار، وبساتين ومصايد وملاحات، وسهل وجبل وعامر ودائر، وجميع الأمطار مصريها وشاميها وساحليها وحجازيها وغربها وشرقها وما سيفتحه الله على يده ويد ولده ويد عساكره وجنودهما من الممالك والحصون وعلى بلاد الإبرنس: وهى طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب منها، وجميل وبلادها، ومدينة البثرن وأعمالها، وصنم جبيل وبلاده وعرقا وبلادها المعينة فى الدهنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية، وما هو للخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلدًا، وما هو للفارس رحار دلالولاى من قبلى طرابلس يكون مناصفة، وعلى أن يستقر برج اللازقية وما تجدد فيه الخاص الإبرنس. ويستقر النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية بيبرس. وكذلك فى رعايا مدينة اللاذقية وبلادها، على ما تضمنته الهدنة الظاهرية بيبرس، وعلى أن يكون على جسر أرتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلات ستة عشر نفرًا: وهم المشد وغلامه، والشاهد وغلامه، والكاتب وغلامه، وعشرة أنفار رجالة فى خدمة المشد، ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنون فيها على العادة، ولا يحصل منهم مضرة لرعية الإبرنس، وأن يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات، وألا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها، وما يعبر من غلالها ومن أراضيها، مما يستغل منها ومن بلادها على ما تشهد به الهدنة، من الصيفى والشتوى، وغير ذلك مما يتعلق بعرقا وبلادها، ولا يعارضهم المشد فيه وما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق ، ولا تدخل إلى طرابلس غلة محمية باسم الإبرنس ولا أصحابه إلا وتؤخذ الحقوق عليها، وعلى أن الإبرنس لا يستجد خارج مدينته، ولا فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها بناء يمنع ويدفع، وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة من الأخرى. وكذلك مولانا السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل مجاورة للبلاد التى وقعت الهدنة عليها، ولا ينتقض ذلك بموت أحد من الجهتين ولا بتغيره، ولا برجل غريبة من الفرنج أو التتار بل تكون هذه الهدنة باقية، ومتى جاءت رحل غريبة يداريهم عن بلاده وعن نفسه، ولا يدخل فى مشورة تؤدى إلى اعتماد سوء أو مكروه ولا يحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان، ولا يتفق عليه برمز ولا حط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة. فتقرر الحال على ذلك، وعادت رسل كل جهة إليها.

بيسان، فونج كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج، فلم ينكروا وسألوا العفو.

فأمر السلطان بهم فقبض عليهم وهم: كوندك، وأيدغمش الحكيمى، وبيبرس الرشيدى، وساطلمش السلاح دار الظاهرى، وعلى ثلاثة وثلاثين من الأمراء البرانية[1] والمماليك الجوانية، وفر عشرة أمراء ومائتا فارس فأخذوا من بعلبك وصرخد، وأخذ كوندك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة، ومضى به إلى بحيرة طبرية، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية. فركب الأمير سيف الدين أيتامش السعيدى والأمير سيف الدين بلبان الهارونى، فى نحو ثلاثمائة من البحرية الظاهرية والتتار الوافدية، وتوجهوا إلى سنقر الأشقر بصهيون. فخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير ركن الدين طقصوا الناصرى فى أثرهم، فلم يدركهم، وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى تاسع عشر المحرم، وهو أول قدومه إليها فى سلطنته، فكان يومًا مشهودًا، وقد اجتمع له عسكر عدته خمسون ألفًا.

وفى ثانى عشرى المحرم: صرف ابن خلجان عن قضاء دمشق، وأعيد عز الدين محمد بن الصائغ. واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق نجم الدين أحمد بن شمس الدين عبد الرحمن الحنبلى، وكان قضاء الحنابلة قد شغر من دمشق منذ عزل نفسه قاضى القضاة شمس الدين، فاستقر ابنه نجم الدين بتعيين والده.

وفى عاشر المحرم: مات قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى بمصر، فاستقر عوضه فى نظر التربة الصالحية بخط بين القصرين الطواشى حسام الدين بلال المغيثى اللالا.

واستقر فى نظر المشهد الحسينى بالقاهرة القاضى برهان الدين[... [2]] بن الطرائفى كاتب الإنشاء، فورد مرسوم السلطان من دمشق بولاية الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الأستادار نظر المشهد الحسينى، وولاية القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضًا عن أخيه، مضافًا لما بيده من نظر الخزائن المعمورة، وأن يكتفى بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التى كانت بيد أخيه، وبتوفر معلومه عن نظر الخزائن.

---

(١) يطلق هذا اللفظ على المماليك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى ربيع الأول: صرف الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة بمصر، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل.

وفى صفر: جرد السلطان من دمشق الأمير عز الدين أيبك الأفرم والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى فى عدة من الأجناد، فساروا إلى شيزر، فبعث سنقر الأشقر يطلب الصلح على أن يسلم شيزر، ويعوض عنها الشغر وبكاس وكانتا قد أخذتا منه ومعهما فامية وكفر طلب وأنطاكية وعدة ضياع، مع ما بيده من صهيون وبلاطنس ونرزية واللاذقية، وشرط أيضًا أن يكون أميرًا بستمائة فارس، ويؤمر من عنده من الأمراء، فأجيب إلى ذلك.

وحضر فى رابع ربيع الأول الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، ومعه رسول سنقر الأشقر بنسخة يمينه على ما تقرر، فحلف له السلطان وكتب له تقليدًا بالبلاد المذكورة، ونعت فيه بالأمير وخوطب فى مكاتباته بالمقر العالى المولوى السيدى العالى العادلى الشمسى، ونودى فى دمشق باجتماع الكلمة. وجهزت رسل سنقر الأشقر، ومعهم الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، فحلفاه وعادا فى ثانى عشره، فضربت البشائر.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر من الأقمشة والأوانى وغيرها شيئًا كثيرًا، وعادت العساكر من شيزر إلى دمشق.

وفى يوم الخميس أول شهر ربيع الأول وهو خامس عشرى بؤونة: كان قاع النيل بمصر ستة أذرع وثمانية عشر إصبعًا.

وقدمت رسل الملك المسعود خضر بن الظاهر صاحب الكرك فى طلب الصلح والزيادة على الكرك، ليكون له ما كان للناصر صلاح الدين داود. فلم يجب السلطان إلى ذلك، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكون له من حد الموجب إلى الحسا، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث، وترد عليهم الأملاك الظاهرية.

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسنى السلاح دار والقاضى عماد الدين بن الأثير ليحلفاه، فانبرم الصلح فى أوائل شهر ربيع الأول، وشهر النداء بذلك فى دمشق.

وفى هذا الشهر: دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها وضمنت بألفى ألف درهم فى كل سنة.

فلما كان يوم الأحد خامس عشريه: خرج مرسوم بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة، فبطل ذلك.

وفيه عزل برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة وصودر وأهين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس وهو معها فى تابوت إلى ظاهر دمشق، فرفع فى ليلة الخميس العشرين منه بحبال إلى أعلى السور، وأرخى وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر، وألحده مع أبيه قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ.

فلما كان بكرة يوم الخميس: حضر السلطان والأمراء وسائر الأعيان وكثير من القراء والوعاظ إلى القبر، فكان وقتًا مشهودًا.

وفى هذا اليوم: أوفى النيل بمصر ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافقه رابع عشر مسرى، فكتب إلى السلطان بذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: ولى نظر الإسكندرية كمال الدين بن سلامة، بعد وفاة رشيد الدين[.... [(١)]] بن بصاقة.

وفى جمادى الأولى: شنق بالقاهرة رجلان: أحدهما مر به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضربه بسكين قتله، فشنق، والآخر جندى طالب خياطا بمتاع له عنده، فلما مطله ضربه فمات، فشنق أيضًا.

وفيه مات رسول ملك الفرنج، فأحيط بموجوده. وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدى فى طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس، فسمر على جمل وأقام أيامًا يطاف به أسواق مصر والقاهرة، فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب، فلما طالب بذلك قال له الموكل به: «إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعًا، حتى تستريح مما أنت فيه»، فقال له: «لا تقل كذا، فإن شر الحياة خير من الموت»، فناوله ما أكله وسقاه. فاتفق أنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن، فعاش أيامًا ثم مات فى السجن.

وفى عاشر جمادى الآخرة وهو تاسع عشرى توت: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعًا وأربعة أصابع.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى هذا الشهر: ثار العشير ونهبوا مدينة غزة، وقتلوا خلقا كثيرًا وأفسدوا، فبعث السلطان الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى على عسكر من دمشق، وخرج من القاهرة الأمير شمس الدين سنقر البدوى على عسكر.

وفيه ورد الخبر بدخول منكوتمر أخى أبغا بن هولاكو بن طُلُوى بن جنكزخان إلى بلاد الروم بعساكر المغل، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين. فبعث السلطان الكشافة، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصًا وبعثوا به إلى السلطان، فقدم إلى دمشق فى العشرين من جمادى الأولى، فأتاه السلطان و لم ينزل به حتى أعلمه أن التتر فى نحو ثمانين ألفًا، وأنهم يريدون بلاد الشام فى أول رجب.

فشرع السلطان فى عرض العساكر، واستدعى الناس، فحضر الأمير أحمد بن حجى من العراق فى جماعة كبيرة من آل مراتكون زهاء أربعة آلاف فارس، شاركين فى السلاح على الخيول المسومة، وعليهم القزغندات الحمر من الأطلس المعدنى والديباج الرومى، وعلى رءوسهم البيض[1] مقلدين سيوفهم وبأيديهم الرماح، وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص بتراقص المهارى[2] وبأيديهم الجنائب ووراءهم الظعائن[3] والحمول[4] ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة فى الهودج، وهى تغنى:

---

(١) البيض جمع بيضة وهى الخوذة من الحديد يلبسها الجندى لوقاية الرأس. سميت بذلك لأنه على شكل بيضة النعام. وابتاض الرجل: لبس البيضة. انظر: محيط المحيط. لسان العرب ٣٩٨.

(٢) إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة ابن حيدان - أبو قبيلة - وهم حى عظيم. والجمع مَهارىُّ ومَهارٍ ومَهَارَى، مخففة الياء. انظر: لسان العرب.

(٣) الظعائن: والظعينة: الجمل يظعن عليه، والظعينة: الهودج تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج، كانت فيه أو لم تكن، والظعينة: المرأة فى الهودج، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه، وقيل: سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة، ولا تسمى ظعينة إلا وهى فى هودج، وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة فى هودج أو غيره، والجمع ظعائن وظعن وظعن وأظعان وظعنات، (الأخيرتان جمع الجمع)، قال بشر بن أبى خازم:

لهم ظعنات يهتدين براية ... كما يستقل الطائر المتقلب

وقيل: كل بعير يوطأ للنساء فهو ظعينة، وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكن فى الهوادج، يقال: هى ظعينته وزوجه وقعيدته وعرسه، وقال الليث: الظعينة الجمل الذى يركب، وتسمى المرأة ظعينة لأنها تركبه، وقال أبو زيد: لا يقال حمول ولا ظعن إلا للإبل التى عليها هوادج، كان فيها نساء أو لم يكن، فيه فليست بظعينة؛ قال عمرو بن كلثوم: =

قفى قبل التفرق يا ظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا

قال ابن الأنبارى: الأصل فى الظعينة المرأة تكون هودجا، ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة، وقال غيره: أكثر ما يقال الظعينة للمرأة الراكبة. انظر: لسان العرب ٢٧٤٨.

(٤) الحمول جمع حمل وهو كالظعينة الجمل الذى يحمل عليه الهودج أو الهودج نفسه.

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالى لاقينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جردًا للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تنكسرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فقال رجل: «هكذا يكون ورب الكعبة». فكان كما قال، فإن الكسرة كانت أولا على المسلمين، ثم كانت النصرة لهم، واستحر القتل بالتتار كما ستراه. وقدمت نجدة من الملك المسعود خضر، وقدمت عساكر مصر وسائر العربان والتركمان وغيرهم. فوردت الأخبار بمسير التتر، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع الملك أبغا بن هولاكو إلى الرحبة ومعه صاحب ماردين، وفرقة أخرى من جانب آخر، فخرج بجكا العلائى فى طائفة من الكشافة إلى جهة الرحبة. وجفل الناس من حلف إلى حماة وحمص حتى خلت من أهلها، وعظم الإرجاف. وتتابع خروج العساكر من دمشق إلى يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، فخرج السلطان إلى المرج بمن بقى من العساكر وأقام به إلى سلخ الشهر، ثم رحل يريد حمص فنزل عليها فى حادى عشر رجب ومعه سائر العساكر، وحضر الأمير سنقر الأشقر من صهيون ومعه أيتمش السعدى، وأزدمر الحاج، وسنجر الدواداری، وبيجق البغدادى، وكراى، وشمس الدين الطنطاش، ومن معهم من الظاهرية، فسر السلطان بذلك وأكرمهم وأنعم عليهم، وكان ذلك فى ثانى عشره فنزل سنقر الأشقر على الميسرة، وقويت الأراجيف بقرب العدو.

وفى ثالث عشره: اجتمع الناس بأسرهم فى جامع دمشق، وتضرعوا إلى الله وضجوا وبكوا، وحملوا المصحف العثمانى على الرءوس، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء.

ووصل التتار إلى أطراف بلاد حلب، وقدم منكوتمر إلى عين تاب، ونازل الملك أبغا قلعة الرحبة فى سادس عشرى جمادى الآخرة، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس. وتقدم منكوتمر قليلاً قليلا حتى وصل حماة، وأفسد نواحيها وخرب جواسق الملك المنصور صاحب حماة وبستانه فورد الخبر إلى السلطان بذلك وهو على حمص، وأن منكوتمر فى خمسين ألفًا من المغل وثلاثين ألفًا من الكرج والروم والأرمن والفرنجة، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ودله على عورات المسلمين.

ثم ورد الخبر بأن منكوتمر قد عزم أن يرحل عن حماة[1]، ويكون اللقاء فى يوم الخميس رابع عشر رجب. واتفق عند رحيله أن يدخل رجل منهم إلى حماة وقال للنائب: «اكتب الساعة إلى السلطان على جناح الطائر بأن القوم ثمانون ألف مقاتل، فى القلب منهم أربعة وأربعون ألفًا من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جدا، فيقوِّى ميسرة المسلمين، ويحترز على السناجق». فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه، وبات المسلمون على ظهور خيولهم.

وعند إسفار الصباح من يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: ركب السلطان ورتب العساكر: فجعل فى الميمنة الملك المنصور صاحب حماة، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، والأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى، ومضافيهم، وجعل فى رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، وآل فضل وآل مرا وعربان الشام، ومن انضم إليهم، وجعل فى الميسرة الأمير سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، والأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى، والأمير سيف الدين حيرك التترى، ومضافيهم، وجعل فى رأس الميسرة التركمان بجموعهم، وعسكر حصن الأكراد، وجعل فى الجاليش وهو مقدمة القلب الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر، ومن معه من مضافيه، والأمير ركن الدين أياجى الحاجب والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون، والمماليك السلطانية. ووقف السلطان تحت الصناجق، ومعه خاصته وألزامه وأرباب الوظائف، فكانت عمدة حلقته أربعة آلاف فارس وهى أقوى وأشد، وعدة مماليك السلطان ثمانمائة مملوك. وكان فى العسكر حشو كثير من الأمراء الأكراد والتركمان سوى أمراء مصر والشام. ثم اختار السلطان من مماليكه مائتى فارس، وانفرد عن العصائب ووقف على تل، فكان إذا رأى طُلْبا قد اختلّ أردفه بثلاثمائة من مماليكه.

فأشرفت كراديس التتار وهم مثلا عساكر المسلمين، ولم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا، فإن أبغا عرض من سيره صحبة أخيه منكوتمر فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبة. فالتحم القتال بين الفريقين بوطاة حمص، قريبًا من مشهد خالد بن الوليد، ويوم الخميس رابع عشر رجب، من ضحوة النهار إلى آخره، وقيل من الساعة الرابعة. فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتا عظيما، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت وانتهت إلى القلب وبه

(١) سبق ترجمتها.

منكوتمر. وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها، وانكسر جناح القلب الأيسر. وساق التتر خلف المسلمين حتى انتهو إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها، ووقعوا فى السوقة والعامة والرجالة والمجاهدين والغلمان بظاهر حمص، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأشرف الناس على التلاف.

ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة بما جرى للمسلمين أهل الميمنة من النصر ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمون ما نزل بميسرتهم من الكسرة، ووصل إلى بعض المنهزمين إلى صفد، وكثير منهم دخل دمشق، ومر بعضهم إلى غزة، فاضطرب الناس بهذه البلاد وانزعجوا انزعاجًا عظيما.

وأما التتر الذين ساقوا خلف المنهزمين من المسلمين أصحاب الميسرة، فإنهم نزلوا عن خيولهم وأيقنوا بالنصر، وأرسلوا خيولهم ترعى فى مرج حمص، وأكلوا ونهبوا الأثقال والوطاقات والخزانة وهم يحسبون أن أصحابهم ستدركهم، فلما أبطأوا عليهم بعثوا من يكشف الخبر، فعادت كشافتهم وأخبرتهم أن منكوتمر هرب، فركبوا وردوا راجعين. هذا ما كان من أمر ميمنة التتار وميسرة المسلمين.

وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب، إلا الملك المنصور قلاوون فإنه ثبت تحت الصناجق، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس، والكوسات تضرب. وتقدم سنقر الأشقر، وبيسرى، وطيبرس الوزيرى، وأمير سلاح، وأيتمش السعدى، ولاجين نائب دمشق، وطرنطاى نائب مصر، والدوادارى، وأمثالهم من أعيان الأمراء، إلى التتار، وأتاهم عيسى بن مهنا فيمن معه، فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة.

وكان منكوتمر مقدم التتار قائمًا فى جيشه، فَلَمَا أراده الله من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل، فرأى الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر، ولم يكن الأمر كذلك، بل كان السلطان قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال، حتى بقى معه نحو الثلاثمائة فارس لا غير. فنهض منكوتمر من الأرض ليركب فتقنطر عن فرسه، فنزل التتر كلهم لأجله وأخذوه. فعندما رآهم المسلمون قد ترجلوا حملوا عليهم واحدة كان الله معهم فيها، فانتصروا على التتار.

وقيل إن الأمير عز الدين أزدمر الحاج حمل فى عسكر التتار وأظهر أنه من المنهزمين، فَقَدمهم وسأل أن يُوْصَل إلى منكوتمر، فلما قرب منه حمل عليه وألقاه عن فرسه إلى الأرض، فلما سقط نزل التتار إليه من أجل أنه وقع، فحمل المسلمون عليهم عند ذلك،

فلم يثبت منكوتمر وانهزم وهو مجروح، فتبعه جيشه وقد افترقوا فرقتين: فرقة أخذت نحو سلمية والبرية، وفرقة أخذت جهة حلب والفرات.

وأما ميمنة التتار التى كسرت ميسرة المسلمين، فإنها لما رجعت من تحت حمص كان السلطان قد أمر أن تلفَّ الصناجق ويبطل ضرب الكوسات، فإنه لم يبق معه إلا نحو الألف، فمرّت به التتار و لم تعرض له، فلما تقدموه قليلاً ساق عليهم، فانهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شيء. وكان ذلك تمام النصر، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس. ومر هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل يريدون منكوتمر، فكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين، وإلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين لما وجدوا فيهم قوة، ولكن الله نصر دينه، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم. وانجلت هذه الواقعة عن قتلى كثيرة من التتر لا يحصى عددهم.

وعاد السلطان فى بقية يومه إلى منزلته بعد انقضاء الحرب، وكتب البطائق بالنصرة و لم يفقد كثيرَ شيء من ماله، فإنه كان قد فرق ما فى الخزائن على مماليكه أكياسًا فى كل كيس ألف دينار ليحملوه على أوساطهم فسلم له المال. وبات ليلة الجمعة إلى السحر فى منزلته، فثار صياح لم يشك الناس فى عود التتار، فبادر السلطان وركب وسائر العساكر، فإذا العسكر الذى تبع التتار وقت الهزيمة قد عاد.

وقتل من التتار فى الهزيمة أكثر ممن قتل فى المصاف، واختفى كثير منهم بجانب الفرات. فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار التى على الفرات، فاحترق منهم طائفة عظيمة، وهلك كثير منهم فى الطريق التى سلكوها من سلمية.

وفى يوم الجمعة: خرج من العسكر طائفة فى تتبع التتار، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحيرة[١] ليبعد عن الجيف. وقتل من التتار صمغار، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم، وكانت له إلى الشام غارات عديدة.

واستشهد من المسلمين زيادة على مائتى رجل: منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج وهو الذى جرح منكوتمر مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سبب هزيمتهم، وكان من أعيان الأمراء، وتحدثه نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة، والأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار الظاهرى، وعلم الدين سنجر الإربلى، وبدر الدين بكتوت الخازندار،

---

(١) البحيرة: موضع من أعمال الطايف قرب لية من قرى البحرين لعبد القيس. انظر معجم البلدان.

وشمس الدين سنقر العرسى، وشهاب الدين توتل الشهرزورى، وسيف الدين بلبان الحمصى، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صبرم الكاملى، وعلاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى العزيزى، وناصر الدين محمد بن أيبك الفخرى، وبدر الدين بيليك الشرفى، وشرف الدين بن علكان، وصاحب الموصل، والقاضى شمس الدين بن قريش كاتب الدرج وقد عدم فلم يعرف له خبر، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من المملوك.

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة، فى اليوم الثانى من الوقعة، سقط الطائر بالنصرة، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس سرورًا كبيرا، وزينت القلعة والمدينة. فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا بما شاهدوا من الكسرة، ولم يكن عندهم علم بما تجدد بعدهم من النصرة، فارتجت دمشق واضطرب الناس، وأخذوا فى أسباب الرحيل، وفتحت أبواب دمشق، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هاربين فورد بعد ساعة البريد يخبر النصر، وكانت موافاته عند أذان الفجر، فقرئ كتابه بالجامع فاطمأن الناس.

وورد الخبر إلى مصر فى يوم الخميس حادى عشرى شهر رجب، على جناح الطائر فى بطاقة من قاقون، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمرى.

وقد كان أهل مصر صاروا يقنتون فى صلواتهم، وكثرت قراءة صحيح البخارى، وأقبل الناس على تلاوة القرآن، وتجمعوا فى المشهد الحسينى وفى الجوامع والمساجد، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم. فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر، وجرد الملك الصالح فى الحال عسكرًا عليه الأمير صارم الدين أزبك الفخرى فى كثير من العربان إلى قطيا، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة، فاعتمد ذلك.

ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة، وتخبر فيها بالبشائر العظمى من كسر التتار.

وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضًا، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل، وكُتِب إلى أعمال مصر بالزينة. وكَتَب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع فى المنهزمين ويسأل العفو عنهم، وكتب أيضًا إلى الأمير بدر الدين بيسرى يؤكد عليه فى الشفاعة فيهم.

واتفق أن الأمير طرنطاى النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر، فأسرهم وفيهم حامل حرمدانة، فوجد فى الحرمدان كتبا من الأمراء مثل سنقر الأشقر، وأيتمش السعدى، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاى السلطانَ عليها، فأَمَر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد.

وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر، ورده ومن حمص إلى عمله بصهيون على عادته، ورد معه من كان عنده من الأمراء: وهم أيتمش السعدى، وسنجر الدواداری، وكراى التترى، وغيرهم.

ورحل السلطان إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثانى عشرى رجب، فكان يومًا عظيما إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم، وقال فيه الشعراء عدة قصائد.

وفى سابع: ورد الخبر إلى القاهرة. يعود السلطان إلى دمشق، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى الرحبة، ليدفع من عليها من التتار.

وأما أبغا بن هولاكو ملك التتار فإنه لم يشعر وهو على الرحبة إلا وقد وقعت بطاقة من السلطان إلى نائب الرحبة، بما مَنَّ الله به من النصر وكسرة التتار. فعندما بلغه ذلك بِدَقِّ بشائر القلعة رحل إلى بغداد.

ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى حلب، وبعث فى طلب التتار إلى الفرات، ففروا من الطلب وغرق منهم خلق كثير. وعبرت طائفة منهم على قلعة البيرة، فأتلهم أهلها وقتلوا منهم خمسمائة، وأسروا مائة وخمسين. وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس، وفيهم أكابر أصحاب سيس وأقاربهم فخرج عليهم الأمير شجاع الدين السِّنّانى بمن معه، فقتلهم وأسرهم عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين. وتوجه منهم على سلمية نحو أربعة آلاف، فأخذ عليهم نواب الرحبة الطرقات والمعابر، فساروا فى البرية فماتوا عطشًا وجوعا، ولم يسلم منهم إلا نحو ستمائة فارس.

فخرج إليهم أهل الرحبة فقتلوا أكثرهم، وأحضروا عدة منهم إلى الرحبة ضربت أعناقهم بها. وأدرك بقية التتر الملك أبغا، وفيهم أخوه منكوتمر وهو مجروح، فغضب عليه وقال: «لِمَ لا مُتَّ أنت والجيش ولا انهزمت» وغضب أيضًا على المقدمين. فلما دخل أبغا بغداد سار منها إلى جهة هَمَذان وتوجه منكوتمر إلى بلاد الجزيرة فنزل بجزيرة ابن عمر، وكانت الجزيرة لأمه قد أعطاها إياها أبوه هولاكو لما أخذها.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: قدم الأمير بدر الدين الأيدمرى بمن معه من العسكر، بعدما أنكى فى التتار. ورسم السلطان أن تكون البشائر إنعامًا على من ذكر: وهى القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومى، وقوص والوجه القبلى خلا الفيوم على يد الأمير بدر الدين بيدر المنصورى أمير مجلس، والفيوم على يد الأمير علم الدين سنجر أمير خور، والإسكندرية على يد الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار، ودمياط على يد الأمير بدر الدين بيليك أبو شامة المحسنى، والغربية على يد الأمير أيبك السلاح دار المنصورى، وأشموم على يد الأمير شمس محمد بن الجَمِقْدَار نائب أمير جاندار.

وورد كتاب السلطان إلى قلعة الجبل ليجهز إلى الملك المظفر شمس الدين بن رسول باليمن بما مَنَّ الله به من النصر على التتار، فكتب قريبه الملك الصالح كتابا من إنشاء محيى الدين بن عبد الظاهر، خوطب فيه: أعز الله أنصار المقام العالى المظفرى الشمسى.

وفى شهر رجب: رتب السلطان غرس الدين بن شاور فى ولاية لد والرملة، عوضًا عن سعد الدين بن قلج، بحكم انتقاله منها إلى ولاية بلد الخليل عليه السلام. ورتب تقى الدين توبة فى نظر النظار بالشام، شريكا للقاضى تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى. ورتب الأمير علم الدين سنجر الدوادارى شادًا ومدبرا من غزة إلى الفرات.

وفيه ثارت العشران ونهبوا نابلسى، وقتلوا مقتلة عظيمة، فركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى من غزة وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيرًا منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدى الصرخدى نائبًا بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشرين.

وفيه قُرِّر الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد فى تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعى من قرافة مصر، على عادة القاضى تقى الدين بن رزين بعد وفاته.

واستقر الشيخ علم الدين[......][(١)] ابن بنت العراقى فى تدريس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفيه وصل الأمير شهاب الدين أحمد ابن والى القلعة أمير شكار من دمشق لتخريج الجوارح وإصلاحها.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بازى المنصورى نائبًا بحمص، ومعه الأمير صارم الدين الحمصى مساعدًا له.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر الأمير جمال الدين أقش الحمصى نائبًا فى مدينة نابلس، عوضًا عن زين الدين قراجا البدرى.

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين قطز المنصورى، والأمير سنجر الحموى أبو خرص.

وفيه كانت وقعة فى صحراء عيذاب بين عرب جهينة[١] ورفاعة[٢] قتل فيها جماعة، فكتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ولا يُعِينَ طائفة على أخرى، خوفًا على فساد الطريق.

وفيه ولى زين الدين بن القماح نظر البحيرة، عوضًا عن موفق الدين بن الشماع. واستقر شمس الدين محمد بن القاضى علم الدين بن القماح فى الإعادة بمدرسة الشافعى من القرافة، بتوقيع شريف.

وفى شعبان: افترق بنو صورة بناحية المنوفية من أعمال مصر فرقتين، وحشدوا وركبوا بآلات الحرب، فخرج إليهم عدة من أجناد الحلقة، ورُسِم بأخذ خيلهم وسلاحهم، فسكن ما كان بينهم.

وفى يوم الأحد ثانى شعبان: سار السلطان من دمشق، وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة ونصب القلاع، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع فى تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة.فرتبت الإقامات فى عاشره على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وجعل فى كل منزلة من الدقيق ستين قطعة، وشعيرا أربعمائة أردب، وأغناما مائة رأس، ودجاجا مائتى طائر، وحمامًا خمسين طائرا، وأثبانا مائة حمل، وحطب سَنطٍ مائة قنطار.

وخرج السلطان من غزة بكرة يوم الخميس ثالث عشره، ووصل قطيا يوم الإثنين سابع عشره، وقد تأخرت العساكر وراءه، ونزل غَيْفَة يوم الخميس العشرين منه وخيم بها.

---

(١) جهينة بن زيد بن ليث، من قضاعة: جد جاهلى. السنبة إليه «جهنى» نزل كثيرون من بنيه بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر، وبعضهم فى بلاد إخميم وحلب وغربها من البلاد الشامية.ولايزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر، من جنوبى ديرة «بلى» إلى جنوبى ينبع. وفى جنوبى سنار، بالسودان، قبيلة تدعى جهينة، قد تكون من جهينة قضاعة، كان لها ذكر فى حروب المهدى والتعايش بالسودان. انظر سبائك الذهب ٢٣ واللباب ١:٢٥٩ وقلب جزيرة العرب ١٣٧ ٢:١١٢.

(٢) نسبة إلى رفاعة جد جاهلى، من جهينة. وهو رفاعة بن نصر مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة، مازالت منازل بنيه بين ينبع والوجه، فى الحجاز. ومن نسله عمرو بن مرة الصحابى. وينسب إليه الرفاعيون فى «الكاملين» على النيل الأزرق بالسودان. انظر: اللباب ١:٤٧٢، ومعجم قبائل العرب ٢:٤٣٩.

ودخل الأمير شرف الدين الجاكى المهمندار من الدهليز السلطانى لترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة، وخروجهم إلى لقاء السلطان.

وخرج الملك الصالح والأمير زين الدين كتبغا[1] نائب السلطنة إلى الملتقى، واستمر الأمير علم الدين سنجر المنصورى بقلعة الجبل.

فصعد السلطان إلى قلعته فى يوم السبت ثانى عشريه تحت صناجقه، وأسرى التتار بين يديه، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهى مكسورة. فبعث السلطان بالأسرى وطبول التتار وحِتْر منكوتمر من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة، وساروا إلى القلعة، ولم يشق السلطان القاهرة، وكان يومًا مشهودًا اجتمع الناس فيه من الأقطار، وكثر فرحهم وسرورهم.

وفى يوم الأحد ثالث عشرى شعبان: أفرج السلطان عن الأمير ركن الدين منكورس الناصر الفارقانى.

وفيه دخل السلطان إلى الخزانة الشريفة، ورتب الخلع لسائر الأمراء والخواص والكتاب بالدرد الذين كانوا فى الخدمة.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: جلس السلطان، وأحضرت هدية الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول صاحب اليمن على يد رسله: وهم مجد الدين بن أبى القاسم، والقاضى محيى الدين يحيى بن البَيْلَقَانى. فقبل السلطان هديته، وكانت من طرائف اليمن، من العود والعنبر والصينى ورماح القنا وغير ذلك.

وفى تاسع عشريه: أعيد إقطاع الأمير سيف الدين أيتمش السعدى إليه، وهوناى وطنان وَإمرَة مائة فارس، وكان قد أخذه عند توجهه إلى سنقر الأشقر الأمير عز الدين

---

(١) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية. فى مصر والشام. أصله من سبى التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك «المنصور» قلاوون فى وقعة حمص الأولى (سنة ٦٥٩هـ) وجعله من مماليكه، فنسب إليه (المنصورى) وتقدم فى الخدمة إلى أن ولى السلطنة محمد بن قلاوون فجعله «نائب السلطنة» وخلع محمد لصغر سنه، فتسلطن كتبغا (سنة ٦٩٤هـ) وتلقب بالملك العادل. ثم قصد الشام فخلفه الأمير لاجين بمصر، واستولى على كرسى السلطنة وأرسل إليه يأمره بخلع نفسه، فأذعن كتبغا وأشهد على نفسه بالخلع، وهو فى دمشق سنة (٦٩٦هـ) ومدته سنتان و٥١ يومًا. ثم أوعز إليه بالسفر إلى «صرخد» فأقام بها معززًا مكرمًا إلى سنة ٦٩٩هـ وعاد محمد بن قلاوون إلى السلطنة فأنعم على العادل كتبغا بمملكة حماة وأعمالها فانتقل إليها (سنة ٦٩٩هـ) واستمر إلى أن توفى بها. ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعًا دينًا. ابن إياس ١٣٣:١١ والنجوم الزاهرة ٥٥:٨ وفوات الوفيات ١٣٨:٢. الأعلام ٥ -٢١٩.

أيبك الأفرم، وأعيد على الأفرم إقطاعه القديم ممن أخذه.

وفيه أُقِرَّ الأمير سيف الدين قطز.

وفيه فوض قضاء الشافعية إلى وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين المهلبى الهنسى فى سابع شعبان، عوضًا عن تقى الدين محمد بن رزين بحكم وفاته.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحلبى المعروف بأياجى الحاجبى، من أجل أنه انهزم على حمص.

وفى يوم السبت سادس رمضان: حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وسألوا أن يكتب لمرسلهم أمان على قميص، وتعلم عليه العلامة السلطانية، فأجيبوا إلى ذلك. وجهزت إليه هدايا وتحف فيها قطعة زمرد، وعدة من أكاديش التتار وشىء من عددهم.

وفيه عملت نسخة حَلِف السلطان للملك الأشكرى صاحب القسطنطينية، وكانت رسله قد وصلت بنسخة يمينه فى تاريخ موافق آخر المحرم سنة ثمانين وستمائة.

وفيه ولى الأمير بهاء الدين قراقوش قوص وأخميم، عوضًا عن الأمير بيبرس مملوك علاء الدين حرب دار.

وفى شوال: سار المحمل إلى الحجاز على العادة.

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة: استقر عز الدين أيبك الفخرى واليًا بقوص وأخميم، عوضًا عن قراقوش.

وفى خامسه: قبض على الأمير أيتمش السعدى وعلى عدة من الأمراء واعتقلوا، وقبض أيضًا بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهارونى وسيقران الكردى وغيرهما، وذلك لأنهم كانوا ممن كان مع سنقر الأشقر.

وفيه سافر الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى الجزرى الحاجب والقاضى شرف الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج، إلى اليمن من جهة عيذاب، فى الرسالة عن السلطان.

وفى ذى القعدة: أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من القاهرة، وبعثهم إلى الكرك.

وفى أول ذى الحجة: فوض قضاء المالكية بديار مصر إلى تقى الدين أبى على

الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الفقيه الإمام مفتى الفرق جلال الدين أبى محمد بن عبد الله بن شاس الجذامى السعدى المالكى، عوضًا عن قاضى القضاة نفيس الدين محمد بن سكر، بحكم وفاته.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان أبغا بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان بنواحى هَمذَان عن نحو خمسين سنة، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة، وقام فى الملك بعده أخوه تَكُدَار بن هولاكو.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الألفى نائب السلطنة بديار مصر، فى السجن بالإسكندرية عن نحو أربعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى ابن عيسى بن موسى بن نصر الله العامرى الحموى الشافعى، عن سبع وسبعين سنة:

وتوفى قاضى دمشق نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة الشافعى، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين أبو حفص عمر بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشافعى، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الشيبانى الموصلى الكَوَاشِيّ، عن تسعين سنة بالموصل.

وتوفى الحافظ شمس الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى[1]، بدمشق عن ست وسبعين سنة.

وتوفى المسند شمس الدين أبو الغنائم مُسَلَّم بن محمد بن مسلم بن مكى بن خلف بن علان القيسى الدمشقى ناظر الدواوين بدمشق، عن ست وثمانين سنة بها.

وتوفى الشريف شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن

---

(١) ابن الصابونى (٦٠٤-٦٨١هـ-١٢٠٧-١٢٨٢م) محمد بن على بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودى، بن الصابونى من حفاظ الحديث العارفين برجاله. من أهل دمشق. له كتاب تكملة إكمال الإكمال فى رجال الحديث جعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الذى ذيل به «الإكمال» لابن ماكولا. قال ابن ناصر الدين. اختلط قبل موته بسبتة أو أكثر. انظر المتسطرفة ٨٨، والشذرات ٥/٣٦٩ والتبيان الوافى ٤/١٨٨ وتعليقات عبيد. الأعلام ٦/٢٨٢.

عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبى إبراهيم محمد الممدوح الحسنى، كاتب الإنشاء بحلب، عن خمس وثلاثين سنة بها.

وتوفى الأديب الكاتب الحاسب علاء الدين أبو الحسن على بن محمود بن الحسن بن نبهان اليَشْكرى، عن خمس وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكى، فى وقعة حمص شهيدا.

وتوفى الأديب بدر الدين أبو المحاسن بن يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى الدمشقى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق.

ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، بجزيرة ابن عمر مكمودًا عقب كسرته على حمص.

ومات علاء الدين عَطا مَلِك بن محمد الجوينى صاحب الديوان ببغداد، بعدما نقم عليه الملك أبغا ونسبه إلى مواطأة المسلمين، فقبض عليه وأخذ أمواله. وكان صدرًا كبيرًا فاضلا، وله شعر حسن، وولى بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجوينى.

* * *

سنة إحدى وثمانين وستمائة

فى مستهل صفر: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، والأمير كشتغدى الشمسى. فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق، وارتجت القاهرة حتى نودى: «من أغلق دكانه شنق»، ففتحت الأسواق.

وفى ربيع الأول: وصلت رسل الأشكرى ورسل ألفونس بهدية.

وفى حادى عشر ربيع الآخر: استقر فى الوزارة نجم الدين حمزة بن محمد الأصفونى.

وفى آخر جمادى الآخرة: استعفى قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسى من قضاء القاهرة والوجه البحرى، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين مصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى، فأعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى. وفوض السلطان ذلك فى أول رجب لشهاب الدين محمد الخوى، وكان يلى أولا قضاء الغربية من أعمال مصر، فنقل منها إلى قضاء القاهرة، وانفرد للبهنسى قضاء مصر والوجه القبلى.

وفى شعبان: حُلِّف الشريف أبو نمى أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة فى كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها، وأن يقدم عَلَم الملك المنصور على كل علم فى كل موسم، وألا يتقدمه عَلم غيره، وأن يسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمِّين، وأن يحرس الحاج ويؤمنهم فى سربهم، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصورى، وأن يفعل الخدمة فى فِعل المخلص الولى للسلطان، ويمتثل مراسمه امتثال النائب للمستنيب.

وفيه وصلت رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولاكو، وهم الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازى قاضى سيواس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التِّيْتى، وزير ماردين. وكانوا عند قدومهم إلى البيرة قد سار إليهم الأمير حسام الدين لاجين الرومى والأمير سيف الدين كبك الحاجبان، وقد أمرا أن يبالغا فى

الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد. واحترزا عليهم حتى لم يشاهدهم أحد، وسارا بهم فى الليل حتى قدموا قلعة الجبل بكتاب الملك أحمد: وفيه أنه مسلم، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحجاج.

وسأل اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب، وأنه ظفر بجاسوس وعادة مثله أن يقتل فجهزه إلى الأبواب السلطانية، وقال إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة، وبالغ فى استجلاب خاطر السلطان. وتاريخ الكتاب فى جمادى الأولى، وأنه كتب بواسط.

فأجيب بتهنئته بالإسلام، والرضى بالصلح(١)، وأعيدت الرسل وقد أكرموا من غير

---

(١) نسخة الكتاب الواصل من جهة المذكور، ومخبرا بانتقاله إلى ملة الإسلام، هو ومن معه من التتار: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال قا آن كذا قرمان أحمد إلى سلطان مصر. أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى، بسابق عنايته ونور هدايته، قد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الإقرار بربوبيته، والاعتراف بوحدانيته، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام بصدق نبوته، وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده فى بريته، **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾**. فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور المسلمين، إلى أن أفضت بعد أبينا الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك إلينا، فأفاض علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه، وجلا هدى المملكة على يدنا، وأهدى عقيلتها إلينا، فيجتمع عندنا فى قوريلتاى المبارك - وهو المجمع الذى تنقدح فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد. واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير فى إنقاذ الجم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلأت الأرض رعبا لعظم صولتها وشديد بطشتها إلى تلك الجهة بهمة تخضع لها شم الأطواد وعزمة تلين لها صم الصلاد. ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه، واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه، فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتناء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام، وألا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء، وتجرى به فى الأقطار رخاء نسائهم الأمن والأمان، وتستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان، تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله. فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا إليه من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العالم من الأدواء وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء، وإننا لا نحب المسارعة إلى هز النضال للنضال إلا بعد إيضاح المحجة، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق ووضوح الحجة. وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الصلاح، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح، أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين، فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه. وأنفذنا أقضى القضاة وقطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة، ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا، وبينا لهم أنا لهم من الله على=

.. ..

=بصيرة، وأن الإسلام يجب ما قبله، وأنه تعالى ألقى فى قلبنا أن نتبع الحق وأهله، ويشاهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان، ولا يحرموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكل يوم هو فى شأن، فإن تطلعت نفوسهم إلى دليل يستحكم بسببه دواعى الاعتماد، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من أثرنا مما اشتهر خبره، وعم أثره. فإنا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى بإعلاء أعلام الدين، وإظهاره فى إيراد كل أمر وإصداره تقديمًا، وإقامة نواميس الشرع المحمدى على مقتضى قانون العدل الأحمدى إجلالا وتعظيما. وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور، وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف، وقابلناه بالصفح وقلنا عفى الله عما سلف، وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، من المشاهد والمساجد والمدارس، وعمارة بقاع البر والربط الدوارس، وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقها لشروط واقفها، ومنعنا أن يلتمس شيء مما استحدث عليها، وألا يغير أحد مما قرر أولا فيها. وأمرنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها. وإنا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد، ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وحرمنا على العساكر والقراغول والشحانى فى الأطراف التعرض بهم مصادرهم ومواردهم. وقد كان صادف قراغولنا جاسوسًا فى زى الفقراء كان سبيل مثله أن يهلك، فلم يهرق دمه لحرمة الله تعالى، وأعدناه إليهم. ولا يخفى عليهم من ما كان فى إنقاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فإن عساكرنا طالما رأوهم فى زى الفقراء والنساك وأهل الصلاح، فساءت ظنونهم فى تلك الطوائف، فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله إلى ذلك، بما صدر إذننا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم. فإذا أمعنوا الفكر فى هذه الأمور وأمثالها لا يخفى عليهم أنها أخلاق جبلية طبيعية، وعن شوائب التكلف والتصنع عرية، وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعى المضرة التى كانت موجبة المخالفة، فإنها كانت بطريق الدين والذب عن حوزة المسلمين، فقد ظفر بفضل الله تعالى فى دولتنا النور المبين، وإن كان لما سبق من الأسباب، فمن تحرى الآن طريق الصواب، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد رفعنا الحجاب، وأتينا بفضل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئنافها، وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها، لنرضى بها الله والرسول وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وتتجلى بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة، فيسكن فى سابغ ظلمها البوادى والحواضر، وتقر القلوب التى بلغت من الجهد الحناجر. ويعفى عن سالف الهنات والجرائر. فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم، وانتظام أمور بنى آدم. فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك المدائن والبلاد، وتسكن الفتنة الثائرة، وتغمد السيوف الباترة، وتحل الكافة أرض الهوينى وروض الهدون، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون، وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة، فقد شكر الله مساعينا، وأبلى عذرنا، ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد، وحسبنا الله وحده». كتب فى (مدينة) واسط. (فى شهر) جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة، بمقام الأوطاق. =

.. ..

أما نسخة جواب السلطان الصادر إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال دولة السلطان الملك المنصور، كلام قلاوون إلى السلطان أحمد، أما بعد حمد الله الذى أوضح بنا ولنا الحق منهاجا، وجاء بناء فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذى فضله الله على كل نبى نجى به أمته وعلى كل نبى ناجى، صلاة تنير ما دجا وتجير من داجى فقد وصل الكتاب الكريم، المتلقى بالتكريم، المشتمل على النبأ العظيم، من دخوله فى الدين، وخروجه عمن خلف من العشيرة والأقربين. ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر المعلم، والحديث الذى صحح عند أهل الإسلام، وأصح الحديث ما روى عن مسلم، وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه فى أن يثبته على ذلك بالقول الثابت، وأن ينبت حَبَّ حُبٍّ هذا الدين فى قلبه كما أنبته أحسن النبت من أخشن المنابت. وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النية، فى أول العمر وعنفوان الصبا والإقرار بالوحدانية، ودخوله فى الملة المحمدية، بالقول والعمل والنية، فالحمد لله على أن شرح صدره للإسلام، وألهمه شريف هذا الإلهام، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال والمقام، وثبت أقدامنا فى كل موقف احتهاد وجهاد تتزلزل دونه الأقدام، وأما إفضاء النوبة فى الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه، وإفاضة جلابيب هذه المواهب العظيمة عليه، وتوقله الأسرة التى طهرها إيمانه، وأظهرها سلطانه، فقد أورثها الله من اصطفاه من عباده، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعباده. وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد فى مجمع قوريلتاى الذى تنقدح فيه زند الآراء وأن كلمتهم اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير فى إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب، وأنه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم، وانتهت إليه أهواؤهم، فوجده مخالفا لما فى ضميره، إذ قصده الصلاح، ورأيه الإصلاح، وأنه أطفأ تلك الثائرة، وسكن تلك النائرة، فهذا فعل الملك المتقى، المشفق من قومه على من بقى، المفكر فى العواقب بالرأى الثاقب، وإلا فلو تركوا وآراؤهم حتى تحملهم العزة، لكانت هذه الكرة هى الكرة، لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ولم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى. وأما القول منه بأنه لا يحب المسارعة إلى المقارعة، إلا بعد إيضاح المحجة، وتركيب الحجة، فبانتظامه فى سلك الإيمان صارت حجتنا المتركبة، على من غدت طواغيته عن سلوك هذه المحجة متنكبة، فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصر هذه الملة، وجهادنا واجتهادنا إنما هو على الحقيقة لله. وحيث قد دخل معنا فى الدين هذا الدخول، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الذحول، وبارتفاع المنافرة، تحصل المظافرة، فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض، ومن أقام مناره فله أهل بأهل فى كل مكان وجيران بجيران فى كل أرض. وأما ترتيب هذه القواعد الجمة على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، أعاد الله من بركاته، فلم تر لولى قبله كرامة كهذه الكرامة، والرجاء ببركاته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعًا كأحسن ما كان، ولا ينكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكن فى الوجود، أن كل حق ببركته إلى نصابه يعود. وأما إنفاذ أقضى القضاة قطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين الموثوق بنقلها فى إبلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضروا وأعادوا كل قول حسن من حوالى أحواله وخطرات خاطره، ومنتظرات ناظره، ومن كل ما يشكر =

.. ..

=ويحمد، ويعنعن حديثهما فيه عن مسند أحمد. وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كان لها تطلع إلى إقامة دليل، تستحكم به دواعى الود الجميل، فلينظر إلى ما ظهر من مآثره فى موارد الأمر ومصادره، ومن العدل والإحسان بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسبيل السبل للحج إلى غير ذلك. فهذه صفات من يريد لملكه الدوام، فلما ملك عدل ، و لم يمل إلى لوم من عدى ولا لوم من عذل، على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة، والمثوبات التى تستنطق بالدعاء الألسنة، فهى واجبات تؤدى وقربات بمثلها يبدى ، وهو أكثر من أنه بإجراء أحر غيره يفتخر، أو عليه يقتصر أو له يدخر. بل إنما يفخر الملوك الأكابر برد ممالك على ملوكها، ونظم ما كانت عليه فى سلوكها، وقد كان والده فعل شيئا مع الملوك السلجوقية وغيرهم، وما كان أحد منهم بدينه يدين، ولا دخل معه فى دين وأقرهم فى ملكهم وما زحزحهم عن ملكهم. ويجب عليه ألا يرى حقا مغتصبا ويأتى إلا رده، ولا باعا ممتدا بالظلم ويرضى إلا صده، حتى أن أسباب ملكه تقوى، وأيامه تتزين بأفعال التقوى. وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى، وإصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى، فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضًا بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب، وإلى مقدمى العساكر بأطراف تلك الممالك، وإذا اتحد الإيمان، وانعقدت الأيمان، تحتم هذا الإحكام وترتب عليه جميع الأحكام. وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق، وأن بسبب من يتزيا من الجواسيس بزى الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجما بالظن، فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه، وزند من ذلك الطرف كان قدحه ، وكم من متزى بفقير من ذلك الجانب سيروه وإلى الاطلاع على الأمور سوروه، وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرفع عنهم السيف، و لم يكشف ما غضوه بخرقة الفقر بلم ولا كيف. وأما الإشارة إلى أن باتفاق الكلمة تنجلى ظلم الاختلاف. وتدر بها من الخيرات الأخلاف. ويكون بها صلاح العالم، وانتظام شمل بنى آدم، فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد، وجنح إلى السلم فما حاد ولا حاد، ومن ثنى عنانه عن المكافحة، كان كمن مد يد المصالحة للمصافحة، والصلح وإن كان سيد الأحكام، فلابد من أمور تبنى عليها قواعده، ويعلم من مدلولها فوائده، فالأمور المسطورة فى كتابه هى كليات لازمة يعمر بها كل مغنى ومعلم، إن تهيأ صلح أو لم، وثم أمور لابد وأن تحكم، وفى سلكها عقود العهود تنظم، قد تحملها بلسان المشافهة التى إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزه سطور الطروس. وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، فما عن هذا النسق من الود ينسج، ولا على هذا السبيل ينهج، بل الفضل للمتقدم فى الدين، ونصره عهود ترعى. وإفادات تستدعى، وما برح الفضل للأولوية وإن تناهى العدد للواحد الأولى، ولو تأمل مورد هذه الآية فى غير مكانها لتروى وتأول. وعندما انتهينا إلى جواب ما لعله بحث عنه الجواب من فصول المكاتبة، سمعنا المشافهة التى على لسان أقضى القضاة قطب الدين فكان منها ما يناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين وانتظام عقده بسلك المؤمنين، وما بسطه من معدلة وإحسان، مشكورة بلسان كل إنسان، فالمنة لله عليه فى ذلك فلا يشينها منه بامتنان، وقد أنزل الله على رسوله فى حق من امتن بإسلامه بـ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾. ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء، ما أغناه عن امتداد الطرف إلى ما فى يد غيره من أرض وماء،=

أن يعلم الناس بدخولهم ولا خروجهم. وساروا سرًّا كما قدموا سرًّا ليلة السبت ثانى رمضان صحبة الحاجبين، فوصلوا إلى حلب فى سادس شوال وعبروا إلى بلادهم.

وفى رمضان: وصل الأمير شمس الدين سنقر الغُتْمى ورفقته، الذين خرجوا إلى بيت بركة فى الرسالة.

وفيه قبض على الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى وعلاء الدين أقطوان الساقى، وشهاب الدين قرطاى، واعتقلوا.

وفيه استقر الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بحلب، عوضًا عن علم الدين سنجر الباشقردى، وعمرَّ جامعها وقلعتها وكانا قد خربهما التتار.

وفيه قدم الشيخ على الإوِبْرَانى، وكان قد أسلم وخدم الفقراء، وسلك طريق ا لله وظهرت على يده كرامات، وتبعه جماعة من أولاد المغل، فسار بهم إلى الشام ومصر، ومثل بحضرة السلطان من قلعة الجبل فى ثامن عشر ذى القعدة، ومعه إخوته الأقوش وعمر وطوخِى وجُوْبَان، وجماعة غيرهم. فأحسن السلطان إليه وإلى مَنْ معه، ورتب بعضهم فى جملة الخاصكية، ثم نقل إلى الإمرايات منهم الأقوش وتمر وعمر وهم إخوة.

ثم ظهر من الشيخ على ما أوجب أن يسجن، فسجن هو والأقوش، ومات تمر وعُمر فى الخدمة.

=فإن حصلت الرغبة فى الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل، فالجواب أن ثم أمورا متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادفة، ورأى ا لله والناس كيف يكون تصافينا، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا ، فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة، وما ثم أمر هذا الدين واستحكم فى صدر الإسلام إلا بمضافرة الصحابة. فإن كانت له رغبة إلى الاتحاد، وحسن الوداد، وجميل الاعتضاد ، والاستناد إلى من يشتد الأزر به عند الاستناد، فالرأى إليه فى ذلك. ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة ممتدة الأمل إلى ما فى يده من أرض وماء، فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود، فالجواب عن ذلك، أنه إذا كف كف العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك ، وسكنت الدهماء ، وحقنت الدماء ، وما أحقه بأن لا ينه عن خلق ويأتى مثله، ولا يأمر ببر وينسى فعله، وبلاد قنعرطاى بالروم وهى بلاد فى أيديكم، وخراجها يجبى إليكم وقد سفك فيها وفتك، وسبى وهتك، وباع الأحرار، وأبى إلا التمادى على الإصرار والإضرار. ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغارات، ولا يفتر عن هذه الإثارات، فنعين مكانًا يكون فيه اللقاء، ويعطى ا لله النصر لمن يشاء، فالجواب عن ذلك أن الأماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة، قد عاف مواردها من سلم من أولئك القوم، وخاف أن يعاوده فيعاوده مصرع ذلك اليوم، فوقت اللقاء علمه عند ا لله فلا يقدر، وما النصر إلا من عند ا لله لمن أقدر لا لمن قدر، ولا نحن ممن ينتظر فلتة، ولا له إلى غير ذلك لفتة، وما أمر ساعة النصر إلا كساعة لا يتأتى إلا بغته، وا لله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة، والقادر على إتمام كل خير ونعمة.

وفى حادى عشريه: وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام، فاحترق فيها شىء كثير، منها سوق الكتبيين، واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزرى الكتبى خمسة عشر ألف مجلد سوى الكراريس.

وفى يوم عرفة: قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجى أمير علم، والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب بدمشق، وعلى زين الدين بن الشيخ على، واعتقلوا، وفيه تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أَشْلُوْن ابنة الأمير سكناى ابن قراجين بن جنغان نوبن القادم إلى القاهرة فى الدولة الظاهرية، وهى أم الملك الناصر محمد.

وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصورى، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مُهِمَّ أشلون يوم زُفَّتْ إلى السلطان، ففتنه حسنها حتى كاد يهلك، فمازال السلطان بطرنطاى النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها.

وأفرج السلطان عن أبيها نوكيه من سجن الإسكندرية، وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة، وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عُجِّل منها ألف دينار.

وفيها بلغ السلطان أن ملك الكرج توماسوطا بن كليارى خرج من بلاده، ومعه رفيق له اسمه طيبغا بن انكواد يريد زيارة القدس سرا، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة، فلم يصل إلى موضع منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان. فقبض عليه بالقدس، وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتقلا.

وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا. وخرج من القاهرة بالمحمل الأمير ناصر الدين ألطنبغا الخوارزمى، ومعه كسوة الكعبة، وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستادار الفارقانى. وحج الأمير علاء الدين البندقدارى فى ركب كبير.

وفيها ولى نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الشيبانى قضاة الشافعية بحلب، عوضًا عن تاج الدين أبى المعالى عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن علوى السنجارى.

وفيها فى آخر شوال خلع متملك تونس أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، وكانت مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر. وقام من بعده الدعى

أحمد بن مرزوق بن عمار المسبلى الخياط، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر.

وفيها أقيم فى الملك تكدار بن هولاكو، بعد موت أخيه أبغا بن هولاكو فى المحرم، فأظهر أنه أسلم وتسمى أحمد سلطان. ترك أبغا ولدين هما أرغون وكيختو .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبى بكر بن خلكان البرمكى الإربلى الشافعى، المؤرخ قاضى دمشق فى رجب.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق زين الدين أبو محمد عبد الكريم بن على بن عمر الزواوى المالكى، بعد ما عزل نفسه، عن اثنتين وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى برهان الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن عيسى المراغى الفقيه الشافعى، وقد أناف على خمس وسبعين سنة بدمشق.

ومات الصاحب علاء الدين عطا ملك ابن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الجوينى مدبر دول العراق، بناحية أران. وله فضل وشعر جيد.

وتوفى المسند برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الدرجى القرشى الدمشقى الحنفى، عن اثنتين وثمانين سنة.

ومات الأمير حسام الدين بشار الرومى وهو أحد من قدم فى الأيام الظاهرية بيبرس من بلاد الروم بعد ما بلغ مائة وعشرين سنة، وناب وحج وترك الإمرة وعوض عنها براتب أجرى عليه.

وتوفى زين الدين إدريس خطيب الجامع الأزهر.

وتوفى السديد عبد الله الماعز. وقد باشر ديوان المرتجع فى الأيام الظاهرية، فنقله المنصور قلاوون إلى ديوانه.

ومات أيضًا منكوتمر بن طوغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان، ملك التتر ببلاد الشمال. وملك بعده أخوه تدان منكو، وجلس على كرسى الملك بمدينة صراى.

* * *

سنة اثنين وثمانين وستمائة

فى المحرم: وصل الملك المنصور صاحب حماة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش وأقيم بواجبه.

وفيه استخرجت الجوالى من الذمة، وكانت العادة أن تستخرج فى شهر رمضان، فأخر استخراجها إلى المحرم رفقًا بهم، وحضر الصاحب نجم الدين الأصفونى بدار العدل تحت القلعة لاستخراجها.

وفيه رسم أن تكون جوالى الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم وبيت جالا، مرصدة لعمارة بركة فى بلد الخليل.

وفى سادسه: توجه السلطان إلى بر الجيزة، وسار إلى البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطبرية، ومعه صاحب حماة.

وأقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالقلعة، ومعه الأمير قراسنقر الجركندار، وعلاء الدين أيدغدى السلاح دار، وعز الدين أيبك الخازندار، ورتب مع الأمير علم الدين الخياط والى القاهرة عدة من أصحاب الأمراء، يطوفون كل ليلة من بعد العصر حول القلعة وفى ظواهر القاهرة. ونودى على الأجناد فى القاهرة بالخروج لحفر الخليج، ووقع العمل فيه فكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبة فى عرض ثلاث قصبات وعمق أربع قصبات بالقصبة الحاكمية، وفرغ من عمله فى عشرة أيام. فحصل بسببه نفع كبير، وروى منه ما لم يكن قبل ذلك يروى. وفيه وصل من الشروق تسعة عشر وافدًا بأولادهم.

وفى رابع عشره: وصلت رسل صاحب بلاد سيلان من أرض الهند واسمه أبو نكيه بكتابه. وهو صحيفة ذهب عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع بداخلها شىء أخضر يشبه الخوص، مكتوب فيه بقلم لم يوجد فى القاهرة من يحسن قراءته، فسئل الرسل عنه فقالوا «إنه يتضمن السلام والمحبة وإنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان، ويريد أن يتوجه إليه رسول، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها، وأنه عبأ تقدمة إلى أبواب السلطان، وأن فى مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة، وبها معادن الجواهر والياقوت، وأن خزائنه ملآنة من الجواهر».

وفى رابع صفر: عاد المنصور صاحب حماة بلده، وخرج السلطان معه لوداعه.

وفى خامس ربيع الأول: جرت الهدنة بين السلطان وبين الفرنج بعكا مدة عشر سنين، أولها خامس المحرم من هذه السنة(١).

---

(١) وفى يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة جرت الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الحكام بعكا، على ما تقرر بينه وبينهم فى شرحها، نصها: استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاوون الملكى الصالحى وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على، خلد الله سلطانهما، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليه هذه الهدنة، وهم: السنجال كفيل المملكة بعكا، وحضرة المقدم عبد الجليل إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول للورن مقدم بيت الاسبتار، والمرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الإسبتار الأمن، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية، صلوات الله على صاحبها وسلامه، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان الملك المنصور وولده، وهى التى فى تملكهما وتحت حكمهما وطاعتهما، وتحويه يدهما يومئذ من جميع الأقاليم والممالك والقلاع والحصون ، والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضى، وهى مملكة الديار المصرية حرسها الله تعالى، وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية، وثغر دمياط وثغر الإسكندرية المحروسين، ونستروه ونستريه، وما ينسب إليها من الموانئ والسواحل والبرور، وثغر فوة وثغر رشيد، والبلاد الحجازية، وثغر غزة المحروس، وما معها من الموانئ والبلاد، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها، والصلت وأعمالها، وبصرى وأعمالها، ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه، ومملكة القدس الشريف وأعمالها، والأردن وبيت لحم وأعماله وبلادها، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها، ومملكة يافا والرملة وميناؤها وأعمالها، وقيسارية وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها، وبيت جبريل، ومملكة نابلس وأعمالها، ومملكة الأطرون وأعمالها وميناؤها وسواحلها وأعمالها، وأرسوف وأعمالها، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها، ولد وأعمالها وأعمال العوجاء وما معها من الملاحة، وبلاد الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها، وبيسان وأعمالها وبلادها، والطور وأعمالها، واللجون وأعمالها. وعين جالوت وأعمالها، والقسمون كذا وأعماله، وما ينسب إليه، وطبرية وبحيراتها وأعمالها وما معها، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها، وتبنين وهونين وما معها من البلاد والأعمال، والشقيف المعروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمال وما هو منسوب إليه، وبلاد القرون وما معه خارجًا عما عين فى هذه الهدنة، ونصف مدينة إسكندرونة، ونصف ضيعة مارن، بقراهما وكرومهما وبساتينهما وحقولهما، وما عدا ذلك من أعمال إسكندرونة المذكورة يكون جميعه بحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده، والنصف لمملكة عكا. والبقاع العزيزى وأعماله، ومشغر وأعمالها، وشقيف ترون وأعمالها، والمغاير جميعها ـ زلايا وغيرها، وبانياس وأعمالها وقلعة الصبيبة وما معها من البحيرات وأعمالها، وكوكب وأعمالها وما معها، وقلعة عجلون وأعمالها، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والأعمال، وقلعة بعلبك وما معها وأعمالها، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود، ومملكة حماة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها، وبلاطنس وأعمالها، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله،=

.. ..

=وصافيثا وأعمالها، وميعار وأعمالها، والعريمة وأعمالها، ومرقية وأعمالها، وحلب وحصن عكار وأعماله وبلاده ، والقليعات وأعمالها، وقلعة شيزر وأعمالها، وأفامية وأعمالها، وحبلة وأعمالها، وأبو قبيس وأعماله، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون، وأنطاكية وأعمالها وما دخل منها فى الفتوحات المباركة، وبغراس وأعمالها، والدربساك وأعماله، والراوندان وأعمالها، وحارم وأعمالها، وعينتاب وأعمالها، وتيزين وأعمالها، وشيخ الحديد وأعماله، وقلعة نجم وأعمالها، وشقيف ديركوش وأعمالها، والشغر وأعمالها، وبكاس وأعماله، والسويداء وأعمالها، والباب وبزاعا وأعمالها، والبيرة وأعمالها، والرحبة وأعمالها، وسلمية وأعمالها، وشميميس وأعمالها، وتدمر وأعمالها، وما هو منسوب إلى جميع ذلك ما عين وما لم يعين، وجميع ما هو لمولانا السلطان ولولده من البلاد التى عينت فى هذه الهدنة المباركة، والتى لم تعين. وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا، من سائر الناس أجمعين، على اختلافهم وتغاير أنفارهم وأجناسهم وأديانهم القاطنين فيها والمترددين إليها ومنها ومن سائر بلاد المسلمين، وعلى جميع التجار والسفار والمترددين فى البر والبحر، والسهل والجبل، فى الليل والنهار، يكونون آمنين مطمئنين فى حالتى صدورهم وورودهم، على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وحريمهم وبضائعهم وغلمانهم، وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم، وعلى جميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها من الحكام بمملكة عكا: وهم كفيل المملكة، والمقدم إفرير كليام ديباحوك مقام بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول الورن مقدم بيت اسبتار الأمن، والمرشان إفرير كورات نائب مقدم بين اسبتار الأمن، ومن جميع الفرنج الإخوة، والفرسان الداخلين فى طاعتهم وتحوية مملكتهم الساحلية، ومن جميع الفرنج على اختلافهم، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى الهدنة، وكل واصل إليها فى بر وبحر، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، ولا ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون وولده الملك الصالح، ولا حصونها ولا قلاعهما، ولا بلادهما ولا ضياعهما، ولا عساكرهما ولا جيوشهما، ولا عربهما، ولا تركمانهما، ولا أكرادهما ولا رعاياهما، على اختلاف الأجناس والأنفار، ولا ما تحويه أيديهم من المواشى والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء، ولا يخشون من جهتهم أمرًا مكروهًا ولا إغارة ولا تعرضا ولا أذية، وكذلك كل ما سيفتحه ويضيفه مولانا السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما، من بلاد وحصون وقلاع وملك وأعمال وولايات، برًا وبحرًا، سهلا ووعرًا. وكذلك جميع بلاد الفرنج التى استقرت الآن عليها هذه الهدنة المباركة ، وهى: مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها، وما يختص بها من كرومها، وما لها من حقوق حولها، وما تقرر لها من بلاد فى هذه الهدنة، وعدتها بما فيها من مزارع ثلاث وسبعون ناحية خاصة للفرنج، وكذلك حيفا والكروم والبساتين، المارة بحيفا سبع نواحى، وكذلك مارينا بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج، وكذلك دير السياج ودير مار إلياس يكون للفرنج. ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا عفا والمنصورة، وباقى بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية للفرنج، وعثليث القلعة والمدينة والبساتين التى قطعت والكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية، ويكون خاصا لمولانا السلطان ما يذكر: وهو قرية الهراميس بكمالها وحقوقها ومزارعها، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجا عما للخاص الشريف وعما لخاص عثليث يكون مناصفة: وهى ثمانى نواحى، وفلاحة الإسبتار بعمل قيسارية تكون خاصا للفرنج بما=

.. ..

=فيها، ونصف إسكندرونة، ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج، وما عدا ذلك يكون خاصًا لمولانا السلطان. مهما كان فى إسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها خاصًا للفرنج، ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشرة ناحية، وما فى الوطاة من أنهار ومياه وعيون، وبساتين وطواحين وقنى، ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم، يكون خاصًا لهم، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بكمالها. وتكون جميع هذه البلاد العكاوية، وما عين فى هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية، آمنة من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، وآمنة من عساكرهما وجنودهما ومن فى خدمتهما. وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة فى هذه الهدنة المباركة، الخاص منها وما هو مناصفة، مطمئنة هى ورعاياها وسائر أجناس الناس فيها، والقاطنين بها والمترددين إليها، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، والمترددين إليها من جميع بلاد الفرنجة والتجار والسفار، والمترددين منها وإليها فى بر وبحر، فى ليل أو نهار، وسهل وجبل، آمنين على النفوس والأموال والأولاد، والمراكب والدواب وجميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحويه أيديهم من الأشياء على اختلافها، من السلطان وولده، ومن جميع من هو يجب عليه طاعتهما، لا ينالهم ولا ينال هذه البلاد المذكورة التى انعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا إغارة، ولا ينال إحدى الجهتين المذكورتين الإسلامية والفرنجية من الأخرى ضرر ولا أذية، ويكون ما تقرر أنه يكون خاصًا للفرنج حسبما بين أعلاه لهم، وما تقرر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصا لهما، والمناصفات تكون كما شرح، ولا يكون للفرنج من البلاد والمناصفات إلا ما شرح فى هذه وعين فيها من البلاد. وعلى أن الفرنج لا يجددون فى غير عكا وعثليث وصيدا، مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات سورا، ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا قديما ولا مستجدًا. وعلى أنه متى هرب أحد كائنا من كان من بلاد السلطان وولده إلى عكا البلاد الساحلية المعينة فى هذه الهدنة، وقصد الدخول فى دين النصرانية وتنصر بإرادته، يرد جميع ما يروح معه ويبقى عريانا، وإن كان يقصد الدخول فى دين النصرانية ولا يتنصر، رد إلى أبوابها العالية بجميع ما يروح معه، بعد أن يعطى الأمان. وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويقصد الدخول فى دين الإسلام، وأسلم بإرادته، يرد جميع ما معه ويبقى عريانا، وإن كان ما يقصد الدخول فى دين الإسلام ولا يسلم، يرد إلى الحكام بعكا، وهم كفيل المملكة والمقدمون، بجميع ما يروح معه بشفاعة، بعد أن يعطى الأمان. وعلى أن الممنوعات المعروف منعها قديما تستقر على قاعدة المنع من الجهتين، ومتى وجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، شىء من الممنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، مثل عدة السلاح وغيره، تعاد على صاحبه الذى اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه، ويؤخذ ماله استهلاكا، ولا يؤذى بسبب ذلك، لا هو ولا ماله. وكذلك إذا طلع تجار الفرنج من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، ووجد معهم شىء من الممنوعات مثل عدة سلاح وغيره، يعاد على صاحبه الذى اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه ويرد، ولا يؤخذ ماله استهلاكا، ولا يؤذى. وللسلطان ولولده أن يفصلا فيمن يخرج من بلادهما من رعيتهما، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، بشىء من الممنوعات. وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون لهم أن يفصلوا فى رعيتهم الذين=

.. ..

=يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة فى هذه الهدنة. ومتى أخذت أخيذة من الجانبين، أو قتل قتيل من الجانبين، على أى وجه كان - والعياذ با لله - ردت الأخيذة بعينها إن كانت موجودة، أو قيمتها إن كانت مفقودة. والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه: فارس بفارس، وبركيل ببركيل، وتاجر بتاجر، وراجل براجل، وفلاح بفلاح، فإن خفى أمر القتيل والأخيذة كانت المهلة فى الكشف أربعين يوما، فإن ظهرت الأخيذة أو تعين أمر المقتول ردت الأخيذة بعينها. ويكون العوض عن القتيل بنظيره، وإن لم تظهر كانت اليمين على والى المكان المدعى عليه، وثلاثة نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك الولاية. وإن امتنع الوالى عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى، وأخذت قيمتها. وإن لم ينصف الوالى ولا رد المال أنهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوما. ويلزم الولاة من الجهتين بالوفاء بهذا الشرط، ومتى أخفوا قتيلا أو أخيذة، أو قدروا على أخذ حق ولم يأخذه كل واحد فى ولايته، ويتعين على الذى يوليه من ملوك الجهتين إقامة السياسة فيه: من أخذ الروح والمال، والسبق والإنكار العام على من يتعين عليه الإنكار، إذا فعل ذلك فى ولايته وأرضه. وإن هرب أحد بمال واعترف ببعضه، وأنكر ما ادعى به عليه، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ما رده، فإن لم يقتنع المدعى بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية أنه لم يطلع على أنه وصل معه غير ما رده، وإن أنكر أنه لم يصل إليه شىء أصلا يستحلف الهارب أنه لم يصل معه للمدعى شىء، ويحلف والى تلك الجهات على أنه لم يصل شىء. على أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده، التى انعقدت عليها الهدنة، ورعيتهما من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، فى ميناء عكا وسواحلها والبلاد الساحلية التى انعقدت عليها الهدنة، كان كل من فيها آمنا على الأنفس والأموال والأمتعة والمتاجر، فإن وجد أصحاب هذه المراكب التى تنكسر تسلم مراكبهم وأموالهم إليها، وإن عدموا بموت أو غرق أو غيبة فيحتفظ بموجودهم، ويسلم لنواب السلطان وولده. وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة للفرنج يجرى لها مثل ذلك فى بلاد السلطان وولده، ويحتفظ بموجودها إن يكن صاحبها حاضرا، إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا والمقدمين. ومتى توفى أحد من التجار المترددين، الصادرين والواردين، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، من بلاد السلطان وولده، فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلية فى هذه الهدنة، يحتفظ على ماله إلى أن يوصل إلى نوابها. وكذلك التجار الصادرين والواردين، المترددين من عكا وصيدا وعثليث، والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، إذا توفى أحد فى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة يحتفظ على المال إلى حين يسلم، إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين. وعلى أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ومتى قصدت هذه المذكورة جهة غير هذه الجهات، وكان صاحب تلك الجهات معاهدا للحكام بمملكة عكا، فلا تدخل إلى البلاد التى انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تتزود منها. وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التى تقصدها الشوانى المنصورة معاهدًا للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة، فلها أن تدخل إلى بلادها وتتزود منها. وإذا تكسر شىء من هذه الشوانى والعياذ با لله ، فى ميناء من موانى البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها، فإن كانت قاصدة من له مع مملكة عكا ومقدمى مونها عهد، ولم يكن لهم معهم عهد، فيلزم. كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت حفظها، ويمكن=

.. ..

=رحالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر منها والعود إلى البلاد الإسلامية، ويبطل حركة ما ينكسر منها - والعياذ با لله - أو يرميه البحر. هذا إذا كانت قاصدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد، فإن لم يكن لها معهم عهد فلها أن تتزود وتعمر رحالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة، وتتوجه إلى الجهة المرسوم لها بقصدها، ويعتمد هذا الفصل من الجهتين. وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم من حوا البحر، بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المنعقدة عليها هذه الهدنة، فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا أن يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى الهدنة بمدة شهرين. وإن وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين، فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمين بريئين من عهدة اليمين فى هذا الفصل. ومتى تحرك عدد من جهة البر من التتار وغيرهم، فأى من سبق الخبر إليه من الجهتين يعرف الجهة الأخرى بما سبق الخبر إليه من أمرهم. وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - والعياذ با لله - عدو من التتار وغيرهم فى البر، وانحازت العساكر الإسلامية من قدام العدو، ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة وقصدوها بمضرة، فلكفيل المملكة بعكا والمقدمين بها أن يدرأوا عن نفوسهم ورعيتهم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه. وإن حصل - والعياذ با لله - جفل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر، ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم. وعلى أن النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون فى سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها، أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم، ولا من حمل ماء، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه. وكذلك يعتمد مولانا السلطان وولده، ويعتمد فى أمر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين. وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، كل من عليه مبلغ أو غلة، فيحلف والى المكان الذى منه الرهينة، ويحلف المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة أن عليه كذا وكذا من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره. فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدم نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه. وأما الرهائن الذين أخذوا منسوبا إلى الجفل والاختشاء أنهم لا يهربون إلى الإسلام، ويمتنع الولاة والمباشرون من اليمن عليهم، فأولئك يطلقون. وعلى أنه لا يجدد على التجار المسافرين، الصادرين والواردين، من الجهتين حق لم تجر به عادة، ويجرون على عوائدهم المستمرة إلى آخر وقت، وتؤخذ منهم الحقوق على العادة المستقرة، ولا يجدد عليهم رسم ولا حق لم تجر به عادة، وكل مكان عرف باستخدام الحق فيه استخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين. ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفرين من الجهتين، فى حالتى سفرهم وإقامتهم، وصدورهم وورودهم، بما فى صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير الممنوعة. وعلى أن ينادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هذه الهدنة، أنه من كان من فلاحى بلاد الإسلام يعود إلى بلاد المسلمين مسلمًا كان أو نصرانيا، وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج يعود إلى بلاد الفرنج مسلمًا كان أو نصرانيا، مغروقا قراريا من الجهتين، ومن لم يعد بعد المناداة يطرد عن الجهتين. ولا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقدة عليها هذه الهدنة، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان.=

.. ..

=وعلى أن تكون كنيسة الناصرية، وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها، لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب، كبيرهم وصغيرهم، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويصلى بالكنيسة الأقساء والرهبان، وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة، ويكونون آمنين مطمئنين فى توجههم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة فى هذه الهدنة. وإذا نقبت الحجارة التى بالكنيسة المذكورة ترمى برا، ولا يحط منها حجر على حجر لأحل بنايته، ولا يتعرض إلى الأقساء ولا الرهبان، وذلك على وجه الهبة لأحل زوار دين الصليب بغير حق. ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة، من نفسهما وعساكرهما وجنودهما، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين، ممن هو داخل تحت حكمهما وطاعتها. ويلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة، من نفسهم وعساكرهم وجنودهم، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين، ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم، بمملكتهم الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت بها، الحكام بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها، شرطا شرطا وفصلا فصلا، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها، ويفى كل منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة من أنه يفى بجميع ما فى هذه الهدنة على ما حلفوا به. تستمر هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادهما وأولاد أولادهم، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث، وهم السنجال أود، والمقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها، لا تتغير بموت أحد ملوك الجهتين، ولا بتغير مقدم وتولية غيره، بل تستمر على حالها إلى آخرها وانقضائها، بشروطها المحررة وقواعدها المقررة كاملة تامة. ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة، أو وقع - والعياذ با لله - فسخ، كانت المهلة فى ذلك أربعون يوما من الجهتين، وينادى برجوع كل أحد إلى وطنه بعد الإشهار، ليعود الناس إلى مواطنهم آمنين مطمئنين ، ولا يمنعوا من السفر من الجهتين، ولا تبطل بعزل أحد من الجهتين، وتستمر أحكامها متتابعة متوالية بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها. ويلزم المعزول والمتولى حفظها والعمل بشروطها إلى آخر مدتها المعينة، وتستمر هذه الهدنة بشروطها وفصولها وفروعها وأصولها، ويجرى الحال فيها على أجمل الحالات إلى آخرها، وعلى جميع وقع الرضا والصلح والاتفاق، وحلف عليها من الجانبين.

وا لله الموفق. نسخة اليمين التى حلف السلطان الملك المنصور عليها فى هذه الهدنة المباركة: «أقول وأنا.... وا لله وا لله وا لله وبا لله وبا لله وبا لله وتا لله وتا لله وتا لله وا لله العظيم الطالب الغالب، والضار النافع، والمدرك المهلك، عالم ما بدا وما خفا، عالم السر والعلانية، الرحمن الرحيم. وحق القرآن ومن أنزله، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد ا لله ﷺ، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية، وحق شهر رمضان، إننى أفى بحفظ الهدنة المباركة، التى استقرت بينى وبين مملكة عكا والمقدمين بها، على عكا وعثليث وصيدا وبلادهم، التى تضمنتها هذه الهدنة، التى مدتها عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها أن يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة ، من أولها إلى آخرها، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجرى على أحكامها إلى القضاء مدتها، ولا أتاول فيها ولا فى شيء منها، ولا أستفتى فيها طلبا لنقضها، مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث، وهم كافل المملكة بعكة، ومقدم بيت الديوية، ومقدم بيت=

وفى عاشره: ولى الصاحب برهان الدين السنجارى تدريس المدرسة بجوار الشافعى من القرافة.

=الإسبتار، ونائب مقدم بيت إسبتار الأمن الآن، ومن يتولى بعدهم فى كفالة مملكة، أو مقدم بيت عنهم، بهذه المملكة المذكورة، وافين باليمين التى يحلفون بها لى ولولدى الملك الصالح ولأولادى، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن، عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها، إلى انقضاء مدتها، ملتزمين بأحكامها. وإن نكثت فى هذه اليمين فيلزمنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة، حافيا حاسرًا ثلاثين حجة، ويلزمنى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها، ويذكر بقية شروط اليمين، والله على نقول وكيل». نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها فى هذه الهدنة: والله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله وحق المسيح وحق المسيح وحق المسيح وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد، المكنى بها عن الأب والإبن والروح القدس إله واحد. وحق اللاهوت المكرم الحال فى الناسوت المعظم، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويحنا، وحق صلواتهم وتقديساتهم، وحق التلاميذ الاثنى عشر، والاثنين وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وحق الست مارية أم النور مارت مريم، ويوحنا المعمودين ومرتمان ومرتماني، وحق الصوم الكبير، وحق دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية، وما تلقته من الآباء والأقسام المعمودية، إننى من وقتى هذا وساعتى هذه، قد أخلصت نيتى، وأصفيت طويتى، فى الوفاء للسلطان المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليها، على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيها، التى مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشر أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، وأعمل بجميع شروطها شرطا شرطا، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها. وإنى والله والله وحق المسيح وحق الصليب وحق دينى لا أتعرض إلى بلاد السلطان وولده، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين، ولا إلى من يتردد منها إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة، بأذية ولا ضرر، فى نفس ولا فى مال. وإنى والله وحق دينى ومعبودى أسلك فى المعاهدة والمهادنة، والمصافاة والمصادقة، وحفظ الرعية الإسلامية والمترددين من البلاد السلطانية، والصادرين منها وإليها، طريق المعاهدين المتصادقين، كف الأذية والعدوان عن النفوس والأموال، وألتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها، مادام الملك المنصور وافيا باليمين التى حلف بها على الهدنة، ولا أنقض هذه اليمين ولا شيئًا منها، ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها طلبا لنقضها. ومتى خالفتها أو نقضتها فأكون بريئًا من دينى واعتقادى ومعبودى، وأكون مخالفا للكنيسة، ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة، حافيًا حاسرًا، ويكون على فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج وإطلاقهم، وأكون بريئًا من اللاهوت الحال فى الناسوت، واليمين يمينى ، وأنا فلان، والنية فيها بأسرها نية السلطان الملك المنصور، ونية ولده الملك الصالح، ونية مستحلفى لها بها على الإنجيل المكرم، لا نية غيرها، والله والمسيح على ما نقول وكيل.

وفى[.....][1] مات الصاحب نجم الدين حمزة الأصفونى، وولى شرف الدين أبو طالب بن النابلسى نظر الوجه القبلى، ونقل القاضى عز الدين بن شكر من نظر ديوان الجيش إلى نظر الوجه البحرى، وخلع عليهما. وبقى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدير المماليك، وهما بين يديه يصرفان المهمات.

وفيها خرجت تجريدة من قلعة كركر إلى حصار قلعة قطيبا إحدى قلاع آمد، فأخذوها من أيدى التتار، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال، فصارت من حصون الإسلام المنيعة.

وأخذت أيضًا قلعة كختا من النصارى بسؤال أهلها، فتسلمها أمراء السلطان بمدينة حلب، وشحنت بالأسلحة وغيرها، وصارت مسلطة على الأرمن.

وفى جمادى الأولى: خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان، فسار إليه وقتله وهزمه ثم أسره، فقامت الخواتين مع أرغون، وسألن الملك تكدار أحمد فى الإفراج عنه وتوليته خراسان، فلم يرض بذلك.

وكانت المغل قد تغيرت على تكدار، لكونه دخل فى دين الإسلام وإلزامه لهم بالإسلام، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال، وطرقوا ألناق نائب تكدار ليقتلوه ففر منهم فأدركوه وقتلوا تكدار أيضًا، وأقاموا أرغون بن أبغا ملكا. فولى أرغون وزارته سعد الدولة اليهودى، وولى ولديه خرابندا وقازان خراسان، وعمل أتبكهما الأمير نوروز.

ومات الأشكرى متملك قسطنطينية واسمه ميخائيل، وملك بعده ابنه الدوقش.

وفى النصف من جمادى الأولى: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، فنزل غزة فى سابع جمادى الآخرة، وقبض على غرس الدين بن شاور متولى رملة ولدّ، وولى عوضه الأمير علم الدين سنجر الصالحى، وعزل عماد الدين بن أبى القاسم عن القدس، بنجم الدين السونجى.

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ثامن شهر رجب، فرسم أن كل من استخدم ترد جامكيته على ما كانت عليه فى الدولة الظاهرية وتستعاد منه الزيادة، فاستخرج من ذلك مال كبير.

وفى يوم الجمعة حادى عشرى رجب: عوق قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى المعروف بابن الصائغ، ثم صرف عن القضاء بدمشق، وطولب بثمانية آلاف دينار أودعها عنده الطواشى ريحان الخليفتى وأوصاه عيلها، وطولب بعدة ودائع أخرى، فقام فى حقه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والأمير حسام الدين طرنطاى نائب مصر، ومازالا حتى أفرج عنه فى ثامن عشرى شعبان، ولزم داره.

واستقر عوضه فى قضاء دمشق بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن محمد بن على الزكى(١).

وفيه استقر شرف الدين بن مزهر فى نظر الشام ثالثًا للناظرين.

واستقر قراسنقر نائبًا بحلب، عوضًا عن سنجر الباشقردى وقيل بل كان ذلك فى سنة إحدى وثمانين كما تقدم، وأنعم على الباشقردى بإقطاع بدر الدين الأزدمر بمصر.

واستقر بدر الدين بكتوت السعدى نائبًا بحمص.

وفى ثانى رمضان: خرج السلطان من دمشق، ودخل قلعة الجبل يوم الخميس رابع عشريه، وخرج المحمل على العادة.

وفى هذه السنة: غارت العساكر على بلاد الأرمن، ووصلوا إلى مدينة أياس وقتلوا ونهبوا وحرقوا، واقتتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة(٢) وهزموهم إلى تل حمدون، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم.

وفيها كانت وقعة ببلاد بيروت مع فرج قبرس حين قصدهم بلاد الساحل، قتل فيها عدة من الفرنج، وأسر منهم زيادة على ثمانين رجلا، وأخذت منهم غنائم كثيرة.

وفيها وصلت رسل تدان منكو بن طوغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان ملك القبجاق، بكتاب خطه بالقلم المغلى: يتضمن أنه أسلم، ويريد أن ينعت نعتًا من نعوت

---

(١) ابن الزكى (٦٤٠-٦٨٥هـ=١٢٤٣-١٢٨٧م) يوسف بن يحيى بن محمد بن زكى الدين على القرشى الدمشقى، أبو الفضل، بهاء الدين: آخر القطان من بنى الزكى من فقهاء الشافعية. ولى القضاء بدمشق سنة ٦٨٢هـ إلى أن توفى. قال العمارى: هو ذكى بيت الزكى، كان أديبا إخباريا كثير المحفوظ، علامة، مليح الفتاوى. انظر شذرات الذهب ٢٩٤/٥، الطبقات الوسطى للسبكى، الفرق الإسلامية، الأعلام٢٥٧/٨.

(٢) إسكندرونة: مدينة أو حصن بينه وبين أنطاكية خمسة وأربعون ميلاً، وهو حصن على ساحل البحر فيه نخيل وزروع كثيرة وغلات، وبينها وبين المصيصة أربعون ميلاً. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٦، ونزهة المشتاق ١٩٥.

أهل الإسلام، ويجهز له علم خليفتى وعلم سلطانى يقاتل بهما أعداء الدين. فجهزت الرسل إلى الحجاز، ثم عادوا وساروا إلى بلادهم بما سألوا فيه.

وفيها اشتريت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة، من خالص مال السلطان، وعوض سكانها عنها قصر الزمرد برحبة باب العيد، فى ثامن عشرى شهر ربيع الأول.

وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى عمارتها مارستانًا[1] وقبة ومدرسة باسم

---

(١) ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل. قال: ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحية أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل فاشتريت الدار القطبية وما يجاورها ـ وهى بين القصرين ـ من خالص مال السلطان، وعوض سكان الدار القطبية بالقصر المعروف بقص الزمرد. وكان انتقال سكان القطبية منها إلى قصر الزمرد ثانى عشر ربيع الأول من السنة ، ورتب الأمير علم الدين الشجاعى مشدا على العمارة، فأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال ما لم يسمع بمثله، فعمرت فى أيسر مدة، ونجزت العمارة فى شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وإذا شاهد الرائى هذه العمارة العظيمة وسمع أنها عمرت هذه المدة القريبة، ربما أنكر ذلك. ولما كملت العمارة وقف السلطان من أملاكه القياسر والرباع ، والحوانيت والحمامات، والفنادق والأحكار، وغير ذلك، والضياع بالشام، ما يحصل من أجل ذلك وريعه وغلاته فى كل شهر جملة كثيرة. وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة، ورتب وقف المدرسة إلا أنه يقصر عن كفايتها، ورتب لمكتب السبيل من الوقف بالشام ما يكفيه. ولما تكامل ذلك ركب السلطان وشاهده، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء. فأخبرنى بعض من شهد السلطان وشهد عليه، أنه استدعى قدحًا من الشراب فشربه، وقال: «قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى». أوقفه السلطان على الملك والمملوك، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة، ومن مات جهز وكفن ودفن. رتب فيه الحكماء الطبائعية والكحالين، والجرائحية. والمجبرين لمعالجة الرمدى والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء، ورتب به الفراشين والفراشات والقومة، لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم فى الحمام، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة. عملت التخوت والفرش والطراريح، والأنطاع والمخدات واللحف والملاوات، لكل مريض فرش كامل. أفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم: فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها، وجعلت قاعة للرمدى، وقاعة للجرحاء، وقاعة لمن أفرط به الإسهال، وقاعة للنساء، ومكان حسن للممرورين من الرجال، ومثله للنساء. والمياه تجرى فى أكثر هذه الأماكن. أفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين، وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات، وعمل المراهم والأدهان، وتركيب الدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك من جميع ما يحتاج إليه. رتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء، لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة، ولم يحضر السلطان ـ أثابه الله ـ هذا المكان المبارك بعده فى المرضى، يقف عندها المباشر ويمنع من عداها، بل جعله سبيلا لكل=

.. ..

=من يصل إليه فى سائر الأوقات، غنى وفقير. لم يقتصر أيضًا فيه على من يقيم به للمرضى ، بل يرتب لمن يطلب وهو فى منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية، حتى أن هؤلاء زادوا فى وقت من الأوقات على مائتين، غير من هو مقيم بالبيمارستان. لقد باشرته فى شوال سنة ثلاث وسبعمائة، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة، فكان يصرف منه فى بعض الأيام من الشراب المطبوخ خاصة ما يزيد على خمسة قناطير بالمصرى فى اليوم الواحد، للمرتبين والطوارئ، غير السكر والمطابيخ من الأدوية، وغير ذلك من الأغذية والأدهان والدرياقات وغيرها. رتب فى البيمارستان من المباشرين والأمناء من يقوم بوظائفهن وابتياع ما يحتاج إليه من الأصناف، وضبط ما يدخل إلى المكان وما يخرج منه خاصة، من غير أن يكون لهم تعلق فى استخراج الأموال، وإنما يبتاعون الأصناف ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج، ويكتبون فى كل شهر عمل استحقاق لسائر أرباب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين ، يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود، ويأمر الناظر بصرفه، ويخلد ديوان الصندوق، ويصرف على حكمه. هذه الطائفة من المبشرين بالبيمارستان هم مباشرو الإدارة. أما مباشرو الصندوق والرباع، فإليهم يرجع تحرير جهات الأوقات فى الخلق والسكون والمعطل، واستخراج الأموال ومحاسبات المستأجرين، وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشرى الإدارة، ومباشرة العمارة، وعمل الاستحقاق، لا يتصرفون فى غير ذلك، كما لا يتصرف مباشرو الإدارة فى صرف الأموال إلا حوالة بأوراقهم. أما العمارة فلها مباشرون يتفردون بها، من ابتياعه الأصناف واستعمال الصناع ومرمة الأوقاف، وغير ذلك مما يدخل فى وظيفتهم، وهم يحيلون بثمن الأصناف على الصندوق، كما يفعل فى الإدارة، وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة، ويكتبون فى كل شهر عمل استحقاق بثمن الأصناف وأرباب الأجر، ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق، وما وصل إليهم من المال، ويسوقونه إلى قابض أو متأخر، وترفع كل طائفة من هؤلاء المبشرين حسباناتهم، مياومة ومشاهرة ومساناة، إلى الناظر والمستوفى. هذا ما بالبيمارستان. أما القبة المباركة المنصورية وهى التربة، فإنه رتب فيها خمسون مقرئًا يقرءون كتاب الله تعالى ليلا ونهارًا بالنوب، وجعل لكل منهم فى كل شهر عشرون درهمًا. رتب بها إمام على منهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وله فى كل شهر ثمانون درهمًا من أصل الوقف، وفى كل سنة فى ليلة ختم صلاة قيام رمضان خلعة من خزانة السلطان كاملة مسخية مقتدرة. رتب بها رئيس ومؤذنون يعلنون الأذان بالمئذنة الكبرى، ويقيمون الصلاة، ويبلغون خلف الإمام، وهم سبعة نفر: الرئيس وله فى كل شهر أربعون درهمًا، والمؤذنون ستة لكل منهم فى كل شهر ثلاثون درهمًا. رتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى، فيه درس يلقيه مدرس، رتب له فى كل شهر أربعون درهمًا. طلبة عدتهم ثلاثون، لهم فى كل شهر ثلاثمائة درهم، ودرس حديث يذكر فيه حديث رسول الله ﷺ، له مدرس وطلبة، لهم فى كل شهر نظير ما لمدرس التفسير ومعيده وطلبته، وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدى المدرس فى أوقات الدروس، ويقرأ ميعادًا للعوام بين يديه أيضًا فى صبيحة كل يوم أربعاء، رتب له فى كل شهر ثلاثون درهمًا. رتب لخازن كتبها فى كل شهر أربعون درهمًا ، وخزانة كتبها من الختمات الشريفة والربعات المنسوبة الخط، وكتب التفسير والحديث والفقه، واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء، شيء كثير. رتب بها الخدام اللازمة، يقيمون بالقبة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها فى غير أوقات الصلوات، وهم ستة لكل=

السلطان الملك المنصور قلاوون، فأظهر من الاهتمام فى العمارة ما لم يسمع بمثله. وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن فى الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان إلى البيرة، وعلى رأسه الجِتْر كما هى عادته فى بلاد التتر، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى أحد أمراء حلب، ومنعه من حمل الجِتْر والسلاح، وعدل به عن الطريق المسلوك إلى أن أدخله حلب ثم إلى دمشق، فوصلها ليلة الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، من غير أن يُمَكِّنَ أحدًا من الاجتماع به ولا من رؤيته. ولما وصل إلى دمشق أنزل بقلعتها، فأقام بقاعة رضوان من القلعة إلى أن وصل السلطان إلى دمشق فى سنة ثلاث وثمانين. وأجْرِى عليه فى كل يوم ألف درهم، ومأكل وحلوى وفاكهة بألف أخرى.

وفيها استدعى تاج الدين السنهورى من دمشق، واستقر فى نظر الدواوين بديار مصر، عوضًا عن عز الدين إبراهيم بن مقلد بن أحمد بن شكر، رفيقًا لشرف الدين بن النابلسى.

وتزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على.

وفيها ولى مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى قضاء الحنفية بحلب، عوضًا عن نجم الدين أبى حفص عمر بن نصر بن منصور الأنصارى البيسانى، مدة يسيرة ثم عزل.

=منهم فى كل شهر خمسون درهمًا، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوابين. أما المدرسة المباركة المنصورية، فإنه رتب بها إمام شافعى المذهب، له فى كل شهر ثمانون درهمًا، ورئيس ومؤذنون يعلنون بالأذان بالمأذنة الكبرى المذكورة، هم ومؤذنون القبة بالتربة، وهم رئيس وأربعة مؤذنون، لهم فى كل شهر نظير ما لمؤذنى القبة. رتب بها متصدر لإقراء كتاب الله عز وجل، ورتب له فى كل شهر أربعون درهمًا. رتب بها دروس للمذاهب الأربعة: الشافعية والمالكية والحنيفية والحنابلة، لكل طائفة مدرس له فى كل شهر مائتا درهم، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهمًا. خمسون طالبًا، لجميعهم فى كل شهر سبعمائة وخمسون درهمًا، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبواب واحد. أما مكتب السبيل، فإنه رتب فيه فقيهان يعلمان من كان صغيرًا من أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، ورتب لها جامكية فى كل شهر وجراية فى كل يوم، وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهمًا، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف، ورتب للأيتام لكل منهم فى كل يوم رطلان خبزًا، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف. تنوع السلطان أجزل الله ثوابه فى وجوه البر والقربات، وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرة، يزيد وقفها وينمو لحسن نية واقفها. قدس الله روحه، ونور ضريحه.

وفى أوائل هذه السنة: تحرك سعر الغلة حتى بلغ الأردب القمح خمسة وثلاثين درهما، فكرة السلطان ذلك وتوجه بالعسكر إلى الشام تخفيفًا عن الناس، فلم ينحط السعر، فجمع الأمراء وأراد أن يكتب بفتح أهراء مصر أدخله حلب ثم إلى دمشق، فواصلها ليلة الثلاثاء وبَيْع الغلة منها بسعر خمسة وعشرين درهما الأردب، فقال له الأيدمرى: «قلوب الناس متعلقة بما فى الأهراء، فإنها خزانة المسلمين، كلما نظروا إليها ملآنة شبعت نفوسهم، وما يؤمن ارتفاع السعر أيضًا. والرأى أن الأمراء بأسرهم يكتبون بفتح شونهم وبَيْع القمح بخمسة وعشرين درهما الأردب، فإذا وقع البيع منها دفعة واحدة مع بقاء الأهراء ملآنة رجى انحطاط السعر، والأمراء لا يضرهم إذا نقصت شونهم نصف ما فيها». فأعجب السلطان ذلك، وكتب الأمراء بفتح شونهم ففتحت، وبيع القمح منها بخمسة وعشرين درهما الأردب، فانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر، واستمر كذلك حتى قدم الجديد من المَغَل.

وفيها قتل متملك الروم غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباد، وأقيم بعده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، وهو آخر من سمى بالسلطان من السلجوقية ببلاد الروم، وقد افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

وفيها كانت وفاة الشيخ الإمام عماد الدين بن الفضل محمد ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى، ببستانه بالمزة[1] فى يوم الإثنين سابع عشر صفر، وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع الجبل، ودفن بتربة فيها قبر أخيه علاء الدين، رحمهما الله تعالى. وكان شيخ الكتابة أتقن الخط المنسوب، وبلغ فيه مبلغًا عظيما حتى أتقن قلم المحقق، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البواب.

وفيها توفى الصاحب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن أبى القاسم بن أبى طالب بن كسيرات الموصلى، وكانت وفاته فى سابع عشرى رمضان بداره بجبل الصالحية، وكان رحمه الله تعالى كثير المروءة واسع الصدر، كثير الهيبة والوقار جميل الصورة حسن المنظر والشكل، كثير التعصب لمن يقصده محافظًا على مودة أصدقائه وقضاء حوائجهم، كثير التفقد لهم. وأصله من الموصل من بيت الوزارة، كان والده

---

(١) المزة: بالكسر ثم التشديد: وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق. انظر معجم البلدان ٥/١٢٢.

وزير الملك المنصور عماد الدين زنكى ابن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، ثم باشر نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العُمَرية لما فتحها، ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق لما وصل فى الدولة الظاهرية، وسكن دمشق وولى نظر البر بها، ثم نقل إلى نظر نابلس، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها، ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق، فاستوزره كما تقدم، وبطل بعد ذلك عن المباشرة، وسكن داره التى أنشأها بجبل قاسيون جوار البيمارستان، فكان بها إلى أن مات.

قال شمس الدين الجزرى: قلت له يوما وقد أضرت به البطالة: «يا مولانا لو ذكّرتَ أحدًا من أصحابك الأمراء حتى يذكر بك السلطان أو نائب السلطنة، فكاتَبَ فى أمرك، فإن لك خدما وتفضلاً على الناس، فنظر إلى وأنشد:

لــذّ خُمــولى وحَــلا مُــرَّه ... وصــاننى عــن كــل مخلــوق
نفســىَ معشوقــى ولــى غِيرَةٌ ... تمنعنى عــن بــذل معشــوقــى

وفيها فى يوم الخميس عاشر شهر رمضان: توفى الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين دواد ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته بدمشق، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بالتربة المعظمية. وكان - رحمه الله تعالى - قد جمع بين الرياسة والفضيلة والعقل الوافر والخصال الجميلة، وكان بجانبا الناس محبوب الصورة، رحمه الله تعالى.

وفيها فى سادس عشرى شعبان: توفى القاضى عز الدين إبراهيم بن الصاحب الوزير الأعز فخر الدين أبى الفوارس مقدام ابن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر. وكان قد ولى نظر الجيوش بالديار المصرية فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، كما تقدم. رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر القدسى شيخ الحنابلة بالشام. وكان قد ولى قضاء القضاة على كره منه سنة أربع وستين وستمائة كما تقدم، ثم ترك الحكم وتوفر على العبادة والتدريس وأشغال الطلبة والتصنيف. ويقال إنه قُطْب بالشام، واسْتُدِلَ على ذلك بمراء توافقت عليها جماعة

تعرفه فى سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قُطب، وكان أوحد زمانه. وكانت وفاته فى يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر منها، ودفن بقاسيون بتربة والده قدّس الله روحه. ومولده فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها:

ما للوجود وقد علاه ظلام أعَرَاهُ خطبٌ أم عَدَاه مرام؟
أم قد أصيبَ بشمسه فغدا وقد لبست عليه حدادَها الأيامُ

وجاء منها:

لكم الكرامات الجليلات التى لا تستطيع جحودها الأقوام

وهى قصيدة تزيد على ستين بيتًا. ورثاه جماعة رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الأمير علاء الدين كندغدى المشرقى الظاهرى المعروف بأمير مجلس، كان من أعيان الأمير بالديار المصرية، وظَهَر قبل وفاته بمدة يسيرة أنه باق على الرق، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه وقرّبه لديه، وكان شجاعًا بطلا مقدامًا. وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم الجمعة مستهل صفر، ودفن بمقابر بباب النصر، رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى بن يزيد البرمكى أمير آل مرا، وكانت وفاته ببُصْرَى. وكانت غراته تنتهى إلى أقصى نجد والحجاز، وأكثرهم يؤدون إليه أتاوة فى كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه، وكان يدّعى أنه من نسل جعفر البرمكى[١] من العباسة[٢] أخت الرشيد، ويقول إنه تزوّجها ورزق منها أولادًا، ولما

---

(١) جعفر البرمكى. (١٥٠ - ١٨٧هـ= ٧٦٧-٨٠٣م) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسى، وأحد مشهورى البرامكة ومقدميهم. لد ونشأ فى بغداد ، واستوزره هارون الرشيد، ملقيًا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخى. انقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، نقمته المشهورة، فقتله فى مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة. وكانت لجعفر توقعات جميلة. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس، قالوا فى وصف حديثه: «جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهامًا يغنيه عن الإعادة» وكان كاتبًا بليغًا، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون فى أنسابهم إلى الفرس. انظر تاريخ الطبرى: حوادث سنة ١٨٧ والبيان والتبيين ١:٥٨ والجهشيارى ٢٠٤ ومواضع أخرى منه. والبداية والنهاية ١٠:١٨٩، ١٩٤ وابن خلكان ١:١٠٥ وتاريخ بغداد ٧:١٥٢ والنجوم الزاهرة ٢:١٢٣.

(٢) العباسة علية بنت المهدى بن المنصور، من بنى العباس: أخت هارون الرشيد: أديبة شاعرة،=

جرى على البرامكة ما جرى هرب أولاده منها إلى البادية، فأخذهم جده، وا لله أعلم. وكان يقول للقاضى شمس الدين ابن خلكان «أنت ابن عمى» وكان بينهما مهاداة، وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه عند السلطان.

وفيها فى سابع عشرى المحرم: كانت وفاة شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الخضرى السنجارى، كان ينوب عن والده فى الوزارة الأولى فى سنة ثمان وسبعين وستمائة، وولى نظر الأحباس ونظر خانقاه سعيد السعداء، ثم ولى بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار، ثم قبض عليه مع والده بعد انفصاله من الوزارة الثانية كما تقدم. فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية بمصر، وكان بها إلى أن توفى، وكان حسن الصورة والشكل، رحمه ا لله تعالى.

وفيها فى سادس شوال: توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على، رحمهما ا لله تعالى.

وفيها فى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توفى الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بت جعفر القرشى التزمنتى الشافعى، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة، وأحد المعيدين بمدرسة الشافعى. رحمه ا لله تعالى.

وفيها فى يوم السبت ثانى عشرى رجب: توفى الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار أغاى عأحد الأمراء بالديار المصرية، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها، ودفن بظاهرها عند قباب التركمان بميدان الحصا، رحمه ا لله تعالى.

* * *

=تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانه. كان أخوها إبراهيم ابن المهدى يأخذ الغناء. كان فى جبهتها يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجواهر لتستر وجهها وهى أول من اتخذها. قال الصولى: لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتا مثلها. كانت أكثر أيام ظهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها. وكان أخوها الرشيد يبالغ فى إكرامها ويجلسها معه على سريره وهى تأبى ذلك وتوفيه حقه ـ تزوجها موسى بن عيسى العباس.

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فى المحرم: توجه عسكر إلى الكرك، وعليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير طقصوا، فضايقوا الكرك ورَعَت خيولهم مزارعها.

وفى ثانى عشره: ولى الشيخ معز الدين النعمان الحنفى تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين، بعد موت عز الدين الماردينى.

واستقر سيف الدين[....][1] فى ولاية قوص، عوضًا عن بهاء الدين قراقوش.

واستقر مجد الدين عمر بن عيسى الحَرَامى فى ولاية سُيُوط، عوضًا عن سيف الدين.

استقر عز الدين أيدمرى الكوجى فى ولاية أخميم، عوضًا عن بلبان الفارسى.

واستقر شهاب الدين قرطاى الجاكى فى ولاية قليوب، عوضًا عن حسان الدين لؤلؤ الكهارى.

وفى ثانى عشريه: استقر الأمير شمس الدين إبراهيم بن خليل الطورى فى ولاية الروحا والطرق السالكة إلى الفرنج وإلى عثليث وحيفا وعكا، عوضًا عن الأمير نور الدين، وأقطع إمرة عشرة.

وفى أول صفر: توجه الأمير سيف الدين المهرانى إلى ولاية البهنسا والأشمونين، عوضًا عن كيكلدى والى البهنسا، وعن فخر الدين بن التركمانى والى الأشمونين.

وورد الخبر بقتل القان تكدار ويدعى أحمد أغا سلطان بن هولاكو، وتَمَلّك أرغون ابن أبغا بن هولاكو من بعده.

وفى أول ربيع الآخر: ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام، فتجهز السلطان للسفر وركَب بعساكره فى يوم الأحد ثامن جمادى الأولى، وتوجه من قلعة الجبل إلى دمشق.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: حضر الموفق أحمد بن الرشيد أبى حليقة إلى الدهليز السلكانى، وأسلم وتسمى بأحمد.

فخلع السلطان عليه، ورسم له بمساواة أخويه فى العلوم لما أسلما، وكتب له بذلك.

---

(١) بياض فى الأصل.

وفى رابع عشره: كتب بولاية الأمير عماد الدين أحمد بن قباخل البحيرة.

وفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة: دخل السلطان إلى دمشق، فقدم القصاد من بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون.

وفى تلك الليلة: ألبس السلطان ألفًا وخمسمائة من مماليكه أقبيه أطلس أحمر بطرُزٍ وكلفتات زركش وحوائص ذهب، وأشعل بين يديه ألفًا وخمسمائة شمعة مع كل مملوك شمعة. واستدعى عبد الرحمن الموصلى فى السنة الماضية من بلاد التتار، فحضر ومعه رفقته الأمير صمداغو التترى والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين التبتى المعروف بابن الصاحب وزير ماردين. فقدموا للسلطان تحفًا منها نحو ستين حبل لؤلؤ كبارا، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتى مثقال، وحجر ياقوت أحمر، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما، وأدوا رسالة الملك أحمد أغا، فلما فرغوا ردهم السلطان إلى مكانهم، ثم استدعاهم واستعادهم كلامهم، ثم ردهم إلى مكانهم، وأحضرهم مرة ثالثة وسألهم، عن أشياء، فلما علم ما عندهم أخبرهم أن مرسلهم الذى بعثهم قد قتل، وتَمَلكَ بعده أرغون بن أبغا. ثم ردهم إلى قاعة بقلعة دمشق، ونقلهم من قاعة رضوان التى كانوا بها منذ وصلوا إلى دمشق، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية، وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا، فأنكروا أن يكون معهم مال فتوجه إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار، وقال: «قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل أحد قماشه» فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه، منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قوِّمَت بمائة ألف درهم، واعتقلوا فمات عبد الرحمن فى ثامن عشرى رمضان بالسجن، وضيق على البقية ثم أطلقوا، ما خلا الأمير شمس الدين محمد ابن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر واعتقل بها.

وفيه عزل الأمير علم الدين سنجر الدويدارى من شد الدواوين بدمشق، وأضيف إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار بدمشق.

ونقل ناصر الدين الحرّانى من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة حمص، وأضيفت ولاية دمشق إلى الأمير طوغان والى البر.

وفيه خرج السلطان من دمشق يريد مصر، بظاهر دمشق.

فلما كانت ساعات من يوم الأربعاء حادى عشرى شعبان: حَطم سيل بعد مطر عظيم، فحمل أثقال الأمراء والأجناد وخيولهم وجمالهم، فعدم للأمير بدر الدين بكتاص ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، وانتهى السيل إلى باب الفراديس، فكسر أقفاله وما خلفه من المتاريس. ودخل الماء إلى إلى المدرسة المقدمية، وبقى كذلك حتى ارتفع النهار.

ثم حدث بعد يومين: مطر شديد هدم عدة مساكن بدمشق وظواهرها، فتلف للناس ما لا يحصى، فأنعم السلطان على الأجناد كل واحد بأربعمائة درهم.

ورحل السلطان من دمشق فى رابع عشريه، فوصل قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان. فقدم الخبر من مكة بأن الشريف أبا نمى طرد جند اليمن واستبد بها، وكان من خبره أن مكة كانت بينه وبين قتادة، وكان يؤخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهما، ومن حاج مصر على الجمل مبلغ خمسين درهما مع كثرة النهب والعسف فى جباية ما ذكر، فمازال الظاهر بيبرس حتى صار يؤخذ من حاج مصر مبلغ ثلاثين درهما على كل جمل. فجرد المظفر صاحب اليمن إلى مكة عسكرا عليه أسد الدين جغريل، فملكها بعد حرب، فجمع قتادة وأبو نمى العربَ لحربه، فوقع الاتفاق بينهما أن تكون مكة بينهم نصفين. ثم اختلفا بعد مدة، وانفرد أبو نمى وقوى وأخرج عسكر اليمن، واشتد على الحجاج فى الجباية. فرسم السلطان بسفر ثلاثمائة فارس صحبة الأمير علاء الدين سنجر الباشقردى، وأنفق فى كل فارس ثلاثمائة درهم، وكتب بخروج مائتى فارس من الشام فتوجهوا صحبة الحاج. فكانت بينهم وبين أبى نمى وقعة، وأخربوا الدرب. وكان الحاج كثيرًا، فإنها كانت وقفة الجمعة.

وورد الخبر بموت الملك المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، وكانت وفاته فى حادى عشر شوال، ففوِّضت حماة لولده الملك المظفر تقى الدين محمود، وجهز إليه التقليد والتشريف صحبة الأمير جمال الدين أقش الموصى الحاجب، ومعه عدة تشاريف لجماعة من أهل بيته.

وفى ذى القعدة: قبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبى، واعتقل بقلعة الجبل.

وورد الخبر بوفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن

فضل بن ربيعة، وكانت وفاته فى تاسع ربيع الأول، فاستقر فى إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وفى هذه السنة: نجزت عمارة المارستان الكبير المنصورى والمدرسة والقبة.

وفى النصف من ذى الحجة: توجه السلطان إلى دمشق.

وفى هذه السنة: سَرَح الملك الصالح على ومعه أخوه خليل إلى العباسة، ومعهما الأمير بيبرس الفارقانى وإليه يومئذ أمر رماة البندق، فأقاموا أيامًا فى الصيد، ومعهم جماعة كثيرة من الرماة. فصرع الصالح طيرًا خطّته الرماة، وصرع أخوه خليل بعده طيرًا آخر. فبعث الفارقانى يبشر السلطان بذلك، ويستأذنه لمن يَدعِى فى الرمى الملك الصالح، فرسم أن يدعى للمنصور صاحب حماة.

فسفر طير الصالح إلى حماة، ومعه هدية سنية وكتاب السلطان وكتاب ابنه الصالح. فخلع المنصور على البريدى القادم بذلك، ووضع الطير على رأسه، وبعث هدية فيها عشرة أنداب بندق ذهب كل ندب خمس بندقات، زنة كل بندقة عشرة دنانير، وعشرون ندب فضة زنة البندقة مائة درهم، وبدلة حرير غيار زركش فيها ألف دينار، وحياصة مكللة، وجراوة زركش فيها البندق المذكور، وعشرون قوسًا، وعدة تحف بلغت قيمة ذلك ثلاثين ألف دينار.

وفيها كانت حرب بمكة سببها أن أبا نمى بلغه توجه العسكر، فلم يخرج إلى لقاء الحاج وبعث قواده فقط، فلم يرض الباشقردى إلا بحضوره واستعد للحرب، وقد وقف أبو نمى بمن معه ليمنع من دخول مكة، وروموا بالحجارة فرماهم الترك بالنشاب، وأحرق الباب ودخل العسكر. فقام البرهان خضر السنجارى حتى أخمد الفتنة، وحملت خلعة أبى نمى إليه، وقضى الناس حجهم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

صاحب حماة الملك المنصور محمد ابن المظفر محمود بن المنصور محمد ابن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن فضل بن البيعة، بعد عشرين سنة من إمارته.

ومات القان تكدار ويدعى أحمد سلطان بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، عن سبع وثلاثين سنة بالأردو، منها مدة ملكه سنة وأشهر.

وتوفى قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصارى الشافعى، وهو معزول، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى قاضى حلب نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الأنصارى البيسانى الشافعى وهو معزول، عن نيف وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، قريبًا من المدينة النبوية، ودفن بالبقيع[1]، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى قاضى الإسكندرية ناصر الدين أحمد بن وجيه الدين أبى المعالى محمد بن منصور بن أبى بكر بن القاسم بن المنير الجذامى الإسكندرية المالكى بها، عن ثلاث وستين سنة.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمسانى بمصر، عن سبع وسبعين سنة.

وقتل الدعى أحمد بن مرزوق بن ابى عماد المسيلى[2] الخياط، متملك تونس، وكان

---

(١) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) المسيلى (٦٨٣هـ=١٢٨٤م) أحمد بن مرزوق: متسلط فى المغرب أصله من بجاية (بإفريقية) ولحق بصحراء سجلماسة فادعى أنه من آل البيت وإنه الفاطمى المنتظر فأعرض البدو عنه، فرحل إلى أطراف طرابلس الغرب فالتقى بفتى اسمه «نصير» كان مولى للواثق الحفصى يحيى بن محمد فأعلمه نصير بأنه قريب الشبه من الفضل بن الواثق وكان الفضل قد قتل مع أبيه قتلهما إبراهيم بن يحيى وأراه أنه إذا تسمى بالفضل وادعى أنه ابن الواثق أفلح. فوافقه ابن أبى عمارة وأظهر أنه «الفضل» وأنه لم يقتل، فصدقه أهل تلك النواحى وبايعوه بالخلافة. كثر جمعه فاستولى على طرابلس، وزحف إلى قابس سنة ٦٧١هـ، فبايع له عاملها عبد الملك بن مكى، واستولى على عدة إيالات وعظم شأنه. بلغ خبره أبا إسحاق إبراهيم بن يحيى (أمير المؤمنين بتونس) فجهز جيشا لمقاتلته فلم يفده، ونزل ابن أبى عمارة بالقيروان فبايع له أهلها وهم لا يرتابون فى أنه الفضل بن الوائق، واقتدى بهم أهل المهدية وصفاقس، وكثر الإرجاف بتونس فارتحل إبراهيم بن يحيى بجيشه إلى ظاهر البلد، فقصده الدعى (ابن أبى عمارة) وقرب من تونس، فلحق به معظم جيش إبراهيم. خاف إبراهيم على نفسه ففر إلى بجاية. ودخل الدعى تونس ثم سير إلى إبراهيم جيشا قتله فى بجاية. أقام الدعى بتونس سلطانا على المغرب=

قد قدم من أطرابلس، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر، وقتل إبراهيم بن يحيى، فمشى أمره على الناس مدة سنة وستة أشهر.

وبويع بعده الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد فى رابع عشرى ربيع الآخر.

* * *

=مدة ثلاث سنوات، ثم ضعف أمره بظهور أخ لإبراهيم يعرف بأبى حفص المستنصر با لله - عمر بن يحيى فاتخذل الدعى واختفى فأخرجه أبو حفص ومثل به وقتله. انظر الخلاصة النقية ٦٥، ابن خلدون ٣٠٢/٦، الأعلام ٢٥٦/١.

سنة أربع وثمانين وستمائة

فى يوم السبت سادس عشر المحرم: ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى الساعة السابعة بطالع برج السرطان، وكان مولده بقلعة الجبل، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق.

وقدم السلطان دمشق فى ثانى عشريه، ثم سار منها ونازل حصن المرقب وهو حصن الإسبتار ثمانية وثلاثين يومًا، حتى أخذه من الفرنج عنوة يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، وأخرج من فيه إلى طرابلس.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه إلى الحضور، فوبخه تاج الدين ولامه حتى أناب ووعد بإرسال ولده.

وفى ثامن ربيع الآخر: استقر الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبى الحسن بن شمويل الطبيب فى رئاسة اليهود، وكتب له توقيع برئاسة سائر طوائف اليهود من الربانيين والقرائين والسامرة، بالقاهرة ومصر وسائر ديار مصر.

وفى سابع جمادى الأولى: قدم السلطان إلى دمشق، وفوض وزارة دمشق للقاضى محيى محمد بن النحاس ناظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين توبة التكريتى.

وفى خامس عشره: عزل طوغان عن ولاية دمشق، وبقى على ولاية البر، واستقر فى ولاية دمشق عز الدين محمد بن أبى الهيجاء.

وسار السلطان من دمشق يوم الإثنين ثامن عشره، فوصل قلعة الجبل يوم الثلاثاء تاسع عشرى شعبان، وكان قد أقام فى تل العجول مدة أيام.

وفى سابع رمضان: قدمت رسل الفرنج بتقادم من عند الأنبرور، ومن عند الجنوية، ومن عند الأشكرى.

وفى حادى عشره: استقر القاضى مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة فى رئاسة الأطباء، ومعه أخواه علم الدين إبراهيم وموفق الدين أحمد، وكتب بذلك توقيع سلطانى، واستقر مهذب الدين فى تدريس الطب بالمارستان.

وفى خامس عشره: استقر القاضى تقى الدين أبى الحسن على ابن القاضى شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم ابن الشيخ جلال الدين أبى محمد عبد الله بن شاس المالكى السعدى[1]، فى تدريس المدرسة المنصورية.

وفى أول ذى القعدة: وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه: وهى ثلاثة عشر طواشيًا، وعشرة أفراس وفيل وكركدن وثمانى نعاج، وثمانية طيور ببغاء، وثلاث قطع عود تحمل كل قطعة على رجلين، وحمل رماح قنا، وبهار حمل سبعين جملا، وقماش حمل على مائة قفص، ومن تحف اليمن مائة طبق. فقبل ذلك، وأنعم على رسله وعليه كالعادة.

وفى سادس ذى الحجة: احترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر محمد الأيكى الفارسى فى مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد العداء، بعد وفاة الشيخ صاين الدين حسن البخارى.

وفيها استقر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بهرام الشافعى فى قضاء الشافعية بحلب، عوضًا عن مجد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى الماردينى.



ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى نائب حلب، وهو من جملة أمراء مصر بالقاهرة.

وتوفى رشيد الدين أبو محمد شعبان بن على بن سعيد البصراوى الحنفى، بدمشق عن نحو ستين سنة.

وتوفى رضى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الشاطبى الأنصارى النحوى اللغوى الأديب المؤرخ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

---

(١) ابن شاس (٦١٦هـ-١٢١٩م) عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس بن نزار، الجذامى السعدى المصرى، جلال الدين أبو محمد: شيخ المالكية فى عصره بمصر. من أهل دمياط. مات فيها مجاهدا، والإفرنج محاصرون لها، من كتبه «الجواهر الثمينة» فى فقه المالكية. انظر خطط مبارك ٥٣/١١، وشذرات الذهب ٦٩/٥، شجرة النور ١٦٥. كشف الظنون ٦١٣، الأعلام ١٢٤/٤.

وتوفى الحافظ علاء الدين أبو القاسم على بن بلبان الناصرى[١] عن اثنتين وسبعين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الواعظ زين الدين أبو العباس أحمد بن الأشبيلى بالقاهرة.

وتوفى الأمير مجيد الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن تميم الدمشقى بحماة.

* * *

(١) ابن بلبان (٦٧٥-٧٣٩هـ=١٢٢٦-١٣٣٩م) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسى، المنعوت بالأمير: فقيه حنفى، سكن القاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السنية فى الأحاديث الإلهية»، و«الأحاديث العوالى»، و«شرح تلخيص الجامع الكبير للخلاطى» و«السيرة النبوية» مختصر، و«المناسك» و«الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان» و«تحفة الصديق فى فضائل أبى بكر الصديق». انظر الفوائد البهية ١١٨، الجواهر المضية ١/٣٥٤، والدرر الكامنة ٣/٣٢، وبغية الوعاة ٣٣١. مخطوطات الظاهرية ٨٩. الأعلام ٤/٢٦٧،٢٦٨.

سنة خمس وثمانين وستمائة

فى ثانى المحرم: سار الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك، فتلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابى، فتوجه معه إليها، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث الملك المسعود خضر ابن الظاهر بيبرس يطلب الأمان. فبعث إليه السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار من قلعة الجبل بالأمان فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاى فى خامس صفر. واستقر الأمير عز الدين أيبك الموصلى نائب الشوبك فى نيابة الكرك.

ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل فى ثامنه. وقدم الأمير طرنطاى بأولاد الظاهر إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائة فى ثانى عشر ربيع الأول.

وأكرم السلطان الملك المسعود وسلامش، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس، وصارا يركبان فى الموكب والميادين، ورتبا يركبان مع الملك الصالح على.

وفيه قدم راجح وزير أبى نمى يشكو من الباشقردى، وبتعذر عن تأخر حضوره فقبل السلطان عذره وطلب منه خجرة وضربا للسلطان، ووعد بإرسال ثمنها إليه.

وفى يوم الخميس رابع عشر صفر: حصل وقت العصر بناحية الغسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب: وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعدًا شديدًا، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان فى ثخن العمود الكبير الذى لا يحضنه إلا عدة من الرجال، رأسه فى عنان السماء وذنبه يلعب فى الأرض، شبه الزوبعة الهائلة. وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها فى السماء مثل رمية سهم وأزيد، فتقع على الأرض وتصدم بعضها بعضًا، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها ببعيد.

واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرد بحمص، وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وهم زيادة على ألفى فارس، فما مَرَّ بشىء إلا رفعه فى الهواء كرمية سهم وأكثر: فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر الثياب، وحمل خرجا من أدم فيه تطابيق نعال للخيل من حديد حتى علا رمية سهم، ورفع الجمال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض، وحَمَل كثيرا من الجند والغلمان، فتلف شىء كثير جدا.

ثم غاب الثعبان وقد توجه فى البرية نحو المشرق، ووقع بعده مطر.

وفى سلخه: عزل محيى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس عن وزارة دمشق، وأعيد تقى الدين توبة.

وفى سابع رجب: توجه السلطان إلى الكرك، فوصلها وعَرَض حواصلها ورجالها وشحن بها ألفى غرارة قمح، وقرر بها بحرية ورتب أمورها، ونظف البركة، وجعل فى نيابة الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، ونَقَل عز الدين أيبك إلى نيابة غزة، ثم نقله إلى نيابة صفد.

وانتهت زيادة ماء النيل فى حادى عشرى شعبان إلى سبعة عشر ذراعًا وإصبعين.

وسار السلطان من الكرك وأقام فى غاية أرسوف حتى وقع الشتاء وأَمِنَ حركة العدو، ثم عاد إلى مصر فوصل قلعة الجبل فى رابع عشر شوال، فأفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى والأمير جمال الدين أقش الفارسى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى: استقر تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز قضاء مصر والوجه القبلى بعد وفاة وجيه الدين البهنسى. واستمر شهاب الدين محمد الخولى على قضاء القاهرة واستقر فى قضاء القضاة المالكية زين الدين على ابن مخلوف ناظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين حسين بن عبد الرحيم بن شاس.

وفى ذى الحجة: استقر الأمير علم الدين أبو خرص الحموى نائبًا بحماة. وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد وبين أهل حصن المرقب، بسبب أخذهم قافلة تجارة قتلة فيها عدة من مماليكه وجرح هو فى كتفه، فكتب بمنازلة، فخرج إليه عاكز الشام، ولم تزل عليه حتى أخذته بعد حروب شديدة فى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، واستقر الطباخى نائبًا به.

وفيها شنع موت الأبقار بأرض مصر، حتى إن شخصًا كان له ثلاثمائة وأربعين رأسًا ماتوا بأجمعهم فى نحو شهر، وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى دمشق بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على ابن محمد بن على بن عبد العزيز بن الزكى الأموى الشافعى، عن ست وأربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين أبى عبد الله الحسينى المهلبى البهنسى الشافعى، فى مستهل جمادى الآخرة.

وتوفى جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الوائلى الشريشى[1] المالكى بدمشق، عن أربع وثمانين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى ناصر الدين أبو محمد عبد الله ابن إمام الدين أبى حفص عمر بن على الشيرازى البيضاوى الشافعى قاضى شيراز، بمدينة تبريز.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن عبد الله شاس السعدى المالكى، عن ثمانين سنة.

وتوفى المسند بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيبانى الصالحى، عن ثمان وثمانين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الأديب معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد القهرى، عن ثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن الخيمى الأنصارى، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

وفيها مات ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر حمامة المرينى، فى أخر المحرم. وقام من بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب[2]. وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة.

* * *

---

(١) الشريشى (٦٠١-٦٨٥هـ=١٢٠٤-١٢٨٦م) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سبحان الوائلى البكرى الشريشى المالكى، أبو بكر، جمال الدين: فقيه، نحوى: ولد فى شريش، ورحل إلى المشرق، فسمع بالإسكندرية ودمشق وحلب وإربل وبغداد وأقام بدمشق، يفتى ويدرس. طلب للقضاء فيها فامتنع وتوفى بها. له (شرح ألفية ابن معطى) فى النحو، مجلدان، وكتاب فى الاشتقاق. انظر نفح الطيب ٤٣٢/١، بغية الوعاة ١٨، شذرات الذهب ٣٩٢/٥ ابن الفرات ٤٦/٨، الكتبخانة ٣١/٤. الأعلام ٣٢٣/٥.

(٢) ابن يعقوب ملك المغرب (٦٣٨-٧٠٦هـ=١٢٤٠-١٣٠٧م) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان الناصر لدين الله، أبو يعقوب من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى. بويع له بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٥هـ) بعهد منه، وكان فى الجزيرة الخضراء، فرحل إلى فارس. بعث إلى (ابن الأحمر) فاجتمع به فى ظاهر (مربالة) ونزل له عن جميع ثغور الأندلس التى كانت فى حوزة أبيه، محتفظًا بالجزيرة ورندة وطريف وافترقا على صفاء. وعاد إلى فاس. انظر الاستقصا ٣٢/٢-٤٣، جذوة الاقتباس ٣٤٤، الحلل الموشية ١٣٣، روضة النسرين ١٦الأنيس المطرب القرطاس ٢٧٥. الأعلام ٢٥٩/٨.

سنة ست وثمانين وستمائة

في يوم الأحد نصف المحرم: استقر برهان الدين خضر السنجارى فى قضاء القاهرة والوجه البحرى، عوضًا عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخوبى.

ونقل الخوبى عن قضاة القاهرة إلى قضاة دمشق، عوضًا عن بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن الزكى. فنزل قاضى القضاة برهان الدين السنجارى من القلعة، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين، ورسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز. فشق ذلك على ابن الأعز، وسعى أن يعفى من حضور دار العدل، فلم يشعر إلا وقد مات البرهان السنجارى فى تاسع صفر فجأة عن سبعين سنة، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما.

فاستقر ابن بنت الأعز فى قضاء القاهرة، وجمع له بين قضاء البلدين، ونزل فصلى على السنجارى وهو بالشريف.

وفى هذه السنة: توجه الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة على عسكر كثير؛ لقتال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بصهيون.

وسبب ذلك أن السلطان لما نازل المرقب وهى بالقرب من صهيون، لم يحضر إليه سنقر الأشقر وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار، فأسرها السلطان فى نفسه، ولم يمكن صمغار من العود إلى أبيه وحمله معه إلى مصر، واستمر الحال على ذلك حتى هذه السنة فسار طرنطاى ونازل صهيون حتى بعث الأشقر يطلب الأمان فأمنه، ونزل سنقر إليه ليسلم الحصن، فخرج طرنطاى إلى لقائه ماشيا، فنزل سنقر عندما رآه وتعانقا.

وسار سنقر إلى مخيم طرنطاى، وقد خلع طرنطاى قباءه وفرشه على الأرض ليمشى عليه سنقر، فرفع سنقر القباء عن الأرض وقبله ثم لبسه، فأعظم طرنطاى ذلك من فعل سنقر وشق عليه وخجل، وأخذ يعامل سنقر من الخدمة بأتم ما يكون.

وتسلم طرنطاى حصن صهيون، ورتب فيه نائبًا وواليًا وأقام به رجالا، بعد ما أنفق فى تلك المدة أربعمائة ألف درهم فى العسكر الذى معه، فعتب عليه السلطان بسبب ذلك.

ثم سار طرنطاى إلى مصر ومعه سنقر الأشقر حتى قرب من القاهرة، فنزل السلطان من قلعة الجبل، وهو وابنه الملك الصالح على، وابنه الملك الأشرف خليل، وأولاد الملك الظاهر، فى جميع العساكر إلى لقاء سنقر الأشقر. وعاد به إلى القلعة، وبعث إليه الخلع والثياب والحوائص الذهب والتحف والخيول، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس وقدمه على ألف، فَلاَزَم سنقر الخدمة مع الأمراء إلى سابع عشرى شهر رجب.

وخرج السلطان من قلعة الجبل سائرًا إلى الشام، فأقام بتل العجول ظاهر غزة.

وفى ثانى عشرى شعبان: انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا.

وفى هذه السنة: وصل من دمشق إلى القاهرة ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمن المقدسى، ليرافع قاضى القضاة بدمشق بهاء الدين بن الزكى، فوردت وفاته فعدل عنه إلى غيره.

واجتمع ناصر الدين بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الدولة، وقرر معه أن ملكة خاتون ابنة الأشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب باعت أملاكها بدمشق، وأنه يثبت سفهها، وأن عمها الصالح عماد الدين إسماعيل كان قد حجر عليها وذلك حتى يسترجع الأملاك ممن اشتراها، ويرجع عليهم بما أخذوه من ريعها، ثم يشترى الأملاك للخاص. فأعجب ذلك الشجاعى، وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامرى من دمشق، فإنه ابتاع قرية حرزما، فوصل إلى القاهرة فى رمضان، وطولب بالقرية المذكورة فادعى أنه وقفها، فأخذ ابن الشيخ عبد الرحمن فى عمل محضر بأن ابنة الأشرف حال بيع حرزما وغيرها كانت سفيهة من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا، ثم إنها صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا، ولفق بينة شهدت عند بعض القضاة، وأثبت ذلك. فبطل البيع من أصله، وألزم السامرى بما استأداه من ريع حرزما عن عشرين سنة، وهو مبلغ مائتى ألف وعشرة آلاف درهم من فضة، واعتد له بنظير الثمن الذى دفعه، واشترى منه أيضًا سبعة عشرة سهمًا من قرية الزنبقية بمبلغ تسعين ألف درهم، وحمل بعد ذلك مبلغ مائة ألف وأربعين ألف درهم إلى بيت المال.

واستقر ابن الشيخ عبد الرحمن وكيل السلطان، فشرع فى فتح أبواب البلاء على أهل الشام، وعمل عيد الفطر يوم الأحد من رؤية. وإنما ثبت عند الملك الصالح على أن السلطان صام شهر رمضان فى مدينة غزة يوم الجمعة على الرؤية، فأثبت القاضى

المالكى أن أول شوال يوم الأحد، فأمسك كثير من الناس عن الفطر، وأفطروا يوم الإثنين. وأما السلطان فإنه عاد من تل العجول، ووصل قلعة الجبل فى ثالث عشرى شوال.

وفى سادس ذى الحجة: توجه الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولى القاهرة، والأمير عز الدين الكورانى، إلى غزو بلاد النوبة. وجرد السلطان معهما طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلى والقراغلامية، وكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر السيفى السلاح دار متولى قوص أن يسير معهما بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم: وهم أولاد أبى بكر وأولاد عمر، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز وبنى هلال، وغيرهم. فسار الخياط فى البر الغربى بنصف العسكر، وسار أيدمر بالنصف الثانى من البر الشرقى، وهو الجانب الذى فيه مدينة دمقلة.

فلما وصل العسكر أطراف بلاد النوبة أخلى ملك النوبة سمامون البلاد، وكان صاحب مكر ودهاء وعنده بأس. وأرسل سمامون إلى نائبة بجوائز ميكائيل وعمل الدَّو واسمه جريس ويعرف صاحب هذه الولاية عند النوبة بصاحب الجبل يأمره بإخلاء البلاد التى تحت يده أمام الجيش الزاحف، فكانوا يرحلون والعسكر وراءهم منزلة بمنزلة حتى وصلوا إلى ملك النوبة بدمقلة، فخرج سمامون وقاتل الأمير عز الدين أيدمر قتالاً شديدًا، فانهزم ملك النوبة وقتل كثير ممن معه واستشهد عدة من المسلمين. فتبع العسكر ملك النوبة مسيرة خمسة عشر يوما من رواء دمقلة إلى أن أدركوا جريس وأسروه، وأسروا أيضًا ابن خالة الملك وكان من عظمائهم، فرتب الأمير عز الدين فى مملكة النوبة ابن أخت الملك، وجعل جريس نائبًا عنه، وجرد معهما عسكرًا، وقرر عليهما قطيعة يحملانها فى كل سنة، ورجع بغنائم كثيرة ما بين رقيق وخيول وجمال وأبقار وأكسية.

وفى هذه السنة: أمطرت المدينة النبوية فى ليلة الرابع من المحرم مطرًا عظيما فوكفت سقوف المسجد النبوى والحجرة الشريفة، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول ثم عقب ذلك جراد عظيم صار له دوى كالرعد، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع، وكانت الأعين قد أتلفها السيل، وخرب عين الأزرق حتى

عادت ملحًا أجاجا، فكتب بذلك إلى السلطان، وأن الحجرة الشريفة عادتها أن تكسى في زمن الخلفاء إذا ولى الخليفة، فلا تزال حتى يقوم خليفة آخر فيكسوها، وأن المنبر والروضة يبعث بكسوتهما فى كل سنة، وأنهما يحتاجان إلى كسوة.

وفيها جهز السلطان هدية سنية إلى بر بركة، ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم، وأن تكتب عليه ألقاب السلطان، وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ

وفيها نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان عن مملكة التتر ببلاد الشمال. وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا ابن منكوتمر بن طغان، فملكوه عوض تدان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، فى تاسع صفر، عن سبعين سنة.

وتوفى قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن القسطلانى التوزرى المالكى، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وقد أناف على السبعين.

وتوفى عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصقلى الحرانى المسند المعمر، وقد أناف على التسعين، بالقاهرة.

وتوفى الأديب ضياء الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عفيف الأنصارى الغرناطى بالإسكندرية، وقد أناف على التسعين.

وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر الأنصارى المرسى المالكى(١)، بالإسكندرية.

---

(١) الربعى (٧٢٥-٧٩٥هـ=١٣٢٥-١٣٩٣م) أحمد بن عمر بن على بن هلال، أبو العباس شهاب الدين الربعى: فقيه مالكى من المفتين. عرف نفسه بقوله «الربعى نسبا - من ربيعة الفرس بن نزار» المالكى مذهبا، الإسكندرى مولدا، القاهرى دارا، نزيل دمشق المحروسة ووفاته بها. كان ماهرا فى الأصول، حسن الخط. له «شرح جامع الأمهات» لابن الحاجب فى الفقه ثمانية أسفار كبار و«ناضرة العين - خ». انظر مخطوطة الفتح المقدس. والديباج ٨٢، وشذرات الذهب ٦/٣٣٧، والأزهرية ٣/٤٤٦، والدرر الكامنة ١/٢٣٢، وكشف الظنون ١٩٢١، وأخبار التراث، العدد: ٦٤ص٣٦، وشجرة ٢٢٣ الرقم ٧٩٧. والأعلام ١/١٨٧.

وتوفى بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبى عبد الله محمد بن مالك الأنصارى الجيانى النحوى بدمشق، وقد أناف على الأربعين.

وتوفى الأديب شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بنيمان بن أبى الجيش بن عبد الجبار بن سليمان الإربلى الحلبى الشاعر بدمشق، عن تسعين سنة.

وتوفى أبو الحسن فضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الأنصارى الحموى ببلبيس.

وتوفى الطبيب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربيعى الدنيسرى بدمشق، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ إبراهيم بن أبى المجد الدسوقى، بناحية دسوق من الغربية، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة تخمينا، وقبره إحدى المزارات التى تحمل إليها النذور ويتبرك بها.

* * *

سنة سبع وثمانين وستمائة

فى المحرم: استدعى ناصر الدين محمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن موسى أبو المكارم، المعروف بابن المقدسى، جماعة من أهل دمشق إلى القاهرة، فحضر عز الدين حمزة بن القلانسى، ونصير الدين بن سوند، وشمس الدين محمد بن يمن، والجمال بن صَصْرىَ، وقاضى القضاة حسام الدين الحنفى، والصاحب تقى الدين توبة، وشمس الدين بن غانم، وغيره.

فألزم القلانسى بمائة وخمسين ألف درهم، وابن سويد بثلاثين ألف درهم، وابن يمن عن قيمة أملاك مائة ألف درهم وتسعين ألف درهم، وابن صصرى بثلاثمائة ألف درهم، وحسام الدين بثلاثة آلاف درهم، وابن غانم بخمسة آلاف درهم.

فاعتذروا أنهم قد حضروا على البريد، وأن أموالهم بدمشق، وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فخافه الشجاعى أنهم إذا دخلوا دمشق تشفعوا فسوحوا بما عليهم، فطلب تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا، ففعلوا ذلك.

وكتبت على الدماشقة مساطير بما اقترضوه من تجار الكارم، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المال، وأذن لهم فى العود إلى دمشق، فلم يجدوا بدا من وفاء التجار.

ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق، فانتدب النجيب كاتب بكجرى أحد مستوفيى الدولة لمرافعة الشجاعى، وبرز له بمرافقة القاضى تقى الدين نصر الله بن فخر الدين الجوجرى، وأنهى إلى السلطان عنه أمورًا وحاققه بحضرته السلطان.

ومما قاله إنه باع جملة من السلاح ما بين رماح ونحوها مما كان فى الذخائر السلطانية للفرنج، فلم ينكر الشجاعى ذلك، وقال: «بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة، فالغبطة أننى بعتهم من الرماح والسلاح ما عتق وفسد وقل الانتفاع به، وأخذت منهم أضعاف ثمنه، والمصلحة أن تعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هوانا بهم، واحتقارًا بأمرهم وعدم مبالاة بشأنهم». فمال السلطان لذلك وقبله.

فقال النجيب: «يا مكثل الذى خفى عنك أعظم مما لمحت. هذا الكلام أنت صورته بخاطرك لتعده جوابا، وأما الفرنج وسائر الأعداء فلا يحملون بيع السلاح لهم على ما زعمت أنت، ولكنهم يشيعون فيما بينهم، ويتناقله الأعداء إلى أمثالهم، بأن صاحب مصر والشام قد احتاج حتى باع سلاحه لأعدائه».

فلم يحتمل السلطان هذا، وغضب على الشجاعى وعزله فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الأول، وأمر بمصادرته على جملة كثيرة من الذهب، وألزمه ألا يبيع فى ذلك شيئًا من خيله ولا سلاحه ولا رخته، بل يحمل المطلوب ذهبًا، وعصره بالمعاصير بين يديه حتى حمل ما طلب منه.

فبلغه الناس ما اعتمده الشجاعى من الظلم فى مصادرة جماعة، وأن فى سجنه كثيرًا من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم فى السجن، وباعوا موجودهم حتى أعطوه فى التراسيم، وفيهم من استعطى وسأل بالأوراق. فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بغدى الدوادارى بالكشف عن أمر المصادرين ومطالعته بحالهم، فخرج لذلك وسأل، فكثرت القالة بما فيه أهل السجون من الفاقة والضرورة، ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاى، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: وقع الحريق بخزائن السلاح والمشهد الحسينى بالقاهرة. فطفئ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: استقر فى الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا، عوضًا عن سنجر الشجاعى، بعدما عرضت على قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز، ويعتمد ما يشير به. وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان، وهو يومئذ ناظر الخزانة، ويقول له: «يا قاضى إيش حال ولدك بيدرا فى وزارته»؟ فيقول: «يا خوند ولد صالح دخلت بولايته الجنة، وأزلت الظلم، واستجلبت لك الدعاء، والذى كان يحصل بالعسف حصل باللطف».

وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرر معه ما يفعل، ثم استناب بيدرا ضياء الدين عبد الله النشائى وصار يجلس معه.

واستقر تقى الدين نصر الله فى نظر الدواوين شريكا لثلاثة، وهم: تاج الدين بن السنهورى، وكمال الدين الحرابى، وفخر الدين بن الحلبى صاحب ديوان الصالح على، وخلع عليه.

وفى أول ربيع الآخر: استقر الجمال بن صصرى فى نظر الدواوين بدمشق، وخلع عليه وسافر من القاهرة هو والقاضى تاج الدين[....][1] بن النصيبينى كاتب الدرج بحلب، بعدما أفرج عنه.

---

(١) بياض فى الأصل.

وفيه أيضًا استقر ركن الدين بيبرس أمير جاندار بدمشق، وسافر هو وشمس الدين[... [١]] بن غانم، وقد سومح بما كان قد قرر عليه.

واستقر تقى الدين توبة فى نظر الدواوين بدمشق أيضًا. وتوجه ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسى إلى دمشق، متحدثًا فى وكالة السلطان ونظر سائر الأوقاف الشامية، ونظر الجامع الأموى والمارستان النورى وبقية المارستانات، ونظر الأشراف والأيتام والأسرى والصدقات والخوانك والربط والأسود وغير ذلك.

وسافر معه شمس الدين القشتمرى، وصارم الدين الأيدمرى؛ ليكونا مشدين.

فقدم دمشق وتتبع عوارت الناس، وتصدى لإثبات سفه من باع شيئًا من الأملاك كما فعل فى أمر ابنة الأشرف، فلم يوافقه القضاة بدمشق ولا النائب، وشرع فى مناكدة الناس.

وفى تاسعه: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، بعد ما أخذ منه خمسة وستون ألف دينار عينا، سوى ما أخذ السلطان وغيره من موجوده.

وعزل بيدرا عن الوزارة فى تاسع عشره، واستدعى قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، وخلعت عليه خلع الوزارة ونزل. فتعفف عن التصرف والكتابة فى أشياء، وباشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة، وصار يجلس فى اليوم الواحد تارة فى دست الوزارة وتارة فى مجلس الحكم وتارة فى ديوان الحكم، ولم يوف منصب الوزارة حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية. ثم ثقلت عليه الوزارة فتوفر منها، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها فى [... [٢]] وكان حينئذ أمير مجلس، ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة، واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية.

وفيه كتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر وبلاد الشام، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر، وسُيِّر مع التجار.

وفى أول جمادى الأولى: وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط من دمقلة، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها، وأخذ تيجانهم ونسائهم. وكان الكتاب على يد ركن الدين منكورس الفاقانى، فخلع عليه وكتب معه الجواب بإقامة

---

(١) بياض فى الأصل.
(٢) بياض فى الأصل.

الأمير عز الدين أيدمر والى قوص بدمقلة، ومعه من رسم لهم من المماليك والجند والرجال، وأن يحضر الأمير علم الدين ببقية العسكر. وجهز من قلعة الجبل سعد ابن أخت داود، ليكون مع الأمير أيدمر لخبرته بالبلاد وأهلها، فسار وقد أعطى سيفًا محلى، فأقام بقوص.

وفيه استقر زين الدين[..... [1]] بن رشيق فى قضاء الإسكندرية، عوضًا عن زين الدين بن المنير.

وفى سابع عشره وهو خامس عشر بؤونة من أشهر القبط:ـ أخذ قاع النيل بمقياس الروضة، فكان أربعة أذرع وستة وعشرين أصبعا. فيه فوضت حسبة دمشق لشرف الدين أحمد بن عيسى السيرحى.

وفى تاسع رجب: وصل الأمير علم الدين سنجر المسرورى من بلاد النوبة، ببقية العسكر المخلف بدمقلة مع عز الدين أيدمر، ووصل معه ملوك النوبة ونساؤهم وتيجانهم وعدة أسرى كثيرة، فكان يوما مشهودا.

وفرق السلطان الأسرى على الأمراء وغيرهم، فتهاداهم الناس، وبيعوا بالثمن اليسير لكثرتهم.

وخلع على الأمير علم الدين وعمل مهمندارا عوضًا عن الأمير شرف الدين الجاكى، بحكم استقراره فى ولاية الإسكندرية عوضًا عن حسام الدين بن شمس الدين ابن باخل، بحكم عزله والقبض عليه ومصادرته.

وأما النوبة فإنه سمامون ملكها رجع بعد خروج العسكر إلى دمقلة، وحارب من بها وهزمهم، وفر منه الملك وجرتس والعسكر المجرد، وساروا إلى القاهرة، فغضب السلطان وأمر بتجهيز العسكر لغزو النوبة.

وفى يوم الأحد خامس عشره: خرج السلطان مبرزًا بظاهر القاهرة يريد الشام، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السماط، ثم عاد الصالح إلى قلعة الجبل آخر النهار، فتحرك عليه فؤاده فى الليل وكثر إسهاله الدموى وأفرط، فعاد السلطان لعيادته فى يوم الأربعاء ثامن عشره ولم يفد فيه العلاج، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح، فعاد إلى القلعة.

وصعدت الخزائن فى يوم الثلاثاء أول شعبان، وطلعت السناجق والطلب فى يوم

---

(١) بياض فى الأصل.

الأربعاء ثانيه. فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا كبدية، وتحدثت طائفة بأن أخاه الملك الأشرف خليلا سمه.

فحضر الناس للصلاة عليه، وصلى عليه بالقلعة قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز إمامًا، والسلطان خلفه فى بقيه الأمراء والملك الأشرف خليل. ثم حملت جنازته، وصلى عليه ثانيًا قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطبى الحنفى خارج القلعة، ودفن بتربة أمه قريبًا من المشهد النفيسى.

وترك الصالح ابنًا يقال له الأمير مظفر الدين موسى، من زوجته منكبك ابنة نوكاى. واشتد حزن السلطان عليه، وجلس للعزاء فى يوم الأحد ثالث يوم وفاته بالإيوان الكبير. وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالممالیك، ورسم فیها ألا يقطع أحد شعرًا ولا يلبس ثوب حداد ولا يغير زيه.

وفى مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا له، وبعث إلى الشيخ محمد المرجانى يدعوه فأبى أن يجتمع به، فحل إليه مع الطواشى مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتًا للفقراء، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالى، فقال له: «سلم على السلطان، وقل له متى رأيت فقيرًا يطلب أحدًا من الله؟ فإن فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش». ورد المال فلم يقبل منه شيئًا.

وطلع الشيخ عمر خليفة الشيخ أبى السعود إلى السلطان، وقد دعاه ليدعو للصالح، فقال له: «أنت رجل بخيل ما يهون عليك شىء، ولو خرجت للفقراء عن شىء له صورة لعملوا وقتًا، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان يتعافى». فأعطاه السلطان خمسة آلاف درهم عمل بها سماعًا، ثم عاد إلى السلطان وقال: «طيب خاطرك، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك، وقد وهبه لهم». فلم يكن غير قليل حتى مات الصالح.

فرأى السلطان فى صبيحته الشيخ عمر هذا، فقال له: «يا شيخ عمر أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدى من الله ووهبه لهم»، فقال على الفور: «نعم الفقراء طلبوه، ووهبهم إياه ألا يدخل جهنم، ويدخله الجنة»، فسكت السلطان.

وفى حادى عشر شعبان: فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر، وعبر إلى القاهرة وخرج من باب زويلة، وصعد إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم فى خدمته، ودقت البشائر. وحلف القضاة له جميع العسكر، وخلع على سائر أهل الدولة، وخطب له

بولاية العهد واستقر على قاعدة أخيه الصالح على، وكتب بذلك إلى سائر البلاد، وكتب له تقليد فتوقف السلطان من الكتابة عليه.

وفى ثانى شهر رمضان: استقر فى حسبة دمشق شمس الدين محمد بن السلموس، عوضًا عن ابن السيرجى.

وفى رابع شوال: استقر بدر الدين محمد بن جماعة[١] خطيبًا بالقدس، عوضًا عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشى القدسى، بحكم وفاته، وكانت ذلك بعناية الأمير علم الدين سنجر الدواداری، لصحبة بينهما.

واستقر فى تدريس القيمرية بدمشق عوضًا عن ابن جماعة علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز فى سابع عشره.

وفى ذى الحجة: استقر علم الدين سنجر المسرورى فى ولاية البهنسا، وولى معه عز الدين مقدام نَظَرَها، واستقر قاضى القضاة جمال الدين[...][٢] الزواوى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى هذه السنة: ورد كتاب نائب الشام بأن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم، وصار بأيديهم عدة أسرى. وكانوا لما مَلَكَ السلطان قلعة المرقب قد بعثوا إليه هدية، وصالحوه على ألا يتركوا عندهم أسيرًا، ولا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر، فتجهز السلطان لأخذ طرابلس.

وفيها قدم الشريف جماز بن شيحة من المدينة النبوية ومَلَكَ مكة، فجاء الشريف أبو نمى فى آخر السنة وملكها منه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وقد أناف على الثلاثين، فى رابع شعبان.

---

(١) ابن جماعة (٨٣٣-بعد ٩٠١هـ=١٤٢٩-بعد١٤٩٦م) محمد بن إبراهيم بن عبد الله، أبو البقاء، نجم الدين بن جماعة المقدسى الشافعى. فقيه، تزيد شيوخه على (٣٠٠) استقر فى مشيخة الصلاحية ببيت المقدس. وخطب بالأقصى وحدث وأفتى وصنف كتبا، منها «الدر النظيم فى أخبار موسى الكليم»، و«النجم اللامع»، «شرح جمع الجوامع» لابن السبكى. نظر الضوء ٢٥٥/٦، الكواكب ٢٥/١ الأعلام ٣٠١/٥.

(٢) بياض فى الأصل.

وتوفى تقى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى الشافعى، عن سبع وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى المجد أبو المعالى محمد بن خالد بن حمدون الهذبانى الحموى الزاهد المحدث، عن ثمانين سنة بحلب، قدم القاهرة.

وتوفى خطيب القدس قطب الدين أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر القرشى الزهرى، وقد أناف على الثمانين.

وتوفى البرهان أبو عبد الله محمد بن محمد النسفى الحنفى، ببغداد عن نحو تسعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى الشافعى المحدث، عن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة النبوية.

وتوفى الأديب الشاعر ناصر الدين أبو محمد الحسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكنانى[1]، وقد أناف على سبعين سنة، بالقاهرة.

وتوفى الحكم علاء الدين أبو الحسن على بن أبى الحزم ابن النفيس القرشى الدمشقى رئيس الأطباء، عن نحو ثمانين سنة بالقاهرة.

* * *

(١) ابن النقيب (٦٨٧هـ=١٢٨٨م) أحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن بن النقيب الكنانى، ناصر الدين، المعروف بالنفيسى: شاعر، من أفاضل مصر. له «ديوان مقاطيع» فى مجلدين، وكتاب «منازل الأحباب ومنارة الألباب» مجلدان وشعره عذب. انظر فوات الوفيات ١١٨/١. الأعلام ٢/١٩٣.

سنة ثمان وثمانين وستمائة

في يوم الخميس عاشر المحرم: خيم السلطان بظاهر القاهرة، ورحل في خامس عشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلا بالقلعة، والأمير بيدرا نائبًا عنه ووزيرًا، وكتب عند الرحيل إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس.

وسار إلى دمش فدخلها في ثالث عشر صفر، وخرج منها في العشرين منه إلى طرابلس فنانزلها، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوان من جهة متملك قبرص.

فوالى السلطان الرمى بالمجانيق عليها والزحف والنقوب في الأسوار، حتى افتتحها عنوة في السلعة السابعة من يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، بعدما أقام عليها أربعة وثلاثين يومًا، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقًا، وعمل فيها ألف وخمسمائة نفس من الحجارين والزرافين. وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس، فخاض الناس فرسانًا ورجالا وأسروهما وقتلوهم وغنموا ما معهم، وظفر الغلمان والأوشاقية بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زردخاناه السلطان ألف ومائتا أسير.

واستشهد من المسلمين الأمير عز الدين معن، والأمير ركن الدين منكورس الفارقاني، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة.

وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت، وكان عرض سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالخيل، ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نول قزازاة.

وأقر السلطان بلدة جبيل مع صاحبها على مال أخذه منه، وأخذ بيروت وجبلة وما حولها من الحصون.

وعاد السلطان إلى دمشق في نصف جمادى الأولى، واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي.

ونزل البزك إلى طرابلس من حصن الأكراد وأضيف إلى الطباخي، واستقر معه خمسمائة جندى وعشرة أمراء طبلخاناه، وخمسة عشر أمراء عشرات، وأقطعوا إقطاعات. ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينة جليلة، وهي التي تعرف اليوم بطرابلس.

وقدم على السلطان وهو بطرابلس رسل سيس يسألون مراحمه، فطلب منهم مرعش وبهنا والقيام بالقطيعة على العادة، وأعادهم وقد خلع عليهم.

وخرج الأمير طرنطاى نائب السلطنة إلى حلب. وأقام الأمير سنجر الشجاعى متحدثًا فى الأموال بدمشق، فأوقع الحوطة على تقى الدين توبة، وأخذ حواصله وباعها على الناس بأغلى الأثمان حتى جمع من ذلك خمسمائة ألف درهم، فخاف منه الناس وفر كثير. منهم وعاد طرنطاى فى سابع رجب.

وورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامش وخضرا ابنى السلطان الظاهر بيبرس قد راسلا الظاهرية، وأنه يخشى عاقبة ذلك. فكتب السلطان بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية، ويحملوا فى البحر إلى بلاد الأشكرى، فأخرجوا ليلا.

وكان فى ذلك أعظم عبرة: فإن الظاهر بيبرس أخرج قاقان وعليا ابنى المعز أيبك إلى بلاد الأشكرى ومعهما أمهما، فعوقب بمثل ذلك وأخرج ولداه وأمهما ليجزى الله كل نفس بما كسبت.

وخرج السلطان من دمشق فى ثانى شعبان، ومعه تقى الدين توبة مقيدًا، وقد نال أهل دمشق ضرر كبير.

فدخل السلطان قلعة الجبل فى آخر شعبان، وجرد الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندرا إلى بلاد النوبة، ومعه من الأمراء قبجاق المنصورى وبكتمر الجوكندار وأيدمر والى قوص، وأطلاب كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى ونواب الولاة، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف راجل، ومعهم متملك النوبة وجريس فساروا فى ثامن شوال، وصحبتهم خمسمائة مركب ما بين حراريق ومراكب كبار وصغار تحمل الزاد والسلاح والأثقال. فلما وصلوا ثغر أسوان مات متملك النوبة، فدفن بأسوان. فطالع الأمير عز الدين الأفرم السلطان بموته، فجهز إليه من أولاد أخت الملك داود رجلا كان بالقاهرة ليملكه، فأدرك العسكر على خيل البريد بأسوان وسار معه. وقد انقسموا نصفين: أحدهما الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق فى نصف العسكر من الترك والعرب فى البر الغربى، وسار الأمير أيدمر والى قوص والأمير بكتمر بالبقية على البر الشرقى، وتقدمهم جريش نائب ملك النوبة ومعه أولاد الكنز ليؤمن أهل البلاد ويجهز الإقامات. فكان العسكر إذا قدم إلى بلد خرج إليه المشايخ والأعيان، وقبلوا الأرض وأخذوا الأمان وعادوا، وذلك من بلد الدو إلى جزائر ميكائيل، وهى ولاية جريس وأما ما عدا ذلك من البلاد التى لم يكن لجريس عليها

ولاية، من جزائر ميكائيل إلى دمقلة، فإن أهلها جلوا عنها طاعة لمتملك النوبة. فنهبها العسكر وقتلوا من وجدوه بها، ورعوا الزروع وخربوا السواقى إلى أن وصلوا مدينة دمقلة، فوجدوا الملك قد أخلاها حتى لم يسبق بها سوى شيخ واحد عجوز، فأخبرا أن الملك نزل بجزيرة فى بحر النيل بعدها عن دمقلة خمسة عشر يومًا. فتتبعه والى قوص، ولم يقدر مركب على سلوك النيل هناك لتوعر النيل بالأحجار. وقال فى ذلك الأديب ناصر الدين بن النقيب، وكان ممن جرد إليها:

يا يوم دمقلة ويوم عبيدها ... من كل ناحية وكل مكان
من كل نوبى يقول لأخته ... نوحى فقد سكوا قفا السودان

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

كاتب الإنشاء بحماة نجم الدين أبو محمد عبد الغفار بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن المغيزل العبدى الحموى بها، عن أربع وستين سنة.

وتوفى العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الأصبهانى، عن اثنين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شمس الدين محمد بن العفيف أبى الربيع سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى التلمسانى.

وتوفى علم الدين أبو العباس أحمد بن يوسف عبد الله بن على الشهير بابن الصاحب صفى الدين بن شكر، بعدما تغير عقله، وقد أناف على الستين.

* * *

سنة تسع وثمانين وستمائة

فى المحرم: سار الأمير طرنطاى النائب إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر كبير، فوصل إلى طوخ تجاه قوص، وقتل جماعة من العربان، وحرق كثيرًا منهم بالنار، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحا ورهائن من أكابرهم. وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس وألف جمل، وسلاح لا يقع عليه حصر.

وفيه توجه الأمير سيف الدين التقوى ومعه ستمائة فارس لينزل بطرابلس وهو أول جيش استخدم بطرابلس بعد فتحها، وكان العسكر قبل ذلك بالحصون.

وفى ربيع الأول استدعى الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق إلى القاهرة على البريد، فلما حضر أكرمه السلطان وأكد عليه فى تحصيل الأموال، وأضاف إليه الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل وديوان الجيش، وخلع عليه. فعاد إلى دمشق فى العشرين من ربيع الآخر، وقد زاد تجبره وكثر تعاظمه.

وفى جمادى الأولى: قبض على الأمير سيف الدين جرمك الناصرى لمطاوصة جرت بينه وبين الأمير طرنطاى النائب، أغلظ عليه فيها بحضرة الأمراء.

وفى أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين حسن بن أحمد بن أبى عمر بن قدامه المقدسى فى قضاة الحنابلة بدمشق، بعد وفاة قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن القدسى الحنبلى، بأمر السلطان. وكتب توقيعه عن الأمير حسام الدين نائب الشام، فى تاسع الشهر.

وفيه وصل والى قوص بمن معه إلى تجاه الجزيرة التى بها سمامون ملك النوبة، فرأوا بها عدة من مراكب النوبة، فبعثوا إليه فى الدخول فى الطاعة وأمنوه فلم يقبل. فأقام العسكر تجاهه ثلاثة أيام، فخاف من مجىء الحراريق والمراكب إليه، فانهزم إلى جهة الأبواب، وهى خارجة عن مملكته وبينها وبين الجزيرة التى كان فيها ثلاثة أيام. ففارقة السواكرة وهم الأمراء وفارقه الأسقف والقسوس، ومعهم الصليب الفضة الذى كان يحمل على رأس الملك وتاج الملك، وسألوا الأمان فأمنهم والى قوص وخلع على أكابرهم، وعادوا إلى مدينة دمقلة وهم جمع كبير.

فعند وصولهم عدى الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق إلى البر الشرقى، وأقام العسكر

مكانه. واجتمع الأمراء بدمقلة، ولبس العسكر آلة الحرب وطلّبوا من الجانبين، وزينت الحراريق فى البحر ولعب الزراقون بالنفلط. ومد الأمراء السماط فى كنيسة أسوس أكبر كنائس دمقلة وأكلوا، ثم ملّكوا الرجل الذى بعثه السلطان قلاوون وألبسوه التاج، وحلفوا وسائر الأكابر، وقرروا البقط المستقر أولا، وعينوا طائفة من العسكر تقيم عندهم وعليها بيبرس العزى مملوك الأمير عز الدين والى قوص. وعاد العسكر إلى أسوان بعدما غاب عنها ستة أشهر، وساروا إلى القاهرة فى آخر جمادى الأولى بغنائم كثيرة. وأما سمامون فإنه عاد بعد رجوع العسكر إلى دمقلة مختفيًا، وصار بطريق باب كل واحد من السواكرة ويستدعيه، فإذا خرج ورآه قبل له الأرض وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه سائر عسكره. وزحف سمامون بعسكره على دار الملك، وأخرج بيبرس العزى ومن معه إلى قوص، وقبض على الذى تملك موضعه وعراه من ثيابه، وألبسه جلد ثور كما ذبح بعدما قدَّه سيورًا ولفها عليه، ثم أقامه مع خشبة وتركه حتى مات، وقتل جريس أيضًا. وكتب سمامون إلى السلطان يسأله العفو، وأنه يقوم بالبقط المقرر وزيادة، وبعث رقيقًا وغيره تقدمة فقبل منه، وأقره السلطان بعد ذلك بالنوبة.

وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة: كتب بالكشف على ناصر الدين بن المقدسى وكيل السلطان بالشام، فظهرت له أفعال منكرة، وقبض عليه فى تاسع رجب وضرب بالقارع وألزم بمال. ثم رسم بحمله إلى القاهرة، فوجد فى يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شنق نفسه، فحضر أولياء والقضاء والشهود وشاهدوه على تلك الصورة، وكتبوا محضرًا بذلك، ودفن واستراح الناس من شره.

وفى رابع رجب: استقر الأمير عز الدين أيبك الموصلى فى تقدمة العسكر بغزة والساحل، عوضًا عن الأمير آقسنقر كرتيه.

وفى شعبان: خرج مرسوم السلطان ألا يستخدم أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى فى شىء من المباشرات الديوانية، فصرفوا عنها.

وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم، فغضب السلطان وكتب إلى البلاد الشامية بعمل مجانيق وتجهيز زردخاناة لحصار عكا. وذلك أن الظاهر بيبرس هادنهم، فحملوا إليه وإلى الملك المنصور هديتهم فى كل سنة، ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار، فأخرج لهم السلطان الأمير شمس الدين سنقر المساح على عسكر، ونزلوا اللجون على العادة فى كل سنة، فإذا بفرسان من الفرنج بعكا قد خرجت

فحاربوهم، واستمرت الحرب بينهم وبين أهل عكا مدة أيام. وكتب إلى السطان بذلك، فأخذ فى الاستعداد لحربهم. فشرع الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى عمل ذلك، وقرر على ضياع المرج وغوطة .دمشق مالاً على كل رجل ما بين ألفى درهم إلى خمسمائة درهم، وجبى أيضًا من ضياع بعلبك والبقاع. وسار إلى واد بين جبال عكا وبعلبك لقطع أخشاب المجانيق، فسقط عليه ثلج عظيم كاد أن يهلكه، فركب وساق وترك أثقاله وخيامه لينجو بنفسه، فطمها الثلج تحته إلى زمن الصيف، فتلف أكثرها.

وفى سادس شوال: أفرج عن الأمير الكبير علم الدين سنجر الحلبى، فكانت مدة اعتقاله خمس سنين وتسعة أشهر وأيامًا.

وفى آخر شوال: برز السلطان بظاهر القاهرة، ونزل بمخيمه بمسجد تبر، يريد فتح عكا. فأصابه وعك فى أول ليلة وأقام يومين بغير ركوب، ثم اشتد مرضه وصار الأشرف ينزل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود. فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخبر بحركة العرب ببلاد الصعيد، فأخرج النائب طرنطاى قراقوش الظاهرى والأمير[..(١)..] أبا شامة لتدارك ذلك. واشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة فى ليلة السبت سادس ذى القعدة، فحمل إلى القلعة ليلاً، وعادت الأمراء إلى بيوتها. وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يومًا، وعمره نحو سبعين سنة. وترك ثلاثة أولاد ذكورًا اشهر وأيامًا: وهم الملك الأشرف خليل الذى ملك بعده، والملك الناصر محمد وملك أيضًا، والأمير أحمد وقد مات فى سلطنة أخيه الأشرف. وترك من البنات ابنتين: وهما ألتطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر، وزوجة واحدة وهى أم الناصر محمد. وناب عنه بمصر الأمير عز الدين أيبك الأفرم ثم استعفى، فاستقر بعده حسام الدين طرنطاى حتى مات السلطان. وكان نائبة بدمشق بعد سنقر الأشقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المعروف بالصغير، ونوابه بحلب الأمير جمال الدين أقش الشمسى، فلما مات جمال الدين استقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى، وصرف بالأمير قراسنقر الجوكندار. وناب عنه بحصن الأكراد بلبان الطباخى، وبصفد علاء الدين الكبكى، وبالكرك أيبك الموصلى ثم بيبرس الدودار. ووزر له الصاحب برهان الدين خضر السنجارى مرتين، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان، ونجم الدين حمزة الأصفونى، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وكان يلى شد الدواوين. فإذا لم يكن فى الدولة وزير تحدث فى الوزارة، ثم استقل بالوزارة بعد

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

الأصفوانى، وكان جبارًا عسوفًا مهيبًا يجمع المال من غير وجهه، فكرهه كل أحد وتمنوا زوال دولة المنصور من أجله ثم الأمير بدر الدين بيدرا، ومات المنصور وبيدرا وزير. وبلغت عدة مماليكه اثنا عشر ألف مملوك، وقيل سبعة آلاف وهو الصحيح. تأمر منهم كثير، وتسلطنت جماعة. وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس، وجعلهم فى أبراج القلعة وسماهم البرجية. وكان جميل الصورة مهيبًا، عريض المنكبين قصير العنق، فصيحًا بلغة الترك والقبجاق، قليل المعرفة بالعربية.

* * *

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة، وجدد العسكر له الحلف فى يوم الإثنين ثامنه.

وطلب السلطان الملك الأشرف من القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية العهد، فأخرجه إليه مكتوبا بغير علامة الملك المنصور. وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض، وتكرر طلب الأشرف له، وابن عبد الظاهر يقدمه والمنصور يمتنع إلى أن قال له: «يا فتح الدين أنا ما أولى خليلا على المسلمين» فلما رأى الأشرف التقليد بغير علامة قال: «يا فتح الدين إن السلطان امتنع أن يعطينى، وقد أعطانى الله»، ورمى إليه التقليد، فمازال عند ابن عبد الظاهر.

ثم إن الأشرف خلع على سائر أرباب الدولة، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة ثانى عشره بعد الصلاة، وسير إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق الخيل والأمراء والعساكر فى خدمته. وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعا، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاى يريد الفتك به إذا قرب من باب الإصطبل. فلما سير أربعة ميادين، وقد وقف طرنطاى ومن وافقه عند باب سارية، وحاذى السلطان باب الإسطبل، وفى الظن أنه يعطف إلى نحو باب سارية ليكمل التيسير على العادة، حرك فرسه يريد القلعة وعبر من باب الإسطبل، فساق طرنطاى بمن معه سوقا حثيثا ليدركه ففاته. وبادر الأشرف بطلب طرناى، فمنعه الأمير زين الدين كتبغا أن يدخل إليه وحذره منه، فقال: «والله لو كنت نائمًا ما جسر خليل ينبهنى»، وغره إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته، ودخل ومعه الأمير زين الدين كتبغا. فعندما وصل إلى حضرة الأشرف قبض عليه وعلى كتبغا وسجنا، وقتل طرنطاى فى يوم الإثنين خامس عشره

وقيل يوم الخميس ثامن عشره بعد عقوبة شديدة، وترك بعد قتله فى مجلسه ثمانية أيام، ثم أخرج ليلة الجمعة سادس عشريه فى حصير على جنوية إلى القرافة، فغسل بزاوية أبى السعود وكفنه شيخنا صدقة عنه، ودفنه بظاهر الزاوية ليلا. فلما تسلطن كتبغا نقله إلى مدرسته بالقاهرة ودفنه بها، وهو إلى اليوم هناك.

وكان سبب قتله كراهة الأشرف له من أيام أبيه، فإن طرنطاى كان يطرح جانب الشرف، ويهين نوابه ومن ينسب إليه، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه. ولم يتلاف ذلك بعد موت الصالح، بل جرى على عادته فى إهانة من ينسب إليه، وأغرى الملك المنصور بشمس الدين السلعوس ناظر ديوان الملك الأشرف حتى ضربه وصرفه. ثم وشى به إلى الأشرف أنه يريد القبض عليه عند ركوبه إلى الميدان، ويقال إنه لما دخل عليه وجد لابسًا عدة الحرب، وعندما قبض على طرنطاى نزل الشجاعى ـ وكان عدوه- إلى داره، وأوقع الحوطة على موجوده، فوجد له من الذهب العين ألف ألف وستمائة ألف دينار مصرية، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى، ومن العدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال، والآلات والأملاك والنحاس المُكفَّت والمطعَّم والزردخاناه والسروج واللجم، وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه، والحوائص والبضائع والمقارضات والودائع، والقنود والأعسال ما لا يحصر.

ولما حملت أموال طرنطاى إلى الأشرف قال: «من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى»، وبعد أيام من مقتل طرنطاى سئل ولده الحضور، فلما وقف بين يدى الأشرف إذا هو أعمى، فبكى ومد يده كهيئة السؤال وقال: «شىء » وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون، فرق له السلطان، وأفرج عن أملاك طرنطاى، وقال: «تبلغوا بريعها».

وفيه ولى شرف الدين الحسين بن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد موت نجم الدين أحمد بن قدامة، وتحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى النيابة بعد طرنطاى، من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له تقليد النيابة، ثم استقر فى نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا، وخلع عليه.

وفى تاسع عشر ذى القعدة: طلب الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بالشام، فحضر فى ذى الحجة، فأمر الأشرف بضربه فعوقب مرارًا. واستقر عوضه سيف الدين طوغان المنصورى، وأعيد تقى الدين توبة إلى وزارة الشام، فأوقع الحوطة على موجود سنقر الأعسر.

وفيه أحضر الأمير بدر الدين بكتوت العلائى من حمص إلى القاهرة، وتوجه الأمير حسام الدين سنقر الحسامى بتقليد الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام واستمراره على عادته، فوصل فى ثامن عشره.

وفى هذه السنة: أكثر السلطان من تفرقة الأموال، وأبطل عدة حوادث، ومنها ما كان قد تجدد على الغلة ببلاد الشام، وسامح ما تأخر من البواقى بأرض مصر والشام.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قاضى الحنابلة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، عن نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفى رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل ابن مسعود الفارقانى الشافعى، عن تسعين سنة، خارج دمشق مخنوقا.

وتوفى عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميرى الديرينى الشافعى.

وتوفى فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن عز القضاة، بدمشق عن ستين سنة.

وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى بكر بن المحدث الرسعنى الحنبلى، غريقًا بنهر الأردن، وهو عائد من مصر لدمشق، عن ثمان وستين سنة.

وفيها كانت حرب بين أمير الركب الفارقانى وبين أهل مكة عند ورود الثنية، قتل فيه رجل من بنى حسن، ثم قدم أبو خرص يبشر بسلطة الأشرف خليل، فكانت وقعة أخرى بعد الحج، فبادر الحجاج إلى الرحيل وخرجوا سالمين.

* * *

سنة تسعين وستمائة

فى سادس المحرم: أفرج عن الملك العزيز فخر الدين عثمان بن المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس فى رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين، فأقام فى الاعتقال عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما، ورتب الأشرف له ما يقوم بحاله، ولزم داره واشتغل بالمطالعة والنسخ، وانقطع عن السعى إلا للجمعة أو الحمام أو ضرورة لابد منها.

وفيه كتب الأشرف إلى شمس الدين محمد بن السلعوس وهو بالحجاز كتابا، وكتب بخطه بين الأسطر: «يا شقير يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا»، فلما أتاه الكتاب وهو عائد من الحج انضم الناس إليه، وتوددوا له وبالغوا فى إكرامه، حتى وصل قلعة الجبل يوم عاشوراء.

وكان الأمير سنجر الشجاعى قد تحدث فى الوزارة منذ تسلطن الأشرف، من غير أن يخلع عليه ولا كتب له تقليدًا، فلما كان يوم الخميس ثانى عشره استقر ابن السلعوس فى الوزارة، وخلع عليه وفوض إليه سائر أمور الدولة، وجرد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون فى خدمته ويترجلون فى ركابه، ويقفون بين يديه ويمتثلون أمره فتمكن تمكنًا لم يتمكنه وزير قبله فى الدولة التركية، وصار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه نظار الدولة ومشد الدواوين ووالى القاهرة ومصر، ومستوفو الدولة ونظار الجهات ومشدو المعاملات، ونحوهم من الأعيان، ثم يحضر قضاة القضاة الأربعة وأتباعهم فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال: «أعز الله مولانا الصاحب، قد تكمَّل الموكب»، كان علامة تكملة الموكب ببابه حضور القضاة الأربعة، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم ومقربهم إليه قاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة المالكى، ومسيرهما معًا بين يديه أمام فرسه، وقدام المذكورين قاضى القضاة الحنفى وقاضى القضاة الحنبلى، ثم نظار الدولة ثم المستوفون بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم، فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من قلعة الجبل فينصرف القضاة، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة، ويركبون معه إلى أن يصل داره.

واتفق ليلة أنه تأخر فى القلعة إلى عشاء الآخرة وأغلق باب القلعة، فانقلب الموكب إلى جهة باب الإسطبل، ووقف القضاة على بغلاتهم بظاهر باب الاسطبل حتى خرج

وساروا فى خدمته إلى داره ولم يجسر أحد أن يتأخر قط عن الركوب فى موكبه، وكان مع ذلك لا ينتصب قائمًا لأحد، ولما عظم موكبه وصار الأكابر يزدحمون فى طول الشارع بالقاهرة، ويضيق بهم لكثرة من معه، وتزدحم الغلمان أيضًا، تحول من القاهرة وسكن بالقرافة، وتعاظم فى نفسه واستخف بالناس، وتعدى طور الوزراء، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائمًا لأحد منهم، ومنهم من لا يلتفت إليه، وإذا استدعى أميرًا قال: «فلان أمير جاندار، أو فلان الأستادار» باسمه من غير نعته، ثم ترقى حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا، وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه.

واتفق أنه قام يوما من مجلس الوزارة بالقلعة يريد الدخول إلى الخزانة، فصادف خروج الأمراء من الخدمة مع النائب بيدرا، فبادر الأمراء الأكابر إليه وخدموه وقبل بعضهم يده، وفسحوا بأجمعهم له وهموا بالمشى قدامه، فأشار إليهم أن ينصرفوا، فلما وطئ عتبة باب القلعة برجله وافى هناك الأمير بيدرا، وسلم كل منهما على الآخر وأومأ بالخدمة، إلا أن النائب بيدرا خدم الوزير أكثر مما خدمه الوزير، فرجع بيدرا معه ولم يكن يسامته فى المشى، بل كان النائب يتقدم قليلا ويميل بوجهه إليه إذا حدثه الوزير، حتى انتهيا إلى باب الخزانة، فأمسك ابن السلعوس بيد بيدرا النائب، وأشار إليه بالرجوع، وقال: «بسم الله يا أمير بدر الدين» ولم يزده على ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل عكا يسألون العفو، فلم يقبل منهم ما اعتذروا به، وقدم أمراء العربان من كل جهة: فقدم الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل[1] وسابق الدين عبية أمير بنى عقبة، وقدما التقادم، فأنعم عليهم جميعًا وأعيدوا، وقدم الملك المظفر صاحب حماة، فحمل إليه ما جرت به العادة، وكتب تقليده.

وفى يوم الجمعة سابع صفر: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير جرمك الناصرى، وعُدَّ على سنقر الأشقر أنه أفشى سر طرنطاى حتى قبض عليه، بعدما أحسن إليه طرنطاى غاية الإحسان، ومنع الملك المنصور من القبض عليه مرارًا، فلم يرع له ذلك.

وفيه أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته، وأنعم عليه إنعاما زائدًا.

---

(١) مهنا الثانى: بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى، حسام الدين، من آل فضل ويلقب بسلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب «تدمر» توفى سنة ٧٣٥هـ. انظر ابن خلدون ٤٣٨/٥.وصبح الأعشى ٢٠٦/٤.والدرر الكامنة ٣٦٨/٤، ٣٧٠.والبداية والنهاية ١٧٢/١٤.وغربال الزمان وعشائر الشام ١٠١/١، ١٠٤.والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

وفي هذا الشهر: شرع السلطان فى الاهتمام بفتح عكا، وبعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار إلى الشام لتجهيز أعواد المجانيق، فقدم دمشق فى سلخه وجهزت أعواد المجانيق من دمشق، وبرزت فى أول ربيع الأول وتكاملت فى ثانى عشره، وسار بها الأمير علم الدين سنجر الدوادارى أحد أمراء الشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمى الألوف، فتوجه كل أمير ومضافيه بما أمر بنقله منها، وتوجه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بالجيش من دمشق فى العشرين منه، وخرج من القاهرة الأمير سيف الدين طغريل الأيغانى إلى استنفار الناس من الحصون بممالك الشام: فوصل المظفر صاحب حماة إلى دمشق فى ثالث عشريه، بعسكره وبمجانيق وزردخاناه، ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس، وبالمجانيق والزردخاناه فى رابع عشريه، وسار جميع النواب بالعساكر إلى عكا.

وأما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا، أمر فجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية، بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه، فى ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر، فباتوا هناك وعمل مهم عظيم، وحضر الأشرف بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية، وتصدق بجملة كبيرة من المال والكساوى، وفرق على القراء والفقراء مالاً كثيرًا، وفرق فى أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثيابا، وعاد إلى القلعة.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول: توجه السلطان بالعساكر يريد أخذ عكا، وسير حريمه إلى دمشق فوصلوا إليها فى سابع ربيع الآخر، وسار السلطان فنزل عكا فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، ووصلت المجانيق يوم ثانى وصوله وعدتها اثنان وتسعون منجنيقًا، فتكامل نصبها فى أربعة أيام، وأقيمت الستائر ووقع الحصار، وقد أتت جمائع الفرنج إلى عكا أرسالاً من البحر، صار بها عالم كبير، فاستمر الحصار إلى سادس عشر جمادى الأولى، وكثرت النقوب بأسوار عكا، فلما كان يوم الجمعة سابع عشره عزم السلطان على الزحف، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا، وهرب الفرنج فى البحر وهلك منهم خلق كثير فى الازدحام، والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصى عدُّه كثرة، وأخذوا من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف، وكان عند فتحها أن أقبل من الفرنج نحو عشرة آلاف فى هيئة مستأمنين، ففرقهم السلطان على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم.

وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوما، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ودفن بجلجولية، وعز الدين أيبك العزى نقيب العساكر، وسيف الدين أقش الغتمى، وبدر الدين بيليك المسعودى، وشرف الدين قيران السكزى، وأربعة من مقدمى الحلقة وجماعة من العسكر.

وفى يوم السبت ثامن عشره: وقع الهدم فى مدينة عكا، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت، وحمل كثير من الأسرى بها إلى الحصون الإسلامية.

وفتحت صور[١] وحيفا[٢] وعثليث[٣] وبعض صيدا بغير قتال، و فر أهلها خوفا على أنفسهم، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى بقية جمادى الأولى، فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور فى تاسع عشره، وبتسليم صيدا[٤] فى العشرين منه، وأن طائفة من الفرنج عصوا فى برج منها، فأمر السلطان بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا، فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار ابن الجمقدار فى حادى عشريه لهدم صور، واتفق أمر عجيب: وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا واليًا عليها من قبل المصريين، فباع صور للفرنج بمال، وصار إلى دمشق، فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجمقدار[٥] واتفق أيضًا أن الشيخ [شرف الدين][٦] البوصيرى رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلا ينشده:

قد أخذ المسلمون عكا	وأشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا إليهم	خيلا تدك الجبال دكا
وأقسم الترك منذ سارت	لا تركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها، لم يدع فى بقية الساحل أحدًا من الفرنج، وقال محيى الدين بن عبد الظاهر فى ذلك:

---

(١) مدينة مشهورة على بحر الشام. انظر، معجم البلدان ٤٣٣/٣.

(٢) حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. انظر، معجم البلدان ٣٣٢/٢.

(٣) اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. انظر، معجم البلدان ٨٥/٤.

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ. انظر، معجم البلدان ٤٣٧/٣.

(٥) الجمقدار: هو الشخص الذى يمشى فى المواكب السلطانية عن يمين السلطان ويحمل دبوسا له رأس ضخم مذهب.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

يا بنى الأصفر[١] قد حل بكم نقمـــة الله التـــى لا تنفصـــل
قـد نـزل الأشرف فى ساحلكـم فـأبشروا منـه بصفـع متصـــل

وقد أكثر الشعراء فى ذكر هذا الفتح، وقال الشهاب محمود الحلبى كاتب الإنشاء لما عاين فى جوانب عكا، وقد تساقطت أركانها:

مـررت بعكـا بعد تخريب سورهـا وزند أوار النار فى وسطـها وارى
وعاينتها بعد التنصر قـد غـــدت مجوسية الأبـــراج تسجـد للنـــار

وقال ابن ضامن الضبع بعكا:

أدمى الكنـائس إن تكـن عبثت بكـم شـم الأنـوف جحـاجح أبطـال
فلطالمـا سـجدت لكــن فـوارض الليـــالى أو تغـــير حـــال
فعزاء عـــن هـــذا المصـاب فإنـه يـوم بيـوم والحـروب ســجال
هـــذا بـــذاك ولا نعـــير دهـرنا ولكــل دهـر دولـــة ورجـــال

وفى هذه المدة وشى الأمـير علـم الديـن سنجر الحموى المعروف بـأبى خـرص إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام، ثم أوهـم لاجين بـأن السلطان يريـد القبض عليه، فركب لاجين من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار، فساق خلفـه الأمـير علـم الدين سنجر الدواداري وأدركه، وقال له: «بالله لا تكن السـبب فـى هـلاك المسلمين، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا، وإن بلغ الفرنـج فـرارك، وأن العسكر قـد ركـب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار» فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ السـلطان، وكـان ذلك فى ثامن جمادى الأولى، فلمـا كـان فـى صبيحـة هـذه الليلـة خلـع السـلطان عليـه وطيب خاطره، ثم قبض عليه فى ثانى يوم الخلعة، وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعـة الجبل بمصر.

ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلهـا فـى ثـانى عشـر جمـادى الآخـرة، وقـد زينـت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما.

وفيه استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فـى نيابـة دمشـق، وزاد السـلطان فـى إقطاعه وراتبه عما كان لنواب الشام، وأذن له أن يطلـق مـن الخزائـن مـا أراد مـن غـير مشاورة، وجعل له فى كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطعـم[٢]، واسـتقر أيضًـا الأمـير

---

(١) يقصد بهم الدولتين الرومانية والبيزنطية.

(٢) كانت هذه الدار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية. وكان لها مشد يوليه نائب دمشـق مـن-

جمال الدين أقش الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضًا عن ركن الدين بيبرس، ونقل بيبرس إلى إمرة بمصر، وقبض أيضًا على الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق، وضرب بحضرة السلطان ضربًا كثيرًا، وألبس عباءة[1] واستعمل مع الأسرى فى العمل، وأخرق به وأهين إلى الغاية، ووقعت الحوطة على موجوده، ثم حبس بالقلعة، ثم حمل على البريد إلى مصر، ثم رد من أثناء الطريق بشفاعة بعض الأمراء وأفرج عنه، ثم أعيد لنيابة القلعة، وسبب هذا أن الأمير شرف الدين بن الخطير كان يمزح بحضرة السلطان مع الأمراء، ويومئ إليه السلطان بذلك فيحتمل منه ما يتكلم به، وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن المجون، فقال له ابن الخطير وهو واقف بين يدى الأشرف: «يا مولانا السلطان! كان عند والدك الملوك ببلاد الروم حمار أشهب أعور، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين أرجواش» فضحك الأشرف، وغضب أرجواش وقال: «هذه صبيانية» فحنق منه الأشرف وعمل ما ذكر.

وفى ثامن عشره: عزل طوغان عن شد الدواوين بدمشق، وعيد إلى ولاية البر، واستقر سنقر الأعسر فى شد الدواوين بدمشق.

وفى ثانى رجب: عزل تقى الدين توبة عن وزارة دمشق، واستقر فيها محيى الدين ابن النحاس، ومنع أن يقال له وزير ولكن ناظر الشام.

وفى ثامن عشره: استقر شرف الدين أحمد بن عيسى بن السيرجى فى حسبة دمشق، وعزل تاج الدين بن الشيرازى.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: سار السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل إلى القاهرة من باب النصر فى بكرة يوم الإثنين تاسع شعبان، وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زينت قبل وصوله بأيام، فكانت زينة لم يسمع بمثلها، وكثر سرور الناس ولعبهم.

وكان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام قد سار فى رابع رجب إلى صيدا، وحاصر البرج حتى فتحه فى خامس عشره، وعاد إلى دمشق يوم رحيل السلطان منها، ثم توجه إلى بيروت، فتلقاه أهلها طائعين فنزل بقلعتها، وقبض على الرجال وقيدهم وألقاهم فى الخندق، وافتتحها فى ثالث عشرى رجب، وعاد إلى دمشق فى سابع عشرى رمضان، ولم يبق فى جميع الساحل من الفرنج أحد.

=بين أمراء العشرات. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ١٨٧/٤.

(١) العباءة: كساء واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب.

وفى شعبان: أوقف الملك الأشرف على القبة المنصورية بين القصرين من قرى عكا الكابرة وتل الميشوح وكردانة، ومن ساحل صور معركة وصريفين، وأوقف أيضًا على المدرسة الأشرفية بجوار السيدة نفيسة قرية الفرح من عكا، وقرية شعر عمر وقرية الحمراء منها، ومن ساحل صور قرية طبرية.

وفى ثامن عشره: أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد اعتقله فى أوائل دولته كما تقدم ذكره، فأفرج الأشرف عنه، وكتب إفراجه وجعل فى كيس حرير أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه به إلى الجب[1] الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء، وأخرجوه وقرءوا عليه الإفراج، وأحضروا تشريفة وهموا بكسر قيده، فقال: «لا يفك القيد من رجلى، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدى السلطان» وصمم على ذلك فأعلم السلطان به، فأمر بإحضاره بعد فك قيده وهو بملبوسه الذى عليه فى الجب، فكسر حينئذ قيده ومشى إلى السلطان، فلما عاينه قام إليه وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه بجانبه، وأنعم عليه بالأموال وأنواع الثياب، وأعطاه فى مجلسه إمرة مائة فارس، وعين له إقطاعا وافرا: منه منية بنى خصيب[2] دربستا[3] بجواليها ومواريثها الحشرية[4] ونزل إلى داره، فصار ينتسب إلى الملك الأشرف ويكتب بيسرى الأشرفى، بعدما كان يكتب الشمسى.

وفى رابع رمضان: أفرج عن الأمير الدين شمس سنقر الأشقر، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير شمس الدين سنقر الطويل، وأمروا على عادتهم، وقبض على الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بدمشق، وحمل إلى قلعة الجبل مقيدا، فوصل فى سابع عشره.

وفى هذا الشهر: عزم السلطان على صرف قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز عن وظيفة القضاء وسائر ما بيده من المناصب ، بكثرة حط الوزير ابن السلعوس عليه.

وخرج البريد فى يوم تاسع رمضان بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله

---

(١) بئر بقلعة الجبل.

(٢) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٣) لفظ ديوانى فارسى معناه كاملا.

(٤) هى ما يتركه من يموت ولا وارث له.

ابن جماعة(١) خطيب القدس، ليلى القضاء بمصر وكان السبب فى طلبه أن ابن بنت الأعز لما عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة، وجعل كل واحد فى مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية، وأحضرهم واحدا واحدا وسأله عن الجماعة من يصلح فيهم لولاية القضاء، فما منهم إلا من أساء القول فى أصحابه ورماه بما لا يليق، فانصرفوا وقد انكف السلطان عن ولايتهم، وأعلم وزيره ابن السلعوس بما قال بعضهم فى حق بعض من الفحش، فأشار السلعوس عليه بولاية ابن جماعة خطيب القدس لصحبة تقدمت له معه، فوصل إلى القاهرة فى يوم الإثنين رابع عشره، وأفطر عند الوزير، وبالغ الوزير فى خدمته، وسار فى موكبه يوم الخميس سابع عشره إلى القلعة، ودخل به على السلطان، فعزل ابن بنت الأعز، وولى ابن جماعة قضاء القضاة، وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر، فكتم ابن جماعة الولاية، وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير، فصار يخاطبه بقاضى القضاة، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز، فهنأ الناس ابن جماعة، وعندما خرج ابن جماعة من دار الوزير وصل إليه التقليد مع ابن عز الدين الحنبلى، فلما أصبح يوم الجمعة ثامن عشره لبس الخلعة، ومشى الشهود فى خدمته، فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه، ثم سار إلى منزله، وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة، فخطب وصلى بالناس وعاد إلى منزله، ثم تحول إلى الصالحية يوم الجمعة خامس عشريه، ودرس بالصالحية فى يوم الأحد ثانى عشرى شوال، وكان درسًا حفلا ويومًا مشهودًا.

وأما ابن بنت الأعز، فإن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى دخل به إلى السلطان وقرر معه أن يوليه قضاء الشام، فلما شعر بذلك ابن السلعوس خشى أن يبقى له حاله فيتمكن بها فى الدولة، فرتب له عدة من الناس ليثوروا به. فلما جلس السلطان بدار العدل رسم لابن السلعوس أن يجهز ابن بنت الأعز قاضيًا بدمشق، ويعنى بتشريفه ويكتب تقليده، فما انفصل مجلس دار العدل حتى أحضر الشريف ابن ثعلب وادعى على ابن بنت الأعز بما قرره معه الوزير ابن السلعوس قبل ذلك، وكان قد جهز آخر إلى أن يفتى بتعزيره، وآخر ليشهد بفسقه. فانتدب السلطان لمرافعته جماعة، ورموه بعظائم بغيًا منهم وعدوانا: منها أنه يشد الزنار من تحت ثيابه، وأنه نصرانى ومازال،

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله. قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين ولد فى حماة، ولى القضاء بمصر، ثم قضاء الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥. والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والفهرس التمهيدى ٥٥٥ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١٢١/١. والدرر الكامنة. والأعلام ٢٩٨/٥.

حتى رسم السلطان أن يركب حمارًا ويشهر. فقبض عليه الوزير ونكل به ورسم عليه وطالبه بمال كثير، وشنع فى إهانته، وأراد ضربه فحماه الله منه.

ومازال ابن بنت الأعز فى الإهانة إلى أن أخذ يومًا بالترسيم إلى القلعة وهو ماش والأعوان تحتاطه، فرأى ثلاثة من خواص الأمراء نازلين من القلعة، فقال لهم: «يا أمراء أما تنظرون فى حالى وأما أنا فيه من الإهانة مع هؤلاء الرسل؟» فساءهم ذلك وجردوا دبابيسهم وحطموا يريدون ضرب الرسل، وقالوا: «قاضى القضاة ماش، وأنتم ركاب؟» فقالوا: «الصاحب أمرنا بهذا، ما لنا ذنب ولا نريد هذا الفعل» فشق عليهم ما رأوا وعادوا إلى السلطان، وألقوا سيوفهم وقالوا: «يا خوند قد بلغ الأمر من حال قاضى القضاة أن يمشى والرسل ركاب» وذكروا ما هو فيه من الإهانة، فقال لهم السلطان: يستأهل أكثر من هذا، لأنهم قالوا عنه إنه كافر يشهد الزنار من تحت ثيابه. فقالوا: ياخوند إن كان قاضى القضاة كافرًا فابن السلعوس مسلم، إما تهبه لنا، وإما تمكنا من ابن السلعوس، وإما أن تنفينا».

وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح له عناية به أيضًا، فتحدث مع الأمير بيدرا النائب، وكان بيدرا بينه وبين ابن بنت الأعز شحناء، فقال بيدرا لبكتاش: «تحدث مع السلطان فى أمر سنجر الحموى أبى خرص أن يطلقه، وأنا أشفع فى ابن بنت الأعز» فاتفقا على ذلك، وشفع بيدرا فى ابن بنت الأعز، وشفع بكتاش فى أبى خرص، فأفرج السلطان عنهما معًا.

ولزم ابن بنت الأعز داره، ولم يترك بيده شىء من الوظائف، وكان بيده سبعة عشر منصبا وهى قضاء القضاة بديار مصر كلها وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس، ومشيخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية بيبرس وأولاده وأوقافه وأملاكه، وعدة تداريس، وكان عندما عزل قد رسِّم عليه فى شوال، وألزم بالإقامة فى زاوية الشيخ نصر المنبجى خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض، ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعى، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سببًا لمحنته الثانية، ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفا.

وفى خامس عشرى رمضان: أفرج السلطان عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبى على القتى بن الأمير أبى بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسى، ورسم له أن يخطب فى يوم الجمعة، فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال، فخرج بسواده وهو متقلد

سيفًا محلى، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبة التى خطب بها فى أيام الملك الظاهر بيبرس وهى من إنشاء شرف الدين وإلا أنه ذكر فيها الملك الأشرف، وكان بين الخطبتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، فلما فرغ من الخطبة لم يصل بالناس، وقدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلى بهم صلاة الجمعة، واستمر الخليفة يخطب بجامع القلعة، واستناب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين.

وفى تاسع شوال: قبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصورى والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق، واعتقلا بقلعتها، وأقطع عز الدين أزدمر العلائى إقطاع قرا رسلان، وسنقر المساح إقطاع الأفرم.

وفى ليلة الإثنين رابع ذى القعدة: عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الإثنين، فخطب وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يومًا مشهودًا، فرقت فيه صدقات جمة، وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس فى ليلة الثلاثاء حادى عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان.

وفى هذا الشهر: قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين [.... [1]] الرجيجى وهو من أولاد الشيخ يونس، وحمل إلى قلعة الجبل على البريد.

وفى هذه السنة: كملت عمارة قلعة حلب، وكتب عليها اسم الملك الأشرف.

وفيها أخرج بولدى الملك الظاهر بيبرس، وهما المسعود نجم الدين خضر والعادل بدر الدين سلامش[2] من الاعتقال، ونفيا إلى ملك الفرنج فسار بهما- ومعهما والدتهما- الأمير عز الدين أيبك الموصلى الأستادار إلى الإسكندرية، وحملهم فى البحر إلى القسطنطينية، فلما وصلوا أكرمهم الأشكرى متملكها وأجرى عليهم ما يقوم بهم، وكانت حرمهم معهم.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(١) سلامش بن بيبرس البندقدارى، سيف الدين: الملقب بالعادل ابن الملك الظاهر: من ملوك دولة المماليك بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الملك السعيد سنة ٦٧٨هـ وكان عمره لما تسلطن سبع سنوات ونصفا. ويعرف بابن البدوية. وضربت السكة باسمه وقام بتدبير مملكته قلاوون الألفى. وكانت مدة سلطنته الاسمية خمسة أشهر وأياما توفى فى القسطنطينية، وصبرته أمه فى تابوت وحملته معها إلى القاهرة. ودفن بالقرافة. انظر ابن إياس ١١٤/١ والنجوم الزاهرة ٢٨٦/٧ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام ١٠٦/٣.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع فى عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وكان لها منذ خربها هولاكو ثلاث وثلاثين سنة خرابا. ووقع الشروع فى عمارة دمشق من شوال، فبنيت بها الأدر السلطانية والطارمة[١] والقبة الزرقاء، وتولى ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وبالغ فى تحسينها، فكانت جملة ما عمل فى سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب.

وفيها لم يحج الشريف أبو نمى خوفًا من المصريين.

وفى شهر ربيع الأول منها: مات ملك الططر بفارس، وهو أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكز خان، وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وترك أرغون ولدين وهما قازان وخربندا، وكانا بخراسان فأفحش كيختو فى الفسق بنسوان المغل واللواط بولدانهم، حتى أبغضته رعيته.

وفيها مات قتيلا تلابغا بن منكوتمر بن طوغان، قتله نغيه بن مغل بن ططر بن دوشى خان بن جنكز خان. وقام بعده فى الملك طقطغا بن منكوتمر بن طوغان، وهو ابن عم تلابغا، فرتب نغيه إخوة طقطغا معه، وهم بزلك وصراى بغا وتدان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، ببلد اسطنبول[٢] عن اثنتين وعشرين سنة.

ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، ملك التتار بفارس فى ربيع الأول، عن نحو سبع سنين من ملكه، وقام من بعده أخوه كيختو بن أبغا.

وتوفى تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى[٣] فقيه الشام، عن ست وستين سنة بدمشق.

---

(١) هو بيت من خشب كالقبة وهى تعريب طارم بالفارسية. انظر المعجم الوسيط (طرم).

(٢) هى القسطنطينية.

(٣)عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى البدرى، أبو محمد، تاج الدين الفركاح مؤرخ، من علماء الشافعية. مصرى الأصل، دمشقى الإقامة والشهرة والوفاة. انظر النعيمى ١٠٨/١، وفوات الوفيات ٢٥٠/١، والسبكى ٦٠/٥، والأعلام ٢٩٣/٣.

وتوفى المسند فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المعروف ابن البخارى المقدسى السعدى[1] عن أربع وتسعين سنة بدمشق، وقد انفرد بعلو الإسناد.

وتوفى خطيب حلب شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير بن أحمد بن سليمان الشيبانى الخابورى الشافعى، عن تسعين سنة بحلب.

وتوفى خطيب حماة وفقيهها بدر الدين أبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المغيزل العبدى الحموى بها، عن سبعين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن الكمال أبى محمد عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف بن نبهان بن الزملكانى الأنصارى الشافعى، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى محيى الدين أبو يعلى محمد بن عمر بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الرعبانى الحلبى الحنفى، عن نيف وثمانين سنة بحلب.

وتوفى العفيف أبو الربيع سليمان على بن عبد الله بن على بن ياسين التلمسانى العابدى[2] عن ثمانين سنة بدمشق.

وتوفى طبيب الشام عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نجم بن طرخان الأنصارى الدمشقى، عن تسعين سنة.

وتوفى الأديب شرف الدين عيسى بن فخر الدين أياز بن عبد الله الوالى.

* * *

---

(١) على بن أحمد بن عبد الواحد السعدى المقدسى الصالحى الحنبلى، فخر الدين أبو الحسن، المعروف بابن البخارى: علامة بالحديث. حدث نحوا من ستين سنة ببلاد كثيرة بدمشق ومصر وبغداد وغيرها. وله شعر جيد. توفى بدمشق. انظر شذرات الذهب ٤١٤/٥.وكشف الظنون ١٦٩٦/٢ والمخطوطات المصورة ١٤٢/٢. والمشيخة الفخرية ٣٧٠٥.والأعلام ٢٥٧/٤.

(١) سليمان بن على بن عبد الله بن على الكومى التلمسانى، عفيف الدين: شاعر كومى الأصل من قبيلة كومة تنقل فى بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف. مات فى دمشق. انظر غربال الزمان. والنجوم الزاهرة ٢٩/٨.والبداية والنهاية ٣٢٦/١٣.آداب اللغة ١١٩/٣.وشذرات الذهب ٤١٢/٥. وفوات الوفيات ١٧٨/٩. والأعلام ١٣٠/٣.

سنة إحدى وتسعين وستمائة

فى رابع عشر صفر: وقع حريق في بعض خزائن قلعة الجبل، تلف فيه كثير من الكتب وغيرها.

وفى حادى عشر ربيع الأول: ختم بالقبة المنصورية. ونزل السلطان وتصدق بمال كثير.

وفى يوم الجمعة تاسع عشريه: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بجامع قلعة الجبل خطبة بليغة حث فيها على الجهاد، وصلى بالناس صلاة الجمعة.

وفيه نودى بالنفير للجهاد، وخرج السلطان فى الثامنة من يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة[1] واستاقوا مواشى كثيرة، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق.

وفى يوم السبت سادس جمادى الأولى: دخل السلطان إلى دمشق، وأنفق فى العساكر يوم الإثنين ثامنه.

وفى نصفه: تزوج الأمير سنقر الأعسر بابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس، على صداق جملته ألف وخمسمائة دينار، المعجل مبلغ خمسمائة دينار.

وفيه وصل الملك المظفر صاحب حماة، وعرض السلطان عساكره، وقدم جيش الشام فسار إلى حلب.

ثم خرج السلطان من دمشق فى الخامسة من يوم الإثنين سادس عشره، فدخل حلب فى ثامن عشريه، وخرج منها فى رابع جمادى الآخرة يريد قلعة الروم[2] فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه، ونصب عشرين منجنيقا ورمى عليها، وعملت النقوب[3] وعمل الأمير سنجر الشجاعى نائب دمشق سلسلة وشبكها فى شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالا شديدًا. ففتح الله القلعة يوم السبت حادى

---

(١) قرية بحذاء القادسية على مرحلة بين الكوفة. انظر، معجم البلدان ٣٣/٣.

(٢) قلعة غربى الفرات مقابل البيرة، تقع بينها وبين سميساط. انظر، معجم البلدان ١٦٤/٤.

(٣) النون والقاف والباء أصل صحيح يدل على فتح شيء. ونقب الحائط ينقبه نقبا. انظر مقاييس اللغة ٤٦٥/٥.

عشر رجب عنوة، وقتل من بها من المقاتلة، وسبى الحريم والصبيان، وأخذ بترك الأرمن وكان بها فأسر. وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما، وقد سماها السلطان قلعة المسلمين فعرفت بذلك، وحمل إليها زردخاناه وألفا ومائتى أسير، واستشهد عليها الأمير شرف الدين بن الخطير. فلما وردت البشائر إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر، ورتب السلطان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب، وخرب ربضها.

وعاد السلطان راجعًا فى يوم السبت ثامن عشره، فأقام بحلب إلى نصف شعبان، وعزل قرا سنقر عن نيابة حلب، وولى عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى، ورتب بها الأمير عز الدين أيبك الموصلى شاد الدواوين ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها فى الثانية من يوم الثلاثاء عشرى شعبان، وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسرى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان[1] من جهة الساحل، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم، واضطرب العسكر اضطرابا عظيما، فطمع أهل الجبال فيهم، وتشوش الأمراء من ذلك وحقدوا على بيدرا ونسبوه أنه أخذ منهم الرشوة. فلما عاد إلى دمشق تلقاه السلطان وترجل له عند السلام عليه، وعاتبه سرا فيما كان منه، فمرض بيدرا حتى أشفى على الموت، وتحدث أنه سقى السم، ثم عوفى وتصدق فى رمضان بصدقات جمة، ورد أملاكا اغتصبها لأربابها، وأطلق عدة من سجونه، وجمع الناس فى عاشره بجامع بنى أمية وعمل مهما لقراءة ختمة كريمة.

وفى خامس عشر شهر رمضان: توفى محيى الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر[2] صاحب ديوان الإنشاء، وهو بدمشق، فأجرى السلطان معلومه على ولده علاء الدين على، وجعله من جملة كتاب الإنشاء. وأقر السلطان فى ديوان الإنشاء تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخى الحلبى، عوضا عن ابن عبد الظاهر.

وفيه كثر موتان الجمال حتى حمل الأمراء أثقالهم على الخيل، فأذن السلطان لضعفاء العسكر فى العود إلى القاهرة، فساروا من دمشق فى ثانى عشريه. وحضر الأمير علم الدين سنجر الدوادارى من قلعة الجبل بعدما أفرج عنه، فأنعم عليه بإمرة فى ديار مصر.

---

(١) هى جبال الدرزية - الدروز - بلبنان.

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، فتح الدين: أول من سمى بكاتب السرفى الديار المصرية. كان صاحب ديوان الإنشاء فيها. مولده بالقاهرة، ووفاته بدمشق. انظر حسن المحاضرة ٢/ ٨٧٤ والوافى بالوفيات ٣/ ٣٦٦. وشذرات الذهب ٥/ ٤١٩. والأعلام ٦/ ٢٣٤.

وفى ليلة عيد الفطر: فر الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق، خوفا من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبض عليه، فنودى بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار ومن أخفاه شنق، وركب السلطان فى خاصته وترك سماط العيد، وساق فى طلب لاجين وأخذ عليه الطريق، ثم عاد بعد العصر فى أسوأ حال من التعب، ولم يجد له أثرا فقلق. واتفق أن لاجين نزل على طائفة من العرب، فقبضوه وأحضروه إلى السلطان فاعتقله. وقبض السلطان علىا الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا حمى لاجين، وحمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر.

وفى سادسه: استقر الأمير عز الدين أيبك الحموى فى نيابة دمشق، عوضا عن الشجاعى واستقر الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى نائبًا بالفتوحات، عوضًا عن بلبان الطباخى بحكم انتقاله إلى نيابة حلب.

وفيه قدم الشجاعى من قلعة المسلمين بعدما عَمَّر ما هدم منها، فشق عليه عزله عن دمشق.

وفى الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه: خرج السلطان من دمشق عائدا إلى مصر، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موقودة عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم ورتبوا من باب النصر إلى مسجد القدم، فعندما ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة، فسار بينها حتى نزل مخيمه. ونقل محيى الدين بن النحاس من نظر دواوين دمشق إلى نظر الخزانة، عوضًا عن أمين الدين بن هلال، وأقيم فى نظر دواوين دمشق جمال الدين بن إبراهيم بن صصرى، واستقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى مقدم المماليك السلطانية.

وقدم السلطان إلى القاهرة يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة، ودخل من باب النصر، وصعد إلى القلعة من باب زويلة. وقد عمل من الزينة والقلاع والتهانئ شىء كثير، وأوقد من الشموع ما يجل وصفه، فإن الناس احتفلوا لذلك احتفالا عظيما فاق جميع ما تقدم فى معناه. وولى صحابه ديوان الإنشاء عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد بن الأثير[1] بعد وفاة والده، فإن والده لم يقم فى كتابة السر إلا نحو شهر، ومات بغزة عند عوده من دمشق فى تاسع عشر شوال.

---

(١) إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدين بن تاج الدين بن الأثير: كاتب من العلماء بالأدب، شافعى، حلبى الأصل، ولى كتابة الدرج بالديار المصرية بعد أبيه مدة وتركها تورعا وقتل بظاهر حمص فى وقعة مع التتار. انظر إحكام الأحكام ٤٣/١. والنجوم الزاهرة ١٩٠/٨. وطبقات الشافعية وكشف الظنون ١١٢٣، ١١٦٥، ١٣٢٩، ١٥١٤، والأعلام ٣٠٩/١.

وفى ذى القعدة: ندب الوزير ابن السلعوس العلم ابن بنت العراقى لمرافعة تقى الدين ابن بنت الأعز، وعقُد له مجلس وادعى عليه العلم المذكور بعظائم، فاستمر فى المحنة بقية السنة.

وفى آخر ذى الحجة: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصرى، والأمير سيف الدين الهارونى، والأمير بدر الدين بكتوت، واعتقلوا[......][1].

* * *

ومات فيها من الأعيان

الملك المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق، صاحب ماردين[2] بعدما ملك ثلاثا وثلاثين سنة.

ومات الأمير سنقر الأشقر عن سبعين سنة.

وتوفى كاتب السر فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيى الدين أبى الفضل عبد الله بن عبد الظاهر، عن أربع وخمسين سنة بدمشق.

وتوفى كاتب السر تاج الدين أبو العباس أحمد بن شرف الدين أبى الفضل سعيد ابن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى، بغزة.

ومات مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الطبرى المكى الشافعى بالقدس، عن اثنين وستين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى كاتب الإنشاء بدمشق سعد الدين أبو الفضل سعد الله بن مروان أبى عبد الله الفارقى، وهو فى عشر الستين.

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الحلبى بالقاهرة عن سبعين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن خضر بن غزى عامر الأنصارى المصرى المؤدب، فى جمادى الآخرة وهو فى عشر الثمانين، وقد حدث عن ابن باقا ومكرم الفارسى.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) قلعة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر، معجم البلدان ٣٩/٥.

وفيها قبض الأمير بكتوت على الشريف راجح بن إدريس من ينبع[1] وحمله إلى مصر وكانت الخطبة بمكة للأشرف خليل إلى آخر ربيع الأول، ثم انقطعت لانقطاع أخبار مصر، فلما قدم الحجاج وهم قليل حج أبو نمى، وقدم حاج الشام فى ركبين وكانت جفلة بعرفة وعز الماء، فأبيعت الراوية بأربعة دنانير مكية.

* * *

---

(١) قرية بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥/٤٥٠.

سنة اثنين وتسعين وستمائة

فى ليلة أول المحرم: أخرج من فى الجب من الأمراء: وهم سنقر الأشقر وجرمك والهارونى وبكتوت وبيبرس وطقصوا ولاجين، وأمر بخنقهم قدام السلطان، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا. وتولى خنق لاجين الأمير قرا سنقر، فلما وضع الوتر فى عنقه انقطع، فقال: «ياخوند مالى ذنب إلا حميى طقصوا وقد هلك، وأنا أطلق ابنته». وكان قرا سنقر له به عناية، فتلطف به ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعة. فشفع الأمير بدر الدين بيدرا فى لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعفى عنه ظنا أنه لا يعيش، فحمل وكان من أمره ما سيذكره إن شاء الله.

وفى أول المحرم: استقر الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى فى نيابة طرابلس والحصون، عوضًا عن طغريل الإيغانى، فسار من القاهرة.

وفى رابعه: سار السلطان من قلعة الجبل إلى الصعيد، واستخلف الأمير بيدرا النائب بقلعة الجبل وهو مريض. فانتهى السلطان إلى مدينة قوص[1] ونادى هناك بالتجهيز لغزو اليمن. وكشف الوزير السلعوس الوجه القبلى، فوجد الجارى فى ديوان الأمير بيدرا من الجهات عما هو فى إقطاعاته، وما اشتراه وما حماة أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى، ووجد الشون السلطانية بالوجه القبلى خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة. فأبلغ ذلك إلى السلطان وأغراه ببيدرا حتى تغير عليه، فبلغ الخبر بيدرا فخاف وأخذ يتلافى الأمر، وجهز تقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة صندل محلاة ومفصلة بفضة مذهبة وبسطها من حرير، وضربها بناحية العدوية[2] مع ما أعده. فلما عاد السلطان نزل بها ولم يكترث بالتقدمة، وطلع إلى القلعة، فارتجع عدة من جهات بيدرا للخاص السلطانى.

وفى صفر: وقع بغزة والرملة[3] ولدّ[4] والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج

---

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) بلد صغيرة خارج القاهرة. انظر ابن دقماق، الانتصار ٥/٤٣.

(٣) مدينة عظيمة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٣/٦٩.

(٤) قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين. انظر، معجم البلدان ٥/١٥.

من قلعة الكرك، وتوالت الأمطار والسيول حتى خربت طواحين العوجاء[١] وتكسرت أحجارها، ووجد فى السيل أحد عشر أسدًا موتى، وزلزلت أيضًا البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن، فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير علاء الدين أيدغدى الشجاعى من دمشق لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف. وورد كتاب الأمير عز الدين أيبك الرومى من قلعة المسلمين بطلب ثلاثين سراقوجا، حتى إذا وجه لكشف أخبار العدو لبسها من يبعثه فلا يعرف من هم.

وفيه عبَّى السلطان برسم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب تعبئة قماش حرير بسبب زواج ابنته، وأمر بعمل تعبئة لوالدته أيضًا، وجهز ذلك على يد حاجبه من الخزانة. ورسم السلطان ببناء بئر فى العريش[٢] وأخرج لها عدة من الغواصين، فلما تم بناؤها ركِّب عليها ساقية.

وفيه قتل علاء الدين[...][٣] البريدى والى الأشمونين[٤] نفسه، فاستقر عوضه بكتمر الموسكى. وقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائى أحد أمراء دمشق، وحمل إلى القاهرة فقدم أول ربيع الأول.

وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق، فسار بها الأمير بيدرا، ثم سار الوزير بالخزائن. وركب السلطان على الهجن فى أول جمادى الأولى ومعه جماعة من أمرائه وخواصه، وسار إلى الكرك من غير الدرب الذى يسلك منه إلى الشام، فرتب أحوالها. وترجه إلى دمشق، فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام، فأمر بالتجهيز إلى بَهَسْنا وأخذها من الأرمن أهل سيس. فقدم رسل سيس يطلبون العفو، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا[٥] ومرعش[٦] وتل حمدون، فسار الأمير طوغان والى البر بدمشق معهم ليتسلما، وقدم البريد إلى دمشق بتسليمها فى أول رجب، فدقت البشائر.

---

(١) اسم لنهر بين أرسوف والرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٧٤٤/٣.

(٢) مدينة فى مصر تقع على ناحية الشام على ساحل بحر الروم. انظر، معجم البلدان ١١٣/٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) هى خامس أعمال الوجه القبلى، وموقعها بين عمل البهنس والمنفلوطية. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣٩٨/٣.

(٥) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر، معجم البلدان ١٠٧/٥.

(٦) هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر، معجم البلدان ٢٤٠/٣.

واستقر الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش فى نيابة بهسنا، وعين لها قاض وخطيب، واستخدم لها رجال وحفظة. وقدم الأمير طوغان ومعه رسل سيس بالحمل والتقادم إلى دمشق فى ثانى عشريه بعد توجه السلطان، فتبعوه.

وكان السلطان قد خرج فى ثانى رجب إلى حمص ومعه جماعة من العسكر، وقد سير ضعفة العسكر إلى القاهرة، ثم سار من حمص إلى سلمية، وطرق مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن ضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل، وقبض عليه وعلى إخواته محمد وفضل ووهبة، وبعثهم مع الأمير حسام الدين لاجين إلى دمشق، فقدمها لاجين فى سابعه. وقدم السلطان فى يومه أيضًا، فأقام فى إمرة العرب الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر بن على بن حُدَيْثَه بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل على. وبعث السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار إلى الشوبك، فهدم قلعتها و لم يبق منها إلا قلتها فقط.

وفى شهر رجب:وقع ببعلبك أمطار وسيول خارجة عن الحد، ففد من كرومها ومزارعها ومساكنها ما تزيد قيمته على مائة ألف دينار.

وفى حادى عشره: سار الأمير بيدرا بالعساكر والوزير ابن السلعوس بالخزائن من دمشق، ثم ركب السلطان فى خواصه يوم السبب ثالث عشره، فقدم غزة بكرة الأربعاء سابع عشره، ودخل قلعة الجبل فى ثامن عشريه، وقدم الأمير بيدرا بمن معه أول شعبان.

وفيه ولى طوغان والى البر بدمشق نيابة قلعة المسلمين، وولى أسندمر كرجى برَّ دمشق.

وفى شعبان: استقر شمس الدين أحمد السروجى الحنفى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة، بعد وفاة قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الأرزنكانى.

وفى أول شهر رمضان: أفرج عن تقى الدين ابن بنت الأعز، بعدما اشتد به البلاء واعتقل فى سجن الحكم وتوعد بالقتل، فعاد إلى بيته بالشافعى من القرافة، ومدح ابن السلعوس بقصدة أراد إنشادها بنفسه فحلف الوزير عليه، فأنشدها أخوه علاء الدين. ثم إنه ثبتت براءته مما رمى به، وتوجه إلى الحج مع الركب.

وفى يوم السبب ثانى شوال: قبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، وأحيط على جميع موجوده بمصر والشام.

وفي ذى الحجة: رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخى السلطان، فنصب القبق تحت القلعة مما يلى باب النصر فى العشرين منه، وفرقت الأموال والخلع على من أصاب فى رميه، وكان قد رسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا، فأقامت فى العرض أيامًا، فرمى بيدرا بتغاضيه، وأن بعض العسكر يستعير العدة، فرسم بعرض الجميع جملة واحدة فى الميدان ، فكان يومًا مشهودًا. وممن أصاب فى رمى القبق الأمير بيسرى، فأنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عينًا سوى الخلع وغيرها، وختن الأمير محمد وأولاد الأمراء فى يوم الإثنين فى ثانى عشريه، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه.

وفي آخر ذى الحجة: استقر فى كتابة السر القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى(١) عوضًا عن عماد الدين إسماعيل بن الأثير.

وفي هذه السنة: خطب الشريف أبو نمى بمكة للملك الأشرف، بعدما كان يخطب فيها لصاحب اليمن، ونقش السكة أيضًا باسمه، وجهز بذلك محاضر مع[.... (٢)] ابن القسطلانى.

وفيها قدم رسل كيختوا ملك التتار بكتابه يتضمن أنه يريد الإقامة بحلب، فإنها مما فتحه أبوه هولاكو، وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام. فأجابه السلطان بأنه «قد وافق القان ما كان فى نفسى، فإنى كنت على عزم من أخذ بغداد، وقتل رجاله، فإنى أرجو أن أردها دار إسلام كم كانت، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه» وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر.

وفيها وقف الحجاج يوم الإثنين والثلاثاء، ولم يصلوا الجمعة من خوف العطش لقلة الماء. وحلف أمير الركب الشريف أبا نمى يمينًا أنه يتوجه إلى السلطان، وكان قد أعطاه ألف دينار عينًا، بعث بها إليه السلطان من مصر.

وفيها تلف فى البحر ستة عشر مركبًا من جلاب اليمن، أكثرها من عدن.

* * *

---

(١)عبد الوهاب بن فضل الله العمرى القرشي، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز، ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر، فى دمشق فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢. والدرر الكامنة ٢/٤٢٨. والنجوم الزاهرة ٩/٢٤٠. والأعلام ٤/١٨٥.

(٢)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب بن شادى[١] صاحب حماة، وهو متوجه إلى القاهرة، عن سبع وخمسين سنة.

ومات الأمير علم الدين سنجر الحلبى الثائر بدمشق، وهو من أبناء الثمانين بالقاهرة.

وتوفى قاضى القضاة الحنفى معز الدين أبو عبد الله النعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى، بالقاهرة.

وتوفى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين محمد عبد الظاهر بن نشوان ابن عبد الظاهر السعدى[٢] الكاتب، لسان ديوان الإنشاء، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن على ابن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى، بالقاهرة عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو عباس أحمد بن زيد الدين أبى عبد الله محمد بن رضى الدين أبى محمد عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى بها، عن ثلاث وثمانين سنة، له رحلة.

وتوفى قدوة الشام أبو إسحاق إبراهيم بن قدوة الشام يوسف المدعو عبد الله بن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموى الزاهد، عن سبع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب كمال الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن المبارك بن سالم ابن الأعمى[٣] الدمشقى بها، عن اثنتين وثمانين سنة.

* * *

---

(١)على بن محمود المظفر بن محمد المنصور بن تقى الدين عمر المظفر بن شاهنشاه بن أيوب، نور الدين. انظر ابن الوردى ٢٣٨. والأعلام ٥/ ٣٠.

(٢)عبد الله عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى، محيى الدين، أبو الفضل بن رشيد الدين: قاضٍ أديب مؤرخ. من أهل مصر مولد ووفاة، كان كاتب الإنشاء فى الديار المصرية. انظر بغية الوعاة ٢٨٥، والأعلام ٤/ ٩٨.

(٣)على بن محمد بن المبارك، كمال الدين ابن الأعمى: شاعر من أهل القاهرة له فى ذم داره قصيدة مشهورة. انظر فوات الوفيات ٢/ ٨١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢١، والأعلام ٤/ ٣٣٤.

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

فى ثالث المحرم: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس. واستخلف بقلعة الجبل الأمير على الدين سنجر الشجاعى، وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس. فوصل السلطان إلى تروجة[1] ونزل بها، وتوجه الوزير إلى الإسكندرية ليعبى القماش ويحصل الأموال، بعدما خلع السلطان عليه طرد وحش[2]. فوجد الوزير أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات[3] فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفى الإطلاقات[4] على جارى العادة. فاشتد غضب السلطان، وطلب بيدرا وسبه بحضرة الأمراء، وتوعده بأنه لابد أن يمكن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر. فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير لاجين والأمير قرا سنقر ومن يوافقه، وقرر معهم قتل السلطان، فإنه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقى فى خواصه إلى يوم تاسوعاء. فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر فلما بلّغه نائب أمير جاندار الرسالة نفر فيه، ثم قال له السمع والطاعة، وقد تبين الغضب فى وجهه، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار، ورحل الدهليز والعسكر.

وأصبح السلطان يوم عاشوراء، فبلغه أن بتروجة طيرًا كثيرًا، فساق وضرب حلقة صيد، وعاد إلى مخيمه آخر النهار. ثم لما كان الحادى عشر توجه الناس إلى القاهرة، وحضر بيدرا ومن قرر معه قتل السلطان إلى الدهليز، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستورًا[5] فتوجهوا إلى خيامهم.

---

(١)قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢٧/٢.

(٢)هذان اللفظان يطلقان على نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد.

(٣)يعنى الأقمشة.

(٤)جمع إطلاق، وهو تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة.

(٥)المقصود بالدستور الإذن.

وركب السلطان جريدة وليس معه سوى الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار، وأراد أن يسبق الخاصكية، فرأى طيرًا فصرع منه بالبندق شيئًا كثيراً ثم التفت إلى أمير شكار وقال: «أنا جيعان، فهل معك ما آكل؟» فقال: «وا الله ما معى غير رغيف واحد فرُّج فى صولقى[1] ادخرته لنفسى» فقال: «ناولنيه» فناوله ذلك فأكله كله. ثم قال له: «أمسك فرسى حتى أنزل أبول» وكان الأمير شهاب الدين ينبسط مع السلطان، فقال: «ما فيها حيلة، السلطان ركب حصانا وأنا راكب حجر وما يتفقان». فقال له السلطان: «أنزل أنت واركب خلفى حتى أنزل أنا» فنزل وناول السلطان عنان فرسه وركب خلفه، فنزل السلطان وقضى حاجته، ثم قام وركب حصانه، ومسك فرس أمير شكار حتى ركب، وأخذا يتحدثان.

فلما كان وقت العصر: بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان، فقيل له ليس معه أحد، كشف بمن وافقه. فلم يشعر السلطان إلا بغبار عظيم قد ثار، فقال لأمير شكار: «اكشف خبر هذا الغبار». فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فسألهم فلم يجيبوه. ومروا فى سوقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده، فابتدرا بالسيف وضربه أبان يده، ثم ضربه ثانيا هد كتفه. فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له: «يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته» وضرب السلطان على كتفه حله، فسقط إلى الأرض، فجاءه بهادر رأس نوبة وأدخل السيف فى دبره، واتكا عليه إلى أن أخرجه من حلقه. وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف: وهم قرا سنقر، وآقسنقر الحسامى، ونوغاى، ومحمد خواجا، وطرنطاى الساقى، وألطنبغا رأس نوبة، وذلك فى يوم الإثنين ثانى عشر المحرم[....][2].

فبقى الملك الأشرف ملقى فى المكان الذى قتل به يومين، ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر العجمى والى تروجة، فوجده فى موضعه عريانا بادى العورة، فحمله على جمل إلى دار الولاية، وغسله فى الحمام وكفنه، وجعله فى بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كوجبا الناصرى من القاهرة، وحمله فى تابوته الذى كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسى ظاهر مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثانى عشرى صفر.

فكانت مدة سلطنتة ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام، وعمره نحو ثلاثين سنة ومات عن ابنتين، ولم يترك ولدًا ذكرًا. وكان ملكا كريمًا شجاعًا مقدامًا، سريع الحركة مظفرًا

---

(١) هو جراب – أو كيس – من جلد يربط على الجانب الأيمن من الحياصة، وتوضع به حاجات السفر من الزاد، وجمعه صوالق.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

فى حروبه: فتح عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم. وكان مع ما فيه من شدة البادرة حسن النادرة، يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط، لا يُعَلِّم على مكتوب حتى يقرأه كله، ولابد أن يستدرج على الكتاب فيه ما يتبين لهم فيه الصواب. إلا أنه تعاظم فى آخر أيامه وصار لا يكتب اسمه وإنما يكتب «خ» إشارة إلى أول حروف اسمه، ومنع أن يكتب لأحد الزعيمى، وقال: «من زعيم الجيوش غيرى؟» وأبطل من دمشق مكسا[1] كان يؤخذ فى باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم، وكتب بخطه الذى يكتب به العلامة بين أسطر المسموح الذى كتب بإبطال ذلك ما نصه: «ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة».

وأما الأمراء، فإن الأمير زين الدين كتبغا المنصورى كان قد انفرد ومعه جماعة من الأمراء عن الملك الأشرف وساروا للصيد، وبقى فى الدهليز السلطانى من الأمراء سيف الدين برغلى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وحسام الدين لاجين الأستادار، وبدر الدين بكتوت العلائى، وجماعة من المماليك السلطانية. فلما قتل بيدرا السلطان عاد بمن معه من الأمراء، ونزل بالدهليز وجلس فى دست السلطنة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، وتلقب بالملك الأوحد وقيل المعظم، وقيل الملك القاهر. ثم قبض بيدرا على الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلاح دار أمير جاندار، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط لشفاعة الأمراء فيهما، وركب إلى الطرانة فبات بها.

وقد سار الأمراء والمماليك السلطانية ومعهم الأمير برغلى، وهم الذين كانوا بالدهليز والوطاق، وركبوا فى آثار بيدرا ومن معه يريدون القبض عليه. فبلغ الأمير كتبغا ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا، فلحق بمن معه الأمير برغلى ومن معه من الأمراء والمماليك، وجدوا بأجمعهم فى طلب بيدرا ومن معه، وساقوا فى تلك الليلة إلى الطرانة وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبى بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار، والأمير صارم الدين[...][2] الفخرى، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار، ومعهم الزرد خاناه، عند المساء من يوم السبت الذى قتل فيه السلطان، فعندما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له: «يا خوند هذا الذى فعلته كان بمشورة الأمراء؟» فقال: «نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وها هم كلهم حاضرون». ثم شرع يعدد مساوئ الأشرف ومخازيه واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه، إهماله لأمور المسلمين، ووزارته ابن السلعوس، ونفور الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره،

(١) المقصود ضريبة.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وتأميره مماليكه، وقلة دينه وشربه الخمر فى شهر رمضان وفسقه بالمردان. ثم سأل بيدرا عن الأمير كتبغا فلم يره فقيل له: «هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم؟» قال: «نعم هو أول من أشار بها».

فلما كان يوم الأحد ثانى يوم قتلة الأشرف: وافى الأمير كتبغا فى طلب كبير من المماليك السلطانية عدته نحو الألفى فارس، وجماعة من الحلقة والعسكر ومعهم الأمير حسام الدين لاجين الأستادار الطرانة وبها بيدرا يريدون قتاله. وميز كتبغا أصحابه بعلائم حتى يعرفوا من جماعة بيدرا، وهم أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم. فأطلق بيدرا حينئذ الأميرين بيسرى وبكتمر السلاح دار، ليكونا عونا له فكانا عونا عليه. ورتب كتبغا جماعة ترمى بالنشاب، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكرة، وقصد الأمير كتبغا بيدرا وقد فوّق سهمه، وقال: «يا بيدرا أين السلطان؟» ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم، فولى بيدرا بمن معه وكتبغا فى طلبه حتى أدركه. وقتل بيدرا بعدما قطعت يده ثم كتفه كما فعل بالأشرف، وحملت رأسه على رمح وبعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر. ووجد فى جيب بيدرا ورقة فيها: «ما يقول السادة الفقهاء فى رجل يشرب الخمر فى شهر رمضان، ويفسق بالمردان ولا يصلى فهل على قاتله ذنب أو لا؟» فكتب جوابها: «يقتل ولا إثم على قاتله». وعندما انهزم بيدرا هرب لاجين وقرا سنقر، ودخلا القاهرة فاختفيا.

وكان الذى وصل إلى قلعة الجبل بخبر مقتل السلطان سيف الدين سنكو الدوادار. ولما بلغ الأمير علم الدين سنجر الشجاعى قتل السلطان ضم الحراريق والمعادى وسائر المراكب إلى بر مصر والقاهرة، وأمر ألا يعدى بأحد من الأمراء والمماليك إلا بإذنه، فوصل الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء والمماليك، بعد قتل بيدرا وهزيمة أصحابه، فلم يجدوا مركبًا يعدون به النيل. فأشار على من معه من الأمراء وهم حسام الدين لاجين الأستادار، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغى وسيف الدين طغجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين قطيبة ، وغيرهم أن ينزلوا فى بر الجيزة بالخيام حتى يراسلوا الأمير سنجر الشجاعى، فوافقوه وضربوا الخيام وأقاموا بها، وبعثوا إلى الشجاعى فلم يمكنهم من التعدية. وما زالت الرسل بينهم وبينه حتى وقع الاتفاق على إقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فبعث عند ذلك الحراريق والمراكب إليهم بالجيزة، وعدوا بأجمعهم وصاروا إلى قلعة الجبل فى رابع عشر المحرم.

* * *

السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى[1]

أمه أشلون خاتون ابنة الأمير سكناى بن قراجين بن جنكاى نوين. ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر، فلما قتل أخوه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجة، وعدى الأمير زين الدين كتبغا والأمراء، اجتمع بهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ومن كان بالقاهرة والقلعة من الأمراء الصالحية والمنصورية، وقرروا سلطنة الناصر محمد وأحضروه وعمره تسع سنين سوا فى يوم السبت سادس عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأجلسوه على سرير السلطنة. ورتبوا الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة عوضًا عن بيدرا، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزيرًا ومدبرًا عوضًا عن ابن السلعوس، والأمير حسام الدين لاجين الرومى الأستادار أطابك العساكر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادارًا، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دوادارًا، وأعطى إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء فى المكاتبات والأجوبة والبريد. وأنفق فى العسكر وحلفوا فصار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للملك الناصر من السلطنة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك، وسكن كتبغا بدار النيابة من القلعة، وجعل الخوان يمد بين يديه.

وأما الشام فإنه كتب إلى دمشق كتاب على لسان الملك الأشرف، ومضمونه: «إنا قد استنبنا أخانا الملك الناصر محمدًا، وجعلناه ولى عهدنا حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدو يكون لنا من يخلفنا» ورسم فيه بتحليف الناس للملك الناصر محمد، وأن يقرن اسمه باسم الأشرف فى الخطبة. وتوجه بالكتاب الأمير سيف الدين ساطلمش وسيف الدين بهادر التترى، فدخلا دمشق يوم الجمعة رابع عشريه، وجمع الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب دمشق الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان وحلفهم، وخطب باسم الملك الأشرف والملك الناصر ولى عهده، وكان ذلك من تدبير الشجاعى. فقدم من الغد البريد إلى دمشق بالحوطة[2] على موجود بيدرا ولاجين وقرا سنقر، وطرنطاى الساقى وسنقرشاه وبهادر رأس نوبة، فظهر قتل الأشرف وإقامة أخيه الناصر بعده.

فاستمر الأمر فى الخطبة بالشام على ذلك إلى حادى عشر ربيع الأول، حتى ورد

---

(١) انظر المخطوطات المصورة والأعلام ٧/١٠.

(٢) الحاء والواو والطاء كلمة واحدة، وهو الشيء يطيف بالشيء. انظر مقاييس اللغة ٢/١٢٠.

مرسوم ناصرى بالخطبة للملك الناصر وحده بالسلطنة، فخطب له كذلك فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول، وتُرحِّم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف.

ثم كتب إلى [.....][١] ووقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا فى قتل الأشرف، فأول من وجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما فى المجاير[٢] ثامن يوم سلطنة الناصر. ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء: وهم حسام الدين طرنطاى الساقى، ونوغاى السلاح دار، وسيف الدين الناق الساقى السلاح دار، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار، وعلاء الدين ألطنبغا الجمدار، وأقسنقر الحسامى، وناصر الدين محمد بن خوجا ثم قبض على قوش قرا السلاح دار، وذلك فى العشرين من المحرم فسجنوا بخزانة البنود من القاهرة، وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم، ثم أخرجوا يوم الإثنين ثامن عشره، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة، وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح قدامهم القاهرة ومصر. واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره، بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا. ومروا بهم على أبواب دورهم، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلطمن، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم. وكانت زوجته بأعلى الدار، فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكنها جواريها، وهى تقول: «ليتنى فداك، وقطعت شعرها ورمته عليه» فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم واستمروا على ذلك أيامًا: فمنهم من مات على ظهور الجمال، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات.

هذا وجوارى الملك الأشرف وسيال حواشيه قد لبسن الحداد وتذرعن السخام، وطفن فى الشوارع بالنواحات يقمن المآتم، فلم ير بمصر أشنع من تلك الأيام. ثم أخذ بعد ذلك الأمير سيف الدين قجقار الساقى فشنق بسوق الخيل، و لم يوقف لقرا سنقر ولا للاجين على خبر ألبتة.

وبلغ الوزير ابن السلعوس وهو بالإسكندرية مقتل الملك الأشرف، فخرج ليلا وسار إلى القاهرة فنزل بزاوية الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهرى خارج القاهرة وبات عنده. ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته إلى داره، فأتاه القضاة والأعيان

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) جمع جيارة، وهى الفرن التى يحرق بها الجير.

وسلموا عليه، فجرى معهم على عادته من الترفع والكبر، ولم يقم لأحد ولا احتفل بكبير. فقال له بعض أصدقائه: «الرأى أن تختفى حتى تسكن الفتنة» فقال: «هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا، فكيف نختاره لأنفسنا؟» واستمر فى بيته والناس تتردد إليه خمسة أيام، وذلك من أجل أن حرم الملك الأشرف بعثن إلى الأمير كتبغا النائب يشفعن فيه، فإنه من أحباب السلطان وأخصائه. فشق ذلك على الشجاعى وتحدث مع كتبغا وغيره من الأمراء، وحرضهم عليه وأغراهم به، فاستدعاه كتبغا فى اليوم السادس وهو ثانى عشرى المحرم، فركب فى دسته على عادته، فعندما دخل إليه قبض عليه وأسلمه للشجاعى فأحاط به، وأنزله من القلعة ماشيًا إلى داره والأعوان محيطة به، فلم يمكن من العبور إليها. وأخذه أعدى أعاديه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى شاد الصحبة ليطالبه بالأموال، فضربه ضربا شديدًا بلغ فى مرة واحدة ألفًا ومائة ضربة بالمقارع، فأنكر عليه الشجاعى ذلك ونقل ابن السلعوس إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ المسعودى شاد الدواوين ، فعاقبه بأنواع العقوبات وعذبه أشد عذاب، واستخرج منه مالاً كثيرًا: منه مبلغ تسعة آلاف دينار تحت يد شخص بالشام، فكتب التذاكر إلى الشام، وأخذ المبلغ المذكور.

وكانت عقوبة ابن السلعوس فى المدرسة الصاحبية[1] بسويقة الصاحب من القاهرة، وفى كل يوم يضربه لؤلؤ بالمقارع ويخرجه من الصاحبية إلى القلعة وهو على حمار، فيقف له أراذل الناس فى طول الطريق ومعهم المداسات المقطعة ويقولون له: «يا صاحب علّم لنا على هذه» ويسمعونه كل مكروه، فينزل به من الخزى والنكال ما لا يعبر عنه. وكان لؤلؤ هذا ممن أنشأه ابن السلعوس، فإنه كان قد طلب من دمشق لما قتل مخدومه الأمير طرنطاى النائب وكان يلى ديوانه بالشام فأحسن إليه ابن السلعوس وولاه شد الدواوين بمصر، وصار يقف فى خدمته كأنه بعض النقباء، فلا يسميه إلا لؤلؤ، فقدر الله أنه وقع فى يده، فبالغ فى إهانته وصارت العقوبة فى كل يوم تتزايد عليه والشدائد تتضاعف، ويتولى عقوبته شر الظلمة وأبعدهم من الشفقة، إلى أن مات فى يوم السبت عاشر صفر، وقيل خامس عشره، وقيل سابع عشره، وضرب بعد موته ثلاث عشرة مقرعة، ودفن بالقرافة.

وفى تاسع عشر صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عن وظيفة القضاء، وأعيد قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان

---

(١) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر، وزير السلطان العادل. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/١٠٤.

بيده من المناصب واستقر ابن جماعة فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة، وتدريس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفى هذه المدة: أحكم الشجاعى أمر الوزارة، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه، وأحب أن يستبد بالأمور، فشرع فى إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه، واستمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينار سرا، وقرر معهم أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه، وأن الأمير علم الدين سنجر البندقدارى يقبض على كتبغا إذا جلس على السماط. وكان ممن اطلع على هذا الأمير سيف الدين قنغر التترى الوافد فى الدولة الظاهرية وهو من جنس كتبغا، فأعلمه الخبر، فاحترز كتبغا على نفسه وأعلم أصحابه من الأمراء وغيرهم، فلما كان يوم الخميس ثانى عشرى صفر اجتمع الأمراء بمساطب باب القلة من قلعة الجبل على العادة، ينتظرون فتح باب القلعة ليركبوا فى خدمة الأمير كتبغا فى الموكب كما جرت به العادة، فلم يشعروا إلا برسالة قد خرجت على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من الأمراء: وهم سيف الدين قبجق، وبدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر، وسيف الدين قبلاى، وركن الدين عمر السلاح دار أخو تمر، وسيف الدين كرجى، وسيف الدين طرنجى، وقرمشى السلاح دار، وبورى السلاح دار، ولاجين جركس، ومغلطاى المسعودى، وكرد الساقى، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية. وقام بقية الأمراء للركوب، فبينما هم يسيرون تحت القلعة بالميدان الأسود، جاء الأمير قنغر ومعه ابنه جاورجى، فأخبرا النائب كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا، وأن الشجاعى قد دبر «أنك إذا طلعت قبض عليك وعلى من معك وقت الجلوس على السماط». فعرف كتبغا الأمراء الذين معه بما قال قنغر وولده، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة.

واستعجل الأمير علم الدين البندقدارى، وعمل ما لا كان ينبغى، وذلك أنه كان فى الموكب سيف الدين برلغى أمير مجلس، وركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستادار، فلم يشعر بيبرس إلا وضربة دبوس جاءته فى رأسه أثرت فيه أثرًا بقى فيه بعد ذلك، وقبض عليه وعلى برلغى وبعث بهما إلى الإسكندرية. وعند قبضهما قال سنجر البندقدارى لكتبغا النائب فى جملة كلام فاوضه به: «أين لاجين؟ أحضره» فقال كتبغا: «ما هو عندى» فقال سنجر: «والله هو عندك» وجرد سيفه ليضرب به كتبغا، فبادره من ورائه بكتوت الأزرق مملوك كتبغا وضربه بسيف حل كتفه، ونزل إليه بقية مماليك كتبغا وذبحوه.

وساق كتبغا ومن معه من الأمراء: وهم بيسرى وبكتاش الفخرى أمير سلاح وبكتوت العلائى وبهاء الدين يعقوب ونوكاى وأيبك الموصلى والحاج بهادر وأقسنقر كرتيه وبلبان إلى باب المحروق وخرجوا منه، فنزلوا بظاهر السور ولبسوا عدة الحرب. وبعث كتبغا نقباء الحلقة فى طلب المقدمين وأجناد الحلقة والتتر والأكراد الشهرزورية، فحضروا إليه. وركب الشجاعى وخرج إلى باب القلعة، وحرك الكوسات ليحضر إليه الأمراء وأجناد الحلقة، فإنه كان قد صر [1] عدة صرر من ذهب، وراسل المقدمين وأجناد الحلقة يعدهم إذا وافقوا وقاموا معه، فصار من يحضر إليه يعطيه صرة ذهب على قدره، فلم يحضر إليه هذا اليوم إلا من لا يغنى ولا يجدى مجيئه شيئًا. ثم إن كتبغا بعث إلى السلطان يطلب الشجاعى، وقال له: «قد انفرد هذا برأيه فى القبض على الأمراء ولابد من حضوره، فإنه بلغنا عنه ما أنكرناه». فأرسل السلطان يعرف الشجاعى بذلك، فامتنع أن يحضر إليه، ورجف كتبغا وأخذ يحاصر القلعة وقطع عنها الماء وباتوا على ذلك. فلما كان يوم الجمعة نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية، وقاتلوا كتبغا ومن معه من العساكر، وهزموهم وساقوا خلفهم إلى البئر البيضاء، ومر كتبغا إلى ناحية بلبيس.

وكان بيسرى وبكتاش فى عدة من الأمراء لم يركبوا مع كتبغا فى هذا اليوم، فلما سمعوا بكسرته شق عليهم ذلك وركبوا إلى البرجية وقاتلوهم، وكسروهم حتى ردوا إلى القلعة. فقدم كتبغا بعد كسرته وانضم مع بيسرى وبكتاش، وتلاحق بهم الناس. فجدوا فى حصار القلعة حتى طلع الملك الناصر على البرج الأحمر وتراءى لهم، فنزل الأمراء عن خيولهم إلى الأرض وقبلوا له الأرض، وقالوا: «نحن مماليك السلطان، ولم نخلع يدا من طاعته، وما قصدنا إلا حفظ نظام الدولة واتفاق الكلمة وإزالة الفساد».

واستمر الحصار سبعة أيام، وفى كل يوم ينزل الشجاعى ومعه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين طغجى فى عدة من المماليك السلطانية، فيكون بينه وبين كتبغا وأصحابه قتال، إلا أنه يتسلل ممن معه فى كل يوم عدة ويصيرون إلى كتبغا. فلما اشتد الحصار طلعت أم السلطان على سور القلعة، وسألت الأمراء عن غرضهم حتى تعمل، فقالوا: «ما لنا غرض إلا القبض على الشجاعى وإخماد الفتنة، ولو بقى من بيت أستاذنا بنت عمياء كنا مماليكها، لاسيما وولده الملك الناصر حاضر وفيه كفاية». فانخدعت لقولهم، واتفقت مع الأمراء حسام الدين الأتابك وغلقوا باب القلة

---

(١) الصاد والراء أصول، الأول قولهم: يصر الدراهم يصرها صرا، وتلك الخرقة صرة. انظر مقاييس اللغة ٣/٢٨٢.

من القلعة، وصار الشجاعى بداره من القلعة محصورا. فعند ذلك تفرق عنه أصحابه ونزلوا إلى كتبغا، فلم يجد بدا من طلب الأمان فلم تجبه الأمراء، فتحير وقال: «إن كنت أنا الغريم فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا منى، وأبرأ مما قيل عنى» وخرج إلى باب الستارة السلطانية وحل سيفه بيده، وذهب نحو البرج ومعه الأمير بهاء الدين الأقوش والأمير سيف الدين صمغار.

وقيل إن الشجاعى لما أبى الأمراء أن يؤمنوه بعثوا آخر النهار عند العصر جماعة فيهم الأقوش إلى عند أم السلطان، وطلبوا الشجاعى ليستشيروه فيما يفعل، فلما حضر تكاثرت عليه المماليك، ووثب عليه منهم أحد مماليك الأقوش وضربه من ورائه بسيف أطار يده، وثنى بأخرى أسقطت رأسه عن بدنه، ورفعت فى الحال على السور. وكان عمره نحو خمسين سنة.

ويقال إنه لما حضر قال له السلطان: «يا عمى لأى شىء هذا الذى أنتم فيه؟» فقال: «لأجلك يا خوند» فقال: «خلونى أعمل شيئًا تبقوا مطمئنين وأنا معكم، وهو أنك تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة وترسل ورائه الأمراء ليطلعوا، وبعد أيام نوفق بينكم، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ونستريح منهم». فقام الأمراء الحاضرون وقبضوا عليه، وقيدوه وأخرجوه إلى مكان يسجن فيه، فتوجه به الأقوش نحو البرج الجوانى.

فلما كان فى أثناء الطريق قتله، وقطع رأسه ويده وأخذها فى ذيل قرطيته[1] ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والمماليك السلطانية محيطة بباب القلعة، فقالوا له: «ما معك» فقال: «خبز سخن أرسله السلطان إلى الأمراء، ليعلموا أن عندنا الشىء بكثرة» يريد بذلك النجاة منهم. فظنوه صادقًا وتركوه، ولو علموا بأنه معه رأس الشجاعى لما خلص منهم. فصار إلى الأمراء وناولهم الرأس، فبعثوا فى الحال من حلف السلطان والأمراء الذين عنده.

وفتح باب القلعة، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة وهم راكبون إلى باب القلة، ثانى يوم، ودقت البشائر، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشريه. فنودى بعد ذلك بالأمان، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة، وكذلك الأسواق كانت معطلة فى هذه المدة.

ثم رفع رأس الشجاعى على رمح وطيف بها القاهرة ومصر، ولم يدعوا زقاقا حتى

---

(١) المقصود أن الأقوش أحضر رأس الشجاعى وقد لفه فى بقجة. انظر نهاية الأرب ٣٠٧/٢٩.

طافوا بالرأس فيه، وجبوا عليه مالا كثيرًا. وفى الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات، ومنهم من يصفعه ويسبه، وصاروا يقولون: «هذه رأس الملعون الشجاعى». وسرَّ كثير من الناس لموته، فإنه أكثر من المصادرات، ونوَّع الظلم والعسف أنواعا.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، وأعيدت لهم إقطاعاتهم وأموالهم، وجددت الأيمان للسلطان ولنائبه الأمير كتبغا. وأنزل من كان ساكنا فى الأبراج والطباق بقلعة الجبل من المماليك السلطانية الذين رموا بأنهم أثاروا هذه الفتنة، وأسكنت طائفة منهم فى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولونى، وطائفة فى دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، وطائفة فى مناظر الميدان الصالحى بأرض اللوق، واعتقلت طائفة.

وفى يوم الخميس تاسع عشريه: استقر فى الوزارة الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا، واستقر ابن عمه عز الدين الصاحب محيى الدين بهاء الدين فى وزارة الصحبة، وصارا يجلسان جميعًا فى شباك الوزارة بقلعة الجبل، والصاحب تاج الدين هو الذى يوقع.

وفى سلخه:(١) أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم.

وفى ثالث ربيع الأول: أوقعت الحوطة بدمشق على موجود الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وقبض على نوابه.

وفى العشرين من رجب: حلف نائب دمشق والأمراء بها للسلطان ونائبه وولى عهده الأمير كتبغا، ودعى له معه فى الخطبة.

وفى خامس عشريه: ركب الملك الناصر فى أبهة الملك، وشق القاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة عائدًا إلى القلعة، وكتبغا والأمراء يمشون فى ركابه، فكان يومًا مشهودًا، ودقت البشائر بالقلعة.

وفى يوم عيد الفطر: ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوريان من الاستتار: وكانا وقت فرارهما عند وقعة بيدرا قد أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزينى مملوك الأمير كتبغا بحالهما، فتلطف مع أستاذه كتبغا فى أمرهما حتى صار يتحدث مع السلطان إلى أن عفا عنهما، ثم تحدث كتبغا مع الأمير بكتاش فى أمرهما، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك، وأزال ما كان فى نفوسهم من الوحشة. وقرر الحال على أنهما

---

(١) السين واللام والخاء أصل واحد، وسلخت الشهر إذا صرت فى آخر يومه. انظر مقاييس اللغة ٣/٩٤.

يصعدان إلى القلعة يوم العيد، فأتيا سرًّا إلى بيت الأمير كتبغا بقلعة الجبل، فأخذهما معه ودخل إلى السماط، فقبلا الأرض للسلطان على العادة، فأكرمهما وخلع عليهما وأمرهما كما كانا، ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجل وصفه. وكانت هذه الفعلة من كتبغا مع لاجين كعنز السوء بحثت عن حتفها بظلفها، كما ستراه قريبًا من خبرهما إن شاء الله.

وفيه أفرج عن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأخوته وأولاده.

وفي هذه السنة: قصر مد النيل ولم يوف، بل كانت نهايته خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع، فغلت الأسعار.

وفيها استقر في قضاء دمشق قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضًا عن قاضي القضاة شهاب الدين محمد الخويي بحكم وفاته.

وفيها سار الشريف أبو نمي أمير مكة يريد مصر حتى يلقى السلطان الملك الأشرف، لأنه حلف على ذلك، فلما نزل ينبع رد إليه الشريف راجح بن إدريس ينبع، وجاءه الخبر بقتل السلطان الملك الأشرف، فرجع من ينبغ إلى مكة.

وغلت الأسعار بمكة، فأبيع المد الملح بستة دنانير مكية، وغلت بها المياه في شعبان ورمضان. وقدم حاج اليمن في كثرة، فبلغت الراوية أربعة دنانير، وحمل الماء من عرفة إلى مكة. ثم أغاث الله بالأمطار وكانت بمنى قبله في يوم الأحد، فسار الناس منها يوم الأربعاء ومضوا إلى بلادهم.

وفيها قتل الملك كيختو بن أبغا بن هولاكو. وولي بعده بيدو بن طوغاي بن هولاكو.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي قضاة الشام شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المهلبي الشهير بابن الخويي الشافعي[1] بدمشق عن سبع وستين سنة، ولي قضاء حلب ودمشق ومصر، ولم يبرح مشكور السيرة.

---

(١) محمد بن خليل بن سعادة الخويي، شهاب الدين، أبو عبد الله قاضي دمشق، وابن قاضيها. مولده ووفاته فيها. ولي قضاء القدس سنة ٦٥٧، ثم قضاء حلب، فقضاء الديار المصرية، ونقل إلى قضاء الشام. وكان فقيها شافعيا باحثا. والخويي نسبة إلى خوى من أعمال أذربيجان. انظر الأنس الجليل ٤٦٦/٢، وفوات الوفيات ١٨٢/٢، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣، وبغية الوعاة ١٠، والدارس ٢٣٧/١، والفهرس التمهيدي ٥٦١، والشذرات ٤٢٣/٥، والأعلام ٣٢٤/٥.

وتوفى الوزير الصاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى[١] عن إحدى وثمانين سنة، وزر مرتين.

وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبى الرجا بن السلعوس التنوخى، عن خمسين سنة مقتولا.

وتوفى الزاهد المعتقد تقى الدين أبو محمد عبد الله بن على بن محمد بن منجد السروجى[٢] بالقاهرة.

وتوفى المحدث شرف الدين أبو على الحسن بن على بن عيسى بن الحسن بن على ابن الصيرفى اللخمى[٣] عن نحو سبع وستين سنة.

ومات قبلاى خانة بن طلوى بن جنكزخان ملك الصين، وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسى مملكة جنكز خان. وكانت مدته قد طالت، فقام فى مملكة الصين بعده ابنه شبردون بن قبلاى.

* * *

(١) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى ثم المصرى، أبو العباس فخر الدين: وزير، من الكتاب. له شعر. أصله من إسعرد، وتتلمذ للبهاء زهير بمصر. ولى ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. وولى الوزارة مرتين. توفى بالقاهرة. انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/٦، والبداية والنهاية ٢٣٧/١٣، ومرآة الزمان ٧٧٨/٨، ٧٧٩، والأعلام ٥٨/١.

(٢) عبد الله بن على بن منجد السروجى، تقى الدين: شاعر، فيه فضل وأدب، ولد فى سروج وتوفى بالقاهرة. انظر العقود اللؤلؤية ٣٠٠/١ والأعلام ١٦٠/٤.

(٣) الحسن بن على بن عيسى اللخمى، أبو محمد شرف الدين بن الصيرفى، محدث مصرى، ولى مشيخة الفارقانية. انظر العبر ٣٩٧/٥، والشذرات ٤٤٧/٥، والتذكرة ٢٨٧/٤، والأعلام ٢٤/٢.

سنة أربع وتسعين وستمائة

فى المحرم: ورد الخبر بأن كيختو بن أبغا بن هولاكو، الذى تسلطن بعد أخيه أرغون فى سنة تسعين، قتل فى سنة ثلاث وتسعين. وملك بعده ابن عمه بيدو، وهو ابن طرغاى بن هولاكو، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان، وكسره وأخذ الملك منه، ويقال إنه أسلم على يد الشيخ صدر الدين بن حمويه الجوينى.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التى تحت القلعة، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليه. وداروا على خوشداشيتهم فأركبوهم ومضوا إلى باب سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من المماليك، فلم يوافقوهم على ذلك فتركوهم، وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من المماليك، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة. فركب الأمراء الذين بالقلعة وقاتلوهم، فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا. فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها و لم يفلت منهم أحد، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة، وقطعت أيدى جماعة وأرجلهم، وغرق كثير منهم، وفيهم من أكحل، وفيهم من قطعت ألسنتهم، ومنهم من صلب على باب زويلة، ومنهم من بقى، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: خلع الملك الناصر ابن قلاوون، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام، لم يكن له فيها أمر ولا نهى.

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى

كان فى مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للناصر معه تصرف ألبتة. ثم إنه أخذ فى أسباب السلطنة بعد قتل الشجاعى. ولما دخل المحرم انقطع فى دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن، وباطن أمره أنه يريد أن يقرر أموره فى السلطنة فخرج إليه الناصر وعاده. فلما كانت فتنة المماليك جلس فى صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم: «قد انخرق ناموس المملكة، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه». فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه، وحلفوا له على ذلك، وقدم إليه

فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وركب من دار النيابة قبل أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام الأربعاء حادى عشر المحرم، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك، وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتان.

ومن عجيب الاتفاق أن مشرف[1] المطبخ السلطانى بالقلعة ضرب بعض المرقدارية[2] فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول: «يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس» فجرى هذا الكلام فى هذا اليوم على ألسنة جميع الناس.

وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر، وأسكن هو وأمه فى بعض قاعات القلعة.

وفى ثانى عشره: مد العادل سماطا عظيما وجلس عليه، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، وجعل أمير جاندار، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر، واستقر أمير حاجب.

وفى رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا، وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصورى، فقدم دمشق فى سابع عشره وحلف النائب والأمراء، ودقت البشائر.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزراة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة.

وفى يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتى على رأسه والتقليد بين يديه، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضى جمال الدين محمد بن المكرم بن أبى الحسن بن أحمد الأنصارى.

وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمّر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا، وأغرلو

---

(١) أطلق اسم المشرف على الذى يتولى أمر المطبخ السلطانى ويقف على مراقبة الأطبخة به حسب إرشاد أستادار الصحبة. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٥/٤٥٤.

(٢) المرقدار أحد صبيان المطبخ السلطانى، وهو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٥/٤٥٤.

وبكتوت الأزرق[١] وقطلو بك، فركبوا بالإمرة فى يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقى الدين توبة التكريتى[٢] على عادته فى أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه فى الدولة الأشرفية، وسار من القاهرة.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة، واستقر بالقاضى فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى الدارى وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين فى الوزارة.

وفى هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث، وخرج النائب وسائر الناس مشاة. وتزايد الغلاء بديار مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين، وكانت التقاوى المخلدة[٣] قد أكلت. ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال، فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها للأمراء وغيرهم حتى نفد ما فى الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم، فصار الوزير يشترى الغلال للمئونة بدور السلطان وللعليق، فتزايد الغلاء حتى بلغ تسعين درهما الأردب.

ووقع فى شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم فى القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحا فى الأزقة والشوارع ملقى فى الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

وفى سادس عشرى رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى فى قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة، وأنعم على الملك الأوحد شادى بن الزاهر مجير الدين دوادار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبى بإمرة فى دمشق، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها، وهو أول من أمر طبلخاناه من بنى أيوب فى دولة التركية. فقدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبى المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول[٤] التركمانى

---

(١) سمى الأمير بكتوت بهذا الاسم، لأنه كان أخيف العينين، والأخيف هو الذى تكون إحدى مقلتيه سوداء والأخرى زرقاء. انظر محيط المحيط.

(٢) نسبة إلى تكريت.

(٣) هى التقاوى المحفوظة لأغراض الزراعة.

(٤) يوسف المظفر بن عمر المنصور نور الدين بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ بصنعاء. وأحسن صيانة الملك وسياسته. انظر العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠،٨٥،٨٨،٢٨٤. وابن=

صاحب اليمن فى شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة، وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر[(١)] ولى عهدهأيون، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود[(٢)] وجمع لقتاله، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملكها وأخذ الأموال بغير حق، وسار يريد تعز فبعث إليه الأشرف جيشا قاتله وأسره وحمله إليه، فاعتقله.

وفيها استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموى بدمشق، زيادة على ما بيده من قضائها، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال، وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى نائب البلاد الطرابلسية، وحمل إلى القاهرة، فقدمها فى حادى عشر ذى القعدة واعتقل، وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى.

وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشر إصبعا، ثم هبط من ليلته ولم يعد، فتزايد الغلاء واشتد البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضًا، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز، وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان فى شهر ذى الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك. وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرِّف بموته فى كل يوم ألف نفس، سوى من لم يثبت اسمه فى الديوان. فلما اشتد

=الوردى ٢/ ٢٤٠ وابن الفرات ٢٠٢/٨ وأبناء الزمن والبداية والنهاية ٣٤١/١٣ والنجوم الزاهرة ٧١/٨ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٤١/٦ ومعجم المطبوعات ١٤١٧. انظر مورد اللطافة، لابن تغرى بدرى ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(١) عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، أبو حفص، ممهد الدين، الملك الأشرف: ثالث ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. كان عالما فاضلا حسن السيرة. انتدبه أبوه الملك المظفر للمهمات، ثم نزل له عن الملك قبيل وفاته سنة ٦٩٤هـ فاستمر قرابة سنتين، وتوفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢٨٤/١، و٢٩٧ ومجلة المجمع ٢٢٣/٢٦ وطرفة الأصحاب ٣٦ والأعلام ٦٩/٥.

(٢) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن، السلطان المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. وتوفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١، وفوات الوفيات ١٥٨/١، وابن خلدون ٥١١/٥، وغربال الزمان ومرآة الجنان ٢٦٦/٤، والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩، وأبو الفداء ٩١/٤، والدرر الكامنة ٩٩/٢، والأعلام ٣٣٦/٢.

الأمر فرق السلطان الفقراء على أرباب الأموال بحسب حالهم.

وفيها كثرت الفلوس، فعلمت كل أوقية بسدس درهم.

وفيها مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[١] ليلة الجمعة رابع عشرى ذى الحجة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر. وبويع أبو عبد الله محمد المعروف بأبى عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد[٢].

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان كيختو بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ملك التتار قتيلا، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين.

ومات القان بيدو بن طرغاى بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر، وقام بعده غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر بن على بن رسول ملك اليمن بقلعة تعز[٣] وقد تجاوز ثمانين سنة، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة.

ومات الملك السعيد داود بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق ابن إيلغازى بن ألبى تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين، وقام بعده أخوه المنصور غازى.

وتوفى شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن الحسين ابن حماد القدسى الشافعى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق، وقد انتهت إليه رياسة الفتوى وولى خطابة الجامع الأموى. وتوفى عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن

---

(١) عمر بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى الهنتانى، أبو حفص، المستنصر الثانى صاحب تونس، من ملوك الدولة الحفصية. تلقب بالمستنصر با لله توفى بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٧ والدولة الحفصية ٨٧-٩٢ وخلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ٦٩/٥.

(٢) محمد بن يحيى الواثق با لله بن محمد المستنصر الأول، أبو عصيدة، أمير المؤمنين المستنصر الثانى أبو حفص عمر بن يحيى سنة ٦٩٤هـ، استمر إلى أن توفى. انظر الخلاصة النقية ٦٨ والدرر الكامنة ٢٨٥/٤ خلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ١٣٨/٧.

(٣) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٣٤/٣.

عمر بن فرج بن أحمد بن سابور الفاروثى[١] الواسطى الشافعى، عن ثمانين سنة بواسط، وكان قد ولى الخطابة بعد ابن المرحل، وكان إمامًا فى عدة فنون.

وتوفى محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى الشافعى[٢] فقيه الحجاز، بمكة عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الساكن الطوسى المشهدى، بالقاهرة.

* * *

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن عمر، أبو العباس، عز الدين الواسطى الفاروثى مقرئ شافعى كان شيخ العراق فى عصره، ووفاته بواسط، ونسبته إلى فاروث قرية على دجلة. انظر الشذرات ٤٢٥/٥ والأزهرية ٥٣٦/٣ والأعلام ٨٦/١.

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبرى، أبو العباس، محب الدين: حافظ فقيه شافعى، متقن، من أهل مكة مولدًا ووفاة وكان شيخ الحرم فيها. له تصانيف منها «السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

سنة خمس وتسعين وستمائة

في المحرم: حدث بقرية جبة عسال[1] من قرى دمشق أمر عجيب: وهو أن شابا من أهلها خرج بثور له يسقيه الماء، فلما فرغ الثور من شربه حمد الله، فتعجب الصبي من ذلك، وحكاه فلم يصدق. فلما كان في اليوم الثاني خرج صاحب الثور به ليسقيه، فشرب وحمد الله بعد فراغه، فمضى به، وكثر ذكر ذلك بالقرية. فخرج به في اليوم الثالث وقد حضر أهل القرية، فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله. فتقدم بعضهم وسأله، فقال الثور بكلام سمعه من حضر: إن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدبًا، ولكن بشفاعة النبي ﷺ أبدلها الله تعالى بالخصب. وذكر أن النبي ﷺ أمره بتبليغ ذلك إلى الناس. قال الثور فقلت: «يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم؟» قال: «أن تموت عقيب الإخبار» ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع وسقط ميتًا، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به، وكفنوه ودفنوه وحضر إلى قلعة الجبل محضر ثابت على قاضي الولاية بهذه الحادثة.

وفي ربيع الأول: قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية من التتار ومقدمهم طرغاى زوج بنت هولاكو، وأنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت، وقد فروا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام. فكتب إلى نائب الشام أن يبعث إليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري إلى الرحبة ليلقاهم، فخرج من دمشق، ثم توجه بعده الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق، وخرج الأمير قرا سنقر المنصوري من القاهرة أيضًا ، فوصل دمشق في ثاني عشريه، ثم تبعه الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، فأقام بدمشق حتى وصلت أعيان الأويراتية صحبة سنقر الأعسر في ثالث عشريه. وكانت عدتهم مائة وثلاثة عشر رجلا، ومقدمهم طرغاى، ومن أكابرهم الوص وككباى، فتلقاهم النائب والأمراء واحتفل لقدومهم احتفالاً زائدًا.

ثم سار بهم الأمير قرا سنقر إلى القاهرة يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فلما وصلوا بالغ السلطان في إكرامهم والإحسان إليهم، وأمر عدة منهم. وبقوا على كفرهم، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها، بل يربط الفرس ويضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل. فأنف الأمراء من جلوسهم معهم

(١) هي ناحية تشمل عدة قرى بين دمشق وبعلبك. انظر، معجم البلدان ٢/٣١.

بباب القلة فى الخدمة، وعظم على الناس إكرامهم، وتزايد بعضهم فى السلطان، وانطلقت الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد.

وأما بقية الأويراتية فإنه كتب إلى سنجر الدواداری أن ينزلهم ببلاد الساحل، فمر بهم على مرج دمشق، وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج وبمنزلة الصنمين وفى الكسوة، ولم يمكن أحد من الأويرايتة أن يدخل مدينة دمشق. وأنزلوا من أراضى عثليث ممتدين فى بلاد الساحل، وأقام الأمير سنجر عندهم إلى أن حضر السلطان إلى الشام.

وقد هلك منهم عالم كبير، وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم، وتزوج الناس ببناتهم، وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم فى صبيانهم وبناتهم، ثم انغمس من بقى منهم فى العساكر، فتفرقوا فى الممالك، ودخلوا فى الإسلام واختلطوا بأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى: استقر فى قضاء القضاة بديار مصر تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى المعروف بابن دقيق العيد[1] الشافعى، بعد وفاة قاضى القضاة ذى الرياستين تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة ذى الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز.

وفى هذه السنة: اشتد الغلاء، وبلغ سعر الأردب القمح المصرى إلى مائة وثمانين درهما، والشعير تعدى الأردب منه مائة درهم، والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترمس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم، وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة، وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة، وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم. وأبيعت سفرجلة بثلاثين درهما، وكل رطل لحم بسبعة دراهم، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم، ولم يزد سعر القمح فى بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.

---

(١) محمد بن على بن وهب بن مطيع أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول. مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر انتقل إلى قوص، وولد له صاحب الترجمة فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ خطط مبارك ١٣٥/١٤ والطالع السعيد ٣١٧ وإحكام الأحكام ١٤/١ وشذرات الذهب ٥/٦ والأعلام ٢٨٣/٥.

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس، وشحت الأنفس حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزير محتسب القاهرة ومصر لبياعى لحوم الكلاب والميتات، ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبنى آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأى بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهى تستعطى، فرق لها وأدخلها داره فإذا هى جميلة، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءًا طعامـا أكلته كله و لم تشبع، فقدم إليها مثله فأكلته وشكت الجوع، فما زال يقدم لها وهى تأكل حتى اكتفت، ثم استندت إلى الحائط ونامت، فلما حركوها وجدت ميتة، فأخذوا من كتفيها جرابا فلقوا فيه يد إنسان صغير ورجله، فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء.

ثم إن الأسعار انحلت فى شهر رجب، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما، والشعير بخمسة وعشرين درهما الأردب.

وأما النيل فإنه توقف، ثم وفى ستة عشر ذراعا وكسر الخليج، فنقص فى يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس فى الأسواق من شدة الغلاء.

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة فى كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل فى الميضأة من الغرباء الطرحاء فى كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم، فيشتغل نهاره بهم. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد فى ثوب ثم ساعة ما يوضع فى حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن فى الثوب الواحد عدة أموات.

وعجز الناس عن مواراة الأموات فى القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم فى الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما فى حفرة أو فى النيل إن كان قريبًا منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات فى شباك على الجمال، ويعلقون

الميت بيديه ورجليه من الجانبين، ويرمى فى الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن، ورمى كثير من الأموات فى الآبار حتى تملأ ثم تردم.

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقى على الطرقات حتى أكلته الكلاب، وأكل كثيرًا منها بنو آدم أيضًا وحصر فى شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم الموتان فى أعمال مصر كلها حتى خلت القرى.

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر، فتزايدت الأسعار فى سائر بلاد الشام. وجفت المياه، فكانت الدابة تسقى بدرهم شربة واحدة، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة، ولم يبق عشب ولا مرعى. وبلغ القمح كل غرارة فى دمشق بمائة وسبعين درهما، والخبز كل رطل وأوقتين بدرهم، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف. ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى قرأ صحيح البخارى تحت قبة النسر بالجامع الأموى بدمشق فى يوم الأحد تاسع صفر، فسقط المطر فى تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج، فسر الناس، إلا أن الأسعار تزايدت، ثم انحطت. واشتد الغلاء بالحجاز، حتى أبيعت الغرارة القمح فى مكة بألف ومائتى درهم.

وفى رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ على بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة.

وفيها قدمت أم الملك العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية إلى دمشق فى حادى عشر رمضان ، وسارت إلى القاهرة فى ثامن عشره.

وفيها مات الملك السعيد إيلغازى بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان الأرتقى صاحب ماردين، فكانت أيامه قريبًا من ثلاث سنين، وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى.

وفى يوم السبت سابع عشر شوال: خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام، واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه فى نيابة السلطنة، وولده الملك المجاهد أنص. فدخل دمشق فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وحمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه.

وفيه استقر تقى الدين سليمان فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن شرف الدين حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى بحكم وفاته فى ثانى عشرى شوال.

ولما استقر السلطان بدمشق خلع فى سادس عشره على الأمراء وأهل الدولة، وشرع الصاحب فخر الدين الخليلى فى مصادرات أهل دمشق من الولاة والشادين ورسَّم على سنقر الأعسر شاد الدواوين، وعزل أسندمر كرجى والى البر، وولى عوضه علاء الدين ابن الجاكى، وألزم الأعسر وسائر المباشرين بأموال جزيلة.

وفى رابع عشريه: قدم الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق، فتلقاه السلطان وأكرمه وخرج عسكر كبير إلى حلب.

وفى يوم الجمعة ثامن عشريه: صلى السلطان بالجامع الأموى، وخلع على خطيبه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفى يوم الإثنين ثانى ذى الحجة: عزل الأمير عز الدين أيبك الحموى عن نيابة دمشق، ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله، واستقر فى نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلى، وعمره نحو الثلاثين سنة، واستقر أيبك الحموى نائب دمشق على إقطاع أغرلو بديار مصر، وخلع عليه.

وفى ثامنه: استقر فى وزارة دمشق عوضًا عن تقى الدين توبة وكيل السلطان شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الأذرعى الحنفى محتسب دمشق.

وفى ثانى عشره: خرج السلطان إلى حمص ليتصيد، فدخلها فى تاسع عشره، وحضر إليه نائب حلب وبقية النواب. وانسلخت هذه السنة والسلطان على جوسية[(١)] من قرى حمص بمخيمه، وكان قد اشتراها.

وفيها ولى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد قاضى العسكر نقابة الأشراف بديار مصر، بعد وفاة الشريف عز الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحلبى[(٢)] واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق تقى الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة[(٣)] بعد موت شرف الدين حسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر.

---

(١) هى قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب، وموقعها بين جبل لبنان وجبل سنير. انظر، معجم البلدان ٢/١٥٤.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشريف أبو العباس عز الدين الحسينى مؤرخ من الحفاظ. كان نقيب الأشراف بالديار المصرية. أصله من حلب ومولده ووفاته بمصر. ويقال له ابن الحلبى. انظر المنهل الصافى وشذرات الذهب ٥/٤٣٠ والتبيان وكشف الظنون ٢٠٢ والأعلام ١/٢٢١.

(٣) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين. ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة كان مسند الشام فى وقته. وله مشاركة فى العربية والفرائض=

وفيها استقر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر محمد بن عمر بن على فى مملكة اليمن، بعد موت أخيه الأشرف ممهد الدين عمر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الأشرف عمر بن المظفر محمد بن المنصور عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وقد قارب سبعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة ذو الرياستين تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشامى بالقاهرة عن[.... [1]].

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أبو الفضائل الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن الحسن بن محمد بن قدامة المقدسى بدمشق، عن سبع وخمسين سنة.

وتوفى العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى، عن نحو خمس وستين سنة بدمشق.

وتوفى الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله ابن طارق بن سلامة بن النحاس الآمدى الحلبى الحنفى، بدمشق عن إحدى وثمانين سنة، وكانت قد انتهت إليه مشيخة فقه الحنفية، وولى قضاء حلب ثم وزارة دمشق.

وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون التميمى الموصلى الشافعى، بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

وتوفى المقرئ الزاهد شرف الدين أبو الثناء محمد بن أحمد بن مبادر بن ضحاك التاذفى[2] بدمشق عن إحدى وسبعين سنة.

=والحساب، ولى القضاء عشرين سنة. انظر تاريخ الصالحية ٩٨ والدرر الكامنة ١٤٦/٢ والبداية والنهاية ٧٥/١٤ ودول الإسلام ١٧١/٢ والدارس ٥٢/١ والأعلام ١٢٤/٣.

(١)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) نسبة إلى تاذف، وهى قرية من ناحية بزاعة بالشام، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. انظر، معجم البلدان ٨١١/١.

وتوفى السراج أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الوراق الشاعر، عن نحو سبعين سنة.

وتوفى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود الشافعى الفقيه الأديب، بمصر.

* * *

سنة ست وتسعين وستمائة

فى ثانى المحرم قدم السلطان من حمص إلى دمشق.

وفى يوم الجمعة رابعه: صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموى، وأخذ قصصًا كثيرة رفعت إليه، ورأى بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشى عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده.

وفى سابع عشره: أنعم على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بإمرة طبلخاناه بدمشق.

وفى حادى عشريه: قبض على الأمير أسندمر كرجى، واعتقل بقلعة دمشق، وعزل سنقر الأعسر عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير فتح الدين عمر بن محمد ابن صبرة.

وفى بكرة يوم الثلاثاء ثانى عشريه: رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد القاهرة، وقد توغرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به. فسار إلى أن نزل بالعوجاء قريبًا من الرملة، وحضر الأمراء عنده بالدهليز، فأمر بإحضار الأمير بيسرى فطلب طلبا حثيثًا، فلما حضر لم يقم له على عادته، وأغلظ له فى الكلام ونسبه إلى أنه كاتب التتار، فكانت بينهما مفاوضة، ثم نهض السلطان، وانفض الأمراء وقد حرك منهم ما كان عندهم كامنًا.

فاجتمعوا عند الأمير حسام لاجين النائب وفيهم بيسرى، وسألوه عما كان من السلطان فى حق بيسرى، فقال: «إن مماليك السلطان كتبوا عنك كتبًا إلى التتار، وأحضروها إليه وقالوا إنك كتبتها، ونيته القبض عليك إذا وصل إلى مصر، وأن يقبض علىَّ أيضًا وعلى أكابر الأمراء، ويقدم مماليكه». فأجمعوا عند ذلك على مبادرة السلطان، فركبوا يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم وقت الظهر: وهم لاجين بيسرى وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب فى آخرين، واستصحبوا معهم حمل نقارات[1] وساقوا ملبسين إلى باب الدهليز، وحركت النقارات حربيًا. فركب عدة من العادلية

---

(١) النقارات من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة، وكانت تستخدم فى إصدار الأوامر وفى الإيذان ببدء القتال.

واقتتلوا، فتقدم تكلان العادلى فضربه الأمير لاجين فى وجهه ضربة أخذت منه جانبًا كبيرًا، وجرح تكلان فرس لاجين وقتل الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق العادلى فى خيمته، وقتل الأمير سيف الدين بتخاص العادلى، وقد فر إلى الدهليز فأدركوه بباب الدهليز فقتلوه، وجرحوا عدة من المماليك العادلية. فلم يثبت العادل، وخرج من ظهر الدهليز، وركب فرس النوبة ببغلطاق صدر، وعبر على قنطرة العوجاء يريد دمشق من غير أن يفطن به أحد، ولم يدركه سوى خمسة من مماليكه. وهجم لاجين على الدهليز فلم يجد العادل وبلغه أنه فر، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز، فلما عاينه الأمراء ترجلوا له ومشوا فى ركابه حتى نزل. فكانت مدة كتبغا، منذ جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، سنتين وسبعة عشر يوما.

* * *

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى المعروف بالصغير[1]

كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور على بن الملك المعز أيبك، فلما خلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعى، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية، بحكم بيع قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكرى. وعرف حين بيعه بشقير، فربى عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى فى خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمرَّه قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك، وهو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته فى النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما فى أيديهم، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانيًا، ففر من داره بدمشق، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا فى قتل الأشرف خليل[2] ، كما تقدم ذكره. ثم اختفى خبره

---

(١) انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١/١٣٦، والنجوم الزاهرة ٨/٨٥، والأعلام ٥/٢٣٨.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من =

مدة، وتنقل فى المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا فى أمره، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين فى نيابة السلطنة بديار مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه، فنزل بالدهليز من العوجاء وقيل من اللجون.

واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسرى الشمسى، وشمس الدين قرا سنقر المنصورى، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح دار الرومى أستادار، وبدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، وعز الدين أيبك الخازندار، وجمال الدين أقوش الموصلى، ومبارز الدين أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وسيف الدين سلار، وسيف الدين طغى، وسيف الدين كرجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين برلطاى فى آخرين، حتى حملت الخزائن على البغال ورمى الدهليز. وساروا فى خدمة لاجين إلى قريب المغرب، ونزلوا قريبًا من يازور[1] وحضروا بأجمعهم بين يدى لاجين واتفقوا على سلطنته، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم، ولا ينفرد برأى دونهم، ولا يبسط أيدى مماليك ولا يقدمهم، وحلفوه على ذلك. فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصورى: «نخشى أنك إذا جلست فى منصب السلطنة تنسى هذا الذى تقرر بيننا وبينك، وتقدم مماليك وتخول مملوكك منكوتمر علينا، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا». وكان منكوتمر مملوك لاجين، وكان يوده ويؤثره، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه. فحلف لاجين مرة ثانية أنه لا يفعل ذلك، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه، فحلف له الأمراء وأرباب الدولة. وتلقب بالملك المنصور، وركب بشعار السلطنة فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم، وبات تلك الليلة ورحل إلى سكرير ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه، فخطب له بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس، وضربت بها البشائر.

وهذا وقد ركب البريد من غزة، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء. ورسم السلطان لاجين فى غزة بمسامحة أهل مصر والشام بالبواقى، ثم سار منها فى يوم الخميس أول صفر. ونزل ظاهر بلبيس فى ثامنه،

ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد. قتله بعض المماليك غيلة بمصر.
انظر فوات الوفيات ١٥١/١ ودائرة البستانى وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ٢٢١/١ ووليم موير ٦٢ والأعلام ٣٢١/٢.

(١) هى بليدة بسواحل الرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ١٠٢/٤.

وقد خرج إليه أمراء مصر وحلفوا له، ثم سار منها ضحوة وبات مسجد تبر، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل. ثم ركب إلى الميدان السلطانى بشعار السلطنة على العادة، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وعليه الخلعة الخليفتية وهى جبة سوداء بزيق [1] وأكمام واسعة والتقليد محمول بين يديه، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه، وذلك فى يوم الخميس خامس عشره.

وفى يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هى عليه، فسر الناس به، فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها، فأبيع بعشرين، وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب، فأبيع بعشرة، وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف، فأبيع بدرهم وربع، ودرَّت الأرزاق وكثر الخير.

وفوض السلطان لاجين نيابة السلطنة بديار مصر إلى الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى، واستمر بالصاحب فخر الدين بن الخليلى فى الوزارة، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستادارا، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا، والأمير سيف الدين قبجاق المنصورى نائب الشام، ومنع الوزير من الظلم وأخذ المواريث بغير حق، وألا يطرح البضائع على التجار، فكثر الدعاء له.

وأما كتبغا فإنه قدم قبله إلى دمشق أمير شكاره وهو مجروح، ليعلم الأمير أغرلو نائب دمشق بما وقع، فوصل فى يوم الأربعاء سلخ المحرم، فكثر بدمشق القال والقيل، وألبس أغرلو العسكر السلاح ووقفوا خارج باب النصر. فوصل كتبغا فى أربعة أنفس قبل الغروب وصعد القلعة، وحضر إليه الأمراء والقضاة وجددت له الأيمان، ثم أوقع الحوطة على أموال لاجين. وقدم فى أول صفر الأمير زين الدين غلبك العادلى بطائفة من المماليك العادلية، وجلس شهاب الدين الحنفى وزير الملك العادل كتبغا فى الوزارة بالقلعة، ورتب الأمور وأحوال السلطنة. فاشتهرت بدمشق سلطنة لاجين فى يوم ثالث عشره، وأن البشائر دقت بصفد ونابلس والكرك. فصار كتبغا مقيما بقلعة دمشق لا ينزل منها، وبعث الأمير سيف الدين طقصبا الناصرى فى جماعة لكشف الخبر، فعادوا وأخبروا بصحة سلطنة لاجين. فأمَّر كتبغا جماعة من دمشق، وأبطل عدة مكوس فى يوم الجمعة سادس عشره، وكتب بذلك توقيعًا قرئ بالجامع.

---

(١) الزيق: ما يُكف به جيب القميص، يقال: عمل للجيب زيقا: خاطه به لتقويته، جمع أزياق، وزيقة انظر المعجم الوسيط (زيق).

فبعث الملك المنصور لاجين من مصر الأمير سنقر الأعسر وكان فى خدمته بمصر فوصل إلى ظاهر دمشق فى رابع عشره، وأقام ثلاثة أيام، وفرق عدة كتب على الأمراء وغيرهم وأخذ الأجوبة عنها، وحلف الأمراء. وسار إلى قارا[1] وكان بها عدة أمراء مجردين فحلفهم وحلف عدة من الناس، وكتب بذلك كله إلى مصر. وسار إلى لدّ، فأقام بها فى جماعة كبيرة لحفظ البلاد، ولم يعلم كتبغا بشىء من ذلك.

فلما كان يوم السبت رابع عشريه: وصل الأمير سيف الدين كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة، فلم يدخلوا دمشق، ونزلوا بميدان الحصا قريبًا من مسجد القدم، فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم طائفة بعد طائفة. وانحل أمر كتبغا، فتدارك نفسه وقال للأمراء: «السلطان الملك المنصور خوشداشى، وأنا فى خدمته وطاعته، وأنا أكون فى بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه فى أمرى» فأدخله الأمير جاغان الحسامى مكانًا من القلعة. واجتمع الأمراء بباب الميدان، وحلفوا للملك المنصور وكتبوا إليه بذلك، وحفظ جاغان القلعة ورتب بها من يحفظ كتبغا، وغلقت أبواب دمشق كلها إلا باب النصر، وركب العسكر بالسلاح ظاهر دمشق، وأحاط جماعة بالقلعة خوفا من خروج كتبغا وتحيزه فى جهة أخرج. وكثر كلام الناس واختلفت أقوالهم، وعظم اجتماعهم بظاهر دمشق حتى أنه سقط فى الخندق جماعة لشدة الزحام فيما بين باب النصر وباب القلعة، فمات نحو العشرة.

واستمر الحال على هذا يوم السبت المذكور، ثم دقت البشائر بعد العصر على القلعة وأعلن بالدعاء للملك المنصور، ودعى له على المآذن فى ليلة الأحد، وضربت البشائر على أبواب الأمراء. وفتحت الأبواب فى يوم الأحد، وحضر الأمراء والقضاة بدار السعادة وحلفوا الأمراء بحضور الأمير أغرلو نائب الشام، وحلف هو وأظهر السرور. وركب أغرلو والأمير جاغان البريد إلى مصر، وبلغ ذلك الأمير سنقر الأعسر بلدّ، فنهض إلى دمشق ودخلها يوم الخميس تاسع عشريه، وقد تلقاه الناس وأشعلوا له الشموع، وأتاه الأعيان، ونودى من له مظلمة فعليه بباب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: خطب بدمشق للملك المنصور.

فلما كان يوم الجمعة ثامنه: وصل الأمير حسام الدين الأستادار بعسكر مصر

---

(١) قرية كبيرة على الطريق من حمص إلى دمشق. انظر، معجم البلدان ٤/١٢، ١٣.

ليحلف الأمراء، فحلفوا بدار السعادة فى يوم السبت تاسعه، وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره فى الملك وجلوسه على تخت الملك بقلعة الجبل، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشاريف الخليفتية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: وصل الأمير جاغان الحسامى من مصر، وحلف كتبغا يمينًا مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير حسام الدين الأستادار، والأمير سيف الدين كجكن، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة على أنه فى طاعة الملك المنصور وموافقته، وقد أخلص النية له ورضى بالمكان الذى عينه له وهو قلعة صرخد[1] وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحدًا.

وفيه استقر تقى الدين توبة فى وزارة دمشق، واستقر أمين الدين بن هلال فى نظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين توبة، واستقر الشيخ أمين الدين يوسف الرومى فى حسبة دمشق.

وفى سادس عشره: وصل الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب دمشق من مصر، ونزل بدار السعادة على عادة النواب.

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره: خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه، وجرد من دمشق معه نحو المائتى فارس ساروا به حتى عبر قلعة صرخد ثم رجعوا، فكانت مدة مفارقته الدهليز من العوجاء إلى أن خلع نفسه بدمشق فى يوم السبت رابع عشرى صفر أربعة وثلاثين يوما، وجهز إليه ابنه أنص وأهله.

ووصل إلى دمشق نحو ستمائة تشريف فرِّقت على الأمراء والقضاة والأعيان، ولبسوها يوم الإثنين ثانى شهر ربيع الآخر.

وأفرج الملك المنصور عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجعله أحد الأمراء، وعن الأمير سيف الدين برلغى وبعثه إلى دمشق على إمرة بها، وعن الأمير سيف الدين اللقمانى، وعن جماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بدمياط والإسكندرية وبخزانة البنود من القاهرة وبخزانة شمايل. فكان لهم يوم مشهود، فإنه كان فيهم خمسة وعشرون أميرًا، أنعم على جميعهم وخلع عليهم.

وفيها أمَّر السلطان لاجين جماعة من مماليكه، فأعطى مملوكه سيف الدين منكوتمر إمرة، ومملكوه علاء الدين أيدغدى شقير إمرة، ومملوكه سيف الدين جاغان إمرة، ومملوكه سيف الدين بهادر المعزى إمرة.

---

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. انظر، معجم البلدان ٤١/٣

وتقدم السلطان إلى الأمير علم الدين الدوادارى بعمارة الجامع الطولونى، وعين لذلك عشرين ألف دينار عينا، فعمَّره وعمَّر أوقافه، وأوقف منية أندونة[١] من الأعمال الجيزية عليه، ورتب فيه درس تفسير ودرس حديث نبوى، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرسًا للطب وشيخ ميعاد[٢] ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن.

وسبب ذلك أنه لما هرب فى وقعة بيدرا من بر الجيزة[٣] واختفى بمنارة الجامع الطولونى وكان إذ ذاك مهدورًا لا يوقد به سوى سراج واحد فى الليل، ولا يؤذن أحد بمنارته، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن فأقام به مدة لم يظهر خبره، فأراد أن يكون من شكر نعمة الله عليه عمارة هذا الجامع فعُمِّر، وهو الآن بحمد الله عامر بعمارته له.

وفيها كتب السلطان لاجين إلى الأشكرى بالقسطنطينية أن يجهز أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة مكرمين، فجهز الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته وحرمه، وكان الملك العادل بدر الدين سلامش قد مات بالقسطنطينية سنة تسعين وستمائة، فأحضر فى تابوت مصبرا، فدفن بقرافة مصر. وقدم الملك السعيد خضر إلى السلطان، وسأل الإذن بالحج، فأذن له وسافر مع الركب.

وفيها نقل الخليفة الحاكم بأمر الله من البرج بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولونى، وأجرى له ما يكفيه. وبعث إليه الملك المنصور بمال سنى، وصار يركب مع السلطان فى الموكب.

وفيها قدم من قضاة دمشق وأعيانها جماعة، منهم قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى الرومى، فولاه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى، وعامله من الإكرام بما لم يعامل به أحدًا، وأقر ولده جلال الدين أبا المفاخر على قضاء القضاة الحنفية بدمشق. وقدم أيضا قاضى القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم القزوينى الشامى ـ أنوشروان[٤] فعرض السلطان عليه قضاء القضاة بديار مصر، فلم يقبل واختار

---

(١) تقع تلك القرية بمديرية الجيزة بمصر. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ٥٩/١٦.

(٢) الميعاد درس دينى للوعظ والإرشاد، والحث على التقوى. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣٨٠/٣.

(٣) بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها. وهى من أفضل كور مصر. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/٢.

(٤) عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، إمام الدين، أبو القاسم الكرخى التميمى القزوينى=

دمشق، فولاه قضاء القضاة بدمشق فى رابع جمادى الأولى، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر ابن جماعة فى خطابة جامع دمشق وتدريس القيمرية بها. وقدم أيضًا قاضى القضاة جمال الدين يوسف الزواوى المالكى، فأعيد إلى ولايته بدمشق، وخلع عليه وعلى إمام الدين القزوينى، فعادا إلى دمشق فى ثامن شهر رجب. وقدم أيضًا عز الدين حمزة بن القلانسى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، واستعاد له من ورثة الملك المنصور قلاوون، ما كان قد أخذ منه، وعاد إلى دمشق فى خامس عشرى رمضان.

وفيها ظهر بأرض مصر فأر كثير أتلف الزروع، حتى لم يؤخذ منه إلا اليسير. وعزل الأمير فتح الدين عمر بن صبرة عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير سيف الدين جاغان الحسامى فى ثامن عشر رجب.

وفى هذه السنة: طلب السلطان الأمير سنقر الأعسر من دمشق فى شهر رجب، فركب البريد إلى القاهرة. ولما حضر أكرمه السلطان وجعله من أمراء مصر، ثم ولاه الوزارة بديار مصر فى سادس عشريه، وسلمه الصاحب فخر الدين بن الخليلى، فألزمه بمائة ألف دينار وقبض على أتباعه. واشتدت حرمته وعظمت مهابته، فلا يراجع ولا يخاطب إلا جوابا.

وفيها توقف النيل عن الزيادة قبل الوفاء، فتزايد السعر، وبلغ فى ذى القعدة الأردب القمح خمسة وأربعين درهمًا، ثم انحل السعر.

وفى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة: قبض على الأمير شمس الدين قرا سنقر نائب السلطنة، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا، وأحيط بموجود قرا سنقر الذى بمصر والشام، وضرب كاتبه شرف الدين يعقوب حتى مات تحت الضرب، وضُيِّق على نوابه ودواوينه. وأراد السلطان إقامة مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى فى نيابة السلطنة، فعارضه الأمراء وغضبوا من منكوتمر، فشق ذلك عليه وأراد تفريقهم، فبعث طغريل الإيغانى إلى الكشف بالشرقية. وسنقر المساح إلى كشف الغربية، وبيسرى إلى كشف الجيزة، ثم قبض على قرا سنقر النائب والحاج بهادر وعز الدين أيبك الحموى وسنقر شاه الظاهرى والأقوش وعبد الله وكورى والشيخ على، وقيدوا. وولى منكوتمر النيابة من غد مسكهم فى عشرى ذى القعدة واستقر فى نيابة السلطنة.

=الشافعى: فقيه من العلماء، تنعت بقاضى القضاة. ولد بتبريز ثم جاء إلى مصر. فتألم فى الطريق، وتوفى بالقاهرة بعد أسبوع. انظر شذرات الذهب ٤٥١/٥ وهدية العارفين ٧٨٨/١ والأعلام ٤٩/٥.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، فتقنطر عن الفرس وانكسر أحد جانبى يده اليمنى، وتهشم بعض أضلاعه وانصدعت رجله. وخيف عليه، فكسر المجبرون عظم الجانب الآخر من يده حتى يتم لهم الجبر، فإنه قصر عن الجانب الآخر، وكان قد توقف السلطان عن موافقتهم، فقال له الوزير سنقر الأعسر: «أنا حصل لى مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثم جبر» وكلمه بجفاء وغلظة واستخفاف من غير أدب. فاحتمل السلطان ذلك منه، وأجاب المجبرين لما قصدوه، وأسر لسنقر الأعسر فى نفسه.

فلما كان فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة: قبض عليه، ولم يول أحدا غيره.

وفى هذه السنة: كان الأردب القمح من أربعين درهمًا إلى خمسين، والأردب الشعير بثلاثين، واللحم بدرهمين ونصف الرطل. فنزل القمح إلى عشرين، والشعير إلى عشرة دراهم، واللحم إلى درهم وربع.

وفيها كتب بمسامحة أهل النواحى بما عليهم من بواقى الخراج المنكسرة.

وفى هذه السنة: منع السلطان من لبس الكلفتاه(١) الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن، واقتصد هو وخواصه فى الملبس. وجلس بدار العدل يومين فى الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعانيه، وصام شهرى رجب وشعبان، وتصدق فى السر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة الحنبلى عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى(٢) عن خمس وستين سنة بالقاهرة فى صفر.

وتوفى قاضى الحنفية بحلب تاج الدين أبو المعالى عبد القادر بن عزالدين أبى عبد الله محمد بن أبى الكرم بن عبد الرحمن علوى السنجارى، عن ثلاث وسبعين سنة بحلب، وهو معزول.

---

(١) غطاء للرأس.

(٢) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاض القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس. توفى بالقاهرة. انظر شذرات الذهب ٤٣٦/٥ ومجلة الكتاب ١٣٠١/٤ والأعلام ٥٢/٥.

وتوفى ضياء الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى وزير حماة، عن ثمان وسبعين سنة بحلب.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الظاهرى الحلبى الحنفى[١] شيخ الحديث، عن سبعين سنة، بزاويته خارج القاهرة فى ربيع الأول.

وتوفى عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصرى الحنبلى، بالمدينة النبوية عن إحدى وسبعين سنة، بعدما جاور بها خمسين سنة.

وتوفى الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن جعفر السامرى[٢] بدمشق عن ست وسبعين سنة، وكان هجَّاء.

وتوفى الشريف الحافظ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على ابن محمد بن محمد الحسينى، المعروف بابن الحلبى، نقيب الأشراف بديار مصر، فى[....... [٣]] ومولده سنة ست وثلاثين.

* * *

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس، جمال الدين بن الظاهرى: من حفاظ الحديث، حلبى المولد والمنشأ كتب عن ٧٠٠ شيخ، بالشام والجزيرة ومصر. وكان ثقة. توفى بظاهر القاهرة. انظر كشف الظنون ١٦٩٦/٢ وشذرات الذهب ٤٣٥/٥ ودارالكتاب ٨٣/١ والأعلام ٢٢١/١.

(٢) أحمد بن محمد بن على بن جعفر: أديب له شعر أجوده هجوه. أصله من سامراء ونسبته إليها. انتقل إلى الشام بأمواله، فسكنها وحظى عند صاحبها الملك الناصر وامتدحه. انظر فوات الوفيات ٦٥/١، ٦٨ والأعلام ٢٢١/١.

(٣)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة سبع وتسعين وستمائة

فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكرى إلى القاهرة، بشفاعة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصبَّر، فدفن سلامش بالقرافة. وكان السلطان قد احتفل لقدومهم، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ فى إكرامهم، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهزه للحج.

وفيه توجه الأمير سيف الدين سلار أستادار إلى الكرك، وأحضر ما كان بها من الأموال، وقدم معه الأمير جمال الدين أقش نائب الكرك، فخلع عليه وأعيد إلى نيابته.

وفى حادى عشرى صفر: ركب السلطان، بعدما انقطع لما به من كسر يده نحو الشهرين، ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر، وزينت القاهرة ومصر، وكتب بالبشائر إلى الأعمال بذلك. وكان يوم ركوبه من الأيام المشهودة، اجتمع الناس لرؤيته من كل مكان، وأخذ أصحاب الحوانيت من كل شخص أجرة جلوسه نصف درهم فضة، واستأجر الناس البيوت بأموال جزيلة فرحا به، فإنه كان محبًا إلى الناس. وعاد السلطان من الميدان ، فألبس الأمراء، وفرق الصدقات فى الفقراء، وأفرج عن المحابيس.

وفى هذا الشهر: استدعى السلطان قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، وصى الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقال له: «الملك الناصر ابن أستاذى، وأنا قائم فى السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها، والرأى أن يتوجه إلى الكرك» وأمره بتجهيزه. ثم قال السلطان للملك الناصر محمد بن قلاوون: «لو علمت أنهم يخلوك سلطانا والله تركت الملك لك، لكنهم لا يخلونه لك. وأنا مملوكك ومملوك والدك، أحفظ لك الملك ، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتحرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك، بشرط أنك تعطينى دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها». فقال له الناصر: «فاحلف لى أن تُبقى على نفسى وأنا أروح» فحلف كل منهما على ما أراده الآخر. فخرج الناصر فى أواخر صفر، ومعه الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، والأمير سيف الدين بهادر الحموى، والأمير أرغون الدوادار، وطيدمر جوباش رأس نوبة الجمدارية، فوصل إلى الكرك فى رابع ربيع الأول، فقام لخدمته الأمير جمال الدين أقوش الأشرف نائب الكرك.

وفى يوم الإثنين سادسه: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، والأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهرى، وسبب ذلك أن منكوتمر فى مدة ضعف السلطان كان هو الذى يعلّم عنه على التواقيع والكتب، وصار يخشى أن يموت السلطان ولم يكن له ولد ذكر، فيجعل بعده فى السلطنة بيسرى، وكان يكره منكوتمر. فحسَّن منكوتمر لمن خيل السلطان من ذلك وأن يعهد لأحد، فاقتضى رأيه أن يجعل الأمير منكوتمر ولى عهده، ويقرن اسمه باسمه فى الخطبة والسكة، واستشار فى ذلك الأمير بيسرى فرده ردًّا خشنًا، وقال: «منكوتمر لا يجىء منه جندى، وقد أمَّرته وجعلته نائب السلطنة، ومشَّيت الأمراء والجيوش فى خدمته فامتثلوه رضاء لك، مع ما تقدم من حلفك ألا تقدم مماليكك على الأمراء ولا تمكنهم منهم، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطانا، وهذا لا يوافقك أحد عليه» ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوفه العاقبة، وانصرف عنه، فلشدة محبة السلطان فى منكوتمر أعلمه بما كان من بيسرى، فأسرها فى نفسه وعاداه وأخذ يدبر عليه وعلى الأمراء، ويغرى السلطان به وبهم.

واتفق مجىء الخبر بالحلف بين المغل، وخروج التجريدة إلى سيس، فلما تفرق الأمراء ولم يبق من يخافه منكوتمر توجه إلى الأمير بيسرى. واستمال أستاداره بهاء الدين أرسلان بن بيليك حتى صار من خواصه، ورتبه فيما يقوله. ثم حسَّن منكوتمر للسلطان أن ينتدب بيسرى لكشف جسور الجيزة، فتقدم له بذلك مع أنها غض منه، إذ محله أجلُّ من ذلك، فلم يأب وخرج إلى الجيزة بمماليكه وأتباعه، وصار يحضر الخدمة السلطانية بالقلعة فى يومى الإثنين والخميس، ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لأجل تقدمه، ويعود إلى الجيزة حتى أتقن عمل الجسور.

فلما تكامل إتقان الجسور استأذن بيسرى السلطان فى عمل ضيافة له، فإذن فى ذلك، فاهتم لها اهتمامًا زائدًا ليحضر إليه السلطان بالجيزة. فأمكنت الفرصة منكوتمر ووجد سبيلا إلى بيسرى، فخدع أرسلان أستادار بيسرى ورتبه فى كلام يقوله السلطان، ووعده بإمرة طبلخاناه. فانخدع أرسلان ودخل مع منكوتمر إلى السلطان، وقال له بأن «بيسرى رتب أنه يقبض عليك إذا حضرت لضيافته» فتخيل السلطان من قوله.

واتفق أن بيسرى بعث إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطانى، لينصبه السلطان فى مكان المهم، فبعثه إليه من غير أن يعلم السلطان. فلما مر الدهليز على الجمال من تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجيزة رآه السلطان، فأنكر ذلك وبعث إلى منكوتمر يسأل منه.

فأنكر أن يكون له علم به، وقال: إنما بيسرى استدعى به من مقدم الفراشين، وأخذه مماليكه من الفرش خاناه بغير إذن، وشرع يحتج لصدق ما قاله أرسلان بهذا. فرد السلطان الدهليز إلى الفرش خاناه، وغلب على ظنه صدق ما نُقل له عن بيسرى.

ولما وقع ذلك أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر، فبعث أحدهم وهو الأمير سيف الدين طقجى الأشرفى يعلم بيسرى بما جرى، ويعده بأنه معه هو جماعة من الأمراء، فلم يلتفت إلى قوله. فبعث أرغون أحد مماليك السلطان إلى بيسرى بالخبر على جليته، وحذره من الحضور إلى خدمة السلطان، وأنه إن حضر أن يكون على استعداد. فلما أراده الله حضر بيسرى يوم الإثنين المذكور إلى الخدمة على العادة، فقام له السلطان على عادته وأجلسه بجانبه. فلما قدم السماط لم يأكل بيسرى واعتذر بأنه صائم، فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام برسم فطوره فرفع له، وأخذ يحادثه حتى رفع السماط. وخرج الأمراء وقام الأمير بيسرى معهم، فلما مشى عدة خطوات استدعاه السلطان إليه وحدثه طويلا، وكان الحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج. ثم قام بيسرى من عند السطان ومشى خطوات، فاستدعاه السلطان ثانيا فعاد، وحدثه أيضًا حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى مماليك السلطان فقط، فتركه. فقام بيسرى ومشى، فاعترضه سيف الدين طقجى وعلاء الدين أيدغدى شقير، وعدلا به إلى جهة أخرى، وقبض أيدغدى شقير على سيفه وأخذه من وسطه، فنظر إليه طقجى وبكى، وجبذاه إلى القاعة الصالحية فاعتقل بها. فارتجت القلعة، وطار الخبر إلى القاهرة فأغلق باب زويلة وماج الناس، ثم فتح باب زويلة. ووقعت الحوطة على جميع موجوده، وقبض على جماعة من مماليكه ثم أفرج عنهم وأقام بيسرى فى القاعة مكرما، وحملت إليه امرأته وهى والدة أحمد بن السلطان الملك المنصور. فما زال معتقلا حتى مات. ومن العجب أن كلا من السلطان وبيسرى أتى عليه فى هذه من أخص أصحابه: فإن أرسلان ابن بدر الدين بيليك أمير مجلس، وكان بدر الدين هذا مملوما للأمير بيسرى، ورباه بيسرى كالولد حتى كبر، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاداره، وبالغ فى الإحسان إليه حتى أنه أعطاه فى يوم واحد سبعين فرسا، وكان هو السبب فى سلب نعمته كما ذكر. وأرغون كان أخص مماليك السلطان وأقربهم إليه، فأفشى سره إلى بيسرى من حنقه لأن غيره من المماليك أخذ إمرة طبلخاناه وأعطى هو إمرة عشرة، فبقى فى نفسه لذلك إحنة.

ولما قبض على بيسرى والأمراء نفرت القلوب، وأكدت الوحشة موت عشرة أمراء فى خمسة أيام، فاتهم السلطان بأنه سمهم.

وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر: أقيمت الخطبة بالمدرسة المعظمية، بفسخ قاسيون خارج دمشق.

وفى سابع عشره: أعيد الصاحب فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى إلى الوزارة بديار مصر، فتتبع ألزام الأمير سنقر الأعسر، وأحض أستاداره سيف الدين كيكلدى من دمشق وأحاط بموجوده.

وفى جمادى الأولى: قبض السلطان على جماعة من أمراء مصر. وصرف بهاء الدين [.... (١)] الحلى عن نظر الجيش، وأخذ خطه بألف ألف درهم، واستدعى عماد الدين [.... (٢)] بن المنذر ناظر الجيش بحلب، واستكتب إلى أن حضر أمين الدين[...](٣) بن الرقاقى. وسبب ذلك أن ابن الحلى كان قد استشاره السلطان فى تولية منكوتمر النيابة، فقال له: «إن دولة السعيد ما أخربها إلا كوندك، ودولة الأشرف أخربها بيدرا، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه، ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد، ويخاف من تحكمه وقوع فساد كبير». فسكت عنه السلطان وأعلم منكوتمر بذلك، فأخذ منكوتمر يعاديه حتى أنه لما ولى النيابة ودخل عليه قال له: «يا قاضى! هذا ببركة وعظك للسلطان» فأطرق. وأخذ منكوتمر يغرى السلطان به، ويذكر سعة أمواله بمصر والشام، وأنه كثير اللعب. وكان ابن الحلى يحب بعض المماليك الخاصكية، فترصده منكوتمر حتى علم أنه عنده فأعلم بذلك السلطان، فأرسل إليه الطواشى المقدم فى عدة نقباء، فهجموا على بستانه بالقرب من الميدان وأخذوه والمملوك، فسلم إلى الأمير أقوش الرومى، وقبض على حواشيه وأحيط بموجوده مصرًا وشامًا.

وفيه قدم البريد بأن رجل من قرية جينين بالساحل ماتت امرأته، فلما دفنها وعاد إلى منزله تذكر أنه نسى فى القبر منديلا فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونبش القبر ليأخذ المال، والفقيه على شفير القبر، فإذا بالمرأة جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضًا قد ربطا بشعرها، فحاول حلَّ كتفها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه فى ذلك، فخسف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خبر؛ فغشى على فقيه القرية مدة يوم وليلة. فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة وما قد كتب به من الشام فيها إلى الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك.

---

(١)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاى وطائفة نغية حتى قتل منهم كثير من المغل، وانكسر الملك طقطاى، وأن غازان قتل وزيره نيروز وعدة ممن يلوذ به. فاتفق الرأى على أخذ سيس ما دام الخلف بين المغل، وأن يخرج الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه ثلاثة أمراء وعشرة آلاف فارس؛ وكتب لنائب الشام بتجريد الأمير بيبرس الجالق وغيره من أمراء دمشق وصفد وطرابلس، وعرض الجيش. فى[...][1] جمادى الأولى. فلما تجهزوا سار الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى إلى غزاة سيس، ومعه من الأمراء حسام الدين لاجين الرومى الأستادار وشمس الدين أقسنقر كرتاى ومضافيهم، فدخلوا دمشق فى خامس جمادى الآخرة، وخرج معهم منها الأمير بيبرس الجالق العجمى والأمير سيف الدين كجكن والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ومضافيهم فى ثامنه، وساروا بعسكر صفد وحمص وبلاد الساحل وطرابلس والملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة. فلما بلغ مسيرهم متملك سيس بعث إلى السلطان يسأله العفو، فلم يجبه.

ووصلت هذه العساكر إلى حلب، وجهز السلطان الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بمضافيه من القاهرة ليلحق بهم، فأدرك العساكر بحلب. وخرجوا منها بعسكر حلب إلى العمق، وهو عشرة آلاف فارس، فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش فى طائفة من عقبة بغراس إلى إسكندرونة، ونازلوا تل حمدون، وتوجه الملك المظفر[2] صاحب حماة والأمير علم الدين سنجر الدوادراى والأمير شمس الدين أقسنقر كرتاى فى بقية الجيش إلى نهر جهان، ودخلوا جميعًا دربند سيس فى يوم الخميس رابع رجب. وهناك اختلفوا، فأشار الأمير بكتاش بالحصار ومنازلة القلاع، وأشار سنجر الدوادارى بالغارة فقط، وأراد أن يكون مقدم العسكر، ومنع الأمير بكتاش من الحصار ومنازلة القلاع فلم ينازعه. فوافقه بكتاش وقطعوا نهر جهان للغارة، ونزل صاحب حماة على مدينة سيس، وسار الأمير بكتاش إلى أذنة، واجتمعت العساكر جميعها عليها بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن وساقوا الأبقار والجواميس. ثم عادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الغارة، وأقاموا عليها ثلاثة أيام حتى نصبوا جسرًا مرت عليه العساكر إلى

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) محمود المظفر بن محمد المنصور بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، تولاها بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ وجاءه التقليد بها وبالمعرة وبارين من السلطان المنصور قلاوون فى أوائل سنة ٦٨٤هـ واستمر إلى أن توفى. انظر النجوم الزاهرة ٥٨/٨ وأبو الفداء ٤١/٤ وابن الوردى ٢٣٢/٢ والبداية والنهاية ٥/١٤ وشذرات الذهب ٤٤٢/٥ ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ والأعلام ٢٢٩/٧.

بغراس، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام، ثم رحلوا إلى جسر الحديد يريدون العود إلى مصر.

وكان الأمير بكتاش لما نازعه الدوادارى فى التقدمة على العساكر، ومنعه من الحصار، قد كتب إلى الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بذلك ليطالع به السلطان، فكتب بالخبر إلى السلطان. فورد الجواب إلى الأمراء بالإنكار على الدوادارى فى تقدمه على الأمير بكتاش، وكونه اقتصر على الغارة، وأنه لم يخرج إلا على مضافيه، وأن التقدمة على سائر العساكر للأمير بكتاش وأن العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون، وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية.

فعادت العساكر من الروج[1] إلى حلب وأقاموا بها ثمانية أيام، وتوجهوا إلى سيس من عقبة بغراس. وسار كجكن وقرا أرسلان إلى أياس وعادا شبه المنهزم، فإن الأرمن أكمنوا فى البساتين، فأنكر عليهما الأمير بكتاش، فاعتزرا بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو. ثم رحل بكتاش بجميع العساكر إلى تل حمدون، فوجدوها خالية وقد نزح من كان فيها من الأرمن إلى قلعة نجيمة[2] فتسلمها فى سابع رمضان وأقام بها من يحفظها، وسير الأمير بلبان الطباخى نائب حلب عسكرا فملكوا قلعة مرعش فى رمضان أيضًا. وجاء الخبر إلى الأمير بكتاش وهو على تل حمدون بأن واديًا تحت قلعة نجيمة وحميص[3] قد امتلأ بالأرمن، وأن أهل قلعة نجيمة تحميهم، فبعث طائفة من العسكر إليهم فلم ينالوا غرضًا، فسير طائفة ثانية فعادت بغير طائل. فسار الأمراء فى عدة وافرة وقاتلوا أهل نجيمة حتى ردوهم إلى القلعة، وزحفوا على الوادى وقتلوا وأسروا من فيه، ونازلوا قلعة نجيمة ليلة واحدة، وسار العسكر إلى الوطأة، وبقى الأمير بكتاش والملك المظفر فى مقابلة من بالقلعة خشية أن يخرج أهل نجيمة فينالوا من أطراف العسكر، حتى صار العسكر بالوطأة، ثم اجتمعوا بها.

فقدم البريد من السلطان بمنازلة قلعة نجيمة حتى تفتح فعادوا إلى حصارها، واختلف الأمير بكتاش والأمير سنجر الدوادارى على قتالها، فقال الدوادارى: متى نازلها الجيش بأسره لا يعلم من قاتل ممن عجز وتخاذل، والرأى أن يقاتل كل يوم أمير بألفه. وأخذ يدلّ بشجاعته، ويصغر شأن القلعة، وقال: «أنا آخذها فى حجرى» فسلموا له واتفقوا على تقديمه لقتالها قبل كل أحد. فتقدم الدوادارى إليها بألفه حتى لاحف السور،

---

(١) قرية من قرى حلب فى غربيها ، وتقع بين حلب والمعرة. انظر، معجم البلدان ٣٢٨/٢.

(٢) نجيمة: من قرى عثر من جهة اليمن. انظر، معجم البلدان ٢٧٤/٥.

(٣) تقع شرقى تل حمدانة.

فأصابه حجر المنجنيق فقطع مشط رجله، وسقط عن فرسه إلى الأرض، وكاد الأرمن يأخذونه، إلا أن الجماعة بادرت وحملته على جنوبة إلى وطاقه، ولزم الفراش، فعاد إلى حلب، وسار منها إلى القاهرة، وقتل فى هذه النوبة الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصرى. وزحف فى هذا اليوم الأمير كرتاى ونقب سور القلعة وخلص منه ثلاثة أحجار، واستشهد معه ثلاثة عشر رجلا. ثم زحف الأمير بكتاش وصاحب حماة ببقية الجيش طائفة بعد طائفة، وكلٌ منهم يردف الآخر حتى وصلوا إلى السور وعليهم الجنويات، وأخذوا فى النقب وأقاموا الستائر، وتابعوا الحصار أحدا وأربعين يومًا.

وكان قد اجتمع بها من الفلاحين ونساء القرى وأولادهم خلق كثير، فلما قل الماء عندهم أخرجوا مرة مائتى رجل وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا، فقتل العسكر الرجال واقتسموا النساء والصبيان. ثم أخرجوا مرة أخرى مائة وخمسين رجلا ومائتى امرأة وخمسة وسبعين صبيا، ففعلوا بهم مثل ما فعلوا بمن تقدم. ثم أخرجوا مرة ثالثة طائفة أخرى، فأتوا على جميعهم بالقتل والسبى، حتى لم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة. وقلت المياه عندهم حتى اقتتلوا بالسيوف على الماء، فسألوا الأمان فأمنوا، وأخذت القلعة فى ذى القعدة، وسار من فيها إلى حيث أراد. وأخذ أيضًا أحد عشر حصنا من الأرمن، ومنها النقير[1] وحجر شغلان وسرقندكار وزنجفرة وحميص، وسلم ذلك كله الأمير بكتاش إلى الأمير سيف الدين أسندمر كرجى من إمراء دمشق، وعينه نائبا بها، فلم يزل أسندمر بها حتى قدم التتار، فباع ما فيها أنا آخذعمن الحواصل ونزح عنها، فأخذها الأرمن.

ولما تم هذا الفتح عادت العساكر إلى حلب وكان الشتاء شديدا، فأقاموا بها. وبعث السلطان إليهم الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير عز الدين طقطاى، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى، فى ثلاثة آلاف فارس من عساكر مصر، فدخلوا دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة، وساروا منها إلى حلب فى عشريه، وأقاموا بها مع العسكر. وبعث متملك سيس إلى السلطان يسأل العفو.

وفى هذه السنة: كان الروك[2] الحسامى، وذلك أن أرض مصر قد قسمت على أربعة وعشرين قيراطا، وأفرد منها للسلطان أربعة قراريط، وجعل للأمراء وبرسم

(١) موضع بين هجر والبصرة. انظر، معجم البلدان ٥/٣٠١.

(٢) مصدر الفعل الثلاثى راك، ومعناه مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال.

الإطلاقات والزيادات عشرة قراريط، وجعل لأجناد الحلقة عشرة قراريط، فأراد السلطان الملك المنصور تغيير ذلك، وأن يجعل للأمراء وأجناد الحلقة أحد عشر قيراطا، ويستجد عسكرا بتسعة قراريط. فندب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسى الحاجب، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى المعروف بالبريدى، وانتصب لهذا العمل جماعة من الكتاب، وكان المشار إليه فيهم تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة، وهو من مسالمة[1] القبط، وممن يشار إليه فى معرفة صناعة الكتابة، ويعتمد على قوله ويرجع إليه. فخرج الأمراء للروك، ومعهم الكتاب وولاة الأقاليم فى سادس عشر جمادى الأولى.

وتقدم الأمير منكوتمر نائب السلطنة إلى التاج الطويل بأن يفرد للأمراء والأجناد عشرة قراريط، وأن يجعل القيراط الحادى عشر برسم من يتضرر من قلة عبرة خبزه. وأفرد لخاص السلطان الأعمال الجيزية[2] والإطفيحية[3] والإسكندرية ودمياط[4] ومنفلوط[5] وكفورها، وهو[6] والكوم الأحمر من أعمال القوصية، وغير ذلك، وأفرد للنائب منكوتمر إقطاع عظيم من جملته مرج بنى هميم وكفور، وسمهود[7] وكفورها، وحرجة قوص، ومدينة أدفو[8] وما فى هذه النواحى من الدواليب، وكان متحصلها ينيف على مائة ألف أردب وعشرة آلاف أردب من الغلة، خارجا عن المال العين والقنود والأعسال، والتمر والأغنام والأحطاب. وكان فى خاصّه سبعة وعشرون معصرة لقصب السكر، سوى ما له من المشتريات والمتاجر، وما له ببلاد الشام من الضياع والعقار، وما يرد إليه من التقادم.

---

(١) المسالمة: مفردة مسلمة وهو لفظ يطلق على كل من دخل فى الإسلام حديثا، من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية.

(٢) الجيزية أول أعمال الصعيد بالديار المصرية. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣/٣٨٠.

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر، معجم البلدان ١/٢١٨.

(٤) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل. انظر، معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٦) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر، معجم البلدان ١/١٢٦.

(٧) بلدة بالصعيد الأعلى، من عمل قوص. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١٧/٢٥.

(٨) بلدة قريبة من فرشوط بمركز نجح حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١٢/٥١،٢١.

فلما انتهى الروك فى ثامن رجب فرقت مثالات[1] الأمراء.

وفى تاسعه: فرقت مثالات مقدمى الحلقة.

وفى عاشره: فرقت مثالات أجناد الحلقة. وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربستا، لم يستثن منها سوى الجوالى والمواريث الحشرية فإنها من جملة الخاص السلطانى، وسوى الرزق الأحباسية، وما عدا ذلك فإنه داخل فى الإقطاع وحولت سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين على العادة.

وتولى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين السلطان، فبان له فى وجوههم التغير لقلة العبرة، وهم بزيادتهم. فمنعه منكوتمر من فتح هذا الباب، وحذره أنه متى فتح باب الزيادة تعب، ولكن من تضرر من إقطاعه يحيله على منكوتمر، ففعل السلطان ذلك. وتولى تفرقة مثالات الأجناد منكوتمر، فجلس بشباك دار النيابة ووقف الحجاب بين يديه، وأعطى لكل تقدمة مثالا بها، فلم يجسر أحد أن يتكلم خوفا منه، فاستمر على ذلك أياما.

وكانت الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه فى الدولة المنصورية قلاوون، فإن أقلها كان يتحصل منه عشرة آلاف درهم، وأكثرها ينيف على ثلاثين ألفا، فصار أكثرها يبلغ عشرين ألفا، فعمل فى هذا الروك أكثر الإقطاعات يتحصل منه عشرة آلاف، فشق ذلك على الأجناد، وتجمعت طائفة منهم ورموا مثالاتهم، وقالوا: «إنا لم نعتد بمثل هذا، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفايتنا، وإلا فخذوا أخبازكم، وإما نخدم الأمراء، أو نقيم بطالين». فحنق منهم منكوتمر وأمر الحجاب فضربوهم، وأخذ سيوفهم وسجنهم، وبالغ فى الفحش، وصار ينظر إلى الأمراء ويقول: «أيما قواد يجىء يشتكى من خبزه ويقول أعرِّف السلطان، فإنى أعرف إيش يقول السلطان، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله». فعرف الأمراء أنه يعنيهم، فسكتوا على ضغن وبلغ السلطان ذلك عن منكوتمر فأنكر عليه، وأمره الزيادة فى الإقطاعات فلم يفعل، وأقام الأجناد فى السجن مدة أيام ثم أفرج عنهم. فكان هذا الروك أكبر الأسباب فى زوال الدولة.

وفيها أنعم بطبلخاناه الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش بعد موته على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور، وكان السلطان قبل ذلك قد أعطاه إمرة عشرة. واستقر سيف الدين كرت أمير آخور فى نيابة طرابلس، بعد وفاة عز الدين أيبك الموصلى.

---

(١) جمع مثال، وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص جديد على الإقطاع. انظر القلشندى، صبح الأعشى ١٣/ ١٥٣.

وفيها عدم الثلج بدمشق، وغارت العيون، وهلك أكثر الزرع وجفت أشجار البساتين.

وفيها بلغ سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين [.......][1] الجناحي نائب غزة وديعة عند رجل، فاستدعى به بعد موت الجناحي وطالبه فقال: «قد أخذ الوديعة قبل موته». فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين [....][2] الإعزازى أحد تجار دمشق، وقال: «إن هذه الوديعة أخذها الجناحي من هذا الرجل وجعلها تحت يدى» وأحضر صندوقا، فوجد الأمير جاغان فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ومائتى وأربعة وثلاثين دينارًا عينا، وحوائص وطرزا قيمتها خمسون ألف دينار.

وفيها خرج الأمير سيف الدين حمدان بن صلغاى إلى بلاد الشام فى صورة أنه يستحث العساكر على أخذ سيس، وقد لقنه الأمير منكوتمر أمورًا مكتومة، كان فيها زوال الدولة ومنها أنه يفرج عن الأمير كرجى من قلعة دمشق ويسفره إلى سيس، ويتفق هو وأيدغدى شقير المتوجه قبله صحبة بكتمر السلاح دار مع جماعة من خشداشيته على ما يأتى ذكره.

وفيما أنعم على صمغار بن سنقر بإمرة، وأنعم على كل من [....][3] بن أيتمش السعدى وسيف الدين طقصبا الظاهرى بإمرة.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب، فأكرمه السلطان وألبسه خلعة طرد وحش، وهو أول من ألبس ذلك لآل مهنا، وإنما كانت خلعهم مسمطا[4] أو كنجيا[5]. واستأذن مهنا السلطان فى الحج فأذن له.

وفيها قوى أمر منكوتمر، وتحكم تحكمة الملوك فى جميع أمور المملكة، وقصد إخراج طغجى أيضًا من مصر، ففطن طغجى لذلك، فسأل الإذن فى السفر إلى الحج فأذن له، وعمل أمير الركب.

وفيها بعث منكوتمر إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه أن تاجرًا قد مات وترك أخا و لم يخلف غيره ممن يرثه، وأراد أن يثبت استحقاقه الإرث بمجرد

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) هو القماش من الحرير الأصفر والأحمر، يكون مزينا بنقش بارز.

(٥) هو قماش منسوج من قطن وحرير.

هذا الإخبار عنه. فلم يوافق قاضى القضاة على ذلك، وترددت الرسل بينهما، فحرج منكوتمر من ذلك، وبعث إليه الأمير كرت الحاجب، فلما دخل كرت وقف بعدما سلم، فقام له القاضى نصف قومة ورد عليه السلام وأحلسه. وأخذ كرت يتلطف به فى إثبات أخوة التاجر بشهادة منكوتمر، فقال له قاضى القضاة: «وماذا ينبنى على شهادة منكوتمر؟»قال له: «يا سيدى ما هو عندكم عدل؟» فقال: «سبحان ا لله» ثم أنشد:

يقولـون هـذا عنـدنـا غير جائز ... ومـن أنتـم حتـى يكون لكـم عند

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «وا لله متى لم تقم عندى بينة شرعية ثبتت عندى، وإلا فلا حكمت له بشيء باسم ا لله». فقام كرت وهو يقول: «وا لله هذا هو الإسلام» وعاد إلى منكوتمر واعتذر إليه بأن «هذا الأمر لابد فيه من اجتماعك بالقاضى إذا جاء إلى دار العدل».

فلما كان يوم الخدمة، ومر القاضى على دار النيابة بالقلعة ومنكوتمر جالس فى الشباك، تسارعت الحجاب واحدا بعد آخر إلى القاضى وهم يقولون: «يا سيدى الأمير ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك». فلم يلتفت إلى أحد منهم، فلما ألحوا عليه قال لهم: «قولوا له ما وجبت طاعتك علىَّ» والتفت إلى من معه من القضاة، وقال: «أشهدكم أنى عزلت نفسى باسم ا لله، قولوا له يول غيرى». وعاد إلى داره وأغلق بابه، وبعث نقباءه إلى النواب فى الحكم وعقاد الأنكحة يمنعهم من الحكم وعقد الأنكحة.

فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على منكوتمر، وبعث إلى القاضى يعتذر إليه ويستدعيه، فأبى واعتذر عن طلوعه، فبعث إليه الشيخ نجم الدين حسين بن محمد بن عبود والطواشى مرشدًا، فما زالا به حتى صعدا به إلى القلعة. فقام إليه السلطان وتلقاه، وعزم عليه أن يجلس فى مرتبته، فبسط منديله وكان خرقة كتان خلقة فوق الحرير قبل أن يجلس، كراهة أن ينظر إليه، ولم يجلس عليه. وما برح السلطان يتلطف به حتى قبل الولاية ثم قال له: «يا سيدى هذا ولدك منكوتمر خاطرك معه، ادعوا له» وكان منكوتمر ممن حضر، فنظر إليه قاضى القضاة ساعة، وصار يفتح يده ويقبضها وهو يقول: «منكوتمر لا يجيء منه شيء» وكررها ثلاث مرات، وقام. فأخذ السلطان الخرقة التى وضعها على المرتبة تبركا بها، وتفرقها الأمراء قطعة قطعة ليدخروها عندهم رجاء بركتها.

وأما حمدان بن صلغاى، فإنه قدم إلى دمشق وعرف الأمير جاغان ما ندب إليه من

مسك الأمير بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكى نائب صفد وعز الدين طقطاى والأمير بزلار والأمير عزاز، وكان الأمير قبجق نائب الشام قد خرج بالعساكر إلى مساعدة الأمراء على أخذ سيس، ثم سار حمدان إلى حمص، والتقى هناك بالأمير قبقجق وهو عائد إلى دمشق، فتلقاه وأكرمه. ثم توجه إلى حلب، وأوقف النائب على ما جاء فيه من قبض الأمراء الذين عينهم منكوتمر، فبلغهم ذلك فاحترزوا على أنفسهم، ولحقوا بحمص يريدون الأمير قبجق والاتفاق معه.

وفيها أفرج عن ابن الحلى، بعد أن بالغ أقوش الرومى فى عقوبته، فاختفى.

وفيها استقر الأمير بكتمر الحسامى أمير آخور كبيرًا، واستقر علاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيش، عوضًا عن بلبان الفاخرى.

وفيها رسم بعمل استيمار(١) بجمع أرباب الرواتب والرزق، ليحضروا بتواقيعهم للعرض على منكوتمر، ويقطع من يختار منهم، فلما شرعوا فى الكتابة اشتد قلق الناس، وبلغ السلطان ذلك فمنع منكوتمر منه.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

صدر الدين إبراهيم بن محيى الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوى الدمشقى الفقيه الحنفى، ولد فى سنة تسع وستمائة، وبرع فى الفقه والنحو، وأفتى ودرس وولى قضاء حلب، وقدم بعد عزله إلى القاهرة وأقام بها، ثم ولى حلب ثانيًا، فمات بدمشق فى رمضان. ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقرئ الفقيه الحنبلى(٢) عابر الرؤيا، كانت له عجائب فى عبارة الرؤيا وصنف فيها، ومات آخر ذى القعدة.

ومات الأمير عز الدين أيبك الموصلى أحد المماليك المنصورية، وقد تنقلت به الخدم حتى ولى نيابة طرابلس إلى أن مات فى[....](٣).

ومات الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش، فى رابع عشر ربيع الآخر.

---

(١) أى: مجلس.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم، أبو العباس شهاب الدين، ابن نعمة النابلسى. الحنبلى: فقيه اشتهر بعلم تعبير الرؤيا، تعلم بنابلس ومصر ودمشق وتوفى بهذه. انظر شذرات ٤٣٧/٥ والأعلام ١٤٧/١.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

ومات الأمير علم الدين سنجر طقصبا، استشهد فى محاصرة قلعة نجيمة فى [......][1].

ومات الأمير علم الدين سنجر أحد الأمراء الناصرية بدمشق فى سابع عشرى جمادى الأولى، وكان شجاعا مقداما، سمع الحديث وعرف بالخير وحدث.

وتوفى شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الفتوح نصر بن سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر الميهنى، عن ثمان وثمانين سنة.

ومات الأمير سعد الدين كوجبا نائب دار العدل، فى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى.

ومات موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الأدفوى[2] خطيب أدفو، وله نظم ونثر، وفيه كرم وعنده إغضاء وحلم، ومات فى[.... [3]].

ومات جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموى[4] قاضى حماة، وهو أحد الأئمة الأعلام، قدم القاهرة، ومات بحماة فى ثانى عشرى شوال، عن ثلاث وتسعين سنة. ومات الشيخ شمس الدين أبو المعالى محمد بن بكر بن محمد الأيكى الفارسى الشافعى، شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، مات بدمشق فى رابع رمضان عن ست وستين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، أستادار الملك السعيد.

ومات الأمير علم الدين طرطج الصالحى، وهو كاتب له مكارم، وفيه غقدام وشجاعة، وله آثار حميدة.

ومات الأمير طقطاى الأشرفى أحد الأمراء والأكابر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، عرف بالمساح، وكان مشهورًا بالشجاعة،

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) محمد بن الحسين بن ثعلب، موفق الدين الثعلبى الأدفوى: طبيب له نظم ونثر وخطب، مولده ووفاته بأدفو. انظر الطالع السعيد ٢٨٦، والوافى بالوفيات ٣/١٢، وخطط مبارك ٨/٥٠، والأعلام ٦/١٠٢.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازنى التيمى الحموى، جمال الدين: مؤرخ، من فقهاء الشافعية. مولده ووفاته فى حماة. انظر نكت الهميان ٢٥٠، وبغية الوعاة ٤٤، وابن الوردى ٢/٢٤٤، والوافى بالوفيات ٣/٨٥، ومفرج الكروب، والأعلام ٦/١٣٣.

يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها، وكان يركب بجانب المنصور قلاوون فى المواكب، وكان قلاوون يستشيره فى المهمات، وكان من دون أمراء مصر يركب بالزنارى[1] على فرسه بمفرده، وفيه مكارم.

ومات الفقيه تقى الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه علم الدين أبى عبد الله محمد بن رشيق، يوم الخميس رابع عشرى جمادى الآخرة.

وتوفى الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الحسن عدى بمصر، وله تربة جليلة بالقرافة.

* * *

(١) هو فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال - المفرد جل- يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على الكفل بحيث لا يرى الذيل.

سنة ثمان وتسعين وستمائة

فى أول المحرم: قدم الخبر بأن التتر على عزم الحركة إلى الشام، فخرجت العساكر، ثم خرج الأمير أقش الأفرم. وتوجه حمدان بن صلغاى وعلاء الدين أيدغدى شقير على البريد لإخراج الأمير قبجق نائب الشام بالعسكر إلى حلب، فوصلا إلى دمشق فى سابعه، فشرع قبجق فى الاهتمام للسفر، وخرج بعسكرها وبالبحرية فى يوم الأربعاء رابع عشره، وتأخر جاغان بدمشق. وعلم قبجق أن الأمر بخلاف ما أشيع من حركة التتار، وإنما القصد عمل مكيدة به وبغيره من الأمراء، فكان ذلك سببا لفراره إلى بلاد التتر.

وملخص ذلك أن الأمير منكوتمر نائب السلطنة ثقلت عليه وطأة الأمراء بديار مصر والشام، فأراد إزاحتهم عنه وإقامة غيرهم من مماليك السلطان ليتمكن من مراده، فما زال بالسلطان حتى قبض على أمراء مصر، ثم أخذ فى التدبير على من ببلاد الشام من الأمراء، فبعث أيدغدى شقير، ثم أردفه بحمدان بن صلغاى وعلى يده ملطفات[1] إلى بلبان الطباخى نائب حلب بالقبض على الأمير بكتمر السلاح دار وهو بحرد على حلب، وعلى الأمير فارس الدين الألبكى الساقى نائب صفد والأمير عز الدين طقطاى والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين عزاز، ومن عجز عن القبض عليه سقاه، وأن يبحث الحسام الأستادار بمفرده على البريد إلى مصر.

وقدم حمدان دمشق وأوقف الأمير جاغان شاد الدواوين على ما جاء فيه، وأمره ألا يمكن قبجق نائب دمشق من الدخول إليها إلا بمرسوم. وخرج حمدان يريد حلب، فصادف الأمير قبجق بالقرب من حمص واجتمع به، فتخيل قبجق من قدومه، وبعث إلى بكتمر السلاح دار وغيره من الأمراء يوصيهم بالاحتراز، وبعث نجابا إلى أصحابه بمصر يستعلم منهم الخبر. فلما قدم حمدان حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على أمره توقف فيه، فأخذ حمدان وأيدغدى شقير يستحثانه على قبض الأمراء. فاتفق موت الأمير طقطاى، واتهم حمدان بسقيه. فبعث حمدان وأيدغدى إلى منكوتمر بتوقف نائب حلب فى مسك الأمراء، فغضب من ذلك وأراد عزل بلبان عن حلب وتولية أيدغدى شقير عوضه، فخوف من ذلك حتى كف منه. وكتب منكوتمر إلى الأمير بلبان الطباخى نائب

---

(١) أى رسائل.

حلب يستحثه فى مسك الأمراء، وكتب إلى الأمير بكتمر بنيابة طرابلس، وكان ذلك خديعة من منكوتمر قصد بها أنه إذا حضر بكتمر بلبس التشريف يقبض عليه وعلى الأمراء، وقدم الأمير الحسام الأستادارى إلى مصر، فعزم منكوتمر على مسكه، ثم انتظر ما يرد عن الأمراء بحلب.

وبلغ بلبان الطباخى أن أيدغدى شقير قد عين لنيابة حلب، وبلغ قبجق نائب الشام أن خروجه من دمشق إنما كان حيلة عليه، وأن جاغان يستقر فى نيابة دمشق عوضه، فكتما كل منهما ذلك، وأخذ الحسامية فى الإلحاح على نائب حلب فى قبض الأمراء عند حضورهم السماط يوم الموكب، فبعث سرًّا إلى الأمراء يعلمهم ذلك فاستعدوا لأنفسهم، وركبوا فى يوم الموكب على العادة إلا الأمير بكتمر السلاح دار فإنه تأخر واعتذر بعارض فلم يمكن الحسامية القبض على من حضر خوفا من فوات الأمر فيمن تأخروا، واتفقوا على أن ذلك يكون فى موكب الآخر، فبعث الطباخى نائب حلب يعرفهم ذلك، فكتب بكتمر السلاح دار إلى قبجق نائب دمشق وقد بلغه خروجه إلى حمص يعرفه بما هم فيه، فلما كان الموكب الثانى ركب الأمراء ليُقرأ عليهم كتاب السلطان باستقرار الأمير بكتمر فى نيابة طرابلس، وقد احترزوا على أنفسهم، وتأخر بكتمر أيضًا عن الركوب واعتذر بوجع فؤاده، فعزموا على مسك من حضر، ثم أخذ بكتمر من خيمته.

وكانت العادة أنهم يقفون تحت القلعة على خيولهم، فإذا قرئ الكتاب نزلوا وقبلوا الأرض، فبيت الحسامية أن الأمراء إذا نزلوا لتقبيل الأرض داسوهم وأخذوهم باليد. فعندما قرئ الكتاب ترجل نائب حلب على العادة، وتبعه بقية الأمراء وقد أوقفوا مماليكهم على خيولهم ليحموهم، ونزل كل منهم وعنان فرسه فى يده ومماليكه محيطة به، وقبل الأرض ووثب سريعا على فرسه، ومضوا يدًا واحدة.

فانخرم الأمر على الحسامية، وأخذوا يلومون نائب حلب فى كونه لم يقبض عليهم، وهو يهول الأمر عليهم، إلى أن اتفقوا على الإرسال إلى الأمراء ليجتمعوا بدار النيابة فى الليل، وأن يبدءوا بالإرسال إلى بكتمر أمير سلاح. فلما كان بعد عشاء الآخرة توجه الحاجب إلى أمير سلاح يعلمه بأن قصادا قد قدموا من البلاد، فيحضر للمشهورة مع الأمراء، فلم يمكن الحاجب من الاجتماع به، واعتذر بوجع رجله، فمضى الحاجب إلى الأمير كرتاى وابن قرمان، وبلغهما الرسالة، فضحكا وقال كل منهما: «ما أبرد ذقن الأبعد، وذقن من أرسله متى سمعت مشورة تكون ثلث الليل؟ إلى غد نحضر مع الأمراء».

ثم إن الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكى والأمير سيف الدين عزاز اجتمعوا، وركبوا من ليلتهم يريدون حمص ولقاء الأمير قبجق، فخرج قبجق إلى لقائهم، واتفقوا على العبور إلى بلاد غازان، فأمهلهم قبجق حتى يرد عليه جواب الأمراء من مصر، فنزلوا معه. وقدم جواب قبجق من كرجى وطغجى أنهم عن قريب يقضون الشغل، فليقم بموضعه حتى الخبر، فلم يوافقه الأمراء على الإقامة خوفا من مجىء العساكر إليهم، وساروا ليلة الثلاثاء من ربيع الآخر وقصدوا سلمية.

وكان الأمير قبجق لما قدم عليه الأمراء من حلب قد بعث على البريد الأمير سيف الدين بلغاق بن كونجك الخوارزمى إلى السلطان يعلمه حضور الأمراء إليه، ويسأل الأمان لهم وتطييب خواطرهم. ثم سار الأمير قبجق من حمص ليلة السبت خامس ربيع الأول، وبعث علاء الدين بن الجاكى إلى دمشق يستدعى من الأمير جاغان مالا وخِلَعا من الخزانة للنفقة على الأمراء وتطييب خواطرهم، فامتنع جاغان من ذلك، وكتب يلومه على إغفاله القبض عليهم، وكتب إليه أيضًا أيدغدى شقير وسيف الدين كجكن بالإنكار، وأنه إن لم يقبض عليهم ركبوا عليه وقبضوه، فزاده ذلك نفورًا. وتبين لعسكر دمشق مخالفة قبجق، فتسللوا عنه طائفة بعد طائفة، وعادوا من حمص إلى دمشق، فشكرهم جاغان على مفارقتهم إياه، فبقى قبجق فى قلة من المال والرجال.

وأما أهل حلب، فإن الأمراء لما ساروا فى الليل ركب من بكرة النهار أيدغدى شقير وحمدان بن صلغان والأمراء الحسامية إلى نائب حلب، وبطقوا إلى الأعمال بالقبض على الأمراء، وتوجه أيدغدى شقير فى عسكر إلى جهة الفرات، وسار عسكر إلى جهة حماة، ونهبت أثقال الأمراء. فورد الخبر بوصولهم إلى قبجق نائب دمشق، وأنهم ساروا على طريق سلمية، فقام العزاء والنواح بحلب. وخرج العسكر فى طلبهم نحو الفرات، وأوقع جاغان الحوطة بدمشق على بيت قبجق فى خامس عشره، وتكامل مجىء العسكر الذى كان مع قبجق فى سابع عشره.

وانتهى سيف الدين كجكن وأيدغدى شقير إلى الفرات، فوجدا الأمراء قد قطعوا الفرات إلى رأس عين[1] فورد الخبر إلى حلب بقتل السلطان ونائبه منكوتمر، فركب سيف الدين بلبان البريدى ولحق الأمير قبجق برأس عين وأعلمه بذلك، فظن أنها حيلة عليه و لم يرجع.

---

(١) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيس. انظر معجم البلدان ١٣/٣، ١٤.

وأما السلطان فإن منكوتمر لم يزل يدبر بشؤم رأيه حتى قتل، وذلك أن الأمير طغجي قدم من الحجاز أول صفر، وقد قرر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس، فلما استراح من تعب السفر استدعاه السلطان، وتلطف به في الخروج إلى طرابلس، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة. وقام الأمير طغجي فأعلم كرجي وبيبرس الجاشنكير بذلك، فاتفقوا على التحدث مع السلطان في صرفه عن تسفيره، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه. فشق ذلك على منكوتمر، وأنكر على كرجي وتجهم له، وتكلم فيه وفي من تحدث معه في إعفاء طغجي من السفر، وبالغ في إهانتهم، فحرك ذلك من كرجي كوامن كانت في نفسه من منكوتمر. وانقطع منكوتمر من الخدمة حنقًا من إعفاء طغجي، فداراه السلطان وبعث إليه قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومي ليحضره ، فما زال به حتى حضر بشريطة أن يخرج طغجي من مصر ويمسك كرجي أن يخرج أيضًا.

واتفق مع ذلك وصول قاصد الأمير قبجق نائب دمشق في السر إلى طغجي وكرجي بما تقدم ذكره، فأوقفوا بيبرس وسلار وغيره ممن يثقون به على ذلك، واتفقوا على الفتك بالسلطان. وشرعوا في السعي بين الأمراء المماليك المنصورية والأشرفية يستميلونهم، وأخذ كرجي يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدما عليهم، حتى أحكموا أمرهم. هذا ومنكوتمر مقيم على إخراج طغجي، وبعث يأمره أن يتجهز للسفر، وتمادى الحال إلى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر.

ففي ذلك اليوم: أصبح السلطان صائمًا، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه نجم الدين [....][١] بن العسال وقاضي القضاة حسام الدين، فدخل الأمير كرجي على عادته وأعلمه بأنه قد بيت البرجية وغيرهم من المماليك في أماكنهم وغلق عليهم الأبواب وكان قد رتب قبل دخوله جماعة في أماكن بالدهاليز فشكره السلطان وأثنى عليه، وقال لقاضي القضاة: «لولا الأمير سيف الدين كرجي ما وصلت إلى السلطنة». فقبل كرجي الأرض وجلس على عادته، ثم قام ليصلح الشمعة فأصلحها، وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاه[٢] السلطان ليسترها عنه، وكان سلاح دار النوبة تلك الليلة الأمير سيف الدين نغاى الكرموني السلاح دار قد وافق كرجي على ما هو فيه. ثم قال كرجي للسلطان: «ما يصلي مولانا السلطان العشاء؟» فقال: «نعم» وقام يريد الصلاة، فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة، وعند ذلك جرد كرجي سيفه

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) خنجر مقوس شبه السيف القصير.

وضرب السلطان على كتفه. فالتفت السلطان يريد بالنمجاه فلم يجدها فقبض على كرجي وألقاه إلى الأرض، فضرب نوغاى رجل السلطان بالمنجاه فقطع رجله. وانقلب السلطان على ظهره، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم،وفر ابن العسال إلى خزانة، وصرخ القاضى حسام الدين: «لا يحل هذا لكم» فهمَّ به كرجى ثم كفه ا لله عنه.

وخرج كرجى وأغلق الباب على المقتول والقاضى، فإذا بالأمير طغجى قد استعد وقعد فى عدة من البرجية بداركاه[1] القلعة ينتظر ما يكون من كرجى. فعندما رآه طغجى قال: «قضيت الشغل؟» قال: «نعم» وأعلمه الخبر. فوقع الصوت فى القلعة بقتل السلطان، وطار من وقته إلى المدينة. فركب الأمير جمال الدين قتّال السبع فى عدة من الأمراء إلى خارج المدينة، ووقعت الصرخة تحت القلعة فركب أكثر العسكر.

وأما طغجى فإنه استدعى بقية الأمراء المقيمين بالقلعة، وبسط باب القلة. فلم يشعر منكوتمر وهو بدار النيابة إلا بالصرخة قد قامت، وباب القلة قد فتح، والأمراء قد اجتمعت، والشموع توقد، والضجيج يزداد. ففطن منكوتمر بقتل السلطان، وأغلق الأبواب، وألبس مماليكه فصار فى أربعمائة ضارب سيف وأزيد، ولكن ا لله خذله فجاءه الحسام أستادار وعرَّفه من تحت الشباك بقتل السلطان، وتلطف به حتى خرج إليه وسار معه إلى باب القلة، فقبل يد طغجى. فقام إليه طغجى وأجلسه، ثم أمر به أن يمضى إلى الجب فأخذ وأرخى فيه، فقام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير عز الدين أيبك الحموى نائب الشام وغيرهما ممن كان بالجب، ولما عاينوه أنكروا ذلك، فقال منكوتمر: «قد غضب على السلطان وحلف أن يحبسنى» وقصد بذلك دفعهم عنه لئلا يقتلوه.

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وقد أرخيت القفة من رأس الجب، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها، وفى ظن أهل الجب أن السلطان قد رضى عنه. فعندما صار برأس الجب وجد كرجى واقعًا فى طائفة من المماليك، فضربه كرجى بلَتٍّ من حديد صرعه، وذبحه عند الجب وانصرف، وذلك أنه لما حضر منكوتمر إلى طغجى لم يكن كرجى حاضرًا، فلما بلغه مجيئه أقبل يريده فأعلم أنه فى الجب، فصاح على الأمراء، فقال: «إيش عمل بى السلطان حتى قتلته؟ وا لله لقد أحسن إلى وكبَّرنى وأنشأنى، ولو علمت أنى إذا قتلت منكوتمر يبقينى بعده وا لله ما قتلته. وما أحوجنى أقتله إلا ما كان يقع من منكوتمر» ومضى مسرعا إلى الجب حتى قتله، ونهبت داره.

---

(١) لفظ فارسى معناه الساحة.

وكان منكوتمر عفيفًا عن الأموال، ضابطًا لناموس المملكة متيقظًا، وهو أول من نزل عن إقطاعات الجند التى كانت فى ديوان النيابة، ومتحصلها فى السنة مائة ألف أردب غلة، فتركها لله تعالى. وكان بعيدًا عن اللهو مهيبًا مصمما، لم يسمع منه قط أنه شتم أحدًا، ولا جرى على لسانه فحش، مع كثرة التحرى ورفع المظالم. إلا أنه كان صبى العقل عظيم الكبر محتقرًا للأمراء، فمقتوه وعلموا أنهم لا يصلون إلى إزاحته إلا بقتل السلطان، فاجتمعوا على قتله حتى كان ما كان.

وكان الذين اتفقوا على قتل السلطان من الأمراء سيف الدين كرجى، وسيف الدين نوغاى، وقرا طرنطاى، وحجك، وأرسلان، وأقوش، وبيليك الرسولى.

وكانت مدة سلطنة لاجين منذ فارق الملك العادل كتبغا الدهليز بمنزلة العوجاء، وحلف الأمراء فى يوم الإثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين، وإلى أن قتل سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما، ومنذ خَلَع كتبغا نفسه بدمشق، واجتمعت الكلمة بمصر والشام على لاجين فى يوم السبت رابع عشرى صفر منها، وإلى أن قتل، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوما، وقتل السلطان لاجين وله من العمر نحو الخمسين سنة، وكان أشقر أزرق العين معرق الوجه، طوالا مهيبًا شجاعا مقداما، عاقلا متدينًا يحب العدل، ويميل إلى الخير ويحب أهله، جميل العشرة مع تقشف وقلة أذى. وأبطل عدة مكوس، وقال: «إن عشت لا تركت مكسا ألبتة». وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامة ويأكل طعامهم، وكان أكولا. ولم يُعب بشىء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير منكوتمر، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له، حتى أدى ذلك إلى قتلهما، ثم إلى خراب البلاد بمجىء غازان؛ فإن قبجق ومن معه من الأمراء حملهم بغضهم فى منكوتمر وخوفهم منه على اللحاق بغازان وتحريضه على المسير إلى الشام، حتى كان منه ما يأتى ذكره إن شاء الله.

وكان لاجين منذ قتل الملك الأشرف يستشعر أنه لابد أن يقتل، حتى أنه فى يوم الخميس الذى قتل فى مسائه أحضر إليه بعد العصر بندب فارس ميدانى من السلاح خاناه، فجعل يفتل فردة بعد فردة وهو يقول: «من قَتَل قُتِل» ويكرّر هذا مرارًا، فكان الفأل موكلا بالمنطق، إذ قتل بعد أربع ساعات من كلامه.

ونظير هذا أن الملك الأشرف وقف فى حلقة صيد، والنوبة يومئذ فى حمل السلاح خلفه للاجين هذا فجاء لاجين إلى بدر الدين بكتوت العلائى وله أيضًا النوبة فى حمل السلاح، وقد تقدم إلى مكانه من الحلقة وأعطاه سلاح السلطان، وأمره بالتوجه إلى

السلطان فإنه أمر بذلك. فأخذ بكتوت السلاح وتوجه به إلى الخدمة، ووقف لاجين حيث كان بكتوت واقفًا. فلما جاء بكتوت وجد الأشرف على فرسه، وقد جعل طرف عصاة مقرعته تحت جبهته، واتكأ برأسه عليها وهى ثابتة بحذاء سرجه، وكأنه فى غيبة من شدة الفكر. ثم التفت الأشرف وقال: «يا بكتوت والله لقد التفت فرأيت لاجين خلفى وهو يحمل السلاح والسيف فى يده، فتخيّلت أنه يضربنى به، فنظرت إليه وقلت يا شقير أعط السلاح لبكتوت يحمله، وقِفْ أنت مكانه». فقال بكتوت: «أعيذ مولانا السلطان بالله أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقل من هذا وأضعف نفسًا أن يقع هذا بباله، فضلا عن أن يقدم عليه. وهو مملوك السلطان، ومملوك مولانا السلطان الشهيد وتربية بيته الشريف». فقال الأشرف: «والله ما عرفتك إلا ما خطر لى وتصورته». قال بكتوت: «فخشيت على لاجين كون السلطان تخيل هذا فيه وأردت نصحه، فقلت له فى تلك الليلة: بالله تجنب السلطان ولا تكثر حمل السلاح ولا تنفرد معه» وأخبرته الخبر، فضحك ضحكا كثيرًا وتعجب. فقلت: «والله هذا يبكى منه» فقال: «ما ضحكى إلا من إحساسه. والله لما نظر إلى وقال يا شقير، كنت على عزم من تجريد سيفه وقتله به». قال بكتوت: «فعجب من ذلك غاية العجب» ومن العجب أيضًا أن الضرب الذى كان فى الملك الأشرف عند قتله وجد مثله سواء فى لاجين لما قتل.

وكان لاجين فى سلطنته كثيرًا ما يقف إذا أراد أن يصلى، ويكشف رأسه ويسأل أن يمد فى عمره حتى يلقى غازان، ثم يقول: «لكن أنا خائف أن يدركنى الأجل قبل لقائه» فكان كذلك.

وكان فى شبابه منهمكا على الخمر، حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها وينعم فى مجالس اللهو عليهم، بحيث لما أفرط فى اللهو قال الشجاعى للملك المنصور قلاوون[١] إنه قد أبخس حرمة السلطان بمعاشرته عامة دمشق وانهماكه فى الشرب. فبعث إليه قلاوون على لسان الأمير طرناى نائب السلطنة ينهاه ويهدده، وكتب إليه أيضًا بذلك. وكان ألاجين كثير الحركة، بحيث يغيب فى الصيد الشهر والشهرين ومعه أرباب الملاهى، فلما تسلطن أعرض عن اللهو، وسار أحسن سيرة من العدل

---

(١) المنصور قلاوون، هو أبو بكر محمد سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر، من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة. انظر بدائع الزهور ١/١٦٧، والبداية والنهاية ١/١٩٠،١٩١، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٠، والأعلام ٢/٦٨.

والإنصاف والعطاء والإنعام، وأحبه الأمراء والأجناد والعامة ، فأفسد ذلك مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره.

واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف، رأى قرا سنقر رؤيا فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها، وكان كل منهما يعرف موضع الآخر. فجاءه لاجين فى صندوق حمل إلى دار قرا سنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مختفيًا، فتحادثا، ثم قال له قرا سنقر: «يا شقير رأيت رؤيا أنا خائف أن أقصّها فتطمع نفسك وتتغير نيتك وتغدر بى» فحلف له أنه لا يخونه. فقال قرا سنقر: «رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول معقودة الأذناب مضفورة المعارف مجللة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك، ثم نزلت وجلست على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة، واستدعيتنى وأجلستنى على ثالث درجة من المنبر وتحدثت معى قليلا. ثم دفعتنى برجلك فسقطت من المنبر، وانتبهت عند سقوطى. وهذا يدل على قربى منك ورميك لى وأنا والله يا شقير نحس قد خلّفتك، وما أدرى هل تصدق أو لا؟» فضحك لاجين. وكان كذلك، فإنه استناب قرا سنقر لما تسلطن قليلا، ثم كان من أمره ما تقدم ذكره من سجنه له. فكان قرا سنقر كل قليل يبعث إليه برسول وهو سجين، ويقول: «يا أخى اجعل فى نظير بشارتى بما آتاك الله أن تفرج عنى وتنفينى حيث أردت» فيبتسم لاجين، ويقول للرسول: «سلم عليه وقل له إن شاء الله بقى القليل».

واتفق أن لاجين رأى فى المنام كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس فى موضع النائب، والنائب قدامه وقف وشد وسطه، فلما قام من مكانه صعد درجا، وإذا برجل وهو كرجى وقد طعنه برمح فصار كوم رماد. فاستدعى لاجين[١] علاء الدين[....][٢] ابن الأنصارى عابر الرؤيا، وقص رؤياه عليه، فقال: «تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجى». فقال لاجين: «الله المستعان» وأوصاه بكتمان ذلك، وأعطاه خمسين دينارًا وانصرف ابن الأنصارى فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره، فلما دخل عليه سأله عن رؤيا السلطان فكتمها عنه، وقال: «شىء يتعلق بالحريم». فقال منكوتمر: «قد رأيت أنا أيضًا كأنى خرجت من الخدمة إلى دار النيابة،

---

(١) المنصور لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصورى، من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، وهو الحادى عشر من ملوك الترك، ويسمى الرك الحسامى، كان مملوكا للمنصور قلاوون وإليه نسبته. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١/١٣٦، والنجوم الزاهرة ٨/٨٥، والأعلام ٥/٢٣٨.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

فإذا بالدهليز عمود رخام فوقه قاعدة، فجذبت سيفى وضربت رأس العمود فألقيته، ففار من العمود دم عظيم ملأ الدهليز». فعمَّى ابن الأنصارى عليه، وقال: «قد انقطع الكلام برؤية الدم» خوفًا من شره، وانصرف متعجبًا من اتفاق تأويل المنامين فلما كان بعد أحد عشر يومًا من رؤياهما، حضر إليه خادم بورقة فيها أن امرأة السلطان وهى ابنة الملك الظاهر رأت السلطان جالسًا، وإذا بطائر كالعقاب انقض عليه واختطف فخذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار، فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح كرجى ثلاث مرات. فقال ابن النصارى: «هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع» وأراد بذلك الدفع عن نفسه، فقُتِل لاجين فى الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجى.

وبعث الأمير علم الدين سنجر الدواداری وراء ابن الأنصاری، واستحكاه عن تأويل رؤيا لاجين، فإنه كان حاضرًا عندما قصها عليه، ثم قام حتى لا يسمع تأويله. فأخبره ابن الأنصارى بما قاله له، وبمنامى منكوتمر وامرأة لاجين. فقال له الأمير علم الدين: «لما قمت من عند السلطان لاجين استدعانى وأخبرنى بما قال لك، وقال عرفت من الذى طعننى بالرمح؟ قلت لا، فأشار إلى كرجى. ثم استدعانى بعد أيام وذكر لى أنه أعلم منكوتمر بأن خاطره ينفر من كرجى، فقال له منكوتمر بحنق: وا لله لا تبرح تتهاون فى أمرك حتى يقتلوك ويقتلونى وتموت مماليكك فى الحبس، وما هذا القواد إلا قتله يعنى كرجى وحلف أنه كلما رأى كرجى يود لو ضربه بسيفه، ونهض وهو مصمم على قتله. فحال ا لله بينهما وبين كرجى، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره من قتلهما».

وذلك أن الاتفاق كان قد وقع بين السلطان وبين منكوتمر على مسك كرجى وطغجى وشاورشى فى جماعة من الأمراء وقت الخدمة يوم الإثنين، فعرف منكوتمر ثقاته بذلك. واشتد فكر السلطان واضطراب رأيه فيما قرره مع منكوتمر، فتارة يعزم على إمضائه، وتارة يرجع عنه حتى يرد عليه خبر الأمراء المجردين وهل قبض عليهم أو لا. فلما أصبح استدعى الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، وبعثه إلى منكوتمر يأمره ألا يفعل شيئًا مما قرره مع السلطان حتى يعرفه، فإنه خطر فى نفسه شيء أوجب تأخيره فلما ذكر سلار هذا لمنكوتمر ظن أن السلطان أعلمه بالأمر على وجهه، وأخذ ينكر على السلطان تأخيره ما اتفقا عليه، وشرح له الحال كله ولم يكتمه شيئًا فسكن سلار من حنقه، وأعاد الجواب على السلطان بالسمع والطاعة، وكتم ما أطلعه منكوتمر عليه، ومضى إلى كرجى وطغجى ومن معهما، وأعلمهم بالأمر كله، فشمّروا للحرب، وكان ما كان.

واتفق أيضًا أن فى الليلة التى قتل فيها لاجين ظهر فى السماء نجم له ذنب، يخيل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض. فلما رآه لاجين تعجب منه، وتمعَّر[١] وجهه، وقال لقاضى القضاة حسام الدين، وهو معه: «ترى ما يدل عليه هذا النجم؟» ، فقال: «ما يكون إلا خير». فسكت لاجين، ثم قال له: «يا قاضى حديث كل قاتل مقتول صحيح» وتغير تغيرًا زائدًا. فشرع الحسام يبسطه ويطيب خاطره، وهو يقول: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾[٢] وجلس وكررها، فقتل فى مجلسه ذلك.

واتفق أيضًا أنه أحضر إليه فى تلك الليلة بعض السلاح دارية سيفا من الخزانة، فقلبه وأعجب به، فأخذ كرجى يشكر منه، فقال له لاجين: «كأنك تريده» قال: «نعم وا لله يا خوند» فقال لاجين: «هذا ما يصلح لك» والتفت إلى طغاى وناوله إياه وقال: «خذ هذا اقتل به عدوك» فكان أول ما ضرب به لاجين بعد ساعة فأطار يده.

واتفق أيضًا أن لاجين دفن فى تربة بجانب تربة العادل كتبغا[٣] من القرافة، فكان أولاد كتبغا يأتون قبره ويضربونه بالنعال ويسبونه، وأقاموا على هذا مدة يشفون أنفسهم بذلك.

وكان لاجين معظما للشرع وأهله منفذًا لأوامره، ومن ذلك أنه طَلَب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم، ونقلها إلى مودع جديد لمال الأيتام استجده، وكتب توقيعا بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مودع الحكم ويتحدث فيه قاضى القضاة الشافعى، فإن كان للميت وصى فيقيم القاضى الشافعى معه عدولا من جهته ورد لاجين عدة أملاك كانت قد أخذت بغير حق إلى ملاكها، منها قرية ضمير من عمل دمشق، وكانت وقف الملك الزاهر على أولاده. ورد على عز الدين بن القلانسى ما أخذ منه فى الأيام المنصورية قلاوون من المال بغير طريق شرعى. ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان عليهم من المظالم، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل سنة،

---

(١) غضب فلان فتمعر لونه ووجهه: تغيرَّ وعلته صفرة. وفى الحديث: «فتمعر وجهه» أى تغيرَّ، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون، من قولهم: مكان أمعر، وهو الجدب الذى لا خصب فيه. ومعر وجهه: تغير. والممعور: المقطب غضبا لله تعالى، وأورد ابن الأثير فى هذه الترجمة قول عمر، رضى ا لله عنه: «المعرة الأذى» والميم زائدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب (معر).

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦.

(٣) العادل كتبغا بن عبد ا لله المنصورى زين الدين الملقب بالملك العادل، من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام. أصله من سيس التتار من عسكر هولاكو. انظر ابن إياس ١٣٣/٨، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨، وفوات الوفيات ١٣٨/٢، والأعلام ٢١٩/٥.

وعوض مقطعيه بدل ذلك. ورد وقف قراقوش على الفقراء، وكان قد أقطع منذ سنين، فتسلمه القاضى الشافعى وبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم، وعوض مقطعيه عنه ورد الدار القطبية إلى من وقفت عليه من جهة الملك الكامل، وكانت بيد أحد مقدمى الحلقة وورثته من نحو ستين سنة. وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردها إلى أربابها، وكانت العساكر من ذلك فى مضرة، لأنهم لا يحصل لهم من دواوين الأمراء كبير شىء، ويبقى الإقطاع فى حِمَى الأمير يأوى إليه كل مفسد وقاطع طريق.

وكان لاجين شجاعا مقدّما على أقرانه فى الفروسية وأعمالها، كثير الوفاء لمعارفه وخدامه، ومنع من لبس الكلفتاه الزركش والطرزكش وملابس الذهب، وشدد فى المنع من المحرمات كلها، وحد فى الخمر بعض أولاد الأمراء، وكان يصوم رجب وشعبان، ويقوم الليل، ويكثر من الصدقات، مع لين الجانب وخفض الجناح.

* * *

تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور لاجين الأمر

ولما قتل الملك المنصور لاجين ونائبه الأمير منكوتمر اتفق من كان بالقلعة من الأمراء وهم عز الدين أيبك الخازندار المنصورى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير[1] وسيف الدين سلار الأستادار، وحسام الدين لاجين الرومى الأستادار الواصل من حلب، وجمال الدين أقش الأفرم، وبدر الدين عبد الله السلاح دار، والأمير كرت الحاجب مع الأمير طغجى وكرجى على مكاتبة الملك الناصر محمد بن قلاوون[2] وإحضاره من الكرك[3] وإقامته فى السلطنة، وأن يكون طغجى نائب السلطنة، وألا يقع أمر من الأمور إلا بموافقة الأمراء عليه وتحالفوا على ذلك فى ليلة الجمعة. فلما طلع النهار فتح باب القلعة، وركب الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع وبقية الأمراء إلى القلعة، وكتبوا إلى الأمير قبجق نائب الشام والأمير بلبان الطباخى نائب حلب بما وقع، وطلبوا

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى ركن الدين الملك المظفر: من سلاطين المماليك بمصر والشام، شركسى الأصل على الأرجح. كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه، وتأمر فى أتباعه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون، ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل الأشرف صار بيبرس أستادارا، وتقلبت به الأحوال. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٢/٨، والأعلام ٨٠/٢.

(٢) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى أبو الفتح، من ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى، وابن الوردى ٣٣٠/٢، وفوات الوفيات ٢٦٣/٢، وابن إياس ١٢٩/١، والدرر الكامنة ١٤٤/٤، ووليم موير ٦٥، والنجوم الزاهرة ١١٥/٨، وديوان صفى الدين الحلى ٥٥،٦٢،٢٤٢، والأعلام ١١/٧.

(٣) قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

منهما القبض على أيدغدى شقير وجاغان وحمدان بن صلغاى والأمراء الحسامية. وسار البريد بذلك على يد الأمير بلغاق من أمراء دمشق، وكان قد حضر بكتاب الأمير قبجق فى يوم السبت ثانى عشره بعد قتل لاجين، فأخذ طغجى منه الكتاب.

وجلس طغجى مكان النيابة وبقية الأمراء يمنة ويسرة، ومد السماط السلطانى على العادة. ودار الكلام فى الإرسال إلى الملك الناصر، فقام كرجى وقال: «يا أمراء أنا الذى قتلت السلطان لاجين وأخذت ثأر أستاذى، والملك الناصر صغير ما يصلح، ولا يكون السلطان إلا هذا وأشار لطغجى وأنا أكون نائبه، ومن خالف فدونه» فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب فإنه قال: «يا خوند الذى فعلته أنت قد علمه الأمراء، ومهما رسمت ما ثم من يخالف» وانفضوا، وتأخر الإرسال إلى الملك الناصر.

فبعث طغجى إلى التاج عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وسأله عن إقطاع النيابة فذكره له، فقال طغجى: «هذا كثير، أنا لا أعطيه لنائب» ورسم أن توفر منه جملة تستقر للخاص. فلما خرج التاج عبد الرحمن الطويل من عنده استدعاه كرجى وسأله عن إقطاع النيابة، فلما ذكره له استقله وقال: «هذا ما يكفينى ولا أرضى به» وعين بلادا يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر، فأخذ التاج يتعجب منهما فى استعجالهما بذلك قبل انعقاد الأمر لهما.

وفى ليلة الأحد: وقع الطائر بنزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بيلبيس بالعسكر المجرد إلى سيس[1] فسر الأمراء بذلك، وكتبوا إليه وإلى من معه بجميع ما وقع واتفاق طغجى وكرجى مفصلا. وصار أهل الدولة قسمين: الأمراء ورأيهم معدوق بما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر، وأما طغجى وكرجى وشاورشى والمماليك الأشرفية فإنهم يد واحدة على سلطنة طغجى ونيابة كرجى، وأنهم لا ينزلون إلى لقاء الأمير بكتاش، بل يقيمون مع طغجى بالقلعة حتى يحضر بكتاش بمن معه وكان رأى الأمراء النزول إلى لقائهم.

فلما كان يوم الأحد ثالث عشره: نزل الأمير بكتاش بركة الحاج، وشرع الأمراء بالقلعة فى التجهيز إلى لقائه. فامتنع كرجى من أن ينزل إليه أحد، بل أشار أن ينزل كل أحد إلى بيته، ويطلع الجميع من الغد القلعة، فيلبس طغجى خلعة السلطنة، وانفضوا على ذلك. فعلم الأمراء أنهم ما لم ينزلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتهم ما دبروه، فلما اجتمعوا بعد العصر أخذوا مع طغجى وكرجى فى تحسين النزول للقاء،

---

(١) أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

فإن الأمير بكتاش قديم هجرة وأتابك العساكر، وقد أثر فى سبيل الله آثارًا جميلة وملك إحدى عشرة قلعة، وله غائب بالعسكر نحو سنة ونصف، فإن لم يَتَلَقَّهم الأمراء صعب عليهم، ولو كان السلطان حيًّا لخرج إلى لقائهم. هذا وطغجى وكرجى يقولان: «لا نزول، وأما أنتم فانزلوا إن اخترتم؟» فلما طال تحاورهم استحيا طغجى من الأمراء وقال لكرجى: «الصواب فيما قاله الأمراء، والرأى أن أركب معهم ومعى مماليك السلطان ونلقى الأمير بكتاش، وتقيم أنت بالقلعة فى طائفة من المماليك، فاتفقوا على ذلك. وعرض طغجى المماليك ومعه كرجى، وعَيَّنا أربعمائة تركيب مع طغجى، وأخرجت لهم الخيول من الاسطبل، وأن يقيم مع كرجى بقيتهم بالقلعة، وباتوا على ذلك.

وأما دمشق فإن بلغاق قدم إليها يوم السبت تاسع عشره، وقد بلغه تسحب الأمير قبجق بمن معه إلى جهة الفرات فأخفى أمره وتوجه إلى حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على الخبر، فقبض الأمير بلبان من وقته على حمدان صلغاى وسجنه بالقلعة، وبعث البريد فى طلب قبجق ومن معه، وكتب يعرفه بقتل لاجين ومنكوتمر. فصدف البريدى أيدغدى شقير وكجكن وبالوج فى الطائفة الحسامية، وقد خرجوا فى طلب قبجق ومن معه، فأنكروا أمره وفتشوه، فإذا فى الكتب التى معه شرح ما وقع بمصر، فخاف أيدغدى شقير من نائب حلب لسوء ما عامله به، ودفع الكتب إلى البريدى وخلاه لسبيله، فمضى إلى قبجق، وتحير أيدغدى فى أمره، ثم قوى عليه كجكن حتى سار به إلى حلب، فلم يتعرض إليه الأمير بلبان النائب بل عزاه وتوجع له.

وقام بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى، وقبض على الأمير سيف الدين جاغان الحسامى الشاد، وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحسامى والى البر، وقدم الأمير كجكن من حلب فقبض عليه أيضًا، وسلمهم جميعًا لأرجواش نائب القلعة. وتحدث الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى حديث نواب السلطنة، وصار يركب بالعصائب والجاويش، ويجلس بدار السعادة وترفع له القصص على هيئة النواب، وأوقع الحوطة على أبواب الأمراء المقتولين وحواصلهم، وحلف العسكر للملك الناصر. فلم تطل مدته، ومات فى ثانى جمادى الأولى بقولنج[1] وصارت دمشق بغير نائب ولا مشد ولا محتسب.

وكان خبر قيام قرا أرسلان قد ورد إلى الأمراء بمصر، فخرج البريد فى سادس

(١) القولنج: مرض معوى مؤلم يكون فى المعى الغليظة ويعسر معه خروج الثفل والريح. انظر محيط المحيط.

عشرى ربيع الآخر باستقرار سيف الدين قطوبك المنصورى فى الشد عوضًا عن جاغان، فعاشر ذلك يوم الأحد خامس جمادى الأولى، عند قدوم البريد إلى دمشق.

وأما قبجق نائب دمشق، فإنه توجه ومعه الأمير بكتمر السلاح دار وفارس الدين ألبكى وسيف الدين عزاز وسيف الدين بزلار يريدون غازان، فمات بزلار قريبًا من سنجار. وتسامع بهم المغل، فركب جنكلى بن البابا أمير ديار بكر من قبل غازان وبالغ فى إكرامهم، وتلقاهم صاحب ماردين وقام بأمرهم. فلحقه بريد نائب حلب بها، وأوقفه على الكتب المتضمنة لقتل لاجين ومنكوتمر، فبكى قبجق والأمراء نادما على سرعة مفارقتهم بلاد الشام، و لم يعجبهم العود، فكتبوا الجواب بالاعتذار.

وكان غازان قد بلغه بجيئهم إليه، فبعث أميرًا يتلقاهم، وسار بهم إلى الأردوا فركب غازان فى موكبه وتلقاهم وأكرمهم، وضرب لهم الخركاوات وأمر لهم بما يصلح لهم. ثم استدعاهم وباسطهم، فلما انصرفوا حَمَل إلى قبجق عشرة آلاف دينار ولبكتمر مثلها، ولعزاز والألبكى ستة آلاف دينار لكل منهما. وأنعم غازان عليهم وعلى من معهم بالخيول وغيرها، وتقدم إلى أمرائه بأن يعمل كل منهم لهم ضيافة، فأقامت الأفراح فى الأردوا بسبب ضيافتهم عدة أيام، وصار قبجق فى غاية المسرة، فإنه أتاه طائفة من أهله وأقاربه، وأما بكتمر فإنه لم تطب نفسه بالإقامة.

ومن غريب الاتفاق أن السلطان الملك المنصور قلاوون جرى مرة عنده أمر تجريد عسكر إلى حلب، فذكر له قبجق هذا أن يُجَرَّد، فقال: «أعوذ با لله أن أجرد قبجق إلى نحو الشام، فإننى ما آمنه أن يدخل البلاد، ويظهر لى من وجهه الميل إلى المغل». ثم التفت قلاوون إلى سنقر المساح، وقال: «إن عشت يا أمير، وخرج قبجق إلى الشام، فستذكر قولى لك، فكان كذلك».

ويقال إنه كان مدة نيابته لدمشق يكاتب غازان، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التى يركب بها الأمراء عندهم، فبعثها غازان إليه، وصارت عنده حتى ركب من ماردين فحملها إليه، وكان هو أكبر أسباب قدوم غازان إلى دمشق، كما يأتى ذكره إن شاء الله.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيًا

وكان من خبر ذلك أن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار والأمير علم الدين سنجر الجاولى قدما إلى الكرك، فوجد الملك الناصر يتصيد بالغور، فوجَّها إليه. ودخل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك إلى أم السلطان ليبشرها، فخافت

أن تكون مكيدة من لاجين، وتوقفت فى المسير وابنها إلى مصر، فما زال بها حتى أجابت. ووصل الأميران إلى الملك الناصر فقبلا الأرض بين يديه وأعلماه الخبر، فأتى إلى المدينة وأخذ فى تجهيز أحواله، والبريد يتواتر من مصر باستحثاثه على القدوم إليها، إلى أن هيأ له نائب الكرك ما يليق به، وسار به إلى القاهرة فخرج الأمراء والعساكر إلى لقائه، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بها أحد من الناس فرحا بقدومه، وخرجوا إليه عامة فى يوم السبت رابع جمادى الأولى.

وجلس السلطان الملك الناصر على سرير الملك فى يوم الإثنين سادسه، وجددت له البيعة، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسرانى عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفيه استقر الأمير سيف الدين سلار فى نيابة السلطنة بديار مصر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادار، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الداودارى المنصورى نائب دمشق عوضًا عن الأمير قبجق المنصورى، والأمير سيف الدين كرت الحاجب فى نيابة طرابلس، واستقر عوضه حاجبًا سيف الدين قطلوبك وأفرج عن الأمير قرا سنقر، والأمير عز الدين أيبك الحموى، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر، واستقر قرا سنقر فى نيابة قلعة الصبيبة، وخلع على سائر أهل الدولة، وكتب إلى الأعمال بذلك، ودقت البشائر وزينت الممالك على العادة.

وفى ثامنه: ركب السلطان بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه، وعمره أربع عشرة سنة، وأقر الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى فى الوزارة. وسار الأمير أقش الأفرم على البريد إلى دمشق، فقدمها فى ثانى عشريه، ولبس من الغد التشريف، وقبل عتبة باب القلعة على العادة، ومد السماط بدار السعادة، وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك إلى مصر.

وفى تاسع عشريه: أفرج الأمير أقش الفرم عن جاغان الحسامى وبعثه على البريد إلى مصر، فرده السلطان من طريقه، وجعله أحد أمراء دمشق. وقدم البريد من حلب بدخول قبجق ومن معه إلى بلاد المغل. ووقع بالقاهرة مطر، وسال المقطم إلى القرافة فأفسد عدة ترب، ووصل الماء إلى باب النصر من القاهرة، وأفسد السيل هناك عدة ترب أيضًا.

وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل فى يوم الموكب عند السلطان، ويقررون الأمور مع بيبرس وسلار فتصدر الأحوال عنهما، وشرعا فى تقديم حواشيهما وألزامهما.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وأنعم على أمير موسى بن الصالح على ابن قلاوون بإمرة، وعلى كل من عز الدين أيدمر الخطيرى وبدر الدين بكتوت الفتاح وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين تمر وعز الدين أيدمر النقيب بإمرة. وأنعم على ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة بإمرة، واستقر واليًا بالجيزة وأعمالها مع ولاية القاهرة، وأنعم على كل من لاجين أخى سلار وأقطاى الجمدار وبكتوت القرمانى بإمرة وقبض على الأمير [....][1] العمرى والأقوش وقراقوش الظاهرى ومحمد شاه الأعرج وعد على قراقوش ومحمد شاه من الذنوب قتلهما طغجى وكرجى.

وفى يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة: ألبس الأمير أقش الأفرم نائب دمشق الأمراء والأعيان الخلع، وفيه قدم طلبه وأثقاله من مصر، فتلقاها والأمراء فى خدمته وعليه التشاريف، ودخل دخولا حسنًا.

وفيه كتب عن السلطان تقليد الملك المظفر تقى الدين محمود بنيابة حماة.

وفى شهر رجب: توجه الأمير كرت الحاجب إلى نيابة طرابلس.

وفى ثانى عشره: قبض بدمشق على الأمير سيف الدين كجكن واعتقل بالقلعة وورد البريد من حلب بمحاربة نغاى وطقطاى، وأنه قتل بينهما من المغل خلق كثير، وأن غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولو بن جنكزخان قتل وزيره نوروز، وأنه تأهب لعبور الشام وبعث فى جمع المغل، وأنه بعث سلامش بن أفال بن بيجو التترى إلى بلاد الروم، على عسكر يبلغ نحو الخمسة وعشرين ألف فارس. فاهتم الأمراء بتجريد العسكر، واتفقوا على تجهيز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار، والأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار، ومقدمهم الأمير جمال الدين أقش قتال السبع، وصحبتهم من أمراء الطبلخاناه عشرون أميرًا. وكتب إلى دمشق بتجريد أربعة أمراء مقدمين، فساروا وقدموها فى سابع رجب.

وقدم البريد من دمشق بورود نحو ثلاثين بطسة فى البحر إلى ساحل بيروت، فى كل بطسة[2] منها نحو سبعمائة، وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على الساحل. فاجتمع الناس لقتالهم، فبعث الله ريحًا كسرت المراكب وألقتها بالشاطئ، فأخذ أهل بيروت منها ما بقى من الغرق، وأسروا ثمانين إفرنجيا، وذلك أخريات شعبان.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) بطسة: والمقصود هنا اتساع البطسة لهذا العدد الكبير من الجند مما يساعد على تصور حجم ذلك النوع من السفن الحربية.

وقويت شوكة البرجية بديار مصر، وصارت لهم الحمايات[1] الكبيرة، وتردد الناس إليهم فى الأشغال. وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمَّر منهم عدة، وصار فى قبالته الأمير سيف الدين الدين سلار ومعه الصالحية والمنصورية، إلا أن البرجية أكثر وأقوى، وشرهوا جميعًا إلى أخذ الإقطاعات، ووقع الحسد بين الطائفتين، وصار بيبرس إذا أمَّر أحدًا من البرجية وقفت أصحاب سلار وطلبت منه أن يؤمر منهم واحدًا. وأخذ الأمير سيف الدين برلغى يشارك بيبرس وسلار فى الأمر والنهى، وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية.

وفى يوم الخميس ثانى عشر شعبان: وصل سلامش بن أفال نائب الروم إلى دمشق، مع الأمير عز الدين[....][2] الزردكاش نائب بهسنا، فى عشرين من أصحابه. فتلقاه عسكر دمشق وأهلها مع النائب وقد اهتم للقائه وبالغ فى التجمل الزائد، فكان يوما بهجًا. وأنزله على الميدان وقام بما يليق به، وأحضر فى ليلة النصف ليرى الوقيد بجامع بنى أمية.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: أركبه البريد هو وأخوه قطقطوا، فقدما إلى قلعة الجبل ومعهما مخلص الدين [....][3] الرومى فأكرمهم الأمراء وقاموا بواجبهم.

وكان من خبر سلامش أن غازان لما بعثه لأخذ بلاد الروم خرج عن طاعته، وحسن فى رأيه الاستبداد بملك الروم فاستخدم عشرة آلاف، وكاتب ابن قرمان أمير التركمان، وكتب إلى الملك المنصور لاجين سلطان مصر يطلب نجدة على قتال غازان على يد مخلص الدين الرومى. فأجيب فى شهر رجب بالشكر والثناء، وكتب إلى دمشق بخروج العسكر لنصرته.

وكان غازان قد وصل إلى بغداد، فبلغه خروج سلامش عن طاعته، فأعرض عن المسير إلى الشام، وجهز العساكر إلى بلاد الروم، وأخرجهم أول جمادى الآخرة وعدتهم نحو الخمسة وثلاثين ألفًا وعليهم بولاى وعاد غازان إلى تبريز، ومعه الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى وبزلار، وسار بولاى إلى سنجار ونزل على رأس عين، ثم توجه إلى آمد.

---

(١) الحمايات جمع حماية، مكس يفرضه الأمير أو السلطان على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق، وقد أطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذى يدفع المكس.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وجمع سلامش نحو الستين ألفًا، وامتنع عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم، فلما قرب منه بولاى بعساكر غازان فرَّ عنه من كان معه من التتار إلى بولاى فى أول ليلة من رجب، ثم التحق به أيضًا عسكر الروم، وفر التركمان إلى الجبال. ولم يبق مع سلامش إلا نحو الخمسمائة، فانهزم عن سيواس إلى جهة سيس، ووصل بهسنا آخر رجب. فورد خبره إلى دمشق فى خامس شعبان والأمراء بها على عزم الخروج لنجدته، فتوقفت الحركة عن تسيير العساكر. فما كان بعض أيام إلا وسلامش قد وصل إلى دمشق، فخرج إليه عساكر دمشق والتقوه فى موكب عظيم، ووصل صحبته من بهسنا الأمير بدر الدين الزردكاش نائب السلطنة بها.

ثم توجه سلامش وأخوه قطقطوا إلى الأبواب السلطانية، فى يوم الأحد خامس عشر شعبان على خيل البريد، فلما قدم إلى قلعة الجبل أنعم على أخيه قطقطوا بإقطاع، ورتب لمخلص الدين الرومى جارٍ، وخير سلامش بين المقام بالديار المصرية أو الشام أو أن يعود إلى بلاده، فسأل أن يجرد معه جيش ليعود إلى بلاده ويحضر بعياله، ويرجع إلى خدمة السلطان. فوافقه السلطان على ذلك، فركب البريد إلى حلب، ورسم أن يخرج معه الأمير بكتمر الجلمى. فقدم سلامش دمشق فى حادى عشر رمضان، وخرج من الغد ومعه الأمير بدر الدين الزردكاش، ولما وصل إلى حلب جرد معه الأمير بكتمر حسب المرسوم إلى جهة سيس، بعدما مر بحلب وخرج منها بعسكر. ففطن به التتار فقاتلوه، فقتل الأمير بكتمر، وفر سلامش إلى بعض القلاع فقبض عليه وحمل إلى غازان فقتله.

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب فى حركة غازان إلى بلاد الشام: وذلك أنه نهب بعسكر حلب ماردين[١] فى شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها، وفعل أفعالا قبيحة، فحرك فعله ما عند غازان وجعله حجة لمسيره.

وفى شعبان: أنعم على الأمير قرا سنقر بنيابة الصبيبة وبانياس، فسار إليهما وتسلمهما فيه.

وفى رمضان: قدم الأمير علاء الدين كجكن إلى القاهرة مقيدًا، هو وحمدان بن صلغاى، وقد وكل بهما مائة فارس من عسكر الشام. فأرسل بحمدان إلى صفد، فكان آخر العهد به. وقدمت رسل صاحب سيس وصاحب القسطنطينية بهدايا فى سادسه.

واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى الوزارة عوضًا عن الصاحب فخر الدين

(١) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قمته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا المشهورة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

عمر بن الخليلى، فضرب التاج بن سعيد الدولة بالمقارع فأسلم، وكان مستوفيا. واستقر شمس الدين أحمد السروجى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضًا عن حسام الدين حسن بن أحمد بن الحسن الرومى، فى أول ذى الحجة. ونقل الحسام إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضًا عن والده جلال الدين أحمد بن الحسن.

وفى آخر ذى القعدة: نقل الأمير قرا سنقر من نيابة الصبيبة إلى نيابة حماة، بعد وفاة الملك المظفر تقى الدين. واستناب الأمير بيبرس الجاشنكير فى الأستادارية الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وحكمه فى سائر أمورها، فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم. وذلك أنهم يجلسونه فى يومى الخميس والإثنين، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار النائب والأمير بيبرس الأستادار، ويعرض سلار عليه ما يريده، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول: السلطان قد رسم بكذا، فيمضى ذلك. ثم يخرج الجمع، فيجلس سلار وبيبرس ويتصرفان فى سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان.

وقدم البريد بتحرك غازان وجمعه على السير إلى الشام، فكُتب إلى الأمير كزناى والأمير قطلوبك الحاجب بالخروج واللحاق بالأمراء المجردين، فقدموا دمشق فى رابع عشرى ذى الحجة. ووقع العزم على سفر السلطان والأمراء، واستدعيت الجند من بلاد مصر، وألزم الوزير سنقر الأعسر بتجهيز الأموال، فتحسن سعر الخيل والجمال والسلاح وآلات السفر. وانتظر العسكر النفقة فيهم، فاجتمع الأمراء لذلك، فلم يوافق بيبرس وسلار على النفقة خوفا من تلاف المال، وقصدا تأخيرها إلى غزة، فلم ترض بقية الأمراء بذلك، وانفضوا على غير رضى. وخرج السلطان فى رابع عشرى ذى الحجة بالعساكر ونزل خارج القاهرة، واستناب فى غيبته الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار.

ووقع فى هذه السنة بأرض مصر آفة عظيمة من الفار.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيبك الموصلى نائب طرابلس، فى صفر.

ومات نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[1]، فى رابع عشر ذى الحجة بدمشق.

---

(١) الملك الأفضل نور الدين بن يوسف صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار الشامية استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢هـ. انظر=

ومات الأمير جمال الدين أقش المغيثى نائب البيرة بها. وقد أقام فى نيابتها أربعين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر الجلمى، قتل على سيس.

ومات الأمير بدر الدين بدر الصوافى أحد أمراء الدوادار. أصله من الغرب، فولاه المنصور لاجين دوادارا، وأقامه على تجديد عمارة جامع ابن طولون. واتفق أن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر مرض، فبعث إليه السلطان بدر الدين وقال: «ما بقى يجىء منه شىء» ، فبعد أسبوع مات بدر الدين، وطلع كاتب السر إلى الخدمة وقد عوفى، وعزى السلطان فى الدوادار، فقال السلطان: «لا إله إلا الله كان فى ظن الدوادار أنه يعزينا فى كاتب السر عزانا كاتب السر فيه».

ومات الأمير سيف الدين تمر بغا، وله مسجد بالقرب من الميدان التحتانى بين القاهرة ومصر، وكان كريما. وكان قد توجه مع الملك الناصر إلى الكرك، ثم نقل إلى طرابلس فمات بها.

ومات بحلب من المجردين الأمير سيف الدين البسطى، وأحمد شاه، ومحمد بن سنقر الأقرع، وعين الغزال، وكيكلدى بن السرية ومات بناحية سمنود - وكان قد توجه إليها - الأمير سيف الدين طقطاى.

ومات شهاب الدين يوسف بن الصاحب محيى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم ابن هبة الله سالم بن طارق النحاس بن الأسدى الحلبى، فى ثالث عشر ذى الحجة بدمشق، وقد قدم القاهرة مرارًا.

ومات أمين الدين سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى، ناظر الدواوين بدمشق، فى ثامن عشرى ذى الحجة، وهو مصروف.

ومات الأمير علم الدين سنجر المسرورى والى القاهرة، وهو المعروف بالخياط.

* * *

=ابن الأثير ١٦٤/١٢، ووفيات الأعيان ٣٧١/١، والأعلام ٢٣/٥.

سنة تسع وتسعين وستمائة

أهلت والسلطان متوجه بعساكر مصر إلى الشام، والإرجاف يقوى بمسير غازان إلى الشام. فرحل السلطان بالعساكر من الريدانية أول يوم من المحرم، والأمراء قد كثر تحاسدهم وتنافسوا بكثرة سعادتهم، فلما وصلوا غزة أقبلوا على الصيد والاجتماع والنزه. فاشتد حنق الطائفة الأويراتية الذين قدموا فى أيام العادل كتبغا، من أجل قتلى من قتل من أمرائهم فى أيام المنصور لاجين، ومن خلع كتبغا وإخراجه إلى صرخد، ومن استبداد البرجية بالأمور. وعزموا على إثارة الفتنة، وصاروا إلى الأمير علاء الدين قطلو برس العادلى وأقاموه كبيرًا لهم، واتفقوا على أن برنطاى أحد المماليك السلطانية وألوص أحد كبراء الأويراتية يهجم كلٌّ منهما على الأميرين بيبرس وسلار ويقتله، ويعيدون دولة كتبغا.

فلما رحل السلطان بالعسكر من غزة ونزل تل العجول، ركب الأمراء للخدمة على العادة، وكان بيبرس يتأدب مع سلار ويركب بين يديه، فعندما ترجل الأمراء و لم يبق على فرسه سوى بيبرس وسلار، شهر برنطاى سيفه - وكان ماشيًا فى ركاب بيبرس - وضربه، فوقعت الضربة على كفل الفرس فحلت ظهره، وضرب برنطاى ثانيًا، فوقعت الضربة على الكلفة فقطعتها وجرحت الوجه، فتبادرته السيوف حتى قُتل.

ووقعت الصرخة فى العسكر فركب الجميع، وقصد الأويراتية الدهليز السلطانى يريدون الهجمة على السلطان حتى صاروا فى داخله، وقد ركب الأمراء فى طلبهم، فركب الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار والمماليك السلطانية وفى ظنهم أن القصد قتل السلطان، ونشروا العصائب ووقفوا. وعاد بيبرس وسلار إلى مخيمهما، وأمرا الحجاب والنقباء بجمع العسكر إلى مخيم الأمير سلار النائب، فكان العسكر إذا أتوا ورأوا سنجق السلطان وعصائبه منشورة مضوا إليه وتركوا سلار، فيردهم الحجاب فلا يلتفت منهم أحد، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطانى.

فبعث سلار إلى أمير جاندار يقول: «ما هذه الفتنة التى تريدون إثارتها فى هذا الوقت ونحن على لقاء العدو؟ وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا، وكان هذا برأيك ورأى السلطان، وقد دفع الله عنا. فإن كان الأمراء كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك أبيه الشهيد، ونحن نكون فداء المسلمين، وإن لم يكن الأمر كذلك فابعثوا إلينا غرماءنا».

فلما سمع السلطان هذا بكى، وحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر، وحلف أمير

جاندار أيضًا وقال: «ولكن لما وقع ما وقع ظنوا أنهم يريدون قتل السلطان وإقامة غيره» ثم قال أمير جاندار: «إنما يريد الأمراء بهذا القول أن تقبض على مماليك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها، وإن كان السلطان ومماليكه قد شوشوا على الأمراء فأنا آخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك».

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على أمير جاندار، ثم توقفوا حتى بعثوا إلى الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الأتابك. وكان على الجاليش وبينهما مرحلة، فلم يدخل فى شىء من ذلك، وأوصى ألا يتُعرض للسلطان بسوء. فرجع سلار إلى المداراة، وركب حتى أصلح بين أمير جندار والأمراء البرجية، وقبلوا جميعهم الأرض للسلطان وقبضوا على الأويراتية وعاقبوهم، فأقروا بما عزموا عليه من قتل بيبرس وسلار وإعادة دولة العادل كتبغا، فزال ما كان فى أنفس البرجية من موافقة السلطان وأمير جاندار للأويراتية.

وشنق من الغد نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم، ونودى عليهم: «هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين ويتجاسر على الملوك». وطلب الأمير قطلوبرس فلم يوجد، وكان قد فر إلى غزة واختفى بها، فنهبت أثقاله كلها، وأنزل بالمصلوبين فى اليوم الرابع فأخذت البرجية تغرى بيبرس، وتوحش بينه وبين سلار بأنه متفق عليه مع مماليك السلطان. فلما بلغ ذلك سلار تلطف مع بيبرس، واتفقا على إرسال طائفة من المماليك السلطانية إلى الكرك فلم يخالفهما السلطان، فأخذا منهم عدة ممن اتهماهم بموافقة الأويراتية وحبساهم بالكرك.

ثم رحل السلطان بعد عدة أيام إلى قرتية[1]، ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو، وبعثوا القصاد للكشف عن ذلك، وفى هذه المنزلة سالت الأودية، وأتلف السيل كثيرًا من أثقال العسكر، وافتقر عدة منهم لذهاب جمالهم وأثقالهم، وتشاءموا به وتطيروا منه، فكان الأمر كذلك. وعقب هذا السيل خرج جراد سد الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء فزاد تطير العسكر، وخشوا أن يكون منذرًا بقدوم العدو وكسرة العسكر، وتحدث بذلك كل أحد حتى السوقة. ثم وقع الرحيل فى أول ربيع الأول إلى جهة دمشق، فدخلها السلطان يوم الجمعة ثامنه.

ففى يوم السبت تاسعه: قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق، وقدم البريد من

---

(١) بلد قرب بيت جبرين من نواحى فلسطين من أعمال بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٢٠.

حلب وغيرها بنزول غازان على الفرات، وأنه فى عسكر عظيم إلى الغاية، فأُنفق فى العساكر لكل فارس ما بين ثلاثين دينارًا وأربعين دينارًا. وقد كثر الإرجاف وتتابع وصول الناس فى الجفلة، وشحت أنفس الجند بإخراج النفقة فى شراء ما يحتاجون إليه لغلاء كل ما يباع من ذلك، ولكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر، ولتمكن بعض الجند فى الأمراء البرجية.

وقدم البريد من حلب بمسير جاليش غازان من الفرات وعبوره، وأن أهل الضياع قد جفلوا عن آخرهم، وقدم الأمير أسندمر كرجى متولى فتوحات سيس بعدما أخذ حاصل تل حمدون، وأحضر معه صاحب سيس. فخرج عسكر دمشق، وخرج السلطان بعده بعساكر مصر وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشره، وسار إلى حمص فنزل عليها، وبعث العربان لكشف الأخبار. وقد نزل التتر بالقرب من سلمية[(١)]، ولهج كل أحد بأن العسكر مسكور، وأقام العسكر لابس السلاح ثلاثة أيام، وقد غلت الأسعار.

فلما كان سحر يوم الأربعاء ثامن عشريه: ركب السلطان بالعساكر، وجد فى السير إلى الرابعة من النهار، فظهرت طوالع التتر، فنودى عند ذلك فى العساكر: «أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس»، فألقوا رماحهم كلهم على الأرض. ومشوا ساعة، ورتبوا العساكر بمجمع المروج - ويعرف اليوم بوادى الخزندار-وعدتهم بضعة وعشرون ألف فارس، والتتار فى نحو مائة ألف. فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان رأس الميمنة، ويليهم الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بعساكر حلب وحماة، ووقف فى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقش قتال السبع وعلم الدين سنجر وطغريل الإيغانى والحاج كرت نائب طرابلس، فى عدة من الأمراء، وكان فى القلب بيبرس وسلار وبرلغى وقطلوبك الحاجب وأيبك الخازندار، فى عدة من الأمراء، وقد جعلوا جناحهم المماليك السلطانية، ووقف حسام الدين لاجين الأستادار مع السلطان على بعد من اللقاء حتى لا يعرف فيقصد، وقدموا خمسمائة مملوك من الزراقين فى مقدمة العساكر.

وفى وقت الترتيب عرض للأمير بيبرس الجاشنكير حدة وإسهال مفرط لم يتمكن منه أن يثبت على الفرس، فركب المحفة واعتزل القتال، وأخذ الأمير سلار النائب معه الحجاب والأمراء والفقهاء، ودار على العساكر كلها والفقهاء تعظ الناس وتقوى

(١) سلمية: هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان ٣/٢٤٠.

عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء.

هذا وغازان ثابت لم يتحرك، وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه، فيتحركون عند ذلك يدًا واحدة، فبادر عساكر المسلمين للحركة، وأشعل الزراقون النفط، وحملوا على غازان فلم يتحرك، وكان في الظن أن غازان أيضًا يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو، ثم لما طال المدى قصرت في عدوها، وخمد نار النفط. فحمل عند ذلك غازان بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر، بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولا كثيرة، وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهام، فولى العرب أولا وتبعهم جيش حلب وحماة، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف، وكتب بذلك للسلطان ـ وهو معتزل في طائفة مع حسام الأستادار ـ فسر بذلك.

وكاد غازان أن يولى الإدبار، واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له، وولى سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغي وسائر الأمراء البرجية، وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح نارًا.

هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام، وهو يبكي ويبتهل ويقول: «يا رب لا تجعلني كعبًا نحسًا على المسلمين»، ويهم أن يفر مع القوم، فيمنعه الحسام ويقول: «ما هي كسرة، لكن المسلمين قد تأخروا»، ولم يبق معه من المماليك غير اثني عشر مملوكا.

وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم، فإذا الأمراء البرجية أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا. وخشي غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر، وكان ذلك من لطف الله بهم، فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم.

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبًا للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر: «الله الله في المسلمين!» وقد كلت الخيول، فمروا إلى بعلبك[1] ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها، فامتاروا منها ومروا في سيرهم إلى

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق في جهة الشرق مرحلتان، وهي حصينة في سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ١/٤٥٣، والروض المعطار ١٠٩، نزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ٤/١٠٩.

دمشق فدخلوها يوم السبت أول ربيع الآخر، وقد توجه أكثرهم على الساحل إلى مصر. فما هو إلا أن دخلوا دمشق حتى وقع الصارخ بمجيء غازان، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم، وجعل أهل دمشق فتشتتوا فى سائر الجهات، ومر بالعسكر من العشير والعربان أهوال، وأخذوا أكثر ما معهم نهبًا وسرقة.

وقتل فى هذه الواقعة الأمير كرت نائب طرابلس، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير أيدمر الحلبى، وبلبان التقوى من أمراء طرابلس، وبيبرس الغتمى نائب قلعة المرقب، وأزبك نائب بلاطنس، وبيليك الطيار من أمراء دمشق، ونوكاى التترى، وأقش كرجى الحاجب، وأقش الطروحى حاجب دمشق، ونحو الألف من الأجناد والمماليك وعدم قاضى القضاة حسام الدين بن أحمد الرومى الحنفى قاضى الحنفية بدمشق، وعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقع. وقتل من التتار نحو أربعة عشر ألفًا.

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص ـ وقت عشاء الآخرة ـ وبها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر، فأخذها من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم، وسار إلى دمشق بعدما امتلأت أيدى أصحابه بأموال جليلة القدر.

هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم فى وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة، فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم، وخرجوا من المدينة. فمات من الزحام فى الأبواب خلق كثير، وانتشر الناس برءوس الجبال وفى القرى، وتوجه كثير منهم إلى جهة مصر.

وفى ليلة الأحد: خرج أرباب السجون، وامتدت الأيدى لعدم من يحمى البلد.

وأصبح من بقى بالمدينة وقد اجتمعوا بمشهد على من الجامع الأموى وبعثوا إلى غازان يسألون الأمان لأهل البلد، فتوجه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية والشريف زين الدين[....][(١)] بن عدنان والصاحب فخر الدين[.... (٢)] بن الشيرجى وعز الدين حمزة بن القلانسى فى جمع كبير من الأعيان والفقهاء والقراء إلى غازان فى يوم الإثنين ثالثه بعد الظهر، فلقوه بالنبك وهو سائر، فنزلوا عن دوابهم ومنهم من قبل له الأرض. فوقف غازان بفرسه لهم، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين غازان،

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.
(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فسألوا الأمان لأهل دمشق، وقدموا له مآكل كانت معهم فلم يلتفت إليها، وقال: «قد بعثت إليكم الأمان»، وصرفهم، فعادوا إلى المدينة بعد العصر من الجمعة سابع الشهر، ولم يخطب بها فى هذه الجمعة لأحد من الملوك.

وكان قد وصل إلى دمشق فى يوم الخميس سادس الشهر أربعة من التتار من جهة غازان، ومعهم الشريف القمى، وكان قد توجه قبل توجه الجماعة هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان، فعاد وبيده أمان لأهل دمشق. ثم قدم فى يوم الجمعة سابعه بعد صلاة الجمعة الأمير إسماعيل التترى بجماعة من التتر، ودخل المدينة يوم السبت ليقرأ الفرمان بالجامع فاجتمع الناس، وقرأ بعض العجم الواصلين مع الأمير إسماعيل الفرمان بتأمين الكافة، وعاد إسماعيل إلى منزله بعدما صلى العصر.

وفى يوم الأحد: أخذ أهل دمشق فى جمع الخيل والبغال والأموال، فنزل غازان على دمشق يوم الإثنين عاشره، وعاثت عساكره فى الغوطة وظاهر المدينة تهب وتفسد، ونزل قبجق وبكتمر السلاح دار بمن معهما فى الميدان الأخضر، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر.

وامتنع الأمير علم الدين سنجر المنصورى المعروف باسم أرجواش بقلعة دمشق، وسب قبجق وبكتمر سبا قبيحًا، وكانا قد تقدما إليه وأشارا عليه بالتسليم.

وفى بكرة يوم الثلاثاء حادى عشره: تقدم الأمير إسماعيل التترى إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش فى تسليم القلعة، وأنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف فى الكافة. فاجتمع عالم كبير وبعثوا إلى أرجواش فى ذلك فلم يجب، وتكررت الرسل بينهم وبينه إلى أن سبَّهم وجبَّههم، وقال: «قد وقعت إلىَّ بطاقة بأن السلطان قد جمع الجيوش بغزة، وهو واصل عن قريب»، فانصرفوا عنه.

وفى ثانى عشره: دخل الأمير قبجق إلى المدينة، وبعث إلى أرجواش فى التسليم فلم يجب.

وفيه كتبت عدة فرمانات إلى أرجواش من قبجق، ومن مقدم من مقدمى التتار ذكر أنه رضيع الملك غازان، ومن شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيبانى وغيره، فلم يجب، وأخذ الناس فى تحصين الدروب وقد اشتد خوفهم.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه، وهى: «السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان»، وصلى

جماعة من المغل الجمعة. فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سدة المؤذنين، وقرئ على الناس تقليد قبجق بلاد الشام كلها وهى مدينة دمشق وحلب وحماة وحمص وسائر الأعمال، وجعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهم. فنثرت على الناس الدنانير والدراهم، وفرحوا بذلك فرحا كثيرًا وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادية، وعتب الناس لعدم ترددهم إليه، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان، وطلب الأموال وتعاظم إلى الغاية، واستخف بقبجق وقال: «خمسمائة من قبجق ما يكونون فى خاتمى». وصار نظام الدين يضع من قلعة دمشق ويستهين بها، ويقول: «لو أردنا أخذها أخذناها من أول يوم»، وكان لا يزال الدبوس على كتفه، ولم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلا، حتى قال فيه علاء الدين بن مظفر بن الكندى الوداعى:

شيخ غازان ما خلا أحد من تجرده
وغدا الكل لابسى خرقة الفقر من يده

وفى خامس عشره: بدأ التتر فى نهب الصالحية[1]، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس والترب من البسط والقناديل، ونبشوا على الخبايا، فظهر لهم منها شىء كثير حتى كأنهم كانوا يعلمون أماكنها فمضى ابن تيمية فى جمع كبير إلى شيخ الشيوخ وشكوا ذلك، فخرج معهم إلى حى الصالحية فى ثامن عشره ليتبين حقيقة الأمر ففر التتر لما رأوه، والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق فى أسوأ حال.

وكان سبب نهب الصالحية أن متملك سيس بذل فيها مالاً عظيمًا، وكان قد قصد خراب دمشق عوضًا عن بلاده، فتعصب الأمير قبجق ولم يمكنه من المدينة ورسم له بالصالحية، فتسلمها متملك سيس وأحرق المساجد والمدارس، وسبى وقتل وأخرب الصالحية، فبلغت عدة من قتل وأسر منها تسعة آلاف وتسعمائة نفس.

ولما فرغوا من الصالحية صار التتر إلى المزة[2] وداريا[3]، ونهبوهما وقتلوا جماعة من أهلهما فخرج ابن تيمية فى يوم الخميس عشريه إلى غازان بتل راهط ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين، فقالا: «لابد من المال»، فانصرف. واشتد الطلب للمال على أهل دمشق، واستمر الحصار، وتعين نصب المنجنيق على القلعة بالجامع، وهيئوا أخشابه

(١) قرية كبيرة مطلة على دمشق، فى خلف جبل قاسون، انظر: معجم البلدان ٣/٢١٨.
(٢) قرية كبيرة بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر: معجم البلدان ٥/٨٨.
(٣) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر: معجم البلدان ٢/٤٣١،٤٣٢.

ولم يبق إلا نصبه.

فبلغ ذلك أرجواش، فبعث طائفة هجمت على الجامع على حمية وأفسدت ما تهيأ فيه، فأقام التتر منجنيقًا آخر بالجامع واحترزوا عليه. واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه، ولم تقم به صلاة العشاء فى بعض الليالى، ونهب التتر ما حول الجامع من السوق. فانتدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيقى، ودخل الجامع والمنجنيقى فى ترتيب المنجنيق والمغل حوله، فهجم عليه وضربه بسكين فقتله. وكان معه جماعة تفرقوا فى المغل يريدون قتلهم ففروا، وخلص الرجل بمن معه إلى القلعة سالمًا.

وأخذ أرجواش فى هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت، وصيروها دكا لئلا يستتر العدو فى المنازلة بجدرانها، فأحرق ذلك كله وهدمه من باب النصر إلى باب الفرج، وشمل الحرق دار الحديث الأشرفية وعدة مدارس إلى العادلية، وأحرق أيضًا بظاهر البلد شيء كثير، وأحرق جامع التوبة بالعقيبة وعدة قصور وجواسق وبساتين.

واشتد الأمر فى طلب المال، وغلت الأسعار حتى أبيع القمح بثلاثمائة وستين درهما الغرارة، والشعير بمائة وثمانين درهما، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل اللحم باثنى عشر درهما، والرطل الجبن باثني عشر درهما، والرطل الزيت بستة دراهم، وكل أربع بيضات بدرهم، ووزعت الأموال، فقرر على سوق الخواصين مائة وثلاثون ألف درهم، وعلى سوق الرماحين مائة ألف درهم، وعلى سوق عليّ مائة ألف درهم، وعلى سوق النحاسين ستون ألف درهم، وعلى قيسارية الشرب مائة ألف درهم، وعلى سوق الذهبيين ألف وخمسمائة دينار وقرر على أعيان البلد تكملة ثلاثمائة ألف دينار، جبيت من حساب أربعمائة ألف، ورسم على كل طائفة جماعة من المغل، فضربوا الناس وعصروهم، وأذاقوهم الخزى والذل. وكثر مع ذلك القتل والنهب فى ضواحى دمشق، حتى يقال إنه قتل من الجند والفلاحين والعامة نحو المائة ألف إنسان، فقال فى ذلك كمال الدين[....][1] ابن قاضى شهبة:

رمتنا صروف الدهر منها بسبع ... فما أحد منا من السبع سالم
غلاء، وغازان، وغزو، وغارة ... وغدر، وإغبان، وغم ملازم

وقال الشيخ كمال الدين محمد بن على الزملكانى أيضًا:

لهفى على جلق يا سوء ما لقيت ... من كل علج له فى كفره فن
بالطم والرم جاءوا لا عديد لهم ... فالجن بعضهم والحن والبن

(١)ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وكان ما حمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنجا مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم، سوى السلاح والثياب والدواب والغلال، وسوى ما نهبته التتار، فإنه كان يخرج إليهم من باب شرقى كل يوم أربعمائة غرارة. ورسم غازان بأخذ الخيول والجمال، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان، وأخذ الأصيل بن النصير الطوسى، منجم غازان وناظر أوقاف التتار، عن أجرة النظر بدمشق مائتى ألف درهم، وأخذ الصفى السنجارى، الذى تولى الاستخراج لنفسه، مائة ألف درهم، وهذا سوى ما استخرج للأمير قبجق والأمراء المغل، وسوى المرتب لغازان فى كل يوم.

فلما انتهت الجباية أقر غازان فى نيابة دمشق الأمير قبجق، وفى نيابة حلب وحماة وحمص الأمير بكتمر السلاح دار، وفى نيابة صفد[1] وطرابلس والساحل الأمير الألبكى. وجعل مع كل واحد عدة من المغل، وأقام مقدمًا عليهم لحماية الشام قطلوشاه، وجرد عشرين ألفا من عسكره مع أربعة من المغل بالأغوار.

ورحل غازان فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى، وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلا بالقصر، وأخذ وزيره من أعيان دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله، وعلاء الدين على بن شرف الدين محمد بن القلانسى، وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد سعيد بن الأثير.

فلما كان يوم السبت ثالث عشره: بعد رحيل غازان، أمر التتر الذين بدمشق أن يخرج من كان فى المدرسة العادلية، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارهم عليه بعد التفتيش، ثم دخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها، ووقع النهب فى المدينة فأخذوا نحوًا مما استخرج من الأموال أولا، وأحرقوا كثيرا من الدور والمدارس: فاحترقت دار الحديث الأشرفية وما حولها، ودار الحديث النورية، والعادلية الصغرى وما جاورها والقيمرية وما جاورها إلى دار السعادة وإلى المارستان النورى، ومن المدرسة الدماغية إلى باب الفرج. وأخذوا ما حول القلعة، وركبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة، فأحرق عند ذلك أرجواش ما حول القلعة وخربه كما تقدم، واستمر قطلوشاه مقدم التتار يحاصر القلعة.

وفى تاسع عشره: قرئ بالجامع كتاب تولية قبجق نيابة الشام، وكتاب بتولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الختنى[2] الوزارة.

وفى حادى عشريه: احترقت المدرسة العادلية.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) نسبة إلى بلدة ختن القريبة من كاشغر بالتركستان انظر: معجم البلدان ٣١٤/٢.

فلما عدى غازان الفرات أشار قبجق وبكتمر السلاح دار على قطلوشاه أن يتحول عن دمشق إلى حلب بمن معه من التتار، وجمع قبجق له مالا من الناس، وسار قطلو شاه فى يوم الإثنين ثانى عشرى جمادى الأولى، وترك طائفة من التتر بدمشق، وخرج قبجق لوداعه، وعاد فى خامس عشريه ونزل بالقصر.

الأبلق ونودى فى سادس عشريه ألا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة ولا يغرر بنفسه، ثم نودى بخروج أهل الضياع إلى ضياعهم.

وفى تاسع عشريه: تحول الأمير قبجق إلى المدينة وأقام بها.

وفى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة: نودى بخروج الناس إلى الصالحية وغيرها، فخرجوا إلى أماكنهم وفتحت الأسواق وأبواب المدينة.

وفى يوم الجمعة رابعه: دقت البشائر بالقلعة.

وفى سابعه: أمر قبجق جماعة من أصحابه، وأمر بإدارة الخمارة بدار ابن جرادة، فظهرت الخمور والفواحش، وضمنت فى كل يوم بألف درهم.

هذا وقد نهبت التتار الأغوار حتى بلغوا إلى القدس، وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا إلى دمشق وقد أسروا خلقًا كثيرًا، فخرج إليهم ابن تيمية، ومازال يحدثهم حتى أفرجوا عن الأسرى، ورحلوا عن دمشق يريدون بلادهم فى ثانى رجب.

وأما السلطان الملك الناصر، فإن العساكر تفرقت عنه وقت الهزيمة، ولم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامى أمير أخور فى نفر يسير. وبالغ بكتمر مدة السفر إلى مصر فى خدمة السلطان بنفسه وماله، فكان يركبه وينزله، ويشد خيله ويشترى لها العليق ويسقيها، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة، حتى قدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانى عشر ربيع الآخر.

ثم ترادفت العساكر إلى الديار المصرية شيئًا بعد شىء فى أسوأ حال، وكان ممن قدم معهم الملك العادل كتبغا، وصار يمشى فى خدمة الأمير سلار نائب السلطنة، ويجلس بين يديه ويرمل عليه إذا علّم على المناشير وغيرها. واتفق مع ذلك أنه لما كان كتبغا سلطانا نودى على جوسن[1] للبيع، فبلغ ثمنه على بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، ثم عرض على كتبغا وقيل له إنه على بيبرس بكذا، فقال: «وهذا يصلح لذاك الخرياطى»؟ وأخذ الجوسن بثمنه. فلما زالت أيامه صار الجوسن لبيبرس بعد لاجين،

---

(١) على هامش ط: لفظ فارسى، ويعنى درع من الجلد الذى يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم.

فأراد نكاية كتبغا وأحضر الجوسن وكتبغا عنده، ولبسه وقال له: «يا أمير إيش تقول؟ يصلح هذا لى؟» فلم يفطن كتبغا لما أراد، وقال له: «والله يا أمير هذا كأنه فصل لك» فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم، فاشتد عجبهم من تغير الأحوال، فلم يشاهد أعجب من ذلك. وأقيم العزاء فى الناس لمن فقد وكانوا خلقًا كثيرًا.

ثم أخذ السلطان الناصر فى التجهيز للمسير إلى الشام ثانيًا، وشرع الأمراء فى الاهتمام بأمر السفر، وجمعوا صناع السلاح للعمل. وأخذ الوزير فى جمع الأموال للنفقة، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلى والبحرى، فبلغ القوس الذى كان يساوى ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم، وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية، وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان بمائة بسبعمائة وبألف، ونودى بحضور الأجناد البطالين، فحضر خلق كثير من الصنائعية، ونزَّلوا أسماءهم فى البطالين.وفرقت أخباز المفقودين، ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم، ولكل من الطبلخاناه بخمسة، ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة المطوعة احتسابا.

واستدعى مجدى الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار، فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فأبى أن يكتب بذلك، فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام، فقال: «لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما فى ملكهم من ذهب وفضة وحلى نسائهم وأولادهم ورآه، وحلّف كلا منهم أنه لا يملك سوى هذا، كان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغنى أن كلا من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلى، ويعمل الإناء الذى يستنجى منه فى الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر»، وقام عنهم فطُلب ناصر الدين محمد بن الشيخى متولى القاهرة، ورسم له بالنظر فى أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله.

فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير، وغصت القاهرة ومص ـ وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن، ونزلوا بالقرافة

وحول جامع ابن طولون وطرف الحسينية. وكان مع ذلك الرخاء فى الحبوب وسائر المأكولات، حتى أن القمح كان يباع فى غيبة العسكر كل أردب من ستة عشر درهما إلى ثمانية عشر، والشعير بعشرة دراهم الأردب، والفول بثمانية دراهم. فانحط ذلك كله حتى أبيع القمح من عشرة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما الأردب، والشعير من ثمانية دراهم إلى عشرة، والفول ما بين ستة دراهم وسبعة دراهم الأردب.

وأراد ابن الشيخى أن يجبى من الناس كلهم بالقاهرة وظواهرها، ويبعث إلى ولاة الأقاليم بالجباية من كل أحد، ويسمى ما يجبى من المال مقرر الخيالة. فاستشنع الأمراء ذلك، فقرر على كل أردب يباع من الغلال خروبة[1] تؤخذ من المشترى، وأحدث نصف السمسرة: وهى عبارة عن أن المنادى إذا باع شيئًا من القماش أو غيره، وأخذ دلالته عن كل مائة درهم درهمين، فإنه يحمل الدرهم الواحد للديوان، فجبى ذلك واستخدم منه نحو مائتى فارس. واعتبر حال التجار وأرباب الأموال، وفرض على كل واحد من مائة دينار إلى عشرة دنانير، فلم يدع تاجرًا ولا متسببًا ولا من يعرف بغنى إلا وأخذ منه، وطلب من تجار الكارم وأعيان التجار مالاً على سبيل القرض، فاجتمع من ذلك مال عظيم، وصار لكل فارس أربعون دينارًا.

وبعثوا إلى كل مقدم ألف نفقة مضافيه، وإلى كلٍّ من نواب الشام نفقة عسكره. فانحط سعر الذهب، حتى صرف الدينار بسبعة عشر درهما، بعد خمسة وعشرين درهما ونصف.

وبينا هم فى ذلك إذ ورد الخبر برحيل غازان عن دمشق، وإقامة قبجق نائبًا عنه بها، فسر الناس بذلك. وكان السلطان عند قدومه إلى مصر قد بعث إلى نواب القلاع الملطفات يأمرهم بحفظها، ويعلمهم بما هو فيه من الاهتمام وسرعة الحركة للسفر، فلم يتمكن أصحاب غازان من شىء منها، وكتب السلطان أيضًا إلى قبجق وبكتمر السلاح دار وغيرها يدعوهما إلى الطاعة، فعادت أجوبة قبجق وأصحابه بالامتثال.

وبلغ من تأخر فى بلاد الشام من التتار حركة السلطان، فاشتد خوفهم، وخرج قبجق بمن معه يريد مصر فى نصف رجب، فسار التتار من دمشق. واستولى الأمير أرجواش على المدينة مع القلعة، وأعاد الخطبة باسم السلطان فى يوم الجمعة سابع عشره بعد انقطاعها مائة يوم، وأبطل فيه ما تجدد من المنكرات، وأغلق الخمارات وأراق

---

(١) على هامش ط: جمع ضراريب: وهى قطعة صغيرة من النقود النحاسية وهى فى اصطلاح الصاغة: حى حبة الخروب يوزن بها.

الخمور وشق ظروفها على يد ابن تيمية.

وعندما تكملت النفقة على العساكر نودى بالقاهرة ومصر بالسفر، ومن تأخر شنق، ورسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهما. وخرج السلطان فى تاسع رجب فسار إلى الصالحية، وقدمت إليه كتب الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى بقدومهم صحبة عز الدين حمزة بن القلانسى والشريف ابن عدنان، فأقام السلطان بالصالحية.

وسار الأميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق فى ثانى عشرى رجب، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعسقلان[1]، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا وأنزلوا، ورتب لهم ما يليق بهم، وأمروا بالتوجه إلى السلطان، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق. فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية فى عاشر شعبان، فركب السلطان إلى لقائهم، وبالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم، وأنزلهم، ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها فى رابع عشره.

ودخل الأمير جمال الدين أقش الأفرم إلى دمشق فى يوم السبت عاشر شعبان.

وفى حادى عشره: قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصورى نائب حلب بعساكرها، وقد استقر عوضا عن بلبان الطباخى، واستقر الطباخى من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع آقسنقر كرتاى بعد موته. ودخل الأمير أسندمر كرجى نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها، وقد استقر عوضا عن الأمير قطلوبك.

وفى ثانى عشره: قدمت ميسرة العساكر المصرية، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح.

وفى ثالث عشره: قدمت ميمنة العساكر المصرية، مع الأمير حسام الدين لاجين أستادار.

وفى رابع عشره: قدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية، والملك العادل كتبغا ـ وقد استقر فى نيابة حماة عوضا عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب ـ والأمير كراى المنصورى المستقر فى نيابة صفد.

ونزل الأمير سلار بالميدان، وجلس فى دار العدل بحضور الأمراء والقضاة، وخلع

---

(١) عسقلان: مدينة بالشام بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدى الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين، وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٢٢/٤، والروض المعطار ٤٢٠، وابن الوردى ٢٥.

على الصاحب عز الدين حمزة بن القلانسى.

وفى خامس عشره: ولى سلار قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق، عوضا عن إمام الدين عمر بن سعد الدين الكرجى القزوينى القونوى بعد وفاته.

وفى حادى عشريه: ولى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن صفى الدين الحريرى قضاء الحنفية، وولى الأمير سيف الدين أقبجا المنصورى شد الدواوين، وولى عز الدين أيبك النجيبى بر دمشق، وولى أمين الدين يوسف الرومى، إمام المنصور لاجين، حسبة دمشق، وولى تاج الدين[.... [1]] بن الشيرازى نظر الدواوين.

وسير سلار عسكرًا إلى حلب، فطرقها على غفلة، وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم، فلم يفلت منهم إلا القليل، ولحقوا بغازان وعرفوه غدر قبجق بهم.

وتوجه الملك العادل كتبغا إلى حماة، بعدما كان يركب فى دمشق بخدمة الأمير سلار، ويجلس بين يديه كما كان يفعل بالقاهرة، فشاهد الناس من ذلك ما فيه أعظم عبرة، وقدم كتبغا حماة فى رابع عشرى شعبان، واستقر كل نائب فى مملكته.

وكان السعر بدمشق غاليا فانحطت الغرارة القمح من ثلاثمائة درهم إلى مائة وخمسين، وأبيع اللحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقى. وتتبع الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بالشام من كان بدمشق من المفسدين، الذين تولوا استخراج المال فى أيام غازان من الناس، والذين دلوا على عورات الناس. فسمر بعضهم، وشنق بعضهم وقطع أيدى جماعة وأرجلهم، ومن المفسدين من قطع لسانه وكحل فمات من يومه.

وخلع سلار على الأمير أرجواش نائب القلعة، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم وطلبت مشايخ قيس ويمن من العشير والعربان، وألزموا بإحضار ما أخذ من العسكر وأهل البلاد فى توجههم إلى مصر وقت الجفلة.

وكان غازان لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن فى البلاد التى افتتحها المسلمون، وأخذوا تل حمدون وغيرها.

فلما استقرت الأحوال ببلاد الشام خرج الأميران بيبرس وسلار بعسكر مصر من دمشق يوم السبت ثامن شهر رمضان يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثالث شوال بعدما ركب السلطان إلى لقائهم، وكان يوما مشهودًا.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وعندما استقر الأمراء، سأل الأمير قبجق أن ينعم عليه بنيابة الشوبك[١]، فأجيب إلى ذلك وخلع عليه. وأنعم على الأمير بكتمر السلاح دار بإمرة مائة بديار مصر، وعلى الأمير فارس الدين ألبكى الساقى بإمرة مائة بدمشق.

وفى عشرى شوال: توجه الأمير أقش الأفرم من دمشق لغزو الدرزية[٢] أهل جبال كسروان، فإن ضررهم اشتد، ونال العسكر عند انهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد ولقيه نائب صفد بعسكره، ونائب حماة ونائب حمص ونائب طرابلس بعساكرهم. فاستعدوا لقتالهم، وامتنعوا بجبلهم وهو صعب المرتقى، وصاروا فى نحو اثنى عشر ألف رام. فزحفت العساكر السلطانية عليهم، فلم تطقهم وجرح كثير منهم، فافترقت العساكر عليهم من عدة جهات، وقاتلوهم ستة أيام قتالا شديدًا إلى الغاية، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا. وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم وأسر خلقا كثيرًا، ووضع السيف فيهم، فألقوا السلاح ونادوا «الأمان»، فكفوا عن قتالهم. واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة، فأحضروا من السلاح والقماش شيئًا كثيرًا، وحلفوا أنهم لم يخفوا شيئًا فقرر عليهم الأمير أقش الأفرم مبلغ مائة ألف درهم جبوها، وأخذ عدة من مشايخهم وأكابرهم، وعاد إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذى القعدة، وبعث البريد بالخبر إلى السلطان.

وألزم الأمير أقش الأفرم أهل دمشق بتعليق السلاح فى الحوانيت وملازمة الرمى بالنشاب، ونودى بذلك. وألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك، وجلس لعرض الناس فى حادى عشريه، وعرض الكافة طائفة بعد طائفة من الأشرف والفقهاء وأهل الأسواق، وقدَّم على أهل الأسواق رجالا يلى كل رجل سوقا. وتتبع الناس بديار بكر التتر، فقتلوا منهم خلقا كثيرًا.

و لم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق فى فقر مدقع، وفى ذلك يقول علاء الدين على بن مظفر الوداعى:

أما دمشق فأهلها قد أصبـ ... بكرية جعلوا التسنن مذهبا
سـرًّا وجهرًا أنفقوا أموالهم ... حتى تجلل كل شخص بالعبا

وقال:

---

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان ٣/٣٧٠.

(٢) أحد الفرق المغالية من الشيعة.

ما لبست الصوف من عبث لا ولا الخلقان مجانا
إنه زى لمن هو من فقراء الشيخ غازانا

وذهب لأهل مصر مال كثير في حركة غازان، إلا أنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا بذلك.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز الشافعى، درس بالكهارية والقطبية من القاهرة، وولى الحسبة، وكان أديبًا فصيحًا جميلا فيه مكارم ومروءة، لطيف المزاج بساما شهمًا جزلا، حج ودخل اليمن مرارا، ومن شعره فى مليح سبح فى النيل وتلطخ بالتراب:

ومترب لولا التراب بجسمه لم تبصر الأبصار منه منظرا
فكأنه بدر عليه سحابة والتراب ليل من سناه أقمرا

وقال:

فى السمر معان لا ترى فى البيض تالله لقد نصحت فى تعريض
ما الشهد إذا أطعمته كاللبن يكفى فطنا محاسن التعريض

ومات شهاب الدين أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمى الإشبيلى، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة. وتفقه على ابن عبد السلام بدمشق، وكان شافعيا، وله قصيدة فى علم الحديث.

ومات الأمير صارم الدين أزبك نائب قلعة بلاطنس، واستشهد فى نوبة غازان على حمص، فى ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير أقش كرجى المطروحى الحاجب.

ومات آقسنقر كرتاى أحد أمراء الألوف.

ومات الأمير بلبان التقوى، أحد أمراء طرابلس.

وتوفى كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير الحلبى، بعدما صرف.

ومات الفقير المعتقد بدر الدين أبو على الحسن بن عضد الدولة أبى الحسن على أخى المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن هود فى شعبان، ومولده بمرسية سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. كان أبوه نائب السلطنة بها عن المتوكل، فتزهد هو وحج وسكن دمشق، وكانت له أحوال عجيبة.

ومات بيبرس الغتمى، نائب حصن المرقب.

ومات بكتاش المنصورى الطيار، أحد أمراء دمشق.

ومات ناصر الدين محمد بن أيدمر الحلبى، أحد أمراء مصر.

ومات نوكاى بن بيان التترى أبو خوند منكبك امرأة الصالح على بن قلاوون، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل.

ومات علاء الدين على ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبرى.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الحلى. وهؤلاء استشهدوا بوقعة حمص، ما بين قتيل فى المعركة ومجروح مات من جراحته بعد ذلك.

ومات الطواشى حسام الدين بلال المغيثى الجلالى، بمنزلة السوادة فى تاسع ربيع الآخر، فدفن بقطيا، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، وكان خيرًا دينا.

ومات الأمير سيف الدين جاغان الحسامى، بأرض البلقان.

ومات الأمير علم الدين سنجر الدواداري بحصن الأكراد، فى ثالث رجب.

وتوفى قاضى القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى، قاضى قضاة دمشق، بالقاهرة فى يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الآخر.

ومات تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على البكرى التيمى القرشى النويرى، فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، وهو والد الشهاب أحمد النويرى المؤرخ الكاتب.

ومات شمس الدين محمد بن صدر الدين سليمان بن أبى العز وهيب الدمشقى الحنفى، بدمشق فى [......][1].

ومات حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن حسن بن أنو شروان الرومى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ودمشق، فقد من الصف على

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

حمص يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول، فلم يعرف له خبر، وعمره نحو السبعين سنة.

ومات الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلى مشنوقا بدمشق، ظفر به بعد هروبه.

ومات شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمى، عرف بابن الصيرفى، فى خامس عشرى ذى الحجة، وهو فى عشر التسعين.

* * *

سنة سبعمائة

أهلت هذه السنة وقد ورد الخبر بحركة غازان إلى بلاد الشام، فوقع الاهتمام بالسفر. واستدعى السلطان الوزير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير ناصر الدين محمد ابن الشيخى والى القاهرة وأمرا باستخراج الأموال من الناس، وكتب إلى الشام بذلك. فشرعا فى الاستخراج، وألزم أرباب العقارات، والأغنياء بمال تقرر على كل منهم، وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن، والناس تحمل المال أولا بأول، حتى أخذا مائة ألف دينار جبيت من القاهرة ومصر والوجهين القبلى والبحرى، فنزل بالناس ضرر عظيم. وطلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالحوانيت مبلغ أربعين دينارًا من كل عائد، وعشرين دينارًا من كل شاهد، فقام فى أمرهم قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى حتى أعفوا منه. وانطلقت الألسن بالشام ومصر فى حق أهل الدولة، واستخف العامة بالأجناد، وأكثروا من قولهم للجند: «بالأمس كنتم هاربين واليوم تريدون أخذ أموالنا»، فإن أجابهم الجندى قالوا له: «لم لا كانت هذه الحرمة فى المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت، وهربتم منهم؟» فلما فحش أمر العامة فى تجرئهم على الأجناد، نودى فى القاهرة ومصر: «أى عامى تكلم مع جندى كانت روحه وماله للسلطان».

واستخرج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر، فأخذ ذلك من سائر ما فى المدينة وضواحيها، وأخذ من الضياع عن كل مدى ستة دراهم وثلثا درهم، والمد أربعون ذراعًا فى مثلها، وتكسيره[1] ألف وستمائة ذراع بذراع[2] العمل، وطلب من الفلاحين نظير مغل سنة ثمان وتسعين، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم.

فنزلت بالناس شدائد، وقطعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطبا، حتى أبيع القنطار الحطب الدمشقى بثلاثة دراهم، يخرج منها فى أجرة قطعه درهم ونصف. فخربت الغوطة من ذلك، وفر كثير من الناس إلى مصر.

فلما جبيت الأموال بدمشق استخدم السلطان عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد،

---

(١) تكسيره: عملية الضرب فى الحساب. وقد ذكر فى باب مقاييس الأرض الزراعية وغيرها أن كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفدان وهو أربعة وعشرون.

(٢) المقصود بذراع العمل مقياس معين وقد ذكر فى أرض السواد بالعراق وطوله ثلاثة أشبار.

ودفع لكل واحد ستمائة درهم، فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات، وذهب المال و لم يجد نفعا.

واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء في الخيم بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتبر أحوالهم، وعرضوا في كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم، ثم أبقوا الجميع لما داجى عليهم المقدمون في أمر الجند حتى أقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض في عشرين يومًا، ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من البلاد الشامية، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهما الأردب بخمسة عشر.

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت به الأمراء والعساكر، فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

فورد الخبر بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية، وقد جفل الناس بين يديه. وخلت بلاد حلب وفر قرا سنقر نائبها إلى حماة، وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها في ثاني عشرى ربيع الأول، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة.

وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة، فوقع الرحيل إلى العوجاء[1]. وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التي توالت أحدًا وأربعين يومًا حتى عدم فيها الواصل واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان، وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما والعليقة الشعير ثلاثة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلف معظم الأثقال، ومات جماعة من الغلمان وأربعة من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل في الأوحال العظيمة.

فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق[2] وأنه عاد على قرون[3] حماة وشيزر[4]، فنهب وسبى عالما عظيما، وأخذ مالا كبيرًا من

---

(١) العوجاء: نهر بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين من السواحل. انظر معجم البلدان ١٦٧/٤.

(٢) جبل السماق: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع. انظر: معجم البلدان ١٠٢/٢.

(٣) قرون: انظر معجم البلدان ٣٣٥/٤.

(٤) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣٨٢/٣، والروض المعطار ٣٥٢.

المواشى وغيرها، وأنه قصد التوجه إلى دمشق، فأرسل الله عليه ثلوجا وأمطارًا لم يعهد مثلها، ووقع فى خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفى فرس، وبقى معظم عساكره بغير خيول، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا، وأن غازان خاض الفرات فى حادى عشر جمادى الأولى، فسر الناس سرورًا عظيما.

وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا بمضافيه، إلى حلب فى ألفى فارس، لتكون السمعة وتطمئن أهل البلاد، وعاد السلطان ببقية العساكر إلى مصر سلخ ربيع الآخر. واستقر الأمير سيف الدين بدخاص فى نيابة صفد، عوضا عن كراى لاستعفائه منها، وأنعم على كراى بإقطاع الأمير بلبان الطباخى بعد موته، واستقر بلبان الجوكندار حاجب دمشق شاد الدواوين بها. فقدم العسكر إلى دمشق فى سابع جمادى الأولى، وقدم السلطان قلعة الجبل فى يوم الإثنين حادى عشره.

وكان الناس لما بلغهم بدمشق عود السلطان إلى مصر اشتد خوفهم، وخرج معظمهم يريدون القاهرة، ونودى بدمشق فى تاسع جمادى الأولى: «من أقام بدمشق بعد هذا النداء فدمه فى عنقه، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعة دمشق»، فخرج بقية الناس على وجوههم. وغلت الأسعار بدمشق حتى أبيعت الغرارة القمح بثلاثمائة درهم، والرطل اللحم بتسعة دراهم، فلما خرج الجفل نزلت الغرارة إلى مائتى درهم.

وفى جمادى الآخرة: كثر الإرجاف بعود التتر، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر.

وفى رجب: كانت وقعة أهل الذمة: وهى أنهم كانوا قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفننوا فى ركوب الخيل المسومة والبغلات الرائعة بالحلى الفاخرة، ولبسوا الثياب السرية، وولوا الأعمال الجليلة. فاتفق قدوم وزير ملك المغرب يريد الحج، واجتمع بالسلطان والأمراء، وبينا هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرسا وحوله عدة من الناس مشاة فى ركابه، يتضرعون له ويسألونه ويقبلون رجليه، وهو معرض عنهم لا يعبأ بهم بل ينهرهم ويصيح فى غلمانه بطردهم. فقيل للمغربى إن هذا الراكب نصرانى فشق عليه، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيرًا، وشنع فى أمر النصارى وقال: «كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض، وتذل المسلمين وتشبههم فى خدمتكم؟»

وأطال القول فى الإنكار وما يلزم ولاة الأمور من إهانة أهل الذمة وتغيير زيهم. فأثر كلامه فى نفوس الأمراء، فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحكام، واستدعيت القضاة والفقهاء، وطلب بطرك النصارى، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع المحمدى. فاجتمع القضاة بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وندب لذلك من بينهم قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى، وطلب بطرك النصارى، وجماعة من أساقفتهم وأكابر قسيسيهم وأعيان ملتهم، وديان اليهود وأكابر ملتهم، وسئلوا عما أقروا عليه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عقد الذمة، فلم يأتوا عن ذلك بجواب. وطال الكلام معهم إلى أن استقر الحال على أن النصارى تتميز بلبلس العمائم الزرق، واليهود بلبس العمائم الصفر، ومنعوا من ركوب الخيل والبغال، ومن كل ما منعهم منه الشارع ﷺ، وألزموا بما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فالتزموا ذلك وأشهد عليه البطرك أنه حرم على جميع النصرانية مخالفة ذلك والعدول عنه، وقال رئيس اليهود ودانهم: «أوقعت الكلمة على سائر اليهود فى مخالفة ذلك والخروج عنه» وانفض المجلس، وطولع السلطان والأمراء بما وقع، فكتب إلى أعمال مصر والشام به.

ولما كان يوم خميس العهد وهو العشرون من شهر رجب: جمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورسم ألا يستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء، وألا يركبوا خيلاً ولا بغالا، وأن يلتزموا سائر ما شرط عليهم. ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وهدد من خالفه بسفك دمه. فانحصر النصارى من ذلك، وسعوا بالأموال فى إبطال ما تقرر، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إمضاء ما ذكر قياما محمودًا، وصمم تصميما زائدًا. فاضطر الحال بالنصارى إلى الإذعان، وأسلم أمين الملك عبد الله بن العنام مستوفى الصحبة وخلق كثير، حرصا منهم على بقاء رياستهم، وأنفة من لبس العمائم الزرق وركوب الحمير. وخرج البريد بحمل النصارى واليهود فيما بين دمقلة[١] من النوبة[٢] والفرات على ما تقدم ذكره.

وامتدت أيدى العامة إلى كنائس اليهود والنصارى، فهدموها بفتوى الشيخ الفقيه

---

(١) دمقلة: فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها، وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يومًا، وتسير من دمقلة فى جبال وشعاب حتى تنتهى إلى صورا وهو آخر بلادهم. انظر معجم البلدان ٤٧٠/٢، والروض المعطار ٢٣٦، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٢٧٥/٥، والبكرى ٥٩.

(٢) النوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر. انظر: معجم البلدان ٣٠٩/٥.

نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة. فطلب الأمراء القضاة والفقهاء للنظر فى أمر الكنائس، فصرح ابن الرفعة بوجوب هدمها، وامتنع من ذلك قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، واحتج بأنه إذا قامت البينة بأنها أحدثت فى الإسلام تهدم، وإلا فلا يتعرض لها، ووافقه البقية على هذا وانفضوا.

وكان أهل الإسكندرية لما ورد عليهم مرسوم السلطان فى أمر الذمة ثاروا بالنصارى وهدموا لهم كنيستين، وهدموا دور اليهود والنصارى التى تعلو على دور جيرانهم المسلمين، وحطوا مساطب حوانيتهم حتى صارت أسفل من حوانيت المسلمين. وهدم بالفيوم أيضًا كنيستان.

وقدم البريد فى أمر الذمة إلى دمشق يوم الإثنين سابع شعبان، فاجتمع القضاة والأعيان عند الأمير أقش الأفرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك، فنودى فى خامس عشريه أن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر، وهددوا على المخالفة. فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أمروا به، وصبغوا عمائمهم إلا أهل الكرك، فإن الأمير جمال الدين أقش الأفرم الأشرفى النائب بها رأى إبقاءهم على حالتهم، واعتذر بأن أكثر أهل الكرك نصارى، فلم يغير أهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض.

وبقيت الكنائس بأرض مصر مدة سنة مغلقة حتى قدمت رسل الأشكرى ملك الفرنج تشفع فى فتحها، ففتحت كنيسة المعلقة بمدينة مصر، وكنيسة ميكائيل الملكية ثم قدمت رسل ملوك أخر، ففتحت كنيسة حارة[١] وزويلة، وكنيسة نقولا[٢].

وفيها فنيت أبقار أرض مصر: وذلك أنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدواليب ووقفت أحوال السواقى، وتضرر الناس من ذلك. وكان لرجل من أهل أشمون طناح ألف وأحد وعشرون رأسا من البقر، مات منها ألف وثلاثة أرؤس وبقى له ثمانية عشر رأسا لا غير. واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم.

وفيها استقر الأمير أسندمر كرجى فى نيابة طرابلس، لاستعفاء الأمير قطلوبك المنصورى.

وفيها اختلف عربان البحيرة، واقتتلت طائفتا جابر وبرديس[٣] حتى فنى بينهما بشر كثير، واستظهرت برديس.

---

(١) كنيسة حارة: حارة زويلة بالقاهرة كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة.

(٢) إحدى الكنائس الخمس التى كانت للمسيحين الملكانيين.

(٣) باب من أبواب أمراء العربان.

فخرج الأمير بيبرس الدوادار فى عشرين أميرًا من الطبلخاناه إلى تروجة، فانهزم العرب منهم، فتبعوهم إلى الليونة(١) وأخذوا جمالهم وأغنامهم، واستدعوا أكابرهم ووفقوا بينهم وعادوا.

وفيها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر فى عدة مائة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلى لحسم العربان، وقد كان كثر عيثهم وفسادهم، ومنع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان. فأوقع الوزير شمس الدين بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، وأخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد، فلم يدع بها فرسا لفلاح ولا بدوى ولا قاض ولا فقيه ولا كاتب، وتتبع السلاح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره، وأخذ الجمال. وعاد من قوص إلى القاهرة، ومعه ألف وستون فرسا، وثمانمائة وسبعون جملا، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف، وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج.

واتفق أن بعض النصارى فتح كنيسة، فاجتمع العامة ووقفوا إلى الأمير سلار النائب، وشكوا النصارى أنهم فتحوا كنيسة بغير إذن، وأن فيهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء. فنودى بالقاهرة ومصر أن من امتنع من النصارى من لبس العمامة الزرقاء نهب وحل ماله وحريمه، وألا يستخدم نصرانى عند أمير ولا فى شىء من الأشغال السلطانية ولا فيما فيه نفع. فامتدت أيدى العامة إلى اليهود والنصارى، وكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع فى رقابهم بالأكف والنعال، فامتنع الكثير منهم من المشى فى الأسواق خوفا على نفسه.

وقدمت رسل غازان إلى الفرات، فورد البريد بذلك، فخرج إليهم الأمير سيف الدين كراى على البريد لإحضارهم، فقدموا دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى القعدة، وهم نحو العشرين رجلا، فأنزلوا بقلعتها. وحمل ثلاثة منهم إلى مصر فى ثامن عشريه، وهم كمال الدين موسى بن يونس(٢) قاضى الموصل وناصر الدين على خواجا ورفيقه،

---

(١) وهى من قرى مريوط.

(٢) موسى بن يونس بن محمد بن معنة بن مالك العقيلى، كمال الدين، أبو الفتح الموصلى: فيلسوف، علامة بالرياضيات والحكمة والأصول، عارف بالموسيقى والأدب والسير. مولده ووفاته بالموصل. تعلم بها وبالمدرسة النظامية ببغداد. من كتبه «كشف المشكلات» فى تفسير القرآن وكتاب «مفردات ألفاظ القانون» لابن سينا. انظر وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ومفتاح السعادة ٢١٤/٢ وطبقات السبكى ١٥٨/٥-١٦٢، وروض المناظر ١٣٥/١٢، وشذرات الذهب ٢٠٦/٥، والبداية والنهاية ١٥٨/١٣، ومرآت الجنان ١٠١/٤، والأعلام ٣٣٢/٧.

فوصلوا إلى القاهرة ليلة الإثنين خامس ذى الحجة، وأكرموا غاية الإكرام.

فلما كان وقت العصر من يوم الثلاثاء سادس عشره: واجتمع الأمراء والعسكر بقلعة الجبل، وألبست المماليك السلطانية الكلفيات الزركش والطرز الزركش على أفخر الملابس، وجلس السلطان بعد العشاء الآخرة وبين يديه ألف شمعة تعد، وقد وقفت المماليك من باب القلعة من باب الإيوان صفين. وأحضرت الرسل فسلموا وقام قاضى الموصل وعلى رأسه طرحة، فخطب خطبة بليغة وجيزة فى معنى الصلح، ودعا للسلطان ولغازان وللأمراء وأخرج كتابا من غازان مختومًا فلم يفتح.

وأخرج بالرسل إلى مكانهم إلى ليلة الخميس، ففتح الكتاب الذى من عند غازان وهو فى قطع نصف البغدادى، فإذا هو بالخط المغلى، فعرب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة فإذا هو يتضمن أن عساكر مصر دخلت فى العام الماضى أطراف بلاده وأفسدت، فأنف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر، ثم عاد فلم يخرج إليه أحد، فرجع إبقاء على البلاد لئلا تخرب، وأنه مستعد للحرب، ودعا إلى الصلح، فكتب جوابه، وجهز الأمير شمس الدين محمد بن التيتى وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرى خطيب جامع الحاكم والأمير حسام الدين أزدمر المجيرى، للسفر بالجواب مع الرسل الواصلين من عند غازان.

وكان فى هذا العام: سائر أقطار الأرض مشتغلة بالحرب، فكان الملك المسعود علاء الدين سنجر - عتيق شمس الدين أيتامش، عتيق السلطان غياث الدين - وهو ملك دله بالهند، قد حارب قوما فى السنة الماضية، فأتوا فى هذه السنة إلى دله ونهبوا وأسروا، وخرج عليه طائفة التتر فحاربهم حروبا عظيمة وهزمهم. وقام بأرض الحبشة فى السنة الماضية رجل يقال له أبو عبد الله محمد يدعو إلى الإسلام، فاجتمع عليه نحو المائتى ألف رجل. وحارب الأحمرى فى هذه السنة حروبا كثيرة. وكان ببلاد اليمن بين ملكها الملك المؤيد هزبر الدين وبين الزيدية عدة حروب.

وفيها ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر على الأمراء، لشدة تعاظمه وكثرة شمعه وتزايد كبره ووفور حرمته وقوة مهابته، ولما كان من ضربه للتاج بن سعيد الدولة مستوفى الدولة بالمقارع حتى أسلم، وتغريمه مالا كبيرًا، وكان من ألزام الأمير الجاشنكير وفيه حمق ورقاعة زائدة. فلما فعل به الوزير ما فعل تخلى عن المباشرة وانقطع بزاوية الشيخ نصر المنبجى خارج باب النصر، حتى تحدث الشيخ نصر مع الأمير بيبرس فى إعفائه من المباشر فأجابه، وكان له فيه اعتقاد ولكلامه عنده قبول.

فأحب الأمراء إخراج الوزير من الوزارة، وكانت فى الناس بقايا من حشمة، فأحبوا مراعاته والتجمل معه، وعينوه لكشف القلاع الشامية وإصلاح أمرها وترتيب سائر أحوالها وتفقد حواصلها، وكانت حينئذ عامرة بالرجال والأموال والسلاح، فسار لذلك.

وفيها تزوج السلطان بخوند أردكين بنت نوكاى امرأة أخيه الملك الأشرف، وعمل له مهم عظيم أنعم فيه على سائر أهل الدولة بالخلع وغيرها.

وبلغ النيل فى هذه السنة سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر أصبعا، وكانت سنة مقبلة رخية الأسعار.

وحج فيها الأمير بكتمر الجوكندار، وأنفق فى حجته خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع معروفًا كثيرًا: من جملته أنه جهز سبعة مراكب فى بحر القلزم قد شحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك، فوجد بالينبع أنه قد وصل منها ثلاثة مراكب، فعمل ما فيها أكواما ونادى فى الحج من كان محتاجا إلى مئونة أو حلوى فليحضر، فأتاه المحتاجون فلم يرد منهم أحدًا، وفرق ما بقى على الناس ممن لم يحضر لغناه، وأعطى أهل الينبع، ووصلت بقية المراكب إلى جدة، ففعل بمكة كذلك، وفرق على سائر أهلها والفقراء بها وعلى حاج الشام.

وفى هذه السنة أيضًا كانت ملوك الأقطار كلها شباب لم يبلغوا الثلاثين سنة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى، وهو أحد من ولى نيابة دمشق فى الأيام الظاهرية، وقد استقر بها أميرًا حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الأول.

ومات الأمير عز الدين أيبك كرجى الظاهرى، أحد أمراء الألوف بدمشق، فى عاشر ذى القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الطباخى، نائب حلب فى غرة صفر بغزة، وهو عائد من التجريدة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشريفى نائب قلعة الصلت وبر الكرك والشوبك، وكان مهيبا.

ومات الأمير عز الدين محمد بن أبى الهيجاء الهمذانى الأربلى، متولى نظر دمشق، بطريق مصر وهو عائد منها، عن ثمانين سنة، وكان عالما بالأدب والتاريخ مشكور السيرة.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبى بكر أبى العلاء الكلاباذى البخارى الفرضى[1] الحنفى، فى أول ربيع الأول بدمشق، وقد قدم القاهرة، وكان فاضلا.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قلس الأرمنتى، إمام المدرسة الظاهرية بين القصرين، وله شعر منه:

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل ... فنصيحة تخفى على الجلاس
وأعيذ نفسى من هجائك فالذى ... يهجى يكون معظما فى الناس

وقال:

قد قلت إذ لج فى معاتبتى ... وظن أن الملال من قبلى
خدك ذا الأشعرى حنفنى ... وكان من أحمد المذاهب لى
حسنك مازال شافعى أبدًا ... يا مالكى كيف صرت معتزلى

وكان مقربا فاضلا

* * *

(١) محمود بن أبى بكر بن أبى العلاء بن على البخارى ثم الكلاباذى، أبو العلاء، شمس الدين: فرضى، من المفتين العلماء بالحديث. ولد وتعلم ببخارى وبغداد والشام ومصر، وتوفى بماردين. من كتبه «ضوء السراج» فى شرح الفرائض السراجية. نسبته إلى كلاباذ محلة فى بخارى. انظر تاريخ علماء بغداد ٢١٣-٢١٥ وكشف الظنون ١٢٤٩ وشذرات الذهب ٤٥٧/٥ الجواهر المضية ٢/ ١٦٣، ٣٤٣. والأعلام ١٦٦/٧.

سنة إحدى وسبعمائة

فى المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه.

وفى عاشره: استقر فى الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادى المنصورى، عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجى أحد الأمراء البرجية فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخى، ونقل ابن الشيخى إلى ولاية الجيزة فى عشريه.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد فى هذا اليوم.

وفيه توجه الأمير أسندمر كرجى إلى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه، فقدم دمشق فى حادى عشر المحرم.

وفى شهر المحرم: أيضا استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق، عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا، ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقى. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدى، فعزر ثم خلى عنه.

وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد(١) فى ثامن عشر جمادى الأولى، بمناظر الكبش، فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلى شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحضر الأمراء والناس جنازته، وصلى عليه بجامع ابن طولون، ودفن بجوار المشهد النفيسى. وكانت خلافته بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولى عهده، وإبراهيم بن أبى عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة، ولقب المستكفى بالله، وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان فى يوم الأحد عشرى جمادى الأولى، وكان يوما شهودًا. وخطب له على

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣يوما، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر: المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٧ وابن إياس ١٤٤/١ وابن الوردى ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢، والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠، والأعلام ١٢١/٣.

عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان فى اللعب بالكرة ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين، وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبى عبد الله محمد ولقبه المستمسك بالله، وجعل أبا الربيع من بعده. فمات المستمسك، واشتد حزن أبيه الحاكم عليه، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده. فلما مات الحاكم لم يقدم بعده إلا أبا الربيع، وترك إبراهيم.

وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى، وتعدى شرهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بأسيوط[١] ومنفلوط[٢] فرائض جبوها شبه الجالية. واستخفُّوا بالولاة ومنعوا الخراج، وتسمُّوا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سمُّوه بيبرس والآخر سلار، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم. فاستدعى الأمراءُ القضاةَ والفقهاءَ، واستفتوهم فى قتالهم، فأفتوهم بجواز ذلك. فاتّفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطرق عليهم، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم، فاستدعوا الأمير ناصر محمد بن الشيخى متولى الجيزية - وغيره من ولاة العمل، وتقدموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد فى البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم.

وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام، وكتبت أوراق الأمراء المسافرين، وهم عشرون مقدمًا بمضافيهم، وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه فى البر الغربى من النيل، وقسم فى البر الشرقى، وقسم يركب النيل، وقسم يمضى فى الطريق السالكة. وتوجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر - وقد قدم من الشام بعد عزله من الوزارة، واستقراره فى جملة الأمراء المقدمين - إلى جهة الواح فى خمسة أمراء، وقرر أن يتأخر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين، وتقدم إلى كل من تعين لجهة أن يضع السيف فى الكبير والصغير والجليل والحقير، ولا يبقوا شيخًا ولا صبيًّا، ويحتاطوا على سائر الأموال.

وسار الأمير سلار فى رابع جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء فى البر الغربى، وسار الأمير بيبرس بمن معه فى الحاجر فى البر الغربى على طريق الواحات، وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه إلى الفيوم[٣] وسار الأمير بكتمر الجوكندار بمن معه فى البر

---

(١) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أخميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٢) منفلوط: بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر: معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٣) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى-

الشرقى، وسار قتّال السبع وبيبرس الدوادار وبلبان الغلشى وعرب الشرقية إلى السويس والطور، وسار الأمير قبجق ومن معه إلى عقبة السيل، وسار طقصبا والى قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات.

وضرب الأمراء على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد، وقد عَميت أخبارهم على أهل الصعيد، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف فى الجيزية بالبرّ الغربى والإطفيحية من الشرق، فلم يتركوا أحدًا حتى قتلوه، ووسّطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبُوا حريمه، فإذا ادعى أحد أنه حضرى قيل له قل: «دقيق»، فإن قال بقاف العرب قتل.

ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء، وأخذوهم من كل جهة فرُّوا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا مَنْ بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى. واختفى كثير منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع، وحصل من أموالهم شىء عظيم جدًّا تفرقته الأيدى. وأحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم، من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر، غير ما أرصد فى المعاصر، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا ما بين سيوف ورماح، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً. وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس، والجزة الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها، فإن البلاد طُرقت وأهلها آمنون، وقد كسروا الخراج.

ثم عاد العسكر فى سادس عشر رجب، وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحدًا، وينزل بالقرية فلا يرى إلا النساء والصبيان والصغار، فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد. وكان الزرع فى هذه السنة بالوجه القبلى عظيما إلى الغاية، تحصل منه ما لم يقدر قدره كثرة.

وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد بن القلانسى إلى دمشق،

=قطر مصر كلها من القرى، وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحى لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ١٨٤/٤، والروض المعطار ٤٤٥، الاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وصحبته شرف الدين[....](١) بن الأثير، فى تاسع عشرى جمادى الأولى من بلاد التتر، وكانا قد أخذا لما دخل التتر إلى بلاد الشام، ففرا ولقيا مشقة زائدة فى طريقهما.

وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان، فرسم بخروج العسكر لمحاربته، وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار بمضافيهما من الأمراء والمفاردة [...](٢) فى رمضان وساروا إلى حماة، فتوجه معهم العادل كتبغا فى خامس عشرى شوال، وقدموا حلب فى أول ذى القعدة ورحلوا منها فى ثالثه، ودخلوا دربند بغراس فى سابعه. وانتشروا فى بلاد سيس، فحرقوا المزروع وانتهبوا ما قدروا عليه، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئا كثيرًا من جُفّال الأرمن، وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية. فقدموا حلب فى تاسع عشره، ونزلوا حماة فى سابع عشريه، وقد ابتدأ بالعادل كتبغا مرض.

وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشئوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أَرْواد، وعمَّروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب، فرُسم للوزير بعمارة أربعة شوانى حربية، فشُرع فى ذلك.

وفيها ضرب عنق فتح الدين أحمد البَقَقى الحموى على الزندقة، فى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول، وكانت البينة قد قامت عليه قبل ذلك بما يوجب قتله، من النقض بالقرآن وبالرسول، وتحليل المحرمات والاستهانة بالعلماء والقدح فيهم، وغير ذلك.

وفيها أخرج الأمير بكتمر الحسامى من الأمير أخورية من حنق الأمراء عليه، فإنه أكثر الكلام مع السلطان، وكان غرضهم أن السلطان لا يتعرَّف به أحد. فأقام الأمير بكتمر معطلاً مدة حتى وفاة مُغُلْطاى التقوى، أحد أمراء دمشق بها، فأُخرج على إقطاعه واستقر عوضه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحى.

وفيها قدم البريد من حماة بوقوع مطر فيما بينها وبين حصن الأكراد، عَقِبه قِطَعُ بَرَدٍ كبار فى صورة الآدميين من ذكر وأنثى، وفيه شبه صورة القرود، وعمل بذلك مشروح. وكثر بدمشق الجراد، وأكل أوراق الأشجار وفواكهها.

وفيها أضيف إلى بدر الدين محمد بن جماعة(٣) قاضى القضاة بدمشق مشيخةُ الشيوخ

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. توفى بمصر. انظر فوات=

بها، بعد موت الفخر يوسف بن حمويه.

وفيها حجَّ الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميرًا ساروا ركبًا بمفردهم، ومن ورائهم بقية الحاجِّ فى ركبين، وأمير الحاج الأمير بيبرس المنصورى الدوادار. وخرج بيبرس الجاشنكير من القاهرة أول ذى القعدة، فحضر إليه بمكة الشريفان عطيفة[1] وأبو الغيث من أولاد أبى نمى، وشَكَيَا من أخيهما أسد الدين رميثة[2] وأخيه عز الدين حميضة[3] أنهما وثبا بعد وفاة أبيهم عليهما، واعتقلاهما ففرَّا من الاعتقال. فقُبض على رُميثة وحُميضة، وحُملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما فى إمارة مكة عطيفة وأبو الغيث.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

مسند العصر شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد المؤيد الأَبْرَقُوهِى[4]، بمكة فى العشرين من ذى الحجة، عن سبع وثمانين سنة، ومولده سنة خمس عشرة وستمائة بأَبَرْقُوه من شيراز.

ومات الحافظ شرف الدين أبو الحسين على ابن الإمام عبد الله محمد بن أبى

=الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ١٦٣/١٤ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ والأعلام ٢٩٧/٥، ٢٩٨.

(١) عطيفة بن أبى نمى محمد بن على الحسنى بن الحسن: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى سنة ٧٣٨هـ فقبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٢) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين وقيل اسمه منجد: شريف من أمراء مكة. وليها مشتركًا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا. انفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠، والأعلام ٣٣/٣.

(٣) حميضة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى العلوى الهاشمى: شريف من أمراء مكة وليها سنة ٧٠١هـ مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن قتل حميضة غيلة. انظر الدرر الكامنة ٧٨/٢ وابن الوردى ٢٦٩/٢، والأعلام ٢٨٥/٢.

(٤) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعانى شهاب الدين، الأبرقوهى: عالم بالحديث والقراءات من أهل أبرقوه بأصبهان ولد بها، ونشأ فى همذان وعاش بمصر، وتوفى بمكة. له «معجم شيوخه» مرتب على الحروف. انظر شذرات ٤/٦ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والأعلام ٩٦/١.

الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن اليونينى، فى يوم الخميس حادى عشرى رمضان ببعلبك، ومولده فى حادى عشر رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة ببعلبك.

ومات الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصورى نائبُ قلعة دمشق، فى ثانى عشرى ذى الحجة.

ومات ضياء الدين أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية بدمشق، فى يوم الثلاثاء عشرى ذى القعدة، وهو أبو قطب الدين موسى وفخر الدين[... (١)].

ومات فتح الدين أحمد بن محمد[...](٢) البققى الحموى مقتولا بسيف الشرع، فى رابع عشرى ربيع الأول، ورفع رأسه على رمح، وسحب بدنه إلى باب زويلة فصُلب هناك، وسبب ذلك أنه كان ذكيًا حادَّ الخاطر له معرفة بالأدب والعلوم القديمة، فحُفِظت عنه سقطات: منها أنه قال: «لو كان لصاحب مقامات الحريرى حظٌّ لتليت مقاماته فى المحاريب»، وأنه كان ينكر على من يصوم شهر رمضان ولا يصوم هو، وأنه كان إذا تناول حاجة من الرَّف صعد بقدميه على الربعة، وكان مع ذلك جريئًا بلسانه، مستخفًّا بالقضاة يطنز بهم ويستجهلهم، حتى أنه بحث مع قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد مرة وكأنه لم يجبه، فقام وهو يقول: «وقف الهوى» يريد قول أبى الشيص الخزاعى:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخرٌ عنه ولا متقدَّمُ

يعنى أن القاضى انقطع. فقال ابن دقيق العيد للفتح بن سيد الناس: «يا فتح الدين عقبى هذا الرجل إلى التلف»، فلم يتأخر ذلك سوى عشرين يومًا، وقُتل فى الحادى والعشرين منه. وذلك أنه أكثر من الوقيعة فى حقِّ زين الدين على بن مخلوف قاضى قضاة المالكية وتنقّصه وسبَّه، فلما بلغه ذلك عنه اشتدَّ حنقه وقام فى أمره، فتقرَّب الناس إليه بالشهادة على ابن البققى، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحُكم بقتله، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقف. وقام فى مساعدة ابن البققى ناصر الدين محمد بن الشيخى وجماعةٌ من الكتّاب، وأرادوا إثبات جنّه ليُعفى من القتل، فصمم ابن مخلوف على قتله، واجتمع بالسلطان ومعه قاضى القضاة شمسُ الدين السروجى الحنفى، ومازالا به حتى أذن فى قتله. فنزلا إلى المدرسة الصالحية بين

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

القصرين ومعهما ابن الشيخى والحاجب، وأُحضر ابن البققى من السجن فى الحديد لُيقتل، فصار يصيح ويقول: «أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ويتشهد؟»، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وضُرب عنقه وطيف برأسه على رمح، وعُلّق جسده على باب زويلة. وفيه يقول شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الأعزازى يحرِّض على قتله، وكتب بها إلى ابن دقيق العيد:

قل للإمام العادل المرتضى ... وكاشف المشكل والمبهم
لا تمهل الكافر واعمل بما ... قد جاء فى الكافر عن مسلم

ومن شعر ابن البققى ما كتب به إلى القاضى المالكى من السجن، وهو من جملة حماقاته:

يا لابسًا لى حلةً من مكره ... بسلاسة نعمت كلمس الأرقم[1]
اعتدَّ لى زردًا تَضايق نسجه ... وعلىَّ خرق عيونها بالأسهم

فلما وقف عليهما القاضى المالكى، قال: «نرجو أن الله لا يمهله لذلك».

ومن شعره أيضًا:

جبلت على حبِّى لها وأِلفتِه ... ولابد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدر ما ... أقول وقلبى خاليًا فتمكّنا

ومات جمال الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبى الحوافز رئيس الأطباء فى مستهل صفر، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة.

ومات الأمير علاء الدين على التقوى، أحدُ أمراء دمشق بها.

ومات الشريف أبو نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، أميرُ مكة، فى يوم الأحد رابع صفر، وقد أقام فى الإمارة أربعين سنة، وقدم القاهرة مرارًا، وكان يقال لولا أنه زيدى لصلح للخلافة لحسن صفاته.

ومات مجد الدين يوسف بن محمد بن على بن القباقيبى الأنصارى، موقّع طرابلس، وله شعر وترسُّل.

ومات الأمير عز الدين النجيبى والى البرِّ بدمشق، فى سادس عشر ربيع الأول بدمشق.

---

(١) الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها. جمعها أراقم. انظر المعجم الوجيز ٢٧٤.

ومات شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير، فى سابع عشر ذى القعدة بدمشق، وكان يكتب الإنشاء بها.

ومات بدمشق شيخ الخانكاة السميساطية، وهو شيخ الشيوخ شرف الدين أبى بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد[...][1] ابن حمويه، فى يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأول، واستقرَّ عوضه قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن جماعة باتفاق الصوفية.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى التقوى المنصورى أحدُ أمراء دمشق بها، فى رابع عشرى رجب، فأنعم بخبزه على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير أخور.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة اثنتين وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز، ومعه الشريفان حميضة ورميثة فى الحديد، فسجنا.

وفى ثامنه: قدمت رسل غازان بكتابه، فأعيدوا بالجواب. وجهز الأمير حسام الدين أزدمر المجيرى، شمس الدين محمد التيتى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن السكرى، إلى غازان فى عاشر ربيع الأول. فمضوا واجتمعوا به، فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها، ولازالوا مقيمين حتى هلك غازان، فعادوا فى أيام خدا بندا.

وفى محرم: تنجزت عمارة الشوانى، وجهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القارى العلائى والى البهنسا. واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم فى البحر، فركب أقوش فى الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس، فانقلب بمن فيه يوم السبت ثانى عشره.

وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك، واجتمع من العالم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى، وبلغ كراء المركب الذى يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم، امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس، حتى لم يوجد موضع قدم خال.

ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس بذلك إعجابًا زائدًا، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه، فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كانوا فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشينى وأخرجوا ما سقط منه فى الماء، فلم يعدم منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة، وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهى ترضعه فى قيد الحياة، فاشتد العجب من سلامتها طول هذه الأيام، ووقع العمل فى إعادته حتى تنجز، وندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى للسفر عوضا عن أقوش القارى فسار إلى طرابلس بالشوانى، واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمطوعة.

وتوجه كهرداش إلى جزيرة أرواد، وهى بقرب أنطرسوس، وصبحهم فى غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيرًا، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر. واستولى كهرداش على سائر ما عندهم، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتحمل إلى السلطان، وقسم ما بقى فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين. فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دقت البشائر بالقلعة، وفى يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بكتاش من غزاة سيس.

وفى هذه السنة: توفى قاضى القضاة تقى الدين أبو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابن أبى الطاعة القشيرى المنفلوطى المالكى المصرى بن دقيق العيد، وكان مولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

ولما مات تقى الدين محمد بن دقيق العيد، خرج البريد إلى دمشق بطلب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فقدمها فى سابع عشر صفر، وخُرج به منها فى تاسع عشره. فوصل ابن جماعة إلى القاهرة وخلع عليه يوم السبت رابع ربيع الأول، واستقر فى قضاء القضاة، وولى قضاء دمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن[....][1] ابن صصرى، واستقر بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق، عوضا عن أرجواش، واستقر عوضه فى شد الدواوين بدمشق الأمير بيبرس التلاوى.

وفى رابع جمادى الآخرة: ظهر فى النيل دابة لونها كلون الجاموس بغير شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال[2]، ولها أربعة أنياب، اثنان فوق اثنين، فى طول نحو شبر وعرض أصبعين، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها شبران ونصف، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أظافر الجمل، وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، وفى بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر له زفرة السمك، وطعمه مثل لحم الجمل، وثخانة جلدها أربعة أصابع لا تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله، فكان ينقل من الجمل إلى جمل وقد حشى تبنا حتى وصل إلى قلعة الجبل.

وقدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) الكربال مندفُ، جمع كرابيل. انظر: المعجم الوسيط (كربل).

خروج العسكر، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغانى وكراى المنصورى وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصورى وحسام الدين لاجين الرومى أستادار، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، فساروا فى ثامن عشر رجب.

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلتها بنفسه. وكان النائب بها الأمير علم الدين سنجر الغتمى، فلاطفه وخرج إليه بالإقامات، وقال له: «هذا المكان قريب المأخذ، والملك يقصد المدن الكبائر، فإذا ملكت البلاد التى هى أمامك فنحن لا نمتنع عليك»، حتى كف عنه ورجع عابرًا الفرات، بعد أن أخذ ولده ومملوكه رهنا على الوفاء. وبعث غازان قطلو شاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفا، وكتب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق يرغبه فى طاعته.

وأما العسكر السلطانى فقد دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه فى نصف شعبان، وكتب يستحث السلطان على الخروج. وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق خائفين من التتر، فاستعد أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم، فنودى بها من خرج حل ماله ودمه. وخرج الأمير بهادرآص والأمير قطوبك المنصورى وأنص الجمدار على عسكر إلى حماة، ولحق بهم عسكر طرابلس وحمص، فاجتمعوا على حماة عند العادل كتبغا.

وبلغ التتر ذلك، فبعثوا طائفة كبيرة إلى القريتين فأوقعوا بالتركمان، فتوجه إليهم أسندمر كرجى نائب طرابلس وبهادرآص وكجكن وغرلوا العادلى وتمر الساقى وأنص الجمدار ومحمد بن قرا سنقر، فى ألف وخمسائة فارس. فطرقوهم بمنزلة عرض فى حادى عشر شعبان على غفلة، وافترقوا عليهم أربع فرق، وقاتلوهم قتالا شديدًا من نصف النهار إلى العصر حتى أفنوهم، وكانوا فيما يقال نحو أربعة آلاف. وأنقذوا التراكمين بحريمهم وأولادهم، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر إلا الأمير أنص الجمدار المنصورى، ومحمد بن باشقرد الناصرى، وستة وخمسين من الأجناد. وعاد من انهزم إلى قطلوشاه، وقد أسر العسكر مائة وثمانين من التتر. وكتب إلى السلطان بذلك، ودقت البشائر بدمشق، وكان قد خرج السلطان من قلعة الجبل فى ثالث شعبان، ومعه الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى عسكر كثير، واستناب بديار مصر عز الدين أيبك البغدادى.

وكان التتر الذين عادوا منهزمين إلى قطلوشاه قد أخبروا أن السلطان لم يخرج من

الديار المصرية، وأن ليس بالشام غير العسكر الشامى، فجد قطلوشاه فى السير بجموع التتر حتى نزل على قرون حماة فى ثالث عشريه، فاندفعت العساكر بين يديه إلى دمشق، وركب العادل كتبغا فى محفة لضعفه، فاجتمع الكل بدمشق. واختلف رأيهم فى الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان، ثم خشوا من مفاجأة العدو، فنادوا بالرحيل وركبوا أول رمضان. فاضطربت دمشق بأهلها، وأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم، واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف درهم، وترك كثير منهم حرمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة فلم يأت الليل إلا والنوادب فى سائر نواحى المدينة. وسار العسكر مخفا إلى لقاء العدو، وبات الناس بدمشق فى الجامع يضجون بالدعاء إلى الله، فلما أصبحوا رحل التتر عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة.

وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مرج راهط، فلقوه على عقبة شجورا فى يوم السبت ثانى رمضان، وقبلوا له الأرض. فورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتر فى خمسين ألفا مع قطلوشاه نائب غازان. فلبس العسكر بأجمعه السلاح، واتفقوا على المحاربة بشقحب تحت جبل غباغب[١]، وكان قطلوشاه قد وقف على أعلى النهر. فوقف فى القلب السلطان وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير، وعز الدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام وبرلغى وأيبك الحموى، وبكتمر البوبكرى وقطلوبك ونوغاى السلاح دار وأغرلوا الزينى، وفى الميمنة الحسام لاجين أستادار ومبارز الدين سوار[...][٢] أمير شكار، ويعقوبا الشهرزورى ومبارز الدين أوليا بن قرمان، وفى الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان، وفى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير السلاح والأمير قرا سنقر بعساكر حلب والأمير بدخاص نائب صفد، وطغريل الإيغانى وبكتمر السلاح دار وبيبرس الدوادار، بمضافيهم.

ومشى السلطان والخليفة بجانبه، ومعهما القراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة، وصار السلطان يقف، ويقول الخليفة: «يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم» ﷺ، والناس فى بكاء شديد، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض، وتواصى بيبرس وسلار على الثبات فى الجهاد. وعاد السلطان إلى موقفه، ووقف الغلمان والجمال وراء العسكر صفا واحدا، وقيل لهم: «من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه، ولكم سلاحه وفرسه».

---

(١) جبل غباغب وهى قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق بينهما ست فراسخ انظر: معجم البلدان ج٣/٨٧١.

(٢)ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل، بعد الظهر من يوم السبت المذكور، وأقبل قطلوشاه بمن معه من التوامين[١] وحملوا على الميمنة وقاتلوها، فثبتت لهم وقاتلتهم قتالا شديدا، وقتل الحسام لاجين أستادار وأوليا بن قرمان وسنقر الكافرى، وأيدمر الشمسى القشاش وأقوش الشمسى الحاجب والحسام على بن باخل، نحو الألف فارس. فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة، وصاح سلار: «هلك وا لله أهل الإسلام»، وصرخ فى بيبرس والبرجية فأتوه وصدم بهم قطلوشاه، وأبلى ذلك اليوم هو وبيبرس بلاء عظيما، إلى أن كشفا التتار عن المسلمين.

وكان جوبان بن تداون وقرمجى بن الناق، وهما من توامين التتار، قد ساقا تقوية لبولاى وهو خلف المسلمين، فلما عاينا الكسرة على قطلوشاه أتياه ووقفا فى وجه سلار وبيبرس. فخرج من أمراء السلطان أسندمر وقطلوبك وقبجق والمماليك السلطانية إعانة لبيبرس وسلار، فتمكنوا من العدو وهزموه، فمال التتر على برلغى حتى مزقوه واستمر الحرب بين سلار ومن معه وبين قطلوشاه، وكل منهما ثابت لقرنه.

وكانت الأمراء لما قتلت بالميمنة انهزم من كان معهم، ومرت التتر خلفهم، فجفل الناس وظنوا أنها كسرة. وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها، ونهبوا ما بها من الأموال، وجفل النساء والأطفال، وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور، وضج ذاك الجمع العظيم بالدعاء، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة، فلم ير شىء أعظم منظرًا من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال.

ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه، وصعد عليه وفى نفسه أنه انتصر، وأن بولاى فى أثر المنهزمين يطلبهم. فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر، والميسرة السلطانية ثابتة وأعلامها تخفق، فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه، وأتاه من كان خلف المنهزمين من الميمنة السلطانية، ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم الأمير عز الدين أيدمر نقيب المماليك السلطانية. فأحضره قطلوشاه وسأله: «من أين أنت؟» ، فقال: «من أمراء مصر»، وأخبره بقدوم السلطان، ولم يعلم قطلوشاه بقدوم السلطان بعساكر مصر إلا منه. فجمع قطلوشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل، وإذا بكوسات السلطان والأمراء والبوقات قد رجفت بحسها الأرض وأزعجت القلوب، فلم يثبت بولاى أحد مقدمى التتر، وخرج من تجاه قطلوشاه فى نحو العشرين ألفا، ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هاربا.

---

(١) على هامش ط: المراد الفرقة التى تبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل.

وبات السلطان وسائر العساكر على ظهور خيولها والطبول تضرب، وتلاحق به من انهزم شيئًا بعد شىء، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية. وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذى بات عليه التتار، وصار بيبرس وسلار وقبجق والأمراء الأكابر فى طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يرصونهم ويرتبونهم، ويكثرون من التأكيد عليهم فى التيقظ وأخذ الأهبة. فما طلع الفجر يوم الأحد إلا وقد اجتمع شمل عساكر السلطان، ووقف كل أحد فى مصافه مع أصحابه، والجفل والأثقال قد وقفوا على بعد، وكانت رؤيتهم تذهل، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه فى ترتيب من معه، ونزلوا مشاة وفرسان وقاتلوا العساكر. فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان، وعملوا فيهم عملا عظيما: تارة يرمونهم بالسهام، وتارة يهاجمونهم، واشتغل الأمراء بقتال من فى جهتهم، وصاروا يتناولون القتال أميرا بعد أمير. وألحت المماليك السلطانية فى القتال واستقتلوا، حتى أن فيهم من قتل تحته الثلاثة أرؤس من الخيل. ومازال الأمراء على ذلك حتى انتصف نهار يوم الأحد، وصعد قطلوشاه الجبل، وقد قتل منه نحو ثمانين رجلا، وجرح الكثير واشتد عطشهم.

واتفق أن بعض من أسروه نزل إلى السلطان وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول فى السحر ومصادمة الجيش، وأنهم فى شدة من العطش. فاقتضى الرأى أن يفرج لهم عند نزولهم، ثم يركب الجيش أقفيتهم.

فلما باتوا على ذلك وأصبح نهار يوم الإثنين، ركب التتار فى الرابعة ونزلوا من الجبل، فلم يتعرض لهم أحد. وساروا إلى النهر فاقتحموه، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين، وأيدهم بنصره حتى حصدوا رءوس التتار عن أبدانهم ، ومروا فى أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى السلطان. فسرِّحت الطيور بالنصر إلى غزة ومنع المنهزمون من التوجه إلى مصر، وتتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ به. وعين الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح للمسير بالبشارة إلى مصر، وسار من وقته، وكتب إلى دمشق وسائر القلاع بالبشارة.

ثم ركب السلطان فى يوم الإثنين من مكان الواقعة، وبات ليلته بالكسوة، وأصبح يوم الثلاثاء خامس الشهر وقد خرج إليه أهل دمشق، فسار إليها ـ ومعه الخليفة ـ فى عالم من الفرسان والعامة والأعيان والنساء والصبيان، لا يحصيهم إلا من خلقهم

سبحانه، وهم يضجون بالدعاء والهناء. وتساقطت عبرات الناس، ودقت البشائر، وكان يوما لم يشاهد مثله، إلى أن نزل السلطان بالقصر الأبلق، ونزل الخليفة بالتربة الناصرية، وقد زينت المدينة.

واستمر الأمراء فى أثر التتار إلى القريتين، وقد كلت خيول التتر وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقا كثيرا، وغنموا عدة غنائم، وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتر فما فوقها. وأدركت عربان البلاد التتار وأخذوا فى كيدهم: فيجىء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثيرة من التتار كأنهم يسيرون بهم فى البر من طريق قريبة إلى الليل، ثم يدعونهم وينصرفون، فتتحير التتر فى البرية وتصبح فتموت عطشا. وفيهم من فر إلى غوطة دمشق، فتتبعتهم الناس وقتلوا منهم خلقا كثيرًا.

وخرج والى البر حتى جمع من استشهد من المسلمين، ودفنهم فى موضع واحد بغير غسل ولا كفن، وبنى عليهم قبة. وتتبع نائب غزة من انهزم من العسكر وأخذهم وفتشهم، فظفر منهم بجماعة معهم الأكياس المال بختمها. ووقف الأمير علم الدين سنجر الجاولى بطريق دمشق ومعه الخزان وشهود الخزانة، وأخذ الغلمان فظفر منهم بشىء كثير مما نهبوه، وعوقب جماعة بسبب ذلك. ومازال الأمر يشتد فى الطلب، حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن، ولم يفقد منه إلا القليل.

وشمل السلطان الأمراء بالخلع والأنعام، وحضر الأمير سيف الدين برلغى ـ وقد انهزم فيمن انهزم ـ فلم يأذن له السلطان فى الدخول عليه، وقال: «بأى وجه يدخل على أو ينظر فى وجهى؟» ، فمازال به الأمراء حتى رضى عنه وأذن فى دخوله، فقبل الأرض. وقُبض على رجل من أمراء حلب كان قد انتمى إلى التتار وصار يدلهم على الطرقات، فسمر على جمل وشهر بدمشق وضواحيها. واستمر الناس طول شهر رمضان فى مسرات تتجدد، وصلى السلطان صلاة عيد الفطر، وخرج من دمشق فى ثالث شوال يريد مصر.

وأما التتار فإنه قتل أكثرهم، حتى لم يعبر قطلوشاه الفرات إلا فى قليل من أصحابه. ووصل خبر كسرته إلى همذان فوقعت الصرخات فى بلادهم، وخرج أهل توريز وغيرها إلى القدس، واستعلام خبر من فقد منهم، فأقامت النياحة فى توريز شهرين على القتلى. وبلغ الخبر غازان فاغتم غمًّا عظيمًا ــ وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن الخواتين ـ فإنه لم يصل إليه من كل عشرة

واحد، فارتج الأردوا بمن فيه. ثم جلس غازان وأوقف قطلوشاه وجوبان وسوتاى ومن كان معهم من الأمراء، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله، فمازالوا به حتى عفى عنه من القتل، وأبعده من قدامه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه، وقام إليه - وقد مسكه الحجاب - سائر من حضر وهم خلق كثير جدا، وصار كل منهم يبصق فى وجهه حتى بصق الجميع، ثم أبعده عنه إلى كيلان. وضرب غازان بولاى عدة عصى، وأهانه. وقد ذكر الشعراء وقعة التتر هذه فأكثروا.

وسار السلطان من دمشق فى يوم الثلاثاء من شوال ، ووصل إلى القاهرة ودخلها فى ثالث والعشرين منه. وكان قد قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسة من القلعة، وكتب بإحصار سائر مغانى العرب من أعمال مصر كلها.

واستمرت الزينة من بعد وصول الأمير بكتوت الفتاح بكتاب البشارة إلى أن قدم السلطان، وبعد ذلك بأيام، وكان قبل قدوم بكتوت الفتاح قد وقعت بطاقة من قطيا بخبر البشارة، وتأخر الفتاح لوجع يده، فقلق الناس وغلقت الأسواق، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، والراوية الماء بأربعة درهم. فلما قدم خرج الناس إلى لقائه، وكان يوما عظيما وتفاخر الناس فى الزينة ونصبوا القلاع، واقتسمت أستادارية الأمراء شارع القاهرة إلى القلعة، ورتبوا ما يخص كل واحد منهم وعملوا به قلعة، بحيث نودى من استعمل صانعا فى غير عمل القلاع كانت عليه جناية للسلطان، وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة.

وتفاخروا فى تزيين القلاع، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان وعلى الزينة، فإن الناس أخرجوا الحلى والجواهر واللآلى وأنواع الحرير فَزَيَّنوا بذلك. ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع، وعمل ناصر الدين محمد بن الشيخى الوالى قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر.

فقدم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، وقد خرج الناس إلى لقائه، وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه من خمسين درهما إلى مائة درهم. فلما وصل السلطان باب النصر ترجل سائر الأمراء، وأول من ترجل منهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأخذ سلاح السلطان. فأمره السلطان أن يركب لكبر سنه ويحمل السلاح خلفه، فامتنع ومشى، وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار القبة والطير، وحمل

الأمير بكتمر أمير جاندار العصى، والأمير سنجر الجمقدار الدبوس. ومشى كل أمير فى منزلته، وفرش كل منهم الشقق من قلعته إلى قلعة غيره، فكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشى عليها بفرسه مشيا هينا، لأجل مشى الأمراء بين يديه، وكلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشى حتى يعاينها ويعرف ما اشتملت عليه هو والأمراء. هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون، ورءوس من قتل منهم معلقة فى رقابهم، وألف رأس على ألف رمح، وعدة الأسرى ألف وستمائة فى أعناقها ألف وستمائة رأس، وطبولهم قدامهم مخرقة.

وكانت القلاع التى نصبت قلعة الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى بجوار باب النصر، وتليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وبعده[...][1] ابن أيتمش السعدى، ثم الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وبعده الأمير طغريل الإيغانى، ثم بهادر اليوسفى، ثم سودى، ثم بيليك الخطيرى، ثم برلغى، ثم مبارز الدين أمير شكار ، ثم أيبك الخازندار، ثم سنقر الأعسر، ثم بيبرس الدوادار، ثم سنقر الكمالى، ثم موسى بن الملك الصالح، ثم سيف الدين آل ملك، ثم علم الدين الصوابى، ثم جمال الدين الطشلاقى، ثم سيف الدين آدم، ثم الأمير سلار النائب، ثم بيبرس الجاشنكير، ثم بكتاش أمير سلاح، ثم الطواشى مرشد الخازندار - وقلعته على باب المدرسة المنصورية - وبعده بكتمر أمير جندار، ثم أيبك البغدادى نائب الغيبة، ثم ابن أمير سلاح، ثم بكتوت الفتاحى، ثم تباكر التغريلى، ثم قلى السلحدار، ثم بكتمر السلاح دار، ثم لاجين زيرباج الجاشنكير، ثم طيبرس الخازندارى نقيب الجيش، ثم بلبان طرنا، وبعده سنقر العلائى، ثم بهاء الدين يعقوبا، ثم الأبو بكرى، ثم بهادر العزى، وكوكاى بعده، ثم قرا لاجين، ثم كراى المنصورى، ثم جمال الدين أقوش قتال السبع - وقلعته على باب زويلة. واتصلت القلاع من باب زويلة إلى باب السلسلة، وإلى باب القلعة وباب القلة، فكانت عدتها سبعين قلعة.

وعندما وصل السلطان إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه، وقرأ القراء قدامه. ثم ركب إلى باب زويلة، ووقف حتى أركب الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح خلفه وبيده السلاح. وسار على الشقق الحرير إلى داخل القلعة، والتهانى فى دور السلطان والأمراء وغيرهم، وكان يومًا عظيما إلى الغاية.

فلما استقر السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغى بثلاثين ألف درهم واستقر أمير

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

الركب، وقدم له الأمراء شيئًا كثيرًا وكتب على يده: «إلى أبى الغيث وأخيه أميرى مكة ألا يمكنوا من الأذان بحى على خير العمل، ولا يتقدم فى الحرم إمام زيدى، وألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان فى الكعبة مما سموه العروة الوثقى، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذى كان فى الكعبة». وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقى ومن التسلق إلى المسمار عدة مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس، وترك الأذان بحى على خير العمل من مكة، ولم يتقدم من حينئذ إمام زيدى للصلاة بالحرم.

وفى هذه السنة: بنابلس صام الحنابلة شهر رمضان على عادتهم بالاحتياط، واستكمل الشافعية وغيرهم شعبان وصاموا. فلما أتم الحنابلة ثلاثين يومًا أفطروا، وعيدوا وصلوا صلاة العيد ولم ير الهلال. فصام الشافعية والجمهور ذلك النهار، وأصبحوا فأفطروا وعيدوا وصلوا صلاة العيد. فأنكر نائب الشام على متولى نابلس كيف لم يجتمع الناس على يوم واحد، ولم يسمع بمثل هذه الواقعة.

واتفق أيضًا أن أهل مدينة غرناطة بالأندلس صاموا شهر رمضان ستة وعشرين يومًا، وذلك أن الغيوم تراكمت عندهم عدة أشهر قبل رمضان، فلما كانت ليلة السابع والعشرين طلعوا المأذنة ليقدوها على العادة، فإذا الغيوم قد أقلعت وظهر الهلال، فأفطروا.

وفيها سخط الأمير بيبرس الجاشنكير على كاتبه المعلم المناوى من أجل فراره إلى غزة فى وقت الواقعة، وطلب أبا الفضائل أكرم النصرانى كاتب الحوائج خاناه وألزمه حتى أسلم، وخلع عليه وأقره فى ديوانه، فزادت رتبته حتى صار إلى ما يأتى ذكره إن شاء الله، وعرف بكريم الدين الكبير.

وفيها قام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إبطال عيد الشهيد بمصر: وذلك أن النصارى كان عندهم تابوت فيه أصبع يزعمون أنه أصبع بعض شهدائهم، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه التابوت، فتجتمع نصارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا، ويخرج أهل القاهرة ومصر، وتركب النصارى الخيول للعب، ويمتلئ البر بالخيم، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس، ولا يبقى صاحب غناء ولا لهو حتى يحضر، وتتبرج زوانى سائر البلاد. ويباع فى ذلك اليوم من الخمر بنحو مائة ألف درهم، حتى إنه فى سنة باع رجل نصرانى بمائتين وعشرين ألف درهم خمرًا، فكان أهل شبرا يوفون الخراج من ثمن الخمر، وتثور فى هذا اليوم الفتن ويقتل عدة قتلى، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك، وألا يرمى التابوت فى النيل، وأخرج الحجاب والوالى حتى منعوا الناس من الاجتماع، بعد

أن كتب إلى جميع الولاة بالنداء ألا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد. فشق ذلك على النصارى، واجتمعوا مع الأقباط الذين أظهروا الإسلام، وصاروا إلى التاج بن سعيد الدولة لتمكنه من الأمير بيبرس، فصار إليه وخيَّله من انكسار الخراج بإبطال العيد ومن عدم طلوع النيل، فلم يلتفت إليه وصمم على إبطاله، فبطل.

وفيها جهز صاحب سيس مراكب إلى نحو قبرص فيها بضائع قيمتها قريب من مائة ألف دينار، فألقاها الريح على مينة دمياط، فأخذت برمتها.

وفيها قدم الخبر بقحط بلاد تقطاى[1] مدة ثلاث سنين، ثم أعقبه موتان فى الخيل والغنم حتى فنيت و لم يبق عندهم ما يؤكل، فباعوا أولادهم وأقاربهم للتجار، فقدموا بهم إلى مصر وغيرها.

وفيها كانت الزلزلة العظيمة: وذلك أنه حصل بالقاهرة ومصر فى مدة نصب القلاع والزينة من الفساد فى الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه، من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت فى أواخر شوال.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة: عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشى يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض، فخرجوا فى الطرقات رجالا ونساء، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل، وتساقطت الدور وتشققت الجدران، وتهدمت مآذن الجوامع والمدارس، ووضع كثير من النساء الحوامل ما فى بطونهن، وخرجت رياح عاصفة، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطئ قدر رمية سهم، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة فى وسط الماء، وحذفها إلى الشاطئ.

وفقد للناس من الأموال شىء كثير: فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شىء مما فيها، فدخلها أهل الدعارة وأخذوا ما أحبوا. وصار الناس إلى خارج القاهرة، وبات أكثرهم خارج باب البحر، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة.

و لم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم، أو تشعث بعضها، وسقطت الزروب[2] التى بأعلى الدور، و لم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه. وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة.

---

(١) بلاد تقطاى والمقصود هنا مملكة القفجاق التترية وكان على عرشها تقطاى بن نلايقا.

(٢) زرب الماء ونحوه زربا: سال، الزرب المدخل، وهو حظيرة الغنم، والحفرة يكمن فيها العبائد جمع زروب. انظر: المعجم الوسيط (زرب).

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوما، وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كوما.

وقدم الخبر من الإسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية على البر، وسقط جانب كبير من السور، وهلك خلق كثير.

وقدم الخبر من الوجه القبلى بأن فى اليوم المذكور هبت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدا قدر ساعة، ثم ماجت الأرض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض، وفى بعض المواضع رمل أحمر، وكشطت الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائر قد ركبها السافى، وخربت مدينة قوص، وأن رجلا كان يحلب بقرة فارتفع فى وقت الزلزلة وبيده المحلب، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة، ثم انحط إلى مكانه من غير أن يتبدد شيء من اللبن الذى فى المحلب.

وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور لوحش لم يبق بها بيت عامر.

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر، فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته. وخربت أكثر سوارى[١] الجامع الحاكمى بالقاهرة وسقطت مأذنتاه، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته وخرب الجامع الأزهر، فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضًا، وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر. وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة فعمر من الخاص السلطانى، وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر. وخربت مأذنة المنصورية، فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزراق. وسقطت مأذنة جامع الفكاهين. وكتب بعمارة ما تهدم بالإسكندرية، فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة، وسبعة عشر برجا فعمرت.

وقدم البريد من صفد[٢] أنه فى يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر، فظهر فى موضع الماء أشياء كثيرة فى قعر البحر من أصناف التجارة، وتشققت جدر جامع بنى أمية بدمشق.

---

(١) سوارى: الجمع سوار وهى عند الملاحين: عمود من الخشب ينصب عليه الشراع. انظر المعجم الوسيط (سور).

(٢) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٣/٤١٢.

واستمرت الزلزلة خمس درج، إلا أن الأرض أقامت عشرين يوما ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى. وكان الزمان صيفا، فتولى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام. واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة فى رمِّ ما تشعث وبنى ما هدم، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها، فكان فى ذلك لطف من الله بعباده، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بما كان من هذه الزلزلة.

واتفق فيها من الأمر العجيب أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما رم ما تشعث من الزلزلة بالجامع الحاكمى، وجد فى ركن من المأذنة كف إنسان بزنده قد لف فى قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هى، والكف طرى. ونبشت دكان لبان مما سقط فى الزلزلة، فإذا أخشابها قد تصلبت على اللبان وهو حى، وعنده جرة لبن يتقوت منها مدة أيام، فأخرج حيا لم يمسه سوء.

وفى هذه السنة: استقر فى نيابة صفد الأمير سنقر شاه المنصورى، عوضًا عن بدخاص، وأنعم على بدخاص بإمرة بديار مصر. ونقل قبجق من نيابة الشوبك إلى نيابة حماة، عوضا عن العادل كتبغا بعد موته. واستقر بلبان الجوكندار فى نيابة حمص، بعد موت سيف الدين البكى. ثم استعفى بلبان، فولى عز الدين أيبك الحموى نائب قلعة دمشق عوضه، واستقر عوضه فى نيابة قلعة دمشق بيبرس التلاوى.

وبلغ النيل ثمانية عشر ذراعًا.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندرى الشافعى، فى رابع عشرى شوال بدمشق، ومولده بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة، وكان مشهورًا بالعلم والديانة، ناب فى خطابة جامع بنى أمية، وباشر الحكم مدة بدمشق ودرس بها، وأفاد زمانًا.

ومات كمال الدين أحمد بن أبى الفتح بن محمود بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان المعروف بابن العطار، أحد كتاب الدرج بدمشق، فى رابع عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ست وعشرين وستمائة، وكان كثير التلاوة للقرآن محبًا لسماع

الحديث وحدث، وكان صدرًا كبيرًا فاضلا له نظم ونثر، وأقام يكتب الدرج أربعين سنة.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى، بالقاهرة فى [....][١].

ومات الأمير فارس الدين البكى الساقى، أحد مماليك الظاهر بيبرس، تنقل فى الخدم حتى صار من أمراء مصر، ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه المنصور قلاوون وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين، وفر مع قبجق إلى غازان وتزوج أخته، ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان، فولاه نيابة حمص[٢] حتى مات بها يوم الثلاثاء ثامن ذى القعدة. وكان مليح الشكل، ما جلس قط بغير خف، وإذا ركب ونزل حل جمداره شاشه، فإذا أراد الركوب لفه مرة واحدة كيف جاءت ويركب ولا يعيد لفة الشاش مرتين أبدًا.

واستشهد بوقعة شقحب عز الدين أيدمر العزى نقيب المماليك السلطانية، وهو من مماليك عز الدين أيدمر نائب دمشق، وكان كثير الهزل، وإليه تنسب سويقة العزى خارج القاهرة.

ومات الأمير أيدمر الشمسى القشاش، وكان قد ولى الغربية والشرقية جميعًا، واشتدت مهابته، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب منها أنه كان يغرس خازوقًا ويجعل محدده قائمًا، وبجانبه صار كبير يعلق فيه الرجل، ثم يرسله فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه، ولم يجرؤ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية فى أيامه أن بلبس مئزرًا أسود، ولا يركب فرسًا ولا يتقلد سيفًا، ولا يحمل عصا محلية بحديد، وعمل بها الجسور والترع وأتقنها، وأنشأ جسرًا بين ملقة صندفا وأرض سمنود[٣] عرف بالشقفى، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضى المحلة فى النوم، فقال له: «سامحنى الله وغفر لى بعمارة حسر الشقفى»، وكان قد فلج واستعفى من الولاية

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. وافتتحها أبو عبيدة الجراح صلحًا سنة أربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٢، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٠.

(٣) سمنود بلد من نواحى مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل بينها وبين المحلة ميدان تضاف إليها كورة فيقال كورة السمنودية. انظر: معجم البلدان ٣/٢٥٤.

ولزم بيته، وخرج لغزوة شقحب فى محفة إلى وقت القتال، فلبس سلاحه وركب وهو فى غاية الألم، فقيل له: «إنك لا تقدر»، فقال: «وا لله لمثل هذا اليوم أنتظر، وإلا إيش بتخلص القشاش من ربه بغير هذا؟» وحمل على العدو وقاتل فقتل، ورئى فيه ست جراحات.

ومات الأمير حسام الدين أوليا بن قرمان، أحد الأمراء الظاهرية، وهو ابن أخت قرمان ـ وعرف بابن قرمان ـ وكان شجاعًا.

ومات الأمير عز الدين أيبك أستادار.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرفا المنصورى.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشمسى الحاجب.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الدكاجكى، أحد الأمراء بحماة.

ومات صلاح الدين بن الكامل.

ومات علاء الدين بن الجاكى.

ومات الشيخ نجم الدين أيوب الكردى، وكان قد قدم إلى دمشق سنة سبع وثمانين وستمائة فى طائفة من الأكراد[1]، واعتقده الأمراء وحملوا إليه المال فكان يتصدق به، ثم قدم إلى القاهرة، وخرج مع السلطان وقاتل بشقحب حتى قتل.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الشمسى الحاجب.

ومات سنقر الكافرى، أحد الأمراء.

ومات سنقر شاه أستادار الجانق.

ومات حسام الدين على بن باخل، أحد أمراء العشراوات.

ومات لاجين الرومى المنصورى أستادار المنصور قلاوون، ويعرف بالحسام أستادار، وكان دينا خيرًا حشمًا، سمع الحديث.

ومات الأمير شمس الدين سنقر العنتابى بدمشق، ليلة الجمعة ثانى عشر ذى القعدة.

ومات العادل كتبغا بحماة ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو فى سن الكهولة، وكان دينا خيرًا، أسمر اللون قصيرًا دقيق الصوت قصير العنق، شجاعا سليم الباطن

---

(١) كرد بلفظ واحد الأكراد اسم لقبيلة. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٠.

متواضعًا، وهو من جنس المغل، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه، وترك أولادًا. فولى نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى، وقد نقل إليها من نيابة الشوبك.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المعروف بابن دقيق العيد فى يوم الجمعة حادى عشر صفر، عن سبع وسبعين سنة، وهو على قضاء القضاة، ومولده فى خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

* * *

سنة ثلاث وسبعمائة

فيها انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة، وأنفقوا فيها مالا جزيلا.

وقدم الأمير برلغى الأشرفى من الحجاز، وشكى من قلة مهابة الشريفين أبى الغيث وعطيفة وكثرة طمع العبيد فى المجاورين بمكة. فأفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى المجلس السلطانى وخلع عليهما بكلفتان زركش، فلم يلبسها حميضة إلا بعد التمنع والتهديد بالعود إلى الحبس. وأجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما وحمل إليهما سائر ما يحتاجان إليه، وهاداهما الأمراء، وأجريت لهما الرواتب والجرايات والكسوات، وركبا مع السلطان فى الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة.

وفيها سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس، وعليهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، ومعه الأمير علم الدين سنجر الصوابى والأمير شمس الدين سنقر شاه المنصورى ومضافيهم، وكتب إلى طرابلس وحماة وصفد وحلب بخروج العساكر إليها. فوصل الأمير بدر الدين بكتاش إلى دمشق فى ثانى عشر رمضان، وخرج منها بعسكر دمشق، فسار إلى حلب وأتته عساكر البلاد، فمرض وأقام بحلب، وسار ابنه بالعساكر، وحرقوا مزارع سيس وخربوا الضياع وأسروا أهلها، ونازلوا تل حمدون وقد امتنع بقلعتها جماعة كثيرة من الأرمن، فقاتلوهم حتى فتحت بالأمان، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن. فشق ذلك على تكفور ملك سيس، وقصد نكاية الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان، وكتب إلى نائب حلب بأن ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج، فلا تفرجوا عن أحد منهم، فليس عندى من يزن المال سواهم. فأمر النائب بقتلهم، فضربت رقاب الملوك الخمسة، وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس، فحمل إلى مصر وكتب صحبته بعود العساكر بالغنائم، فسر الأمراء والسلطان بذلك، وأكرم صاحب قلعة نجيمة، وكتب بعود العساكر.

وقدم البريد بموت الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب حمص، فكتب بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق باستقراره فى نيابة حمص، وتوجه إليها فى ثامن عشرى جمادى الأولى، وولى عوضه نيابة قلعة دمشق بهادر السنجرى.

وفيها وقع موتان فى الخيول ببلاد الشام، فمات من حلب ودمشق نحو الثمانين ألف فرس، وفشا الموتان فى خيول مصر أيضًا، فهلك كثير منها. ووقع ببلاد الساحل جراد كثير، وفيها ارتفعت أسعار الغلال بمصر، وبلغ الأردب القمح أربعين درهما لتقاصر زيادة النيل، ثم انحط السعر عن قليل وأبيع بخمسة وعشرين درهما.

وفيها سار الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا أحد مقدمى التتار وافدًا إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه، فلما قدم البريد بمسيره كتب إلى نائب حلب، فتلقاه وبالغ فى إكرامه، وتلقاه نائب دمشق ودخل به فى حادى عشر ذى القعدة. ومازالت الإقامات تتلقاه حتى قدم إلى القاهرة، فخرج الأمير بيبرس الجاشنكير إلى لقائه ومعه الأمراء إلى قبة النصر، وصعد به إلى أن قبل الأرض بين يدى السلطان فى ثالث ذى الحجة، وأنزل فى دار بقلعة الجبل.

وفيها أخرج الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى على إمرة بصفد، وأنعم على جنغلى بإمرته - وهى طبلخاناه، وكتب له بزيادة مائة ألف درهم. ثم نقل إلى إمرة مائة، وأنعم على أمير علىٍّ من ألزامه بإمرة عشرة، وعلى نيروز من ألزامه بتقدمة ألف، وبعث الأمراء إليه بالهدايا.

وفيها قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلونى بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء، وسأل فتح كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين. وجهز جوابه مع فخر الدين عثمان أستادار الأمير عز الدين الأفرم، فاقترض نحو الستين ألف درهم، وبالغ فى التجمل. فلما كان وقت السفر دفع الرسل ملطفا من ملكهم إلى السلطان يسأل فى فك رجل ممن أسر بجزيرة أرواد، فأفرج عنه وسار معهم إلى الإسكندرية، فبعث بعض الأسرى يعرف السلطان بأن: «هذا الذى أفرج عنه ابن ملك كبير، ولو أردتم فيه مركبا ملآن بالذهب لحمله إليكم فى فكه»، فكتب برده فعاد من الإسكندرية وقيد على ما كان. وركب الرسل البحر، حتى إذا أبعدوا عن الإسكندرية أنزلوا الأمير فخر الدين عثمان فى قارب وأمروه بالعود، وأخذوا كل ما معه. فألقاه الريح على ساحل الإسكندرية، وحمل إلى مصر، فشكا إلى الأمراء أن الذى أخذ له دين عليه، فلم يلتفت أحد إليه، وكتب إلى الإسكندرية بإيقاع الحوطة على من يرد من فرنج برشلونة.

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين.

وفيها نقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسى إلى التربة الناصرية بين

القصرين، وموضع هذه المدرسة الناصرية كان دارًا عرفت أخيرًا بالأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، فاشتراها الملك العادل كتبغا وشرع فى بنائها مدرسة، وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا، وهى بوابة كنيسة بها. فلما حضرت هذه البوابة إلى القاهرة ـ مع الأمير علم الدين الدوادارى، متولى تخريب عكا وصور وعثليث وغيرها من القلاع التى فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون ـ أخذها الأمير بيدرا، وقُتل وهى على حالها، فعملها كتبغا على هذه المدرسة. وخلع كتبغا قبل أن تكمل، فاشتراها السلطان على يد قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وأتمها، وعمل لها الأوقاف الجليلة: ومن جملتها قيسارية[١] أمير على بخط الشرابشيين[٢]، والربع المعروف بالدهشة[٣] قريبا من باب زويلة، وحوانيت بباب الزهومة[٤]، والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة السيفية[٥]، ودار أم السلطان، وحمامى الشيخ خضر بظاهر القاهرة، بخط بستان ابن صيرم والجامع الظاهرى، ودار الطعم خارج مدينة دمشق. ورتب بها قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف مدرس المالكية، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى مدرس الحنفية، وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرانى مدرس الحنابلة، وصدر الدين محمد بن المرحل مدرس الشافعية.

وفيها ولد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن سماه عليا، ولقبه بالملك المنصور، وعمل له مهما أراد أن يستمر سبعة أيام، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعمل يوما واحدًا وفيها شرع الأمير سلار النائب فى التجهيز إلى الحجاز.

وفيها تشاجر الوزير عز الدين أيبك البغدادى وناصر الدين محمد بن الشيخى متولى الجيزة، وسببها تعاظم ابن الشيخى على الوزير، وانحصار الأقباط منه لوفور حرمته

---

(١) قيسارية عرفت هذه القيسارة بذلك الاسم نسبة إلى الأمير على ابن السلطان المنصور قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار.

(٢) الشرابشيين عرف هذا الموضع نسبة إلى بائع الشرابيش فى السوق الذى عرف بسوق الشرابيش. انظر المواعظ والاعتبار ٩٩/٢.

(٣) الدهشة هذا الموضع غير الموضع المعروف باسم الدهيشة الذى عمره السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار ٢١٢/٢.

(٤) الزهومة يطلق هذا الوصف على كثير من المواضع بالقاهرة منها خط باب الزهومة وسوق باب الزهومة وهو نفسه أحد أبواب القصر الكبير الشرقى فى عهد الفاطميين. انظر المواعظ والاعتبار ٤٣٥/١، ٣٥/٢،٩٧.

(٥) مدرسة السيفية سميت هذه المدرسة، حسبما جاء فى خطط المقريزى إلى سيف الإسلام طغتكين أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى وهو الذى فتح اليمن فى عهد أخيه سنة ٥٧٧هـ.

وشدة ضبطه، فاتفقوا مع الوزير على أن يحققوا فى جهته وجهات مماليكه من الأموال الديوانية مبلغًا كثيرًا، فتحدث الوزير فى ذلك مع الأمير سلار النائب، لعلمه بكراهته فى ابن الشيخى. فطلب ابن الشيخى والدواوين وحضر الأمراء، وانتدب لمحاققته التاج الطويل مستوفى الدولة. وأفحش التاج الطويل فى مخاطبته، وهو يخرج مما يلزم به بحجج يظهرها، ثم اشتد حنقه وقام على قدميه وقال: «وحق نعمة مولانا السلطان! هؤلاء الأقباط أكلوا الأموال، وإن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار أكتب بها خطى». فقال له التاج: «صرت أنت تأمر وتنهى يا ناصر الدين، ولو طلعت رأسك إلى السماء كنت عندى ضامنا بتقارير مكتتبة عليك كسائر الضمّان». فغضب الأمير بيبرس الجاشنكير، وقال للتاج: «والك ما كفى كذبكم حتى تجعل أميرًا مثل ضامن؟ وا لله ما يأكل مال السلطان غيركم»، وأمر بإقامته من المجلس. وقال الأمير بيبرس لابن الشيخى: «إيش قلت؟ تحمل من جهة هؤلاء ما قلت؟»، قال: «نعم!»، فرسم للوزير والحجاب بجمع الدواوين وتسليمهم له وانفضوا، فلم يبت أحد من الكتاب عنده، فا خلا ناظرى الدولة وهما تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، وشهاب الدين غازى بن الواسطى، وألزمهم بعمل حساب الدولة لثلاث سنين وضيق عليهم، وأهان التاج الطويل ونكل به. وأخذ التاج بن سعيد الدولة فى مساعدة ابن الشيخى، وصار يأتيه فى الليل ويرتبه، فظهر فى جهة الكتاب شىء كثير، فشكره بيبرس وعرف الأمراء بذلك، فرسموا له بعقوبة الكتاب واستخراج المال منهم، فقام الشهاب بن الواسطى فى الحط على ابن الشيخى قياما زائدًا، وقال: «يا أمراء! هذا ما يحل، وما بلغ قدر هذا الرجل بالأمس وهو فى دكان يخيط الأقباع[1]، ثم فقير دائر يستعطى، ثم ضامن فى ساحل الغلة، قد صار فى حفدة ومماليك، وعمل ولاية القاهرة بأقبح سيرة». فبلغ ذلك ابن الشيخى فأوقع الحوطة عليه، وسأل الأمير بيبرس فيه فسلمه له، فلما دخل عليه مع الرسل أخرق به وأمر أن يعرى من ثيابه، فمازال به الحاضرون حتى عفا عنه من خلع ثيابه، وضربه تحت رجليه ثلاث ضربات. ثم خاف العاقبة فأكرم ابن الوسطى وتلطف به وبالكتاب، وحمل منهم ثلاثمائة ألف درهم، وأفرج عنهم بعد مشاورة الأمير بيبرس. فشق ذلك على الوزير، وسعى فى السفر إلى الحجاز مع الأمير سلار، فأجيب إلى ذلك.

وسعى ابن الشيخى بالأمير بكتمر أمير جندار والأمير برلغى وينجار، ووعدهم أنه يؤجرهم البلاد والدواليب ويقوم عنهم بكلفها، وأهدى إليهم حتى ملأ أعين أعدائه

---

(١) جمع قبع، وهو ما يغطى به الرأس من الثوب.

وأصدقائه، وعمل للأمير سلار من آلات السفر شيئا كثيرًا، ومازال يسعى بحاشية سلار، وهو يمتنع من إجابتهم، ويردهم أقبح رد لبغضه فيه حتى خدعوه وأجاب. فاستقر ابن الشيخى فى الوزارة يوم الإثنين تاسع عشر شوال، بغير رضا سلار، إلا أنه لم يجد بدا من ولايته. ونزل فى موكب عظيم إلى داره بجوار المشهد الحسينى من القاهرة، وتعاظم على الناس تعاظما زائدًا.

وفيها سار الأمير سلار النائب إلى الحجاز، ومعه نحو الثلاثين أميرًا: منهم سنقر الكمالى الحاجب، وعلم الدين سنجر الجاولى، وسنقر الأعسر، وكورى، وسودى، وبكتوت القرمانى، وبكتوت الشجاعى، والطواشى شهاب الدين مرشد. وتأخر الأمير سلار، بعد خروج الركب مع الأمير سيف الدين أناق الحسامى أمير الركب، وبعث إلى الحجاز فى البحر عشرة آلاف أردب غلة وبعث سنقر الأعسر ألف أردب، وبعث سائر الأمراء القمح للتفرقة فى أهل الحرمين، فعم النفع بهم.

وفيها ورد الخبر بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل، فى ثالث عشر شوال بنواحى الرى، من مرض حاد، وكانت مدته ثمان سنين وعشرة أشهر. وقام بعده أخوه خدا بندا بن أرغون، وجلس على تخت الملك فى ثالث عشرى ذى الحجة، وتلقب بغياث الدين محمد، وكتب إلى السلطان بجلوسه، وطلبه للصلح وإخماد الفتنة، وسير إليه رسله. وفيها توجه الوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى إلى الإسكندرية، وألزم المباشرين بعمل الحساب. وكان متحصل الإسكندرية لا ينال ديوان السلطان منه إلا القليل، فإن الأمراء بيبرس وسلار وبرلغى والجوكندار ما منهم إلا من له بها نائب يتحدث فى المتجر. فقام نائب الإسكندرية، ومنع الوزير من التحدث حتى يحضر الأمير سلار من الحجاز، فاتفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ موجبه أربعين ألف دينار.

وفيها خرج السلطان إلى البحيرة للصيد، وقد عبأ له الوزير الإقامات. ونزل السلطان بتروجة، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة، الذى أقامه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وصى السلطان وكيلا على جباية أموال أملاك السلطان ونائبا عنه لاشتغاله بوظيفة القضاء. وطلب السلطان منه دراهم يشترى بها هدية من الإسكندرية، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغا. فاجتمع ابن عبادة بالوزير، وشكا له ما فيه السلطان من الضيق والحاجة، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشترى به هدية لجواريه ونسائه. فقال له ابن الشيخى: «ارجع، وأنا غدا عند السلطان بألفى دينار». فعاد ابن عبادة، وأعلم

السلطان بذلك، فسر سرورًا كبيرًا. وقدم الوزير بالمبلغ وقدمه للسلطان. فاستروح السلطان معه بالكلام، وشكا إليه ما هو فيه من ضيق مع الأمراء، فوعده بأن مصير الأمر إليه، وقوى قلبه وشجعه على الفتك بالأمراء، وهون عليه أمرهم، وقام وقد حفظ عليه الجمدارية ما قاله فى حق الأمراء. وعاد السلطان إلى القلعة، وقدم الوزير من الإسكندرية بمال كثير وكساو جليلة، وشكا إلى الأمير بيبرس نائب الإسكندرية.

وقدم الخبر من الأردو بأنه قد جرد مقدم اسمه قبرتو ليقيم بديار بكر، عوض جنكلى ابن البابا المهاجر إلى الإسلام. فكتب نائب الشام مطالعة بذلك، وفيها:

أتى من بلاد المشركين مقدم ... تعالن لما أن دعوه قبرتوا

وإنى لأرجو أن يجىء عقيبها ... بشير لنا أن اللعين قبر توا

وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا، بعدما توقف، وتحسنت الغلال.

* * *

ومات فى هذه السنة

عز الدين أيبك الحموى، وكان من مماليك المنصور نائب حماة، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص فيسرهما إليه فأمرهما، ثم ولى الأشرف خليل أيبك هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعى، وعزله العادل كتبغا بغرلوا. ولى صرخد[1] ثم حمص، وبها مات فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير بيبرس التلاوى فى تاسع شهر رجب، وكان يلى شد دمشق ـ وفيه ظلم وعسف ـ مدة سنة وسبعة وأربعين يومًا، منها أيام مرضه حتى هلك سبعة أشهر، واستقر عوضه فى وظيفة الشد قيران الدوادارى.

ومات القان إبل خان معز الدين غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولوى ابن جنكزخان، ببلاد قزوين[2] فى ثانى عشر شوال، وحمل إلى تربته خارج توريز. وكان جلوسه على تخت الملك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأسلم فى سنة أربع وتسعين وستمائة، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رءوس الناس، ففشا الإسلام بذلك

---

(١) صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٢) بلاد قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخًا وحصن قزوين كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم حبل. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢، والروض المعطار ٤٦٥.

فى التتار، وأظهر غازان العدل، وتسمى بمحمود، وملك العراقين وخراسان وفارس والجزيرة والروم، وتسمى بالقان، وأفرد نفسه بالذكر فى الخطبة، وضرب السكة باسمه دون القان الأكبر، وطرد نائبه من بلاده، ولم يسبقه أحد من آبائه إلى هذا، فاقتدى به من جاء بعده، وكان أجل ملوك بيت هولاكو، إلا أنه كان يبخل بالنسبة إليهم.

ومات شمس الدين سلمان إبراهيم بن إسماعيل الملطى الدمشقى الحنفى أحد نواب الحكم بدمشق والقاهرة، وكان دينًا مباركا.

ومات علاء الدين على بن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقى، والد الصاحب تقى الدين سليمان بن مراجل، فى سادس عشر ذى القعدة بدمشق، وقدم إلى القاهرة سنة إحدى وسبعمائة، وكان ماهرًا فى الحساب، أديبًا فاضلا.

ومات زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيع بن الحسن الفارقى الشافعى، فى حادى عشرى صفر بدمشق، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد درس الفقه، وخطب بجامع بنى أمية قبل موته بتسعة أشهر، فولى الخطابة بعده صدر الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل، فلم ترض الناس به، فولى شرف الدين[.....][1] القزارى.

ومات فتح الدين أبو محمد عبد الله بن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد بن خالد ابن محمد القيسرانى[2] بالقاهرة يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخر، ومولده فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد وزر جده الموفق خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى[3] وولى الفتح هذا وزارة دمشق، ثم صرف عنها، وقدم إلى القاهرة، وباشر توقيع الدست بقلعة الجبل، وعنى بالعلم، وله تصانيف ونظم حسن.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القرشى المخزومى، أبو محمد فتح الدين بن القيسرانى: من علماء الوزراء شاعر أديب من بيت رياسة. أصله من قيسارية الشام. ولد فى دمشق وولى بها الوزارة فى أيام السعيد بن الظاهر ستة أشهر وانتقل إلى مصر فتوفى بالقاهرة. له كتاب فى «الصحابة» و«أربعون حديثا» أخرجها لنفسه وله نظم فى «ديوان». انظر البداية والنهاية ١٤:٣١ والدرر الكامنة ٢:٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٨:٢١٣ والأعلام ٤/١٢٥.

(٣) محمود بن زنكى [عماد الدين] بن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأحلهم وأفضلهم كان من المماليك [جده من موالى السلجوقيين]. ولد فى حلب. انظر ابن الأثير ١٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن خلكان ٨٧/٢، والإسلام والحضارة العربية ٢٨٩/١، ومرآة الزمان ٣٠٥/٨، والنجوم الزاهرة ٧١/٦، وكتاب الروضتين ٢٢٧/١، والأعلام ١٧٠/٧.

ومات نصير بن أحمد بن على المناوى المعروف بالنصير الحمامى، الأديب البارع، فى [.....][1].

ومات الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغنى بن سرور بن سلامة المنوفى، أحد أصحاب الشيخ أبى الحجاج الأقصرى - ويقال إنه شريف حسنى - فى ليلة الإثنين خامس عشر ذى الحجة بمصر، عن مائة وعشرين سنة، وهو صحيح الأعضاء سليم الحواس رصين العقل، وله ديوان شعر.

ومات الأمير بكتمر السلاح دار الظاهرى فى [......][2].

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.
(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة أربع وسبعمائة

فى مستهل المحرم: قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قَطَايا بن سيغرا أمير بنى كلاب فى عدة من مشايخ العرب، ثم قدم فأكرمه السلطان والأمراء، وأعيدوا إلى حلب. وكان من خبر قطايا أنه لما خرج عن طاعة السلطان، وعاث فى أعمال حلب وأفسد، طلبه عساكر حلب، ففر إلى بلاد الشرق، وأقام مع المغل، فأكرموه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات، فلم يجد بعدئذ ما كان يعهده، فترامى على نائب حلب، ومازال يستعطفه فى أن يأذن له فى العود بعد الشفاعة له إلى السلطان، فأجاب سؤاله وكاتب فيه، فعفى عن ذنبه وأعيدت له إقطاعاته بحلب.

وقدم البريد بوقوع الفتنة بين الأمراء أسند مركرجى نائب طرابلس، والأمير بالوج الحسامى من أمرائها، من أجل أن أسندمر استخدم فى ديوانه سامريًا كاتبًا يقال له أبو السرور، فزاد تحكمه، وأخذ يتجر لمخدومه فى عدة بضائع، وركب الخيول المسومة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وتصرف فى عامة الأمور بطرابلس حتى كثرت أمواله وَسَعَاداته، وتزايد شره وضرره، وكثرت شكاية الناس منه. فقام الأمير بالوج فى ذلك وتحدث مع أمراء طرابلس فى إزالته عن المسلمين، وَوَاعَدَهم على نصرته ومعَاوَنتهِ إياهم. ثم قام فى يوم الموكب للنائب أسندمُر، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامرى، وما هم فيه من الضرر، فرد عليه ردًا غير جيد، وجبهه بالتكذيب فيما نقله، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه - وكان قوى النفس شرس الأخلاق - وحلف بالأيمان المغلظة ليضربن رقبة السامرى، وقام من مجلس النائب. فكتب فيه النائب أسندمر يشكو منه شكوى طويلة عريضة، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وحبسه، فأخذ سيفه وسجنه، فاشتدت عند ذلك وطأة السامرى على الناس، فتجردوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حفظت عنه، وأثبتوها بدمشق. فكتب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام فيه، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير فى ذلك. وكتب بحمل السامره إلى دمشق وتسليمه للقاضى المالكى. والإفراج عن بالوج، فأفرج عنه وأنعم عليه، وقيد السامرى وسلمه للبريد، فسار به إلى حمص، فاتفق قتله بها، واتهم أسندمر أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يتمكن منه، فحملت رأسه إلى دمشق.

وفيها حكم قاضى المالكية بإراقة دم شمس الدين محمد بن الباجريقى[1] ففر من دمشق وقدم الأمير سلار من الحجاز فى نصف صفر، وقد فعل فى الحجاز أفعالا جميلة منها: أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليم من الديون لأربابها، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مئونة سنة، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة، ففرق ما فيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف، وحمل إليهم الدنانير والدراهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير عبد أو حر شريف أو غير شريف إلا وعمه ذلك، ثم استدعى الزيلع[2] وفرق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى حتى عم سائرهم، وبعث مباشريه إلى جدة، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة. وحمل ما بقى إلى المدينة النبوية، فما بلغ وادى بنى سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج، فتبعهم وأخذ منهم خمسين رجلا، فأفتاه الفقهاء بأنهم محاربون، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وعم أهل المدينة بالعطايا كما عم أهل مكة، فكان الناس بالحرمين يقولون: «يا سلار! كفاك الله هم النار»، ولم يسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل.

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام، نحو مائتى فارس بنسائهم وأولادهم، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر، فكتب بإكرامهم، فقدموا إلى القاهرة فى جمادى الأولى وقدم معهم أخوا سلار، وهما فخر الدين داود، وسيف الدين جبا، وقدمت أيضا أم سلار. فرتبت لهم الرواتب، وأعطوا الإقطاعات، وفرق جماعة منهم على الأمراء. وأنشأ سلار لأمه دارا بإسطبل الجوق الذى عمله العادل كتبغا ميدانا، ثم عرف بحكر الخازن، ورقى أخويه وأعطاهم الإمريات وقدم الأمير حسام الدين أَزْدَمُر المُجيرى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن معرف بن السكرى، من بلاد الشرق إلى دمشق فى رابع عشرى شعبان، ودخلا القاهرة أول رمضان، ومعهما كتاب خر بندا وهديته، فتضمن كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان، وخاطب السلطان بالأخوة،

---

(١) الباحريقى: نسبة إلى بلدة باحريق بالعراق الأعلى، بين البقعاء ونصيبين. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والباحريقى هذا كان فى الأصل فقيها بالمدارس، ثم تزهد وصحب الفقراء، وصار له أتباع، وقد ظل يعانى من أنواع النفى والتشريد بسبب أقواله وآرائه حتى وفاته سنة ٧٢٤ هـ. انظر الدرر الكامنة ٤/ ١٢، ١٤.

(٢) الزيلعى: نسبة إلى زيلع قرية على البحر بناحية الحبشة. انظر معجم البلدان ٩٦٦/٢، ٩٦٧. ولب اللباب ١٢٩.

وسأل إخماد الفتن، وطلب الصلح، وقال فى آخر كلامه: عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه. فأجيب وجهزت له الهدية، وأكرم رسوله، وسفر معه علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بلبان القلنجقى أحد مقدمى الحلقة، والصدر سليمان المالكى المرتقى أحد العدول(١)، فتوجهوا فى أول ذى القعدة، وعاد علاء الدين وسليمان المالكى فى رمضان سنة خمس وسبعمائة. وقدم بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى من بلاد غازان إلى دمشق فى ثالث عشرى جمادى الآخرة.

وقدم رسل الملك طقطاى صاحب سراى وبر القبجاق فى أول ربيع الأول، وأنزلوا بمناظر الكبش، وأجريت لهم الرواتب. ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم، وهو يتضمن الركوب لحرب غازان ليكون فى المساعدة عليه، فأجيب بأن الله قد كفاهم أمر غازان، وأن أخاه خَرْبَنْدا قد أذعن للصلح، وجهزت له هدية خرج بها مع الرسل الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى إلى الإسكندرية، وساروا فى البحر.

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن على ابن رسول ملك اليمن، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التى كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار، يشترى بها أصناف وتسير إلى قلعة الإسماعيلية مع هدية تختص بالسلطان. وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول حملها مدة أربعين سنة، ثم حملها ابنه الأشرف، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن المنصور بن على رسول قطع الجهتين(٢) واستخف بسلطان مصر، فكتب إليه بالإنكار والتهديد، وسير إليه مع ناصر الدين الطورى وشمس الدين ومحمد بن عدلان، ومعهما كتاب الخليفة أيضا بالإنكار عليه والتهديد، وأمره أن يحمل المقرر على العادة.

وقدم أياى ملك دمقلة(٣) من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشب وسنبادج(٤)، وطلب عسكرًا، فأنزل بدار الضيافة وعين معه الأمير سيف الدين طقصبا والى قوص وجماعة الوافدية(٥)، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس، ومن أجناد

---

(١) العدول: جمع عدل، والعدل: ما قام فى النفوس أنه مستقيم، وهو ضدد الجور. عدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول وعدل. وهو فى مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل صحيح الرواية. انظر لسان العرب. عدل.

(٢) على هامش ط: الجهة هى الضريبة أو الجزية المقررة.

(٣) دمقلة: مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٠.

(٤) على هامش ط: هى مادة حجرية للجلاء.

(٥) الوفد: الراكبان المكرمون. قال الأصمعى وافد فلا يفد وافدة إذا خرج إلى ملك أو أمير. قال ابن سيده وافد عليه وإليه يفد وافدا ووفودا ووفاد وأفاد. الوافدية: والمراد هنا الغريب الوافد إلى جديد. انظر: لسان العرب ٤٨٨١.

الولاة بالوجه القبلى ومن العربان جماعة كبيرة. فاجتمعوا من البر والبحر بقوص، وسار بهم طقصبا مع أياى ملك النوبة.

وفيها بعث الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار[1] إلى القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله[2] كاتب السر أن يكتب نائب الشام كتابًا، فقال: «لابد من مشاورة السلطان أو النائب»، فغضب بيبرس واستدعاه، فلما جاءه لم يكترث به، وقال له: «كيف أقول لك - والك - اكتب ما تكتب؟» فقال: «تأدب يا أمير ولا تقول والك» فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب، وعرفه ما جرى عليه، فأقره عنده. واجتمع بالأمراء وقت الخدمة، وعرف الأمير بيبرس الجشنكير الخبر فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعوق من بكرة النهار إلى الظهر، وعنف تعنيفًا زائدًا، وعزل من الدوادارية، واستقر عوضه الأمير أيد مر.

وقدم البريد من دمشق بأن تقى الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق فى الصخرة التى بمسجد النارنج. بجوار مصلى دمشق، وأن الأثر الذى بها هو قدم النبى ﷺ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة فى سادس عشر رجب، وقد أنكر عليه الناس ما فعله فأجيب إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة، وإن كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله. وقدم أيدغدى الشهرزورى رسولا من جهة أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن جماعة المرينى ملك المغرب، بهدية جليلة، وقدم معه ركب المغاربة يريدون الحج، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين.

---

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عامًا. وكان من مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، ثم صار «دوادار» السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة فى الديار المصرية، ولاه ذلك الناصر محمد بن قلاوون، وكان يجله، ثم غضب عليه فحبسه إلى أن مات. وقيل: أطلقه بعد حبسه بمدة. له تصانيف، منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة - خ» أجزاء منه، وهو كبير مرتب على السنين يقع فى ١١ مجلدا، و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧ إلى ٧٢١ هـ. انظر: ديوان الإسلام - خ - والنجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣، والدرر الكامنة ١: ٥٠٩ وآداب اللغة ٣: ١٨٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٤: ٣٦٩ والفهرس التمهيدى ٣٦٤ و ٣٩٩.

(٢) عبد الوهاب بن فضل الله العمرى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز. ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر فى دمشق، فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢ والدرر الكامنة ٢/٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩/٢٤٠ والأعلام ٤/ ١٨٥.

فجهزهم أبو يعقوب، وبعث معهم مصحفا جليلا غشاه بالذهب المرصع بالجوهر الرائع، ووقفه فى الحرم. فأكرم أيدغدى وأنزل بالميدان، وأجريت عليه الرواتب، وكان أيدغدى هذا لما قبض على يعقوب فى الأيام الظاهرية فر فى جماعة من الأكراد إلى برقة[1]، وقدم على أبى يعقوب بهدية. فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير، وحسنت سيرته عندهم إلى أن بعثه أبو يعقوب بالهدية ليحج.

وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاون على ابنة الأمير سلار النائب مملوك أبيه الصالح. وعمل مهم عظيم جدا، وجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار، ومشى فى زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء، وحمل كل منهم التقادم من الشمع وغيره. فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطارا من الشمع.

وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرفه الجمدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفى دينار، وأنه فاوضه فى أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شىء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرك منه ما فى نفسه من كراهته له. وكان الأمير بيبرس الجاشنكير قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخى قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به فى غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين

---

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وفيها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة، وتصلح السائمة فى نواحيها، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها، وبرقة أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة، وهى فى بقعة فسيحة وأرضها حمراء خلوقية كما تقدم وبحمرة ثياب أهلها يعرف أهلها، والصادر عنها والوارد عليها كثير، وهى برية بحرية، وكان من غلاتها فيما سلف القطن الطيب، وبها ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة، وتتجهز منها المراكب إلى الإسكندرية وأهل مصر بالصوف والعسل، ويخرج منها التربة المنسوبة إليها يتعالج الناس بها مع الزيت للجرب والحكة ولها رائحة كريهة كرائحة الكبريت. ويذكر أن فى بعض جوانب برقة وآثارها القديمة دارًا منقورة فى حجر صلد عليها باب من حجر صلد وذلك من أغرب ما يكون فى الدنيا لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ولا ينفتح الباب إلا للداخل ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر، ويقال إنه كان مفتحًا لا قفل له ودخلها رجل ليراها فرأى دارًا منقورة فى حجر صلد وفيها من عظام الناس كثير فهاله ذلك، فلما أراد الخروج وجد الباب قد انغلق فلم يقدر على فتحه فأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث ففتح الباب فخرج الرحل انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٨، والروض المعطار ٩١. والأستبصار ١٤٣ والإدريسى ٩٨/٣١.، والبكرى ٤.

سنجر الجاولى فى أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق فى جهته مال السلطان. وندب لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب أوراقا، وجلس الأمراء فى الخدمة، فعرفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: «متى ظهر فى قبله شىء قطع جلده بالمقارع»، واستدعى. فلما حضر قال له سلار: «اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته، وقد عرفت الشرط»، وأشار للرجل بمحاققته. فقال ابن الشيخى لشؤم بخته: «ومن هذا القطعة[1] النحس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه فى حق مثلى ما يقوله». فاشتد عند ذلك غضب سلار، وقال له: «يا قواد يا قطعة نحس إيش أنت حتى تكبر نفسك وإذا حضر واحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟» وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن خرب شاشه. وسلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه كبك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه فى آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبته بالحمل، فأخذ فى تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويخرق به عز الدين أيبك الشجاعى شاد الدواوين وينكل به، لما كان نفسه من تكبره عليه ومشيه فى ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من داره. ثم إنه جلس بالصناعة[2] فى مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكبا حمارًا وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل مصر يريدون رجمه، وسبوه. ثم أعاده، ولم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشر رمضان فاستدعى سعد الدين محمد بن عطايا ناظر البيوت واستقر فى الوزارة.

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولى قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الأوراق، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائما بين يدى الجاولى يقرأ عليه ورقة حساب. واستمر ابن الشيخى إلى ليلة عيد الفطر، وبيبرس الجاشنكير لا يتحدث فى أمره بشىء، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له: «مهما رسم نائب السلطان افعله». هذا وقد ثقل عليه فى أمر ابن الشيخى زوجته بنت بهادر رأس نوبة وولداها جركتمر وأمير على وأخوهما خليل، وكانوا من خواص الأمير بيبرس، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب، فتحدث معه فى خلاصه، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة، فأمسك عنه وقام.

وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية فى أول ذى القعدة، ومعه علاء الدين أيدغدى الشهرزورى رسول ملك المغرب، والأمير بيبرس المنصورى

---

(١) على هامش ط: القطعة هنا الرجل المحتقر.

(٢) المقصود بالصناعة إحدى دور صناعة السفن المعروفة بالقاهرة فى العصور الوسطى. انظر: خطط المقريزى ٢/١٨٩، ١٩٧.

الدوادار، والأمير بهاء الدين يعقوب في جماعة كثيرة من الأمراء. وكان قد خرج الركب في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة، فكثر الحجاج، وقسموا ثلاث ركوب: ركب مع الأمير بيبرس المنصوري، وركب مع الأمير يعقوبا، وركب مع أيبك؛ وعندما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رسم النائب سلار لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخي في يومه بالمقارع، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة في سابعه.

وفيها سار الشريفان حميضة[١] ورميثة[٢] من القاهرة مع الأمير عز الدين أيدمر الكوكندي إلى مكة، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبي الغيث وعطيفة[٣]، وولى مكانهما حميضة ورميثة.

وفيها: وجد الحاج عدة مشاق: منها قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائهم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قرب الماء. وأخذا الحاج من وادي النار على طريق أخرى، فتاهوا وهلك منهم عالم كبير. وبلغ الشعير كل ويبة بأربعين درهما، والدقيق كل وبية بستين.

وفيها: قدم الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفيها أجدب الشام من الغور[٤] إلى العريش، وجفت المياه، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش

---

(١) حميضة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي الحسني العلوي الهاشمي شريف من أمراء مكة، وليها سنة ٧٠١ هـ مشتركا هو وأخوه رميثة ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن كتل حميضة غيلة في وادي نخلة. انظر: الدرر الكامنة ٧٨/٢ وغربال الزمان وابن الوردي ٢٦٩/٢ والبدر الطالع ٢٣٨/١ والأعلام ٣٨٥/٢.

(٢) رميثة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي الحسني، أبو عرادة، ويلقب أسد: شريف من أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة، ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع، وانفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفي بمكة. انظر: شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ وخلاصة الكلام ٢٨ - ٣٠ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠ والأعلام ٣٣/٣.

(٣) عطيفة بن أبي نمي محمد بن الحسن بن علي الحسني: من أمراء مكة، ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ، وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩ فأحسن السيرة ولم يتعرض لأموال الناس، واستمر إلى سنة ٧٣٨ فقبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفي. انظر: الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠ ، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٤) غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ولذلك سمي الغور. وفي الروض الغور: غور تهامة. وهو أيضًا قرية عظيمة بينها وبين بلخ ثلاثة فراسخ. ومن بيسان إلى طبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين، وسائر مياه الشام تنحدر=

وخلا من الصفقة(١) القبلية ألفان وثمانمائة قرية.

وفيها: ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا، فأخفاها الضامن وحملها إلى بعض الملوك، فدفع له فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها، فأخذها منه وبعث بها إلى السلطان، فمات الضامن غما.

وفيها: توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى ذى الحجة من دمشق ومعه

=وتجتمع فتكون بحرًا زاخرًا أوله من بحيرة طبرية، وجميع الأنهار تنصب إليه مثل نهر اليرموك وأنهار بيسان وما ينصب من جبال بيت المقدس وجبل قبر إبراهيم عليه السلام، وجميع ما ينصب أيضًا من نابلس يجتمع الكل حتى يقع فى بحيرة زغر وتسمى بحيرة سادوم وعامورا، وهما كانتا مدينتى قوم لوط عليه السلام فغرقهما الله تعالى، ومكانهما بحيرة ميتة لأنها ما فيها شىء له روح ولا حوت ولا دابة، وماؤها حارّ كريه الرائحة، وفيه سفن صغار تحمل الغلات وصنوف الثمر إلى أريحا وسائر أعمال الغور، وطول هذه البحيرة ستون ميلاً فى عرض اثنى عشر ميلاً، وهذه البحيرة الميتة تُرى من أعلى بيت المقدس، وإليها ينتهى ماء بحيرة طبرية، وهو الأردن، فإذا انتهى إلى البحيرة الميتة خرقها وانتهى إلى وسطها، وهو نهر عظيم لا يدرى أين غوصه من غير أن يزيد فى البحيرة الميتة. ومن البحيرة الميتة تخرج الأحجار التى تستعمل لوضع الحصى، وهو نوعان ذكر وأنثى: فالذكر للرجال والأنثى للنساء، وأكثر نبات بلاد الغور النيل وأهلها سمر إلى السواد. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(١) الصفقة: والصَّفْقُ والصَّفَقُ: الجانِبُ والناحية. قال:

لا يَكْدَحُ النَّاسُ لَهُنَّ صَفْقا وَجاءَ أهل ذلك الصَّفَقِ، أى أهل ذلك الجانب. وَصَفْق الجبل: صفحه وناحيته، قال أبو صَعْتَرَةَ البَوْلانِى:

وَمَا نُطْفَةٌ فى رأس نِيقٍ تمنعت ... بعنقاء م صعب حمتها صُفُوقُها

وَصَفَقَ عينه أى ردها وغمضها

وصافقت الناقة: نامت على جانب مرة وعلى جانب أخرى، فاعلت من الصَّفْقِ الذى هو الجانب. وتَصَفَّقَ الرجل: تقلب وتردد من جانب إلى جانب، قال القُطامىُّ:

وَأَبَيْنَ شَيْمَتَهُنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... وأبى تَقَلُّبُ دَهْرِكِ الْمُتَصَفِّقِ

وتصفقت الناقة إذا انقلبت ظهرا لبطن عند المخاض. وتصفق فلان للأمر أى تعرض له، قال رُؤْبَةُ:

لَمّا رَأَيْتُ الشَّرَّ قَدْ تَأَلَّقا ... وفِتْنَةً تَرْمِى بِمَنْ تَصَفَّقا

هَنّا وَهَنّا عَنْ قِذافٍ أَخْلَقا

قال شَمِرٌ: تَصَفَّقَ أى تعرض وتردد. والمُصَافِقُ مِنَ الإبل: الذى ينام على جنبه مرة وعلى الآخر مرة، وإذا مخضت الناقة صافقت، قال الشاعر يصف الدجاجة وبيضها:

وَحَامِلَةٍ وَلَيْسَتْ بِحَيَّةٍ ... إذا مَخَضَتْ يَوْمًا بِهِ لَمْ تُصافِقِ

صفق الفرس: خداه. وصفق الجبل: وجهه فى أعلاه. وهو فوق الحضيض. انظر لسان العرب (صفق) ٢٤٦٤، ٢٤٦٥.

الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى، إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم.

وفيها: قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبى سفر جماز بن شيحة فى ربيع الآخر. وبلغ النيل سبعة عشر ذراعا. وثمانية عشر إصبعا.

* * *

ومات فى هذه السنة

زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فى ليلة الخميس ثامن صفر، وكان فقيها شافعيا فاضلا متدينا، رئيسا وافر الحرمة محبا لأهل الخير ومات فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصى الشافعى، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها، فى حادى عشر المحرم.

ومات شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسنائى، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص، فى رجب؛ وكان قد انتهت إليه رياسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة؛ وكان قوى النفس كثير العطاء مهيبا ممدوحًا، يبذل فى بقاء رياسته الآلاف، فيقال إنه بذل فى نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم، فسار إلى مصر ومات بها.

ومات الأمير بيبرس الموفقى المنصورى أحد أمراء دمشق بها، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة، مخنوقا وهو سكران.

ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية وقد أضر، وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز.

ومات بهاء الدين عبد الحسن بن الصاحب محيى الدين محمد بن أحمد بن هبة الله، ويعرف بأبى جرادة، مات بالقاهرة؛ وكان سخيا مباركا فاضلا، حدث عن يوسف بن خليل[1] وغيره.

ومات علم الدين عبد الكريم بن على بن عمر الانصارى المعروف بالعلم

---

(١) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقى ثم الحلبى: محدث، حنبلى. ولد وتفقه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرد فى وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٤/٢ وشذرات الذهب ٢٤٣/٥ ودار الكتب ١٣٦/٨ والأعلام ٢٢٩/٨.

العراقى[١] الفقيه الشافعى، مدرس التفسير بالقبة المنصورية، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة، وكان عالم مصر.

ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسينى العراقى الإسكندرانى شيخ الإسكندرية، الإمام المحدث، فى ذى الحجة، تفرد بالرواية عن جماعة، ورحل الناس إليه، وكان فقيها عالما.

ومات نجم الدين عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب بن أبى الطيب الدمشقى، ناظر المارستان النورى بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة، وكان فقيها مدرسا مشكورا فى ولاياته.

ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة فى المحرم، وسمع الحديث بمكة، وانتهيت إليه مشيخة الحديث بها.

ومات شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبى سعيد بن التيتى الآمدى، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل.

ومات الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار، أحد الوافدية من الروم فى الأيام الظاهرية، وكان كريما شجاعا متدينا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر سمر مقتولا بأيدى عرب الشام.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد - ويقال ديباى - الشيخى تحت العقوبة فى سابع ذى القعدة، وأخرج على جنوية إلى القرافة، فدفن بها، وكان فيه مكارم وعصبة ومروءة ويكتب الخط المليح، ويعرف صناعة الحساب، مع الظلم والعسف والتكبر، وأحدث مظالم عديدة، وأصله من بلاد ماردين، وقدم مع شمس الدين محمد بن التيتى إلى دمشق، وسار منها إلى القاهرة مجردًا فقيرا يمشى على قدميه، وتعيش فى خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة، ثم تزيا بزى الأجناد وخدم مع الشادين، ولازم الوقوف فى خدمة الحسام برناق شاد الكيالة زمانًا حتى عرف دخل المباشرة وخرجها، فتلطف مع بعض مقطعى الكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة ببولاق، فشدد فيه حتى فاض معه جملة، وخدم الصاحب فخر الدين بن الخليلى، وهادى الأمراء إلى أن

---

(١) عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى، علم الدين ابن بنت العراقى: مفسر فقيه كف بصره فى أواخر عمره أصله من وادى آش بالأندلس ومولده ووفاته بمصر. له مختصر فى أصول الفقه ومختصر فى تفسير القرآن. انظر: مفتاح السعادة ٢٢١/٢ ونكت الهميان ١٩٥ والدرر الكامنة ٣٩٩/٢ وكشف الظنون ١٤٧٧ والأعلام ٥٣/٤.

ولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وانتقل منها إلى شد الجيزية وولاية القاهرة وجمع بينهما، فصار من أمراء الطبلخاناه، وولى الوزارة، فكان فيها حتفه.

ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبى على الحسين بن شمس الدين أبى عبد الله محمد الأرموى نقيب الأشراف فى تاسع عشر شوال، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين، وقتله بدمشق أبو السرور السامرى كاتب الأمير سيف الدين أسندمر كرجى نائب طرابلس.

* * *

سنة خمس وسبعمائة

فى أول المحرم: باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى[1] نيابة الحكم بدمشق، عن نجم الدين أحمد بن صصرى.

وفى ثانيه: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل جبال كسروان، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شنق. فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال، ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم، ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوما، قتل فيها الملك الأوحد شادى بن الملك الزاهر داود[2] وأربعة من الجند، وملك الجبل عنوة، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل، وغنمت العساكر منهم مالا عظيما، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر صفر.

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء وقدم الحاج، ورُسِمَ بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب، وصحبتها عشرون إكديشًا من أكاديش التتر، وعشرون أسيرًا منهم وشىء من طبولهم وقسيهم، وخرج بها - مع أيدغدى الشهرزورى - علاء الدين أيدغدى التسليلى الشمسى مملوك سنقر الأشقر، والأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى. واستقرّ أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرِّقاقى فى نظر الشام، عوضًا عن شهاب الدين بن ميسر. وعزل شمس الدين محمد بن عثمان بن الحريرى عن قضاء الحنفية بدمشق، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرعى عوضًا عنه وسبب عزل

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤م، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ. ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ. ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه تلخيص المفتاح. انظر: مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ وكشف الظنون ٤٧٣ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ ومرآة الجنان ٣٠١/٤ والوافى بالوفيات ٢٤٢/٣ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

(٢) داود بن يوسف بن أيوب، أبو سليمان، الملقب بالملك الزاهر: أمير من الأيوبيين، وهو ابن السلطان صلاح الدين، كان صاحب قلعة البيرة مولده فى القاهرة، ووفاته فى البيرة. انظر: وفيات الأعيان ١٧٦/١ والأعلام ٣٣٦/٢.

الحريرى أنه وجد بخطه أن الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية لم ير الناس بعد السلف الصالح مثله، فاتفق أن البريدى لما توجه بتقليد الأذرعى ظن أنه للحريرى، وقدم دمشق والنائب قد خرج إلى الصيد، فأعطى التقليد للحريرى، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحكم، وكان ابن الأذرعى يظنها له، فيئس واغتم لذلك. ثم قرئ التقليد بحضرة الناس، فإذا هو باسم الأذرعى، فقام الحريرى خجلا، واستدعى الأذرعى فجلس وحكم.

وفيها: أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه: من دخولهم فى النيران المشتعلة، وأكلهم الحيات ولبسهم الأطواق الحديد فى أعناقهم، وتقلدهم بالسلاس على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد فى أيديهم، ولفهم شعورهم وتلبيدها. وقام فى ذلك قيامًا عظيما بدمشق، وحضر فى جماعة إلى النائب، وعرفه أن هذه الطائفة مبتدعة، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم، فكان يومًا مشهودًا كادت أن تقوم فيه فتنة، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات.

وفيها أقطع السلطان فى جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين بن معبد البعلبكى، وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى. وحسام الدين لاجين، وعز الدين خطاب العراقى، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها، فزرعها لهم الجبلية، ورفعت أيدى الرفضة عنها.

وفيها أخر متملك سيس الحمل الجارى به العادة، فبعث إليه نائب حلب أستاداره قشتمر الشمسى أحد مقدمى حلب على عسكر نحو الألفين، وفيهم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارسى والأمير فتح الدين صبرة المهمندار، والأمير قشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى ذى الحجة من السنة الماضية. فشنوا الغارات على بلاد سيس، ونهبوا وحرقوا كثيرًا من الضياع، وسبوا النساء والأطفال فى المحرم. وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار فى طلب المال، فركب التتار مع صاحب سيس، وملكوا رأس الدربند، فركب العسكر لقتالهم وقد انحصروا، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة، فقتل جماعة وأسر من الأمراء ابن صبرة، وقشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى آخرين من أهل حلب، وخلص قشتمر مقدم العسكر، وآقسنقر الفارسى. وتوجه التتار بالأسرى إلى خربندا بالأردن، فرسم عليهم: وبلغ نائب حلب خبر الكسرة، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فرسم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح، وبيبرس الدوادار وأقوش الموصلى قتال السبع، والدكن السلاح دار، فساروا من القاهرة فى نصف شعبان على أربعة آلاف فارس. فبعث متملك سيس الحمل، واعتذر بأن القتال لم يكن

منه وإنما كان من التتر، ووعده بالتحيل فى إحضار الأمراء المأسورين، فرجع الأمير بكتاش بمن معه من غزة.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحكمى الظاهرى، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين، واستقر حاجبا بدمشق عوضًا عن الأمير بكتمر الحسامى، ونقل بكتمر من الحجوبية إلى شد الدواوين، وقبض على قيران وصودر.

وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية[١]، ومعه رسول الكرج[٢]، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة فى فتح الكنيسة المصلبة بالقدس لزيارة الكرج لها، وأن الكرج تكون فى طاعة السلطان وعونا له متى احتاج إليهم. فكتب بفتح الكنيسة ففتحت، وأعيد الرسول بالجواب.

وفيها توقفت الأحوال بالقاهرة، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن، وارتفع سعر القمح من عشرين درهما الأردب إلى أربعين. فرسم بضرب فلوس جدد، وعملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل، فمشت الأحوال.

وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة، وأنكر على تقى الدين أحمد بن

---

(١) على هامش ط: كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة الموافقة لعام ١٣٠٥ ميلادية أندرونيق الثانى.

(٢) الكرج: بفتح الكاف والراء المفتوحة وبالجيم المعجمة، أول حصن من معاقل الجبل، فمن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، ولم تكن فى أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى أحد أكابر قواد المأمون وهو الذى فيه مادحه:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولّت الدنيا على إثره
كل من فى الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يوم مفتخره

فقال له المأمون: قد جعلنا نستعير المكارم منك، فقال: يا أمير المؤمنين قول زور وكلام غرور، أصدق منه ابن أخت لى حيث يقول:

دعينى أجوب الأرض فى طلب الغنى ... فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسمُ

انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٦، والروض المعطار، قارن بابن حوقل: ٣١٣ وفيه تفصيلات هامة، والمقدسى: ٣٩٤، وابن الوردى: ٤٩، والمعلومات الإخبارية عن معجم ما استعجم ٤: ١١٢٤، وانظر ضبط اللفظة ابن خلكان ٤: ٧٩.

تيمية (١) فتوى رآها فى مسألة الاستواء(٢) ومسألة خلق القرآن(٣)، واجتمع بالقضاة فى

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله أبى القسم الخضر بن على بن عبد الله، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس بن أبى المحاسن شهاب الدين بن أبى البركات مجد الدين الحرانى الأصل والمولد، الدمشقى الدار والوفاة، الحنبلى، المعروف بابن تيمية، الإمام العلامة، الحافظ الحجة، فريد دهره، ووحيد عصره. مولده بحران فى يوم الإثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده سنة تسع وستين، وسمع الحديث من أحمد بن عبدة الدائم، ومجد الدين بن عساكر، وابن أبى اليسر، وأكثر عن أصحاب حنبل، وأبى حفص بن طبرزد، وغيرهم. وقرأ واشتغل وانتقى، وبرع فى علوم الحديث، وانتهت إليه الرئاسة فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. ودرس وأفتى، وتصدر للإقراء والإفادة عدة سنين، وفسر، وصنف التصانيف المفيدة. وكان صحيح الذهن، ذكيا، إماما متبحرا فى علوم الديانة، موصوفا بالكرم، مقتصدا فى المأكل والملبس، وكان عارفا بالفقه، واختلافات العلماء، والأصوليين، والنحو، إماما فى التفسير وما يتعلق به، عارفا باللغة، إماما فى المعقول والمنقول، حافظا للحديث، مميزا بين صحيحه وسقيمه. أثنى عليه جماعة من أعيان علماء عصره، مثل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، والقاضى شهاب الدين الخويى، والشيخ شهاب الدين بن النحاس. قال القاضى كمال الدين بن الزملكانى: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، ثم جرت له محن فى مسألة الطلاق الثلاث، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وحبب للناس القيام عليه، وحبس مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق، مع أنه حصل له فى تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأطلق وتوجه إلى دمشق فأقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان فى شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة بأن يجعل فى قلعة دمشق فى قاعة حسنة، فأقام فيها مدة مشغولا بالتصنيف، ثم بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ما عنده من الكتب، ولم يتركوا عنده دواة ولا قلما ولا ورقة. ومما وقع له قبل حبسه أنه بحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعرى، ثم أخذ خطه بما نصه: أنا أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم ظنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول فى النزول كالقول فى الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية، ثم أشهدوا عليه جماعة أنه تاب مما ينافى ذلك مختارا، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم. انتهى. ولم يزل الشيخ تقى الدين – المذكور – محتفظا به فى قلعة دمشق إلى أن توفى بها فى ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد بمقابر الصوفية، وحضر جنازته خلق كثير. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى: شيعه نحو من خمسين ألفا، وحمل على الرؤوس، انتهى. ومصنفاته تزيد على مائتى مصنف، استوعبها الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك فى تاريخه الوافى بالوفيات، رحمه الله تعالى. وانظر أيضا: فوات الوفيات ٧٥/١، ٨٠، هدية العارفين ١٠٥/١ والمنهل الصافى ٣٥٨/١.

(٢) المقصود بذلك استواء الله على العرش.

(٣) كلام الله صفة أزلية قديمة قائمة بذاته عز وجل منافية للسكوت والآنة كما فى الحواس ليست من جنس الأصوات والحروف بل بها هو سبحانه آمر ناه يدل عليها بالعبارات أو الكتابة أو=

.. ..

=الإشارة. فتلك الصفة واحدة فى ذاتها، وإن اختلفت العبارات الدالة عليها، كما إذا ذكر الله عز وجل بألسنة مختلفة، فالصفة: هى الأمر القائم بالغير، فهو جنس فى التعريف أو كالجنس بناء على النزاع فى المفهومات الاصطلاحية هل هى حدود أو رسوم. الأول: مبنى على أنه وإن كان أمرا اصطلاحيا طارئا على المعنى اللغوى للكلام، حيث أن الكلام فى اللغة القول. يقال: أتى بكلام طيب، أى قول، إلا أنه ليس وراء ما اصطلح عليه المصطلح أمر آخر. فذلك الذى ذكر فى تعريف تلك الصفة هو ذاتياتها بحسب الاصطلاح. الثانى: مبنى على أن قبل المعنى الاصطلاحى معنى وضع الواضع اللفظ ليدل عليه. فذلك المعنى ثان بعد أول، فهو عارض والتعريف بالعوارض رسم. أما بعض المحققين فقد فقد بأنها رسوم، لأن الاطلاع على ذاتيات ,أو تلك الصفات غير ممكن. والحد ما تركب من الذاتيات: الجنس والفصل. وحيث إن الذاتيات لم يطلع عليها فلا تكون إلا رسوما، لأنها بخواص هذه الصفات فحسب وذلك لأن الخواص مأخوذة فى تعريف الصفات: حيث أخذ فى تعريف صفة الكلام أنها تتعلق دلالة. وفى تعريف صفة القدرة أنها تتعلق تعلق تأثير. وعلى ذلك: فصفة يشمل الصفة القديمة والحادثة. قديمة: فصل أو لا كالفصل مخرج لغير الصفة القديمة. وهو الصفة الحادثة. أما الأقوال فى القديم والأزلى فهى ثلاثة: الأول: القديم الذى لا ابتداء لوجوده. والأزلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا. فكل قديم أزلى ولا عكس. الثانى: القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده والأزلى ما لا أول له عدميا كان أو وجوديا، قائما بنفسه أو غيره. الثالث: القديم والأزلى: ما لا أول له، عدميا كان أو وجوديا قائما بنفسه أو لا. فعلى الأولى: الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية: وذلك بخلاف ذات الله عز وجل والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية. وعلى الثانى: الصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية بخلاف ذاته فإنها توصف بكل منهما. وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقا يوصف بالقدم والأزلية. فالقديم فى التعريف صحيح على الرأى الأول والثالث وذلك بخلافه على الثانى قائمة بذاته. وأيضا فللقيام معنيان: قيام: بمعنى التبعية فى التميز كما فى العرض بالنسبة لجوهره وليس قيام صفة الله عز وجل بذاته على هذا النحو حيث لا تحيز للذات حتى تتبعها الصفة فيه. وقيام بمعنى آخر هو اختصاص الناعت بالمنعوت وهو المراد بقيام الصفة بذاته عز وجل. ليس بحرف ولا صوت، لأنه معنى نفسى، وتلك أعراض مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض، إذ امتنع المتكلم بالحرف الثانى بدون انقضاء الحرف الأول بدهى، خلافا لمذهب الحنابلة والحشوية والكرامية القائلين بأن كلامه منتظم من كلمات قائمة بذاته عز وجل قديم عند الحنابلة حادث عند الكرامية. منافية للسكوت والآفة، السكوت: عدم التكلم مع القدرة عليه. والآفة: عدم مطاوعة الآلة، إما بحسب الفطرة كما فى الخرس، أو من جهة ضعفها كما فى الطفولية. ولقائل أن يقول: هذا إنما يصدق على الكلام اللفظى دون النفسى، حيث السكوت والخرس إنما ينافيان التلفظ ويجاب بأن المراد بالسكوت والآفة الباطنيان، بألا يريد فى نفسه الكلام، أو لا يقدر عليه. ويتلخص فى أنه كما أن الكلام لفظى ونفسى، كذلك ضده وهو السكوت والخرس: لفظى وباطنى، والمراد الثانى منهما حيث. أريد بالكلام الكلام النفسى، فا لله منزه عن الاتصاف بالخرس والآفة. هو بها آمر ناه، فهو صفة واحدة تتكثر بحسب التعلقات. فالكلام باعتبار تعلقه بشىء خبرا، وبآخر أمرا أو نهيا. وبهذا=

.. ..

=يخرج العلم والقدرة. وهكذا سائر الصفات الوجودية غير الكلام لأنه لا أمر ولا نهى بواحدة منها. أما غير الأشاعرة فيقولون: الكلام هو اللفظ المنتظم من الحروف والأصوات وينفون الصفة النفسية. وهم فى ذلك قد انقسمو إلى فريقين. الفريق الأول: كلامه ألفاظ قائمة بذاته وهى قديمة. وهم بعض الحنابلة أو حادثة وهم الكرامية. والفريق الثانى: يقول كلام الله ألفاظ قائمة بالغير وهم المعتزلة فالحنابلة يعرفونه: بأنه المؤلف من الكلمات القديمة القائمة بذاته تعالى. والكرامية يعرفونه: بأنه هو المؤلف من الكلمات الحادثة القائمة بذاته تعالى. وحيث إن المعتزلة لم يعرفوه بالصفة النفسية فليس عندهم سوى الألفاظ وهى حادثة، لأنها مرتبة، ويستحيل قيام الحادث بالقديم. فهم يقولون: إن كلامه عز وجل ألفاظ قائمة بغيره. فهم يتجوزون بمتكلم عن موجد وخالق للكلام. وعليه فالمعتزلة. لا يثبتون كلاما لله، لا نفسيا - كما أثبته الأشاعرة - ولا لفظيا قديما لأن الألفاظ مرتبة والترتيب حادث. ولا لفظيا حادثا كما قالت الكرامية، بل يثبتون كلاما لا على أنه متصف به، بل على أنه مخلوق قائم بغيره. فالكلام عند المعتزلة هو المؤلف من الكلمات المسموعة الحادثة القائمة بغير الذات وهم بذلك خالفوا جميع الفرق. أما أدلة الأشاعرة: استدلت الأشاعرة على قدم كلام الله عز وجل، وكونه نفسيا بوجوه: الدليل الأول من جهة اللغة: من أن الكلام عندهم صفة نفسية قديمة قائمة بذاته تعالى. فالمتكلم فى اللغة من قام به الكلام، ولا من أوجده فى غيره - كما قالت المعتزلة - لامتناع إثبات المشتق للشىء من غير قيام مأخذ الاشتقاق به: إذ من أوجد الحركة فى جسم لا يسمى متحركا لغة، فلا يسمى الله متكلما يخلق الكلام فى غيره كما قالت المعتزلة: من أن المتكلم من أوجد الكلام فى غيره. أما باقى الفرق: من حنابلة وحشوية وأشاعرة وكرامية، لا يتنافى مدعاهم مع مدلول متكلم فى اللغة على رأى العضد: لأنهم جميعا يقولون: المتكلم من قام به الكلام، فلهذا نحتاج فى إثبات مدعى الأشاعرة الخاص وهو الصفة النفسية. إلى إبطال قدم اللفظ وقيامه بذاته عز وجل وهو ظاهر البطلان. لأنه جعل المرتب الذى تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض قديمًا، فعض إلى المتناقض لاستدعاء الترتيب أولية وحدوثا. واستدعاء الوصف بالقدم عدم أوليته.وأما بطلان قيام الحادث بذات الله عز وجل فظاهر أيضا. فلم يبق لكونه متكلما - مع ملاحظة اللغة، وبطلان قيام لفظ قديم أو حادث بذاته عز وجل - سوى أن له صفة نفسية. وهو مدعى الأشاعرة. فإن قيل: من جهة المعتزلة: لو كان المتكلم من قام به الكلام لما صح إطلاقه حقيقة على المتكلم الأفاظ قائمة بغيره. فهم ألفا بالكلام الحسى: لأنه لا بقاء له، ولا اجتماع لأجزائه حتى يقوم بشىء قلنا: صحة الإطلاق مبنية على أن المعتبر فى اسم الفاعل وجود المعنى لا بقاؤه، لاسيما فى الأعراض السيالة، كالمتحرك والمتكلم. وإن قيل من جهة الحنابلة ومن تابعهم: إن المنتظم من الحروف قد لا يكون مرتب الأجزاء بل دفعيا كالقائم بنفس الحافظ. كالحاصل على الورقة من طابع فيه نقش. قلنا: الكلام فى المنتظم من الحروف المسموعة لا فى الصورة المرسومة أو المنقوشة بأشكال الكتابة، لأنها ليست كلاما على الحقيقة. والترتيب المستدعى للحدوث لازم للمنتظم من الحروف المسموعة.

الثانى من ناحية العقل: لو لم يتصف الله عز وجل بالكلام لاتصف بضده وهو محال فبطل ما أدى إليه وهو عدم الاتصاف، وإذا بطل هذا ثبت نقيضه وهو الاتصاف. أما الملازمة: فدليلها أن=

.. ..

=القابل للشيء إنما يتصف به أو بعده، والله عز وجل قابل لأنه حى وأما بطلان التالى: فلأن ضد هذه الصفة نقص وكل نقص عليه محال لأنه يستلزم احتياجه عز وجل إلى من يكلمه، بأن يدفع هذا النقص عنه، وهو بين البطلان. وأيضا: لو اتصف بالنقص لكان بعض المخلوقين أكمل منه لسلامة كثير منهم عن تلك النقائص. وقد اعترض على هذا الدليل من ناحيتين على الملازمة: بأن اتصاف الذات بصفة أو ضدها متوقف على تصور تلك الذات بالكنه، وحقيقة ذات الله عز وجل ليست معلومة لنا بالكنه حتى نعلم ما تقبله مما لا تقبله. وعلى بطلان التالى بإبطال دليله وهو ألا نسلم أن الضد نقص لأنكم بنيتموه على الكمال والنقص فى الشاهد ولا يلزم من كون الصفة نقصا فى حق الشاهد، أن يكون كذلك فى حق الغائب، لأنه قياس مع الفارق، لأن الزوجة والولد كمال فى حق الشاهد، نقص فى حق الغائب. الثالث: كلام المتكلم إما أن يكون اسما للمنتظم من الحروف والأصوات الدالة بالوضع، وإما أن يكون اسما للمعنى القائم بالنفس، فإن كان الأول فلا يخلو إما أن يكون لكلام الله عز وجل معنى فى نفسه أم لا، فإن لم يكن له معنى فلا يكون آمرا ولا ناهيا، لأن من قال لغيره: افعل كذا، ولا تفعل كذا، ولم يكن لعبادته معنى فى نفسه لا يكون أمرا ولا ناهيا، بل يكون عابثا. وإن كان له معنى فى نفسه فذلك هو الذى يراد ثبوته ويعتبر عنه بكلام النفس. وإن كان الثانى وهو أن الكلام اسم للمعنى القائم بالنفس فذلك هو المطلوب، غير أنه لا يخرج عن كونه قديما أو حادثا، لا جائز أن يكون حادثا، وإلا كان الله عز وجل محلا للحوادث، وهو محال للأدلة التى أقيمت على ذلك. فلم يبق إلا أن يكون قديمًا. وهذا الدليل وإن أثبت معنى نفسيا وأبطل كون الكلام ألفاظا قائمة بذاته عز وجل فلم يثبت به أن هذا المعنى النفسى غير العلم والإرادة، فللمعتزلة أن يعترضوا عليه من هذه الجهة. الكلام على أدلة المعتزلة». وقبل أن نشرع فيها نمهد لذلك فنقول: إن ما تقوله المعتزلة فى كلام الله عز وجل . وهو خلق الأصوات والحروف الدالة على المعانى المقصودة، وكونها حادثة قائمة بغير ذاته عز وجل، نقول به نحن، ولا خلاف بيننا وبينهم فى ذلك فأمر، وما نقوله نحن ونثبته من كلام النفس المغاير لسائر الصفات هم ينكرون ثبوته، ولو سلموا، لم ينفوا قدمه الذى تدعيه فى كلامه عز وجل فصار محل النزاع بيننا وبينهم إثبات المعنى النفسى ونفيه. وإذا فالأدلة الدالة على حدوث الألفاظ إنما تفيدهم بالنسبة للحنابلة القائلين بقدم الألفاظ. وأما بالنسبة إلينا فيكون نصبا للدليل فى غير محل الخلاف وأما ما دل على حدوث القرآن مطلقا بلا تقييد باللفظى أو النفسى فحيث يمكن حمله على حدوث الألفاظ، لا يكون لهم فيه حجة علينا، ولا يعطيهم فائدة وجدوى بالقياس إلينا، إلا أن يدللوا على عدم المعنى الزائد على العلم والإرادة، وحينئذ يفيدهم هذا لأنه على هذا التقدير ينحصر القرآن فى هذه الألفاظ والعبارات، ولا سبيل لهم إلى هذا البرهان، فلا تكون لهم أيضا فى تلك الأدلة المطلقة. لكننا نذكر أدلتهم ثم نجيب عنها فنقول: لقد ذهبت هذه الطائفة على نفس الكلام النفسى القديم واستدلت بأدلة معقولة ومنقولة. أما أدلتهم المعقولة فدليلان: الدليل الأول: لو كان كلامه عز وجل نفسيا قديما للزم وجود أمر بلا مأمور ونهى بدون منهى، وهكذا بقية الأنواع، والتالى باطل فبطل المقدم. أما دليل الملازمة: هو أن للكلام النفسى أنواعًا: أمرًا ونهيا، وأخبار، وغير ذلك، وهى قديمة، إذ الأنواع كالجنس فى القدم والحدوث. والقطعى بأنه لا مأمور ولا منهى فى الأزل. وأما بطلان التالى=

.. ..

=فواضح لما يلزم عليه من الصفة وهو محال على الله والجواب عن هذا الدليل: هو أنكم بنيتموه على أن للكلام القديم فى الأزل أنواعا وهو غير مجمع عليه من الأشاعرة، فقد خالف ابن سعيد فى ذلك وقال إنه فى الأزل واحد، وإنما يصير متصفا بالأنواع المذكورة فيما لا يزال. فإن قيل: عدم تنوعه فى الأزال إلى الخمسة يستدعى وجود الجنس بدون واحد من أنواعه، وذلك محال: لأنه لا وجود للجنس إلا فى واحد منها. قلنا: ذلك مسلم فى أنواع حقيقته لا تكون باعتبار التعلق، أما الأنواع التى تكون بحسب التعلق فغير مسلم. وما معنا من هذا القبيل، فهى أنواع اعتبارية تحصل بحسب تعلقه بالأشياء فجاز أن يوجد جنسها بدونها أو معها. وعليه فالكلام الأزلى ليس جنسا حقيقيا، بل هو أمر واحد تعرض له الإضافات، وله أسماء بحسب كل إضافة نوعية. فإذا تعلق بالفعل على وجه يثاب عليه الفاعل ويعاقب عليه التارك يسمى إقرار. وهكذا الأربعة الباقية. فليست له أنواع وليس هو جنسا على الحقيقة. وهناك جواب آخر عن الدليل: وهو إما ذكر من استدعاء الأمر والنهى مخاطبا وإن سلم فى الأمر والنهى اللفظتين إلا أنه غير مسلم فى الأمر والنهى النفسيتين إذ يكفى فيهما مخاطب ولو تنزيلا. وأيضا يجاب عن هذا الدليل بجواب ثالث: وهو إنما يلزم السنة لو خوطب المعلوم وأمر فى عدمه، أما على تقدير وجوده بأن يكون الطلب ممن سيوجد كما فى طلب الرجل تعلم ولده الذى لم يوجد، وكما فى خطاب النبى ﷺ إلى كل مكلف يولد إلى يوم القيامة فلا سنة. فحاصل هذا الدليل أنه مبنى عند الخصم على التنوع، ومن الأشاعرة من لا يسلمه كابن سعيد. وعلى فرض التسليم فاستدعاء المأمور فى اللفظى دون النفسى. وعلى تسليم استدعاء النفسى مخاطبا فإن أريد وجود المخاطب بالفعل فى الأزل فذلك لاستدعاء غير مسلم. وإن أريد وجود المخاطب وجودا عقليا على معنى أنه يتعلق بالمعدوم فى حال العدم خطاب يفهمه بالامتثال به بعد وجوده مستجمعا لشروط التكلف فالاستدعاء مسلم والعبث ممنوع. الدليل الثانى: لو كان كلامه عز وجل قديما لاستوت نسبته إلى جميع المتعلقات ولكن استواء نسبته إلى جميع المتعلقات باطل. فبطل ما أدى إليه. بيان الملازمة: أن الكلام كالعلم فى أن تعلقه بمتعلقاته يكون لذاته، وكما أن علمه يتعلق بجميع ما يصح تعلقه به فكذلك كلامه يتعلق بكل ما يصح تعلقه به حيث أن الأشاعرة القائلين بالكلام النفسى نفوا أن يكون للفعل فى ذاته حسن أو قبح بل حسنه وقبحه من الشرع فلو أمر بما نهى عنه. أو نهى عما أمر به. لا نقلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا، وعلى ما ذكر يلزم تعلق أمر، ونهيه بالأفعال كلها. وأما بطلان التالى فواضح لما يلزم عليه من كون الفعل مأمورا به منهيا عنه وهو محال لأن الأمر يستدعى تحصيل الفعل ليثاب عليه. والنهى يقتضى ترك الفعل ليثاب على الترك. فنتيجة الأمر الإثابة على الفعل. ونتيجة النهى عدم الإثابة على الفعل بل العقاب عليه وبين الإثابة والإثابة تناقض. وبين الإثابة والعقاب تنافر أيضا. لأنه جمع بين الشيء والأخص من نقيضه وكلاهما محال والجواب عن هذا الدليل أن الشىء القديم الصالح للأمور المتعددة قد يتعلق ببعض من تلك الأمور دون بعض. كالقدرة فإنها تتعلق ببعض ما تتعلق به الإرادة دون ما لم تتعلق به. فإن قيل مخصص القدرة هو الإرادة. فلابد للكلام أيضا من مخصص. ويعود الكلام إليه فيلزم التسلسل. قلنا: تعلق الكلام ببعض دون بعض آخر كتعلق الإرادة لذاتها ببعض ما يصلح تعلقها به دون بعض فلا تسلسل. أما الأدلة النقلية فمن وجوه: الوجه الأول: القرآن ذكر وهو محدث=

.. ..

=لقوله عز وجل ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ وقوله عز وجل ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ مع قوله ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فإنهما يدلان على أن الذكر محدث وهو القرآن فيكون محدثا ويكون معنى الإتيان ما يأتيهم من طائفة من القرآن نازلة تذكرهم أكمل تذكير وتبين لهم أتم تبيين. وقوله عز وجل: من ربهم لابتداء الغاية متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وآيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه. وهو عربي لقوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ والعربي هو اللفظ لاشتراك اللغات في المعنى ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام بشهادة النص والإجماع ولا خفاء في امتناع نزول المعنى القديم القائم بذات الله عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن محله لكن قد ينزل بنزول الجسم الحاصل له، وقد روى أن الله عز وجل أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا فحفظته الحفظة ثم نزل منها بلسان جبريل عليه السلام إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام شيئا فشيئا بحسب المصالح، فإن قيل: المكتوب في المصحف هو الصور والأشكال لا اللفظ ولا المعنى. قلنا: بل اللفظ لأن الكتابة تصويرا للفظ بحروف هجائية. نعم المثبت في المصحف هو الصور والأشكال. فإن قيل: القديم دائم فيكون مقارنا للتحدي ضرورة فلا يكون ذلك من خواص الحوادث. قلنا: معناه أن يدعو العرب إلى المعارضة والإتيان بالمثل وذلك لا يتصور في الصفة القديمة. الوجه الثاني: قوله عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ إذ معناه إذا أردنا شيئا قلنا له كن فيكون. فقوله كن وهو قسم من أقسام الكلام متأخر عن الإرادة الواقعة في الاستقبال لكونه جزءا له. فيكون حاصلا قبل وجود الشيء بقرينة الفاء الدالة على الترتيب بلا مهلة وكلاهما يوجب الحدوث.وبخاصة إذا كان ذلك الشيء حادثا واقعا في الاستقبال. وأما التقدم على الكائن الحادث بمدة يسيرة فظاهر أيضا دلالته على الحدوث فإن قيل: وقوع كلمة كن عقيب إرادة تكوين الأشياء على ما تعطيه كلمة الجزاء وإن دل على حدوثها لكن عموم لفظ شيئا من حيث وقوعه في سياق النفي معنى أي ليس لشيء مما نقصد إيجاده وإحداثه كما في قوله : «وإنما لكل امرئ ما نوى» يقتضي قدمها إذ لو كانت حادثة لوقعت بكلمة كن أخرى سابقة ويتسلسل. وإن جعلتم هذا الكلام لا على حقيقته بل مجازا عن سرعة الإيجاز فلا دلالة فيه على حدوث كن. قلنا: حقيقته أن ليس قولنا لشئ من الأشياء عن تكوينه إلا هذا القول وهو لا يقتضي ثبوت هذا القول كل شيء. الوجه الثالث: قوله عز وجل ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ وإذ ظرف زمان ماض فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختصا بزمان معين محدث أما المختص بالحال والاستقبال فظاهر وأما المختص بالماضي فلأن الانتقال في الحال أو الاستقبال ينافي القدم لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه. الوجه الرابع: قوله عز وجل: ﴿كتاب أحكم آياته ثم فصلت﴾ فإنه يدل على أن القرآن مركب من الآيات التي هي أجزاء متعاقبة فيكون حادثا. وقال ابن عباس رضوان الله عنه: «أحكمت» أي لم ينسخ بكتاب كما نسخت والشرائع به «ثم فصلت» بينت بالأحكام والحلال والحرام. وكذا قوله عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ يدل على أن كلامه عز وجل قد يكون عربيا تارة وعبريا أخرى، وذلك دليل حدوثه. ودلالة الآية الكريمة على أن كلام الله تعالى قد لا يكون عربيا ظاهرة: فإن الذوق السليم يفهم من التخصيص ذلك. وأما دلالته على أنه قد يكون عبريا تارة أخرى فيضم إليه أن التوراة أيضا كلامه بالاتفاق على أن المراد قد يكون عبريا فإن المقصود ههنا مجرد الدلالة على التغير=

.. ..

=الوجه الخامس: قوله عز وجل: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ فإنه يدل على أن كلامه مسموع فيكون حادثا: لأن المسموع لا يكون إلا حرفا وصوتا. الوجه السادس: أن القرآن معجز إجماعا ويجب مقارنة المعجز للدعوى حتى يكون تصديقا للمدعى فى دعواه فيكون حادثا مع حدوثها. وإن لم يكن مقارنا لها حادثا معها، بل يكون قديما سابقا عليها. فلا اختصاص له به وتصديقه. الوجه السابع: أن القرآن موصوف بكونه منزلا وتنزيلا، وذلك يوجب حدوثه: لاستحالة الانتقال بالإنزال والتنزيل على صفاته القديمة القائمة بذاته تعالى، إذ لا خفاء فى امتناع نزول المعنى القديم القائم بذاته عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن محله، لكن قد ينزل الجسم الحامل له فيوصف اللفظ بذلك بالنزول ولو مجازا. الوجه الثامن: قوله ﷺ فى دعائه «يا رب القرآن العظيم ويا رب طه ويس» فالقرآن مربوب كلا وبعضا والمربوب محدث اتفاقا. الوجه التاسع: أنه عز وجل أخبر بلفظ الماضى نحو «وإنا أنزلنا» «وإنا أرسلنا» ولا شك أنه لا إرسال ولا إنزال فى الأزل، فلو كان كلامه قديما لكان كذبا: لأنه إخبار بالواقع فى الماضى ولا يصور ما هو ماض بالقياس إلى الأزل. لوجه العاشر: النسخ حق بإجماع الأمة ووقع فى القرآن وهو رفع أو انتهاء ولا شيء منهما يتصور فى القديم لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه وللحنابلة أن يقولوا معنى نسخ القرآن رفع حكمه لا ذاته فلا يلزم حدوث ذاته وقد جعل الإمام الرازى هذين الدليلين فى الأربعين من الأدلة العقلية. واختار السيد الشريف أنهما من الأدلة النقلية، والحق وما اختاره. قد أجاب الأشاعرة: عن جميع هذه الأدلة بأنها إن دلت على شيء من الحدوث. فإنما تدل على حدوث اللفظ. ونحن فى تحرير محل الخلاف أوضحنا أن لا نزاع بين الأشاعرة وغيرهم من الطوائف فى حدوث اللفظ وإنما النزاع بينهم فى الكلام النفسى القديم فيجمع الأدلة التى ذكرت أدلة فى غير محل النزاع على أن هذه الأدلة وإن أثبتت حدوث الكلام اللفظى فهى ترد دعوى الحنابلة والحشوية. والعضد، حيث ذهبوا إلى قدم اللفظ مع قيامه بذات الله عز وجل. الأشاعرة يوافقون المعتزلة فى إقامة الأدلة المذكورة فى وجه هؤلاء ومن الوجوه التى استدل بها المعتزلة على أن كلام الله عز وجل ليس بأزلى قولهم لو كان أزليا للزم الكذب فى أخباره. والكذب فى أخباره محال لأن الأخبار بطريق المضى كثير فى كلام الله عز وجل كقوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ وقال ﴿وعصى فرعون الرسول﴾ وصدقه تقتضى سبق وقوع النسبة. ولا يتصور السبق على الأزلى فتعين الكذب. ودليل بطلان الثانى فلإجماع العقلاء على أن الكذب نقص لما فيه من العجز والعبث. الجواب عن هذا الدليل: بأن أخبار الله عز وجل لا تتصف فى الأزل بالماضى والحال والمستقبل لعدم الزمان. وإنما تتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات. فيقال قام بذات الله عز وجل إخبار عن إرسال نوح مطلقا، وذلك الإخبار موجود أزلا باق أبدا. قبل الإرسال كانت العبارة الدالة عليه «إنا نرسل» وبعد الإرسال «إنا أرسلنا» فالتعبير فى لفظ الخبر فى الإخبار القائم بالذات. كما تقول فى علمه عز وجل: أنه قائم بذاته أزلا، العلم بأن نوحا مرسل. وهذا العلم باق أبد فقبل وجوده عرف أنه سيوجد ويرسل. وبعد وجوده علم أنه وجد وأرسل والتغير فى المعلوم لا فى العلم. أقوى دليل استدلت به المعتزلة قولهم قد اتفق على أن القرآن الكريم اسم لما نقل إلينا بين دفتى المصاحف تواترا. فهو مكتوب فى المصاحف مقروء بالألسن مسموع بالآذان ولا شك أن هذه أمور تدل=

.. ..

=على حدوثه. الجواب عن هذا الدليل: أن القرآن الذى هو كلام الله عز وجل المكتوب فى المصاحف بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه المحفوظ فى القلوب المسموع بحروف ملفوظة غير حال فى المصاحف والقلوب والألسنة والآذان بل هو معنى قديم قائم بذاته عز وجل يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال. فالمرسوم بسمة الحوادث: إنما هو اللفظ الدال على المعنى القديم. ويقرب ما ذكرناه ما يقال: النار جوهر محرق يذكر باللفظ ويكتب بالقلم. ولا يلزم من ذلك كون حقيقة النار صوتا وحرفا، وذلك لأن للشىء وجود فى الأعيان ووجودا فى الأذهان والمراد به الوجود العلمى. بحيث لا يقول المعتزلة بالوجود الذهنى. ووجودا فى العبارة ووجودا فى الكتابة والكتابة تدل على العبارة والعبارة تدل على ما فى الأذهان وما فى الأذهان يدل على ما فى الأعيان. فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم، نحو القرآن غير مخلوق. فالمراد حقيقته الموجودة فى الخارج، والمراد بحقيقته الموجودة فى الخارج، أن اللفظ فى هذه الصورة ذاته من غير ملاحظة ما يدل عليه، إذ هو من قبيل وصف الشىء بما هو حاله حقيقة. ذلك بخلاف ما يوصف بما هو من لوازم الحادث لأنه لابد فيه من ملاحظة ما يزال عليه حتى يظهر صحة الوصف به لعلاقة الدالية والمدلولية. حيث يوصف بما هو من لوازم المحدثات، فالمراد به الألفاظ المنظومة وذلك كما فى قولنا قرأت نصف القرآن الكريم أو المخيلة كما فى قولنا حفظت القرآن الكريم، أو الأشكال المنقوشة كما يقال: يحرم المحدث مس القرآن قد يعترض على ما ذكر. بأنه مناف لما ذكره علماء الأصول من أن القرآن الكريم هو المكتوب فى المصاحف، وأنه اسم للنظم والمعنى جميعا. الجواب عن غرضهم لما لم يكن متعلقا بالمعنى الأزلى بل هو متعلق بالألفاظ لأنها أدلة الأحكام الشرعية. عرفوه بأنه المكتوب فى المصاحف. المنقول بالتواتر وجعلوه اسما للنظم من حيث الدلالة على المعنى لا مجرد المعنى. ينظر نص كلام شيخنا عبد الفضيل طلبة فى الرؤية. قد اختلف المتكلمون فى وصف كلام الله تعالى فى الأزل بكونه أمرًا ونهيا، وخبرًا واستخبارًا. فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى إلى انقسامه فى الأزل بحسب الاعتبار إلى هذه الأقسام الخمسة بسبب المتعلقات، بناء على أن التعلق أزلى عنده، وإن كان واحدًا فى ذاته فباعتبار تعلقه بشىء على وجه مخصوص يكون خبرًا، وباعتبار تعلقه بوجه مخصوص بشىء آخر يكون أمرًا وهكذا باقى الأقسام، فإن اعترض بأن كلام الله تعالى على هذه الصفة إذا كان واحدًا يكون غير معقول فإن قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾ مع قوله: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، كيف يتحدان فى الأزل لفظا أو معنى حتى يتكثر بالاعتبارات. فالحق أن الأمر مشكل إذا كان الكلام النفسى عين المدلول الوضعى للكلام اللفظى. وأما إذا كان التعبير باللفظى عن النفسى من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر فلا إشكال. وذهب ابن سعيد القطان من الأشاعرة، وطائفة من المتقدمين إلى أنه يوصف بهذه الأقسام فيما لا يزال حيث إن التعلق عندهم حادث. وقد اعترض عليه بأنها أنواعه لا أقسامه فلا يوجد بدونها، إذ الجنس لا يوجد إلا فى ضمن شىء من أنواعه. وأجيب: بمنع ذلك فى أنواع تحصل بحسب التعلق. ومعنى ذلك أنها ليست أنواعا حقيقية له متى يلزم ما ذكرتم، بل هى أنواع اعتبارية حاصلة له بحسب التعلق، وعلى ذلك يجوز أن يوجد الجنس بدون تلك الأنواع ومعها أيضًا. وعليه فلا إشكال. وبعض الأصحاب ذهب إلى القول بأن لكلام الله القائم بذاته تعالى خمس صفات مختلفة. وذهب جماعة إلى=

.. ..

أن الكلام حقيقة فى المعنى القديم مجاز فى النظم المخصوص. واعترض عليه: بأنه لو كان حقيقة فى المعنى القديم مجازًا فى النظم المخصوص - يصح نفيه عنه؛ بأن يقال: النظم المعجز كلام الله تعالى؛ إذ من أمارات المجاز صحة نفى إطلاق اللفظ على هذا المعنى المجازى. والإجماع على خلافه: بل النفى كفر اتفاقًا فيما عدا البسملة فى أوائل السور. فإن نافيها لا يكفر لقوة الشبهة فى جانب كل من المثبت والنافى؛ ولذلك قال ابن الحاجب «فى مختصره»: وقوة الشبه من الجانبين منعت التكفير. والحق فى الإطلاق أن كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم وبين اللفظى الحادث. ومعنى الإضافة لله تعالى على المعنى الأول كونه صفة له. وعلى الثانى، كونه من تأليفاته فلا يصح النفى أصلاً؛ لأنه حقيقة فيها. ولقد رأى بعض المتكلمين أن يكون ذلك المشترك لفظيًا اتحد لفظه وتعدد معناه ووصفه. وعليه، فاسم الكلام موضوع للنفسى بوضع، واللفظى بوضع آخره، ورأى بعض آخر كونه مشتركًا معنويًا مشككا اتحد لفظه ومعناه ووصفه وتعددت أفراده، فهو مع وحدة لفظه موضوع لقدر مشترك، وهو متعلق التكلم أعم من كون ذلك التعلق لفظيًا أو نفيسًا. وأما كونه مشككا؛ فلأنه فى اللفظى. فثبت أنه مشترك، وانتفى كونه مجازًا. واختلف أهل السنة فى جواز سماع كلام الله تعالى. فذهب الأشعرى إلى أن ذات الكلام النفسى يسمع. وهذا ما اختاره كثير من المحققين؛ كالإمام الغزالى وغيره. وذهب الشيخ أبو منصور الماتريدى، وأبو إسحق الإسفرايينى إلى عدم سماعه، فلا يسمع إلا ما يدل عليه من الأصوات والحروف، وقد أقام كل واحد من الطرفين دليلاً على مدعاه.

أما دليل الأشعرى: فهو قياس سماع الكلام النفسى الذى ليس بحرف ولا صوتٍ على رؤية ما ليس بلون ولا فى جهةٍ. وهذا القياس ألزم به مخالفيه من أهل السنة؛ لاتفاقهم جميعًا على جواز الرؤية، ووقوعها فى الآخرة، وتبعه فى ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى. وأما دليل الماتريدى وأبو إسحاق الإسفرايينى: فهو أن العادة تحيل سماع ما ليس بصوت، ويشهد لهما ظاهر قوله تعالى: ﴿نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين﴾، إلا أنه لا يتحقق ما يصلح أن يكون محلاً للخلاف بينهما وبين الأشعرى؛ لأنه إما أن يفرض الكلام فى الاستحالة عقلاً، فلا يتأتى إنكار إمكان أن يخلق للقوة السامعة إدراك الكلام النفسى، أو يفرض فى الاستحالة عادة، ولا يتأتى إنكار إمكان ذلك خرقًا للعادة. بل قد ساق صاحب التبصرة من عبارة الماتريدى فى كتاب التوحيد ما يقتضى جواز سماع ما ليس بصوتٍ. فحقيقة الخلاف؛ إنما هو فى الواقع لموسى - عليه السلام - فأنكر الماتريدى سماعه الكلام النفسى. والذى سمعه - عليه السلام - إنما هو اللفظ الدال على كلامه تعالى. وعند الأشعرى: أن موسى - عليه السلام - سمع الكلام النفسى الذى ليس بصوتٍ ولا حرفٍ؛ ولذلك اختص باسم الكليم، بدليل قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾، والحمل على الإسناد الحقيقى ممكن، ولا موجب للعدول عنه. وبأن الخصم قائل برؤية ذاته من غير كيفٍ ولا انحصار. فهو لا محالة يقول بإمكان سماع كلامه من غير لفظ يدل عليه. وعلى هذا يظهر وجه اختصاص موسى - عليه السلام - باسم الكليم؛ لأنه لو كان موسى - عليه السلام - قد سمع لفظًا كغيره لم يكن لتسميته بالكليم وجه. وقال الماتريدى: إن الذى سمعه موسى - عليه الصلاة والسلام - صوتًا دالاً على كلام الله تعالى، واختص باسم الكليم؛ لأن سماعه الصوت على وجه فيه خرق للعادة؛ لأنه سماع بغير واسطة الكتاب والملك. ولقد أخرج أحمد وغيره عن وهب: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما اشتد عليه الهول نودى من الشجرة فقيل: «يا موسى»-

النائب آل الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه أنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي، وأنه أشعرى الاعتقاد. فنودى بدمشق من ذكر عقيدة ابن تيمية شنق؛ فاشتد حينئذ ابن عدلان، وقام معه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى. وحرض الأمراء عليه. ومازال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمرى الحاجب على البريد بحمله وحمل أخيه شرف الدين عبد الرحمن إلى القاهرة. وطلب الأمير ركن الدين نجم الدين أحمد بن صصرى، ووجيه الدين بن المنجا، وتقى الدين شقير، وأولاد ابن الصائغ؛ فأحضرهم يوم الخميس ثانى عشر رمضان، فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل، وحضر الأمراء، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية، فلم يجبه وقام يخطب، فصاح عليه القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى: «نحن أحضرناك للدعوى عليك، ما أحضرناك خطيبا» وألزمه بالجواب. فقال له: «أنت عدوى لا يجوز حكمك على» فأمر باعتقاله، فأخذ وسجن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه.

وخلع على ابن صصرى، وأعيد إلى دمشق، ومعه كتاب ليقرأ على الجامع بالمنع من الكلام فى العقائد والنهى عن اعتقاد شىء من فتاوى ابن تيمية، وأن يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك، وتثبت على قضاة الممالك، وتقرأ على المنابر، ففعل ذلك بدمشق.

وفيها قطع خبر الأمير الكبير بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى:وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين «فخاف أستاداره بكتمر الفارسى من موته، وأن يطالب من ديوان[١] السلطان بتفاوت الإقطاع فى مدة إمرته وهى ستون سنة، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية[٢]، وحسن لولده ناصر الدين محمد أن يمضى إلى الأمير بيبرس وسلار على لسان أبيه، بأن يتحدثا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة فى البيت المنصورى، وقد أسن وعجز عن الركوب، ولا يحل له أكل هذا الإقطاع بغير استحقاق، ويسألاه فى إخراجه عنه وكتابة مسموح[٣] لأولاده ومباشريه بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطاع عنه، وخيله أنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده وجود، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفى الديوان السلطانى مستحقه. فانفعل لذلك، وبلغ ما رتبه الأستادار عن أبيه إلى بيبرس

---

(١) على هامش ط: كانت وظيفة هذا الديوان محاسبة الأمير المعزول أو المنقول عن إقطاعه - أو ورثته من بعده عند وفاته - على ما تحصل من ذلك الإقطاع من مال خراجى.

(٢) المقصود بالتقاوى السلطانية هنا ما كان يجمع للسلطان من مختلف الأقاليم برسم التقاوى. انظر: خطط المقريزى ٩١/١.

(٣) على هامش ط: المقصود به ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته.

وسلار، فتألما وبكيا، ودخلا به إلى السلطان، فأعاد ناصر الدين محمد له الرسالة بحضور الأمراء، فأجيب، وكتب المسموح، ونصه: «رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالى المولوى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها، من غير طلب تفاوت ولا تقاو، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره، مسامحة وإنعامًا عليه، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة، مسامحة لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا يطالب بشىءقل ولا جل، لما مضى من الزمان وإلى يوم تاريخه، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله» وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، والأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى (بذلك). وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتمر أستاداره، وحدثاه فى أنه قد ضعف عن الحركة، وأن الإقطاع يستكثر عليه، فقال: «أرجو أن يمن الله بالعافية، وأن أموت على ظهر فرسى فى الجهاد» فذكرا له ما يتخوفانه بعد موته من المغرم، فلم يلتفت لكلامهما. وقدم الحاجب وابن الوزيرى بالمسموح، فقال لهما: «لا تطيلا فى الكلام، فإنه اختلط وفسد عقله» فدخلا وعرفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة، فإنه نزل عن الإقطاع، وقدما له المسموح، وبلغاه سلام السلطان والأمراء، وأنه لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله، وقد رتب له خمسة آلاف درهم فى الشهر. فغضب عند ذلك وقال: «قطع السلطان خبزى؟» قالا: «نعم!» وعرفاه ما كان من ولده، فالتفت إليه وقال: «أنت سألت فى ذلك؟» قال: «نعم!»، فسبه، وقال للأميرين: «قولا للسلطان والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزى قبل الموت، وهم يعلمون ما فعلته معهم، وكنت أؤمل أن أموت فى الغزاة، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركنى أجلى، فما قدر الله». ثم أعرض عنهم، وقاموا عنه، فمات من مرضه هذا. واستقر إقطاعه فى الخاص السلطانى، وأضيفت أجناده إلى الحلقة، وذلك فى ذى الحجة.

وفيها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين دواد صاحب اليمن، فوجدت قيمتها أقل من العادة، فكتب بالإنكار عليه والتهديد، وسير مع بدر الدين محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة، فلم يعبأ به الملك المؤيد، ولا أجاب عن الكتاب بشىء.

وفيها استسقى أهل دمشق لقلة الغيث، فسقوا بعد ذلك.

* * *

ومات فى هذه السنة

خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعى المقرئ النحوى المحدث، فى شوال عن خمس وسبعين سنة.

ومات مجد الدين سالم بن أبى الهيجاء بن جميل الأذرعى قاضى نابلس، بالقاهرة فى ثانى عشر صفر، بعدما باشر قضاء نابلس أربعين سنة، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة فمات بها.

ومات الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف ابن الخضر بن موسى الدمياطى[1] الفقيه الشافعى المحدث آخر الحفاظ، فى خامس عشر ذى القعدة، من غير مرض، عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات قاضى القضاة بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعى بها، فى أوائل جمادى الأولى، وكان فاضلا مشكور السيرة.

ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب الدين بن المؤدب بمصر، حدث عن ابن باقا.

ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد الحرانى الحنبلى، ومولده بحران سنة ثمانى عشرة وستمائة، سمع من ابن روزبة والمؤتمن ابن قميرة، وسمع بمصر من ابن الجميزى وغيره، وتفرد بأشياء، وكان فيه دعابة، وتلا بمكة ألف ختمة.

ومات شرف الدين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندرانى.

ومات الأوحد تقى الدين بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان، أحد أمراء دمشق، فى ثانى صفر على قتال الكسروين، وكان فاضلا خبيرًا بالأمور.

وماتت المعمرة أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردية بمصر فى ذى القعدة، حدثت عن ابن الزبيدى وأحمد بن عبد الواحد البخارى وغيره، وتفردت بأشياء.

* * *

---

(١) عبد المؤمن بن خلف الدمياطى، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط. وتنقل فى البلاد، وتوفى فجأة فى القاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢/١٧ والرسالة المستطرفة ١٠٣ والبداية والنهاية ١٤/٤٠ وطبقات الشافعية ٤/١٠ وشذرات الذهب ٦/١٢ والدرر الكامنة ٢/٤١٧ والتيمورية ٣/١٠١ والأعلام ٤/١٧٠.

سنة ست وسبعمائة

فيها توحش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البروانى وسيف الدين الطشلاقى على باب القلة من القلعة بحضرة الأمراء، من أجل استحقاقهما فى الإقطاعات، فإنهما تباعلا[1]، ونزل الطشلاقى على إقطاع البروانى.

وكان كل منهما فيه كبر وظلم وعسف، والبروانى من خواص الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والطشلاقى من ألزام الأمير سلار النائب لأنه خشداشه، وكلاهما مملوك الصالح على بن قلاوون. فاشتد الطشلاقى على البروانى وسفه عليه، فقام البروانى إلى الأمير بيبرس فشكا منه، فاستدعى به وعنفه، فأساء فى الرد وأفحش فى حق البروانى، وقال: «أنت واحد منفى وافدى، تجعل نفسك مثل مماليك السلطان؟». فاستشاط بيبرس غضبًا، وقام ليضربه، فجرد سيفه يريد ضرب بيبرس، فقامت قيامة بيبرس، وأخذ سيفه وأومأ ليضربه، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه، وأخرجوا الطشلاقى بعدما كادت مماليك بيبرس أن تقتله. وللوقت طلب بيبرس الأمير سنقر الكمالى الحاجب، وأمره بإخراج الطشلاقى إلى دمشق، فخشى من النائب سلار ودخل عليه وأخبره الخبر فوجد العلم عنده، وأمره بالعود إلى بيبرس وملاطفته فى العفو عن الطشلاقى، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه. فعاد إلى بيبرس، وعندما أخذ يبلغه رسالة سلار صرخ فيه، وحلف إن بات الطشلاقى الليلة فى القاهرة عملت فتنة كبيرة. فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك، فلم يسعه إلا السكوت، وأخرج الطشلاقى من وقته، وأمر الحاجب بتأخيره فى بلبيس ليراجع بيبرس فيه. وعندما اجتمعا من الغد فى الخدمة بدأه بيبرس بما كان من الطشلاقى فى حقه من الإساءة، وسلار يسكن غضبه فلا يسكن بل يشتد، فأمسك على حقد؛ وتوجه الطشلاقى إلى الشام.

وفيها قدم البريد من حماة بمحضر ثابت على القاضى أن ضيعة تعرف ببارين بين جبلين، فسمع للجبلين فى الليل قعقعة عظيمة، فتسارع الناس فى الصباح إليها، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادى وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر، والمياه فيما بين الجبلين تجرى فى الوادى؛ فلم يسقط من الجبل المنتقل شىء من الحجارة، ومقدار النصف الذى انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع؛ وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك، وكتب به محضرا فكان هذا من غرائب الاتفاق.

---

(١) تباعلا: المعنى أنهما تجالسا للحديث فيما بينهما من أمر. انظر: لسان العرب.

وفيها قدم الخبر من بلاد المغرب بقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى صاحب تلمسان فى ذى القعدة من السنة الخالية على يد خدمه، وأن ابنه أبا سالم قام من بعده، فثاروا به بعد أسبوع، وأقاموا عوضه حفيده أبا عامر ثابت.

وفيها ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلار: وسببها أن التاج بن سعيد الدولة الكاتب كان متمكنًا من بيبرس مستوليا على سائر أموره، فمكنه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والأستادارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره، واستعان معه أكرم بن بشير أحد أقاربه، فتقربا إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتروات، وأضافا له جهة النطرون. وكان التاج صديقًا لابن الشيخى، وهو الذى قدمه إلى الوزارة، فلما قتل شق عليه، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأنه السبب فى ذلك، وأنه الذى أغرى به الأمير سلار، لما كان يعلم من عداوة الجاولى لابن الشيخى ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، وهو الذى عينه للوزارة بقصد إنكاء التاج بن سعيد الدولة. فأخذ التاج فى العمل على الجاولى، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير فى الأستادارية، وندب لمرافعته رجل من الأقباط، وصار كل قليل يقول عنه لبيبرس إنه نهب الأموال، وأخذ رواتب كثيرة لنفسه وحواشيه، وقد وقفت أحوال الدولة من ذلك، والوزير ابن عطايا لا يدرى صناعة الكتابة، وإنما أشار الجاولى على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه، وإن بعض كتاب الحوائج خاناه كتب أوراقا بمال كبير فى جهة الجاولى، وأكثر من هذا القول وما أشبهه، إلى أن تقرر ذلك فى نفس بيبرس وتغير على الجاولى، وحدث سلار فى أمره، وأنه أخذ جملة مال مستكثرة. وكان سلار صديقًا للجاولى شديد المحبة له من قديم؛ حتى أن كلا منهما عمر مدرسة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر، وعمل لنفسه مدفنًا بحذاء مدفن الآخر. فدافع سلار عن الجاولى، وقال لبيبرس: «با لله لا تسمع للديوان! فإنهم مناحيس يريدون الفتن». فتمادى بيبرس فى الحط على الجاولى وسبه، وقال: «لابد أن أخلص منه المال». فلما افترقا أعلم سلار الجاولى بتغير بيبرس عليه، فقال له: «هذا من التاج بن سعيد الدولة»، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلين القول له، عساه ينخدع ويمسك عما يريده. فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل، فاشتد فى الحرج وبالغ فى السب والتهديد، ولم يلتفت إلى قوله، فقام يتعثر فى أذياله إلى سلار وأخبره، فغضب من ذلك. وعند خروج الجاولى من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها بما فى جهة الجاولى، وقرأها عليه، وأحضر معه أكرم بن بشير ليحاقق الجاولى على ما فى الأوراق؛ فقوى بيبرس قلب بن بشير على المحافظة. ولما كان الغد، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية، وجلسوا عند

النائب سلار، وفيهم الجاولى والوزير، أمر بيبرس بإحضار ابن بشير الكاتب، فلما جاء قال له: «أنت قلت إن مال السلطان ضائع، وإن هذا - يعنى الجاولى - أخذ منه أشياء، وإن الوزير وافقه على ذلك، وإن أحوال الدولة قد وقفت، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان فى جهتهما فتكلم الآن معهما، ولا تقل إلا الصحيح». فنهض عند ذلك قائما، وأخرج الأوراق، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولى، فأجاب الجاولى عنها فصلا . . فصلا، وابن بشير يرد عليه وقال فى كلامه: «أنت أمير ما تدرى فصول الكتابة»؛ وطال الكلام، وانفض المجلس على أقبح صورة، وقد وقع التنافر بين بيبرس وسلار بسبب قيام كل منهما فى نصرة صاحبه.

وكان من عادة بيبرس أن يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، فمن يومئذ لم يركب معه، وبقى كل منهما يركب فى حاشيته وحده، وتوقع الناس الفتنة. فبعث الأمير سلار بسنقر الكمالى الحاجب إلى بيبرس ليتلطف به ويعرفه «إن الجاولى قد علمت ما بينى وبينه من الأخوة بحيث أن كلا منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته»، ويتضرع له حتى يعفو عنه. فمضى إليه وبالغ معه فى الكلام، وهو يشتد إلى أن قال: «لا أرجع عنه حتى آخذ منه مال السلطان وأضربه بالمقارع». وبعث إليه: «إن لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير» يعنى ابن الشيخى، وبعث إلى الوزير بذلك أيضًا، ورسم عليهما حتى يحملا المال. فلما بلغ الكمالى ذلك لسلار قامت قيامته، إلا أنه كان كثير المداراة عاقلا. وأخذ الجاولى فى بيع خيله وقماشه وأمتعته بباب القلة على الأمراء، فشق عليهم ما نزل به وشروا مبيعه بأضعاف ثمنه، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بيبرس، تقربًا لخاطر الأمير سلار.

وتمادى الحال عدة أيام وبيبرس وسلار لا يجتمعان، واستعد الأمراء البرجية ألزام بيبرس، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفا من وقوع الفتنة، وترقب الناس الشر فى كل يوم، وتحدثوا به. فركب الأمراء الأكابر: أقوش قتال السبع، وبيبرس الدودار، وبرلغى، وأيبك الخازندار، وسنقر الكمالى، وبكتوت الفتاح، فى آخرين إلى الأمير بيبرس الجاشنكير، وتحدثوا معه فى تسكين الشر وإخماد الفتنة. ومازالوا به حتى رفع الترسيم عن الجاولى بشرط أن يخرج إلى الشام بطالا، وقاموا من عنده إلى الأمير سلار، ومازالوا به حتى وافق على سفر الجاولى، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه.

وفيها أفرج عن الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم، واصطلح بيبرس وسلار، ثم تحدثا فى أمر الوزارة ومن يصلح لها، فعين سلار

التاج بن سعيد الدولة، فقال بيبرس: «إنه لا يوافق، فقد عرضتها عليه وامتنع منها»، فقال سلار: «دعنى وإياه»، فقال: «دونك»، وتفرقا. فبعث سلار إلى التاج أحضره، فلما دخل عليه عبس فى وجهه وصاح بانزعاج: «هاتوا خلعة الوزارة»، فأحضروها، وأشار إلى التاج بلبسها فتمنع، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه. فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له، ولبس التشريف فى يوم الخميس خامس عشر المحرم، وقبل يد الأمير سلار فبش له ووصاه، وخرج من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة الصاحب بها، وبين يديه النقباء والحجاب، وأخرجت له دواة الوزارة والبغلة، فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر، ونزل إلى داره. وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسر به، لأنه كان من غرضه.

وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبى الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه، فلم يخرج إلى أن علا النهار، و خرج غلامه وقال: «يا جماعة! القاضى عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجى»، فتفرقوا، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلا إلى الشيخ نصر، وكان خصيصا به، وله مكانة عند الأمير بيبرس، وبعث بتشريف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة، وأقام عند الشيخ نصر مستجيرًا به، فكتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبدًا، ويقصد أن يقيم فى الزاوية مع الفقراء يعبد الله فأخذ بيبرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: «قد أعفيناه، فأحضره حتى نستشيره فيمن يلى الوزارة»، فأحضره بيبرس إليه فاعتذر، وأشار بوزارة ضياء الدين أبى بكر بن عبد الله بن أحمد النسائى ناظر الدواوين، فاستدعى وخلع عليه فى يوم الإثنين تاسع عشره. فباشر ضياء الدين الوزارة، وليس له منها سوى الاسم، وصار التاج يدبر الأمور، ولا يصرف شىء إلا بخطه، ولا يفعل أمر إلا بحكمه.

وفى سادس صفر: خلع على التاج بن سعيد الدولة، واستقر مشيرًا وناظرا على الوزارة وسائر النظار مصرًا وشاما، ومنفردًا بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأستادارية ونظر الصحبة ونظر الجيوش، وكتب له توقيع لم يكتب لمتعمم مثله. وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة، فوق كل متعمم من الكتاب، ونفذ حكمه ومضى قلمه فى سائر أمور الدولة، فألان الوزير جانبه له وخفض جناحه بكل ممكن. واستقر عز الدين أيدمر الخطيرى أستادارا عوضًا عن سنجر الجاولى.

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقطاى صاحب بلاد الشمال: وهم الأمير بلبان الصرخدى ورفقته، ومعهم نامون رسول طقطاى بهدية سنية، وكتاب

يتضمن أن عسكر مصر تسير إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد. فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه، فإن حدث غير ذلك عمل بمقتضاه. وسير إليه الأمير بدر الدين بكمش الظاهرى، وفخر الدين أياز الشمسى أمير آخور، وسنقر الأشقر، وأحد مقدمى الحلقة.

وفيها نقل شهاب الدين غازى بن أحمد بن الواسطى من نظر الدولة، ومعه تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، إلى نظر حلب. وسبب ذلك أنه كان يعادى التاج بن سعيد الدولة، بحيث إنه كان سببًا فى ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم. وكان طويل اللسان، يعرف بالتركى، ويداخل الأمراء، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه. فلما تحدث ابن سعيد الدولة فى أمور المملكة ثقل عليه ابن الواسطى، وما زال بالأمير بيبرس إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب، وبعث إليه. فقام لما جاءه التوقيع. وقال: «والله لقد كنت قانعًا بجهنم عوضًا عن موافقة ابن تعيس الدولة»، وسار إليها.

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوبية، على عادته فى ثامن ذى الحجة، واستقر عوضه فى الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمى والى القاهرة بالصفة القبلية، بعدما التزم بثمانى مائة ألف درهم فى أربع سنين.

وفيها قدم البريد من دمشق بقدوم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ براق، فى تاسع جمادى الأولى، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة: لهم هيئة عجيبة، وعلى رءوسهم كلاوت لباد مقصصة بعمائم فوقها، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس، ولحاهم محلقة دون شواربهم، ولبسهم لبابيد بيضاء، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر، وكل منهم مكسور الثنية العليا، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة، وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة، وله محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك شيئًا من سنته بضرب عشرين عصا تحت رجليه، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة، وأنه قيل له عن زيه، فقال: «أردت أن أكون مسخرة الفقراء» وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبعًا ضاريا، فركب على ظهر السبع ومشى به، فجل فى عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار، وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه، وكان هناك نعامة قد تفاقم شرها ولم يقدر أحد على الدنو منها، فأمر النائب بإرسالها عليه، فتوجهت نحوه

فوثب عليها وركبها، فطارت به في الميدان قدر خمسين ذرعًا فى الهواء حتى دنا من النائب فقال له: «أطير بها إلى فوق شيئًا آخر؟»، قال: «لا!» وأنه أنعم عليه وهاداه الناس. فكتب بمنعه من القدوم إلى مصر، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده؛ وفيهم يقول السراج من موشحة طويلة أولها:

جتنا عجم من جوا الروم صور تحير فيها الأفكار

لهم قرون مثل الثيران إبليس يصيح منهم زنهار

وفيها عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص، بعد غيبتهم تسعة أشهر، ومقاساة أهوال فى محاربة السودان وقلة الزاد.

وفيها منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحاكى خارج القاهرة، لكثرة ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات، وتبرج النساء فى المراكب وجلوسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافى الذهب على رءووسهن، وتعاطيهن الخمر، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك، وتقتل القتلى العديدة. فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر، وأما مراكب النزهة فامتنعت، وعد ذلك من أحسن الأفعال.

وفيها كملت عمارة الجامع الذى أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل قاسيون[١]، وخطب به القاضى شمس الدين بن العز الحنفى، يوم الجمعة رابع عشرى شوال.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم محمد البصروى، فى تاسع عشرى ذى القعدة، عوضًا عن شهاب الدين أحمد الأذرعى.

وفيها قدمت رسل صاحب سيس بالحمل، بعدما أطلق مائتين وسبعين أسيرًا من المسلمين، قدموا حلب.

وفيها ولى جلال الدين محمد القزوينى خطابة دمشق، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى فى شوال.

وفيها أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى آخر يوم من رمضان، بعدما جمع القضاة والفقهاء، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع، وترددت إليه الرسل مرارًا فلم يحضر، وانفضوا من عند سلار. فاستدعى بأخويه شرف الدين عبد

(١) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر: معجم البلدان ٤/٢٩٥.

ا لله وزين الدين عبد الرحمن، وجرى بينهما وبين القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى كلام كثير. ثم اجتمع شرف الدين والمالكى ثانيًا عند الأمير سلار، وحضر ابن عدلان، وتفرقوا عن غير شىء.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الكافى بن عبد الوهاب البلينى[١] الشافعى، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة، وكان صالحا دينًا فاضلا.

ومات الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعى الحنفى الدمشقى، محتسب دمشق ووزيرها.

ومات الأمير عز الدين أيبك الطويل الخازندار المنصورى، فى حادى عشر ربيع الأول بدمشق، وكان كثير البر دينا.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى، أصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فترقى فى الخدم حتى صار من أكبر الأمراء، وخرج إلى الغزاة غير مرة، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأى وكثرة المعروف، ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى، زوأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون فأعيد، ومات بعدما استرجع إقطاعه بالقاهرة فى ربيع الأول، عن ثمانين سنة، وهو آخر الصالحية، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى، ولى نيابة قلعة صفد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها، ومات وهو نائب حمص بها وكان خيرا.

ومات الشيخ سيف الدين الرجيحى بن سابق بن هلال ابن الشيخ يونس اليونسى شيخ الفقراء اليونسية[٢] قدم من العراق، فصارت له حرمة وافرة فى الأيام المنصورية قلاوون حتى مات، وله أتباع كثيرة، فخلفه ابنه حسام الدين فضل.

ومات الطواشى شمس الدين صواب السهيلى بالكرك عن مائة سنة، وكان له بر ومعروف.

---

(١) البلينى: نسبة إلى بلدة البلينا التابعة لمديرية جرجا الحالية. انظر: الخطط التوفيقية ٨٢/٩.

(٢) هذه الطائفة من الروافض، ومؤسسها هو يونس بن عبد الرحمن القمى. انظر:خطط المقريزى ٣٤٥/٢.

ومات ضياء الدين عبد العزيز محمد بن على الطوسى[١] الشافعى، بدمشق فى تاسع عشرى جمادى الأولى، وله شرح الحاوى فى الفقه، وشرح مختصر ابن الحاجب، ودرس مدة بدمشق.

ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى العمرى، أخو كاتبى السر شرف الدين عبد الوهاب ومحى الدين يحيى، وقد جاوز سبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى خطيب دمشق، فجأة فى ثامن شوال، وكان صالحا معتقدًا.

ومات محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم القاضى جمال الدين أبو بكر بن السفطى الشافعى، ولد سنة ثمان عشرة وستمائة، وناب فى الحكم بالقاهرة أربعين سنة، ثم تعفف عن الحكم، ومات بالقاهرة ليلة الإثنين جمادى عشر شعبان.

ومات الأمير فارس الدين أصلم الردادى فى رابع ذى القعدة بدمشق. وفى نصف ذى القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصورى.

ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى بالقاهرة، فى سابع عشر ذى الحجة. ومات الطواشى عز الدين دينار العزيزى الخازندار الظاهرى، يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول، وكان خيرًا دينار محبا لأهل الخير، وكان دوادار الملك الناصر وناظر أوقاف الملك الظاهر.

ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة، وثب عليه سعادة الخصى أحد مواليه فى بعض حجره، وقد خضب رجليه بالحناء وهو مستلق على قفاه، فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه، وخرج فأدرك وقتل، فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذى القعدة، وأقيم بعده أبو ثابت عامر ابن الأمير أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق[٢]، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن على الطوسى، ضياء الدين، أبو محمد: من فقهاء الشافعية. أصله من طوس. سكن دمشق، ودرس وتوفى بها. له «مصباح الحاوى ومفتاح الفتاوى». انظر: السبكى ٦/ ١٢٥ والدارس ٤٧١/١ والكتبخانه ٢ /٢٥٦ والأعلام ٢٦/٤.

(٢) عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المرينى، السلطان أبو ثابت: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى. أقام بطنجة، فمرض ومات بها. ودفن فى رباط الفتح. انظر: الاستقصا ٤٤ والحلل الموشية ١٣٣ وجذوة الاقتباس ٢٧٥ والدرر الكامنة ٢٣٥/٢ والأعلام ٢٥٣/٣.

سنة سبع وسبعمائة

فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كثر ظلمه للتجار، وأخذ أموالهم، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم على تجهيزها، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدم اسمه على اسم سلطان مصر فى الدعاء. فكتب إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبى الربيع سليمان بالإنذار والإرهاب، وجهزا على يد نجاب ورسم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها جلبة، وعمارة قياسة[1] لطيفة يقال لها فلوة برسم حمل الأزواد وغيرها، وتفسير ذلك إلى الطور على الظهر ليرمى على بحر القلزم، لغزو بلاد اليمن. فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضافيه فى عمل جلبة وفلوة، وندب لعملها الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، وسافر إلى قوص.

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه، ومنعه من التصرف، وضيق يده؛ وشكا ذلك لخاصكيته. واستدعى الأمير بكتمر الجوكندار أمير جاندار فى خفية، وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين، فقرر الأمير أن القلعة إذا أغلقت فى الليل، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة، و لبست مماليك السلطان السلاح، وركبت الخيول من الإسطبل، وسارت إلى إسطبلات الأمراء، ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقا حربيا ليجتمع تحت القلعة من هو فى طاعة السلطان، ويجبهم بكتمر الجوكندار فى عدة على بيتى بيبرس وسلار بالقلعة، ويأخذونهما. وكان لكل من بيرس وسلار أعين عند السلطان، فبلغهما ذلك فاحترسا، وأمرا الأمير سيف الدين بلبان الدمشقى والى القلعة - وكان حصيصًا بهما - أن يوهم أنه أغلق باب القلعة، ويطرف أقفالها، ويعبر بالمفاتيح على العادة، ففعل ذلك. وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم، وانتظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار، قد حلف لهما على القيام معهما. فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمر قد غدر به، وترقب المكروه من الأمراء.

وأما بكتمر فإن بيبرس وسلار لما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة، وعزم بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله، فمنعه سلار لما كان عنده من التثبت والتؤدة، وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان. فلما أتاه الرسول تحير وقصد

---

(١) على هامش ط: القياسة - والجمع قيابيس - سفينة تستعمل للإبحار فى المياه القليلة العمق، كشواطئ البحار، وتكون عادة عريضة المساحة، قليلة الارتفاع، بطيئة السير.

الامتناع، ولبس مماليكه السلاح، ثم منعهم وخرج، فعنفه سلار ولامه على ما قصد. فأنكر وحلف لهم على أنه معهم، وأقام إلى الصباح، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة عند الأمير سلار. ووقف ألزام بيبرس وسلار على خيولهم بباب الإسطبل مترقبين خروج المماليك السلطانية، و لم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان، وتشاوروا. وقد أشيع فى القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان، أو إخراجه إلى الكرك؛ فلم تفتح الأسواق، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة، وبقى الأمراء نهارهم مجتمعين، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفا من نزوله من باب السر. وألبسوا عدة مماليك، وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سمك أخى سلار على باب الإسطبل.

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام المماليك السلطانية ولبسهم السلاح، لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل، وتوقعوا الحرب، فمنعهم السلطان من ذلك، وأراد سمك إقامة الحرمة، فرمى بالنشاب وضرب الطبل، فوقع سهم بالرفرف[1] السلطانى. واستمر الحال على ذلك إلى آذان العصر من الغد، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: «ما سبب الركوب على باب إسطبلى؟ إن كان غرضكم فى الملك فهل أنا متطلع إليه؟ فخذوه وابعثونى أى موضع أردتم». فردوا الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير برلغى الأشرفى، بأن «السبب هو من عند السلطان من المماليك الذين يحرضونه على الأمراء»، فعتبهم على ما هو فيه، وأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئًا عن الأمراء.

وفى عودهم من عند السلطان وقعت ضجة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر، فلما رأوا السلطان قد وقف بالرفرف، وحواشى بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين، حنقوا من هذا وصرخوا، ثم حملوا يدًا واحدة على الأمراء بباب الإسطبل، وهم يقولون: «يا ناصر! يا منصور!». فأراد سمك قتالهم،فمنعه من معه من الأمراء. وبلغ ذلك بيبرس وسلار، فأرسل الأمير سيف الدين تخاص المنصورى فى عدة مماليك إلى العامة فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا؛ فاشتد صياحهم؛ «يا ناصر! يا منصور!»، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم للسلطان، وصاروا يقولون: «الله يخون من يخون ابن قلاوون»، وحملت طائفة منهم على بتخاص ورجمته طائفة أخرى، فجرد السيف ليضعه فيهم، ثم خشى العاقبة وأخذ يلاطفهم، وقال: «طيبوا خواطركم، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء»، ومازال بهم حتى تفرقوا وعاد.

فبعث الأمراء ثانيًا إلى السلطان بأنهم مماليكه وفى طاعته، ولابد من إخراج الشباب

---

(١) الرفرف السلطانى موضع بطرف القلعة الجنوبى. انظر: خطط المقريزى، ٢/٢١٢.

الذين يرمون الفتن، فامتنع من ذلك واشتد، فمازال به بيبرس الدوادار وبرلغى حتى أخرج بهم إلى الأمراء، وهم يبلغا الترجمانى وأيدمر المرتد وخاص ترك. فهددهم بيبرس وسلار ووبخاهم وقصدا تقييدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان، وأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد. ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض، ثم قبلوا يده، فأفيضت عليهم الخلع، وعلى الأمير بيبرس وسلار فى ثالثه.

ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب فى أمرائه إلى الجبل الأحمر: حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت، فأجاب وخرجوا. وبات السلطان فى قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر، وعاد بعدما قال بيبرس وسلار: «إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار» وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس وحادثه، فتذكر غدره به، وشق عليه ذلك. فتلطفوا به فى أمره فقال: «والله ما بقيت لى عين تنظر إليه، ومتى أقام فى مصر لا جلست على كرسى الملك أبدًا»؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة فى خامس عشره، واستقر عوضه أمير جاندار بدر الدين بكتوت الفتاح، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار. وتوجه الأمير كراى المنصورى إلى بلدة أدفو بالصعيد، وهو حنق على الأمير بيبرس الجاشنكير.

وفيها عمر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، ووقف عليها أوقافا جليلة، فمات قبل فتحها، وأغلقها الملك الناصر مدة، ثم أمر بفتحها ففتحت، ورتب فيها عدة من الصوفية. وبنى بيبرس أيضًا تربة بها، فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة. وأنشأ الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق جامعًا بصالحية دمشق، وبعث يسأل فى أرض يوقفها عليه، فأجيب بأنه يعين ما يختار.

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صبرة، وقد خلص من بلاد التتار، ومعه جماعة ممن أسر من الأجناد فى نوبة سيس؛ فأعيد له إقطاعه على عادته.

وورد كتاب الأمير كراى المنصورى بالشكوى من والى قوص، ومن غده قدم كتاب متولى قوص بأن كراى ظلم فلاحيه بأدفو[1]، وأخذ دوابهم، وعمل زادًا كبيرًا ليتوجه إلى بلاد السودان؛ فكتب لكراى بالحضور سريعًا، وكتب لوالى قوص بالاحتراس على كراى وأخذ الطرقات من كل جانب.

وفيها أحضرت خاصكية السلطان من القدس، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب

---

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى؛ بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ١/٢١٨.

الشام بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ما وقع من نفى خاصكية السلطان ويشير بردهم، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر بنفسه وأعادهم. فلم يسعهما إلا إحضارهم، وأنعم على كل من يلبغا التركمانى وألطنبغا الصالحى وبلبان الزراق بإمرة عشرة. واستقر شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة فى نظر المارستان المنصورى. وقدم الأمير كراى من الصعيد فتمارض فى بيته، ولم يطلع إلى القلعة، ثم سأل الإعفاء من الإمرة، وأن يقيم بالقدس بطالا[1]، واعتذر بكثرة أمراضه، فأجيب إلى ذلك، وولى نظر القدس والخيل بحارٍ يقوم بكفايته، وتوجه من القاهرة؛ فأنعم بإقطاعه على الأمير سيف الدين بتخاص المنصورى.

وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن، وعول الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه: وذلك أنه خشى من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ، ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خواشداشيته البرجية، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء، واشتدت شوكة بيبرس بهم، وعظمت مهابته وانبسطت يده فى التحكم، بحيث إنه أخرج الجاولى بغير اختيار سلار، وانفرد بالركوب فى جمع عظيم. وقد قصد البرجية فى نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع سلار بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع السلطان. فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس، وتحيل فى الخلاص من ذلك بأنه يحج فى جماعة من ألزامه وأتباعه، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنع[2] بها. ففطن بيبرس بهذا، ودس إليه من الأمراء من ثنى عزمه عن ذلك. وشرع فى الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجزت، وجهزت الأسلحة والأمتعة؛ ثم اقتضى الرأى تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض، ومازال منقطعا بداره حتى مات، وعين الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى أمير الركب، وخرج بالحاج على العادة.

وقدم البريد من حلب بقتل هيتوم متملك سيس على يد بعض أمراء المغل: وذلك أن هيتوم كان يحمل القطعية إلى المغل كما يحملها إلى مصر، ويحضر إليه كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا، وقد أسلم وحسن إسلامه، فعزم على بناء جامع بسيس يعلن فيه بالآذان، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس. فشق ذلك على هيتوم، وكتب إلى خربندا بأن برلغوا يريد اللحاق بأهل مصر،

---

(١) على هامش ط: البطال معناه الأمير الذى يزول عنه إقطاعه بعزله عن وظيفته ونفيه.

(٢) المراد يحتمى بها. انظر: محيط المحيط.

وبناء جامع بسيس. فبعث خربندا بالإنكار على برلغوا، وتهدده وألزمه بالحضور، فغضب برلغوا من هيتوم، وصنع طعامًا ودعاه، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا، فحضر وهو آمن فى جماعة من أكابر الأرمن وإخوان له. فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذتهم السيوف من كل جانب، فقتلوا عن آخرهم، ولم ينج سوى أخوه ليفون فى نفر قليل، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه، وقدم عليه أيضًا برلغوا، فقتله بقتله هيتوم، وولى ليفون مملكة سيس وسيرة إليها.

وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة[1]، مع الأمير علاء الدين أيدغدى شقير مملوك منكوتمر، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير، ثم بالأمير بهادر آص.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعًا وإحدى وعشرين إصبعًا: وهب فى برمهات الموافق لشوال من جهة الغرب ريح عند إدراك الغلال، فهافت وجف أكثرها، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير، ومنها ما كان أقل من بذاره. فتميز سعر الغلة، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما، ثم انحط.

وفيها استقر الأمير بيبرس العلائى الحاجب فى نيابة غزة، عوضًا عن الأمير أقجبار.

وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدى الشقيرى، والأمير سيف قطلوبك والأمير بهادر آص.

وفى العشرين من رجب: توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس، ومعه جماعة من أعيان دمشق، وعاد فى تاسع شعبان.

وفى سابع عشرين رجب: توجه ركب العمار إلى مكة، صحبة الأمير عز الدين الكوكندى، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود، والشيخ نجم الدين بن الرفعة.

وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركمانى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى برقا[2] فى شوال.

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى، فأكرمه السلطان وأخلع عليه، فتحدث فى خلاص شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فأجيب، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه. ونزل ابن تيمية بدار الأمير سلار النائب، وعقد له مجلس حضره ابن الرفعة والتاجى وابن عدلان والنمراوى وجماعة الفقهاء، ولم تحضره القضاة، وناظروا

---

(١) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة. انظر: معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) المقصود إقليم برقة المعروف. انظر: معجم البلدان ١/٥٦٩.

ابن تيمية ثم انفضوا، ثم عقد له بعد سفر مهنا بن عيسى مجلس آخر بالصالحية. ثم قام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء[١]، وشيخ سعيد السعداء، وجمعوا فوق الخمسمائة رجل، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم فى مشايخ الطريقة؛ فرد أمرهم إلى القاضى الشافعى، فدفعه إلى تقى الدين على ابن الزواوى المالكى، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام، فسار على البريد وحبس بها.

وفيها بنى الأمير أسندمر نائب طرابلس قلعة مكان حصن صنجيل، وبنى الأمير قراسنقر نائب حلب قلعة حارم التى خربها هولاكو.

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير عز الدين أيدمر السنانى بدمشق، وله شعر جيد ومعرفة بتعبير المنامات، ومن شعره:

تَخِذ النسيم الحبيب رسولا ... دنف حكاه رقةً ونحولا

تجرى العيون من العيون صبابة ... فيسيل فى أثر الغريق سيولا

ويقول من حسد له يا ليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومات الأمير سيف الدين بيبغا الناصرى فى شعبان، وترك مالا كبيرًا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالق[٢] العجمى أحد البرجية الصالحية[٣]، و كبير الأمراء بدمشق، عن نحو الثمانين سنة، فى نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة[٤]، وكان

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندرى متصوف شاذلى، من العلماء. له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفى بالقاهرة. انظر: الدرر الكامنة ٢٧٣/١ والرحلة العياشية ٣٥٧/١ وكشف الظنون ٦٧٥ وخطط مبارك ٦٩/٧ والفهرس التمهيدى والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) على هامش ط: الجالق لفظ تركى معناه الفرس الحاد المزاج الكثير اللعب.

(٣) نسبة إلى الملك الصالح أيوب.

(٤) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مدينة مسورة ولها اثنا عشر بابًا: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس، ولها أربعة أسواق متصلة من هذه الأبواب إلى وسطها وهناك مسجد جامعها، فمن باب يافا يدخل فى سوق القماحين حتى يتصل بمسجد جامعها، وهى سوق حسنة يباع فيها أنواع السلع، ويتصل بباب القدس سوق القطانين إلى سوق المشاطين الكبار إلى العطارين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور ثم سوق الجزارين ثم السقائين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور بآخر من=

دينا له ثروة وفيه خير: كان يقرض الأجناد عند تجردهم، ويمهلهم حتى يتيسر لهم، فعدم له فى ذلك مال كبير.

ومات شمس الدين خضر بن الحلبى المعروف بشلحونة والى القاهرة، وكان أبوه خازندار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق، وقدم الخضر إلى القاهرة، واستقر فى ولايتها فى الأيام الظاهرية بيبرس والأيام المنصورية قلاوون، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاوون إلى شد الدواوين، وكان ناهضًا أمينًا فى جميع ما يليه، مع المعرفة والديانة والمروءة، وكان إذا أراد أن يضرب أحدًا قال «شلحونه»، فعرف بذلك.

ومات خطلو شاه نائب التتر؛ وكان مقدمهم يوم شقحب؛ وكان كافرًا فاجرًا.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى، أحد أمراء دمشق، ليلة الإثنين ثانى جمادى الأولى، وكانت له مروءة وشجاعة.

ومات الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك، وكانت له سطوة ومهابة.

ومات الشيخ عمر بن يعقوب بن أحمد السعودى، فى يوم الأربعاء ثانى رجب، وكان رجلا صالحا معتقدًا.

ومات الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا - ومولده فى تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة، وجده لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزى - فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة.

ومات شرف الدين محمد بن فتح عبد الله بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن محمد ابن أحمد بن خالد القيسرانى، أحد موقعى الإنشاء بالقاهرة، فى أول شعبان.

ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسى، بمكة فى رمضان عن نيف وتسعين سنة، وقد جاور بها ستين سنة، وصار شيخ الحرم، فحمل الشريف حميضة نعشه.

ومات الشيخ عثمان بن جوشن السعودى.

=أسواقها: سوق الأكافين وسوق الصيافلة ثم سوق السراجين إلى المسجد الجامع، ويقال إن الرملة أربعة آلاف ضيعة، وبين الرملة وإيليا ثمانية عشر ميلاً فى صحار ووهاد. وبمدينة الرملة نزل صالح النبى عليه السلام ومن آمن معه بعد أن أهلك قومه حين عقروا الناقة، وقيل لما رأى أنها دار قد سخط الله عليها ارتحل هو ومن معه وأهلوا بالحج حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فقبورهم فى غربى الكعبة بين دار الندوة والحجر. انظر: معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، وصبح الأعشى ٩٩/٤، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥.

ومات الشيخ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازى المصرى، فى خامس ربيع الأول، ومولده فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة.

ومات قاضى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد بن العظيم بن على بن سالم بن السقطى الشافعى، فى ليلة الإثنين حادى عشر شعبان، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأخرج له التقى الأسعردى مشيخة.

* * *

سنة ثمان وسبعمائة

فى أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاى حارب العبيد بمكة: وذلك أنهم كثر تخطفهم أموال التجار، وأخذهم من الناس بالغصب ما أرادوا، فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منعه، فضربه ضربا مبرحا، فثار الناس وتصايحوا. فبعث نوغاى مماليكه إلى العبيد، فأمسكوا بعضهم وفر باقيهم بعدما جرحوا، فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب، وركب نوغاى بمن معه، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه، وساق فإذا طائفة من السرويين[1] قد فروا من الخوف إلى الجبل. فقتل منهم جماعة ظنا أنهم من العبيد، فكف حميضة عن القتال، وما زال الناس بنوغاى حتى أمسك عن الشر.

وقدم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات، فخرج العسكر إليهم، فلما ساروا سقط الطائر من قلعة كركر بنزول المغل عليها ونهب التركمان وأخذهم، فكتب إلى العسكر المجرد بنجدتهم، فكسبوا المغل فى الليل وقتلوهم، واستردوا ما أخذوه من كركر، وأسروا منهم ستين رجلا، وغنموا عدة خيول.

وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر، فى ربيع الأول.

وفى ثالث ربيع الآخر: فوضيت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضًا عن الشيخ شمس الدين محمد الجزرى.

وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجوهر.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام يتصدى نحو عشرين يومًا، وعاد وقد ضاق صدره واشتد حنقه، وصار فى غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهى أكله لقلة المرتب، فلولا ما كان يتحصل له من أوقاف أبيه لما وجد سبيلا إلى بلوغ بعض أغراضه. فأخذ فى العمل لنفسه. وأظهر أنه يريد الحج بعياله، وحدث بيبرس وسلار فى ذلك يوم النصف

---

(١) السرويى: من هم أهل رية سرو، وهى قرية كبيرة مما يلى مكة. انظر معجم البلدان ٣/٨٦، ٨٧.

من رمضان، فوافقاه عليه. وأعجب البرجية سفره لينالوا أغراضهم، وشرعوا فى تجهيزه، وكتبوا إلى دمشق والكرك وغيره برمى الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فتهيأ ذلك. وأحضر الأمراء تقادمهم وتأنقوا فيها، فقلبها السلطان وشكرهم على ذلك؛ وركب فى خامس عشرى رمضان يريد السفر، ونزل من القلعة ومعه الأمراء؛ وخرج العامة وتباكوا حوله، وتأسفوا على فراقه، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج. وتعين للسفر معه من الأمراء عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار عوضًا عن الجاولى، وسيف الدين آل ملك الجوكندار. وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس، وسيف الدين بلبان أمير جاندار، وعز الدين أيبك الرومى السلاح دار، وركن الدين بيبرس الأحمدى، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وسيف الدين يقطاى الساقى، وشمس الدين سنقر السعدى النقيب، ومن المماليك خمسة وسبعون نفرًا. وودعه بيبرس وسلار فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له، وعاد الأمراء.ورحل السلطان من ليلته، وعرج إلى جهة الصالحية وعيد بها، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرسًا، فقدمها يوم الأحد عاشر شوال. فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بقدومه، وقام بما يليق به، وزين القلعة والمدينة، وفتح باب السر ومد الجسر، وكان له مدة لم يمد، وقد سار خشبه، فلما عبرت الدواب عليه، وأتى السلطان فى آخرهم انكسر الجسر تحت رجلى فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبدوا العنان حتى خرج من الجسر وهو سالم؛ وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد.

وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح خاطره؛ فشق عليهم ذلك، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه فى ترك هذا الخاطر، وكشفوا رءوسهم فلم يرجع إليهم، وقال السلطان للخطيرى: «قد أخذ بيبرس الجاشنكير السلطنة ولابد»، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير، وكان قد توجه معه، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطة، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك، وأعطاه للأمراء وأمرهم بالعود، وأعطاهم الهجن - وعدتها خمسمائة هجين - والجمال والمال الذى قدمه له الأمراء؛ فساروا إلى القاهرة.

واستولى السلطان على ما كان فى الكرك من المال، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار، وقيل بل وجد سبعة وعشرين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم. واستدعى أهل الكرك، فحلفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك، وأمرهم فحملوا له أحجارا كثيرة إلى القلعة، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادى. فلما حصل

نائب الكرك والناس فى الوادى لنقل الحجارة، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك، وبين له أن أهل القلعة لا سبيل إلى مجاورتهم له بها ولا إقامتهم بالمدينة، «فإنى أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنطاى، وقد مكنت حريمهم وأولادهم من النزول إليهم». فامتثل النائب الأمر وأخذ حريمه، وقدم للسلطان ما كان له من الغلال وهى شىء كثير فقبلها، وأخذ أهل القلعة حريمهم وتفرقوا فى البلاد.

وأقام السلطان الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى فى نيابة قلعة الكرك، فصار هو وأخوه الحاج أرقطاى وأرغون الدوادار مقيمين على علو القلعة، وبعث إلى العرب الشوبك بأن يكونوا فى الخدمة برسم الصيد. وكان حريم السلطان قد توجه إلى الحجاز من القاهرة فى سابع عشر شوال، فلما دخل السلطان إلى الكرك بعث فى طلبهم، فأدركهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن نوكيه، فقدم بهم إلى الكرك.

ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشرى شوال، واجتمعوا عند الأمير سلار النائب بدار النيابة من القلعة، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا، ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك، فاختار أكابر الأمراء سلار لقلعة وتودده، واختار البرجية بيبرس؛ فلم يجب سلار إلى ذلك، وخاف البرجية لئلا يجيب، فقاموا وانفض المجلس. وخلا كل من أصحاب بيبرس وسلار بصاحبه، وحسن له القيام بالسلطنة، وخوفه عاقبة تركها، وأنه متى ولى غيره لا يوافقوه بل يقاتلوه. وبات البرجية تغلى مراجلهم خوفا من ولاية سلار، وسعى بعضهم إلى بعض، وكانوا أكثر جمعًا من أصحاب سلار، وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب، فبلغ ذلك سلار فخشى سوء العاقبة، واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمى إليه، وقرر مع عقلائهم سرا موافقته على ما يشير به - وكان مطاعا فيهم - فأجابوه، ثم خرج إلى شباك النيابة.

* * *

السلطان الملك المظفر
ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى[1]

جلس على تخت الملك فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة، وحضر

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى ركن الدين الملك المظفر من سلاطين المماليك بمصر و\الشام شركسى الأصل على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه انظر: النجوم الزاهرة ٢٣٢/٨ ، ٢٧٦ والأعلام ٧٩/٢ ، ٨٠.

بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلى السلطنة. فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادارى والأمير أيبك الخازندار، وهم أكابر المنصورية: «ينبغى استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع» فخرج الطلب لهم وحضروا، فقرئ عليهم كتاب السلطان، وشهد عند قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى الأميران عز الدين الخطيرى والحاج آل ملك، ومن كان معهم من الأمراء، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام، فأثبت ذلك. وأعيد الكلام فيمن يصلح، فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلار، فقال: «نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه» وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته، وألا يخالفوه فى شىء. فقلق البرجية و لم تبق إلا إقامتهم الفتنة، فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف. فقال سلار: «والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك، ولا يصلح له إلا أخى هذا» وأشار إلى بيبرس الجاشنكير، ونهض قائما إليه؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم: «صدق الأمير» وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرها، وصاحوا بالجاوشية فصرخوا باسمه. وكان فرس النوبة عند الشباك. فألبسوه تشريف الخلافة: وهى فرجية أطلس أسود وطرحة، وتقلد بسيفين على العادة. ومشى سلار والناس بين يديه من دار النيابة بعد العصر حتى ركب، وعبر باب القلعة إلى الإيوان؛ وجلس على التخت، ولقب بالملك المظفر، وصار يبكى بحيث يراه الناس. ثم قام إلى القصر، وتفرق الناس بعدما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما.

ولما استقر الملك المظفر فى مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة فى يوم الإثنين خامس عشريه؛ فأظهر التغمم بما صار إليه، وخلع على الأمير سلار خلعة النيابة على عادته، بعدما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء، حتى قال له: «إن لم تكن أنت نائبًا فلا أعمل أنا السلطنة»، وقامت عليه الأمراء. ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر فى السلطنة، وتوجه الأمير بيبرس الأحمدى إلى حلب، والأمير بلاط إلى حماة، والأمير عز الدين أيبك البغدادى وزير بغداد وسيف الدين ساطى إلى دمشق على البريد.

وطلب التاج بن سعيد الدولة، وعرضت عليه الوزارة، فامتنع منها وصمم، وأشار باستمرار الصاحب ضياء الدين النشائى، فخلع عليه وعلى التاج. واستمر ابن سعيد الدولة فى نظر الجيش، والإشارة فى أمر الوزارة والتوقيع، ونزلا. وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب، ولا يكتب السلطان على شىء ما لم ير خطه،

فشق ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر، وخيل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك، فمنعه من الوقوف على الأجوبة والكتابة عليها، وأمضى له ماعدا ذلك.

وكتب للملك الناصر تقليد بنيابة الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس، وجهز إليه وقرن بهما كتاب الملك المظفر: «بأنى أجبت سؤالك فيما اخترته، وقد حكم الأمراء على فلم تمكن مخالفتهم، وأنا نائبك» وخرج بها الأمير الحاج آل ملك فلما وصل إليه أظهر البشر، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر، وخطب له يوم الجمعة أيضًا على منبر الكرك، وأنعم على البريدى وأعاده؛ فسر المظفر بذلك.

وقدم البريد من ممالك الشام بالطاعة وحلفهم، ماعدا الأفرم نائب دمشق. فإنه لما قدم عليه وزير بغداد بالخبر قال: «بئس والله ما فعله الملك الناصر بنفسه!، وبئس ما فعله بيبرس! وأنا لا أحلف لبيبرس - وقد حلفت الملك الناصر - حتى أبعث إلى الناصر»، ثم سير جماعة إلى الكرك على البريد بكتابه، فأعاد الناصر الجواب بالشكر والثناء، وأنه قد ترك الملك، فليحلف لمن يولونه، وقدم البريدى بذلك إلى دمشق فى يوم الخميس خامس عشر ذى القعدة، فاجتمع الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام على عادته، وخلع على محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر، وأنعم على الأمير برلغى بإقطاع السلطان قبل سلطنته، وأنعم بإقطاع برلغى على بتخاص، وبإقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك. وخطب للملك المظفر، ونودى بدمشق فزينت، وعاد وزير بغداد وساطى إلى القاهرة.

فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعدما جُدّدت له الولاية بالسلطنة من الخليفة، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سَيفٍ وربِّ قلم، فبلغت عدة الخلع إلى ألف ومائتى خلعة. وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن عبد الظاهر، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره، وسير بالميدان الأسود ومعه الأمراء وعليه التشريف: وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش أسود ملمع بقطع ذهب ولفته مدمورة، والسيفان على عاتقيه، والوزير ضياء الدين قدامه على فرس، والتقليد على رأسه فى كيس حرير أسود، بعدما قرئ بالقلعة على الأمراء.

وورد الخبر بأن متملك قبرس[١] اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم، فاتفقوا على عمل جسر ماد من القاهرة إلى دمياط خوفًا من نزول الفرنج أيام النيل، وندب لذلك الأمير جمال الدين

---

(١) على هامش ط: كان ملك قبرس تلك السنة هذى لوسيجنان.

أقوش الرومى الحسامى، وأمر ألا يراعى أحدًا من الأمراء فى تأخير رجال بلاده، ورسم للأمراء أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار، وكتب إلى الولاة بالمساعدة والعمل، وأن يخرج كل وال برجاله. وكان أقوش مهابا عبوسا قليل الكلام، له حرمة فى قلوب الناس؛ فلم يصل إلى فارس كور حتى وجد ولاة العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال، فاستدعى المهندسين ورتب العمل. فاستقر الحال على ثلاثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل، وأحضر إليه نواب جميع الأمراء. فكان يركب دائما لتفقد العمل واستحثاث الرجال، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة. فلم يغب عنه بعد ذلك أحد، ونكل بكثير من مشايخ العربان. وضربهم بالمقارع وخزم آنافهم وقطع آذانهم، ولم يكد يسلم منه أحد من أجناد الأمراء ومشدى البلاد، وما زال يجتهد فى العمل حتى نجز فى أقل من شهر، وكان ابتداؤه من قلوب وآخره بدمياط، يسير عليه الراكب يومين، وعرضه من أعلاه أربع قصبات، ومن أسفله ست قصبات، يمشى ستة فرساى صفار واحدًا. وعم النفع به، فإن النيل كان فى أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط. وحضر بعد فراغه الأمير أقوش إلى القاهرة، وخلع عليه وشكرت همته.

ووقع الاتفاق على عمل جسر آخر بطريق الإسكندرية، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمكى، فعمر قناطر الجيزة إلى آخر الرمل تحت الهرمين، وكانت تهدمت، فعم النفع بعمارتها.

وورد الخبر بأن الخوارزمى والتليلى عادا من بلاد المغرب بهدية جليلة، وركب معهم الحاج، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة.فخرج جماعة من الأجناد والمماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسل والحجاج، وساروا ومعهم نائب الإسكندرية إلى سوسة[1] فلقوهم بها وأحسنوا إليهم وإلى الحاج. وساروا بهم إلى القاهرة.

---

(١) سوسة: من بلاد إفريقية، وإليها تنسب الثياب الريقة السوسية، ويقال لها البيضاء، ومنها ركب أسد بن الفرات البحر غازيًا إلى صقلية فى الزمان الأول. وهى مدينة قديمة فيها آثار للأول، وهى على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وهو من أغرب البنيان، فيه أقباء معقودة بحجر النشف الذى يطفو فوق الماء المجلوب من بركان صقلية، وداخل المدينة هيكل عظيم يسميه البحريون الفنطاس، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها. وبين سوسة وحصن هرقلية ثمانية عشر ميلاً، وسوسة عامرة بالناس كثيرة المساجد، والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون وبها المتاع الذى لا يوجد فى غيرها وأسواقها عامرة، ومياههم من المواجل، وعليها سور من حجر حصين. وكان بين أهلها وبين أهل المهدية فى القديم مشاحنة مشهورة، ومن المداعبات كان=

وفيها كثرت مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء فى شيخهم كريم الدين عبد الكريم الآملى، فقام عليه الشيخ نصر المنجنى قياما عظيما حتى صرف بقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفيها أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين قبجق، فعزل وولى.

وفيها صرف أمين الدين أبو بكر بن الرقاقى من نظر دمشق، وعاد إلى القاهرة.

* * *

ومات فى هذه السنة

علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش بن أبى حليقة، رئيس الأطباء بمصر والشام، وترك مائى ألف دينار، وقيل ثلاثمائة ألف.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر البرلسى ناظر بيت المال، فى خامس صفر بالقاهرة، وولى نظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوى النائب المالكى.

ومات محيى الدين أحمد بن أبى الفتح بن باتكين، وكان يعانى الخدم الديوانية، وله شعر حسن وفضيلة، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، وعمى قبل موته، ومات بالقاهرة.

ومات الشهاب أحمد بن صادق القوصى، فى حادى عشر صفر بقوص، وكان فقيها شافعيا يوقع عن قاضى، وفيه تحرز وعنده يقظة.

ومات الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى، فى ليلة الجمعة سابع ذى القعدة، وقد حمل من قوص إلى القاهرة، بسبب قيامه فى هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة، فعوق بالمسجد أياما ثم خلى عنه، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات، وبيعت ثيابه التى مات فيها بخمسين دينارًا، تفرقها أهل الزوايا.

ومات عثمان الحلبونى الصعيدى ببرزة خارج دمشق، وكانت له أحوال ومكاشفات.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة الطائى السوادى، فى يوم الثلاثاء

لا تلمنى على الدناءة إنى تونسى وجزت يومًا بسوسه

فيقال له: أى البلدين أعظم دناءة؟ والبيت المشهور إنما هو: وقد سكنت الجزيرة. وبالصين أيضا مدينة سوسة، وهى مشهورة مذكورة. انظر: معجم البلدان ١٩٠/٣. والروض المعطار ٣٣١.

رابع عشرى ذى القعدة عن سبع وأربعين سنة، ودفن بالقرافة.

ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبى السرور بن أبى النصر السامرى الدمشقى، أسلم فى الأيام المنصورية قلاوون، وتنقل فى الخدم الديوانية ولى نظر الجيش بدمشق، ثم انقطع فى داره حتى مات فى حادى عشرى رمضان، ومولده اثنتين وعشرين وستمائة، وكان جميلا لينًا متواضعًا محبا لأهل الخير، مواظبًا على الصلوات بجامع بنى أمية، فيه بر وصدقات مع العفة.

ومات شهاب الدين بن على الحسبنى، حدث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوى، ومات بها.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، فى محرم بمصر. ومات الأمير علاء الدين الطبرس المنصورى والى باب القلعة الملقب بالمجنون، والمنسوب إليه العمارة فوق قنطرة المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة، وكان عفيفا دينا، له أحكام قراقوشية مع تسلط على النساء، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن، فامتنعن من الخروج فى زمانه إلا لأمر مهم، مثل الحمام وغيره.

ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس، فى خامس رجب بمصر، ومات ولده قبله بيوم.

ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبى القاسم المراغى، فى ليلة السبت ثانى المحرم بمصر.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدى أستادار النائب سلار، فى تاسع عشر شوال، وكان عاقلا له ثراء واسع وجاه عريض.

ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبى عامر بن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، فى ثامن صفر، فبويع أخوه الربيع بن أبى عامر.

* * *

سنة تسع وسبعمائة

فيها قدم علاء الدين التليلى وأيدغدى من بلاد المغرب، ومعهما الشيخ أبو زكريا اللبحانى متولى طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المرينى يريدان الحج، فكانت غيبة النليلى ورفيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فنزل اللحيانى بمناظر الكبش ورتب له ما يليق به.

وفيها بنى الأمير برغلى على ابنة السلطان، وعمل مهم عظيم خلع فيه على سائر الأمراء. وعزل الأمير بيبرس العلائى من نيابة عزة، واستقر عوضه بلبان البدرى. وكتب إلى دمشق بإبطال المقرر على الخمور بساحل الشام، وإراقتها وتعويض الجند بدلها. وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن، وقد مات رفيقه سنقر السعدى.

وقدم الخبر بأن الملك الناصر كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك فى مماليكه، فتخيل الملك المظفر من ذلك وخشى عاقبته. واتفق أنه قدم الخبر أيضًا بحركة خربندا للسير إلى بلاد الشام، فكتب إلى الملك الناصر بحركة خربندا، وقد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر، وما استولى عليه من حاصل الكرك، ومن عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة، ويرسل الخيول التى قادها من مصر، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه. ورأى الناصر أن المغالطة أولى، وكتب الجواب: «المملوك محمد بن قلاوون يقبل الأرض، وينهى أنه ما قصد الإقامة إلا طلبا للسلامة، وإن مولانا السلطان هو الذى ربانى، وما أعرف لى والدًا غيره، وكل ما أنا فيه فمنه وعلى يديه، والقدر الذى أخذته من الكرك لأجل ما لا بد لى فيه من الكلف والنفقة. وقد امتثلت المرسوم الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذى تأخر عندى امتثالا لأمر مولانا السلطان، وأما الخيل فقد مات بعضها، ولم يبق إلا ما أكبه؛ والمماليك فلم أترك عندى إلا من اختار أن يقيم معى، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد، فكيف يحل لى أن أخرجهم؟ وما بقى إلا إحسان مولانا السلطان». وكتب الناصر بأعلى الكتاب: «الملكى المظفرى»، وخلع على مغلطاى ودفع إليه الكتاب، وحمل معه مائتى ألف درهم، وأعاده وقد حمله مشافهة بمعنى جوابه، فقنع السلطان المظفر بيبرس بذلك.

وفيها قدم السلطان البرجية وأمر منهم جماعة كبيرة، وأراد أن يؤمر جماعة الأمير سلار فلم يوافق على ذلك، وحلف بأيمان مغلطة أنه لا يمكن أحدًا منهم أن يتأمر.

وفيها تفاوض كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة: وسبب ذلك أن التاج تزايد تحكمه فى الدولة، بحيث إنه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدم فى وظيفة حتى يكتب عليه، ثم شارك كاتب السر فى معرفة أجوبة النواب وغيرهم، فامتنع ابن فضل الله من ذلك، ورد عليه الجواب، وفيه «ولا كرامة أن يكون مطلعا على أسرار المملكة». ثم حدث ابن فضل الله الأمير سلار النائب فى ذلك، وقبح عنده أن يطلع رجل قبطى على أسرار المملكة وأخبار العدو وأنه لا يوافق على ذلك بوجه. فشق على سلار ما قصد التاج، وقام فى مساعدة ابن فضل الله، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الاطلاع على شىء من أمر ديوان الإنشاء، فاشتد غضبه وباين ابن فضل الله.

وقد قام البريد بإبطال سائر الخمارات، فسر السلطان بهذا، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر. وندب لذلك الأمير سيف الدين الشيخى أحد البرجية، وتقدم إليه ألا يراعى أحدًا من خشداشيته، ولا يدع بيتا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمرًا إلا ويكبسه ويكسر ما فيه. وكان الشيخى فيه شدة وقوة نفس، فطلب والى القاهرة ومقدميها وأصحاب الأرباع[1]، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه، وأخفوا سائر المواضع، وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على عصر العنب أو من عنده خمر، وكتب أسماءهم، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وأخذ فى كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به فى مماليكه، وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناءون لتفقد مطامير[2] الخمر وإخراجها، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها. فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد، وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء، لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفًا على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم. وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض، وتشفى جماعة من أعاديهم بذلك. وكبست أيضًا دور اليهود والنصارى، وأريق ما فيها من الخمور وتعدى الأمر دون الأمراء، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى أحد أمراء الألوف من البرجية. فأزال

---

(١) على هامش ط: الأرباع جمع ربع، والمقصود بأصحاب الأرباع خفراء الليل فى أقسام البلد الآهلة بالسكان.

(٢) المطامير: حفر تحفر فى الأرض توسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب، والمطمورة: وهى حفيرة تحت الأرض، أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفيا يطمر فيها الطعام والمال، أى يخبأ، وقد طمرتها أى ملأتها. وطمر فى الأرض طمورا: ذهب. وطمر إذا تغيب واستخفى؛ وطمر الفرس والأخيل يطمر فى طيرانه. انظر: قاموس المحيط، ولسان العرب ٢ ٢٧٠٢.

الله بذلك فسادا كبيرًا، ووقع أيضًا بسببه من نهب الأموال فساد كبير؛ فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه.

وفى ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر، فبرز الدهليز السلطانى إلى الريدانية.

وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثى[١] فى قضاء الحنابلة بالقاهرة، بعد موت القاضى شرف الدين عبد الغنى بن عبد الله الحرانى، فى ثالث ربيع الآخر.

وفيها فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء؛ وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم، والرطل البطيخ بدرهم؛ وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع فى كل يوم بثلاثمة درهم إلى مائتى درهم.

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما، والأردب الشعير والفول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده مباشرة سنة، وباع ما عداه قليلا قليلا. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا، وخرج بهم الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلانى فاستسقى، وكان يومًا مشهودًا، فنودى من الغد بثلاثة أصابع، ثم توقف. وانتهت زيادة النيل فى سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعًا. واتفق أنه نقص فى أيام النسىء، وجاء النوروز ولم يوف النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت، وهو ثامن عشرى ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء، وغنت عامة مصر: «سلطاننا ركين[٢]، ونائبنا دقين[٣]، يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج[٤]، يجى الما ويدحرج».

---

(١) مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى، سعد الدين العراقى ثم المصرى: فقيه حنبلى. نسبته إلى (الحارثية) من قرى غربى بغداد. ولد ونشأ بمصر، وسكن دمشق فولى بها مشيخة الحديث النورية، ثم عاد إلى مصر، فدرس بجامع طولون، وولى القضاء سنة ٧٠٩ إلى أن توفى. انظر: الدرر الكامنة ٣٤٧/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٢/١ والكتبخانة ٢٩٥/٣ وشذرات الذهب ٢٨/٦ والأعلام ٢١٦/٧.

(٢) المقصود بلفظ ركين، السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

(٣) المقصود بلفظ دقين الأمير سلار النائب.

(٤) المقصود بالأعرج الناصر محمد بن قلاوون.

وفيها قدم البريد من حلب بأن الأمير سرتاى استنابه الملك خربندا بديار بكر، وأنه حارب طقطاى؛ فقتل طقطاى، وعزم على المسير إلى حلب. فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة الطبلخاناه والعشراوات فى ألفى فارس، وساروا فى جماد الأولى إلى حلب. وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة من القمح وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق، معونة له ولمن معه.

وفيها ابتدأ اضطراب دولة السلطان الملك المظفر: وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه. وحسنوا له القبض عليه، فجبن بيبرس عن ذلك؛ ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاى إلى الملك الناصر، ليأخذ منه الخيل والمماليك التى عنده. وتغلظ مغلطاى فى القول، فغضب الملك الناصر من ذلك غضبًا شديدًا، وقال له: «أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى أو مملوك لى، ويكرر الطلب؟ ارجع إليه، وقل له والله لئن لم يتركنى وإلا دخلت بلاد التتر، وأعلمتهم أنى قد تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى، وهو يتبعنى ويطلب منى ما أخذته». فجافاه مغلطاى وخشن فى القول، بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح به: «ويلك! وصلنا إلى هنا؟» وأمر أن يجر ويرمى من سور القلعة. فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه، وأخرجوه إلى السور؛ فلم يزل الأمير أرغون الدوادار والأمير طغاى إلى أن عفا عنه الناصر وحبسه، ثم أخرجه ماشيا إلى الغور، وامتعض مغلطاى عند ذلك مما حل به.

وكتب الناصر ملطفات إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد، وإلى أمراء مصر ممن يثق به، بما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر، وقنع بالإقامة فى الكرك، وأن السلطان الملك المظفر فى كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالمماليك، وقال لهم: «أنتم مماليك أبى وربيتمونى. فإما أن تردوه عنى وإلا أسير إلى بلاد التتار» وتلطف فى مخاطبتهم غاية التلطف، وسير إليهم العربان بها فأوصلوها إلى أربابها. وكتب الأمير قبجق المنصورى نائب حماة الجواب: «بأنى مع الأمير قرا سنقر نائب حلب» وكتب الأمير قراسنقر الجواب: «بأنى مملوك السلطان فى كل ما يرسم به» وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية، فبعث الناصر مملوكه أيتمش المحمدى، وكتب معه ملطفًا إلى الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى، والأمير بكتمر الحسامى الحاجب، بدمشق. وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع له.

وقدم أيتمش دمشق فى خفية، ونزل عند بعض مماليك الأمير قطلوبك، ودفع إليه الملطف. فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام، ويتقرب إليه بذلك. فترك أيتمش راحلته التى قدم عليها عندما بلغه ذلك، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص فى الليل واستأذن عليه فأذن له، فعرّفه ما كان من الأمير قطلوبك، فطمن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه، وأركبه من الغد معه إلى الموكب. وقد سبق قطلوبك وعرف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلا، فقلق الأفرم من ذلك، وألزم والى المدينة بتحصيل المملوك، فقال بهادر آص: «هذا المملوك عندى»، وأشار إليه، فنزل عن الفرس وسلم على الأفرم وسار معه فى الموكب إلى دار السعادة، وقال بحضرة الأمراء: السلطان الملك الناصر يسلم عليكم، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه، وما منكم إلا من إنعامه عليه. وأنتم تربية الشهيد والده، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها. فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفوه». فلم يتم هذا القول حتى صاح عز الدين أيدمر الكوكندى الزراق أحد أمراء دمشق «وابن أستاذاه! ، وبكى. فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه، ثم قال لأيتمش: «قل له - يعنى الملك الناصر - كيف تجىء إلى الشام، أو إلى غير الشام، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك؟ أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك أن أحلف له ما حلفت حتى سيرت أقول له: كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق؟ فأرسل يقول: أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه، وكتب خطه وأشهد عليه بنزول عن الملك، فعند ذلك حلفت له. ثم فى هذا الوقت تقول من يردنى عن الشام؟» وأمر به فسلم إلى أستاداره الطنقش. فلما كان الليل استدعاه، ودفع إليه خمسين دينارًا وقال له: «قل له لا يذكر الخروج من الكرك، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك»، وخلى عنه ليعود إلى الكرك. فقدم أيتمش على الملك الناصر وحدثه بما جرى له فأعاده على البرية ومعه أركتمر وعثمان الهجان، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب، ويواعده على المسير إلى دمشق. وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء.

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير علاء الدين مغلطاى أيتغلى المقدم ذكره قلق، واستدعى الأمير سلار النائب، وعرفه ذلك. وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار، واتهموه بأنه قد باطن الملك الناصر، وأشاروا عليه بقبضه وخوفوه منه. فبلغ ذلك سلار، فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم، وأخذ فى مداراتهم. وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور، فبعث إليه - وكان قد شكا له من انكسار خراجه - ستة آلاف أردب غلة وألف دينار مصرية، فكف عنه، وهادى خواص السلطان، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة طلبًا للسلامة منهم. ثم حضر سلار عند المظفر

وتكلما فيما هم فيه، فاقتضى الرأى تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتغلى. وبينا هم فى ذلك قدم البريد من عند نائب دمشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض[1]، ولم يعرف مقصده، فكتب إليه بالكشف عن مقصده، وحفظ الطرقات عليه.

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك، فتحرك الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى - وكان شجاعا مقداما حاد المزاج قوى النفس، ومن ألزام الأمير سلار النائب - وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر بيبرس إذا ركب ويقتله. فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاى بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان فى عوده من البركة، وتقرب نوغاى من السلطان قليلا قليلا، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر؛ ففطن به خواص السلطان وتحلقوا حوله، فلم يجد نوغاى سبيلا إلى ما عزم عليه.

وعاد السلطان إلى القلعة، فعرفه ألزامه ما فهموه عن نوغاى، وحسنوا له القبض عليه وتقريره على من معه. فاستدعى السلطان الأمير سلار وأعلمه الخبر - وكان قد باطن نوغاى أيضا - فحذره من ذلك، وخوفه عاقبة الأخذ بالظن، وأن فيه فساد قلوب الجميع، وليس إلا الإغضاء فقط، وقام عنه، فأخذه البرجية فى الإغراء بسلار، وأنه ولابد قد باطن نوغاى، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال. فبلغ نوغاى ما هم فيه من الحديث فى القبض عليه، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر؛ وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاى القازانى، والأمير سيف الدين طقطاى الساقى، ونحو ستين مملوكا، وقت المغرب عند باب القلعة من ليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة.

وعرف السلطان بذلك من الإسطبل، ففتح باب القلة، وطلب الأمير سلار وشاوره، فأشار بتجهيز الأمراء فى طلبهم، وعين أخاه علاء الدين سمك وقطز بن الفارقانى فى عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك، وساروا من وقتهم غير مجدين فى طلبهم؛ وصار بين الفريقين مرحلة واحدة، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء. فلما وصل نوغاى إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة، وهو مبلغ عشرين ألف درهم؛ فأخذه وأخذ خيل الوالى وخيول العرب، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك؛ فنزل الأمراء بعده غزة، وعادوا إلى القاهرة. وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله[2]، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك، وأخرج أخبازهم وأخباز المتوجهين إلى الكرك لمماليكه.

---

(١) هو مركز من مراكز الطريق البريدى بين غزة ودمشق. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٢٨٠/١٤.

(٢) المقصود هنا هو أن السلطان قد كثر تخيله أى توهمه وسوء ظنه ممن حوله.

وبلغ الملك الناصر قدوم نوغاى ومن معه وهو فى الصيد، فأمر بإحضارهم فأتوه، وقبلوا له الأرض وهنأوه بالعافية، فسر بهم. وساروا معه إلى زيزاء، ومضى إلى زرع[1] يريد دمشق، ثم رجع إلى الكرك. فشق على المكلك المظفر ذلك، ودار به البرجية وشوشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخيلهم له بمخاطرة العسكر عليه، وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار، والأمير صارم الدين الجرمكى، فى عدة من الأمراء مجردين؛ وأخرج الأمير أقوش الرومى بجماعته إلى طريق السويس، ليمنع من عساه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر، وقبض على أحد عشر مملوكا، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطرا وفر، فأدركه الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، وأحضره فحبس، وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكز السلاح دار بملطف من الملك الناصر استجلا به إليه، فكثر قلق الملك المظفر، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك، وخشوا على أنفسهم، واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويرانية، وتواعدوا على الحرب، وخرج منهم مائة وعشرون فارسا بالسلاح، وساروا إلى الملك الناصر. فخرج إليهم الأمير بينجار والصارم الجرمكى، فقاتلهم المماليك، وجرح الجرمكى بسيف فى فخذه سقط إلى الأرض، ومضى المماليك على حمية إلى الكرك. فعظم الخطب على السلطان، واجتمع إليه البرجية، وقالوا له: «هذا الفساد كله من الأمير سلار، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك»، فلم يوافق على ذلك، واتفق الرأى على تجريد العساكر.

وفى يوم السبت ثانى رجب: مات التاج بن سعيد الدولة، واستقر ابن أخته كريم الدين أكرم الكبير فى وظائفه، وتكبر على الأمراء واستقرت فيه الأحوال، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف.

وأما أيتمش المحمدى فإنه سار إلى حماة، واجتمع بالأمير قبجق نائبها، فأحال قبجق الأمر على الأمير قرا سنقر نائب حلب، وأنه معه حيث كان. فسار أيتمش إلى حلب، واجتمع بقرا سنقر، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر، ودخل فى طاعته، ووعده على السير إلى دمشق أول شعبان. وكتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب يحثه دمشق على طاعة الملك الناصر ويرغبه، وأشار بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد، والأمير كراى المنصورى بالقدس، ونائب طرابلس، وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر، فسر بذلك. وكان نوغاى منذ قدم لا يبرح يحرضه على المسير إلى دمشق، فلما قدم عليه خبر قرا سنقر اشتد بأسه وقوى عزمه على الحركة، إلا أنه ثقل عليه أمر

---

(١) هى أحد أعمال حوران. انظر: معجم البلدان ٦٢١/١.

نوغاى من مخاشنته له فى المخاطبة، وجفاه القول بحيث إنه قال له: «ليس لى بك حاجة! ارجع إلى حيث شئت!» فترك نوغاى الخدمة وانقطع إلى أن قدم أيتمش من حلب، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما، وأسر له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضًا إلى صفد، فتلطف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد، وجمع بينه وبين أبيه ليلا فى مقابر صفد، فعتبه أيتمش على ما كان من رده قاصد الملك الناصر، فاعتذر بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة، وأنه على ميعاد النواب إلى المضى إلى الشام، فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسر به.

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين فى يوم السبت تاسع رجب منهم: الأمير سيف الدين برلغى الأشرفى. والأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك، والأمير عز الدين أيبك البغدادى، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، والأمير سيف الدين تناكر، ومعهم نحو ثلاثين أميرًا من الطبلخاناه، بعدما أنفق فيهم السلطان الملك المظفر، فأخذ برلغى عشرة آلاف دينار، وكل من المقدمين ألفى دينار، وكل من الطبلخاناه ألف دينار، وكل من مقدمى الحلقة ألف درهم، وكل من أجناد الكرك خمسمائة درهم، ونزلوا تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة، لورود الخبر بعود الملك الناصر إلى الكرك. ثم ورد الخبر ثانيًا بمسيره، فتجهز العسكر فى أربعة آلاف فارس، وخرج برلغى ونائب الكرك ومن تقدم ذكره، وساروا فى العشرين من شعبان إلى العباسة. فورد البريد من عند الأفرم نائب دمشق بقدوم أيتمش المحمدى عليه من قبل الملك الناصر، وبما شافهه به من الجواب، وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدى الحسامى والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار، وأشار بتأخير العسكر، فكتب بإقامتهم على العباسة. فقدم أيدغدى شقير وجوبان على الملك الناصر، وعرفاه أنهما قدما لكشف حاله، وحلفا له على القيام بنصرته، ورجعا إلى دمشق، فعرفا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد، فخاف أن يطرق دمشق بغتة، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم: منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، والأمير سيف الدين جوبان، والأمير كجكن، والأمير علم الدين الجاولى، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر. وكتب الأفرم إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصرى، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين له، وحلف أمراء دمشق أنهم لا

يخونون الملك المظفر ولا ينصرون الملك الناصر، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا فى طاعة الملك الناصر. فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه.

فورد كتاب الأمير برلغى من العباسة بأن مماليك الأمير جمال الدين أقوش الرومى تجمعوا عليه وقتلوه، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه فى جماعة من مماليك الأمراء؛ وقد فسد الحال، والرأى أن يخرج السلطان بنفسه. فأخرج المظفر تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء، وهم بشاش وبكتوت الفتاح وكثير من البرجية؛ وبعث إلى برلغى ألفى دينار، ووعده بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه. فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك، وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل من الغد إلى جهة الكرك. فلما كان الليل رحل كثير ممن معه يريدون الملك الناصر، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه، وحرضه على الخروج بنفسه. فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر جكى قد وصل بكتاب الأمير برلغى على البريد إلى السلطان، فلما قضى صلاة الصبح تقدم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر، وناوله الكتاب، فلما قرأه تبسم وقال: «سلم على برلغى، وقل له لا تخش من شىء، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية، وجدد لنا عهدًا، وقد قرئ على المنابر، وجددنا اليمين على الأمراء، وما بقى أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين، فإنه قد أكد فى كتابة العقد». ثم دفع المظفر إليه العهد الخليفتى، وقال: «امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند، ثم يرسله لى، فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام»، وجهز له أيضا ألفى دينار أخرى، وكتب جوابه بنظير المشافهة. فعاد بهادر إلى برلغى، فلما قرئ عليه الكتاب وانتهى إلى قوله: «وإن أمير المؤمنين ولانى تولية جديدة، وكتب لى عهدًا، وجدّد لى بيعة ثانية»، فتح برلغى العهد فإذا أوله: «إنه من سليمان»، فقال: «ولسليمان الريح»، ثم التفت إلى بهادر وقال له: «قل له يا بادر الذقن! وا لله ما معى أحد يلتفت إلى الخليفة»، ثم قام وهو مغضب.

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلف أمراء الشام ثانيًا، وبعث صدر الدين محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد الشهير بابن المرحل[1] برسالة إلى السلطان، صار صدر الدين يجتمع عنده هو وابن عدلان، ويشغل السلطان وقته

---

(١) محمد بن عمر بن مكى، أبو عبد الله صدر الدين «ابن المرحل» المعروف بابن الوكيل: شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة فى حلب. وتوفى بالقاهرة. انظر فوات الوفيات ٢٥٣/٢ والدرر الكامنة ١١٥/٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والنعيمى ٢٧/١ والبداية والنهاية ٨٠/١٤ والفهرس التمهيدى ١٩١ والأعلام ٣١٤/٦.

بهما. فأشارا عليه بتجديد البيعة، وكتابة عهد يقرأ على المنابر، وتحليف الأمراء، فإن ذلك يثبت قواعد الملك، ففعل ذلك وحلف الأمراء بحضرة الخليفة، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبى الربيع، ونسخته: «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى[١] لأمراء المسلمين وجيوشها. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢] وإنى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبا عنى لملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقمته مقام نفسى لدينه وكفايته وأهليته، ورضيته للمؤمنين، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك، ورأيت ذلك متعيّنا على، وحمت بذلك الحاكم الأربعة. واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر. وقد استخرتُ الله تعالى؛ ووليت عليكم الملك المظفر، فمن أطاعه فقد أطاعنى، ومن عصاه فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى ﷺ. وبلغنى أن الملك الناصر بن الملك المنصور شق العصا على المسلمين، وفرق كلمتهم وشتت شملهم، وأطمع عدوهم فيهم، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبى الحريم والأولاد وسفك الدماء، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك. وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم، وأقاتله حتى يفىء إلى أمر الله تعالى. وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى - اللواء الشريف فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعة وقتاله إن استمر على ذلك، وأنا مستصحب معى لذلك السلطان الملك المظفر، فجهزوا أرواحكم والسلام». وقد قرئ على منابر الجوامع بالقاهرة فى الجامع الأزهر وبجامع الحاكم، وقت الخطبة فى يوم الجمعة؛ فلما بلغ القارئ إلى ذكر الملك الناصر صاحوا: «لا! ما نريده!»، ووقع فى القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك.

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريد يحث السلطان على الخروج بنفسه، فإن النواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر؛ فأجاب بأنه لا يخرج، واحتج بكراهيته للفتنة وسفك الدماء، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر، فإن قبلوا وإلا

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع، الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١ هـ، بعهد منه، أقام فى قوص إلى أن توفى بها. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣ يوما، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٨٧/١٤ وابن إياس ١٤٤/١ والدرر الكامنة ١٤١١٢ والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠ والأعلام ١٢١/٣.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

ترك الملك. ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغى أن جميع من خرج من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر، وتبعهم خلق كثير، ولم يتأخر غير برلغى وجمال الدين أقوش نائب الكرك وأيبك البغدادى وتناكر والفتاح لا غير، وذلك لأنهم خواص السلطان.

وأما الملك الناصر فإنه سار فى أول شعبان بمن معه يريد دمشق، فدخل فى طاعته الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبى وبكتمر الحاجب والجاولى، وكتبوا إليه بذلك، وأنه يتأنى فى المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق. ثم كتبوا إلى الأفرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك الناصر، وارادوا بذلك إما أن يخرج الأفرم إليهم فيقبضوه، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش. وكان كذلك: فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سير الملك الناصر من الكرك، فثارت العوام وصاحوا: «نصره الله». وركب الأجناد إلى النائب، فاستدعى من بقى من الأمراء والقضاة، ونادى: «معاشر أهل الشام! ما لكم سلطان إلا الملك المظفر» فصرخ الناس بأسرهم: «لا! لا! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر».

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر، وانفرط الأمر من الأفرم. فاجتمع الأمير بيبرس العلائى والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه، فلم يثبت عندما بلغه ذلك، واستدعى علاء الدين بن صبح وكان من خواصه، وتوجه ليلا إلى جهة الشقيف. فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عندما سمعا الخبر، وتوجها إلى الملك الناصر فسر بهما، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم. ثم قدم إليه أيضا الجاولى وجوبان، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة، فخرج إليه بقية الأمراء والأبضاد، وقد عمل له سائر شعائر السلطنة من الصناجق الخليفتية والسلطانية والعصائب والجتر والغاشية. فحلف العساكر، وسار فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة، فدخلها بعدما زينت زينة عظيمة. وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب، فبلغ كراء البيت من البيوت التى من ميدان الحصا إلى القلعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم. وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة، وحمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى الغاشية، وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر. وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم، حتى إذا وصل باب القلعة خرج متولى القلعة وقبل الأرض، فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان. وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود، تحتها فرو سنجاب.

وفى وقت نزوله قدم مملوك قرا سنقر من حلب لكشف الخبر، وذكر أن قرا سنقر خرج من حلب، وقبجق خرج من حماة؛ فخلع عليه، وكتب إليهما بسرعة القدوم. وكتب إلى الأفرام أمان، وتوجه به علم الدين الجاولى؛ فلم يثق بذلك، وطلب يمين السلطان له؛ فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاى الجمدار، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح؛ فركب السلطان إلى لقائه، حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه. فأعظم الأفرم نزول السلطان له، وقبل الأرض، وكان قد لبس كاملية[1] وشد وسطه وتوشح بنصفية[2]، يعنى أنه حضر بهيئة البطال من الإمرة، وكفنه تحت إبطه وعندما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد: «يا مولانا السلطان! بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه، ولا تغير عليه!»، فبكى سائر من حضر. وبالغ السلطان فى إكرامه، وخلع عليه وأركبه، وأقره على نيابة دمشق، فكثر الدعاء له؛ وسار الناصر إلى القصر. فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلا وجمالا وثيابا بمائتى ألف درهم، تقدمة للسلطان.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: خطب بدمشق للملك الناصر، وصليت الجمعة بالميدان، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم الأمير قرا سنقر نائب حلب، والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس، وتمر الساقى نائب حمص. فركب السلطان إلى لقائهم فى ثامن عشريه، وترحل لقرا سنقر وعانقه، وشكر الأمراء وأثنى عليهم. ثم قدم الأمير كراى المنصورى من القدس، وبكتمر الجوكندار نائب صفد. وقدم كل من النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله، ما بين ثياب أطلس وحوائص ذهب وكلفتاه زركش، وخيول مسرجة، وأصناف الجواهر والخلع والأقبية والتشاريف. وكان أجلهم تقدمة الأمير قطلوبك المنصورى، فإنه قدم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك، وأربع قطر بغال، وعدة بخاتى، وغير ذلك.

وشرع الملك الناصر فى النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب، فلما انتهى أمر النفقة قدم السلطان بين يدية الأمير كراى المنصورى على عسكر ليسير إلى غزة، فسار إليها، وصار كراى يمد فى كل يوم سماطا عظيما للمقيمين والواردين، وأنفق فى ذلك أموالا جزيلة من حصاله. واجتمع عليه بغزة عالم كبير، وهو يقوم بكلفهم ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم.

---

(١) على هامش ط: نوع من الملابس الخارجية كالعباءة.

(٢) على هامش ط: النصفية جمعها نصافي. قماش من نسيج الحرير والكتان.

وقم الخبر إلى القاهرة فى خامس عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال؛ فقلق الملك المظفر، واضطربت الدولة، وخرجت عساكر مصر شيئًا بعد شيء تريد اللحاق بالملك الناصر، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وألزامه. و لم يتأخرعند الأمير برلغى من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك المظفر، فتشاور مع جماعته، فاقتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضًا؛ فلم يوافق على ذلك البرجية، وعاد الأمير أيبك البغدادى وبكتوت الفتاح وقجمار وبقية البرجية إلى القاهرة، وصاروا مع الملك المظفر. وسار برلغى ونائب الكرك إلى الملك الناصر فيمن بقى من الأمراء والعساكر، فاضطربت القاهرة.

وكان الملك المظفر قد أمر فى مستهل رمضان سبعة وعشرين أميرا، ما بين طبلخاناه وعشراوات: منهم من مماليكه صنقيجى وصديق وطومان، وقرمان، وغرلوا وبهادر وطرنطاى المحمدى، وبكتمر الساقى وقراجا الحسامى وبهادر قبجق، ولاجين أيتغلى وانكبار وطاشتمر أخو بتخاص، ومن ألزامه جركتمر بن بهادر رأس نوبة وحسن بن الردادى؛ وشقوا القاهرة على العادة، فصاحت بهم العامة: «يا فرحة لا تمت».

أخرج المظفر أيضا عدة من المماليك إلى بلاد الصعيد، وظن أن ينشئ له دولة. فلما بلغه مسير برلغى ونائب الكرك إلى الملك الناصر سقط فى يده، وعلم زوال أمره، فإن برلغى كان زوج ابنته ومن خواصه، بحيث أنعم عليه فى هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار. وقيل سبعين ألف دينار. وظهر عليه اختلال الحال، وأخذ خواصه فى تعنيفه على إبقاء سلار النائب، وأن جميع هذا الفساد منه. وكان كذلك: فإنه لما فاتته السلطنة، وقام فيها بيبرس، حسده ودبر عليه، وبيبرس فى غفلة عنه، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه.

وقبض فى ليلة الجمعة ثانى عشره على جماعة من العوام، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب الملك المظفر، فما زادهم ذلك إلا طغيانًا؛ وفى كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار. فلما أكثر البرجية من الإغراء بسلار قال لهم المظفر: «إن كان فى خاطركم شيء فدونكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط». فأجمعوا على قبض سلار إذا عبر يوم الإثنين خامس عشره إلى الخدمة. فبلغه ذلك فتأخر عن حضور الخدمة، واحترس على نفسه وأظهر أنه قد وعك، فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه، فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها.

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم، واستشارهم فيما يفعل. فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله

عن الملك، والإشهاد بذلك كما فعل الملك الناصر، «وتسير إليه تستعطفه، وتخرج إلى الإطفيحية بمن تثق به، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر». فأعجبه ذلك، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدوادرى إلى الملك الناصر يسأله إحدى ثلاث: إما الكرك وأعمالها، أو حماة وبلادها، أو صهيون ومضافاتها.

ثم اضطرب المظفر آخر النهار، ودخل الخزائن، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب، وخرج فى يومه من باب الإسطبل فى مماليكه وعدتهم سبعمائة فارس، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الخطير الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح. والأمير سيف الدين قجماس، والأمير سيف الدين تناكر، فى بقية ألزامه من البرجية. وكأنما نودى فى الناس بأنه قد خرج هاربا، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل، وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه، وزادوا فى الصياح حتى خرجوا عن الحد، ورماه بعضهم بالحجارة. فشق ذلك على مماليكه، وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم، فمنعهم من ذلك، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم، فأخرج كل من المماليك حفنة مال ونثرها. فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه، وأخذوا فى العدو خلف العسكر، وهم يسبون ويصيحون، فشهر المماليك حينئذ سيوفهم، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم. وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء سابع عشره يصيحون باسم الملك الناصر. بإشارة الأمير سلار، فإنه أقام بالقلعة.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر، وأسقط اسم الملك المظفر، فكانت أيامه فى السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما، فكان كما قيل:

أعجلتها النوى فما نلت منها　　　طائلا غير نظرة من بعيد

* * *

عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك مرة ثالثة

وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديارمصر، خرج من دمشق فى الثانية من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان – وهى الساعة التى خلع فيها الملك المظفر بيبرس نفسه من الملك – وسار يريد مصر.

وعندما فر المظفر بيبرس جلس الأمير سلار فى شباك النيابة، وجمع من بقى من الأمراء، واهتم بحفظ القلعة، وأفرج عن المحابيس بها. وركب سلار ونادى فى الناس: «ادعوا لسلطانكم الملك الناصر»، وكتب إلى الملك الناصر بنزول بيبرس عن السلطنة

وفراره، وسير بذلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن السلطنة، ويسأل إما الكرك أو حماة أو صهيون. فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضا، وقدوم الأمير سيف الدين ساطى السلاح دار فى طائفة من الأمراء، وقدوم العربان والتركمان. وقدم الأمير مهنا بجماعة من عرب آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه، وقدم برلغى ونائب الكرك، فسر السلطان بذلك سرورا كبيرا. وكتب الناصر إلى المظفر أمانا مع بيبرس الدودار وبهادر آص، وقدما فى حادى عشرى رمضان إلى الأمير سلار، فجهز الأمان إلى المظفر.

ولما تكاملت العساكر بغزة سار الناصر يريد مصر، فقدم أصلم مملوك سلار بالنمجاة، ووصل أرسلان الدوادار، فسر بذلك. ولم يزل الناصر سائرا إلى أن نزل بركة الحاج، وقد جهز إليه الأمير سلار الطلب السلطانى والأمراء والعساكر سلخ رمضان، وخرج الأمير سلار إلى لقائه. وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز فى يوم الأربعاء مستهل شوال، وأنشده الشعرا مدائحهم، فمن ذلك ما أنشده شمس الدين محمد بن على بن موسى الراعى أبياتا منها:

الملك عاد إلى حماه كما بدا ... ومحمد بالنصر سر محمدا
وإيابه كالسيف عاد لغمده ... ومعاده كالورد عاوده الندى
الحق مرتجع إلى أربابه ... من كف غاصبه وإن طال المدا

وعمل الأمير سلار سماطا عظيما بلغت النفقة عليه اثنى عشر ألف درهم، جلس عليه السلطان: فلما انقضى السماط عزم السلطان على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس. فبلغه أن الأمير برلغى والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث إلى الأمراء يعلمهم بما بلغه، ويأمرهم بالركوب فركبوا، وركب فى مماليكه ودقت الكوسات. وسار الناصر وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد احتفت به مماليه كى لا يصل إليه أحد من الأمراء، وسار إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته. فلما بلغ بين العروستين ترجل سلار وسائر الأمراء، ومشوا إلى باب السر من القلعة، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة، وأمر الأمراء بالانصراف إلى منازلهم، وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل، فباتوا على ذلك.

وأصبح الناصر من الغد يوم الخميس ثانيه جالسا على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء، فقرأ محمد بن على

ابن موسى الراعى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير**﴾[1]، ثم دعا. ولما تقدم الخليفة وسلم، نظر إليه السلطان وقال له: «كيف تحضر تسلم على خارجى، هل كنت أنا خارجيا وبيبرس كان من سلالة بنى العباس؟»، فتغير وجه الخليفة ولم ينطق. ثم التفت السلطان إلى القاضى علاء الدين على بن عبد الظاهر الموقع، وكان هو الذى كتب عهد المظفر عن الخليفة، وقال له: «يا أسود الوجه»، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف: «يا خوند! أبلق خير من أسود؟»، فقال السلطان: «ويلك! حتى ألا تترك رنكه أيضا، يعنى أن ابن عبد الظاهر ممن ينتمى إلى الأمير سلار، وكان رنك سلار أبيض وأسود» ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة، وقال: «يا قاضى! كنت تفتى المسلمين بقتالى؟» فقال: «معاذ الله! إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتى». ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل، وقبل يد السلطان فقال له كنت تقول «ما للصبى وما للملك يكلفه؟». فحلف بالله ما قال هذا، وإنما الأعداء أرادوا إتلافه فزادوا فى قصيدته هذا البيت. والعفو من شيم الملوك، فعفا عنه؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرض فيها بالناصر، من جملتها:

ما للصبى وما للملك يكفله	شأن الصبى لغير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان، فقال السلطان للدوادار: «قل له أنت أفتيت أنه خارجى وقتاله جائز، مالك عنده دخول؛ ولكن عرفه هو وابن المرحل أنه يكفيهما ما قال الشارمساحى فيهما». وكان من خبر ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد ابن عبد الدائم الشارمساحى مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرض فيها بهجو الملك المظفر بيبرس وصحته لابن عدلان وابن المرحل، منها:

ولى المظفر لما فاته الظفر	وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا	كادت على عصبة الإسلام تنتشر
فقل لبيبرس إن الدهر ألبسه	أثواب عارية فى طولها قصر
لما تولى الخير عن أمم	لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا
وكيف تمشى به الأحوال فى زمن	لا النيل وفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته	وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

وكان المطر لم يقع فى هذه السنة، وقصر النيل، وارتفع السعر.

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.

واتفق فى يوم جلوس السلطان، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشر يقال له مسعود أحضره معه من دمشق، فقام وأنشد أبياتا لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجه الملك الناصر من مصر إلى الكرك، منها:

أحبة قلبى إننى لوحيد ... وأريد لقاكم والمزار بعيد
كفى حزنا أنى مقيم ببلدة ... ومن شف قلبى بالفراق فريد
أجول بطرفى فى الديار فلا أرى ... وجوه أحبائى الذين أريد

نق فتواجد الأفرم وبكى، وحسر عن رأسه، ووضع الكلفتاه على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، وتناول الأمير قرا سنقر الكلفتاه بيده ووضعها على رأسه. وخرج السلطان فقام الجميع، وصرخت الجاويشية، فقبل الحاضرون الأرض.

وفيه قدم الأمير سلار من المماليك والخيول وتعابى القماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبل السلطان شيئًا ورد الباقى. وسأل سلار الإعفاء من نيابة السلطنة، وأن ينعم عليه بالشوبك؛ فأجيب إلى ذلك. وحلف سلار أنه متى طلب حضر، وخلع عليه، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافرًا، فكانت نيابته إحدى عشرة سنة، وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم، واستقر ابنه على بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفى خامسه: قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان. وفيه استقر قرا سنقر فى نيابة دمشق عوضا عن الأفرم، وقبجق فى نيابة حلب. والحاج بهادر الحلبى فى نيابة طرابلس عوضا عن أسندمر كرجى، وقطلوبك المنصورى فى نيابة صفد عوضا عن بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجى فى نيابة حلب حماة عوضا عن قبجق، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب بديار مصر على عادته، وقرا لاجين أمير مجلس على عادته، وبيبرس الدودار على عادته - وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس - فى خامس ذى القعدة، واستقر الأفرم فى نيابة صرخد بمائة فارس. وطلب شهاب الدين بن عبادة، ورسم له بتجهيز الخلع والتشاريف لسائر أمراء الشام ومصر فجهزت، وخلع عليهم كلهم فى يوم الإثنين سادسه، وركبوا فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: استقر فخر الدين عمر بن الخليلى فى الوزارة، وصرف ضياء الدين أبو بكر النشائى، وعوق بالقلعة أياما، ثم أفرج عنه ولم يحمل مالا.

وفى يوم الخميس سادس عشره: حضر الأمراء الخدمة على العادة، وقد قرر السلطان مع مماليكه القبض على الأمراء، وأن كل عشرة يقبضون أميرا ممن عينه لهم، بحيث تكون العشرة عند دخول الأمير محتفة به، فإذا رفع السماط واستدعى السلطان

أمير جاندار قبض كل جماعة على من عين لهم. فلما حصل الأمراء فى الخدمة أحاط بهم المماليك، ففهموا القصد، وجلسوا على السماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة. وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار، فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين، وعدتهم اثنان وعشرون أميرا، فلم يتحرك أحد لقبضهم من خشداشيتهم، وبهت الجميع. ولم يفلت ممن عير سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأمه رعف، وخرج من غير أن يشعر به أحد، واختفى عند الأمير قرا سنقر وكان زوج ابنته، فشفع فيه حتى عفى السلطان عنه. وكان الأمراء المقبوض عليهم: تناكر، وأيبك البغدادى، والعتابى؛ وبلبان التقوى، وقجماس، وصاروجا، وبيبرس عبد الله، وبيدمر، ومنكوبرس. وأشقتمر، والسيواسى، والكمالى الصغير، وحسن الردادى، وبلاط، وتمربغا، وقيران، ونوغاى الحموى، والحاج بيليك المظفرى، وفطقطوا، والغتمى، وأكبار، وتتمة الاثنين وعشرين.

وجرد عدد من الأمراء إلى دمشق، فأول من سافر علاء الدين مغلطاى المسعودى،وجبا أخو سلار، وطرنطاى البغدادى، وأيدغدى التليلى، وبهادر الحموى، وبلبان الدمشقى، وأيدغدى الزراق، وكهرداش الزراق، وبكتمر الأستادار، وأيدمر الإسماعيلى، وأقطاى الجمدار، وبوزبا الساقى وبيبرس الشجاعى، وكورى السلاح دار، وأقطوان الأشرافى، وبهادر الجوكندار، وبلبان الشمسى، وعدة من أمراء الشعراوات، فلما وصلوا إلى حلب رسم بإقامة ستة من أمراء الطبلخاناه وعود البقية.

وفى ثالث عشريه: استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضا عن سلار.

وفى خامس عشريه: أحضر الأمير بيبرس الدودار الأموال من عند الملك المظفر بيبرس. وفيه أمر السلطان اثنين وثلاثين أميرا من مماليكه منهم تنكز الحسامى، وطغاى، وكستاى، وقجليس، وخاص ترك، وخلط قرا، وأركتمر، وأيدمر الشيخى، وأيدمر الساقى، وبيبرس أمير آخور، وطاجار، وخضر بن نوكاى، وبهادر قبجق، والحاج رقطاى، وأخوه أيتمس المحمدى، وأرغون الدوادار الذى صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، وسنقر المرزوقى، وبلبان الجاشنكير، وأسنبغا، وبيبغا الملكى، وأمير على بن قطلوبك، ونوروز أخو جنكلى، والجاى الحسامى، وطيبغا حاجى، ومغلطاى العزى صهر نوغاى، وقرمشى الزينى، وبكتمر قبجق، وبيغر الصالحى، ومغلطاى البهائى، وسنقر السلاح دار، ومنكلى بغا. وركبوا جميعا بالشرابيش، وشقوا القاهرة؛ وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة وسوق الخيل، ورصت المغانى وأرباب الملاهى فى

عدة أماكن، ونثرت عليهم الدراهم، فكان يوما مشهودا. وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه، ومنهم أرمراء عشراوات.

وفيه قبض على الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح أمير جاندار، بعدما حضرا من عند الملك المظفر وخلع عليهما. وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم، وطلب السلطان مباشرتهم.

وفيه سفر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها، وهم: الأقوش المنصورى قاتل الشجاعى، والشيخ على التترى، ومنكلى التترى، وشاورشى بن قنغر الذى أثار فتنة الشجاعى، وكتبغا، وغازى وموسى أخوا حمدان بن صلغاى، فلما حضروا خلع عليهم، وأنعم عليهم بإمريات فى الشام وأحضر شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان، فبالغ فى إكرامه.

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح[1] يومين، واتفق رأيه ورأى أيدمر الخطيرى وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها، فلما بلغ المماليك هذا عزموا على مفارقتهم، فلما رحلوا من إطفيح رجع المماليك شيئا بعد شىء إلى القاهرة، فما بلغ الملك المظفر إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه، فانثنى رأيه عن برقة. وتركه الخطيرى والفتاح وعادا إلى القاهرة، فتبعهما كثير من المماليك المظفرية وهو يراهم. وبينما هو سائر قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر آص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس، فسار به بيبرس فى النيل، وقدم بهادر آص فى البر بالمظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم. وسأل المظفر يمين السلطان مع من يثق به، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء، وبعث إليه بذلك مع أيتمش المحمدى، فلما قدم عليه أيتمش بالغ فى إكرامه، وتحير فيما يفعله، وكتب الجواب بالطاعة، وأنه يتوجه إليه ناحية السويس[2]، وأن كريم الدين يحضره بالخزانة والحواصل التى أخذها فلم يعجب السلطان ذلك، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة ليردوه، وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقرا سنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس.

---

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) بليدة على ساحل بحر القلزم من نواحى مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٢٨٦/٣

فلما كان يوم الخميس الذى قبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال أولئك الأشرفية: «وأى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم، وهذا الذى قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره، قد صار اليوم حاكم المملكة» - يعنى قرا سنقر. فنقل هذا لقرا سنقر، فخاف على نفسه، وأخذ فى التعمل على الخلاص من مصر، والتزم للسلطان أنه يتوجه و يحصل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة، فإن فى بعث الأمراء لذلك شناعة، فمشى ذلك على السلطان، ورسم بسفرهما. فخرج قرا سنقر هو وسائر النواب إلى ممالكهم، فعوق السلطان أسندمر كرجى نائب حماة عن السفر، وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجى لإحضار المظفر مقيدًا، فاتفق دخول قرا سنقر والأمراء إلى غزة قبل المظفر، فلما بلغهم قربه ركب قرا سنقر وسائر النواب والأمراء ولقوة شرقى غزة، وقد تقى معه عدة من مماليكه وقد تأهبوا للحرب، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم. فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال، وقال: «أنا كنت ملكا وحولى أضعافكم، ولى عصبة كثيرة من الأمراء، وما اخترت سفك الدماء»، وما زال حتى كفوا عن القتال، وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء، وأسلم نفسه إليهم، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة، وأخذوا سلاح مماليكه ووكلوا بهم من يحفظهم، وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر. فأدركهم أسندمر كرجى بالخطارة[1]، فأنزل فى الوقت المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه، فبكى وتحدرت دموعه على شيبته. فشق ذلك على قرا سنقر وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض، وقال: «لعن الله الدنيا! فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم». فترجلت الأمراء، وأخذوا كلوتته ووضعوها على رأسه. هذا مع أن قرا سنقر كان أكبر الأسباب فى زوال دولة المظفر، وهو الذى حسن للملك الناصر حتى كان ما كان.

ثم عاد قراسنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام، وأخذ بهادر يلوم قرا سنقر على مخالفة رأيه، فإنه كان قد أشار على قراسنقر فى الليل بعد القبض على المظفر بأن يخلى عنه حتى يصل إلى صهيون، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته، ويخيفا الناصر بأنه متى تغير عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك. فلم يوافق قراسنقر على ذلك، وظن أن الملك الناصر لا يستحيل عليه ولا على المظفر، فلما رأى ما حل بالمظفر ندم على مخالفة بهادر. وبينا هما فى ذلك إذ بعث أسندمر كرجى

---

(١) الخطارة إحدى مراكز البريد بين مصر والشام فى العصور الوسطى، وموقعها بين السعيدية والصالحية الحالية. انظر صبح الأعشى ٣٧٧/١٤.

إلى قراسنقر بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة، وكان عزمه أن يقبض عليه أيضا؛ ففطن قراسنقر بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم، وجد في المسير؛ وعرف أنه ترك الرأى فى مخالفة بهادر.

وقدم أسندمر بالملك المظفر في ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذى القعدة؛ فلما مثل المظفر بين يدى السلطان قبل الأرض، فأجلسه وعنفه بما فعل به، وذكره بما كان منه وعدد ذنوبه، وقال: «تذكر وقد صحت على وقت كذا بسبب فلان، ورددت شفاعتى فى حق فلان، واستدعيت نفقة فى وقت كذا من الخزانة فمنعتها، وطلبت فى وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتنى. ويلك! وزدت فى أمرى حتى منعتنى شهوة نفسى»، والمظفر ساكت. فلما فرغ كلام السلطان قال له: «يا مولانا السلطان كل ما قلت فعلته، ولم تبق إلا مراحم السلطان. وإيش يقول المملوك لأستاذه». فقال له: «يا ركن الدين أنا اليوم أستاذك، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوى إيش يعمل بالأوز، الأكل هو عشرون مرة فى النهار». ثم أمر السلطان به إلى مكان، وكان ذلك ليلة الخميس، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة. ثم جاء السلطان وأمر به فقتل، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل، وغسل به فى ليلة الجمعة خامس عشرة، ودفن خلف القلعة.

وقدم كريم الدين أكرم بن العلم بن السديد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل، فقربه السلطان وأدناه وأثنى عليه، ووعده بكل جميل إن أظهره على ذخائز بيبرس، ونزل إلى داره. فبذل كريم الدين جهده فى تتبع أموال بيبرس، وخدم طغاى وكستاى وأرغون الدوادار، وبذل لهم مالا كثيرا حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره، لا يبرحون فى الثناء عليه مع السلطان. وقدم من كان مع بيبرس من المماليك وعدتهم ثلاثمائة، ومعهم الخيل والهجن والسلاح، ومبلغ مائتى ألف درهم وعشرين ألف دينار، وستون بقجة من أنواع الثياب. فقبض السلطان الجميع. وفرق المماليك على الأمراء، واختص منهم بكتمر الساقى الآتى ذكره وما صار إليه، واختص أيضا طوغان الساقى وقباتمر وبلبك فى آخرين. واستدعى السلطان القضاة، وأقام عندهم البينة بأن جمع مماليك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأملاك اشترى من مال بيت المال. فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس، وإحضار نصف ما يتحصل فإنه للسلطان، ودفع النصف الآخر لابنة بيبرس - امرأة الأمير برلغى الأشرفى - فإنه لم يترك سواها. فشدد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جدا، وحمل منها

إلى السلطان، وأهدى إلى الأمراء الخاصكية[1] القائمين بأمره والعناية به، وادخر لنفسه. وباع موجود بيبرس، وكان شيئا كثيرا: فوجد له ثمانين بذله ثياب، ما بين أقبية وبغالطيق للبسه، وستين سروالا، وثمانين قميصا. وصار كريم الدين يتردد إلى بيت الشهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدث فى أملاكه، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدث فى سائر أمور المملكة، ويقرب إليه بما يحب. وطلب الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى مباشرى الأمراء المقبوض عليهم، وطالبهم بالأموال.

وأما قرا سنقر والنواب فإنه سقط فى أيديهم، وداخل كلا منهم الخوف على نفسه من السلطان، واتفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه، فلم يفدهم ذلك. وكان من خبرهم ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما فات السلطان قرا سنقر لم ير القبض على أسندمر كرجى، وخلع عليه وولاه نيابة حماة، وسار إليها. وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب فخر الدين على حوطات الأمراء.

ثم ركب السلطان إلى الميدان فى موكب عظيم، واجتمع الناس لرؤيته، واستأجروا الحوانيت والدور بمال كبير، فكان يوما مشهودا.

وفى أول ذى الحجة: دخل الأمير قرا سنقر دمشق. وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على البريد إلى الشوبك بتشريف سلار، وأنعم عليه بمائة فارس، وأخرجت له بلاد من خاص الكرك زيادة على ما بيده من الشوبك، وكتب له به منشور.

وفيه وسط تحت القلعة سبعة من مماليك أقوش الرومى، بسبب أنهم تولوا قتله وأخذوا ماله، وصاروا إلى الكرك كما تقدم.

وفيه منع الأويراتية من الدخول إلى الخدمة السلطانية: وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء، فلما خامروا على أستاذيهم وفروا إلى السلطان بالكرك ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يدا، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون فى خدمة السلطان ويقفون فوق المماليك السلطانية، فشق ذلك على المماليك، وأغروا السلطان بهم حتى تنكر لهم، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاذيهم وأنهم لا خير فيهم، إلى أن منعهم السلطان.

وفيه كتب لقرا سنقر نائب دمشق بمحاربة العشير وقتلهم، وكانت بنو هلال وبنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر الدولة، فبعث إليهم قرا سنقر

---

(١) هى إحدى فرق المماليك السلطانية.

تجريدة أحضرت روءساءهم، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف درهم، وحبس رهائنهم، وبعث يسأل الإنعام عليه بمبلغ، فأنعم عليه. وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآملى إلى مشيخة سعيد السعداء، وعزل عنها بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر عوضه جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على بن القسطلانى فى خطابة القلعة، وكان قد عزل منها ابن جماعة أيضا لتغير السلطان عليه. وأنعم على الأمير نوغاى القبجاقى بإمرة دمشق عوضا عن قطلوبك، وسار إليها. وكتب بقطع خبز الأمير قطلوبك الأوشاقى والطنقش أستادار الأفرم وعلاء الدين على بن صبيح مقدمى الجبلية وحملهم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير برلغى الأشرفى وطغلق السلاح دار ومغلطاى الفارقانى، وكتب لقرا سنقر بالقبض على نوغاى وبيبرس العلمى، فقبض عليهما وسجنا بقلعة دمشق. وأحيط بسائر ما لهما.

وفيها كانت حرب بالمدينة النبوية: وذلك أن الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور، فتركه وقدم إلى القاهرة، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد، واستخلف ابنه كبيشة. ففر كبيشة عنها وملكها مقبل، فعاد كبيشة بجمع كبير وحاربه وقتله، واستقر منصور بمفرده.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخارى، القرطبى المتحد، القنائى المولد والوفاة، فى رابع ذى القعدة، وكان رئيسا ببلده.

ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحمامى البغدادى، بمكة فى جمادى الآخرة.

ومات نبيه الدين حسن ابن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصارى الأسعردى، بالقاهرة فى أول جمادى الآخرة، ولى حسبة القاهرة، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائى وزيرا تولى هو نظر الدولة، مات بمصر عن سبع وسبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الفقيه الحنبلى، فى المحرم بمصر، وكان بارعا فى الفقه والنحو.

ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى فى ربيع الأول؛ ودفن خارج باب النصر، بعدما استعفى من الإمرة ولزم داره حتى مات ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القمولى(١) الشافعى، بقوص فى جمادى الأولى؛ وكان صالحا عالما بالفقه والتفسير والحديث.

ومات قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى الحنبلى، ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول، ودفن بالقرافة، ومولده بحران(٢) سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، بالقاهرة فى عاشر رمضان.

ومات الأمير عز الدين أيبك الخازندار، بالقاهرة فى سابع رمضان.

ومات الأمير عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسرانى، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة، يوم الخميس عاشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق، بعد عزله.

ومات الأمير علاء الدين أ قطوان الدوادارى بدمشق أيضا.

ومات الأمير علاء الدين على بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل، بقلعة الجبل، وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتا،ثم دفن.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمى شاد الدواودين، بدمشق فى يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الأولى.

ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبى عصيدة ابن يحيى الواثق بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى عاشر ربيع الآخر، وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وولى بعده الأمير أبو بكر بن أبى زيد عبد الرحمن ابن أبى بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد، لأنه قتل ظلما بعد ستة عشر يوما، وبويع بعده أيضا الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم(٣).

---

(١) نسبة إلى بلدة قمولة وهى: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكتفيةبكل نعمة، وفيها أنواع من الفواكه وضروب من التمور والعنب، قال بعضهم: وزنت منه حبة فوجدت زنتها اثنى عشر درهمًا، وفيها من الدلاع وأنواع الموز ما يجل عن المقدار المعهود، وكذلك الرمان والسفرجل والاحباص وسائر الفواكه، وكل شىء من ذلك كثير يباع بأيسر الأثمان، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزًا ومطالب وطلابًا إلى الآن. انظر: الروض المعطار.٤٧٣.

(٢) هى مدينة عظيمة مشهورة من حزيرة أقور، وهى قصبة ديار مصر، بينها وبين الرها وبين الرقة يومان، وهى على طريق الموصل والشام والروم. انظر معجم البلدان ٢/٢٣٥.

(٣) خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد، أبو البقاء: أمير من آل حفص =

ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة، فى يوم السبت ثانى رجب، وكان عند المظفر بيبرس بمكانة عظيمة قرره مشيرا، فكانت تحمل إليه فوط العلامة، فيمضى منها ما يختاره ويكتب عليه عرض، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا؛ وكذلك كتب البريد، ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه، فامتنع، وكان مشهورا بالأمانة والعفة، مهيبا له حرمة، لا يخالط أحدا ولا يقبل هدية.

* * *

أصحاب إفريقية الشمالية - ولى بعد وفاة أبيه سنة ٧٠٠ هـ فى بجاية. كانت ولايته بتونس سنتين وثلاثة عشر يوما. انظر: الخلاصة النقية ٦٨ وابن خلدون ٣٢١/٦ والعبر ١٠٥/١ والكامل ٣٠٢ والأعلام ٣٠٠/٢.

سنة عشر وسبعمائة

أهل المحرم: فوردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر، وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك، فأجيب بالشكر.

وصرف قاضى القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعي، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن مجد الدين أبى حفص عمر بن شرف الدين أبى الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذرعى الشهير بالزرعى الشافعي(١)، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى صفر.

وعزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى(٢) الحنفى فى رابع ربيع الأول، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستدعى شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب بن أبى عمر الأنصار الدمشقى المعروف بابن الحريرى الحنفى من دمشق إلى القاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر فى رابع ربيع الآخر.

وعزل الأمير علاء الدين كشتغدى البهادرى من شد الدواوين، واستقر عوضه بلبان المحسنى، ثم عزل بلبان بعد أيام بعلم الدين سنجر الخازن. واستقر شمس الدين غبريال فى نظر الدواوين، وعزل شاورشى بن قنغر من ولاية القاهرة.

وفى ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته، فقبض علاء الدين سمك

---

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب ولد بأذرعات (قرب دمشق) وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها ثم ناب فى الحكم بدمشق سبع سنين. وانتقل إلى مصر فناب فى الحكم سبعا أيضا ثم ولى القضاء استقلالا نحو سنة. وعاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة وعزل من القضاء لخصومة بينه وبين قاضى الحنابلة فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكى ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ أو النجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣٠/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين فقيه، كان حنبليا وتحول حنفيا. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. وأسيء إليه فمات قهرا. ودفن بقرب الشافعى، بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ٦٠/١٤ والجواهر المضيئة ٥٣/١ والدر الكامنة ١/ ٩١ والطبقات السنية ٣٠٠/١ والأعلام ٨٦/١.

وجبا وداود وأمير على وساطى. وقبض على الأمير طشتمر الجوكندار وكورى السلاح دار وسيف الدين الطشلاقى وقلغاى، وتتمة ستة عشر أميرا. وكتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم عندما قدم السلطان من الكرك: وهم ألطنبغا وأشقتمر وعبد الله والأقوش المنصورى والشيخ على التترى وبينجار التترى وموسى وغازى وأخوا حمدان بن صلغاى وطرنطاى المحمدى وأقطوان الأشرفى، فقبض عليهم خوفا من شرهم وإقامتهم الفتن. وكتب إلى نائب حلب بالقبض على فخر الدين أياز نائب قلعة الروم، فقبض عليه، وأخذ ماله فكان ألف ألف درهم، حملت إلى السلطان.

واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصروى فى وزارة دمشق، وسار من القاهرة فى سابع صفر. واستقر الأمير بكتمر الحسامى الحاجب فى نيابة غزة، عوضا عن بلبان البدرى، وسار فى سابع عشرى المحرم. وندب الأمير بدر الدين القرمانى لكشف القلاع الشامية، فسار ومعه أمين الدين عبد الله بن الغنام. وقبض السلطان على قطقطوا،والشيخ على وضروط مماليك سلار، وأمر جماعة من المماليك منهم بيبغا الأشرفى وسيف الدين جغطاى وطيبغا الشمسى وبكتمر قبجق وبهادر السعيدى الكركرى وطشتمر أخو بتخاص والعمرى وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسى وفردز الكمالى وبيدوا وقرا وأيدمر الدوادار وبهادر النقيب.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب فى جمادى الأولى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، فسأل فى أشياء منها: ولاة حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على، فأجابه السلطان إلى ذلك، ووعده بحماة عوضا عن أسندمر كرجى، ومنها الشفاعة فى عز الدين أيدمر الشيخى، فعفا عنه السلطان وأخرجه إلى قوص، ومنها الشفاعة فى الأمير برلغى الأشرفى - وكان فى الأصل قد كسبه مهنا من التتر، وأهداه للملك المنصور قلاوون، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل - فعدد السلطان ذنوبه، وما زال به مهنا حتى خفف عن برلغى، وأذن للناس فى الدخول عليه، ووعده بالإفراج عنه بعد شهر، فرضى منها بذلك، وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء.

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخرى، وكتب على يده كتابا بحضوره، فاعتذر عن الحضور بوجع فى فؤاده، وأنه يحضر إذا زال عنه. فتخيل السلطان من تأخيره، وخاف أن يتوجه إلى التتر؛ فكتب إلى قرا سنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب

طرابلس بأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار، وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولى إلى سلار، وأكد عليهما فى إحضاره، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره فى أمور المملكة؛ فقدما عليه وبلغاه عن السلطان ما قال، فوعد بأنه يحضر، وكتب الجواب بذلك؛ فلما رجعا اشتد قلق السلطان وكثر خياله.

وأما سلار فإنه تحير فى أمره، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان، ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار، إما إلى التتار أو إلى اليمن أو برقة. فعول سلار على المسير إلى اليمن؛ ثم أجمع على الحضور إلى السلطان، وخرج من الشوبك وعنده ممن سافر معه من مصر أربعمائة وستون فارسا، وسار إلى القاهرة؛ فقدم وقبض عليه فى سلخ ربيع الآخر، وسجن بالقعة.

وفيها عزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر.

وفيها ضيق على الأمير برلغى بعد سفر الأمير مهنا، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه، ومن أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفى برلغى على الموت قتل، بعدما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع؛ ومات ليلة الأربعاء ثانى رجب.

وفيها قتل الأمير سلار أيضا بقلعة الجبل، فى رابع عشرى جمادى الأولى، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا. ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء، ثم ماتت أمه بعد أيام. وكان سلار عاقلا له رأى وحزم، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتر

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب، وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنيابة حماة سار إليها من دمشق. فمنعه أسندمر كرجى، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان. فاتفق موت قبجق، فسار أسندمر من حماة إلى حلب، وكتب يسأل السلطان نيابتها؛ فغضب السلطان من أسندمر، وأسر ذلك فى نفسه.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحاجب عن نيابة غزة، وأحضر إلى القاهرة؛ وولى نيابة غزة الأمير قطلقتمر.

وفيها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى من الوزارة، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين؛ واستقر الأمير بكتمر الحاجب فى الوزارة فى حادى عشر رمضان، واستقر فخر الدين أياز أستادار سنقر الأعسر فى شد الدواوين. واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلار النائب استاداره بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدى، فلم

يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله، ورسم على أياز مع سائر مباشريه، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين فى المصادرة، ليستخرج منهم المال؛ فحمل أياز للخازن ألف دينار، وللصاحب فخر الدين ألف دينار، فرد الخازن المال وقبله الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن، وسلما لأياز ليستخرج المال منهما؛ فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها، وقال لقاصده: «سلم عليه، وقل له ما لنا عنده شىء، وطيب خاطره»، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها، وقال لقاصده: «عرفه أنى أخذت وديعتى التى كان أخذها منى» ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما، فأفرج السلطان عنهما.

وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة بعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكرى ورسل ملك الكرج بهدايا سنية فى رجب، وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر، وبنى فيها مسجد، ولا يمكن نقض ذلك، ورسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التى بالقاهرة وكنيسة اليهود، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء.

وفيها كتب بعزل نجم الدين البصرى عن وزارة دمشق، وولاية شرف الدين حمزة القلانسى عوضه. وقدم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا زائدا، فإنه كان يخشاه ويخشى شره.

والتفت السلطان إلى أسندمر كرجى نائب حلب، وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراى المنصورى وهو مقدم العسكر، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب، وأيبك الرومى، وبينجار، وكجكن، وبهادر آص، وفى عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمى الحلقة، وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجى بتجهيز آلات الحصار على العادة، والاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر، وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراى من القاهرة مستهل ذى القعدة، بعدما أخلع عليه، وأسر إليه السلطان ما يعتمده فى أمر كرجى.

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة، ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه، وله من العمر ست سنين، فى ليلة الأحد حادى عشر رجب، ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين، بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولى

لتجهيزه. واشتد حزن أمه عليه، ووقفت على القبة ماخصها من إرث الملك الأشرف خليل، ورتبت عند قبره القراء.

وفيها عظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان، وضرب أكابر العنبر[1] بالمقارع، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم: وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك مملوكا جميل الصورة، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما لا ينبغى، فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم. وضرب ابن عبادة أيضا شهاب الدين أحمد النويرى صاحب التاريخ بالمقارع: وذلك أنه كان استنابه فى المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما، وجعله يدخل على السلطان ويطالعه بالأمور، فاغتر بذلك وبسط القول فى ابن عبادة. فلم يعجب السلطان منه وقيعته فى ابن عبادة، وعرف ابن عبادة ما قاله فى حقه، وسلمه إليه ومكنه منه، فضربه بالمقارع ضربا مبرحا وصادره، فلم يشكر النويرى أحد على ما كان منه.

وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بمصر من السلطان، وخاف منه، واتفق بكتمر مع الأمير بتخاص المنصورى على إقامة الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون فى السلطنة، والاستعانة بالمظفرية، وبعثوا إليه بذلك فوافقهم. وشرع النائب فى استمالة الأمراء، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء، على أن كل طائفة تقبض على الأمير التى هى بخدمته فى يوم عينه لهم، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة، وقد نزل هناك الأمير موسى. فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر، و لم يبق إلا وقوعه؛ فأراد بيبرس الجمدار أحد المظفرية الذين انتظموا فى سلك هذا العقد أن يتخذ يدا عند السلطان، وعرف خوشداشيته قياتمر الخاصكى بما وقع الاتفاق عليه، فبلغ الخبر إلى السلطان، وكان فى الليل، فلم يتمهل السلطان، وطلب أمير موسى إلى عنده، وكان يسكن بالقاهرة، فلما نزل إليه الطلب هرب. واستدعى السلطان الأمير بكتمر النائب، وبعث أيضا فى طلب بتخاص، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص؛ فسقط فى يد بكتمر، وعلم بأنه قد هلك، فقيد بتخاص وسجن، وأقام السلطان فى انتظار أمير موسى، فعاد إليه الجاولى ونائب الكرك وأخبراه بفراره، فاشتد غضبه عليهما. وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء، وعرفهم ما كان قد تقرر من إقامة أمير موسى وموافقة بتخاص له، و لم يذكر بكتمر النائب. وألزم السلطان الأمير كشتغدى البهادرى والى القاهرة بالنداء عليه، ومن أحضره من الجند فله إمرته، وإن كان من العامة أخذ ألف دينار. فنزل كشتغدى ومعه الأمير فخر الدين أياز

(١) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى. انظر خطط المقريزى ٢/١٠٢.

شاد الدواوين وأيدغدى شقير وسودى وعدة من المماليك، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى، وقبض على حواشى موسى وجماعته وعاقب كثيرًا منهم. فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة، ثم قبض عليه من بيت أستادار الفارقانى من حارة الوزيرية بالقاهرة، وحمل إلى القلعة فسجن بها. ونزل الأمراء إلى دورهم، وخلى عن الأمير بكتمر النائب أيضا، ورسم بشمير أستادار الفارقانى، ثم عفى عنه وسار إلى داره.

وتتبع السلطان المماليك المظفرية فقبض عليهم، وفيهم بيبرس الذى نم عليهم وعملوا فى الحديد. وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة، وقد حضر نساؤهم وأولادهم، وجاء الناس من كل موضع، فكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم، والسلطان ينظر، فأخذته الرحمة وعفا عنهم، فتركوا و لم يقتل أحد منهم.

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حمص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراى، حتى قدم عليه الأمير منكوتمر الطباخى بكتب السلطان لكراى ولكرجى نائب حلب بما يتعمدانه من المراسيم. وقد كتب السلطان معه أيضا مطلقات[1] إلى أمراء حلب بقبض كرجى، وحمله مشافهات لكراى وغيره، فقضى منكوتمر شغله من كراى بحمص، وسار إلى حلب. فرحل كراى فى أثره، وجد فى السير إلى حلب جريدة من غير أثقال، فقطع من حمص إلى حلب فى يوم ونصف، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير، وصاح «يال على»، وهى الإشارة التى رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة فنزل النائب عند ذلك من القلعة بجميع رجالها، وقد استعدوا للحرب، وزحف ومعه الأمير كراى على دار النيابة، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها. فسلم كرجى و لم يقاتل، فأخذ وقيد وسجن بالقلعة، وأحيط بموجوده، وسار منكوتمر الطباخى على البريد بذلك إلى السلطان. ثم حمل أسندمر كرجى إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأيبك الرومى، فخاف قرا سنقر عند ذلك على نفسه، وسأل أن ينقل من دمشق إلى نيابة حلب، ليبعد عن السلطان، فأجيب إلى ذلك، وكتب تقليده وجهز إليه فى أخريات ذى الحجة.

وفيها استقر كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت التاج بن سعيد الدولة فى نظر الخاص ووكالة السلطان، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة، فى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى.

---

(١) المطلقات جمع مطلق، وهى ما يرسله السلطان من رسائل عامة إلى نوابه بمصر ونيابات الشام. انظر صبح الأعشى ٢١٨/٧.

وفيها قدم أسندمر كرجى، فـاعتقل بالقلعـة، وبعـث يسـأل عـن ذنبـه عنـده، فأعـاد جوابه: «ما لك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتك عند سـفرك، أوصيـك يـا خونـد لا تـترك فى دولتك كبشا كبيرًا، وأنشئ مماليكك، و لم يبق عندى كبش كبير غيرك».

وفيها قبض على طوغان نائب البيرة، وحمل إلى السلطان فحبسه أياما، ثـم ولاه شـد الدواوين بدمشق. وخرج الأمير أرغون الدوادار علـى الـبريد بتقليـد قـرا سـنقر حلـب، وأسر إليه القبض عليه إن أمكن ذلك.

وفيها قدم الشريف منصور أحمد بن جماز من المدينة النبوية بتقادم، فأنعم عليه بإعـادة ما خرج لأخيه مقبل.

وفيها استعفى الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة، فأعفى.

واتفق فى هذه السنة أمر غريب قلما عهد مثله: وهو موت سلطان مصـر، وقاضيهـا إمام الحنفية فى عصره، ومفسرها، والمتكلم علـى القلـوب، وواعظهـا، وشـيخ شـيوخها وإمام الشافعية وعالمهم، ومحتسبها، وناظر جيوشـها، وأديبهـا فقتـل السـلطان الملـك المظفر بيبرس فى ذى القعدة. وتوفى القضاة إمام الحنفية فى عصره شمس الدين أحمد بـن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى المصرى، عـن ثـلاث وسـبعين سـنة، فـى يـوم الخميـس ثالث عشرى رجب، ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسـع - وثلاثـين وسـتمائة، وأخـذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب[1] وغيره، ودفن بالقرافة، وله علـى كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل، وله اعتراضات على التقى ابن تيمية.

ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن على[2] بن الشيخ الرفعة مرتفع بـن حـازم ابن إبراهيم بن عباس الأنصارى البخارى المعروف بابن الرفعة الفقيه الشـافعى المصـرى، فى ليلة الجمعة ثامن عشر رجب، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة. وتوفى الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوى، فى تاسع ذى القعدة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الرائق الفائق، فى ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبرى، فى سادس شعبان، ومـات شـيخ الشـيوخ

---

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى شـيخ الحنفيـة فـى زمانه وعالمهم. انظر الدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ٢٨١/١٣ وشـذرات الذهـب ٣٥٧/٥ ومـرآة الجنان ١٨٨/٤ والأعلام ١٣٨/٣.

(٢) أحمد بن محمد بن على الأنصارى، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة: فقيه شـافعى من فضلاء مصر. كـان محتسب القـاهرة ونـاب فـى الحكـم. انظـر البـدر الطـالع ١١٥/١ وطبقـات الشافعية ١٧٧/٥ والدرر الكامنة ٢٨٤/١، وحسن المحاضرة ١٧٦/١ والأعلام ٢٢٢/١

خانكاه السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين أبى بكر الآملى الطبرى، فى تاسع شوال، وولى بعده علاء الدين على بن إسماعيل القونوى[١].

ومات القاضى بدر الدين حسن بن نصر الأسعردى المحتسب، فى مستهل جمادى الآخرة.

ومات القاضى بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على بن المظفر بن الحلى ناظر الجيوش، فى ليلة العاشر من شوال.

ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعى[٢] الموصلى فى ثامن عشرى جمادى الآخرة، ومولده بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة، وكان كثير المجون والشعر البديع، وله كتاب طيف الخيال، لم يصنف مثله فى معناه.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو الربيع بن أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن عبد الحق المرينى، فى آخر جمادى الآخرة، وبويع بعده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضى العزازى[٣] التاجر، عن بضع وسبعين بالقاهرة فى تاسع عشرى المحرم، وله ديوان شعر كبير ومات فخر الدين إسماعيل بن عبد القوى بن الحسن حيدرة الحميرى الإسنائى المعروف بالإمام الفقيه الشافعى، بعدما كف بصره، بمدينة قوص.

ومات شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة وكيل الخاص، فى ليلة الأحد سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة؛ ودفن بالقرافة؛ وولى بعده كريم الدين أكرم.

---

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣ هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف، وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧ هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. انظر: بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧/١٤ والدرر الكامنة ٢٤/٣ ودار الكتب ٥٢١/١ والأعلام ٢٦٤/٤

(٢) محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعى الموصلى، شمس الدين: طبيب رمدى (كحال) من الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفى فى القاهرة. وكانت له دكان كحل فى داخل باب الفتوح. له كتب منها «طيف الخيال». فى أرجوزة خيال الظل. انظر فوات الوفيات ١٩٠/٢ والفهرس التمهيدى ٢٨٢ والدرر الكامنة ٤٣٤/٣ وآداب اللغة ١٢١/٣ والنجوم الزاهرة ٢١٥/٩ والوافى بالوفيات ٥١/٣ والأعلام ١٢٠/٦.

(٣) أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز، شهاب الدين العزازى شاعر مصرى. كان بزازا فى القاهرة، بقيسارية جركس. له موشحات وألغاز و«ديوان شعر». غير كامل. انظر آداب اللغة ١٢١/٣ وفوات الوفيات ٤٨/١ والدرر الكامنة ١٩٣/١ والفهرس التمهيدى ٣٠٣ والأعلام ١٦٤/١

ومات أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقى ناظر الدواوين بديار مصر، ليلة الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وكان دينا خيرا كثيرا الإحسان، ولى نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام.

ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجا بن حسن ابن محمد من ولد الحارث بن مسكين، أحد أعيان الفقهاء الشافعية بمصر ليلة السبت ثامن جمادى الأولى.

ومات الشريف أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب، عرف بالشريف عطوف الحسينى الموسى العطار، ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة، ودفن خارج باب النصر، وقل حديثه.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البيدغانى نائب بغراس، متقولا بيد مماليكه.

ومات الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس، فى ربيع الآخر.

ومات الشيخ الصالح عبد الله بن ريحان التقوى السمسار[١] بمصر، حدث عن ابن المقير وابن رواح وغيره.

ومات بهاء الدين على بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبى المصرى، الصدر المعمر المعروف بابن القيم، فى ذى القعدة، وقد تعين للوزارة، ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان سليم العقل والحواس.

ومات الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب حلب، فى جمادى الأولى.

ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب التاجى، فى سادس ذى القعدة.

ومات بدر الدين أبو البركات عبد اللطيف ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى[٢]، يوم الأحد ثامن عشرى جمادى الآخرة بالقاهرة؛ ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، وولى قضاء العسكر.

ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين على بن السكرى فى حياة أبيه، ليلة السبت حادى عشر رجب بمصر.

---

(١) السمسار: بالسين الوسيط بين البائع والمشترى. انظر محيط المحيط.

(٢) عبد اللطيف بن محمد بن الحسين بن رزين، أبو البركات بدر الدين العامرى الحموى ثم المصرى: فقيه شافعى من المشتغلين بالحديث. حموى الأصل. سمع بمصر والشام، وناب فى القضاء وأفتى، وخطب بالأزهر ودرس. وتوفى بالقاهرة انظر شذرات الذهب ٦/٢٦ والتيمورية ٢/٢٤١ والدرر ٢/٤٠٩ والأعلام ٤/٦٠.

ومات الأمير سيف الدين قشتمر الشمسى، بدمشق.

ومات الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار المنصورى، بالقاهرة فى ليلة الخميس ثالث ذى القعدة، وكان خيرًا، وانفرد بالرواية عن جماعة، وولد سنة ثلاث عشر وستمائة، ومات ولم تتغير حواسه.

ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع الموصلى أمير علم، بمصر فى تاسع رجب.
ومات خضر بن الخليفة أبى الربيع سليمان، فى ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير برلغى الأشرفى فى سجن القلعة، بعدما يبست أعضاؤه وجف لسانه من الجوع فى ليلة الأربعاء ثامن رجب.

ومات الأمير حسام الدين طرنطاى البغدادى.

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين أرغون الجمقدار.

ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح الشيرازى[(١)] صاحب التصانيف، رمضان.

ومات الأمير سيف سلار فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى، وكان من التتار الأويراتية، وصار إلى الملك الصالح على بن قلاوون، وبقى بعد موته فى خدمة الملك المنصور قلاوون حتى مات، ثم دخل فى خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وحظى عنده، فلما قتل حظى عند لاجين لمودة كانت بينهما، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر، وكان من أخباره ما تقدم ذكره، إلى أن قدم من الشوبك، فترك فى السجن حتى مات جوعا، وتولى الأمير علم الدين سنجر الجاولى دفنه بتربته على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، وكان سلار أسمر، لطيف القد أسيل الخد، لحيته فى حنكه سوداء، ظريفا فى لبسه، اقترح أشياء نسبت إليه إلى يوم، وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم: فكان يدخل إليه من أجر أملاكه فى كل يوم ألف دينار مصرية، ومن إقطاعاته وضماناته وحماياته تتمة مائة ألف درهم فى اليوم، عنها حينئذ زيادة على خمسة

---

(١) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسى، قطب الدين الشيرازى: قاض، عالم بالعقليات، ولد بشيراز، وكان أبوه طبيبا فيها، فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسى وقرأ عليه. ودخل الروم فولى قضاء سيواس وملطية. وزار الشام. ثم سكن تبريز، وتوفى بها. انظر بغية الوعاة ٣٨٩ والدرر الكامنة ٣٣٩/٤ وابن الوردى ٢٥٩/٢ ومفتاح السعادة ١٦٤/١ وتاريخ علماء بغداد ٢١٩ وفهرست الكتبخانة ١٨٦/١ والفهرس التمهيدى ٥٠٩، ٥٢٩ والأعلام ١٨٧/٧، ١٨٨.

آلاف دينار مصرية، وكان إقطاعه أربعين إمرة طبلخاناه، وكان عاقلا متأنيا داهيا قليل الظلم، واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة: فوجد له في يوم ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف، وبلخش زنة رطلين ونصف، وزمرد تسعة عشر رطلا، وستة صناديق فيها جواهر، ومن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة، عين مصرى مبلغ مائى ألف و أربعة وأربعين ألف دينار، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف و أحد وسبعين ألف درهم، ووجد له أيضا في يوم فصوص مختلفة زنة رطلين، وذهب عين مصرى مبلغ خمسة وخمسين ألف دينار، ودراهم فضة ألف ألف درهم، وحلى ذهب أربع قناطير، وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة، ووجد في يوم ذهب مصرى مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار، ودراهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم، وفضيات ثلاثة قناطير، ووجد في يوم ذهب عين ألف ألف دينار، وفضة ثلاثمائة ألف درهم، ووجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقم[1]، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب[2]، وأربعمائة قباء بغير فرو، وسروج ذهب مائة سرج، ووجد له ثمانية صناديق لم يعلم فيها، حملت مع ما تقدم إلى السلطان، ووجد له ألف تفصيلة ما بين طرد وحش وعمل الدار[3]، ووجد له خام ست عشر نوبة، ووصل معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهبًا، وأربعمائة ألف درهم وسبعين ألف درهم، وثلاثمائة خلعة ملوّنة وخَرْكاه بغشاء حرير أحمر معدنى مبطن بحرير أزرق مَرَوِى[4]، وسِتْر بابها زركش، ووُجد له ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال، وعشرون قطار جمال، ومن الغنم والبقر والجوارى والمماليك والعقار شيء كثير جدا، ووجد له في موضع بين حائطين عدة أكياس لم يدر ما فيها ولا كم عدّتها، ووجد له في المرحاض شبه فسقية، كُشف عنها فإذا هى مملوءة ذهبًا؛ ووجد له من القمح والشعير والفول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب، وذلك سوى ما أخذ من أخوته ومباشريه وحواشيه وأسبابه[5]، فإنهم صودروا جميعا حتى مُقَدَّم شونه وجباة أملاكه، فاجتمع من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لكثرته، والله يؤتى ملكه من يشاء.

* * *

---

(١) القاقم حيوان برى يشبه الفأرة، إلا أنه أطول منها، وموطنه بلاد الشمال، وله فروة تكون ناصعة البياض فى الشتاء.

(٢) السنجاب حيوان يشبه اليربوع.

(٣) على هامش ط: المقصود بالدار هنا دار الطراز.

(٤) الحرير المروى: هو المصنوع بمدينة مرو عاصمة خراسان، وكان يطلق على جميع الأقمشة الخراسانية أيضا.

(٥) على هامش ط: الأسباب جمع سبب، ومعناها الخلصاء والأصدقاء من المحيطين بشخص من الناس.

سنة إحدى عشر وسبعمائة

فى مستهل المحرم: وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق، فاحترس منه الأمير قرا سنقر على نفسه، وبعث إليه عدة من مماليكه يتلقونه ويمنعون أحدًا ممن قدم معه أن ينفرد. مخافة أن يكون معه من الملطفات للأمراء ما فيه ضرر. ثم ركب إليه قرا سنقر ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة، وأنزله عنده بدار السعادة، ووكل بخدمته من ثقاته جماعة. فلما كان الغد أخرج له أرغون تقليد نيابة حلب، فقبّله وقبّل الأرض على العادة، وأخذ فى التهيؤ للسفر، و لم يَدَع أرغون ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد.

وكثر تحدّث الناس بدمشق فى مجىء أرغون، وأنه يريد قبض قرا سنقر، وأن قرا سنقر قد حضره، فهمَّ الأمراء بالركوب على قرا سنقر وأخْذِه، ثم خشوا العاقبة، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك، فكفوا عنه. وصار الأمير بيبرس العلائى يركب بمماليكه فى الليل، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس. وبلغ ذلك قرا سنقر، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون، وقال لهم: «إنه قد بلغنى أن بعض الأمراء يركب فى الليل، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هاربًا، وما فَعَل هذا إلا برأيكم ولابد أن يكون علمه عندك يا أمير أرغون. فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض علىّ فما يحتاج إلى فتنة، فإنى طائع للسلطان وهذا سيفى خُذْه»، وحلّ سيفه. فقال له أرغون: «لم أحضر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش لله أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين»، وأبكز أرغون أيضًا أن يكون عنده علم بركوب الأمير بيبرس العلائى فى الليل حول السور، فوعد قرا سنقر أنه يتوجه غدًا إلى حلب، وانفض المجلس.

ثم إن قراسنقر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته، واستعد وقدم أثقاله أولا فى الليل. فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرم فى مماليكه وعدتهم ستمائة فارس، وركب أرغون بجانبه وبهادر آص فى جماعة قليلة. وسار قراسنقر، فقدم عليه الخبر أن الأمير سنقر الكمالى الحاجب قد تأخر فى حلب بجماعة من عسكر مصر، فعرج عن الطريق حتى إذا قارب حلب نزل، وقال لأرغون: «لا أدخل حلب وبها أحد من عسكر مصر»، فبعث أرغون إلى سنقر الكمالى يأمره بالخروج من حلب فلما رحل عنها سنقر الكمالى دخل إليها قراسنقر فى نصف المحرم،

ولبس التشريف وقرئ تقليده على العادة، وأعاد الأمير أرغون وقد أنعم عليه. فوصل أرغون إلى دمشق، وقلد الأمير سيف الدين كراى المنصورى نيابة دمشق فى يوم الخميس حادى عشريه، وألبه التشريف على العادة، وقرئ تقليده، وركب الموكب. ثم أنعم كراى على أرغون بألف دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك، وأعاده إلى مصر، فشكره السلطان على ما كان من حسن تأنيه وإخماد الفتنة. وقدم الأمير سنقر الكمالى بالعسكر أيضا، فخلع عليه وأجلس بالإيوان.

وفى صفر: توجه الأمير طوغان المنصورى إلى دمشق متوليًا شاد الدواوين، عوضا عن فخر الدين أياز، فقدمها فى ثامن عشره، وقبض على أياز وألزمه بثلاثمائة ألف درهم. وولى الأمير ركن الدين بيبرس العلائى نيابة حمص.

وفيها عزل الصاحب عز الدين حمزة القلانسى[1] وزير دمشق، وعوق حتى حمل أربعين ألفا انساقت باقيا على ضمان الجهات، ثم أفرج عنه وقدم القاهرة، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما حمله إلى دمشق واستعاده.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة، واستقر أمين الدين عبد الله بن الغنام ناظر الدواوين عوضه فى الوزارة. وأنعم على الأمير بكتمر بإمرة، عوضا عن سنقر الكمالى، وولى حاجبا، وذلك فى سادس ربيع الآخر.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: أعيد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى واستقر الزرعى فى قضاء العسكر وتدريس الجامع الحاكمى، ورسم له أن يجلس بين الحنفى والحنبلى بدار العدل.

وفى مستهل جمادى الأولى: استقر الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى نيابة غزة، وقبض على الأمير قطلو قتمر نائب غزة.

وقدم الخبر من سيس بأن فرنج جزيرة المصطكى[2] أسروا رسل السلطان إلى الملك طقطاى، ومن معهم من رسل طقطاى وعدتهم ستون رجلا، وأنه بعث فى فدائهم

---

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة التميمى الدمشقى، الصاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلانسى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. أعرض عن المناصب تنزها. وصودر. انظر القلائد الجوهرية ٨٥ والدرر الكامنة ٢/٧٥ والدارس ١/٩٦ والأعلام ٢/٢٧٧.

(٢) هذه الجزيرة واقعة فى بحر الأرخبيل اليونانى، وهى على مسافة قريبة من جزيرة النقربنت. انظر صبح الأعشى ٥/٣٧٢.

ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يدا عند السلطان، فلم يمكنوه منهم. فكتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقالهم كلهم، فأحيط بحواصلهم وحبسوا بأجمعهم. وحضر أحد تجار الجنوية فضمن إحضار الرسل وما معهم، فمكن من السفر.

وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارته على ساحل مصر، وعين موضع الجامع الجديد، وكان بستانا يعرف بالحاج طيبرس وشونا وغير ذلك، فاستبدل بالأرض على رأى الحنابلة، فإنها كانت وقفا. ونزل السلطان حتى رتبه، وأقام الفخر على عمارته.

وفيها قبض على الأمير بكتمر[1] الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر، فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وقبض معه على عدة أمراء، منهم صهره ألكتمر الجمدار، وأيدغدى العثمانى، ومنكوتمر الطباخى، وبدر الدين أيدمر الشمسى، وأيدمر الشيخى، وسجنوا إلا الطباخى، فإنه قتل فى وقته. ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى، وخلع عليه وولاه النيابة عوضا عن بكتمر الجوكندار فى يوم السبت ثامن عشره.

وفيها أمر أن يجدد السلطان الجلوس بدار العدل فى كل ثنين، فدار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة. وجلس السلطان فى يوم الإثنين عشريه، ونودى فى الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل، فخاف الأمراء وغيرهم، وأدوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى، ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل، ووقع عليها بين يديه، وحكم بين الناس، وأنصف المظلوم، واستمر الجلوس فى كل يوم إثنين.

وفيها صرف السلطان قاضى القضاة زين الدين أبا الحسن على بن مخلوف، بسبب مفاوضة فى مكتوب، ثم أعاده بعد أيام فى سادس رجب، وخلع عليه.

وفيها استدعى السلطان القضاة، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بحضورهم، وخلع عليه. فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها، فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار، وأحالهم بها على كريم الدين، فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون فحلفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام، فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده، واستشار الأمير

---

(١) على هامش ط: كان سبب القبض على الأمير بكتمر أنه شرع فى التدبير لخلع السلطان الناصر، وأنه أراد السلطنة لنفسه.

علاء الدين بن هلال الدولة والصلاح الشرابيشى، فحسب له أخذ حاصل المارستان المنصورى والاقتراض من تجار الكارم بقية المبلغ - وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ فى عدة وافرة، ولهم أموال عظيمة. ومضى من الأجل يومان، وأصبح فى اليوم الثالث آخر الأجل فأتاه الفرنج وقت الظهر لقبض المال، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم. وبينا هو فى ذلك إذ أتاه تجار الكارم، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضا، فسأل التجار الفرنج عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين، فقالوا: «لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال، وقد وعدنا بقبضه اليوم». فطالبهم الكارمى بماله من مبلغ القراض، فوعدوه بأدائه. وبلغ ذلك كريم الدين، فسر به سرورا زائدا وكتمه، وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه، فلم يعرف الكارم بشىء من أمره، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالا، بل قال: ما بالكم من الفرنج؟»، فعرّفعوه أمر القراض الذى عند الإفرنجى، فقال لهم: «مهما كان عند الإفرنجى هو عندى». ففرح الفرنج بذلك، وأحالوا الكارمى على كريم الدين بستة عشر ألف دينار، وهى التى وجبت عليه بحوالة السلطان، ودفعوا أربعة آلاف تتمة عشرين ألف دينار للكارمى. وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعهم بغير مال، والتزم للكارمى بالمبلغ، فمضى هو وبقية التجار من غير أن يقترض منهم شيئا، فعد هذا من غرائب الاتفاق.

وفيها قبض على الأمير قطلوبك نائب صفد. وأنعم على الصاحب نجم الدين البصروى بإمرة.

وفيها قرر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، وهى التى كانت تسمى مقرر الخيالة، فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراى نائب دمشق أعسف بالناس فى الطلب، وضرب جماعة وأخذ مالا كبيرا، فتجمع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزوينى، وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام، ووقفوا للنائب، فأمله بهم فضربوا وطردوا طردا قبيحا، فكثر عليه الدعاء، فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام.

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثانى عشرى جمادى الأولى على البريد، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على الأمير سيف الدين كراى، ووصل أيضا فى هذا اليوم مملوك كراى، وصحبته تشريف وحياصة وسيف لمخدومه، واتفق قدوم رسل التتر. فأوصل الأمير أرغون الكتب إلى الأمراء، وأصبح كراى يوم الخميس فركب الموكب، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف، ولقدوم الرسل. فلما فرغ الأكل، وانصرفت الرسل، أحاط الأمراء بكراى وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه،

فقبض عليه وهو بتشريفه[١]، وحمل مقيدًا إلى الكرك، فسجن بها. وكان القبض عليه في يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى، وقبض فى غده على قطلوبك نائب صفد، وسجن بالكرك. واستقر فى نيابة دمشق عوض الأمير كراى الكبير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه فى مستهل جمادى الآخرة، فقدمها فى رابع عشره.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص فى نيابة صفد، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أقوش، وقد توجه إليها. ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرمانى بشد الدواوين بدمشق، وكتب على يده مساحة بما قرره كراى. وتوجه بكتوت مع الأمير جمال الدين أقوش إلى دمشق، فقدمها فى رابع عشر جمادى الآخرة، وقرئت المسامحة على منبر الجامع، فسر الناس بذلك. وقبض بدمشق على الأمير بكتوت الشجاعى، وسيف الدين جنقار الساقى، وحملا إلى الكرك.

وفيها نقل الأمير بكتمر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك؛ فاجتمع بالكرك من الأمراء المعتقلين بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجى، وكراى المنصورى، وقطلوبك المنصورى نائب صفد، وبيبرس العلائى، فى آخرين.

وفيها استقر الأمير سيف الدين بيبغا الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير أيتمش المحمدى، وكان السلطان قد استنابه بها لما خرج منها إلى دمشق.

وفيها وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة، ومعه عدة من التتر مقيدين، أسرهم فى الغارة على التتر، فأنعم عليه بمائة ألف درهم.

وفيها قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه، وقتل خواصه.

وفيها أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب، أقامها له الشيخ أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر اللحيانى[٢]، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعدة من الأجناد، وكان ذلك فى شهر رجب، وكان الأجناد قد قدموا مع بيبرس، بعدما قدمها أبو يحيى من مصر فى جمادى الأولى.

---

(١) ملابس التشريفة، هى الشاس والكلوتة. انظر: النهج السديد ٣/٢٠٣.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانفى، أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. وصار إلى الملك سنة ٦٨٠. ثم رحل من تونس إلى الإسكندرية وزار القاهرة واستمر فى البلاد المصرية إلى أن توفى بالإسكندرية. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٢٦٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٦.

وفى ثامن عشر رمضان: كتب باستقرار الأمير بلبان فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن بهادر السنجرلى. ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة.

وفى سادس شوال: قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل، وقرر عليهما مال، فحملاه وهما معوقان بالقلعة، من غير أن يلى أحد. ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادى عشريه، وخلع عليهما، واستقرا على عادتهما. فمات التاج فى ذى القعدة، واستقر عوضه فى نظر الدولة تقى الدين أسعد ابن أمين الملك المعروف بكاتب برلغى، وولى التاج إسحاق والموفق هبة الله وظيفة مستوفى الدولة، وكانا كتابا لسلار.

وفيها توجه السلطان إلى بلاد الصعيد. ورسم بنقص الإيوان الأشرفى بقلعة الجبل، فنقض وجدد، فلما عاد السلطان جلس فيه علي العادة.

وفيها وصل كرنبس ملك النوبة بالقود المقرر عليه، بعد قتل أخيه. وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن، بهدية ومائتى جمل ومائتى جمال وخيول ووحوش وطيور، ففرق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر.

وفيها استقر علاء الدين على بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتاب السر، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، فى يوم الأحد سابع ذى الحجة؛ ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أخيه محيى الدين يحيى. وكان ابن الأثير قد توجه من مصر مع السلطان، هو وجمال الدين إبراهيم بن المغربى، فلما أقام بالكرك خيرهما، فاختارا الإقامة عنده، فلما عاد إلى ملك مصر رعى لهما ذلك، وأقر ابن الأثير فى كتابة السر، وابن المغربى فى رياسة الأطباء.

وفيها أخذ الأمير قرا سنقر فى التدبير لنفسه، خوفا من القبض عليه كما قبض على غيره؛ واصطنع العربان وهاداهم، وصحب سليمان بن مهنا وأخاه، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى، حتى صار الجميع من أنصاره، وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب، وأقام عنده أياما، وأقضى إليه بسره، وأنه خائف من السلطان، وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا، وأنه لم يوافق على ذلك، فغضب الأمير مهنا، وأخذ يسكن ما بقرا سنقر، وانصرف وقد اشتد غضبه. وبعث قرا سنقر يسأل السلطان فى الإذن له بالسفر إلى الحج، فأذن له فى الحج، وقد سر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه، وبعث إليه بألفى دينار وخلعة. وكتب السلطان إلى الأمير مهنا يطلب منه فرسا عينه، وأن يحضر إلى مصر لزيارته - وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقرا سنقر. فدبر أمرا يعمله معه أيضا - ، فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب. وجهز قرا سنقر حاله. وخرج من حلب

فى نصف شوال، ومعه أربعمائة مملوك، واستناب الأمير شهاب الدين قرطاى، وترك عدة من مماليكه بحلب لحفظ حواصله.

فلما قدم البريد بمسيره من حلب كتب لقرطاى بالاحتراس، وألا يمكن قرا سنقر من حلب إذا عاد، ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك، وكتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بنى عقبة بأخذ الطريق على قرا سنقر؛ فقدم البريد بأنه سلك البرية على صرخد إلى زيزاء. ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان، لورود الخبر من ثقاته بمصر بما عزم عليه السلطان، وما كتب به، فعاد من غير الطريق التى سلكها. ففات أهل الكرك القبض عليه، وكتبوا بالخبر إلى السلطان، فشق عليه ذلك، وكتب بكشف أخباره، وكتب إلى حلب بمنعه منها ومنع مماليكه من الخروج إليه، «وإن وجدت فرصة تقبض عليه».

فقدم قرا سنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان. فمنعه قرطاى من الدخول، وعوق من بحلب من مماليكه عن الخروج إليه، فسقط فى يده ورحل، وكتب إلى الأمير مهنا بما جرى له، فكتب مهنا إلى قرطاى بأن يخرج حواصل قرا سنقر إليه، وإلا هجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهرًا. فخاف قرطاى من ذلك، وجهز كتابه إلى السلطان فى طى كتابه، وبعث بشىء من حواصل قرا سنقر إليه مع الأمير عز الدين فرج بن قرا سنقر. وانصرف قرا سنقر عن حلب وقصد البرية، ثم جهز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية، وكذلك جملة من أمواله، فقدم فرج أواخر ذى الحجة، وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرة، وأقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين على بن قرا سنقر.

وقدم سليمان بن مهنا إلى قرا سنقر، وأخذه حتى أنزله فى بيت أمه، واستجار بها من السلطان فأجارته. وأتاه الأمير مهنا وأولاده، وقام له بما يليق به، وكتب يعرف السلطان بنزول قرا سنقر فى أبياته، وأنه استجار بأم سليمان فأجارته، وسأل العفو عنه، وبعث بذلك أحد أولاده. فأجاب السلطان سؤاله، وكتب إليه أن يخبر قرا سنقر فى بلد من البلاد حتى يوليه.

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فيها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستادار، حسام الدين لاجين الجاشنكير، وعلاء الدين مغلطاى المسعودى، وشمس الدين الدكز الأشرفى، ولاجين العمرى، فى مضافيهم من الطبلخاناه والعشراوات. ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى، فيها الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، وسيف الدين وآل ملك، وجنكلى بن البابا، وأمير حسين بن جندر، فى جماعة

من الخاصكية مثل أرغون الدوادار، وأرقطاى، وأيتمش، وجغطاى، والجاى الساقى، وطقطاى الساقى. وكتب السلطان لنائب دمشق بتجريد كجكن وكتبغا الحاجب بمضافيهما، وجعل مقدم هذه العساكر قرا لاجين الأستادار، وصاحب السر والمشورة أرغون الدوادار؛ فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا.

فاستعد قرا سنقر، وكتب إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه، فأجابه بالموافقة، ووعده بالحضور إليه. وكتب الأفرم إلى صهره الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدر عليه ولحاقه به وبقرا سنقر، وجهز إليه خمسة آلاف دينار ليفرقها فيمن يستميله، ونزل العسكر السلطانى حمص.

فأرادا قرا سنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال، وكتب إليه مع مملوكه، وكتب إليه مهنا مع ولده بالدعاء والشكر، وأن قرا سنقر قد اختار صرخد، وسألا يمين السلطان بالوفاء، وإخراج ما لقرا سنقر بحلب من المال وتمكينه منه. فمر ابن مهنا ومملوك قرا سنقر على حمص، وعرفا الأمير قرا لاجين وأرغون الدوادار بدخول قرا سنقر فى الطاعة، وأنه عين صرخد. فمشى ذلك عليهما، وكتبا معهما إلى السلطان بمعنى ذلك. فانخدع السلطان أيضا، وكتب تقليد قرا سنقر بنيابة صرخد، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش المحمدى، وكتب لأيتمش بأن يوصل الملطف إلى مهنا سرا، وأن طقطاى يتوجه إلى حلب، ويخرج ما لقرا سنقر بها من المال، ويسيره إليه. وأنعم السلطان على مملوك قرا سنقر بألف دينار، ووعده أنه متى قام على أستاذه حتى يعود إلى الطاعة أنعم عليه بإمرة، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا. فسارا إلى حمص، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء، وسارا بأيتمش إلى قرا سنقر فسر به وأنزله، واحتج بأنه لا يتوجه إلى صرخد حتى يأتيه ما له فى حلب، فتحيل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا، فأطلع عليه قرا سنقر.

وبيناهم فى ذلك إذ قدمت أموال قرا سنقر التى كانت بحلب إليه، فإن طقطاى توجه إليها وبعث إلى قرا سقر بما كان له فيها. فما هو إلا أن وصل ماله بحلب، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضا من الغد، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات فى جماعة من التركمان. وقدم الزردكاش، ومعه الأمير بلبان الدمشقى والى القلعة، وبيبرس الحسامى، فسر قرا سنقر بقدومهم. ولما استقر بهم المنزل استدعوا أيتمش، وعددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بحمص، وعرفهم الخبر، فركبوا عائدين إلى مصر بغير طائل، ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومن تبعه.

وفيها أفرج عن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وأنعم عليه بخبز الجاولى.

وفيها ولى شمس الدين غبريال كاتب قرا سنقر نظر الجامع الأموى بدمشق والأوقاف، عوضا عن شرف الدين ابن صصرى، وكان غبريال لما خرج قرا سنقر من حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولى ذلك.

وفى ثالث ذى الحجة: قدمت تقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير بدر الدين بكتوت الخازندارى - عرف بأمير شكار - نائب الإسكندرية، وكانت وفاته بعد عزله، فى ثامن عشرى رجب بالقاهرة، وأصله من مماليك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر فى الأيام الظاهرية، وتنقل حتى اشتهر فى الأيام العادلية كتبغا وصار أمير شكار، ثم ولى الإسكندرية وكثر ماله، واختص بيبرس وسلار، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسن للسلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائما، فندب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغوى المعروف بابن الوزيرى، وفرض العمل على سائر الأمراء، فأخرج كل منهم أستاداره ورجاله، وركب ولاة الأقاليم. ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبعمائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحظ ما حد له، فكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار[1] ثمانية آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج الأصلى من حد شنبار يدخل الماء، فجعل فم هذا البحريرمى إليه، وعمل عمقه ست قصبات فى عرض ثمانى قصبات. فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجد، وجعل بحرًا واحدًا، وركب عليه القناطر. ووجد فى الخليج من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شيء كثير، فأنعم به على بكتوت هذا. فلما فرغ أنشأ الناس عليه أراضى وسواقى، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية، فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية، وسارت فيه المراكب الكبار، واستغنى أهل الثغر عن خزن الماء فى الصهاريج، وعمر عليه نحو ألف غيط، وعمرت به عدة بلاد. وتحول الناس حتى سكنوا ما عمر من الأراضى على الخليج، فصار بعدما كان سباخا سواقى القصب والقلقاس والسمسم وغيره. فلما تم ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسرا، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو

---

(١) موقع هذا البلد بمنتصف المسافة بين فوهة هذه القناة الكبرى عند العطف الحالية ومنتهاها عند الإسكندرية. انظر: الأنصار ٥/٩٣.

ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو الثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس، وعمل أساسه رصاصا، وأنشأ بجانبه خانا وحانوتا، وعمل فيه خفراء، وأجرى لهم رزقة، فبلغت النفقة عليه نحو شتين ألف دينار. وأعانه على ذلك أنه هدم قصرا قديما خارج الإسكندرية وأخذ حجره، ووجد فى أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح، فحصل منهه جملة عظيمة من الرصاص. ثم إنه شجر ما بينه وبين صهره، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله، وكتب أمين الدين عبد الله بن الغنام - وهو مستوفى الدولة - عليه أوراقا بمبلغ مائة ألف دينار، فطلب إلى القاهرة. ولما قرئت عليه الأوراق قال: «قبلوا الأرض بين يد السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان راضيا عنه فكل ما كتب كذب، وإن كان غير راض فكل ما كتب صحيح». وكان قد وعك فى سفره من الإسكندرية، فمات بعد ليال فى ثامن عشر رجب وأخذ، له مال عظيم جدا، وكان من أعيان الأمراء وكرمائهم وشجعانهم مع الذكاء والمروءة والعصبية، وله مسجد خارج باب زويلة، وله عدة أوقاف على جهات بر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهرى، مات بدمشق.

ومات الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الحسين بن الحنبلى التميمى، وهو معزول، ليلة عيد الفطر، ودفن بالقرافة، ومولد، فى سنة أربعين وستمائة، وكان كريما جوادا.

ومات مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومى الشافعى، وكيل بيت المال، فى ثامن ربيع الأول بالقاهرة، دفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء، وولى الحسبة فى الأيام المنصورية قلاوون، وصحب الشجاعى، وأضاف له قلاوون وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات، فعظمت مهابته، وعيب عليه بجونه وعزله وكثرة اجتماعه بالشجاعى ومعاشرته له، وكان الوزير ابن الخليلى يبكته بذلك، وكان لا يكتب فى آخر كتبه سوى: «حسبنا الله» فقط، من غير «ونعم الوكيل»، وسئل أن يكتب «ونعم الوكيل» فأبى.

ومات قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى الحنبلى، فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة، ودفن بالقرافة، وسمع وخرج وصنف، وصار من الأئمة الحفاظ، وكتب على سنن أبى دادو قطعة.

ومات الشيخ صالح محمد العربان، فى ثامن عشر رجب.

ومات شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعى، فى

يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يكتب فى التوقيع، وله معرفة بالإنساء، وبلغ الغاية فى جودة الكتابة، وانتفع الناس بالكتابة عليه، وكان فاضلا شجاعا مقدامًا لسنا متكلما، يرمى فى دينه بالعظائم، ويعرف عدة لغات، وله نظم ونثر.

ومات الطبيب شرف الدين عبد الله بن أحمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء، فى ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال، ودفن بالقرافة، وكان دينا فاضلا رضى الأخلاق ماهرا فى علم الطب.

ومات التاج عبد الرحمن الطويل القبطى الأسلمى، ناظر الدواوين، فى ثانى عشرى ذى القعدة، وقد انتهيت إليه معرفة الكتابة الديوانية، وكان إسلامه فى الأيام الأشرفية، وله صدقات كثيرة.

ومات القاضى محيى الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة، وكان ينوب عن أخيه بالقاهر فى الحكم، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه، فمات فى حياته، وكان من النجباء.

ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن على، فى ثالث عشرى المحرم، عن بضع وثمانين سنة، ودفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأماثل كتاب الإنشاء، ومن رواة الحديث. ومات شمس الدين محمد ابن يوسف الجزرى[1] الشافعى خطيب جامع ابن طولون، وكان يعرف بالموجب، وكان عارفا بالفقه والأصول، ودرس بالمعزية بمصر.

وفيها قتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى جمادى الأولى، فكانت مدته نحو عامين، وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى من طرابلس، فملك تونس بعده.

* * *

---

(١) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود، أبو عبد الله شمس الدين الجزرى: خطيب من فقهاء الشافعية. كان أبوه صيرفيا بالجزيرة، فولد ونشأ بها. وسافر إلى مصر، فأقام بقوص ثم بالقاهرة وتوفى فيها. انظر: الدرر الكامنة ٢٩٩/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ وشذرات الذهب ٤٢/٦ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ١٥١/٧.

سنة اثنتى عشر وسبعمائة

فيها انتهت عمارة الجامع الجديد الناصرى بساحل مصر، فنزل السلطان إليه، ورتب فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعية خطيبا، ورتب فيه أربعين صوفيا فى سطحه، وأربعين صوفيا بداخله ورتب لكل منهم الخبز واللحم فى اليوم. ومبلغ خمسة عشر درهما فى الشهر، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازى ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة، وعمر له ربعا وحماما، وأقام له خطيبا. وأول صلاة صليت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر، بإمامة الفقيه تاج الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ مرهف، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. فحكر الناس حوله، وبنوا الدور وغيرها.

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى بلاد التتر، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر. وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير ممن تبعهم من المماليك والتركمان، فبعث قرا سنقر ولده الأمير فرج، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به، وأمرا بتقبيل الأرض بين يدى السلطان، وأن يبلغاه أن الأمراء ما حملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف، وأن الأولاد والحريم وداعه، فليفعل السلطان معهم ما يليق به، فقدما إلى القاهرة، وبقيا فى الخدمة. وسار الأمراء إلى ماردين، وكتبوا إلى خربندا بقدومهم، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم، وتقدم إلى ولاة الأعمال بخدمتهم والقيام لهم بما يليق بهم. فلما قاربوا الأرد وركب خربندا وتلقاهم، وترجل لهم لما ترجلوا له، وبالغ فى إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه، وأجلسهم معه على التخت، وضرب لكل منهم خركاه، ورتب لهم الرواتب السنية. ثم استدعاهم بعد يومين، واختلا بقرا سنقر، فحسن له عبور الشام، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال، ثم خلا بالأفرم فحسن له أيضا أخذ الشام، إلا أنه خيله من قوة السلطان وكثرة عساكره. فأقطع خربندا مراغة[1] لقرا سنقر، وأقطع همذان للأفرم، واستمروا هكذا.

وفى يوم الأحد عاشر ربيع الأول: قبض السلطان على القاضى فخر الدين محمد ابن فضل الله ناظر الجيش، وعلى ولده شمس الدين: وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين

---

(١) مراغة: تقع بلدة مراغة بإقليم آذربيجان نزل عليها التتر سنة ثمان عشرة وستمائة وحاصروها أيامًا وقتلوا أهلها وفتحوها عنوة ووضعوا السيف فى أهلها وقتلوا منهما ما يخرج عن الأحصاء وسبوا وحرقوا وفعلوا من المنكرات ما يطول ذكره. انظر: معجم البلدان ٤/٤٧٦، الروض المعطار ٥٣٥.

وبين فخر الدين أياز الشمسى مشد الدواوين، اشتط فيها القاضى على الفخر أياز الشمسى وأهانه، فاجتمع أياز بالدواوين وعرفهم ماله من الأموال والدواليب[١] فى أعمال مصر، واجتمع بالسلطان وأغراه به، والتزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكنه منه، فاشتد بأسه حينئذ، وجلس على باب القلعة، وفتح مع الفخر باب شر، وأغلظ فى القول بحضرة الأمراء إلى أن قال له: «أنت كسرت معاملات[٢] السلطان وخربت بلاده، وأخذت أراضى الخاص عملتها لك رزقا»؛ ثم نهض وقال: «أنا با لله وبالسلطان»، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدى السلطان، فبسط أياز لسانه، وحانق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان، قال له: «تسلمه وخذ مالى منه»، فأخذه إلى قاعة الصاحب[٣] وكتب أياز إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقى أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده فى القاهرة ومصر، وتتبعت حواشيه، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز، وبعث إلى طغاى وكستاى وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار، فتحدثوا فى أمره مع السلطان على أن ينقل إلى بيبرس الأحمدى، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئا، فتسلمه بيبرس أمير جاندار من أياز.

وفيها كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد، فحضر واستقر عوضا عن الفخر فى نظر الجيش. وتمكن أياز من حاشية الفخر، وضرب جماعة منهم بالمقارع، وأخذ سائر موجودهم، وحمل الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم. ثم أفرج السلطان عنه وعن ولده وخلع عليهما، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ربيع الآخر، واستقر الفخر عوضا عن معين الدين هبة ا لله ابن حشيش صاحب ديوان الجيش. ولم يوفق ابن شيخ السلامية وارتبك فى المباشرة، بحيث إن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة، ثم يجيب بغير الغرض؛ فتبين جهله بمعرفة جيش مصر.

وفى حادى عشرى ربيع الأول: ولى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن عبد ا لله المقدسى، عوضا عن سعد الدين مسعود الحارثى.

---

(١) على هامش ط: الدواليب جمع دولاب، ومعناها معاصر قصب السكر وأشباهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية، كمصانع غزل الحرير والسواقى المائية.

(٢) المقصود بالمعاملات الأشغال التجارية الخاصة بالسلطان وبالمعاملات أيضا المكوس والضرائب المستحدثة، وكانت تسمى الحقوق. انظر: نهاية الأرب ٣٠/٩١.

(٣) المقصود بقاعة الصاحب دار الوزارة. انظر: خطط المقريزى ٢/٢٢٣.

وفى سادس ربيع الآخر: أمر السلطان ممن مماليكه ستة وأربعين أميرا منهم طبلخاناه تسعة، وعشراوات سبعة عشر، وألوف عشرون؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش، وكان يوما عظيما.

وفيها قدم العسكر المجرد إلى الشام فى يوم الإثنين ثانى ربيع الآخر، وطلع الأمراء إلى القلعة، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قرا سنقر: منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق، وخلع عليه - وبيبرس المنصورى نائب السلطنة بمصر، وسنقر الكمالى، ولاجين الجاشنكير، وبينجار، والدكز الأشرفى، ومغلطاى المسعودى، وسجنوا.

وفيها استقر سودون الجمدار نائبا بحلب فى ربيع الأول، وتمر الساقى المنصورى فى نيابة طرابلس فى ربيع الآخر.

وفيها كتب بطلب فضل أخى مهنا وولده أبى بكر، وسير إليه تقليد الإمرة عوضا عن مهنا، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد، وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار.

وفيها قبض أيضا فى رابع ربيع الأول على بيبرس العلمى بحمص، وعلى الأمير بيبرس المجنون. والأمير علم الدين سنجر البروانى، والأمير طوغان المنصورى، وبيبرس التاجى، وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك، فسجنوا بها لميلهم مع قرا سنقر.

وفيها استقر الأمير تنكز الناصرى فى نيابة دمشق، عوضا عن الأمير جمال الدين نائب الكرك، مستهل ربيع الآخر، وسار على البريد يوم الجمعة سابعه، فدخلها يوم الخميس عشرى ربيع الآخر؛ ورسم له ألا يستبد بشىء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاى، والأمير حسام الدين طرنطاى البشمقدار.

وفى سادس عشر ربيع الآخر: أمر السلطان فى يوم واحد ستة وأربعين أمير منهم طبلخاناه تسعة وعشرون، وعشرارات سبعة عشر، وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع.

وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى: استقر الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة، عوضا عن بيبرس الدوادار المنصورى. ورسم بنيابة صفد لبلبان طرنا أمير جاندار، عوضا عن بهادر آص، وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميرا على عادته، فسافر إليها.

وفيه ركب السلطان إلى بر الجيزة، وأمر طقتمر الدمشقى، وقطلوبغا الفخرى المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدرى حمص أخضر.

وفيها هدم السلطان الرفرف الذى أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعى.

وفيها ورد الخبر فى أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه، وإقامته عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام. وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوى عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب، وأنفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر، وكمل فى أول جمادى الأولى، فكان السلطان يعرض فى كل يوم أميرين بنفسه من مقدمي الألوف، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد، وترحلوا شيئا بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشريه، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

وخرج السلطان فى ثانى شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل فى يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدى. فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة، وعودهم إلى بلادِهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر فى قانون[1] وعسقلان[2]، وعزم على الحج. ودخل السلطان دمشق فى تاسع عشره، وخرج منها ثانى ذى القعدة إلى الكرك، وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك فى ثامن ذى القعدة، وتوجه إلى الحجاز فى أربعين أميرا.

وفيها خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال، فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين، وطالب محيي الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده، وتتبع حواشيه؛ وصادر أمين الدين أكثر الناس.

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من لاية البهسنا إلى ولاية القاهرة، وأقام الأمير أيتمش المحمدى نائب الغيبة الحرمة، ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصرى الأمير مظفر الدين قيدان الرومى.

---

(١) منزل بين دمشق وبعلبك. انظر: معجم البلدان ٣٠١/٤.

(٢) عسقلان: هى مدينة بالشام، بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدى الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين. وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وأسواقها مفروشة بالرخام، وفيها عين ماء لإبراهيم عليه السلام، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. وعسقلان مدينة حسنة ذات سورين وليس لها من خارجها بساتين ولا شجر بها، وتغلب عليها الروم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وهى معدودة فى أرض فلسطين. انظر: معجم البلدان ١٢٢/٤، والروض المعطار ٤٢٠.

وفيها استقر فى نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالى، عوضا عن بلبان البدرى، ثم كتب بأن يكون بلبان شريكا له، فباشرا جميعا.

وفيها قدمت هدية الأشكرى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

ضياء الدين أحمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن القرشى الإسنائى المعروف بابن الخطيب. الفقيه الشافعى، وكانت وفاته ببلدة أدفو[1] فى شوال، وهو فى الطريق إلى الحج، فحمل إلى إسنا فدفن بها.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن أبى نصر الشيرازى، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها، فى رجب عن بضع وخمسين سنة.

ومات عماد الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسى الفقيه الحنبلى، فى جمادى الآخره بمصر، ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغمارى الفقيه أبو محمد المالكى، سبط زيادة بن عمران، وكانت وفاته فى شوال بمصر، قرأ القرآن، وكان خيرا فاضلا.

ومات نور الدين على بن نصر الله بن عمر القرشى - المعروف بابن الصواف - الخطيب الفقيه الشافعى، فى رجب بمصر. ومات أبو الحسن على بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبى الدمشقى - قارئ المواعيد - الفاضل الصالح، فى ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم ابن عبد عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصارى الحموى بحماة، وكان فاضلا دينا، ومات الملك المنصور نجم الدين غازى بن المنصور ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاس بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى، صاحب ماردين، فى تاسع رجب، وكانت إمرته نحو عشرين سنة، وكان مهابا، فقام بعده ابنه الملك العادل على، وأقام سبعة عشر يوما، ثم ملك أخو الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور.

ومات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، يوم الإثنين ثانى عشر رجب بالقاهرة، عن نيف

---

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ١/١٢٦.

وسبعين سنة، وقد حدث، وماتت امرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده، فخرجت الجنازتان معا، وكان قد حج، وقدم القاهرة من طريق القدس بعدما زاره، ومولده بالكرك في عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان دينا متواضعا فاضلا. ومات الأمير علم الدين سنجر الصالحى أمير آخور بدمشق، عن مال كبير جدا، ومات شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسى فى خامس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يباشر التوقيع فى الإنشاء، ويكتب الخط المليح، ويقول الشعر، ويغلب عليه الهجاء، مع تفننه فى علوم كثيرة.

ومات تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى، فى يوم الثلاثاء، سابع عشر ربيع الآخر، وباشر نظر النظار بديار مصر ستين سنة، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأباها، وكان أمينا كثير الخير، ولم ينكب قط، وعاش مائة وتسع سنين، وعزل قبل موته.

ومات قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعى الحنفى بدمشق، وهو معزول.

ومات الشيخ عمر بن الشيخ أبىعبد الله بن النعمان، بمصر يوم الأربعاء خامس عشرى رمضان.

ومات شهاب الدين غازى بن أحمد الواسطى بحلب، فى ثامن عشر ربيع الآخر، وولى نظر الدواوين بمصر مدة، ثم نقل إلى نظر حلب، وولى نظر دمشق ونظر الصحبة، وكتب بديوان الإنشاء مدة.

ومات الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز بن أحمد ابن عمر بن جعفر بن اللهيب، فى خامس عشر جمادى الآخرة.

ومات بطرابلس الأمير علاء الدين مغلطاى البهائى، وقد رسم بالقبض عليه، فمات قبل وصول البريد بيوم.

* * *

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير سيف الدين قجليس من الحجاز إلى القاهرة مبشرا بعود السلطان.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق، بعد دخوله إلى المدينة النبوية، وتوجهه على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوما مشهودا، بلغت فيه أجر البيوت مبلغا زائدا، حتى إن بيتا أخذت أجرته للنظر إلى السلطان فى مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم. وعبر السلطان وهو على ناقة وعليه لشت[1] من ملابس العرب بلثام، وبيده حربة، ولعب يوم السبت فى الميدان بالكرة. ثم أخذ فى الإنعام على بعض رجال دولته، فولى شمس الدين عبد الله بن غبريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء، وكان ناظر البيوت؛ ونقل الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة، عوضا عن بدر الدين موسى الأزكشى. وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته بالحجاز، وعدتهم نحو الأربعين أميرا، وأفرج عن المصادرين، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامية إلى نظر الجيش بدمشق.

وصار السلطان إلى مصر فى سابع عشريه، بعد أن أقام بدمشق خمسة عشر يوما، وصلى بالجامع الأموى الجمعة مرتين. وقدم قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشر صفر، وكان يوما مشهودا.

وفيها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى التركمانى[2] من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين، واستقر فخر الدين أياز الشمسى فى شد الدواوين بدمشق، عوضا عن القرمانى؛ واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيرى - كاتب الحميدى - المعروف بكريم الدين الصغير، فى نظر الدواوين، رفيقا لتقى الدين أسعد كاتب برلغى ابن أمين الملك مستوفى الحاشية.

---

(١) على هامش ط: البشت والبشت وجمعه بشوت. العباءة من الصوف بلونه الطبيعى.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: بانى جامع المقياس بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام، ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة، فاختطه من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة، ووزع عمله على الأمراء، فنقلت جمالهم الطين إليه حتى امتلأ، وغرس فيه النخل والأشجار، وحفرت فيه الآبار، وركبت عليها السواقى، وأدير عليه سور من حجر، وبنى خارجه حوض ماء للسبيل. فلما فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير.

وفيها اجتمع القضاة فى حادى عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر فى الشهود، وأقيم منهم جماعة.

وفيها عمل السلطان أيضا أربع سواقى على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجارى من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة، ورم السور وأزال شعثه، فكثر الماء بقلعة الجبل، وزاد البئر الظاهرى المجاور لزاوية تقى الدين رجب. بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الإسطبل، واهتم بعمل مصالح الجسور التى بالنواحى والترع.

وفيها قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الأولى، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم، وذلك بسعى كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركمانى. وأغرق السلطان به، وقيل له إنه أخذ مالا كثيرا من المصادرين بمصر والشام.

وفيها أبطلت الوزارة، فلم يل أحد بعد أمين الدين، ونقل كريم الدين أكرم الصغير من ديوان الجيش إلى نظر الدولة، شريكا للتقى أسعد بن أمين الملك كاتب برلغى كما تقدم، واستقر شرف الدين الخيرى كاتب سلار، والتاج إسحاق، الموقف أخو الخيرى، مستوفى الدولة. فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان، وصارت الأمور كلها منوطة به، وركب بجنيبين[1]، وخلع عليه أطلس بطرز زركش، وأشهد على السطان أنه ولاه جميع ما ولاه الله تعالى، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان.

وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان فى العمل على الوزير، وأغراه بالأسعد غبريال كاتب نائب السلطنة، وأنه كثير الظلم، وأنه نقل إلى أستاذه أمورا تضر الدولة، وأغراه بالعلم كبيبه كاتب منكلى بغا. وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان حتى سلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة، ليخلص منه المال، وسلم العلم كبيبه إليه أيضا، وضربا قدام السلطان، وضرب معهما أمين الدين بن الغنام بالعصى، إلا غبريال فإنه ضرب بالمقارع. وأوقعت الحوطة على موجود غبريال، وسلم

---

(١) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ جنيب. والجمع جنائب وهى الخيول المسرحة التى كان من اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواكب والحروب، لاحتمال الحاجة إليها.

هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين، ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال، فأقام البيع نحو شهر. وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع، ولم يوجد له نقد ألبته؛ ثم أفرج عنه. وأما غبريال فإن الخازن والى القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع. وما زال أمين الدين ملازما لداره إلى يوم السبت تاسع عشرى ذى الحجة، فاستدعى وأخلع عليه، واستقر ناظر النظار عوضا عن الصاحب ضياء الدين النشائى، ونقل النشائى إلى نظر الخزانة، عوضا عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسى بعد وفاته.

ولما استقر أمين الدين فى نظر النظار، ودخل عليه مجد الدين سالم ليهنه، والمجلس غاص بالناس، نظر أمين الدين إلى الحاضرين، وقال: «هذا القاضى مجد الدين تفصل فى حقى. حيث كان يتولى أمرى فى بيع حواصلى، وباع حتى زبادى المطبخ». فالتفت إليه المجد على الفور، وكان مقداما جريئا، وقال له: «يا مولانا إنى والله تفضلت عليك، وأحسنت إليك غاية الإحسان، وخدمتك أتم خدمة، وبعت من زبادى ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم، وما تحدثنا فى ظهور درهم ولا دينار، بل سكتنا، ونحن سكوت إلى الآن». فلم يجب أمين الدين سوى بقول «حسبنا الله».

وفيها ولى السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى بن الوزيرى نيابة دار العدل وشد الأوقاف، بسبب قصة رفعت فى الأوقاف. وكان ابن الوزيرى أمينا حاد الخلق عارفا بالأمور. فباشر الأوقاف فى داره يوم الثامن من ربيع الأول.

وجلس ابن الوزيرى بدار العدل فى يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول، وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل، ورفعت إليه القصص، وصرف الأمور، وطلب سائر مباشرى الأوقاف وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف، وطلب موادع الحكم وتشدد عليهم. فقلق القضاة من ذلك، وسألوه الإغضاء عن ذلك؛ فتمادى فى الطلب، وأخرق بعدة من المباشرين، وضربهم لفساد حسابهم. فقام قاضى بدر الدين محمد بن جماعة فى العمل عليه - وكان عارفا بالسعى، وله فى ذلك أياد وتراتيب - ووافق رفاقه وصار إلى القاضى كريم الدين الكبير بنفسه، وترامى عليه، ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش، وبعلاء الدين كاتب السر، وبعدة من الخاصكية، وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيرى أنه شرس الأخلاق، وله أغراض فاسدة، وقصده إهانة القضاة، وأهل العلم وحط أقدارهم، وقد كثر الدعاء على السلطان بسببه. فلما تكاثر ذكر ذلك لدى السلطان، وبلغه عدة حكايات عنه، ومنعه من التحدث فى الأوقاف، ومن حينئذ بدت عداوة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد

الناس، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى الشاعر على ابن جماعة، وهجاه بعدة قصائد بعثها إليه، ورتب هو وابن سيد الناس القصيدة التى أولها:

«ترى يسمع السلطان شكوى المدارس»، وعدتها ستون بيتا، فحبسه ابن جماعة بسببها، لأنه أقذع فيها، وشهرها فى الناس إلى أن قرئت على السلطان، فقام أيدغدى شقير فى حقه، وأخرجه من السجن.

وفى يوم السبت ثانى جمادى الأولى: استقر صدر الدين بن المرحل فى تدريس الزاوية المجدية بالجامع العتيق، عوضا عن جلالى الدين على بن عبد الله العسلوجى بحكم عزله.

وفى يوم الثلاثاء رابعة: أوفى النيل، وهو آخر أيام النسىء قبل المفرد[1] ثم قدم المفرد بعد الوفاء فى يوم الخميس سادسه.

وفيها عمل الروك بالبلاد الشامية، وندب له الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة، وابن معبد، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام، مع مباشرى ديوان الجيوش بمصر. فتوجه الجاولى إلى دمشق، وأمام مع الأمير تنكر النائب إلى أن عملت أوراق بعبرة البلاد ومنحصلها، وما فيها من إقطاع ووقف وملك. وكمل ذلك فى ذى الحجة، ونقلت سنة اثنتى عشرة إلى سنة ثلاث عشرة، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه؛ فكتب السلطان مثالات جديدة لأمراء دمشق وأجنادها، ووفر عدة إقطاعات وبلاد أدخلها فى ديوان الخاص، وزاد إقطاع النيا، وكتب بلك مناشير سار بها على البريد الأمير سيف الدين قجليس حتى فرقها على أربابها وعاد.

وفيها توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طقصاى الناصرى والى قوص، وسيف الدين بيدوا، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وصاروجا الحسامى، وتوجه دمشق سيف الدين بلبان البدرى مع الركب، وأضيف إليهم عدة من الأجناد، وذلك بسبب حميضة بن أبى نمى، فإنه كثر ظلمه.

وفيها قبض على الأميرين عز الدين أيبك الرومى المنصورى، وركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار، فى رابع عشرى رمضان. وبسبب ذلك مفاوضة جرت بين الأمير علاء الدين أيدغدى شقير وبين أيبك الرومى بحضرة الأمراء على باب القلعة، فى انتقال إقطاعات بينهما خرجا فيها عن الحد. فخرج الأمير طغاى وهما فى ذلك –

---

(١) على هامش ط: المقصود بلفظ المفرد غاية ارتفاع النيل.

وكان يعنى بأيدغدى حتى قربه من السلطان - فشق عليه استطالة أيبك من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم، وممن عرف بالعفة. فلما كانت خدمة العصر بلغ السلطان ما كان بينهما، فرسم بحملهما إلى ديوان السلطان، ومن تعين عليه شيء قام به، وأسر ما أغراه به طغاى فى نفسه. ثم قبض السلطان عليه وعلى الأحمدى، وبعث إلى الأحمدى مع قجليس «بأنك وحشداشك اتفقتما على أنه يتسلطن»، فبكى وسأل الله إن كان ما نقل عنهما حقا أني يقسى قلب السلطان عليهما، وإن كان كذبا أن يحننه عليهما. فلما أعاد قجليس هذا على السلطان رق له، وأمر به ففك قيده، وأحضر وأعطى سيفه، وخلع عليه من ساعته، وذلك فى رابع عشرى شوال.

وفيها أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير مهنا ليرده إلى الطاعة، فإنه حصل منه حيف على التجار، وقطع أولاده وعربانه الطرقات فاجتمع به ابن المرحل قريبا من العراق، وما زال به يعده برد إقطاعه ويرغبه إلى أن أذعن، وبعث معه بابنه موسى، وجهز القود على العادة صحبة ولده سليم. فقدم ابن المرحل بموسى بن مهنا فى ربيع الآخر، وأنزل موسى فى القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم إكراما زائدا، ثم قدم القود، و أعيدت الإمرة لمهنا، وزيد إقطاعه مبلغ مائى ألف درهم؛ وأعيد إقطاع فضل إليه على عاداته قبل الإمرة.

وفيها توجه السلطان إلى الصيد فى ثامن عشرى رجب، ونزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه يريد الصيد والقصد أحد العربان، فإنه كثر قطعهم الطريق، وكسروا الخراج. وبعث السلطان عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات، فضبط البرين على العزبان، ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة، وسار إلى فرجوط[1]. وعاد السلطان إلى القلعة فى يوم السبت عاشر رمضان، وقد أخذ كثيرا من العربان؛ وبعثهم مقيدين فى المراكب إلى القاهرة، فسجنوا واستعملوا فى الجسور، وقبض على مقداد بن شماس - وكان قد عظم ماله حتى بلغ عدد جواريه أربعمائة جارية، وعدة أولاده ثمانون ولدا - وقتل عدة كثيرة من العربان، وعاد. فحبس (السلطان) مقدادا مدة ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بمال وغلال، وكتب برد أهله وأولاده وعبيده إليه، وأنزله بالناصرية التى أنشأها خليج الإسكندرية، فأقام مقداد هناك، وأنشأ للبيوت والسواقى والدواليب، وعمر تلك الجهات، وبقى عقبه من بعده بها.

وفيها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل فى أول السنة، فكمل فى سابع عشر

---

(١) الراجح أنها بلدة فرشوط - أو برشوط - التابعة لمركز نجع حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر: معجم البلدان ٨٨٦/٣.

رجب. وقصد السلطان أن يحاكى به قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق، واستدعى له الصناع من دمشق، وجمع صناع مصر، فكمل، وأنشأ بجانبه جنينة. وعمل السلطان عنده سماطا للأمراء، وخلع عليهم، وحمل إلى كل أمير مائة ألف دينار، وإلى كل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، ولكل مقدم حلقة خمسمائة درهم فكان جملة ما فرق فى هذا المهم خمسمائة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم. وصار السلطان يجلس فيه سائر الأيام، ما عدا يومى الإثنين والخميس فإنه يجلس فيهما بالإيوان.

وفيها أخرب السلطان مناظر اللوق بالميدان الظاهرى، وعملها بستانا، وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات، واستدعى حولة الشام والمطعمين، فجاء من أبدع البساتين، وعرف أهل جزيرة الفيل منه صناعة تطعيم الشجر، واغتنوا بها.

وفيها ركب السلطان إلى الجيزة، وندب بدر الدين بن التركمانى لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين. فأنشأ ابن التركمانى لكل بلد جسرا متقنا وعمل جسرا من البحر إلى أمدنيار، وخرج العسكر جميعه والأمراء بمضافيهم للعمل فى ذلك، فكان مهما عظيما، وصار السلطان يركب إليه كل قليل حتى كمل، وعمرت القناطر من حجارة الهرم الصغير، ومن حجارة القناطر الظاهرة[1] التى تعرف بالأربعين قنطرة.

وأكثر السلطان من العمائر، وولى آقسنقر أمير آخور شاد العمائر، وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية، وأفرد للعمائر ديوانا بلغ مصروفه فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم إلى ثمانية آلاف، وهى أقل ما كان يصرف فى اليوم الواحد. وأنشأ السلطان دار البقر التى كانت برسم بقر السواقى السلطانية، بباب القلعة بجوار إسطبل الطويل، وندب لذلك كريم الدين الكبير، فأنفق عليها ما ينيف على ألف ألف درهم وأنشأ دارا للأمير سيف الدين طاش تمر «حمص أخضر» بحدرة البقر، واشترى له بستان ابن المغربى بجزيرة الفيل بتسعين ألف درهم. فامتدت أيدى الناس إلى العمارة، وكأنما نودى فى الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر، وذلك أن الناس على دين ملكهم. وأنعم السلطان على الأمير سيف الدين طغاى بدار الملك المنصور قلاوون بالقاهرة.

وفيها ابتدأ الناس بعمارة ناحية اللوق خارج المقس، وعمارة أراضى بستان الخشاب فيما بين اللوق ومنشاة المهرانى على النيل.

وفيها قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولى عين ماء إلى الخليل، وأنه عمر بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام عمائر حسنة وجعل عليها أوقافا.

---

(١) المقصود بها قناطر الجيزة. انظر: خطط المقريزى ١٤٦/٢.

وفيها تسحب علاء الدين على بن الأمير بدر الدين بن المحسنى إلى بلاد الغرب فى نحو المائتين، وخرج الطلب خلفهم خمسة أيام فلم يدركوا.

وفيها قدم البريد من حلب بقلة الماء بها، وقد عين أهلها مواضع يساق فيها الماء حتى يرمى إلى نهر الساجور[١] فيصير نهرا يجرى فى المدينة، وأن قياسه من نهر قويق[٢] إلى الساجور أربعة وأربعون ألف ذراع طولا فى عمق ذراعين، وأنه كتب تقدير المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم، فأنعم من مال السلطان الخاص بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم، ورسم لنائب حلب سيف الدين سودى أن يقوم من ماله بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم؛ فوقع العمل فى ذلك.

وفيها قدم البريد أيضا بامتناع مهنا من الحضور. وذلك أن السلطان لما حضر ولداه سليمان وموسى أنعم عليهما إنعاما كثيرا، وبعث إليه بعد مجىء القود بهدية، واستدعاه وحلفه. وضمن سليمان وموسى إحضار أبيهما إلى مصر، وسافرا؛ ثم خرج بعدهما الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار بكتاب ليحلفه ويعده ويتلطف به ليحضر، فأوصله الكتاب ورغبه فى الحضور، فامتنع من اليمين والحضور. فاشتد حنق السلطان منه، ورسم أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قجليس، ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير سيف الدين أرقطاى. واستدعى السلطان فضل بن عيسى، وأعاد إليه الإمرة عوضا عن مهنا، وكتب إلى عرب بنى كلاب وآل مرى وآل فضل وآل على بالركوب مع العساكر، وأخذ مهنا وأولاده وإخراجهم من البلاد؛ فوقع الشروع فى التجهز للسفر.

وفيها سمل السلطان عينى علاء الدين على بن سعد الدين الفارقى الموقع، وكحلا بسبب التزوير فى المراسيم وأخذه على ذلك جملة من المال.

وفى سادس عشرى ذى القعدة: قدمت رسل الملك أزبك صاحب سراى، ورسل الأشكرى[٣]، فأنزلوا بمناظر الكبش.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر أبو بكر بن محمد - وقيل عمر - بن تقى الدين المشيع المقصاتى الجزرى،

---

(١) اسم نهر بمنبج. انظر: معجم البلدان ٣/١٧٠.

(٢) نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٧.

(٣) على هامش ط: المقصود بالأشكرى إمبراطور الدولة البيزنطية وكان الإمبراطور فى هذه السنة أندرنيق الثانى باليولوج.

ولد بجزيرة ابن عمر، وعمل صناعة المقصات، ثم ولى وظائف بدمشق، ومات بدمشق عن بضع وثمانين سنة، فى ليلة السبت حادى عشرى جمادى الآخرة؛ وقرأ الناس القراءات بمصر والشام نحو خمسين سنة، وقرأ على الشيخ عبد الصمد وغيره، وروى عن ابن الكواشى تفسيره، وكان عارفا بالقراءات دينا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المحمدى العديمى، فى ذى القعدة بحلب؛ حدث عن جماعة.

ومات عز الدين عبد العزيز بن منصور التاجى الكولمى، بالإسكندرية فى رمضان؛ كان أبوه يهوديا من حلب يعرف بالحموى، فأسلم وسافر ابنه عبد العزيز هذا بماله وهو نحو خمسمائة ألف ألف درهم إلى بغداد، وعبر الهند، وقدم مصر سنة أربع وسبعمائة ببضاعة قيمتها أربعمائة ألف دينار؛ وكان فيه خير وبر، وله صدقات.

ومات فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى الحافظ، بمكة فى ربيع الآخر، وكان إماما فى الحديث والقراءات، وجاوز عدة سنين.

ومات عماد الدين أبو الحسين على بن فخر الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكرى الشافعى، خطيب الجامع الحاكمى بالقاهرة، ودرس المشهد الحسينى بها، فى سادس عشرى صفر يوم الجمعة؛ ومولده فى خامس عشرى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة؛ وهو الذى توجه فى الرسالة إلى غازان؛ فولى خطابة الجامع الحاكمى وتدريس منازل العز بعده القاضى تاج الدين المناوى الشافعى؛ وولى تدريس المشهد الحسينى صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل.

ومات مجد الدين محمد بن حمزة بن معد الفرجوطى بمدينة فرجوط، وله شعر.

ومات قطب الدين يوسف بن أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العوفى الأسفردى، خطيب جامع الصالح خارج باب زويلة، فجأة ليلة السبت عشرى رجب؛ واستقر عوضه الشيخ زين الدين عمر بن يونس الكتانى.

ومات الشيخ تاج الدين محمد بن على بن همام العسقلانى، إمام جامع الصالح، ليلة السبت حادى عشرى شعبان؛ ومولده فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وستمائة؛ واستقر عوضه ابنه تقى الدين محمد.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الكنجى متولى قلاع الإسماعيلية بقلعة مصياب[1]،

---

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر: معجم البلدان ١٤٤/٥.

وكان قد وليها من الأيام الظاهرية، وعزل فى الأيام المنصورية، ثم أعيد وعزل فى الأيام الأشرفية، ثم أعيد، وكان مطاعا فيهم بحيث إنه إذا أمر بقتل نفسه يبادر لذلك.

ومات صدر الدين محمد بن البارنبارى يوم الإثنين عشرى شعبان.

ومات الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين يحيى بن الرفعة، مرتفع يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات جمال الدين بن المجد مستوفى ديوان المماليك فى حادى عشر ذى الحجة، واستقر عوضه أمين الدين بن الخطاب.

ومات الشيخ أمين الدين بن الصعبى، يوم الأحد عشرى ذى الحجة.

ومات الفقيه زكى الدين البهنسى، فى شهر رمضان.

ومات الشيخ الرشيد، فى سلخ رجب برباط الأفرم، وكان يلى مشيخته

* * *

سنة أربع عشر وسبعمائة

مستهل المحرم: وافقه حادى عشرى برمودة.

فيه اخضر ماء النيل، وتغير لونه تغيرا زائدا عن العادة، وتغير طعمه وريحه أيضا، وجرت العادة أن يكون فى هذه الأيام فى غاية الصفاء.

وفى نصف المحرم: اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة. فقام فى إنكار ذلك الشيخ نور الدين على بن عبد الوارث البكرى، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم فى مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهر، فأخرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل. وعاد البكرى إلى الجامع، وقصد القومة، فاحتجوا أن الخطيب القسطلانى هو الذى أمر بإرسال القناديل إلى الكنيسة، فأنكر على الخطيب فعله. وجمع البكرى الناس معه على ذلك، وقصد الإخراق بالخطيب، فاختفى منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم هو الذى أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته. فلما كان الغد عرف الفخر السلطان بما كان، وعلم البكرى أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع فى القول وبالغ فى الإنكار، وطلب الاجتماع بالسلطان. فأحضر السلطان القضاة والفقهاء وطلب البكرى، فذكر البكرى من الآيات والأحاديث التى تتضمن معاداة النصارى، وأخذ يحط عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: «أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر. وأنت وليت القبط المسالمة، وحكمتهم فى دولتك وفى المسلمين، وأضعت أموال المسلمين فى العمائر والإطلاقات التى لا تجوز»، إلى غير ذلك، فقال السلطان له: «ويلك! أنا جائر؟». فقال: «نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقويت دينهم». فلم يتملك السلطان نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهم بضربه. فأمسك الأمير طغاى يده، فالتفت السلطان إلى قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: «هكذا يا قاضى يتجرأ على؟ إيش يجب أفعل به؟ قل لى!»، وصاح به. فقال له ابن مخلوف: «ما قال شيئا ينكر عليه فيه، ولا يجب عليه شىء، فإنه نقل حديثا صحيحا». فصرخ السلطان فيه وقال: «قم عنى!». فقام من فوره وخرج. فقال صدر الدين بن المرحل - وكان حاضرا - لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى: «يا مولانا! هذا الرجل تجرأ على السلطان، وقد

قال الله تعالى أمرا لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[(١)]. فقال ابن جماعة للسلطان: «قد تجرأ و لم تبق إلا مراحم مولانا السلطان». فانزعج السلطان انزعاجا عظيما، ونهض عن الكرسى، وقصد ضرب البكرى بالسيف، فتقدم إليه طغاى وأرغون فى بقية الأمراء، وما زالوا به حتى أمسك عنه، وأمر بقطع لسانه. فأخرج البكرى إلى الرحبة، وطرح إلى الأرض، والأمير طغاى يشير إليه أن يستغيث، فصرخ البكرى وقال: «إنا فى جيرة رسول الله»، وكررها مرارًا حتى رق له الأمراء، فأشار إليهم طغاى بالشفاعة فيه، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مصر. وأنكر الأمير أيدمر الخطيرى كون البكرى قوى نفسه أولا فى مخاطبة السلطان، ثم إنه ذل بعد ذلك، ونسب إلى أنه لم يكن قيامه خالصا لله.

وفيه قدم الركب من الحجاز، وقد كثرت الشكوى من الأمير بلبان الشمسى أمير الركب، وأنه كثير الطمع مفرط فى أمر الحاج سيء السيرة، فقبض عليه.

وفيه أفرج عن الأمير برلغى صهر المظفر بيبرس.

وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواق كثيرة من ضمانات ومقررات على أهل البلاد، وقد تضر روا منها. فكتب مثال بمسامحة أهل الشام بالبواقى لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسير إلى دمشق فقرئ بها على منبر الجامع فى يوم الجمعة عاشر المحرم، وتلاه مثال آخر بإبطال المقرر على السجون، وإعفاء الفلاحين من السخر، وإبطال مقرر الأقصاب، ومقرر ضمان القواسين، ورسوم الشد والولاية. فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها.

وفيه كتب لنواب حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدا منهم لا يكاتب السلطان، وإنما يكاتب الأمير تنكر نائب الشام، ويكون هو المكاتب فى أمرهم للسلطان. فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك، فكاتب فيه تنكز السلطان حتى عزل فى صفر، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى، وحمل طرنا فى القيد إلى مصر، وسجن بالقلعة.

وفيها استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب فى نيابة حلب، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودى فى نصف رجب. وقدم زين الدين قراجا الخزندارى والخاص ترك من بلاد طقطاى، وأخبرا بموته، وهو طقطاى بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جوجى

---

(١) سورة طه آية ٤٤.

ابن جنكز خان ملك التتار ببلاد الشمال، أقام فى الملك مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية[١]، وملك بعده أزبك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان.

وفيها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحى أرض مصر وترعها وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى الشرقية، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير إلى البهنساوية، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسيوط ومنلفوط والأمير سيف الدين آقول الحاجب إلى الغربية، والأمير سيف الدين قلى أمير سلاح إلى الطحاوية[٢]وبلاد الأشمونين[٣]، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية، والأمير علاء الدين التليلى إلى البحيرة[٤]، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسى إلى الفيوم[٥]، والأمير سيف الدين بهادر المعزى إلى إخميم، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص.

وفيها قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز: وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فر الشريف حميضة نحو اليمن، وأقام بحلى بنى يعقوب: فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طقصبا المغربى بالمعسكر حتى رتب الشريف أبا الغيث فى إمارة مكة، و لم يزل مقيما معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج. و لم تمطر تلك السنة بمكة، وقل الجلب، فكثرت كلف العسكر، واحتاج طقصبا إلى السفر. فأشهد عليه أبو الغيث أنه أذن له فى السفر، وكتب بذلك إلى السلطان. فلم يكن بعد توجه العسكر من مكة غير قليل حتى جمع حميضة وقدم، ففر منه أبو الغيث إلى هذيل بوادى نخلة، وملك (حميضة) منه مكة، وبعث حميضة إلى السلطان القود اثنى عشر فرسا وكتابا، وهو يترفق ويبذل الطاعة ويعتذر؛ فلم يقبل منه العذر، وحبس رسوله.

وفيها توجه الأمير قجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه، فبطل أمر التجريدة من مصر. وجرد من الشام الحاج أرقطاى وكجكن، ومن حماة ألف فارس مع عسكر طرابلس وحلب، وخرج طلب قجليس من القاهرة ليكون مقدم العساكر، فاجتمعت عنده العساكر والعربان بحلب. وبلغ ذلك مهنا فأجمع على الرحيل، وسارت إليه

---

(١) على هامش ط: البخشية لفظ مغولى، ومعناه الكهنة البوذيون، والمقصود به هنا طائفة تدين بالرهبانية والفقر والسحر.

(٢) هى كورة من كورة الصعيد. انظر: صبح الأعشى ٣٩٤/٣.

(٣) هى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر: معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٤) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر. انظر: معجم البلدان ٣٥١/١.

(٥) ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر: معجم البلدان ٢٨٦/٤.

العساكر، فلما قاربته رحل وهى فى إثره إلى عانة والحديثة[١] من العراق، فجفلت أهل البلاد. وبلغ ذلك جوبان نائب خربندا ملك التتار، فظن أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق، فانزعج لذلك إلى أن بلغه مجيء العسكر بسبب العرب، وأنه لم يتعد عانة ولا تعرض لزرع البلاد ولا كرومها، فسكن ما به. ورجع العسكر عن عانة إلى ضيعة تعرف بالعنقاء[٢] من ضياع مهنا، وأخذ ما كان بها من المغل، وسار كذلك إلى ضياع مهنا حتى وصل الرحبة، وقد حمل الغلال إليها. فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها، وإقامته على سلمية[٣] إلى أن يخزن مغلها بقلعة حلب، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغل سلمية، وعاد قجليس إلى القاهرة فأخلع عليه.

وفيها خرج عسكر من القاهرة فى أول ذى القعدة: فيه من الأمراء سيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار وإليه تقدمه العسكر وقلى السلاح دار، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وركن الدين بيبرس الحاجب، وبكتمر البوبكرى الجمدار، وبدر الدين محمد بن الوزيرى، وأيتمش المحمدى، بمضافيهم من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد. وكتب لنائب الشام الأمير تنكز بالمسير معهم بعسكر دمشق، وأن يكون المقدم على جميع العساكر، وكتب بخروج عساكر حماة وحلب وطرابلس، وأشيع أن ذلك لغزو سيس. فوصل عسكر مصر إلى دمشق فى عشريه، وأقام بها حتى انقضت السنة.

واتفقت حادثة غريبة بالقاهرة: وهو أن رجلا من سكان الحسينية يقال له على بن السارق ركب فى يوم الجمعة فرسا وبيده سيفه، وشق القاهرة فما وجد بها يهوديا ولا نصرانيا إلا ضربه، فجرح جماعة، وقطع أيدى جماعة، وشج جماعة، ثم أمسك خارج باب زويلة، وضرب عنقه.

* * *

ومات فيها ممن له ذكر

رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقى الحنفى، بمصر فى رجب عن إحدى

---

(١) الحديثة: كورة من كور الموصل، قال اليعقوبى: الحديثة مدينة عامرة آهلة على شاطئ دجلة لها فرض وأسواق، وهى كورة من كور النوصل لها عمارات وقرى، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، ولها غلات واسعة وخصب وهى شرقى دجلة، وبها مصب نهر الزاب الكبير، ومنها إلى الموصل مرحلة. وكان محمد بن مروان بن الحكم لما ولى الجزيرة أيام عبد الملك بن مروان بناها وصير فيها جندًا ونقل إليها قومًا من العرب من البلصرة وغيرها، والأزد أكثرهم، وكان بنيانها سنة اثنتين وسبعين. ولما اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية بها بيعتان وأبيات للنصارى فمصرها وأسكنها قومًا من العرب، فسميت الحديثة لأنها بعد الموصل. انظر: معجم البلدان ٢/٢٣٠، والروض المعطار ١٨٩، ١٩٠.

(٢) العنقاء: موضع بنواحى البحرين. انظر: معجم البلدان ٤/١٠٦٢.

(٣) سلمية: هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة. بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان ١/٢٤٠، واليعقوبى ٣٢٤، ونزهة المشتاق ١٩٦، والروض المعطار ٣٢٠.

وتسعين سنة، أخذ القراءات عن السخاوى، وأفتى ودرس، وقدم القاهرة من سنة سبعمائة فى الجفل.

ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد - عرف جده بالقابونى - السعدى الأنصارى الدمشقى، فى ليلة الجمعة أول محرم، ومولده سنة ستين وستمائة، وسمع من أبى اليسر فى آخرين، وحدث عن أبى عبد الله ابن أمين الدين سليمان الموصلى، و روى عنه شيخنا العماد بن كثير، وقال كان رجلا جيدا يشهد على القضاة، وباشر استيفاء الأوقاف.

ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسينى، نقيب الأشراف بدمشق، فى ليلة الخميس ثالث رجب، ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان حسن السيرة عفيفا، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضا.

ومات الأمير سودى نائب حلب فى نصف رجب، ووجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار، واشتملت تركته على ألف ألف درهم، حملت إلى القاهرة، وكان كريما حشما مشكور السيرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن خطاب الباجى[1]، بمصر ليلة الجمعة سادس ذى القعدة، عن ثلاث وثمانين سنة، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية، درس وصنف وأفتى.

ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمى الإسكندرانى، عن ثمانين سنة بالإسكندرية، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلى، ناظرحلب ودمشق، فى ثامن عشرى شعبان، عن ست وثمانين سنة بحلب، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، و لم تبق مملكة بالشام إلا باشرها، وكانت له مروءة.

ومات الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى بدمشق.

ومات عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز بن المعظم

---

(١) على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، علاء الدين الباجى: عالم بالأصول والمنطق والحساب. من أهل مصر. مغربى الأصل. ولى وكالة بيت المال بالكرك، وناب فى الحكم بالقاهرة، ونسبت إليه مقالة فاختفى مدة. وتقشف فى أواخر حياته. له كتب فى الفرائض. انظر: مفتاح السعادة ٢/٢٢٤ وفوات الوفيات ٢/٧٥ والدر الكامنة ٣/١٠١ والكتبخانة ٧/٢٥٨ والشافعية ٦/٢٢٧ والأعلام ٤/ ٣٣٤.

عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، بحماة فى ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين ملكتمر الناصرى المعروف بالدم الأسود بدمشق، وكان ظالما.

ومات الأمير فخر الدين أقجبا الظاهرى بدمشق، وكان خيرا، ومات الشيخ تقى الدين رجب بن أشترك العجمى، صاحب زاوية تقى الدين تحت قلعة الجبل، فى ثامن رجب، وكان له أتباع ومريدون، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة، ومات الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلانى بالقاهرة، ومولده بمكة فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة، وكان ورعا دينا، ومات الشيخ المعمر محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف بحياك الله الموصلى، فى يوم الخميس تاسع ربيع الأول، بزاويته من سويقة الريش خارج القاهرة، عن مائة وستين سنة، وكان قد سئل عن مولده، فقال إنه قدم إلى القاهرة فى أيام المعز أيبك، وعمره يومئذ خمس وثمانون سنة، ومات سليم الحواس جيد القوة. ومات صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الخشاب، وكيل بيت المال، يوم الإثنين تاسع شعبان، وولى عوضه مجد الدين حرمى، ومات القاضى سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفى الدين عبد الله الأقفهسى، ناظر الخزانة، يوم الجمعة ثامن عشرى ذى الحجة فجأة، واستقر عوضه الصاحب ضياء الدين النشائى. ومات القاضى شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش يوم السبت ثالث عشر شعبان، وكان ناظر ديوان المماليك وأبوه غائب بالقدس، فقدم بعد موته ليلة رابع عشريه، فقررت جامكيته باسم ابنه، واستنيب عنه، ومات القاضى تقى الدين بن الفائزى، ليلة الجمعة ثانى عشرى صفر. ومات الشيخ عمر الدمامينى فى ثانى عشرى ذى القعدة. وقتل بدمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى رجب موسى بن سمعان النصرانى، كاتب الأمير قطلوبك الجاشنكير بحران، وذلك أنه نصر مسلما، وكواه على يده مثال صليب، فحكم قاضى القضاة جمال الدين المالكى بقتله، فقتل.

* * *

سنة خمس عشر وسبعمائة

فى أول المحرم: سار العسكر من دمشق إلى حلب، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وقد استصحب معه قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وشرف الدين ابن فضل الله، وجماعة من الموقعين، وكان تنكز بزى الملوك من العصائب والكوسات، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك، وتبعه عسكر صفد وحمص حماة وطرابلس. فلما مر الأمير تنكز بحماة أعرض عن صاحبها لكونه لم يتلقه من بعد، ولم يأكل ما أعده له من الطعام، وسار تنكز إلى حلب فجرد منها الأمير قرطاى والأمير ملكتمر الجمدار إلى ملطية[1]، وكان فى الظن أن المسير إلى سيس.

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قرا سنقر، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له مندوه يدل على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة، فشق

---

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورًا محكمًا، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة. وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهرى، وجهه إليها عياض بن غنم من سميساط، ففتحها ورتب فيها رابطة من المسلمين، ثم شحنها معاوية، فكانت فى طريق الصوائف، ثم انتقل عنها أهلها أيام ابن الزبير فقصدها الروم ثم تركتها فنزلها قوم من الأرمن والنبط ثم أناخ الروم عليها، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة قصدها الطاغية، والجزيرة يومئذ مفتونة فأناخ عليها، فلما جهد أهلها سألوه الأمان فوثق لهم، فرحلوا وحملوا ما تيسر لهم وألقوا كثيرًا مما ثقل عليهم فى الآبار والمجارى، ثم خرجوا وشيعهم الروم حتى بلغوا مأمنهم، وتوجهوا نحو الجزيرة، وهدم الروم ملطية، فلم تزل كذلك حتى وجه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام على الجزيرة وثغورها، ومعه الحسن بن قحطبة، ومعهم سبعون ألفًا، فعسكروا على ملطية وأتموا بناءها، وكان للحسن فى ذلك أثر جميل، وبنى مسجدها وبنى للجند الساكنين بها لكل عرافة بيتين سفليين وغرفتين فوقهما وإصطبلاً، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً، وبناها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى ثاقب يدفع فى الفرات، ورتب المنصور فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وزاد فى أعطياتهم عشرة دنانير لكل رجل ومعونة مائة دينار، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدروا عليها. وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة أقبل طاغية الروم قسطنطين بن الليون فنزل على ملطية فقاتلوه قتالاً شديدًا، فألح عليهم حتى نزلوا على أمان، فهدم المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدروا عليها. انظر: معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار ٥٤٥.

ذلك على السلطان، وأخذ فى العمل عليه. فبلغه أنه صار يجنى خراج مطلية، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة ملطية، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير. وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره. فجهز السلطان العساكر، وروى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب، وسارت العساكر منها مع الأمير تنكز على عينتاب إلى أن وصل الدرنبد، فألبس الجميع السلاح وسلك الدرنبد إلى أن نزل على ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشريه، وحاصرها ثلاثة أيام. فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها، وخرج فى عدة من الأعيان إلى الأمير تنكز، فأمنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا، ونودى فى العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة. وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أركتمر حتى نزل بداره، وقبض على مندوه الكردى وسلم إلى الأمير قلى، وتكاثر العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوها. وقتلوا عدة من أهلها. فشق ذلك على الأمير تنكز، وركب معه الأمراء، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر، ورحل من الغد وهو رابع عشرى المحرم بالعسكر، وترك نائب حلب مقيما عليها لهدم أسوارها. ففر مندوه قبل الدخول إلى الدرنبد. وفات أمره. فلما قطعوا الدرنبد أحضرت الأموال التى نهبت والأسرى، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله، وأفرد الأرمن.

فلما فتحت ملطية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة، فقدم يوم الخميس ثالث صفر، ودقت البشائر بذلك. وتبعه الأمير تنكز بالعساكر - ومعه الأمير ميزامير وولده - حتى نزل عينتاب ثم دابق[1]، فوجد بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف، وتجلب كلها إلى حلب. ثم سار تنكز، فقدم دمشق فى سادس عشر ربيع الأول، وسير ميزامير وابنه فى ثلاثين رجلا مع العسكر المصرى إلى القاهرة فقدموا فى خامس ربيع الآخر.

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدى شقير، وجمال الدين بكتمر الحسامى الحاجب، فى أول ربيع الآخر، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان، وأخذ لبكتمر الحاجب مائة ألف دينار، وسجن. وكان قد قبض على الأمير بهادر المعزى فى عاشر المحرم، وقبض أيضا بعد القبض على شقير على الأمير طغاى، وقبض على تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك. واستقر الأمير سيف الدين كستاى الناصرى فى نيابة طرابلس.

---

(١) دابق: مدينة فى أقاصى فارس يذكر ويؤنث، وهو مذكور فى حديث مسلم بن الحجاج: ينزل الروم بدابق أو الأعماق، أو ما هذا معناه قال عياض: بفتح الباء جاء فى كتاب مسلم. انظر: معجم البلدان ٤/٧٢، الروض المعطار ٢٣١.

وأفرج فى مستهل ربيع الآخر عن داود وجبا أخوى الأمير سلار، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصورى أحد البرجية. وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيرى عن مصر ليقيم بدمشق، فى يوم السبت سلخ ربيع الآخر، وأنعم عليه بما خص السلطان من خمس ملطية، وهو نحو الخمسين ألف درهم.

وفى ثامن عشرى رجب: أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه، وأمر فى ثامن عشرى شهر رجب، ثم أنعم عليه فى ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين لاجين أستادار بعد موته.

وفيه قدم محمد بن عيسى[1] أخو الأمير مهنا، واعتذر عن أخيه مهنا، وقدم فرسا أصيلا للسلطان، فقدمت الفرس للسلطان فى شعبان، وعرفت ببنت الكرتا، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم. فكتب السلطان إلى مهنا بالرجوع إلى البلاد، وخلع على محمد بن عيسى، ثم بعث إلى مهنا باثنى عشر ألف دينار، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم، وكتب له بضيعة من الخاص على سبيل الملك.

وفى يوم الجمعة عشرى جمادى الأولى: - وتاسع عشرى مسرى: كان وفاء النيل، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثانى عشريه: عزل علاء الدين القطزى من ولاية مصر، وولى بعده ابن أمير حاجب، نقل إليها من ولاية الشرقية.

وفى ثالث جمادى الآخرة: حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة رميثة ابن أبى نمى، من مكة فارا من أخيه حميضة، وأخبر أنه قطع اسم السلطان من الخطبة بمكة، وخطب لصاحب اليمن. فجرد السلطان معه الأمير سيف الدين طيدمر، والأمير نجم الدين ذمرخان بن قرمان، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء.

وفيها قدم الأمير سيف الدين الخاص تركى وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاى، ومعهم رسل الملك أزبك القائم بعد طقطاى، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية. فأكرم السلطان الرسل، وكتب جوابه، وسفرهم، وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى بهدية.

وفيها قدم البريد من حلب بقدوم والدة صاحب ماردين تريد الحج، فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها.

---

(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين: أمير العرب فى بادية الشام، ورئيس آل فضل. مات فى سلمية عن نيف وستين سنة. انظر: النجوم الزاهرة ٢٦١/٩ والدرر الكامنة ١٣١/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيها قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة، ونهبه القريتين، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه. فكتب إلى مهنا فى ذلك، فأجاب بأنه خارج عن طاعته.

وفيها قدمت رسل صاحب اليمن، وهما بدر الدين حسن بن أبى المنجا، والطوشى جمال الدين فيروز؛ وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب[١]، وأخذوا منهما الهدية. فجرد السلطان من الأمراء علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطى السلاح دار، وصارم الدين أزبك الجرمكى، وعز الدين أيدمر الدوادار، علاء الدين على بن قرا سنقر، وعلم الدين سنجر الدنيسرى، فى عدة من الأجناد ومقدمى الحلقة، وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة، فساروا فى أول شوال.

وفى العشر الأخير من شعبان: وقع الشروع فى روك[٢] أرض مصر وسبب ذلك أن السلطان استكثر أخباز المماليك أصحاب بيبرس الجاشنكير وسلار النائب وبقية البرجية، وكان الخبز الواحد ما بين ألف مثقال فى السنة إلى ثمانمائة مثقال، وخشى السلطان من وقوع الفتنة بأخذ أخبازهم. فقرر السلطان مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء إلى الأعمال فتعين الأمير بدر الدين جنكلى ابن البابا للغربية، ومعه آقول الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة؛ وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، ومعه أيتمش المحمدى وأمين الدين قرموط؛ وللمنوفية

---

(١) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب إليها مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهى تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. ومرسى عيذاب مأوى لجماعة بنى يونس، والفجور فيهم فاش لا ينكره منهم منكر، ولا يكترى منه بيت إلا يشترط نفقة صاحبة البيت وإجراء الخلوة بها، وهم يأخذون من التجار عُشورًا، وفيها قبالة الكلب، وهو كلب كان هناك للأمير فى القديم. ومن عيذاب تسير القوافل إلى مدينة سواكن. ولأهل عيذاب فى الحجاج ظلم الطواغيت فإنهم يشحنون مراكبهم حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة فى الكراء حتى يستوفى صاحب المركب حقه فى طريق واحد، ولا يبالى بما يصنع البحر ويقولون: علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف عندهم. قالوا: والأولى لمن يمكنه ألا يراها، وأن يكون طريقه على الشام إلى العراق. انظر: معجم البلدان ٤/١٧١، ونزهة المشتاق٤٩، وابن الوردى ٣٦، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) على هامش ط: الروك لفظ جرى فى مصطلح الإدارة المالية فى مصر والشام فى العصور الوسطى، للدلالة على عملية قياس الأراضى ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة تقريبا.

والبحيرة بلبان الصرخدى والقلنجى وابن طرنطاى وبيبرس الجمدار، وللصعيد التليلى والمرتينى.

وفيها توجه السلطان فى شعبان إلى بلاد الصعيد، وقدم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال.

وفيها توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطاى للغارة على بلاد ماردين(١) ودنيسر(٢) لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به. فشن قرطاى الغارة على بلاد ماردين يومين، فصادف قراوول التتار قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة، وهم فى ألفى فارس، فحاربهم قرطاى وقتل منهم ستمائة رجل، وأسر مائتين وستين، وقدم بالرءوس والأسرى إلى حلب، ومعهم عدة خيول. فلما قدم البريد سر السلطان سرورا زائدا، وبعث بالتشريف لنائب حلب ولقرطاى.

وقدم الخبر من مكة بقتل أبى الغيث فى حرب مع أخيه حميضة، وأن العسكر المجرد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا، فتلقاه خربندا وأكرمه، وأقام حميضة عنده شهرا، وحسن له إرسال طائفة من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها، ويخطب له على منابرها. وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز فى ثامن عشرى رجب، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا، فشنَّ الغارات وأخذ جمال مهنا وطرده. فسار مهنا أيضًا إلى خربندا، فسرّ به وأنعم عليه. وجرد خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس، وسار حميضة بهم فى رجب يريد مكة. وأخذ خربندا فى جمع العساكر لعبور بلاد الشام، فقدر الله موته، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق، فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أخا مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة، فشق عليه استيلاؤهم على الحجاز، فلما علم بموت خربندا، وخروج أخيه مهنا من بغداد، سار فى عربانه وكبس سكر حميضة ليلا ووضع فيهم السيف، وهو يصيح باسم الملك الناصر، فقتل أكثرهم. ونجا حميضة، ووقع فى الأسر من المغل أربعمائة رجل، وغنم العرب منهم مالا كثيرا وخيولا وجمالا. وكتب

---

(١) ما ردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قمته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة.

(٢) بلدة عظيمة من نواحى الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان. انظر: معجم البلدان ٢/٤٧٨. وجاءت فى الروض المعطار دنيصر: من الموصل إلى نصيبين إلى مدينة دنيصر، وهى مدينة فى بسيط من الأرض فسيح وحولها باستين الرياحين والخضر تسقى بالسوانى، وكأنها بادية ولا سور لها، وهى مشحونة بشرًا، ولها أسواق حفيلة والأرزاق بها واسعة، وهى مخطر لأهل بلاد الشام وبلاد الروم التى لطاعة الأمير مسعود، وبها المرافق الكثيرة. انظر: الروض المعطار ٢٥٠.

وخيولا وجمالا. وكتب بذلك إلى السلطان فسر به، وأعاد الإمرة إلى مهنا، واستدعى محمد بن عيسى، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير.

وفيها وصل إلى السلطان مهرة تعرف ببنت الكرتا، كان قد بذل فيها نحو مائتى ألف وتسعين ألف درهم، وضيعة من بلاد حماة، ويقال إنها بلغت كلفها على السلطان ستمائة ألف درهم.

وفيها وعك السلطان أياما، فلما عوفى ودخل الحمام حلق رأسه كله، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه. ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر، واستمر إلى اليوم وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته، وأفرج عن أهل السجون، وطلع الناس للهناء، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فكان يوما مشهودا.

وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذى بناه أبوه الملك المنصور، وجدده أخوه الملك الأشرف، ثم أنشأ إيوانا جليلا، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاما عظيما، وجعل قدامه دركاة[1] فسيحة، فجاء من أجل المبانى الملوكية وأعظمها.

وأما الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر، فإن كلا منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودلاءها[2] وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد. وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندى من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم، والكشك والعدس والكعك، ثم قاس تلك الناحية، وكتب بذلك عدة نسخ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله. وعادوا بعد خمسة وسبعين يوما بالأوراق، فتسلمها الفخر ناظر الجيش، ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغى - وسائر مستوفى الدولة، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عينها لهم، وعلى إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة المقررة، وما فى كل بلد من الجوالى وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت الروك ديوانا مفردا يختص بالسلطان، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها.

---

(١) على هامش ط: الدركاة. وجمعه دركاوات - لفظ فارسى معناه الفضاء أو الممر المؤدى لمدخل بناء من الأبنية الكبرى.

(٢) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ دليل وهو الشخص من أهل الناحية يقوم بتعيين أسماء المزارعين للأراضى المزروعة. وفى لسان العرب: الدليل ما يستدل به. والدليل الدلال. وقد دله على الطريق يدله دللدتن ودللدتن ودللولتن، والفتح أعلاه. والدليل والدليلى الذى يدلك. لسان العرب ١٤١٤.

وأبطلت عدة جهات من المكوس منها ساحل الغلة، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء، ومتحصلها فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، وإقطاع الجندى منها من عشرة آلاف درهم فى السنة إلى ثلاثة آلاف، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف، واقتنى منها المباشرون أموالا عظيمة، فإنها أعظم الجهات الديوانية، وأجل معاملات مصر، وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتيه المراكب والكيالين والمشدين والكتاب، وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين للسلطان، ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما ينهب وكان له ديوان فى بولاق خارج المقس، وقبله كان خص يعرف بخص الكيالة، فلما ولى ابن الشيخى شد هذه الجهة - قبل أن يلى الوزارة - عمر مكان الخص مقعدا وجلس فيه، وكان فى هذه الجهة نحو الستين رجلا ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديا، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه.

ومن المكوس التى أبطلها السلطان الناصر أيضا نصف السمسرة الذى أحدثه ابن الشيخى فى وزارته، وهو أن من باع شيئا فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان. ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية، وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين، فيجبيها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وعليها جند مستقطعة وأمراء، وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف. ومنها مقرر الحوائص والبغال، وهى تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلى والبحرى، فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل فى كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم. ومنها مقرر السجون، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان، وكانت تجبى من سائر السجون. ومنها مقر طرح الفراريج، ولها ضمان فى سائر نواحى الإقليم، فتطرح على الناس فى النواحى الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه، وعليها عدة مقطعين ومرتبات، ولكل إقليم ضامن مفرد، ولا يقدر أحد أن يشترى فروجا فما فوقه إلا من الضامن. ومنها مقرر الفرسان، وهى شىء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجىء من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم. ومنها مقرر

الأقصاب والمعاصر، وهو ما يجبى من مزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة. ومنها رسم الأفراح، هى تجبى من سائر البلاد، وهى جهة بذاتها لا يعرف لها أصل. ومنها حماية المراكب، وهى تجبى من سائر المراكب التى فى النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية، ويجبى من المسافرين فى المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء. ومنها حقوق القينات، وهى ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب[١] بمصر. و منها شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم فى الخانات، وكانت جهة قبيحة شنعة. ومنها متوفر الجراريف، و تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم، وعليها عدة من الأجناد. ومنها مقرر المشاعلية، وهى ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان، فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب. ومنها ثمن العبى[٢] التى كانت تستأدى من البلاد. ومنها مقرر الأتبان التى كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن. ومنها زكاة الرجالة بالديار المصرية.وأبطل السلطان أيضا وظيفتى النظر والاستيفاء من سائر الأعمال

فى كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين ، فرسم ألا يستخدم أحد فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون فى كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير. ورفع السلطان سائر المباشرين. ورسم بالمسامحة بالبواقى الديوانية والإقطاعية من سائر النواحى إلى آخر سنة أربع وسبعمائة. وجعل المال الهلالى لاستقبال صفر سنة ست عشرة، والمال الخراجى لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأفرد السلطان لخاصة الجيزية وأعمالها وبلاد هو والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدة بلاد. وأحرجت الجوالى من الخاص، و فرقت فى البلاد. وأفردت جهات المكس كلها، وأضيف للوزارة. وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات. وارتجعت عدة بلاد كانت اشتريت، وأدخلت فى الإقطاعات. واعتد فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح، وحسب من جملة الإقطاع.

---

(١) المقصود بهذا اللفظ خطة من خطط الفسطاط كانت تسكنها سلالة قبيلة تجب. انظر: خطط المقريزى ٢٩٧/١.

(٢) العبى: جمع عامى للفظ عباءة - أو عباية - والصحيح عباءات. انظر: محيط المحيط. والعبايه ضرب من الأكسية واسع فى خطوط سود كبار، والجمع عباء. وفى الحديث: ولبساهم العباء. لسان العرب ٢٧٩١.

فلما فرغ العمل من ذلك نودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات، وكتبت المراسيم إلى النواحى به، فسر الناس سرورا كبيرا.

وجلس السلطان بالإيوان الذى أنشأه لتفرقة المثالات فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما. فكان المقدم يقف بمضافيه، ويستدعى السلطان المقدمين كل أحد باسمه، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان: «من أين أنت؟ ومملوك من؟»، حتى لا يخفى عليه شىء من أمره، ثم يعطيه مثالا على ما قسم له من غير تأمل، وأنبأ السلطان فى العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش.

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمته على العادة، وإذا أخذوا فى شكر جندى عاكسهم وأعطاه دون ما كان فى أملهم له، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد فى المجلس. فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جوابا له عما يسأل السلطان عنه منهم. وفعل فى عرض المماليك مثل عرض الأجناد، فكان المملوك إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه، وكم حضر من مصاف[1]، وكم رأى بيكارا، وأى قطعة حاصر، فإن أجابه بصدق أنصفه. وكان السلطان يخير الشيخ المسن بين الإقطاع والرواتب، فيعطيه ما يختار، ولم يقطع فى العرض العاجز عن الحركة، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضا عن إقطاعه.

واتفق له فى العرض أشياء: منها أنه تقدم إليه شاب تام الخلقة فى وجهه أثر شبه ضربة سيف، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع جيد، وقال له: «فى أى مصف وقع فى وجهك هذا السيف؟». فقال لقلة سعادته: «يا خوند! هذا ما هو أثر سيف، وإنما وقعت من سلم. فصار فى وجهى هذا الأثر»، فتبسم وتركه. فقال الفخر ناظر الجيش: «يا خوند! ما بقى يصلح له هذا الخبز!». فقال السلطان «لا! قد صدقنى وقال الحق، وأخذ رزقه، فلو قال أصبت فى المصف الفلانى من الذى يكذبه؟»، فدعت الأمراء له، وانصرف الشاب بالمثال. وتقدم إليه رجل ذميم الشكل، وله إقطاع ثقيل عبرة ثمانمائة دينار. فأعطاه مثالا وانصرف. فإذا به عبرة نصف ما كان معه. فعاد وقبل الأرض. فسأله السلطان عن حاجته. فقال: «الله يحفظ السلطان! فإنه غلط فى حقى، فإن إقطاعى كانت عبرته ثمانمائة دينار، وهذا أربعمائة». فقال السلطان: «بل الغلط كان فى إقطاعك الأول»، فمضى بما قسم له. فلما انتهت تفرقة المثالات فى آخر المحرم سنة ست عشرة توفر منها نحو مائتى مثال.

---

(١) المصاف جمع مصف، وهو الموقف فى الحرب وموضع الصف فى القتال. انظر: محيط المحيط.

ثم أخذ السلطان فى عرض طباق[1] المماليك، ووفر جوامك عدة منهم ورواتبهم، وأعطاهم الإقطاعات. وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم فى السنة. وارتجع السلطان ما كانت البرجية قد اشترته من أراضى الجيزة وغيرها، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغى والجوكندار وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للخاص.

وبالغ السلطان فى إقامة أيام العرض. وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه «من رد مثالا أو تضرر أو شكا ضرب وحبس وقطع خبزه، وأن أحدا من الأمراء لا يتكلم مع السلطان فى أمر جندى ولا مملوك»، فلم يجسر أحد أن يخالف ما رسم به.

وغبن فى هذا العرض أكثر الأجناد، فإنهم أخذوا إقطاعات دون التى كانت معهم، وقصد الأمراء التحدث فى ذلك مع السلطان، والنائب أرغون ينهاهم عنه. فقدر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركى، وجلس فى البستان المنصورى ليستريح، فدخل بعض المرقدارية - وكان يقال له عزيز - ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها. فتمادى عزيز لشؤم بخته فى الهزل إلى أن قال: «وجدت جندى من جند الروك الناصرى وهو راكب إكديش، وخرجه ومخلاة فرسه ورمحه على كتفه»، وأراد أن يتم الكلام. فاشتد غضب السلطان. وصاح فى المماليك: «عروه ثيابه»، فللحال خلعت عنه الثياب، وربط مع قواديس الساقية، وضربت الأبقار حتى أسرعت فى الدوران، وعزيز تارة ينغمر فى الماء وتارة يظهر، وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطان يزداد غضبا. فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين، وانقطع حسه، فتقدم إليه الأمير طغاى والأمير قطلوبغا الفخرى وقالا: «ياخوند! هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان، ويطيب خاطره، ولم يرد غير ذلك»، وما زالا به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت، ورسم بنفيه من أرض مصر، فحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة فى تغيير مثالات الأجناد.

وفى هذه السنة: ظهر ببلاد الصعيد فأر عظيم يخرج عن الإحصاء، بحيث إن مباشرى ناحية أم القصور من بلاد منفلوط قتلوا فى أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردبا ينقص ثلث أردب، واعتبروا أردبا فجاء عدة ثمانية آلاف وأربعمائة فأر، وكل ويبة ألف وأربعمائة فأر.

---

(١) الطباق جمع طبقة، وهى ثكنات الجيش المملوكى بالقلعة حيث كانت كل طبقة تضم أبناء الجنس الواحد من المماليك. انظر: خطط المقريزى٢/٢١٣.

وفيها وقعت نار فى البرج المنصورى من قلعة الجبل وطباق الجمدارية، فأحرقت شيئا كثيرا، وذلك فى تاسع عشرى شعبان.

وفيها غلقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها فى مصر والقاهرة، فى يوم السبت سابع عشرى شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذى الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى.

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، مع الركب، وكان أمير الركب عز الدين أيدمر الكوكندى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنتى المعروف بابن الأسعد، يوم الجمعة رابع عشرى رمضان، وكان فقيها شافعيا مشكور السيرة.

ومات جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن بريق بن برعس أبو الطاهر القوصى الفقيه الحنفى، كان متصدرا بجامع أحمد بن طولون، وله فضيلة فى الفقه والقراءات والعربية، وصنف وحدث، وله شعر منه:

أقول له ودمعى ليس يرقا ... ولى من عبرتى إحدى الوسائل

حرمت الطيف منك ففاض دمعى ... وطرفى فيك محرم وسائل

ومات تقى الدين سليمان بن حمزة بن عمر بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الحنبلى[1]، قاضى الحنابلة، بدمشق فى حادى عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكان فاضلا واسع الرواية، له معجم فى مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء، مع الدين والتواضع.

ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى، بالقاهرة ليلة الحادى والعشرين من صفر، عن ست وتسعين سنة، ودفن بالقرافة، ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة، وناب فى الحكم بالحسينية خارج القاهرة، ثم ولى قضاء الإسكندرية، وهو أول من درس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة.

ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسين بن شرف الدين شاه

---

(١) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين، ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة. كان مسند الشام فى وقته. ولى القضاء عشرين سنة. انظر: الكامل لابن الأثير ١٣٥/٤ والأعلام ١٢٤/٣.

الحسينى العلوى الأسترابادى، عالم الموصل ومدرس الشافعية، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمى ابن الحاجب والحاوى فى المذهب، وله سبعون سنة، وأخذ عن النصير الطوسى، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته، وبرع فى علوم المعقولات، وكان يجيد الفقه وغيره.

ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسى التميمى الدمشقى، فى ثانى عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أحد الأعيان الأخيار.

ومات الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى - المعروف بالهندى الأرموى - الفقيه الشافعى، فى تاسع عشرى صفر بدمشق، ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وله تصانيف مفيدة، وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه، وسار إلى الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة، وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرس، وكان إماما عالما دينا.

وملت شرف الدين محمد بن تميم الإسكندرانى كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها، وكان إماما فى الإنشاء، وله نظم.

ومات عز الدين موسى بن على بن أبى طالب الشريف أبو الفتح الموسوى الحنفى العدل، فى سابع ذى الحجة بمصر، وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوى، ورحل الناس إليه.

ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة، فى تاسع عشر رجب بطرابلس، وولى حاجبا بدمشق مدة، وكان مشكورا.

ومات الشريف أبو الغيث بن أبى نمى.

ومات الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى، أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين، وكان شجاعا مقداما عجولا، أحمق متكبرا واسطة سوء، قتل فى أول ربيع الأول.

ومات حسام الدين قرا لاجين المنصورى الأستادار، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان، وكان جوادًا خيرًا سليم الباطن، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين الخازن تحت العقوبة، يوم السبت عاشر ربيع الآخر.

ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأزكشى، بدمشق فى ثامن شعبان، وكان شجاعا شهما.

ومات الملك خربندا بن أبغا بن أرغون فى سادس شوال، وتسمى بمحمد، وكان رافضيا، قتل أهل السنة، وكان منهمكا فى شرب الخمر متشاغلا باللهو، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه، وكان محولا بإحدى عينيه، عادلا فى رعيته، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهرا.

ومات الأمير سيف الدين كستاى الناصرى نائب طرابلس بها، وكان جسورا قوى النفس معجبا بنفسه شديد الكبر، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها.

ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث، فى ثانى شعبان.

مات بهاء الدين بن المحلى، فى خامس شعبان.

ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدوى المالكى بمصر.

ومات الفقيه شرف الدين بن محيى الدين بن الفقيه نجيب الدين، فى تاسع رجب.

ومات الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب، بدمشق فى سادس عشرى ذى الحجة، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه من مؤلفه ابن الصلاح، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل،وشيوخه كثيرة، ومولده فى رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف، إمام الجامع الجديد الناصرى خارج مصر، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب.

ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف، المتصدر بجامع عمرو، بمصر ليلة الجمعة ثانى عشرى شعبان.

ومات الشيخ ابن أبى مفصلة، ليلة الأحد سادس عشر رمضان.

ومات الشيخ زين الدين المهدوى، يوم الخميس تاسع رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافور الأقطوانى الصالحى، شاد الخزانة السلطانية، ليلة الإثنين رابع عشر ذى القعدة.

ومات فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام، فى سابع عشرى ذى القعدة.

* * *

سنة ست عشر وسبعمائة

فى المحرم: قدم البريد من حلب بموت خربندا، وجلوس ولده أبى سعيد بعده.

وفى يوم السبت ثالث عشريه: سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقة، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد، وغرقت بلبيس[1] لكثرة المطر.

وفى ثامن صفر: استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع فى قضاء الحنابلة بدمشق، وجهز له توقيعه من القاهرة، فلم يغير زيه، واستمر يحمل ما يشتريه من السوق بنفسه، ويجلس على ثوب يبسطه بيده فى مجلس الحكم، ويحمل نعله بيده.

وفى أول ربيع الأول: فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهنا.

وفيه قدم البريد بوقوع المطر فى قارا وحمص وبعلبك، وفى بلاد حلب وإعزاز وحارم، بخلاف المعهود، وعقبه برد قدر النارنج، فيها ما زنته ثلاث أواق دمشقية، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شىء كثير. وخربت عدة ضياع، وتلف من التركمان وأهل الضياع خلق كثير. وعقب هذا المطر نزول سمك كثير ما بين صغار وكبار بالحياة، تناوله أهل الضياع واشتووه وأكلوه. وسقط بالمعرة وسرمين عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة فى غاية الكبر، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طم القرى وسد الطرقات والأودية، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحى[2]، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات.

وفى سادس عشرى جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى فى مشيخة الشيوخ بدمشق، عوضا عن شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البكاشغرى.

فيها رأى السلطان أن يقدم برشنبو النوبى، وهو ابن أخت داود ملك النوبة، فجهز

---

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ٤٧٩/١.

(٢) المساحى: جمع مسحة وهى المغراف من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو الكشف والإزالة وفى حديث خيبر: فخرجوا بمساحهم ومكاتلهم المقصود هنا: آلة تستعمل فى سحى الطين وجرفه وإزالته من الطريق. انظر: القاموسى المحيط، ولسان العرب (مسح).

صحبته الأمير عز الدين أيبك على عسكر. فلما بلغ ذلك كرنبس ملك النوبة بعث ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز يسأل السلطان فى أمره، فاعتقل كنز الدولة. ووصل العسكر إلى دمقلة، وقد فر كرنبس وأخوه أبرام، فقبض عليهما وحملا إلى القاهرة، فاعتقلا. وملك عبد الله برشنبو دمقلة، ورجع العسكر فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة. وأفرج عن كنز الدولة، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو، فخذله جماعته حتى قتل، وملك كنز الدولة. فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثة إلى النوبة، ووعده إن بعث إليه بكنز الدولة مقيدا أفرج عن أخيه كرنبس. فلما وصل أبرام خرج إليه كنز الدولة طائعا، فقبض عليه ليرسله، فمات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه، فاجتمع أهل النوبة على كنز الدولة وملكوه البلاد.

وفيها أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، فى العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها فى أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن[1] حتى التقوا بطائفة يقال لها حى الهلبكسة، وهم نحو الألفى راكب على الهجن بحراب ومزاريق، فى خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب، وانهزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة فى صفر سنة سبع عشرة.

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت[2]، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.

وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامى الحاجب. وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم، فسار على البريد ودخلها فى آخر ذى الحجة. وكان بكتمر فى مدة اعتقاله مكرما لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه فى الاعتقال، وولدت ولدا سماه ناصر الدين محمدًا،

---

(١) بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٢/٢٧٦.

(٢) كورة بصعيد مصر بينها وبين قوص مرحلتان. انظر: معجم البلدان ١/١٥٩.

فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياما.

وفيها ولى الأمير سيف الدين أرقطاى نيابة حمص فى تاسع رجب، عوضا عن شهاب الدين قرطاى بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة.

وفيها أخرجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهات فى القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.

وفيها أفرج عن الأمير كراى المنصورى والأمير سنقر الكمالى من سجن الكرك، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.

وفيها قدمت رسل أزبك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاى قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبى سعيد، وأزبك، وطغاى، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج، وكلهم يبذل الطاعة، و لم يتفق فى الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع فى الأيام الظاهرية خمسة رسل.

وفيها سافر فى الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدعدى الخوارزمى مملوك يازى، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمى الحلقة، بالهدية فى آخر المحرم وهى مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتانى أطلس أحمر مزركش، وشاش كافورى(١) وبلغطاق فوقانى مفرج مقصب محقق(٢) بطرز ذهب، وكلفتاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف بحلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.

وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقى.

وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاى، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضى عنه وخلع عليه.

وفيها صرف بهادر الإبراهيمى من نقابة المماليك، وبقى على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.

وفيها مرضت زوجة الأمير طغاى، فعادها السلطان مرارًا، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهما عظيما.

---

(١) على هامش ط: المقصود بالكافور كل ما يشبه فى بياضه خشب الكافور.

(٢) على هامش ط: المقصود به القماش المزدحم بالتحلية من خيوط الذهب أو الفضة.

وفيها سار السلطان إلى الصيد فى يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستورا، ونزل تحت الأهرام.

وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى - فى ثامن عشر مسرى - بعد أن بلغ فى يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعا. فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين بالجيزة، فنقص عدة أصابع، وجمع لسده خلق كثير، غرق منهم نحو ثلاثين رجلا فى ساعة واحدة انطبق عليهم الجسر. ثم جمع من مصر رجال كثيرة، وكتفوا وأنزلوا فى مركب وعدتهم سبعون رجلا، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم فى يوم السبت سابع عشره. ثم زاد النيل حتى أوفى.

وفيها قطعت أرزاق المرتزفة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم، وعوضوا على جهات أجودها نستراوة، فصارت سنتهم ثمانية أشهر. وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا، والسعيد مستوفى الرواتب. ومنع شهر المحرم، وصولح من له راتب بثلث المدة - وهى شهران وثلثا شهر - ، وأحيلوا على المطابخ، وثمنت عليهم قطارة[1]، فحصل من كل دينار سدسه. ونزل بالناس من ذلك شدة، وحصلت ذلة للحرم والأيتام، وسماهما الناس سعد الذابح وسعد بلع، وشافهوهما بكل مكروه.

وفيها قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة فى تاسع عشر جمادى الأولى، ونزل بمناظر الكبش، وحمل تقدمته فى غده، وسار فى تاسع عشر جمادى الآخرة.

وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة فى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد صاحب حماة.

وفيها استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده فى خامس عشر رجب، بعد موت التقى أسعد كاتب برلغى.

وفيها سافر الفخر ناظر الجيش وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس، وقدم ابن جماعة فى تاسع عشرى رمضان.

وفيه استقر العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة فى نظر البيوت، واستقر كريم الدين

---

(١) على هامش ط: المقصود جمال متتابعة فى نسق واحد.

أكرم الصغير فى نظر الدواوين، شريكا لأمين الدين، فى يوم الأحد أول ذى القعدة. وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصرى، بدمشق فى ليلة الإثنين أول رجب، ومولده بمصر فى حادى عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان فاضلا جليل القدر ولى نظر الدواوين بمصر، وولى نظر الشام وطرابلس وإسكندرية، ثم تغيرت حالته وانحطت رتبته، واستقر فى نظر أوقاف دمشق مع الحسبة، وكان عاقلا خبيرًا بالولايات، وفيه لين وسكون ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين. ومال صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن أبى اليسر مكتوم بن أحمد القيسى السويدى الدمشقى، فى ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق، كان فقيها مقرئا محدثا، درس وانفرد بالرواية عن جماعة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد مماليك المنصور قلاوون، وكان نائب دمشق، فى ثالث عشرى المحرم بهمذان.

ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى[1] البغدادى الحنبلى، فى رجب ببلد الخليل عليه السلام، أقام بالقاهرة مدة، وامتحن بها.

ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن مظفر الخطيرى الدمشقى، فى جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة، حدث، وولى نظر الخزانة بدمشق وكذلك نظر الجامع الأموى والمارستان النورى بها، وكان دينا صينا.

ومات الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندى[2] - عرف بكاتب ابن

(١) سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى الصرصرى، أبو الربيع، نجم الدين: فقيه حنبلى، من العلماء. ولد بقرية طوف - أو طوفا - من أعمال صرصر: فى العراق ودخل بغداد سنة ٦٩١هـ. ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤هـ. وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفى فى بلد الخليل بفلسطين. له بغية السائل فى أمهات المسائل فى أصول الدين. انظر: الكتبخانة ٤١١/١ وشذرات الذهب ٣٩/٦ والدرر الكامنه ١٥٤/٢ ومخطوطات الدار ٤٩/١ والأعلام ١٢٨/٣.

(٢) على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى، علاء الدين، ويقال له ابن عرفة: أديب متفنن شاعر، عارف بالحديث والقراءات من أهل الإسكندرية أقام بدمشق وتوفى فيها. له «التذكرة الكندية» خمسون جزءا، و«ديوان شعر». فى ثلاثة مجلات. انظر: فوات الوفيات ٨٧/٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٨ ولسان الميزان ٢٦٣/٤ والدرر الكامنة ١٣٠/٣ والنجوم الزاهرة ٢٣٥/٩ والأعلام ٢٣/٥.

ابن وداعة - الأديب البارع المقرئ ومات الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكى - المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل - فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة بالقاهرة، ومولده بدمياط فى شوال سنة خمس وستين وستمائة، واستقر بعده فى تدريس الزاوية بجامع عمرو شهاب الدين بن الأنصارى، وفى تدريس المجدية شمس الدين محمد بن اللبان. وقتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسندمر كرجى، وسيف الدين بينجار المنصورى، وبكتوت الشجاعى، وبيبرس العلمى، وبيبرس المجنون، وقطلوبك الكبير، وبكتمر الجوكندار نائب السلطنة، وبلبان طرنا، خنقوا فى ليلة واحدة.

ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاى الناصرى، فى تاسع جمادى الآخرة، واستقر عوضه الأمير شهاب الدين قرطاى الصالحى نائب حمص، وولى حمص أرقطاى الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقى طنبغا الشمسى، أحد أمراء مصر، وكان حشما عاقلا.

ومات الصاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن شهاب النشائى، وزير مصر، فى يوم الإثنين تاسع عشرى رمضان، وكان قد ولى التدريس بالمدرسة التى بجوار الشافعى بالقرافة، ومشيخه الميعاد بالجامع الطولونى، ونظر الأحباس ونظر الخزانة، وكان مشكور السيرة، فقيها فاضلا إماما فى الفرائض مشاركا فى علم الحديث، كثير الصدقة، وقال بعض الشعراء يرثيه

إن بكى الناس بالمدامع حمرا　　فهو شىء يقال من حناء
فاختم الدست بالنشائى فإنى　　لأرى الختم دائما بالنشاء

وكان فى وزارته غير نافذ الأمر، و قال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى من أبيات:

زقوا منصب الوزارة حتى　　لزقوها وقتنا بالنشاء

وولى بعده نظر الخزانة تقى الدين أحمد بن قاضى القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلى.

ومات تقى الدين أسعد الأحوال بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغى - ناظر الدواوين، فى ليلة الإثنين ثامن شهر رجب، فاستقر بعده الصاحب أمين الدين بن الغنام، والتقى هذا هو الذى كان سبب الروك، بتحسينه عمل ذلك للسلطان، وهو

الذى أدخل جهات المكوس فى ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ، وفرق جوالى الذمة فى الإقطاعات بعدما كانت قلما مفردا، فما زال رجال الدولة بالسلطان حتى تنكر عليه وسبه ولعنه وهدده بالقتل، فأثر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات، وكان من الظلمة اللئام، واستسلمه الأمير برلغى، ولم يوجد له بعد موته، شىء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتى درهم.

ومات ناصر الدين أبو بكر بن عمر بن السلار - بتشديد اللام بعد السين المهملة - فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر المحرم، ومولده ليلة الإثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة بدمشق، وكان أديبا بارعا بديع الكتابة، وتفتن فى عدة فضائل، وهو من بيت إمارة، ومن شعره:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ومات الطواشى ظهير الدين مختار المنصورى - المعروف بالبلبيسى - الخازندار، بدمشق فى عاشر شعبان، وكان يقرأ القرآن، وفيه شجاعة وشهامة، وفرق ماله على عتقائه قبل موته، ووقف أملاكه على تربته.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى بن الوزيرى، بدمشق فى سادس عشر شعبان.

وماتت المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد، وتدعى وزيرة، ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، بدمشق فى ثامن عشر شعبان، ومولدها فى سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدثت بصحيح البخارى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل، سنة خمس وسبعمائة.

ومات القاضى فخر الدين على ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فى يوم الثلاثاء عشرى رمضان، ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة، وانقطع بعد أبيه للاشغال، ودرس بالكهاربة[1] من القاهرة.

ومات الكاتب المجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير[2] الدمشقى، بها

(١) كانت مدرسة الكهاربة هذه بجوار حارة الجودرية والقماحين. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ٤١/٢.

(٢) موسى بن على بن محمد الحلبى أصلا، الحموى مولدا، ثم الدمشقى، نجم الدين المعروف بابن البصيص: شيخ الخطاطين فى زمانه بدمشق. ووفاته فيها. له شعر على طريقة الصوفية. أقام يعلم الناس الكتابة خمسين سنة. انظر البداية والنهاية ٧٩/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والدرر الكامنة ٣٧٦/٤ والأعلام ٣٢٥/٧.

فى عاشر ذى القعدة، وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة، وكان شيخ الكتابة بدمشق.

ومات نجاد بن أحمد بن حجى أمير آل مرا، وحضر ثابت بن عساف بن أحمد بن حجى إلى القاهرة، واستقر عوضه. وقتل سيف الدين خاص بك، فى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى، ضربت عنقه، وكان ممن فر إلى بلاد المغرب وقبض عليه.

ومات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ، ليلة الأربعاء عشرى جمادة الأولى بروضة مصر.

مات سراج الدين عمر الأسعردى، فى يوم الأربعاء ثالث رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافور الطيبرسى - الشهير بالعاجى - يوم الخميس ثامن عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، يوم الثلاثاء رابع عشرى رجب.

ومات شهاب الدين أحمد بن العسقلانى، إمام جامع المنشاة، يوم الأربعاء سلخ رجب.

ومات شرف الدين محمد بن عبد الحميد - المتصدر بجامع عمرو - بمصر يوم الأحد تاسع عشر شعبان، ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان معتقدا.

* * *

سنة سبع عشر وسبعمائة

أول المحرم: قدم طيبغا الحموى مبشرا بسلامة الحاج، ووصل القاضى كريم الدين ناظر الخاص من القدس يوم الإثنين سادسه. وقدم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه.

وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاى وماتت، فأكثر زوجها من الصدقة، وفرق بداره التى كانت للملك المنصور قلاوون بالقاهرة مالا على الفقراء، و هلك فى الزحام اثنا عشر شخصا وبهيمة كانت تحت أحدهم.

وفى حادى عشرى صفر: شنع الناس بموت القاضى كريم الدين، فركب فى سادس عشريه وصعد إلى مصر، فزينت له وأوقدت الشموع.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قاضى بعلبك بنزول مطر فى يوم الثلاثاء سابع صفر ببعلبك، عقبه سيل عظيم أتلف شيئا كثيرا، وهدم قطعة من السور، وغرق المدينة، وتلف بها شيء كثير، ومات ألف وخمسمائة إنسان سوى من مات تحت الردم، وانهدم منه بستانا، وثلاثة عشر جامعا ومدرسة ومسجدًا، وسبعة عشر فرنا، وأحد عشر طاحونا، وهدم برجا من السور ارتفاعه ثمانية وثلاثون ذراعا ودوره من أسفله ثلاثة عشر ذراعا، ذهب جميعه.

وفى ثالث عشر جمادى الأولى – وهو يوم السبت تاسع عشرى أبيب –: قدم المفرد إلى مصر وعلق الستر، فنقص النيل فى ليلة الأحد ثلاثة أصابع، فخلق المقياس يوم الأحد، وفتح الخليج مع النقص، ثم رد النيل وزاد إصبعين نودى بهما يوم الأربعاء ثالث مسرى. واستمرت الزيادة، فكان ينادى فى اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة فى يوم الأحد رابع عشرى توت – وهو ثالث رجب – ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع، وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور.

وفى بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى: سار السلطان ومعه خمسون أميرا، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص. والفخر ناظر الجيش، وعلاء الدين بن الأثير كاتب السر، بعدما فرق فى كل واحد فرسا مسرجا وهجينين، وبعضهم ثلاثة هجن. وكتب السلطان إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس، فتوجه إلى القدس، ودخل إلى الكرك، وعاد فى رابع جمادى الآخرة، فكانت غيبته أربعين يوما.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، من سجن الكرك، فخلع السلطان عليهما، وأنعم على بهادر بإمرة فى دمشق؛ ولزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بتقدمه ألف على عادته.

وفيه صرف أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر الدواوين، ونزل بتربته من القرافة؛ واستقر التاج إسحاق بن القماط والموفق هبة الله مستوفى الأمير سلار فى نظر الدواوين عوضه نقلا من استيفاء الدولة؛ واستقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الكارم ودار القند[١] فى ثالث عشريه، وخلع على الثلاثة فى يوم السبت خامس عشريه.

وفى رابع رجب: تقطعت جسور منية الشيرج وقليوب، وغرقت ليلة خامسه؛ وفر أهلها وتلفت أموالهم وغلالهم. فركب متولى القاهرة وغلق سائر الحوانيت والأسواق، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقى من الجسور.

وفيه قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا، فأنعم عليهما.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: صرف قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى عن قضاء مصر خاصة، واستقر عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبى بكر الحنفى قاضى الحسينية؛ فجلس سراج الدين للحكم فى يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومات ليلة الثانى والعشرين من رمضان، وعاد ابن الحريرى إلى قضاء مصر. وكان سبب عزله أنه بالغ فى الحط على الكتاب من النصارى والمسالمة، وأحرق بجماعة منهم وضربهم؛ وكان إذا رأى نصرانيا راكبا أنزله وأهانه وإذا رأى عليه ثيابا سرية نكل به؛ فضاق ذرعهم به، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير.

فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعة من الميدان، وأنشأ الأمير سيف الدين بكتمر الساقى المظفرى قصرا فى موضع ذلك على بركة الفيل. أراد السلطان أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل، وهى فى أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر، وأراد من ابن الحريرى الحكم بذلك كما هو مذهبه فأبى، وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها: «لا سبيل إلى هذا، ولا يجوز الاستبدال فى مذهبى»، ونهض قائما، وقد اشتد حنق السلطان

---

(١) القند والقندة والقندد كله: عصارات قصب السكر إذا جامدا. قال ابن مقبل:

أشاقك ركبن ذو بنات ونسوة ... بكرمان يعتفن السويق المقنادا

والقند عسل قصب السكر. انظر محيط المحيط. ولسان العرب. مادة (قند).

منه. فسعى السراج عند كريم الدين الكبير فى قضاء مصر. ووعد بأنه يحكم بذلك، فأجيب وحكم بالاستبدال وصار ابن الحريرى على قضاء الحنفية بالقاهرة فقط، فمرض السراج عقيبها إلى أن مات فى ثالث عشرى رمضان، فعد ذلك من بركة الحريرى، وأعيد إليه قضاء مصر.

وفى أواخر شعبان: عدى جماعة من الططر الفرات، وقدم دمشق فى سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاى فى مائة فارس بنسائهم وأولادهم، ودخلوا القاهرة فى شوال.

وفى رمضان: عادت الرسل من عند أزبك، وهم أيدغدى الخوارزمى ومن معه، وصحبته رسل إزبك.

وفيه قدم البريد بأنه ظهر فى سابع عشر ذى القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس من أعمال جبلة[1] زعم أنه محمد بن الحسن المهدى، وأنه بينا هو قائم يحرث إذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل فى جسده روح محمد بن الحسن، فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن أبى طالب نحو الخمسة آلاف، وأمرهم بالسجود له فسجدوا، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات وصرح بأن لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد، ورفع الرايات الحمر، وشمعة كبيرة تقد بالهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم، وأنه أحياه، وسمى أخاه المقداد بن الأسود الكندى[2]، وسمى آخر جبريل، وصار يقول له: «اطلع إليه وقل كذا وكذا»، يشير إلى البارى سبحانه وتعالى، وهو بزعمه على بن أبى طالب، فيخرج المسمى جبريل ويغيب قليلا، ثم يأتى ويقول: «افعل رأيك». ثم جمع هذا الدعى أصحابه و هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه، فقتل وسبى وأعلن بكفره، وسب أبا بكر وعمر رضى ا لله عنهما. فجرد إليه نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاى الأمير بدر الدين بيليك العثمانى المنصورى على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قتل الدعى، وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام.

وفيه قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى بإذعان الملك أبى سعيد

---

(١) انظر معجم البلدان ١٠٤/٢.

(٢) هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندى البهرانى الحضرى، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل ا لله. انظر تهذيب ٢٨٥/١٠ وصفة الصفوة ١٦٧/١ وحيلة ١٧٢/١ وذيل الميذل ١٠ ومجمع الزوائد ٣٠٦/٩ والأعلام ٢٨٢/٧.

ابن خربندا، ووزيره خواجا على شاه، والأمير جوبان، والأمراء أكابر المغل للصلح، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين، فجهزت إلى أبى سعيد هدية جليلة من جملتها فرس وسيف وقرقل.

وفيه أفرج عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة النبوية، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب، وأعيد إلى ولايته عوضا عن أخيه ودى بن جماز، وسار منصور إلى المدينة ومعه عز الدين أيدمر الكوندكى.

وفيه قدم البريد من حلب بخروج ريح فى يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تمادت تلك الليلة، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبرد كبار، وجاء سيل لم يعهد مثله، فأخذ كل ما مر به من شجر وغيره، وتكون عمود من نار متصل اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم، ومشى بها رمية سهم، ثم فرقها الريح حجرا.

وفيه قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة، ومعه نحو الخمسين من المغل، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان، فكتب بمنعه من ذلك ما لم يقدم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير أقبغا الحسنى، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة، من أجل أنه شرب الخمر، ووسط خازن داره، وقطعت ألسنة جماعة من أصحابه، وكحل جماعة منهم.

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فارًا من أخيه حميضة. وأنه ملك مكة وخطب لأبى سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار، فرسم بتجريد الأمير صارم الدين أزبك الجرمكى، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى فى ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء، مع الركب إلى مكة.

وفيه عزل الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخور من الحجوبية، واستقر عوضه الأمير سيف الدين ألماس، وكان ألماس تركيا غتميا لا يعرف باللسان العربى.

وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على الساقى، وعلاء الدين مغلطاى السنجرى، وطغاى الطباخى، وشرف الدين قيران الحسامى أمير علم. وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.

وفيه قدم مندوه الكردى الفار من أسره بملطية بعدما أمن، فأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه حاصر الأمير سنجر الجاولى غزة قلعة سلع[1] - ومعه نحو العشرة آلاف فارس - مدة عشرين يوما إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلا من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئا كثيرًا، ورتب الجاولى بها رجالا وعاد إلى غزة.

وفى جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندرى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر الزواوى بعد موته، فسار فخر الدين إليها من القاهرة، وقدمها فى عشريه.

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالى، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة سبع عشرة. وتو بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات، وأبطل منها رسوم الأفراح، ورسوم السجون، وغير ذلك من المكوس التى كان مبلغها فى كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة.

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى وحسين بن صاروا وبطرك الملكية من بلاد أزبك، ومعهم عدة من رسل أزبك: وهم شرنك وبغرطاى وقرطقا وعمر القرمى، ورسل الأشكرى صاحب قسطنطينية، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس، ومعهم الهدايا: فدية أزبك ثلاث سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة فولاذ وسيف؛ فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجى والأمير سيف الدين بيرم خجا، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار.

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة، وأقام أياما وعاد. وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركمانى النازل بالبركة إمرة.

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى فى كتابة السر بدمشق، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى. واستقر الأمير سيف الدين ألجاى دَوَادَارًا، بعد موت بهاء الدين أرسلان.

وفيه طلق السلطان زوجته خوندا أردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكاى. وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، بعد موته. وحج بالركب الأمير سيف الدين بجليس، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير بن جندر وعرلوا الجوكندار، وسيف الدين ألجاى الساقى، وسيف الدين طقصبا

(١) حصن بوادى موسى عليه السلام، قرب بيت المقدس.

الظاهرى، وشمس الدين سنقر المرزوقى، وحج أيضا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد، فى عدة من عرب آل فضل، بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة.

وفيه تمزقت جماعة الثائر بجبلة، وكان قد قام فى النصيرية[١] وادعى أنه المهدى، وأن دين النصيرية حق، وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقاتلوه فقتل، ورسم أن يبنى بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد، وتعمل له أرض لعمل مصالحه، وأن يمنع النصيرية من الخطاب - وهو أن الصبى إذا بلغ الحلم عملت له وليمة، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبى أربعين يمينا على كتمان ما يودع من الذهب، ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية على بن أبى طالب، وأن الخمر حلال، وأن تناسخ الأرواح حق، وأن العالم قديم، والبعث بعد الموت باطل، وإنكار الجنة والنار، وأن الصلوات خمس وهى إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، ولا غسل من جنابة، بل ذكر هذه الخمسة يغنى عن الغسل وعن الوضوء، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم فى كتبهم، وأن إلههم على بن أبى طالب خلق السموات والأرض، وهو الرب، وأن محمدًا هو الحجاب وسلمان هو الباب.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدى الطيبى، بطرابلس فى سادس عشرى رمضان، عن تسع وستين سنة، كان أديبا فاضلا؛ باشر الإنشاء مدة، ونقل إلى طرابلس فى توقيعها إلى أن مات، ومن شعره:

هجرت الخمر لما صح عندى ... بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم ترَ مقلتى فى الخمر شيئا ... سوى أن تجمع الأحباب ساعة

ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان، فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهبا، وأربعون كلفتاه زركش، ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهرانى.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى كاتب السر، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق، ومولده سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة، حدث عن ابن عبد السلام، وبرع فى الأدب، وكان دينا عاقلا وقورا، ناهضا ثقة أمينا مشكورا. مليح الخط جيد الإنشاء، فولى بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان

---

(١) فرقة من غلاة الشيعة، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن نصر النميرى البعدى.

الحلبى أحد كتاب الدرج بديار مصر، نقل إليها من القاهرة، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال.

ومات فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل[1] معيد المدرسة المنصورية بين القصرين، وكان فاضلا، حدث وروى وحصل وكتب وخرج، ومات عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدى[2]، أحد أعيان كتاب الإنشاء، يوم الخميس رابع رمضان، وكان عالى الهمة صاحب مكارم، وتمكن من الأمير سلار أيام نيابته، فإنه كان موقعه.

ومات زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف الصنهاجي المراكشى الإسكندارنى، فى أول يوم من ذى الحجة.

ومات جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر الزواوى المالكى قاضى دمشق، فى تاسع جمادى الأولى بها، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة، وقدم الإسكندرية وهو شاب، وتفقه بها حتى برع فى مذهب مالك، وأكثر من سماع الحديث، فسمع من ابن رواج والسبط وأبى عبد الله المرينى وأبى العباس القرطبى وابن عبد السلام وأبى محمد بن برطلة، وولى قضاء المالكية بدمشق ثلاثين سنة، بصرامة وقوة فى الأحكام وشدة فى إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين، إلى أن اعتل بالرعشة نحو عشرين سنة، ومازال إلى يعلته أن عجز عن الكلام، فصرف. ومات بعد عزله بعشرين يوما، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام.

ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصرى الدمشقى، يوم الجمعة سابع ذى الحجة بمكة، وعمره خمس وثلاثون سنة، فدفن بالمعلاة، وكان حسن الأخلاق.

ومات بطرابلس عماد الدين محمد بن صفى الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويرى، صاحب ديوان طرابلس.

---

(١) عثمان بن بلبان بن عبد الله الرومى فخر الدين المقاتلى، الكفتى الدمشقى: محدث من شيوخ الذهبى. مولده بدمشق، ووفاته بالقاهرة له جزء فيه خمسة أحاديث. انظر: الدرر الكامنة ٤٣٩/٢ وتذكرة الحفاظ ٢٨٩/٤ ومخطوطات الدار ٢١٢/١ والشذرات ٦ م ٤٦ والأعلام ٢٠٤/٤.

(٢) على بن محمد بن عبد الظاهر، علاء الدين السعدة. فاضل، من القضاة. له «مراتع الغزلان» «وتشريف الأيام والعصور» فى سيرة الملك المنصور قلاوون. انظر: كشف الظنون ١٦٥٠ و١٧٥٨ والأعلام ٣٣٤/٤.

ومات الأمير سيف الدين قلنى السلاح دار.

ومات الأمير شمس الدين الذكر السلاح دار - صهر علم الدين سنجر الشجاعى- وهو فى الحبس.

ومات الأمير سيف الدين ألكتمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضًا.

ومات الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص، فى حادى عشرى المحرم.

ومات قاضى القضاة نجم الدين الحنفى الملطى، يوم الإثنين رابع ربيع الأول.

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك تونس، وولى ابنه أبا عبد الله محمد المعروف بأبى ضربة فى آخر ربيع الآخر، وكانت مدته ست سنين.

* * *

المحتويات

السُّلُوك

لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر

العُبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الثالث

سنة ٧١٨هـ - ٧٤٥هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثمان عشرة وسبعمائة

فى المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة، وصحبته المجردون، فشكى الصارم أزبك الجرمكى من بهادر الإبراهيمى، وأنه منعه من أخذ الشريف حميضة، وأنه تعاطى الخمور، فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة، وسجنوا بالإسكندرية، وأنعم على الأمير مغلطاى الجمالى بخبز الإبراهيمى.

وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز، وكثرة الوباء والموت بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن؛ وميافارقين لم يوجد من يخطب بها فى جامعها.

وفى أول صفر: توجه القاضى كريم الدين الكبير إلى دمشق، فدخلها فى سابعه؛ وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد البقية، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا، وعاد إلى القاهرة بعد أربعة أيام.

وفى سابعه: استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الدواوين.

وفى سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامى نائب صفد، وأنعم عليه بتقدمة ألف فى سادس عشره.

وفى سابع عشره: سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظرًا. وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكرى وحط على كريم الكبير. وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكرى السلطان عنه ما قال، فأعلم به كريم الدين فقال: «هو يا خوند معذور، فإنه قد بطل، ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان». وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه فى الحال بخلعة وبريدى، وخرج لوقته.

وفى حادى عشريه: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من شد الدواوين، ونزل إلى داره.

وفيه عوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وركب إلى القلعة، وترك معلوم القضاة تنزهًا عنه، فخلع عليه وباشر بغير معلوم.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشريه: خلع على الأمير سيف الدين طغاى الحسامى الكبير، وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضا عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان، وتحكمه فى الأمراء والمماليك، وقوة حرمته، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاى الجمالى، فوصل صفد فى تاسع عشر ربيع الأول؛ وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بأنه فى يوم الأربعاء ثانى صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس، ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها، وصارت عمودًا أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب، ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالى بن اليكى مقدم التركمان، وتلوى يمينًا وشمالا، فلم يترك هناك شيئًا حتى أهلكه، وطوالى يصيح: «يا رب قد أخذت الرزق، وتركت العيال بغير رزق، فإيش أطعمهم؟»، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه، وأهلكه وامرأته وأولاده وثلاثة عشر نفسًا. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا فى السماء قدر عشرة أرماح، وأتلفت القدور الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم فى اليوم، ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية.

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمى الحلقة الشيوخ فى أوقات المشورة مع الأمراء، وسمع كلامهم.

وفيه سأل النصارى فى رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم، فأذن لهم السلطان فى رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى، وأحضر الأقباط لهم الآلات، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين، فجاءت كأحسن المبانى. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص فى الإنكار على بناء الكنيسة، إلى أن رسم لمتولى القاهرة على علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء؛ فنزل إليها علم الدين، واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وهدم ما جدد فيها، ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذى هدم محرابا، وأذّنوا فيه أوقات الصلوات، وصلوا وقرأوا هناك القرآن، ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين؛ فرفع كريم الدين ذلك للسلطان، وأغراه بمن فعل ذلك، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم، وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم

المحراب وإعادة البناء، وقبض أهل حارة الروم وعملهم فى الحديد؛ فلما توجه الخازن لذلك اجتمع الناس وصاحوا به، فساس الأمير وتركهم، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب.

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد بركوب الأوشاقية بكوافى زركش على صفة الطاسات، وهم الذين عرفوا باسم الجفتاوات. واستجد النداء فى البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحدًا من مماليك السلطان فى مركب يوم الميدان، وشدد الإنكار على الطواشى المقدم فى غفلته عن المماليك.

وفيه شدد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل، وهم: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البروانى، وبيبرس المجنون، وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم، والحاج بيليك، وسيف الدين طاجا، والشيخ على مملوك سلار، ومنع حريمهم من الإقامة عندهم.

وفيه خرج الأمير مغلطاى الجمالى على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاى نيابة حلب، وكتب إلى الأمير سيف الدين أقطاى نائب حمص بنيابة صفد عوضًا عن طغاى، واستقرار الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى فى نيابة حمص. وأسر السلطان إلى الأمير مغلطاى القبض على طغاى. فتوجه مغلطاى إلى صفد للقبض على طغاى. فتوجه مغلطاى إلى صفد[1] بعد اجتماعه بالأمير تنكز نائب الشام، وهو على طغاى، وأحضره إلى قبة النصر خارج القاهرة، فخرج إليه الأمير قجليس، وصعد إلى القلعة وهو مقيد فى خامس عشر جمادى الأولى، وأخرج به فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى إلى الإسكندرية، فكان آخر العهد به. وأخرج بهادر أيضا إلى سجن الإسكندرية، ووقعت الحوطة فى يوم الخميس عشريه على موجوده وفرقت مماليكه على الأمراء.

وفيه توجه الأمير قجليس إلى الشام.

وفيه ابتدئ فى صفر بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشت خاناه والفرش وجامع القلعة؛ وبنى الجميع جامعًا، فجاء على ما هو عليه الآن من أحسن المبانى. تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان، واستدعى سائر مؤذنى القاهرة ومصر وقراءها وخطباءهما وعرضوا عليه، فاختار عشرين مؤذنًا رتبهم فيه، وقرر به درسًا وقارئ مصحح وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

وفيه تجدد بدمشق ثلاثة جوامع بظاهرها: وهى جامع الأمير تنكز، والأمير كريم الدين، وجامع شمس الدين غبريال بن سعد.

وفيه غرقت مركب فى بحر الملح وهى متوجهة إلى اليمن، وكان فيها لكريم الدين متجر بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره، فلم يسلم منها سوى سبعة أنفس، وغرق الجميع.

وفيه وقعت الفتنة بين المغل، فقتل فيها نحو الثلاثين أميرًا سوى الأجناد والأتابك وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم؛ وانتصر أبو سعيد. فسر السلطان بذلك لما فيه من وقوع الوهن فى المغل.

وفيها قبض على الأمير بدر الدين ميزامير ابن الأمير نور الدين صاحب ملطية[(١)]؛ من أنه كتب إلى جوبان القائم بدولة أبى سعيد بن خربندا بالأردو أن يطلبه من السلطان. وقبض أيضا على مندوه الكردى بغزة[(٢)].

وفيه حبس شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية[(٣)]، بسبب مسألة الطلاق؛ وكان ذلك بسعى قاضى القضاة شمس الدين بن الحريرى الحنفى عليه، وإغرائه السلطان به.

وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى[(٤)] بإقطاع مغلطاى ابن أمير مجلس، بإمرة ثمانين فارسًا؛ وخلع عليه وجلس رأس الميسرة؛ ونقل مغلطاى إلى الشام.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ٥ / ١٩٢، ١٩٣.

(٢) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى تقى الدين بن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقضى فيها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧٢١ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١ / ٣٥ - ٤٥ والدرر الكامنة ١ / ١٤٤ والبداية والنهاية ١٤ / ١٣٥ وابن الوردى ٢ / ٢٨٤ وأداب اللغة ٣ / ٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٧١ والأعلام ١ / ١٤٤.

(٤) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من مماليك المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر النجوم الزاهرة ٩ / ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤ / ٣٦٩ ودائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٣٦٩ والأعلام ٢ / ٨٠.

وفيه قدم صاحب خرتبرت[١]، فأنعم بإمرية.

وفيه استقر فى نيابة الكرك[٢] الأمير عز الدين أيبك الجمالى نائب قلعة دمشق، واستقر عوضه فى نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيبك الدميترى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركمانى[٣] بطائفة من العسكر مجردين إلى الحجاز، فى طلب الشريفين حميضة[٤] ورميثة[٥].

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسنى، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفى شعبان: قدم حمل سيس[٦] على العادة.

وفيه ولى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى ابن بدران الأخنائى[٧]، بعد موت زين الدين على بن مخلوف فى ثانى عشر جمادى الآخرة.

وفيه حج بالركب المصرى الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى، وقبض على الشريف رميثة، وفر حميضة، وقدم رميثة مقيدًا إلى قلعة الجبل، فسجن بها.

وفيه قدمت رسل ابن قرمان بدراهم ضربت باسم السلطان، وأنه خطب هناك

---

(١) هو حصن فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٥٥.

(٢) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤ / ٤٥٣.

(٣) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦ هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر البداية والنهاية ١٤ / ١٨١ والدرر الكامنة ٤ / ١٣٢ والأعلام ٦ / ٣٢٣.

(٤) حميضة بن أبى محمد بن الحسن بن على بن الحسن العلوى الهاشمى: شريف، من أمراء مكة. وليها سنة ٧٠١ هـ مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن وإستمرت طويلا إلى أن قتل حميضة، وقضى عليه فى وادى النخلة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٧٨ وابن الوردى ٢ / ٢٦٩ والبدر الطالع ١ / ٢٣٨ والأعلام ٢ / ٢٨٥.

(٥) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على بن الحسن، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين: شريف أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع إلى أن انفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده. وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ٦ / ١٤٩ والدرر الكامنة ٢ / ١١١ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٤ والأعلام ٣ / ٣٣.

(٦) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٩٧.

(٧) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران. شيخ المالكية بمصر. له تأليف. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/ ٥٦.

للسلطان، وهى أطراف بلاد الروم؛ فكتب له تقليد، وسيرت إليه هدية جليلة.

وفيه خلع أبو عبد الله محمد - المعروف بأبى ضربة - ابن الأمير أبى زكريا اللحيانى ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص[١]، فى آخر شهر ربيع الآخر. وكانت مدته سنة واحدة، وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[٢].

وفى هذه السنة: انقرضت دولة بنى قطلمش[٣] ملوك قونية. وذلك أن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو لما مات سبع وسبعين وستمائة ترك ابنه مسعودًا، فولاه أبغا بن هولاكو سيواس وغيرها. واستبد معين الدين سليمان بروانا‌ه على ركن الدين قلج أرسلان ابن كيخسرو بقيصرية ثم قتله، ونصب ابنه غياث الدين كيخسرو، فعزله أرغون بن أبغا، وولى ابن عمه مسعود بن كيكاوس، فأقام مسعود حتى انحل أمره وافتقر، وبقى الملك بالروم للتتر إلا ملك بنى أرتنا، فإنه بقى بسيواس.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

كمال الدين أحمد بن جمال الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الكبرى الوائلى الشريشى[٤] الفقيه الشافعى. قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية، وبرع فى الأصول والنحو، وناب بدمشق فى الحكم عن البدر محمد بن جماعة[٥]، وولى

---

(١) محمد بن زكرياء بن أحمد بن محمد اللحيانى الحفصى، الملقب بأبى ضربة. من ملوك الدولة الحفصية فى تونس. كان فى عهد استقرار أبيه بتونس معتقلا فيها. ولما خرج أبوه نفض يده من الخلافة ولكن رجال الدولة بايعوه سنة ٧١٧هـ ونشبت حروب طاحنة بينه وبين المتوكل الحفصى خرج أبو ضربة فى خلالها من تونس، بعد تسعة أشهر ونصف من بيعة أهلها له. ثم استقر فى تلمسان منهزما ومات فيها. انظر الخلاصة النقيه ٧٠ والأعلام ٦ / ١٣١.

(٢) أبو بكر بن يحيى إبراهيم الحفصى، المتوكل على الله: من ملوك الحفصيين فى تونس. نشبت بينه وبين محمد بن زكرياء حروب انتهت بفوزه. ثم ثار عليه آخرون ولم تصف له الخلافة إلا عام ٧٣٠ هـ. توفى بتونس. انظر الخلاصة النقية ٧٠ والأعلام ٢ / ٧١.

(٣) المقصود هنا دولة السلاجقة بأسيا الصغرى (دولة السلاجقة الروم) ومؤسسها سليمان بن قطلمش بن أرسلان - أو إسرائيل - بن سلجوق، سنة ٤٧٠هـ ١٠٧٧هـ.

(٤) نسبة إلى بلدة شريشى، وهى مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهى قاعدة هذه الكورة، واليوم يسمونها شرشى. انظر معجم البلدان ٣/٣٤٠.

(٥) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاضى، من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، فقضاء=

وكالة بيت المال مرتين، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وعلق تعاليق[١]، وقال الشعر. ومولده فى رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار، وتوفى بمنزلة الحسا[٢] من طريق الحجاز عن ست وستين سنة، فى سلخ شوال.

ومات جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن على بن عقيل الفقيه الشافعى المعروف بابن القماح، فى سابع عشر ذى الحجة، وهو عم القاضى شمس الدين محمد بن أحمد بن القماح[٣].

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن سليمان بن أحمد بن أبى بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجى الأنصارى الدمشقى، فى سابع عشرى ربيع الأول. وهو من بيت جليل، وولى عدة مناصب، وكان دينا صاحب مروءة وسعة، ومات يوم الإثنين سابع عشرى ربيع الأول.

ومات فخر الدين أحمد بن تاج الدين بن أبى الخير سلامة بن أبى العباس أحمد بن سلامة السكندرى المالكى، قاضى القضاة المالكية بدمشق، ولد سنة إحدى وأربعين وستمائة، ومات مستهل ذى الحجة، وكان مشكور السيرة، بصيرا بالعلم ماهرًا فى الأصول حشما.

ومات أحمد بن المغربى الإشبيلى، كان يهوديا يقال له سليمان، فأسلم فى أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون[٤]، سنة تسعين وستمائة، وتسمى أحمد، ومات فى ليلة العشرين من صفر. وكان بارعًا فى عدة علوم، إماما فى الفلسفة والنجامة، ولى رياسة الأطباء بديار مصر.

=الشام، ثم قضاء مصر، وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ٢ / ١٧٤ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٤ / ١٦٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٨ والدرر الكامنة ٣ / ٢٨٠ ودار الكتب ٥ / ٥٣٥ والأعلام ٥/٢٩٧.

(١) جمع تعليق، والمقصود بها هنا ما يوضع من الحواشى والتفسيرات على المسائل الغامضة فى مختلف العلوم.

(٢) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٥٨.

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبد الله، بن القماح القرشى الشافعى المصرى: مفسر، من فقهاء الشافعية ناب فى الحكم بجامع الصالح بالقاهرة. أقبل على تدريس الفقه قبل أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣/٣٠٣ والأعلام ٥/٣٢٥.

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ١٢١/١ والأعلام ٢٣١/٢.

ومات مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسى المقرئ المالكى النحوى. قدم فى صباه إلى القاهرة، وأخذ بها القراءات والنحو حتى برع فيهما، وسكن دمشق وأقرأ بها، واشتغل فى عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك، وكان دينا رصينا مفرط الذكاء، فيه تودد ويحب الانفراد، وتخرج به الفضلاء. ومات يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة بدمشق، عن اثنتين وستين سنة.

ومات مسند الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى الصالحى[١]،سمع سنة ثلاثين وستمائة على الفخر الإربلى، وسمع الصحيح كله على ابن الزبيدى، وسمع من الناصح ابن الحنبلى وسالم بن صصرى وجعفر الهمذانى وجماعة، وأضر قبل موته بثلاثة أعوام، وثقل سمعه، وكان له همة وجلادة وفهم، وحدث وعاش ثلاثًا وتسعين سنة. ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى رمضان، ومولده فى سنة خمس - أو ست - وستمائة.

ومات زين الدين أبو الحسن على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى الجزولى المالكى، قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، فى ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة، وأقام قاضيًا نحوًا من أربع وثلاثين سنة، ومولده سنة عشرين وستمائة. وكان مشكور السيرة، خبيرًا بتدبير أموره الدنيوية، كثير المداراة سيوسًا، محبًا لقضاء الحوائج، وولى بعده نائبه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عتيق الأخنائى[٢].

ومات محمد بن قاضى الجماعة أبى القاسم - وقيل أبى عمر - أحمد ابن القاضى أبى الوليد محمد بن محمد بن الحاج - وقيل أحمد بن محمد بن عبد الله ابن القاضى أبى جعفر بن الحاج - أبو الوليد التجيبى الأندلسى القرطبى الإشبيلى[٣]، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ومات أبوه وجده فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وورث مالا

(١) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الحنابلة. عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. له كتاب «مشيخة». انظر فوات الوفيات ٤٦/١ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١٤٥/١.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية فى مؤلفات أحدها بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/ ٥٦.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الوليد، بن الحاج التجيبى القرطبى ثم الإشبيلى: إمام محراب المالكية بدمشق ووالد إمامه. اشتغل بالفقه والأدب واللغة. انتقل إلى شرشى فغرناطة ورحل إلى المشرق، فسكن دمشق سنة ٦٨٤هـ. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ٣٥٠/٣ والبداية والنهاية ٩١/١٤ والدارس ٦/٢ والشذرات ٥١/٦ والأعلام ٣٢٤/٥.

كثيرًا، فصادره ابن الأحمر[١]، وأخذ منه عشرين ألف دينار، ونشأ يتيما فى حجر أمه، ونقلته إلى شريش ثم إلى غرناطة، فلما شب قدم تونس، ثم رحل منها بابنيه إلى القاهرة، وسكن دمشق حتى مات بها فى رجب. وكان فاضلا دينًا، أم بمحراب الجامع، وامتنع من ولاية الحكم.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، بمحبسه من القلعة، فى ربيع الآخر، وكان فى ولايته مشكورًا حشما صين اللسان.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الظاهرى، بدمشق فى عاشر رمضان، وقد تجاوز الثمانين سنة.

ومات الأمير سيف الدين طغاى، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان.

ومات الأمير شمس الدين الدكز الأشرفى، أحد المماليك المنصورية قلاوون، بمحبسه بالقلعة.

ومات الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخى.

ومات أركتمر بالجب من القلعة.

وأشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون بقوص[٢].

ومات الأمير عز الدين طقطاى نائب الكرك.

ومات ركن الدين بيبرس نائب عجلون.

وفيه قدم الخبر بموت الوزير رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبى الخير بن عالى الهمذانى الطبيب، فى تاسع رمضان. وكان قد علت منزلته عند غازان، وقدم معه الشام، وتقدم فى أيام خربندا. فلما مات خربندا عزل عن وظائفه، فصانع عن نفسه بمال كبير، فلم يغنه شيئًا، واتهم أنه قتل خربندا بالسم، وشهد عليه الأطباخى، وقتل وحمل رأسه إلى تبريز[٣]، ثم قطعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الشمسى، بقلعة دمشق فى ذى الحجة.

---

(١) على هامش ط: المقصود بذلك ملك غرناطة من بنى نصر، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن فرج.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣.

وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة، فلم يمكنوا من الكسوة، وكان القان أبو سعيد قد جهز الركب، وقدم عليهم رجلا شجاعا، فلم يمكن العربان أن يأخذ شيئًا من الحجاج. فلما كان العام القابل خرجت العيون على الركب ونهبوه، وأخذوا من الحاج شيئًا كثيرًا، فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الركب، فقيل له نحو الثلاثين ألف دينار، فرتب لهم ستين ألف دينار، فمات من سنته.

* * *

سنة تسع عشرة وسبعمائة

فى خامس المحرم: قدم مبشر الحاج بسلامة الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبى نمى، وأنه استقر عوضه فى إمرة مكة أخوه الشريف عطيفة[١]. وقدم الحاج مع مغلطاى الجمالى، وصحبته الشريف رميثة، فسجن من سابع عشره إلى أن دخل المحمل فى ثانى عشريه. فشق الجمالى على الناس بكثرة عجلته فى السير - وكانت العادة أولا بقدوم المحمل فى ثامن عشرى المحرم، ثم استقر دخوله فى الأيام الناصرية يوم الخامس أو الرابع والعشرين منه - ، فأنكر عليه السلطان ما فعله، وجهز محمد بن الردينى بمائتى جمل عليها الزاد والماء برسم حمل من انقطع من الحاج، فسافر من يومه.

وفيه قدم كتاب الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى من مكة بأنه منع العبيد من حمل السلاح بمكة، وأنه أخرج المفسدين ونادى بالعدل، وأنه مقيم لأخذ الشريف حميضة.

وفيه جهز الأمير أيتمش المحمدى على عسكر إلى برقة[٢]، ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة، فسار فى ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة - ومعه من الأمراء بلبان الخاص تركى، وبلبان الحسنى، وسنقر المرزوقى، وصمغار بن سنقر الأشقر، ومنكلى الجمدار، وغرلوا الجوكندار، ونوغاى - ، آخر يوم من المحرم، ونزل بالإسكندرية.

ثم سار أيتمش يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة، ومسافتها من الإسكندرية على الجادة نحو شهرين. فدله بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يومًا يفضى به إلى القوم من غير أن يعلموا به، وطلب فى نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعات من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة ، فعجل له أيتمش المائة، والتزم له

---

(١) عطيفة بن أبى نمى محمد بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٢/٤٥٥ والدول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٤ / ٢٣٧.

(٢) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٨/ ٣٨٩.

بالإقطاع من السلطان، وكتب له بعشرة أرادب قمحًا لعياله، وأركبه ناقة، وكتم ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان، وسار بمسيره. فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره فى غير الجادة، وخوفوه العطش وهلاك العسكر، فلم يعبأ بكلامهما، فمضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرا من الإرجاف[1]، فاجتمعوا بأيتمش ليردوه إلى الجادة فلم يفعل ومضى، فلم يجدوا بدا من اتباعه حتى إذا مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه، فدهشوا لرؤية العسكر. وأرسل إليهم أيتمش بسليمان وفايد يدعوهم إلى الطاعة، فأجابوا مع رسلهم: «إنا على الطاعة! ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم؟». فقال لهم أيتمش: «حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان»، وأعادهم. وتقدم أيتمش إلى جميع من معه ألا ينزل أحد عن فرسه طول ليلته، فباتوا على ظهور الخيل.

فلما كان الصباح حضر أخو جعفر ليسمع المرسوم، فنهره أيتمش وقال له ولمن معه: «ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعًا فليحضر، وإلا فليعرفنى!»، وبعث معه ثلاثة من مقدمى الحلقة، فامتنع جعفر من الحضور. فللحال لبس العسكر السلاح وترتب، وأفرد سليمان وفايد بمن معهما من العسكر ناحية، واستعد جعفر أيضًا وجمع قومه وحمل بهم على العسكر. فرموهم بالنشاب فلم يبالوا به، ودقوا العسكر برماحهم، وصرعوا الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعدما جرحوه ثلاث جراحات، فتداركه أصحابه وأركبوه. وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة آخرها انهزم العرب إلى بيوتهم، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزموهم إليها، - وكانت تلك البيوت فى غاية قصب. فكف العسكر عن الدخول إليهم، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماها، وأباح لهم ما عداها، فامتدت الأيدى، وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده. وبات العسكر محترسين، وقد أسروا نحو الستمائة رجل سوى من قتل. فلما أصبح الصبح منَّ أيتمش على الأسرى وأطلقهم، وتفقد العسكر فوجد فيه اثنى عشر جريحًا، ولم يقتل غير جندى واحد، فرحل عائدًا عن البيوت بأنعام تسد الفضاء، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم، والجمل ما بين عشرين إلى ثلاثين درهمًا، وسار أيتمش ستة أيام فى الطريق التى سلكها والعسكر بالسلاح، خشية من عود العرب إليهم.

وبعث أيتمش بالبشارة إلى السلطان، فبعث الأمير سيف الدين ألجاى الساقى لتلقى العسكر بالإسكندرية وإخراج الخمس مما معهم للسلطان، وتفرقة ما بقى فيهم، فخص

---

(١) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. انظر المعجم الوجيز ٢٥٧.

الجندى ما بين أربعة جمال وخمسة، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين. وحضروا إلى القاهرة، فخلع السلطان على أيتمش، وبعد حضورهم بأسبوع قدم جعفر بن عمر إلى القاهرة، ونزل عند الأمير بكتمر الساقى مستجيرًا، فأكرمه ودخل به على السلطان، فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وأن يقرر عليه ما يقوم به، فقبل السلطان قوله وعفا عنه، وخلع عليه ومضى، وصار يحمل القود فى كل سنة.

وفى ليلة أول المحرم: هبت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخربت كثيرًا من البيوت، فهلك تحت الردم[١] خلق كثير، وقلعت أشجار كثيرة من أصولها. ثم سكنت الريح، ثم ثارت ليلة التاسع عشر منه، ولم تبلغ شدة الأولى.

وفى صفر: استقر الأمير سيف الدين بهادر البدرى نائب السلطنة بحمص، عوضًا عن بدر الدين بكتوت القرمانى، فتوجه إليها فى رابع ربيع الأول، واستقر القرمانى من جملة أمراء دمشق. واستقر شرف الدين محمد بن معين الدين أبى بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمذانى المالكى ابن خطيب الفيوم[٢] فى قضاء المالكية بدمشق، عوضًا عن فخر الدين أحمد بن سلامة، فى تاسع عشرى ربيع الأول. واستقر تاج الدين أحمد بن القلانسى فى وكالة بيت المال بدمشق، وكتب بمنع ابن تيمية من الفتوى بالكفارة فى اليمين بالطلاق.

وفيه قل المطر ببلاد الشام حتى أيس[٣] الناس، واستسقوا بدمشق فسقوا، ومر دمشق سيل عظيم قل ما عهد مثله.

وفيه استجد السلطان القيام فوق الكرسى للأميرين جمال الدين آقوش نائب الكرك وسيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار، إذا دخلا عليه. وكان نائب الكرك يتقدم على البوبكرى عند تقبيل يد السلطان، فعتب الأمراء على البوبكرى. وسئل السلطان عن تقديمه نائب الكرك وتأخيره البوبكرى، فإن العادة جرت أن يتأخر الكبير فى تقبيل اليد ويتقدم الصغير قبله، فقال: لأنه أكبر. فكشف عن ذلك، فوجد أن نائب الكرك قد أمره الملك المنصور قلاوون إمرة عشرة، وجعله أستادار ابنه الملك الأشرف فى سنة خمس وثمانين وستمائة، ووجد أن البوبكرى تأمر بعد مسك سنقر الطويل، عندما طلب من مماليك البرج هو والخطيرى وسنجر الجمقدار وطشتمر الجمقدار، فى سنة تسعين وستمائة.

---

(١) ما يسقط من الجدار المتهدم. انظر المعجم الوجيز ٢٦١.

(٢) بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٦.

(٣) أيس منه - أيسا وإياسا: يئس وانقطع رجاؤه. فهو آيس، وأيس. انظر معجم الوجيز ٣١.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: قدم شمس الدين غبريال على البريد من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام.

وفى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الآخر: فر الشريف رميثة آخر النهار، فبعث السلطان فى طلبه الأمير قطلوبغا المغربى والأمير أقبغا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية، فى ليلة الخميس سابع عشره، فقبض عليه بمنزلة حقل[١] فى يوم الإثنين حادى عشريه، وقدم فى خامس عشريه، فسجن فى الجب من القلعة.

وفى يوم الخميس سابع عشرى رجب: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من مكة بكتاب الشريف عطيفة، وأخبر بأن القواد فى طاعته، وأن حميضة نزح إلى اليمن، وذلك بعد أن فارقه بنو شعبة وغيرهم.

وفيه قدم الخبر بإفساد العرب بثغر عيذاب[٢] وقتلهم الشاد المقيم بها. فجرد إليهم السلطان من الأمراء آقوش المنصورى - وهو المقدم، ومحمد بن الشمسى، وعلى بن قراسنقر، وطقصباى الحسامى، وبيبرس الكريمى، وآقوش العتريس؛ وأنعم على آقوش المنصورى بإمرة طبلخاناه، وأقطع ثغر أسوان ليقيم بعيذاب.

وفى جمادى الآخرة: قدم سليمان بن مهنا[٣] طائعًا، بعد دخوله إلى الأردو ملتجئًا إلى المغل، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم من دمشق، وأعطاه قماشًا بثلاثين ألف درهم، وعاد.

وفيه استقر فى نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزيزى المهمندار، بعد وفاة الأمير طيبرس الخزندارى.

وفيه قدم كتاب أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى الزاهد بن عبد الواحد ابن أبى حفص المعروف باللحيانى[٤]، يسأل الإسعاف بتجريد طائفة من العسكر إليه

---

(١) مكان على ساحل تيماء، دون أربعة عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٧٨.

(٢) بلدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب، التى تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤، ١٧١.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. استمر فى الإمارة إلى أن مات بسلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٣ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والقلقشندى ٤ / ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢ / ٤٠٦ والأعلام ٣ / ١٣٥.

(٤) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى النهتاف أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة-

ليحضر معهم إلى مصر. فخرج إليه الأمير طقصباى الحسامى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى فى طائفة من الأجناد، وأحضراه بحرمه.

وفيه أنزلت خوند أردوكين بنت نوكاى من القلعة إلى القاهرة، بعدما أخذ السلطان منها كثيرًا من الجواهر، ورتب لها عدة رواتب.

وفيه عمل إبرنجى خال القان أبى سعيد على قتل جوبان، وواعد قرمشى ودقماق وغيرهما من المقدمين على ذلك. فنقل الخبر لجوبان، ففر ونهبت أثقاله، وقتل له نحو ثلاثمائة رجل. ولحق جوبان بتبريز، وقدم ومعه على شاه إلى بوسعيد، فتبرأ مما جرى عليه. وجهز له بوسعيد عسكرًا وركب معه حتى لقوا إبرنجى ومن معه، فقاتلوهم وأخذوا إبرنجى وقرمشى ودقماق، فقتلوا وأمسك أمراؤهم. وتمكن جوبان من أعدائه، وقتل خلائق من المغل، واتهم القان بوسعيد بأنه كان أمر إبرنجى بقتل جوبان لكثرة تحكمه عليه.

وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج، وتقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة. فطلب كريم الدين أكرم الصغير وغيره من المباشرين، وأمرهم بتجهيز الإقامات والمعلوات والحوائج خاناه، وكتب لنائب الشام ونائب غزة[١] بتجهيز ما يحتاج إليه. فتوالت تقادم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية. وكانت أول تقدمة وصلت من الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهجن بأكوار[٢] ذهب، وسلاسل ذهب وفضة، ومقاود حرير، ثم تقدمة الملك المؤيد صاحب حماة. وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يحتاج إليه، وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتى ويطبخ فيها، وأحضر الخولة لعمل مباقل[٣] ورياحين فى أحواض من خشب تحمل على الجمال، فتصير مزروعة وتستقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه، فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شىء كثير، ورتب لها الخولة لتعهدها، وجهزت الأفران وصناع الكماج[٤]

=٩ / ٦٢٨ وابن خلدون ٦ / ٣٢٥ والدرر الكامنة ٢ / ١١٣ والبداية والنهاية ١٤ / ١٢٩ والأعلام ٣ / ٤٥، ٤٦.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤.

(٢) الأكوار جمع كور وهو الرحل يوضع على ظهر الإبل.

(٣) على هامش: المباقل مبقلة، وهى هنا أنواع البقول.

(٤) على هامش: الكماج جمع كماجة، وهى كلمة فارسية الأصل، ومعناها الخبز الشديد البياض.

والجبن المقلى وغيره. ودفع كريم الدين إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط، وجهز فى بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميرا، لكل أمير ما بين مائة عليقة فى كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، فكانت جملة العليق فى مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير. وحمل من دمشق خمسمائة حمل على الجمال، ما بين حلوى وسكردانات[1] وفواكه، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف المطبخ. وجهز كريم الدين من الأوز ألف طائر، ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر.

وعين السلطان الأمير أرغون النائب بديار مصر للإقامة بقلعة الجبل، ومعه الأمير أيتمش وغيره، ورَسَم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحى إقطاعهم، فيكون كل منهم ببلاد إقطاعه إلى حين عود السلطان، ولا يجتمع أمير بأمير فى غيبته. وكَتَبَ إلى النواب بالشام أن يستقر كل نائب بمقر مملكته، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده، فامتثلت أوامره.

وفيه قدم الملك المؤيد من حماة، فتوجه المحمل على العادة فى يوم الأحد ثامن عشر شوال، مع الأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس. وركب السلطان من القلعة فى أول ذى القعدة، وسار من بركة الحاج فى سادسه، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة.

وقدم السلطان مكة بتواضع وذلة، بحيث قال الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا: «لازلت أعظم نفسى إلى أن رأيت الكعبة، وذكرت بوس[2] الناس الأرض لى، فدخلت فى قلبى مهابة عظيمة مازالت حتى سجدت لله تعالى». وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن طوف راكبًا، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ومن أنا حتى أتشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم!! والله لا طفت إلا كما يطوف الناس». ومنع السلطان الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس، فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر. وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفى خوفا منه، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم. وغسل الكعبة بيده، وأخذ أزر إحرام وغسلها لهم بنفسه. وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوض أميرى

---

(١) على هامش ط: السكردانات جمع سكردان، وهى لفظ فارسى مركب، ومعناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى المحفوظة، أو هو الوعاء عامة.

(٢) بوس: باسه - بوسا: قبله. انظر المعجم الوجيز ٦٧.

مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام. وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات.

وفى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة: ظهر بعد الظهر القمر فى السماء مقارنا لكوكب، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر.

وفيه مهد السلطان ما كان فى عقبة أيلة(١) من الصخور، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة.

وفيه اتفقت موعظة: وهى أن السلطان بالغ فى تواضعه بمكة، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا الكعبة بعدما صلى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفتين، فبعث الله عليه نعاسًا سقط منه على أم رأسه من علو البيت، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك. وصرخ الناس فى الطواف تعجبا من ظهور قدرة الله فى إذلال المتكبرين، وانقطع ظفر كريم الدين، وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل.

وفى هذه السنة: حَشَدَ الفرنج، وأقبلوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس فى عدد لا يحصى، فيه خمسة وعشرون ملكا، فقلق المسلمون بغرناطة، واستنجدوا بالمرينى ملك فاس فلم ينجدهم، فلجُّوا إلى الله وحاربوهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف راجل، فقتلوا الفرنج بأجمعهم. وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسون ألفًا، وأكثر ما قيل ثمانون ألفًا، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارسًا، وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر، وسلخ الملك دون بتروا(٢) وحشى قطنًا، وعلق على باب غرناطة، فطلب الفرنج الهدنة فعقدت، وبقى دون بتروا معلقًا عدة سنين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين كراى المنصورى، فى سادس عشر المحرم بسجن القلعة، وكان مقدمًا قليل السياسة.

ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلى، أحد مماليك العادل كتبغا(٣)، بدمشق سلخ جمادى الأولى، وكان شجاعا كريمًا.

(١) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام. انظر معجم البلدان ١ / ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) على هامش: المقصود به أحد أوصياء ألفونسو الحادى عشر ملك قشتاله.

(٣) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام ولى السلطنة سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل. انظر ابن إياس ١ / ١٣٣ والنجوم الزاهرة ٨ / ٥٥ وفوات الوفيات ٢ / ١٣٨ والأعلام ٥ / ٢١٩.

ومات الأمير علاء الدين طيبرس الخزندارى، نقيب الجيش وأحد أمراء الطبلخاناه، فى عشرى ربيع الآخر، ودفن بمدرسته المجاورة للجامع الأزهر، وكان قد أقام فى نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة، لم يقبل فيها لأحد هدية، وكان دينا صاحب مال كبير، وهو أول من عمر فى أرض مصر بستان الخشاب والجامع والخانكاه على النيل، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر، وعمل لذلك أوقافا كثيرة، ولما كملت وجاءه مباشروه بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء، وقال: «شىء خرجنا عنه الله لا نحاسب عليه».

ومات الأمير ملكتمر السليمانى الجمدار، فجأة.

ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجى، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وكان معتقدًا عارفا بالقراءات، محدثًا فقيهًا حنفيا، وأقام عدة سنين لا يأكل اللحم، وحصل له حظ وافر فى الدولة المظفرية بيبرس.

ومات القاضى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن على بن يحيى بن هبة الله الأنصارى الشافعى - عرف بابن بنت أبى سعد - ، فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى حادى عشرى رجب سنة تسع وعشرين وستمائة بداريا ظاهر دمشق، واستقر عوضه فى تدريس الجامع الطولونى عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة(١).

ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر محمد ابن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى، بالقاهرة فى ثانى ذى القعدة، وقد حضر من دمشق فى طلب إمرة، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق، فمات قبل عوده إليها. ومولده بدمشق فى سنة خمس وخمسين وستمائة.

ومات بدمشق شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد ابن الملك الأمجد مجد الدين حسن ابن الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب، فى رجب يوم الإثنين لِستّ بقين منه.

ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهرى الحلبى، بدمشق

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد. ثم المصرى عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء مصر سنة ٧٣٩هـ. وجاور بالحجاز فمات بمكة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٣٧٨ والكتبخانة ٧ / ١٨١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٥ / ٢٦.

فى سادس عشر جمادى الآخرة، ومولده بحلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنين وخمسين وستمائة، وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا، وعُرضت عليه وزارة دمشق فأبى.

* * *

سنة عشرين وسبعمائة

فيها عاد السلطان من الحجاز بعدما منَّ بخليص[1]، وقد جرى الماء إليها. وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص، ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردها الحاج، وقد انقطع ذلك منذ سنين، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص، فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة، وجعلها مقررة فى كل سنة لصاحب خليص. فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها، واستمر حمل المال إليه فى كل سنة، ووجد الماء فى البركة دائمًا.

ولقى السلطان فى هذه السفرة جميع العربان: من بنى مهدى وأمرائها، وشطى وأخيه عساف وأولاده، وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشراف المدينة والينبع[2] وخليص، وبنى لام وعربان حوران، وأولاد مهنا موسى[3] وسليمان وفياض[4]، وأحمد وجبار، بعربهم، ولم يتفق اجتماع هؤلاء لملك قبله. وأكثروا من الدالة على السلطان، وجَرَوا على عوائدهم العربية من غير مراعاة الآداب الملوكية وهو يحتملهم، بحيث أن موسى بن مهنا كان ولد صغير، فقام فى بعض الأيام ومد يده إلى لحية السلطان وقال له: «يا أبا على! بحياة هذى! - ومسك منها شعرات - إلا ما أعطيتنى الضيعة الفلانية إنعامًا على؟». فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له: «شِلْ يدك! قطع يدك! والك! تمد يدك إلى السلطان؟»، فتبسم له السلطان وقال: «يا قاضى! هذه عادة العرب، إذا قصدوا كبيرًا فى شىء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشىء، فهو سنة عندهم». فغضب الفخر، وقام وهو يقول: «وا لله إن هؤلاء مناحيس، وسنتهم أنحس».

---

(١) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٧.

(٢) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥ / ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمير. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤ / ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٧٦ والأعلام ٧ / ٣٢٩.

(٤) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا المفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل ولى الإمرة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ. انظر الدرر الكامنة ٣ / ٢٣٤ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والأعلام ٥ / ١٦٤.

وفيها قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشرًا إلى القاهرة، ومعه الأمير قطلوبغا المغربى. وقدم الأمير بدر الدين بدرجك إلى دمشق مبشرًا.

وقدم السلطان فى يوم السبت ثانى عشر المحرم، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج، وركب بعد انقضاء أمر السماط فى موكب جليل، وقد خرج سائر الناس لرؤيته، وسار إلى القلعة، فكان يومًا مشهودًا، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة.

وفى يوم الخميس خامس عشره: جلس السلطان، وخلع على سائر الأمراء والقضاة وأرباب الدولة، وعلى الأمير شطى بن عبية وحسن بن درينى، وألبس كريم الدين الكبير أطلسين، ولم يتفق ذلك لمتعمم قبله.

وفيه بعث السلطان بالجمال والزاد لتلقى المنقطعين من الحاج، فتواصَلَ قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشريه، وصحبته قاضى القضاة بدر الدين وغيره، فاتفق فيه مطر عظيم قل ما عهد مثله بمصر. وكانت الأسعار قد تزايدت، فانحطت منذ قدم السلطان.

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، وركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين، وحَمَل وراءه الأمير قجليس السلاح، والأمير ألجاى الدواة، ورتب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جندار وأمير طبر، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة - وهم بالخلع معه - إلى أن صعد القلعة، فكانت عدة التشاريف مائة وثلاثين تشريفًا: فيها ثلاثة عشر أطلس، والبقية كنجى وعمل الدار وطرد وحش. وجلس صاحب حماة رأس الميمنة، ولقبه السلطان بالملك المؤيد، وسافر من يومه بعدما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البروانى، والأمير علاء الدين أيتغلى الشيخى، وصارم الدين العينتابى، وعز الدين أيدمر الشيخى، وعلاء الدين مغلطاى السيواسى، والحاج بدر الدين بيليك، وشمس الدين سنقر الكمالى الصغير، والشيخ على التبريزى[(١)]، وسيف الدين منكجار، وسيف الدين طوغان، نائب البيرة[(٢)]، وناصر الدين منكلى، وطاشار، وموسى وغازى أخوى حمدان بن صلغاى، وعن الشريف رميثة بن أبى نمى.

---

(١) نسبة إلى تبريز، وهى من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ١ / ٥١٦، ٥١٧.

(٢) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١.

وفيه هرب من سجن الإسكندرية الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى النقيب، - ويقال له زيرامو - ، وبهادر التقوى الزراق، فأدركهما الطلب، وأخذا وحملا إلى القلعة بعد ما خرج الأمير أيتمش المحمدى والأمير أصلم للقبض عليهما. فلما أحضرا كتب بعود الأميرين أيتمش المحمدى وأصلم، فرجعا ثالث يوم سفرهما، وأنزل بالأميرين الهاربين ليوسطا[1] تحت القلعة، فشفع فيهما الأمراء، فأعفى السلطان عنهما من القتل، وكحلهما بالحديد المحمى مرتين حتى فقدا البصر.

وفيه رسم بالإفراج عمن فى سجن الإسكندرية، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب.

وفيه كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر طرابلس، وأن يقيم بالقدس، ورتب له فى كل شهر ألف درهم، وبعث إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة.

وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول: سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة؛ ليقيم بها بدل الأمير آقسنقر شاد العمائر الذى استخلفه السلطان بمكة، ومعه عدة أجناد تخوفا من هجوم الشريف حميضة على مكة.

وفيه كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو بلاد متملك سيس[2]، لمنعه الحمل.

وفيه أبطل مكس الملح بديار مصر، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعدما كان بعشرة، فإنه كتب إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات، وأبيحت لكل أحد، فبادر الناس إليها وجلبوا الملح.

وفيه وصلت الستر الرفيع الخاتونى طلنباى - ويقال دلنبية، ويقال طولونية - بنت طغاى بن هندو بن باطو بن دوشيخان بن جنكزخان. وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أزبك يخطب بعض الجهات الجنكزية، فاشتط به أزبك فى طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط، فأعرض السلطان عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدم. وكان أزبك قد عين المذكورة، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم، صرف كل دينار ستة دراهم، وجهزها مع بعض أمرائه فى مائة وخمسين رجلا وستين جارية وقاضى سراى، ومعهم هدية سنية، فقدموا فى البحر إلى الإسكندرية فى عشرى ربيع الأول. وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء

---

(١) التوسيط إحدى العقوبات الكبرى بمصر فى العصور الوسطى.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.

ومعه الحراريق إلى لقائها، وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاتي وبغال، وضرب الخيام الحرير الأطلس بالميدان. فحملت الخاتون في الحراريق إلى ساحل مصر، وركبت في العربة إلى الميدان، والحجاب تمشى قدام العربة، فأقامت بالخيام ثلاثة أيام. ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه في عربة تجرها العجل، وهي كالقبة مغطاة بالديباج، وفي خدمتها الأمير أرغون النائب، والأمير بكتمر الساقي، والقاضي كريم الدين الكبير.

وفي يوم الإثنين ثاني ربيع الآخر: جلس السلطان للرسل، وحضر كبيرهم باينجار، وكان مقعدًا لا يقدر على القيام ولا المشي وإنما يحمل، ودخل معه إيتغلي وطقبغا، ومنغوش، وطرجي، وعثمان خجا، والشيخ برهان الدين إمام القان، ورسل الأشكرى. فأجلس باينجار، وأخذ منه كتاب أزبك، فبلغ السلام وقال: «أخوك أزبك، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتا، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك، وقد سيرنا لك من بيت كبير، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلى عندك أكبر منها، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[١]. فقال السلطان: «نحن ما نريد الحسن، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخي، ونكون نحن وإياه شيئًا واحدًا». وبلغه أيضا برهان الدين مشافهة من قبل أزبك. فتولى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار، الحال منها عشرون ألفًا، والمؤجل عشرة آلاف، وقبله السلطان بنفسه. وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه، وصورته بعد البسملة: «هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخي السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاى بن بكر بن دوشى خان بن جنكزخان». وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة، وكان يوما مشهودًا. وبنى عليها من ليلتها، فلم تلق بخاطره. وأصبح السلطان فتقدم إلى كريم الدين أكرم الصغير بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص، وجهز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفرهم، وركب للصيد.

وفيها توقف حال الناس بسبب الفلوس وما كثر فيها من الزغل[٢]، وكانت المعاملة بها عددا عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلسًا من ضرب السلطان، فعملها الزغلية، وخفوا وزنها حتى صار الفلس زنته سدس درهم. وكانت معاملة دمشق بالفلوس التي يقال لها القراطيس[٣]، والقرطاس ستة فلوس، ويعد في الدرهم الفضة

---

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) على هامش ط: الزغل النقود المزيفة عامة، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية.

(٣) على هامش ط: القراطيس نوع من الفلوس النحاسية، وهي دراهم ملفوفة على شكل إصبع.

أربعة وعشرون قرطاسا، فأبطل السلطان القراطيس من دمشق، وضرب بها كل فلس زنته درهم، وصار الدرهم بثمانية وأربعين فلسًا مثل معاملة مصر، فنقلت هذه الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة[١] حتى كثرت، وقلت الجياد[٢]. فتعبت الناس فيها، وزادت الأسعار كلها، حتى غلقت الباعة الحوانيت عندما نودى أن يكون الفلوس بالميزان، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة. فركب والى القاهرة، وضرب كثيرًا من أرباب المعايش بالمقارع، وشهرهم ولم يرجعوا، فنودى أن الفلس الذى عليه بقجة[٣] من ضرب دار الضرب يؤخذ، والفلس الخفيف يرد، فلم يفد ذلك شيئًا. وعمل الزغلية فلوسًا خفافا عليها بقجة، فنودى أن يؤخذ الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل، فمشى الحال قليلا، واستمر عنت العامة، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقها.

وكان السلطان غائبًا، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحت به العامة وفاجأوه بما لا يليق، وتكاثروا عليه من كل جهة، وشكوا ما بهم من أمر الفلوس ورد الباعة لها وقلة الخبز وغيره، فوعدهم بخير، وعرف كريم الدين السلطان ذلك. فاستدعى السلطان الأمراء، وأنكر عليهم رد مباشريهم الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحانين والموانة[٤]، وقرر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم، وعلى أحد وجهيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الآخر اسم السلطان، فضرب منها نحو ثمانين ألف رطل. واستقر الفلوس العتق[٥] كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب. فاستمر ذلك، ومشت الأحوال، إلا أنه صار فيها غبن زائد، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد.

وفيها قدمت رسل متملك اليمن بالهدية، وأحضروا بالقلعة يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة.

وفى ليلته: خسف القمر.

وفيها بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياب[٦] للفتك بالأمير قراسنقر،

---

(١) الفلوس المعاملة المضروبة حسب قوانين الدولة القائمة.

(٢) المقصود بذلك الجيدة.

(٣) مفرد بقج، وهى علامة سلطانية خاصة بدار الضرب.

(٤) الموانة، مفردها موان - وهم المشتغلون بتموين الناس بما يحتاج إلى جون من غلال أو دقيق.

(٥) الفلوس العتق هى التى تكون أقدم من غيرها من الفلوس فى التداول بين الناس.

(٦) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣.

فنعدما وصلوا إلى تبريز نم بعضهم لقراسنقر عليهم، فتتبعهم وقبض على جماعة منهم، وقتلهم. وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردو، فقفز عليه فلم يتمكن منه، وقتل. واشتهر فى الأردو خبر الفداوية، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبى سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل، فاحترسوا على أنفسهم، وقبضوا عدة فداوية. فتحيل بعضهم وعمل حمالا، وتبع قراسنقر ليقفز عليه فلم يلحقه، ووقع على كفل الفرس فقتل، فاحتجب أبو سعيد بالخركاه[١] أحد عشر يوما خوفا على نفسه. وطلب المجد إسماعيل، وأنكر عليه جوبان وأخرق به، وقال له: «والك! أنت كل قليل تحضر إلينا هدية، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية»، وهدده أنه يقتله شر قتلة، ورسم عليه، فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج عنه.

ثم قدم الخبر من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه، ووقعت الضربة فى أحد أمراء المغل، وأن الإسماعيلى فر، فلما أدركه الطلب قتل نفسه. فتنكر جوبان لذلك، وجهز المجد السلامى إلى مصر ليكشف الخبر، وبعثوا فى أثره رسولا بهدية.

وفيها عادت العساكر من غارة سيس[٢] إلى أبيات مهنا، وطردوه من مكانه، وفرقوا جمعه فى نواحى العراق.

وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان فى أمرائه وأهل دولته، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هى، أو ربطها بجناح طائر حمام وحذفه خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله، فتأذى بذلك جماعة كثيرة. فاتفق أن السلطان ركب إلى مطعم الطيور بالمسطبة التى أنشأها قريبًا من بركة الحبش، فوجد ورقة مختومة فقرأها و لم يعلم أحدًا فيها، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغلق الشباك. ثم بعث السلطان أمير جاندار الأمير سيف الدين البوبكرى أن يتحول من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة، فنزل من يومه وسكن بدار كراى المنصورى، وهدمت الدار التى كان البوبكرى يسكنها، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية. وامتنع السلطان من ركوبه إلى المطعم المذكور، وصار يركب إلى ميدان القبق. وكانت الورقة تتضمن سب السلطان وسوء تصرفه، وتسليطه الكتاب النصارى على المسلمين، وصلحه مع المغل.

---

(١) الخركاه بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغش بالجوخ ونحوه، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ١ /٧٥.

واتفق أن بعض العامة أخبر عن شخص غريب، فأفضى الأمر إلى حملهما إلى الخازن والى القاهرة، فقال العامى: «هذا الغريب قاصد ومعه فداوية»، فقرره الوالى فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بعثهم لقتل السلطان؛ فقبض منهم على رجلين، وفر الآخران. وحمل الوالى إلى السلطان، فأقرا بأنهما من جهة قراسنقر؛ فأمر بهما فقتلا. وأخذ السلطان يحترس على نفسه، ومنع عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس فى الطرقات، وألزم الناس بغلق طاقات البيوت.

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة[1]، وسجن بالإسكندرية، ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان. وكان ذلك لقلة اكتراثه بالأمير نائب الشام، وموافقة بعض مماليكه على ما قيل فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن.

وفيها قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبى نمى؛ ثم قدم الأمير بيبرس الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة، فقتل السلطان قاتله.

وفيها قدم المجد السلامى على البريد من عند الملك أبى سعيد بن خربندا فى طلب الصلح، فخرج القاضى كريم الدين الكبير إلى لقائه، وصعد به إلى القلعة، فأخبر المجد السلامى برغبة جوبان وأعيان دولة أبى سعيد فى الصلح، وأن الهدية تصل مع الرسل، فكتب إلى نائبى حلب ودمشق بتلقى الرسل وإكرامهم. فقدم البريد بأن سليمان بن مهنا عارض الرسل، وأخذ جميع ما معهم من الهدية، وقد خرج عن الطاعة لإخراج أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره فى إمرة العرب. ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب، وفيها طلب الصلح بشروط: منها ألا تدخل الفداوية إليهم، وأن من حضر من مصر إليهم لا يطلب، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه، وألا يبعث إليهم بغارة من عرب ولا تركمان، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز فى كل عام بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبى سعيد ليتجمل بالسنجق السلطانى، وألا يطلب الأمير قراسنقر. فجمع السلطان الأمراء، واستشارهم فى ذلك، بعد ما قرأ عليهم الكتاب، فاتفق الرأى على إمضاء الصلح بهذه الشروط، وجهزت الهدايا لأبى سعيد: وفيها خلعة

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٢.

أطلس بداير باولى زركش، وقباء تترى وقرقلات وغير ذلك، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار. وأعيد الرسل بالجواب، وفيه ألا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق، فإن العسكر واصل لقتالهم، وسافر السلامى على البريد يبشر بعود الرسل بالهدية.

وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار[١] بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر، ونقل إليه الطين، وزرع فيه النخل، ولعب فيه بالكرة مع الأمراء، ورتب فيه الحجورة[٢] للنتاج، فاستمر ذلك، وصار يتردد إليه ، ثم أنشأ السلطان بجوار جامع الأمير علاء الدين طيبرس زريبة [٣] على النيل، ليبرز بمناظر الميدان الكبير إلى قرب شاطئ النيل، وكان قد أخر عمل ذلك بسبب قرب سفره إلى الصعيد.

وفيها مرض كريم الدين الكبير نحو أسبوعين، فكان يحضر عليه فى كل يوم جمدار فيخلع عليه بكرة النهار، ويعود فيأتيه آخر العصر فيخلع عليه، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأمراء للسلام عليه خلع عليه، فلما عوفى وركب زينت القاهرة، وأوقدت فيها الشموع، وجلست المغانى، واجتمع الناس لرؤيته، فكان يوما مشودا. ولما قدم إلى المدرسة المنصورية بين القصرين بمال، فتصدق فمات فى الازدحام ستة أنفس، وصعد كريم الدين إلى القلعة، ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر، فزينت لركوبه أيضا، وزينت الحراريق ولعبت فى النيل، فخلع على رؤساء الحراريق، وفرق فى رجالها مالا، وعمل لهم مائة خروف شواء، وكان عدة الشموع التى اشتعلت له فى مصر ألفا وستمائة شمعة، ونثر الناس على رأسه الذهب والدراهم، وعمل له الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة، فكانت تلك الأيام من الأيام المشهودة.

وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمور فى سائر مملكته، وأبطل منها بيوت الفواحش ، وأبعد أرباب الملاهى، وأغلق الخانات، وأبطل المكوس[٤] التى تجبى من التجارة الواردة إليهم من البلاد، وهدم كنائس بالقرب من توريز، ورفع شهادة الإسلام، ونشر العدل، وعمر المساجد والجوامع، وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقته، فكتب السلطان لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات وإراقة الخمور، وغلق الخانات واستتابة أهل الفواحش، فعمل ذلك فى سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها،

---

(١) المهار – جمع مهر وهو ولد الفرس – وقد أنشأ السلطان الناصر محمد هذا الميدان ليكون به جميع خيوله.

(٢) الحجورة جمع حجر، وهى الأنثى من الخيل.

(٣) الزريبة حظيرة الغنم، وهى عبارة عن كوخ يصنع حيطانه من جرائد النخل السلطان أو الأمير ليأوى إليه طلبا للراحة.

(٤) المقصود بها الضرائب.

واجتهد النواب فى إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد.

وفيها قدم مملوك المجد السلامى ورسول أبى سعيد وجوبان، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية، وسألوا تجهيز السنجق السلطانى ليسير مع الركب إلى الحجاز، فسير سنجق حرير أصفر بطلعة ذهب، وكتب لصاحب مكة بإكرام حاج العراق.

وفيها قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى فى مملكته بالحج، فتجهز عالم عظيم ، وأن فياضا وسليمان ابنى مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجار، ويخاف على الراكب العراقى من عرب مهنا. فاقتضى رأى السلطان أن استدعى سيف ابن فضل[١] أخى مهنا من البلاد، وقرر معه أن أباه فضلا يمنع مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق، فقام فى ذلك فضل، وخدع أخاه مهنا حتى كف عنهم، ولم يتعرض لأحد منهم، وبعث مهنا بابنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرض للركب، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه.

وفيها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى[٢] إلى الشام على إمرة لتغير كريم الدين الكبير منه.

وفى ثانى عشرى رجب: عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق، ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين، فأفرج عنه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق قاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق السروجى الحنفى[٣]، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، بعد عزله فى رابع ربيع الآخر بشمس

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. ولى إمرة قومه عدة مرات بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤. والدرر الكامنة ٢ / ١٨٣ والأعلام ١٥٠/٣.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوقف بها. انظر البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين. فقيه، كان حنبليا وتحول=

الدين محمد بن عثمان الحريرى، ومولده سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان من أئمة الحنفية، ولم يسمع عنه ما يشينه، ولا راعى صاحب جاه قط، مع السماح والجود.

ومات الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبى القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبى العباس بن أبى الفضائل بن أبى المجد ابن أبى إسحاق الربعى الشافعى، سبط أبى الحسن على الشاذلى، فى ليلة سابع شوال، ومولده سنة أربع وستين وستمائة. سمع الحديث وقرأ النحو وتصوف، وتصدر بالإسكندرية لإقراء العربية، وولى نظر الأحباس بها، وصنف فى الفقه وغيره.

ومات الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبى سعيد - المعروف بابن الطراح[1] - ، فى أول المحرم ببغداد، ومولده فى ربيع الأول سنة خمسين وستمائة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب.

ومات الصدر فخر الدين أبو الهدى أحمد بن إسماعيل بن على بن الحباب الكاتب، يوم الخميس تاسع رمضان، عن سبع وتسعين سنة.

وقتل إسماعيل بن سعيد الكردى على الزندقة، يوم الإثنين سادس عشرى صفر، وكان عارفا بالقراءات والفقه والنحو والتصريف، ويحفظ كثيرًا من التوراة والإنجيل، ويحل فى الفقه، ويحفظ العمدة فى الحديث، غير أنه حفظت عنه عظائم فى حق الأنبياء، وكان يتجاهر بالمعاصى، فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين.

ومات الحسن بن عمر بن عيسى بن الخليل الكردى الدمشقى، بناحية الجيزة تجاه مصر فى ثالث ربيع الآخر، وقد أناف على التسعين، قرأ على السخاوى، وسمع الحديث.

ومات كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن ضرغام الكنانى الحنبلى، خطيب جامع المنشاة فيما بين القاهرة ومصر، فى ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة.

=حنفيا. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. انظر البداية والنهاية ٦٠/١٤ والدرر الكامنة ٩١/١ والطبقات السنية ٣٠٠/١ الأعلام ٨٦/١.

(١) حسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم، قوام الدين، بن الطراح الشيبانى الصاحب: أديب عراقى. كانت له نيابة عن السلطنة فى بعض البلدان. انظر الدرر الكامنة ٣٤/٢ الأعلام ٣٤/٢ والأعلام ٢١٥/٢.

ومات كمال الدين أبو الحفص عمر بن عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن محيى الدين أبى عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبى الفضل بن مجد الدين أبى غانم محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبى الحنفى، قاضى القضاة الحنفية بحلب، وكان مشكورًا.

ومات زين الدين أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندرى الفقيه المعمر المالكى، بمصر فى ليلة الجمعة حادى عشر المحرم، عن اثنتين وتسعين سنة، ولى قضاء الإسكندرية مدة اثنتى عشرة سنة، وعرض عليه قضاء دمشق فامتنع، وله نظم.

ومات شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابونى الحلبى، بالقاهرة فى يوم الخميس تاسع عشرى رجب، كان محدثًا عدلا، ودرس بالمنكوتمرية من القاهرة، وتميز فى كتابة السجلات.

ومات القاضى زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردى، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال، فى يوم الإثنين سادس عشرى رمضان، واستقر فى الوكالة بعده قطب الدين محمد بن على بن عبد الصمد السنباطى، وفى حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين.

ومات على بن عبد الصمد الأسعردى، فى سابع شوال.

ومات الشيخ نجم الدين أبو الحسن على بن الأسيوطى المقرئ الواعظ، فى يوم الجمعة سادس عشر ذى الحجة.

وقتل أقبجا مملوك ركن الدين بيبرس التاجى بدمشق؛ لدعواه النبوة، فى خامس عشرى ربيع الأول.

ومات بهاء الدين السنجارى محتسب مصر، يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة، فولى بعد نجم الدين أحمد بن محمد بن أبى الحزم القمولى خليفة الحكم، فى ثامن ذى الحجة.

ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن

إسماعيل بن يوسف بن نصر[١]، فى ذى القعدة، وأقيم بعده ابنه أبــو عبــد الله محمــد[٢]، فكانت مدته ثلاث عشرة سنة.

* * *

(١) إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بن الأحمــر، أبــو الوليــد السلطان الغــالب= =بالله: أمير المؤمنين، خامس ملوك دولة بنى نصر بن الأحمر. انظر الإحاطة ٢٢١/١ والنجوم الزاهرة ٢٥٠/٩ والدرر الكامنة ٣٧٥/١ والأعلام ٣٢١/١.

(٢) محمد بن إسماعيل بن فرج، من بنى نصر بن الأحمر، أبو عبد الله: أحد ملوك بنى الأحمــر فــى الأندلس وهو سادسهم. انظر اللمحة البدرية ٣٩٠/٣ والأعلام ٣٦/٦

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثالث المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز، وكان قد سافر إلى مكة فى مدة اثنى عشر يومًا، وغاب - حتى قدم - نحو شهر، وتصدق فى الحرمين باثنى عشر ألف دينار.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب من الحجاز، وكان قد سافر أول ذى القعدة، ومشى من مكة إلى عرفات على قدميه بهيئة الفقراء. ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج، ولم ير فيما تقدم مثل كثرة الحاج فى موسم الحالية. وكانت الوقفة يوم الجمعة. وكان حاج مصر سبعة ركوب: ركب فى شهر رجب، وأربعة فى شوال أولها رحل فى يوم الإثنين سادس عشره، ورحل آخرها يوم الجمعة تاسع عشره. وسار الأمير أرغون النائب أول ذى القعدة فى جماعة، ثم توجه الفخر فى جماعة، وركب البحر خلائق، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركبا. ووقف محمل العراق خلف محمل مصر، ومن خلفه محمل اليمن.

واعتنى أبو سعيد بأمر حاج العراق عناية تامة، وغشى المحمل بالحرير ورصعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر، وجعل له جترًا ينصب عليه إذا وضع. فلما مر ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار، فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال، وقالوا: «لأجل الملك الناصر نخفركم بغير شيء»، ومكنوهم من المسير. فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالغ فى الإنعام على العربان. وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع، فلما انقضى الحج خلع عليهم الأمير أرغون النائب، ودعا لأبى سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام فى الشفاعة فى ابن تيمية[1]، وكان قد سجن فى السنة

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى، تقى الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق، ثم أعيد،=

الماضية، فأفرج عنه بعدما سجن خمسة أشهر، وشرط عليه ألا يفتى بمسألة الطلاق.

وفيه استقر كريم الدين الكبير فى نظر الجامع الطولونى، فنمت أوقافه.

وفيه قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق، على يد العامة.

وفيها أخرج الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر إلى دمشق. وسببه أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره فى بر الخليج الغربى، وعمل القنطرة، أراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة[١] تنتهى إلى حارة الوزيرية، فأذن له السلطان فى فتحها، فخرق بابًا كبيرًا وعمل عليه رنكه[٢]، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة أنه فتح بابًا قدر باب زويلة وعمل عليه رنكه، فشق عليه ذلك وأخرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر.

وفيه قدم الأمير سيف الدين طقصباى من بلاد أزبك. وقدم من الأردو الأمير باورر ابن براجوا أحد أعيان المغل، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر.

وفيه قدم أبو يحيى اللحيانى[٣] من الغرب، ولم يمكن من البلاد، فرتب له بالإسكندرية ما يكفيه، وأقام بها. وفيه أخرج الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى حاجبًا بالشام.

وفى يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: ثارت العامة يدًا واحدة، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهرى، وكنيسة بستان السكرى - وتعرف بالكنيسة الحمراء - ، وبعض كنيستين بمصر. وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادر الحوادث: والخبر عنه أن السلطان لما عزم على إنشاء الزريبة بجوار جامع الطيبرسى على النيل احتاج إلى طين كثير، فنزل بنفسه وعين مكانًا من أرض بستان الزهرى قريبًا من ميدان المهارة ليأخذ منه الطين، ولينشئ فى هذا المكان بركة[٤]، وعوض مستحقى وقفه بدله، وكتب أوراقًا

=ومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١/٣٥٠٠٤٥ والدرر الكامنة ١/١٤٤ والبداية والنهاية ١٤/١٣٥ وابن الوردى ٢/٢٨٤ وآداب اللغة ٣/٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧١ والأعلام ١/١٤٤.

(١) الخوخة باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن أو فندق.

(٢) الرنك: شعار للملوك والأمراء الأتراك والمماليك بمصر. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧٩٩.

(٣) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتاتى. أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/ ٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٥،٤٦.

(٤) هذه البركة هى بركة الناصرية التى جعل السلطان الناصر مساحتها سبعة أفدنة.

بأسماء الأمراء، وأفزر لكل منهم قياسًا معلومًا، فتولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بيبرس الحاجب. وابتدأ الأمراء فى الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشرى ربيع الأول، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطئ النيل حيث عمل الزريبة. فلم يزل الحفر مستمرا إلى أن قرب من كنيسة الزهرى، وأحاط بها الحفر من دايرها وصارت فى الوسط، بحيث تمنع من اتساع البركة. فعرف الأمير آقسنقر شاد العمائر السلطان بذلك، فأمره أن يبالغ فى الحفر حولها حتى تتعلق، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء تهدمها، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم، فاعتمد الحفر فيما حولها، وكتم ما يريده، وصارت غلمان الأمراء تصرخ وتريد هد الكنيسة، وآقسنقر يمنعهم من ذلك.

فلما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء بالصلاة، فاجتمع من الغلمان والعامة طائفة كبيرة، وصرخوا صوتًا واحدًا الله أكبر، ووقعوا فى أركان الكنيسة بالمساحى والفوس حتى صارت كوما، ووقع من فيها من النصارى، وانتهب العامة ما كان بها. والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاورة لها، وكانت من أعظم كنائس النصارى، وفيها مال كبير، وعدة من النصارى ما بين رجال ونساء مترهبات، فصعدت العامة فوقها، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها وخمورها. وانتقلوا إلى كنيسة بومنا بجوار السبع سقايات، وكانت معبدًا جليلا من معابد النصارى، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها، وقتلوا منها جماعة، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدتهن على ستين بكرا. فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض، فلما خرج الناس من الجامع رأوا غبارًا ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء، وما فى العامة إلا من بيده بنت قد سباها أو جرة خمر أو ثوب أو شىء من النهب، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت.

وانتشر الخبر من السبع سقايات إلى تحت القلعة، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج، وأمر الأمير أيدغمش بكشف لخبر. فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجًا زائدًا، وتقدم إلى أيدغمش أمير آخور، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم. فما هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة حضر وأخبر بأن العامة ثارت بالقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة، وأنه ركب خوفًا على القاهرة من النهب. وقدم مملوك والى مصر وأخبر بأن عامتها قد تجمعت لهدم كنيسة المعلقة حيث مسكن البترك وأموال النصارى، ويطلب نجدة. فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب هم أن يركب بنفسه، ثم أردف أيدغمش بأربعة أمراء ساروا إلى مصر، وبعث بيبرس الحاجب، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر، وبعث طينال إلى القاهرة؛ ليضعوا السيف فيمن وجدوه. فقامت القاهرة ومصر على

ساق، وفرت النهابة، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غلب على نفسه بالسكر من الخمر. وأدرك الأمير أيدغمش والى مصر وقد هزمته العامة من زقاق المعلقة، وأنكوا مماليكه بالرمى عليهم، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة، فجرد هو ومن معه السيوف ليفتك بهم، فرأى عالمًا عظيمًا لا يحصيهم إلا خالقهم، فكف عنهم خوف اتساع الخرق، ونادى من وقف فدمه حلال، فخافت العامة أيضًا وتفرقوا. ووقف أيدغمش يحرس المعلقة إلى أن أذن العصر، فصلى بجامع عمرو، وعين خمسين أوشاقيا للمبيت مع الوالى على باب الكنيسة، وعاد.

وكان كأنما نودى فى إقليم مصر بهدم الكنائس، وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل: وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل موله[١] فى وسط الجامع: «اهدموا الكنيسة التى فى القلعة»، وخرج فى صراخه عن الحد واضطرب. فتعجب السلطان والأمراء منه، وندب نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة، فوجدوا كنيسة فى خرائب التتر قد أخفيت، فهدموها. وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجب إذ وقع الصراخ تحت القلعة، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم، وطلب الرجل الموله فلم يوجد.

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة فى هرج عظيم، ومعهم الأخشاب والصلبان والثياب وغيرها، وهم يقولون: «السلطان نادى بخراب الكنائس»، فظنوا الأمر كذلك. وكان قد خرب من كنائس القاهرة سوى كنيستى حارة الروم وحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين كنائس كثيرة، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان.

فلما كان يوم الأحد حادى عشره: سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس فى صلاة الجمعة تجمع العامة وصاحوا هدمت الكنائس، فركب الأمير بدر الدين المحسنى متولى الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس، فإذا بها قد صارت كومًا، وكانت عدتها أربع كنائس. ووقعت بطاقة من والى البحيرة بأن العامة هدمت كنيستين فى مدينة دمنهور[٢]، والناس فى صلاة الجمعة. ثم ورد مملوك والى قوص فى يوم الجمعة سابع عشره، وأخبر بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص فى نحو نصف ساعة. وتواترت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة، فكثر التعجب من وقوع هذا الاتفاق فى ساعة واحدة بسائر الأقاليم.

---

(١) المقصود بالموله الذى ذهب عقله.

(٢) بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢.

وصار السلطان يشتد غضبه من العامة، والأمراء تسكن غضبه وتقول: «يا مولانا! هذا إنما هو من فعل الله. وإلا فمن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمياط[١] والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد فى ساعة واحدة؟»، وهو يشتد على العامة ويزيد البطش بهم، فهرب كثير منهم.

وكان الذى هدم فى هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة: وهى كنيسة بقلعة الجبل، وكنيسة بأرض الزهرى موضع البركة الناصرية، وكنيسة بالحمراء، وكنيسة بجوار السبع سقايات، وكنيسة أبى المنا بجوارها، وكنيسة الفهادين بحارة الحكر، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة، وكنيسة البندقانيين منها، وكنيسة بحارة زويلة، وكنيسة بخزانة البنود، وكنيسة بالخندق خارج القاهرة، وأربع كنائس بالإسكندرية، وكنيستان بدمنهور الوحش، وأربع كنائس بالغربية، وثلاث كنائس بالشرقية، وست كنائس بالبهنساوية[٢]، وبسيوط[٣] ومنفلوط[٤] ومنية بن خصيب[٥] ثمانى كنائس، وقوص[٦] وأسوان[٧] إحدى عشرة كنيسة، والإطفيحية[٨] كنيستان، وبمدينة مصر بخط المصاصة[٩]وسوق وردان وقصر الشمع ثمانى كنائس، ومن الأديرة شىء كثير.

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وتواتر إلى سلخه. وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٣/٤٧٢/٢.

(٢) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٧/٥١٦/١.

(٣) مدينة فى غربى النيل نواحى صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥

(٥) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٨.

(٦) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣٣.

(٧) مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ١٩١/١.

(٨) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٩) من أكبر خطوط الفسطاط – أى مصر، وموقعه بجوار خط تجيب.

لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه في يوم السبت المذكور، وكان أول لعبه فيه بالأكرة، فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع في ربع من أوقاف المارستان المنصوري، بخط الشوايين[1] من القاهرة. واشتد الأمر، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد، فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق في حارة الديلم بزقاق العريسة، قريب من دار كريم الدين الكبير. ودخل الليل واشتد هبوب الرياح، فسرت النار في عدة أماكن. وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان يعرفه، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفًا على الحواصل السلطانية. ثم تفاقم الأمر، واحتاج آقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السائقين والأمراء، ونزلت الحجاب وغيرهم، والنار تعظم طول نهار الأحد، وخرجت النساء مسبيات من دورهن. وباتوا على ذلك، وأصبحوا يوم الإثنين والنار تتلف ما تمر به، والهد واقع في الدور التي تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها في جميع دور القاهرة.

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب، ونشرت النار، فما شك الناس في أن القيامة قد قامت. وعظم شرر النيران، وصارت تسقط في عدة مواضع بعيدة، فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن، واجتمعوا في الجوامع والزوايا، وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وصعد السلطان إلى أعلا القصر، فهاله ما شاهد.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء في أسوأ حال، فنزل النائب بسائر الأمراء وجميع من في القلعة وجميع أهل القاهرة، ونقل الماء على جمال الأمراء، ولحقه الأمير بكتمر الساقي. وأخرجت جمال القرى السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار. وجمعت سائر البنائين والنجارين، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها. وعمل الأمراء الألوف - وعدتهم أربعة وعشرون أميرًا - بأنفسهم في طفي الحريق، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات، وتناولوا الماء بالقرب من السقائين، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرًا، وحضر كريم الدين أكرم الصغير بمائتي رجل. فكان يومًا لم ير أشنع منه، بحيث لم يبق أحد إلا وهو في شغل. ورؤى سائر الأمراء وهي تأخذ القرب من مماليكها، وتطفئ النار بأنفسها، وتدوس الوحل بأخفافها. ووقف الأمير بكتمر الساقي والأمير أرغون النائب حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصي، وهدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر دارًا. وخمدت النار وعاد الأمراء.

---

(١) هو أول سوق أنشئ بالقاهرة.

فوقع الصياح فى ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالى وعملوا فى طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دورًا كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج(١) - وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل - ورأوا فيه نفطًا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمازالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودى بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير ودن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة، وكل زير إلى ثمانية دراهم؛ لكثرة طلبها.

فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والى القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة فى منابر الجوامع وتارة فى حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء فى أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد فى العلو، فتقع فى زروب الأسطحة والبادهنجانات، ويوجد النفط قد لف فى [الخرق] (٢) المبللة بالزيت والقطران.

فلما كانت ليلة الجمعة حادى عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانى من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصرانى وهو خارج والأثر فى يديه، فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصرانى أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أنهما من دير البغل(٣)، وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التى تقدم

---

(١) على هامش ط: البادهنج - منفذ للتهوية فى البيوت.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط فى الأصل.

(٣) موضع هذا الدير بأعلى جبل المقطم شرقى طرا وحلوان.

ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها فى سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه فى جماعة، فصاروا يدورون فى القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك.

واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين: «النصارى لهم بطرك يرجعون إليه، وهو الذى يعرف أحوالهم». فأمر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إلى بيته واستعلام الخبر منه، فأتاه ليلا فى حماية والى القاهرة خوفا من العامة، فبالغ كريم الدين فى إجلاله، وأعلمه بما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه، فذكروا له كما ذكروا للوالى، فبكا وقال: «هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم، والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس، والحمار العثور يلقى الأرض بأسنانه». وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك.

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: «ما يحل لك يا قاضى تحامى للنصارى، وقد أخربوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال»، فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من أمر النصارى المسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك، وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالى بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهبًا بدير البغل، فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة، وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم. فاشتدت العامة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض.

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثانى عشريه، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: «نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله». فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والى القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: «كم تحامى للنصارى؟»، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان،

واستشار الأمراء فى أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك[١] بعزل الكتاب النصارى، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك. وتقدم السلطان إلى ألماس الحاجب أن يخرج فى أربعة أمراء ويضع السيف فى العامة حتى ينتهى إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك، ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر والى القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك مماليك تخرج من الميدان. فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم.

وكان الخبر قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه. وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحدًا، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها. ومر الوالى إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيرًا من الكلابزة[٢] والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رآه أخذه. وجفل الناس من الخوف، وعدوا فى المراكب إلى بر الجيزة.

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدًا فى طريقه، وأحضر إليه الوالى بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدى. فصاحوا: «يا خوند! ما يحل لك! فما نحن الغرماء!»، وتباكوا. فرق لهم بكتمر الساقى، وقام معه الأمراء، ومازالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم. فأصبحوا يوم الأحد صفا واحدًا من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض[٣] الناس؛ ولم تفتح القاهرة.

وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ فى قطع أيديهم. فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابه السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل فى الحفير بالجيزة. ومات ممن قطع يده رجلان، وأمر بحط من علق على الخشب.

---

(١) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٢) على هامش ط: الكلابزة جمع كلابزى، وهو الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند سلطان أو أمير من الأمراء.

(٣) المقصود ببياض الناس كرماؤهم وأنقياؤهم.

فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق فى القلعة وفى بيت الأحمدى بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاى خارج باب البحر؛ فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عمودًا، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيرًا، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشريه: ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفا من العامة قد صبغوا خرقا بالأزرق والأصفر، وعملوا فى الأزرق صلبانًا بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: «لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى». فخشع السلطان والأمراء، ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره. وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق وهى تصيح: «لا دين إلا دين الإسلام». فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادى: «من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال». فلما سمعوا النداء صرخوا صوتًا واحدًا: «نصرك الله يا ناصر دين الإسلام»، فارتجت الأرض.

ونودى عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: «من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكبا باستواء حل دمه». وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلا، وأن يركبوا الحمير عرضًا، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس فى أعناقهم، ولا يتزيوا بزى المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم. ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلقت الكنائس والأديرة، وطلب السنى ابن ست بهجة، والشمس بن كثير فلم يوجدا.

وتجرأت العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصرانى أن يخرج من بيته. ولم يتحدث فى أمر اليهود، فكان النصرانى إذا طرأ له أمر يتزيا بزى اليهود، ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودى ليخرج فى حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودى له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئًا، فأمسكه اليهودى وصاح: «أنا بالله وبالمسلمين»، فخاف النصرانى، وقال له:

«أبرأت ذمتك»، وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السنى ابن ست بهجة فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

وانبسطت ألسنة الأمراء بسبب كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير، فإن بكتمر كان يعتنى به وبالدواوين، والفخرى يضع منه ومنهم، وصار مع كل من الأميرين جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع الفتنة.

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى أحدًا فى طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم، فلم يعجبه ذلك، ونودى بخروج الناس للفرجة على الميدان، فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثانى عشريه وقع الحريق بالقلعة، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفى.

وفى رابع عشريه: توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق، ومنعهم من المباشرة فى الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار، فسر كريم الدين بذلك. وعاد كريم الدين إلى القاهرة، فشفع فى إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا، وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوسا وقميصا، وفرق ألف قميص، ثم استدعى المسجونين على الديوان، وصالح غرماءهم عنهم، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق.

وفيها ألقيت ورقة فى جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان، وأنه فرط فى ملكه ومماليكه، والعسكر قد تلف، وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التى بأسمائهم، وصاروا يسألون الناس من الحاجة. فغضب السلطان من ذلك، وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من باع خبزه، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس، وعرض مماليك السلطان، وأخرج منهم مائة إلى الكرك.

وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد، فتلقاه النائب على العادة، وقدم الناس إليه تقادم جليلة، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئًا، بل عمهم بالإنعامات والصدقات، وعاد إلى القاهرة.

وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع

أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء، ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرسًا، فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك، وخلع على الجميع.

وفيها خرج الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك بعسكر إلى أياس، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالاً كثيرًا وقتلوا عدة كثيرة منهم، وفر من بقى فى البحر، وذلك فى حادى عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور[1]، وأخذت مالا كبيرًا، وقدم الأمير جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير ألطنبغا نائب حلب أن أهل أياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم، وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفى رجل وأسر ثلاثمائة، وغنم مالا جزيلا وعاد.

وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامكهم شهرين، ثم تجمعوا فى يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحريم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقى إليهم، فلم يرضوه، فخرج إليهم السلطان وقد صاروا ألفا وخمسمائة، فعندما رآهم سبهم وأهانهم، وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رءوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: «اطلعوا مكانكم»، فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، فعدت سلامته من العجائب. ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم فى يوم السبت آخر صفر، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية، وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب تتر، وضرب واحدًا منهم بالمقارع هو وغلامه؛ لكونه شرب الخمر، فمات بعد يومين من ضربه، وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة.

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب؛ ليعمرها ويقفها على الحرم، فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك.

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدى التيليلى الشمسى أحد مماليك سنقر الأشقر، وكان قد أمِّر فى أيام المنصور لاجين[2]،

---

(١) المقصود بذلك بلاد أرمينية الصغرى قليقية.

(٢) لاجين المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصورى: من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر=

وأنعم على كل من بيبرس الكريمى، وقطلوبغا طاز الناصرى، وعبد الملك المنصورى والى القلعة، وأبو بكر ابن الأمير أرغون النائب، وملكتمر السرجوانى، وطيبغا القاسمى، وطقبغا، وبيدمر، وطغاى تمر من الخاصكية، بإمرة. ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وقد أشعلت لهم القاهرة، وجلس المغانى بالحوانيت فى عدة أماكن، وعمل لهم كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة، فكان يوما مشهودا.

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكى من بركة الحاج، وتقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشا للخيل والجمال وميدانًا، ويبنى الأمير بكتمر الساقى مثل ذلك. فجمع كريم الدين من الرجال للعمل نحو ألفى رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ فى أيام يسيرة، وجعل فى الميدان عدة من الحجورة المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها.

وفيه شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون[١] فى البلاد، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث فى ذلك. وزايد القانون شىء حدث فى الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور، واتفق أمرها، وأنشأ عليها القناطر، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع، ثم خرق من موضع خرقًا كالمجراة، واتسع حتى صار خليجًا صغيرا يمر على أراض لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء. فطالع الأمير ركن الدين القلنجقى كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضى التى فى بلاد المقطعين قد شملها الرى، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزًا بعشرة أرماح[٢]، فإنها زايدة عن قانون المقطعين. فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدى والموفق مستوفى الدولة لكشف هذه الأراضى وقياسها، فتوجها إلى البحيرة[٣] وكشفا عنها، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان، فكتبت مشاريحها[٤]، ولم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان

=والشام. وهو الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى الروك الحسامى. كان مملوكا للمنصور قلاوون، وإليه نسبته. وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل كتبغا ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك المنصور. ثم قتل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهرا. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(١) المقصود بذلك ما زاد من الأرض عن المساحة الأصلية للإقطاع المقرر بمكاتيبه.

(٢) الأرماح جمع رمح، والمقصود هنا أن تكون المساحة قدر رمية الرمح عشر مرات.

(٣) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) المشاريح جمع مشروح، والمقصود به هنا ما يكتبه الموظف المكلف بعمل من الأعمال بمثابة تقرير وشرح لما كلف به من عمل.

فقط، فإنها كانت أراضى متفرقة فى بلاد المقطعين. فكتب السلطان بها مثالات ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار، وفرقها على أرباب الجوامك من المماليك، فشق هذا على الأجناد، فإنها كانت من أراضى إقطاعاتهم.

وفى نصف جمادى الآخرة: ولد للسلطان من خوند[١] طغاى ولدًا أسماه آنوك. وكانت طغاى هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعثها إلى السلطان. فشق على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان، فأنعم عليه بألفى دينار مصرية، وكتب له مسموحا بألفى دينار. وحظيت الخاتون طغاى عند السلطان، وكانت بارعة الجمال، فعمل السلطان عند ولادتها مهما عظيما إلى الغاية، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحج، فشرع كريم الدين فى تجهيزها، وبعث الأمير تنكز أيضًا يستأذن فى الحج، فأذن له.

وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسرى، وأرخى فى الجب مقيدًا، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية. وسببه أنه كان يتورع عن الأكل من سماط السلطان، وكانت أخته تحت الحاج آل ملك، فشكا منه أنه قد أكل مالها، فقال السلطان: «متورع عن الأكل من السماط، ويأكل مال اليتيم!»، وأمر به فقيد.

وفيها قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أزبك.

وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل دارًا بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، وأقام آقسنقر شاد العمائر على عملها، وأدخل فيها كثيرًا من دور الناس وأراضى ملاكها، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها.

وفيها قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر الخاتون[٢] طغاى إلى الحجاز، وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثمانى عربات كعادة بلاد الترك لتسافر فيها، وجرها إلى الإسطبل، فأعجب بها السلطان وخلع عليه. وعين للسفر مع الخاتون الأمير قجليس والقاضى كريم الدين الكبير، وخرج النائب والحجاب فى خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت فى يوم الأربعاء سابع عشرى شوال، ومعها من النقباء صاروجا وبكتاش، ورفعت عليها العصائب السلطانية، ودقت الكوسات وراءها، وحملت الخضراوات والبقول والرياحين فى المحابر[٣] مزروعة فى الطين، ولم يعهد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها.

---

(١) على هامش ط: كان هذا اللفظ يستعمل لقبا للملوك فقط.

(٢) على هامش ط: كان هذا اللفظ يطلق على الملكات والأميرات.

(٣) المحابر جمع محبرة، وهو صندوقان يشدان إلى جانبى الرحل.

وفيها خرج السلطان إلى الصيد، وقد توقف حال الناس فى أمر الفلوس لكثرة الزغل فيها، وتحسنت البضائع. فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون الفلوس بالميزان، بعدما ضرب كثيرًا من الباعة.

وفيها سقط نجم عظيم بعد العصر، فطبق شعاعه الأرض، ورآه كل أحد.

وفيها ولدت كلبة بالقاهرة ثلاثين جروا، وأحضرت بجراها إلى السلطان.

وفى يوم الإثنين سادس عشرى رمضان: شكا طلبة زاوية الشافعى بجامع عمرو من مدرسهم شهاب الدين الأنصارى، وأبدوا فيه قوادح، فصرف عنهم، وولى عوضه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة[1]، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه، فلبسها يوم العيد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى الإسنائى[2] الفقيه الشافعى، قاضى قوص[3]، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرى صفر، أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطى[4]، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ٢/١٧٤ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٤/١٦٣ والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٨ والدرر الكامنة ٣/٢٨٠ ودار الكتب ٥/٥٣٥ والأعلام ٥/٢٩٧.

(٢) إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى، نور الدين الإسنوى: قاض، شافعى، من أهل إسنا بصعيد مصر ويقال له الإسنائى أيضا نسبة إليها. تنقل فى القضاء، وتوفى بالقاهرة معزولا. له «شرح المنتخب» فى أصول الفقه، و«نثر ألفية ابن مالك» فى النحو. انظر طبقات الشافعية ٦/٨٣ والدرر الكامنة ١/٧٤ وبغية الوعاة ١٨٩ والأعلام ١/٧٨.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤٣.

(٤) هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، أبو القاسم، بهاء الدين القفطى: باحث مصرى. عارف بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. ولد بقفط فى الصعيد المصرى وتفقه بقوص وولى فيها أمانة الحكم وتوجه إلى إسنا حاكما وسعيدا بالمدرسة الغزية، فمدرسا. وترك القضاء أخيرا، فعكف على العبادة والعلم، إلى أن توفى بإسنا. انظر الطالع السعيد ٣٩٦ - ٤٠١ وطبقات السبكى ٥/١٦٣ والكتبخانة ١/٤٤٣ وبغية الوعاة ٤٠٨ وطبقات المفسرين والأعلام ٨/٧٣.

الأصبهانى[١]، والنحو عن ابن النحاس[٢]. وبرع فى ذلك وصنف.

ومات تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محمد بن الكمال أبى الحسن على بن شجاع القرشى العباسى، بمنشاة المهرانى خارج مدينة مصر، عن تسع وسبعين سنة، فى سابع جمادى الأولى.

ومات مجد الدين أحمد بن معين الدين أبى بكر الهمذانى المالكى، خطيب الفيوم[٣]، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول، وكان يضرب به المثل فى المكارم والسودد، وهو أخو قاضى القضاة شرف الدين المالكى، وصهر الصاحب تاج الدين محمد بن حنا[٤].

ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن محمد الأصبهانى، فى جمادى الآخرة.

ومات الأمير زين الدين كتبغا العادلى حاجب دمشق بها، فى يوم الجمعة ثامن عشرى شوال، واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وكان شجاعا كريما.

ومات تقى الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمذانى الحلبى الضرير بمصر، وجد ميتًا فى حادى عشر ذى الحجة، وقد أناف على السبعين، وحدث بأشياء.

---

(١) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبد الله، شمس الدين الأصبهانى: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. ولد وتعلم بها. رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠هـ فولى قضاء «منبج» ثم توجه إلى مصر. وولى قضاء قوص. فقضاء الكرك واستقر آخر أمره فى القاهرة، مدرسا، وتوفى بها. له كتب منها «شرح المحصول للرازى» فى أصول الفقه. انظر فوات الوفيات ٢/٢٦٥ والبداية والنهاية ١٣/٣١٥ وبغية الوعاة ١٠٣ وطبقات الشافعية ٥/٤١ وحسن المحاضرة ١/٣١٣ والأعلام ٧/٨٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن محمد، بهاء الدين، بن النحاس الحلبى: شيخ العربية بالديار المصرية فى عصره. ولد فى حلب، وسكن القاهرة وتوفى بها. له «إملاء على كتاب المقرب» لابن عصفور، و«هدى أمهات المؤمنين» و«التعليقة». انظر فوات الوفيات ٢/١٧٢ وبغية الوعاة ٦ وغاية النهاية ٢/٤٦ أعلام النبلاء ٤/٥٣٣ والوافى ٢/١٠ والأعلام ٥/٢٩٧.

(٣) بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٤) محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم، أبو عبد الله، تاج الدين، ويلقب بالصاحب كأبيه فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين، من آل حنا: وجيه مصرى. انتهت إليه رياسة عصره فى بلده. اشتغل بالحديث والأدب ونظم الشعر والتوشيح وحدث بمصر ودمشق. انظر الوافى ١/٢١٧ والدرر ٤/٢٠١ والفوات ٢/١٥٣ والضوء اللامع ١١/٢٤٤ والأعلام ٧/٣٢.

ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركمانى[١] ملك اليمن، فى مستهل ذى الحجة، وكانت مدته خمسا وعشرين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين على[٢].

ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست، يوم الإثنين خامس عشر ذى الحجة بالقاهرة، وكان حشما رئيسا عاقلا.

ومات الطواشى صفى الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية، فاستقر بعده الطواشى صفى الدين صواب الركنى، وكان صواب الركنى هذا يلى تقدمة المماليك فى الأيام الركنية بيبرس، فلما قدم السلطان من الكرك عزله، ثم أعاده بعد موت جوهر.

ومات حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابورى، شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فى تاسع عشر جمادى الآخرة، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهورى الشافعى، فى ثالث عشر جمادى الأولى. كان يتصدر لإقراء النحو، وصنف.

ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله ابن عبد الأحد المخزومى الدلاصى، فى ليلة رابع عشر المحرم.

* * *

(١) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول: صاحب اليمن، السلطان الملك المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. توفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١ وفوات الوفيات ١٥٨/١ وابن خلدون ٥١١/٥ ومرآة الجنان ٢٦٦/٤ والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩ وأبو الفداء ٩١/٤ والدرر الكامنة ٩٩/٢ والأعلام ٣٣٦/٣.

(٢) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة، وخلعه الأمراء والمماليك، فمكث أشهرا. ثم عاد إلى الحكم. توفى بعدن ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢، ٨٣، ١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤، ٢٤٠ والأعلام ٢٨٦/٤، ٢٨٧.

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء:

ففى يوم الأربعاء خامس عشره: وصل أوائل الحجاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشريه: وصل القاضى كريم الدين الكبير، والأمير قجليس صحبة الخاتون طغاى. وخرج السلطان إلى لقائها ببركة الحاج، ومد سماطًا عظيما، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وجميع القهرمانات: مثل الست حدق[1] المعروفة بالست مسكة، ونساء الأمراء، ودخل الجميع إلى منازلهم، فكان يوما مشهودا. ولم يسمع بمثل هذه الحجة فى كثرة خيرها وسعة العطاء، ويقال إن السلطان أنفق على حجة طغاى مبلغ ثمانين ألف دينار وستمائة وثمانين ألف درهم، سوى كرى الحمول وثمن الجمال ومصروف الجوامك، وسوى ما حمل من أمراء الشام وأمراء مصر.

وفى تاسع عشريه: قدم المحمل ببقية الحاج.

وفى يوم السبت ثانى صفر: خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب، والأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار، بمضافيهم وطائفة من أجناد الحلقة، إلى غزو بلاد متملك سيس[2]، لمنعه الحمل. ولم يكن الأمر كذلك، بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزبك إلى بلاد أبى سعيد. وكتب بخروج عساكر الشام أيضا.

وفيه هدم موضع دار العدل الذى أنشأه الملك الظاهر بيبرس[3]، وعمل طبلخاناه، فى

---

(١) الست حدق هى قهرمانية ناصرية، كان الناصر يجعل إليها أمور نسائه، فتحكمت فى داره تحكما عظيما، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق، وحجت مرة فضرب المثل بما فعلته من الخيرات، وعمرت جامعا ظاهر القاهرة.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات ومولده بأرض البقجاق. وأسر فبيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار. وبقى عنه ثم أخذه الملك الصالح ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ. انظر فوات الوفيات ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ٩٨/١ وابن الوردى ٢٢٤/٢ والنعيمى ٣٤٩/١ والأعلام ٧٩/٢.

شهر رمضان، فاستمر موضع الطبلخاناه إلى اليوم، ولما هدم وجد فى أساسه أربعة قبور، فلما نبشت وجد بها رمم أناس طوال عراض، وإحداها مغطاة بملاءة دبيقى ملونة إذا مس منها شىء تطاير، وعليهم عدة القتال، وبهم جراحات، وفى وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن، فلما رفع القطن نبع من تحته دم، وشوهد الجرح كأنه جديد، فنقلوا إلى العروستين، وعمل عليهم مسجد.

وفى مستهل ربيع الآخر: قدم الأمير سيف الدين طقصبا الظاهرى، ومعه رسل الملك أزبك بكتابه، فأحضروا، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أزبك عليه وإطراحه له، وأعيد الرسل بالجواب.

وفيه قدم عرب البحرين[(١)] بمائة وثلاثين فرسا، فقومت بأثمان غالية ما بين عشرة آلاف درهم الفرس إلى خمسين ألفا، فلما أخذت أثمانها أنعم السلطان عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك، وسفروا إلى بلادهم.

وفيه عوض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس[(٢)] الغلال، وأقطعه ثلثى دمامين[(٣)] بالوجه القبلى.

وفيه قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا من الشرق، وصحبتها جماعة كثيرة إلى دمشق، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام، فاستدعى من حضر معها إلى مصر، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها.

وفى مستهل جمادى الأولى: قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس، وأخرب وغنم وقتل جماعة، وأن أوشين متملك سيس هلك، وقام من بعده ابنه ليفون، وله من العمر نحو اثنتى عشرة سنة، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار، وقتلوا أهلها وخربوها، وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيرًا، وتوجهوا عائدين. فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة فى سابع عشرى جمادى الآخرة، وخلع عليه.

وفى يوم الأربعاء تاسع رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان، فأنعم عليه

---

(١) اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. انظر معجم البلدان ٣٤٦/١، ٣٤٩.

(٢) ضريبة.

(٣) مركز الأقصر بمدينة قنا، وموقعها على الشاطئ الغربى للنيل.

السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار؛ ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم إليه، وأن من أحضر تقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية، فحملت إليه تقادم جليلة، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة، وحمل كريم الدين الكبير تقدمة بعشرة آلاف دينار. وعاد تنكز - بعد إقامته خمسة أيام - على البريد، في يوم الإثنين رابع عشريه، ودخل دمشق أول شعبان.

وفيه توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى إلى السلطان أبى سعيد بن خربندا لعقد الصلح، وعلى يده هدية سنية، وسفر بألفى دينار.

وفى ثانى شعبان: عقد على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان، وتولى العقد قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى، على أربعة آلاف دينار. وختن السلطان أولاد ثلاثة من الأمراء: وهم بكتمر الساقى، وطشتمر حمص أخضر، ومنكلى بغا الفخرى، وعمل لهم مهمًا عظيما مدة أربعة أيام. ورمى الأمراء الذهب فى الطشت، فبلغ ما فى طشت ابن الأمير بكتمر الساقى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين دينارًا، وفى طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار ونيف، وفى طشت ابن منكلى بغا ألف دينار وثمانمائة دينار.

وفى يوم الخميس عاشر رمضان: قبض على الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى وولديه، ثم وقعت الشفاعة فى ولديه فأطلقا. وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان، فعينه السلطان لنيابة صفد[1]، فاستعفى من ذلك، فبعث إليه كريم الدين الكبير بألفى دينار وتشريف نيابة صفد ومثالين بإمرتين لولديه بها، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير. فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإعفاء، فغضب وقبضه وولديه، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر، ثم أفرج عن الولدين.

وفيه قدم الشريف عطيفة بن أبى نمى[2] صاحب الحجاز، وأخبر بقحط مكة لعدم المطر، وأنهم استسقوا ثلاثًا فلم يسقوا، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهمًا الأردب. فرسم السلطان أن يحمل إلى مكة ألفا أردب، وحمل النائب ألف أردب، والحاج آل ملك ألف أردب. فلما وصلت الغلال تصدق بها، فانحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم، وأغيث أهل مكة عقيب ذلك.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

وفيه قدم الملك المؤيد صاحب حماة[١]، وسار مع السلطان إلى قوص.

وفيه نقل البوبكرى إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بخلع الملك المجاهد علىّ صاحب اليمن، وإقامة الناصر جلال الدين.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبود، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال. وكان قد عظم قدره فى الدولة المنصورية لاجين، وعمر زاويته بالقرافة، وقصده الناس لقضاء حوائجهم.

ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسى، بالقدس فى ذى القعدة. وكان قدم إلى مصر فى سنة تسع وتسعين وستمائة، وأقام بها وحصل له بها رياسة، واعتقده الأمراء وأهل الدولة، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل، ثم أخرج إلى القدس، وكان كاتبًا فاضلا معتقدًا.

ومات الشيخ حسن الجوالقى القلندرى، صاحب زاوية القلندرية، خارج باب النصر من القاهرة، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الآخرة بدمشق. وكان قد تقدم فى دولة العادل كتبغا.

ومات الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبى صالح رواحة بن على بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة الأنصارى الحموى، بسيوط من بلاد الصعيد، فى ذى القعدة من أربع وتسعين سنة، ورحل إليه الناس لسماع الحديث.

ومات محيى الدين عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة بن رجاء الربعى الإسكندرانى المالكى مسند الإسكندرية، بها فى يوم الثامن من ذى الحجة عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات تقى الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبى الفتح العمرى المحدث الزاهد، فى ذى القعدة بمصر.

ومات أبو عبد الله محمد بن على بن حريث القرشى البلنسى السبتى، بمكة فى

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة، وأقام بها مجاورًا سبع سنين، وكان خطيبًا بسبتة ثلاثين سنة، وبرع فى فنون.

ومات شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع[1] - المعروف بابن الصائغ - بدمشق، وقدم إلى مصر، وبرع فى الأدب، وصنف.

ومات أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفونى الشافعى، بسيوط.

ومات تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوى الشافعى بقوص.

وماتت زينب بنت أحمد بن عمر بن ابى بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرحلة، فى ذى الحجة بالقدس، عن أربع وتسعين سنة، حدثت بمصر والمدينة النبوية.

ومات بدمشق الأمير غلبك العادلى، والأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين، والأمير أيدمر الساقى - المعروف بوجه الخشب.

ومات أقجبا البدرى والى الفيوم.

ومات بدر الدين والى قوص.

ومات الأمير عز الدين أيبك البغدادى بمحبسه من قلعة الجبل، فى سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات بمصر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن المكين بن رابعة، فى ثالث عشرى المحرم.

ومات أقضى القضاة نور الدين أبو الحسين على بن إسماعيل بن يعقوب الزواوى المالكى، يوم الأربعاء سابع عشرى صفر.

ومات القاضى سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمنى الشافعى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان.

ومات أقضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى، خليفة الحكم الشافعى ووكيل بيت المال بالقاهرة، سحر يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

---

(١) محمد بن حسن بن سباع بن أبى بكر الجذامى، أبو عبد الله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ: أديب، عالم بالعربية مصرى الأصل، دمشقى المولد والوفاة. وكان له حانوت بالصاغة. له «المقامة الشهابية» و«شرح ملحة الإعراب». انظر النجوم الزاهرة ٢٢٤٨/٩ والدرر الكامنة ٤١٩/٣ وفوات الوفيات ١٨٨/٢ وبغية الوعاة ٣٤ وابن الوردى ٢٧٠/٢ والبداية والنهاية ٩٨/١٤ والأعلام ٨٦/٦.

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة: سقط بالدقهلية[1] والمرتاحية[2] من بلاد الغربية - بعد مطر عظيم وريح قوية جدًا - برد وزن الحبة منه ما ينيف على خمسين درهما، أتلف كثيرًا من الزرع ومن الغنم والبقر، ووجد فيه حجارة منها ما وزنه من سبعة أرطال إلى ثلاثين رطلاً، وتلف من البلاد أحد وسبعون بلدًا بالغربية، واثنان وثلاثون بلدًا بالبحيرة.

وفيها نزل السلطان بالجيزة عائدًا من بلاد الصعيد، وخلع على نائب حماة، ورسم له بالعود إلى بلده. واستدعى السلطان بالحريم من القلعة إلى عنده، وكان الوقت شتاء، فطرد سائر الناس من الطرقات، وغلقت الحوانيت، ونزلت خوند طغاى، والأمير أيدغمش أمير آخور ماش يقود عنان فرسها بيده، وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل، فعدت فى الحراقة. واستدعى الأمير بكتمر الساقى وغيره من الأمراء الخاصكية حريمهم، وأقاموا فى أهنأ عيش وأرغده.

وفيها قدم من عند صاحب ماردين[3] الجارية التى طلبت: وكان المجد السلامى قد بعث بأنه أراد شراء جارية جنكية من الأردوا، فبذل صاحب ماردين فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها، وأن المجد سير يعلمه بأنه قد عينها للسلطان، فلم يعبأ بقوله وشغف بها. فكتب السلطان لصاحب ماردين بالإنكار عليه، وأن يحملها إلى مصر، فسير جارية غيرها من مملوكين، فلم يخف ذلك على السلطان، ورد الثلاثة، وقال لقاصده شفاهًا: «متى لم يبعث بالجارية، وإلا أخربت ماردين على رأسه»، فلم يجد بدا من إرسالها، فلما حضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات جليلة.

وفيه عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة، وقد توعك كريم الدين الكبير.

وفى خامس عشره: قدمت بوادر الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج فى يوم الخميس سادس عشره.

---

(١) بلدة بمصر على شعبة من النيل، بينها وبين دمياط أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٢/٤٥٩.

(٢) من كور مصر البحرية. انظر معجم البلدان ٥/١٠٠.

(٣) قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٥/٣٩.

وفيه تكرر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لتفقد حال كريم الدين، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلع عليه أطلس بطراز وكلفتاه زركش وحياصة ذهب، حتى استعظم الناس ذلك. وبالغ السلطان فى كثرة الإنعام على الأمراء والحكماء إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول. ثم ركب كريم الدين إلى القلعة، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة، فكان يومًا مشهودًا، زينت فيه القاهرة زينة عظيمة، وصفت بها المغانى، وأشعلت الشموع، واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات، فمات فى الزحمة أربعة عشر إنسانًا، وتأذى أناس كثيرة، ولم يفرق فيهم شىء. وخلع على جميع الأطباء، أخرج أهل السجون، وتصدق بأموال جزيلة.

وفيه قدم الخبر باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبى سعيد، وأنه أكرم غاية الإكرامة، وعاد إلى ماردين.

وفى عشريه: قتل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندى الصوفى. وكان قد قدم من دمشق فى أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية، ولايزال فى يده طبر، وشهر بدين وعلم. فلما كان هذا اليوم تحزم وقال: «أنا رايح أجاهد فى سبيل الله وأموت شهيدا»، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل، والأمراء جلوس على باب القلة، فرأى رجلا من المسلمين قد تبع بعض الكتاب النصارى وقبل يده والنصرانى لا يعبأ به، فحنق منه وضرب النصرانى بالطبر فهدل كتفه وثنى عليه. فارتجت القلعة، واجتمع الناس وقبضوه، فاشتد غضب السلطان، وأمر به فضرب عنقه على باب القلعة.

وفى ثالث عشريه: قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صصرى[1] قاضى القضاة الشافعية بدمشق، فاستقر عوضه قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى[2]، واستقر عوضه فى تدريس المدرسة المنصورية القاضى تقى الدين السبكى،

(١) أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين بن صصرى: قاض من الكتاب له نظم. وكان من العلماء بالحديث. من أهل دمشق. عمل فى دار الإنشاء وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. انظر فوات الوفيات ٦٢/١ والدرر الكامنة ٢٦٣/١ والبدر الطالع ١٠٦/١ والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاض القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات وتعلم بدمشق وولى قضاء أذرع ثلاث عشرة سنة. ثم ناب فى الحكم بدمشق سبع سنين وانتقل إلى مصر فناب فى الحكم سبعا أيضا، ثم ولى القضاء استقلالا، نحو سنة، وعاد إلى دمشق فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة ثم عزل فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣١/٣.

وفى تدريس الجامع الحاكمى الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان [١].

وفيه قدم الأمير أيتمش المحمدى من عند أبى سعيد، وقد عقد الصلح بينه وبين السلطان، وخطب بذلك فى يوم الجمعة بمدينة توريز على منبر الجامع، وقد حمل الأمير أيتمش معه نسخة الأيمان التى تتضمن حلف أبى سعيد وجوبان والوزير، وما أنعم به عليه أبو سعيد: وهو ما قيمته نحو المائتى ألف درهم، ولؤلؤًا اشتراه بأربعين ألف درهم قوم بمائة ألف. وقدم أيتمش ذلك كله للسلطان، وحلف ألا يدخل فى ملكه، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده.

وفى يوم الخميس سلخ ربيع الأول: قبل الظهر ولد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاى سماه آنوك.

وفيه وقف بعض بزدارية السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوج بامرأته من غير أن يكون قد طلقها، وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له ذلك. فكشف علم الدين الخازن والى القاهرة عن قوله فتبين كذبه، وأنه طلق المرأة وانقضت عدتها ثم تزوجت بالجندى. فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه، فحنق السلطان وأمر الوالى بتعزير[٢] الشهود ومنعهم من تحمل الشهادة، وإلزام الجندى بطلاق المرأة وردها إلى البازدار، فكان هذا من الأمور الشنيعة.

وفيه قبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة ا لله بن السديد[٣] ناظر الخاص ووكيل السلطان، فى يوم الخميس رابع عشره ربيع الآخر، بعدما تجهز ليسافر فى يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام. فعندما طلع إلى القلعة على العادة، ووصل إلى الدركاه، منع من الدخول إلى السلطان، وعوِّق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد ا لله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة. ووقعت الحوطة على دور كريم

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى. ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. له «شرح مختصر المزنى، فى فقه الشافعية».

(٢) التعزير تأديب المذنب على ذنب لم تشرع فيه الحدود بعقوبة ثابتة.

(٣) عبد الكريم بن هبة ا لله بن السديد المصرى، كريم الدين، أبو الفضائل: مدبر دولة الناصر القلاوونى. قبطى الأصل، كان اسمه «أكرم» وأسلم كهلا فتسمى «عبد الكريم» وقرره الناصر فى نظر شؤونه الخاصة، وهو أول من سمى «ناظر الخاص» وأطلقت يده فى جميع أعمال الدولة، فتجاوز حده، وانتهى أمره بالنفى إلى «أسوان» وشنق فيها بعمامته، وقد قارب السبعين. انظر الدرر الكامنة ٤٠١/١ وفوات الوفيات ٤/٢ والأعلام ٥٧/٤.

الدين الكبير خاصة التى بالقاهرة وبركة الفيل، ونزل شهود الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل، وحملوا ما فيها إلى القلعة. وتوالت مصادرته، فوجد له شيء كثير جدًا: من ذلك قماش وبرد وطرز وحوايص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار، وقند وسكر زنته ثمانون ألف قنطار، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف مطر[١]، وصناديق بها مسك وزعفران وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة أحد وأربعين صندوقًا. وأبيعت داره التى على بركة الفيل للأمير سيف الدين طقتمر بثلاثة عشر ألف دينار. وحمل ماله فى الإسكندرية، وكان خمسين ألف دينار، ومن أصناف المتجر شيء كثير جدًا، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب، ومائة وستون ألف قنطار رصاص، وبلغت قيمة الأصناف التى له فى الإسكندرية خمسمائة ألف دينار. ووجد له بدمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، وخمسة وعشرون ألف دينار. وبلغت قيمة أوقافه ستة آلاف ألف درهم.

وفى يوم السبت سلخه: قبض على كريم الدين الصغير، وسبب أنه امتنع من أن يتحدث فى الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير.

وفيه نقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصادرين بباب القرافة من القلعة، وطولب بالحمل. وعوق بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص، والمهذب العامل[٢]، وغيره لعمل حساب كريم الدين. وكان سبب نكبته حسد الأمراء وغيرهم له على تمكنه من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه، فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها؛ ليقال عنه إنه كريم. واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير، وأنه يمنعه من تحصيل الأموال. وكان أكرم الصغير ظلوما غشومًا، يريد أن يمد يده إلى ظلم الناس، فيمنعه كريم الدين. فبلغ النائب السلطان شكوى أكرم الصغير مرارًا، فأثر فى نفسه ذلك. وصار السلطان يرى عند الخاصكية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش، وعند نسائهم من الملابس والحلى ما يستكثره، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قط مثل ذلك. ولما حضر عرب البحرين بالخيل قومت بألف ألف ومائتى ألف درهم، سلمها كريم الدين إليهم بجملتها فيما بين بكرة النهار إلى الظهر، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا، فإنه كان أخرج إليهم

---

(١) على هامش ط: المطر – مكيال للسوائل عامة.

(٢) العامل هو الذى ينظم الحسنات ويكتبها.

شكائر[١] ما بين ذهب وفضة. فلما قال لهم السلطان: «قبضتم». قالوا: «نعم!»، قال: «لعله تأخر لكم شيء؟»، فقالوا: «وحياتك! عند كريم الدين مال في خزانة إذا أخرج منه مدة شهر ما يفرغ». فتحرك السلطان لذلك، وقال لبكتمر الساقى: «سمعت قول العرب أنه دفع هذا القدر في يوم واحد، والخزانة ملآنة ذهبا وفضة؟ وأنا أطلب منه ألفى دينار فيقول ما تم حاصل!». وتبين الغضب في وجه السلطان، فأخذ بكتمر يتلطف به وهو يحتد إلى أن قبض عليه.

وفى يوم السبت سابع جمادى الآخرة: نقل تاج الدين بن عماد الدين بن السكرى من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال، وخلع عليه بطرحة.

وفيه نقل علاء الدين بن البرهان البرلسى من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح، وخلع عليه.

وفى رابع عشره: قدمت رسل أبى سعيد لتحليف السلطان على الصلح، ومعهم هدية ما بين بخاتى وأكاديش وتحف، فقرئ كتابه بوقوع الصلح، ثم سفروا بهدية سنية - بعدما غمرهم إحسان السلطان - فى ثانى عشريه.

وفيه قدم الحمل من عند متملك سيس صحبة رسوله، ومعه جواهر ثمينة، واعتذر الرسول عما كان من متملك سيس، واستأذن فى عمارة أياس، على أن يحمل فى كل سنة مائة ألف درهم، فأجيب إلى ذلك.

وفيه قدم موسى بن مهنا[٢] وعمه محمد بالقود على العادة، وخيول كان السلطان استدعى بها. وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبى سعيد، فضاقت بهم البلاد، فأكرمهما السلطان وأنعم عليهما، وأعادهما إلى بلادهما.

وفيه وقعت مرافعة بين فرج وعلى ولدى قراسنقر، بسبب ذخيرة لأمهما تبلغ نحو المائتى ألف ألف درهم، فأخذها السلطان منهما.

وفيه قدم المجد السلامى من الشرق، وقدم تقدمة جليلة، فرتبت له الرواتب السنية، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ألف درهم فى السنة، ومرسوم بمسامحة نصف المكس عن تجاراته، وعاد إلى توريز.

---

(١) على هامش ط: جمع شكارة وهى كيس النقود.

(٢) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام ويلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال: بن تغرى بردى: كان من أهل ملوك القرب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

وفيه قبض على جماعة من المماليك، وعوِّقوا بسبب ورقة وجدت تحت كرسى السلطان فيها سبه وتوبيخه، وأخرج منهم عدة إلى بلاد، وسجن منهم جماعة.

وفى سادس عشره: استقر الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى أستادارًا، عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى، وخرج بكتمر إلى دمشق. وكان ذلك بسبب أنه استخدم طباخ كريم الدين الكبير فى مطبخ السلطان، فأنكر عليه السلطان ذلك وقال له: «تستخدم طباخ رجل قد عزلته وصادرته فى مطبخى؟» وأخرج أيضا الأمير سنقر السعدى نقيب المماليك إلى طرابلس(١).

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ورسم له أن يتحدث فى الأموال السلطانية كلها بغير مشارك، فامتنع من ذلك، فعزل عن نظر الدواوين. ثم خلع عليه واستقر صاحب ديوان الجيش، عوضا عن معين الدين بن حشيش، وخلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام.

وفيه ولى السلطان نظر الخاص تاج الدين إسحاق أحد نظار الدواوين، وتسمى لما أسلم عبد الوهاب، ورسم ألا يتحدث فى متجر. وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص، فعين التاج، وباشر التاج الخاص بسكون زائد وسياسة جيدة إلى أن مات.

وفيه طلب الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس.

وفى ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة: سفر كريم الدين أكرم الصغير على البريد إلى صفد.

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: أفرج عن كريم الدين الكبير وولده، وألزم بالإقامة فى تربته من القرافة، وكان له يوم عظيم جدا، وأتاه الناس من كل مكان.

وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك(٢) فى نظر المارستان، عوضا عن كريم الدين الكبير، فوجد حاصله أربعمائة ألف درهم، سوى سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير سيف الدين قجليس فى نظر جامع ابن طولون، عوضا عن كريم الدين الكبير أيضا.

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٥، ٢٦.

(٢) قرية فى أصل جبل لبنان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٢.

وفيه خرج الطلب لإحضار شمس الدين غبريال من دمشق، فركب ومعه أموال كثيرة، ثم خول أموال كريم الدين الكبير، وعاد إلى دمشق مكرما.

ثم قدم الصاحب أمين الدين يوم الأحد رابع عشرى ربيع الآخر، وقرر فى الوزارة، وجلس بقلعة الصاحب من القلعة، ونزل إلى داره، فكان يوما مشهودا. واستقر فى نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زنبور، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قروينة صهر الصاحب أمين الدين، فصار نظر النظار بين القاضى موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين ابن زنبور. وشفى الصاحب أمين الدين نفسه من كريم الدين أكرم الناظر، وأخرق به.

وفى يوم السبت سلخ ربيع الآخر: قبض على كريم الدين الصغير، واعتقل ببرج فى القلعة، فشرع فى حمل المال، ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى، ورسم له بنظر صفد، فتوجه إليها ليلة الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة.

وفيه قدم شمس الدين غبريال، ومعه حمل دمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره.

وفى يوم السبت تاسع عشرى جمادى الآخرة: أخرج كريم الدين الكبير وولده إلى الشوبك، بعدما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما اشتراه من مال السلطان دون ماله. فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة، وأوقاف الجامع بدمشق، وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته.

وفيه توجه التاج إسحاق والأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى إلى الإسكندرية، واحتاطا على أموال كريم الدين الكبير، وكانت تحت يد مكين الترجمان، وقد أخذ المكين منها ثلاثة وخمسين ألف دينار، فاستقر التاج إسحاق يتحدث فى متجر الخاص. وعاد التاج إسحاق - ومعه الأمير مغلطاى - فأوقع الحوطة على أموال التجار، وألزم ابن المحسنى متولى الثغر بخمسين ألف دينار، ورسم على سائر المباشرين، وصادر الناس، فغلقت المدينة وبلغ السلطان ذلك فأنكره، وأفرج عن ابن المحسنى بعدما أخذ منه مبلغ اثنى عشر ألف دينار، وعاد الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى بستين ألف دينار من المصادرات.

وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وقد اعتنى السلطان بجهازها عناية عظيمة، وعمل لها بشخاناه وستارة وداير بيت زركش بمبلغ ثمانين ألف دينار، وآلات ذهب وفضة بما ينيف على عشرة

آلاف دينار. وعمر السلطان لها مناظر الكبش عمارة جديدة، ونقل الجهاز إليها، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز. وعمل المهم مدة ثلاثة أيام، حضره نساء الأمراء بتقادمهم: وهى ما بين أربعمائة دينار - سوى تعابى القماش - إلى مائتى دينار. وكان فيه ثمانى جوق من مغانى القاهرة، وعشرون جوقة من جوارى السلطان والأمراء، خص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير، ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرته. فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها، وعم جميع الأمراء بالخلع، وفضل من الشمع بعدما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصرى. وأنعم السلطان على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب، زيادة على إقطاعه.

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى، وفرج بن قراسنقر، وكرت، وعدة من المماليك. ثم أفرج عن طشتمر من يومه، ونفى كرت إلى صفد[1]، وبقى فرج ابن قراسنقر بالجب.

وفيه هبت ريح سوداء حارة بدمشق، مات منها جماعة من الناس فجأة، وفسدت الثمار وجفت المياه، فتحسن سعر الغلال. ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر، فتغيرت أمزجة الناس، وفشت الأمراض، وكثر الموت مدة شهر، وفسدت الثمار، وتحسن السعر لهيف الغلة وقلة وقوعها.

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامى من دمشق، فولى الإسكندرية وتوجه إليها، فأراق الخمور بها، ومنع من بيعها، وجعل أجرة النقيب نصف درهم، وتثبت فى البينات، وحمل الناس على الأمور الشرعية. فاستخفوا به وطمعوا فيه، وكثر فسادهم، فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه، فكان الرجل إذا شكا يجبى منه من مائتى درهم إلى ما دونها، وضرب جماعة منهم فخضعوا له.

وفيه توجه قاضى القضاة بدر الدين محمد[2] بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج، فى سادس شوال. وتوجه الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطنة فى حادى عشره، ومعه حاج كثير، ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثامن عشره من البركة. وتوجه الفخر ناظر الجيش

---

(١) انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد أبو عبد الله عز الدين الكنانى الحموى ثم المصرى، الشافعى المعروف كسلفه بابن جماعة عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان. أصله من الحماه ومولده فى ينبع وانتقل إلى القاهرة وسكنها وتتلمذ لابن خلدون وتوفى بالطاعون. وله كتب منها «إعانة الإنسان أحكام السلطان».

فى ثانى عشريه إلى القدس؛ ليتوجه منه إلى الحج. وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب، على كل ركب أمير.

وفيه استقر بلبان العتريس فى ولاية البحيرة، عوضًا عن أسندمر القلنجقى.

وفيه استقر قدادار مملوك برلغى فى ولاية الغربية.

وفى أول ذى الحجة: خرج الأمير علاء الدين على بن قراسنقر، والأمير سيف الدين أيدمر الكبكى، والأمير طقصباى المرتبة فديته بقوص، وخمسمائة من أجناد الحلقة إلى بلاد النوبة، ومعهم كرنبس. فانتهوا إلى دمقلة[1] - وكان قد تغلب كنز الدولة عليها، ونزع كرنبس - ، ففر كنز الدولة منهم، وجلس كرنبس على سرير ملكه وعادوا، فحارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر، وملك منه البلاد.

وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش، ونقل إلى دمشق، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامية فى نظر الجيش بها.

وفيه ابتدأ السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس فى آخر ذى الحجة.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع ونصف، وكان الوفاء يوم الأربعاء سادس شعبان، وسابع عشر مسرى، وانتهت الزيادة فى سابع عشر رمضان إلى ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع. وخرق الماء ناحية بستان الخشاب، ودخل إلى بولاق، وغرق بساتين. وانقطعت الطريق من جهة اللوق، وغرق الخور، وانهدمت عدة بيوت، وغرقت المنية وجزيرة الفيل، فركب السلطان بنفسه لعمل جسر. ثم قويت الزيادة، وفاض الماء على منشاة المهرانى ومنشاة الكتبة، وصار ما بين بولاق ومصر بحرًا واحدًا. وأمر الناس برمى التراب فى ناحية بولاق، وكثر الخوف من غرق القاهرة، واشتد الاحتراس. وطلب الفقراء للعمل، فبلغت أجرة الرجل فى كل يوم ما بين درهم إلى ثلاثة دراهم، لعزة وجود الرجال واشتغالهم عند الناس فى نقل التراب. ونزت أماكن كثيرة، وغرقت الأقصاب ببلاد الصعيد، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مطاير بها الغلال. وكتب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر الملح، فثبت الماء ثلاثة وأربعين يومًا، ثم نزل قليلا قليلا. فاستدعى السلطان المهندسين، ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لئلا تغرق فى نيل آخر، وألزم أرباب الأملاك المطلة على النيل بعمارة الزرابى[2]، فعمل كل أحد تجاه داره زربيَّة. واستدعى الأمراء فلاحيهم من

---

(١) بضم أوله وسكون ثانيه وهى مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر ٢/٤٧٠.

(٢) جمع زربية وهى هنا - فيما يظهر - ما يبنيه أصحاب البيوت المطلة على النيل من حوائط=

النواحى، فحضروا بالأبقار والجراريف. وعمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج، ووزع بالأقصاب على الأمراء، فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل. ونصبت لهم الأسواق، حتى كمل الجسر فى عشرين يوما، وكان ارتفاعه أربع قصبات فى عرض ثمانية.

وفيه قدم البريد بموت تكفور متملك سيس، وإقامة ولده بعده، ثم قدمت رسله بالهدية.

وفيه قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقتادة أمير ينبع[١].

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

المجاهد أنص ابن العادل كتبغا، بعد ما عمى من سهم أصابه، فى يوم الإثنين ثانى المحرم، وكان سمحا ذكيا متقدما فى رمى البندق.

ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعى، فى عشرى ذى الحجة، ومولده فى ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة. وكان فقيها فاضلا فى مذهبى الشافعى ومالك، سمع الحديث وحدث، وولى الحكم بغرب قمولا[٢] وبقوص، وكان كثير العبادة.

ومات قاضى القضاة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن العماد[٣] محمد ابن الأمير سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى الشافعى، فى ليلة السبت سادس عشرى ربيع الأول، ومولده فى سابع عشرى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة، وولى القضاء إحدى وعشرين سنة، وقدم القاهرة

=لحماية بيوتهم من فعل الماء ومن سلالم لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر كما هو متبع فى البيوت الباقية على شواطئ النيل بدمياط وسمنود ورشيد. هذا وقد عرفت الزربية بأنها باب السر.

(١) ينبع بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٥، ٤٥٠.

(٢) هى بليدة بأعلى الصعيد من غربى النيل. كثيرة النخل. انظر معجم البلدان ٣٩٨/٤.

(٣) أحمد بن محمد بن سالم أبو المواهب نجم الدين بن صخرى: قاض من الكتاب له نظم وكان من العلماء بالحديث. ومن أهل دمشق. عمل فى دار الإنشاء، وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. ولشعراء عصره مدائح فيه كثيرة ورثاه بعد موته شهاب الدين محمود وآخرون، وأورد ابن شاكر أبياتا منسوبة إليه، فيها رقة وخرج لـه العملائى «وشيخه». انظر فوات الوفيات ٦٢/١ والدرر الكامنة ٢٦٣/١ والبدر الساطع ١٠٦/١ والأعلام ٢٢٢/١.

مرارا، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث، وكتب الخط المليح، وبرع فى الأدب والتاريخ، وقال الشعر، وشارك فى فنون من فقه وتفسير وغيره.

ومات أحمد بن محمد بن على بن أبى بكر بن حميس الأنصارى المغربى، فى يوم الأحد سابع عشر شعبان بمصر، ومولده بالجزيرة الخضراء من الغرب، فى المحرم سنة ست وأربعين وستمائة. وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد.

ومات نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفى البصروى الحنفى الوزير الصاحب. ولى حسبه دمشق ثم وزارتها، ثم صار من الأمراء.

ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى[1] البغدادى المؤرخ، فى المحرم ببغداد.

ومات تاج الدين ناهض بن مخلوف، أخو قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم بمصر.

ومات السنى ابن ست بهجة، يوم الأحد خامس عشرى ذى الحجة، وكان من أعيان الكتاب بمصر.

ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر، فى خامس عشرى شوال، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة. سمع وحدث وصار مسند الشام.

* * *

---

(١) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابونى المعروف بابن الفوطى المروزى الأصل، الشيبانى البغدادى أبو الفضل كمال الدين: مؤرخ، يعد من الفلاسفة من ولد معن بن زائدة الشيبانى. ولد فى بغداد وأسر فى واقعتها مع التتار. فخلصه نصير الدين الطوسى. وقرأ على الطوسى الحكمة والآداب وباشر خزانة الرصد لمراعاة زهاء عشرة أعوام وعاد إلى بغداد سنة ٦٧٩هـ فصار خازن كتب «المستنصرية» زمنًا. وأقام مدة طويلة.

سنة أربع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة: فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثالثه.

وفى يوم الأربعاء سادسه: نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل، على أن كل رطل منها بدرهمين، ومن عنده منها شيء يحضره إلى دار الضرب، ويأخذ عنها فضة. ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وثمن، فضرب منها نحو مائتى ألف درهم فرقت على الصيارف. وكان سبب ذلك كثرة ما دخل فى الفلوس من الزغل، حتى صار وزن الفلس نصف درهم. فتوقف الناس عن أخذ الفلوس، وكثر ردها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال، وغلقت الحوانيت، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأردب إلى سبعة عشر درهما.

وفى يوم السبت تاسعه: وصل الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى من الحجاز، وصحبته جماعة - وكان قد سافر بعد الإفراج عنه - ، وأنعم عليه بألفى دينار وغلال كثيرة، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتى عشرة بدلة وثلاثة حوائض وطرز زركش، وأنعم عليه بمال جزيل. وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل فى خامس عشريه.

وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى منية بنى خصيب[1]، فشكا أهلها من مباشريهم، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم، فرجموه بالحجارة وأنكوا فى مماليكه وغلمانه. فركب عليهم أرغون ليفتك بهم، ففروا من عند الوطاق خارج البلد إلى داخل البلد، فأخذ مماليكه من عمائم الهاربين نيفا على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيرًا من النصارى، ولهم خمس كنائس، فهدمها فى ساعة واحدة، ورسم ألا يستخدم نصرانى فى ديوانه، وكان النصارى قد جددوا عمارة ما خرب من الكنائس بالصعيد، فهدمت أيضا.

وفى يوم الجمعة: هبت ريح والناس فى الصلاة، حتى ظن الناس أن الساعة قامت، واستمرت بقية النهار وطول الليل، فهدم بها دور كثيرة، وامتلأت الأرض بتراب أسود.

---

(١) منية بنى الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة من الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٤٢١٨/٥.

وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص[١] إلى أسوان[٢]، واقتلعت فى ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة، وخربت الديار.

وفيه قدمت رسل المجاهد سيف الدين بن على ملك اليمن بطلب نجدة من مصر، فلم يجب إلى ذلك.

وفيها قحطت بلاد الشرق، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام، وكان الجراد قد أتلف زروعها، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتى درهم. فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة فى البحر إلى بيروت[٣] وطرابلس، فكان ما حمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ما حمله التجار، فانحط السعر حتى أبيعت الغرارة بثمانين درهما. وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم، وكانت تبلغ فى كل سنة ألف ألف ومائتى ألف درهم، فبطل ذلك واستمر بطلانه.

وفيه عزل جمال الدين سليمان الزرعى عن قضاء القضاة بدمشق، واستمر عوضه جلال الدين محمد القزوينى، بعد استدعائه إلى القاهرة فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى، وقدومه فى يوم الجمعة ثالث عشريه. فلما اجتمع القزوينى بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء، ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة وسافر القزوينى على البريد يوم الإثنين رابع عشريه، فقدم دمشق خامس رجب، وكان عليه ديون اجتمعت عليه بسبب مكارمه، وهى ألف دينار ومائة وستون دينارا، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه.

وفيه كتب باستقرار كمال الدين محمد بن على الزملكانى فى قضاء حلب، عوضا عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصارى.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتى غزال بالحياة - سوى ما قتل - ، وجرح كثيرا منها وأطلقها.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى؛ لإحضار كريم الدين الكبير وولده من المقدس، فلما كان يوم الخميس خامس عشريه حضرا على البريد تحت الحوطة، فسلما إلى الأمير قجليس، فأقاما عنده إلى يوم حادى عشر ربيع الآخر، ثم طلعا إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

---

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) أسوان مدينة كبيرة وكورة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ١/١٩١.

(٣) بيروت. انظر معجم البلدان جـ١.

وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب.

وفى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعة الجبل، فعوق ببرج باب القرافة.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكتمر وولده إلى الوجه القبلى، صحبة والى قوص.

وفى يوم الإثنين ثامن عشريه: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفى ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفا بالسواد.

وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج، وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام فى الضيافة. عدى إلى بر مصر فى يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان، وامتنع من تقبيل الأرض، فلم يجبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس فى الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهبا كثيرا فى شراء ما يريد من الجوارى والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

وفى يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة، ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى وزيرا، مع ما بيده من الأستادارية، فى يوم السبت عاشره.

وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسى فى نظر الدواوين، عوضا عن الموفق، وعن شرف الدين بن زنبور. وولى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة نظر البيوت، عوضا عن الأقفهسى المذكور. ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء فى أثناء شهر رمضان، فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة، فى يوم الجمعة ثانى عشرى رمضان يوم وصوله.

واستقر فى يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار فى ولاية القاهرة، عوضا عن علم الدين سنجر الخازن - نقل إليها من ولاية البحيرة - ، ففتك فى العامة، ومنع من الخمور وأراقها، فعظمت مهابته.

وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصى من شد الدواوين، وولى الجيزة نحو شهرين، ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها.

وفيه استقر علاء الدين أيدغدى الباشقردى بمصر، عوضا عن علاء الدين ابن أمير حاجب.

وفيه استقر ابن زنبور فى نظر خزائن السلاح، عوضا عن علاء الدين على[1] بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسى. واستقر ابن البرلسى فى نظر بيت المال، عوضا عن تاج الدين بن السكرى، واستقر ابن السكرى شاهد الخزانة الكبرى.

وفيه استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الشام، عوضا عن غبريال، فى يوم السبت رابع عشرى رمضان، وخرج على البريد يوم الإثنين سابع عشرى شوال.

وفى يوم السبت ثانى عشرى شوال: فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمرى، وقد جددها الأمير الحاج آل ملك.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه: رحل الركب من بركة الحاج إلى الحجاز.

وفى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدمت رسل أبى سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان، فأعيدوا بعد إكرامهم.

وفيه رسم بإغلاق دكاكين النشاب، وهدم مرامى النشاب.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالشام ومصر والصعيد، وكثر الموت السريع. ومرض السلطان ثمانية عشر يوما وعوفى، فعملت التهانى والأفراح سبعة أيام، وكتب بالبشارة إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربى، فحصل له ستة آلاف دينار وثلاثون فرسا وثلاثمائة قطعة قماش وست خلع كاملة بحوائص ذهب، فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف.

وفيها أخرج الأقوش المنصورى أميرا بدمشق. وسبب ذلك مرافعة ولده حتى قبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب، ثم أفرج عنه فى سلخه، ورسم له بإمرة فى حلب، فخرج على البريد فى عشية نهاره.

وفى سادس عشرى رجب: استقر الأمير ألطنقش أستادارًا، عوضا عن الأمير جمال الدين يغمور بعد موته، وكانت وفاة الأمير يغمور فى خامس عشرى جمادى الآخرة.

---

(١) على بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن سليمان أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار: فاضل من أهل دمشق. وكان أبوه عطارًا وجده طبيبا باشر مشيخة المدرسة المنصورية مدة ثلاث سنوات وفلج سنة ٧٠١هـ فكان يحمل فى محفة وكتب بشماله مدة. له مصنفات منها «الوثائق المجموعة-خ» و«الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد-خ» و«آداب الخطيب-خ» و«إحكام شرح الأحكام» وكتاب فى «فضل الجهاد» وآخر فى «حكم الاحتكار عند غلاء الأسعار». انظر البداية والنهاية ١١٧:١٤ الدرر الكامنة ٥:٣ الأعلام ٢٥١:٤.

وفى ثالث شعبان: قدم المجردون إلى النوبة، وقد غابوا ثمانية أشهر.

وفيه منع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل.

وفيه قدم الخبر بهبوب الريح فى بلاد الصعيد، وأنها اقتلعت من ناحية عرب قمولة زيادة على أربعة آلاف نخلة فى ساعة واحدة، وأخرجت عدة أماكن بأخميم[١] وأسيوط[٢] وأسوان وبلاد السودان، وهلك منها كثير من الناس والدواب.

وفى ذى القعدة: طولب الصاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة بثمن كتان من خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم، خص الصاحب منها مبلغ خمسين ألفا، وخص الموفق مبلغ خمسة وعشرين ألفا، فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعا، وكان الوفاء فى يوم الأربعاء تاسع شعبان وثامن مسرى. وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا، فغرقت الأقصاب والمعاصر وكثرة من شون الغلال، وصارت المراكب لا تجد برا تضرب فيه الوتد من قوص إلى القاهرة، وغرقت الفيوم[٣]لانقطاع جسرها، وتوجه الأمير بكتمر الحسامى لعمارته.

وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف، فصارت تعرض عليه كل يوم، وتحدث فى الأموال بنفسه.

ومات فى هذه السنة من الأعيان: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر، يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، كان فقيها شافعيا.

ومات الشيخ نور الدين على بن يعقوب[٤] بن جبريل البكرى الفقيه الشافعى، فى يوم الإثنين سادس ربيع الآخر.

ومات تقى الدين محمد الجمال عبد الرحيم بن عمر [٥] الباجر بقى الشافعى، فى

---

(١) أخميم بلد بالصعيد فى الإقليم الثانى . انظر معجم البلدان ١/١٢٣

(٢) أسيوط مدينة فى غرب النيل من نواحى صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١/١٩٣،١٩٤.

(٣) الفيوم موضع بمصر، ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٤/٢٧٦.

(٤) على بن يعقوب بن جبريل البكرى الشافعى المصرى، أبو الحسن، نور الدين: فقيه من أهل القاهرة هاجم القبط فى إحدى كنائسهم لاستعارتهم قنديلا من جامع عمرو بن العاص فساقوه إلى السلطان فسمعه السلطان. انظر البداية والنهاية ١٤/١١٤ والدرر الكامنة ٣/١٣٩ وحسن المحاضرة ٢٣٩ والأعلام ٥/٣٢.

(٥) محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجر بقى، تقى الدين، أو سمى الدين رأس فرقة ضالة تدعى (الباجر بقية) نسبة إليه. أصله من باجريق من ثرى بنى النهرين، سكن والده الموصل وانتقل إلى دمشق وكان من علماء الشافعية. انظر البداية والنهاية ١٤:١٤ و١١٥ والنجوم الزاهرة ٩/٢٦٢=

ربيع الآخر بدمشق، قدم القاهرة وأقام بها، وله الملحمة الباجر بقية، واتهم بالزندقة.

وماتت خوند أردكين بنت نوكاى الأشرفية ثم الناصرية، يوم السبت ثالث عشرى المحرم.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الفخرى، يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، وكان أحد الأمراء الألوف.

ومات الأمير سيف الدين بزلار أمير علم.

ومات الطواشى عنبر الأكبر زمام الدور، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير محمد بن عيسى بن مهنا [1] من آل فضل، يوم السبت سابع رجب، قدم القاهرة مرارًا.

ومات الأمير قطليجا الزينى من أمراء مصر.

ومات الشيخ الصالح محمود الحيدرى، خارج القاهرة.

ومات الأمير بدر الدين بكتمر بدرجك، أحد الأمراء بمصر.

ومات كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد بثغر أسوان، ليلة الخميس العشرين من شوال، وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة، وأخذ منه مال كثير جدًا.

ومات نور الدين على بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على القسطلانى، خطيب جامع عمرو بمصر، فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر.

ومات ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسى، يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى.

ومات بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين بن صفى الدين بن أبى المنصور، يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة.

=وشذرات الذهب ٦٤:٦ والوافى بالوفيات ٢٤٩/٣ والدرر الكامنة ١٢/٤ والأعلام ٢٠٠/٦.

(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين أمير العرب فى بادية الشام ورئيس آل فضل. كان عاقلا حارثا حسن الهيئة له معارك. مات فى سلمية. انظر النجوم الزاهرة ٢٩١:٩ والدرر الكامنة ١٣١:٤ والأعلام ٢٢٢/٦.

ومات الحسن بن على الأسوانى الفقيه الشافعى، فـى جمـادى الأولى بالمدينـة النبويـة، وقد أم بها واشتغل ثمانى عشرة سنة، وكان فقيها صالحا.

* * *

سنة خمس وعشرين وسبعمائة

المحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كيهك:

وفى يوم الجمعة عاشرة: قدم أوائل الحاج.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: قدم السلطان من الوجه القبلى.

وفى يوم السبت خامس عشريه: وصل المحمل وبقية الحاج، مع الأمير أيتمش المحمدى أمير الركب.

وفيه اجتمع بمصر من رسل الملوك مالم يجتمع مثلهم فى الدولة التركية، وهم: رسل صاحب اليمن، ورسل صاحب إسطنبول، ورسل الأشكرى، ورسل متملك سيس، ورسل أبى سعيد، ورسل ماردين، ورسل ابن قرمان، ورسل ملك النوبة، وكلهم يبذلون الطاعة. وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن إنجاده بعسكر من مصر، وأكثر من ترغيب السلطان فى المال الذى باليمن، وكان قدوم رسله فى مستهل صفر. فرسم السلطان بتجهيز العسكر صحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وهو مقدم العسكر. وكان معه من أمراء الطبلخاناه خمسة: وهم آقول الحاجب، وقجمار الجوكندار - ويعرف باسم بشاس - ، وبلبان الصرخدى، وبكتمر العلائى أستادار، وألجاى الساقى الناصرى، ومن العشراوات عز الدين أيدمر الكوندكى، وشمس الدين إبراهيم بن التركمانى، وأربعة من مقدمى الحلقة، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه، وهم: الأمير ططر الناصرى، وعلاء الدين بن طغريل الإيغانى، وجرباش أمير علم، وأيبك الكوندكى، وكوكاى طاز، ومن العشراوات أيضا بلبان الدوادارى، وطرنطاى الإسماعيلى والى باب القلة، وأربعة آخرون من مقدمى الحلقة، ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الحلقة تتمة الألف فارس. وفرقت فيهم أوراق السفر يوم الإثنين خامسه. وكتب بحضور العربان من الشرقية والغربية لأجل الجمال.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس[1]، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة، فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول.

---

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤،٢١٥.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فى عاشره، فأقام عند السلطان أياما وعاد إلى دمشق مكرما.

وفيه أنفق السلطان فى الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط، فحمل لبيبرس ألف دينار، ولطينال ثمانمائة دينار، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، وللأمير من العشراوات مبلغ ألفى درهم، ولمقدم الحلقة ألف درهم. وحضرت العربان، فاستقر كرا الجمل إلى مكة بمائة وستين درهما، وإلى ينبع بمائة وثلاثين، ورحل كل جندى على أربعة جمال، جملين إلى مكة، وجملين إلى ينبع، وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبكى أمر العربان. وأخذ العسكر فى التجهيز، وباعوا موجودهم، فانحط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهما؛ لكثرة ما باعوا من الحلى والمصاغ. وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين، وعين موضعًا على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبتنى فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفى، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ، وندب السلطان آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع. ورتب السلطان لها أيضا قصورا برسم الأمراء الخاصكية، وعاد، فوقع الاهتمام فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما.

ثم اقتضى رأى السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس، ويرتب عليه السواقى والزراعات، وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغلال وغيرها إلى القصور بسرياقوس، وفوض ذلك إلى الأمير أرغون النائب. فنزل الأمير أرغون بالمهندسين فى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضى بستان الخشاب، ويقع الحفر فى الميدان الظاهرى الذى صار بستانًا، ويمر على بركة قرموط إلى باب البحر، ثم إلى أرض الطبالة، ويرمى فى الخليج الكبير. فكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفير، وعين لكل واحد من الأمراء أقصاب يحفرها، وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تم فى سلخ جمادى الآخرة. وخربت فيه أملاك كثيرة، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب، وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها. والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه، والتزم قدادار والى القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر، ورسم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية [1] فلما كانت أيام الزيادة فى ماء النيل جرت

---

(١) القناطر الأميرية آخر القناطر المقامة على هذا الخليج، من حيث موقعها من القاهرة إذ كانت تجاه الناحية المعروفة بالأميرية فيما بينها وبين المطرية.

السفن فى هذا الخليج، وعمرت السواقى عليه، وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك.

وفى يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة: توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس، وقد خرجت القضاة والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء، وعمل لهم سماط عظيم فى يوم الخميس تاسعه بالخانكاه. واستقر مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى - وهو شيخ خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة - فى مشيخة هذه الخانكاه، ورتب عنده مائة صوفى، وخلع السلطان عليه، وعلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وولده عز الدين عبد العزيز، وعلى قاضى القضاة تقى الدين الأخنائى المالكى، وعلى الشيخ علاء الدين القونوى[1] شيخ خانكاه سعيد السعداء، ورسم للشيخ مجد الدين ببغلة، وأن يلقب بشيخ الشيوخ، وخلع على أرباب الوظائف، وفرق ستين ألف درهم، وخلع على الأمراء وأهل الدولة.

وفيها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرى البعلبكى الحنبلى أحد أصحاب ابن تيمية، مقيدًا فى سجن القاضى المالكى تقى الدين الأخنائى بالقاهرة، وضرب بالسياط ضربا مبرحا، وشهر فى تاسع عشرى جمادى الأولى، بعدما أقام فى السجن من سادس عشرى ربيع الأولى، وكان قد عرض على السلطان فى نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلى بن البابا، والقاضى بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيرى، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فآل الأمر إلى تمكين القاضى المالكى منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مرى إلى السجن، ثم شفع فيه، فآل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوما. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقى الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض آراء ابن مرى، وشهدوا عليه، فدافع الأخنائى عنه وسكن القضية حتى خمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدى فى ذلك:

يا قاضيًا شاد أحكامه	على تقى من الله وأقوى أساس
مقالة فى ابن مرى لفقت	تجاوزت فى الحد حد القياس
وفى ابن شاس حققت ما أثرت	فهل أباح الشرع كفر ابن شاس

---

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى أبو الحسن علاء الدين: فقيه، من الشافعية ولد بقونية ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ وانتقل إلى القاهرة فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحادى الصغير-خ» فقه ومات «الابتهاج فى انتخاب المنهاج -خ». انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧:٢ والدرر الكامنة ٢٤:٣ ودار الكتب ٥٢١:١ والأعلام ٢٦٤/٤.

وفيها بلغ السلطان عن دمرداش بن جوبان متملك الروم ما أغضبه، فكتب يشكوه إلى أبيه جوبان، فأنكر عليه فعله، فاعتذر عما وقع منه، وبلغ جوبان ذلك إلى السلطان، فجهز إلى دمرداش تشريفا وهدية، وكتب إليه يستميله.

وفى آخر جمادى الآخرة: توجه الأمير الوزير مغلطاى الجمالى، ومكين الدين بن قروينة مستوفى الدولة، على البريد لكشف القلاع وحمل ما فيها من الحواصل، فراك الجمالى المملكة الحلبية، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان.

وفيه استقر بهادر البدرى فى نيابة الكرك، عوضا عن بيليك الجمالى.

وفى يوم السبت العشرين من رمضان: قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهرى والأمير بدر الدين بيليك السيفى السلارى - المعروف بأبى غدة - من بلاد أزبك بهدية، ومعهما كتابه، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول، وكتاب شرح السنة والبحر للرويانى فى الفقه، وعدة كتب طلبها، فجهزت له.

وفيه خرج السلطان إلى البحيرة، فى ثالث عشر ذى الحجة، للصيد.

وفيه بعث السلطان الأمير مغلطاى الجمالى إلى الإسكندرية، فأفرج عن الأمراء المسجونين بها، وهم: طاجار المحمدى، وبلبان الشمسى، وكيتمر، وبهادر التقوى أمير جاندار، فقدموا إلى القاهرة فى ثامن عشريه.

وفيها نزل سيل عظيم فى النيل حتى اصفر ماؤه، وزاد ستة أصابع.

وأما العسكر المجرد لنجدة صاحب اليمن فإنه سار إلى مكة، وقد كتب السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميرى مكة، وإلى قوادهما، وإلى بنى شعبة وعرب الواديين وسائر عربان الحجاز، بالقيام فى خدمة العسكر. ووصل العسكر إلى مكة فى السادس والعشرين من جمادى الأولى، ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغلال وغيرها من مصر إلى جدة، فأبيع الشعير بثلاثين درهما الأردب، والدقيق بعشرين درهما الويبة. وتقدم الخادم كافور الشبيلى خادم الملك المجاهد إلى زبيد؛ ليعلم مولاه العساكر، وكتب الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب، وهو مقدم العسكر إلى أهل حلى بنى يعقوب بالأمان، وأن يجلبوا البضائع للعسكر.

ورحل العسكر فى خامس جمادى الآخرة من مكة، ومعه الشريف عطيفة والشريف عقيل، وتأخر الشريف رميثة. فوصل العسكر إلى حلى بنى يعقوب فى اثنى عشر يوما،

بعد عشرين مرحلة، فتلقاهم أهلها، ودهشوا لرؤية العساكر، وقد طلبت ولبست السلاح، وهموا بالفرار. فنودى فيهم بالأمان، وألا يتعرض أحد من العسكر لشىء إلا بثمنه، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمى الألوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة، فرداها و لم يقبلا لأحد شيئًا. ورحل العسكر بعد ثلاثة أيام، فى العشرين منه.

فقدمت الأخبار باجتماع رأى أهل زبيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفا من معرة قدوم العسكر المصرى، وأنهم ثاروا بالمتملك عليهم وهو الملك الظاهر[١]، ونهبوا أمواله ففر عنهم، وكتبوا إلى المجاهد بذلك، فقوى ونزل من قلعة تعز يريد زبيد. فكتب أمراء العسكر المصرى إليه، وهم قرب حدود اليمن، بأن يكون على أهبة اللقاء.

ونزل العسكر على زبيد، ووافاهم المجاهد بجنده، فسخر منهم الناس من أجل أنهم عراة، وسلاحهم الجريد والخشب، وسيوفهم مشدودة على أذرعتهم، ويقاد للأمير فرس واحد بجلل، وعلى رأس المجاهد عصابة ملونة فوق العمامة. وعندما عاين المجاهد العساكر المصرية وهى لابسة آلة الحرب رعب، وهم أن يترجل عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وآقول من ذلك. ومشى العسكر صفين والأمراء فى الوسط حتى قربوا منه، فألقى المجاهد نفسه ومن معه إلى الأرض، وترجل له أيضا الأمراء وأكرموه وأركبوه فى الوسط، وساروا إلى المخيم، وألبسوه تشريفًا سلطانيًا وكلفتاه زركش وحياصة ذهب. وركب المجاهد والأمراء فى خدمته بالعساكر إلى داخل زبيد، ففرح أهلها فرحا شديدًا.

ومد المجاهد لهم سماطا جليلا، فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفا من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، واعتذروا إليه بأن هذا لا يكفى العسكر، ولكن فى غد يعمل السماط. فأحضر المجاهد إليهم ما يحتاجون إليه، وتولى طباخو الأمراء عمل السماط. وحضر المجاهد وأمراؤه، وقد مد السماط بين يدى كرسى جلس عليه المجاهد، ووقف السقاة والنقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة، ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة، والأمير طينال رأس الميسرة. فلما فرغ السماط صاحت الشاويشية على أمراء المجاهد

---

(١) الملك الظاهر عبد الله بن آيوك المنصورى بن يوسف المظفر من بنى رسول: أمير جواد عاقل ورع تعلقت نفسه بطلب الملك، ذلك أن جمعا تألب معه فى أيام الملك المجاهد وحملوه على طلب الملك وخلع المجاهد، وبايعوه، ولقبوه «الظاهرة فسار بهم إلى المجاهد وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهرا وعجز فسار إلى تهامة فتبعه المجاهد واستمرت بينهما الوقائع إلى أن تفرق من كان مع الظاهر بثغر من غير تضييق عليه إلى أن مات. انظر «تاريخ ثغر عدن-ح» والأعلام ٧٣/٤.

وأهل دولته فأحضروهم، وقرئ كتاب السلطان، فباسوا بأجمعهم الأرض، وقالوا سمعا وطاعة، وكتب الأمير بيبرس لممالك اليمن بالحضور، فحضروا.

ولم يجهز الملك المجاهد للعسكر شيئًا من الإقامات، وعنفه الأمير بيبرس على ذلك، فاعتذر بخراب البلاد، وكتب لهم على البلاد بغنم وأذرة، فتوجه إليها قصاد الأمراء. وسار المجاهد إلى تعز لتجهيز الإقامات، ومعه الأميران سيف الدين ططر العفيفى السلاح الدار وسيف الدين قجمار فى مائتى فارس، وتأخر العسكر بزبيد، وعادت قصاد الأمراء بغير شىء. فرحل العسكر من زبيد فى نصف رجب يريدون تعز، فتلقاهم المجاهد، ونزلوا خارج البلد، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات، فوعد بخير. وكتب الأمراء إلى الملك الظاهر المقيم بدملوة، وبعثوا إليه الشريف عطيفة أمير مكة وعز الدين الكوندكى، وكتب إليه المجاهد أيضا يحثه على الطاعة.

وأقام العسكر فى جهد، فأغاروا على الضياع، وأخذوا ما قدروا عليه، فارتفع سعر الأذرة من ثلاثين درهما الأردب إلى تسعين، وفقد الأكل إلا من الفاكهة فقط؛ لقلة الجلب، واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفا من العسكر أن يملك منه البلاد.

ثم إن أهل جبل صبر قطعوا الماء عن العسكر، وتخطفوا الجمال والغلمان. وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر فى طلبهم، فامتنعوا بالجبل، ورموا بالمقاليع على العسكر، فرموهم بالنشاب. وأتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود إلى الجبل، فلم يعبأوا بكلامه، ونازلوا الجبل يومهم، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان، وبات العسكر تحته. فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد الجبل يضرمون النار فى الوطاق وينهبون ما فيه، فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقرى وأخذ موجوده، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق، ففرح أهل تعز[١] بقتله، وكان بهادر قد تغلب على زبيد، وتسمى بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل، وظل متسلطا عليها، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر.

وقدم الشريف عطيفة والكوندكى من عند الملك الظاهر صاحب دملوة، وأخبرا بأنه فى طاعة السلطان. وطلب بيبرس من المجاهد ما وعد به السلطان، فأجاب بأنه لا قدرة له إلا بما فى دُمْلُوَة فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك، وأنه أذن للعسكر فى العود، لخراب البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان، وأنه امتنع بقلعة تعز.

ورحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب، فقدمها فى تاسع شعبان. ورحلوا منها أول

(١) تعزّ قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٢/٣٤.

رمضان إلى مكة، فدخلوها فى حادى عشره بعد مشقة زائدة. وساروا من مكة يوم عيد الفطر، وقدموا بركة الحاج أول يوم ذى القعدة.

وطلع الأمراء إلى القلعة، فخلع عليهم فى يوم السبت ثالثه. وقدم الأمير بيبرس هدية، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس، وأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره، وأنه قصر فى أخذ مملكة اليمن.

فلما كان يوم الإثنين تاسع عشره: رسم بخروجه إلى نيابة غزة[١]، فامتنع لأنه كان قد بلغه ما قيل عنه، وأن السلطان قد تغير عليه، فقيد وسجن فى البرج، وقبضت حواشيه، وعرقبوا على المال فلم يظهر شىء.

وفى ثالث ذى الحجة: قبض على إبراهيم ابن الخليفة أبى الربيع، وسجن بالبرج، لأنه تزوج بمغنية، وأشهد عليه بطلاقها.

وفى ثالث عشر ذى القعدة: قدم ألطنبغا نائب حلب، وسافر آخر يوم الأحد.

وفى أول ذى الحجة: خلع على الأمير بهادر البدرى السلاح دار، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى، ونقل الجمالى لنيابة غزة، فسار إليها فى خامس عشره.

وفى ثالث عشره: توجه السلطان إلى الصيد نحو الجيزة، وأفرج عن بلبان الشمسى، وبهادر التقوى، وأمير جاندار، وطاجار المحمدى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية فى المحرم، وكانت صالحة خيرة، ملازمة للرباط، تعظ النساء.

ومات الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن، وحمل إلى مكة فدفن بها، وكان جوادًا عفيفا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى، فى ليلة الخميس خامس عشرى رمضان، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين آقوش، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، وولى نيابة السلطنة بديار مصر، وكان عاقلا كثير البر، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزى خارج القاهرة، وله تاريخ سماه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، يدخل فى أحد عشر سفرًا، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصرانى، وكان يجلس رأس الميسرة، فأخذ إقطاعه الأمير

---

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان . انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤.

مغلطاى الجمالى، وأخرج منه طبلخاناه لبلبان السنانى، وصار الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى بعده يجلس فى رأس الميسرة.

ومات الشريف منصور بن جماز بن شيحة فى حرب يوم الرابع والعشرين من رمضان، قتله حديثة ابن ابن أخيه، وكان له فى الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام، واستقر عوضه فى إمرة المدينة النبوية ابنه بدر الدين كبيشة بن منصور، وقدم منصور إلى القاهرة مرارًا.

ومات الشهاب محمود بن سليمان[١] بن فهد الحلبى كاتب السر، بدمشق فى شعبان، عن إحدى وثمانين سنة، وقدم القاهرة مرارًا.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن الجمال أحمد بن الصفى عبد الخالق - الشهير بالتقى الصائغ - شيخ القراء، بمصر فى ليلة الأحد ثامن عشر صفر.

ومات نجم الدين أبو بكر بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعى، بالقاهرة فى ثالث ذى القعدة، وكان فاضلا، إلا أنه رمى فى عقله وعقيدته بأشياء.

ومات الأمير سيف الدين بلبان التترى المنصورى، فى ذى القعدة.

ومات الخطيب جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن أحمد القسطلانى، فى ليلة السبت مستهل ربيع الأول، واستقر ابن أخيه الخطيب تقى الدين بن نور الدين مكانه خطيبًا بجامع القلعة، ورتب ولده زين الدين أحمد بن جمال الدين فى خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره.

ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندى الفقيه الشافعى، فى خامس عشرى ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن سليمان بن فهد بن محمود الحنبلى الحلبى ثم الدمشقى، أبو الثناء شهاب الدين: أديب كبير. استمر فى دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاما. ولد بحلب، وولى الإنشاء فى دمشق وانتقل إلى مصر، فكتب بها فى الديون وعاد إلى دمشق، فولى كتابة السر نحو ثمان سنين إلى أن توفى بها.

سنة ست وعشرين وسبعمائة

أهلت والسلطان فى الصيد بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين سادس عشر المحرم: وردت رسل ملك الحبشة بكتابه يتضمن إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين، ويسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر، فسخر السلطان منه، ورد رسله.

وفى عشرى صفر: خلع على فخر الدين أستادار ألطنبغا، واستقر والى المحلة بعد موت الشيخى.

وفى ثامن عشر صفر: صرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار، وسفر إلى دمشق، فسار على البريد فى حادى عشريه، وقدم دمشق فى ثامن عشريه.

وفى يوم الإثنين سادس ربيع الأول: قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سفط من الجيزة - والسلطان مخيم بها - ، فأنكر السلطان عليه إنكارًا شديدًا، وأمره بملازمة بيته. وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق.

وفيه استقر شرف الدين الخطيرى - المعروف بكاتب سلار، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب - فى نظر النظار، عوضًا عن غبريال.

وفيه رسم للوزير مغلطاى بقتل كريم الدين أكرم الصغير فى خفية، فتقدم إلى والى القاهرة بذلك، فوضع له أعينا يترقبون فرصة، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، فوثب عليه جماعة، وكان قد احترس على نفسه، فنجا بفرسه منهم، وقتلوا غلامه. وأصبح الناس وقد شاع خبره، وبلغ السلطان فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان، فقبض عليه فى يوم السبت تاسعه هو وأولاده، وأحضرهم بمجلس السلطان، وطولب بالمال، فلم يعترف بشىء، فضرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع. وسلم أكرم إلى والى القاهرة، فوجد فى كمه أوراقا فيها مرافعات فى جماعة من أهل الدولة، فطلبها الوزير منه، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان من تسلمها منه وقرأها، فأفرج السلطان عن أولاده، ورسم بعقوبته فسعِّط

بالخل والجير. وأخرج أكرم وابنه سعد الدين في ليلة الإثنين حادى عشره إلى جهة الصعيد، بعدما توجه الأمير بهاء الدين والى القلعة إلى الوزير يطلب له منه بساطًا ونفقة فأبى ذلك. ومضى أكرم وابنه فى سلورة(١) إلى أسوان، فقدما فى ليلة الإثنين خامس عشريه، وقتل ليلة الثلاثاء سادس عشريه.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: سار الأمير أيتمش المحمدى رسولا إلى القان بوسعيد، وصحبته هدايا جليلة؛ ليرغبه فى مصاهرة السلطان. فبلغ أيتمش رسالته، وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان.

وفى ثانى عشرى جمادى الأولى: خرجت تجريدة إلى برقة(٢) عليها من الأمراء أسندمر العمرى، وملكتمر الإبراهيمى، وقطلوبغا الطويل، وجماعة من أجناد الأمراء. وسببها حضور فايد وسليمان أميرى العربان ببرقة، وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم.

وفى ليلة الجمعة ثامنه: وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان، ومعه الأمير قجليس والأمير طقتمر الخازن، ليتوجه إلى الكرك - وعمره يومئذ ثمانى سنين - ، وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال. واستقر فى نيابة الكرك الأمير سيف الدين بهادر البدرى، وتوجه معه ليقوم بأمره، ويودع المال بخزانة قلعة الكرك، ولا يمكن أحدًا من التصرف، بل يمرنه على الصيد والفروسية. فأوصله الأميران إلى الكرك، وعادوا فى ثانى جمادى الآخرة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرمانى، لامتناعه من التوجه لإحضار حمل سيس، فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق، وأن يستقر شهاب الدين قرطاى الصلاحى نائب طرابلس على خبزه.

وفيه رسم للأمير طينال الحاجب بنيابة طرابلس، فسار من القاهرة فى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة. وأمر السلطان بتقدمته على الأمير قوصون زيادة على إقطاعه، عقد له على إحدى بنات السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن رجب: ابتدأ جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتمر الساقى، بآخر القرافة مما يلى بركة الحبش.

---

(١) سلورة والجمع سلالير نوع من السفن.

(٢) برقة اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية . انظر معجم البلدان ٣٨٨/٢، ٣٨٩.

وفى يوم الإثنين رابع عشر رجب: قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبى سعيد، ومعهم طايربغا وابنه يحيى، فخلع عليهم، وأنعم على طايربغا بإمرة طبلخاناه فى سابع عشره، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة، وأعيدت الرسل فى رابع عشريه. وكان طايربغا هذا يلى نيابة خلاط، وبينه وبين السلطان قرابة، فكتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه وأهله إلى مصر، فبعثهم.

وفى سابع عشره: أيضا أنعم على أحمد بن بكتمر الساقى بإمرة.

وفى يوم الإثنين سادس شعبان: حبس تقى الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق. وضرب شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، وشهر على حمار بدمشق. وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس فى مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوى، فأنكر المقادسة مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضى جلال الدين محمد القزوينى وغيره من قضاة دمشق. وكان قد وقع من ابن تيمية كلام فى مسألة الطلاق بالثلاث أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق. فلما وصلت كتب المقادسة فى ابن القيم، كتبوا فى ابن تيمية وصاحبه ابن القيم إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريرى قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ذلك، فشنع على ابن تيمية تشنيعا فاحشا حتى كتب بحبسه، وضرب ابن القيم.

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصورى، ونحت جدران المارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلا وخارجا، وطر الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد. وعمل آقوش خيمة يزيد طولها على مائة ذراع، وركبها لتستر على مقاعد الأقفاص، وتستر أهلها من الحر، ونقل الحوض من جانب باب المارستان؛ لكثرة تأذى الناس برائحة النتن، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس، وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف.

وفى يوم الإثنين سابع عشرى شعبان: أفرج عن الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام، فلما مثل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق، وبعثه إليها.

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من دمشق إلى شد الدواوين بطرابلس، وأنعم على أشقتمر من أمراء حلب بخبزه.

وفيه حمل بكتوت القرمانى من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيدًا على البريد، وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوبكرى والجاولى، فسجنوا بها.

وفيه قدم بازان رسول جوبان حاكم بلاد أبى سعيد، وجوبان هو الذى أجرى العين من عرفة إلى مكة. فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان، وعرفه خبر العين، شق عليه ذلك، وقال له على لسان النائب: «من أذن لك فى هذا؟ و لم لا شاورتنى؟»، فقال بازان للنائب: «عرف السلطان أن جوبان فعل ما فعل من الخبر، وبقى الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر، فهذا شىء قد فعله من فعله وخرج عنه، والأمر إليكم»، فلما بلغ النائب قوله السلطان سكت.

وكان من خبر هذه العين أنه لما كثر ترداد الحاج من العراق إلى مكة فى كل سنة شق عليهم قلة الماء بمكة، فإن الراوية كانت تبلغ فى الموسم عشرة دراهم مسعودية[1]، وفى غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة. فقصد الأمير جوبان حاكم مملكة أبى سعيد عمل خير بمكة، فدله بعض الناس على عين كانت تجرى فى القديم ثم تعطلت، فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار، وجهزه فى موسم سنة خمس وعشرين. فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها، فأعلم بعين فى عرفة، فنادى بمكة: «من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم فى كل يوم». فهرع إليه العمال، وخرج بهم إلى العمل، فلم يشق على أحد منهم ولا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم. فأتاه جمع كبير من العرب، وعمل حتى النساء، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة، فى ثامن عشرى جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت مدة العمل أربعة أشهر. وكثر النفع بهذه العين، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات.

وفيه قدم القاهرة الأمراء المجردون إلى برقة، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق وألزمهم بإحضار الكلاب ورميها بالخندق، فأقاموا عشرة أيام فى جمعها حتى امتلأ الخندق بها، وأكل بعضها بعضًا.

وفيه قدم الخبر بحصول سيل عظيم فى الفرات، أعقبه مطر، وأنه حدث وخم وفناء عم الناس من الفرات إلى دمشق، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثر بها المرض والموت، وباع بعض عطارى دمشق فى كل يوم أدوية للمرضى بنحو الألف درهم، وأبيع قدر فيه حسو شعير بزيادة على ثلاثين درهما، وأخذ حجام فى أجرة فصد وشراطة آذان فى كل يوم أربعمائة درهم، فإنه كان فصلا زموما، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل.

---

(١) تنسب الدراهم والدنانير المسعودية إلى الملك الأيوبى ملك اليمن.

وفى يوم الثلاثاء خامس رمضان: قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى ابن الملك الأوحد تقى الدين ابن الملك المعظم غياث الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين[1] أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بن أيوب بن شادى، صاحب حصن[2] كيفا. فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وخلع عليه تشريفا طرد وحش بحياصة، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والحلوى وغير ذلك، وبعث له عشرة آلاف درهم.

وأقام الصالح صلاح الدين إلى نصف شوال، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل ما يحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف، وأنعم عليه بألف دينار. فلما قدم دمشق بالغ الأمير تنكز فى الإحسان إليه، وبعثه إلى بلده فقدمها، وسر به أهلها. فلما صعد الحصن وتوسط الدهليز، وثب عليه أخوه الملك العادل محيى الدين وقتله. وكان من خبر الصالح صلاح الدين أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وإخوته بالقوة، فإنه كان شجاعا جريئا؛ فلما تمكن منع الخراج عن أبى سعيد، وتعرض لقصاد الأمير تنكز نائب الشام، وإلى بعض التجار. فكتب إليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه، فخاف سوء العاقبة، وأجاب بالاعتذار، وأنه من اليوم فى خدمة السلطان ونائبه، وأنه يمتثل ما يرسم به؛ وجهز لتنكز هدية. فسر السلطان بذلك، وأكد على تنكز فى مهاداته. فلما قدم الأمير أيتمش المحمدى عليه تلقاه، وقدم له تقدمة حسنة، وعرفه أنه نائب السلطان فى الحسن تحت أوامره؛ وكتب إلى نائب الشام بذلك. فكتب تنكز يعرف السلطان بذلك، فازداد رغبة فيه، ومازال به الأمير تنكز يستميله حتى قدم إلى مصر، ذلك بعد أن استناب أخاه الملك العادل محيى الدين على الحصن مدة غيبته . فطمع محيى الدين فى الحصن وقتله بعد رجوعه من مصر، وكتب إلى جوبان وأبى سعيد أنه لم يقتله إلا لمخامرته وخروجه عن طاعتهما، وبعث إليهما بالخراج؛ فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن. وكتب محيى الدين أيضا لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر والفسق وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة، وجهز إليه وترفق إليه

---

(١) تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية لمصر وآخرهم وثالث من سمى الملك المعظم منهم وأحد ملوك حصن كيفا. كانت إقامته فى هذا الحصن كيفا بديار بكر نائب عن أبيه ولما توفى أبوه سنة ٦٤١هـ كتمت «شجرة الدر» خبر موته واستدعته فجاء إلى مصر. انظر ابن إياس ١:٨٥ وابن الوردى ١٨١/٢ وابن شاكر ١:٧ والأعلام ٩٠/٢.

(٢) حصن كيفا يقع على نهر دجلة فى منتصف الطريق بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر وقد استولى عليه الأيوبية وظلت هى ومدينة حماة بالشام آثارا باقية لتدل على أيام الأيوبيينى.

هدية فى كتبه، وأنه مملوك السلطان ونائبه. فعرّف تنكز السلطان ذلك، فأجابه بقبول عذره ومهاداته واستجلاب خاطره؛ ففعل ذلك.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان: تولى الأمير عماد الدين البحيرة، عوضا عن بلبان العتريس.

وفى خامس شوال: توجه الأمير سيف الدين أرغون النائب، وولده ناصر الدين محمد، إلى الحجاز للحج.

وفيه أشيع أن قصاد الأمير تنكز وصلت من الشرق، وأخبرت بأن الأمير جوبان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة آلاف فارس، وقصد الحج. فأظهر السلطان الخوف على نائبه الأمير أرغون أن يقبض عليه جوبان ويجعله إلى بلاده، وكتب إلى تنكز نائب الشام أن يخرج بعسكر إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون. فبرز تنكز بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه، ونزل الصنمين. ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق، فعاد. وباطن هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج، فندب الأمير أرغون للحج، وأن يقبض عليه. فلما خرج أرغون بلغ السلطان أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج، فشق ذلك على السلطان، وأشاع ما تقدم ذكره، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون، ثم بدا له فأشاع أن جوبان أبطل حركته للحج، وأعاد نائب الشام.

وفيها كثر الرخاء بمصر، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبستة، وأبيع الشعير والفول من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال: فرق السلطان الحوائص الذهب على الأمراء.

وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر إصبعا وسبعة عشر ذراعا.

وفيها كتب مرسوم السلطان - وقرئ على المنابر - بألا يضرب أحد فى ديار مصر والشام بالمقارع.

وفيها قدم بيبغا الحموى من مكة مبشرا بسلامة الحاج، فى رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فيها ممن له ذكر

شيخ الشيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلى المعتزلى، شارح مختصر

ابن الحاجب، فى المحرم؛ وكان رضى الخلق حليما، عالما بالمعقولات، وله وجاهة عند خربندا، وله عدة مصنفات، ولابن تيمية عليه ردّ فى أربع مجلدات، وكان يسميه ابن المنجس.

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبى البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس - المعروف بابن الشيرجى - الأنصارى الدمشقى، محتسب دمشق؛ ومولده فى سنة سبع وأربعين وستمائة. ومات بدر الدين حسن ابن الملك الأفضل صاحب حماة، أحد الأمراء بحماة، عن نيف وستين سنة. وكان من أهل العلم، وسعى فى مملكة حماة[١].

ومات سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخزرجى الأنصارى المصرى الشافعى، خطيب المدينة النبوية.

ومات والى المحلة الشيخى، فى سابع عشرى المحرم.

* * *

(١) حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار . انظر معجم البلدان.

سنة سبع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم: وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فشت حتى لم يكد يسلم منها أحد، فكان المريض يتمادى مرضه أسبوعا ويبرأ؛ وربح بياعو الأدوية والأطباء والحجامون مالا كثيرًا.

وفى يوم الأحد حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز والسلطان بناحية سرياقوس. فقبض عليهما وعلى الأمير طيبغا الحموى، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى فى أمرهم؛ فأخرج السلطان الأمير أيتمش فى يوم الإثنين ثانى عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب، عوضا عن ألطنبغا.

وقد تقدم تغير السلطان على الأمير أرغون، فلما قدم بعث السلطان الأمير أيتمش المحمدى ليقف على باب القلة من قلعة الجبل، فإذا مر به أرغون فى دخوله على السلطان منع مماليكه من العبور معه. وأمر السلطان الأمير قجليس أن يتلقاه إذا صعد القلعة، ولا يمكنه من العبور إلى داره، فتلقاه قجليس من باب القلعة، ومشى معه إلى أن جازا دار النيابة؛ فسمع أرغون صراخ أهله، وقد ماتت ابنه زوجته. ثم مر أرغون إلى باب القلة، فإذا أيتمش وغيره؛ فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد، وفرق بينهما. فبعث السلطان إليه بكتمر الساقى يعدد عليه ذنوبه، فاستسلم لأمر الله؛ وطال ترداد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أنعم عليه بنيابة حلب، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود. وبعث السلطان الأمير ألجاى الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر ألطنبغا نائبها، وقرر مع كل من أيتمش وألجاى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشريه. ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر، حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور. وقد خرج الأمير تنكز فى الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون، فترجل كل منهما لصاحبه، وسارا إلى جامع بنى أميه، فعندما توسطاه إذا بألجاى ومعه ألطنبغا نائب حلب، فسلم عليه أرغون بالإيماء. فلما قضيت صلاة الجمعة حمل لهما الأمير تنكز سماطا جليلا، وركب أرغون إلى حلب، فدخلها فى سلخه.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: عزل شرف الدين الخطيرى من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيتة، واستقر الخطيرى ناظر البيوت؛ فألزم ابن لفيتة المباشرين بعمل الحساب، وأراد توفير جماعة منهم، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه سار ألطنبغا إلى القاهرة، فقدمها يوم السبت مستهل صفر، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع أرغون؛ وكمل السلطان منه لطايربغا إمرة مائة، فزادت التقادم تقدمة، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدما.

واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغير السلطان أرغون؛ لكثرة حطه عليه وإغرائه به، حتى قال له: «يا خوند! ما رأينا سلطانا دخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة»، وذكره بما وقع للمنصور لاجين بسبب نائبه منكوتمر، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا، وإفساد سلار نائب السلطنة مملكة المظفر بيبرس، وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور. وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة، وأهانة أرغون له وحطه من مقدار.

ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون، فما ذكر إلا خيرا، فقال له الفخر بحضرة السلطان: «يا أيتمش! كل ما قلت صحيح، لكن وا لله لو قام أرغون فى النيابة شهرا واحدا ما رأيت السلطان على هذا الكرسى». فأثر هذا القول فى السلطان أثرا قبيحا، وطلب شرف الدين الخطيرى كاتبه وهدّده بالشنق إن أخفى شيئا من مال أرغون، وألزمه بكتابة حواصله؛ فلما تنجزت الأوراق أحاط السلطان بجميع حواصله، وأخذ بعضها وأنعم بالباقى.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر: قدم الشريف طفيل فارا من ابن عمه الشريف ودى ابن جماز بن شيحة، وأخبر أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام، ودخلها عنوة لغيبة الشريف كبيشة أمير المدينة، وأخذ غلمانه وأهله وصادرهم، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة، وقتل القاضى هاشم بن على وعبد ا لله بن القائد على بن يحيى. فلما بلغ ذلك الشريف كبيشة قدم، ففر منه ودى، فغضب السلطان من ذلك، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة.

وفى رابع ربيع الآخر: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء، ومعه قليل من مماليكه؛ فخرج الأمير بكتمر الساقى إلى لقائه بسرياقوس وقدم به، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى. وكان قد قدم معه الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون بديار مصر، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأن يكون حاجبا صغيرا رفيقا للأمير ألماس الحاجب؛ وأنعم بإقطاعه فى دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير؛ وسافر الأمير تنكز.

وفى يوم الأحد سادس ربيع الآخر: قبض على الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى، والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى. وأخرج قطلوبغا على إقطاع أيدغدى التليلى بدمشق، فى يوم السبت ثانى عشريه. وأفرج عن طشتمر، واستمر على حاله. وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله، فقام الأمراء وكذبوا هذا القول، فإنه من فعل من يريد الفتنة، ومازالوا حتى أفرج عنهما.

وفيه استقرّ الأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش، عوضا عن شمس الدين المهمندار، مضافا لما بيده من نقابة المماليك. واستقر المهمندار على المهمندارية.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى: قبض على الأمير بهاء الدين أصلم، وعلى أخيه سيف الدين قرمجى، وجماعة من القبجاقية. وسبب ذلك أن أصلم عرض سلاح خاناه وجلس بإصطبله، وألبس خيله عدة الحرب، وعرضها يومه كله؛ فوشى به إلى السلطان بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجى وجماعة جنس القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة، وأنه أمس عرض عدده وألبس خيله ورتبهم للركوب. وكتب هذا فى ورقة وألقاها أحدهم فى الإصطبل السلطانى. فلما وقف السلطان عليها تغير تغيرا زائدا، وكانت عادته أنه لا يكذب فى الشر خبرا، وبعث من فوره يسأل أصلم مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمس فى إصطبله، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها، فصدق السلطان ما نقل عنه، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه، وعلى قيران صهر قرمجى وانكبار أخى آقول الحاجب، وسفروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسرى الشمسى وبرلغى قريب السلطان، وكانا مسجونين بقلعة الجبل. وأفرد أصلم فى برج بالقلعة.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشام، فخلع عليه أطلس بطرز زركش وكلفتاه زركش وحياصة بجوهرة، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصلم.

وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام، وقد كان فرّ من بلاد التتار، وشمله الإنعام السلطانى، وصار من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفيه قدمت رسل اصطنبول، فأسلم منهم نفران، وهما آقسنقر وبهادر؛ وأنعم على آقسنقر بإمرة عشرة بديار مصر، وعلى بهادر بخبز جندى، وكانا أخوة .

وفى يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة: عقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عقد ابنة السلطان بالقلعة، وتولى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرى الحنفى.

وفيه سأل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى فى الإعفاء من القضاء، واعتذر بنزول الماء فى إحدى عينيه وانحداره إلى الأخرى، وقلة نظره وكبر سنه. فسأل السلطان من ابنة عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائف والده، فأخبره بها، فلما حضر بدر الدين دار العدل فى يوم الإثنين عاشره أعاد السؤال فى طلب الإعفاء، فأجابه السلطان من غير تصريح، وقال له: «احكم بين الأمير بكتمر الحاجب وبين غرمائه»، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما، وقال لأهل مجلسه: «هذا آخر الحكم»، ومضى إلى داره بمصر؛ فقرر له السلطان من مال المتجر فى كل شهر ألف درهم فضة.

وفيه كتب بإحضار جلال الدين محمد القزوينى قاضى دمشق؛ ليستقر فى قضاء القضاة بمصر عوضا عن بدر الدين بن جماعة، فقدم على البريد إلى سرياقوس يوم الجمعة ثامن عشريه، وخطب بجامع الخانكاه، وصلى بالناس صلاة الجمعة. وطلع القزوينى قلعة الجبل يوم السبت تاسع عشريه، فخلع عليه فى أول رجب، واستقر فى قضاء القضاة، وأركب بغلة بزنار جوخ، وأضيف إليه تدريس المدرسة الصالحية، والمدرسة الناصرية، ودار الحديث الكاملية، وخطابة جامع القلعة شركة مع ابن القسطلانى؛ وأعيد ابنه بدر الدين محمد على خطابة جامع بنى أمية بدمشق. وكتب باستقرار شمس الدين أبى اليسر ابن الصائغ بتعيين الجلال القزوينى، فامتنع من ذلك.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: قدمت رسل القان أبى سعيد، ومعهم محمد بيه بن جمق قريب السلطان وابن أخت طايربغا، بهدية سنية. فأنعم السلطان على محمد بيه بإمره طبلخاناه عوضا عن أيبك البكتوتى أمير علم، بحكم انتقاله على إقطاع فيروز بصفد.

فلما كان يوم السبت: ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل، ثم أركبهم فى ثالث عشره معه إلى القاهرة، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور، ومد سماط عظيم بإيوان المدرسة المنصورية القبلى، وحضر الفقهاء بالإيوان البحرى. ثم ركب السلطان بهم مرة ثانية إلى الميدان، وأعادهم فى سادس عشره بهدية جليلة.

وفى يوم الخميس خامسه: كانت الفتنة بالإسكندرية: وملخصها أن بعض تجار الفرنج فاوض رجلا من المسلمين وضربه، وذلك أن الفرنجى وقف بجانب صبى أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل، فعناه بعض المسلمين وقال له: «هذا ما يحل»، فضربه الفرنجى بخف على وجهه. فثار المسلمون بالإفرنجى، وثار الفرنج لتحميه، فوقع الشر بين الفريقين، واقتتلوا بالسلاح. فركب ركن الدين الكركى متولى الثغر، فإذا الناس قد

تعصبوا وأخرجوا السلاح، وشهدوا على الفرنجى بما يوجب قتله، وحملوه إلى القاضى، وغلقت أسواق المدينة وأبوابها.

فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدخل من كان خارج البلد، فمن شدة الزحام قتل عشرة أنفس، وتلفت أعضاء جماعة، وذهبت عمائم وغيرها لكثير منهم. وتبين للكركى تحامل الناس على الفرنج، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه، وقصدوا إخراج الأمراء المعتقلين بالثغر. بعد ما سفكت بينهما دماء كثيرة. فعند ذلك بادر الكركى بمطالعة السلطان بهذه الحادثة، فسرح الطائر بالبطائق يعلم السلطان، فاشتدّ غضبه. وخشى السلطان خروج الأمراء من السجن، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير سيف الدين الأبو بكرى الثلاثة - وهم على وأسنبغا وأحمد - فى يوم الإثنين تاسعه، وجعلهم فى دار الأمير ألماس الحاجب. وأخرج السلطان الوزير مغلطاى الجمالى، وطوغان شاد الدواوين، وسيف الدين ألدمر الركنى أمير جندار، فى جماعة من المماليك السلطانية، ومعهم ناظر الخاص إلى الإسكندرية، ومعهم تذاكر بما يعمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم، ومصادرة قوم بأعيانهم، وتغريم أهل البلد المال، والقبض على أسلحة الغزاة، ومسك القاضى والشهود، وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل؛ فساروا فى عاشره، ودخلوا المدينة.

وجلس الوزير والناظر بديوان الخمس، وفرض الوزير على الناس خمسمائة ألف دينار، وقبض على جماعة من أذلهم ووسطهم، وقطع أيدى بعضهم وأرجلهم؛ وتطلب ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه، من أجل أنه وشى به أنه كان يغرى العامة بالفرنج ويمدهم بالسلاح والنفقة. فحل بالناس من المصادرة بلاء عظيم، وكتب السلطان ترد شيئا بعد شىء تتضمن الحث على سفك دماء المفسدين وأخذ الأموال، والوزير يجيب بما يصلح أمر الناس . ثم استدعى الوزير بالسلاح المعد للغزاة، فبلغ ستة آلاف عدة، وضعها كلها فى حاصل وختم عليها؛ واستمر نحو العشرين يوما فى سفك دماء وأخذ أموال، حتى جمع ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار. وقدم الوزير عماد الدين محمد ابن إسحاق بن محمد البلبيسى قاضى الإسكندرية ليشنق، ثم أخره، وكاتب السلطان بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح. وبعث الوزير المسجونين إلى قلعة الجبل فى طائفة معهم لحفظهم، فقدموا فى ثامن عشره، وهم البوبكرى، وتمر الساقى، وسنجر الجاولى، وبهادر المعزى، وطغلق، وأمير غانم، وقطلوبك الوشاقى، وأيدمر اليونسى، وكجلى نائب قلعة الروم. فأخرج البوبكرى وتمر الساقى إلى الكرك، وسجن الجاولى وبهادر المعزى فى البرج بالقلعة، وأنزل بطغلق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر

وبلاط وبرلغى ولاجين[١] زيرباج وبيبرس العلمى وطشتمر أخى بتخاص المنصورى إلى الجب بالقلعة، وأفرج عن فخر الدين أياس نائب قلعة الروم، فى يوم الخميس سادس عشريه.

وقدم الوزير من الإسكندرية بالمال، وجلس فى سلخ رجب بالشباك بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة، وقد سكنها، وحضر النظار والمستوفون من خارج الشباك، وحضر طوغان الشاد أيضا؛ فنفذ الوزير الأمور، وصرف أحوال الدولة.

وفى أول شعبان: قدمت رسل بابا الفرنج من مدينة رومة[٢] بهدية، وكتاب فيه الوصية بالنصارى، وأنه مهما عمل مهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله، فأجيبوا وأعيدوا. و لم تقدم رسل من عند الباب إلى مصر منذ أيام الملك الصالح[٣] نجم الدين أيوب.

وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر، واعتقل بالجب فى القلعة. وأخرج كجكن الساقى إلى صفد، فاعتقل بها.

وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال: استدعى الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل بن أبى العلاء القونوى الشافعى شيخ خانكاه سعيد السعداء، وخلع عليه بقضاء القضاة بدمشق، ونزل فحكم بالقاهرة، وأثبت كتبا تتعلق بدمشق، وسافر فقدم دمشق فى خامس عشريه، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها، عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين المالكى. واستقرّ فى مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، شيخ خانكاه سرياقوس، ورسم له أن يستنيب عنه بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين الحويزانى[٤] . واستقر فى مشيخة الخانكاه الركنية

---

(١) لاجين بن عبد الله الذهبى، حسام الدين الطرابلسى: فاضل نشأ بدمشق وأولع بالأدب وصنف (تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين - خ) فى فن الفروسية وله نظم. انظر الدرر الكامنة ٢٧:٢ وهدية العارفين ٨٣٩/١ والأعلام ٢٣٨/٥.

(٢) رومة بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٩٧/٣.

(٣) الملك الصالح نجم اليدين أيوب بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين من الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧هـ وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مضيا عفيفا صموتا عمر بمصر ما لم يعمر أحد من ملوك بنى أيوب. فى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ) ولد سنة ٦٠٣هـ وتوفى ٦٤٧م . انظر خطط المقريزى ٢٣٦/٢ وابن إياس ٨٣/١ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩ ومرآة الزمان ٧٧٥/٨ والأعلام ٣٨/١ .

(٤) الحوايزا موضع حازه وهو موضع بين واسط والبصرة وخوزستان ٣٢٦/٢.

بيبرس افتخار الدين الخوارزمى، عوضا عن مجد الدين أبى بكر[1] بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى؛ ونقل الزنكلونى إلى مشيخة تدريس الحديث النبوى بالقبة البيبرسية.

وفيه قبض على الشريف ودى بن جماز عندما حضر من المدينة النبوية، وكان قد تحاقق هو وطفيل بن منصور بن جماز بين يدى السلطان، ففلح عليه طفيل فى الخصومة. وسفر الأمير علاء الدين على بن طغريل صحبة الشريف كبيشة، ليوصله إلى المدينة النبوية، ويقبض على أصحاب ودى. فلما قدما فرّ أصحاب ودى، وملك كبيشة ابن منصور المدينة، ودعا للسلطان عقيب كل صلاة كما يدعى له بمكة.

وفى خامس عشر ذى القعدة: استقر مغلطاى الخازن فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن سنجر الدميترى. وأنعم على سنجر بإمرة فى دمشق.

وفيه استقر الأمير بلبسطى فى نيابة حمص، بعد وفاة بلبان البدرى. واستقر فى نظر القدس والخليل إبراهيم الجاكى.

وفى ليلة الجمعة ثالث عشر ذى الحجة: دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان، بعد ما حمل جهازها إليه، وكان شيئا عظيما: منه بشخاناه وداير بيت زركش، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبا. وعمل الفرح مدة سبعة أيام، ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الغنم الضأن، ومائة رأس من البقر، وخمسون فرسا، ومن الدجاج، والأوز ما لا يحصى كثرة. واستعمل فيه من السكر برسم الحلاوات وتحالى الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة، وبلغ وزن الشمع الذى أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطارا. وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين ألف دينار . وعمل قجليس فى القلعة برجا من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم. وحصل للمغانى من النقوط عشرة آلاف دينار مصرية. وقد جمع أمراء مصر والشام تقادم جليلة، منها تقدمةالملك صاحب حماة، ومن جملتها مشعل وطرطور ومخلاة مطرز ذهب بألف دينار.

وفى صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقى على قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، وقد حضرت فى أول ذى القعدة بجهاز عظيم، فيه داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب. وقدم الأمير تنكز عليه عليه السلطان خلعة

---

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى فقيه شافعى أصولى. نسبته إلى سنكلون وهى الآن زنكلون من شرقية مصر. عاش وتوفى بالقاهرة ٦٧٩-٧٤٠هـ = ١٢٨-١٣٣٩. انظر الدرر الكامنة ٤٤١/١ وشذرات الذهب ١٢٥/٦ ودار الكتب ٥٠٤:١، ٥٢٣ وهدية العارفين ٢٣٥/١ والأعلام ٢:٦٢

كاملة، انصرف على القباء الفوقانى منها وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة. فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز فى ليلة رابع عشره.

وفى هذه السنة: قدم إلى ميناء بيروت[1] من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين، قد اشتروهم من الجزائر، فاشتراهم الأمير تنكز، وأفاد التجار فى كل أسير مائة وعشرين درهما على ما اشتراه به. وكسا تنكز الجميع وزودهم، وحملهم إلى مصر، فسر المسلمون بقدومهم، وجد تجار الفرنج فى شراء الأسرى رغبة فى الفائدة.

وفيه كتب لنائب الشام بجمع فقهاء الشام والعمل فى أوقافها كلها بمقتضى شروط واقفيها، وأن يجهز ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد - المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار -، وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثنى عليه. فلما قدم ضياء الدين خلع عليه بنظر الأوقاف، فباشرها مباشرة جيدة.

ونظر تنكز نائب الشام فى أوقافها، ورسم بعمارة ما يحتاج إليه، ومنع الجوامك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها، فامتثل ذلك. ونظر تنكز فى مقاسم المياه بدمشق التى تتصرف فى دور الناس، وكسح ما فيها من الأوساخ، وفتح ما استد منها حتى صلحت كلها، فعم النفع بها. وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها فى طول السنين، وصار الوخم يعتاد أهل دمشق فى كل سنة. فشكر الناس هذه الأفعال، ودعوا له. ويقال إنه بلغ المصروف فى ذلك ثلاثمائة ألف درهم.

وفيها اهتم تنكز أيضا بفتح العين بالقدس، فإن الماء قلّ به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة، وكتب إلى ولاة الأعمال بإخراج الرجال، وندب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقته عليها.

وفيها ندب السلطان الأمير علاء الدين على بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة، وقد بلغه أن سقوفه تشعثت، وتهدم فيه عدة جدر، وجهز ابن هلال الدولة بكل ما يحتاج إليه من المال والمصاغ والآلات، وكتب السلطان للشريف عطيفة[2] بمساعدته. وحج

---

(١) بيروت مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق. انظر معجم البلدان ٥٢٥/١.

(٢) الشريف عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن على بن الحسين: من أمراء مكة ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى=

بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أحمد بن محمد بن أبى الحزم[١] مكى المخزومى ابن ياسين القمولى الشافعى، محتسب مصر، فى ثامن رجب.

ومات أبو يحيى زكريا[٢] بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحيانى، ملك تونس، بالإسكندرية. ومات كمال الدين محمد بن علاء الدين على بن كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكانى[٣] الشافعى، بمدينة بلبيس عند قدومه من حلب، فى سادس شهر رمضان، ودفن بالقرافة.

ومات شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى، كاتب السر بدمشق، فى عاشر شوال.

ومات نور الدين على بن عمر بن أبى بكر بن عبد الله الخلاطى الوانى الصوفى، نزيل القاهرة، فى المحرم، ومولده فى سنة ست وثلاثين وستمائة؛ سمع من يونس بن محمود الشاوى وعبد الوهاب بن رواج وعبد الرحمن بن مكى، سبط السلفى، وخرج له الحافظ أبو الحسين بن أيبك جزءا حدث به، فسمع منه قديما البرزالى سنة خمس وثمانين

=مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى . انظر الدرر الكامنة ٢/٤٥٥ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠/٣١ والأعلام ٤/٢٣٧.

(١) أحمد بن محمد بن أبى الحزم القرشى مخزوم تميم الدين القمولى: فقيه شافعى مصرى، من أهل (قموله) بصعيد مصر. تعلم بقوص ثم القاهرة وولى نيابة الأحكام والتدريب فى مدن عدة وتولى الحسبة بالقاهرة وتوفى بها. له (شرح مقدمة ابن الحاجب) فى النحو بجلدان. انظر الطالع السعيد ٦٣ والبداية والنهاية ١٤:١٣١ والتاج ٨:٨٧ والسبكى والأعلام ١/٢٢٢.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى، من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٥،٤٦.

(٣) محمد بن على بن عبد الواحد الأنصارى كمال الدين المعروف بابن الزملكانى: فقيه انتهت إليه رياسة الشافعية فى عصره، ولد وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريب. ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب فى ديوان الإنشاء ثم ولى القضاء فى حلب. انظر جلاء العين ١٧ وفوات ٢/٢٥٠ وطبقات السبكى ٥:٢٥١-٢٥٩ والبداية والنهاية ١٤:١٣١ والكتبخانة ٧:٦٥٩ وحسن المحاضرة ١/١٧١ والدرر الكامنة ٤/٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧٠ والأعلام ٦/٢٨٤.

وستمائة، وسمع منه شيخنا أبو الفرج بن الشيخة، وأبو على الباصلى وعبد الوهاب البصروى.

ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن صفى الدين أبى القاسم بن محمد بن عثمان البصراوى ، فى شعبان ، بعدما حكم بدمشق عشرين سنة.

ومات الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح الدين(١) عبد الملك بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادى، بدمشق فى حادى عشرى جمادى الآخرة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الطواشى ناصر الدين نصر الشمسى ، شيخ الخدام بالحرم النبوى؛ وكان خيرًا يحفظ القرآن، ويكثر تلاوته بصوت حسن .

ومات الضياء المجدى بمصر، وكان مطبوعا صاحب نوادر.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البدرى نائب حمص، فى ليلة عيد الفطر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بحلب، فى ثالث عشر شعبان.
ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى الحاجب، بالقاهرة فى ثامن رجب.

ومات الأمير سيف الدين كوجرى أمير شكار بالقاهرة فى تاسع عشرى ذى الحجة.
وهو مملوك عز الدين أيدمر نائب دمشق فى الأيام الظاهرية.

ومات بكتوت بن الصائغ، فى يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى.

ومات الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى، فى جمادى الآخرة، بدار جوار باب البحر خارج القاهرة. وكانت له مكارم وفيه مروءة.

* * *

---

(١) ناصر الدين إبراهيم ابن المعظم شرف الدين عيسى ابن الزاهر داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر ناصر الدين بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى . انظر الدرر الكامنة ٣١/٤، ٣٢.

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

فى ثالث المحرم: أنعم بخبز الأمير كوجرى أمير شكار على الأمير بشتاك.

وفى خامس عشريه: قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج.

وفى سابع عشريه: قدمت رسل القان أبى سعيد، فأكرموا وأعيدوا فى رابع صفر.

وفى المحرم: هذا وشى بالأمير شمس الدين آقسنقر شاد العمائر أن جميع عمائره وأملاكه التى استجدّها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع؛ فرسم عليه مالا ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون وشفع فيه، فأفرج عنه وأخرج إلى الشام.

وفيه وردت مكاتبة الأمير تنكز نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه؛ فكتب بالإنكار عليه، وألا يكاتب فى المهمات وغيرها إلا نائب الشام، ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر.

وفى سابع ربيع الأول: قدم دمرداش بن جوبان بن تلك بن تداون. وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو، فتحكم الأمير جوبان بن تلك على الأردو، وقام بأمر المملكة، واستناب ولده دمشق خواجا بالأردو، وبعث ابنه دمرداش إلى مملكة الروم. فانحصر أبو سعيد إلى أن تحرّك بعض أولاد كبك بجهة خراسان[1]، وخرج عن الطاعة، فسار جوبان لحربه فى عسكر كبير، فما هو إلا أن بعد عن الأردو قليلا حتى رجع العدو عن خراسان، وقصد جوبان العود.

وكان قد قبض بوسعيد على دمشق خواجا، وقتله بظاهر مدينة السلطانية، فى شوال من السنة الماضية، وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم، وسفك أكثر دمائهم، وكتب إلى من خرج من العسكر مع جوبان بما وقع، وأمرهم بقبضه، وكتب إلى دمرداش أن يحضر إلى الأردو، وعرفه شوقه إليه، ودس مع الرسول إليه عدة ملطفات إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله، وعرّفهم ما وقع.

---

(١) خراسان أول حدودها مما يلى طرف أزادوار قصبة جوين وبيهق . انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢.

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه، فلا يمر أحد إلا ويعلم به خوفا على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداويا يقتله، بسبب ما حصل بينهما من المواحشة التى اقتضت انحصار السلطان منه، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل المماليك إلى مصر، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أحرق به. فشرع السلطان يخادعه على عادته، ويهاديه ويترضاه، وهو لا يلتفت إليه، فكتب إلى أبيه جوبان فى أمره حتى بعث ينكر عليه، فأمسك عما كان فيه قليلا، ولبس تشريف السلطان، وقبل هديته وبعث عوضها؛ وهو مع هذا شديد التحرّز.

فلما قدمت رسل أبى سعيد بطلبه فتشهم الموكلون بالدربندات، فوجدوا الملطفات، فحملوهم وما معهم إلى دمرداش. فلما وقف دمرداش عليهما لم يزل يعاقب الرسل إلى أن اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجا وإخواته ومن يلوذ بهم، ونهب أموالهم، وبعث بقتل جوبان. فقتل دمرداش الرسل، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملطفات فقتلهم أيضا، وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب فى طاعته، ويستأذنه فى القدوم عليه بعساكر الروم؛ ليكون نائبا عنه بها. فسرّ السلطان بذلك. وكان قد ورد على السلطان كتاب المجد السلامى من الشرق بقتل دمشق خواجا وإخوته، وكتاب أبى سعيد بقتل جوبان، وطلب ابنه دمرداش، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء.

فكتب السلطان الناصر جواب دمرداش يعده بمواعيد كثيرة، ويرغبه فى الحضور. فتحيرّ دمرداش بين أن يقيم فيأتيه أبو سعيد، أو يتوجه إلى مصر فلا يدرى ما يتفق له. ثم قوى عنده المسير إلى مصر، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم، وأنه قد كتب إليه الملك الناصر يأمره أن يكون نائبه، فمشى عليهم ذلك وسرهم. وأخذ دمرداش يجهز أمره، وحصن أولاده وأهله فى قلعة منيعة، وبعث معهم أمواله، ثم ركب بعساكره حتى قارب بهسنا، فجمع من معه وأعلمهم أنه يريد مصر، وخيرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه، فعادوا إلا من يختص به.

وسار دمرداش إلى بهسنا[1] فى نحو ثلاثمائة فارس، فتلقاه نائبها؛ ومازال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشرى صفر، فركب الأمير تنكز إلى لقائه، وأنزله بالميدان، وقام له بما يجب، وجهزه إلى مصر بعد ما قدم بين يديه البريد بخبره. فبعث إليه السلطان

(١) بهسنا قلعة حصينة عجيبة بقرى مرعش وشمياط . انظر معجم البلدان /٥١٦.

بالأمير سيف الدين طرغاى الجاشنكير، ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر إلى القاهرة؛ فركب الأمراء إلى لقائه، وخرج السلطان إلى برّ الجيزة، ورسم أن يعدى النيل إليه.

فلما قدم دمرداش إلى القاهرة فى سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايربغا وأحضره إلى السلطان بالجيزة، فقبّل الأرض ثلاث مرات. فترحب السلطان به وأجلسه بالقرب منه، وباسطه وطيب خاطره، وسأله عن أحواله، وألبسه تشريفا عظيما، وركب معه للصيد، وعدّى به النيل إلى القلعة، وأسكنه بها فى بيت الجاولى، ورتب له جميع ما يحتاج إليه؛ ورسم للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا.

وفى عاشره: قدم دمرداش مائة إكديش وثمانين بختيا وخمسة مماليك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة، منها بقجة بها قباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة؛ فلم يقبل السلطان غير القباء وإكديشا واحدا وقطار بخاتى، ورد البقية إليه ليتقوى بها.

وتقدم السلطان إلى الوزير أن يرتب لدمرداش ما يليق به، وطلب إلى الحاجب أن يجلسه فى الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار. فشق عليه ذلك، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنكلى يعتذر إليه أنه ما جهل قدره، ولكن الشهيد والد السلطان له مماليك كبار قد ربوا السلطان، فهو يريد تعظيم قدرهم، «فلهذا أجلسك بجانبهم»؛ فطاب خاطره.

واجتمع دمرداش بالسلطان وفاوضه فى أمر بلاد الروم، وأن يجهز إليها عسكرا. فأشار السلطان بالمهلة حتى يرد البريد بخبر أبيه جوبان مع أبى سعيد، وكتب إلى ابن قرمان أن ينزل على القلعة التى فيها أولاد دمرداش وحواصله ويرسلهم مكرّمين إلى مصر. فاستأذن دمرداش فى عود من قدم معه إلى بلادهم، فأذن له فى ذلك، فسار كثير منهم.

وأنعم السلطان على دمرداش بإمرة سنجر الجمقدار، بحكم إخراجه إلى الشام.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب دمرداش بالقماش الإسلامى على هيئة الأمراء.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان، فخلع عليه، وأنزل عند دمرداش.

وفى ثامن عشريه: وصل طلب دمرداش وثقله، فأنزلوا بدار الضيافة، وهم نحو ستمائة فارس.

وفي يوم الأحد أول ربيع الآخر: عرض السلطان أصحاب دمرداش، وفرّق أكثرهم على الأمراء، واختار نحو التسعين منهم العود إلى بلادهم، فعادوا.

وفيه قدمت رسل أبى سعيد بكتابه، وفيه بعد السلام والاستيحاش وذكر الودّ إعلام السلطان بأمر جوبان وتحكمه وقلة امتثاله الأمر، وأنه قصد قتله والتحكم بمفرده، فلما تحقق ذلك لديه بعثه إلى خراسان، وسير بالقبض عليه، وهو يأخذ رأى السلطان فى ذلك، وقد سير أبو سعيد مع رسله هدية فقبلت. وسألهم السلطان عن دمرداش، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق؛ فبعثهم إليه فلم يعبأ بهم.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: توجه السلطان إلى الوجه البحرى، ومعه دمرداش، وحسن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقى زيارة الشيخ محمد المرشدى، فتوقف فى زيارته ثم عزم عليها. فرسم للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغربية بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن، وأن يجهز الإقامات. واستناب السلطان فى غيبته الأمير قجليس. وعاد السلطان فى سادس عشريه، بعد ما قدم الأمير تنكز فى رابع عشريه.

وفى تاسع شوال: خلع على الطواشى ناصر الدين نصر الساقى. واستقرّ مقدّم المماليك، عوضا عن الطواشى صواب الركنى.

وفيه بعث السلطان الأمير سيف الدين أروج مملوك قبجق إلى أبى سعيد يشفع فى دمرداش، ومعه الرسل بهدية جليلة، فساروا فى تاسع جمادى الأولى.

وفى يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة: سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفى على البريد إلى القاهرة، وقد طلب، فقدم يوم السبت خامس عشريه، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان محمد بن عثمان الحريرى بعد وفاته.

وفى يوم السبت عاشر رجب: عاد أطوجى من بلاد أزبك ملك القبجاق بتقادم جليلة، فأنزل بالميدان، وأنعم عليه وعلى جماعته بشىء كثير.

وفى حادى عشره: حضر أطوجى إلى بين يدى السلطان فخلع عليه، وسار فى عشريه.

وفى خامس عشريه: عقد نكاح ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاى تمر العمرى الناصرى، وأعفى الأمراء من حمل الشموع وغيرها، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة آلاف دينار عوضا عن ذلك.

وفيه عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التى فيها أهل دمرداش، وعرفهم أنه حضر بمرسوم السلطان، وبعث إليهم بكتاب دمرداش أنهم يقدمون عليه بمصر، فردوا جوابه: «لا حاجة لنا فى مصر». وذكر ابن قرمان[١] أن هذا بمباطنة دمرداش لهم، وحط عليه بأنه سفك دماء كثيرة، وقتل من المسلمين عالما عظيما، وأنه جسور وما قصد بدخوله مصر إلا طمعا فى ملكها. وبعث ابن قرمان الكتاب صحبة نجم الدين إسحاق الرومى أنطالية[٢]، وهى القلعة التى أخذها منه دمرداش وقتل والده، وأنه قدم ليطالبه بدم أبيه. فلما وقف السلطان على الكتاب تغير، وطلب دمرداش وأعلمه بما يه. وجمع السلطان بينه وبين إسحاق، فتحاققا بحضرة الأمراء، فظهر أن كلا منهما قتل لصاحبه قتيلا، فكتب جواب ابن قرمان معه وأعيد. وقد تبين للسلطان خبث نية دمرداش، فقبضه وأمسك من معه من الأعيان، وهم محمود شاهنشاه وعدة أخرى، فى يوم الخميس العشرين من شعبان، واعتقل دمرداش ببرج السباع من القلعة، وفرق البقية فى الأبراج، وفرقت مماليكه على الأمراء، ورتب له ما يكفيه.

وكان للقبض على دمرداش أسباب: منها أنه كان له بالروم مائة ألف رأس من الغنم، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكتمر الساقى عشرين ألفا، ولقوصون وبقية الأمراء كل واحد شيئا حتى فرّق الجميع، فلم يعجب السلطان ذلك. ودخل دمرداش يوما الحمام فأعطى الحمامى ألف درهم، والحارس ثلاثمائة، فزاد حنق السلطان منه. ثم أخذ دمرداش يوقع فى الأمراء والخاصكية، ويقول: «هذا كان كذا، وهذا كان كذا، وهذا ألماس الحاجب كان حمالا»، فما حمل السلطان هذا منه.

وفى شوال: حسن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك، فعمل فيه استيمار، وفرق فيه ما قطع من جوامك المباشرين والغلمات وهى جملة، ووفر منهم عدة؛ ثم قرئ عليه. وأحضر الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وخلع عليه وعلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة بغير طرحات، واستقرّا فى نظر النظار والصحبة فى يوم الإثنين نصف شوال.

وفيه نقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة إلى نظر البيوت، وخلع عليه معهما.

وفى تاسع عشريه: عقد نكاح الخاتون طلباى الواصلة من بلاد أزبك على الأمير

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى من فقهاء الحنفية. من أهل القاهرة له تصانيف منها (التوضيح –ح) فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى . انظر الضوء اللامع ١٠/١٦٠ والكتبخانة ٣/٣٠ والأعلام ٧/٢٣٤.

(٢) أنطالية – أنطاكية. انظر معجم البلدان ١/٢٦٦، ٢٧٠.

سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها؛ وبنى عليها الأمير سيف الدين فى ثامن ذى القعدة.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه: عزل الصاحب أمين الدين بن الغنام عن نظر الدولة. وكان قد كتب قصة يطلب الإعفاء من المباشرة، فلم يجب إلى ذلك، فكتب قصة ثانية فأجيب، فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوما تحريرا.

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة: أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين العمرى - الملقب زيرباج - الجاشنكير، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة، بعدما أقام فى الاعتقال - من يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة - مدة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وهو يغزل الصوف المرعز ويعمله كوافى بديعة الزى وللناس فيها رغبة، ويتصدق بثمنها.

وفيه أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، وكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه. وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر فى يوم عرفة، ثم أعيد إلى سجنه فى يومه.

وفيه سافر الأمير سيف الدين أيتمش إلى بوسعيد برسالة تتضمن ما قام به السلطان مع دمرداش بن جوبان، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأربعاء حادى عشر شهر رمضان رسل من عند أبى سعيد، وهم ثلاثة نفر، والمشار إليه منهم أياجى أمير جندار الملك أبى سعيد. فلما مثلوا بين يدى السلطان، وشملهم الإنعام بالتشاريف على عادة أمثالهم، أرسلهم السلطان إلى دمرداش فى معتقله، صحبة الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فاجتمعوا به وتحدّثوا معه. وقيل كان مضمون رسالتهم طلب دمرداش من السلطان، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد فى مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصورى. فمال السلطان إلى ذلك، ورسم للأمير أيتمش المحمدى أن يتوجه إلى الملك أبى سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال فى ذلك، وتوجه طلب دمرداش فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، ثم عدل السلطان عن هذا الأمر، وترجح عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبى سعيد.

فلما كان فى ليلة الخميس رابع شوال: من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج، وفتح باب السر من جهة القرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول، وشاهده رسل الملك أبى سعيد وهو على هذه الحال. ثم خنق دمرداش، وشاهده الرسل بعد موته، وقطع رأسه وسلخ وصبر وحشى، وأرسل السلطان الرأس إلى أبى سعيد، ودفن الجسد

بمكان قتله. وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية فى يوم الخميس رابع شوال، وركبوا مع السلطان إلى الميدان فى يوم السبت سادسه؛ ثم حضروا إلى الخدمة السلطانية فى يوم الإثنين ثامنه، وشملهم الخلع والإنعام، وأعيدوا إلى مرسلهم فى هذا اليوم، وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى برسالة السلطان إلى الملك أبى سعيد، كما تقدم.

وفيها وقع فى زروع أرض مصر آفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حرّ شديد، حتى عم ذلك أكثر الزرع، فكتب إلى الولاة بكتابة ما تلف، فوجد قد تلف فى بعض البلاد نصف الزرع وما دونه فى غيرها. وتحسن السعر، فبلغ القمح إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر.

وفيها هبت ريح سوداء بعدما أرعدت السماء وأبرقت، حتى كان الإنسان لا يبصر رفيقه، وحتى ردت وجوه الخيل إلى ورائها، ولم يستطع أحد أن يثبت فوق فرسه، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض، بل تلقيه الريح، وكان ذلك ببلاد فوة بحر الغرب وسائر الوجه البحرى. وغرق بها من المراكب شىء كثير، وتقصفت عدة من النخل، واقتلعت شجرة جميزة كبيرة من أصلها بناحية فوة، ومرت بها قدر مائتى قصبة، فلما قطعت حمل خشبها تسعة أحمال جمال. ومر من ذلك فى البرين الغربى والشرقى عجائب، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطرا عظيما سال منه إلى مدينة بلبيس[(١)] حتى خرب كثير منها، وجرى السيل إلى المطرية[(٢)]، وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطرا لم يعهد مثله، تلف منه عامة السقوف.

وفيها اشتد بأس الأمير قدادار والى القاهرة، وتسلط على العامة بكثرة سفك الدماء. وكان قد رسم لجميع الولاة ألا يقتلوا أحدا ولا يقطعوا يده إلا بعد مشاورة السلطان، خلا قدادار، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره. فانطلقت يده فى سائر الناس، وأقام عنه نائبا من بطالى الحسينية ضمن المسطبة منه فى كل يوم بثلاثمائة درهم. وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين[(٣)] فى المدينة، وعملوا أعمالا شنيعة، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقا

---

(١) بلبيس مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام . انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلساى الذى يستخرج منه الدهن وفى جانبها الشمالى عين شمس. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٣) المستصنعين فى المدينة المقصود من هذا اللفظ جماعة الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى وجعل منهم عونا له على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد، ويؤيد ذلك ما أورده المقريزى فى كتاب المواعظ والاعتبار ح/١٤٩.

بالتهديد، فاشتد خوف أهل الرتب منه. ونادى قدادار ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحد دكانا فى مدة غيبة السلطان فى الوجه البحرى، ولا يمشى أحد بالليل فى الأسواق، ولا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة، فكان من يوجد يؤخذ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقى شدة. فانكف الناس عن الخروج ليلا، وصارت الشوارع موحشة. وأقام قدادار على كل حارة دربا[1] ألزم أهلها بعمله، ورتب الخفراء تدور فى الليل بطبول فى جميع الحارات والخطط، فظفر أحدهم برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب النساء، فسمّره[2] قدادار بباب زويلة.

وفيها قدم البريد من صفد، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملا للموقعين؛ فأخذ قريبا من بلبيس. فألزم السلطان واليها علم الدين قصير - مملوك العلائى - بها، بعدما رسم بشنقه، ثم عفا عنه وعزله.

وفيها ولى ظلطيه الشرقية، نقله السلطان إليها من البهنسا، وولى عوضه شجاع الدين قنغلى.

وفيها ولى عز الدين أيدمر السلامى المنوفية، فتفنن فى إتلاف الأنفس، وأوقف رجلا بين خشبتين ونشره من رأسه، وصلق آخر فى دست، وسلخ آخر وهو حى.

وفيها عزم السلطان على أن يجرى النيل تحت القلعة، ويشق له من ناحية حلوان[3]؛ فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر[4] المطل على القاهرة، وقدروا العمل فى بناء الواطى حتى يرتفع، وحفر العالى ليجرى الماء وينتفع به فى داخل قلعة الجبل، من غير معاناة ولا كلفة. ثم عادوا وعرّفوا السلطان ذلك، فركب لكشفه، وقاسوا الأرض بين يديه. فكان قياس ما يحفر اثنين وأربعين ألف قصبة حاكمية؛ ليبقى خليجا فيه ماء النيل شتاء صيفا بسفح الجبل. وعاد السلطان وقد أعجب بمشروعه، وشاور الأمراء فيه، فلم يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: «بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟»، فقال السلطان: «بالعسكر»، فقال الفخر: «والله! لو اجتمع عسكر آخر فوق عسكر السلطان، وأقام سنين، ما قدروا على حفر

---

(١) الدرب - وجمعه دراب - باب السكة الواسع والباب الأكبر أيضا. انظر محيط المحيط.

(٢) المقصود بذلك أن هذا السارق عوقب عقوبة التسمير وهى إحدى العقوبات الشنيعة بمصر وغيرها من البلاد فى العصور الوسطى.

(٣)حلوان قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٣.

(٤) الجبل الأحمر اسم جبل مشرف على قيقعان بمكة. انظر معجم البلدان ١/١١٧.

هذا العمل. ومع ذلك فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال. ثم هل يصح أوْ لا، فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد، ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم». ونحو هذا من القول حتى رجع السلطان عن عمله.

وفيها كملت العين التى أجراها الأمير تنكز بالقدس، بعد ما أقام الصناع فيها مدة سنة، وبنى لها مصنعا سعته نحو مائتى ذراع، وركب فى الجبَل مجارى نقب لها فى الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، فكان لها يوم شهود. وأنشأ تنكز بالقدس أيضا خانكاه وحمام وقيسارية(١)، فعمرت القدس.

وفيها أفرج عن تقى الدين أحمد بن تيمية، بشفاعة الأمير جنكلى بن البابا وغيره من الأمراء.

وفيها أجرى ابن هلال الدولة عينا بمكة تعرف بعين ثقبة، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبة هذه.

وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهما الغرارة إلى أربعين، وزرع بها البطيخ والذرة والخضروات وغيرها، وامتلأت البرك وكملت عمارة الحرم. وجدد ابن هلال الدولة بمكة عدة ميض باسم السلطان، وأجرى لها ما يقوم بكلفتها.

وفيها ورد الخبر بقتل جوبان نائب أبى سعيد. وذلك أن العسكر المجهز معه لما وصل إليهم خبر قتل أولاده بأمر أبى سعيد، ووصلت إليهم كتب أبى سعيد بقتله أيضا، ركبوا عليه، ففرّ ومعه ابنه جلوخان وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة، وامتنع بها؛ فدسّ إليه أبو سعيد من قتله وابنه، وحملا إلى أبى سعيد، فكان لدخولها الأردوا يوما عظيما.

وفيها حج بالركب المصرى شهاب الدين أحمد بن المهمندار.

وحج فى هذه السنة أيضا الأمير سيف الدين طقزدمر الناصرى، وست حدق، وعلمت معروفا كبيرا.

وفيها قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه، وأعيد إلى شد الخاص.

وفيها طلب صلاح الدين يوسف دوادار قبجق من طرابلس، وولى شد الدواوين.

وفيها تنكر السلطان على الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى الوزير. وسببه عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج إسحاق، وقد كتبت فيه مرافعة غضب السلطان بسببها عليه، وقصد الإيقاع به. فاعتنى به الأمير بكتمر الساقى، واعتذر عنه بأنه رجل غتمى.

---

(١) قيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

وفى يوم عرفة – وهو يوم الجمعة –: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، ومدة سجنه ثمانى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى، بدمشق ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة، فى سجنه بالقلعة. ومولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين جوبان المنصورى، أحد أمراء دمشق الأكابر، بها فى العشرين من صفر.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى، بسجنه من قلعة الجبل، يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الأمير جوبان بن تلك بن تداون نائب القان أبى سعيد بن خربندا مقتولا بهراة، وحمل إلى بغداد، فقدمها فى سابع عشرى شوال، وصلى عليه وحمل إلى مكة مع ركب الحاج العراقى، وطيف به الكعبة، ومضى به إلى المدينة النبوية، فدفن بالبقيع.

ومات الشريف كبيشة بن منصور بن جماز بن شيحة أمير المدينة، فى أول شعبان قتيلا. وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة، قتله أولاد ودى، وكان ودى قد حبس بقلعة الجبل، فولى بعده أخوه طفيل.

ومات الأمير جمال الدين خضر بن نوكاى أخو خوند أردوكين، فى ليلة الرابع عشر من رمضان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى بالمراغة من آذربيجان(١)، يوم السبت سابع عشرى شوال، وورد الخبر بموته فى حادى عشرى ذى القعدة، فأنعم على ولده أمير على بن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على عادته بدمشق، وعلى أخيه أمير فرج بن قراسنقر بإمرة عشرة؛ ورسم بسفرهما من القاهرة إليها.

وتوفى دمرداش بن جوبان بن تلك بن تدوان، ليلة الخميس رابع شوال، وحمل رأسه إلى بوسعيد بن خربندا.

---

(١) آذربيجان من بلاد أرمينية من بلاد الروم، قريبة من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

ومات ببغداد مفتى العراق كمال الدين عبدا لله بن محمد بن على حماد بن ثابت الواسطى العاقولى، مدرس المستنصرية، فى ذى القعدة. ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

* * *

سنة تسع وعشرين وسبعمائة

أهلّت والسلطان بسرياقوس[1].

وفى يوم السبت ثانى المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز.

وفيه قدم بدر الدين بن علاء الدين بن الأثير كاتب السرّ، وقد اشتدّ بأبيه مرض الفالج [2] وانقطع عن الخدمة؛ فخُلع عليه وجلس فى رتبة أبيه، وباشر وفى ظنّه أنه يستقرّ عوضه. فخرج البريد بطلب محيى الدين بن فضل الله كاتب سرّ دمشق، فقدم ومعه ولده شهاب الدين أحمد وشرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود؛ وخُلع على محيى الدين خلعة كتابة السرّ بديار مصر، عوضًا عن ابن الأثير، وعلى شرف الدين بكتابة السرّ بدمشق، عوضا عن محيى الدين، فى يوم الأحد سابع عشره.

وفى ثالث عشره: استقرّ بيبرس الجمدار فى ولاية إسكندرية، عوضًا عن الركن الكركى.

وفى يوم الأحد رابع عشريه: قدم الأمير أيتمش المحمدى من بلاد العراق، بجواب القان أبى سعيد.

وفيه أنعم على الأمير علم الدين سنجر الجاولى بإمرة أمير على بن قراسنقر المنتقل إلى دمشق، وكان الجاولى منذ خرج من السجن بطالا.

وفيه أنعم على لاجين الخاصكى بإمرة طبلخاناه، عوضا عن محمد بيه بن جمق بحكم عوده إلى بلاد التتار.

وفى يوم السبت سابع صفر: قدمت رسل أبى سعيد، وجُهّزوا إلى المنوفية [3] للقاء السلطان، فأدّوا رسالتهم وعادوا إلى قلعة الجبل.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: قدم السلطان من الصيد سالما.

وفى يوم الإثنين أول شهر ربيع الأول: أعيد شمس الدين بن قزوينة إلى نظر الدواوين على عادته، وأضيف ما كان بيده من نظر البيوت إلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، مع ما بيده من نظر الدواوين؛ وخُلع عليهما.

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر، معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) شلل يصيب أحد شقى الجسم طولا. انظر المعجم الوجيز ٤٧٩.

(٣) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٢١٦/٥.

وفيه رُسم بخروج على وفرج ولدى قراسنقر، فسارا إلى دمشق، وقدماها فى ثالث ربيع الآخر.

وفى خامس ربيع الآخر: استقرّ صلاح الدين يوسف بن داود بن قبجق شاد الدواوين، ثم عُزل فى سادس عشر شعبان، واستقرّ فى ولاية الجيزة عوضا عن بلبان الحسنى. ونُقل بلبان إلى ولاية دمياط [١]، عوضا عن الكركى.

وفى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى: رُسم بردم الجب الذى بقلعة الجبل، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كَرِهُ الرائحة، وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة؛ فرُدم وعُمر فوقه طباق للمماليك؛ وكان عمَل هذا الجب فى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى الأيام المنصورية قلاوون.

وفيه قدمت رسل الشيخ حسن بن الجلايرى [٢]، وكان الشيخ حسن هذا قد أصبح نائب القان أبى سعيد، وهو ابن عمته وزوج بغداد خاتون [٣] بنت جوبانى.

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة: قدم الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب باستدعاء، فخرج الأمير ألمالس الحاجب وتلقّاه من قبة النصر خارج القاهرة، وصعد به قلعة الجبل؛ فأكرمه السلطان وعزّاه فى ولده، وخلع عليه وأنزله فى داره على الكبش. وَطلب أرغونُ شرفَ الدين الخطير ناظر ديوانه، وسأله عن أمواله وغلاله وحواصله؛ فأسرّ له بأن السلطان لم يُبق له منها إلا القليل، فسكت. ثم استدعاه السلطان يوم الخميس سادس عشريه، وخلع عليه وأعاده إلى حلب.

وفى يوم الأحد تاسع عشريه: قدمت رسل أبى سعيد فى طلب المصاهرة [٤] ومعهم اثنا عشر إكديشا بجلال جوخ، واثنان عرى.

وفى عاشر شهر رجب: قدم الأمير سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس

---

(١) دمياط: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنسية. انظر الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/ ٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٥/ ٨٠، ٩٠، ٩١، ٦/ ٢٥٨، وخطط المقريزى ١/ ٢١٥ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٢) نسبة إلى قبيلة جلاير أحد مدن فارس بفارس.

(٣) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٤) المقصود أن أبا سعيد أرسل يطلب أن يتزوج من إحدى بنات السلطان الناصر.

بسؤاله ليحاقق [1] شكُاته، ومعه هدية؛ فوقف وحاققهم، وساعده الأمراء إلى أن عاد إلى طرابلس فى خامس عشريه.

وفى يوم الأحد حادى عشريه: رُسم بعزل المجد بن لفيتة، فعُزل من نظر الدواوين ونظر الصحبة ونظر البيوت؛ وعُزل أيضا ابن قروينة من نظر الدواوين. واستقرّ عوضهما فى نظر الدولة علم الدين إبراهيم بن التاج إسحاق، وتقى الدين عمر بن الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس - وكان يلى صحابة ديوان دمشق، فأحضر منها فى ثامن عشره -، وخُلع عليهما. واستقرّ فى نظر خزانة تاج الدين موسى بن التاج إسحاق، عوضا عن أخيه علم الدين. فباشر العَلَم وتقىُّ الدينِ بن السلعوس النظر مع الأمير مغلطاى الجمالى الوزير - وكان أمره فى الوزارة ضعيفًا - إلى يوم الأحد ثانى شوال؛ ثم رُسم بتوفير الوزارة فتوفّرت، واستمرّ الجمالى فى الأستادارية على عادته. وسبب ذلك توقف حال الدولة من قلة الواصل، وكثرة إغراء الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق بن القماط ناظر الخاص السلطانَ بالجمالى لكراهتهما فى المجد بن لفيتة، فإنه كان قد استولى على الجمالى حين صار أمر الوزارة إليه، وكُتبت فيه مرافعات أنه أخذ مالاً كثيرا، وتولى الأمير أيتمش الكشف عليه. فلما ولى العَلَم بن التاج النظر، وباشر موسى الخاص نيابة عن أبيه، صار العلم يكتب كل يوم أوراقا بالجارى ثم يرفعها للسلطان مما تحصّل وانصرف، ويدخل بها إليه ومعه ابن السلعوس رفيقه، وابن هلال الدولة الشاد. فانحصر المباشرون، ومشت أمور الدولة بمرسوم السلطان على ما يقرّره؛ وحُمل مال الجيزة بكماله إلى خزانة الخاص، ولم يصرف منه شىء.

وفى ثانى عشريه: تولى قشتمر المحلة.

وفى خامس عشريه: أنعم على آقبرس بن علاء الدين طيبرس بإقطاع الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى الحاجب، بعد موته بدمشق؛ فتوجّه إليها.

وفى يوم الإثنين ثالث شوال: استقرّ علاء الدين أيدمر العلائى - عُرِف بالزرّاق - وفى ولاية القاهرة، عوضا عن قدادار عند توجهه إلى الحجاز.

وفيه أيضا استقرّ علاء الدين ابن هلال الدولة شاد الدواوين، مضافا لشد الخاص.

وفى سادسه: عزل صلاح الدين الدوادار عن الجيزة، واستقرّ من جملة الأمراء وولى الجيزة جمال الدين يوسف الجاكى والى الشرقية؛ واستقرّ فى الشرقية عوضه الحسام طرنطاى القَلَنْجُقى.

---

(١) المقصود ليحقق فى شكوته.

وفى يوم الأحد نصف ذى القعدة: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة، وعَرَض الكتاب بدواوين الأمراء. وطلب السلطان المجدَ بن لفيتة وابن قزوينة الناظرَين المنفصلين، والمكين بن قزوينة مستوفى الصحبة، وأمين الدين موط مستوفى الخزانة؛ ورسّم عليهم وسلمهم إلى الأمير الدمر جاندار ليخلص منهم ستمائة ألف درهم انساقت باقيا بالجيزة.

فحمل ألدمر من جهة قشتمر والى الجيزة مبلغ مائتى درهم، ومن ابن سقْرُور مستوفى الجيزة زيادة على سبعين ألف درهم. ورسم السلطان بقطع أخباز المشدين على الجهات بأسرهم، وقرّر عوضهم. وأحضر السلطان مشايخ الجيزة، وكتب عليهم سجلات أراضيها بحضوره؛ و لم يسمع بهذا فيما سلف. ثم أفرج السلطان عن الناظرين المنفصلين والمستوفين، بعدما استخرج منهم بعض ما قرَّر عليهم.

وفيها رُسم للحاجب أن يتقدم بألا يباع مملوك تركى لكاتب ولا عامى، ومن وُجد عنده منهم مملوك فليبعه، ومن عُثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا طولع به السلطان؛ فباع الناس مماليكهم، وأخفوا بعضهم.

وفيها عرض السلطان مماليك الطباق والبرانيين، وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم، ففرقوا بقلاع الشام.

و فيها صُرف شهاب الدين أحمد بن المهمندار عن نقابة الجيش، بالأمير عز الدين أيدمر دقماق.

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب بدمشق، فتجاوز عدد ما قتل منها خمسة آلاف.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سعد الدين سعيد بن أمير حسين، فى ثامن عشر المحرم، وأنعم بإمرته على تكلان.

ومات الأمير غرس الدين خليل بن الإربلى أحد أمراء العشرات، فى سادس صفر؛ وأنعم بإمرته على أياجى الساقى.

ومات الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر باك

الرومى، فى سادس المحرم؛ قدم صحبة أبيه إلى مصر فى سنة خمس وسبعين وستمائة فى الأيام الظاهرية بيبرس [١]، فى جملة من قدم من أهل الروم، بعد ما كان أبوه أمير جندار متملكِ الروم فترقى حتى نادم الأفرم نائب دمشق، فأنعم عليه بإمرة؛ فلما قدم الناصرُ محمد بن قلاون [٢] دمشق من الكرك [٣]، وتحرَّك لأخذ السلطنة كان الأمير شرف الدين حسين ممن سار فى خدمته إلى مصر، فنوه به وأعطاه إمرة، ثم قرَّره أمير شكار بعد وفاة كشرى، وأعجب به؛ وإليه ينسب جامع أمير حسين وقنطرة أمير حسين على الخليج خارج القاهرة، قريبا من بستان العدة.

ومات الأمير علاء الدين على بن الكافرى، والى قوص [٤] وولى عوضه غرس الدين خليل أخو طقصباى الناصرى.

ومات سنجر الأيدمرى أحد العشرات، فى ثالث عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على ساطلمش الناصرى.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى - المعروف بالحاجب-، فى يوم الأربعاء حادى عشريه ربيع الآخر؛ فأنعم على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة، وسنه يومئذ

---

(١) المقصود بها الظاهر بيبرس وهو بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: مولده بأرض القبجاق. وأسر فبيع فى سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار القبجاق، وبقى عنده، ثم أخذه الملك الصالح فجعله فى خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته. تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ وتلقب بالملك الظاهر. انظر فوات الوفيات ١/٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/٩٤ وابن إياس ١/٩٨ وابن الوردى ٢/٢٢٤ والنعيمى ١/٣٤٩ والأعلام ٢/٧٩.

(٢) محمد بن قلاوون بن عبدا لله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨ فأقام فى القلعة كالمحجور عليه ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ عاما وأقام فى الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩ واستمر ٣٢ سنة وشهرين و ٢٥ يوما. وتوفى بالقاهرة.انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ وابن إياس ١/١٢٩ والدرر الكامنة ٤/١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/٤١،١١٥ والأعلام ٧/١١.

(٣) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم فى الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٤) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر؛ بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤/٢١٣.

ثلاث عشرة سنة؛ وفُرق إقطاعه بين جماعة: فكمِّل منه للأمير طرغاى الجاشنكير تقدمة ألف. وأنعم منه على صلاح الدين يوسف بن الأسعد بناحية جَوجَر (١) - واستقرّ شاد الدواوين - وأنعم منه على الأمير قوصون بمنية زفْتا (٢)؛ وكان بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة المنصورية قلاوون، أخذه فى سنة خمس وسبعين وستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو متملك الروم، عندما دخل الظاهر بيبرس إلى مدينة قصرية الروم واستولى عليها؛ فصار بكتمر إلى طرنطاى - وهو حينئذ مملوك الأمير سيف الدين قلاوون (٣) - فرباه وأعتقه؛ فلما قتل طرنطاى صار بكتمر إلى الأشراف خليل بن قلاوون (٤)، فرتّبه فى جملة الأوشاقية بالإصطبل السلطانى؛ ثم نقله المنصور لاجين (٥) وعمله أمير آخور صغيرا، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخرى؛ ومازال بكتمر يترقى حتى ولى الوزارة والحجوبية ونيابة غزة (٦) ونيابة صفد (٧) فى الأيام الناصرية؛ وإليه تنسب مدرسة الحاجب، ودار

---

(١) بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر، معجم البلدان ١٧٨/٢.

(٢) بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شنطوف انظر، معجم البلدان ١٤٤/٣.

(٣) قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ. تولى السلطنة منفردا سنة ٦٧٨ هـ وجلس على سرير الملك فى قلعة الجبل كانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر مورد اللطافة ٤٢-٤٤ وابن إياس ١١٤/١ وخطط المقريزى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٣٣/٢. والأعلام ٢٠٣/٥

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجمع الساحل وتوغل فى الداخل. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ١٢١/١هـ والأعلام ٣٢١/٢

(٥) لاجين (المنصور) حسام الدين بن عبدا الله المنصورى: من ملوك البحرية بمصر والشام. وهو الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى «الروك» الحسامى. كان مملوكا للمنصور قلاوون، وإليه نسبته. وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل «كتبغا» ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك بالمنصور. قتله بعض مماليك الأشرف خليل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهرا. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(٦) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٧) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم=

الحاجب، خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان بكتمر من أغنياء الأمراء الكثرى المال المعروفين بالشحّ.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الإسكندرانى المصرى، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان؛ ومولده فى نصف ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة؛ سمع من ابن عبد الدائم والمجد بن عساكر وابن أبى اليسر وجماعة.

وتوفى عز الدين أبو يعلى حمزة بن المؤيد أبى المعالى بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد بن القلانسى [(١)]، بدمشق؛ سمع الحديث وصار رئيس الشام، وولى وزارة دمشق.

وتوفى الأديب سعد الدين سعيد بن منصور بن إبراهيم الحرانى المصرى، بمصر. وله شعر جيد.

وتوفى الشيخ جلال الدين أبو بكر عبدا لله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصارى الدلاصى، إمام الجامع الأزهر، بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة؛ وكان يعتقد فيه الخير ويُتبرك بدعائه.

وتوفى قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القونوى [(٢)] الشافعى، فى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة، ودفن بسفح قاسيون [(٣)]، قدم من بلاد الروم إلى دمشق فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فدرس بها مدة؛ ثم توجه إلى القاهرة فسكنها، وولى مشيخة الشيوخ بخانكاه سعيد السعداء؛ وتصدّى للاشتغال بالعلم، وصنّف شرح الحاوى فى الفقه وغيره؛ ثم ولى قضاء دمشق فباشره

=البلدان ٣/٤١٢.

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة الدمشقى، الصاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلانسى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. وأنشأ دار الحديث القلانسية، وإليه نسبتها. وأعرض عن المناصب تنزهاً.وصودر. انظر التذكرة الكمالية والقلائد الجوهرية ٨٥ والدرر الكامنة ٢/٧٥ والدارس ١/٩٦ والأعلام ٢/٢٧٧.

(٢) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحاوى الصغير» فقه و «التصرف فى التصوف» انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤/١٤٧ والدرر الكامنة ٣/٢٤ ودار الكتب ١/٥٢١ والأعلام ٤/٢٦٤.

(٣) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر معجم البلدان ٤/٢٩٥.

حتى مات بها، وولى بعده قضاء دمشق علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى [١].

وتوفى نجم الدين محمد بن عقيل بن أبى الحسن بن عقيل البالسى الشافعى، بمصر؛ ناب فى القضاء، ودرّس وشرح التنبيه فى الفقه؛ وكان معتقدا فيه الخير.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطى الأشمونى [٢] المولد والدار - عُرف بالوجيزى لقراءته كتاب الوجيز فى الفقه -؛ ولى قضاء الجيزة وقليوب، ومات فى رجب، وهو أحد مشايخ الفقهاء الشافعية.

وتوفى معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبدالله بن حشيش صاحب ديوان الجيش، بمصر يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة؛ كان بارعا فى الفقه والنحو واللغة والأدب، كريما له شعر جيد؛ ومولده سنة ست وستمائة.

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين الصغير، بقلعة البيرة [٣]؛ ولى نيابة غزة، ثم نيابة البيرة، وبها مات.

وتوفى الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى المصرى، بحماة؛ تنقل فى عدة ولايات؛ وكان جوادا كريما كثيرا المال ممدوحا.

وتوفى فتح الدين أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوى بن قاسم الكنانى العسقلانى [٤] - المعروف بالدبوسى - المسند المعمر، بالقاهرة فى جمادى الأولى، وقد جاوز التسعين سنة؛ حدَّث عن جماعة تفرّد بالرواية عنهم.

وتوفى الأمير عز الدين أيبك الخطيرى أمير آخور، فى ثالث عشرى ذى القعدة.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبدالله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدهما بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/٥٦.

(٢) نسبة إلى أشمون، وهى قصبة كورة الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. معجم البلدان ١/٥٢٦، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٤) يونس بن إبراهيم بن عبد القوى الكنانى العسقلانى ثم المصرى، فتح الدين الدبابيسى ويقال أيضا الدبوسى: عالم بالحديث، مسند معمر، توفى بالقاهرة. له «معجم». انظر شذرات ٦/٩٢والدرر ٤/٤٨٤ والتاج ٤/١٤٦ والأعلام ٨/٢٦٠.

وتوفى الأمير غُرْلوا الركنى، بقوص [١] فى ثالث ربيع الآخر.

وتوفى الأمير ساطلمش الفاخرى، فى ثالث ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على كوجبا الساقى.

وتوفى الأمير لاجين الإبراهيمى أمير جاندار، فى تاسع عشرى ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على برسبغا.

وتوفى ناصر الدين محمد بن حناى، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة.

وتوفى الطواشى نصر شيخ الخدام بالمدينة النبوية ومقدم المماليك السلطانية، يوم الخميس عاشر رجب؛ واستقرّ عوضه فى المشيخة وتقدمة المماليك الطواشى عنبر السحرتى، وكانت مدة تقدمته تسعة أشهر.

ومات عز الدين القيمرى، فى يوم السبت حادى عشرى ذى القعدة.

* * *

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

سنة ثلاثين وسبعمائة

أهلّت بيوم الأربعاء، والسلطان بناحية سرياقوس(1)، وكان مسيرة إليها فى سابع عشرى ذى الحجة.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام، فبالغ السلطان فى إكرامه ورَفع منزلته على عادته.

وفى يوم السبت: رابعه استقرّ علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأخنانى قاضى الإسكندرية فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على القونوى؛ واستقر عوضه فى قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوى.

وفى سادسه: استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار فى نيابة غزة، وسار إليها، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى؛ ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة، عوضا عن لاجين الحسامى المنصورى بحكم وفاته. وأنعم على بهادر الدمرداش بإقطاع الأمير بكتمر نائب غزة.

وفى رابع عشره: توجّه الأمير تنكز إلى دمشق، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وكَتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى.

وفى عشريه: قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (2) صاحب حماة (3)، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده.

وفى تاسع صفر: توجه السلطان إلى جهة الصعيد، وصحبته صاحب حماة، فخيم قريبا من الأهرام، وعاد فى ثالث عشره، من أجل وعك بدنه، لظهور دُمَّل فى جسده. وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى حادى عشريه، ثم سار فمرّ ببلاد الصعيد.

---

(1) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(2) إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافى، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين له «المختصر فى أخبار البشر» ويعرف بتاريخ أبى الفداء وله «تقويم البلدان». ولد ونشأ فى دمشق، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر فأحبه الناصر وأقامه سلطانا مستقلا فى حماة ليس لأحد أن ينازعه السلطة وأركبه بشعار الملك. فاستمر إلى أن توفى بها. انظر الدرر الكامنة ١/٣٧١ والبداية والنهاية ٤/١٥٨ وفوات الوفيات ١/١٦ والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٢ وطبقات السبكى ٦/٨٤ والأعلام ١/٣١٩.

(3) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، لإقامة الجمعة بها، فأفتوه بجواز ذلك؛ فرتّب آقوش خطيبا قرّر له فى كل شهر خمسين درهما، ورتب ستة نَفَر عملهم مؤذنين، لكل واحد عشرة دراهم فى كل شهر، ولقارئ يقرأ القرآن الكريم يوم الجمعة فى مصحف أعده له مبلغا سمّاه؛ وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة حادى عشريه، فكان يوما مشهودا.

وجعل آقوش المعاليم المذكورة من عقارٍ وقَفَه على ذلك. وفى هذا الشهر تصدق الأمير المذكور بنحو ثلاثة آلاف أردب من الغلال.

وفى خامس ربيع الآخر: عاد السلطان إلى قلعة الجبل، بعد أن انتهى فى مسيره إلى مدينة هُوْ من الصعيد الأعلى.

وفى ثامنه: سار المؤيد صاحب حماة من ظاهر القاهرة عائدا إلى حماة.

وفى خامس عشريه: سار السلطان إلى نواحى قليوب يريد الصيد؛ فبينا هو فى ذلك إذ تقنطر عن فرسه وانكسرت يده وغشى عليه ساعة وهو ملقى على الأرض؛ ثم أفاق وقد نزل إليه الأمير أيدغمش أمير أخور والأمير قمارى أمير شكار وأركباه؛ فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته. وعاد السلطان إلى قلعة الجبل فى عشية الأحد ثامن عشريه، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته، فتقدّم رجل من المجبرين يعرف بابن بوستة وقال بجفاء وعامية طباع: «تريد تفيق سريعا اسمع منى!». فقال له السلطان: «قل ما عندك»، فقال: «لا تخلّ أحدا يداويك غيرى بمفردى، وإلا فسد حال يدك مثل ما سلّمت رجلك لابن السيسى أفسدها. وأنا ما أخلّى شهرا يمضى حتى تركب وتلعب بيدك الأكرة». فأغضى السلطان عن جوابه، وسلّم إليه يده، فتولّى علاجه بمفرده، فبطلت الخدمة مدة سبعة وثلاثين يوما.

ثم عوفى السلطان، فزينت القاهرة ومصر فى يوم الأحد رابع جمادى الآخرة، وتفاخر الناس فى الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها، وأقامت أسبوعا تفنن أهل البلدين فيه بأنواع الترف. ونزلت ست حَدَق فى عدة من الخدام والجوارى حتى رأت الزينة، وقد اجتمع أرباب الملاهى فى عدة أماكن بجميع آلات المغنى. هذا والأفراح بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع، ومع هذا فالبشائر من ضرب الكوسات مستمرة، وكذلك طبلخاناه الأمراء، فلم يبق أمير إلا وعمل فى بيته فرحا. وأنعم السلطان وخلع على كثيرين من أرباب الوظائف من الأمراء والمماليك السلطانية.

ثم خرج السلطان إلى القصر الأبلق، وفرّق مثالات على الأيتام، وعمل سماطا جليلا، وخلع على جميع أرباب الوظائف. وأنعم السلطان على المجير بعشرة آلاف درهم، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء، فلم يتأخر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وإعطائه المال؛ فحصل له ما يجلّ وصفه، وكانت هذه الأيام مما يندر وقوع مثله.

وفى خامس عشره: قدمت رسل ريدافرنس [(١)] فى طلب القدس وبلاد الساحل، وعدّتهم مائة وعشرون رجلا، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم.

وفيه: سار الأمير أقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية يبشر بعافية السلطان، فدقّت فى جميع ممالك الشام البشائر، وعملت بها الأفراح وحصل لأقبغا من سائر أصناف المال ما يجلّ وصفه، بحيث بلغت قيمته نحو مائة ألف دينار.

وفيه: عُزل علم الدين الإسنائى عن قضاء الإسكندرية، لمضادّته الأمير بيبرس الجمدار نائب الثغر.

وفى يوم الإثنين سادس عشريه: أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى، وأنعم عليه بخيل وثياب، بعدما أقام فى الاعتقال خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما. فلما ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين بهادر آص، وأنعم بتقدمته بدمشق على الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، وأخرج إلى دمشق، وأنعم على بهادر المعزى بإقطاع سنجر المذكور.

وفى هذه المدة وقع بدمشق اضطراب فى عيار الذهب، فإنه تغيّر ونقص، وغرم الناس فيه جملة كثيرة. وصادر الأمير تنكز أهل دار الضرب، وأخذ منهم خمسمائة ألف درهم، وتقرّر سعر الدينار من تسعة عشر درهما إلى أحد وعشرين درهما، وأن يكون صرف الدينار الجديد بخمسة وعشرين درهما.

وفى العشرين من شهر رجب: قدمت رسل أبى سعيد بن خربند للهناء بعافية السلطان، فأكرموا وأعيدوا فى سابع عشريه. وقدمت أيضا رسل الشيخ حسن الجلايرى نائب أبى سعيد بعد رحيل المذكورين، فأدوا رسالتهم وأعيدوا فى آخره.

وفى هذا الشهر: أحرقت كنيسة الممكية بمصر، حتى صارت عمدها الرخام جيرًا؛ وكان بجانبها مسجد لم تصبه النار؛ فرسم للنصارى بإعادتها، فأعيدت.

---

(١) المقصود بذلك ملك فرنسا، وكان ملك فرنسا تلك السنة فيليب السادس.

وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلى الحاجب - عُرفت بدار آقوش نميلة[١]، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع - من أربها؛ وأشترى قوصون أيضا ما حولها، وهدم ذلك وشرع فى بناء جامع. فبعث إليه السلطان بشاد العمائر والأسرى لنقل الحجارة ونحوها، فتنجّزت عمارته. وجاء الجامع من أحسن المبانى، وهو بحارة المصامدة خارج باب زويلة، قريبا من بركة الفيل. وولى بناء منارتيه رجل من أهل توريز، أحضره معه الأمير أيتمش، فعملهما على منوال مآذن توريز. ولما كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة به فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رمضان، وخطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [٢]، وخلع عليه الأمير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة؛ ثم استقرّ فى خطابته فخر الدين محمد بن شكر.

وفيها قصد الأمير قوصون أن يتملك حمام قتال السبع وهى الحمام المجاورة فى وقتنا هذا لباب الجامع الذى يدخل إليه من الشارع -، وكانت من وقف قتال السبع؛ فاحتالوا لحلّ وقفها بأن هدموا جانبا منها، وأحضروا شهودا قد بينوا معهم ذلك ليكتبوا محضرًا بأن الحمام خراب لا ينتفع به، وهو يضرّ بالجار والمار والخط، والمصلحة فى بيع أنقاضه، ليؤدى هذه الشهادة عند قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر الحنبلى حتى يحكم بيعه على مقتضى مذهبه فعندما شرع الشهود فى كتابة المحضر المذكور امتنع أحدهم من وضع خطه فيه، وقال: «والله ما يسعنى من الله أن أدخل باكر النهار فى هذا الحمام واتطهر فيه وأخرج وهو عامر، ثم أشهدُ بعد ضحوة نهار أنه خراب»، وانصرف؛ فاستدعى غيره، فكتب وأثبت المحضر على الحنبلى. فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور من ولد قتال السبع، وجدّد عمارته.

وفى ذى الحجة: استقرّ الأمير بدر الدين بيلبك المحسنى فى ولاية القاهرة، عوضا عن أيدمر الزرّاق.

---

(١) كان هذا الأمير فى الأصل بائعا يبيع العصى، فرآه السلطان يعرض تجارته بالإصطبل السلطانى، فأعجبه وابتاع منه نفسه، وصار بذلك من جملة المماليك السلطانية.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر ٧٢٧ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١، ٢١٧/٢ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ ومرأة الجنان ٣٠١/٤ والوافى بالوفيات ٢٤٢/٣ وطبقات الشافعية ٢٣٨/٥ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

وفى يوم الخميس سابع عشر رمضان: قدم يوسف الكيمياوى إلى مصر. وكان من خبر هذا الرجل أنه كان نصرانيا من أهل الكرك فأسلم، ومضى إلى دمشق بعدما خدع بمدينة صفد الأمير بهادر التقوى حتى انخدع له وأتلف عليه مالا جزيلا؛ فلما ظهر له أمره سجنه مدة، ثم أفرج عنه. فاتصل يوسف بالأمير تنكز نائب الشام، وقصد خديعته فلم ينخدع له، وأمر والى دمشق بشنقه، فصاح وقال: «أنا جيت للسلطان حتى أملأ خزانته ذهبا وفضة». فلم يجد تنكز بدا من إرساله إلى السلطان، فقيّده وأركبه البريد مع بعض ثقاته، وكتب بخبره وحذر منه. فلما اجتمع يوسف بالسلطان مال إلى قوله، وفكّ قيده، وأنزله عند الأمير بكتمر الساقى؛ وأجرى عليه الرواتب السنية، وأقام له عدة من الخدم يتولون أمره، وخلع عليه؛ وأحضر له ما طلب من الحوائج لتدبير الصنعة، حتى تم ما أراده. فحضر يوسف بين يدى السلطان، وقد حضر الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق وابن هلال الدولة والأمير بكتمر الساقى فى عدة من الأمراء، والشيخ إبراهيم الصائغ وعدّة من الصُوّاغ؛ فأوقدوا النار على بوطقة قد ملئت بالنحاس والقصدير والفضة حتى ذاب الجميع، فألقى عليه يوسف شيئا من صنعته؛ وساقوا بالنار عليها ساعة، ثم أفرغوا ما فيها فإذا سبيكة ذهب كأجود ما يكون، زنتها ألف مثقال. فأعجب السلطان ذلك إعجابا كثيرا، وسرّ سرورا زائدا، وأنعم على يوسف بهذه الألف مثقال، وخلع عليه خلعة ثانية، وأركبه فرسا مسرجا ملجما بكنبوش حرير، وبالغ فى إكرامه، ومكّنه من جميع أغراضه. فاتصل به خدّام السلطان، وقدّموا له أشياء كثيرة مستحسنة، فاستخف عقولهم حتى ملكها بكثرة خدعه، فبذلوا له مالا جزيلا. ثم سبَك يوسف للسلطان سبيكة ثانية من ذهب، فكاد يطير به فرحا، وصار يستحضره بالليل ويحادثه، فيزيده طمعا ورغبة فيه؛ فأذن له أن يركب من الخيول السلطانية ويمضى حيث شاء من القاهرة ومصر؛ فركب وأقبل على اللهو؛ وأتاه عدة من الناس يسألونه فى أخذ أموالهم، طمعا فى أن يفيدهم الصنعة أو يغنيهم منها، فمرّت له أوقات لا يتهيأ لكل أحد مثلها من طيبتها. ثم إنه سأل أن يتوجه إلى الكرك، لإحضار نبات هناك؛ فأركبه السلطان البريد، وبعث معه الأمير طقطاى مقدم البريدية، بعدما كتب إلى نائب غزة ونائب الكرك بخدمته وقضاء ما يرسم به والقيام بجميع ما يحتاج إليه من ديوان الخاص؛ فمضى يوسف إلى الكرك وأبطأ خبره، ثم قدم وقد ظهر كذبه للسلطان، فضيّق عليه.

وفى تاسع عشر شوال: قدمت رسل الملك المجاهد على [١] من اليمن بهدية، وفيها

---

(١) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى =

فيلان؛ فأنكر السلطان عليهم من أجل أن المجاهد قبض على رسول ملك الهند [١] وأخذ هدية السلطان ثم قتله، وأمر بهم فسجنوا.

وفي ليلة السبت سادس عشر ذى القعدة: أخرج السلطان مَنْ في القاهرة ومصر من الجَذْمى [٢] والبرصان [٣]، وأمرهم بسكنى الفيوم [٤].

وفيه: أخرب الأمير تنكز نائب الشام الحوانيت المجاورة لباب النصر خارج دمشق من ضيق الطريق، حتى وصل الهدم إلى الجسر تجاه البحر، وحفر حتى أخرج الأساسات، فصار فضاءً.

وفيه: جدّد الأمير قوصون خطبته بالجامع بخط المصلى.

=زبيد، ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة ثم خلعه الأمراء والمماليك. فمكث أشهر ثم عاد إلى الحكم ثم حج سنة ٧٥١هـ، فلما كان مكة بلغ قادة الركب المصرى أنه عازم على نزع سلطة مصر عن الحجاز وإلحاقه باليمن فاجتمعوا وأحاطوا بمخيمه. وكلفوه السفر معهم إلى مصر. فلم يعارض ورحلوا به، فأقام بمصر ١٤ شهرا وعاد، فانتظم أمره إلى أن توفى (بعدن) ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢، ٨٣، ١٢٣ والدرر الكامنة ٣/٤٩ والبدر الطالع ١/٤٤٤ وابن خلدون ٥/٥١٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٧ والأعلام ٤/٢٨٦، ٢٨٧.

(١) المقصود بالهند هنا البلاد الإسلامية من الهند. وأرض الهند فتحها محمد بن القاسم الثقفى سنة أربع وتسعين، وكان السبب فى ذلك امرأة مسلمة ممن سباها أهل الهند أرادوها على نفسها، فصرخت: «واحجاباه»، فجهز الجنود إلى أرض الهند مع محمد بن القاسك، وكان معسكره بشيراز. انظر الروض المعطار ٥٩٦، ٥٩٧ وفتوح البلدان ٥٣٤.

(٢) الجذمى جمع أجذم، وهو المصاب بعلة الجذام، وهو داء يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدا بقعيا، وقد تتساقط منه الأطراف. انظر المعجم الوسيط (جذم).

(٣) البرصان جمع أبرص، وهو المريض بداء البرص، والبرص بياض يصيب الجلد. انظر المعجم الوسيط (برض).

(٤) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيده فوق حقه، وهو من أحكم البنيان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار فى اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحى لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

وفيه: ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع الذى عرف باسمه؛ بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة.

وفيه: ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى فى عمارة مدرسة بجوار داره، قريبا من درب ملوخيّا بالقاهرة؛ ووقف عليها أوقافا جليلة.

وفيه ابتدأ علاء الدين طقطاى أحد مماليك السلطان فى عمارة جامع بين السورين من القاهرة، وسماه جامع التوبة، لكثرة ما كان هناك من الفساد؛ وأقام به خطبة للجمعة.

وفى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة: استقرّ ناصر الدين بن المحسنى فى ولاية القاهرة؛ وقد نقل إليها من ولاية المنوفية [١]، عوضا عن عز الدين الزرّاق.

وفى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة: قُتل الأمير الدمر أمير جندار بمكة. وكان من خبر ذلك أن أمير الركب العراقى فى هذه السنة كان من أهل توريز يعرف بمحمد الحجيج، وكان يتقرب من أولاد جوبان، فترقّى بهم إلى معرفة السلطان بورسعيد، فعظم أمره وجعله من ندمائه، وبعثه رسولا إلى مصر غير مرة. فأعجب به السلطان الناصر ولاق بخاطره إلى أن بلغه عنه أنه تعرض فى مجلس أبى سعيد لشىء ذكر مما يكرهه السلطان فتنكر له وأسر ذلك فى نفسه، فلما بلغه أنه سار أمير الركب العراقى كتب إلى الشريف عطيفة بن أبى نمى [٢] سرًّ أن يتحيل فى قتله، فلم يجد عطيفة بدا من امتثال ما أمر به، وأطلع ولده مبارك بن عطيفة ومن يثق به على ذلك، وتقدم إليهم بإعمال الحيلة فيه.

فلما قضى الحاج النسك عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى إلى مصر، ومعه جماعة، فى يوم الأربعاء ثانى عشر ذى الحجة. وتأخر الأمير سيف الدين خاص ترك أمير الحاج، والأمير الدمر جاندار، والأمير أحمد ابن خالة السلطان، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة، ومعهم بقية حجاج مصر. فلما حضروا للجمعة وصعد الخطيب المنبر، أراد الشريف عمل ما رُسم له به، وأخذ العبيد فى إثارة الفتنة بين الناس ليحصل الغرض

---

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٦.

(٢) الشريف عطيفة بن أبى نمى محمد بن الحسن على بن الحسن من أمراء مكة ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٢/٤٥٥ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠،٣١ والأعلام ٤/٢٣٧.

بذلك. وأول ما بدأوا به أن عبثوا ببعض حاج العراق، وخطفوا شيئا من أموالهم. وكان الشريف عطيفة جالسا إلى جانب الأمير خاص ترك أمير الركب، فصرخ الناس بالأمير الدمر - وليس عنده علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة، وكان مع ذلك شجاعا حاد المزاج قوى النفس -؛ فنهض ومعه من المماليك، وقد تزايد صراخ الناس، وأتى الشريف وسبّه، وقبض بعض قواده و أخرق به، فلاطفه الشريف فلم يلن.

واشتدّ صياح الناس، فركب الشريف مبارك بن عطيفة فى قواد مكة بآلة الحرب، وركب جند مصر. فبادر خليل ولد الأمير الدمر وضرب أحد العبيد، فرماه العبد بحربة قتله؛ فاشتدّ حنق أبيه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فقُتل. ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عطيفة، وقد قصد ركب العراق وعليه آلة حربه، فقال له: «ويلك ! تريد أن تثير فتنة؟» وهمّ أن يضربه بالدبوس [١]، فضربه مبارك بحربه كانت فى يده أنفذها من صدره فخرّ صريعا؛ وقتل معه رجلان من جماعته. فركب أمير الركب عند ذلك ونجا بنفسه، ورُمى مبارك بن عطيفة بسهم فى يده فشُلّت. واختبط الناس بأسرهم، وركب أهل مكة سطح الحرم، ورموا أمير أحمد ابن خالة السلطان ومن معه بالحجارة، وقد أفرغ نشابه بين يديه هو ومن معه، ورمى بها حتى خلص أيضا؛ وفرّ أمير ركب العراق وتحير الشريف عطيفة فى أمره، ومازال يدارى الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة، وتوجهوا إلى بلادهم.

وكان من غريب الاتفاق أن فى يوم الجمعة الذى قتل فيه الدمر كأنما نودى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل بقتل الدمر فى فتنة كانت بمكة فى هذا اليوم، وتحدّث الناس بذلك حديثا فاشيا إلى أن بلغ السلطان وأمراء الدولة. فلم يعبأوا به وجعلوه من ترهات العامة.

وأغرب من ذلك أن الأمير علم الدين سنجر كان كاشفا بالغربية من نواحى القاهرة، فلما عاد إلى منزله بعد صلاة عيد الأضحى وافاه أحد غلمانه وقد حضر إليه من القاهرة، فأخبره أنه أشيع بالقاهرة أن فتنة كانت بمكة قتل فيها الأمير الدمر أمير جندار، فسخر من قوله وقال: «هذا كلام لا يقبله عاقل»؛ وأخذ الخبر ينتشر حتى تحدّث به كل أحد.

واتفق فى هذه السنة أنه وصل صحبة حاج العراق فيل من جهة الملك أبى سعيد يحمل محملهم، فتشاءم الناس به وقالوا: «هذا عام الفيل»؛ فكان من الفتنة بمكة وقتل

---

(١) على هامش ط: الدبوس - وجمعه دبابيس - آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى.

الدمر ما كان. فلما قارب حاج العراق ذا الحليفة من المدينة النبوية وقف الفيل وتقهقر، فضربوه ليسير، فصار كلما أكره على أن يتقدم إلى جهة المدينة تأخّر إلى ورائه. هذا وهم يضربونه وهو يتأخر إلى أن سقط ميتا، وذلك فى ثالث عشرى ذى الحجة. ويقال إنه بلغت النفقة على هذا الفيل منذ خرج من العراق إلى أن هلك زيادة على ثلاثين ألف درهم، ولم يُعرف مقصد أبى سعيد فى بعثه الفيل إلى مكة.

وفيها نقل شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجد بن حمدان - الشهير بابن النقيب [(١)] - الشافعى، من قضاء طرابلس إلى قضاء القضاة بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم المعروف بابن البارزى بعد وفاته؛ واستقرّ فى قضاء طرابلس شمس الدين محمد بن المجد.

وفيها بلغت زيادة ماء النيل عشرة أصابع من ثمانية عشر ذراعا. وكان وفاؤه يوم الأحد خامس عشرى شوال، وهو تاسع عشر مسرى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم بن نعمة بن الحسن بن على - المعروف بابن السحنة - الحجّار الصالحى الدمشقى؛ فى خامس عشرى صفر؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة؛ وقد صار مسند الدنيا، وتفرّد بالرواية عن ابن الزبيدى وابن الليثى مدة سنتين لا يشاركه فيها أحد، وسمع الناس عليه صحيح البخارى أكثر من سبعين مرة، وقدم القاهرة مرتين وحدّث بها.

وتوفى الأمير سيف الدين بهادر آص أحد أمراء الألوف، بدمشق فى تاسع عشر صفر؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر الجمقدار؛ وكان شجاعا مقداما فى الحرب، ولى نيابة صفد؛ وكان له أربعة أولاد، منهم اثنان أمراء، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخاناه.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندى المهمندار الدوادارى، بدمشق فى نصف جمادى الأولى؛ وكان أحد الأمراء العشروات.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين ابن النقيب مفسر، من قضاة الشافعية. دمشقى. ولى الحكم بحمص وطرابلس ثم حلب. ودرس وتوفى بدمشق. له «عمدة السالك وعدة الناسك» و «مقدمة فى التفسير». انظر مفتاح السعادة ١/٤٤٣ والدرر الكامنة ٣/٣٩٨ وطبقات السبكى ٦/٤٤ والأعلام ٦/٥٥.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى الظاهرى، أحد أمراء الطبلخاناه، بالقاهرة فى العشرين من جمادى الآخرة؛ وقد تجاوز الثمانين، وكان خيّرا.

وتوفى الأمير قلبرص بن الحاج طيبرس الوزيرى، بدمشق ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكركند، فى سابع ربيع الآخر؛ كان من كبار الأمراء.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندكى أحد أمراء دمشق، فى سابع عشرى شعبان؛ وخرج طيبغا حاجى على إقطاعه؛ وكان جوادا.

وتوفى الأمير سيف الدين الدمر أمير جندار مقتولا، بمكة فى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة؛ وله خارج باب زويلة من القاهرة حمامات؛ وكانت أمواله جزيلة.

وتوفى القاضى علاء الدين على ابن القاضى تاج الدين أحمد بن محمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر، فى يوم الأربعاء خامس عشر المحرم، بعدما أصابه مرض الفالج مدة سنة كاملة، وهو ملازم بيته؛ وكان ذا سعادة جليلة وحرمة وافرة وجاه عريض، ويُضرب به المثل فى الحشمة.

وتوفى الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأسدى الغرناطى الأندلسى، بالقاهرة قافلا من الحج؛ وكان صاحب فنون من قراءات وفقه ونحو وأدب وتاريخ.

وتوفى ناصر الدين شافع بن محمد بن على بن عباس بن إسماعيل الكنانى العسقلانى[1]، سبط ابن عبد الظاهر، فى سابع عشرى شعبان بعدما عمى؛ وكان أديبا مشاركا فى عدة علوم، وله عدّة مصنّفات ونظم جيد ونثر مليح، وهو أحد كتاب الإنشاء.

وتوفى سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، فى يوم السبت سابع عشرى رمضان؛ ولى نظر البيوت ونظر الرواتب، ثم ولى الوزارة فى أيام بيبرس وسلار، ثم صرفه الملك الناصر لما قدم من الكرك وصادره، فلزم بيته حتى مات.

(١) شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى، ثم المصرى، ناصر الدين: كاتب مؤرخ. له شعر جيد. باشر ديوان الإنشاء بمصر زمانا. وأصابه سهم فى صدغه، فى وقعة حمص بين الجيش المصرى والجيش المغولى سنة ٦٨٠هـ، فعمى. وكان جماعا للكتب، خلف ١٨ خزانة. له تصانيف منها «ديوان شعره» و«المناقب السرية المتنزعة من السيرة الظاهرية» و «تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور» و«سيرة الأشراف خليل». انظر نكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات ١٨٢/١ والدرر الكامنة ١٨٤/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٩ والأعلام ١٥٢/٣.

وتوفى الأمير سيف الدين قدادار والى القاهرة، فى سادس عشر صفر؛ وأنعم بإمرته على الأمير طاجار القبجاقى؛ و أصله من مماليك الأمير برلغى، وترقّى إلى أن ولى ولاية الغربية وولاية البحيرة [1] وولاية القاهرة، وتمكن فيها تمكنا زائدا، وكان جريئا على الدماء؛ ثم صُرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى، وأقام فى داره إلى أن خرج إلى الحج وهو ضعيف، ثم قدم فلزم الفراش حتى مات.

وتوفى الأمير بلبان الديسنى، فى خامس عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على برلغى.

وتوفى الأمير كجكن الساقى فى سادس صفر، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازن. وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه فى ثانى عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على بكمان.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن الرومى، شيخ خانكاه بكتمر الساقى، فى يوم الأحد ثالث عشرى ذى الحجة؛ وولى عوضه الشيخ زاده الدَّوْقانى.

وتوفى الشيخ زين الدين أيوب بن نعمة الكحال البالسى، فى ذى الحجة، وقد أناف على التسعين؛ حدّث بمصر ودمشق عن المرسى والرشيد العراقى فى آخرين، وانفرد بالرواية.

و توفى ركن الدين عبد السلام بن قطب الدين عبد القادر بن محمد بن أبى صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى، فى آخر جمادى الآخرة بدمشق؛ قدم القاهرة مرارا، وخالط الأمراء؛ وكانت له مكارم.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن الجمال أحمد بن محمد بن عبدا لله الظاهرى، فى رجب؛ ودفن بزاوية أبيه خارج باب البحر من القاهرة؛ ومولده سنة سبعين وستمائة؛ سمع الحديث من جماعة كثيرة وحدّث.

* * *

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢/٣٥١.

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

أهلت بيوم الإثنين:

وفى ثالث المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بما وقع بمكة من الفتنة وقتل الأمير الدمر أمير جندار وولده؛ فتعجب الناس من صحة ما أشيع بالقاهرة من قتل الدمر فى يوم قتله. فشقّ على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطيفة أمير مكة وولده وقواده.

وفى ثانى عشره: خُلع على الأمير عز الدين أيدمر العلائى الجمقدار المعروف بالزرّاق، المستقرّ فى ولاية القاهرة؛ ورسم له أن يكون أمير جندار. ثم خُلع على الأمير سيف الدين أرنبغا السلحدار، واستقرّ أمير جندار عوضا عن الدمر.

وفى تاسع عشريه: استقر فخر الدين محمد تاج الدين محمد بن مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين الشافعى فى قضاء الإسكندرية، وتوجه إليها فى عاشر ربيع الأول.

وفى المحرم هذا: قدم الحاج، وأخبروا بكثرةِ الفتّن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة[1] وقوةِ رميثة على عطيفة ونهبه مكة وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يلق ركب الحجاج؛ فكتب بحضوره. فلما ورد المرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشقّ ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بنى حسن من مكة. وتقدم السلطان إلى الأمير سيف الدين أيتمش أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعيّن معه من الأمراء الأمير طيدمر الساقى، والأمير أقبغا آص، والأمير آقسنقر، والأمير طرقش والأمير طقتمر الأحمدى، والأمير طقتمر الصّلاحى، وأربعة عشر من مقدمى الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة. ثم استدعى السلطان الأمير أيتمش بدار العدل، وقال له بحضرة القضاة: «لا تدع فى مكة أحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم؛ وَنَادِ بها من أقام منهم حلّ دمه. ثم أحرقْ جميع وادى نخلة، وألق فى نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة، وخرِّب ما حول مكة من المساكن، وأخرجْ حرم الأشراف

---

(١) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين، وقيل اسمه منجد: شريف، من أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع واستقل سنة ٧١٥هـ وتجددت بينهما الوقائع فانفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠ والأعلام ٣٣/٣.

منها، وأقمْ بها بمن معك حتى يأتيك عسكر آخر». فقام فى ذلك قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى، ووعظ السلطان وذكّره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقرّ الأمر على أن كُتب لرميثة أمان وتقليد بإمرة مكة. وسار العسكر من ظاهر القاهرة فى نصف صفر، وعدتهم سبعمائة فارس.

وفى سابع ربيع الأول: توجه السلطان إلى سرياقوس، فأقام بها أياما؛ ثم سار إلى البحيرة والمنوفية، ومضى على الجيزة إلى البهنساوية (١)؛ وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ربيع الآخر.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول: استقرّ شرف الدين أبو محمد عبدالله ابن الحسن بن عبدالله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على المقدسى الحنبلى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر بعد وفاته.

وفى مستهل ربيع الآخر: تولى علاء الدين الطويل المنوفية، ثم بطل ذلك؛ وتولى فخر الدين أياس الدوادارى المنوفية فى اليوم المذكور.

وفى حادى عشريه: خُلع على ركن الدين الكركرى، واستقرّ فى ولاية قوص عوضا عن غرس الدين خليل أخى طقصبا.

وفى ثالث عشريه: سار السلطان إلى ناحية طَنان (٢)، وأقام هناك أياما؛ ثم عاد إلى الجيزة، فأقام بها عدة أيام. ثم توجه السلطان إلى الحمامات (٣)، ثم رجع فدخل قلعة الجبل فى رابع جمادى الأولى. وقدم عليه فى سفره هذا رسل الملك أبى سعيد بن خربندا.

وفى حادى عشريه أيضا: استقرّ الأمير عز الدين أيدمر العلائى - المعروف بأستادار ألطنبغا الحاجب - فى ولاية الوجه البحرى، وكان والى أسيوط (٤) ومنفلوط (٥).

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٥١٦،٥١٧.

(٢) طنان بلدة تابعة لمركز قليوب بمديرية القليوبية الحالية.

(٣) الحمامات بلدة على مسافة كليو مترات غربى كوم تروجة، وهى من أراضى ناحية زاوية صقر؛ بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة.

(٤) مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر. انظر، معجم البلدان ١/١٩٣،١٩٤.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢١٥.

وفى يوم الإثنين سابع عشريه: مات الأمير أرغون الدوادار نائب حلب؛ فخلع على الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحى بنيابة حلب فى يوم الخميس آخره، وتوجه إليها.

وفى جمادى الأولى: مرض القاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص.

وتوفى يوم الإثنين أول جمادى الآخر. وترك القاضى تاج الدين من الأولاد علم إبراهيم ناظر الدولة، وشمس الدين موسى، وسعد الدين ماجد، بعدما وصى بهم الفخر ناظر الجيش؛ فتوسط الفخر لهم مع السلطان إلى أن استدعى من الغد شمس الدين موسى وخلع عليه وقرّره فى نظر الخاص ووكالة السلطان عوضا عن أبيه، وقد كان ينوب عنه فى حياته؛ وأقرّ السلطان أخاه علم الدين إبراهيم فى نظر الدولة، وأقرّ علاءَ الدين بن هلال الدولة فى شدّ الدواوين وشدّ الخاص، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

و فيه استقرّ علاء الدين محمد بن نصر الله الجَوجَرِى شاهد الخزانة فيما كان بيد شمس الدين موسى قبل ولايته نظر الخاص.

و فيه استقرّ جمال الدين يوسف أخو قنغلى فى ولاية الشرقية، بسفارة الأمير بكتمر الساقى؛ واستقرّ أخوه شجاع الدين قنغلى فى ولاية البهنساوية.

وفى يوم السبت سادسه: خُلع على عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة [١]، واستقرّ فى وكالة السلطان عوضا عن التاج إسحاق ناظر الخاص بعد وفاته.

وفى سابع جمادى الآخرة: قدم الأمير أيتمش بالعسكر المجرد إلى مكة، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام. وكان من خبرهم أنهم لما قدموا مكة كان الشريف رميثة قد جمع عربا كثيرة يريد محاربتهم، فكتب إليه الأمير أيتمش يعرفه بأمان السلطان له وتقليده إمرة مكة، ويحثه على الحضور إليه ويرغّبه فى الطاعة، ويحذّره عاقبة الخلاف ويهدّده على ذلك، ويعرّفه بما أمر به السلطان من إجلاء بنى حسن وأتباعهم عن مكة. فلما وقف رميثة على ذلك اطمأنّ إلى الأمير أيتمش، وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أنّ غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف هو ومن معه

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى؛ الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و «المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانة ١٨١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

ألا يغدره، وأن يقرضه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوّضها من إقطاعه. فتقرّر الحال على أن يبعث إليه الأمير أيتمش عشرة أحمال من الدقيق والشعير والبقسماط وغيره، ومبلغ خمسة آلاف درهم؛ فقدم حينئذ.

فلما قارب رميثة مكة ركب الأمير أيتمش بمن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلّفوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم وحلفوا له أيمانا مؤكدة، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس رميثة تشريف السلطان، وتقلد إمارة مكة؛ وعزم على تقدمة شيء للأمراء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية، وكتبوا إلى السلطان بعود الشريف إلى الطاعة، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة. فلما وصلوا دخل الأمير أيتمش على السلطان، فشكره على ما كان منه.

وكان قاضى القضاة جلال الدين القزوينى حاضرا، فأكثر من الثناء على أيتمش، وقال: «هذا الذى فعله هو الإسلام».

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فى يوم الإثنين سادسه، ومعه الأمير سيف الدين أرقطاى نائب صفد [1]. فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وقرّبه، وتقدّم إلى جميع الأمراء أن يقدموا له التقادم، فقدّم له كل أحد على قدر همته؛ وأنعم السلطان على أحد ولديه بإمرة طبلخاناه، وعلى الآخر بإمرة عشرة. وكان سبب قدومه من صفد أن الأمير تنكز لما توجه فى السنة الخالية من دمشق يريد القدوم على السلطان على عادته، ركب الأمير أرقطاى من صفد ليلقاه من رأس اللجون، ومدّ له سماطا جليلا، وركب إلى لقائه؛ فلم ينصفه الأمير تنكز فى السلام عليه، وسار حتى قرب من السماط فلم يلتفت إليه ولا نزل له، ومرّ من غير أن يأكل منه. فشقّ ذلك على أرقطاى، وقيل لتنكز إنه قد انكسر خاطره من الأمير، فقال: «ومن قال له يعمل هذا؟». فبلغ ذلك السلطان، فعتبه عند حضوره على ما كان منه لأرقطاى، وقال له: «وماذا كان يصيبك لو أكلتَ طعامه؟»، وأمره أن يحضره صحبته إذا قدم فى السنة الآتية؛ وكتب لأرقطاى أن يحضر مع الأمير تنكز. فلما خرج الأمير تنكز من دمشق فى هذه السنة، وتلقّاه أرقطاى، أكرمه تنكز ومضى به إلى مصر، ثم سافرا إلى محل كفالتهما فى يوم الثلاثاء سادس عشرة.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب: توجه الأمير سيف الدين طرغاى

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

الجاشنكير، والأمير بيغرا، والأمير مِلِكْتَمُر السرْجُوانى. وقد استقر فى نيابة الكرك، بإبراهيم ولد السلطان إلى مدينة الكرك ليقرّوه بها، فوصلوا به إليها؛ وعادوا منها ومعهم أحمد ابن السلطان، وكان قد توجه قبل ذلك إلى الكرك؛ فقدموا به قلعة الجبل فى يوم السبت سادس عشر شعبان، ومعه الأمير بهادر البدرى نائب الكرك. فختن الأمير أحمد[1] ابن السلطان يوم الإثنين ثامن عشرة، بعد وصوله بيومين.

وفيه قدمت رسل ملك الهند، وكان مجيؤهم من جهة بغداد، فأكرموا وخُلع عليهم، وساروا فى آخره.

وفى يوم الأربعاء خامس رمضان: أفرج عن الشريف وَدِىّ [2] أمير المدينة النبوية، وعن خرص ابن أخيه - وكانا قد اعتقلا بقلعة الجبل فى أول شوال سنة تسع وعشرين-؛ فرُتِّب لهما راتب حسن مدة، ثم أنعم عليهما بإقطاع فى الشام، وسارا إليها؛ فمات خرصٍ، ثم ولى ودى إمرة المدينة.

وفى هذا الشهر: فرّ يوسف الكيمياوى من سجنه، فنودى عليه بالقاهرة ومصر، وسرحت البطائق على أجنحة الحمام لولاة الأعمال بتحصيله.

وفى عاشره: خُلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقرّ فى نيابة الكرك، عوضا عن بهادر البدرى، وسافر من يومه.

وفى يوم السبت خامس عشره: حُمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر آنوك ولد السلطان إلى بنت الأمير بكتمر الساقى: وهو عشرة آلاف دينار، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة، ومائة نافجة [3] مسك، وألف مثقال عنبر خام، ومائة شمعة موكبية، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة.

---

(١) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية، فاستمر فيها أيام أخيه وأخويه أبى بكر وكجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢ واستمرت مدة حكمه بمصر ٧٢ يوما. انظر ابن إياس ١/١٧٩، ١٨٢ والدرر الكامنة ١/٢٩٤ والبداية والنهاية ١٤/١٩٣،٢٠٢،٢٠٧، ٢١٣ والنجوم الزاهرة ١٠/٥٠ والأعلام ١/٢٢٣.

(٢) ودى بن حجاز بن شيحة الحسينى، بدر الدين، أبو مزروع: ممن تولوا إمارة المدينة. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل، ثم ظفر طفيل وحبس ودى، وغضب الملك الناصر على طفيل، فحبسه بمصر وولى ودى إمارة المدينة سنة ٧٣٦هـ فقام بأعبائها. ولما توفى الناصر ذهب ودى إلى مصر، وعاد مكرما إلى إمارته. انظر المغانم المطابق والدرر الكامنة ٤/٤٠٦ والأعلام ٨/١٢.

(٣) النافجة وعاء المسك فى حسم الظبى، جمع نوافج. انظر المعجم الوسيط (نفج).

وسُلّم ذلك إلى الأمير أيدغمش أخور، والأمير طقتمر الخازن دوادار القاضى شمس الدين موسى ناظر الخاص؛ وألبس الثلاثة تشاريف جليلة، وتوجهوا بذلك إلى بيت الأمير بكتمر الساقى، فكان يوما مشهودا. وعُقد العقد، وعُملت المهمات والأفراح الملوكية.

وفى يوم الإثنين نصف شوال: رسم بعزل نواب قضاة القضاة الأربعة بالقاهرة ومصر، وكانت عدتهم قد بلغت نحو الخمسين نائبا، فعزلوا بأجمعهم.

وفى أول ذى القعدة: سار الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق، رسولا إلى أبى سعيد ملك العراق.

وفى يوم الأحد ثالث عشره: كُتب كتاب الأمير ملجك ابن أخت الأمير قوصون على بنت الأمير تنكز نائب الشام. وحُملت إليه من دمشق، وصحبتها أموال جزيلة وتحف جليلة؛ فعملت أفراح سنية مدة أيام.

وفيه أيضا كان وفاء النيل وهو خامس عشرى مسرى.

وفى سابع عشره: استقرّ شهاب الدين الإقفهسى فى نظر الدولة، عوضا عن تقى الدين عمر بن محمد بن السلعوس.

وفى يوم الإثنين خامس ذى الحجة: أسلم من الكتاب النصارى المهذبُ كاتب الأمير بكتمر الساقى، والنشو مستوفى الدولة، والعلم بن فخر الدولة مستوفى الدولة أيضا.

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان الذى استجدّه، وقد كملت عمارته. وكان قد رَسم فى أول هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهرى وتجديد عمارته، وفَوّض ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، فهدمها وباع أخشابها بمائة ألف درهم وألفى درهم، واهتم فى عمارة جديدة؛ فكمل البناء فى مدّة شهرين، وجاء كأحسن شىء يكون. فخلع عليه السلطان، وفرَّق على الأمراء الخيول المسرجة الملجمة.

وفى هذا الشهر: قُبض على يوسف الكيمياوى بمدينة أخميم (١)؛ وحمل مقيّدا، فوصل إلى قلعة الجبل فى رابع عشريه. ومثل يوسف بين يدى السلطان، فسأله عن المال، فقال: «عدم منى». فسأله السلطان عن صناعته فقال: «كل ما كنت أفعله إنما هو

---

(١) بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد بمصر. انظر، معجم البلدان ١/١٢٣، ١٢٤.

خفة يد»، فعوقب عقوبة شديدة بالضرب، ثم حمل إلى خزانة شمائل سجنِ أرباب الجرائم بجوار باب زويلة من القاهرة، فمات ليلة الأحد خامس عشريه، فسمّر وهو ميت وطيف به القاهرة على جمل فى يوم الأحد.

وكان قد عزم السلطان على أن يؤمِّر ولده أحمد المحضَر من الكرك؛ فركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين فى خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق؛ وأمِّر معه أيضا ثلاثة أمراء عشراوات فى يوم الإثنين سادس عشريه. وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزيّنوا القاهرة، زيَّنوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل؛ وجلس أرباب الملهى فى عدة أماكن يضربون بآلاتهم فرحا بتأمير أحمد ابن السلطان.

واتفق فى هذه السنة توالى الأفراح، لأجل عافية السلطان، وتزويج ولده آنوك، وتزويج ملجك ابن أخت قوصون، وتأمير أحمد بن السلطان.

وفيه ورد الخبر بإفساد العرب ببلاد الصعيد قطعهم الطريق؛ فاستدْعى طُلطَية متولى الشرقية، وخُلع عليه، واستقرّ فى كشف الوجه القبلى؛ فسار فى تجمع كبير، وأوقع بأهل الصعيد، وقتل كثيرا من العربان، ولم يراع أحدا من الأمراء فى بلاده؛ فعظمت مهابته، وخاف كل أحد بادرته.

وفى سابع عشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وعيّن الأمير أرنبغا أمير جندارا، للسفر مع الأمير أحمد ابن السلطان. وخرج طُلب الأمير أحمد ومعه الأمراء والحجاب، فسار إلى الكرك، وسلّمه الأمير ملكتمر السرجوانى نائبها، وأمر بتربيته وتأديبه.

وفيه قدمت رسل ملك [(١)] البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان، ويسأل أن يَبعث إليه سيفا وسنجقا ليقهر به أعداءه. فأكْرمت رسله؛ وجهزت له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب، مقندس [(٢)] على مفرّج سكندرى، وكلفتاه زركش، وشاش[(٣)]

---

(١) كان ملك البلغار تلك السنة حنا إسكندر.

(٢) وهو حيوان قابض من الفصيلة القندسية، كث الفوة، له ذنب قوى مفلطح، وغشاء بين أصابع رجليه يستعين به على السباحة، يستوطن أوروبا وأمريكه الشمالية حاليا. انظر المعجم الوسيط (قندس).

(٣) الشاش: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجراح ونحوها (مستحدثة)، ويستعمل - أيضا - لفافة للعامة. انظر المعجم الوسيط (شوش).

بطرفين رَقْم(١) وحياصة ذهب، وكُلاليْب(٢) ذهب، وسيف محلّى، وسنجق سلطانى أصفر مذهب.

وفيها كثرت الشكاية من جمال الدين عبدالله ابن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بكثرة لعبه، ورُفعت فيه عدة قصص للسلطان. فبعث السلطان إلى أبيه على لسان الفخر ناظر الجيش يأمره بكفّهُ عن ذلك، فلم ينته عن لعبه؛ فرُسم بسفره من القاهرة إلى الشام، فسار على خيل البريد.

وفيها ولى عز الدين بن عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وكالةَ بيت المال ونظرَ جامع أحمد بن طولون ونظرَ المدرسة الناصرية.

وفيها وصل إلى حلب نهرُ الساجور(٣)، بعد ما أنفق عليه مال كبير؛ فسرّ به أهل حلب سرورا زائدا.

وفيها ملك أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة فاس من بلاد المغرب، بعد موت أبيه.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شهاب الدين صمغار ابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، فى ثالث عشر المحرم؛ فأنعم بإمرته وهى طبلخاناه على بهادر بن قرمان.

وفى يوم السبت ثامن عشره: توفى الشيخ صبيح التكرورى(٤) بدمشق؛ وقد حدّث بالقاهرة ودمشق مرارا عن النجيب الحرّانى وغيره.

وتوفى الشيخ عفيف الدين عبدالله بن محيى الدين عبد الله بن الصاحب صفى الدين إبراهيم بن هبة الله العسقلانى، بطريق مكة الخميس ثانى عشره؛ ومولده بمصر؛ وكان يشهد بدمشق على الحكام وفى قيم الأملاك بغير أجرة، ولا يقبل هدية لأحد.

(١) هو الخيط الغليظ، والعلامة، والختم، وكل ثوب يرقم: أى وشم برقم معلوم حتى صار علما، والرقم ضرب مخطط من الوشم: انظر المعجم الوسيط (رقم).

(٢) هو الحديدة التى على خف الرائض وهو حديدة معوجة الرأس ينشل بها الشىء أو يعلق. انظر المعجم الوسيط (كلب).

(٣) على بن عثمان يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، المنصور بالله: من كبار بنى مرين، ملوك المغرب. وكان يعرف السلطان الأكحل بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١ بعهد منه. انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٢/٥٧-٨٧ والحلل الموشية ١٣٤ واللمحة البدرية ٩٢ والأعلام ٤/٣١١.

(٤) نسبة إلى قبيلة من السودان فى أقصى جنوب المغرب. انظر معجم البلدان ٢/٣٨.

وتوفى أمير على أخو قطلوبك أحد أمراء العشراوات، فى سابع عشريه؛ فأنعم بإمرته على أمير حاج بن طقزدمر.

وتوفى الشيخ تاج الدين أبو عبدا لله محمد بن العماد محمد بن التاج أبى الحسن على ابن أحمد بن على القسطلانى، بالقاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشريه.

وتوفى شمس الدين عبد اللطيف بن خليفة العجمى - أخو الوزير نجيب الدولة وزير قازان - غريقا ببركة الفيل خارج القاهرة، فى سلخه؛ وكان يعرف العلوم العقلية.

وتوفى محيى الدين محمد عبد العزيز بن على بن محمد الحرّانى الحنبلى - ابن أخى قاضى القضاة شرف الدين الحرّانى - بالقاهرة فى حادى عشره.

وتوفى الأمير بكتمر بن كرأى. فى خامس صفر

وتوفى الأمير سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، فى يوم الأحد سادسه؛ ودفن خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان أحد أمراء الألوف، وتزوج خوند دُلَنْبِيَة بنت طاجى مُطلّقة السلطان؛ وأنعم بإمرته على تمربغا السعدى؛ وكان كثير الأكل كثير النكاح.

وتوفى زين الدين محمد بن محمد بن أبى بكر محمد بن على القسطلانى، فى سابعه.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو عبدا لله محمد بن تقى الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن أحمد بن قدامة الحنبلى، بدمشق فى يوم الأربعاء؛ وولى قضاء الحنابلة بدمشق بعده شرف الدين أبو محمد عبدا لله بن الحسن بن عبدا لله بن عبد الغنى المقدسى.

وتوفى الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر؛ وأنعم على ساطلمش الجلالى بإقطاعه.

وتوفى الأمير سيف الدين طرجى الساقى أمير مجلس، فى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر؛ وأنعم بطبلخاناته على أولاجا؛ واستقرّ الأمير طقزدمر عوضه أمير مجلس. فى سادس عشر ربيع الآخر.

وتوفى المسند بدر الدين المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبى بكر على الحنفى، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة؛ وهو آخر من حدّث عن سبط ابن السلفى.

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين زيرباج الجاشنكير، فى يوم الإثنين رابع عشر صفر.

وتوفى الأمير بغجار الساقى، فى رابع ربيع الأول؛ وأنعم بطلبخاناته على أمير عمر بن أرغون النائب.

وتوفى سنجر البروانى أحد أمراء الطبلخاناه، فى الحمام فجأة يوم السبت ثامن ربيع الآخر؛ فأنعم بإمرته على أيدمر العلائى.

وتوفى ضياء الدين أبو الحسن على بن سليمان بن ربيعة الأذرعى الشافعى، بالرملة[١] فى ثالث عشريه؛ ومولده بنابلس فى سنة ست وأربعين وستمائة؛ وكان قاضيا ستين سنة، ونظم كتاب التنبيه فى الفقه، فبلغ ستة عشر ألف بيت؛ وله أزجال وموشحات.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى، يوم الأربعاء ثامن رجب؛ وهو أحد مقدمى الألوف.

وتوفى الأمير نور الدين محمود بن هلال الدولة الريدانى أحد أمراء العشرات، بدمشق.

وتوفى الأمير أرغون الدوادار نائب حلب، بها فى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر؛ ومات ابنه ناصر الدين محمد قبله؛ وقدم إلى القاهرة أربعة من أولاده.

وتوفى جمال الدين أبو عبدا لله بن عبدالواحد بن الخضر المعروف بابن السابق الحلبى، فى ليلة الأحد رابع عشريه فجأة بحلب؛ ومولده بالإسكندرية سنة خمس وستين وستمائة؛ ولى نظر بعلبك ونظر بيت المال بدمشق.

وتوفى الشيخ المسند شرف الدين أبو العباس أحمد بن فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبى المجد العدوى، فى ليلة الأربعاء ثامن عشريه، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة؛ وأبوه عبد المحسن يُنسب جامع ابن الرفعة بين القاهرة ومصر.

وتوفى القاضى عز الدين الخضر بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكارى، بالأشمونين[٢] فى عاشره، بعد عزله من قضائها؛ وقد نيّف على التسعين.

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/١.

وتوفى القاضى تاج الدين على بن نظام الدين يوسف ابن القاضى الموفق فخر الدين ابن على ابن القاضى الأمين مفضل بن مقدام بن محمود بن يعقوب اللخمى، فى تاسع عشريه، بعدما كفّ بصره؛ ولى نظر الخزانة الكبرى، ودرّس بمدرسة الصاحب صفى الدين بن شكر بالقاهرة والمدرسة، وكان مقدام قاضى دمياط [1] وناظرها أيام خلفاء القاهرة، وهو أخو شكر.

وتوفى الأمير علاء الدين على بن آل ملك المجاهد إسحاق ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى ثامنه خارج مدينة مصر، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة.

وتوفى الأمير طُلُطَيْه والى الولاة بالوجه القبلى، فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة؛ واستقرّ عوضه الأمير غرس الدين خليل أخو طقصبا الناصرى.

وتوفى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة ناظر الدولة، بعد عزله فى ثامن عشره، فجأة بعدما خرج من الحمام ولبس ثيابه وشرب قدح شراب.

وتوفى المقرئ نور الدين أبو الحسن على بن المقرئ شرف الدين محمد بن مجاهد المعروف بابن الوارب أمام الجامع الحاكمى، فى سادسه، وهو أحد مشايخ القرءات السبع.

وتوفى الشيخ الزاهد موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم بن جعفر بن محمد ابن إبراهيم بن ثعلب الجعفرى المالكى، بمصر ليلة الأحد ثانيه، ودفن بالقرافة؛ وكان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف.

وتوفى تاج الدين إسحاق - ويدعى عبد الوهاب - ناظر الخاص، فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة؛ وولى نظر الخاص بعد القاضى كريم الدين الكبير وباشر بسكون زائد وانجماع وسياسة، وقام بمهمات عظيمة؛ وولى بعده وكالة بيت المال عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وولى نظر خزانة الخاص علاء الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب الجوهرى، وولى المكين بن قزوينة استيفاء الصحبة والخاص.

وتوفى الأمير سيف الدين أبو بكر بن المهرانى، فى سادسه.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر، معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣.

السنباطى الشافعى، فى ليلة الثلاثاء تاسعه، وبيده تدريس الزاوية الخشابية بجامع مصر.

وتوفى تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدمامينى، رئيس التجار الكارمية، فى ثالث عشرى جمادى الآخرة؛ وقد قارب ثمانين سنة، وترك مائة ألف دينار عينا.

وتوفى الأمير حسام الدين طرنطاى دوادار كتبغا، ليلة الأحد ثامن عشريه فجأة، وكان له ثراء واسع جدا.

وتوفى نور الدين على بن محمد بن عبد الواحد الحنفى أمين الحكم، بالحسينية ظاهر القرافة فى سلخه.

وتوفى فخر الدين عثمان إبراهيم بن مصطفى التركمانى [١] الحنفى، فى حادى عشر شهر رجب، وهو يلى نيابة النظر بالمارستان المنصورى.

وتوفى القاضى جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن عبد الرزاق المالكى، أحد نواب القضاة المالكية، فى ثامن عشريه.

وتوفى تقى الدين عمر بن السلعوس ناظر الدولة، بعد عزله فى سادس عشرى ذى القعدة.

وتوفى الأمير ركن الدين عمر بن الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى، فى تاسع عشر ذى الحجة بدمشق.

وتوفى زين الدين عمر بن نجم الدين البالسى الشافعى، مدرس المدرسة الطيبرسية، فى سلخه؛ فولى عوضه أخوه نور الدين على.

ومات بلبان المهمندار عتيق الدوادارى، فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ابن أبى بكر بن حمامة [٢]، فى ذى الحجة؛ وقام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن على، فكانت مدته إحدى وعشرون سنة.

* * *

---

(١) عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردين، ويقال له ابن التركمانى: فقيه من العارفين بالتفسير. انتهت إليه رياسة الحنفية بالديار المصرية وتوفى فى القاهرة. له «شرح الوجيز الجامع لمسائل الجامع» فقه. انظر الفوائد البهية ١١٥ والدرر الكامنة ٢/٤٣٥ وحسن المحاضرة ١/٢٦٧ والأعلام ٤/٢٠٢.

(٢) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان أبو سعد، ولقبه السعيد بفضل الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولى بعد وفاة أخيه سليمان بن عبدالله سنة ٧١٠هـ بناحية تاز أو انتقل إلى فاس. توفى بفاس ودفن بها، ثم نقل منها إلى شالة، بالرباط، حيث مدافن سلفه ومدة ملكه عشرون سنة ونصف. انظر جذوة الاقتباس ٢٨٨ والاستقصا ٢/٥٠ والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٠ والأعلام ٤/٢١٥.

سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله الجمعة:

فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار وسلامة الحجاج، وأن الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى على خطة [1].

وفى سابع عشرة: توفى مغلطاى المذكور عند نزوله بسطح عقبة أيله [2]؛ فصُبّر وُحمل إلى القاهرة، فوصلها ليلة الخميس حادى عشريه؛ ودفن من غده بمدرسته قريبا من درب ملوخيا. واستقر عوضه فى الأستادارية الأمير علاء الدين آقْبُغا عبد الواحد وخُلع عليه يوم الثلاثاء سادس عشريه؛ وأقرّ أَلْطُنْقُش مملوك الأفرم على نيابة الأستادارية. ثم بعد أيام أضيف إلى الأمير آقبغا تقدمة المماليك السلطانية مع الأستادارية، من أجل أنه وُجد بعض المماليك وقد نزل من القلعة إلى القاهرة، إذ تنكّر السلطان لما حدث من نزول بعض المماليك من القلعة إلى القاهرة، وضرب كثيرا من طواشية الطباق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير - وهو يومئذ الطواشى شجاع الدين عَنْبَر السحرتى - تهاونه حتى وقع ما وقع، وصرفه بالأمير آقبغا. فضبط آقبغا طباق المماليك بالقلعة، وضرب عدة منهم ضربا مبرحا، وبالغ فى إهانة الخدام أيضا، فلم يجسر أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته.

وفيها استقرّ الأمير سيف الدين بهادر الدمرداشى رأس نوبة الجمدارية، عوضا عن الأمير آقبغا عبد الواحد، بحكم انتقاله إلى الأستادارية، وكان الأمير بهادر قد حظى عند السلطان حظوة مكينة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: دار نقيب الجيش والحاجب بجامع القلعة على الأمراء وهم ينتظرون الصلاة، وقبضوا على من معهم من مماليك دمرداش بن جوبان وسجنوهم. وذلك أن الأمير طرغاى الجاشنكير كان عنده جماعة، فبلغه من بعض مماليكه أنه سمع أحد مماليك دمرداش يقول لآخر: «قد دُرْنا على الصبيان الجميع، واتفقنا

(١) على هامش ط: المقصود بذلك أن الأمير مغلطاى كان قد أشفى على الموت.

(٢) أيلة: مدينة فى طريق مكة، حفظها الله، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها يجتمع حاجّ مصر والمغرب، وسميت بأيلة بنت مدين وقالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن. انظر معجم البلدان ٢٩٢/١، ٢٩٣، ٢٩٤، و الروض المعطار ٧٠، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

على كلمة واحدة، فقم والبس قماشك، فميعادنا باب القلة عند خروجهم من الجـامع».
فنقل ذلك لمخدومه الأمير طرغاى، فبادر وقبض على مـن عنـده مـن ممـاليك دمـرداش، ونهض إلى السـلطان وأعلمـه بالخبر، فسرّ بذلـك. واستدعى السلطان نقيب الجيش والحاجب، وأسر إليهما أن يقبضا على من حصر من ممـاليك دمـرداش بالجـامع، ويتتبعا من غاب منهم، فقبض على الجميع قبل إقامة الصلاة. ثم جُمع الأمراء بعد الصـلاة عنـد السلطان، وعرفهم السلطان ما نقله الأمير طرغاى؛ وأمـر السـلطانُ أمـير جنـدار بعقوبـة من قبض عليه فعوقبوا، ثم قتل بعضهم وسجن باقيهم، فإنهم اعترفوا وهـم فـى العقوبـة بأنهم أرادوا أخذ ثأر أستاذهم دمرداش وقتل الأمراء، لتصير لهـم بذلـك سمعـة فـى بـلاد المشرق. فخالف على نفسه الأمير بهادر الدمرداشى، وتحرز من السلطان.

شهر صفر أوله يوم الأحد:

وفى يوم الإثنين، ثالث عشـريه: استدعى السـلطان الأمـراء وأعلمهـم أنـه يريـد أن يعهد إلى ولده الأمير ناصر الديـن آنـوك فـأذعنوا لذلـك كلهـم، فرُسـم بركوبـه بشـعار السلطنة، وأحضرت الخلع لأرباب الوظائف. ثم انثنى عزم السلطان عـن ذلـك، وأبطـل الجميع، ورسم أن يلبس آنوك شعار الأمراء، ولا يطلق عليه اسم السلطنة؛ فركـب آنـوك وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز ذهب وشربوش مكلّل مزركش. وخرج آنُـوك مـن بـاب القرافة والأمراء فى خدمته حتى مرّ بسوق الخيل تحت القلعة، فباس الأرض، وطلـع مـن باب الإسطبل إلى باب السرّ فطلع منـه، ونُثرت عليـه الدنانـير والدراهـم. وخُلـع علـى الأمير ألمـاس الحـاجب، والأمـير بيـبرس الأحمـدى، والأمـير أيدغمـش أمـير أخـور خلـع أطلس، وخُلع أيضا على بقية أرباب الوظائف، ومُدَّ لهم سماط عظيم؛ وعملـت الأفـراح الجليلة مدة أيام.

وكان قد رُسم بعمل المهم لعقد الأمير آنُوك على زوجته بنت بكتمر السـاقى؛ فعُقـد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألـف دينـار، المقبـوض منـه عشـرة آلاف دينار.

وفيه تقدمّ السلطان إلى الأمير علاء الدين بن هـلال الدولـة بجمـع الدواويـن، ليختـار منهم من يستخدمه لآنُوك؛ فإنه أنعم عليه بإقطاع الأمير مغلطـاى الجمـالى؛ فحضـر مـن الغد عدة من الدواوين؛ فأخذ السـلطان يسـأل كـلا منهـم ويتعـرف خـبره إلى أن وقـع اختياره على شرف الدين النشو - فإنه كان قد وقف بين يديه غير مـرة فـى محاققـة فـى خدمة الأمراء، فأعجبه كلامـه ومحاققتـه، ورسـم أن يكـون مـن جملـة المستوفين. فلمـا

حضر النشو فى هذا اليوم أشار السلطان لابن هلال الدولة أن يستخدمه بديوان الأمير آنوك، ويكون الأمير سيف الدين ألطنقش أستادارا له، وخلع عليهما ونزلا.

شهر ربيع الأول أوله يوم الإثنين:

فى سادسه: قدم الحاج أحمد بن سنقر رسولا من الملك أبى سعيد؛ وعلى يده كتاب بسبب الخطبة والمصاهرة. فأجيب بأن ذلك يحتاج إلى مهلة، وأخذ ما معه من الهدية: وهى جمال بخاتى ثلاثة قطر، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشرة مماليك، وعشر جوار جنكيات، وعشرة دبابيس؛ وأعيد فى ثانى عشريه.

وفيه كُتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر ومعه نائب حماة [(١)]، لحضور مُهم الأمير آنوك على الأمير بكتمر الساقى؛ فشرع الأمراء فى الاحتفال للمهم، وبعثوا إلى دمشق لعمل التحف.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

فى عاشره: قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بعد وفاة أبيه بها، وله من العمر نحو العشرين عاما، فأكرمه السلطان وأقبل عليه. وكان والده لما توفى بحماة أخفى أهله موته، وسارت أم الأفضل إلى دمشق وترامت على الأمير تنكز نائب الشام، وقدمت له جوهرا رائعا، وسألته فى إقامة ولدها الأفضل مكان أبيه؛ فقبل تنكز هديتها، وكتب فى الحال إلى السلطان بوفاة المؤيد، وتضرع إليه فى إقامة ابنه مكانه. فلما قدم البريد بذلك تأسَّف السلطان على المؤيد، وكتب إلى الأمير تنكز بإجابة سؤاله وتجهيز ابن المؤيد إلى مصر، فجهزه تنكز إلى السلطان، فقابله من الإنعام وإدرار الأرزاق بنظير ما كان لأبيه.

وفى يوم الخميس خامس عشريه: ركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين، وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية؛ وقد نشرت على رأسه الأعلام الثلاثة، منها واحد خليفتى أسود، واثنان سلطانيان أصفران، وعليه خلعة أطلس بطرز ذهب، وعلى رأسه شربوش، وفى وسطه حياصة ذهب بثلاثة بيكارات [(٢)]. وسار الأفضل فى موكب جليل بالقاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل، وقبَّل الأرض بين يدى السلطان بالقصر. ثم جلس الأفضل فخلع على الأمراء الذين مشوا فى

---

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

(٢) على هامش ط: جمع بيكادية وهى حلية من المعدن.

خدمته: وهم الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمدى، والأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور، والأمير طغجى أمير سلاح، والأمير تمر رأس نوبة؛ وقد لبس كل منهم أطلسين. وخلع الأفضل؟ على الأمير شجاع الدين عنبر مقدم المماليك طرد وحش، وخلع على جميع أرباب الوظائف أيضا، وكان يوما مشهودا.

ولقبّه السلطان يومئذ بالملك الأفضل وجهزه إلى بلاده.

وفى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: خرجت التجريدة لكبس الإطفيحيّة، وفيها نحو خمسة عشر أميرا.

وفى أول شعبان: قدم تنكز نائب الشام، لحضور عرس الأمير آنوك ابن السلطان.

وفيه رُسم بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية. ووقع الشروع فى عمل الإخوان [1] فأقام المهم سبعة أيام بلياليها. واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه، فكان أمرا عظيما.

فلما كانت ليلة السابع منه: جلس السلطان على باب القصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد، ومعهم الشموع، فإذا قدّم الواحد ما أحضره من الشمع قبّل الأرض وتأخر. ومازال السلطان بمجلسه حتى انقضت تقادمهم، فكانت عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطارًا، فيها ما عنى به ونُقش نقشا بديعا تُنُوِّع فى تحسينه؛ فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولى، فإنه اعتنى بأمرها وبعث إلى عملها بدمشق، فجاءت من أبدع شىء.

ثم جلس السلطان فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان - وهى ليلة العرس - على باب القصر، وأشعلت تلك الشموع بأسرها. وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه، وأقبل الأمراء جميعا وكل أمير يحمل بنفسه شمعه وخلفه مماليكه تحمل الشمع، فتقدموا على قدر رتبهم، وقبَّلوا الأرض واحدا بعد واحد طول ليلهم، حتى إذا كان آخر الليل نهض السلطان وعَبر إلى حيث مجتمع النساء؛ فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبَّلن الأرض

---

(١) الإخوان، وهو فارسى معرب، والإخوان: كالخوان، قال ابن برى: «ونظير خوان وخون بوان وبون، ولا ثالث لهما»، قال: «وأما عوان وعون فإنه مفتوح الأول؛ وقد قيل بوان، بضم الباء»، وقد ذكر ابن برى فى ترجمة بون أن مثلهما إوان وأون، ولم يذكر هذا القول ههنا الليث: الخوان المائدة، معربة وفى حديث الدابة: «حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر»، وجاء فى رواية: الإخوان، بهمزة، وهى لغة فيه، وقوله فى حديث أبى سعيد: فإذا أنا بأخاون وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر لسان العرب ١٢٩٥.

واحدة بعد أخرى، وهى تقدّم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعا. ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن، فرقصن حسن أيضا واحدة بعد واحدة، والمغانى تضربن بدفوفهن، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقف الحرير يلقى على المغنيات، فحصل لهن ما يحل وصفه؛ ثم زُفّت العروس.

وجلس السلطان من بكرة الغد، وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام.

فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذُبح فيه الغنم والبقر والخيل والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا، وعُمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار، وبلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: استقرّ الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق مهمندار، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزى بعد وفاته.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: استقرّ شرف الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الجيش، بعد وفاة الفخر محمد بن فضل الله. واستقرّ شرف الدين عبد الوهاب النشو فى نظر الخاص، عوضا عن شرف المذكور، فى يوم الخميس تاسع عشره.

وكان الفخر لما اشتدّ به المرض بلغه عن موسى بن التاج إسحاق أنه سعى فى نظر الجيش، فشقّ عليه ذلك، وركب وقد انتهك من شدة المرض، ودخل على السلطان وقال: «ما أزعجتُ نفسى إلا لنصحك، ولأوصيك بعائلتى وأولادى، وعندى ذخيرة للسطان؛ فأما نصيحتى فهى أن أولاد التاج إسحاق تواصَوا على أكل مال الخاص والدولة، والعمل على السلطان». وبالغ الفخر فى الوقيعة فيهم، وعرّف السلطان أنه ادّخر عشرة آلاف دينار وشيئا من الجواهر، وجميع ذلك للسلطان، فشكره السلطان، وأثّر فيه كلامه فى أولاد التاج إسحاق.

ثم قام الفخر وعاد إلى داره، ثم طلب بعد ثلاثة أيام الأمير علاء الدين بن هلال الدولة، ودفع إليه ورقة مختومة وأوصاه أن يدفعها إلى السلطان بعد موته؛ فأوقف ابنُ هلال الدولة السلطان عليها وتركها عنده. فمات الفخر من الغد، فنزل ابن هلال الدولة وأولاد التاج إسحاق وعدة من الأمراء إلى بيت الفخر وأحاطوا به. فوجدا فيه عشرة آلاف دينار، وهى التى عيّن الفخر، وموضعها للسلطان؛ ووجدوا معها جواهر.

فعادوا بذلك إلى السلطان، ومعهم لؤلؤ مملوك الفخر؛ فأمره السلطان أن يعرّفه بما لأستاذه من الأموال، وهدّده تهديدا كبيرا، فالتزم أنه لا يخفى شيئا. ونزل لؤلؤ فكتب عدة أوراق اشتملت على أصناف من البضائع للتجارة، وعلى عدد بساتين ودواليب ومعاصر بأرض مصر وضياع بالشام - كدمشق وحماة وحلب وغزة [1] والقدس وغيرها - منها ما وقفه ومنها ما هو غير وقف. فأوقع السلطان الحوطة على جميع موجوده بديار مصر، وكتب إلى نواب الشام بمثل ذلك؛ ورسم بيع الأصناف، فبلغت قيمة ما وُجد له ألف ألف درهم سوى ما تركه السلطان لأولاده.

وكان النشو فى ابتداء أمره يتخدّم لابن هلال الدولة شاد الدواوين، ويتردّد إليه كثيرا ويبالغ فى خدمته؛ فاستخدمه ابن هلال الدولة فى الأشغال، وقدّمه إلى السلطان، وشكر من كتابته، إلى أن استخدمه السلطان مستوفيا؛ فصار النشو يُعَدّ من إنشاء ابن هلال الدولة. ثم إنه لما أسلم تسمى بعبد الوهاب، وتلقب بشرف الدين؛ فعندما استقرّ عند الأمير آنوك ابن السلطان صار يخلو بالسلطان ويحادثه فى أمر الدولة. ويكثر من الوقيعة فى الدواوين، حتى أثر كلامه فى نفس السلطان، وتصوّر فى ذهنه منه أنه يحصِّل له مالاً كثيرا. فما هو إلا أن استقرّ فى نظر الخاص حتى أخذ يغرى السلطان بأولاد التاج إسحاق حتى غيّره عليهم، فعزل السلطان شرف الدين موسى من نظر الجيش فى نصف شعبان بعد عشرين يوما من توليته، وَوَلّى مكين الدين إبراهيم بن قزوينة عوضه، وأمَرَ بالقبض على شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم ولدى التاج ومصادرتهما، فقبُض عليهما فى يوم الخميس سابع عشر شعبان.

وذلك أنه اتفق أن السلطان استدعى ابن هلال الدولة، وأسرّ إليه أن الأمراء إذا دخلو إلى الخدمة وخرجوا يمضى ومعه الشهود وناظر بيت المال، ويحاط على بيوت أولاد التاج إسحاق. فلما جلس القضاة، ووقف الأمراء وأرباب الدولة بالخدمة وشرف الدين موسى بن التاج إسحاق فيهم - التفت السلطان إلى القضاة وأخذ فى الثناء على شرف الدين، وقال فى آخر كلامه: «أنا ربيت هذا وعملته كاتبى» فانفض أهل الخدمة وهم بستعظمون هذا من السلطان فى حقّ ناظر الجيش، وحلّ موسى فى أعينهم. فما هو إلا أن جلس موسى بديوان الجيش من القلعة حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على

---

(١) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢. وفى الروض المعطار غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

بيته، وأن رسل الديوان على باب ديوان الجيش، وبلغ الخبر أيضا إلى أخيه علم الدين إبراهيم وهو جالس والدواوين بين يديه، فنظر فإذا جماعة من الرسل قد وقفوا مرسّمين عليه؛ فأغلق كل منهما دواته، وجلس ينتظر الموت إلى العصر. ثم صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة، وهي تشتمل على شيء كثير جدا، منها لزوجة علم الدين إبراهيم أربعمائة سروال. فسُلّم شرف الدين موسى وعلم الدين لإبراهيم بن هلال الدولة، وأحضرت المعاصير؛ وسئل موسى عن صندوق ذُكر أنه أخذه من تركة أبيه، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة ألف دينار صارت إلى أبيه من جهة المكين الترجمان بعد موته؛ فأنكر موسى ذلك وحلف عليه. فرقّ له ابن هلال الدولة و لم ينله بمكروه، فأنكر عليه شرف الدين النشو عبد الوهاب ترك عقوبته، فما زال ابن هلال الدولة يدافع عنه وهو يحمل المال من قبله ومن قبل أخيه شيئا بعد شيء.

وفى ثانى شعبان: خَلع السلطان على شرف الدين أبى بكر بن شمس الدين محمد بن الشهاب محمود، كاتب سرّ فى كتابة السرّ بديار مصر، عوضا عن القاضى محيى الدين ابن فضل الله. واستقرّ ابن الشهاب محمود محيى الدين فى كتابة السرّ بدمشق، وخُلع عليه بذلك بعدما طيب السلطان خاطره وأثنى عليه وشكره. وكان ابن الشهاب محمود قد قدم مع الأمير تنكز، ومثل بين يدى السلطان، فأعجب بشكله؛ وأخذ تنكز يثنى عليه بأنه أمين مأمون الغائلة. وكان محيى الدين بن فضل الله قد ثقل سمعه، فوقع اختيار السلطان أن ينقله إلى دمشق، ويولّى بين يديه عوضه ابن الشهاب محمود؛ فحدّث السلطانُ الأميرَ تنكز فى ذلك، فما وسعه إلا موافقة غرض السلطان فيما أحبّ.

وفيه رسم للأمير تنكز بالعود إلى دمشق، فتوجه من القاهرة يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان.

وفى يوم الأحد عشريه: خلع السلطان على القاضى مكين الدين بن قزوينة واستقرّ فى نظر الجيش، عوضا عن شرف الدين موسى بن التاج ناظر الخاص؛ وقد نقل ابن قزوينة إليها من استيفاء الخاص ونظر ديوان ابن السلطان ونظر ديوان الأمير بشتاك.

وفيه أمر النشو ناظر الخاص وابن هلال الدولة شاد الدواوين بتجهيز السلطان إلى سفر الحجاز، فشرعا فى طلب العربان وإعداد الإقامات من البقسماط والدقيق والشعير وغير ذلك.

وفيه رسم للملك الأفضل صاحب حماة بالتوجه إلى بلده صحبة الأمير تنكز.

وفى يوم الأربعاء ثانى شعبان: استدعى السلطان الأمير صلاح الدين يوسف

المهمندار وخلع عليه، واستقرّ دوادارا عوضا عن الأمير يوسف الجاى بعد موته؛ واستقرّ عوضه فى المهمندارية الأمير سيف الدين جاريك مملوك قفجق الجوكندار.

وفيه وقع الجدّ فى أمر السفر إلى الحجاز، وكُتِبت أوراق بأسماء الخواتين وبعض السرارى وبعض الأمراء ليكونوا صحبة السلطان فى سفره. وكُتب إلى نواب الشام باستدعاء ما يحتاج إليه، فشرعوا فى عمل ذلك وحملوه؛ وهو عدة أصناف وكثير من الهجن بسلاسل الذهب والفضة، وعدة من الخيول، وقدّم أيضا عامة أمراء مصر والشام تقادم جليلة على قدر مراتبهم وقَدِمت تقادم أمراء العربان من آل فضل وآل مهنا وآل عيسى، وتنافسوا بأجمعهم فى تقادمهم، وقصد كل أحد أن يمتاز على الآخر. واستدعى السلطان الأمير موسى بن مهنا [1] ليسافر فى الصحبة، وحشر جميع الصناع من القاهرة ومصر للعمل فى هذا المهم.

وفيه نقُل موسى بن التاج إسحاق وأخوه إبراهيم من عند ابن هلال الدولة إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة. ورُسم له بعقوبة موسى حتى يحضر الصندوق. فأمره النشو أن يبسط عليهما أنواع العذاب، ويضرب موسى بالمقارع، فاستأذن السلطان على ذلك، وعرّفه ما أمره به النشو؛ فمنعه السلطان من ضربه بالمقارع، لكنه يهدّده ويضربه تحت رجليه نحو خمس عشرة ضربة. فبعث النشو عندما نزل من القلعة مَنْ يحضر ضَرْبَ موسى بالمقارع؛ غير أن ابن المحسنى عمل بما أشار به السلطان، فأحضر موسى وهدّده، وأمَرَ به فبُطح وضُرب بالعصى نحو عشرين ضربة؛ فتنكّر عليه النشو واشتدّ حنقه عليه.

وفى سادس رمضان: أفرج عن الأمير مغلطاى، بعدما سُجن عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام.

وفى شوال: خرج محمل الحاج إلى البركة على العادة، مع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أمير الركب، ورحل فى عشريه. وكان السلطان قد ركب فى ثامن عشره، نزل بسرياقوس ثم استقبل بالمسير إلى الحجاز فى الإثنين خامس عشريه بعدما قدّم حرمه صحبة الأمير طَقَتَمُر فى عدة من الأمراء. واستناب السلطان على ديار مصر سيف الدين ألماس الحاجب، ورسم له أن يقيم فى داره؛ وجعل الأمير آقبغا عبد الواحد

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ، واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

داخل باب القلة، برسم حفظ الدور، وجعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بالقلعة وأمره ألا ينزل منها حتى يحضر؛ وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه، وتقدم إليهم ألا يعودوا منها حتى يرجع من الحجاز.

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة، - وكان قد قدم يوم الأحد سادس عشرى شعبان- ومن الأمراء جنكلى بن البابا، والحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى، وبهادر المعزى، وأيدغمش أمير آخور، وبكتمر الساقى وطقزدمر، وسنجر الجاولى وقوصون، وطَايَرْبغا، وطُغَاى تَمُر، وبَشْتَاك، وأَرُنْبُغا، وَطُغْجِى، وأحمد بن بَكْتَمُر الساقى، وصُوصُون، وبَهادُر الناصرى، وجَرْكَتْمُر بن بَهادُر، وطَيْدَمر الساقى، وآقْبُغا آص الجاشنكير، وطَقْتَمُر الخازن، وطُوغان الساقى وسُوسن السلحدار، وبُلَك، وبَيْبُغا الشمسى، وَبَيغَرَا، وقمارى، وتَمُر المُوسَوِىّ، وأَيْدَمُر أمير جاندار وبَيْدَمُر البَدرى، وطَقْبُغَا الناصرىّ وأيتمش الساقى، وأياز الساقى والْطُنقش، وأنس، وأَيْدَمُر ددُقْمان، وطَيْبُغَا المحمدى، وجاريك، وقُطُز أمير آخور، وبَنيدَمُر، وأَيْبك، وأَيْدَمُر العمرى ويحيى ابن طَايَرْبغا، ومسعود الحاجب، ونورُوز، وكجلى، وبرلغى، وبكجا ويوسف الدوادار، وقطلقتمر السلحدار، ونانق، وساطلمش، وبغاتمر، ومحمد بن جنكلى، وعلى بن أيدغمش، وألجاى، وآقسنقر الناصرى، وقرا، وعلاء الدين على بن هلال الدولة، وتمربغا العقيلى، وقمارى الحسنى، وعلىّ بن أيدمر الخطيرى، وطقتمر اليوسفى، وكل هؤلاء مقدمون وطبلخاناه؛ ومن أمراء العشرات على بن السعيدى، وصاروجا النقيب، وآقسنقر الرومى، وأياجى الساقى، وسنقر الخازن، وأحمد بن كجكن، وأرغون العلائى، وأرغون الإسماعيلى، وبغا، ومحمد بن الخطيرى، وأحمد بن أيدغمش، وطشبغا، وقليجى.

وحج مع السلطان أيضا قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [1]، وحج أيضا عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وموافق الدين الحنبلى، وعز الدين بن الفرات الحنفى، وفخر الدين النويرى المالكى؛ وكانوا أربعتهم ينزلون فى خيمة واحدة، فإذا تقدمت

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١/١٨٦، ٢/٢١٧ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢/٣٢٤ والبدر الطالع ٢/١٨٣ والبداية والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ ومرآة الجنان ٤/٣٠١ والوافى بالوفيات ٣/٢٤٢ وطبقات الشافعية ٥/٢٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ٦/١٩٢.

إليهم فتوى كتبوا عليها، وهذا من غريب الاتفاق. وقدّم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة، ومعه مائة رجل من الحجّارين حتى وسَّعها وأزال وعرها، ومن يومئذ سهل صعودها.

وفيها بلغ ماء النيل عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا.

وفيها طلب الشيخ شمس الدين الأصفهانى من دمشق على البريد إلى القاهرة.

وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، بالحسينية خارج القاهرة.

وفيها استقرّ علاء الدين على بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق.

وفيها قبض على الصاحب شمس الدين غبريال، وأحيط بأمواله وأسبابه.

وكان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وذلك فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة وهو ثانى عشر مسرى. وبلغ ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر إصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى - ويلقب خَرَز [١] - الوزير، عند نزوله من سطح العقبة، فى يوم الأحد سابع عشر المحرم؛ وحمل إلى القاهرة، فدفن بخانكاته، فى يوم الخميس حادى عشريه؛ وهو من المماليك الناصرية، نقله السلطان وهو شاب من الخاصكية إلى إمرة بهادر الإبراهيمى - المعروف بِرَبْرَابة - نقيب المماليك، وبعثه فى مهماته، ثم ولاهُ أستادارا ووزيرا، وحكّمه فى جميع المملكة؛ وكان جواد عارفا يميل إلى الخير حشما؛ وانتفع به جماعة كثيرة فى ولايته، لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المالَ، فقصده الناس لذلك، وكان إذا ولّى أحدا وجاء من يزيد عليه عَزَله وولى الذى زاد بعدما يعلم أنه قد استوفى ما قام له به من المال، ومَنْ لم يستوف ذلك لا يعزله؛ ولم يصادر أحدًا فى مدة ولايته، ولا عرف أنه ظلم أحد، بل كانت أيامه مشكورة؛ وكان المستولى عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، وترك عدة أولاد من ابنة الأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس؛ وإليه تنسب مدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة.

---

(١) لفظ خرز تركى ومعناه الديك فى اللغة العربية، وأن الوزير مغلطاى كان أميا لا يعرف كتابة اسمه.

وتوفى الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حماة، فى سابع عشرى المحرم، عن نحو ستين سنة، كان أولا بدمشق من جملة أمرائها، ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح، ثم لقبه بالملك المؤيد، وأركبه فى القاهرة بشعار السلطنة والأمراء مشاة فى خدمته - حتى الأمير أرغون النائب - وقام بجميع ما يحتاج إليه، وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض، وكتب هو إليه: «أخوه محمد بن قلاوون»؛ وكان كريما فاضلا فى الفقه والطب وغير ذلك، وله عدة مصنفات، منها تاريخ جيد، وله شعر بديع.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربيعى الجعبرى [١] شيخ القراءات فى شهر رمضان.

وتوفى صدر الدين أحمد بن محمد بن عبدا لله الدندرى الشافعى، فى ليلة الجمعة ثامن جمادى الآخر. وكان من شيوخ القراءات وفضلاء الفقهاء بقوص [٢].

وتوفى الأمير سيف الدين الجاى الدوادار، يوم الإثنين مستهل شعبان.

ومات الديستى والكنجارى، فى يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول.

وتوفى القاضى فخر الدين محمد بن فضل ا لله ناظر الجيش، يوم الأحد سادس عشر رجب.

وتوفى سُونتَاى نوين حاكم ديار بكر [٣]، عن نحو المائة سنة؛ وحكم بعده على بادشاه خال بوسعيد.

و توفى ياقوت بن عبدا لله الحسنى الشاذلى، تلميذ أبى العباسى المُرسى، ليلة الثامن

---

(١) إبراهيم بن عمر بن خليل الجعبرى، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعفر أعلى الفرات، بين نابلس والرقة، وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل فى فلسطين إلى أن مات. له نحو مائة كتاب أكثرها مختصر، منها «خلاصة الأبحاث» و«شرح الشاطبية». انظر الأنس الجليل ٤٩٦/٢ والبداية والنهاية ١٦٠/١٤ والدرر الكامنة ٥٠/١ وغاية النهاية ٢١/١ وعلماء بغداد ١٢ وطبقات الشافعية ٨٢/٦ وتاريخ العراق ٥١٠/١ والأعلام ٥٥/١،٥٦.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر؛ بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٣) بلاد واسعة، حدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميافارقين. انظر معجم البلدان ٤٩٤/٢.

عشر من جمادى الآخرة؛ وكان شيخا صالحا مباركا ذا هيئة ووقار، لم يخلف فى الإسكندرية مثله.

وتوفى الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوى، بطنطا [1] فى ذى الحجة؛ وله شهرة بالصلاح، ويقصد للزيادة والتبرك به.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى، يوم السبت سابع ذى القعدة، بعد خروجه من السجن بقليل.

* * *

---

(١) من قرى مصر على النيل المفضى إلى المحلة، وهى من كورة الغربية، بينها وبين المحلة ثمانية أميال. انظر، معجم البلدان ٤/٤٣.

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

فى ثامن المحرم: قدم الأمير بلك الجمدار المظفرى مبشرا بسلامة السلطان؛ فدقّت البشائر، وخلِعَت عليه خلع كثيرة، واطمأنّ الناس بعدما كانت بينهم أراجيف؛ وُعيّنت الإقامات للسلطان والأمراء.

وكان السلطان لما قرب فى مسيره من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدة من المماليك، فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر؛ فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقى فإنه أشار بإتمام السفر، وشنع عوده قبل الحج. فسير السلطان ابنه آنوك وأمه إلى الكرك، صحبة الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك وكان قدم إلى العقبة، ومعه ابنا السلطان أبو بكر [1] وأحمد ثم مضى السلطان فى يوم هو محترز غاية التحرّز، بحيث أنه ينتقل فى الليل عدة مرات من مكان إلى آخر، ويخفى موضع مبيته من غير أن يظهر أحدا على ما نفسه مما بلغه، إلى أن وصل إلى ينبع. فتلقّاه الأشراف من أهل المدينة بحريمهم، وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحريمه؛ فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى أن نزل خُليص فى ثلاثين مملوكا إلى جهة العراق.

فلما قدم السلطان مكة أكثر بها من الإنعام على الأمراء، وأنفق فى جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهبا كثيرا، وعمّ بصدقاته أهل الحرم. فلما قضى النسك عاد يريد مصر، فلما وصل إلى المدينة النبوية هبّت بها فى الليل ريح شديدة جدا ألقت الخيم كلها؛ وتزايد اضطراب الناس، وفرّ منهم عدة من المماليك؛ واشتدّت ظلمة الجوّ، فكان أمرا مهولا. فلما كان النهار سكن الريح، فظهر أمير المدينة بمن فرّ من المماليك؛ فخلع السلطان عليه، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال وغيره. وبعث السلطان بالمماليك إلى الكرك، وكان آخر العهد بهم.

وقدم السلطان إلى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشر المحرم، بعدما ورد الخبر بموت

---

(١) أبو بكر بن محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ، ثم قبض عليه قوصون وأرسله إلى السجن فى قوص وأمر بقتله، مدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر بدائع الزهور ١٧٦/١ والبداية والنهاية ١٤/١٩٠،١٩١ والنجوم الزاهرة ٣٠/١٠ والأعلام ٦٩/٢.

بكتمر الساقى وولده وكثرت الإشاعات. وقد خرج معظم الناس إلى لقائه، بحيث غلقت أسواق القاهرة ومصر؛ وخرج شرف الدين النشو، فبسط الشقاق الحرير والزَّر بفت [1] التى جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة - من بين العروستين إلى باب الإصطبل. فلما توسط السلطان بين الجبلين صاحت العامة: «هوإياه؟ ما هوإياه؟ با لله اكشف لثامك وأرنا وجهك!!». وكان السلطان قد تلثم، فحسر اللثام عن وجهه، فصاحوا بأجمعهم: «الحمد لله على السلامة»، وبالغوا فى إظهار الفرح به والدعاء له، فسرّه ذلك منهم. وصعد السلطان القلعة، فدقّت البشائر، وعملت الأفراح ثلاثة أيام. وكانت حجة السلطان هذه يضرب بها الأمثال: أبيع بمكة فيها الأردب من الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهما؛ وأبيع البقسمات بالعدل، فكان يقف كل رطل منه بفلس واحد؛ وأبيع السكر كل رطل بدرهمين، والعلبة الحلوى بثلاثة دراهم. وقدمت تنكز نائب الشام إلى خليص [2]، فعمت الناس وأنعم السلطان على جميع أهل مكة، وكان إنعامه على الشريف رميثة بخمسة آلاف دينار، وعلى زوجته بخمسمائة دينار، وذلك سوى ما أنعم به على البنات وغيرها. فقدّم له رميثة مائة فرس، وألف رأس من الغنم؛ فردّ الجميع وأخذ منها فرسين لا غير.

وفى يوم الإثنين عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وخلع على جميع الأمراء والمقدمين، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة.

وفيه منع السلطان النشو من التعرض لمباشرى بكتمر الساقى وسائر ألزامه، وطلب المهذب كاتب بكتمر، وألزمه بكتابة ما خلفه؛ فوجد له ستة وثلاثون ألف أردب غلة، ومن السلاح والجوهر وغيره ما زادت قيمته على مائة ألف دينار؛ واتهم موسى الصير فى أنه خصّه مما سرقه مباشروه خمسة وعشرون ألف دينار. ثم عرض السلطان مماليك بكتمر، وأخذ منهم جماعة؛ وأنعم على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله ومغله، ثم زوجه زوجته بعد وفاء عدتها.

وفى ثالث عشريه: سافر الأفضل صاحب حماة.

وفيه قدم البريد من تنكز نائب الشام بتهنئة السلطان بقدومه سالما، وطلب الإذن له فى القدوم إلى القاهرة؛ وشكا تنكز من الأمير طينال نائب طرابلس، لترفعه عليه وخرق

---

(١) على هامش ط: الزر بفت القماش المنسوج معظمه من خيوط الذهب، وهو لفظ فارسى الأصل.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٣٨٧/٢.

حرمته، وإعراضه عما يكاتبه فيه. فأجيب بالشكر والإذن له بالحضور، وعزل طينال واستقر الأمير قرَطاى عوضه؛ ونُقل طينال إلى نيابة غزة إهانه له. وركب الأمير يبغرا البريد لتقليد المذكورين، وقد أوصاه السلطان إلى رأى من طينال كراهة لنيابة غزة يقبضه ويحضر به مقيدا.

وفيه كُتب بإضافة غزة إلى نيابة الشام، وأن نائبها يكاتب نائب الشام فيما يعنّ له من الأمور، ولا يكاتب السلطان.

وفى يوم الإثنين خامس صفر: قدم الصاحب أمين الدين عبدا لله بن الغنام باستدعاء، وخلع عليه؛ واستقرّ فى نظر الشام ونظر الخاص بها ونظر الأوقاف، عوضا عن الشمس غبريال؛ وكُتب توقيعه من إنشاء الصلاح خليل بن أيبك الصفدى، وسافر فى حادى عشره.

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جنكلى بن البابا بإمرة طبلخاناه، وأنعم بعشرة على أخيه.

وفى هذا الشهر: كثرت مصادرات النشو للناس: فأقام من شهد على التاج إسحاق أنه تسلّم من المكين الترجمان صندوقا فيه ذهب وزمرّد وجوهر مثمن، فرُسم لابن المحسنى بعقوبة موسى بن التاج إسحاق حتى يحضر الصندوق. وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبّع حواشى ابن التاج إسحاق؛ فقدم قنغلى والى البهنسا [١]، وقتشمر والى الغربية، وفخر الدين إياس متولى المنوفية [٢]، وعدة من المباشرين؛ فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال.

وفى يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين بيغرا لتقليد الأمير شهاب الدين قرطاى نيابة طرابلس، عوضا عن طينال، وقد نقل قرطاى إليها من إمرة بدمشق؛ واستقر طينال فى نيابة غزة.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير تنكز نائب الشام، فأكرمه السلطان إكراما زائدا على عادته.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٥١٦، ١٥٧.

(٢) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٦.

وفيه تفاوض شرف الدين أبو بكر محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ والأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، حتى توحش ما بينهما، وارتفعا إلى السلطان. فسأل كاتب السر أن يعود إلى الشام، فأجيب إلى ذلك؛ وكتب بطلب محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق، ليستقرّ فى كتابة السرّ.

وفيه قدم البريد بموت قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق، فتروى السلطان أياما فيمن يولى عوضه، إلى أن تعين فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبدالله بن أحمد بن على بن الحلى؛ فخلع عليه فى أول صفر، وسافر إليها فى تاسع عشر صفر.

وفى تاسع جمادى الآخرة: خلع على الأمير تنكز خلعة السفر؛ وتوجه إلى دمشق، وصحبته ابن الحلى ناظر الجيش، وشرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السرّ.

وفى سلخ جمادى الآخرة: قدم محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى من دمشق بأولاده، فخلع عليه؛ واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن ابن الشهاب محمود؛ وخلع على أولاده.

وفيه قدم ناظر حلب وعامة مباشريها، فتسلمهم ابن هلال الدولة لعمل الحساب وسبب ذلك أنه لما مات فندش ضامن دار الطعم وعدّاد الأغنام بحلب، قام بعده من ضمن الجهتين؛ فسعى بدر الدين لؤلؤ الحلبى مملوك فندش فى الضمان، فلم يجب إليه لسوء سيرته، فكتب إلى السلطان بأنه يعين فى جهة مباشرى حلب أموالا عظيمة أهملوها وصالحوا عليها؛ فطلبوا لذلك. وكان لؤلؤ قد حضر إلى القاهرة، فعينه السلطان شاد الدواوين بحلب، فسافر إليها صحبه الأمير سيف الدين جركتمر الناصرى، وأخذ فى كشف أحوال المباشرين ومحاققتهم بناء عن أمر السلطان.

وفيه قدم المخلص أخو النشو من كشف الدواليب والزراعات بالوجه القبلى، فأغرى النشو السلطان بمباشرى الوجه القبلى، وأنهم فرّطوا فى مباشراتهم، وأتلفوا عدة أموال للسلطان. فكتُب بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى شادّيه وعماله وشهوده والمتحدثين، وحَملهم وحمل الأمير أحمر عينه وإيقاع الحوطة على موجوده كله – وكان قديم المباشرة فى الدواليب، وله سعادة جليلة – وحمل عز الدين أيبك شاد الدواليب – وكان أيضا صاحب أموال جزيلة – فأوقعت الحوطة على أموال الجميع، وحُملوا إلى القاهرة.

وفيه طلب النشو تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب

والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته، وركب إلى دار القند، واعتبر أوزان القنود الواصلة إلى الأمراء من معاصرهم وغيرها، وكانت شيئا كثيرا. وكان السلطان قد رسم للأمراء بمسامحتهم بما عليها للديوان، فألزم النشو مباشريهم بما عليهم للديوان عنها، ولم يمتثل ما فى المراسيم السلطانية من مسامحتهم. ثم ركب النشو إلى السلطان، وعرّفه بأن الذى للديوان على القنود التى اعتبرها فى يومه مبلغ ستة آلاف دينار، وأنه كلّ قليل يرد للأمراء من القنود مثل ذلك وأكثر منه، وأنّ مال السلطان يذهب فى هذا وأمثاله، فإن الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء شيئا كثيرا. فأثّر ذلك فى نفس السلطان، ومكّن النشو من عمل ما يختاره، وألا يسامح أحدا بشىء مما عليه للديوان. فشق ذلك على الأمير قوصون، وحدث السلطان فى إمضاء ما رسم له به من المسوح عن القند؛ فلم يجبه السلطان إلى ذلك، ووعده أنه يعوّضه عليه بأكثر منه. فانكفّت الأمراء عن السؤال، وعظم النشو بهذا فى أعين الناس.

واستدعى النشو ابن الأزرق ناظر الجهات - وكان ظلوما غشوما - فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار، وطرح عليهم قماشا- استدعى به من الإسكندرية - بثلاثة أمثال قيمته، وأخرق بمن عارضه منهم؛ وحمل النشو للسلطان من هذا وشبهه أموالا عظيمة.

وفيه قدم الصاحب شمس الدين عبدا لله غبريال بن أبى سعيد بن أبى السرور من دمشق فألزم بحمل أربعين ألف دينار وضعها كريم الدين عنده ليتجر له بها، وحمل ما أخذه فى مباشرته من مال السلطان؛ وكان ذلك بإغراء النشو. فقام فى أمره الأمير بتشاك والأمير قوصون حتى يقرر عليه ما يحمله من غير أهنة، فحمل ألف ألف درهم.

وعمّت مضرة النشو الناس جميعا، وانتمى إليه عدة من الأشرار، ونّموا على الكافة من أهل القبلى والوجه البحرى، ودلوه على منْ عنده شىء من الجوارى المولّدات لشغف السلطان بهن، فحملت إليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن؛ وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضا، فدهى الناس منه بلاء عظيم.

وفى سلخ شوال: أخرج صلاح الدين الدوادار على البريد منفيا إلى صفد، وخُلع على سيف الدين بغا الدوادار الصغير عوضه. وسبب ذلك أنه كان مترفعا، يعامل رفقاءه بشمم وتكبر. وكان شهاب الدين أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله [1] كاتب

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ، حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره=

السرّ يباشر عن أبيه وعن جدّه فى مزاحة وقوّة نفس، فسلك صلاح الدين معه مسلكه مع ابن الشهاب محمود؛ فلم يحتمل شهاب الدين ذلك منه، وصار بينهما شنان، إلى أن اتفق فى بعض الأيام ذكرُ السلطانِ الفخرَ - ناظر الجيش، فترحم عليه، فقال صلاح الدين: «يا خوند [١]! لا تترحم علَى ذاك، فإنه ما كان مسلما». فغضب السلطان من معارضته له، وقال: «والله يا صلاح الدين هو أيضا كان يقول عنك أنك لست بمسلم»؛ وتبين فى وجه السلطان الغضب، وانفضّ المجلس. فذكر بعد ذلك صلاح الدين عند السلطان فقال عنه: «ذاك ما يتحدث عن أحد بخير»؛ فانتهز ابن فضل الله الفرصة فى صلاح الدين، ومازال به حتى أبعده السلطان وعزله فى يوم الأربعاء حادى عشر رمضان، وأقام سيف الدين بغَا دوادارا عوضه؛ ثم أخرج صلاح الدين أميرًا بصفد، فى سلخ شوال.

وفى هذه السنة: أخذ الأمير قوصون دار الأمير بيسرى بالقاهرة - وكانت وقفا - فعمل محضر بشهود القيمة أن قيمتها مبلغ مائة وتسعين ألف درهم وتكون الغبطة للأيتام عشرة آلاف درهم، فكملت مائتان ألف؛ فحكم القاضى شرف الدين الحرانى الحنبلى ببيعها وشراء عقار بثمنها. وهذا بعد أن كان كتاب وقف بيسرى لها فيه من الشهود عدة اثنين وسبعين عدلا، منهم تقى الدين ابن دقيق العيد [٢]، وتقى الدين بن رزين، وتقى الدين ابن بنت الأعز [٣]، وذلك قبل بلوغهم درجة القضاء؛ فكان هذا مما شنع ذكره، فإنها دار يجل وصفها ويتعذر وجود مثلها.

=وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. مولده ومنشوه ووفاته فى دمشق. من تصانيفه «سالك الأبصار فى ممالك الأمصار». انظر فوات الوفيات ٧/١ وابن الوردى ٣٥٤/٢ والدرر الكامنة ٣٣١/١ النجوم الزاهرة ٣٣٤/١٠ وآداب اللغة ٢٢٦/٣ والأعلام ٢٦٨/١.

(١) لقب يطلق على الملوك.

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، والمعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها «إحكام الأحكام» فى الحديث. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ وشذرات الذهب ٥/٦ وإحكام ١٤/١ وخطط مبارك ١٣٥/١٤ والأعلام ٢٨٣/٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى: وزير، فقيه، له نظم حسن. ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى. وتوفى كهلا، انظر فوات الوفيات ٢٥٦/١ وابن كثير ٣٤٦/١٣ والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ والأعلام ٣١٥/٣.

وفيها عمل السلطان باب من خشب السنط [(١)] الأحمر، وصفّحه بفضة زنتها خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم؛ ومضى به الأمير سيف الدين، برسبغا الساقى إلى مكة، فقلع باب الكعبة العتيق، وركب هذا الباب وأخذ بنو شيبة الباب العتيق، وكان من خشب الساسم [(٢)] المصفح بالفضة، فوجدوا عليه ستين رطلا من فضة تقاسموها؛ وترك خشب ذلك داخل الكعبة، وعليه اسم صاحب اليمن فى الفردتين، واحدة عليها: «اللهم يا ولى يا على! اغفر ليوسف بن عمر بن على» [(٣)]

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ذى القعدة وحادى عشر مسرى: كان وفاء النيل، وبلغ سبعة عشر ذراعا وثمانى أصابع.

وفيها هدمت قاعة الصاحب وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل، ورسم أن تكون دار الوزارة وقاعة الإنشاء بدار التيابة. وكانت دار الوزارة قد عمرت فى الأيام الأشرفية برسم ابن السلعوس.

وفى عشرى ذى الحجة: قبض الأمير ألماس الحاجب وأخوه قرا، وسجنا مقيدين؛ ثم أخرج قرا إلى الإسكندرية فى رابع عشريه.

وفى حادى عشريه: خُلع على الأمير بدر الدين مسعود بن خطير، واستقرّ حاجبًا عوضا عن ألماس.

* * *

ومات فيها من الأعيان

ناظر الجيش بدمشق قطب الدين بن موسى بن أحمد بن الحسن المعروف بابن شيخ السلامية عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر المرزوقى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان.

---

(١) هو خشب من القصليلة القرينة، ثمره القرظ ينمو بمصر والشام.واحدته سنطة. انظر المعجم الوسيط (سنط).

(٢) الساسم شجر ذو خشب أسود، وهو الأبنوس أو الشيزى ومنه تعمل القسى.

(٣) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ، بصنعاء وأحسن صيانة الملك وسياسته. طالت مدته. استمر إلى أن توفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠،٨٥،٨٨-٢٨٤ وابن الوردى ٢/ ٢٤٠ابن الفرات ٨/ ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤١ والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١ الكتبخانة ٦/ ٤١ والأعلام ٨/ ٢٤٣/ ٢٤٤.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة [1] الحموى الشافعى، فى حادى عشر جمادى الأولى، وهو معزول، بعدما عمى.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى [2] الشافعى، صاحب كتاب التاريخ، فى الحادى والعشرين من رمضان.

ومات الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بوادى عنتر من طريق الحجاز فى المحرم؛ واتهم السلطان بأنه سمّه، فحُمل مصّبرا.

ومات الأمير بكتمر الساقى بعد موت ولده بثلاثة أيام؛ وكان موت ولده الأمير أحمد فى ليلة الثلاثاء سابع المحرم - ورحل إلى نخل[3] فدفن بها - وموت الأمير بكتمر يوم الجمعة عاشر المحرم - وقد حمل إلى عيون [4] القصب، فدفن بها - ثم نقل بكتمر وولده إلى خانكاته من القرافة بالقاهرة، فدفنا بها يوم الأحد سابع ربيع الآخر واتهم السلطان بأنه سمّ بكتمر أيضا، وذلك أنه كان قد عظم أمره بحيث أن السلطان فى هذه الحجة كان معه ثلاثة آلاف ومائة عليقة، وكان مع بكتمر ثلاثة آلاف عليقة؛ وبلغت عدة خيوله مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل، وكان عليق خيله دائما ألفا ومائة عليقة كل يوم. فلما توجه مع السلطان إلى الحج وشى به أنه يريد قتل السلطان، فتحرّز السلطان على نفسه غاية التحرّز، وكان فيه من الدهاء والمكر ما لا يوصف،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الزوى فى الحديث النبوى». انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ودار الكتب ٥٣٥/٥ والأعلام ٢٩٧/٥، ٢٩٨.

(٢) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى: عالم بحاث غزير الاطلاع. نسبته إلى نويرة من قرى مصر. مولده ومنشأه بقوص. تقلب فى الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش فى طرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية له مصنفات منها «نهاية الأرب فى فنون الأدب». توفى بالقاهرة. انظر الطالع السعيد ٤٦ والدرر الكامنة ١٩٧/١ والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ والبداية والنهاية ١٦٤/١٤ والأعلام ١٦٥/١.

(٣) موضع على مسافة مرحلتين من المدينة فى طريق الشام. انظر معجم البلدان ٧٦٨/٤، ٧٦٩، والروض المعطار ٥٧٦، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٣.

(٤) تقع هذه البلدة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح، وعلى مقربة من شاطئ البحر الأحمر.

فأخذ يدبر على بكتمر ويلازمه بحيث عجز بكتمر أن ينظر إلى زوجته، فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه، وإذا نزل جلس معه، فإن مضى إلى خيامه بعث فى طلبه، بحيث إنه استدعى به - وهو يتوضأ بواحد بعد الآخر من الجمدارية، حتى كمل عنده عدة اثنى عشر جمدارا. فلما ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان فى تلك الليلة اغتيال بكتمر وولده، وأعدّ لذلك جماعة؛ فهجموا على أحمد بن بكتمر فلم يتمكنوا منه، واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعا، فمرّوا فى طلبهم؛ فداخل الصبىّ منهم فزع كثير غُشى عليه منه. وزاد احتراز السلطان على نفسه، وتقدم بأن تنام الأمراء بمماليكهم على بابه. وسار السلطان من المدينة، فيقال إنه سقى الصبى ماء باردا فى مسيره كانت فيه منيته، ثم بعد قليل سقى بكتمر بعد موت ولده مشروبا، فلحق به. واشتهر ذلك، حتى إن زوجة بكتمر لما مات صاحت، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر: «يا ظالم ! أين تروح من الله؟ ولدى وزوجى؟ زوجى كان مملوكك، ولدى إيش كان بينك وبينه؟»، وكرّرت هذه مرارا، فلم يجبها. وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا الكبير المقفى بما فيه كفاية؛ إذ هو كتاب تراحم ووفيات، كما أن هذا كتاب حوادث وماجريات.

ومات علم الدين المشطوب، يوم الأحد تاسع عشرى ذى القعدة.

ومات جمال الدين أبو الحسين بن محمود بن أبى الحسين محمود بن أبى سعيد بن أبى الفضل بن أبى الرضا الربعى البالسى، إمام السلطان، فى سابع عشر رمضان؛ ومولده سابع عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة؛ واسمه كنيته، وكان فاضلا، كتب بخطه كتبا كثيرة.

ومات جَدّى الشيخ محيى الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى، بدمشق فى ثامن عشرى ربيع الأول؛ وكان فقيها حنبليا محدثا جليلا، سمع بعلبك من زينب بنت كندى، وبدمشق من عمر بن القواس وجماعة؛ وحدّث وكتب بخطه كثيرا، وقرأ كثيرا؛ وقدم القاهرة، وعدّ من أعيان الفقهاء المحدثين.

* * *

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

فى أول المحرم: أحيط بحواصل الأمير ألماس الحاجب، وكان قبض عليه وعلى أخيه الأمير قرا وسبب التغير على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز، وسكن فى دار النيابة بالقلعة، وسكن الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلة من القلعة؛ فحفظ آقبغا عليه أشياء غير بها قلب السلطان لوجدة [1] كانت بينه وبين ألماس: منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك، لميل كل منهما إلى الآخر؛ ومنها كثرة أفعال ألماس للأمور القبيحة، من انهماكه فى الميل إلى الأحداث وإسرافه فى ذلك، حتى إنه كان بجوار دار النيابة مسجد ففتح منه بابا وصار يعبر بالأحداث من ذلك إليه، واشتدّ شغفه بغلام يدعى عمير من أولاد الحسينية، وأكثر من النزول من القلعة وجمع الأويراتية مع المذكور للشرب؛ هذا مع ما حفظ عليه من الكلام السيئ فى وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكرة، فإنه غرّس بساتين بناحيتى بهواش [2] والنعناعية من المنوفية، وجلب عددا كثيرا من الخنازير وسمنهم بها، وباعهم على الفرنج ببضائع، وحمل سلاحا كثيرا إلى بلاد الشرق تعوض به أصنافا للمتجر؛ فاتسعت أمواله وتكثر بها، وقال غير مرة للأمراء: «عندى الذهب والدراهم ! ومن فيكم مثلى؟»، وزاد فى هذا المعنى، وآقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه، ويسعى به إلى السلطان حتى غيره عليه. ويقال إن السلطان وجد فيما خلّفه الأمير بكتمر الساقى جزدان [3] فيه كتب من جملتها كتاب ألماس إليه يتضمن «إننى أحفظ لك القلعة حتى يرد علىّ منك ما أعتمده»، فلم يصبر له السلطان على هذا.

ولما قبضه السلطان، وقبض على أخيه قرا وكان ظالما غشوما حمارا - نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة لضبط موجوده؛ فوجد له ستمائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوس، وأربعة آلاف دينار مصرية، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير، وبعض جوهر، وعدة أشياء ثمينة؛ وقُبض

---

(١) يقال وجَدَ فلانٌ يجد وَجْدًا: حزن، ووجد عليه، مَوْجِدَةً: غضب، ووجد به وجدًا: أحبه. انظر المعجم الوسيط (وجد).

(٢) بهواش قرية من مديرية المنوفية، بمركز أشمون جريس، قرب ترعة النعنا.

(٣) كلمة مركبة من اللفظ العربى جزء واللفظ الفارسى دان، ومعناها خريطة من الجلد ذات طبقات تودع الأوراق، ومنها ما يحمل كالقلادة ويقال له الحمال.

على عبد له رباه صغيرا، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بقتل ياسور أحد ملوك المغل وقت رمى الجمرات. وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خربندا لما قتل جوبان أراد إقامة ياسور لأنه من عظماء القان، فخُوف من شجاعته، وأن جوبان كان يريد إقامته فى الملك، فنفر منه أبو سعيد؛ ثم إنه استأذنه فى الحج فأذن له، وقام له بما يليق به. ثم طلب أبو سعيد المجد السلامى، وكتب إلى السلطان يعرّفه بأمر ياسور، ويخوّفه منه أن يجتمع عليه المغل، ويسأله قتله. فدفع السلامى كتاب أبى سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامى، فقدم على السلطان أول ذى القعدة من السنة الماضية؛ فأركبه السلطان النجيب [١] فى عاشره إلى مكة، ومعه كتاب إلى الأمير برسبغا الحاجب - وقد حج من مصر بطلب الشريف رميثه وموافقته سرًّا على قتل ياسور. فقدم قطلوبك مكة أول ذى الحجة، فلم يوافق رميثة على ذلك، واعتذر بالخوف. فأعدّ برسبغا بعض نجابته من العربان لذلك، ووعده بما ملأ عينه. فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور فى ثانى يوم النحر لرمى الجمار، ركب برسبغا أيضا؛ فعندما قارب ياسور الجمرة وثب عليه النَجّاب، وضربه فألقاه إلى الأرض، وهرب نحو الجبل؛ فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضا، خشية من أن يعترف عليه. فاضطرب حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قتيل فى دمائه، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حل بصاحبهم؛ فتبرّأ برسبغا من ذلك وأظهر التزغم له، وقرَّر عندهم: «أن هذا الذى قتل هو من له عليه ثأر أو أحد غرمائه، وإنكم كُفيتم أمره، فإنى أخذت لكم بثأره وقتل قاتله». فانصرفوا عنه وفى نفوسهم منه شىء، ومازالو له بالمرصاد وهو منهم محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من المصريين بالمدينة النبوية، فأمن برسبغا على نفسه، وتقدم الحاج إلى السلطان مع المبشرين.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جاريك المهندار، واستقر حاجبا وترتب عوضه مهمندارا الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدى شاد الشراب خاناه.

وفى عشرى رجب: خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير - أخو الأمير بدر

(١) والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر فى الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفردًا ومجموعًا، وهو القوى منها، الخفيف السريع، وناقة نجيب ونجيبة. انظر: لسان العرب ٤٣٤٣/٤٣٤٢.

الدين مسعود الحاجب - واستقرّ حاجبا؛ وكان قد قدم من دمشق فى سابع عشرى ربيع الآخر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة: قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة، وقدَّم مملوكه يستأذن فى دخوله كما هى عادته؛ فرسم له بسرعة الحضور، وألا يتحدث فى شىء من أمر ابن هلال الدولة، فإن السلطان قد تغير عليه؛ فقدم.

وفى هذه الأيام: شفع الأمير قوصون فى عود جمال الدين عبدا لله ابن قاضى القضاة جلال الدين من دمشق، بدخلة أبيه عليه فى ذلك؛ فأجابه السلطان. وقدم جمال الدين إلى القاهرة على البريد، فأقبل على عادته من اللهو، وعمَّر دارا على النيل بجوار دار أبيه، وتجاهر بما لا يليق. فتقدم أمر السلطان إلى ابن المحسنى والى القاهرة أن يتحيل فى كبسه وإشهاره، وأحس عبدا لله بذلك، فكف عما كان يعانيه من اللعب.

وفى يوم السبت نصف رجب: قدم بدر الدين لؤلؤ الحلبى مملوك فندش - بفاء مفتوحة ونون ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة بعدها شين معجمة - وسيف الدين الأكز من الشام. فأحضرهما السلطان، وطلب مباشرى حلب وهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسينى، والقاضى جمال الدين بن ريان ناظر الجيش، وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش، وعمه المحبى عبد القادر عامل المحلولات، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازى، والحاج على بن السقا، وغيرهم. فحاققهم لؤلؤ وبالغ فى رميهم بأخذ الأموال السلطانية، وجاهرهم بالسوء من القول بين يدى السلطان، والتزم بأنه إن مكن منهم استخلص منهم مائة ألف دينار. فطلب النشو بعد إخراجه، ووقع الكلام بينه وبين السلطان فى ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال؛ فأخذ النشو يقرر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم، ويتحصل من هذا إذا ضبطت عليها فى كل سنة للديوان زيادة على مائتى ألف دينار، وأنه لا يتمكن مع قيام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئا من ذلك المال، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشر للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيلا [١] وأنه فقير ليس له مال يبرطل به له ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان، وأنه لو سلم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالا، لكنه يخشاهم أن يغيروا السلطان عليه. ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم، مما أخذوه فى مباشراتهم من مال السلطان. فأذن له السلطان فى عمل ما يختاره، وأن يتصرف فى الدولة ولا يبالى بأحد، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنع من يعارضه.

---

(١) البرطيل - وجمعه براطيل - الرشوة، ويقال: وتبرطل فلان: ارتشى.

ثم استدعى السلطان بالمخلص أخى النشو، ورتبه مباشرا عند الأمير سيف الدين ألناق، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى، واستخدم صهره ولى الدولة عند الأمير أرغون شاه وخلع عليهم.

وانبسطت يد النشو، واشتدت وطأته، وأخذ فى التدبير على ابن هلال الدولة، ورتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة، وأنه أهمل فى المحافظة على أمور السلطان، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان. وندب النشو لتحقق ذلك أمين الدولة بن قرموط المستوفى والشمى بن الأزوق ناظر الجهات، وقرّر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال، وطلب المباشرين للمحاققة؛ فجمعهم السلطان. فبرز قرموط وواجهه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور، وبرطل بالأموال، ونحو هذا من القول؛ فأثر كلامه فى نفس السلطان، وصرف المباشرين، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره بأن يلزم بيته. وخلع على الأكز واستقرّ شاد الدواوين عوضا عن ابن هلال الدولة؛ وخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبى ليكون مستخلص الأموال؛ وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة، وطلبا الضمان والكتاب والمعاملين وأرباب الوظائف. ورتبت على ابن هلال الدولة أوراق بما أهمله وفرط فيه، وطلب وصودر هو وجميع ألزامه؛ وقبض على مقدم [1] الدولة خالد بن الزراد ومن يلوذ به؛ فحملوا الأموال. وخلع على ابن صابر واستقر مقدم الدولة. واشتد لؤلؤ على أهل حلب وأهل مصر، وعسفهم وتجاوز المقدار فى عقوبة المصادرين خصوصا أولاد التاج إسحاق.

وفى يوم الخميس ثالث رجب: سافر الأمير تنكز نائب الشام، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم؛ وتوجه صحبته الأمير آقول الحاجب، ليستقرّ حاجب الحجاب بدمشق.

وفى يوم الأحد خامس المحرم: استقر الأمير تجماس الجوكندار المنصورى - الملقب بشاش - فى نيابة حمص، عوضا عن بهادر السنجرى بحكم وفاته.

وفى يوم الأحد أول المحرم: أفرج عن الأمير بهاء الدين أصلم، وعن أخيه الأمير قرمجى.

وفيه أيضا أفرج عن الأمير بكتوت القرمانى. وكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجى ست سنين وثمانية أشهر، ومدة اعتقال القرمانى سبع سنين وسبعة شهور.

---

(١) مقدم الدولة هو الذى يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير.

وفى سادس المحرم: رسم للأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك - بنيابة طرابلس، بعد موت قرطاى؛ وخلع عليه فى تاسعه، وسافر فى تاسع عشره. وكان ذلك لأمور: منها صحبته مع الأمير ألماس الحاجب، ومنها ثقله على السلطان، فإن السلطان كان يجله ويحترمه ويقوم له كلما دخل إلى الخدمة؛ ومنها معارضته للسلطان فى أغراضه، لاسيما فى أمر النشو، فإنه كان يبلغ السلطان كثرة ظلمه وقبح سيرته فى الناس. فأراد السلطان أن يستريح منه، فخلع عليه وبعث له بألف دينار؛ وأخرج برسبغا مسفرا له على العادة. فلما وصل برسبغا به إلى طرابلس وعاد، خلع السلطان عليه واستقرّ حاجبا صغيرا. وفيه خلع على الأمير مسعود بن خطير، واستقرّ حاجبا كبيرا عوضا عن الأمير ألماس.

وفى يوم الخميس ثانى شعبان: استقرّ أيدكين الأزكشى البريدى فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن المحسنى بسفارة النشو. فعظمت مهابته، وكبس عدة بيوت من بيوت الناس؛ صار يتنكر فى الليل ويمشى فى أزقة القاهرة، فإذا سمع صوت غناء أوريح خمر فى بيت كبسه وأخذ من أهله مالا كثيرا بحسب حالهم. واعتنى به النشو، ومكنه من عمل أغراضه؛ فنال به مقاصد كثيرة: منها أن بعض تجار قيسارية جهاركس بالقاهرة تأخر له فى الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحو تسعين ألف درهم. وألح على النشو فى المطالبة بها مع كثرة انهماكه فى اللهو، فقبضه أيدكين وهو غير حاضر الذهن، وسجنه فى دار الولاية، واستدعى بالعدول ليكتب عليه مشروحا بأنه سكران ويشهره، فافتدى منه بأن أشهد عليه أنه أبر بيت المال مما له عليه، فوقع هذا الإبراء من النشو ومن السلطان بمكان. ولما شنع أمر أيدكين شكاه الأمير قوصون إلى السلطان، فتغير السلطان على قوصون وقال له: «أنتم كلما وليت أحدا ينفعنى أردتم إخراجه ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت»، وأسمعه مع ذلك ما يكره. ثم أضيفت إليه ولاية مصر فى تاسع شعبان، ولم يجمع الولايتين أحد قبله.

وفى يوم الأحد عشرى ذى الحجة: قدم الأمير مهنا بن عيسى [1]. وسبب قدومه

---

(١) مهنا (الثانى) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى، حسام الدين، بن آل فضل، ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب «تدمر» وآل فضل من طىء كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشراف سنة ٦٩٢ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة٧١٧. مات بالقرب من سلمية، وقد أناف على الثمانين. انظر ابن خلدون ٤٣٨،٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤ - ٣٧٠ والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٦/٧،٣١٧.

أن السلطان كان يحرص على قدومه إليه، ويبذل لأولاده الأموال العظيمة، فيرغبونه في القدوم على السلطان، وهو يأتي ذلك عليهم. فكان إذا أعيا السلطان أمره طرده من البلاد، حتى طرده أربع مرات؛ وكانت تجرد له العساكر فتخرجه، ثم تحضر أولاده وتصلح أمره، فيعود إلى البلاد؛ ثم يأخذ السلطان في استجلابه فلا يأتي له. فيعود إلى إخراجه؛ و كان السلطان يبعث في طلب الخيول منه، فيرسلها إلى السلطان، فتحمل إليه أثمانها بزيادة كثيرة وما زال أمره على هذا الحال إلى أن قدم موسى وأحمد [١] وفياض [٢] أولاده إلى القاهرة، وبالغ السلطان في الإنعام عليهم، فحلفوا له على إحضار أبيهم إليه. فلما أتوا أباهم اجتمعوا عليه مع عمومتهم، وأرادوه على الحضور إلى السلطان بجهدهم فلم يوافقهم؛ فكاتبوا السلطان بأمرهم معه، فكتب السلطان إلى نائب حلب بإخراجه من البلاد فسار مهنا إلى أبي سعيد بالعراق، فأكرمه وأجله عند قدومه؛ فتعمد وزيره مع المجد السلامي عليه حتى فارق بلادهم رعاية لخاطر السلطان، وكتبا بذلك إلى السلطان، فسره ذلك ولما عاد مهنا من العراق تلقاه ابنه موسى، فوجد أنه قد أزمع أمره على القدوم على السلطان؛ فلم يشعر الأمير تنكز نائب الشام إلا ومهنا قد قدم عليه هو والملك الأفضل محمد صاحب حماة، فركب إلى لقائه وأنزله بالقصر الأبلق. وقدم البريدى إلى السلطان بخبر قدومه فكاد يطير فرحا به. ثم أركبه الأمير تنكز والملك الأفضل خيل البريد، وسيرهما إلى السلطان. فحملت للأمير مهنا الإقامات، وجنبت له الخيول، وضربت له الخيم؛ وخرج أمير:اندار والمهمندار إلى لقائه، وركب الأمير بشتاك له إلى قبة النصر خارج القاهرة، وسار به إلى باب السرّ من القلعة، فإذا الأمير قوصون قد وقف به في انتظاره، فأخذ بيده حتى عبر إلى السلطان فرحّب به السلطان وأكرمه، وعتبه على فراره منه، فاعتذر مهنا وذكر أن قدومه بسبب رؤياه النبي - ﷺ - في منامه وأمره له بالقدوم. فسر السلطان بذلك وخلع عليه وعلى

---

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائي ثم الثعلي: أمير عرب الفضل في بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق. واعتقله طقزدمر نائب الشام سنة ٧٤٥هـ وأطلقه الكامل سنة ٧٤٦ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفي. انظر الدرر الكامنة ٣٢١/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والعبر ٤٣٩/٥ والأعلام ٢٦١/١.

(٢) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلي: أمير العرب في بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولي الإمرة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، ثم فر إلى العراق. فمات هناك. انظر الدرر الكامنة ٢٣٤/٣ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والأعلام ١٦٤/٥.

من معه مائة خلعة، وردّ إليه إمرته، وزاد فى إقطاعه. وأنزله السلطان بالميدان وأمر له بسماط جليل فسم له فيه، فلم يأكل منه شيئا، واعتذر بأن عادته أكل لبن الجمال وقرص الملة [١] لا غير. ثم طلع مهنا إلى السلطان فى خامس يوم من قدومه، فأنعم عليه بقرية دومة [٢] من عمل دمشق، لتكون له ولأوده من بعده. واتفق موت أسندمر العمرى، فوجد له تسعة آلاف دينار مصرية، وطلع بها النشو فسلمها لحاجب منها إنعاما على مهنا برسم زوادته. وكتب له القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله منشورا بدومة، ثم سافر.

وفى ذى الحجة: ركب أيدكن والى القاهرة إلى النجيلة [٣] خارج القاهرة - وهى يومئذ متنزه العامة، وبدايرها أخصاص للفرجة - وكبسها وقت المغرب، فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا، فجمع من ذلك شيئا كثيرا؛ وجمع الباعة من الغد بثمنه، فبلغ خمسة عشر ألف درهم.

وفى هذه السنة: جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالا كثيرة وعشرين فرسا، وخربت عدة دور.

وفيها استقر جمال الدين عبدالله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السرّ بدمشق، عوضا عن شرف الدين أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود.

وفى يوم عرفة: استقرّ نجم الدين بن أبى الطيب فى الوكالة بدمشق، واستقرّ عز الدين بن منجا فى نظر جامع بنى أمية، واستقرّ فى حسبة دمشق عماد الدين بن الشيرازى؛ وخلع عليهم جميعا.

وفيها ورد الخبر من بغداد بأن صاحبها ألزم النصارى ببغداد أن يلبسوا العمائم الزرق، واليهود أن يلبسوا العمائم الصفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة.

---

(١) الملة التراب الحار والرماد أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه، أو فيه. والملة عرق الحمى. انظر المعجم الوسيط (ملة).

(٢) تقع هذه القرية بغوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٦٢٥/٢، والروض المعطار ٢٤٥، معجم ما استعجم ٥٦٤/٢.

(٣) بلدة فى أقصى الجنوب من مديرية البحيرة الحالية، وتقع على الشاطئ القريب لفرع رشيد، وفى الجنوب الغربى منها قرية زاوية البحر.

وفيها ولى تدريس الشافعى بالقرافة شمس الدين محمد بن القماح [(١)] بعد وفاة المجد حرمى؛ واستقرّ عوضه فى وكالة بيت المال النجم الأسعردى المحتسب، وفى تدريس المدرسة القطبية بهاء الدين بن عقيل.

و فيه استقرّ علاء الدين مغلطاى فى تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية، بعد موت فتح الدين محمد بن سيد الناس [(٢)]، بعناية قاضى القضاة جلال الدين محمد بن القزوينى فاستعظم الناس ذلك؛ وقالوا: «ويّه! ويه! تولى درس الحديث مغلطية؟».

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى ستة عشر ذراعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير ألماس الحاجب الناصرى؛ كان جاشنكيرا، وتنقل حتى صار حاجب الحجاب فى محل النائب، لشغور منصب النيابة بعد الأمير أرغون؛ وكان أكابر الأمراء يركبون معه فى خدمته، ويجلس فى باب القلة، ويقف الحجاب بين يديه؛ فلما قبض عليه وحبس، قطع عنه الطعام ثلاثة أيام؛ ثم خنق فى ليلة الثانى عشر من صفر، حُمل من الغد حتى دفن بجامعه؛ وكان أغتم لا يعرف بالعربية شيئا.

وتوفى وكيل بيت المال ومدرس الشافعى مجد الدين حرمى بن هاشم بن يوسف العامرى الفاقوسى الفقيه الشافعى، عن محو سعبين سنة، فى يوم الثلاثاء ثانى ذى الحجة؛ ولى وكالة بيت المال ونيابة الحكم، وبرع فى الفقه والأصول، ودرّس بالشافعى.

---

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبدالله، بن القماح القرشى الشافعى المصرى: مفسر من فقهاء الشافعية. ناب فى الحكم بجامع الصالح (بالقاهرة) ونسب إلى التساهل فى الأحكام، فامتنع عز الدين بن جماعة من استنابته، فأقبل على تدريس الفقه إلى أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣٠٣/٣ والأعلام ٣٢٥/٥.

(٢) محمد بن بن محمد بن محمد أحمد بن سيد الناس، اليعمرى الربعى، أبو الفتح، فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، مولده ووفاته فى القاهرة من تصانيفه «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» و«تحصيل الإصابة فى تفضيل الصحابة». انظر فوات الوفيات ١٦٩/٢ والوافى بالوفيات ٢٨٩/١ والبداية والنهاية ١٦٩/١٤ والدرر الكامنة ٢٠٨/٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ وطبقات الشافعية ٢٩/٦ والبدر الطارلع ٢٤٩/٢ والأعلام ٣٤/٦،٣٥.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر عثمان الأذرعى [١] المعروف بالزرعى - فى سادس صفر بالقاهرة، عن مرض السكتة، وهو يومئذ قاضى العسكر، مولده بأذرعات [٢] سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل [٣]، فى خامس عشرى ربيع الأول؛ فرسم بعده بالإمرة لسيف بن فضل [٤].

ومات الملك الظاهر أسد الدين عبدا لله بن المنصور نجم الدين أيوب بن المظفر يوسف ابن عمر بن على بن [٥] رسول متملك اليمن، بعدما قبض عليه الملك المجاهد بقلعة دملوه، وصار يركب فى خدمته، ثم سجنه مدة شهرين، ثم خنقه بقلعة تعزّ [٦].

وتوفى قاضى الحنفية بحماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة ا لله ابن أحمد بن يحيى - المعروف بابن العديم -، عن خمسة وأربعين سنة.

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات، وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها، ثم ناب فى الحكم سبعا أيضا، ثم ولى القضاء استقلالا، نحو سنة. عاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة، ثم عزل، فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكر ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ والنجوم الزاهرة ٣٠٤ والأعلام ٣١٣/٣.

(٢) أذرعات: من بلاد دمشق بالشام يصرف ولا يصرف، والتاء فى الحالتين مكسورة ويقال لها يذرعات بالياء. انظر معجم البلدان ١٧٥/١، والروض المعطار ١٩، ٢٠، ومعجم ما استعجم ١٣١/١، وصبح الأعشى ١٠٥/٤.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا، من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. ولى إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٧٢ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٣/١٠ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندى ٢٠٧/٤ وإعلام النبلاء ٤٠٦/٢ والأعلام ١٣٥/٣

(٤) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٢٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

(٥) عبد ا لله بن أيوب المنصور بن يوسف المظفر، من بنى رسول أمير جواد عاقل ورع. تعلقت نفسه بطلب الملك وقصرت. ثم طلب الملك وخلع المجاهد، وباعوه، ولقبوه «الظاهر» فسار بهم إلى المجاهد، وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهرا، وعجز فسار إلى نهاية فتبعه المجاهد. واستمرت بينهما الوقائع، فطلب الأمان من المجاهد فأمنه وحبسه بتعز، من غير تضييق عليه، إلى أن مات. انظر تاريخ ثغر عدن والأعلام ٧٣/٤.

(٦) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٤٣/٣.

ومات الأمير طغاى تمر العمرى، زوج ابنة السلطان، ليلة الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير صوصون - أخو الأمير قوصون - أحد الألوف، فى ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى.

وتوفى الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى الأشبيلى العلامة المتقن المصنف الأديب البارع، فى يوم السبت الحادى عشر من شعبان.

ومات الأمير قرطاى الأشرفى نائب طرابلس، وقد جاوز ستين سنة، بها فى ثامن عشرى صفر.

ومات أمير طبر جمال الذين يوسف بن علم الدين، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة؛ وكان من أمراء العشراوات.

ومات الأمير بدر الدين بيليك أبو غدة - وكان أحد أستادارية السلطان، ومن أمراء الطبلخاناه -، فى ليلة الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير يوسف الدين خاص ترك الناصرى، أحمد مقدمى الألوف، فى عاشر رجب بدمشق.

ومات الأمير عز الدين أيدمر دقماق العلائى نقيب الجيش، وكان أحد المماليك الأشرفية، ليلة الأحد سادس رجب؛ واستقرّ عوضه فى نقابة الجيش الأمير صار وجانقيب المماليك، واستقر المماليك عوضا عن صاروجا محمد بن لاجين المحمدى. ومات الأمير قجماس الجوكندار المعروف بشاش - نائب حمص، أحد أمراء البرجية.

ومات الأمير بلبان طرنا أمير جاندار - وكان نائب صفد -، فى حادى عشرين الأول؛ وهو من أمراء الألوف بدمشق. ومات القاضى صدر الدين سليمان بن إبراهيم ابن سليمان بن دواد بن عتيق بن عبد الجبار المالكى، قاضى الشرقية والغربية، فى حادى عشرى شعبان؛ وبعثه السلطان رسولا إلى بغداد.

* * *

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

فى يوم الأحد رابع المحرم: قبض على الطواشى شجاع الدين عنبر السحرتى مقدّم المماليك، بسعاية النشو؛ وأنعم بطبلخاناته على الطواشى سنبل قلّى، واستقرّ نائب المقدم. وخلع على الأمير آقبغا عبد الواحد باستقراره فى تقدمة المماليك، مضافا إلى الأستادارية. فعرض آقبغا الطباق، وأخرج من كان من الأتباع الأويراتية فى خدمة المماليك؛ وضرب جماعة من المماليك السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم من إخراج أتباعهم، ونفوا إلى صفد.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى: عُزل أيدكين والى القاهرة، لتغير الأمير قوصون عليه، وأخرج إلى الشام منفيا.

وفيه طلب بلبان الحسامى البريدى أحد مماليك طرنطاى النائب إلى حضرة السلطان، فلم يجد فرسا يركبه، فركب حمارا إلى القلعة؛ فخلع عليه واستقرّ والى القاهرة عوضا عن أيدكن، وأخرج له فرس.

و فيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، فركب على البريد الأمير بيبرس السلاح دار إلى الإسكندرية، وقدم بهم فى يوم الإثنين ثانى عشرين رجب: وهم الأمير بيبرس الحاجب، وله فى السجن من سنة خمس وعشرين ؛ والأمير طغلُق التترى أحد الأمراء الأشرفية، وله فى السجن ثلاث وعشرون سنة، من سنة اثنتى عشرة، فمات بعد أسبوع من قدومه، والأمير غانم بن أطلس خان، وله فى السجن من سنة عشر، مدة خمس وعشرون سنة، والأمير برلغى الصغير، وله فى السجن من سنة اثنتى عشرة؛ والأمير بلاط الجوكندار، والأمير أيدمر اليونسى أحد الأمراء البرجية المظفرية؛ والأمير لاجين العمرى، والأمير طشتمر أخو بتخاص، والأمير بيبرس العلمى من أكابر الأمراء البرجية؛ وقطلوبك الأوجاقى، والشيخ على مملوك الأمير سلار، والأمير تمر الساقى نائب طرابلس، أحد المنصورية، وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة، فكانت مدة سجنه إحدى وعشرين سنة. فأنعم على تمر الساقى بطبلخاناه فى الشام، وأنعم على بيبرس الحاجب بإمرة فى حلب، عوضا عن آقسنقر شاد العمائر، فسافر فى سابع شعبان - وكان قد رُسم بالقبض على آقسنقر، فقبض عليه وسجن بقلعة حلب، وأحيط بموجوده - ورسم للأمير غانم أن يقيم بالقاهرة.

وفى هذه السنة: قدمت رسل أزبك بكتابه يعتب فيه بسبب طلاق خاتون[1] طولبية بنت تقطاى أخى أزبك، التى قدمت من جهته، وتزويجها من بعض المماليك، وطَلب أزبك عَودَها إليه فأجيب بأنها قد ماتت، وسير إليه بهدية. وكانت قد مات زوجها الأمير صوصون، فزوجها السلطان للأمير عمر بن أرغون النائب، فى يوم الإثنين تاسع عشر المحرم، ودخل عليها ليلة الجمعة حادى عشرى صفر. وقد كانت تحت السلطان ثم طلّقها، فتزوجها الأمير منكلى بغا، ثم الأمير صوصون، ثم تزوّجت بعمر هذا.

وفى ثانى عشر ربيع الآخر: خُلع على الأمير سيف الدين جركتمر رأس نوبة الجمدارية بنيابة غزة، عوضا عن الأمير طينال؛ وسافر فى عشريه.

وفيه نقل طينال لنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير آقوش نائب الكرك، وهى ولايته الثانية.

وفى سادس عشره: توجه الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته، بعدما خُلع عليه؛ وكان قد قدم صحبة مهنا، وتأخّر بسبب الصيد مع السلطان.

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول: أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة، فركب بالشربوش من إصطبل الأمير قوصون، وسار فى الرملية[2] إلى باب القرافة، وطلع إلى القلعة من الباب المعروف بباب القرافة، والأمراء والخاصكية بخدمته؛ وعمل الأمير قوصون يومئذ لهم مهما عظيما فى إصطبله.

وفى يوم الخميس نصف جمادى الآخره: قُبض على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك، وهو يومئذ نائب طرابلس - وسُجن بقلعة صرخد، ثم نُقل فى مستهل شوال إلى الإسكندرية فسجن بها؛ ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة، وأخذ موجوده كله وموجود حريمه، وعاقب أستادراه.

واستقرّ عوضه فى نيابة طرابلس الأمير طينال على عادته، ونقل بكتمر العلائى إلى نيابة حمص، عوضا عن بشاش المتوفى.

وسبب ذلك أنه تراءى بطرابلس مركب للفرنج فى البحر، فركب العسكر إلى الميناء، فدفعت الريح المركب عن الميناء ثم أخذ الأمير آقوش فى تجديد عمارة مركب

(١) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٢) منزل فى طريق البصرة إلى الكعبة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر، معجم البلدان ٧٣/٢.

هناك، وأنفق فيه من ماله أربعين ألف درهم؛ فقدمت مركب الفرنج، فركب العسكر فى المركب المستجد، وقاتلوا الفرنج، فقتلوا منهم جماعة وغنموا مركبهم بما فيها. فادعى صاحبها أنه تاجر قدم بتجارته. فنهبت أمواله وقتلت رجاله؛ وذكر عنه بعض التجار أنه متحرم لا تاجر، وأنه قدم فى السنة الماضية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها مركبا. فكتب آقوش بذلك إلى السلطان، فأجيب بالشكر وحمل الفرنجى إلى السلطان؛ فحمله آقوش مقيدا على البريد. فأكثر الفرنجى من التظلم، وتبرأ من التحرم فى البحر، وأنه قدم بتجارة وهدية للسلطان، فظلمه نائب طرابلس وأخذ ما كان معه من التحف وغيرها، فصدّقه السلطان، وكتب بإعادة مركبه إليه وجميع ما أخذ له؛ فأجاب النائب بأن المذكور حرامى يقطع الطريق على المسلمين، فلا يسمع السلطان قوله، وكتب إليه بالتأكيد فى ردِّ المركب عليه؛ فردّها النائب عليه، وشقّ ذلك عليه. ثم طلب آقوش الإعفاء من نيابة طرابلس فأجيب بتخييره بين نيابة صرخد وبعلبك؛ وبعث السلطان إليه الأمير برسبغا الحاجب، فسار به إلى دمشق، فقبض عليه تنكز بدار السعادة، وحمله إلى صرخد.

وفى صفر: هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل، وهدم المطبخ أيضا. وجدّد السلطان عمارة الجامع، وصار يقف بنفسه كل يوم؛ وندب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد. فحمل إليه العمد العظيمة من الأشمونين[1] ووسع موضعه، فأدخل فيه قطعة من حارة مختص والطشتخاناه، ورخمه جميعه؛ وظل العمل جاريا فى هذا الجامع حتى كمل فى آخر شعبان على أكمل هندام وأبدع ترتيب. ووقف عليه السلطان حوانيت القلعة وغيرها، ورتب فيه القراء والمؤذنين والقومة، وانتخبهم بنفسه بعدما عرض طوائفهم؛ فصلى فيه أول شهر رمضان.

وفيه جدّد السلطان عمارة المطبخ بالحجر، وزاد فى سعته.

وفيها خرج البريد بطلب بدر الدين محمد بن التركمانى من طرابلس، ليباشر مع النشو؛ فأفرج عنه يوم السبت رابع عشر رجب، وكان له سنة وتسعة أيام مرسم عليه بالقلعة، وهو يحمل المال.

وسبب ذلك أن الأمير تنكز نائب الشام لما قدم على عادته فى عاشر رجب، وعرّفه السلطان همة النشو ولؤلؤ فى تحصيل الأموال التى كانت مهملة ضائعة ورطل بها، ذكر له تنكز نائب الشام ما تجدّد من المظالم، وحسن له طلب ابن التركمانى لضبط ما

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

عساه يخفى عن السلطان من الأموال التى تؤخذ، ووضع من لؤلؤ بأنه مملوك ضامن[١] وكان الأكز ولؤلؤ تسلما الولاة والمباشرين والكتاب وأولاد التاج إسحاق وابن هلال الدولة وأقاربه كما تقدّم، وأخرقا بهم: فحمل قشتمر والى الغربية ثمانين ألف درهم، وأفرج عنه بعناية سنجر الخازن، فإنه صهره، وضرب قنغلى والى البهنسا عدة مرار حتى حمل خمسة وسبعين ألف درهم، وضرب فخر الدين أياس الدويدارى بالمقارع، فحمل ثلاثمائة ألف درهم، وهلك تحت العقوبة أيضا شاد سوق الغنم، بعدما أخذ منه نحو مائتى ألف درهم؛ وأخذ من خالد المقدم مبلغ ثلاثمائة وثلاثين ألف درهم، بعدما ضرب بالمقارع ضربا مبرحا، ثم أفرج عنه على أن يحمل كل يوم عشرة آلاف درهم، فحمل فى مدة شهر مائة ألف درهم، وأخذ من بكتوت الصائغ مائة ألف درهم، ومن عبد الرزاق وولده نحو مائة ألف درهم، وأخذ من ألزام ابن هلال الدولة نحو مائة وخمسين ألف درهم. وحمل ابن خلال الدولة ثلاثمائة ألف وعشرة آلاف درهم من غير أن يضرب، واتهمه النشو بأنه أخذ من الأهراء أربعة آلاف أردب فولا، وأخذ من مخلف الأمير ألماس الحاجب حياصة، فظهرت براءته من ذلك. وشق على النشو سلامته من الضرب، وبذل جهده فى ضربه، والله يدفع عنه بما كان فيه من كثرة الصدقة. فرماه النشو بعد ذلك بأنه كان يتحدّث مع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بأنه يتسلطن، ويجتمع معه على ذلك، ومعه منجم قدم به من دمشق، واستخدمه فى بيت السلطان؛ فطُلب المنجم وقتل فى السجن؛ ومَنَع متولى القاعة جميع الذين يجلسون بالطرقات ويضربون بالرمل من التكسب بذلك. ورسم بضرب ابن هلال الدولة حتى يقرَّ على نائب الكرك بما قيل عنه، فرفق به الأكز وضربه مقرعة واحدة، ثم ضربه بالعصا قليلا وهو يحلف بالطلاق الثلاث أنه ليس عنده علم بما رُمى به.

ثم إن النشو تنكرّ على مستوفى الدولة أمين الدين قرموط، وعلى رفيقه ابن أبى الزين، من أجل أن قرموطا أكثر من الاجتماع بالسلطان، فخاف عاقبته. وأغرى النشو به السلطان وقرّر فى ذهنه أنه جمع كثيرا من مال السلطان لنفسه، وأن خالدا المقدم يحاققه ورفيقه على أنه أخذ مائة ألف دينار. فقبُض عليهما فى رابع ربيع الأول؛ وقبض معهما على الشمس ابن قزوينة، والعلم المستوفى، والنشو كاتب الرواتب، والبرهان ابن البرلسى، ورفيقه ابنى الأقفاصى ناظر الدولة. وقام خالد المقدّم بمحاققتهم، والتزم أنه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار، فعوقب وضرب بالمقارع. فقال خالد للأكز ولؤلؤ: «هذا جَلد ما يقر، اضربوا ولده قدامه حتى يزن المال، فإنه ما يهون به ضرب

---

(١) المقصود بذلك أن لؤلؤا كان مملوكا لقندش الضامن بحلب.

ولده». فلما ضُرب قرموط أمر الأكز بإحضار ولده وضربه، فضرب وهو يتحسَّر عليه جزاء بما تقدم منه. فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين فى حلقومه ليهلك، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه، فأسرف الأكزُ فى عقوبته وعقوبة رفقائه؛ وضُرب القصب فى أظفار ابن أبى الزين. ثم خرج النشو إلى الإسكندرية.

فقدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الأربعاء حادى عشر رجب، وهو مَقدمُه العاشر؛ فقام فى خلاص ابن هلال الدولة، وساعده الأمير قوصون حتى أفرج عنه. ثم قدم النشو من الإسكندرية، فشق عليه أن ابن هلال الدولة قد أفرج عنه، وأغرى به السلطان حتى أمر الوالى بإحضاره إلى القلعة؛ وخرج إليه الأكز وأخرق به، وبلغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحدٌ شنقه، فنزل وأقام بالقرافة منجمعا بها عن الناس. وأفرج عن أقاربه وألزمه وعن تجار الشرابشيين، بعدما كتب النشو عليهم إشهادات بأنهم لا حقّ لهم فى جهة بيت المال؛ وكان قد تجمّع لهم عن ثمن تشاريف مبلغ بخمسمائة ألف درهم على الخزانة، فذهب عليهم وصودروا مع ذلك؛ واحتج عليهم النشو بأنهم ربحوا على السلطان فيما تقدّم أموالا جمة، وضرب منهم جماعة بالمقارع، واستأصل أموال كثير منهم.

وفيه كتب إلى نائب الشام بعد سفره فى يوم السبت حادى عشرى رجب بحمل علاء الدين على بن حسن المروانى والى برّ دمشق، لستقر فى كشف الشرقية بتعيين الأمير مسعود بن خطير. فقدم المروانى، وخُلع عليه بكشف الوجه البحرى؛ فكبس البلاد، وجمع ستين رجلا من المفسدين، ووسَّطهم بمدينة بلبيس (١). وعلقهم على الخشب؛ وأحدث عقوبات مشنعة: منها أنه كان ينعل الرجل فى قدميه كما ينعل الفرس، ويمشيه حتى يشهره، ومنها أنه كان يعلق الرجل فى خطاف من حديد يحتكه حتى يموت فأرهب الناس بالشرقية (٢) والغربية والبحيرة (٣) والمنوفية وأشموم (٤) بكثرة آثاره المهولة فيها.

وفيها صرف شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ

---

(١) مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا، إلى أبهر اثنا عشر فرسخا. انظر معجم البلدان ٣٤٢/٤، ٣٤٤.

(٢) كورة فى جنوب مصر. انظر البلدان ٣/ ٣٣٧.

(٣) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر، معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) بلدة بمصر، قرب دمياط، وهى مدينة الدقهلية. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/١.

بدمشق، وكتب نائب الشام يطلب غيره؛ فعين السلطان لكتابة السرّ بدمشق جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير، من حملة الموقعين بعد عَرضهم؛ وخلع عليه ووصّاه وصايا كثيرة.

وفى خامس رمضان: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى، فلم يقبل عليه السلطان، وذلك بسعاية النشو عليه أنه جمع من المباشرات أموالا جمة، وأن متاجره الآن بطرابلس تنيف على مائة ألف دينار، وأن عنده من الكتاب من يحقق فى جهته مبلغ مائتى ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان؛ فنزل ابن التركمانى ولزم بيته.

وفى تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عطيفة بن أبى نمى الحسنى، وكان قد قدم وشكا من أخيه رميثة أمير مكة، فأشرف بينهما فى الإمرة.

وفيها اشتدت العقوبة على أولاد التاج إسحاق، وعلى قرموط ورفيقه، حتى أظهروا مالا كثيرا. وأنعم على لؤلؤ بإمرة طبلخاناه، وكثرت الخلع عليه من السلطان، وعظم البلاء به.

وفيها أقام النشو رجلا لمرافعة الأمير شهاب الدين أحمد بن المحسنى والى دمياط، بأنه أخرب أساسا قديما فى البحر بين البرجين، كانت عليه طلسمات تمنع بحر الملح عن النيل، حتى تلفت طلسمات وغلب البحر على النيل، فتلفت البساتين، وأنه نال من ثمن حجارة هذا الأساس مالا كثيرا. فأحضر وتسلمه لؤلؤ، فضرب بالمقارع واستخرج منه جملة مال.

وفيها قبض النشو على زوجة موسى بن التاج إسحاق، وعوقبت وهى حامل عقوبة شديدة على إحضار المال، حتى طَرَحت ما فى بطنها ولدا ذكرا؛ وقبض أيضا على أولاد ابن الجيعان كتاب الإسطبل. وذلك أن النشو كانت له عجائز يتجسسن فى بيوت الكبار، فبلغه عن أولاد ابن الجيعان أن نساءه يذكرن كثرة ظلمه وعسفه، وأنهن يدعون عليه؛ وبلغه أيضا أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى فى نظر الجيش، والآخر يسعى فى نظر الخاص. فطلب النشو كاتب الإسطبل منهم، وألزمه بكتابة حساب الإسطبل، فامتنع عليه وخاشنة فى القول. فسعى به النشو إلى السلطان حتى قال له مشافهة من شباك القصر: «لم لا تعمل حساب الإسطبل، وتعطيه الناظر؟»، يعنى النشو، فقال: «يا خوند بدل ما تطلب حساب العبى والمقاود، اطلب حساب الذهب الذى يدخل إلى خزائنك»، وأغلظ فى حق النشو حتى قال له: «ونعمة مولانا السلطان أُظهر فى جهتك مائتى ألف دينار»؛ فقامت قيامة النشو، وانفض المجلس على ذلك. فمازال

النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم إلى لؤلؤ، فعاقبهم حتى هلكوا وأخذ موجودهم؛ فلم يكتف بذلك، فقبض على أقاربهم وألزامهم، وصودر جماعة بسببهم.

وفيه خلع على علاء الدين على بن حسن المروانى الكاشف، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن بلبان المحسنى. وتولى المروانى هدم قناطر السباع التى عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر وزيدت فى سعتها عشرة أذرع، وأعيدت أحسن ما كانت، وركبت السباع التى كانت عليها من عهد الظاهر على حالها.

وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه ألطنبغا الماردينى شغفا زائدا وقاه، فأحبّ أن ينشئ له جامعا تجاه ربع الأمير سيف الدين طغى خارج باب زويلة، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم. فانتدب السلطان لذلك النشو، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم: «الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء»، ومازال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما فى مكاتيبهم من الثمن، وكانوا قد أنفقوا فى عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتدّ لهم منها بشىء. وقام الماردينى فى عمارة الجامع حتى تمّ فى أحسن هندام، فجاء مصرفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره. وخطب به الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبرى، من غير أن يتناول له معلوما.

وفيها عمرت قلعة جعبر المعروفة قديما بدوسر[١] وكانت قد تلاشت بعد أخذ المغل لها؛ فلما كملت رتب فى نيابتها الأمير صارم الدين بكتوت السنجرى نائب الرحبة [٢].

وفيها وقعت قصة بدار العدل تتضمن الوقيعة فى النشو، وتذكر ظلمه وتسلّط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم، وتعشق صهره ولى الدولة لشاب تركى. وكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميرا الذى شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النشو، وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة؛ فلم يقبل السلطان فيه قول قوصون أو غيره من الأمراء لمعرفته بكراهتهم له. فلما قرئت عليه القصة قال: «أنا أعرف من كتبها»؛ وأستدعى النشو ودفعها إليه، وأعاد له ما رماه به الأمير قوصون. فحلف النشو على براءة أقاربه من هذا الشاب، وإنما هذا ومثله مما ينقله حواشى الأمير قوصون إليه، ليبلغه قوصون إلى السلطان حتى يتغير خاطره، ويوقع به وبأقاربه، وبكى وانصرف. فطلب

(١) قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر، وسبب تسميتها جعبر، لأن رجل من بنى قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك قد ملكها. انظر، معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم البلدان ٣٣/٣، والروض المعطار ٢٦٨.

السلطانُ الأمير قوصون وأنكر عليه إصغاءه لما يقال فى النشو، ونقله للسلطان حتى يتغير عليه مع منفعته به، وأخبره بحلف النشو. فحلف قوصون أن النشو يكذب فى حلفه، ولئن قبض على هذا الشاب وعوقب ليصدقنّ السلطان فى تعيينه من يعاشره من أقارب النشو.

فغضب السلطان، وطلب الأمير بدر الدين مسعود بن خطير الحاجب، وأمره بطلب الشاب وضربه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابة أسمائهم، وألزمه ألا يكتم عنه شيئا منهم؛ فطلبه ابن خطير وأحضر إليه المعاصير، فأملى عليه عدة كثيرة من الأعيان، منهم ولى الدولة؛ فخشى مسعود على الناس من الفضيحة، وقال للسلطان: «هذا الكذاب ما ترك أحد فى المدينة حتى اعترف عليه، وإننى أعتقد أنه يكذب عليهم». وكان السلطان حشم النفس يكره الفحش، فقال: «يا بدر الدين! من ذكر من الدواوين؟» فقال: «وا الله ! يا خوند! ما خلى من خوفه أحدًا حتى ذكره». فرسم السلطان بإخراج عمير وأبيه إلى غزة وكتب إلى نائبهما أن يقطعهما خبزا هناك.

واتفق أيضا أن طيبغا القاسمى من المماليك الناصرية كان يسكن بجوار النشو، وله مملوك جميل الصورة؛ فاعتشر به ولى الدولة من إخوة النشو، فترصّده أستاذه حتى هجم يوما عليهم وهو معهم، فأخذ منهم وخرج. فبلّغوا النشو ذلك، فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طيبغا القاسمى يتعشق مملوكه، ويتلف عليه ماله «ثم إنه هجم وهو سكران على بيتى وحريمى، وقد شهر سيفه، وبالغ فى السبّ».

وكان السلطان يمقت على السكر، فأمر فى الحال بإخراج طيبغا ومملوكه إلى الشام منفيا.

وفيها قدم إبراهيم ابن السلطان من الكرك، يوم الإثنين ثالث ذى الحجة.

وفيها أمر السلطان بإنشاء قناطر بناحية شيبين القصر على بحر أبى المنجا، فأنشئت تسع قناطر في شعبان؛ وتقدّم السلطان إلى الأمراء بحمل الحجارة إليها، فحمل كل من الأمراء ما وظّف عليه من ذلك.

وفيها وقع بالمدينة النبوية وباء، فكان يموت فى كل يوم خمسة عشر بمرض الخوانيق، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة.

وفيها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر أصبعا، فعم نفعه

عامة الأراضى؛ وكان الوفاء يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة، وهو سادس عشر مسرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

بهاء الدين أبو بكر بن محمد بن سليمان بن حمايل - المعروف بابن غانم- كاتب السرّ بطرابلس، فى ثامن صفر بها.

وتوفى الواعظ شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير، بمصر يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، عن أربع وثمانين سنة؛ حدّث عن الحافظ عبد العظيم وغيره.

ومات الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، وهو معزول، يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، عن نحو تسعين سنة؛ أصله من المماليك المنصورية قلاوون، وترقّى حتى صار خازنا ثم شادّ الدواوين ثم والى [(١)]؛ ثم استقرّ والى القاهرة وشادّ الجهات، فأقام عدة سنين؛ وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل؛ وكان حسن السيرة، ومات عن نحو تسعين سنة؛ وتربته بالقرب من قبة الشافعى بالقرافة.

ومات الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسرى، بسجنه فى الإسكندرية فى جمادى الأولى، بعد ما أقام به أربع عشرة سنة.

وتوفى الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحنفى[(١)]؛ وله تاريخ مصر مقفّى، وشرح البخارى، وشرح السيرة النبوية للحافظ عبد الغنى، ومشيخة فى عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ.

وتوفى زين الدين عبد الكافى بن الضياء على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى الخزرجى السبكى، بالمحلة الكبرى وهو على قضائها، وهو والد التقى السبكى.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(١) عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبى، قطب الدين: حافظ للحديث، حلبى الأصل والمولد، مصرى الإقامة والوفاة. له «تاريخ مصر» و«شرح السيرة للحافظ عبد الغنى» و«الاهتمام بتلخيص الإلمام» فى الحديث، وكتاب «الأربعين» فى الحديث. انظر حسن المحاضرة ٢٠٢/١ والفوائد البهية ١٠٠ وغاية النهاية ٤٠٢/١ والبداية والنهاية ١٧١/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٦/٩ والأعلام ٥٣/٤.

ومات الملك العزيز عثمان بن المغيث عمر ابن العادل أبى بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، بالقاهرة ومولده سنة اثنين وخمسين وستمائة.

ومات الأمير طغلق الأشرفى السلاح دار، بالقاهرة، بعد الإفراج عنه بأسبوع.

ومات الصاحب شمس الدين عبد الله - واسمه غبريال أبى سعيد بن أبى السرور الأسلمى -ناظر الشام، بعدما صودر اتضع حاله حتى استجدى من الأمراء ونحوهم؛ و كان النشو يغرى به السلطان بأنه يكذب، وإن تسلمه أظهر له مالا كبيرا؛ فاشتملت تركته على ألف درهم، وبسببها استطال النشو على السلطان، وصار قوله عنده لا ينقض.

وتوفى المسند أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الخلاطى الوانى، المؤذن بالجامع الأموى، فى حادى عشرى ربيع الأول بدمشق؛ سمع بمصر والشام والحجاز، وحدّث عن جماعة.

ومات محمد بن بكتوت الظاهرى القلندرى، بطرابلس فى خامس عشر ربيع الأول؛ كان كاتبا مجودا ويذكر أنه كتب على ابن الوحيد؛ وكان يضع المحبرة فى يده اليسرى والمجلد من كتاب الكشاف للزمخشرى على زنده، ويكتب منه ما شاء الله وهو يغنى ولا يغلط؛ وكان عند المؤيد بحماة مدة، ثم طرده.

وتوفى شيخ الكتابة بهاء الدين محمود بن الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الوهاب بن على بن أحمد بن عقيل السلمى - المعروف بابن خطيب بعلبك الدمشقى - بها فى سلخ ربيع الأول، عن سبع وأربعين سنة.

ومات الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا، فى يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة بسلمية ودفن بها، عن ثمانين سنة؛ وترك ستة عشر ولدا، وكان عفيفا مشكور السيرة.

وتوفيت ناصرية ابنة إبراهيم بن الحسين السبكى، والدة التقى بعد زوجها زين الدين عبد الكافى السبكى بأربعين يوما؛ حدّثت عن على بن الصواف، ودفنت بالقرافة.

وتوفيت زينب بنت الخطيب يحيى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، عن سبع وثمانين سنة؛ وقد تفرّدت بالرواية عن جماعة و قتل ترمشين بن دوا المغلى،

صاحب بلخ [١] وبخارا [٢] وسمرقند [٣] ومرو[٤] وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وأبطل المكوس وعَدَل فى رعيته؛ وملك بعده بزان.

* * *

---

(١) بلخ: هى مدينة خراسان العظمى وهى فى مستو من الأرض، ودار مملكة الأتراك والملك بها لازم، ولها كور ومدائن وفتحها عبد الله بن سمرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما، ومن بلخ إلى مدينة مرو مائة وستة وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٩،٤٨٠.

(٢) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، بينها وبين جيحون يومان. انظر، معجم البلدان ٢/٣٥٣/٣٥٦.

(٣) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن فريقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال أنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقيل شمرقند، وعربت فقيل سمرقند، وهى مدينة حسنة كبيرة على جنوب وادى الصغد، وقصبة الصغد سمرقند. انظر معجم البلدان ٣/٢٤٨، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣، وابن الوردى ٣١.

(٤) من أشهر مدن خراسان، بين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ٥/١١٢،١١٦، الروض المعطار ٥٣٢، ٥٣٣، ومعجم ما استعجم ٤/١٢١٦.

سنة ست وثلاثين وسبعمائة

فى المحرم: قدم مملوك المجد السلامى من العراق بكتاب أستاذه وصحبته بيرم رسول بوسعيد؛ فنزلا بدار الضيافة، وسافرا يوم الخميس خامس عشريه. وكان الكتاب يتضمن أن بوسعيد مرض، فتصدق بمال كثير، وكتب بإسقاط المكوس من توريز وبغداد والموصل، بواسطة الوزير محمد بن الرشيد، وأن سديد الدولة ديان اليهود مرّ بقارئ يقرأ قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[1] فوقف واستعاده قراءتها، وبكى بكاء شديدا، وقد اجتمع عليه الناس، ثم أعلن بكلمة الإسلام، فارتجت بغداد لإسلامه، وغلقت أسواقها، وخرج النساء والأولاد، فأسلم بإسلامه ستة من أعيان اليهود؛ وسارعت العامة ببغداد إلى كنائس اليهود، فخربوها ونهبوا ما فيها.

وفيها تم بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامعه من داخل باب القرافة، وتمّت عمارة حمامها أيضا. فقرّر قوصون فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن[2] محمود الأصفهانى، فى يوم الخميس ثانى صفر؛ وعُمل بها سماط جليل.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر: توجه السلطان إلى الوجه القبلى حتى وصل إلى دندرا، وعاد فطلع القلعة فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى؛ وكانت غيبته خمسة وأربعين يوما.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية؛ واستقر عوضه سيف الدين طاجار المارديني؛ ثم أخرج بغا عن إمرة

---

(١) النساء الآية ١.

(٢) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبد الله، شمس الدين الأصفهانى: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. يذكر أنه من سلالة أبى دلف العجلى. ولد وتعلم بها وكان والده نائب السلطنة. ولما استولى العدو على أصبهان رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠ فولى قضاء منبج ثم توجه إلى مصر وولى قضاء قوص فقضاء الكرك واستقر آخر أمره فى القاهرة مدرسا وتوفى بهاله كتب منها «شرح المحصول للرازى - خ» فى أصول الفقة أربعة مجلدات منه فى الأزهرية ولم يكمل وتشييد القواعد فى «شرح تجريد العقائد -خ» فى المدينة المنورة. انظر فوات الوفيات ٢:٢٦٥ والبداية والنهاية ٣١٥/١٣ وبغية الوعاة ١٠٣ والفوائد البهية ١٩٧-٨ وطبقات الشافعية ٤١/٥ وحسن المحاضرة ١:٣١٣ والأعلام ٨٧/٧.

عشرة[١] بصفد، فى ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر. وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثيابا بضعفى قيمتها كما هى عادته، فرفع قصة للسلطان على يد بغا، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله. فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر، وقال له: «كم تشكو الناس منك! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان». فقال: «يا خوندا ! هذا ما يشتكى من أمر القماش، لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار، وقد هرب منى وأنا أتطلبه. وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر - وهى من جوارى الشهيد الملك الأشرف خليل [٢] - ماتت عنده، وخلفت نحو مائة ألف دينار وما بين جواهر وغيرها، فأخذ الجميع ولم يظهر السلطان على شىء ». ثم التفت النشو إلى التاجر وقال له: «بحياة رأس السلطان! ما كنت متزوجا بفلانة؟» - يعنى الجارية المذكورة - فقال: «نعم!.» فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال، فأخذه ابن صابر وشهّره بالقاهرة، وعاقبه بالقيسارية[١] مرارا حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم. ثم تحول النشو على بغا وسعى به أنه يأخذ البراطيل؛ وكان السلطان لا يرتشى، ويمقت من يرتشى ويعاقبه أشد العقوبة، فأثر كلامه عند السلطان حتى أخرجه. وسعى النشو أيضا بطقتمر الخازن حتى غيّر السلطان عليه، وأخرجه إلى قلعة حلب[٢] نائبا بها فى تاسع عشرى رجب.

وفى يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة: رسم للأمير سيف الدين أيتمش المحمدى

---

(١) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤٢١/٣.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن الوردى ٢٣٨/٢ وابن إياس ١٢١/١ والأعلام ٣٢١/٢.

(١) القيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤٢١/٤

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالقة، وهى مدين عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى، وقال بعضهم حلب قدرها خطير، وذكرها فى كل زمن يطير، لها قلعة شهيرة الامتناع، معدومة الشبيه والنظير فى القلاع، ويقال إن هذه القلعة كانت فى قديم الزمان ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، صبح الأعشى ١١٦/٤.

بنيابة صفد، عوضا عن أرقطاى المرسوم بنقله إلى مصر؛ فخلع عليه يوم السبت حادى عشره، وودع السلطان يوم الإثنين ثانى عشر رجب. وخرج أيتمش إلى الريدانية، ثم رحل منها يوم الخميس خامس عشره، فقدم صفد يوم السبت ثامن شعبان. وقدم الأمير أرقطاى إلى قلعة الجبل يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته، وأكرمه السلطان.

وفيه أخرج بلبان الحسامى - والى القاهرة كان - إلى ولاية دمياط ثامن عشره؛ واستقر عوضه فى ولاية القاهرة علاء الدين بن حسن المروانى، وهو والى الولاة بالوجه البحرى يومئذ.

وفى ليلة ثالث عشر رجب: قبض على ابن هلال الدولة، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى؛ وأخرجا إلى الإسكندرية بسعاية النشو عليهما.

وسببه أن الناس توقفت أحوالهم فى القاهرة من جهة الفلوس، وتحسنت أسعار الغلال، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة. فوجد النشو سبيلا إلى القول، ورمى ابن هلال الدولة بأنه تحول من القرافة إلى جوار ناصر الدين بن المحسنى بخط البندقانيين من القاهرة، وأنهما يجتمعان ليلا ويندبا، عدة من العامة لإغلاق دكاكين القاهرة والتعنت فى أمر الفلوس، وأن «ناصر الدين بن المحسنى قد باطن جماعة من الحرامية على الفتك بى، وأن إقامة الإثنين بالقاهرة توجب فسادا كبيرا». ومازال النشو بالسلطان حتى أخرجهما بعدما قبض عليهما، وكان ابن هلال الدولة من ثالث عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فى الترسيم بالقلعة؛ ثم أخرج بدر الدين والد ابن المحسنى وإخوته إلى طرابلس [١].

وفى يوم الثلاثاء ثالث رمضان: دخل الأمير الشريف بدر الدين [٢] ودى بن جماز ابن شيحة الحسنى أمير المدينة النبوية، شاكيا من ابن أخيه طفيل بن منصور بن جماز أنه

---

(١) طرابلس: من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب فى سورها، وقيل :وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس، وبينها وبين سرات عشر مراحل، وطرابلس أيضًا: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، وهى معقل من معاقل الشام. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) ودى بن جماز بن شيحة الحسينى بدر الدين أبو مزروع: ممن تولوا إمارة «المدينة». له نظم حسن. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل وحبس ونظم أبياتا فى الحبس (سنة ٧٢٩) وغضب الملك الناصر (محمد بن قلاوون) على طفيل، فحبسه بمصر وولى صاحب الترجمة إمارة المدينة (سنة ٧٣٦) فقام بأعبائها.

لم يوافق على ما رسم به من شركتهما فى الإمرة. وكان قد رسم فى سادس عشر المحرم لودى بنصف الإمرة شركة بينه وبين ابن أخيه طفيل، وخلع عليه وكتب له توقيع بواسطة الأمير شرف الدين موسى[١] بن مهنا عند قدومه؛ فقدم طفيل من المدينة فى جمادى الأولى، ليكون بمفرده فى الإمرة، فلم يجب إلى ذلك. ثم آل الأمر إلى أن استقرّ ودى بمفرده فى الإمرة بغير شريك، وخلع عليه فى عاشر شوال، وتوجه مع الركب؛ ورسم لطفيل بإقطاعٍ فى بلاد حوران [٢] بالشام، فسكنها بعياله.

وفى تاسع شهر رمضان: أنعم على إبراهيم ابن السلطان بإمره، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك به إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وعمل مهم عظيم. وألبس الأمير إبراهيم الشربوش على العادة، وشق القاهرة فى موكب جليل، وقد زينت بالشموع والقناديل حتى صعد القلعة.

وفيها رافع التاج كاتب الأمير بكتوت التاج محيى الدين بن فضل الله كاتب السر وولده شهاب الدين أحمد بورقة قرأها السلطان، تتضمن أنهما عزلاه بغير علم السلطان. فطلبهما السلطان وأوقفهما عليهما، فعرّفاه أن هذا كان يكتب الإنشاء بغزة، فكتب تواقيع بغيره بذلك بمقتضى قصة مشمولة بالخط الشريف، وأحضرا القصة؛ فأخرج الرجل. ووجد النشو طريقا للوقوع فى ابن فضل الله، فتسلط عليه بالكلام السيئ.

وفيها اشتدت وطأة النشو على الناس، وابتكر مظلمة لم يسبق إليها: وهى أنه ألزم الصاغة ودار أهل الضرب ألا يبتاع أحد منهم ذهبا، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب، ليصك بصكة السلطان ويضرب دنانير هرجة [٣]، ثم تصرف بالدراهم؛ فجمع من ذلك مالا كبيرا للديوان. ثم تتبع النشو الذهب المضروب فى دار الضرب، فأخذ ما

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى. رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال ابن تغرى بردى: كان من أجل الملوك. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) بلاد حوران: جبل بالشام وحوران أيضًا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخًا فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٣١٧/٢، والروض المعطار ٢٠٦.

(٣) الهرجة - يقال هرج أيضا جمع هرج وهى هنا دنانير تستعمل خاصة فى الحلى كالأساور والعقود وعيرها، بأن يصاغ فى أطرافها حلقات صغيرة أو يجعل فى جوانبها ثقوب.

كان منه للتجار والعامة، وعوضهم عنه بضائع؛ وحمل ذلك كله للسلطان. وانحصر ذهب مصر بأجمعه فى دار الضرب، فلم يجسر أحد على بيع شىء منه فى الصاغة ولا غيرها. ثم إن السلطان استدعى منه بعشرة آلاف دينار، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره؛ فنزل النشو وألزم أمين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام، وطلب منه عشرة آلاف دينار قرضا فى ذمته، فدلّه على مبلغ أربعمائة ألف درهم لأيتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال، فأخذها منه وعوضه عنها بضائع. ثم بعث النشو إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الإخنائى المالكى فى تمكينه من مال أولاد الأمير أرغون النائب، وهو ستة آلاف دينار، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال: «السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام»؛ فردّ عليه: «بأن السلطان إنما يطلب المال الذى سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها، فإن الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة»؛ وقام فى فورة إلى السلطان، ومازال به حتى بعث إلى القاضى يلزمه بحمل المال الذى سرقه أخوه من الخزانة، ويقول له: «أنت إيش كنت من مملوكى؟» فلم يجد قاضى القضاة بدا من تمكين النشو من أخذ المال.

وفيها أمر السلطان أيضا بتشديد العقوبة على أولاد التاج إسحاق وألزامهم.

وفيها تحرّكت أسعار الغلال من نصف جمادى الآخرة، وارتفع القمح من خمسة عشر درهما الأردب إلى عشرين درهما، ثم إلى ثلاثين درهما؛ فوقفت أحوال الناس. وارتفع القمح إلى أربعين درهما، فأمسك الأمراء وغيرهم من البيع طلبا للفائدة، فخاف السلطان عاقبة ذلك، فطلب نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى المحتسب - وقد بلغ الأردب خمسين درهما - وأنكر عليه، وأقام معه والى القاهرة علاء الدين على بن حسن المروانى، وكان ظالما غشوما. فضرب الوالى عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع، فاشتد الأمر، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر، وتعذّر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة.

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة. ونودى بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهما الأردب، ومن باع بأكثر من ثلاثين نهب ماله؛ وتقدّم السلطان إلى الأمراء بألا يخالفوا ذلك. فأمسك مباشرو الأمراء أيديهم عن البيع، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئا؛ فاشتدّ الأمر. وباع السماسرة الأردب بستين وبسبعين خفية، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على أنها جراية لمخاديمهم، وما هى إلا مبيع بما ذكر.

فاهتم السلطان بالغلاء، وشق عليه ما بالناس من ذلك، وعلم أن أكثر الغلال إنما هى للأمراء؛ فطلب ضياء الدين يوسف أبى بكر بن محمد - الشهير بالضياء ابن خطيب

بيت الآبار الشامى ناظر المارستان وناظر الأوقاف، وقد اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته، وفوض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منها، وأكّد عليه فى القيام بما ندبه إليه، وخلع عليه فى ثالث جمادى الآخرة. ونزل الضياء ومعه الأكز شاد الدواوين إلى مصر؛ فكان يوما مشهودا. وأول ما بدأ به الضياء أن ختم شون الأمراء كلها، بعد أن كتب ما فيها من عدة الأرادب؛ وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمئونته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغلّ الجديد؛ ثم طَلب الشماسرة والأمناء والكيالين، وأشهد عليهم ألا تفتح شونة إلا بإذنه.

وصار الضياء يركب فى كل يوم إلى شونة، ويخرج ما فيها، فيبدأ بتكفية الطحانين، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهما؛ فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك. ثم بلغ الضياء أن سمسارى الأميرين قوصون وبشتاك باعا بأكثر من ذلك، فاستدعى الأمير الأكز إلى مصر فضربهما بالمقارع واشهرهما. ثم عرّف الضياء السلطان بأمرهما، فاشتد غضبه، وطلب الأمير قوصون حضرة الأمراء، وصرخ عليه:«ويلك !أنت تريد أن تخرب علىّ مصر؟ وتخالف مرسومى؟» وسبه ولعنه، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه، وصار يقول: « هاتوا أستاداره» فسارع النقباء لإحضاره ومن شره غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول «هاتوا أستاداره»، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر. وارتجت القلعة بأسرها، وخاف الأمراء كلهم، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان. فلم يكن أسرع من حضور قطلو أستادار قوصون، فأمر السلطان الأكز بضربه بالمقارع، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب، خوفا عليه من إفحاش الأكز فى ضربه؛ فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب.

ثم بلغ الضياء أن الأمير طشتمر الساقى أخرج من شونته أربعمائة أردب، فأنكر على ديوانه، وحلف أنهم إن لم يعيدوا الأربعمائة أردب إلى الشونة، وإلا عرف السلطان ذلك؛ فلما بلغ الأمير طشتمر هذا ردّ الغلة إلى الشونة.

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواحى، ويحملوا ما بها من الغلال، بحيث لا يدعون غلة فى مطمورة [1] ولا مخزن، ولا أحد عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلاثين درهما ونودى بالقاهرة ومصر:«من كان عنده غلة ولا يبيعها نهبت».

---

(١) المطمورة مكان تحت الأرض قد هيئ ليطمر فيه البر والفول ونحوهما، جمع مطامير. انظر المعجم الوسيط (طمر).

وكان قد بلغ السلطان أن الأجناد عندهم غلال، وهم يبيعونها بالويبة [(١)]، فباع بعضهم بعد النداء، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئا. فنم عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم السوقة الحرافيش عليه وتنهبه، ومنهم من يغمز عليه فيأتيه الوالى ويخرج غلته حتى تفرّق على الطحانين. وأقيم فى كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتّب له، وعُمل معدّل كفاية البلد فى كل يوم، وفُرّق القمح فيهم على قدر كفايتهم، فسكن ما كان بين الناس من العناء فى طلب الخبز، ومن ضرب الطحانين والخبازين.

فلما كان فى آخر شهر رجب: قدم من الشام أربع آلاف غرارة قمح. ثم قدم فى آخر شعبان أحمال كثيرة من بلاد الصعيد، وتبعها الحمل فى البر والبحر من الشرقية والغربية والبحيرة. وخاف أرباب الغلال على أنفسهم، فأخرجوها للبيع، حتى إذا أهل شهر رمضان قدمت التراويج فى أوائل الحصاد. ووافق ذلك النداء على النيل بالزيادة، فعبرت المراكب فيه بالغلال إلى ساحل مصر، وزفت بالمغانى؛ وكان الخبز يباع ستة أرطال بدرهم، فبيع من الغد ثمانية أرطال بدرهم. فلم ينسلخ شهر رمضان حتى فرج الله عن عباده، ونزل السعر قليلا قليلا، بعدما ظنّ كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا، فسلم الله بمنه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشر شوال: قدم رسل الملك موسى الذى ملك بعد أربا كاؤن ورسول على بادشاه. فخلع عليهما وأنعم على جماعتهم بمال كثير.

فلما كان يوم الجمعة: ركبوا من القلعة بعد الصلاة، ومضوا فزاروا الإمام الشافعى والسيدة نفيسة، وعادوا إلى التربة المنصورية بين القصرين، فزاروا قبر السلطان الملك المنصور قلاوون [(١)]، وعدوا المارستان وطلعوا إلى القلعة، ودقت الكوسات عند نزولهم منها ثم عند عودهم إليها؛ وسافروا فى تاسع عشريه. وملخص كتبهم الخبر بموت ملك الشرق القان بوسعيد ابن القان محمد خربندا بن أرغون أبغا ابن عدو الله هولاكو بن طلوخان ابن عدو الله جنكز خان، بالباب الحديد وهو متوجه إلى لقاء أزبك خان،

---

(١) الويبة كيلتان والإردب ست ويبان انظر المعجم الوجيز ٦٨٣.

(١) المنصور قلاوون هو قلاوون الألفى العلائى الصالح، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٢-٤٤ وابن إياس ١:١١ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٢٣/٢ والأعلام ٢٠٣/٥.

وأنه قام من بعده أربا كاؤن بن صوصا بن سنجقان بن ملكتمر بن أريغبغا أخى هولاكو بمساعدة الوزير غياث الدين بن رشيد الدين. فلم يوافقه على بادشاه حاكم بغداد فى الباطن، واستمال أولاد سونتاى فلم يوافقوه؛ فجمع على بادشاه المغل عليه، وكتب إلى السلطان الناصر [(١)] يعده بأنه يسلم بغداد ويكون نائبا عنه بها، وسأله فى إعانته بنجدة على أولاد سونتاى، تكون مقيمة على الفرات. ففرح السلطان بذلك وأجابه بالشكر، وبعث إليه خمسة قواقل وخمسة سيوف. فقوى عزم على بادشاه، وركب إلى أولاد سونتاى؛ فاجتمعوا على الشيخ حسن بن آقبغا أيلخان سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو - المعروف بالشيخ حسن بك الكبير النوين - بالأردو، وعرفوه انتماء على بادشاه لصاحب مصر ونصرته له. فكتب الشيخ حسن الكبير إلى السلطان يرغبه فى نصرته على علىّ بادشاه، ويمتّ إليه بقرابته من أمه؛ فمطل بالجواب رجاء حضور خبر علىّ بادشاه. فقدم الخبر بأن علىّ بادشاه لما ركب لحرب أولاد سونتاى بلغه اجتماعهم والشيخ حسن مع عدة من الأمراء، وأن أربا كاؤن هرب لتفلّل أصحابه عنه؛ وأشيع عنه أنه قتل. وقوى على بادشاه بمن أنضم إليه من المغل، فسار أولاد سونتاى والشيخ حسن إلى جهة الروم؛ وانفرد على بادشاه بالحكم فى الأردو، وأقام موسى بن على بن بيدو بن طرغاى بن هولاكو على تخت الملك.

وفى يوم الأربعاء سابع شوّال: تغير السلطان على الأمير الأكز شاد الدواوين، وضربه وحبسه مقيدا. وسبب ذلك أن الأمير قوصون غضب على الأكز من أجل أنه أخرق بقطلو أستاداره، عندما باع شماسرة القمح بأزيد من ثلاثين درهما الأردب؛ فعندما رآه فى الخدمة السلطانية سبّه، فردّ عليه الأكز ردا فاحشا سبّه فيه كما سبه، فاشتدّ حنق قوصون منه و هم أن يلكمه، فبدر إليه وهمّ فى ذلك، وإذا بالسلطان قد جلس وسمع الجلبة، فتقدم إليه الأكز وعرفّه بما فعله سمسار قوصون وضربه له، «وأن قوصون غضب علىّ بسبب ذلك، وشتمنى». فكان من السلطان فى حق قوصون ما تقدّم ذكره، وصار يقول: «إذا كان مملوكى يفعل شيئا بغير مرسومى ويعترض علىّ أى حرمة تبقى لى؟» وحطّ على قوصون. فتأخر قوصون عن الخدمة آخر النهار، فاستدعاه السلطان بجمدار، فوجده محموما، وأقام بالحمى ثلاثة أيام؛ فبعث إليه الأمير بشتاك

---

(١) الناصر محمد بن قلاوون بن عبدا لله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣م، وهو صبى له وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٣٣٠/٢ وفوات الوفيات ٢٦٣/٢ وابن إياس ١٢٩/١ والدرر الكامنة ١٤٤/٤ والنجوم الزاهرة ٤١/٨، ١١٥ والأعلام ١١/٧.

وطيّب خاطره، وهو يشكو مما جرى عليه، فما زال بـه حتى دخـل إلى الخدمـة؛ فـأقبل السلطان عليه، ووعده بالإيقاع بالأكز. ثم طلب السلطانُ النشو بعد ذلك، وحدّثـه فـى أمر الأكز وغضّ منه؛ فعين النشو له لؤلؤًا عوض الأكز وقام عنه، وطلـب لؤلـؤًا وعرفـه ما دار بينه وبين السلطان وكان لؤلؤ خفيفا أحمق، فوضع من الأكز ودخل من الغـد إلى السلطان مع الأكز، وأخذ يجبهه بالكلام ويرافعه وينكيه، حتى حرج منه وسبه. فغضـب السلطان بسبب ذلك، وأمر به فضرب بين يديه، وقيد وسجن بالزردخاناه؛ وخُلع علـى لؤلؤ عوضه فى شد الدواوين، وخلع على شمس الدين إبراهيم بـن قزوينـة، ورسـم لهمـا أن يمتثلا ما يرسم به النشو، ولا يعملا شيئا إلا بمشورته، ونزلا. فأول ما بدأ به لؤلـؤ أن أوقع الحوطة علـى موجـود الأكـز، وقبـض علـى مباشريه؛ وعـاقب موسـى ابـن التـاج إسحاق، ونوع عذابه تقرّبا لخاطر النشو، وعاقب قرموط وطالبه بحمل المال.

وفى ثانى عشر ذى القعدة: استقر علاء الدين كندغدى العمرى فـى ولايـة القلعـة، عوضا عن بيبرس الأوحدى.

وفيها سقط طائر حمـام بـالميدان، وعلـى جناحـه ورقـة تضمنـت الوقيعـة فـى النشـو وأقاربه، والقدح فى السلطان بأنه قد أخرب دولته. فغضب السـلطان مـن ذلـك غضبـا شديدا، وطلب النشو وأوقفه علـى الورقـة، وتنمر عليـه لكثرة مـا يشـكى منـه فقـال: «ياخوند الناس معذورون! وحق رأسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبـت. وهـذه فعلة العلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها فى بيت الصفى كاتب الأمـير قوصون، وقد اجتمع هو وأقاربه». وأخذ النشو يعرّف السلطان بما كان مـن أمـر سـعيد الدولة فى أيام بيبرس [1] الجاشنكير، وأغراه به حتى طلبه، وسلمه إلى الوالى علاء الديـن على بن حسن المروانى، فعاقبه عقوبة مؤلمة. وطلب السلطان الأمير قوصون وعنفه علـى فعل الصفى كاتبه، فطلبه قوصون وهدّده، فحلف بكل يمـين علـى براءتـه ممـا رمـى بـه. فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة، وقبض عليهم بسبب أبى شاكر، ونـوّع العذاب عليهم بيد الوالى، وخرب دورهم وحرثها بالمحراث. وقبـض النشـو علـى الموفـق هبة الله بن سعيد الدولة، ثم أفرج عنـه بعنايـة الأمـير آقبغـا عبـد الواحـد؛ وعـذَب ابـن الأزرق ناظر الجهات.

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى، ركن الدين الملك المظفر: من سـلاطين المـماليك بمصر والشـام شركسى الأصل، على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه وتأمر فى أيامه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون. انظر فوات الوفيات ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ٩٨/١، ١١٢ والأعلام ٧٩/٢.

واشتدّت وطأة النشو على الناس جميعا، وأوحش ما بينه وبين الأمراء كلهم؛ وثلب أعراضهم عند السلطان، حتى غيره عليهم.

ثم رتّب النشو ضامن دار الفاكهة فى أنْ وقف للسلطان، وسأل أن يسامح بما تأخر عليه، فإن دار الفاكهة أوقف حاله فيها، من أجل أن الأعناب الواصلة من ناحية مرصفا وغيرها عصرت خمرا بناحية شبرا، فتعطل ما كان يؤخذ منها للديوان. فطلب السلطان النشو ولؤلؤًا، وسألهما عن ذلك وعن ناحية شبرا، فقالا: «هى للأمير بشتاك، وديوانه إبراهيم جمال الكفاة هو الذى يعصر فيها». فرسم للوالى ولؤلؤ أن يكسرا جميع ما بشبرا من جرار الخمر، وإحضار من هى عنده؛ فطلب لؤلؤ أستادار بشتاك وأخرق به، فشق ذلك على بشتاك وشكاه للسلطان، فلم يلتفت إلى شكواه، وقال: «أستادارك وديوانك يعصران الخمر ويتجوَّهان بك؟»، ونحو هذا ومضى الوالى ولؤلؤ إلى شبرا، وكسرا فيها ألف جرة خمر، ووجدت جرار كثيرة عليها ختم المخلص أخى النشو، ووجد له أيضا قند وستمائة جرة فيها خمر عتيق؛ وكان معهم أستادار الأمير بشتاك، فاشتدّ عليهم واستطال، فداريا الحال حتى بلغا السلطان ما أرضاه، وسكت عن ذلك.

ثم ندب النشو بكتوت من مماليك الخازن - وهو يومئذ شاد شونة الأمير بشتاك - لمرافعة إسماعيل أستادار بشتاك وإبراهيم جمال الكفاة ديوانه؛ فخلا بكتوت ببشتاك وعرّفه أن المذكورين أخذا من الخصوص خمسة آلاف أردب، ومبلغ خمسين ألف درهم، وأخذا من الشونة مائة ألف درهم عندما رسم السلطان ببيع الأردب بثلاثين درهما، فباعوه بستين وبسبعين درهما؛ وذكر له أشياء من هذا النوع. فانفعل له بشتاك وبلّغ السلطان ذلك، وأحضر بكتوت معه؛ فطلب السلطان جمال الكفاة وإسماعيل، وطلب النشو أيضا وذكر له ما قال بكتوت، وأثنى عليه وشكره؛ فاشتدّ بأسه وأخذ يجبه مباشرى بشتاك بما رماهم به. فثبت جمال الكفاة لمحاققته، وكان مقداما طلق العبارة، وقال للسلطان: «أنا المطلوب بكل ما يقوله هذا» فبدأ النشو يذكر من أوراق المرافعة ما يتعلق بالخصوص، فأجاب بأن «الذى تولى قبضها الأستادار ومماليكه مع مباشرى الناحية؛ وهذه أوراقهم مشمولة بخطوط العدول، والمقبوض منها أزيد مما كان يقبض فى أيام الأمير بكتمر الساقى بكذا وكذا». ثم ذكر جمال الكفاة حديث مبيع الشونة؛ فقال: «منذ باشرت عند الأمير ما تنزلت إلى الشونة، والذى أبيع منها كذا وكذا أردب، بحضور شاهد ديوان الأمير، ومعه شاهدا إضافة وأربعة أمناء وسماسرة من جهة المحتسب. والسلطان يحضرهم ويكشف من دفاترهم عما قلته، فإن وجده بخلاف ما قلته كان في جهتى، وكان جزائى الشنق». فلما فلج جمال الكفاة بالحجة، قال

بكتوت: « ياخوند! هذا يعصر أربعة آلاف جرة خمر فى شبرا». فنهره السلطان وقال له: « إيش صح من كلامك حتى يصح هذا؟» وأمر به فأخرج؛ وعرّف بشتاك بأن النشو قد ندبه لذلك، فأسرّها فى نفسه.

فالتفت النشو بعد ذلك إلى جهة الأمير آقبغا عبد الواحد، ونمّ عليه للسلطان بأن معامل ناحيتى أبيار والنحراوية قد انكسر عليه مال نحو ثمانين ألف درهم، من جهة أن الأمير آقبغا صار يأخذ من قزازى ناحية طوخ مزيد التى فى إقطاعه عن التفاصيل التى تعمل بها ما كان يؤخذ عليها إذا حملت إلى أبيار والنحراوية، وأنه عمل ختما باسمه بدل ختم السلطان يختم به التفاصيل المذكورة؛ وذكر له عنه أشياء تشبه هذا، وأحضر بالحسام العلائى شاد أبيار والنحراوية ليحاقق آقبغا. فأمر السلطان بإحضار آقبغا وأغلظ له، وأمر الشاد بمحاققته، فجبهه بما رماه به النشو واستطال عليه، فخاف آقبغا و لم يأت بعذر يقبل؛ فطرده السلطان عنه، وأخذ يضع منه والأمير بشتاك يسدّ خلله حتى كفّ عن القبض عليه. فشقّ ذلك على الخاصكية ووقعوا فى النشو، وقد علموا أن ذلك من أفعاله.

وفيها قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير أيتمش نائب صفد، من أجل أنه ما يمتثل أمره، ويستبد بغير مراجعته فأجيب بمراعاته وإكرامه. فلم تطل مدة أيتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوما ومات؛ فخلع على الأمير طشتمر الساقى، واستقرّ فى نيابة صفد، وزيد على إقطاع النيابة، وأنعم على ولديه بإمرتين.

وفيها خلع على الأمير طيبغا حاجى، واستقرّ فى نيابة غزة [(١)] عوضا عن جركتمر فى سابع عشرى ذى الحجة؛ ونقل جركتمر إلى نيابة حمص [(٢)].

وفيها أخرج الأكز على إمرة طبلخاناه بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة؛ فكانت مدة اعتقاله شهرا ونصف شهر.

وفيها عزل الجمال ابن الأثير من كتابة السرّ بدمشق إلى القاهرة؛ واستقرّ عوضه علم الدين محمد بن القطب.

---

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأنه اسم أعجمى، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رحال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبحمص مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات فى المدينة وصلى عليه عمر رضى الله عنه. انظر الروض المعطار ١٩٨، ١٩٩. ومعجم البلدان ٣٠٢/٢.

وفى ثالث عشر ذى القعدة: نقل الخليفة المستكفى با لله [١] أبو الربيع سليمان من سكنه بمناظر الكبش إلى قلعة الجبل، وأنزل حيث كان أبوه الحاكم نازلا؛ فسكن برج السباع دائما بعياله، ورسم على الباب جاندار بالنوبة؛ وسكن ابن عمه إبراهيم فى برج بجواره ومعه عياله، ورسم عليه جاندار الباب؛ ومنعا من الاجتماع بالناس.

وفى ثالث عشرى ذى القعدة: استقرّ عز الدين أيبك الحسامى البريدى أحد مقدمى الحلقة فى ولاية قطيا، عوضا عن الأمير علاء الدين ألطبرس الدمشقى الزمرّدى؛ واستقرّ ألطبرس من جملة أمراء العشرات.

وفى أول ذى الحجة: قدم الملك الأفضل صاحب حماة [٢]، وحصل من الاحتفال به أكثر من كل مرة.

وفى ثالثه: استقرّ الشيخ محمد القدسى فى مشيخة خانكاه الأمير بشتاك، وعملت فيها وليمة عند فراغ بنائها.

وفى يوم عيد النحر: أقيم على مملكة العراق [٣] محمد يلقطلو بن تيمور بن عنبرجى ابن منكوتمر بن هولاكو، وقام بأمره الشيخ حسن بك الكبير، فحاربه الملك موسى فى رابع عشره؛ فانهزم موسى بعدما قتل بينهما خلائق، وقتل على بادشاه مدبر دولة موسى؛ وكانت هذه الوقعة قريبا من توريز عند بلدة ناوشهر على جبل الأداغ.

وفيها استقرّ الأمير بكتاش فى نقابة الجيش، بعد وفاة صاروجا.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعا.

* * *

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع الخليفة المستكفى با لله، بن الحاكم بأمر ا لله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه؛ ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر. انظر المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٨٧/١٤ وابن إياس ١٤٤/١، ١٧٠ وابن الوردى ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢ والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠ والأعلام ١٢١/٣.

(٢) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

(٣) العراق: قال الخليل: هو لغة شاطئ البحر، وسمى العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات، والعراق ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الرى وخراسان، إلى الديلم، وقيل سمى العراق لأنه مأخوذ من عراقى الدلو. والكوفة والبصرة تسمى العراقان، فحد أرض العراق ما بين الخزر إلى السواد، والعراق وسط الدنيا ومستقر المماليك الجاهلية والإسلامية، وعين الدنيا، وفيه الدجلة والفرات، وهما الرافدان، وفيه القواعد العظيمة والأعمال الشريفة. انظر معجم البلدان ٩٣/٤، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٢٩.

ومات فيها من الأعيان

القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغلى ملك التتار، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان (١)وخراسان (٢)والروم (٣)، فى ربيع الآخر بأذربيجان، وقد أناف على الثلاثين؛ وكانت دولته عشرين سنة؛ كان جلوسه على التخت فى أول جمادى الأولى سنة سبع عشرة بمدينة السلطانية، وعمره إحدى عشرة سنة؛ وكان جميلا كريما، يكتب الخط المنسوب، ويجيد ضرب العود، وصنّف مذاهب فى النغم، وأبطل عدة مكوس، وأراق الخمور ومنع من شربها، وهدم كنائس بغداد وورّث ذوى الأرحام، فإنه كان حنفيا؛ ولم تقم بعده للمغل قائمة.

ومات أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادى القرطبى (٤)العشّاب، وزير أبى يحيى زكريا اللحيانى (٥) متملك تونس، بالإسكندرية فى شهر ربيع الأول؛ وقد برع فى النحو، وحدّث.

وتوفى عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد القلانسى، محتسب دمشق بها.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن برق، والى دمشق بها.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبدا لله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى، كاتب الدست بقلعة الجبل، ثم كاتب السرّ بحلب، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة إحدى وسبعين وستمائة.

---

(١) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف، وتلى كورة أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١/ ١٥٠، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

(٢) خراسان: قطر معروف قال الجرجانى: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥٠، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

(٣) الروم بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣/ ٩٧.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادى القرطبى، أبو العباس العشاب: مقرئ من أهل قرطبة، استوزره صاحب تونس ثم نزل الإسكندرية وتوفى بها. له تفسير مختصر، وكتاب فى المعانى والبيان. انظر غاية النهاية ١/ ١٠٠ والدرر الكامنة ١/ ٢٤١ وشذرات الذهب ٦/ ١١٢ والأعلام ١/ ٢٣٣.

(٥) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية وولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩/ والنجوم الزاهرة ٩/ ٦٢٨ وابن خلدون ٦/ ٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/ ١١٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٩ والأعلام ٣/ ٤٥،٤٦.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي - المعروف بنائب الكرك [١] - مسجونا بالإسكندرية، في يوم الأحد سابع جمادى الأولى.

ومات الأمير أيتمش المحمدى نائب صفد، فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير بلبان الحسامى والى دمياط - الذى كان والى القاهرة، وهو أخو بدر الدين المحسنى - فى نصف شهر رمضان، وهو فى الاعتقال.

ومات الأمير علاء الدين الشيخ على التترى مملوك سلار، فى يوم الخميس خامس ربيع الآخر.

ومات نقيب الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن صاروجا، فجأة وهو فى الصيد؛ فحمل إلى القاهرة، ودفن يوم الثلاثاء.

ومات الأمير سيف الدين ألناق الناصرى، هو أحد مقدمى الألوف، فى ثامن عشرى شوال.

وتوفى الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بلبان بن عبد الله البيسرى شيخ زاوية أبى السعود، ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر؛ وكان يلى مشيخة زاوية أبى السعود، ثم عزل عنها؛ وهو أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، فلما قبض على بيسرى أقام الشيخ سيف الدين بهذه الزاوية مدة خمس وخمسين سنة.

وتوفى علاء الدين بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن الجوجرى ناظر الخزانة، فى تاسع المحرم.

وتوفى أمين الدين عبد المحسن بن أحمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن الصابونى بمصر، وقد بلغ ثمانين سنة؛ وانفرد برواية أشياء.

وتوفى شيخ الكتابة عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن بالقاهرة عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى تقى الدين سليمان سليمان بن موسى بن بهرام السمهودى، الفقيه الشافعى الفرضى العروضى الأديب عن ثمانين سنة بناحية سمهود.

ومات الأمير سنقر النورى نائب بهسنا [١]، وترك اثنين وعشرين ذكرا وأنثى وستّين سرية.

وتوفى الشيخ الصالح المعمر الرحلة شمس الدين محمد ابن المحدّث محب الدين محمد بن ممدود بن جامع البندنيجى البغدادى، فى سابع المحرم بدمشق، عن اثنتين وتسعين سنة.

---

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

(١) بهنسا قلعة حصينة بالقرب من مرعشق. انظر معجم البلدان ١/٥١٦.

ومات علم الدين قيصر العلائى، فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة.

وقتل أربا كاؤن سلطان العراق وآذربيجان والروم؛ وكان القان بوسعيد لما مات أقام الوزير غياث الدين محمد أربا كاؤن هذا؛ لأنه من ذرية جنكز خان، وقد قتل أبوه ونشأ فى غمار الناس؛ فقتل أربا كاؤن بغداد خاتون، وجبى الأموال، وقصد أن يأخذ بلاد الشام، فهلك دون ذلك بعد شهيرات من جلوسه على التخت؛ وكان يتهم بأنه كافرا، وأقيم بعده موسى بن على بن بيدو بن طوغاى بن هولاكو.

* * *

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله السبت:

فى سابعه: رسم بنيابة صفد للأمير طشتمر البدرى أحد مقدمى الألوف، عوضا عن أيتمش المحمدى؛ وتوجه ومعه طاجار الدوادار فى ثالث عشره.

وفى ثانى عشرة: قدم الخبر بالواقعة التى كانت قرب توريز على ما تقدّم ذكره.

ثم قدم فى سابع عشره: مضر بن خضر رسول الشيخ حسن بك الكبير ابن أمير حسين، وهو ابن أخت غازان، وهو القائم بأمر محمد بن يلقطون بن عنبرجى؛ فخلع عليه، وسافر فى ثالث صفر.

وفى سابع عشر المحرم: عُقد عقد الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر أمير مجلس، بدار الأمير قوصون.

وفى يوم الخميس عشريه: - وهو يوم النوروز - كان وفاء النيل. وانتهت الزيادة فى سابع عشر بابه إلى سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا.

وفى سادس عشرى المحرم: قدم الأمير سيف الدين طينال نائب طرابلس، وأخلع عليه عند وصوله، وسافر سلخ صفر؛ فكانت إقامته ثلاثة وثلاثين يوما.

وفيها كتب بأخبار آل مهنا وآل فضل لعدة من أمراء الشام تنكز والأميرنائب الشام، وذلك من أجل أن العرب قطعوا الطريق على قافلة وأخذوا ما فيها، فلما ألزم آل مهنا بذلك اعتذروا بأن الذى فعل هذا عرب زبيد [1]، وليسوا من عرب الطاعة.

وفيها كانت واقعة الشيخ شمس الدين محمد [2]بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبّان، فى شهر المحرم؛ وذلك أنه نسبت إليه عظائم: منها أنه قال فى ميعاده بجامع مصر إن السجود للصنم غير محرّم، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرش شيخه على بعض الصحابة،

---

(١) عرب زبيد هم البطن الخامسة من بطون العرب الضاربة بالشام خارجًا عن نطاق النيابات المملوكية هم ثلاث فرق.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردى الدمشقى شمس الدين ابن اللبان: مفسر من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر. من كتبه «ألفية» فى النحو، قيل لم يصنف فى العربية مثلها. و(ديوان خطب ورد معا فى الآيات المتشابهات إلى معانى الآيات المحكمات - ط) فى التفسير انظر مرآة الجنان ٤:٣٣٣ والدرر الكامنة ٣/٣٣٠ الكتبخاته ١٤١/١ والأعلام ٣٢٧/٥.

وشهد عليه بها. واستؤذن السلطان عليه فمكن منه، فترامى على الأمير جنكلى بن البابا، والأمير الحاج آل ملك، والأمير أيدمر الخطيرى، حتى حكم بتوبته؛ ومنع من الوعظ؛ هو والشيخ زكى الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى، وجماعة من الوعاظ.

وفيه قدم ركب الحاج على العادة، وأخبروا بأن الشريف رميثة كان قد أقام ببطن مَرّ، وأقام أخوه الشريف عطيفة بمكة، فتسلّط ولده مبارك على المجاورين، وأخذ مال التجار، فركب إليه رميثة وحاربه، فقتل بينهم جماعة، وفرّ رميثة؛ وذلك فى ثامن عشرى رمضان من السنة الماضية.

وفيها قبض على الأمير بهادر البدرى بدمشق، وضرب وسجن، لجرأته على الأمير قطلوبغا الفخرى وعلى الأمير تنكز نائب الشام وإفحاشه لهما.

وفيها أجدبت زراعة الفول، فألزم النشو سماسرة الغلال ألا يباع الفول إلا للسلطان فقط، فتضرّر أرباب الدواليب.

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب [١] بالوجه القبلى، وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتى ألف درهم وألف أردب غلة. فرافع ابن زعازع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعازع لكثرة ماله، وأوقع الحوطة على موجوده؛ وكُتب إلى متولى البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة. فلفّ والى البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها فى القطران، وأشعل فيها النار، ثم عرّاه ولوّحه على النار، حتى أخذ منه ما قيمته ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ووجد له أربعمائة فرجية بفرو، ومائة وعشرين جارية، وستين عبدا، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمبلغ مائة درهم، واحتج النشو لمصادرته بأنه وجد كنزا.

وفيها كتب بطلب الأمير سنجر الحمصى.

وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الأغنام حتى أبيع الرطل بدرهم وربع، وسبب ذلك أن النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها؛ فكتب إلى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام. ثم إن النشو استجدّ للسواقى التى بالقلعة أبقارا، وأحضر أبقارها التى قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدواليب، وطَرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر وأسواقها، حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصَّه منها شىء على قدر حاله، فبلغ كل رطل منها درهمين وثلثا؛ ورميت تلك الأبقار على الطواحين

---

(١) المقصود بالدواليب جميع الآلات العجلية المستعملة، فى الزراعة والصناعة.

والحمامات كل رأس بمائة درهم، ولا تكاد تبلغ عشرين درهما، فبلى الناس، من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة.

واتفق أن النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج إسحاق، حتى رسم بضربه إلى أن يموت؛ فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيبًا [(١)] حتى سقط كالميت؛ ثم ضرب من الغد أشدّ من ذلك، وحمل على أنه قد مات؛ فسرّ النشو بذلك سرورا زائدا، وذهب ليرى موسى وهو ميت، فوجد به حركة. وفى أثناء طلب السلطانُ إحضار الأمير لؤلؤا، فأخبره بأن موسى قد بدأ يئن وبعد ساعة يموت؛ فرسم ألا يضرب بعد ذلك، فشقّ هذا على النشو.

وفى سابع عشرى صفر: ابتدئ بهدم الطبقة الحسامية المجاورة لدار النيابة بالقاهرة، وكانت قد عمرت سنة ثمان وثمانين وستمائة.

وفى رابع عشر ربيع الأول: قدم حمزة رسول الملك محمد بن بلقطلو بن عنبرجى، وصحبته عماد الدين السكرى نائب على بادشاه بالموصل [(١)]؛ فأدّوا رسالتهم وسافروا أول ربيع الآخر.

وفى ثامن عشر ربيع الأول: سافر الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته بحماة، وكان قد حضر فى مستهل ذى الحجة من السنة الحالية.

وفى تاسع عشريه: وصلت رسل الملك موسى، وسافروا فى نصف ربيع الآخر.

وفى سلخ ربيع الأول: عزل بدر الدين بن التركمانى عن الكشف بالوجه البحرى.

وفى ثالث ربيع الآخر: قدم رسول ملك الحبشة.

وفى خامس عشره: قدم الأمير سيف الدين أبو بكر البابيرى، وخلع عليه بولاية القاهرة عوضا عن ابن التركمانى.

وفى سادس عشره: استقرّ نكبيه البريدى فى ولاية قطيا، عوضا عن أيبك الحسامى بإمره عشرة.

وفى سلخ جمادى الأولى: قدم مراد قجا رسول أزبك ملك الترك، فأقام خمسة

---

(١) الشيب هو سير السوط أى: الكرباج. انظر قاموس المحيط.

(١) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر معجم البلدان ٢٢٣/٥، والروض المعطار ٥٦٣، ٥٦٤، ونزهة المشتاق ١٩٩.

أشهر ونصف شهر، وسافر فى رابع عشر ذى القعدة؛ ومن ثالث ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة لم يحضر من عند أزبك إلا هذا.

وفى سادس عشرى جمادى الآخرة: استقرّ بهاء الدين قراقوش الجيشى فى ولاية البهنساوية، عوضا عن على بن حسن المروانى.

وفيها هدمت دار النيابة بالقلعة، وهى التى عمرت فى الأيام المنصورية قلاوون، سنة سبع وثمانين وستمائة؛ وأزيل الشباك الذى كان يجلس فيه طرنطاى النائب؛ وذلك فى يوم الأحد ثامن ربيع الآخر.

وفيها أغرى النشو السلطان بالصفى كاتب الأمير قوصون، بأنه يظهر فى جهته للديوان عما كان يحضر إليه من أصناف المتجر أيام مباشرته بديوان الأمير قجليس، وهو جملة كثيرة، وأن بعض الكتاب يحاققه على ذلك. فطلب السلطانُ الأمير قوصون وأغلظ فى مخاطبته، وقال: «كاتبك يأكل مالى وحقوقى، وينجوه بك»، وذكر له ما قال عنه النشو؛ فتخلى عنه قوصون ولم يساعده. فأمر السلطان النشو ولؤلؤا والمستوفين أن يمضوا إلى عند الأمير قوصون، ومعهم الرجل المحاقق للصفى، ويطالعوا السلطان بما يظهر؛ فاجتمعوا لذلك، وقام المرافع للصفى فلم يظهر لما ادّعاه صحة.

وفى يوم الثلاثاء ثانى رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام والسلطان بسرياقوس، فطلع وهو معه فى يومه إلى القلعة، وهى القدمة الحادية عشرة، وسافر فى ثانى عشريه.

وفى يوم عشريه: عزل شهاب الدين بن الأقفهسى وعلاء الدين البرلسى عن نظر الدولة؛ وولى شمس الدين بن قزوينة النظر بمفرده، وكان بطالا؛ ورسم له ألا يتصرّف فى شىء إلا بعد مشاورة شرف الدين النشو ناظر الخاص.

وفى تاسع عشريه: استقرّ علاء الدين بن الكورانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن أبى بكر الردّادى، نقل إليها من ولاية أشموم الرمان.

وفيها عدم فرو السنجاب، فلم يقدر على شىء منه لعدم جلبه. فأمر النشو بأخذ ما على التجار من الفرجيات المفراة، فكبست حوانيت التجار والبيوت، حتى أخذ ما على الفرجيات من السنجاب. فبلغ النشو وقوع التجار فيه ودعاؤهم عليه، فسعى عند السلطان عليهم، ونسب جماعة منهم إلى الربا فى المقارضات، وأنهم جمعوا من ذلك ومن الفوائد على الأمراء شيئا كثيرا، وأن عنده أصناف الخشب والحديد وغيره، واستأذنه فى بيعها عليهم. فأذن له السلطان، فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا

من أرباب الأموال، ووزع عليهم من ألف دينار كل واحد إلى ثلاثة آلاف دينار، ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفا من الأصناف، فبلغت الجملة خمسين ألف دينار، عاقب عليها غير واحد بالمقارع حتى أخذها.

وقام عدة من الأمراء الأكابر فى حق جماعة من التجار فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولا. وقامت ست حدق وأم آنوك ابن السلطان فى رفع الخشب عن تاجر ألزمه النشو بألفى دينار، وعرفتاه بظلم النشو، وهو أن هذا الخشب قيمته مبلغ ألفى درهم. فطلب السلطان النشو وأنكر عليه ذلك وتجهم له، فانصرف على غير رضى ثم ندب النشو رجلا مضى إلى ذلك التاجر وسأله فى قرض مبلغ مال، فأخذ التاجر فى الشكوى مما به من إلزامه بألفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو؛ فقال له الرجل:«أرنى الخشب فإنى محتاج إليه»، فلما رآه أعجبه واشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر؛ فامتلأ التاجر فرحا، وأشهد عليه بذلك. ومضى الرجل ليأتى بثمن الخشب، فدخل على النشو وأخبره الخبر، ودفع إليه نسخة المبايعة، فقام من فوره إلى السلطان وأعلمه أنه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة ألف درهم. فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو، فاغتر البائس وأخذ يقول:«ظلمنى وأعطانى خشبا بألفى دينار يساوى ألفى درهم». فقال له السلطان:«وأين الخشب؟» قال: «بعته بالدين»، فقال النشو: «قل الصحيح فإن هذه معاقدتك ببيعه»، فلم يجد بدا من الاعتراف. فحنق عليه السلطان، وقال «ويلك ! تقيم الغاثة وأنت تبيع بضاعتى بفائدة؟»؛ ثم أمر النشو بضربه وأخذ الألفى دينار منه مع مثلها؛ وعظم النشو عند السلطان ثم عبر السلطان إلى نسائه وسبهن، وعرفهن ما جرى وقال: «مسكين النشو! ما وجدت له أحدا يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى ».

وفيها ترافع يعقوب الأسلمى مستوفى الجهات والأمير بن المجاهدى والى دمياط فرسم بمصادرتهما، فعوقبا عقوبة شديدة، وغرما مالا جزيلا.

وفيها كثر ضبط علم الدين سنجر الجاولى لأوقاف المارستان، وتوقفه فيما يصرف منه للصدقات. فأنكر السلطان عليه ذلك، وقال له:«المارستان كله صدقة»، ولم يقبل له عذرا.

وفيها امتنع ابن الأقفهسى ناظر الدولة من الكتابة على توقيع الضياء المحتسب؛ وقد عمل معلومة على الجوالى. فشقّ ذلك على السلطان، وأمر الأمير طاجار الدوادار أن يبطحه ويضربه، ويقول له: «كيف يعلّم السلطان على شىء وتأبى أن تكتب عليه!!»؛

فضربه ضربا مؤلما. وكان السلطان لا يتغاضى فى خرق حرمته، ويعاقب من فعل ذلك.

وفيها شكا المماليك السلطانية من تأخّر كسوتهم، فطلب النشو وألزمه بحمل كسوتهم من الغد، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار. فنزل النشو وألزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة آلاف دينار، وبعث المقدّمين إلى الأسواق، ففتحوا حوانيت التجار، وأخذوا كسوة المماليك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك، وأخذوا مركبا لبعض الكارم فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها. وأحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعردى - وقد مات وترك زوجة وابنة ابن - وأخذت كلها، وأخذت وديعة من تركته لأولاد أيتام تحت حجره، مبلغها نحو خمسين ألف درهم، وأنفقت فى يومها على المماليك والخدام. وفتحت قيسارية جهاركس، وأخذ منها مقاطع الشرب [١]برسم الكسوة.

فارتجت المدينة بأهلها، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا؛ فصارت مفتّحة والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر إلا باك أو شاك أو صائح أو نائح؛ فكانا يومين شنعين. وعول أرباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها؛ فعرف النشو السلطان ذلك، فنودى:«من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق»، ففتحوها. ثم أخرج النشو من الأهراء عشرة آلاف أردب قمحا، وطرحها على أصحاب الطواحين والأبازرة، وقبض على ابن فخر السعداء ناظر قليوب، وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم.

وفى جمادى الأولى: استدعى الضياء ابن خطيب بيت الآبار محتسب مصر؛ وخُلع عليه واستقرّ فى حسبة القاهرة، مضافا لما بيده من نظر الأوقاف ونظر المارستان، عوضا عن نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى. وكان الشهاب أحمد بن الحاج على الطباخ قد سعى فى حسبة القاهرة، وقام معه الأمير بشتاك والأمير قوصون والأمير آقبغا عبد الواحد؛ فلما ولى السلطان الضياء رسم أن يستقرّ ابن الطباخ فى حسبة الدخان على الطباخين والحلاويين ونحوهم، وخلع عليه وجلس فى دكة الحسبة، وعرض أرباب الدخان. وألزم الضياء الحلاويين والفكاهين ألا يشعلوا سرجهم فى الليل بالزيت الحار، وألزم حراس الحمامات بعمل فوط سابغة طويلة، ورتّب القبانيين فى جهات معينة، بجلس كل قبانى فى موضع من البلد.

وفيه قدم خليل بن الطرفى من أمراء التركمان بناحية أبلستين، وقدّم سبعمائة

---

(١) الشَّرب والجمع شرابى - قماش رفيع من الكتان ويظهر أنه كان يستعمل للعمائم فى معظم الأحيان. انظر المواعظ والاعتبار.

إكديش وعدة تحف وسأل أن يستقرّ فى نيابة الأبلستين بألف فارس وعشرة أمراء؛ فقبلت تقدمته وخلع عليه، وكتب منشوره بذلك.

وفيه قدم من جهة بدر الدين لؤلؤ الفندشى الحلبى شاد الدواوين ثلاثة آلاف رأس من الغنم الضأن، فمشّت حال الدولة، وصارت سببا للوقيعة بين لؤلؤ وبين النشو. وتحدّث لؤلؤ مع الأمير بشتاك أنه إن أسلم إليه النشو وحاشيته قام بأربعمائة ألف دينار منهم، فقامت قيامة النشو ومازال بالسلطان حتى غيّره عليه. واتفق مع ذلك وصول سنجر الحمصى من حلب باستدعاء، فأجلسه السلطان وعرض عليه شدّ الدواوين، فقبّل الأرض وطلب الإعفاء منها، وكان أمينا ناهضا؛ فلم يزل السلطان به حتى خلع عليه، واستقرّ عوضا عن لؤلؤ فى رابع جمادى الآخرة. فاوّل ما بدأ به سنجر أن قبض على لؤلؤ، وأوقع الحوطة على بيته وألزمه بالحمل؛ وأخذت حواصله وهو يورد شيئا بعد شىء.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ربيع الأول: أفرج عن الخليفة من سجنه بالقلعة، فكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر وسبعة أيام. ثم أمر به فأخرج إلى قوص [1]، ومعه أولاده وابن عمه؛ وكتب لوالى قوص أن يحتفظ بهم. وكان سبب ذلك أن السلطان لما نزل عن الملك فى سنة ثمان وسبعمائة، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس وقلده المستكفى بالسلطنة، نقمها عليه السلطان الناصر وأسرها له ثم لما قام السلطان لاسترجاع ملكه، جدّد المستكفى للمظفر الولاية، ونسبت فى السلطان أقوال إليه حملت السلطان على التحامل عليه. فلما عاد السلطان إلى الملك فى سنة تسع وسبعمائة أعرض عن المستكفى كل الإعراض، ولم يزل يكدّر عليه المشارب حتى تركه فى برج بالقلعة، فى بيته وحرمه وخاصته؛ فقام الأمير قوصون فى أمره، وتلطّف بالسلطان إلى أن أنزله إلى داره. ثم نسب إلى ابنه صدقة أنه تعلق ببعض خاصة السلطان، وأن ذلك الغلام يتردّد إليه، فنفى الغلام وبلغ السلطان أنه هو يكثر من اللهو فى داره التى عمرها على النيل بخط جزيرة الفيل، وأن أحد الجمدارية يقال له أبو شامة جميل الوجه ينقطع عنده ويتأخر عن الخدمة؛ فقبض على الجمدار وضرب، ونفى إلى صفد؛ وضرب رجل من مؤذنى القلعة - اتهم أنه كان السفير بين الجمدار وبين الخليفة - حتى مات؛ وأعتقل الخليفة كما تقدّم. ثم لما أفرج عنه اتهم أنه كتب على قصة رفعت إليه «يحمل مع غريمه إلى الشرع»، فأحضره السلطان إلى القلعة ليجتمع به بحضرة القضاء، فخيّله قاضى القضاة جلال الدين القزوينى من حضوره أن يفرط منه كلام فى غضبه يصعب

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٣/٤.

تداركه. فأعجب السلطان ذلك، وأمر به أن يخرج إلى قوص؛ فسار صحبة الأمير سيف الدين قطلوا تمرقلى فى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة، بجميع عياله وهم مائة شخص. وكان مرتبه فى كل شهر خمسة آلاف درهم، فعمل له بقوص ثلاثة آلاف درهم؛ ثم استقرّ ألف درهم؛ فاحتاج حتى باع نساؤه ثيابهنّ.

وفيها كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طقزتمر، واحتفل السلطان لقدومه احتفالا زائدا. وكانت عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار، ما بين خلع وإنعام؛ فرسم أن يكون فى هذه السنة مبلغ سبعين ألف دينار. ثم خرج السلطان لملاقاته، ونزل قصور سرياقوس[١] حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز إلى الصالحية؛ فركب الأمير قوصون إلى لقائه، وصحبته جميع ما يليق من الأطعمة والمشروب؛ فلما لقيه مدّ بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس. فركب السلطان إليه ومعه أولاده، وقدم إليه الحاجب ليخبره بأنه لا يترجّل عن فرسه حتى يرسم له، وتقدّمت أولاد السلطان إليه أولا. فلما قرب تنكز نزل السلطان عن فرسه إلى الأرض على حين غفلة من الأمراء، فألقوا أنفسهم عن خيولهم؛ وألقى تنكز نفسه إلى الأرض، وعدا فى مشيه جهد قدرته، وهو يقبل الأرض ويقوم إلى أن قبّل رجلى السلطان، وقد دهش؛ فقال له السلطان: «اركب فرسك». وركب السلطان والأمراء وسايره وهو يحادثه، فلم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكة من التعظيم ما فعله السلطان فى هذا اليوم مع الأمير تنكز. وكان العرس يوم الإثنين سلخ صفر، والدخول ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

وفى خامس عشر شعبان: توجهت التجريدة إلى بلاد سيس[٢] وخراب[٣] مدينة.

وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلى بادشاه بطلب النجدة على الشيخ حسن الكبير وطغاى بن سونتاى وأولاد دمرداش، ليكون على بادشاه نائب السلطنة ببغداد. فاستشار السلطان نائب الشام والأمراء، واستقرّ الرأى على تجريد العسكر نحو سيس، فإن تكفور نقض الهدنة بقبضه على عدة مماليك وإرسالهم إلى مدينة آياس فلم يعلم خبرهم وقطع الحمل المقرر عليه، ويكون فى ذلك إجابة على بادشاه إلى ما قصده

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل. معجم البلدان ٥/٢١٤،٢.
(٢) سيس بلد هو اليوم من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.
(٣) خراب علم مرتجل لاسم جبل باليمن، عن الأزهرى. انظر معجم البلدان ٤/٣١٤.

من نزول العسكر قريبا من الفرات، مع معرفة الشيخ حسن «بأنا لم نساعد على بادشاه عليه، وإنما بعثنا العسكر لغزو سيس». وعمل مقدم العسكر الأمير أرقطاى ويكون فى الساقة، ويتقدم الجاليش صحبة الأمير طوغاى الطباخى، ومعهما من الأمراء قباتمر وبيدمر البدرى، وتمر الموسارى وقطلوبغا الطويل، وجركتمر بن بهادر وبيبغا تتر حارس الطير؛ ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامى. وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس إلى ناحية جعبر [١]، فإذا وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعا إلى سيس، فيكون فى ذلك صدق ما وُعد به على بادشاه، وبلوغ الغرض من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة فى ثانى عشر شعبان، وتوجه الأمير تنكز إلى محل ولايته.

وفيها أفرج عن طرنطاى المحمدى بعدما أقام فى السجن سبعا وعشرين سنة وأخرج إلى دمشق؛ وأفرج عن علاء الدين بن هلال الدولة، وأخرج إلى الشام؛ وأفرج عن ابن المحسنى، وأخرج إلى طرابلس؛ وذلك فى يوم الجمعة ثانى رمضان. وكان ابن هلال الدولة وابن المحسن معتقلين بالإسكندرية من ثالث عشر رجب سنة ست وثلاثين؛ فخلع السلطان عليهما، ورسم أن يقيم ابن المحسنى مع أبيه بطرابلس، ويقيم ابن هلال الدولة بدمشق؛ فسار كل منهما فى حادى عشريه صحبة بريدى؛ وكان هذا كله بشفاعة نائب الشام.

وفيها كتب سنجر الحمصى شاد الدواوين أوراقا بما على السلطان من القرض للتجار، فبلغ ألفى درهم؛ فلم يعترف السلطان بها، وقال: «هذه أخذها الدواوين على اسمى»، ورسم أن توزع على المباشرين. فنزل بهم من ذلك شدّة، وحملوا المبلغ شيئا بعد شيء؛ وكان هذا من فعلات النشو بهم.

وفيها رسم ألا يضرب أحد بالمقارع، وطردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين؛ وكانوا قد كثرت مضرّتهم، واشتدّ تسلّطهم على الناس، وحصلوا من ذلك مالا كبيرا. وكان هذا بسفارة سنجر الحمصى، فكثر الثناء عليه.

وفيه توجه النشو ليتفقد ناحية فارس كور والمنزلة ودمياط؛ فقبض على علاء الدين بن توتل والى أشموم [٢]، وعلى آقبغا والى المحلة، وصادرهما؛ فأخذ من والى أشموم خمسين ألف درهم، ومن والى المحلة مائة ألف درهم.

---

(١) جعبر بالفتح ثم السكون قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) أشموم بضم الميم، وسكون الواو اسم بلدتين بمصر. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

وفيه كتب النشو بالحوطة على مباشرى المعاصر والدواليب، وجميع أعمال الصيد والفيوم وألزم ابن المشنقص مدولب مطبخ الأمير قوصون بمائة ألف درهم، واحتج بأنه يعمل الزغل فى السكر والعسل؛ فحنق من ذلك قوصون، وقام مع السلطان فى أمره حتى أفرج عنه. فشق هذا على النشو، وأثبت محضرا على القاضى ابن مسكين بأن أبا الدراليب مات على غير الملة، وأن ابنه لا يستحقّ إرثه، بحكم أنه لبيت المال، وطلع بالمحضر إلى السلطان. فطلب السلطان قوصون وأغلظ عليه، فاحتدّ قوصون وقال: «أنا ما أسلم مالى الذى عنده». فوهب السلطان قوصون ما أثبته النشو، فأوقع الحوطة على جميع موجوده، وأخذه.

وفيها وقفت العامة للسلطان فى الفار ضامن المعاملات، وشكوا ما أحدثه على القصب والمقاثى، وصاحوا: «يكفينا النشو، فلا تسلّط علينا الفار! وتحبسه وتكتب على قيده مخلد، وتضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم»، فطلب السلطان النشو وأنكر عليه، ورسم لسنجر الحمصى أن يضرب الفار، ويحبسه ويكتب على قيده مخلدّ، ويضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم؛ ففعل ذلك، ومشت أحوال الناس.

وفيها طرح النشو الفدان القلقاس على القلاقسية بألف ومائتى درهم، وصادر الشماسرة، وأخذ عدة مخازن للتجار، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها، وعوّض أربابها سفانج[1] على الخشب والبورى[2] فكان منها مخزن فيه حديد قوّمه بخمسين ألف درهم على المارستان، فأبى الأمير سنجر الجاولى ناظر المارستان أن يأخذه، فألزمه السلطان بأخذه للوقف فأخذه، ووزن[3] ثمنه.

وفى ثالث عشر شوال: قدمت مفاتيح القلاع التى كانت بيد صاحب سيس: وهى آياس الجوّانية[4]، وآياس البرانية[5]، والهارونية[6]، وكوارة [7] وحميضة[8] ونجيمة[9]

(١) السفنجة، وهى أن يعطى آخر مالا، وللآخر مالا فى بلد المعطى، فيوفيه إياه مالك، فيستفيد أمن الطريق، وهى فارس معرب، وفى علم الاقتصاد هى حوالة صادرة من دائن يطلب فيها مدينة دفع مبلغ معين فى تاريخ معين لإذن شخص ثالث، أو لإذن الدائن نفسه، أو لإذنا لحامل لهذه الحوالة. انظر المعجم الوسيط (سفنج).

(٢) المقصود بذلك السمك المعروف بذلك الاسم نسبة إلى بورة على شاطئ البحر الأبيض غربى دمياط. انظر معجم البلدان خ ٧٥٥/١.

(٣) يتضح هنا أن النقود فى مصر كانت تتبادل وزنا لا عددا فى عهد السلطان الناصر، وهذه ظاهرة تكررت فى مصر فى عهد سلاطين المماليك. انظر إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٧٠.

(٤) أياس الجوانية موضع أو قرية قرب المدينة. انظر معجم البلدان ١٧٥/٢.

(٥) أياس البرانية من قرى بخارى ويقال لها خوران على خمسة فراسخ من بخارى. انظر معجم البلدان ٣٦٧/١.

وسرفندكار؛ فرّسم بخراب بعضها، وأقامت النواب بباقيها.

وفى تاسع ذى القعدة: أضيف شدّ الصيارف[1] للأمير نجم الدين بن الزيبق عوضا عن بهادر البكتمرى؛ ثم أضيف إليه مع ذلك ولاية مصر، عوضا عن شمس الدين جنغر ابن بكجرى.

وفى تاسع عشره: خلع على شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز؛ واستقر فى حسبه مصر، عوضا عن القاضى ضياء الدين محتسب القاهرة.

وفى سادس ذى الحجة: استقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الفيوم[2]، عوضا عن بهادر أستادار الجمالى؛ وكان أيوب هذا أستادر الأكز.

وفيه قدم الخبر بأن القان موسى لما كانت الواقعة بينه وبين الشيخ حسن الكبير، وانكسر هو وعلى بادشاه، صار إلى بغداد وصادر الناس بها، ثم خرج على بادشاه إلى الموصل، فسار إليه الشيخ بمن معه ولقبه شمالى توريز، فكانت حرب شديدة فر منها القان موسى، وقتل على بادشاه وخلق كثير؛ فكانت دولتهما ثلاثة أشهر. ولما انكسرت عساكرهما مضى الشيخ الكبير إلى بغداد فملكها، وقد أقام سلطانا محمد بن يلقطلو بن هلاكو بن عنبرجى وبعث الشيخ حسن إلى السلطان بهدية، فأكرم رسله وجهزهم بهدية سنية، وكتب بتهنئة.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر محمد بن الزيبق، واستقرّ فى ولاية الصناعة والأهراء؛ وخلع على صلاح الدين محمد بن على بن صورة، واستقرّ فى نظر الأهراء رفيقا له.

---

(٦) الهارونية مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية فى طرف جبل اللكام. انظر معجم البلدان ٥/٣٨٨.

(٧) كورة إقليم من بلاد السودان جنوبى فزان وهناك كور أخرى فى نواحى فارس بينها وبين شيراز عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤/٤٨٦.

(٨) حميضة بالفتح ثم السكون، وياء، والضاد معجمة ماء لعائذ بن مالك. انظر معجم البلدان ٣/٣٠٧

(٩) نجيمة من قرى عثر من جهة اليمن انظر. معجم البلدان ٥/٢٧٤.

(١) الصيارف الصيرفى هو الذى يتولى قبض الأموال وصرفها وكان يقال له فيما تقدم الجهبذ.

(٢) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

وفى يوم الإثنين ثانى عشر رمضان: ركب النشو على عادته فى السحر، فاعترضه فى طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى الذى ولى قوص - وقيل أبو بكر بن الناصرى محمد - وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو، وسقطت عمامة النشو عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خر إلى الأرض ونجا الفارس، وفى ظنه أن رأس النشو قد سقطت عن بدنه. فغضب السلطان من ذلك، و لم يحضر السماط؛ وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائحية، فقطب ذراعه بست إبر وجبينه باثنتى عشرة إبرة. وألزم السلطان والى القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو، وأغلظ على الأمراء بالكلام، ومازال يشتدّ ويحتدّ حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به.

ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ؛ فطلب السلطان ابن المروانى والى القاهرة، ورسم له بمعاقبة الكتّاب الذين فى المصادرة على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضرب لؤلؤ ضربا مبرحا، وعوقب العلم أبو شاكر وعلق والمقايرات [١] فى يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتاب؛ وحرثت بيوتهم وأخذ رخامها، وخرجت بالمحاريث لإظهار ما فيها من الخبايا.

ثم أن النشو عوفى من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخلع عليه ونزل وقد رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبى بكر شداد بن صابر أن يمشى فى ركابه، ومعه عشرة من رجاله، وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا فى ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل النشو إلى القاهرة كان أول ما بدأ به أن عاقب المقدّمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

وفى حادى عشرى ذى الحجة: سافر خواجا عمر وسرطقطاى مقدم البريدية بهدية إلى أزبك، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجوارى من بلاد الترك.

وفيها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى على شاطئ النيل بمنية بولاق؛ وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور. وأصل بناء هذا الجامع أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكورة دارًا على النيل، ثم انتقلت تلك الدار بعد موته إلى ابن الأزرق، فعرفت بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى الله؛ فلما صادره النشو باعها فيما باعه. فاشتراها الأمير أيدمر الخطيرى بثمانية آلاف درهم، وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعا أنفق فيه مالا جزيلا؛ وأخذ أراضى حوله من بيت المال، وأنشأ عليها

(١) لعل المقصود بالمقايرات آنية فيها القار المغلى توضع فى يد الواقع تحت العقوبة للتعذيب.

الحوانيت والرباع والفنادق؛ وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره. فلما تم بناء الجامع قوى عليه النيل، فهدم جانبا منه، فأنشأ الخطيرى تجاهه زربية رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة؛ وسماه جامع النوبة، فجاء من أحسن مبانى مصر وأبدعها وأنزهها. فلما أفرج عن ابن الأزرق ادّعى أنه كان مكرها فى بيعه، فأعطاه الخطيرى ثمانية آلاف درهم أخرى؛ فمازال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية، وحبسه، فمات بعد قليل فى حبسه.

وفيها فرغ بناء جامع الأمير سيف الدين بشتاك، بخلاف قبو الكرمانى على بركة الفيل خارج القاهرة؛ وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتاب. وعمر بشتاك تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج، ورتب فيها شيخا وصوفية، وقرّر لهن المعاليم الجارية، ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط[(١)] على الطريق المسلوك، فجاء من أحسن شىء بنى؛ وتحول كثير من النصارى من هناك.

وفيها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاتها التى أقطعت للأمراء.

وفيها خلع على عز الدين عبد العزيز[(٢)] ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان؛ واستقرّ فى وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين الأسعردى، مضافا لما بيده من وكالة الخاص.

وفيه استقرّ جمال الدين بن العديم فى قضاء الحنفية بحماة، عوضا عن التقى محمود ابن محمد بن الحكيم.

وفيها مات متملك تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى [(٣)] بن عثمان بن

---

(١) ساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق وتعرف عند العامة برسم السيباط وجمعه سوابيط. انظر محيط المحيط.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة، ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩ وجاور بالحجاز فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانه ١١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

(٣) عبد الرحمن بن موسى الأول (أبى حمو) بن أبى سعيد عثمان بن يغمراسن، أبو تاشفين من بنى عبد الواد: من سلاطين تلمسان وأطرافها فى المغرب الأوسط. قتل أباه وحل فى الملك محله سنة (٧١٨هـ) وانصرف إلى عمران وكان فيه ميل إلى النعيم واللهو فجمع آلافًا من أهل الصناعات، من أسرىٰ الروم انظر بقية الرواد ١٣٢/١-١٤٢ وابن خلدون ١٠٤/٧-١١١ وشذارت الذهب ١٨٥/٦ والأعلام ٣٣٩/٣.

يغمراسن من عبد الواد الزيانى قتيلا فى محاربة سلطان المغرب أبى الحسن [١] المرينى، آخر شهر رمضان، بعدما ملك نيفا وعشرين سنة.

وفيها وقع الغلاء فى جمادى الأولى؛ وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما. والشعير بثمانية وعشرين درهما، والفول باثنين وثلاثين درهما، والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين درهما، والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح.

وفيها كبست الفيوم فى أخريات جمادى الأولى، وأحضر منها ألف ومائتان فرس. ثم قدم والى الفيوم وأمراء العربان، وأحضروا ستين حمل سلاح، ومائة فرس وغير ذلك.

وفى سابع ذى الحجة: وردت القصاد بأن الملك موسى قدم إليه من خراسان طغاى تمر، وسارا لمحاربة محمد بن عنبرجي؛ فانكسرا فى رابع عشر ذى القعدة، واستقلّ محمد بالملك؛ وكانت الوقعة قريبا من السلطانية بموضع يقال له صولق.

وفى رابع عشريه: استقرّ الجمالى عبدا لله أخو ظلظية فى ولاية البحيرة، عوضا عن الغرس خليل.



ومات فيها من الأعيان

قطب الدين إبراهيم بن محمد بن على بن مطهر بن نوفل التغلبى الأدفوى، بعد كف بصره، فى يوم عرفة بأدفو؛ وله شعر.

وتوفى شهاب [٢] الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم، بدمشق فى ثالث عشر المحرم؛ وله شعر ونثر، ورحل إلى مصر وغيرها.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد بن الخولى القوصى الشافعى، بقوص. ومات الأمير سيف الدين الأكز بدمشق، فى نصف رمضان.

وتوفى الشيخ الإمام القدوة أبو عبدا لله محمد بن محمد بن [٣]محمد بن الحاج الفاسى

---

(١) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، والمنصور با لله من كبار بنى مرين ملوك المغرب، وكان يعرف بالسلطان الأكحل بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧٠٨٧/٢ والحلل الموشية ١٣٤ والأعلام ٣١١/٤.

(٢) أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل الزينى الجعفرى شهاب الدين، كاتب مترسل نديم، له شعر كله لطائف، وملح وكان إذا أنشأ أطال فكره ونتف شعره وذقنه. مولده بمكة وكان كلما أقام فى مكان حدثت له وقائع مع نوابه وأمرائه. انظر الدرر الكامنة ٢٦/١ وشذرات الذهب ١١٤/٦ وفوات الوفيات ١:٦٣ والأعلام ٢٢٣/١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبدا لله العبدرى المالكى القاسى، نزيل مصر: قاض

المغربى العبدرى الفقيه المالكي - عرف بابن الحاج - فى العشرين من جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وقد علت سنه، وكانت جنازته عظيمة؛ وحدّث؛ وكان زاهدا صالحا، وأخذ عن جماعة منهم الشيخ أبو عبدا لله محمد بن سعيد بن أبى جمرة، وصنف كتاب المدخل، جامع فى بابه.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أحد الأمراء مقدمى الألوف المنسوب إليه جامع الخطيرى فى أول رجب؛ كان مملوك الخطير الرومى - والد الأمير مسعود بن خطير - ثم انتقل إلى الملك المنصور قلاوون، فرقّاه حتى صار من أجلّ الأمراء البرجية؛ وكان جوادا كبير الهمة فيه خير كثير.

ومات الأمير أزبك الحموى، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ذى القعدة على آياس، وقد بلغ مائة سنة؛ فحمل إلى حماة ودفن بها؛ وكان مهابا كثير العطاء.

ومات الأمير بغا الدوادار بصفد منفيا، وكان مشكور السيده.

وتوفى عمر بن الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى البعلى الصوفى، ببعلبك[1] فى ذى القعدة؛ ومولده فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة. سمع من المسلم بن عدلان، وحدث، وسمع منه الأمير الوانى وابن الفخر وغيرهما. ومات الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين خطيب جامع الحاكمى من سويقة لاريش، فى يوم الخميس العشرين من شوال؛ فكانت جنازته عظيمة جدا لكثرة صلاحه، وقبره يزار خارج باب النصر.

وتوفى المحدّث محب الدين عبدا لله بن أحمد بن المحب المقدسى، فى ربيع الأول بدمشق؛ حدّث عن الفخر وغيره.

وتوفى شيخ الحنابلة بنابلس شمس الدين عبدا لله بن العفيف محمد بن يوسف، فى ربيع الآخر.

ومات أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن

تفقه فى بلاده وقدم مصر، حج وكف بصره وله (شموس الأنوار وكنوز الأسرار - ط) انظر الديباج المذهب طبعة ابن شقرون ٣٢٧ والدرر الكامنة ٢٣٧/٤ والأعلام ٣٥/٧.

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتين، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

أيوب بن شادى، فى ثانى شوال برملة [١]، فدفن بالقدس، ومولده فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة؛ حدّث بالسيرة النبوية عن خطيب مردا.

وتوفى علاء الدين على بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم الدمشقى المنشأ، فى ثالث المحرم بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفى الشيخ محمد بن عبدالله بن المجد إبراهيم المرشدى، صاحب الأحوال والمكاشفات، بناحية منية المرشد فى ثامن رمضان.

وتوفى ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى الواعظ، فى يوم الإثنين رابع عشرى المحرم.

وتوفى شيخ الخانكاه الناصرية سعيد السعداء كمال الدين أبو الحسين على بن حسن بن على الحويزانى، فى خامس عشر صفر؛ واستقرّ عوضه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى.

وتوفى محتسب القاهرة ووكيل بيت المال نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردى، فى يوم الجمعة خامس عشر شعبان.

وتوفى نجم الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن الأثير [٢]، أحد كتّاب الدرج، فى يوم الثلاثاء رابع عشرى المحرم.

وتوفى سعد الدين سعيد بن الشيخ محيى الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن عبدالله -عرف جدّه بابن أكنس البغدادى - المنجم كاتب التقاويم، وكانت له إصابات فى النجامة عجيبة، وكانت وفاته فى خامس عشر صفر.

---

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مدينة مسورة ولها اثنا عشر بابًا منها: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، المقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد نجم الدين بن الأثير الحلبى الأصل القاهرى: من كتاب الإنشاء بمصر وممن كان يحضر (دار العدل) بين يدى السلطان. له (جوهر الكنز - خ) بخطه اختصر به كتاب «كنز البراعة» لأبيه وله «المختصر المختار من وفيات الأعيان - خ» انظر الدرر الكامنة ١٠٤/١ ومخطوطات الأسكوريالة الرقم ١٧٨٠ وكشف الظنون ١٥١٤ وقع فيه اسم كتاب أبيه، والأعلام ٩٧/١.

وتوفى مسند مصر شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسى والمعـروف بـابن المصـرى، عن نيف وسبعين سنة بمصر.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

أول المحرم: قدم مبشرو الحاج بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار وحسن سيرة الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار أمير الحاج.

وفي يوم الخميس ثالث عشريه: قدمت عساكر التجريدة من بلاد سيس. وكان من خبر ذلك أنهم لما ساروا من القاهرة فى ثانى عشر شعبان، وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز، ولم يعبأ تنكز بالأمير أرقطاى مقدّم العسكر لما فى نفسه منه. ومضوا إلى حلب. فقدموها فى رابع عشرى رمضان، وأقاموا بها يومين؛ فقدم الأمير قطلوبغا الفخرى بعساكر الشام، وقد وصل إلى جعبر [1]، ثم ساروا جميعا يوم عيد الفطر، ومعهم الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب، وهو مقدّم على العسكر جميعا، حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سيس؛ وقد تقدمهم الأمير مغلطاى الغزى إليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان. فقدم عليهم البريد من دمشق بأن «تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان، فلتردّ المجانيق وجميع آلات الحصار إلى بغراس. وليقم العسكر على مدينة آياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد فى أمرهم» وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سيس، ومعهم عسكر ابن قرمان فتركوها أوحش من بطن حمار؛ فبعث تكفور رسله فى البحر إلى دمياط، فلم يأذن السلطان لهم فى القدوم عليه، من أجل أنهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم؛ فعادوا إلى تكفور. فبعث تكفور بهدية إلى تنكز نائب الشام، وسأله منع العسكر من بلاده، وأنه يسلم القلاع التى من وراء نهر جهان جميعا للسلطان. فكاتب تنكز السلطان بذلك، وبعث أوحد المهمندار إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب وهو المقدم على العسكر جميعا بمنع الغارة ورد الآلات إلى بغراس[2]؛ فردها ألطنبغا وركب بالعسكر إلى آياس، فقدمها يوم الإثنين ثانى عشر شوال. وكانت آياس قد تحصنت، فبادر العسكر وزحف عليها بغير أمره؛ فكان يوما مهولا، جرح فيه جماعة كثيرة. واستمرّ الحصار إلى يوم الخميس خامس عشره؛ وأحضر نائب حلب خمسين نجارًا وعمل زحافتين وستارتين ونادى فى الناس بالركوب للزحف. فاشتدّ القتال حتى

---

(١) جعبر قلعة على الفرات قرب صفين. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) بغراس مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١.

وصلت الزحافات والرجال إلى قريب السور، بعدما استشهد جماعة كثيرة. فترجل الأمراء عن الخيول لأخذ السور، وإذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام، فعادوا إلى مخيمهم فبلغهم أوحد المهمندار أن يكفوا عن الغارة، فلم يوافقوه على ذلك؛ واستقرّ الحال على أن تسلموا آياس بعد ثمانية أيام.

فلما كان اليوم الثامن أرسل تكفور مفاتيح القلاع، على أن يردّ ما سبى ونهب من بلاده؛ فنودى بردِّ السبى، فأحضر كثير منه؛ وأخرب الجسر الذى نصب على نهر جهان. وتوجه الأمير مغلطاى الغزى فتسلم قلعة كوارة وكانت من أحصن قلاع الأرمن، ولها سور مساحته فدان وثلث وربع فدان، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعا بالعمل؛ وأنفق تكفور على عمارته أربعمائة ألف وستين ألف دينار.

وتسلم العسكر آياس؛ وهدم البرج الأطلس فى ثمانية أيام، بعدما عمل فيه أربعون حجارا يومين وليلتين حتى خرج منه حجر واحد. ثم نُقب البرج وعلق على الأخشاب، وأضرمت فيه النار، فسقط جميعه؛ وكان برجا عظيما، بلغ ضمانه فى كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين ألف دينار حسابا عن كل يوم ألف دينار سوى خراج الأراضى. وكان ببلدة آياس أربعمائة خمّارة وستمائة بغى، وكان بها فى ظاهرها ملاحة تضمن كل سنة بسبعمائة ألف درهم، ولها مائتان وستة عشر بستانا تغرس فيها أنواع الفواكه، ودور سورها فدانان وثلثا فدان.

ثم رحل العسكر عن آياس بعدما أقاموا عليها اثنين وسبعين يوما، فمر نائب حلب على قلعة نجيمة وقلعة سرفندكار - وقد أخربهما مغلطاى الغزى - حتى عبر بالعسكر إلى حلب فى رابع عشرى ذى الحجة.

فعاد العسكر إلى مصر، وقد مرض كثير منهم، ومات جماعة. فأكرم السلطان الأمير أرقطاى وخلع عليه، وبعث تشريفا إلى نائب حلب. وأقطع السلطان أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من أمراء الشام؛ وأمر فيها جماعة من التركمان والأجناد، فاستعملوا الأرض فى الفلاحة، وحطّوا عنهم من الخراج، فعمرت ضياعها. وضمت بعض عجائز الأرمن ألف درهم كل يوم، فلم يوافق السلطان على ذلك. وعمل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب، ورتب فيها عسكر. ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم، وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين، ومهادنتهم عشر سنين.

وفيها كانت حرب بين خليل الطرفى وبين خليل بن دلغادر على أبلستين [1]، انتصر

(١) أبلتسين مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبيس مدينة أصحاب الكهف. انظر معجم البلدان ١/ ٧٥

فيها ابن دلغادر. فانتمى الطرفى إلى نائب الشام. ووعد على نيابة الأبلستين بألفى إكديش، وإقامة ثلاثين أمير طبلخاناه. فعنى به نائب الشام حتى قدم إلى قلعة الجبل، وخلع عليه، وكتب له ثلاثون منشورا بإمريات جماعة عينهم؛ وخلع على جميع من معه، وسار.

وقدم الخبر بأن القان موسى لما فرّ بعد قتل على بادشاه لحق بخراسان، فقام معه طغاى تمر أميرها، وجمع له. فسار إليه الشيخ حسن الكبير وأولاد دمرداش، ولقوه بالقرب من سلطانية؛ فانكسر موسى وقتل من أصحابه. فاختل فى هذه الفتن حال بغداد والموصل وديار بكر، وقوى أرتنا نائب المغل ببلاد الروم، لشغل المغل عنه بما هم فيه.

وفيها بعث النشو من كشف عن أرباب دواليب القند، فوجد لأولاد فضيل كثير من القند، ومنه أربعة عشر ألف قنطار قند عملت فى هذه السنة؛ وبلغت زراعتهم فى كل سنة ألف وخمسمائة فدان من القصب، كانوا فيما سلف يصالحون المباشرون على أن قندهم ألف قنطار يؤدون ما عليها للديوان. فلما علم النشو ذلك أوقع الحوطة على حواصلهم، وحمل القند إلى دار القند، وكتب عليهم حججا بثمانية آلاف قنطار للسلطان. فلما تخلصوا منه وجدوا لهم حاصلا لم يظفر به النشو، وفيه عشرة آلاف قنطار قند. وصادر النشو شاد دواليب الخاص بالصعيد، وأخذ منه مائة وستين ألف درهم حملها للسلطان.

وفيها أنعم السلطان فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصرية، وهم قوصون وألطنبغا وملكتمر الحجازى وبشتاك؛ وأنعم على موسى بن مهنا بضيعة بألف ألف درهم، وكان قد قدم له فرسا. فشق ذلك على النشو، وقال: «خاطرت بروحى فى تحصيل الأموال، وهو يفرّقها».

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، وكان قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك؛ فعقد له السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طايربغا، وعقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلى بن البابا، وذلك فى العشرين من ربيع الآخر. وسير السلطان لكل أمير بألف وخمسمائة دينار وثوب أطلس.

وفيه سعى النشو بقاضى الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البلبيسى، شيخ خانكاه بهاء الدين أرسلان، من أجل أنه عارضه فى أخذ أموال الأيتام؛ ورماه بأنه أخذ مالا للأيتام اشترى بها عدة جوارى. فطلب البلبيسى من الإسكندرية وسلم إلى ابن

المروانى والى القاهرة ليخلص منه مال الأيتام؛ فقام بأمره الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك والأحمدى، حتى توجه الضياء المحتسب وآقوش البريدى للكشف عنه، فلم يظهر لما رمى به صحة، وأكثر ما عيب عليه أنه مطَّرح الاحتشام يمشى فى الأسواق لشراء حاجته، فأفرج عنه.

وفيه ولد للسلطان ابنه صالح من زوجته بنت الأمير تنكز؛ فعمل السلطان لها بشخاناه ودابر بيت ونحو ذلك بمائة ألف وأربعين ألف دينار؛ وعمل لها الفرح مدة أسبوع، حضره نساء الأمراء، وما منهن إلا من عين لها السلطان تعبية قماش على قدر رتبة زوجها. فحصل للمغانى شىء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم، سوى التفاصيل الحرير والمقانع (١) والخلع. وقدم من الأمير تنكز نائب الشام لابنته مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار. وفى هذا المهمّ استعمل السلطان للخركاه (٢) الواصلة إليه من بلاد الشرق ثوبا من حرير أطلس وردى، ورصعه باللؤلؤ والجواهر، وأسبل عليها ستزا؛ فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار واثنى عشر ألف دينار؛ فنامت فيها النساء. وبلغ مصروف خمسمائة ألف دينار، فكان شيئا لم يسمع بمثله فى الدولة التركية.

وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السجان، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين. فركب الوالى فى طلبهم، فلم يظفر منهم سوى برجل أقطع(٣)، فشنقه.

وفيها استدعى السلطان من بلاد الصعيد بألفى رأس من الضأن، واستدعى من الوجه البحرى بمثلها؛ وشرع فى عمل حوش برسمها ويرسم الأبقار البلق (٤)، فوقع اختياره على موضع من قلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قطعت منه بالحجارة لعمارة القاعات التى بالقلعة حتى صار غورا عظيما وطلب السلطان كاتب الجيش، ورتب على كلٍّ من الأمراء المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب، وعلى كل من أمراء

---

(١) المقانع جمع مقنع. ويقال مقنعة، وهى ما تغطى به المرأه رأسها وتكون أضيق من القناع. محيط المحيط.

(٢) المخركاه وهى بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء للوقاية من البرد.

(٣) أقطع هو المقطوع اليد ويقال للأنثى قطعاء وجمعه قطع وقطعان، والأقطع أيضا الأصم وربما كان المعنى الثانى هو المقصود. محيط المحيط.

(٤) البلق جمع أبلق وهو ما جمع بين الأبيض والأسود من الألوان. (قاموس المحيط)، المعجم الوسيط (بلق).

الطبلخاناه بحسبه؛ وأقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادا، وأن يقيم معه من جهة كلّ أمير أستاداره بعدة من جنده؛ وألزم الأمراء بالعمل؛ ورسم لوالى القاهرة بتسخير العامة. فأقام الأمير آقبغا عبد الواحد فى خيمته على جانب الموضع، واستدعى أستادارية الأمراء واشتد عليهم؛ فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، ونزل كل أستادار بخيمته ومعه دوابه ورجاله؛ فقسمت عليهم الأرض قطعا معينة لكل واحد منهم، فجدّا فى العمل ليلا ونهارا. هذا وآقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم، ويخرق بأستادارية الأمراء، ويضرب بعضهم، ويضرب أكثر أجنادهم. ووكل المقدم عنبر السحرتى بالرجال، وكان ظالما غشوما بهم وكلفهم السرعة فى أعمالهم، من غير أن يوجد لهم رخصة[1] ولا مكنهم من الاستراحة. وكان الوقت صيفا حارا، فهلك كثير منهم فى العمل لعجز قدرتهم عما كُلِّفوه. ومع ذلك كله والولاة تسخّر من تظفر به من العامة، وتسوقه إلى العمل، فيزل به البلاء ما لا قبل له به، ولا عهد له بمثله. وكان أحدهم إذا عجز وألقى بنفسه إلى الأرض، رمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته. هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل.

وكان الأمير ألطنبغا المارديني قد مرض، وأقام بالميدان على النيل أياما حتى برئ، وطلع إلى القلعة من باب القرافة. فاستغاث به الناس وسألوه أن يخلصهم من هذا العمل، فتوسط لهم عند السلطان حتى عفى السلطان الناس من السخرة؛ وأفرج عمن قبض عليه منهم. فأقام العمل سنة وثلاثين يوما إلى أن فرغ منه، وأجريت إليه المياه، وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البلق. وبنيت به بيوت للأوز، فبلغ ثمن البقل المصروف من الديوان برسم أكل فراخها فى كل يوم مائة وخمسين درهما، وعند فراغ العمل من الحوش وترتيبه استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطا جليلا، وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم.

وفيها وصل من متجر الخاص ستمائة قطعة قطران، طرحت على الزياتين وأصحاب المطابخ بمائتى درهم القطعة. ثم طرح النشو أيضا ألف مقطع شرب بحساب ثلاثمائة درهم المقطع، وقيمته ما بين مائة وخمسين ومائة وستين درهما المقطع. ثم طرح النشو ثياب المماليك الخلقة وأخفافهم العتيقة على أربابها بأغلى ثمن.

وفيها جدّ النشو فى السعاية بالصفى كاتب قوصون عند السلطان، وأنه يلزمه فى كل سنة للديوان عن متاجره وزراعا نحو مائتى ألف درهم، حتى ألزم السلطان الأمير قوصون بمصادرته وأخذ ماله لنفسه؛ فأوقع قوصون الحوطة على جميع ماله. وسعى

(١) الرخصة هنا النوبة فى توزيع العمل أو التيسير والتسهيل. انظر محيط المحيط.

النشو أيضا بقطلو أستادار قوصون أنه لما توجه إلى الشام لزمه مال كثير بما أتلفه من مال معاصر الغور، وعما أخذه من المباشرين حتى تلفت الأقصاب؛ فقبض عليه قوصون، وألزمه بالحمل حتى باع داره وثيابه.

ثم بعث السلطان إلى قضاة القضاة ألا يثبت أحد منهم محضرا باستحقاق ميراث حتى يرسم لهم بذلك. وسببه أن صدر الدين الطيبى لما ولاه النشو نظر ديوان المواريث التزم له بحمل الأموال الكثيرة، وصار يحتاط على أموال التركات، ويحملها إلى النشو من غير أن يعطى الورثة منها شيئا؛ فإن كان للوارث جاه وكان له ولد معروف ألزمه أن يثبت نسبه من الميت واستحقاقه لميراثه، فإذا أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، فيماطل بذلك مدة ولا ينال غرضه، فلما فحش الأمر فى هذا بلغ السلطان، فأنكر على النشو ذلك، فدافع عن نفسه بأعذار قبلت منه، ثم رسم السلطان للقضاة ألا يثبتوا من ذلك شيئا إلا بمرسومه، فاشتدّ الأمراء على الناس؛ وصارت التركة تنهب بحضرة الوارث ولا يجد سبيلا إليها فإن عجز الطيبى عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث وشدة بأسه رماه عند النشو بأن مورثه لقى ووجد لقية مال فى بيته، فيلزم الوارث بإحضار ذلك حتى يترك ميراثه.

وفيها كتب مرسوم بمساحة ضمان جهات دمشق بما عليهم من البواقى للديوان، ومبلغه مائتان ألف درهم؛ فأهملت من الحساب.

وفيها أنعم السلطان على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضياع من فتوح سيس، وهى قلعة كوارة وقلعة نجيمة وقلعة سرفندكار؛ ورسم أن يحمل إليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون ألف غرارة غلة برسم تقاويها وتخضيرها، وعين لكل ضيعة ما يكفيها؛ وكتب مراسيم لكل جهة بما هو مقرّر عليها.

وفيها أوقع الأمير تنكز بعلم الدين محمد بن القطب كاتب السرّ بدمشق، وضربه وصادره، بمرافعة الأمير حمزة التركمانى؛ وأخذ منه عشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيها أعرس أحمد ابن السلطان بابنة الأمير طايربغا من غير عمل مهم. وأعرس كذلك يوسف ابن السلطان بابنة الأمير جنكلى بن البابا.

وفيها أنعم على قطلوبرس أستادار بكتمر الساقى بإمرة طبلخاناه، وتسلم أمير أحمد ابن السلطان وتوجّه به إلى الكرك؛ فتوجه الأمير بيغرا إلى الكرك على النجب حتى أحضر جميع ما كان بها من المال.

وفيها اتضع سعر الغلال حتى أبيع الأردب القمح الصعيدى بعشرة دراهم، والبحرى

بثمانية دراهم، والفول والشعير كل أردب بستة دراهم؛ وكسدت الغلال. فكان رزق الله أخو النشو - وهو كاتب الأمير ملكتمر الحجازى - وولى الدولة صهره - وهو كاتب المجدى - يطرحان القمح بزيادة درهمين الأردب ويأخذان ثمنه بعسف وظلم؛ فتوقفت أحوال الجند لرخص السعر. وسعى النشو بالضياء المحتسب أن الدقيق والخبز سعرهما بالنسبة إلى القمح غال؛ فرسم لوالى القاهرة أن يطلب المحتسب والطحانين ويعمل معدّل القمح عنده، فلم يجد فى الأسعار تفاوتا بين القمح والخبز.

وفى سابع عشر صفر: قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغورى محتسب بغداد وفخر الدين محمود نائب الحلة. وعدة من الأعيان فى خمسمائة عليقة [١]. فقدم الوزير للسلطان هدية سنية. فيها حجر بلخش يزن سبعة وعشرين درهما؛ فخلع عليه وعلى الغورى، وأنعم على محمود نائب الحلة [٢] بإمرة طبلخاناه بدمشق، وعلى وزير بغداد بإمرة طبلخاناه بديار مصر، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بعد وفاة طايربغا.

وكان سبب قدومهم أن نجم الدين هذا كان تمكن ببغداد وكثر ماله؛ فلما قدم على بادشاه إلى بغداد ومعه القان موسى، وصادر أهلها، ثم جمع العساكر وخرج بعث بشمس الدين السهروردى نائب بغداد، وقد كتب له أسماء ليأخذ مالهم، منهم نجم الدين ابن شروان، فخر الدين محمود نائب الحلة. فلما بلغهم ذلك تواطئوا على قتله والخروج إلى مصر، وخرجوا إلى لقائه، واحتفوا به وساروا معه؛ ثم بدره نجم الدين بسيفه فضربه ضربة حلت عاتقه، فسقط إلى الأرض، وأخذت السيوف أصحابه؛ فارتجت بغداد بأهلها. وفى الوقت نادى نجم الدين بالأمان، «ولا يتحرك أحد!! فقد كان لنا غريم قتلناه»؛ وأخرج هو وأصحابه حريمهم وأموالهم، ومروا بهم على حمية من بغداد، وكتبوا إلى الأمير تنكز نائب الشام يستأذنونه. فبعث تنكز البريد إلى السلطان بخبرهم، فأجيب بإكرامهم إلى القاهرة؛ فحمل إليهم من الإقامات ما يليق بهم حتى قدموا عليه، ثم سيرهم مكرمين.

وفيها أنعم على آقسنقر بخبز طنجى السلاح دار؛ وأنعم على قمارى أمير شكار بتقدمة ألف.

وفيه أنشأ السلطان قصرًا للأمير يلبغا اليحياوى، وقصرا للأمير ألطنبغا المارديني، تجاه

---

(١) عليقة والجمع عليقات وعلائق - البعير. انظر محيط المحيط .

(٢) الحلة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٥، والروض المعطار ١٩٧، ابن جبير ٢١٣، وابن بطوطة ٢٢٠.

حمام الملك السعيد قريبا من الرميلة تحت القلعة، وأخذ لذلك من إسطبل الأمير أيدغمش قطعة ومن إسطبل الأمير طشتمر الساقى قطعة، ومن إسطبل الأمير قوصون قطعة؛ ونزل بنفسه حتى قرّر أمره. وتقدم السلطان إلى الأمير قوصون أن يشترى الأملاك المجاورة لإسطبله بالرميلة [١] تحت القلعة، ويضيفها إلى إسطبله؛ وأمر أن يكون باب الإسطبلين اللذين أنشأهما أيضا للأميرين يلبغا وألنبغا تجاه حمام الملك السعيد؛ وأقام آقبغا عبد الواحد شادا بعمارة القصرين. فاشترى قوصون عدة أملاك وسع بمواضعها فى إسطبله، وطرح النشو أنقاضها بأغلى الأثمان؛ وجعل قوصون باب إسطبله من الرميلة تجاه القلعة. وأنفق النشو على القصرين جميع ما يحتاج إليه فى عمارتها.

وفيها قدمت عدة تجار من الشام بثياب بعلبكى كثيرة، فختم عليها وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس. ثم أمر النشو بأخذها جميعها بقيمة اختارها، ثم طرحها على تجار القاهرة بثلاثة أمثال قيمتها، وألزم مباشرى الختم ألا يختموا قماشا حتى يستأذنوه. فقدم قَفْلٌ عقيب ذلك فيه تاجر من جهة الأمير بشتاك، فأخذ قماشه فيما أخذ، وطرح الجميع على التجار. فادّعى ذلك التاجر أن قماشه إنما هو للأمير بشتاك، فضربه النشو ضربا مبرحا؛ فشق ذلك على بشتاك وشكا أمره إلى السلطان. وكان النشو قد بلغ السلطان أن تاجرًا يحضر كل سنة القماش على اسم الأمير بشتاك بغير مكس، حتى وجب عليه للديوان مائة ألف درهم، وقد أكسر معاملة السلطان، وأنه قد أخذ ما أحضره من القماش؛ فانفعل السلطان لكلامه.

وفيها عزل قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى [٢]. وسبب ذلك ولده جمال الدين عبدا لله، وما كان عليه من كثرة اللهو والشره فى المال، وأخذه الرشوة من القضاة ونحوهم، وتبسطه فى الترف، حتى إنه قد اقتنى عدة كثيرة من الخيول ورتب لها عدة من الأجاقية والركابين [٣] وسابق بها. وكان جمال الدين شغف أيضا بسماع الغناء ومعاشرة الأحداث من أولاد الأكابر ومماليك الأمراء، وتجاهر بالمنكرات. فرفعت فيه للسلطان تتضمّن شعرا بما هو عليه، فأخرجه السلطان إلى الشام؛ ثم أعاده بسعى

---

(١) الرميلة منزل فى طريق البصرة إلى مكة. انظر معجم البلدان ٧٣/٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبى المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاضى، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١، ٢١٧/٢وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والأعلام ١٩٢/٦.

(٣) لفظ الركابين – مفرده ركاب أى السائس.

أبيه بعد مدة بسفارة الأمير بكتمر الساقى، فلم يقم إلا نحو السنة، وزاد فى قبح السيرة؛ فأخرجه السلطان ثانيا، وأقام سنة. فلم يطلق أبوه غيبته عنه، وكان قد فتن به حتى أنه لشدة حبه إياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة؛ فسأل السلطان فى عوده مشافهة، وضمن توبته؛ فأعاده السلطان إلى القاهرة، فأنشأ بجوار بيت أبيه على النيل دارًا كلف قضاة الأعمال فيها لحمل الرخام وغيره، واستدعى لها الصنّاع من الشام، وبالغ فى إتقانها، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة ألف درهم. وبلغ السلطان ذلك، فحدّث الأمراء بما بلغه، وأنكر على القاضى بتمكين ولده من هذا؛ فبعث الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى القاضى يعنفه ويشنع عليه، ويلومه على إنفاق ولده هذا المال الكبير، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمر به هذه الدار فإن سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا إلى السكنى على النيل. ثم إنه أيضا اشترى فى القاهرة دارا، وجدّدها بما يزيد على مائتى ألف درهم، فكثر الكلام فيه. هذا مع جفائه للناس، وقوة نفسه، وسوء سيرته وسيرة إخوته أيضا وتغافل أبيهم عنهم، وتصامه عن الشكوى فيهم فكتب فى القاضى عدة أوراق للسلطان، ونسب فيها إلى أنه لا يولى نائبا عنه فى بلد حتى يجتمع بأولاده، وشنع فيها أن القضاة فى أيامه إنما تلى بالبراطيل، وتتزايد فى الولايات. وكان السلطان لا يرشى ويعاقب من يرتشى أشدّ العقوبة، فكان يراعى القضاة لما فى نفسه من إجلالهم وتعظيمهم، إلى أن نعاظ أمر أولاد القاضى جلال الدين القزوينى وكثرت القصص فيهم وفى مملوكه. وعمل حسن الغزى الشاعر فيهم قصيدة شنيعة، وأوصلها إلى شهاب الدين أحمد بن فضل الله، فقصد نكاية القزوينى، وقال للسلطان عنها وقرأها عليه، فأثرت فى السلطان وغيرته على القزوينى، ومنها، وهى طويلة:

قاض على الأيام سل صارما ... بحدّه يلتقط الدراهما
وسن من أولاده لها دما ... جردهم فانتهكوا المحارما
والشبل فى المخبر مثل الأسد

وابنه البدرى خطيب جلقى ... بامرأة الكامل مشغوف شقى
بادره بالعزل فليس يرتقى ... منابر الإسلام إلا متقى
متزر ثوب العفاف مرتد

يا ملك الإسلام يا ذا الهمة ... أزل عن الملة هذى الغمة
واحلل بعبد الله سيف النقمة ... فإنه حجاج هذى الأمة
واردعه ردع كلّ مفسد

فلما حضر القضاة إلى دار العدل على العادة لم يؤذن لهم فى دخوله، وعندما نزلوا بعث السلطان إلى القزوينى مع الدوادار بأن نائب الشام شكا من ابن المجد قاضى دمشق، «وقد اقتضى رأية أن تسافر إلى دمشق قاضيا، كما كنت، فإنه استحى وجهه منك ومن الأمراء والناس، وكلما عرّفك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه فإذا حضرت بدار الغدل استعف من القضاء بحضرة الأمراء. واعلم أنى آمر نائب الشام أنه إذا رأى أولادك على سيرة مرضية قابلهم بما يستحقونه».

فلما كان يوم الخميس: وحضر قاضى القضاة القزوينى دار العدل، سأل الحاجب أن يسأل له السلطان فى تمكينه من التوجه إلى دمشق، فإن مصر لم توافقه ولا وافقت أهله؛ فأذن له السلطان فى ذلك. ونزل القزوينى فأخذ فى وفاء دينه، وكان عليه لجهة وقف التربة الأشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة[1] مبلغ مائتى ألف درهم وثلاثين ألف درهم؛ فباع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها، وكانت نفيسة. فباعوا من صنف الأوانى الصينى بمبلغ أربعين ألف درهم ؛ وباع عبدا لله إحدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم الجارية إلى أربعة آلاف، وباع من اللؤلؤ والجواهر والزركش ما قيمته زيادة على مائة وعشرين ألف درهم، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين ألف درهم؛ وأدّوا ما عليهم من الدين للأيتام وغيرهم. وسار قاضى القضاة بأهله وأولاده إلى دمشق، وصحبته ستون زوج محاير على الجمال، فى كل محارة امرأة. وتأسف الناس على فراقه، لمحبتهم له مع بغضهم لأولاده؛ فإنه كان كريما جوادا سخيا، له صدقات ومراعاة لأرباب البيوت، يهب الألف درهم؛ ولم يعرف فى دولة الأتراك بمصر قاض له مثل سعادته، ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمته؛ وكان سفره فى جمادى الآخرة.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: استدعى عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، وخلع عليه؛ واستقرّ قاضى القضاة عوضا عن الجلال القزوينى. وكان السلطان قد جمع بين يديه القضاة والفقهاء - وفيهم عز الدين -

---

(١) السيدة نفيسة هى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة ونشأت فى المدينة وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن. انظر فوات الوفيات ٢/٣١٠ ووفيات الأعيان /١٦٩ وخطط مبارك ١٣٥/٥ والأعلام ٤٤/٨.

وحدثهم فيمن يصلح للقضاء، وقد تعين عندهم شمس الدين محمد بن[1] عدلان. فلم يلتفت إليه السلطان، وذكر لهم عز الدين فأثنوا عليه خيرا. وكان السلطان من أيام بدر الدين محمد بن جماعة يلهج بذكر ابنه عز الدين، ويقول: «لولا أنه شاب لوليته القضاء».

وخلع فيه أيضا على حسام الدين الحسن بن محمد الغورى القادم من بغداد، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن على[2] بن عبد الحق؛ ونزلا فى موكب جليل. وكان سبب عزل ابن عبد الحق أولاده، فإنهم ساروا سيرة أولاد القزوينى؛ فكان السلطان يقول: «ولينا قضاة جيادا أفسدهم»؛ ورسم بسفر ابن عبد الحق وأولاده أيضا إلى الشام، فسافروا. وكانت قد وقعت الشكوى فى ابن القاضى الحنبلى من بيعه أوقاف الأيتام وأخذ أثمانها، وإتلافه فى المحرمات؛ فطلب والده تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدسى، وسئل عن مال الأوقاف التى باعها، فاعتذر بما لا يقبل، وسأل المهلة. فأمر السلطان متولى القاهرة بتسليمه وضربه حتى يحضر المال جميعه، فأهانه ورسم عليه. وأخذ السلطان يقول للأمراء: «انظر ماذا جرى علينا من أولاد القضاة»، وذكر ابن القاضى الحنبلى وما كان منه، وهمّ أن يوقع به وبابنه المكروه، فتلطفوا به فى أمرهما والستر على القاضى لكبر سنه وشهرته. فعين الأمير جنكلى بن البابا لولاية الحنابلة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى؛ فطلبه السلطان وخلع عليه مع رفيقه.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع القضاة الأربعة وقبلوا يد السلطان، واستأذن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعى فى عزل نواب الحكم، فإنهم جميعهم إنما ولوا ببذلهم المال الجزيل لولد القزوينى، وأنهم قد أفسدوا فى الأعمال فسادا كبيرا؛ فأجابه السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى. فنزل ابن جماعة وكتب

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وله «شرح مختصر المزنى – خ» بخطه. انظر طبقات الشافعية ٢١٤/٥ ودار الكتب ٥٢٢/١ وهدية ١٥٦/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

(٢) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق برهان الدين المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضا قاضى الحنفى: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن بسورية فعرف به وهو سبط عبد الحق بن خلف الوسطى وله «نوازل الوقائع» فى الأخبار، والمنتقى فى فروع الفقه. انظر تاج التراجم –خ والجواهر المضية ٤٢/١ والبداية والنهاية ٢١٢/١٤ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

بعزل قضاة الوجه القبلى والبحرى بأسرهم، وعزل فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر، وولى عوضه بهاء الدين عبد الله بن عقيل، وعين لقضاء الأعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم، فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته، واستخلف عنه فى القضاء تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، وضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى؛ وعزل الضياء المحتسب من نظر الأوقاف حتى لم يدع أحدا بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزوينى. فانكفّ عن الناس بذلك شر كبير وفساد كثير. وسار رفقاؤه الحنفى والحنبلى مثل سيرته فى النزاهة والصيانة.

وفيها فوض نظر الوقف الشافعى للشيخ برهان الدين إبراهيم الصائغ.

وعقيب ذلك قدم البريد من الشام بألفين وخمسمائة دينار من وقف الأشرفية. فأخذها النشو وعرّف السلطان بها، وأنه تعوض عنها لجهة الوقف فيما بعد فأخذها السلطان منه.

وفيها جمع النشو الطحانين وعرفاء الجمالة، وطرح عليهم ما زرع بناحية قليوب من الفول الأخضر والبرسيم، بحساب ثلاثمائة درهم الفدان الفول، والبرسيم بمائتى درهم؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع، لأجل شكواهم إياه للسلطان. وطرح النشو مبلغ مائتى ألف درهم فلوسا نحسا ضرب إسكندرية وتروجة وفوّة وبلاد الصعيد على التجار وأرباب المعاملات، فوقفت الأحوال. وذلك أن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد، وقد كثر فيها الزغل من الرصاص ونحوه، وصار الفلس الكبير يقص ثلاث قطع ويخرج بثلاثة فلوس؛ فصارت الباعة تردها؛ وتحسن سعر الغلة دراهم الأردب. فقام والى القاهرة فى ذلك وضرب جماعة ونودى أن يرد الفلس المقصوص والرصاص، ولا يتعامل به؛ فمشت الأحوال.

وفيه قدم البريد من الأمير تنكز نائب الشام. ومعه مبلغ عشرين ألف دينار الذى أخذ من علم الدين بن القطب كاتب السرّ بدمشق؛ فخلع السلطان على جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن الأثير، واستقر فى كتابة السرّ بدمشق عوضا عن ابن القطب.

وفيها اتفق بدمشق أن قاضيها شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى كان غير مرضى الطريقة؛ فلما عزل واستقرّ القزوينى عوضه، ركب ابن المجد قبل أن يبلغه العزل يريد مكانا، فنفرت بغلته من كلب خرج عليها فى الطريق، وألقته عن ظهرها، فاندقّ عنقه؛ وسرّ الناس بذلك.

وفيها عزل الضياء من حسبة القاهرة، بسعاية النشو به ورميه له بمحبة الأحداث ؛ وخلع على الشريف شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الأشراف، واستقرّ عوضه، بعدما أقامت القاهرة أياما بغير محتسب.

وفيها أفرج عن الأمير آقسنقر شاد العمائر من حبسه بحلب، وأنعم عليه بطلبخاناه فى دمشق، بعناية الأمير قوصون.

وفيها قدم البريد بأن جبار بن مهنا توجه فى جماعته إلى بلاد الشرق، وصار فى جملة الشيخ حسن الكبير، بسبب أنه لما قدم بهديته إلى السلطان لم يجد منه إقبالا فكتب إلا إخوته بترجيعه إلى البلاد.

وفيها قدم البريد بأن الشيخ حسن الكبير قد جمع العساكر لمحاربة أرتنا صاحب بلاد الروم، وأن جبّار بن مهنا التزم له بجمع العرب، وأنه كتب له تقليدا بالإمرة على العرب. فقدم بعد ذلك كتاب أرتنا ومعه هدية، ويسأل فيه أن يكون نائب السلطان فى بلاد الروم، وأنه يضرب السكة باسمه، ويقيم دعوته على منابره. فخلع على رسله وأنعم عليهم، وكتب له تقليد بنيابة الروم من إنشاء الشريف شهاب الدين الحسين ابن قاضى العسكر. وكان الحامل لابن أرتنا على ذلك أنه عظم شأنه ببلاد الروم، وكثف جمعه حتى خافه الشيخ حسن الكبير أن ينفرد بمملكة الروم، فأخذ فى التأهب لمحاربته. وكان ابن دلغادر قد تمكن بأراضى أبلستين، وكثرت زراعاته بها، وأخذ يتخطف من أطراف الروم؛ فخشى أرتنا منه أن ينازعه فى مملكة الروم، أو يكون مع الشيخ حسن الكبير فرأى الاتجاه إلى السلطان أقوى له وأسلم، فإنه إما يمدّه بعسكر يتقوّى به على أهل الشرق، أو يأوى إلى بلاده إن انهزم.

وفيها بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير ذلك، ويدعون الله عليه. فلم يزل النشو بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ، وأخرج رجلا كرديا كان للناس فيه اعتقاد إلى الشام.

وفيها قدم المجد السلامى من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن الكبير باستدعاء السلطان له؛ وقد كلفه الشيخ أن يقوم له بالصلح بينه وبين السلطان، وجهز معه هدية جليلة.

وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه وزير أبى سعيد، فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأخرج له راتبا بدمشق؛ ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بها، عوضا عن برسبغا العادلى، وأنعم على برسبغا بتقدمة آقول الحاجب بعد موته.

وفيها ندب النشو أحد مباشرى العمائر السلطانية لمرافعة الأمير آقبغا عبد الواحد، فأنهى للسلطان عنه أنه عمّر جميع عمائر من مال السلطان، وثبت لمحاققته؛ فلم يجد آقبغا جوابا.

وفيها استقرّ الأمير أخو ظلظلية فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير سيف الدين أبى بكر بن سليمان البابيرى؛ وأخرج البابيرى إلى دمشق بطلب الأمير تنكز له؛ وكانت إقامته فى كشف الوجه البحرى سنة، سار فيها سيرة سيئة.

وفى ليلة الإثنين ثانى عشرى ربيع الآخر: سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم مدة ستة أيام، فتهدّم منه عدة أماكن، وسال الجبل وأعقب المطر رياحا عاصفة؛ واشتدّ البرد بخلاف العادة، وسقط الثلج بسبخة بردويل [١] حتى جهلت الطريق، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهما وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهما. واشتدّ الريح بناحية دمياط فى بحر الملح حتى غلب على النيل، ووصل الماء إلى شار مساح وفارس كور [٢].

وفيها كثر تسخير الناس للعمل فى عمائر السلطان بالقلعة، وقبض عليهم من بين القصرين وهم نيام، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح؛ فابتلى من ذلك ببلاء عظيم، وكثرت الغاثة، فلم يجسر أحد من الأمراء يكلم السلطان فيه.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله، واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن أبيه بعد وفاته؛ وركب معه الحاجب أمير مسعود والدوادار طاجار إلى داره.

وفى ثانى عشرى رمضان: قدمت الحرّة بنت السلطان أبى الحسن على بن عثمان[٣] ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية، نزل لحملها من الإسطبل السلطانى ثلاثون قطارًا من بغال النقل سوى الجمال، وكان

---

(١) تقع سبخة بردويل فى الجنوب الغربى من مدينة العريش على الحدود المصرية الفلسطينية. النجوم الزاهرة ١٣/٨.

(٢)فارس كور حبلان معروفان. انظر معجم البلدان ٤٨٩/٤.

(٣) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، المنصور بالله من ملوك المغرب كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، لسمرة لونه، وأمه حبشية. بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه استنجد به بنو الأحمر. ولابن مرزوق كتاب فى سيرته سماه «المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن». انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧/٢-٨٧ واللمحة البدرية ٩٢ والانبساط ٥٢٠٥٣ والأعلام ٣١١/٤.

من جملتها أربعمائة فرس - منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتان بغل، وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها؛ وكان جملتها أيضا أبقار عدتها اثنان وأربعون رأسا، ومنها سرجان من ذهب مرصّع بجوهر، وفيها اثنان وثلاثون بازا، وفيها سيف قرابه من ذهب مرصع، وحياصة [(١)] ذهب مرصع، وفيها ستمائة كساء وغير ذلك من القماش الغالى. وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم، وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح، وهم جمع كبير جدا. وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرّق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها، سوى الجوهر واللؤلؤ، فإنه اختصّ به فقدّرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار.

ثم نقلت الحرّة إلى الميدان بمن معها، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمّهم وفضل عنهم. فكان مرتبهم فى كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم، ونصف أردب أرزا، وقنطار حب رمان، وربع قنطار سكرا، وثمانى فانوسيات شمع، وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم، وكانت أجرة حمل أنقال ركبها قد بلغت ستين ألف درهم. ثم خلع على جميع من قدم مع الحرّة، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم، حتى على الرجال الذين قادوا الخيول. وحمل إلى الحرّة من الكسوة ما يجلّ قدره؛ وقيل لها أن تملى ما يحتاج إليه، فقالت «إنه لا يعوزها شيء، إنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا».

فتقدّم السلطان إلى النشو وإلى الأمير آقبغا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك؛ واستخدما لها السقائين والضوية، وهيّئا كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط، وطلبا الجمالة لحل جهازها وأزودتها. وندب السلطان معها جمال الدين متولى الجيزة[(٢)]، وأمره أن يرحل بها فى ركب لها بمفردها قدّام المحمل، ويمتثل كل ما تأمر به؛ وكتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها أتمّ خدمة.

وفيه تجهّز الأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا الماردينى، وخوند طغاى زوجة السلطان وست حدق، وعدة من الدور ومن الخدّام، لسفر الحجاز.

---

(١) حياصة حزام الدابة. انظر المعجم الوجيز ١٨١.

(٢) الجيزة: بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، صبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقريزى ١/ ٢٠٥.

وفيه قرّر الأمير علم الدين سنجر الجاولى شهاب الدين أحمد العسجدى فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية بين القصرين، بعد وفاة زين الدين عمر بن الكتانى. فتعصب عليه القضاة وجماعة من شيوخ العلم، وطعنوا فى أهليته، ورفعوا قصة للسلطان بالقدح فيه. فلما قرئت على السلطان بدار العدل سأل السلطان من القضاة عنه، فثلبه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة؛ فقام الجاولى بمعارضة القاضى وأثنى عليه؛ فرسم السلطان أن يعقد له مجلس ويطالع بأمره. فاجتمع القضاة وكثير من الفقهاء بالمدرسة المنصورية، وجبه بعضهم الجاولى بالغض من العسجدى، ورماه ركن الدين محمد بن محمد بن القوبع [١] بأنه لحن فى قراءة الفاتحة ثلاث مرات فقام قاضى القضاة حسام الدين الغورى فى نصرة العسجدى وأثنى عليه، وقال: «أنا أحكم بأهليته لهذه الوظيفة»، فدار بينه وبين ابن جماعة مقاولة فيها فحش؛ وانفضوا على ذلك. فأعلم الغورى طاجار الدوادار بأن القوم تعصّبوا على العسجدى، وأنه يحكم بأهليته، فبلّغ السلطان ذلك. فلما حضرا سأل السلطان عما جرى فى المجلس من ابن جماعة والجاولى، فتفاوضا وعارض كل منهما الآخر؛ فمال السلطان إلى قول ابن جماعة، ومنع العسجدى من التدريس. فشقّ ذلك على الجاولى، وهمّ بعزل نفسه من نظر المارستان، فحذره الأمراء عاقبة ذلك.

وفيها عمل جسر بالنيل على حكر ابن الأثير. وسببه أن النيل قوى على ناحية بولاق خارج القاهرة، وهدم جامع الخطيرى حتى احتيج إلى تجديده، وحتى احتيج إلى أن رسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل الزرابى لجميع تلك الدور، وألا يؤخذ عليها حكر. فبنى صاحب كل دار زربية تجاه داره فلم يفد ذلك شيئا. فكتب بإحضار مهندسى البلاد القبلية وبلاد الوجه البحرى؛ فلما تكاملوا ركب السلطان النيل وهم معه، وكشف البحر. فاتفق الرأى على أن يحفر الرمل الذى بالجزيرة حتى يصير خليجا يجرى فيه الماء، ويعمل جسر فى وسط النيل يكون سدا يتصل بالجزيرة، فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء فى الخليج الذى حفر، وكان قدّامه سدّ عال يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن سدّ القاهرة إلى برّ ناحية منبابة [٢]؛ وعاد السلطان إلى القلعة. وخرجت البرد من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدّين، وطلبت

(١) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفرى ركن الدين، أبو عبدا لله، ابن القوبع: من فضلاء المالكية. كان يفتى، مع اشتغاله بالحكمة والطب. ولد بتونس وتعلم بها وبدمشق واستقر بالقاهرة. قال ابن سيد الناس: كان لا يخل بالمطالعة فى كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة. له شعر وتأليف (وتفسير سورة ق). انظر بغية الوعاة ٩٧ والدرر الكامنة ١٨٠٤ ١٨٠ والأعلام ٣٥/٧.

(٢) ناحية منبابة بلدة إمبابة الحالية بمديرية الجيزة. انظر النجوم الزاهرة ٣٨٠/٦.

الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل - وكانت تلك الحجارة تحمل إلى الساحل وتملأ بها المراكب، وتغرّق المراكب وهى ملانة بالحجارة حيث يعمل الجسر-. فلم يمض عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواحى، فتسلمهم الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير برسبغا الحاجب. ورسم لوالى القاهرة ووالى مصر بتسخيرهم للعمل، فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم، وزادا فى ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع فى السحر، ومن الأسواق؛ فتستّر الناس ببيوتهم خوفا من السخرة.

ووقع الاجتهاد فى العمل، واشتدّ الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخرّ إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة، فتردم عليه الرمال، فيموت من ساعته. واتفق هذا لخلائق كثيرة جدا، وآقبغا راكب فى الحراقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة، والسلطان ينزل إليهم ويباشرهم، ويغلظ على آقبغا ويحمله على السرعة واستنهاض العمل حتى أكمل فى مدة شهرين. وغرق فيه اثنا عشر مركبا وسق كل مركب ألف أردب. وكانت عدة المراكب التى أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل- ورميت فى البحر حتى صار جسرا يمشى عليه - ثلاثة وعشرين ألف مركب حجر، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات [1] والحلفاء ونحو ذلك.

وحفر الخليج بالجزيرة، فلما زاد النيل جرى فى الخليج الذى حفر، وتراجع الماء حتى قوى على برّ منبابة وبرّ بولاق التكرور؛ فسرّ السلطان بذلك.

وفيها استأذن الأمير ملكتمر الحجازى والأمير يلبغا اليحياوى السلطان فى المسير إلى الإسكندرية بطيور السلطان الجوارح، ليتصيدا فى البرية. فرسم للنشو بتجهيزهما، فخاف من دخولهما إلى الإسكندرية أن يبلغهما عنه من أعدائه ما إذا نقلاه للسلطان تغيرّ عليه. فعرّف النشو السلطان أن مراكب التجار قد وصلت، وأنه يحتاج إلى السفر حتى يأخذ ما عليها للديوان ويقوم أيضا بخدمة الأميرين؛ فأذن له فى السفر، فسافر من ليلته. وبدا للسلطان أن يبعث الأمير بشتاك بالطيور - ومعه الأمير قمارى أمير شكار، والأمير ألطنبغا الماردينى - ويعوض يلبغا والحجازى بركوب النيل فى عيد الشهيد؛ فسافر الأمراء الثلاثة. وكان عيد الشهيد بعد يومين، فركب يلبغا والحجازى المراكب فى النيل للفرجة؛ وخرجت مغانى القاهرة ومصر بأسرها، وتهتكوا بما كان خافيا مستورًا من أنواع اللهو؛ وقد حشر الناس للفرجة من كل جهة. وألقى الأمراء للناس فى مراكبهم من أنواع الأشربة والحلاوات وغيرها ما يتجاوز الوصف، فمرّت ثلاث ليال بأيامها كان فيها من اللذات وأنواع المسرّات ما لا يمكن شرحه.

---

(١) السرياقات جمع سرياقة ومعناها هنا الحبل الغليظ. انظر النجوم الزاهرة ١٢٨/٩.

ولما قدم الأمراء بالطيور إلى ظاهر الإسكندرية أخرج النشو إلى لقائهم عامة أهلها بالعدد والآلات الحربية، وركب إليهم حتى عبروا المدينة، فكان يوما مشهودا. ثم خرجوا بعد يومين، وقد قدم النشو لهم من الأسمطة وأنواع القماش ما يليق بهم. وأخذ النشو فى مصادرة أهل الإسكندرية، وطلب عشرة آلاف دينار من الصيارفة قرضا فى ذمته، وطلب من ثلاثة تجار عشرة آلاف دينار؛ ثم إنه غرّم ابن الربعى المحتسب بها خمسة آلاف دينار؛ سوى ما ضرب عليه الحوطة من موجوده؛ وضربه ضربا مبرحا وسجنه، فمات بعد قليل فى السجن؛ ثم عاد النشو إلى القاهرة.

وقدم الخبر من ماردين بكثرة جمع الشيخ حسن الصغير وأولاد دمرداش، وأنهم على حركة لحرب طغاى بن سونتاى بديار بكر، فإذا بلغوا مرادهم منه عدوا الفرات إلى أخذ حلب.

وفيها طلب الأمير طرغاى الطباخى، واستقرّ فى نيابة حلب عوضا عن ألطنبغا.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى شوال: قدم موسى بن مهنا طائعا، وقدَّم عدة خيول؛ وورد صحبته طائفة من عرب البحرين بخيول قوِّمت بمبلغ خمسمائة ألف وستين ألف درهم وقومت خيل موسى بخمسمائة ألف درهم، سوى ما جرت العادة به من الإنعام عليه؛ وأنعم عليه بعشرين ألف دينار أيضا. وقومت من جهة أهل برقة بأربعمائة ألف درهم، وقومت مماليك وجوارى قدم بها التجار بستمائة ألف درهم. وكانت جملة ذلك كله، ما عدا ما أنعم به على موسى بن مهنا ألفا ألف درهم وستون ألف درهم، عنها مائة ألف دينار مصرية ونيف وعشرين ألف دينار؛ وأحيل بذلك على النشو.

ولما كمل قصر يلبغا وقصر المارديني جاءا فى أحسن هيئة، فإن السلطان كان ينزل إليهما بنفسه ويرتّب عمارتهما. فعمل أساس قصر يلبغا أربعين ذراعا وبسطه حصيرا واحدا، فجاء مصروفه أربعمائة ألف درهم. وكان جملة المصروف على هذا القصر أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم، من ذلك لازورد خاصة بمائة ألف درهم. فركب السلطان إليه يوم فراغه وأعجب به، وأنعم على يلبغا بتقدمة طرغاى الطباخى نائب حلب، وفيها عشرة أزواج بسط - منها زوج بسط حرير- وعدة أوانى بلور وغيره، وعدة خيول، وجمال بخاتى. وتقدّم السلطان إلى الأمير آقبغا عبد الواحد بعمل سماط فى قصر يلبغا، فنزل إليه ونزل النشو أيضا حتى تهيأ ذلك؛ وحضر الأمراء كلهم، فأكلوا وشربوا يومهم إلى العصر. ثم خلع السلطان على أحد عشر أميرا أحد عشر تشريفا أطلس. وأركبوا الخيول بسروج الذهب؛ وخلع على بقية الأمراء ما بين خلع كاملة

وأقبية، وأركبوا أيضا الخيول المثمنة بسروج الذهب والفضة على قدر مراتبهم. وتولى السلطان تعبية ذلك بنفسه، فكان مهما عظيما: ذبح فيه ستمائة رأس من الغنم، وأربعون رأسا من البقر، وعشرون فرسا، وعمل فيه برسم المشروب ثلاثمائة قنطار من السكر.

وفي يوم الإثنين سابع عشرى رمضان: هبّت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية، وأظلم الجو منها؛ وسقطت دور كثيرة. ثم سقط برد أسود مرّ الطعم، جاءت به الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهما؛ ووجد فيه واحدة على قدر النارنجة، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك إلى قدر البندقة. وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحصد كثير منه من أصله، وهلكت منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة جميز فى غاية الكبر وقد سقط فى وسطها برده على هيئة الرغيف - وهى سواء - فشقّتها نصفين كما يشقّ المنشار؛ ووُجدت بقرة مطروحة قد قطع ظهرها ببردة شقته نصفين. وتلفت زروع ثمانية وعشرين بلدا، فجمع زرعها وحمل إلى السلطان مع فلاحيها، واستغاثوا بالسلطان؛ فرسم لمتولى الغربية أن يكشف تلك النواحى، ويحرر ما أصابتها الجائحة منها، ويحطّ خراجه عن الفلاحين؛ فامتثل ذلك.

وفيه قدم البريد من قوص [1] بأن السماء احمرت فى شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمرّ ساعة وتسود ساعة وتبيضُّ ساعة، إلى أن طلع الفجر؛ فجاء مطر لم يعهد فى تلك البلاد. وقدم البريد أيضا بأنه هبت ريح بأسوان ألقت عامة البيوت وكثيرا من النخل؛ وهبت أيضا بعرب قمولة [2]، فألقت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة؛ وقدم بذلك محضر ثابت على قاضيها.

وخرج ببلاد منفلوط [3] فأر عظيم جدا، فحصد الزرع حصدا، وأتلف جرون الغلال، بحيث كان يذهب ربع الجرن فى ليلة واحدة. فصار الناس يبيتون بالمشاعل على طول الليل، وهم يقتلون الفأر ثم يتولى أمر النهار طائفة أخرى، وهم لا يفترون عن

---

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) قمولة: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكتفية بكل نعمة، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزًا ومطالب وطلابًا إلى الآن. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٨، والروض المعطار ٤٧٣.

(٣) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤،٢١٥.

قتله؛ ثم يحمل ما قتل منه فى شباك، ويحرق بالنار على بعد؛ وفيهم من يلقيه إلى النيل؛ فأقاموا مدة شهرين يحملون فى الشباك كل يوم نحو مائة حمل. وشوهد منه عجب: وهو أن جمعا عظيما من فيران بيض خرجوا حتى ملأوا الأرض، فخرج مقابلهم فيران سود، واصطفوا صفين فى أرض مساحتها فدنان، ثم تصايحوا وحمل بعضهم على بعض واقتتلوا ساعة؛ وانكسرت الفيران السود، وتبعهم البيض يقتلونهم حتى مزّقوهم فى تلك الأراضى؛ وكان بمحضر عالم كبير من الناس فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فانكسر للسلطان بناحية منفلوط بسبب الفأر نحو ستين ألف أردب فول.

وفيها رفعت قصة إلى السلطان تتضمّن أن الأمير ملكتمر الحجازى يركب النيل ومعه أرباب الملاهى فى عدة من المماليك السلطانية، وأنهم يفعلون كل فاحشة ويأخذون حرم الناس. فاشتدّ غضب السلطان، وطلب الحجازى وأخرق به، وهدّده بالقتل إن عاد يركب النيل؛ وأخرج السلطان ممن كان يعاشره من المماليك ستة وثلاثين رجلا إلى البلاد الشامية على البريد من يومهم، وأخرج من الغد أربعين مملوكا من أصحابه بسبب شربهم الخمر.

وفيها تقدّم السلطان إلى ولى القلعة ألا يمكن أميرا من النزول إلا بمرسوم، وأمر نقيب الجيش فدار على الأمراء كلهم وأعلمهم ألا ينزل أحد منهم من القلعة إلا بمرسوم السلطان، ومن نزل فلا يبيت إلا بالقلعة. وركب أمير مسعود الحاجب - ومعه والى القاهرة - وهدم مرامى النشاب التى بناها الأمراء لرمى النشاب خارج القاهرة، وطلب جميع صناع النشاب ومنعهم من عمل النشاب الميدانى وبيعه لسائر الناس، وأمر بدكاكين البندقانيين فغلقت، ومنع من عمل أقواس البندق وبيعها، وقصد السلطان بذلك كفّ أسباب اللهو، فإنه كان يكره من يلعب ويلهو عن شغله وخدمته.

وفيها شفع الأمير موسى[١] بن مهنا فى لؤلؤ وغيره من المصادرين، فرسم السلطان لشاد الدواوين بكتابة أسمائهم - وكانوا خمسة وثلاثين رجلا، ومنهم قرموط وأولاد التاج -، فأفرج عنهم، اما خلا قرموط وأولاد التاج.

وفيها أنشأ الأمير آقبغا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلى؛ وألزم الصناع بالعمائر السلطانية أن يعملوا فيها يوما من الأسبوع بغير

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤م واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

أجرة؛ فكان يجتمع فى كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر، ويعملون نهارهم. وحمل لها آقبغا جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان، وأقام بها من مماليكه شادا لم ير أظلم منه، فعسف الصناع وضربهم.

وفيها توقفت زيادة النيل عندما قرب الوفاء، ثم نقص؛ فارتفع سعر الغلال حتى بلغ القمح عشرين درهما الأردب. ثم تراجع النيل ووفّى ستة عشر ذراعا، بعدما زاد ثلاثة أيام متوالية أربعة أذرع ونصف ذراع. وتلفت بسبب ذلك غلال كثيرة فى الأجران، فإنه زاد زيادة متتابعة على حين غفلة. وكانت سنة شديدة، واتفق فيها من الأمطار والفأر والمصادرات وغير ذلك عدة محن.

* * *

ومات فيها من الأعيان

مجد الدين إبراهيم بن الأجلّ أبى هاشم على بن الصدر الأديب أبى طالب محمد بن محمد بن محمد الفامغار - المعروف بابن الخيمى - فى سادس عشر جمادى الأولى؛ ومولده سنة تسع وأربعين وستمائة؛ وحدّث عن أبيه والرشيد العطار وغيره.

ومات الأمير إبراهيم ابن السلطان فى رابع عشرى ذى القعدة، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاوون، بالقرب من المشهد النفيسى.

وتوفى الطبيب الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدى، بالقاهرة عن سبع وسبعين سنة؛ وله نظم جيد.

وتوفى الشيخ زين الدين عمر بن الجمالى أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس - المعروف بابن الكتانى - الدمشقى، شيخ الشافعية، بالقاهرة فى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان.

وتوفى قاضى القضاة الشافعى بدمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى الشافعى، بعد ما ألقته بغلته بأسبوع، فى جمادى الأولى بدمشق.

وتوفى الشيخ زكى الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الجليل - المعروف بابن القويع - القرشى التونسى المالكى، صاحب الفنون الكثيرة، بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

توفى شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى فى حادى عشرى المحرم، ودفن بالقرافة.

وتوفى شيخ الإسلام شرف الدين هبة الله ابن قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن أبى الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [١] بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد المعروف بابن البارزى - الشافعى، قاضى حماة، فى نصف ذى القعدة؛ ومولده فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير طغجى.

ومات الأمير آقول الحاجب.

ومات الأمير ظلطية كاشف الوجه القبلى.

ومات كاتب السر محيى الدين بن يحيى ابن فضل الله بن مجلى العمرى، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان.

وتوفى جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة، وكان قد ولى قضاء دمشق بعد علم الدين الأخنائى ثم عزل.

* * *

---

(١) هبة الله عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم شرف الدين بن البارزى الجهنى الحموى: قاض حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية من أهل حماة. ولى قضاءها مدة طويلة بلا أجر وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى وذهب بصره فى كبره ومات وأغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا منها «تجريد جامع الأصول فى أحاديث الرسول -خ». انظر نكت الهميان ٣٠٢ وابن الوردى ٢:٣١٩ والدرر الكامنة ٤٠١/٤ والبداية والنهاية ١٨٢/١٤ السبكى ٢٤٨/٦ وغاية النهاية ٣٥١/٢ النجوم الزاهرة ٣١٥/٩ ومفتاح السعادة ٢٢٤/٢ وكشف الظنون ١٠٤٤ والأعلام ٧٣/٨.

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

فى أول المحرم: قبض على امرأة خناقة، وقتلت.

وفيها قدم رسل الملك أزبك صحبة الأمير سرطقطاى مقدم البريدية بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان؛ فجهزت إليه هدية، وأنعم على رسله وأعيدوا وكان سرطقطاى قد توجّه رسولا إلى أزبك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وفيها قدم الخبر بأن القان الكبير عزم على المسير إلى العراقين، وقدّم أمامه عسكرا ليسير إذا أخذ العراق إلى الشام. فسار ثمانى مراحل، وبعث الله على ذلك العسكر ريحا سوداء، ثم صارت زرقاء تشتعل نارا، فيسقط الفارس وفرسه ميتين عند هبوبها؛ وتمادى هبوبها يومين، وكانوا زيادة على مائة ألف فارس، فلم يرجع منهم إلى القان إلا نحو عشرة آلاف وهلك باقيهم. فسر السلطان بذلك.

وفيها قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء السلطان، وقد كثرت شكاية الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية، وقد شفع فيه الأمير تنكز نائب الشام فقدم الأفضل للسلطان والأمراء تقادم جليلة، ثم سافر إلى بلده بعد ما وصّاه السلطان بحضرة القضاة، وعدّد ذنوبه، وأخبره أنه قبل فيه شفاعة نائب الشام، ثم خلع عليه وسفّره.

وفيها اشترى بدر الدين أمين الحكم ملكا لبعض الأيتام، فحضر إليه العلم القراريطى شاد القراريط يطلب منه موجب الديوان عن الملك المذكور؛ فأفضى الحال بينهما إلى مفاوضة بمجلس قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، أطلق فيها العلم لسانه بما أوجب تعزيره؛ فانصرف إلى النشو وعرّفه أنه لما طالب أمين الحكم بالقراريط [1] عزّره ابن جماعة وكشف رأسه، فحرّك ذلك منه كامنا كان فى نفسه من ابن جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وشنع عليه بأن أمين الحكم لما امتنع من دفع القراريط عن الملك أخرج إليه العلم مرسوم السلطان وعليه «محمد بن قلاوون»، فأخذه منه ورماه بالأرض عند النعال، وقال: «تجعل فى مجلس الحكم الباطل حقًّا لتأخذ أموال الأيتام؟»، ثم كشف رأسه وضربه بالدرة [2]. فغضب السلطان وطلب أمين الحكم، وأمر طاجار الدوادار

---

(١) القراريط مكس من المكوس السلطانية بمصر. انظر المواعظ والاعتبار ١٠٦/١.

(٢) الدرة السوط يضرب به. (قاموس المحيط).

بضربه؛ فضربه على باب القصر بالقلعة - والنشو جالس - ضربا مؤلما وقطع أكمامه؛ وشهره بالقلعة ونودى عليه: «هذا جزاء من يمنع الحقوق السلطانية»؛ وألزم بحمل عشرين ألف درهم، ورسم عليه، فقام بخمسة عشر ألف درهم.

وفى شهر ربيع الأول: قبض على أوحد الدين شيخ خانكاه بيبرس - وهو بالروضة تجاه مصر - على حال غير مرض؛ وأخرج إلى القدس منفيا.

وفيها قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طرندة [1] من بلاد الروم، وأخذ ما فيها من الأموال، وأن الأمير تنكز بعث إليها الأمير علاء الدين على بن صبح. فسرّ السلطان بذلك، وبعث بتشريف لابن دلغادر، وشكره وأثنى عليه.

وفيه استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار فى نيابة حمص، بعد وفاة الأمير جركتمر.

وفيه أخرج الأمير منكلى بغا الفخرى إلى دمشق؛ واستقرّ من مقدمى الألوف بها.

وفيه أنعم على كل من قطليجا الحموى وطاجار الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفى ربيع الآخر: قدم الأمير ألطنبغا نائب حلب، وصحبته تقدمة جليلة؛ وأخلع جليلة عليه عند وصوله، وعزل عن نيابة حلب، واستقرّ من كبار الأمراء بالديار المصرية.

وفى تاسعه: سارت الحرّة المغربية عائدة إلى بلادها، بعد قضاء حجّها.

وفى حادى عشر جمادى الأول: قدم الأمير تنكز نائب الشام. وذلك أن ابنته التى تحت السلطان قرب وضع حملها، فكتب السلطان يستدعيه - ومعه أهله وأولاده - لأجل مهمّ ابنته وتقدّم السلطان إلى النشو بعمل بشخاناه وداير بيت من حرير مخمل، ويزركشهما بمائة ألف دينار؛ وأمره أن يجهز خمسين تشريفا للأمراء، منها ثلاثة وعشرين تشريفا أطلس بحوائص ذهب كاملة، وبقيتها ما بين طرد وحش ومصمط؛ و طلب إليه أيضا أن يجهز ما تحتاج إليه النفساء، وما يحتاج إليه من السروج ونحوها، وما يحتاج إليه المهمّ مما يبلغ زيادة على ثلاثمائة ألف دينار.

فأخذ النشو فى التدبير لذلك، ورتّب جهاته من ثمن سكر وعسل وقندر وقماش وخشب يطرحه على الناس، وعمل أوراقا بمظالم اقترحها بلغت جملتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة، وأعلم بها السلطان من الغد. وطرح النشو ما عنده من

---

(١) طرندة هى بلدة على مسافة ثلاث مراحل من ملطيه بأطراف أسيا الصغرى. انظر معجم البلدان ٣/٥٣٤.

البضائع على الناس بمصر والقاهرة، حتى زلزلهما بكثرة العقوبة، ولم يراع أحدا فخنق من ذلك الأمير الحاج آل ملك، وبلغ السلطان ما نزل بالرعية من الظلم، فلولا ما كان من ملاطفة الأمراء فى الحال لكان له وللسلطان شأن غير مرضى.

فلما قدم البريد بتوجه الأمير تنكز من غزة إلى القاهرة، بعث السلطان بالأمير قوصون إلى لقائه ومعه المطبخ، وركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ومعه أولاده فنزل قوصون السعيدية، وهيأ الأسمطة الجليلة؛ وتلقّى الأمير تنكز وترجّل إليه، فنزل الأمير تنكز أيضا، ومشيا خطوات حتى تعانقا، وركبا إلى الخيمة التى نصبها السلطان للأمير تنكز. فلما انقضى السماط ركب تنكز فتلقاه أوّلا أولاد السلطان، فترجّل لهم؛ ثم سار وهم معه، فتلقّاه السلطان وأكرمه غاية الكرامة. ثم سار السلطان من الغد وطلع قلعة الجبل، وخلع عليه وعلى أولاده وأمّرهم، فدخلوا وأهليهم إلى الدور.

وفيه رسم بخروج الأمير ألطنبغا نائب حلب إلى نيابة غزة وخلع عليه، فاتهم الأمير تنكز بأنه حمل السلطان على ذلك.

ونزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافورى من القاهرة، وجهّز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء، وحملها من الغد؛ وكانت شيئا يجلّ عن الوصف: فيها من صنف الجوهر ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن الزركش عشرون ألف دينار، ومن أوانى البلّور وتعابى القماش والخيل والسروج والجمال البخاتى ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار. فلما انقضت نوبة التقادم أدخله السلطان إلى الدور حتى رأى ابنته، وقبّلت يده. ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهنّ بتقبيل يده، وهو يقول لهنّ واحدة بعد واحدة: «بوسى يد عمك»؛ ثم عين منهنّ اثنتين لولدى تنكز. فقبّل تنكز الأرض وخرج والسلطان يحادثه.

وتقدّم السلطان إلى النشو بتجهيز تنكز إلى الصعيد للصيد، ثم ركب وتوجه إلى بلاد الصعيد وتنكز معه؛ فكان من إكرامه له فى هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله. فلما عاد السلطان أمر النشو بتجهيز كلفة عقد ابنى تنكز على ابنتيه، وكلفة سفر تنكز إلى الشام. فأخذ النشو أموال التجار وغيرهم، وجمع أربعة عشر ألف دينار، حمل منها برسم المهر أربعة آلاف دينار؛ وجهّز تنكز باثنى عشر ألف دينار. وعقد لولدى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الأمير قوصون، بحضرة القضاة والأمراء.

ثم ولدت ابنة تنكز من السلطان بنتا، فسجد تنكز لله شكرا بحضرة السلطان، وقال: «وا لله ! يا خوند ! كنت أتمنى أن تكون المولودة بنتا، فإنها لو وضعت ذكرا كنت

أخشى من كمال السعادة. فإن السلطان تصدّق علىّ بما غمرنى به من السعادة، فخشيت من كمالها».

وأخذ السلطان مع النشو فى تجهيز تنكز على عادته، وأمره أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابى؛ ورتب السلطان ذلك بنفسه، فكانت قيمته مائة وخمسين ألف دينار عينا؛ وكان تنكز قد أقام مدة شهرين، وراتبه السلطانى فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

فلما وادع تنكز السلطان سأله فى إعفاء الأمير كجكن من الخدمة، وأن ينعم عليه بسفر لؤلؤ الحلبى إلى الشام ليستقر فى شدّ عداد الأغنام، وأن ينقل الأمير بيبرس الحاجب من حلب إلى دمشق، وأن ينعم على قرمشى بإمرة ويستقرّ حاجبا بدمشق عوضا عن علاء الدين بن صبح فأجابه السلطان إلى ذلك كله، وكتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع المماليك الشامية بأسرها، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته: «أعز الله أنصار المقر الشريف»، بعدما كانت «أعز الله أنصار الجناب»، وأن يزاد فى ألقابه: «الزاهدى العابدى العالمى كافل الإسلامى أتابك الجيوش». وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم؛ وحصل لها من الدور ثلاث بدلات زركش، وثلاثون تعبية قماش، وأربع بدلات مقانع، وخمسمائة دينار، فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم. ثم كان آخر ما قال له السلطان: «أيش بقى لك حاجة؟ أو فى نفسك شىء أقضيه قبل سفرك؟» فقبّل تنكز الأرض، وقال: «والله ! يا خوند! ما بقى شىء أطلبه إلا أن أموت فى أيامك»؛ فقال السلطان: «لا! إن شاء الله يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك، أو أكون بعدك بقليل».

فقبل تنكز الأرض وانصرف، وقد حسده جميع الأمراء، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزّة. واتفق ما قاله السلطان، فإنه لم يقم بعد موت تنكز إلا قليل، ومات كما سيأتى ذكره.

وفيها أنعم على الأمير يلبغا اليحياوى بالمنزلة من أعمال أشموم [1]، فركب إليها النشو وحفر لها ترعة، وأخرق بمتولى أشموم، وألزم آقبغا السيفى متولى الغربية بمائة ألف درهم.

وفيه استقرّ علاء الدين على بن الكورانى فى ولاية الغربية عوضا عن آقبغا السيفى؛

---

(١) أشموم اسم لبلدتين بمصر. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

واستقرّ شهاب الدين بن الأزكشى فى ولاية الأشمونين [١] عوضا عن ابن الكورانى؛ واستقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الشرقية، عوضا عن ابن الأزكشى.

وفى مستهلّ جمادى الأولى: صُلى صلاة الغائب بمصر والقاهرة على قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى، فاستقرّ عوضه الشيخ تقى الدين على بن السبكى.

وفيه أخرج آقوش الزينى إلى حلب.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أيدمر العمرى إلى صهيون، وأنعم بإقطاعه على ولده أبى بكر؛ فأحاط النشو بموجوده، وأخذ له ثمانين ألف دينار.

وفيه قدم البريد بأن التركمان ساقوا إلى دمشق عشرين ألف رأس من الغنم ليبيعوها بالقاهرة، فلما حضرت رسم ألا يؤخذ منهم المقرّر - وهو أربعة دراهم الرأس - بل يؤخذ عن كل مائة درهم خمسة دراهم. وكان التركمان قد شكوا من أزدمر والى بهنسا [٢] فكشف عنه فوجد أنه كثر ظلمه وأخذه لأموال الرعية، فأحيط بضياعه وأمواله، وأنعم ببعض ضياعه على الأمير تنكز نائب الشام، ووقف بعضها على قلعة طرندة ببلاد الروم.

وفيها قدم الشريف مبارك بن عطيفة بخيله، فسجن مع أبيه، لكثرة إفساده بالحجاز.

وفيها اتفق موت ابنة الأمير الكبير شمس الدين إلدكز المنصورى - زوجة الأمير ناصر الدين بن المحسنى - بعد عودها من طرابلس [٣]، عن بنت وأخت وزوج؛ فأخذ النشو جميع مخلفها، وكان شيئا كثيرا.

وفيها مات بعض الكتاب وترك بيتا على الخليج، فلم يجسر أحد يشتريه إلى أن قلبته ابنة الأمير قطز بن الفارقانى لتشتريه فلم يعجبها؛ فألزمها النشو أن تشتريه بمائة ألف درهم، فمازالت به حتى صالحها على شىء حملته وتركها.

وفيها هلك بطريق النصارى الأقباط، فنزل النشو إلى الكنيسة وأخذ كل ما فيها من حاصل ذهب وفضة وشمع وغيره.

---

(١) أشمون قصبة كورة الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) بهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٥١٦/٩٧.

(٣) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر ياقوت معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار٣٨٩، ٣٩٠.

وفيها ماتت امرأة ظلظية الكاشف، وقد تزوجت بعده وخلفت ولدا ذكرا؛ فأخذ النشو موجودها كله بحجة أن ظلظية أخذ مال السلطان وتركه بعد موته عندها.

وفيها ظفر النشو بحلى لنساء أمين الدين قرموط، فأغرى به السلطان حتى سلم ولده وصهره وأهله لوالى القاهرة.

وفيها جدّد النشو الطلب على أولاد التاج إسحاق، وعوقب نساءهم حتى مات بعضهنّ من العقوبة.

وفيها طلب النشو المال الحاصل بالمارستان المنصورى، فقام الأمير سنجر الجاولى فى ذلك، حتى أن ابتيع للوقف من أراضى بهتيت من الضواحى مائتان وخمسون فدانا وأربعمائة ألف درهم؛ وحملت إلى النشو.

وفيها قبض على شهاب الدين [(١)] أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله، فى رابع عشرى شعبان. وسببه أن الأمير تنكز لما سأل السلطان أن يولى علم الدين محمد ابن القطب أحمد بن مفضل كاتب السرّ بدمشق، وأجابه السلطان وخلع عليه، حدّث شهابُ الدين السلطانى فى أمره، وقال: «هذا رجل قبطى لا يدرى هذه الصناعة !»، فلم يعبأ بقوله. ثم رسم السلطان أن تكثر ألقاب علم الدين ويزاد فى معلومه، فامتنع شهاب الدين من ذلك واحتدّ خلقه، وفاجأ السلطان بقوله «كيف يكون رجل أسلمى ملته كاتب السر، وتزيد فى جامكيته؟ ما يفلح من يخدمك، وخدمتك علىّ حرام»؛ ونهض من بين يدى السلطان قائما. فما شكّ الأمراء فى أن السلطان يضرب عنقه، فرعى فيه حق أبيه و لم يؤاخذه. ودخل شهاب الدين على أبيه محيى الدين وعرّفه ما كان منه، فخاف خوفا شديدا، وقام مع الأمراء فى ترقيع هذا الخرق، ودخل إلى السلطان فقبّل الأرض وطلب العفو؛ فعرّفه السلطان أنه لأجله حلم عليه وصفح عنه، ورسم أن يدخل ابنه علاء الدين علىّ فى المباشرة عنه، عوضا عن شهاب الدين. فاعتذر محيى الدين بأن ابنه علاء الدين صغير لا ينهض أن يقوم بأعباء الوظيفة، فقال

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمماليك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسل والإنشاء عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» كبير -طبع المجلد الأول منه، قال فيه ابن شاكر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله وله «مختصر قلائد العقبان - خ». انظر فوات الوفيات ١/٧والسحب الوابلة وابن الوردى ٢/٣٥٤ والدرر الكامنة ١/٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٣٤ والأعلام ١/٢٦٨.

السلطان: «أنا أربيه كما أعرف». فباشر علاء الدين عن أبيه إلى أن مات أبوه، وشهاب الدين منقطع بداره طول تلك المدة من الغبن.

فلما كان فى يده هذه السنة شكا قاضى القضاة عز الدين بن جماعة أنه كتب توقيع لابن الأنصارى برجوعه إلى مباشرته، ورماه بقوادح. فطلب السلطان الأمير طاجار وأنكر عليه، فأحال على علاء الدين بن فضل الله أنه أعطاه قصته. فطلب السلطان علاء الدين وأنكر عليه، فاعتذر بأن أخاه شهاب بعث بها إليه فاستقبح ردّها عليه. فقال له السلطان:«لا تكن تسمع من أخيك، فإنه نحس وما يقعد حتى أفعل به وأفعل به» فلم تمض إلا أيام حتى رفع شهاب الدين قصة يشكو فيها كثرة كلفه، ويطلب الإذن بالتوجه إلى دمشق؛ فذكر السلطان بنفسه، وأمر به فقبض عليه، وحمل إلى القلعة. ورسم السلطان لطاجار والدوادار أن يعرّيه فى قاعة الصاحب، ويضربه حتى يلزم بحمل عشرة آلاف دينار، أو يموت تحت العقوبة ؛ فعندما عرّاه طاجار رجف فؤاده وارتعدت مفاصله، فإنه كان ترفا ذا نعمة لم تمرّ به شدّة قط؛ فكتب خطه بعشرة آلاف دينار. ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ له نحو خمسين ألف درهم؛ وباع قماشه وأثاثه وأملاكه بدمشق حتى حمل مائة وأربعين ألف درهم؛ وسكن الطلب منه.

وفيها وشى النشو بالأمير آقبغا عبد الواحد أن له خمسة آلاف رأس من الغنم، قدمت من بلاد الصعيد ورعت براسيم الجيزة، ومضت إلى الغربية فرعت الزرع فطلبه السلطان وأخرق به، فلولا شاء الله أن يتلطف الأمير بشتاك فى أمره وإلا أوقع به المكروه.

وفيها خلع على الأمير عز الدين أيدمر كاشف الوجه القبلى، واستقر فى كشف الوجه البحرى.

وفيها أنشأ السلطان القناطر بجسر شيبين. وذلك أن بلاد الشرقية كانت لا تروى إلا من بحر أبى المنجا، وفى أكثر السنين تشرق بلاد العلو منها، مثل مرصفا وسنيت [١] وكان للأمير بشتاك بها ناحية شرقت، فركب السلطان للنظر فى ذلك وصحبته المهندسون، وكشف عدة مواضع؛ وكان له بصر جيد وحس صحيح، فوقع اختياره على عمل جسر من شيبين إلى بنها العسل، وتعمر عليه قناطر لتحبس الماء، فإذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت المخازن رجع الماء إلى هذا الجسر ووقف عليه؛ فوافقه المهندسون على ذلك. ورجع السلطان إلى القاهرة، فكتب إلى الأعمال بجمع اثنى عشر ألف راجل

(١) سنيت إحدى قرى مركز بنها من مديرية القليوبية. فهرس مواقع الأمكنة، ص٥.

وتجهيز مائتى قطعة جراريف. فلم تمض إلا أيام حتى قدم مشدّو البلاد بما عليهم من الرجال، وشرعوا فى العمل حتى تمّ فى ثلاثة أشهر؛ وكان يصرف فى كل يوم أجرة رجال وثمن كلف مبلغ أربعين ألف درهم من مال النواحى التى للأجناد. فلما كانت أيام النيل أبطل السلطان وفتح عوضه سدّ شيبينى؛ فرويت البلاد كلها، وروى مالم يكن يروى قبل ذلك واستنجزت عدة أماكن.

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الكرك، وإسرافه فى العطاء لواحد منهم اسمه الشهيب، وكان جميل الصورة، وقد هام به أمير أحمد غراما وتهتك فيه. فلم يخرج أحد من الأمراء إلى لقائه، فطلع مع بكتاش النقيب وحده؛ فتلقاه طاجار من باب القلّة، ودخل به حتى قبّل الأرض، ووقف واسعة؛ ثم رسم له بتقبيل اليد، ومضى إلى الدور من غير أن يقبل السلطان عليه. وأمر السلطان بعقوبة الشاب الذى كان يهواه حتى يحضر المال الذى وهبه له؛ فبعث أحمد إلى الأمراء بسببه حتى عفى عنه ومازال يجدّ فى أمره إلى أن أذن له أن يدخل عليه ويقيم عنده.

وفيها أنعم السلطان على الأمير ملكتمر الحجازى بإقطاع بهادر المعزى بعد موته، وزاده النحراوية وكانت عبرتها فى الشهر سبعين ألف درهم.

وفيها توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس، لكشف البلاد التى أنعم بها عليه؛ فمرّ على حماة، ونادى بها ألا يقف أحد لملك الأمراء بقصة، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة؛ وخلع على صاحب حماة. ومضى تنكز إلى حلب ودخل بلاد سيس؛ فأهدى إليه تكفور هدية سنية مع أخيه، فقبلها وخلع عليه؛ وعمر تنكز تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال، وعاد.

وفيها عملت أوراق بما على الدولة من الكلف، فبلغت نحو مائتين وثمانين ألف درهم فى الشهر، فوفرّ السلطان منها ما يصرف للمباشرين والأمراء من التوابل، ووفّر شيئا من مصروف العمائر، ووفّر الدجاج المرتب برسم السماط والمخافى [١] الخاصة بالسلطان، والمخافى التى تحمل الطيور المطبوخة؟ كلّ يوم إلى الأمراء وعدّتها سبعمائة طائر فى كلّ يوم؛ فكانت جملة ما توفّر فى كلّ شهر مبلغ تسعين ألف درهم. واتفق بعد ذلك أن السلطان طلب أربعة أطيار دجاج، فكتب بها وصول من بيت المال؛ فاستقبح الناس ذلك، ونسب توفير ما توفر إلى النشو.

---

(١) المخافى جمع مخيفية وهى طبق واسع كبير العمق يشبه فى شكله ما كان يعرف من الآنية فى العصور الوسطى باسم طيفور وهو الآن يعرف باسم سلطانية أو زبدية.

وفيها التزم النشو بتدبير الدولة، على أن يتسلم الجهات [1]، فأجيب إلى ذلك. فطلب السلطان الشمس نصر الله وخلع عليه، واستقر به نظر الجهات عوضا عن [...] [2]؛ وخلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبدا لله بن الغنام، واستقرّ به نظر الدولة، عوضا عن العلم بن فخر الدولة؛ وولى استيفاء الصحبة كريم الدين أخو تاج الدين المذكور. وجلس النشو فى قاعة الصاحب بالقلعة، وضرب يعقوب مستوفى الجهات بالمقارع، وألزمه بمال كثير؛ وألزم جميع مباشرى الدولة من الكتاب والشهود والشادّين بحمل معاليمهم المقرّرة لهم عن أربعة أشهر، واحتجّ عليهم بأنهم أهملوا مال السلطان؛ فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر وقطع عليق جميع الأمراء والدواوين وبعض الخاصكية، وطلب أرباب الأموال من أهل النواحى، وأوقع الحوطة على موجودهم، ولم يدع من يشار إليه بغنى أو زراعة إلا وألزمه بمال. حتى مشى على والى المحلة، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالا كثيرا، فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم. وكتب النشو لجميع الولاة بشراء الشعير، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب، وعن الحمل التبن درهما. فشكا الجند ذلك، فلم يلتفت السلطان إليهم.

وفيها استقرّ المخلص أخو النشو مباشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وخلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمائة درهم، وجهز له حمار بألف درهم، وعدّته بخمسمائة درهم.

وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين وبين الروم، قتل فيها خمسمائة نفس؛ ونهب ابن دلغادر من أموال الروم شيئا كثيرا، ردّ منه بعدما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وجمال.

وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه القبلى والوجه البحرى، حتى خرج فى ذلك عن الحدّ، وادَّغر [3] الناس على اختلاف طبقاتهم.

وفيها استقرّ زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلقيائى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن على بن عثمان - المعروف بابن خطيب جبرين [4].

---

(١) الجهات المقصود بها الحاصلات السلطانية. انظر الأعشى (٣٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ادَّغر أى: أن النشو ضغط الناس وأساء إليهم حتى استسلموا. انظر محيط المحيط.

(٤) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الختعمى التيمى الطائى. أبو عمرو فخر الدين. ابن=

وفيها استقرّ شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصارى المصرى فى كتابه السرّ بحلب، عوضا عن تاج الدين محمد بن الزين خضر.

وفيها حدثت زلزلة بطرابلس[١] فى رجب، هلك فيها ستون إنسانا.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا وعشر أصابع، فلم ترْوُ الأراضى كلها، وغرق كثير منها، وتحسنت أسعار الغلال، وكانت سنة كثيرة الحوادث.

* * *

ومات فيها من الأعيان

جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المكين الإسنائى الفقيه الشافعى بإسنا[٢] - وقد جاوز السبعين - فى شوال.

وتوفى الأديب أبو المعالى خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجى المصرى، عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى[٣].

=خطيب جبرين: قاض من فقهاء الشافعية كان من معارفه الأدب والموسيقا ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها وصنف «الشرح الشامل الصغير -خ». انظر ابن الوردى ٣٢٣/٢ وإعلام النبلاء ٥٦٩/٤ وشذرات الذهب ٩٣/٦ والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٩ وغاية النهاية ٥٠٧/١ والدرر الكامنة ٤٤٣/٢ - ٤٤٦ والأعلام ٢١٠/٤.

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة فى أعمالها، وحول مدينتها أشجار الزيتون. انظر: معجم البلدان ٢٥/٤، ٢٦، والروض المعطار ٣٩٠. ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) إسنا: بالكسر ثم السكون، ونون، وألف مقصورة: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة. انظر: معجم البلدان ١٨٩/١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف، منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى - خ» فى طوبقبو (٢:٦) و«كشف المعانى فى المتشابه فى المثانى - خ» و«غرة التبيان لمن لم يسم فى القرآن - خ» و«تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم - ط» وأراجيز فى «قضاة مصر - خ» و«قضاء دمشق - خ». و«الفوائد الغزيرة من حديث بريرة - خ» قطعة منه، فى المكتبة العربية بدمشق. انظر: فوات الوفيات ٢:١٧٤، ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٢:٤٨٠.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب[١] فخر الدين عثمان بن زين الدين على بن عثمان[٢] ـ المعروف بابن خطيب جبرين ـ الفقيه الشافعى، بالقاهرة فى المحرم، وله مصنفات فى الفقه والأصول.

وتوفى علاء الدين على بن بلبان الفارسى الجندى الفقيه الحنفى[٣] بالقاهرة عن أربع وستين سنة.

ومات أمير على بن أمير حاجب، كان والى مصر، وأحد أمراء العشرات، وكانت وفاته وهو معزول، وقد عنى بجمع القصائد النبوية، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المعزى أحد أمراء الألوف، فى ليلة الجمعة تاسع شعبان، وبلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النشو.

ومات علم الدين عبد الله بن كريم الدين الكبير.

ومات ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن على ـ المعروف بابن الحلى ـ بالقدس، وكان قد قدم إليها، فولى عوضه نظر الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان الحلبى.

---

(١) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رحل العمالقة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦/ ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

(٢) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الخثعمى السنبسى الطائى أبو عمرو، فخر الدين، ابن خطيب جبرين: قاض من فقهاء الشافعية، كان من معارفه الأدب والموسيقى. ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها. وصنف شرحه «الشامل الصغير ـ خ» فى فقه الشافعية، و«شرح مختصر الحاجب» فى الأصول، و«شرح البديع» لابن الساعاتى، أصول. وله «الفرائض» كتابان أحدهما نظم والثانى نثر، ومجموع فى «اللغة» صغير. ورفعت عنه شكاية إلى السلطان بمصر، فطلب إليها، ومرض فتوفى بالقاهرة. وجبرين التى ينسب إليها: من قرى حلب. انظر: ابن الوردى ٢:٣٢٣، وإعلام النبلاء ٤:٥٦٩ وشذرات الذهب ٦:٩٣، وغاية النهاية ١:٥٠٧، الدرر الكامنة ٢:٤٤٣-٤٤٦.

(٣) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسى، المنعوت بالأمير: فقيه حنفى، سكن بالقاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السنية فى الأحاديث الإلهية ـ خ» و«الأحاديث العوالى ـ خ» و«المناسك». انظر: الفوائد ١١٨ والجواهر المضيئة ١:٣٥٤ والدرر الكامنة ٣:٣٢.

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم القزوينى الشافعى[١] بدمشق فى يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة، ومولده بالموصل[٢] فى سنة ست وستين وستمائة.

ومات الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزلى بخليص[٣] وهو محرم فى رابع ذى الحجة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر[٤] بعدما ولى بالقاهرة شدّ الخاص وشد الأوقاف وشد المارستان وشد الدواوين، وصار يضاهى الوزراء.

ومات السعيد بن الكردوش، وأخذ له النشو بعد موته خمسة عشر ألف دينار .

ومات الأمير بدر الدين بيليك المحسنى بطرابلس، بعدما كان والى القاهرة.

وتوفى المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر[٥] الجزرى الدمشقى، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى بدر الدين محمد بن عز الدين محمد بن عبد القادر ابن الصائغ الأنصارى الدمشقى الشافعى.



(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاء بمصر سنة ٧٢٧هـ، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ، ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح - ط» فى المعانى والبيان و«الإيضاح - ط» فى شرح التلخيص. انظر: لفظ الفوائد - خ. ومفتاح السعادة ١٦٨:١ ثم ٢١٧:٢. البداية والنهاية ١٨٥:١٤ والدرر الكامنة ٣:٤.

(٢) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر: معجم البلدان ٢٢٣/٥، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة المشتاق ١٩٩.

(٣) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٤٤٩/٥، ٤٥٠.

(٤) قلعة شيزر: بتقديم الزاى على الراء، وفتح أوله: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، فى وسطها نهر الأردن عليه قنطرة فى وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد فى كورة حمص وهى قديمة. انظر: معجم البلدان ٢٨٣/٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٥) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى شمس الدين، أبو عبد الله: مؤرخ دمشقى المولد والوفاة. له كتاب «التاريخ المسمى بحوادث الزمان وأنبائه - خ» جزءان منه، ومرتبان على السنين، ويبتدئ أحدهما بحوادث سنة ٦٠٨-٦٥٨هـ. وهو من مخطوطات خزانة الرباط (١٩٤ أوقات) ويبتدئ الثانى وهو الأخير منه بحوادث سنة ٧٢٦هـ، وينتهى بسنة وفاته (٧٣٩هـ). انظر: الدرر الكامنة ٣٠١:٣ وذيل تذكرة الحفاظ، للحسينى ٢٢ طبعة القدس.

سنة أربعين وسبعمائة

فى يوم السبت مستهل المحرم: قدم رسول الأمير يوسف بن أتابك الكردى - صاحب الجبال ووطاة نصيبين - يخبر بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب فى الانتماء إلى السلطان وضرب السكة فى بلاده باسمه، وطلب نجدته بعسكر يتسلم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها، وأن يشرف بصناجق سلطانية عليها اسم السلطان لتعينه فى غاراته، فأجيب بالشكر، وجهزت له هدية وخيول وسلاح.

وفيه: قدم الخبر بكثرة الفتن والغارات والاختلاف ببلاد المشرق، من نحو الصين وبلاد الخطا إلى ديار بكر.

وفيه: قدم مبشرو الحاج برخاء الأسعار وسلامة الحاج.

وفى يوم الأحد ثانيه: قدم الأمير بشتاك من الحج، وطلع القلعة بعد الظهر فى اثنى عشر رجلا - منهم أربعة نجابة - وصحبته الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب. وكان السلطان والأمراء أجيبوا لنواب قد قدموا له عند سفره شيا يجل عن الوصف، فبعث السلطان له مائتى ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيا وستين جملا. فلما قدم مكة فرق فى الأمراء مالاً كثيرًا، فبعث إلى كل من الأمراء المقدمين ألف دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، وفرق فى الأجناد، وبعث إلى بيوت الأمراء بمال كثير، ثم استدعى المجاورين جميعهم والأشراف وغيرهم من أهل مكة والزيالعة، وفرق فيهم المال، ولم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفًا، فكان جملة ما فرق بشتاك ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، سوى ما وصل إليه فى المراكب من الغلال. فلما قدم بشتاك المدينة النبوية بعد قضاء نسكه فعل بها خيرًا كثيرًا، ومضى منها إلى الكرك[1] فتلقاه الأمير شطى بن عبية أمير آل عقبة فى أربعمائة فارس من عربه وأضافه، ثم سار بشتاك ومعه الأمير شطى ومن معه من العرب إلى العقبة[2] وقدم إلى القاهرة ثانى المحرم كما تقدم.

وفى رابع عشريه: قدم ركب الحاج.

---

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) سبق ترجمتها.

وفيه انقطع مقطع بالقناطر التى أنشأها السلطان على جسر شيبين، فركب إليه الأمير برسبغا الحاجب، وجمع له من النواحى أربعة آلاف رجل، واستدعى بالأخشاب والصوارى من دار الصناعة بمصر، وغرّق فيه عدة مراكب. فأقام برسبغا اثنين وعشرين يومًا حتى سد المقطع، وبلغ المصروف عليه فى ثمن مراكب غرقت وثمن صوارى وحجارة وجير وجبس وحلفا وأجرة رجال ثلاثين ألف دينار، غير سخر البلاد.

وفيها قدم زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى قاضى حلب باستدعاء، فولى عوضه برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعنى.

وفى هذا الشهر: وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير يلبغا اليحياوى، وأخت خوند زاد وزوجة السلطان، فعمل لها السلطان مهما عظيما، أقامت الأفراح سبعة أيام بلياليها، ولم يبق أحد من الأمراء إلا وبعث بزوجته، ففرق السلطان فى نساء الأمراء جميعهن ما بين خمسمائة دينار إلى أربعمائة دينار إلى ثلاثمائة الواحدة. وكان السلطان قد عمل للنفساء قبل ولادتها داير بيت وبشخاناه ونحو ذلك بعشرين ألف دينار، وعمل لها عصابة مرضعة بأنواع الجواهر قوّمت بخمسين ألف دينار، وأنعم على زوجها بثلاثة آلاف دينار.

وفى يوم الإثنين ثانى صفر: قبض على النشو، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله، وعلى أخيه المخلص، ورفيقه مجد الدين، وعلى صهره ولىّ الدولة.

وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد، خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة، ورتب مع أصحابه ذلك.

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيدله ظل منهم على آبدة، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاءٌ يعذبهم الله به من الغد على يده، فكان مما اقترحه أن رتب أوراقًا تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عينًا، وقرأها على السلطان: ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس[1] والمنصورية قلاوون[2] فى إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها

---

(١) نسبة إلى بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار. مولده بأرض القبجاق. وأسر فبيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة. واشتراه الأمير علاء الدين حتى قبض عليه الملك الصالح. فأخذ بيبرس وجعله من خاصة خدمه ثم أعتقه وقاتل مع قطز التتار ثم قتله وتولى سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ) وتلقب بالملك القاهر أبى الفتوحات ثم بالملك الظاهر. وفى أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ. انظر: فوات=

مائة ألف وستون ألف أردب، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، ومنها الرزق الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك، وهى مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان ـ وقرر النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوى السلطانية المذكورة، بأن يلزم متولى كل إقليم باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما هو وقف عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان، ومنها أراضى الروضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقى الأقصاب ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان ـ وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضى الروضة للخاص، وأن يقاس ما أبيع منها، ويؤخذ ممن هى بيده تفاوت قيمتها، أو تجدد عليه إجارة للسلطان بالقيمة ـ، ومنها أرباب الرواتب السلطانية، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلمانهم ونساؤهم، ويكتبونها باسم زيد وعمرو، ومنها ما هو مرتب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات ـ وقرر النشو مع السلطان عرض جميع أرباب الرواتب والنظر فى تواقيعهم، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحق على ما بيده، وأخذ تواقيع من عداهم وإلزامه بحل جميع ما استأداه من تاريخ توقيعه إلى آخر وقت، ومنها ذكر حواصل الأمير آقبغا عبد الواحد، وتفصيل ماله من أملاك وأراضى ومتاجر ومرتبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر، وتفصيل ما حُمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف ـ وذكر النشو العمائر التى عمرها آقبغا من ديوان السلطان وما له ببلاد الشام، وجملتها وحدها خمسمائة ألف دينار، سوى ما له بديار مصر، ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم، وتفصيل أملاكه. وقرر النشو مع السلطان القبض على آقبغا وطاجار، فوافقه السلطان على ذلك.

=الوفيات ١:٨٥ والنجوم الزاهرة ٧:٩٤ والأعلام ٢/٧٩.

(٢) نسبة إلى قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر.

كان من المماليك، قبجا قنى الأصل. أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٧:٢٩٢ وفوات الوفيات ٢:١٣٣ والأعلام ٥/٢٠٣.

وكان أول ما بدأ به النشو أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها من مذدرعها وأراضى دورها، وألزم أرباب الدور التي بها بإحضار كتب دورهم، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها، ووكّل ابن صابر باستخراج ذلك منهم، وأخذ عن البروز فى الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم.

وأمر النشو مباشرى الجوالى بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب إلى جميع الأعمال بحمل مال الجوالى إلى خزانة الخاص، ومن تعجل منها شيا يستعاد منه، فجمع من ذلك مالا كبيرًا. فانزعج الناس كلهم، ولم يتجاسر أحد من الأمراء على السلطان فى الحديث معه فى ذلك، حتى ذكر السلطان لهم أن له نحو المائتى ألف أردب غلة فى البلاد وأنه يريد أخذها، فتلطف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى وجنكلى بن البابا حتى سمح بأن يتمهل بطلبها حتى يفرغ الحرث ويقبض المغلّ.

فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم، وألزم المباشرين بعمل الحساب وحمل ما تحت أيدهم من ذلك، وألزم جميع أرباب الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث البريد إلى الأعمال بذلك، وألزم ديوان الأحباس بكتابة الرزق كلها، فزلزل أرض مصر قبليها وبحريها، ولم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون، فإنهما كانا إذا بعثا إليه فى شفاعة رد عليهما ردًّا جافيًا وأغلظ على رسلهما.

فاتفق الخاصكية جميعًا عليه، وندبوا للحديث مع السلطان الأمير يلبغا اليحياوى والأمير ملكتمر الحجازى وغيرهما، فصار كل منهم يسمع السلطان قبح سيرة النشو وهو يتغافل، إلى أن حدثه يلبغا وهو يومئذ أخص الخاصكية عنده، وقال عنه: «يا خوند والله النشو يضرك أكثر ما ينفعك»، فتخيل[1] السلطان من كلامه.

واتفق وصول الأمير قرمجى الحاجب من دمشق، فأعاده السلطان سريعا ليستشير الأمير تنكز نائب الشام فى أمر النشو، وأنه قد بعضه أهل الدولة كلهم، مع كثرة نفعه لى. ثم وجد السلطان عدة أوراق فى حق النشو قد رميت له من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

أيا ملكا أصبح فى نشوة	من نشوة الظالم فى نشيه
أنشيته فلتنشئن ضغائنًا	سترى غباوتها بصحبة غيه

---

(١) المراد: فتخوف.

حكمته فحكمت أمرًا فاسدًا وتوحشت كل القلوب لفحشه
سترى بوارقها إذا ما أظلمت وتحكمت أيدى الزمان ببطشه
ودستندمن ندامة كُسَعِيَّةً يومًا إذا ذبح الخروف بكبشه

فلما قرأها السلطان تغير لونه ومزقها. ووجد السلطان ورقة أخرى فيها:

أمعنت فى الظلم وأكثرته وزدت يا نشو على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا فلعنة الله على الظالم

وعن قريب عاد قرمجى فى سادس عشرى المحرم، وأخبر عن نائب الشام بأنه قد استفيض ما ذكره السلطان من بغض مماليكه للنشو، وأن التجار وأرباب الأموال فى خوف شديد من ظلمه، ورأى السلطان فيه أعلى. وكان يوم وصوله بالقلعة منظرًا مهولا، فإنه اجتمع بها أرباب الرواتب والصدقات، وفيهم الأرامل والأيتام والزمناء والعميان، وصاروا فى بكاء ونحيب، فتقطعت القلوب حسرات رحمة لهم. وشغل الله النشو عنهم بنفسه، فحد له قولنج[1] وهو بخزانة الخاص.

فأمر السلطان الناس أن ينصرفوا ويحضروا أول الشهر، ومن تأخر شطب على اسمه. فنزل بعد الظهر من القلعة، وتفرقوا تلك الليلة بالجوامع فى القاهرة ومصر، وهى ليلة سابع عشرى المحرم، للدعاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، فإنه كان قد توقف توقفًا زائدًا فلما قرب الوفاء نقص واستمر على نقصه أيامًا، فصرفوا دعاءهم على النشو طول ليلتهم، وكانوا جموعًا كثيرة إلى الغاية. فأصبح النشو مريضًا، وانقطع بداره حتى فرغ المحرم، فحذره الفاضل شمس الدين محمد بن الأكفانى مع قطع مخوف فى أول صفر، يخشى منه إراقة دمه.

فلما كان يوم الأحد أول صفر: ركب النشو إلى القلعة، وبه أثر المرض فى وجهه، فقرر مع السلطان إيقاع الحوطة على آقبغا عبد الواحد من الغد. فتقرر الحال على أنه يجلس على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتاك من الخدمة جلس معه على باب الخزانة ثم قاما إلى بيت آقبغا وحاطا بموجوده كله.

فلما عاد النشو إلى داره عبر إلى الحمام ليلة الإثنين، ومعه ابن الأكفانى، فأمر بعض عبيده السود أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه، ليكون ذلك حظه من القطع المخوف، ففعل به ذلك، وتباشروا بما دفع الله عنهم بهذا، وباتوا ليلتهم فى لذات ومسرات.

---

(١) قولنج: مرض معوى مؤلم يصيب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون. انظر: المعجم الوجيز ٥٢١.

هذا وقد كان الأمير يلبغا اليحياوى قد وعك جسمه، فقلق السلطان لمرضه، وأقام عنده لكثرة شغفه به. فقال له يلبغا فيما قال: «يا خوند قد عظم إحسانك لى، ووجب نصحك علىَّ، والمصلحة القبض على النشو، وإلا دخل عليك الدخيل، فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترقب غفلة منك، وقد عرّفتك ونصحتك قبل أن أموت»، وبكى. فبكى السلطان لبكائه، وقام وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقته بيلبغا وطلب بشتاك وعرفه أن الناس قد كرهوا النشو، وأنه عزم على الإيقاع به، فخاف بشتاك أن يكون ذلك امتحانا من السلطان، فوجد عزمه قويا فى القبض. واقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضًا، فقوى عزم السلطان على ذلك، ومازال به حتى قرر معهما أخذه.

وأصبح النشو يوم الإثنين ثانى صفر - وفى ذهنه أن القطع الذى خُوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفانى من إسالة الدم، فعلق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز -، وركب إلى القلعة. وجلس النشو بين يدى السلطان على عادته وأخذ معه فى القبض على آقبغا عبد الواحد كما قرره، فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده، فقام. وطلب السلطان المقدم ابن صابر، وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يَدَعُوا أحدًا من حواشى النشو واقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلهم. وأمر السلطان الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشو من داخلها، فظنّ النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود آقبغا عبد الواحد، فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكتمر الحجازى فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر.

وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدى والأمير بيغرا والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان للأمراء: «وكم تقولون النشو نهب أموال الناس! الساعة ننظر المال الذى عنده»، وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمراء على تحسينهم مسك النشو خوفًا من أن لا يظهر له مال، سيما قرصون وبشتاك من أجل

أنهما كانا قد بالغا فى الحط عليه وإغراء السلطان به، فكثر قلقهما و لم يأكلا طعامًا، وبعثا فى الكشف عن الخبر. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أن حريم النشو فى بستان بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامرأته وأخته وولديه وسائر أهله، وعندهم مائتا جنبة عنب وقند كثير ومعاصر، وهم فى عصر العنب. فختموا على الدور والحواصل، و لم يتهيأ لهم نقل شىء منها.

هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال، وقد أشعلوا الشموع، ورفعوا على رءوسهم المصاحف ونشروا الأعلام، وهم يضجون ويصيحون استبشارًا وفرحا بقبض النشو، والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه، واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك.

فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه. وذلك أنه لما قبض عليه تسلمه الأمير قوصون، ووكل به أمير شكار، فسجنه أمير شكار فى بعض خزائن بيته، وبات يحرسه حتى طلع الفجر، ثم قام أمير شكار للصلاة.

فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكينًا ووضعها فى نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده، فلم يشعر أمير شكار إلا وهو يشخر وقد تلف. فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضربا مبرحا إلى أن علم السلطان بالخبر، فلم يكترث به.

وفى يوم الإثنين: المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر، فقال الكمال جعفر الأدفوى[1] فى يوم الإثنين هذا، وفى معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات:

إن يوم الإثنين يوم سعيد ... فيه لاشك البرية عيد
أخذ الله فيه فرعون جهرًا ... وغدا النيل فى رباه يزيد

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوى، أبو الفضل، كمال الدين: مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى. ولد فى أدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة، وتوفى بها بعد عودته من الحج. له «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ـ ط» ترجم به رجال عصره و«البدر السافر وتحفة المسافر ـ خ» مجلدان وله نظم ونثر. انظر: ديوان الإسلام ــ ح ــ وشذرات الذهب ٦:١٥٣ والدرر الكامنة ١:٥٣٥ والأعلام ٢/١٢٢.

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصرى[1] فى معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى، وزيادة النيل، هذه الأبيات:

لقد ظهرت فى يوم الاثنين آية ... أزالت بنعماها عن العالم البوسا
تزايد بحر النيل فيه وأغرقت ... به آل فرعون وفيه نجا موسى

وفيه زاد النيل بعد توقفه، فقال فى ذلك علاء الدين بن فضل الله كاتب السر:

فى يوم الإثنين ثانى الشهر من صفر ... نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا
يا أهل مصر نجا موسى ونيلكم ... طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا

وذلك أنه كان قد نقص، فلما قبض على النشو زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع.

وفى يوم الثلاثاء ثالث صفر: نودى بالقاهرة ومصر: «بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو».

وفيه أخرج رزق الله أخو النشو فى هيئة تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر النصارى، خوفًا عليه من العامة.

وفيه أدخل الأمير بشتاك على السلطان وطلب الإعفاء من تسليم النشو إليه، خشية مما جرى على أخيه. فأمره السلطان أن يهدده على إخراج المال، ثم يسلمه لابن صابر. فأوقفه بشتاك وأهانه. فالتزم أنه إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال، فسبه ثم سلمه لابن صابر. فأخذه ابن صابر ليمضى به إلى قاعة الصاحب، فتكاثرت العامة تريد رجمه حتى طردهم نقيب الجيش، وأخرجه ابن صابر فى زنجير[2] بعنقه حتى أدخله قاعة الصاحب، والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة، والنقباء تطردهم.

وفيه طلب السلطان جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتاك، وخلع عليه واستقر فى نظر الخاص عوضًا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله[3] ـ المعروف بالنشو ـ،

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو، عدة مجلدات، و«المبانى فى المعانى» و«المنهج القويم فى فوائد تتعلق بالقرآن العظيم». انظر: بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٣/٩٩ وشذرات الذهب ٦:٢٤٨ والأعلام ٦/١٩٢.

(٢) زنجير: هو صيغة عامية للفظ الفارسى الأصل «زنجير» ومعناه السلسلة من حلقات الحديد الغليظة. انظر: محيط المحيط.

(٣) شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله (المعروف بالنشو) عبد الوهاب بن فضل الله العربى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف والملك الناصر وسيف الدين تنكز-

بعد تمنعه. ورسم له أن ينزل للحوطة على النشو وأقاربه، ومعه الأمير آقبغا والأمير برسبغا وشهود الخزانة. فنزل جمال الكفاة بتشريفة وركب بغلة النشو، حتى أخرج حواصله. وقد أغلق الناس الأسواق وتجمعوا من كل موضع، ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهى وأرباب الخيال، بحيث لم يوجد حانوت مفتوح نهارهم كله. ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة، وصاحوا صيحة حتى انزعج السلطان، وأمر الأمير أيدغمش بطردهم.

ودخل الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية، وألفان وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفى درهم إلى ألف درهم، وسبعون فص بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة آلاف درهم إلى ألفين، وقطعتان زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف، وستون حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمائة مثقال، ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمنة، وكف مريم مرصع بجوهر، وصليب ذهب مرصع، وعدة قطع زركش، سوى حواصل لم تفتح. فخجل السلطان لما رأى ذلك، وقال للأمراء: «لعن الله القبط ومن يأمنهم أو يصدقهم».

وذلك أن النشو كان يظهر الفاقة[1] بحيث يقترض الخمسين درهما والثلاثين درهما حتى ينفقها. وبعث فى بعض الليالى إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، ويذكر له أنه طرقه ضيف ولم يجد ما يعشيه به.

وقصد بذلك أن يكون له شاهدًا بما يدعيه من الفقر. فلما كان فى بعض الأيام شكا النشو للسلطان الفاقة وابن المغربى حاضر، فذكر أنه اقترض منه فى ليلة كذا مائة درهم، فمشى ذلك على السلطان، وتقرر فى ذهنه أنه فقير لا مال له، وصار السلطان يذكر ذلك كل قليل للأمراء.

واستمر الأمراء ينزلون كل يوم لإخراج حواصل النشو، فوجد له من الأوانى الصينى والبلور والتحف السنية شىء كثير.

وفيه ولى الموفق نظر البيوت.

وفيه ولى المجد بن المعتمد ديوان الأمير ملكتمر الحجازى.

=ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر فى دمشق، فتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ٢: ٢٢ والدرر الكامنة ٢: ٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩: ٢٤٠ والأعلام ٤/ ١٨٥.

(١) الفاقة: الفقر. انظر: المعجم الوجيز.

وفى يوم الخميس خامسه: زينت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام، وعملت بها أفراح كثيرة، ونظم فيه العامة عدة أزجال وبلاليق[١] وأظهروا من الخيال واللهو ما يجل وصفه.

ووجدت مآكل كثيرة فى حواصل النشو: منها نحو مائتى مطر مملوءة ملوحة[٢] وثمانين مطر جبن، وأحمال كثيرة من سواقة[٣] الشام، ولحم كثير من لحم الخنزير، وأربعة آلاف جرة خمر، سوى ما نهب. ووجد له أربعمائة بدلة قماش جدد، وثمانون بدلة مستعملة، وزراكش ومفرجات كثيرة. ووجد له ستون بغلطاق نسائى مزركش، ومناديل زركش عدة كثيرة. ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندرى مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد اختلسه، وكثير من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قبض عليهم. ووجد له مملوك تركى، وكان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا، وكان قد خصى أيضًا أربعة عبيد فماتوا. فطلب الذى خصاهم، وضرب بالمقارع وجرس. وتتبعت أصحاب النشو، وضرب منهم جماعة وشهروا.

وفى يوم الإثنين تاسعه: خلع على نجم الدين أيوب الكردى أستادار الأكز ـ وهو يومئذ والى الشرقية، واستقر والى القاهرة عوضا عن علاء الدين على بن المروانى، وأحيط بموجود ابن المروانى وصودر.

وفيه خلع أيضا على عز الدين ممدود بن علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية مصر.

وفيه خرج البريد بطلب الصاحب أمين الدين وزير الشام من دمشق.

وفيه وجد لأخوة النشو ذخائر نفيسة: منها لصهره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش، وستة وثلاثون مرملة[٤] مكللة بالجواهر الرائعة، وإحدى عشر عنبرية مكللة بلؤلؤ كبار، وعشرون طراز زركش، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد، وكوافى زركش، قوم الجميع بأربعة وعشرين ألف دينار.

وفيه ضرب المخلص أخو النشو ومفلح عبده بالمقارع، فأظهر المخلص الإسلام.

---

(١) بلالقيق: جميع بليق وهو الأغنية الشعبية وتكون عادة هزيلة الألفاظ والمعانى.

(٢) الملوحة: تسمية مصرية لنوع من السمك المملح.

(٣) سواقة: ربما كان المقصود بذلك البضاعة التى اشتريت شيئًا فشيئًا، على أن هذه تسمى فى محيط المحيط باسم «المسواق». انظر: محيط المحيط.

(٤) مرملة: طرف يوضع به الرمل الذى كان الكتاب يستعملونه لتجفيف الكتابة.

وفى يوم الأربعاء رابعه - وثالث عشرى مسرى -: وفى وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج من الغد على العادة.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: قدم أمين الدين من دمشق على البريد وطلع إلى بين يدى السلطان من الغد. وأجلسه السلطان وحادثه، وخلع عليه خلعة الوزارة، بطرحة خبعة القدوم، فنزل أمين الدين إلى داره، وتردد الناس إليه.

وفيه أفرج عن الصفى كاتب الأمير قوصون، وأعيدوا إلى ديوان قوصون عوضا عن علاء الدين ابن الحرّانى.

وفيه خلع على ابن الحرّانى، واستقر فى نظر الشام، عوضا عن أمين الدين.

وفى هذه السنة: لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الأكرة، فإن الأمراء لما تأخرت عقوبة النشو تنكروا السلطان وتنكر لهم.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول: وجدت ورقة بين فرش السلطان، فيها: «المملوك بيرم الناصح للسلطان يقبل الأرض، وينهى أننى أكلت رزقك، وأنت قوام المسلمين، ويجب على كل أحد نصحك، وأن بشتاك وآقبغا قد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك، فاحترس على نفسك».

وكان الأمير بشتاك فى هذا اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد، فطلب السلطان الأمير قوصون والأمير آقبغا، وأوقفهما على الورقة. فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدة الرعب، وأخذ قوصون يعرف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه. فأخرج السلطان البريد فى الحال لرد الأمير بشتاك، فأدركه بإطفيح وقد مد سماطه، فقام ولم يمد يده إلى شىء منه، وجدَّ فى سيره حتى دخل على السلطان. فأوقفه السلطان على الورقة، فتنصل مما رمى به كما تنصل آقبغا، واستسلم وقال: «هذه نفسى ومالى بين يدى السلطان وإنما حمل من رمانى بذلك الحسد على قربى من السلطان وعظيم إحسانه إلى»، ونحو هذا حتى رق له السلطان، وأمره أن يعود إلى طلبه ويتوجه إلى جهة قصده، فسار.

ثم طلب السلطان ديوان[1] الجيش، ورسم له أن يكتب كل من اسمه بيرم ويحضره إلى الأمير آقبغا. فارتجت القلعة والقاهرة لطلب المذكورين وعرضهم وتهديدهم وأخذ

---

(١) الديوان هنا الموظف الذى يقوم بعمل من أعمال الدواوين السلطانية، وهو فيما يظهر غير ناظر الجيش.

خطوطهم، ليقابل بها كتابة الورقة. فلما أعيا آقبغا الظفر بالغريم وهو يراجع السلطان فى أمرهم، اتهم النشو أنها من مكايده. واشتد قلق السلطان وكثر انزعاجه، بحيث لم يستطع أن يقر بمكان واحد.

ثم طلب السلطان والى القاهرة لالا، وأمره أن يهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشاب، وينادى: «من عمل نشابا شنق»، فامتثل ذلك. وخرجت أيضا جميع مرامى النشاب، وغلقت حوانيت القواسين. ونزل الأمير برسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم، وعرفهم عن السلطان أن من رمى بالنشاب من مماليكهم أو حمل قوسا كان أستاذه عوضا عنه فى التلاف، وألا يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تركاش نشاب.

وبينا الناس فى هذا الهول الشديد، إذ دخل شخص يعرف بابن الأزرق ــ كان أبوه ممن مات فى عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال الكفاة ـ وطلب الورقة ليعرفهم من كتبها. فقام والى القاهر؟ إلى السلطان ومعه الرجل، فلما وقف عليها قال:«يا خوند هذه خط محمد الخطابى، وهو رجل عند ولى الدولة صهر النشو، يلعب معه النرد ويعاقره الخمر» فطلب المذكور، وحاققه الرجل محاققة طويلة، فلم يعترف، فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقر بأن ولى الدولة أمره بكتابتها، فجمع بينه وبين ولى الدولة، فأنكر ذلك. وطلب ولى الدولة أن يرى الورقة، فلما رآها حلف جهد أيمانه أنها خط ابن الأزرق لينال عرضه من أجل أن النشو قتل أباه، وحاققه على ذلك. فاقتضى الحال عقوبة ابن الأزرق، فاعترف أنها كتابته، وأنه أردا أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله. فعفا السلطان عن ابن الأزرق، وأمر بحبس الخطابى.

ورسم السلطان لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا وأذن للأجناد فى حمل النشاب فى السفر لا غيره.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدثوا مع السلطان فى يوم الخميس رابع عشريه فى أمر النشو، فابتدأ الأمير علم الدين سنجر[1] الجاولى وقبل الأرض وقال: «حاشا مولانا السلطان من شغل الخاطر وضيق الصدر» فقال السلطان: «يا أمراء، هؤلاء مماليكى أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل، وقد بلغنى عنهم ما لا يليق».

---

(١) سنجر بن عبد الله الجاولى، أبو سعيد، علم الدين: فقيه فاضل، من أمراء الجند بالديار المصرية. ولد بآمد، ثم كان من مماليك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس، وأخرج فى أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر فى أيام العادل كتبغا بحال زرية، فتقدم وولى نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والبلاد الشامية، وطالت أيامه، وبنى جوامع أحدها بغزة، يعرف بالجاولية. وصنف «كتبا» فى الفقه وغيره، وتوفى بالقاهرة. انظر: النجوم الزاهرة ١٠٩:١٠ والدرر الكامنة ١٧٠:٢ والأعلام ١٤١/٣.

فقال الجاولى: «حاشا لله أن يبدو من مماليك السلطان شىء من هذا غير أن علم مولانا السلطان محيط بأن ملك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتاب، وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من جهة الوزراء. ومولانا السلطان ما يحتاج فى هذا إلى أن يعرفه أحد بما جرى لهم، ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه»، فوافقه الجميع على ذلك. فضرب فى هذا اليوم المخلص أخو النشو بالمقارع مع ليلة الجمعة حتى هلك يوم الجمعة العصر، ودفن بمقابر اليهود، ثم ماتت أمه عقيبه.

وقتل بعدها ولى الدولة عامل المتجر[١] ورمى إلى الكلاب.

هذا والعقوبة تتنوع للنشو حتى هلك فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فوجد بغير ختان. وكتب به محضر، ودفن فى مقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم، ووكل بقبره من يحرسه مدة أسبوع خوفا من العامة أن تخرجه وتحرقه. فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر.

ثم أحضر ولى الدولة صهر النشو ليعاقب، وهو بخلاف ولى الدولة عامل المتجر الذى تقدم، فدل على ذخائر للنشو ما بين ذهب وأوانى فى صندوق كبير. وطلبت جماعة بسبب ودائع اتهموا بها عندهم للنشو، وشمل الضرر غير واحد منهم.

وكان موجود النشو سوى الصندوق المذكور شيئًا كثيرًا، وعمل لمبيعه تسع وعشرون حلقة، آخرها حلقة لا يوجد لها مثل، إذ بلغت خمسا وسبعين ألف درهم، فكان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتى ألف دينار. ووجد لولى الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار، ولولى الدولة صهر النشو زيادة على ثمانين ألف دينار. وبيعت للنشو دور بمائة ألف درهم.

ثم ركب الأمير أقبغا إلى دور آل النشو بالمصاصة من مصر ومعه الأسرى، وخربها كلها حتى سوى بها الأرض، وحرثها بالمحاريث فى طلب الخبايا، وحملت أنقاضها ورخامها، فلم يوجد بها من الخبايا إلا القليل.

وفى ثالث عشره: أفرج عن القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى[٢] من سجنه بقلعة الجبل، بعدما أقام مسجونا سبعة أشهر وثمانية عشر يوما.

---

(١) المتجر: المقصود بلفظ «المتجر» ما يتجر فيه السلطان من البضائع لحسابه الخاص.

(٢) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان إمام فى الترسل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. =

وسبب الإفراج عنه أنه كان فى السجن كاتب قد سجن على تزوير خط السلطان وكان قد قبض عليه فى أيام مباشرة شهاب الدين لوظيفة كاتب السر، ورسم السلطان بقطع يده، فمازال شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفى من قطع يده وسجن.

فاتفق في هذا الوقت أنه رفع قصة ينهى فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكر السلطان شيئًا من خبره، فقيل له إن شهاب الدين يعرف خبره، فبعث إليه فى ذلك وطالعه بأمره، فأفرج عن الكاتب وعن شهاب الدين، ونزل شهاب الدين إلى داره.

وفيه خلع على الأمير عز الدين أيدمر الزراق، واستقر فى ولاية ثغر الإسكندرية عوضًا عن بيبرس الجمدار الركنى.

وفيه توجه جمال الكفاة ناظر الخاص، والأمير نجم الدين وزير بغداد، والأمير بيغرا، والأمير طيبغا المجدى، لإيقاع الحوطة على موجوده. وذلك أن ابن الصاوى شاد معدن الزمرد رفع فيه أن يربح فى سنة من صنف الخمر وحده ثلاثين ألف دينار، وأن له بالإسكندرية عقارًا كثيرًا، من جملته ثلاثون بستانا أقلها بألف دينار. فوجد أكثر ما قيل عنه صحيح، فحمل إلى القاهرة، وتعصب له عدة من الأمراء حتى تقرر عليه حمل عشرين ألف دينار، فحملها وأفرج عنه.

وفيه نودى بالقاهرة أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهما بعدما كان بعشرين درهما. وسبب ذلك أن جمال الكفاة ناظر الخاص عمل أوراقًا بما على السلطان للتجار، فكان مبلغ ألف ألف دينار. فأجاب السلطان بأن النشو ذكر أنه وفى التجار ما لهم، وقصد ألا يعطيهم شيئًا، فأشار عليه جمال الكفاة بوفاء جماعة منهم، وأن يحسب عليهم الدينار بخمسة وعشرين درهما، وما عدا هذه الجماعة لا يدفع لهم شىء، فتوقفت أحوال الناس لزيادة سعر الذهب. ولما نزل جمال الكفاة إلى دار القند بمصر ابتهج الناس به، فطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكريين بعشرة دراهم القنطار.

ووقع ببلاد البحيرة والغربية مطر عظيم فيه برد كبار، تلف به عدة مزارع وكثير من الأغنام، وهبت مع ذلك رياح عاصفة ألقت النخل.

وفيها فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد، بجوار الجامع الأزهر. وبلى الناس فى

=أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ــ خ» كبير، وله «مختصر قلائد العقيان ــ خ». و«يقظة الساهر» فى الأدب و«دمعة الباكى» أدب وله شعر فى منتهى الرقة. انظر: فوات الوفيات ٧:١ والسحب الوابلة، والدرر الكامنة ٣٣١:١ والنجوم الزاهرة ٢٣٤:١٠ والأعلام ٢٦٨/١.

عمارتها ببلايا كثيرة: منها أن الصناع كان قد قرر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوما فى الأسبوع بغير أجرة، فكانوا يتناوبون بها العمل سخرة، ومنها أنه حمل لها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية، فكانت ما بين غضب وسرقة. ومع ذلك فإنه ما نزلها قط إلا وضرب وفيها من الصناع عدة ضربا ومؤلما فيصير ذلك الضرب زيادة على شدة عسف مملوكه الذى أقامه شادا بها. فلما تمت جمع بها القضاة والفقهاء، ولم يول بها أحدا، وكان الشريف المحتسب قد عمل لها بسطا بنحو ستة آلاف درهم، على أن يلى تدريسها، فلم يتم له ذلك.

وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولى بن جنكزخان متولى العراق، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان، وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاى بن سونتاى فى الصلح بينه وبين الشيخ حسن فأجيب إلى ذلك، ووعد بتجهيز العسكر. وركب أمير أحمد قريب السلطان إلى طغاى، ومعه هدية لينظم الصلح بينه وبين الشيخ حسن.

وفيه فرغت عمارة الخان الذى أنشأه الأمير طاجار الدوادار بجينين من طريق الشام، وعمل به حوض ماء للسبيل يجرى إليه الماء، وعمل به حماما وعدة حوانيت يباع بها ما يحتاج إليه المسافر، فكثر النفع به.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الآخر: ركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس[1] ومضى إلى خانكاته، وقد تقدمه إليها الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى والقوام الكرمانى وجماعة من صوفية سعيد السعداء. فوقف السلطان على الباب بفرسه، وخرج إليه جميع صوفيتها، ووقفوا بين يديه، فسألهم من يختاروه شيخا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، فلم يعينوا أحدا. فولى السلطان مشيخة الشيوخ بها الركن الملطى خادم المجد الأقصرائى.

وفيها قدم الخبر بأن أرتنا لم يقم الخطبة ببلاد الروم للسلطان ولا ضرب السكة، فكتب بالغارة على أطراف بلاده. فقدم رسوله بهدية فيها خركاة كسوتها من داخلها، ومن خارجها حرير أطلس، ودايرها فرو سمور، وبسطها حرير قومت بثلاثين ألف درهم، ومعها ثلاثون إكديشا، وأربعة سناقر، وعشرة بزاة وعشرة صقورة، وستون تفصيلة حرير، ومع ذلك كتاب يتضمن الشكوى من غارة التركمان على أطراف

---

(١) سرياقوس: بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر: معجم البلدان ٢١٨/٣.

بلاده. فأجيب بأن ذلك بسبب أنه لم يقم الخطبة ولا ضرب السكة باسم السلطان فى بلاده، كما أخبر به.

وفيها انقطع السلطان عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوما، لشغل خاطره بمرض الأمير يلبغا اليحياوى وملازمته له.

وفيها ادعى صلاح الدين يوسف بن المغربى الحكيم على أولاد الملوك بمبلغ عشرة آلاف درهم عند قاضى القضاة حسام الدين الغورى، تعجلوها منه عن أرض بروضة مصر. وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها فى ديوان الخاص، فوجب حقه على أولاد الملوك. فلم يوافق القاضى على سجنهم وجرت بينه وبين ابن المغربى مفاوضة جرى فيها على عادته من السفه، فلم يترخص له ابن المغربى. وآل الأمر إلى أن خرج الغورى من المدرسة الصالحية ماشيا، وجمع الحنفية ليطلعوا إلى السلطان ويشكوا من ابن المغربى. ومشى الغورى بالشارع وبيده عكاز - وكان يومًا مطيرا - والعامة تنظر به وبجماعته، وقد سبقه ابن المغربى وشكاه إلى السلطان. فبعث السلطان إليه الأمير طاجار، فوجده قد طلع إلى القلعة ماشيًا ليمين حلف بها، فبلغه طاجار الرسالة، وأراده أن يرجع، فأبى أن ينصرف حتى يجتمع بالسلطان. فلم يمكنه السلطان من ذلك، وواعده إلى دار العدل، فلما لم يجد سبيلا إلى الاجتماع به عاد، وطلع يوم الخدمة إلى دار العدل. واستدعى السلطان أولاد الملوك، وادعى عليهم ابن المغربى فألزمهم بالمال، وتسلمهم برسبغا الحاجب، حتى أدوه لابن المغربى بعد إخراق وإهانة بالغة.

وفيه عمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوى فيه من الأطعمة والأشربة والحلاوات ومشروب السكر ما يجل وصفه. واستدعى السلطان لحضوره جميع صوفية الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف، وأخرج من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف درهم أفرج بها عن المسجونين على دين، وأخرج للأمير يلبغا ثلاث حجورة بمائة ألف درهم، وحياصة ذهب مرصعة بالجواهر، وأفرج عن شعبان قريب ألماس.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى الغربية، واستقر كاشف الوجه القبلى عوضًا عن أخى ظلظيه، لشكوى الجند منه.

واستقر أسندمر مملوك القنجقى فى ولاية الغربية عوضًا عن ابن الكورانى، بتعيين الأمير برسبغا الحاجب.

وفيها جهزت التعابى من الخزانة لنائب الشام ونائب حلب ونائب حماة[1] ونائب طرابلس، على العادة فى كل سنة. ورسم بتجهيز تعبئة للأمير ألطنبغا نائب غزة[2] وأنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف غرارة من غلة، وحمل إليه ألف دينار وتعبئة قماش وتشريف كامل.

وفيها خلع على الأمير نكبيه البريدى متولى قطيا، واستقر فى ولاية الإسكندرية عوضا عن الزراق لاستعفائه منها.

وفيه قدم أمير أحمد من بلاد الشرق، وقد عقد الصلح بين طغاى بن سونتاى وبين الشيخ حسن الكبير.

وفيها طلبت النساء المغانى وصودرن ما بين ثلاثة آلاف درهم و ألفى درهم الواحدة، وسجن بالحجرة أياما حتى تاب بعضهن عن الغناء، وتزوج بقيتهن. وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش، وعمر له بها حوشا لطيوره وموضعا يتنزه به، وأحضر إليه مغنية تعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك. فأسر السلطان للأمير آقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغانى والضامنة بالإنكار على المغانى حضورهن مجالس الخمر وإقامة الفتن، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه فى أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك.

فلما وقع ذلك شق على آنوك امتناع الزهرة عنه عدة أيام، ومازال حتى أتته سرا، ولهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقى، حتى علمت أمه بذلك، فلشفقتها عليه ترخصت له، وأمكنته من هواه. فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغل بال السلطان عنه، وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا، وألقيت إلى السلطان. فنم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك، فبلغه السلطان، فدخل إلى الدور واستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف، فمنعته أمه وحواريه. فأرعد آنوك من الخوف، ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلائى، وأقام طيبغا المجدى عوضه، ورسم ببيع الدار التى عمرها آنوك ببركة الحبش.

---

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر: معجم البلدان ٢/٣٠٠،٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤/٢٠٢،٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨. ومعجم ما استعجم ٩٩٧.

وفيه قدم أبو بكر ابن السلطان من الكرك باستدعاء، ومعه هدية قيمتها نحو مائتى ألف درهم، بعد ما أخذ أموال الناس بها على سبيل القرض، وكان يقتل من يمتنع عليه ويصادره، فمات جماعة من الناس تحت العقوبة.

وفيه توجه جمال الدين الكفاة ناظر الخاص إلى الإسكندرية وأوقع الحوطة على دور بيبرس الجمدار الركنى نائب الإسكندرية بعد موته، فوجد له عدة دور وحوانيت وعشرين بستانا باعها بخمسمائة ألف وستين ألف درهم، وعاد.

وفيها قوى الماء على الجسر الذى استجده السلطان بناحية شيبين، وصارت البلاد الواطئة تستبحر. فاقتضى رأى السلطان عمل زريبة كالجسر ترد قوة الماء، فندب لعملها الأمير بيبغا حارس الطير. وفرض السلطان لذلك على البلاد عن كل دينار ثمن درهم، فجبى نحو أربعمائة ألف درهم. وجمعت البناة والفعلة، وعملت أقمنة الجير والجبس والطوب حتى تمت الزريبة فى طول زيادة على ثلاثين ألف قصبة. فعظم النفع بها، وشمل الرى عدة أراض ما كانت تروى قبل ذلك إلا فى الأنيال العالية، وزاد ارتفاع النواحى برى الأراضى. وبطل سد بحر أبى المنجا، وتأخر فتحه بعد أوانه بعشرة أيام، وقام مقامه سد قناطر شيبين، وبطل ما كان من ركوب الناس وفرجهم فى فتح أبى المنجا، وأراح الله تعالى مما كان يعمل فيه يوم فتحه من المنكرات والفواحش.

وفيه توجه الأمير بشتاك بآنوك وأبى بكر ولدى السلطان إلى العباسة، وحضر بهما بعد أيام.

ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوى والأمير بشتاك بطيور السلطان إلى البحيرة، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه. فدخلوا إلى الإسكندرية، وقد تقدمهم جمال الكفاة إليها وجهز لهم الإقامات والتعابى والإنعامات، فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا. فأنعم السلطان على يلبغا يوم وصوله بناحية سوهاى[1] من الصعيد، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار، وكتب بتمكين أهل الإسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة، والإفراج لهم عن السلاح، وذلك بشفاعة يلبغا.

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، وأنه وجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم.

وفيها توقفت الأحوال بسبب صرف الذهب، وعدم وجود الفضة من بين الناس فى

---

(١) سوهاى: قرية بمصر من قرى أخميم. انظر: معجم البلدان ٣/٢٨٦.

الأسواق. فأخرج السلطان من الخزانة ألفى درهم فضة فرقت مدة شهر فى الصيارف، وأخذ عنها ذهب، فمشت الأحوال قليلا ثم توقفت.

وفيها قدمت طائفة من العجم لهم زى غريب، على رءوسهم أقباع طوال جدًا، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده. فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانكاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان فى أمرهم، فولى زاده مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس، فباشرها وعمل بها فى كل ليلة جمعة سماعا قام به الأمير قوصون.

وفى رابع عشرى شوال: رحل ركب الحاج من بركة الحجاج، صحبة الأمير بُكا الخضرى. وكانت العادة أن يرحل الركب فى سادس عشره، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقًا بالها، فأخر الرحيل إلى رابع عشريه، ليوافى الحجاج مكة أول ذى الحجة، واستمر ذلك فيما بعد. وسار أيضًا الأمير آقبغا عبد الواحد إلى الحج بأهله.

وفيها تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرندة[1] وأقام بها الدعوة للسلطان. وذلك أن مرجان الخادم نائب طرندة من قبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه فى مهم له، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير على بن الكركرى، وإبراهيم كندلكى، وقرا خليل بن البكى، وابن قرا، فى زهاء أربعين رجلا، ـ وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بحبال إليها، فقتلوا من بها من جماعة أرتنا، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر.

فكتب إلى السلطان بذلك، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام، فبعث إليها تنكز وعمرها، ولم تزل قلعة طرندة بأيدى سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق[2].

---

(١) قلعة طرندة: قال الواقدى: كان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن وهى من ملطية على ثلاث مراحل داخلة فى بلاد الروم وملطية يومئذ خراب. انظر: معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) برقوق بن أنص ـ أو أنس ـ العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبًا إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، فكان (أمير عشرة) وتقدم فى دولة المنصور القلاوونى (على بن شعبان) فولى أتابكية العساكر وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون «الصالح، أمير حاج» سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام. وخلع سنة ٧٩١ ثم عاد إلى مصر سلطانًا سنة ٧٩٢ وتوفى بالقاهرة ومدة حكمه «أتابكا» وسلطانًا قرابة ٢١ عامًا. انظر: ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣: ١٠ والأعلام ٤٨/٢.

وفيها هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوى إلى الغاية، وعلقت منه نار فى أراضى الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيجة[1] من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشريه: وقع بدمشق فى أول الليل حريق بالدهشة شرقى الجامع الأموى، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع، وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجملون الرصاص. فبادر الناس جميعًا إليه، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز فى مدة يومين بلياليها.

ثم وقع أيضًا فى ليلة السبت أول ذى القعدة: حريق آخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق، وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها. فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس، وعدمت أموالا عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغة ألف وستمائة ألف دينار، وخربت أماكن كثيرة.

فبينا الناس فى ذلك إذ وجدت ورقة فيها: «المملوك الناصح» تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش، فقبض على المذكور وعوقب، فاعترف على أستاذه عدة من كتّاب النصارى، وأحضروا بين يدى الأمير تنكز، فأقروا جميعًا بذلك.

فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم، وكتب عليهم محضرا ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصرانى كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلى كاتب الأمير بهادر آص والمكين يوسف عامل الجيش، وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلانى والآخر اسمه عازر، وقدما من القسطنطينية ليجاهدا فى الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعلمان صناعة النفط.

فاجتمعوا فى بستان المكين يوسف، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط، وعملوا كعكات، وتنكروا فى لباسهم، ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا فى جوانبها، وابتاعوا منها قماشًا ودفعوا ثمنه لصاحبه، وجعلوا القماش عنده وديعة، وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة، فوقع منها ذلك الحريق، ثم دفعوا إلى الجرائحى النصرانى الذى على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات، فرمى بها فى دكان

---

(١) قرية الفيجة: بالكسر ثم السكون، وجيم: قرية بدمشق. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٢.

داخل القيسارية، فكان منها الحريق الثانى، وأن الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت[١] حتى سيرهم العامل بها فى مركب إلى قبرص[٢] وأرخ المحضر بعشرى ذى القعدة، وحمل إلى السلطان.

ثم سمر الجماعة فى يوم السبت ثانى عشرى ذى القعدة، بعدما عوقبوا عقوبات عظيمة، وعددهم أحد عشر رجلا: وهم المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش وأخوه، والمكين جرجس كاتب الحوطات، والمكين كاتب بهادر آص، وسمعان، وأخوه بشارة، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار، والعلم عامل بيروت، والجرائحى، وجزاران نصرانيان، وشخص يعرف بسبيل الله، وكان هذا الرجل بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزى غريب يلبس جلدا، ويحمل على كتفه زيرا نحاسا أندلسيا، وبيده شربات كذلك، ويقول بلسان غتمى: «سبيل الله»، ويسقى الناس بغير جعل، فمن الناس من اعتقده، ومنهم من اتهم أنه جاسوس، ثم خرج هذا الرجل حاجا، وقدم دمشق وأقام بها يسقى الماء، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق ولما سمروا وسطوا بعد يومين، ووجد لهم ما ينيف على ألف درهم، أنفق منها فى عمارة منارة الجامع والدهشة.

فكتب السلطان إلى تنكز ينكر عليه قتل النصارى، وأن فى ذلك إغراء لأهل القسطنطينية[٣] بمن يرد إليهم من التجار المسلمين وقتلهم، ويأمر بحمل ما وجد من المال، وأن يجهز بناته اللاتى عقد لأولاد السلطان عليهن.

فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق، وأن المال الذى وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع، وجهر قرمجى بذلك فلم يرض السلطان، وتغير

---

(١) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٥٢٥/١، والروض المعطار ١٢٢، ١٢٣، وصبح الأعشى ١١١/٤.

(٢) قبرص - أو قبرس -: جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يومًا، ومن قبرص إلى طرابلس الشام مجريان. انظر: معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

(٣) القسطنطينية: كانت رومة فى القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى برنطية وبنى عليها سورًا وسماها القسطنطينية، وقد كان اسمها طوانة ثم نسبت إلى قسطنطين، وبينها وبين عمورية ستون ميلاً فى قرى وعمارات، ومدينة القسطنطينية ثلاث نواحى: ناحيتان منها فى البحر الأعظم مما يلى القبلة والمشرق والمغرب، والناحية الثالثة مما يلى البر. انظر: معجم البلدان ٣٤٧/٤، ٣٤٨.

على قريجى، وكتب معه إليه بأنه لابد من تجهيز بناته. ثم أركب السلطان الأمير طاجار الدوادار على البريد إلى دمشق بملطفات، فى يوم الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة، وكان طاجار قد ثقل عليه أمر تنكز، وأخذ فى زواله، وجعل توجهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته.

وكان قد بلغ تنكز تغير السلطان عليه، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر[1] ويخرج إليها بحجة أنه يتصيد. فقدم عليه طاجار قبل ذلك فى يوم الأحد رابع عشره، وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله، فتغير الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار.

وعاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة قبل الصلاة، فأغرى السلطان به، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق. فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس الأحمدى والأمير جنكلى بن البابا والأمير أرقطاى والأمير طقزدمر فى آخرين، وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة، وأنه يبعث إليه بتجريدة مع الأمير جنكلى والأمير بشتاك والأمير أرقطاى والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار والأمير قمارى أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب.

ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة، ومن الطبلخاناه ملكتمر السرجوانى وقباتمر الجمدار المظفرى وبلك الجمدار المظفرى وبكا الخضرى ومحمد بن الأمير جنكلى وأمير على بن صغريل وأمير أحمد الساقى قريب السلطان ونيروز وطقتمر قلى وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطيبغا المجدى وطاجار الدوادار وبغاتمر وتمربغا العقيلى وطقتمر الصلاحى وجركتمر بن بهادر وسيف الناصرى وطقبغا الناصرى وبيبغا حارس الطير وأيتمش الناصرى وأباجى الوافد وأرلان التترى الوافد وملكتمر السعيدى وأمير محمود بن خطير وخمسون نفرا من مقدمى الحلقة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، وجلس السلطانية، وجلس السلطان وعرضهم. ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشريه الأمراء جميعهم، وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده، وطلب الأجناد من النواحى للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة.

وحمل السلطان لكل مقدم ألف مبلغ ألف دينار ولكل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حلقة ألف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذة وغير ذلك.

---

(١) قلعة جعبر: قلعة على الفرات بين بلس والرقة قرب صفين. انظر: معجم البلدان ٢/١٤٢.

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا[١] فى يوم السبت هذا، فقرر معه السلطان القبض على تنكز وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز.

وبعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى ألطنبغا الصالحى نائب غزة وسيف الدين طشتمر نائب صفد[٢] وإلى أمراء دمشق، بملطفات كثيرة، وأخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص، واهتم بأمر تنكز اهتماما زائدًا، وكثر قلقه وتنغص عيشه. وخرج العسكر إلى دمشق فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى الحجة، وكان حلاوة الأوجاقى قد قدم على الأمير ألطنبغا الصالحى نائب غزة بملطفه، وفيه أنه قد استقر فى نيابة الشام عوضا عن تنكز، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق، وأن الأمير طشتمر نائب صفد قد كتب إليه بالركوب إلى دمشق، ليركب هو والأمير قطلوبغا الفخرى، ويقبضا على تنكز، فسر ألطنبغا بذلك ووجه حلاوة إلى صفد، فقدمها ليلة الإثنين ثالث عشريه أول الليل، وأوقف الأمير طشتمر على ملطفه فركب فى ساعته فى ثمانين فارسا، وساق إلى دمشق.

واجتمع طشتمر مع قطلوبغا الفخرى وسنجر البشمقدار وبيبرس السلحدار، ـ وكان قد قدم حلاوة إلى أمراء دمشق بكرة يوم الثلاثاء وهو متنكر، وأوصل الملطفات إلى أصحابها، وقد سبقته ملطفات الأمير ألطنبغا من غزة.

فاتفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصا فى خواصه للنزهة، وبينما هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد فعاد إلى دار السعادة، وألبس مماليكه السلاح، فلم يكن بأسرع من أن أحاط به أمراء دمشق. ووقع الصوت بوصول طشتمر نائب صفد، فخرج العسكر إلى لقائه، وقد نزل مسجد القدم. فأمر طشتمر جماعة من الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه، فدخل عليه منهم تمر الساقى وطرنطاى والبشمقدار وبيبرس السلاح دار، وعرفوه مرسوم السلطان وأخذوه وأركبوه إكديشا، وساروا به إلى نائب صفد، وهو واقف بالعسكر فى ميدان الحصا، وقبض على جنغيه وطعيه مملوكى تنكز وسجنا بالقلعة. وأمر طشتمر بتنكز فأنزل عن فرسه على

---

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠، والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) صفد: مدينة فى حبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى حبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

ثوب سرج[١] وقيده قرمجى مملوكه، وأخذه الأمير بيبرس السلاح دار، وتوجه به إلى الكسوة، فحدث له إسهال ورعدة خيف عليه منه الموت، وأقام بها يوما وليلة، ثم مضى به بيبرس إلى القاهرة، ونزل الأمير طشتمر نائب صفد بالمدرسة النجيبية.

وتقدم بهادر حلاوة عندما قبض على تنكز ليبشر السلطان فقدم ليلا بلبيس والعسكر نازل عليها، وعرف الأمير بشتاك ثم سار إلى السلطان، فقدم ومعه أحد مماليك السلطان ومملوك طاجار الدوادار فى خامس عشريه وأخبره الخبر، فسر سرورًا كثيرًا. وكتب السلطان بعود العسكر من بلبيس خلا الأمير بشتاك والأمير أرقطاى والأمير برسغبا الحاجب وجماعة، فإنهم يتوجهون إلى دمشق، وأن يقيم الأمير بيغرا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم الأمير تنكز، فيدخلا به.

فعاد العسكر من بلبيس، وتوجه بشتاك ورفيقاه إلى دمشق، فركب معهم الأمير ألطنبغا من غزة، فلقوا الأمير تنكز على بيسان.

وفيها فرغ قصر الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى، بخط بين القصرين من القاهرة. وذلك أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسرى وجدد عمارته، أحب الأمير بشتاك أن يعمل له قصرا تجاه قصر بيسرى، فدل على دار الأمير بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح، وهى أحد قصور الخلفاء الفاطميين التى اشتراها بكتاش من ذريتهم، وأنشأ بها دورا واسطبلات، وأبقى ما وجد فيها من المساجد، فشاور بشتاك السلطان على أخذها، فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بكتاش وأرضاهم، وأنعم له السلطان بأن كانت داخلها برسم الفراشخاناه[٢] السلطانية، وأخذ دار أقطوان الساقى بجوارها وهدم الجميع، وأنشأ قصرا مطلا على الطريق - ارتفاعه أربعون ذراعا وأساسه أربعون ذراعا، وأجرى إليه الماء ينزل من شادروان[٣] إلى بركة. وأخرب بشتاك فى عمل هذا القصر أحد عشر مسجدا وأربعة معابد أدخلها فيه، ولم يجدد منها سوى مسجد الفجل - وقد سمى هذا المسجد بذلك الاسم من أجل أن قيمه يعرف بالفجل، وأنشأ خانا تجاه خان الزكاة، ثم باع بشتاك هذا القصر لزوجته التى كانت تحت بكتمر الساقى. وفيها

---

(١) سرج: السرج الرحل، والمعنى فيما يظهر أنه لم يفرش للأمير تنكز سوى ثوب من الأثواب المستعملة للسروج، دلالة على قرب تسفيره إلى حضرة السلطان. انظر: محيط المحيط.

(٢) الفراشخاناة: الفراشخاناة السلطانية كانت تشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام للسلطان فى أسفاره وإقاماته خارجًا عن القاهرة.

(٣) شادروان والجمع شادروانات ويقال شاذروات أيضًا ـ، لفظ فارسى الأصل، ومعناه هنا أنبوبة مبينة أو «تأزيرة» ـ فى الحائط، يجرى فيها الماء إلى بركة مثلاً.

خطب للخليفة الواثق با لله إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بأمر ا لله[١].

وذلك أن الخبر قدم في يوم الجمعة ثاني عشر شعبان بموت الخليفة المستكفي با لله أبي الربيع سليمان[٢] بقوص في مستهل شعبان، بعد موت ابنه صدقة بقليل، وأنه اشتد جزعه عليه، وأنه قد عهده لولده أحمد[٣] بشهادة أربعين عدلا وأثبت قاضي قوص ذلك. فلم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم في يوم الإثنين خامس عشري شعبان، وأجلسه بجانبه وحادثه، ثم قام إبراهيم وخرج معه الحجاب بين يديه، ثم طلع إلى السلطان في يوم الإثنين ثالث عشر رمضان، وقد اجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم في الخلافة وأمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليته، وأن المستكفي عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلا وحاكم قوص، ويحتاج إلى النظر في عهده. فكتب السلطان بطلب أحمد وعائلة أبيه، وأقام الخطباء بديار مصر والشام نحو أربعة أشهر لا يذكرون في خطبهم الخليفة. فلما قدم أحمد من قوص لم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم وعرفه قبح سيرته، فأظهر التوبة منها والتزم بسلوك طريق الخير، فاستدعى السلطان القضاة في يوم الإثنين وعرفهم أنه أقام إبراهيم في الخلافة، فأخذ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة يعرفه سوء أهليته للخلافة، فأجاب بأنه قد تاب، « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد وليته

---

(١) إبراهيم الواثق بن محمد المستمسك با لله بن أحمد العباس، أبو إسحاق من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. وهو ابن أخي المستكفي با لله سليمان بن أحمد وكان المستكفي قد عهد إلى ابنه أحمد بن سليمان بالخلافة، فلما مات المستكفي سنة ٧٤٠هـ توقف الناصر القلاووني عن البيعة لابنه ثم أقام صاحب الترجمة خليفة ولقبه بالواثق با لله فخطب له بالقاهرة جمعة واحدة ومات الناصر القلاووني وخلفه المنصور أبو بكر بن محمد فخلع الواثق وبايع لأحمد بن سليمان سنة ٧٤٢ هـ. انظر: البداية والنهاية ١٩١:١٤ والنجوم الزاهرة ١٥١:٩ والأعلام ٦٣:١.

(٢) من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبية سنة ٧٠١هـ بعهد منه ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر ثم ساءت حاله مع السلطان الناصر فأخرجه إلى قوص بالصعيد سنة ٧٣٨هـ فأقام إلى أن توفي بها استمرت خلافته ٣٩سنة وشهرين و١٣ يوما ولم يكن له منها غير مرسمها. انظر: البداية والنهاية ١٨٧:١٤ والدرر الكامنة ١٤١:٢ والنجوم الزاهرة ١٦٩:١٠ والأعلام ١٢١:٣.

(٣) أحمد بن المستكفي با لله سليمان بن الحاكم بأمر ا لله الأول، أبو القاسم الحاكم بأمر ا لله، الثاني: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر بويع سنة ٧٤٢هـ، ولبس السواد وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان وفوض الأمور على العادة للمنصور القلاووني أبي بكر بن محمد، واستمر إلى أن مات في القاهرة ولم يكن له من الأمر شيء. انظر: الدرر الكامنة ١٣٧:١ والبداية والنهاية ١٩١:١٤ والنجوم الزاهرة ٢٨٤:١٠ والأعلام ١٣٢:١

فاشهدوا على بولايته». ورتب له السلطان ما جرت به العادة، وهو ثلاثة آلاف وخمسمائة وستون درهمًا وتسعة عشر أردب شعيرًا فى كل شهر، فلم يعارضه أحد. وخطب له فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة. ولقب بالواثق با لله أبى إسحاق، فكانت العامة تسميه المستعطى فإنه كان يستعطى من الناس ما ينفقه، وشهر بارتكاب أمور غير مرضية.

وفيها استقر فى قضاء الشافعية برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعنى، عوضًا عن زين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائى.

وفيها استقر ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يشوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى فى كتابة السر بحلب، عوضًا عن شهاب الدين أحمد بن القطب المصرى.

وفيها استقر الشيخ حسن الكبير بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين وهو سبط القان أرغون بن أبغا بن هولاكو، فى مملكة بغداد، قدم إليها من خراسان، وكان الشيخ حسن الصغير بن دمرداش إذ ذاك حاكم توريز.

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع وخمسة أصابع، وانتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا.

ومات فيها من الأعيان شهاب الدين أحمد بن عيسى بن جعفر الأرمنتى المصرى عرف بابن الكمال ـ فى جمادى الأولى، سمع من الأبرقوهى، وكان ثقة.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى الشافعى[1] ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول، وله شرح التنبيه فى الفقه وغيره، وولى مشيخة خانكاه بيبرس.

وتوفى الخليفة المستكفى با لله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر ا لله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن العباسى، بمدينة قوص، عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوما، وفى خامس شعبان، وكانت خلافته تسعا وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما، وكان حشما كريما فاضلا.

---

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى: فقيه شافعى أصولى نسبته إلى زنكلون (وتسمى الآن الزنكلون) من شرقية مصر. عاش وتوفى بالقاهرة. وله تصانيف فى فقه الشافعية منها «تحفة النبيه لشرح التنبيه ــ خ» خمس مجلدات. انظر: الدرر الكامنة ١: ٤٤١ وشذرات الذهب ٦: ١٢٥ والأعلام ٢/ ٦٢.

وتوفى خطيب أخميم علم الدين على، وكان لـه مـال كثير وإفضـال كثير. أضـاف السلطان مرتين وكفاه بجميع ما يحتاج إليـه، وأهـدى إلى جميـع الأمـراء، وعمـر مدرسـة بمدينة أخميم ومــات الأمـير ركـن الديـن بيـبرس الأوحـدى والى القلعـة، أحـد المماليك المنصورية، فى يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وكان خيرا.

ومات بدمشق الأمير آقسنقر مشد العمارة، المنسوب إليه قنطرة آقسنقر علـى الخليـج خارج القاهرة، والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر.

ومات الأمير علم الدين على بن حسن المروانى والى القاهرة، فى ثانى عشـر رجـب، بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سـنة، وكـان سـفاكا أفاكـا ظلومـا غشـوما، اقـترح فـى ولايته عقوبات مهولة: منها نعل الرجل فـى رجليـه بـالحديد كمـا تنعـل الخيـل، ومنهـا تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابرات العلاج فى رجليه، فتنخلـع أعضـاؤه ويمـوت، وقتـل خلقًا كثيرًا من الكتاب وغيرهم فى أيام النشو، ولـما حملـت جنازتـه وقـف عـالم عظيـم لرجمه، فركب الوالى وابن صابر المقدم حتى طردهم.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الدوادار الناصرى بدمشق، وكان خيرًا فاضلا.

ومات الأمير بهادر البدرى نائب الكرك، وهو منفى بطرابلس.

وتوفى شرف الدين أبـو محمـد عبـد الله بـن محمـد بـن عسـكر بـن مظفـر القـيراطى الشافعى، بالقاهرة عن سبعين سنة، تصدر بالجامع الأزهر، وباشر قضاء دمياط.

وتوفى جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التـبريزى الحرانى الشافعى[١] قاضى دمياط، كان فقيها أديبًا شاعرًا خطيبًا.

وتوفى الشيخ مجد الديـن أبـو حـامد موسـى بـن أحمـد بـن محمـود الأقصرائـى شـيخ الشيوخ، فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر - وقـد أنـاف علـى السـبعين - بخانكـاه سرياقوس.

ومـات الأمـير ركـن الديـن بيـبرس الركنـى المظفـرى، كاشـف البحيرة ووالى ثغـر الإسكندرية، عن مال كثير.

---

(١) قاض، له شعر. أصله من تبريز. ولد فى حران ونشأ بدمشق، وولى قضاء صفـد وعـزل وولى قضاء دمياط، فاستمر إلى أن توفى فيها. له «مجموعـة خطـب - خ». انظر: فـوات الوفيـات ١:٢٩٦ والأعلام ٤:٤٩.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله ـ المعروف بالنشو ـ ناظر الخاص، فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، كان أبوه يكتب عند الأمير بكتمر الحاجب وهو ينوب عنه، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركتمر الجمدار، ثم ولى استيفاء الدولة، ثم باشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وأكره حتى أظهر الإسلام، وولى نظر الخاص السلطانى، فبلغ ما لم يبلغه أحد من الأقباط فى دولة الترك، وتقدم عند السلطان على كل أحد، وخدمه جميع أرباب الأقلام، وكان محضر سوء لم يشتهر عنه شىء من الخير، وجمع من الأموال ما لم يجمعه وزير للدولة التركية، وكان مظفرا، ما ضرب على أحد إلا ونال غرضه منه بالإيقاع به وتخريب دياره، وقتل على يديه عدة من الولاة والكتاب، واجتهد غاية جهده فى قتل موسى بن التاج إسحاق، وعاقبه ستة أشهر بأنواع العقوبات، من الضرب بالمقارع والعصر فى كعابه وتسعيطه بالماء والملح وبالخل والجير وغير ذلك ـ مع نحافة بدنه ومرضه بالربو والحمى، فلم يمت، وعاش التاج موسى هذا ثلاثين سنة بعد هلاك النشو.

ومات مجد الدين رزق الله بن فضل الله أخو النشو، خدم وهو نصرانى فى استيفاء الخاص أيام أخيه، ثم أسلم على يد السلطان فى سنة ست وثلاثين كرها، وخدم عند الأمير ملكتمر الحجازى، فعظم شأنه وفعل خيرًا، فلما قبض على أخيه قبض عليه معه، فذبح نفسه فى ثالث صفر.

* * *

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

فى يوم الثلاثاء سابع المحرم: وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعف، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار، وأنزل من القلعة بمكان ضيق حرج. وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون فى الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك. وبعث إليه السلطان يهدده حتى يعترف بما له من المال، ويذكر من كان موافقًا على العصيان من الأمراء.

فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقى، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة. فأمر السلطان فى الليل فأخرج مع ابن صابر المقدم وأمير جندار، وحمل فى حراقة بالنيل إلى الإسكندرية، فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدم، فى يوم الثلاثاء خامس عشره.

وفى يوم الإثنين سادسه: قدم الأمير بشتاك والأمير ألطنبغا الصالحى إلى دمشق فيمن معهما من الأمراء وقد خرج الناس إلى لقائهم، فكان يومًا مشهودًا. ونزل الأمير ألطنبغا بدار السعادة، ونزل الأمير بشتاك بالميدان. ثم قبض على الأمير صاروجا المظفرى ألجيبغا العادلى، وطلب من ألزام تنكز مملوكاه جنغيه وطغيه، وسلما للأمير برسبغا، فعاقبهما أشد عقوبة على المال، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وأجيبغا، ثم وسط جنغيه وطغيه بسوق الخيل، وأكحل صاروجا.

وتتبعت أموال تنكز، فوجد له ما يجل وصفه، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق، تولى البيع فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاى، وهما أعدى عدو له، وكان فى ذلك عبرة لمن اعتبر.

وظهر له من التحف السنية ما يعز وجود مثله: منها مائتا منديل زركش، ومائة حياصة مرصعة بالجوهر، وأربعمائة حياصة ذهب، وستمائة كلفتاه، وثمانية وستون بقجة بها بدلات ثياب زركش، وألفا ثوب أطلس ومائتا تخفيفة زركش وذهب مختوم أربعمائة ألف مثقال. واشتملت جملة ما أبيع له على مائتى ألف دينار، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار.

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتى وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتى رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبًا. ووجد له

من الثياب الصوف ومن النصافى ما لا ينحصر، وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعدما أخذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير.

ووجد لألجيبغا العادلى مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، وألف ومائتى دينار وأصناف كثيرة، فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم، وصودر جماعة من ألزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفى ألف درهم.

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق، وقدم قلعة الجبل، فخلع عليه وأكرم إكرامًا زائدًا. ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخرى باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد، فخلع عليه بنيابة حلب، عوضًا عن طرغاى الجاشنكير.

وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته، وكتب بحضور طرغاى من حلب.

وفيها استقر الأمير أرقطاى فى نيابة طرابلس عوضًا عن طينال، وأقام طينال بدمشق.

وفيها استقر الأمير أقسنقر السلارى فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا فى داره بخط الكافورى، وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة، ما بين أوانى صينى ومسك وعود وغير ذلك، أقام فى بيعه مدة أربعة أشهر، وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفى دينار، سوى ما أنعم به على الأمراء.

ووجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين ألف دينار، وثلاثين حمل سلاح، ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار، وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار.

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن فى سيره إلى ناحية جعبر، فمنعه السلطان من ذلك، لما فى تلك البلاد من الغلاء، وألح تنكز فى الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: «والله لقد تغير عقل أستاذنا، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع منى لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده، وأقوم أنا بتدبير أمره، ويبقى هو مستريحًا». فكتب بذلك جركتمر للسلطان، وكان يتخيل بدون هذا، فأسر فى نفسه منه شيئًا.

واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتابا إلى تنكز، فخنق تنكز لعدم مكاتبته، ورد رسوله من دمشق.

فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، ويسأل ألا يطلع تنكر على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمور أوجبت شدة تغيره عليه، واتفق أيضًا أن غضب تنكز على جماعة من مماليكه، وضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك[1] فكتب منهم جوبان ـ وكان أكبر مماليكه ـ إلى الأمير قوصون يشفع به فى الإفراج عنه من سجن الشوبك. فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب إلى تنكز يشفع فى جوبان فلم يجب عن أمره بشىء، فكتب إليه ثانيًا وثالثا، فلم يجب، فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: «ما تقولون فى هذا الرجل؟ هو شفع عندى فى قاتل أخى فقبلت شفاعته، وأخرجته من السجن وسيرته إليه ـ يعنى طشتمر أخا بتخاص ـ وأنا أشفع فى مملوكه ما يقبل شفاعى» وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان فأفرج عنه.

وكان تنكز رحمه الله فى نيابة دمشق قد أزال المظالم، وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات، وبالغ فى العقوبة على ذلك حتى قتل فيه. وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع. واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة. وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت وجدد عمارة الجامع الأموى، وعمر أوقافه، وأصلح تقاسيم المياه بعد ما كانت فاسدة ونظف مجاريها ووضح طرقها، وهدم الأملاك التى استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرقات المسلوكة. وألزم والى المدينة أن يعلمه بمن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم، فتعذر وجود الخمر فى أيامه، ولم يكن يوجد. واستجد ديوانًا للزكاة، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت. وانكفت الولاة فى أيامه عن الظلم، وأحبته العامة ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين فى أعمالهم، ومنعهم أيضًا من الاجتماع فى الفرج والمتنزهات وغيرها، فصاروا إذا ركبوا فى المواكب لا يقدر أحد منهم يكلم رفيقه وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر، وإذا أخرج تنكز إلى سفر لا يتأخر منهم أحد، سواء قال له: أخرج أو لم يقل له. ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له أو تمشى فى خدمته، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكاتبوا السلطان إلا

---

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.

ويكاتبوه، وأن ترد مكاتباتهم للسلطان عليه بغير ختم ليقف عليها، فإن أرضته بعث بها إلى السلطان وإلا ردها. وأضيف إليه أمر صفد وغزة وكان مغرمًا بالصيد، بحيث يركب له فى السنة ثلاث مرات، آخرها تعدية الفرات فى الشتاء، فإذا ضرب الحلقة تشتمل على ثلاثمائة غزال ونيف، وعلى مائتى رأس من بقر ونعام، وغير ذلك.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر.

وعدى الفرات مرارًا، فاتفق أنه عدى مرة، فحمل إليه الشيخ حسن الكبير وابن سونتاى الهدايا الجليلة، وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجمعهم.

وكانت أولاد دمرداش فى أعمال توريز، فإذا بلغهم مسيره رحلوا خوفًا منه، حتى يبلغهم عوده إلى دمشق.

فلما كانت آخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السر وغيرهم، ومن الضمان والعرفاء. واتخذ الأملاك، وأخذ عدة أوقاف من أولاد الملوك، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم. وسخر الفلاحين، وقطع الزكاة. وأخرق بكثير من الأمراء، وأخرج منهم جماعة عن دمشق، وبالغ فى العقوبة، وساء خلقه كثيرًا.وكانت مدة نيابته ثمانيا وعشرين سنة وأشهرًا.

وفيه طلب شهاب الدين أحمد بن فضل الله، وخلع عليه بكتابة السر بدمشق، بعدما خلفه السلطان عوضًا عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى. فقدم ابن فضل الله إلى دمشق، وقد كاد الأمير برسبغا الحاجب أن يقطع يد ابن القيسرانى بمرسوم السلطان، بعدما صادره، فقام فى ذلك ابن فضل الله حتى أفرج عنه.

وفيه طلب أيضًا شمس الدين موسى بن التاج إسحاق، وخلع عليه، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن فخر الدين محمد بن الحلى بعد موته.

وأخرجت له بغلة النشو التى كان يركبها، وجهز من الخزانة حتى سافر، فباشر الجيش بعفة زائدة، وأبطل ما كان يستهديه من قبله.

وفيه قبض على الأمير مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش، وسلم للأمير برسبغا الحاجب، وطلب جمال الكفاة ناظر الخاص، وخلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص، ولم يجمعهما أحد قبله، ثم أفرج عن ابن قروينة بعدما حمل مائة وثلاثين ألف درهم، بشفاعة الأمير بشتاك.

وفيه قبض على الصاحب أمين الدين أبى سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام وسلم إلى الأمير برسبغا، ورسم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز فعاقبه برسبغا، وعاقب ولده تاج الدين أحمد ناظر الدولة، وأخاه كريم الدين أبا شاكر مستوفى الصحبة، وأخذ أموالهم، ثم خنق أمين الدين.

وفى يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الآخر: مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين، وكان يومًا مهولا، نزل فى جنازته جميع الأمراء. وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء، ورتبت القراء على قبره بجار لهم فى كل شهر من وقف وقفته على قبره، وأقامت سنة تعمل فى كل ليلة جمعة على قبره مجتمعًا يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة، وتمد لهم الأسمطة الجليلة.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا بإقطاع آنوك.

وفى هذه السنة: كثر وقوع الحريق بالنواحى فى أجران الغلال بنواحى قليوب وسنديون وبلاد الغربية والبحيرة[1] ولم يعلم من أين هو. ثم وقع بالقاهرة فى أماكن منها ربع طقزدمر بدار التفاح، فاستعد الناس لذلك.

وفى أخريات جمادى الآخرة: هبت ريح شديدة من بحر الإسكندرية، فاقتلعت نخلا كثيرًا، وهدمت دورًا عديدة، ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركبًا، وصار يقذف المركب إلى البر حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء. وشمل ذلك جميع أراضى مصر قبليها وبحريها وأرض برقة.

وفيه نقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحرى إلى كشف الوجه القبلى.

وفيه نقل علاء الدين على بن الكورانى إلى ولاية الغربية.

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش، وصحبته عدة من المهندسين، وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد، ويحفر فى وسط الشرق المعروف بالرصد عشرة آبار - عمق كل بئر نحو أربعين ذراعا - يركب عليها السواقى حتى يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء.

---

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٣٥١/٢.

وأقام السلطان الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحرى رباط الآثار، ومروا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهدمت عدة بيوت كانت هناك، وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهما عظيما.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعى، فركب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام، و لم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده، وأخرجه منفيًا إلى صرخد[1] وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده، فرجع من سرياقوس.

وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبى بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم، فتوجه الأمير طيبغا المجدى إلى الكرك، وأحضر طلب أبى بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني، واستقر فى نيابة الكرك، وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثًا ولا حكما بين اثنين.

وفيه قدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب، فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها.

وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتى نفر، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصًا، جعل بعضهم فى الطباق، وأسكن منهم عدة القلعة، وأمر منهم جماعة وفرق فى الأمراء منهم جماعة.

وفيها جدد السلطان جامع راشدة، وقد تهدم أكثر جدرانه.

وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وكان سعته نحو عشرة فدادين، وشرع قوصون فى عمارته سبع قاعات، لكل قاعة إصطبل.

وفيها قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.

---

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان ٤٠١/٣.

وفيها استقر ركن الدين بيبرس السلاح دار - أحد أمراء الألوف بدمشق - في نيابة أياس، عوضًا عن مغلطاى الغزى بعد موته.

وفيها شنعت القالة بسوء سيرة الطائفة الأقباعية بخانكاه بيبرس، فرسم السلطان بنفيهم ونفى شيخهم، فأخرجوا منها بأجمعهم. واستقر فى المشيخة بها الشيخ شيرين.

وفيه خرج الأمير بشتاك إلى البلاد الشامية ليتصيد، وقد كتب إلى النواب بملاقاته وتعبية الإقامات له.

وفيها توجه بكلمش الماردينى على البريد بهدية لصاحب ماردين فيها عشرة آلاف دينار، وعشرة رءوس من الخيل ومائتا قطعة قماش، وأربعة فهود.

وفيها قدم الخبر باختلال حال البريد، من كثرة ركوب التجار والعرب البريد، فرسم ألا يركب البريد إلا من يأذن له السلطان فى ركوبه، ويكون معه ورقة بتمكينه من ذلك، وأن يفتش بقطيا كل من ورد، فمن وجد معه ورقة وكتب لغير السلطان أخذت منه وحملت إلى السلطان.

وفيها ركب أمير أحمد الساقى قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية: منها طلب رهائن طغاى بن سونتاى والشيخ حسن بك الكبير، وكانا قد سألا أن يجهز السلطان عسكرا ليسلماه بلاد الشرق، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهنًا على العسكر، فجهز ابن سونتاى ولده برهشين، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه إبراهيم شاه إلى حلب.

وفيه استقر الأمير بهاء الدين أصلم فى نيابة صفد، عوضا عن آقسنقر السلارى، ونقل آقسنقر إلى نيابة غزة، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى دمشق، وأنعم عليه بإقطاع بيبرس السلاح دار المستقر فى نيابة أياس.

وفيه أنعم على الأمير أبى بكر ابن السلطان بإقطاع الأمير أصلم، ورسم للأمير بشتاك أن يتولى أمره، فاستخدم له الوافدية من حلب وغيرهم، حتى أكمل عدته. وعمل السلطان الأمير ألطنقش مملوك الأفرم أستاداره، وزوجه بابنة الأمير ملكتمر الساقى التى كانت تحت أخيه آنوك، وبنى عليها.

وفيه رسم بطلب أجناد الحلقة من الأعمال، فلما تكامل حضورهم تقدم السلطان إلى الأمير برسبغا بعرضهم، فكتبت أوراق بعبرة كل خبز. ثم جلس السلطان بالإيوان، وعرض عليه جماعة كبيرة من المشايخ ومن المحارفين، فقطع الجميع وكتب بإقطاعاتهم

مثالات المماليك السلطانية أرباب الجوامك. وعرض برسبغا بقية الأجناد بالقلعة وفتش عن ثيابهم التى هى عليهم، وقد كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبيس[١] وبساتينها وحوانيتها، وأوراق بمتحصل المعادى[٢] ببولاق، وأوراق بجهات النطرون، وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة. فرسم السلطان أن يوفر الجميع، وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر أخبارهم، وينعم بها على الأمير ألطنبغا الماردينى، ليكون وقفا على جامعه خارج باب زويلة، وعلى الأمير بشتاك ليكون وقفا على جامعه المطل على بركة الفيل.

فلما تم عرض الأجناد قطع السلطان منهم الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات، وفرق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية، وأخرج بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد، فكانت مدة العرض شهرين، أولها مستهل رمضان وآخرها سلخ شوال.

وكتب إلى الأعمال بحمل ما توفر عن الأجناد من الإقطاعات لبيت المال.

وفيه كتبت أوراق بأسماء المجردين إلى بلاد الشرق: وهم الأمير برسبغا الحاجب والأمير كوكاى السلاح دار، والأمير طوغاى الجاشنكير، والأمير قمارى أمير شكار، ومعهم جماعة كثيرة، ورسم أن يكون خرجهم إلى توريز فى نصف ذى الحجة. فاشتد ذلك على الناس، وكثر الدعاء على السلطان بسبب قطع أرزاق الجند.

وفيه كتب بتجهيز عساكر دمشق وحلب وغيرهما للتجريدة إلى توريز، صحبة الأمير طشتمر نائب حلب، ويكون معه عامة أمراء التركمان والعربان.

فتجهز الأمراء والأجناد بمماليك الشام، وبرز نائب حلب بمخيمه إلى ظاهر المدينة وأقام ينتظر قدوم عساكر مصر. فأصبح السلطان فى مستهل ذى الحجة وبه وعك من قرف حدث عنه إسهال لزم منه الفراش خمسة أيام، فتصدق بمال جزيل، وأفرج عن المسجونين بسجن القضاة والولاة بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال.

وفي يوم الأربعاء سادسه: قدم برهشين بن طغاى بن سونتاى وإبراهيم شاه ابن أخى الشيخ حسن الكبير، فى مائتى فارس، فأنزلوا بالميدان، وأجريت لهم الرواتب السنية.

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) المعادى: المقصود بلفظ المعادى هنا المراكب التى كانت تستخدم لتعدية الناس عبر النيل وكان لها مواضع معينة لضبط رسوم التعدية.

ثم أحضروا بين يدى السلطان فى يوم الجمعة ثامنه وفيهم قاضى بغداد وقاضى الموصل وقاضى ديار بكر، فقدموا كتاب طغاى وكتاب الشيخ حسن الكبير، ونسخة أيمانهما وأيمان عامة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعايش بطاعة السلطان، وأنهم من جنده ومقاتلة من عاداه، وقدموا الخطبة التى خطب بها للسلطان فى بغداد والموصل وديار بكر.

فقرئ ذلك كله على السلطان، فعرفهم السلطان أنه رسم بتجهيز العسكر إليهم، وبعد عشرة أيام يستقل بالسفر نحو بلادهم ثم خلع السلطان على الجميع، ورسم لنقيب الجيش باستعجال الأمراء والأجناد فى الحركة للسفر، فشرعوا فى تجهيز أمرهم. وكانت الأحوال متوقفة لقلة وجود الدراهم ورد الباعة من التجار والمتعيشين الذهب لغلو صرفه، فشق ذلك على الناس مشقة زائدة.

وفيه قوى الإسهال بالسلطان، ومنع الأمراء من الدخول إليه، فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج لهم السلام من أمير جندار عن السلطان فانصرفوا.

وكثر الكلام إلى يوم الإثنين ثانى عشره، فخف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع للأمراء، ووجهه متغير.

فلما انقضت الخدمة نودى بزينة القاهرة ومصر، وجمعت أرباب الملاهى بالقلعة وجمع الخبز الذى بالأسواق، وعمل ألف قميص، وتصدق السلطان بذلك مع جملة مال.

وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سرورًا بعافية السلطان، وعمل الأمير ملكتمر الحجازى نفطًا كثيرًا فى سوق الخيل تحت القلعة، والسلطان قاعد لنظره، فاجتمع الناس من كل جهة لرؤيته.

وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقبابها المحمولة على الجمال، ولعبوا بالرماح تحت القلعة. وخرجت الركابة والكلابزية وطائفة العتالين والحجارين إلى سوق الخيل للعب، ثم داروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع هم والطبلكية فحصل لهم شىء كثير جدًا، بحيث جاء نصيب مهتار الطبلخاناه ما قيمته ثمانون ألف درهم، وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر.

وفيه رسم بعرض الجند المجردين فى غد، فطلعوا إلى القلعة. وبينا هم فى انتظار العرض إذ قدم إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردين بكتابه يتضمن أن أولاد دمرداش لما بلغهم طلب الشيخ حسن الكبير وطغاى بن سونتاى من السلطان أن يجهز

لهم عسكرًا ليأخذ البلاد، وأنهما حلفا له وحلفا أهل البلاد وخطبا باسمه على منابر بغداد والموصل، ركبوا إلى محاربتهما، فطلب منهم الشيخ حسن الكبير الصلح، وحلف لهم وسار إليها طائعًا، فأكرموه وكتبوا لطغاى بن سونتاى أمانا، واتفقوا على أن يعدوا الفرات إلى الشام. وأشار صاحب ماردين ألا تخرج التجريدة إلى توريز، فإنه ليس لسيرها فائدة. فتفرقت الأجناد من القلعة بغير عرض، وبعث السلطان من ليلته بجواب صاحب ماردين، واقتضى رأيه أن يكشف عما ذكره، فإن برهشين بن طغاى اتهمه فى ذلك.

فلما كان نصف ليلة: العيد هبت ريح عاصفة ألقت الزينة، ثم أمطرت مطرًا عظيما أتلف كثيرًا من الزينة.

وكانت عامة ببلاد الشرقية[١] والغربية والمنوفية[٢]، ونزل بتلك الأعمال برد كبار قتل من الغنم والدجاج كثيرًا، وتلفت غلال كثيرة كانت بالأجران، فإنه كان فى شهر بشنس.

وأصبح يوم الأحد: يوم العيد، وقد اجتمع الأمر لخروج السلطان إلى صلاة العيد، وقد قوى به الإسهال وأجمع رأيه على ألا يشهد صلاة العيد، فمازال به الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان. وأمر السلطان قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز فى خطبته، فما هو إلا أن صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه، فقام وركب إلى القصر، وأقام يومه. ثم قدم البريد من حلب بصحة الخبر بصلح الشيخ حسن الكبير وطغاى مع أولاد دمرداش، فانزعج السلطان لذلك انزعاجًا شديدًا، واضطرب مزاجه، فحدث له إسهال دموى.

وأصبح يوم الإثنين: وقد منع الناس من الاجتماع به ثم أشاع الأمير قوصون والأمير بشتاك أن السلطان قد أعفى الأجناد من التجريدة إلى توريز، ونودى بذلك فى يوم الخميس رابع عشره، ففرح الناس فرحًا زائدًا، إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان انتكس، فساءهم ذلك. وأخذ الأمراء فى إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة، فارتجت المدينة وماجت بأهلها.

واستعد الأمراء لاسيما قوصون وبشتاك، فإن كلا منهم احترز من الآخر وجمع عليه أصحابه، وأكثروا من شراء الأزيار والدنان وملأوها ماء، وأخرجوا القرب والروايا والأحواض، وحملوا إليهم البشماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير، خوفًا من وقوع

(١) الشرقية: نسبة إلى الشرق: كورة من كور مصر.

(٢) منوفية: من قرى مصر القديمة لها ذكر فى فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٥/٢١٦.

الحرب ومحاصرة القلعة. فكان يومًا مهولا، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق، ونهبوا الحوانيت التى تحت القلعة وسوق صليبة جامع ابن طولون. فارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى ثلاثين درهما، وغلق التجار وأرباب المعايش حوانيتهم خوفًا من وقوع الفتنة.

هذا وقد تنكر ما بين قوصون وبشتاك، واختلفا حتى كادا يقتتلان. وبلغ ذلك السلطان فزاده مرضًا على مرضه، وكثر تأوهه وتقلبه من جنب إلى آخر، وتهوس بذكر قوصون وبشتاك نهاره. ثم استدعى السلطان بهما، فتنافسا بين يديه فى الكلام فأغمى عليه، وقاما من عنده على ما هما عليه.

فاجتمع فى يوم الإثنين ثامن عشره الأمير جنكلى والأمير آل ملك والجاولى والأحمدى وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم مملوكا إلى قوصون وبشتاك ليأخذا لهم الإذن على العبور على السلطان، فأخذوا لهم الإذن. فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولى وآل ملك للسلطان كلاما حاصله أن يعهد أن أحد أولاده، فأجاب إلى ذلك، وطلب ولده أبا بكر، وطلب قوصون وبشتاك، وأصلح بينهما. ثم جعل السلطان ابنه أبا بكر سلطانًا بعده، وأوصاه بالأمراء، وأوصى الأمراء به، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطانًا، وجعل قوصون وبشتاك وصييه، وإليهما تدبير ابنه أبى بكر وحلفهما.

ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية، وأكد على ولده فى الوصية بالأمراء، وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام، وهم طيبغا حاجى وألجيبغا العادلى وصاروجا، ثم قام الأمراء. فبات السلطان ليلة الثلاثاء، وأصبح وقد تخلت عنه قوته، وأخذ فى النزع يوم الأربعاء، فاشتد عليه كرب الموت حتى مات أول ليلة الخميس حادى عشريه، وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام. وأمه أشلون بنت سكناى بن قراجين بن جيغان، وقدم سكناى هو وأخوه قرمشى بن قراجين فى سنة خمس وسبعين وستمائة، صحبة سنجر الرومى فى أيام الظاهر بيبرس، فتزوج الأمير قلاوون بابنة سكناى، فى سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها. زوجه إياها عمها قرمشى، فولدت الناصر محمدا على فراش الملك المنصور قلاوون[1] فى الساعة السابعة من يوم السبت

---

(١) قلاوون الألفى العلائى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٧: ٢٩٢ وفوات الوفيات ٢: ١٣٣ والأعلام ٥/ ٢٠٣.

سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة. وأقيم الناصر فى السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف خليل[1] سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وعمره تسع سنين ثم خلع فى سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين، وجرى له ما تقدم ذكره إلى أن حضر من الكرك، وأعيد إلى الملك ثانيا. فأقام فى الملك إلى سنة ثمان وسبعمائة، وخرج يريد الحج، فتوجه إلى الكرك غيظا من حجر سلار وبيبرس عليه. فقام بيبرس فى السلطنة ثم اضطربت أموره، وقدم الناصر من الشام إلى مصر، فملك مرة ثالثة فى شوال سنة تسع وسبعمائة واستبد الناصر من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما، كانت له فيها سير وأنباء كما تقدم. وكان الناصر أطول ملوك زمانه عمرا وأعظمهم مهابة: فإنه أول ما بدأ به بعد قدومه من الكرك القبض على الأمراء البرجية وغيرهم فى يوم واحد، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميرًا.

وأوقع مهابته فى القلوب بالقتل وأخذ الأموال، فمنهم من قتله جوعا وعطشا، ومنهم من أتلفه بالخنق، ومنهم من غرقه، ومنهم من نفاه، ومنهم من سجنه فأقام مسجونا العشرين سنة فما دونها. وأكثر الناصر من جلب المماليك والجوارى، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال، ووصف لهم حلى المماليك والجوارى وسيرهم إلى بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد. فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم، وأنعم على تلك المماليك فى يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم. ولم تكن هذه عادة من تقدمه من الملوك، فإنهم كانوا إذا قدم لهم المملوك عرفوا جنسه، ثم أسلموه إلى الطواشى المقدم فيضيفه إلى جنسه من المماليك، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة، ويمرنه فى الرمى بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية، وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكى، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط. ثم يدرج المملوك فى الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة دنانير، فإذا التحق بالرحال أقيم ذلك الوقت فى وظيفة من الوظائف اللائقة به، فيقوم بها على ما ينبغى من الأدب الذى تأدب به فى صغره، ثم يترقى المملوك، فإذا وصل إلى منزلة كبيرة ورتبة عالية عرف مقدارها، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم فأعرض الملك الناصر عن هذا وكان يسفه

---

(١) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشافعية وقاتل الإفرنج وقتله بعض المماليك غيلة بمصر انظر: فوات الوفيات ١:١٥١ والنجوم الزاهرة ٨:٣ والأعلام ٢/٣٢١.

رأى المملوك فيه، ويقول إذا عرض له بشىء من ذلك وبقى يبلغ المملوك قصده من أستاذه أو أستاذه منه إذا فعل معه هذا، بل إذا رأى المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسى بلاده، ورغب فى أستاذه.

فأكثر التجار من جلب المماليك إليه، فطار فى البلاد فعل السلطان معهم، فأعطى المغل أولادهم وبناتهم وأقاربهم للتجار، وباعوهم منهم رغبة فى سعادة مصر، فبلغ ثمن المملوك على التاجر ما بين عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألف درهم، ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم وقدموا إلى مصر. فكان السلطان يدفع فى المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها، واقتدى به الأمراء فى ذلك، حتى إن بعض أمرائه كان له مملوك حظى كان له فى كل يوم ثمانون عليقة وكان لأمير آخر مملوك حظى له فى كل يوم أربعون عليقة. وكان فى الأمراء من يبلغ خاصة فى كل سنة زيادة على مائتى ألف دينار، مثل بكتمر وقوصون وبشتاك، ومن عداهم يزيد خاصه على مائة ألف دينار فى السنة، ومنهم من ينقص عن ذلك.

وشغف السلطان الناصر أيضا بالخيل، فجلبت له من البلاد، لاسيما خيول العرب آل منها وآل فضل، فإنه كان يقدمها على غيرها، ولهذا كان السلطان يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب فى خيولهم، ويتغالى فى أثمانها.

وكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوى أخذوها منه بأغلى القيم، وأخذوا من السلطان مثلى ما دفعوه فيها. وكان له فى كل طائفة من طوائف العرب عين يدله على من عنده منهم الفرس السابق أو الأصيل حتى يأخذها بأكثر مما فى نفس صاحبها من الثمن. فتمكنت منه بذلك العربان، ونالوا المنزلة العلية، وحظوا بأنواع السعادات فى أيامه. وكان يكره خيول برقة[1] فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية فى الجودة، وما عدا ذلك منها إذا حملت إليه فرقه بخلاف خيول العرب آل مهنا وآل فضل، فإنه كان لا يسمح بها إلا للخاصكية.

وكانت له معرفة بالخيل وأنسابها وذكر من أحضرها ومبلغ ثمنها، بحيث يفوق فيها من عداه. وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور: «هات الفرس الفلانية التى أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا». ولما اشتهرت رغبته فيها بين العرب جلبت له

---

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج فسيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين. انظر: معجم البلدان ٣٨٨/٢، ٣٨٩، والروض المعطار ٩١، والاستبصار ١٤٣، والإدريسى ٩٨/٣١، والبكرى ٤.

من بلاد العراق ومن البحرين والحسا والقطيف وبلاد الحجاز، وتقرب بها إليه عامة طوائف العرب، وجلبوها له. وكان إذا جاءه شيء منها عرضه، ودفع في الفرس العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين ألف درهم، سوى الإنعام على مالكها، وكان صاحب الفرس إذا اشتد عليه زاده حتى يرضيه، فإذا أخذ ثمن فرسه وأراد السفر إلى بلاده أنعم عليه بتفاصيل ثياب تصلح له ولعياله، سوى السكر ونحوه. وطالما وزن كريم الدين الكبير فى أثمان خيول العربان التى جلبت للسلطان دفعة واحدة مبلغ ألف ألف درهم، ومبلغ خمسمائة ألف درهم، ودون ذلك.

وكانت خيول مهنا وأولاده فيها ما بلغ الفرس منها إلى ستين ألف وسبعين ألف درهم وفى حجورتهم ما بلغ ثمانين ألف وتسعين ألفا ومائة ألف درهم. وبلغ ثمن بنت الكرتا التى أحضرها محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا[1] للسلطان، سنة خمس عشرة وسبعمائة مائة ألف درهم وضيعة بثمانين ألف درهم. وأقطع السلطان الناصر عرب آل مهنا وآل فضل بسبب الخيل عدة ضياع بأراضى حماة وحلب، سوى أثمانها.

فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئًا له قدم عليه فى معنى أنه جاء ليدله على فرس عند فلان يقال لها كذا، ويعظم أمرها عنده، فيكتب السلطان من فوره بطلب تلك الفرس، فيشتد صاحبها ويمتنع من قودها، ثم يقترح ما شاء من الضياع، ولايزال حتى يبلغ غرضه، وصار ذلك معروفا فيما بينهم. وكان السلطان الناصر أول من اتخذ من ملوك الأتراك ديوانا للإصطبل، عمل له ناظر وشهودا وكتابا لضبط أسماء الخيل وشياتها وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ ثمنها ومعرفة سواسها، وغير ذلك من أحوالها. وكان لايزال يتفقد الخيول، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار[2] بعد ما يحمل عليها حصانا يختاره، ويأمر بضبط تاريخ نزوه،

---

(١) مهنا (الثانى) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى حسام الدين من آل فضل ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام وصاحب «تدمر» وآل فضل من طيء. كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشرف سنة ٦٩٢هـ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤هـ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢هـ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة ٧١٧. مات بالقرب من سلمية وقد أناف على الثمانين. انظر: ابن خلدون ٤٣٨/٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤-٣٧٠ والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

(٢) الجشر: بقل الربيع، وحشروا الخيل وحشروها: أرسلوها فى الجشر، والجشر: أن يخرجوا بخيلهم فيرعوها أمام بيوتهم، وأصبحوا حشرًا. وجشرًا إذا كانوا يبيتون مكانهم لا يرجعون إلى أهليهم، والجشار: صاحب الجشر، وفى الحديث عن عثمان، رضى الله عنه، أنه قال: «لا يغرنكم جشركم من صلاتكم فإنما يقصر الصلاة من كان شاخصًا أو يحضره عدو»، قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبيتون مكانهم، ولا يأوون إلى البيوت، وربما رأوه سفرًا فقصروا الصلاة،=

فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها، ومع ذلك فإنه كان يرغب فى الفرس الذى يجلب إليه أكثر مما توالد عنده. فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا فى أيامه، وكثرت سعادتها واتسعت أحوالها بالأموال والضياع، وحملتهم الدالة حتى طلبوا من السلطان الناصر بلاد أمراء حلب وحماة ودمشق، فأنعم بها عليهم، وعوض الأمراء عنها، حتى صاروا من القوة والكثرة بحيث يخافهم من عداهم من سائر العرب. وشمل الغنى عامتهم، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتيهم أو مصائفهم تكون أموالهم من الذهب والفضة ملء رقاب الجمال، إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التى لا تدخل تحت حصر. ولبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنى بالطرز الزركشى والشاشات المرقومة بالطرز، ولبسوا القرضيات بالطرز الزركشى والداير الباولى والإسكندرى المطرز بالذهب وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع، وعمل لهن الشنابر المشهرة بأكر الذهب، والأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهن القماش السكندرى والشرب والشمع، وعمل لهن البراقع المزركشة والمسك وأنواع الطيب.

وذلك بعدما كان لبس أمرائهم إلى آخر الأيام المنصورية قلاوون الطراطير الحمر من تحت العمائم الشامية من القطن، وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجى.

وأول من لبس منهم طرد وحش مهنا بن عيسى فى أيام المنصور لاجين لمودة بينهما، فأنكر الأمراء ذلك، فاعتذر لهم لاجين بتقدم صحبته له وأياديه عنده، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك. وقدم مهنا وأخوه فى أيام تحكم بيبرس وسلار فى الدولة، فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب، وينزلا عما بأيديهما عوضًا عنها، فغضب الأمين سلار من ذلك، وقال: «يا عرب وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد وتعملوها لكم إقطاعًا»، ونهرهما، فخرجا من عنده على حالة غير مرضية. ولما عدى الظاهر بيبرس الفرات، وكسر المغل، وكان معه مهنا بن مانع بن حذيفة[1] فى ألفين من عربه وكانوا يقفون على مخائص الفرات، ويتقدمون بين يدى العسكر خوفا من غرقهم.

=فنهاهم عن ذلك؛ لأن المقام فى المرعى وإن طال فليس بسفر، وفى حديث ابن مسعود: «يا معشر الجشار لا تغتروا بصلاتكم»، الجشار جمع جاشر. انظر لسان العرب ٦٢٦، الجشار مرج الخيل، والجشر إفراج الدواب للرعى. انظر: القاموس المحيط.

(١) مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة (أو عصبة) بن فضل بن ربيعة، من طيء من قحطان: رأس آل مهنا آل فضل أمراء البادية وفى نسبه اختلاف يسير. تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٣٠هـ وحضر مع المظفر لقتال هولاكو ملك التتار سنة ٦٥٨هـ فكافأ قطز بانتزاع مدينة سلمية من الملك المنصور محمد بن محمود صاحب حماة، وتسلمها إليه إقطاعًا. انظر: صبح الأعشى ٤:٢٠٥،٢٠٦ الضوء اللامع ٥:١٤٦، والأعلام ٣١٧/٧.

فلما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب سأل مانع أبو مهنا[١] الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال. فلما تحدث قلاوون فى ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشىء حتى حضر مانع فى الخدمة مع الأمراء، فقال له: «ويلك يا بدوى نحس وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدت، وتبرطل السلطان على ملكه، وا لله لئن سمعت عنكم شيئًا من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجًا نحسًا» وأكثر من هذا وشبهه، فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه. فخالف السلطان الناصر سيرة من تقدمه من الملوك فى أمر العرب حتى قال له صفرة بن سليمان بن مهنا: «لقد أفسدت علينا نسواننا»، يريد لكثرة ما غمرهن السلطان بالمال. وأرسل له مرة بن مهنا مع قاصده يقول له: «خف ا لله فى المسلمين وبيت المال، فإنك تفرقه على العرب ونسائهم وصغارهم. فكيف يحل لك هذا؟ ومتى سمعت عن بدوية أنها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفى يدها سوار من حديد؟ وإن شمت طيبًا فمن زاد بهذا لها؟ فوا لله لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم وأطمعتهم فى شىء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك». ونحو ذلك من العتب.

ومات السلطان الناصر وفى الجشارات ثلاثة آلاف فرس، يعرض فى كل سنة عليه فيدمغها ويسلمها للركابين من العربان لرياضتها، ثم ينعم بأكثرها على الأمراء والخاصكية، ويفرح بذلك، ويقول: «هذه فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة، عمرها كذا وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا» وكان يتقدم إلى الأمراء أن يضمروا الخيول، ويرتب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس فى كل سنة يضمرها، ويسير للأمير أيدغمش أمير آخور أن يضمر خيلا من غير أن يعلم الأمراء أنها للسلطان بل يشيع أنها له، ويرسلها للسباق مع خيل الأمراء فى كل سنة.

وكان عند الأمير قطلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية. وكان السلطان يرسل إلى مهنا وأولاده أن يحضروا بالخيل السبق عندهم للسباق ثم يركب إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، ويرسل الخيل وعدتها دائما ما ينيف على مائة وخمسين فرسا، إلى أن بعث، مهنا مع ولديه سليمان[٢]

---

(١) مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة من بنى حراح من طىء: أمير عربان البادية بين الشام والعراق، ولى مانع أمرهم فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكتب له «تقليد شريف» بذلك على العادة الجارية فى تولية أمثاله واستمر إلى أن توفى. انظر: صبح الأعشى ٤:٢٠٦ وهو فيه: مانع. وكل ما بين أيدينا من تراجم أبنائه وأحفاده بالنون والأعلام ٥/٢٦٨.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة ويلقب علم الدين: أمير عرب=

وموسى[1] حجرة شهباء على أنها إن سبقت كانت للسلطان، وإن سُبقت ردت عليه، بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويها الذى قادها.

فلما ركب السلطان والأمراء، ووقفوا على العادة ومعهم أولاد مهنا بالميدان، وأرسلت الخيل من البركة كما جرت به العادة، ركب البدوى حجرة مهنا الشهباء عريا بغير سرج، وقد لبس قميصا ولاطية فوق رأسه. فأقبلت الخيل تتبع بعضها بعضا، وهى قدام الجميع وبعدها على قرب منها حصان لأيدغمش يعرف بهلال. فلما وقف البدوى بالشهباء بين يدى السلطان صاح بصوت ملأ الخافقين: «السعادة لك اليوم يا مهنا، لا شقيت» وألقى نفسه إلى الأرض من شدة التعب، ثم قدم الحجرة للسلطان.

فكان هذا دأب السلطان الناصر فى كل سنة. وترك السلطان الناصر أيضًا بالإسطبلات أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس، ما بين حجورة ومهارة وفحولة وأكاديش، وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف، سوى أتباعها. وكان يحب الصيد، فلم يدع أرضًا تعرف بصيد الطير إلا وأقام بها صيادين مقيمين فى البرية أوان الصيد.

وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسناقر والبزاة، حتى كثرت السناقر فى أيامه، فصار كل أمير عنده منها عشرة سناقر وأقل وأكثر. وجعل لها بازدارية جوندارية[2]، وأقطع عدة منهم الإقطاعات، وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والكساوى وغير ذلك.

وترك بعد موته مائة وعشرين سنقرًا لخاصه، ولم يعهد مثل هذا لملك قبله بمصر، بل كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد، فإذا ركب السلطان فى الموكب كان بازداره أيضًا راكبا والسنقر على يده.

=آل فضل، فى بادية حمص والفرات كان معروفًا بالنجدة مواليا لسلاطين مصر والشام قبل أن يلى الإمارة لجأ إلى قراسنقر نائب الشام سنة ٧١١هـ خائفًا من السلطان الناصر فرحل معه إلى ملك التتر فى ماردين وأقام إلى سنة ٧٣٢هـ وعاد فنزل الرحبة ثم ركب إلى مصر فأقبل عليه الناصر وولاه إمرة العرب بدلاً من أخيه موسى أو بعد وفاة موسى سنة ٧٤٢هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر: الدرر الكامنة ٢:١٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠:١٠٣ وابن خلدون ٥:٤٣٩ والأعلام ١٣٥/٣.

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام ـ يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) على هامش ط: الجوندارية طائفة المكلفين بخدمة طيور الصيد من الكراكى والبلشونات وحملها إلى موضع تعليم الطيور الجوارح ومفرد هذا اللفظ جوندار وأصله حيوان دار.

ولما توجه الأمير حسام الدين طرنطاى لحصار سنقر الأشقر بصهيون سأل أن يكون هذا السنقر فى طلبه، ليتجمل به من غير أن يتصيد به ولا يرميه على صيد.

وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر، وترك ثمانين جوقة كلاب الصيد بكلابزيتها، وكان قد اتخذ لها موضعًا بالجبل.

وعنى السلطان الناصر أيضًا بجمع الأغنام، وأقام لها خولة وكان يبعث فى كل سنة الأمير آقبغا عبد الواحد فى عدة من المماليك السلطانية ليكشف المراحات من قوص إلى الجزيرة، ويأخذ منها ما يتخيره من الأغنام، وكان يجرد أيضًا إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأغنام. وعمل السلطان لها حوشًا بقلعة الجبل، وأقام لها خولة نصارى من الأسرى.

وعنى أيضًا بالإوز، وأقام لها عدة من الخدم والجوارى، وجعل لها جايرا بحوش الغنم. فبلغت عدة الأغنام التى تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس، سوى أتباعها. فاقتدى به الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جدًا فى عامة أرض مصر قبليها وبحريها.

وكان السلطان الناصر كثير العناية بأرباب وظائفه وحواشيه من الأمير آخورية والأوجاقية، وغلمان الإصطبل والبزدارية، والفراشين والخولة والطباخين. فكان إذا جاء أوان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مع أمير آخور وأوجاقى وسايس وركبدار، وترقب عودتهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شح الأمير عليهم فى عطائه تنكر له وبكته بين الأمراء ووبخه.

وقرر أن يكون أمير آخور الكبير بينهم بقسمين، ومن عداه بقسم واحد. وكان أيضًا إذا بعث إلى أحد من الأمراء طيرا مع أمير شكار أو أحد من البزدارية يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كامله بحياصة ذهب وكفلتاه زركش، فيعود بها ويقبل الأرض بين يدى السلطان، فيستدنيه ويفتش خلعته.

وكانت عادته أن يبعث يوم النحر أغنام الضحايا إلى الأمراء مع الأبقار والنوق، فبعث مرة صحبة بعض الخولة النصارى إلى الأمير بيبغا حارس الطير ثلاثة كباش، فأعطاه بيبغا عشرة دراهم فلوسًا، فعاد الخولى إلى السلطان فقال له: «وأين خلعتك» فطرح الفلوس بين يديه وعرفه بها، فغضب وأمر بعض الخدام أن يسير بالخولى إلى بيبغا، ويقول له: «قال لك السلطان: لا فتح الله عليك برزق. ويلك أما كان عندك قباء ترميه على غلامى؟. وخله يلبسه طرد وحش». فلما بلغه الخادم ذلك ندم وأخذ يعتذر، وألبس الخولى قباء طرد وحش.

وكانت حرمته ومهابته قد تجاوزت الحد، حتى إن الأمراء إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث مع رفيقه بكلمة واحدة، ولا يلتفت نحوه، خوفا من مراقبة السلطان لهم.

وكان لا يجسر أن يجتمع مع خشداشه فى نزهة ولا غيرها، من رمى النشاب ونحوه، فإذا بلغه اجتماع أحد مع آخر أسر ذلك فى نفسه، وأمسكه أو نفاه.

وخرب السلطان الناصر عدة مرار مرامى النشاب، ومنع المماليك من الرمى، وأغلق حوانيت البندقانيين وصناع قسى النشاب وقسى البندق، ونادى من عمل قوس بندق شنق. وخرب مرة دكاكينهم، من أجل أن مملوكا رمى بالبندق فوقعت فى عين امرأة قلعتها. ولقى غازان عهلى فرسخ من حمص، ثم كانت له وقعة شقحب المشهورة. ودخل بعساكره بلاد سيس، وقرر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم فى السنة كما كان، بعد امتناعهم من حمله. وغزا ملطية[١] وأخذها، وغزا بلاد سيس[٢] بعسكر مصر ثلاث مرات - بعدما أمر التركمان بالغارة عليها - وخرب بلادهما حتى قرر عليهم الخراج ستمائة ألف درهم فى كل سنة، ومنعوا الخراج مرة، فبعث العسكر وأخذ مدينة أياس، وخرب البرج الأطلس وسبعة حصون، وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد. وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج، وغزا بلاد اليمن[٣] وبلاد عانة[٤] والحديثة فى طلب مهنا. وبعث العساكر فى طلب الشريف حميضة نحو الحسا[٥] والقطيف[٦] وجرد إلى مكة والمدينة العساكر لتمهيدها، ومنع أهلها من حمل السلاح بها.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها، وأجرى نهر حلب إلى المدينة، وعمر دمشق. وولى

---

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر: معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٢) بلاد سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس انظر: معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) اليمن: البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنًا لأنه عن يمين الكعبة، كما سمى الشام شامًا لأنه عن شمال الكعبة، والحجاز حجازًا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمى اليمن ليمنه والشام لشؤمه، وقيل سمى اليمن يمنًا بتيمن ابن قحطان. انظر: معجم البلدان ٤٤٧/٥، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ١٤٠١/٤.

(٤) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من فى أعمال الجزيرة. انظر: معجم البلدان ٧٢/٤.

(٥) الحسا: واد بأرض الشرعية من ديار عبس وغطفان. انظر: معجم البلدان ٢٥٨/٢.

(٦) القطيف: هى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبتها وأعظم مدنها. انظر: معجم البلدان ٣٧٨/٤.

بلاد الروم نيابة لأرتنا، وخطب له بها وبماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا[١] وبغداد وغيرها من بلاد الشرق، وهو بكرسى ملك مصر. وأتته هدية ملوك المغرب والهند والصين[٢] والحبشة[٣] والتكرور[٤] والنوبة[٥] والترك والروم والفرنج.

وكان السلطان الناصر على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور، فلم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش فى شدة غضبه ولا فى انبساطه وكان يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، وإذا غضب على أحد لا يذكر له ذلك. وكان يقتصد فى لباسه، فيلبس كثيرا البعلبكى والنصافى المتوسط، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر، ويركب بالسرج المسقط بالفضة التى زنتها دون المائة درهم، وعباءة فرسه إما تدمرى أو شامى ليس فيها حرير.

وكان مفرط الذكاء، يعرف جميع مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم، ويعرف بهم الأمراء، وكذلك مماليكه لا يغيب عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته.

وكان يعرف أيضا غلمانه وحاشيته على كثرة عددهم، ولا يفوته معرفة أحد من الكتاب، فإذا أرد أن يولى أحدا مكانا أو يرتبه فى وظيفة استدعى جميع الكتاب إلى بين يديه، واختار منهم واحد أو أكثر من غير أن يرجع فيهم إلى أحد، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف.

---

(١) حصن كيفا: ويقال كيبا، أظنها أرمينية: وهى بلدة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٦٥

(٢) الصين: بلاد فى مطلع الشمس، يقال إن فيها ثلاثمائة مدينة ونيفًا عامرة كلها سوى القرى والرساتيق، ومن خرج إليها قطع سبعة أبحر، لكل منها لون وريح ليس فى غيره، أول بحورهم بحر فارس. انظر: معجم البلدان ٣/٤٤٠:٤٤٨، والروض المعطار ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) الحبشة: بالتحريك والشين معجمة، درب الحبش: بالبصرة فى خطة هذيل نسبة إلى حبش. انظر: معجم البلدان ٢/٢١٣.

(٤) تكرور: مدينة فى بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهى أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، ومن مدينة سلى وتكرور إلى سجلماسة أربعون يومًا بسير القوافل وأقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة الصحراء أزقى وبينهما خمس وعشرون مرحلة. انظر: معجم البلدان ٢/٣٨، والروض المعطار ١٣٤، والإدريسى ٣/٤، والاستبصار ٢١٧، والبكرى ١٧٢، وصبح الأعشى ٥/٢٨٦.

(٥) النوبة: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها وهى بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر، أول بلادهم بعد أسوان. انظر: معجم البلدان ٥/٣٠٨، ٣٠٩.

وكان فيه تؤدة، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك فى نفسه، وتروى فيه مدة طويلة، وهو ينتظر له ذنبا يأخذه به، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير والأمير أرغون النائب والأمير طغيه وغيرهم، فإنه أقام عدة سنين يريد القبض عليهم وهو يتأنى ولا يعجل، إلى أن عثر لهم على ذنوب توجب له أخذهم بها، حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع فى أيامه خراب أو خلل، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل.

وكان يستبد بأمور مملكته، ويتفرد بالأحكام، حتى إنه أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده. وكان يكره أن يقتدى بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك. وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه، ويبعد من يشربه من الأمراء عنه.

وبلغ السلطان الناصر من الكرم والجود والأفضال وسعة العطاء غاية تخرج عن الحد، فوهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا، ولم يزل مستمر العطاء لخاصكيته ما بين عشرة آلاف دينار ونحوها.

وسئل النشو: «هل أطلق السلطان يومًا ألف ألف درهم؟»، قال: «نعم كثيرًا». وأنعم فى يوم على بشتاك بألف ألف درهم فى ثمن قرية، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم فى ثمن القريتين. واشترى من الرقيق - فى مدة أولها شعبان سنة اثنين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين - بأربعمائة ألف دينار وسبعين ألف دينار.

وكان ينعم على تنكز فى كل سنة يتوجه إليه بما يزيد على ألف ألف درهم، وأنعم يومًا على قوصون بزردخاناه بكتمر الساقى، وقيمة ما فيها ستمائة ألف دينار، أخذ السلطان من الجميع سرجًا واحدًا وسيفًا واحدًا.

ولما تزوج قوصون بابنته حمل إليه الأمراء شيئًا كثيرًا، ثم بعد ذلك زوج ابنته الأخرى بطغاى تمر وقال: «ما نعمل له عرسًا، لأن الأمراء يقولون هذه مصاردة بحسن عبارة»، ونظر إلى طغاى تمر فرآه وقد تغير. فقال للقاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص: «يا قاضى اعمل لى ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون»، فعمل ورقة وأحضرها، فقال: «كم الجملة؟»، فقال: «خمسون ألف دينار»، فقال: «أعط نظيرها من الخزانة لطغاى تمر»، وهذا سوى ما دخل مع الزوجة من الجهاز.

وجرى يومًا عند السلطان ذكر عشرين ألف دينار، فقال يلبغا اليحياوى: «يا خوند أنا والله عمرى ما رأيت عشرين ألف دينار»، فلما راح من عنده طلب النشو وقال له: «احمل الساعة إلى يلبغا عشرين ألف دينار، وجهزها مع الخازندارية، وجهز خمسة

تشاريف أحمر أطلس بكلفات زركش وطرز زركش وحوائص ذهب ليخلع ذلك عليهم».

وكان راتب مطبخه، ورواتب الأمراء والكتاب الذين هم على مطبخه، فى كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم. وكانت نفقات العمائر الراتب لها فى كل يوم ألفا درهم، سوى ما يطرأ.

وبالغ السلطان الناصر أخيرًا فى مشترى المماليك: فاشترى صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم، سوى تشريف أستاذه، وغير ما كتب له من المسامحة، وأما العشرة والعشرين والثلاثين فكثير. وغلا الجواهر واللؤلؤ فى أيامه. وبذل فى أثمان الخيل ما لم يسمع بمثله. وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله.

وعرفت رغبته فى الجواهر، فجلبها إليها التجار من الأقطار، وشغف بالسرارى، فحاز منهن كل بديعة الجمال. وجَهَّز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم، فكان أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار: منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلق به بمائة ألف دينار، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك. ثم إنه زوجهن من مماليكه: مثل الأمير قوصون، والأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا الماردينى، والأمير طغاى تمر، والأمير عمر بن النائب وغيرهم، وجهز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك وبأكثر منه. واستجد النساء فى أيامه المقنعة والطرحة بنحو عشرة آلاف دينار، وبما دون ذلك إلى خمسة آلاف درهم، والفرجيات بمثل ذلك. واستجد أيضًا فى أيامه للنساء الخلاخيل الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، والقباقيب الذهب المرصعة بالجواهر، والأوطية[1] المرصعة، والأزر الحرير، فكانت قيمة إزار المرأة من آحاد النساء ألف درهم، عنها نحو الخمسين دينارا مصرية.

وكان السلطان الناصر يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر، وبذلك كان ينال مقاصده منهم ويبلغ أغراضه فيهم، فإنه كان يعم نواب الملك والخواتين بما يبهرهم به من المصاغ والجواهر والقماش الإسكندرى المناسب لهم.

واتفق أنه جهز مرة لأبى سعيد بن خربندا صحبة الأمير أيتمش المحمدى هدية عظيمة جدا، فقال له الفخر ناظر الجيش: «قد أغنى الله السلطان عن هؤلاء - فإنهم فى طاعته - عن أن يبعث لهم بهذا المال». فقال له: «اسكت يا قاضى فخر الدين والله لو علمت الذى أعلمه ما قلت هذا. اعلم يا قاضى أن المال الذى أسيره إليه ما يجيء قدر ثمن

---

(١) الأوطية والأوطئة جمع وطاء، وهو الحذاء.

الروايا وكلف السقايين الذين يذهبون معى فى البيكار، وأكون قد وفرت نفسى وعسكرى».

ولم يعهد فى أيام ملك قبله ما عهد فى أيامه من مسالمة الأيام له، وعدم حركة الأعداء برا وبحرًا وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه وكان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداوية، لكثرة بذله لهم الأموال.

وكان يحب العمارة، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة، فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم. وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختار.

ولم يكن من قبله من الملوك فى الإنفاق على العمارة كذلك، بل أراد المنصور قلاوون مرة أن يبنى مصطبة عليها رفرف يقيه حر الشمس ليجلس عليها، فكتب له الشجاعى على تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم، فتناول الورقة من يد الشجاعى ومزقها وقال: «أقعد فى مقعد بأربعة آلاف انصبوا لى صيوانًا إذا نزلت، ولا أخرج من بيت المال لمثل هذا شيئًا». وكذلك كان الظاهر بيبرس ومن قبله لا يستهون بالمال، وإنما يدخرونه صيانة وخوفا، ولم يعرف لأحد منهم أنه أنعم بألف دينار جملة واحدة.

وراك السلطان الناصر أرض مصر والشام، وأبطل عدة مظالم من المكوس والضمانات: مثل ساحل الغلة، وكان عليه ستمائة جندى، ما منهم إلا من له فى كل سنة ما بين ثمانية آلاف درهم إلى ستة آلاف درهم، سوى ما عليه للأمراء، ومثل الحقوق التى كانت على الأسربة إذا كسحت، وعليها أيضًا عدة أجناد مرتب لهم فى كل سنة جملة لكل منهم، ومثل جهات ابن البطونى، وكان هذا الرجل يأخذ على رد العبيد والجوارى الآبقين ضريبة، ويقيم من تحت يده رجالا على الطرقات لرد الهاربين، ويقوم للديوان فى كل سنة بمال. وأبطل السلطان غير ذلك من المكوس، كما تقدم عند عمل الروك.

وكان السلطان الناصر متسع الحال: بلغ راتبه من اللحم فى كل يوم لمطبخه ومرتب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم.

واستجد فى أيامه عمائر كثيرة: منها حفر خليج الإسكندرية من بحر فوة فى مدة أربعين يومًا، عمل فيه فوق المائة ألف رجل من أهل النواحى، فاستجد عليه عدة سواقى، وبساتين فى أراضى كانت سباخا، فصارت مزارع قصب السكر والسمسم،

وعمرت هناك الناصرية، ونقل إليها مقداد بن شماس بأولاده وعدتهم مائة ولد ذكر، واستمر الماء طول السنة بخليج الإسكندرية. وأنشأ الميدان تحت القلعة، وأجرى له المياه، وغرس فيه النخل والأشجار، ولعب فيه بالكرة فى كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية، وعمر فوقه القصر الأبلق. وأخرب البرج الذى عمره أخوه الأشرف خليل على الإصطبل، وجعل فوقه رفرفا، وترك أصله من أسفله، وعمر بجانبه برجا نقل إليه المماليك. وغير باب النحاس بالقلعة، ووسع دهليزه. وعمر فى الساحة قدام الإيوان طباقا للأمراء والخاصكية، وغير الإيوان مرتين، وفى المرة الثالثة أقره على ما هو عليه الآن، وحمل إليه العمد الكبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم المبانى الملوكية. وعمر بالقلعة دورًا للأمراء الذين زوجهم بناته، وأجرى إليها المياه، وعمل بها الحمامات، وزاد فى باب القلة من القلعة بابًا ثانيًا. وعمر حارة مختص، وعمر الجامع بالقلعة والقاعات السبع التى تشرف على الميدان وباب القرافة لأجل سكنى سراريه. وعمر المطبخ، وجعل عمائره كلها بالحجارة خوفا من الحريق. وعزم أن يغير باب القلعة المعروف بالمدرج، ويعمل له درگاه، فمات قبل ذلك. وعمل فى القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وجاير الأوز، وغير ذلك، فأوسع فيها نحو خمسين فدانًا.

وعمر الخانكاه بناحية سرياقوس ورتب بها مائة صوفى لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه. وعمر القصور بالقرب منها، وعمل لها بستانا حمل إليها الأشجار من دمشق وغيرها، فصار به عامة فواكه الشام. وحفر الخليج الناصرى خارِج القاهرة حتى أوصله إلى سرياقوس، فَعُمِّر على هذا الخليج عدة قناطر: منها قنطرة بِفَمِه عند الميدان أنشأها الفخر ناظر الجيش، وقنطرة قدادار والى القاهرة، وغير ذلك، فصار بجانبى الخليج عدة بساتين، وعَمِرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا. وعمرت فى أيام السلطان الناصر جزيرة الفيل وناحية بولاق بعدما كانت رمالا ترمى بها المماليك النشاب، وتلعب الأمراء فيها بالكرة، فصارت كلها دورا وقصورًا وجوامع وأسواق وبساتين.

وبلغت البساتين بجزيرة الفيل زيادة على مائة وخمسين بستانًا، بعدما كانت نحو العشرين بستانًا. واتصلت العمارة على ساحل النيل من منية الشيرج إلى جامع الخطيرى، إلى حكر ابن الأثير وزريبة قوصون، إلى منشأة الكتبة ومنشأة المهرانى، إلى بركة الحبش، حتى كان الإنسان يتعجب لذلك، فإنه كان يعهد هذا كله تلال رمل وحلفاء، فصار لا يرى فيه قدر ذراع إلا وفيه بناء.

وعُمّرت فى أيامه أيضًا القطعة التى فيما بين قبة الإمام الشافعى إلى باب القرافة،

بعدما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدّام، فتحصل به اجتماعات جليلة للتفرج عليهم، إلى أن أنشأ السلطان تربة الأمير بيبغا التركمانى.

فعُمّر ذلك كله تُربًا وخوانك، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش، لا يوجد بها قدر ذراع بغير عمارة، وتنافس الأمراء فى ذلك حتى بلغوا فى عمارته مبلغًا عظيما إلى الغاية. وعمَّر فى أيامه أيضًا الصحراء التى فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر وكان هناك ميدان القبق من عهد الظاهر بيبرس، برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به، وبرسم سباق الخيل.

وأول من عَمَّر فيه الأمراء قراسنقر تُربة، وعمل لها حوض ماء للسبيل يعلو مسجد، ثم اقتدى به الأمراء والأجناد وغيرهم حتى امتلأ الميدان من كثيرة العمائر.

وعمر السلطان لمماليكه عدة قصور : منها قصر الأمير طقتمر الدمشقى بحدرة البقر، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم، فلما مات طقتمر أنعم به السلطان على الأمير طشتمر حمص أخضر، فزاد فيه.

ومنها قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل، فعمل أساسه أربعين ذراعًا، وارتفاعه عن الأساس مثلها، فزاد مصروفه على ألف ألف درهم. ومنها الكبش حيث كانت عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب[1] فعمله السلطان سبع قاعات برسم نزول بناته وسراريه فيها للتفرّج على ركوب السلطان إلى الميدان الكبير، ولم ينحصر ما أنفق فيها لكثرته. ومنها إصطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة، حيث كان إصطبل الأمير سنجر البشمقدار، وإصطبل سنقر الطويل. ومنها قصر بهادر الجوبانى، بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش. ومنها قصر قطلوبغا الفخرى، وقصر ألطنبغا الماردينى وقصر يلبغا اليحياوى ـ وهو أجلّ ما عمره من القصور، انصرف على أساسه خاصة عن ثمن جير وحجر وأجرة مائة وثلاثين ألف درهم، وعمل نزوله فى الأرض ثلاثين ذراعا، واحتيج فيه إلى زنة عشرة آلاف درهم لازورد لدهان سقوفه، ثمنها مائة ألف درهم.

وعمر الأمراء فى أيام السلطان الناصر عدة دور: منها دار الأمير أيدغمش أمير

---

(١) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة. وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٤٧هـ. وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط سنة ٦٤٧هـ واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد وكان الصالح غائبًا فى دمشق فقدم ونزل أيام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. انظر: خطط المقريزى ٢:٢٣٦ وابن إياس ١/٣ والأعلام ٢/٣٨.

آخور، ودار آقبغا، ودار طقزدمر، ودار بشتاك على النيل - وهى تشتمل على ربع كبير فوق زربية بجوار جامع طيبرس -، وقصر بشتاك بالقاهرة، وقد ذَكَرتُ هذه القصور والدور فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمطار ذكرًا مستوعبًا لأخبارها.

وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة، وعَمِل على كل بلد بها جسرًا أو قنطرة وكانت أكثر بلادها تشرق لعلوها، فعمل جسر أم دينار فى ارتفاع اثنتى عشرة قصبة، أقام العمل فيه مدة شهرين، فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضى كلها، وعم النفع بها. وقوى بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحرًا يتصل بالجيزة وخرج فى أراضيها عدة مواضع زرعت بعدما كانت شاسعة، أخذ منها قوصون وبشتاك وغيرهما عدة أراضى عمروها ووقفوها، واستجد السلطان على بقيتها ثلاثمائة جندى.

واستجدت فى أيامه عدة أراضى بنواحى الشرقية وفوة وشباس، أقطعت لعدة أجناد وعمل أيضًا جسر شيبين، فزاد بسببه خراج الشرقية. وعمل جسرًا خارج القاهرة حتى رد النيل على منية الشيرج وغيرها، وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل، وكثر عددها.

وأحكم السلطان عامة أرض مصر قبليها وبحريها بالترع والجسور، حتى أتقن أمرها، وكان يركب إليها برسم الصيد فى كل قليل، ويتفقد أحوالها، وينظر فى جسورها وتراعها وقناطرها بنفسه، بحيث أنه لم يدع فى أيامه موضعًا منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه. وكان له سعد فى جميع أعماله، فكان يقترح المنافع من قبله بعد أن كان يزهده فيما يأمر به حذاق المهندسين، ويقول بعضهم: «يا خوند الذين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح لفعلوه»، فلا يلتفت إلى قولهم، ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد، فتأتيه أغراضه على ما يحب ويختار، فزاد فى أيامه خراج مصر زيادة هائلة فى سائر الأقاليم.

وكان إذا سمع بشراقى بلد أو قرية من القرى أهمه ذلك، وسأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرة، بل كلما وقع بصره عليه، ولا يزال يفحص عن ذلك حتى يتوصل إلى ريها بكل ما تصل قدرته إليه. كل ذلك وصاحبها لا يسأله فى شىء من أمرها، فيكلمه بعض الأمراء فى ذلك فيقول: «هذه قريتى، وأنا الملزوم بها والمسئول عنها»، فكان هذا دأبه، وكان يفرح إذا سأله بعض الأجناد فى عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوى أو غير ذلك، وينبل ذلك الرجل فى عينه، ويفعل له ما طلبه من غير توقف ولا ملل فى إخراج المال، فإن كلمه أحد فى ذلك فيقول: «فلم نجمع المال فى بيت المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره؟» فهذه كانت عوائده.

وكذلك فعل بالبلاد الشامية، حتى إن مدينة غزة هو الذى مصرها وجعلها على هذه

الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل لها نائبًا، وسمى بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة، ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل[١] يطول الشرح فى ذكر ذلك.

وأنشأ السلطان الناصر الميدان الكبير على النيل وخرب ميدان اللوق الذى أنشأه الظاهر بيبرس، وعمله بستانا حملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها، فكانت فواكه تحمل إلى الشراب خاناه السلطانية. ثم أنعم به على الأمير قوصون، فبنى تجاهه على الزريبة المعروفة بزريبة قوصون، ووقفهما. واقتدى به الأمراء فى العمارة، فأخذ قوصون بستان بهادر رأس نوبة ـ ومساحته خمسة عشر فدانا ـ وحكره للناس، فبنوه دورًا، وعرف بحكر قوصون.

وحكر السلطان حول البركة الناصرية أراضى البستان، فعمره الناس وسكنوا فيه. وحكر الأمير طقزدمر بجوار الخليج بستانا مساحته ثلاثون فدانًا، وبنى له قنطرة عرفت به وعمل هناك حماما وحوانيت، فصار حكرًا عظيما للمساكين. وحكر الأمير آقبغا عبد الواحد بستانا بجوار بركة الفيل، فعمر عمارة كثيرة بعدما كان مقطع طريق، فصار قدر مدينة كبيرة، وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنينات ظاهر القاهرة وحكروها. وحكرت الدادة حدق ـ وهى المعروفة باسم ست مسكة القهرمانة ـ حكرين عرفا بها، فجاءا من أحسن الأحكار، وأنشأت لكل واحد منهما جامعًا تقام به الجمعة. فأنافت الأحكار التى استجدت فى أيامه على ستين حكرا، حتى لم يوجد موضع بحكر، واتصلت العمارات من خارج القاهرة إلى جامع ابن طولون والمشاهد، وقد ذكرنا أيضًا هذه الأحكار فى كتاب المواعظ والاعتبار ذكرًا شافيًا.

وفى أيامه عمر الأمير قوصون بالقاهرة وكالة حيث كانت دار تعويل البوغانى. وعمر الأمير طشتمر حمص أخضر ربعًا بجوار حدرة البقر، وهو الذى عمر قيسارية الحريريين بجوار الوراقين من القاهرة.

وعمر الأمير بكتمر الساقى بمدينة مصر ربعين وحوانيت على النيل ودار وكالة ومطابخ سكر. وعمر الأمير طقزدمر دار التفاح خارج باب زويلة، والربع الذى فوقه.

وتجددت عدة جوامع فى أيامه أنافت على ثلاثين جامعًا: منها الجامع الناصرى بقلعة الجبل جدده السلطان الناصر وأوسعه، والجامع الجديد الناصرى ظاهر من على

---

(١) الساحل: بعد الألف حاء مهملة، وآخره لام، بلفظ ساحل البحر وهو شاطئه: موضع من أرض العرب بعينه. انظر: معجم البلدان ٣/١٧٠.

النيل، وجامع المشهد النفيسى، وجامع الأمير كراى المنصورى بآخر الحسينية، وجامع الأمير طيبرس نقيب الجيش على النيل بجوار خانكاته، ـ وهو الذى عمر أيضًا مدرسة بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى بالقرب من باب البحر وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل، وهو الذى عمر جامعا آخر خلف خص الكيالة ببولاق، وجامعًا ثالثًا بالروضة، وجامع كريم الدين خلف الميدان، وجامع شرف الدين الجاكى بسويقة الريش، وجامع أمير حسين بالحكر، ـ وقد بنى له قنطرة على الخليج ـ وجامع الأمير قيدان الرومى بقناطر الوز، وجامع دولت شاه مملوك العلائى بكوم الريش، وجامع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بطرف الحسينية، وجامع ناصر الدين الحرانى الشرابيشى بالقرافة، وجامع الأمير آقسنقر شاد العمائر قريبًا من الميدان، وجامعًا خارج باب القرافة عمره جماعة من العجم، وجامع النوبة بباب البرقية ـ عمره مغلطاى أخو الأمير ألماس، وجامع بنت الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة المستجدة وعمر ما حوله أملاكا كثيرة ـ، وجامع الأمير ألماس بالقرب من حوض ابن هنس، وجامع الأمير قوصون خارج القاهرة، وجامعه خارج باب القرافة، وجامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى على النيل ببولاق، وجامع أخى صاروجا بشون القصب، وجامع الحاج آل ملك بالحسينية، وجامع الأمير بشتاك على بركة الفيل تجاه خانكاته، وجامع ست حدق فيما بين قنطرة السد وقناطر السباع، وجامع ست مسكة قريبًا من قنطرة آقسنقر، وجامع الأمير ألطنبغا الماردينى خارج باب زويلة، وجامع مظفر الدين بن الفلك بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع جوهر السحرتى قريبًا من باب الشعرية، وجامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة.

واستجد بدمشق فى أيام السلطان الناصر أيضًا جامع كريم الدين وجامع شمس الدين غبريال، وجامع الأفرم، وجامع تنكز، وجامع يلبغا.

وجددت الخطب فى أيامه بعدة مواضع: فجدد نائب الكرك خطبة بالمدرسة الصالحية، وجدد طقزدمر خطبة بالمعزية بمصر. وتجددت خطبة بزاوية فخر الدين بن جوشن خارج باب النصر، وجدد نجم الدين أبو بكر بن غازى دلال المماليك خطبة بمسجد فيما بين باب البحر وبولاق، وجددت خطبة بجامع محمود بالقرافة بعدما كان تربة. وآخر ما عمره السلطان السواقى بالرصد، فمات ولم يكمل عملها، إلا أنه فى آخر أيامه أقام النشو، فأفرط فى الظلم.

وشغف السلطان الناصر أيضًا بحب الجوارى، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجوارى

المولدات وحملهن إليه، وأخذهن حتى من المغنيات، فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتى وصيفة. وكان يكره مماليك أبيه وأخيه، ومازال بهم حتى فنوا فى أيامه. وكان لا يمكن مماليكه بالاجتماع بالفقهاء، وتعنت على أجناد الحلقة وعرضهم وقطع منهم جماعة، فمات عقيب ذلك. ورسم بعد موته بغلق حوانيت بين القصرين، وطردت الناس بأجمعهم من هناك. وحمل فى محفة، وأخرج من القلعة، ومروا به من وراء السور إلى باب النصر، ومعه من الأمراء بشتاك وملكتمر الحجازى وأيدغمش وعدة من الخاصكية.

ثم شقوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية، وقدامه بعض الحراس تضىء عليه بمسرجة زيت حار، ثم لحقه فانوس فشيعه إلى المدرسة المنصورية. وحمل إلى القبة بها وغسل وحنط، وكفن من المارستان، وقد اجتمع الفقهاء والقراء، ثم دفن على أبيه.

وترك السلطان الناصر[(١)] من الأولاد محمدًا وإبراهيم، وعليا، وأحمد[(٢)] وأبا بكر[(٣)]

---

(١) من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته فى طفولته بدمشق وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فقام فى القلعة كالمحجور عليه. واستمر حكمه ٣٢ سنة وشهرين و٢٥يوما كانت له فيها سير وأنباء أوردها المقريزى فى مجلد ضخم. وتوفى بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢:٢٦٣ والدرر الكامنة ٤:١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨:٤١،١٥٥ ثم ٩:٣ والأعلام ٧/١١.

(٢) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه وأخويه أبى بكر والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ بعد خلع الأشرف فانتقل إلى القاهرة وتلقب بلقب أبيه الناصر. وخلع فى أوائل سنة ٧٤٣هـ وولى أخاه إسماعيل (الصالح) وأرسل جماعة من أمراء الجيش لمحاصرة أحمد فى الكرك فقاتل وقوتل إلى أن أمسكه الأمير منجك اليوسفى فذبحه وأحضر رأسه فى علبة إلى القاهرة. ومدة حكمه بمصر ٧٢ يومًا. انظر: ابن إياس ١:١٧٩و١٨٢ والدرر الكامنة ١:٢٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠:٥٠ والبداية والنهاية ١٤:١٩٣و٢٠٢ و٢٠٧و٢١٣، والأعلام١:٢٢٣.

(٣) أبو بكر بن محمد بن قلاوون سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ فخلع الخليفة الواثق إبراهيم وأقام الحاكم بأمر الله أحمد بن سليمان وجعل الأمير قوصون أتابكًا للعساكر ثم تغير عليه وأرسله إلى السجن فى قوص وأوعز إلى متولى قوص بقتله فقتله وأرسل إليه رأسه. ومدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر: البداية والنهاية ١٤:١٩٠و١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠:٣٠ والأعلام ٢/٦٩.

وكجك[١] ويوسف، وشعبان[٢] ورمضان، وإسماعيل[٣] وحاجى[٤] وحسينا، وحسنًا[٥] وصالحا، وسبع بنات، فولى السلطنة من أولاده ثمانية: وهم أبو بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجى، وصالح[٦] وحسن.

وكانت نوابه بديار مصر كتبغا[٧] وسلار، وبيبرس[٨] الدوادار، وبكتمر الجوكندار

---

(١) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكى «قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢هـ وكان الأشرف طفلا فأجلسه قوصون على السرير بمصر وتصرف هو فى أمور المملكة. فاضطربت أحوالها فثار الأمير أيدغمش وخلع الأشرف واعتقله فى دور الحرم فلبث بضع سنين ومات ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام. انظر: الدرر الكامنة ٣:٢٦٥ والنجوم الزاهرة ١٠:٢١و١٢٢ والبداية والنهاية ١٤:١٩٢و١٩٤ والأعلام ٥/٢٢٠.

(٢) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا قاتل عمه الناصر، خالع ابن عمه محمد المنصور بن حاجى فى أيامه سنة ٧٦٧هـ. انظر: الدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/٣٠٢،٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٤.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٣٤هـ) إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ١٤:٢٠٢-٢١٦ والنجوم الزاهرة ١٠/٧٨ والدرر الكامنة ١/٣٨٠ والأعلام ١/٣٢٤.

(٤) من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل «شعبان» سنة ٧٤٧هـ. ومدة سلطنته سنة وأربعة أشهر وسمى بالحاجى لأنه ولد فى طريق عودة أبيه من الحج. انظر: الدرر الكامنة ٢:٣ والبداية والنهاية ١٤:٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠:١٤٨-١٧٤ والأعلام ٢/١٥٣.

(٥) الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بمصر، صغيرًا بعد مقتل أخيه حاجى المظفر سنة ٧٤٨هـ وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة سمى (حسنًا). انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٢٤-٢٧٨و٢٧٩ والأعلام ٢/٢١٦.

(٦) صالح: الملك الصالح صلاح الدين بن محمد الملك الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة وبويع بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ). مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر: البداية والنهاية ١٤/٢٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٥٤-٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/٢٠٣، ٢٠٢ والأعلام ٣/١٩٥.

(٧) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام. أصله من سبى التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك المنصور «قلاوون» فى وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ وجعله من مماليكه. وتسلطن كتبغا سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل=

وأرغون الدوادار، ولم يستنب بعد أرغون أحد.

وكانت وزراؤه سنجر الشجاعى، وتاج الدين محمد بن حنا، وفخر الدين عمر بن الخليلى، وسنقر الأعسر، وعز الدين أيبك البغدادى، ومحمد بن الشيخى، وأيبك الأشقر - وسمى المدبر -، وسعد الدين محمد بن عطايا، وضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائى، وبدر الدين محمد بن التركمانى[1] وأمين الدين عبد الله بن الغنام، وبكتمر الحاجب، ومغلطاى الجمالى. ولم يستوزر بعد الجمالى أحدًا.

وكانت قضاته تقى الدين محمد بن دقيق العيد[2] وبدر الدين محمد بن جماعة[3] وجمال الدين سليمان الزرعى[4] وجلال الدين محمد بن القزوينى[5] وعز الدين عبد

=وانتقل إلى مملكة حماة سنة ٦٩٩هـ واستمر إلى أن توفى بها ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعًا دينًا. انظر: ابن إياس ١٣٣:١ والنجوم الزاهرة ٥٥:٨ والأعلام ٢١٩/٥.

(٨) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ثمانين عامًا وكان من مماليك المنصور قلاوون. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة - خ» ويقع فى «مجلدًا» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧هـ إلى ٧٢١هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٦٣:٩ والدرر الكامنة ٥٠٩:١ والأعلام ٨٠/٢.

(١) محمد بن عيسى، بدر الدين، ابن التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرًا بها، وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل ونقل أميرًا إلى الشام ومنها إلى «شد الدواوين» بطرابلس (سنة ٧٢٦هـ) ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٨١:١٤ والدرر الكامنة ١٣٢:٤ والأعلام ٣٢٣/٦

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها إحكام الأحكام فى الحديث. انظر: الدرر الكامنة ٩١/٤ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ والأعلام ٢٨٩/٦.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماة وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى». انظر: فوات الوفيات ١٧٤/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ والأعلام ٢٩٧/٥،٢٩٨.

(٤) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع : قاضى القضاة من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات وتوفى بمصر. انظر: الدرر الكامنة ١٥٩/٢ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣١/٣.

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى=

العزيز بن جماعة[١].

وكان كتاب سره شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، وعلاء الدين على بن الأثير، ومحيى الدين يحيى بن فضل الله، وعلاء الدين على بن فضل الله.

كان دواداريته عز الدين أيدمر، وأرغون، وأرسلان، وألجاى، ويوسف بن الأسعد، وبغا، وطاجار.

وكان نظار جيشه بهاء الدين عبد الله بن أحمد الحلى، والفخر محمد بن فضل الله القبطى، وقطب الدين موسى بن شيخ السلامية، وشمس الدين موسى بن التاج إسحاق، والمكين إبراهيم بن قروينة، وجمال الكفاة إبراهيم. تم ذلك.

السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون[٢]

جلس على تخت السلطنة بالإيوان من قلعة الجبل بعهد أبيه له صبيحة توفى والده، من يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور، وجلسوا حوله، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحموى - زوج أمه - نائب السلطنة بديار مصر، وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه فى الرأى الأمير بشتاك.

ورَسم بتجهيز التشاريف والخلع، وعين الأمير قطلو بغا الفخرى لتعزية نواب الشام بالسلطان الناصر محمد، والبشارة بسلطنة ابنه وتحليفهم. ويكون صحبته تقاليدهم، فتوجَّه من يومه.

=المعانى والبيان، و«الإيضاح فى شرح التلخيص». انظر: البداية والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ٦/١٩٢.

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين، الحافظ قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز ومات بمكة وكتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر: الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والأعلام ٤/٢٦.

(٢) أبو بكر محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة، فتولاها. بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١ هـ. انظر بدائع الزهور ١/١٧٦ والبداية والنهاية ١٤/١٩٠،١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٠، والأعلام ٢/٦٩.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله، فسر الناس ذلك، فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة، وألا يكون معاملتهم إلا بالذهب.

وفيه أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف، وكان النشو قد أخذها منهم، وصار ينفق فيهم من بيت المال.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم، وألا يُرْمَى على بلاد الأجناد شعير ولا تبن.

وفى يوم الخميس ثامن عشريه: أنعم على عشرة بإمريات طبلخاناة.

وفى يوم السبت سلخه: جمع القضاة بجامع القلعة للنظر فى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان[1] وإعادته إلى الخلافة، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار وغيره.

فاتفقوا على إعادته، لعهد أبيه إليه بالخلافة، بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قوص.

وفيه، فرقت التشاريف والخلع على الأمراء. ليلبسوها فى يوم الخدمة من العام المقبل.

وفيه أقيم الأمير قوصون فى تدبير أمور الدولة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين الحاج قطز الظاهرى، أحد أمراء الطبلخاناة، وقد أناف على مائة سنة وهو آخر من بقى من المماليك الظاهرية بيبرس وكان مشكورا.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، فى يوم الرابع والعشرين من رجب. وكان فقيها أديبا شاعرًا جوادا.

وتوفى الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنْام تحت العقوبة مخنوقا، يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. ووزر الصاحب أمين الدين ثلاث مرات، وباشر نظر الدولة واستيفاء الصحبة والدولة، وخدم من الأيام الأشرفية فولى بمصر ودمشق وطرابلس، وحسن إسلامه وكان رضى الخلق.

---

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع سنة ٧٤٢ هـ، ولبس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان. استمر إلى أن مات فى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ١٣٧/١ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ وبدائع الزهور ٢٠٠/١ وابن الوردى ٣٣١/٢ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٤/١٠ الأعلام ١٣٣/١.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى العزى نائب أياس والفتوحات الأندلسية بها وكان مشكور السيرة.

ومات طوغان الشمسى سنقر الطويل والى الأشمونين وشاد الدواوين بمصر والشام، وهو منفى بالشام وكان ظالما غشوما مذموم السيرة.

ومات الأمير آنُوك ابن السلطان الناصر محمد، فى يوم الجمعة سابع ربيع الأول، فاشتد حزن والده السلطان عليه.

وتوفى الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبى طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمالى أبى القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمى الحلبى الشافعى بمصر. تزهَّد بعد الرياسة والاشتغال بالعلم وكتابة الخط المنسوب، وحج ماشيًا من دمشق، وجاور بمكة مرارا، وقدم مصر سنة اثنتين وثلاثين، وأقام بها حتى مات. وكان لا يقبل لأحد شيئًا، ويقيم حاله مِنْ وَقف أبيه بحلب، وتزيا بزى الصوفية، وكان فيه مروءة، وله مكارم وصدقات، وله شعرجيد.

وتوفى افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمى الحنفى شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، فى يوم الخميس السادس عشر المحرم. وكان بارعا فى النحو شاعرا.

وتوفى عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ابن محمد بن الفرات، أحد نواب القضاة الحنفية، فى ليلة الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة.

وتوفى أوحد الدين بالقدس فى رابع عشرى شعبان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب، ببلاد المراغة[1]، وقد أقطعه إياها أبو سعيد بن خربندا. وكان موته بمرض الإسهال وقد أعيا الملك الناصر قتله، وبعث إليه كثيرًا من الفداوية، فصانه الله منهم، بحيث قتل من الفداوية بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداويا. ولما بلغ السلطان الناصر محمد موته قال: «والله ما كنت أشتهى موته إلا من تحت سيفى، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودى ولكن الأجل حصين».

وكانت له مع الفداوية أخبار طويلة: منها أن السلطان الناصر محمد أعطى يونس التاجر مالا كثيرا، وبعثه إلى توريز ليتخذ له بها أصحابا يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية

(١) بلد مشهورة عظيمة وأشهر بلاد أذربيجان. انظر معجم البلدان ٩٣/٥.

فيأووا عنده، وعرَّف يونس بمقاصده. ثم إن السلطان تلطف مع صاحب مصياف(١)، وبذل له مالا كثيرا حتى ندب له من الفداوية طائفة. فبعثهم السلطان إلى يونس فآواهم وأعلمهم بالغرض، فانتظروا وقتا يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب النوين الكبير جوبان يريد مدينة توريز، وركب أقوش الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه. فخرج اثنان من الفداوية، أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر، فبدر أحدهما وضرب أقوش الأفرم، فاتقى الضربة بيده، وكان عليه قرضية، فانشق كمه وجرحت يده، وجُبِّن الآخر عن قراسنقر، فقتل الفدوای. ووقع الحذر، وكبست الفنادق والخانات بتوريز، وقبض على يونس، فقام الوزير ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه معه حتى تخلص من القتل. ولم يصب قراسنقر بسوء، وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته واحترسا على أنفسهما

ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة، وله معرفة بأهل مصياف، فتتبع نواحى توريز حتى ظفر بفداوى أرسله السلطان الناصر محمد لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقرّبه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له فى كل شهر ثلاثمائة درهم، وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه، وزاد فى الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذ الفداوى قراسنقر بما ندب إليه من قتله، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداويّة. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة، فكبسوا على جماعة ممن دلّهم عليهم، فظفروا، بواحد، وفر بعضهم، وقتل بعضهم نفسه، وجىء بالفداوى المقبوض عليه، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشىء.

واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء، وقصاد السلطان تطالعه بذلك فى كل وقت، إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم، فأحضر نائب بغداد التاجرَ وألزمه بإحضارهما، فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه، وأخرجه من بغداد. فبعث التاجر بطائفة من الفداوية لقتله، وقتل قراسنقر، فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد، وأقاموا فى الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينا نائب بغداد يوما وقد مر فى الشارع، إذْ وَثَب عليه أحد الفداوية وصاح: «ياللملك الناصر»، وضربه بالخنجر فى صدره، ومر يعدو فلم يُقْدَر عليه. وعاد الفداوى إلى مصياف، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما، وألزم قراسنقر فَرّاشَه وأخاه الفداوى حتى دلاَه على

---

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر معجم البلدن ٤/٤٢١.

أربعة من الفداوية، فقبض عليهم، فاعترف أحدهم، وحكى لـه المنبر بنصه فقُتلوا وشُهِّرُوا. وأقام رجال جوبان مدة فى طلب الفداوية، فلم يدخل منهم أحد إلا ظُفر به. فلما قدم المجد السلامى إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير، واتصل بالسلطان، أقامه السلطان عينا له ببلاد الشرق، وبعثه بالهدايا والتحف. فصحب المجد السلامى جوبان والوزير، ولزمهما، وطالع السلطان بالأحوال. ثم بعث السلطان إليه بعدة من الفداوية، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم المجد السلامى توريز قُبِضَ بها على ثلاثة من أربعة من الفداوية، وفرّ الرابع الذى معه كتاب السلطان إليه. فعوقب الثلاثة حتى ماتوا، ولم يعترفوا بشىء ووصل الذى فَرَّ إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى. فمازال السلامى يقرّر الصلح بين الوزير خواجا على شاه وجوبان وبين السلطان إلى أن تم، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوى.

ثم حدث أنه بينما قراسنقر فى عدة من أمراء الساحل يتصيّد إذ وثب عليه من خلفه فداوى وضربه، فوقعت الضربة فى خاصرة الفرس، ألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فسلم، وقتل أصحابه الفداوى. ثم لما توجه الأمير أيتمش بن عبد الله المحمدى الناصرى فى المرة الثانية إلى أبى سعيد بعث السلطان الناصر فى أثره فداويين قُبض على أحدهما، وقتل الأخر نفسه، فلم يعترف المقبوض عليه بشىء حتى مات قتلا بحضور أيتمش. وعتب جوبان على أيتمش بسبب ذلك، وأنه وقع الصلح على ألا يدخل أحد من هؤلاء إلينا، فاعتذر أيتمش بأن هؤلاء إن كانوا فداوية فقد كانوا فى البلاد من قبل تقرير الصلح، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم. فمشى ذلك على جوبان، وأعيد أيتمش إلى مصر.

فلما عاد المجد السلامى أيضا بعث السلطان إلى مصياف بالإنكار على الفداوية فى تأخر قَضَاء شغله، فأرسلوا إليه رجلا منهم ليقوم بما يؤمر به، فخلا به السلطان وعرفه مقاصده، وأنزله عند كريم الدين بحيث لا يراه أحد، فكان راتبه فى كل يوم خروفا يأكله كله فى كشك من أول النهار، ثم يأكل فى وسط النهار دجاجا أو أوزا أو لحما مشويا، ثم يتعشى بثلاثة ألوان من الطعام، ويشرب فى كل يوم ستين رطلا من الخمر. فأقام الرجل الفداوى على ذلك أربعة وثلاثين يوما، ثم سافر لقُصده. وتسلم القاصد الذى يدله على الغريم السكين ليعطيها للرجل الفداوى، وقد ختمت. وتوجه السلامى أيضًا بهدية جليلة، فوصل الجميع إلى البلاد. وخفى أمر الفداوى حتى كان يوم عيد الفطر، ودخل الناس يهنون أبا سعيد وجوبان، وفيهم قراسنقر، ثم انصرفوا بعد أكلهم إلى الوزير خواجا عَلى شاه، وأكلوا طعامه. ثم بعث السلامى إلى الفداوى فأحضره،

وأوقفه بطريق قراسنقر، ودخل رفيقه حتى ينظر وقت فراغ قراسنقر من الطعام ليعرف به الفداوى. فاتفق أن قراسنقر قام ومشى إلى أثنا الدهاليز، وقد سبقه القاصد وعرف به الفداوى، وأعطاه السكين ووصف له شكله وزى ثيابه، وقال له هو أول من يركب. فعندما وضع قراسنقر رجله فى الركاب استدعاه الوزير، فعاد، وقد قام دمرداش نائب الروم من المجلس، وكان فيه شبه من قراسنقر وخلعته التى عليه حمراء مثل خلعة قراسنقر فعندما ركب دمرداش وتوسط الطريق مرّ بالفداوى، فظنّه قراسنقر، فألقى نفسه من سطح كان فوقه، فصار على كفل الفرس وصاح بسعادة السلطان الملك الناصر محمد، وضربه فى رقبته ألقاه عن فرسه قتيلا. وقام الفداوى يعدو، فأدركه القوم وأحضروه إلى جوبان، فاتهم بأنه كان مع السلامى، فلولا لطف الله به وعناية الوزير لقتل السلامى شر قتلة وقتل الفداوى بعد ما عوقب أشد العقوبة، ولم يعترف بشيء.

ومما حدث كذلك أنه بينا قراسنقر فى بعض الأعياد، وقد خرج مع أمراء المغل من حضرة أبى سعيد إلى عند جوبان، إذ وثب عليه فداوى، فألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فوقع الفداوى عليه وضربه بالسكين فأخطأه، ووقعت السكين فى الأرض. فقُطِّع الفداوى فوق صدر قراسنقر قطعا، وأقيم قراسنقر وقد خرب شاشه، وطاحت الكلفتاه[1] عن رأسه، وكاد عقله أن يذهب.

وكان قراسنقر أحد مماليك المنصور قلاوون، عمله كوكندار، ثم ترقى حتى ولى نيابة حلب، ونيابة دمشق. وكان كبير القدر، بشوش الوجه، صاحب رأى وتدبير ومعرفة، وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك. وكان كثير العطاء لا يستكثر على أحد شيئا، وكان مهابا كثير المال، وترك ولدين هما أمير عَلى، وأمير فرج، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بخط رحبة باب العيد من القاهرة، ودار قراسنقر بحارة بها الدين.

ومات الأمير تنكز نائب الشام، يوم الثلاثاء نصف المحرم.

* * *

---

(١) الكلفتاه أو الكلفة أو الكلفتة وهى غطاء الرأس على شكل طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة.

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد:

ففى يوم الإثنين ثانيه: خلع على جميع الأمراء والمقدمين فى الموكب بدار العدل، وذلك أن الأمراء طلعوا بخلعهم التى فرقت عليهم كما تقدم، وطلع القضاة فاجتمعوا بدار العدل. وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى الربيع سليمان على الدرجة الثالثة من تحت السلطنة، وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته سوداء مرقومة. ثُم خرج السلطان من باب السرّ على العادة، فقام الخليفة والقضاة ومَن كان جالسا هناك من الأمراء. وجلس السلطان على الدرجة الأولى دون الخليفة، فقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله تعالى: ﴿**إنَّ الله يَأمُرُ بالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وإيتاءِ ذِى القُرْبى، وَيَنْهَى عَن الْفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بعَهدِ الله إذَا عَاهَدْتُم وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[1] ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال: «فوضتُ إليك جميع أحكام المسلمين، قلدتك ما تقلدته من أمور الدين»، ثم تَلا قوله تعالى: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ إنَّمَا يُبَايعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمُ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2].

وجلس الخليفة فجىء فى الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده، وقلّده سيفا عربيًا. وأخذ علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر فى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه، ثم قدمه للخليفة، فكتب عليه، ثم كتب بعده القضاة بالشهادة عليه. ثم قدم السماط، فأكل الأمراء وانفضت الخدمة.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كان ابتداء زيادة النيل.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الأمير بيغرا من عند أمير أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون[3]، وقد حلفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور.

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠، ٩١).

(٢) سورة الفتح آية (١٠).

(٣) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين ابن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه الناصر الأول وأخويه أبو=

وفيه أنعم على الأمير بَيْلَك العلائى الساقى بإمرة البروانى، وأنعم بعشرته على مغلطاى أمير شكار، وأنعم على بزلار الساقى بطبلخاناة أمير حاج ملك بن أيدغمش.

وفى عصر يوم الأحد ثامنه: قبض على أمير بشتاك الناصرى، وذلك أنه طلب أن يستقر فى نيابة الشام، ودخل على الأمير قوصون وسأله فى ذلك، وأعلمه أن السلطان الناصر محمد كان قبل موته وعده بها وألح بشتاك فى سؤاله، وقوصون يدافعه ويحتج عليه أنه قد كتب إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام تقليدًا باستقراره فى نيابة الشام على عادته، فلا يليق عزله سريعًا. فقام بشتاك عنه وهو غير راض، فإنه كان قد توهم من قوصون، وخشى منه لما كان بينهما قديمًا من المنافرة، ولأنه قد صار المتحكم فى الدولة، فطلب أن يخرج من مصر، ويبعد عنه. فلما لم يوافقه قوصون على ذلك سعى فيه بخاصكية السلطان، وحمل إليهم مالا كثيرًا فى السر، وبعث إلى الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على قصده، فمازالوا بالسلطان حتى أنعم له بنيابة الشام. وطلب السلطان الأمير قوصون وأعلمه بذلك، فلم يوافقه وغض من بشتاك، وآخر ما قرره مع السلطان أنه يحدث الأمراء فى ذلك، ويعدهم بأنه يولى بشتاك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخرى بنسخة اليمين من الشام. فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتاك نيابة الشام، فأخذوا فى الثناء عليه والشكر، فاستدعاه السلطان وطيب خاطره، ووعده بها عند قدوم قطلوبغا، وتقدم إليه بأن يتجهز للسفر.

فظن بشتاك أن ذلك صحيح، وقام مع الأمراء من الخدمة، وأخذ فى عرض خيوله، وبعث لكل من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسين من الخيل بالقماش الفاخر، وبعث معها أيضًا الهجن المَهَرية[1]. ثم بعث بشتاك إلى الأمراء الخاصكية، مثل ملكتمر الحجازى، وطاجار بن عبد الله الناصرى الدوادار، ويلبغا اليحياوى، وألطنبغا المارداني، وتنكز بغا بن عبد الله الماردينى، شيئا كثيرًا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف، وفرق عدة من الجوارى فى الأمراء، بحيث لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه، ثم فرق بشتاك على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جارية من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه، بعد ما شوَّرهن باللؤلؤ والزركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدًا. وفرق بشتاك من شونته على الأمراء اثنى عشر ألف أردب غلة، وزاد حتى وقع

=بكر المنصور والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ. وكانت مدة حكمه بمصر ٧٢ يوما. انظر ابن إياس ١/ ١٧٩و ١٨٢ والدرر الكامنة ١/ ٢٩٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٠ والأعلام ١/ ٢٢٣.

(١) نسبة إلى قبيلة مهرة.

الإنكار عليه، واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقته هذه حجرين من حجارة معاصر قصب السكر، بما فيها من القنود والأعمال والأبقار والأغلال والآلات، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة فى أرض ملك له، فأدهش الأمراء بكثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من مماليكه.

ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك، وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال لهم: «إذا قبضوا على أخذوا مالى، وأنا أحق به منهم أن أفرقه وَأسر به إذا بذلته، ويبقى لى مكارم على الناس أذكر بها، وإذا سلمت فالمال كثير». هذا وقد قام قوصون فى أمر بشتاك، ومازال بالسلطان حتى قرر معه القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرى. وأشاع قوصون أن بشتاك يريد القبض على قطلوبغا، فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه ما وقع من تجهيز بشتاك، وأنه على عزم من أن يلقاك فى طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس.

واتفق من الأمر العجيب أن بشتاك خرج إلى حوشه بالريدانية خارج القاهرة؛ ليعرض هجنه وجماله، فطار الخبر إلى قطلوبغا الفخرى بأن بشتاك قد خرج إلى الريدانية «فى انتظارك»، فاستعد ولبس السلاح من تحت ثيابه، وسار وقد تلقاه عدة من مماليكه وهو على أهبة الحرب. وعرج قطلوبغا عن الطريق، وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتاك، وكان عند بشتاك علم من قدومه. فلما قرب قطلوبغا من الموضع الذى فيه بشتاك لاحت له غبرة خيله، فحدس أنه قطلوبغا قد قدم، فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه السلام، ويعرفه أن يقف حتى يأتيه ليجتمع به. فلما بلغ قطلوبغا ذلك زاد خوفه من بشتاك، وقوى عنده صحة ما بلغهُ عنه، فقال للمملوك: «سلم على الأمير، وقل له لا يكن اجتماعى به ولا بأحد حتى أقف قدام السلطان، ثم بعد ذلك أجتمع به». فمضى مملوك بشتاك، وفى ظن قطلوبغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه، فأمر مماليكه أن يسيروا قليلا قليلا، وساق بمفرده مشوارا[١] واحدا إلى القلعة. ودخل قطلوبغا على السلطان وبلغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه. ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء ما اتفق له مع بشتاك، وأنه كان يريد معارضته فى طريقه وقتله، فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتاك.

---

(١) المشوار هنا معناه الشوط الواحد من المشى أو الركوب.

فلما كان عصر هذا اليوم، دخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر، وفيهم الأمير بشتاك، وأكلوا السماط، تقدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طقزدمر الناصرى الساقى إلى بشتاك، وأخذا سيفه وكتّفاه. وقُبض معه على أخيه أيوان وعلى طولُوتمر ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلوذان به. وقُيدوا جميعا. وسفروا إلى الإسكندرية فى الليل صحبة الأمير أسندمر العمرى. وقبض على جميع مماليكه، وأوقعت الحوطة على دوره وإصطبلاته، وتتبعت غلمانه وحاشيته.

وأنعم من إقطاع بشتاك على الأمير قوصون بخصوص الشرق[1] زيادة على إقطاعه، وأخذ السلطان المطرية[2] ومنية ابن خصيب[3] وشبرا. وفرق السلطان بقية إقطاع بشتاك على ملكتمر الحجازى وغيره من الأمراء.

فلما أصبحوا يوم الإثنين تاسعه قبض على المجد السلامى، واتهم بأن لبشتاك عنده جواهر مودعة.

وفيه حملت حواصل بشتاك، وهى من الذهب مائتا ألف دينار مصرية، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكلفتاه الزركش شىء كثير جدًا. ومن الغلال أحد عشر ألف أردب، سوى ما تقدم ذكره مما أنعم به شتاك وفرّقه.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه إلى طرابلس، لنقله كلامًا بين الأمراء، ولميلة مع شتاك.

وفى الخميس ثانى عشره أنعم على كل من شعبان ورمضان أخوى السلطان بإمرة وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب وأنعم من الغد بإمرته على أخيه جمال الدين عبد الله بن الحاجب.

وفى يوم الإثنين ثالث عشريه: خلع على الأمير طُقُزْدَمرُ، واستقر فى نيابة السلطانة، فجلس فى دست النيابة،وحكم وسرف الأمور.

وفيه أيضًا خلع على الأمير نجم الدين محمود بن على بن شَرْوِين المعروف بوزير بغداد، واستقر فى الوزارة.

---

(١) المقصود هنا بلدة اسمها أبنوب بمديرية أسيوط بمصر.

(٢) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جانبها الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٣) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدن ٢١٨/٥.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه: قدم محمل الحاج من الحجاز، صحبة ملكتمر الحجازى وفيه أيضًا قدم الأمير ناصر الدين محمد بن بيلبك الحسنى من دمشق على البريد بالاستدعاء.

وفيه أنعم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكتمر الساقى أحد العشرات، بإمرة طبلخاناة وقدم البريد من حلب بأن الأمير بن فياض[١] وسليمان بن مهنا[٢] وأخوتهما قطعوا الطريق على التجار، عندما بلغهم أن أميرهم موسى بن مهنا[٣] قد قبض عليه، بعد موت السلطان الناصر محمد، وكان موسى قد خلع عليه وسافر.

وفى يوم الإثنين سَلخه: قبض على الأمير آقبغا عبد الواحد وأولاده، وخلع على الأمير طقتمر الأحمدى، وأستقر أستادار عوضه. وسبب ذلك أنه فى أيام السلطان الملك الناصر قد ولى الأستادارية وتقدمة المماليك وشد العمائر، وتحكم فى سائر الأمور وأرباب الأشغال، وعظمت مهابته. فاتفق أنه غضب على فراش له، وضربًا مبرحاء كما هى عادته. فخدم الفراش عند أبى بكر ابن السلطان؛ ليحميه من آقبغا، فبعث آقبغا فى طلبه، فمنعه أبو بكر، وأرسل مع مملوكه يقول له: «أريد أن تهبنى هذا الفراش» فأغلظ آقبغا على المملوك وسبه، وقال «قل له يرسل الفراش وهو جيد له» وكان أبو بكر قبل ذلك خرج من الخدمة السلطانية إلى بيته، وآقبغا يضرب مملوكا، فوقف وشفع فيه، فلم يعبأ به آقبغا، ولا قبل شفاعته، وسار واقفا وآقبغا قاعد، فانصرف أبو بكر وقد خجل. فلما أعاد مملوكه جواب آقبغا غضب وحلف لئن صار سلطانا ليصادرنه وليضربنه

---

(١) فياض بن مهنا بن عيس ين مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولى الإمرة بعد أخيه أحمد لسنة ٧٤٩ هـ، فى أيام الناصر القلاوونى، ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. ووقعت بينه وبين ابن عمه سيف بن مهنا فضل بن عيس وقعة بنواحى حلب انتصر فيها فياض. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، وعاد منها بإنعام وإكرام، ثم خشى من كائنة حدثت ففر إلى العراق، ومات هناك. وكان سيىء السيرة. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٤ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والأعلام ٥/١٦٤.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات، ولده الناصر إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٤٢هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ٢/ ١٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٣ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والقلقشندى ٤/ ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢/ ٤٠٦ والأعلام ٣/ ١٣٥.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل الفضل أمراء بادية الشام، يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ، واستمر إلى أن توفى. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٢٩.

بالمقارع، وحَمىَ الفراش من آقبغا. فلما أفضت السلطنة إليه بعد موت أبيه، عرّف الأمير قوصون والأمير طقزدمر النائب بيمينه، فأجابه قوصون إلى مصادرته أولا قبل ضربه، وأراد بذلك مدافعة عنه، فقبض عليه ورُسم للأمير طيْبُغا المجدى والأمير نجم الدين بلبان الحسامى البريدى والى القاهرة بإيقاع الحوطة على موجوده، وسُلّم ولده الكبير للمقدم إبراهيم بن صابر. فبات آقبغا ليلته بغير أكل وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر، فتحدث له الأمراء أن ينزل فى ترسيم طيبغا المجدى ليتصرف فى أموره، فنزل صحبته، وأخذ فى بيع موجوده. وكان مما أبيع له سراويل لزوجته بمائتى ألف درهم فضه، وقبقاب وخف نسَائى وسرموجة لامرأته بخمسة وسبعين ألف درهم فثَارَ به جماعة ممن ظلمهم فى أيام تحكمه، وطلبوا حقوقهم منه، وشكوه. فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة، ففرق فيهم مائتى ألف درهم حتى سكتوا عنه.

وفى يوم الأحد سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن نجم الدين بلبان الحسامى البريدى لقلة حرمته. وخُلع على نجم الدين واستقر فى ولاية مصر.

وفيه قدم الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير من الشام على البريد، باستدعاء.

وفيه رسم لابن المحسنى والى القاهرة أن يستخلص من خالد وابن معين مقدمى دار الوالى مالا، من أجل طمعهما وكثرة تحكمهما.

وفيه أيضا قبض على الصدر الطيبى ناظر المواريث، وسلم إلى الوالى على مال يحمله، فعاقبه الوالى حتى حمل مالا جزيلا.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير بدر أمير مسعود، واستقر حاجبا، عوضا عن الأمير برسبغا على إمرته بغير وظيفة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: قبض على مقدم الدولة إبراهيم بن صابر، وسُلّم لمحمد بن شمس الدين المقدم، وأحيط بأمواله. فوجد له نحو تسعين حجرة فى الجُشار، ومائة وعشرين بقرة فى الزرايب، ومائتى كبش، وجوقتين كلاب سلوقية، وعدة طيور جوارح مع بزدارية، ووجد له من الغلال وغيرها شىء كثير، فعوقب وحَمَل المال شيئًا بعد شىء.

وفيه جهز ابن طغيه وقريب الشيخ حسن كجك، وسُفّرَا وكُتب إلى نواب الشام بإكرامهما.

وفيه وقع بين قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى وبين موفق الدين ناظر الدولة، بسبب معلومه، وقد توقف صرفه، فكتب قاضى القضاة حسام الدين إليه ورقة

يذكر فيها مساوئ الكتّاب، وأفحش القول فيهم. فشق ذلك على موفق الدولة وعلى بقية الكتاب، وبلغوا السلطان عنه تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله.

فلما كان الغد يوم الخميس عاشره: وحضر القضاة بدار العدل على العادة تكلم القاضى الغورى مع السلطان بالتركى فى الكتاب بقوادح، وطعن فى إسلامهم. فغضب السلطان منه، واستدعى الوزير بعد الخدمة، وأنكر عليه ما وقع من الغورى، وقال: «لولا أنه من بلدك وإلا كنت ضربته بالمقارع، لكن إكرامه لك، فاطلبه وحذره ألا يعود لمثلها». فطلبه الوزير وعتبه عتبًا شديدًا.

وفيه قدم البريد من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى نائب حلب بخروج زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وموافقته لأرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب، وأنه قد قوى بالأبلستين وجمع جمعًا كثيرًا، وسأل الأمير طشتمر أن ينجد بعسكر من مصر.

وفيه رسم السلطان بضرب آقبغا عبد الواحد بالمقارع، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فاشتد حنقه، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته.

وفيه شفع الأمير ملكتمر الحجازى فى ولى الدولة أبى الفرج بن الخطير صهر النشو، فأفرج عنه، واستسلمه الحجازى، وخلع عليه، وجعله صاحب ديوانه.

وفيه عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتى فى بيت السلطان، وكتب علاء الدين كاتب السر صداقهما، فخلع عليه وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يجهزهما بمائة ألف دينار، وشرع فى عمل المهم للعرس.

وفى يوم السبت تاسع عشره: ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور أبى بكر، وخلعوه من الملك فى يوم الأحد عشريه، وأخرج أبو بكر هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر.

وسبب ذلك أن السلطان قرب الأمير يلبغا اليحياوى، وشغف به شغفًا كثيرًا، ونادم الأمير ملكتمر الحجازى، واختص به وبالأمير طاجار الدوادار وبالشهابى شاد العمائر وبالأمير قُطُليجا الحموى، وجماعة من الخاصكية، وعكف على اللهو وشرب الخمور وسماع الملاهى. فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره؛ لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر. فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته فى ذلك وكفه عنه، فزاده لومه

إغراء، وأفحش فى التجاهر باللهو حتى تحدث به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامة.

وصار السلطان يطلب الغلمان فى الليل، ويبعثهم لإحضار المغانى، فغلب عليه الشراب فى بعض لياليه، فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش: «يا آمير أخور! هات لى ابن عطعط» فقال أيدغمش: «يا خوند ما عندى فرس بهذا الاسم» فنقل ذلك السراخورية[1] والركابية، فتداولته الألسنة. فطلب قوصون الأمير طاجار والشهابى شاد العمائر، وعنفهما وقال: «سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات، ويحضر إليها البغايا والمغانى؟»، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا. فبلغوا السلطان كلام قوصون، وزادوا فى القول، فأخذ جلساؤه من الأمراء فى الوقيعة فى قوصون والتحدث فى القبض عليه، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بيبرس الأحمدى والأمير طقزدمر النائب. فنم عليهم الأمر يلبغا اليَحيَاوى لقوصون - وكان قد استماله بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية -، وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة.

فانقطع قوصون عن الصلاة، وأظهر أن برجله وجعًا، وبعث فى ليلة السبت يعرّف الأمير بيبرس الأحمدى بالخبر، ويحثه على الركوب معه. وطلب قوصون المماليك السلطانية، وواعدهم على الركوب صحبته، وملأهم بكثرة مواعيده إياهم، وبعث إلى الأمير الحاج آل ملك، والأمير جنكلى بن البابا. فلم يطلع الفجر حتى ركب قوصون من القلعة من باب السرَ فى مماليكه ومماليك السلطان، وسار نحو الثغرة، وبث مماليكه فى طلب الأمراء. فأتاه جركتمر بن بهادر فى إخوته، وبرسبغا بيبرس، والأحمدى، وقطلوبغا الفخرى. وأخذوا أقبغا عبد الواحد من ترسيم طيبغا المجدى، فسار معه المجدى أيضًا. ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر، ودقوا طبلخاناتهم، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم.

هذا والسلطان وندماؤه فى غفلة لهوهم وغيبة سكرهم، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم، وعرفوهم ما دهوا به. فبعث السلطان طاجار إلى طقزدمر النائب يسأله عن الخبر، ويستدعيه، فوجد عنده جُنْكُلى بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة. فامتنع طقزدمر من الدخول إلى السلطان، وقال: «أنا مع الأمراء حتى أنظر عاقبة هذا الأمر»، وقال لطاجار: «أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم، قل للسلطان يجمع مماليكه ومماليك أبيه حوله» فعاد طاجار وبلّغ السلطان ذلك، فخرج السلطان إلى الإيوان وطلب المماليك، فصارت كل طائفة

---

(١) المقصود بها هنا فئة المكلفين بعلف الخيل.

تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلة حتى صاروا نحو الأربعمائة مملوك، وصاروا يدا واحدة من باب القلة إلى باب القلعة، فإذا هو قد أغلق فرجعوا إلى النائب طقزدمر بعد ما أخرقوا بوالى باب القلعة، وأنكروا عليه وعلى من عنده من الأمراء. فقال لهم طقزدمر: «السلطان ابن أستاذكم جالس على الكرسى وأنتم تطلبون غيره؟» فقالوا: «ما لنا أستاذ إلا قوصون. ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا»، ومضوا إلى باب القرافة، وهدموا منه جانبا وخرجوا، فإذا خيول بعضهم واقفة. فركب بعضهم، وأردف عدة منهم، ومشى باقيهم إلى قبة النصر. ففرح بهم قوصون والأمراء، وأمر لهم بالخيول والأسلحة، وأوقفهم مع أصحابه. وبعث الأمير مسعود بن خطير الحاجب إلى السلطان يطلب منه ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى وطاجار وغيره، ويعرفه أنه أستاذهم وابن أستاذهم، وأنهم على طاعته، وأنهم إنما يريدون هؤلاء، لما صدر عنهم من الفساد ورمى الفتن وطلع الأمير مسعود إلى القلعة، فوجد السلطان فى الإيوان، وهؤلاء الأمراء حوله فى طائفة من المماليك، فقبل الأرض، وبلغه الرسالة. فقال السلطان: «لا كيد ولا كرامة لهم، ولا أسير مماليكى ومماليك أبى لهم، وقد كذبوا فيما نقلوه عنهم، ومهما قدروا عليه يفعلوه». فما هو إلا أن خرج عنه أمير مسعود حتى اقتضى رأيه أن يركب بمن معه، وينزل من القلعة ويطلب النائب طقزدمر ومن عنده من الأمراء، ويدق كوساته. فتوجه إلى الشباك وأمر أيدغمش أمير آخور أن يشد الخيل للحرب، فأعلمه أنه لم يبق بالإصطبل غلام ولا سايس ولا سراخورى يشد فرسا واحدًا. فبعث إلى النائب طقزدمر يستدعيه، فامتنع عليه.

ثم بعث قوصون الأميرَ بُلك الجمدار والأمير برسبغا إلى النائب طقزدمر يعلمانه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه وإلا زحف على القلعة وأخذهم غصبا. فبعث طقزدمر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم، فعلم السلطان أن النائب وأمير آخور قد خذلاه، فقام ودخل على أمه. فلم يجد الغرماء بدا من الإذغان، وخرجوا إلى النائب طقزدمر، وهم ملَكْتمر الحجازى وألطنبغا الماردينى ويلبغا اليحياوى وطاجار الدوادار والشهابى شاد العمائر وبَكْلَمِشْ الماردينى وقطليجا الحموى، فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصون صحبة بلك وبرسبغا. فلما رآهم قوصون صاح فى الحاجب أن يرجلهم عن خيولهم من بعيد، فأنزلوا منزلا قبيحا، وأخذوا حتى وقفوا بين يديه، فعنفهم ووبخهم، وأمر بهم فقيدوا، وعملت الزناجير فى رقابهم والخشب فى أيديهم.

ثم نزل قوصون والأمراء فى خيم ضربت لهم عند قبة النصر، واستدعى طقزدمر النائب، والأمير جنكلى بن البابا، وأيدغمش أمير آخور، والوزير، والأمراء المقيمين

بالقلعة. واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه وإخوته من القلعة، فتوجه برسبغا فى جماعة إلى القلعة، وأخرج المنصور وأخوته، وهو سابع سبعة، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس وبقجة قماش. وأركبهم برسبغا إلى شاطئ النيل، وأنزلهم فى حراقة، وسافر بهم جركتمر بن بهادر إلى قوص، ولم يترك برسبغا فى القلعة من أولاد السلطان إلا كجك. وسلم قوصون الأمراء المقيدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزانة شمايل بالقاهرة، وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوى، فإنه أفرج عنه.

وكان يوما عظيما بالقلعة والقاهرة، من تألم الناس على أولاد السلطان والأمراء وكثرة البكاء والعويل.

وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة يوم الأحد عشريه إلى القلعة، واتفقوا على إقامة كجك. فكانت مدة سلطنة المنصور أبى بكر تسعة وخمسين يوما، ومن حين قلده الخليفة أربعين يوما.

ومن الاتفاق العجيب أن الملك الناصر أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان وأولاده إلى قوص مرسّما عليهم، فقوصص(١) بمثل ذلك، وأخرج الله أولاده مرسّما عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه، وهو قوصون مملوكه وثقته ووصيّه على أولاده، فليعتبر العاقل ويتجنب أفعال السوء.



السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون(٢)

أقيم سلطانا فى يوم الإثنين حادى عشرى صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ولم يكمل له من العمر خمس سنين، وأمه أم ولد اسمها أردو، تترية الجنس. ولقب كجك بالملك الأشرف، وعرضت نيابة السلطنة على الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع وامتنع منها، فوقع الاتفاق على إقامة الأمير قوصون فى النيابة، فأجاب وشرط على الأمراء أن

---

(١) المقصود فعوقب بمثل ذلك.

(٢) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. نصبه الأتابكى قوصون بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢ هـ، وكان الأشرف طفلا، وتصرف هو فى أمور المملكة، فاضطربت أحوالها. وثار الأمير أيدغمش ويلقب بأمير آخور كبير، أى الرئيس الكبير للإصطبل، فظفر بقوصون وسجنه، وخلع الأشرف، واعتقله فى دور الحرم، فلبث بضع سنين ومات. ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام. انظر ابن إياس ١/١٧٧ والدرر الكامنة ٣/ ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٢٢/٢١ والأعلام ٤/ ٢٢٠.

يقيم على حاله بالأشرفية من القلعة، ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة. فأجابوه إلى ذلك، فاستقر من يومه نائب السلطان، وتصرف فى أمور الدولة فقال فى ذلك بعض الشعراء:

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من مسَّته مظلمة ... أن تبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

وفى يومه: أفرج عن الأمير ألطنبغا المارديني، وخُلع على الأمير مسعود بن خطير واستمر حاجبا على عادته.

وفى ليلة الأربعاء: أخرج بالأمير طاجار، والأمير قطلوبغا الحموى، والأمير ملكتمر الحجازى، والشهابى شاد العمائر، من خزانة شمايل، حملوا إلى ثغر الإسكندرية، فستجنوا بها وتوجه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب؛ لتحليف النائب والأمراء والأجناد وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بسبب ذلك، والأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماه لتحليف من فيها، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند من المغارم.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: ركب الأمير قوصون فى دست النيابة، وترجل له الأمراء، فكان موكبا عظيما.

وفيه أنفق الأمير قوصون فى العسكر لكل مقدم ألف من الأمراء ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة خمسمائة دينار، ولكل أمير عشرة مائتى دينار، ولكل مقدم حَلقة خمسين دينار، ولكل جندى خمسة عشر دينار.

وفى يوم السبت سادس عشريه: سُمِّر والى الدولة أبو الفرج بن الخطير صهر النشو. وسببه أنه لما أفرج عنه كثرت الإشاعة بأن الأمير ملكتمر الحجازى يستقربه فى نظر الخاص، وأنه ينهض بما ينهض به النشو، وأنه صار يخلو بالسلطان المنصور أبى بكر ويحادثه فى أمور الدولة، وأنه كثر نزول ملكتمر الحجازى وغيره من الأمراء إلى بيته ليلا، وحضوره عنده إلى مجالس اللهو. واتهم الملك المنصور أبى بكر بأنه نزل إليه أيضًا. فنقل ذلك أعداؤه من الكتاب إلى الأمير قوصون، وأغروه به إلى أن كان من قيامه على السلطان ما كان، فقبض على والى الدولة وسجنه، فقام الكتاب فى قتله حتى أجابهم قوصون إلى ذلك، فطلب ابن المحسنى والى القاهرة. طوائف من العامة وألزمهم إن يشعلوا الشموع من بعد صلاة الصبح خارج باب زويلة، وأخرج والى الدولة من خزانة شمايل، وسمره على جمل تسميرا فاحشا بمسامير خافية، وأمر فنودى عليه: «هذا جزاء من يرمى الفتن ويتحدث فيما لا يعنيه ويفسد عقول الملوك». وشهر والى الدولة

والشموع بين يديه بالقاهرة ومصر، فطافوا به الأزقة والشوارع وهو ساكت يتجلد، فإذا مر بالشهود فى الحوانيت أو بجمع من القضاة صاحَ: «يا جماعة ! اشهدوا لى أننى مسلم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنا أموت عليها» فكان يوما مشهودا. ولم يزل والى الدولة على ذلك أياما حتى مات وقال فيه بعضهم.

قد أخلف النسو صهر سوء   قبيح فعل كما رأوُه
أراد للشر فتح باب   فأغلقوه. وسمروه

وكانت عدة الشموع التى أشعلت يوم تسميره ألفا وخمسمائة شمعة.

وفى يوم الخميس مستهل ربيع الأول: أنعم الأمير قوصون على أحد وعشرين رجلا من المماليك السلطانية بإمريات، منهم ستة طبلخاناة والبقية عشرات.

وفى يوم الجمعة تاسعه – ويوافقه أول أيام النسىء –: وفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح سد الخليج بكرة يوم السبت. فنقص الماء أربعة أصابع، ثم رد النقص وزاد أصبعا من سبعة عشر ذراعا فى يوم الخميس خامس عشره، فسر الناس بذلك سرورا زائدا.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: توجه الأمير طوغان لإحضار أحمد ابن السلطان الناصر محمد من الكرك محتفظا به، لينفى إلى أسوان. وسبب ذلك ورود كتاب ملكتمر السرجوانى نائب الكرك يتضمن أن أحمد قد خرج عن طوعه، وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وانهماكه فى معاقرة الخمر، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله، وطلب الإعفاء من نيابة الكرك.

وفى يوم السبت سابع عشره: خلع على الأمير طقزدمر النائب، واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيد الأيوبى، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف فى دمشق.

وفيه أنعم الأمير آقبغا عبد الواحد بإمرة فى دمشق، ورسم بسفره إليها.

وفى يوم الخميس ثانى عشريه: خُلع على جميع الأمراء وأهل الدولة بدار العدل، وقد أجلس السلطان على التخت، وقبَّل الأمراء الأرض بين يديه، ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم، وقبلوا يده. فكانت عدة الخلع يومئذ ألف خلعة ومائتى خلعة، وكان يوما مشهودًا.

وفيه توجه جركتمر بن بهادر إلى أسوان، للاحتفاظ على المنصور أبى بكر وإخوته، وكان قد حضر إلى القاهرة هو وغيره ممن توجه لتحليف نواب الشام بنسخ حَلفهم.

وفى تاسع عشريه: ورد البريد من الكرك بكتاب أحمد ابن السلطان يتضمن أنه لا يحضر حتى يأتيه الأمراء الأكابر إلى الكرك ويُحلّفهم، ثم تحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك، ويحضر هو بعد ذلك وينتصب سلطانا. فأجيب من الغد بإنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه، وجهزت له هدية سنية، وأنه يحضر إلى القاهرة حتى تعمل المصلحة.

وفيه أفرج عن الشريف مبارك بن عطيفة.

وفيه أنعم على عشرة من مماليك السلطان بإمريات، ونودى بالقاهرة بألا يرمى على أحد من التجار والباعة شيء من البضائع.

وفيه قبض على بدوى معه كتاب أمير يحيى بن ظهير بغا المغلى لأحمد ابن السلطان الناصر محمد يحذره من دخول مصر، وأنه متى دخل إليها قتل، فأنكر قوصون على أمير يحيى ذلك، فزعم أنه كتاب أخته زوجة أحمد.

وفيه ورد كتاب عبد المؤمن والى قوص يخبر بوصول المنصور أبى بكر وإخوته، وأنه ركب فى خدمته. فلما عاد عبد المؤمن من خدمته بعث إليه المنصور بخمسمائة دينار، فكتب الأمير قوصون جوابه بالاحتراس عليه.

وفيه أخذت أمور قوصون تضطرب. وذلك أنه ألزم المماليك السلطانية بالمشى فى خدمته، كما كانوا فى الأيام الناصرية يمشون فى خدمة السلطان الناصر محمد، فلم يوافقوه على ذلك، وكان قوصون مع كثرة إحسانه قد ألقى ا لله بغضته فى قلوب الناس جميعًا حتى صاروا يلهجون بها.

وفى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر: قدم من الكرك الأمير شرف الدين ملكتمر السرجوانى نائبها، والأمير طرغاى الطباخى، وأخبرا بامتناع أحمد من الحضور، وأنه أقام على الخلاف.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: اجتمع الأمراء للمشورة فى أمر أحمد ابن السلطان حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه.

وفى يوم السبت سادس عشره: ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين المماليك السلطانية. وذلك أنه أرسل يستدعى من الطواشى مقدم المماليك مملوكا من طبقة الزمرذية[1] جميل الصورة، فمنعه خشداشيته أن يخرج من عندهم. فتلطف بهم

---

(١) طائفة من المماليك وبخاصة المجلبين من بلاد القبجاق.

الطواشى المقدم حتى أخذه، ومضى به إلى قوصون وبات عنده. وطلب قوصون من الغد نحو أربعة أو خمسة مماليك، ومنهم شيخو وصرغمتش وأيتمش عبد الغنى فامتنع خشداشيتهم من ذلك، وقام منهم نحو المائة مملوك، وقالوا: «نحن مماليك السلطان ما نحن مماليك قوصون». وأخرجوا الطواشى المقدم على أقبح صورة. فمضى الطواشى المقدم إلى قوصون وعرفه ذلك، فأخرج إليهم الأمير برسبغا الحاجب وشاورشى دواداره فى عدة من مماليكه ليأتوه بهم، فإذا بالمماليك السلطانية قد تعصبوا مع كبارهم، وخرجوا على حمية إلى باب القلة يريدون الأمير بيبرس الأحمدى، فإذا به راكب. فمضوا إلى بيت الأمير جنكلى بن البابا، فلقوه فى طريقهم، فتقدموا إليه وقالوا له: «نحن مماليك السلطان مشترى ماله، كيف نترك ابن أستاذنا ونخدم غيره، فينال غرضه منا، ويفضحنا بين الناس؟»، وجهروا بالكلام الفاحش. فتلطف بهم جنكلى فلم يرجعوا عما هم عليه، فحنق منهم وقال لهم: «أنتم الظالمون بالأمس لما خرجتم قلت لكم أنا ونائب السلطان طقزدمر ارجعوا إلى خدمة أستاذكم، قلتم ما لنا أستاذ غير قوصون، والآن تشكون منه» فاعتذروا ومضوا، وقد حضر الأمير بيبرس الأحمدى فاجتمعوا به، وتوجهوا إلى منكلى بغا الفخرى، فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون، فأرادوا أن يوقعوا به، فكفهم الفخرى عنه، ومازال يتلطف بهم.

هذا وقوصون قد بلغه خبرهم، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء، فمازال به من عنده من الأمراء حتى سكن إلى بكرة النهار، فكانت ليلة مهولة بالقلعة. ثم طلب قوصون جنكلى والأحمدى والفخرى وبقية الأمراء إليه، وأغراهم بالمماليك السلطانية. فبعثوا بأمير مسعود إليهم ليحضرهم، فإذا جمعهم قد كثف وكثر، فلم يلتفتوا إليه، فعاد. وخرج إليهم ألطنبغا الماردانى وقطلوُبغا الفخرى - وهما أكبر الناصرية - ومازالا بهم حتى أخذا من وقع عليه الطلب، ودخلا بهم إلى قوصون، فقبلوا يده، فقام لهم وقبل رءوسهم وطيب خاطرهم ووعدهم بكل خير، وانصرفوا وفى الظن أنه قد حصل الصلح، وذلك يوم السبت المذكور.

فلما كانت ليلة الإثنين: وقت الغروب تحالف المماليك السلطانية على قتل قوصون وبعثوا إلى من بالقاهرة منهم، فبات قوصون - وقد بلغه ذلك - على حذر. وركب قوصون يوم الإثنين ثامن عشره الموكب مع الأمراء تحت القلعة، وطلب أيدغمش أمير آخور وأخذ يلوم الأمراء على إقامته فى نيابة السلطنة، وهم يترضونه ويعدونه بالقيام معه. فأدركه الأمير بيبرس الأحمدى، وأعلمه بأن المماليك السلطانية قد اتفقوا على قتله، فمضى بالموكب مع الأمراء إلى جهة قبة النصر. فارتجت القلعة، وغلقت أبوابها،

ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة، وكسروا الزردخاناه. وقد امتلأت الرميلة بالعامة، وصاحوا: «يا ناصرية»، فأجابهم المماليك من القلعة. ثم رجعوا إلى باب إصطبل قوصون وهجموا عليه، وكسروا من كان يرجمهم من أعلاه. فبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن معه من الأمراء، فأوقعوا بالعامة حتى وصلوا إلى سور القلعة، فرماهم المماليك السلطانية بالنشاب لحماية العامة. فقتل أمير محمود صهر الأمير جنكلى بن البابا بسهم، وقتل معه آخر. ووصل الأمراء إلى إصطبل قوصون، وقد بدأ النهب فيه، فقتلوا من العامة جماعة كبيرة، وقبضوا على جماعة. فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء، وكفوا عن الحرب، وفتحوا باب القلعة. فطلع إليها الأمير برسبغا الحاجب، وأنزل ثمانية من أعيان المماليك إلى قوصون، وقد وقف بجانب زاوية تقى الدين رجب تحت القلعة. فوسّط قوصون واحدًا منهم اسمه صربغا، فإنه هو الذى فتح خزائن السلاح وألبس المماليك، وأمر به قوصون فعلق على باب زويلة وشفع الأمراء فى البقية، فسجنوا بخزانة شمايل مقيدين. ورُسم بتسمير عدة من العامة، فسمِّر منهم تسعة على باب زويلة، وأمر بالركوب على العامة وقبضهم، ففروا حتى لم يقبض منهم على حرفوش واحد. ثم طلع الأمير قوصون إلى القلعة قريب العصر، ومُدّ له وللأمراء سماط، فأكلوا. وبقيت الأطلاب وأجناد الحلقة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان يوما مشهودًا، وكانت جملة من قتل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلا.

وفى ليلة الثلاثاء: طلع الأمير برسبغا فى جماعة إلى طباق المماليك بالقلعة، وقبضوا على مائة مملوك منهم، وعملوا فى الحديد، وسجنوا بخزانة شمايل، فمنهم من قتل، ومنهم من نفى من مصر.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: سُمِّر تسعة من العوام.

وفى يوم الأربعاء عشريه: سُمِّر ثلاثة من الطواشية على باب زويلة، فى عدة من الحرافيش. وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر، وقابلته المماليك أخذت الطواشية فى الصياح على نسائه، وأفحشوا فى سبهن. فمات أحدهم تحت العقوبة وأفرج عن الاثنين.

وفيه عرضت مماليك الطباق، وأنعم على مائتى مملوك منهم بإقطاعات كثيرة المتحصل، وعين جماعة منهم للإمريات. وأكثر قوصون من الإحسان إليهم، والإنعام عليهم.

وفيه قدم البريد من دمشق بكتب أحمد ابن السلطان إلى نائب الشام، وهى مختومة لم

تفك، فإذا فيها أنه كاتب الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب وغيره من النواب، وأنهم قد اتفقوا معه، وأكثر أحمد من الشكوى من قوصون. فأوقف قوصون الأمراء عليهما، ومازال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك.

وفيه فرقت المماليك التى كانت الفتنة بسببهم على خشداشيتهم، فسلم صرغتمش إلى الأمير ألطنبغا الماردانى، وسلم أيتمش لأيدغمش أمير آخور، وسلم شيخو إلى أُرُنْبَغا السلاح دار.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: قدم البريد من الكرك بأن أحمد ابن السلطان لم يوافق طرغاى الطباخى على القدوم معه، وأن طرغاى توجه من الكرك عائدا بغير طائل. وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن أحمد عزم على السير إلى مصر، وطلب السلطنة. فكثر الاضطراب، ووقع الشروع فى تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخرى، واستحلفه قوصون، وبعث إليه عشرة آلاف دينار، وعين معه الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى، ومعهما أربعة وعشرون أميرا، ما بين طبلخاناة وعشرات، وأنفق عليهم جميعا ثم بعث قوصون إلى قطلوبغا الفخرى بخمسة آلاف دينار عند سفره، وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى أناخ بالريدانية فى يوم الثلاثاء خامس عشريه.

ولم يكن الأمراء راضين بسفرهم، بل أشار الأمير آل ملك والأمير جنكلى بن البابا على قوصون بألا يحرك ساكنا فلم يقبل، فأشارا عليه بأن يكتب إلى أحمد يعتبه على مكاتبته نائب الشام، فكتب إليه بذلك، فأجاب بأن طرغاى الطباخى أسمعه كلاما فاحشا وأغلظ عليه فى القول، فحمله على مكاتبة نائب الشام، وأن الأمير قوصون والده بعد والده، ونحو هذا من القول.

وفيه قدم الأمير أزدمر الكاشف، ومعه ابن حُرَجا خولى الأغنام السلطانية تحت الاحتفاظ، فأخذ منه ألف ألف درهم من غير أن يضرب؛ لكثرة أمواله وسعادته.

وفيه قدم الخبر من شطى بن عبية أمير العرب بأن أحمد ابن السلطان الناصر قد اختلفت عليه مماليكه، وقتلوا الشاب الذى كان يهواه ويعرف بشهيب، من أجل أنه كان يهينهم.

وفيه أفرج عن مماليك دمرداش الذين بعثهم السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد ورُسم بتفرقتهم على الأمراء.

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول: ركب الأمير نائب قوصون نائب السلطنة إلى

سرياقوس[١]، وصحبته الأمراء على جارى العادة.

وفيه خلع على ضياء الدين يوسف. بن خطيب بيت الآبار، وأعيد إلى حسبة القاهرة.

وفى هذا الشهر: ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب عليه، وسببه أنه شق عليه إخراج أولا السلطان الملك الناصر إلى الصعيد، ويجهز العسكر لقتال أحمد ابن السلطان. وكان قد بعث إليه أحمد يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه، ويطلب منه النصرة عليه. فكتب طشتمر حمص أخضر إلى الأمراء وإلى قوصون بالعتب، فقبض على قاصده بقطيا، وسجن. وكتب قوصون إلى الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم فى الفتنة، وأنه لا يصغى إلى قوله، وحمل إليه إنعاما كثيرًا، فأجاب بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

وفيه أيضًا تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير آخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس فى عدة من مماليك قوصون على أيدغمش. فأخذ أيدغمش فى الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا سير قوصون فى سوق الخيل يغلق أيدغمش باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ قوصون تغير أيدغمش عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سببًا، فمازالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعة، وعرف قوصون بحضرتهم ما بلغه، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر، وتصالحا. فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بمحبسه، فاتهم قوصون بقتله.

وفيه قدم الخبر من جركتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبى بكر، وشكى من ترفعه وتعَاظمه عليه، فكتب بطلب عبد المؤمن والى قوص على البريد، فلما قدم خلع عليه قوصون، وأكثر من الإنعام عليه، وقرر معه ما يعمله، وأعاده على البريد وكتب إلى جركتمر بن بهادر بمساعدته على ما هو بصدده.

وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح لها شباكا يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد. وزاد قوصون فى راتب سماطه كثيرًا من الحلوى

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٨.

والدجاج ونحو ذلك، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية، بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بباب القلعة موضع النيابة، فى موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس.

وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والى قوص بأن المنصور أبا بكر وجد فى نفسه تغيرا، وفى جسمه توعكا، لزم الفراش منه أياما، ومات. ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله.

وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم، وأن التبن بلغ أربعين درهما الحمل. ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخرى على الكرك، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاء، فأقام العسكر نحو العشرين يوما فى شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن، وكثرت غاراتهم فى الليل عليهم، وتقطيع قربهم وروايهم.

هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخرى بالأموال، ويحرضه على لزوم الحصار.

وفيه قدم البريد من عند ألطنبغا الصالحى نائب دمشق بأن تمر الموساوى قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب.

فكتب قوصون بالقبض عليه، وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى ألطنبغا الصالحى نائب دمشق أن يطالع بالأخبار، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف، وعابه، وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان، فأجابه بأعذار غير مقبولة.

ثم قدم الخبر من شطى بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخرى قد خامر بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر، وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل فى طاعة أحمد، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخرى ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد.

وكان الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام قد أحس بشىء من هذا، فاحترس على

الطرقات حتى ظفر بقاصد طشتمر حمص أخضر نائب حلب على طريق بعلبك، ومعه كتب من هؤلاء الأمراء إلى أحمد، فبعث ألطنبغا بهذه الكتب إلى قوصون فقدمت ثانى يوم ورود كتاب شطى بمخامرة قطلوبغا الفخرى، فإذا فيها «الملكى الناصرى» فاضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم بما وقع وأوقفهم على الكتب، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخرى فى هذه السفرة أربعين ألف دينار، سوى الخيل والقماش والتحف.

وفيه رسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين إلى الكرك، فمازال به الأمراء حتى كف عن ذلك. وألزم مباشريهم بحمل حواصلهم وصار فى أمر مريج. ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص، ونائب صفد، ونائب طرابلس، وكتب إليهم بالسمع والطاعة له، وحمل قوصون النفقات إلى العساكر الشامية. فخرج الأمير ألطنبغا الصالحى نائب الشام من دمشق بالعسكر فى جمادى الآخرة، فتلقاه الأمير أرقطاى نائب طرابلس على حمص، وصار من جملته، وأخبره بكتاب طشتمر حمص أخضر نائب حلب يدعوه لموافقته، وأنه أبى عليه. ثم كتب الأمير ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة ليحضر معه، فاعتذر بأنه من وجع رجله ما يقدر على الركوب، - وكان قد وافق نائب حلب - فبعث إليه نائب الشام بقبول عذره، وحلفه على طاعة السلطان الأشرف كجك، وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخرى، ولا يخرج من حماة حتى يعود ألطنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك.

وعندما بلغ طشتمر حمص أخضر نائب حلب مسير ألطنبغا نائب الشام إليه بالعساكر، استدعى ابن دلغادر، فقدم عليه حلب، واتفق معه على الخروج إلى الأبلستين، وسار به ومعه ما خف من أمواله، وأخذ أولاده ومماليكه. فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب ألطنبغا نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج عن حلب، وقاتلوه عدة وجوه، فلم ينالوا منه غرضا، وقتل من الفريقين خمسة نفر، وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر حمص أخضر إلى الأبلستين كتب إلى أرتنا يستأذنه فى العبور إلى الروم، فبعث إليه أرتنا بقاضيه وعدة من ألزامه، وجهز له الإقامات. فمضى طشتمر حمص أخضر إلى قيصرية[1]، وتوجه أرتنا لمحاربة دمرداش بعد

(١) بلدة على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

أن رتب للأمير طشتمر فى كل يوم ألفى درهم.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب الشام، فإنه قدم إلى حلب، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر حمص أخضر، وأنه استولى على حلب. فقدم كتابه فى يوم الأربعاء ثانى رجب، صحبة أطلمش الكريمى، فأخرجه قوصون فى رابعه إلى الشام لكشف الأخبار.

وفى خامسه: خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخاناة والعشرات، ولبس معهم الأمير قوصون تشريف النيابة، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية، فكان يوما مشهودًا.

وفى يوم الإثنين ثامنه: فرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة قطلوبغا الفخرى، وعدتهم اثنان وثلاثون أميرا، منهم أمراء طبلخاناة ستة عشر، وأمراء عشرات سته عشر، وأميران مقدمان. وأعطى قوصون إمرياتهم لأربعة وثلاثين أميرا، عوضا عن أولئك.

وفى يوم الأربعاء عاشره: نزل الوزير نجم الدين وناظر الخاص جمال الكفاة إلى بيوت الأمراء المجردين، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وخيولهم، ففرقها قوصون على الأمراء المستجدين. وأخرج قوصون أيضًا إقطاعات أولاد الأمراء المجردين، ومماليكهم ومن يلوذ بهم من أجناد الحلقة، لجماعة سواهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشريه: قدم الأمير الشيخ على بن دلنجى القازانى أحد الأمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك إلى دمشق، ومواقعته مع ألطنبغا نائب الشام، وأنه فر منه فى ليلة الوقعة، فخلع عليه قوصون خلعة كاملة بكلفتاه زركش وحياصة ذهب.

وكان من خبر ذلك أن ألطنبغا الصالحى نائب الشام لما دخل حلب استولى على حواصل طشتمر حمص أخضر وأسلحته وخيوله وجماله، وباع ذلك على أهل حلب. وبينا هو فى ذلك إذ بلغه دخول قطلوبغا الفخرى إلى دمشق بمن معه من العسكر، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه آقسنقر السلاى نائب غزة، وأصلم نائب صفد، ومن تأخر بدمشق من الأمراء، وهم شيخو البشمقدار وتمر الساقى، وأن آقسنقر نائب غزة وقفَ لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر، واستولى على القصر المعينى بلد قوصون بالغور، وأخذ ما فيها من القند والسكر وغير ذلك، وقبض على نوابه وأمواله وغلاله وأن قطلوبغا الفخرى أخذ فى تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والأجناد،

وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه فى غد دخوله، فركب وتلقاه وقوى به. واستخدم قطلوبغا الفخرى جندا كبيرًا، ونادى بدمشق: من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالا كثيرًا من التجار وأرباب الأموال، وأكره قاضى القضاة تقى الدين ابن السبكى حتى أخذ مال الأيتام، وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين، فلم يبق أحد بدمشق إلا وغرم المال على قدر حاله. فجمع قطلوبغا الفخرى مالا عظيما، وأتته جماعات من الجند والتركمان أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والبطالين لإقطاعات بالحلقة، فتجهزوا جميعهم بالخيل والأسلحة. وحلف قطلوبغا الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد، وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفتية ورقاب الخيل والكنابيش والسروج والغاشية والقبة والطير، وسائر ما يحتاج إليه من أبهة السلطنة وجهز الكوسات والبغال. وكتب قطلوبغا إلى الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابه بالشكر والثناء، وبعث إليه موسى بن التاج إسحاق بمال، وسأل أن يكون ناظر الخاص على ما كان عليه أبوه فى أيام أبيه السلطان الملك الناصر محمد. فأجابه قطلوبغا إلى ذلك، وأقام بدمشق يدبر أمره، وطلب ابن صبح نائب صفد، وبعثه لجمع العشير والجبلية من بلاد صفد وطرابلس وغيرها، فأتاه منهم جمع كثير. وكتب قطلوبغا إلى سليمان بن مهنا أن يعرفه بمسير ألطنبغا الصالحى من حلب، فكتب الأمير ألطنبغا يعرف الأمير قوصون بذلك فازداد اضطرابه، وجمع الأمراء. فاتفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزة، فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طغريل فى جماعة وأجيب الأمير ألطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمى بأن يسير من حلب إلى قتال قطلوبغا الفخرى بدمشق، فتوجه أطلمش على البريد من البرية لانقطاع الدرب، ووصل إلى حلب، وعرف ألطنبغا الخبر، فسار ألطنبغا منها حتى قدم حمص، وقد خرج قطلوبغا الفخرى من دمشق إلى خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجبلية والعشير على الجبلين، ووقف هو بالعسكر فى وسط الطريق.

وأما ألطنبغا الصالحى فإنه حلف من معه، وسار من حمص حتى قرب من قطلوبغا، وعدة الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس. فتمهل ألطنبغا كراهة لسفك الدماء، وراسل قطلوبغا مدة ثلاثة أيام، فلم يتم بينهما أمر، وبعث قطلوبغا إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه.

فلما تعبت الرسل وملت العساكر من شدة البرد، بعث ألطنبغا فى الليل عدة ممن معه على طريق المرج ليهجموا على قطلوبغا من ورائه، ويلقاهم هو من أمامه. وركب ألطنبغا من الغد، فمال كل أمير ممن معه إلى جهة قطلوبغا، وصاروا من جملته. فلم يبق مع

ألطنبغا سوى أرقطاى نائب طرابلس، وأسنبغا بن بكتمر البوبكرى وأيدمر المرقبى من أمراء دمشق، فانتهزوا على طريق صفد إلى جهة غزة، والقوم فى أثرهم، بعد أن كانت بينهم وقبة هائلة انهزم فيها ألطنبغا نائب الشام، وهرب فيها من معهم، وخلصوا هم بأنفسهم.

وعاد قطلوبغا الفخرى إلى دمشق منصورًا. وكتب مع البريد إلى الأمير طشتمر حمص أخضر يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور، وأنه فى انتظاره بدمشق. وحلف قطلوبغا الفخرى من معه للملك الناصر أحمد. وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه وكتب يعرفه بذلك. وبعث قطلوبغا إليه تقدمة جليلة، واستحثه على المسير إلى دمشق ليسير فى خدمته إلى مصر، وبعث بخطوط الأمراء إليه.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة ومعه أرقطاى وطرنطاى البشمقدار فيمن معهم، فتلقاهم الأمير برسبغا ومن معه. وكتب ألطنبغا إلى قوصون بذلك، فقامت، وقبض على أخوة أحمد شاد الشرابخاناة، وعلى قرطاى أستادار قطلوبغا الفخرى.

ثم قدم على قوصون كتاب قطلوبغا الفخرى يعنفه على إخراج أولاد السلطان الناصر محمد وقتل المنصور أبى بكر، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد، ويشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد فى تقليده إياها. فقام قوصون وقعد، وجمع الأمراء، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة. فجهز قوصون لكل من ألطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقطاى نائب طرابلس ثلاثين بدلة وثلاثين قبَاء مسنجبة بطرازات زركش، ومائتى خف ومائتى كلفتاه، وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما، وجهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بدلات وأقبية بسنجاب، وكسوة لمماليكهم وأتباعهم. وأخذ قوصون فى الإنعام على المماليك السلطانية، وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام. وأخرج أربعمائة قرقل وزرديات وخوذ وغيرها، وأنعم على جماعة من المماليك بإمريات، وغير إقطاعات جماعة منهم بإقطاعات المجردين، وكتب إلى الأمراء بمسيرهم من غزة، وهيأ لهم الإقامات والخيول، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم.

فبينا قوصون فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب وقت عشاء الآخرة. وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه، لأمور بدت منه، منها قتل الأمير بشتاك، ثم قتل الملك المنصور أبى بكر، ثم وقوع الوحشة بينه وبين

أيدغمش، فأخذ أيدغمش فى التدبير عليه. ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخرى على ألطنبغا الصالحى نائب الشام ما كان، فكتب قطلوبغا إلى أيدغمش سرّا بأنه سلطن أحمد، وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

وكان قوصون قد احتفل لِقدوم ألطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، وفتح ذخيرة السلطنة، وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته علىَ الأمراء والخاصكية وما فرقه فيهم وفى العسكر ستمائة ألف دينار. فشاع بأنه يريد أن يتسلطن، فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه فى السلطنة، وحرض الخاصكية حتى وافقه الأمير ألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى، فى عدة من المماليك السلطانية، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلى بن البابا، أنهم يسيرون جميعًا إلى الكرك عند قدوم ألطنبغا الصالحى نائب الشام وخروجهم إلى لقائه.

فلما كان يوم الإثنين: ركب قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة، وطلب الأمير يلجك ابن أخته، وأخرج إلى لقاء نائب الشام - وقد ورد الخبر بنزوله على بلبيس - ليأتى به سريعا. فوافى يلجك الأمير ألطنبغا الصالحى ومن معه على بلبيس، فلم يوافقه على السرعة، وقصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أول شعبان. وبات ألطنبغا ليلة الثلاثاء على بلبيس وركب من الغد ونزل سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وصنجقه فى نحو مائة مملوك قد وافوه، وأعلموه أن فى نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون، وحصروه فى القلعة، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم.

وكان من خبر ذلك أن قوصون لما بعث يلجك ليأتيه بنائب الشام سريعا، تواعد أيدغمش ومن وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكوك. فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السر، ونزلوا إلى أيدغمش بالإصطبل. ومضى كل واحد إلى إصطبله فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعة، وهم ألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداشى والحاج آل ملك والجاولى وقمارى الحسنى أمير شكار وأرنبغا وآقسنقر السلارى. وبعثوا إلى إصطبلات الأمراء مثل جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى وطرغاى الطباخى وقياتمر وغيرهم، فأخرجوا أطلاب الجميع إليهم. وخرج لهم أيدغمش بمماليكه ومن عنده من الأوجاقية، فوقفوا جميعا ينتظرون نزول قوصون إليهم، حتى يمضوا إلى الكرك. فأحسن قوصون

بهم، وقد انتبه، فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة، فأتاه منهم اثنى عشر أميرا منهم جنكلى ابن البابا والأحمدى وطرغيه وقباتمر والوزير. ولبست مماليكه التى كانت عنده بالقلعة، وسألته أن ينزل ويدرك إصطبله، ويجتمع بمن فيه من مماليكه وكان يعتز بهم، فإنهم كانوا سبعمائة مملوك، وطالما كان يقول: «إيش أبالى بالأمراء وغيرهم ! عندى سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من فى الأرض»، فلم يوافقهم قوصون لما أراد ا لله به، وأقام إلى أن طلع النهار. فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطبلخاناة السلطانية وأخرج لهم الكوسات. ودق أيدغمش حربيا، ونادى: «معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا» فأتاه جماعة كثيرة من أجناد الحلقة والمماليك، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر. فنادى أيدغمش: «ياكسابة ! عليكم بإصطبل قوصون، اتهبوه» فأحاطوا به ومماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عدة كثيرة. فركب مماليك يلبغا اليحياوى أعلا بيت يلبغا حيث مدرسة السلطان حسن الآن، ورموا مماليك قوصون بالنشاب مساعدة للعوام، وجرحوا منهم جماعة، وحالوا بينهم وبين العامة. فهجم العامة عند ذلك على إصطبل قوصون، ونهبوا ركبخاناته وحواصله، وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكايدة شديدة، وطلعوا إليه. فخرجت مماليك قوصون على حمية، وشقوا القاهرة، وصاروا إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام. فبعث أيدغمش فى أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم، وأن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط بهم، فإن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آقسنقر قادمان فى جميع كبير لأخذ مماليك قوصون وحاشيته. فأمر ألطنبغا نائب الشام مماليك قوصون ويلجك وبرسبغا أن يكونوا على حدة. ولبس الجميع، وأخذ برسبغا وجماعته نحو الجبل، فلقيهم يلبغا اليحياوى ومن معه، وكان ذلك بعدما أمسك قوصون، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح، وهم فى جمع كبير.

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إصطبل قوصون من الخيل والسروج وآلات الخيل والذهب وغير ذلك، وقوصون ينظر ويضرب يدا على يد، ويقول «يا أمراء ! هذا تصرف جند؟ يُنهب هذا المال جميعه؟»، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون. فبعث قوصون إلى أيدغمش بأن «هذا المال عظيم، وهو ينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادى بنهبه؟» فرد جوابه: « نحن قصدنا أنت، ولو راح هذا المال وأضعافه». هذا والقلعة مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون

يرمون الأشرفية بالنشاب إلى قرب العصر، والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة. فألقى حينئذ قوصون بيديه، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد خُذلوا، فدخل عليه بلك الجمدار وملكتمر السرجوانى يأمرانه أن يقيم فى موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك، فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بدا من الإذعان، وأخذ يوصى الأمير جنكلى على أولاده. وأخذ قوصون وقيد، ومضوا به إلى البرج الذى كان به بشتاك، ورسم عليه جماعة من الأمراء. وكان الذى تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار وجنكلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب.

وأما ألطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، فإن برسبغا ويلجك والقوصونية لما فارقوه سار هو وأرقطاى نائب طرابلس والأمراء يريدون القلعة. فأشار الأمير ألطنبغا نائب الشام على الأمير أرقطاى نائب طرابلس أن يرد برسبغا ويلجك والقوصونية ويقاتل أيدغمش، فإنه ينضم إليهم جميع حواشى قوصون ويأخذون أيدغمش، ويخرجون قوصون ويقيمونه كبيرا لهم ويخرجونه إلى حيث يختار، ويقيمون سلطانا أو ينتظرون قدوم أحمد، فلم يوافقه أرقطاى لعفته عن سفك الدماء. فلما وافيا تحت القلعة وأيدغمش واقف فى أصحابه، أقبل إليها أيدغمش وعانقهما، وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة، فطلعا. وأمر أيدغمش فقبض على ابن المحسنى والى القاهرة، وأحضره والأمراء واقفون تحت القلعة، فأنزله عن فرسه وسجنه بالقلعة، بعدما كادت العامة أن تقتله لكونه من جهة قوصون، ثم أرسل أيدغمش الأمير آقسنقر والأمير قازان فى عدة مماليك وراء برسبغا ويلجك ومن معهما. وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء، وقرر معهم تسفير قوصون فى الليل إلى الإسكندرية، والقبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقطاى نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، وتسفير الأمير بيبرس الأحمدى والأمير جنكلى بن البابا لإحضار السلطان من الكرك.

وفى يوم الأربعاء، سلخه: خرج الحصنى بواب المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بأعلام خليفتية ومصحف على رأسه، وهو ينادى بصوت عال: «يا مسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل». فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه ودخلوا عليه. ففر منهم حسام الدين إلى السطح وهو فى أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار حسام الدين بقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه

وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى: «معكم مرسوم بنهبى؟» قالوا: «لا ! لكن سلمنا الغورى» فقيل لهم: «هذا غريم السلطان قد صار عندى، وأنتم قد أخذتم ماله»، ومازال بهم حتى انفضوا عنه وشنع الحال فى النهب، وكان ذلك من سوء تدبير أيدغمش، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل قوصون لغرضه، فوجدوا فيه مَا لاَ يكاد يوصف. وبلغ ذلك مماليك الأمراء والأجناد فأتوهم ووقفوا لانتظار من يخرج بشىء حتى يأخذوه، فإن امتنع من دفعه إليهم قتلوه. فوجد لقوصون أربع سرارى نهب جميع مالهن، وحملت أكياس الذهب والفضة ونثرت بالدهليز والطرق. فأخذ مماليك أيدغمش وغيره شيئا كثيرا من المال ونزلت مماليك يلبغا اليحياوى من سور إصطبله وقووا على الناس، واقتسموا الذهب وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئا كثير، قطعوها قطعا وتقاسموها، وكسروا أوانى البلور والصينى وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللجم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب بحاصله.

وكان بحاصل قوصون لما نهب ما ينيف على أربعمائة ألف دينار ذهبا فى أكياس، ومن الحوايص والزركش والأوانى - ما بين أطباق وخونجات[1] - زيادة على مائة ألف، ومن حلى النساء ما لا ينحصر، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر بما ينيف على مائة ألف دينار، ومائة وثلاثين زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز[2]، وستة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها، ونوبة[3] خام جميعها أطلس معدنى قص. فانحط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهما الدينار، من كثرة ما صار فى الأيدى، بعدما كان الدينار بعشرين درهما، ولأن أيدغمش نادى فى القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهبا لتاجر أو صيرفى أو متعيش يقبض عليه ويحضر به إليه، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف. وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك. ثم إن العامة - بعد نهب إصطبل قوصون وقصره، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه، وتركوه خرابا - مضوا إلى خانكاته بباب القرافة، فمنعهم أهلها من

---

(١) على هامش ط: خونجات مفردها خونجة وخونجا، وهو مصغر لفظ خوان فى اللغة الفارسية، والمقصود هنا صينية من الخشب أو المعدن.

(٢) بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس فى الإقليم الثالث. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

(٣) النوبة اسم لطائفة من آلات الطرب.

النهب، فمازالوا حتى فتحوها ونهبوها، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئا، وقطعوا بسطها، وكسروا رخامها، وخربوا بركتها، وأخذو الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر. ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون، وهم حشد عظيم، فنهبوها وأحرقوها وما حولها حتى بيعت الغلة بستة دراهم كل أردب من القمح وتتبعوا حواشى قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزريبة وبركة قرموط وغير ذلك، وباعوا الأمتعة والأوانى والثياب بأبخس ثمن، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصونى فللحال يذهب جميع ماله. وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد، وشمل الخوف كل أحد، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب، فأمر بسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهرة والعامة مجتمعة على باب الصالحية فى نهب بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى، فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم بالمقارع. وأشهروهم، فانكفوا عن النهب.

وفى ليلة الخمس: أخرج الأمير قوصون من سجنه بالقلعة، فى مائة فارس حتى ركب النيل، ومضى إلى الإسكندرية.

وكان قوصون فى أول أمره على حاله، وفى أوسطه وآخره من أعاجيب الزمان ومما قيل فيه:

قوصون قد كانت له رتبة	تسمو على بدر السما الزاهر
فحطه فى القيد أيدغمش	من شاهق عال على الطائرِ
ولم يجد من ذلةٍ صَاحبًا	فأين عين الملك الناصرِ
صار عجيبا أمره كله	فى أول الأمر وفى الآخرِ

وفى يوم الخميس أول شعبان: خُلع السلطان الملك الأشرف كجك من السلطة، وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهى، وتدبير أمور الدولة كلها إلى قوصون. وكان إذا حضرت العلامة أعطى قلما فى يده، وجاء فقيهه الذى يقرئ أولاد السلطان، فكيف العلامة والقلم فى يد السلطان.

*   *   *

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

أمه اسمها بياض، كانت تجيد الغناء، وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة. وكانت شهوتها قوية، ولها بالناس اجتماعات فى مجالس أنسهم. فلما بلغ السلطان الناصر محمد خبرها اختص بها، وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه. ثم تزوجها الأمير ملكتمر السرجوانى، وقد مضى من أخباره جملة. فلما استولى الأمير

أيدغمش على الدولة بعد قوصون، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف كجك فى يوم الخميس أول شعبان، بعث الأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى والأمير قمارى أمير شكار إلى السلطان أحمد بالكرك بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع، ويستدعونه إلى تخت ملكه، وضربوا اسمه على أملاك قوصون جميعها، وأعلن بالدعاء له فى خانكاه سعيد السعداء.

وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداش واستدعوا بقية الأمراء.

وفيه قبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أرقطاى نائب طرابلس ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما. وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناة وقياتمر أحد مقدمى الألوف وجركتمر بن بهادر وغيره، حتى كانت عدة من قبض عليه فى هذا اليوم خمسة وعشرين أميرا.

وفيه قبض على مزين مغربى كان حاقق جركتمر بن بهادر بأنه هو الذى قتل الملك المنصور، وكتب بذلك أيضًا إلى الأمير قطلوبغا الفخرى.

وفيه طلب أيدغمش جمال الدين يوسف والى الجيزة، وخلعَ عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامة فى نهب بيت بعض مماليك قوصون، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: «وليت على الناس قوصونى ما يخلى منا أحد»، وعرفوه ما وقع. فبعث أيدغمش الأوجاقية إليه فى طلبه، فوجدوه بالصليبة يريد القلعة، فصاحت عليه الغوغاء: «قوصونى! يا غيرية على الملك الناصر» ورجموه من كل جهة. فقامت الجبلية والأوجاقية فى ردهم، فلم يطيقوا ذلك، وجرت بينهم الدماء. فهرب الوالى إلى إصطبل ألطنبغا الماردانى، وحمته مماليك ألطنبغا من العامة. فطلب أيدغمش الغوغاء، وخيرهم فيمن يلى، فقالوا نجم الدين الذى كان قبل ابن المحسنى، فطلبه وخلع عليه، فصاحوا: «بحياة الملك الناصر عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه، ومَكِّنا منهما».

فأذن لهم فى نهبهما، فشرع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى بالقاهرة، فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه.

وفى يوم الجمعة ثانيه: دعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد.

وفى يوم الإثنين خامسه: تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا بأيدغمش: «زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر، ونجىء صحبته»، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والراتب فى كل منزلة، وتوجهوا مسافرين من الغد.

وفى يوم الأربعاء سابعه: وصل الأمراء الذين كان سجنهم قوصون من سجن الإسكندرية، وهم ملكتمر الحجازى وقطليجا الحموى، وأربعة وخمسون نفرا من المماليك السلطانية. ومن الغريب أن الحراقة التى سارت بهؤلاء الأمراء إلى الإسكندرية، لما قبض عليهم قوصون، هى الحراقة التى سار فيها قوصون إلى الإسكندرية حتى سجن بها. وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيدا خرج والى الثغر ليتسلمه وقد ركب بالأمراء عندما أفرج عنهم ليتوجهوا إلى القاهرة، فسلموا على قوصون، فبكى واعتذر لهم مما صدر منه فى حقهم. وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم، بحيث غلقت الأسواق يؤمئذ حتى طلعوا إلى القلعة. فتلقت خوند الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازى بجواريها وخدامها، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحًا به، وجارتُها أختها امرأة قوصون فى عويل وبكاء وصياح هى وجواريها وخدامها، كما كان بالأمس لما انتصر قوصون على الحجازى والأمراء، فى بيته الأفراح والتهانى، وفى بيت الحجازى البكاء والعويل، وكان فى ذلك عبرة للمعتبر.

وفيه قدم كتاب الأمراء المتوجين إلى الكرك، وهم جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى وقمارى، بأنهم لما وصلوا إلى الكرك نزلوا بظاهرها، وبعث كل منهم بمملوكه يعرف السلطان أحمد بقدومه. فبعث إليهم السلطان رجلا من نصارى الكرك فقال: «يا أمراء، السلطان يقول لكم إن كان معكم كتب فهاتوها، أو مشافهة قولوها: » وفى الحال عادت مماليكهم، و لم يمكنوا من الاجتماع بالسلطان، وقيل لهم إن السلطان قد سير كتابه إلى الأمراء. فدفعت الكتب إلى النصرانى فمضى بها، ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم، وقال عن السلطان إنه قال: «سلم على الأمراء، وعرفهم أن يقيموا بغزة إلى أن يرد لهم ما يعتمدوه كذا». وحضر مملوك من قبل السلطان يأمر الأمير قمارى بالإقامة على ناحية الصافية، وبعث إليه بخاتم.

وجاء فى كتاب الأمراء المتوجهين إلى الكرك أنهم وجدوا الكتاب يتضمن إقامتهم على غزة، والاعتذار عن لقائهم، فعاد الأميران جنكلى بن البابا وبيبرس الأحمدى إلى غزة. فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من وقته إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يستحث السلطان فى قدومه إلى تخت ملكه، وكتب إلى الأمراء بانتظار السلطان، وعرفهم بمكاتبته للفخرى. وأخذ أيدغمش فى تجهيز أمور السلطنة، وأشاع قدوم السلطان خوفا من إشاعة ما عامل به الأمراء، فيفسد عليه ما دبره.

فلما قدم البريد إلى دمشق بكتاب أيدغمش وَافى قدوم كتاب السلطان أيضًا من الكرك يتضمن القبض على الأمير طرنطاى البشمقدار والأمير طينال، وحمل مالهم إلى الكرك.

وكان الأمير قطلوبغا الفخرى قد ولى طينال نيابة طرابلس، وطرنطاى نيابة حمص فاعتذر فى جوابه طينال فى شغل بحركة الفرنج، وأشار بألا يحرك ساكن فى هذا الوقت، وسأل سرعة حضور السلطان ليسير بالعسكر فى ركابه إلى مصر، وأكثر الأمير قطلوبغا الفخرى من مصادرة الناس بدمشق.

وفى يوم السبت حادى عشره: كان حضور يلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب صحبة آقسنقر الناصرى من الصعيد.

وفى خامس عشره: استقر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الخاص.

وفيه أخرج الأمير قطلوبغا الفخرى الإقطاعات بأسماء الأجناد، وعزل وولى، وكان دواداره يعلم عنه.

وفى هذه الأيام: قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب من بلاد أرتنا إلى دمشق، فتلقاه الأمير قطلوبغا الفخرى وأنزله فى مكان يليق به، وبعث قطلوبغا من يومه بالأمير آقسنقر السلارى نائب غزة ليتلقى الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان من الكرك إلى قطلوبغا الفخرى يتضمن قدوم الأمراء من مصر، وأنه لم يجتمع بهم، وأنه فى انتظار قدوم الأمير طشتمر حمص أخضر من بلاد أرتنا إلى حلب، وأنه لا يخرج من الكرك قبل ذلك. فكتب قطلوبغا الفخرى الجواب بقدوم طشتمر، وأشار على السلطان بسرعة الحركة إلى دمشق. وأخذ الفخرى فى تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان، وفى ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق، فيركب فى خدمته بالعساكر إلى مصر، فلم يشعر إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة. فشق ذلك عليه، وسار من دمشق بعساكرها، وبمن استجده من أهل الطاعة حتى قدم غزة فى عدد كبير، فلتقاه جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى والأمير قمارى.

وكان قدوم قاصد السلطان من الكرك لكشف من فى السجون من الأمراء، فمضى إلى الإسكندرية بسبب ذلك، وورد كتابه على الأمير أيدغمش بالشكر على ما فعله، وجعل له أن يحكم حتى يحضر السلطان.

وفيه قبض على خمسة وثمانين من مماليك قوصون، فقيدوا وسجنوا بخزانة شمايل.

وفى يوم الثلاثاء عشريه: قبض على ولد الأمير جركتمر بن بهادر وعمره نحو اثنتى عشرة سنة، إرضاء لأم المنصور أبى بكر.

وفى الخميس سلخه: وصل عبد المؤمن والى قوص مقيدا، صحبة شجاع الدين قنغلى المتوجه إلى قوص، وكان قد توجه لإحضاره، وكتب إلى الوافدية أجناد قوص، وإلى العربان بأخذ الطرقات عليه. فلما قدم قنغلى إلى قوص ركب ليلا بالوافدية، وأحاط بدار الولاية، فلبس عبد المؤمن سلاحه، وألبس جماعته، وقاتل قنغلى ورجاله حتى نجا منهم، وهم فى أثره يومين وليلتين، يأخذون من انقطع من أصحابه، حتى أمسكوه وقيدوه. وعندما وصل ابن المؤمن إلى القاهرة خرجت العامة إلى رؤيته، وقصدوا قتله، فأركب إليه الأمير أيدغمش جماعة حتى حموه، وأتوا به إلى القلعة، فلما طلعها أقامت أم المنصور أبى بكر العزاء، وأمر به فسجن.

وفى ليلة الجمعة أول شهر رمضان: نزلت أم المنصور أبى بكر من القلعة، ومعها مائة خادم ومائة جارية لعمل العزاء؛ فدخلت بيت جركتمر بن بهادر ونهبت ما فيه، وألقته إلى من تبعها من العامة، ففرت حرم جركتمر منها حتى نجت من القتل.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: تفاوض الأميران ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب. فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من ينكسر من الفريقين، فلم يزل الأمير أيدغمش بهم حتى كفوا عن القتال، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية، فقبضوا على جماعة منهم، وأودعهم السجن.

وفى سادسه: قبض على جماعة من القوصونية.

وفى يوم الخميس سابعه: قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص، وعدتهم ستة. فركب الأمراء إلى لقائهم، وهرعت العامة إليهم. فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جركتمر، فصاحت العامة: «هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور»، وهجموها، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب. فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة الذى تولى القاهرة، وقتل ركبة رمضان ابن السلطان، فرفسه برجله وسبه، وقال: «أتنسى ونحن فى الحراقة عند توجهنا لقوص، وقد طلبنا مأكلا من الجيزة، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله، ما عندنا شيء؟» فصاحت به العامة: « لله مكنا من نهبه، هذا

قوصونى»، فأشار بيده أن انهبوا بيته، فتسارعوا فى الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهرى من الحسينية، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح. فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح، وبعث الأمير أيدغمش أيضا بجماعة ليردهم عن النهب، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة، وكان أمرا مهولا قتل فيه من العامة عشرة رجال، وجرح خلق كثير، ولم ينتهب شىء.

وفى يوم الأحد عاشره: قدم مملوك الأمير قطلوبغا الفخرى ومملوك الأمير طقزدمر بوصول العساكر إلى غزة فى انتظار قدوم السلطان إليهم من الكرك، وأن يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها على العادة. فجمعوا بالميدان، وأخرجت نسخة اليمين المحضرة، فإذا هى تتضمن الحلف للسلطان، ثم للأمير قطلوبغا الفخرى. فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا حتى ابتدأ الأمير أيدغمش وحلف، فتبعه الجميع خوفا من وقوع الفتنة، وجهزت نسخة اليمين إلى قطلوبغا.

وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.

وأما العسكر الشامى فإنه أقام بغزة، وقد جمع لهم نائبها آقسنقر الإقامات من بلاد الشوبك وغيرها، حتى صار عنده ثلاثة آلاف غرارة من الشعير وأربعة آلاف رأس من الغنم، غير ذلك مما يحتاج عليه. وكتب الأمراء إلى السلطان بقدومهم صحبة مماليكهم مع الأمير قمارى أمير شكار، فساروا إلى الكرك، وقد قدمها أيضًا الأمير يحيى بن طايربغا صهر السلطان برسالة الأمير أيدغمش يستحثه على المسير إلى مصر، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة. ثم أتاهم كاتب نصرانى وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن البصال، وهؤلاء الثلاثة هم خاصة السلطان من أهل الكرك، فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب. فشق ذلك على الأمير قمارى، وقال لهم: «معنا مشافهات من الأمراء للسلطان، ولابد من الاجتماع به». فقالوا: «لا يمكن الاجتماع به، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة أن تعلمونا بها». فلم يجدوا بدا من دفع الكتب إليهم، وأقاموا إلى غد. فجاءتهم كتب مختومة، وقيل للأمير يحيى: «اذهب إلى عند الأمراء بغزة»، فساروا جميعا عائدين إلى غزة، فإذا فى الكتب الثناء على الأمراء، وأن يتوجهوا إلى مصر، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده، ويسبقهم. فتغيرت خواطرهم، وقالوا وطالوا، وخرج قطلوبغا الفخرى عن الحد وأفرط به الغضب، وعزم على الخلاف. فركب إليه الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب والأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى، ومازالوا به حتى كف عما عزم عليه، ووافق على المسير، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش، وتوجهوا جميعا من غزة يريدون مصر.

وكان أيدغمش قد بعث ولده بالخيل الخاص إلى السلطان، فلما وصل الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل، ورسم بعوده إلى أبيه. وأخرج السلطان من الكرك رجلا يعرف بأبى بكر البزدار ومعه رجلان ليبشروا بقدومه، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش فى يوم الإثنين خامس عشريه، بلغوه السلام من السلطان، وعرفوه أنه قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب، وأنه يصابح أو يماسى، فخلع عليهم أيدغمش، وبعثهم إلى الأمراء فأعطاهم كل من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم وأعطاهم بقية الأمراء على قدر حالهم، وخرج العامة إلى لقاء السلطان.

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشريه: قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتى ليلا من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه. وجلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشريه، أقبل السلطان فى نحو العشرة رجال من أهل الكرك، وقد تَلَثَّم وعليه ثياب مفرجة، فتلقوه وسلموا عليه، فلم يقف معهم، وأخذ جماعته ودخل بهم. ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة ومصر.

واستدعى السلطان الأمير أيدغمش فى بكرة يوم الجمعة، فدخل إليه وقبل له الأرض فاستدناه السلطان وطيب خاطره، وقال له: «أنا ما كنت أتطلع إلى الملك، وكنت قانعا بذلك المكان، فلما سيرتم فى طلبى ما أمكننى إلا أن أحضر كما رسمتم»، فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانيا.

ثم كتب أيدغمش عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدومه إلى مصر، وأنه فى انتظارهم، وكتب علامته بين الأسطر «المملوك أحمد بن محمد»، وكتب إليهم أيدغمش أيضًا. وخرج مملوكه بذلك على البريد، فلقيهم على الورادة، فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان، وكتبوا إلى أيدغمش بأن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرياقوس، ليتفقوا على ما يفعلونه.

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان السماط، ومنع الأمراء من طلوع القلعة، ورسم أن يعمل كل أمير سماطه فى داره، ولم ينزل لصلاة العيد، وأمر الطواشى عنبر المسحرتى مقدم المماليك ونائبه الطواشى الإسماعيلى أن يجلسا على باب القلعة، ويمنعا من يدخل عليه. وخلا السلطان بنفسه مع الكركيين، فكان الحاج على إخوان سلار[١] إذا أتى مع الطعام على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البزدار، وأطعماه ششنى[٢]،

(١) المقصود وظيفة تقديم الطعام للسلطان.

(٢) المقصود حصة قليلة تؤخذ من الشيء.

وتسلما منه السماط، وعبرا به إلى السلطان، ووقف خوان سلار ومن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

وحدث جمال الدين بن المغربى رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه وقد عرض له وجع فى رأسه، فوجده جالسًا وإلى جانبه شاب من أهل الكرك جالس، وبقية الكركيين قيام، فوصف له ما يناسبه، وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة.

وفى يوم الأحد تاسع شوال: قدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر، وجميع أمراء الشام وقضاتها، والوزراء ونواب القلاع، فى عالم كبير حتى سدوا الأفق، ونزل كثير منهم تحت القلعة فى الخيم. وكان قد خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولى وألطنبغا الماردانى، وأخذ قطلوبغا الفخرى يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه فى زى العربان، واختصاصه بالكركيين، وإقامة أبى بكر البزدار حاجبًا. وأنكر أيدغمش ذلك على السلطان غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقته على خلعه ورده إلى مكانه، فلم يمكنه الأمير طشتمر حمص أخضر من ذلك، وساعده الأمراء أيضًا، ومازالوا به إلى أن أعرض عما هم به.

فلما كان يوم الإثنين عاشره: ألبس السلطان، وجلس على تخت الملك، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله[1] وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجميع الأمراء والمقدمين. وعهد إليه الخليفة، وقبل الأمراء الأرض على العادة، ثم قام العالمان على قدميه، فتقدم الأمراء وباسوا يده واحدًا بعد واحد، على مراتبهم، وجاء الخليفة بعدهم، وقضاة القضاة ما عدا الحسام حسن بن محمد الغورى، فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذن لهم على العادة، جمع عليه صبى من صبيان المطبخ السلطانى جمعًا كبيرًا من الأوباش؛ لحقد كان فى نفسه عليه عندما تحاكم هو وزوجته عنده، فإنه أهانه، وضربه. وهجم هذا الصبى على القضاة بأوباشه، ومد يده إلى الغورى من بينهم، فأقامه الأوباش وحرقوا عمامته، وقطعوا ثيابه، وهم يسحبونه ويصيحون عليه: «يا قوصونى!» ثم ضربوه بالنعال ضربا مؤلما، وقالوا له: «يا كافر! يا فاسق!» فارتجت

---

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان بن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله، الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع سنة ٧٤٢هـ، ولبس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان، وفوض الأمور (على العادة) للمنصور القلاوونى (أبى بكر بن محمد) واستمر إلى أن مات فى القاهرة ولم يكن من الأمر شىء. انظر الدرر الكامنة ١/ ١٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠ وابن الوردى ٢/ ٣٣١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٨٤ والأعلام ١/ ١٣٣.

القلعة، وأقبل علم دار حتى خلصه منهم، وهو يستغيث: «يا مسلمين! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين». فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش، وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم، وبعث طائفة من الأوجاقية فساروا بالغورى إلى منزله، و لم يحضر الموكب. فثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحية ونهبوه، وكان يومًا شنيعًا.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خُلع على جميع الأمراء الكبار والصغار ومقدمى الحلقة، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بما حضر صحبته من الشام، وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة، ونزل فى موكب عظيم. وكان قد قدم معه من أمراء الشام سنجر الجمقدار وتمر الساقى وطرنطاى البشمقدار وآقبغا عبد الواحد، وتمر الموساوى والجلالى وابن قراسنقر وأسنبغا ابن البوبكرى، وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد.

وفيه طلب السلطان الوزير نجم الدين، ورسم له أن يكون يوسف البزدار ورفيقه مقدمى البزدارية ومقدمى الدولة، وخلع السلطان عليهما كلفتاه زركش وأقبية طرد وحش بحوائص ذهب فحكما فى الدولة وتكبرا على الناس، وصارا فيهم بحمق زائد، وصارا لا يأتمران بأمر الوزير، ويمضيان ما أحبا. وصحبهما كثير من الأشرار، وعرفوهما بأرباب الأموال، فشملت مضرتهما كثيرًا من الناس، وانهمكا فى اللهو، فثقل أمرهما على الكافة.

وفى عصر يوم السبت خامس عشره: خُلع على الأمير طشتمر حمص أخضر، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، فجلس والحجاب قيام بين يديه، والأمراء فى خدمته. فكان أول ما بدأ به أن قلع الشباك الذى كان يجلس فيه قوصون، وخلع الخشب الذى عمله فى باب القلعة، وباشر النيابة بحرمة وافرة.

وفى يوم الخميس سابع عشره: أخرج السلطان محمل الحاج.

وفيه أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى والى قوص من السجن، وسمر على باب المارستان المنصورى من القاهرة بمسامير جافية شنعة، وطيف به مدة ستة أيام، وهو يحادث الناس فى الليل بأخباره. فمما حدثهم به أنه هو الذى ركب حتى ضرب النشو كما تقدم ذكره، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه. وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول أسأل الصبر، وينشد كثيرًا:

يُبكى علينا ولا نبكى على أحد ... ونحن أغلظ أكبادًا من الإبل

فلما كان يوم السبت ثانى عشريه: شنق عبد المؤمن على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب.

وكان عبد المؤمن من السلامية بالعراق، فبعثه المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد مرارا حتى عُرف عنده. ثم تنكر عبد المؤمن على المجد السلامى ورافعه إلى السلطان حتى تغير عليه، وكتب إلى أبى سعيد بإحضاره. فأثبت المجد السلامى محضرا على عبد المؤمن بأنه رافضى كافر قتال الأنفس، وقدم به على السلطان وتحاقق معه. فتعصب قوصون لعبد المؤمن حتى بطلت حجة المجد السلامى عليه مع ظهورها، فاختص عبد المؤمن بقوصون، ولبس الكلفتاه، ثم ولى قوصون. وكان شجاعا فاتكا، يتجاهر بالرفض، ويقول إذا حلف على شىء: «وحياة مولاى على».

وفى هذه الأيام: أخرج بأحد وعشرين أميرا إلى الإسكندرية، صحبة الأمير طشتمر طُلليه، منهم أرقطاى نائب طرابلس، وجركتمر بن بهادر، وابن المحسنى والى القاهرة، وأسنبغا بن البوبكرى، ويلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب. فلما وصلوا إلى الثغر وسجنوا به، قُتل قوصون وألطنبغا الصالحى نائب الشام، وجركتمر بن بهادر، وبرسبغا الحاجب.

وفيه رسم للأجناد الذين استخدمهم قطلوبغا الفخرى بعودهم إلى دمشق بطالين، فكثر تشكيهم، ووقفوا للنائب فلم تسمع لهم شكوى.

وفيه أكثر السلطان من الإنعام على أهل الكرك حتى خرج عن الحد، وعزم على مسك بيبرس الأحمدى وغيره من الأمراء، فاحترزوا على أنفسهم إلى أن وقع الكلام مع السلطان فى شىء من ذلك فاجتمع عنده الأمراء، وابتدأ الحاج آل ملك فى طلب بلد يتوجه إليه، وسأل نيابة حماة، فخلع عليه فى يوم الخميس عشريه واستقر فى نيابة حماة، عوضا عن طقزدمر. وخلع السلطان على بيبرس الأحمدى، واستقر فى نيابة صفد، وعلى آقسنقر واستقر فى نيابة غزة.

وفى يوم الإثنين مستهل ذى القعدة: سار الأمير الحاج آل ملك إلى نيابة حماة.

وفيه خلع السلطان على الأمير قطلوبغا الفخرى، واستقر فى نيابة الشام، وعلى الأمير أيدغمش بنيابة حلب.

وفى يوم الثلاثاء: استقر قمارى أمير آخور، عوضا عن أيدغمش. أحمد شاد الشرابخاناه أمير شكار، عوضا عن قمارى، واستقر آقبغا عبد الواحد فى نيابة حمص.

وفيه رسم السلطان أن يستقر سنجر البشمقدار وتمر الساقى من جملة أمراء مصر.

وفيه أنعم السلطان على قراجا بن دلغادر، وقد قدم إلى مصر بإنعامات كثيرة، وكتب له بالأمرية على التركمان، وتوجه إلى نيابة الإبلستين.

وفى يوم الأحد سابعه: خرج الأمير أيدغمش متوجها إلى نيابة حلب.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجها إلى دمشق، ومعه من تأخر من عسكر الشام. وخرج الأمير طشتمر حمص أخضر النائب ومعه جميع الأمراء لوداعه، ومد له سماطا عظيما.

وفى يوم السبت عشريه: قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة، وسببُ ذلك أنه أكثر من معارضة السلطان بحيث تغلب عليه ورد مراسيمه، وصار يتعاظم ويظهر من الترفع على الأمراء والأجناد ما لا يحتمل مثله، وإذا شفع إليه أحد من الأمراء رد شفاعته ولم يقبلها، ولا يقف لأمير إذا دخل إليه، وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هى باسمه، وأحرق به. وقرر طشتمر مع السلطان أنه لا يمضى من المراسيم السلطانية إلا ما يختاره، وتقدم إلى الحاجب بألا يقدم أحد قصة إلى السلطان حتى يكون حاضرا، ومنع ذلك، فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان فى غيبته وتقدم جماعة من المماليك لطلب ما يزيد فى مراتبهم، فرسم طشتمر أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه، ولم يمكن المماليك السلطانية من أخذ شيء. وأخذ طشتمر إقطاع الأمير بيبرس الأحمدى وتقدمته لولده، فكرهته الناس. وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها فى بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف. وانفرد طشتمر بأمور الدولة، وحط على الكركيين، وقصد منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهيأ له ذلك. وكان ناصر الدين المعروف بفأر السقوف قد توصل بالكركيين حتى استقر بفضل توصيتهم فى وظيفة إمام السلطان يصلى به، وصار كذلك ناظر المشهد النفيسى، عوضا عن تقى الدين على بن القسطلانى خطيب جامع عمرو وجامع القلعة.

وخلع السلطان على ناصر الدين بغير علم النائب طشتمر، فبعث إليه طشتمر عدة نقباء ونزع عنه الخلعة، وسلّمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم. فضربه ابن صابر عريانا ضربا مبرحا، واستخرج منه أربعين ألف درهم، ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش وقطلوبغا الفخرى، بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع إلى القلعة.

وأخذ طشتمر قصر معين بالغور من مباشرى قوصون، وأحاط بما فيه من القند والعسل والسكر، وغير ذلك. فكثر حنق السلطان منه وتغيره عليه، إلى أن قرر مع المقدم عنبر السحرتى والأمير آقسنقر السلارى فى القبض عليه وعلى قطلوبغا الفخرى،

وأن يستدعى مماليك بشتاك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة، ويقطعهم إقطاعات بالحلقة؛ ليصيروا من جملة المماليك السلطانية، خوفا من حركة طشتمر النائب فعارض طشتمر السلطان فيهم، فرتب السلطان عدة مماليك بداخل القصر للقبض عليه.

وكان مما جدد طشتمر فى نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بمماليكها، وبسط من باب القصر بسطًا إلى داخله، فكان الأمير لا يدخل القصر وقت الخدمة إلا بمفرده، فدخل هو أيضًا بمفرده ومعه ولداه إلى القصر، وجلس على السماط على العادة. فعندما رفع السماط قبض كشلى السلاح دار أحد المماليك - وكان معروفًا بالقوة - على كتفيه من خلف ظهره قبضًا عنيفا، وبدر إليه جماعة فأخذوا سيفه، وقيدوه وقيدوا ولديه. ونزل أمير مسعود الحاجب فى عدة من المماليك السلطانية، فأوقع الحوطة على بيته، وأخذ مماليكه جميعهم فسجنهم.

وخرج فى الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألطنبغا المارداني والأمير أروم بغا السلاح دار، ومعهما من أمراء الطبلخاناة والعشرات نحو من خمسة عشر أميرًا، ومعهم من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس؛ ليقبضوا على قطلوبغا الفخرى نائب الشام. وكتب السلطان إلى الأمير آقسنقر الناصرى نائب غزة بالركوب معهم بعسكره، فجمع من عنده ومن فى معاملته من الجبلية. وكان قطلوبغا الفخرى قد ركب من الصالحية فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض ثقاته، فساق إلى قطيا وأكل بها شيئا، ورحل وقد استعد حتى تعدى للعريش[1]، فإذا آقسنقر بعسكر غزة فى انتظاره على الزعقة. وكان ذلك وقت الغروب، فوقف كل منهما تجاه صاحبه حتى أظلم الليل فسار الفخرى بمن معه وهم ستون فارسًا على البرية. فلما أصبح آقسنقر علم أن الفخرى فاته، فمال أصحابه على أثقال الفخرى فنهبوها، وعادوا إلى غزة.

واستمر الفخرى ليلته ومن الغد حتى انتصف النهار وهو سائق، فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة آلاف دينار، وقد وصل بيسان وعليها الأمير أيدغمش نازل. فترامى عليه الفخرى وعرفه بما جرى، وأنه قطع خمسة عشر بريدًا فى مسير واحد. فطيب أيدغمش خاطره، وأنزله فى خام ضُرِبَ له، وقام له بما يليق به، فلما جنّه الليل أمر به فقيد وهو نائم، وكتب بذلك إلى السلطان مع بُكا الخضرى.

---

(١) هى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل. انظر معجم البلدان ٤/ ١١٣.

وكان السلطان لما بلغه هروب قطلوبغا الفخرى تنكر على الأمراء، واتهمهم بالمخامرة عليه، وهم أن يمسكهم فى يوم الإثنين تاسع عشريه، فتأخر عن الخدمة الجاولى وجماعة، فلما كان وقت الظهر بعث السلطان لكل أمير أربعين طائر أوز، وَسأل عنهم، ثم بعث آخر النهار إليهم، بأمرهم أن يطلعوا من الغد. فقدم بُكا عشية يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ومعه سيف قطلوبغا الفخرى فسر السلطان بذلك، وكتب بحمله إلى الكرك. فلما طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضاهم، وبشرهم بمسك قطلوبغا الفخرى، ثم أخبرهم أنه متوجه إلى الكرك، وأنه يعود بعد شهر. وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك، فأخرج فى ليلة الأربعاء طشتمر حمص أخضر فى محارة[1] بقيده، ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون بحفظه، وعين مع المقدم عنبر السحرتى عدة من المماليك.

وتقدم السلطان إلى الخليفة بعدما ولاه نظر المشهد النفيسى، عوضًا عن ابن القسطلانى، أن يسافر معه إلى الكرك. ورسم لجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، ولعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، أن يتوجها معه إلى الكرك، وركب معه الأمراء من قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانيه، بعدما ألبس ثمانية من المماليك خلع الإمريات على باب الخزانة. وخلع السلطان على آقسنقر السلارى، وقرره نائب الغيبة، وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان[2]، واستقر قاضى العسكر، وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، واستقر به قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن حسام الدين الغورى.

فلما قارب السلطان قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم، ورجعوا عنه. فنزل عن فرسه، ولبس ثياب العربان، وهى كاملية مفرجة وعمامة بلثامين، وسايَرَ الكركيين، وترك الأمراء الذين معه وهم قمارى والحجازى وأبو بكر بن أرغون النائب – مع المماليك السلطانية والطلب. وتوجه السلطان على البرية إلى الكرك، ولبس معه إلا الكركيين ومملوكين، وهم فى أثره، فقاسوا مشقة كبيرة من العطش وغيره، حتى وصلوا ظاهر الكرك، وقد سبقهم السلطان إليها،

---

(١) الميم والحاء والراء أصل، وهو صندوق للسفر. انظر مقاييس اللغة ٦/ ٨٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. انظر طبقات الشافعية ٥/ ٢١٤ ودار الكتب ١/ ٥٢٢ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

وقدمها فى يوم الثلاثاء ثامنه، فكتب السلطان إلى الأمراء بمصر يعرفهم ذلك، ويسلم عليهم، فقدم كتابه يوم الخميس سابع عشره.

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، فقط. ورسم السلطان أن يسير الأمير المقدم عنبر السحرتى بالمماليك إلى قرية الخليل عليه السلام، وأن يسير قمارى وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس. ثم رسم السلطان أن ينتقل المقدم بالمماليك إلى غزة؛ لغلاء السعر بالخليل.

وفى أثناء ذلك وصل أمير على بن أيدغمش بالأمير قطلوبغا الفخرى مقيدا إلى غزة، وبها العسكر المجهز من مصر، ومضى به إلى الكرك. فبعث السلطان إليه من تسلم الفخرى منه، وأعاده إلى أبيه، ولم يجتمع به فسجن قطلوبغا الفخرى وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك، بعد ما أهين الفخرى من العامة إهانة بالغة ونكل به نكالا فاحشا.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر نائب غزة بإرسال حريم قطلوبغا الفخرى إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسيره بيوم، فجهزهن آقسنقر إليه، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن، وبالغوا فى الفحش والإساءة.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر السلارى نائب الغيبة بمصر أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر، وقطلوبغا الفخرى، ويحمل ذلك إليه بالكرك.

وكان السلطان إذا رسم بشىء جاء كاتب كركى لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب ذلك ويناوله للكاتب، فيأخذ عليه علامة السلطان. ويبعثه حيث رسم به.

وأما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة، فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم غزة ومعه قطلوبغا الفخرى، أراد الأمير ألطنبغا المارداني أن يؤخره عنده بغزة، حتى يراجع فيه السلطان. فلم يوافقه ابن أيدغمش، وتوجه إلى الكرك، فرحل المارداني وبقية العسكر عائدين إلى القاهرة، فقدموها يوم السبت خامس ذى الحجة.

وفيه أخذ السلطان فى تحصين الكرك وشحنها بالغلال والأقوات وأخرج بكتمر العلائى منها إلى طرابلس ومحمد أبوه إلى صفد.

وفى هذه السنة: أخرج حسام الدين حسن الغورى من مصر بعد عزله من قضاء القضاة الحنفية، فتوجه إلى العراق. وسبب ذلك أنه كان قد توحش ما بينه وبين القضاة

الثلاثة؛ لقبح أفعاله. وكان إذا جلس مع السلطان احتوى عليه وخاطبه باللسان التركى، ونكب على القضاة. وكان يتجرأ على الناس ويضع منهم، ولا يزال ينصر المرأة على زوجها إذا شكته إليه حتى يخرج فى ذلك عن الحد. فادعت امرأة عنده على زوجها بما استحق من صداقها وكسوتها، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المَنَجّم[1] فى كل سنة دينار. فاستدناها منه، وأمرها فكشف عن وجهها وأعجبته، وقال لأبيها وكان قد حضر معها: «يا مدمغ! مثل هذه تزوجها بدينار كل سنة؟ والله يا مدمغ يساوى مبيتها كل ليلة مائة درهم» والتفت القاضى إلى زوجها: وقال: «يا تيس! تستغلى هذه بهذا القدر؟ والله أنت أدمغ من أبيها، هذه يساوى مبيتها كل ليلة مائة درهم».

وحكى القاضى الغورى عن نفسه فى مجلس الأمير قوصون بحضرة الأمراء، أنه لما كان محتسبا ببغداد وقف على حانوت حلوانى قد حل صاحبه تمرا وقصّرهُ حتى ابيض فسأل عنه، فقال هذه قَسْب[2] وقصرته بالبيض، فقال له: «ويلك! مجنون أنت؟ أنا عندى جارية سوداء، لى عشر سنين أقصرها بالبيض، وما ابيضت». وادعت امرأة على زوجها عنده بحق وجب عليه، فكتب بحبسه، فقال له الزوج: «والمرأة أيضا تكون برواق البغدادية حتى أحصل لها حقها»، فقال له الغورى «ويلك! أنت مجنون؟ أنا أكون أحق من البغدادية بهذى، وتكون عندى أحفظها»، وأشار لنقيبه فأخذ المرأة إلى طبقته، وأقامت عنده مدة حتى أصلح أمرها مع زوجها.

وكان القاضى الغورى إذا تداعى عنده اثنان يأمر موقعه فيكتب ما يقول أحدهما فى غيبة الآخر، فإذا انتهى كلامه أخرجه، وأحضر خصمه فيكتب أيضا ما يقول. وكذلك إذا شهد عنده جماعة فرق بينهم، وكتب ما يقول كل واحد على انفراد، فكانت المحاكمة لا تنتهى عنده إلا بعد مدة. وكان من الغى على جانب كبير. ودُعى مرة إلى عقد نكاح أولاد الأمراء هو والقضاة الثلاثة، فلما دخل معهم وقد فرش البيت بالحرير والزركش تجنب القضاة الجلوس على ذلك، وتنجوا عنه. فجلس هو على مقعد

---

(١) المقصود المال الذى ينبغى تأديته على أقساط.

(٢) القسب: التمر اليابس يفت فى الفم، صلب النواة؛ قال الشاعر يصف رمحًا:

أسمـر خطيـا كـأن كعـوبه   نوى القسب قد أرمى ذراعًا على العشر

قال ابن البرى: هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائى، ولم أجده فى شعره، وأرمى وأربى، لغتان، قال الليث: ومن قاله بالصاد، فقد أخطأ، ونوى القسب: أصلب النوى، والقسابة: ردىء التمر. انظر لسان العرب ٣٦٢٢.

حرير مزركش، وقال: «يا جماعة الجند أتبصروا كذا فعل هؤلاء يدعوا كذا الجلوس على هذا الحرير، وأقسم بالله لو قدروا عليه باعوه فى الأسواق، وأكلوا ثمنه» فضحك من فى المجلس، ونزل بالقضاة من الخجل ما لا يعبر عنه، وتقدم إليه مرة مديون وضامنه فى الدين ضمانَ إحضار، فادعى عليه غريمه، فاعترف بما عليه، وأقر الضامن له بضمانه. وكان المديون رث الهيئة زَرِىّ الحال، فصاح القاضى: «أخرجوا هذا المعثر من قدامى»، ونظر إلى ضامنه وقال: «أعط هذا ماله». فقال: «يا مولانا هذا غريمه أحضرته إليه، فقال: هاتوا الجحش - يعنى الفلقة -، واقتلوا هذا حتى يعطى المال وأنت تلبس المسنجب والفرجيات واللباس الرفيع حتى أحوج هذا أن يعطى ماله لمعثر»، فلم يجد الضامن بدا من التزامه بالمال خوفا من الإخراق.

ورأى القاضى الغورى مرة رجلا بيده فروجين، قد مسك أرجلهما بيده، وصارت رأسهما إلى أسفل، فأمر به أن يصلب، فمازال به الناس حتى ضربه ضربا مؤلما، وتركه.

وألزم القاضى الغورى الشهود أن يكون فى كل مسطور شهادة أربعة، وأن يكتبوا سكن المديون، ومجونه وجنونه كثير، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة. فلما رسم بعزله أثبتت عليه محاضر توجب إراقة دمه، فقام بعض الأمراء معه، ومازال ببعض قضاة الشافعية حتى حكم بحقن دمه وتسفيره من مصر.

وفى هذه السنة: اتفقت واقعة غريبة، وهى أن رجلا بوارديًا[1] يقال له محمد بن خلف - بخط السيوفيين من القاهرة - قبض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى المحتسب، فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك فراخ حمام عدة ألف ومائة وستة وتسعين فرخا، وزرازير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نتنت وتغيرات ألوانها. فأدب وشهر، وأتلفت كلها.

وفيها قدم الأمير بيبرس الأحمدى نائب صفد[2] بمن معه إلى دمشق، وليس بها نائب. فجاء مرسوم السلطان من الكرك بمكة، فقبض عليه أمراؤها، وأنزلوه بقصر تنكز.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

---

(١) على هامش ط: البواردى هو تاجر الطيور المحفوظة بالتبريد أو التمليح.

(٢) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

جمال الدين إبراهيم بن أيبك الصفدى، أخو الصلاح الصفدى، فى رابع جمادى الآخرة بدمشق. وكان يتقن عدة صنائع، وسمع بالقاهرة والشام، وشَدَّ أطرافا من الحساب والفرائض، وغير ذلك.

ومات السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، مقتولا بقوص[1]، وحمل رأسه إلى قوصون.

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحى نائب دمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وربى عند السلطان الناصر محمد، وتوجه معه إلى الكرك.

فلما عاد الناصر إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة، وعمله جاشنكيره، ثم ولاه حاجبًا، ونقله من الحجوبية إلى نيابة حلب، بعد موت أرغون النائب، فسار سيرة مشكورة. ثم عزله السلطان الناصر فى سبيل رضى الأمير تنكز، وأقدمه إلى مصر، ثم ولاه غزة. ثم ولاه قوصون نيابة الشام، وآل أمره إلى أن مات مسجونا بالإسكندرية.

ومات القان أزبك بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان، ملك الططر بالمملكة الشمالية، بعدما حكم بها مدة ثمان وعشرين سنة، وقام بعده ابنه جانى بك خان. وكان أزبك قد أسلم وحسن إسلامه.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعنى.

ومات الأمير بشتاك الناصرى مقتولا بالإسكندرية، فى ربيع الآخر. وكان إقطاعه سبع عشرة إمرة طبلخاناة، تعمل مائتى ألف دينار كل سنة. وأنعم عليه الناصر محمد فى يوم بألف ألف درهم، وكان راتب سماطه كل يوم خمسين رأس غنم وفرسا، لابد من ذلك، وكان كثير التيه، لا يحدث مباشريه إلا بترجمان، ويعرف بالعربى ولا يتكلم به.

ومات الأمير طاجار الدوادار، قتلا.

ومات الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، قتلا.

ومات أمير على ابن الأمير سلار، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين قوصون مقتولا بسجن الإسكندرية. رقاه السلطان الناصر

---

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٢.

محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب فى ثلاثمائة فارس صفين، قدام كل صف رجل يضرب بالقُبُز[١] كما يركب ملوك المغل، وكان يفرق كل سنة ثلاثين حياصة ذهب ومائة قباء بسنجاب، ويفرق فى عيد الأضحى ألف رأس غنم وثلاثمائة رأس بقر.

وتوفى خطيب الجامع الأموى بدمشق بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى.

ومات وكيل بيت المال بدمشق نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى.

وتوفى الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل بن الأفضل على ابن المظفر محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان صاحب حماة، وكان باشرها عشر سنين، ثم نقل إلى إمرة مائة بدمشق، فمات بها فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.

ومات الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل ابن ربيعة أمير آل فضل، بتدمر[٢].

ومات الأمير بيبرس السلاح دار الناصرى نائب الفتوحات، بأياس.

ومات شرف الدين ابن الملك المغيث صاحب الكرك[٣]، بالقاهرة.

ومات عز الدين أيبك، يوم الإثنين تاسع المحرم.

ومات الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف القضاعى المزى الدمشقى بها، عن ثمان وثلاثين سنة.

ومات الأمير عز الدين الكبكى، يوم الأربعاء، ثامن عشر المحرم.

ومات الأمير تمر الساقى، يوم الأحد ثامن عشرى ذى العقدة.

وتوفى تاج الدين بن الفكهانى المالكى، يوم الإثنين سابع ذى الحجة.

ومات مسمرًا والى الدولة أبو الفتوح بن الخطير، وكان قد تزوج وهو نصرانى بابنة

---

(١) على هامش ط: لفظ تركى، وهو آلة موسيقية.

(٢) مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ١٧.

(٣) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.

شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص، قبل اتصاله بالسلطان الناصر محمد، فلما تولى النشو نظر الخاص عظم والى الدولة، وتقدم على أخوة النشو، وباشر عند عدة من الأمراء. فلما أمسك النشو أمسك معه، وصودر هو وأخوه الشيخ الأكرم، ومازالا فى الحبس حتى أفرج عنهما فى مرض السلطان الناصر محمد الذى مات فيه، وفى جملة من أفرج عنه. وخدم أبو الفتوح عند ملكتمر الحجازى إلى أن نكب، وسمّ فى يوم السبت سادس عشرى صفر. وكان جميل الوجه حسن الخلق، يذوق الأدب، ويحفظ الأشعار والوقائع، ويعرف الأحاجى والتصحيف.

ومات الأمير بدر الدين لؤلؤ الحلبى. وكان ضامن حلب، وقدم القاهرة غير مرة ورافع أهلها إلى أن سلمهم السلطان له، فعاقبهم وأخذ أموالهم. ثم ولى شد الدواوين بحلب، فكثر شاكوه، فتسلمه الأكز مشد الجهات بديار مصر. ثم نقل إلى شد الدواوين بالقاهرة، وعزل وأخرج بعد محنة إلى حلب شاد الدواوين.ثم ضرب بالمقارع حتى مات، قال ابن الوردى:

أشكو إلى الرحمن لؤلؤًا الذى ... أضحى يصَادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القلوب بسوطه ... فمتى أشاهد لؤلؤا منثورا

* * *

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

أهلت والناس فى أمر مريج لغيبة السلطان بالكرك، وعند الأمراء تشوش كبير، لما بلغهم من مصاب قطلوبغا الفخرى. وصار الأمير آقسنقر نائب الغيبة[1] فى تخوف، فإنه بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك الركوب للموكب أياما حتى اجتمعوا عنده، وحلفوا له. ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتابا فى خامس المحرم، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. وبعثوا به الأمير طقتمر الصلاحى، فعاد جوابه فى حادى عشره: «بأننى قاعد فى موضع أشتهى، وأى وقت أردت أحضر إليكم». وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به، وأنه بعث مَن أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.

وفيه قدم الخبر بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخرى، وذلك أنه قصد أن يقتلهما بالجوع، فأقام يومين بلياليهما لا يطعمان طعامًا. فكسرا قيدهما، وقد ركب السلطان للصيد، وخلعا باب السجن ليلا، وخرجا إلى الحارس وأخذ سيفه وهو نائم، فأحس بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه، فأخذوهما. وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم فى زى العربان، ووقف على الخندق وبيده حربة، وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات. فأمر السلطان يوسف بن البصَارة ورفيقه بضرب أعناقهما، وأخذ يسبهما ويلعنهما، فردا عليه ردا قبيحا، وضرب رقابهما، فاشتد قلق الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد، وأكد فى ذلك، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقا مع الأمراء على ما يكون من المصالح.

فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل، فى يوم الأربعاء حادى عشريه، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون، وإقامته بمصر مدة شهرين وأيام.

وكانت سيرته سيئة، نقم الأمراء عليه فيها أمورًا، منها أن رسله التى كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأسراره أوباش أهل الكرك، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من

---

(١) هو الذى يتولى شئون الدولة فى غياب السلطان.

أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها، ومنها تحكمهم على الوزير وغيره، وحجبهم السلطان حتى عن الأمراء والمماليك وأرباب الدولة، فلا يمكن أحدا من رؤيته سوى يومى الخميس والإثنين نحو ساعة. ومع ذلك فإنه جمع الأغنام التى كانت لأبيه، والأغنام التى كانت لقوصون، وعدتها أربعة آلاف رأس وأربعماية من البقر التى استحسنها أبوه. وأخذ الطيور التى كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها، وحملها على رءوس الحمالين إلى الكرك. وساق الأغنام والأبقار إليها، ومعهم عدة سقائين وسائر ما يحتاج إليه. وعرض الخيول والهجن، وأخذ ما اختاره منها، ومن البخاتى وحمر الوحش والزراف والسباع، وسيرها إلى الكرك. وفتح الذخيرة(١)، وأخذ ما فيها من الذهب والفضة، وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه فى مدة سلطنته. وتتبع جوارى أبيه حتى عرف المتمولات منهن، فكان يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة، فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها، ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سُلب أكثرهن ما بأيديهن. وعرض الركاب خاناه، وأخذ جميع ما فيها من السروج واللجم والسلاسل الذهب والفضة، ونزع ما عليها من الذهب والفضة. وأخذ الطائر الذهب الذى على القبة، وأخذ الغاشية الذهب وطلعات الصناجق، وما ترك بالقلعة مالاً حتى أخذه. وشئع فى قتل أمراء أبيه، وأتلف موجودهم، وأحضر حريم طشتمر حمص أخضر من حلب وقد تجهزن للمسير، فأخذ سائر ما معهن، حتى لم يترك عليهن سوى قميص وسروال لكل واحدة. وأخذ أيضًا جميع ما مع حريم قطلوبغا الفخرى، حتى لم تجد زوجته سرية تنكز ما تتقوت به، إلى أن بعث لهم جمال الكفاة شيئًا تجملوا به إلى القاهرة.

* * *

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى(٢)

جلس على تخت الملك يوم الخميس ثانى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين

---

(١) المقصود ممتلكات السلطان من المنقولات عامة.

(٢) إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد أول سنة ٧٤٣هـ. استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة، بالقاهرة، ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ونصف. انظر فهرس الكتبخانة ١/ ١٨١ ونزهة الجليس ٢/ ٣٠٣ وشذرات الذهب ٥/ ٣٦١ وطبقات الشافعية ٥/ ٥٠ والتاج ١٠/ ٢١٧ والأعلام ١/ ٣٢٤.

وسبعمائة، بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك؛ لأنه بلغهم عنه أنه لما أخرجه الأمير قوصون فيمن أخرج إلى قوص أنه كان يصوم يومى الإثنين والخميس، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن، مع العفة والصيانة عما يرمى به الشباب من اللهو واللعب.

وحلف له الأمراء والعساكر، وحلف لهم السلطان ألا يؤذى أحدا، ولا يقبض عليه بغير ذنب يجمع على صحته. ودقت البشائر، ولقب بالملك الصالح عماد الدين، ونودى بالزينة.

وفيه فرق السلطان أخباز الأمراء البطالين ورسم بالإفراج عن المسجونين، وكتب بذلك إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، وألا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل.

وفبه أخرج السلطان عددًا كبيرا من سجون القاهرة ومصر، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية.

وفيه استقر الأمير أرغون العلائى زوج أم السلطان الصالح رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان. واستقر الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة.

وفى يوم الجمعة ثالث عشريه: دعى للسلطان على منابر مصر والقاهرة، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان، وتوجه بذلك طقتمر الصلاحى.

وفيه كتب تقليد الأمير أيدغمش نيابة الشام، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير طفزدمر الحموى نائب حماة. واستقر فى نيابة حماه الأمير علم الدين سنجر الجمولى.

وفيه كتب السلطان بحضور الحاج آل ملك، وحضور الأمير بيبرس الأحمدى إلى القاهرة.

وفيه كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه فى السلطنة، لأنهم علموا أن الملك الناصر أحمد ليس له رغبة فى ملك مصر، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك[1]، «فهى بحكمك وملكك» ورغب إليه فى أن يبعث القبة والطير والغاشية والنمجاة، وتوجه بكتاب السلطان الأمير قبلاى.

وفيه خرج الأمير بيغرا ومعه عدة أمراء وأوجاقية؛ لجر الخيول السلطانية من الكرك.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشريه: قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية، وعدتهم

---

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣/٣٧٠.

ستة وعشرون أميرا، منهم قياقر، والمرقبى، وطيبغا المحمدى، وابن طوغان جق، ودقماق وأسنبغا بن البوبكرى، وابن سوسون، وناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة، وأمير على بن بهادر، والحاج أرقطاى نائب طرابلس.

فى يوم الخميس تاسع عشريه: وقفوا بين يدى السلطان، فرسم أن يجلس أرقطاى مكان الجاولى، وأن يتوجه البقية على أمريات ببلاد الشام.

وفى يوم السبت أول صفر: قدم من غزة الأمير قمارى، والأمير أبو بكر بن أرغون النائب، والأمير ملكتمر الحجازى، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والمقدم عنبر السحرتى، والمماليك السلطانية، مفارقين للناصر أحمد.

وفيه توجه الأمير طقزدمر الحموى لنيابة حلب.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب حماة[١] خلعة السفر، وخلع على أمير مسعود بن خطير خلعة السفر لنيابة غزة.

وفيه خلع على بدر الدين محمد بن محيى الدين بن يحيى بن فضل الله، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد.

وفيه رُسم بسفر مماليك قوصون ومماليك بشتاك إلى البلاد الشامية متفرقين، وكتب للنواب بإقطاعهم الأخباز شيئًا فشيئا.

وفيه استقر الأمير جنكلى بن البابا فى نظر المارستان، عوضا عن الجاولى.

وفيه جلس الأمير آقسنقر السلارى النائب بدار النيابة، بعد ما عمرها وفتح بها شباكا، ورُسِم له أن يعطى الأخباز من ثلاثمائة إلى أربعمائة دينار، ويشاور فيما فوق ذلك.

وفيه استقر المكين إبراهيم بن قروينة فى نظر الجيش، وعُين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص، عوضا عن جمال الكفاة، ناظر الجيش والخاص؛ لغيبته بالكرك، فقام الأمير جنكلى فى إبقاء الخاص على جمال الكفاة حتى يحضر.

وفى يوم الخميس سادسه: توجه الأمير سنجر الجاولى وأمير مسعود بن خطير، إلى محل ولايتهما.

وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناة، وعلى خليل بن خاص ترك

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

بإمرة طبلخاناة، ونودى بأن أجناد الحلقة، ومماليك السلطان وأجناد الأمراء، لا يركب أحد منهم فرسًا بعد عشاء الآخرة، ولا يقعدوا جماعة يتحدثون.

وفى يوم الإثنين رابع عشريه: خلع على جميع الأمراء، كبيرهم وصغيرهم.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه: قدم علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبى الركب، ومن الكرك، مفارقين للناصر أحمد. بحيلة دبرها جمال الكفاة. وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفا من حضورهم إلى مصر، ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة، فبذل جمال الكفاة مالا جزيلا ليوسف بن البصارة حتى مكنهم من الخروج من المدينة. وأسر إليه السلطان الناصر أنه يبعث من يقتلهم ويأخذ ما معهم، فعرجوا فى مسيرهم عن الطريق صحبة بدوى من عربان شطى إلى أن قدموا غزة[1]، فخلصوا ممن خرج فى طلبهم. فأقبل عليهم الأمراء والسلطان، وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب فى الجانبين، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالى، فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج، فرجموه وردوه رَدًّا قبيحا إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالى على باب الجمالية، ونودى من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئا بالشنق.

وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع فى بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصرى إلى ثمانية دراهم نقرة، وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى فى العراء عجزا عن مواراته، وفنيت الدواب عندهم.

ثم عقب هذا الغلاء جراد عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة، فأضر بما هناك ضررا شديدا بالغا، وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات، وتحسنت أسعار بلاد الشام.

وفى هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى من

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

بنت تنكز، وأصدقها عشرة آلاف دينار. وخلع السلطان على الأمير قمارى وجميع أقاربها، وعمل مهما عظيما، ورسم أن يعمل لها بشخاناه(١) وداير بيت زركش بثمانين ألف دينار.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرقطاى بتقدمة ألف، فطُلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطاى أيام نيابته، فذكر أنه نهب له شىء كثير، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقا، وفيها نحو اثنى عشر جوشنا، وفيها بركصطوانات حرير قيمة الواحدة منها زيادة على عشرين ألف درهم، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شىء كثير. فكتب إلى نواب الشام يتتبع من معه شىء من ذلك، وحمله إليه.

وفيه أخرج الأمير قرجى الحاجب إلى صفد حاجبا، بسؤاله.

وفيه خلع على قراجا وأخيه أولاجا، واستقرا حاجبين.

وفيه سأل الأمير آقسنقر السلارى الإعفاء من النيابة، فلم يعف.

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير الحاج آل ملك، من حماة.

وفيه قبض على فياض بن مهنا؛ لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه، وسجن بالقلعة.

وفيه رسم للأمير طقتمر الأحمدى بنيابة طرابلس، بحكم وفاة الأمير طينال.

وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلى بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبى بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله فى مصرف المارستان. فلم يوافقه الضياء، واحتج بأن لهذا مصرفًا عينه واقفه لقراء وخدام، ووافقه القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبى بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفرًا بمعاليم ما بين خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفى.

وفيه وشى الخدام للسلطان بقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم. فرسم للطواشى محسن الشهابى والطواشى كافور الهندى بأن يتحدثا فى المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسى، وكتب لهما توقيع بذلك، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة الناصرية بين القصرين، وبنظر جامع القلعة. فشق ذلك على ابن جماعة، وسعى عند الأمير أرغون العلائى، فلم ينجح سعيه.

---

(١) لفظ فارسى، ومعناه السرير.

وفيه استقر سيف الدين وأخوه من آل فضل على أخباز آل مهنا، سليمان بن مهنا وأخوته، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه: رسم للأمير ألطنبغا الماردانى بنيابة حماة، عوضًا عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وخلع عليه وركب البريد من يومه، وسار فى خمسة من مماليكه، وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلائى.

وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولى إلى نيابة غزة، عوضًا عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناة بدمشق.

وفيه قدم خبر من شطى بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه: خلع على شجاع الدين عزلوا والى الأشمون[1]، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن نجم الدين، واستمر نجم الدين على إمرته.

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا، وهى أول التجاريد. وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعاف مستمر، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته، وهجمت عليها، وأوقعت الحوطة على جميع موجودها، وضربت عدة من جواريها ليعترفوا عليها. فلم يكن غير قليل حتى عوفى السلطان، فرسم بزينة القاهرة ومصر، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.

وفي يوم الجمعة خامس عشريه – وهو آخر توت –: انتهت زيادة النيل إلى ثمانية ذراعا وتسعة أصابع.

وفيه قامت الزينة لعافية السلطان، ثم انتكس السلطان وعوفى.

وفي يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى: قدم الأمير بيبرس الأحمدى نائب صفد. وكان من خبره أن الناصر أحمد لما كان بالكرك قبل خلعه كتب لآقسنقر نائب غزة أن يركب إلى صفد ويقبض عليه، وأنه كتب لأمراء صفد بالاحتفاظ عليه. فبلغ ذلك الأحمدى من عيونه، فركب ليلا بمن معه وهو مستعد، وخرج من صفد. فتبعه عسكرها، فمال عليهم وقتل منهم خمسة، وجرح جماعة وهو منهم. فبلغ ذلك آقسنقر نائب غزة، وقد قرب من صفد، فكر راجعا إلى غزة، وكتب بالخبر إلى السلطان الناصر

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

أحمد. ومر الأحمدى سائرًا إلى دمشق، وفيها الأمير بيبرس الحاجب وطرنطاى الحاجب. فنزل الأحمدى ميدان الحصا، وخرج الأميران المذكوران فى عدة من العسكر إليه فسلموا عليه وتوجعوا له، ثم عادوا. فقدم فى ثانى يوم قدومه كتاب السلطان الناصر أحمد على نائب دمشق بإكرامه واحترامه، ثم قدم من الغد يوسف بن البصارة بكتاب السلطان الناصر أحمد إلى أمراء دمشق، بأنه قد طلب بيبرس الأحمدى إلى الكرك فعصى، وخرج من صفد بعد ما قتل جماعة منها، وأمرهم بأخذ الطرقات عليه ومسكه وحمله إلى الكرك. فأخذوا فى أهبة الحرب، وركبوا لقتاله فى يوم الخميس ثامن المحرم، وبعثوا إليه سرًا يعرفونه بما ورد عليهم. فركب الأحمدى إلى لقائهم حتى تراءى الفريقان، فبعث إليه الأمراء بعض الحجاب يعلمه بمرسوم السلطان فيه، فأعاد الجواب «بأنى طائع للسلطان إذا كان على كرسى ملكه بمصر، وأسير إليه وفى عنقى منديل، ليعاقبنى أو يعفو عنى. وأما سلطان يقيم بالكرك، ويضرب رقاب الأمراء، ويهتك حريمهم ويخرجهم بحيث يتصدق الناس عليهم، ثم يطلبنى إليه، فلا سمع ولا طاعة. وهأنا لا أسلم نفسى حتى أموت على فرسى، ومن كان فى نفسه منى فليأت إلى قتالى».

فلما سمعوا جوابه أمرهم ابن البصارة بأن يهجموا عليه ويمسكوه، فاحتجوا عليه بأن المرسوم لا يتضمن قتاله، «وهذا الذى قلته يحتاج إلى قتال شديد. ولكنا نكتب إلى السلطان بما اتفق، ونستأذنه فى قتاله، ونمتثل ما يرسم به»، وتكفلوا له بحفظه حتى يعود بالجواب، فمشى ذلك عليه، وسار بكتبهم. واجتمع الأمراء بالأحمدى، وكتبوا إلى أمراء مصر بما اتفق، وكتبوا لأيدغمش نائب حلب وللحاج آل ملك بحماة، وعرفوا الجميع أن هذا الأمر إن تمادى بهم ركبوا جميعهم وعبروا لبلاد العدو، فكان هذا أكبر الأسباب فى خلع الناصر أحمد. ولم يزل بيبرس الأحمدى بدمشق حتى كتب إليه الملك الصالح أن يقدم إلى مصر، فقدمها واستقر على إقطاعه.

وفى هذا الشهر: عزل آقبغا عبد الواحد من نيابة حمص، وأنعم عليه بإمرة مائة بدمشق.

وفى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة: خرج أروم بغا السلاح دار لنيابة طرابلس، غضبا عليه لمكاتبته الناصر أحمد له.

وفيه كتب بقدوم طقتمر الأحمدى إلى القاهرة.

وفيه قبض على جمال الكفاة ناظر الجيش والخاص، والموفق ناظر الدولة، والصفى ناظر البيوت، وزجماعة من الكتاب، وسلموا لشاد الدواوين.

وفيه قبض على ابن رخيمة مقدم الوالى وسبب القبض على جمال الكفاة كراهة آقسنقر السلارى النائب له؛ لنقله للسلطان أخباره، مع توقف الدولة على الوزير، وكثرة شكوى المماليك والخدام.

وكان السلطان قد كثر إنعامه على الخدام وحواشيهم، وعلى جواريه، ورتب لهم رواتب كبيرة، وأنعم عليهم بعدة رزق. وصار كثير من الناس يحملون إلى الخدام الهدايا، لتستقر لهم الرواتب والمباشرات وغيرها. فكثرت كلف الوزير وطلب الإعفاء، فرسم له ألا يمضى إلا بما كان بمرسوم الشهيد الملك الناصرمحمد، فوفر ألفا وأربعمائة دينار فى كل شهر. وأخذ النائب يغرى الأمير أرغون العلائى بجمال الكفاة، فتعين موسى بن التاج إسحاق لنظر الخاص بسعى الخدام، وتعين أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر لنظر الجيش. وإبراهيم بن يوسف هذا كان من سامرة دمشق، كتب عند الأمير بكتمر الحاجب فأسلم، ثم كتب بعد مسك بكتمر عند بهاء الدين أرسلان الدوادار، ثم بعد موته عند الأمير طشتمر حمص أخضر، ومن بعد موته كتب عند الأمير قمارى أستادار. ثم طلب هو وموسى بن التاج فى يوم الإثنين حادى عشرة ليخلع عليهما، فقام الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك وأرقطاى فى مساعدة جمال الكفاة، وتلطفوا بالنائب حتى كف عنه، على أن يحمل مالا هو ورفيقه. فالتزم جمال الكفاة بمائة ألف دينار، وخلع عليه وعلى بقية الممسوكين، فحمل المال شيئًا بعد شيء، ثم أعفى عما بقى منه.

وفيه قدم أياز الساقى على البريد بموت أيدغمش نائب الشام فجأة، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموى فى نيابة الشام، ويستقر عوضه فى نيابة حلب ألطنبغا الماردانى، ويستقر يلبغا اليحياوى عوضه فى نيابة حماة. فكتب بذلك فى يوم الخميس رابع عشره، وخرج يلبغا اليحياوى إلى نيابته بحماة، ومعه كل من يلوذ به.

وفيه قدم كتاب سليمان بن مهنا يسأل فى الإفراج عن أخيه فياض، ورد ما أخرج عن آل مهنا من الإقطاعات، وإلا سار بعربه إلى الشرق. فأعيدت الإقطاعات إلى مهنا وأولاده، وأوقف إفراج فياض على ضمانه إياه.

وفيه أنعم على الأمير أرغون العلائى بعشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيه أنعم على الأمير بهادر الدمرداشى بثلاثة بلاد، زيادة على ما بيده.

وفيه قدم الخبر بأن قاضى القضاة الشافعى بدمشق تقى الدين السبكى لما أراد أن يخطب بالجامع الأموى لم يرض به أهل دمشق خطيبا، وكرهوا خطبته، ولم يؤمنوا على

دعائه، وصاحوا عليه صياحا منكرا، وترك جماعة الصلاة، وقالوا ما نصلى خلفك، فثارت عليه العامة. فلما كانت الجمعة الثانية جرى أفحش ما جرى فى الأولى، فآل الأمر إلى أن أشهد على نفسه أنه ترك الخطابة.

وفيه قدم الخبر بأن شطى وثب عليه رجل وهو مع العسكر على الكرك، فضربه بحربة أرداه عن فرسه فحمل إلى بيوته، وأن العسكر فى شدة من الأمطار وقلة الواصل إليهم، وأن الناصر أحمد رد جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق. فكتب السلطان لأحمد بتعداد مساوئه، وتهديده بتخريب الكرك حجرا حجرا، وكتب بمسير عسكر غزة وصفد إلى نجدة الأمير بيغرا، وحمل الغلال والإقامات، وحشد العربان معهم، ومحاصرة الكرك.

وفيه أفرج عن فياض بن مهنا بمساعدة الأمير الحاج آل ملك، وسُلّم إلى الأمير آقسنقر السلارى النائب حتى يحضر كتاب أخيه سليمان بن مهنا.

وفيه أنعم على أرغون العلائى بإقطاع قمارى بعد موته، واستقر تمر الموساوى أمير شكار عوضا عن قمارى.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فقدم عليه التقى السبكى قاضى دمشق، فأقبل عليه السلطان والأمراء. فلما عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياما حتى استرخت أعضاؤه، وصار العلائى وآقسنقر النائب يدبران أمور الدولة.

وفيه ورد الخبر بعافية شطى، وأنه ركب مع العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن الناصر أحمد، وسأل أن يمهل حتى يكاتب السلطان؛ ليرسل من يتسلم منه القلعة، فرجعوا عنه. فلم يكن غير قليل حتى استعد، وقاتل بمن معه، فخرج جركتمر الماردانى ليجهز ألفى راجل من غزة وصفد.

وفيه أنعم على فياض بالعود إلى بلاده، فتوجه إليها بعدما حلف على التزام الطاعة، وألا يتعرض لأمور التجار.

وفى رابع عشره: أخرج جماعة من الأمراء إلى الشام، منهم ملكتمر السرجوانى وبكا الخضرى، وقطلقتمر، وأباجى، ويحيى بن ظهير الدين بغا وأخيه، ثم أعيد ملكتمر من يومه.

وفيه قدمت رسل متملك الخطا[1]، وقد خرجوا من بلادهم سنة تسع وثلاثين

---

(١) بلاد الخطا، هى بلاد مجاورة للصين، واسم ملكها فى هذه الفترة هو سندمر.

وسبعمائة، ومعهم كتاب للسلطان الملك الناصر محمد، يتضمن أن بعض الفقراء قدم عليهم وأقام عندهم مدة، وهم يسجدون للشمس عند طلوعها، فمازال ينكر عليهم ذلك ويدعوهم إلى الإسلام حتى عرف به الملك، فأحضره إليه وسمع كلامه، ودعاه إلى الإسلام وهداه الله إليه وأسلم، فبعث رسله إلى مصر فى طلب كتب العلم وإرسال رجل عارف يعلمهم شرائع الإسلام، فإن الرجل الذى هداهم به مات. فأقبل السلطان الملك الصالح إسماعيل عليهم، وخلع عليهم، ورسم بتجهيز الكتب العلمية لهم.

وفى يوم الإثنين ثانى رجب: أنعم على أربعة بإمريات طبلخاناة، منهم أمير حاجى ابن الناصر محمد.

وفيه أنعم على خمسة بإمريات عشرة، ونزلوا إلى المدرسة المنصورية على العادة بالقاهرة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى الوزارة عوضا عن نجم الدين محمود بن على بن شروان وزير بغداد؛ لتوقف أحوال الدولة وشكوى المماليك السلطانية من تأخر جوامكهم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كانت فتنة رمضان أخى السلطان، وذلك أنه كان قد أنعم عليه بتقدمة ألف، فلما خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة، وتحدث مع جماعة من المماليك فى إقامته سلطانا. فلما مرض السلطان بالاسترخاء قوى أمره، وأشاع ذلك، وراسل بكا الخضرى ومن خرج معه من الأمراء، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر. فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أرغون العلائى، فلم يعبأ به إلى أن أهل رجب جهز الأمير رمضان خيله وهجنه بناحية بركة الحبش، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء. فبلغ الأمير آقسنقر أمير آخور عند الغروب من ليلة الأربعاء ما هم فيه من الحركة، فركب بمن معه، وندب عدة من العربان ليأتوه بخبر القوم إذا ركبوا.

فلما أتاه خبرهم ركب وسار إليهم، وأخذهم عن آخرهم من خلف القلعة ليلا، وساقهم إلى الإصطبل. وعرف آقسنقر أمير آخور السلطان وأرغون العلائى من باب السر بما فعله إليهما، فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم. واتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده، والاحتفاظ بهم. فلما طلع الفجر خرج أرغون العلائى من بين يدى السلطان، وطلب الإخوة، ووكل ببيت رمضان حتى طلعت الشمس. وصعد الأمراء الأكابر باستدعاء، وأعلموا بما وقع، فطلبوا رمضان إليهم فامتنع من الحضور، وهم يلحون فى طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم، فعادوا عنه إلى أرغون العلائى.

فبعث أرغون عدة من الخدام والمماليك لإحضاره. فخرج رمضان فى عشرين مملوكا إلى خارج باب القلة، وسأل عن النائب آقسنقر السلارى، فقيل له إنه عند السلطان مع الأمراء، فمضى إلى باب القلعة، وسيوف أصحابه مصلتة، وركب من خيول الأمراء، ومرّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة، فلم يجد أحدا من الأمراء، فتوجه جهة قبة النصر. ثم وقف رمضان ومعه بكا الخضرى، وقد اجتمع الناس عليه.

وبلغ السلطان والأمراء خبره، فأخرج بالسلطان محمولا بين أربعة لما به من الاسترخاء، وركب النائب وآقسنقر أمير آخور وقمارى أخو بكتمر. وأقام أكابر الأمراء عند السلطان، ووقفت أطلابهم تحت القلعة، وضربت الكوسات حربيا، ونزل النقباء فى طلب الأجناد. فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه من أجناد الحسينية ومن مماليك بكا ومن العامة، وبعث يخبر السلطان بذلك، فمن شدة انزعاجه نهضت قوته، وقام على قدميه يريد الركوب بنفسه، فقام الأمراء وهنوه بالعافية، وقبلوا له الأرض، وهوّنوا عليه أمر أخيه. فأقام السلطان إلى بعد الظهر، والنائب يراسل رمضان ويعده الجميل، ويخوفه العاقبة، وهو لا يلتفت إلى قوله. فعزم النائب على الحملة عليه بمن معه، وسار فلم يثبت العامة والمتجمعة من الأجناد مع رمضان، وانفلّوا عنه، فانهزم رمضان هو وبكا الخضرى فى عدة من المماليك، وتوجهوا نحو البرية، والأمراء فى طلبه، ثم عاد النائب إلى السلطان.

فلما كان بعد عشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر برمضان وبكا، وقد أدركوهما بعد المغرب عند البويب[1]، ورموا بكا بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه، وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق، فوكل برمضان من يحفظه، وأذن للأمراء بنزولهم بيوتهم، فنزلوا وطلعوا بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة.

وجلس السلطان وطلب مماليك رمضان، فأحضروا. وأمر السلطان بحبسهم، وحبسوا أياما، ثم فرقوا على الأمراء.

وفيه رسم لجمال الكفاة بتجهيز التشاريف للأمراء الأكابر، فحمل إلى كل من الأمير جنكلى بن البابا، والأمير بيبرس الأحمدى والأمير بيبرس الحاج آل ملك، والأمير قمارى، والأمير أرقطاى، تشريف كامل وألف دينار، وللنائب آقسنقر السلارى تشريف وألفا دينار وفرسان، ولمقدمى الحلقة تشاريف بأقبية ساذجة[2] مروزى[3]؛ لأجل إعادتهم، فإنها كانت بغاليطق ملونة.

---

(١) مدخل أهل الحجاز إلى مصر.

(٢) الساذج هو ما ليس فيه نقش.

(٣) على هامش ط: قماش سميك من الحرير الجيد أو القطن.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أمر السلطان ستة أمراء.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: قدم الأمير بيغرا ومن معه من العسكر المجرد لقتال الناصر أحمد، بعد ما حاربوه. وكان قد جرح منهم جماعة، وقلت أزوادهم، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية، ولما مثلوا بالخدمة خلع عليهم.

وفيه كتب السلطان باستقرار طرنطاى البشمقدار فى نيابة غزة، عوضًا عن الجاولى، وقدم الجاولى إلى مصر.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشريه: وُسّط الأمير بكا الخضرى، ومعه مملوكان من المماليك السلطانية، بسوق الخيل تحت القلعة.

وفى هذا الشهر: استجد السلطان بالقلعة عمارة جليلة، وأقام آقجبا الحموى شاد العمائر، وقرر على أرباب الدواوين رخاما يحملونه إليها. وقصد بذلك محاكاة عمارة الملك المؤيد بحماة المعروفة بالدهشية. فتوجه آقجبا وأبجيج المهندس إلى حماة حتى عرفا ترتيبها. وكتب السلطان إلى حلب بطلب ألفى حجر أبيض، وألفى حجر أحمر من دمشق فحملت وسخر لها الجمال، فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثنى عشر درهما من حلب. ووقع الاهتمام فى العمل، فكان المصروف فى العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم.

وفى هذا الشهر: أيضًا وقف السلطان الملك الصالح ثلثى ناحية سندبيس، من القليوبية، على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادما.

وفى يوم الخميس رابع شعبان: قدم الأمير علم الدين سنجر الجاولى من غزة.

وفيه قدم البريد بموت الأمير أرنبغا نائب طرابلس، فعملت عليه أوراق بحقوق سلطانية مبلغها ألفا ألف درهم.

وفيه قدمت أولاد الأمير أيدغمش من دمشق، فألزموا بتفاوت الإقطاعات التى انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق، فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولا وعصابة مرصعة لأمهم بلغت مائة ألف درهم. وباعوا حمام أيدغمش أبيهم خارج باب زويلة إلى خوند طغاى[1]، وعدة أملاك أيضا.

وفى يوم السبت ثالث شوال: توفى الأمير بهادر الجوبانى.

---

(١) خوند طغاى: هى زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

وفى عاشره: توجه الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى فى ألفى فارس تجريدة لقتال الناصر أحمد بالكرك، وهى ثانى تجريدة. وكتب بخروج تجريدة من دمشق، وحمل المنجنيق ونصبه على الكرك.

وفى يوم الإثنين ثانى عشريه: صار نقل الأمير يلبغا اليحياوى إلى حماة مع طُلْبه، فركب الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء حتى زين خيله زينة عظيمة، ورتبها بنفسه، وشقوا القاهرة، وكتب لهم بالإقامات فى الطرقات.

وفيه أيضا أعيد نجم الدين محمود وزير بغداد إلى الوزارة، وأعفى ملكتمر السرجوانى منها لتوقف أحوال الدولة. وخلع على جمال الكفاة، واستقر مشير الدولة، بسؤال وزير بغداد فى ذلك، فنزلا معا بتشاريفهما. وصار جمال الكفاة يطلع بكرة النهار إلى باب القلعة ومعه الوزير، فيصرفان الأشغال. وطلب جمال الكفاة ضمان جميع الجهات وزاد فى كل جهة نحو العشرين ألف درهم، ومنع أن يحمل شىء من مال الجيزة، ولا يصرف منها إلا بمرسوم السلطان، فمشت أحوال الدولة.

وفى يوم الأربعاء خامس ذى القعدة: استقر لاجين أمير آخور، عوضا عن الأمير آقسنقر الناصرى. وسبب ذلك أنه سأل أن يتزوج بخوند أردو أم الأشرف كجك، فأجيب إلى ذلك وتزوج بها، وكانت جميلة الصورة. ثم بعد زواجها بأيام سأل الأمير آقسنقر أن يمشى صرغتمش الناصرى فى خدمته، وكان قد اشتراه السلطان الناصر محمد بنحو مائة ألف درهم، دفع عنها السلطان قريبا من نحو خمسة آلاف دينار مصرية، لجماله، وبسببه كانت فتنة الأمير قوصون مع المماليك السلطانية، لما طلبه بالليل. وكان آقسنقر يهواه وهو يترفع عليه، فاستشار السلطان الأمير أرغون العلائى فى إرسال صرغتمش إلى آقسنقر، فأنكر ذلك. ثم طلب السلطان صرغتمش، وعرفه بطلب آقسنقر له، فامتنع أشد امتناع، وقال: «أقتل نفسى، ولا أمضى إليه وأمشى فى خدمته» فبعث السلطان إلى قمارى والحجازى والنائب آقسنقر السلارى وعرفهم بذلك كله، فكلهم أنكر على آقسنقر الناصرى طلبه صرغتمش وصابه، وأخذ الحجازى يتلطف بآقسنقر الناصرى حتى كف عن طلبه على كره.

ثم رسم السلطان لآقسنقر الناصرى أن يتوجه مع التجريدة إلى الكرك، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسمائة جمل. وأخذ الأمراء فى حمل التقادم إليه على حسب هممهم حتى لم يبق إلا سفره. ثم تخيل الأمير أرغون العلائى من سفره أن يخامر مع الناصر أحمد، فبعث إليه يمنعه من السفر، فشق عليه ذلك ولم يوافق، فأرسل إليه

السلطان الأمير قمارى أستادار، فتلطف به حتى وافق بشرط الإعفاء من الأمير آخورية فأعفى، وسكن الحجازى بالأشرفية من القلعة، وتحول آقسنقر إلى دار الحجازى.

وفى هذه السنة: بعث أرتنا صاحب الروم بهدية جليلة صحبة قاضى الروم، وسأل أن تجرى على ما كان عليه الأمر فى أيام الشهيد السلطان الناصر محمد من تجهيز التقليد بنيابة الروم.

وفيها رتب السلطان دروسًا للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية، ووقف عليها وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا من الشرقية، فاستقر ذلك، وعُرِف بوقف الصالح.

وفيها استقر علاء الدين على بن عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن البرهان إبراهيم الرسعنى. ثم صُرف الزرعى ببدر الدين إبراهيم بن الصد، أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المصرى.

وفيها ولدت امرأة بدمشق مولودا، برأسين وأربعة أيدى.

وفيها كان بعرفة يوم عرفة فتنة بين العرب والحجاج من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة. وسببها أن الشريف رميثة بن أبى نمى أمير مكة شكا من بنى حسن إلى أمير الحاج. فركب أمير الحاج فى يوم عرفة بعرفة لحربهم، وقاتلهم وقتل من الترك ستة عشر فارسا، وقتل من جماعة بنى حسن عدة، وانهزم بقيتهم، فنفر الناس من عرفة على تخوف، ولم ينهب لأحد شىء، ولا تزال بنو حسن بمنى. ثم رحل الحاج بأجمعهم يوم النفر الأول، ونزلوا الزاهر خارج مكة، وساروا منه ليلا إلى بطن مرو.

وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة: رسم بتجريد الأمير أبى بكر بن أرغون النائب والأمير أصلم، والأمير أرنبغا.

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا وتسعة أصابع.

* * *

ومات فيها من الأعيان

برهان الدين إبراهيم بن محمد السفاقسى[1] المالكى فى ذى الحجة، وله إعراب القرآن، وشرح ابن الحاجب فى الفقه.

---

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسى السفاقسى، أبو إسحاق برهان الدين: فقيه مالكى. تفقه فى بجاية وحج فأخذ عن علماء مصر والشام. وأفتى ودرس سنين. له مصنفات منها «المجيد فى إعراب القرآن المجيد»، و«شرح ابن الحاجب» فى أصول الفقه. انظر الدرر الكامنة ١/ ٥٥ وبغية الوعاة ١٨٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٩١ وعلوم القرآن ٣٩٣ والأعلام ١/ ٦٣.

ومات الأمير أرنبغا الناصرى، نائب طرابلس.

ومات الأمير أيدغمش الناصرى، نائب الشام.

ومات الأمير بيبرس الأحمدى الحاجب وهو بدمشق، فى رجب. وهو أحد المماليك الناصرية، ترقى فى الخدم حتى صار أمير آخور، ثم عزل بأيدغمش، واستقر حاجبا. وتجرد إلى اليمن، ثم لما عاد سجن فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس وعشرين، وأقام معتقلا تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه فى ثانى عشرى رجب سنة خمس وثلاثين. وأخرج إلى حلب أميرا بها، ثم نقل إلى إمرة بدمشق، فى سنة تسع وثلاثين، فمازال بها حتى مات. وله دار بالقاهرة داخل باب الزهومة بحارة العدوية، وحفيده أمير على بن أمير أحمد بن الحاجب المقرئ.

ومات الأمير بكا الخطيرى مقتولا، فى رابع عشرى رجب.

ومات الأمير بهادر الجوبانى رأس نوبة.

ومات الأمير قمارى أمير شكار، يوم الإثنين خامس جمادى الأولى.

ومات الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد وحلب، مقتولا بالكرك.

ومات الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل أمير آل فضل، بظاهر سلمية.

ومات الأمير طينال نائب صفد ونائب غزة ونائب طرابلس، وهو بصفد، فى يوم الجمعة رابع ربيع الأول.

وتوفى تاج الدين أبو المحاسن عبد القادر بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى اليمانى المخزومى الشافعى الأديب الكاتب، بالقدس عن ثلاث وستين سنة. قدم القاهرة وأقام بها، وله شعر جيد.

ومات الحاجب صلاح الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بابن البرهان.

وتوفى فخر الدين محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكى، بمصر عن سبعين سنة.

وتوفى المقرئ بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقى، شيخ القراء بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير قطلوبغا الفخرى نائب الشام، مقتولا بالكرك.

ومات سعد الملك مطرف، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

* * *

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج، وأخبر بكثرة ما كان فى هذه الحجة من المشقات. وذلك أنه لما كان يوم عرفة تنافر أشراف مكة مع الأجناد من مصر، فركبوا لحرابهم بكرة النهار، ووقفوا للحرب صفين. فمشى الشريف عجلان بينهم، فلم تطعه الأشراف، وحملوا على الأجناد وقاتلوهم، فقتل منهم ومن العامة جماعة. وأبلى الشريف عجلان بن عقيل وأبلى كذلك الأمير أيدمر بلاء عظيما، فعاتبه بعض مماليك الأمير بشتاك، ورماه بسهم فى صدره ألقاه عن فرسه، وقتل معه أيضًا جماعة، وآل الأمر إلى نهب شيء كثير، ثم تراجع عنهم الأشراف.

وفيه قدم عيسى بن فضل بقود أخيه سيف بن فضل على عادته. وكان سليمان بن مهنا قد سافر إلى بلاده فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأنزله منزلة حسنة.

وفى يوم السبت سادسه: قدم من الكرك الطواشى صفى الدين جوهر ورفيقه مختار، فارين من الناصر أحمد.

وفى يوم الأحد سابعه: خرج المجردين إلى الكرك من القاهرة، صحبة الأمير أصلم والأمير بيبغا حارس الطير.

وفى يوم الأربعاء عاشره: قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة، والأمير بيغرا أمير جاندار صهره، والأمير قراجا الحاجب، وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بسجنهم فى الإسكندرية.

وفيه خرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك، فأدركهم على السعيدية، فطيب خواطرهم، وأعلمهم بالقبض على الأمراء، وعاد سريعًا، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على الأمير طيبغا الدوادار الصغير. وسبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آقسنقر السلارى كان فى نيابته لا يردّ قصة ترفع إليه فقصده الناس من الأقطار، وسألوه الرزق والأراضى التى أنهوا أنها لم تكن بيد أحد، وكذلك نيابات القلاع وولايات الأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة. فلم يرد أحد سأله شيئا من ذلك، سواء كان ما أنهاه صحيحا أم باطلا. فإذا قيل له هذا الذى أنهاه يحتاج إلى كشف تغير وجهه، وقال: «ليش تقطع رزق الناس؟». فإذا كتب بالإقطاع لأحد، وحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه

وسأله فى إعادته، قال له: «رح خذ إقطاعك»، أو يقول له: «نحن نعوضك». ففسدت الأحوال، ولاسيما بالمملكة الشامية، فكتب النواب بذلك للسلطان، فكلمه السلطان فلم يرجع، وقال: «أنا أى من طلب منى شيئا أعطيته، وما أرد قلمى عن أحد». بحيث أنه كانت تقدم له القصة وهو يأكل فيترك أكله ويكتب عليها من غير أن يعرف ما فيها، فأغلظ له بسبب ذلك آقسنقر الناصرى أمير آخور. واتفق مع ذلك أنه وشى به أنه يباطن للناصر أحمد، ويواصل كتبه إليه، فقرر أرغون العلائى مع السلطان مسكه، فمسك هو وحاشيته.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: خلع السلطان على الأمير الحاج آل ملك، واستقر فى نيابة السلطنة، عوضا عن آقسنقر السلارى. وكان العلائى قد قرر مع السلطان أن يعرض على الأمراء نيابة السلطنة، فأول من عرضت عليه الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا فامتنع، فقالوا بعده للأمير الحاج آل ملك، فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه. فلما طلع الأمير الحاج آل ملك لصلاة الجمعة على العادة، اشترط على السلطان ألا يفعل شيئا فى المملكة إلا برأيه، وأنه يمنع الخمر من البيع، ويقيم منار الشرع، وأنه لا يعارض فيما يفعله. فقبل السلطان شروطه، ولبس الأمير الحاج آل ملك تشريف النيابة بجامع القلعة، بعد صلاة الجمعة. وأنعم عليه السلطان زيادة على إقطاع النيابة بناحيتى المطرية والخصوص، ومتحصلهما أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع السلطان على منكلى بغا الفخرى، واستقر أمير جندار، عوضا عن بيغرا.

وفيه فتح شباك النيابة، وجلس فيه الأمير الحاج آل ملك للمحاكمات. فأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود بالقاهرة، ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى، ويريق ما هناك من الخمور، ويخربها حتى يجعلها دكا وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ حانة، بعد ما كانت سجنا يسجن فيه الأمراء والجند والمماليك، كما أن خزانة شمائل سجن لأرباب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق. فلما كانت دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوده من الكرك، وشغف بكثرة العمارات، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل، وجماعة كثيرة بخزانة البنود. فملأ أولئك الأرمن خزانة البنود حتى بطل السجن بها، وعمرها السلطان الناصر مساكنا لهم، وتوالدوا بها، وعصروا الخمور بحيث أنهم عصروا فى سنة واحدة اثنتين وثلاثين ألف جرة، باعوها جهارا وكان لحم الخنزير يعلق عندهم على الوضم، ويباع من غير

احتشام. واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات، فيأتيهم الفساق ويظلون عندهم الأيام على شرب الخمور ومعاشرة الفواجر والأحداث ففسدت حرم كثيرةٍ من الناس وكثير من أولادهم وجماعة من مماليك الأمراء فسادًا شنيعا، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليها، أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن بخزانه البنود لا يقدر أن يأخده منهم، ولو كان من كان.

فقام الأمير الحاج آل ملك فى أمرهم، وفاوض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى فسادهم غير مرة، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب السلطان عليه، وقال له: «يا حاج! كم تشتكى من هؤلاء، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم» فشق ذلك عليه، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكانا، وعَمره دارا، وأنشأ بجانبها جامعا، وحماما وربعا وحوانيت. وبقيت فى نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان، فنزل والى القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها، وكسروا أوانى الخمر، فكانت شيئا يجل وصفه كثرة، وهدموها واشترى أرضها الأمير قمارى من بيت المال، وتقدم إلى الضياء المحتسب أن ينادى بتحكيرها، فرغب الناس فى أرضها واحتكروها، وبنوها دورا وطواحينَ وغيرها.

وقد ذكرنا أخبار خزانة البنود فى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ذكرا شافيا، فكان يوم هدم خزانة البنود يومًا مشهودًا من الأيام المشهورة المذكورة، عَدَل هدمها فتح طرابلس وعكا؛ لكثرة ما كان يعمل فيها بمعاصى الله.

ثم طلب النائب والى القلعة، وألزمه أن يفعل ذلك ببيوت الأسرى من القلعة، فمضى إليها وكسر جرار الخمر التى بها، وأنزلهم من القلعة، وجعلهم مع نصارى خزانة البنود فى موضع بجوار الكوم. فيما بين جامع ابن طولون ومصر، فنزلوه واتخذوا به مساكنهم، واستمروا بها إلى اليوم.

وكانت الأسرى التى بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى أمر عمائره، وكانوا فى فساد كبير مع المماليك وحرم القلعة فأراح الله منهم.

ثم رسم الأمير الحاج آل ملك النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجزيرة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

واقترح الأمير الحاج آل ملك فى نيابة اقتراحات كثيرة، منها أنه منع من مكاتبة ولاة الأعمال إلا بعد أن يبعث الوالى أن كان للشاكى حق شرعى، وجعل عوض المكاتبة له كتابة الشكوى خلف قصة المشتكى، وكثيرًا ما كان يرد الشكاة إلى الولاة والكشاف، وصار يكتب لجميع الولاة يعتمد.

ورسم الأمير الحاج آل ملك لأولى نيابته بإبطال جميع الملعوب، وهى جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن يقال له كمجتى. له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المعالجين والمصارعين والمثاقفين[١] والملاكمين والمشابكين[٢]، وعلى المقامرين على اختلاف أنواع القمار، وعلى القرادة والدبابة الذين يلعبون بالقرود والدب وغير ذلك من أنواع اللعب، فبطل ذلك كله.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك أيضًا جهة ابن البطونى، وهى جهة سلطانية لها ضامن عليه مال مقرر يأخذه من كل من رُدَّ عليه عبده أو أمته، إذا أبقوا فكان يتعدى حتى يأخذ من يجده من العبيد والإماء قد مضى لمولاه فى حاجة، ويحبسه عنده حتى يصالحه مولاه على مال يدفعه إليه، فبطل ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النزول عن الإقطاعات والمقايضات بهذه بعد أن فشى ذلك بين الأجناد، حتى إن جنديا قايض آخر بإقطاعه ومبلغ ألفين وخمسمائة درهم أقبضه منها ألفين، فألزمه الأمير الحاج آل ملك بحمل الألفين لبيت المال، فانكف الأجناد عن المقايضات.

ومقت الأمير الحاج آل ملك من يرفع إليه قصة بطلب زيادة، فرفع له علاء الدين بن القَلَنْجُقِى أحد الأمراء العشرات قصة يسأل فيها زيادة على إقطاعه، فوقع له عليها بمائتى فدان من الجبل الأحمر، زيادة على ما بيده.

ومنع الأمير الحاج آل ملك من مكاتبة نواب الشام - وكتابة التواقيع السلطانية - لأهل الشام، وكتب مرسوم السلطان إلى الممالك الشامية بإبطال العمل بما كتب به من بعد وفاة السلطان الملك الناصر محمد، ولا يعتمد إلا على المراسيم المستقرة إلى حين وفاته؛ ليبطل بذلك ما كان فى نيابة آقسنقر السلارى فبطلت جماعة كثيرة بأيديهم

---

(١) ثقف: الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة، وهو إقامة درء الشىء ويقال ثقفت فلان إذا ظفرت. انظر مقاييس اللغة ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) المشابكين: الشين والباء والكاف أصل صحيح يدل على تداخل الشىء يقال شبك أصابعه تشبيكا. انظر مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٢.

مراسيم سلطانية منصورية وأشرفية وصالحية تجددت بعد السلطان الناصر محمد، وأخذت منهم.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: قدم محمل الحاج.

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: نودى بتحكير خزانة البنود، فشرع الناس فى تحكيرها.

وفى يوم الخميس خامس عشريه: رسم السلطان أن يعاد على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف ما أخذ له فى نيابة الأمير طشتمر حمص أخضر، وخلع عليه بحسبة مصر، عوضا عن ابن بنت الأعز، بشفاعة الأمير ملكتمر الحجازى، فأعيد له مبلغ أربعين ألف درهم من بيت المال.

وفيه قدم شهاب الدين أحمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق بطلب؛ لكثرة شكاته فقام أخوه علاء الدين على بن فضل الله فى أمره حتى أعيد إلى دمشق معزولا، من غير مصادرة، ورُتِّب له ما يكفيه.

وفيه أنعم على عدة من المماليك السلطانية بإمريات، منهم شيخو العمرى، وألطنبغا برناق.

وفى هذا الشهر: كثر تخوف الناس من منسر انعقد بالقاهرة، وذلك أن رجال هذا المنسر كبسوا عدة بيوت، وكتبوا أوراقا يطلبون فيها مالا من الأغنياء، «ومتى لم يُبعث لنا ذلك كنا ضيوفك» وأعيَا الوالى أمرهم فاتفق أنهم كبسوا بيتا ببولاق، وكان أهله قد أنذروا بهم، فاستعدوا لهم وتركوا أبوابهم مفتوحة، فدخلوا نصف الليل، وإذا بالنشاب قد وقع فى صدورهم، فأصاب منهم ثلاثة، ورجع باقيهم منهزمين. فخرج منهم أيضًا اثنان والطلب فى أثرهما، فقتل منهما واحد وقبضوا منهم على ثلاثة، وأتوا بهم الوالى، فأقروا على جماعة بالجزيرة وغيرها، فتتبعوا إلى أن ظفر بجماعة سُمِّروا وشهرّوا.

وفيه قدم الرجل الصالح أحمد الزرعى، فأكرمه الأمير جنكلى بن البابا، وجمع بينه وبين السلطان. فسأل الزرعى أن تعفى بلده زرع من المغارم والسحر، وأقام أياما ثم عاد إلى الشام.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل[1]، فأكرمه السلطان، وكتب له ببلدة

---

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤ هـ. ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ٢/ ١٨٣ والأعلام ٣/ ١٥٠.

زرع[1] حسب سؤاله، وسافر فمات قبل أن يستغلها.

وفيه قدم أيضًا أحمد بن مهنا[2] وسيف بن فضل، بقودٍ.

وفيه وصلت رسل متملك الهند بهدية فيها فصان ياقوت، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك، وذكر لهم أن ولاية الملك لابد أن تكون من الخليفة. وسأل متملك الهند أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند؛ ليكون نائبا عن السلطان بتلك البلاد، وأن يبعث السلطان إليهم رجلا يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك. فأكرمت الرسل، وطُلب من الخليفة أن يكتب تقليدا لمرسلهم بسلطنة الهند، فكتب له تقليد جليل، ورسم بسفر ركن الدين الملطى شيخ الخانكاه الناصرية بسرياقوس مع الرسل.

وفيه قدم البريد من حلب بطلب ناصر الدين محمد بن صُغَيِّر الطبيب؛ ليعالج الأمير ألطنبغا المارداني، فأخرج على البريد، وقدم حلب يوم الثلاثاء سلخه[3]، وقد احتضر الأمير ألطنبغا، فمات من الغد، فعاد ابن صُغَيِّر بعد يومين من حلب.

وفى تاسع عشريه: رسم بتجريد الأمير جنكلى بن البابا، والأمير آقسنقر الناصرى، والأمير أبى بكر بن أرغون النائب، والأمير طيبغا المجدى إلى الكرك.

وفى ثانى عشر صفر: قدم الخبر بوفاة الأمير ألطنبغا المارداني نائب حلب، فصلى عليه صلاة الغائب بجامعه، وقرئت له ختمة شريفة.

وفيه عقد مشور عند السلطان فيمن يلى حلب، فأشار الأمير أرغون العلائى باستقرار الأمير يلبغا اليحياوى فى نيابة حلب، وأن يستقر عوضه فى نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدى، وأن يستقر بلك الجمدار فى نيابة صفد، عوضا عن طقتمر الأحمدى. وعين أرغون شاه للسفر بتقليد الأمير يلبغا، وأن يتوجه الأمير أحمد لإحضار حريم المارداني وأمواله من حلب.

وفى رابع عشريه: توجه الأمير ألطنبغا برناق، بتقليد طقتمر نائب حماة.

---

(١) من أعمال حوران بالقرب من دمشق. انظر معجم البلدان ٢/ ١٨٢.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن حديثة الطائى ثم التعلبى: أمير عرب الفضل فى بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق. وقدم القاهرة مرارا. انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٢١ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والعبر ٥/ ٤٣٩ والأعلام ١/ ٢٦١.

(٣) المراد آخر اليوم.

وفى يوم السبت خامس عشريه: قدم الأمير بيبرس الأحمدى والأمير كوكاى ومن معهما من المجردين التجريدة الثانية إلى الكرك، فركب الأمراء إلى لقائهم. وكان قبل ذلك بيومين ورد كتاب الأمير أصلم بأنه قدم إلى الكرك بمن معه، وخرج الأمير بيبرس الأحمدى بمن معه، وطلب أن يُقوَّى بعسكر. فكتب إلى ولاة الأقاليم للخروج إلى الكرك بطلبهم، ونزل النقباء إلى الأمراء المعينين للسفر بخروجهم.

وفى يوم الخميس سلخه: خرج الأمير بلك الجمدر من القاهرة؛ لنيابة صفد.

وفى يوم الإثنين رابع ربيع الأول: خرج الأمير جنكلى بن البابا والأمير آقسنقر الناصرى وملكتمر السرجوانى وأمير عمر بن أرغون النائب، فى أربعة آلاف فارس، تقوية للأمير أصلم، وهى التجريدة الرابعة للكرك. وتوجه صحبتهم عدة حجارين ونقابين ونفطية، وتوجه السلطان بعد سفرهم إلى سرياقوس على العادة.

وفيه اشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والى القاهرة ومصر فى منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه. ونودى بالقاهرة ومصر من أحضر سكرانا أو أحدا معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لشَرَبة الخمر بكل طريق، وأتوه مرة بجندى قد سكر، فضربه وقطع خُبْزَه، وخلع على من أحضره. وقبض العامة أيضا على بعض مماليك الأمراء، وقد أحضر جرة خمر فى مركب، فضربه وقطع خبزه. وأخذ النائب كثيرًا من شَرَبة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج، ومن المراكب، ومن البيوت، فضربهم عرايا، وكشف رءوسهم، وصب عليهم الخمر وشهرهم. ونادى من اشترى عنبا بالقنطار قبض عليه، ويؤتى به إليه. فعرفه شاد الدواوين أن متحصل الديوان من معاملة العنب مائة ألف درهم، وقد بطلت، فلم يلتفت إليه، وتنجز مرسوم السلطان بالمساجة بذلك. وبعث النائب فى خفية من اشترى له عنبا بدرهمين، فجاءه عشرة أرطال فطلب المحتسب، وأنكر عليه كيف يكون العنب بهذا السعر وقد منعنا من اعتصاره.

ومنع الأمير الحاج ملك النائب أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية خمرا، فقام فى ذلك جمال الكفاة، وذكر أنه يتحصل من ذلك فى السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، ومازال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النوايح من القاهرة ومصر، فقامت الضامنة عند الأمير قمارى الأستادار فى إعادة النوايح، وخوفت أن جهته تبطل، وكان مُرْصده للحاشية، فمازال الأمير قمارى يكلم الأمير الحاج آل ملك حتى أعادها.

وفى هذا الشهر: قام قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة على إمام الجامع الأزهر، وحبسه. وسبب ذلك أنه كان يلى نظر الجامع، فأخرجه عنه قاضى القضاة وولاه للقاضى الحنبلى، فتعصب جماعة للإمام حتى أعاده آقسنقر السلارى النائب إلى نظر الجامع. فشق ذلك على القضاة، وتنكروا له، فقام رجل وأنهى إليهم أن الإمام من خمس وعشرين سنة وقع فى حق النبى ﷺ، بأن زعم أنه ﷺ انهزم فى بعض غزواته، وكتب بذلك محضرا وأثبته. وشنعوا بذلك عليه، وأخذوه من الجامع إلى الحبس، فقام الشيخ خليل المالكى والقوام الكرمانى قياما زايدا حتى وصل إلى السلطان والأمراء أن بين القضاة وبينه عداوة، بسبب نظر الجمع، من قديم. فطُلب القضاة إلى القلعة بحضرة السلطان، وحدثهم السلطان فى أمره، فوقعوا فيه وقيعة قبيحة، وأنه قد وجب قتله، وقد حكم بعزله من الإمامة. فمازال السلطان بهم حتى حكم الحنفى بتعزيره، فعزر واستمر على وظيفته. وكثرت القالة فى ابن جماعة بسببه، فإنه كانت له سمعة عند الخدام، وتتردد إليه أم السلطان.

وفيه خلع على نجم الدين أيوب، وأعيد لولاية القاهرة، عوضا عن شجاع الدين غُرْلُو، وأخرج غُرْلُو إلى الشوبك، عوضا عن ألطنقش.

وفى يوم الخميس عشره: قدم الخبر بوصول المنجنيق من صفد إلى الكرك، وأنه هرب من خدام أحمد ومماليكه نحو ستة وأربعين نفرا، ثم قدموا فى حادى عشريه، فخلع عليهم.

وفى رابع عشر ربيع الآخر: قدم الخبر بوصول جنكلى بن البابا وآقسنقر الناصرى إلى الكرك بمن معهما، فى يوم السبت سابعه، فزحفوا من غدهم، وقاتلوا قتالا شديدًا جُرح فيه بالغ وجماعة، وعدة قُتلوا، وجُرح كثير. فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة، فسر السلطان بذلك، وبعث إلى الأمراء المجردين خمسين حجارا.

وفيه قدم رسول حسن بن دمرداش بن جوبان بهدية، وسأل أن يُبْعَث إليه برمة أبيه، فاعتذر السلطان عن ذلك بأنه لم يعرف له قبرا.

واتفق فى زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول - وهو سابع عشر مسرى -، فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج، وطلع من الأسربة. فركب الوالى إلى بولاق، وركب النائب إلى جسر بركة الحبش فى عدة من الأمراء، وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن بعض الجسور.

وفاض النيل من جهة قناطر الأوز، فكتب لوالى الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع

اللؤلؤة[١]، فكثر تقطع الجسور، وتعبت الولاة فى سدها حتى تقطعت جميعها بالوجه القبلى والوجه البحرى. وفسدت الأقصاب، والنيلة والقلقاس، وسائر الزراعات الصيفية، والمخازن.

وفيه قدم الخبر بكثرة الفساد والمجاهرة بالخمور وأنواع الفسوق بدمشق، وقلة حرمة نائبها الأمير طقزدمر الحموى، وتغلب مماليكه وتهكمهم عليه وسوء سيرتهم، فكتب بالإنكار عليه.

واتفق بظاهر القاهرة أمرٌ اعْتُنِى بضبطه، وهو أنه كان بناحية اللوق كوم يعرف بكوم الزل يأوى إليه أهل الفسوق من أوباش العامة، فأخذ بعضهم منه موضعا ليبنى له فيه بيتا، فشرع فى نقل التراب منه، فبينا هو يحفر إذ ظهر له إناء فخار فيه مكاتيب دار كانت فى هذا البقعة، وتدل على أنه كان به أيضًا مسجد، وَرَأَى آثار البنيان. فأشاع بعض شياطين العامة - وكان يقال له شعيب -، أنه رأى فى نومه أن هذا البنيان على قبر بعض الصحابة رضى الله عنهم، وأن من كراماته أنه يقيم المقعد ويرد بصر الأعمى، وصار يصيح ويهلل ويظهر اختلال عقله. فاجتمعت عليه الغوغاء، وأكثروا من الصياح وتناولوا تلك الأرض بالحفر حتى نزلوا فيها نحو قامتين، فإذا مسجد له محراب. فزاد نشاطهم، وفرحوا فرحا كبيرًا، وباتوا فى ذكر وتسبيح. وأصبحوا وجمعهم نحو الألف إنسان، فشالوا ذلك الكوم، وساعدهم النساء، حتى إن المرأة كانت تشيل التراب فى مقنعها، وأتاهم الناس من كل أوب[٢]، ورفعوا معهم التراب فى أقبيتهم وعمائمهم، وألقوه فى الكيمان، بحيث تهيأ لهم فى يوم واحد ما لا تفى مدة شهر بنقله.

وحفر شعيب حفرة كبيرة، وزعم أنها موضع الصحابى، فخرج إليه أهل القاهرة ومصر أفواجا، وركب إليه نساء الأمراء والأعيان، فيأخذهن شعيب وينزلهن تلك الحفرة لزيارتها، وما منهن إلا من تدفع الدنانير والدراهم.

وأشاع شعيب أنه أقام الزمْنى، وعَافى المرضى، وردَّ أبصار العميان، فى هذه الحفرة، وصار يأخذ جماعة ممن يظهر أنه من أهل هذه العاهات، وينزل بهم إلى الحفرة، ثم

---

(١) المقصود قنطرة أو سد قرب منظر اللؤلؤة.

(٢) أوب: وجاءوا من كل أوب أى من كل مآب ومستقر، وفى حديث أنس، رضى الله عنه: «فآب إليه ناس»، أى جاءوا إليه من كل ناحية، وجاءوا من كل أوب أى من كل طريق ووجه وناحية، وقال ذو الرمة يصف صائدًا رمى الوحش:

طوى شخصه حتى إذا ما نودفت ... على هيلة من كل أوب نفالها

على هيلة أى على فزع وهول لما مر بها من الصائد مرة بعد أخرى، من كل أوب أمن كل وجه، لأنه لا مكمن لها من كل وجه عن يمينها وعن شمالها ومن خلفها. انظر: لسان العرب ١٦٨.

يخرجهم وهم يسبحون «الله أكبر الله أكبر»، ويزعمون أنهم قد زال ما كان بهم. فافتتن الناس بتلك الحفرة، ونزلت أم السلطان لزيارتها، ولم تبق امرأة مشهورة حتى أتتها وصار للناس هناك مجتمع عظيم، بحيث يسرج به كل ليلة نحو مائتى قنديل، ومن الشموع الموكبية شىء كثير. فقامت القضاة فى ذلك مع الأمير أرغون العلائى والأمير الحاج آل ملك النائب، وقبحوا هذا الفعل، وخوفوا عاقبته، حتى رسم لوالى القاهرة أن يتوجه إلى مكان الحفرة ويكشف أمرها، فإن كان فيها مقبور يحمل إلى مقابر المسلمين ويدفن به سرًا، ثم يعفى الموضع. فلما مضى إليه ثارت به العامة تريد رجمه، وصاحوا عليه بالإنكار الشنيع حتى رماهم الجند بالنشاب، فتفرقوا. وهرب شعيب ورفيقه العجوى، ومازال الحفارون يعملون فى ذلك المكان إلى أن انتهوا فيه إلى سراب حمام، ولم يجدوا هناك قبرا ولا مقبورًا، فطموه بالتراب، وانصرفوا. وقد انحلت عزائم الناس عنه، بعدما فتنوا به، وضلوا ضلالا بعيدًا، وجمع شعيب ورفيقه كثيرًا من المال والثياب شيئا طائلا.

وفيه توجه أيدمر الشمسى لكشف أحوال الكرك.

وفى يوم الأحد سابع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير أصلم، وأبو بكر بن أرغون النائب، وأروم بغا، من تجريدة الكرك بغير إذن، واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات فى أصحابهم وقلة الزاد عندهم. فقبل السلطان عذرهم، ورسم الأمير طقتمر الصلاحى وتمر الموساوى، فى عشرين مقدما من الحلقة وألفى فارس، فساروا خلفه، وهى التجريدة الخامسة.

وفيه قدم البريد من حلب أنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة سنقر وصلاح الدين الدوادار إلى جهة سيس لحرب أهلها من الأرمن؛ لمنعهم الخراج.

تركمان الطاعة، وأغاروا معهم، وأثروا فى أهل سيس آثار قبيحة.

وفيه نودى من قبل الأمير الحاج آل ملك نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلى بهم، فعملوا أنخاخا[1] وحصرا برسم فرشها للصلاة فى الأسواق.

وتوجه السلطان فى هذه الأيام إلى سرياقوس على العادة، ورسم بلعب الرمح بين يديه. فاجتمع غواة لعب الرمح، وحضر طيدمر الملكى، وابن الطرابلسى الرماح، وقطز

---

(١) نخ: نخا: سار سيرًا عنيفًا، والإبل، نخا: زجرها وحثها لتسير، وصوت لها لتبرك، النخ: وهو بساط طويل، جمع نخاخ. انظر المعجم الوسيط.

الشمسى، ومن ضاهاهم، وتكافحوا. فظهر ابن الطرابلسى يومئذ على سائرهم، وأنعم عليه.

وفيها ترك الأمير طقبغا الناصرى إمريته، وتزيَّا بزى الفقراء، فلزمه بحكم الديوان أربعمائة ألف درهم، حمل منها مباشروه ثلاثمائة ألف.

وفيها رسم باستقرار الأمير سيف الدين بن فضل أمير الأمراء فى الإمرية، عوضا عن سليمان بن مهنا، بعد موته.

وفيها كتب بمنع أحمد بن مهنا من القدوم إلى مصر، فردّه نائب الشام من دمشق وعاد إلى أهله. فاتفق أحمد بن مهنا مع فياض على إقامة فتنة.

وفيها تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر الحموى نائب الشام، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازى بالمهر إلى دمشق، فقدمها فى سادس عشر جمادى الآخرة، وقد تلقاه الأمير طقزدمر، فدفع إليه المهر وهو مائة ألف درهم. وعاد الأمير ملكتمر الحجازى من دمشق من غير أن يأخذ لأحد شيئًا هدية، فبعث له الأمير طقزدمر الحموى ألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل. وأنعم عليه السلطان بألفى دينار، وخيول وغيرها.

وفيه قدم الخبر بخروج فياض وآل مهنا عن الطاعة، وإغارتهم على عرب سيف بن فضل، وأخذهم قفلا من بغداد إلى نواحى الرحبة، كان فيه لرجل واحد ما قيمته نحو مائتى ألف دينار، سوى ما لغيره من التجار.

وفيه قدم الخبر بأن سليمان شاه حاكم الأردو جرت بينه وبين أرتنا ملك الروم حرب انتصر فيها أرتنا، وقَتَل عدة من أصحاب سليمان شاه، وغَنم ما معهم، وهزم باقيهم.

وفى مستهل رجب: عاد الأمير جنكلى بن البابا والأمير آقسنقر الناصرى من تجريدة الكرك إلى القاهرة، فأكرمهما السلطان لكثرة بلائهما فى الكرك، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن أنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة، سمع حسها من نصف ميل عن حلب، وهو حس مزعج يرجف القلوب. فهدم من القلعة اثنا وثلاثون برجا سوى البيوت، وهدم من قلعة البيرة[(١)] أكثر من نصفها، وكذلك من قلعة عين تاب[(٢)] وقلعة

---

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١.

(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٣/ ١٧٦.

الراوند وبَهَسْنا[١] وبلاد منبج[٢] وقلعة المسلمين. فخرج أهل حلب إلى ظاهرها، وضربوا الخيم، وغلقت سائر أسواقها، وفى كل ساعة يسمع دوى جديد. ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم، وكشفوا رءوسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة، وهم يضجون بالدعاء والابتهال إلى الله برفع هذا المقت. فأقاموا على ذلك أياما إلى خامس عشريه حتى رفع الله ذلك عنهم، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فكتب بتجديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية.

وقدم الخبر من الكرك بأن العساكر أخذت على طرقها كلها بالاحتفاظ وأخذت أغناما كثيرة لأهلها، وقتلت جماعة من الكركيين. فرسم بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولى، والأمير أرقطاى، والأمير قمارى أستادار، وعشرين أمير طبلخاناه وعشرات، وثلاثين مقدم حلقة، وأنفق السلطان فيهم. فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال فى ألفى فارس، وهى التجريدة السادسة، وتوجه معهم عدة حجارين ونفطية.

وفيه خلع على الأمير طرغاى الطباخى، واستقر فى نيابة طرابلس بعد موت رسغاى السلاح دار، وكتبت أوراق ديوانية بما يلزم رسغاى بحكم الديوان، ويشتمل على ألفى ألف درهم.

وفيه استقر علاء الدين على بن محمد بن الأطروش السقطى فى حسبة دمشق، بعناية الأمير أرغون العلائى، فشنع الناس بسبب ولايته، لجهله بالأمور الشرعية.

وفى أول شعبان: ورد كتاب الناصر أحمد من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر، وأنه إن رُسِم بحضوره حضر، وإن رُسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له فى الملك. وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب، وفى ضمنهما كتب الناصر أحمد إليهما بختمها، وهى تشتمل على معنى ما ذكر فى كتابه. فتوجه إليه الأمير طشتمر طلليه بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئنًا فليسير ما أخذه من المال والخيل وغير ذلك، ويبعث يوسف بن البصارة أيضًا، وإلا هدمت عليه الكرك حجرا حجرا، وأسرّ إلى طلليه أن يتحيل فى القبض على أحمد.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ١/ ٥١٦، ٥١٧.

(٢) انظر معجم البلدان ٥/ ٢٠٥.

وفى مستهل رمضان: فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش، وجلس فيها السلطان وبين يديه جواريه. فأكثر من الإنعام والعطاء، وكان قد اختص بالمملوك بيبغا الصالحى، وأمره وخوله فى نعم جليلة، وزوجه بابنة الأمير أرغون العلائى، وهى أخت السلطان لأمه، وعَمر له حوانيت خارج باب القرافة. وكثر استيلاء الجوارى والخدام على الدولة وعارضوا النائب، وأبطلوا ما أحبوا إبطاله مما يرسم به، حتى صار يقول لمن يطلب شيئًا: «رح إلى الطواشية ينقضى شغلك»، فإذا بلغهم ذلك أهدروا مكانته وردوا أفعاله.

وفى سابعه: توجه الأمير آقسنقر الناصرى لنيابة طرابلس، بعد موت الأمير طوغاى الطباخى، وقد تنكر السلطان له وتغير عليه.

وفى عشريه: رحل محمل الحاج من البركة، وقد قدم من حجاج المغاربة زيادة على عشرة آلاف إنسان، ومن حجاج بلاد التكرور[1] نحو خمسة آلاف نفر، وحج الطواشى عنبر السحرتى لالا السلطان، فى تجمل كثير.

وفيه أعاد الناصر أحمد الأمير طشتمر طلليه بجواب غير طائل، ومن غير أن يجتمع به. وقدم معه وبعده من الكركيين عدة أشخاص، فقرروا مع السلطان مخامرتهم على الناصر أحمد، وطلبوا إقطاعات عديدة لهم ولأصحابهم. فكتب لهم السلطان بها، وأعيدوا بإنعامات جليلة. فقدم الخبر بأن يوسف بن البصارة بعثه الناصر أحمد من الكرك ليحضر إلى مصر، فوجد قتيلا فى أثناء طريقه، واتهم الناصر أحمد أنه بعث من قتله خوفا منه أن ينم عليه لأخيه، وأحاط الناصر أحمد بموجوده، فوجد له أربعة وعشرين ألف دينار، وثلاثين حياصة ذهب، وثلاثين كلفتاه زركش، سوى لؤلؤ وقماش وغير ذلك. فوقع الاتفاق على أن يجرد السلطان إلى الكرك عدة عساكر من مصر والشام.

وفى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدم بالغ ومشايخ الكرك طائعين، فأنعم السلطان عليهم وعادوا فى حادى عشره، ومعهم عدة من المماليك السلطانية ليسلموهم قلعة الكرك.

وفيه رسم بتجريدة سابعة فيها الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى، والأمير كوكاى، وعشرون أمير طبلخاناة، وسته عشر أميرًا. وكتب بخروج عسكر من دمشق، ومعهم منجنيق وزحافات. وحمل السلطان إلى الأمير بيبرس الأحمدى ألفى دينار، وإلى كوكاى

---

(١) بلاد تنسب إلى قبيلة من السودان فى أقصى جنوب المغرب. انظر، معجم البلدان ٣٨/٢.

ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة أربعمائة دينار، ولكل أمير عشره مائتا دينار. وأرسل السلطان أيضًا مع الأمير بيبرس الأحمدى أربعة آلاف دينار لأجل من عساه ينزل من الكرك، وجهزت تشاريف كثيرة. وأقام الأمراء فى طريقهم نحو شهرين، وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر والغنم، ومائتا رأس جاموس ونحو ألفى راجل. فاستعد لهم الناصر أحمد، وجمع الرجال، وأنفق فيهم مالا كثيرًا وجمع الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك، وركب المنجنيق الذى كان بها.

وفيه قدم سليمان ابن مهنا بقوده، فخلع عليه.

وفى مستهل ذى الحجة: عرض السلطان الخيل ليختار فرسا يركبه يوم العيد، وأحضر عشرة من النقاراتية، فدقوا كوساتهم عند العرض. فظن العسكر أنها حربية، فركبوا تحت القلعة، وتجمعت العامة على عادتهم، وغلقت الأسواق. فركب إليهم نقيب الجيش، ولامهم على ركوبهم، وردهم.

وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفا من الفتنة.ولهجت العامة بقولهم: «يا ولد خرا للعيد» وغنوا به فى الأسواق. فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلى يوم العيد خوفا من طائفة تهجم عليه فى الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

وفى هذه الأيام: أعيد ضمان الملعوب من العلاج والصراع واللكلم والسعاة، ونحو ذلك. وأعيد ضمان ابن البطونى، وضمن بزيادة عشرة آلاف درهم.

وفيها قبض بدمشق على الأمير آقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء وسجنوا؛ لميلهم إلى الناصر أحمد.

وفيها اختلت مراكز البريد، فجمع لها ثمانمائة فرس، بعث السلطان منها مائتى فرس، وأخذ من كل أمير مائة أربعة أرؤس، ومن كل أمير طبلخاناة فرسين، ومن كل أمير عشرة فرسا واحدا، وأخذ من الموقعين عدة أفراس.

وفيها نهبت منية السيرج، وذلك أن جماعة من الفقراء المتعبدين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر، وهم معظم أهل المنية، وبالغوا فى الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانيا أسال دمه، ودخل إلى صلاة الجمعة بالجامع. فتجمع النصارى، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة، وضربوهم، فثار المسلمون بهم، فأثخنهم ضربا، ومالوا

على بيوتهم فنهبوها. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير الحاج آل ملك النائب، فبعث الحجاب والوالى، فقبضوا على جماعة كثيرة، وردوا كثيرًا مما نهب، وحملوا الذين قبض عليهم، وفيهم عدة من الأجناد، فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم. وأقامت المنية خرابا وبيوتها مهدمة نحو الشهرين، حتى عاد أهلها إليها.

وفى هذه السنة: نافق عربان الصعيد، واقتتلوا وقطعوا الطريق، فقُتِل بينهم نحو الألفى رجل. فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم، فلم يثبتوا له وفروا منه، فاخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح.

وفيها احتربت الدعاجية[1] والسعديون[2]، فقتل بينهم خلق كثير جدًا، فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحرى، وقتل منهم أعدادًا كثيرة.

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات، فلم يطق الأمير سيف بن فضل ردّه ومنعه، لعجزه عن آل مهنا.

وفيها اشتد الحصار على الكَرك، وضاقت على الناصر أحمد ومن معه لقلة القوت عندهم. وتخلى عنه أهل الكرك، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وعامة بلاد العراق، وبلغ الرغيف ببغداد دينارًا عراقيا، عنه ستة دراهم، والرطل اللحم بدينار ونصف.

وفيها استقر بيبغا ططر فى نيابة غزة، عوضا عن طرنطاى البشمقدار.

وفيها استقر طرنطاى حاجبا بالقاهرة.

وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوى نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر، فلقيهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة. فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه، ففر منه ابن دلغادر إلى جبل، وترك أثقاله فنهبها العسكر، وقتلوا كثيرًا من تركمانه، وظفروا ببعض حرمه، وتبعوه إلى الجبل، وصعدوه. فقاتلهم ابن دلغادر، وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله، وتقنطر عنه يلبغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له، وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب، وتعنيفه على ما فعله.

---

(١) الدعاجية بطن كبير من بنى حميدة بالكرك.

(٢) السعديون من قبائل مصر ويقيمون فى محافظة الشرقية بمصر.

وفيها استقر المكين إبراهيم بن قَزونيَة فى نظر دمشق، عوضا عن التاج ابن الصاحب أمين الملك. واستقر موسى بن التاج إسحاق فى نظر حلب، واستقر زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلة بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصارى الدمشقى، فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن بدر الدين بن الخشاب، وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة.

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها؛ لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحى الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التى فسد بها الأقصاب والزراعات الصيفية. فلما أدرك الشعير هاف من السموم، وهاف كثير من الفول أيضًا وبعض القمح، وتحسن السعر حتى بلغ الأردب درهما، بعد ما كان بعشرة دراهم.

وفيها بلغت زيادة النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المنا القناوى الشافعى، وقاضى قنا، وكان يتصدق فى السنة بألف دينار فى يوم واحد.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن عبد الحق[(1)]، قاضى القضاة الحنفية بديار مصر، وهو مقيم بدمشق.

ومات إبراهيم بن صابر المقدم.

وتوفى المحدث شهاب الدين أحمد بن على بن أيوب بن علوى المستولى، وقد جاوز الثمانين، حدث عن الأبرقوهى، وكان ورعا خيرًا.

---

(١) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين، المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضًا ابن قاضى الحصن: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن (بسورية) فعرف به. وهو سبط عبد الحق بن خلف الواسطى، نسب إليه. أشخص إلى القاهرة من دمشق سنة ٧٢٨هـ فولى قضاء الحنفية بالديار المصرية عشر سنين وعزل، فعاد إلى دمشق، فدرس وأفتى. وتوفى بها . من كتبه «نوازل الوقائع» فى الأخبار و «المنتقى» فى فروع الفقه و«مختصر السنن الكبير للبيهقى» خمس مجلدات. انظر الجواهر المضية ٤٢/١ والدارس ٦٠٦/١ والبداية والنهاية ٢١٢/١٤ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبى، بالقاهرة، حدث عن النجيب، والأبرقوهى، والرشيد بن علان وغيره، ومولده فى رمضان سنة خمس وستين وستمائة.

وتوفى المسند شهاب الدين أحمد بن كشتغدى المعزى.

ومات الأمير آقسنقر السلارى قتلا بحبس الإسكندرية، تنقل فى الخدم إلى أن ولى نيابة صفد ونيابة غزة، ثم نيابة السلطنة بديار مصر.

ومات الأمير ألطنبغا الماردانى وهو فى نيابة حلب، وهو الذى أنشأ جامع الماردانى خارج باب زويلة.

ومات الأمير ألطنبغا العلمى الجاولى، الفقيه الشافعى، الأديب الشاعر، أصله مملوك ابن باخل، ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، فعرف به، وعمله دواداره وهو نائب غزة، ثم تقلبت به الأحوال، حتى مات بدمشق فى ربيع الأول، وشعره جيد.

وتوفى شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ومصر، فى ربيع الأول.

وتوفى علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفى المصرى ناظر الخاص بدمشق، سابع عشرى جمادى الآخرة، عن سبعين سنة بها، وكان كاتب قراسنقر، وله شعر.

ومات الأمير طوغاى الطباخى نائب حلب وطرابلس، فى شهر رمضان.

وتوفى شهاب الدين عبد اللطيف بن عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن أبى العز، المعروف بابن المرحل، الحرانى الأصل، النحوى، بالقاهرة، وقد جاوز الستين.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الكريم فى ربيع الأول، ودفن بالقرافة.

وتوفى المسند المحدث علاء الدين على بن قيران السكرى، ومولده فى سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ومات الأمير عيسى بن فضل الله بن أخى مهنا، ولى إمرة العرب بعد موسى بن مهنا، ثم عزل بسليمان بن مهنا، ومات بالقريتين، ودفن بحمص.

وتوفى تقى الدين محمد بن القطب عبد اللطيف بن الصدر يحيى بن أبى الحسن على ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى، وهو أحد الفقهاء النحاة للقراء.

وتوفى الإمام شمس الدين محمد بن العماد أحمد بن عبد الهادى بن عبد المجيد بن

عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى[1] الحنبلى، فى جمادى الأولى بدمشق، عن تسع وثلاثين سنة.

ومات طغاى بن سوناى بالمشرق، قتلا.

ومات الأمير آقبغا عبد الواحد الأستادار، فى محبسه بالإسكندرية، وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر.

وقتل الشيخ حسن بن دمرداش بن جوبان بن بلك، بتوريز فى رجب، وكان داهية صاحب حيل ومكر، وأفتى عدة كثيرة من المغل.

ومات طغاى بن سوناى. ومن أخباره أنه لما مات أبوه، ووثب بعده على باشا خان بوسعيد، حاربه طغاى حتى قتله، فقتله إبراهيم شاه بن بارنباى، يوم عاشوراء.

* * *

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى، شمس الدين، أبو عبد الله بن قدامة المقدسى الجماعيلى الأصل، ثم الدمشقى الصالحى: حافظ للحديث، عارف بالأدب. يقال له ابن عبد الهادى نسبة إلى جده الأعلى. أخذ عن ابن تيمية والذهبى. صنف ما يزيد عن سبعين كتاب. مات قبل بلوغ الأربعين. من كتبه «العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» و«المحرر». انظر حلاء العينين ٢٢ وبغية الوعاة ١٢/ والدرر الكامنة ٣٣١/٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٢١٠ وشذرات الذهب ١٤١/٦ والدارس ٨٨/٢ ودار الكتب ٥/ ٢٨٩ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

سنة خمس وأربعين وسبعمائة

أهلت والعسكر فى حركة اهتمام بالسفر إلى الكرك، وقد تعين الأمير بغا الفخرى، والأمير قمارى، والأمير طشتمر طلليه، للتوجه بهم. وألزم السلطان كل أمير مائة مقدم ألف بإخراج عشرة مماليك، ولم يوجد فى بيت المال ولا الخزانة ما ينفق عليهم منه، فأخذ مالا من تجار العجم ومن بيت الأمير بكتمر وجماعة آخرين على سبيل القرض، وأنفق فيهم.

وفى يوم السبت مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: خرج المجردون إلى الكرك

وفى رابع عشريه: قدم محمل الحاج، وقد قاسى الحاج فى سفرهم مشقات كبيرة من قلة الماء وغلاء الأسعار، بحيث أبيعت الويبة من الشعير بأربعين درهما عنها ديناران، والويبة الدقيق بخمسون درهما، والرطل البشماط بثلاثة دراهم. وأبيع الأردب القمح فى مكة بمائتى درهم، وبلغ الجمل بمنى إلى أربعمائة وخمسين درهما؛ لقلة الجمال. وكان من أسباب ذلك أن الشريف عجلان بن رميثة خرج إلى جدة، ومنع تجار اليمن من عبور مكة، فعز بها صنف المتجر، وهلك كثير من مشاة الحاج.

وفيه أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها، وكانت أموال الناصر أحمد قد نفدت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه. وأخذ بالغ - وهو أجل ثقاته من الكركيين - فى العمل عليه، وكاتب الأمراء ووعدهم أنه يسلم إليهم الكرك، وسأل الأمان. فكتب إليه عن السلطان أمان، وقدم إلى القاهرة كما تقدم فى السنة الخالية، ومعه مسعود وابن أبى الليث، وهؤلاء أعيان مشايخ الكرك، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضى، وكانت جملة ما طلبه بالغ بمفرده نحو أربعمائة وخمسين ألف درهم فى السنة، وكذلك أصحابه، ثم أعيدوا بعد ما حلفوا، وقد بلغ الناصر أحمد خبرهم، فتحصن بالقلعة، ورفع جسرها، وصاروا هم بالمدينة ومكاتباتهم ترد على العسكر. فلما ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون، لم يكن غير ساعة حتى انهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخلها العسكر أفواجا واستوطنوها، وجدوا فى قتال أهل القلعة عدة أيام، والناس تنزل منها شيئًا بعد شىء، حتى لم يبق مع الناصر أحمد عشرة أنفس، فأقام يرمى بهم على العسكر. وكان

الناصر أحمد قوى الرمى شجاعا، إلى أن جرح فى ثلاثة مواضع. وتمكنت النقابة من البرج، وعلقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع. وكان الأمير سنجر الجاولى قد بالغ أشد مبالغة فى الحصار، وبذل فيه مالا كثيرا، فلما هجم العسكر على الناصر أحمد، فى يوم الإثنين ثانى عشرى صفر، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية، وقد تنكب قوسه وشهر سيفه. فوقفوا وسلموا عليه، فرد عليهم السلام وهو متجهم، وفى وجهه جرح وكتفه يسيل دمًا. فتقدم إليه الأمير أرقطاى والأمير قمارى فى آخرين، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذى كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة، ورتبوا له طعاما، فأقام يومه وليلته، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئًا إلى أن سألوه فى أن يأكل، فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له عثمان، فأتوه به فأكل عند ذلك.

وخرج ابن الأمير بيبغا الشمسى حارس الطير بالبشارة، وعلى يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل يوم السبت ثامن عشريه، فدقت البشائر سبعة أيام. ثم قدم أيضا ابن الأمير قمارى، ثم بعده أرلان ومعه النمجاه.

ثم أخرج الأمير منجك السلاح دار ليلا من القاهرة على النجب؛ لقتل الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل منجك إليه مَن أخرج الشاب من عنده، وخنقه فى ليلة رابع ربيع الأول، وقطع رأسه. وسار منجك من ليلته ولم يعلم الأمراء ولا العسكر بشىء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة بعيدة فقدم منجك بعد ثلاث إلى القلعة ليلا، وقدم الرأس بين يدى السلطان، وكان ضخما مهولا له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته، وبات مرجوفا.

وفيه طُلب الأمير قبلاى الحاجب، ورُسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها، وكتب بعود الأمراء والعساكر، وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك سنتين وشهرًا وثمانية أيام.

وكان جمال الكفاة قد تقدم فى الدولة تقدما زائدا، فإنه ولى الخاص ثم نظر الجيش، فباشرهما جميعا. وتمكن فى أيام السلطان الملك الصالح تمكنا عظيما، سببه أن السلطان اشتد شغفه بجارية مولدة يقال لها اتفاق، كانت تجيد ضرب العود، وأخذته عن عبد على العواد العجمى، فرتبه جمال الكفاة عند السلطان حتى صار يجلس معها عند السلطان.

وكان السلطان يخشى من الأمير أرغون العلائى، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطا

لاتفاق، فأسر ذلك لجمال الكفاة، فصار يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سرًا، فينعم به على اتفاق. وكذلك كان السلطان قد أسر للوزير نجم الدين هواه فى اتفاق، فكان أيضا يحمل إليه فى الباطن الأشياء النفيسة، ولا كما يحمله جمال الكفاة. فعلت رتبة جمال الكفاة، بحيث أن الوزير نجم الدين امتنع عن مباشرة الوزارة ما لم يكن جمال الكفاة يلاحظه. ثم رسم السلطان لجمال الكفاة أن يكون مشير الدولة، وكتب له فى توقيعه الجناب العالى، بعدما امتنع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر من ذلك، وتوحش ما بينهما بسببه. فرسم السلطان أن يكتب له ذلك، فعظمت رتبته، وارتفعت مكانته إلى أن تعدى طوره، وأراد أن ينخلع من زى الكتاب إلى هيئة الأمراء، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف، ولم يبق إلا ذلك. فشق على الأمراء هذا الأمر.

وكان جمال الكفاة قد تنكر عليه الأمير أرغون العلائى، بسبب إقطاع عينه لبعض أصحابه، فأجاب بأن السلطان قد أخرجه، فغضب العلائى وبعث إليه دواداره ومعه حياصة من ذهب، وأمره أن يقول له عنه: «أنت ما بقيت تعطى شيئًا إلا ببرطيل، وهذه الحياطة برطيلك، خذها واقض شغل هذا الرجل» فلم يسمح جمال الكفاة له بالإقطاع، وقام مع السلطان حتى عَرَف العلائى مشافهة بأنه هو الذى أخرج الإقطاع فأسرها العلائى فى نفسه، وأخذ يغرى به النائب الحاج آل ملك والأمراء، فمال معهم الوزير، وصاروا جميعهم واحدا عليه ورتبوا له مهالك ليقتلوه بها، منها أنه يباطن الناصر أحمد ويكاتبه، ويتصرف فى أموال الدولة باختياره، وقد ضيعها كلها، فإنه كان ناظر الجيش ومشير الدولة، وأنه يتحدث مع السلطان فى الأمراء، ويقع فيهم ويثلب أعراضهم عنده. وأخذ الوزير يعلم السلطان والعلائى بأن سائر ما يخبره السلطان به من محبته لاتفاق يخبر به الوزير، ونقل عنه من ذلك أشياء تبين للسلطان صحته. فانحطت بذلك مكانته عند السلطان، ورُسم بقتله بعد أخذ ماله، فقبض عليه فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر، وعلى أولاده وزوجته. وقبض معه على الصفى الحلى موسى كاتب قوصون وناظر البيوت، وعلى الموفق عبد الله بن إبراهيم ناظر الدولة.

ونزل المجدى إلى بيت جمال الكفاة، وأوقع الحوطة عليه بما فيه، ونزل تمر الموساوى فأوقع الحوطة على بيت الصفى، وعنى الوزير بالموفق فلم يعاقب. ونوعت العقوبات لجمال الكفاة والصفى، وضربت أولاد جمال الكفاة وهو يراهم ضربا مبرحا بالمقارع، وعصرت نساؤه ونساء الصفى وأخذت أموالهم. فرفع خالد المقدم قصة للسلطان ذكر فيها أنه إن شد وسطه، وأقيم فى التقدمة، أظهر لهم مالا كثيرًا من مال جمال الكفاة. فطُلب ورسم بشدِّ وسطه، ونزل إليهم، فأظهر لجمال الكفاة بتهديده إياه صندوقا فيه

ما قيمته نحو عشرين ألف دينار خالد، وكان مودعا بعض جيرانه بالمنشية، ولم يظهر له بعد ذلك شىء.

وفيه خلع على الضياء المحتسب، واستقر فى نظر الدولة عوضا عن الموافق، على كره منه لذلك.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة الكرك، فاشتدت العقوبة على جمال الكفاة خشية من الشفاعة فيه، وضرب مائة وعشرين شيبا، وسلم لخالد المقدم فخنقه فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول، ودفن فى يوم الأحد بجوار تربة ابن عبود. فكانت مدة مصادرته أحدا وعشرين يوما، ومدة مباشرته خمس سنين وشهرًا وأيام. وعوقب الصفى موسى عقوبة عظيمة، وعصر فى أصداغه، وضرب بالمقارع حتى أنتن بدنه كله، فلم يمت. وأفرج عن الموفق بواسطة الوزير، وخلع عليه فى اليوم المذكور، واستقر فى نظر الخاص، بعد ما عين العلائى علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور مستوفى الصحبة لنظر الخاص، فلم يتهيأ له لسفره ببلاد الشام.

وفيه خلع على أمين الدين إبراهيم بن يوسف السامرى كاتب طشتمر، واستقر فى نظر الجيش.

وفيه خلع على علم الدين بن مهلول، واستقر فى نظر الدولة عوضا عن الضياء المحتسب، لاستعفائه وعدم تناوله معلوم النظر، وأعيد الضياء المحتسب إلى نظر المارستان.

وفى يوم الخميس سابع عشره: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفيه قدم البريد من حلب باتفاق فياض وابن دلغادر أمير الأبلستين بمحاصرة قلعة طرنده، وأخذها من أرتنا وبها أمواله، ثم سيرهما إلى حلب. وطلب نائب حلب تجريد العسكر إليه، فرسم بتوجه الأمير مكتمر الحجازى، والوزير نجم الدين محمود، والأمير طرنطاى الحاجب، وخمسين مقدما من مقدمى الحلقة، بألف فارس من أجناد الحلقة، وجهزت نفقاتهم، ثم بطلت التجريدة.

وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدام والجوارى، ومن يلوذ بهم ومن يعنون به، فكثرت شكاية الوزير من ذلك. وكتب أوراق بكلف الدولة ومتحصلها، فكانت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم فى السنة، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف درهم. وقرئت الأوراق على السلطان والأمراء، فرسم أن يستقر الحال على ما كان عليه إلى حين وفاة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبَطْل ما استجد بعده،

وأن تقطع توابل الأمراء والكتاب حتى الكماج السميذ. فعمل بذلك شهر واحد، وعادت الرواتب على ما كانت عليه حتى بلغ مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم، بعد ما كانت فى الأيام الناصرية ثلاثة عشر ألف درهم.

وبينا النائب جالس يوما إذ قدم له مرسوم عليه علامة السلطان، براتب لحم وتوابل وكماجتين سميذ، باسم ابن علم الدين. فقال النائب لصاحب المرسوم: «ويلك، أنا نائب السلطان قد قُطعت الكماجة التى لى، فعسى بجاهك تخلص لى كماجة»، وتزايد الأمر فى ذلك، فلم يمكن أحد رفعه.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، وجُهّز معه عدة صناع لعمارة ما انهدم من قلعتها، وإعادة البرج إلى ما كان عليه. ورُسِم أن يخرج معه مائة من مماليك قوصون وبشتاك الذين كان الناصر أحمد أسكنهم بالقلعة بالقاهرة، ورتب لهم الرواتب، وأن يخرج منهم مائتان إلى دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد وحلب. فأخرجوا جميعًا فى يوم واحد، ونساؤهم وأولادهم فى بكاء وعويل، وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها، فكان يومًا شنيعًا.

وقدم الخبر من ماردين[1] بأن فياض بن مهنا فارق ابن دلغادر، وقصد بلاد الشرق ليقوى عزم المغل على أخذ بلاد الشام. فمنعه صاحب ماردين من ذلك، وشفع إلى السلطان فيه أن يرد إليه إقطاعه الذى كان بيده قبل الإمرية، فقبلت شفاعته، وكتب برد إقطاعه المذكور.

وفيه كتب بطلب الأمير سيف بن فضل على البريد.

وفيه قام الأمير ملكتمر الحجازى فى خلاص الصفى موسى كتاب قوصون حتى أفرج عنه، وخلع عليه واستقر فى ديوانه، بعدما أشرف على الهلاك.

وفيه أفرج أيضًا عن أهل الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى واستقر فى الوزارة عوضًا عن جمال الكفاة.

وفى خامس عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد، بطلبه الإعفاء لتوقف الحال.

وفيه قدم الخبر بوفاة حديثة بن مهنا، وأن أخاه فياض بن مهنا سار عن ماردين وكبس سيف بن فضل أمير الملا، فقتل جماعة من أصحابه، ونهب أمواله، وأسر أخاه.

---

(١) قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٣٩/٥.

وفيه تنكر الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى على الأمير آل ملك النائب، بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور أو مرسوم بمرتب ليكتب عليه بالاعتماد ينكره من ذلك، وإذا سأله أحد إقطاعًا أو مرتبًا قال له: «يا ولدى رح إلى باب الستارة أبصر طواشى، أو توصل لبعض المغانى تقضى حاجتك» ودله بعض العامة على موضع تباع فيه الخمر والحشيش، فأحضر أولئك الذين يبيعونهما، وضربهم فى دار النيابة بالقلعة بالمقارع، وشهرهم، وخلع على ذلك العَامِى، وأقامه عنه فى إزالة المنكر، فصار يهجم البيوت لأخذ الخمور منها.

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر: خلع على شجاع الدين غُرْلُو، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن نجم الدين. فمنع شجاع الدين ذلك الرجل العامى من التعرض للناس، وأدبه. فطلبه الأمير الحاج آل الملك النائب، وأنكر عليه منعه له فأحضر ذلك الرجل من الغد رجلا معه جرة خمر، فكشف النائب رأسه وصبها عليه، وحلق لحيته على باب القلعة بحضرة الأمراء، فعابوا عليه ذلك. وأخذ الأمير أرقطاى يلوم الأمير الحاج آل ملك النائب، وينكر عليه، فتفاوضا فى الكلام، وافترقا على غير رضى.

واتفق أن الأمير ملكتمر الحجازى كان مولعًا بالخمر، ويحمل إليه الخمر على الجمال إلى القلعة. فمرت الجمال بالنائب وهو بشباك النيابة، فبعث نقيبًا لينظر أين تدخل، ويأتيه بالجمال. فلما دخلت الجمال بيت الحجازى، وتسلم الشربدار ما عليها، وقد فطن الجمال بالنقيب، تغيب فى داخل البيت، وعرف الأمير ملكتمر الحجازى الخبر فأحضر الأمير ملكتمر النقيب، وضربه ضربًا مؤلما، فقامت قيامة الأمير الحاج آل ملك النائب، وتحدث مع الأمير أرغون العلائى فى الخدمة، وأنكر على الحجازى تعاطيه الخمر. فأتاه الحجازى وفاوضه مفاوضة كثيرة، وقام مغضبًا، والأمير أرغون العلائى ساكت، فلم يعجب النائب من العلائى سكوته، وانفضوا على غير رضى، فطلب النائب الإذن فى سفره إلى الحجاز، فرسم له بذلك ثم منع منه، وترضّاه السلطان حتى رضى وأبطل حركته للحج.

واتفق أن حسن بن الردينى الهجان قتل ليلا فى بيته بسوق الخيل من منسر كبس عليه، وقد خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس، فاتهم ولده بذلك عيسى بن حسن الهجان وبالغًا الأعرج، لعداوة بينهما وبين أبيه، فقبض عليهما إلى النائب، فعراهما وأراد أن يضربهما بالمقارع. فمازالا به حتى أمهلهما أياما عينها، ليكشفوا عن القاتل،

فسعيا بالأمراء حتى أفرج عنهما معارضة للنائب، ومنع من طلبهما. وأنعم على ولد حسن بإقطاع أبيه ووظيفته، فاشتد حنق النائب، وأطلق لسانه بالكلام.

وفيه قدم سيف بن فضل، فأكرمه السلطان، وكتب إلى نائب الشام بالقبض على أحمد بن مهنا إذا قدم عليه. وكان فياض قد بعثه ليأخذ له الأمان من السلطان، فيوم قدم دمشق أمسك هو وابن أخيه، وحبسا بالقلعة ترضية للأمير سيف. فجمع فياض عربه يريد أخذ دمشق، فجرد النائب له عشرة أمراء، فرجع عن مقصده. وبلغ ذلك الأمير آقسنقر الناصرى نائب طرابلس، فشق عليه سجن أحمد بن مهنا، فإنه كتب فيه للسلطان، وأنه ضمن دركه ودرك فياض. فأجيب آقسنقر بقبول شفاعته، ورسم بحضورهما إلى مصر، فاتفق من مكة ما اتفق.

وقدم الخبر بنفاق عربان الوجه القبلى، وقطعهم الطرقات على الناس، وامتداد الفتن بينهم نحو شهرين قُتل فيها خلق عظيم، وأن عرب الفيوم أغار بعضهم على بعض، وذبحوا الأطفل على صدور أمهاتهم، فقتل بينهم قتلى كثيرة. وأخربوا ذات الصفا، ومنعوا الخراج فى الجبال، وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الفيوم، فلم يلتفت أمراء الدولة لذلك؛ لشغلهم بالصيد ونحوه.

وفيه نقل غُرْلُو من ولاية القاهرة إلى سد الدواوين، والدولة فى غاية التوقف. فاستجد غرلوا من الحوادث أن من طلب ولاية، أو شد جهة، يحمل مالاً بحسب وظيفته إلى بيت المال. وعرف غرلو السلطان أن هذا المال كان يحمل للناظر والمباشرين، وأنه تنزّه عن ذلك، وأظهر نهضة وأمانة.

وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العشير ببلاد الشام، وقطعهم الطرقات؛ لقلة حرمة الأمير طقزدمر نائب الشام. فانقطعت طرقات طرابلس وبعلبك، ونهبت بلادهما. وامتدت الفتنة بين العشير زيادة على شهر، قتل فيها خلق كثير. ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة.

وفيه توقفت أحوال القاهرة من جهة الفلوس، وتحسن سعر أكثر المبيعات. وذلك أن المعاملة بالفلوس كانت بالعدد، فكثر فيها الفلوس الخفاق وانتدِب جماعة لشراء النحاس الخلق بدرهمين الرطل، وقصه فلوسًا خفافًا، فبلغ الرطل منها عشرين درهمًا. وصار الرصاص يقطع على هيئة الفلوس، ويخلط بها. وجُلب كثير من فلوس الشام وهى واسعة، فكانت تقطع ست قطع كل منها فلس، إلى أن أفحش ذلك، وكثر التعنت

فيها. فطلب السلطان المحتسب والوالى وأنكر عليهما، فقبضا على كثير من الباعة، وضربوا عدة منهم بالمقارع وشهروهم، فتحسنت الأسعار كلها. فألزم المحتسب سماسرة الغلال ألا يزيدوا فى سعر الغلة شيئًا، فلم يتجاسر أحد منهم أن يزيد شيئًا فى السعر. ثم نودى ألا يؤخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة السلطان، وما عدا ذلك يؤخذ بحساب كل رطل درهمين، ولا يقبل فيه نحاس ولا رصاص. فشريت الفلوس، وأخذ منها ما عليه السكة السلطانية، وتعامل الناس بها عددًا، ووزنوا فى المعاملة الفلوس الخفاف بالرطل على حساب درهمين كل رطل، ففقدت بعد قليل. ثم ألزم الناس بحمل ما عندهم من الفلوس إلى دار الضرب، فضربت فلوسًا جددًا. و لم يكن فى الدولة حاصل يحمل لدار الضرب، كما هى العادة،؛ لتوقف أمرها.

وفيه قدم الأمير جركتمر الحاجب من كشف الغلال، وقد حصل من متوفر غلال العربان ببلاد الشام أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس على العادة.

وفيه قبض على المقدم خالد، ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ لسوء سيرته.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر، وأخوه وابن عمه، بكتابه، وأنعم عليه بزيادة من أراضى حلب.

وفى نصف شعبان: قدمت الحرة، أخت صاحب الغرب فى جماعة كثيرة، وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام، وأن يدعوا لها الخطباء فى يوم الجمعة فى خطبهم، ومشايخ الصلاح وأهل الخير، بالنصر على عدوهم، وأن يكتب لأهل الحرمين بذلك. وذلك أن فى السنة الخالية كات بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة، قتل فيها ولده، ونصره الله بمنه على العدو، وقتل كثيرًا منهم، وملك منهم الجزيرة الخضراء. فعمر الفرنج مائتى شينى، وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين بالجزيرة، وأوقعوا بهم عى حين غفلة. فاستشهد عالم كبير، ونجا أبو الحسن فى طائفة من ألزامه بعد شدائد. وملك الفرنج الجزيرة، وأسروا وسبوا وغنموا شيئًا يجل وصفه، ثم مضوا إلى جهة غرناطة، ونصبوا عليها مائة منجنيق، حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها، وتهادنوا مدة عشر سنين.

وقدمت رسل البنادقة من الفرنج بهدية، وسألوا الرفق بهم والمنع من ظلمهم، وألا يؤخذ منهم إلا ما جرت به عادتهم، وأن يمكنوا من بيع بضائعهم على من يختارونه.

فرسم لناظر الخاص ألا يتعرض لبضائعهم، ولا يأخذ منها شيئًا إلا بقيمته، ولا يلزمهم بشراء ما لا يختارون شراءه، وأن يأخذ منهم على كل مائة دينار ديناران - وكانوا يؤدون عن المائة أربعة دنانير ونصف دينار - ليكثر الفرنج من بلادهم جلب البضائع.

وفى مستهل شهر رمضان: توقفت أحوال الدولة فى كل شىء، وعجز الوزير عن لحم المعاملين[١] وجوامك المماليك وسكرهم الجارى به العادة فى شهر رمضان. وكان السكر الجارى فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون ألف قنطار، فبلغ فى هذا الشهر ثلاثة آلاف قنطار ونيف، ولم يوجد فى بيت المال شىء لكثرة الزيادات فى الرواتب. وعز وجود السكر لتلاف القصب فيما مضى، فرسم بقطع راتب الأمراء والمماليك وأرباب الوظائف كلهم، ولم يصرف سكر إلا لنساء السلطان فقط.

وكتبت أوراق بكلف الدولة، فمنع جميع ما استجد بعد السلطان الناصر محمد وكتب بذلك مرسوم سلطانى، فتوفر فى كل يوم أربعة آلاف رطل لحم، وستمائة كماج سميذ، وثلاثمائة أردب شعير، وفى كل شهر مبلغ ألف درهم، وفى السنة عدة كساوى. وأضيف سوق الخيل والجمال والحمير إلى الدولة، وعُوض مقطعوها بأرض سيلا من أعمال الفيوم، وبناحية سنديون من القليوبية، وبناحية فيشة من الغربية، خلا ما هو فيها لقضاة القضاة، عوضًا عما كان لهم على الجوالى.

وفى هذا الشهر: خلع على تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراحل، واستقر فى نظر دمشق. وكان قد طلب إلى مصر، عوضًا عن المكين إبراهيم ابن قروينة باستعفائه.

وفيه كتب بنقل ناصر الدين محمد بن المحسنى من طرابلس إلى دمشق، واستقراره فى وظيفة الشد رفيقًا لابن مراحل. فضبطا الجهات ضبطًا كبيرا، وقطعا من موقعى دمشق نحو العشرين قد استجدوا، ومنهم ابن الزملكانى، وابن غانم، وابن الشهاب محمود وأولاده، وجمال الدين بن نباتة المصرى[٢] وقطعا كثيرًا من البريدية، وحملا كسوة

---

(١) على هامش ط: المقصود هنا أرباب المعاملات التجارية الذين يمدون المطبخ السلطانى بمختلف الحوائج والمواد الغذائية.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباته: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة. سكن الشام سنة ٧١٥ هـ وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها. رجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ. له ديوان شعر و «سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع=

المماليك على العادة، وهى ألفا ثوب بعلبكى سوى البطائن وغيرها.

وفيه مات بدوه الططرى، ففُرِّق إقطاعه على ثمانين من المماليك السلطانية ووفرت جوامكهم ورواتبهم، وأخرج عدة منهم إلى الكرك.

وفيه رُسم بعرض أجناد الحلقة على النائب، ليوفر منهم إقطاع الشيخ العاجز والجندى المستجد. فطُلب الأجناد من الأقاليم، ونودى من تأخر عن العرض قطع خبزه؛ فقام الأمراء فى ذلك حتى بطل.

وفى يوم الخميس تاسع عشريه: أفرج عن الأمير بيغرا، وعن الأمير قراجا والأمير أولاجا، من سجن الإسكندرية؛ وتوجهوا إلى دمشق. ثم رُسم لبيغرا بالإقامة بالقاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفيه رُسم أن تكون نفقة المماليك والأوجاقية والأيتام بين يدى الطواشى المقدم فوفَّر منهم عدة.

وفيه أنعم على الأمير طرنطاى البشمقدار بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجاولى، بعد موته.

وفيه أنعم بإقطاع طرنطاى على الأمير بيبغا ططر نائب غزة، ورسم بحضوره.

وفيه خلع على الأمير علم الدين أيدمر الزراق، واستقر فى نيابة غزة؛ وأنعم بإقطاعه على ابن بكتمر الساقى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير ألطنقش، بعد موته، على أرغون الصغير صهر أرغون العلائى.

وفيه توجه ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير طيبغا المجدى.

وفى مستهل ذى القعدة: قدمت خوند بنت الأمير طقزدمر نائب الشام، وزوجة السلطان الصالح إسماعيل، فدخل عليها.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: عزل الضيَّاء أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد ابن خطيب بيت الآبار الشامى، من نظر المارستان المنصورى؛ واستقر عوضه علاء الدين بن الأطروش.

وفى يوم السابع من ذى الحجة: انفرد العلم بن سهلول بوظيفة نظر الدولة، بعد ما التزم بحمل ألف دينار لبيت المال.

=المطوق». انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٢٢ وابن إياس ١/ ٢٢١ والدرر الكامنة ٤/ ٢١٦ والنجوم الزاهرة ٩٥/١١ والوافى ٣١١/١ والفهرس التمهيدى ٢٨٠ وطبقات الشافعية ٣١/٦ والأعلام ٧/ ٣٩.

وفيه عزل موسى بن التاج إسحاق، لتوقف حال الدولة، وكثرة تقلقه وكراهة الناس له، لظلمه وتغييره قواعد كثيرة.

وفيه قدم كتاب التاج محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنباى موقع طرابلس بحدوث سيل عظيم، لم يعهد مثله فيما تقدم.

وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة، وأنفقوا على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم، فإنه أقام يسقط أسبوعين.

وفيها زاد عاصفة حتى خرب عدة بيوت. وفيها تواتر سقوط البرد بأرض مصر، مع ريح سوداء، وشعث عظيم، وبرق ورعد سهول. ثم أعقب ذلك سمائم شديدة الحر، بحيث تطاير منها شرر أحرق رءوس الأشجار، وزريعة الباذنجان وبعض الكتان، حتى اشتد خوف الناس، وضجوا إلى الله تعالى. وجاء مطر غزير، ثم برَد فيه يبس لم يعهد مثله، فكانت أراضى النواحى تصبح بيضاء من كثرة الجليد؛ وهلك من شدة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها. وأمطرت السماء خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء فى مزارع القصب قدر ذراع، وعم ذلك أرض مصر قبليها وبحريها، ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة، وقلت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط، والخلجان وبركة الفيل وغيرها، لموتها من البرد.

فتلفت فى هذه السنة بعامة أرض مصر وجميع بلاد الشام بالأمطار والثلوج والبرد، وهبوب السمائم وشدة البرد، من الزروع والأشجار، والبائهم والأنعام والدور، ما لا يدخل تحت حصر، مع ما ابتلى به أهل الشام من تجريد عساكرها وتسخير أهل الضياع وتسلط العربان والعشير، وقلة حرمة السلطنة مصرًا وشامًا، وقطع الأرزاق وظلم الرعية.

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعًا وسبعة عشر إصبعًا.

وفيه قدم سيف الدين بلطوا مبشرًا بسلامة الحجاج، فى خامس عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى فى شعبان، ببرشانة من الأندلس؛ قدم القاهرة، وأخذ عن جماعة، وولى ببلده قضاء عدة مواضع.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق جلال الدين أحمد بن الحمام أبى الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى، عن بضع وسبعين سنة بدمشق.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش، فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة، وكان مشكورًا.

ومات الأمير علم الدين سنجر الجاولى الفقيه الشافعى، فى يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش؛ أصله من مماليك جاول أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان المنصور قلاوون. وأخرج فى أيام الأشرف خليل إلى الكرك، فاستقر فى بحريتها. وقدم فى أيام السلطان العادل كتبغا إلى مصر بحال زرى، فسلمه كتبغا إلى مملوكه بتخاص، ليكون نائبه بالحوائج خاناه؛ وتنقل حتى قدمه الأمير سلار وقربه، ثم ولى نيابة غزة، وصار من أكبر أمراء مصر. وله مدرسة على جبل الكبش بجوار جامع ابن طولون، وجامع بقرية الخليل عليه السلام، وجامع بغزة، ومارستان وخان ببيان، وخان بقاقون؛ وله مصنفات وفضائل كثيرة.

ومات الأمير طقصبا الظاهرى، وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

ومات الأمير ألطنقش أستادار السلطان الناصر محمد، وهو من مماليك الأفرم. فلما توجه الأفرم إلى بلاد التتار قدم هو إلى القاهرة، فقبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرية طبلخاناه. ثم عُمل أستادارًا صغيرًا، مع أستادارية آنوك ابن السلطان الناصر محمد.

ومات الأمير أرغون عبد الله.

ومات الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصرى، بطرابلس؛ ولى نيابة الإسكندرية، وكشفت الجيزة، ثم دوادارية السلطان الناصر محمد، وكان كاتبا شاعرا ضابطا.

ومات الأمير سنجر الجقدار أحد المماليك المنصورية، وقد أسنَّ.

ومات محمد شرف الدين الردينى الهجان، قتلا.

ومات الأمير طرنطاى المحمدى بدمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وممن جملة من وافق على قتل الأشرف خليل. وسجن سبعًا وعشرين سنة، ثم أخرج إلى طرابلس أمير عشرة، ثم نقل إلى دمشق.

ومات الأمير بكتمر العلائى أحد المنصورية أيضًا، بعدما وُلى أستادارًا ونائب حمص، ونائب غزة، ثم نائب حمص، وبها مات.

ومات الأمير كندغدى الزراق المنصورى بحلب؛ وهو رأس الميسرة، ومقدم العساكر المجردة إلى سيس.

ومات الأمير بلبان الشمسى أحد المنصورية، بحلب.

ومات فتح الدين صدقة الشرابينى، عن مال ومعروف كثير، فى يوم الأحد ثانى شوال.

ومات جمال الكفاة إبراهيم مشير الدولة وناظر الخاص والجيش، تحت العقوبة فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول. وكان أولا يباشر فى بعض البساتين على بيع ثمرته، وتنقل فى خدمة ابن هلال الدولة. ثم خدم بيدمر البدرى - وهو خاصكى خبزه فى محلة منوف - يكتب على باب إلى أن تأمر، فباشر عنده ثم قرره السلطان الملك الناصر محمد فى الاستيفاء، ثم أقامه فى ديوان الأمير بشتاك بعد موت المهذب إلى أن قتل النشو، فولاه نظر الخاص بعده. ثم أضاف إليه السلطان الناصر محمد نظر الجيش، عوضا عن المكين إبراهيم، فنهض بهما. ولاحظته السعود حتى انقضت أيامه، فزال سعده، وعوقب حتى هلك. وكان يتحدث بالتركى والنوبى والتكرورى وله مكارم كثيرة.

ومات خالد بن الزراد المقدم، فى يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، تحت العقوبة؛ وكان ظالما.

وتوفى شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان المعروف بابن النقيب الشافعى[1]، قاضى القضاة بحلب، وهو معزول بدمشق، عن نيف وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ أثر الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى[2]، إمام وقته فى النحو والقراءات والأداب فى ثامن عشرى صفر.

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى إلى حلب.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين بن النقيب: مفسر، من قضاة الشافعية، دمشقى. ولى الحكم بحمص وطرابلس ثم بحلب، ودرس وتوفى بدمشق. له «عدة السالك وعدة الناسك» و«مقدمة فى التفسير». انظر السعادة ٤٤٣/١ والدرر الكامنة ٣/ ٣٩٨ وطبقات السبكى ٤٤/٦ والأعلام ٦/ ٥٥.

(٢) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى الأندلسى الجيانى النفزى، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد فى إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه فى حياته وقرئت عليه من كتبه «البحر المحيط» فى تفسير القرآن، و«مجانى العصر» فى تراجم رجال عصره. انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ وبغية الوعاة ١٢١ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢ ونكت الهميان ٢٨٠ وفهرس الفهارس ١٠٨/١ وغاية النهاية ٢/ ٢٨٥ ونفح الطيب ١/ ٥٩٨ وشذارت الذهب ٦/ ١٤٥ والنجوم الزاهرة ١١١/١٠ وطبقات السبكى ٦/ ٣١ والأعلام ١٥٢/٧.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده[١].

وفى يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفى هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدواداری.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فأر السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخَلَّد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات، ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات[٢] ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، فضُربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوُسِّطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١/١٠٥.

وفى مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر: فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالاً من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفى نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية (١).

وفيه طلب الأمير مغلطاى أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون مرتبها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة

---

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطانى.

آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاى أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاقق الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصىّ.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاى أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت [١] زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة.

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق [٢] ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانًا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما

---

(١) صَهْرَجْتُ: قريتان بمصر متاخمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبين بنها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

أقام أربعين يوما مريضًا، تَصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأَفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشىء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضًا.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخبّ أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ فى ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك فى إبطالها، وطلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطعوا أكمام النساء، ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شىء مما منع أحرق بها وأخذ ما عليها.

واشتدّ الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على سور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهابًا لهنّ وتخويفًا.

وطُلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودى من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وأنكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهمًا فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الزرعى فى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثى ذراع، وبقى على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضاع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.

ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يُلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث [١].

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النسائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعدما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم

---

(١) وكان: عالما فى القراءات، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

ولى نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات[١].

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى [٢] نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول[٣]. رباه السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جَفيفا [٤] قوى النفس شرس الأخلاق، مهابا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا فحاشا كثير المال [٥]. وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى [٦].

ومات الأمير أرقطاى المنصورى [٧]، بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأُقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجُرِّد إلى أياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طُلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة [٨].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٩١/١٠.

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبدالله الناصرى.

(٣) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٩١/١٠.

(٤) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى النفس» ١٩١/١٠ انظر محيط المحيط.

(٥) زاد فى النجوم «والحشم» ١٩١/١٠.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٩١/١٠، ١٩٢.

(٧) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاى بن عبدالله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٨) انظر النجوم الزاهرة ١٩٢/١٠.

ومات الأمير ألجيبغا المظفرى (١) نائب طرابلس، موسطا بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضًا الأمير أياس (٢)، وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد ابن قلاون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق، ثم نائبا بصفد، ثم نائبا بحلب، ثم أميرًا بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره (٣).

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى (٤)، بعد ما عمى.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصْفُونى الشافعى، بمنى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره (٥).

وتوفىّ قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى (٦)، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة.

---

(١) هو الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبدا لله المظفرى .

(٢) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبدا لله الناصرى .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢، ١٩٣.

(٤) هو الأمير طُقْتُمر بن عبدا لله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٦) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، ووالد الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبدا لله، وعم العلامة محمد بن أحمد . وكان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لُغَويا . أفتى ودرس واشتغل وألف وصنف، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر . وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم العقلية والفقه أيضا والحديث، وتصدى للإقراء عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته ودام قاضيا إلى أن مات . وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبدا لله. ومن مصنفاته - رحمه الله - كتاب «بهجة الآريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب»، و«المنتخب فى علوم الحديث» «المؤتلف والمختلف» و«الضعفاء والمتروكون» و«الدرا النقى فى الرد على البيهقى» وهو جليل فى معناه. يدل على علم غزير، واطلاع كثير و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أحوال الفقه» و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها . انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٣، ١٩٤.

وله كتاب الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره، ولـه شعر، وكـان النـاصر محمـد بـن قلاوون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزين أبى البركات بن عثمان بـن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيـد صـاحب حمـاة، فبعثـه إلى النـاصر محمد بن قلاوون، وترقى صار مـن جملـة الأمـراء. ثـم ولى نيابـة حمـاة، ونقـل إلى نيابـة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيىء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكـر بـن أبـى بكـر بـن عيسـى بـن بـدران السـعدى الأخنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر (١).

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركـت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلـة مـن القلعـة بخمسـمائة ألـف درهـم، مـن جملتـه فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمـراء، فخـدم بعـده أمـير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صـودر ولـزم بيتـه، وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة (٢).

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبـد الواحـد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السـلطان أبـو الحسـن علـى بـن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فـاس، ومَلَـكَ تونـس وإفريقية، ثـم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العبـاس الفضـل؛ فقـام أبـو العباس المذكور ومَلَكَ تونس مُلك أبيه.

* * *

---

(١) وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى . وحسنت سـيرته. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

المحتويات

السُّلُوك

لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر

العُبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الرابع

سنة ٧٤٦هـ - ٧٧٧هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت _ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ست وأربعين وسبعمائة

فى المحرم: قدم كتاب أرتنا يتضمن اتضاع أمر أولاد دمرادش، ويغض من نائب حلب على ما فعله مع ابن دلغادر.

وفى عشريه: قدم محمل الحاج، فتحرك عزم السلطان للحج، وكتب إلى بلاد الشامية بابتياع ستة آلاف جمل وألفى رأس غنم، وجميع ما يحتاج إليه من العبى والأقتاب[1] ونحو ذلك. وتوجه الأمير طقتمر الصلاحى بسبب ذلك، وكتب إلى الكرك والبلقاء بحضور العربان بجمالهم، وأن يحمل إلى عقبة أيلة ألفا غرارة شعير، وما يناسب ذلك من الأصناف.

فقدمت طائفة من العربان، وقبضوا مالاً ليجهزوا جمالهم، إلى أن أهلّ ربيع الآخر تغير مزاج السلطان، ولزم الفراش؛ فلم يخرج للخدمة أيامًا. وكثرت القالة، وتعنت العامة فى الفلوس، وتحسن السعر.

وأرجف بالسلطان، فغلقت الأسواق، حتى ركب الوالى والمحتسب وضربوا جماعة وشهروهم. فاجتمع الأمراء، ودخلوا على السلطان، وتلطفوا به حتى أبطل الحركة للحج؛ وكتب بعود طقتمر من الشام، واستعادة المال من العربان. وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان، واتفق مع عدة من المماليك؛ وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء. فكتب بالإفراج عن المسجونين بالأعمال، وفرقت صدقات كثيرة ورتب جماعة لقراءة صحيح البخارى؛ فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على الأمير الحاج آل ملك النائب، فتحرز منه.

وأخذ الأمراء والأكابر فى توزيع أموالهم وحرمهم فى عدة مواضع، ودخلوا على السلطان، وسألوه أن يعهد إلى أحد من إخوته. فطلب الأمير الحاج آل ملك النائب وبقية الأمراء، فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد اتفق الأمير أرغون العلائى مع جماعة على إقامة شعبان، فرق فيهم مالا كثيرا، فإنه كان ربيبه، اى ابن زوجته، وشقيق السلطان الصالح إسماعيل. وقام مع الأمير أرغون من الأمراء غرلو، وتمر الموساوى؛ وامتنع الأمير الحاج آل ملك النائب من إقامة شعبان. وصار الأمراء حزبين، فقام النائب فى الإنكار على الكلام فى هذا، وقد اجتمع

---

(١) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير، جمع أقتاب انظر المعجم الوسيط (قتب).

مع الأمراء بباب القلعة، وقبض على غرلو وسجنه، وتحالف هو والأمير أرغـون العلائى وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

وتوفى السلطان فى ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، فكتم موته. وقام شعبان إلى أمه، ومنع من إشاعة موت أخيه، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره. فخرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلى بغا، ليسعوا عند الأمير أرقطاى والأمير أصلم.

وكان الأمير الحاج آل ملك النائب والأمراء قد علموا من بعد العصر أن السلطان فى النزع، فاتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالمدينة. فدخل الجماعة على أرقطاى ليستميلوه لشعبان، فوعدهم بذلك، ثم دخلوا على أصلم أجابهم، وعادوا إلى شعبان وقد ظنوا أن أمرهم قد تم.

فلما أصبح يوم الخميس خرج الأمير أرغون العلائى، والأمير ملكتمر الحجازى، والأمير تمر الموساوى، والأمير طشتمر طلليه، والأمير منكلى بغا الفخرى، والأمير أسندمر. وجلسوا بباب القلة، فأتاهم الأميران أرقطاى وأصلم، والوزير نجم الدين محمود، والأمير قمارى أستادر؛ وطلبوا الأمير الحاج آل ملك النائب، فلم يحضر إليهم؛ فمضوا كلهم إلى عنده، واستدعوا الأمير جنكلى بن البابا، واشتوروا فيمن يولونه السلطنة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى المماليك السلطانية، ويسألهم من يختارونه، «فإن من اختاروه رضيناه» فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا، فقاموا جميعا ومعهم الأمير الحاج آل ملك النائب إلى داخل باب القلة.

وكان شعبان قد تخيل من دخولهم عليه، وجمع المماليك، وقال: «من دخل قتلته بسيفى هذا، وانا أجلس على الكرسى حتى أبصر من يقيمنى عنه» فسير الأمير أرغون العلائى إليه، وبشره وطيب خاطره. ودخل الأمراء عليه، وسلطنوه وانقضت أيام الصالح.

وكان السلطان الصالح[1] فى ابتداء دولته على دين وعفاف، إلا أنه كان فى أيامه ما ذكر من قطع الأرزاق، وكثرة حركة عساكر مصر والشام فى التجاريد. وشغف السلطان الصالح مع ذلك بالجوارى السود، وأفرط فى حب اتفاق، وأسرف فى العطاء

---

(١) (السلطان الصالح) هو إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، والملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد سنة ٧٤٣ هـ. انظر بدائع الزهور ١/ ١٨١ وروض المناظر -خ - والبداية والنهاية ٤: ٢٠٢ - ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١/ ٧٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٨ والأعلام ١/٣٢٤.

لها؛ وقرب أرباب الملاهى، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين، حتى إنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس[١] أو سرحة الأهرام ركبت أمه فى مائتى امرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغارى المرصع بالجواهر واللآلى، وبين أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير، ويلعبن بالكرة، وكانت لهن فى المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال لا يمكن حكايتها؛ وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم.

واستولى الخدام الطواشية فى أيامه على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتى اللالا فى السلطان؛ وركبوا الخيول الرائعة، ولبسوا الثياب الفاخرة، وأخذوا من الأراضى عدة رزق. واقتنى السحرتى البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة؛ واتخذ له كفًا مرصعا بالجوهر، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب فى خدمته، حتى ثقل أمره، فإنه أكثر من شراء الأملاك، والتجارة فى البضائع، وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة، وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا أو رزقة يقول له: «النائب ما له حكم، رح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشى فلان الدين والطواشى فلان الدين يقضوا لك حاجتك».

وكان متحصل الدولة مع هذا كله فى أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلا، ومصروف العمارة لا يزال جملة مستكثرة فى كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها، ثم عمل فيها من أوانى الذهب والفضة ومن الفرش ما يجل وصفه؛ ومنذ فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد، لشغفه بالغناء والجوارى، سيما اتفاق. ولما ولدت منه اتفاق ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه، حتى بلغ الغاية التى لا توصف عظمة.

وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة. ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك[٢] بعد قتله بها، فلما قدم بين يديه ورآه

---

(١) سرياقوس بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٩.

(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢، معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.

بعد غسله، اهتز وتغير لونه وذعر، حتى إنه بات ليلته يراه فى نومه، ويفرغ فزعا شديدا.

وتعلل السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد، وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المفزعة، وتمادى مرضه وكثر إرجافه، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، فى ليلة الجمعة.

وكان السلطان الصالح إسماعيل رقيق القلب، زائد الرأفة والشفقة، كريما جوادا، مائلا إلى الخير. وبلغ من العمر نحو العشرين سنة، منها مدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأحد عشر يوما.

* * *

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى(١)

لما اشتد مرض أخيه شقيقه السلطان الملك الصالح عماد الدين، ودخل، عليه الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء، ليعهد بالسلطنة من بعده إلى أحد، كان الأمير أرغون العلائى غرضه فى أن يعهد لشعبان، من أجل أن أمه كانت زوجته. فلم يجب الأمير آل ملك النائب وجماعة من الأمراء إلى الدخول على السلطان الصالح إسماعيل كراهة منهم فى شعبان، لما كان قد اشتهر عنه من المظالم. فقال الصالح إسماعيل بعدما بكى وأبكى الأمراء: «سلموا على النائب والأمراء، وعرفوهم أنى إن مت يولوا أخى شعبان» فلما مات الصالح، واقتضى رأى الأمراء أن يعرفوا رأى المماليك السلطانية، وكان جوابهم إقامة شعبان، حضر الأمراء إلى باب القلة، واستدعوا شعبان، وأركبوه بشعار السلطنة، ومشوا فى ركابه، والجاويشية تصيح على العادة، حتى إذا قرب من الإيوان لعب الفرس تحته وجَفَل من تصايح الناس، فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع الإيوان؛ فتفاءل الناس عن فرسه أنه لا يقيم فى السلطنة إلا يسيرا.

ولما طلع السلطان شعبان الإيوان والأمراء بين يديه، جلس على كرسى السلطنة وباس الأمراء له الأرض، وأحضروا المصحف ليحلفوا، فحلف لهم أولا أنه لا يؤذيهم، ثم حلفوا بعده؛ وذلك فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين وسبعمائة.

---

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى. انظر الدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبداية والنهاية ٤/ ٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

ولقب بالملك الكامل، ودقت البشائر، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر، وخطب له فى الغد على منابر ديار مصر، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرا وشاما.

وفى يوم الإثنين ثامنه: جلس السلطان شعبان بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء، وخلع على الخليفة والأمراء والقضاة.

وفيه كتب بطلب الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس[١]، فسأل الأمير قمارى الأستادار أن يستقر عوضه فى نيابة طرابلس، وتشفع بالأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى. فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس حادى عشره، وخرج من فوره على البريد.

وفيه خلع على الأمير أرقطاى، واستقر فى نيابة حلب[٢] عوضا عن يلبغا اليحياوى، وخرج على البريد.

وفيه طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء من نيابة السلطنة، وقبل الأرض، وسأل نيابة الشام، عوضا عن الأمير طقزدمر، وأن ينقل طقزدمر إلى مصر فأجيب ذلك، وكتب بإحضار طقزدمر.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع على الأمير الحاج آل ملك النائب، واستقر فى نيابة الشام عوضا عن طقزدمر. وأخرج من يومه على البريد، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، وأن يكون ولده وابن أخيه الفارس بحلب. وسبب ذلك أن الأمير أرغون العلائى لما قام فى سلطنة شعبان هذا، قال له الأمير الحاج آل ملك: «بشرط ألا يلعب بالحمام»؛ فلما بلغ السلطان شعبان ذلك نقم عليه.

وفيه رسم بطلب شجاع الدين غرلو من دمياط[٣]، فقدم فى يومه. وخلع عليه شاد الدواوين. فنزل غرلو إلى دار الولاية، وقبض بيده على أطواق الأمير جمال الدين يوسف

---

(١) طرابلس: من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر. وهو من حجر جليل وقيل وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. وطرابلس أيضًا مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٨٩، ٣٩٠ والاستبصار ١١٠ والإدريسى ١٢١/ ٨٩ ونزهة المشتاق ١١٧ ومعجم البلدان ٤/ ٢٥.

(٢) حلب: مدينة بالشام بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلا، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض. انظر صبح الأعشى ٤/ ١١٦ والروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٦، ١٩٧ ومعجم البلدان ٢/ ٢٨٢.

(٣) دمياط مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم المالح والنيل. انظر معجم البلدان ٢٠/ ٤٧٢.

والى القاهرة، وأقامه من مجلس حكمه، وأخرجه من داره، وأركبه حمارا إلى القلعة. وسبب ذلك أنه لما قبض على غرلو تقدم يوسف هذا وأمسك سيفه، وقطعه من وسطه، فكافأه غرلو على ذلك. وقبض غرلو معه على ابن أخيه والى الجيزة، فما زالا يحملان المال حتى بلغ حملها خمسين ألف درهم، سوى عدد سلاح وغير ذلك، فأفرج عنهما بعد أيام، وبعد شفاعة جماعة من الأمراء.

وفيه كتب بنقل الأمير يلبغا اليحياوى من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، فدخلها يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى، وباشر نيابتها.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان بعرض أحوال الدولة للنظر فى تدبيرها فترك ما استجد من المصروف فى العمائر بالقلعة والقاهرة، ورسم أن تسلم الأغنام التى استجدها أخوه الملك الصالح لجماعة المتعاملين فى اللحم وبتثمينها عليهم، فكانت عدتها تسعة عشر ألف رأس ونيف؛ وضبط السلطان أحوال المملكة.

وفيه رسم بسفر الأمير طرنطاى البشمقدار نائبا بحمص، وأنعم بتقدمته على بيبغا ططر.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرقطاى المستقر فى نيابة حلب على أرغون شاه، وخلع عليه، واستقر أستادار عوضا عن قمارى المستقر فى نيابة طرابلس.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه هو وإخوته إلى صفد، من أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير الحاج آل ملك النائب وقمارى الأستادار فى منع شعبان من السلطنة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن الموفق عبد الله بن إبراهيم وخلع على كاتبه فخر الدين بن السعيد، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة؛ وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى ترك بغير مصادرة.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام بالمال الذى فرق على العرب، وبسبب حمل الغلال إلى مكة، وهو مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه رسم بعزل تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراجل من نظر درهم، واستقر عوضه بهاء الدين بن أبو بكر بن شكر.

وفيه قدم الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس، وخلع عليه؛ وسئل نيابة السلطنة بديار مصر، فامتنع أشد الامتناع، وحلف أيمانًا مغلظة ألا يليها.

وفيه خطب السلطان الكامل شعبان ابنة الأمير بكتمر الساقى، فامتنعت أمها من إجابته، واحتجت عليه بأن أختها تحته، ولا يجمع بين أختين، وأنه بتقدير أن يفارقها، فإنه شغف باتفاق حظية أخيه الصالح إسماعيل شغفًا زائدًا. ثم قالت أمها: «ومع ذلك فقد تغير حال المخطوبة من شدة الحزن، فإن أول من أعرس عليها آنوك بن السلطان الناصر محمد، فمات عنها وهى بكر لم يمسها؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر، وقُتل؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل، ومات عنها أيضًا؛ فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزوج فى مدة يسيرة». فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذه الكلام، وطلق أختها، وأخرج جميع ما كان لها فى ليلته، ثم عقد عليها ودخل بها.

وفيه كتب بالإفراج عن أحمد بن مهنا، وعن أبن أخيه سليمان من قلعة دمشق.

وفيه أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بتقدمة ألف، وعلى ابن أصلم بإمرية طبلخاناه.

وفى مستهل جمادى الأولى: خلع السلطان الكامل شعبان على الأمراء المقدمين والطبلخاناه، وأنعم على ستين مملوك بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب؛ وفرق الخيول على الأمراء برسم الميدان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا وابن أخيه، فخلع عليهما، وأعيد أحمد إلى إمرية العرب فقدم حاجب سيف بن فضل يخبر بأنه وصل إلى غزة بقوده؛ فكتب بقدومه سريعا، فقدم ومعه مائة فرس مثمنة سوى الهجن وغيرها. فخلع عليه، و لم ينعم له بالإمرية، ولا أنصف فى أثمان خيوله.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان أن يتوفر إقطاع النيابة للخاص.

وفيه خلع السلطان على الأمير بيغرا، واستقر حاجبًا كبيرًا ليحكم بين الناس. ورسم له السلطان أن يجلس بين يديه موقعين لكتابة الكتب للولاة، وهما رضى الدين بن الموصلى وابن عبد الظاهر.

وفيه قبض على جمال الدين يوسف والى القاهرة، وعلى أبن أخيه ونائبه حمود، بسعَاية غرلو شاد الدواوين. وكشف غرلو رءوسهم، وضرب حمودًا بالمقارع ضربًا مبرحًا، فوعد بأن يحضر له مالا قد دفنه بالجيزة، فسيره صحبة أعوانه ليأتيه بالمال فلما ركب حمود النيل وتوسطه، وألقى بنفسه فيه، فغرق. فرسم بالإفراج عن جمال الدين وابن أخيه، بعناية الأمراء به.

وفى يوم السبت: نزل السلطان إلى الميدان على العادة فى كل سنة، فكان يومًا مشهودًا.

وفيه خلع السلطان على الشريف عجلان[١] بن رميثة بن أبى نمى الحسنى، واستقر أمير مكه.

وفيه عاد السلطان من آخر النهار على العادة إلى القلعة.

واستدعى السلطان فى يوم الإثنين غرلو شاد الدواوين، بحضرة الأمراء والوزير، ورسم له أن يرتب بلاد الخاص، ويخرج من إقطاع النيابة وغيره بلاد المماليك السلطانية أرباب الجوامك الكبار، لتتوافر جوامكهم. فأفردت خمس نواح أقطعت لمائة مملوك، وطلبوا حتى فرقت عليهم المثالات، فردوها من الغد على السلطان، وقد وقفوا جميعًا. فاشتد غضبه، وطلب الطواشى المقدم وأهانه، ورسم له بضربهم وطردهم؛ فما زال به الأمراء حتى رُسم أن الطواشى يضرب منهم جماعة، وأن يفرق النواحى على ثمانين منهم، وأنعم على العشرين بإقطاعات أخر. فأقاموا مدة على الامتناع جتى ضرب منهم جماعة كثيرة، وأنزلوا من القلعة إلى القاهرة، وقطع جميع راتبهم من لحم وغيره.

ورفع غرلو على الحاج على الطباخ المعروف بإخوان سلار أنه يأكل كثيرًا مما فى المطبخ السلطانى، وأن له فى كل يوم على المسلمين خمسمائة درهم، ولولده أحمد ثلاثمائة درهم، سوى الأطعمة وغيرها. فرسم السلطان للأمير أرغون شاه أستادار بمصادرته، فأوقع الحوطة على موجوده، وأهانه. وكان المذكور قد خدم السلطان الناصر محمد[٢] فى الكرك، فلما عاد إلى السلطنة أقامه إخوان سلار، وسلم له المطبخ؛ فنال سعادة جليلة، لاسيما فى المهمات والأفراح التى كان السلطان الناصر محمد يعملها لأولاده ومماليكه وحواشيه، طول تلك المدة. فكان أقل ما يحصل له فى كل مهم ما ينيف على عشرة آلاف درهم، مع كثرت تلك المهمات. ولما عمل مهم ابن

---

(١) عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف الحسنى من أمراء مكة مولده وفاته فيها نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته [٧٤٥ هـ] وبعد وفاة أبيه سنة ٧٤٦هـ. انظر الجداول المرضية ١٤٦ - والدرر الكامنة ٢: ٤٥٣ وخلاصة الكلام ١٣ والأعلام ٤/ ٢١٦.

(٢) الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى وخلع منها لحداثته ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨هـ. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ وابن إياس ١/ ١٢٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، ١١٥ والأعلام ٧/ ١١.

بكتمر الساقى على بنت تنكز نائب الشام، طلب السلطان الناصر محمد الحاج على هذا فى آخر المهم، وقال له: «يا حاج على! رح الساعة اعمل لى خروف رميس[(١)] فى لون كذا»، فولى عنه وهو متنكر قد عبس وجهه. فصاح به السلطان ليرجع، وقال له: «مالك معبس الوجه؟» فقال: «كيف ما أعبس وقد أحرمتنى الساعة عشرين ألف درهم؟» قال: «كيف أحرمتك؟» قال: «عندى رءوس وأكارع وكروش وأعضاد، وكل ما سرقته من هذا المهم، أريد أن أقعد أبيعه. فقلت لى: رح اطبخ، فيتلفوا الجميع». فتبسم له السلطان، وقال: «لا رح اطبخ، وضمانهم على». فلما ذهب الحاج على طَلَب السلطان والى مصر ووالى القاهرة، وأمرهما بطلب الزفورية إلى القلعة، وتفرقة تلك الأسقاط فيهم، فبلغ ثمنها ثلاثة وعشرين ألف درهم. فهذا أعزك الله متحصل مهم واحد من آلاف، سوى ما له فى كل يوم من جهة المطبخ، وهو خمسمائة درهم، فى مدة بضع وثلاثين سنة؛ كم أراد النشو أن يتمكن منه، والسلطان الناصر محمد يمنعه.

ولما قبض عليه وجد له خمسة وعشرون ملكا؛ فأخذت أم السلطان داره التى على البحر، وكانت من الدور العظيمة، وأخذت اتفاق داره التى بالمحمودية من القاهرة. وإليه ينسب جامع الطباخ، على بركة السقاف بخط باب اللوق؛ فتعطل الجامع أيامًا مدة القبض عليه، فإنه كان يقوم به من غير أن يفرد له وقفًا. وأخذت أملاكه كلها؛ وضرب ابنه أحمد، وألزم ببيع موجوده، وحَمَل وهو وأبوه ماهم إلى بيت المال، ثم شفع فيه الأمير ملكتمر الحجازى، فأفرج عنه ولزم بيته بطالا.

وفى هذا الشهر صودر جماعة من أهل قوص اتهموا بأنهم وجدوا خبية مال، وأخذت أملاكهم وغيرها. وصودر الجماعة الذين كتبوا فى محضر وفاة السلطان المنصور أبى بكر أنه مات بقضاء الله وقدره، وأخذ جميع موجودهم؛ فأقروا أن المحضر زور، وأنهم أكرهوا حتى كتبوا ما لم يعاينوه.

وفيه وشى بابنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير أن فى دارها بالقاهرة خَبِيّة مال، فحفر فيها نحو قامة، فلم يوجد شىء.

وفى يوم السبت خامس عشريه: قدم الأمير طقزدمر من دمشق فى محفة وهو مريض، بعدما خرج الأمير أرغون العلائى إلى القائه، فوجده غير واعٍ؛ ودخل عليه الأمراء وهو قد أشفى على الموت. ولما دخل طقزدمر القاهرة على تلك الحال أخذ

---

(١) رميس: لفظ رميس اسم للواحد من صغار الغنم، غير أن هذا اللفظ هنا صفة وليس اسمًا ويستعمله أهل العراق حتى العصر الحاضر صفة الدلالة على خروف مشوى بأكمله.

أولاده فى تجهيز تقدمة جليلة للسلطان، تشتمل على خيول وتحف وجواهر؛ فقبلها السلطان، ووعدهم بخير.

وفيه أنعم السلطان الكامل شعبان على الأمير أرغون الصالحى بتقدمة ألف، ورسم أن يقال له أرغون الكاملى، ووهب له فى أسبوع واحد ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف أردب من الأهراء. ورسم له بدر شاد الشرابخاناه، وأن يعمر له من مال السلطان بجواره قصر على بركة الفيل، ويطل على الشارع؛ وأقام السلطان الأمير آقْجُبَا شاد العمائر على عمارته.

وفى هذا الشهر: شرع الأمير غرلو شاد الدواوين يستخدم الولاة والكتاب على مال يحمل لبيت المال، فلم يل أحد بعد ذلك إلا بمال. واستجد غرلو أيضا مالا فى المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، يحمل لبيت المال. وجعل على عبرة الدينار دينارًا، فإذا كان الإقطاع عبرة مائة دينار حمل عنه لبيت المال مائة دينار؛ و لم يلتفت السلطان لقول الأمراء، وأجابهم بأن هذا كان يأخذه ديوان الجيش.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الآخر: ركب السلطان إلى السرحة بسرياقوس، ومعه حريمه. فنصبت لهن الخيم فى البساتين، وأخليت المناظر التى للأمراء حتى نزل أكثرهن بها.

وفى يوم الجمعه: قدم أولاد الأمير طقزدمر إلى سرياقوس بخبر وفاة أبيهم، فلم يمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه؛ فدفن بخانكاته بالقرافة. وأخذت خيله وجماله وهجنه إلىالإصطبل السلطانى، وقيدت إلى سرياقوس على العادة. ورسم السلطان أن تعمل أوراق بمتوفر إقطاع طقزدمر وما عليه من حقوق القنود، وسائر ما سومح به مما عليه للديوان فى حياته من جميع الأصناف؛ فلم تزل أولاده تقدم التقادم الجليلة حتى وعدوا بتقدمة سلطانية.

وفيه خلع على الأمير رسلان بصل، واستقر حاجبًا ثانيا مع بيغرا؛ ورسم له أن يحكم بين الناس.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طلليه، وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى.

وفيه طلب السلطان العربان الذين اتهموا بقتل ابن الردينى، وأخذ منهم مائة ألف درهم مصادرة.

وفيه مات الأشرف كجك، عن اثنتى عشرة سنة. واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله فى مضجعه، على يد أربعة خدام طواشية.

وفيه قدم طُلب الأمير آقسنقر طرابلس، فسار السلطان من سرياقوس حتى لقيه على بلبيس[1]، ومنع الخدام أن تُعَرَّف زوجته أم كجك بوفاته. واختار الأمير آقسنقر من طلبه عدة خيول وجمال بخاتى وهجن، وقدمها للسلطان مع جواهر سنية وتحف بديعة؛ فخلع عليه السلطان، وأنعم على ولد ابن أخيه بطبلخاناه أبيه، وعمره أربع سنين.

وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة، بعدما تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والإعلان بالفواحش، وركبوا فى الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حانة.

وفيه عزل تاج الدين ابن الصاحب أمين الدين بن الغنام، من نظر البيوت. وذلك أنه علم باجتهاد السلطان فى تحصيل المال فضبط البيوت، ووفر فيها عشرين ألف درهم، وأعلم السلطان بها من غير علم أرغون شاه الأستادار. فتنكر عليه أرغون شاه فضربه، فسعى عليه أفلاطون كاتب سنجر الجمقدار عند غرلو بألفى دينار، فولاه عوضه، وولى أيضًا ابن وجه الطوبة نظر الأوقاف الصالحية إسماعيل، بعدما حمل لبيت المال خمسمائة دينار.

وفيه طولب الموفق عبد الله بن إبراهيم بحمل مائة ألف درهم. وسبب ذلك أنه عثر على أنه باع من أراضى الخاص إلى طغيتمر الدوادار بمائة ألف درهم، فباعها طغيتمر لابن زعازع بالبهنساوية؛ وألزم كل من طغيتمر وابن زعازع أيضًا بحمل مائة ألف درهم. وفيه عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان شعبان على أرغون شاه أستادار، وعقد لزوجة أرغون شاه ابنة آقبغا - وقد بانت منه من مدة - على بيبغا روس.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، بقيام الأمراء فى ذلك مع السلطان، لكثرة ما فيه من المفاسد. وكتب إلى البلاد الشامية أنْ مَن مات من الأجناد أو أرباب المراتب يطالع بوفاته، ليخرج السلطان إقطاعه أو مرتبه، فامتثل ذلك.

وفيه ألزم من بيده رزقه من أرض مصر، أو أرض استأجرها، أن يقوم عن كل فدان بمائة وخمسين درهما. فأخذ من ذلك مال كثير، قام غرلو باستخراجه. فازدادت مكانته عند السلطان، وعظم قدره بين الناس، وانتمى إليه جماعة، وصاروا يغرونه بأرباب

---

(١) بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر ياقوت معجم البلدان ٢/ ٤٧٩.

الأموال، ويفتحون له أبواب المظالم. واستدعى غرلو طغيتمر متولى البهنسى، وألزمه بحمل أربعمائة ألف درهم، وأخرق به.

وقدم جمال الدين سليمان بن ريان من حلب، وبذل فى نظر الجيش بها ألف دينار حملت إلى بيت المال، ووعد بمائتى إكديش. فخلع عليه، وتوجه معه بريد لإحضار الخيل.

وفيه رسم بقطع جميع ما هو مرتب على الحوائج خاناه من التوابل للأمراء والكتاب وغيرهم. وطُلب عدة من مباشرى الوجه القبلى والوجه البحرى، سلموا إلى غرلو فصادرهم.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الحرب بين الشيخ حسن صاحب بغداد وبين سلطان شاه وأولاد دمرداش، انتصر فيها الشيخ حسن. والتجأ سلطان شاه إلى ماردين، فحصره الشيخ حسن بها أياما، وأفسد ضياعها، ثم سار عنها بغير طائل.

وفيه هم السلطان أن ينعم على غرلو بإمرة مائة، وتولية الوزارة ونيابة دار العدل؛ فلم يوافقه الأمير أرغون العلائى على ذلك، وأبطل أمره.

وفيه عمل السلطان داير بيت حرير مزركش، عمل فيه مبلغ أربعين ألف دينار وعمل أيضًا لحريمه عشرين بغلوطاق صدر، فى كل بغلوطاق ألف دينار زركش.

وفى عشرى رجب: خلع على فخر الدين بن السعيد، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن علم الدين بن زنبور. وخلع على ابن زنبور، واستقر كما كان فى استيفاء الصحبة؛ فكانت مدة مباشرة ابن زنبور نظر الخاص نيفا وثمانين يوما.

وفيه عزم على إنشاء مدرسة موضع خان الزكاة، ونزل الأمير أرغون العلائى والوزير لنظره. وكان الناصر محمد قد وقفه، فلم يوافق القضاة على حله.

وفى مستهل شعبان: استقر تاج الدين محمد بن المزين خضر بن عبد الرحمن فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله.

وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر، وعمل لها مهمًّا مدة سبعة أيام بلياليها، اجتمع فيه نساء الأمراء جميعًا. وكانت فيه عدة جوق مغانى، حصل لهن من الذهب والفضة وتفاصيل الحرير شىء يجل وصفه؛ وبلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانين ألف درهم، سوى بقية المغانى.

وفيه استقر تقى الدين سليمان بن مراجل ناظر دمشق، عوضا عن بهاء الدين أبى بكر ابن سكرة، بعد موته. وكان ذلك بعناية الأمير أرغون العلائى، فإنه كان بعد عزله من نظر الدولة ولاه نظر الخاص بدمشق، ثم انتقض أمره.

وفى مستهل شهر رمضان: خلع على قشتمر والى الجيزة، واستقر شاد الدواوين رفيقا للأمير غرلو.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزبيق، بولاية الجيزة.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان فى تدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبة الشافعى بالقرافة، عوضا عن ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى، بعد وفاته. وكان ذلك بعناية الأمير جنكلى بن البابا، والأمير آقسنقر، بعدما استقر فيه تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى بسفارة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فنزل ابن اللبان ودرَّس، ومعه الأمير أرغون الكاملى وعدة أمراء، وجماعة القضاة والفقهاء. وكان ناصر الدين فاز السقوف محتسب مصر مقيما بقاعة التدريس، فأخرجه ابن اللبان منها، وطالبه بأجرتها مدة سكنه. فرتب ناصر الدين على ابن اللبان فتيا نسبه فيها إلى قوادح، وأراد الدعوى عليه، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه قدم الشريف من مكة يريد أن يستقر شريكا لأخيه عجلان فى إمرة مكه. وأحضر ثقبة قودا فيه عدة خيول، فوعد بخير.

وفيه قدمت رسل خليل بن دلغادر بتقدمته وكتابه، وقد عاد إلى الطاعة بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب؛ فخلع على رسله، وجهز له تشريف.

وفيه أخذت أم السلطان من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج ودولابها.

وفيه قدمت الحرة من بلاد الغرب بهدية سنية تريد الحج، فرسم بتجهيزها.

وفيه أخذ السلطان من وزير بغداد دولابين، جعلهما باسم اتفاق، وعوضه عنهما ما ابتاعهما به، وهو مبلغ ثمانية وعشرين ألف درهم. وتبرع وزير بغداد للسلطان بما أنفقه عليهما، وهو مائة ألف درهم.

وفيه قدم الخبر من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين أمير يقال له طرفوش، أقامه الأمير يلبغا اليحياوى ضدًّا لابن دلغادر، وأغراه به ووعده بإمرته على التركمان واقتتل طرفوش وابن دلغادر، فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقائع قتل فيها من الفريقين

خلائق. فلما قدم الأمير أرقطاى إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يجهد حتى أصلح بينه وبين طرفوش.

ثم التفت الأمير أرقطاى إلى جهة الأمير فياض بن مهنا، وقد كثر عبثه وفساده وأخذه قفول التجار. وبذل الأمير أرقطاى جهده حتى قدم عليه فياض بن مهنا بظاهر حلب فتلقاه وأنزله، وبالغ فى إكرامه، وأخذ عليه العهود والمواثيق بالإقامة على الطاعة، ثم جهزه إلى بلاده. وكتب الأمير أرقطاى بذلك إلى السلطان، فسر به سرورا زائدا، فإنه كان فى قلق من أخبار فياض، وعلى عزم أن يجرد العسكر إليه ويُورِى بقصد سيس. وأخذ فياض فى تجهيز القود إلى السلطان، وسَيَّره، فقدم وفيه سبعون فرسًا قامت عليه بألف ألف درهم، وخمسون هجينا وعشر مهريات، وعِبِّى وغير ذلك. ثم قدم فياض عقيب قوده، فأكرمه السلطان وأحسن إليه، وأنزله.

وفى هذا الشهر: أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى، فى يوم السبت سابع عشريه. فضربها الأمير نجم الدين أيوب أستادار الأكر وَوَالى القاهرة بالمقارع على ساقيها، ثم قطع يدها فى باب زويلة.

وفى مستهل شوال: رُسم للأمير أرغون الكاملى بزيارة القدس، وأنعم عليه بمائة ألف درهم. وكتب إلى نواب الشام بالركوب إلى خدمته، وحمل التقادم له، وتجهيز الإقامات فى المنازل إلى حين عوده. ورسم أن يُنادى بمدينة بلبيس وأعمالها أنه من قال عنه أرغون الصغير شُنِق، وألا يقال إلا أرغون الكاملى. فشهر النداء بذلك فى الأعمال الشرقية، فامتثل الناس ذلك؛ وتوجه الأمير علاء الدين على بن ملغريل فى خدمته.

وفيه ركب حريم السلطان إلى ناحية الجيزة[1] للنزهة، وصحبتهم الأمير آقسنقر. فأقام بهم حتى خرج محمل الحاج صحبة مغلطاى أمير شكار، ثم عادوا.

وحج فى هذه السنة عدة من نساء الأمراء، وبالغن فى زينة محفاتهن ومحايرهن وألبسوا جمالهن الحرير والقلائد المرصعة والمقاود الحرير المزركشه، وفى أيدهن خلاخل الذهب، وعليهن العبى الحرير والأجلة الزركش، حتى خرجن فى ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها،

---

(١) الجيزة بليدة فى غربى الفسطاط مصر قبالتها ولها كوة كبيرة واسعة اختطها بمصر عمرو بن العاص فى زمن عمر بن الخطاب، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقريزى ١/ ٢٠٥ ومعجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

وتشبه بهن غيرهن من النساء. و لم يعهد أن عمل مثل هـذا ولا قريـب منـه فيمـا تقـدم، فإنهن خلعن على الهجانة والسقائين الأقبية الطرد وحش. فأنكر فعلهـن النـاس، وذكـره قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فى خطبة العيد بالقلعـة وصـرح بالإنكـار، وصدع بالوعظ.

وفيه قدم تقى الدين سليمان بن مراجل من دمشق، وابن قرناص من حلب فبَذَل ابـن قرناص فى نظر حلب نحو ألفى دينار حتى رسم له به، عوضا عن ابـن الموصلى. فبعـث ابن الموصلى ابنه بهدية سنية فيها جوارى حسان، وزوج بسط حريـر؛ فقـام غُرْلُـو معـه وأوصله بالسلطان، فقبل هديته، وبسط الحرير بالدهيشة، وأقر ابن الموصلى علـى حالـه؛ فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوما بألفى دينار.

وقام الأمير أرغون العلائى فى حق ابن مراجـل حتـى خلـع عليـه، واستقر فـى نظـر الدولة، وأجلسه السلطان بين يديه، وغُرْلُو قائم على قدميه. فتفاوضا فى الكلام، بحيـث قال الأمير أرغون العلائى لغرلو: «أنت شاد بعصاتك، إذا عينـتُ لـك سـالا للسـلطان تستخرجه» وانصرفا من المجلس، وكل منهما يترفع على الآخر.

فاشتد ابن مراجل على الكتاب، وألزمهـم بعمـل الحسـاب، ورسـم عليهـم؛ وكتـب بطلب مباشر الشام. فلما كان بعد ثلاثة أيام تكاشف هو غرلـو، وترافعـا إلى السـلطان؛ فأخرق السلطان بغرلو، وألزمه أن يمتثل ما يرسم له به ابن مراجل، ولا يتعداه.

وفيه قدم من دمشق علاء الدين الفرع وتوصل إلى السلطان، وقدم له تقديمـة جليلـة، وسأله فى قضاء دمشق، عوضـا عـن تقـى الديـن السبكى؛ فرسـم لـه بـه، فقـام الأمـير جنكلى ابن البابا مع السلطان فى استقرار السبكى على عادته حتى أجابه، وعُوِّق توقيـع الفرع، وعُوّض عن تقدمته الأوقاف بدمشق.

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه إلى سيس[1] بطلـب الحمـل، وقـد كـان تكفور كتب فى الأيام الصالحية بأن بلاده خربت، فسومح بنصف الخراج. فلمـا وصـل إليه قاصد نائب حلب جهز الحمل، وحضر كبير دولته ليحلفـوه أنـه مـا بقـى أسـير مـن المسلمين فى مملكته، كما جرت العادة فـى كـل سنة بتحليفـه علـى ذلـك. وكـان فـى أيديهم عدة من المسلمين أسرى، فبيت مع أصحابه قتلهم فى الليلة التى تكون حلفه فـى صحبيتها، فقتل كل أحد أسيره فى أول الليل. فما هو إلا أن مضى ثلثا الليـل خرجـت

---

(١) سيس أعظم مـدن الثغـور الشـامية بـين أنطاكيـة وطرسـوس. انظـر يـاقوت، معجـم البلـدان ٢٩٧/٣.

فى الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوداء، معها رعد وبرق أرعب القلوب. وكان من جملة الأسرى عجوز من أهل حلب فى أسر المنجنيقى، ذبحها عند المنجنيق، وهى تقول: «اللهم خذ الحق منهم» فقام المنجنيقى يشرب الخمر مع أهله بعد ذبحها، حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسهم. فسقطت الشمعة وأحرقت ما حولها، حتى هبَّت الريح تطاير شرر مَا احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه، وتعلقت النيران مما حوله حتى بلغت موضع تكفور، ففر بنفسه. واستمرت النار مدة اثنى عشر يوما، فاحترق أكثر القلعة؛ وتلف المنجنيق كله بالنار، وكان هو حصن سيس، ولم يعمل مثله. واحترق المنجنيقى وأولاده الستة وزوجته، واثنى عشر رجلا من أقاربه. وخربت سيس، وهدم سورها ومساكنها، وهلك كثير من أهلها، وعجز تكفور عن بنائها.

وفيه نافقت العربان بالوجه القبلى والفيوم،وكثرت حروبهم وقطعهم الطرقات؛ فلم يمكن خروج العسكر إليهم، فإنه كان أوان المغل، خوفا عليه.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم علاء الدين الحرانى من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام. وفيه قدم الخبر بأنه ثارت ريح زرقاء شديدة فى بلاد برقة، وأعقبها مطر عظيم جدا يوما كاملا. ثم نزل بَرَد قدر بيض الحمام بجوف وبعضه مثقوب من وسطه. وتمادى حتى وصل إلى الإسكندرية والبحيرة والغربية والمنوفية والشرقية، وأفسد من الدور والزروع شيئًا كثيرًا سيما الفول، فإنه تلف عن آخره؛ ونزلت صاعقة فأحرقت نخلة فى دار.

وقدم الخبر أن الأمير أرغون الكاملى لعب بالكرة فى ميدان غزة[1] وتوجه بعد أيام إلى القدس. فقدم عليه نائب الشام بتقدمته، ثم تواردت تقادم النواب من حلب إلى غزة ثم خرج الأمير أرغون الكاملى من القدس، فكتب بسرعة قدومه، فلما وصل قطيا خرج السلطان إلى لقائه بسرياقوس، ولعب معه فى الميدان بالكرة، وقد سر بقدومه؛ ثم سار به السلطان إلى القلعة.

وفيه خلع على الأمير قبلاى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن ملكتمر السرجوانى لشدة مرضه؛ وكتب بإحضاره.

---

(١) غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البجر وبها قبر هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر يرثبه:

ميت بردمان وميت بسلمان وميت عند غزات

انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٢٨، ومعجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

وفيه كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جرى السعاة، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم. وتزايد شلاق[1] الزعر، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلمانهم وعبيد الكتاب على الناس، وصاروا كل يوم يقفون للضراب، فتسفك بينهم دماء كثيرة، وتنهب الحوانيت بالصليبية خارج القاهرة وإذا ركب إليهم والى القاهرة لا يعبئون به، فإن قبض علي أحد منهم أخذ من يده سريعًا؛ فاشتد قلق الناس من ذلك، ولم يجسر أحد ينكر شيئًا من هذا.

وفيه أعرس بعض الطواشية ببعض سرارى السلطان بعد عقده عليها، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جوارى بيت السلطان. وجلبت العروس على الطواشى، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده؛ فكان أمرا شنيعا.

وفي مستهل ذى الحجة: قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس الحاجب، وعلاء الدين بن سعيد فكتب باستقرار الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير حاجبا عوضا عن ألماس، وأنعم على مملوك ابن سعيد بطبلخاناه، بعد بذل نحو ستة آلاف دينار.

وفيه اشتهر أخذ البراطيل للسلطان، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب.

وفيه قدم ابن سالم قاضى القدس، وقد عزله السبكى وأثبت عليه محصرا أنه باع أيتاما من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى. وما زال ابن سالم يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان، ومثلها لمن سعى له.

وفيه كثرت الإشاعة باتفاق الحاج الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا نائب الشام على المخامرة؛ فجهز الأمير الحاج آل ملك محضرا ثابتا على قاضى صفد بالبراءة مما رمى به، فأنكر السلطان عليه هذا. وجهز منجك السلاح دار للكشف عما ذكره فاتفق قدوم بعض مماليك الأمير الحاج آل ملك فارا منه، خوفا أن يضربه على شربه الخمر، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو. فزاد هذا السلطان كراهة فيه، وأخرج منجك على البريد إليه. فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر ألاَّ يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.

---

(١) شلقه: شلقا ضربه بالسوط أو نحوه وشلق الأذن أو الأنف: خرقه طولاً. انظر المعجم الوسيط. وهنا معناه الزعر الذى تسببه هذه الجماعة.

وفيه ركب الأمير طقتمر الصلاحى البريد، ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة، وألا يصرف لأحد منهم شيئًا، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم، برسم سفر السلطان للحجاز، ويشترى بذلك الجمال ونحوها، مما يحتاج إليه السلطان فى سفره فمنعت الرواتب من الفقراء وغيرهم لم يصرف لأحد منهم الدرهم الفرد؛ فكثر ابتهالهم وتضرعهم إلى الله تعالى فى الدعاء على من قطع أرزاقهم.

وفيه كتب بعد موت الأمير جنكلى بن البابا بقدوم الأمير الحاج آل ملك إلى القاهرة من صفد، ليستقر على إقطاع جنكلى؛ وتوجه إليه منجك لإحضاره.

وفى يوم السبت تاسع عشريه: أمسك الأمير أينبك أخو قمارى، ثم أفرج عنه من يومه.

وفيه استقر نجم الدين إبراهيم بن العماد على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى(١) فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه.

وفيه كتب باستقرار الأمير سيف الدين أراق الفتاح نائب غزة فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير الحاج آل ملك.

ومات فيها من الأعيان فخر الدين أحمد بن الحسن بن الجار بردى(٢)، شارح البيضاوى.

ومات الأمير ألماس الناصرى الحاجب، بدمشق.

ومات بهاء الدين أبو بكر بن موسى بن سكرة ناظر الدواوين بدمشق، فى عاشر شعبان بها، عن ستين سنة.

---

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى نجم الدين قاضى مصنف. ولد ومات فى دمشق وولى قضاءها بعد والده سنة ٧٤٦هـ وأفتى ودرس وألف كتبا منها «الإشارات فى ضبط المشكلات». انظر الدرر الكامنة ١: ٤٣ والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٦ وسماه صاحب الجواهر المضية ١: ٨١ والكشاف لطلس ٢٣٥ ومخطوطات الرياض عن المدينة الختم الأول صـ ٣٤ والأعلام ١/ ٥١.

(٢) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردى فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز له «شرح منهاج البيضاوى» و«أصول الفقه» و«شرح الحاوى الصغير» لم يكمل و«شرح شافية ابن الحاجب – ح» فى الأزهرية والدار وجامعة الرياض (٢٢٢) انظر البدر الطالع ١: ٤٧ والدرر الكامنة ١: ١٢٣ والخزانة التيمورية ١: ١٩٧ وطبقات الشافعية ٥: ١٦٩ وشذرات الذهب ٦: ١٤٨ وانفراد الشوكانى من البدر الطالع ١: ٤٧.

وتوفى الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون[١].

ومات الأمير طقزدمر الحموى، وأصله من مماليك المؤيد إسماعيل بن على[٢] صاحب حماة، بعثه للناصر محمد وهو شاب، فخطى عنه ورقاه حتى صار أمير مجلس، وزوجه بابنته. ثم ولى نيابة السلطنة فى أيام المنصور أبى بكر، وولى نيابة حلب ودمشق، ثم قدم إلى القاهرة، ومات بها مستهل جمادى الآخرة؛ وله تنسب خانكاه طقزدمر بالقرافة.

وتوفى بدر الدين محمد بن محيى الدين بن فضل الله العمرى الدمشقى كاتب السر، بدمشق فى سادس عشرى رجب.

وتوفى تاج الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى بكر الأردبيلى[٣] الشافعى، مدرس المدرسة الحسامية طرنطاى بالقرافة. وكان إماما فى الفقه والعربية والأصول، والجدول والحساب والمنطق؛ وقد اشتد صممه، وانتفع بالقراة عليه جماعة.

وتوفى القاضى ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن[٤] المناوى الشافعى، أحد نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعية، بالقاهرة فى يوم السبت سادس رمضان، وتجاوز تسعين سنة.

---

(١) كجك بن محمد بن قلاوون علاء الدين، الملك الأشرف ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكى «قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر (سنة ٧٤٢ هـ).انظر ابن إياس ١/ ١٧٧ الدرر الكامنة ٣: ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١/ ٢١، ١٢٢ والأعلام ٥/ ٢٢٠.

(٢) إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة - مؤرخ جغرافى قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين واطلع على كتب كثيرة فى الفلسفة والطب وله «تقويم البلدان -ط». انظر الدرر الكامنة ١: ٣٧١ والبداية والنهاية ٤: ١٥٨ وفوات الوفيات ١: ١٦ روض المناظر وآداب اللغة ٣: ١٨٧ وطبقات السبكى ٦: ٨٤ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٣٨٦ والأعلام ١/ ٣١٩.

(٣) على بن عبد الله بن الحسين بن أبى بكر الأردبيلى التبريزى، أبو الحسن تاج الدين: باحث من علماء الشافعية ولد فى أردبيل (بأذربيجان) وسكن تبريز ورحل إلى بغداد فمكة حاجًا. أنظر الدرر الكامنة ٣: ٧٣ وعلماء بغداد ١٤٦ ومعجم الأطباء ٣٠٧ ودار الكتب ٢: ١٥٦ والأعلام ٤/ ٣٠٦.

(٤) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى قاضى من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بجيرة القاهرة ولى القضار الغربية عدة سنين وتاب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها و له «الواضح النية -ح» تسعة مجلدات. انظر طبقات الإسنوى ٢: ٤٦٦ والدرر الكامنة ٣: ٢٨٥ الترجمة ٧٥٠ وكشف ٤٩١ ودار الكتب ١: ٥٤٦ والأعلام ٥/ ٢٩٨.

ومات الأمير بيبرس الأحمدى أحد المماليك المنصورية البرجية، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى المحرم، وهو فى عشر الثمانين. وكان جركسى الجنس، تنقل حتى صار من أمراء الألوف فى وظيفة أمير جاندار، ثم ولى نيابة صفد وطرابلس؛ وكان كريما شجاعا قوى النفس دينا، لم يركب قط فرسا إلا فحلا، ولم يركب حجرة قط.

ومات الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا العجلى، أتابك العساكر، فى يوم الإثنين سابع عشرى ذى الحجة. قدم القاهرة سنة ثلاث وسبعمائة، وتنقل حتى صار رأس الميمنة. وله حفدة كبيرة، ولم يُرَ أعف منه فى الأمراء، مع الصدق فى الديانة والحلم، والوقار وكثرة الصدقات. فكان يخرج كل سنة ثمانية آلاف أردب من القمح، ومبلغ ثمانين ألف درهم، فى وجوه البر، سِوَى زكاة ماله.

وتوفى تقى الدين محمد بن همام بن راجى الشافعى، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة؛ وهو مصنف كتاب سلاح المؤمن وغيره.

وفيه ضربت عنق ششلم وعنق رفيقه، وفى يوم الإثنين عاشر رجب.

ومات الشريف رميثة بن أبى نمى بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة أمير مكة، يوم الجمعة ثامن ذى القعدة بمكة.



سنة سبع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين أول المحرم: قدم منجك مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعى الأمير الحاج آل ملك، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه بها وقيد. وقيل كان القبض عليه يوم الخميس عشرى ذى الحجة، بغزة.

وفى أوله أيضًا قدم الأمير ملكتمر السرجوانى من الكرك وهو مريض، فمات عند مسجد تبر ظاهر القاهرة؛ ودخل إليها ميتا، فدفن بتربته.

وفيه أيضًا قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك من صفد؛ فأمسك من ساعته، وسجن.

وفيه أيضًا خلع علىالأمير أسندمر العمرى، واستقر فى نيابة طرابلس.

وفى يوم السبت سادسه: قدم الأمير الحاج آل ملك نائب صفد، والأمير قمارة نائب طرابلس، مقيدين إلى قليوب. وركبا النيل إلى الإسكندرية، واعتقلا بها. وكان الأمير طقتمر الصلاح قد قبض على قمارى بطرابلس، وقيده وبعثه على البريد، وأوقع الحوطة على موجوده.

وفيه قبض على آينبك أخى قمارى، وعلى نصرات وغلبك وحواشيهم، وأحيط بموجودهم.

وفيه ركب مغلطاى الأستادار إلى صفد لإيقاع الحوطة على موجود الأمير الحاج آل ملك، وركب الطواشى مقبل التقوى لإحضار موجود قمارى من طرابلس وألزم مباشروهما بحمل جميع أموهما، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف أردب غلة وألزم ولده بمائة ألف درهم، وأخذ لزوجته خبية غُمِزَ عليها فيها أشياء جليلة وأخذ لزوجة قمارى صندوق فيه مال جزيل.

وفيه استقر الأمير رسلان بَصَل فى نيابة حماة عوضا عن طقتمر الصلاحى، ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى. وكتب بقدوم أرقطاى، وتوجه فى ذلك الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه التقليد فأنعم عليه أرقطاى بمائة ألف درهم، وأنعم عليه طقتمر بألف وخمسمائة دينار، وعشرة آلاف درهم، ومائتى قطعة قماش، وعشرة أرؤس من الخيل، وخلعة السلطان، وخمسمائة أردب غلة من مصر، قيمتها مائة ألف درهم.

وفى عشريه: قدم الأمير أرقطاى من حلب، فخلع عليه، واستقر عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا رأس الميمنة.

وفيه خلع السلطان على أرغون العلائى زوج أمه، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا. فنزل إليه أرغون، وأعاد جماعة ممن قطعهم ابن الأطروش بعد موت الأمير جنكلى. وأنشأ أرغون بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم، ووقف عليه وقفا بناحية من الضواحى.

وفيه أنعم السلطان على طغريل بتقدمة ألف، وعزل تقى الدين سليمان بن مراجل من نظر الدولة، وقد كرهه الناس.

وفيه خلع على الأمير نجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد، وأعيد إلى الوزارة، وكانت شاغرة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن ابن مراجل. وعزل جميع من ولاه ابن مراجل من الشاميين وغيرهم، وأهينوا، وألزموا بحمل ما أخذوا من المعاليم، ونزعت أخفافهم. وألزم ابن مراجل بحمل جميع ما استأداه من المعلوم، وبثمن الخلعة والبغلة والدواة، وقومت عليه بأزيد قيمة؛ وأرادوا أهانته بكل طريق.

وفيه استقر ابن سهلول فى الاستيفاء، كما كان أولا. واستقر النشو بن ريشة مستوفيا.

وفيه قدم الأمير مغلطاى بما وجد للأمير الحاج آل ملك، وهو مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم، وأربعة آلاف دينار.ووجد له أيضًا ثمن غلة مبتاعة بمكة نحو مائة ألف وثلاثين ألف أردب، ونحو عشرين ألف جلد حبشى. ووجد له عشرون فرسا، سوى ما أرصده للتقدمة، وعدتها سبعون فرسا، سوى الهجن والبخاتى، ونحو عشرين بقجة قماش. ووجد له أربعة عشر قطار بخاتى، أنعم بها على أربعة عشر خادما فشق ذلك على الأمراء.

وفيه قدم مقبل من طرابلس بجميع قماش نساء الأمير قمارى، وما وجده له، وفيه زنة سبعين مثقال من الجواهر، فرقه السلطان على اتفاق وغيرها، وفيه مبلغ أربعين ألف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وزركش بنحو مائتى ألف درهم.

وفى مستهل صفر: قدم ابن زعازع من البهنسا، وسعى ببعض الكتاب حتى سلم إليه على مائة ألف درهم، فعاقبه حتى مات. فاتهم ابن زعازع بأنه أخذ له مالا كبيرًا، وخرج الأمير مغلطاى إلى البهنسا[1] وقبض عليه، وأخذ منه ألفى ألف ومائة وستين ألف درهم، ومائتى جارية، وستين عبدا وستين فرسًا، وألفا وثمانمائة فدان على سبيل الرزق، سوى القنود والأعمال والمعاصر؛ ثم سمره مغلطاى وشهره فى النواحى.

وفيه قدم طُلب الأمير الحاج آل ملك؛ ففرقت مماليكه على الأمراء، ونزل بعضهم فى البحرية.

وفيه أخرج مماليك قمارى من الحلقة.

وفيه انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملى وإصطبله الأعظم، وأُنفق فيه مال عظيم، وأخذ فيه من بركة النيل نحو العشرين ذراعا. فلما عزم أرغون الكاملى على النزول إليه مرض، فقلق السلطان لمرضه، فبعث له فرسا وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه. وأخرج الأمير أرغون العلائى أيضًا عشرة آلاف درهم تصدق بها عنه، وأفرج عن أهل السجون، وركب السلطان لعيادته بالميدان.

وفيه اهتم السلطان بالسفر إلى الحجاز، ورسم بحمل مائة ألف وخمسين ألف أردب شعير وندب لها الأمير عز الدين أزدمر الكاشف فألزم الأمير عز الدين أزدمر الفلاحين بالوجه البحرى عن آخرهم بحمل شعير على حساب كل أردب بسبعة دراهم، وكتب لآل مهنا بالشام أن يسيروا الهجن المخبورة، فقدم حيار بن مهنا ومعه قود جليل، فقبل منه، وقومت خيوله بمائتى ألف درهم. ثم قدم أحمد بن مهنا[2] أيضًا، بقود غير طائل.

وفى يوم الجمعة رابع عشريه: ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير بكتمر الساقى.

وفى يوم السبت خامس عشريه: أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك، وعن أخيه قمارى، وألزما بيوتهما.

---

(١) البهنسا: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل وهى عامرة بالناس جامعة لأمم شتى ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١١٤ والإدريسى ٥٠ وحنى الأزهار ١٠ ومعجم البلدان ٥١٧/١.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثه الطائى ثم التعلى أمير عرب الفضل فى بادية الشام وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٢١ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والعبر لابن خلدون ٥/ ٤٣٩ و الأعلام ١/ ٢١٦.

وفى مستهل ربيع الأول: قدم البريد بانتشار الجراد بأعمل دمشق والبلقاء، ورعيه زروعهم وقد أدرك الشعير، وأنه عم البلد حتى وصل إلى الرمل وقرب من الصالحية؛ فهلك الشعير عن آخره.

وفيه تحسن سعر الغلة، حتى أبيع الأردب القمح بثلاثين درهما.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس، وأحضر عنده الأوباش، فلعبوا باللبخة، وهى عصِى كبار حدث اللعب فى هذه الدولة، وقتل فى اللعب بها جماعة. فلعبوا بها بين يديه، وقتل رجل رفيقه، فخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بخبز فى الحلقة واستمر السلطان بلعب الكرة فى كل يوم، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجوارى. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: «خلوا كل أحد يعمل ما يريد».

فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلائى فيه مع السلطان، حتى عاد إلى القلعة وقد تظاهر الناس بكل قبيح، ونصبوا أخصاصا فى جزيرة بولاق[1] والجزيرة الوسطانية التى سموها حليمة، بلغ مصروف كل خص فيها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم. وعمل كل خص بالرخام والدهان البديع، وزرع حوله المقائى والرياحين، وأقام بها معظم الناس من الباعة والتجارة وغيرهم، وكشفوا ستر الحياء، وبالغوا فى التهتك بما تهوى أنفسهم فى حليمة، وفى الطمية[2] وتنافسوا فى أرضها حتى كانت كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهما، فيبلغ الفدان الواحد منها بثمانية آلاف درهم، ويعمل فيها ضامن يستأجر منها الأخصاص. فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء، وغرقت الجزيرة فاجتمع فيها من البغايا والأحدا وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته، وأنفق الناس بها أموالا تخرج عن الحد فى الكثرة. وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلا، إلى أن قام الأمير أرغون العلائى فى أمرها قياما عظيما، وأحرق الأخصاص على حين غفلة، وضرب جماعة وشهرهم، فتلف بها مال عظيم جدا.

وفى هذه الأيام: قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض، وصار من بولاق إلى منشأة المهرانى ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقا واحدًا. وبَعُد على السقائين طريق الماء، فإنهم صاروا يأخذون الماء من قريب ناحية منبابة

(١) جزيرة بولاق وقد حدده المرحوم ابن تغرى بردى أنه تجاه بولاق. انظر النجوم الزاهرة ١٢٩/١٠.

(٢) الطمية اسم جزيرة أخرى وهى معروف باسم جزيرة دير الطين. انظر النجوم الزاهرة ١٢٩/١٠.

وبلغت الراوية الماء إلى درهمين، بعد نصف وربع درهم؛ فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائى. فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة، وانكشاف ما تحت بيوت البحر من الماء، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك، فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة النيل واقتضى الرأى أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر، ويرمى من بر الجيزة إلى المقياس، حتى يصير جسرا يعمل عليه، ويدفع الماء إلى الجهة التى انحسر عنها. فنقلت الأتربة فى المراكب، والقيت هناك إلى أن بقى جسرا ظاهرا، وتراجع الماء قليلا إلى بر مصر؛ فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر.

وفيه لعب السلطان مع الأمراء بالكرة فى الميدان من القلعة، فاصطدم الأمير بيبغا الصلاحى مع آخر سقطا معًا عن فرسيهما إلى الأرض. ووقع فرس بيبغا على صدره، فانقطع نخاعه، ومات لوقته؛ فأنعم بإقطاعه على قطلوبغا الكركى.

وفيه قدم الشريف عجلان بن رميثة من مكة وصحبته القود؛ فمنع من الإنعام عليه بعادته عند قدومه بقوده، وهى أربعة آلاف درهم. وكتب إلى أخيه ثقبة ألا يعارض وأن يحضر إلى القاهرة.

وفيه كتب إلى نائب حماة بإيقاع الحوطة على الأملاك والأراضى التى تقدم بيعها من الملك المؤيد إسماعيل ومن ولده، فإنها أبيعت بدون القيمة، فقام أربابها بقيمة المثل وحصل منهم ثلاثمائة ألف درهم.

وفيه قدم علاء الدين بن الحرانى ناظر دمشق، وشكا من قطع طقتمر الصلاحى مرتبات الناس ببلاد الشام. فلم تسمع شكواه، ورسم له ألا يصرف لأحد مرتبا ولا حوالة يحال بها على مال الشام، بل يوفر الجميع لمهم السفر للحجاز. ثم عاد علاء الدين بن الحرانى إلى دمشق، وتوجه صحبته تقى الدين سليمان بن مراجل، بشفاعته له فى السفر.

وفيه قدمت رسل ابن دلغادر بكتاب يتضمن أنه أخذ قلعة كانت بيد الأرمن، واحتوى على ما فيها وقتل أهلها؛ فأنعم عليه بها.

وفيه أخرج الأمير أيتمش عبد الغنى أحد الطلبخاناه على البريد، منفيا إلى الشام.

وفيه ولد السلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز، فدقت البشائر. ونزل الأمير قطلوبغا الكركى إلى الأمراء يبشرهم، فلبس من أربعة وعشرين أميرًا مقدما أربعة وعشرين تشريفا أطلس بحوائصها، سوى الذهب والفضة والخيل والتفاصيل. وأعفى

قطلوبغا مقدمين من الأخذ منهما، وهما علاء الدين على بن طغريل وبهادر العقيلى، من أجل أنهما أخذا الإمرة عن قريب. وأنعم عليه السلطان مع ذلك من الأهراء بخمسة عشر ألف أردب غلة، فاشتد حد المماليك له على ما ناله من السعادة فلم يطل عمر هذا المولود، ومات.

وفيه اشتدت المطالبة على أهل النواحى بالجمال والشعير والأعدال والأخراج والعبى، بسبب سفر السلطان للحجاز. وكثرت مغارم أهل النواحى للولاة والرقاصين، وشكا أرباب الإقطاعات ضرر بلادهم للسلطان، فلم يلتفت لهم. وقام فى ذلك الأمير أرغون شاه أستادار مع الأمير أرغون العلائى، فى التحدث مع السلطان فى إبطال حركة السفر، حتى تفاوضا بسببه وتنافرا. فحدث الأمير أرغون العلائى السلطان فى تركه السفر، فلم يصغ لقوله، وكتب باستعجال العرب بالجمال، واستحثاث طقتمر الصلاحى فيما هو بصدده من ذلك.

وفيه أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشى عرفات، وأخرج إلى الشام. وقصد السلطان أخذ أموال الطواشى كافور الهندى، فشفعت فيه خوند طغاى، فأخرج إلى القدس. وكان عرفات وكافور من خواص السلطان الملك الناصر محمد ونالا سعادة عظيمة؛ وبنى كافور تربة عظيمة بالقرافة.

وفيه نفى أيضًا ياقوت الكبير، وكافور المحرم، وسرور الدماميني.

وفى ثامن عشره: نفى أيضا من الطواشية دينار الصواف، ومختص الخطائى.

وأهل ربيع الآخر: ففيه قدم الخبر بموت تاج الدين محمد بن الزين خضر بن محمد ابن عبد الرحمن كاتب السر بدمشق، فرسم أن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق ناصر الدين محمد بن يعقوب عبد الكريم بن أبى المعالى، وأن يستقر جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود كاتب السر بحلب، على عادته.

وفيه اشتد فساد العربان بالصعيد والفيوم والإطفيحية، فأخرج الأمير غُرْلُو إلى إطفيح فأمَّن غرلو شيخ العربان مغنى، وأخذ فى التحيل على نمى حتى قبض عليه، وسلمه لمغنى، فعذبه عذابا شديدًا. فثارت أصحابه، وكبسوا الحى وتلك النواحى، وكسروا عرب المغنى، قتلوا منهم ثلاثمائة رجل وستين امرأة، وذبحوا الأطفال، ونهبوا الأجران وهدموا البيوت، ولحقوا بعربان الصعيد والفيوم[1] فكانت عدة من قتل منهم

(١) الفيوم : من البلاد المصرية وفيها قرى كثيرة ويقال إن فيها من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى. ويقال أيضًا أن بالفيوم ثلاثمائة قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الرى أبدا=

فى هذه السنة نحو الألفى إنسان، لم يفكر أحد فى أمرهم، ولا فيما أفسدوه.

وفيه مات ولد السلطان من ابنة الأمير تنكز؛ فولد له فى يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه، وسر به سرورا زائدا، وقصد أن يعمل له مهما وتدق البشائر فمنعه الأمير أرغون العلائى من ذلك، فعمل فرحا مدة سبعة أيام. وكان السلطان قد عمل لاتفاق على ولادتها بشخاناه وداير بيت، وغشاء مهد الولد وقماطه، عمل فيهم مبلغ ستة وثمانين ألف دينار. وحصل لأرباب الملهى أيام الفرح من خَلْع الخوانين عليهم البغالطيق بداير زركش، وباولى وطرازات زركش وغير ذلك، ما يعظم قدره. ومع ذلك مات الولد يوم سابعه.

وفيه مات يوسف بن السلطان الناصر محمد، واتهم السلطان بقتله.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام، ومعه مبلغ ألف ألف درهم، لتتمة جملة ما حمل من الشام ألف ألف وستمائة ألف درهم، مما توفر من المرتبات التى اقتطعت وجىء من الأعمال بالصنف، وذلك سوى الأصناف المستعملة برسم السفر.

وفيه ورد كتاب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام، مما اتفق بها من أخذ الأموال وانقطاع الجالب إليها، وأن الرأى تأخير السفر إلى الحجاز فى هذه السنة فقام الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازة فى تصويب رأى نائب الشام، وذكرا ما حدث ببلاد مصر من نفاق العربان، وضرر الزرع، وكثرة مغارم البلاد. وما زالا حتى رجع السلطان عن السفر، وكتب لنائب الشام بقبول رأيه فى ذلك، وكتب إلى الأعمال باسترجاع ما قبضه العرب من كرى الجمال ورمى البشماط الذى عمل على الباعة.

فلم يوافق هذا غرض نساء الساطان ووالدته؛ وأخذت والدته فى تقوية عزمه على السفر حتى قوى، وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لابد من السفر للحجاز، وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه. واشترى السلطان الجمال، وطلب الكاشف، ورسم له بطلب عربان مصر وتفرقة المال عليهم، لكرى أحمال الشعير والدقيق والبشماط.

فتجدد الطلب على الناس، وحملت الغلال إلى الطحانين لعمل البشماط والدقيق، واستعيد ما رمى من ذلك. فتحسن سعر الغلة، واختلت النواحى من العنف فى الطلب،

=وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. وبينها وبين الفسطاط أربعة أيام . انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤١٥ والاستبصار ٩٠ والأدريسى ١٤٦ وخطط المقريزى ١/٢٤٥ وابن الوردى ٢٣ وصبح الأعشى ٣/ ٢٩٧ ومعجم البلدان ٤٠/ ٢٨٦.

ورفعت أجرة الجمل إلى العقبة عشرة دراهم، وإلى ينبع ثلاثين درهما، وإلى مكة خمسين درهما واشتغل الناس بهذا المهم، وتوقفت أحوال أرباب المعايش، وقل الواصل من كل شيء.

وأخذ الأمراء فى أهبة السفر، وقلقوا لذلك، وسألوا الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى فى الكلام مع السلطان فى إبطال سفره، وتعريفه رقة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك فى نوبة الناصر أحمد، ومن خراب بلادهم لطلب الكشاف والولاة فلاحيها بالشعير وغيره فكلما السلطان بذلك، فاشتد غضبه وأطلق لسانه؛ فما زالا به حتى سكن غضبه؛ فرُسم من الغد الحج لجميع الأمراء بالتأهب للسفر، ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة. فاشتد الأمر على الناس بديار مصر وبلاد الشام، وكثر دعاؤهم لماهم فيه من السخر والمغارم. وتنكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه.

وبلغ الأمير يلبغا اليحياوى قتل يوسف أخى السلطان، وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافق لأغراض نسائه؛ فجمع أمراء دمشق، وحلفهم على القيام معه، وبرز إلى ظاهر دمشق فى نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرنطاى البشمقدار نائب حمص،والأمير أراق الفتاح نائب صفد، والأمير أستدمر نائب حماة، والأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس. فاجتمعوا جميعا ظاهر دمشق مع عسكرها، وكتبوا بخلع الملك الكامل، وظاهروا بالخروج عن طاعته. وكتب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام إلى السلطان: «إنى أحد الأوصياء عليك، وإن مما قاله الشهيد رحمه الله لى وللأمراء فى وصيته، إذا أقمتم أحدا من أولادى ولم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد، وقتلت أخاك، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر، وصرت تبيع أخبار الأجناد بالفضة» وذكر الأمير يلبغا اليحياوى له أمورًا فاحشة عملها، فقدم كتابه فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى. فلما قرأه السلطان الكامل[1] تغير تغيرًا زائدًا، وأوقف عليه الأمير أرغون العلائى بمفرده، فقال له: «والله

---

(١) الملك الكامل شعبان الكامل بن محمد الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بالقاهرة بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل. انظر ابن إياس ١: ١٨٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٦، ٢١٩ والدرر الكامنة ٢: ١٩١ وشذرات الذهب ٦: ١٥٠ والنجوم الزاهرة ١٠: ١١٦، ١٤٠ والأعلام ٣/ ١٦٤.

لقد كنت أحسب هذا، وقلت لك فلم تسمع قولى»، وأشار عليه بكتمان هـذا. وكتب السلطان الكامل الجواب يتضمن التلطف فى القول، وأخرج الأمير منجك على البريد إلى الأمير يلبغا اليحياوى فى ثانى عشريه، ليرجعه عما عزم عليه، ويكشف أحوال الأمراء؛ وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإطال السفر.

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء، والمماليك، فأشار الأمير أرغون العلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخبر. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاى، ومعه من الأمراء منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، وآقسنقر الناصرى، وطيبغا المجدى، وأرغون الكاملى، وأمير على بن طغريل النوغاى، وابن طقزدمر، وابن طشتمر، وأربعين أمير طبلخاناه، وعشرين أمير عشرة، وأربعين مقدم حلقة. وحملت النفقة إليهم: لكل مقدم الف دينار، ماعدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار؛ وكتب بإحضار الأجناد من البلاد.

فقدم كتب منجك من الغور بموافقة النواب لنائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تفيد، فإنه يقول إن أمراء مصر معه. وقدم كتاب نائب الشام أيضًا - وفيه خط أمير مسعود بن خطير، وأمير على بن قراسنقر، وقلاوون، وحسام الدين البقشمدار - يتضمن: «إنك لا تصلح للملك، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء»، وعدد ما فعله. ثم قال: «ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك».

فاستدعى السلطان الكامل الأمراء، وحلفهم على طاعته، ثم أمرهم بالسفر إلى الشام، فخرجوا من الغد، وخرج طُلب منكلى بغا الفخرى، وبعده أرغون الكاملى. وعندما وصل أرغون الكاملى تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليشه إلى الأرض، فصاحت العامة: «راحت عليكم ياكاملية»، وتطيروا بأنهم غير منصورين. وأخذ المجردون فى الخروج شيئًا بعد شىء، وتقدم حلاوة الأوجاقى يوم الخميس عشريه، وأخبر بأن منجك ساعة وصوله دمشق قبض عليه يلبغا اليحياوى نائب الشام، وسجنه بالقلعة. فبعث السلطان الطواشى سرور الزينى لإحضار أخويه أمير حاجى وأمير حسين؛ فاعتذر بوعكهما، وبعثت أمهاتهما إلى الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى يسألانهما فى التلطف مع السلطان فى أمرهما.

فبلغت الأمير أرغون بعض جوارى زوجته، أم السلطان الكامل، أنها سمعت

السلطان وقد سكر وكشف رأسه وقال: «إلهى أعطيتنى الملك، ومكنتنى من آل ملك وقمارى، وبقى العلائى والحجازى، فمكنى منهما حتى أبلغ غرضى فيهما»؛ فأقلقه ذلك. ثم دخل الأمير أرغون العلائى على السلطان فى خلوة، فإذا هو متغير الوجه مفكر. فبدره السلطان بأن قال له: «من جاءك من جهة إخوتى أنت والحجازى»؟ فعرفه أن النساء دخلن عليهما، وطلبن أن يكون السلطان طيب الخاطر على أخويه ويؤمنهما فإنهما خائفان. فرد عليه السلطان جوابا جافيا، ووضع يده فى السيف ليضربه به، فقام عنه لينجو بنفسه.

وعرف الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى بما جرى له، وشكا من فساد السلطنة. فتوحش خاطر كل منهما، وانقطع العلائى عن الخدمة وتعلل. وأخذت المماليك أيضًا فى التنكر على السلطان، وكاتب بعضهم الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، واتفقوا بأجمعهم حتى اشتهر أمرهم وتحدثت به العامة؛ ووافقهم الأمير قراسنقر.

فألح السلطان فى طلب أخويه، وبعث قطلوبغا الكركى فى جماعة حتى هجموا عليهما ليلا؛ فقامت النساء ومنعوهما منهم. فهم السلطان أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما، فجىء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشريه، فأدخل بهما إلى موضع، ووكل بهما؛ وقام العزاء فى الدور عليهما. وهمت المماليك بالثورة والركوب للحرب.

وفى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخر: خرج الأمير أرقطاى بطُلبه، حتى وصل طُلبه إلى باب زويلة، ووقف مع الأمراء فى الموكب تحت القلعة، وإذا بالناس قد اضطربوا. ونزل الأمير ملكتمر الحجازى سائقا يريد إصطبله، وتبعه الأمير أرغون شاه أيضًا إلى جهة إصطبله. وسبب ذلك أن السلطان جلس بالإيوان على العادة، وقد بيت مع ثقاته القبض على الأمير ملكتمر الحجازى والأمير أرغون شاه إذا دخلا، وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة. فخرج طغيتمر الدوادار ليأذن لهما، فأشار لهما بعينه أن يذهبا وكان قد بلغهما التنكر عليهما، فقاما من فورهما ونزلا إلى خيولهما، فلبسا وسارًا إلى قبة النصر، وبعث الأمير ملكتمر الحجازى يستدعى آقسنقر من سرياقوس، فما تضحى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر.

وطلب السلطان الأمير أرغون العلائى واستشاره، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب ومعه الأمير أرغون العلائى وقطلوبغا الكركى وتمر الموساوى، وعدة من المماليك. وأمر السلطان فدقت الكوسات حربيا، ودارت النقباء على أجناد الحلقة والمماليك ليركبوا، فركب بعضهم.

هذا وقد قَدم آقسنقر إلى قبة النصر، وصار السلطان فى جميع كبير من العامة، وهو يسألهم الدعاء، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق. وسار السلطان فى ألف فارس حتى قابل الأمراء، فانسل عنه أصحابه، وبقى فى أربعمائة فارس. فبز له آقسنقر ووقف معه، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة، فأجابه إلى ذلك وبكى. فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء، وعرفهم ذلك. فلم يرض أرغون شاه، وبَدَر ومعه قرابغا وصمغار وبزلار وغُرْلو فى أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان؛ وسيروا إلى الأمير أرغون العلائى أن يأتيهم، ليأخذوه إلى عند الأمراء. فلم يوافق الأمير أرغون العلائى على ذلك، فهجموا عليه، وفرقوا من معه، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض؛ فضربه يلبغا أروس بسيف قطع خده، وأخذ أسيرًا، فسُجن فى خزانة شمايل وفر السلطان الكامل شعبان إلى القلعة، واختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلائى.

وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير حاجى وأمير حسين من سجنهما؛ وقبلوا يد أمير حاجى، وخاطبوه بالسلطنة. وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه، حيث كان أخويه مسجونين؛ ووكل به قرابغا القاسمى وصمغار.

ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجى وأمير حسين حتى كان يكون غداءهما، وعمل سماط السلطان على العادة. فوقعت الضجة، وقد مد السماط فركب السلطان شعبان من غير أكل. فلما انهزم شعبان وقبض عليه، وأقيم أخوه أمير حاجى بدله، مد السماط[1] بعينه له، فأكل معه حاجى؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل، فأكله فى السجن.

ثم قُتل شعبان فى يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر، ودفن عند أخيه يوسف، ليلة الخميس. فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يومًا، وكثر التظاهر فيها بالمنكرات، لشغفه باللهو، وعكوفه على معاقرة الخمر، وسماع الأغانى واللعب، وبيعه الإقطاعات والولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حى بمال لآخر، فإذا وقف من أخرج إقطاعه قيل له: «نعوض عليك».

وأخذ الأمراء على شعبان تمكينه الخدام والنساء من التصرف فى المملكة، والتهتك فى النزه والصيد، واللعب بالكرة بالهيئات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات، حتى إن حريمه إذا نزلن إلى نزهة تبلغ عندهن الجرة الخمر

---

(١) السماط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المأدب. انظر المعجم الوسيط ٤٦٦/١، الوجيز ٣٢١.

إلى ثلاثين درهما وشره حريم شعبان فيما فى أيدى الناس من الدواليب والأحجار، والبساتين والدور، ونحوها. فأخذت أمه معصرة وزير بغداد، وأخذت إتفاق أربعة أحجار وأخذت أمه أيضا من وزير بغداد منظرة على بركة الفيل.

وحدث فى أيامه أخذ خراج الرزق، وزيادة القانون، ونقص الأجاير؛ وأعيد ضمان أرباب الملاعيب. ولم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار، وخمسمائة ألف درهم. وكان مع ذلك مهابا سيوسا، متفقدًا لأحوال المملكة، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة؛ وكان حازما ذا رأى واحتياط ومحبة لجمع المال، وفيه قيل:

بيت قلاوون سعاداته ... فى عاجل كانت بلا آجل
حل على أملاكه للردى ... دين قد استوفاه بالكامل

* * *

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى الألفى(١)

سجنه أخوه شعبان الكامل كما تقدم، ومعه أخوه حسين. فلما انهزم شعبان من الأمراء مرَّ وهو سائق فى أربعة مماليك إلى باب السر، فوجده مغلقًا والمماليك بأعلاه، فتلطف بهم حتى فتح له أحدهم؛ ودخل ليقتل أخويه، فلم يفتح الخدام له الباب، فمضى إلى أمه.

وصعد الأمراء إلى القلعة، وقد قبضوا على الأمير أرغون العلائى، وعلى الطواشى جوهر السحرتى اللالا، وأسندمر الكاملى، وقطلوبغا الكركى، وجماعة ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة، وطلبا أمير حاجى، فأدخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما. وبشرا حاجى بالظفر. ثم دخل الأمير أرغون شاه إلى حاجى،وقبل له الأرض،وقال له: «باسم الله، اخرج أنت سلطاننا»، وسار به وبحسين إلى الرحبة، وأجلسه على باب الستارة.

ثم طلب الأمير أرغون شاه شعبان الكامل حتى وحده قائما بين الأزيار، وقد اتسخت ثيابه؛ فأخرجه إلى الرحبة، وأدخله إلى الدهيشة حتى سجنه بها، حيث كان حاجى.

---

(١) حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى سيف الدين الملقب بالملك المظفر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ وشغل باللهو، واللعب بالحمام، لصغر سنه وساءت سيرته فقتله بعض القواد. انظر الدرر الكامنة ٢: ٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨ - ١٧٤ والأعلام ٢/ ١٥٣.

وطلب الأمير أرغون شاه الخليفة والقضاة، وأركب حاجى من باب الستارة إلى الإيوان. وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم حتى جلس حاجى على سرير الملك، فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة. ولقب حاجى بالملك المظفر، له من العمر خمس عشرة سنة. وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحلف لهم أولا أنه لا يؤذى أحدًا منهم، ولا يخرب بيت أحد؛ وحلفوا له على طاعته. وركب الأمير بيغرا البريد ليبشر الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، ويحلفه وأمراء الشام.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحى من المغارم، ورماية الشعير والبرسيم.

وفيه حمل الأمير أرغون العلائى إلى الإسكندرية.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: قبض على الشيخ على الدوادار، وعلى عشرة من الخدام الكاملية، وسلموا إلى شاد الدواوين. وسلم له أيضًا الطواشى جوهر السحرتى وقطلوبغا الكركى ومقبل الرومى، وألزموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس على قضاء الأشغال؛ فعذبوا بأنواع العذاب، ووقعت الحوطة على موجودهم.

وفيه قبض على الأمير تمر الموساوى، وأخرج إلى الشام.

وفيه أمر بأم الكامل وزوجاته، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة. وعرضت جوارى دار السلطان، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء.

وفيه أحيط بموجود إتفاق، وأنزلت من القلعة. وكانت سوداء حالكة السواد اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس، وعلمتها الضرب بالعود عَلى عبْد عَلِى العواد، فمهرت فيه. وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء، قدمتها ضامنة المغانى لبيت السلطان، فاشتهرت فيه، حتى شغف بها الصالح إسماعيل وتزوج بها. ثم لما تسلطن شعبان الكامل باتت عنده من ليلته، لما كان فى نفسه منها أيام أخيه، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف فى زمانها لامرأة غيرها، حتى إنه عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا، وعرضه ستة أذرع، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية سوى البشخاناه والمخاد والمساند. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة بداير زركش، وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم، وأقلها بخمسة آلاف درهم، إلى غير ذلك مما يجل وصفه.

وفيه وُفِّر من مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

وفيه رسم بإعادة الأملاك التى أخذها حريم الكامل لأربابها؛ فاستعاد الوزير نجم الدين معصرته، وأخذ من اتفاق وغيرها ما أخذته من الناس.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعيب جميعهم.

وفى عاشره: وجد صندوق مفتاحه تحت يد الشيخ على الدوادار، فيه بَرَانى[1] فضة مختومة، وأحقاق فتحت بحضرة الأطباء، فإذا هى سموم قاتله. فعرض العذاب على الشيخ على حتى اعترف أن المزين المغربى الذى أقامه الكامل رئيس الجرائحية ركب ذلك. فاحترق بالنار قدام الإيوان وكان هذا المغربى تعرَّف بأولاد السلطان وهم بقوص، وقدم معهم؛ فلما تسلطن شعبان الكامل تقرب إليه بعمل السموم وصناعة الكيمياء.

وكان قد قدم فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية إلى ملكتمر، الحجازى فأعجبته مصر وأسلم، وعرف بآقسنقر الرومى. وأنعم عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة، وما زال بمصر إلى أيام شعبان الكامل فتقرب إليه آقسنقر الرومى بعمل الفلك والشعبذة، واختص به، وقام مع المغربى فى عمل السموم؛ وخرج على البريد مرارًا لإحضار الحشائش القاتلة من بلاد الشام، حتى ركبت بين يدى الكامل.

وفيه نقل علم الدين عبد الله بن زنبور من نظر الدولة إلى نظر الخاص، عوضا عن فخر الدين بن السعيد.

وفيه قبض على ابن السعيد، وألزم بحمل مال.

وفيه خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم، واستقر فى نظر الدولة وخلع على سعد الدين بن جرباش، واستقر فى الاستيفاء، عوضا عن ابن ريشة.

وفيه قبض على أقطوان متولى الأهراء، والصناعة، وشد الأوقاف الصلاحية، ونظر الحرمين، وسلم لشاد الدواوين، فإنه كان تجاه أستاذه الطواشى شجاع الدين اللالا، واجتمع له خمس عشرة وظيفة، وبعد صيته واشتدت حرمته.

وفيه قدم بيغرا من الشام، وقد لقى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، وقد برز خارج دمشق يريد المسير إلى مصر بالعساكر فسر الأمير يلبغا اليحياوى سرورًا زائدًا بإزالة الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجى، وعاد إلى دمشق، وحلف الأمراء على العادة.

---

(١) برانى مفرد هذا اللفظ برنية: شبه فخارة ضخمة خضراء، وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه، غيره: والبرنية إناء من خزف كالجرة أو القارورة انظر لسان العرب ٢٧٠، والمعجم الوسيط ١/٥٤، محيط المحيط (مادة برن).

وأقام يلبغا اليحياوى الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان حاجى وسير دنانير ودراهم منها، وكتب يهنئ السلطان حاجى بجلوسه على تخت الملك.

وشكا الأمير يلبغا اليحياوى من نائب حلب، ونائب غزة ونائب قلعة دمشق مغلطاى المرتينى، ومن نائب قلعة صفد قرمجى، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة شعبان الكامل. فرُسم بعزل طقتمر الأحمدى نائب حلب، وقدومه إلى مصر، واستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه فى نيابة حلب، واستقرار الأمير أسندمر العمرى نائب حماة فى نيابة طرابلس، والقبض على مغلطاى المرتينى نائب قلعة دمشق، وعلى قرمجى نائب قلعة صفد، وعزل نائب غزة، وأن يحضر الأمير أيتمش عبد الغنى وقطليجا الحموى إلى مصر، واستقرار أمير مسعود بن خطير فى نيابة غزة، واستقرار طقتمر الصلاحى فى نيابة حمص.

وكان الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام لما عاد إلى دمشق، عمر قبة عند مسجد القدم حيث كان قد برز، وسماها قبة النصر؛ وهى التى تعرف بقبة يلبغا.

وفى رابع عشره: خلع على عنبر السحرتى؛ واستقر مقدم المماليك، عوضًا عن محسن الشهابى.

وفيه خلع على مختص الرسولى، واستقر زمام الدور، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه قبض على ممدود بن الكورانى أمير طَبَر، وعلى أخيه علاء الدين على بن الكورانى. واستقر جمال الدين يوسف والى الجيزة عوضه أمير طبر، وعزل علاء الدين على بن الكورانى من كشف الوجه القبلى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرغون العلائى على الأمير أرغون شاه.

وفيه أنعم على كل من الأمير أصلم والأمير أرقطاى بزيادة إقطاعه.

وفيه استقر علاء الدين بن الأطروش فى حسبة دمشق، وتدريس الخاتونية.

وفيه أنعم على ابن الأمير تنكز بإمرة طبلخاناه، وعلى أخيه بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على ابن الأمير ألطنبغا نائب حلب، بإمرة عشرة فى دمشق.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: أمَّر السلطان ثمانية عشر أميرًا، فكان يومًا مشهودًا كثر فيه جميع الناس عند نزولهم إلى القبة المنصورية على العادة.

وفى سابع عشره: أخرج آقجُبَاى إلى حماة.

وفى يوم الخميس ثالث شهر رجب: خلع على الأمير أرقطاى، واستقر نائب السلطان باتفاق الأمراء عليه، بعدما تمنع من ذلك تمنعًا كثيرًا، حتى قام الحجازى بنفسه وأخذ السيف، وأخذ أرغون شاه الخلعة، ودارت الأمراء حوله وألبسوه على كره منه. فخرج الأمير أرقطاى فى موكب عظيم حتى جلس فى شباك دار النيابة، وحكم بين الناس؛ فرسم له بزيادة ناحيتى المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة.

وفيه توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة.

وفيه خرج الأمير بيدمر البدرى إلى نيابة حلب.

وفى يوم الإثنين ثامن عشريه: خلع على الأمير قطليجا، واستقر فى ولاية القاهرة.

وفيه نقل من تسليم شاد الدواوين إلى تسليم والى القاهرة ستة خدام، وهم نصر الهندى، وأنس، وفاتن الصالحى، وسرور الزينى، وعنبر سيغا، وجوهر السحرتى اللالا، ومعهم المزين المغربى، ونصرانى راهب. ورسم بتسميرهم جَميعًا، فأخرجوا من الغد ليسمروا بسوق الخيل تحت القلعة، وأقعدوا على الجمل وربطوا. فشفع فيهم الأمراء، فأنزلوا ومضوا بهم ماشين إلى خزانة شمايل؛ ثم أفرج عنهم فى بقية يومهم، ونفوا من مصر.

وكان القمح قد تحسن فى الدولة الكاملية من أول السنة، هو وجميع الغلال، وبلغ خمسة وخمسين درهما الأردب، وبلغ الشعير اثنين وعشرين درهما الأردب، والفول عشرين درهما. فانحطّ سعر القمح فى الأيام المظفرية إلى خمسة وثلاثين درهما، ونقص من بقية الغلال ثلث سعرها، فتيامن الناس به.

وفيه أخذت الباعة تتعنت فى الفلوس، وترد الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال؛ وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه، فنودى برد القصوص من الفلوس، ورد الرصاص والنحاس الأصفر منها، وألا يؤخذ إلا ما عليه سكة. وترافقوا بالناس، ولم يضرب أحد منهم بسبب ذلك، فمشت الأحوال.

وفيه قدم الأمير أيتمش عبد الغنى، والأمير قطليجا الحموى. فرسم لأرغون الكاملى بلزوم بيته، وأخرجت تقدمته، وعُوّض عنها بطبلخاناه يأكلها وهو فى بيته.

وفى مستهل شعبان: ابتدأ مرض الأمير بهاء الدين أصلم، فأقام أياما ومات؛ فانعم بإمرته على طغيتمر النجمى الدوادار. وأخذ إقطاعه - وهو عَبَرة مائة ألف وأربعين ألف دينار - فسلخ منه مبلغ أربعين ألف دينار، وأضيفت لديوان الخاص.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل، فخلع عليه، ووعد بإمرة العرب، وقبلت خيوله التى قدمها وصار للسلطان به أنس.

وفيه خلع على الأمير تمربغا العقيلى، واستقر فى نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاى باستعفائه.

وفيه قدم نغيه مملوك المحسنى، من برقة فارًا. وكان قد ورد فى الأيام الكاملية أن قايد شيخ برقة مات، بعدما خالف عليه أقاربه. فسمى نغيه فى إقطاعه وأن يكون أمير برقة، ويأخذ العداد على العادة، ويقوم بخمسين فرسا. فأنعم عليه بذلك، وتوجه إلى برقة، وأخذ عداد الأغنام بالعسف، حتى جمع منها شيئًا كثيرا، واقتنى الجمال والخيل. فلما بلغ أهل بر قة قتل الملك الكامل شعبان ثاروا به، وقتلوا من أجناده ثلاثين رجلا، وفر بنفسه إلى القاهرة.

وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والى القاهرة على باب زويلة. وذلك أنه نصب خشبتين، وعمل فيهما بكرتين، وأرخى فيهما سَلبًا، ليرتفع فيهما المجرمين حتى يهلكا؛ فأزيلتا. ورُسم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيمان البرقية، خارج سور القاهرة.

وفيه أخرج الأمير بيغرا لكشف الجسور بالوجه القبلى، والأمير أرلان لكشف الجسور بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين خامس عشريه: خرج الأمير أرغون شاه أستادار على البريد، لنيابة صفد. وسبب ذلك تكبره وتعاظمه فى نفسه، وتحكمه على السلطان فيما يرسم به، ومعارضته لأغراضه، وفحشه فى مخاطبة السلطان والأمراء، حتى كرهته النفوس. وعزم السلطان على مسكة، فتلطف به النائب الأمير أرقطاى حتى تركه، وخلع عليه بنيابة صفد، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على المخامرة. وأنعم بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازى، وأعطى ناحية بوتيج زيادة عليه.

وفيه استقر الصاحب تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال فى الشام، عوضا عن ابن الحرانى؛ وكان بمصر من الأيام الكاملية شعبان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا فى طلب إمرة العرب، فلم يقبل السلطان عليه.

وفى يوم الأحد أول شوال: تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه.

وفى آخره طُلِبت إتفاق إلى القلعة، فطلعت بجواريها مع الخدام، وتزوج بها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى[١] شاهد الخزانة. وبنى السلطان عليها من ليلته، بعدما جليت عليه، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت، فأنعم عليها السلطان بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعمائة ألف درهم.

وفى ثامنه: أنعم السلطان على طنيرق أحد مماليك أخيه يوسف بتقدمة ألف، ونقله من الجندية إلى التقدمة لجماله وحسنه؛ فكثر كلام المماليك بسبب ذلك.

وفيه رسم بإعادة ما خرج عن إتفاق وخدامها وجواريها من الرواتب، وطلب عبد على العواد معلم إتفاق إلى القلعة، فغنى للسلطان، فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة زيادة على ما بيده، وأعطاه مائتى دينار وكاملية حرير بفرو سمور.

وانهمك السلطان فى اللهو، وشغف باتفاق حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط جبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فمازال به الأمير أرقطاى النائب حتى رجع عن ذلك.

ورسم السلطان فى يوم الجمعة سادسه بعد الصلاة أن يخلع على قطليجا الحموى، واستقراره فى نيابة حماة، عوضا عن طيبغا المجدى؛ وخلع أيضا على أيتمش عبد الغنى، فاستقر فى نيابة غزة؛ وخرجا من وقتها على البريد.

وفيها جلس السلطان والأمير أرقطاى النائب لعرض المماليك، وانتقى من كل عشرة اثنين وزاد إقطاعاتهم وأكرمهم، وقدم منهم جماعة. وقصد السلطان عرض أجناد الحلقة، فتلطف به الأمير أرقطاى النائب حتى كف عن عرضهم.

وفيه قدم الخبر بغلاء الأسعار بدمشق، حتى أبيع الخبز كل رطلين بدرهم، والقمح كل غرارة بمائة وسبعين، وفيه تأخر المطر بعامة بلاد الشام.

وتوقفت أحوال الدولة، من كثرة رواتب الخدام والقهرمانات والعبيد والغلمان، وزيادتها عما كانت عليه فى الأيام الكاملية. فأشار غرلو بأن توزع على المباشرين

---

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى شهاب الدين المؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم وله النبذة الكافية فى معرفة الكتابة والقافية خ. انظر فوات الوفيات ١: ٧ والسحب الوالة وابن الوردى ٢/ ٣٥٤ والدرر الكامنة ١/ ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ وادب اللغة ٣/ ٢٢٦ والأعلام ١/ ٢٦٨.

جامكية شهرين يقبضها المعاملون، فوزعت عليهم، واحتال بها المعاملون؛ فمشت الأحوال قليلا. وكان غرلو قد تمكن من السلطان، وصار يدخل مع الخاصكية، فإذا أشار بشيء قبل قوله.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر بهديته، فخلع عليه؛ وجهزت له خلعة مع بريدى، فأخذها نائب الشام، ومنع من حملها إليه، فإنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره والقبض عليه.

وفى ذى القعدة: توجه أحمد بن مهنا عائدًا إلى بلاده، من غير طائل.

وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى؛ فخص كل جوقة خمسة آلاف درهم. ونثر السلطان على العروس عند جلائها الذهب، وصبحها من الغد بألفى دينار، بعدما زاد لها فى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار.

وفيه خلع على سيف بن فضل بإمرة العرب، وأنعم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم فى السنة من إقطاع أحمد بن مهنا؛ وأعيد إلى بلاده، فسار إليها.

وفى مستهل ذى الحجة: توجه الأمير ملكتمر الحجازى للصيد، وصحبته خمسة عشر أميرا.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من حلب، فلم تطل إقامته حتى مات.

وفيه قتل قرمجى بن أقطوان نائب قلعة صفد، بدمشق فى شعبان؛ وأخذ ماله.

وفيه قدم حمل سيس، بحق النصف.

وخرجت هذه السنة وقد مر بالناس فيها شدائد من غلاء الأسعار لغلال مصر والشام، ونفاق العربان، وتوقف النيل، واختلاف الدولة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير بهاء الدين بن أصلم، أحد المماليك المنصورية قلاوون، فى يوم السبت عاشر شعبان؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة.

ومات الأمير بيدمر الأشرفى، أحد أمراء دمشق.

ومات الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، مقتولا بالإسكندرية فى الأيام الكاملية؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة، فى يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخر. وأصله من كسب الأبلستين فى الأيام الظاهرية بيبرس، سنة ست وسبعين وستمائة، فاشتراه قلاوون وهو أمير، ومعه سلار. وأهدى قلاوون سلارًا لولده على، وآل ملك للسعيد بركة بن الظاهر زوج ابنته. فأعطاه الملك السعيد لكوندك، ثم صار بعده لعلى بن قلاوون، وترقى حتى صار نائب السلطنة زمن السلطان عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد. وله تنسب مدرسة آل ملك بالقاهرة، وجامع آل ملك بالحسينية؛ وكان خيرا دينا.

وتوفى تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن على المصرى كاتب السر بدمشق، فى ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى مقتولا، وقد ولى أستادارا، وعمل نائب طرابلس؛ وذكر أنه كان فى بلاده راعى غنم.

ومات الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك، فى يوم الإثنين مستهل المحرم خارج القاهرة، وقد قدم مريضا.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب، فى يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ إبراهيم الجعبرى، يوم الخميس سلخ ذى الحجة.

ومات الشيخ عبد الله بن على بن سليمان بن فلاح عفيف الدين بن عبد الرحمن اليافعى اليمنى الشافعى، فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة.

ومات ملك تونس أبو بكر بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى ليلة الأربعاء ثانى رجب، بعد ما ملك ثلاثين سنة تنقص شهرا وسبعة أيام؛ وأقيم بعده ابنه أبو حفص عمر.

ومات الأمير طقتمر الصلاحى أحد خواص شعبان الكاملى؛ وكان من أعيان أمراء مصر، ثم أخرج لنيابة حمص، فمات بها.

* * *

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

يوم الثلاثاء أول المحرم: ركب السلطان فى أمرائه الخاصكية، ولعب بالكرة فى الميدان تحت القلعة، فغلب الأمير ملكتمر الحجازى، فلزم بعمل وليمة فى سرياقوس للسلطان، ذبح فيها خمسمائة رأس غنم، وعشرة أفراس، وعمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب، وجمع سائر أرباب الملهى؛ وحضر إليه السلطان والأمراء.

وفيه قدم كتاب أسندمر العمرى نائب طرابلس يسأل الإعفاء، فأجيب إلى ذلك. وخلع على الأمير منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، واستقر فى نيابة طرابلس، وسار فى يوم الإثنين حادى عشريه.

وفى هذا الشهر: وقف جماعة للسلطان، وشكوا من بعد الماء وانحساره عن بر مصر والقاهرة حتى غلت رَوَايَا الماء فرسم بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة ألف وعشرين ألف درهم، جبيت من أرباب الأملاك المطلة على النيل، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع. وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف ابن خطيب بيت الآبار.

وفيه توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجوارى، وأخذهم الرزق بأرض بهيتت من الضواحى، وبأرض الجيزة وغيرها، بحيث أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان من شاسع البحيرة، قام السلطان والأجناد بكلفة جسورها.

وفيه فرق السلطان نصف إقطاع منكلى بغا الفخرى، وتأخر نصفه.

وفيه قدم الأمير بيغرا من كشف الجسور؛ فخلع عليه، واستقر أمير جاندار عوضا عن منكلى بغا الفخرى.

وفيه قدم الأمير أسندمر العمرى من طرابلس، فأنعم عليه ببقية إقطاع مكلى بغا الفخرى.

وفى خامس عشريه: قدم الحاج، وأخبروا برخاء أسعار مكة، وحسن سيرة الشريف عجلان.

وفيه قدم تجار اليمن والهند، وكان الفلفل قد عز وجوده بالقاهرة حتى بلغ الرطل

ستة وأربعين درهما؛ و لم يعهد مثل ذلك فيما سلف، فأبيع عند قدوم الحاج بخمسة دراهم الرطل.

ووقع اختلاف فى أمر الوقوف بعرفة، فإن الوقفة كانت عند أهل مكة يوم الجمعة، على ما ثبت بمكة على قاضيها، بحضور قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وغيره من حجاج مصر والشام والعراق. وكان يوم عرفة بمصر والإسكندرية يوم الخميس، فقام الشيخ علاء الدين على بن عثمان[1] التركمانى الحنفى فى الإنكار على ابن جماعة، وأفتى أن حج الناس فاسد، ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحجاج من الأموال، وأنه يجب على الحجاج كلهم أن يقيموا محرمين لا يَطئوا نساءهم ولا يمسوا طيبا حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى. وشنع بذلك عند الأمراء، وأظهر الحزن على الناس، والأسف على ما أنفقوه من أموالهم. فشق ذلك على الأمير طغيتمر الدوادار، من أجل أن زوجته حجت فيمن حج، وأخذ خط ابن التركمان بما تقدم ذكره. فغضب الشافعية، وأنكروا مقالته وردوها. وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلسا فى ذلك، ويطلب ابن التركمانى ويدعى عليه بما أفتى به، مما لا يوجد فى كتب الحنفية؛ فراجعه الناس عن ذلك مخافة الشناعة.

وفيه رسم لمقبل الرومى أن يخرج إتفاقًا وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة، بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئًا من الجوهر والزركش، وأن يقلع عصابة إتفاق عن رأسها ويدعها عنده. وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك: الصالح إسماعيل، والكامل شعبان والمظفر حاجى؛ وتنافسوا فيها، واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية.

وسبب ذلك أن الأمراء الخاصكية قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهم إنكار الأمراء الكبار والمماليك على السلطان شدة شغفه بالنسوة الثلاث المذكورات، وانهماكه على اللهو بهن، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء، وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهن ولأمثالهن؛ فعرفا السلطان إنكار الأمراء عليه إعراضه عن تدبير الملك، وخوفوه عاقبة ذلك؛ فتلطف به، وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء وأخرجهن وفى نفسه حزازات لفراقهن، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم؛ فأحب أن

---

(١) على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني أبو الحسن بن التركمان قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر له كتب منها (المنتخب) فى علم الحديث. انظر لحظ الألحاظ والفوائد البهية ١٢٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٦ والأعلام ٤/ ٣١١.

يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه، واختار صنف الحمام، وأنشأ حضيرا[1] بأعلى الدهيشة، ركبه على صوار وأخشاب عالية، وملأه بأنواع الحمام؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم.

وقدم البريد من حلب بأن صاحب سيس جهز مائتى أرمنى إلى ناحية أياس، فلما قربوا من كوار ليهجموا على قلعتها قاتلهم أربعون من المسلمين؛ فنصرهم الله على الأرمن، وقتلوا منهم خمسين، وأسروا ثلاثين، وهزموا باقيهم. فقتل بكوار عدة ممن أسر، وحمل بقيتهم إلى حلب؛ فكتب بالإحسان إلى أهل كوار والإنعام عليهم.

واتفق بمدينة حلب أن الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع على الأمراء، وعزل الولاة والمباشرين، بعدما أخذ تقادمهم، واستبدل بهم غيرهم بمال قاموا له به؛ واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم. ثم بلغه أن رجلا من الأعيان مات عن ابنة وترك مالا جزيلا، وأوصى أن تتزوج ابنته بابن عمها. فرغب بعض الناس فى زواجها، وبذل لأوليائها مالا كثيرًا حتى زوجوها منه بغير رضاها فلم ترض به، وكرهته كراهة زائدة، حتى قالت لأهلها: «إن لم تطلقونى منه وإلا كفرت»؛ فأحضروها إلى بعض القضاة، وجددوا إسلامها. فطلب الأمير بيدمر ابن عمها، وضربه بالمقارع ضربا مبرحا، وضرب المرأة أيضًا ضربا شنيعا، وقطع أنفها وأذنيها، وشهرها بحلب؛ فتألم الناس لها ألما كبيرًا، ووصل خبرها إلى أمراء مصر، فقام صمغار وقرابغا وأصحابهما قياما كبيرًا فى الإنكار على بيدمر.

وصادف مع ذلك ورود كتاب الأمير أرغون شاه نائب صفد، يتضمن أن ابن طشتمر كاتب أرتنا نائب الروم بأن يتوجه إليه، وأن يقيم عنده. فظفر الأمير أرغون شاه بقاصده، وأخذ منه الكتاب، وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة؛ فأجيب بالشكر والثناء. وكتب إليه أصحابه بأن يبعث تقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته إلى غير صفد، فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر بمائة ألف درهم، وغير ذلك من الأصناف؛ فأعجبت السلطان، وشكره. فأخذ صمغار وقرابغا وأصحابهما فى ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له، وما فعله بالمرأة وابن عمها، وتحسين ولاية أرغون شاه عوضه؛ فإنه سار فى أهل صفد سيرة جميلة، ولم يقبل لأحد تقدمة، وجلس للحكم بين الناس، وأنصف فى حكمه حتى أحبه أهل صفد. فرُسم بقدوم أرغون شاه ليستقر فى نيابة

(١) حضيرًا صيغة عامية فيما يبدو لفظ حظيرة أو حضيرة. انظر محيط المحيط وهو مكان بأعلى الدار من الدور لتربية الدواجن ولايزال هذا اللفظ مستعملا بالتذكير وبالتأنيث فى اللغة العامية فى مصر.

حلب، وحضور الأمير بيدمر من حلب فقدم أرغون شاه صحبة طنيرق، فأكرمه السلطان، وخلع عليه يوم الإثنين تاسع عشرى صفر بنيابة حلب، عوضا عن بيدمر البدرى؛ ورُسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم، وأن تكون مكاتباته للسلطان؛ وكتب لنائب الشام بذلك.

وتوجه الأمير أرغون شاه إلى حلب فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، فقدم دمشق على البريد فى سادس عشره، ونزل قصر معين الدين حتى قدم ثُقله من صفد فى أبهة زائدة، وخيوله بسروج ذهب مرصعة وكنابيش ذهب، وقلائد مرصعة.

وكان بيدمر قد رأى فى منامه المرأة التى فعل بها ما فعل، وهى تقول له: «أخرج عنا»، وكررت ذلك ثلاث مرات، وقالت له: «قد شكوتك إلى الله تعالى، فعزلك» فانتبه مرعوبا، وبعث إليها لتحالله، وبذل لها مالا فلم تقبله، وامتنعت من محاللته. فقدم خبر عزله بعد ثلاثة أيام من رؤياه، وقدم إلى القاهرة صحبة طنيرق؛ وقد أوصل طنيرق الأمير أرغون شاه إلى حلب، وسر به أهل حلب سرورا كبيرًا.

وفيه ارتفعت الأسعار بالشام، فبلغت الغرارة بدمشق مائتين وخمسين درهما؛ وذلك أن الجراد انتشر من بعلبك إلى البلقاء، ورعى الزروع.

وفيه كثر عبث العربان بأرض مصر، وكثر سفكهم للدماء، ونهب الغلال من الأجران، مع هيف الغلة.

وفيه اشتد احتراق النيل، وقل ماؤه حتى تأخر حمل الغلال فى المراكب فارتفع السعر من ثلاثين درهما الأردب من القمح إلى خمسة وخمسين، وبلغ الشعير خمسة وعشرين درهما الأردب، والفول عشرين درهما.

وفيه استقر أمير على بن طغربل حاجبا بدمشق عوضا عن أياس؛ واستقر أياس فى نيابة صفد.

وفيه ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فأخذ من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس، ومن كل أمير طبلخاناه فرسان، ومن كل أمير عشرة فرس واحد وكشف عن البلاد المرصدة برسم البريد، فوجدت ثلاث بلاد منها وَقفَ إسماعيل بعضها، وأخرج باقيها إقطاعات، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلدا تعمل فى كل سنة عشرين ألف درهم، وثلاثة آلاف أردب غلة؛ وجعلها مرصدة لمراكز البريد.

وفيه قدم الخبر بأن أرتنا نائب الروم بعث يستدعى أحمد بن مهنا، وأرسل إليه هدية، فأبى أن يجيب.

واتفق أن أخا سيف بن فضل قصد فياض بن مهنا، وقد سار إليه من دمشق بمبلغ

ثمانين ألف درهم ثمن خيول قدمها للسلطان، فأخذه منه وقصد قتله. فركب فياض لما بلغه ذلك، وأغار على جمال سيف وآل فضل وساقها، وهى نحو خمسة عشر ألف بعير. فبعث سيف يطلب من نائبى دمشق وحلب عسكرا يقاتل آل مهنا فلم ينجداه.

وفيه كتب الأمير أرغون شاه نائب حلب فى حق سيف، فإنه لا طاقة له بآل مهنا. فرسم بقدوم سيف وآل مرا، وقدوم أحمد بن مهنا؛ ووعد أحمد بالإمرة، وخرج الأمير قطلوبغا الذهبى لذلك.

وفيه قدم ابن الأطروش من دمشق، وقد عزل من الحسبة؛ وكتب نائب الشام يذم فيه.

وفى عصر يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر: قُتل الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى؛ وأمسك الأمير بزلار،والأمير صغار، والأمير أيتمش عبد الغنى.

وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها من عنده، وتشاغل عنهن بالحمام، صار يحضر إلى الدهيشة والأوباش، وتلعب بالعصا لعب صباح؛ ويحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياه، فيسخر له، وينقل إليه أخبار الناس. فشق ذلك على الأمراء، وحدثوا ألجيبغا وطنيرق، وكانا عمدة السلطان وخاصكيته فيما يفعله السلطان، وأن الحال قد فسد فعرفا السلطان ذلك، فاشتد حنقه وأطلق لسانه، وقام إلى السطح وذبح بيده الحمام بحضرتهما، وقال: «وا لله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور»، وأغلق باب الدهيشة؛ وأقام غضبانا يومه وليلته. وكان الأمير غرلو قد تمكن منه، فأعلمه بما وقع، فوقع فى الأمراء وهونهم عليه، وجسره على الفتك بهم، والقبض على الأمير آقسنقر الناصرى النائب. فأخذ السلطان فى تدبير ما يفعله، وقرر ذلك مع غرلو. ثم بعث السلطان بعد أيام طنيرق إلى الأمير آقسنقر الناصرى النائب، فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر، ويعرفه أن قرابغا القاسمى وصمغار وبزلار وأيتمش عبدالغنى قد اتفقوا على عمل الفتنة، «وعزمى أن أقبض عليهم»، فوعد برد الجواب غدًا على السلطان فى الخدمة، وأشار عليه من الغد بالتثبت فى أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم فعرفه السلطان من الغد يوم الجمعة بأنه صح له بإخبار بيبغاروس، وبين له أنهم تحالفوا على قتله؛ فأشار عليه أن يجمع بينهم وبين بيبغاروس؛ حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد.

وكان الأمر على خلاف هذا، فإنه اتفق مع غُرْلو، وعنبر السحرتى مقدم المماليك، على مسك الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى يوم الأحد، وأظهر للنائب أنه يريد القبض على قرابغا وصمغار وبزلار وأيتمش.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره: حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة بعد العصر، ومُدَّ السماط، وإذا بالقصر قد ملئ بسيوف مسللة من خلف آقسنقر والحجازى، وأحيط بهما وبقرابغا، وأخذوا إلى قاعة هناك فُضرب الحجازى بالسيوف، وبُضِّع هو وآقسنقر وفَرَّ صمغار وأيتمش عبد الغنى، فركب صمغار فرسه من باب القلعة ومر، واختفى أيتمش عند زوجته. فخرجت الخيل وراء صمغار، حتى أدركوه خارج القاهرة؛ وأخذ أيتمش من داره فارتجت القاهرة، وغلقت الأسواق وأبواب القلعة. وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب أرقطاى والوزير نجم الدين محمود بن شروين قريب المغرب، فاشتهر ما جرى.

وفيه رسم بالقبض على مرزه على، وعلى محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه، وأولاد أيدغمش، وأولاد قمارى. وأخرجوا إلى الإسكندرية، وهم وبزلار وأيتمش وصمغار، لأنهم من ألزام الحجازى ومعاشريه، فسجنوا بها.

وفيه أخرج آقسنقر والحجازى فى ليلة الإثنين عشريه على جَنويَّات، فدفنا بالقرافة وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس فى دست عظيم، ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والممسوكين وأموالهم، وطلع بجميع خيولهم إلى الإصطبل السلطانى، ونزل ومعه ناظر الخاص حتى أخرج حواصلهم. وضرب غرلو عبد العزيز الجوهرى صاحب آقسنقر، وعبد المؤمن أستاداره بالمقارع، وأخذ منهما مالا جزيلا. فخلع عليه السلطان قباء من ملابس آقسنقر بطراز زركش عريض، وأركبه حصان الحجازى بسرج ذهب. وخلا به يأخذ رأيه فيما يفعله. فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى، ويعدد لهم ذنوبًا كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم. فكتب السلطان إلى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، على يد الأمير آقسنقر المظفرى أمير جاندار. وقدم آقسنقر المظفر على الأمير يلبغا اليحياوى فى ثامن عشريه، فكتب يلبغا بتصويب رأى السلطان فيما فعله، وهو فى الباطن غير ذلك. وعظُم على الأمير يلبغا قتل ملكتمر الحجازى وآقسنقر الناصرى، وتوحش خاطره، وجمع الأمراء بعد يومين بدار السعاده، وأعلمهم بما ورد عليه. وكتب يلبغا إلى النواب بذلك، فبعث الأمير ملك آص إلى حمص وحلب، وبعث الأمير طيبغا القاسمى إلى طرابلس؛ فجاءه ليلة الجمعة مستهل جمادى الأولى من زاده وحشه، فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه. وانتقل يلبغا يوم الجمعة إلى القصر، فنزل به، وشرع فى الاستعداد للخروج عن طاعة السلطان، ونزل ألزامه حوله بالميدان.

وأخذ السلطان المظفر حاجى يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم، وأمَّر جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغنى وتقدمته، وأصبح هو المشار إليه فى الدولة، وعظمت نفسه إلى الغاية.

وفيه أخرج ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب، لكثرة لعبه؛ وأنعم بتقدمته على الأمير طاز.

وفيه تولى غرلو مبيع قمش الأمراء وسائر موجودهم.

وفيه قدم الخبر بكثرة حشود العربان بالصعيد وبلاد الفيوم، وشدة فسادهم، وتعذر السفر من قطعهم الطرقات على المسافرين. فلم يعبأ السلطان بذلك، لاشتغاله بلهوه، وتلفته إلى أخبار نواب الشام، لتخوفه من خروجهم عن طاعته للقبض على الأمراء وقتلهم فقدمت أجوبتهم بما يظهر منه تصويب رأى السلطان فيما فعله، فلم يطمئن لذلك؛ ورسم بخروج العسكر إليه.

وفيه رسم السلطان بخروج العسكر إلى البلاد الشامية ورسم فى عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء مقدمين، وهم طيبغا المجدى، وملك الجمدار، والوزير نجم الدين محمود بن شروين، وطنغرا، وأيتمش الناصرى الحاجب، وكوكاى، والزراق، ومعهم مضافوهم من الأجناد. وكتب بطلب الأجناد من النواحى، وكان وقت إدراك المغل؛ فصعب ذلك على الأمراء، وارتجت القاهرة بأهلها لطلب السلاح وآلات للسفر.

وكتب السلطان إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدى النجابة بالتيقظ لحركات الأمير يلبغا اليحياوى، فأشار الأمير أرقطاى؟ النائب بطلب يلبغا ليكون بمصر، فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل من نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب. فكتب بطلبه على يد الأمير سيف الدين أراى أمير آخور؛ وعند سفر أراى قدمت كتب نائب حماة ونائب طرابلس ونائب صفد بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء، وبعثوا للسلطان بكتبه إليهم. فكتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبغا، وأعلمه أنه ولاه نيابة الشام؛ فقام أرغون شاه فى ذلك أتم قيام، وأظهر ليلبغا أنه معه.

ولما وصل الأمير سيف الدين أراى إلى الأمير يلبغا اليحياوى، فى يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى، إذا فى كتاب السلطان طلب يلبغا ليكون رأس أمراء المشورة، وأن نيابة الشام أنعم بها على أرغون شاه نائب حلب وظن الأمير يلبغا اليحياوى أن استدعاءه حقيقة، وقرأ كتاب السلطان، فأجاب بالسمع والطاعة، وأنه إذا وصل الأمير أرغون

شاه إلى دمشق توجه منها إلى مصر، وكتب الجواب بذلك، وأعاد الأمير سيف الدين أراى سريعا. فأتت قصاد أمراء دمشق إلى الأمير سيف الدين أراى فى عوده، لتعرف فيما جاء به عليهم، فأعلمهم بعزل يلبغا بأرغون شاه، فتحللت عزائم الأمراء عن يلبغا.

وتجهز يلبغا وبرز إلى الجسورة ظاهر دمشق، فى خامس عشره. وكانت ملطفات السلطان وردت إلى الأمراء فى عشية يوم الخميس بإمساكه فركبوا وقصدوه، ففر منهم بمماليكه وأهله، وهم فى أثره إلى خلف ضُمَيْر.

وأما الأمير سيف الدين أراى فإنه قدم إلى السلطان، فقدم الخبر فى غد قدومه بأن يلبغا جمع ثقاته من أمراء الشام وأغراهم بالساطان، وأنه إن مضى إليه قتله كما قتل الأمراء، وأنه جمع أمره على التوجه إلى أولاد دمرداش ببلاد الشرق.

وركب الأمير يلبغا فى يوم الجمعة خامس عشره، ومعه الأمير قلاوون، والأمير سيفه، والأمير محمد بن بك بن جمق، فى مماليكهم؛ وخرجوا بآلة الحرب، فاضطرب الناس بدمشق. وركب العسكر فى طُلبه، وقد سار نحو القريتين ودخل البرية حتى وصل حماة، بعد أربعة أيام وخمس ليالى. فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره، وتلقاه ودخل به إلى المدينة، وقبض عليه وعلى من معه؛ وكتب بذلك إلى السلطان فسر به سرورًا كبيرًا وأمر بإبطال التجريدة؛ وكتب بحمله إلى مصر.

ثم خرج الأمير منجك السلاح دار لقتله، فلقى آقجبا الحموى وصحبته يلبغا اليحياوى وأبوه، وقد نزل بقاقون. فصعد منجك مع يلبغا إلى قلعتها، وقتله فى يوم الجمعة عشريه وجهز رأسه إلى السلطان. وتوجه منجك إلى حماة، وجهز الأمير قراكر والأمير أسندمر أخوى يلبغا اليحياوى، والأمير طقطاى دواداره، والأمير جوبان مملوكه، إلى السلطان مقيدين؛ وكان أبوه الأمير طابطا حُمل مقيدا من قاقون إلى السلطان.

وفيه قدم الخبر بأن أحمد بن مهنا وفياضا وفوازا وقمارى كانوا بحلب لما قبض على يلبغا بحماة، فركبوا بجمعهم يريدون آل مرا، وقد نزلوا قريبًا من سيف بن فضل فركب سيف بآل مرا وآل على إلى لقائهم، فلم يطقهم وفرّ، فنهبوا أبياته، وأخذوا منها خمسمائة حمل دقيق، وساقوا خمسة عشر ألف بعير. ومرّ سيف على وجهه إلى القاهرة، فطلع إلى السلطان وبكى بين يديه بكاء كثيرًا؛ فتنكر السلطان على أولاد مهنا. فقدم كتاب الأمير أرغون بالثناء عليهم، لخدمتهم السلطان فى أمر يلبغا أتم الخدمة؛ وقدم أحمد بن مهنا عقيب ذلك، فلم ير من السلطان إقبالا.

وفى يوم الأحد خامس عشريه: أخرج بالوزير نجم الدين محمود، والأمير بيدمر

البدرى نائب حلب كان، والأمير طغيتمر الفخرى الدوادار، إلى الشام. وسببه أن غرلو لما كان شاد الدواوين حقد على الوزير نجم الدين وعلى طغيتمر الدوادار، فحسن للسلطان أخذ أموالهما. فذكر السلطان للنائب أرقطاى عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكاتبون يلبغا اليحياوى، فأشار عليه بإبعادهم عنه، وأن يكون الوزير نائب غزة، وبيدمر نائب حمص، وطغيتمر بطرابلس؛ فاخرجهم أرقطاى على البريد. فلم يعجب غرلو ذلك، وأكثر من الوقيعة فى الأمير أرقطاى النائب حتى غير السلطان عليه، ومازال به حتى بعث أرغون الإسماعيلى نائب غزة بقتلهم. فدخل أرغون الإسماعيلى معهم إليها وقت العصر، فقتلوا ليلا؛ وتمكن غرلو من أموالهم.

وتزايد أمر غرلو، واشتدت وطأته؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه بشيء. وأخذ غرلو فى العمل على علم الدين بن زنبور ناظر الخاص وعلى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما؛ فتلطف الأمير أرقطاى النائب فى أمرهما حتى كف عنهما. فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى خاف غرلو، ورجع يصانعه بالمال.

وفيه توجه مقبل الرومى لقتل المسجونين بالإسكندرية بإشارة غرلو، فقتل أرغون العلائى، وقرابغا القاسمى، وتمر الموساوى، وصمغار، وأيتمش عبد الغنى.

وفيه أفرج عن أولاد قمارى وأولاد أيدغمش؛ وأخرجوا إلى الشام.

وفيه قدم الأمير منكلى بغا الفخرى من طرابلس، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

واستمر السلطان على الانهماك فى لهوه، وصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان على النيل فى يوم السبت. فلما كان آخر ركوبه الميدان رسم بركوب الأمرء المقدمين بمضافيهم، ووقوفهم صفين من الصليبة إلى فوق الإصطبل، ليرى العسكر. فضاق الموضع عنهم، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه وجمعت أرباب الملهى، ورتبوا فى عدة أماكن بالميدان؛ ونزلت أم السلطان فى جمعها، وأقبل الناس من كل جهة. فبلغ كراء كل طبقة فى ذلك اليوم مائة درهم، وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتى درهم، وكل حانوت خمسين درهما، وكل موضع إنسان بدرهمين؛ فكان يوما لم يعهد فى ركوب الميدان.

وفيه أخرج سيف بن فضل من القاهرة مرسّمًا عليه، لكلام نقله عن الأمير أرقطاى النائب.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الآخر: وصل رأس يلبغا اليحياوى.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: قُبض على غرلو، وقُتل. وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم، فإنه كان يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يمضيه، فلا يخالفه فى شيء. وعمله السلطان أمير سلاح، فخرج عن الحد فى التعاظم، وجسر السلطان على قتل الأمراء، وقام فى حق الأمير أرقطاى النائب يريد القبض عليه وقتله، وأخذ المماليك الناصرية والصالحية والكاملية بكمالهم، واستمالهم لتجديد دولة مظفرية. وقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة، ليقوم عنه بتدبيرها، ويتوفر السلطان على لذاته. وأغراه أيضًا بألجيبغا وطنيرق، وهما أخص الناس بالسلطان، حتى تغير عليهما. وبلغ ذلك ألجيبغا، وتناقله المماليك، فتعصبوا عليه، وراسلوا الأمراء الكبار حتى حدثوا السلطان فى أمره، وخوفوه عاقبته، فلم يعبا السلطان بقولهم، فتنكروا بأجمعهم على السلطان، وصاروا إلبًا عليه بسبب غرلو، إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته. فاستشار الأمير أرقطاى النائب فى أمر غرلو، وعرفه ما يخاف من غائلته، فلم يُشِر عليه بشى، وقال له: «لعل الرجل قد كثرت حساده على تقريب السلطان له، والمصلحة التثبت فى أمره» كان الأمير أرقطاى النائب عاقلا سيوسا، يخشى من معارضة غرض السلطان فيه. فاجتهد ألجيبغا وعدة من الخاصكية فى التدبير على غرلو، وتخويف السلطان منه ومن عواقبه، حتى أثر قولهم فى نفسه. وأقاموا أحمد شاد الشرابخاناه - وكان مزاحًا - للوقيعة فيه فأخذ فى خلوته مع السلطان بذكر كراهة الأمراء لغرلو وموافقة المماليك لهم وأنه يريد أن يدبر الدولة ويكون نائب السلطان، وليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطانا، ويخرج قوله هذا فى صورة السخرية والضحك. وبالغ فى ذلك على عدة فنون من الهزؤ إلى أن قال: «وإن خلاه السلطان رحنا كلنا الحبوسات من بعده» فانفعل السلطان لكلامه، وقال: «أنا الساعة أخرجه وأعمله أمير آخور». ثم مضى أحمد إلى الأمير أرقطاى النائب، وعرفه ما كان منه، وما قاله السلطان، وجَسّره على الوقيعة فى غرلو. فاستشار السلطان الأمير أرقطاى النائب فى غرلو ثانيا، فأثنى عليه وشكره، فعرفه وقوع الخاصكية فيه، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور، فقال أرقطاى: «غرلو شجاع جسور، لا يليق أن يكون أمير آخور». فكأنه أيقظ السلطان من رقدته، وأخذ معه فيما يوليه، فأشار بولايته غزة، فقبل السلطان ذلك وقام عنه فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة، وقد بعث طنيرق إلى الأمير أرقطاى النائب بأن يخرج غرلو إلى غزة. فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة، وجلس على باب القلة، فبعث الأمير أرقطاى النائب بطلبه، فقال: «مالى عند النائب شغل وما لأحد معى حديث غير

أستاذى السلطان». وأرسل النائب يعرف السلطان جواب غرلو له بطلبه، فغضب السلطان، وقال لمغلطاى أمير شكار والأمراء أن يعرفوه عن السلطان بتوجهه إلى غزة، وإن امتنع يمسكوه. فلما صار غرلو داخل القصر لم يحدثوه بشىء، وقبضوا عليه وقيدوه، وسلموه لألجيبغا، فأدخله إلى بيته بالأشرفية فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة، قتلوا غرلو، وهو فى الصلاة واخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فقالوا عنه أنه قال: «ما أروح مكانا» فأراد سَل سَيفه وضرب الأمراء به، وأنهم تكاثروا عليه، فما سلّم نفسه حتى قتل. فعز قتله على السلطان، وحقد عليهم قتله، و لم يظهره لهم. وتقدم السلطان بإيقاع الحوطة على حواصله، فكان يوما عظيما بالقلعة والمدينة، وخرج معظم الناس إلى تحت القلعة، فشوهد يومئذ من اجتماعهم أمر مهول. وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض، فأتاه الناس أفواجا ليروه، ونبشوا عليه، وجروه بحبل فى رجله إلى تحت القلعة. وأتوا بنار ليحرقوه، وصار لهم ضجيج عظيم. فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم، فضربهم الوالى بالمقارع، وأخذ منهم غرلو ودفن؛ و لم يظهر له كبير مال.

وفيه قدم الخبر بدخول الأمير أرغون شاه إلى دمشق، فى يوم الثلاثاء سابع عشره صحبة مُتَسَفّرِهِ الأمير آقسنقر جاندار فعرض يوم دخوله أهل السجون، ووسط وسَّمر منهم عدة من أرباب الجرائم، وألزم جميع من له إقطاع بحلب أو حماة أو طرابلس أو صفد أو غيرها من البلاد الشامية أن يتوجه إلى محل خدمته، ولا يقيم بغيره، وأنعم الأمير أرغون شاه على متسفره بخمسة عشر فرسا، منها خمس عربيات مسرجات ملجمات، وأحد عشر إكليش، وجارية بخمسة آلاف درهم وأربعين ألف درهم، ومائة قطعة قماش، وتشريف النيابة بكماله وسيفه المحلى، وكتب له بألف أردب غلة من مصر، وكان الأمير أرغون شاه أعطاه بحلب ألف وخمسمائة دينار. فأقام آقسنقر بدمشق نحو ثلاثة أشهر، و لم يسأله فى ولاية ولا عزل إلا أجابه، فرجع بمال عظيم.

وفيه أفرج عن ابن طشتمر من صفد، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه نقل أمير مسعود بن خطير من نيابة غزة إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير منكلى بغا الفخرى.

وفيه استقر الأمير فخر الدين أياس حاجب دمشق فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فأقام أياما وعاد.

وفى يوم الإثنين سادس عشر رجب: أخرج لاجين أمير آخور إلى دمشق، على إقطاع قلاوون.

وفيه أخرج منجك السلاح دار واستقر حاجبا بدمشق، عوضا عن أمير على بن طغربل.

وفيه أنعم على اثنى عشر من المماليك بإمرات، ما بين طبلخاناه وعشرات بمصر والشام.

وفيه أعيد الأطروش إلى الحسبة، عوضا عن الضياء، ورتب للضياء ما يقوم به.

وفيه عمل الإستيمار بما على الدولة من الكلف، وما يتحصل. فوجدت الكلف ثلاثة أمثال ما كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، ومرتب الحوائج خاناه فى كل يوم مقدار اثنين وعشرين ألف رطل لحم، ونفقات المماليك مبلغ مائتين وعشرين ألف درهم، بعدما كانت تسعين ألف درهم. فرسم السلطان بقطع ما استجد من الرواتب بعد موت السلطان الناصر محمد، فمازال به الأمير أرقطاى النائب يخوفه سوء عاقبة قطع الأرزاق، ويعرفه أن أحدا من الملوك ما قُرئ عليه الإستيمار وقطع شيئًا إلا وأصابه ما يكره فى دولته، حتى رسم باستمرار الرواتب على حالها.

وفيه وزع على مباشرى الجهات مبلغ ستمائة ألف درهم، خص مقدمى الدولة منها مائة ألف درهم.

وفيه رسم أن يكون فى كل معاملة شاهد وكاتب؛ واستقر قطلوابغا شاد الجهات بالقاهرة، وابن المزوالى شادًا بجهات مصر.

وفيه قدم على بن طغربل من دمشق.

وفيه أنعم على الأمير بيبغا روس عند قدومه من سرحة العباسة بألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل بسروج ذهب.

وفى مستهل شعبان: خرج الأمير طيبغا المجدى، والأمير أسندمر العمرى، والأمير أرغون الكاملى، والأمير بيبغا روس، والأمير بيبغا ططر، إلى الصيد؛ ثم خرج الأمير أرقطاى النائب بعدهم إلى الوجه القبلى بطيور السلطان. ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان.

فخلا الجو للسلطان، وأعاد حضير الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد

أرباب الملاعيب من الصراع، والثقاف، والشباك وجرى السعاة، والنطاح بالكباش، ومناقرة الديوك والقمارى[١]، وغير ذلك من أنواع الفساد؛ ونودى بإطلاق اللعب بذلك فى القاهرة ومصر. فصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف، من الفراشين، والبابية[٢]، ومطيرى الحمام؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلانى والطيرة الفلانية.

وبينا هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سيبها، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة، فجفلت الحمام على مقاصيرها وتطايرت. فجَرِد السلطان، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

وكان السلطان أيضا يلعب مع العوام، ويلبس تِبَان جلد، ويتعرى من ثيابه كلها ويصارعهم، ثم يلعب معهم بالعصى، ويلعب بالرمح وبالكرة. فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد فىالدهيشة، ويحضر فى الليل على العواد، ويأخذ عنه الضرب بالعود، ويتجاهر بما لا يحمد.

وشغف السلطان بكيدا حتى كان لا يكاد يفارقها، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية، فاشتراها لها بمائة ألف درهم. وكانت هذه الزربية فى غاية الحسن، قد أنفق عليها النشو أموالا عظيمة، وصارت بعد النشو إلى امراة الأمير بكتمر الساقى، اشتراها لها الأمير بشتاك بنحو الألف درهم، إلى أن طلبتها كيدا، فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها، فتركتها له؛ فرسم لها بمائة ألف درهم، وكاتبها على الأملاك باسم كيدا فلم يهن بها، ووقعت نار فى دار رزق الله جعلتها دكا.

وفيه ارتفع سعر القمح من أربعين درهما للأردب إلى خمسين، وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلى ثمنها. وتوقفت الأحوال، وقلت الغلال، وكثر السؤال من كثرة قدوم أهل النواحى إلى القاهرة حتى ضاقت بهم فكانوا كذلك مدة سنة، مع كثرة المناسر فى البلاد والقاهرة، وقوة المفسدين وقطاع الطريق بأرض مصر وبلاد القدس ونابلس، وفتنة العشير بعضهم مع بعض.

---

(١) القمارى المقصود بذلك نوع من الحمام يستخدمه الغواة فى المناقرة والمراهنة على أن المقريزى جمع هنا أنواع الملعوب فى عصر سلاطين المماليك

(٢) البابية اسم عام لجميع العمال القائمين بغسل الملابس وصقلها فى الطشخاناه السلطانية. القلقشندى: صبح الأعشى ٥/ ٤٧٠.

وفى نصفه: توجه ألجيبغا وأحمد شاد الشرابخاناه إلى الصيد، فأخذ السلطان فى التدبير على أخيه حسين ليقتله، وأرصد له عدة خدام ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه؛ فتمارض واحترس على نفسه، فلم يجدوا منه غفلة.

وفى سابع عشره: استقر فى الخلافة أبو بكر بن أبى الربيع سليمان(1)، ونُعت بالمستعصم با لله أبى الفتح، بعد موت أبيه.

وفى أخريات شعبان: قدم الأمراء والأمير أرقطاى النائب قبل أوانهم من الصيد شيئًا بعد شىء، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان فى غيبتهم.

وفى يوم السبت رابع رمضان: زلزلت القاهرة مرتين فى ساعة واحدة.

وفيه قدم ابن الحرانى من دمشق بمال يلبغا اليحياوى، فتسلمه الخدام وأنعم السلطان من ليلته على كيدا حظيته بعشرين ألف منه سوى الجواهر واللآلى، ونثر الذهب على الخدام والجوارى، فاختطفوه، وهو يضحك منهم، وفرق السلطان على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ، وصار يحذفه لهم، وهم يترامون عليه ويأخذونه، بحيث لم يدع منه شيئًا سوى القماش والتفاصيل والآنية والعدد، فإنها صارت إلى الخزانة. فكانت جملة ما فرقه السلطان ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، وجواهر وحليًا، وزركشًا ومصاغًا، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار.

فعظم ذلك على الأمراء، وأخذ ألجيبغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر. فغضب السلطان، وأمر آقجبا شاد العمائر بخراب حضير الحمام، وأحضر الحمام وذبحها واحدًا واحدًا بيده، وقال لألجيبغا وطنيرق: «وا لله لأذبحنكم كلكم كما ذبحت هذا الحمام»، وتركهم وقام. فبات ليلته وأصبح ففرق جماعة من خشداشية ألجيبغا وطنيرق فى البلاد الشامية واستمر على إعراضه عن الجميع؛ وقال لحظاياه وعنده معهن الشيخ على الكسيح: «وا لله ما بقى هنا لى عيش وهذان الكذا وكذا بالحياة، يعنى ألجيبغا وطنيرق، فقد أفسدا على ما كان فيه سرور، واتفقا على، ولابد من ذبحهما». فنقل ذلك الشيخ على الكسيح لألجيبغا، فإنه الذى كان أوصله بالسلطان، وقال له مع ذلك: «خذ لنفسك،

---

(1) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس أبو الفتح، المعتضد با لله من خلفاء العباسيين بمصر. هو ابن المستكفى با لله ابن الحاكم بأمر ا لله كان مقيمًا فى جملة بنى العباس بالقاهرة وولى الخلافة بها بعد وفاة أخيه الحاكم بأمر ا لله أحمد بن سليمان . انظر تاريخ الخميس ٢/ ٣٢٨ وشذرات الذهب ٦/ ١٩٧ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠، ٢١١، والأعلام ٢/ ٦٤.

فوا لله لا يرجع عنك ولا عن طنيرق». فطلب ألجيبغا صاحبه طنيرق حتى عرفه ذلك، فأخذا فى التدبير على السلطان، وأخذ السلطان فى التدبير عليهما.

وفيه أخرج السلطان الأمير بيبغا روس للصيد بالعباسة، فإنه كان صديقا لألجيبغا؛ وتنمَّر السلطان على طنيرق واشتد عليه، وبالغ فى تهديده. فبعث طنيرق وألجيبغا إلى طشتمر طلليه، وما زالا به حتى وافقهما. ودار طنيرق على الأمراء، وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان، وتوقع منه أن يفتك به. وأغراهم طنيرق بالسلطان، فصاروا معه يدا واحدة، وكلموا الأمير أرقطاى النائب فى موافقتهم، وأعلموه أنه يريد القبض عليه، وأكثروا من تشجيعه إلى أن أجابهم؛ وتواعدوا جميعا فى يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب فى يوم الأحد ثانى عشره.

فبعث السلطان فى يوم السبت يطلب الأمير بيبغا روس من العباسة، وقرر مع الطواشى عنبر مقدم المماليك أن يعرف المماليك السلاح دارية أن يقفوا متأهبين، فإذا دخل بيبغا روس وقبل الأرض ضربوه بسيوفهم، وقطعوه قطعا. فعلم بذلك ألجيبغا، فبعث إلى بيبغا يعلمه بما دبره السلطان من قتله، ويعرفه بما وقع من اتفاق الأمراء عليه، وأنه يوافيهم بكرة يوم الأحد على قبة النصر. واستعدوا ليلتهم، ونزل ألجيبغا أولهم من القلعة وتلاه بقية الأمراء فكان آخرهم ركوبا الأمير أرقطاى النائب. وتوافوا بأجمعهم عند مطعم الطير، وإذا بيبغا قد وصل إليهم، فأحضروا مماليكهم وأطلابهم، وبعثوا فى طلب بقية الأمراء، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر.

فأمر السلطان بدق الكوسات، وبعث الأوجاقية فى طلب الأمراء، وجمع عليه طنيرق وشيخو وأرغون الكاملى وطاز، ونحوهم من الخاصكية؛ فحضر إليه أجناد الحلقة ومقدموها، وعدة من الأمراء. وأرسل السلطان يعتب الأمير أرقطاى النائب على ركوبه، فرد جوابه بأن «مملوكك الذى ربيته ركب عليك، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت مماليك أبيك، وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقى، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد» فرد السلطان الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لابد أن يسلطنوا غيره، فقال: «ما أموت إلا على ظهر فرسى» فقبضوا على رسوله، وهموا بالزحف عليه، فمنعهم الأمير أرقطاى النائب.

فبادر السلطان بالركوب إليهم، وأقام أرغون الكاملى وشيخو فى الميسرة، وأقام

عدة أمراء فى الميمنة، وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر. فكان أول من تركه الأمير أرغون الكاملى و الأمير ملكتمر السعيدى، ثم الأمير شيخو. وأتوا الأمير أرقطاى النائب والأمراء، وتلاهم بقيتهم، حتى جاء الأمير طنيرق، والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

وبقى السلطان فى نحو عشرين فارسا، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألجيبغا، فولى فرسه وانهزم عنهم، فأدركوه وأحاطوا به. فتقدم إليه بيبغا روس، فضربه السلطان بطبر، فأخذ الضربة بترسه، وحمل عليه بالرمح. وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه فكان بيبغا روس هو الذى أرداه؛ وضربه طنيرق جَرَح وجهه وأصابعه. وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومى تحت الجبل، وذبحوه من ساعته قبل العصر. ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء، وهو يقول: «بالله لا تستعجلوا على قتلى، وخلونى ساعة»، فقالوا: «فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك».

وصعد الأمراء إلى القلعة فى يومهم، ونادوا فى القاهرة بالأمان والاطمئنان، وباتوا بها ليلة الإثنين، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير أرغون شاه نائب الشام بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطانا. فأصبحوا وقد اجتمع المماليك على إقامة حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فى السلطنة، ووقعت بينه وبينهم مراسلات. فقبض الأمراء على عدة من المماليك، ووكلوا الأمير طاز بباب حسين، حتى لا يجتمع به أحد، وغلقوا باب القلعة، وهم بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء. وقصد المماليك إقامة الفتنة فخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن بن الناصر محد بن قلاوون، فتم أمره.

فكانت مدة المظفر حاجى سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوما، وعمره نحو عشرين سنة وكان شجاعا جريئًا على الدنيا، منهمكا فى الفساد، كثير الإتلاف للمال.

* * *

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى[1]

(١) الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى وهو الحسن الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون، أبو المحاسن من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع بمصر، صغيرًا بعد مقتل أخيه [حاجى المظفر] و كان اسمه (قمارى) فلما ولى السلطنة سمى (حسن) وقام بأمور الدولة الأمير بيبغا روس نائب السلطنة. انظر ابن إياس ١: ١٩ ٥ ٢ ووليم موير ١٠١ والبداية والنهاية ١٤: ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

أمه أمة تُدعى كدا، ماتت وهو صغير، فربته خوند أردو، ودعوه قمارى حتى كان من أمر أخيه حاجى ما كان. وطلب المماليك إقامة حسين فى السلطنة، وبات ليلة الثلاثاء أكثرهم بالمدينة ليخرجوا إلى قبة النصر. فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا وأركبوه بشعار السلطنة، فى يوم الثلاثاء، رابع عشرى رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة؛ وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان، لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى.

فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطنة: «يا بة! ما اسمى قمارى، إنما اسمى حسن»، فقال أرقطاى: «يا خوند! وا لله إن هذا اسم حسن على خيرة ا لله»؛ فاستقرت سلطنته، وحلف له الأمراء على العادة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: اجتمع الأمراء، وأخرج لهم دينار الشبلى المال، فنقل إلى الخزانة.

وفيه طُلب خدام المظفر وعبيده، ومن كان يعاشره من الفراشين ومطيرى الحمام، وسُلِّموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذوه من المال. فأقر الخدام أن الذى خص كيدا فى مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار، ومائتين وعشرين ألف درهم؛ وخص عبد على العواد نحو ستين ألف درهم؛ وخص الإسكندر بن كتيلة الجنكى نحو الأربعين ألف درهم؛ وخص العبيد والفراشين ومطيرى الحمام نحو مائة ألف درهم. وأظهر بعض الخدام حاصلا تحت يده، فيه لؤلؤ وجوهر قيمته زيادة على مائة ألف دينار، وفيه تحف وتفاصيل وزركش وبدلات ثياب بنحو مائة ألف دينار.

وفى يوم الخميس سادس عشره: قبض على الأمير أيدمر الزراق، والأمير قطز أمير آخور، والأمير ملك؛ وأخرج قطز لنيابة صفد.

وفيه قطعت أخباز عشرين خادما، وخبز عبد على العواد، وإسكندر بن كتيلة الجنكى.

وفيه طلبت دبيقة مغنية عرب الجيزة، وكانت تخايل بالقلعة؛ وطلبت ضامنة المغانى أيضا؛ وألزمتا بمال فى نظير ما حصل لهما من بيت المال.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: عرضت جميع الجوارى اللاتى بالقلعة، ورُسم بتزوج من أعتق منهن، وفُرِّقَ باقيهن.

وفيه قبض على الطواشى عنبر السحرتى، وعلى الأمير آقسنقر أمير جاندار زوج أم المظفر.

وفيه عرضت المماليك أرباب الوظائف، وأخرج منهم جماعة.

وفيه أحيط بأموال كيدا، وأموال بقية الحظايا، وأنزلن من القلعة.

وفيه كتبت أوراق بمرتبات الخدام والعبيد والجوارى، وقطعت كلها.

وكان أمراء المشورة والتدبير تسعة، وهم بيبغا روس القاسمى، بألجيبغا المظفرى، ومنكلى بغا الفخرى، وطشتمر طلليه، وأرقطاى النائب، وطاز، وأحمد شاد الشرابخاناه، وأرغون الإسماعيلى فاستقر شيخو العمرى رأس نوبة كبير وشارك الأمراء فى تدبير أمور المملكة.

وفيه استقر مغلطاى أمير آخور، عوضا عن قطز.

وفيه أفرج عن بزلار.

وفيه أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه.

وفيه جهزت التشاريف لنواب الشام، وكتب إليهم بما وقع.

وفيه وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية، وتقليل المصروف بسائر الجهات؛ وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف.

وفيه أخذ الأمراء فى تتبع طائفة الجراكسية من المماليك، وقد كان المظفر قربهم إليه بسفارة غرلو، فإنه كان جركسى الجنس. وجلبهم المظفر من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء، وقوى أمرهم، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز وتميزوا بكبر عمائمهم، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد. فطُلبوا الجميع، وأخرجوهم منفيين خروجا فاحشا.

وفى يوم الإثنين ثانى شوال: ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات فى الحلقة من أرباب الصنائع، ورسم بقطع أخبازهم فشفع الأمراء فى كثير منهم، ولم يقطع غير عشرين جنديا.

وفيه قدم جواب الأمير أرغون شاه نائب الشام بموافقته، ورضاه بما وقع، وَغَضٌّ من فخر الدين أياس نائب حلب. وكان الأمير أرقطاى نائب السلطنة قد أراد من الأمراء أن يعفوه من النيابة، ويولوه بلدا من البلاد، فلم يوافقوا على ذلك. فلما ورد كتاب الأمير أرغون شاه نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب، فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة، وطلب الأمير أرقطاى نيابة حلب فأجال الأمراء الرأى فى ذلك إلى أن اتفقوا عليه. فلما كان يوم الخميس خامسه واجتمعوا بالخدمة، خُلِع على الأمير بيبغا روس القاسمى واستقر فى نيابة السلطنة، عوضا عن أرقطاى، وخلع على أمير أرقطاى واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن فخر الدين أياس؛

وخرجا بتشريفهما. فجلس بيبغا روس فى دست النيابة، وجلس أرقطاى دونه، بعدما كان قبل ذلك بساعة أرقطاى فى دست النيابة وبيبغا جالس دونه.

وفى يوم السبت سابعه: قدم أمير منجك اليوسفى السلحدار أخو النائب بيبغا روس من الشام، فرُسم له بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر وزيرا وأستادارا. وخرج فى موكب عظيم، والأمراء فى خدمته؛ فصار حكم مصر للأخوين بيبغا روس ومنجك السلاح دار.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: سار أرقطاى متوجها إلى حلب، وصحبته الأمير كشلى الإدريسى متسفرا.

وكان قد رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية، فنقلوا إلى القاهرة. ودفن الأمير قمار بخانكاة أخيه الأمير بكتمر الساقى، قبلى القرافة. ودفن الأمير أرغون العلائى بخانكاته من القرافة. ودفن الأمير قوصون بخانكاته داخل باب القرافة. ودفن الأمير بشتاك بتربة الجاولى، فوق جبل الكبش. ودفن الأمير ملكتمر الحجازى فى يوم الإثنين سابع عشرى رمضان، بموضع من قصر الزمرد عند رحبة باب العيد من القاهرة، أنشأته له زوجته، ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية. ودُفن الملك الأشرف كجك بجماع آقسنقر من التبانة قريبا من القلعة، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر. وأخرج يوسف وشعبان ورمضان أولاد الناصر محمد، ودفنوا بمواضع أخرى. وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله، فدفنوه بتربتهم. ونقل جماعة كثير سواهم، ولم يعهد مثل ذلك فى الدولة التركية.

وفيه خلع على الشيخ علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم المارديني، المعروف بابن التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بمصر، عوضا عن زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطائى.

وفيه رُسم بكتابة أوراق بكلف الدولة، وُفّر منها مبلغ ستين ألف درهم فى كل شهر من جامكية المماليك. وقُطعت جوامك الخدم والجوارى والبيوتات، ووُفّر كثير من رواتب الدولة لزوجات السلطان وكيدا واتفاق، وقُطعت رواتب المغانى. وقطّع من الاصطبل السلطانى جماعة، ما بين أمير آخورية وسر آخورية وسياس وغلمان، ووُفّر من رواتب عليق الخيول نحو خمسين أردبا فى اليوم. وقطعت الكلابزية، وكانوا خمسين جوقة كلاب، فاستقروا جوقتين. وقطعت رواتب كثير من الأسرى والعتالين والمستخدمين فى العمائر، وأبطلوا العمائر من بيت السلطان. واستقر مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم ثمانية عشر ألف درهم، بعدما كان أحدا وعشرين ألف درهم، فتوفر

منه ثلاثة آلاف درهم.

وفيه رُسم ألا يستقر فى كل جهة إلا شاد وعامل وشاهد واحد.

واشتد الوزير منجك على أرباب الدواوين، وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم، وقاموا له بتقادم تليق به؛ فلم يمضى شهر حتى أنس بهم، واعتمد عليهم في أموره كلها.

واستدعى الوزير منجك أيضا ولاة الأقاليم، وألزم آقبغا والى المحلة بمائة ألف درهم، وولى أسندمر القلنجيقى الغربية، ثم عزله وولى قطليجا مملوك بكتمر؛ وولى أسندمر القاهرة، وأضاف له الجهات يتحدث فيها.

وفيه أنعم على أمير أرغون الكاملى بتقدمة ألف، وأنعم بإقطاعه على يلجك ابن أخت قوصون.

وفيه قدم سيف فخر الدين أياس نائب حلب على يد عمر شاه. وقد قبض عمر شاه على أياس، وأحضره إلى القاهرة، فحمل إلى الإسكندرية.

وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العربان بالصعيد والفيوم، فخرج ابن طقزدمر ومعه خمسة أمراء طبلخاناه إلى الوجه القبلى، وخرج بكلمش أمير شكار فى عدة أمراء إلى الفيوم.

وفيه استقر طغيه فى ولاية قوص، عوضا عن إسماعيل الوافدى[1]، وقد فر بأمواله من قوص. ثم نقل طغيه إلى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن علاء الدين على بن الكوارنى؛ واستقر ابن المزوِّق فى ولاية قوص. واستقر مجد الدين موسى الهذبانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن ابن الزركشى. واستقر قطلومش فى ولاية الجيزة.

فتسامع الناس بولاية الوزير منجك الأعمال بالمال، وأنه قد انفتح باب الأخذ والعطاء، فهرعوا إليه من حلب ودمشق وسائر النواحى؛ ورتب الوزير ببابه جماعة لاستقضاء الناس وقضاء أشغالهم.

وفى أول ذى القعدة: قدم الخبر بأن الأمراء المجردين أوقعوا بالعرب، وقتلوا منهم جماعة، ونهبوا ما وجدوه، فانهزم باقيهم إلى جهة الواحات.

وفيه توقفت أحوال الدولة وتحسن السعر، فاتفق الأمراء ورتبوا لنفقة السلطان فى كل

---

(١) الوافدى لفظ جرى استعماله فى عصر سلاطين المماليك للدلالة على الأفراد الذين هاجر معظمهم من بلاد المغول إلى مصر.

يوم مائة درهم تكون بيده. فكان خادمه يحضر فى كل يوم إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخزانة، وهو جالس بخزانة الخاص من القلعة، يطالبه بمائة درهم، فيكتب لمباشرى الخزانة بصرف جامكية السلطان وصلا يأخذه صيرفى الخزانة عنده، ويزن للخادم المائة درهم، فيدخل بها إلى السلطان ليتوسّع بها فيما يعن له. وكان هذا راتبه كل يوم ولم يسمع بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك، ويصرف الأمور بالعزل والولاية، وتحمل إليه أموال مصر والشام، ولا يتصرف منها فى شىء.

وذلك أن الأمراء تحالفوا - بعد خروج الأمير أرقطاى النائب إلى حلب - أن يكونوا يدًا واحدة وكلمتهم واحدة، ولا يدخل بينهم غريب، وأن يكون الأمير شيخو إليه أمر خزانة الخاص، ويراجعه على الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص ويتصرف بأمره، وأن يكون الأمير بيبغا روس يتحدث فى المملكة، فيخرج الإقطاعات للأجناد والإمرات للأمراء بمصر والشام، وإليه يرجع أمر نواب الشام أيضا، وأنهم يجتمعون للمشورة بين يدى السلطان فيما يتجدد، وألا يَدَعوا السلطان يتصرف فى المال، ولا ينعم على أحد، ولا يمكن من شىء يطلبه؛ فمشت الأمور على هذا.

وفيه وقف نحو المائتين ممن كان بخدمة الأمراء للنائب بيبغا روس يشكون البطالة ففرقوا على كل أمير مائة ثلاثة نفر، وعلى كل أمير طبلخاناه اثنين، وعلى كل أمير عشرة واحدًا، ومن لم يكن من الأمراء عنده إقطاع محلول يرتب للواحد منهم مائة درهم وأردبين غلة فى الشهر. فمن الأمراء من قَبِل، ومنهم من أبى أن يقبل منهم أحدا.

وفيه تراسل المماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا، فقبض على أربعين من الجراكسة، وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية ثم قُبض على ستة، وضربوا قدام الإيوان بالقلعة ضربًا مبرحًا، وقُيدوا وحُبسوا بخزانة شمايل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان، وتم الاتفاق على أن الأمراء إذا انفضّوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة المقدمين إلى القصر، دون من عداهم من بقية الأمراء، ونفذوا الأمور على اختيارهم، من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء فى ذلك. وكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلى بغا الفخرى، والأمير بيغرا، والأمير بيبغا ططر، والأمير طيبغا المجدى، والأمير أرلان، وسائر الأمراء، فيمضون لحالهم إلا أمراء المشورة والتدبير، وهم الأمير بيبغا النائب والأمير شيخو العُمَرى، والوزير منجك، والأمير أجيبغا المظفرى، والأمير طاز، والأمير طنيرق، فإنهم يدخلون إلى القصر

وينفذون أحوال الدولة بين يدى السلطان، بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم؛ فتمضى الأمور على ذلك، ولا يشاركهم أحد فى شيء من أحوال الدولة.

وفيه قدم الأمير كشلى الإدريسى من حلب، فى تاسع عشره، بكتاب الأمير أرقطاى نائب حلب أنه قدمها فى ثانيه؛ فكانت جملة ما أنعم به عليه من ذهب وخيل وقماش نحو مائة ألف درهم.

وفيه كُتب لنائب الشام أرغون شاه أن يعمل برأيه فى نيابة دمشق، ويتحكم فى جميع الأحوال من غير مشاورة.

وفى مستهل ذى الحجة: قدم الأمراء المجردون من الوجه القبلى، وقد أثروا آثارا قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حق، فإن أرباب الجرائم فروا فى البرية فأوقعوا بأصحاب الزروع.

وفيه كتب لطغيه كاشف الوجه القبلى برمى الشعير على بلاد الأمراء والأجناد، وجباية عشرة آلاف أردب منها بسعر عشرة دراهم الأردب؛ فطلب طغيه مقطعى البلاد، وفرّق فيهم المال، و لم يعف أحدا.

واتفق فى هذه السنة حدوث حر شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام، ثم أعقب الحر ريح من جهة برقة مرت ببلاد البحيرة والغربية تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس الزرع لبسا حتى أيس الناس منه. فبعث الله مطرا مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشد من الأول والزرع مبتل، فلصق بالزروع واستمر عليها. وقد خامر اليأس من الزروع قلوب الناس، وتيقنوا الهلاك، فتدارك الله الناس بلطفه، وبعث ندًا كثيرًا فى الأسحار، فانحل التراب عن آخره، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف.

وفيه قدم كثير من أهل دمشق للسعى من باب الوزير منجك فى المباشرات، منهم ابن السلعوس، وصلاح الدين بن المؤيد، وابن الأجل، وابن عبد الحق، فولى ابن الأجل نظر الشام وتوجه إلى دمشق، فضربه الأمير أرغون شاه نائب الشام ضربا مؤلما، وأخذ خلعته، وكتب بسببه إلى مصر يغض منه؛ فرسم أنّ مَن طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام شنق وأخذ ماله.

وفيه استقر جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر بعد وفاته.

وفى هذه السنة: استجد بمدينة حلب قاضٍ مالكى وقاضٍ حنبلى، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرُباحى، وولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض؛ ولم يكن بها قبل ذلك مالكى ولا حنبلى، فاكتمل بها أربعة قضاة.

وفيها كان الغلاء بأرض مصر والشام، حتى بيعت غرارة القمح فى دمشق بثلاثمائة درهم؛ ثم انحط السعر.

وفيها توقف النيل فى أوائل أيام الزيادة، فارتفع سعر الغلال. ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء فى رابع جمادى الأولى، وهو تاسع مسرى؛ وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب، فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهم، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما.

ومات فيها من الأعيان تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقى، بها فى ليلة الجمعة سادس رجب. وقد ولى بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست، ثم نظر النظار؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا، فى يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به، وزوجه ابنته، وجعله أمير شكار، ثم نائب غزة. وأعيد بعده فى أيام الصالح إسماعيل إلى مصر، وعُمل أمير آخور. ثم استقر فى نيابة طرابلس مدة، وأحضر إلى مصر فى أيام شعبان الكاملى، وعظم قدره ودبر الدولة فى أيام المظفر حاجى حتى قتله. وكان كريما شجاعا، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريبا مكن القلعة.

ومات الأمير بيدمر البدرى مقتولا بغزة، فى أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية، وولى نيابة حلب، وإليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريبا من المشهد الحسينى.

وتوفى قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى، عن تسع وسبعين سنة، بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره.

ومات أمير على بن الأمير قراسنقر.

وتوفى قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر عبد الوهاب الهمدانى، فى ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفى الحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى[(١)]، صاحب التصانيف الكثيرة فى الحديث والتاريخ وغير ذلك، فى ثالث ذى القعدة؛ ومولده فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومات الأمير الوزير نجم الدين بن على بن شروين، المعروف بوزير بغداد، مقتولا بغزة فى أوائل جمادى الآخر. قدم من بغداد إلى القاهرة، وولى الوزارة ثلاث مرات فشكرت سيرته،وعرف بالمكارم. وله خانكاه بالقرافة، بجوار تربة كافور الهندى.

ومات قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل، الكرمانى[(٢)] الحنفى بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان بارعا فى الفقه والنحو والأصول، وله شعر.

ومات الأمير نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزيبق، بدمشق فى سادس رجب؛ وتنقل فى ولايات مصر والشام.

ومات أمير بنى عقبة بدر الدين شطى بن عبية، ليلة عيد الأضحى؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته.

ومات الأمير طرنطاى البشمقدار، فى شعبان.

ومات الأمير ملكتمر الحجازى مقتولا، فى تاسع عشر ربيع الآخر. وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزورى، فبذل له فيه السلطان الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامى بمكة، لما حج ابن الشهرزورى. وقدم به المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد فلم ير بمصر أحسن منه ولا أظرف، فعرف بالحجازى، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته، وكان مدمن

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مؤرخ علامة محقق تركمانى الأصل، من أهل ميافارقين مولده ووفاته فى دمشق رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان وله [دول الإسلام – ط] و[المشتبه فى الأسماء والأنساب]، [والكنى والألقاب –ط]. انظر فوات الوفيات ٢: ١٨٣ ونكت الهيمان ٢٤١ وذيل تذكره الحافظ ٣٤ و٣٤٧ وطبقات السبكى ٥: ٢١٦ والتعبى ١: ٧٨ والشذرات ٦: ١٥٣ وغاية النهاية ٢: ٧١ والدرر الكامنة ٣: ٣٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

(٢) مسعود بن محمد (أو إبراهيم بن محمد بن سهل الكرماتى، أبو محمد قوام الدين: أديب، من فقهاء الحنفية تعلم فى بلاده ومهر فى الفقه والأصول والعربية قال ابن العماد: له النظم الرائق والعبارة الفصيحة وله (شرح الكنز). انظر النجوام الزاهرة ١: ١٨٣ وشذرات الذهب ٦/ ١٥٧ والدرر الكامنة ٤: ٣٥١.

الخمر مرتبه منه فى كل يوم زنة خمسين رطلا. لم تسمع منه كلمة فحش قط، ولا توسط بسوء أبدًا، مع سخاء النفس وعدم الشر.

ومات الأمير طغيتمر النجمى الدوادار، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق.

ومات الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام قتلا، بقاقون وهو من المماليك الناصرية الذين شغف بهم السلطان الناصر محمد، وعمر له الدار العظيمة التى موضعها الآن مدرسة السلطان حسن، وولى نيابة حلب، ثم نيابة دمشق، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، و لم يكمله، فكمل بعد موته. وكان كريما، يبلغ إنعامه فى كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب.

ومات إسماعيل وأولاده قتلا بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون العلائى أحد المماليك الناصرية. رقاه السلطان الملك الناصر محمد، وزوجه أم ابنيه شعبان وإسماعيل، وعمله لالا أولاده فدبر الدولة فى أيام ربيبه الصالح إسماعيل، وشكرت سيرته، ثم قام بدولة شعبان الكامل حتى قتل، وإليه تنسب خانكاه العلائى بالقرافة. وكان كريما، ينعم فى السنة بمائتين وثلاثين فرسًا، ومبلغ أربعين ألف دينار، على الأمراء، وغيرهم.

وقتل أيتمش عبد الغنى،وتمر وقراجا، وصمغار.

وقتل بقلعة الجبل الأمير شجاع الدين غرلو، فى خامس عشر جمادى الآخرة. وكان من أرمن قلعة الروم، ويدعى أنه جركسى الجنس. وقدم مصر، وخدم فى جملة أوجاقية الأمير بهادر المغربى، وصار بعده أوجاقيا عند الأمير بكتمر الساقى، ثم عمله أمير آخور حتى مات بكتمر ثم خدم الأمير بشتاك، ثم تنكر عليه بشتاك، وضربه لتحامقه، وأخرجه فولى ولاية أشمون، ثم استقرّ فى ولاية القاهرة، وانتقل إلى وظيفة شاد الدواوين، وأحدث مظالم كثيرة. وجمع الجراكسة على المظفر حاجى، لأنهم من جنسة وعظم فى الدولة المظفرية حتى قتل كما تقدم.

وقَتل السلطان المظفر حاجى فى مدة أربعين يوما أحدا وثلاثين أمير، منهم أحد عشر أمراء ألوف.

وقتل متملك تونس أبو حفص عمر بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حقص، فى جمادى الآخرة؛ فكانت مدته نحوا من أحد عشر شهرا.

وكان قد بويع أخوه العباس أحمد، فى تاسع رمضان سـنة سبع وأربعين، ثـم قُتـل بعـد سبعة أيام.

ومات الشيخ حسن بن النوين أرتنا ملك الروم، فى شوال.

* * *

سنة تسع وأربعين وسبعمائة

أهلت بيوم الثلاثاء، وهو الخامس من برمودة، والشمس فى الدرجة التاسعة عشر من برج الحمل، أول برج فصل الربيع.

فى يوم الثلاثاء أول المحرم: قدم الخبر بقتل إسماعيل الوافدى والى قوص، بعد فراره منها. وقد جمع عليه عدة من الوافدية يريد تملك بلاد السوادن، فحاربوه وقتلوه ومن معه بأسرهم، وأخذوا منهم مالا كبيرا.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن أسندمر القلنجقى بعد موته. وأخرج ابن الكورانى من السجن أربعين مسجونًا، وفعل بهم من القتل والقطع ما توجبه جرائمهم شرعا.

وفيه قبض على الشيخ على الكسيح نديم المظفر حاجى، وضرب بالمقارع والكسارات ضربا عظيما، وقلعت أضراسه وأسنانه شيئًا بعد شىء فى عدة أيام، ونُوِّع له العذاب أنواعا حتى هلك. وكان شنع المنظر، له حدبة فى ظهره وحدبة فى صدره، كسيحا لا يستطيع القيام، إنما يُحمل على ظهر غلامه. وكان يلوذ بألجيبغا المظفرى وهو مملوك، فعرَّف به ألجيبغا الملك المظفر حاجى، فصار يضحكه. وصار المظفر يخرج حرمه عليه، ويعاقره الشراب، فتهبه الحظايا شيئًا كثيرا. ثم زوجه المظفر حاجى بإحدى حظاياه، وصار يسأله عن الناس، فينقل له أخبارهم على ما يريد، وداخله فى قضاء الأشغال فخافه الأمراء وغيرهم خشية لسانه، وصانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه إذا دخل خزانة الخاص لابد أن يعطيه ناظر الخزانة منها شيئًا له قدر، ويدخل عليه ناظر الخاص حتى يقبله منه. وإذا دخل إلى النائب أرقطاى استعاذ من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروبا، وقضى شغله الذى جاء بسببه، وأعطاه ألف درهم من يده، واعتذر إليه فيقول للنائب: «ها أنا أدخل على ابنى السلطان، فأعرفه أحسانك». فلما زالت دولة المظفر حاجى عنى به ألجيبغا، إلى أن شكاه عبد العزيز العجمى - أحد أصحاب الأمير قراسنقر - على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل قراسنقر حتى خلصه منه فتذكره أهل الدولة،وسلّموه إلى الوالى فعاقبه، واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

وفيه رجمت العامة ابن الأطروش المحتسب. وسببه أن السعر لما تحسن بلغ الخبز ستة

أرطال وسبعة أرطال بدرهم؛ عمل بعض الخبازين خبزا، ونادى عليه ثمانية أرطال بدرهم، فطلبه المحتسب وضربه، فثارت العامه به، ورجموا بابه حتى ركب الوالى وضرب منهم جماعة.

وفيه توحش ما بين الأمير شيخو والأمير بيبغا روس نائب السلطان. وسببه أن نفقة السلطان المائة درهم دخلت إليه على العادة، فطلب منه أحد المماليك ثلاثمائة درهم، فبعث إلى الأمير شيخو يطلب منه ذلك، فقال لقاصده: «أيش تعمل بالدراهم؟ وأيش له حاجة بها؟ وما ثم هذا الوقت شيء». فعز عليه ذلك لما بلغه، وأرسل يطلب هذا المبلغ من النائب بيبغا روس، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم. فقامت قيامة شيخو وأقام أياما لا يحدث النائب بيبغا روس، حتى دخل بينهما الوزير منجك، وسأل عن سبب الغضب على النائب. فقال له شيخو: «أنا ما كان عندى دراهم أسيرها للسلطان! لكن حفظت ما اتفقنا عليه، فعمل النائب وجهه أبيض عند السلطان، وسوَّد وجهى»؛ فما زال به الوزير منجك حتى رضى.

وفيه قدم الخبر بوقوع الحرب بين سيف بن فضل[(١)] وعمر بن موسى بن مهنا[(٢)]، أسر فيها سيف، وقتل أخوه وجماعة من أصحابه.

وفيه توقف أمر الدولة على الوزير منجك[(٣)] فقطع ستين من السواقين[(٤)] ووفر لحمهم ومعلومهم وكسوتهم وعليقهم؛ وقطع كثيرًا من الركابين والنجابة؛ وقطع كثيرًا من المباشرين، حتى وفر فى كل يوم أحد عشر ألف درهم. وفتح ابن منجك باب

---

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا هو سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، من بادية الشام كان شجاعا جوادًا ولى إمرة قومه عدة مرات أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤ هـ) ومات قتيلا. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ٣/ ١٥٠

(٢) موسى بن مهنا هو موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه [٧٣٤ هـ] واستمر إلى أن توفى بتدمر قال ابن تغرى بردى كان من أجل ملوك العرب. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤: ١٩٣ والنجام الزاهرة ١: ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٣٩.

(٣) منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفى الناصرى أمير داهية جبار يعرف بمنجك الكبير كان فى خدمة الناصر محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى رأس ابنه أحمد (الناصر بن الناصر) وولى الوزارة بمصر ٧٤٨هـ وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يومًا وبنى جامع منجك بالقاهرة سنة ٧٥١ هـ انظر خطط المقريزى ٢/ ٣٢ والدرر الكامنة ٤/ ٢٣٠ والأعلام ٧/ ٢٩١

(٤) السواقين جمع السواق وهو الشخص المكلف بإدارة ساقية الماء فى حامع من الجوامع.

المفايضات بالأخباز والنزولات عنها، وأخذ من ذلك مالا كثيرًا، وحكم على أخيه الأمير بيبغا روس النائب بتمشية هذا، فاشترى الإقطاعات كثير من العامة.

وفيه قدم خبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم، هلك فيه خلق كثير.

وفيه مات ثلاثة ملوك فى شهر واحد، وأن جماعة منهم ركبوا البحر إلى بعض الجزائر، فهلكوا عن آخرهم.

وفى رابع عشريه: قدم الحاج.

وفى خامس عشريه: قبض على الطواشى عنبر السحرتى مقدم المماليك فى الدولة المظفرية؛ وكان قد أخرج إلى المقدس، وحج منه بغير إذن، وقدم القاهرة. فأنكر عليه حجه بغير إذن، وأخذت أمواله؛ ثم أخرج إلى القدس.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: عزل الأمير منجك من الوزارة. وسبب ذلك أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة، فوقع الاتفاق على تفرقته فى الأمراء، فحمل إلى الأمير بيبغا روس النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى الأمير شيخو ثلاه آلاف دينار، ولجماعة من الأمراء كل واحد ألف دينار ولجماعة أخرى منهم كل أمير ألف دينار فامتنع شيخو من الأخذ، وقال: «أنا ما يحل لى أن آخذ من هذا شيئًا». وقدم أيضًا حمل قطيا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك فأخذ الوزير منجك من الحمل أربعين ألف، وزعم أنها كانت قرضًا فى نفقة المماليك. فوقف المماليك إلى الأمير شيخو، وشكوا الوزير بسببها فحدث الأمير شيخو الوزير فى الخدمة ليردها، فلم يفعل، وأخذ فى الحطّ على ابن زنبور ناظر الخاص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستادرية. وألح منجك فى ذلك عدة أيام، فمنعه شيخو من ذلك، وشد من أزر ابن زنبور، وقام بالمحاققة عنه، حتى غضب منجك بحضرة الأمراء فى الخدمة. فمنع الأمير بيبغا روس النائب الوزير منجك من التحدث فى الخاص، وانفض الجمع، وقد تنكر كل منهما على الآخر. فكثرت القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة، وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدأ وأعاد حتى طال الكلام. ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة واستقراره أستادارًا وشادًا على عمل الجسور فى النيل.

وفيه طلب الأمير أسندمر العمرى المعروف برسلان بصل من كشف الجسور، ليتولى الوزارة. فخلع عليه فى يوم الإثنين رابع عشريه خلعة الوزارة، وخرج إلى قاعة

الصاحب، وجلس والموفق ناظر الدولة والمستوفون، وطلب جميع المشدين وأرباب الوظائف.

وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشربخاناه إلى نيابة صفد وسبب ذلك أنه كان قد كبر فى نفسه، وقام مع المماليك على المظفر حتى قتل. ثم أخذ فى تحريك الفتنة، واتفق مع ألجيبغا وطنبرق على الركوب. فبلغ الأمير بيبغا روس النائب الخبر، فطلب الإعفاء من النيابة وذكر ما بلغه. ورمى أحمد شاد الشرابخاناه بأنه صاحب فتن، ولابد من إخراجه من بينهم؛ فطلب أحمد وخلع عليه، وأخرج من يومه.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشريه: اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمى، وقرأوا القرآن ودعوا الله. ثم اجتمعوا ثانيًا فى عصر النهار، فبعث الله مطرًا كثيرًا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه: أنعم على الأمير منجك بتقدمة أحمد شاد الشرابخلناه.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: امتنع النائب من الركوب فى الموكب، وأجاب بأنه ترك النيابة. فطلب إلى الخدمة، وسئل عن سبب تغيره، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إثارة الفتنة، وتبيت خيولهم فى كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه، وأشار لألجيبغا وطنيرق. فأنكرا ما ذكر عنهما، فحاققهما الأمير أرغون الكاملى أن ألجيبغا واعده بالأمس علىالركوب فى الغد إلى الموكب، ومَسْكِ بيبغا روس النائب والوزير منجك فعوتب ألجيبغا على هذا، فاعتذر بعذر لم يقبل منه، وظهر صدق ما رُمى به؛ فخلع عليه بنيابة طرابلس، وعلى طنيرق بإمرة فى دمشق، وأخرجا من يومهما. فقام فى حق طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفى من السفر؛ وتوجه ألجيبغا لطرابلس، فى ثانى ربيع الآخر بعدما أمهل أيامًا؛ فأقام الأمراء على حذر وقلق مدة أيام.

وكان ماء النيل قد نشف فيما بين مدينة مصر ومنشأة المهرانى إلى زربية قوصون وفم الخور، وفيما بين الروضة والجزيرة الوسطى؛ وصار فى أيام احتراق النيل رمالا وكان قد ركب فى الأيام الماضية جماعة من الأمراء والمهندسين ورؤساء المراكب للكشف عن ذلك، وقاسوا ما بين الجيزة والمقياس ليعملوه جسرًا. فقال الريس يوسف: «ما يستد هذا البحر أبدًا، ومتى ما سدَّيتوه مَالَ على الجيزة وأخربها» ورأى الأمير طقزدمر النائب أن عمل هذا الجسر يدفع قوة الماء إلى بر مصر وبولاق، ويخرب ما هناك من الأملاك. فقام الأمير ملكتمر الحجازى فى شكر رجل عنده قد تكفل بسد

ذلك، وقام الأمير طغيتمر النجمى بشكر رجل آخر. فرُسم بإحضار الرجلين، ونزل النائب والوزير لعمل ذلك، وهما معهما فاستدعى صاحب الحجازى بالخشاب والصوارى الكبار والحلفاء، وطلب مراكب لتملأ بالحجارة حتى يغرقها من جهة المقياس ويعمله سدًّا، ثم يرجع إلى السد الثانى فيسده بالتراب؛ وطلب الأبقار والجراريف. فخالفه الآخر صاحب طغيتمر، وقال بل يسد من بستان الذهبى إلى رأس الجزيرة، والتزم أنه لا يصرف عليه سوى أربعة آلاف درهم فسخر منه جميع من حضر، وسأله النائب كيف يكون هذا، فذكر أنه يسده بالحلفاء والخوص فعادوا إلى السلطان المظفر حاجى، فالتزم له أن يسد الجسر بما تقدم ذكره، على أن يعطيه إقطاعًا، ويرتب له لحمًا وعليقًا، وإن لم يسده شنقه السلطان.

فرسم للأمير أسندمر الكاشف ولشاد العمائر بالوقوف معه فى العمل، فاستدعى الرجل بأخشاب وحلفاء وخوازيق، وطلب الرجال، وابتدأ العمل من موضع قليل الماء تجاه بستان الذهبى، ورمى فيه التراب والحلفاء ودكه بالرمال مدة أسبوع. وكلما سد موضعًا بالنهار قطعه الماء بالليل وعاد كما كان؛ فظهر جهله، وقصد السلطان تأديبه حتى شفع فيه النائب.

فقام صاحب الحجازى بالعمل، وكتب تقدير ما يحتاج إليه من صوارى وأخشاب وغيرها مائة وخمسين ألف درهم، وذلك عن ثمن خمسمائة صارى، وألف حسنية[1] وألف حجر عرض ذراعين فى مثلها، وخمسة آلاف شنف[2]، وغير ذلك فرسم بجباية ذلك من الأملاك التى على شاطئ النيل من رأس الخليج إلى آخر بولاق، فاستخرج منها هو سبعين ألف درهم؛ وكان من انتقاض الدولة المظفرية ما كان.

فلما كان فى سنة تسع وأربعين هذه وقع الكلام فى ذلك، فأراد الأمير شيخو أن يكون عمله على الأمراء والأجناد وفلاحى البلاد، فلم يوافقه الأمير منجك، واحتج بقرب زيادة النيل، وأن الغلات قد تعطل حملها فى النيل من النواحى لقلة الماء فى مواضع الحمل؛ والتزم بعمله من غير أن يسخر فيه أحدًا. فركب الأمير بيبغا روس النائب والأمير شيخو والأمير منجك وعامة الأمراء إلى الجزيرة، وقاسوا منها إلى المقياس، ليعمل هناك جسر. فذكرت البحارة أن هذا الموضع لا يمكن سده لكثرة كلفه،

---

(١) حسنية نوع من البلح ويبدو مما هنا أن استعمال هذا اللفظ يمتد إلى الدلالة على خشب النخل المشهور بذلك النوع من البلح.انظر .

(٢) شنف حيث ورد أن الشنف نوع من الشبك يصنع أكياسًا لحمل القش أو التبن. انظر الوجيز.

وأنهم إن سدوه أضر ببلاد الجيزة، وقوى الماء على جهة مصر، وأضر وأتلف ما على النيل من الدور فسفّه الأمير منجك رأيهم، ورد قولهم، والتزم للأمراء بسده. فعادوا وقدروا مصروفه على الأمراء والأجناد والكتاب وأصحاب الأملاك، وسائر الناس؛ وكتب أوراق من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والأمراء وَعِبَر إقطاعاتهم. وفُرض على كل مائة دينار درهم واحد، وفرض على كل أمير من أمراء الألوف ما بين أربعة آلاف درهم إلى خمسة آلاف درهم، وفرض على بقية الأمراء الطبلخاناه والعشرات بحسبهم. ورُسم أن يؤخذ من كل كاتب أمير مقدم مبلغ مائتى درهم، ومن كل كاتب أمير طبلخاناه مائة درهم. وفُرض على كل حانوت من حوانيت التجار والباعة درهم، وعلى كل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما درهمان، وعلى كل بستان عشرة دراهم الفدان، وبعضها أخذ منه عن كل فدان عشرون درهما، وعلى كل حجر من حجارة الطواحين خمسة دراهم. وجُبى من كل صهريج مَاء بتربة أو مدرسة ما بين عشر دراهم إلى خمسة دراهم، ومن كل تربة ما بين ثلاثة دراهم إلى درهمين وضقعت الأملاك التى استجدت من الدور والبساتين وغيرها، فيما بين بولاق إلى كوم الريش ومنية السيرج، والأحكار التى عمزت على الخليج الناصرى، وبركة الطوابين المعروفة ببركة الرطلى، وقنطرة الحاجب وأرض الطبالة، وجامع حكر أخى صاروجا وقيست كلها وأخذ عن كل ذراع خمسة عشر درهما؛ وأخذ من أقمنة الطوابين والفواخير. وطُلِب مباشرو أوقاف الشافعى وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف، وألزموا بمال. وكتب بطلب الرهبان من الديارات بالأعمال، وقُرِّر على كل منهم ما بين المائتى درهم إلى المائة درهم، وأن يؤخذ عن كل نخلة ببلاد الصعيد درهم. وَجُبى من المتعيشين فى القاهرة ومصر ما بين درهم كل واحد إلى عشرة دراهم، ومن كل قاعة ثلاثة دراهم، ومن كل طبقة درهمان، ومن كل مخزن أو اسطبل درهم، ومن كل فندق وخان بحسبه. وقُرِّر على ضامنة المغانى خمسة آلاف درهم.

وُعمل موضع المستخرج من الناس خان مسرور بالقاهرة، وشاد المستخرج الأمير تلك. وعمل لكل جهة من هذا الجهات شاد وكاتب، وعدة أعوان من الرسل وصيرَفى.

فارتجت أحوال المدينتين وأعمالهما وبطلت الأسباب لسعى الناس فيما عليهم وتسلطت العرفاء والضمان وأصحاب الرباع والرسل على كل أحد، فلم يبق رجل ولا امرأة حتى جبوا منه، وكان الواحد منهم يغرم للرقاص والصيرفى والشاد، ويعطى أجرة الشهود الذين يشهدون عليه أنه قام بما عليه.

وشرع منجك فى جمع الأصناف المحتاج إليها، وضرب له خيامًا على جانب النيل بالروضة. ونودى فى الناس من أراد العمل فله درهم ونصف، وثلاثة أرغفة خبز؛ فاجتمع له خلائق، وعمل لهم موضعًا يستظلون فيه حر الشمس؛ ورفق منجك بهم فى العمل. وأقام منجك عدة من الحجارين لقطع الحجارة من الجبل، ونقلها إلى الساحل، وحملها فى المراكب لبر الجيزة، لعمل جسر من الجيزة إلى المقياس. ورتب منجك عمل جسر آخر من الروضة إلى الجزيرة الوسطى، وأقام الأخشاب بجانبى كل جسر منهما، وردم التراب والحجارة فى وسطه مع الحلفاء، ورتب جمال السلطان لقطع الطين من بر الروضة ورميه بوسط الجسر؛ وأقام على كل جهة شادين ومستحثين. وأقام منجك الصارم شاد العمائر على العمل، ورسم ألا يتأخر عنه صانع، وألزم تجار مصر وغيرهم بنقل التراب إلى الجسر؛ فكان الرجل منهم يغرم فى نقل التراب ما بين الخمسمائة إلى الألف درهم؛ ورميت عشر مراكب مملوءة حجارة فى وسط جسر المقياس. ولم يزل العمل مدة أربعة أشهر، أولها مستهل المحرم وآخرها سلخ ربيع الآخر.

وكان منجك قد حفر أيضًا خليجًا تحت الدور من موردة الحلفاء إلى بولاق فلما زاد النيل جرى الماء فيه، ودخلته المراكب الصغار. ففرح الناس به، وسُرّوا سرورًا زائدًا، ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة.

غير أن الشناعة قامت على منجك، لكثرة ما جَبىَ من الأموال العظيمة، حتى أراد بيبغا روس النائب منعه من ذلك، فلم يقبل منه؛ ولم يتم من العمل سوى ثلثيه وقويت الزيادة، فبطل العمل.

وكان القاع فى هذه السنة أربعة أذرع، ونودى فى أول الزيادة بإصبعين، ثم بعشر أصابع، ثم بخمسة عشر إصبعًا، ثم بثمان، ثم بعشرين. ولم تزل الزيادة تقوى حتى غرقت المقاتى، وألتقى البحر برأس الخليج الذى استجد فيه الماء. ثم علا الماء على الجسر، وكاد يقطعه.

فركب منجك ومعه والى الجيزة وخلائق من العامة والأمراء، وردمه بالتراب، فاندفع الماء إلى جهة الميدان وزربية قوصن. فكان قياس جسر الجزيرة الوسطى مائتى قصبة فى عرض ثمانى قصبات، وأرتفاع أربع قصبات، وطول جسر المقياس مائتين وثلاثين قصبة، وعدة ما رمى فيه من المراكب الحجر اثنا عشر ألف مركب، سوى التراب والطين؛ وغرم عليه ما لا يمكن حصره. ويقال إنه جُبى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار، فإن الرجل كان يُفرض عليه درهمان، فيغرم فيما تقدم ذكره عشرة دراهم.

وفى يوم الإثنين خامس عشر ربيع الآخر: أعيد الأمير منجك إلى الوزارة، باستعفاء أسندمر العمرى، لتوقف أحوال الدولة.

وفيه أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائى، وطيبغا المظفرى، ومنكلى بغا المظفرى؛ وفُرِّقوا ببلاد الشام.

وفيه قدم من جهة أولاد جوبان قاصد بمال لعمارة عين جوبان بمكة، وإجراء الماء إليها وقد انقطع. فلم توافق الأمراء على ذلك، وعينوا فارس الدين قريب آل ملك لعمارتها، صحبة الرجبية. ورُسم لقاضى القضاة عز الدين بن جماعة بالإنفاق عليها من مال الحرمين فأخذ فى الاهتمام للسفر.

وفيه خلع على أيتمش الناصرى الحاجب، واستقر أمير جاندار.

وفيه خلع على الأمير جركتمر، واستقر نائب الكرك، بعد وفاة تمربغا العقيلى وفيه قدمت هدية الأمير شاه نائب الشام وقوده، بزيادة عما جرت به العادة، وهى مائة وأربعون فرسًا بعبى تدمرية، فوقها أجلة[١] أطلس، ومقاود سلاسلها فضة، ولواوين بحلق فضة، وأربعة قطر هجن سلاسل مقاردها الحرير من فضة وذهب، وأكوارها مغشاة بذهب، وأربعة كنافيش ذهب عليها ألقاب السلطان، وتعابى قماش مفتخر. ولم يدع الأمير أرغون شاه نائب الشام أحدًا من الأمراء المقدمين، ولا من أرباب الوظائف حتى الفراش ومقدم الاسطبل، ومقدم الطبلخاناه والطباخ،حتى بعث إليهم هدية. فخلع على مملوكه عدة خلع، وكُتب إليه بزيادة على إقطاعه، ورسم له بتفويض حكم الشام إليه، يعزل ويولى بحسب اختياره.

وفيه خلع على صدر الدين الكازاتى بمشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس[٢] عوضا عن الركن الملطى. وكان هذا الرجل قد ورد إلى مصر، وأقام بها لا يؤبه له حتى نيابة بيبغا روس ووزارة منجك، فتردد إليهما، وأظهر التزهد ومعرفة العلم، وصنف كتابًا على مذهب الحنفية بالتركى، وقدمه لهما، فراج به عندهما؛ وكان قد تحرك للحنفية حظ منذ أعوام. ثم سألهما صدر الدين هذا فى مشيخة الشيوخ، فجمع بيبغا روس النائب الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى وعامة صوفية الخوانك ومشايخها بجامع القلعة وعرفهما الأمير قبلاى الحاجب عن الأمير بيبغا روس النائب أن الركن الملطى له منذ غاب سبع سنين، وقد ثبتت عنده وفاته، وعين عوضه الكازاتى؛ فأنكروا بأجمعهم

---

(١) أجلة جمع جل وهو ما يغطى به ظهر الفرس قبل وضع السرج والبرذعة (محيط المحيط)
(٢) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٩.

ولايته، ووضعوا منه فشق ذلك على الأمير بيبغا روس النائب ورسم بحضورهم بعد العصر فى الخدمة. فلما حضروا خلع بيبغا روس على الكازاتى، فلم يتكلم أحد منهم فنزل وهم معه.

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن المجدى بإمرة طبلخاناه أيضًا.

وفى جمادى الأولى: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ثم خرج إلى ناحية سرياقوس فى أول جماد الأولى، وأقام بها أيامًا. فكثر تسلط السُّراق على الناس؛ فوكل بهم الوزير منجك عرب بنى صبرة بإقطاعات، وندبهم للركوب فى الليل، ودرَّكهم تلك الأراضى.

وفى مستهل رجب: جهز لعمارة عين جوبان من مال الحرمين مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه قدم الخبر بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش، وانتصر فيها أولاد دمرادش، وقتلوا كثيرًا من عسكر الشيخ حسن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا، فخلع عليه، واستقر فى إمرة العرب، وتوجه إلى بلاده وهو مريض.

وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمرى بإمرة كوكاى المنصورى، بعد موته؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير نوروز.

وفيه أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك، وعُوِّض عنها ناحية برما، وهى مثلا بوصير.

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتى، بعد موته.

وفيه ولى الوزير مازان الغربية، وولى ابن سلمان منوف عوضا عن مازان وولى صلاح الدين بن العنتابى البهنساوية؛ وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار.

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة.

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة.

وفيه وُفِّر إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين، وأقطع المماليك، وأنعم عليه بإقطاع الأمير جركتمر.

وفيه وُفِّرت جوامك جماعة ورواتبهم.

وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعى فى الوظائف بمال، فلم يرد أحدًا؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بألف عليقة.

وفيه توجه بيبغا روس النائب إلى العباسة، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار، وأتته تقادم جليلة.

وفى هذا الأيام: كثر سقوط الدور التى على النيل، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته فى ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره، إلى أن كان الوفاء فى يوم الجمعة أول جمادى الأولى، وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته، وتوقف أياما؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب خمس أصابع، فقلق الناس قلقًا زائدًا. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه؛ وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمان عشرة إصبعا. فشمل الرى البلاد وانحط سعر الغلال.

فلما أخذ ماء النيل فى الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئًا بعد شىء، ثم سقط أحد عشر بيتًا بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة، فإن الماء لما عُمل الجسر الذى تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق، وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها، وذهب فيها مال كبير للناس فى الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافى، وقطعة من ربع الخطيرى، وعدة دور.

وفيه كثرت الأخبار بوقوع الوباء فى عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. فكثر الوباء حتى بلغ فى شعبان عدد من يموت فى كل يوم مائتى إنسان، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس.

وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بوادٍ فى ناحية توريز أفاعى ذات خَلق عظيم من الطول والضخامة، وقد اجتمع منها عدد كثير جدًا. وصارت فرقتين، واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا، ثم عادوا من الغد بكرة النهار إلى القتال، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام. وفى اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى، وقتلت منها مقتلة عظيمة، وانهزم باقيها، فلم تدع فى هزيمتها حجرًا إلا قصمته، ولا شجرًا إلا قلعته من أصله، ولا حيوانًا إلا أتلفته؛ فكان منظرًا مهولا.

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده، وفيه اثنان وسبعون فرسا، أقلها بعشرة آلاف درهم، وأوسطها بعشرين ألفا، وأغلاها بثلاثين ألفا، سوى الهجن وغيرها. وقدم صحبته أحمد ططر أمير بنى كلاب، وندا أمير آل مرا؛ فأكرم ندا وأحمد ططر، وأعيدا إلى بلادهما؛ وقبض على فياض، وأخذت خيوله ومامعه، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه قدم الخبر بقتل الأمير صعبه كاشف الوجه القبلى، فيما بين عرك وبنى هلال، وقتل كثير من أصحابه، وأخذ ما معهم. وشنّ العرب بعد قتله الغارات على البلاد، وأمعنوا فى نهب الغلال وقطع الطرقات، وذلك بعد دخولهم سيوط ونهبها. فعُيِّن عشرة أمراء للتجريدة، ثم تأخر سفرهم خوفًا على الزرع.

وفى ثالث ذى الحجة: أخرج الأمير طشبغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت له مع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر؛ أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر، ودخلا على الأمير شيخو كذلك. فأنكر شيخو عليه ذلك، وبقى بطالا، وعمل قطليجا الأرغونى دوادارًا عوضه.

وفيه أنعم على جاورجى مملوك قوصون بإمرة عشرة، وعلى عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم محمل سيس بحقّ النصف، لخراب البلاد من كثرة الفناء بها.

وفيه كتب بولاية حياد بن مهنا إمرة العرب.

وفيه قدم الخبر بخروج عشير الشام عن الطاعة، وكثرة الحروب بينهم، وقتل بعضهم بعضًا، ونهب الغرد[١] ونابلس، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك.

وفيه أخرج يلجك قريب لنيابة غزة[٢]، عوضا عن أحمد الساقى؛ وقدم أحمد الساقى إلى مصر.

وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس، فوفر الوزير جوامك الحاشية ورواتبها؛

---

(١) الغرد لم يذكر ياقوت بلدا بهذا الاسم قرب نابلس انظر: معجم البلدان ٢/ ٧٨٤.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان وكانت غزة صور الذى بن صور مدينة الساحل قريبة من البحر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال، والمرتبين فى الصدقات، والكتاب والموقعين، والمماليك السلطانية، على قدر ما بأسمائهم.

وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودى ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سِكَّة، وبردّ الرصاص والنحاس الأصفر، فمشت الأحوال.

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصرى عوضا أمير جندار، واستقر الأمير قبلاوى حاجب الحجَّاب عوضا عن أيتمش.

وفيه استقر ابن الأطروش فى قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة، ولم يعرف أحدًا قبله ولى هذا بمصر؛ واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى فى قضاء العسكر على مذهب الشافعى.

وفيه استقر خاص ترك بن طغيه الكاشف فى ولاية منفلوط، واستقر مجد الدين موسى بن الهذبانى والى الأشمونين فى كشف الوجه القبلى، بعد قتل طغيه؛ ونقل محمد ابن أياس الدويدارى من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية.

وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف فى قضاء الشافعية بحلب عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصابغ، بعد وفاته. واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبى السفاح كاتب السر بحلب، عوضًا عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

وفيها وُجِد للشيخ حسن متولى بغداد بدار الخلافة دفينًا فى خربَة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهبًا.

فكانت سنة كثيرة الفساد فى عامة أرض مصر والشام، من كثرة النفاق، وقطع الطريق، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير، دون كل أحد.

ومع ذلك فكان فيها الوباء الذى لم يعهد فى الإسلام مثله، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء فى الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر فى شعبان ورمضان وشوال، وارتفع فى نصف ذى القعدة.

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين

ألف نفس فى كل يوم. وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السَّلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر. وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دمًا، ثم يصيح ويموت؛ وعَمّ مع ذلك الغلاء الدنيا جميعها.

ولم يكن هذا الوباء كما عُهد فى إقليم دون إقليم، بل عَمّ أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بنى آدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى آخرها ستة أشهر، وهى بلاد الخطا والمغل، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، فى مشاتيهم ومصايفهم، وفى مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض؛ وذلك فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك[١].

ثم حملت الريح نَتْنَهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، ولم يبق بذاك الإقليم من يحكمه.

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم فى طريقهم؛ وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم، فأخذ بقية من تأخر بها فى تتبع آثارهم حتى تَعَرّف خبرهم، فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا؛ فأخذهم الموت أيضًا فى طريقهم، ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل، فماتوا مع أهاليهم جميعًا إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم، فأصابهم الوباء.

وعم الوباء بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففنى أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضًا إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعًا.

وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور فى يوم واحد بموضع واحد مائة وثمانون نفسا؛ وخلت سيس وبلادها.

---

(١) بلاد أزبك بلاد القبائل الذهبية المغول وهى شمالى البحر الأسود وبحر قزوين وحوض الفولى.

ووقع فى بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله فى غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا فى مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، ولم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين.

ووقع الوباء ببغداد أيضًا، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طُلُوعا[١]، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت فى عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر.

وفى أول جمادى الأولى: ابتدأ الوباء بأرض حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وَبَادَ أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادى وسكان الجبال والضياع. ولم يبق فى بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة. ولم يبق بمدينة لدّ أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى. ولم يدخل الوباء معرة النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم.

وأول ما بدأ الوباء بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بَثرَة[٢] فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعًا. ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيرًا. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة.

وبلغ عدد من يموت بحلب فى كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثانى المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد فى كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث فى يده، ويوجد آخر قد مات وفى يده ما يبذره، وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نَفَرًا لإصلاح أرضه، فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نَفَرٍ لسرقة دار بغزة فأخذوا ما فى الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية.

---

(١) طلوعا عند الطلعه خُرَّاج عظيم فى البدن [محيط المحيط].

(٢) البثرة خراج صغير [محيط المحيط].

ومات أهل قطيا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلامين من أصحابه وجارية عجوز. وبعث الوالى يستعفى، فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجى.

وعم الوباء بلاد الفرنج، وابتدأ فى الدواب، ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من فى أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفًا أن يُبيد الموتُ الفرنج، فتملكُ المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسَّرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا؛ وهلك لهم ثلاثة ملوك واستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذى ملكوه عليهم رابعا بجماعته فى مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم فى البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم فى المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن آخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركَّابُها بها أحدًا، وإن صدفت أحدًا فى بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون فى البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت.

وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجرًا وثلاثون رجل، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعًا بالثغر.

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شىء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها؛ فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنًا قد اسود. وتغير أيضًا ريح السمن واللبن، وماتت المواشى بأسرها.

وشمل الوباء أيضًا أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع الإسكندرى دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضًا شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية.

وشمل الموت أهل البرلس ونَسْتَراوَه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها فى المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم فى المراكب ويعود من بقى منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد فى حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت. ووُجد فى جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم.

وصارت الأموات على الأرض فى جميع الوجه البحرى، ولا يوجد من يدفنها وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلتهم؛ وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها.

وعم الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع وزهد أرباب الأموال فى أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه[١] ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

---

(١) أبشيه بلاد وقرى معروفة بمدينة الغربية الحالية انظر ياقوت معجم البلدان ١/ ٨٥.

وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء من أول فصل الصيف، وذلك فى أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقى الحنا، وماتت الدواب والمواشى وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقى من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة.

وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها،وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها. وبقيت المراكب فى البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا، فكان يوجد فى السمكة كبة. وهلكت الأبقار الخيسية[1] والجاموس فى المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضا الكبة.

وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس فى برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح فى نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى مَن بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فى وادى دمشق كله.وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة فى البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضى دمشق تقى الدين السبكى رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول ﷺ، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره ﷺ أن يقول لهم: «اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه»؛ فعرفهم قاضى دمشق ذلك. فاجتمع الناس فى المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقارًا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودى فى دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

---

(١) الخيسية نسبة إلى بلدة خيس التى اشتهرت فيما يبدو بنوع خاص من الأبقار لإنتاج اللبن.

وابتدأ الوباء فى القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم فى الباعة، حتى كثر عدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وجبًا فى يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف فى كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس فى أقل من أسبوع؛ فشرع الناس فى فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت.

وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبى ﷺ فى نومه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره ﷺ أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: «اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك. ياذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام»، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفى شعبان: تزايد الوباء فى القاهرة، وعظم فى رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع فى الجوامع للدعاء.

وفى يوم الجمعة سادس رمضان نودى أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة البخارى بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويُقْنتون فى صلواتهم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه، فى يوم الأحد ثامنه.

وفيه مات الرجل الصالح عبد الله المنوفى، فصَلّى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلى سرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس؛ وحدث فى شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس فى بدنه بحرارة، ويجد فى نفسه غثيان، فيبصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتج أحد فى هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم فى جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد فى شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتًا إلا وفيه صبحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.

وصل فى يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمى من القاهرة، فصُفّت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين دارًا خالية. وبقيت الأزقة والدروب بما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل فى يوم واحد عنه إلى رابع وخامس.

وحُصرت عدة من صُلّى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، فى يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات فى الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفى الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه فى البيوت ويقال بلغت عدة الأموات فى يوم واحد عشرين ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط فى مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبية وباقى الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الاثنان والثلاثة فى نعش واحد على لوح واحد.

وطُلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وعمل جماعة من الناس مدراء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما؛ فلم يُمَتّع أكثرهم بذلك، وماتوا.

ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته؛ فوُجد فى بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضا. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تَوَاريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئا بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دورًا وأثاثا وأموالا من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم بما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاى أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحدًا عمل فرحًا فى مدة الوباء، ولا سُمع صوت غناء. وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقى فى الموضع المشهور بأذان واحد.

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار فى طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد فى هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

وشمل فى آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها. ولم يدخل الوباء ثغر أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا. وطُلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد، وخرج من مدينة أخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين، لقياس بعض الأراضى؛ فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين، فحمله رفيقه إلى البلد، فسقط بجنبه ومات؛ وأخذت الشاهد الحمى.

واجتمع ثلاثة بناحية إبيار، وكتبوا أوراقا بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه؛ فطلعت الأوراق بموت واحد بعد آخر، فمات الثلاثة على ما طلع فى الأوراق؛ وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة.

وكانت البزدارية إذا رمت طيرًا من الجوارح على طائر ليصيده، وُجد الصيد وفيه كبة كالبندقة؛ ولم تذبح أوزة ولا شىء من الطيور إلا وُجد فيه كبة. ووُجدت طيور

كثيرة فى الزروع ميتة، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا نتفت وُجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحى أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة.

وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شىء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها.

وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا[1] توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم فى أمر الزرع، فإن الوباء ابتدأ فى آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث فى أراضى الرملة وغزة والساحل، وإذا به يخر ميتًا والمحراث فى يده، ويبقى بقره بلا صاحب.

ثم كان الحال كذلك بأراضى مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فنى الفلاحون، ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيولهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه.

وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأسكافية والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا الكلفتاه والقباء.

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شىء. فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضى. ولم يوجد أحد يشترى القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحى القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت. وتركت ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناى وطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعى دوابه، ولا من يعملها دريسًا.

---

(١) سخا كورة بمصر وقصبتها سخا بأسفل مصر وهى الآن قصبة كورة الغربية ودار الوالى بها. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٦.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحى أرض سيوط تشتمل على سته آلاف نفر يجئ منهم الخراج، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرًا؛ ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب.

وتعطلت أكثر الصنائع، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن.

واتضعت أسعار المبيعات كلها، حتى كانت الفضة النقرة التى يقال لها بمصر الفضة الحجر، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية. ويبقى الدينار بخمسة عشر درهما، بعدما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر، بعد ثلاثين درهما. فنودى بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم، لقلة الرجال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما.

ويقال إن هذا الوباء أقام على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة، وقد أكثر الناس من ذكره فى أشعارهم، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردى من مقامة عملها:

إسكندرية ذا الوبا ... سبع يمدّ إليك ضبعه
صبرًا لقسمتك التى تركت ... من السبعين سبعه

وقال:

أصلح الله دمشقًا ... وَحَماها عن مسبَّه
نفسُها خَسّت إلى أن ... تقتل النفس بحبه

وقال:

إن الوبا قد غلبا ... وقد بدا فى حلبا
قالوا له عى الورى ... كافٌ وَرَا قلت وبا

وقال:

الله أكبر من وباء قد سبا ... ويصول فى العقلاء كالمجنون

سُنّتِ أسنته لكل مدينة — فعجبت للمكروه فى المسنون

وقال:

حُلبٌ وا لله يكفى — شرها أرض مشقه
أصبحت حبة سوء — تقتل الناس ببزقه

وقال:

قالوا فساد الهواء يُردى — فقلت يردى هَوَى الفسَادِ
كم سيئاتٍ وكم خطايا — نادى عليكم بها المنادى

وقال:

فهذا يوصّى بأولاده — وهذا يودّع إخوانه
وهذا يهيئ أشغاله — وهذا يجهّز أكفانه
وهذا يصالح أعداءه — وهذا يلاطف جيرانه
وهذا يوَسع إنفاقه — وهذا يخُالل من خانه
وهذا يحبِّس أملاكه — وهذا يحرّر غلمانه
وهذا يغيّر أخلاقه — وهذا يغيّر ميزانه
ألا إن هذا الوبا قد سبا — وقد كاد يرسل طوفانه
ولا عاصم اليوم من أمره — سوى رحمة ا لله عُبدانه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى:

قد قلت الطاعون وهو بغزة — قد جال من قطيا إلى بيروت
أخليت أرض الشام من سكانها — وحكمت ياطاعون بالطاغوت

وقال:

لما افترستَ صحابى — يا عام تسعٍ وَأربعينا
ما كنتَ وا لله تسعًا — بل كنت سبعًا يقينا

وقال:

دارت من الطاعون كاس الفنا — فالنفس من سكرته طافحه
قد خالف الشرع وأحكامه — لأنه يثبت بالرائحه

وقال:

أسفى على أكناف جِلّق إذ غدا — الطاعون فيها ذا زناد وَارِى

الموت أرخص ما يكون بحبة ... والظلم زاد فصار بالقنطارِ

وقال:

أما دمشق فإنها قد أوحشت ... من بعد ما شهد البرية أنسها
تاهت بعجب زائد حتى لقد ... ضربت بطاعون عظيم نفسها

وقال:

تعجبت من طاعون جلّق إذ غدا ... وما فاتت الآذان وقعة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعا ... على أنه قد مات من خلف أذنه

وقال:

رعى الرحمن دهرا قد تولى ... يحاذى بالسلامة كل شرط
وكان الناس فى غفلات أمر ... فجا طاعونهم من تحت إبط

وقال:

يا رحمتا لدمشق من طاعونها ... فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه ... أوَ ما تراه بغير سكين ذُبح

وقال:

مصيبة الطاعون قد أصبحت ... لم يخلُ منها فى الورى بقعه
يدخل فى المنزل لو أنه ... مدينة أخلاه فى جُمعه

وقال الأديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبى:

إن هذا الطاعون يفتك فى العالم ... فتك امرئُ ظلوم حقود
ويطوف البلد شرقا وغربا ... ويسوق العباد نحو اللحود
قد أباح الدما وحرّم جمع الشـ ... ـمل قهرًا وحلَّ نظم العُقود
كم طوى النشر من أخ عن أخيه ... وَسَبا عقل والد بوليد

وقال:

أيتم الطفل أثكل الأم أبكى الـ ... ـعين أجرى الدموع فوق الخدود
بسهام يرمى الأنام خفيًا ... تِ تشقّ القلوب قبل الجلود
كما قلبُ زدتَ فى النقص أقصِرْ ... وتَلَبَّثْ يقول هل من مزيد
إن أعش بعده فإنى شكور ... مخلص الحمد للولىّ الحميد
وإذا مت هنئونى وقولوا ... كم قتيل كما قُتِلْتُ شهيد

وقال الأديب جمال الدين محمد بن نباتة المصرى:

سِرْ بنا عن دمشق يا طالب العيش   فـمـا فـى المقام لـلمـرء رغبه
رخـصت أنفس الخلائق بالطاعون   فـيـهـا كـل نـفـس بـحـبـه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدى أيضًا:

قد نغّص الطاعون عيش الـورى   وأذهـل الـوالـد والـوالـده
كـم مـنـزل كـالشمع سكـانه   أطـفـأهـم فى نـفـخـة واحده

وقال:

لا تثـق بالحيـاة طرفـة عـين   فـى زمـان طاعونـه مسـتطير
فكـأن القبـور شغـلة شمـع   والـبرايا لهـا فـراش يـطير

وقال الأديب إبراهيم المعمار:

يـا طـالب المـوت أفـق وانتبـه   هـذا أوان المـوت مـا فاتـا
قـد رخص المـوت على أهله   ومـات مـن لا عمره ماتـا

وقال:

قبـح الطـاعون داء   فقـدت فيـه الأحبـة
بيعـت الأنفـس فيـه   كـل نفـس بحُبَيْبَه

ومات فى هذه السنة خلائق من الأعيان، منهم برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الشافعى، يوم الثلاثاء تاسع عشرى شوال؛ ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة، أخذ القراءات على التقى الصائغ، وسمع الحديث من الأبرقوهى؛ وأخذ الفقه عن العلم العراقى، وبرع فيه، وفى الأصول والنحو وغيره؛ ودرس وأقرأ، وخطب بجامع أمير حسين، واشتهر بالصلاح.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن على الحكرى، شيخ الإقراء، فى يوم عيد النحر. أخذ القراءات عن التقى الصائغ، ونور الدين على بن يوسف بن حرير الشنطوفى.

وتوفى الأديب إبراهيم بن على بن إبراهيم المعمار.

ومات شهاب الدين أحمد بن عز الدين أيبك بن عبد الله الحسامى المصرى الدمياطى، نسبة إلى جَدّه لأمه الشافعى الجندى.

ومات الأديب المادح شهاب الدين أحمد بن مسعود بن أحمد بن ممدود السنهورى أبو العباس الضرير؛ كانت له قدرة زائدة على النظم، وشعره كثير.

ومات الأمير أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل ابن ربيعة، أمير آل فضل بسلمية، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى كاتب السرّ بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن فضل الله بن على العمرى، فى تاسع ذى الحجة بدمشق؛ ومولده بها فى ثالث شوال سنة سبعمائة. عَرَف الفقه على مذهب الشافعى، ودَرَس العربية؛ وبرع فى الإنشاء والتاريخ، وقال الشعر الجيد، وصنّف عدة كتب فى التاريخ والأدب، وباشر كتابة السرّ بديار مصر عن أبيه فى حياته، ثم استقل فى كتابة السرّ بدمشق.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس بن ظهير الأنصارى المصرى الشافعى، يوم عيد النحر بالقاهرة. دَرَّس بالخشابية والمشهد الحسينى، وبرع فى الفقه؛ وعظمت شهرته.

ومات أحمد بن الأمير آقبغا عبد الواحد.

ومات الأمير أحمد بن الأمير أصلم.

ومات شهاب الدين أحمد بن الوجيه المحدث.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن ميلق الشاذلى.

ومات الأمير أحمد بن الأمير جنكلى بن البابا، قريبا من عقبة أيلة، بعد عوده من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن الغزاوى، ناظر الأوقاف المارستان، بطريق الحجاز.

وتوفى المسند زين الدين أبو بكر بن قاسم بن أبى بكر الرحبى الحنبلى، بدمشق؛ ومولده سنة ست وستين وستمائة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو بكر بن النشاشيبى.

ومات الأمير آقبغا أخو الأمير طقزدمر الحموى.

ومات الأمير أسندمر القلنجقى، والى القاهرة.

ومات الأمير إسماعيل الوافدى، والى قوص، مقتولا.

ومات الأمير إلمش الجمدار، الحاجب بدمشق؛ وكان مشكورا.

ومات الأمير بلك المظفرى الجمدار، أحد أمراء الألوف، فى يوم الخميس رابع عشرى شوال.

ومات الأمير برلغى الصغير، قريب السلطان الملك المنصور قلاوون. قدم إلى القاهرة صحبة القازانية سنة أربع وسبعمائة، فأنعم عليه بإمرة، وتزوج ابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، وعُمل له مهم عظيم، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة. ثم قُبض عليه بعد زوال المظفر بيبرس، وامتحن، وحُبس عشرين سنة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بتقدمة ألف فمات بعد أيام.

ومات الأمير بلبان الحسينى أمير جاندار، وهو من المماليك المنصورية قلاوون؛ وقد أناف على الثمانين.

ومات الأمير بكتوت الفرمانى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ وكان أحد الأمراء البرجية، ثم ولى شد الدواوين بدمشق، وحُبس؛ ثم أنعم عليه بطبلخاناه فى ديار مصر؛ وكانت به حدبة فاحشة، وولعٌ بتتبع المطالب وعمل الكيميا.

ومات الأمير تخمان.

ومات الأمير تمربغا العقيلى نائب الكرك، فى جمادى الآخرة؛ وكان مشكور السيرة.

وتوفى كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على الإدفوى[1] الفقيه الشافعى الأديب الفاضل، له كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد، وغيره؛ وشعره جيد.

ومات الأمير وداد بن الشيبانى، متولى إياس؛ وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير سنقر الرومى المستأمن. قدم رسولا من الفرنج فى الأيام الناصرية محمد قلاوون، فأسلم وأنعم عليه بإمرة عشرة. ثم اختص بالصالح إسماعيل وأخيه شعبان الكامل، واتهم بأنه رَكّبَ لهما السموم؛ فقُبض عليه بعد انقضاء أيام المظفر حاجى؛ ونُفى. ثم أحضر، وأنعم عليه بإمرة.

ومات الأمير ناصر الدين خليفة، وزير البلاد القانية على شاه، فى سادس عشرى جمادى الأولى، بدمشق؛ وكان قد قدم من بلاد المشرق، وأعطى إقطاعا.

وتوفى نجم الدين سعيد بن عبد الله الدهلى[2]، بكسر الدال المهملة، الفقيه الحنبلى

---

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الإدفوى أبو الفضل كمال الدين مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقا ولد فى إدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة وتوفى بهذه بعد عودته من الحج. انظر (ديوان الإسلام - خ)، وآداب اللغة ٣: ١٦٠ وشذرات الذهب ٦: ١٥٣ والدرر الكامنة ١: ٥٣٥ والبدر الطالع ١: ١٨٢ والأعلام ٢/١٢٣.

(٢) سعيد بن عبد الله الحريرى الهندى الدهلى أبو الخير، نجم الدين حافظ، نشأ ببغداد وارتحل إلى مصر وأقام بدمشق إلى أن توفى. له تآليف منها [تفتت الأكبارد فى واقعة بغداد]. انظر شذرات الذهب ٦: ١٦٣ والدرر الكامنة ٢/ ١٣٤ والأعلام ٣/ ٩٨.

الحافظ، خامس عشرى ذى القعدة؛ وله كتاب تفتيت الأكباد فى واقعة بغداد. وُلد سنة سبع عشرة وسبعمائة، وقدم من بغداد إلى القاهرة، وسمع ودأب وصنف، فبرع فى الحديث ومعرفة التراجم.

وتوفى جمال الدين أبو الربيع سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان الحلبى، ناظر الجيش بها وبدمشق.

ومات شيرين بن شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فولى بعده نجم الدين الملطى فمات عن قريب.

ومات الأمير طشتمر طلليه، أحد الأمراء المقدمين، فى شوال؛ وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه طلليه وهو من المماليك الناصرية.

ومات الأمير طغاى الكاشف مقتولا، فقدم الخبر بقتله يوم الخميس ثالث عشرى ذى القعدة.

وماتت خوند طغاى أم آنوك، وتركت مالا كبيرا وألف جارية وثمانين طواشيا؛ وأعتقت الجميع؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء.

وتوفى الصفى عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن أبى العزيز سرايا بن ناقا بن عبد الله السنبسى الحلى الأديب الشاعر، آخر يوم من ذى الحجة؛ ومولده خامس ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة؛ قدم القاهرة مرتين.

وتوفى تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن[(١)] ابن محمد بن أحمد بن محمد عبد الكريم القزوينى الشافعى، خطيب الجامع الأموى بدمشق؛ وتوفى معه أخوه صدر الدين عبد الكريم.

وتوفى الرجل الصالح عبد الله المنوفى المالكى، فى يوم الأحد ثامن رمضان، وقبره خارج القاهرة يقصد للتبرك به.

وتوفى المسند بهاء الدين على بن عمر بن أحمد المقدسى الصالحى الدمشقى وقد أناف على الثمانين؛ حدث عن ابن البخارى وغيره.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى جلال الدين القزوينى الشافعى محمد المعروف بخطيب دمشق من أحفاد أبى دلف أحمد العجلى: قاضى من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ وله كتب (تلخيص المفتاح -ط) فى المعانى والبيان و (الإيضاح - ط). انظر مفتاح السعادة ١: ١٦٨، وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢: ٣٢٤ والبدر الطالع ٢/ ١٨٣ وكشف الظنون ٤٣٣و ١٠٠٩ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨ والدرر الكامنة ٤: ٣ و الأعلام ٦/ ١٩٢.

ومات أمير على بن طغريل الإيغانى، أحد أمراء الألوف.

ومات أمير على بن الأمير أرغون النائب.

وتوفى شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين على بن محمود بن حميد القونوى الحنفى، فى رابع رمضان.

وتوفى زين الدين عمر بن داود هارون بن يوسف بن على الحارثى الصفدى، أحد موقعى الدست - وقد أناف على الستين - بالقاهرة برع فى الفقه على مذهب الشافعى، وفى العربية والإنشاء، ونظم الشعر.

وتوفى زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن على المغربى الحلبى، المعروف بابن الوردى، الفقيه الشافعى، وهو ناظم الحاوى؛ وقد جاوز الستين؛ وكانت وفاته بحلب، فى تاسع عشرى ذى الحجة.

وتوفى زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامرى الغزّى الشافعى، بمدينة بلبيس، عن إحدى وسبعين؛ باشر بالكرك وعجلون وقوص وبلبيس، وبرع فى الفقه.

وتوفى زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلقيائى الشافعى، قاضى حلب وصفد، وبها مات عن نحو سبعين سنة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن طقصو؛ وكان فاضلا، صنف فى الموسيقا وغيره.

ومات الطواشى عنبر السحرتى اللالا مقدم المماليك، منفيا بالقدس.

ومات الأمير قطز أمير آخور ونائب صفد، وهو من جملة الأمراء بدمشق، يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة.

ومات الأمير قرونه من الأويراتية.

ومات الأمير قطليجا السيفى البكتمرى، متولى الإسكندرية، ووالى القاهرة.

ومات الأمير كوكاى السلاح دار المنصورى؛ وترك زيادة على أربعمائة ألف دينار.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصارى، وقد أناف على السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الفقيه الشافعى[1] عن ست وثمانين سنة، بالقاهرة.

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكتانى فقيه شافعى مصرى. ناب فى الحكم عن ابن دقيق وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وله (شرح مختصر المزنى - خ). انظر طبقات الشافعية ٥/٢١٤ وهدية العارفين ٢: ١٥٦ والأعلام ٥/٣٢٦.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردى[1] الفقيه الشافعى، عن تسع وستين سنة.

وتوفى شمس الدين محمد المعروف بابن الكتانى الشافعى.

وتوفى عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البلبيسى الشافعى، قاضى الإسكندرية فى الأيام الناصرية، وهو معزول، فى يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان.

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس.

ومات شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطى، وناظر بيت المال، وهو بانى جامع الأسيوطى بخط جزيرة الفيل.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد الأكفانى الحكيم، صاحب التصانيف، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال.

وتوفى شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطيب؛ وله شعر جيد.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد[2] بن أبى بكر الأصفهانى، الفقيه الشافعى ذو الفنون، بالقاهرة، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة.

ومات الأمير شرف الدين محمود بن خطير، أخو أمير مسعود.

ومات نكباى البريدى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ ولى قطيا وإسكندرية، ثم أنعم عليه بطبلخاناه، واستقر مهمندارًا، وإليه تنسب دار نكباى خارج مدينة مصر على النيل، وعنى بعمارتها، فلم يُمَتَّع بها.

وتوفى الشيخ المعتقد يوسف المرحلى.

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردى الدمشقى، شمس الدين بن اللبان من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر من كتبه (ألفية) فى النحو. انظر مرآة الجنان ٤/ ٣٣٣ (وغربال الزمان - خ) والدرر الكامنة ٣: ٣٢٠ ومعجم المطبوعات ٢٢٩ والبعثة المصرية ٢١ والشذرات ٦/ ١٦٣ والأعلام ٥/ ٣٢٧.

(٢) محمود بن عبد الرحمن (أبى القاسم) بن أحمد بن محمد أبو الثناء، شمس الدين الأصفهانى مفسر كان عالما بالعقليات. ولد وتعلم فى أصفهان ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها وأعجب به ابن تيمية. وانتقل إلى القاهرة فبنى له الأمير قوصون الخانقاه بالقرافة ورتبه شيخًا فيها وله [التفسير -خ] فى صوفية. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧ وبغية الوعاة ٣٨٨ وشذرات الذهب ٦: ١٦٥ والبدر الطالع ٢: ٢٩٨ والأعلام ٧/ ١٧٦.

ومات نور الدين الفرج.

وتوفى نور الدين الفرج بن محمد بن أبى الفرج الأردبيلى الشافعى: شارح منهاج البيضاوى، فى ثالث عشر جمادى الآخرة، بدمشق.

* * *

سنة خمسين وسبعمائة

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء.

وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق، على إمرة طبلخاناه.

وفيه اجتمع رأى كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين بن عثمان التركمانى، بعد موت والده فى تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره، فأجيبوا إليه. وطُلب جمال الدين، وخُلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، ونزل إلى المدرسة الصالحية؛ وعمره دون الثلاثين سنة.

وفيه قدم الحاج، وفيهم قاضى القضاة زين الدين عمر البسطامى. فترك قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون، فشكره الناس على هذا.

وفيه وقدم أيضًا قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركمانى بابنته.

وفيه وقدم أيضًا الأمير فارس الدين، وقد نازعه عرب بنى شعبة فى عمارة عين جوبان، فجمع لهم وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرًا وهزمهم؛ وقتل له مملوكان؛ وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلة وكان الغلاء بمكة شديدًا بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما، فهلك كثير من الجمال؛ ووقع بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادى.

وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى[1] واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن عمه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأخنائى، بعد موته.

وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك. وكان يوجد فى الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عيس الأخنائى [٦٥٨ - ٧٥٠ هـ = ١٢٦٠ - ١٣٤٩ م] أبو عبد الله قاضى القضاة المالكية بمصر له تأليف انتقد الإمام ابن تيمية. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/٥٦.

خالية، لا يعرف لها ملاك، فختم عليها. وتتبع الوالى الفنادق والمخازن ودار الوكالة والحواصل والشون وفعل فيها كذلك.

وفيه قدم الخبر بنفاق العشير وعرب الكرك، وذلك أن عشير بلاد الشام فرقتان - قيس، ويمن - لا ينفقان قط، وفى كل قليل يثور بعضهم على بعض ويكثر قتلاهم، فيأتى إليهم من السلطان من يجبيهم الأموال الكثيرة. فلما وقع الفناء فى الناس ثاروا على عادتهم، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين. فجرد إليهم النائب - أعنى الأمير أرغون شاه نائب الشام - ابن صبح مقدم الجبلية فى عدة من الأمراء، فلم يظفر بهم، وأقام بالعسكر على اللجون. وأخذ العشير فى الغارات على بلاد القدس والخليل ونابلس، فكتب لنائِب غزة بمساعدة العسكر.

وفيه اشتدت الفتنة أيضًا فى بلاد الكرك بين بنى نمير وبنى ربيعة، فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان لما أعياه أمرهم وتحصنهم بجبالهم المنيعة أخذ فى الحيلة عليهم، وتقدم إلى شطى أمير بنى عقبة، وإلى نائب الشام ونائب غزة ونائب الكرك، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ويوقعون بهم؛ فقبضوا على كثير منهم، وقتلوا فى جبالهم خلقا كثيرًا منهم، وحبسوا باقيهم حتى ماتوا. فسكن الشر بتلك الجهات إلى أن كانت فتنة الناصر أحمد بالكرك، عاد بنو نمير وبنو ربيعة إلى ما كانوا عليه من الفساد، وقوى أمرهم. فركب إليهم الأمير جركتمر نائب الكرك، وطلع إليهم فقاتلوه، وقتلوا من أصحابه عشرة، وكسروه أقبح كسرة؛ فكُتب لنائب الشام الأمير أرغون شاه بتجهيز عسكر لقتالهم.

وفى صفر: أنعم على عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه، وعلى شاورشى دوادار قوصون بإمرة عشرة.

وفى أول ربيع الأول: قدم قود الأمير جبار بن مهنا، صحبة ولده نعير.

وفيه قدم البريد من غزة بركوب نائبها على العشير، وكبسِهم ليلا، وأسر أكثرهم، وقتل ستين منهم، وتوسيط الأسرى بغزة.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشريه: شنقت جارية رومية الجنس خارج بابِ النصر، عند مصلى الأموات. وسبب ذلك أنها كانت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوى فاتفقت مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها، وقتلوها ليلا بأن وضعن على وجهها مخدة، وحبس نفسها حتى ماتت، وأقمن من الغد عزاءها، وزعمن أنها ضربت بدم. فمشت حيلتهن

على الناس أياما، إلى أن تنافسن على قسمة المال الذى سرقنه، وتحدثن بما كان، وأعترفن على الجارية التى تولت القتل، فأخذت وشُنقت، وهى بإزارها ونقابها. وأخذ من الجوارى ما معهن من المال، وكان جملة كثيرة. ولم يعهد بمصر امرأة شنقت سوى هذه.

وقد وقع فى أيام المنصور قلاوون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضى بهن إلى موضع توهمن أن به من يعاشرهن بفاحشة، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدتهم، وقتلوها وأخذوا ثيابها. فاشتهر بالقاهرة خبرها، وعُرفت بالخناقة؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة حتى قبض عليها،وسمَّرها.

ووقع أيضًا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء، فقبض عليها، وسمروا وسمرت معهم؛ فكانت تقول - وهى مسمرة يطاف بها على الجمال فى القاهرة - إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها: «آه يا قحاب، لو عشت لكُنّ لأفنيتكن، ولكن ما عشت».

وفى يوم الأربعاء تاسع عشريه: قدم الخبر بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام، وكان شأنه مما يستغرب.

وذلك أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشريه لم يشعر الأمير أرغون شاه، وقد نزل بالقصر الأبلق من الميدان خارج مدينة دمشق، ومعه أهله، وإذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمهم. ودارت النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان. فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة، فوجدوا الأمير ألجيبغا المظفرى نائب طرابلس، وإذا بالأمير أرغون شاه ماش، وعليه بغلوطاق صدر وتخفيفة على رأسه، وهو مكتف بين مماليك الأمير فخر الدين أياس.

وذلك أن ألجيبغا لما قدم من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة، وركب معه الأمير فخر الدين أياس السلاح دار، ثم ركب أياس بأصحابه، وأحاط بالقصرالأبلق، وطرق بابه وعلم الخدام بأنه قد حدث أمر مهم، فأيقظوا الأمير أرغون شاه؛ فقام من فرشه، وخرج إليهم، فقبضوا عليه؛ وقالوا حضر مرسوم السلطان بمسكه، والعسكر واقف. فلم يحسر أحد يدفع عنه، وأخذه أياس وأتى به ألجيبغا. فسلم أمراء دمشق على ألجيبغا، وسألوه عن الخبر،فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس، وقبض أرغون شاه وقتله والحوطة على موجوده؛

وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك؛ فأجابوا بالسمع والطاعة، وعادوا إلى منازلهم؛ ونزل ألجيبغا بالميدان.

وأصبح يوم الخميس: فأوقع ألجيبغا الحوطة على موجود أرغون شاه؛ وأصبح يوم الجمعة أرغون شاه مذبوحا. فكتب ألجيبغا محضرا بأنه وجد مذبوحا والسكين في يده، فأنكر الأمراء ذلك عليه، و كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى القلعة على العادة، واتهموه فيما فعل، وركبوا لحربه يوم الثلاثاء ثامن عشريه. فقاتلهم ألجيبغا، وجرح الأمير مسعود بن خطير، وقطعت يد الأمير ألجيبغا العادلى، وقد جاوز تسعين سنة.

وولى ألجيبغا نائب طرابلس، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله؛ وتوجه نحو المزة، وصحبته الأمير أياس الذى كان نائب حلب، ومضى إلى طرابلس.

وسبب ذلك أن أياس لما عزل من نيابة حلب بأرغون شاه، وأخذت أمواله وسجن، ثم أفرج عنه واستقر من جملة أمراء دمشق وأرغون شاه نائبها. وكان أرغون شاه يهينه ويخرق به. واتفق أيضًا إخراج الجيبغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق أميرا بها، فترفع عليه أرغون شاه وأذله، فاتفق مع أياس على مكيدة. وأخذ ألجيبغا فى السعى لخروجه من دمشق عند الأمراء، وبعث إلى الأمير بيبغا روس نائب السلطان وإلى أخيه الوزير منجك هدية سنية، فولوه طرابلس كما تقدم، وأقام بها إلى أن كتب يعرف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق، وطلب أن يكتب لنائب الشام يردهم إلى طرابلس، فكتب له بذلك. فشق على أرغون شاه أن ألجيبغا لم يكتب إليه يسأله، وإنما كتب إلى السلطان والأمراء دونه، وكتب إلى ألجيبغا بالإنكار عليه، وأغلظ له فى القول، وحمل البريد إليه مشافهة شنيعة؛ فقامت قيامة ألجيبغا عند سماعها، وفعل ما فعل.

ولما قدم خبر قتل الأمير أرغون شاه ارتاع الأمراء، واتهم بعضهم بعضا. فخلف كل من شيخو والنائب بيبغا روس على البراءة من قتله، وكتبوا إلى ألجيبغا بأنه قتل أرغون بمرسوم مَنْ، وإعلامهم بمستنده فى ذلك؛ وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة.

وكان ألجيبغا وأياس قد وصلا إلى طرابلس، وخيما بظاهرها فقدمت فى غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراز على ألجيبغا حتى يرد مرسوم السلطان، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان، «ومشت حليته علينا»؛ وكتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العربان بمسك الطرقات عليه. فركب عسكر طرابلس

بالسلاح، ووقفوا تجاه ألجيبغا، وأحاطوا به. فوافاهم كتاب السلطان بمسكه، وقد صار عن طرابلس، فساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت، فإذا أمراء العربان، وأهل بيروت واقفون فى وجهه. فوقف ألجيبغا نهاره، ثم كر راجعًا، فقابله عسكر طرابلس، فقبض عليه وفر أياس، فلم يقدر عليه. ووقعت الحوطة على مماليك ألجيبغا وأمواله، وأخذ الذى كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فاعتذر بأنه أكره على ذلك، وأنه غير الألقاب وكتب أوصال الكتاب مقلوبة حتى يعرف أنه مزور. وحُمل ألجيبغا مقيد إلى دمشق. فقبض نائب بعلبك على أياس، وقد حلق لحيته ورأسه واختفى عند بعض البصارى، وبعث إلى دمشق فحبسا بقلعتها، وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء.

وكان قد ركب الأمير قجا السلاح دار البريد إلى دمشق بأمر السلطان، فأخرج أياس وألجيبغا ووسَّطهما، وعلقهما على الخشب يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر. وكان عمر ألجيبغا نحو تسع عشرة سنة، وهو ما طُرّ شاربه.

وفيه كتب باستقرار الأمير أرقطاى نائب حلب فى نيابة الشام، عوضا عن أرغون شاه. واستقر الأمير قطليجا الحموى نائب حماة فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى واستقر أمير مسعود بن خطير فى نيابة طرابلس، عوضا عن ألجيبغا المظفرى.

وفيه قدم طُلب أرغون شاه ومماليكه وموجوده، ثم وصل طُلب ألجيبغا ومماليكه وأمواله وأموال أياس؛ فتصرف الوزير منجك فى الجميع.

وفيه قدم الخبر بموت الأمير أرقطاى نائب الشام، فكتب باستقرار الأمير قطليجا نائب حلب فى نيابة الشام، وتوجه ملكتمر المحمدى بتقليده. فقدم الخبر بأن ملكتمر المحمدى قدم حلب وقطليجا متغير المزاج، فأخرج ثقله بريد دمشق، وأقام بظاهر حلب مدة أسبوع ومات، فأراد بيبغا روس النائب منجك إخراج الأمير طاز لنيابة الشام، والأمير مغلطاى أمير آخور لنيابة حلب؛ فلم يوافقا على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع. فخلع على الأمير أيتمش الناصرى واستقر فى نيابة الشام، عوضا عن قطليجا، فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى، وتوجه إليها وخرج الأمير قمارى الحموى إلى دمشق، وجمع أمراءها، وقبض على كثير منهم، وقيدهم وسجنهم.

وفى هذه الأيام: توقفت أحوال الدولة، وقُطعت مرتبات الناس من اللحم والشعير، وصُرف للمماليك السلطانية عن كل أردب شعير خمسة دراهم، وقيمته اثنا عشر درهما.

وفى عاشر جمادى الآخر: خرجت التجريدة إلى قتال العشير والعربان. وسببه كثرة فسادهم ببلاد القدس ونابلس. وكان قد قبض على أدى بن فضل أمير جرم، وسُجن

بقلعة الجبل، ثم أفرج عنه بعناية الوزير منجك. فجمع أدى وقاتل سنجر بن على أمير ثعلبة فمالت حارثة مع أدى، ومالت بنو كنانة مع سنجر، وجرت بينهم حروب كثيرة، قتل فيها خلائق، وفسدت الطرقات على المسافرين. فخرجت إليهم عساكر دمشق، فلم يعبئوا بهم. فلما ولى الأمير يلجك غزة استمال أدى بعد أيام، وعضده على ثعلبة؛ واشتدت الحروب بينهم، وفسدت أحوال الناس. فركب يلجك بعسكر غزة ليلا، وطرق ثعلبة، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، وألقوه عن فرسه إلى الأرض، وسحبوه إلى بيوتهم فقام سنجر بن على أمير ثعلبة عليهم حتى تركوا قتله، بعد أن سلبوا ما عليه، وبالغوا فى إهانته، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد يلجك إلى غزة، وقد اتضع قدره وتقوى العشير بما أخذوه من عسكره، وعز جانبهم، فقصدوا الغور، وكبسوا القصير المعينى، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال المعاصر، ونهبوا جميع ما فيه من القنود والأعمال والعسكر وغيره، وذبحوا الأطفال على صدر الأمهات. وقطعوا الطرقات، فلم يدعوا أحدًا يمر من الشام إلى مصر حتى أخذوه. وقصدوا القدس، فخلى الناس منه ومن الخيل ثم قصدوا الرملة ولُدّ فانتهبوها؛ وزادوا فى التعدى، وخرجوا عن الحد، والأخبار ترد بذلك.

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دلنجى نيابة غزة، وأبقى على إقطاعه بمصر، وخلع عليه وأخرج إليها وكتب بخروج ابن صبح من دمشق على ألفى فارس، وتجهز الوزير منجك ومعه ثلاثة أمراء من المقدمين، وهم المحمدى وأرغن الكاملى وطقتمر فسار قبلهم لاجين أمير آخور فى جماعة من طريق عقبة أيلة، فى يوم السبت رابع عشره.

وبينما الوزير ومن معه فى أهبة السفر إذ قدم الخبر أن الأمير قطيلجا توجه من حماه إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاى، فوجد طُلب أرقطاى وقد برز خارج حلب يريد القاهرة، فأعاقه لعمل محاسبة إقطاع النيابة بحلب، وركب بحلب موكبا. ثم ركب الأمير قطليجا الموكب الثانى، ونزل وفى بدنه تغير؛ فلزم الفراش أسبوعا ومات. فسأل أرغون الكاملى أن يستقر عوضه فى نيابة حلب، فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس؛ وأنعم بتقدمة على الأمير قطلوبغا الذهبى، ورسم بسفره فى يوم الخميس المذكور.

وخرج الوزير منجك فى تجمل عظيم، وقد كثرت القالة فى أنقضاء مدته ومدة أخيه الأمير بيبغا روس، وأن الأمير شيخو وطاز ومغلطاى وغيرهم من الأمراء قد اتفقوا عليهما حتى بلغهما ذلك، وأن الوزير منجك قصد إبطال التجريدة.

وهذا وقد قدم الوزير النجابة لكشف أخبار العشيرة، فلما رحل عن بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة ركبت بأجمعها، ودخلت برية الحجاز، لما بلغهم مسير العسكر إليهم، فنهب أدى كثيرا منهم، وانفرد فى البلاد بعشيرة. فعاد الوزير بمن معه، وعبر القاهرة فى ثانى عشريه بعد أربعة أيام. وكان قد حصل للوزير فى هذه الحركة من تقادم الكشاف والولاة والأمراء والمباشرين ما ينيف على مائة ألف دينار، فتلقته العامة بالشموع، وابتهجوا بقدومه، وأتته الضامنة بجميع أرباب الملاهى، وكان من الأيام المشهورة.

وفى مستهل رجب: قدم الخبر بأن الأمير دلنجى نائب غزة بلغه كثرة جميع العشير، وقصدهم نهب لد والرملة؛ فركب إليهم ولقيهم قريبا من لد، فنزل تجاههم، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرهم، فقبضهم وعاد إلى غزة، وقد تفرق جمعهم، فوسطهم كلهم.

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى(١) إلى حلب.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده (٢).

وفى يوم الخميس مستهل شعبان:

خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفى هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فار السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخَلَّد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات،

---

(١) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٢/٦٨٧، ٦٩٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٩، ٧٣٩، ٧٤٣، ٧٤٩، ٧٦١، ٨٠٤، ٨٠٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١

ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات [١] ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، فضُربوا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أدى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسِّيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوُسِّطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته،

وفى مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر: فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالاً من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان،

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ١/١٠٥.

ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفى نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية (١).

وفيه طلب الأمير مغلطاى أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون مرتبها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاى أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاقق الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصىّ.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر (٢) إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

---

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطانى.

(٢) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٢/٧٠٩، ٧٣١، ٧٤٩.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاى أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت [١] زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة.

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق [٢] ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانًا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما أقام أربعين يوما مريضًا، تَصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأَفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشىء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضًا.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخبّ أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرختـه الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن

---

(١) صَهْرَجْتُ: قريتان بمصر متاخمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبين بنها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ فى ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك فى إبطالها، وطلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطّعوا أكمام النساء، ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شىء مما منع أحرق بها وأخذ ما عليها.

واشتدّ الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهابًا لهنّ وتخويفًا.

وطُلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودى من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وانكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهمًا فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الأزرعى فى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثى

ذراع، وبقى على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثا وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضاع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.

ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يُلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث [١].

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النشائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعد ما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات[٢].

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى [٣] نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول[٤]. رباه السلطان الناصر محمد بن قلاون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جَفيفا [٥] قوى النفس شرس الأخلاق، مهابا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا

---

(١) وكان : ما فى القراءت، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة ١٩٤/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٩١/١٠

(٣) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبدا لله الناصرى.

(٤) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٩١/١٠

(٥) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى لنفس» ١٩١/١٠ انظر محيط المحيط.

فحاشا كثير المال [١]. وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى [٢].

ومات الأمير أرقطاى المنصورى [٣] بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجُرِّد إلى أياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طُلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة [٤].

ومات الأمير ألجيبغا المظفرى [٥] نائب طرابلس، موسطا بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضًا الأمير أياس [٦] وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق، ثم نائبا بصفد، ثم نائبا بحلب، ثم أميرًا بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره [٧].

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى [٨] بعد ما عمى.

---

(١) زاد فى النجوم «والحشم» ١٠/١٩١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١، ١٩٢.

(٣) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاى بن عبدا لله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢.

(٥) هو الأمير سيف الدين ألجيبغا بن عبدا لله المظفرى .

(٦) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبدا لله الناصرى .

(٧) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢، ١٩٣.

(٨) هو الأمير طُقْتَمُر بن عبدا لله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصْفونى الشافعى، بمنى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره (١).

وتوفىّ قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى (٢)، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة. وله كتاب الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزبن أبى البركات بن عثمان ابن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاون، وترقى صار من جملة الأمراء. ثم ولى نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيىء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأخنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر (٣).

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٢) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، ووالد الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبدا لله، وعم العلامة محمد بن أحمد . وكان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لُغَوِيا . أفتى ودرس واشتغل وألف وصنف، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر . وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم العقلية والفقه أيضا والحديث، وتصدى للإقرار عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته ودام قاضيا إلى أن مات. وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبدا لله. ومن مصنفاته - رحمه الله - كتاب بهجة الآريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب، ومات «المنتخب فى علوم الحديث» وكتاب «المؤتلف والمختلف» وكتاب «الضعفاء والمتروكون» و«الدر النقى فى الرد على البهيقى» وهو جليل فى معناه . يدل على علم غزير، و«اطلاع كثير» و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أموال الفقه» و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٣، ١٩٤.

(٣) وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا ممتازا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى. وحسنت سيرته. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة[١].

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس، ومَلَكَ تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور ومَلَكَ تونس مُلك أبيه.

* * *

سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

أهل المحرم والناس فى بلاد عظيم من فأر السقوف ضامن الجهات، فإنه أحدث حوادث قبيحة فى دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات، وزاد فى ضرائب المكوس، وتمكن من الوزير منجك تمكنا زائدًا، حتى كان يقول: «هذا أخى» وكثرت الشكاية منه، ووقفت العامة فيه للسلطان، فلم يتغير الوزير عليه (١).

وفيه أوقع الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بكاتب سرها زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح وضربه وسجنه. فاستقر عوضه فى كتابة السرّ بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين، المعروف بابن قاضى العسكر.

وفيه أوقع الشيخ حسن نائب بغداد والأمير حيار بن مهنا بطائفة من العرب، وقتل منهم نحو المائتين، وأسر كثيرًا منهم، ففر عدة منهم إلى الرحبة. فطلب الأمير حيار من أزدمر النورى نائب الرحبة تمكينه منهم، فأبى عليه، فكتب فيه الأمير حيار إلى السلطان، فعزله.

وفيه اقتتل موسى بن مهنا وسيف بن فضل، فانهزم سيف، ونهبت أمواله.

وفيه ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاى أمير آخور وبين الوزير منجك، بسبب الفار (٢) الضامن، وقد شكى منه. فطلبه مغلطاى من الوزير عندما احتمى به، فلم يمكنه منه (٣).

وفيه قدم صاحب حصن كيفا، والخواجا عمر بن مسافر، بعد غيبة طويلة. فسُرَّ به الأمير شيخو؛ لأنه هو الذى جلبه من بلاده، ونسب إليه، فقيل له شيخو العمرى. وأكرم صاحب حصن كيفا، وروعى فى متجره، وكان من جملته ثلاثمائة ألف جلد سنجاب. فقدم صاحب حصن كيفا عدة تقادم للأمراء، فبعثوا إليه بمال كثير، و بعث إليه الأمير شيخو ألف دينار، وتعبئة قماش؛ وبعث إليه الوزير منجم بألفى دينار وقماش

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١،١٧٢.

(٢) هو ناصر الدين الملقب بفأر السقوف .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١

كثير، وأنزله فى بيته، وبعث إليه الأمير بيبغا روس وغيره، ثم عاد بعد شهر إلى بلاده.

وفيه كمل صهريج الوزير منجك على الثغرة [١] تحت القلعة، واشترى لـه مـن بيت المال ناحية بلقينة من الغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، أنعم عليـه بهـا، ووقفهـا على صهريجه. وكانت بلقينة مرصدة لجوامك الحاشية، فعُوِّضوا عنها.

وفى رابع عشريه: قدم الأمير فارس الدين بالحجاج، وكانوا لما قدموا مكة نزلت ربهم شدة من غلاء الأسعاء وقلة الماء، بحيث أبيعت الراوية بعشرين درهما، حتى همـوا بالخروج منها ونزول بطن مرو. فبعث الله فى تلـك الليلـة مطرًا استمر يومـين وليلـة، حتى امتلأت الآبار والبرك، وقدم عدة قوافل؛ فانحل السعر قليـلا. وحصـل لهـم خـوف من عبور المدينة النبوية؛ وذلك أن الشريف أدى لما عزل بالشريف سـعد، جمـع العربـان، وهجم المدينة قبل قـدوم سـعد إليهـا، وأخـذ أمـوال الخـدام وودائـع الشـاميين وقنـاديل الحجرة الشريفة وأموال الأغنياء وغيرهم، وخرج.

وفيه أفرج عن عيسي بن حسن الهجان، وكان قد قبـض عليـه وسـجن؛ بسـبب أنـه مالا هو وعربه جماعة العايد المفسدين من العربان، وأحيـط بأموالـه. وكـان قـد كـثرت سعادته، فإنه كان مع الناصر محمد بن قلاوون فى الكرك، فلمـا عـاد إليـه ملكـه سـلمه الهجن وحكمه فيها، فطالت أيامه وكثرت أمواله. وتسلم بعده الهجن جمال الدين نفـر، فقام الوزير حتى أفرج عنه، وردّ عليه إقطاعه، وأنعم على جماعة من عربه بإقطاعات.

وفى مستهل صفر: قدمت رسل أرتنا نائب الروم، وسأل أن يكتـب لـه تقليـد نيابـة الروم على عادته، فكُتب له، وأكرم رسوله.

وفيه تنافس الوزير منجك والأمير مغلطـاى، واستعد كـل منهمـا بأصحابـه للآخـر، فقام الأمير شيخو حتى أخمد الفتنة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القـاهرة، فأحرقت دار هناك. فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى لإطفائهـا علـى العـادة، وكان الهواء شديدًا، والدور متلاصقة، فاشتدّ لهب النار بحيث رؤى من القلعـة. فركـب الوزيـر منجـك، والأمـير بيبغـا روس النـائب، والأمـير شيخو، والأمير طـاز، والأمـير مغلطاى، والأمير قبلاى حاجب الحجـاب، وغـيرهم مـن الأمـراء بمماليكهم، وأتـوا إلى الحريق، ونزلوا عن خيولهم، ومنعوا العامة مـن النهـب فـامتدت النـار مـن دكـاكين [٢]

(١) يقع خارج باب الوزير. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢٠.
(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣١ فى أخبار هذا الحريق.

البندقانيين إلى دكاكين الرسامين ودكاكين الفقاعين [١] والفندق المجاور لها، والربع علوة. وتعلقت بما نجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير، فأحرقت الربع، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين، إلى بير الدلاء التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة فأحرقت النار الدكاكين والربع المجاور لدار الجوكندار، ولم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وعظم الأمر، والأمراء جميعهم على أرجلهم بمن معهم، والمقيدون بالمساحى بين أيديهم تهدم الدور وتطفى النار، والناس فى أمر مريج.

وبينا أصحاب الدار فى نقلة متاعهم خوفا من وصول النار إليهم، إذا بالنار قد ظهرت عندهم، فينجون بأنفسهم، ويتركون أموالهم، حتى شمل الهدم والحريق ما هنالك من العمائر. ولم يبق بالقاهرة سقاء إلا وأحضر لإطفاء الحريق، وكانت الجمال تحمل الروايا بالماء من باب زويلة إلى البندقانيين. واستمرت النار يومين وليلتين، وجميع الأمراء وقوف حتى خف اللهب. فوكل بالحريق بعض الأمراء مع الوالى، ومضى بقيتهم إلى بيوتهم، وبهم من التعب ما لا يوصف. فأقامت النار بعد انصرافهم ثلاثة أيام وهى تطفأ، فكان حريقا مهولا، ذهب فيه من الأموال ما لا ينحصر.

وامتد الحريق إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر، ثم صارت النار توجد بعد ذلك فى مواضع عديدة من القاهرة وظواهرها. ووُجد فى بعض المواضع التى بها الحريق كعكات زيت وقطران، ووُجِد فى بعضها نشابة فى وسطها نفط. وكان أكثر الأماكن تقع النار بسطحها، ولم يُعْرَف من فعل ذلك فنودى باحتراس الناس على أملاكهم من الحريق، فلم يَبق جليل ولا حقير حتى اتخذ عنده أوعية ملأها ماء. ولم يزل الحريق فى الأماكن إلى أثناء شهر ربيع الأول، فقُبض فى هذه المدة على كثير من أوباش العامة، وقيدوا ليكونوا عونا على إطفاء الحريق، ففرّ معظمهم من القاهرة. ثم نودى ألا يقيم بالقاهرة غريب، ورسم للخفراء تتبعهم وإحضارهم.

وتعب والى القاهرة فى مدة الحريق تعبًا لا يوصف، فإنه أقام مدة شهر لا يكاد ينام هو وحفدته، فإنه لا يخلو وقت من صيحة تقع بسبب الحريق، فذهبت دور كثيرة. ثم وقع بعد شهر بمصر حريق فى شونة حلفاء، بجوار مطابخ السلطان وبعدّة أماكن.

وفى يوم السبت حادى عشرى ربيع الأول: سُمِّر حمام وعبده الذى كان يحمل سلاحه، وثلاثة نفر. وكان قد عظم فساده، وكثر هجومه على الدور وأخذ ما فيها وقتلُ مَن يمنعه، وأعيا الولاة أمره حتى أوقعه الله وكفى شرّه.

---

(١) هو بائع الفقاع وهو شراب من الحبوب والأثمار. انظر محيط المحيط.

وفى أول ربيع الآخر: قُبض على أحمد بن أبى زيد، ومحمد بن يوسف، مقدمى الدولة. وسبب ذلك أن ابن يوسف حجّ فى السنة الماضية على ستة قطر جمال، وثلاثة قطر هجن بطبل وبيزه [١] كما حج الأمراء، بحيث كان معه نحو مائتى عليقة. ولما قدم ابن يوسف إلى القاهرة أهدى للوزير منجك، والنائب بيبغا روس، والأمير طاز والأمير صرغتمش، الهدايا الجليلة القدر؛ ولم يهد إلى الأمير شيخو، ولا إلى الأمير مغلطاى شيئًا. فعاب عليه الناس ترك مهاداة شيخو، فحمل إليه بعد مدة هدية سنية، فردّها عليه وقال: «هذا ماله حرام». ثم بعد أيام وقف جماعة من الأجناد، وشكوا فى الولاة طمعهم وفساد البلاد، فأنكر الأمراء على الوزير منجك سيرة ولاة الأعمال، وتعرضوا لهم بأنهم ولوا بالبراطيل، فاحتاجوا إلى نهب أموال الناس وأخذ الأمير شيخو فى الحط على مقدمى الدولة، وأنكر كثرة ما أنفقه ابن يوسف فى حجته، وأن ذلك جميعه من مال السلطان. فقام الأمراء فى مساعدة شيخو، وعدّدوا ما يشتمل عليه ابن يوسف من لعبه ولهوه وانهماكه فى اللذات، فلم يجد الوزير بدًا من موافقتهم على عزل الولاة، ومسك المقدمين أحمد بن أبى زيد ومحمد بن يوسف، فقبض عليهما، وألزما بحمل المال وطلب ابن سلمان متولى المنوفية، وألزم بمال، واستقر عوضه ابن قنغلى واستقر فى ولاية الشرقية ابن الجاكى، وعُزل أسندمر منها.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: خرج إلى الأطفيحية سبعة أمراء ألوف، وعشرون أمير طبلخاناه، وقت العصر بأطلابهم، فيهم الوزير منجك والأمير طاز وسبب ذلك أن الأمير بيبغاروس فأمر بهم، فقيدوا وحبسوا وأعاده النائب إلى الأطفيحية، فقبض الأمير. عرب بن الشيخى كان بالإطفيحية مقيما بها، فاستمال العرب حتى وثقوا به، وأتاه منهم نحو عشرين رجلا، فقبض عليهم وركب بهم إلى القاهرة، وأوقفهم بين يدى النائب الأمير عرب بن الشيخى على خمسة أخر وقيدهم، فأتاهم ليلا عدة من العربان وفكوا قيودهم، وكبسوا خيمته، ففرّ إلى القاهرة، ومالوا على موجوده وانتهبوه. فعظم ذلك على الأمراء، وخرجوا إلى الأطفيحية. وقد بلغ العرب خبرهم، فارتفعوا إلى الجبال، فقبض الأمراء على نحو مائة من الأوباش وأهل البلاد، وقطعوا جميع ما هناك من شجر المغلّ، وخربوا السواقى، وعادوا بعد ثلاثة أيام، فى يوم الثلاثاء تاسع عشريه. فعادت العربان بعد رجوع العسكر، وأكثروا من قطع الطريق.

وفى نصف جمادى الأولى: وصلت أم الأمير بيبغا روس النائب، وأم الأمير أرغون

---

(١) قماش لتغطية المائدة.

الكاملى نائب حلب وأبوه، وعدة من أقاربهم. فركب النائب وتلقاهم من سرياقوس، وسرّ بهم.

وفيه أخرج أمير أحمد الساقى إلى حلب؛ لسوء سيرته فى كشف الجسور بالغربية.

وفيه قدم قود جبار بن مهنا، وقود سيف بن فضل صحبته. ثم قدم الأمير جبار بعده، فأقام أياما وعاد إلى بلاده.

وفيه قدم كتاب الملك الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز، يتضمن السلام والتودّد. فأكرم رسوله، وأعيد بالجواب، وأرسل السلطان بعده إليه والى الشيخ حسن صاحب بغداد رسولين.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب ركب إلى التركمان، وقد كثر فسادهم، فقبض على كثير منهم، وأتلفهم، وأوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على ألفى فارس فى طلب نجمة أمير الأكراد، فلما قرب منه بعث صاحب ماردين يشير بعود العسكر، خوفا من كسر حرمة السلطنة. فعاد موسى الحاجب بهم إلى حلب، من غير لقاء. فتنكر الأمير أرغون على موسى الحاجب، وكتب يشكو منه وفيه قدم الخبر بأن الهذبانى الكاشف واقع عَرب عرك وبنى هلال، فهزموه أقبح هزيمة، وجرحوا فرسه، وقتلوا عدة من أصحابه، وأخذوا الطلب بما فيه من خيل وغيرها، وأنه نزل بسيوط، وطلب تجريد العسكر إليه؛ فاقتضى الرأى تأخير التجريدة حتى يفرغ تخضير الأراضى بالزرع.

وفى رجب: سار ركب الحجاج الرجبية، فلقوا الشريف عجلان بالعقبة، وقد أخرجه أخوه ثقبة من مكة. فقدم عجلان إلى القاهرة، ودخل على السلطان، وطلب منه تجريد عسكر معه فلم يجب إلى ذلك. ورسم له بشراء مماليك، واستخدام الأجناد البطالين، فشرع فى ذلك. وقدم كتاب أخيه ثقبة يشكو منه، فكتب لعجلان توقيع بإمرة مكة بمفردة، واشترى أربعين مملوكا، واستخدم عشرين جنديا، وأنفق فيهم خمسمائة درهم كل واحد، ثم استجد عجلان طائفة أخرى حتى صار فى مائة فارس. وحمل معه حملين نشابًا وقسيًا ونحوها، وسافر إلى مكة مستهل رمضان، فأخذ الأمير بيبغا روس والأمير طاز فى الحركة للحج.

وفيه توجه السلطان لسرحة سرياقوس.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبى بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور، بعد إمرته، وأنعم بإمرته وتقدمته على عمر بن أرغون النائب.

وفيه أخرج بكلمش أمير شكار لنيابة طرابلس، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، وكتب بإحضار أمير مسعود.

وفيه هجم ابن معين بعربه على الأطفيحية، فقاتله أهلها، فكسرهم بعد أن قتل منهم عدة قتلى كبيرة تبلغ المائتى رجل.

وفيه قدم حمل سيس بحق النصف؛ لخراب بلادهم.

وفيه قدم كتاب الشريف ثقبة، وصحبته محضر ثابت يتضمن الشكر من سيرته، وتكذيب عجلان فيما نقل عنه، فكتب باستقراره شريكا لأخيه عجلان.

وفيه كتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالا، حتى ينحل من الإقطاع ما يليق به. فعاد من الرملة إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ورسم بجلوسه فوق الأمراء المقدمين.

وفيه خلع على الأمير فارس الدين ألبكى، واستقر فى نيابة غزة، بعد موت دلنجى وأنعم بإمرته على أخيه، وأنعم على قطليجا الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم قرا وأشقتمر المتوجهين إلى الشيخ حسن، وإلى الأشرف دمرداش بن جوبان، بكتابيهما. وذكر الشيخ حسن فى كتابه أن دمرداش إنما طلب الودّ مكرًا منه، فإن رسوله إنما قدم مصر لكشف أمر عسكرها، فإنه طمع فى أخذ البلاد.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بعشرة آلاف أردب شعير وخمسين ألف درهم بناحية طموه من الجيزية، زيادة على إقطاعه.

وفيه توجه السلطان إلى بَرّ الجيزة؛ ليتم صوم شهر رمضان بها.

وفيه تواردت تقادم نواب الشام والأمراء بديار مصر على الأمير بيبغا روس؛ لحركته للحج.

وفى شوال: قدم السلطان من برّ الجيزة إلى القلعة.

وفى خامس عشره: خرج محمل الحجاج إلى بركة الحاج، صحبة الأمير بُزْلار أمير سلاح [(١)].

وخرج طُلب الأمير بيبغاروس النائب بتجمل زائد، وفيه مائة وخمسون مملوكا معدة بالسلاح، وخرج طُلب الأمير طاز، وفيه ستون فارسًا. فرحل النائب قبل طاز بيومين، ثم رحل الأمير طاز بعده، ثم رحل بزلار بالحجاج ركبًا ثالثًا فى عشريه [(٢)].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢، ١٧٣.

وفى يوم السبت رابع عشره: عزل الأمير منجك من الوزارة، وكان الأمير شيخو قد خرج إلى العباسة. وذلك أن السلطان بعد توجه الأمير شيخو طلب القضاة والأمراء، فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم: «يا أمراء! هل لأحد على ولاية حجر، أو أنا حاكم نفسى؟». فقال الجميع: «يا خوند ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان، وهو مالك رقابنا». فقال «إذا قلت لكم قولا ترجعوا إليه؟» فقالوا جميعًا: «نحن فى طاعة السلطان، وممتثلون ما يرسم به». [1] فالتفت إلى الحاجب، وقال: «خذ سيف هذا». وأشار إلى منجك، فأخذ سيفه، وأخرج وقيد ونزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلى السلاح دار، فوجد له خمسون حمل جمل زردخاناه، ولم يوجد له كثير مال، فرسم بعقوبته، ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وساعة قبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخو من العباسة، على لسان بعض الجمدارية، وإعلامه بمسك منجك. فقام الأمير منكلى بغا والأمير مغلطاى فى منعه من الحضور، ومازالا يخيلان السلطان منه حتى كُتب له مرسوم بنيابة طرابلس، على يد طينال الجاشنكير فلقيه طينال قريب بلبيس، وقد عاد صحبة الجمدارية، وأوقفه على المرسوم، فأجاب بالسمع والطاعة وبعث شيخو يسأل فى الإقامة بدمشق، فكتب له بخبز الأمير بلك بدمشق وحضور بلك، فتوجه شيخو إليها[2].

وفيه قبض على الأمير عمر شاه الحاجب، وأخرج إلى الإسكندرية [3].

وفيه أنعم على الأمير طنيرق باستقراره رأس نوبة كبيرًا [4].

وفيه قبض على حواشى منجك، وعلى عبده عنبر البابا، وصودر. وكان عنبر البابا قد أفحش فى سيرته مع الناس، وشره فى قطع المصانعات، وترفع ترفعًا زائدًا. فضرب ضربًا مبرحًا، وأخذ منه نحو سبعين ألف درهم [5].

وفيه ضرب بكتمر شاد الأهراء، فاعترف للوزير باثنى عشر ألف أردب غلة، اشتراها منجك من أرباب الرواتب والصدقات، على حساب ستة دراهم الأردب وسبعة دراهم.

وفى مستهل ذى القعدة: قبض على ناظر الدولة والمستوفين، وألزموا بخمسمائة ألف

---

(١) انظر بدائع الزهور ١/١٩٣.
(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٣.
(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٣.
(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٣.
(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٣.

دينار. فترفق فى أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم، وزعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين، من الكتاب والشهود والشادين ونحوهم، وألزم كل منهم بحمل معلومه عن ستة أشهر. فاشتد شاد الدواوين فى استخراجها، وأخرق بجماعة منهم والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء والمقدمين بالخلع من ماله، وقيمتها خمسمائة ألف درهم، وفصلها وعرضها على السلطان. فبعث السلطان بها إلى الأمراء، وركبوا بها الموكب، وقبلوا الأرض، فكان موكبًا جليلا (١).

وفيه قبض على أسندمر كاشف الوجه القبلى، وناصر الدين محمد بن الدوادارى متولى المحلة والغربية، وألزم ابن الدوادارى بحمل مائة ألف درهم.

وفيه قبض على الفأر الضامن، وضرب بالمقارع، وأخذ منه جملة مال، وسجن.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على الأمير بيبغا ططر حارس الطير، واستقر فى نيابة السلطنة عوضًا عن بيبغا روس، بعد ما عرضت على أكابر الأمراء، فلم يقبلها أحد. وتمنع بيبغا ططر تمنعًا كبيرًا، ثم قبلها.

وفيه استقر الأمير مغلطاى رأس نوبة، عوضًا عن طنيرق. وأطلق له التحدث فى أمور الدولة كلها، عوضًا عن الأمير شيخو، مضافًا إلى ما بيده من التحدث فى الإصطبل.

وفيه استقر الأمير منكلى بغا الفخرى رأس المشورة أتابك العساكر، وأنعم على ولده بإمرة. ودقت الكوسات وطبلخاناه الأمراء بأجمعها، وزينت القاهرة ومصر يوم الأحد تاسعه، واستمرت ثمانية أيام (٢).

وفيه قدم الخبر صحبة الأمير طشبغا الدوادار من دمشق بأن الأمير شيخو لما قدم دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة، أظهر طينال كتابًا بأن يستقر شيخو على إمرة بلك السلامى، وتجهز بلك إلى القاهرة. فقدم من الغد الأمير أرغون التاجى بإمساكه، فقيد وأخرج من دمشق. وكان شيخو لما قدم تلقاه النائب، وأخرج له كتاب السلطان بمكة، وإرساله صحبة الأمير طيلان. فحل شيخو سيفه بيده، وقال: «وأى حاجة إلى غدونا إلى الشام، كفى هتكنا فى مصر». ثم قال للنائب: «والله يا أمير ما أعرف لى ذنبًا غير أنى كنت جسرًا بينهم، أمنع بعضهم من الوصول إلى بعض»، فقيد، وتسلمه طيلان ليسير به إلى مصر، وسلم سيفه لطشبغا (٣).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين، وعلى شهاب الدين أحمد بن على بن صبح؛ وتسلم سيفهما طشبغا.

وفيه أركب قطلوبغا، فخرج أخوه مغلطاى رأس نوبة إلى لقائه.

وفيه قدم الأمير شيخو إلى قطيا، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة (١) وأوصله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه خلع على طشبغا، واستقر على ما كان عليه دوادارًا. وتصالح هو وعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السرّ بحضرة الأمراء، وبعث كل منهما إلى الآخر هدية. وكان لما أمسك منجك خرج الأمير قردم إلى الأمير طاز وأمير بزلار أمير الركب بكتاب السلطان، يتضمن القبض على الوزير منجك، وأنهما يحترسان على الأمير بيبغاروس. وكتب بيغا روس بتطييب خاطره وإعلامه بتغير السلطان على أخيه لأمور صدرت منه اقتضت مسكه، وأنه مستمر على نيابة السلطنة، فإن أراد العود عاد، وإن أراد الحج حج. فركب الأمير قردم يوم القبض على الوزير منجك الهجن وقت العصر، وأوصل طاز وبزلار كتابيهما، ومضى إلى بيبغاروس وقد نزل سطح العقبة. فلما قرأ بيبغاروس الكتاب وجم، ثم قال: «كلنا مماليك السلطان»، وخلع على الأمير قردم، وكتب جوابه بأنه ماض لأداء الحج. ثم إن السلطان رسم للأمير صرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، بعد أن عزله من وظيفة الجمدارية، هو وأمير على، وكانا من جملة حاشية شيخو.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره: أمسك الأمير عمر شاه الحاجب، والأمير آقبغا البالسى. وأخرج عمر شاه إلى الإسكندرية، ونفى آقبغا البالسى وطشتمر القاسمى إلى طرابلس. وأخرج أمير على إلى الشام، وأخرج الأمير صرّغتمش لكشف الجسور بالصعيد.

وفيه ألزم أستادار بيبغا روس بكتابة حواصله، وندب الأمير آقجبا الحموى لبيع حواصل منجك. وأخذت جوارى النائب بيبغا روس ومماليكه، وجوارى منجك ومماليكه، إلى القلعة. وطلع من مماليك منجك خمسة وسبعون مملوكا صغارًا، وطلع من جوارى بيبغا روس خمس وأربعون جارية، فلما وصلن إلى دار النيابة بالقلعة صحن

---

(١) الطِّينَة: بلفظ واحدة الطين، بكسر أوله، وسكون ثانيه، ونون: بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر. انظر معجم البلدان ٤/٥٦.

صيحة واحدة، وبكين فأبكين من هناك.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: نفى ابن العرضى إلى حماة، بعد ما صورد.

وفيه خلع على بابان السنانى نائب البيرة، وقد حضر منها، واستقر أستادارا، عوضا عن الأمير منجك الوزير.

وفيه قدم الخبر أن الأمير أحمد الساقى نائب صفد خرج عن الطاعة. وسببه أنه لما قبض على الوزير منجك، خرج الأمير قمارى الحموى، وعلى يده ملطفات لأمراء صفد بالقبض على أحمد، فبلغه ذلك من هجان جهزه إليه أخوه فندب الأمير أحمد الساقى طائفة من مماليكه لتلقى قمارى. وطلب نائب قلعة صفد وديوانه، وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من غلة، فأمر لمماليكه منها بشىء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل فى البلاد، وبعثهم ليأخذوا ذلك، فعندما طلعوا القلعة شهروا سيوفهم وملكوها فقبض الأمير أحمد الساقى على عدة من الأمراء، وطلع بحريمه إلى القلعة وحصنها، وأخذ مماليكه قمارى، وأتوه به فكتب السلطان لنائب غزة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه، ورسم بالإفراج عن فياض بن مهنا وعيسى بن حسن الهجان أمير العايد، وخلُع عليه وجُهِّز، وأخذت الهجن من جمال الدين بقر أمير عرب الشرقية، وأعيدت إلى على بن حسن. وكانت الأراجيف قد كثرت بأن الأمير طاز قد تحالف هو والأمير بيبغا روس بعقبة أيله، فخرج الأمير فياض وعيسى بن حسن أمير العايد؛ ليقيما على عقبة أيلة، بسبب بيبغا روس. وكُتب لعرب شطى وبنى عقبة وبنى مهدى بالقيام مع الأمير فضل، وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى العقبة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن قزمان بنيابة الإسكندرية، عوضا عن بكتمر المؤمنى.

وفيه خلع على الأمير أرلان أمير آخور، واستقر فى نيابة الكرك، عوضًا عن جركتمر. وأنعم على جركتمر باستقراره حاجبًا بحلب، عوضًا عن موسى الحاجب، لشكوى نائب حلب منه.

وفى يوم الأربعاء سادس عشريه: قدم سيف الأمير بيبغا ورس، وقد قُبض عليه.

وذلك أنه لما ورد عليه الكتاب بمسك أخيه منجك اشتدّ خوفه، وطلع إلى العقبة، ونزل المنزلة فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار ركبا للقبض عليه، فركب بمن معه من الأمراء والمماليك بآلة الحرب. فقام الأمير عز الدين إزدمر الكاشف بملاطفته، وأشار

عليه ألا يعجل، وأن يكشف عن الخبر أولا فبعث الأمير بيبغا روس نجابًا في الليل لذلك، فعاد وأخبروا أن الأمير طاز مقيم بركبه، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد لابس عدة الحرب، فقلع الأمير بيبغا روس السلاح هو ومن معه، وتلقى طاز وسأله عما تخوف منه، فأوقفه طاز على كتاب السلطان إليه. فلم يَرَ بيبغا روس فيه ما يكره فاطمأن، ورحل كل منهما بركبه من العقبة. فأتت الأخبار إلى الأمراء باتفاق طاز وبيبغا روس، فكتب السلطان إلى طاز بزلار أمير الركب بالقبض على بيبغا روس قبل دخوله مكة، وتوجه إليهما طيلان الجاشنكير، وقد رُسم له أن يتوجه مع بيبغا روس إلى الكرك [١].

وجرد فياض وعيسى بن حسن إلى العقبة، ثم خرج الأمير أرلان بمضافية تقوية لهما. فلما قدم طيلان على طاز وبزلار كتبا إلى أزدمر الكاشف يعلمانه بما رُسم به لهما من مسك بيبغا روس، ويؤكدان عليه في استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب وبقية من مع بيبغاروس، وتعجيزهم عن القيام معه، فأخذ أزدمر الكاشف في تنفيذ ذلك. ثم كتب طاز وبزلار لبيبغا روس أن يتأخر لسماع مرسوم السلطان، حتى يكون دخولهم مكة جميعًا فأحس بيبغا روس بالشر، وهم بالتوجه إلى الشام؛ فمازال أزدمر الكاشف به حتى رجعه عن ذلك. وعند نزول بيبغا روس المويلحة قدم طاز وبزلار، فتلقاهما وأسلم نفسه من غير ممانعة، فأخذوا سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله إلى الكرك. فرغب بيبغا روس إلى طاز أن يحج معه، فأخذه صحبته محتفظًا به، وكتب بذلك إلى السلطان فتوهم السلطان ومغلطاى أن طاز قد مال مع بيبغاروس. وتشوشا تشوشًا زائدا ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد في صفد، وظنوا أنه مناظر لبيبغا روس فأخرج طيلان ليقيم على الصفراء [٢] حتى يرد الحجاج إليها، فيمضي بيبغا إلى الكرك [٣].

وفي يوم الخميس سابع عشريه: خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، خلعة الوزارة، مضافا لما معه من نظر الخاص ونظر الجيش، بعد ما امتنع، وشرط شروطا

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٦.

(٢) الصَّفْرَاء: قرية فوق ينبع، على ست مراحل من المدينة، وهي كثيرة المزارع والنخل، ماؤها من عيون يجرى فضلها من ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، ويسكن في الصفراء جهينة والأنصار ونهد، وفيها، أو بقرب منها، قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث مرجعه من بدر بموضع يقال له الأثيل. انظر معجم البلدان٣/٤١٣، والروض المعطار ٣٦٢، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨٣٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧

كثيرة [(١)].

وخرج ابن زنبور فى موكب عظيم، فركب بالزنارى الحرير الأطلس إلى داره بمصر، فكان يوما مذكورًا.

وفيه خلع على الأمير طنيرق بنيابة حماة، عوضا عن أسندمر العمرى [(٢)].

وفى يوم السبت تاسع عشريه: جلس الوزير علم الدين بن زنبور بشباك قاعة الصاحب من القلعة، وفى دست الوزارة. وجلس الموفق ناظر الدولة قدامه، ومعه جماعة المستوفين. فطلب ابن زنبور جميع المباشرين، وقرر معهم ما يعتمدونه، وطلب محمد بن يوسف، وشدّ وسطه على عادته، وطلب المعاملين، وسلفهم على اللحم وغيره. وأمر فكتبت أوراق من بيت المال والأهراء، فإنه لم يكن بهما درهم واحد ولا أردب غلة، وقرأها على السلطان والأمراء. وشرع فى عرض الشادين والكتاب وسائر أرباب الوظائف، وتقدّم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر فى النواحى، واهتم بتدبير الدولة. ورسم على بدر الدين ناظر البيوت، وألزمه بمال لشىء كان فى نفسه منه، وولى عوضه فخر الدين ماجد بن قرونه صهره نظر البيوت. ورسَم لأولاد الخروبى النجار بمصر بتجهيز راتب السكر لشهر المحرم، وأنفق فى بيت السلطان جامكية شهر، فطلع إلى الحوائج خاناه السكر والزيت والقلوبات [(٣)] وسائر الأصناف.

وفيه أفرج ابن زنبور عن الفأر الضامن بسفارة الأمير ملكتمر المحمدى، وضمنه الجهات بزيادة خمسين ألف درهم. وضمن الفأر معاملة الكيزان [(٤)] من الأمير طيبغا المجدى، بزيادة ثلاثين ألف درهم.

وفيه حمل علاء الدين بن فضل الله كاتب السّر تقليد الوزارة إلى الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور، ونعت فيه بالجناب العالى. وكان جمال الكفاة قد سعى أن يكتب له ذلك زمن السلطان الصالح إسماعيل، فلم يرض كاتب السّر، وشح به. فخرج الصاحب وتلقى كاتب السرّ، وبالغ فى إكرامه، وبعث إليه تقدمة سنية.

وفى مستهل ذى الحجة: خلع على بكتمر المؤمنى نائب الإسكندرية، واستقر شاد الدواوين.

وفيه خلع على سعد الدين رزق الله، ولد الوزير علم الدين، واستقر بديوان

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧
(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧
(٣) هى اللوز والبندق والفستق.
(٤) قدح لحفظ اللبن.

المماليك. وفيه التزم الوزير علم الدين بين يدى السلطان والأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم، ويباشر ابنه أيضًا بغير معلوم، ويوفر ذلك للسلطان.

وفيه قدم الخبر بأن هند وأحد الأكراد استولى على بلاد الموصل، وصار فى جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركمانى، فاستنابه وتقوى به وركب من منلر إلى سنجار وتحصن بها، وأغار على الموصل ونهب وقتل، ومضى إلى الرحبة وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردين ونهبها. فخرجت إليه عساكر الشام، وحصروه بسنجار[1] ومعهم عسكر ماردين، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هند الأمان، على أنه يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه ونجمة فى عقد الصلح، وبقطع قطيعة يقوم بها كل سنة، فأمنه العسكر، وسروا عنه بأخيه ونجمة إلى حلب؛ فحمل نجمة ورفيقه إلى مصر، فلما نزلا منزلة قانون هرب نجمة.

وفى خامسه: رسم بعرض أجناد الحلقة، وخرجت البريدية إلى النواحى لإحضار من بها منهم، فحضروا، وابتدئ بعرضهم بين يدى النائب بيبغا ططر حارس الطير فى يوم السبت حادى عشره. وسبب ذلك دخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع فى جملة أجناد الحلقة، وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات، حتى فسد العسكر. فرسم لنقيب الجيش بطلب المقدمين ومضافيهم، وإحضار الغائبين، وحذروهم من إخفاء أحد منهم. وتقرر العرض بين يدى السلطان فى كل يوم مقدمين بمضافيهما، ثم رسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير أن يتولى ذلك، فطلع إليه عدة أيتام مع أمهاتهم، ما بين أطفال تحمل على الأكتاف وصغار وشباب، وجماعة من أرباب الصنائع. فساءه ذلك، وكره أن يقطع أرزاقهم، ومضى يومه بالتغاضى، وصرفهم جميعا على أن يحضروا من الغد. وتحدث بيبغا ططر حارس الطير مع الأمراء فى إبطال العرض، فعارضه منكلى بغا الفخرى، وأشار بأن العرض فيه مصلحة، فإن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذب عن المسلمين، فلو تحرك العدو ما وجد فى عسكر مصر من يدفعه. فلم توافقه الأمراء على ذلك، وخرج الأمير قبلاى الحاجب على لسان السلطان بإبطال العرض، وقد اجتمع بالقلعة عالم كبير، فكان يوما مهولا من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع.

وفيه قدم الخبر بنزول عسكر دمشق وطرابلس على صفد، وزحفهم عليها عدة أيام، جرح فيها كثير من الأجناد، و لم ينالوا من القلعة غرضا، إلى أن بلغهم القبض على بيبغا

---

(١) سِنْجَارُ: هى برية الثرثار، ومدينتها الحضر، وهى كلها من الجزيرة، وفى سنجار فوهة نهر الخابور، ويمر حتى يصب فى الفرات. انظر معجم البلدان ٣/٢٦٢، والروض المعطار ٣٢٦، ، ومعجم ما استعجم ٣/ ٧٦٠، وآثار البلاد ٣٩٣.

روس. وعلم بذلك الأمير أحمد الساقى نائب صفد من هجانته، فانحل عزمه، فبعث إليه بكلمش نائب طرابلس يرغبه فى الطاعة، ودس إلى من معه فى القلعة حتى حاصروا عليه، وهّموا بمسكه. فوافق الأمير أحمد الساقى على الطاعة، وحلف لنائب طرابلس، ونزل إليه بمن معه. فسر السلطان بذلك، وكتب بإعانته وحمله.

وفى عاشره: كانت الوقعة بمنى، وقبض على المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر أبو سعيد المنصورى عمر بن رسول صاحب اليمن فكان من خبر ذلك أن ثقبة[1] لما بلغه استقرار أخيه عجلان فى إمرة مكة، توجه إلى اليمن، وأغرى المجاهد بأخذ مكة وكسوة الكعبة. فتجهز المجاهد، وسار يريد الحج فى جحفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة، وقد سبق حاج مصر. فلبس عجلان آلة الحرب، وعرف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن، وحذّرهم غائلته. فبعثوا إليه بأن «من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة، وقد ابتدعت من ركوبك والسلاح حولك بدعة لا يمكنك أن تدخل بها، وابعث إلينا ثقبة ليكون عندنا حتى تنقضى أيام الحج، ثم نرسله إليك» فأجاب المجاهد إلى ذلك، وبعث ثقبة رهينة، فأكرمه الأمراء، وأركبوا الأمير طقطاى فى جماعة إلى لقاء المجاهد، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاحداريته من المشى معه بالسلاح، ولم يمكنوهم من حمل الغاشية. ودخلوا به مكة، فطاف وسعى، وسلّم على الأمراء واعتذر إليهم، ومضى إلى منزله وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة، وعادوا إلى الحيف من منى، وقد تقرر الحال بين الشريف ثقبة وبين المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أرقعاهما بأمير الركب ومن معه، وقبضا على عجلان، وتسلم ثقبة مكة.

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادم المجاهد سائرًا، فبعث يستدعيه فلم يأته، وضرب مملوكه - بعد مفاوضة جرت بينهما - بحربة فى كتفه فماج الحاج، وركب بزلار وقت الظهر إلى طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب المجاهد بعسكره للحرب، وظهرت لوامع أسلحتهم، فركب طاز وبزلار والعسكر. وأكثرهم بمكة.

فكان أول من صدم أهل اليمن الأمير بزلار وهو فى ثلاثين فارسا، فأخذوه فى صدورهم إلى أن أرموه قرب خيمة. ومضت فرقة منهم إلى جهة طاز، فأوسع لهم، ثم عاد عليهم وركب الشريف عجلان والناس، فبعث طاز لعجلان «أن احفظ الحاج، ولا تدخل بيننا فى حرب، ودعنا مع غريمنا»؛ واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر. فركب

---

(١) هو ثقبة بن رميثة بن أبى نمى الحسنى أمير مكة (ت ٧٦٣هـ) انظر الأعلام ٢/ ١٠٠

أهل اليمن الذلة، والتجأ المجاهد إلى دهليزه، وقد أحيط بـه وقطعت أطنابه، وألقوه إلى الأرض. فمرّ المجاهد على وجهه ومعه أولاده، فلم يجد طريقا، ولديه إلى بعض الأعراب، وعاد بمن معه وهم يصيحون: «الأمان يا مسلمين» فأخذوا وزيره، وتمزقت عساكره فى تلك الجبال، وقتل منهم خلق كثير، ونهبت أموالهم وخيولهم حتى لم يبق لهم شىء، وما انفصل الحال إلى غروب الشمس. وفر ثقبة بعربه، وأخذ عبيد عجلان جماعة من الحجاج فيما بين مكة ومنى، وقتلوا جماعة. فلما أراد الأمير طاز الرحيل من منى سلم أم المجاهد وحريمه لعجلان، وأوصاه بهن وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظا به، وبالغ فى إكرامه، وصحب معه أيضًا الأمير بيبغا روس مقيدًا، وبعث الأمير طنطاى مبشرًا. ولما قدم الأمير طاز المدينة النبوية قبض على الشريف طفيل [١].

وكان قاع النيل فى هذه السنة أربعة أذرع ونصف ذراع. وتوقفت الزيادة حتى ارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهما إلى عشرين درهما، ثم زاد النيل فى يوم واحد أربعا وعشرين إصبعا، ونودى من الغد بزيادة عشرين إصبعا، ثم بزيادة خمسة عشر إصبعا، ثم ثمانى أصابع. واستمرت الزيادة حتى بقى من ذراع الوفاء ثلاثة أصابع، فتوقف ستة أيام، ثم وفى الستة عشر ذراعا فى يوم الإثنين ثانى عشرين مسرى. وزاد بعد ذلك إلى خامس توت، فبلغ سبعة عشر ذراعا، وهبط فشرقت بلاد كثيرة، وتوالى الشراقى ثلاث سنين شق الأمر فيها على الناس من عدم الفلاحين وخيبة الزرع بخلاف ما يعهد، وكثرة المغارم والكلف، وظلم الولاة وعسفهم، وزيادة طمعهم فى أخذ ما بذلوا مثله حتى ولوا، مع نفاق عرب الصعيد، وطمعهم فى الكشاف والولاة، وكسر المغلّ، وعنتقهم فى إعطائه الأجناد، ورمى الشعير على البلاد من حساب سبعة دراهم الأردب، وحمله إلى الأهراء، فحمل نحو الأربعين ألف أردب شعيرًا، ونحو خمسة آلاف أردب برسيما.

وفيه خلع على ملك تونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى ثامن عشر جمادى الأولى، فكانت مدته ستة أشهر، فقام بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين دلنجى [٢] نائب غزة. قدم القاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧٨/١٠، ١٧٩.

(٢) دلنجى هو المكدى باللغة التركية . انظر النجوم الزاهرة ١٩٥/١٠.

عليه بإمرة عشره، ثم إمرة طبلخاناه، وولى غزة بعد يلجك فأوقع بالعشير، وقويت حرمته.

ومات الأمير لاجين أمير آخور.

وتوفى فخر الدين محمد بن على بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرى الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثالث عشر ذى القعدة، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة، وخرج من القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة، وسكن دمشق، وبرع فى الفقه والعربية وغير ذلك. وكان يتوقد ذكاء، بحيث أنه حفظ مختصر ابن الحاجب مع تعقد ألفاظه فى تسعة عشر يوما، ودرّس وأفتى وأفاد [١].

وتوفى العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الزرعى الدمشقى [٢]، فى ثالث عشر رجب، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. وبرع فى عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية، وغير ذلك. ولزم شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية بعد عوده من القاهرة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حتى مات، وأخذ عنه علمًا جمًا، فصار أحد أفراد الدنيا، وتصانيفه كثيرة، وقدم القاهرة غير مرة[٣].

ومات ابن قرقمان صاحب جبال الروم [٤].

ومات الحسين بن خضر بن محمد بن حجى بن كرامة بن بختر بن على بن إبراهيم ابن الحسين بن إسحاق بن محمد الأمير ناصر الدين، المعروف بابن أمير الغرب التنوخى، فى نصف شوال. وولى عوضه ابنه زين الدين صالح، وولايته ببلاد الغرب من بيروت. وأول من وليها منهم كرامة بن بختر فى أيام نور الدين محمود بن زنكى، فسمى كرامة أمير الغرب.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، ١٩٦.

(٢) أحد الائمة الأعلام، الذين أخلصوا لدينهم وأثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات كالفوائد، الجواب الكافى، زاد المعاد فى هدى خير العباد، طريق الهجرتين مدارج السالكين، إعلام الموقعين وغيرها .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، المنهل الصافى (ترجمة ابن القيم الجوزية).

(٤) كان واقعا به بعد مرض طويل. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٦.

سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

فى يوم الخميس رابع المحرم: قدم الأمير أسندمر العمرى من حماة.

وفى يوم الجمعة خامسه: قدم الأمير أرغون الكاملى من حلب بغير مرسوم، فخلع عليه، وأنزل بالقلعة. وسبب ذلك أنه كان قد أشيع بحلب القبض عليه، وأشيع بمصر أنه خامر، فكره تمكن موسى حاجب حلب، لما بينهما من العداوة، ورأى أن وقوع المكروه به فى غير حلب أخف عليه؛ فركب من حلب وقدم مصر ففرح السلطان بقدومه، لما كان عنده من إشاعة عصيانه (١).

وفيه قدم عيسى بن حسن الهجان من العقبة، بكتاب الأمير فياض يتضمن حضور طقطاى ورفيقه مبشرين، وأنه عوقهما بالعقبة، وبعث ما على يديهما من الكتب، وأن طيلان لفى الحاج ينبع، فكتب بإحضار طقطاى ورفيقه.

وفيه قدم الخبر بأن طيلان تسلم الأمير بيبغا روس من الأمير طاز، وتوجه به إلى الكرك من بدر. فسر السلطان والأمراء بذلك، وكتب بإعادة العسكر من العقبة.

وفيه توجه الأمير فياض بن مهنا إلى أهله، وسير إليه منشوره بإمرة العرب، عوضا عن جبار، صحبة قطلوبغا أخى الأمير مغلطاى؛ ليسافر به إلى بلاده.

وفى رابع عشره: خلع على الضياء يوسف الشامى، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن ابن الأطروش، بسفارة النائب الأمير بيبغا ططر حارس الطير، لكلام نقله ابن الأطروش للوزير ابن زنبور، فسبه وأهانه، وتحدث فى عزله وعود الضياء.

فعرض الضياء حواصل المارستان، فلم يجد بها شيئًا، وكتب بذلك أوراقا، وأوقف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب عليها. فنزل النائب معه إلى المارستان، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان، وأحضر ابن الأطروش، وطلب كتاب الوقف وقرأه، حتى وصل فيه القارئ إلى قوله: «عن الناظر التعمم، ويكون عارفًا بالحساب وأمور الكتابة». فقال الضياء لابن الأطروش: «قد سمعت ما شرطه الواقف فيك، وأنت

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧٩/١٠

عامى مشهور ببيع الخرائط [١] لا تدرى شيئًا مما شرطه الواقف». وناوله ورقة حساب ليقرأها، فقام إليه بعض الفقهاء، وقال: «هذا معه تدريس وإعادة، وانا أسأله عن شىء، فإن أجاب استحق المعلوم». وأخذته الألسنة من كل جانب، فقال النائب: «يا قوم! هذا رجل عامى، وقد أخطأ، وما بقى إلا الستر عليه» فاعترف ابن الأطروش أنه لا يدرى الحساب، وأنه عاجز عن المباشرة، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبدًا، بإشهاد كتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوادح شنيعة، ومازال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه. ثم قام النائب لكشف أحوال المرضى، فوجدت فرشهم قد تلفت، ولها ثلاث سنين لم تغير، فسد النائب خلله وانصرف.

وفيه قبض على مستوفى الدولة الأسعد حربة، وكريم الدين أكرم بن شيخ وسلما لشاد الدواوين فضرب شاد الدواوين ابن شيخ، وعاقبه حتى وزن مائة وستين ألف درهم، تتمة ثلاثمائة ألف درهم، ووزن حربة مالا جزيلا. واستقر عوضهما تاج الدين ابن ريشة، والعلم كاتب آل ملك.

وفى يوم السبت عشريه: قدم الأمير طاز من الحجاز بمن معه، وصحبته الملك المجاهد، والشريف أدى [٢] أمير المدينة، بعد ما سافر ولحق باليمن، وقدم مع المجاهد إلى مكة. فخرج الأمير مغلطاى إلى البركة ومعه الأمراء، ومدّ له سماطا جليلا، وقبض على من معه من الأمراء الذين كانوا من جماعة الأمير بيبغا روس، وقيدوهم، وهم فاضل أخو بيبغا روس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب. وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج عنه إقطاعه، ولزم بيته [٣].

وفى يوم الإثنين عشريه: طلع الأمير طاز بالمجاهد إلى القلعة، فقيِّد عند باب القلعة، ومشى بقيده حتى وقف مع العموم بالدركاه - تجاه النائب، والأمراء جلوس - وقوفًا طويلا، إلى أن خرج أمير جاندار يطلب الأمراء على العادة، فدخل معهم وخلع السلطان على الأمير طاز، ثم أخذ المجاهد، وأمر به فقبل الأرض ثلاث مرات. وطلب السلطان الأمير طاز وسأل عنه، فمازال طاز يتشفع فى أمر المجاهد إلى أن أمر بقيده ففك، وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاى، وأجريت له الرواتب السنية، وأقيم له من يخدمه.

---

(١) بمعنى كيس: أو جراب من جلد أو غيره. محيط المحيط (خرط).

(٢) وقع فى النجوم «الشريف طفيل أمير المدينة» ١٠/١٨٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.

وفيه أنعم على الأمير طاز بمائتى ألف درهم [١].

وفيه قبض على الأمير حسين الططرى وولده، وأخرج مع الأمراء الممسوكين إلى الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أرغون الكاملى، واستقر فى نيابة حلب على عادته، ورسم أن يكون موسى الحاجب بحلب نائبا بقلعة الروم.

وفى يوم الإثنين خامس عشريه: حضر المجاهد الخدمة، وأجلس تحت الأمراء.

وفيه ألزم المجاهد بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من الكارم، ثم بعد ذلك ينعم له بالسفر إلى بلاده.

وفيه قدم المجردون من العقبة بسبب بيبغا روس.

وفى يوم الخميس ثامن عشريه: قدم الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه أمير أحمد الثائر بصفد، فأرسل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الإثنين تاسع عشريه: خلع على الأمراء اليمنيين المقيدين، وعلى المجاهد صاحب اليمن بالإيوان [٢] وقبل الأرض عدة مرار. وكان الأمير طاز والأمير مغلطاى تلطفا فى أمره حتى أعفى من حمل المال، وقربه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرها فقبل المجاهد الأرض، وسرّ بذلك، فأذن له أن ينزل من القلعة إلى إصطبل الأمير مغلطاى، ويتجهز للسفر. وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال. فبعث له الأمراء مالا جزيلا، وشرع فى القرض من الكارم تجار مصر واليمن فبعثوا له عدة هدايا، وصار يركب حيث شاء.

وفيه خلع على ابن بورقية، واستقر فى حسبة مصر عوضا عن ولى الدين.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: ركب المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة بالإيوان مع الأمراء والنائب فكان موكبًا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم وخلع السلطان على المقدمين، وطلعوا إلى القلعة، وأجناد الحلقة معهم. واستمر المجاهد يركب فى الخدمة مع النائب فى سوق الخيل، ويطلع إلى الخدمة بالقلعة [٣].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.
(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.
(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة على ما كان عليه، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاى [(١)].

وفيه قبض على محمد بن يوسف مقدم الدولة، وسلم لشاد الدواوين، وأفرد محمد ابن زيد بالتقدمة.

وفى يوم السبت ثامن عشره: برز المجاهد صاحب اليمن بثقله إلى الريدانية؛ ليسافر إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين. وكتب السلطان إلى الشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبنى شعبة وغيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، وخلع عليه أطلس، فوعد المجاهد بإرسال الهدية والمال، وقرر على نفسه حملا فى كل سنة وأسر السلطان إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريبه بمنعه من المضى، ويطالع بأمره. فرحل المجاهد من الريدانية خارج القاهرة، فى يوم الخميس ثالث عشريه، ومعه عدة مماليك اشتراها، وكثير من الخيل والجمال [(٢)]

وفى مستهل ربيع الأول: قدم الأمير قطلوبغا مستقر الأمير فياض بن مهنا، وقد أنعم عليه بمائة ألف درهم، وثلاثين فرسًا، وخمسين جملا، وقماش كثير.

وفيه قدم الخبر بلين الأمير أيتمش المصرى نائب الشام، وضياع أحوال الشام، وكثرة قطع الطرقات، وأن أهل الشام سموه «إيش كنت أنا»، وأن أحوال شمس الدين موسى بن التاج إسحاق الناظر توقفت. ووقع جراد مضر بالزرع، أفسد أكثرها، وأن الغرارة القمح ارتفعت من ثمانين إلى مائة وعشرين درهمًا.

ووقع بحماة سيل لم يعهد مثله، و خرب السيل أماكن كثيرة.

وفيه قدم الأمير قطلوبغا الذهبى من الوجه القبلى، وقد عجز عن مقاومة الأحدب.

وفيه قدم الخبر بقتل الشريف سعد بن ثابت أمير المدينة النبوية. وسببه أن الشريف أدى لما نهب المدينة وفر إلى اليمن، وصار عند صاحبها المجاهد حتى قدم مكة، ترامى على الأمير طاز إلى أن أخذ له أمانًا من السلطان وقدم معه ومثل بين يدى السلطان وفى عنقه منديل الأمان فقيل له: «إنما أمنك على نفسك، وأما الأموال التى أخذتها من أهل المدينة ومن الحجج فلابد من ردها إلى أربابها».

فجمع أدى ولده وطرق سعد بن ثابت ليلا وحاربه فقتل سعد وكتب باستقرار فضل ابن قاسم عوضه.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١.

وفى مستهل ربيع الآخر: كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد وهى زوجة آقسنقر الناصرى المقتول زمن المظفر حاجى على الأمير طاز، ثم كان بعد ذلك عرس الأمير تنكز بغا، وأعرس جماعة من الأمراء و عمل السلطان لكل منهم مهما يليق به، فأقامت الأفراح طول الشهر، وأنعم السلطان على طاز وعلى تنكز بغا بثلاثمائة ألف درهم، وأنعم على كل من الأمير مغلطاى رأس نوبة، والأمير منكلى بغا الفخرى.

وفيه أخرج الأمير نوروز على إمرة طبلخاناه، بدمشق. وسببه أنه لما قدم من الشام أنعم عليه بتقدمة ألف، فصار يتحدث مع السلطان فى المشور، وترفع على الأمراء.

وفيه قدم سيف بن فضل، بقوده.

وفى ليلة الثلاثاء رابعه: قدم الخبر بأن الأمير قشتمر أمسك المجاهد صاحب اليمن بينبع، بعد ما فر بنفسه، وترك ثقله. ثم قدم قشتمر فى يوم السبت خامس عشره، وأرسل المجاهد إلى الكرك، فسجن بها.

وفى أول جمادى الأولى: قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان بسبب الصلح، فأنزلوا بصهريج منجك ثلاثة أيام، و لم يمكن أحد من الاجتماع بهم. ثم مثلوا بين يدى السلطان، وأعيدوا بجوابهم.

وفيه خلع على الأمير أرغون الإسماعيلى، واستقر فى نيابة غزة، عوضًا عن فارس الدين البكى. وقدم فارس الدين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه خرجت العرب المعروفة ثعلبة من أماكنها، وتفرقوا فى البلاد.

فوقفت أحوال مراكز البريد، فإن درك البريد عليهم فسعى ابن طلدية فى ولاية الشرقية وتكفل برد ثعلبة، فخلع عليه بولايتها.

وفيه ركب الأمير طاز لكبس عرب الأطفيحية، وقد اشتد ضررهم وكثر قطعهم الطريق، فلم يظفر منهم بأحد، وتعلقوا بالجبال.

وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أيامًا، فبلغ طاز ومغلطاى ومنكلى بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، وأنه قد اتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر الماردينى وتنكز بغا على ذلك، وأن ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمراتهم. فواعدوا أصحابهم، واتفقوا مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، والأمير طيبغا المجدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد سابع عشرى جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر.

فخرج السلطان إلى القصر الأبلق، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: «أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولابدّ من إرسالهم إلينا. فبعث السلطان إليهم تنكز

بغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وبعثوهم إلى خزانة شمايل، فسجنوا بها. فشق ذلك على السلطان، وبكى، وقال: «قد نزلت عن السلطنة»، وسير إليهم النمجاة، فسلّموها للأمير طيبغا المجدى. وقام السلطان إلى حريمه، فبعث الأمراء الأمير صرغتمش، ومعه الأمير قطلوبغا الذهبى وجماعة؛ ليأخذه ويحبسه. فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق، ودخلوا إلى الناصر حسن وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخًا عظيمًا، وصاحت ست حدق على صرغتمش صياحًا منكرًا، وسبته، وقالت: «هذا جزاؤه منك». فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة، فلما رآه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاءا كثيرا. وطلع صرغتمش به إلى رواق فوق الإيوان، ووكل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء. وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين، ومدة استبداده تسعة أشهر، وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة، وإليه أمر خزانة الخاص - ومرجع ذلك إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص - والأمير بيبغاروس نائب السلطنة، وإليه حكم العسكر وتدبره والحكم بين الناس، والأمير منجك الوزير الأستادار مقدم المماليك، وإليه التصرف فى أموال الدولة، والمتولى لتربيته خوند طغاى أم آنوك، وفى خدمته ست حدق. ورتب له فى كل يوم مائة درهم تصُرف لخدامه من خزانة الخاص، فكان كذلك فى طوع الأمراء، يصرفونه على حسب اختيارهم، إلى أن نفرت نفوس الأمراء الخاصكية من الوزير منجك، وحسدوه على ما هو فيه، وكان أشدّهم عليه حقدًا الأمير مغلطاى والأمير طاز. وكان الأمير شيخو يفهم عنه إلى أن خرج الأمير بيبغا روس إلى الحج، وخرج الأمير شيخو إلى السرحة بالعباسة، وقع الاتفاق على ترشيد السلطان، ومسك منجك كما تقدم. فاستبد السلطان بالتصرف، وأخذ أموال الأمراء المقبوض عليهم، وفرّقها فى خواصه. ثم اختص بطاز، وبالغ فى الإنعام عليه، واستخص قشتمر وألطنبغا وملكتمر وتنكز بغا، وجعلهم ندماءه فى الليل ومشيريه فى النهار، فلم يكن يفارقهم أبدًا ليلاً ولا نهارًا، وسوّغهم من الأملاك، وأنعم عليهم من الجواهر والأموال بشىء جليل إلى الغاية، وأعرض عن الأمراء، فلم يلتفت إليهم حتى كان ما كان من خلعه.

وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم بالنواحى، وخربت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت عربان العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتدّ فسادهم وكثر قطعهم الطرقات. وكان الفناء العظيم الذى لم يعهد مثله، وتوالى شراقى الأراضى، وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل

الأحدب ببلاد الصعيد والعجز عنه، وقتل عرب الصعيد طغية الكاشف، وهزيمتهم الهذبانى وأخذ ثقله. فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشًا، إلا أن الناصر حسن كان فى نفسه مفرط الذكاء، ضابطًا لما يدخل إليه ويصرّفه كل يوم، عارفًا متدينًا شهمًا، لو وجد ناصرا ومعينا لكان أجل الملوك.

* * *

السلطان الملك الصالح

صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاون [١]

أمه بنت الأمير تنكز نائب الشام، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن، فى يوم الإثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. وذلك أن الأمراء لما حملت إليهم النمجاة، باتوا ليلة الإثنين بإصطبلاتهم، وبكروا يوم الإثنين إلى القلعة، واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة، واستدعوا به. فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة، وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة، ورفعت الغاشية بين يديه. وكان الأمير طاز والأمير منكلى بغا الفخرى آخذين بشكيمة الفرس حتى جلس على التخت. وحلفوا له، وحلّفوه على العادة، ولقبوه بالملك الصالح، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر.

وكان النيل قد نقص عندما كُسر، فردّ نقصه، ونودى عليه هذا اليوم بزيادة ثلاثة أصابع من سبعة عشر ذراعًا، فتباشر الناس بولايته.

وفيه نقل السلطان أخاه حسن الناصر إلى حيث ساكنا، ورتب فى خدمته جماعة. وطلب أخاه أمير حسين وأكرمه، ووعده بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه.

وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة.

وفيه دقت البشائر، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه طلب الأمير مغلطاى والأمير طاز مفاتيح الذخيرة؛ ليعتبروا ما فيها، فوجد شىء يسير.

---

(١) انظر ترجمته فى : انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٩، الجوهر الثمين ٢/١٩٩، بدائع الزهور ١/١/٥٣٨، البداية والنهاية ١٤/٢٥٢، الدرر الكامنة ٢/٢٠٣.

وفيه رُسم للوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بتجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة، فجهزها.

وفيه وقف الأمير طاز، وسأل الأمراء والسلطان فى الإفراج عن الأمير شيخو، فرُسم به. وكتب كل من مغلطاى وطاز إليه كتابا، فبعث مغلطاى بكتابه، أخاه قطلوبغا رأس نوبة، وبعث طاز الأمير طقطاى صهره. وجهزت الحراقة لإحضار شيخو من الإسكندرية، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه.

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاى، فإن الأمير طاز دخل عليه فى ذلك، ومضى إلى بيته، فاعتذر إليه بأنه يخشى من خلاصه على نفسه، فحلف له طاز أيمانا مغلظة أنه معه على كل ما يريد، ولا يصيبه من شيخو ما يكره، وإن شيخو إذا حضر ما يعارضه من فى شىء من أمر المملكة، و«إنى ضامن له فى هذا»؛ وما زال به حتى وافق على الإفراج عنه، وكتب إليه مع أخيه. فشقّ ذلك على الأمير منكلى بغا الفخرى، وعتب مغلطاى على موافقته لطاز، وأوهمه أن بحضور شيخو يزول عنهم ما هم فيه، حتى تقرر ذلك فى ذهنه، وندم على ما كان منه، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب، وركب الأمراء فى الموكب على العادة، أخذ منكلى بغا يعرف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء الكبار ما دار بينه وبين مغلطاى، وخيلهم من حضور شيخو إلى أن وافقوه، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة. فابتدأ الأمير بيبغا حارس الطير النائب بحديث شيخو، وأنه رجل كبير، ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كبيرة. فتكلم منكلى بغا ومغلطاى والأمراء، وطاز ساكت قد اختبط لتغير مغلطاى ورجوعه عما وافقه عليه. وأخذ طاز يتلطف به، فصمم مغلطاى على ما هو عليه، وقال: «ما لى وجه أنظر به شيخو، وقد أخذت منصبه بعد ما مسكته، وسكنت بيته». فوافقه الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، وقال لناظر الجيش: «اكتب له مثالا بنيابة حماه، وانتقال طنبرق لنيابة حلب»، وقال لكاتب السر: «اكتب كتابا بعوده من طريقه إلى نيابة حماه». فكُتب ذلك، وتوجه به أيدمر الدوادار من وقته وساعته فى حراقته. وعُيِّن لسفر شيخو إلى حماة عشرون هجينا ليركبها ويسير عليها، وانفضوا، وفى نفس طاز ما لا يعبر عنه. فاجتمع هو وصرغتمش وملكتمر وجماعة، واتفقوا جميعا وبعثوا إلى مغلطاى بأن «منكلى بغا رجل فتنى، وما دام بيننا لا نتفق أبدًا». فلم يصغ مغلطاى إلى قولهم، واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه. فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفية من القلعة حيث سكنه، وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلى بغا، وتحالفا على ذلك. فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادار مغلطاى يفتح ما صدر منه، ويهول عليه الأمر بأنه متى أبعد منكلى بغا

وحضر شيخو أخذ لا محالة، فمال إليه. وبلغ الخبر منكلى بغا، بكرة يوم الجمعة ثانيه، فواعد الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء على الاجتماع فى صلاة الجمعة؛ ليقع الاتفاق على ما يكون. فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاى عما تقرر بينه وبين طاز ليلا، فاستعد للحرب، وواعد الأمير ملكتمر المحمدى والأمير قردم الحموى ومن هوى هواهم، واستمالوا مماليك بيبغا روس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجَاءَ الخلاص أستاذيهم وشدّ الجميع خيولهم.

فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلى بغا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير وجماعة، وقرر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم فى دار النيابة، ويقبضوا عليهما. فلما أتاهم الرسول بطلبهما أحسّا بالشرّ، وقاما ليتهيئا للحضور، وصرفا الرسول على أنهما يكونان فى أثره، وبادر إلى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها، واستدعوا من معهم من المماليك السلطانية، ولبسوا السلاح. ونزل صُرغتمش بمن معه من باب السرّ، ليمنع من يخرج من إصطبلات الأمراء، ودخل طاز على السلطان حتى يركب به للحرب؛ فلقى الأمير صرغتمش فى نزوله الأمير أيدغدى أمير آخور، فلم يطق منعه، وأخذ بعض الخيول من الإصطبل، وخرج فوجد خيله وخيل من معه فى انتظارهم. فركبوا إلى الطبلخاناه، فإذا طلب منكلى بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر، فألقوه عن فرسه وجرحوه فى وجهه، وقتلوا حامل الصنجق، وشتتوا شمل الجميع. فما استتم هذا حتى ظهر طُب مغلطاى مع مماليكه، ولم يكن لهم علم بما وقع على طُلب منكلى بغا. فصدمهم صُرغتمش بمن معه صدمة بدّدهم، وجرح جماعة منهم، وهزم بقيتهم. ثم عاد صرغتمش ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم، فمال عليها ليأخذها. وامتدت أيدى أصحابه إليها، فقتلوا الغلمان، وقد عظم الصياح، وانعقد الغبار، وإذا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير ومغلطاى ومنكلى بغا وبيغرا ومن معهم قد نزلوا، وركبوا خيولهم. وكانوا لما أبطأ عليهم مجىء طاز وصرغتمش بعثوا فى استعجالهما، فإذا الأبواب مغلقة، والصيحة داخل باب القلة، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب، فما توسطوا القلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم. فأسرعوا إليهم وركبوا، فشهر مغلطاى سيفه، واقتحم بمن معه على صرغتمش ومن معه؛ ومرّ النائب بيبغا ططر حارس الطير وبيغرا ورسلان بصل يريد كل منهم إصطبله. فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاى كسرة قبيحة، وجرح كثير من أصحابه، وفرّ إلى جهة قبة النصر وهم فى أثره، وانهزم منكلى بغا أيضًا [١].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠١، ٢٠٢

وكان طاز لما دخل على السلطان عرّفه أن الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الناصر حسن إلى السلطنة، وأخذَه فى مماليكه، ونـزل به من باب السرّ إلى الإصطبل. واستدعى السلطان بالخيل ليركب، فقعد به أيدغدى أمير آخور، واحتج بقلة السروج، فإنه كان ممالئا لمغلطاى؛ فأخذ المماليك ما وجدوه، وخرجوا بالسلطان، ودقت الكوسات. فاجتمع إليه الأمراء والأجناد والمماليك السلطانية من كل جهة، حتى عظم جمعه، فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد غلقت، والرميلة قد امتلأت بالعامة. وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر حتى يعرف خبر صرغتمش، فوافى قبة النصر بعد المغرب.

وأما صرغتمش فإنه تمادى فى طلب مغلطاى ومنكلى بغا حتى أظلم الليل، فلم يشعر إلا بمملوك الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاى عنده فى بيت آل ملك بالحسينية، فبعث جماعة لأخذه. ومر صرغتمش فى طلب منكلى بغا، فلقيه الأمير محمد بن بكتمر الحاجب، وعرفه أن منكلى بغا نـزل قريبا من قناطر الأميرية، ووقف يصلى، وأن طُلب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى كان قد جاء من جهة كوم الريش. ولحق بالأمير منكلى بغا الأمير أرغون المكى فى جماعة، فقبضوا عليه وهو قائم يصلى، وكتفوه بعمامته، وأركبوه بعد ما نكلوا به. فلم يكن غير قليل حتى أتوا به وبمغلطاى، فقيدا وسجنا بخزانة شمائل، ثم أخرجا إلى الإسكندرية، ومعهما ابن منكلى بغا، فسجنوا بها، وأقبل صرغتمش ومن معه إلى السلطان بقبة النصر، وعرّفه بمسك الأميرين، فسرّ سرورا كبيرا، ونـزل هو والأمراء وباتوا عند قبة النصر [١].

وركب السلطان بكرة يوم السبت ثالثه إلى القلعة، وجلس بالإيوان، ودخل الأمراء فهنأوه السلامة، ونودى بالزينة. وفى الحال كتب باستدعاء الأمير شيخو، وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه. ونزلت البشائر إلى بيوت شيخو وبيبغا روس ومنجك، وكان يوما مذكورا، وبات الأمراء على تخوف.

وأما شيخو، فإن حراقة أخى طاز وطقطاى وافت الإسكندرية يوم الخميس أول رجب، فخرج شيخو من السجن وهو ضعيف، وركب الحراقة فى الخليج، وأهل الإسكندرية فى فرح وسرور بخلاصه. فوافاه كتاب صرغتمش بأنه «إذا أتاك أيدمر بمرسوم توجهك إلى حماة لا ترجع، وأقبل إلى القاهرة، فأنا معك»، فتغير لقراءته، وعلم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٢،٢٠٣.

أنه قد حدث فى أمره حادث. فلم يكن غير ساعتين حتى لا حت له حراقة أيدمر، فمرّ وهو مقلع، وأيدمر منحدر إلى أن تجاوزه، وهو يصيح ويشير بمنديله، فلا يلتفتون إليه. واستمرت حراقة شيخو طول الليل وأيدمر فى أثره، فلم يدركه إلا بكرة يوم السبت. فعندما طلع إليه أيدمر، وعرفه ما رسم له من عوده إلى حماة، وقرأ المرسوم الذى على يده، وإذا بالخيل على البرّ تتبع بعضها بعضًا، والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته وإعلامه بما وقع من الركوب، ومسك مغلطاى ومنكلى بغا فسرّ شيخو بذلك سرورا كثيرا، وسار إلى أن أرسى بساحل بولاق، فى يوم الأحد رابعه.

وكان الناس قد خرجوا يوم السبت إلى لقائه، وأقاموا ببولاق ومنبابه. ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه. فلما رأوا الحراقة صاحوا ودعوا له، وتلقته مراكب أصحابه. وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء المراكب إلى مائة درهم، وما وصلت الحراقة إلا وحولها فوق الألف مركب. وركب الأمراء إلى لقائه، وزينت الصليبية[١]، وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه. فسار شيخو فى موكب عظيم إلى الغاية، لم ير مثله لأمير، إلى أن صعد القلعة [٢]. ودخل شيخو على السلطان، فأقبل عليه، وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفا جليلا، وخرج شيخو إلى منزله والتهانى تتلقاه.

وفيه فرقت الخلع على الأمراء، وركبوا بها إلى الخدمة، فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم بإخراج الأمير بيبغا ططر [٣]حارس الطير نائب السلطنة، والأمير بيغرا. فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية، وأخرج منه النائب؛ ليسير إلى نيابة غزة. وأخرج بيغرا من الحمام إخراجًا عنيفًا؛ ليتوجه إلى حلب. فركبا من فورهما، وسارا[٤].

وفيه قبض على الطيب أحد أمراء الطبلخاناه من أصحاب مغلطاى، وقيد وسجن.

وفيه أخرج أيدغدى آمير أخور إلى طرابلس، بطالا[٥].

وفيه كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك[٦].

---

(١) الصُلَيْبةُ: ماء من مياه قشير. انظر معجم البلدان٣/٤٢٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٣.

(٣) فى النجوم «بيبغا أَرُس حارس الطير» ١٠/٢٠٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٥.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٥.

وفى يوم السبت عاشره: ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، ولعب فيه بالكرة، فكان يومًا مشهودا.

وفيه وقف الناس فى الفأر الضامن، ورفعوا فيه مائة قصة. فقبض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضربا كثيرا، وهو يحمل المال، فوجدت له خبية فيها نحو مائتى ألف درهم حملت إلى بيت المال[١].

وفيه قبض على النائب بيبغا ططر حارس الطير فى طريقه، وسجن بالإسكندرية.

وفى يوم الأحد حادى عشره: وصل الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم سبعة: منجك الوزير، وفاضل أخو بيبغا روس، وأحمد الساقى نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التترى وولده، ومحمد بن بكتمر الحاجب. فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم، وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدى السلطان. ونزلوا إلى بيوتهم، فامتلأت القاهرة بالأفراح والتهانى ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية، من الخيول والتعابى القماش والبسط وغيرها، فكان الذى بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس، ومبلغ ألفى دينار[٢].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على الأمير قبلاى الحاجب، واستقر فى نيابة السلطنة عوضا عن بيبغا ططر حارس الطير[٣].

وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد، ونهبهم الغلال ومعاصر السكر، وكبسهم البلاد، وكثرة حروبهم، بحيث قتل منهم ألف رجل، وأن ابن مغنى حشد وركب فى البرّ والبحر. وامتنع الناس من سلوك الطرقات، وأنه متى لم يبادر الأمراء إلى حربه لا يحصل للأراضى تخضير، وكان زمن النيل. فطُلب عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف، وأعيد له إقطاعه من الأمير قنلس أمير آخور، وخلع عليه، واستقر فى كشف الوجه القبلى. وخلع على مملوك أسندمر، واستقر فى كشف الإطفيحية، وأنعم عليه بإقطاع ابن بيبغا ططر حارس الطير النائب. وأنعم على فارس الدين ألبكى نائب غزة بتقدمة ألف، ورسم بخروجه صحبة أزدمر الأعمى الكاشف، وعين معه ستة أمراء طبلخاناه.

---

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠،٢٠٦

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفى يوم الخميس خامس عشره: قدم الأمير بيبغا روس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان، فخلع عليه ونزل بيبغا روس إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تقدمة تليق به(١).

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان، ومعه الأمير بيبغا روس، وعليه التشريف، وصحبته الأمراء. فلعب السلطان بالكرة، وعاد إلى القلعة آخر النهار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على الأمير بيبغا روس، واستقر فى نيابة حلب عوضا عن أرغون الكاملى. واستقر أرغون الكاملى فى نيابة الشام، عوضا عن أيتمش الناصرى وفيه خلع أيضا على أمير أحمد الساقى شاد الشرابخاناه ونائب صفد، واستقر فى نيابة حماة، عوضا عن طنبرق. ورُسم طنبرق إلى حلب أمير طبلخاناه، ثم رسم أن يكون بطالا بدمشق(٢).

وفيه خلع على الوزير علم الدين بن زنبور خلعة الاستمرار، وركب قدام المحمل بالزنارى فى موكب عظيم. و لم يركب أحد من الوزراء قدام المحمل سوى ابن السلعوس، فى أيام الأشرف خليل، وأمين الملك بن الغنام فى أيام الناصر محمد، مرّة واحدة.

وفيه أحيط بموجود ست حدق، ووكل بها. وكتب موجودها، وألزمت بمال كبير سوى موجودها، ثم أفرج عنها، و لم يؤخذ لها شيء.

وفى يوم الجمعة أول شعبان: خلع على محمد بن الكورانى بولاية مصر والصناعة، عوضا عن بلاط.

وفى يوم الأحد ثالثه: سافر الأمير بيبغا روس إلى نيابة حلب، وأمير أحمد إلى نيابة حماة(٣).

وفيه كتب باستقرار منجك فى نيابة صفد، فسأل الإعفاء، وأن يقيم بجامعه بطالا؛ فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخو. فاستردّ أملاكه التى أنعم بها على المماليك والخدّام والجوارى، ورمّ ما تشعث من صهريجه، واستجدّ به خطبة، وولى زين الدين البسطامى فى خطابته(٤).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفيه خلع على عمر شاه، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن النائب قبلاى [١].

وفيه أنعم على طشتمر القاسمى بتقدمة ألف، واستقرّ حاجبا ثانيا[٢].

وفيه أنعم على جماعة من المماليك السلطانية، بإمرات[٣].

وفى يوم الخميس سابعه: قدم أمير على الماردينى، وأنعم عليه بتقدمة بيغرا.

وفيه أخرج أقجبا الحاجب الحموى، وطينال الجاشنكير، وملكتمر السعيدى، وقطلوبغا أخو مغلطاى، وطشنبغا الدوادار، وفرّقوا ببلاد الشام.

وفى يوم السبت تاسعه: وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الغد، ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب[٤]، فبعث إليه الأمراء تقادم كثيرة، وتوجه.

وكانت أمه رجعت من مكة بعد مسكه، وأقامت فى مملكة اليمن ابنه الملك الصالح، وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بابنها المجاهد صاحب اليمن أن يقرضوه ما يحتاج إليه، وختمت على مالهم من أصناف المتجر بعدن وزبيد وتعز [٥] فقدم قاصدها، وقد قبض على المجاهد ثانيًا، وسجن بالكرك[٦].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: وصل الأمير أيتمش الناصرى من الشام، فقبض عليه من الغد[٧].

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: خرج الأمير فارس الدين ألبكى، ومعه الأمير آينبك، وأربعة أمراء طبلخاناه، صحبة الأمير أزدمر الأعمى الكاشف إلى الوجه القبلى، بسبب نفاق العربان، فى تجمل كبير.

وفى مستهل شهر رمضان: قدم الشريف ثقبة، بعد ما قدم قوده وقود أخيه

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه بجرى يوم وليلة. انظر الروض المعطار ٤٢٣، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

(٥) تَعِزُّ: بالفتح ثم الكسر، والزاى مشددة: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٣٤/٢.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

(٧) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

عجلان، فخلع عليه، واستقر فى إمارة مكة بمفرده. أنعم عليه الأمير طاز بقرض ألف دينار، وأقرضه الأمير شيخو عشرة آلاف درهم. واقترض ثقبة من التجار مالا كثيرًا، واشترى الخليل والسلاح والمماليك، واستخدم عدة مماليك.

وفيه رسم بسفر الحسام لاجين العلائى مملوك آقبغا الجاشنكير وأستادار العلائى صحبة ثقبة؛ ليقلده بمكة.

وفيه رسم بإبطال رمى والبرسيم والشعير على أهل النواحى، ونقش المرسوم على رخامة بجانب باب القلة، وكتب بذلك إلى الولاة.

وفيه خلع على ابن الأطرش، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن الضياء، بعناية جماعة من الأمراء به؛ لكثرة مهاداته لهم.

وفيه أخرج أيدمر الدوادار وعدة من المماليك إلى الشام.

وفيه قدم الخبر بخروج عيسى بن حسن الهجان عن الطاعة، وامتنع بجماعته فى الوادى.

وفى شوال: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بالحط على قاضى القضاة تقى الدين السبكى [1] وأنه حكم بنزع وقف من أصحابه وأعاده ملكا، وطلب الأمير أرغون الكاملى أن يعقد لذلك مجلس فيه قضاة مصر وعلماؤها بين يدى السلطان.

وكان من خبر ذلك أن أرغون لما ولى نيابة الشام خرج علاء الدين الفرع إلى لقائه قريب حلب، وأغراه بالسبكى، وقدح فيه وفى ولده بقوادح حتى غيّر خاطره. فلما لقيه السبكى لم يجد منه إقبالا، وبقى على ذلك إلى أن وقف جماعة بدار العدل يشكون من السبكى أن لهم وقفا من عهد أجدادهم، وأقطع للأجناد ثم استرجعوه منهم، وثبت وقفه على قاضى القضاة المالكى بدمشق، فانتزعه السبكى منهم، وسلّمه لمن كان قديما فى يده بالملكية، وسألوا عقد مجلس. فلما اجتمع القضاة والفقهاء لذلك، قام الفرع وجماعة فى العصبية على السبكى، وشنعوا عليه. فأجاب السبكى بأنه «ثبت عندى أن يكون فى يد مالكه، وقد حُكم بذلك. وهأنا، ومن ينازعنى فيما حكمت؟»، فلم

---

(١) أحمد بن على بن عبد الكافى ـ أبو حامد، بهاء الدين السبكى: فاضل له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عامًا، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورًا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١، الدرر الكامنة ٢١٠/١ الأعلام ١٧٦/١.

ينازعه أحد. فطلب الأمير أرغون الكاملى قضاة القضاة، فحضروا إلا عز الدين بن جماعة، فإنه تعذر حضوره. وقرئ عليهم كتاب النائب بحضرة الشيخ بهاء الدين أحمد ابن السبكى، فأظهر كتاب أبيه بصورة الواقعة، وهى أن أجداد الشكاة ادعوا الوقفية فى ضيعة كذا، فوقفها أبناءهم من بعدهم، ثم أقطعت بعد وفاتهم لجماعة من الجند. فادعى الشيخ تقى الدين البوسى [1] لما قدم من بعلبك أنها ملكه وبيده، وأنه ابتاعها من أهلها قبل وفاتهم، وأثبت كتاب مشتراه وتسلمها، وأن الشراء كان سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وبقى إلى سنة أربع وتسعين. فأظهر قوم كتاب وقفها وأثبتوه، وتسلموها، فسمى البوسى فى سنة أربع وسبعمائه واستعاد الضيعة منهم، بعد منازعات عُقد فيها عدة مجالس. فأخذها تنكز منهم، ثم استردها البوسى، فلم يزل إلى هذا الوقت وقف أهل الوقف، وأثبتوه على قاضى المالكية جمال الدين المسلاتى. فأثبت الآخرون أن المسلاتى كانت بينه وبين البوسى عداوة لا يجوز معها أن يحكم عليه، وأخذوا الضيعة. فتحاكم الفريقان إلى السبكى، فحكم باستقرار يد الملاك، وأبقى كل ذى حجة على حجته. فتنازع ابن السبكى والتاج المناوى طويلا وانقضوا، وأخذ ابن السبكى خطوط جماعة من المفتين بصحة حكم أبيه. ثم اجتمعوا ثانيا، وحضر قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وانتدب للنظر فى ذلك بمفرده. فادعى قوام الدين أمير كاتب الحنفى فساد حكم السبكى، وتعصب عليه تعصبا زائدا. وذلك أنه لما قدم قوام الدين دمشق، وبها يلبغا اليحياوى نائبا اختص به، وأخذ ينهاه عن رفع يديه فى الركوع، وأن هذا لا يجوز، وصلاته التى صلاها كذلك باطلة يجب عليه إعادتها. فسأل يلبغا ابن السبكى عن ذلك، فأنكر مقالة القوام.

واشتهر بين الأمراء والأجناد مقالة القوام، وكثرت القالة فيها. فطلب السبكى القوام ومنعه من الإفتاء، واقتضى رأى ابن جماعة النظر فى من شهد بالعداوة، وفيمن شهد بالوقفية، فكتب بذلك لنائب الشام.

وفيه ارتفع سعر اللحم، ووقف حال المعاملين بحيث أخذوا الأغنام من أربابها بغير ثمن. فأبطل الوزير المعاملين، واشترى الأغنام بالثمن الناض [2] وكانت عادة اللحم من أربعين درهما إلى خمسين درهما القنطار، وأكثر ما عهد بستين درهما القنطار. فبلغ فى هذه الأيام بتعريف الحسبة إلى مائة وأربعين، ومائة وخمسين درهما، وأبيع فى الحوانيت كل رطل بخمسة دراهم سوداء، عنها درهم وثلث درهم كاملية.

---

(١) نسبة إلى بوس وهى قرب صنعاء اليمن.انظر معجم البلدان ١/٧٥٨.

(٢) هى الدرهم والدينار.انظر محيط المحيط (نض).

وتعذر وجود الغنم، فكتب إلى البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام، وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام. وكتب إلى ولاة الوجه القبلى والوجه البحرى بحمل الأغنام، فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر. وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس، فانحط سعر اللحم.

وفى خامس عشره: سار محمل الحاج، صحبة الأمير طيبغا المجدى. وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والفيوم والوجه البحرى، وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة، وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير، وفيهم ملكهم. فسأل ملكهم الإعفاء من الدخول على السلطان، فأعفى، وسار بقومه إلى الحج، مستهل ذى القعدة.

وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردى بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى قدم عليه، فتلقاه وأكرمه، ثم قبض عليه، وضرب عنقه بيده، وقتل من معه.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء فى عدة مواضع، وركب ومعه الأمير آينبك ليلا، وصاح العربان من عرك صباحا، وقتل منهم جماعة، وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بنى هلال أعداء عرك، فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكنز بمسك الطرقات على عرك، وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء، وأسندمر المتولى الإطفيحية، إلى الجبل؛ وقد لقيه الأحدب فى حشد كبير، فلم يثبت الأحدب وانهزم من رمى النشاب، وترك أثقاله وحريمه. ونادى الأمير أزدمر. «يا بنى هلال دونكم أعداءكم»، فمالوا عليهم يقتلون، وينهبون المواشى والغلال والدقيق والقرب والروايا، وسلبوا الحريم، حتى امتلأت أيدى بنى هلال وأيدى الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان، وأن البلاد قد خضرت أراضيها، وأطاع عربانها العصاة، وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة.

وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن.

وفيه ضُيِّق على الناصر حسن، وسُدَّت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدّث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظًا زائدًا.

وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريبًا من الأهرام.

وفى أول ذى الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعًا بأمان، فخلع عليه.

وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب؛ وانحطّ سعر اللحم، فأبيع بدرهم الرطل.

وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة.

وفى هذه السنة: استقرّ فى قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى، عوضًا عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحى. واستقرّ فى قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم، بعد وفاة أبيه. واستقرَّ فى كتابة السرّ بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود، عوضًا عن الشريف شهاب الدين بن قاضى العسكر؛ وقدم الشريف إلى القاهرة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم، كاتب الإنشاء، فى أواخر شعبان، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر؛ وكان كثير العبادة.

وتوفى الشريف أدى صاحب المدينة النبوية، فى السجن.

ومات الأمير طشبغا الدوادار، بدمشق؛ وكان فاضلا دينًا.

وتوفى قاضى الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الحسن ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة المعروف بابن العديم، عن ثلاث وستين سنة، منها فى قضاء حماة عشر سنين، وفى قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة.

وتوفى تاج محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشى الفقيه الشافعى، بدمشق، فى يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة؛ نشأ بالقاهرة، واستوطن بدمشق.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدى أحد الطبلخاناه، وهو مجرّد بالصعيد. فحمل ميتًا إلى القاهرة، وقدم فى يوم الإثنين ثانى عشرى رمضان.

ومات علاء الدين على بن محمد بن مقاتل الحرانى، ناظر الشام، فى عاشر رمضان بالقدس.

وتوفى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى [١] موقع الدست، وصاحب المدرسة بسويقة الصاحب من القاهرة، وبها قبره.

ومات الشيخ ابن بدلك [٢] فى يوم الأحد سابع عشرى شوال.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن الكويك، فى داره ليلة السبت سادس عشرى ذى الحجة، ذبحه الحرامية.

ومات آقبغا والى المحلة، يوم الخميس تاسع عشرى ذى الحجة.

ومات ملك المغرب أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة، فى ثالث عشرى ربيع الآخر. وقام بعده ابنه أبو عنان فارس، وكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *

سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن الشريف ثقبة لما نزل بطن مَـرّ، وتـلـم إلى مكة متسفر الحاج حسام الدين لاجين، وعرّف الشريف عجلان بـانفراد أخيـه ثقبـة بالإمرة، امتنع الشريف عجلان من تسليمه مكـة. وعـاد حسـام الديـن إلى ثقبـة، فأقامـا حتى قدم الحاج صحبة الأمير طيبغا المجدى. فتلقـاه ثقبـة، وطلـب منـه أن يحـارب معـه عجلان، فلم يوافقه على محاربته، فأسمعـه مـا لا يليـق، وهـدّده أنـه لا يمكـن الحـاج مـن دخول مكة. وقام ثقبة عنه وقـد اشـتد غضبـه، وألبـس مـن معـه مـن العربـان وغـيرهم السلاح. فاجتمع أمير الركب، وقاضى القضاة عز الدين بن جماعـة - وكـان قـد توجـه صحبة الركب للحج - واتفقا على إرسال الحسام إلى عجلان ومعه ابن جماعة. فجـرت لهم معه منازعات، آخرها أن تكون الإمرة شركة بينه وبين أخيـه ثقبـة. وعـادا إلى بطن مَرّ، وقرّرا ذلك مع ثقبة حتى رضـى، وسـاروا جميعًـا إلى مكـة. فتلقـاهم عجـلان على العادة، وأنصف ثقبة، وأنعم عليه بسبعين ألف درهـم. وكانت الوقفة بعرفة يوم الجمعـة، وجاور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة. ولقى الحاج من عبيد مكة شرا كثيرًا.

وفيه قدم الخبر أن المجاهد قدم إلى تعز فى ثامن عشرى ذى الحجـة الماضيـة، واستولى على ملكه. وكانت أمه قد ضبطت البلاد فى غيبتـه، وأنفقـت عنـد قدومهـا مائـة ألـف دينار للشريف الزيدى صاحب صنعاء، ولأهل الجبال ولأكابر المملكة، حتى أقامت ابـن المجاهد، واسمه الصالح. ثم قبضت عليه، وساست الأمور، ووفت ما اقترضـه المجـاهد مـن التجار بمصر.

وفيه قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف والأمراء من بلاد الصعيد، فركـب الأحـدب وكبس ناحية طما على بنى هلال، وقتل منهم جماعة، ونهـب مـا وجـد. فتوجـه إليهـم الأمير بلبان السنانى الأستادار بمضافيه، والأمـير قمـارى الحمـوى الحـاجب، وعـدة مـن أولاد الأمراء فى مستهل صفر؛ ليقيموا حتى يتم قبض المغل.

وفيه استقرّ ابن عقيل فى ولاية البهنسى، واستقرّ بيبغـا الشمسـى فـى ولايـة إطفيح. وكانتا مع أسندمر مملوك أزدمر الأعمى الكاشف، فعادت العربان بعد عـزل أسـندمر إلى ما كانت عليه من الفساد.

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير أيتمش الناصرى من سجن الإسكندرية، وخرج من القاهرة فى يوم السبت ثالث عشره إلى صفد بطالا.

وفى حادى عشريه: نفى الأمير قردم أمير آخور إلى صفد، ثم أنعم عليه بإقطاع يلبك الحسنى الأرغونى الحاجب، وأن يحضر يلبك إلى مصر، فلما حضر يلبك هذا - ويعرف بيلبك الشحنة - أنعم عليه بإقطاع قردم.

وفيه استقر يلبك الحسنى الأرغونى الحاجب أمير آخور، عوضا عن قردم على إقطاعه، وهو حاجب.

وفى يوم الخميس رابع عشريه: أخرج الأمير ألطنبغا العلائى شاد الشرابخاناه، إلى حلب.

وفى هذا الشهر: شرع الأمير طاز فى عمارة قصر وإسطبل تجاه حمام الفارقانى، بجوار المدرسة البندقدارية، وأدخل فيه عدة أملاك. وتولى عمارته الأمير منجك، وحمل إليها الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئًا كثيرًا.

وفيه ابتدأ الأمير صرغتمش عمارة إصطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط، قريبا من الجامع الطولونى، وأدخل فيه عدة دور، وحمل إليه الناس ما يحتاج إليه من الرخام وغيره.

وفيه عوفى الأمير قبلاى النائب، وركب الموكب. وكان منذ استقر فى النيابة مريضا بوجع المفاصل، لم يركب فرسا، وإنما يجلس فى شباك النيابة للحكم بين الناس. ومشت فى ولايته المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، فزاد فساد الأجناد بكثرة دخول أرباب الصنائع فيهم. وفحش ذلك حتى نزل مقدمو الحلقة عن التقدمة، وقام جماعة نحو الثلاثمائة رجل عرفوا بالمهيسين [1] على الإقطاعات، وصاروا يطوفون على الأجناد، ويبذلون لهم الرغبات فى النزول عن إقطاعاتهم.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقرّ رأس نوبة كبير، فى رتبة الأمير شيخو باختياره. وجُعل إليه التصرف فى أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم، ما عدا مال الخاص، فإن الأمير شيخو متحدث فيه، وما عدا أمور الوزارة. فقصده الناس، وكثرت مهابته، وعارض الأمراء فى جميع أفعالهم. وأراد صرغتمش ألا يُعمل شىء إلا

---

(١) يبدوا أنها مأخوذه من اللفظ هيس هيس التى تستخدم عند الإغراء بشىء من الأشياء انظر محيط المحيط.

من بابه وبإشارته، فإن تحدّث غيره فى عزل أو ولايـة غضـب، وأبطـل مـا تحـدث فيـه، وأخرق بصاحبه.

وفيه اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف، وأن يكـون مـا يرسـم بـه علـى لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

وفيه قدم الخبر من مكة بـأن الأسـعار بهـا غلـت حتـى بلـغ الأردب القمـح ثلاثمائـة درهـم، والشعير مائتى درهـم، والراويـة المـاء بأربعـة دراهـم مسـعودية [١] فأغـاثهـم الله تعالى فى أول يوم من المحرم بمطر استمر ثلاثة أيام، فانحل السـعر، وأبيـع الأردب القمـح بمائة وخمسين درهما، والراوية الماء بنصف وربع مسعودى؛ لجريان ماء عين جوبان.

وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد ونهبهم سقط ميـدان وقتـل أهلهـا، ونهـب بـلاد سودى بن مانع، وأن أهل منفلوط رجموا الوالى. فألزم الأمـير أزدمـر الأعمـى الكاشـف بالخروج إليهم، وأنعم عليه بألف أردب شعير وأربعين ألف درهم، قبضها وسافر.

وفيه قدم الخبر أن طائفة الزيلع [٢] كانت عادتهم حمل قطيعة فى كل سـنة إلى ملـك الحبشة، من تقادم السـنين. فقـام فيهـا عَبْـد صـالح ومنعهـم مـن الحمـل، وشنع عليهـم إعطاءهم الجزية وهم مسلمون لنصرانى، وردّ رسـول ملـك الحبشـة. فشـقَ ذلـك علـى ملك الحبشة، وخرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم. فلما صار على يـوم منهـم قـام العبد الصالح تلك الليلة يسأل الله تعالى كفاية أمر الحبشى، فاسـتجاب دعـاءه. وعندمـا ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو - حتى كاد الرجل لا يرى صاحبـه - مقـدار ساعة، ثم انقشع الظلام، وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بحمـرة، وأعقبـه رمـل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم، ونزل من بعده حيـات كبـيرة جـدًا، فقتلـت منهـم عالما كثيرًا. فعاد بقيتهم من حيث أتوا، وهلـك فـى عودهـم معظمهـم دوابهـم، وكثـير منهم.

وفيـه تزايـد تسـلط الأمـير صرغتمـش رأس نوبـة، وكـثر ترفعـه. فتنكـر لـه الأمـراء، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم، وإعادة النـاصر حسـن، ومسـك شـيخو وطـاز، وانفرد صرغتمش بالكلمة فقلق طـاز - وكـان حـادّ الخلـق - وهـم بـالركوب، فمنعـه

---

(١) يطلقها أهل مكة على نوع جيد من العسل، وهو هنا مجازى فى حق الدرهم.

(٢) زَيْلَعُ: - أو زالع - مدينة على ساحل البحر الحبشـى المـالح المتصـل بـالقلزم، ومـن زيلـع إلى ساحل البحر ثلاث مجار مقدرة الجرى، وهى صغيرة القطر كثيرة الناس. انظر معجم البلدان ٣/١٦٤، والروض المعطار ٢٨٢، والإدريسى ٢٥، وتقويم البلدان ١٦٠، وابن الوردى ٣٧.

شيخو؛ فاحترز طاز وشيخو. وأخذ صرغتمش فى التبرئ مما رمى به، وحلف للأمير شيخو والأمير طاز، فلم يصدقه طاز وهم به. فقام شيخو قيامًا كبيرًا حتى أصلح بينهما، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش، فركب إليه وتصافيا.

وفيه خلع على جرجى الدوادار، واستقر حاجبًا، عوضًا عن طشتمر القاسمى باستعفائه.

وفيه ركب الأمير ضروط البريد؛ لطلب جمال وهجن للسلطان من الأمير فياض بن مهنا، فإن جمال السلطان قلت، بحيث أنه لما خرج إلى السرحة اكترى له جمالا كثيرة لحمل ثقله، ومنع أمير آخور الكتاب والموقعين وغيرهم مما جرت به عادتهم من حمل أثقالهم على جمال السلطان.

وفيه قدم الخبر بفتنة الفرنج الجنوية والبنادقة، وكثرة الحروب بينهم، من أول المحرم إلى آخر ربيع الآخر. فقل الواصل من بلاد الفرنج، إلى الإسكندرية، وعزّ وجود الخشب، وغلا وتعذر وجود الرصاص والقصدير والزعفران. وبلغ المَنُّ بعد مائتى درهم إلى خمسمائة، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. ثم قدم الخبر بأن البنادقة انتصرت على الجنوية، وأخذت لهم واحدًا وثلاثين غرابًا بعد قتل من بها.

وفيه قدم الشيخ أحمد الزرعى من الشام، فبالغ الأمير شيخو والأمير طاز فى إكرامه.

وفيه قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز بكتابه، يخبر أنه قد حسن إسلامه هو وأخوته وأقاربه، والتزم سيرة العدل فى رعيَّته، وترك ظلمهم. وشكا الأشرف دمرداش من كثرة الاختلاف بينهم حتى هلك رعيَّته، وطلب أن يبعث إليه بمن نزح عن بلاده من التجار، وكتب إليهم أمانًا، وأن أرتنا نائب الروم قد أفسد بلاده، ومنع التجار أن تسير إليهم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما. وكان قد قدم إلى مصر والشام فى هذه السنة وما قبلها كثير من تجار العجم؛ لسوء سيرة الولاة فيهم، فعرض عليهم أمان الأشرف دمرداش، فلم يوافقوا على العود إلى بلاده.

وفيه رسم للأمير جرجى الحاجب أن يتحدّث فى أمر أرباب الديوان، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الأمور الشرعية، فاستمر ذلك فيما بعد. وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل، وذكروا أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا لما نزل بهم من جور التتار، وأنهم باعوا بضائعهم لعدة من تجار القاهرة، فأكلوها عليهم، وأرادوا إثبات إعسارهم على القاضى الحنفى، وهم فى سجنه، وقد فلس بعضهم. فرُسم لجرجى بإخراج غرماء التجار من

السجن، وخلاصهم مما فى قبلهم، وأنكر على القاضى الحنفى ما عمله، ومُنع من التحدث فى أمر التجار والمديونين. فأخرج جرجى التجار من السجن، وأحضر لهم أعوان الوالى، وضربهم، وخَلّصَ منهم المال شيئًا بعد شىء ومن حينئذ صارت الحجاب بالقاهرة وبلاد الشام تتصدّى للحكم بين الناس، فيما كان من شأن القضاة الحكم فيه.

وفيه ركب عرب إطفيح على بيبغا الشمسى، ونهبوا ما معه وهزموه، وخرجوا عن الطاعة، فجرد إليهم طائفة من الأمراء.

وفى هذه السنة: رتب الأمير شيخو فى كل ليلة جمعة وقتا يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة، ويقوم الشيخ على بن الركبدار المادح، فينشد من مدائح الصرصرى ونحوه ما يطربهم، وينصرفون بعد أكلهم.

وفيه كثرت الإشاعة بمدينة حلب أن الأمير بيبغا روس نائبها يريد الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذلك، وقبض على عدة من العامة سمّرهم وشهرّهم، ثم أفرج عنهم.

وفيها رتب الأمير شيخو فى الجامع [(١)] الذى أنشأه للشيخ أكمل الدين محمد الرومى الحنفى مدرسا وشيخ صوفية، وقرّر له فى كل شهر أربعمائة درهم، وجعل عنده عشرين فقيها[(٢)]. وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الزولى، ونقله من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنفى. وجعل به درسا للمالكية أيضًا، وولى تدريبه نور الدين السخاوى، وقرر له ثلاثمائة درهم فى كل شهر. ورتب به قراء ومؤذنين، وغير ذلك من أرباب الوظائف، وقرر لهم معاليم بلغت جملتها فى الشهر ثلاثة آلاف درهم.

وفيه قدم الشريف طفيل بن أدى من المدينة النبوية، يطلب تركة سعد فى الإمارة.

وفيه قدم صدر الدين سليمان بن محمد بن قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق، فخلع عليه، واستقر فى توقيع الدست.

وفى عاشر جمادى الآخرة: خلع على الأمير شيخو، وأعيد رأس نوبة، عوضا عن صرغتمش. فعند لبسه التشريف قدم البشير بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا، فسرّ به سرورا زائدًا؛ لأنه لم يكن له ذكر[(٣)].

---

(١) وهو جامع شيخون انظر عنه المواعظ الاعتبار ٢/٣١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩.

وهنأه الأدباء بعدة قصائد، منها أبيات فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج، قال:

بأيْمَن سَاعَةٍ قَدِمَ الْوَلِيد تحفُّ به النجابة والسعود
مبارك غرةٍ ميمون وجه فيوم وروده بشرى وعيد
لقد كادت سروج الخيل تأتى إليه قبل أن تأتى المهود
هلالٌ سوف تستجليه بدرًا تمامًا يستنير به الوجود
وشبلٌ سَوف يَبدُو وهو ليثٌ تروع من بسالته الأسود
وزهر عن قريب منه تجنى ثمار كُلّها كرم وجُودُ
وفجر سوف يظهر منه صبح وَجوهرة تُزان بها العقود
وأبناء الكرام هُمُ الكِرَام كذلك فرعك الزاكى يسود
أيا من نفعه عمّ البَرايَا ويا من سعيه سعى حميد
ومن لِلْمُلْك منه أجل ذخر إلى أبوابه يأوى الطريد
ومن لولاه لم تسكن خطوب ولم تكتم مواضيها الغُمود
ومن قد شدّ للإسلام أزرا وَأَيْدَه وَإن رغم الحسُود
لقد وَافَاكَ مولود كريم يسرّك فيه ذو العرش المجيد

وفى هذا اليوم: قدم البريد من صفد بأن فى يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى ظهر بقرية حطين، من عمل صفد، شخص ادعى أنه السلطان أبو بكر المنصور ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومعه جماعة تقدير عشرة أنفار فلاحين. فبلغ ذلك الأمير علاء الدين ألطنبغا برناق نائب صفد، فجهز إليه دواداره شهاب الدين أحمد، وناصر الدين محمد بن البتخاصى الحاجب، فأحضره. فجمع له النائب الناس والحكام، فادعى أنه كان فى قوص، وأن واليها عبد المؤمن لم يقتله، وأنه أطلقه، وركب فى البحر، ووصل إلى قطيا، وبقى مختفيا فى بلاد غزة إلى الآن، وأن له دادة مقيمة فى غزة، عندها النمجاة والقبة والطير فقال النائب: «إذا كنت فى تلك الأيام جاشنكيرا، وكنت أمد السماط بكرة وعشيًا، وما أعرفك؟». فأقام مصرًا على حاله، وانفسدت له عقول جماعة، وما شكوا فى ذلك. فكشف أمره من غزة، فوجدت المرأة التى ذكر أنها دادته، واعترفت أنها أمه، وأنه يعتريه جنون منذ سنين فى كل سنة مرتين وثلاثا. وذكر أهل غزة أنه يعرف بأبى بكر بن الرماح، وله سيرة قبيحة، وأنه ضرب غير مرة بالمقارع. فكتب بحمله، فخشبه نائب صفد فى يديه ورجليه، وجعل الحديد فى عنقه، وحمله إلى السلطان. فقدم قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشره، فسئل بحضرة الأمراء، فخلط فى كلامه، وهذى هذيانًا كثيرًا. ثم قُدِّم بين يدى السلطان، فتكلم بما سولت له

نفسه. فسمّر فى يوم الخميس عشريه تسمير سلامة، وشهّر بالقاهرة ومصر. فكان فى تلك الحالة يتحدث أنه كان سلطانًا، ويقول: «اشفقوا على سلطانكم، فعن قليل أعود إليكم». فاجتمع حوله عالم كثير، وأتوه بالشراب والحلوى، وحادثوه. فكان إذا أتى إليه أحد بالماء حتى يشربه يقول له: «اشرب ششنى». وإذا رأى أميرًا قال: «هذا مملوكى ومملوك أبى». ويقول: «لى أسوة بأخى الناصر أحمد، وأخى الكامل شعبان وأخى المظفر حاجى [1] الكل قتلوهم». وأقام على الخشب يومين، ثم حبس فى ثالثه، فاستمر فى الحبس على حاله، فقطع لسانه.

وفيه ادعى شخص بالقاهرة النبوة، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدًا ذكرًا يخبر بصحة نبوته. فقيل له: «إنك لبئس النبى». فقال: «لكونكم لبئس الأمة». فسُجن، وكشف عن أمر؛ فوجد له اثنا عشر يومًا منذ خرج من عند الممرورين بالمارستان، وأنه أخذ غير مرّة وهو مجنون، فعمل عند الممرورين [2].

وفى يوم الإثنين رابع عشريه: سمر ابن مغنى، ومعه جماعة قبض عليهم الأمير مجد الدين بن موسى الهذبانى الكاشف، من معدية زفتية.

وفى مستهل رجب: قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف، وقد كمل تحضير أراضى الوجه القبلى، واطمأن أهله. وطلب أزدمر الإعفاء من كشف الوجه القبلى، فخلع عليه واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضًا عن مجد الدين بن موسى الهذبانى.

وفيه قدم كتاب الملك المجاهد على من اليمن بوصوله إلى بلاده، وأنه جهز تقدمته، وأوفى التجار أموالهم التى اقترضها، وأنه أطلق مراكب التجار لتسير، إلا أنه منعها أن ترسى بجدة وتعبر إلى مكة كراهة فى أمرائها.

وفى يوم الأربعاء عاشر رجب: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام، يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير، بكتابه إلى أخيه الأمير بيبغا روس نائب حلب، يحسن له الحركة. وقد أرسله الأمير أرغون الكاملى، فإذا فيه أنه قد اتفق مع سائر الأمراء على الأمر، «وما بقى إلا أن تركب وتتحرك». فاقتضى الرأى التأنى حتى يحضر الأمراء والنائب من الغد إلى الخدمة، ويقرأ الكتاب عليهم، ليدبّروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق.

---

(١) انظر الأحداث التى شارك فيها السلوك٢/٥٤٦، ٦٣٠، ٧١٠، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٦، ٧٣٥، ٧٣١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٩٤، ٨٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٩/١٠

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطلب فلم يوجد، وذكر أتباعه أنه من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره. فركب الأمير صرغتمش فى عدة من الأمراء، وكبس بيوت جماعة، فلم يوقف له على خبر. وافتقدوا مماليكه، ففقد منهم اثنان. فنودى عليه فى القاهرة، وهدد من أخفاه. وأخرج عيسى بن حسن الهجان فى جماعته من عرب العايد على النجب لأخذ الطرقات عليه، وكتب إلى العربان ونواب الشام وولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدر عليه، فكبست بيوت كثيرة. وكان قد خرج فى يوم الخميس حادى عشره الأمير فارس الدين البكى بألفه، والأمير طشتمر القاسمى بألفه إلى غزة، فأخر أمرهم[١].

وفى يوم الأربعاء رابع عشريه: قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير بيبغا روس نائب حلب، واتفاقه مع الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس[٢]. فجرد فى يوم السبت سابع عشريه جماعة من الأمراء وأجناد الحلقة إلى الصعيد، منهم عمر شاه الحاجب، وقمارى الحاجب، ومحمد بن بكتمر الحاجب، وشعبان قريب يلبغا. وكتب لبيبغا روس نائب حلب بالحضور إلى مصر، على يد سنقر وطيدمر من مماليك الحاج أرقطاى وكتب معهما ملطفات لأمراء حلب تتضمن أنه إن امتنع عن الحضور فهو معزول، ورسم لهما أن يُعلما بيبغا بذلك أيضًا مشافهة بحضرة الأمراء [٣].

فقدم البريد من دمشق بموافقة ابن دلغادر لبيبغا روس، وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، وهم طاز وشيخو وصرغْتمش وبزلار وأرغون الكاملى نائب الشام. فرسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير بعرض مقدمى الحلقة، وتعيين مضافيهم من عبرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها؛ ليسافروا. فقدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب فى جمع كبير من التركمان، فركب بيبغا روس وقد واعد نائب حماة ونائب طرابلس على مسيرة أول شعبان، وأنهم تلقوه بعساكرهم على الدستن [٤].

فركب الأمير أرقطاى الدوادار الكبير البريد بملطفات لجميع أمراء حلب وحماة ونائب طرابلس، فقدم دمشق وبعث بالمطلفات لأصحابها، فوجد أمر بيبغا روس قد

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠.

(٤) بلدة قديمة بين حمص وحماة على نهر العاصى.

قوى، ووافقه النواب والعساكر وابن دلغادر تركمانه وكسابته، وجبار بن مهنا بعربانه فكتب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بأن سفر السلطان لابدّ منه، «وإلا خرج عنكم الشام جميعه». فاتفق رأى الأمراء على ذلك، وطُلب الوزير علم الدين عبد الله ابن زنبور، ورُسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيزه الإقامات فى المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب الكارم وبَاعَهُم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدّة أصناف أخرى، وكتب إلى مغلطاى بالإسكندرية بقرض أربعمائة ألف درهم، فأجاب إليها. وأُخذ من ابن منكلى بغا ستمائة ألف درهم، وأُنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأُخذ من الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب مائة ألف درهم قرضًا، ومن الأمير بلبان السنانى أستادار مائة ألف درهم. فلم يمض أسبوع حتى جَهَّز الوزير جميع ما يحتاج إليه، وحمل الشعير إلى العريش، وحمل فى الخزانة أربعمائة تشريف، منها خمسون أطلس بحوائص ذهب[1].

وخرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار، والأمير كلتاى أخو طاز، وفارس الدين ألبكى ثم خرج الأمير طيبغا المجدى وابن أرغون النائب، فى يوم السبت خامسه.

وخرج الأمير شيخو فى يوم الأحد سادسه فى تجمل عظيم، فبينا الناس فى التفريج على طُلبه إذ قيل قُبض على منجك. وسبب ذلك أن الأمير طاز رَحَل فى يوم السبت، فلما وصل بلبيس قيل له إن رجلا من بعض أصحاب منجك صحبة شاروشى مملوك قوصون، فطلبهما طاز، وفحص عن أمرهما، فرأى به بعض شىء فأمر بالرجل ففتش، فإذا معه كتاب منجك لبيبغا روس تضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه أخفى نفسه، وأقام عند شاورشى أياما، ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام القصرى أستاداره، وهو مقيم حتى يكشف خبره، وهو يستحثه على الخروج من حلب. فبعث الأمير طاز بالكتاب إلى الأمير شيخو، فوافى والأطلاب خارجة. فطلب الأمير شيخو الحسام القصرى[2]، وسأله فأنكر، فأخذ الأمير صرغتمش وعاقبه، ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه، فإذا منجك ومملوكه، فأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة؛ فَسُفِّر إلى الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سابعه: ركب السلطان إلى الرّيدانية، وجعل الأمير قبلاى نائب الغيبة ورتب أمير على الماردينى فى القلعة، ومعه الأمير كشلى السلاح دار؛ ليقيما

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠، ٢١١.

(٢) فى النجوم «الحسام الصقرى» ٢١٢/١٠

داخل القلعة، ويكون على باب القلعة الأمير أرنال [1] والأمير قطلوبغا الذهبى، ورُتّب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى مع والى القاهرة لحفظها. واستقل السلطان بالمسير من الريدانية يوم الثلاثاء ثامن شعبان بعد الظهر، فقدم البريد بأن الأمير طقطاى الدوادار خرج من دمشق يريد مصر، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب الشام لما بلغه خروج بيبغا روس من حلب فى ثالث عشر رجب، ومعه قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن فى انتظاره، عزم أرغون كذلك على لقائه. فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه، فاحترس على نفسه، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب. ثم اقتضى رأى أمير مسعود بن خطير أن النائب لا يلقى القوم، وأنه ينادى بالعَرْض للنفقة فى منزلة الكسوة، ويركب إليها، فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة منعهم من عبور دمشق، وسار بهم إلى الرملة فى انتظار قدوم السلطان. ففعل أرغون ذلك، وأنه مقيم على الرملة بعسكر دمشق، فإن ألطنبغا برناق نائب صفد سار إلى بيبغا روس فى طاعته، وأن بيبغاروس وصل إلى حماه، واجتمع مع نائبها أحمد، وبكلمش نائب طرابلس، وسار بهم إلى حمص، فلقيه مملوك أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر، فقبض عليهما وقيدهما، وسار يريد دمشق، فبلغه مسير السلطان بعساكره، واشتهر ذلك فى عسكره، وأنه قد عُزل من نيابة حلب، فانحلت عزائم كثير ممن معه، وأخذ فى الاحتفاظ بهم والتحرز منهم، إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس رجب، فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة. فبعث بيبغا روس إلى الأمير أياجى نائب القلعة يأمره بالإفراج عن الأمير وقردم، وأن يفتح أبواب المدينة. ففتح أياجى أبواب دمشق، ولم يفرج عن قردم. فركب أمير أحمد نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد، ليعبرا على الضياع، فوافى نجاب بخبر مسك منجك، ومسير السلطان من خارج القاهرة. وعاد أحمد وبكلمش فى يوم الإثنين رابع عشره، وقد نزل الأمير طاز بمن معه المزيرب فارتج عسكر بيبغا روس، وتواعد قراجا بن دلغادر وجبار ابن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس يومئذ إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما، وسارا فركب بيبغا روس فى أثرها، فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره حتى دقت البشائر بالقلعة، وأعلن أهلها بأن الأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام وافيا، وأن الأمير شيخو والسلطان ساقه. فبهت بيبغاروس، وتفخذ عنه من معه، وركب عائدًا إلى حلب فى تاسع عشر شعبان فكانت إقامته أربعة وعشرين يوما، أثر أصحابه فيها بدمشق وأعمالها آثارا قبيحة، من النهب والسبى والحريق والغارات على

---

(١) فى النجوم «أريان» ١٢١/١٠

الضياع من حلب إلى دمشق، كما فعل المغول أصحاب غازان. فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائى والى القاهرة ليبشر بذلك، فقدم إلى القاهرة يوم الجمعة خامس عشريه. فدقت البشائر وطبلخاناه الأمراء، وزينت القاهرة سبعة أيام. وجبى من الأمراء والدواوين والولاة ومقدمى الحلقة الذين لم يسافروا ثمن الشقق الحرير التى تفرش إذا قدم السلطان، وكان قدم إليه من صفد الأمير أيتمش الناصرى، فكان يرجعه عن كثير من ذلك.

وأما السلطان فإنه التقى مع الأمير أرغون الكاملى نائب الشام على بدعرش من عمل غزة، وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه. فدخل السلطان بهم إلى غزة، وخلع على نائب الشام، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم، وأنعم على أمير مسعود بألف دينار، وأنعم على كل من أمراء الألوف بدمشق بألفى دينار، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بعشرة آلاف درهم، وعلى كل من أمراء العشرات بخمسة آلاف درهم، فكانت جملة ما أنفق فيهم ستمائة ألف درهم.

وتقدم الأمير شيخو والأمير طاز والأمير أرغون الكاملى نائب الشام بمن معهم إلى دمشق، وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر. وتبعهم السلطان، فكان دخوله دمشق فى يوم الخميس مستهل رمضان، وقد خرج الناس إلى لقائه، وزينت المدينة زينة حفلة، فكان يوما مشهودا. ونزل السلطان بالقلعة، ثم ركب منها فى غده يوم الجمعة ثانيه إلى الجامع الأموى فى موكب جليل، حتى صلى به الجمعة. وكان الأمراء قد مضوا فى طلب بيبغا روس، فقدم خبرهم فى يوم الإثنين خامسه بنزول الأمير شيخو والأمير طاز على حمص، وأنه قد بلغهم مسك بيبغا روس وأمير أحمد نائب حماه وجماعة. فدقت البشائر بالقلعة، ثم تبين كذب هذا الخبر[1].

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم بعود أجناد الحلقة ومقدميها وأطلاب الأمراء إلى القاهرة، فخرجوا فيه من دمشق أرسالا. وكانت جماعة من العسكر قد تخلفوا بغزة، فقدموا القاهرة فى رابعه، وقدم الأجناد وأطلاب الأمراء إلى القاهرة فى خامس عشريه.

وأما بيبغا روس فإنه قدم حلب فى تاسع عشرى شعبان، وقد حفرت خنادق تجاه أبوابها، وغلقت الأبواب وامتنعت القلعة، ورمته رجالها بالمنجنيق والحجارة، وتبعهم من فوق الأسوار من الرجال بالرمى عليه. وصاحوا عليه فبات بمن معه، وركب من الغد يوم الخميس أول شهر رمضان للزحف على المدينة، وإذا بصياح عظيم، والبشائر

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠ وما بعدها.

تدق فى القلعة، والرجال يصيحون: «يا مُنَافِقين! العسكر وَصَل». فالتفت بيبغا روس بمن معه، فإذا البيارق والصناجق نحو جبل جوشن [1] فانهزموا بأجمعهم نحو البر. ولم يكن ما رَأَوْه على جبل جوشن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وطرابلس وحماة كانوا مختفين من عسكر بيبغا روس عند خروجه من دمشق، فساروا فى أعقابه رجاء أن يدركهم عسكر السلطان. فلما حضر بيبغا روس إلى حلب أجمعوا على كبسه، وراسلوا أهل جبل بانقوسا [2] بموافاتهم، وجمعوا عليهم كثيرا من العربان. وركبوا أول الليل، وترتبوا بأعلا جَبَل جوشن، ونشروا الصناجق. فعندما أشرقت الشمس ساروا، وهم يصرخون صوتا واحدًا، فلم يثبت بيبغا روس ولا أصحابه، وولّوا ظنًا منهم أنه عسكر السلطان. فإذا أهل بانقوسا قد أمسكوا عليهم طرق المضيق، وأدركهم العسكر، فتبدّدوا وتمزقوا، وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم يكن أحد ينظر رفيقه. فأخذهم العرب وأهل حلب قبضًا باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال، وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب.

ونجا بيبغا روس بنفسه، وامتلأت الأيدى بنهب ما كان معه، وهو شىء يجل عن الوصف؛ لكثرته وعظم قدره. وتتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه، وأخرجوهم من عدة مواضع، فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل، والأمير ألطنبغا العلائى مشد الشر ابخاناه، وألطنبغا برناق نائب صفد، وملكتمر السعيدى وشادى أخو أمير أحمد نائب حماة، وطيبغا حلاوة الأوجاقى، وابن أيدغدى الزرّاق أحد أمراء حلب، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنباى قريب بن دلغادر، وبهادر الجاموس، وقلج أرسلان أستادار بيبغا روس، ومائة من مماليك الأمراء؛ فقيد الجميع وسجنوا. وتوجه مع بيبغا روس أمير أحمد نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، وطشتمر القاسمى نائب الرحبة، وآقبغا البالسى، وصصمق، وطيدمر، وجماعة تبلغ عدتهم نحو مائة وستة عشر[3]. فدخل الأمراء حلب، وبعثوا بالمماليك إلى دمشق، وتركوا الأمراء المقيدين بسجن القلعة. وركب الحسام العلائى إلى طرابلس، فأوقع الحوطة على موجود نائبها، بكلمش؛ وتم إيقاع الحوطة بحماة على موجود أمير أحمد.

وكتب الأمراء إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه، والقبض على بيبغا روس ومن معه، وكان بيبغا روس قد قدم عليه، فركب وتلقاه، وقام له بما يليق به. فلما وقف قراجا بن

(١) جبل مطل على حلب فى غربيها.

(٢) قرية من قرى حلب.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٤، ٢١٥.

دلغادر على كتب الأمراء أجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان به، وإرسال الأمان لبيبغا روس، وأنه مستمر على إمرته، فلما جُهز له ذلك امتنع من تسليمه. فطُلب رمضان من أمراء التركمان، وخُلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر وإقطاعه. وعاد الأمراء من حلب، واستقر بها الأمير أرغون الكاملى نائبًا، عوضًا عن بيبغا روس وقدموا دمشق ومعهم الأمراء المسجونون، يوم الجمعة سلخ رمضان، وركبوا مع السلطان لصلاة العيد، والأمير مسعود بن خطير حامل الجتر على السلطان حتى عبر الميدان فصلى بهم تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر صلاة العيد، وخطب ومُدَّ السماط بالميدان، فكان يومًا مذكورًا.

وفى يوم الإثنين ثالثه: جلس السلطان بطارمة [(١)] قلعة دمشق، ووقف الأمير شيخو وطاز وسائر الأمراء بسوق الخيل تحت القلعة. وأخرج الأمراء المسجونون فى الحديد، ونودى عليهم: «هذا جزاء من يخامر على السلطان، ويخون الإسلام» [(٢)] ووسطوهم واحدًا بعد واحد، وهم ألطنبغا برناق، وطيبغا حلاوة، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنبغا التركمانى، وألطنبغا الثلاثى شاد الشرابخاناه، وشادى أخو أمير أحمد نائب حماه؛ وأعيد ملكتمر السيدى إلى السجن[(٣)].

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين بدمشق، وساطلش الجلالى، ومصطفى، والحسام مملوك أرغون شاه، وأمير على بن طرنطاى البشمقدار، وابن جودى، وقردم أمير آخور، وأخرجوا إلى الإسكندرية، ومعهم ملكتمر السعيدى، ونفى مقبل نقيب الجيش إلى طرابلس[(٤)].

وفيه خلع على الأمير أيتمش الناصرى، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضًا عن بكلمش. وأنعم على أمير مسعود بن خطير بإقطاع قردم، وأنعم على كل من ولديه بإمرة طبلخاناه واستقر الأمير طنيرق فى نيابة حماة، عوضًا عن أمير أحمد الساقى. واستقر شهاب الدين أحمد بن صبح[(٥)] فى نيابة صفد، ورسم بإقامة الأمير طيبغا المجدى بدمشق، على إمرة.

---

(١) الطارمة : بيت من خشب يكون سقفه على جهة قبة، لجلوس السلطان . انظر المواعظ الاعتبار ١/٣٥،٢/٤٤٤.

(٢) فى النجوم «ويخون الإيمان» ١٠/٢١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٥.

(٥) فى النجوم «أحمد بن صبيح» ١٠/٢١٥.

وتوجه الأمير يلبك والأمير نوروز إلى مصر.

وفى يوم الجمعة سابعه: صلى السلطان الجمعة، وخرج من دمشق يريد مصر. فكانت إقامته بها سبعة وثلاثين يومًا.

وأما القاهرة فإن مماليك الأمراء وأجنادهم كانت تركب فى مدة غيبة السلطان كل ليلة من عشاء الآخرة، وتتفرق فى نواحى المدينة وظواهرها؛ لحفظ الناس فإذا رأوا أحدًا يمشى ليلا حبسوه، حتى يتبين أمره، ولم يبق حانوت ولا زقاق إلا وعليه قنديل يشمل طول الليل. وطلب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى، وألزمهم أن يقوموا بجميع ما يصرف فى القاهرة وظواهرها. وانتدب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى، والأمير ناصر الدين محمد بن الكورانى؛ لحفظ مدينة مصر. ورتب جماعة لحفظ بيوت المتجر، فى البر والبحر. فلم يعدم لأحد شىء سوى سرقة متاع من حانوت يهودىّ، فضرب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى بالمقارع حتى أحضروا متاع اليهودى له.

واتفق أن ابن الأطروش محتسب القاهرة مر بسوق الشرابشيين، وابن أيوب الشرابيشى فى حانوته. وكان أيوب هذا يعتريه جنون فى بعض الأحيان، فأخذ يسب المحتسب ويهزأ به، ثم وثب إليه وألقاه عن بغلته، وركب صدره. فما خلصه الناس منه إلا بعد جهد، وأقاموه من تحت ابن أيوب، وقد تباعدت عمامته وانكشف رأسه. فطلع ابن الأطروش إلى الأمير قبلاى النائب، وأخبره بما جرى عليه، فأحضر الأمير قبلاى ابن أيوب، وضربه وحبسه.

وفيه حدثت زلزلة فى رمضان، والناس فى صلاة العشاء الآخرة.

وفى سابع عشره: خرج الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبى، والأمير علم دار إلى الصعيد فى البر والبحر، بسبب نفاق العربان، وقطع الطرقات على المسافرين، وتشليح الأجناد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال: قدم السلطان، ومشى بفرسه على شقاق الحرير التى فرشت له، وخرج الناس إلى لقائه ورؤيته، فكان يومًا مشهودًا لم يتفق مثله لأحد من أخوة السلطان الذين تسلطنوا.

وعندما طلع السلطان القلعة تلقته أمه وجواريه وأخوته، ونثر عليه الذهب والفضة، وقد فرشت له طريقه بشقاق الحرير الأطلسى، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى. وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة:

الصالح الملك المعظم قدره يطوى له الأرض البعيد النازح
لا تعجبوا من طيها لمسيره فالأرض تطوى دائمًا للصالح

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء، وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرّت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعمّ الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنًا قد اسود. وتغيّر أيضًا ريح السمن واللبن، وماتت المواشى بأسرها.

وشمل الوباء أيضًا أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع الإسكندرى دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة [١] لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضًا شيء كثير، فتركوهم ومرّوا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عمّ أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس نستراوه، وتعطّل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها فى المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم فى المركب، ويعود من بقى منهم، فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووُجد فى حيتان البطارخ شيء

---

(١) المقصود بها: فندق لنزول التجار وبضائعهم للبيع والشراء.

منتن، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودّت ووُجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحرى، لا يوجد من يدفنها. وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه، وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلتهم، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. وعمّ الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع.

وزهد أرباب الأموال فى أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه [١] ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرًا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضمّ الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف، وذلك فى أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكورانى والى مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودى عليهن. ونُقل ما فى دور صهرى ابن زنبور، وسُلِّما لشاد الدواوين. وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت، وابن السعيد لنظر الدولة، وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين.

وفى يوم الأحد تاسع عشريه: خلع عليهم. فأقبل الناس إلى طلب الأمير صرغتمش للسعى فى الوظائف، فولى أسعد حربة استيفاء الدولة، وولّى كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش. وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين، وهم الفخر بن قزوينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة، والفخر مستوفى الصحبة، والفخر ابن الرضى كاتب الاصطبل، وابن معتوق كاتب الجهات، وأكرم الملكى. وطُلب التاج ابن لفيتة ناظر المتجر وناظر المطبخ، وهو خال ابن زنبور، فلم يوجد، وكسبت بسببه عدة بيوت حتى أخذ. وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة، وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة فأعياهم كثرة ما وجدوا له. وتتبِّعت حواشى ابن زنبور، وهُجمت دور كثيرة بسببهم، عدم لأربابها مال عظيم.

---

(١) بمديرية الغربية حاليا.

وفى يوم الإثنين مستهل ذى القعدة: قدم البريد من نائب حلب بمائة وعشرين منشورًا للتركمان، ويستأذن فى تجريد عسكر حلب إلى ابن دلغادر.

وفيه نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالمصاصة[١] وعدم منه ركغًا دُلَّ عليه، فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار حملها إلى القلعة. وطلب الأمير صرغتمش ابن زنبور، وضربه عريانًا، فلم يعترف بشىء، فنزل إلى بيته، وضرب ابنه الصغير وأمه تراه فى عدة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا؛ فأمر بها، فعُصِرت.

وأخذ ناظر الخاص فى كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم[٢] والقند[٣] والسكر والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع فى بيع ذلك. هذا، والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة، ليكون ذخيرة للسلطان. فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصافى والتفاصيل، وأوانى الذهب والفضة، والبلور والصينى والكفت، والسنجاب والملابس الرجالية والنسائية، والزراكش والجواهر واللآلىء، والبسط الحرير والصوف، والفرش والمقاعد، وأوانى الذهب والفضة زنة ستين قنطارا، ومن الجوهر زنة ستين رطلا، ومن اللؤلؤ كيل أردبين، ومن الذهب الهرجة[٤] مبلغ ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف دينار[٥]، ومن الحوائص ستة آلاف حياصة، ومن الكلفتاه الزركش ستة آلاف كلفتاه، ومن ملابس ابن زنبور نفسه عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط، ومن الصنج لوزن الذهب والفضة بقيمة خمسين ألف درهم، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش. ووُجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب عاملة ستة آلاف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمسة وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم فى السنة. ووُجد له مائة عبد، وستون طواشى وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب فى النيل، وأملاك قُوِّمت بثلاثمائة ألف دينار، ورخام بمائتى ألف درهم، ونحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدة خمسمائة. ووُجد له اثنان وثلاثون مخزنا، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف

---

(١) فى النجوم «بالصناعة» ٢١٩/١٠.

(٢) هو شجر يصبغ به، ويعطى لونا أحمر، ويسمى العندم.

(٣) هو عصارة قصب السكر.

(٤) انظر المواعظ الاعتبار ٢٩٢/٢.

(٥) فى النجوم «مائتى ألف دينار وأربعة الأف دينار»؛ ٢١٩/١٠

دينار. ووُجد له سبعة آلاف نطع [(١)] وخمسمائة حمار، ومائتا بستان، وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نهب، وسوى ما اختلس، على أن موجوده أبيع بنصف قيمته. ووُجد له فى حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألف درهم، وفى الأهراء نحو عشرين ألف أردب[(٢)].

وكان مبدأ أمره أنه باشر استيفاء الوجه القبلى، وتوجه إليه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزراق، وهو كاشف. فنهض فيه، وشكرت سيرته، إلى أن عرض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب فى أيام النشو ليختار منهم من يوليه كاتب الإصطبل؛ وكان ابن زنبور من جملتهم، وهو شاب، فأثنى عليه الفخر ناظر الجيش، وساعده الأكوز. فخلع عليه السلطان الناصر محمد، واستقر به كاتب الإصطبل، عوضا عن ابن الجيعان فنال فى مباشرة الإصطبل سعادة طائلة. وأعجب به السلطان لفطنته، وشَكَره مَنْ تحت يده، حتى مات السلطان الناصر محمد.

ثم استقرّ ابن زنبور مستوفى الصحبة فى أيام المنصور أبى بكر، وانتقل منها فى وزارة نجم الدين محمود وزير بغداد إلى نظر الدولة. ثم أخرجه جمال الكفاة لكشف القلاع، فقدم إلى مصر بعد موته. ثم استقر فى نظر الخاص بعناية الأمير أرغون العلائى؛ ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجمع بعد مدة إليهما الوزارة. ولم يتفق لأحد قبله بالجمع بين الوظائف الثلاث[(٣)].

وعظم ابن زنبور إلى الغاية، حتى إنه كان إذا خرجت الخيول لأرباب الوظائف من إصطبل السلطان، يخرج له ثلاثة أرؤس، وإذا خُلع عليه خلع عليه ثلاث خلع. ونفذت كلمته، وقويت مهابته، وفخمت سعادته، واتجر فى جميع الأصناف حتى فى الملح والكبريت، وربح فى سنة واحدة من المتجر زيادة على ألف ألف درهم، منها فى صنف الزيت الحار خاصة مائة ألف وعشرة آلاف. فكثرت حساده، وَعَادته الكتاب لضبطه، وأحصوا عليه جميع ما يتحصل له.

فلما ولى الأمير صرغتمش بعد الأمير شيخو رأس نوبة، أغروه به، فإنه كان يحمل لشيخو مال الخلص، وهو الذى عمر له العمارة التى على النيل من ماله، وكان يقوم له بما يفرقه من الحوائص على مماليكه ونحو ذلك، حتى تغيّر صرغتمش وصار صرغتمش

---

(١) بساط من أديم أو من جلد انظر محيط المحيط (نطع).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٠

يسمع شيخو الكلام الكثير بسببه، فيقول له: «قد كثرت القالة فيك بسبب ابن زنبور، وأنه يحمل إليك كل ما يتحصل من الخاص، وأنه قد كثر ماله. فلو مكنتني أخذت للسلطان مالاً ينقصه». فيدافع شيخو عنه، ويعتذر له بأنه إذا قبض عليه لا يجد من يسدّ مسدّه، وإن كان ولابد فيقُرر عليه النشو مال يحمله، وهو على وظائفه. وبينما هو فى ذلك إذ قدم خبر مخامرة بيبغا روس، فاشتغل عنه صرغتمش، وخرج إلى الشام، وفى نفسه منه ما فيها. وصار صرغتمش يتجّهم لابن زنبور، ويسمعه ما يكره، إلى أن أرجف بمسكه، وهو يسترضيه، ويحمل له أنواع المال فلا يرضى، حتى أعيى ابن زنبور أمره. وحدّث ابن زنبور شيخو بدمشق بما هو فيه مع صرغتمش، فطيب شيخو خاطره بأنه مادام حيا لا يتمكن منه أحد؛ فركن لقوله. وأخذ صرغتمش يغرى الأمير طاز بابن زنبور حتى وافقه على مسكه، فقوى به على شيخو؛ ووكّل بنقله لما توجه من دمشق من يحرسه، وهو لا يشعر[1]. فلما وصل السلطان خارج القاهرة أشيع أنه يعبر من باب النصر ويشق القاهرة، فاجتمع لرؤيته عالم عظيم، وأشعلوا له الشموع والقناديل. فدخل ابن زنبور على بغلة رائعة بزنارى أطلس، فى موكب جليل إلى الغاية، وبين يديه جميع المتعممين من القضاة والكتاب، وقد أعجب بنفسه إعجابًا كثيرًا، والناس تشير إليه بالأصابع. فكانت تلك نهايته، وقبض عليه كما تقدم.

وانتدب جماعة بعد مسك ابن زنبور للسعى فى هلاكه، وأشاعوا أنه وُجد فى بيته عدة صلبان، وأنه لما دخل إلى القدس فى سفرته هذه بدأ بكنيسة القيامة، فقبل عتبتها، وتعبّد فيها، ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء فى بابه، ولم يصلّ فيه، وكانت صدقته على النصارى بكنيسة القيامة، ولم يتصدق على أحد من فقراء المسلمين بالقدس. فأثبتوا فى ذهن صرغتمش أنه باق على النصرانية، ورتبوا فتاوى تتضمن أنه ارتد عن الإسلام. وكان أجلّ من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، وبدر الدين ناظر الخاص، والصوّاف تاجر صرغتمش. فأول ما بدأوا به من نكايته أن حسنوا لصرغتمش حتى بعث إليه الصدر عمر وشهود الخزانة، فشهدوا عليه فى مكتوب، أن جميع ما بيده من الدور والبساتين والأراضى - مَا وَقفه منها وما هو طلق - جميعه اشتراه من مال السلطان دون ماله، وأنه ملك للسلطان ليس فيه شىء قلّ أو جلّ. ثم حسّنوا له ضر به، فأمر به فأخرج بكرة يوم وفى عنقه باشة [2] وجنزير، وضرب عريانا قدام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أعيد إلى موضعه، وعُصر، وسقى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٢٠، ٢٢١

(٢) حلقة ذات عروة وزر، تجعل فى طرف القيد، فتحيط برسغ الدابة عند الربط. انظر محيط المحيط.

الماء والملح. ثم سُلّم لشاد الدواوين، وأُمِر بقتله، فنوَّع عقوبته. فمنع الأمير شيخو من قتله، فأمسك عنه، ورتب له الأكل والشرب، وغيرت عنه ثيابه، ونقل من قاعة الصاحب إلى بيت الأمير صرغتمش.

وفى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة: قبض على الأمراء قمارى الحموى، وشعبان قريب يلبغا، ومحمد بن بكتمر الحاجب، ومأمور، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، ماعدا شعبان فإنه أخرج إلى دمشق.

وفيه قدمت رسل الأشرف بن جوبان أنه يريد محاربة أرتنا نائب الروم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما، فأجيب عن ذلك.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: قدم الأمير ناصر الدين بن المحسنى.

وفى أول ذى الحجة: قُرِّر على أتباع ابن زنبور مال، وأفرج عنهم، فكانت جملة ذلك ستمائة وسبعين ألف درهم.

وفى خامسه: وصل أمير على الماردينى نائب الشام إلى دمشق، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازاندر متسفره، وركب أمير على الموكب على العادة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشريه: قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، من عند ابن دلغادر، وقد قبضهما. فدخلا حلب فى حادى عشريه، وسجنا بقلعتها، فأجيب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وأنه يشهّر المذكورين بحلب، ويقتلهما، وجهز لنائب حلب خلعة[1].

وفيه قدم الخبر من غزة بكثرة الأمطار التى لم يعهد بغزة مثلها، وأنه هدم عدة بيوت كثيرة منها على أهاليها، وسقط نصف دار النيابة، وسكن النائب بجامع الجاولى، وتلف ما زرع من كثرة المياه. ثم سقط ثلج كثير حتى تعدّى العريش.

وفيه كانت الأمطار بأراضٍ كثيرة جدا، وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل، وبأراضى الجيزة.

وأما النيل فإن القاع جاء ثلاثة أذرع وثلث، وتوقفت الزيادة أياما. ثم زاد فى كل يوم ما بين أربعين وثلاثين وعشرين أصبعًا، حتى كان الوفاء، فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة، وثالث عشر مسرى، ونودى بزيادة عشر أصابع من سبعة عشر ذراعا، وانتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٢/١٠.

وفيها وقع بدمشق حريق عظيم، عند باب جيرون، عدم فيه الباب النحاس الأصفر الذى لم يُرَ مثله، ويزعم أهل دمشق أنه من بناء جيرون بن سعيد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح.

وفيها ولى الأمير بكتمر المؤمنى شاد الدواوين، عوضا عن الأمير يلك أمير آخور بعد موته بغزة. وكان قد توجه إلى الحجاز، فتوجه النجاب لإحضاره حتى قدم، واستقرّ بعناية الأمير شيخو وتعيينه له.

وفيه تولى نظر خزانة الخاص قاضى القضاة تاج الدين محمد بن محمد بن أبى بكر الأخنائى، ثم استعفى منها بعد القبض على ابن زنبور، فولى عوضه تاج الدين الجوجرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

أرتنا نائب الروم من قبل بوسعيد.

وتوفى بدر الدين حسن بن على بن أحمد الْغزّى، المعروف بالزغارى، الدمشقى الأديب الشاعر، عن نيف وخمسين سنة بدمشق، فى ليلة الخميس حادى عشر رجب، ومولده سنة ست وسبعمائة[١].

وتوفى العضد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقى، شارح المختصر والمواقف. ولى قضاء مملكة أبى سعيد[٢].

وتوفى الأمير فاضل أخو بيبغا روس بحلب، وكان عسوفا.

ومات الأمير يلك[٣] أمير آخور بغزة، وهو عائد إلى القاهرة[٤].

وتوفى شمس الدين محمد بن سليمان القفصى، أحد نواب المالكية بدمشق.

وتوفى بهاء الدين محمد بن على بن سعيد، والمعروف بابن إمام المشهد، الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثامن عشرى رمضان، وقد أناف على الستين، وولى حسبة دمشق، وقدم القاهرة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٥/١٠.

(٢) كان إماما بارعا مفتيا فقيها مصنفا، وله اليد الطولى فى علم العقول وعلم المنقول. انظر النجوم الزاهرة ٢٢٥/١٠.

(٣) هو الأمير سيف الدين تلك بن عبدا لله الناجرى.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

وتوفى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر، المعروف بابن القيسرانى، كاتب السرّ بدمشق، وهو بطّال، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى ناظر الخزانة تاج الدين ابن بنت الأعز.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك الحسنى، والى دمياط. وكان فقيها شافعيا، شاعرًا أديبًا، نظم كتاب التنبيه فى الفقه، وكتب عدة مصنفات(١).

ومات الأمير منكلى بغا الفخرى، قدم الخبر بوفاته مستهل جمادى الأولى.

ومات الحاج عمر مهتار السلطان، يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى.

ومات سيف الدين خالد بن الملوك بالقدس، فى أول رمضان.

ومات الأمير تمر بغا، ليلة الأربعاء رابع عشرى رجب.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٦/١٠.

سنة أربع وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم، أوله الخميس:

فيه قدم الخبر من متولى مدينة قوص بقدوم رسل الملك المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول متملك اليمن، إلى عيذاب، بهدية. فتوجه الأمير آقبجا الحموى لملاقاتهم، وصحبته الإقامات من الأنزال والعلوفات والطبائخ، ونحو ذلك.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير قراجا بن دلغادر مقدم التركمان، فسرّ أهل الدولة بذلك.

وفيه قدم الأمير جنتمر أخو طاز برأسى الأمير بكلمش والأمير أحمد الساقى، وقد قتلا بحلب.

وفى هذا الشهر: حملت رُمَّتا والد الأمير طاز، وأخيه جركس. وكان أبوه قدم إلى مصر من بلاد الترك فى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، فتلقاه وأكرمه، وأدخله فى دين الإسلام وختنَه. ثم توجه أبوه هذا بعد مدة عائدًا إلى بلاده، بحجة أن يسوق بقية أهله، فهلك بالمعرة، ودفن بها، فبنى نائب حلب على قبره تربة. ثم لما توجه الأمير طاز بالعسكر إلى حلب، هلك أخوه جركس، فدفنه بالمعرة مع أبيه، ثم بدا له فى نقلهما إلى مصر، فنقلهما فى هذا الشهر، ودفنهما خارج باب المحروق، ظاهر القاهرة، فى تربة أنشأها هناك، ورتب بها القراء وغير ذلك من أرباب الوظائف، وجعل لها أوقافا دارة، وعمل لقدومهما عدة مجتمعات ختم فيها القرآن الكريم على قبريهما. وحضر تلك المجتمعات معه الأمراء والأعيان، فاحتفل لذلك احتفالا زائدا.

وفى ثامن عشره: قدم شيخ الشيوخ زكىّ الدين الملطى من بلاد الهند، فتلقاه طوائف الناس، وطلع قلعة الجبل. فخلع عليه بين يدى السلطان، وحمل على بغلة رائعة بزنارى، واستقرّ على ما كان عليه فى مشيخة الخانكاه الناصرية بسرياقوس. وقد تقدم سفره فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين، فكانت غيبته بالهند عشر سنين وتسعة أشهر، وعاد بغير طائل. و لم يرض الأمير صرغتمش بولايته.

وفى يوم السبت سابع عشريه: أعيد الوزير ابن زنبور إلى تسليم قشتمر شاد

الدواوين، وأمر بقتله، فعاقبه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل أشد عقوبة. فشق ذلك على الأمير شيخو، وعتب الأمير طاز والأمير صرغتمش، وأغلظ فى القول، ومنع من التعرض لابن زنبور، وأخرجه بعد المغرب من ليلة الإثنين تاسع عشريه، وحمله فى النيل إلى قوص. وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر.

ولما قدم الحاج أخبروا أن الشريف عجلان مضى قبل قدُوم الحاج إليه من مكة يريد جدة؛ لأخذ مكس التجار الواردين فى البحر. فبعث إليه أخوه ثقبة يطلب نصيبه من ذلك، فأبى عجلان أن يدفع له شيئًا، فركب إليه ولقيه. فلما نزلا غدر ثقبة بعجلان، وقبض عليه وقيده، وأسلمه لمن يحفظه، وركب ليأخذ أموال عجلان من وادى نخلة. فلما أبعد ثقبة فى السير أفرج الموكلون بعجلان عنه، وأطلقوه، فرمى نفسه على عرب بالقرب منه، وتذمّم منهم. فأنزلوه عندهم، وأركبوه ليلا، وصاروا به إلى بنى حسن وبنى شعبة؛ وأقام عجلان معهم خارج مكة حتى قدم الحاج. وكان قد بلغ ذلك ثقبة، فعاد يريد عجلان، ففاته.

ومن الأخبار كذلك أن الحاج لما قدم مكة لم يجد بها أحدًا من بنى حسن ولا من العبيد، وأن أسعار مكة رخية، وأن المجاهد باليمن منع التجار من المجىء إلى مكة غيظا من أمرائها.

وفى أول صفر: قام الأمير صرغتمش فى أمر أوقاف ابن زنبور يريد حلها وبيعها، وقد حسَّن له ذلك الشريف شرف الدين على بن الحسين بن محمد نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، ولقناه فى ذلك أمورا يحتج بها، منها أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما قبض على كريم الدين الكبير أراد أخذ أوقافه، فلم يوافقه على ذلك قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فندب السلطان من شهد على كريم الدين بإشهاده له على نفسه أن جميع ما ملكه من العقار وغيره - وقفُه وطلقُه - هو من مال السلطان دون ماله. فلما ثبت ذلك بطريقة صارت أملاك كريم الدين بأجمعها للسلطان، فأقرّ ما كان منها وقفًا على حاله، وسماه الوقف الناصرى، وتصرف فيما ليس بوقف.

فلما اجتمع القضاة الأربعة بدار العدل من قلعة الجبل فى يوم الخدمة السلطانية على العادة، كلمهم الأمير صرغتمش فى حل أوقاف ابن زَنبُور، فاشتدّ عليه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فى الإنكار لذلك، وساعده قاضى القضاة مُوَفَّق الدين عبد الله الحنبلى، وجبه صرغتمش بكلام خشن، وقال له: «أخربت البلد بشرّك يا

صبى». هذا وصرغتمش يحاججهم، ويذكر قضية أوقاف كريم الدين، فأجاباه بأن كريم الدين كانت بيده جميع أموال السلطان كلها، ما بين خزانته وحواصله ومتاجره، يتصرف فيها برأيه، فلهذا ساغ أن يثبت الإشهادُ عليه بأن جميع أملاكه وعقاراته وغيرها إنما هى من مال السلطان دون ماله. وأما مَن له مال من متجر، أو اكتسبه من مباشرة ونحوها، فليس لأحد أن يتعرض لماله، ولا يجوز نَقْضُ شىء وقفه من ذلك، ولا أخذُ ما ملكه أو وهبه من يد مَنْ هو فى أيديهم، فإن جميع تصرفاته فى ماله سَائِغةٌ بطريقها. فذكر لهم صرغتمش أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شاطر عماله، ومالُ الوزير جميعه إنما هو مال السلطان. فعرّض له قاضى القضاة عز الدين بذكر الشريفين على بن حسين وأبى العباس الصفراوى، وقال يا أمير: «إن كنت تبحث معنا فى هذه المسألة بحثنا معك، وإن كان أحد ذكرها لك فليحضر حتى نناظره فيها، فإنه ما قصد بذكر هذه المسألة إلا مصادرة سائر الناس، وأخذ أموالهم»، وقاموا على الامتناع والإنكار على من يريد هذا ونحوه.

وكان صرغتمش قد وعد أم السلطان بالدار المعروفة بالسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور، فبعث لقاضى القضاة عز الدين فى ذلك، فخوفها عاقبة ذلك، ومازال بها حتى أعرضت عن طلبه. فشقّ ذلك على الأمير صرغتمش، واشتدّ حنقه حتى مرض عدة أيام مرضًا خيف عليه منه، فتصدّق بأموال جزيلة على الفقراء، وافتك أهل السجون. وفى أثناء ذلك اتفق الأميران شيخو وطاز على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة، ليقلّ شره وتنحطّ رتبته، ويعود الأمير شيخو رأس نوبة. فلما عوفى صرغتمش نزل من القلعة إلى إصطبله المجاور لمدرسته، فأشعلت له الشموع، وفرح به سكان الصليبة، وتصدق صرغتمش بمال كبير.

وفيه اجتمع الأمراء بالقصر بين يدى السلطان، فى الخدمة على العادة، وذكروا أمر توقف حال الدولة من قلة حاصل بيت المال وخزانة الخاص، وأن الوقت محتاج إلى نظر الأمير شيخو. وكان الأمير شيخو منذ خرج من وظيفة رأس نوبة، ووليها الأمير صرغتمش، ترك التحدث فى أمر الدولة لصرغتمش، وصار كالمشير. فلما عينه الأمراء فى هذا اليوم للتحدث كما كان امتنع عليهم، فمازالوا به حتى ألبوه التشريف، وولى على عادته، بعد ما شرط عليهم ألا يتحدث أحد فى أمر جليل ولا حقير غيره، فأجابوا إلى ذلك.

وفيه خلع أيضًا على الأمير ناصر الدين محمد بن بدر الدين بيليك المحسنى، واستقر مشير الدولة، رفيقًا للصاحب موفق الدين، على قاعدة الأكوز فى الدولة الناصرية.

وفيه استقر سيف الدين قطلو شاد الدواوين أمير طبلخاناه، كما كان لؤلؤ مع الأكوز، وقيل للوزير ألا يفصل أمرًا دونهما، وخرجوا من الخدمة. فجلس ابن المحسنى من داخل الشباك بدار الوزارة من القلعة تجاه الوزير، وأمر بكتابة كلف الدولة. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخو، فصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات فى الإقطاعات، فبطل ذلك بعد ما كان قد فحش الأمر فيه، وأخذ كتاب الجيش منه مالا جزيلا. فتعطل كتاب الجيش بسبب ذلك ولاسيما بعد أن رسم لهم ألا يأخذوا رسمًا فى كل منشور أو محاسبة سوى ثلاثة دراهم، وكان رسم ذلك عشرين درهمًا.

وفيه استقرّ أن الوزير والمشير ونحوهما يحضرون كل يوم إلى مجلس الأمير شيخو، ويطالعونه بما تحصل وانصرف، ويحضر إليه ناظر الجيش من الأشغال ما شاء، حتى تعطل حكم الأمير قبلاى نائب السلطنة.

وفى ربيع الأول: ورد الخبر بوصول الصاحب علم الدين بن زنبور إلى قبرص سالما، وقد نفى إليها.

وفيه رُفعت يد ناظر الخاص من وقف الصالح إسماعيل وفُوِّض نظره إلى الأمير عز الدين أزدمر الخازندار.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير بيبغا روس إلى حلب وقتله، فكُتب إلى الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وعُمِل وحمل إليه تشريف، وأُمر أن يعمل الحيلة فى إحضار قراجا بن دلغادر، وجُهِّز إليه تشريف برسمه، وتقليد تقدمة التركمان فاستدعاه الأمير أرغون الكاملى نائب حلب ليلبس التشريف السلطانى، ويقرأ عليه التقليد بحضرة أمراء حلب، فاعتذر عن حضوره.

فلما قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بذلك، كتب له بالركوب إليه ومحاربته، فاعتذر بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سيّر إليه بيبغا روس لا يحاربه. فشقّ ذلك على الأمراء، وكتبوا إليه بالإنكار عليه، وجُهِّز له الأمير عز الدين طقطاى الدوادار، ومعه الكتب إلى نواب الشام بنجدة الأمير أرغون الكامل نائب حلب على قتال ابن دلغادر، فسار طقطاى فى يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الآخر.

وفيه انحطت رتبة الشريف أبى العباس الصفراوى، بمنع الأمير شيخو له من عبوره إلى داره وصعوده إلى القلعة. فثار عليه أعداؤه، ونفوه من الشرف، وشنعوا عليه؛ فالتجأ الشريف أبو العباس إلى الأمير طاز حتى كفّ عنه من يقاومه.

وفى يوم الخميس رابعه: سُمِّر عيسى بن حسن شيخ العايد.

وفيه أعرس الأمير أَخُو طاز بابنة الأمير آقسنقر، أنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتى قطعة قماش، وعمل له مهم جليل.

وفيه قدم من المدينة النبوية جماعة يشكون من قاضيها شمس الدين محمد بن سبع، فعين عوضه بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشّاب، فلم يجب حتى اشترط ألا يقيم بها سوى سنة واحدة، وأن تستقرّ وظائفه التى بالقاهرة بيد نوابه؛ فأجيب بدر الدين إلى ذلك، وولى قضاء المدينة.

وعزل أيضًا عن قضاء الإسكندرية لسوء سيرته، وولى عوضه الرَّبْعى.

وفيه استقر صدر الدين سليمان بن عبد الحق فى نظر الأحباس، عوضًا عن شمس الدين بن الصاحب.

وفى يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر: قدمت رسل المجاهد صاحب اليمن، ومعهم ابنه الملك الناصر، وعمره إحدى عشرة سنة. فأنزلوا بالميدان، ونزل إليهم الأمير طاز حتى عرضت عليه الهدية، ثم تمثلوا بين يدى السلطان بهديتهم، قَدْرُ ستين رأسًا من الرقيق بقية ثلاثمائة ماتوا، ومائتى شاش، وأربعمائة قطعة صينى، ومائة وخمسين نافجه [١] مسك وقرن [٢] زبّاد وعدة تفاصيل، ومائة وخمسين قنطارًا من الفلفل وأشياء ما بين زنجبيل وعنبر وأفاويه، وفيل واحد؛ وذلك سوى هدية لكل من الأمير شيخو، وطاز، وقبلاى نائب السلطنة، وللوزير علم الدين بن زنبور. فحملت الهدية السلطانية إلى الصاحب موفق الدين؛ فلم يرض الأمراء بذلك، فإن هدية المؤيد للملك الناصر محمد بن قلاوون كان فيها قدر ألفى شاش.

ومع ذلك فإنه أنفق على الرسل منذ قدموا عيذاب إلى وصلوا إلى الميدان نحو مائتى ألف درهم، وخلع على الجميع وتقرر لهم فى كل يوم خمسمائة درهم، ولم يبق أحد من الأمراء، حتى عمل لهم ضيافة.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: صلى قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة بالسلطان الجمعة على العادة، ثم اجتمع بالسلطان وعنده الأمير شيخو، واستعفى من القضاء، فإنه عزم على الحج والمجاورة، واعتذر بكبر سنه. فلم يجب إلى ذلك، فما زال يتلطّف ويترفق حتى أجيب، بشرط أن يعين للقضاء من يختاره. فعين صهره وخليفته

---

(١) النافجة هنا وعاء خاص من جلد، يوضع فيها المسك، ويقال إنها كلمة فارسية معربة، وجمعها نوافج. (محيط المحيط).

(٢) مكحلة لحفظ الزباد والزباد نوع من الطيب يستعمل لمداواة الزكام. محيط المحيط.

على الحكم قاضى العسكر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، فولاه السلطان القضاء، وأشهد عليه بذلك فى غيبته؛ وانفضوا على ذلك. فامتنع المناوى من القبول، فما زال به قاضى القضاة عزّ الدين حتى قَبل، فى يوم السبت ثامن عشره. وَوَلّى المناوى سهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى المعروف بالسَّين وغيره، فبادر الناس للسعى فى وظائفه، وكانت جليلة، وكتب المناوى لبهاء الدين أحمد بن تقى الدين بن على بن السبكى بقضاء العسكر.

وما أذّن عصر يوم السبت حتى اجتمع عند الأمير شيخو نحو ستين قصة رفعت إليه بالسعى فى وظائف المناوى، فقام قاضى القضاة جمال الدين عبد الله الحنفى، وقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، فى عود ابن جماعة إلى القضاء؛ ومازالا بالأمير شيخو حتى بعث بالأمير عز الدين أزدمر الخازندار إليه، فتلطف به إلى أن أجاب إلى استقراره فى القضاء على عادته، وأنه يتوجه إلى الحجاز، ويستخلف على الحكم والأوقاف إلى أن يعود أو تدركه الوفاة. فاستُدْعى ابن جماعة فى يوم الإثنين خامس عشريه، وجُدِّدت له ولاية ثانية، وخُلع عليه، ونزل فى موكب عظيم إلى داره.

وفى يوم السبت: المذكور توجه عز الدين أيدمر السِّنانى إلى الشام، وقدم الأمير طقطاى الدوادار من حلب، وقد ألزم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب حتى سار لحرب ابن دُلغادر وأتاه نواب القلاع حتى صار فى عشرة آلاف فارس، سوى الرجّالة والتركمان. ونزل الأمير أرغون الكاملى على الأبلستين، فنهبها وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر، وقد امتنع بجبل عال، فقاتلوه عشرين يومًا، فقتل فيها وجرح عدد كثير من الفريقين. فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا بن دلغادر، وقاتلهم صدرًا من النهار قتالا شديدًا، فاستحرّ القتل فى تركمانه، وانهزم إلى جهة الروم، فأخذت أمواله ومواشيه. وصعد العسكر إلى جبل، فوجدوا فيه من الأغنام والأبقار ما لا يكاد ينحصر، فاحتَوَوا عليها، بحيث ضاقت أيديهم عنها، وأبيع الرأس من البقر بعشرين إلى ثلاثين درهمًا، والرأس من الضأن بثلاثة دراهم، والإكديش من أربعين إلى خمسين درهمًا. وسبيت نساؤه ونساء تركمانه وأولاده، وبيعوا بحلب وغيرها بالهوان، فكانت خيار بناته تباع بخمسمائة درهم؛ وظفروا بدفائن فيها مال كبير.

وفى هذا الشهر: أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح فى الملة الإسلامية، فأحضر إلى القاضى تاج الدين المناوى، وسأله المناوى عن سبب قدومه، فقال: «جئت أعرفكم أنكم لستم على شىء، ولا دين إلا دين النصرانية، وما قلت هذا

إلاّ لكى أموت شهيدًا» فضربه المناوى بالمقارع ضربًا مبرحا مدة أسبوع، وهو يقول: «عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء»، فيقول له: «ما أعجل عليك غير العقوبة» ثم ضُربت عنقه، وأحرقت جثته.

وفيه قدم البريد من حلب بأن ابن دلغادر لما انهزم تبعه العسكر، وأسروا ولديه ونحو الأربعين من أصحابه، ونجا بخاصة نفسه إلى ابن أرتنا، وقد سبق الكتاب إليه بإعمال الحيلة في قبضه. فأكرمه ابن أرتنا وآواه، ثم قبض عليه وحمله إلى حلب، فدخلها وسجن بقلعتها فى ثانى عشرى شعبان. فكُتب إلى الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بحمله إلى مصر، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم، منها ثلاثمائة ألف من مال دمشق، وباقيه من مال حلب. وأعفى الأمير أرغون من تسيير القَود الذى جرت عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال البخاتى والهجن والعراب [1] ومن البغال والقماش والجوارى والمماليك، وقيمته خمسمائة ألف درهم. فعظم بذلك شأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، فإنه مع صغر سنه كان له أربعة مماليك أمراء، وله ولد عمره ثلاث سنين أمير مائة مقدم ألف، فلما مات هذا الولد أضيفت تقدمته إلى إقطاع النيابة، وكان لأربعة من أخوته القادمين من البلاد وأقاربه أربع إمرات.

وفى ثالث جمادى الآخرة: سافر الأمير حسام الدين طرنطاى إلى البلاد الشامية، بعدة خيول لنواب الشام.

وفى خامسه: عزل الأمير بكتمر المؤمنى أمي آخور، واستقر عوضه الأمير قندس.

وكان من خبر آل مهنا أنهم قووا وفخم أمرهم، حتى صار من أولاد مهنا بن عيسى وأولادهم نحو مائة وعشرة، ما منهم إلا ومن له إمرة وإقطاع. فبطروا، وشنّوا الغارات على البلاد، وقطعوا الطرقات على التجار حتى امتنعت السابلة، وذلك بعد موت السلطان الملك الناصر محمد فقبض على فياض وسجن، واستقرت الإمرة لأخيه جبار، فسكن الشر، وسافرت القوافل. ثم خلص فيَّاض من السجن، بشفاعة الأمير مغلطاى أمير آخُور، وركب من القاهرة، ولحق بأهله، فلما خامر بيبغا روس كُتب له بالإمرة، فبعث أولاده بتقدمته. ثم قدم سيف بن فضل، فولى الإمرة، وعُزل فياض، فلم يحرك ساكنا حتى توجه الأمير أرغون الكاملى نائب حلب لقتال ابن دلغادر، فكثر طمعه وفساده. ثم ركب جبار وفياض ابنا مهنا إلى إقطاعاتهم التى خرجت عنهم لسيف بن فضل وبريد بن تتر، وقسموها ورفعوا مغلاتها. فلم يُطق سيف معارضَتهم، لقوتهم

---

(١) هى الخالصة الخالية من التهجين. انظر محيط المحيط (عرب).

وكثرة جمعهم، فبعث يعرفهم أن هذه البلاد قد أقطعها له السلطان، فردّا عليه جوابا جافيا. فكتب إليهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب يعتب عليهما، فلم يذعنا له، فكتب إلى السلطان والأمراء بذلك، فكتب إليهما بالقدوم إلى الحضرة، فاعتذرا عن الحضور. فتوجه الأمير قشتمر الحاجب لإحضار الجميع على البريد فى نصف شعبان، فلم يوافقاه، وأجابا بالاعتذار، فعاد قشتمر. وقدم عمر بن موسى بن مهنا به بقوده، وسعى فى الإمرة، فأدركه سيف بن فضل بعد حضور الأمير قشتمر، وسعى حتى استقر على إمرته شريكا لعمر بن موسى.

وفيه أيضًا كثر عبث العربان ببلاد الصعيد، وقووا على المقطعين، وقام من شيوخهم رجل أحدب، فجمع جمعًا كبيرًا، وتسمى بالأمير. فقدم الخبر فى شعبان بأنهم كبسوا ناحية ملوى، وقتلوا بها نحو ثلاثمائة رجل، ونهبوا المعاصر، وأخذوا حواصلها وذبحوا أبقارها، وأن عرب منفلوط والمراغة وغيرهم قد نافقوا، وقطعوا بعض الجسور بالأشمونين. فوقع الاتفاق على الركوب عليهم بعد تخضير الأراضى بالزراعة، وكتب إلى الولاة بتجهيز الإقامات.

وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة: عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التى عمرها برأس الصليبة عندما كملت، حضرها السلطان وجميع الأمراء، فلما انقضى السماط قدّم الأمير طاز للسلطان أربعة أرؤس خيل مسرجة ملجمة بسروج ذهب وكنابيش ذهب مطرز، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين، ولمن عداهما من الأمراء كل واحد فرسًا، ولم يعهد قبل ذلك أن أحدًا من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير.

وفيه ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس، ومعه محضر ثابت على قاضيها، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت بثلاثة أزواج ولم يقدر واحد منهم على بكارتها، من غير مانع منهم، وظنوا أنها رتقاء وطبقوها واحدًا بعد واحد. فلما بلغت خمس عشرة سنة غر ثدياها، واعتزاها النوم ليلا ونهارًا، وصار يخرج من فرجها شىء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وأنثيين فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع، ولم يبق إلا العقد عليها، فأطلعت أمها على أمرها، فاشتهر ذلك بطرابلس، وأعلم به الأمير أيتمش النائب، فكتب به محضرًا وجهزه إلى السلطان.

وبرز المذكور بين الناس، وتسمى عبد الله، وسار إلى دمشق، ووقف بين يدى نائبها أمير على، فسأله عن حاله فأخبره بما ذُكر فأخذه الحاجب كجكن عنده، وأخبر أنه احتلم ثلاث مرات منذ صار ذكرًا، فى مدة ستة أشهر. ثم نبتت له لحية سوداء، وصار

من جملة الأجناد، و لم تبق فيه من سمات النساء شيء سوى كلامه، فإن فيه أنوثة فكتب بإحضاره إلى مصر، فكان هذا من عجائب صنع ا لله. وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير فى تاريخه أنه اجتمع به.

وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة، وكانت تعمل بدار الطراز، فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم. وأضيف إليها أراضى أُخر مما تغل فى السنة مبلغ ستين ألف درهم واستقر نظرها لوكيل بيت المال فاستمر ذلك فيما بعد.

وفيه قدم الأمير طيبغا المجدى من دمشق، فلزم بيته، وبقى على إقطاعه الذى بدمشق.

وفى يوم الخميس خامس عشرى رمضان: وصل مقدم التركمان قراجا بن دلغادر، وهو مقيد فى زنجير، فأقيم بين يدى السلطان، وعددت ذنوبه. ثم أخرج إلى الحبس، فلم يزل به إلى أن قدم البريد من حلب بأن جبار بن مهنا استدعى أولادا بن دلغادر فى طائفة كبيرة من التركمان؛ لينجدوه على سيف. وكان سيف قد التجأ إلى بنى كلاب، فالتقى الجمعان على تعبئة، فانكسر التركمان وقتل منهم نحو سبعمائة رجل، وأخذ منهم ستمائة إكديش. فكتب السلطان من سرياقوس - وكان بها - إلى النائب قبلاى بقتل ابن دلغادر، فأخرجه من السجن إلى تحت القلعة ووسّطه، فى يوم الإثنين رابع عشر ذى القعدة، بعد ما أقام مسجونًا ثمانية وأربعين يوما.

وفيه عزل ركن الدين عن مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس، وأعيد.

وأما العربان، فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدى السلطان فى أمرهم، فتقرر الحال على التجريد إليهم، فرسم للأمير سيف الدين بزلار العمرى أن يتوجه إلى قوص بمضافيه، وللأمير سيف الدين أرلان والأمير قطلوبغا الذهبى أن يتوجها بمضافيهما إلى الواح، وتتمة ثلاثة عشر مقدمًا بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه، وأن يكون مقدمهم الأمير شيخو، وجهزت الإقامات برًا وبحرًا. فأخذ العرب حذرهم، فتفَرقوا واختفوا، وقدمت طائفة منهم إلى مصر، فأخذوا، وكانوا عشرة. فقُبض ما وجد معهم من المال، وحمل لأمير جندار، فإنهم كانوا فلاحيه، وأتلفوا.

فلما برز الحاج إلى بركة الحجاج ركب الأمير شيخو، وضرب حلقة علىٍ الركب، ونادى من كان عنده بدوى وأخفاه حلّ دمه، وفتش الخيام وغيرها، فقُبض على جماعة، فوسط بعضهم وأفرج عن بعض. ثم لما عاد السلطان إلى الجيزة كُبِسَتْ تلك النواحى، وحُذّر الناس من إخفاء العربان، فأخذ البَحْرى والبرى، وقُبضت خيول تلك

النواحي وسيوف أهلها بأسرها. وعُرضت الرجال، فمن كان معروفا أفرج عنه، ومن لم يعرف أُقر فى الحديد، وحمل إلى السجن. ورسم أن الفلاحين تبيع خيولهم بالسوق، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج فبيعت عدة خيول، وأورد أثمانها للمقطعين، والفرس الذى لم يعرف له صاحب حمل إلى إصطبل السلطان.

وكتب للأمير عز الدين أزدمر، الكاشف بالوجه البحرى، أن يركب ويكبس البلاد التى لأرباب الجاه، والتى يأويها أهل الفساد. فقبض على جماعة كثيرة ووسطهم، وساق منهم إلى القاهرة نحو ثلاثمائة وخمسين رجلا، ومائة وعشرين فرسا، وسلاحا كثيرا. ثم أحضر الأمير أزدمر من البحيرة ستمائة وأربعين فرسا، فلم يبق بالوجه البحرى فرس؛ ورُسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم، فركب الأميران طاز وصرغتمش بمن معهما إلى البلاد، وقد فرّ أهلها، واختفى بعضهم فى حفائر تحت الأرض. فقبضوا النساء والصبيان، وعاقبوهم حتى دلوهم على الرجال، فسفكوا دماء كثيرين، وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفى، وأخذت عدة أسلحة.

واتفق بناحية النحريرية أنه شُهد على بعض نصاراها أن جده كان مسلما، فحكم قاضيها بإسلامه، وجبسه حتى يسلم. فاجتمع النصارى إلى الوالى، وأخرجوا الحبيس ليلا، فتصليحت العامة من الغضّ بالقاضى. فغضب الوالى من ذلك، وطلب القاضى لينكر عليه ما فعله فقامت العامة مع القاضى، وأغلقوا الحوانيت، واجتمعوا ليرجموا الوالى. فجمع لهم الوالى أيضًا ليوقع بهم، فحملوا عليه وهزموه حتى خرج من البلد، وهدموا كنيسة كانت بها حتى لم يبق بها جدار قائم، وأحرقوا ما بها من الصلبان والتماثيل، وعمروها مسجدا. ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وهمّوا يأخذون النصارى، فهربوا منهم، وكان يوما مهولا. فكتب الوالى إلى الأمراء والوزير بالشكاية من القاضى، وأنه ضيّع مال السلطان، وهو خمسمائة ألف درهم، بتعرضه للنصرانى حتى ثارت بسببه الفتنة. وكتب النصارى أيضًا إلى الحسام أستادار العلائى - وقد ترقى حتى صار أمير طبلخاناه - ، فقام مع النصارى، وحدّث الأمير شيخو، وشنع على القاضى، وسعى فى إلزامه بإعادة الكنيسة من ماله. فطُلب القاضى والوالى فحضرا، وعُقد مجلس حضره القضاة الأربعة بجامع القلعة، ومعهم الوزير وغيره من أهل الدولة، فانتصب الحسام لمخاصمة قاضى النحريرية، ومازالوا حتى انفضوا على غير رضى، فأغرى الأمير شيخو بقيام القضاة مع قاضى النحريرية، وهوّل الأمر، فانعقد المجلس بين

يديه، وقد امتلأ غضبًا على القاضى. فعندما استقر بهم المجلس أغلظ شيخو على القاضى، وأخذ الحسام ينهره ويخزّيه بالقول، وساعَده على هذا الأمير عز الدين إزدمر كاشف الوجه البحرى حتى يتبين الغرض. فامتعض لذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد شيخ الجامع الشيخونى يومئذ، وله اختصاص زائد بالأمير شيخو، وأخذ يتكلم معه بالتركية فى إنكار ما قام فيه الحسام من إعادة الكنيسة، وتعصبه على القاضى للنصارى، وخوف الأمير عاقبة ذلك. فشاركه الحسام فى الكلام مع الأمير، وجرى على عادته فى إعادة الكنيسة، فصدعه الأكمل بالإنكار، وزجره ومنعه من الكلام فى هذا، وقال له: «ما يحل السلام عليك، فإنك قد خرجت من الإسلام بتعصبك للنصارى». ومازال الشيخ أكمل الدين يلحّ فى الكلام حتى رسم الأمير شيخو بالكشف عن الواقعة، لينظر من تعدى من الرجلين - القاضى أو الوالى، ووكل بهما من يحفظهما حتى يحضر الكشف [1] عن أمرهما. فلما حضر الكشف من والى المحلة، وكان قد حَسَّن أمرهما بأن ذكر أن كلا منهما أساء التدبير، رُسم بعزل الوالى والقاضى.

وفيه رسم بتجريد أجناد الحلقة إلى بلاد الصعيد، فعرض النائب قبلاى مقدمى الحلقة وعين منهم تسعين مقدما، اختار منهم خمسة وعشرين مقدما، مع كل مقدم عشرون من أجناد الحلقة؛ لتكون عدة الجملة خمسمائة فارس، فبينما هم فى تجهيز أمرهم إذ ورد كتاب الأمير بأنه لا يحتاج إلى ذلك، فبطلت تجريدتهم.

وفيها كثرت المناسر بظاهر القاهرة فى مدة غيبة السلطان، وكبسوا عدة دُور، وركبوا الخيل، وضاقت بهم الرجالة، فعظم الضرر بهم. وتتبع الوالى آثارهم حتى ظهر أنهم فى ناحية بلبيس، فكبس عليهم، وقبض منهم جماعة اعترفوا بعد عقوبتهم على بقية أصحابهم؛ فتتبعهم الولاة بالنواحى حتى أخذوهم. ورتّب فى أثناء ذلك أربعة أمراء، وأضيف إليهم عدة من أجناد الحلقة؛ للطواف بالليل خارج القاهرة. وركب الوالى بجماعته طول الليل فى القاهرة، وسُمِّر عدد كثير من أهل الفساد بالقاهرة، وَوُسِّط خلق فى النواحى. وكتب إلى جميع أعمال الوجه البحرى بألا يدعوا عندهم مفسدًا، ولا أحدًا ممن يتجمع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم، ومن آواهم حلّ دمه. وحُذِّر أيضًا من اقتناء الخيل بجميع الأعمال، وألزموا بإحضارها. فاشتد طلب الولاة لذلك، وقُبض على جمع كبير، وأخذت خيول وأسلحة كثيرة.

---

(١) يقصد به التحقيق فى مسألة معينة.

وفيها استسقى أهل دمشق؛ لتأخر نزول المطر بعامة بلاد الشام، حتى بلغت الغرارة من القمح إلى مائة وعشرين درهما، بعد ما كانت بثمانين درهما. فأغيثوا من ليلتهم، وأمطروا كثيرا مدة أسبوع، فنزل سعر القمح فى يومه عشرين درهما للغرارة.

وفيها كثرت تزويرات المساطير [١] وغيرها، فقام فى ذلك قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وتحدث مع الأمير شيخو فيه حتى رسم له بالفحص عن ذلك، ومقابلة من يفعله بما يستحقه. فكبس قاضى القضاة عدة بيوت، وأخرج منها تزاوير كثيرة، وقبض على جماعة وعاقبهم وسجنهم، و لم يقبل فيهم شفاعة أحد من الأمراء. واشتدّ الطلب على ابن أبى الحوافر، فإنه كان عجبا فى محاكاة الخطوط، وكبست داره، فوجد فيها من تزويره كتب كثيرة، و لم يقدر عليه لاختفائه.

وفيها قدم نفيس الدوادارى الداودى اليهودى التبريزى؛ لمعالجة الأمير قبلاى النائب من ضربان المفاصل، ومعه ولدَاهُ، وهو فى خنزوانة وتعاظم. فادعى دعوى عريضة، وأراد أن يركب بغلة، فلم يمكن من ذلك.

وفيها ولدت امرأة طفلين ملتصقين، لكل منهما ثلاثة أيدى وثلاثة أرجل، وليس لهما قُبُل ولا دُبُر.

وفيها انحطت الأسعار بأرض مصر، حتى بيع الأردب من القمح من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهما.

وفيها فشت الأمراض فى الناس بالإسكندرية والوجه البحرى كله والقاهرة مدة شهرين، وبلغ عدة الموتى فى كل يوم ما بين الخمسين إلى الستين.

وفيها وُلد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون [٢].

وفيها توجه ركب الحجاج صحبة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب، وحجّ من الأمراء الأمير سيف الدين كشلى، والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين طقطاى، والأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقى، والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر، وحجّ الخليفة المعتضد بالله أبو بكر،

---

(١) هو ما يكتبه مدين على نفسه لدائن مثلا بمبلغ ما عليه من زين، وبميعاد الوفاء المتفق عليه.

(٢) الأشرف شعبان (٧٥٤-٧٧٨هـ= ١٣٥٣- ١٣٧٧م) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧، ابن إياس ٢١٢/١، حسن المحاضرة ١٠٤/٢، الدرر الكامنة ١٩٠/٢، البداية والنهاية ٣٠٢/١٤-٣٣٢؛ الأعلام ١٦٤/٣.

وحجّ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل. وأسرّ السلطانُ والأمراء مدبرو الدولة إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على الشريف ثقبة، ويقرّرُوا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بَطْن مرّ، ومضى عجلان إلى لقائهم شكا إلى الأمراء من أخيه ثقبة، وذكر ما فعله معه، وبكى. فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم ثقبة فى قواده وعبيده، فألبسوه خلعة على العادة، ومضوا حافين به نحو مكة، وهم يحادثونه فى الصلح مع أخيه عجلان، ويحسِّنون له ذلك، وهو يأبى موافقتهم حتى أيسوا منه. فمدّ الأمير كشلى يده إلى سيفه فقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه، وأخذوه ومعه ابن لعطيفة، وآخر من بنى حسن، وكبلوهم بالحديد، ففرّ القواد والعبيد. وأحضر عجلان، وألبس التشريف؛ وعبروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان. وسُلم ثقبة للأمير أحمد بن آل ملك، فسرّ الناس بذلك. وكثر جلب الغلال وغيرها، فانحل السعر عشرين درهما الأردب. وقُبض على إمام الزيدية أبى القاسم محمد بن أحمد اليمنى، وكان يصلى فى الحرم بطائفته، ويتجاهر، ونصب له منبرًا فى الحرم يخطب عليه يوم العيد وغيره بمذهبه. فضُرب بالمقارع ضربا مبرحًا ليرجع عن مذهبه، فلم يرجع وسجن، ففرّ إلى وادى نخلة، فلما انقضى موسم الحاج حمل الشريف ثقبة مقيدًا إلى مصر.

وبلغ النيل فى زيادته إلى ستة عشر أصبعًا من تسعة عشر ذراعا، بعد ما توقف فى ابتداء الزيادة. وكان الوفاء يوم الأحد تاسع رجب، وهو ثامن عشر مسرى، وفتح الخليج على العادة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن هم ذكر

ومات فيها أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر، وولى نظر الجيش فى أيام الصالح إسماعيل، ثم عزل وتوجه إلى القدس حتى أقدم الأمير شيخو، وعمله ناظر ديوانه، فمات قتيلا بحلب فى رابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكلمش نائب طرابلس، فى أول المحرم. وأصله من مماليك صاحب ماردين، بعثه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فترقى فى خدمته، وأنعم عليه إلى أن ولى نيابة طرابلس فى الأيام المظفرية، وكان من أمره ما ذكره.

ومات الأمير أحمد بن الساقى نائب حماة، فى أول المحرم. وأصله من الأويرانية، وبعثه نائب البيرة فى الأيام الناصرية، فأعطاه السلطان للأمير بكتمر الساقى؛ ثم أنعم عليه

السلطان بعد موت بكتمر بإمرة عشرة، ولقبه بأحمد الساقى، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وعمله شاد الشراب خاناه. وتنقل بعد موت السلطان، فعمل أمير شكار فى الأيام المظفرية، ثم أخرج لنيابة صفد، ثم ولى نيابة حماة، حتى كان من أمره ما كان، وكان شجاعًا أهوج جهولا مقداما.

ومات الأمير بيبغا روس القاسمى، أحد المماليك الناصرية. توفى السلطان الناصر محمد ابن قلاوون وهو من خاصكيته، فترقى حتى صار فى الأيام الصالحية إسماعيل أمير طبلخاناه، وتمكن منه حتى كان الصالح لا يفارقه ساعة واحدة. ثم أنعم عليه فى الأيام الكاملية شعبان بتقدمة ألف، ثم كان من قبضه على المظفر حاجى ما كان.

ثم ولى فى الأيام الناصرية حَسَن نيابة السلطنة، فَشُكَرت سيرته فيها، ثم قُبض عليه بطريق الحجاز وسجن، ثم أفرج عنه. وولى نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان حتى لحق بقراجا بن دلغادر، فأخذه وبعث به إلى حلب، فقتل بها (١).

ومات الأمير ألجيبغا العادلى، فى سابع ربيع الآخر بدمشق؛ وكان فارسا جوادًا (٢).

ومات الأمير شعبان قريب يلبغا اليحياوى. وكان من جملة خواص ألماس الحاجب، فسجن عند مسكه مدة، ثم نفى إلى صفد. وأنعم عليه بعد مدة بإمرة، وتوجه إلى حلب فى نيابة يلبغا اليحياوى، ثم سجن بعد موت يلبغا اليحياوى مدة، ثم أفرج عنه، وأُنعم عليه بإمرة، وقدم مصر، ثم توجه إلى دمشق، فمات بها.

ومات الأمير بيغرا المنصورى أحد أمراء الألوف بديار مصر، وهو بطال بحلب، وكان خيِّرًا، وولى الحجوبية بمصر، فشكرت سيرته لجودة عقله (٣).

ومات الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير الرومى، فى سابع شوال، ومولده ليلة السبت سابع جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق. ترقى فى خدمة الأمير تنكز نائب الشام، وولى حاجبا بالقاهرة، ثم ولى نيابة غزة وطرابلس غير مرة؛ وكان مشكورا(٤).

ومات الشريف أمير ينبع عيسى بن حسن الهجان، فى رابع ربيع الآخر.

ومات قراجا بن دلغادر فى رابع عشر ذى القعدة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠، ٢/٣٥٢، ٤٣٧، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥٥٩، ٥٧١، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٧٢، ٦٨٤، ٦٨٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

ومات الشيخ إبراهيم بن الصائغ، فى رابع عشرى رجب.

ومات عمر بن مسافر الخواجا ركن الدين، أستاذ الأمير شيخو وغيره من المماليك العمرية، فى عشرى ربيع الآخر.

ومات الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور بقوص، فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة.

ومات أسعد خربه، مستوفى الصحبة، وهو أحد مسالمة الكتاب، فى عشرى ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبى، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عبد الوهاب الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح، كاتب سرّ حلب بها [١].

ومات صدر الدين محمد بن الشرف محمد بن إبراهيم بن أبى القاسم الميدومى[٢] أبو الفتح الشيخ المُسْنِد المُعَمّر. حَدّث عن النجيب وغيره. ومولده سنة أربع وستين وستمائة. حدثنا عنه شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن [٣].

وتوفى إمام الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون إمام الدين بن زين الدين بن المحدث أمين الدين أبى المعالى بن الإمام القدوة قطب الدين أبى بكر بن الفقيه أبى العباس القيسى القسطلانى، بالقاهرة فى المحرم، ومولده بمكة سنة إحدى وسبعين وستمائة[٤].

ومات جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الإمام شمس الدين أبى محمد أبى عبد الله ابن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن سلطان المقدسى النابلسى، ثم الدمشقى الحنبلى، فى رجب. ومولده بنابلس، فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، حدث عن جماعة[٥].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٨٨.

(٢) نسبة إلى ميدوم، إحدى قرى بنى سويف .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠.

ومات الفقيه المحدث تقى الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم الطائى.

ومات القيراطى المصرى ثم الدمشقى الشافعى، فى شوال. حدّث بالقاهرة ودمشق، ودرس بهما.

وقتل حسن بن هند[1]، وهو الحاكم بمدينة سنجار، وبالموصل، قتله صاحب ماردين، وكانت عساكر الشام حاصرته، ثم عادت عنه.

* * *

(١) فى النجوم «حسن بن هندوا» ٢٣٠/١٠.

سنة خمس وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم أوله يوم الأحد وفى ثامن عشره: قدم الحاج، ولم يتفق بمثل هذا فيما سلف، وهلك جماعة من المشاة، وقدم الشريف ثقبة مقيدًا، فسجن.

وفى ثامن عشريه: قدم الأمير شيخو، بمن معه من بلاد الصعيد. وكان من خبره أن العربان بالوجه القبلى خرجوا عن الطاعة، وسفك بعضهم دماء بعض، وقطعوا الطرقات، وأخذوا أموال الناس، وكسروا مغلّ الأمراء والأجناد. وقتلوا الكاشف طغاى، وكسروا مجد الدين موسى الهذبانى، وأخذوا خامه وقماشه، وقتلوا بعض أجناده. وقام فى البهنساوية ابن سودى، وحشد على بنى عمه، وقتل منهم نحو الألفى رجل، وأغار على البلاد، وأكثر من القتل والنهب. ونافق أيضًا ميسرة بالأطفيحية، واقتتل مع ابن مُغنى قتالا كبيرا فاستمر هذا البلاء بالصعيد سنة كاملة، هلك فيها من العربان خلائق كثيرة؛ فمازال السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسوس الأمر حتى سكنت تلك الفتن، وتتبع أهل الفساد، وحرث ديارهم بالأبقار، وأفناهم بالقتل. ثم ثاروا بعد ذلك، وركبوا على بيبغا الشمسى الكاشف، وحاربوه، وتجمعوا على الفساد، ثم تبع ذلك قيام الأحدب، واسمه محمد بن واصل، ولم يكن أحدب ولكن أَقفَص، فشُهر لذلك بالأحدب، وقام الأحدب هذا فى عرب عرك بناحية [..[1]]، وقاتل بنى هلال. فلما تغافل أهل الدولة بعد موت السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن أهل النواحى، قلت مهابة الكشاف والولاة عندهم، فخرجوا عن الحد، وقطعوا الطرقات برًا وبحرًا حتى تعذر سلوكها. ومالوا على المعاصر والسواقى، فنهبوا حواصلها من القنود والسكر والأعسال، وذبحوا الأبقار.

وادعى الأحدب السلطنة، وجلس فى جتر أخذه من قماش الهذبانى، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومدَّ السماط بين يديه، فنفذ أمره فى الفلاحين. وصار الجندى إذا انكسر له خراج قصده، وسأله فى خلاصه من فلاحه، فيكتب له ورقة لفلاحه وأهل بلده، فيصل بها إلى حقه، ويرسل مع مماليك الكاشف والوالى بالسلام عليه، ويأمره أن يقول: «إن كانت لك حاجة قضيتها لك». وحدثته نفسه بتملك الصعيد، وقويت نفسه بتأخر ولاة الأمور عنه، وأقام له حاجبًا وكاتبًا.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فلما عظم أمره عقد الأمراء المشور بين يدى السلطان الملك الصالح، فى مستهل شوال سنة أربع وخمسين وسبعمائة، فى أمر عرب الصعيد. وقرروا تجريد العسكر لهم، صحبة الأمير سيف الدين شيخو العمرى رأس نوبة، ومعه اثنى عشر مقدما بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وهم أسندمر العمرى وطشتمر القاسمى، وقطلوبغا الطرخانى، وأرلان، وبزلار أمير سلاح، وكلتاى أخو طاز، وأمير على بن أرغون النائب، وتنكز بغا، وجركتمر، ويلجك قريب قوصون، وقطلوبغا الذهبى، وأن يتوجه كلتاى وابن أرغون النائب نحو الشرق بالإطفيحية، ويتوجه يلجك إلى الفيوم، وبزلار وأرلان نحو الواح، ويتوجه الأمير شيخو ببقية الأمراء إلى جهة قوص، ويتأخر فى صحبة السلطان عند سفره الأمير طاز، والأمير صرغتمش، والأمير قجا أمير شكار. فيتوجه السلطان نحو البهنسا كأنه يتصيد، وأن يكون السفر فى ذى القعدة، فيتوجه الأمراء أولا، ثم يركب السلطان بعدهم.

فطار الخبر إلى عامة بلاد الوجه القبلى، فأخذ العربان حذرهم، فمنهم من عزم على الدخول بأهله إلى بلاد النوبة، ومنهم من اختفى فى موضع أعده ليأمن فيه على نفسه، ومنهم من عزم على الحج وقدم إلى مصر، ففطن بهم أعداؤهم، ودلوا عليهم الأمراء. فقُبض على جماعة ممن قدم مصر نحو العشرة، وأخذ ما معهم. ثم ركب الأمير شيخو إلى بركة الحاج فى عدة وافرة، وأحاط بالركب، وتتبع الخيام وغيرها بعد ما حذّر من أخفى العرب، فقُبض على جماعة منهم، وقُتل من عرف منهم بفساد، وأُطلق من شكر حاله.

ثم توجه الأمراء فى ذى القعدة، وعدّى السلطان بمن معه من بقية الأمراء إلى برّ الجيزة، فكبست بلاد الجيزة، بعد ما كتب لمتوليها ومشايخها وأرباب أدراكها أنهم لا يخفون أحدًا من العرب، ولا من أولادهم ونسائهم، فأخذ الصالح والطالح. وقبض الأمراء على الخيول والسيوف، حتى لم يبق ببلاد الجيزة فرس ولا سيف، وأحضروا أصحابها إلى الوطاق. واستدُعى الوالى ومشايخ العربان، وعُرض من قبض عليه، فمن عرفوه أنه من أهل البلاد أفرج عنه، ومن لم يعرفوه قُيِّد وحُمل إلى القاهرة فسجن بها. وعُرضت الخيول، فمن عُرف فرسه من الفلاحين رُسم له ببيعها فى سوق الخيل تحت القلعة، وحمل ثمنها إلى الديوان مما عليه من الخراج. ورُسم بمثل ذلك فيما يحضر من خيول فلاحى بقية النواحى، أى أنّ الفلاح يبيعها ويورد ثمنها فيما عليه من الخراج، إما للأمير أو للجندى. فامتثل ذلك وعمل به، وسيقت خيول المفسدين، ومن لم يعرف له صاحب حُمل إلى إصطبل السلطان.

ونُدب الأمير عز الدين أزدمر كاشف الوجه البحرى للسفر إلى عمله، فكبس البلاد المتجوّهة، والتى تُعرف بأنها مأوى المفسدين فى عامة الشرقية والوجه البحرى بأجمعه. وأحسن أزدمر التدبير فى ذلك، فإنه كتب لجميع الولاة أن يلاقوه فى البرّ والبحر، وواعدهم يومًا عيَّنه. وكان الوالى بالغربية فى بَرَّه، والكاشف والولاة وأرباب الأدراك مقابله، ومنعوا الناس كلهم من ركوب النيل، فأخذ الوالى عربا كثيرا، وكبس بلادا عديدة، وأخذ منها المفسدين، فوسّط وسمَّر جماعات منهم، وسير إلى القاهرة مائة وخمسين رجلا فى الحديد، ومائة وعشرين فرسًا، وسلاحًا كثيرًا. وأرسل متولى البحيرة من خيل عربها ستمائة وأربعين فرسًا، فلم يتأخر فى الوجه البحرى فرس واحد من خيول العربان. ورسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

وتوجه السلطان بعد رحيل الأمراء من الجيزة إلى البهنسا، فتولى الكبسات الأمير طاز والأمير صرغتمش، وتتبعوا الرجال، وعاقبوا النساء والصبيان حتى دلُّوهم على أماكنهم، فأخرجوهم من المطامير (١)، وسفكوا دماء كثيرة. وقبضوا على عدة رجال، فأودعوهم الحديد، وحازوا من الخيل والسلاح شيئًا كثيرًا.

فحشد الأحدب بن واصل شيخ عرك جموعه، وصمم على لقاء الأمراء، وحَلَّفَ أصحابه على ذلك. وقد اجتمع معه عرب منفلوط، وعرب المراغة وبنى كلب وجهينة (٢) وعرك، حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح، سوى الرجالة المعدة، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها. وجمع الأحدب مواشى أصحابه كلهم وأموالهم وغلالهم وحريمهم وأولادهم، وأقام ينتظر قدوم العسكر.

فقدم الأمير شيخو بمن معه حتى نزل سيوط، ومعه الولاة والكشاف، فتلقاه أهلها وعرّفوه أمور العرب، وما هم عليه من العزم على اللقاء والمحاربة، وكثرة جمعهم. فاستراح الأمير شيخو، وقدمت عليه عرب الطاعة، وهولوا عليه بكثرة جمع المارقين حتى داخله الوهم، وبعث يستدعى بالعسكر من القاهرة. فعرض الأمير سيف الدين قبلاى نائب السلطنة مقدمى الحلقة ومضافيهم، وعين منهم تسعين مقدما، وأضاف إلى كل مقدم جماعة. وعرِضت أوراق بأسمائهم على السلطان والأمراء، فاختاروا منهم خمسة وعشرين مقدمًا، مع كل مقدم من مضافيه عشرون جنديًا، فتكون عدتهم خمسمائة فارس؛ ورسم بتجهيزهم. وأعيد جواب الأمير شيخو بذلك، فردّ جوابه بأن فى حضور

---

(١) هو المكان الصالح للاختباء انظر محيط المحيط «طمر».

(٢) جهَينَةُ: بلفظ التصغير، قرية كبيرة من نواحى الموصل على دجلة، وهى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل، وعندها مَرْجٌ يقال له مَرْجُ جُهَينة. انظر معجم البلدان ٢/١٩٤ .

نجدة من القاهرة ما يوجب طمع العربان فى العسكر، وظنهم أن ذلك من عجزهم عن اللقاء، وأشار بإبطال تجريد النجدة، فبطلت.

ثم رحل الأمير شيخو عن سيوط، وبعث الأمير مجد الدين الهذبانى ليؤمن بنى هلال أعداء عرك، ويحضرهم ليقاتلوا عرك أعداءهم. فانخدعوا بذلك، وفرحوا به، وركبوا بأسلحتهم، وقدموا فى أربعمائة فارس، فما هو إلا أن وصلوا إلى الأمير شيخو فأمر بأسلحتهم وخيولهم فأخذت بأسرها، ووضع فيهم السيف، فأفناهم جميعًا. وركب الأمير شيخو من فوره، وصعد عقبة أدفو فى يوم وليلة، فلما نزل إلى الوُطاة [1] قدم عليه نجاب من أمراء أسوان بأن العرب قد نزلوا فى برية بوادى الغزلان، فألبس العسكر آلة الحرب.

وقدم الأمير سودون أحد أمراء الطبلخاناه فى مائة من مماليك الأمراء طليعة، وساروا. فلما كان قبيل العصر التقت الطليعة بفئة من طلائع العرب، فبعث سودون يخبر الأمير شيخو بذلك، وقاتلهم فانهزموا، ثم عادوا للحرب مرارًا حتى كلت خيول الترك، ولم يبق إلا أن تأخذهم العرب. فأدركهم الأمير شيخو، وقد ساق لما أتاه الخبر سوقًا عظيما بمن معه، وامتلأ الجو من غبارهم. وهبت ريح، فحملت الغبار وألقته فى وجوه العرب حتى صَار أحدهم لا يرى رفيقه، مع رؤيتهم بريق الأسنة ولمعان السيوف. فخارت قواهم، وانهزموا بأجمعهم، بعد ما استعدوا للقّاء استعدادًا محكمًا. فقدموا الرجالة بالدَّرَق أمام الفرسان، لتلقى عنهم السهام، وقامت الفرسان من ورائهم بأسلحتها، وأوقفوا حريمهم من ورائهم. وصار الرجل منهم يصدم ابنه وأخاه وهو لا يلوى على شىء. فركب الترك أقفيتهم، ومن وقت الغروب عند الهزيمة، يقتلون ويأسرون حتى أعتم الليل، وباتوا متحارسين، فلم يعد أحد من العرب إليهم. وعند ارتفاع النهار جرد الأمير شيخو طائفة فى طلبهم، فأحاطوا بمال كثير ما بين مواشى وقماش، وحلى ونقود، وعروض وأقوات، وأزواد ورَوَايا ماء. وسبوا حريمهم وأولادهم، فاسترقوا كثيرًا منهم، وصار إلى الأجناد والغلمان منهم شىء كبير، باعوا منه عددًا كثيرا بالقاهرة، بعد عودهم.

وهلك من العرب خلائق بالعطش، ما بين فرسان ورجالة وجدهم المجردون فى طلبهم، فسلبوهم. وصعد كثير منهم إلى الجبال، واختفوا فى المغائر، فقتل العسكر وأسرَ وسبا عددًا كثيرًا، وارتقوا إلى الجبال فى طلبهم، وأضرموا النيران فى أبواب المغائر،

---

(١) الوطاة: الأرض السهلة المنخفضة.

فمات بها خلق كثير من الدخان. وخرج إليهم جماعة، فكان فيهم من يلقى نفسه من أعلى الجبل ولا يسلم نفسه، ويرى الهلاك أسهل من أخذ العدو له. فهلك فى الجبال أمم كثيرة وقتل منهم بالسيف ما لا يحصى كثرة، حتى عملت عدة حفائر وملئت من رممهم، وبنى فوقها مصاطب ضربت الأمراء رنوكها عليها، وأنتنت البرية من جيف القتلى ورمم الخيل.

ثم فرق الأمير شيخو الأمراء فى البلاد لكبسها، فطرقوا عامة النواحى، وقبضوا على جماعة كثيرة قتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأحضروا خلقًا إلى الأمير شيخو فأقاموا على هذا عدة أيام، حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوى. ثم نصبت الأخشاب على الطرقات، وعلق فيها أعداد وافرة ممن شُنق ووُسِّط من العرب، فكان أولها طما وآخرها منية ابن خصيب. ثم عاد الأمير شيخو بمن معه، وصحبته نحو الألفى رجل فى الحديد، فلم يصل إلى القاهرة منهم سوى ألف ومائتين، وهلك باقيهم بالجوع والتعب. فلما نزل طموة(١) خرج إليه الأمراء بأجمعهم، وعملوا له الولائم العظيمة مدة أيام. ثم سافر الأمير شيخو منها فى موكب جليل، والأسرى بين يديه، والخيول والجمال والسلاح، حتى صعد القلعة، وكان يومًا مشهودًا. وأثنى عليه مَن كان معه، بإحسانه إليهم ونفقاته فيهم، فكانت مدة غيبته نحو ثلاثة أشهر، وأقل ما قيل إنه قتل فى هذه الواقعة زيادة على عشرة آلاف رجل.

ثم قدمت الأسرى التى أحضرت مع الأمير شيخو، أو من بعث به الكشاف والولاة، وفيهم ابن ميسرة الثائر بالأطفيحية، فأفرج عن جماعة منهم. وسُمِّر ابن ميسرة وثلاثة عشر من أكابر العربان، ومائة وأربعون رجلا من شرارهم، وشُهِّروا. وقُيِّد جماعة وسخِّروا فى العمل. وعُرضت الدوابُّ، فكانت ألفا وثلاثمائة فرس، وألفا وخمسمائة جمل، وسبعمائة حمار، وأغنامًا كثيرة، سوى ما نهبه العبيد وأكلوه. وعُرض السلاح، فكان مائة حمل رماح، وثمانين حمل سيوف، وثلاثين حمل درَق. وكتب لجميع ولاة الأعمال وكشافها ألا يدعوا فى جميع النواحى فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس. فركب الولاة إلى البلاد، وأخذوا ما بها من الخيول، وسيروها إلى اصطبل السلطان. فكان الرجل إذا حضر وادعى ملك شىء سُلّم إليه، بعد ما تظهر صحة دعواه، وألزم بعد تسليمه بأن يبيعه ويعطى ثمنه مما عليه من الخراج، فكثرت الخيول بالقاهرة، واستوفى الأجناد خراجهم قبل أوانه.

---

(١) قرية من قرى محافظة الجيزة حاليا.

فكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد، وأشنع محنها، ولذلك سقتها فى هذا الموضع كما هى، وإن كان قد تقدم فى السنة الحالية طرف منها؛ لأن حكايتها متوالية أبينُ لها، وأكثرُ فائدة لمن وقف عليها.

وقد مدح الأمير شيخو غير واحد عند قدومه، منهم ناصر الدين النّشائى أحد كتاب الإنشاء، فقال قصيدة أولها:

صعودك للصيد له سُعُودُ ... به نُجزَتْ من النصر الوُعودُ
وأرسل نحوهم فرسان حرب ... ضراغمة تخافُهُمُ الأسودُ
فخاضوا فيهمُ بالسيف حتى ... غدوا وهُم قتيل أو شريد
ومُهدت البلاد فزال عنها ... ظلام الظلم وابتهج الوجود

وقال الفخر عبد الوهاب كاتب الدرج، من أبيات:

قدومٌ سعيدٌ مبهجٌ وإياب ... به حُفَّ للنصر العزيز ركابُ
مَضَيْت مُضىّ السهم فى غزو عُصْبة ... بُغاةٍ وغازى المفسدين يُثابُ
ومن كان قتلُ النفس بَعضَ ذنوبه ... فليس له إلا السيوفُ عِتابُ
فلم تنجهم أرض ولا عصمتهمُ ... مغائر ما بين الصخور صعابُ

وقال الأمير عز الدين أزدمر الكاشف قصيدة منها:

حسام عزمك بردى الأسد فى الأجم ... ونور رأيك يهدى الناس فى الظلم
وحين أصبح أمر العُرْبِ مختلفًا ... فليس يُعرفُ منه خَلْفَ من أمَمِ
سالت عليهم جيوش الله يَقْدمُها ... شيخو لمؤبد بالصمصامة الخَدمِ
سعى إليهم ونصرُ الله يَقدُمُه ... فى بحر جيش بموج الخيل منتظم
والأرض ترجف تحت الخيل من فرق ... والخيل تمشى على الأشلاء والرمم
فأوقع السيف فى الأعداء منتصرا ... لله حتى غَدوْا لحمًا على وَضَم
ولم يدع دار بغى غير دائرة ... ولا منار شقاق غير منهدم

وكان الأحدب قد نجا بنفسه، فلم يقدر عليه، ومن حينئذ أمنت الطرقات برًا وبحرًا، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها. ووقع الموت فيمن تأخر فى السجون من العربان، فكان يموت منهم فى اليوم من عشرين إلى ثلاثين، حتى فنوا إلا قليلا.

وقدم الخبر من المدينة النبوية أن الشريف مانع بن على بن مسعود بن جَماز وأولاد طفيل جمعوا ونازلوا المدينة، يريدون قتل الشريف فضل بن قاسم بن قاسم بن جماز، فامتنع بها، وهم يحاصرونه اثنى عشر يومًا مرت بينهم فيها حروب، فانهزموا ومضوا من حيث أتوا.

وفيه أخرج الأمير ساطلمش تركاش منفيًا؛ لسوء سيرته.

وفيه ضربت عدة من شهود الزور، وحلقت لحاهم، وشهروا فى القاهرة، وكان يوما شنيعا.

وفيها أخرج ابن طشتمر الساقى منفيا إلى طرابلس؛ لانهماكه فى اللعب.

وفى شهر ربيع الأول: قدم محمد بن واصل الأحدب، شيخ عرك من بلاد الصعيد، طائعا. وكان من خبره أنه لما نجا وقت الهزيمة. وأخذت أمواله وحرمه، ترامى بعد عود العسكر على الشيخ المعتقد أبى القاسم الطحاوى فكتب الشيخ فى أمره إلى الأمير شيخو، يسأل العفو عنه وتأمينه. على أنه يقوم بدرك البلاد، ويلتزم بتحصيل جميع غلالها وأموالها، وما يحدث بها من الفساد فإنه مؤاخذ به، وأنه يقابل نواب السلطان من الكشاف والولاة فكتب له أمان سلطانى، وكوتب بتطييب خاطره وحضوره آمنا، فسار ومعه الشيخ أبو القاسم. فأكرم الأمراء الشيخ، وأكرموا لأجله الأحدب، وكان دخوله يومًا مشهودا.

وتمثل الأحداب بين يدى السلطان. وأنعم عليه السلطان وألبسه تشريفًا وناله من الأمراء إنعام كثير، وضمن منهم درك البلاد على ما تقدم ذكره، فرسم له بإقطاع. وعاد الأحدب إلى بلاده بعد ما أقام نحو شهر، وقد ألبسه السلطان تشريفا ثانيا ثم توجه الشيخ أبو القاسم الطحاوى أيضا بعد أيام، وكان نزوله بزاوية العربان من القرافة، فجددها الأمير شيخو تجديدًا حسنا.

وفيه توجه الناصر بن المجاهد صاحب اليمن عائدًا إلى أبيه بمن معه، بعد أربعة أشهر من قدومه. وأخذ معه كثير من الصناع والمخايلين والشعبذين والمساخر وأرباب الملاهى، وتحفا عديدة قامت عليه بأموال جزيلة وأنعم عليه السلطان والأمراء بغير نوع من الهدايا والتحف السنية، وألبسوه الخلع الجليلة، وبالغوا فى إكرامه. وجهزوا له ما يحتاج إليه من المراكب، وكتب إلى ولاة الأعمال بإكرامه، فسار فى البحر.

وفى حادى عشر رجب: أفرج عن الأمير سيف الدين منجك، والأمير علاء الدين مغلطاى أمير آخور. وكان المعتنى بالأمير منجك الأمير شيخو، والمعتنى بالأمير مغلطاى الأمير طاز. فتوجه إليهما الأمير جنتمر أخو طاز، وحملهما من الإسكندرية، فكان دخولهما يوما مشهودًا، بعد ما أقاما بسرياقوس عشرة أيام، والتقادم ترد إليهما، وتمد لهما الأسمطة العظيمة بالهمة الجليلة، فأنعما على متسفرهما الأمير جنتمر بسبعة آلاف دينار.

وفيه قدم البريد من حلب بتعذر مسير القوافل من كثرة فساد العرب وقطعهم الطريق، وأن سيف بن فضل تعجّز عن مقاومة عرب فياض بن مهنا، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب أخرج مقدما من مقدميه فى تجريدة لحفظ الطريق مع بعض الأمراء، فكبسه العرب وقاتلوه، فقتل فى المعركة، وأن سيف بن فضل عمر بن موسى ابن مهنا لما ألزمهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بتحصيل من قَتَل المذكور ادعوا أنهم من غير عربهم.

وكان فياض لما كتب إليه بالحضور اعتذر عن ذلك، والتزم بدرك البلاد وكفّ أسباب الفساد، وبعث ابنه إلى السلطان رهينة بمصر. فحضر سيف وعمر بقود كبير، من جمال وخيل، فاعتنى الأمير طاز بسيف، ومازال حتى خُلعه عليه وعلى عمر، واستقرا فى الإمرة. فتوجه ولد فياض من مصر إلى أبيه، وأخبره بذلك، فاشتد حنقه، وكثر قطعه الطريق، وعزم على المسير إلى أولاد قراجا بن دلغادر وإحضارهم بجمائعهم لأخذ حلب. فانحصر الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، وضاق ذرعه. فلما قدم كتابه اقتضى الرأى إرسال الأمير جنتمر أخى طاز إلى الأمير فياض، وكتبت على يده عدة كتب من السلطان والأمراء، بتطمين خاطره والحلف له ألا يتعرض له بسوء. فركب الأمير جنتمر فى عشرة سروج على البريد، ولقى فياضًا، ومازال به حتى أذعن له وركب معه، بعد ما بالغ فى إكرامه، وأكثر من التقادم السنية له، وقدم إلى القاهرة فى عاشر جمادى الآخرة.

وفيه أخذ الأمير صرغتمش من دار ابن زنبور بالقاهرة ما كان بها من الرخام، فوجد فى زواياها من أوانى الصينى والنحاس ومن القماش وغيره شيئًا كثيرًا.

وفيه قدم عدة من النصارى بالغربية، ووقفوا بدار العدل من القلعة للسلطان، وسألوا إعادة كنيسة النحريرية التى هدمها العامة وعملوها مسجدًا. فلم يجابوا لذلك، وطردوا بعد ضربهم، وكُتب إلى متولى الناحية أن يعمل لهذا المسجد منارًا يؤذن فيه للصلوات الخمس، وتجدد عمارة المسجد، فامتثل ذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: وقفت أحوال ديوانى الخاص والدولة، حتى إن السلطان كان إذا استدعى بشىء من الخاص يقول بدر الدين ناظر الخاص: «ما تم حاصل، وليس لى مال». وتأخر من الدولة ما يصرف للحوائج كاشية وأرباب المرتب ونفقات مماليك السلطان. فكثر الإنكار على بدر الدين ناظر الخاص، وأسمعه الأمراء ما يكره، فالتجأ إلى الأمير صرغتمش وكان يعضده، وذكر له ما هو فيه من العجز. فوعده الأمير

صرغتمش بتخليصه، وأسرَّ إليه أن يتمارض فى بيته أيامًا حتى يدَبرِّ أمره مع السلطان والأمراء. فانقطع بدر الدين عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى عاده على العادة. ثم بعد أيام انقطع الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفضل عبد الله بن سعيد الدولة لوَعَكٍ أصابه، فتعطلت أشغال السلطنة. وأخذ الأمير صرغتمش يحدث الأمراء فى إعفاء بدر الدين ناظر الخاص، فاستُدعى تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، وعرض عليه السلطان نظر الخاص، فتمنع تمنعًا زائدًا، فلم يوافقه الأمير طاز، وألبسه التشريف فى يوم الخميس رابع عشره، فولى الخاص عوضًا عن بدر الدين.

ثم كان موت الوزير موفق الدين فى يوم الجمعة ثانى عشريه، فتعين الأمير ناصر الدين محمد بن بيليك المحسنى وطلب الأمير ناصر الدين لذلك، فامتنع أشد الامتناع، وجرت بينه وبين تاج الدين ناظر الخاص مفاوضة فى مجلس السلطان، سببها أنه قال: «ما ثم من يصلح للوزارة إلا الأمير ناصر الدين»، فحنق منه، وقال له: «ما يصلح إلا أنت، فتكون الوزارة مضافة للخاص كما كان من قبلك». فامتنع تاج الدين من ذلك، وانفض المجلس، فأخذ الأمير طاز يحسن لناظر الخاص التحدث فى الوزارة، ويعده بمساعدته، وهو يأبى.

وفى أثناء ذلك استعفى الأمير شيخو من التحدث فى أمر الدولة، فتقرر الحال على أن ينفرد السلطان بتدبير دولته، من غير أن يعارضه أحد فى ذلك، ويستبد بالمملكة وحده، كما كان أبوه وجده. واجتمع الأمراء وسائر أهل الدولة بين يدى السلطان، وفاوضوه فى ذلك، فوافق غرضه، فإنه كان فى حصر شديد، ليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى شىء من أمور الدولة، وهو محجور عليه مع الأمير شيخو. فقلدوه الأمور، والتزموا بطاعته فيما يرسم به. فصار مباشرو الدولة يدخلون على السلطان، وينهون له الأحوال، فيمضيها بأمره ونهيه.

واختص السلطان بالأمير طاز، وتقدم إليه أن ينظر فى أمور الدولة من غير أن يظهر ذلك. فاشتهر بين الأمراء وغيرهم أن استعفاء الأمير شيخو من التحدث فى أمور الدولة، واستقلال السلطان بالأمر، إنما هو بتدبير طاز وقيامه فيه مع السلطان، فإن السلطان كان له ميل كبير إلى الأمير طاز، وشُغِف بحب أخيه جنتمر وفُتِن به. وكان ذلك مما لا يخفى على شيخو، فرأى أن ترك التحدث فى الدولة من تلقاء من نفسه خير من عزله عنه. فلما استبد السلطان بأمره منع الأميرُ شيخو الوزيرَ وناظر الخاص وأمثالهما من الدخول إليه، واستأذن السلطان فى الإقامة بإصطبله عدة أيام ليشرب دواء. فخلا

تاج الدين ناظر الخاص بالأمير طاز، وعرّفه كثرة ما على الدولة من الكلف، وأنها لا تفى بذلك، وقرر معه أن يوفر من المصاريف جملة. وكتب تاج الدين ما على الدولة من المصروف، فكانت جملة ما أطلقه الصاحب موفق الدين لزوجته اتفاق وخدامها ومن يلوذ بها سبعمائة ألف درهم فى كل سنة. ثم كتب تاج الدين استيمارا بما يترتب صرفه، وأخذ عليه خط السلطان، وعيّن صهره فخر الدين ماجد بن قزوينة لنظر الدولة، فطلب وخلع عليه شريك فخر الدين بن السعيد. فكان المتوفر من معاليم المباشرين جملة كثيرة، فإنه لم يدع مباشرًا إلا وَفَّر من معلومه نصفه أو ثلثيه، ولم يراع منهم أحدًا، لا من مباشرى الدولة، ولا مباشرى الخاص، ولا مباشرى الإسكندرية ودمياط، وجميع أعمال الوجه القبلى والوجه البحرى. ثم عزل تاج الدين كثيرًا من مباشرى المعاملات، فإنه كان فى كل معاملة ستة مباشرين وأكثر، فجعل فى كل معاملة ثلاثة مباشرين، ورتب لكل منهم نصف معلوم. ووفر تاج الدين معلومه على نظر الخاص، وباشر الخاص بمعلوم الجيش. فشمل هذا كل من له معلوم فى بيت السلطان، من متجر وغيره، ما خلا الموقعين والأطباء، فإن الموقعين عنى بهم كاتب السرّ علاء الدين على بن فضل الله، وكان عظيما فى الدولة، فلم يتعرض تاج الدين لشىء من معاليمهم، وأقرها بكمالها. وأما الأطباء فاعتنى بهم الأمير طاز، فإنه أمير مجلس، وهم من تعلقه. وأما من عدا هؤلاء، فإنه حاصصه على مباشرى صرغتمش وطاز وشيخو؛ فجاء جملة المتوفر نحو سبعمائة ألف درهم، فى كل سنة. فشق ذلك على الأمراء، وكرهوا قطع الأرزاق، وتشاءموا بهذا الفعل. واشتهر ذلك بين الناس، فتنكرت قلوبهم، وكثر دعاؤهم وابتهالهم إلى الله تعالى.

ثم إن تاج الدين اتهم بدر الدين ناظر الخاص بأنه حوى مالا كثيرا من جهة تركة ابن زنبور، ومازال به حتى حُمل من بيته وهو مريض إلى القلعة، وألزم بحمل مال كبير، فحمل بدر الدين المال مدة أيام، ومات يوم الثلاثاء رابع عشرى جمادى الأولى فى قاعة الصاحب بالقلعة، بعد موت الصاحب موفق الدين بشهر ويومين. فقام الأمير صرغتمش فى مساعدته، ومنع من الحوطة على موجوده، وكان بدر الدين قد خلف سعادة جليلة مما حصله من جهة ابن زنبور.

وفى سادس عشر جمادى الأولى: قدم ابن رمضان التركمانى، المستقر عوضًا عن قراجا بن دلغادر، وقدّم للسلطان والأمراء ألف أكديش. فرسم له بالإمرة على التركمان، وأنعم له بالإقطاع، وأنعم على عدة من أصحابه بإمرات، ما بين عشرات وطبلخاناه، وعاد إلى بلاده.

وفيه رسم بعمل أوراق بالرزق الأحباسية التى فى إقطاعات الأمراء، وفى غير ذلك من أراضى مصر، مما هى موقوفة على الكنائس والديارات، فجاءت خمسة وعشرين ألف فدان. فأنعم على كل أمير بما فى إقطاعه من ذلك، ورسم لجماعة من الفقهاء بشىء من هذه الرزق.

وفى هذه السنة: كانت واقعة النصارى، وذلك أنهم كانوا قد تعاظموا، وتباهوا بالملابس الفاخرة، ومن الفرجيات المصقولة والبقَيار الذى يبلغ ثمنه ثلاثمائة درهم، والفوط التى تلفها عبيدهم على رءوسهم بمبلغ ثمانين درهما الفوطة. وركبوا الحمير الفُرْه ذات الأثمان الكثيرة، ومن ورائهم عبيدهم على الأكاديش. وبنوا الأملاك الجليلة فى مصر والقاهرة ومتنزهاتها، واقتنوا الجوارى الجميلة من الأتراك والموَلّدات، واستولوا على دواوين السلطان والأمراء، وزادوا فى الحمق والرقاعة، وتعدوا طورهم فى الترفع والتعاظم. وأكثروا من أذى المسلمين وإهانتهم، إلى أن مرّ بعضهم يومًا على الجامع الأزهر بالقاهرة، وهو راكب بخفّ ومهماز وبقيّار طرْح سكندرى على رأسه، وبين يديه طرَّادونْ يبعدون الناس عنه، وخلفه عدة عبيد على أكاديش، وهو فى تعاظم كبير. فوثب به طائفة من المسلمين، وأنزلوه عن فرسه، وهموا بقتله، فخلصه الناس من أيديهم.

وتحرَّكت الناس فى أمر النصارى وماجوا، وانتدب عدة من أهل الخير لذلك، وصاروا إلى الأمير طاز الشريف أبى العباس الصفراوى، وبلُغوه ما عليه النصارى مما يوجبه نقض عهدهم، وانتدبوه لنصرة الإسلام والمسلمين. فانتفض الأمير طاز لذلك، وحدَّث الأميرين شيخو وصرغتمش وبقية الأمراء فى ذلك بين يدى السلطان،فوافقوه جميعًا، وكان لهم يومئذ بالإسلام وأهله عناية. ورتبوا قصة على لسان المسلمين، قرئت بدار العدل على السلطان بحضرة الأمراء والقضاة وعامة أهل الدولة. فرسم بعقد مجلس للنظر فى هذا الأمر؛ ليحمل النصارى واليهود على العهد الذى تقرّر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وطُلب بطرك النصارى ورئيس اليهود، وحضرت قضاة القضاة وعلماء الشريعة، وأمراء الدولة، وجىء بالبطرك والرئيس، فوقفا على أرجلهما وقرأ العلائى على ابن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى بيننا وبين أهل الذمة، بعد ما ألزموا بإحضاره، وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديرًا ولا كنيسة ولا صومعة، ولا يجددوا منها ما خرب، ولا يمنعوا من كنائسهم التى عاهدوا عليها أن ينزل بها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه. ولا يكتموا غشًا للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يمنعوهم من الإسلام إن

أرادوا، وإن أسلم أحدهم لا يؤذوه. ولا يتشبهوا بشيء من ملابس المسلمين، ويلبس النصراني منهم العمامة الزرقاء عشر أذرع فما دونها، واليهودى العمامة الصفراء كذلك، ويمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين. ولا يتسموا بأسماء المسلمين، ولا يكتنوا بكناهم، ولا يتلقبوا بألقابهم، ولا يركبوا على سرج، ولا يتقلدوا سيفا، ولا يركبوا الخيل والبغال، ويركبون الحمير عرضًا بالكف من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها. ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، وأن يجزّوا مقادم رءوسهم، والمرأة من النصارى تلبس الإزار المصبوغ أزرق، والمرأة من اليهود تلبس الإزار المصبوغ أصفر. ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلم فى عنقه، من نحاس أو حديد أو رصاص أو غير ذلك، ولا يستخدموا مسلمًا فى أعمالهم. وتلبس المرأة السائرة خفين أحدهما أسود والآخر أبيض، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يرفعوا بناء قبورهم، ولا يعلوا على المسلمين على المسلمين فى بناء، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربًا خفيفًا، ولا يرفعوا أصواتهم فى كنائسهم. ولا يشتروا من الرقيق مسلمًا ولا مسلمة، ولا ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا يمشوا وسط الطريق توسعة للمسلمين، ولا يفتنوا مسلمًا عن دينه، ولا يدلّوا على عورات المسلمين. ومن زنى بمسلمة قتل، ومن خالف ذلك فقد حلّ منه ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق.

وكل من مات من اليهود والنصارى والسامرة، ذكرًا كان أو أنثى، يحتاط عليه ديوان المواريث الحشرية، بالديار المصرية وأعمالها وسائر الممالك الإسلامية، إلى أن يثبت ورثته ما يستحقونه بمقتضى الشرع الشريف. فإذا استحق يعطونه بمقتضاه، وتحمل البقية لبيت مال المسلمين، ومن مات منهم ولا وارث له يحمل موجوده لبيت المال. ويجرى على موتاهم الحوطة من ديوان المواريث ووكلاء بيت المال مجرى من يموت من المسلمين، إلى أن تبين مواريثهم.

وكان هذا العهد قد كتب فى رجب سنة سبعمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فلما انتهى العلائى على بن فضل الله كاتب السرّ من قراءته تقلد بطرك النصارى وديان اليهود حكم ذلك، والتزما بما فيه، وأجابا بالسمع والطاعة.

ثم جال الحديث فى أمر اليهود والنصارى وإعادة وقائعهم الماضية، وأنهم بعد التزامهم أحكام العهد يعودون إلى ما نهوا عنه. فاستقر الحال على أنهم يمنعون من الخدم فى جميع الأعمال، ولا يستخدم نصرانى ولا يهودى فى ديوان السلطان، ولا فى شيء من دواوين الأمراء، ولو تلفظ بالإسلام، على أن أحدًا منهم لا يُكره على

الإسلام، فإن أسلم برضاه، لا يدخل منزله، ولا يجتمع بأهله، إلا إن اتبعوه فى الإسـلام، ويَلْزَمُ أحدهـم إذا أسلم بملازمة المساجد والجوامـع. وأن تكـون عمامـة النصرانـى واليهودى عشـر أذرع، ويلزموا بزيادة صبغها، وألا يستخدموا مسلمًا، وأن يركبوا الحمير بالأكف، وإذا مرّوا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم، وأن يكون قيمة حمار أحدهم أقل من مائة درهم، وأن يلجأوا إلى أضيق الطرق، ولا يُكْرَموا فى مجلس، وأن تلبس نساؤهم ثيابًا مغيرة الزى إذا مَرَرْن فى الطرقات، حتى أخفافهن تكون فى لونين، ولا يدخلن حمامات المسلمين مع المسلمات. وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية سار بها البريد إلى البلاد الإسلامية، فكان تاريخها ثانى عشرى جمادى الآخرة، وقرئ منها مرسوم بمجلس السلطان فى يوم الخميس خامس عشريه. وركب من الغد يوم الجمعة سادس عشريه الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب، ومعه الشريف شهاب الدين المنشئ بالمراسيم السلطانية إلى البلاد الإسلامية.

وقرئ مرسوم بجامع عمرو من مدينة مصر، وآخر بجامع الأزهر من القاهرة، فكان يومًا عظيما هاجت فيه حفاظ المسلمين، وتحركت سواكنهم، لما فى صدورهم من الحنق على النصارى، ونهضوا من ذلك المجلس بعد صلاة الجمعة، وثاروا باليهود والنصارى، وأمسكوهم من الطرقات، وتتبعوهم فى المواضع وتناولوهم بالضرب، ومزقوا ما عليهم من الثياب، وأكرهوهم على الإسلام، فيضطرهم كثرة الضرب والإهانة إلى التلفظ بالشهادتين خوف الهلاك. فإنهم زادوا فى الأمر حتى أضرموا النيران، وحملوا اليهود والنصارى، وألقوهم فيها. فاختفوا فى بيوتهم، حتى لم يوجد منهم أحد فى طريق ولا ممر، وشربوا مياه الآبار؛ لامتناع السقائين من حمل الماء من النيل إليهم.

فلما شنع الأمر نودى فى القاهرة ومصر ألا يعارض أحد من النصارى أو اليهود، فلم يرجعوا عنهم. وحلّ بهم من ذلك بلاء شديد، كان أعظمه نكاية لهم أنهم منعوا من الخدم بعد إسلامهم، فإنهم كانوا فيما مضى من وقائعهم إذا منعوا من ذلك كادوا المسلمين بإظهار الإسلام، ثم بالغوا فى إيصال الأذى لهم بكل طريق، بحيث لم يبق مانع يمنعهم؛ لأنه صار الواحد منهم فيما يظهر مسلمًا ويده مبسوطة فى الأعمال، وأمره نافذ، وقوله ممتثل. فبطل ما كانوا يعملون، وتعطلوا عن الخدم فى الديوان، وامتنع اليهود والنصارى من تعاطى صناعة الطب. وبذل الأقباط جهدهم فى إبطال ذلك، فلم يجابوا إليه.

ثم لم يكفِ الناس من النصارى ما مرّ بهم حتى تسلطوا على كنائسهم ومساكنهم الجليلة التى رفعوها على أبنية المسلمين، فهدموها. فازداد النصارى واليهود خوفًا على خوفهم، وبالغوا فى الاختفاء، حتى لم يظهر منهم أحد فى سوق ولا فى غيره. ثم رفعت قصص على لسان المسلمين بدار العدل تتضمن أن النصارى استجدّوا فى كنائسهم عمائر، ووسّعوا بناءها، وتجمع من الناس عدد لا ينحصر، واستغاثوا بالسلطان فى نصرة الإسلام، وذلك فى يوم الإثنين رابع عشر رجب. فرُسم لهم أن يهدموا الكنائس المستجدة، فنزلوا يدًا واحدة وهم يضجون. وركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة؛ ليكشف عن صحة ما ذكروه، فلم يتمهّلوا بل هجموا على كنيسة بجوار قناطر السباع، وكنيسة للأسرى فى طريق مصر، ونهبوهما وأخذوا ما فيهما من الأخشاب والرخام وغير ذلك، ووقع النهب فى دير بناحية بولاق التكرور. وهجموا على كنائس مصر والقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الفهّادين من الجوانية بالقاهرة. وتجمعوا لتخريب كنيسة بالبُندقانيين من القاهرة، فركب والى القاهرة، فركب والى القاهرة ومازال حتى ردّهم عنها؛ وتمادى هذا الحال حتى عجزت الحكام عن كفّهم.

فلما كان فى أخريات رجب بلغ الأمير صرغتمش أن بناحية شبرا الخيام كنيسة فيها أصبع الشهيد التى تُرْمَى كل سنة فى النيل، فتحدث مع السلطان فيه. فرسم بركوب الحاجب والوالى إلى هذه الكنيسة وهدمها، فهدمت ونُهبَت حواصلها، وأُخذ الصندوق الذى فيه أصبع الشهيد، وأحضر إلى السلطان وهو بالميدان الكبير قد أقام به كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى. فأضرمت النار، وأحرق الصندوق بما فيه، ثم ذُرِّى رماده فى البحر.

وكان يوم رمى هذا الأصبع فى النيل من الأيام المشهودة، فإن النصارى كانوا يجتمعون من جميع الوجه البحرى ومن القاهرة ومصر فى ناحية شبرا، وتركب الناس المراكب فى النيل، وتنصب الخيم التى يتجاوز عَدَدُهَا الحد فى البرّ، وتنصب الأسواق العظيمة، ويباع من الخمر ما يؤدون به ما عليهم من الخراج، فيكون من المواسم القبيحة. وكان المظفر بيبرس قد أبطله كما ذكره، فأكذب الله النصارى فى قولهم إن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه أصبع الشهيد، وزاد تلك السنة حتى بلغ إلى أصبع من ثمانية عشر ذراعًا. ثم سعت الأقباط حتى أعيد رميه فى الأيام الناصرية، كما تقدم، فأراح الله منه بإحراقه. وأخذ عباد الصليب فى الإرجاف بأن النيل لا يزيد فى هذه السنة، فأظهر الله تعالى قدرته، وبين للناس كذبهم، بأن زاد النيل زيادة لم يعهد مثلها كما سيأتى ذكره.

وكثرت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بدخول النصارى فى الإسلام، ومواظبتهم المساجد، وحفظهم للقرآن، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع الشهود. فإنه لم يبق فى جميع أعمال مصر كلها قبليها وبحريها كنيسة حتى هدمت، وبنى مواضع كثير منها مساجد. فلما عظم البلاء على النصارى، وقلت أرزاقهم، رأوا أن يدخلوا فى الإسلام. ففشا الإسلام فى عامة نصارى أرض مصر، حتى إنه أسلم من مدينة قليوب خاصة فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نفرًا، وممن أسلم فى هذه الحادثة الشمس القسى، والخيصم. وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم؛ لكثرة ما شنع العامة فى أمرهم، فكانت هذه الواقعة أيضًا من حوادث مصر العظيمة.

ومن حينئذ اختلطت الأنساب بأرض مصر، فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات، واستولدوهن، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة، وصار منهم قضاة وشهودُ وعلماء، ومَنْ عَرَف سيرتهم فى أنفسهم، وفيما ولوه من أمور المسلمين، تفطن لما لا يمكن التصريح به.

وفى يوم السبت ثانى عشرى رجب: ركب السلطان إلى الميدان الكبير المطل على النيل، بعد كسر الخليج من العادة، وعاد من آخره إلى القلعة. ثم ركب السلطان السبت الثانى إلى الميدان. وأقام به ومعه الأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير صرغتمش، وبقية الأمراء الخاصكية. وعمل السلطان به الخدمة فى يومى الإثنين والخميس، كما تعمل بالإيوان فى القلعة، ولم يتقدمه أحد إلى مثل هذا.

وكانت العامة فى طول إقامته بالميدان لا يبرحون على الحيطان للفرجة هناك، وتجمّع منهم عالم عظيم، ونصبت هناك أسواق كثيرة، فصاروا يخوضون فيما لا يعنيهم ويتكلمون فى الليل بكل فاحشة، فى حق كبراء الدولة، ويقولون ليسمع السلطان: «قم اطلع قلعتك، ما جرت بذا عادة، واحترس على نفسك، وإياك تأمن لأحد». فلما كثر هذا وشبهه من كلامهم، وسمعه منهم الأمراء، اشتد حنقهم، وأمروا مماليكهم فركبوا، وأوقعوا بهم ضربًا بالدبابيس والعصى، ففروا هاربين، وألقوا أنفسهم فى البحر، وتفرقوا فى كل جهة. فقبض منهم جماعة، وأسلموا لوالى القاهرة، ورسم له بأن يتتبع غوغاء العامة حيث كانوا، فهجم أماكنهم، وقبض على جماعة كثيرة وسجنهم. فأظهر النصارى الشماتة بهم، وتجاهروا بأن هذا عقوبة من الله لهم بما فعلوه معهم. فشق هذا على الأمراء، وأمروا بأن يفرج عنهم حتى لا يَشْمَت بهم أهل الكفر، فأُطلقوا، وخرج عدة منهم إلى الأرياف.

وركب السلطان فى يوم السبت ثالث شعبان - بعد ما لعب بالكرة على عادته - إلى القلعة. فلما استقر بها حسن له ناظر الخاص أن ينقل ما بخزانة الخاص من التحف التى قدمها النواب وغيرهم إلى داخل الدار، فحملت كلها. ثم كتب ناظر الخاص أسماء جماعة لهم أموال، من جملتهم خالد بن داود مقدم الخاص، وأغرى السلطان به. فأخذ الأمير قجا أمير شكار فى الدفع عن خالد، وكان يعنى به، ثم أعلم خالدًا بما كان، فالتزم له خالد أن يحصل للسلطان أموالا عظيمة من ودائع ابن زنبور أضعاف ما يطلب منه، على أن يعفى من تقدمة الخاص، وينعم عليه بإقطاع، ويبقى من جملة الأجناد فأتقن له أمير شكار ذلك مع السلطان، فأجاب السلطان سؤاله، واستدعى خالد وألبسه الكلفتاه، ومكنه مما يريد. فنزل خالد وقبض على جماعة من ألزام ابن زنبور، فدلّوه على صُندوق قد أودع عند قاضى الحنفيَّة بالجيزة، فركب إليه، وأخذه منه، فوجد فيه مصاغًا وزراكش. فأخذ خالد فى تتبع حواشى ابن زنبور حتى أخذ منهم ما ينيف على مائة ألف دينار، فاشتكى ناظر الخاص من فعله نكاية بالغة.

فلما كان فى شهر رمضان خرج السلطان إلى ناحية سرياقوس على العادة، ومعه والدته وحريمه، وجميع الأمراء وغيرهم من أهل الدولة، وتأخر الأمير شيخو بإصطبله لوعك به. فكثر لهو السلطان ولعبه، وشغفه بالأمير جنتمر حتى أفرط، وجمع عليه الأمير قجا أمير شكار وأخوته.

ومال السلطان إلى جهة الأمير طاز وأعرض عن الأمير شيخو والأمير ضرغتمش. وصار يركب النيل فى الليل، ويستدعى أرباب الصنائع، من الطباخين والخراطين والقزازين، ونصب له نول قزازة، وعمل هذه الأعمال بيده، فكان إذا رأى صناعة من الصناعات عملها فى أيسر زمن بيده. وعمل لخوند قطلوبك أمه مهمًا طبخ فيه الطعام بيده، وعمل لها جميع ما يعمل فى الموكب السلطانى، ورتب لها الخدام والجوارى، ما بين حمدارية وسقاة، ومنهم من حمل الغاشية والقبة والطير؛ وأركبها فى الحوش بزىّ الملك وهيئة السلطنة. وخلع وأنفق، ووهب شيئًا كثيرًا من المال. ثم شدّ فى وسطه فوطة، ووقف فطبخ الطعام فى هذا المهم بنفسه، ومدّ السماط بين يديها بنفسه، فكان مهمًا يخرج عن الحد فى كثرة المصروف، فأنكر ذلك الأمير شيخو، وكتم ما فى نفسه.

فلما عاد السلطان فى آخر الشهر من سرياقوس (١) إلى القلعة، وقد بلغ شيخو أن السلطان قد اتفق مع إخوة طاز على أن يقبض عليه وعلى صرغتمش يوم العيد. وكان

---

(١)سبق ترجمتها.

طاز قد توجه إلى البحيرة فى هذه الأيام، بعد ما قَرّر مع السلطان ما ذُكر. فركب السلطان فى يوم الأحد أول شوال لصلاة العيد فى الإصطبل على العادة، وقرر مع كلتاى وجنتمر وأمير عمر ما يفعلونه، وأمر بمائة فرس فشدت وأوقفت، فلم يحضر الأمير شيخو صلاة العيد، وكان قد بلغه جميع ما تقرر. فباتوا ليلة الإثنين على حذر، وأصبحوا وقد اجتمع مع الأمير شيخو من الأمراء صرغتمش وطقطاى ومن يلوذ بهم، وركبوا إلى تحت الطبلخاناه، ورسموا للأمير علم بضرب الكوسات، فضربت حربيًا. فركب جميع العسكر تحت القلعة بالسلاح، وصعد الأمير تنكربغا والأمير أسنبغا المحمودى إلى القلعة، وقبضا على السلطان وسجناه مقيدًا، فزال ملكه فى أقل من ساعة.

وصعد الأمير شيخو ومن معه من الأمراء إلى القلعة، وأقامت أطلابهم على حالها تحت القلعة. وقبض الأمير شيخو على إخوة الأمير طاز، واستشار فيمن يقيمه للسلطنة، وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح، فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، فسبحان من لا يزول ملكه.

* * *

السلطان الملك الناصر

حسن بن محمد بن قلاوون [الألفى] (١)

ولما قبض على الملك الصالح(٢) وخلع اقتضى رأى الأمير شَيْخُو - وسائر الأمراء - إعادة السلطان حسن، لما كان يبلغهم عنه من ملازمته فى مدة حبسه للصلوات الخمس والإقبال على الاشتغال بالعلم، حتى إنه كتب بخطه كتاب «دلائل النبوة» للبيهقى(٣) .

---

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر صغيرا، بعد مقتل أخيه حاجى، سنة ٧٨٤هـ وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة تسمى حسنا وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ إلى أن ثار عليه بعض أمراء الجند فخلعوه سنة ثم عاد إلى الحكم سنة ٧٥٥هـ كانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر، وأياما. انظر ابن إياس ١/١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤ - ٢٧٨، و٢٧٩ والأعلام ٢/٢١٦.

(٢) صالح الملك الصالح صلاح الدين بن محمد (الملك الناصر) بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة، وبويع بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ) وتولى تصريف الأمور باسمه الأمير طاز. استمر إلى أن وثب عليه جماعة من أمراء جيشه سنة ٧٥٥هـ فخلعوه وحبسوه فى دور الحريم بالقلعة إلى أن مات. مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر بدائع الزهور ١٠/٢٥٤ - ٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/٢٠٣، ٢٠٤ والأعلام ٣/١٩٥.

(٣) أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد فى خسروجرد من قرى بيهق،= =بنيسابور ونشأ فى بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم

فاستدعوا الخليفة وقضاة القضاة، وأحضروا السلطان من محبسه، وأركبوه بشعار المملكة، ومشى الأمراء كلهم، وسائر أرباب الدولة فى ركابه، حتى جلس على تخت الملك، وبايعه الخليفة، فقبلوا له الأرض على العادة، وذلك فى يوم الإثنين ثانى شهر شوال. وبات الأمراء فى الأشرفية من القلعة[1]. وأرسل الأمير صرغتمش، والأمير تقطاى الدوادار، إلى الأمير طاز ليخبراه بما وقع، فصارا إليه، ولقياه بالطرانة، وقد رجع. وبلغه الخبر، فعرفاه ما كان فى غيبته، وأقبلا معه إلى حيث أرادا تعدية النيل، فأرسل الله ريحا عاصفا منعت المعادى من المسير. فأقاموا على الشط - والريح قوية - إلى بعد العصر، ثم عدوا إلى مدينة مصر.

ونزل الأمير طاز بالمدرسة المعزية ليفطر، فإنه كان صائمًا. وبلغ إخوته ومن يلوذ به مجيئه، فأخذوا فى تدبير أمورهم، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، لاحتراز الأمير شيخو منهم، والتوكيل بهم. إلا أن الأمير كلتا[2] ركب فى عدة من مماليكه - ومماليك أخيه الأمير طاز - يريد ملتقاه، فأنكر شَيْخُو ذلك.

واتفق أن مماليكه ظفروا بمملوكين من أصحاب كلتا لابسين[3]، وأحضروهما إلى شيخو. فركب الأمير بلجك فى عدة من مماليكه، والتقاه بعد العصر عند باب إصطبل طاز، فلم يطق محاربته. لكثرة جمعه، فرجع، فرموه بالنشاب وساروا إلى لقاء طاز.

وبعث الأمير شيخو بمماليك كل من الأميرين صرغتمش وتقطاى ليلتقوهما، فجدوا فى المسير حتى لقوهما عند الرصد بعد المغرب، وهما مع الأمير طاز. فما هو إلا أن أتت أطلاب[4] الأميرين، رفس كل منهما فرسه، ودكس[5] من جانب طاز، وصار فى طلبه بين مماليكه، فإنهما كانا لما رأيا مماليك كلتا قد أقبلوا إلى لقاء طاز وهم ملبسين، خافا على أنفسهما. وفى الحال وقعت الضجة ولم يبق إلا وقوع الحرب. فتفرقت

يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) و(المعارف) و(الترغيب والترهيب) و(دلائل النبوة). انظر شذرات الذهب ٣٠٤/٣ وطبقات الشافعية ٣/٣ ومعجم البلدان ٣٤٦/٢ والمنتظم ٢٤٢/٨ وابن خلكان ٢٠/١ واللبان ١٦٥/١ ودائرة المعارف الإسلامية ٤٢٩/٤ والأعلام ١١٦.

(١) الأشرفية، قصر فى قلعة الجبل، أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون فى سنة ٦٩٢هـ.

(٢) الأمير كلتا، أخو الأمير طاز.

(٣) يفهم من سياق المعنى أنهما كانا لابسين عدة الحرب.

(٤) على هامش ط: أطلاب: جمع طلب، وهو لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس، ثم تطور اللفظ فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش.

(٥) دكس دكسا: الشيء تراكب بعضه فوق بعض. انظر المعجم الوسيط (دكس).

مماليك طاز عنه لقلة عددهم، فإن الأطلاب صارت تتلاحق من قبل الأمير شيخو شيئًا بعد شيء، فطلب طاز أيضًا نجاة نفسه وولى بفرسه، فلم يعرف أين يذهب. وأقبلت الأمراء إلى الأمير شيخو، فأركب الأمير قُطْلُوبُغا الطَرْخانى[١] فى جماعة من الأمراء لحراسة الطرقات، فتفرقوا فى عدة جهات، وبات بقية الأمراء فى الأشرفية من القلعة، ووقفت عدة وافرة تحت القلعة.

وبات السلطات والأمير شيخو على باب الإصطبل، فكانوا طول ليلتهم فى أمر مريج[٢] وظلوا يوم الخميس وليلة الجمعة كذلك. ففى أثناء ليلة الجمعة حضر الأمير تقطاى الدوادار - وصحبته الأمير طاز - إلى عند الأمير شيخو. وكان طاز قد التجأ إلى بيت تقطاى، فإن أخت طاز كانت تحته، فقام إليه الأمير شيخو وعانقه، وبكى بكاء كثيرا، وتعاتبا، وأقام عنده ليلته تلك. وركب به يوم الجمعة إلى القلعة، فأقبل عليه السلطان، وطيب خاطره، ورسم له بنيابة حلب، عوضا عن الأمير أرغون الكاملى. فلبس طاز التشريف فى يوم السبت سابعه، وسار من يومه ومعه الأمير شيخو وصرغتمش، وجميع الأمراء. لوداعه، فسأل أن تكون إخوته صحبته، فأجيب إلى ذلك، وأخرجوا إليه، بحيث لم يتأخر عنه أحد من حاشيته، وعاد الأمراء، ومضى لمحل نيابته. وسجن الملك الصالح صالح حيث كان أخوه الملك الناصر حسن مسجونا.

ومن غريب ما وقع - مما فيه أعظم معتبر - أنه عمل الطعام للسلطان الملك الصالح ليمد بين يديه على العادة، وعمل الطعام للناصر حسن ليأكله فى محبسه، فاتفق خلع الصالح فى أق من ساعة وسجنه، وولاية أخيه حسن السلطنة عوضه، فمد السماط بالطعام الذى عمل ليأكله الصالح، فأكله حسن فى دست[٣] مملكته، وأدخل الطعام - الذى عمل لحسن ليأكله فى محبسه - على الصالح، فأكله فى السجن الذى كان أخوه حسن فيه. فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

وفيها كان القبض على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، ناظر الخاص وناظر الجيش. وعددت له ذنوب، منها أنه لما ولى نظر الجيش - بعد علم الدين بن زنبور - تشدد فيه، مع سلوكه سبيل الأمانة على المعنى بمنع المقايضات والنزولات، حتى قلت أرزاقهم. ثم لما ولى نظر الخاص بعد بدر الدين - مضافا إلى

---

(١) الطرخان هو الأمير المتقاعد دون أن يكون مغضوبا عليه.

(٢) الرجة: رجة القوم: اختلاط أصواتهم، ورجة الرعد: صوته، ومريج أى: ملتبس ومختلط انظر المعجم الوسيط (رجج).

(٣) الدست: صدر المجلس. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧.

الجيش - ثم مات الوزير موفق الدين، مال إلى جهة طاز والملك الصالح، وأوقع فى ذهنهما أنه لا يتمكن من عمل مصالح السلطان مع تحدث الأمير شَيْخو فى أمور الدولة. فنُقل ذلك إلى شيخو وصَرْغَتْمش، فقام صرغتمش على شيخو حتى استعفى من التحدث فى أمور الدولة، وقلدوا السلطان أمرها، فاستقل بالتدبير وحده. وجعل الأمير طاز كأنه يتحدث عنه من غير إظهار ذلك، فاتفق مع الأمير طاز على توفير جملة من المعاليم المستقرة للمباشرين، فوفر منها ما تقدم ذكره، ولم يراع أحدا، فتنكرت القلوب له. ونُقل مع هذا للأمير شيخو عنه أنه أغرى الملك الصالح به. وعرفه كثرة متاجره وأمواله، حتى تنكر عليه وعلى الأمير صرغتمش. فلما توطدت دولة الملك الناصر حسن، تفرغ الأمير شيخو لناظر الخاص. وعندما خرج من خزانة الخاص بالقلعة أخذ ووضع فى رقبته باسة[1] وجنزير، وكشف رأسه، وتناولته أيدى الناس يضربونه بنعالهم، وهم خدام السلطان ومماليكه بقتله، فلولا من هو موكل به، لأتوا على نفسه، ومازالوا به حتى أدخلوه قاعة الصاحب بالقلعة. وماجت القاهرة ومصر بأهلها لسرورهم بذلك، فكان يوما معدودا. ووقع الطَلَبُ عليه بحمل المال، وبسطت عليه العقوبات بأنواعها. وتولى تعذيبه عدوه خالد بن داود، فقبض على أخيه كريم الدين ناظر البيوت، وعلى ألزامه وأصهاره وأتباعه. وولى مجد الدين موسى الهذبانى شاد الدواوين، فعظمت مصيبتهم وجلت بلاياهم، فإنه أدخل على تاج الدين بمزين حلق رأسه ثم شق جلدة رأسه بالموسى، وحشى جراحاته من الخنافس. ثم ألبس رأسه طاسة من نحاس قد أوقد عليه بالنار، حتى اشتدت سخونتها، فعندما أحست الخنافس بالحرارة سعت لتخرج، فلم تجد سبيلا، فجعلت تنقب فى جراحات رأسه حتى هلك، بعد ما رأى فى نفسه العبر من كثرة تنوع العذاب الأليم عليه. واعترف بخبيئة فى داره، فنزل الأمير قَشْتَمُر الحاجب، ومجد الدين الهذبانى - شاد الدواوين - وخالد بن داود إليها، فوجدوا ستة آلاف دينار. وأبيع موجوده، وهُدمت داره، فكانت جملة ما أخذ منه عشرة آلاف دينار.

واستقر عوضه فى نظر الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقولا، كاتب الخزانة. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ فى نظر الدولة ونظر البيوت. واستقر الفخر ابن السعيد - صاحب ديوان الجيش - فى كتابة الخزانة عوضه.

وفى هذا الشهر: قدم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، فأكرم إكراما زائدا،

---

(١) الباسة: يعنى به ضرب من الشىء الخشن.

وخلع عليه، وأنعم عليه بإقطاع الأمير طاز من غير زيادة، وهى منية ابن خصيب[١] وناحية أخرى.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة: أخرج الأمير أسندمر العمرى لنيابة حماة[٢]، ونقل الأمير سيف الدين طُبَيْرَق نائب حماة إلى إمرة بدمشق. ونقل الأمير مَنْجَك من صفد[٣] إلى نيابة طرابلس، عوضا عن أَيْتمِش الناصرى بعد وفاته.

وفى هذا الشهر: ركب السلطان إلى جهة الأهرام، وعاد فدخل إلى بيت الأمير شيخو، يعوده وقد وعك، فقدم له تقدمة جليلة.

وفيه خلع على الأمير صَرْغتمش، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، وكان قد تعطل نظره من متحدث تركى، وانفرد بالكلام فيه القاضى علاء الدين على بن الأطروش وفسد حال وقفه، فإنه كان يكثر من مهاداة أمراء الدولة ومدبريها، ويهمل عمارة رباعه حتى تشعثت فنزل إليه الأمير صَرْغتمش، ودار فيه على المرضى، فساءه ما رأى من ضياعهم، وقلة العناية بهم، فاستدعى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار[٤]، وعرض عليه التحدث فى المارستان كما كان، عوضا عن ابن الأطروش. فامتنع من ذلك، فمازال به حتى أجاب. وركبا إلى أوقاف المارستان بالمهندسين؛ لكشف ما يحتاج إليه من العمارة، فكتب تقدير المصروف ثلاثمائة ألف درهم، فرسم بالشروع فى العمارة، فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها، ونودى بحماية من سكن فيها، فزاد ريع الوقف فى الشهر نحو أربعين ألف درهم، ومنع من يتعرض إليهم، وانصلحت أحوال المرضى أيضًا.

وعرض الأمير صَرْغَتْمش جميع مستحقى الوقف من الفقهاء والقراء وغيرهم، وأكثر من سؤالهم، ونقب عن أمورهم، وألزمهم بمواظبة وظائفهم.

وفيها انفتح باب السعى عند الأمير شَيْخُو بالبراطيل[٥] فى الولايات، فسعى جماعة بأموال فى عدة جهات، فأجيبوا إلى ذلك، وقرروا فيما أرادوه، وأخذ منهم ما وعدوا

---

(١) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) حماة: من كور حمص بالشام وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر معجم البلدان ٣٠١،٣٠/٢، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى ١٤٠/٤.

(٣) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٤) اسم قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها قرى.

(٥) البراطيل جمع البرطيل وهى الرشوة انظر المعجم الوسيط.

به، منهم حاجى أستادار ظهير بغا، استقر فى ولاية قوص[1] بمائتين وخمسين ألف درهم، قام بها للسلطان والأمراء. واستقر أيضًا ناصر الدين محمد بن إياس بن الدويدارى فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن عز الدين أَزدَمُر الأعمى بنحو ستة آلاف دينار.

وكان أزدَمر قد عمى من اثنتى عشرة سنة، وهو لا يظهر أنه أعمى، ويركب، ويكبس البلاد، ويحضر الخدمة السلطانية مع الأمراء، وله مملوك يكون معه حيث سلك، يعرفه ما يريد، وإذا رأى أحدا يقصده يعرفه به، فيستقبله من بعد ويسلم عليه كأنه يراه. وكذا إذا جلس للحكم أرشده سرا لما لابد منه. ومع ذلك فقد كان لطول مدته وتمرنه صار يعرف أكثر أحوال العربان، ويستحضر أسماءهم، فيقوى بذلك على تمشية أموره، بحيث يخفى على أكثر الناس عماؤه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيها خرج ركب الحجاج الرجبية، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، ونزل بركة الجب[2] على العادة فى يوم الإثنين حادى عشرين رجب. وسافر فيه الطواشى شبل الدولة كافور الهندى، وقطب الدين هرماس وجماعة من الأعيان. فلما وصل الركب إلى بدر، لقيهم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة[3]، وقد توجه من المدينة النبوية - وكان مجاورا بها - يريد مكة ليصوم بها شهر رمضان. وعند نزولهم بطن مرو لقيهم الشريف عجلان[4] أمير مكة. فخلع عليه، ومضوا إلى مكة، فدخلوها معتمرين يوم الخميس تاسع عشرين شعبان، فنودى من الغد مستهل رمضان ألا يحمل أحد من بنى حسن والقواد والعبيد سلاحا بمكة، فامتنعوا من حمله. وكان الرخاء كثيرا، كل غرارة قمح - وهى سبع ويبات مصرية - بثمانين درهما، والغرارة الشعير بخمسين

---

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) تقع بظاهر القاهرة من بحريها.

(٣) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والكتبخانة ٧/٨١ والتيمورية ٣/٦١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٤/٩٦.

(٤) عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى. من أمراء مكة. مولده ووفاته فيها. نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته (سنة ٧٤٥هـ) وبعد وفاة أبيه (سنة ٧٤٦هـ) نازعه إخوة له، فتداولوها بينهم مدة، ثم استقر الأمر لعجلان. فاستمر إلى أن توفى. انظر الجداول المحضية ١٤٦ والدرر الكامنة ٢/٤٥٣ وخلاصة الكلام ٣١ والأعلام ٤/٢١٦.

درهما. إلا أن الماء قليل، بحيث نزحت الآبار وانقطعت عين جوبان[1]، فأغاثهم الله بمطر عظيم رووا منه. وحضر أبو القاسم محمد بن أحمد اليمنى - إمام الزيدية الذى ضربه عمر شاه أمير الركب فى السنة الخالية - إلى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة تائبا مما كان عليه من مذهب الزيدية، فعقد له مجلس بالحرم، حضره أمير الركب وعامة أهل مصر ومكة، وأشهدهم أنه رجع عن مذهب الزيدية، وتبرأ إلى الله تعالى من إباحة دماء الشافعية وأموالهم، وأنه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة، وكتب خطه بذلك. فقال بعضهم:

استتوبوا الزيدى عن مذهب ... قد كان من قبل به معجبا
لو لم يدارك نفسه بتوبة ... لعجل الله له مذهبا

وهبت الريح بمكة من قبل اليمن، أظلم عقبيها الحرم، وفشت الأمراض فى الناس، حتى لم يكن أحد إلا وبه وعك[2]، إلا أنه كان سليما يحصل البرء منه بعد أسبوع. فلما كان شهر شوال ظهر بعد العشاء الآخرة من قبل جبل أبى قبيس[3]، كوكب فى قدر الهلال، وأكثر نورا منه، ومر على الكعبة ثم اختفى بعد ثلاثة درج، فسمع من فقير يمانى وهو يقول: «لا إله إلا الله، القادر على كل شىء، هذا يدل على رجل يكون فى شدة، يفرج الله عنه، ورجل يكون فى فرج يصير إلى شدة، والله يدبر الأمر بقدرته». وقدم الخبر فى أخريات شوال بخلع الصالح وإعادة السلطان حسن. وكان اتفق أيضًا أن الشيخ المعتقد أبا طرطور قال يوما: «لا إله إلا الله، اليوم جلس حسن فى دست مملكة مصر». ولم يكن عنده سوى الشيخ قطب الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الثناء محمود ابن هرماس بن ماضى المقدسى، المعروف بالهرماس فقام من فوره إلى أمير الركب عز الدين أزدمر وقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة وهما بالحرم، فجلس إليهما، ثم أطرق ورفع رأسه وقال: «لا إله إلا الله، اليوم جلس الملك الناصر حسن فى دست مملكة مصر عن الملك الصالح صالح، فور خوا ذلك عندكم». فورخه الأمير عز الدين أزدمر. وقدم الخبر بخلع الصالح وجلوس الناصر حسن فى ذلك اليوم بعينه. فمن حينئذ ارتبط الأمير عز الدين أزدمر على الهرماس، وأوصله للسلطان حسن حتى بلغ ما بلغ، ظنا منه أن الكلام المذكور كان من قبله على جهة الكشف، وما كان إلا مما تلقفه من الشيخ أبى طرطور، فنسبه إلى نفسه.

---

(١) من قرى مرو ويسمونها كوبان. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

(٢) أصابه ألم من شدة التعب. انظر المعجم الوجيز ٦٧٥.

(٣) جبل أبى قبيْس: - أو أبو قابوس - اسمان لجبل بمكة ويقال شيخ الجبال أبو قبيس، وقيل ثبير. انظر معجم البلدان ٣٠٨/٤، والروض المعطار ٤٥٢، معجم ما استعجم ١٠٤٠/٣.

وفيها كان من زيادة النيل ما يندر وقوع مثله، فإنه انتهى فى الزيادة إلى أصابع من عشرين ذراعا، فقيل خمسة، وقيل سبعة، وقيل عشرون أصبعا، من عشرين ذراعا، ففسدت الأقصاب والنيلة ونحوها من الزراعات، وفسدت الغلال التى بالمطامير والأجران والمخازن، وتقطعت الجسور التى بجميع النواحى، قبليها وبحريها، وتعطلت أكثر الدواليب[١] وتهدمت دور كثيرة مما يجاور النيل والخلجان، وغرقت البساتين، وقاض الماء حتى بلغ قنطرة قديدار[٢] فكانت المراكب تصل من بولاق إليها، ويركب الناس فى المراكب من بولاق إلى شبرا ودمنهور[٣].

وغرقت كوم الريش، وسقطت دورها، فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة، والأمير قشتمر الحاجب، وجماعة. وقطعت أشجار كثيرة، وعمل سد عظيم، حتى رجع الماء عن الحسينية بعد ما أشرفت على الغرق، فإن المطرية[٤] والأميرية والمنيا وشبرا مع جميع الضواحى بقوا ملقة واحدة متصلة بالنيل الأعظم، فعز التبن بالنواحى لتلفه كله، وبلغ كل حمل عشرين درهما فى الريف، ووصل فى القاهرة كل حمل إلى خمسة وأربعين درهما، ثم انحط إلى خمسة وعشرين درهما. وتحسنت الأسعار، فبلغ الأردب القمح إلى ستة وثلاثين درهما، والأردب الشعير إلى عشرين درهما، والأردب الفول إلى ستة عشر درهما. وشرق مع ذلك كثير من بلاد الفيوم[٥]، فإن جسرها انقطع، فتوجه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير مجد الدين موسى الهذبانى، والأمير عمر شاه - كاشف الجسور - وغيره، حتى سدوه وجبوا من بلاد الفيوم ثلاثمائة ألف درهم، وبنوا زريبة حجر موضع الجسر، حتى أتقنوه، ثم عادوا. وغلا البرسيم الأخضر حتى بلغ

---

(١) يقصد بالدواليب معاصر قصب السكر وما شابهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية.

(٢) قنطرة قديدار تقع على الخليج الناصرى.

(٣) دمنهور: مدينة مسورة فى بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يمينا وشمالا لا تحصى كثيرة. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، والروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزى ٢/٢/ ٢٨٤.

(٤) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جنابها الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٥) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وقيل إنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

الفدان بالضواحى إلى مائتين وخمسين درهما، وفى غيرها إلى مائتين، من قلة الأتبان. وانحط سعر العسل والسكر، وتلفت الفواكه جميعها وهلكت أشجار أكثر البساتين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الأمير سيف الدين أَيْتَمِش المحمدى الناصرى نائب طرابلس فى رمضان ترقى فى الخدم إلى أمره الناصرى قريبا من سنة أربع وعشرين، ثم ولى حاجبا فى المحرم سنة أربع وأربعين، وانتقل منها إلى الوزارة فى شهر رمضان منها، فاستمر إلى سنة خمس وأربعين وأعيد إلى الحجابة. فلما قتل أرغون شاه نائب دمشق استقر عوضه، فقدم دمشق فى جمادى الآخرة سنة خمسين، وأقام بها إلى رجب سنة اثنتين وخمسين، فدعى إلى مصر، وقبض عليه بها، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد يسير، وأخرج إلى صفد، ومنها لحق بيبغ روس[1] فأشار عليه بخبره. فلما قدم السلطان إلى دمشق، وعرفت سيرته الحسنة، ولى نيابة طرابلس، فمات بها. وكان لين العريكة، وطى الجانب.

ومات الأمير علاء الدين مُغْلْطاى - أمير شكار وأمير آخور - بطالا بدمشق. كان من خواص الناصرى، فترقى فى خدمته، حتى صار رأس نوبة كبير أمير مايه، واستقر أمير شكار وأمير آخور، ثم قبض عليه وأخرج إلى طرابلس، ثم نقل إلى دمشق، فمات بها فى عاشر رمضان، وكان حاد الخلق.

ومات جمال الدين أبو الطيب الحسين، ابن قاضى قضاة دمشق تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى[2]، بدمشق، فى يوم السبت ثانى شهر رمضان، ومولده بمصر سنة إحدى وعشرين. كتب بديوان الإنشاء فى وزارة أبيه، ثم ولى استيفاء الصحبة. وتقلد فى سنة

---

(١) هو الأمير بيبغا روس الناصرى، واشتهر ذكره فى دولة الصالح إسماعيل، ثم عظم قدره، فى دولة المظفر حاجى عندما باشر نيابة السلطنة.

(٢) على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى، أبو الحسن، تقى الدين: شيخ الإسلام فى عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكى صاحب الطبقات. ولد فى سبك (من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام وولى قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ. واعتل فعاد إلى القاهرة، من كتبه «الدر النظيم» فى التفسير، و«مختصر طبقات الفقهاء». انظر طبقات الشافعية ١٤٦/٦ وخطط مبارك ٧/١٢ وحسن المحاضرة ١٧٧/١، وغاية النهاية ٥٥١/١ والدرر الكامنة ٦٣/٣ والفهرس التمهيدى ٢٠٧ والأعلام ٣٠٢/٤.

تسع وثلاثين إلى نظر الدولة، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة أخوه كريم الدين، حتى أمسك مع أبيه فى نوبة النشو وعوقبوا. ثم توجه بعد موت أبيه إلى القدس وأقام به مدة. ثم طلب وولى نظر البيوت، فاستعفى منها، وولى نظر النظار بالشام. ثم استعفى منها أيضًا وقدم القاهرة حتى ولى نظر الجيش بعد ابن زنبور، وأضيف إليه نظر الخاص وكان فاضلا كريما درس بعدة مواضع.

توفى تاج الدين أبو الفضايل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام فى رابع شوال تحت العقوبة، كما تقدم. وهو أحد كتاب مصر المعدودة، وكان يخدم جريدته[١] بيده، ولا يحتاج إلى كشف عامل ولا غيره، بل يكاد أن يعمل محاسبة كل أحد من ذهنه لفرط ذكائه وشدة فطنته، مع العفة والأمانة، أو التشدد على الناس، والتوفير من الأرزاق حتى لم يعهد أنه جرى على يده رزق لأحد، بل ما برح يوفر المال للسلطان إلى أن كان من أمره ما كان. وكان لا يراعى أحدا، ولا يحابى، ويكثر من المحاققة والضبط.

توفى الأمير سيف الدين أياجى نائب قلعة دمشق.

وتوفى الشريف علاء الدين أبو الحسن على بن عز الدين حمزة بن الفخر على بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسينى الحلبى، نقيب الأشراف بحلب. قدم القاهرة، وكتب بديوان الإنشاء مدة، ثم عاد إلى حلب، وولى وكالة بيت المال ونقابة الأشراف بها حتى مات، وقد أناف على السبعين.

وتوفى الوزير الصاحب، موفق الدين، أبو الفضل، هبة الله بن سعيد الدولة، إبراهيم، فى يوم الجمعة ثانى عشرين ربيع الآخر. وكان كاتبا مجيدا مشكور السيرة، له بر ومعروف. باشر أولا نظر الدولة ثم تنقل إلى الوزارة فلم يزل وزيرا حتى مات، ودفن بتربته من القاهرة، وكانت جنازته حفلة.

وتوفى متملك الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر[٢] فى صلاة عيد الفطر، طعن بخنجر وهو ساجد، فكانت منيته.

---

(١) الجريدة: خيل لا رحالة فيها. انظر المعجم الوسيط (جرد).

(٢) يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، أبو الحجاج الأنصارى الخزرجى الناصرى: سابع ملوك «بنى نصر»ابن الأحمر، فى الأندلس بويع بغرناطة ساعة مقتل أخيه محمد (أواخر سنة ٧٣٣هـ) وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر. هجم عليه مجهول وطعنه بسكين (أو خنجر) بينما هو ساجد فى الركعة الأخيرة من صلاة العيد. انظر اللمحة البدرية ٨٩ والدرر الكامنة ٤٥٠/٤ والحلل السندسية ٢٢٩/٢. ٢٣٩ والأعلام ٢١٧/٨.

وتوفى قاضى القضاة المالكية ببلاد الشرق[1] عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجى المطرزى المعروف بالعضد الشيرازى الشافعى[2] مسجونا فى سخط صاحب كرمان[3]، ومولده سنة ثمانين وستمائة. وله شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول، ﷺ المواقف، وكتاب القواعد الغياثية. وكان إماما فى المعقولات والنحو والأصول والمعانى والبيان، مشاركا فى الفقه. وله سعادة ضخمة، وكلمة نافذة. وولاه أبو سعيد القضاء. وسكن سلطانية ثم شيراز[4]. وبينه وبين فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى[5] مناظرات.

* * *

---

(١) يقصد ببلاد الشرق الموصل وسنجار والجزيرة وديار بكر والرها. انظر معجم البلدان.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجى: عالم بالأصول والمعانى والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولى القضاء، وأنجب تلاميذ عظاما وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا. من تصانيفه «المواقف» فى علم الكلام، و«العقائد العضدية» فى علم الوضع و«شرح مختصر ابن حاجب» فى أصول الفقه. انظر بغية الوعاة ٢٩٦ والدرر الكامنة ٣٢٢/٢ وطبقات السبكى ١٠٨/٦ والكتبخانة ١٤٥/٤ والأعلام ٢٩٥/٣.

(٣) كرمان: أرض كرمان متصلة بأرض فارس وبأرض مكران. قالوا وهى ثمانون فرسخًا فى مثلها، وحدها فى الشرق أرض مكران، وفى الغرب أرض فارس، وفى الشمال مفازة خراسان وسجستان وفى الجنوب بحر فارس. انظر معجم البلدان ٤٥٤/٤، والروض المعطار ٤٩١، ٤٩٢، واليعقوبى ٢٨٦، والكرخى ٢٦٦، والمقدسى ٤٥٩، وابن الفقيه ٢٠٥.

(٤) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وبها الديوان والجبى، وهى مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبى عقيل ابن عم الحجاج، وتفسير شيراز: حوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣، ٣٨١، والروض المعطار ٣٥١، نزهة المشتاق ٢٠٤.

(٥) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردى: فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز. له «شرح منهاج البيضاوى» فى أصول الفقه، و«شرح شافية ابن الحاجب». انظر البدر الطالع ٤٧/١ والدرر الكامنة ١٢٣/١ والخزانة التيمورية ١٩٧/١ وطبقات الشافعية ١٦٩/٥ وشذرات الذهب ١٤٨/٦ والبدر الطالع ٤٧/١ والأزهرية ٧٨/٤ ودار الكتب ٢٥٢/٢ والأعلام ١١١/١.

سنة ست وخمسين وسبعمائة

فى المحرم: شرع الأمير شَيْخُو فى هدم أملاك ابتاعها بخط صليبة جامع ابـن طولـون. فكانت مساحتها زيادة على فدان، واختط موضعهـا خانكـاه[1]، وحمـامين وحوانيـت، يعلوها ربـاع. وجـد فـى بنائهـا بحيث أنـه عمـل فيهـا بنفسـه ومماليكـه، حتـى انتهـت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها. ووقف عليها عدة جهات بأرض مصـر والشـام. ورتـب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وشيخا للصوفية، ومدرسا للحديث النبوى، وشـيخا لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، وغـير ذلـك مـن الفراشـين والقومـة والمباشـرين. وشرط على الفقهاء والصوفية ألا يتزوج منهم إلا طائفـة عينهـم مـن كـل مذهـب، وأن يقيم العزاب بالخانكاه ليلا ونهارا. وشرط ألا يكون فيهـم ولا منهـم قـاض ولا شـاهد، يتكسب بتحمل الشهادة. فلما كان يوم عرفة منها ركـب فـى جماعـة الأمـراء وأعيـان الدولة وقضاة القضاة ومشايخ العلم إلى هذه الخانكاه. وقـد قـرر فـى تدريـس الشـافعية بهاء الدين أحمد ابن الشيخ الإمام تقى الدين على بن عبد الكـافى السبكى[2]، والشـيخ خليل الجندى فى تدريس المالكية، والقاضى ناصر الدين نصر الله فـى تدريـس الحنابلـة، شريكا لقاضى القضاة موفق الديـن عبـد الله الحنبلـى. وألقـى المدرسـون الثلاثـة دروس الفقه على مذاهبهم، وطلبتهم قد تحلقوا بين أيديهـم فيمـا بـين الظهـر إلى العصـر. فلمـا صلوا العصر فرش الأمير شيخو سجادة مشيخة التصوف بيـده، وأجلس الشـيخ أكمـل الدين محمـد بـن محمـود الحنفـى عليهـا. ثـم لمـا انقضـى الحضـور انفضـوا. فكـان يومـا مشهودًا. ولم يسخر فى بنائها أحد من المقيدين الذين بالسجون، كما هـى عـادة أمـراء الدولة فى عمايرهم، ولا سخر من الناس أحدا بغـير أجرة فـى شـىء مـن أعمـال هـذه الخانكاه، بل كانت تُوفى للعمال أجرهم. وأنشد أدباء العصر فـى هـذه الخانكـاه عـدة أشعار، منها قول الأديب صلاح الدين صلاح الدين بن الزين لبيكم:

لقـد شـاد شَيْخُو خانكـاه بديعـة   تفوق على الروض المكلـل بـالندا
بناهـا ولم يعمـل بهـا مـن مقيـد   ولكـن علـى أهل الوظايف قيـدا

---

(١) الخانكاه وجمعها خوانك، كلمة فارسية معناها بيت.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حامد، بهاء الدين السبكى: فاضل، لـه «عـروس الأفـراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام (سنة ٧٦٢هـ) فأقام عاما، ثـم ولى قضـاء العسكر، وكـثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة». انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

وقال الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد[١]، الشهير بابن أبى حجلة المغربى، من مقامه عملها فى الخانكاه المذكورة:

ومدرسة للعلم فيها مواطن فَشَيْخُو بها فرد وإشارة جمع
لئن بات فيها فى القلوب مهابة فواقفها ليث وأشياخها سبع

وفى يوم الإثنين ثانى صفر: عزل تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر الأخنائى[٢]، عن قضاء المالكية بالقاهرة، واستقر فى نظر خزانة الخاص، عوضا عن ابن الجوجرى، وخلع عليه.

واستقر فى قضاء المالكية الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى، فمرض بعد شهر ولزم الفراش حتى مات بعد اثنين وسبعين يوما، بعد ما أفاق من مرضه إفاقة. وبلغه أنه لما أيس[٣] منه عزل، فسأل الأمير شَيْخُو ان يجدد السلطان له ولاية، فخلع عليه، وعمل الأمير شَيْخُو وليمة لعافيته، فمات يوم الثامن من الوليمة، فاستدعى تاج الدين الإخنائى وخلع عليه، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية مع نظر خزانة الخاص، فاستناب فى نظر الخاص أخاه برهان الدين إبراهيم.

وفيه كتب توقيع لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين على السبكى[٤] بأن يكون نائبا عن أبيه فى قضاء القضاة بدمشق، ومستقلا بعد وفاته. ورسم بحضور التقى إلى

---

(١) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى، أبو العباس، شهاب الدين بن أبى حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصريح منجك (بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون. كان حنيفا يميل إلى مذهب الحنابلة ويكثر من الحط على أهل الوحدة وخصوصا ابن الفارض، وامتحن بسببه. له أكثر من ثمانين مصنفا، منها «مقامات» وكتاب «ديوان الضبابة» و«منطق الطير». انظر الدرر الكامنة ٣٢٩/١ وتعريف الخلف ٤٢/٢ وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣، ١٣٥ والأعلام ٢٥٩/١.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدها بكتاب «الرد على الأخنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٣) أيس منه: أيسا - وإياسا: يئس وانقطع رجاؤه. انظر المعجم الوجيز ٣١.

(٤) عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى، أبو نصر: قاضى القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد فى القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفى بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام وعزل. تعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق، فتوفى بالطاعون. له تصانيف منها «طبقات الشافعية الكبرى» و«معيد النعم ومبيد النقم». انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٤٢٥/٢ وحسن المحاضرة ١٨٢/١ والتيمورية ١٣٠/٣ والكتبخانة ٢٤٣/٢ والأعلام ١٨٤/٤، ١٨٥.

القاهرة، بسعى ولده بهاء الدين أحمد فى ذلك، فكتم التقى عن أهل دمشق هذا، وخرج - وهو مريض - فى محفة ليزور القدس، فقدم القاهرة وقد اشتد مرضه، فمات بعد أيام. واستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق ابنه تاج الدين عبد الوهاب.

وفي يوم الإثنين تاسع صفر: قبض على الأمير أرغون الكاملى؛ خوفا من شره، وسجن بالإسكندرية. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ فى نظر الدولة، وأعيد شهاب الدين أحمد بن ياسين بن محمد الرياحى إلى قضاء المالكية بحلب، بعد وفاة زين عمر بن سعيد يحيى التلمستانى المغربى. واستقر خالد بن داود شاد الدواوين بإمرة عشرة، ولبس الشربوش[١] فى يوم عاشرة واستقر الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة عوضا عن الحاج أحمد بن زيد.وألزم ابن زيد بحمل ثلاثمائة ألف درهم، فحملها، فتتبع ابن يوسف آثاره حتى أظهر له من دفائن وودائع نحو أربعمائة ألف درهم. ثم صرف ابن يوسف وأعيد ابن زيد. وقبض على ابن يوسف، وعلى خالد بن داود شاد الدواوين وسلما لأحمد بن زيد، فعاقبهما وألزمهما بحمل المال، فلم يزل خالد فى العقوبة حتى مات. وأنعم السلطان على ولده الأمير أحمد بإمرة مائة تقدمة ألف، وأفرد له ديوانا.

وقدم الخبر بهجوم الفرنج على طرابلس الغرب، وأخذها، وقتل عامة أهلها. فلما بلغ ذلك أبو عنان فارس بن أبى الحسن على بن يعقوب[٢] - متملك فاس - اشتراها من الفرنج بمال كبير وعمرها.

وفيه سافر الأمير عمر شاه إلى الصعيد، وقد خرج سودى بن مانع وأخوه عن الطاعة، فأخذهما ووسطهما فى عدة من أصحابهما، وعاد.

وفيه قدم أولاد قراجا بن دلغادر بتقادم، فأعيد كبيرهم إلى الإمرة.

وقدم الأمير فياض بن مهنا[٣] بقود جليل، فأكرم، وأجريت له الرواتب على العادة،

---

(١) على هامش ط: الشربوش: قلنسوة طويلة يلبسها الأمراء بدلا من العمامة.

(٢) فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ ولما مات أبوه (سنة ٧٥٢هـ) استتب أمره. مرض أياما فدخل عليه وزير الحسن بن عمر الفودورى فقتله خنقا. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل الموشية والأعلام ١٢٧/٥.

(٣) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق من أول فضل ولى الإمرة بعد أخيه أحمد (سنة ٧٤٩م ثم عزل بأخيه حيا وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها. نظر الدرر الكامنة ٢٣٤/٣ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والأعلام ١٦٤/٥.

فشفع في الشريف ثُقْبَة(١)، فأفرج عنه وعن أخيه وابن عمه مَغَامِس فأقاموا مدة قليلة، ثم فر ثُقْبَة إلى مكة، فطلب فلم يقدر عليه.

وفى سابع جمادى الأولى: أعيد تاج الدين محمد الأخنائى إلى قضاء المالكية، بعد موت نور الدين على السخاوى.

وفى يوم الأربعاء سادس جمادى الآخر: ولد للأمير شَيْخُو ولد ذكر من ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فاحتفل احتفالا زائد فى عقيقته ومات الوليد بعد أيام، وعميت أمه عقيب ولادته. وفى خامس عشره قطعت يد الشريف المزور، وضرب أصحابه بالمقارع وشهروا، وكان فى التزوير ومحاكاة الخطوط عجبا، وسجن بسبب ذلك مرارًا.

وفيه سقط مطر فى غير أوانه، عم الوجه البحرى، ونزل معه برد قتل عدة أغنام كثيرة، بلغ وزن البردة أوقية وأوقيتين، ومنها ما نزل فى قدر الرغيف الكبير. وتلف زرع كثير من السيل. وهبت قبل هذه المطرة ريح عاصفة غرق منها عدة مراكب.

وفى هذه السنة: ابتدأ الأمير صَرْغَتْمُش فى هدم مساكن بجوار الجامع الطولونى، واختط موضعها مدرسة فى خامس رمضان، وكشف أوقاف الجامع بنفسه، ورم شعثها.

وقدم الخبر بأن فى شهر ربيع الآخر أمطرت السماء بأرض الروم بردا أهلك منه نحو مائة وخمسين قرية، فجعلها دكا، وكان وزن البردة الواحدة نحو رطل وثلث بالحلبى، وذلك فى شهر نيسان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكى - موقع الحكم - فى ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة، وكان عاقلا دينا فاضلا.

---

(١) ثقبة بن رميثة بن أبى نمى الحسنى: شريف ممن ولوا إمارة مكة. كان يتظاهر بنصرة المذهب الزيدى ويأمر عبيده إذا مر ذكر الشيخين (أبى بكر وعمر) برجم الخطيب السنى، واختلف مع إخوة له فتأذى الحجاج بسبب ذلك، فجاءه عسكر من مصر فقبض عليه فى موسم ٧٥٤هـ وسجن بمصر إلى سنة ٧٥٦هـ وأطلق فهرب إلى الحجاز فهاجم مكة ونهب خيول الأمراء الموالين للمصريين، وكسر الأتراك وباع أسراهم سنة ٧٦١هـ واستقل بمكة إلى أن مات. وانظر الدرر الكامنة ١/٥٣٠ والبدر الطالع ١/١٨١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦ والأعلام ٢/١٠٠.

وتوفى الشيخ الإمام قاضى القضاة بدمشق، تقى الدين أبو الحسن على بن زين الدين عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن سوار بن سليم الأنصارى السبكى بجزيرة النيل[(١)] من شاطئ النيل خارج القاهرة، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخر. ومولده فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة بناحية سبك من المنوفية، أحد أعمال مصر. قرأ القراءات على التقى الصايغ، والتفسير على العلم العراقى، وسمع على الحافظ الدمياطى، وتفقه للشافعى، وولى قضاء دمشق بعد الجلال القزوينى[(٢)] فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وانتهت إليه رياسة العلم.

وتوفى قاضى القضاة المالكى نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى المالكى، ليلة الإثنين رابع جمادى الأولى، ودفن بالقرافة.

وتوفى زين الدين أبو حفص عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى المالكى، قاضى قضاة المالكية بحلب، عن نيف وستين سنة، منها فى قضاء حلب نحو خمس سنين.

وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن عبد الحق السعدى[(٣)] البارنبارى، كاتب سر طرابلس، وله شعر جيد.

وتوفى الأديب الشاعر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله[(٤)]،

---

(١) حزيرة الفيلة: بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة تتصل بمنية الشيرج من بحريها ويمر النيل من غربيها.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، حلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاه بمصر سنة ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ فالأعلام ١٩٢/٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد المنعم تاج الدين أبو سعد السعدى: من كبار كتاب الإنشاء. دخل فى الديوان بالقاهرة (٧١٣هـ) ولما مات الشهاب ابن غانم بطرابلس توجه مكانه ثم ذهب إلى القاهرة سنة ٧١٤هـ فأرسل إلى دمشق. وتوجه إلى القدس زائر فمات به فجأة. وكان له نظم وسط فى ديوان «الفتح الرفيع فى مدح الشفيع». انظر الدرر الكامنة ١٩٥/٤ ودار الكتب ٦٦/٤ والأعلام ٣٦/٧، ٣٧.

(٤) محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقى، شمس الدين الخياط، ويقال له الضفدع: شاعر مجيد مكثر. مولده ووفاته فى دمشق. زار مصر، ومدح السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وتسلط على ابن نباتة فأكثر من معارضته ومناقصته. انظر الدرر الكامنة ٣٠٠/٤ والنجوم الزاهرة ٣٢٠/١٠ والمنهل الصافى ٣٢٨/٣ والبدر الطالع ٢٨٦/٢ والأعلام ١٥٣/٧.

يلقب بالضفدع، ويشهر بالخياط، الدمشقى فى طريق الحجاز. قدم القاهرة، ومدح الأعيان، وجمع شعره فى عدة أجزاء، وتكسب بتحمل الشهادة فى دمشق. وكان لا يؤمن هجوه لطول لسانه وتعرضه لكل أحد.

وتوفى العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى(١) النحوى المقرئ، الفقيه الشافعى، المعروف بابن السمين فى عاشر جمادى الآخرة. قرأ النحو على أبى حيان، والقراءات على التقى الصايغ، وسمع بآخره من يونس الدبابيسى، وتصدر للإقراء بجامع ابن طولون. وناب فى الحكم بالقاهرة، وولى نظر الأوقاف، وصنف تفسير القرآن فأطال فيه جدا حتى جاء فى عشرين سفرا كبارا، وصنف إعراب القرآن، وشرح التسهيل والشاطبية. وكان فقيها بارعا فى النحو والتفسير وعلم القراءات، وتكلم فى علم الأصول، وكان خيرا دينا.

وتوفى فخر الدين عثمان بن علم الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد الأنصارى النويرى المالكى، فى ذى الحجة. ومولده سنة ثلاث وستين وستمائة. وحفظ الموطأ، وسمع على جماعة بمصر والشام والحرمين، وتفقه، ودرس وأفتى، وأحكم المذهب. وكان كثير الحج والمجاورة والتأله.

ومات الأمير قبلاى النائب، يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول.

ومات شهاب الدين، شاهد الجيش، يوم الإثنين ثالث عشرين صفر.

ومات زين الدين الخضر بن تاج الدين محمد بن زين الدين الخضر بن جمال عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين على المعروف بابن الزين خضر فى آخر ربيع الأول. ومولده سنة عشر وسبعمائة. سمع على الحجاز وقرأ فى النحو وغيره، وكتب فى الإنشاء ونوه به كاتب السر علاء الدين على بن فضل الله، واعتمد عليه، وأقره يكتب بين يدى نائب السلطة. وكان يكتب سريعا من رأس القلم ما شاء، وكان ينطق بالجيم كافا.

ومات الأمير ملك آص، فى ثامن عشر رمضان بدمشق، وكان جاشنكير ثم ولى

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبى، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات شافعى، من أهل حلب استقر واشتهر فى القاهرة. من كتبه «تفسير القرآن»، «القول الوجيز فى أحكام الكتاب العزيز»، «الدرر المصون». انظر إعلام النبلاء ٢٤/٥ وغاية النهاية ١٥٢/١ والمكتبة الأزهرية ١٥٠/١ وجامعة الرياض ٤٦/١ والدرر الكامنة ٣٣٩/١ والأعلام ٢٧٤/١.

شاد الدواوين بدمشق، ونيابة جعبر[١]، وسجن بالإسكندرية، ثم أقام بدمشق بطالا حتى مات.

ومات الأمير قردم بدمشق يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان. كان أمير آخور، ثم أخرج إلى دمشق بطالا، وقبض عليه، ثم صار بدمشق من جملة الأمراء حتى مات. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) جعبر على الفرات بين بالسن والرحمة قرب صفين. انظر معجم البلدان ٣/١٤١،١٤٢.

سنة سبع وخمسين وسبعمائة

فيها ولى أويس بن الشيخ حسن بن أقبغا بن أيلكا سلطان بغداد بعد موت أبيه.

وولى كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر أبى عمرو، عثمان بن هبة الله المعرى، قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين محمد الزرعى[(١)].

وهجم على طرابلس الشام الفرنج فى عدة شوانى، وأفسدوا ثم عادوا.

ووقع حريق بمدينة دمشق، فتلف منه عدة مواضع، ظاهر باب الفرج، منها ستمائة حانوت سوى البيوت، عدم فيها ما تزيد قيمته على ألف ألف درهم. ثم وقع حريق آخر بالعقيبة[(٢)] - ثم حريق آخر بالصالحية[(٣)]، وحريق آخر داخل باب الصغير، مثل الحريق الذى بباب الفرج. ثم وقع فى أماكن أخرى من البلد.

واستولى الفرنج على صيدا، وقتلوا وأسروا، وقتل منهم أيضًا جماعة وعادوا.

وفى شهر ربيع الأول: هبت بالقاهرة ومصر ريح غربية، من أول النهار إلى المغرب، اصفر منها الجو، ثم احمر ثم اسود. واستمرت الريح إلى نصف الليل، فسقطت عدة أماكن، وامتلأت الأرض من تراب أصفر، ثم أمطرت السماء وسكن الريح.

وفى جمادى الأولى: ظهر كوكب له ذؤابة، وكان كبيرا مضيئا.

وفيها كمل بناء مدرسة الأمير صَرْغَتْمُش، بجوار جامع أحمد بن طولون. ورتب فى تدريس الحنفية بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى أبو حنيفة الفارابى الأتقانى الحنفى، وقرر عنده عدة من طلبة الحنفية، وشرط أن يكونوا أفاقية[(٤)]، وعمل

---

(١) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعي: فاضل. كان قاضى عجلون توفى بدمشق. له «المنتفى من كتاب كشف الحال فى وصف الخال». انظر شذرات الذهب ٢٦٤/٦ والأعلام ٤١/٧.

(٢) قرية من ضواحى دمشق.

(٣) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣٨٩/٣، ٣٩٠ قال ابن إياس هذا البلد عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وهى أول الرمل الذى بين مصر والشام، وانشأ بها قصورًا وجامعًا وسوّقا ليكون منزله للعساكر إذا خرجوا من الرمل وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة. انظر (نزهة الأمم فى العجائب والحكم).

(٤) على هامش ط: الأفق ما ظهر من نواحى الفلك وأطراف الأرض وكذلك آفاق السماء ونواحيها.

بها درسا للحديث النبوى، وحضر فى يوم الثلاثاء تاسعه صَرْغَتْمُش، ومعه الأمراء والقضاة والمشايخ، فألقى القوام الدرس، ثم مد سماط جليل، وملئت البركة سكرا مذابا، فأكل الناس وشربوا، ثم انفضوا.

وفيها يقول العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ الحنفى[1]:

ليهنك يا صرغتمش ما بنيته ... لأخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الرخيم كالزهر بهجة ... فلله من زهر و لله من بان

وقال النقيب صلاح الدين صلاح بن الزين لبيكم الرفاعى:

صَرْغَتْمُش قد شاد يا حبذا ... مدرسة بديعة فائقة
كأنها من حسنها جنة ... وقد غدت قبابها شاهقة
وقد حكى رخامها روضة ... أزهارها من طيبها عابقة

وقال الشهاب أحمد بن أبى حجلة:

فلها به فضل على الأقران ما ... بالبان فى الأغصان فضل البان
وقد أنبت الترخيم فى محرابها ... زاهرا كدر قلائد العقيان
فكأنه كسرى أنو شروان قد ... وضعوا عليه التاج فى الإيوان
لو لم يبت وأبو حنيفة شيخها ... ما شبهت بشقائق النعمان
حبر يطوف بمصر بحر علومه حتى ... كأن الناس فى طوفان
يثنى إليه العلم فضل زمانه ... وأبو حنيفتنا الإمام الثانى

وفيها أمر بإحضار الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة[2] المصرى من دمشق، فقدم القاهرة، فلم ينجح سعيه وأقام خاملا.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصايغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو و«المبانى فى المعانى» و«الغمز على الكنز». انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٢/٦، ١٩٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسنى الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة. وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» بن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريبا) وولى نظارة «القمامة» بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ، فكان بها صاحب سر الناصر حسن. له «ديوان شعر» و«سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع المطوق». انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١٤ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ وطبقات الشافعية ٣١/٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٢٨٨/١ والتاج ٥٩/١ والأعلام ٣٨/٦.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد الساحل، وأراضى كسروان من بلاد الشام، عم من بلاد طرابلس إلى معاملة بيروت، أتلف كثيرا من الوحش والأمتعة، وشجر الزيتون. وكان عجبا من العجب، فإن ورقة من شجرة سقطت فى بيت فاحترق جميع ما فيها، واستمرت ثلاثة أيام، ثم وقع مطرا فأطفاه.

وفيها عمرت مدينة عمان من البلقاء[1] للأمير صَرْغَتْمُش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد. وهى بلد قديم من بناء عمان ابن أخى لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط. وقيل هى مدينة دقيانوس الملك الذى أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام.

وفيها ولى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى[2] وكالة بيت المال، بعد وفاة الشريف شرف الدين على نقيب الأشراف. وولى نقابة الأشراف الشريف شهاب الدين بن أبى الركب.



ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شرف الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوى الشافعى، فى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب، ناب فى الحكم بالقاهرة، وتفقه، وشارك فى الحديث، وأفتى ودرس، وشرح فرائض الوسيط.

وتوفى كمال الدين أبو محمد وأبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى النشائى[3] الشافعى، فى يوم الأحد حادى عشر صفر. ومولده فى أوائل ذى القعدة

(١) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عبيل بن لوط وهو بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/٢، والروض المعطار ٩٦، ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الأسنوى الشافعى، أبو محمد، جمال الدين فقيه أصولى، من علماء العربية. ولد بإسنا، وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهت إليه رياسة الشافعية. وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة» فقه. و«الهداية إلى أوهام الكفاية» و«الأشباه والنظائر». انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨ والدرر الكامنة ٣٥٤/٢ وفهرس الكتبخانة ١٩٧/٤ ثم ٣٩٨ وكشف الظنون ١١٠١/٢ والأعلام ٣٤٤/٣.

(٣) أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى المدلجى، أبو العباس، كمال الدين النشائى: فقيه شافعى مصرى: نسبته إلى «نشا» وهى قرية بريف مصر. توفى بالقاهرة. له «المنتفى» فى الفقه» و«الإبريز فى=

سنة إحدى وتسعين وستمائة. تفقه على أبيه وبرع ودرس بالجامع الخطيرى ببولاق. وهو أول من ولى خطابته وإمامته وتدريسه. وصنف كتاب جامع المختصرات، وكتاب المنتقى، وعلق على التنبيه استدراكات.

ومات متملك بغداد الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان التترى، سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو، وكانت مدته سبع عشرة سنة.

وتوفى الشريف شرف الدين أبو الحسن على بن حسين بن محمد الحسينى نقيب الأشراف، ووكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة، فى ثالث عشر جمادى الآخرة. مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. حدث وتفقه للشافعى وقرأ النحو، ودرس بالمشهد الحسينى، والمدرسة الفخرية[1]، وكتب توضيح الحاوى، وأقرأه بمكة فى مجاورته سنة إحدى وخمسين.

وتوفى نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فخر الدين عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الحلبى الفقيه الشافعى، قاضى القضاة الشافعية بحلب. فكانت مدته نحو ست سنين. وكان فاضلا ممدحا أديبا ماهرا فى النثر مع معرفة بالفقه والأصول والنحو.

* * *

=الجمع بين الحاوى والوجيز». انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٤ وشذرات الذهب ٦/١٨٢ والمكتبة الأزهرية ٢/٤٨٢ ودار الكتب ١/٥٤٠ والأعلام ١/١٨٦، ١٨٧.

(١) المدرسة الفخرية: نسبة إلى الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان أستادار الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبى.

سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

فيها قبض على ابن الزبير ناظر الدولة، وعوقب حتى هلك.

وفى جمادى الآخر: خلع على شمس الدين محمد ابن الصاحب مدرس الصاحبية[1] والشريفية[2] بمصر، واستقر محتسب القاهرة بعد وفاة علاء الدين على بن الأطروش. واستقر شيخنا سراج الدين الهندى عوضه فى قضاء العسكر.

وفى يوم الخميس ثامن شعبان: وثب قطاوقجا - ويقال باى قجا - أحد المماليك السلاح دارية على الأمير شَيْخُو وهو بدار العدل، وضربه بسيف ثلاث ضربات، فى رأسه ووجهه وذراعه، فسقط وارتج المجلس. وقام السلطان عن كرسى الملك إلى قصره فى خاصكيته، وتفرق الأمراء. وطار الخبر بأن الأمير شيخو قتل، فركب الأمير خليل ابن قوصون - ربيب شيخو ولبس آلة الحرب، وساق فى عدة وافرة إلى القلعة، وصعدها بمن معه وهم ركاب، إلى رحبة دار العدل. وحمل شيخو على جنوية[3] - على أنه قد مات - إلى إصطنبله. وركب العسكر جميعهم إلى تحت القلعة بالسلاح. وركب الأمير صَرْغَتْمُش فى عدة من الأمراء إلى الأمير شيخو، فوجدوا به رمقا، فاعتذروا إليه مما وقع، وأنه لم يكن يعلم السلطان، وأنه قبض على الغريم وأمر بتسميره وتوسيطه. ثم قاموا فسمر المذكور، وطيف به على جمل، ثم وسط بعد ما قرر فلم يقر على أحد. وقال: «قدمت له قصة لينقلنى من الجامكية إلى الإقطاع فلم يفعل، فبقى فى نفسى منه». وركب السلطان من الغد لعيادة شَيْخُو وحلف له أنه لم يعلم بما جرى حتى وقع، ثم عاد. فمازال شيخو صاحب فراش حتى مات يوم الخميس خامس عشرين ذى القعدة، ودفن من الغد بخانكاته، وقبره بها، وكان قد قارب الستين سنة. وكان كثير المعروف، وهو أول من قيل له الأمير الكبير بمصر.

وفى شعبان: قدم رسل السلطان جانبك بن أزبك، فركب العسكر من الأمراء والمماليك والمقدمين وأجناد الحلقة إلى لقائهم بالزى الفاخر. وتمثلوا بين يدى السلطان،

---

(١) المدرسة الصاحبية، أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر.

(٢) المدرسة الشريفية، نسبة إلى الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب أحد أمراء الدولة الأيوبية فى مصر.

(٣) نوع من المركبات.

وقدموا معهم من الهدية، وهى عدة مماليك، وفرو سمور، وطيور جوارح. فكتب جوابهم وأعيدوا.

وفى هذا الشهر: حملت جارية بدمشق، من عتقاء الأمير تمر المهمندار، قريبا من سبعين يوما، ثم طرحت أربعة عشر بنتا وصبيا، يعرف الذكر من الأنثى فى نحو أربعين يوما.

ولما مات شيخو قبض السلطان على الأمير خليل بن قوصون، وغيره من أتباع شيخو، فيهم الأمير قجا السلاح دار أمير شكار، والأمير تقطاى الدوادار، والأمير قطلوبغا الذهبى، وأرغون الطرخانى، فنفى بعضهم إلى الشام، وسجن بعضهم بالإسكندرية، وانفرد الأمير صرغتمش بتدبير الدولة.

وفى يوم الجمعة: استقر الأمير تنكزبغا أمير مجلس والأمير أزدَمُر الخازندار أمير سلاح، والأمير كشتمر القاسمى حاجب الحجاب، والأمير علم دار دوادارا كبيرا. وأنعم على يلبغا العمرى الخاصكى بإمارة طبلخاناه، وعلى مَنْكلى بُغا بإمرة طبلخاناه، وعلى أَيْدَمُر بإمرة طبلخاناه، وعلى طَيْبُغا الطويل بإمرة طبلخاناه. واستقر قطب الدين ابن عرب فى حسبة القاهرة، بعد وفاة شمس الدين محمد ابن الصاحب فجأة وهو راكب على بغلته بين القصرين فسقط عنها، فلا يدرى أمات فسقط أو سقط فمات. واستقر تاج الدين بن الريشة فى نظر الدولة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى قضاة الحنفية بدمشق، نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم بن العماد أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد[1] الطرسوسى[2] الحنفى، عن أربعين سنة. وكان مشكور السيرة، صنف كتاب «رفع الكلفة عن الأخوان، فى ذكر ما قدم القياس على الاستحسان»، وكتاب «الاختلافات الواقعة فى المصنفات»،

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى، نجم الدين: قاض مصنف. ولد ومات فى دمشق. وولى قضاءها بعد والده (سنة٧٤٦هـ) وأفتى ودرس، وألف كتبا منها «الإشارات فى ضبط المشكلات» و«الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام». انظر الدرر الكامنة ٤٣/١ والنجوم الزاهرة ٣٢٦/١٠ وكشف الظنون ٩٧/١ والمكتبة الأزهرية ١٠٤/٢ والإعلام ٥١/١.

(٢) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليها وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ١٣٣/٤.

وكتاب «مناسك الحج» - مطولا - وكتاب «محظورات الإحرام»، وكتاب «الإشارات فى ضبط المشكلات»، - عدة مجلدات - وكتاب «الفتاوى فى الفقه»، وكتاب «الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام» وكتاب «الفوايد المنظومة فى الفقه».

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المحسن العسجدى الشافعى، وقد قارب الثمانين.

ومات الأمير أرغون الكاملى بالقدس فى تلك السنة، أصله من مماليك الكامل شعبان بن الناصر محمد[1] فترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوف وولى نيابة حلب ونيابة دمشق، ثم قبض عليه وسجن، ثم نفى إلى القدس، فمات بها.

وتوفى الشيخ قوام الدين أبو حنيفة أمير بن كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى الفارابى الأتقانى فى شوال، ولى تدريس مشهد الإمام أبى حنيفة - رحمه الله تعالى - ببغداد، ثم قدم إلى الشام، فاستدعى منها إلى القاهرة، واختص بالأمير صَرْغَتمش، وعمل له درسا بجامع الماردينى[2]، ثم ولاه تدريس مدرسته.

وتوفى محب الدين أبو عبد الله محمود بن علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين ربيع الآخر. درس بالمدرسة الشريفية من القاهرة، وبالجامع الماردينى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الأصول، وكتب تعليقه فى الفقه، وكتب اعتراضات على شرح الحاوى فى الفقه لأبيه.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأطروش الحنفى، محتسب القاهرة، وقاضى العسكر فى تلك السنة. حدث، وكان فيه كرم، وهو معدود من رجال الدنيا فى معناه. وله منازعات مع الضياء الشامى، فى نظر المارستان وحسبة القاهرة. وكان يلى هذا مرة وهذا مرة. وولى أولا حسبة دمشق. وكان أبوه يبيع السقط.

* * *

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصرى محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والإعلام ١٦٤/٣.

(٢) الجامع الماردينى، نسبة إلى الأمير ألطبنغا الماردينى الشاقى.

سنة تسع وخمسين وسبعمائة

أول المحرم: استقر محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمي[1]، المعروف بكاتب جانكلى، صاحب ديوان الأمير قجا السلاح دار، فى نظر البيوت.

وفى هذا الشهر: أمر - بإشارة الأمير صَرْغتمش - أن تضرب فلوس زنة الفلس منها مثقال، فضرب منها عدة قناطير. ثم رسم أن يكون كل فلس من هذه الجدد بفلسين من العتق، وكل رطل من الفلوس العتق بدرهم ونصف، بعد ما كان الرطل منها بدرهمين. وركب والى القاهرة ووالى مصر ومحتسبيهما وأحمال الفلوس الجدد بين أيديهم. ونودى فى الناس بأن يتعاملوا بها على ما ذكرنا. فاستمرت المعاملة بالفلوس الجدد، واستقرت أربعة وعشرون فلسا بدرهم فضة.

وعزل تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى عن قضاء دمشق، واستقر عوضه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكى[2] الشافعى.

واستقر جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوى[3] - المعروف بابن السراج الحنفى - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فزارة الكفرى.

واستقر شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين المسلاتى.

---

(١) محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبى ثم المصرى، المعروف بناظر الجيش: عالم بالعربية، من تلاميذ أبى حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة. ترقى إلى أن ولى نظر الجيش بالديار المصرية. ألف «تمهيد القواعد» و«شرح التلخيص». انظر الدرر الكامنة ٢٩٠/٤ وإعلام النبلاء ٦١/٥ والأعلام ١٥٣/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر المطلب» فى شرح الوسيط، فى فروع الشافعية، و«شرح الحاوى الصغير للقزوينى» فقه. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

(٣) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق وولى قضاءها. من كتبه «بغية الفقيه» فقه و«المنتهى» فى شرح المغنى فى الأصول و«الزيادة شرح العمدة» وفى أصول الدين. انظر الفوائد البهية ٢٠٧ والكتبخانة ١٣/٣ والجواهر المضية ١٥٦/٢ وكشف الظنون ٣٤٦/١ والأعلام ١٦٢/٧.

واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن المخلطة فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن ابن الريغى.

وفى يوم سار البريد بالقبض على الأمير طاز نائب حلب، فبلغ الخبر طاز، فسار من حلب فى أصحابه كأنه يريد الحرب. وأخذ السلطان فى تجهيز العساكر لقتاله، فلما قارب دمشق، أرسل إلى الأمير على النائب بأنه «مملوك السلطان وفى طاعته، وما قصدت إلا أن يصل أهلى إلى دمشق فى سلامة من نهب العربان والتراكمين». وسلم نفسه، فقبض نائب الشام على حاشيته وجهز سيوفهم إلى السلطان على العادة، وحمل طاز مقيدًا إلى الكرك[1] فبطلت تجريدة العساكر، ورسم بنقل طاز إلى الإسكندرية. وكتب باستقرار الأمير منجك فى نيابة حلب، عوضا عن طاز.

وتقدم مرسوم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة[2]، بألا يشهد فى المساطير المكتبة بمبلغ كبير من المال، وفى صدقات النساء التى مبلغها كبير إلا أربعة شهود، ولا يشهد على مريض بوصية إلا بإذن أحد القضاة الأربعة، أو أحد نواب الشافعى.

وفى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخر: صرف قاضى القضاة عز الدين بن جماعة عن القضاء، واستقر عوضه الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل[3] العقيلى، فأبطل ما رسم به للشهود، وفرق من مال الصدقات فى الفقراء نحو الستين ألف درهم فى أيام ولايته، وفرق الفقهاء مائة وخمسين ألف درهم من وصية، واستناب زوج ابنته سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والكتبخانة ٧/١٨١ والتيمورية ٣/٦١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٤/٢٦.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى. بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. مولده ووفاته فى القاهرة. ولى قضاء الديار المصرية مدة قصيرة. له «شرح ألفية بن مالك» فى النحو و«التعليق الوجيز على الكتاب العزيز» تفسير. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ ومفتاح السعادة ١/٤٣٩ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وحسن المحاضرة ١/٣١٠ وشذرات الذهب ٦/٣١٤ والفهرس التمهيدى ١٩٤ والكتبخانة ٤/١١٠ والأعلام ٤/٩٦.

البلقينى[١] وتاج الدين بن سالم وغيره من أصهاره.

وأنعم على الأمير شهاب الدين أحمد بن قشتمر حمص أخضر بإمرة مائة.

وكثر فى شهر رمضان إكرام السلطان للأمير صَرْغَتْمُش، وأمر فعمل له بثغر الإسكندرية قبانخ[٢]. فلما كان يوم الأحد تاسع عشره أصبح السلطان متوعك البدن، فلما دخل عليه صَرْغَتْمُش ليعوده ألبسه القبانخ ونزل إلى داره. ثم صعد من الغد يوم الإثنين عشرينه إلى القصر على عادته، وأمر ونهى على باب القصر وصرف أمور الدولة على عادته، ثم دخل. فلما استقر به الجلوس، وتكامل الموكب، تقدم الأمير طيبغا الطويل، وقبض عليه، وأعانه الأمير منكلى بغا، ثم قبض على الأمير قشتمر القاسمى حاجب الحجاب والأمير طقبغا صاروق الماجارى. وارتج القصر بمن فيه، فركب الأمير أحمد بن قشتمر فى عدة من المماليك، ولبس وهم آلة الحرب، ووقف تحت القلعة، فركب إليه الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، والأمير يلبغا الخاصكى، والأمير تنكر بغا، والأمير طيبغا الطويل، والأمير منكلى بغا، فى طائفة من المماليك السلطانية، وقاتلوه من بكرة النهار إلى العصر حتى هزموه ومن معه. وركب العامة أقفيتهم يرجمونهم بالحجارة، ثم امتدت أيديهم إلى بيت الأمير صَرْغَتْمش، فنهبوه، ونهبوا الحوانيت التى بالصليبة بجواره، وتتبعوا العجم، فإن صَرْغَتْمش كان يعنى بهم، ونوه باسمهم، وجعل مدرسته وقفا عليهم. فكان يوما مشهودًا عظيما شناعته. واستمر الطلب على ابن قَشْتَمُر حتى قبض عليه وعلى جماعته من آخر النهار، فقيدوا وحملوا إلى الإسكندرية - وفيهم صَرْغَتْمُشْ - فسجنوا بها.

وقبض على القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر محمد ناظر المارستان وأهين وأركب على حمار، ثم نفى بعد ضربه بالمقارع عريا، ومصادرته. وعزل عامة من كان جهته صَرْغَتْمُش، فعزل قطب الدين بن عرب من حسبة القاهرة، واستقر عوضه الشيخ عبد الرحيم الإسنوى، وعزل ابن عقيل عن قضاء القضاة بعد اثنين وثمانين يوما، وأعيد عز الدين بن جماعة فى يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رمضان. وقبض على ناظر

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر، وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج». انظر لحظ الألحاظ والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ والخزانة التيمورية ١٨/٣ والأعلام ٤٦/٤.

(٢) على هامش ط: (قبانخ) يتكون اللفظ من شطرين «قبا» و«نخ» أما القباء فهو ملبوس (فرجية - قفطان)، وأما النخ فنوع من النسيج الثمين كان يصنع فى تبريز ويمتاز بالرقة.

الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقوله وصودر، واستقر عوضه فى نظر الخاص تاج الدين بن الريشة مضافا إلى الوزارة. وفى نظر الجيش محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم. واستقر عوض محب الدين فى نظر البيوت فخر الدين بن السعيد. قبض على جرجى الأدريسى ونفى فى عدة من الأمراء.

وأنعم السلطان على عدة من مماليكه بأمريات، أنعم على مملوكه الأمير يلبغا الخاصكى بتقدمة ألف، وعمله أمير مجلس عوضا عن تنكز بغا. وأنعم على كل من الأميرين مَنْكَلى بُغَا والأمير طَيْبُغا الطويل، والأمير أَيْدَمُر الشامى والأمير أَلْجَاى اليوسفى بإمرة مائة وتقدمة ألف. وعمل أَيْدَمر الشامى داودارا، وأَلْجَا حاجبا ثانيا. وعمل الأمير عز الدين أزدمر الخازن دار أميرا كبيرا، مكان صَرْغَتْمُش، وولاه نظر المارستان المنصورى، ونظر وقف الصالح إسماعيل بقية المنصورية. وأنعم على عدة من مماليكه أيضًا بأمريات ما بين طبلخاناه وعشرات.

وفى يوم الأحد: المبارك ولد للسلطان ولد ذكر سماه قاسم، وأعطاه إمرة مائة.

ونقل الأمير مَنْجَك[1] من نيابة حلب إلى نيابة الشام، عوضا عن أمير على. ونقل أمير على إلى نيابة حلب.

وفيه خرجت تجريدة إلى برقة مع الأمير محمد باك القازانى.

وفى هذه السنة: كثر اختصاص قطب الدين هِرْماس بالسلطان، وصار يدخل عليه متى أراد بغير إذن، ويدخل معه أيضًا زوج ابنته صدر الدين. وكانت بين الهندى سراج الدين عمر الحنفى وبين الهرماس منافرة، فتقدم لقاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى أن يعزله من نيابة الحكم، فصرفه وهجره، فأعرض عنه عامة فقهاء الحنفية.

وفيه استقر التنيسى المالكى فى قضاء الإسكندرية بعد وفاة ابن المختلطة وقدم الخبر بموت صَرْغَتْمُش فى سجنه بالإسكندرية، فكانت مدة سجنه شهرين واثنى عشر يوما.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شرف الدين أبو البقاء خالد بن العماد إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر القَيْسَرانى، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

---

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية جبار. يعرف بمنجك الكبير واستقر حاجبا بدمشق سنة ٧٤٥هـ. وولى الوزارة بمصر (سنة ٧٤٨هـ) وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يوما. ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية سنة ٧٥٢هـ، وأفرج عنه (سنة ٧٥٩هـ) ومات فى داره بمصر. انظر خطط المقريزى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وخلاصة الأثر ٤/٢٣٠ والنجوم الزاهرة ١١/٣٣ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

ومات الأمير الكبير سيف الدين صَرْغَتْمُش الناصرى بسجن الإسكندرية مقتولا فى ذى الحجة. كان يكتب الخط الجيد، ويشارك فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، ويتعصب لمذهبه، ويجل العجم، ويختص بهم، ويتكلم أيضًا فى العربية، ودبر أمر الدولة مدة.

ومات أبو عنان فارس بن أبى الحسن على بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن جماعة المرينى(١) متملك المغرب وصاحب فاس.

وتوفى فخر الدين أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله بن المُختَلطَة قاضى الإسكندرية، فى يوم الجمعة سابع رجب.

وتوفى شمس الدين بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلى(٢) إمام أهل الموسيقى، وله تأليف حسن فى الموسيقى.

ومات الأمير سيف الدين تَنْكِزبُغا الماردينى، أمير مجلس، وزوج أخت السلطان حسن.

ومات الأمير الطواشى، صفى الدين جوهر الجَنَاحى، مقدم المماليك، وقد قارب المائة سنة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن نصر الهكارى الكردى الدمشقى الشافعى بدمشق، فى ذى القعدة، ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة. حدث عن التقى الواسطى، والشريف بن عساكر وتفقه وأفتى ودرس.

وتوفى أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن مسعود بن جماز بن شيحة الحسينى. واستقر بعد ابن عمه فضل بن قاسم فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين. وكثر تظاهره بمذهبه. فلما قدم الحاج ولبس الخلعة على العادة وثب عليه فداويان، قتلاه فى أواخر ذى الحجة، فثارت الفتنة بعد قتله، وتأذى بها كثير من الحجاج.

---

(١) فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة. ونشأ محبوبا فى قومه. وولاه أبوه إمارة تلمسان ثم ثار على أبيه، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ ولما مات أبوه سنة ٧٥٢هـ استتب أمره. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل الموشية ١٣٤ والأعلام ١٢٧/٥.

(٢) محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلى، شمس الدين، أبو عبد الله: إمام أهل الموسيقى فى عصره. أصله من بغداد، خرج أبوه لما استولى عليها هولاكو. فسكن القاهرة. وبها ولد ابنه وعاش ومات. وكان فقيها له اشتغال بالحديث والعربية. ولى مشيخة بعض المدارس بالقاهرة، وسمع منه الحافظ العراقى وآخرون. وأخذ علم الموسيقى عن غير واحد، ففاق الأقران. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ والدرر الكامنة ١٢٨/٤ وشذرات الذهب ١٩٨/٦ والأعلام ٣٢٣/٦.

وتوفى إمام الحنابلة بمكة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدى الحنبلى، بعدما أمَّ الناس ثلاثين سنة.

ومات قتيلاً الأمير سيف بن فضل بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَيَنة بن فضل[1] فى ذى القعدة. وكان جوادا، ولى إمرة آل فضل غير مرة.

ومات الأمير مَلَكْتَمُر السعيدى، فى ثامن ذى القعدة.

* * *

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤هـ) ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

سنة ستين وسبعمائة

فى الأربعاء ثالث المحرم: قدم أمير على إلى دمشق وقد أعيد إلى نيابتها، وعزل الأمير مَنْجَك عنها، وطلب إلى مصر، ففر من غزة[1] ولم يُقف على خبره، فعوقب بسببه عدة من الناس.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر المؤمنى فى نيابة حلب، ثم صرف عنها، واستقر عوضه الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى.

وصرف أمير على عن نيابة الشام، واستقر عوضه الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر الزينى.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى أربع أصابع من عشرين ذراعا، وثبت إلى أول شهر هاتور، فخرج الناس ودعوا حتى هبط، فكثرت الأمراض ببلاد الصعيد.

وفيها عقد لشمس الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم[2] الدكالى[3] الأصل، المعروف بابن النقاش، الفقيه الشافعى، فجلس بين يدى قاضى القضاة عز الدين بإشارة الهرماس، وادعى عليه زين الدين عبد الرحيم العراقى[4] أنه يفتى بغير مذهب الشافعى، فمنع من الإفتاء، وألا يتكلم فى مجالس الوعظ، إلا من كتاب، فامتنع بعد ما حبس، ثم أفرج عنه.

---

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى ثم المصرى، أبو أمامة، ويقال له ابن النقاش: واعظ، مفسر، فقيه. له «شرح العمدة»، و«تخريج أحاديث الرافعى» وكتاب فى «الفروق»، و«السابق واللاحق». وله شعر جيد. مات بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٧١/٤ وبغية الوعاة ٧٨ والفهرس التمهيدى ٤٢٨ وشذرات الذهب ١٩٨/٦ والأعلام ٢٨٦/٦.

(٣) نسبة إلى دكالة، بلد بالمغرب. انظر: معجم البلدان ٦١٢/٢، لب اللباب ١٠٦.

(٤) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان. تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» فى تخريج أحاديث الإحياء، و«نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول. انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية ٣٨٢/١ والعبدلية ٣١١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أَزْدَمُر الخازندار إلى الشام، على إمرة بها، فانحط قدر الهرماس، فإن أَزْدَمُر هذا كان عضده.

وفى شهر رجب: سارت الحجاج الرجبية من القاهرة، وسافر فيهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وقطب الدين الهرماس. وكان الشريف عجلان قد قدم من مكة، فعزله السلطان عن إمارتها وولى عوضه الشريفان محمد بن عُطَيْفة وسند بن رُمَيْثة، وقواهما بالأمير جَرَكْتَمُر الحاجب والأمير قطلوبُغا المنصورى، وناصر الدين أحمد بن أَصْلَم؛ ليقيموا بمكة، حتى يأتيهم البدل من مصر. وعُوق الشريف عجلان بمصر، فاتصل - فى غيبة الهرماس - بالسلطان، سراج الدين عمر الهندى[1] قاضى العسكر، وشمس الدين محمد بن النقاش، ولازماه سفرا وإقامة، وبلغا منه منزلة مكينة، فأخذا فى إغراء السلطان به حتى تنكر له، وتغير عليه، لقوادح رمياه بها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبى كاتب سر حلب.

ومات الأمير عز الدين تُقْطاى الداودار الصالحى بطرابلس منفيا؛ أصله من مماليك يلبغا اليحياوى، ثم انتقل إلى الملك الصالح فترقى حتى صار من الأمراء، ثم أخرج إلى الشام، فقدم دمشق فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين، ومضى إلى طرابلس، فأقام بها حتى هلك.

وتوفى الشيخ خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر أبو الوفا المالكى.

ومات علم الدين محمد بن القطب أحمد بن مفضل، كاتب سر دمشق وناظر الجيش بها، وقد جاوز الستين.

ومات تقى الدين محمد بن أحمد بن شاس المالكى، فى يوم الأربعاء رابع شوال، وقد ناب فى الحكم وأفتى ودرس.

---

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه، من كبار الأحناف. له كتب ، منها «التوشيح» فى شرح الهداية، فقه، و«الغرة المنتقية فى ترجيح مذهب أبى حنيفة». انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٥٤/٣ ونزهة الخواطر ٩٥/٢ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ والأعلام ٤٢/٥.

ومات تقى الدين محمود بن محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسى، أبو المظفر الحموى، عرف بابن الحكيم الحنفى، قاضى حماة، وقد أناف على ستين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى، قتله عمر بن موسى. وكان قد ولى إمرة العرب فى أيام المظفر حاجى بعد أحمد بن مهنا[1]، فلما مات أعيد أحمد بن مهنا. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائى ثم الثعلبى: أمير عرب الفضل فى بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذة على سقى الفرات وأطراف العراق. قدم القاهرة مرارا اعتقل سنة ٧٤٥هـ وأطلق سنة ٧٤٦هـ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٣٢١/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والعبرة ٤٣٩/٥ والأعلام ٢٦١/١.

سنة إحدى وستين وسبعمائة

فيها استقر أمين الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي، المعروف بابن القلانسي الدمشقي، كاتب السر بدمشق. واستقر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[1]، كاتب السر بحلب.

ولما قدم الحاج، كان السلطان بقصور سرياقوس[2] توجه قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة، وقاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي، والشيخ قطب الدين الهرماس، وقد قدموا من الحج للسلام على السلطان، فأذن للقاضيين في الدخول على السلطان، فدخلا ومنع الهرماس من ذلك، فأقبل السلطان عليهما وألبسهما خلعتين، وخرجا إلى منازلهما بالقاهرة. وتبين للناس انحطاط رتبة الهرماس، وفساد حاله مع السلطان.

وفيه سار الأمير بيدمر نائب حلب بالعساكر إلى بلاد سيس[3]، ففتح أذنة[4] وطرسوس[5] والمصيصة[6] وعدة قلاع، وأقام بأذنة وطرسوس نائبين بعسكر معهما، وعاد بالغنائم إلى حلب، فنقل في شهر ربيع الأول إلى نيابة دمشق عوضا عن أسندمر الزيني.

---

(١) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف. ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. تعلم في دمشق. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها. له زهاء مائتي مصنف، منها «الوافي بالوفيات» في التراجم و«الشعور بالعور» في تراجم العور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٨٧/٢ وطبقات الشافعية ٩٤/٦ وآداب اللغة ١٦١/٣ والوافي بالوفيات ٢٤٩/١ والأعلام ٣١٥/٢، ٣١٦.

(٢) بليدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٤) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلاً بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهي على نهر حيحان وليس للمسلمين عليه إلا أذنة وهي بين طرسوس والمصيصة. انظر معجم البلدان ١٣٣/١٣٢/١، والروض المعطار ٢٠.

(٥) انظر معجم البلدان ٢٨/٤، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٦) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له حيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفربيا، ولها بساتين وزروع، وحيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً، والمصيصة مكسورة الميم، قال الأصمعي: ولا يقال غير ذلك. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥، والروض المعطار ٥٥٤. ونزهة المشتاق ١٩٥، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

واستقر الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمرى فى نيابة حلب.

واستقر ناصر الدين محمد بن يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى كاتب السر بحلب عوضا عن الصلاح الصفدى.

واستقر الأمير ألجاى اليوسفى صاحب الحجاب بدمشق.

وظفر المسلمون بغراب[١] للفرنج فأسروا من فيه، وقدموا بهم القاهرة.

واستقر فخر الدين ماجد - ويدعى عبد الله بن أمين الدين خصيب - فى الوزارة، بعد وفاة ابن الريشة. وكان خصيب من جملة الكتاب النصارى فأسلم وترقى ابنه ماجد فى الخدم بالكتابة الديوانية حتى ولى الوزارة.

وفيها اشترى السلطان القصر المعروف بالبيسرى من القاهرة، وقصر بشتاك المقابل له، وجدد عمارتهما.

وفى يوم الأحد: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر من باب زويلة إلى المارستان المنصورى، وشقاق الحرير مفروشة ليمشى عليها، فزار أباه وجده. وقد زينت له القاهرة، واجتمع بالمدرسة المنصورية قضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم: بهاء الدين ابن عقيل، وزين الدين البسطامى الحنفى، وأكمل الدين الحنفى، وبهاء الدين السبكى، وسراج الدين الهندى، وسراج الدين البلقينى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى، وشمس الدين بن الصايغ الحنفى، وشمس الدين محمد بن النقاش، وبدر الدين حسن الشجاع الحنفى، وعدة أخر. فأتاهم السلطان وهم بالإيوان القبلى، فجلس وهم حلقة بين يديه، وأداروا البحث فى مسألة حتى انتهوا إلى غايتهم فيها. وقدمت عدة سجاجيد وغيرها للسلطان، فقبلها، وصار يرمى بها إلى الأمراء وهم يقبلون الأرض. ثم قام فركب من الباب، وركب معه ابن النقاش وسراج الهندى، حتى حاذى جامع الحاكم، فأمر بهدم دار الهرماس. ثم خرج من باب النصر وصعد إلى القلعة.

فهدمت دار الهرماس المجاورة للجامع، ونزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فقبض على الهرماس وولده، ونزع عنه ثيابه، وضربه بالمقارع قريبًا من عشرة شيوب[٢]، وداره تهدم وهو يشاهدها، ثم أخرج إلى مصياف[٣] من بلاد الشام منفيا.

---

(١) على هامش ط: نوع من السفن الحربية فى العصور الوسطى تركب فيه المقاتلة والجدافون.

(٢) سير السوط.

(٣) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥.

وكان من الدهاء والمكر على جانب كبير. وفيه يقول العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ الحنفى:

نال هرماس الخسارة ... من بعد ربح وجسارة
وحسب البهتان يبقى ... أخرب الله دياره

وقبض على الأمير منجك من داريا[١] بالشرف الأعلى ظاهر مدينة دمشق، بعد ما أقام مختفيا نحو سنة، فحمل إلى مصر، وتمثل بين يدى السلطان وهو لابس بشتا[٢] من صوف، وقد اعتم بميزر من صوف، فعفا عنه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بالشام، ورسم أن يكون طرخانا، وأن يقيم حيث شاء من البلاد.

وكان النيل فى هذه السنة مما يتعجب منه، فإن القاع جاء نحو اثنتى عشرة ذراعًا. وكان الوفاء يوم الخميس، وهو سادس مسرى، فكسر سد الخليج من الغد يوم الجمعة، ونودى عليه تسعة أصابع من عشرين ذراعًا. ثم بطل النداء عليه فبلغ نحو أربعة وعشرين ذراعًا، وخربت عدة مساكن، واستمر ثابتا إلى خامس بابة، فخرج الناس من الغد، ودعوا الله ، فهبط من يومه أربعة أصابع.

وسارت الحجاج الرجبية على العادة. وتوجه الأمير قُنْدُس بدلا من الأمير جركتمر. ورسم بتوجه جركتمر إلى الشام بعد الحج، وقد قطع خبزه. وكان الشريف ثقبة فيما مضى مقيما بجدة، فلما خرج جركتمر من مكة بعد قضاء الحج، هجم ثقبة عليها، وأخذ خيول قُنْدُس ومن معه، وحصرهم فى المسجد، فأغلقوا عليهم أبوابه، وقاتلوا من أعلاه بالنشاب، فقتل الشريف مغامس، وانهزم قُنْدُس بأصحابه، فقتل منهم وأسر جماعة، نودى عليهم بمكة للبيع، فبيعوا بأبخس الأثمان. وأخذ قندس، فعذب عذابًا أشفى منه على الموت. ثم نودى عليه، وأبيع بدرهمين، فشفع إليه تقى الدين محمد بن أحمد ابن قاسم الحرازى[٣] قاضى مكة، حتى أخرج من مكة ومعه جميع الأتراك. وقد اقترض ما يبلغه إلى ينبع[٤]. وفر أيضًا الشريف محمد بن عُطيفة إلى ينبع، والتجأ الشريف سُند ابن رميثة إلى الشريف ثقبة وصار من جملته. فلما قدم الحاج من المدينة النبوية إلى ينبع،

---

(١) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٤٣١/٢.

(٢) البشت: كساء من صوف غليظ النسج، لا كمين له، يرتديه أهل الريف فى الشتاء. انظر المعجم الوسيط ٥٩/١.

(٣) معقل باليمن قرب زبيد، سمى باسم بطن من حمير، وهو حراز. انظر معجم البلدان ٢٣٤/٢.

(٤) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٥٠/٤٤٩.

وجدوا بها الأمير قُنْدُس ومن بقى من المجردين ومحمد بن عُطَيْفَة، فساروا مع الحاج إلى القاهرة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلاى أبو سعيد الشافعى[(١)] صاحب كتاب القواعد وغيره، فى المحرم. ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة. وكان حافظا فقيها شافعيًا، لم يخلف بعده فى الحديث مثله. ودرس بالقدس سنتين.

ومات صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق الحنفى، ناظر الأحباس، عن ثلاث وستين سنة.

ومات جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام النحوى[(٢)] فى يوم الثلاثاء ثانى ذى القعدة، ومولده فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة.

ومات الشريف زين الدين أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد الممدوح الحسينى الحلبى، نقيب الأشراف بحلب.

ومات السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فى محبسه من قلعة الجبل، سلخ ذى الحجة، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاوون قريبا من المشهد النفيسى. رحمه الله تعالى.

وتوفى فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين الشافعى، أحد نواب الحكم، ولى قضاء الإسكندرية وغيرها عن ثلاث وتسعين سنة، فى يوم الإثنين سابع رجب رحمه الله.

---

(١) خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائى الدمشقى، أبو سعيد، صلاح الدين: محدث، فاضل، بحاثة. ولد وتعلم فى دمشق، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام فى القدس مدرسا فى الصلاحية سنة ٧٣١هـ، فتوفى فيها. من كتبه «المجموع المذهب فى قواعد المذهب» فى فقه الشافعية وكتاب «الأربعين فى أعمال المتقين». انظر فهرس الفهارس ١١٧/١ والنعيمى ٥٩/١ والدرر الكامنة ٩٠/٢ والأنسى الجليل ٤٥١/٢ والأعلام ٣٢١/٢، ٣٢٢.

(٢) عبد الله يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، بن هشام: من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر. من تصانيفه «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» و«عمدة الطالب فى تحقيق تصريف بن الحاجب» و«رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة» و«شذرات الذهب» و«الإعراب عن قواعد الإعراب» و«قطر الندى». انظر لحظ الألحاظ، والبدر الطالع ٤٠٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٣/١ والمكتبة الأزهرية ٥٩١/١ والأعلام ١٤٧/٤.

ومات صدر الدين محمد بن قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض الحنبلى، فاستقر عوضه فى تدريس المدرسة المنصورية قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى. وفى تدريس المدرسة الأشرفية، ناصر الدين نصر الله الحنبلى.

ومات شرف الدين موسى بن كجك، الإسرائيلى الأصل، الطبيب، فى يوم الثلاثاء ثامن شوال. وكان بارعا فى الطب، مشاركا فى عدة علوم، وكتب بخطه الجيد كتبا كثيرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد القسطلانى خطيب جامع عمرو بمصر وخطيب جامع القلعة، فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة.

وتوفى تاج الدين أحمد الزَرْكشى الشافعى مدرس المدرسة الفارسية[١]، وخطيب الجامع الأخضر[٢] فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة.

وتوفى سراج الدين عبد الله بن محمد بن معز، يوم الخميس حادى عشرين المحرم، عن ماية سنة، وولى حسبة الإسكندرية وشهادة بيت المال.

وتوفى ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار الشامى، فى ذى الحجة. ولى الحسبة، ونظر الدولة، ونظر المارستان، وغير ذلك، وكان ناهضا أمينا. رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

---

(١) المدرسة الفارسية: نسبة إلى الأمير فارس الدين ألبكى.

(٢) الجامع الأخضر خارج القاهرة بخط فم الخور.

سنة اثنتين وستين وسبعمائة

أهلت والأمراض بالباردة فاشية فى الناس، وقد ساءت أحوالهم لطول مدة أمراضهم.

وفيها قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه الأمير جركتمر الماردينى المجرد بالحجاز، وقد قبض عليه وعلى الأمير قطلوبغا المنصورى، وقدم الأمير منجك، وتمثل بين يدى السلطان.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة ونزل بناحية كوم برا[1] قريبا من الأهرام.

وفيها قبض على الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن خصيب[2] وعلى أخيه وحواشيه وأصهاره، وأحيط بدياره، وألزم بمال كبير. ثم نفى إلى مصياف من بلاد الشام، فأقام بها سنة ونيفا ثم نقل إلى القدس، فأقام هناك أربع سنين. ومات وكان قد أظهر فى وزارته من الترفع والتعاظم أمرا زائدا. من ذلك أنه ألزم جميع مباشرى الدولة والخاص وعامة المشدين بالركوب معه إذا ركب، فإذا وصلوا بين يديه إلى رأس سوق الحريريين من القاهرة، نزل مقدم الدولة ومقدم الخاص ومشيا فى ركابه إلى بين القصرين، ثم نزلت طائفة بعد طائفة، بحسب رتبهم، ومشوا بين يديه حتى لا يبقى أحد راكب سواه، إلى أن يصل إلى داره برأس حارة زويلة، فإن كان فى داره بفم الخور على النيل نزل من ينزل من قنطرة قدادار[3] ومشوا إلى داره وهو راكب، فإذا مضى إلى الصناعة بمدينة مصر، نزل الناس من باب مصر، وبقى هو وأخوه راكبين بمفردهما إلى الصناعة، والناس جميعا مشاة. وعنى بالأسمطة، فكان يطبخ دائمًا فى كل يوم بداره ألف رطل من اللحم، سوى الدجاج والأوز. وكان يبعث كل ليلة بعد عشائه إلى بين القصرين من القاهرة فيشترى له بمبلغ مائتين وخمسين درهما فضة ما بين قطا وسمان وفراخ وحمام وعصافير مقلوة. وتناهى فى أنواع الأطعمة الفاخرة، واقترح علبا كبار للحلوى، عرفت بعده مدة سنين بالعلب الخصيبية. وأخبرنى الوزير الصاحب تقى الدين

---

(١) من القرى القديمة بكورة الجيزة، وهى اليوم من بلاد مركز إمبابة.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبى شاكر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٢٧٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٢/١١ والأعلام ٢٥١/٥.

(٣) تقع على الخليج الناصرى يتوصل إليها من اللوق، ويمشى فوقها إلى بر الخليج الناصرى.

عبد الوهاب بن الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاكر أنه كان فى دارهم من جوارى ابن خصيب جاريتين، تحسن كل واحدة منهما ثمانين لونا من التقالى سوى بقية ألوان الطعام. وبلغت عدة جواريه سبعمائة جارية، بعد ما كان من أفقر الكتاب. وقد غلبه الدين، وأقام فى السجن والترسيم على ديون الناس مدة شهر.

وفيها قدم فخر الدين ماجد بن قزوينة[1] وزير دمشق إلى القاهرة باستدعاء فخلع عليه، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص عوضا عن ابن خصيب.

وفيها عزل الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى نفسه من حسبة القاهرة؛ لمفاوضة حصلت كانت بينه وبين الصاحب فخر الدين ماجد بن قزوينة. واستقر عوضه برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبى بكر الأخنائى[2] أخو قاضى القضاة علم الدين محمد الأخنائى، فسار فى الحسبة أحسن سيرة، وتصلحت عامة المعايش.

وفى يوم السبت سادس ربيع الآخر: سقطت إحدى منارتى مدرسة السلطان حسن، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة من الأطفال الأيتام الذين كانوا بمكتب السبيل، وغير الأيتام، فتشاءم الناس بذلك، وتطيروا به لزوال السلطان، فكان كذلك، وزال ملكه فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى. وذلك أنه بلغه وهو بمنزله بكوم برا أن الأمير يلبغا الخاصكى يريد قتله، وأنه لا يدخل إلى الخدمة إلا وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه فاستدعى به، وهو مع حريمه فى خلوة، وأمر فنزعت عنه ثيابه كلها، ثم كتفت يداه، فشفعت فيه إحدى حظايا السلطان، حتى خلى عنه وخلع عليه، واعتذر إليه بأنه بلغه عنه أنه لا يدخل إلا بالسلاح مخفى فى ثيابه. فخرج إلى مخيمه وقد اشتد حنقه، فلم يمض سوى ثلاثة أيام وبلغ السلطان أن يلبغا قد خامر وأظهر العصيان، وألبس مماليكه آلة الحرب، فبادر للركوب فى طائفة من مماليكه ليكبسه على بغتة، ويأخذه من مخيمه، فسبق ذلك إلى يلبغا من الطواشى بشير الجمدار، وقيل بل من الحظية التى شفعت فيه. فركب بمماليكه من فوره بالسلاح، يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى بعد العصر، ولقى

---

(١) هو الوزير القبطى فخر الدين ماجد بن قزوينة، ولى وزارة الشام أولا، ثم نقل إلى مصر وأضيف إليها الخاص. وكان كاتبا مجيدا ولكنه كان ظالما جماعا للمال. مات سنة ٧٦٨هـ.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن عيسى، برهان الدين بن علم الدين، الأخنائى محتسب مصرى من القضاة. مولده ووفاته بالقاهرة. كان شافعيًّا وتحول مالكيا. ولى الحسبة ثم قضاء الديار المصرية إلى أن مات. له مختصر سماه «الهداية والأعلام بما يترتب على قبيح القول من الأحكام نسبته» إلى إخنا بقرب الإسكندرية. نظر الدرر الكامنة ٥٨/١ وشذرات الذهب ٢٥٠/٦ والضوء ١٨٣/١١ والأعلام ٦٣، ٦٤.

السلطان وهو سائر إليه، وتوافقا حتى غربت الشمس، فحمل يلبغا بمن معه يريد السلطان فانهزم من غير قتال، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، فتفرقت مماليكه فى كل جهة، وتمادى السلطان فى هزيمته إلى شاطئ النيل، وركب هو وأيدمر فقط فى بعض المراكب، وترك ركوب الحراقة السلطانية، وصعد قلعة الجبل، وألبس من بها من المماليك، فلم يجد فى الإصطبل خيولا لهم، فإنها كانت مرتبطة على البرسيم لتربع على العادة، فاضطرب ونزل من القلعة ومعه أَيْدَمُر وقد تنكرا ليسيرا إلى الشام فعرفهما بعض المماليك، فأنكر حالهما، وأخذهما ومضى بهما إلى بيت الأمير شرف الدين موسى بن الأَزْكَشى، فأواهما.

هذا، وقد مضى يلبغا وقت هزيمة السلطان فى إسره فلم يظفر به، فركب الحراقة ومنع أن يعدى مركب بأحد من المماليك السلطانية إلى بر مصر، وعدى بأصحابه فى الليل إلى البر، فلقيه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير قشتمر المنصورى فى عدة وافرة، فحاربهما وهزمهما، وتقدم فهزم طائفة بعد طائفة. ثم وجد الأمير أسنبغا ابن البوبكرى فى عدة وافرة فقاتله قريبا من قنطرة قديدار، قتالا كبيرًا، جرح فيه أسنبغا وانهزم من كان معه. ومضى يلبغا حتى وقف تحت القلعة، فبلغه نزول السلطان وأَيْدَمُر منكسرين. وبينما هو مفكر فيما يفعله، إذ أتاه قاصد ابن الأَزْكَشى وأخبره بأن السلطان وأَيْدَمُر عنده، فسار بعسكره إلى بيت ابن الأَزْكَشى بالحسينية، وأحاط به، وأخذ السلطان والأمير أَيْدَمُر ومضى بهما إلى داره، فوق جبل الكبش فحبسهما بها، ووكل بهما من يثق به. ثم عاد إلى القلعة وقد امتنع بها طائفة من مماليك السلطان، ورموه بالنشاب، فأعلمهم بأنه قد قبض على السلطان وسجنه فى داره، فانحلت عزائمهم، وفتحوا باب القلعة، فصعد يلبغا ومن معه إليها وملكها وأقام فى السلطنة محمد بن المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون. ولم يوقف للسلطان حسن على خبر، فقيل إنه عاقبه عقوبة شديد حتى مات ودفنه فى مصطبة كان يركب عليها من داره بالكبش. وقيل دفنه بكيمان مصر وأخفى قبره، فكان عمره دون الثلاثين سنة، منها مدة سلطنته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام. وترك عشرة أولاد ذكور، وهم أحمد وقاسم وعلى وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحيى وموسى ويوسف ومحمد، وست بنات. وكان من خيار ملوك الأتراك. أخبرنى ثقتان من الناس أنهما سمعاه يحلف بالأيمان الحرجة، أنه ما شرب خمرًا ولا لاط منذ كان، إلا أنه شغف بنسائه وجواريه شغفا زائدًا، واشتهر فى أمرهن، وأفرط فى الإقبال عليهن، مع القيام بتدبير ملكه. وعزم على قطع دابر الأقباط والأتراك المماليك، فولى عدة وظائف كانت بيد الأقباط

لجماعة من الفقهاء، منها وظيفة نظر الجيش ونظر بيت المال. وجعل عشرة من أولاد الناس أمراء ألوف، وهم ولداه أحمد وقاسم وأسنبغا بن البوبكرى، وعمر بن أرغون النائب، ومحمد بن طرغاى ومحمد بن بهادر آص، ومحمد بن المحسنى، وموسى بن أرقطاى، وأحمد بن آل ملك، وموسى بن الأزكشي. وأنعم على عدة منهم بإمريات طبلخاناه وعشرات. وولى ابن القَشْتَمُرى نيابة حلب، وابن صُبْح نيابة صفد[1]. وقد وافق أباه فى عدة أمور: فى اللقب الخاص بالملوك، فكلاهما لقب بالملك الناصر. وفى أنه خلع ثم أعيد كل منهما إلى السلطنة بعد الخلع، كان ذلك فى ثانى شوال. وما منهما إلا من وُزر له مُتعمم وصاحب سيف. وأقام مدة بغير وزير ولا نائب، وبنى المدرسة التى لم يبن فى ممالك الإسلام بيت لله مثلها فى العظم والجلالة والضخامة.

* * *

السلطان الملك المنصور[2]

صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون

أقامه الأمير يلبغا فى السلطنة. وذلك أنه لما قبض على السلطان حسن، وصعد إلى القلعة ومعه الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح، والأمير مَلَكْتَمُر الماردينى رأس نوبة الجمدارية، والأمير أَشَقْتَمُر أمير مجلس، فى بقية الأمراء اشتوروا فيمن يقام فى السلطنة، فذكر بعضهم الأمير حسين بن محمد بن قلاوون، وهو آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد لصلبه، فلم يرضوه خشية من أن يستبد بالأمر دونهم ثم لا يبقى منهم أحدًا. وذكر الأمير أحمد بن السلطان حسن فرأوا أن تقديمه - وقد عُمل بأبيه ما عُمل - سوء تدبير فإن الحال يلجئه لأن يأخذ بثأر أبيه، فأعرضوا عنه.

ووقع الطارق على محمد بن المظفر حاجى، فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وأحضر ابن المظفر وعمره نحو أربع عشرة سنة، ففوض الخليفة إليه أمور الرعية، وركب والكافة بين يديه من باب الدار إلى الإيوان، حتى جلس على تخت الملك، وحلف له الأمراء على العادة، وهو لابس الثوب الخليفتى، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) محمد (المنصور) بن حاجى (المظفر) ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بعد مقتل عمه (الناصر الثالث) سنة ٧٦٢هـ. دامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن إياس ٢١١/١ و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤ - ٣٠٢ والأعلام ٧٥/٦.

جمادى الأولى، ولقب بالملك المنصور صلاح الدين. وهو أول من تسلطن من أولاد أولاد الملك الناصر محمد، فقام الأمير يلبغا بتدبير الدولة، ولم يبق للمنصور سوى الاسم. واستقر الأمير طَيْبُغا الطويل على عادته أمير سلاح، والأمير قُطْلُوبغا الأحمدى رأس نوبة كبير، والأمير مَلَكْتَمُر الماردينى رأس نوبة الجمدارية، والأمير أشَقْتَمُر أمير مجلس، والأمير أرغون الأسْعَرْدى دوادارا، والأمير ألجاى اليوسفى حاجب الحجاب، والأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب السلطنة.

ودقت البشائر، ونودى بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور، وكتب إلى الأعمال بذلك، فسارت البريدية.

وقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى وسجن بالإسكندرية.

وأفرج عن الأمير طاز وقد سمل الناصر حسن عينيه، فلما مثل بين يدى السلطان وعلى عينيه شعرية(١) توجع له وخلع عليه، فسأل الإقامة بالقدس وأجيب إلى ذلك، وأنعم له بإمرة طبلخاناه. فسار إلى القدس وأقام به.

وأفرج عن الأمير جَرْكَتَمُر الماردينى والأمير قَطْلُوبُغا المنصورى، والأمير قَشْتَمُر القاسمى، والأمير مَلَكْتَمُر المحمدى، والأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، والأمير بَكْتَمُر المؤمنى، وأخيه طاز. واستقر قَشْتَمُر القاسمى نائب الكرك، ومَلَكْتَمُر المحمدى نائب صفد. وأخرج بَكْتَمُر المؤمنى إلى أسوان(٢) منفيا. ونقلت رمة الأمير صَرْغَتْمُش من الإسكندرية، ودفنت بمدرسته المجاورة لجامع ابن طولون خارج القاهرة. وخلع على الشريف عجلان وأعيد إلى إمارة مكة.

وقدمت الأخبار فى شهر رجب بخروج الأمير بَيْدَمُر نائب الشام عن الطاعة، وموافقة جماعة من الأمراء له على ذلك، منهم أَسَنْدَمُر أخو يَلْبُغا اليحياوى، والأمير مَنْجَك وجماعة، وأنه قام لأخذ ثأر السلطان حسن، وأفتاه جماعة من الفقهاء بجواز قتال قاتله الذى تغلب على المُلك - يعنى الأمير يَلْبُغا - ومنع البريد أن يسير من الشام. وجهز الأمير مَنْجَك والأمير أَسَنْدَمُر الزينى فى عسكر إلى غزة، فحاربوا نائبها

(١) على هامش ط: الشعرية، هو غشاء يكون على وجه النساء، وأصله ينسج من الشعر، ثم أطلق على كل ما شابهه، وهى كلمة مولدة.

(٢) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأغوار التى تحول بينهم وبين النوبة، وهى مدينة صغيرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه، وأسوان من ثغور النوبة. انظر معجم البلدان ١٩١/١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣.

وملكوها. فنصب الأمير يَلْبُغا السَنْجق السلطانى، وتقدم إلى الأمراء بالتجهيز للسفر، وأخرج الأمير قَشْتَمُر نائب السلطنة إلى جهة الصعيد فى عسكر ليحفظ تلك الجهة فى مدة الغيبة بالشام.

وأقيم الأمير شرف الدين مُوسى بن الأَزْكَشى نائب الغيبة، وخرجت أطلاب الأمراء شيئًا بعد شىء. وركب السلطان فى أول شهر رمضان من قلعة الجبل، ونزل خارج القاهرة، ثم رحل وصحبته الخليفة والأمراء، وتاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر، وسراج الدين عمر الهندى قاضى العسكر. فرحل الأمير مَنْجَك بمن معه من غزة، عائدًا إلى دمشق. فنزل بها السلطان بعساكره وجلس الأمير يَلْبُغا لعرض العسكر. ثم ساروا جميعا إلى دمشق، وخيموا بظاهرها، فخرج إليهم أكثر أمراء دمشق وعسكرها راغبين فى الطاعة، حتى لم يبق من الأمراء مع بَيْدَمُر سوى مَنْجَك وأَسَنْدَمُر - وقد امتنعوا بالقلعة - فترددت القضاة بين الفريقين فى الصلح حتى تقرر، وحلف لهم الأمير يَلْبُغا على ذلك، فاطمأنوا إليه ونزلوا من القلعة.

فركب السلطان بعساكره صبح يوم الإثنين تاسع عشرين شهر رمضان، ودخل إلى دمشق وقبض على الأمير بَيْدُمر والأمير منجك والأمير أَسَنْدَمُر، وقيدوا، فأنكر ذلك جمال الدين يوسف بن محمد المرداوى(١) الحنبلى قاضى دمشق، وصار إلى الأمير يَلْبُغا، وقال له: «لم يقع الصلح على هذا» فاعتذر بأنه ما قصد إلا إقامة حرمة السلطان، ووعد بالإفراج عنهم. فلما انصرف بعث بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. وصعد السلطان إلى قلعة دمشق، وسكنها. واستبد الأمير يَلْبُغا بتدبير الأمور فى الشام، على عادته فى مصر. واستقر الأمير علاء الدين أمير على نائب الشام عوضا عن الأمير بَيْدَمُر، واستقر الأمير قطْلُوبُغا الأحمدى رأس نوبة فى نيابة حلب عوضا عن الأمير أحمد بن القَشْتَمُرى. ثم سار السلطان بعساكره من دمشق، فى يوم الأحد، فلما قرب من القاهرة دُقت البشائر بقلعة الجبل، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة، وصعد إلى قلعته فى يوم الإثنين عشرين شوال.

وفيه قدم الأمير قَشْتَمُر النائب من الوجه القبلى.

---

(١) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرداوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق، مولدا ووفاة. تصدر للتدريس والإفتاء فى الجامع المظفر، ثم ولى قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة. وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاما. نسبته إلى «مردا» من قرى نابلس. له «الانتصار» فى أحاديث الأحكام. و«كفاية المستقنع لأدلة المقنع». انظر القلائد الجوهرية ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكتبخانة ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥١.

وقدم الأمير حيار بن مهنا[١]، فخلع عليه، واستقر فى الإمرة عوضا عن أخيه فياض ابن مهنا بعد موته.

واستقر علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم فى كتابة سر حلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم.

واتفق بحلب أن فى يوم الإثنين سادس عشرين ربيع الأول جىء إلى النائب بمولود قد مات بعد ولادته بساعة، فإذا له على كل كتف رأس بوجه مستدير، وهما إلى جهة واحدة.

وفيها اتفق الأمير حسين بن محمد بن قلاوون مع الطواشى جوهر الزمردى نائب مقدم المماليك على أن يلبس المماليك السلطانية آلة الحرب ويتسلطن. وكان السفير بينهما نصر السليمانى أحد طواشية الأمير حسين، فوشى بذلك إلى الأمراء. وكان السلطان بالشام، فبادر الأمير أَيْدَمُر الشمسى نائب الغيبة والأمير موسى بن الأَزْكَشى وقبضا على جوهر ونصر وسجنا بخزانة شمايل بالقاهرة. فلما قدم السلطان والأمير يلبغا سمرا وشهرا، ثم نفيا إلى قوص[٢] فى ذى القعدة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر، المعروف بابن بنت الأعز العلائى، الفقيه الشافعى، ناظر بيت المال، وناظر الأحباس فى يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر.

والأمير بلبان السنانى أستادار السلطان، وأحد مقدمى الألوف، بعد ما نفاه الناصر حسن ثم أعيد واستقر والى القلعة، وهو من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون.

ومات الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن

---

(١) حيار بن مهنا بن عيسى، من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ. وكان مواليا لسلاطين مصر والشام، وتابعا لهم، فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ. ثم شفع به نائب حماة، فعفى عنه وعاد إلى ولائه، ثم انتقض سنة ٧٧٠هـ. وعاد سنة ٧٧٥هـ، معفوا عنه، فاستقر إلى أن مات. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

حسين بن زيد المعروف بابن قاضى العسكر الأرموى[١] نقيب الأشراف بديار مصر، وكاتب السر بحلب، عن اثنتين وستين سنة، بالقاهرة.

ومات الشريف بدر الدين محمد بن على بن حمزة بن على بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن دويب الآمدى[٢] الدمشقى المعروف بابن قاضى شهبة، الأديب الماهر، خطيب مدينة غزة، وكاتب الإنشاء بدمشق.

ومات شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكى المعروف بابن المجد الموسوى فى سلخ صفر. وكان قد ابتلى فى الوسواس بأمر شديد، حتى أنه كان إذا توضأ من فسقية المدرسة الصالحية بين القصرين لايزال به وسواسه إلى أن يلقى نفسه فى الماء بثيابه ويغطس شتاء وصيفا، زعما منه أنه لا يسبغ الوضوء ما لم يفعل هذا. وكان جميل المعاشرة حسن المحاضرة، لا تمل مجالسته.

وتوفى الشيخ جمال الدين عبد الله بن الزيلعى الحنفى، فى حادى عشرين المحرم، برع فى الفقه والحديث، وخرج أحاديث الهداية فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، وخرج أحاديث الكشاف للزمخشرى فى تفسير القرآن، وبين ما وصلت إليه قدرته من أسانيدها، فأحسن ما شاء.

وتوفى الشيخ جمال الدين خليل بن عثمان بن الزولى فى حادى عشرين المحرم، كان شافعيا ثم صار حنفيا، وكان تيمى الاعتقاد حتى مات. ولى خطابة جامع[٣] شيخو وإمامته، وتدريس الحديث بالخانكاه الشيخونية. وكان لشيخو فيه اعتقاد جيد، وله به اختصاص. وكان عبدا صالحا كثير السكون، يكتب الخط الجيد.

وتوفى الحافظ علاء الدين مُغْلطَاى بن قليج بن عبد الله البَكْجَرى الحنفى المحدث.

وتوفى الشيخ المعمر أبو العباس أحمد بن موسى الزرعى الحنبلى، أحد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فى المحرم بمدينة حبراص من الشام. قدم إلى القاهرة،

---

(١) الحسين بن محمد بن الحسين، الحسينى العلوى، المعروف بابن قاضى العسكر: ولى التوقيع بالقاهرة ونقابة الأشراف وكتب بديوان الإنشاء من التقاليد والتواقيع ما يعيى حصره. له ديوان خطب «المقال المعبر فى مقام المتبر» وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين وقف عليها وقفا جيدا وقف فيها كتبا كثيرة. انظر البدر الطالع ٢٢٨/١ والدرر الكامنة ٦٦/٢ والأعلام ٢٥٦/٢.

(٢) نسبة إلى آمد، وهى أعظم مدن ديار بكر. انظر معجم البلدان ٤٠٢/١.

(٣) جامع شيخو بسويقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل.

وكان قويا فى ذات الله، جريئا على الملوك، أبطل مظالم كثيرة، وصحب شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فانتفع به. وكان متقشفا، وله وجاهة عند الخاصة والعامة، لزهده وورعه وتقواه. ولما قدم على الناصر محمد بقلعة الجبل، قال له: «يا شيخ ما جئتنا بهدية» فقال: «نعم، جراب ملآن حيات وعقارب». وأخرج جرابا فيه قصص مظالم، فرسم السلطان بإجابته إلى جميع ذلك. وعاد إلى دمشق، فأمضى النائب بعضها ودافع فى البعض.

وتوفى الفقيه المنشئ الكاتب كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد ابن يعقوب بن فضل بن طرخان الزينبى الجعفرى العباسى الدمشقى الشافعى، بضواحى القاهرة، عن بضع وخمسين سنة، فى ربيع الأول.

وتوفى الخواجا عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامى[1] التاجر، فى رجب بدمشق، وقد حدث عن ابن النجارى وغيره.

ومات الأمير سيف الدين المهمندار حاجب الحجاب بدمشق، فى شوال.

والأمير سيف الدين برناق، نائب قلعة دمشق فى شعبان.

ومات محيى الدين أبو زكريا يحيى بن عمر بن الزكى بن أبى القاسم الشافعى قاضى الكرك، فى أوائل ذى القعدة بالقدس، معزولا.

وتوفى الشريف ثُقْبة بن رُمَيْثَة فى شوال، وانفرد أخوه عَجْلان بعده بإمارة مكة.

وفيها قتل صاحب فاس[2] ملك المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم، ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق[3] فى ليلة الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة. وأقيم بعده أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن[4].

* * *

---

(١) نسبة إلى مدينة السلام بغداد. انظر معجم البلدان ٤٠٥/٢، والروض المعطار ١٠٩، ١١٢.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى ٥٠/٧٥، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٣) إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو سالم، السلطان المستعين بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب الأقصى، من بنى عبد الحق. مدته سنتان وثلاثة أشهر وخمس أيام. انظر الاستقصا ١٠٤/٢ - ١٢٣ والحلل الموشية ١٣٥ جذوة الاقتباس والأعلام ٥٢/١.

(٤) تاشفين بن على بن عثمان المرينى، أبو عمرو: من ملوك الدولة المرينية بفاس. بويع سنة ٧٦٣هـ بفاس ثم اضطرب أمره فقاتله كبار بنى مرين، فخلعه الوزير ثلاثة أشهر من بيعته (سنة ٧٦٣هـ) ومات وعمره ستون سنة. انظر الاستقصا ٨٠/٢، ١٢٣ والزركشى ٨٧ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ١٠٦ والأعلام ٨٣/٢.

سنة ثلاث وستين وسبعمائة

فى شهر الله المحرم: تزوج الأمير يَلْبُغا الأتابك بخوند طولونية زوج السلطان حسن.

وفى يوم الإثنين سادس صفر: خلع على الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر مقدم المماليك عوضا عن شرف الدين مختص الطَقْتَمُرى بعد وفاته.

وخرج السلطان والأمير يَلْبُغَا إلى الصيد بالجيزة.

واستدعى جماعة من الفقهاء إلى مخيم الأمير يَلْبُغَا، فعين طائفة منهم، وعرضهم على السلطان فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر، فخلع على برهان الدين إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى محتسب القاهرة، واستقر فى قضاء القضاة المالكية عوضا عن أخيه تاج الدين بعد موته. وخلع على صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى مدرس المدرسة الأشرفية، واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن البرهان الأخنائى. وخلع على تاج الدين محمد بن بهاء الدين شاهد الجمالى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى عوضا عن البرهان الأخنائى.

وخلع على الشيخ شرف الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادى المالكى، واستقر فى نظر الخزانة الخاص، عوضا عن التاج الأخنائى. وعدوا النيل إلى القاهرة، فكان يومًا مشهودًا. ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رجب: خلع على الأمير طُغاى تَمُر النظامى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير ألجاى اليوسفى. واستقر أُلْجاى أمير جندار.

وفى سابع عشرينه: نفى الأمير موسى بن الأزكشى إلى حماة بطالاً، واستقر عوضه أستادار الأمير أروس المحمودى.

وفى يوم الإثنين خامس شعبان: خلع على الأمير قَشْتَمُر النائب، واستقر فى نيابة الشام عوضا عن أمير على بحكم استعفائه. وخلع على الشيخ بهاء الدين أحمد بن التقى السبكى، واستقر فى قضاء دمشق، عوضا عن أخيه تاج الدين عبد الوهاب.

واستقر التاج فى وظائف أخيه، وهى تدريس المدرسة المنصورية، والخانكاه الشيخونية، والمدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى، وإفتاء دار العدل. وقد استدعى إلى القاهرة لكثرة شكواه.

وفى ثامنه: أنعم على الأمير قَطْلَقْتَمُر العلاى الجاشنكير بتقدمة ألف.

وفى يوم الخميس خامس شوال: خلع على الأمير أَشَقْتَمُر الماردينى أمير مجلس، واستقر فى نيابة طرابلس.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُر النظامى واستقر أمير مجلس عوضا عن أَشَقْتَمُر، وخلع على الأمير أَسَنْبُغا بن البوبكرى واستقر حاجب الحجاب.

وفيه استقر الأمير عز الدين أَيْدَمُر الشيخى فى نيابة حماة. واستقر الأمير مَنْكَلى بغا الشمسى فى نيابة حلب، عوضًا عن قطلوبغا الأحمدى. واستقر الأمير أَسَنْدَمُر الطازى فى نيابة ملطية[1]، فأكثر من الغارات على بلاد الروم، وأسرهم وقتلهم، فبعث إليه الأمير محمد بن أَرتَنَا صاحب قيصرية الروم عسكرًا مع ابن دُلْغَادر، فكسبه وهو يتصيد فقاتله قتالاً شديدا، ونجا بنفسه إلى ملطية. فكتب السلطان والأمير يَلْبُغا بخروج عساكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب بآلات الحرب والحصار، صحبة الأمير قَطْلُوبُغا نائب حلب. فخرج من دمشق خمسة آلاف فارس، ومن بقية البلاد الشامية سبعة آلاف فارس. وتوجه نائب حلب فى اثنى عشر ألفا ومعه المجانيق والنقابون، وجميع ما يحتاج إليه، فشنوا الغارات على بلاد الروم، ثم عادوا بغير طائل.

وفيها استدعى أبو عبد الله محمد بن الخليفة المعتضد بالله أبى بكر[2]، فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، إلى قلعة الجبل، وجلس مع السلطان بالقصر، وقد حضر الأمراء فأقيم فى الخلافة بعد وفاة أبيه، ولقب بالمتوكل على الله، وخلع عليه، وفوض له نظر المشهد النفيسى. ليستعين بما يحمل إليه من النذور على حاله، وركب إلى منزله، فهنأه الناس بالخلافة.

وفيها استقر جمال الدين يوسف بن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن والده فى جمادى الأولى.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان المستكفى) بن أحمد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة منه. استمر إلى أن توفى فى القاهرة. مدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ٣٥٠/١ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢ و٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٧/٧ والأعلام ٥٦/٦.

واستقر صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميرى فى قضاء المالكية بحلب، عوضًا عن الشهاب أحمد بن محمد بن ياسين الرياحى فى صفر.

واستقر كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم النويرى فى قضاء مكة، عوضا عن تقى الدين أبى اليمن محمد بن أبى العباس أحمد بن قاسم الحرازى، بعد عزله.

وفيها استقر جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن السعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبى، بعد وفاته.

وفيها اشتد البرد بدمشق. وخرج ركب الحاج من القاهرة صحبة الأمير طَيَّبُغَا الطويل، أمير سلاح، وهو فى تجمل عظيم، فوصلت إليه الإقامات إلى عرفة، حملها إليه الأمير يَلْبُغَا.

وفيها خلع صاحب فاس ملك المغرب أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فى محرم. وولى ملك المغرب بعده أبو زيان محمد ابن الأمير أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن.

وفيها اشتد البرد ببلاد الشام، وجمدت المياه حتى ماء الفرات، ومر المسافرون عليه بأثقالهم، فرأوا منه منظرا عجيبا. وهذا الأمر لم يعهد فى هذه الأعصار مثله.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الخليفة المعتضد با لله أبو الفتح، واسمه أبو بكر بن المستكفى با لله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن بن الخليفة الراشد بن المسترشد[1]، فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى ومدة خلافته عشرة أعوام. وحج سنة أربع وخمسين وسنة ستين. وكان يلثغ فى حرف الكاف، وعهد إلى ابنه محمد قبل وفاته بقليل.

---

(١) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس، أبو الفتح، المعتضد با لله: من خلفاء العباسيين بمصر. وهو ابن المستكفى با لله ابن الحاكم بأمر الله. كان مقيما فى جملة بنى العباس بالقاهرة. وولى الخلافة بها بعد أخيه الحاكم بأمر الله سنة ٧٥٤هـ بعهد منه، فأقام إلى أن توفى. انظر تاريخ الخميس ٣٨٢/٢ وشذرات الذهب ١٩٧/٦ وبدائع الزهور ٢٠٠/١ والأعلام ٦٤/٢.

وتوفى السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى صاحب فاس من بلاد المغرب. وكان من خبره أن أباه السلطان - أبا الحسن - أقامه أميرًا، فقدم هو وأخوه إلى غرناطة من الأندلس فى العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين، فأقاما بها إلى أن مات أبو عنان فى سنة تسع وخمسين، وأقيم بعده ابنه السعيد فى الملك، فخرج أبو سالم من غرناطة ليلاً، ولحق بأشبيلية وبها سلطان قشتالة فطرح نفسه عليه، فوعده و لم يف له، فاجتمع الناس على منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، ونازل البلد الجديد، فخرج أبو سالم من أشبيلية بغير طائل، ومضى إلى الإفرنس فانضم إليه طائفة وأخذ مدينة أصيلا وطنجة[1]، فتلاحقت به جيوش منصور بن سليمان، وقد اختل أمره، ففر. فسار أبو سالم بمن معه ودخل دار الإمارة، يوم الخميس النصف من شعبان، سنة تسع وخمسين، فلم يختلف عليه أحد إلى أن كانت هذه السنة ثار عليه ثقته ودعا إلى أخيه تاشفين. ففر الناس عنه، وخرج ليلاً فأخذ وذبح، فاضطربت الأمور من بعده. وكان وسيما بدينا كثير الحياء مؤثرًا للجميل، له معرفة بالحساب والنجوم، ومحبة فى الراحة.

وتوفى الأمير طاز فى العشرين من ذى الحجة بالشام.

وتوفى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبى الركب، نقيب الأشراف بالقاهرة، وإليه تنسب المدرسة الشريفية بحارة بهاء الدين.

وتوفى أبوه شهاب الدين فى شعبان، سنة اثنتين وستين.

وتوفى شمس الدين أبو إمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم، المعروف بابن النقاش الشافعى، الفقيه المحدث، المفسر الواعظ، فى يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول.

وتوفى أمين الدين محمد بن الجمال أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر ابن أسعد بن حمزة المعروف بابن القلانس التميمى الدمشقى، وكان أحد أعيان دمشق، وباشر بها وكالة بيت المال وقضاء العسكر، ودرس الفقه، ثم ولى كتابة السر مدة، وعزل عنها.

---

(١) طنجة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلاً فى البر، وفى البحر نصف مجرى، وتعرف طنجة بالبربة وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها، وهى على شاطئ بحر الزقاق. انظر معجم البلدان ٤/٤٣، والروض المعطار ٣٩٥، ٣٩٦، والاستبصار ١٣٨، وابن الوردى ١٤.

وتوفى قاضى القضاة المالكية، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى المالكى، فى ثامن عشر صفر بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن أبى القاسم بن حمل المعروف بابن التونسى، أحد نواب القضاة المالكية، فى يوم الجمعة حادى عشر صفر بالقاهرة.

ومات ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبى الشافعى. ولى كتابة السر بحلب ودمشق، ثلاثًا وعشرين سنة، ودرس، وقال الشعر.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن محمد بن كثير التاجر النحوى المعروف بابن المعزى، بمكة، فى ذى القعدة. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى الحسن والد الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن. وكان عبدًا صالحًا.

وتوفى الأمير أَيْنَبَك أخو الأمير بَكْتَمُر الساقى.

وتوفى الصاحب الطواشى صفى الدين جوهر الزمردى بقوص فى شعبان.

وتوفى فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن قمر بن الحسن الفارقى الأصل الدمشقى الشافعى، فى ربيع الآخر بدمشق. ومولده فى القاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة. وقد حدث، وكان صالحًا، ثقة، ثبتًا.

وتوفى والده فى صفر سنة ثلاث وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح الدمشقى الحنبلى[1]، فى رجب بدمشق، ومولده بعد سنة سبعمائة، برع فى الفقه وغيره، وصنف كتاب الفروع، وهو مفيد جدا. والله أعلم.

* * *

---

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسى الرامينى ثم الصالحى: أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل. ولد ونشأ فى بيت المقدس، وتوفى بصالحية دمشق. من تصانيفه «كتاب الفروع» فقه و«أصول الفقه». انظر حلاء العينين ٢٥ والدرر الكامنة ٤/٢٦١ والفهرس التمهيدى ٢٢٤ والأعلام ٧/١٠٧.

سنة أربع وستين وسبعمائة

فى المحرم: عدى السلطان والأمير يَلْبُغا النيل إلى بر الجيزة، وخيم قريبا من الأهرام.

وفى يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضى القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكى على البريد من دمشق، باستدعاء، فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة.

وفى تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة، ومعه الأمير يَلْبُغَا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى وأعيد إلى قضاء دمشق، وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل، وبقية وظائفه. وخلع على الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن أسنبغا بن البوبكرى.

وفى جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة فى الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحرى، وتزايد حتى بلغ فى شهر رجب عدة من يموت فى اليوم ثلاثة آلاف. و لم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمشق وغزة وحلب، وعامة بلاد الشام، فهلك فيه خلائق كثيرة جدًا.

وفى يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يَلْبُغَا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، لم يكن له سوى الاسم فقط.

* * *

السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالى
شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد [بن قلاوون](١)

ولى السلطنة وعمره عشر سنين، و لم يل أحد من بنى قلاوون وأبوه لم يل السلطنة

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ٢/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠٢ - ٣٢٤ والأعلام ١٦٣/٣، ١٦٤.

سواه. وكان من خيره أن الأمير يلبغا جمع الأمراء بقلعة الجبل كما تقدم، حتى اتفقوا على خلع السلطان المنصور. ثم بكروا فى يوم الثلاثاء النصف من شعبان إلى القلعة. وأحضروا الخليفة أبا عبد الله محمد المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع، وأعلموهم باختلال عقل المنصور وعدم أهليته للقيام بأمور المملكة، وأن الاتفاق وقع على خلعه فخلعوه، وأحضروا شعبان بن حسين وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبى المعالى، وأركبوه بشعار السلطنة، حتى جلس على تخت الملك، وحلفوا له، وقبلوا الأرض على العادة. وكتب إلى الأعمال بذلك فسارت البرد[١] فى أقطار المملكة، وخلع على أرباب الوظائف.

وفى يوم الخميس ثالث عشرين رمضان: عزل قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يَلْبُغَا استدعاه، فوافاه القاصد وهو نايم، فلم يتمهل عليه حتى ينتبه، بل أمر به فأيقظ وقد انزعج، فغضب لذلك، وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يَلْبُغَا. ومازال يرسل إليه ويترضاه حتى رضى. ثم استدعى فى يوم الإثنين سابع عشرينه إلى مجلس السلطان، وخلع عليه، وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته. واستقر الأمير مَنْكَلى بُغَا الشمسى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير قَشْتَمُر. واستقر الأمير أَشَقْتَمُر الماردينى فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدى بعد موته.

واستقر الأمير أَزْدَمُر الخازندار فى نيابة طرابلس، واستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب الشام ومصر. واستقر الأمير عمر شاه فى نيابة حماة. واستقر الأمير أحمد بن القَشْتَمُرى فى نيابة الكرك، والأمير أَرَنْبُغا فى نيابة غزة. واستقر الأمير أَرْغُون الأحمدى الخازندار لالا[٢] السلطان واستقر عوضه خازندار الأمير يعقوب شاه. واستقر الشريف بَكْتَمُر بن على الحسنى والى قطيا فى ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير علاء الدين على بن الكورانى بحكم استعفائه. وولى الأمير علاء الدين على بن الطشلاقى والى دمياط[٣] ولاية قطيا. واستقر خليل بن الزينى فى ولاية الغربية، عوضا عن عمر بن الكَرْكَنْد، وهى ولايته الثالثة. واستقر قَشْتَمُر أستادار طَقَزْدَمُرْ فى ولاية

---

(١) البرد جمع بريد والمراد البريد المرسل على دواب البريد.

(٢) لفظ فارسى معناه الشخص المكلف بالعناية بالأطفال.

(٣) دمياط - أو ذمياط -: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣، والروض المعطار ٣٥٧، ٣٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/ ٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦. وخطط المقريزى ٢١٥/١ وما بعدها.

الجيزة، ثم عزل عن قريب بموسى بن الديناري. واستقر أحمد بن جميل والى الأشمونين[١] ومقبل السيفى والى منوف[٢] عوضا عن محمد بن عقيل، ومحمد بن السميساطى والى دمياط. واستقر الحسام المعروف بالدم الأسود أستادار أَيْتَمِشْ فى ولاية الفيوم عوضا عن محمد بن طُغاى. واستقر فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبى الكرم محمد بن الشهيد فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن الجمال عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير.

وفى هذه السنة: توقفت زيادة ماء النيل فى أيام زيادته مدة أيام، ثم نودى عليه فى يوم السبت سابع ذى القعدة وسادس عشرين مسرى زيادة إصبع لتتمة سبعة عشر إصبعا من ستة عشر ذراعا. ثم نقص ثلث ذراع، وتوقفت الزيادة حتى انقضت أيام مسرى وبعدها أيام النسىء. ثم زاد فى آخر أيام النسىء إصبعا واحدا، واستمر حتى كان الوفاء فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة. وفتح الخليج، فتمادت زيادته حتى انتهت إلى أربعة أصابع من ثمانية عشر ذراعا، ثم انهبط فتحرك سعر الغلال.

وفيها فرق الأمير يلبغا كثيرا من الغلال والأموال فى الفقهاء والصوفية. وولى من ذلك جانبا موفورا للقاضى محب الدين ناظر الجيش، فارتفق الناس بهذه الصدقات بحيث استغنى منها جماعة.

وفيها استقر الأمير بَكْتَمُر مملوك طاز - أحد الطبلخاناه - فى نيابة الرحبة[٣].

* * *

ومات فيها من الأعيان

الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين حمزة العراقى، والد الشريف مرتضى.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم البعلبكى، مفتى دار العدل بدمشق فى سابع عشرين شهر رمضان. برع فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى، وشارك فى عدة فنون، وأفتى ودرس وقدم القاهرة.

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٣) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم البلدان ٣٣/٣، والروض المعطار ٢٦٨.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن يوسف بن محمد الكفتى شيخ القراءات، فى نصف شعبان. قرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج، وعلى التقى الصايغ، ونجم الدين عبد الله الواسطى، وتصدر للإقراء بجامع أحمد بن طولون، وعليه قرأ التقى البغدادى وشيخنا فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن البلبيسى.

ومات بَكْتَمُر أمير علم.

ومات جَرْكَس النوروزى أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الفقير المعتقد حسن بن مسلم المسلمى، المقيم بجامع الفيلة[1]. وكان يجاهد الفرنج من جهة طرابلس المغرب، ويقيم حاله وحال من معه من الفقراء المسلمين مما يكون من الغنايم. وكان عنده أسد قد رباه وساسه حتى صار بين فقرائه بمنزلة الهر فى البيوت. فلما مات أخذ السباعون الأسد، فتوحش عندهم، وعاد إلى ما جبل عليه.

وتوفى أبو حاتم بن بهاء الدين أحمد بن السبكى[2].

وتوفى الشيخ صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك الصفدى[3] فى ليلة الأحد عاشر شوال بدمشق. برع فى عدة فنون من أدب وتاريخ وغيره. وأكثر من قول الشعر وإنشاء الكتب والرسائل ونحوها. وألف كتبا كثيرة مفيدة، منها كتاب الوافى بالوفيات فى التاريخ، كبير جدا، وكتاب أعوان النصر فى أعيان العصر، جدد فيه ما شاء، وكتاب شرح لامية العجم، طول فيه كثيرًا، وملأه بفوائد جليلة، وغير ذلك، وكتب الإنشاء بالقاهرة ودمشق وباشر كتابة سر حلب قليلاً.

---

(١) جامع الفيلة: يقع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حاتم، بهاء الدين السبكى: فاضل، له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عاما، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

(٣) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد فى صفد بفلسطين، وإليها نسبته، وتعلم فى دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها. ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء فى صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال فى دمشق، فتوفى فيها. له زهاء مائتى مصنف، منها «الوافى بالوفيات» فى التراجم. و«الشعور بالعور» فى تراجم العور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٨٧/٢ وطبقات الشافعية ٩٤/٦ وآداب اللغة ١٦١/٣ ومجلة المجمع العلمى العربى ٤٤٥/٥ والوافى بالوفيات ٢٤٩/١. والفهرس التمهيدى ٢٧١ و٤٤٥ و٥٦٤ والأعلام ٣١٦/٢.

وتوفى تقى الدين أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الرحيم بن أبى سالم، بن مراجل الدمشقى، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق.

ومات شمس الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح بالقاهرة.

ومات تقى الدين عبد الرحمن بن الضياء المناوى، فى تاسع عشرين جمادى الآخر، وهو شاب.

وتوفى زين الدين عمر بن الشرف عيسى بن عمر البارينى الحلبى الفقيه الشافعى بحلب.

ومات الشيخ عماد الدين محمد بن الحسين بن على بن عمر الإسنوى[1] الشافعى، فى ثامن عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، برع فى الفقه والأصول، ودرس، وناب فى الحكم، وصنف.

ومات ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الربوة القونوى[2]، ثم الدمشقى، الحنفى، الفقيه الخطيب، المفتى. شرح كتاب السراجية فى الفرائض، والمنار فى الأصول، ودرس وخطب بجامع يَلْبُغَا.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدى، نائب حلب بها.

ومات تقى الدين محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات الشافعى النحوى، موقع الحكم، فى يوم السبت تاسع عشرين جمادى الآخرة، بالقاهرة. برع فى العربية، وانفرد بمعرفة التواقيع الحكمية.

وتوفى ناصر الدين محمد بن صلاح الدين عبد الله بن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، أحد أمراء دمشق.

---

(١) محمد بن الحسن بن على بن عمر الإسنوى (أو الإسنائى) عماد الدين: فاضل، من الشافعية. ولد بإسنا وتفقه بها وبالقاهرة والشام، واستوطن حماة مدة. عاد إلى مصر، فناب فى الحكم فى القاهرة ومنوف، وتوفى بالقاهرة. له كتب، منها «حياة القلوب فى كيفية الوصول إلى المحبوب» فى التصوف. انظر الدرر الكامنة ٤٢١/٣ والشذرات ٢٠٢/٦ وفهرست الكتبخانة ٨١/٢ والأعلام ٨٧/٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوى الدمشقى، ناصر الدين، المعروف بابن الربوة: فقيه حنفى. أصله من قوينة، ومولده ووفاته فى دمشق. من كتبه «الدرر المنير فى حل إشكال الكبير». انظر الجواهر المضيئة ١٥/٢ والدرر الكامنة ٣٢٧/٣ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

وتوفى محدث الشام أمين الدين محمد بن أحمد بن على الجوخى، فى ليلة السبت حادى عشر رمضان. حدث عن الفخر على، وزينب بنت كامل، وسمع الناس عليه مسند الإمام أحمد.

وتوفى خطيب دمشق جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة[1]، فى يوم الإثنين العشرين من رمضان.

ومات يزدار أمير شكار، وجوهر المظفرى اللالا، وجماعة كثير جدا.

وتوفى حسين بن محمد بن قلاوون، ليلة السبت رابع ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة: خطيب الجامع الأموى بدمشق. من الشافعية. كان منقطعا للخطابة والإفتاء والتأليف لا يزور أحدا. ولما دخل «يلبغا» دمشق مع المنصور، زاراه فما احتفل بهما بل رد عليهما السلام وهو فى المحراب. من كتبه «الوقاية الموضحة لشرف المصطفى» انظر الدرر الكامنة ٤/٣٣٢ وطبقات الشافعية ٦/٢٤٨ وشذرات الذهب ٦/٢٠٣ والأعلام ٧/ ١٨٣.

سنة خمس وستين وسبعمائة

فى المحرم: أنعم على الأمير طَيْدَمُر البالسى[1] بتقدمة الأمير قَنْدُس الناصرى. وقد كف بصره. وأنعم على الأمير على بن قندس الناصرى بإمرة طبلخاناه. واستقر الأمير أَرْغُون التاجي أمير جندار حاجب طرابلس، واستقر الأمير أَلْطُنْبُغَا فرفور جاشنكيرا. عوضا عن مَنْكُوتَمُر عبد الغنى، وقد استعفى. واستقر الأمير آسن قُجَا على بلك الجوكندار فى نيابة ملطية فى ثالث صفر. واستقر الأمير عمر بن أرغون النايب فى نيابة صفد عوضا عن قَشْتَمُر المنصور. واستدعى قَشْتَمُر إلى القاهرة. وأنعم عليه بتقدمة عمر ابن أرغون النايب. واستقر الأمير طَيْنال الماردينى والى القلعة عوضا عن أَلْطُنْبُغا الشمسى آنوك، وقد استعفى.

وأنعم السلطان على جماعة بإمريات طبلخاناه، منهم تَمُرقُبا العمرى، ومحمد بن قمارى أمير شكار، وأَلْطُنْبُغَا الأحمدى، وأقبغا الصفدى.

وأنعم على كل من إبراهيم بن الأمير صَرْغَتْمش، وقَشْتَمُر العلاى طاجار من عوض، وأروس بغا الخليلى، ورجب بن كَلَفْتَ التركمانى، بإمرة عشرة.

واستقر الأمير قمارى الحموى فى نيابة طرسوس. واستقر الأمير قَشْتَمُر القاسمى فى نيابة سلمية[2] عوضا عن الأمير طنيرق. واستقر عمر بن الكَركَندْ فى ولاية الغربية عوضا عن خليل بن الزينى. واستقر فخر الدين عثمان الشرفى فى ولاية الأشمونين.

وفيها ارتفع سعر الغلال، فبلغ القمح أربعين درهما الأردب، ووقع الموت فى الأبقار بأرض مصر وإفريقية.

وفي المحرم: قدم بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى السبكى[3] إلى القاهرة من دمشق، معزولاً عن قضاياها.

---

(١) نسبة إلى بالس، وهى بلدة بالشام بين حلب والرقة. انظر معجم البلدان ١/٥١٩.

(٢) سلمية: بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية، وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل، بينه وبين حمص مرحلة. وسلمية: بفتح أوله وكسر الميم وتخفيف الياء، قرية من بلاد اليمامة حسنة عامرة قد أحدقت بها حدائق النخيل، لها تمور حسنة الألوان شهية المأكل. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. اليعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٣) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر الطلب» فى شرح الوسيط، فى فقه الشافعية. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٣/٤٩٠ والوافى بالوفيات ٣/٢١٠ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ٦/١٨٤.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر: خلع على علاء الدين على بن سديد الدين أبى محمد عبد الوهاب بن الفخر عثمان بن محمد بن هبة الله بن على بن إبراهيم بن حسين بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن عبد الله بن سليمان، بن عبد الوهاب بن سليمان بن خالد بن الوليد المعروف بابن عرب، واستقر محتسب القاهرة، عوضا عن الصلاح عبد الله بن عبد الله البرلسى، بعد وفاته.

وفى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الآخر: خلع على بهاء الدين أبى البقاء، واستقر قاضى العسكر ووكيل الخاص، عوضا عن التاج محمد بن عبد الحق المناوى بعد وفاته. وخلع على السراج عمر الهندى الحنفى، واستقر قاضى العسكر أيضًا. وخلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ[1] الحنفى، واستقر فى إفتاء دار العدل، وهو أول حنفى ولى إفتاء دار العدل. وخلع على الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، واستقر فى إفتاء دار العدل أيضًا. وأمر هؤلاء الأربعة مع الشيخ بهاء الدين بن السبكى بحضور دار العدل فى أيام الخدمة.

وفى شوال: خلع على أبى البقاء، واستقر فى نظر الأوقاف ونيابة الحكم، مضافا لما بيده.

وقدمت رسل متملك سيس فى طلب تخفيف الضريبة المقررة عليهم، فهلك ملكهم وهم بمصر، فعادوا بغير طائل.

وكثر الجراد بالشام حتى شنع، وأتلف الزروع، فغلت الأسعار حتى بلغت الغرارة القمح بدمشق مايه وثمانين درهما، ثم انحطت إلى مائة وعشرة دراهم، وفشت الطواعين والأمراض الحادة فى الناس بدمشق. وفتح الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام باب كيسان من مدينة دمشق بعد ما أقام مغلوقا زيادة على مائتى عام، منذ أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى[2] وعقد عليه قبوا كبيرًا، ونصب له جسرًا يمر الناس عليه، وأنشأ هناك جامعًا.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو، و«المبانى فى المعانى» و«الغمز على الكنز» فى فقه الحنفية. انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٣/٦.

(٢) محمود بن زنكى (عماد الدين) بن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وهو أعدل ملوك زمانه وأحلهم وأفضلهم. ولد فى حلب، وانتقلب إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١هـ) ضم دمشق إلى ملكه بعد عشرين سنة. وامتدت سلطنته فى الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسما من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وحانبا من اليمن، وخطب له بالحرمين. انظر الروضتين ٢٢٧/١ - ٢٢٩ وابن الأثير ٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن الوردى ٨٣/٢ وابن خلكان ٨٧/٢ ومرآة الزمان ٣٠٥/٨ ومفرج الكروب ١٠٩/١ والأعلام ١٧٠/٧.

وفيها برز مرسوم السلطان بمنع الوكلاء الذين بمجالس القضاة بمصر والشام؛ لكثرة خداعهم ومكرهم وتحذلقهم فى تنوع الشرور.

وفيها حفر الأمير يَلْبُغَا الأتابك ترعة استجدها، من البدرشين بالجيزية، فكثر النفع بها.

وفى ثامن عشرين ذى الحجة: استقر الأمير قَطْلُبَك والى منوف.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن الجمال محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبى، المعروف بابن العديم الحنفى، نائب شيزر[1]، عن بضع وستين سنة.

وتوفى قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين إبراهيم بن هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المُسَلْم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، بعد ما أقام قاضيا شيئًا وعشرين سنة.

ومات الأمير قُطْلُوبُغا الأحمدى. تقدم ذكره فى السنة التى قبلها، وهو نائب حلب.

ومات القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السَلَمى المناوى الشافعى، خليفة الحكم، وقاضى العسكر، ووكيل الخاص فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر، ودفن بالقرافة.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى، محتسب القاهرة، يوم الخميس خامس عشرين صفر، ودفن بالقرافة، وبيعت كتبه بمائة ألف درهم ونيف. وفى حسبته أمر المؤذنين أن يقولوا مع قولهم فى ليالى الجمعة بعد أذان عشاء الآخرة، وفى السلام قبل الفجر «السلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله». فاستمر ذلك.

وتوفى فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى الحسن القلانسى الحنبلى. عاقد الأنكحة. فى ليلة الجمعة، رابع جمادى الأولى، عن سن عالية، وقد حدث بعلو إسناد عن جماعة.

---

(١) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم[١] المعروف بابن الحاج النميرى الغرناطى، قدم إلى القاهرة حاجا، وكتب الإنشاء بغرناطة وبجاية[٢] وقال الشعر.

وتوفى قاضى مكة، تقى الدين محمد بن أحمد بن قاسم العمرى الحرازى الشافعى، معزولا.

ومات الأمير أقْبُغا بوذ السيفى، أحد رءوس النوب.

ومات الأمير أرغون التاجى، أحد الطبلخاناه.

وتوفيت خوند طولباى التركية عتيقة السلطان حسن، وامرأة الأمير يلبغا الأتابك، فى رابع عشرين ربيع الآخر، ودفنت بتربتها خارج باب البرقية.

وتوفى الملك الصالح صالح بن المنصور نجم الدين غازى بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن أرتق بن أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمرداش بن إيلغازى بن أرتق. متملك ماردين[٣]، فلما قدم الخبر بوفاته جهزت الخلعة بالسلطنة لولده الملك المنصور حسام الدين أحمد. وكان قد ملك أربعا وخمسين سنة.

ومات بالمدينة النبوية الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف المطرى، فى سادس عشرين ربيع الأول. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميرى، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أديب أندلسى. من كبار الكتاب. ولد بغرناطة، وارتسم فى كتاب الإنشاء سنة ٧٣٤هـ ثم رحل إلى المشرق فحج وعاد إلى إفريقية فخدم بعض ملوكها وخدم سلطان المغرب الأقصى. له شعر جيد وتصانيف منها «المساهلة والمسامحة فى تبيين طرق المداعبة والممازحة». انظر جذوة والاقتباس ٨٧ والإحاطة ١/١٩٣ والأعلام ١/٤٩.

(٢) مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ١/٣٣٩.

(٣) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قنته قلعة كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، والروض المعطار ٥١٨، الكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

سنة ست وستين وسبعمائة

فى المحرمك استعفى الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى من وكالة بيت المال. حنقا من الوزير فخر الدين بن قزوينة، فأعفى، وخلع على علاء الدين على بن عرب. واستقر عوضه فى الوكالة والكسوة، مضافا إلى حسبة القاهرة.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن على بن أبى رقيبة، واستقر فى حسبة مدينة مصر والوجه القبلى، عوضا عن بهاء الدين بن المفسر بعد عزله.

وفى رجب استقر الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور فى نيابة حلب، عوضا عن أشقتمر الماردينى.

وفى عشرين صفر: استقر جمال الدين محمد بن السراج أحمد بن مسعود القونوى - المعروف بابن السراج الحنفى[1] - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن الجمال يوسف الكفرى.

وفيها أسلم الشمس أبو الفرج المقسى وتسمى عبد الله، ولقب شمس الدين، واستقر مستوفى المماليك، ثم نقل إلى استيفاء الخاص.

واستقر الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جرجى نائب حلب، بإمرة طبلخاناه.

وأنعم على كل من قَطْلَوبُغا البلانى، وكُمُشْبُغا الحموى، وجُنْغَرا السيفى، وآقْبُغا الجوهرى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من سلجوك الرومى، وأروس السيفى، وسُنْقُر السيفى بإمرة عشرة.

واستقر حسام الدين حسن بن علاء الدين على بن ممدود الكورانى فى ولاية المنوفية، عوضا عن قَطْلُبَك السيفى، واستقر حسن بن الحرامى فى ولاية قوص عوضا عن بَكْتَمُر العلمى.

---

(١) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق. ولى قضاءها. من كتبه «بغية القنية» فقه، و«المنتهى». انظر وكشف الظنون ٣٤٦/١ و٢٠٣٢ والأعلام ١٦٢/٧.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم التاج عبد الوهاب بن السبكى قاضى دمشق إلى القاهرة، ثم عاد فى عاشر جمادى الآخر إلى محل ولايته بدمشق.

وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمكة، حتى بيعت الغرارة القمح - وهى مائة قدح مصرى - بأربعمائة درهم وثمانين درهما، وعز وجود الأقوات بها فهلك جماعة كثيرة جوعا، ونزع أكثر أهلها عنها، فجهز الأمير يلبغا الأتابك فى جمادى الأولى إلى مكة ألفى أردب قمحا، وواصل الإرسال حتى حمل من مصر إليها اثنى عشر ألف أردب. فرقت كلها فى الناس، فعم النفع بها.

وكتب مرسوم بإسقاط ما يؤخذ من مكس الحاج بمكة، فيما يحمل إليها من البضائع، خلا مكس الكارم تجار اليمن، ومكس الخيل، ومكس تجار العراق، وعوض أمير مكة عن ذلك إقطاعا بمصر، وحمل إليه مبلغ أربعين ألف درهم فضة، عنها يومئذ نحو الألفى مثقال ذهبا.

واستقر آل ملك السيفى فى ولاية الشرقية. وفخر الدين عثمان الشوفى ولاية البهنسا[١] عوضا عن الشهاب أحمد بن جميل. واستقر ابن جميل فى ولاية الأشمونين. واستقر شمس الدين بن الدينارى فى ولاية الفيوم عوضا عن علاء الدين العمرى.

وفى يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة: عدى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة النيل إلى بر الجيزة، وقد خيم بها السلطان على العادة، بكوم برا، وسأل الأمير يلبغا فى إعفائه من القضاء، وتشفع إليه بمصحف معه، وعزل نفسه. وقام، وقد أقر الأمير يلبغا نواب الحكم على حالهم. فلما عدى السلطان النيل، وصعد القلعة فى يوم الخميس تاسع عشره، وجه الأمير يلبغا بالأمير جرجى أمير آخور إلى ابن جماعة يدخل عليه فى عوده إلى وظيفة القضاء، فامتنع غاية الامتناع. فبعث إليه بكاتب السر علاء الدين على بن فضل الله فلم يجبه أيضًا. فركب الأمير يلبغا بنفسه فى يوم السبت حادى عشرينه، وأتاه إلى منزله بالجامع الأقمر[٢] وألح فى سؤاله وهو يمتنع. فلما أيس منه سأله أن يعين من يصلح، فأشار بولاية أبى البقاء، ثم صلى وراءه المغرب وانصرف. فاستدعى فى يوم الإثنين ثالث عشرينه بأبى البقاء، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة، عوضا عن ابن جماعة، وخلع عليه، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف. وخلع معه على بهاء الدين أحمد بن السبكى واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن أبى البقاء. وخلع

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٢) الجامع الأقمر: تم إنشاؤه فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى سنة ٥١٩هـ.

على تاج الدين محمد بن بهاء الدين، واستقر فى وكالة الخاص زيادة على ما بيده من نظر المارستان.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على عز الدين بن جماعة، واستقر فى نظر جامع أحمد بن طولون، وتدريس الفقه، وتدريس الحديث به، ورتب له على بيت المال فى كل شهر ألف درهم.

وفى أول شهر رجب: عزل فخر الدين أبو جعفر محمد بن الكُوَيْك عن نظر الأحباس، واستقر عوضه ناصر الدين محمد القرشى موقع الدَسْت.

وفى سابعه: استقر الأمير قُطلو أقتمر العلاى أمير جاندار فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير عمر بن أرغون النائب، وأنعم على عمر بإمرة قُطلو أقتمر.

وفى حادى عشره: استقر الأمير أينال اليوسفى أمير جاندار.

واستقر ألطُنبغا البُشْتكى فى نيابة غزة، عوضا عن أرْبُغا الكاملى.

واستقر الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب فى نظر المشهد النفيسى، عوضا عن الخليفة.

وأنعم على الأمير شعبان بن الأمير يلبغا الأتابك بتقدمة ألف.

وفى شهر رمضان: استقر الأمير أزدَمُر نائب طرابلس فى نيابة صفد، عوضا عن قطلو أقتمر.

واستقر الأمير قَشْتَمُر المنصورى فى نيابة طرابلس.

وأنعم على الأمير أَسَنْدمُر المظفرى بتقدمة ألف.

وفى سادس عشرين شوال: استقر الأمير عبد الله بن بَكْتَمر الحاجب أمير شكار، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن ألجيبغا. واستقر أَسَنْدمُر حرفوش حاجبا، عوضا عن عبد الله بن بَكْتَمر.

وفى آخر ذى القعدة: استقر الأمير مَنْجَك اليوسفى فى نيابة طرسوس، عوضا عن قمارى الحموى، بعد وفاته.

وفيها توجه نائب حلب بالعسكر إلى نجدة ناصر الدين محمد بن باك بن أرتنا، وتوجه عز الدين عبدِ العزيز بن جماعة إلى مكة، صحبة الركب، وجاور بها.

وقدم السلطان حلى عبد الحكيم من المغرب فارا، فأنعم السلطان عليه وأجرى له الرواتب السنية، فتزوج باتفاق الصالحية امرأة الصاحب موفق الدين هبة الله بن إبراهيم، وتوجه حاجا صحبة الركب فى تجمل زايد. وتوجه أيضًا إلى الحج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام متولى الإسكندرية، واستناب عنه فى الثغر الأمير جنغرا، وكان أمير الحاج محمد بن قُنْدُس.

وفيها لخمس وعشرين من ذى القعدة قدم البريد من ناحية المشرق إلى دمشق بقماقم فيها ماء من عين هناك، من خاصيته أن يتبعه طير يسمى السمرمر، فى قدر الزرزور ولونه، وفيه ريش أصفر، يأكل الجراد. فعلق بطارمة[١] القلعة، وبمأذنة العروس وقبة النصر من الجامع الأموى، وكان الجراد قد كثر بأعمال دمشق، وأضر بمزارعها، فبعث الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام لإحضار هذا الماء. فلما جىء به وعلق كثر السمرمر بدمشق، وأفنى ما كان الجراد هناك، حتى لم يبق منه شيئًا. وأقامت قماقم الماء معلقة بتلك الأماكن إلى أن جف ما فيها، والطير موجود.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشريف شمس الدين حسن بن محمد بن حسن بن على بن حسن بن زهرة بن حسن ابن زهرة الحسنى، نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الهادى الفوَّى[٢] الفقيه الشافعى فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، وقد تصدر للتدريس.

وتوفى قطب الدين محمد بن محمد الرازى[٣] المعروف بالقطب التحتانى، بدمشق، وقد أناف على الستين. وبرع فى المنطق والنحو، وصنف شرح الشمسية والمطالع، وحواشى على الكشاف، وغير ذلك.

---

(١) الطريم الطويل، والطارمة بيت من خشب كالقبة.

(٢) محمد بن عبد الهادى الفوى، جمال الدين: من فضلاء الشافعية. له «الشجرة النبوية» و«تنقيح فى أحاديث التعليق». انظر الدرر الكامنة ٣٤/٤ والأعلام ٢٥٣/٦.

(٣) محمد (أو محمود) بن محمد الرازى، أبو عبد الله، قطب الدين: عالم بالحكمة والمنطق. من أهل الرى. استقر فى دمشق سنة ٧٦٣هـ. كان يسكن فى أعلى المدرسة الظاهرية بدمشق وتوفى بها. من كتبه «المحاكمات» فى المنطق. «تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية». انظر القلائد الجوهرية ٢٣٩ ومفتاح السعادة ٢٤٦/١.

وتوفى زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود، المعروف بابن السراج الحنفى، أحد نواب الحكم بالقاهرة، فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة، عن بضع وسبعين سنة. وكان يحفظ الهداية فى الفقه، ودرس وأعاد.

وتوفى بدر الدين محمد بن قطب الدين محمد بن محمد بن منصور، المعروف بابن الشامية، موقع الحكم، فى يوم السبت ثانى شهر رمضان.

وتوفى شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المزى الدمشقى الحريرى، بمصر، فى شعبان، حدث عن سليمان بن حسن، والقاسم بن عساكر، وأبى نصر الشيرازى.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق، جمال الدين يوسف بن شرف الدين أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، الحنفى. كان بارعا فى الفقه والعربية، عارفا بالأحكام.

ومات الأمير قمارى الحموى الحاجب. وهو على نيابة طرسوس، بها.

ومات الأمير آسن قجا بن عبد الله من على بك، أحد أمراء الطبلخاناه، بعد ما ولى نيابة البيرة[1] ثم نيابة طرسوس، وبها مات.

وتوفى أبو محمد عبد السلام بن سعيد بن عبد العال القيروانى المالكى، بالمدينة النبوية. وكان قد برع فى الفقه، ودرس زمانا.

وتوفى المسند شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن إلياس، الأنصارى، الخزرجى، البيانى المقدسى، الدمشقى، الشاهد عرف بابن إمام الصخرة، فى تاسع عشرين ذى القعدة بالقاهرة. ومولده سنة ست وثمانين وستمائة. حضر على زينب بنت مكى[2] فى الثانية، وعلى الفخر بن البخارى. وابن القواس وغيرهم فى الثالثة. وسمع من ابن عساكر وطائفة، وحدث، وخرج له ابن رافع مشيخة حدث بها.

* * *

---

(١) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من القرطبة، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال. انظر الروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٢) زينب بنت مكى بن على الحوانى فقيهة، ازدحم عليها الطلبة يأخذون عنها علوم الدين، فاشتهرت. وهى من الصالحات. وتوفيت فى دمشق. انظر ديوان الإسلام والأعلام ٦٧/٣.

سنة سبع وستين وسبعمائة

فى المحرم: ولِى قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامى الحنفى خطابة جامع شَيْخُو خارج القاهرة، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن الشرف.

وفيه سرح السلطان على العادة إلى سرياقوس[1]. وتوجه الأمير يلبغا الأتابك إلى الصيد بالعباسة. فورد الخبر فى يوم السبت رابع عشرينه بمنازلة الفرنج الإسكندرية، وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادى عشرينه. فسرح الطائر بذلك إلى الأمير يلبغا، فتوهم أن تكون هذه مكيدة يكاد بها، فبادر ودخل إلى داره خارج القاهرة، وتبعه السلطان، فصعد القلعة فى يوم الأحد خامس عشرينه. فلما تحقق الأمير يلبغا الخبر، عدى النيل من ساعته إلى البر الغربى، وتلاحق به أصحابه، ونودى بالقاهرة: من تأخر من الأجناد غدا حل دمه وماله. فخرج الناس أفواجا، وسار السلطان بعساكره إلى الطرانة، وقدم عسكرًا عليه الأمير قطلوبغا المنصورى والأمير كوكنداى، والأمير خليل بن قوصون ليدركوا أهل الثغر. فقدر الله تعالى فى ذلك أن أهل الثغر كان قد بلغهم منذ أشهر اهتمام الفرنج بغزوهم، فكتب بذلك الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - متولى الثغر - إلى السلطان والأمير يلبغا، فلم يكن من الدولة اهتمام بأمرهم. فلما توجه ابن عرام إلى الحج، واستناب عنه فى الثغر الأمير جنغرا - أحد أمراء العشرات - وجاء أوان قدوم مراكب البنادقة من الفرنج لاح للناظور[2] عدة قلاع فى البحر. ثم قدم فى بكرة يوم الأربعاء حادى عشرينه إلى الميناء، ثمانية أغربة، وتلاها من الأغربة والقراقر[3] ما بلغت عدتها ما بين سبعين إلى ثمانين قطعة. فأغلق المسلمون أبواب المدينة، وركبوا الأسوار بآلة الحرب، وخرجت طائفة إلى ظاهر البلد، وباتوا يتحارسون. وخرجوا بكرة يوم الخميس يريدون لقاء العدو، فلم يتحرك الفرنج لهم طول يومهم، وليلة الجمعة. فقدم بكرة يوم الجمعة طوايف من عربان البحيرة[4] وغيرهم، ومضوا جهة المنار، وقد نزل من الفرنج جماعة فى الليل بخيولهم، وكمنوا فى الترب التى بظاهر المدينة. فلما تكاثر

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) الناظور هو الشخص الذى يترقب حركات العدو، ويرصدها عن بعد.

(٣) القراقر: جمع قرقرة، وهى نوع من السفن الحربية.

(٤) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

جمع المسلمين من العربان، وأهل الثغر، عند المنار، برز لهم غراب إلى بحر السلسلة، حتى قارب السور، فقاتله المسلمون قتالا شديدا، قتل فيه عدة من الفرنج، واستشهد جماعة من المسلمين. وخرج إليهم أهل المدينة وصاروا فرقتين، فرقة مضت مع العربان نحو المنار، وفرقة وقفت تقاتل الفرنج بالغراب. وخرجت الباعة والصبيان وصاروا فى لهو، وليس لهم اكتراث بالعدو. فضرب الفرنج عند ذلك نفيرهم. فخرج الكمين وحملوا على المسلمين حملة منكرة. ورمى الفرنج من المراكب بالسهام، فانهزم المسلمون، وركب الفرنج أقفيتهم بالسيف. ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه، بغير مانع، وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك منهم فى الازدحام عند عبور باب المدينة جماعة، وخلت الأسوار من الحماة، فنصب الفرنج سلالم ووضعوا السور، وأخذوا نحو الصناعة، فحرقوا ما بها، وألقوا النار فيها، ومضوا إلى باب السدرة، وعلقوا الصليب عليه، فانحشر الناس إلى باب رشيد، وأحرقوه، ومروا منه على وجوهم، وتركوا المدينة مفتوحة بما فيها للفرنج، وأخذ الأمير جنغرا ما كان فى بيت المال، وقاد معه خمسين تاجرا من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده، ومضى هو وعامة الناس، إلى جهة دمنهور، فدخل وقت الضحى من يوم الجمعة، ملك قبرص - واسمه رُبير بطرس بن ريوك - وشق المدينة وهو راكب، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، وهلك فى الزحام، بباب رشيد، ما لا يقع عليه حصر، فأعلن الفرنج بدينهم، وانضم إليهم من كان بالثغر من النصارى، ودلوهم على دور الأغنياء، فأخذوا ما فيها، واستمروا كذلك، يقتلون، ويأسرون، ويسبون، وينهبون، ويحرقون، من ضحوة نهار الجمعة إلى بكرة نهار الأحد، فرفعوا السيف، وخرجوا بالأسرى والغنايم إلى مراكبهم، وأقاموا بها إلى يوم الخميس ثامن عشرينه، ثم أقلعوا، ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام. وكانوا عدة طوائف، فكان فيهم من البنادقة أربعة وعشرون غرابا، ومن الجنوية غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة، والفرنسيس فى خمسة أغربة، وبقية الأغربة من أهل قبرص. وكان مسيرهم، عند قدوم الأمير يلبغا، بمن معه، فلما قدم عليه الأمير قطلوبغا المنصورى، لم يجد معه سوى عشرين فارسا، وعليه إقامة مائة فارس، فغضب عليه، ووجد الأمر قد فات، فكتب بذلك إلى السلطان، فعاد إلى القلعة، وبعث بابن عرام، نائب الإسكندرية على عادته، فأمر الأمير يلبغا بمواراة من استشهد من المسلمين، ورم ما احترق، وغضب على جنغرا وهدده، وعاد فأخذ فى التأهب لغزو الفرنج. وتتبعت النصارى، فقبض على جميع من بديار مصر، وبلاد الشام

وغيرهما من الفرنج، وأحضر البطريق والنصارى، وألزموا بحمل أموالهم، لفكاك أسرى المسلمين من أيدى الفرنج، وكتب بذلك إلى البلاد الشامية، وتتبعت ديارات النصارى، التى بأعمال مصر كلها، وألزم سكانها بإظهار أموالهم وأوانيهم، وعوقبوا على ذلك.

فكانت هذه الواقعة، من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها، واتضع أهلها، وقلت أموالهم، وزالت نعمهم. وكان الناس فى القاهرة، منذ أعوام كثيرة، تجرى على ألسنتهم جميعا: «فى يوم الجمعة تُوخذ الإسكندرية»، فكان كذلك. ومر بمن خرج من الإسكندرية فى وقت الهزيمة، من العربان بلاء لا يوصف.

ولما استقر الأمير يلبغا، بعد عوده من الإسكندرية، أشار بالقبض على الأمير قطلوبغا المنصورى، فقبض عليه، ونفى إلى الشام. وأنعم على الأمير أرغون الأزقى، بتقدمته. واستقر الأمير يعقوب شاه اليحياوى حاجبا، عوضا عن قطلوبغا المنصورى. واستقر الأمير طشتمر الحسنى، أمير آخور، عوضا عن يعقوب شاه.

وأخذ الأمير يلبغا، فى تجهيز مولاى حلى، بعد عوده من الحج، للسفر إلى بلاده. وخلع عليه السلطان فرجية حرير أطلس أحمر، من تحتها تحتانية أطلس أصفر، وعلى الفرجية تركيبة زركش، وطوق بعنبرانية. وألبس طرحة عن عمامته، وقلد بسيف محلى بالذهب فى يوم الخميس، ثامن عشرين صفر. وسافر، فمات على تروجة، فى أوائل شهر ربيع الأول.

وفيه قدم تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى قاضى دمشق باستدعاء. وقد شُكى، وأمر بالكاف عليه.

وقدم الخبر بكثرة فساد أولاد الكنز[١]، وطائفة العكارمة[٢] بأسوان، وسواكن[٣] وأنهم منعوا التجار، وغيرهم من السفر؛ لقطعهم الطريق، وأخذهم أموال الناس. وأن أولاد الكنز قد غلبوا على ثغر أسوان، وصحرا عيذاب[٤] وبرية الواحات الداخلة.

---

(١) قبيلة تنسب إلى كنز الدولة، وقد دخلت بلاد النوبة وحكمتها.

(٢) بطن من الأوس من القحطانية، ومساكنهم بجوار منفلوط من صعيد مصر.

(٣) سواكن: مدينة بقرب جزيرة عيذاب، وهى ذات مرسى، ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن، وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة. انظر معجم البلدان ٢٧٦/٣، والروض المعطار ٣٣٢،وتقويم البلدان ٣٧٠، ونخبة الدهر ١٥١.

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. انظر معجم البلدان ١٧١/٤، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، نزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

وصاهروا ملوك النوبة، وأمراء العكارمة، واشتدت شوكتهم. ثم قدم ركن الدين كرنبس من أمراء النوبة، والحاج ياقوت ترجمان النوبة، وأرغون مملوك فارس الدين، برسالة متملك دمقلة[١]، بأن ابن أخته خرج عن طاعته، واستنجد ببنى جعد من العرب، وقصدوا دمقلة فاقتتلا قتالا كثيرا، قتل فيه الملك وانهزم أصحابه. ثم أقاموا عوضه فى المملكة أخاه، وامتنعوا بقلعة الدو فيما بين دمقلة وأسوان. فأخذ ابن أخت المقتول دمقلة، وجلس على سرير المملكة، وعمل وليمة، جمع فيها أمراء بنى جعد، وكبارهم، وقد أعد لهم جماعة من ثقاته؛ ليفتكوا بهم، وأمر فأخليت الدور التى حول دار مضيفهم، وملأها حطبا. فلما أكلوا وشربوا، خرجب جماعة بأسلحتهم، وقاموا على باب الدار، وأضرم آخرون النار فى الحطب، فلما اشتعلت، بادر العربان بالخروج من الدار، فأوقع القوم بهم، وقتلوا منهم تسعة عشر أمير فى عدة من أكابرهم. ثم ركب إلى عسكرهم، فقتل منهم مقتلة كبيرة، وانهزم باقيهم، فأخذ جميع ما كان معهم، واستخرج ذخائر دمقلة وأموالها، وأخلاها من أهلها. ومضى إلى قلعة الدو، فوقع الاتفاق بينه وبين متملكها، على أن يكون نائبا ويستقر الملك لصاحب الدو، وسألا أن ينجدهما السلطان، على العرب، حتى يستردوا ملكهما، والتزما بحمل مال فى كل سنة إلى مصر. فرسم بسفر الأمير أقتمر عبد الغنى، حاجب الحجاب، ومعه الأمير ألجاى أحد أمراء الألوف وعشرة أمراء عشرات، وثمانية أمراء طبلخاناه منهم أمير خليل بن قوصون، وأسندمر حرفوش الحاجب، ومنكوتمر الجاشنكير، ودقماق بن طغنجى، وبَكْتَمُر شاد القصر، وأمير موسى بن قرمان، وأمير محمد بن سرطُقْطاى، فى عدة من المماليك السلطانية، وأخذوا فى تجهيزهم من سادس عشر شهر ربيع الأول. وساروا فى رابع عشرينه، وهم نحو الثلاثة آلاف فارس، فأقاموا بمدينة قوص ستة أيام، واستدعوا أمراء أولاد الكنز من ثغر أسوان ورغبوهم فى الطاعة، وخوفوهم عاقبة المعصية، وأمنوهم. ثم ساروا من قوص، فأتتهم أمراء الكنوز طائعين عند عقبة أدفو[٢]، فخلع عليهم الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، وبالغ فى إكرامهم. ومضى بهم إلى أسوان، فخيم بظاهره من البر الغربى، أربعة عشر يوما، ونقل ما كان مع العسكر فى المراكب من الأسلحة وغيرها على البر، حتى قطعت الجنادل إلى قرية بلاق[٣]. فأكمل نقل

---

(١) دمقلة - أو دنقلة - فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها- وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يومًا. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٠، والروض المعطار ٢٣٦، ٢٣٧، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٥/٢٧٥، والبكرى ٥٩.

(٢) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر معجم البلدان ١/١٢٦.

(٣) بلد فى آخر عمل الصعيد وأول بلاد النوبة كالحد بينهما. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٨.

الأسلحة، والغلال، وغير ذلك، وطلعت المراكب من الجنادل، وأصلح ما فسد منها في طلوعها من الجنادل، وصارت من وراء الجنادل، وشحنت بالأسلحة والغلال، وبقية الأزواد، والأمتعة، ومرت في النيل. وسارت العساكر، تريد النوبة، على محازاتها في البر، يوما واحدا، وإذا برسل متملك النوبة قد لاقتهم، وأخبروهم بأن العرب قد نازلوا الملك، وحصره بقلعة الدو. فبادر الأمير أقتمر عبد الغنى لانتقاء العسكر، وسار في طائفة منهم جريدة، وترك البقية مع الأثقال. وجد في سيره، حتى نزل بقلعة أبريم، وبات بها ليلته، وقد اجتمع بملك النوبة، وعرب العكارمة، وبقية أولاد الكنز، ووافاه بقية العسكر. فدبر مع ملك النوبة على أولاد الكنز، وأمراء العكارمة، وأمسكهم جميعا. وركب متملك النوبة في الحال، ومعه طائفة من المماليك. ومضى في البر الشرقي إلى جزيرة ميكائيل، حيث إقامة العكارمة. وسار الأمير خليل بن قوصون في الجانب الغربي، ومعه طائفة، فأحاطوا جميعا بجزيرة ميكائيل عند طلوع الشمس، وأسروا من بها من العكارمة، وقتلوا منهم عدة بالنشاب والنفط. وفر جماعة نجا بعضهم، وتعلق بالجبال وغرق أكثرهم. وساق بن قوصون النساء والأولاد، والأسرى والغنائم، إلى عند الأمير أَقْتَمُر، ففرق عدة من السبى في الأمراء، وأطلق عدة، وعين طائفة للسلطان. ووقع الاتفاق على أن يكون كرسى ملك النوبة بقلعة الدو؛ لخراب دمقلة، كما مر ذكره، ولأنه يخاف من عرب بنى جعد أيضًا إن نزل الملك بدنقلة أن يأخذوه. فكتب الأمير أقتمر عبد الغنى محضرا برضاء ملك النوبة بإقامته بقلعة الدو، واستغنائه عن النجدة، وأنه أذن للعسكر في العود إلى مصر. ثم ألبسه التشريف السلطاني، وأجلسه على سرير الملك بقلعة الدو، وأقام ابن أخته بقلعة أبريم. فلما تم ذلك جهز ملك النوبة هدية للسلطان، وهدية للأمير يَلْبُغا الأتابك، ما بين خيل، وهجن، ورقيق، وتحف. وعاد العسكر ومعهم أمراء الكنز، وأمراء العكارمة في الحديد. فأقاموا بأسوان سبعة أيام، ونودى فيها بالأمان والإنصاف من أولاد الكنز. فرفعت عليهم عدة مرافعات، فقبض على عدة من عبيدهم ووسطوا. ورحل العسكر من أسوان، ومروا إلى القاهرة، فقدموا في ثانى شهر رجب، ومعهم الأسرى، فعرضوا على السلطان، وقيدوا إلى السجن، وخلع على الأمير عبد الغنى، وقبلت الهدية.

وفيها حدثت وحشة بين السلطان أويس متملك بغداد وتوريز، وبين نائبه ببغداد، خواجا مرجان، فعصى عليه مرجان، وخطب ببغداد للسلطان الملك الأشرف. وبعث رسله بذلك، فقدموا في أوائل جمادى الأولى، ومعهم كتابه بأنه قد خلع أويس، وأقام الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان الأشرف، وأخذ له البيعة على الناس ببغداد،

وعزم على محاربة أويس وأنه نائب السلطان ببغداد، إن نصره الله عليه، وإن تكن الأخرى قدم إلى أبواب السلطان. فأكرمت رسله، وجهز له تشريف جليل وأعلام خليفتية وأعلام سلطانية، وكتب له تقليد بنيابة بغداد، وجهز أيضًا عدة خلع لأمرائه وأكابر دولته، وخلع على رسله، وأعيد.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى، وأعيد إلى قضاء دمشق على عادته، وسافر فى ثالث عشرينه، وهذه ولايته الثالثة.

وفى هذه المدة: اهتم الأمير يَلْبُغا الأتابك بعمل الشوانى البحرية لغْزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات ما يجل وصفه، وشرع النجارون فى عملها بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى[1]، وتولى عملها الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، فقام فى ذلك أتم قيام، وبذل همته، واستفرغ وسعه، وتصدى له ليلا ونهارا، واستقر شاد العمل الأمير علاء الدين طيبغا العلاى أستادار الأمير يلبغا، وناظر العمل بهاء الدين بن المفسر، فقدم للعمل مائة شينى، ما بين غراب وطريدة، برسم حمل الخيل، فكان أمرا مهولا. ونودى بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة، ومن يريد الجهاد فى سبيل الله، إلى بيت الأمير يلبغا الأتابك للعرض وأخذ النفقة للسفر فى المراكب. فاجتمع عدة من المغاربة رجال البحر، وكتبت أسماؤهم، وقررت لهم المعاليم، وأقيمت لهم نقباء، وقاموا فى مساعدة صناع المراكب. وكتب إلى طرابلس، ونحوها من بلاد الساحل، بإنشاء مراكب حربية، وجمع رجالها، فكان عملا جليلا.

وفى تاسع عشره: قدم الخبر بفرار تجار الفرنج من الإسكندرية فى البحر، فلم يقدر عليهم.

وفى عشرينه: طلب نقباء أجناد الحركة، وأُلزموا بألا يخفوا أحدًا من أجناد الحلقة، وهددوا إن أخفوا أحدا منهم، فكتب كل نقيب مضافيه وأحضروهم للعرض، فقطع الأمير يلبغا منهم جماعة.

وفى آخره: قدم قاضى تبريز[2] فى جماعة برسالة السلطان أويس أن مرجان قد عصى عليه، وأنه قصد المسير لقتاله، فلا يمكن - إذا فر - من دخوله إلى الشام ومصر، فأجيب بما لا يريد، وأنه إن أراد نجدة سيرنا إليه العساكر لنصرته، وأهين رسوله، وأعيد خائبا.

---

(١) على هامش ط: جزيرة أروى، تعرف بالجزيرة الوسطى.

(٢) تبريز: فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر معجم البلدان ١٣/٢، والروض المعطار ١٣٠.

وفى حادى عشر جمادى الآخرة: أنعم على الأمير طيبغا العلاى - أستادار الأتابك يَلْبُغا - بتقدمة ألف، عوضا عن مَلْكَتَمُر الماردينى بعد موته. وأنعم على الأمير أَيْنَبكَ البدرى - أمير آخور يلبغا - بإمرة طبلخاناه، واستقر أستادار يَلْبُغا عوضا عن طَيْبُغا. واستقر الأمير أرغون ططر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن ملكتمر الماردينى.

وفى ثانى عشره: استقر الأمير أرغون الأزقى أستادار السلطان، عوضا عن أروس المحمودى.

وفى خامس عشره: استقر الشريف بكتمر والى القاهرة فى ولاية الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، وكانت ولاية حرب. فاستقر لَبَكْتَمُر نيابة بتقدمة ألف، وهو أول من باشرها نيابة سلطنة، وعمل معه حاجب أمير طبلخاناه ووالى حرب إمرية عشرة، وخمسمائة فارس بالثغر.

واستقر الأمير علاء الدين طيبغا أستادار كشلى فى ولاية القاهرة. واستقر عوضه فى ولاية مصر الأمير حسام الدين حسين بن علاء الدين على بن الكَوْرانى.

واستقر ابن عرام فى ولاية الفيوم[1]، عوضا عن حسين بن الكَوْرانى.

وكان الأمير طَيْبغا الطويل أمير سلاح قد خرج إلى العباسة يتصيد، فبعث الأمير يلبغا إليه مرسوم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشره مع الأمير أقبغا العُمرى الحاجب، بأن يتوجه إلى دمشق نائب السلطنة بها، وحمل معه التقليد والتشريف، فلم يوافق على ذلك، ورد الحاجب ردا غير جميل، وكان الأمير يلبغا بتربة مَلَكْتَمُر الماردينى مقيما على قبره، فلما بلغه الحاجب جواب الأمير طَيْبُغا، غضب، وبعث إليه الأمير أرغون الأسعردى الدوادار، والأمير أروس المحمودى، والأمير أرغون الأزقى، والأمير طيبغا العلاى بالتشريف وتقليد النيابة، وأكد عليهما فى ترجيعه عن الفتنة، وإن لم يمض فليقبضوا عليه. فما هو إلا أن مضوا حتى أبعدوا قليلا، فتأخر عدة من مماليك الأمير طَيْبُغا العلاى، ومماليك أرغون الأزقى، ووافى الأمير طيبغا، فامتنع من إجابتهم إلى السفر، وقال: «ليس بينى وبينهم إلا السيف». فمال إليه أرغون الأُسْعَردى والأمير أروس، وقبضوا على الأمير طيْبُغا العلاى، ففر أرغون الأزقى إلى الأمير يلبغا، وهو بالتربة، ثم لحق به الأمير طيْبُغا العلاى، وأخبراه بما وقع، فركب من فوره إلى قلعة الجبل، وأمر فدقت الكوسات حربيًا. ولبس السلطان وعامة العسكر السلاح، وركبوا

---

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

ليلة السبت سابع عشره، وعمل كمينا فى خلف الجبل، قريبا من قبة النصر. فما طلع الفجر حتى وافى الأمير طيبغا الطويل قبة النصر، فاقتتل الفريقان، فاستظهر طيبغا الطويل على القوم، وكادت النصرة تتم له، فخرج الكمين من ورائه. وعاد الأمير يلبغا، بعد ما أبعد قليلا، فانهزم طيبغا الطويل، وتفرق جمعه، فاختفى بالقاهرة.

وعاد السلطان إلى القلعة، ونودى بإخضار من وجد من المنهزمين، وهدد من أخفاهم، فلم يسر والى القاهرة، والنداء بين يديه، عن بين القصرين - من القاهرة - غير قليل، حتى دله بعض الناس، على طَيْبُغا الطويل، فدخل خانكاه بيبرس وأخذه منها، وصعد به القلعة، فقيده وسجن. وظفر أيضًا فى آخر النهار بالأمير أروس، وبالأمير أرغون الأسعردى، والأمير كَوْكَنداى أخى طَيْبُغا الطويل، والأمير كليم. ثم قبض على الأمير جَرَكْتَمُر السيفى منجك الجوكندار، والأمير أرغون عبد الملك، شاد الشرابخاناه والأمير جمق الشيخونى، والأمير تلك، وأقبغا العمرى البالسى، وقرا السلاح دار، والأمير أزكاه السيفى، وجرجى بن كوكندى، وأزرمق بن مصطفى، وطشتمر العلاى، فحملوا ثغر إلى الإسكندرية فى النيل مقيدين، وسجنوا هناك. وأخرج الأمير حسين بن طوغان الساقى منفيا إلى الشام. وارتجع إقطاع ولدى طَيْبُغا الطويل - وهما على وحمزة - وأنعم فى يومه على الأمير طيْدمُر البالسى، واستقر أمير سلاح عوضا عن طيبغا الطويل. واستقر الأمير طيبغا البوبكرى المهمندار، دوادارا بإمرة طبلخاناه.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الأمير أرغون الأزقى، واستقر أستادار السلطان، عوضا عن أروس. واستقر الأمير قطلوبغا الشعبانى شاد الشرابخاناه، بإمرة طبلخاناه، عوضا عن أرغون عبد الملك. واستقر الأمير تمرقيا العمرى جوكندار، عوضا عن جَرَكْتَمُر السيفى. وأنعم على كل من الأمير أقبغا الأحمدى المعروف بالجلب، والأمير أسندمر الناصرى بتقدمة ألف.

وفى يوم الأحد خامس عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم ثمانية وثلاثين أميرا، منهم أمراء طبلخاناه: أقبغا الجوهرى، وأرغون القَشْتَمُرى، وأَيْنبَك البدرى، وعلى السيفى كُشْلى - والى القاهرة -، وطُغَاى تَمُر العثمانى، وألطنبغا العزى، وقجماس السيفى طاز، وأرغون العزى كتك، وقَرَاتَمُر المحمدى، وأروس بغا الخليلى، وطاجار من عَوض، وقُطْلُوبغا العزى، وأقْبُغا اليوسفى، وألطنبغا الماردينى، ورسلان السيفى - واستقرحاجب الإسكندرية -، وعلى بن قَشْتَمُر، وسودون القُطْلُقْتَمُرى، وقطلوبغا الشعبانى وطُغَاى

تَمُر العزى، ومحمد الترجمان. وبقيتهم أمراء عشرات، وهم ككبغا السيفى وتنبك الأزقى، وأرغون الأحمدى، وأرغون الأرغونى، وسودون الشيخونى، وأزدمر العزى، وأروس النظامى، ويونس العمرى، ودَرْتُ بُغا البالسى، وطُرحسن، وقرا بغا الصَرْغَتْمُشى، وطاز الحسنى، وقمارى الجمالى، ويوسف شاه، وطقبغا العلاى، وفيرعلى، وقرقماس الصَرْغَتْمُشى وطاجار المحمدى. وخلع على الجميع، وألبسوا الشرابيش، ونزلوا جميعا من دار العدل بالقلعة إلى المدرسة المنصورية، بين القصرين من القاهرة، حتى حلفوا كما هى العادة. ثم ركبوا إلى القلعة، وقد أقيمت لهم المغانى، فى عدة مواضع من بين القصرين إلى القلعة، فكان يوما مذكورا، ثم أزيلت الزينة بعد ثلاث من نصبها.

وفى أول شهر رجب: قدم الخبر، بوصول رسل الفرنج إلى ميناء الإسكندرية، وأنهم طلبوا رهائن عندهم، حتى ينزلوا من مراكبهم ويؤدوا رسالتهم، فلم تؤمن مكيدتهم. واقتضى الحال إجابتهم، فأخرج من سجن الوالى - المعروف بخزانة شمايل - جماعة وجب قتلهم، وغسلوا بالحمام، وألبسوا ثيابا جميلة، وسفروا إلى الإسكندرية. فأكرمهم النايب، وأشاع أنهم من رؤساء الثغر، وبعث بهم إلى الفرنج، وشيع خلفهم نساء وصبيانا، يصيحون، ويبكون، كأنهم عيالهم، وهم يخافون الفرنج عليهم. فمشى ذلك على الفرنج، وعلى أهل الثغر لانتظام حال المملكة، ومُلاك أمرها، وجودة تدبيرها. فتسلم الفرنج الجماعة ونزلت رسلهم من المراكب. وقدموا إلى قلعة الجبل، وقد عدى السلطان إلى سرحة كوم برا بالجيزة، فحملوا إلى هناك. وجلس لهم الأمير يلبغا الأتابك، وقام الأمراء والحجاب بين يديه وأدخلوا عليه فهالهم بجلسه، وظنوا أنه السلطان، فقيل لهم: «هذا مملوك السلطان». فكشفوا عن رءوسهم، وخروا على وجوههم يقبلون الأرض، ثم قاموا، ودنوا إليه وناولوه كتاب ملكهم، وقدموا هديته إليه، ففرق ذلك بحضرتهم فيمن بين يديه، واختار منه طشطا وأبريقا من ذهب، وصندوقا لم يعرف ما فيه. وتضمنت رسالتهم، أنهم فى طاعة السلطان ومساعدوه على متملك قبرص(١)، حتى ترد الأسرى، التى أخذت من الإسكندرية، ويعوض المال. وسألوا تجديد الصلح، وأن يمكن تجارهم من قدوم الثغر، وأن تفتح كنيسة القيامة بالقدس، وكانت قد غلقت

---

(١) قبرص: جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يومًا، وبها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواش، وبها ثلاث مدن، ومن قبرص إلى طرابلس الشام مجريان، وبينها وبين ساحل مصر خمسة أيام، وبينها وبين رودس ميلا وإنما سميت قبرص بمدينة هناك تسمى قبرو، وكانت قبرص معظمة فى القديم للوثن المسمى قابرس. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

بعد واقعة الإسكندرية. فأجابهم، بأنه لابد من غزو قبرص، وتخريبها. ثم أخرجوا، فأقاموا بالوطاق ثلاثة أيام، وحملوا إلى دار الضيافة بجوار قلعة الجبل. فلما عاد السلطان من السرحة، وقفوا بين يديه، وقدموا هديتهم، وأدوا رسالتهم، فلم يجابوا، وأعيدوا إلى بلادهم خائبين.

وفى أول شعبان: أخرج الأمير جركس الرسول شاد العماير، منفيا إلى حلب، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص فى شد العماير. ورسم بإحضار الأمير قشتمر المنصورى نايب طرابلس، واستقر عوضه الأمير أَشَقْتَمُر الماردينى. واستقر الأمير أسندمر الزينى فى نيابة صفد. وكتب إلى الأمير جَرْجى نايب حلب، أن يسير لأخذ قلعة خرت برت[١] من ديار بكر[٢]، وأخذ صاحبها خليل بن قراجا بن دُلغادر مقدم التركمان، فنازل قلعتها نحو أربعة أشهر، وعاد بغير طائل. لمنعتها وحصانتها. ثم إن ابن دلغادر طلب الأمان، فأمن، وقدم إلى القاهرة.

وفيه أخرج الأمير قُطْلوبغا العمرى الحاجب، والأمير أحمد بن أبى بكر بن أرغون النايب، بعد ما قطع لسان كل منهما، ونفى إلى الشام.

واستقر سعد الدين بن الريشة، ناظر الدولة. واستقر عوضه فى نظر الخزانة الكبرى، فخر الدين بن السعيد. ثم أضيف إلى الفخر بن السعيد نظر البيوت، عوضا عن تاج الدين موسى بن أبى شاكر.

وتوجه الأمير طقبغا رسولا إلى قبرص، فأدى رسالته وعاد فى أول شهر رمضان.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير طيبغا الطويل، فتوجه إليه الأمير خليل بن قوصون، وقدم به فى يوم الثلاثاء ثامنه، فأخرج إلى القدس، بطالا.

وفيه عزل جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى[٣]،

---

(١) فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٥.

(٢) هى بلاد كبيرة، حدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٤.

(٣) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرداوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق مولدا ووفاة. تصدر للتدريس والإفتاء فى الجامع المظفر، ثم ولى قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاما. نسبته إلى «مردا» من قرى نابلس. له «الانتصار» فى أحاديث الأحكام. و«كفاية المستنفع لأدلة المتنع». انظر القلائد الجوهرية ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكتبخانة ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥٠.

قاضى الحنابلة بدمشق. واستقر عوضه شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، المعروف بابن قاضى الجبل[١]. وعزل جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى قاضى المالكية بدمشق، واستقر عوضه سرى الدين أبو الوليد إسماعيل ابن محمد بن محمد هانى اللخمى الأندلسى وعزل شمس الدين محمد بن الحكرى عن قضاء المدينة النبوية، واستقر عوضه شمس الدين محمد بن خطيب أبرود.

وفى يوم عيد الفطر: رسم بالإفراج عن الأمير أرغون الأسعردى، والأمير أروس المحمودى، وبقية الأمراء المسجونين، فأفرج عنهم وأخرجوا إلى الشام متفرقين.

وفى خامسه: قدم رسول الملك أرخان بن عثمان ملك الروم يخبر أنه جهز مائتى غراب بحرية نجدة للسلطان على متملك قبرص، فأجيب بالشكر والثناء، وأنه لا يتحرك حتى تقدم من ديار مصر الشوانى.

وقدم الخبر بمسير السلطان أويس من توريز إلى بغداد، وقبضه على خواجا مرجان وسمل عينيه، وحبسه. وأن حيار بن مهنا[٢]، لما خرج عن الطاعة، ثم فر إلى العراق، وطردت عربه من بلاد الشام، خدم أويس زيادة على سنتين، حتى خالف عليه خواجا مرجان ببغداد، وقبض عليه، فر منه بعض أمرائه إلى حيار. فلما طلبه منه أويس، لم يبعث به إليه، فبعث أويس يطرده من بلاده. فسار عنها، وسأل الأمير عمر شاه، نائب حماة[٣]، أن يشفع إلى السلطان فيه، ويسأله رد إقطاعه إليه. فكتب بذلك عمر شاه، فأجيب إلى قبول شفاعته، وأن يجهزه إلى الأبواب السلطانية صحبته. فقدم الأمير عمر شاه، ومعه الأمير حيار فى يوم الخميس خامس عشره. وقدم عقيب ذلك رسول السلطان أويس بطلب الأمير الذى فر إلى حيار وألا يمكن أحدا فر من مملكته أن يعبر

---

(١) أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة جمال الإسلام، شرف الدين ابن قاضى الجبل: شيخ الحنابلة فى عصره. أصله من القدس، ومولده ووفاته فى دمشق. طلب إلى مصر فدرس فى مدرسة السلطان حسن، وعاد إلى دمشق فولى بها القضاء سنة ٧٦٧هـ وتوفى وهو قاض. له مصنفات، منها «الفائق» فى فروع الفقه. انظر القلائد الجوهرية والدارس ٤٤/٢ والدرر الكامنة ١٢٠/١ والأعلام ١١١/١.

(٢) حيار بن مهنا بن عيسى من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان مواليا لسلاطين مصر والشام وتابعا فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٣) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠/٢، ٣٠١، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى ١٤٠/٤.

الشام ومصر، فلم يجب إلى قصده. وخلع على حيار وولده الأمير نعير[1]، وخواصه، وأعيد إلى الأمرة، وخلع على الأمير عمر شاه، وأعيدوا إلى محل ولايتهما.

وفى أول ذى القعدة: قدم رسول متملك ماردين بأن بيرم خجا التركمانى قد تغلب على الموصل منذ سنين، وبلغ عسكره نحو الثلاثين ألفا. فلما أخذ السلطان أويس نايبه مرجان بعث إلى الموصل جيشا، ففر منه بيرم خجا إلى بلاد العجم، وملكها أويس، وقد عزم على أخذ ماردين، ومتى ملكها تعدى منها إلى حلب. وطلب نجدة، فخرج من يكشف عن هذا الأمر.

وقدمت أيضًا رسل متملك جنوة بستين أسيرًا من أهل الإسكندرية، وهدية للسلطان وللأمير يلبغا. وذكر أن هذه الأسرى كانت نصيبه، واعتذر بأنه لم يعلم بواقعة الإسكندرية إلا بعد وقوعها، وأنه مستمر على الصلح، ومتى قدر على أخذ متملك قبرص قبضه وقتله. فقبلت هديته وأثنى الأسرى عليه خيرا، وأن متملك قبرص لما عاد من الإسكندرية، قسم ما غنمه منها بين ملوك الفرنج، وبعث بهؤلاء إلى متملك جنوة، فعرضهم وتغمم لهم، وأحسن إليهم، وكساهم، وأجرى لهم الرواتب حتى بعث بهم.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة. واستقر الأمير الأكز الكشلاوى نايب الإسكندرية. ونقل الشريف بَكْتَمُر منها إلى ولاية البر بالشام.

وقدم وزير متملك اليمن بهدية من جملتها فيل.

واستجد السلطان واليا بأسوان على إقطاع أولاد الكنز، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. وخلع على الحسام المعروف بالدم الأسود، وسلمه أولاد الكنز المسجونين بالقاهرة. وسار إلى قوص فسمرهم جميعا، ومضى بهم مسمرين من قوص إلى أسوان، ووسطهم بها. فشق ذلك على أولادهم، وعبيدهم، واجتمعوا مع العكارمة، وأتوا فى جمع كبير إلى أسوان. فلقيهم الدم الأسود وقاتلهم، فهزموه، وجرحوا عدة من مماليكه، ومالوا على أهل أسوان، يقتلون وينهبون، ويخربون الدور، ويحرقون بالنار، حتى أفنوا عدة من الناس، وأسروا النساء، وفعلوا كما فعلت الفرنج بالإسكندرية.

وفيها قام بمملكة اليمن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد هزبر الدين

---

(١) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعير: أمير آل فضل الشام. ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ وإعلام النبلاء ٥/١٤٧ وصبح الأعشى ٤/٢٠٨ والأعلام ٦/١١١.

داود المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول[١]، بعد موت أبيه. واستقر شيخنا ضياء الدين عبد الله بن سعد العفيفى المعروف بقاضى قرم فى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس من القاهرة، بعد موت الرضى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفى. خطيب جامع شيخو.

ومات الأمير بُطَا أحد أمراء الطبلخاناه. وقرأ على قبره ألف ختمة بوصيته.

ومات شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن أيوب العينتابى[٢] الحلبى قاضى العسكر بدمشق. برع فى الفقه وشرح مجمع البحرين والمغنى فى الأصول.

ومات الشيخ خليل الدين بن إسحاق المعروف بابن الجندى الفقيه المالكى[٣]، صاحب المختصر فى الفقه فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأول، ودفن خارج القاهرة. أخذ الفقه على مذهب مالك عن الشيخ عبد الله المنوفى، وبرع فيه. وصنف مختصرا فى الفقه على طريقة الحاوى فى الفقه على مذهب الشافعى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الفقه. وتصدر بعد المنوفى بمجلسه من المدرسة الصالحية بين القصرين. وكان يرتزق من إقطاع له بالحلقة، ثم قرره الأمير شيخو فى تدريس المالكية بخانكاته ولم يزل بها حتى مات. وكان عبدا صالحا.

---

(١) عباس (الملك الأفضل) بن على (الملك المجاهد) بن داود (المؤيد) بن المظفر يوسف الرسولى الغسانى الحفنى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن ومن أكابر المؤرخين. يلقب ضرغام الدين. ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٤هـ وأقام فى زبيد. له تصانيف منها «بغية ذوى الهم فى التعريف بأنساب العرب والعجم». انظر العقود اللؤلوية ١٥٧/٢ وصبح الأعشى ٣٣/٥ والفهرس التمهيدى ٤٠٨، ٤٤٢ وكشف الظنون ١١٤٢/٢ ودار الكتب ٨٥/٦ والأعلام ٢٦٣/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أيوب: قاضى العسكر فى دمشق. أصله من عينتاب ومولده فى حلب. ووفاته فى دمشق. له «المنبع». انظر تاج التراجم والدرر الكامنة ٨٢/١ والدرر ٤٦٦/١ والأعلام ٨٧/١.

(٣) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندى: فقيه مالكى، من أهل مصر. كان يلبس زى الجند. تعلم فى القاهرة، وولى الإفتاء على مذهب مالك. له «المختصر» فى الفقه و«التوضيح» و«المناسك». انظر الدرر الكامنة ٨٦/٢ وحسن المحاضرة ٢٦٢/١ وآداب اللغة ٢٤١/٣ والديباج المذهب ١١٥ والأعلام ٣١٥/٢.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن البدر بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى بمكى، يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة. ومولده فى محرم سنة أربع وتسعين وستمائة بدمشق. سمع الكثير عن جماعة كثيرة، وحدث بأكثر مسموعاته. وقرأ الفقه والحديث، وأفتى، ودرس، وخطب. وولى قضاء القضاة بديار مصر تسعا وعشرين سنة بأحسن سيرة وأجمل طريقة. ثم ترك ذلك تنزها وتعففا، وجاور بمكة، فقضى بها نحبه. رحمه الله.

وتوفى الملك المجاهد سيف الدين على ابن المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول(١)، متملك اليمن.

وتوفى شمس الأئمة محمود بن خليفة مدرس الحنفية بالمدرسة الناصرية حسن.

وتوفى الرضى شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فى ليلة الجمعة حادى عشرين رجب.

ومات الأمير ملكتمر الماردينى، رأس نوبة الجمدارية، أحد مقدمى الألوف، فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير أرغون العزى بدمشق.

ومات الأمير أرغون البَكْتَمُرى، أحد رءوس النوب.

ومات الأمير أروس العزى أحد الطبلخاناه.

* * *

---

(١) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر. من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٧٢١ هـ) فأقام سنة وخلعه الأمراء والمماليك ثم مكث أشهر وعاد إلى الحكم. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢ و٨٣ و١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤ والأعلام ٤٢٨٦.

سنة ثمان وستين وسبعمائة

فى يوم الخميس ثالث المحرم: قدمت رسل الملك الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن بهدية سنية على العادة، وهم وزيره شرف الدين حسين بن على الفارقى، وأمير أخوره ناصر الدين. فوقفوا بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم ثم أنزلوا فى الميدان الكبير على شاطئ النيل، وقدموا هدية مرسلهم في يوم السبت خامسه. وفيها فرس ليس له ذكر ولا أنثيين وإنما يبول من ثقب، فقبلت.

وفى تاسع صفر: استقر الأمير طَيْبُغَا الطويل فى نيابة حماة. واستدعى الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام، فقدم فى محفة لتوعك به، فأكرمه السلطان، وخلع عليه.

وفى يوم الخميس ثالث عشرين صفر: خلع على الأمير منكلى بغا الشمسى، واستقر فى نيابة حلب عوضا عن جَرجى الإدريسى. فصارت نيابة حلب أكبر رتبة من نيابة دمشق، وأضيف من عسكر دمشق إلى حلب أربعة آلاف فارس. وخلع على الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، واستقر فى نيابة دمشق. وخلع على الأمير طيبغا العلاى أستادار الأمير يلبغا الأتابك، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أقتمر عبد الغنى، ونزل الثلاثة بتشار يفهم من القلعة.

واستقر جمال الدين عبد الله بن نجم الدين عمر بن الجمال محمد بن الكمال عمر ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفى فى قضاء الحنفية بحماة، بعد وفاة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان. واستقر جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين أبى بكر محمد بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن الشهيد.

ورسم للأمراء جميعا بأن يسكنوا بقلعة الجبل، على ما جرت به العادة القديمة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فسكن بعضهم.

واستقر شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بابن زُبَيبَة الحنفى قاضيا بالإسكندرية، زيادة على قاضيها جمال الدين بن الربعى المالكى، ولم يعهد قبل ذلك بالإسكندرية قاضيان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الأول: قبض الأمير يلبغا الأتابك على الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، مقدم المماليك السلطانية، وضربه نحو ستماية ضربة بالعصى، وأخرجه إلى أسوان منفيا؛ لكلام نقل له عنه. وولى عوضه الطواشى ظهير الدين مختار المعروف بشاذروان[١] مقدم المماليك.

وفيه استقر الأمير أرغون الأزقى فى نيابة غزة عوضا عن ألطنبغا البشتكى.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير أرغون الأحمدى اللالا منفيا، وأخرج أيضًا الأمير تمرقيا العمرى منفيا، فتوجها إلى الشام، وخلع على الأمير أقبغا جلب الأحمدى، واستقر لالا السلطان.

وفيه رسم للأمير طيبغا حاجب الحجاب بعرض أجناد الحلقة، فاستدعاهم وجلس لعرضهم جزيرة أروى حيث تعمل الشوانى الحربية، وتشدد عليهم، وقطع منهم جماعة فى عدة أيام، حتى عرض منهم نحو ثلثيهم، ثم كان ما يأتى ذكره. إن شاء الله تعالى.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير قُطْلُوبك السيفى والى قوص، عوضا عن الأمير شهاب الدين قُرطاى.

وفى هذا الشهر: كملت عمارة الشوانى البحرية، وعدتها مابة قطعة ما بين غربان وطرايد، فاستخدم الأمير يلبغا لها من الرجال ما يكفيها، وجمعهم، ما بين مغاربة وتراكمين وصعايدة، ورتب لهم رءوساء ونقباء، وأنفق فيهم المعاليم المقررة، وشحن الأغربة بالعدد الحربية، وجميع آلات السلاح. فلما تهيأت كلها فرقها الأمير يلبغا على الأمراء، فتسلم كل أمير ما خصه من الشوانى وزينها بأعلامه، وأقام فيها الطبول والأبواق، وأنزل بها عدة من مماليكه وقد ألبسهم آلة الحرب، وأمرهم بالمسير فيها للغزو إذا سارت. ثم ركب السلطان والأمير يلبغا وسائر أمراء الدولة وأعيانها لرؤية الشوانى، وقد كملت وتم أمرها، وتهيأت رجالها، وخرج الناس من أقطار المدينة، وأتوا من كل جهة فى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول. فسار السلطان بعساكره من القلعة إلى جزيرة أروى، وركب الحراقة، وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس. فقدمت الشوانى، ولعبت رجالها بالآلات الحربية، كما يفعل عند لقاء العدو، ودقت كوساتها، ونفخت بوقاتها، وأفلتت النفوط، فكان أمرا مهولا، ومنظرا جميلا، وأمرا حسنًا لو تم. فلما انقضى ذلك، توجه السلطان فى الحراقة حتى نزل من بولاق التكرورى، وخيم بمنزلته من بر الجيزة على العادة. ومضى الأمير يلبغا لتصيد فى جزيرة القط[٢]، وأقيم الأمير

---

(١) شاذروان: فسقية عليها أربعة سباع من الذهب الأحمر تلقى الماء من أفواهها.

(٢) جزيرة القط هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة البدرشين بمحافظة الجيزة.

عمر بن أرغون النايب بقلعة الجبل نايب الغيبة، وأقام الأمير طيغا حاجب الحجاب بجزيرة أروى عند الشوانى لعرض أجناد الحلقة، ثم مضى السلطان يريد الصيد بالبحيرة فنزل الطرانة.

وكان الأمير يلبغا - لأمر يريده الله تعالى - قد شحت نفسه وساءت أخلاقه فاجتمع مماليكه الأجلاب إلى رءوس النوب، وشكوا ما يلقوه من الأمير يلبغا وأنه يجفوهم، ويهينهم، ويبالغ فى معاقبة أحدهم على الذنب اليسير، حتى أنه ضرب عدة منهم بالمقارع، وقطع ألسنة جماعة، وأنهم قد صاروا يدا واحدة، يريدون قتله وقتل من لم يوافقهم على ذلك، فأشار الأكابر منهم عليهم بالتمهل قليلاً حتى يأخذوا ما عند الأمير يلبغا وحدثوه فى شأنهم وانتدب منهم الأمير أسندمر الناصرى، والأمير أقبغا جلب الأحمدى، والأمير قجماس الطازى، والأمير تغرى برمش العلاى، والأمير أقبغا جركس أمير سلاح، والأمير قرابغا الصرغتمشى، ومضوا إلى الأمير يلبغا، وحدثوه فى أمر المماليك، وسألوه الرفق بهم، فجبههم، ورد عليهم ردًا جافيا، وتهددهم، وحلف بالأيمان الحرجة أنه لابد من ضرب جماعة من مماليكه بالمقارع، وإشهارهم فى الوطاق. فشق ذلك عليهم وخرجوا من بين يديه وقد توغرت صدورهم. وحدثوا إخوانهم من المماليك بما كان من الأمير يلبغا، واتفقوا جميعا على الفتك به وتحالفوا على ذلك، ولبسوا سلاحهم فى ليلة الأربعاء خامس ربيع الآخر، وكبسوا مخيم يلبغا وأحاطوا به ليأخذوه. فمضى إليه بعض خواصه منهم، وأعلمه الخبر. فبادر إلى الفرار على فرس وقصد بولاق التكرورى فى نفر من خاصته، وبعث إلى الأمير طَيْبُغا حاجب الحجاب يعلمه بما هو فيه، فلم يشعر الحاجب، وقد جلس بكرة يوم الأربعاء لعرض الأجناد على عادته، وهم منه على تخوف أن يقطعهم كما فعل بغيرهم، إذ جاءه أحد مماليك يَلْبُغا وأسر إليه طويلا. ثم قام عنه. وقد تغير حاله، فأمر الأجناد بالانصراف، وأبطل عرضهم. وركب إلى داره، فلبس آلة الحرب هو ومماليكه. وعاد إلى الجزيرة، وتقدم بطلب أجناد الحلقة ومن تأخر بالقاهرة من الأمراء، فأتوه فى السلاح، وقد ارتجت القاهرة بأهلها وخرجت العامة من كل موضع إلى الجزيرة، وما حولها، ومنع أرباب المراكب النيلية أن يعدوا بأحد النيل من البرين. وجمعت المراكب كلها إلى بر مصر، وضموا الشوانى الحربية، وألقوا مراسيها فى وسط النيل، وأخرجوا منها رجالها. وتقدم حاجب الحجاب إلى فتح الدين صدقة رئيس الحراقة السلطانية أن يخرج الحراقة الذهبية من بر الجيزة، ولا يعدى إلا بالسلطان والأمير يلبغا فقط ومن يصحبهما. وكان الأمير عمر ابن النائب - نائب الغيبة - قد أغلق أبواب القلعة، وألبس من بها من مماليك السلطان السلاح، وأقامهم على الأسوار، واستعد.

وأما يلبغا فإنه سار ليلة من جزيرة القط إلى بولاق التكرورى ، فلم يأتها إلا عند نصف النهار من يوم الأربعاء. فلم يجد مركبا يعدى به النيل إلا الحراقة الذهبية، فعدى فيها، وقد عرفه الرايس صدقة حتى وافى حاجب بالجزيرة، ومن انضم إليه من الأمراء والأجناد، فأكد فى المنع بالتعدية بأحد، من بر الجزيرة. وسار فى جحفل كبير إلى القلعة، فمنعهم نايب الغيبة من دخولها، ورأوا منعتها عليهم بمن فوقها من المقاتلة، فعاد عنها بجمعه من منزله بالكبش، وظل فيه بقية نهاره، وبات ليلة الخميس، وقد رجع الأمير طيبغا حاجب الحجاب إلى الجزيرة لحراسة المعادى.

وأما المماليك لما بلغهم فرار يلبغا نادوا «من أراد مخدومه يلبغا فليتبعه، ومن أراد السلطان فليقم معنا». فتبع يلبغا طايفة وتأخر أكثرهم، فأسرع القوم إلى من فارقهم وأخذوهم وقيدوهم واقتسموا جميع ما معهم. وتجمعوا بأسرهم عند وطاق السلطان ونزلوا عن خيولهم، ومثلوا بين يديه وقبلوا الأرض، وأعلموه بما كان من يلبغا فى حقهم، وما رده من الكلام الجافى عليهم، وسألوه نصرتهم عليه، فوعدهم بخير، وقوى عزايمهم، فحلفوا له. ثم ساروا به إلى بولاق التكرورى فى ليلة الأربعاء، حتى وافى شط النيل فلم يجد مراكب يعدى بها النيل، فخيم هناك بمن معه، ونودى بالإقامة ثلاثة أيام. وكتبت البطايق إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس على أجنحة الحمام، بقدوم من بها من الأمراء والأجناد المركزين فى اليزك[1] على العادة لحفظ الثغور من الفرنج. وكتب بحضور من بالوجه القبلى والوجه البحرى أيضًا، فقدموا شيئًا بعد شيء. وأخذ ولاة الجيزة فى جمع المراكب من شاطئ النيل، فجمعوا منها عدة، ركب بها طائفة فى الليل. وأخذوا كثيرًا من الشوانى الحربية التى فى وسط النيل وضموا بها ما بقى منها، وصاروا بها جميعا إلى بولاق التكرورى، وفيها آلات الحرب، فما طلع النهار، حتى زينت ونصبت عددها، وعمرت بالرجال البحرية والمماليك السلطانية فكأن الأمير يلبغا إنما تعب فيها لتكون مقاتلة له ومزيلة لنعمته، وسالبة لملكه.

فلما كان يوم الخميس: ركب الأمير يلبغا فى عسكر موفور إلى الجزيرة، فبرزت إليه الشوانى من بر الجيزة، حتى صارت فى وسط النيل، ورمته المماليك السلطانية منها بالسهام، والنفط، فمازال القوم يترامون نهارهم ثم أمر يَلْبُغا فجيء إليه بالخليفة، وآنوك ابن حسين بن محمد بن قلاوون. وطلب يَلْبُغا من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضا عن أخيه شعبان بن حسين، فامتنع الخليفة من ذلك. واحتج بأن الشوكة للأشرف شعبان فأمر يَلْبُغا بالكوسات فدقت، وأقام شعار السلطنة كله، وقال «أنا أعينه وأؤيده.

---

(١) اليزك: تأتى بمعنى مقدمة الجيش.

ومن الشوكة غيرى؟» فلم يجد الخليفة بدا من سلطنة آنوك، فأقاموه سلطانا، ولقبوه بالملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطانى.

واشتدت الحرب بين الفريقين يوم الخميس وليلة الجمعة. وجلس المنصور آنوك بكرة يوم الخميس وبين يديه أرباب الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة. فلما انقضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلبغا للحرب. واستمر الرمى من الشوانى طول النهار إلى نصف نهار يوم السبت. ثم نزل عدة من الأشرفية فى أربعة شوانى يريدون جهة الروضة، فندب يَلْبُغا جماعة من أصحابه إلى جهتهم حتى يمنعوهم الصعود إلى البر. ثم خرجت ثلاث طرايد أيضًا ومضت من بولاق التكرورى تريد جهة جزيرة الفيل وشبرا، فسير إليهم يلبغا طائفة أخرى تمنعهم النزول إلى البر، ومنهم الأمير طغاى تمر النظامى، والأمير قرابغا البدرى، والأمير طيبغا المجدى، فالتقوا قريبا من الوراق[1]. وصار البدرى والنظامى فى جملة الأشرفية، فبعثوا بهما إلى بولاق التكرورى. ونزل الأشرفية إلى ناحية شبرا فى نحو ثلاثة آلاف، فملكوا البر الشرقى.

هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة، والأسباب متعطلة، وليس للناس شغل سوى التفرج فى شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلبغاوية، وصاروا يلهجون كثير بقولهم: «السلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة». يريدون أن أمر آنوك لا يتم، ويهزأون به، وصار الأمير قجماس الطازى يمر فى قارب لطيف ومعه طائفة، حتى يقرب من البر، ويرمى بالنشاب، فيرموه أيضًا ويتسابقوا، وتعصبت العامة للسلطان، وعملوا لهم رايات، وسبحوا النيل إليه، وصاحوا عنده «السلطان منصور» فأخذ أمر يلبغا ينحل. فلما قدم البدرى والنظامى على السلطان. وأعلماه بأخذ السلطانية البر الشرقى. وتفرق اليلبغاوية فى طلب الشوانى، وأشارا عليه بتعدية النيل. ركب فى بقية الأغربة بمن معه، ومضى إلى جهة شبرا والعامة تحاذيه من البرين، وتستغيث بالدعاء له. حتى نزل شبرا، والتفت عليه جموعه، فسار يريد القلعة فتسلل أصحاب يلبغا عنه، طائفة بعد طائفة. فلم يجد يلبغا بدا من الفرار، وتوجه يريد القلعة. وقد فر عنه من كان قد بقى معه من الأمراء، وهم يعقوب شاه، وأرغون ططر، وبيبغا العلاى الدوادار، وخليل بن قوصون وآقبغا الجوهرى، وكمشبغا، وبيبغا شقير، وأينبك. ولحقوا جميعهم بالسلطان، و لم يتأخر مع يلبغا سوى علاى الدين طيبغا حاجب الحجاب. وكان العامة قد لقبوه قنصا ونسن. وفر مماليكه شيئًا بعد شىء. فأيقن بالزوال. وبعث بسلطان الجزيرة آنوك إلى القلعة، وأصعد بكوساته إلى الطبلخاناه، ونزل عن فرسه تحت الميدان

---

(١) الوراق، بلدة على شاطئ النيل الغربى قرب إمبابة.

بسوق الخيل، وصلى ركعتين، وحل سيفه من وسطه. وأمر طيبغا حاجب الحجاب أن يمضى به، ثم ركب فرسه ومضى إلى داره بالكبش ولم يبق معه إلا دون المائة فارس، والعامة تهزأ به وتسبه، وترجمه بالحجارة حتى وصل داره.

وقدم السلطان إلى القلعة فى عساكره، وعساكر يلبغا، وعالم كبير من العامة. فدخل من باب الإصطبل أول ليلة الأحد، فنزل عند بابه. والكوسات تدق، والعساكر واقفة تحت القلعة فى الرميلة. ثم أمر بإحضار يلبغا، فأحضر إليه فى الحال، مع عدة من الأمراء والمماليك المتوجهين إليه من قبل السلطان، وأحضر معه طيبغا حاجب الحجاب، فحبسا بالقلعة، فخشيت المماليك منه أن يفرج السلطان عنه، فيبيدهم، فصاروا بأجمعهم إلى أكابرهم والأعيان منهم، وهم الأمير أسنَدُمر، والأمير أَقْبُغا جَلَب، والأمير قجْماس. ومازالوا بهم حتى طلبوا من السلطان أن يمكنهم منه، فخلاهم وإياه، فأخرجوه من السجن ومشوا به حتى قرب من باب السلسلة، قدم له فرس ليركبه، فعندما أراد ركوبه، بدره من مماليكه قراتَمُر، ألقى رأسه عن بدنه، واقتحم بقيتهم عليه بسيوفهم، حتى أتلفوا شلوه[١]. وحملوا رأسه إلى السلطان، وبين يديه مشعل قد أضرمت ناره وعلا لهبه، فألقوا الرأس فى النار، ثم أخرجوه وغسلوه، فعرفه من هنالك بسلعة[٢] كانت تحت أذنه. وحملت جثته إلى خلف القلعة. فعند ذلك قام السلطان وصعد إلى قصره من القلعة، فأخذ الأمير طاش تَمُر - دوادار يلبغا - الرأس، وتتبع الجثة حتى وجدها فى ليلته. ثم غسل الجميع، ودفنه بتربته المعروفة بتربة يَلْبُغا، خارج باب المحروق من القاهرة، وذلك ليلة الأحد عاشر شهر ربيع الآخر. واستمرت الكوسات تدق طول تلك الليلة، والعساكر واقفة تحت القلعة، حتى أصبح نهار الأحد، صعدوا إلى الخدمة بالقلعة، وقد تعين منهم الأمير أقبغا الجلب والأمير أسندمر، والأمير قجماس، وأخذوا فى تدبير أمور الدولة، وقبضوا على الأمير قرابغا البدرى، والأمير يعقوب شاه، والأمير يَلْبُغا الدوادار وقيدوهم وبعثوا بهم، فحبسوا بالإسكندرية، وألزم الأمير خليل ابن قوصون بأن يقيم فى داره بطالا.

هذا وقد امتدت أيدى العامة وأسافل الأجناد إلى بيوت الأعيان فنهبوها بحجة أنهم من حواشى يلبغا، حتى شنُع الأمر فى ذلك. ونهبوا بيت الأمير فخر الدين ماجد بن قزوينة، وبيوت ألزامه وأتباعه، ونهبوا بيت الأمير علاى الدين والى القاهرة. وصار من يريد أن يبلغ عن عدوه ما يريد يقول عنه أنه يلبغاوى، فما هو إلا أن تسمع العامة عنه

---

(١) الشلو، العضو من أعضاء اللحم وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

(٢) زيادة تحدث فى البدن كالغدة، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

ذلك، وإذا بهم أتوا كأنهم جراد منتشر، فما يعفوا ولا يكفوا. وإن صدفوا فى طريقهم أحدا سلبوه ثيابه. فحل بالناس من هذا بلاء لا يمكن وصفه، وتخوف كل أحد أن يصيبه بلاؤهم. فتنهب داره ثم تخرب، وتتفرق آلاتها فى الأيدى كما فعل بجاره أو قريبه أو صديقه. فلما تجاوز العامة فى إفسادهم المقدار، ركب الأمير ضروط الحاجب، ومعه والى القاهرة فى عشية النهار، ونودى بالأمان. وأن غريم السلطان قد أمسك، ومن تعرض لأحد من الناس أو نهب شيئًا حل ماله ودمه للسلطان وشنق، فانكفوا عن إفسادهم.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: جلس السلطان بدار العدل من القلعة على العادة، وخلع على الأمير قَشْتَمُر المنصورى. واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير أيدَمُر الشامى، واستقر مقدم ألف ناظر الأحباس دوادارا كبيرا، وعلى الأمير قجماس الطازى. واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير ضروط، واستقر حاجبا، عوضا عن يعقوب شاه. وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى. واستقر أمير شكار، عوضا عن جمال الدين عبد الله بكتَمُر الحاجب. وخلع على الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، واستمر على عادته وقبض على الأمير أرغون العزى، والأمير أرغون الأرغونى، والأمير أزْدَمُر العزى أبو دقن، والأمير يونس العمرى الرماح، والأمير أقبغا الجوهرى، والأمير كمشْبُغا الحموى الأمير نوبة يلبغا. وسجنوا بالقلعة ماعدا كمشْبُغا الحموى وأقبغا الجوهرى فإنهما سجنا بخزانة شمايل.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: قبض على الأمير أَيْنبَك البدرى، فصالح عن نفسه بأن ينفق على المماليك الأجلاب من ماله، فأنفق فيهم، وكانوا ألفا وثمانىماية مملوك، أعطى كل مملوك منهم ألف درهم فضة، عنها يومئذ زيادة على خمسين مثقالا من الذهب، وحمل مالا جزيلا إلى الأمراء حتى أعيد إليه إقطاعه.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشره: توجه الأمير تَغْرى برْمِش بعدة من الأمراء والمماليك المقبوض عليهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفى الخميس رابع عشره: قدم الأمير أَلْطُنُبُغا البَشْتكى نائب غزة[1].

وفى ليلة السبت سادس عشره: أخرج كُمشْبُغا الحموى وأقْبغا الجوهرى من خزانة شمايل، إلى الإسكندرية.

---

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفى يوم السبت: المذكور خُلع على الأمير طيدَمُر البالسى واستقر أستادار، وأنعم على الأمير قرابغا الصَرْغَتْمشى أحد العشرات بتقدمة ألف.

وفى عشرينه: خلع على الأمير أَسَنْبُغا القوصونى، واستقر لالا عوضا عن أَقْبُغا الأحمدى، واستقر قراتمر المحمدى خازندار عوضا عن ملكْتَمُر المحمدى.

وفيه قدم الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى من **قوص**[1]، فقربه السلطان وأكرمه.

ونودى فى الناس «من قطع طيبغا حاجب الحجاب خبزه وقت العرض فليحضر ويأخذه». فاجتمع كثير منهم فى دار الأمير قَشْتَمُر حاجب الحجاب فرد إليهم أخبازهم.

وفيه كثرت المرافعات على الأمير أَيْنَبك، فرد إلى جماعة كبيرة ما كان أخذ منهم فى أيام يلبغا.

وفى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى: خلع على الوزير فخر الدين ماجد[2] ابن قزوينة، ولم يقدر على أخويه سعد الدين وعلم الدين إبراهيم. وعزل الأمير علاء الدين على بن كلفت شاد الدواوين، وقبض عليه وعلى أخيه زين الدين رجب. وخلع على فخر الدين ماجد - ويدعى عبد الله بن التاج موسى، ويدعى مالك الرق، ابن أبى شاكر كاتب الأمير يلبغا، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، عوضا عن الفخر بن قزوينة. وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر شاد الدواوين، وسُلّم ابن قزوينة للأمير قرابغا الصرغتمشى ليستخلص أمواله.

وفى سادس عشره: خلع على الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر مقدم المماليك على عادته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: نزل جماعة الأمراء من القلعة إلى المدرسة المنصورية، فحلفوا بها، وخلع عليهم بالشرابيش على العادة، وركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة لهم، فكان يوما مشهودا.

وفيه نُقل الأمير علاء الدين والى القاهرة إلى ولاية مصر، واستقر عوضه فى ولاية

---

(١) هى مدينة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبى شاكر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣/٢٧٤ والنجوم الزاهرة ١١/١٣٢ والأعلام ٥/٢٥٠.

القاهرة الشريف بكْتَمُر، فُسر الناس بعزله وزوال دولة يلبغا، وقبض ابن قزوينة، وأبقوا الزينة يومهم كله.

وفى ثامن عشره: قدمت رسل متملك جنوة من بلاد الفرنج، يسأل أن تمكن تجارهم فى القدوم إلى الإسكندرية على عادتهم، فأجيبوا إلى ذلك.

وفى يوم الخميس سادس عشر شهر رجب: ركب الأمراء للحرب بالسلاح ووقفوا تحت القلعة، وكان قد أشيع أن الأجلاب اليلبغاوية يريدون الحرب، وقبض الأمراء، وأول ما بدأوا به أن قبضوا على الأمير قرابغا الصرغتمشى وحبسوه، وأقاموا على تخوف، هذا وقد تفاحش أمر الأجلاب بحيث سلبوا الناس فى الطرقات، وهجموا الحمامات على النساء، وأخذوهن بالقهر، وقصدوا أرباب الأموال بالأذى، حتى شمل الخوف الناس.

فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشرينه: ركب الأمير تغرى بَرْمِش للحرب فى جماعة كبيرة من الأجلاب، فركب الأمراء لحربهم، وقبضوا على تغرى برمش المذكور، وعلى الأمير أَيْنَبَك البدرى، والأمير قرابغا العزى، والأمير مُقبْل الرومى، وإسحاق الرجبى، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، وقبضوا أيضًا عدة من الأجلاب ونفوهم من أرض مصر.

وفى سادس عشرينه: أنعم على الأمير أقطاى بتقدمة ألف، وعلى الأمير قطلوبُغا جركس بتقدمة ألف، وكان الأمير أسندمر قد صار فى رتبة أستاذه يلبغا، وإليه تدبير أمور الدولة، وعنه يصدر ولاية أربابها وعزلهم، وسكن فى دار يلبغا بالكبش.

فلما كان يوم الأحد سابع شوال: بلغ الأمير أسندَمُر أن جماعة من الأمراء قد اتفقوا على الفتك به وبالأجلاب، وهم أعضاده وبهم يصول. فخرج ليلاً من داره إلى دار الأمير قجماس الطازى، وبذل له مالاً كبيرا حتى استماله إليه. ثم فارقه، وفى ظنه أنه قد صار معه، ولم يكن كذلك. وعاد إلى منزله بالكبش واستدعى خواصه من اليلبغاوية، وقرر معهم أنه إذا ركب للحرب يقتل كل واحد منهم أميرًا، أو يقبض عليه، وبذل لهم مالا كبيرا حتى وافقوه، وما هو إلا أن خرج أسَندَمُر من عند قجماس ليدبر ما قد ذكر مع الأجلاب. ركب قجماس إلى جماعة من الأمراء، وقرر معهم القبض على أسَندَمُر، فركبوا معه للحرب، ووقفوا تحت القلعة، فنزل السلطان فى الحال إلى الإصطبل، ودقت الكوسات حربيا.

وأما أسندمر فإنه بات هذه الليلة فى إصطبله، حتى طلعت الشمس؛ ركب من

الكبش بمن معه من اليلبغاوية وغيرهم، ومضى نحو القرافة، ومر من وراء القلعة، حتى وافاهم من تحت دار الضيافة، ووقف تحت الطبلخاناه فالتقى مع الأمراء، واقتتلوا فهزمهم بمن كان قد دبر معهم من اليلبغاوية فى الليل قبض الأمراء أو قتلهم. وثبت الأمير أُلْجَاى اليوسفى والأمير أرغون ططر، وقاتلا أسندمر إلى قبيل الظهر، فلما لم يجد معينًا ولا ناصرًا انكسرا إلى قبة النصر، وانفض الجمع بعد ما قتل الأمير ضروط الحاجب، وجرح الأمير قجماس والأمير أقبغا الجلب، وكثير من الأجناد والعامة، فقبض الأمير أَسَنْدَمُر على الأمير قجماس، والأمير أَقْبُغَا الجَلَب والأمير أقطاى، والأمير قُطْلُوبغا جركس، وهؤلاء أمراء ألوف. وقبض من أمراء الطبلخاناه على قرابغا شاد الأحواش، واختفى كثير من الأمراء. ومرت مماليك أَسَنْدَمُر وطائفة من الأجلاب فى خلق كثير من العامة، فنهبوا بيوت الأمراء، فكانت هذه الواقعة من أشنع حوادث مصر وأعظمها فسادا.

وفى يوم الثلاثاء: غد الواقعة، قبض على الأمير أيدمر الشامى الدوادار، فضربه الأمير أَسَندمر ضربًا مبرحًا، وعنفه على مخالفته عليه. ثم قيده مع بقية من قبض عليه.

وفيه أمسك أيضًا الأمير أُلْجاى اليوسفى أحد أمراء الألوف والأمير يلبغا شُقَير أحد الطبخاناه، فقيدوا وحمل الجميع إلى الإسكندرية. فسجنوا بها.

وفى يوم الأربعاء: قبض على الأمير طُغَاى تَمُر النظامى - أحد الألوف - وعلى الأمير أرغون طَطَر - أحد الألوف - وعلى قُطْلُوبغا الشعبانى. وأيدَمُر الخطاى، وتمراز الطازى، وهم من الطبلخاناه. ثم قبض على الأمير ألطنبغا الأحمدى أحد مقدمى الألوف، وعلى طاجار من عوض، وآسن الناصرى. وقراتَمُر المحمدى، وقرابغا الأحمدى، من الطبلخاناه. وعلى جماعة أخرى، فكانت عدة من قبض عليه أسندَمُر خمسة وعشرين أميرًا.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: استقر أَزْدَمُر العزى أبو دقن أمير سلاح، وجَرْكَتَمُر السيفى منجك أمير مجلس، وألطنبغا اليلبغاوى أحد العشرات رأس نوبة كبير، وأنعم عليه بإمرة ماية. واستقر قطلو أقتمر العلاى أمير جندار، وسلطان شاه حاجبا ثانيا. وأنعم على بيرم العزى أحد الأجناد بتقدمة ألف، وأعطى إقطاع طُغَاى تَمُر النظامى، وجميع ماله من خيل ومماليك وقماش ومال وغلال وغير ذلك، واستقر دوادارًا كبيرا، وخلع عليهم وعلى الأمير خليل بن قوصون، وعلى الأمير قُنقُ العزى،

والأمير أرغون القَشْتَمُرى، وعلى محمد بن طَيْطَق العلاى - واستقر جوكندار - وعلى قَرْمُش الصَرْغَتْمُشى وعلى الأمير مبارك الطازى، والأمير إينال اليوسفى، وعلى الأمير مَلَكْتَمُر المحمدى - واستقر خازندار - وعلى الأمير بهادر الجمالى، واستقر شاد الدواوين عوضا عن ابن عرام، وخلع على ابن عرام واستقر فى نيابة الإسكندرية، وأنعم على كل من أرغون المحمدى الآنوكى الخازن، وبزلار العمرى، وأرغون الأرغونى، ومحمد بن طقبغا الماجارى، وباكيش السيفى يلبغا، وسودون الشيخونى، وأقبغا آص الشيخونى، وكبك الصرغتمشى، وجلبان السعدى، وإينال اليوسفى، وكُمُشْبغا الطازى، وقُمارى الجمالى، وبكْتَمُر العلمى، وأَرْسَلان خجا، ومبارك الطازى، وتَلَكْتَمُر الكشلاوى، وأسنبغا العزى، وقطلوبغا الحلبى، ومأمور القلمطاوى، بإمرة طلبخاناة، وارتجع عن أولاد يلبغا الأتابك تقادمهم وأنعم عليهم بطبلخاناه، وأنعم على كل من أَلْطُنْبُغا المحمودى، وقرابغا الأحمدى، وكَزَك الأرغونى، وحاجى بك بن شادى، وعلى بن بكتاش، ورجب بن خضر، وطيطق الرماح، بإمرة عشرة، فكان يوما مشهودا.

وقدم الخبر باتفاق الأمير طيبغا الطويل نايب حماة[1]، والأمير أشقْتَمُر نايب طرابلس[2]، على المخامرة، فتجهز الأمير أسندمر الأتابك للسفر، وتقدم بتهيؤ الأمراء، وبعث القصاد للكشف عن ذلك على البريد، فعادوا باستمرار بقية النواب على الطاعة، ماعدا المذكورين. فكتب بالقبض عليهما، فقبضا وقبض معهما على إخوة طيبغا الطويل، وحملوا إلى الإسكندرية[3] مقيدين.

واستقر أسندمر الزينى فى نيابة طرابلس، وأعيد عمر شاه إلى نيابة حماة فى أوائل ذى القعدة، واستقر أرغون الأزقى فى نيابة صفد.

واستقر محمد بن أقوش الشجاعى فى ولاية الغربية، وعلى العمرى، فى ولاية

---

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة فى أعمالها، وحوالى مدينتها أشجار الزيتون. وأيضًا طرابلس: من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب فى سورها، وقيل تفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. انظر معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٣) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبس فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح. انظر معجم البلدان ١/٨٢، ١٨٩، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦، الاستبصار ٩١ وما بعدها.

الأشمونين، واستقر بَيْبُغا القوصونى أمير آخور عوضا عن أقبغا الصفوى بعد موته.

وبلغت زيادة ماء النيل إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك، فلم يُتَأَذَّى به.

ومر بالحاج مشقة وعناء لقلة المياه، وموت فشا فيهم من شدة الحر والعطش.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الأمير ألطنبغا العزى أحد الطبلخاناه فى يوم الإثنين رابع شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير أقبغا الأحمدى أحد اليلبغاوية ويعرف بالجلب، من أمراء الألوف الذين خامروا على يلبغا. فلم يمتنع بعده.

ومات الأمير أقبغا الصفوى أمير آخور، فى يوم الإثنين سابع عشر ذى القعدة.

وتوفى بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان، ناظر الجيش، بحلب عن ثمان وستين سنة بدمشق، وقد اعتزل الناس.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليافعى[١] اليمنى بمكة عن سبعين سنة. وله شعر ومصنفات فى التصوف وغيره.

وتوفى نجم الدين عبد الجليل بن سالم بن عبد الرحمن الحنبلى الأعمى، أحد شيوخ الحنابلة بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وهو عم الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى.

وتوفى قاضى حماة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى[٢] الحنفى، وقد برع فى القراءات والعربية.

---

(١) عبد الله بن أسعد بن على اليافعى عفيف الدين: مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن نسبته إلى يافع من حمير ومولده ومنشأه فى عدن. حجه فى ٧١٢هـ وعاد إلى اليمن، ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨هـ وله مرآة الجنان، وغيره، انظر غربال الزمان - كتاب الحج والدرر الكامنة ٢٤٧/٢ والفوائد البهية ٣٣ فى التعليقات وشذرات الذهب ٢١٠/٦ والأعلام ٧٢/٤.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الحارثى الدمشقى أمين الدين: فقيه حنفى، أديب. ولى قضاء حماة، وتوفى نحو الأربعين من عمره. له «قيد الشرائد - خ» منظومة ألف بيت ضمتها غرائب المسائل فى الفقه، و(عقد القلائد -خ) شرح قيد الشرائد. انظر بغية الوعاة ٣١/١ والفوائد البهية ١١٣ والدرر الكامنة ٤٢٣/٢ والخزانة التيمورية ١٠/١ ثم ٣١٨/٣ وشذرات الذهب ١٢١/٦ والزيتونة ١٦٢/٤ والأعلام ١٨٠/٤.

وتوفى نور الدين على الدِميرى، الرجل الصالح، بالقاهرة فى ليلة الإثنين حادى عشرين صفر، أفنى عمره فى تعليم القرآن وبر الفقراء.

وتوفى شرف الدين عيسى الزنكلونى الشافعى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى سابع عشرين رمضان.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكى، الشهير بابن المجد، الشافعى. ولى قضاء طرابلس وحمص[١] وبعلبك[٢]، وقدم مصر وبغداد[٣]، وسمع الحديث، وبرع فى الفقه، وشارك فى عدة فنون.

وتوفى الأديب البارع جمال الدين محمد بن محمد بن محمد[٤] بن الحسن، بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد الخطيب، بن عبد الرحيم بن نباتة المصرى، بالقاهرة، فى ثامن صفر؛ ومولده فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة.

وتوفى الوزير الصاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد بن قزوينة، الأسلمى تحت العقوبة، فى ثامن جمادى الآخر، وترك بالأهراء السلطانية ما ينيف على ثلاثمائة ألف أردب، وفى النواحى مَغْل سنتين، وكان يحمل إلى الأمير يَلْبُغا بعد تكفية السلطان، وتكفية الأمير يلبغا وصرف الرواتب فى كل شهر، ستين ألف دينار، وكان أمينا عارفا مهابا، عمر بيوت الأموال وخزائن الخاص بأنواع الأموال؛ إلا أنه كان كثير الترفع حتى على الأمراء، فعذب عذابا شنيعا، وضرب غير مرة بالمقارع، ولفت أصابع يده اليمنى بالمشاق، وغمست فى الزيت ثم أشعلت بالنار حتى احترقت يده كلها، وعمل

(١) حمص مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. انظر معجم البلدان ٣٠٢/٢، والروض المعطار ١٩٨.

(٢) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ٤٠٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

(٣) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. انظر معجم البلدان ٤٥٦/١، ٤٦٧، والروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة شاعر عصره وأحمل الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» ابن نباتة سكن الشام سنة ٧٥١هـ .تقريبا وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها وله «سراج الغيوم فى شرح رسالة ابن زيدون ط» انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١٤ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ والأعلام ٣٨/٧.

فى عنقه الحديد، وصار يمر بالأسواق وهو كذلك على حمار. ويذكر أن فقيرا قدم له فى وزارته فمزقها وطرده، فدعا عليه، وخرج، فلم يمض سوى أيام حتى قبض عليه وعذب إلى أن مات.

وتوفى الأمير تمرتاش العلاى، خازندار يلبغا، أحد الطبلخاناه، فى يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الآخر.

وتوفى الشيخ المُسَلِّك يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكورانى الكردى العجمى، مُرَبى الفقراء، فى يوم الأحد النصف من جمادى الأولى، بزاويته من القرافة.

وقتل صاحب فاس[1] ملك المغرب، أبو زيان بن الأمير أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن، فى المحرم، وأقيم بعده عمه عبد العزيز بن أبى الحسن، رحمه الله.

* * *

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥.

سنة تسع وستين وسبعمائة

فى المحرم: استقر الأمير بَيْدَمُر الخوارزمى فى نيابة الشام، والأمير مَنْجَك فى نيابة طرابلس، عوضا عن أسندمر الزينى.

وفى أول صفر: ورد الخبر بوصول الفرنج إلى طرابلس، فى ماية وثلاثين مركبًا، ما بين شينى[1] وقرقورة[2] وغراب[3] وطريدة[4]، وشختور[5]، عليها متملك قبرص[6]، ومتملك رودس، والاسبتار، وكان النائب غائبًا، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديدًا، حتى اقتحم العدو المدينة، ونهبوا من أسواقها، فتحامل المسلمون عليهم واشتدوا فى قتالهم، حتى أخرجوهم بعد ما قتلوا منهم نحو الألف، واستشهد من المسلمين نحو الأربعين رجلاً. فركبوا سفنهم وانقلبوا خايبين، فمروا بمدينة إياس[7] فى ماية قطعة، فسار إليهم الأمير منكلى بُغا نايب حلب، وقد فر أهل إياس منها، فدخلها الفرنج. فلما قدم نايب حلب جلوا عنها.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح العسقلانى الكنانى الحنبلى قضاء الحنابلة بديار مصر، بعد وفاة موفق الدين عبد الله بن محمد.

---

(١) الشينى وجمعه شوانى، من أهم أنواع السفن التى استخدمها المسلمون فى العصور الوسطى اتصف بكبر الحجم، وما بها من أبراج وقلاع للدفاع والهجوم وكان متوسط ما يحمله الشينى ١٥٠ رجلا من المقاتلين، ويجدف بمائة مجداف

(٢) القرقور أو القرقورة وجمعها قراقير، نوع من السفن الكبيرة التى كانت تستعمل فى تموين الأسطول والزاد والمتاع والذخيرة وهى متعددة الشرع والصوارى ومنها ما كان يحتوى على ثلاثة ظهور وكانت تحتوى على ساقات قتال فى المقدمة أو فى المؤخرة [سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٦٢ - ٣٦٣].

(٣) الغراب وجمعه أغرب وغربان، نوع من المراكب سمى بهذا الاسم لأن رأسه يشبه رأس الغراب، كان يحمل الغزاة ويسير بالقلع.

(٤) الطراد والطريدة، نوع من المراكب الحربية الخفيفة السريعة الكر والغر.

(٥) الشختور: نوع من السفن الضخمة.

(٦) قبرص: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

(٧) إياس مدينة على الشاطئ الجنوبى الشرقى لآسيا الصغرى كان الميناء الرئيسى لمملكة أرمينية الصغرى فى قلقية، وهى المملكة التى وقعت فى ذلك الدور تحت سيطرة المماليك.

وفى يوم الجمعة سادسه: ركب المماليك الأجلاب اليلبغاوية لمحاربة الأمير أسنْدَمُر الناصرى الأتابك، وطلبوه فى أن يسلمهم بيرم وأزدمر أبو دقن، وجَرَكْتَمُر أمير مجلس فى عدة أخرى. فلم يجد بدًا من أن يبعث إلى الأمراء، فلما أتوه قبض على الأمير جَرَكْتَمُر والأمير أَزْدَمُر أبو دقن أمير سلاح، والأمير بيرم العزى الدوادار، والأمير يلبغا القوصونى أمير آخور، والأمير كَبَك الصرغَتْمُشى الجوكندار، وحملهم مقيدين إلى الإسكندرية. فلم يقنعهم ذلك، وباتوا بسلاحهم، وغدوا يوم السبت على حربهم، وطلبوا منه خليل بن قوصون، فسلمه إليهم، فافتدى نفسه منهم بماية ألف درهم، عجل منها ربعها، ورسموا عليه ليقوم بباقيها، وأهانه إهانة بالغة، ونزعوا السلاح، وفى باطنهم غل كثير، ثم تجمع أكابرهم فى ليلة الأحد واتفقوا على قتل الأمير أسنْدَمُر، وقتل السلطان، وإقامة سلطان غيره، وتحالفوا على ذلك، وركبوا من ليلتهم وقصدوا القلعة، فأمر السلطان بالكوسات، فدقت ليجتمع الأمراء والعسكر، وأحضر الأمير خليل بن قوصون، وأركب معه المماليك السلطانية، وهم نحو المائتين، والأجلاب نحو الألف وخمسمائة، ونودى فى القاهرة بركوب أجناد الحلقة، وحضور العامة لقتال الأجلاب. وكانت النفوس قد مقتتهم لقبح سيرتهم، وكثرة شرهم، وزيادة تعديهم. فبادروا إلى تحت القلعة زمرًا زمرًا، وركب الأمير أسنبغا بن البوبكرى، والأمير قشتَمُر المنصورى وغيره، فتناولت العامة الأجلاب بالرجم من كل جهة، وتقدم إليهم المماليك السلطانية والأمراء والأجناد وقاتلوهم، فكسروهم. فمضوا فى كسرتهم إلى الأمير أسَنْدَمُر بمنزله من الكبش، ومازالوا به حتى ركب معهم فى موكب عظيم، ومر على القرافة، حتى أتى من وراء القلعة، كما فعل فيما تقدم، فلم تثبت له المماليك السلطانية، وانهزمت عند رؤيته، فثبتت العامة وحدها لقتاله، وتقدموا إليه ورموه بالحجارة رميًا متتابعًا، وهو ومن معه يرموهم بالنشاب، فكان بين الفريقين قتال شديد شنيع، قتل فيه جماعة منهما، وطالت المعركة بينهما، فعادت المماليك السلطانية والأمراء، وحملوا هم والعامة على أسندمر والأجلاب، حملة منكرة، فلم يثبت لهم، وولى الأدبار بمن معه، وامتنع بإصطبله من الكبش وقت الظهر، فقبض من أصحابه على الأمير قرمش الصرغتمشى والأمير أقبغا آص الشيخونى، والأمير أرسلان خُجا، وسجنوا بخزانة شمايل من القاهرة.

وركب الوالى عن أمر السلطان، ونادى بالقاهرة ومصر وظواهرهما، «من قدر على أحد من الأجلاب فله سلبه، ويعطى كذا من المال إذا أحضره»، فتتبعت العامة عند ذلك الأجلاب فى الأزقة والحارات، وأخذوا منهم جماعة، وركب الأمير خليل بن

قوصون إلى الأمير أسندَمُر، فأخذه من داره وطلع به إلى القلعة ليقيد ويسجن، فشفع فيه جماعة من الأمراء، وقرروا عليه مالا لينفق فى مماليك السلطان، فقبل السلطان شفاعتهم، وخلع عليه، وأقره على حاله، فنزل إلى داره فى ليلة الإثنين، ومعه الأمير خليل بن قوصون مُرسما عليه، حتى يحضر من الغد بالمال. فخدع أسندمر بن قوصون ووعده بأن يقيمه فى السلطنة، فإنه ابن بنت السلطان الملك الناصر محمد[١] بن قلاوون، فانخدع ابن قوصون ومال إليه وتحالفا على ذلك. فبعث أسندَمُر فجمع إليه الأجلاب، وبذل فيهم المال، ووعدهم ومناهم، فما طلع نهار يوم الإثنين حتى ركب أسندَمُر وابن قوصون فى جمع كبير، ووقفا تحت القلعة، فعادت الحرب وركب الأمراء والأجناد، وخرج عامة الناس، فكان الأمراء إذا رأوا ابن قوصون بجانب أسندُمر انضموا إليه، ظنا منهم أنه سلطانى. فأمر السلطان فدُقت الكوسات، ونزل إلى الإصطبل بآلة الحرب، فاجتمع إليه الأمراء والمماليك السلطانية والعامة، وبعث إلى أسندَمُر وابن قوصون ليحضرا إليه، فامتنعا، وصرحا بأنهما يريدان نزع السلطان من المُلك وإقامة غيره فى السلطنة لتخمد الفتنة. فلما عاد جوابهما إلى السلطان، بعث ثانيا يخوفهما عاقبة الغدر، فأظهرا أنهما أجابا، وهمّا بالحضور، ثم سَلا سيفيهما، ومرا ليفتكا بالسلطان، وقد ركب ووقف تحت الإصطبل، فتبعهما من معهما من الأجلاب، وهم شاهرون السلاح، ليفعلا فعلهما. فبادر السلطان بالنداء فى العامة «هؤلاء مخامرون فارجموهم». فصاحت العامة بأجمعهما «مخامرين» ورجموهم بالحجارة، ورمتهم المماليك السلطانية بالنشاب، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر أسندمُر وابن قوصون، وقتل عدة من الأجلاب، فأخذتهم العامة فى هزيمتهم، وأتوا بهم إلى السلطان أرسالا وقد نزعوا ثيابهم وكشفوا رءوسهم، ونالوا منهم ما شفى صدورهم. ثم قبضوا على خليل بن قوصون من ناحية المطرية[٢]، وأتوا به. ثم أخذوا أسندمر من نحو وادى السدرة تجاه قبة النصر. وقبض على الأمير ألطنبغا اليلبغاوى، والأمير سلطان شاه بن قرا، وهما من أمراء الألوف. وقبض على أحد عشر أميرا سوى هؤلاء من اليلبغاوية، وقيدوا، ومضى

---

(١) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨هـ فأقام فى القلعة ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ يوما وأقام فى الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٢/٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ وابن إياس ١/١٢٩ والدرر الكامنة ٤/١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/٤١، ١٥ والأعلام ٧/١١.

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن. انظر معجم البلدان ٥/١٤٩.

بهم الأمير مَلَكْتَمُر،والأمير ألطنبغا العلاى، والأمير درت بغا البالسى إلى الإسكندرية. ومات فى هذا اليوم الأمير قنق أحد الألوف.

ونودى فى آخر النهار بالأمان، فلا ينهب أحد شيئًا، فقد ظفر السلطان بغرمائه، فزينوا القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة، وفرح الناس بزوال دولة الأجلاب.

وفى عاشره: رسم بالإفراج عن الأمير طُغاى تَمُر النظامى والأمير ألجاى اليوسفى، والأمير أيدَمُر من صديق. وأنعم على الأمير مَلَكْتَمُر بن بركة، بتقدمة خليل بن قوصون.

وفى ثالث عشره استقر الأمير آقبغا عبد الله دوادارًا كبيرًا بإمرة طبلخاناه.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: استقر الأمير يلبغا آص المنصورى أميرا كبيرا أتابك شريكا للأمير تَلكتَمُر المحمدى. وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف، وأجلسا بالإيوان. واشتد الطلب على المماليك اليلبغاوية، فقبض منهم على نحو الألف، وحبسوا، فبلغ السلطان أن الأميرين يلبغا آص وتلكتَمُر يريدا إخراج المذكورين وسكنى بيت يلبغا فى الكبش، وركوبهما بهم على السلطان وقتله، فبادر وقبض على يلبغا آص من الغد يوم الثلاثاء سابع عشره، وعلى تلكتمر المحمدى وجماعة من المماليك، وحمل الأميران إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفيه قدم الأمير طُغاى تَمُر النظامى، والأمير أُلجاى اليوسفى، والأمير أيْدَمُر من صديق الخطاى من الإسكندرية، فخلع عليهم.

وفيه أنفق السلطان فى مماليكه ماية دينار لكل واحد، وخلع على الأمير بكتمر المؤمنى، واستقر أمير آخور عوضا عن بيبغا القوصونى. وقدم الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى من الشام باستدعاء، فخلع عليه، واستقر حاجب الحجاب، وخلع على الأمير الأكز الكشلاوى، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن بهادر الجمالى.

وفى ليلة الخميس تاسع عشره: أغرق السلطان فى النيل جماعة من المماليك اليلبغاوية الذين اتفقوا على قتله، وأمر بتقوية زينة القاهرة ومصر، فبالغ الناس فى تحسينهما.

وفى بكرة يوم الخميس: هذا سمر من الأجلاب اليلبغاوية ماية من أعيانهم، ووسطهم، وأغرق جماعة منهم، ونفى باقيهم إلى الشام وإلى أسوان، فكان ممن نُفى من اليلبغاوية برقوق وبركة، وألطنبغا الجوبانى، وجركس الخليلى وأقبغا الماردينى. فتسلمهم الشريف بكتَمُر والى القاهرة، وأوقفهم فى داره وقد جعلت أيديهم فى

الخشب، وحضر غداؤه فلم يطعمهم شيئًا. ورسم عليهم من توجه بهم إلى قطيا، فتسلمهم والى قطيا وبعث بهم إلى غزة، فأرسلهم نائبها إلى الكرك، فسجنوا بجب مظلم فى قلعتها عدة سنين. ثم أفرج عنهم ومضوا إلى دمشق، فخدموا عند الأمير مَنْجَك[١] نائب الشام حتى استدعى السلطان بالمماليك اليلبغاوية ليستخدمهم بديوان ولديه، فحضر برقوق وبركة وغيرهما إلى القاهرة، وخدم برقوق فيمن خدم عند ولدى السلطان حتى قتل السلطان بعد عوده من عقبة أيلة[٢]. وقام الأمير أَيْنبَك بأمر الدولة، فصار برقوق من جملة أمراء الطبلخاناه، ومنها ملك الإصطبل، وأقام به حتى تسلطن. كما سيأتى ذلك كله فى أوقاته مبسطا إن شاء الله تعالى.

وفى هذا اليوم: أيضًا خلع على الأمير ألجاى اليوسفى واستقر أمير سلاح، عوضا عن أزدَمُر الذى يقال له أبو دقن. وأمر بهدم بيت الأمير يلبغا الخاصكى بالكبش، فهدم جميعه حتى لم يبق منه سوى بعض سوره. وأفرج عن الأمير أرغون ططر، فقدم فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، ومضى البريد لإحضار الأمير قُطْلُبغا الشعبانى من الشام، فخلع على أرغون ططر، واستقر أمير شكار بتقدمة ألف، وقدم الشعبانى فى خامسه. وخرج البريد بطلب الأمير منكلى بغا الشمسى، فقدم، وخُلع عليه بالإيوان. واستقر نايب السلطان وأتابك العساكر، وأفرج عن الأمير طيبغا الطويل، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن منكلى بغا الشمسى، واستدعى أيضًا الأمير أزدَمُر الخازندار من الشام، فقدم.

وفى سابع عشره: استقر محيى الدين محمد بن الصدر عمر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، واستقر ابن عرب فى نظر الخزانة، وخلع عليهما.

---

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية حيار يعرف بمنجك الكبير. كان فى خدمة الناصرى محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى حمل رأس ابنه أحمد سنة ٧٤٥هـ واستقر حاجبا بدمشق. انظر خطط المقريزى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وفى خلاصة الأثر ٤/٢٣٠ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

(٢) أيلة: فى طريق مكة، حاطها الله، من مصر، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح، وسميت بأيلة بنت مدين قالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن، وتسير فى أيلة فتلقى العقبة التى لا يصعدها راكب لصعوبتها ولا تقطع إلا فى طول اليوم لطولها ثم تسير مرحلتين فى فحص التيه، وأيلة حدّ مملكة الروم فى الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر، ومن أيلة إلى بيت المقدس ست مراحل. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وقدم الأمير أمير على من الشام، باستدعاء، فخلع عليه واستقر نايب الشام فى رابع عشر جمادى الأولى.

وفى خامس عشرينه: قدم من الإسكندرية نحو ماية وخمسين من الفرنج فى الخشب، وذلك أنه ورد ميناء الإسكندرية عدة مراكب فى هيئة أنها مراكب تحمل البضائع، فدخل منها إلى المدينة نحو ماية وخمسين رجلا، فعوقهم الأمير أسنبغا النائب حتى يتبين له أمرهم، فسارت المراكب مقلعة وعادت من حيث أتت، فأمر بتخشيب أيدى المذكورين وحملهم إلى القاهرة، ليرى السلطان ما رأيه.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قدم الأمير قطلوبغا المنصورى باستدعاء، ورسم بمسك الأمير بيدمُر نايب الشام، فقبض عليه، واستقر عوضه الأمير منْجَك، واستقر عوض منجك فى نيابة طرابلس الأمير أيدَمُر الآنوكى الدوادار.

واستقر الأمير طَقْتَمُر الشريفى فى نيابة غزة، واستقر علاى الدين على بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الدوادارى، واستقر الملك الصَرْغَتمُشى فى ولاية بلبيس[1]، واستقر الأمير علاى الدين على بن بكتاش فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكْتمر، واستقر بكتَمُر فى ولاية الجيزة[2]، واستقر الأمير شرف الدين موسى ابن الأزكَشى الأستادار فى البحيرة[3]، عوضا عن بدر الدين بن مُعين.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير أقتمُر الصاحبى الحنبلى، واستقر دوادارا، عوضا عن آقبغا عبد الله.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: استقر سراج الدين عمر بن رسلان[4] بن نصير البلقينى قاضى قضاة الشام، عوضا عن تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى، وخلع عليه، ومضى إلى دمشق.

---

(١) ولاية بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الجيزة: بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقريزى ٢٠٥/١.

(٣) البحيرة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب - خ) فى فقه الشافعية ولم يتمه، وتصحيح المنهاج - خ) سنن مجلدان. انظر الضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١١٨٣م الخزانة التيمورية ٣٨/٣ والأزهرية ٥٥٩/٢ والأعلام ٤٦/٥.

وفي يوم الخميس رابع رجب: تزوج الأمير الأتابك منكلى بغا الشمسى بأخت السلطان، وهى خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون. وفيه خلع عليه، واستقر ناظر المارستان المنصورى.

واستقر الأمير الأكز الكشلاوى أستادار السلطان، عوضا عن أُلْطنبغا البَشْتَكى بعد وفاته، واستقر أَرغون الأحمدى لالا السلطان، عوضا عن سودون الشيخونى. واستقر الأمير طُغاى تَمُر النظامى شاد الشرابخاناه. واستقر الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة ثانيا، واستقر الأمير ككبغا السيفى خازندارا، ثم نفى بعد قليل، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص، واستقر الأمير دَرْت بُغا البالسى خاصكيا بإمرة طبلخاناه.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: أعيد علاى الدين على بن عرب إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن الصدر عمر، فمات بعد تسعة أيام من عزله، وفى ثالث عشرينه وقع حريق عظيم بداخل الدور السلطانية من قلعة الجبل، فدخل الأمراء حتى أطفوه.

وفي سابع شعبان: استقر الأمير عمر بن أرغون النايب فى نيابة الكرك[١] عوضا عن ابن القشتمُرى.

وفي يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على سراج الدين عمر بن إسحاق[٢] بن أحمد الهندى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن جمال الدين عبد الله بن على التركمانى بعد وفاته، وخلع على صدر الدين محمد بن جمال الدين التركمانى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن السراج الهندى، ونزلا جميعا من القلعة، فكان يوما مذكورا.

وفي يوم الإثنين خامس رمضان: خلع على بدر الدين محمد بن علاى الدين على ابن فضل الله العمرى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن أبيه، وقد اشتد مرضه. فلما رآه أبوه بالخلعة بكى.

وقدم الحاج محمد التازى المغربى رايس البحر، وقد تسلم من الشوانى التى عمرها

---

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢.

(٢) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهدية، فقه، والغرة المتقنعة من ترجيح مذهب أبى حنيفة - ط». انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٥٤/٣ ونزهة الخواطر ٩٥/٢ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ وكشف الظنون ١١٩/٨ والأعلام ٤٢/٥.

الأمير يلبغا غرابا، كمله بالعدد والآلات، وشحنه بالمقاتلة من رجال المغاربة، وأخذ غرابا آخر من الإسكندرية، متكملا بالعدد والرجال، ومضى فى البحر، وهجم على الفرنج، فملك منهم غرابا قتل منه جماعة وأسر باقيهم. وقدم فى تاسع عشرين شعبان فتلقاه جماعة من الأمراء بتجمل عظيم، وخرج الناس إلى لقائه، وسروا به، فلما تمثل بين يدى السلطان خلع عليه، وأنعم عليه بجميع ما أحضره من الغنايم.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قبض على الأمير طغاى تمر النظامى، والأمير أرغون طَطر، واتهما بإثارة فتنة على السلطان.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير أَرغون الأزقى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن تلكتُمُر، واستقر تلكتمر أمير مجلس، عوضا عن طغاى تمر النظامى، وخلع عليهما.

وفى العشرين من ذى القعدة: قدم سراج الدين عمر البلقينى من دمشق باستدعاء، واستقر أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة حلب[1] عوضا عن طيبغا الطويل بعد موته، واستقر طَيْدَمُر البالسى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن البوبكرى، واستقر صلاح الدين خليل بن عرام حاجبا بالثغر، واستقر قُطْلُوبغا المنصورى حاجبا ثانيا، عوضا عن طَيدَمُر البالسى.

وفيه خلع على علم الدين إبراهيم بن قزوينة واستقر فى الوزارة، عوضا عن فخر الدين ماجد بن أبى شاكر، وخلع على ابن أبى شاكر، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع على ابن الموفق، واستقر فى نظر الإصطبل عوضا عن شمس الدين بن الصفى، فى ثالث عشرينه. وخلع على شمس الدين المقسى، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن ابن أبى شاكر، وخلع على كريم الدين شاكر بن الغنام، واستقر فى نظر البيوت، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن المقدم عز، واستقر الأمير أشَقْتَمُر الماردينى فى نيابة طرابلس. ثم عزل، واستقر الأمير أَيْدمُر الشيخى فى نيابة حماة، عوضا عن عمر شاه، واستقر الأمير أيدمُر يانق فى كشف الوجه القبلى، واستقر ابن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن قُرُطاى الكركى، واستقر محمد بن عقيل فى ولاية الغربية، واستقر عثمان الشَرفى بالبهنساوية، ومحمد الكركى بالأشمونين[2]، وأحمد الطرخانى بمنوف، عوضا عن خاص ترك بن طغاى، واستقر قُطُلوبك الزينى بالفيوم، واستقر أمين الدين محمد بن على بن

---

(١) حلب: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٢٨٢، ٢٩٠.

(٢) أشمون قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. نظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

الحسن الألفى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن صدر الدين أحمد الدميرى بعد وفاته، وأعيد فتح الدين أبو بكر محمد بن الشهيد إلى كتابة بدمشق، وقدم جمال الدين بن الأثير إلى القاهرة.

وقبض على الأمير أرغون القشتُمرى، وأخرج بطالا إلى القدس، ونفى أيضًا الأمير بَشْتَاك العُمرى إلى الشام،

وفى حادى عشرين ذى الحجة: قدمت رسل السلطان أويس من بغداد، وكان قاع النيل أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا.

وأنعم على كل من كَجَك بن أرْطُق، وأزدَمُر الخازندار، وأقتمر الحنبلى، وبكتمر المؤمنى، والأكز الكشلاوى، وأرغون الأحمدى اللالا، بتقدمة ألف، وأنعم على كل من محمد بن طُرغاى، وإبراهيم الناصرى، وصُراى العلاى، وبكتمر الأحمدى شاد القصر، وبشتاك العُمرى، وتنبك الأزقى، وذْرتُ بغا البالسى، وككبُغا السيفى، وأقبُغا عبد الله، وطغاى تمر عبد الله، ويوسف شاه بن يلو، وأروس السيفى، وأيدَمُر بن صديق، ومحمد ابن أقتَمُر عبد الغنى، ويونس الشيخونى، وموسى بن أيْتَمِش، ومحمد ابن الدوادارى، وسودون جركس أمير آخور، وبرسبغا، وقرابغا الأناقى، وعلى بن بكتاش ومحمد بن أمير على الماردينى، وصصلان الجمالى، وصراى تُمر المحمدى، وأسنبغا القوصونى، وخليل بن تنكزبغا، بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من قمارى الجمالى، وعمر بن طقتمر، وصربغا السيفى، وجانى بك العلاى، وألطنبغا عبد المؤمن، وطقتُمر الحسنى ومبارك شاه الرسولى، وجَرْقُطْلو، وجَرجى البالسى، ومحمد بن أزدمر الخازندار، وقدق الشيخونى، وكوجيا، وأبى بكر بن قُنْدُس، وأسنُبُغا البهادرى، وأقتمر عبد الغنى الساقى، ويلبغا الناصرى، ومحمد بن قرابغا الأناقى، وألطنبغا النظامى، وقُطلوبغا من بايزيد بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: فشت الأمراض الحادة، والطواعين بالناس فى القاهرة ومصر، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الفقير المعتقد إبراهيم بن البرلسى وهو مجاور بالمدينة النبوية، وقد وأناف على ماية سنة.

ومات الملك المنصور أحمد بن الصالح صالح بن المنصور غازى بن المظفر قرا أرسلان ابن أرتق صاحب ماردين، فكانت مدته نحو ثلاث سنين، وقد جاوز ستين سنة.

وتوفى صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميرى، قاضى المالكية بحلب، وله نظم، وخمس البردة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله[١]، المعروف بابن النقيب الشافعى، يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان. ومولده سنة اثنين وسبعمائة. أخذ القراءات السبع عن جماعة، وقرأ النحو على أبى حيان، وبرع فى الفقه، وكتب مختصرا حسنا فى الفقه، واختصر الكفاية، وكتب النكت على المنهاج، وكتب قطعة على المهذب، وقال الشعر، وتصدر بالمدرسة الحسامية، والمدرسة الأشرفية، وأم بالندقدارية[٢]، وكان جيد القراءة، حسن الصوت، ويقصد لسماع قراءته فى المحراب، ليالى شهر رمضان.

وتوفى شيخ الشيوخ بخانكاه سرياقوس[٣] شهاب الدين أحمد بن سلامة بن المقدسى الشافعى، وكان قبل ذلك شيخ خانكاه بَشْتَاك[٤] وخطيب جامعه، وصنف كتابا مفيدا فى التصوف.

ومات الأمير عز الدين أزدمر الناصرى الخازندار، أحد مقدمى الألوف ونائب طرابلس وصفد، فى أول شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير عز الدين أزدمر العزى أبو دقن أمير سلاح، منفيا بالشام، فى صفر.

ومات الأمير سيف الدين أسَندمُر الناصر أتابك العساكر بسجن الإسكندرية فى يوم الأحد.

---

(١) أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومى أبو العباس، شهاب الدين بن النقيب. فقيه شافعى مصرى مولد ووفاته بالقاهرة كان أبوه روميا من نصارى أنطاكية. ورباه أحد الأمراء وأعتقه وجعله نقيبًا فتصوف وتصدر بالمدرسة البيبرسية بالقاهرة، ونشأ ولد صاحب الترجمة فكان أولاً بزى الجند، ثم حفظ القرآن وتفقه وتأدب وحاور بمكة والمدينة مرات وله. انظر الدرر الكامنة ٢٣٩/١ وكشف الظنون ١٤٩٨ وذيل الكشف ١٢١/٢ والأعلام ٧٠/١.

(٢) الخانقاة البندقدارية، تقع بالقرب من الصليبة، وكان موضعها يعرف قديمًا بدويرة مسعود. أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى التميمى وجعلها مسجد لله تعالى. (المقريزى المواعظ سنة ٤٢٠ هـ.

(٣) خانكاه سرياقوس أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى خارج القاهرة من شماليها. انظر المواعظ ٤٢٢/٢.

(٤) خانكاه بشتاك، وأنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى، وهى خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى، تجاه جامع بشتاك. وكان افتتاحها أول ذى الحجة سنة ٧٣٦هـ. المواعظ ٤١٨/٢.

ومات الأمير أسندمر العلاى نايب الشام ونايب طرابلس فى يوم الإثنين.

ومات الأمير أسندمر العلاى الخازن.

ومات الأمير ألطنبغا البشتكى نائب غزة، وأستادار السلطان، فى رابع عشرين شعبان.

ومات الأمير أيدمر يانق كاشف الوجه القبلى، فى ثامن عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بكتمر الأحمدى شاد الدواوين ومقدم المماليك.

ومات الأمير باكيش اليلبغاوى الحاجب فى صفر.

ومات الأمير بيليك الفقيه الزراق، أحد مقدمى المماليك.

ومات الأمير بركان شاد الصندوق.

ومات الأمير تلكتمر المحمدى الخازندار، أحد الألوف، بسجن الإسكندرية.

ومات الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور ونائب حلب، وهو بدمشق.

ومات الأمير جَرْقُطْلو أمير جندار فى صفر .

ومات الأمير جركتمر الماردينى الحاجب، بعد عطلة طويلة.

وتوفى عز الدين حمزة بن قطب الدين موسى بن الضياء أحمد بن الحسين[1]، المعروف بابن شيخ السلامية الحنبلى، وقد أناف على الستين بدمشق، فى يوم الإثنين. وله شرح على المنتقى لابن تيمية.

وتوفى بهاء الدين خليل أحد نواب الحنفية، يوم الجمعة ثالث عشر شعبان.

وتوفى الأمير طيبغا البوبكرى المهمندار، فى تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير طيبغا الطويل نائب حلب بها، فى تاسع ذى القعدة.

وتوفى قاضى القضاة الحنبلى موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقى الحجازى المقدسى فى يوم الخميس سابع عشرين المحرم، ومولده فى أوائل سنة تسعين وستمائة.

---

(١) حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين، الحنبلى، عز الدين ابن شيخ السلامية، فقيه دمشق، من كبار الحنابلة درس بدمشق، وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وأفتى بها. له عدة تصانيف، منها «شرح المنتقى فى الأحكام لابن تيمية» عدة مجلدات. انظر شذرات الذهب ٢١٤/٦ والدرر الكامنة ٧٧/٢ والأعلام ٢٨٠/٢.

وتوفى الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعى[1]، فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر ربيع الأول.

وتوفى قاضى القضاة الحنفى جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على، بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردينى التركمانى، فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات موقع الحكم، فى العشرين من شهر رمضان.

وتوفى فقيه المالكية بالمدينة النبوية، بدر الدين أبو محمد عبد الله[2] بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن واجد بن سعيد، المعروف بابن المهندس الصالحى الحلبى الحنفى، سمع كثيرا بالشام ومصر والحجاز، وكتب وجمع وحدث ووعظ، وقد أناف على السبعين.

وتوفى علاى الدين على بن محيى الدين بن فضل الله بن مُجَلىّ، بن دعجان بن خلف بن منصور بن نصيرِ العمرى، كاتب السر، فى يوم الجمعة تاسعِ شهر رمضان. وقد باشر كتابة السر نيفًا وثلاثين سنة، وخدم أحد عشر سلطانًا، وكتب الخط المنسوب، وقال الشعر الجيد.

وتوفى تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم، بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى ناظر الخزانة بها فى يوم الأربع.

ومات قُنُق العزى، الأمير.

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى، بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. ومولده ووفاته فى القاهرة. كان بعض أسلافه يقيمون فى همذان أو آمد، ولعلهم انتقلوا من إحداهما إلى الأخرى واستقرت ذرية منهم فى بالس (بين حلب والرقة) وقدم أحدهم إلى مصر، فولد بها عبد الله، فعرفه مترجموه بالهمذانى (أو الآمدى) البالسى ثم المصرى - فله (شرح ألفية ابن مالك) فى النحو، متداول، وقد ترجم الألفية إلى الألمانية. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وحسن المحاضرة ١/٣٨٠ وشذرات الذهب ٦/٢١٤ والكتبخانة ٤/١١٠ والأعلام ٤/٩٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكى، أبو محمد: فقيه، من العلماء بالحديث. أصله من تونس، ومولده ومنشؤه فى المدينة. له «الدر المخلص من التقصى والملخص» فى الحديث. انظر الديباج المذهب، والدرر الكامنة ٢/٣٠٠ وهدية العارفين ١/٤٦٧ والأعلام ٤/١٢٦.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى صاحب الحمارة.

وتوفى قاضى الحنفية بطرابلس بدر الدين محمد بن عبد الله بن الشبلى(١).

وتوفى جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد(٢) بن الشريشى البكرى الوايلى الدمشقى الشافعى.

وتوفى كمال الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى، بالقاهرة.

وتوفى بدر الدين محمد، المعروف بابن الشجاع الحنفى، أحد نواب الحنفية، فى يوم الأحد رابع رمضان.

وتوفى تقى الدين محمد بن يوسف أحد نواب المالكية فى الحكم بالقاهرة، يوم الخامس من شوال.

وتوفى الفقية موسى الضرير المالكى.

ومات محتسب القاهرة محيى الدين محمد بن الصدر عمر، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

وتوفى ناظر الأحباس، فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكُوَيك فى ثالث عشر رمضان.

ومات الأمير بيرم العزى الدوادار، بطالا بالشام.

ومات الأمير أروس البَشْتَكى، رأس نوبة الجمدارية.

ومات الأمير أرغون الأحمدى أحد الطبلخاناه.

---

(١) محمد بن عبد الله الشبلى الدمشقى، أبو عبد الله، بدر الدين بن تقى الدين: فاضل متفنن. من فقهاء الحنفية. ولد بدمشق، وكان أبوه «قيم الشبلية» فيها ورحل إلى القاهرة، وولى قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هـ واستمر فى القضاء إلى أن توفى بها. له «آكام المرجان فى أحكام الجان - ط» ورسالة فى «آداب الحمام». انظر الدرر الكامنة ٤٨٧/٣ ومجلة المجمع ٧٤/١٨ ومعجم المطبوعات ١١٠١ والفوائد البهية ١٧ بهامشة والأعلام ٢٣٤/٦.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد، أبو بكر، جمال الدين البكرى الوائلى الشريشى: فقيه شافعى أصله من شريش ووفاته فى دمشق وتولى قضاء حمص، ثم الحكم فى دمشق، يوما واحدًا، ومرض ومات. له كتب منها «شرح المنهاج» أربعة أجزاء «وزوائد الحاوى الصغير على المنهاج» انظر القلائد الجوهرية ٩١ وشذرات النهب ٢٦٣/٦ والدارس ١١٧/١ والدرر الكامنة ٣٥١/٣. والأعلام ٣٢٨/٥.

ومات الأمير أرغون القَشْتَمُر أحد الألوف، بطالا بالقدس.

وتوفى قطب الدين أبو عبد الله محمد بن أبى البقاء محمود بن هرمـاس، بـن مـامضى المعروف بالهرماس المقدسى.

* * *

سنة سبعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء، وهو ثالث عشر مسرى من شهور قبط مصر، وفيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفى أول ربيع الأول: قدم الأمير منجك نائب الشام بتقدمة سنية، فخلع عليه وقبل تقدمته، ثم أعيد بعد أيام إلى نيابته، وأعيدد تاج الدين عبد الوهاب[1] بن السبكى إلى قضاء دمشق، عوضا عن سراج الدين عمر البلقينى.

وفى ليلة عشرينه: ولد للسلطان ولد سماه أحمد، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفى يومه: ولى الأمير قَشْتَمُر المنصورى نيابة حلب عوضا، عن أسنبغا بن البوبكرى.

وقدم رسول متملك القسطنطينية، وصحبته بطريق الملكانية.

وفى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر: استقر الأمير الأكُز الكشلاوى وزيرا عوضا عن علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينة، مضافا إلى الإستادارية. واستقر ابن قزونية فى نظر الخاص، عوضا عن الشمس المقسى، واستقر المقسى فى نظر الإصطبل، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير الملا حيار بن مهنا، فخلع عليه وأكرم.

وفى يوم السبت ثالث عشره: سار السلطان إلى ناحية طنان[2] للصيد، ومضى إلى الإسكندرية، فدخلها يوم الجمعة، رابع جماد الأولى، وقد زينت زينة عظيمة القدر، وترجل جميع الأمراء من باب رشيد إلى باب البحر فى ركابه، فرمى بالمجانيق بين يديه. ثم عاد من الباب الأخضر إلى دار السلطان، وجلس على التخت بها، ومُدَّ السماط،

---

(١) عبد الوهاب بن على عبد الكافى السبكى أبو نصر: قاضى القضاة، المؤرخ، الباحث ولد فى القاهرة، انتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها حتى توفى بها، نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية. انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام، وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدًا مغلولاً من الشام إلى مصر. انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٤٢٥/٢ وحسن المحاضرة ١٨٢/١ والأعلام ١٨٤/٤، ١٨٥.

(٢) طنان بالفتح من أعيان قرى مصر، قريبة من الفسطاط، ذات بساتين ضمن أعمال القليوبية. معجم البلدان ٥٣٩/٣.

فأكل الأمراء ثم رفع، فلما أذن العصر ركب السلطان ودخل إلى دار الطراز وصعد إلى القصر، ثم عاد إلى المخيم بباب رشيد من آخر النهار، وتوجه فى يوم الأحد إلى القاهرة، فصعد قلعة الجبل.

وفى سابع عشرينه: جُمع الأمراء وقضاة القضاة بالإيوان من القلعة، وعُقد لخوند سارة أخت السلطان على الأمير بشتاك رأس نوبة، بصداق جملته خمسة عشر ألف دينار، وأربعماية ألف درهم فضة، عنها نحو العشرين ألف دينار. وكان الذى تولى عقد النكاح بينهما قاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الحنفى، وأنكر عليه بعض الفقهاء عقد النكاح من أجل أن الزوج قد مسه الرِّق، فألف فى جواز ذلك كتابًا.

وفى ثامن عشرينه: قبض على الأمير الأُكز الوزير، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة.

وخلع على شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، وخلع على الوزير علم الدين إبراهيم بن قزوينة، واستقر فى نظر الإصطبل، عوضا عن المقسى، وأخرج الأمير آقبغا عبد الله الدوادار منفيا. وخلع على الأمير آقتمر الحنبلى، واستقر فى نظر الخانكاه الناصرية بسرياقوس.

وفى رابع عشرين شهر رجب: قبض على أرغون العجمى الساقى - من المماليك السلطانية - ونفى إلى الشام من أجل أنه فقد للسلطان جواهر نفيسة القدر، فلم يعرف لها خبر، فأحضر بعض الفرنج منها حجرا رابعا - يعرف بوجه الفرس - إلى الأمير مَنْجَك نائب الشام فعرفه، وسأل الفرنجى عن سبب وصوله إليه، فذكر أن أرغون هذا باعه إياه، فبعث به إلى السلطان وطالعه بالخبر، فقبض على أرغون فلم يوجد معه من ثمن الحجر المذكور كبير شىء، فعفا السلطان عنه، ونفاه.

وفى يوم الإثنين أول شهر رمضان: أعيد ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية عوضا عن طيدمُر البالسى، بحكم استعفائه.

وفى يوم الخميس رابعه: خلع على الصاحب علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينة إلى الوزارة، واستقر المقسى على نظر الخاص فقط، وأضيف إليه نظر أملاك خوند بركة أم السلطان، وأوقافها.

وفى ليلية الجمعة خامسه: هبت بالقاهرة وأعمالها رياح عاصفة، سقط منها نخيل كثيرة، وأعالى عدة من الدور، وغرقت سفن متعددة، فهلك تحت الردم جماعة من الناس، وكان أمرا مهولا عامة تلك الليلة.

وفى يوم السبت عشرينه: تنكر السلطان على الأمير أقتمر الحنبلى لكلام جرى بينه وبين الأمير أُلجاى، وأمر بنفيه إلى الشام، واستقر عوضه دوادار الأمير منكوتَمُر عبد الغنى بإمرة طبلخاناه، وخلع عليه فى يوم الإثنين ثانى عشرينه، وخلع فيه أيضًا على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أستادار، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفى أول شوال: قدم البريد من حلب بأن الأمير قَشْتَمُر نائب حلب أخذ سيس[1] من الأرمن، وعاد إلى حلب، فغلب الأرمن عليها، بعد عوده.

وفى أول شهر ذى القعدة: قبض الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، من أجل أنه بلغه أنه يسعى فى الوزارة.

وفى رابع عشره: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير بَيْدَمُر نايب الشام، صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن قُمارى أمير شكار، وقد ركب البريد لإحضاره، فأمر به إلى الأمير علاى الدين على بن محمد بن كَلَفْت، فسجنه بقاعة الصاحب، وألزمه بحمل ثلاثمائة ألف دينار وعصره، فى يوم الأربعاء حادى عشرينه، فحمل منه مماية ألف دينار، وأخرج إلى دمشق ليؤدى بقية ما ألزم به، ثم ينفى إلى طرسوس[2]. وكان قد استقر عوضه فى نيابة الشام الأمير منجك.

وفى هذا الشهر: خرج ببلاد الشام جراد مضر، وكثر بها الفأر فى البيادر[3]، فتلفت الغلال، وفشا بها الوباء. وكثر الخوف ببلاد الساحل من الفرنج والعشير. ووصل إلى صيدا عدة من مراكب الفرنج فحاربوا المسلمين، ورجعوا خايبين.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضى اللوق[4] خارج القاهرة للشلاق[5]، فقتل بينهم واحد منهم، فركب والى القاهرة الشريف بَكْتَمُر، وأركب معه الأمير علاى الدين على بن كَلَفْت الحاجب، والأمير أقبغا

---

(١) سيس: بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس كانت مقر مملكة أرمينة الصغرى. انظر معجم البلدان.

(٢) طرسوس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ٤/١٣٣.

(٣) البيادر بيدر الطعام أى: كومة، والبيدر موضع الطعام الذى يكوم فيه. القاموس المحيط.

(٤) اللوق كانت أراضى اللوق عندئذ بساتين ومزروعات وهى فى المنطقة التى أطلق عليها بعد ذلك باب اللوق. انظر باب المواعظ ٢/١١٧.

(٥) الشلق الضرب، شلقه أى: ضربه بسوط أو غيره. لسان العرب.

اليوسفى الحاجب، وقصد المشالقين، ففروا منهم، وبقى من هناك من النظارة، فضرب عدة منهم بالمقارع. فتعصبت العامة، ووقفوا تحت القلعة فى يوم الثلاثاء، وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن عشرينه كذلك، وهم يستغيثون ويضجون بالشكوى من الوالى، فأجيبوا بأن السلطان يعزل عنكم هذا الوالى فأبوا إلا أن يسلمه إليهم هو والحاجبين. وكان الوالى قد ركب على عادته بكرة النهار يريد القلعة، فرجمته العامة حتى كاد يهلك فالتجأ منهم بالإصطبل، وظل نهاره فيه، والعامة وقوف تحت القلعة إلى قريب العصر، وكلما أمروا بأن يمضوا أبوا ولجوا، فركب إليهم الوالى فى جمع موفور من مماليك الأمير بَكْتَمُر المؤمنى، أمير آخور، ومن الأوجاقية، فثارت العامة ورجمتهم رجما متداركا حتى كسروهم كسرة قبيحة، فركبت المماليك السلطانية، والأوجاقية وحملوا على العامة، وقتلوا منهم جماعة، وقبضوا على خلائق منهم، وركب الأمير ألجاى اليوسفى، وقسم الخطط والحارات على الأمراء والمماليك، وأمرهم بوضع السيف فى الناس، فجرت خطوب شنيعة، قتل فيها خلائق ذهبت دماؤهم هدرا، وأودعت السجون منهم طوائف، وامتدت أيدى الأجناد إلى العامة، حتى أنه كان الجندى يدخل إلى حانوت البياع من المتعيشين ويذبحه ويمضى، وحكى بعضهم أنه قتل بيده فى هذه الواقعة من العامة سبعة عشر رجلا.

وكانت ليلة الخميس تاسع عشرينه: من ليالى السوء، وأصبح الناس وقد بلغ السلطان الخبر، فشق عليه وأنكره، وقال للأمير بكتمر المؤمنى «عجلت بالأضحية على الناس» وتوعده، فرجف فؤاده ونحب قلبه، وقام فلم يزل صاحب فراش حتى مات، وأمر السلطان بالإفراج عن المسجونين، ونودى بالأمان، وفتح الأسواق، ففتحت، وقد كان الناس قد أصبحوا على تخوف شديد لما مر بهم فى الليل.

وفيه خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى مصر، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكتمر.

واتفق فى هذا الشهر: أيضًا أن ناصر الدين محمد بن مسلم - كبير تجار مصر - سافر للقاء بضائع قدمت له من الهند بقوص[1]، فأشاع ولده فى الناس موت أبيه، وعمل عزاه، واجتمع بالسلطان وسأله أن يقوم عوض أبيه فى المتجر، ووعد بحمل خمسين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل فأخذ فى حمل ما وعد به حتى أتى على مبلغ كبير منه. فبينما هو فى ذلك إذ قدم كتاب أبيه فى بعض حاجاته، فسر أهله بحياته،

---

(١) مدينة من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطئ النيل بنيت فى أيام شدات بن عديم. (نزهة الأمم فى العجائب والحكم) لابن إياس، وانظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وبعثوا إليه بما كان من مولده، فبادر إلى المجىء واجتمع بأهل الدولة، وبالسلطان، فاعتذروا إليه بما كان من ولده ورسم له أن يعتد له بما حمل ولده فى نظير ما يرد له من البضائع، ويحاسب به مما عليه للديوان، وخلع عليه، فكان ذلك أيضًا من شنيع ما وقع.

واتفق أيضًا أن بنى كلاب[1] كثر فسادهم وقطعهم الطريق فيما بين حماة وحلب، وأخذوا بعض الحجاج، فخرج إليهم الأمير قَشْتَمُر نائب حلب بالعسكر، حتى أتوا تل السلطان[2] بظاهر حلب، فإذا عدة من مضارب عرب آل فضل، فاستاق العسكر جمالهم ومواشيهم ومالوا على بيوت العرب فنهبوها. فثارت العرب بهم وقاتلوهم، واستنجدوا من قَرُب منهم من بنى مهنا، وأتاهم الأمير حيار وولده نعير بجمع كبير، فكانت معركة شنيعة، قتل فيها الأمير قشتمر النايب وولده وعدة من عسكره، وانهزم باقيهم، فركب العرب أقفيتهم، فلم ينج منهم عريانا إلا من شاء الله، فكان ذلك وهنا فى الدولة، جره إليها طمع عساكرها.

وفى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة: قدم الخبر بنزول أربع قطايع على الإسكندرية من الفرنج، وأنهم رموا على المدينة بمنجنيق، فخرج تلك الليلة ثلاثة وعشرون أميرا، منهم ثلاثة من الألوف وعشرة من الطبلخاناه وعشرة من أمراء العشرات، فقدم الخبر فى عشية السبت أن المغاربة، والتركمان نزلوا فى المراكب، وقاتلوا الفرنج، وقتلوا منهم نحو المائة، وغنموا منهم مركبا.

وفى خامس عشره: خرج على البريد الأمير قُطلوبغا الشعبانى ليسير بالأمير أَشَقْتَمُر الماردينى إلى حلب، وكتب معه تقليده بالنيابة، وحملت إليه الخلعة، وأن يقلد الأمير زامل إمرة العرب، عوضا عن حيار بن مهنا، فاستقر الأمير أَشَقْتَمُر فى نيابة حلب، ووجد العرب قد شرقوا.

وفيه توجه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سرتقطاى فى الرسالة إلى أويس متملك بغداد.

واستقر جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر الأمير بيبغا القوصونى كاشف القليوبية، والأمير محمد بك الشيخونى فى نيابة

---

(١) بنو كلاب، بطن من عامر بن صعصعة وكانت ديارهم فى جهات المدينة المنورة ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام.

(٢) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. (معجم البلدان).

غزة، والشريف بكتمر فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطشلاقى، والأمير بكتمر أستادار الطويل فى ولاية قوص، والأمير أسندمر الخضرى فى البحيرة، عوضا عن ابن معين، والأمير قُطلوبك السيفى فى ولاية مصر، وأنعم على الأمير محمد بن طُرغاى بإمرة طبلخاناه، واستقر أستادار، وارتجع عن الأمير أَسَنْدَمُر المظفرى تقدمته، وعوض طبلخاناة؛ لعجزه عن الخدمة من مرض، وأنعم على كل من الأمير بَتْشَاك العمرى، والأمير بهُادر الجمالى بإمرة ماية تقدمة ألف، وعلى كل من الأمير بيبغا القوصونى، وصُراى الإدريسى، وأحمد بن آقتمر عبد الغنى، وأحمد بن قنغلى، وطَقْتَمُر الحسنى، وخليل بن قمارى، وأرغون شاه الأشرفى، وحسين بن الكورانى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من جلبان العلاى، ومحمد بن لاجين، وأسنبغا النظامى، ومحمد بن قطلوبغا المحمدى، وعمر بن أسن البوبكرى بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: حجت خوند بركة أم السلطان فى تجمل عظيم، ومعها الكوسات والعصايب السلطانية، وعدة جمال، تحمل الخضر المزروعة، وفى خدمتها الأمير بشتاك العمرى، والأمير بهادر الجمالى، وماية من المماليك السلطانية.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم ابن الأمير صَرْغَتْمُش الناصرى، أحد العشرات، فى تاسع شوال، ودفن بمدرسة أبيه.

ومات الأديب الموالى أحمد بن محمد بن أحمد، المعروف بالفار طرنجى العالية.

ومات الأمير أرغون على بك الأزقى نائب غزة وأحد أمراء الألوف رأس نوبة فى أول جمادى الآخرة.

ومات تقى الدين حسن بن محمد بن فتيان، كاتب سر طرابلس.

ومات الأمير خليل بن على بن الأمير سلار النائب، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير الطواشى ناصر الدين شفيع، أحد العشرات، ونائب مقدم المماليك، فى ثامن شعبان.

ومات الأمير طُغاى الفخرى - أحد الطبلخاناه - غريقا بالنيل.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود، أحد فقهاء الحنفية الأعيان.

ومات شمس الدين محمد بن خلف بن كامل الغزى، أحد نواب الحكم بدمشق، وأعيان الفقهاء الشافعية، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن تقى الدين عبد القاهر(١) بن الوزير الصاحب ضياء الدين أبى بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد النشابى، أحد موقعى الدست، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات عماد الدين محمد بن موسى بن سليمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن على بن أحمد بن الشيرجى محتسب دمشق، وناظر الخزانة بها.

ومات بدر الدين محمد بن الجمال محمد بن الكمال أحمد بن محمد بن الشريشى الشافعى، برع فى الفقه واللغة، وقال الشعر.

ومات الأمير محمد بن الأمير طقبغا الماجارى صاووق، أحد الطبلخاناه.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن تقى الدين على الواسطى، فى شهر رجب.

ومات الأمير ألطنبغا المؤمنى الجوكندار، أحد العشرات، فى صفر.

ومات الأمير أقتمُر عبد الغنى الصغير - أحد العشرات - فى تاسع عشرين شهر رمضان.

ومات الأمير أزكا السيفى، أحد الطبلخاناه.

ومات متملك تونس(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى، فى العشرين من رجب، بعد ما ملك تسع عشرة سنة وشهرين، فقام بعده ابنه أبو البقاء خالد.

* * *

---

(١) محمد بن عبد القاهر بن أبى بكر النشابى، الأنصارى السلمى، ناصر الدين: أديب، له شعر: من كتاب الإنشاء السلطانى. كان أحد ملوك الدست فى دولة الملك الناصر. بينه وبين صلاح الدين الصفدى مساجلات شعرية، فى الألفاظ وغيرها ربما أثبتها فى كتابه «ألحان الواجع» انظر الوفيات ٣/٢٧١ - ٢٧٢ والدرر الكامنة ٤/٢٢ الأعلام ٦/٢١٤.

(٢) تونس: مدينة بإفريقية محدثة إسلامية، وهى فى سفح جبل وبها مبان عجيبة. انظر الروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، والاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ٥/١٠٢.

سنة إحدى وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: ورد قاصد الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير طاز، ومعه أربعة وعشرون من الفرنج، أسرهم من ناحية الطينة[1]، وكان مجردا بها.

وفى يوم الأحد ثامنه: ورد البريد بطلب الأمير حيار الأمان، وكان القاصد لذلك الأمير سيف الدين بهادر أستادار الأمير منجك نائب الشام، ومعيقل حاجب حيار، فأجيب إلى ذلك.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: خُلع على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة عوضا عن علم الدين إبراهيم بن قزوينة باستعفائه، و لم يتعرض لابن قزوينة بسوء.

وفيه استقر عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح المعروف بابن الكشك الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق، بعد وفاة جمال الدين أبى الثناء محمود بن سراج الدين أحمد بن مسعود، المعروف بابن السراج.

وفى يوم السبت رابع عشره: ركب السلطان إلى لقاء والدته عند قدومها من الحج، ونزل بركة الحجاج ثم مضى إلى البويب[2]. فلما قدمت فى يوم الإثنين سادس عشره عاد إلى قلعة الجبل.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أمير آخور، عوضا عن الأمير بَكْتَمُر المؤمنى بعد وفاته، وخلع على الأمير تَلَكْتَمُر بن بركة، أستادار، عوضا عن بهادر الجمالى، واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس، عوضا عن تلكتمر، وأنعم على الأمير جُلْبَان العلاى بإمرة طبلخاناة.

وخرج البريد بطلب الأمير أَقْتَمُر الصاحبى الحنبلى من الشام، فقدم فى رابع عشر صفر.

---

(١) الطينة بليدة بين القرم وتنيس من أرض مصر. معجم البلدان ٣/٣٥.

(٢) البويب: تصغير الباب، ثقب بين جبلين وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر. معجم البلدان ١/٧٦٤.

وفيه استقر كمال الدين التنسى[١] المالكى فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن كمال الدين الريغى.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الحنفى، فخرج الأمير منكلى بغا الشمسى الأتابك إلى لقائه، وأنزله فى بيت بالمارستان، فأتاه الناس من كل جهة. وكان منقطع القرين فى الورع والصدع بالحق.

وفى ثالث ربيع الآخر: استقر الأمير كنجكجى المنصورى فى نيابة حماة، عوضا عن أيدمر الشيخى.

وفى رابعه: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، مضافا إلى نظر الخاص.

وفى ثانى جمادى الآخرة: أخرج الأمير محمد بن قمار أمير شكار منفيا، واستقر عوضه الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب أمير شكار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن قيران الحسامى، المعروف بابن شرف الدين، واستقر أمير طبر[٢]، عوضا عن شرف الدين موسى بن ديدار بن قرمان عند استعفائه، وخلع على الأمير نصرات، واستقر حاجبا عوضا عن أسنبغا.

وفى ثالثه: استقر الأمير كنول رأس نوبة.

وفى يوم الخميس رابع عشرين رجب: استقر علاء الدين على بن محمد بن على ابن عبد الله بن أبى الفتح بن هاشم المقدسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شرف الدين أحمد بن شيخ الجبل بعد وفاته.

وفى تاسع عشرينه: رسم الأمير أسندَمُر حرفوش بالجلوس وقت الخدمة بالإيوان.

وفى ثامن عشر شعبان: استقر الشريف بكتمر بن على الحسينى حاجبا، عوضا عن أقبغا اليوسفى. واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى رأس نوبة، عوضا عن الأمير بَشْتَاك العمرى بعد وفاته، واستقر الأمير أرغون الأحمدى اللالا أمير مجلس، عوضا عن أرغون

---

(١) التنسى: نسبة إلى تنس: مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان، وهى مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور، وبعضها فى سهل الأرض، وهى قديمة أزلية، وشرب أهلها من عين بها، وداخلها قلعة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها عامل تنس لمنعتها. معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٨، والإدريسى ٥٧/٨٣، والاستبصار ١٣٣، والبكرى ٦٢.

(٢) طبر موضوعها أن يكون صاحبها حاملاً الطبر فى الموكب ويحكم على من دونه من الطبردارية وعادتها إمرة عشرة.

شاه، وأنعم على الأمير طينال الماردينى بتقدمة ألف، وعلى الأمير علم دار بتقدمة ألف، واستقر أستادارا، واستقر الأمير محمد بن سرتُقَطَاى نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران. واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزْكَشِى شاد الدواوين، عوضا عن شرف الدين موسى بن الدينارى، واستقر ابن الدينارى حاجبا، عوضا عن علاء الدين ابن كلفت، واستقر الأمير آقبغا بن مصطفى جاشنكيرا عوضا عن الأمير ألطنبغا العلاى فرفور، واستقر الأمير جركس الرسولى أستادارا ثانيا، عوضا عن محمد بن طرغاى، واستقر الأمير طغاى تمر العثمانى أمير جاندار، عوضا عن الأمير أسندمر حرفوش، وخلع على الجميع.

واستقر الأمير تلكتَمُر من بركة فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير جنتمر أخى طاز.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وتجاوزت الغرارة القمح مائتى درهم، وفشت بها الأوبئة.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرين شوال: توجه قاضى الحنابلة بدمشق علاء الدين على ابن محمد إلى محل ولايته.

وفى رابع ذى القعدة: استقر علاء الدين على بن الرصاص فى قضاء الحنفية بصفد، وخلع عليه، وتوجه إلى ولايته.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه: خلع على الصاحب فخر الدين ماجد بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر وأعيد إلى الوزارة، عوضا عن شمس الدين أبى الفرج المقسى، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن إياز الدوادارى، واستقر كاشف الوجه البحرى، واستقر علاى الدين السنانى فى ولاية الغربية، عوضا عن قطلوبك صهر المزوق، واستقر بهادر والى العرب فى ولاية البهنسا[1]، واستقر ركن الدين عمر بن المعين والى البحيرة عوضا عن أَسَنْدَمُر الخضرى.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرينه: رسم بتسمير نصرانى، اتهم أنه سحر خوند ابنة الأمير طاز وزوجة السلطان، فماتت بسحره، فسمر ووسط وأحرق بالنار.

واستقر نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه، برغبته له عن ذلك، واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن تقى الدين الأنفى.

---

(١) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد. انظر معجم البلدان ١/٥١٦، ٥١٧.

وفى يوم الخميس تاسع ذى الحجة: استقر زين الدين أبو بكر على بن عبد الملك المازونى فى قضاء المالكية بدمشق، بعد وفاة جمال الدين المسلاتى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم البريد بوفاة التاج عبد الوهاب بن السبكى قاضى القضاة بدمشق، فاستقر عوضه كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر عثمان ابن هبة الله المعرى قاضى حلب، واستقر فى قضاء حلب عوض المعرى قاضى طرابلس فخر الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن أحمد الزرعى.

وأعيد الأمير ألطنبغا الشمسى إلى ولاية القلعة، وأخرج الأمير نصرات إلى الإسكندرية، وعمل بها حاجبًا، وأنعم على كل من الأمير منكوتَمُر عبد الغنى والأمير يلبغا المجنون بتقدمة ألف، وعلى كل من الأمير يلبغا الناصرى، والأمير ألطنبغا الشمسى، والأمير قطلو أقتمر العثمانى، والأمير آل ملك الصرغتمشى، والأمير عبد الرحيم بن الأمير منكلى بغا الشمسى، والأمير يَاوَرجى القوصونى، والأمير تغرى برمش بن أبجاى، والأمير تلكتَمُر الجمالى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من محمد بن قرا ابن كُلَيته، ورجب بن طيبغا المحمدى، وعبد الله بن محمد بن طرغاى، وصراى تمر المحمدى، ومنكلى بغا البلدى الأحمدى، ويلبغا المحمدى، وبكتمر العلمى، ومحمد شاه ابن الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص، وطيدمر الذهبى أمير شكار، وبكتاش بن قطليجا.

وفيها ولد للسلطان ولد ذكر سماه رمضان، وزينت القاهرة لولادته، ودقت البشاير، وذلك فى شهر رمضان.

وكان أمير الحاج علاء الدين على بن كَلَفْت، فأقام بمكة لعمارة مأذنة باب الحزورة[1]، وعاد بالحاج الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، مقدم المماليك.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الوزير الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة، المعروف بالحليق، فى ليلة الثلاثاء سابع شهر رجب.

---

(١) حزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو. ويقول ياقوت: إن الحزورة كانت سوق مكة وقد دخلت المسجد لما زيد فيه وهو أحد أبواب المسجد الحرام. معجم البلدان جـ٣، والروض المعطار ١٩٤، ١٩٥، ومعجم ما استعجم ٢/٤١١، والبكرى ٧٤.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أحمد بن قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أبى الفضائل الحسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ثم الصالحى الدمشقى، المعروف بابن قاضى الجبل الحنبلى، علامة وقته فى كثرة النقل وفقه الحنابلة، فى يوم الثالث عشر من رجب.

وتوفى قاضى المالكية بحماة ودمشق أبو الوليد سرى الدين إسماعيل بن البدر محمد ابن محمد بن هانى اللخمى الأندلسى بالقاهرة، برع فى العربية واللغة والأدب، وشرح التلقين فى النحو لأبى البقاء، وحدث بالموطأ.

ومات الأمير أروس بغا الخليلى أحد الطبلخاناه فى آخر شهر رجب.

ومات الأمير أسندَمُر الكاملى زوج خوند القُرْدُمية وأحد أمراء الألوف.

ومات الأمير آسن الصرغتمشى أحد الطبلخاناه، منفيا بدمشق.

ومات الأمير أقبغا اليوسفى الحاجب، فى شعبان بمدينة منفلوط[1]، وقد توجه إلى لقاء هدية صاحب اليمن[2]، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير ألطنبغا العلاى الجاشنكيرى فرفور، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير بكتمر المؤمنى أمير آخور فى يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكتمر الأحمدى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تِنَبك الأزقى أحد الطبلخاناه ورأس نوبة ثانيا. وكان من الأبطال.

ومات الأمير طيبغا المحمدى أحد أمراء الألوف، فى صفر.

ومات قاضى قضاة دمشق تاج الدين عبد الوهاب بن قاضى قضاة دمشق تقى الدين على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى، فى يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة بدمشق، عن أربع وأربعين سنة.

---

(١) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢٧.

(٢) اليمن: البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة، والحجاز حجازا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمى اليمن ليمنه والشام لشؤمه، وقيل سمى اليمن يمنا بتيمن بن قحطان. انظر معجم البلدان ٥/٤٤٧، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٤٠١.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية وعالمهم زين الدين عمر بن الكمال أبى عمر عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، ليلة الجمعة خامس عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، ومولده فى جمادى سنة أربع وتسعين وستمائة، ودفن بالقرافة عند جده لأمه قاضى القضاة شمس الدين محمد السروجى.

وتوفى زين الدين عبد الله بن القوصى، أحد نواب القضاة الشافعية، فى ليلة الخميس سابع عشر جمادى الآخر.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق جمال الدين محمد بن الزين عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى بالقاهرة، فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة؛ ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر.

وتوفى قاضى العسكر بدر الدين محمد بن أبى الفتح محمد بن عبد اللطيف بن يحيى ابن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى، بطريق القدس، أو قد توجه لزيارته.

وتوفى الفقيه النحوى شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد المالقى[1] المغربى المالكى بدمشق، وله شرح التسهيل فى النحو.

ومات الأمير محمد بن الأمير تنكز نايب الشام، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد بن الأمير طرغاى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد الترجمان، أحد الطبلخاناه.

ومات شمس الدين موسى بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم ناظر الجيش وناظر الخاص، بعد ما عزل، ووزر وزارة دمشق غير مرة. وهو من أبناء السبعين، بظاهر دمشق.

ومات الأمير الأكز الكشلاوى، الوزير الأستادار، وهو منفى بحلب فى ربيع الأول.

* * *

(١) محمد بن الحسن بن محمد المالقى نزيل دمشق فقيه مالكى، من الشيوخ شيوخ العربية فى عصره. له [شرح التسهيل] فى النحو و«شرح مختصر ابن الحاجب القرعى». انظر بغية الوعاة ٣٥ والدرر الكامنة ٤٢٤/٣ وكشف الظنون ٤٠٧ والأعلام ٨٧/٦.

سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى عشر المحرم: استقر سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق فى وزارة الشام.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: سافر زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى - قاضى المالكية بدمشق - إلى محل ولايته.

وفى حادى عشرينه: أخرج الأمير يعقوب شاه الخازندار منفيا إلى ملطية(١).

وفى أول صفر: قدمت رسل الفرنج لطلب الصلح، فحلفوا على ألا يغدروا ولا يخزنوا، وخلع عليهم، وسافروا ومعهم من يحلف ملكهم، وأخذت منهم رهائن بالقلعة.

وفى شهر ربيع الأول: عزل الأمير شهاب الدين أحمد بن قنغلى من ولاية الجيزة بسؤاله، وارتجعت عنه إمرة طبلخاناه، وأنعم على طيبغا العمرى الفقيه بإمرة عشرة. واستقر محمد بن قرطاى الموصلى نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران، ثم أعيد أرغون واستدعى محمد بن قمارى من غزة، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، واستقر أمير شكار على عادته.

وفى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر: ركب السلطان للصيد، وعبر القاهرة من باب زويلة، ونزل إلى القبة المنصورية(٢)، فزار جده وجد أبيه، وركب فخرج من باب النصر، وتصيد، وعاد يريد التوجه إلى الوجه القبلى، فقدمت له أرباب الأدراك تقادم جليلة.

وفى ليلة الخميس الخامس من جمادى الأولى: ظهر بالسماء على القدس ودمشق وحلب، حمرة شديدة جدا كأنها الجمر، وصارت فى خلل النجوم، كالعمد البيض حتى سد ذلك الأفق طول ليلة الخميس حتى طلع الفجر، فارتاع الناس، واشتد خوفهم، وباتوا يستغفرون الله ويذكرورنه.

---

(١) ملطية بلدة من بلادة الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) القبة المنصورية، نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون بها قبر يضم المنصور قلاوون وابنه الملك الناصرى محمد والملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون. انظر المقريزى: المواعظ ٢٨٠/٢.

وفى آخره: خلع على الأمير سيف الدين طشتمر العلاى، واستقر دوادارا بإمرة طبلخاناه، نقل إليها من الجندية بعد وفاة منكوتمر عبد الغنى الدوادار.

وفيه عادت رسل الفرنج ومعهم عدة ممن أسروهم من المسلمين نحو المائة.

وكان الوقت خريفا، فكثرت الأمراض فى الناس بالقاهرة، والوجه البحرى، وتجاوز عدد الأموات بالقاهرة ثمانين فى كل يوم.

وفى أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين عبد المنعم بن سليمان بن داود البغدادى الحنبلى، فى إفتاء دار العدل وتدريس مدرسة أم السلطان بخط[1] التبانة، عوضا عن بدر الدين حسن النابلسى بعد وفاته.

وفيه بعث الفرنج من بقى من أسرى المسلمين ببلادهم، وتم الصلح، وفتحت كنيسة القمامة بالقدس.

وفى ثالث عشرين شهر رجب: سار ركب الحجاج الرجبية إلى مكة.

وفى سابع شعبان: استقر بدر الدين عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الأخناى فى إفتاء دار العدل، عوضا عن تاج الدين محمد بن بهاء الدين بعد وفاته بعقبة أيلة[2] صحبة الرجبية.

وفى تاسعه: استقر علم الدين صالح الإسنوى موقع الحكم، واستقر فى وكالة الخاص، عوضا عن ابن بهاء الدين، واستقر بدر الدين الأقفهسى شاهد الأمير أجاى اليوسفى عوضه فى شهادة الجيش، واستقر محب الدين السمسطاى فى نظر المارستان عوض ابن بهاء الدين.

وفى يوم الإثنين رابع عشر شعبان: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر وكيل الخاص عوضا عن علم الدين صالح، مضافا لما بيده.

وفى أول شهر رمضان: خلع على الأمير علم دار، واستقر فى نيابة صفد عوضا عن تَلَكْتَمُر الفقيه من بركة، وقدم تَلَكْتَمُر واستقر أستادارا عوضا عن علم دار.

(١) مدرسة أم السلطان: تقع هذه المدرسة خارج باب زويلة من قلعة الجبل أنشأتها الست حليلة بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧١هـ وعملت بها درس للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل، ودفن بها ابنها الملك الأشرف بعد قتله. المقريزى المواعظ ج٢/٣٣٩.

(٢) عقبة أيله: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفى عاشر شوال: خلع على الأمير أرغون شاه، واستقر رأس نوبة بعد موت الأمير بَشْتَاك.

وفى سابع عشر ذى القعدة: خلع على الأمير طَيْدَمُر البالسى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وأنعم على ابن عرام بإمرة طبلخاناه بالقاهرة.

وفى رابع عشرينه: خلع على بدر الدين بن السكرى، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية بعد موت ابن الزبيبة، وخلع على محمد بن سرتُقْطَاى، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران.

وفيه خلع أبو البقاء، خالد بن إبراهيم[1] بن أبى بكر متملك تونس، بعد إقامته فى الملك سنة وتسعة أشهر تنقص يومين، وقام بعده ابن عمه أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم، فى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى الحنفية بثغر الإسكندرية شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر الصالحى، عرف بابن زُبيّبة - تصغير زبيبة - فى خامس عشر ربيع الأول وهو أول من ولى من قضاء الحنفية بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون بن قيران السلارى نقيب الجيش فى جمادى الأولى.

ومات الأمير أسندمر حرفوش العلاى الحاجب، بعد ما أخرج إلى الشام، وأنعم عليه بإمرة ألف فى دمشق.

ومات الأمير على الماردينى نائب الشام وديار مصر، فى يوم الثلاثاء سابع المحرم، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير بَشْتَاك العمرى رأس نوبة.

ومات الأمير جرجى نائب حلب، وهو أمير كبير بدمشق، فى صفر.

---

(١) خالد بن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى بكر المتوكل بن يحيى. أبو البقاء: من ملوك الحفصين بتونس وليها صبيا على أثر وفاة أبيه (سنة ٧٧٠هـ) واستمر عاما وتسعة أشهر، والأمر فوضى، وللحاشية الحكم فثار عليه والى قسطينة أحمد بن محمد بن أبى بكر واعتقله ووجهه فى البحر إلى قسطينة ففرق فى الطريق انظر الخلاصة التقية ٧٧ والأعلام ٢/٢٩٤.

ومات الأمير جرجى البالسى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير جَرْقُطْلو المظفرى، أحد العشرات.

ومات بدر الدين حسن بن محمد بن صالح بن محمد[١] بن محمد بن عبد المحسن النابلسى، الفقيه الحنبلى، مفتى دار العدل، ومدرس الحنابلة بمدرسة أم السلطان، فى رابع عشر جمادى الآخرة، توفى بالقاهرة.

ومات شرف الدين سالم بن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، فى يوم الخميس رابع عشر شوال، بالقاهرة.

ومات الشيخ عبد الرحيم جمال الدين أبو محمد[٢] بن الحسن بن على بن عمر الأموى الإسنوى الشافعى، فجأة، ليلة الأحد ثامن جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة العلم. وأكثر من التصانيف فى الفقه وغيره.

وتوفى قاضى الحنفية بالمدينة النبوية، نور الدين على بن الفقيه عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود الزرندى.

وتوفى علاء الدين على بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، المعروف بابن الظريف، الفقيه المالكى، موقع الحكم، وأحد نواب المالكية، والمقدم فى عمل المناسخات، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات سراج الدين عمر بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات، موقع الحكم، فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قُطْلو أَقتَمُر الناصرى رأس نوبة، فى ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات تاج الدين محمد بن بهاء الدين المالكى، المعروف بابن شاهد الجمال، مفتى دار العدل، وشاهد الجيش، وناظر المارستان، ووكيل الخاص، فى أول شعبان، بمنزلة العقبة.

---

(١) الحسن بن محمد بن صالح المجاور القرشى النابلسى فاضل باحث، سمع بنابلس ومصر ودمشق، وولى إفتاء دار العدل بالقاهرة، وصنف «البرق الوميض فى ثواب العيادة للمريض» وسمعة الأيدار ونزهة الأبصار» وتحريم الفقيه» و«أخبار المهدى». انظر السحب الوابلة - خ، والأعلام ٢١٦.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنوى الشافعى أبو محمد، جمال الدين: فقيه أصولى، من علماء ولد بإسناد وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهت إليه رياسة الشافعية وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة - خ» فقه، (الهداية إلى أوهام الكفاية - خ) و«الأشباه والنظائر». انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨.

وتوفى شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزركشى، أحد أعيان الفقهاء الحنابلة، فى ليلة السبت رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير منكوتمر عبد الغنى الأشرفى الدودار، فى يوم الجمعة ثالث عشرين جمادى الأولى.

ومات الشيخ أبو الطاهر تقى الدين محمد بن محمد إمام أهل الميقات، فى يوم السبت حادى عشرين شهر رجب.

ومات الشيخ المجذوب المعتقد ذو الكرامات العجيبة، أبو زكريا يحيى بن على بن يحيى الصنافيرى الأعمى، فى يوم الأحد سابع عشرين شعبان، وحزر[1] الجمع الذين صلوا عليه بمصلى خولان من القاهرة، فكان ينيف على خمسين ألفا.

وتوفى زين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، أحد قراء السبع، وشيخ خانكاه بكتمر بالقرافة، فى سابع عشرين ربيع الآخر، أخذ القراءات عن التقى الصايغ.

ومات الأمير آروس النظامى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أَزْدَمُر الصفوى الجوكندار.

وتوفى الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف الشوبكى، فى تاسع عشر جمادى الأولى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) الحزر هو التقدير أو عد الشىء بالحدس. انظر (لسان العرب).

سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: استقر الأمير أيدمر الدوادار فى نيابة حلب، عوضا عن أَشَقْتَمُر الماردينى.

وفى صفر: طُلب شمس الدين محمد الركراكى المغربى من فقهاء المالكية إلى مجلس الأمير الكبير ألجاى، وادعى عليه بقوادح توجب إراقة دمه، فتعصب له قوم، وتعصب عليه آخرون.

وكثرت زيادة النيل، فنودى عليه فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الأول، وهو خامس عشرين توت، أربعة أصابع لتتمة إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك عدة أيام، فلم يناد عليه، فإنه فاض حتى تقطعت الطرقات، وتأخرت الزراعة، ثم نقص قليلا، وثبت حتى مضى من هاتور عدة أيام، فاجتمع الناس بجامع عمرومن مدينة مصر، والجامع الأزهر بالقاهرة، ودعوا الله لهبوط النيل عدة مرار، فهبط وزرع الناس على العادة.

وركب السلطان للعب بالكرة فى الميدان الكبير بشاطئ النيل خمس سبوت متوالية ولم يتقدمه لذلك أحد، وإنما العادة أن يكون الركوب بعد وفاء النيل إلى الميدان فى ثلاثة سبوت متوالية.

وفى يوم الإثنين أول جمادى الأولى: ضرب عنق بعادة مشارف ديوان المواريث الحشرية، لقوادح أوجبت إراقة دمه شرعا.

وفى هذا الشهر: تنجز لقاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الحنفى مرسوما بأن يلبس الطرحة، ويستنيب عنه قضاة فى أعمال مصر قبليها وبحريها، ويفرد له مودعا لأموال يتامى الحنفية، كما يفعل قاضى القضاة الشافعى، فشغله الله عن إتمام ذلك بمرض نزل به، فلزم الفراش حتى مات.

وفيه أيضًا جرى بين قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء الشافعى، وبين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الأخناى المالكى، كلام فى مسألة، وكان أبو البقاء بحر علم لا يدركه الدلاء، والأخناى بضاعته فى العلم مزجاة، فأنجز الكلام إلى أن قال أبو البقاء: «لو كان مالك حيا لناظرته فى هذه المسألة». فعد الأخناى ذلك خروجا من

بهاء الدين وقال: «إيش أنت حتى تذكر مالكا؟، وا الله لو كان غيرك لفعلت به كذا» يعنى القتل، وهجره. فاتفق عن قريب عزل أبى البقاء، فطار البرهان كل مطار، وعد هو وأصحابه ذلك من كرامات الإمام، رحمه ا لله.

وفى يوم الإثنين ثامنه: كانت الخدمة السلطانية بدار العدل من القلعة، وحضر قضاة القضاة على العادة، ثم انقضت الخدمة، فمضى القضاة على عادتهم، وجلسوا بالجامع من القلعة، إذ أتاهم رجل من عند السلطان وأسر إلى أبى البقاء، ثم التفت إلى بقية القضاة وبلغهم عن السلطان، أنه قد عزل أبا البقاء، وأمره أن يلزم بيته، فانفضوا على ذلك، وخرج البريد بطلب خطيب القدس، برهان الدين إبراهيم[1] بن عبد الرحيم بن جماعة، فقدم فى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة، ودخل على السلطان، فبالغ فى إكرامه وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة، عوضا عن أبى البقاء، فنزل وبين يديه حاجبين من حجاب السلطان. و لم يتقدم لأحد من القضاة، قبله أن تركب معه الأمراء، وركب معه أيضًا الأعيان، فكان يوما مشهودا.

وكانت مدة عطلة الناس من ولاية قاضى القضاة سبعة وعشرين يوما، وقد وقع مثل ذلك فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون[2]، تعطلت القاهرة من بعض قضاة القضاة سبعة وعشرين يوما.

ووقع نظير ذلك فى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة فى الأيام الظاهرية خشقدم - يبقى ا لله عهده - عند عزله قاضى القضاة بدر الدين أبو السعادات محمد بن تاج الدين البلقينى الكنانى الشافعى، وطلب السلطان الشيخ أبى يحيى زكريا السبكى الأنصارى الشافعى ليوليه وظيفة القضاء، فاختفى عند طلبه، وشغر منصب القضاء سبعة وعشرين يوما، ثم ظهر بعد ذلك، وطلب إلى عند السلطان هو والشيخ كمال الدين محمد بن إمام الكاملية، وعرض عليهما وظيفة القضاء، وسألهما السلطان فى ذلك، فأصرا على عدم الدخول فى ذلك، وسعى جماعة فلم يجابوا إلى شىء، فاستشار السلطان الشيخ

---

(١) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكنانى، أبو إسحاق برهان الدين، الحموى الأصل، المقدسى الشافعى: مفسر من القضاة عرفه صاحب الأنس الجليل بقاضى مصر والشام وخطيب الخطباء وشيخ الشيوخ، وكبير طائفة الفقهاء. ولد بمصر ونشأ بدمشق وسكن القدس وولى قضاء الديار المصرية مرارا (وتوفى شبه فجأة). انظر الأنس الجليل ٤٥٢/٢ والدرر الكامنة ٣٨/١ والشذرات ٣١١/٦ والأعلام ٤٦/١.

(٢) محمد بن قلاوون عبد ا لله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٣٣٠/٢ والنجوم الزاهرة ٤١/٨، ١١٥ والأعلام ١١/٧.

أمين الدين يحيى بن الأقصرى[١] الحنفى فيمن يوليه، فأشار بولاية الشيخ ولى الدين أبى الفضل أحمد بن أحمد السيوطى الشافعى، أحد خلفاء الحكم العزيز، وذكر الشيخ أمين المذكور أنه أصلح الموجودين، فطلب ولى الدين المذكور، وخلع عليه، واستقر فى وظيفة القضاء، وسار سيرة حسنة بالنسبة إلى مستنيبه القاضى المنفصل، و لله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: دار محمل الحاج على العادة فى كل سنة، فاستدعى صدر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على التركمانى قاضى العسكر، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن السراج عمر الهندى. ونزل والمحمل والقضاة وغيرهم وقوف بالرميلة تحت القلعة، كما هى العادة، فوقف معهم ثم مضى فى موكب المحمل حتى انقضى دورانه، فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرة: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ[٢] الحنفى، واستقر قاضى العسكر عوضا عن صدر الدين محمد التركمانى، وأضيف إليه أيضًا تدريس الحنفية بالجامع الطولونى، عوضا عن السراج الهندى، واستقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة المنصورية، عوضا عن حميه السراج الهندى.

وفى شعبان: على الشيخ سراج الدين عمر[٣] البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن الشيخ بهاء الدين أحمد بن السبكى بعد موته، واستقر فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى - رحمه الله - من القرافة، وتدريس الشافعية

---

(١) يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقصرائى: فاضل من الحنفية. تركى الأصل من بلدة أقصر (آق سراى) مولده ووفاته بالقاهرة. أقرأ وأفتى وله مرويات منها أربعين حديثا عن أربعين شيخا. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٤٠ - ٢٤٣ وفيه ١١- ١٨٥ والأعلام ٨/١٦٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى بن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى ولى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل، ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه التذكرة فى النحو، عدة مجلدات. انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٣/٤٩٩ وشذرات الذهب ٦/٢٤٨ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ٦/١٩٣.

(٣) عمر بن رسلان بن نصر بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين: مجتهد للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه (التدريب- خ) فى الفقه ٧/٥١ انظر الأعلام ٥/٤٦.

بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة، قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء. واستقر فى إفتاء دار العدل كمال الدين أبو البركات بن السبكى، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشره، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد القرمى فى تدريس الشافعية بخانكاه شيخو، وحضر معه القضاة والأعيان، وعدة من الأمراء، منهم الأمير الكبير منكلى بغا الشمسى الأتابك والأمير أرغون اللالا، والأمير تلكتمر الفقيه أستادار السلطان، والأمير أرغون شاه رأس نوبة، والأمير طشتمر الدوادار، فى آخرين، ومد سماط عظيم بالخانكاه، فكان يوم مشهودا، ثم انفضوا بعد ما ألقى الدرس وأكلوا السماط.

وفى هذا الشهر: ألزم الأشراف بأن يتميزوا بعلامة خضراء فى عمائم الرجال وأزر النساء، فعملوا ذلك واستمر، وقال فى ذلك الأديب شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب المنشئ زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى:

ألا قل لمن يبغى ظهور سيادة ... تملكها الزُّهْرُ الكرام بنو الزَّهرا
لئن نصبوا للفخر أعلام خُضرةٍ ... فكم رفعوا للمجد ألوية حُمرا

وفيها استقر شهاب الدين أحمد بن العماد محمد بن محمد بن المسلم بن علان القيسى فى كتابة السر بحلب، بعد وفاة علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم.

* * *

ومات فيها من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى الشافعى، بمكة، ليلة الخميس سابع رجب.

ومات الأمير أيدَمُر الشيخى، أحد أمراء الألوف ونائب حماة، بعد ما أقام بحلب.

ومات قاضى القضاة سراج الدين عمر بن إسحاق[1] بن أحمد الغزنوى الهندى

---

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهداية فقه و«الغرة المنفية وترجيح مذهب أبى حنيفة – ط» انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٢٤/٣ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ وكشف الظنون ١١٩٨ والأعلام ٤٢/٥.

الحنفى، فى ليلة الخميس سابع رجب، الليلة التى مات بها ابن السبكى بمكة.

ومات كمال الدين أبو الغيث محمد بن تقى الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر، المعروف بابن الصايغ، الأنصارى الدمشقى الشافعى، قاضى حمص، عن بضع وأربعين سنة.

ومات الأديب يحيى بن زكريا بن محمد بن يحيى بن الخباز العامرى الحموى، وهو من أبناء الثمانين، بدمشق.

ومات تقى الدين أبو بكر بن محمد العراقى، أحد فقهاء الحنابلة، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الفقير المعتقد عبد الله درويش، فى سابع عشر رجب.

ومات الأمير أسنبغا التَلَكسى أحد العشرات.

ومات الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن شيحان، المعروف بابن المجد البكرى التيمى القرشى البغدادى، فى عاشر شهر رمضان بمنية بنى خصيب[1]. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) منية بنى خصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.

سنة أربع وسبعين وسبعمائة

وفيها استقر الأمير قُرُطاى الكركى شاد العماير[1] فى كشف الوجه القبلى، واستقر شاد العماير عوضه أسنبغا البهادرى، واستقر محمد بن قيران الحسامى، فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن عثمان الشرفى، واستقر قُطلوبغا العزى أمير علم. واستقر قرابغا الأحمد أمير جاندار، واستقر تمراز الطازى حاجبا صغيرا، واستقر شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسى قاضى القضاة الحنابلة بحلب، عوضا عن أبيه برغبته له، واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر فى كتابة السر بحلب، عوضا عن ابن علان بعد وفاته.

وفيها فشت الطواعين ببلاد الشام مدة ستة أشهر.

وفيها استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فى نيابة غزة، عوضا عن طيدَمُر البالسى.

وفى يوم الإثنين جمادى الأولى: ضرب البرهان الأخناى قاضى القضاة المالكية عنق رجل؛ لوقوعه فيما أوجب ذلك.

وفى عشرينه: تقدم الأمير الكبير أجاى اليوسفى بألا يجلس فى كل حانوت من حوانيت الشهود سوى أربعة، وأمر قضاة القضاة ألا يجلس كل قاض من الشهود إلا من كان على مذهبه، فانحصر الشهود من ذلك، ثم تنجزوا مرسوم السلطان بإعادتهم إلى ما كانوا عليه، فبطل ذلك.

وفى يوم الأحد أول جمادى الآخرة: قدم قود الأمير منجك نائب الشام وفيه أسدان، وضبع، وإبل، وثمانية وأربعون كلبا سلوقيا، وأربعون فرسًا، وخمسون بقجة قماش، وقطاران بخاتى[2] بقماشها الفاخر، وأربعة قط بخاتى بقماش دون قماش القطارين الأولين، وخمس جمال بخاتى، لكل واحد منها سنامان، وقماشها من حرير، وستة قطر جمال عراب، بقماشها، وأربعة وأربعون هجينا، وثلاثة قباقيب نساوية من ذهب، فيها

---

(١) العمائر: وموضعها أن يكون صاحبها متكلمًا والعمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور، والمنازل والأسواق، وهى إمرة عشرة.

(٢) البخت: والبختية: دخيل فى العربية، أعجمى معرب، وهى الإبل الخراسانية، تنتج من بين عربية وفالج؛ وبعضهم يقول: إن البخت عربى. انظر لسان العرب.

اثنان مرصعان بالجوهر، قيمتها مائة وخمسون ألف درهم، عنها نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب، وعدة قناديز[١] من حرير مزركش، بتراكيب مرصعة من الجوهر من ملابس النساء، وعدة كنابيش[٢] زركش، وعرقيات[٣] زركش برسم الخيل وعدة عبى من حرير، وكثير من أحمال الحلاوات والفواكه والأشربة، والنخللات، فاستكثر ذلك.

وفيه أنعم على الأمير منكلى بغا الأحمدى بتقدمة ألف، وعلى سلطان شاه بإمرة طبلخاناه، واستقر الأمير يلبغا الناصرى الخازندار شاد الشراب خاناه، عوضا عن منكلى بغا الأحمدى، واستقر تلكتَمُر خازندار.

وفى ثانيه: عرضت مماليك الأمير الكبير الأتابك منكلى بُغا الشمسى على السلطان بعد موته، وهم مائتان وواحد، فجعلهم فى خدمة ولده أمير على.

وفيه ورد قود الأمير أَشَقْتَمُر الماردينى نائب طرابلس، وهو خمسة وعشرون فرسا، وخمسة وعشرون بقجة قماش، ولكل من ولدى السلطان - أمير على وأمير حاجى - أربعة أفراس وأربع بقج، فأنعم عليه بنيابة حلب، عوضا عن الأمير عز الدين أزدَمُر الدوادار، ونقل أيدمر إلى نيابة طرابلس، واستقر الأمير ألجاى اليوسفى أتابك العساكر وناظر المارستان، عوضا عن الأمير منكلى بغا الشمسى، فسأل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى التحدث عنه فى نظر المارستان فلم يقبل، فولى الصاحب كريم الدين شاكر بن إبراهيم بن غنام فى نيابة النظر عنه بالمارستان[٤]، كل ذلك والسلطان بسرحة البحيرة، على عادته فى كل سنة.

فلما قدم السلطان من السرحة، وقع فى ليلة الأحد تاسع عشرينه بالدور السلطانية من قلعة الجبل حريق عظيم تمادى عدة أيام، والخلائق فى إطفائه، حتى قيل إنه صاعقة سماوية، وضاق صدر السلطان بسببه.

وفى يوم الثلاثاء أول شهر رجب: عرض الشريف فخر الدين محمد بن على بن حسين - نقيب الأشراف - عامة الأشراف لتحدث الشريف بدر الدين حسن بن النسابة بأن النقيب أدخل فى الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب، وقدح فيه بسبب ذلك، فرسم على النسابة حتى يثبت ما رمى به النقيب.

(١) جمع قندورة وهى نوع من الثياب أو القمصان.

(٢) كنابيش وكنافيش لفظ عامى مفرد كنفوش وهو تخريف كنبوش، ومعناه البرذعة تجعل تحت سرج الفرس.

(٣) عرقيات جمع عرقية وهى رداء للرأس طربوش يشبه فى شكله قمع السكر ويفهم من المتن أنه كانت تغطى بها رءوس الخيل.

(٤) وظيفة ناظر المارستان، وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر المارستان.

وفى ثالثه: استقر الأمير كَجَك أمير سلاح، عوضا عن الأمير أُلجاى اليوسفى.

وفيه خلع ما استجده السلطان عند قدومه كل سنة من سرحة البحيرة من الخلع على الأمراء الألوف، وهى أقبية حرير بفرو سمور، وأطواق سمور بزركش، وعلى أمراء الطبلخاناه والعشرات أقبية حرير بطرز زركش، منها ما تحته فرو قاقم، ومنها ما فروه سنجاب. واستجد فى هذه السنة خلعة للأمير سابق الدين مقدم المماليك، وهى قباء حرير أزرق بطرز زركش عريض، فخلع عليه ذلك، و لم يتقدم قبله لأحد من مقدمى المماليك مثل هذا.

واستقر الأمير أحمد بن جميل فى ولاية الغربية، والأمير علم دار المحمدى فى نيابة صفد، عوضا عن موسى بن أرقطاى.

وفى يوم الخميس ثانى شعبان: استقر الأمير صلاح الدين خليل بن عرام فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن شرف الدين موسى بن الأزكشى.

وفى هذا الشهر: قصد الأمير ألجاى أن يجدد بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة منبرًا، ويقرر بها خطيبا لتقام بها الجمعة، فأفتاه سراج الدين عمر البلقينى من الشافعية، وشمس الدين محمد بن الصايغ من الحنفية بجواز ذلك، وأنكره من عداهما من الفقهاء لقرب المدرسة الصالحية - وبها خطبة للجمعة - بحيث يرى من المنصورية منبر الصالحية، وكثر الكلام فى ذلك، فعقد مجلس فى يوم السبت سادس عشرينه، اجتمع فيه القضاة والفقهاء بالمدرسة المنصورية لهذا، فجرى بينهم نزاع طويل، آل أمره إلى المنع من تجديد الخطبة، وانفضوا على أحن[1] فى نفوس من أفتى بالجواز على من منع فى الجواز.

---

(١) أحن: الإحنة: الحقد فى الصدر، وأحن عليه أحنا وإحنة وأحن (الفتح عن كراع) وقد آحنة، التهذيب: وقد أحنت إليه آحن أحنا وآحنته مؤاحنة من الإحنة، وربما قالوا حنة؛ قال الأزهرى: حنة ليس من كلام العرب، وأنكر الأصمعى والفراء حنة، وقال ابن الفرج: أحن عليه ووحن من الإحنة، ويقال: فى صدره على إحنة أى حقد، ولا تقل حنة، والجمع إحن وإحنات، وفى الحديث: وفى قلوبكم البغضاء والإحن، وأما ذوى الحنات، فهى جمع حنة، وهى لغة قليلة فى الإحنة، وقد جاءت فى بعض طرق حديث حارثة بن مضرب فى الحدود: ما بينى وبين العرب حنة، وفى الحديث: لا يجوز شهادة ذى الظنة والحنة، هو من العدواة؛ وفيه: إلا رجل بينه وبين أخيه حنة؛ وقد أحنت عليه، بالكسر؛ قال الأقبيل القينى:

متى ما يسو ظن امرئ بصديقه صدق بلاغات يجئه يقينها
فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

يقول: لا تطلب من عدوك كشف ما فى قلبه لك فإنه سيظهر لك ما يخفيه قلبه على مر الزمان؛=

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عاصم، واستقر نقيب الأشراف، عوضا عن السيد فخر الدين، لما رمى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بثابت النسب في جملة الأشراف، وذلك بعناية الأمير الكبير ألجاى بعاصم.

وفي الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى رباط الآثار النبوية[(١)]، خارج مدينة مصر للزيارة، ثم توجه لعيادة أمه بالروضة، فأقام عندها على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة في يوم الخميس ثامن عشره.

وفيه استقر الأمير أرغون العزى شاد الدواوين، عوضا عن شرف الدين موسى بن الديناري، واستقر أبو بكر القرماني في ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن جميل، واستقر فخر الدين عثمان الشرفي والي الجيزة.

وفي يوم الإثنين عشرين ذي الحجة: أعيد الشريف فخر الدين إلى نقابة الأشراف، وعزل الشريف عاصم الحسيني، واستقر الصاحب كريم الدين شاكر بن إبراهيم بن غنام في الوزارة، عوضا عن فخر الدين ماجد بن موسى بن أبي شاكر، وخلع عليه، واستقر علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام في نظر البيوت، عوضا عن أبيه.

وفي ثالث عشرينه: خلع على الوزير كريم الدين بن الرويهب، واستقر في نظر الدولة، فرسم له الصاحب كريم الدين بن غنام أن يجلس مقابله بشباك قاعة الصاحب من القلعة إجلالاً له، فإنه جلس بالشباك المذكور وهو وزير، فصارا يجلسان معا به.

وفيه خلع على جمال الدين عبد الرحيم بن الوراق الحنفي مؤدب ولدى السلطان، واستقر في نظر الخزانة الكبرى[(٢)]، وخلع على تاج الدين النشو المالكي، واستقر في استيفاء الصحبة[(٣)].

=وقيل: قبل قوله:

ذا كان في صدر ابن عمك إحنة   ذا صفحة المعروف ولتك جانبًا

فخذ صفوها لا يختلط بك طينها

والمؤاحنة: المعاداة؛ قال ابن برى: ويقال آحنته مؤاحنة. انظر لسان العرب ٣٥.

(١) يقع ربط الآثار النبوية خارج مصر بالقرب من بركة الحبش، وهو مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق، وقيل له رباط الآثار؛ لأن فيه خشب يقال إن ذلك من آثار الرسول ﷺ وأن ابن الأشرف شعبان قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية. خطط المقريزي ٤٢٩/٢.

(٢) يقصد بالخزانة الكبرى السلطانية وكانت بقلعة الجبل، والنظر فيها كان من الوظائف الجليلة. المواعظ ٢٢٧/٢.

(٣) استيفاء الصحبة وظيفة جليلة القدر وصاحبها ليحدث في جميع المملكة مصرًا وشامًا ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان. صبح الأعشى ٢٩/٤.

وفى سابع عشرينه: أخرج الأمير محمد بن أياز الدوادارى نقيب الجيش منفيًا إلى الشام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن خليل بن شعبان الرمحدار فى ذى القعدة.

وتوفى كاتب السر بحلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المسلم بن علاء القبيسى.

وتوفى من فقهاء الحنابلة بالقاهرة الشهاب أحمد العباسى سبط فتح الدين القلانسى المحدث، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

ومات من فقهاء الشافعية الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكرى، فى سابع عشرين رمضان.

ومات الأمير أرغون ططر الناصرى رأس نوبة، بعد ما نفى بحماة فى المحرم.

وتوفى خطيب حلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن جمعة بن أبى بكر الأنصارى الحلبى، الفقيه الشافعى عن ست وسبعين سنة بحلب، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى الشيخ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن الخطيب شهاب الدين عمر[١] بن كثير بن ضو بن كثير القرشى الشافعى، الإمام المفسر المحدث، الواعظ الفقيه، فى يوم الخميس سادس عشر شعبان، بدمشق، عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبى طالب بن على، مستوفى ديوان الجيش، يقال إنه من لخم، فى يوم العشرين من جمادى الأولى. كانت له مروءة غزيرة ومكارم مشهورة.

وتوفى الشيخ ولى الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوى الدمياجى الشافعى ذو الفنون بالقاهرة، فى ليلة الخميس خامس عشرين ربيع الأول، عن بضع وستين سنة، وحزر الجمع فى جنازته بثلاثين ألف رجل.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشى والبصرى ثم الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه. ولد وقرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل فى طلب العلم، وتوفى بدمشق.

وتوفى الشيخ العارف المُسَلك بهاء الدين محمد الكازرونى، فى ليلة الأحد خامس ذى الحج، بزاويته التى يقال لها المشتهى بالروضة(١)، أخذ عن أحمد الحريرى خادم ياقوت الحبشى خادم أبى العباس المرسى، عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى، وصحبه زمانا.

وتوفى تقى الدين محمد بن الجمال رافع بن هجرس(٢) بن محمد بن شافع السلامى المصرى، الفقيه الشافعى المحدث، عن سبعين سنة بدمشق، يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات الأديب البارع الفقيه شمس الدين محمد بن محمد(٣) بن عبد الكريم بن رضوان الموصلى، بطرابلس، فى جمادى الآخرة، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى ناظر الجيش بحلب، بدر الدين محمد بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبى، بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير منكلى بغا الشمسى الأتابك، فى جمادى الأولى.

ومات الأمير موسى بن الأمير أرقطاى نائب صفد.

ومات الشيخ يحيى بن الرهونى المالكى، فى ليلة الأربعاء، ثالث ذى القعدة.

ومات الأمير أَلْطُنبغا الماردينى أحد العشرات.

ومات الفقير المعتقد عبد الله بن عمر بن سليمان المغربى، المعروف بالسبطير، بالجامع الأزهر، فى ثانى عشرين صفر.

ومات ناصر الدين محمد الزفتاوى، المعروف بسباسب، رئيس المؤذنين وقد اختص بالسلطان، فى عاشر شهر رجب.

وتوفيت خوند بركة أم السلطان، فى يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة، وهى التى بنت

---

(١) زاوية المشتهى بالروضة، هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل. المواعظ ج٤٢٨/٢.

(٢) محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامى العميدى أبو المعالى، تقى الدين مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث حورانى الأصل. ولد فى مصر، وانتقل به أبوه إلى دمشق سنة ٧١٤هـ وتوفى والده، فأخذ يتردد بين مصر والشام، واستقر فى دمشق سنة ٧٣٩هـ وتوفى بها. من تصانيفه «المعجم» فى أربع مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٤٣٩/٣ وشذرات الذهب ٢٣٤/٦ والكتبخانة ١٧٥/٥ والأعلام ١٢٤/٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلى يتسمى الدين، ابن الموصلى أديب، عالم بالفقه فى بعلبك وتعلم بها وبدمشق وحماة، وتوفى بطرابلس. من كتبه «بهجة المجالس ورونق المجالس» خمس مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٢٤٣/٤ وفهرس الفهارس ٢٨٦/١ والأعلام ٤٠/٧.

المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان، بخط التبانة، قريبا من قلعة الجبل، وبنت الربع المعروف بربع أم السلطان[١]، وقيسارية الجلود[٢] التى تحت الربع المذكور، بخط الركن المخلق، وكانا فى جملة أوقاف مدرستها هذه حتى أخذهما الأمير جمال الدين يوسف الأستادار فيما أخذ من الأوقاف والأملاك، وهما الآن وقف على مدرسته التى أنشأها بخط رحبة باب العيد؛ ومن غريب الاتفاق أن الأديب شهاب الدين أحمد السعدى قال فى موتها:

فى مستهل العشر من ذى الحجـــ ـة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فا لله يرحمها، ويعظم أجره يكون عاشورا موت اليوسفى

يعنى الأمير أُلجاى اليوسفى زوجها، فكان كذلك، ومات يوم عاشوراء، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.. أنشدنى البيتين المذكورين صاحبنا صارم الدين إبراهيم[٣] ابن دقماق، قال: «أنشدنيهما الأديب شهاب الدين أحمد الأعرج السعدى».

ومات ملك المغرب صاحب فاس، عبد العزيز[٤] بن السلطان أبى الحسن[٥] على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر، وأقيم بعده ابنه السعيد محمد بن عبد العزيز أبى الحسن.

* * *

(١) ربع أم السلطان أنشأته خوند أم السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون بعلو قيسارية الجلود بخط الركن المخلق وهذا الربع كان يسكنه العامة ويشتمل على عدة طباق. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٧٩.

(٢) قيسارية الجلود بخط الركن المخلق، أنشأتها خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بخط الركن المخلق يباع بها الجلود ويعلوها ربع جليل لكن للعامة. انظر المواعظ ٢/٧٩.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أيدمر دقماق القاهرى صارم الدين: مؤرخ الديار المصرية فى وقته كتب مائتى سفر فى التاريخ، من تأليفه ومنقوله وكان معروفًا بالإنصاف فى تواريخه، موصوفا بحسن العشرة والميل إلى الفكاهة والبعد عن الوقيعة فى الناس، ومن تصانيفه (نظم الجمان – خ) فى طبقات الحنفية. انظر الدرر الكامنة ١/١٤٥ والفهرس التمهيدى ٣٨٠، ٤٤٢ وآداب اللغة ٣/١٧٤ والأعلام ١/٦٤.

(٤) عبد العزيز بن على بن عثمان المرينى، أبو فاس من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. قال السلاوى: هو الذى أنعش دولة بنى مرين بعد تلاشيها. كان فيما قبل توليه بفاس الجديدة، فى المعتقل، بأمر الوزير عمر بن عبد الله القودودى، وكان هذا الوزير قد استبد بدولة آل مرين يعزل ملكًا ويولى آخر محتفظًا لنفسه بالسلطة. انظر الاستقصا ٢/١٢٩ – ١٣٢ وجذوه الاقتباس ٢٦٨ والحلل الموشية ١٣٥ والأعلام ٤/٢٢.

(٥) محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن على بن عثمان المرينى أبو زيان، السلطان السعيد بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب. بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفل الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديدة تبايعه كالعادة. انظر الاستقصا ٢/١٣٣ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ١٣٠.

سنة خمس وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: خلع على الأمير علاء الدين على بن كَلَفت، واستقر حاجبا.

وكانت عادة الأمير ألجاى أنه يسكن الغور من القلعة، ويدخل إلى الأشرفية فى كل يوم اثنين ويوم الخميس، وإليه أمور الدولة كلها، فلما ماتت زوجته خوند بركة أم السلطان انحطت منزلته، وتنكر ما بينه وبين السلطان، بسبب تركتها، وبلغه عن السلطان ما يكره، فامتنع فى ليلة الثلاثاء سادسه من الطلوع للمبيت بالقلعة على عادته، واعتذر للسلطان عن ذلك، وأخذ فى الاستعداد للحرب، وفرق السلاح فى مماليكه، فألبس السلطان أيضًا مماليكه، وأمر بدق الكوسات حربيا، فدقت بعد العشاء من ليلة الأربعاء. فركب الأمراء بالسلاح إلى القلعة، وباتوا مع السلطان على حذر، حتى طلع نهار يوم الأربعاء، برز الأمير ألجاى من إصطبله فى جمع موفور من مماليكه وأتباعه، شاكين فى السلاح،حتى وقفوا تحت القلعة، وبعث ليمنع الأمراء أن يخرجوا من بيوتهم، فنزلت إليه المماليك السلطانية من باب السلسلة، وقد لقيتهم أطلاب الأمراء، واقتتلوا مع ألجاى قتالا شديدا، كانت فيه إحدى عشرة وقعة، قتل فيها من الفريقين، وجرح كثير منهم، فانهزم ألجاى يريد جهة الصليبية، فلقيه طلب الأمير طَشْتَمُر الدوادار، ومال معه عدة أطلاب على ألجاى، فمر على وجهه نحو باب القرافة، والطلب فى أثره، حتى أتى بركة الحبش[1]، ومر على الجبل المقطم، حتى خرج من جانب الجبل الأحمر خارج القاهرة، ونزل قريبا من قبة النصر، وقد ضرب له مخيماه، واجتمع عليه عدة من أصحابه، وبات ليلة الخميس، فبعث السلطان يرغبه فى الطاعة، فذكر أنه مملوك السلطان، ولم يخرج عن طاعته، وإنما يريد بعض الأمراء الخاصكية، أن يسلمهم إليه أو يبرزوا لمحاربته، فمن انتصر كان هو المشار إليه، وإلا فإنه لا يموت إلا على ظهر فرسه، فبعث إليه ثانيا، يخوفه عاقبة البغى، ويعرض عليه أن يتخير من البلاد الشامية ما شاء، فلم يوافق، وترددت الرسل بينهما مرارا، وبعث إليه بتشريف نيابة حماة، فقال: «لا أتوجه لذلك إلا ومعى جميع مماليكي، وقماشى، وكل ما أملكه». فلم يرض السلطان بذلك، واستدعى بالأمير عز الدين أَيْنَبَك - وكان فى جملة ألجاى - فأتاه طايعا، والتزم أن

---

(١) بركة الحبش وكانت تعرف ببركة المغافر وهى من أشهر برك مصر، تقع فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها بين الجبل والنيل، وكانت من الموات فاستطابها قرة بن شريك العنيسى أمير مصر وأحياها وغرسها. انظر المواعظ ٢/‏١٥١.

يستميل من مع ألجاى من اليلبغاوية، وهم مائة مملوك، فوعده السلطان بإمرة طبلخاناه، وانصرف إلى تربة أستاذه الأمير يلبغا واختفى بها بقية نهاره، فلما أقبل الليل، بعث غلامه إلى اليلبغاوية، فما زال بهم حتى أتوه زمرا زمرا إلى التربة، فصعد بهم جميعا إلى السلطان، فرتبهم فى خدمة ولده أمير على، وتبعهم أكثر من كان مع ألجاى من الأمراء والمماليك، بحيث لم يطلع الفجر إلا ومعه دون الخمسمائة فارس. فتوج إلى قتاله الأمير أرغون شاه، فى عدة وافرة، وخلائق من العامة. ومضى أيضا الأمير منكلى بغا البلدى من طريق أخرى فى جمع موفور وكثير من العامة. وسار الأمير ناصر الدين محمد بن شرف الدين، ومعه طائفة من المقاتلة، وطوائف من أهل الحسينية، وغيرهم من طريق ثالثة، فعندما رأى ألجاى أوائل القوم، تأخر عن موضعه قليلا قليلا، حتى صار الأمير أرغون فى مكانه من قبة النصر، وانضم إليه الأمراء، ومن معهم، وبعث طائفة منهم فلقيت ألجاى وقاتلته، فانكسر منهم، وأخذ فى الفرار، فركب القوم قفاه، وقد تأخر عنه من بقى معه، حتى وصل إلى الخرقانية[١] من القليوبية فى ثلاثة فرسان، وابن شرف الدين فى طلبه، فوقف على شاطئ النيل ظاهر قليوب، واقتحمه بفرسه فغرقا فى النيل، واستدعى ابن شرف الدين بالغطاسين فأخرجوه ووضعوه على بر ناحية شبرا، وحملوه فى تابوت إلى القاهرة، فى بكرة يوم الجمعة يوم تاسوعاء، فدفن بمدرسته[٢] من سويقة العزى[٣] قريبا من القلعة، وكان الأمير أرغون قد عاد لما انهزم ألجاى وغرق، وعرف السلطان، فصعد إلى القلعة، وبقيت العساكر واقفة تحت القلعة يوم الخميس.

وقبض السلطان على الأمير طقتمر الحسنى، والأمير صراى العلاى، وسلطان شاه بن قرا الحاجب، ونفاهم. وقبض على الأمير علاء الدين على بن كَلَفت، وألزمه بحمل مال، وقبض على الأمير بيبغا القوصونى، والأمير خليل بن قمارى، ثم أفرج عنهما بشفاعة الأمير طشتمر الدوادار.

وفيه نودى من وجد مملوكا من الألجيهية[٤]، وأحضره فله خلعة، وحذر من أخفاهم، فظهر السلطان منهم بعدة.

---

(١) الحزقانية، هى من القرى القديمة وردت فى نزهة المشتاق بين باسوس وبين شلقان وهى قرية عامرة بها مزارع وضياع وبساتين كثيرة، وهى من أعمال القليوبية. قاموس الجغرافى ج١ قسم٢/صـ٥٤.

(٢) مدرسة ألجاى تقع خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، كان موضعها وما حولها مقبرة. انظر المواعظ ٣٩٩/٢.

(٣) سويقة العزى كانت تقع خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل، نسبة إلى الأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش. انظر المواعظ ١٠٦/٢ - ١٠٧.

(٤) الألجيهية: نسبة إلى ألجاى، أى مماليك ألجاى.

فلما دفن ألجاى، نزع الأمراء سلاحهم، وهنأوا السلطان بسلامته، وظفره بعدوه، ونودى بالأمان، وكتب إلى الأقطار بخبر هذه الواقعة.

وفيه خرج على البريد الأمير بورى الأحمدى الخازن دار، لإحضار الأمير أيدمر الدوادار.

وفى يوم السبت عاشره: خلع على الأمير يعقوب شاه، واستقر نائب طرابلس، عوضا عن الأمير أيدمر.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: استقر الأمير أرغون شاه، أميرا كبيرا، ورسم له أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة، واستقر الأمير صرغتمش الأشرفى، أمير سلاح، ورسم له أيضًا أن يجلس وقت الخدمة، واستقر الأمير أرغون الأحمدى اللالا أميرا كبيرا أيضًا، ورسم له أن يجلس وقت الخدمة بجانب الأمير أيدمر الشمسى، واستقر الأمير قطلوبغا الشعبانى رأس نوبة ثانيا، وأنعم عليه بإمرة مائة بتقدمة ألف، واستقر الطواشى مختار الحسامى، مقدم الرفرف[1] فى تقدمة المماليك، عوضا عن سابق الدين مثقال الأنوكى، وأمر سابق الدين أن يلزم بيته، واستقر الأمير أيدمر من صديق رأس نوبة رابعا، وخلع على الجميع، واستدعى بأولاد ألجاى وأسكنا بالقلعة، ورتب لهم كفايتهم، ووقعت الحوطة على جميع مخلف ألجاى، فكان شيئًا كثيرا، ورتبت مماليكه فى خدمة ولدى السلطان، وقبض على محمد شاه دوادار ألجاى، وعلى أقبغا البجمقدار خازن داره، وعلى مباشرى ديوانه وألزامه، وألزموا بمال كبير، فحملوا بعض ما ألزموا به، وخلى عنهم.

وفيه استقر كَجَك من أرْطَق شاه فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، واستقر كمال الدين الربغى فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن الكمال بن التنسى، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفى أستادار ابن صبح فى ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير بَكتَمُر السيفى، وقبض على بَكتَمُر، وصودر، واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى فى ولاية الجيزة، عوضا عن عثمان الشرفى، وخلع عليهم.

وفيه أنعم على كل من الأمير أقتمر الصاحبى الحنبلى والأمير تمر باى الحسنى، والأمير أحمد بن يلبغا، وإينال اليوسفى، وبلوط الصَرغَتْمُشى، وأحمد بن الأمير بُهادر الجمالى، وألجنبغا المحمدى، وحاجى بك بن شادى، والطواشى مختار الحسامى بإمرة طبلخاناة، وعلى كل من طشتمر الصالحى، وألطنبغا عبد الملك بإمرة عشرة.

---

(١) الرفرف: من جملة دور القلعة، عمره الملك الأشرف خليل بن قلاوون وجعله عليًا لأنه كان يشرف على الجيزة كلها وعقد عليها قبة على عمد. انظر المواعظ ٢/٢١٣ - ٢١٤.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا المنصورى فى نيابة صفد، عوضا عن علمدار المحمدى، واستقر الأمير تلكتمر من بركة، حاجبا ثانيا، عوضا عن المنصورى.

وفى رابع صفر: قدم الأمير أيدمر الدوادار من طرابلس، فخلع عليه، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن ألجاى اليوسفى، واستقر تمراز الطازى فى نيابة حمص، عوضا عن آقبغا عبد الله، وأنعم على كل من آقبغا المذكور - وقد قدم من حمص - ويلبغا الناصرى اليلبغاوى، بإمرة طبلخاناه.

وفى سابع عشره: استقر الأمير أسنبغا البهادرى نقيب الجيش، واستقر عوضه فى شد العماير قطلوبغا الكوكاى.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: خلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، حاجب الحجاب، واستقر نايب السلطان.

وفى هذا الشهر: اجتمع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، بالسلطان، وعرفاه ما فى ضمان المغانى من المفاسد، والقبايح، وما فى مكس القراريط من المظالم - وهو ما يؤخذ من الدور إذا بيعت - فسمح بإبطالهما، وكتب بذلك مرسومين إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، بعد ما قرءا على منابر القاهرة ومصر، فبطل والحمد لله ضمان هاتين الجهتين، وكان يتحصل منهما مال عظيم جدا، وزال بزواله منكر شنيع.

وفى آخره: نفى الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، والأمير علاء الدين على بن كَلَفت، ومحمد شاه - دوادار ألجاى - وأقبغا البجمدار، فساروا إلى الشام، ونفى الأمير بَكْتَمُر السيفى إلى طرسوس.

وفيه استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فى ولاية قوص، وأضيف إليه الكشف أيضًا.

وفى هذه السنة: توقف ماء النيل عن الزيادة فى أوانها حتى كان النوروز، ولم يبلغ ستة عشر ذراعا، وتأخر منها ثمانية أصابع، فنودى فى يوم النوروز - وهو يوم الإثنين تاسع شهر ربيع الأول - بزيادة إصبعين، ونودى من الغد يوم الثلاثاء بزيادة إصبعين، ونودى فى يوم الأربعاء بزيادة إصبعين، وتأخر من ذراع الوفاء إصبعان، فلم يزد بعد ذلك شيئًا، ثم نقص فى يوم الجمعة ثالث عشره، فقلق الناس لذلك، وتزايد قلقهم إلى يوم الثلاثاء سابع عشره، خرج القضاة والفقهاء وغيرهم إلى جامع عمرو بمصر، وضجوا

بالدعاء إلى الله فى إجراء النيل، ثم فتح الخليج من آخر النهار، وقد بقى من الوفاء خمسة أصابع، فهبط الماء من يومه و لم يعد.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير حيار بن مهنا، فخلع عليه، واستقر فى إمرة العرب على عادته، و لم يؤاخذ بما كان من قتله الأمير قشتمر، وعفى عنه.

وفى يوم الجمعة عشرينه: خرج القضاة والناس إلى رباط الآثار النبوية، خارج مدينة مصر، وغسلوها فى النيل بالمقياس، وقرأوا هناك القرآن الكريم، وتضرعوا إلى الله تعالى فى إجراء النيل، ورد ما نقص، ثم عادوا، فنزل حتى جفت الخلجان من الماء، فارتفع السعر، وبيع الإردب من القمح بستة وثلاثين درهما سوى كلفه، وشرهت الأنفس، وتكالب الناس على طلب القوت، وغلب على الناس اليأس، فنودى يوم الأحد ثانى عشرينه فى الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصى، وصيام ثلاثة أيام، فصام من صام الإثنين، والثلاثاء،والأربعاء.

وخرج الناس فى بكرة يوم الخميس سادس عشرينه إلى قبة النصر - خارج القاهرة - وهم حفاة بثياب مهنتهم، ومعهم أطفالهم، وكتب ممن خرج يومئذ، وقد نصب هناك منبر، ونزل الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، فى عدة من الأمراء، فخطب ابن القَسْطلانى خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء، وصلى صلاة الاستسقاء، وكشف رأسه عند الدعاء، وحول رداءه، فكشف الناس جميعا رءوسهم، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى، وارتفعت أصواتهم بالاستغاثة وهملت أعينهم بالبكاء، فكان مشهدا عظيما، فلم يسقوا، وعادوا خائبين، فعز وجود الغلال.

وفيه تجمعت العامة تحت القلعة، وسألوا عزل ابن عرب عن الحسبة، وكانوا قد توعدوه، فاختفى، و لم يركب فى هذا اليوم، ولا خرج إلى الاستسقاء.

وفيه نفى كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، ناظر الدولة إلى طرابلس، واستقر فى نظر الدولة عوضه تاج الدين النشو المالكى، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى، فى تقدمة المماليك على عادته، وأعيد مختار كما كان مقدم الرفوف، وخلع على الجميع.

وفى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك فى نيابة غزة، عوضا عن طشبغا المظفرى، وأنعم على كل من الأمير الطازى، والأمير سودُن جركس المنجكى، بإمرة مائة، وارتجع عن طينال الماردينى تقدمته، وعوض إمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جركتمر الخاصكى بطبلخاناه.

وفى يوم الجمعة حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن المفسر، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، باستعفائه منها.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: أرعدت السماء وأبرقت، وسحت بأمطار غزيرة، عمت كثيرا من أراضى مصر، بحيث زرع بعضها لريها من هذه المطرة البرسيم، فسر الناس بذلك، وانحل سعر القمح خمسة دراهم الأردب، وكان قد بلغ أربعين درهما.

وفى آخره: خلع على بهاء الدين بن المفسر محتسب القاهرة، واستقر فى وكالة بيت المال، ونظر كسوة الكعبة، عوضا عن ابن عرب، مضافا إلى الحسبة، وأخذ سعر الغلال يرتفع.

وفى خامس عشر جمادى الأولى - وهو سابع هاتور -: زاد النيل اثنى عشر إصبعا، وفى الغد، وبعد الغد ثمانية أصابع، ثم نقص، ولم يعهد مثل ذلك.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: ركب الأمير منكلى بغا البلدى، إلى بيت الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، ليبلغه عن السلطان رسالة، فلما دخل عليه أمر بإمساكه، وأخرجه من باب سر داره، منفيا إلى الشام، فانفض من كان معه من المماليك، ولم يتحرك أحد منهم بحركة، ثم رسم له بنيابة مدينة الكرك، فتوجه إليها.

وبلغ سعر الأردب القمح إلى خمسين درهما، والأردب من الشعير والفول إلى خمسة وعشرين درهما، والحملة الدقيق - وهى ثلاثمائة رطل - إلى أربعة وثمانين درهما.

وقدم الأمير بَيْدَمُر، ومعه تقادم جليلة، فأكرم وخلع عليه، فى يوم الخميس أول جمادى الآخرة، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أشقتمر، وركب السلطان - وهو معه - فعدى النيل إلى الجيزة، وهو بتشريف النيابة، ثم عاد وتوجه إلى حلب، واستقر الأمير أشقتمر فى نيابة صفد، عوضا عن قطلوبغا المنصورى، واستقر المنصورى فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير أحمد بن آل ملك، واستقر ابن آل ملك فى نظر القدس، والخليل.

وفى ثامنه: خلع على علاى الدين على بن عرب وأعيد إلى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ابن المفسر.

وفى خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر الصلاحى - مقدم القصر - واستقر نائب مقدم المماليك، عوضا عن مختار الدمنهورى، وخلع على مختار المذكور، ويعرف بشاذروان، واستقر مقدم مماليك ولدى السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين النشو المالكى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين شاكر بن غنام، وخلع على ابن غنام، واستقر فى نظر البيوت ونظر المارستان، ونظر دار الطراز، وأنعم على ناصر الدين محمد بن آقبغا آص بتقدمة ألف، عوضا عن منكلى بغا البلدى، واستقر أستادار السلطان، وأنعم على الأمير ألطنبغا العثمانى طَطَق بتقدمة ألف، واستقر أمير سلاح، عوضا عن طيدمر البالسى.

وفيه قدم شرف الدين حسين الفارقى وزير صاحب اليمن بكتابه وصحبته أمير آخوره ناصر الدين محمد، ومعهما هدية سنية.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُر دوادار الأمير يلبغا، واستقر دوادارا ثانيا بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير قُرطاى الكركى، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير آل ملك الصرغتمشى.

وفيه شنقت المرأة الخناقة وزوجها جمعة الخناق، وكانا فى تربة من ترب القاهرة، فيدوران بالقاهرة ومصر وظواهرهما، ويأخذان من أطفال الناس وأولادهم من قدروا عليه، ويخنقاه لأخذ ما عليه من الثياب الجميلة، ففقد الناس عدة أولاد، واشتد حزنهم عليهم، وكثر ذلك فى الناس حتى ذعروا منه، ففضح الله جمعة هذا وامرأته، وقبض عليهما، وعوقبا، وأخذ ما وجد عندهما من حلى الأولاد وثيابهم، ثم شنقا، وكان يوما مجموع له الناس بالقاهرة، خارج باب النصر منها.

وتقدم مرسوم السلطان بإقامة الأمير جَاوَرْجى القوصونى، والأمير آقبغا بن مصطفى، والأمير آسنبغا القوصونى، والأمير قرابغا الأحمدى، والأمير نصرات أخى بكتمر الساقى، فى ثغر الإسكندرية، فساروا.

وفى يوم الخميس عشرين شهر رجب: خلع على الأمير قُطْلوبغا الكوكاى واستقر استادارا، عوضا عن الأمير نصرات، واستقر الأمير أسنبغا البهادرى شاد العماير على عادته، واستقر الأمير آل ملك الصرغتمشى نقيب الجيش، وخلع على برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين بن الحِلِىّ ناظر بيت المال، واستقر فى نظر المارستان مضافا لما بيده.

وفى سابع عشر شعبان: خلع على الأمير أرغون الأحمدى اللالا، واستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن الأمير كَجَك، واستقر كجك فى نيابة غزة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء

دمشق، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر المعرى فى قضاء حلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن أحمد بن عثمان الزرعى.

واستقر قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى تدريس الشافعى، عوضا عن أبى البقاء. وخلع عليه فى يوم الأحد سلخه، وحضر الدرس به، فكان يوما جليلا جمعه.

واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن محى الدين يحيى بن فضل الله العمرى فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شيخنا فتح الدين أبى بكر بن الشهيد، واستقر الأمير ككبغا البيبغاوى فى نيابة قلعة جعبر.

وفيه قدم الأمير آسَنْقُر.

وأهل شهر رمضان بيوم الإثنين:

وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخارى فى كل يوم من أيام شهر رمضان، بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم، تبركا بقراءته، لما نزل بالناس من الغلاء، فاستمر ذلك، وتناوب قراءته شهاب الدين أحمد بن العريانى، وزين الدين عبد الرحيم العراقى، لمعرفتهما علم الحديث، فكان كل واحد يقرأ يوما.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أَشَقْتَمُر، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير بَيْدَمُر الخوارزمى، واستقر بيدمر فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير منجك، وركب الأمير يلبغا الناصرى البريد لإحضار الأمير منجك ومملوكه جَرَكْتَمُر المنجكى، وصهره أروس المحمودى، وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى النايب، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير يعقوب شاه، واستقر يعقوب شاه حاجب الحجاب بدمشق، وخلع على الأمير طيدمر البالسى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير منكلى بغا البلدى، واستقر البلدى فى نيابة صفد، واستدعى الأمير أحمد بن الحاج آل ملك من القدس، فلما قدم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جركتمر الأشرفى الخاصكى بتقدمة ألف، وعلى الأمير آقتمر الحنبلى بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وارتجع عن الأمير آقبغا من مصطفى إقطاعه.

وفى خامس شوال: خلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وأعيد إلى نظر المارستان، عوضا عن ابن الخلى.

وفى خامس عشره: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك حاجبا ثالثا.

وفى يوم الإثنين ثالث ذى الحجة: قدم الأمير مَنْجَك بأولاده ومملوكه الأمير جَرَكْتمر المنجكى وصهره الأمير آروس المحمودى، فنزل بسرياقوس، وخرج إليه جميع أرباب الدولة من الوزير وقضاة القضاة والأمراء، بحيث لم يتأخر عنه سوى السلطان وولديه فقط، ثم ساروا جميعا بين يديه حتى طلع القلعة، فلم يعهد لأمير موكب مثل موكبه. فمشى الأمراء من باب السر بين يديه وهو راكب بمفرده، وفيهم الأمير أيتمر الدوادار - أتابك العساكر - والأمير أرغون شاه، والأمير صَرْغَتْمُش، فلما دخل على السلطان ابتهج بقدومه، وبالغ فى إكرامه، وخلع عليه خلعة نيابة السلطنة، وفوض إليه نظر الأحباس والأوقاف، وحسن إليه التحدث فى الخاص والوزارة، وأن يخرج من إقطاعات الحلقة ما عبرته ستمائة دينار فما دونها، ويعزل من أرباب الدولة وأصحاب المناصب من شاء، ويولى منهم شاء، وأن يقرر فى سائر أعمال المملكة من أراد، ويخرج إمريات الطبلخاناه والعشرات من البلاد الشامية ممن أحب، وينعم بها على من يريد، وقرئ تقليده بالنيابة فى الإيوان المعروف بدار العدل من القلعة بحضرة السلطان، والأمراء وسائر أرباب الدولة. وفيه أن السلطان قد أقامه مقام نفسه فى كل شىء بيده، وفوض له ما فوض إليه الخليفة من سائر أمور المملكة، ثم خرج فجلس بدركاه باب القلة[1] من القلعة، وجلس الوزير بين يديه، وقعد موقعو الدست لإمضاء ما يرسم به، ورفعت إليه القصص من ديوان الجيش وغيره، فنظر فى الأمور نظر مستبد بها.

وفى سادسه: خلع على بَكْتَمُر العلمى حاجب الإسكندرية، واستقر نقيب الجيش، وأنعم على بيبغا السابقى الخاصكى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير بيبغا القوصونى بإمرة طبلخاناه.

وفى هذا الشهور: فشت الأوبئة بثغر الإسكندرية وغيرها من بلاد الوجه البحرى.

ومات الأمير أرغون اللالا نايب الإسكندرية، فاستقر عوضه الأمير قطلوبغا الشعبانى، واستقر محمد بن قرابغا - أحد العشرات - فى ولاية أطفيح[2] على إمرته.

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر حاجبا ثانيا أمير مائة مقدم ألف، وأنعم على الأمير بلاط السيفى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من مغلطاى الجمالى، وكبك الصرغتمشى بإمرة عشرة.

---

(١) باب القلة أحد أبواب القلعة يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ويوجد هذا الباب بصدر دركاه جليلة يجلس بها الأمراء. انظر صبح الأعشى ج٣/٣٧٠.

(٢) ولاية أطفيح بلدة بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

ومات صدر الدين محمد بن السكر قاضى الحنفية، بثغر الإسكندرية، فلم يستقر أحد عوضه.

وفيه تزايد سعر الغلة، فبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، بعد ما كان خمسة أرطال.

وفى ثالث عشر ذى الحجة: قبض على رجل مغربى كان يقف فى الليل تحت القلعة، ويصيح «اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم ويجرى نيلكم». فضربه والى القاهرة بالمقارع وتركه لحاله.

وفى رابع عشره: أنعم على الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى بإمرة، واستقر نقيب المماليك، عوضا عن محمد بن قرطاى الموصلى باستعفائه منها وقدم الأمير خليل ابن قوصون باستدعاء.

وقد الخبر بأن دجلة[١] فاضت حتى علا ماؤها على سور بغداد، وأغرقها، فتهدم بها نحو الستين ألف دار، وعبرت المراكب من دجلة إلى الأزقة والأسواق، وأن الريح هبت بسنجار، فأحرقت أوراق الأشجار، وهلك بها كثير من الناس، وأمطرت ثعابين بمدينة شيزر[٢]، وأن مدينة حلب أصابها سيل عظيم، خرب به نحو الأربعماية دار.

وفيه استقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة الصرغتمشية، بعد وفاة أرشد الدين محمود.

وفيها خلع على صاحب فاس وبلاد المغرب السعيد محمد[٣] بن عبد العزيز أبى الحسن، فى ذى الحجة، وملك بعده السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم[٤] إبراهيم ابن أبى الحسن.

* * *

(١) دجلة نهر بغداد لا تدخله الألف واللام. انظر معجم البلدان ٢/٤٤٠.

(٢) شيزر سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٣) محمد بن عبد العزيز أبى الحسن على بن عثمان المرينى أبو زيان، السلطان السعيد بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفله الوزير أبى بكر بن غازى بن الكأس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديد تبايعه كالعادة وصدرت الأحكام باسمه مدة سنة وثمانية أشهر و١٤ يوم. وله كتاب [أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المرينى، السلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعدًا إلى طنجة. ولما بويع ابن عمه السعيد بالله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، غرناطة الفتى بالله ابن الأحمر وبعض بنى مرين، قتول على فاس. انظر الاستقصا ٢/١٣٣ - ١٤١، مراكش ٢/٦ وروضة التشرين ٣٤.

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

قاضى حلب، وقاضى المدينة النبوية، وأحد خلفاء الحكم بالقاهرة: بدر الدين إبراهيم ابن صدر الدين أبى البركات أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ابن الخشاب المخزومى الشافعى، وهو عائد من المدينة النبوية قريبا من عينونة[١]، ودفن بجزيرة سقر فى صفر.

ومات الأمير أرغون اللالا الأحمدى نائب الإسكندرية، فى خامس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير أسندمر الجوبانى، وكان خيرًا يقبله القضاة.

ومات آقبغا بن مصطفى أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر ذى القعدة.

ومات الأمير آل ملك الصرغتمشى الكاشف بالوجه البحرى، ونقيب الجيش، فى تاسع شوال.

ومات الأمير تَلَكْتَمُر الجمالى أحد الطبلخاناه بمنزلة قاقون[٢] من طريق الشام، فى ذى الحجة.

ومات الأمير تمرقيا العمرى أحد الطبلخاناه.

ومات الحاج صبيح الخازن، النوبى الجنس، فى حادى عشر المحرم، وقد انتشر ذكره وعظم قدره، بحيث كان له من الحرمة ما لأعيان الأمراء، وترك دنيا عريضة ونعما جليلة، وكان خازن الشراب خاناه السلطانية.

ومات الأمير طيبغا الفقيه العمرى، أحد العشرات.

ومات مُهتار الطشتخاناه السلطانية، شهاب الدين أحمد بن كُسَيْرات، فى ثانى عشر المحرم، كان وافر الحرمة عريض الجاه، لم يزل من عهد الناصر محمد فى خدمة الملوك، فعز جانبه وكثرت نعمته.

وتوفى قاضى المدينة النبوية تاج الدين محمد بن الكركى الشافعى، وهو ينوب عن القضاة بالقاهرة، فى سادس عشرين شعبان.

ومات قاضى الحنفية بالإسكندرية صدر الدين محمد بن السكرى، فى أول ذى الحجة.

---

(١) عينونة: قرية من بيت المقدس وقيل من دون القلزم فى طرق الشام (معجم البلدان).

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة (معجم البلدان).

وتوفى الشيخ أرشد الدين محمود بن قُطْلوشاه السيرامى، أحد أعيان الحنفية مدرس المدرسة الصَرْغَتمِشيَّة، فى يوم الثامن والعشرين من جمادى الآخر.

وتوفى سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم، عن نيف وستين سنة، بمصر.

وتوفى نور الدين على بن الحسن بن على الإسناى، أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم، فى ثامن عشر رجب.

وتوفى شمس الدين شاكر، المعروف بابن البقرى، ناظر الذخيرة، صاحب المدرسة البقرية[1] بالقاهرة، فى ثالث عشر شوال، وكان مشكورا فى أقباط مصر.

وتوفى سراج الدين عمر بن محمد السعودى شيخ خانكاه بَكْتَمُر الساقى، فى سابع عشرين ذى الحجة.

وتوفى صلاح الدين بن مسعود المقرئ المالكى، أحد أصحاب التقى الصانع، فى ثالث عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بيبغا حارس طير أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تغرى برمش بن الأمير ألجاى اليوسفى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير أسن قُطلو الإبراهيمى.

ومات الأمير أرسلان خُجا اليلبغاوى - أحد الطبلخاناه - قتيلا، فى واقعة الأمير أُلجاى، فى المحرم.

وتوفى الأمير أروس المحمودى الأستادار أحد الألوف، وزوج ابنة الأمير مَنجك النائب، فى ثانى ذى القعدة.

وتوفى الأمير ألطنبغا الماردينى فى ثانى جمادى الآخر.

وتوفى الأمير آقبغا العمرى البالسى، أخو طيبغا الطويل، من أمراء الطبلخاناه، وهو منفى بالشام.

وتوفى الأمير آقبغا الناصرى، نايب الكرك ونايب قلعة بهسنا[2]، وبها مات.

---

(١) المدرسة البقرية تقع فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى، بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل المعروف بابن البقرى، أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة وأيام الملك الناصر الحسن. المواعظ ٢/٣٩١.

(٢) قلعة بهنسا بغرب مرعش وسميساط، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

وتوفى الأمير الكبير الأتابك أُلجاى اليوسفى، أحد مماليك الناصرى حسن. ترقى حتى صار حاجب الحجاب، ثم عزل فى تاسع رجب سنة ثلاث وستين واستقر أمير جاندار، إلى أن كانت فتنة الأمير أَسنَدُمر والأجلاب، تولى حربه وقاتله قتالا عظيما، كانت بينهما فيه ست عشرة وقعة، فلما انتصر أَسنَدُمر قبض على ألجاى، وسجنه بالإسكندرية إلى أن زالت أيام أسندمر أفرج عنه وعمل أمير سلاح، ثم صار الأتابك وإليه أمور الدولة كلها، حتى مات فى يوم عاشوراء، كما تقدم ذكره.

* * *

سنة ست وسبعين سبعمائة

فى أول المحرم: اتفق أمر غريب، قد وقع مثله فيما تقدم، وهو أن الأمير شرف الدين عيسى بن باب جَك - والى الأشمونين[1] - كان له ابنة، فلما أن تم لها من العمر خمس عشرة سنة، استد فرجها، وتدلى لها ذكر وأنثيان، واحتملت كما تحتلم الرجال، واشتهر ذلك بالحسينية - حيث سكنه - وبالقاهرة، حتى بلغ منجك، فاستدعى بها، ووقف على حقيقة خبرها، فأمر بنزع ثياب النسوان عنها، وألبسها ثياب الرجال من الأجناد، وسماها محمدا، وجعله من حملة مشاة خدمته، وأنعم عليه بإقطاع، فشاهده كل أحد.

وفى ثامنه: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا.

وفى أول شهر ربيع الأول: شرع السلطان فى التجهيز إلى الحج، وتقدم إلى الأمراء بتجهيز أمورهم أيضًا.

وفى تاسعه: كان وفاء ماء النيل ستة عشر ذراعا، ويوافقه رابع عشرين مسرى، ففتح الخليج على العادة، واستمرت الزيادة حتى بلغت سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع، وثبت أوان ثباته، ثم انحط وقت الحاجة إلى هبوطه، فعم النفع والحمد لله به، إلا أن الأسعار تزايدت، فبلغ القمحماية درهم الأردب، والشعير ستين درهما الأردب، والفول خمسين درهما الأردب.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصرى بشاطئ النيل، للعب بالكرة على العادة فى كل سنة، وركب ولده أمير على قدامه بين يديه، وجعل على رأسه شطفة[2] كما يجعل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشى فى ركابه، وخلع عليهم أقبية حرير بطرز زركش، وأركبهم الخيول المسومة بالسروج الذهب، وكنابيش زركش، وألبس أكابر مماليكه ومقدم مماليكه الطواشى شاذروان أيضًا الأقبية الحرير بالطرز.

وفيه أنعم على الأمير علاء الدين على بن كَلَفْت بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير ناصر

---

(١) الأشمونين كورة من كور الصغير. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

(٢) شطفة: عصابة يرتديها السلطان على رأسه لها ذؤابة تتدلى خلف الرأس.

الدين محمد بن محمد بن الأمير تنكز نايب الشام بإمرة عشرة، وخلع على الشريف بكتمر بن على الحسينى، واستقر فى ولاية منفلوط، وعلى الأمير محمد بن بهادر، واستقر فى ولاية البهنسى، وأنعم على الأمير طشتمر الصالحى بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير أحمد بن أرغون الأحمدى بإمرة عشرة.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرين جمادى الأولى: خلع على شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الملك الدميرى المالكى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد ابن المفسر، فأمطرت ليلة الثلاثاء مطراعظيما.

وفى يوم الأربعاء: وضع المحتسب الخبز على رءوس عدة من الحمالين، وشق به القاهرة إلى القلعة وصنوج الخليلية تزفه، والطبول تضرب، ونودى عليه كل ثلاثة أرطال إلا ربع رطل بدرهم، وكان كل رطلين وثلث بدرهم، فسر الناس بذلك، إلا أن الخبز عز وجوده، وفقد من الأسواق خمسة أيام، والناس تتزاحم على أخذه من الأفران، واشتد شره النفوس، وكان يخامرها اليأس، فنودى بتكثير الخبز، وأن يباع بغير تسعير، فتزايدت الأسعار فى ساير الغلال بعد تناقصها، حتى بلغ فى أوائل جمادى الآخرة الأردب القمح مااية وعشرة دراهم، والأردب الشعير ستين درهما، والأردب الفول خمسة وخمسين درهما، والقدح الأرز بدرهمين، والقدح من العدس والحمص بدرهم وربع، وارتفع الزيت والشيرج، وأبيع الرطل من حب الرمان بعشرة دراهم ونصف، والرطل من لحم الضأن بدرهمين، ومن لحم البقر بدرهم وثلث، وقلت البهايم من الخيل والبغال والجمال والحمير والأبقار والأغنام لفنائها جوعا، وبيع الزوج الأوز بعشرين درهما، وكل دجاجة بأربعة دراهم.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعبر القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر للسرحة على العادة فى كل سنة.

وفى نصف جمادى الآخر: هذا ابتدأ الوباء فى الناس فى القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع، فكنت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: «لله، لبابة قدر شحمة أذنى، أشمها وخذوها» فلا يزال كذلك حتى يموت. هذا، وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب؛ لشدة الغلاء، وعدم وجود ما يقتات به، وشح الأغنياء وقَلّت رحمتهم، ومع ذلك فلم يزداد أجر العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم من أرباب الصنايع شيئًا، بل استقر على ما كانت عليه قبل الغلاء، فمن كان يكتسب فى اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شىء، صار الدرهم لا يجدى شيئًا، فمات

ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء.

وفي يوم الجمعة ثالث شهر رجب: عدى السلطان النيل من بر الجيزة، عابدا من السرحة، فزار الآثار النبوية، وصلى الجمعة بجامع عمرو بمدينة مصر، وركب إلى القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: قبض على الوزير الصاحب تاج الدين النشو المالكي، وخلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وأعيد إلى الوزارة، وتسلم المالكي، واستخلص منه ثمانين ألف مثقال من الذهب، وهدم داره بمدينة مصر إلى الأرض، وأخرجه على حمار منفيا إلى الشام.

وفيه خلع على الأمير قرطاى الكركي، واستقر شاد العماير بإمرة عشرة، واستقر الأمير بَكْتَمُر العلمي في كشف الوجه البحرى، عوضا عن قرطاى، واستقر محمد بن قرابغا الأناقي في نقابة الجيش، عوضا عن بكتمر، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفي كاشفًا بالوجه القبلي من حدود الجيزة إلى أسوان(١).

وفي شهري رجب وشعبان: اشتد الغلاء، فبلغ الأردب القمح ماية وخمسة وعشرين درهما، والإردب الشعير تسعين درهما، والأردب الفول ثمانين درهما، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعرى، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدى الناس، ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا.

وفي رابع عشرين شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم، فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف ماية فقير، وإلى من عدا أمراء الأولوف على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودى في القاهرة ومصر بألا يتصدق أحد على حرفوش، وأى حرفوش شحذ صلب، فآوى كل أحد فقراءه في مكان، وقام لهم من الغذاء بما يمد رمقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنعهم من التطواف لسؤال الناس، فخفت تلك الشناعات التى كانت بين الناس، إلا أن الموات عظم، حتى كان يموت في كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر، ويطلق من

---

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١٩١/١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣.

ديوان المواريث ما ينيف على مائتى نفس، وتزايد فى شهر رمضان مرض الناس وموتهم، ونفدت الأقوات، واشتد الأمر، فبلغت عدة من يرد اسمه للديوان فى كل يوم خمسمائة، وبلغت عدة الطرحاء زيادة على خمسمائة طريح، فقام بمواراة الطرحاء الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير آقبغا آص، والأمير سودن الشيخونى، وغيرهما، وكان من أتى بميت طريح أعطوه درهما، فأتاهم الناس بالأموات، فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم أحسن قيام، بعد ما شاهد الناس الكلاب تأكل الموتى من الطرحاء.

فلما فنى معظم الفقراء، وخلت دور كثيرة خارج القاهرة ومصر لموت أهلها، فشت الأمراض من أخريات شهر رمضان فى الأغنياء، ووقع الموت فيهم، فازداد سعر الأدوية، وبلغ الفروج خمسة وأربعين درهما، ثم فقدت الفراريج حتى خرج البريد فى الأعمال بطلبها للسلطان، وبلغت الحبة الواحدة من السفرجل خمسين درهما، والحبة من الرمان الحامض عشرة دراهم، والرمانة الواحدة من الحلو بستة عشر درهما، والبطيخة الواحدة من البطيخ الصيفى تسعين درهما، وكل رطل منه بثلاثة دراهم، واشتد الأمر فى شوال إلى الغاية.

وفى خامس عشر شوال: قدمت أم سالم الدكرى أمير التركمان بنواحى الأبلستين(١)، ومعها أحمد بن همز التركمانى أحد الأبطال، وكان قد أقام دهرا يقطع الطريق على قوافل العراق يأخذ أموالهم ويقتل رجالهم، وأعيا النواب بالمماليك أمره، وهدروا دمه، فتشتت شمله، وضاقت عليه تلك البلاد، حتى اضطره الحال إلى الدخول فى الطاعة، وقدم بأم سالم لتشفع فيه، فقبل السلطان شفاعتها، وأنعم عليه بإقطاع، وجعله من جملة من مقدمى المماليك، وأنعم على أم سالم وردها إلى بلادها مكرمة.

وفيه استقر الأمير أحمد الطرخانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن الأمير شرف الدين يحيى بن قرمان.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: استقر فى قضاء الحنابلة بدمشق شمس الدين محمد ابن تقى الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله المقدسى، المعروف بابن تقى المرداوى، عوضا عن علاء الدين على بن محمد بن على العسقلانى.

وفى أول ذى القعدة: وصلت تراويج القمح الجديد، فانحل السعر، حتى أبيع الأردب بستين درهما بعد مائة وثلاثين، وأبيع الأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بدون العشرين درهما، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، ثم تناقصت

---

(١) أبلستين: بالفتح ثم الضم، مدينة مشهورة من بلاد الروم. (انظر معجم البلدان).

الأسعار، واتفق أنه أبيع فى بعض الأيام الأردب القمح بماية وعشرين درهما، ثم أبيع فى أثناء النهار بتسعين، ثم أبيع بستين، ثم أبيع من آخر النهار بثلاثين درهما.

وفى الخميس ثالثه: أنعم على الأمير بيبغا السابقى الخاصكى بتقدمة ألف.

وفى تاسع عشره: سقط الطائر بالبشارة بفتح سيس بعث به الأمير بيدمر نائب الشام، ثم قدم من الغد البريد من النواب بذلك، فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام، وحمل إلى الأمير أَشَقْتَمُر نائب حلب تشريف جليل، وذلك أنه توجه بعساكر حلب إليها فنازلها، وحصر التكفور[1] متملكها مدة شهرين حتى طلب الأمان، من فناء أزودتهم، وعجزهم عن العسكر، فتسلم الأمير أَشَقْتَمُر قلعتها، وأعلن فى مدينة سيس بكلمة التوحيد، ورتب بها عسكرا، وأخذ التكفور وأمراءه، من أجناد وعاد إلى حلب، وجهزهم إلى القاهرة، فبعث السلطان الأمير يعقوب شاه لنيابة سيس، وأزال الله منها دولة الأرمن عباد الصليب، وقال الأدباء فى ذلك شعرا كثيرا، ذكرنا بعضه فى ترجمة الأمير أشقتمر من تاريخنا الكبير المقفا.

واستقر الأمير صرغتمش الخاصكى فى نظر المارستان، بعد وفاة الأمير أيدمر الدوادار.

وفيه عين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، لقضاء الحنفية بديار مصر، بعد وفاة صدر الدين محمد بن التركمانى شرف الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد أبى العز الدمشقى، فسار البريد لإحضاره.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بحلب، حتى أبيع المكوك القمح بمائة وخمسين درهما، وأن الشيخ أويس بن الشيخ حسن متملك بغداد مات، واستقر فى السلطنة بعده ابنه حسين بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن إيلكين.

واستقر فى قضاء القضاة بحلب فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى الشاذلى، واستقر الطواشى ياقوت الشيخى زمام الدور فى تقدمة المماليك، بعد وفاة الأمير سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى الساقى شاد الحوش زمام الدور،

---

(١) التكفور: لقب أطلق على ملوك أرمينيا الصغرى، متملكى سيس.

وخلع عليهما. واستقر الأمير منكلى بغا البلدى فى نيابة طرابلس[1]، عوضا عن الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، واستقر آقتمر عبد الغنى فى نيابة صفد[2]، وخرج البريد بإحضار يعقوب شاه نايب سيس، واستقر عوضه الأمير آقبغا عبد الله.

وفى آخره: فشت الأمراض فى الناس بالطاعون، وقل وجود الأموات الطرحاء، وأبيع الأردب الشعير من عشرين درهما إلى ستة وعشرين درهما.

وفى رابع ذى الحجة: قطع الدميرى المحتسب سعر الخبز ثمانية أرطال بدرهم، وقد كان خمسة أرطال وثلث بدرهم، فامتنع الطحانون أن يشتروا القمح إلا بثمانية عشر درهما، فأبى تجار الغلال الجلابة بيع القمح بهذا، وعادوا بمراكب الغلال من حيث أتوا، فعز وجود القمح وبلغ أربعة وثلاثين درهما الأردب، وتعذر وجود الخبز فى الأسواق عدة أيام، وأبيع أقل من ستة أرطال بدرهم.

وفى يوم الإثنين خامسه: قدم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس، فخلع عليه واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن قطلوبغا الشعبانى.

وفى يوم النحر: تناقص الوباء.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم الشيخ شرف الدين أحمد بن منصور الحنفى من دمشق، فنزل بمدرسة السلطان حسن. ثم استدعى فى يوم الخميس خامس عشره إلى القلعة، فأجلس بباب القصر، ثم أمر أن يجلس على باب خزانة الخاص بجوار القصر، فجلس حتى خرج الأمراء من الخدمة بالقصر، وفيهم الأمير طشتمر الدوادار، فسلم عليه وسار به إلى منزله، وباسطه، وأطعمه معه من غذائه. وكان عنده الشيخ سراج الدين عمر البلقينى، والشيخ ضياء الدين القرم، فتجابذوا[3] أطراف البحث فى فنون العلم. ثم أمره الأمير طشتمر أن يستمر حيث نزل إلى أن يطلبه السلطان، فمضى وقد عاق القوم أمره.

وتحدث الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص فى ولاية الجلال رسولا بن أحمد بن

---

(١) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) صفد مدينة فى صيال عاملة مطلة على حمص بالشام. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٣) حبذ جبذا: لغة فى جذب، وفى الحديث: فجبذنى رجل من خلفى، وظنه أبو عبيد مقلوبا عنه؛ قال ابن سيدة: وليس ذلك بشىء، وقال ابن جنى ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعًا يتصرفان تصرفا واحدًا، تقول: جذب يجذب يجذب جذبًا انظر لسان العرب ٥٣٤.

يوسف التبانى الرومى - مدرس الحنفية بمدرسة الأمير ألجاى-قضاء الحنفية. فاستدعاه السلطان وعرض عليه ولاية قضاء القضاة، فامتنع من قبوله، واعتذر بأن العجم ليس لها معرفة باصطلاح أهل مصر، فقبل السلطان عذره، وصرفه مكرما. فتحدث بعض الأمراء فى ولاية مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وكاد أمره يتم، ثم بطل. فتحدث بعض أهل الدولة لنجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز، المعروف بابن الكشك، فى ولايته، فأجيب إلى ذلك وخرج البريد يطلبه من دمشق.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قبض على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وعلى حواشيه، وعلى مقدم الدولة الحاج سيف وشريكه عبيد البازدار، وعلى الأمير شرف الدين حمزة شاد الدواوين، وأبطل الوزارة، وأمر فأغلق شباك الوزارة بقاعة الصاحب من قلعة الجبل، فخلع على الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى أطلسين، واستقر مشير الدولة بإمرة طبلخاناه، ورسم له أن يحمل الدواة والمرملة كما هى عادة الوزراء، وخلع على سعد الدين بن الريشة، وعلى أمين الدين أمين، واستقرا فى نظر الدولة، ورسم لهما أن يجلسا من وراء شباك الوزارة وهو مغلق. وخلع على كريم الدين صهر النشو وعلى فخر الدين بن علم الطويل، واستقرا فى استيفاء الدولة.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: أفرج عن المقدم سيف، ونوابه، وخلع عليه، فإنه التزم أن يستخرج للسلطان ستمائة ألف من مال السلطان، وأفرج أيضًا عن كريم الدين شاكر ابن غنام، على مال التزم به، فنزل على حمار، حتى باع أثاثه وخيوله.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من القضاء، من أجل أنه منع بعض موقعى الحكم من التوقيع، فألح عليه بعض أهل الدولة فى الإذن له، فغضب من الاعتراض عليه، وأغلق بابه، واعتزل عن الحكم هو ونوابه، فشق ذلك على السلطان، وبعث إليه بالأمير ناصر الدين محمد آقبغا آص يسأله فى العودة إلى الحكم، فنزل إليه فى يوم السبت، وسأله عن السلطان، وتضرع إليه وترفق، فأبى من العود إلى الولاية. ورجع الأمير إلى السلطان، فأرسل إليه بالأمير بهادر الجمالى، أميرآخور، آخر النهار، فألح فى مسألته وأكثر من الترقق له، فلم يقبل منه، وصمم على الامتناع. فلما أيس منه قال له: «مولانا السلطان يسلم عليك، وقد حلف إن لم تقبل عنه الولاية، ولم تركب إليه، ليركبن إليك، حتى يأتيك فى هذه الليلة إلى منزلك، حتى تقبل عنه ولاية القضاء»، وحلف له الأمير بهادر بالطلاق، أنه سمع السلطان، وهو يحلف بالطلاق على هذا. فلم يجد القاضى عند ذلك بدا من أن قال:

«أنا أجتمع بالسلطان»، ثم ركب بثياب جلوسه، وصعد إلى القلعة، فعرض عليه السلطان العود إلى ولاية القضاء، ولاطفه. فأجاب بعد جهد: «إني أستخير الله تعالى هذه الليلة، ثم يكون ما يقدره الله». فرضى منه السلطان بذلك، وقام عنه وأجل الأمراء من يسعد بتقبيل يده، حتى أتى منزله. وركب من الغد يوم الأحد خامس عشرينه إلى القلعة، واشترط على السلطان شروطا كثيرة، التزم له بها حتى قبل الولاية. ولبس التشريف الصوف، ونزل عليه من المهابة ما يكاد يشق الصدور، فكان يوما مشهودا.

وفى هذا الشهر: استقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالجامع الطولونى، بعد وفاة ابن التركمانى. واستقر الأمير قارا بن مهنا، فى إمرة العرب، بعد موت أخيه حيار بن مهنا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: ركب السلطان إلى عيادة الأمير منجك فى مرضه، فقدم له عشرة مماليك، وعشرة بقج قماش، وعدة من الخيل، فقبل ذلك، ثم أنعم به عليه، ولم يرزأه منه شيئا، وقد فرش له عدة شقاق من حرير مشى عليها بفرسه فى داره، ثم عاد إلى القلعة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فمن الأعيان:

الأمير أسنبغا القوصونى اللالا أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر المحرم.

ومات الأمير أسنبغا البهاورى شاد العماير، ونقيب الجيش، فى آخر شهر رجب.

ومات شهاب الدين أحمد، عرف بطبيق، ابن الفقيه بدر الدين حسن، أحد فقهاء الحنفية، فى رابع ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن السقا أحد فضلاء الميقاتية، فى تاسع عشر شوال.

ومات شهاب الدين أحمد بن براغيث، فى خامس عشرين شوال.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، شرف الدين أحمد بن شهاب الدين حسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، بعد أن كف بصره، عن خمس وثمانين سنة.

ومات قاضى الشافعية بحلب وطرابلس، شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف بن أيوب الحموى، عن بضع وسبعين سنة، بحماة.

ومات الإمام النحوى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد[١] بن محمد بن على العنابى الدمشقى، عن بضع وستين سنة بدمشق. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى حيان، وشرح كتاب سيبويه.

ومات الأديب البارع شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد، المعروف[٢] بابن أبى حجلة التلمسانى الحنفى، شيخ صهريج منجك[٣]، فى يوم الخميس أول ذى الحجة بالقاهرة، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن الزيلعى شيخ الإقراء بخانكاه شيخو، فى يوم الأربعاء سابع ذى الحجة.

ومات الأمير ألطنبغا النظامى الجوكندار.

ومات سلطان بغداد وتوريز القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان، عن نيف وثلاثين سنة، منها فى السلطنة تسع عشرة سنة، وكان قد اعتزل قبل موته، وأقام عوضه فى المملكة ابنه الشيخ حسين لمنام رآه نعيت إليه نفسه، وعين له يوم موته، فتخلى عن الملك، وأقبل يتعبد، فمات كما ذكر له فى نومه.

ومات الأمير أيدمر الدوادار الآنوكى الناصرى، أتابك العساكر، فى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة، وكان مهابًا، سيوسًا، حازمًا، يبدأ الناس بالسلام، ويتبع الأحكام الشرعية.

وتوفى شيخ خانكاه سعيد السعداء بدر الدين حسين بن قاضى دمشق، علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى، فى يوم السبت، سادس عشر شعبان، وهو ينوب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ويدرس فى المدرسة الشريفية.

ومات الأمير حيار بن مهنا بن عيسى[٤] بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن

---

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن على الدين العنانى أديب نحوى شافعى من تلاميذ أبى حيان انتقل إلى دمشق، فاشتهر وتوفى بها وله: «نزهة الأبصار فى أوزان الأشعار - ج» والوافى فى معرفة القوافى - خ). انظر الدرر الكامنة ٢٩٨/١ وشذرات الذهب ٢٤٠/٦ والأعلام ٢٢٥/١.

(٢) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى أبو العباس شهاب الدين بن أبى حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها بالطاعون وله «مقامات» وكتاب «ديوان الصبابة - ط» انظر الدرر الكامنة ٣٢٩/١ وتعريف الخلق ٤٢/٢ وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣، ١٣٥ والأعلام ٢٦٩/١.

(٣) صهريج منجك فى ظاهر القاهرة.

(٤) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيئ: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان مواليًا لسلاطين مصر والشام وتابعًا لهم فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر يعبث وينهب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ١٧١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

فضل بن ربيعة، أمير آل فضل بنواحى سَلَمية[١]، عن بضع وستين سنة.

ومات الأمير سلطان شاه بن قرا الحاجب من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن أحمد الحسينى النيسابورى[٢] الشافعى، وهو من أبناء التسعين بحلب، بعد ما أقام بالقاهرة زمانا، وبرع فى العربية والأصول.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بدمشق علاء الدين على بن محمد بن على بن عبد الله ابن أبى الفتح العسقلانى المصرى، أحد أعلام الحنابلة، فى ثامن عشر شوال بدمشق.

ومات قاضى حلب، علاء الدين على بن الفخر عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الشافعى، عن خمس وثمانين سنة بدمشق، وقد باشر بها وكالة بيت المال وكتابة الإنشاء.

ومات الأمير قرقماس الصَرْغَتْمُشى، أحد العشرات.

ومات الأمير كَبَكَ الصَرْغَتْمُشى، أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى قاضى العسكر مفتى دار العدل، أحد الفقهاء الحنفية، وشيخ العربية والأدب، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على بن الصايغ الحنفى، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان.

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين على بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى، فى ليلة الجمعة رابع ذى القعدة، عن نحو أربعين سنة، بمنزله من ناحية كوم الريش، خارج القاهرة، وقد أقام فى قضاء الحنفية ثلاث سنين وأشهر، وأوصى أن يكتب على قبره من شعره:

إن الفقير الذى أضحى بحفرته ... نزيل رب كثير العفو ستار

يوصيك بالأهل والأولاد تحفظهم ... فهم عيال على معروفك السارى

---

(١) سلمية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. اليعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد الحسينى النيسابورى، جمال الدين وينعت بالشريف: عالم بالعربية وأصول الفقه. ولى التدريس بحلب، وأقام بدمشق مدة، وبالقاهرة مثلها له شرح المنار فى الأصول و(شرح التسهيل) فى النحو. انظر مفتاح السعادة ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٨٦/٢ وشذرات الذهب ٢٤٢/٦ والأعلام ١٢٦/٤.

وتوفى مفتى الشام جمال الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عمار، المعروف بابن قاضى الزبدانى الحارثى الدمشقى، عن سبع وثمانين سنة.

وتوفى أمين الدين محمد بن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الحق الحنفى، بدمشق، عن بضع وستين سنة.

وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن الأنصارى المعروف بابن العلاف، عن نحو مائة سنة.

وتوفى رئيس التجار ناصر الدين محمد بن مسلم فى يوم الجمعة ثانى عشر شوال، وإليه ينسب المدرسة المسلمية بمصر.

ومات الأمير منجك اليوسفى نائب السلطنة، فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة، ودفن من الغد بخانكاته تحت القلعة.

وتوفى الوزير الصاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله، بن تاج الدين موسى بن علم الدين أبى شاكر بن سعيد الدولة، فى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة، وأبوه حى.

ومات الأمير موسى بن أيدمر الخطيرى، أحد أمراء العشرات.

ومات الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى مقدم المماليك، وأحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة، وإليه تنسب المدرسة السابقية بالقاهرة.

وتوفى المسند زين الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن هارون، بن محمد بن هارون، المعروف بابن القارئ التغلبى، فى نصف ذى القعدة، حدث بصحيح عن الشهاب أحمد بن إسحاق بن المؤيد[1] الأبرقوهى[2]، وهو آخر من حدث عنه، وله مشيخة، حدث بها أيضًا.

وتوفى أحد فقهاء المالكية ناصر الدين محمد الهارونى أبو جابر بمصر، فى يوم الأربعاء سادس شعبان.

---

(١) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعالى شهاب الدين، الأبرقوهى: عالم بالحديث والقرآن من أهل أبرقوه (بأصبهان) ولد بها، ونشأ فى همذان وعاش بمصر وتوفى بمكة. كان مسند وقته. له (معجم شيوخه خ) مرتب على الحروف، منه نسخة ناقصة الأول. انظر شذرات الذهب ٦:٤ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والمخطوطات المصورة ٢/٢٥٢ والفهرس التمهيدى.

(٢) أبرقوه بفتح أوله وثانيه بلد بفارس من أعمال شيراز. (انظر معجم البلدان).

وتوفى كمال الدين أبو البركات السبكى الشافعى مدرس الحديث بالشيخونية[١]، ومفتى دار العدل، فى يوم الإثنين ثانى عشرين شوال.

وتوفى شيخ كتاب المنسوب عز الدين أيبك بن عبد الله التركى، عتيق طرغاى الجاشنكير الناصرى فى يوم الأحد بالقاهرة، وكتب على الفخر السنباطى، وجاد، وتصدر للكتابة بالجامع الأزهر دهرا، فكتب الناس عليه وانتفع به جماعة، وكان خيرا دينا.

ومات الأمير يلبغا الناصرى، أحد مقدمى الألوف، فى ليلة الجمعة آخر ذى الحجة.

ومات الشيخ مجد الدين محمد بن الشيخ مجد الدين أبى بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلونى الشافعى، فى سابع شوال.

ومات ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الكتنانى، أحد فضلاء الميقاتية، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رمضان.

ومات شرف الدين محمد بن الشيخ ناصر الدين أبى جابر المالكى، أحد نواب المالكية بمصر، فى سادس عشر شوال.

ومات شمس الدين محمد بن ثعلب المالكى، مدرس المدرسة القمحية[٢] بمصر، فى تاسع شوال.

ومات شرف الدين حسن بن صدر الدين بن قاضى القضاة تقى الدين أحمد المقدسى الحنبلى، أحد كتاب الإنشاء ومدرس الحنابلة بالجامع الحاكمى[٣]، فى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير بيبغا العلاى الدوادار، وهو منفى بطرابلس.

وتوفى صلاح الدين يوسف بن محمد، عرف بابن المغربى، رئيس الأطباء، فى يوم

---

(١) المدرسة الحديثية بالشيخونية أنشأها الأمير سيف الدين شيخو الناصرى رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٦هـ وكان مكانها بسويقة منهم فيما بين الصلبية والرميلة تحت قلعة الجبل. انظر النجوم الزاهرة ٢٦٩/١٠.

(٢) المدرسة القمحية: بناها السلطانى صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٦هـ وخصصها لفقهاء المالكية ووقف عليها ضيعة بالفيوم. انظر المواعظ ٣٦٤/٢.

(٣) الجامع الحاكمى - أول من أسسه الخليفة العزيز با لله الفاطمى، ثم أعمله ابنه الحاكم فنسب إليه. انظر (خطط المقريزى ٢٧٧/٢).

الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة، عن سن عـال، وإليـه ينسـب جـامع ابـن المغربـى[1] بشاطئ الخليج الناصرى بجانب بركة قرموط[2].

* * *

(١) جامع ابن المغربى: يطل هذا الجامع على الخليج الناصرى، أنشـأه صـلاح الديـن يوسـف بـن المغربى وبنى بجانبه قبة دفن فيها. انظر المواعظ ٢/٣٢٨.

(٢) بركة قرموط: هذه البركة فيما بين اللوق والقس، كانت من جملة بستان ابن ثعلب. وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط متولى الخزانة السلطانية. انظر المواعظ ٢/١٦٤.

سنة سبع وسبعين وسبعمائة

فى ثالث المحرم: خلع على نجم الدين بن الشهيد موقع الدَستْ، واستقر كاتب السر بسيس.

وفى يوم الأحد تاسعه: ختن السلطان ولديه أمير على وأمير حاجى، وعملت الأفراح مدة سبعة أيام ليلا ونهارا.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره: قدم قاضى الحنفية بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد، ابن قاضى دمشق عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز وهيب بن عطا بن جبير بن وهيب الأذرعى الدمشقى، المعروف بابن أبى العز، ودخل على الأمير طشتمر الدوادار، والأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص، ومحب الدين محمد ناظر الجيش، وقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ونزل بصهريج منجك تحت القلعة، وأقبل الأعيان للسلام عليه.

وفيه قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الأخناى المالكى من الحج وسلم على السلطان، فخلع عليه وأكرمه.

وفى آخره: استدعى نجم الدين بن أبى العز إلى القلعة، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وخلع عليه، وقرر عوضه فى قضاء الحنفية بدمشق ابن عمه صدر الدين على بن على[1] بن محمد بن محمد بن أبى العز صالح بن أبى العز، فنزل قاضى القضاة نجم الدين فى موكب جليل إلى المدرسة الصالحية بين القصرين على العادة.

وفى رابع عشرينه: أنعم على الأمير طَيْبُغا الجمالى الصفوى بإمرة طبلخاناه، وخلع على شرف الدين بن منصور، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن ابن الصايغ.

وفيه قدم النشو الملكى الوزير من الشام باستدعاء، ولزم بيته، وأنعم على الأمير سراى تمر الخاصكى بتقدمة ألف.

---

(١) على بن على بن محمد بن أبى العز، الحنفى الدمشقى: فقيه كان قاضى القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيب الدمشقى، وله كتب منها (التنبيه على مشكلات الهداية - خ). انظر الدرر الكامنة ٨٧/٣ والكتبخانة ٢٨/٣ وهدية العارفين ٧٢٦/١ والأعلام ٣١٣/٤.

وفى نصف صفر: ابتدأ السلطان بعمارة مدرسة بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل، وشرع فى هدم بيت الأمير سُنقر الجمالى؛ ليضيفه إليها.

وفى هذا الشهر: وجد فى قصر الحجازية[1] من القاهرة - حيث كان باب الزمرد أحد أبواب القصر الفاطمى - تجاه رحبة باب العيد، عمودان عظيمان إلى الغاية تحت ردم، فرسم بسحبهما إلى عمارة السلطان، فأعيا العتالون أمرهما وعجزوا عن شحطهما[2] لكبرهما، فانتدب ابن عايد رايس الخلافة، وإليه أمر الحراقة السلطانية لذلك، وعمل حركات هندسية، فانجرا مع تلك الحركات بطول شارع القاهرة إلى تحت القلعة حيث العمارة، فى عدة أيام، كان للعامة فيها اجتماعات بطبولهم وزمورهم، وقالوا من نزهاتهم فى جر العامود غناء تداولته ألسنتهم عدة سنين، واقترحوا بالإسكندرية قماشا سموه جر العامود، للبس النساء، من الحرير. فلما وصل العمودان إلى العمارة انكسر أكبرهما نصفين.

وفى خامس شهر ربيع الأول: خلع على الأمير تمرباى التمرتاشى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن طَيدَمُر البالسى.

وفى سادسه: قبض على الأمير تمرباى أمير مجلس، والأمير كزَل وسجنا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرينه: خلع على الصاحب تاج الدين النشو المالكى وأعيد إلى الوزارة بعد إبطالها، وخلع على أمين الدين أمين، واستقر فى نظر الدولة بمفرده، وعزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى من الإشارة.

وفى يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الآخر: خلع على الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى، واستقر نائب السلطان، عوضا عن الأمير سيف الدين منجك بحكم وفاته، فخرج وجلس بدار النيابة من قلعة الجبل على العادة، وأمضى الأمور وحكم بين المتخاصمين.

وفيه استقر ولى الدين أبو محمد عبد الله بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق بعد موت أبيه، وحمل إليه التقليد والخلعة على البريد.

---

(١) قصر الحجازية كان يعرف أولا بقصر الزمرد أيام الخلفاء الفاطميين، ثم عرف بعد بقصر قوصون إلى أن اشترته خوند تتر الحجازية. انظر المواعظ ٢/٧١.

(٢) الشحط والشحط: البعد؛ وقيل: البعد فى كل الحالات، يثقل ويخفف؛ قال النابغة:

كل قرينة ومقر إلف ... فارقة إلى الشحط القرين

وأنشد الأزهرى:

الشحط قطاع رجاء من رجا ... شحط الدار تشحط شحطًا وشحطًا

وشحوطًا: بعدت، الجوهرى: شحط المزار أى بعد، وأشحطته أبعدته. انظر لسان العرب ٢٢٠٧.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، فأبيع الرطل من لحم الضأن بدرهم ونصف، والرطل من لحم البقر بدرهم وثمن.

وفى سابع عشر شهر جمادى الأولى: قدم الأمير قُطلوبغا المنصورى من الشام، باستدعاء.

وفى يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: خرج قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن أبى العز من القاهرة عائدا إلى دمشق، من غير أن يعلم به أحد، شبه الفأر، وذلك أنه لم تعجبه القاهرة ولا أهلها، فكان إذا دخل عليه أحد وجلس، قال نقيب الحكم «بسم الله» يشير إليه أن قم فينفض من فى مجلسه، وأكثر من التضجر والقلق، ومازال يسأل فى الإعفاء، وأن يستقر ابن عمه صدر الدين عوضا عنه، حتى أجيب، فاغتنم ذلك وسافر.

وفى نصفه: قبض على الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وأدخل قاعة الصاحب على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، فاختفى، ولم يقدر عليه، فأوقع الملكى الحوطة على داره، وقبض على أتباعه ومعارفه، وصادرهم، ونودى عليه بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاه، وجاء المالكى ليهدم داره، بالقرب من الجامع الأزهر فلم يتهيأ له ذلك، فإنه وجد بها محرابا، فصارت مدرسة إلى اليوم.

وفى يوم الأربعاء رابع شهر رجب: قدم صدر الدين على بن على بن محمد بن محمد أبى العز الحنفى من دمشق باستدعاء، فخلع عليه من الغد يوم الخميس خامسه، واستقر فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين عبد الوهاب بن كمال الدين أحمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر الأخنائى، واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة، بعد وفاة البرهان إبراهيم الأخنائى، وخلع على الأمير قطلوبغا المنصورى، واستقر حاجب الحجاب، وسافر ركب الحجاج الرجبية على العادة

وفى أول شعبان: قدم الأمير آشقتمر نائب حلب بهدية جليلة، قدمها للسلطان، فقبلها.

وخلع على ابن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية، عوضا عن جَركتَمُر المنجكى بعد وفاته، وعلى الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى، واستقر مقدم المماليك بعد وفاة افتخار الدين ياقوت الشيخى، وعلى الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى مقدم القصر، واستقر مقدم الأسياد ولدى السلطان بإمرة عشرة، عوضا عن مختار شاذروان.

وقدمت رسل صاحب اصطنبول بهدية فيها صهرج عمل بحركات هندسية، فإذا مضت ساعة من الليل والنهار خرجت تماثيل بنى آدم، وضربت بصنوج فى أيديها، وأنواع من آلات الملاهى معها، وإذا مضت درجة سقطت بندقة.

وفى خامس عشره: سافر الأمير أشقتمر على نيابة حلب بعد ما خلع عليه، وقدم صاحب سنجار بعد ما سلمها لنواب السلطان، فخلع عليه وأكرم، وخرج الأمير أرغون العثمانى لإحضار الأمير بيدمر نائب الشام.

وفى خامس عشرينه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن على بن الطواشى، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن القرشى بعد وفاته، وخلع على علم الدين يحيى كاتب الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى بعد ما أسلم، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن القرشى، وخلع على شمس الدين محمد الدميرى المحتسب، واستقر فى نظر الأحباس، عوضا عن القاضى القرشى.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير طيبغا الصفوى، واستقر لالا إخوة السلطان، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قرطاى الكركى، واستقر فى ولاية قوص، عوضا عن ركن الدين عمر بن المعين.

وفى تاسع شهر رمضان: خلع على شرف الدين أحمد بن على[1]، ابن منصور، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين على بن أبى العز، وسافر ابن أبى العز إلى دمشق، وخلع على مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن شرف الدين أحمد بن منصور.

وفى تاسع عشرينه: قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه هدية للسلطان لم يعهد مثلها للنائب قبله، منها مائتان وخمسون فرسا، وأهدى لجميع الأمراء والأعيان عدة هدايا، ونزل بالميدان الكبير على النيل، حتى سافر فى ثالث عشر شوال بعد ما خلع عليه.

وفى ليلة السبت ثالث عشرينه: طلق السلطان نساءه الثلاث، وهن خوند صاحبة القاعة ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكزبغا، وابنة الأمير طغاى تمر النظامى.

---

(١) أحمد بن على بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين بن منصور الحنفى: قاضى درس وأفتى، مولده ووفاته فى دمشق. ولى قضاءها، فطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام وعاد إلى دمشق ودفن هناك وله «التحرير» اختصر به «المختار». انظر الدرر الكامنة ٢٢١/١ والشذرات ٢٧٣/٦ وكشف الظنون ١٦٢٢ ورفع الإصر ٨٩/١ - ٩١ والأعلام ١٧٦/١، ١٧٧.

وقدم ابن عرام نائب الإسكندرية باستدعاء، وقدم طيدمر البالسى من القدس باستدعاء، وظهر الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من اختفائه، فخلع عليه، واستقر فى نظر البيوت.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين ذى القعدة: عزل الملكى من الوزارة، وخلع من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه على أمين الدين أمين، واستقر فى نظر الدولة، بغير وزير، فانفرد الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص بالتدبير، وخلع عليه، واستقر مشير الدولة، وخلع على أمين الدين جعيص، واستقر مستوفى الدولة.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وأن الغرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم، وأبيع الخبز بحلب كل رطل حلبى بستة دراهم، والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، وعم الغلاء ببلاد الشام كلها، حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها.

وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، صهره سرى الدين محمد ابن قاضى المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على المسلاتى فى الحكم بالقاهرة، بعد ما انتقل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعى، واستقر البرهان أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى، فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مزهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فضل الله بعد وفاته.

وكان أمير الحاج فى هذه السنة الأمير بورى الخاصكى، فخرج على الحاج بطريق المدينة النبوية قطاع الطريق، وقتلوا منهم طائفة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الهذبانى الأخناى المالكى، فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر رجب، وكانت مدة ولايته قضاء خمس عشرة سنة.

وتوفى ناظر بيت المال برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين الحلى، فى يوم الأربعاء خامس المحرم.

وتوفى الفقير المجذوب المعتمد أحمد بن عبد الله، ويسمى مسعود، بخط المريس فيما بين القاهرة ومصر، يوم الخميس تاسع شهر رمضان، كان أسود اللون، ويؤثر عنه كرامات، وربما غاب عقله مدة ثم حضر.

وتوفى كاتب السر بدمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، وقد أناف على الثلاثين.

ومات الأمير أرغون المحمدى الآنوكى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر البوبكرى، أحد أمراء الألوف، فى يوم الأربعاء خامس المحرم، وإليه تنسب المدرسة البوبكرية[١] بالقاهرة.

ومات الأمير جركتمر المنجكى أمير مجلس، وقد ولى قلعة المسلمين[٢] حتى مات بها.

ومات الأمير طقبغا العمرى، أحد الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبد الله يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق، بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، فى يوم الأحد ثالث جمادى الأولى، بخلوته من سطح جامع الحاكم، وكانت له جنازة عظيمة جدا، ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة. كان فقيها شافعيا صاحب فنون، قدم من مكة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة إلى القاهرة، وأخذ الفقه عن التقى السبكى والعلاء القونوى، والنحو عن أبى حيان، والأصفهانى، وعاد إلى مكة بعد سبع سنين، ثم قدم منها بعد سنتين إلى البلاد الشامية، سمع من جماعة كالبرهان بن سباع، وابن عبد الدايم، ثم استوطن القاهرة، ودرس الحديث بالمدرسة المنصورية، وباشر عدة وظائف تنزه عنها، وانقطع للعبادة بسطح الجامع الحاكمى حتى مات، وليس له نظير فى حفظه ودينه.

وتوفى كمال الدين أبو حفص عمر بن التقى إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى، الفقيه الشافعى المحدث بحلب، وقدم إلى القاهرة.

---

(١) المدرسة البوبكرية: تقع هذه المدرسة بجوار درب العباس قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة، وقفها الأمير أسنبغا على الفقهاء الحنفية سنة ٧٧٢هـ. انظر المقريزى.

(٢) قلعة المسلمون: يقصد بهذه القلعة قلعة الروم وهى غربى الفرات مقابل البسيرة بينهما وبين سميساط. (انظر معجم البلدان).

وتوفى زين الدين عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أمين الدولة، الحنبلى الحلبى، عن بضع وستين سنة، بحلب، وقدم إلى القاهرة.

ومات الشريف عجلان بن[١] رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد على بن الحسن ابن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجور بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، عليهم السلام، بعد ما ولى إمارة مكة شريكا لأخيه ثقبة، ثم انفرد بالإمارة بعد موت أخيه، حتى رغب عنها لولده أحمد بن عجلان، واعتزل حتى مات فى ليلة الإثنين حادى عشر جمادى الأولى.

وتوفى قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن سديد الدين أبى محمد عبد البر ابن القاضى صدر الدين أبى زكريا يحيى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام ابن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان الأنصارى السبكى الشافعى، فى يوم الخميس ثانى عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده سنة سبع وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن خطيب بيروت الدمشقى الشافعى، فى شوال بدمشق، ومولده سنة إحدى وسبعمائة، قدم القاهرة وسكنها مدة، ودرس بالشافعى، وولى قضاء المدينة النبوية.

وتوفى كمال الدين محمد بن زين الدين أبى القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبى بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وهو أخو شيخنا زين الدين طاهر.

وتوفى تقى الدين محمد بن كمال الدين الشهاب محمود، أحد موقعى الدست بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى الشيخ محمد بن شرف عادى - بعين مهملة[٢] - الكلائى الشافعى الفرضى النحوى المقرئ، فى يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب، بالمدرسة القطبية[٣] من القاهرة، ودرس الفرائض زمانا، وصنف فيها، ومَهُر به جماعة.

---

(١) عجلان بن رميثة. معجم الأعلام جـ٤.

(٢) محمد بن شرف عادى القرشى الزبيرى، شمس الدين الكلائى: فرضى، من فقهاء الشافعية. له «القواعد الكبرى - خ» فى الفرائض على المذاهب الأربعة و(الجامع الصقيد فى النحو - خ). انظر الدرر الكامنة ٤٥٢/٣ وفهرست الكتبخانة ٣١٣/٣ و٣١٥ وإيضاح المكنون ٢٤٣/٢ والأعلام ١٥٧/٦.

(٣) هناك مدرستين بهذا الاسم: الأولى فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى، والثانية فى أول حارة زويلة. انظر المواعظ ٣٦٨/٢ وأظن أن المقصود هنا المدرسة الأولى.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قيران الحسامى، أحد الطبلخاناه.

وتوفى صلاح الدين محمد بن صوره، مدرس المعزية، بمدينة مصر، وأحد نواب الحكم الشافعية، فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين ربيع الآخر.

وتوفى قاضى الإسكندرية كمال الدين التنسى المالكى، أحد فقهاء المالكية، فى يوم الإثنين عاشر المحرم بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن القرشى موقع الدست، وناظر الأحباس، وناظر الخزانة الكبرى، فى يوم الإثنين حادى عشرين شعبان.

وتوفى التاجر ناصر الدين محمد بن سلام الإسكندرى بها، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رجب.

وتوفى الشريف نجم الدين حمزة بن على بن محمد بن أبى بكر بن عمر، أحد نواب المالكية، وهو عائد من الحج بمنزلة رابغ[1] فى ذى الحجة.

وتوفى موقع الحكم علم الدين صالح بن أحمد بن عبد الله الإسنوى فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة جليلة، ورزق حظا وافرا من الأمراء وغيرهم بغير علم،وفيه قيل وقد ولى إعادة:

ومعيد لو كتبت له حروفا ... وقلت أعد على تلك الحروف

لقصر فى إعادته عليها ... فكيف يعيد فى العلم الشريف

وتوفى تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى الأسلمى ناظر الذخيرة، فى نصف شوال، وإليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب تجاه باب الخوخة من ظاهر القاهرة، وكان مشكورا فى مسالمة الكتاب.

وتوفى الأمير خليل بن الأمير أرغون الكاملى، فى ثانى عشرين رجب.

وتوفى شيخ الكتاب المجودين بالقاهرة، شهاب الدين غازى بن قطلوبغا التركى، فى يوم الثلاثاء تاسع رجب، وقد تصدى لتعليم الناس كتابه المنسوب دهرا طويلا، وتخرج به جماعة، وكتب على محتسب مصر شمس الدين محمد بن أبى رقيبة، وكتب ابن أبى رقيبة على ابن العفيف.

وتوفى شمس الدين محمد بن سالم بن عبد الرحمن الجبلى الدمشقى الحنبلى الأعمى،

---

(١) رابغ واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. انظر معجم البلدان.

والد شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى، في يوم السبت سادس عشرين شعبان، وقد درس الفقه بمدرسة حسن وغيرها.

وتوفي نور الدين على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني، الشهير بابن حجر. والد أخينا في الله الحافظ شهاب الدين أبى الفضل قاضى القضاة أحمد بن حجر الشافعي، في يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، وكان تاجرا بمدينة مصر، تفقه للشافعي وحفظ كتاب الحاوى، وأخذ الفقه عن البهاء محمد بن عقيل، وقال الشعر، وكثر فضله وأفضاله، ومن شعره يشير إلى صناعة أبيه فإنه كان يبيع البز(١) بالإسكندرية.

إسكندرية كم ذا ... يسمو قماشك عزا
فطمت نفسى عنها ... فلست أطلب بزا

وتوفى الطواشى افتخار الدين ياقوت الشيخى مقدم المماليك.

وتوفيت خوند ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، زوجة السلطان.

* * *

---

(١) البز: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البز من الثياب أمتعة البزاز، وقيل: البز متاع البيت من الثياب خاصة؛ قال:

حسن بيت أهرًا وبزا ... كأنما لز بصخر لزا

والبزاز: بائع البز وحرفته البزازة؛ وقوله أنشده ابن الأعرابي:

شمطاء أعلى بزها مطرح

يعنى أنها سمنت فسقط وبرها، وذلك لأن الوبر لها كالثياب انظر المعجم الوسيط.

المحتويات

السلوك
لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الخامس

سنة ٧٧٨ هـ - ٨٠١ هـ

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثمان وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: وقف صوفية خانكاة سعيد السعداء إلى السلطان وشكوا من شيخهم جلال الدين جار الله، فرسم بعزله، وعين لمشيختها علاء الدين السرانى، وكان بالحجاز.

وفيه طلب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة دوادار الأمير آقتمر الحنبلى نائب السلطان، وأنكر عليه، ونهره فى مجلس حكمه، ووضع من أستاذه بسبب ما يجرى من أحكامه بين الناس، فإنه بلغه عنه أنه ضرب رب دين بحضرة مديونه، فترقق له وتلطف به فى المداراة حتى خلص من مجلسه، وقد ملئ قلبه منه خوفا.

وفيه أخرج الوزير المالكى إلى الكرك منفيا، وخرجت النجب[1] فى أول صفر إلى مكة إحضار الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام، وكان قد جاور بها.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الشريف بَكْتَمُر، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير على خان، وخلع على الأمير بَكْتَمُر السيفى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن حسين بن الكورانى، وأنعم على الأمير أروس النظامى، بإمرة فى حلب.

وفى يوم الخميس ثامن عشر ربيع الأول: أعيد الأمير حسين بن الكورانى إلى ولاية القاهرة بعد وفاة الأمير بكتمر.

وفى أوائل هذا الشهر: انقطع مقطع من الخليج قريبا من قناطر الأوز؛ سببه أن شهاب الدين بن أحمد بن قايماز - أستادار ابن آقبغا آص الأستادار - عمَّر بركة بجوار الخليج من شرقيه؛ ليجتمع فيها السمك، وفتح لها من جانب الخليج كوة يدخل منها الماء، فقوى الماء واتسع الخرق حتى فاض الماء وأغرق ما فى تلك الجهة من الدور فى يوم الجمعة تاسعه، فخربت عدة حارات كان فيها ما ينيف على ألف دار، وصارت ساحة، وتعب الأمير حسين بن الكورانى تعبا كبيرا حتى سد المقطع خشية أن تغرق الحسينية بأسرها، وأنفق فيها زيادة على ثلاثة آلاف درهم فى ثمن أخشاب ونحوها، واستمرت تلك الديار خرابا إلى يومنا، وعمل موضع بعضها بساتين، وموضع بعضها برك ماء.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: قدم الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من الحجاز.

---

(١) النجب، ومفرده نجيب من الإبل ويقال ناقة نجيب ونجيبة. انظر القاموس المحيط.

وفى أخريات هذا الشهر: استجد السلطان عدة خاصكية من مماليكه، وأسكنهم فى بيت الأمير أنوك بجوار باب الدار من القلعة، وقدم عليهم الطواشى شرف الدين مختص الأشرفى، وأمره أن يوقفهم بين يديه، ولا يدع أحدا منهم يجلس، فصاروا مضافيه(١)، منهم الأمير بشتاك عبد الكريم الخاصكى.

وفى مستهل شهر جمادى الأولى: رسم بإبطال ضمان المغانى، والأفراح بجميع أعمال مصر من أسوان إلى العريش، وكان قد أعاده وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه، فإن العرس ما كان يتهيأ حتى يغرم أهله للضامنة خمسمائة درهم فما فوقها، بحسب حال أهل العرس، ولا تقدر امرأة وإن جلت تنتقش إلا بإطلاق من الضامنة، ولا يضرب بدف فى عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق، وعلى كل إطلاق فريضة مال مقررة فى الديوان، وكان على كل مغنية قطيعة تحملها إلى الضامنة، فإن باتت فى غير بيتها قامت بمال للضامنة، وتدور فى كل ليلة على بيوت المغانى جماعة من جهة الضامنة لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها، وكان على البغايا ضرائب مقررة؛ وأما فى بلاد الصعيد والوجه البحرى فإنه يفرد حارات للمغانى والبغايا تقوم كل واحدة منهن بمال مقرر، فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر ما يشنع ذكره، حتى لو مر غريب بتلك المواضع من غير أن يقصد الزنا لألزم بأن يأتى بغيا من تلك البغايا، ويكره على ذلك، أو يفتدى بمال يدفعه إليها، حتى تقوم به مما عليها من الضريبة.

وأبطل السلطان أيضًا ما أعاده الوزراء من ضمان القراريط بأعمال مصر كلها، فكأن كل أحد من الناس - ولو جل - لا يقدر أن يشترى دارا حتى يؤخذ منه عن كل ألف درهم من ثمنها عشرون درهما، فإذا أدى ما عليه من ذلك طبع له على رق طبع أحمر شبه دائرة، وعلم حولها مباشر هذا الديوان علاماتهم، فيشهد بعد ذلك العدول فى هذا الرق بقضية التتابع، ومتى لم يكن هذا فى الرق لا يقدر العدول، وإن جلوا عن كتابة المبايعة، خوفا من أن يُنَكل النكال بهم العظيم.

وفى هذا الشهر: كان تحويل مغل سنة سبع وتسعين لديوان السنين.

وفيه كان الوفاء فى خامس عشر مسرى، وبلغت زيادة النيل ثمانية أصابع من عشرين ذراعا، وثبت حتى خيف فوات الزرع، ثم هبط.

وعزم الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص على إعادة ضمان المغانى، فغضب من ذلك قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وامتنع من الحكم، وحضور دار

---

(١) المضاف: الملزق بالقوم والمقصود أنهم صاروا مرتبطين به.

العدل، فاستدعاه السلطان وسأله عن امتناعه من الحكم، فقال: «بلغنى أن ضمان المغانى أعيد وهذا يوجب الفسق». فحلف له السلطان أنه ما أمر بإعادته، ولا عنده منه علم، وبعث إلى ابن آقبغا آص يعلمه بذلك، فاعتذر بعذر غير طائل، فرسم بإبطاله، وكتب بذلك تواقيع قرئت على الناس وسيرت إلى النواحى، فبطل ذلك ولم يعد، ولله الحمد، وتنكر السلطان على ابن آقبغا آص، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه خرج البريد بطلب الأمير آقتمر عبد الغنى نايب صفد، فلما قدم أنعم عليه بتقدمة ألف، وأنعم على الأمير حاجى بن الأمير أيدغمش بإمرة بحلب، وأخرج إليها.

وفى أول جمادى الآخرة: خلع على الأمير مَلكْتمر من بركة، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن تمرباى الدمرداشى، ونقل تمرباى إلى نيابة صفد، عوضا عن آقتَمُر عبد الغنى، فدخل صفد فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص الاستادار، وأحيط بموجوده بمصر والشام، وأمر بنفيه وولده إلى طرسوس، فلم يزل الأمراء بالسلطان حتى رسم أن يستقر بالقدس بطالا فسار إليها من يومه، ولحق به ابنه من الغد، هذا مع شدة تمكنه من السلطان، وكثرة اختصاصه به، حتى أنه كان يقول لولده فى الملأ إذا دعاه «سيدى محمد».

وفيه خلع على الوزير المالكى، بعدما أحضر، وأعيد إلى الوزارة مرة ثالثة، وقبض على ناظر الدولة أمين الدين أمين، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة أياما، ثم أفرج عنه.

وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أيبك ألفافا أمير آخور منفيا إلى الشام، وأنعم بإقطاعه على الأمير قرابغا.

وفى هذا الشهر: بدت الأمراض بالحميات فى الناس، واستمرت إلى آخر شعبان، فمات خلق كثير.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رجب: خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه، بسؤال عدة من الأشراف ولايته.

وفى يوم الخميس سادسه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم يعهد دورانه فيما سلف قبل النصف من رجب، وكان الناس فى شغل عنه بكثرة الأمراض، وفيه رسم السلطان بتجهيزه للسفر إلى الحجاز، فبينما هم فى عمل أهبة السفر إذ مرض السلطان مرضا شديدا حتى أرجف بموته غير مرة ونكس عدة نكسات، اتهم فيها أطباؤه

بموافقتهم بعض الأمراء على هلاكه، فقام بعلاجه شيخنا زكى الدين أبو البركات محمد الفقيه المالكى، وشيخنا جلال الدين جار الله، وهو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ قطب الدين أبى عبد الله محمد بن شرف الدين أبى البقاء محمود النيسابورى الحنفى، حتى تم برؤه.

وفى أثناء ذلك ألزم بعض أمراء الدولة قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحنفى أن يحكم له باستبدال بعض الدور الموقوفة بملك أحسن منه، على مقتضى مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وكان الاستبدال بالأوقاف حينئذ غير معمول به فى مصر والشام، يتركه قضاة الحنفية تنزها وتحرجا، لما فيه من الخلاف، فامتنع ابن منصور من الاستبدال للأمير، فلما ألح عليه فى ذلك عزل نفسه فى يوم الأحد تاسعه، فتحدث لجار الله بعض من يعنى به مع السلطان فى ولاية القضاء، وهو إذ ذاك مقيم عند السلطان ليعالج مرضه، فأجاب إلى ولايته، وخلع عليه فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه، واستقر عوضا عن شرف الدين بن منصور.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه: عوفى السلطان من مرضه وعبر الحمام، وصلى بجامع القلعة على العادة، فدقت البشائر ثلاثة أيام، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا زينة عظيمة، ونثر على السلطان لما خرج إلى الجمعة ذهب كثير، فانتكس بعد يومين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان: أخرج السلطان إخوته وبنى أعمامه ذرية قلاوون بأجمعهم، ومعهم حرمهم إلى مدينة الكرك، وكان الوقت شتاء باردا، فتألم الناس لذلك، وسار بهم الأمير سودُن الشيخونى، هذا والسلطان مريض وحركة السفر مستمرة.

وفى سادس عشرينه: أنعم على كل من الأمير يلبغا المنجكى والأمير مُغْلَطاى البدرى بإمرة طبلخاناة، وعلى كل من قُطْلوبُغا البزْلارى وطَشْتَمُر المحمدى اللفاف وألطنبغا العلائى بإمرة عشرة.

وفى سابع عشرينه: خلع على الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى، واستقر منهم المماليك، عوضا عن مختار شاذروان بعد موته، وأنعم على الأمير فخر الدين إياس الصَرْغتمشى بإمرة طبلخاناة، واستقر أستادارا ثانيا.

وفى يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان: عزل الأمير أقتمر الحنبلى من نيابة السلطنة، واستقر أميرا كبيرا يجلس بالإيوان وقت الخدمة، وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، واستقر حاجب الحجاب، وأبطلت النيابة، وخلع على الأمير بلوط الصَرْغَتمشى

أمير مشوى، واستقر شاد الشرابخاناة، وأنعم على الأمير علم دار بتقدمة ألف، وقد قدم من دمشق باستدعاء.

وفى ليلة الإثنين خامس عشره: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التى يعمرها تحت القلعة، فتلف بها ما شاء الله من آلات العمارة، وتفاءل الناس بذلك على السلطان، وكان كذلك وقتل كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، ثم تعطلت سنين، إلى أن خربها كلها الناصر فرج بن برقوق، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفى هذا الشهر: ارتفع الوباء، وعوفى السلطان وركب إلى السرحة بالجيزة[١] وعاد إلى قلعة الجبل، وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج، وخرجت الإقامات من الشعير والدقيق والبشماط لتوضع فى المنازل بطريق مكة.

وفى رابع شوال: خلع على الأمير مُغْلطاى الجمالى، واستقر فى [...][٢] عوضا عن جرحى البالسى بعد موته، وخلع على الشريف عاصم، واستقر فى حسبة مصر والوجه القبلى بعد وفاة شمس الدين محمد بن أبى رقيبة.

وندب الأمير أقتمر الحنبلى أن يخرج إلى بلاد الصعيد، ومعه عدة من الأمراء والأجناد، ويقيم به لحفظه مدة غيبة السلطان بالحجاز، وندب إلى الثغور - مثل الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس[٣] - جماعة من الأمراء والأجناد يكونوا مركزين بها لدفع العدو من الفرنج، وندب عدة أمراء للمبيت كل ليلة فى أماكن عينت لهم من خارج القاهرة ومصر، ورتب الأمير أيدمر الشمسى للإقامة بقلعة الجبل لحفظها، وجعل نائب الغيبة بالقاهرة الأمير أقتمر عبد الغنى، ورسم له ولجميع الأمراء المقيمين أن حضروا فى أيام المواكب الخدمة عند باب الستارة[٤] من القلعة، ويقبلوا أيدى ولدى السلطان، ويقفوا ساعة لطيفة، ثم يقوم أمير على ابن السلطان من مجلسه ويقول للأمراء بيده «بسم الله» فينصرفوا بعد أن يُسقوا مشروبا.

ولما قوى العزم على السفر أشار على السلطان جماعة من أهل الصلاح بألا يسافر، فلم يقبل وصمم على السفر ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وخرجت أطلاب الأمراء فى يوم السبت ثانى عشره بتجمل عظيم إلى الغاية، وأناخوا ببركة الحجاج، وخرج من الغد يوم الأحد ثالث عشره طلب السلطان، وفيه من الحرير والذهب ما لا يقدر على وصفه،

---

(١) الجيزة: سبق ترجمتها. معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣٩٢/٣، وخطط المقريزى ٢٠٥/١.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) البرلس. انظر معجم البلدان جـ٢.

(٤) باب الستارة أحد أبواب القلعة. (انظر ج٣/٣٧١).

وتفنن الغلمان فى حسن ترتيبه وتأنقوا فيه، وأبدوا من صنائعهم العجائب والغرائب، فجروا أولا عشرين قطارا من الرواحل بقماش من ذهب أكوارها وعرقياتها وحطمها[١] ومياثرها حرير مزركش غطس، وخمسة عشر قطارا من الرواحل بعبى حرير، وقطار رواحل قماشها أسود خليفتى، وقطار رواحل قماشها أبيض برسم الإحرام ومائة فرس عليها من السروج والكنافيش والعبى ما يجل قيمته، وكجاوتين[٢] وتسع محفات أغشية، الكجاوتين مع خمس محفات حرير كله زركش غطس، وأربع محفات دونها، وستة وأربعين جملا محاير بغشية الحرير، وخزانة المال على عشرين جملا، وقطارين تحمل البقل والثمار والنعناع والسلق والكزبرة، المزروع ذلك فى محاير.

ومن أحمال المطابخ والمشارب وأنواع المآكل الملوكية ما لا يدخل تحت حصر، منها ثلاثون ألف علبة حلوى زنة ما فى كل علبة خمسة أرطال، فيكون ذلك مائة ألف وخمسين ألف رطل، وجميعها قد عملت من السكر النقى، وطيبت بمائة مثقال من المسك، سوى الصندل والعود، وعمل الأمراء من الحلوى مثل ذلك وأما الأجناد والأعيان فلم ينحصر ما عملوه من هذا الصنف، فانظر عظمة بلد يعمل فيه للسلطان وأمراؤه فى شهر واحد ثلاثمائة ألف رطل وستين ألف رطل من السكر، سوى من دونهم ولعله نظير ذلك، ولم يعز مع هذا وجود السكر، بل ولا غلا سعره، فقد أدركنا وعلمنا صحته، وحمل معه عدة من أرباب الملاهى والمخايلين[٣]، فأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج. وكان لمشاهدة هذا الطلب يوما مشهودا، ومنظرا بديعا، يتعذر حكايته ووصفه، زادت فيه سعادة الدولة.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: خلع على الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى، واستقر فى مشيخة المدرسة الأشرفية، ولقب بشيخ الشيوخ، وأبطل هذا اللقب من متولى مشيخة خانكاة سرياقوس، فسكنها، ودرس بها قبل أن تكمل عمارتها.

وفيه أمر بسد باب القلعة مما يلى القرافة، فسد، وأوصى السلطان مماليك ولديه

---

(١) الحطم: والحطمية: دروع تنسب إلى رحل كان يعملها، وكان لعلى، رضى الله عنه، درع يقال لها الحطمية، وفى حديث زواج فاطمة، رضى الله عنها: أنه قال لعلى أين درعك الحطمية؟ هى التى تحطم السيوف أى تكسرها، وقيل: هى العريضة الثقيلة، وقيل: هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع، قال: ولهذا أشبه الأقوال. فربما قصد بها العريضة أو الدروع أو الكسوة. انظر لسان العرب ٩١٧.

(٢) الكجاوى: هودج النساء. انظر النجوم ١/٧٠.

(٣) المخايلون: هم أرباب الخيال أى خيال الظل وكانت من الألعاب الشائعة فى ذلك الوقت. انظر سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك سنة ١٠٥ - ١٠٦.

بهما، وبحفظ القلعة، وعهد إليهم أنه إن أصابه الموت فولده أمير على هو السلطان من بعده.

وركب من قلعة الجبل وسار إلى سرياقوس[1]، فبات بقصوره منها ليلة الثلاثاء، ونزل إلى بركة الحجاج، فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، ورحل منها بكرة النهار ومعه من أمراء الألوف أرغون شاه الأشرفى، وبهادر الجمالى أمير آخور، وصرغتمش الأشرفى، وبيبغا السابقى، وصراى تمر المحمدى، وطَشتَمُر العلاى الدوادار، ومبارك الطازى، وقطلو أَقْتَمُر العلاى الطويل، وبشتاك عبد الكريم الأشرفى، ومن أمراء الطبلخاناة جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب، وأَيَدمُر الخطاى، وبورى الأحمدى، وبلوط الصرغتمشى، وأروس المحمودى، ويلبغا المحمدى، ويلبغا الناصرى، وأرغون العزى الأفرم، وطغاى تمر الأشرفى، ويلبغا المنجكى، وكزل الأرغونى، وقُطْلُوبغا الشعبانى، وأمير حاج بن كغلطاى، وعلى بن الأمير منجك ومحمد بن الأمير تنكز بغا، وتمر باى الحسنى، وأَسْندَمُر العثمانى، وقَرابُغا الأحمدى، وإينال اليوسفى، وأحمد ابن الأمير يلبغا الخاصكى، وموسى بن دنْدار بن قرمان، ويدى بن قرطقا بن سيسون، وبكتمر العلمى، ومُغلطاى البدرى، ومن أمراء العشرات سُنْقُر الجمالى، وأحمد بن محمد بن لاجين، وأَقْبُغابوز الشيخونى، وأَسَنْبُغا التَلَكى، ومحمد بن بَكْتَمُر الشمسى، ومحمد بن قطلوبغا المحمدى، وجوبان الطَيْدَمُرى، وألطنبغا عبد الملك، وقُطلوبُغا البزلارى، وطوغان العمرى، وتَلَكْتَمْر العيسوى، ومحمد بن سُنْقر المحمدى، وخضر بن عمر بن أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى، ومنجك الأشرفى، ومعه قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة الشافعى، وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب الأخناى المالكى، وسراج الدين عمر البلقينى قاضى العسكر، وتوجه أيضًا الخليفة المتوكل على الله، وكاتب السر بدر الدين محمد ابن فضل الله، وناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن، وتأخر قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى بالقاهرة.

فلم يزل السلطان سائرا بمن معه حتى نزل من عقبة أيلة، وأناخ على البحر فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، ونزل بقية الحاج من الغد يوم الأربعاء آخره.

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة: انتدب لإثارة الفتنة بالقاهرة أَينَبك البدرى، وأسندمر الصرغتمشى، وقُرُطاى، وطَشْتَمُر اللفاف، ومشواحين تأخر بالقلعة

---

(١) سرياقوس فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

من المماليك السلطانية، وفى مماليك الأسياد ولدى السلطان، وفى مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان، وفى جماعة من المماليك البطالة وواعدوهم جميعا على القيام معهم، ووعدوهم بأن ينفقوا فيهم خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم، لكل واحد منهم، فمالوا إليهم وتحالفوا جميعا على الاتفاق، وركبوا بآلة الحرب.

ونزل المماليك السلطانية الذين بالطباق من قلعة الجبل، وصعد الذين كانوا أسفل القلعة إليها، وصار الجميع بباب الستارة، وفى داخله الطواشى سابق الدين مثقال زمام الدور، والأمير جلبان لالا الأسياد، والأمير أقبغا جركس اللالا، فأغلقوا باب الستارة، وأخذ القوم يطرقون عليهم الباب، ويطلبون أمير على ابن السلطان، ويقولون: «قد مات السلطان ونحن نريد نسلطن ابنه أمير على». فقيل لهم: «من كبيركم حتى نسلم إليه ابن السلطان»، فتآمروا فيما بينهم ساعة وجمعهم يكثر، ثم كسروا شباك الزمام المطل على تلك الجهة وصعدوا منه فنهبوا ما فى بيت الزمام، ونزلوا إلى رحبة باب الستارة وقبضوا على الطواشى مثقال الزمام، وعلى الأمير جلبان، ودخلوا من باب الستارة بأجعهم، وأخرجوا أمير على، وأجلسوه بباب الستارة، وأحضروا الأمير أَيْدَمُر الشمسى، وألزموه بتقبيل الأرض، فقبلها، وأركبوا أمير على إلى الإيوان المعروف بدار العدل، وأجلسوه على تخت الملك، ولقبوه بالملك العادل.

فتأخر ناظر الخاص شمس الدين أبو الفرج المقسى فى داره عن الطلوع إلى القلعة، خوفا من المماليك، فإن رءوس النوب وأكابر المماليك طلبوا منه أن يصرف لهم ولبقية المماليك رواتبهم من الدراهم واللحم ونحو ذلك، فمطلهم بالصرف وهم يلحون فى الطلب، فنهرهم، وقال: «ما لكم عندى شيء حتى يجيء أستاذكم خذوا منه».

وطلع ناظر الدولة أمين الدين أمين، ومعه مقدم الدولة الحاج سيف، وبقية مباشرى الدولة، فقبض المماليك عليهم ظنا منهم أنه المقسى، وأغلقوا باب القلعة، ووكلوا بناظر الدولة ومن معه عدة من المماليك، ثم نزلوا من القلعة ووقفوا على خيولهم تحتها، وبعثوا طائفة منهم لإحضار المقسى، فلم يظفروا به، فاستدعوا الأمير آقتمر عبد الغنى والأمير أَيْدَمُر الشمسى، والأمير علم دار، وبقية الأمراء، فأتوهم تحت القلعة، وأبوا من طلوعها، فأنزل المماليك أمير على من القلعة إلى الإصطبل، وطلعوا بالأمراء إليه، فقبلوا له الأرض، وحلفوا على العادة، إلا الأمير طَشْتَمُر الصالحى، والأمير بلاط الكبير السيفى، والأمير خطط رأس نوبة، فإنهم لم يوافقوا المماليك على ما فعلوه، فقبضوا عليهم وطلبوا الأمير سيف الدين ألطنبغا أبو قورة، أمير سلاح - وكان قد تأخر عن السفر لمرض به - والأمير طاز، فاعتذرا عن الحضور بالضعف، وأرسلا مماليكهما،

وكان قبل ذلك قد بلغ كل من الأمير سودُن أمير آخور وأمير على بن قَشْتَمُر الحاجب، وأبو بكر بن طاز وأيدمر الشمسى، وأَقْتَمُر عبد الغنى، وعلمدار وطشتمر الصالحى، وبقية الأمراء، أن مماليك السلطان ومماليك الأسياد يريدون إثارة الفتنة والركوب للحرب، فتغافلوا عنهم خوفا على أنفسهم، فلما وقع ما وقع وأتاهم الأمراء، ورسموا عليهم، وأخذوا منهم مماليكهم، وصار دبير القوم أينبك ويشاركه الأمير طشتمر اللفاف، وأَسَنْدمُر الصرغتمشى، وقرطازى، فأمروا أن ينادى فى الناس بالأمان، فنودى فى القاهرة ومصر بين يدى والى القاهرة «الأمان والاطمئنان، افتحو دكاكينكم وبيعوا واشتروا، وترحموا على الملك الأشرف، والدعاء لولده الملك العادل على، ونائبه الأمير أَقْتَمُر الحنبلى»، فكثرت القالة بين الناس، واستمرت الكوسات تدق بالقلعة حربيا، وطبلخاناة الأمراء أيضًا تدق، والقوم وقوف تحت القلعة طول اليوم السبت، وليلة الأحد، وأمير على بالإصطبل.

فلما أصبح نهار الأحد رابعه، غيروا لقب أمير على وجعلوه الملك المنصور، وأخذوا خطوط جميع العلماء والأمراء أنهم رضوا به سلطانا، ونادوا بالقاهرة وأعمالهما ثانيا بالأمان والاطمئنان والدعاء للملك المنصور، وخرج البريد لإحضار الأمير أَقْتَمُر الحنبلى من بلاد الصعيد، وتقسموا الأمريات، فأخذ طشتمر اللفاف تقدمة أرغون شاه رأس نوبة، وأخذ قرطاى تقدمة صرغتمش، وأخذ أَيْنبَك تقدمة بيبُغا السابقى، وأخذ أَسْندمُر الصرغتمشى تقدمة، وأخذ بلاط الصغير تقدمة، حتى عموا من أرادوا منهم بالأمريات.

واستقر الأمير شهاب الدين قرطاى أتابك العساكر، ونصبوا لهم خليفة من بنى عم الخليفة المتوكل، وأقاموا عز الدين حمزة بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله فى وظيفة كتابة السر، حتى يحضر أخوه بدر الدين، وأحضروا ناظر الخاص شمس الدين المقسى حتى فتح لهم خزانة الخاص من القلعة، وأخرج منها تشاريف الأمراء، وخلعهم، وفرقها فيهم، ورتب أحوال المملكة ومد السماط على العادة، وأعطى الرواتب، هذا وهم بالسلاح على الخيول تحت القلعة يترقبون ما يرد من الأخبار فإنهم كانوا قد وعدوا أصحابهم على أن يثيروا الفتنة مع السلطان أيضًا.

فاتفق أن السلطان لما أصبح فى يوم الأربعاء بمنزلة العقبة تجمع المماليك وطلبوا عليق دوابهم، فوعدهم السلطان بصرفه فى منزلة الأزلم[1]، فسألوه أن ينفق فيهم مالا لينفقوه فى غلمانهم، فقال: «ما عندى إلا البشماط والشعير»، فرادوه مرارا حتى نهرهم

---

(١) الأزلم محطة من محطات الحجاج فى الطريق بين القاهرة ومكة المشرفة، بها قلعة خربة. انظر على مبارك الخطط التوفيقية٩/٢٦.

وتوعدهم، فمضوا إلى الأمير الكبير أرغون شاه رأس نوبة وشكوا ما لقيهم من السلطان، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان؛ فانصرفوا من عنده إلى الأمير طشتمر الدوادار، وتنمروا عليه، وقالوا له «إن لم ينفق فينا قتلناه». فقام إلى السلطان وسأله فى النفقة على المماليك، فامتنع، فمازال يراده حتى غضب منه وسبه، وقال له «تحكم على فى مصر وهنا أيضًا»، وهدده، فقام وقد أحدق المماليك بخامه ينتظرونه، فأخبرهم بما كان، وأكثرهم حينئذ شباب ومماليك يَلْبُغا، فهاجت حفائظهم، وتحركت أحقادهم، وتواعدوا على قتل السلطان وخاصكيته، ولبسوا السلاح، وأتوا إلى الأمير طَشْتَمُر وتوعدوه بالقتل إن لم يوافقهم، فألبس مماليكه السلاح، وركب معهم هو والأمير مبارك الطازى، والأمير صراى تمر المحمدى، والأمير قطلو أقتمر الطويل العلاى، وقصدوا السلطان، وكان فى خامة يتحدث مع خاصكيته، وإذا بضجة، فبعث من يكشف له الخبر، فقيل قد ركب المماليك، فأمر من عنده بلبس السلاح، فما تم كلامه حتى هجموا على الخام، وقطعوا الأطناب[1]، فأمر بالشموع فأطفئت، وخرج السلطان بمن معه هاربا، وهم الأمير أرغون شاه، والأمير صَرْغَتْمُش، والأمير بَيْبُغا السابقى، والأمير بشتاك الخاصكى، والأمير أرغون العزى، والأمير يَلْبُغا الناصرى، والأمير أَلْطُنبغا فرفور، والأمير طَشْبُغا رأس نوبة، وذلك فى ليلة الخميس، وقد أعد الأمير قازان أمير آخور للسلطان ما يركبه هو ومن معه من مراكب الخاص، فركبوا وطلبوا جهة القاهرة، وليس مع كل واحد منهم سوى مملوك واحد، حتى قطعوا العقبة، فإذا بمقدم الهجانة محمد بن عيسى ومعه نحو اثنى عشر هجينا، فنزل السلطان عن فرسه، وركب منها وأركب من معه بقيتها، وساروا حتى أتوا قبة النصر خارج القاهرة، فى يوم الأحد ثانى يوم قيام المماليك بالقلعة، فسمعوا دق الكوسات حربيا، فرابهم ذلك، وبعثوا لكشف الخبر، وتوجه السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصرى نحو الجبل، ودخل بقية الأمراء قبة النصر، وناموا، فبينما المماليك راكبين تحت القلعة، إذ قبض بعد الظهر على رجل متنكر اسمه قازان ممن قدم مع السلطان، فأتى به إلى أكابرهم فعرفهم خبر وقعة العقبة، ودلهم على موضع السلطان، فتوجه الأمير أَسَنْدَمُر الصرغتمشى، وطولوا الصرغتمشى فى جماعة إلى قبة النصر، فذبحوا الأمير أرغون شاه، والأمير صرغَتْمُش، والأمير بيبغا السابقى، والأمير بشتاك، والأمير أرغون العزى الأفرم، وأتوا برءوسهم إلى تحت القلعة وهم يقولون «صلوا على محمد»، ثم دفعوا الرءوس إلى أهلها، فذهبوا إلى جثث الأمراء الخمسة وواروها معها.

وقد اضطرب الناس بالقاهرة، وأغلقوا ما فتح من الحوانيت، وكثر تخلقهم للحديث

---

(١) الطنب وجمعه أطناب، حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد. (انظر القاموس المحيط).

فى أمر السلطان والقائمين بالدولة، ونودى بالقاهرة ومصر على السلطان، وتوعد من أخفاه، فاضطرب الناس، وباتوا ليلة الإثنين على تخوف وقلق شديد، فلما طلع نهار الإثنين، قبض على محمد بن عيسى، وسئل عن السلطان، فذكر أن آخر علمه به أنه فارق الأمراء، ومضى هو ويلبغا الناصرى.

وأما السلطان فإنه لما أخذ نحو الجبل ومعه الناصرى قعد لحاجة، وإذا بالخيل قد أتت إلى قبة النصر فى طلبه، فاختفى هو والناصرى حتى جنهما الليل، فخرج به الناصرى، وسار إلى بيت أستاداره، فآواهما وحدثهما بقيام المماليك، وما كان منهم وذبح الأمراء، فاشتد خوف السلطان، وخرج من ليلته بمفرده من بيت أستادار الناصرى، وقصد بيت آمنة امرأة المشتولى بحارة المحمودية[1] من القاهرة، وبات عندها بقية ليلة الإثنين، وأصبح كذلك إلى آخر النهار، فمضت امرأة وأعلمت القائمين بالدولة بمكانه، فركب الأمير قرطاى فى عدة وافرة، وأتوا بيت آمنة، وقبضوا عليها وأرهبوها، فأشارت إلى بادهنج[2] البيت، فوجدوا السلطان قد لبس ثياب النساء، واختفى فيه، فأخذوه وألبسوه سلاحا، وستروا وجهه، وخرجوا به من باب سعادة أحد أبواب القاهرة، حتى صعدوا به قلعة الجبل، فتسلمه الأمير أَيْنبك، وعاقبه حتى دلهم على ذخائره، وجمعوا بينه وبين ناظر الخاص شمس الدين المقسى، حتى تحاققا على الذخائر وأعادوه إلى داره، ثم استدعوا بالقاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - أحد خلفاء الحكم - فى يوم الثلاثاء سادسه، وأرادوه أن يثبت وصية الملك الأشرف، فقال: «لابد من إثبات وفاته»، فدخل إليه مملوك منهم اسمه جركس السيفى - من مماليك ألجاى اليوسفى - وخنقه، ثم أدخلوا إليه بجماعة حتى عاينوه ميتا، وعادوا إلى القاضى فشهدوا عنده بموته، وأنه أوصى الأمير عز الدين أَيْنَبك، ثم أنعم على جركس هذا بإمرة عشرة، واستقر شاد العماير، جزاء له بما فعله من خنق السلطان، ثم أخذت جثة الأشرف، ووضعت فى قفة وخيط عليها بلاس شعر أسود، وألقيت فى بئر آخر نهار الثلاثاء المذكور، فلما مضت له أيام، ظهر نتنه، فأخرجه جيران تلك البئر، فعرفوه ودفنوه بالكيمان التى بجانب مشهد السيدة نفيسة، فأتى بعض خدام السلطان ليلا، وأخرجه من قبره وحمله إلى تربة أمه خوند بركة من التبانة، وغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه بالقبة التى بها.

ومولده فى سنة أربع وخمسين، ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر

---

(١) حارة المحمودية عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية.

(٢) بادهنج وجمعه بادهنجات وهو المنفذ الذى يوجد وسط المبنى للتهوية.

يوما، وعمره أربع وعشرون سنة، وكان لينا يحب أهل الخير، ويقف عند ما يحسن له من فعل الخير، إلا أنه كان يحب جمع المال وتفرقته، جدد فى أيام دولته الأقبية الحرير بالطرز الزركش فى كل سنة على الأمراء، مع ركوبهم الخيل وقت لبس الأقبية المذكورة بالسروج الذهب، والكنابيش الزركشى، فكان يعم بذلك أمراء الألوف والطبلخاناة والعشرات والمماليك الخاصكية، على قدر رتبهم، ولم يتقدمه ملك لفعل ذلك، وكانت أيامه فى هدوء وسكون، وأبطل مسكين شنيعين كان يتحصل منهما مال عظيم، فبطلا من بعده، ولم يكن فيه أذى ولا تجبر، بل يرفع يديه ويسأل الله تعالى أن يخرب ديار من يريد بالناس سوءا، بالجملة فكان إلى التشبه بالنساء أميل منه إلى التشبه بالرجال، وترك من الأولاد سبعة ذكور، أمير على، وأمير حاجى، وكلاهما تسلطن، وقاسما، ومحمدا، وإسماعيل، وأبا بكر، وأحمد، وسبع بنات.

* * *

السلطان الملك المنصور على بن السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الصالحى الألفى

أقيم فى السلطنة - كما تقدم - يوم السبت، ثالث ذى القعدة، وأبوه حى، فلما قتل أبوه - كما مر ذكره - فى ليلة الثلاثاء، قدم فى يوم الأربعاء سابعه الأمير أَقْتَمُر الحنبلى من بلاد الصعيد بمن كان معه، فتلقاه الأمراء، وأجلوا قدره، وقالوا له: «أنت نائب السلطان، والمتحدث عنه، وكلنا من تحت أمرك»، فوافقهم، ووقف بُطلْبه مع أطلابهم تحت القلعة.

وأما الذين بالعقبة، فإن السلطان لما انهزم قام الأمير طَشْتَمُر الدوادار بالأمر، وعزم على العود بالناس جميعهم إلى القاهرة، وإبطال الحج، فثارت العامة ورجمته، ووقع النهب فى السوق، فمضى قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ومعه قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى من العقبة إلى جهة القدس، وتوجه معهما طائفة كبيرة من الحجاج.

ووضع الأمير بهادر - أمير آخور - بعض الزاد والعلف بخان العقبة، وانتهبت المماليك من الأثقال ما قدرت عليه، ورحل الأمراء والمماليك ومعهم المحمل، ومن بقى من الحجاج عائدين إلى القاهرة، ورموا من الزاد والشعير وأنواع المأكل ومن الأثقال ما لا يقدر قدره، فلما وصلوا إلى المنزلة المعروفة بآبار العلاى، أعيد المحمل مع الأمير بهادر

إلى مكة، وسار معه قليل من الناس، ومضى الأمراء نحو القاهرة، ولا علم لهم بالسلطان، حتى نزلوا نخل[١]، فبلغهم أن عدة من الناس مرت بهم، بعضهم على رواحل[٢] وبعضهم على خيل، تريد ناحية القاهرة، فعلموا أنه السلطان، فخاف المماليك عاقبة أمرهم، وأن يتفق لهم ما اتفق على الأجلاب بعد واقعة الأمير أسندمر، فمالوا على خزائن السلطان المحمولة فى الطلب ونهبوها، وتقاسموا ما بقى فيها، وتوجه عدة منهم إلى جهة الشام، وبقيت طائفة صحبة الأمير طَشْتَمُر الدوادار، ومعه الخليفة، وكاتب السر، وناظر الجيش، وقاضى القضاة بدر الدين الإخناى، والحريم السلطانى، وعدة كبيرة من الحجاج، وقد أرادوا الخليفة أن يقوم بالأمر من غير سلطان، ويستبد بالمملكة، ويكونوا عونا له على من خالفه، فلم يوافقهم على ذلك، وهم يلحون فى سؤاله، حتى نزلوا عجرود[٣] بلغهم ما وقع من قيام المماليك، وسلطنة أمير على ابن السلطان، وظفرهم بالأمراء والسلطان، وقتلهم، فساروا وقد أمنوا من السلطان، وكانوا على تخوف شديد منه أن يظفر بهم ويقتلهم، حتى نزلوا بركة الحجاج، بعث الأمراء القائمون بالدولة طائفة من المماليك الأجلاب؛ لحرب الأمير طَشْتَمُر، وعليهم الأمير أحمد بن هُمُز، فلقيهم الأمير قُطْلوا أقتمر العلاى الطويل – وكان طليعة الأمير طشتمر – فكسرهم، وركب أقفيتهم إلى قرب قلعة الجبل، فتكاثروا عليه وأمسكوه، وذلك يوم الثلاثاء سادسه، فبعث الأمير طشتمر بالأمير قطلوبغا الشعبانى فى تقرير أمره، فلما كان الغد يوم الأربعاء سابعه، ركبت عدة من الأجلاب لمحاربة طَشْتَمر، وافترقوا فرقتين، ومضوا، فمالت فرقة على الخزائن والأثقال، فنهبوا ما هناك، وامتدت أيديهم إلى حريم السلطان، وإلى الحجاج، فتجاوزوا الحد فى النهب، وفعلوا ما لا يفعل مثله فى أهل الإسلام، فكان شيئًا قبيحا إلى الغاية، ذهب فيه من الأموال ما لا يحصيه إلا الله، وكانت هذه السفرة سببا لزوال سعادة الدولة، وذهاب دولة آل قلاوون إلى آخر الدهر.

وأما الفرقة الأخرى فإنها قاتلت الأمير طَشْتَمُر ومن معه قتالا عظيما، فكسرهم، ومروا فى الهزيمة – وهو فى طلبهم – إلى تحت القلعة، فوصل عصر يوم الخميس ثامنه، فاجتمع القوم على قتاله من نصف وقت العصر، حتى غابت الشمس، فانكسر منهم

---

(١) نخل: موضع فى طريق الشام من ناحية مصر. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٧٦، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٣.

(٢) الرحل مركب للبعير والناقة (لسان العرب).

(٣) محطة من محطات طريق الحاج المصرى على بعد عشرين كيلو مترا فى الشمال الغربى لمدينة السويس. انظر محمد رمزى ٣٢١/١.

ومضى نحو كيمان مصر فى نفر يسير، فأدركه بعض الأمراء ممن يثق به، ومازال به حتى قرر معه أن يستقر فى نيابة الشام، وحلف له القائمون بالدولة، فاطمأن لذلك، ونزل بداره، فقبضوا عليه وحبسوه بقلعة الجبل، وقبضوا على الأمير سراى تمر، وبعثوه إلى الشام، وقبضوا على الأمير بلوط الصَرْغَتْمشى أمير مشوى، وعلى جماعة كبيرة، وباتوا آمنين، وقد نزعوا السلاح عنهم.

وفى يوم الخميس هذا: قدم الخليفة وأصعد إلى القلعة، واستدعى قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى، ونواب القضاة والأمراء القائمون بالدولة، إلى باب الستارة من القلعة، وأخرجوا السلطان الملك المنصور على، فبايعه الخليفة، وقبل له البيعة الأمير أقْتَمُر الحنبلى، ثم أفيضت عليه الخلعة الخليفة، وهى فرجية حرير بنفسجى بطرازين ذهب، وديراها من رأس كميها وعاتقيها وذيلها تركية ذهب، وتحتانية حرير أزرق خطاى، وألبس عمامة عربية من حرير أسود على قبع حرير أسود، وأرخى لها عذبة حرير مزركش، وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة إلى إيوان دار العدل، وجلس على تخت الملك، وسرير السلطنة، ومد السماط بالإيوان، فأكل من حضر على العادة، ثم قام السلطان عن التخت إلى القصر، وخلع على الأمير طَشْتَمُر اللفاف المحمدى أحد أمراء العشرات، واستقر أمير مائة مقدم ألف، وأنعم عليه بإقطاع أتابك العساكر، وبجميع ما خلفه الأمير أرغون شاه من مال وغلال وخيول وجمال ومماليك وغير ذلك، وخلع على الأمير قُرْطاى الطازى أحد المماليك المفاردة، واستقر رأس نوبة كبير على تقدمة صَرْغَتْمُش وإقطاعه، وأنعم عليه بما خلفه من صامت وناطق، وعين وغلة، ورُسم له وللفاف أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة.

وخلع على اسَنْدَمُر الذباح الصَرْغَتْمُشى - أحد المماليك المفاردة -، واستقر أمير سلاح مقدم ألف، ورسم له أن أن يجلس بالميسرة من الإيوان، وخلع على قُطْلوبُغا البدرى، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير طَشْتَمُر الدوادار واستقر نائب الشام، وسافر من يومه، وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصَرْغَتْمُشى، واستقر دواداراً بإمرة طبلخاناه، وأنعم على دمرادش اليوسفى أحد المماليك بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وأنعم على بلاط الصغير السيفى، أحد المماليك المفاردة، بتقدمة ألف، وأنعم على ألْطُنبغا النظامى بتقدمة ألف، وعلى يَلْبُغا النظامى بتقدمة ألف، وكلاهما من جملة المماليك المفاردة، وأنعم على الأمير أَيْنَبَك بتقدمة، واستقر أمير أخور، وأنعم على كل من بيقجا الكمالى، وقطلوبغا البشيرى، وطغاى تمر الناصرى، وصربغا الناصرى، وطولوا الصَرْغَتْمُشى، وأَلْجُبغا السيفى، وقطلوبك النظامى، وأحمد بن هُمُز التركمانى،

وقطلوخجا أخى أيْنَبك، وتُمربُغا البدرى، وألطنبغا المعلم، وتَلكتمر عبد الله المنصورى، وأسَنْبُغا الصارمى، وأطْلَمِش الطازى، وأربغا السيفى، وإبراهيم بن قطلو أقْتَمُر العلاى، وعلى بن أقْتمر عبد الغنى، وأسنبُغا النظامى، ومأمور القَلَمْطاوى، وأطلمش الأرغونى، ومقبل الرومى، بإمرة طبلخاناة.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: محمد بن قُرُطاى الطازى، وخضر بن ألْطُنبغا السلطانى، وتُكا الشمسى، ومحمد بن شعبان ابن الأمير يلبغا العمرى، وأسنبُغا المحمودى، وطُبُج المحمدى، وتلكتمر المنجكى، وأقبغا السيفى، وجركس السيفى، وطُقْتُمُش السيفى، وطوغان العمرى، وبكلمش الإبراهيمى، ويلبغا العلاى، ويوسف بن شادى البريدى، وخضر الرسولى، وأسندمر الشرفى، ومغلطاى الشرفى، وخليل بن أسَنْدُمر العلاى، ورمضان بن صَرْغَتْمُش وأخيه حسن صَرْغَتْمُش، وقطلوبغا حاجى أمير علم، ومنكلى الشمسى، وألجبغا السيفى، وألطنبغا شادى، وسودون العثمانى، فاتفق من ارتفاع الأسافل ما فيه عبرة لمن اعتبر، وأصبح المماليك الأجلاب الذين كانوا بالأمس أقل مذكور، ثم تتبعوا بالقتل والنفى وأنواع العذاب، ملوكا تجبى إليهم ثمرات كل شىء، ويتحكمون فى ممالك الأرض، بما تهوى أنفسهم، ومن حينئذ تغيرت أحوال البلاد بتغير أهلها.

وفيه أيضا قدم حريم الأشرف من بركة الحجاج، فصعد بهم إلى القلعة من باب السر، بعد ما نهبت خزانة السلطان بالريدانية خارج القاهرة.

وفيه سار على البريد الأمير قطلوبغا جركس إلى دمشق ليقبض على الأمير بيدمر ويحبسه بقلعة صفد.

وفى يوم السبت عاشره: استقر الأمير طشتمر نائب الشام بالمسير من ظاهر القاهرة إلى محل ولايته.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين بقلعة الجبل، وهم أقتمر عبد الغنى، وعلم دار المحمدى، وأيدمر الشمس، وسودون جركس وطيبغا الصفوى، ومغلطاى البدرى، وصربغا السيفى، وطَشْتَمر الصالحى، وبلاط الكبير، وحطَطَ السيفى، وإياس الماردينى، وبلوط الصرغتمشى، ويلبغا المنجكى، وقرا بغا والد جَرْكَتُمُر، وحاجى خطاى والد غريب، فى جماعة آخرين. ثم قبض عليهم جميعا من الغد - خلا أقْتَمُر عبد الغنى، وسودون جركس - وقيدوا وحملوا من ليلتهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفيه استولى الأمراء القائمون بالدولة على ما كان الملك الأشرف وضعه من المال فى مودع الحكم بالقاهرة، وحمل على ثمانية وعشرين جملا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قرئ بالإيوان تقليد السلطان، وعلم عليه الخليفة،

وشهد عليه فيه القضاة على العادة. ثم خلع على الخليفة وأنعم عليه بألف دينار رسم المبايعة، وخلع على القضاة وأرباب المناصب، واستدعى الوزير تاج الدين النشو الملكى، وخلع عليه، واستقر فى الوزارة، وخلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين مين، وخلع على الأمير طَيْدَمُر البالسى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أَنْتَمُر عبد الغنى، وخلع على الأمير على ابن قشتمر واستقر حاجبا ثانيا، عوضا عن الأمير علم دار.

وفيه طلب المماليك من الأمراء. وعدوهم به من النفقة فيهم، وهى مبلغ خمسمائة دينار لكل واحد، فرسموا لهم بمائة دينار لكل مملوك، فأبوا وتجمعوا فى يوم الثلاثاء ثالث عشره، وقبضوا على الأمير طَشْتَمُر اللفاف، وهموا بضرب عنقه، فقام الأمير قُرطاى، وضمن لهم أن ينفق فيهم ما عدوا به، وما زال يتلطف بهم حتى أطلقوا اللفاف، وأخذ الأمراء فى الاهتمام بنفقة المماليك، وطلبوا أمين الحكم، وأرادوا منه أن يقرضهم من مال الأيتام مائتى ألف دينار ذهبا، وإلا نهبوا المودع، وكان فيه حينئذ أموال عظيمة جدا، ورسموا جماعة حتى أخذوا ما شاءوا، فذهبت على الأيتام إلى اليوم، وقبضوا على شمس الدين المقسى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وتاج الدين موسى بن كاتب السعدى، وولده سعد الدين.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: حمل المقسى وتاج الدين موسى وأمين الدين مين، وعلاء الدين على بن السايس، والمعلم شهاب الدين أحمد بن الطولونى، إلى قاعة الصاحب بالقلعة، وألزموا بأموال جزيلة، وقبض على جماعة من مباشرى الدولة، وألزم كل واحد منهم بنفقة عدة من المماليك، وسلموا كل من ألزم بنفقة جماعة لهم حتى ينفق فيهم، فلم يبق أحد من مباشرى الدولة والخاص حتى وزع عليه عدة مماليك، بحسب حاله، وقبض على محتسب القاهرة شمس الدين محمد الدميرى[1]، وحمل على قفص حمال إلى القلعة لمرض به، وألزم بالنفقة على عشرة مماليك. ونهب بيت أخيه، وقبض على جماعة من التجار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع الأمير أسندمر الصَرْغَتمشُى، والأمير دمرداش اليوسفى إلى الدور السلطانية من قلعة الجبل، وفرقا جوارى الملك الأشرف على الأمراء.

وفيه قبض على الطواشى مختص الأشرفى، والطواشى جوهر السكندرى والطواشى

---

(١) شمس الدين محمد الدميرى: محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين، باحث، أديب من فقهاء الشافعية – أصل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة. كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وإمام مدة بمكة والمدينة. من كتبه «حياة الحيوان». انظر: الضوء اللامع ١٠/ ٥٦ – ٥٨ والأعلام ٧/١١٨، ١١٩.

سنبل رأس نوبة، وأدخلوا قاعة الصاحب على مال ألزموا به، وألزم أيضا الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى بحمل ثلاثمائة ألف درهم، ثم تقرر حمله مائة ألف درهم.

وفيه قدم الأمير صلاح الدين خليل بن عرام من ثغر الإسكندرية[١] باستدعاء، فقبض عليه، وصودر على ألف ألف درهم، ثم خلع عليه، واستقر على عادته نائب الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أَقْتَمُر الحنبلى، واستقر نائب السلطان، وأذن له أن يخرج الإقطاعات للأمراء والأجناد ونواب المماليك، وأن ينفرد وحده بالتحدث فى المملكة، بعد ما تقرر ذلك مع الأمراء والمماليك ورضوا به.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: قبض على جماعة من خدام السلطان، منهم الطواشى دينار اللالا، والطواشى شاهين دست، والطواشى سُنْبُل اللفاف، وأدخلوا قاعة الصاحب على حمل مال.

وفيه خلع على جمال الدين محمود القيصرى العجمى، خطيب مدرسة أُلجاى واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى فسخر العامة منه واستهزءوا به، لعهدهم به أمس – وهو من فقراء العجم، يجلس تجاه باب المارستان بالقاهرة، ويبيع التمر – فلم يجد له بيتا ينزل فيه، حتى نزل فى بيت تاج الدين أحمد بن على بن الظريف، إلى أن وجد دارا سكنها.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: أفرج عن الصاحب شمس الدين المقسى ناظر الخاص، بعد ما حمل مالا عظيما، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص ووكالة الخاص، على عادته.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ومن رافقهما من الحجاج، بعد ما زاروا بيت المقدس، وعافاهم الله مما ابتلى به وقدم من العقبة[٢] من النهب والخوف الشديد والشنعة القبيحة، فعد هذا من سعادة قاضى القضاة برهان الدين.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: خلع على علم الدين سليمان بن خالد بن نعيم

---

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل الملح. انظر: معجم البلدان ١/ ١٨٢: ١٨٩، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

(٢) العقبة: منزل فى طريق بمكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة وهو ماء لبنى عكرمة من بكر بن وائل. انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٤.

البساطي - أحد نواب الحكم - واستقر قاضي القضاة المالكية، عوضا عن بدر الدين عبد الوهاب الأخناى، بواسطة برهان الدين إبراهيم بن اللبان له، الأمير قرطاى. وكان إبراهيم هذا أبوه لبانا، يبيع اللبن خارج القاهرة، فنشأ فى صغره مع الفقهاء المالكية، وتفقه على مذهب مالك، وخدم الأتراك، ومنهم قرطاى، فلما صار قرطاى من الأمراء فى هذه النوبة، جعل إبراهيم شاهد ديوانه، ومن جملة موقعى الدّسْت، فهرع الناس لبابه فى طلب شفاعاته لهم، وتحدث للبساطى فى ولاية القضاء مع مخدومه الأمير قُرَطاى وكان الوقت قابلا، فولاه وظيفة القضاء، فاستناب عنه فى الحكم ابن اللبان، وقَدّم جماعة من المالكية كانوا فى الأعين محتقرين وعند الناس غير وجيهين، ولا معتبرين فناسب الحال فى الدولة.

وفى هذا الشهر: استقر فى سلطنة ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى بن المظفر فخر الدين داود بن الصالح صالح بن منصور غازى بن المظفر قرا أرسلان بن أُرْتُق أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاش بن إيلغازى بن أُرْتُق الأرتُقى، بعد موت أبيه، وكتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فأجيب بتعزيته وتهنأته.

وولى الأمير أرغون الأسعردى نيابة طرابلس[١] عوضا عن منكلى بغا البلدى الأحمدى. واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى قاضى المالكية بحلب فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن زين الدين أبى بكر المازونى. واستقر جلال الدين أبو المعالى محمد بن قاضى القضاة نجم الدين محمد بن فخر الدين عثمان الزرعى، فى قضاء القضاة الشافعية بحلب[٢] بعد وفاة ابن عمه فخر الدين عثمان الزرعى، واستقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الشيخ كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشحنة فى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن

---

(١) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء يقال: أطرابلس. انظر : معجم البلدان ٤/ ٢٥، ٢٦، وفى الروض المعطار طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، وهى معقل من معاقل الشام، والبحر محدق بها من ثلاثة أوجه. وطرابلس (إفريقية): أيضًا من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب سورها، وهو من حجر جليل من بناءالأول. وبينها وبين سرت عشر مراحل، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون. انظر الروض المعطار ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رحل من العمالة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ١/ ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ٤/١١٦.

الجمال إبراهيم بن العديم، ثم عزل بعد قليل، وأعيد ابن العديم، واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبى الطيب فى كتابة السر بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر الحنفى. وولى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس(١) مملكة اليمن(٢) بعد وفاة أبيه.

وفيه كانت النفقة فى المماليك، وعدتهم ثلاثة آلاف، لكل واحد خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم فضة، حسابا عن كل دينار عشرون درهما، ومبلغ ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، صودر فيها عامة كتاب الدولة، وأعيان الطواشية، وطرح فيها عدة بضائع من أصناف الخاص على التجار، وألزموا بحمل أثمانها، فنالهم بسبب ذلك عناء شديد، ولم يسمع بمثل هذه النفقة فى الدولة التركية.

وفى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش واستقر فى الجيش بعد وفاة أبيه.

وفى آخره: توجه قاضى القضاة شرف الدين محمد بن منصور الحنفى من القاهرة، عائدا إلى مدينة دمشق، وهو متضعف منذ رغب عن منصب القضاء.

وفى هذه السنة: ابتدأ الوباء من ذى القعدة، فمات جماعة كثيرة بالطاعون، وخرجت السنة والوباء شديد.



ومات فى هذه السنة من الأعيان

السيد الشريف نقيب الأشراف بحلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن على ابن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم الممدوح الحسينى الحلبى، وقد أناف على سبعين سنة.

وقال العلامة حسن بن زين الدين طاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(١) الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس (الأشرف الرسولى) (٧٦١ - ٨٠٣هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على ابن المؤيد داود من أبناء على بن رسول، من ذرية جبلة بن الأيهم. ولى بعد وفاة أبيه ٧٧٨هـ وعاش محمود السيرة واستقام له الملك إلى أن توفى بتعز. انظر: الضوء اللامع ٢/ ٢٩٩ والأعلام ١/ ٣١٦، ٣١٧.

(٢) اليمن: بفتح أوله وثانيه، موضع قريب من مكة، فأما اليمن البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنًا لأنه عن يمين الكعبة، كما سمى شامًا عن شمال الكعبة، والحجاز حجازًا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمى اليمن ليمنه والشام لشؤمه، وقيل: سمى اليمن يمنًا بتيمن بن قحطان. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ١٤١٠/٤.

الحلبى[1] يومئذ:

مضـــى إلى الله جميـــل الثنـــا لمـــا قضـى العمــر مـدى حــده
فــلا حرمنـــا منـــه أجـرا وقــد كــان لنــا الأســوة فــى جــده

وفيه يقول العلامة والد طاهر المذكور:

جــرت أعين الشهبا بعد شــهابها سليل الكرام السيد الشامـخ الذرا
فقـــل لبنيـــه الطاهـــرين تثبتـــوا لكم أسوة فى جدكم سيـد الـورا

وتوفى المحدث شهاب الديـن أحمـد بـن علـى بـن محمـد بـن قاسـم العريـانى، الفقيـه الشافعى، شيخ خانكاه الأمير طيبغا الطويل، فى يوم الإثنين ثانى عشـر جمـادى الآخـرة، ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير لاجين، أحد الطبلخاناه فى يوم السـبت ثـامن شهر رجب.

ومات الأمير أستبغا العزى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أستبغا عبد الغنى، أحد العشرات.

ومات الأمير ألطنبغا الإبراهيمى، أحد العشرات.

ومات الأمير إياس المردينى، أحد العشرات.

ومات الأمير جَرّكَتُمـر الخـاصكى، أحـد أمـراء الألـوف، يـوم الأربعـاء تاسـع عشـر رجب.

ومات الأمير صلاح الدين خليل بن الأمير قوصـون، أحـد أمـراء الألـوف، فـى يـوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

ومات الأمير طاز العثمانى، أحد أمـراء الألـوف، فـى يـوم الخميس رابـع عشـر ذى الحجة.

ومات الأمير طَيْدُمر البالسى، أحد أمراء الألوف.

ومات الأمير طُغَيْتُمر العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه.

---

(١) العلامة (حسن بن زين الدين ظاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بـن حبيـب الحلبـى (٧١٠ - ٧٧٩هـ = ١٣١٠ - ١٣٧٧م). الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبـى: مؤرخ من الكتاب المترسلين، ولد فى دمشق ونشأ فى حلب ثم رحل إلى مصر والحجاز وعـاد وتنقـل فى بلاد الشام واستقر فى حلب له «نسيم الصبا - ط» صغير، و«درة الأسلاك فى دولة الأتراك - ط» أرخ به أخبارهم من سنة ٦٤٨ - ٧٧٨هـ. انظر: الدرر الكامنة :٢ ٢٩ وكشـف الظنـون ١/ ٧٣٧ والأعلام ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير جرجى البالسى، أمير جندار.

ومات الأمير شاهين أمير علم، أحد العشرات.

وتوفى جمال الدين أبو محمد عبد الله بن كمال الدين أبى المعالى محمد بن عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن تاج الدين أبى العباس محمد بن شرف الدين بن أبى الفضل أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى الأصل، المصرى المنشأ والوفاة، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وولى كتابة السر بدمشق وكتب الإنشاء بقلعة الجبل، ثم تنزه عن ذلك، وانقطع إلى ربه حتى مات، وكان فاضلا له عدة مصنفات.

وتوفى ناظر الجيش بحلب ودمشق، تاج الدين عبد الله بن مشكور، فى جمادى الآخرة بدمشق، وكان مشكور السيرة، وله مروءة.

وتوفى مسند الشام زين الدين عمر بن الحسن بن مزيد بن أمية، المراغى الأصل، الحلبى الدمشقى، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر بدمشق، ومولده فى رجب سنة ثمانين وستمائة، تفرد بأشياء رواها عنه الناس.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب، فخر الدين عثمان بن صدر الدين أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، فى سادس شعبان بحلب.

وتوفى خطيب حلب، علاء الدين على بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن عشاير، الحلبى الشافعى، عن ستين سنة بحلب.

ومات بدمشق خواجا علاء الدين على بن ذى النون الأسعردى، صاحب الخان خارج دمشق، وأحد أعيان التجار، فى ذى القعدة.

وتوفى الشيخ تقى الدين إسماعيل بن على بن الحسن بن سعيد بن صالح القرقشندى المصرى الشافعى، مفتى القدس، ومدرس الصلاحية بها، فى سادس جمادى الآخرة، ومولده سنة اثنتين وسبعمائة. كان يستحضر كتاب الروضة فى الفقه، وحدث عن وزيره.

وتوفى فقيه دمشق عماد الدين إسماعيل بن خليفة بن عبد العال بن خليفة الحسبانى الشافعى، فى ذى القعدة.

وتوفى الأديب البارع جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب بن أبى سعيد المصرى بحلب عن نحو خمسين سنة، وهو كاتب أديب منشئ ومن شعره:

بعـدت و لم تقنـع بـذاك وإنمـا   بخلت على الإخوان بالكتب والرسل
وإنا لنجرى فى ودادك جهـدنا   وإن كنت تمشى فى الوداد على رسل[١]

ومات الأمير قبلاى نائب حمص[٢] وحاجب دمشق، فى شهر ربيع الآخر بحمص.

وتوفى القاضى محب الدين أبو عبد الله محمد[٣] بن يوسف بن أحمد بـن عبد الدايم التيمى الحلبى، ناظر الجيش، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة. أخذ القراءات السبع عن التقى الصايغ، وسمع الحديث على نصر المنبجى، وعلى الحجـار ووزيره، والشريف أخى عطوف، وجماعة، وبرع فى الفقه والنحو والتفسير، وصنف كتبا عديدة ودرس عدة سنين، وكتب الخط المنسوب، وفاق فى معرفة الحساب، وباشر ديوان الأمير جنكلى بن البابا، ثم ديوان الأمير منكلى بغا الفخرى، ثم ديوان قجاه أمير شكار، وولى نظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش، بعد ابن خصيب، فبلغ فيه من نفوذ الكلمة، وشهرة الذكر، وارتفاع القدر، مبلغا عظيما فى عدة دول.

وتوفى محتسب مصر، شمس الدين محمد، المعروف بابن أبى رقيبة الشافعى.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن سِرْتِقْطَاى، أحد العشرات.

وتوفى الأمير شرف الدين موسى بن الأمير قُبْلاى أحد الطبلخاناة.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بحلب، شرف الدين موسى بـن فياض بـن عبد العزيز ابن فياض المقدسى الصالحى، وهو أول من ولى قضاء حلب مـن الحنابلة. باشر وظيفة القضاء بها نيفا وعشرين سنة، حتى مات فى ذى القعدة، وقد أناف على تسعين سنة.

ومات الأمير الطواشى ظهير الدين مختار الدمنزورى، مقدم المماليك.

---

(١) الرسل: الذى فيه لين واسترخاء، يقال: شعر رسل: مسترسل، وبعير رسل: سهل السير، وسير رسل انظر المعجم الوسيط (رسل).

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأنه اسم أعجمى، سميت برحل من العمالق يسمى حمص، ويقال رحال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبحمص مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات فى المدينة وصلى عليه عمر رضى الله عنه. انظر معجم البلدان (ج٣)، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٩.

(٣) محب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى الحلبى (٦٩٧ - ٧٧٨هـ = ١٢٩٨ - ١٣٧٧م). محمد بن يوسف بن أحمد، محمد الدين الحلبى ثم المصرى المعروف بناظر الجيش : عالم بالعربية، من تلاميذ أبى حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة وألف «تمهيد القواعد - ح» فى الرباط. «وشرح التلخيص» فى المعادن والبيان. انظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٩٠ وإعلام النبلاء ٥: ٦١ والأعلام ٧/ ١٥٣.

وتوفى الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم التونسى النحوى المالكى، فى ليلة الجمعة رابع عشر شعبان بالقاهرة.

ومات الأمير قُطْلوبُغا المنصورى، حاجب الحجاب، فى يوم الأربعاء سادس عشرين رجب.

وتوفى الأمير أرغون شاه الجمالى الخاصكى، رأس نوبة، مذبوحا هو والأمير صَرْغَتْمُش، والأمير بَيْبُغا السابقى، والأمير بشناك، والأمير أرغون المعزى الأقرم، فى يوم الأحد رابع ذى القعدة.

وتوفى محتسب القاهرة بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن المفسر، فى يوم الجمعة آخر جمادى الآخرة.

وتوفى السيد الشريف نقيب الأشراف وموقع الدست فخر الدين أحمد بن على الحسين بن حسن بن محمد بن حسين بن حسن بن زيد، فى يوم السبت أول شهر رجب.

وتوفى ناصر الدين محمد المقسى، أستادار الأمير صَرْغَتْمُش، فى يوم الإثنين سابع عشر رجب، وله مسجد بالمَقْس خارج القاهرة.

وتوفى الفقير المعتقد على السدَّار صاحب الزاوية بحارة الروم[1] من القاهرة، فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

وتوفى شمس الدين محمد بن براق الدمشقى، أحد موقعى الدست فى آخر شهر رجب.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير طاز، يوم السبت ثامن عشرين شعبان.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن قُمارى، فى يوم الخميس حادى عشر رمضان.

وتوفى الأمير بَكْتَمُر السيفى، والى القاهرة، فى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول.

ومات الطواشى شرف الدين مختص، المعروف بشاذروان، مقدم المماليك، فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان.

ومات صدر الدين بن البارنبارى، أحد موقعى الإنشاء، فى يوم الثلاثاء ثالث شعبان.

---

(١) حارة الروم: جاء فى كتاب المواعظ للمقريزى (٢/٨) «قال ابن عبد الظاهر: واختطت الروم حارتين، حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا: الجوانية لاغير. والوراقين إلى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية».

وتوفى بدر الدين حسن المليكشى المالكى، فى تاسع ذى الحجة.

وتوفى خطيب المدينة النبوية شهاب الدين أحمد بن سليمان الصقيلى الشافعى بالقاهرة، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر، وهو من ناحية صقيل بالجيزة.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق، زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى، فى شوال.

وتوفى الأمير يونس العمرى. أحد الطبلخاناه.

وتوفى الأمير يعقوب شاه أحد الألوف، فى يوم الإثنين سابع عشر شهر رجب.

وتوفى مؤدب الأطفال شمس الدين محمد بن عمر الخزرجى.

وتوفى الفقير المعتقد على العقيدى، بائع العقيد[١] بالقاهرة، فى يوم الثلاثاء رابع رجب، وحُكيت له كرامات.

وتوفى التاجر زكى الدين أبو بكر بن الحمامية فى رابع رجب، وترك مالا جزيلا.

وتوفى الفقير المعتقد جمال الدين الأصفهانى بسطح الجامع الأزهر، فى ثالث عشر ذى الحجة.

وتوفى المسند جمال الدين يوسف بن عبد الله بن حاتم بن محمد بن يوسف بن الحبَّال البعلبكى، ومولده فى صفر سنة ثمانين وستمائة، حدث عن جماعة.

ومات سلطان بنى مرين، صاحب فاس وبلاد المغرب، السلطان أبوالعباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن فى جمادى الآخرة، وملك بعده السلطان الواثق محمد ابن أبى الفضل بن أبى الحسن.

* * *

---

(١) العقيد: عسل يعقد بالنار وطعام يعقد بالعسل. (القاموس المحيط).

سنة تسع وسبعين وسبعمائة

أهلت والأمراض فى الناس فاشية، فتزايد الوباء فى هذا الشهر، ومات جماعة من الناس بالطاعون.

وفى خامس المحرم: خلع على الأمير شهاب الدين قُرُطاى، واستقر أتابك العساكر. وخلع على الأمير زين الدين مبارك الطازى، واستقر رأس نوبة كبيرا، وخلع على الأمير سودن جركس، واستقر أستادار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرابُغا الأناقى، أحد العشرات، واستقر فى ولاية مصر، وأفرج عن الأمير قُطلو أقتمر الطويل العلاى، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وقبض على الأمير طولوا الصرغتمشى بقطيا[1] وقد عاد من الشام، لما كان من ظلمه وعسفه.

وفى تاسعه: وصل أولاد قلاوون من الكرك[2] وهم الملك المنصور محمد بن حاجى ابن محمد بن قلاوون، وأولاد الناصر حسن[3] وهم أحمد وقاسم وعلى واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد، وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون، وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم بن أمير على بن يوسف، فأدخلوا بحريمهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلا، وأنزلوا بدورهم منها.

وفى عاشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد آقبغا آص، فأمر أن يقيم بداره.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير الكبير قُرُطاى، واستقر فى نظر المارستان. ونزل إليه بتشريفة، فنظر فى أحوال المرضى وغيرهم على العادة، ثم عاد إلى منزله.

---

(١) قطيا: تكتب أيضا قطية وهى قرية فى الطريق بين مصر والشام قرب الفرما، بها جامع ومارستان ووالى طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار. انظر: معجم البلدان، القاموس الجغرافى.

(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

(٣) الناصر حسن: حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بمصر صغيرًا بعد مقتل أخيه حاجى المظفر سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة سمى (حنا). انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

وفيه قبض على الأمير يلبغا النظامى - أحد الأمراء الألوف - وعلى أستبغا النظامى، أحد أمراء الطبلخاناه.

وفى عشرينه: خلع على الأمير سودُن الشيخونى، وعلى الأمير بَلُّوط الصَرْغَتْمُشى، واستقرا حاجبين، يحكمان بين الناس.

وفى رابع عشرينه: عزل الأمير منكلى بغا البلدى من نيابة طرابلس، والأمير تمرباى من نيابة صفد[١].

وفيه قدم محمل الحاج صحبة الأمير بهادر الجمالى، وقدم الخبر بأن أهل البحيرة[٢] قد عصوا، وفى آخره خلع على الأمير عز الدين أَينَبَك البدرى، واستقر ناظر المارستان، عوضا عن الأمير الكبير قرطاى.

وفى خامس صفر: قدم البريد بسيف منكلى بغا البلدى من طرابلس[٣] وأنه سجن بالكرك.

وفى تاسعه: قدم الأمير يلبغا الناصرى من الشام باستدعاء، بعد ما نفى إليها، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفى عاشره: أُخذ قاع النيل، وكان خمس أذرع وأربع وعشرين إصبعا، وكان فى العام الماضى خمس أذرع وست عشرة إصبعا.

وفيه ورد البريد بأن تمر باى الدمرداشى لم يسمع لعزله عن نيابة صفد، وخرج عن الطاعة.

وفيه استقر الأمير أرغون الأسعردى فى نيابة طرابلس، عوضا عن منكلى بغا البلدى. واستقر الأمير تمراز الطازى فى نيابة حماة، واتفق أن الأمير قرطاى تزوج بابنة الأمير أينبك، وشرع فى عمل المهم للعرس، فأخذ أينبك فى العمل عليه، واستمال جماعة من أصحابه، منهم برقوق العثمانى، أحد المماليك الأجلاب اليلبغاوية، وبركة، ووعدهم بإمرات طبلخاناه، فمالوا إليه، وواعدوه على الفتك به، فلما كان يوم الأحد عشرينه، حمل الأمير أينبك تقدمة برسم عرس الأمير قُرُطاى، وجَهْزها إليه، ما بين خراف ودجاج

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٥١.

(٣)طرابلس سبق ترجمتها، انظر معجم البلدان ٤/ ٢٥، ٢٦. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

وأوز وسكر، ومن جملتها عدة جرار خمر قد عمل فيه بنج، فقدمت إليه فقبلها، وخلع على محضرها، وجلس للشرب مع أصحابه من الخمر الذى بعث به إليه أَيْنَبَك، فاختلط، وصار كالحجر الملقى لا يحس ولا يدرى، فبعث أصحابه الذين استمالهم أينبك إليه يعلموه بما صار إليه، وأنهم قد احترزوا على أنفسهم حتى لم يصبهم شىء مما أصابه، فركب فى الحال بآلة الحرب، وأنزل بالسلطان من قصره إلى الاصطبل، وأمر بدق الكوسات فدقت حربيا، حتى اجتمع الأمراء والمماليك للقتال مع السلطان على العادة، فلم يزل الأمير أَيْنَبَك راكبا تحت القلعة من عصر يوم الأحد، حتى أصبح نهار يوم الإثنين. هذا وقُرُطاى ومن معه من الأمراء الألوف والطبلخاناه وغيرهم فى غيبة من السكر لايعون ولا يفيقون، وهم الأمير أسندمر الصَرْغَتْمُشى، والأمير سودُن جركس، والأمير قُطْلوبغا البدرى، والأمير قطلوبغا جركس أمير سلاح، والأمير مبارك الطازى، فى آخرين فلما أصبحوا أفاق قُرطاى إفاقة ما، وبعث يسأل الأمير أَيْنَبَك أن يُنعم عليه بنيابة حلب، فأرسل إليه التشريف ليلبسه ويخرج من وقته، وكان أَيْنَبَك قد أحاط فى الليل باصطبلات الأمراء الذين عند قُرُطاى وخواص مماليكه أيضا، وأخذ خيولهم بأجمعها، وكان مماليك قرطاى قد أعياهم أمره، وعجزوا عن إيقاظه، وأتوه فى الليل برئيس الأطباء، فعالجه ومن معه من الأمراء، فلم ينجع فيهم الدواء، فلما جاءه التشريف بنيابة حلب مع عدة من أصحاب أَيْنَبَك، أخذوا قُرُطاى وأخرجوه من باب سرداره، ومروا به، وهو لا يعى حتى أوصلوه إلى سرياقوس[1] وعبر الأمير أينبك إلى بيت قُرُطاى - بعد إخراجه منه - وقبض على الأمراء وعلى عامة أصحاب قُرُطاى، وحبسهم مقيدين، وبعث بعدة منهم إلى ثغر الإسكندرية، فسجنوا بها، ونودى فى القاهرة «الأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان الملك المنصور». ففتحت الأسواق.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير أَتَمُر الحنبلى نائب السلطان إلى الشام منفيا.

وفيه خلع على بدر الدين عبد الوهاب الأخناى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية. عوضا عن علم الدين سليمان البساطى.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر «من كانت له ظلامة، فعليه بباب الأمير أَيْنَبَك».

وفى آخره: أشيع بأن الأمراء تركب للحرب، فرسم للأمير حسين بن الكورانى والى القاهرة بقتل جماعة لإرهاب العامة، فأخرج عدة من خزانة شمايل قد وجب عليهم القتل، ونحرهم، ونودى عليهم «وهذا جزاء من يكثر فضوله. ويتكلم فيما لا يعنيه». ثم وسطهم تحت القلعة.

---

(١) سرياقوس: بلدة من أعمال القليوبية بمصر.

وفى ثالث عشرينه: سمر ثلاثة مماليك صبيان، من أجل أنهم نهبوا من خيول الأمير أَقْتَمُر الحنبلى، وطيف بهم القاهرة وتحت القلعة.

وفيه أخرج الأمير بيقُجا الكمالى منفيا.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على الأمير أينبك، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن قُرُطاى، وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، واستقر نائب السلطان، عوضا عن أقتمر الحنبلى، وخلع على الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، واستقر أستادارا، عوضا عن سودون جركس، وخلع على الأمير بلاط السيفى، واستقر أمير سلاح. وخلع على الأمير أُلْطُنبغا السلطانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير دمرداش اليوسفى، واستقر رأس نوبة كبير، وخلع على الأمير أطْلَمش الأرغونى، واستقر دوادارا، عوضا عن فخر الدين إياس الصَرْغَتْمُشى، وخلع على قطلوخُجا السيفى، وأنعم عليه بتقدمة، وخلع على الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وخلع على الطواشى مقبل الدوادارى، واستقر زام الدار، عوضا عن مثقال الجمالى، وخلع على الأمير أربوز السيفى، واستقر مهمندار بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على برقوق العثمانى بإمرة طبلخاناه، وعلى بركة بإمرة طبلخاناه وكان من جملة المماليك، صارا من إقطاع الحلقة إلى إمرة طبلخاناه من غير أن يكونا من أمراء العشرات.

وفيه خلع على عبد العال، شاهد مطبخ الأمير أينبك، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن اللبان، شاهد قرطاى.

وفيه سكن الأمير الكبير أينبك بالاصطبل السلطانى، ولم تجر عادة من تقدموا بذلك.

وفيه أنعم على ولديه أحمد وأبى بكر بتقدمتى ألف، وسكنا فى بيت قُرُطاى تجاه باب السلسلة.

واستقر الأمير علاء الدين على بن قشتمر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، واستدعى ابن عرام إلى القاهرة.

وفى أول شهر ربيع الأول: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر فى نظر المارستان.

وفى يوم الأحد رابعه: استدعى الأمير الكبير أينبك، الخليفة المتوكل على الله

محمد[١] إلى حضرته، وأراد أن يجعل فى السلطنة الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمرى، فاعتذر بأنه ابن أمير وليس من بيت الملك، فقال له أينبك: «إنما هو ابن السلطان حسن، حملت به أمه، فلما قتل السلطان أخذها الأمير يلبغا فولدته على فراشه». فلم يوافقه على ذلك، فسبه الأمير أينبك، وقال له: «ما أنت فاره إلا فى اللعب بالحمام، والاشتغال بالجوارى المغنيات، والضرب بالعود»، ونهره، وأمر به فأخرج منفيا إلى قوص[٢]، فنزل برباط الآثار خارج مدينة مصر، ليجهز حاله للسفر، وبات الناس فى قلق، وعلى تخوف من ركوب الأمراء للحرب، وفى يوم الإثنين خامسه استدعى الأمير الكبير أينبك بزكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم[٣] وخلع عليه، واستقر به خليفة، عوضا عن المتوكل على الله، ولقبه المستعصم بالله، وفى عصر هذا اليوم بعث الأمير أينبك بالأمير بلوط الحاجب إلى الخليفة المتوكل حتى عاد من رباط الآثار إلى داره، فلزمها.

وفيه خلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير جمال الدين عبدالله بن بكتمر، واستقر حاجبا ثانيا.

وفى ثامنه: أخرج بالأمير أرغون العثمانى منفيا إلى الشام.

وفيه أنزل الأمير الكبير أينبك بمائتى مملوك، أسكن مائة بمدرسة حسن، ومائة بمدرسة الأشراف.

وفى يوم السبت سابع عشره: ورد الخبر بأن الأمير طشتمر نائب الشام، والأمير أشقتمر نائب حلب، والأمير تمرباى نائب صفد، والأمير منكلى بغا البلدى - وقد خرج من سجن الكرك، وأنعم عليه بإقطاع جَنْتَمُر أخى طاز وتقدمته - والأمير أرغون

---

(١) المتوكل على الله محمد (المتوكل على الله، بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدوله العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. مدة خلافته ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ١/ ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ والأعلام ٦/ ٥٦.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) المعتصم بالله زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المعتصم بالله: من خلفاء العباسيين بمصر، نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة سنة ٧٨٧هـ فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ، ولزم داره إلى أن مات. انظر: تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣ والأعلام ٣/ ٤٥.

الأسعردى، والأمير قرطاى، قد خرجوا عن الطاعة، وصاروا فى جمع كبير من المماليك والعربان والتركمان، وقالوا: «لا ترضى بتحكم أَيْنَبَك». [وأنهم جميعا فى طاعة الأمير طشتمر، وقد عزموا على المسير إلى مصر، وأخذها من أينبك]. وقد منعوا البريد بأن يرد إلى مصر.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير أقتمر الحنبلى، والأمير قُرُطاى إلى دمشق، فتلقاهما الأمير طَشْتَمُر، وبالغ فى إكرامهما، وفيه جمع الأمير أينبك الأمراء والقضاة، وحلف الأمراء لنفسه وللسلطان، وأمرهم بأن يتجهزوا إلى الشام، وأمر بالجاليش السلطانى، فعلق على الطبلخاناه من قلعة الجبل.

وفيه - وهو سابع عشرين تموز وثالث مسرى -: وقع مطر كبير جدا، سال منه جبل المقطم، وكان مع ذلك رعد قوى وبرق متواتر، وتساقطت فى الليل نجوم عديدة.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على الخليفة المتوكل على الله، واستقر خليفة على عادته.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: خلع على شمس الدين محمد الدميرى[1] وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى.

وفيه خرج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ليقف على رأس الرمل بطريق الشام؛ ليرد من عساه يتسحب من المماليك إلى الشام.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: خرج الجاليش سائرا إلى الشام، وهم خمسة أمراء مقدمى ألوف: قُطْلوخُجا، والأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير أينبك، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير دمرداش اليوسفى، والأمير بلاط الصغير، والأمير تمر باى الحسنى، وأربعة أمراء طبلخاناه، وهم: بورى الأحمدى، وأقبغا أص الشيخونى، وبرقوق العثمانى، وبركة، ومائة من المماليك السلطانية، ومائة من مماليك الأمير أينبك.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: خرج طُلب السلطان، وطلب الأمير الكبير أَيْنَبَك، وسائر أطلاب الأمراء وغيرهم.

وفى يوم السبت أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان والأمير قطلوأقتمر الطويل، والأمير مبارك الطازى، والأمير ألطُنبغا السلطانى، والأمير إينال، فى بقية الأمراء والمماليك، وسار من قلعة الجبل حتى نزل بمخيمه على ناحية العكرشا، شمالى سرياقوس.

وفيه نودى أن النيل أربعا وعشرين إصبعا من أول النهار، ثم نودى عند العصر

---

(١) سبق ترجمته.

بزيادة اثنتى عشرة إصبعا، لتتمة ست عشرة ذراعا، وزيادة إصبع من سبع عشرة ذراعا، وذلك هو اليوم الخامس عشر من شهر مسرى، فسر الناس الوفاء وخروج أينبك من البلد، وكان أينبك قد ثقل على الناس وتطيروا له بذلك، فقالوا: «خرج فى يوم الكسر»، فوقعت عليه الطيرة.

وفى يوم الأحد ثانيه: فتح الخليج على العادة، فنودى بزيادة خمس أصابع.

فلما كان بعد عصر هذا اليوم رجع الأمير أَيْنَبَك بالسلطان إلى القلعة ومعه الأمير قُطلو أقتمر الطويل، والأمير ألطنبغا السلطانى، وقد اضطربت القاهرة، وذلك أن أمراء الشام وردت مكاتبتهم إلى أمراء مصر، تتضمن توبيخهم على تقديمهم أينبك وتمكينه من الانفراد بالتدبير، وقرروا معهم إشاعة مخامرة نواب الشام، وخروجهم عن الطاعة وعمل الحيلة فى إزعاج أينبك حتى يخرج لمحاربتهم بالشام، ليحصل التمكن من القبض عليه، فدبروا على أينبك، حتى خرج بالسلطان، وسار جاليش العسكر حتى نزل بالصالحية[1] فبلغ الأمير قُطلوخُجا، أخو أينبك وهو مقدم الجاليش، أن الذين معه من الأمراء والمماليك قد اتفقوا على أن يكبسوه، فجمع مماليكه ومماليك الأمير أحمد بن أينبك، وبادر ليأخذهم قبل أن يأخذوه، وركب إليهم وهم متهيئون له، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، لم ينج منها إلا بنفسه وثلاثة معه، وأقبل إلى أخيه أينبك فلم يثبت، ورجع من فوره بالسلطان، وكان رأس هذه الحركة ومحرك سلسلتها الأمير برقوق[2] العثمانى.

وفى غده – يوم الإثنين ثالثه –: أنزل الأمير أينبك بالسلطان من قصره إلى الأصيل، ودقت الكوسات حربيا، ليجتمع العسكر على العادة، وكان قد اتفق الأمير قطلو أقتمر الطويل – هو والأمير ألطنبغا السلطانى، وجماعة كبيرة – على مخالفة أينبك، وتوجها نصف الليل إلى قبة النصر، خارج القاهرة، ووقفوا هناك للحرب، فبعث إليهم الأمير أَيْنَبَك بأخيه الأمير قُطلوخُجا، ومعه نحو مائتى فارس، فلقيه القوم وقاتلوه، وأخذوه أسيرا. فبعث إليهم من الأمراء أَقْتَمُر عبد الغنى، وبهادُر الجمالى،

---

(١) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قصيون من غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٩٠.

(٢) الظاهر برقوق: برقوق بن أنص – أو أنس – العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك على مصر من الشراكسة. جلبه أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبا إليه، ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر وانتزع السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الصالح. توفى بالقاهرة، مدة حكمه أتابكا وسلطانا قرابة ٢١ عاما. انظر: ديوان الإسلام وابن إياس ١/ ٢٥٨، ٢٩٠ والضوء اللامع ٣/ ١٠ والأعلام ٢/ ٤٨.

ومبارك الطازى، فعندما ساروا عنه لم يثبت، وفر إلى جهة كيمان مصر، فتبعه الأمير أيدمُر الخطاى فى جماعة، فلم يقفوا له على خبر، ثم رأوا فرسه وقباه وآلة حربه، فعادوا بذلك، وقد بلغ قُطلو أقتمر الطويل فرار أَيْنَبك، فعاد بمن معه، وضرب رنكة على بيت أحمد بن أَيْنَبَك بالرميلة[1] ليستولى عليه بما فيه، وسكن حيث كان سكن أينبك من الاصطبل السلطانى، وظن أنه قد أمن، وقلع عنه السلاح، وأقام ينتظر قدوم من خرج من الأمراء والمماليك فى الجاليش، ليقوى بهم.

فلما كان بكرة الغد - يوم الثلاثاء رابعه - قدم أمراء الجاليش بمن معهم، وهم الأمير دمرداش اليوسفى، والأمير بلاط الصغير، والأمير يلبغا الناصرى، وثلاثتهم مقدموا ألوف، والأمير برقوق العثمانى، والأمير بركة، وهما طبلخاناه، وطلعوا إلى الاصطبل، ودار بينهم وبين الأمير قُطلو أَقْتَمُر الطويل كلام آل إلى اختلافهم وتنازعهم، فقبضوا عليه وعلى الأمير ألطنبغا السلطانى، والأمير مبارك الطازى، وقيدوهم ثلاثتهم، وبعثوا بهم عشية النهار إلى سجن الإسكندرية، مع الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب فسجنوا به، وصار التحدث من الأمراء فى الدولة للأمير يلبغا الناصرى، وأخرج البريد من وقته وساعته لإحضار الأمير طشتمر نائب الشام.

وفى يوم الخميس سادسه: وقفت العامة تطلب عزل الدميرى، وإعادة العجمى إلى الحسبة، فأجيبوا إلى ذلك، وخلع على جمال الدين محمود العجمى وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى.

وفيه أنعم على كل من الأمير برقوق العثمانى والأمير بركة بتقدمة ألف واستقر الأمير يلبغا الناصرى أمير أخور، وسكن باصطبل، كما سكن أينبك، وقُطلو أقتمر الطويل.

وفى يوم الأحد تاسعه: جاء الأمير أينبك بمفرده إلى بيت الأمير بلاط الصغير. فطلع به إلى الأمير يلبغا الناصرى، وقد سكن أيضا بالاصطبل، فقيده، وقبض معه على أمير اسمه نعناع، وبعث بهما مقيدين إلى الإسكندرية فسجنا بها أيضا.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قدم البريد إلى دمشق بطلب الأمير قَشْتَمُر وهو بقبة يلبغا - خارج المدينة - وقد برز ومعه العساكر ونواب الشام، يريد المسير إلى مصر ومحاربة أينبك، ونزع يده من التصرف. فلما قرأ كتاب السلطان بما كان من القبض على أينبك، وسجنه بالإسكندرية، والمرسوم له بأن يحضر إلى مصر ليكون الأمير الكبير

(١) الرميلة: منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضريه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر: معجم البلدان ٣/ ٧٣.

الأتابك، ويحضر صحبته الأمير تمر باى ليستقر رأس نوبة كبير، وأن يستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، والأمير أَشَقْتَمر فى نيابة حلب، والأمير منكلى بغا الأحمدى فى نيابة حماة[1] والأمير أقبغا الدوادار نائب غزة فى نيابة صفد فسر بذلك وتفرقت تلك العساكر، وتوجه الأمير طشتمر إلى مصر، واستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير طشتمر.

وفى يوم الأحد سادس عشره: بلغ الأمراء القائمين بأمر الدولة، وهم: يلبغا الناصرى، وبرقوق، وبركة، أن جماعة من الأمراء قد عزموا على الفتك بهم، فركب الأمراء الثلاثة فى عدة من اليلبغاوية، وقبضوا على الأمير دمرداش اليوسفى، وعلى الأمير تمر باى الحسنى، وعلى الأمير أقبغا آص الشيخونى، وعلى الأمير قُطلوبغا الشعبانى، وعلى الأمير دمرداش التمان تمرى المعلم، وعلى الأمير أَسندَمُر العثمانى، وعلى الأمير بجمان العلاى، وعلى الأمير أسنبغا التلكى، وقيدوهم، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها وهؤلاء ممن وثب من المماليك فى هذه الفتنة، وعمل أميرا.

وفيه قبض على الطواشى مختار الحسامى مقدم المماليك، وسجن بالبرج من القلعة.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: خلع على مختار، وأعيد إلى تقدمة المماليك.

وفيه ركب الأمير برقوق العثمانى - وقت القايلة - فى جماعة من أصحابه، وصعد إلى الاصطبل، وأنزل الأمير يلبغا الناصرى منه، ونزعه من وظيفته، وسكن فى موضعه من الاصطبل السلطانى، واستقر عوضه أمير أخور، واستقر بأخيه الأمير بركة الجوبانى أمير مجلس، وأسكنه فى بيت الأمير قوصون، تجاه باب السلسلة من الرميلة، واقتسما الحكم فى الدولة بينهما.

وكانت الفتن التى تقدم ذكرها، وثورات المماليك، وتغير دولهم، إنما هى توطئة لبرقوق، وتمهيد له حتى ملك البلاد، وقام بدولة الجراكسة، كما ستراه إن شاء الله تعالى، فإنه من يومه هذا استقر قراره بالاصطبل ورسخت قدمه فى الدولة، وثبت أوتاده بها، وما زالت الأقدار تسعده، والأيام تساعده، حتى استبد بالمملكة، وانفرد بتدبير السلطة، وصعد من الاصطبل، فسكن القصر حتى نقل منه إلى القبر عزيزا منيعا، عالى القدر رفيعا، فسبحان من يدبر الأمر كله، لا إله إلا هو.

---

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. وسمى العاصى لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ومجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقربة منها. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الأمير جمال الدين مُغْلطاى الشرفى واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن حسين بن على الكورانى، وقبض على حسين واعتقل.

وفى يوم الإثنين أول جمادى الأولى: قدم الأمير طَشْتُمر العلاى من دمشق، فركب السلطان والأمراء إلى لقائه، فلما رأى السلطان بالريدانية، خارج القاهرة، نزل عن فرسه وقبل الأرض وبكى، فنزل إليه الأمراء وسلموا عليه وأركبوه، وساروا به إلى القلعة، فخلع عليه، واستقر أتابك العساكر، وخلع على الأمير تمر باى الدمرداشى - وقد قدم أيضا - واستقر رأس نوبة كبيرا، وأنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: نودى بالقاهرة ومصر: «من ظلم فعليه بباب الأمير طَشْتَمُر الأتابك».

وفيه خلع على الأمير برقوق، واستقر أمير أخور، وخلع على الأمير بركة، واستقر أمير مجلس.

وفيه أنعم على الأمير أطلمش الأرغونى بتقدمة ألف، واستقر دوادار، وعلى يلبغا المنجكى، واستقر شاد الشراب خاناه. وعلى الأمير بلاط، واستقر أمير سلاح، ورسم أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: أفرج عن الأمير سودن جركس، والأمير قطلوبغا جركس، والأمير قطلوبغا البدرى، والأمير ألطنبغا السلطانى، والأمير طَغْيتَمُر الناصرى، والأمير ألجبغا السيفى، والمير إياس الصرغتمشى والأمير قطلوبغا البشيرى، والأمير أسنبغا، ورسم إحضارهم من الإسكندرية.

وفى عشرينه: خلع على برهان الدين إبراهيم الأبناسى - من أعيان الفقهاء الشافعية - واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، بعد وفاة علاء الدين أحمد بن محمد السراى. ونزل معه شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص إلى الخانكاه.

وفيه حمل إلى الأمير أقتمر الحنبلى تشريف نيابة دمشق وتقليده بها.

وفى خامس عشرينه: قدم الأمير قطلو أقتمر العلاى أمير جاندار، أخو الأمير أقتمر الحنبلى، والأمير علاء الدين على بن تشتمر نائب الإسكندرية، فأنعم على كل منهما بإمرة مائة تقدمة ألف.

وفيه أعيد الأمير صلاح الدين خليل بن عرام إلى نيابة الإسكندرية.

وفى سادس عشرينه: استقر الطواشى دينار الناصرى لالا السلطان، وأخرج الطواشى مقبل الكلفتى منفيا، وخلع على الأمير تمربغا الدمرداشى، واستقر ناظر المارستان.

وفى سلخه: خلع على الأمير تغرى برمش، واستقر حاجب الحجاب، وعزل الأمير أقتمر عبد الغنى من نيابة السلطنة، وخلع على الأمير على بن قشتمر، واستقر حاجبا لها.

وفى ليلة الرابع من شهر رجب: تردى الأمير قطلو أقتمر الطويل، من مكان بسجنه من الإسكندرية، فمات، وقيل إنه كان سكرانا، ومنه تفرعت الفتن التى نرد ذكرها، ودفن من الغد و لم يصل عليه أحد.

وفى يوم الأحد خامسه: قدم الأمير أيتمش البجاسى إلى ثغر الإسكندرية، بالإفراج عن جميع الأمراء المعتقلين، ما عدا أربعة: الأمير أينبك، والأمير قطلو خجا، والأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير جركس الإلجاوى، وأفرج عنهم، وتوجه بهم إلى القاهرة، فلما وصلوا قريبا منها رسم بتفرقهم فى البلاد الشامية، فساروا إلى حيث أمروا، وأحضر إلى قلعة الجبل منهم بأحمد بن هُمُز وأَسنُبُغا التلكى.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على علم الدين سليمان البساطى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن بدر الدين عبد الوهاب الأخناى، وكتب باستقرار الأمير بيدمر الخوارزمى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير أقتمر الحنبلى بعد وفاته. واستقر الأمير زين الدين مبارك شاه العلاى المشطوب فى نيابة غزة(١).

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة، عوضا عن التاج النشو الملكى، وسجن الملكى بقاعة الصاحب من القلعة، وفيه خلع على الأمير قطلو أقتمر أمير جندار أخى الحنبلى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، ورسم بإحضار ابن عرام وزوجته - الست سمراء - ليصادرا.

وفيه جُهزت خلعة نيابة طرابلس إلى الأمير بلاط السيفى، وقد خرج إلى ناحية العكرشا، ورسم له أن يتوجه من موضعه إلى طرابلس، ثم انتقض ذلك، واستعيدت الخلعة واستقر على حاله.

---

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غرب عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٠٢، ٢٠٣، وفى الروض المعطار غزة موضع بديار حذام من مشارف الشام على ساحل البحر. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

وفى ثانى شعبان: ارتجعت إمرية طيبغا الجمالى، وكان قد جُرد لكبس الغربان بناحية أطفيح(١) فكبسه العرب وجرحوه، وعاد مريضا من جراحته.

وفى هذه الأيام: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من وظيفة قضاء القضاة، وخرج إلى تربة كوكاى، بنية العود إلى القدس، بعد أن انجمع عن أهل الدولة، وترك حضور الخدمة السلطانية بالإيوان فى يومى الإثنين والخميس مع الأمراء مدة أيام، تورعا واحتياط لدينه، لما دهم الناس من تغير الأحوال، وحدوث مالم يعهد، وتهاون القائمون بالدولة بالأمور الدينية؛ فعين الأمير الأتابك طشتُمر العلاى لقضاء القضاة سراج الدين عمر البلقينى(٢) قاضى العسكر، فلم توافقه بعض الأمراء، فتحدث لبدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ولايته بمال قام به، فشق ذلك على البلقينى وترك قضاء العسكر لولده؛ فلما كان يوم الإثنين ثامن عشره، خلع على بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء القضاة، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وخلع على بدر الدين محمد بن سراج الدين عمر البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر برغبة أبيه له عن ذلك.

واستقر الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى - رحمه الله - من القرافة، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى - شيخ الخانكاه الركنية بيبرس - فى تدريس الفقه وتدريس الحديث بالمدرسة المنصورية، عوضا عن ابن أبى البقاء، واستقر جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى فى توقيع الدست، عوضا عن أخيه بدر الدين، واستقر صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى(٣) - أحد نواب القضاة الشافعية - فى إفتاء دار العدل، عوضا عن أبى البقاء، وخلع على الجميع، ونزلوا بين يدى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فكان يوما مشهودا.

---

(١) أطفيح: بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر: معجم البلدان ١/ ٢١٨.

(٢) البلقينى: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية. انظر: لحظ الألحاظ والضوء اللامع ٦/ ٨٥ وشذرات الذهب ٧/ ٥١ وحسن المحاضرة ١/ ١٨٣ والتاج ٩/ ١٤٣ والأعلام٥/ ٤٦.

(٣) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، ضياء الدين السلمى المناوى: قاض من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بجيزة القاهرة ولى قضاء الغربية عدة سنين وناب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها. من كتب «الواضح البينة». انظر طبقات الأسنوى ٢/ ٤٦٦ والدرر ٣/ ٢٨٥ ودار الكتب ١/ ٥٤٦ والأعلام ٥/ ٢٩٨.

وفيه أخرج الأمير بيبغا الطويل العلاى - أحد أمراء الطبلخاناه - منفيا إلى الشام.

وفيه استقر الأمير منكلى بغا البلدى فى نيابة طرابلس، عوضا عن أرغون الأسعردى، واستقر الأسعردى فى نيابة حماة، عوضا عن منكلى بغا البلدى، واستقر أقبغا الجوهرى - حاجب طرابلس - فى نيابة غزة، عوضا عن مبارك شاه المشطوب - واستقر مبارك شاه حاجبا بطرابلس.

وفى ثامن عشرينه: ارتجعت طبلخاناه طينال الماردينى، وعوض عنها بإمرة عشرة، ورسم أن يكون طرخانا.

وفى يوم الإثنين ثانى شوال: أمر الأمير برقوق بتسمير مملوك من مماليك السلطان السلاح دارية، اسمه تكا، فسمر وطيف به، وهو ينادى عليه: «هذا جزاء من يرمى الفتن بين الملوك، ويتكلم فيما لا يعنيه» من أجل أنه وشىء به إلى الأمير طشتمر الأتابك بأن الأمير برقوق قد عزم أن يركب عليه، فبعث يعتبه على ذلك، فأنكر، وحلف، وطلب منه الناقل هذا عنه، فبعث به إليه، ففعل به ما ذكر.

وفى يوم السبت رابع عشره: صار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة على البريد إلى القدس.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، فاستقر فى الوزارة، عوضا عن ابن الرويهب، وخلع على التاج عبد الوهاب النشو الملكى، واستقر بعد الوزارة فى نظر الدولة، عوضا عن سعد الدين بن الريشة، واستقر ابن الريشة فى نظر الأسواق ودار الضيافة، وألزم ابن الرويهب بحمل مائة ألف درهم. وصادر الوزير ابن عرام مباشرى الجهات جميعهم، فهرب أكثرهم.

وكان الأمير بلاط أمير سلاح قد عدى النيل إلى الجيزة[1] ونزل عند مرابط خيله على الربيع، ليتنزه هناك، فبعث إليه الأمراء بخلعة لنيابة طرابلس، وعوقت عنه المعادى فى يوم الإثنين ثالث عشرينه وبعث من الغد إليه الأمير برقوق أمير أخور يخيره فى نيابات البلاد، فامتنع من ذلك، وعزم على الحرب، وأقبل إلى ساحل النيل ليعديه، فوجد المعادى قد انحازت عنه إلى جهة بر مصر فسقط فى يده، وأذعن للطاعة، فأخرج إلى القدس بطالا، وأنعم عليه بضيعة تغل فى السنة نحو مائتى ألف درهم؛ فلما صار فى أثناء الطريق، كتب بأن بتوجه إلى الكرك، ويقيم بها بطالا، ولم يجر فى ذلك فتنة، إلا أن الأمير برقوق ألبس مماليكه آلة الحرب، حتى سار بلاط، ثم قبض على إخوته وحاشيته وأكابر مماليكه، وسجنوا، ومنع الأمراء من استخدام مماليكه عندهم.

---

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل قرى مصر. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن بلاط، وخلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر رأس نوبة ثانيا، عوضا عن يلبغا الناصرى، وكثر الرخاء فى هذا الشهر، حتى أبيع الخبز البايت كل أربعة وعشرين رطلا بدرهم، حسابا عن كل رطل - وهو رغيف - بفلس، والجبن الجاموسى الطرى كل عشرة أرطال بثلاثة دراهم ونصف درهم، والبيض كل أربعين بيضة بدرهم.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الوزير صاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى ناظر الدولة، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد.

وفى ذى الحجة: توحش ما بين الأمير الكبير طشتَمُر الأتابك، وبين الأمير برقوق أمير أخور، وأخذ الأمير برقوق فى التعنت عليه حتى يخالفه، فيجعل ذلك سببا لإثارة الفتنة، وصار برسل إليه بأن ينفى فلانا من مماليكه عنه، فيمتثل إشارته وينفى ذلك المملوك قصدا لإخماد الفتنة، حتى بعث إليه هو والأمير بركة بأن يقبض على مملوكه رأس نوبته كمشبغا، ويخرجه منفيا، فلم يجد بدا من ذلك، وأمر به فقبض عليه. وجلس بعد صلاة العشاء من ليلة عرفة على عادته مع خواصه يتحدث، وإذا بمماليكه قد دخلوا عليه لابسين السلاح، وعنفوه على موافقة برقوق على مسك مماليكه، وأظهروا الغضب لذلك، وأرادوه أن يركب للحرب، فقام إلى حريمه وأغلق عليه بابه، فخرجوا عنه يدا واحدة، وركبوا خيولهم، ووقفوا تحت القلعة، فأمر برقوق بالكوسات فدقت، وركب هو والأمير بركة، ووقعت الحرب بينهم طول تلك الليلة إلى الصباح، فقتل جماعة، وجرح كمشبغا رأس نوبة طشتمر، مات منها بعد ذلك. وانكسرت بقية الطَشْتَمُرية، فخرج الأمير طَشْتَمُر من داره فى يوم الخميس تاسع ذى الحجة - صبيحة الوقعة - وفى عنقه منديل، ومضى إلى الأمير برقوق، وهو قد تزوج بابنته، فقبض عليه وعلى الأمير أَطلمِش الدوادار، والأمير بزلار، وأرغُون - دوادار طشتمر - وألابغا رأس نوبته، وعلى أمير حاج بن مغلطاى، وبعثهم جميعا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، وتتبع حواشى طَشْتِمَر، فقبض على طواشيه تقطاى - وكان قد قاتل تلك الليلة قتالا شديدًا - وقبض عدة من مماليكه أيضا، نفاهم إلى قوص[١].

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير سيف الدين برقوق العثمانى أمير آخور، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر، عوضا عن أبى زوجته، الأمير طشتمر

---

(١) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

العلاى، وخلع على صديقه الأمير أَيْتَمُش البجاسى،واستقر عوضه أمير أخور بإمرة مائة تقدمة ألف، واستمر سكنى الأمير برقوق حيث كان من الاصطبل، وصار يطلع إلى الأشرفية من قلعة الجبل فى يومى الإثنين والخميس، وتقاسم الأمر هو والأمير بركة، فصارا فحلى الشول، إليهما ترجع أمور الدولة بأسرها، إلا أن الولايات والعزل إذا انتظمت عند الأمير بركة فى بيته كان أمضاها بين يدى الأمير الكبير برقوق بالاصطبل، فإذا أراد أحد ولاية شيء من الأمور تحدث مع حاشية الأمير بركة حتى يتقرر له ما يريد، ثم بيعث بذلك الرجل إلى أخيه الأمير الكبير برقوق، ويعلمه بما أراد فيرضيه أيضا، ثم يستقر فيما يقرر فيه من الوظائف، إما فى الخدمة السلطانية أو فى مجلس الأمير الكبير برقوق، فكان هذا حال الناس جميعا فيما يريدونه من الدولة، وفى الظاهر صاحب الأمر الأمير برقوق، غير أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب فى الأعمال والكشف، وسائر الوظائف، لا سبيل أن ينالها أحد إلا بمال، يقوم به أو يلتزم بأدائه، ويكتب به خطه، فتطاول كل نذل رذل وسفلة إلى ما سنح بخاطره عن الأعمال الجليلة والرتب العلية، فدهى الناس من ذلك بداهية دهياء، أوجبت خراب مصر والشام، كما ستراه فيما يمر بك على طول السنين فى أوقاته، إن شاء الله تعالى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: أرسل الأمير الكبير برقوق يستدعى الأمير يلبغا الناصرى، ليأخذ رأيه فى شيء عن له[1] فظن أن الأمر على هذا، وركب إليه غير مستعد، فى قليل من مماليكه، فلما صار إليه عزم عليه أن يتخفف من ثيابه؛ ويظل نهاره عنده ليفاوضه فى مهماته، فقام ليخلع عنه ثياب ركوبه فى بعض مخادع الدار، فأحيط به وقبض عليه، وقيد وحمل من وقته إلى الإسكندرية، فسجن بها، وقبض معه على كجلى، أحد أمراء الطبلخاناه أيضا.

وفى عشرينه: خلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن يلبغا الناصرى، واستقر محمد بن طاجار فى ولاية دمياط، واستقر علم الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين محمد القفصى المصرى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان إبراهيم الصنهاجى، واستقر كمال الدين عمر بن الفخر عثمان بن هبة الله المعرى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن جلال الدين محمد بن محمد الزرعى[2].

---

(١) عَنَّ له: ظهر أمامه واعترض. ويقال: عنَّ لى الأمر، أو عنَّ بفكرى الأمر: عرض. انظر: المعجم الوجيز ٤٣٨.

(٢) الزرعى: محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين: فاضل. كان قاض «عجلون» وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحالى فى وصف الخال». انظر: شذور الذهب ٦/ ٢٦٤ والأعلام ٦/ ٤١.

وفيها ولى محب الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن الشحنة[1] قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن الجمال إبراهيم بن العديم، وعزل بعد أشهر قلائل بابن العديم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى[2] الغرناطى النحوى بحلب، عن سبعين سنة، وكان حسن الأخلاق عالما بالنحو والتصريف والبديع، له مشاركة فى علم الحديث وغيره، ويد طولى فى الأدب، وله عدة مصنفات فى النحو والبديع والعروض، منها شرح ألفية ابن معطى، وله شعر، أقام بحلب ثلاثين سنة، وحج مرارا.

ومات الأمير أحمد بن الأمير قوصون، فى ثانى عشر ذى الحجة.

ومات الأمير أقتمر الصاحبى - المعروف بالحنبلى، لكثرة مبالغتنا فى الطهارة بالماء، وتشدده فى ذلك - وهو على نيابة دمشق، فى ليلة الحادى عشر من رجب.

ومات الأمير ألطنبغا أبو قورة، أمير سلاح.

وتوفى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر بن السفاح الحلبى، وهو عائد من الحج، بمدينة بصرى، عن سبع وستين سنة.

ومات الأمير طَشْتَمُر اللفاف، أحد رءوس الفتن، فى يوم الثلاثاء ثالث المحرم بالطاعون.

وتوفى بدر الدين حسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الحلبى[3] المؤرخ بحلب، عن سبعين سنة.

---

(١) ابن الشحنة محمد بن محمد، أبو الوليد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى له اشتغال بالأدب والتاريخ. من علماء حلب. ولى قضاءها مرات واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر». انظر: أعلام النبلاء ٥/ ١٦١ والضوء اللامع ١٠/ ٣ والكتبخانة ٢/ ٤١ والأعلام ٦/ ٤٤.

(٢) ابن مالك الرعينى: أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى الغرناطى ثم البيرى، أبو جعفر الأندلس كتبه «رسالة» و «بديعة». انظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٤٠ وبغية الوعاة ١٤/ ١٧٦ ودار الكتب ٥/ ٢٠٠ والأعلام ١/ ٢٧٤.

(٣) ابن حبيب الحلبى الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبى: مؤرخ، من الكتاب المترسلين. ولد فى دمشق، ونصب أبوه محتسبا فى حلب فانتقل معه، فنشأ فيها، ونسب إليها. ثم رحل إلى مصر والحجاز، ثم استقر فى حلب له «نسيم الصبا» و «درة الأسلاك فى دولة الأتراك». انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٢٩ وآداب اللغة ٣/ ١٧٣ وأعلام النبلاء ٥/ ٦٦ وكشف الظنون ١/ ٧٣٧ والأعلام ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير قرطاى، أحد مثيرى الفتن، ثم أتابك العساكر، مخنوقا بطرابلس، فى شهر رمضان، وحملت رأسه إلى القاهرة.

وتوفى والدى، علاء الدين على بن محيى الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر رمضان عن خمسين سنة. وقد باشر التوقيع السلطانى وعدة وظائف، وكان الأغلب عليه صناعة كتابة الإنشاء والحساب، مع دين متين، وعقل راجح رصين، والله تعالى أعلم.

* * *

سنة ثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس: وفيه خلع على الأمير أقتمر العثمانى، واستقر دوادارا بتقدمة ألف، عوضا عن أطلمش الأرغونى.

وفى يوم الإثنين خامسه: استقر الأمير مبارك شاه الطازى فى نيابة غزة، عوضا عن أقبغا الجوهرى، واستقر أقبغا الجوهرى فى نيابة صفد، عوضا عن صُراى تَمُر المحمدى، وقبض على صراى تمر وسجن بالكرك.

وفى عاشره: مات الأمير أَيْنَبَك، مثير الفتن، بسجن الإسكندرية، وصودرت زوجته وأخذ منها مال عظيم، فكان هذا مما استشنع فعله، فإنه لم تجر العادة بالتعرض للحرم.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن تاج الدين نشو الملكى، وأفرد الملكى بنظر الجيش.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد، وأعيد إلى نظر الجيش، عوضا عن الملكى. وقبض على الملكى وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، حتى مائة ألف درهم فضة، ثم أفرج عنه.

وفى ليلة الأحد خامس عشرينه: وقع حريق عظيم خارج باب زويلة، احترق منه دكاكين الفاكهانيين والنقليين، والبرادعيين، والرابع المعروف بالدهيشة تجاه باب زويلة، وامتدت النار إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة الجوبانى، والأمير أيتمش البجاسى، والأمير دمرداش الأحمدى، والأمير تغرى برمش حاجب الحجاب، وطفوه بأنفسهم ومماليكهم، فكان أمرا مهولا، أقامت النار فيه يومين، وخربت أماكن جليلة كبيرة، كانت من أبهج المواضع وأحسنها. وتحدث الناس أن هذا مبدأ خراب القاهرة، وكثر ذلك على الألسنة، فكان كذلك، ثم إن الناس أخذوا فى عمارة ما احترق حتى عادوه كما كان، وقال فى هذا الحريق القاضى زين الدين طاهر.

بباب زويلة وافى حريق ... أزال معانى الحسن المصون
ودمر كل عال من ذراه ... وصير كل عال مُقلّ دون
وعبرة عبرة الرائين أجدى ... يقينا كالعيون من العيون
وما برح الخلائق فى ابتهال ... لمحى الأرض من بعد المنون

إلى أن قال في لطف خفي وفضل عناية يا نار كوني

وفي آخره: أفرج عن الأمير يلبغا الناصري، وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف بدمشق، عوضا عن الأمير جَنْتَمُر أخي طاز، وقبض على جَنْتمر وسجن بقلعة المرقب[(١)].

وفي يوم الخميس سادس صفر: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن مكانس ناظر الدولة، واستقر في الوزارة، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، وركب بنجيبين[(٢)] أحدهما قدامه والآخر وراءه، كما كانت عادة الوزراء.

وفي يوم الإثنين عاشره: خلع على فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس[(٣)] واستقر في نظر الدولة مكان أخيه الصاحب كريم الدين. وخلع على تاج الدين فضل الله بن الرملي، واستقر في وزارة دمشق، وتوجه إليها. وكان من شياطين كتاب مصر المسالمة.

وفيه قبض على الوزير الملكي، وسجن بقاعة الصاحب، وألزم بمال كبير.

وفي هذه الأيام: وقع حريق في خارج باب النصر؛ وحريق تجاه اليانسية[(٤)] خارج باب زويلة. وركب الأمير ألطَنْبُغا المعلم البريد إلى حلب، ليقبض على الأمير أَشَقْتَمُر النائب.

وفي عشرينه: خلع عن الركن والي الفيوم[(٥)] واستقر في ولاية الفيوم والبهنسى، وعلى محمد بن طاجار، واستقر في ولاية المنوفية[(٦)].

وفي ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع واثنتين وعشرين إصبعا.

---

(١) قلعة المرقب: قلعة حصينة على ساحل بحر الشام. انظر:معجم البلدان.

(٢) بنجيبين: النجيب من الإبل والجمع النجب والنجائب، ويقال: نجائب الإبل خيارها، ونجائب الأشياء لبابها وخالصها انظر المعجم الوسيط (نجب).

(٣) ابن مكانس: عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصري، حنفي المذهب. أصله من القبط. ولد بالقاهرة، وولي نظارة الدولة بمصر، ثم تولى في آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها. فتوفي قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها. انظر: الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٠ وابن الفرات ٩/ ٣٢٣ وآداب اللغة ٣/ ١٢٤ والكتبخانة ٤/ ٣١٣ والأعلام ٣/ ٣١٠.

(٤) اليانسية: حارة اليانسية، هي منسوبة لخادم خص من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن يانس الصقلي، وهي تقع خارج باب زويلة. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦.

(٥) الفيوم: في البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، وقيل أنها سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٨٦، والاستبصار ٩٠، والإدريسي ١٤٦، وخطط المقريزي ١/٢٤٥، وابن الوردي ٢٣.

(٦) المنوفية: من قرى مصر القديمة، لها ذكر في فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٥/ ٢١٦.

وفى هذا الشهر: رخصت الأسعار، حتى أبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرطال بسبعة دراهم ونصف درهم، وكل عشرة أرطال إليه بستة دراهم.

وفى أول شهر ربيع الأول: رُسم للأمير تَلَكْتَمُر من بركة أن يجلس فى الخدمة السلطانية بالإيوان، فيمن يجلس من الأمراء الكبار.

وفى سادسه: قبض على الحاج سيف مقدم الدولة، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، وسلم له سيف، ثم نقل دار الوالى، فعُوقب حتى التزم بحمل مائة ألف دينار، حمل منها خمسمائة ألف درهم عنها خمسة وعشرون ألف دينار، وأخذ جميع ماله من مراكب بحرية ودواليب، وقيمتها أكثر منذ لك، ثم أفرج عنه فى سابع عشره، فكان هذا مما لم يعهد قبل ذلك، أعنى تسليم من يصادر لوالى القاهرة، وإنما كان يتسلم المصادر شاد الدواوين أو مقدم الدولة بمرسوم الوزير، ولا يتعدى حكم الوالى العامة وأهل الجرائم منهم، وأما الأجناد والكتاب وأعيان التجار فلا تمتد يده إلى الحكم فيهم، ويرجع أمرهم إلى نائب السلطان؛ فإن لم يكن فحاجب الحجاب، لأن كل أحد له رتبة محفوظة لا يتعداها، فانخرق السياج، وأخذ كل أحد يتعدى طوره، ويجهل قدره.

وفى هذه الأيام: نُقل الأمير مَنْكلى بُغا البلدى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، عوضا عن أَشَقْتَمُر. واستقر الأمير يلبغا الناصرى عوضه فى نيابة طرابلس.

وفيها أشيع أن المماليك الأجائية، وهم نحو ثمانمائة مملوك، اتفقوا مع جماعة على إثارة الفتنة، فقبض على عدة من الأمراء ومماليك السلطان، ورسم للجميع بالقبض على من فى خدمتهم من مماليك ألجاى اليوسفى، فقبضوهم وبالغوا فى إهانتهم، بأن وضعت الزناجير فى أعناقهم، وعملت يدى كل اثنين منهم فى خشبة، وسجنوا بخزانة شمايل - سجن أهل الجرائم - فلم يعهد قبل ذلك أن الترك رجال الدولة أهينوا هذه الإهانة، ثم أشيع أن جماعة من مماليك الأمراء عزموا على الفتك بأستاذيهم، فقبض على كثير منهم.

وفى ثامنه: قبض على ألطنبُغا شادى - من أمراء العشرات - وعدة من مماليك ألجاى.

وفى تاسعه: قبض على قطلوبغا حاجى أمير علم، وألطنبغا العلاى، وأَسَنْبُغا التلكى، وتلك الأحمدى، وألطنبغا عبد الملك، وغريب الأشرفى، وأَسَندمُر الأشرفى، وجوبان الطيدَمُرى، وآقسُنْقُر الأشرفى، وأقبغا القَطْلقَتَمُرى، وتمان تمر الموسوى، وجنتَمُر المحمدى، وسودن العثمانى، وبدى قُرُطُقا بن سوسون، وبك يونس، وبجمان العلاى، وآقبغا ينسون، وحملوا مقيدين إلى الإسكندرية.

وفى عاشره: قبض على الأمير تَمُر باى الدمرداشى رأس نوبه، بحيلة، وهى أن الأمير بركة بعث إليه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب، فركبه، وأتاه متشكرا لصنيعه فأخذه وطلع إلى الأمير الكبير برقوق ليصلح بينهما وكانا قد تنافرا، وكان تمر باى بثياب جلوسه، ليس معه كثير أحد من مماليكه، فلما استقر بهم المجلس، قبض عليه، وقيد وأخرج فى الليل إلى ثغر الإسكندرية فسجن بها، وأنعم على الأمير ألطنبغا الجوبانى بإقطاع تمر باى.

وفيه خلع على جمال الدين محمود العجمى، وأضيف غليه حسبة مصر، عوضا عن الشريف عاصم، فرغب عنها لصديقه سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى، فخلع عليه وباشرها.

وفى عشرينه: نزل الأمير أَشَقْتَمر نائب حلب على بلبيس[١] وكان لما قدم عليه أَلطنبغا المعلم، ليقبض عليه ويبعث به إلى القدس بطالا، قدم عليه مرسوم بأن يحضر إلى الأبواب السلطانية، فسار من حلب ومعه تقدمة جليلة، فبينما هو على بلبيس، أتاه من قبض عليه وقيده وحمله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الأحد حادى عشرينه: سُمر اثنا عشر من الأتراك، وطيف بهم القاهرة، ثم وسط منهم ستة، وهم الأمير أقبغا البجمقدار خازن دار الأمير ألجاى، والأمير قَراكَسَك، وأسنبُغا، من مماليك ألجاى، وبَكْتَمُر الفقيه، وأسندَمُر الذى حمل رأس الأمير أرغون شاه، لما قُتل بقبة النصر.

وفيه أفرج عن غريب الأشرفى، أحد أمراء العشرات.

وفى أول شهر ربيع الآخر: أهين السيد الشريف على نقيب الأشراف، من الأميرين بركة وبرقوق إهانة بالغة، لمنعه عنهم كتاب وقف ناحية بلقس على الأشراف ليتسلمه الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى، وقد استقر فى نظر وقف الأشراف عوضا عنه، ومنع من التحدث فى نقابة الأشراف.

وفى يوم الخميس سابع عشره: خلع على الشريف عاصم واستقر نقيب الأشراف. وخلع على الأمير بزلار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير قطلو أقتمُر، وأنعم عليه بتقدمة تلكتمر بن بركة، واستقر قطلو أقتَمُر أمير جاندار على تقدمته. وخلع على علاء الدين على العمرى، واستقر كاشفا بالوجه البحرى.

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٧٩.

وفيه كان وفاء النيل، وهو عاشر مسرى.

وفيه عين الشيخ راج الدين عمر بن الملقن[1] أحد نواب الحكم بقضاء القضاة الشافعية، عوضا عن بدر الدين محمد بن أبى البقاء، ليلبس فى يوم الإثنين.

فلما كان يوم الإثنين حادى عشرينه: طلع إلى القلعة فلم يتهيأ له لبس، وذلك أن الأمير الكبير برقوق كان قد عينه لذلك بغير مال، فسعى عليه يقوم به إذا استقر فى قضاء القضاة كما قد جرت به العادة فى هذا الزمان، فبعث بها الأمير بركة إلى الأمير برقوق، فلما بلغته الورقة غضب وأمر بجمع القضاة والفقهاء، فتجمعوا بين يديه بالحراقة من الاصطبل فى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، وطلبه، وأخرج الورقة التى بعثها إليه الأمير بركة، تتضمن التزامه بأربعة آلاف دينار يقوم بها إذا استقر قاضى القضاة الشافعية. فأنكر أن يكون خطه، فزاد حنق الأمير برقوق، وأمر به، فسلم إلى الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة ليستلخص منه الأربعة آلاف دينار، وانفض المجلس، فرفق به ابن يوسف من أجل أنه كان قد اتهم بأنه وقع فى واقع يقتضى إراقة دمه عند المالكية. فحكم ابن الملقن بحقن دمه، فرعى له ذلك، ودافع عند شاد الدواوين، وخوفه من التعرض له بمكروه، إلى أن طلع الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى يوم الخميس رابع عشرينه إلى الأمير برقوق، هو والشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الركراكى المغربى، فى عدة من الفقهاء، وسأله فى الإفراج عن ابن الملقن، فوعده بإرساله إليه، فحلف البلقينى ثلاثة أيمان فى ثلاث مرات أنه ما ينصرف إلا به، فأجابه إلى ذلك، وأمر بتسليمه إليه، فمضى به، ولله الحمد.

وفى أخريات هذا الشهر: أفرج عن الأمير طشتمر الأتابك من سجنه بالإسكندرية، ورسم بإقامته بثغر دمياط، وأُقطع بلدا بالقرب منه.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير منكلى الطرخانى، واستقر نائب الكرك، عوضا عن تمرباى الطازى.

وفيه خلع على همام الدين أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأنقانى الأترارى الحنفى

---

(١) ابن الملقن: عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، سراج الدين، أبو حفص بن النحوى، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادى أش (بالأندلس) ومولده ووفاته فى القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف منها «إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال. انظر: ذيل طبقات الحفاظ ١٩٧ و ٣٦٩ والضوء اللامع ٦/ ١٠٠ والخطط التوفيقية ٤/ ١٠٥ والكتبخانة ٥/ ٨٩ والأعلام ٤/ ٥٧.

محتسب دمشق، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بها، عوضا عن نجم الدين أبى العباس أحمد بن أبى العز بمال التزم به وسافر إليها.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير بركة، واستقر فى نظر المارستان، واستقر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن تمرباى. وخلع على قرا دمرداش الأحمدى، واسنقر أمير مجلس. وخلع على الأمير ألطنبغا الجوبانى، واستقر رأس نوبة ثانيا. وخلع على محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمى، واستقر فى نظر المارستان، نيابة عن الأمير بركة، عوضا عن بدر الدين محمد بن عثمان الأنفهسى.

وفيه ورد البريد من طرابلس بقدوم الفرنج إليها فى عشرة مراكب، ونزولهم إلى البر، فحاربهم الأمير يلبغا الناصرى نائب طرابلس، وقتل منهم عدة، وفر باقيهم إلى مراكبهم وساروا.

وفى جمادى الأولى: ركب السلطان ثلاثة سبوت متوالية إلى الميدان برسم الملعب بالكرة، على ما جرت به العادة. ولم يتفق فى السنة الماضية الركوب إلى الميدان لما كان من الاشتغال بالحروب والفتن، وأنعم الأميران بركة وبرقوق فى الميدان على أكابر مماليكهما بأقبية بطرز زركش.

وفيه قدم زامل بن موسى بن مهنا.

وفيه قبض على سلام بن التركية من البحيرة، وقيد وحمل إلى القاهرة.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: قدم البريد بأن خليل بن دلغادر أمير التركمان قتل الأمير مبارك الطازى نائب الأبلستين[1] وذلك أنه ركب فى عسكر من حلب لقتال ابن دلغادر فهزمه وأخذ ما معه، ثم ركب قفاه فى جماعة، فمال عليه ابن دلغادر وقاتله، فوقع فى قبضته، فقدمه وضرب عنقه.

وفيه قبض على الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى ناظر الخاص، وعلى كثير من ألزامه وحبس فى بيت الأمير بركة بمرافعة الوزير كريم الدين بن مكانس إياه، وأحبط بموجوده، ونقل من الغد ما فى داره، فوجد له شىء كثير من المال والثياب والقماش، من جملته نحو الألفى بدن فرو سنجاب.

وفيه أفرج عن الأمير تمر باى الدمرداشى وأخرج إلى القدس، وأفرج عن الأمراء الذين سجنوا قبله أيضا.

---

(١) الأبلستين: هى مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر: معجم البلدان ١/ ٧٥.

وفى يوم الأحد سابع عشره: أعيد المقدم سيف إلى تقدمة الدولة، وقبض على محمد بن يوسف وسلم إليه، فعاقبه حتى مات تحت العقوبة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن مكانس، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن المقسى، مضافا لما معه من نظر ديوانى الأميرين برقوق وبركة. ثم خلع على سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر فى نظر ديوان الأمير الكبير برقوق، وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر أستادار الأمير بركة، فكان هذا أيضا من الأمور التى لم تعهد أن أميرًا من أمراء الألوف يكون استادار أمير.

وفيه ظهر فى السماء كوكب من كواكب الذوابة، له وجه وذنب.

وفى ثانى عشرينه: خرج البريد بالقبض على الأمير بيدمر نائب الشام، وإحضاره.

وفيه استقر الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها، واستناب فى التحدث عنه جمال الدين محمود المحتسب، فلم يبق وقف حكمى ولا أهلى، إلا وطلب مباشرته، وتحد فيه استضعافا لجانب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفى ثالث جمادى الآخرة: خلع على الأمير موسى بن قرمان، واستقر والى الجيزة، ثم عزل من الغد، واستقر على عادته أمير طبر.

وفيه أفرج عن الأمير أَشَقْتَمُر نائب حلب، ورسم بإقامته بالقدس.

وفى سادسه: انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعا وست أصابع.

وفى تاسعه: أخرج الأمير تغرى بَرْمش حاجب الحجاب إلى حلب، وسببه أنه عرّف الأمير بركة سوء سيرة بنى مكانس وكثرة ظلمهم وفسادهم، فقال له: أصلح أنت نفسك، فشق ذلك عليه، وعزل نفسه من الحجوبية، ورمى الإمرة، وقال: ما عدت أعمل أميرًا، وخلع قباه وألقى مهمازه من رحله، وخرج عنه، فأمر به، فخرج حاجبا بحلب، فلما وصل دمشق عزل عنها.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير مأمور القلمطاى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن تغرى برمش، وقدم الأمير بيْدَمُر نائب الشام، من دمشق، فحمل إلى الإسكندرية مقيدا، وسجن بها، واستقر عوضه فى نيابة الشام الأمير كُمُشْبُغَا الحموى، نائب حماة، واستقر عوضه فى نيابة حماة الأمير تمر باى الدمرداشى.

وفى ثامن عشره: أنعم على الأمير أَزْدَمُر الصفوى بإمرة عشرة بدمشق، وأخرج إليها.

وفى العشرين منه: توجه الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى إلى الحجاز معتمرا، واستناب عنه فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى[١] وقدم الخبر بأن رجلا بدمشق من آحاد العامة مات بالمارستان فغُسل وكفن، وأرخى فى قبره بمقبرة باب الفراديس، فعندما أضجع بالقبر عطس، فأخرج وعوفى، وحدث الناس بما جرى له، وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنين.

وفى ثالث شهر رجب: خرج الأمير قَرَاكَسْكَ على البريد لإحضار الأمير منكلى بغا البلدى نائب حلب.

وفى سابعه: أخرج الأمير بُورى الأحمدى إلى القدس منفيا وأنعم عليه بنظر مسجدى القدس والخليل.

وفيه خلع على شمس الدين محمد النيسابورى، ابن أخى جار الله، واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء عوضا عن البرهان الأبناسى.

وفيه قدم البريد بسيف منكلى بغا البلدى نائب حلب، وأنه سُجن بقلعتها، فكتب باستقرار الأمير تمرباى الدمرداشى فى نيابة حلب، واستقر الأمير جَنْتَمُر أخو طاز فى نيابة حماة وكان بطالا بدمشق، وحمل إلى كل منهما تشريفه وتقليده على البريد.

وفى سادس عشرينه: قبض على المقدم سيف، وسلم للأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ثم أفرج عنه.

وفى ثامن عشرينه: قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، ثم أُفرج عنه من يومه، ورسم باستقرار الأمير تغرى برمش، حاجب الحجاب فى نيابة غزة.

وفيه قدم من الأمير قُرط - متولى ثغر أسوان - أحد عشر رأسا من رءوس أمراء أولاد الكنز ومائتى رجل منهم فى الحديد، فعلقت الرءوس على باب زويلة، ولم يعهد

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان من أعمال إربل تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة، من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار». انظر الضوء اللامع ٤/١٧١ وغاية النهاية ١/٣٨٢ وحسن المحاضرة ١/٢٠٤ والأعلام ٣/٣٤٤.

هذا من قبل. وقدم الخبر بأن طائفة من أهل البحيرة - كبيرهم بدر بن سلام - ساروا إلى الصعيد، فلقيهم الأمير مراد كاشف الوجه القبلى، وقاتلهم، فقتل فى الحرب معهم.

وفيه قدم الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى الخَلْوتى، من بلاد خوارزم، فى طائفة من الفقراء، فأنزله شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق الأصفهانى - شيخ خانكاه سرياقوس - بمدرسته التى على طارف الجبل، خارج باب المحروق من القاهرة، تحت دار الضيافة، فأقبل إليه الأمراء وبالغوا فى إكرامه، وبعثوا له بضيافات كثيرة وصلات سنية، فلم يدخر منها شيئًا، وعمل به أوقاتا يجمع عنده فيها الناس، فيطعمهم المآكل الطيبة، وذكر أنه عبر فى سياحته إلى بلد بلغار حيث لا تطلع الشمس عدة أشهر، فدعا سكانه - وهم قوم لا يعلمون شيئًا - إلى الإسلام فاستجاب له كثير منهم وأسلم، فعلمهم شرائع الإسلام، ومضى عنهم، وكان من خير من أدركناه.

وفى أول شهر رمضان: قدم الأمير مَنْكَلى بُغا البلدى إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بقلعة حلب، فأقام بدمشق بطالا.

وفى سادسه: خلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان أطلسين، واستقر نائب الوجه القبلى، ورسم أن يكاتب بملك الأمراء، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وعمل فى خدمته حاجب أمير طبلخاناه، وهو أول من ولى من كشاف الصعيد نيابة السلطنة، واستمر الحال كذلك فيما بعد، وخلع على الأمير على خان، واستقر والى البحيرة، عوضا عن آيدمُر الشمسى، ثم عزل من يومه، واستقر آيدمُر على عادته.

وفى يوم الأربعاء ثامنه: كانت واقعة كنيسة ناحية بو النمرس من الجيزة[1] وذلك أن رجلا من فقراء الزيلع بات بناحية بو النمرس، فسمع لنواقيس كنيستها صوتا عاليا، وقيل له إنهم يضربون بنواقيسهم عند خطبة الإمام للجمعة، بحيث لا تكاد تسمع خطبة الخطيب، فوقف للسلطان الملك الأشرف شعبان[2]، فلم ينل غرضا، فتوجه إلى الحجاز

---

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل قرى مصر. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٠٠).

(٢) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٨٧، وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والأعلام ١٦٣/٣، ١٦٤.

وعاد بعد مدة طويلة، وبيده أوراق تتضمن أنه تشفع برسول الله ﷺ وهو نائم عند قبره المقدس فى هدم كنيسة بو النمرس، ووقف بها إلى الأمير الكبير برقوق الأتابك، فرسم للمحتسب جمال الدين محمود العجمى أن يتوجه إلى الكنيسة المذكورة، وينظر فى أمرها، فسار إليها وكشف عن أمرها، فبلغه من أهل الناحية ما اقتضى عنده غلقها، فأغلقها، وعاد إلى الأمير الكبير وعرفه ما قيل عن نصارى الكنيسة، فطلب متى بطريق النصارى اليعاقبة وأهانه، فسعى النصارى فى فتح الكنيسة، وبذلوا مالا كبيرا، فعرف المحتسب الأمير الكبير بذلك، فرسم بهدمها بتحسين المحتسب له ذلك، فسار إليها وهدمها، وعملها مسجدا.

وفى ثانى شوال: قبض على الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى زَمَامِ الدور، وأخذ منه ثلاثة آلاف دينار، ثم أفرج عنه.

وفى يوم الأربعاء سادسه: قبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن هُمُز التركمانى، خشية من فراره إلى التركمان، وقد ورد البريد بخروجهم عن الطاعة.

وفى سابعه: قبض على الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب، وولده الأمير ناصر الدين محمد، وأخرجهما برقوق[١] إلى الشام ثم ردهما بعد ثلاثة أيام، وأخذ منهما عشر آلاف دينار، وأنعم على الأمير جمال الدين بإمرة طبلخاناه، وترك ولده بطالا، وسبب ذلك أنه أهدى إلى الأمير بركة عندما صرع بالبندق طائرا من طيور الواجب، وادعى له فى رمى البندق، يشتمل الإهداء على خمس بقج حرير أطلس، ضمنها قماش حرير وصوف وفرو، وبدلة برسم الصيد غيار بذهب، وجراوات[٢] برسم بندق الرمى عدتها أربعون مزركشة، وكمرانات[٣] عدة أربعين، ومن قسى الحلقة اثنين، ومن قسى البندق مائتى قوس، ومن بندق الرمى ستين بندقة من ذهب صامت، ومائة بندقة من فضة خالصة، واثنى عشر فرسا، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش زركش، وآخر بسرج مغرق[٤] وعرقية زركش وآخر بسرج مغرق، وعرقية

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. حلبه إليها أحد تجار الرقيق فباعه فيها منسوبًا إليه، ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد إلى مصر. انظر «ديوان الإسلام - خ» وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠، ووليم موير ١١١ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) على هامش ط: حروات آنية وأكياس لحفظ البندق.

(٣) على هامش ط: الكمر أو الكمران، حزام يلبس فوق العب.

(٤) مغرق أى محلى به، ولجام مغرق بالفضة، أى محلى وقيل: وإذا عمته الحلية ، وقد غرق. انظر لسان العرب، والقاموس المحيط مادة غرق.

صوف سمك، وسبعة أرءوس[١] بعبى، وفرسين عراه وعشر جُفَن سكر، ومائتى طائر دجاج، وثلاثين جملا، ومائة رأس غنم، فلما قدمت بين يديه قال له من حضر: «أنه قَدَمَ للأمير صَرْغَتْمُش تقدمة أكثر من هذه». فغضب برقوق وقال: «ما ساوانى بصرغتمش» وأخذ الهدية المذكورة، ثم أمر به فنفى كما تقدم ذكره.

وفى ثانى عشرينه: سار محمل الحاج والركب صحبة الأمير بهادر.

وفى سادس عشرينه: توجه الأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير مجلس إلى الحجاز حاجا.

وفيه قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، وعلى أخيه فخر الدين، وعذبا عذابا شديدا ففرا بعد أيام، ولم يوقف لهما على خبر، وكان ابن مكانس كريم الدين هو وأخوه فخر الدين قد أحدثا عدة مظالم قبيحة، منها أن الأمير يلبغا الخاصكى لما أبطل المكس من مكة، عوض الشريف أمير مكة عن ذلك فى كل سنة مائة وسبعين ألف درهم، تحمل إليه، فكان ابن مكانس يجبى ذلك من مباشرى الدولة والخاص على قدر حالهم، وكان المقسى - وهو ناظر الخاص - يقوم عن مباشرى الخاص بمبلغ ستة عشر ألف درهم، ومنها أنه ختم على قيسارية[٢] جهاركس[٣] بالقاهرة، فى أخريات شهر رمضان، وزعم أن عند التجار ثيابا بغير ختم، فتعطل بيع الناس وشرائهم على عيد الفطر، حتى ألتزموا له بمال يقوم به، فلما حملوه إليه رفع ختمه بعد ثمانية أيام، ومنها أنه صار يخرج إلى بركة الحاج عند تكامل الحج بها فى شهر شوال، ويلزم مقومى الحجاج بإحضار أوراق مُشْتَرى جمالهم من سوق الجمال، فمن لم يحضر ورقة مباشرى مكس سوق الجمال نكل به وغرمه مالا، فأضر ذلك بكثير من الجمالة، وتعطل حجاجهم عن الحج، وعادوا من البركة إلى القاهرة، ومنها أنه عمل بعد ذلك دائرة كبيرة بمال كبير حملوه إليه، واقتدى به من بعده من الوزراء فى ذلك، صار يخرج إلى بركة الحجاج فى كل سنة، ويطالب المقومين بأوراق المكس، ولما قبض عليه، وقف التجار إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم برد ما أخذ منهم أبناء مكانس، فردا عليهم المال. هذا مع تظاهر

---

(١) أرءوس جمع الرأس فى القلة ويقال رءوس فى الكثرة والمقصود هنا أرءوس من الخيل مكسورة. انظر القاموس المحيط.

(٢) قيسارية : بلد على ساحل بحرالشام، تعد فى أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان ٤/٤٢١.

(٣) قيسارية جهاركس بنا هذه القيسارية الأمير فخر الدين جهاركس سنة ٥٩٢. انظر المواعظ ٨٧/٢.

بنى مكانس بالفسق على أنواعه تظاهرا بغير احتشام، وبقاء نسائهم وبناتهم على النصرانية، واستخفاف رجالهم بكتاب الله ودينه ورسوله.

وفيه خلع على الصاحب تاج الدين النشو المالكى، وأعيد إلى الوزارة.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى، وأعيد إلى نظر الخاص، وخلع على علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين بن غنام، واستقر فى نظر الأسواق.

وفى ثالث ذى القعدة: خلع على علم الدين يحيى طباهجة بن رزق الله، بن إبراهيم ابن الفخر، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن الفخر بن مكانس.

وفى ثانى ذى الحجة: قبض على سلام بن التركية - أمير عرب البحيرة[١] فسجن بخزانة شمايل من القاهرة.

وفيه استقر ناصر الدين أحمد بن جمال الدين محمد[٢] بن قاضى الإسكندرية شمس الدين محمد بن محمد بن عطا الله التنسى المالكى فى قضاء مدينة الإسكندرية، عوضا عن عز الدين الربعى.

وفى سادسه: نقل الأمير كُرْجى الشمسى من ولاية قليوب إلى ولاية الغربية.

وفى سابعه: خرج الأمير إينال اليوسفى أمير سلاح، وألان الشعبانى، وأحمد بن يلبغا، وطبج المحمدى، وأَقْتَمُر العثمانى، وطَقْتَمُر، وطَقْتَمُش، وأَطْلَمِش ألطازى، وطُغاى تَمُر القبلاوى، فى عدة وافرة، لقتال عرب البحيرة ففروا منهم وعادوا بعد ما وصلوا إلى الفيوم[٣] وقد ساقوا أنعاما كثيرة جدا. ولما وصل ركب الحجاج إلى مكة بلغهم قدوم محمل من اليمن، وكسوة للكعبة[٤] فمنع الأمير قرا دمرداش حجاج اليمن

---

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. (انظر معجم البلدان ٢/٣٥١).

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندرانى، المالكى، ناصر الدين بن التنيسى: قاضى من أهل الإسكندرية - نسبته إلى تنيس، من أعمال تلمسان وله «مختصر ابن الحاجب»، وشرح «الكافية». انظر رفع الإصر ١/١٠٧، والضوء ٢/١٩٢ والأعلام ١/٢٢٥.

(٣) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٤) كسوة الكعبة: كان حاكم بنى رسول فى اليمن فى تلك السنة هو الملك ممهد الدين إسماعيل بن العباس.

من دخول مكة، فلم يزل الشريف أحمد بن عجلان[1] يتوسط بين حاج اليمن وحاج مصر حتى دخل أهل اليمن بمحلهم، ووقفوا بعرفة، و لم تكن فتنة بحمد الله، فلما كسا الأمير قرا دمرداش الكعبة في يوم النحر على العادة، خرج من مكة عائدا إلى مصر.

وفي سادس عشره: استدعى الأمير الكبير برقوق القضاة وشيوخ العلم، وتحدث معهم في حل الأراضي الأوقاف على الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وغيرهم وعلى الرزق الأحباسية، وكيف يجوز بيع أراضي مصر والشام الخراجية على بيت المال، وأحضرت أوراق بما أوقف من بلاد مصر والشام، وبما تملك منها - ومبلغها في كل سنة مال كبير جدا - فلما قرئت على من قد حضر من الأمراء وأهل العلم، قال الأمير برقوق: «هذا هو الذي أضعف جيش المسلمين». فقال قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء: «هما جيشان جيش الليل، وجيش النهار»، فأخذ الشيخ أكمل الدين في الكلام مع الأميرين بركة وبرقوق في ذلك باللغة التركية، حتى غضبا منه، فقال بعضهم لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني «لم لا تتكلم؟» فقال: «ما استفتاني أحد حتى أفتيه». فأشار له الأمير برقوق أن يتكلم، فطال كلامه على عادته، وملخصه «أن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك، التي هي على علماء الشريعة وفقهاء الإسلام، وعلى المؤذنين وأئمة الصلوات ونحو ذلك، لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حق لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا، وأما ما وقف على عويشة وفطيمة، واشترى من بيت المال بحيلة أن يؤخذ المال صورة ثم يعاد، فإنه يحتاج إلى أن ينظر في ذلك، فإن كان قد أخذ بطريق شرعي، فلا سبيل إلى نقضه، وإن كان غير ذلك نقض». فقال ابن أبي البقاء: «يا أمراء، أنتم أصحاب الشوكة، والأمر لكم». فقال له البلقيني «اسكت ما أنت وهذا؟». فسأل الأمير بركة والأمير برقوق بن أبي البقاء «من أين يشترى السلطان هذا؟» فقال: «الأرض كلها للسلطان». فقال له البدر محمد بن البلقيني - قاضي العسكر - «كيف تقول هذا؟ من أين للسلطان ذلك؟ وإنما هو كآحاد الناس». فقال البلقيني: «يا أمراء أنتم تأمرون القضاة، فإن لم يفعلوا ما ترسموا به عزلتموهم، كما

---

(١) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي: من أشراف مكة. حسني، يكنى أبا سليمان استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ واستمر بها إلى أن توفي وكان كريمًا حسن السيرة، رغب كثير من التجار في أيامه بسكنى مكة لعدله[انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ وخلاصة الكلام ٣٤/٣٣ والأعلام ١٦٨/١.

جرى لشرف الدين بن منصور مع الملك الأشرف، لما لم يفعل له ما أراد، عزله» ثم انفضوا وأخرجوا عدة أوقاف وأقطعوها إقطاعات.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد الدفرى المالكى، واستقر مفتى دار العدل.

وفيه أخرج الأمير سودون العلاى، والأمير بهادر الأشْقَتَمُرى، منفيين إلى صفد.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير منكلى بُغا البلدى فى نيابة صفد[١] عوضا عن أقبغا الجوهرى، واستقر الأمير[...][٢] فى ولاية منفلوط[٣].

وفى خامس عشرينه: قدم الأمير قرا دمرداش أمير مجلس من الحجاز.

وفيه وجد الأمير الكبير برقوق ورقة فيها «أن غلام الله يريد أن يكبس عليك فى صلاة الجمعة بمائتى عبد»، فطلب غلام الله ورسم عليه وسجن بخزانة شمايل، ووقع التحرز بحيث أمر خطيب مدرسة السلطان فى يوم الجمعة سابع عشرينه أن يعجل فى الخطبة، وقبض على جماعة العبيد وكثر الأرجاف بكبس الجوامع - فى يوم الجمعة هذا - وقتل العامة، فنودى بالأمان.

وفيه استقر أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير برقوق - فى نظر خزانة الخاص، بعد موت علاء الدين على بن عرب، وقدم البريد بأن الأمير تمر باى الدمرداشى - نائب حلب - سار بالعسكر الحلبى وعدة من عسكر دمشق وحماة إلى جهة سيس[٤] وقد كثر فساد طائفة التركمان الأجقية والأغاجرية، حتى قرب من مدينة إياس[٥] أتاهم من أمراء التركمان نحو الأربعين بهدية، وسألوا الأمان لأصحابهم، والتزموا بالدرك على العادة، فقبض عليهم وقيدهم، وركب فى الحال إلى بيوتهم بمن معه، فنهب أموالهم، وسبى حريمهم، وقتل رجالهم، وارتكب منهم كل قبيح، وعاد فجمع التركمان جمائعهم، وكمنوا للعسكر بمضيق يقال له باب الملك -

---

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. (انظر معجم البلدان ٣/٤١٢).

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) منفلوط: بلدة بالصعيد بغربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢١٥.

(٤) سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٣/٢٩٧.

(٥) مدينة إياس: مدينة على الشاطئ الجنوبى الشرقى لآسيا الصغرى وكان الميناء الرئيسى لمملكة ألمانيا الصغرى.

على شط البحر - وأوقعوا بهم، فهلكوا ما بين غريق وقتيل، و لم ينج منهم إلا طريح أو جريح، أومن نجا بخاصة نفسه - وقليل ما هم - وحاز التركمان من المال والآلات والخيول والجمال والأسلحة ما يجل وصفه من ذلك ثلاثون ألف جمل بأحمالها، وثلاثة عشر ألف رأس من الخيل غالبها مسرجة ملجمة إلى غير ذلك، فكان هذا أيضًا من الوهن فى الدولة، فإن التراكمين كانوا للدولة بمنزلة السور عليها، ويتحصل منهم فى كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له «العداد»، وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا ندبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة، فصيرهم سوء التدبير وكثرة الظلم، أعداء لدولة تقتل رجالها وتنهب أموالها وتستولى على أعمالها، و لله عاقبة الأمور.

واتفق أيضًا للحاج فى عودهم محن شديدة، من موت الجمال وتزايد الأسعار، فلما نزلوا بالأزلم - وفى ظنهم أنهم يجدوا ما جرت به العادة من الشعير والبشماط المحمول إليهم من القاهرة - فلم يجدوا شيئًا من ذلك، وذلك أن العربان تعرضت للإقامات تريد نهبها، فلم تتجاوز مغارة شعيب، فاشتد الأمر على الحجاج، وعلفوا جمالهم بما معهم من زادهم الذى هو قوتهم، وانقطع كثير منهم فى الطرقات جوعا وتعبا، وبلغت الويبة الشعير إلى خمسين درهما فضة، ثم تزايد سعرها حتى بلغت مائة درهم، وغلا عامة ما يباع أيضًا.

وفيها أعيد البرهان إبراهيم الصنهاجى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين القفصى، وأعيد فتح الدين أبو بكر بن عماد الدين أبى إسحاق بن إبراهيم جمال الدين أبى الكرم محمد بن الشهيد إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين محمد ابن مُزْهِر، وأعيد الجلال محمد بن محمد بن عثمان الزرعى إلى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن الكمال عمر بن عثمان المعرى، وأعيد شمس الدين محمد بن أحمد بن مُهاجر إلى كتابة السر بحلب، عوضا عن ابن أبى الطيب.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الشيخ أحمد بادار العجمى نزيل القاهرة بالقدس وقد عمى وأناف على السبعين، وكانت له أحوال عجيبة، وللناس فيه اعتقاد.

ومات الأمير أَطْلَمِش الدوادار أحد أمراء الألوف، فى ربيع الآخر بدمشق، وقد أخرج إليها على إمرة بها.

وتوفى الفقير المعتقد صالح بن نجم بن صالح نزيل منية السيرج، فى يوم الأربعاء خامس عشر رمضان، وكان يُقصد للتبرك بزيارته.

وتوفى الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد الله العفيفى القزوينى، المعروف بقاضى قرم، شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى الحجة، وقد تصدى للتدريس على مذهب الشافعى وأبى حنيفة، وإقراء النحو والأصول وغير ذلك عدة سنين، وانتفع به جماعة كثيرة، مع صدق فى الديانة، وتواضع وبر وخير كثير.

وتوفى الفقير المعتقد عبد الله الجبرتى الزيلعى، فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرم، وقبره يزار بالقرافة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن مختار فى تاسع صفر.

وتوفى علاء الدين على بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله بن عرب، محتسب القاهرة، فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة، بعد قضاء الحج ودفن بالمعلا.

ومات الأمير علاء الدين على بن كلفت، شاد الدواوين، فى جمادى الآخرة وهو عائد من حلب إلى دمشق، وكان عفيفا لا يقبل رشوة أحد.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد[1] بن أبى العباس أحمد بن على بن جابر الهوارى الأندلسى، النحوى الأديب بحلب عن سبعين سنة، وهو علامة وقته فى الأدب والنحو والتصريف، مع كثرة العبادة، وكان هو ورفيقه أبو جعفر كالخالدين، لا يزالان سفرا وحضرا، وله مصنفات، ومن شعره:

وقفتْ للوداع زينبُ لما ... رَحَل الركبُ والمدامعُ تُسْكَبْ
فالتقتْ بالبَنَانِ دَمعى وحُلْوٌ ... سَكْبُ دمعى على أصابع زَيْنَبْ

وتوفى مسند الوقت صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر المقدسى، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارى، فى شوال بصالحية دمشق، حدث بمسند أحمد وغيره.

---

(١) محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكى، أبو عبد الله، شمس الدين: شاعر، عالم بالعربية أعمى: من أهل المرية صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطى الرعينى فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعينى يكتب. واشتهر بالأعمى والبصير وله «بديع العميان – ط» و(مقصورة – خ). انظر مفتاح السعادة ١/١٥٦ وبغية الوعاة ١٤ ونفح الطيب ٢/٦٦٨ ثم ٤/٧٦٨ وأعلام النبلاء ٥/٧٧ والدرر الكامنة ٣/٣٣٩ وكشف الظنون والكتبخانة ٧/٦٧٩ والأعلام ٥/٣٢٨.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى، نائب سيس، بعد عوده من القاهرة إليها، وكان فقيها شافعيا أذن له فى الفتيا، وكتب الخط المنسوب، وله ترجمة.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن الأزْكَشِى، فى سادس عشر من ذى القعدة، بالمحلة من قرى مصر، بعد ما ولى استادارا ومشيرا فى الأيام الأشرفية.

وتوفى الفقيه المعتقد نهار المغربى بالإسكندرية، فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات المقرئ حافظ الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين إبراهيم بن سنبكى بن أيوب بن قراجا، المقرئ بن الجمال يوسف القصيرى الحنفى، أخذ القراءات عن ابن نصحان، وبرع فى القراءات وغيرها، وولى قضاء العسكر بحلب، ثم بدمشق، ثم انقطع بداره حتى مات عن نيف وسبعين سنة.

* * *

سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فى حادى عشر المحرم: قبض على غلام الله مهتار - الطشت خاناه السلطانية - بعدما أفرج عنه، وأعيد إلى خزانة شمايل، وسبب ذلك أن الأمير قُرُط - متولى أسوان[1] - وجد عدة سيوف قد بعث بها من القاهرة، مكتوب عليها غلام الله، وهى مُتَوجه بها إلى أولاد الكنز، فأحضرها معه لما قدم.

وفى سابع عشره: سُمر رجلان من أولاد الكنز، وطيف بهما القاهرة ومصر، ثم وسطا، وهذا أيضًا مما أوجب وهن الدولة، فإن قُرُط لشدة عسفه وكثرة عتوه أوجب خروج أولاد الكنز على الطاعة، وكثرة فسادهم، حتى خرجت أسوان من أيدى الدولة، ثم خربت.

وفيه قبض على الأمير قُرُط وصودر وأخذ منه مال كثير، فإنه كان قد ساءت سيرته وشرهه فى أخذ أموال الرعية، ثم أفرج عنه.

وفى هذه الأيام كثر تخوف العامة من أن يركب عليهم الأمير بركة، ويبذل فيهم السيف ويقتلهم، وأغلقوا حوانيت معايشهم من أول الليل، ثم أمر والى القاهرة بقبض الزعر والعبيد، فتطلبهم بعدة مواضع، فازداد خوف العامة، حتى نودى على لسان الأمير الكبير برقوق بالأمان، وأن «من سخركم يا عوام اقبضوا عليه، واحضروا به إلى الأمير الكبير» فاطمئنوا، وكان برقوق دائما يقصد التحبب إلى العامة، ويذب عنهم، حتى أحبوه وتعصبوا له.

وفى رابع عشرينه: قدم محمل الحاج، وقد تأخر عن عادته لما بالحجاج من المشقة.

وفيه خلع على الأمير قُرُط، واستقر نائب الوجه القبلى، وخلع على ولده حسين بولاية قوص[2] فانفرد بالتحكم فى بلاد الصعيد بأسرها من الجيزة إلى بلاد النوبة.

وفيه خلع على الأمير بَلُّوط الصَّرغَتْمُشى، فاستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن بُزْلار الناصرى، ونفى بُزْلار إلى الشام.

وفى سابع عشرينه: أفرج عن غلام الله.

---

(١) أسوان: مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه انظر معجم البلدان ١/١٩١.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وفى رابع صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم.

وفى هذا الشهر استقر عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى[١] فى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس، عوضا عن الشيخ ضياء الدين القرمى، وفى درس الحديث بالمنصورية، فافتضح بين الناس لجهله بالحديث.

وفى رابع صفر عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم وخرج الأمير فخر الدين إياس أمير أخور على البريد لإحضار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس.

وفى سابعه: ألزم الطواشى مثقال الجمالى الزمام بإظهار ذخاير الملك الأشرف، فدل على صندوق فى موضع من الدور السلطانية، فوجد فيه مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم أشار إلى موضع آخر، فوجد فيه خمسة عشر ألف دينار وبرنية[٢]، بها جواهر، منها فص عين الهر، زنته ستة عشر درهما، ثم عوقب فلم يعترف بشىء، ووجدت أوراق عند بعض جوارى الملك الأشرف بخطه، تتضمن أماكن أمواله وتفصيلها فاعتبرت، فإذا تلك الأموال قد أخذت من بعده، و لم يتأخر منها سوى مبلغ ثلاثين ألف دينار، وعلبة بها جواهر، وعلبة بها لؤلؤ عند الأمير طشتمر الدوادار، فأفرج عن الزمام مثقال.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس، فركب الأمير بركة إلى لقائه، وبالغ فى التأدب معه، والتواضع له، وسار به حتى طلع إلى الأمير الكبير برقوق، فأجله، وقام بواجب حقه، وأنزله بصهريج الأمير منجك[٣] تحت القلعة، فلما أصبح نهار الخميس ثالث عشرينه استدعى به إلى حضرة السلطان بقلعة الجبل، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة على عادته فى الأيام الأشرفية، ونزل وفى خدمته من أمراء الدرك ثلاثة عشر أميرا، منهم دوادار السلطان، وركب معه قضاة القضاة وأعيان الناس، وأشعلت القاهرة لنزوله بالشموع والقناديل، وكان يوما عظيما إلى الغاية فى كثرة جمع الناس لمشاهدته، فأرضى من يومه شيخ

---

(١) يوسف بن محمود بن محمد الرازى الظهرانى فقيه. كان شيخ خانقاه الشيخونية بالقاهرة وله (كشف الحقائق – ط) فى شرح الكنز. انظر الزيتونة ٢١٠/٤ ودار الكتب ٤٥٧/١ والأزهرية ٢٤٣/٢ وهدية ٥٥٨/٢ والأعلام ٢٥٣/٨.

(٢) البرنية: إناء من خزف. انظر القاموس المحيط.

(٣) جامع منجك تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير وكان الأمير منجك اليوسفى أنشأ هذا الجامع فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجًا فصار يعرف بصهريج منجك. انظر المواعظ ٣٢٠/٢.

الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وصالحه من نفره كانت بينهما، ونـزل لـه عـن وقـف السيفى[(١)]، بالقبة المنصورية، عوضا عن تدريس الشـافعى، وأركبـه بغلـة رائعـة بقمـاش فاخر.

وفى هذا الشهر: رفع أهل منوف على متوليهم عدة مرافعات، فطلبـه الأمـير الكبـير برقوق، وبعث بالكشف عليه، فعادوا عليه بشـنايع، فضربـه بالمقـارع، وألزمـه أن يقـوم للناس بما أخذ من أموالهم.

وفيه ألزم الأمير بركة جميع الأمراء أن يأتوه بالكلاب، وقرر على كل أمير عـددا مـن الكلاب، وألزم أرباب الحوانيت أن يحضر كل صاحب حانوت كلبـا، فتتبعـت الكـلاب بالقاهرة ومصر وظواهرها، وقد كانت كثرت إلى الغاية فى الأزقة والشوارع، فـأخذت من كل موضع وعدى بها النيل إلى بر الجيزة، فكان يباع كل كلب بدرهم، وقيلت فـى ذلك عدة أشعار.

وفيه فرق الميدان تحت القلعة على الأمراء، وألزموا بعزقه وتنظيفه، فإنه كان قد هجـر منذ زالت الدولة الأشرفية حتى توحش، فعادت إليه نضارته.

وفى رابع شهر ربيع الأول: أخذ قاع النيل فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفى سادس عشره: خلع علـى الأمـير محمـد بـن قرطـاى الكركـى، واستقر نقيـب الجيش، عوضا عن على خان بن قرمان.

وفى ثامن عشره: قدم البريد بأن أقبغا عبد الله وقُطْلُوبُغَا جَرَكس وأَلْطُنْبُغَـا شـادى، وأسنبغا الأجاوى ثاروا فى جماعة من المماليك بحلب يريدون قتل نائبها، فلما فطن بهـم ركب لحربهم وقاتلهم، فانكسـروا، وفـر أقبغـا عبـد الله إلى الأمـير نُعَيْر بـن حيـار بـن مهنا[(٢)] فأجاره.

وفيه ركب الأمير أَقْبُغا صيوان البريد لإحضار الأمـير محمـد بـن ألجبغـا المظفـرى مـن دمشق، واستقراره نائب غـزة، عوضـا عـن تغرى برمـش، والتوجـه بتغرى برمش إلى دمشق واستقراره بها أمير مائة مقدم ألف، وكتب باستقرار زامل بن موسى ومعيقل بـن

---

(١) وقف السيفى منسوب هذا الوقف إلى المنصـور سيف الدين أبى بكر بـن الملـك النـاصر قلاوون. انظر المواعظ ٢/ ٣٨٠.

(٢) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيئ أمير بادية الشام، آلت إليـه الإمـارة بعـد مـوت أخيه قياض سنة ٧٦٢ وكان مواليًا لسلاطين مصر والشام وتابعًا لهـم فنقضـن طـاعتهم سـنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر يعيث وينهب. انظر ابن خلدون ٥/٤٣٩، والدرر الكامنة ٢/ ٨١ والأعلام ٢/ ٢٨٩.

فضل - ولدى عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة - فى إمرة العرب، عوضا عن الأمير قار بن مهنا بعد موته.

وفى تاسع عشره: قدم قاصد الأمير ناصر الدين محمد نعير بن حيار يسأل فى إمرة العرب، وأن ينعم على أقبغا عبد الله بن محمد بنيابة بعض الأطراف، فقبض عليه وسجن بالبرج من القلعة.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير أَشَقْتَمُر.

وفى هذا الشهر: استقر شمس الدين محمد الركراكى فى تدريس المالكية بخانكاه شَيْخُو بعد موت ابن مرزوق، واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالمدرسة الصَّرْغَتْمُشيَّة، عوضا عن ابن مرزوق، واستقر شيخنا أبو البركات عوضه فى تدريس القمحية.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركبت سلسلة على فم قنطرة الخور[1] وعلى قنطرة الفخر[2] بموردة الجيش لمنع مراكب المتفرجين من دخول الخليج الناصرى وبركة الرطلى[3] من أراضى الطبالة[4] بقيام الشيخ محمد صائم الدهر فى ذلك.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير سودن باشاه دوادار الأمير بركة إلى مكة، لعمارة الحرم، وأجرى عين عرفة.

وفى تاسع عشره: كبست بيوت كثيرة بحارة الأسرى خارج مدينة مصر، وأريقت خمور كثيرة جدا على يد الأمير مأمور حاجب الحجاب.

وفى عشرينه - وهو ثالث عشر مسرى - : فتح الخليج بعد الوفاء على يد الأمير بركة.

وفيه أراق الأمير بركة خمرا كثيرا من بيوت الأقباط.

---

(١) الخور هو مصب الماء فى البحر وكان خليج فم الخور يخرج من النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فيه. انظر المواعظ ١٤٤/٢ - ١٤٥.

(٢) قنطرة القمز بموردة الجيش هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب برأس الميدان. انظر المواعظ ١٤٨/٢.

(٣) بركة الرطلى هذه البركة حملة أرقى الطيالة وقد عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب. انظر المواعظ ١٦٢/٢.

(٤) أرض الطبالة: هذه الأرض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس، كانت من أحسن متنزهات القاهرة انظر المواعظ ١٢٥/٢.

وفى سادس عشرينه: ورد الخبر بأن عربان الصعيد كبسوا على الأمير قرط وقتلوا من عسكره سبعين فارسا، فحاربهم وهزمهم.

وفى أول جمادى الأولى: قدم الأمير أشقتمر الماردينى من القدس، فركب الأميران بركة وبرقوق إلى لقائه بالريدانية، وترجلا له، فنزل إليهما وسلم عليهما وسار معهما إلى القلعة، فأنزله الأمير برقوق ، وقام له بما يليق به.

وفيه خلع على الأمير سودن الشيخونى، واستقر حاجبا ثالثا.

وفى يوم الخميس رابعه: خلع على الأمير أشقتمر ، واستقر فى نيابة حلب. وخلع عليه من الغد خلعة السفر، فركب البريد فى ليلة الأحد سابعه، وتوجه إلى حلب. وكتب بمجىء تمرباى من حلب[1] إلى القدس، وإقامته بها.

وفى يوم الإثنين ثامنه: خلع على قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ورسم له أن يلبس الطرحة فى أيام الخدمة السلطانية، كما يلبسها قاضى القضاة الشافعى، وأن يستنيب عنه فى أعمال مصر قبليها وبحريها قضاة حنفية وأن يتخذ لأيتام الحنفية مودعا يودع فيه أموالهم، حتى لا يخرج منها زكاة، فشق ذلك على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وتحدث فى إبطال ذلك، فعقد مجلس عند الأمير برقوق الكبير بسبب ذلك فى يوم الإثنين خامس عشره، حضره الأمراء والقضاة ومشايخ العلم -إلا البلقينى- فقام الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخو فى إبطال ما أراد الجار بإحداثه، قيامًا بالغا مع الأمير الكبير، ودار بينه وبين الجار فى ذلك كلام غير لائق، فتم للأكمل ما أراد، ورسم بمنع الجار مما طلبه، وكان الفقير المعتمد خلف الطوخى قد اجتمع بالأمير الكبير برقوق بالأمس، وكلمه فى إبطال ذلك وبالغ معه فيه. حتى قال له: إن لم ترجع وإلا بيننا وبينك سهام الليل، فانفعل الأمير الكبير لكلامه، وخاف عاقبته.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستقر على عادته، وألا يخرج شىء عن حكمه وهذه مرة ثانية سعى العجم فى إفراد مودع للحنفية وولاية قضاة حنفية بأعمال مصر.

فلم ينجح سعيهم الأولى فى ولاية السراج الهندى، عاقه عن إتمامه مرضه حتى مات، وثانيها هذه فكثرت الشناعة بأنهم أرادوا منع الزكاة وقيلت فى ذلك أشعار كثيرة.

وفى ثالث عشرينه: كتب باستقرار الأمير حطط فى نيابة حماة[2] وخلع على قراجا

---

(١) حلب: بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١.

(٢) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينهما وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة=

العلاى أحد مقدمى الحلقة، واستقر فى ولاية الجيزة بإمرة عشرة.

وفى أوائل جمادى الآخرة: فاض الخليج الناصرى، وأغرق عدة بساتين وأغرق كوم الريش وما حول تلك الأراضى بحيث صارت لجة ماء.

وفى خامسه: أفرج عن الأمير بيدمر الخوارزمى من سجن الإسكندرية، وتوجه ليقيم بالقدس.

وفى تاسعه: قدم الأمير أقبغا عبد الله طائعا، فخلع عليه. واستقر نائب غزة بعد وفاة محمد بن ألجبغا.

وفيه خلع على محمد بن أياز الدوادارى، واستقر فى نيابة الوجه القبلى عوضا عن قرط. وخلع على أحمد بن غرلو، واستقر فى ولاية البهنسا[1] وكل ذلك بمال التزما به. وانتهت زيادة ماء النيل إلى إصبعين من عشرين ذراعا، ورسم لقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى بعزل نائبين من نوابه بالقاهرة ، وهما جمال الدين عبد الرحيم ابن الوراق وزين الدين السكندرى أما ابن الوراق فإن امرأة اعترفت عنده بانقضاء عدتها بسقط تخلق، فحكم به، ثم ادعت ثانيا بعد ذلك على مطلقها عنده أنها حامل منه، فقرر عليه فرض الحمل، وهذا غير مذهبه.

وأما السكندرى فإن رجلا احتمى به خوفا بطش الأمير مأمور الحاجب، كما جرت العادة بأن من خاف جور من يعتدى عليه يركن إلى قاض من القضاة، فيصير فى حماية الشرع النبوى ما أقام، ولا يجسر أحد على أخذه من ذلك القاضى، احتراما له وتعظيما لحرمة الدين، فشكى الأمير مأمور ذلك إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم بعزله، وطلب الرجل المحتمى بالقاضى، وضربه ضربا مبرحا بالمقارع، هو وولده وشهرهما بالقاهرة، ونودى عليهما: «هذا جزاء من يتجاهى على الحاجب». فكان هذا أيضا من الحوادث التى لم تعهد، واتضع بها جانب القضاة، وانبسطت أيدى الحجاب فى الأحكام بما تهوى أنفسهم، وزين لهم شيطانهم بغير علم ولا دين يزعهم.

وفى شهر رجب: اتفقت حادثة مستغربة ، وهى أن بعض من يتكسب بتحمل الشهادة بجلوسه فى حوانيت الشهود من رحبة باب العيد[2] بالقاهرة، يعرف بالشهاب

=أيام للقوافل، بينها وبين حلب أربعة أيام. انظر ياقوت، معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١.

(١) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأردنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) رحبة باب العيد هذه الرحبة كانت عظيمة فى الطول والعرض يقف فيها العساكر فارسها=

أحمد بن الفيشى، من الحنفية دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتا من جدار بيته يقول له: «اتق الله، وعاشر زوجتك بالمعروف» فظن أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئا، وحدث أصحابه بذلك فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار، فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئا، فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه فى الناس، فارتجت القاهرة ومصر، وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشى لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط بزعمهم ويحادثهم، فكثر بين الناس قولهم: «يا سلام سلم الحائط بيتكلم»، وكاد الناس أن يفتتنوا بهذا، وجلبوا إلى ذلك الجدار من الطيب شيئًا كثيرًا، وحضرت العذراء من خدرها إليه. فركب محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمى إلى بيت ابن الفيشى هذا، ليختبر ما يقال، ووكل بابن الفيشى أحد أعوانه، فإذا بالبيت مرتفع، وتحته اصطبل فيه بعض الأجناد، فوكل به أيضًا، وطلع إلى عند الحائط، وحدثه فحادثه، فأمر بهدم الحائط، فقال له: «اخرب فإنه ما ينزل على شىء، ولا أبالى» فلما هدم الحائط لم ير شيئا ، فعاد إلى بيته وقد كثر تعجبه، وازدادت فتنة الناس بالحائط وأخذ المحتسب مع أصحابه فى ذكر ذلك فبعث من يكشف له الخبر: هل انقطع الكلام بعد تخريب الحائط أو لا؟ فوجده قاصده يتكلم كما كان قبل خرابه، فتحير من ذلك. وكان هذا المحتسب شهما جريئا، قد مارس الأمور وحلب الدهر أشطره، ولاحظته مع ذلك السعود، فلا يتحرك حركة إلا حمد عليها، ولا باشر جهة وقف إلا عمر خرابه، وأنفق على مستحقيه معاليمهم بعد تأخر صرفها لهم. وإذا باشر حسبة القاهرة رخت الأسعار، فإذا عزل ارتفعت، فتقف العامة وتطلب عوده لسعادة جده، ويمن إقباله. ومع ذلك فكان كما قيل «نفس عصام سودت عصاما» فلما عاد قاصده إليه وأخبره بأن الكلام مستمر، قام من فوره ومعه عدة من أصحابه، حتى جلسوا عند الجدار، وأخذوا فى قراءة شىء من القرآن، ثم طلب صاحب البيت، وقال له: «قل لهذا المتكلم: القاضى جمال الدين يسلم عليك». فقال: «يا سيدى الشيخ القاضى يسلم عليك». فقال الجدار: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». فقال المحتسب: «قل له إلى متى هذا الفساد». فأجابه: «إلى أن يريد الله تعالى» فقال لصاحب البيت: «قل له: هذا الذى تفعله فتنة للناس، وهذا ما هو جيد».

فأجابه: «ما بقى بعد هذا كلام»، وسكت وهم يقولون له «يا سيدى الشيخ» فلم

=وراحلها فى أيام موكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه فى باب العيد. انظر المواعظ ٤٧/٢.

يكلمهم بعدها.

وكان فى صوته غلظ يوهم أنه ليس بكلام إنس، فلما أيس من مكالمته قام عنه وقد اشتدت فتنة الناس بالحائط، حتى كادوا يتخذوه معبودا لهم، وغلوا فيه كعادتهم، وزعموا له ما شاءوا من ترهاتهم، وكان ذلك يوم الإثنين ثانى عشره. ثم ذلك عاد إلى الحديث مع الناس، فنزل إليه عدة من الأمراء والأعيان، وحملوا إليه المآكل وغيرها إلى يوم الإثنين ثالث شعبان، والمحتسب يدبر فى كشف هذه الحيلة.

ودس إلى الفيشى من استدرجه حتى اعترف بأنها حيلة، فركب المحتسب فى يومه، ومعه جماعة إلى بيت الفيشى، وقبض عليه وعلى امرأته وعلى فقير عندهم للناس فيه اعتقاد، يعرف بالركن عمر، وعاد بهم إلى داره، وما زال والمرأة إلى أن أعلمته أنها هى التى كانت تتكلم، وسبب ذلك أن ابن الفيشى زوجها كان يسىء عشرتها، فاحتالت عليه بهذه الحيلة، توهمه بأن الجان توصيه بها، فتمت حيلتها عليه وانفعل لها، فأعلمته بما كان منها، فرأى أن تستمر على ذلك لينالا به جاها ومالا، فوافقته على ذلك حتى كان ما كان.

فركب وأعلم الأمير الكبير بقول المرأة وأخذها وزوجها والشيخ عمر معه، فضرب الأمير الكبير الرجلين بالمقارع، وضرب المرأة بالعصى نحوا من ستمائة ضربة، وأمر بهم فسمروا ثلاثتهم على جمال، وشهروا بالقاهرة ومصر فى يوم الإثنين هذا، فكان يوما شنيعا عظم فيه بكاء الناس على المرأة، فإنها أركبت على الجمل، ومدت يداها، وسمرتا فى الخشب، وهى بإزارها ونقابها، ولم يعهد قط امرأة سمرت.

واتفق نزول المحسب بخلعة خلعت عليه، فكثر دعاء العامة امتعاضا عليها-أى على المرأة.

وكان قبل ذلك قد طلع ابن الفيشى هذا إلى الأمير الكبير وعلى رأسه طيلسان[1] صوف، وقدم له شيئا من كعك، قال له: «الشيخ محمد شيخ الحائط أرسل لك هذا»، وأخذ بيده يد الأمير وقبض عليها وهزها وقال له: «اتق الله وأعدل فى الرعية».

فانفعل بكلامه، ومشى ذلك عليه، ثم طلع إليه بعده الشيخ عمر الركن، وكان مشهورا، قد انقطع بسطح جامع عمرو بن العاص من مصرا نحو من ثلاثين سنة، والناس تتردد إليه ما بين أمير ورئيس وغير ذلك، ويلتمسون بركة دعائه، إلى أن اشتهر

(١) طيلسان: ضرب من الأوشحة. انظر المعجم الوجيز ٣٣٩.

كلام الحائط فأتى إلى ابن الفيشى ولزمه ، وجمع عليه الناس، فلما رآه الأمير الكبير أكرمه، وأخذ هو فى خزعبلاته، وانصرف،

فلما طلع بهما إليه المحتسب اشتد غضبه عليهما، لما تبين له من محرفتهما، وانكشفا عن حيلة شنيعة أوقع بهما ما أوقع.

ومما اتفق فى هذه الحادثة أن امرأة ابن الفيشى هذه رأت فى منامها قبل هذه الحادثة بأيام أنها تخطب على منبر، فعبره لها بعض من عاصرناه من حذاق المعبرين بأنه يحصل لها شهرة قبيحة، فإن المرأة ليس من شأنها ركوب المنابر، وتعاطى الخطب، فكان كذلك، وركبت الجمل يوما كاملا، وهى مسمرة كأنها تعظ الناس بلسان حالها، نعوذ با لله من سوء القضاء.

وفى سادس عشرينه: استقر الأمير كرجى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى، وأخرج من السجن حتى خلع عليه بمال التزم به.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: ركب الأمير الكبير برقوق من الحراقة، حيث سكنه من الاصطبل، ومضى نحو مطعم الطيور الجوارح بالريدانية خارج القاهرة.

وكان الأمير إينال اليوسفى - أمير سلاح - قد انقطع بداره على أنه مريض، ونزل الأمير الكبير حتى عاده، فركب ومعه الأمير سودن جركس المنجكى والأمير صصلان الجمالى، والأمير سودن النوروزى، والأمير جمق الناصرى فى عدة من المماليك، وقصد إلى الإصطبل ، فطلع إلى الحراقة، وملك بيت الأمير الكبير برقوق وقبض على الأمير جركس الخليجى، فمال أصحابه على ما هناك من العدد والآلات والأموال ينهبوها، وبعث إينال بقمارى الخازندار فى طلب السلطان لينزل إلى الإصطبل، فلم يوافقه على ذلك، فألبس من بالاصطبل من مماليك برقوق السلاح، ووعدهم بأموال جمة ينفقها فيهم، وأمر بالكوسات فدقت حربيا بالطبلخاناه من القلعة. وطار الخبر إلى الأمير برقوق، فأيس من الحياة، وكاد ينهزم، إلا أن الأمير أيتمش البجاسى شجعه وعاد به إلى بيته تحت القلعة، وأنزله فيه، وجمع عليه مماليكه وألبسهم آلة الحرب. وركب به فى عدة وافرة، وخرج معه من باب الوزير يريد القلعة، فلم يشعر إينال حتى وافاه وقد تفرق عنه أصحابه فى نهب ما وجدوه، وغصت الرميلة تحت القلعة بالعامة، فهموا برجمه، ظنا منهم أن أيتمش قد خامر مع إينال، عصبية منه للأمير برقوق.

فصاح بهم أيتمش «يا جماعة، هذا أخوكم برقوق معنا» وأشار إليه وقد تلثم، فقالوا: «حتى نرى وجهه» فأماط لثامه، وقال لهم: «يا إخوتى، هذا وقت المروءة

والعصبية». وكان كثير الدهاء والمكر، فثاروا ثورة واحدة وصرخوا جميعا: «امش قدامنا».

فسار وهم حوله كالجراد المنتشر، حتى وقف على باب سر الاصطبل أضرموا فيه النار وأحرقوه وتسلق الأمير قرط الكاشف وقد لحق ببرقوق ونزل إلى الاصطبل، حتى فتح الباب، فدخلوا منه جميعا، وقاتلوا أصحاب إينال، فمال معهم من كان من أصحاب برقوق هناك، فاشتد القتال وجرح الأمير إينال فى عنقه بسهم رمى به، فانهزم إلى بيته، فبعث الأمير برقوق من قبض عليه، وحمله إليه وسجنه. وهذا والأمير بركة غائب فى الصعيد، وتتبع الأمير برقوق أصحاب إينال، فقبض عليهم، ونودى فى القاهرة على مماليك إينال فقبض منهم على عدة.

وحمل الأمير إينال مقيدًا إلى الإسكندرية، هو وسودن جركس، وسجنا بها، وفر برهان الدين إبراهيم بن اللبان فى هذه الواقعة إلى بلاد التكرور[١] وذلك أنه كان قد قبض عليه بسبب مال الأمير قرطاى ثم أفرج عنه. فلما ملك إينال الاصطبل، صعد إليه، وأسمع الأمير جركس ما يكره، فخاف على نفسه، وضاقت به أرض مصر.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير بركة من سرحة البحيرة[٢] فخرج الأمير الكبير برقوق وتلقاه، فنزلا جميعا عن فرسيهما وتعانقا فرحا بالسلامة، وعادا، فأمر بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه قبض على الأمير جمق - أحد العشرات - وعلى الأمير أزبك، وسجنا، وأخرج الأمير قطلوبغا الكوكاى منفيا إلى الشام.

وفى ثانى شهر رمضان: أنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم الأمير قرط ابن عمر التركمانى، وشاهين الصرغتمشى، ومجلس النوروزى، وطوجى العلاى، وقردم الحسنى، وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: أقبغا الناصرى - رأس نوبة الأمير برقوق - وكمشبغا، وبكبلاط الصالحى، وطوجى.

وكتب باستقرار الأمير منكلى البلدى فى نيابة طرابلس[٣] عوضًا عن يلبغا الناصرى، ورسم بإحضار الناصرى إلى قلعة الجبل.

وفى يوم السبت سابعه: شهر رجلان بعدما ضربا، وأركبا جملا، وظهر أحدهما

---

(١) أطلق اسم بلاد التكور على السودان الغربى. انظر معجم البلدان. ١١٨/٢

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٣) طرابلس: انظر معجم البلدان ٢٥/٤،٢٦.

إلى ظهر الآخر، ونودى عليهما بالقاهرة ومصر: «هذا جزاء من يتحدث فيما لا يعنيه».
وكان سبب ذلك أن أحدهما يعرف بالكمال ابن بنت الخروبى، من أهل مصر، معروف بقلة العقل والفقر من المال، تحدث مع الأمير خضر رأس نوبة الأمير بركة أن يستقر فى الوزارة، وعين رجلا من آحاد معلمى المماليك القراءة لنظر الدولة، وعين رجلا من آحاد الجند يقال له كراى بن خاص ترك لشد الدواوين، وعين آخر لنظر الجهات، وآخر من أطراف العامة لتقدمة الدولة، ووعد على ذلك بمال عظيم، وضمن تكفية الدولة ستة أشهر، فأتقن خضر الأمر مع أستاذه الأمير بركة، حتى لم يبق إلا وقوع ذلك فى الخارج، وجهز له تشريف الوزارة، ففطن به الوزير وجماعة الخراربة التجار، وقد بلغهم عنه أنه عينهم فيمن عين لأخذ أموالهم، وعرفوا أهل الدولة بحاله، فقبض عليه الأمير الكبير برقوق، وضربه وجرسه هو ورفيقه، وفر بقية أصحابه.

وفى عاشره: قدم الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بإقطاع الأمير إينال، واستقر أمير سلاح.

وفى تاسع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية الغربية، عوضًا عن أيدمر السيفى، وخلع على خان، واستقر فى ولاية قوص.

وفى سابع شوال: خلع على محمد بن الجلبى، واستقر فى ولاية منفلوط عوضا عن بيرم، كل ذلك بمال التزموا بالقيام به من مظالم العباد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره: قبض على رجل ادعى النبوة، وأنه النبى الأمى، وأنه مصدق بنبوة نبينا ﷺ.

وزعم أن حروف القرآن تنطق له مع أنه أمى، وأن الذى يأتيه بالوحى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ودرديائيل، وزعم أنه عربى من مصر وأنه أرسل بقتل الكفرة ، وأن الترك يحكموه ويملكوه عليهم، وأنه أنزل عليه القرآن فسجن عند المجانين بالمارستان، ثم أخرجه الأمير بركة وسأله عن نبوته، فأخبره، فأمر به فضرب حتى رجع عن قوله، ثم أفرج عنه بعد أيام، وكنت أراه زمانا طويلا، وله سمت وينمسة[١].

وحدثنى عنه بعض الثقات أنه كان يتلو عليه من قرآنه لنفسه به، ثم فقدناه.

وفى ثانى عشرينه: عوقبت دادة السلطان حتى أظهرت قبع السلطان الذى عمله له

---

(١) والينمسة: المكر والخداع والتلبيس. انظر لسان العرب.

أبوه الملك الأشرف عند ختانه، وطراز ذهب، وطشت من ذهب، وهذه الثلاثة مرصعة بجواهر نفيسة، وأظهرت أيضًا تركة أم السلطان الملك المنصور على.

وفيه خرج الأمير تمربغا الحاجب على البريد، بتقليد الأمير نُعَيْر بن حيار بن مهنا إمرة العرب، عوضا عن زامل ومُعَيْقِل.

وفيه أخرج أسنبُغَا القوصونى، من أمراء العشرات، منفيا.

وفيه أراد الأمير بركة أخذ مال أولاد ابن سلام التاجر، وأولاد ابن الأنصارى، وكان شيئا كثيرًا، فركب إليه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وما زال به حتى رجع عن ذلك.

وفى أول ذى القعدة: رسم بإحضار الأمير بزلار، الذى كان متولى الإسكندرية.

وفيه قام المحتسب جمال الدين العجمى على الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر القرشى، وكان قد قدم من دمشق وعمل ميعادا للوعظ بالجامع الأزهرى، وظهر عن حفظ جم للأحاديث النبوية، وتفسير القرآن العزيز، من أجل أنه اتهم بأن لازم ما يورده من الأحاديث أنه يثبت الصفات الإلهية، وأقام شخصا ادعى عليه بشىء من هذا، ورسم عليه وعلى ولده عدة أيام، فقام قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى نصرته ، وكف يد المحتسب عنه، ومنعه من التعرض له.

وفى عشرينه: قدم الأمير بزلار.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: طلب الأمير بركة الوزراء المعزولين، وهم: كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، وكريم الدين شاكر بن غنام، وكريم عبد الكريم بن مكانس وقد ظهر من اختفائه.

وأمر بابن الرويهب فنزعت عنه ثيابه ليضربه، ثم أعاد ثيابه عليه ولم يضربه، وأخرجه منفيا إلى طرسوس، وجرد ابن مكانس من ثيابه، وضربه عريانا بالمقارع نحو العشرين شيبا، وألزم ابن غنام بمال، فكتب خطه أن كل ما يملكه فهو للسلطان، وكان للأمير أيتمش البجاسى به عناية، فلم يأخذ منه شىء، وأخرج إلى القدس منفيا. ثم أفرج عن ابن مكانس بشفاعة الأمير يلبغا الناصرى فيه. واتهم الوزير المالكى بأنه الحامل للأمير بركة على هذا. وقدم البريد بتجمع التراكمين لقصد أخذ ملطية[1] فركب الأمير طاش البريد لكشف الخبر.

وفى يوم السبت ثانى ذى الحجة: خلع على محمد بن سليمان - من مقدمى الحلقة -

---

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر، معجم البلدان ١٩٢/٥.

واستقر فى ولاية الأشمونين[١] وعلى أسنبغا المنجكى، واستقر فى ولاية الفيوم، عوضا عن الركن. وسلم الركن للمقدم سيف، ليستخلص منه المال.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره: خلع على بهاء الدين باد الكردى - أحد الطبردارية - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير حسام الدين حسين على بن الكورانى، وسلم حسين لشاد الدواوين على مال، فباع ثيابه، ثم أفرج عنه فى خامس عشره.

وفى يوم السبت سادس عشره: استعفى الأمير أيتمش البجاسى من نظر خانكاه سرياقوس[٢]، فأعفى، وخلع على الأمير مأمور الحاجب، واستقر عوضه فى نظرها.

وفى عشرينه: خلع على معين الدين محمد بن عبد الله بن أبى بكر الدمامينى السكندرى، واستقر فى نظر الأسواق، عوضا عن علم الدين بن غنام.

وفى ثالث عشرينه: خلع على بيرم، واستقر فى ولاية الغربية، عوضا عن محمد بن طاجار، وخلع على الأمير قادوس، واستقر فى ولاية الأشمونين عوضا عن محمد بن العادلى، وخلع على ابن العادلى، واستقر فى ولاية منوف[٣] عوضا عن أبى بكر بن خطاب كل ذلك بمال يقومون به، إذا صاروا إلى الأعمال، فكانوا يجبون الناس من أهل النواحى أولا، ويسمون ذلك القدوم، فيفرض الوالى على كل بلد قدرًا من المال، ثم إذا جبى ذلك، أخذ فى تحصيل المال من المظالم، وبينما هو فى ذلك إذ استقر غيره فى عمله بمال التزم به، فيقبض عليه، ويحاط بماله من خيل وخام وثياب وآلات وغير ذلك مما قد استدانه بأضعاف ثمنه، ويُعاقب على بقية ما تأخر عليه. فعندما يجد، وهو فى العقوبة، سبيلا إلى عوده إلى عمله أو عمل آخر، وعد بمال واستمر فيه، وسلط على الناس بسفك دمائهم، وبضرب أبشارهم[٤] وبأخذ مالهم، فأخذ إقليم مصر فى الاختلال بهذا السبب.

وفى هذا الشهر: جرت عين الأزرق المستمدة من عين ثُقْبة وعين ابن رَخَم من عرفة إلى البركتين خارج باب المعلاة[٥] بمكة المشرفة. واستجدت ميضأة عند باب بنى شيبة، وربع وحوانيت، وأصلحت زمزم وحجر إسماعيل والميزاب، وسطح الكعبة. كل ذلك على يد الأمير باشاه، دوادار الأمير بركة.

وفيه حضر إلى القاهرة طائفة ما بين رجال ونساء، ذكروا أنهم ارتدوا عن الإسلام،

---

(١) الأشمونين: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٢) سرياقوس: بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٤) أبشارهم جمع بشر وهو ظاهر جلد الإنسان انظر القاموس المحيط.

(٥) المعلاة بالفتح ثم السكون موضع بين مكة وبدر. انظر معجم البلدان ١٨٨/٥.

وقد كانوا قبل ذلك على النصرانية، يريدون بارتدادهم التقرب إلى المسيح بسفك دمائهم، فعرض عليهم الإسلام مرارا فلم يقبلوا، وقالوا: «إنما جئنا لنتطهر ونتقرب بنفوسنا إلى السيد المسيح» فقدم الرجال تحت شباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضُربت أعناقهم، وعرض الإسلام على النساء، فأبين أن يسلمن، فأخذهن القاضى المالكى إلى تحت القلعة، وضرب أعناقهن، فشنّع الفقهاء على القاضى المالكى ضرب أعناق النساء، وأنكروا عليه ذلك.

وفيه قدم أيضا بعض رهبان النصارى وقدح فى الإسلام، وأصر على قبيحه، فضربت عنقه، وكان هناك ثلاث نسوة، فرفعن أصواتهن بلقلقة ألسنتهن، كما تفعل النساء عند فرحهن، واستبشارا بقتل الراهب، وأظهرن شغفا به، وهياما لما جرى له، وصنعن كصنيعه، من القدح فى الإسلام، وأردن تطهيرهن بالسيف أيضا. ثم ضربت رقبة رفيق الراهب فى يوم الجمعة ثانى عشرينه تحت شباك الصالحية، وضربت رقاب النسوة الثلاث من الغد، يوم السبت ثالث عشرينه تحت القلعة بيد الأمير سودن الشيخونى الحاجب، وأحرقت جثثهن بحكم أنهن ارتددن عن الإسلام، وأظهرن أنهن فعلن هذا لعشقهن فى الراهب المذكور. وكان يعرف بأبى نُفيْفَة. ولم نسمع فى أخبار العشاق خبرًا أغرب من هذا، ثم جاء بعد ذلك رجل من الأجناد على فرس، وقال للقاضى: «طهرنى بالسيف، فإنى مرتد عن الإسلام» فضرب وسجن.

وفيه عزم الأمير بركة على السفر لمحاربة التركمان، وقد عاد للكشف عن أخبارهم بخروجهم عن الطاعة، ثم اقتضى الرأى أن يتولى محاربتهم الأمير بَيْدَمُر الخوارزمى، فرسم بإحضاره، وخرج الأميران برقوق وبركة وسائر الأمراء إلى لقائه، وترجلوا له جميعا حتى الأميران، وأتوا به إلى منزل أعد له، وحملت له تقادم كثيرة جدا، وخلع عليه، واستقر فى نيابة الشام على إعادته عوضا عن كمشبغا الحموى، واستقر الأمير طَشْتَمُر السيفى فى نيابة حماة [١] بعد وفاة الأمير حَطَطَ.

وفيه قتل محمد بن مكى داعية الرافضة تحت قلعة دمشق.

وفيه قطع الوزير الملكى معاليم الناس ومرتباتهم على الدولة، ومنع مباشرى الجهات من المباشرة، ظنا منه أنه تمشى أحواله بما وفره من ذلك، فبلغ الأمير الكبير برقوق ما عمله، فسأله عن مقدار ما وفره، فأخبره بمبلغه،فأخرج عن الوزارة بلادا يتحصل منها

---

(١) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام.انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١.

بقدر ما وفره، فعاد ذلك عليه بضرر كبير، فإن الوزراء كانوا يوفرون من ذلك معلوم من استضعفوا جانبه، ليتوسعوا به، ففات الملكى ذلك، وباء بقبح القالة، ومقت الناس له.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم (١) بن شرف الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادى بن هلال الطائى الطريفى، الشهير بالقيراطى، الأديب الشافعى، بمكة فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر، ومولده يوم الأحد حادى عشرين صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وتوفى الشيخ شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى، بعدما عمى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة، ومولده ببغداد فى سنة سبع وتسعين وستمائة. ودرس بالمستنصرية، ثم قدم الشام، وولى قضاء المالكية بدمشق، بعد الجمال المسلاتى، سنة تسع وخمسين، ثم صرف فى سنة ستين، وسكن القاهرة، وولى نظر خزانة الخاص، ثم صرف عنها بابن عرب، فلزم بيته حتى مات.

ومات الأمير حَطَطَ اليلبغاوى نائب حماة فى جمادى الآخرة.

ومات الأمير حاجى بك، من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ المعتقد حسن الصبان المغربى، فى ثانى عشرين ربيع الأول بعدما أقعد.

وتوفى الفقير المعتقد صالح الجزيرى فى رابع عشر ربيع الأول، ودفن بزاويته من جزيرة أروى، المعروفة بالجزيرة الوسطى.

وتوفى شيخ القراء تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن البغدادى(٢)، الواسطى الأصل، بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع صفر. ومولده سنة ثلاث وسبع مائة.

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائى الشهير بالقيراطى شاعر من أعيان القاهرة، اشتغل بالفقه والأدب، وجاور بمكة فتوفى فيها، وله ديوان شعر، وسماه مطلع النيرين-ط ومجموع أدب اسمه الوشاح المفصل-ط. انظر الدرر الكامنة ٣١/١ وشذرات الذهب ٢٦٩/٦ والأعلام ٤٩/١.

(٢) تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على (ابن البغدادى) (٧٠٢-٧٨١هـ= ١٣٠٢-١٣٧٩م). عبد الرحمن بن أحمد بن على بن على بن المبارك، أبو محمد، ابن البغدادى: مفسر فى الديار المصرية. من كتبه اختصار البحر المحيط لأبى حيان فى التفسير، و«شرح الشاطبية». انظر غاية النهاية ٣٦٤/١ والدرر الكامنة ٣٢٣/٢ والأعلام ٢٩٥/٣.

ومات الأمير قارا بن مهنا[١] بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أَلجُبْغا العادلى نائب غزة وقد استعفى، ورجع إلى دمشق فى سلخ جمادى الآخرة، وهو فى عشر الخمسين بشقحب، فدفن بدمشق.

وتوفى الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن محمد بن مرزوق العجيسى التلمسانى المغربى المالكى، وزير المغرب، ومدرس الفقه بالمدرسة الخانكاه الشيخونية، ومدرس المدرسة القمحية، فى يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى بهاء الدين بن يوسف بن عبد الله بن قريش، شاهد ديوان أولاد الناصر حسن، فى ثانى عشرين جمادى الآخرة.

ومات شيخنا ناصر الدين محمد بن يوسف بن على الحراوى الكردى الطبردار، فى ثامن عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ماماق، أحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الخميس ثالث شعبان، ودفن بتربة أنشأها له الأمير الكبير برقوق تحت دار الضيافة.

ومات الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى، شيخ خدام الحجرة النبوية، فى ليلة سابع عشرين شهر رمضان، وكان خيرا صالحا.

ومات الأمير ساطلمِش الجلالى بدمشق فى ذى القعدة، وهو من أبناء السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن مُزهِر، أحد موقعى دمشق، وأخو بدر الدين كاتب السر بها فى شوال عن نحو أربعين سنة.

* * *

---

(١) قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل فى بادية الشام والعراق. آلت إليه زعامتهم، ومات بأرض «السر» من عمل حلب وكان حسن السيرة. انظر الدرر الكامنة ٣/٢٣٦ والأعلام ٥/١٧١.

سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة

في يوم الإثنين ثاني المحرم: خلع على الركن متولى الفيوم[1] واستقر فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن محمد بن إياز الدوادارى، بمال كبير التزم به. وخلع على الأمير بَيْدَمُر نائب الشام خلعة السفر، وسار إلى دمشق ومعه الأمير خضر متسفرا على العادة، وقدم البريد من حلب بكثرة جمائع التركمان، واتفاقهم على قصد البلاد الحلبية.

وفى تاسعه: أعاد الأمير بركة الأمير أقبغا صيوان إلى استاداريته، وعزل عنها الأمير صلاح الدين خليل بن عرام.

وفى عاشره: خُلع على السيد الشريف على، وأعيد إلى نقابة الأشراف، بعد وفاة الشريف عاصم.

وفيه حمل جهاز خوند ابنة الأمير طَشْتَمُر إلى الأمير الكبير برقوق، فبنى عليها ليلة الجمعة حادى عشر.

وفى تاسع عشره: خُلع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية البهنسى، عوضا عن أحمد بن غُرلوا.

وفى رابع عشرينه: ضرب الأمير بركة الوزير المالكى نحو السبعين ضربة بالعصى، ثم خلع عليه من الغد، ونودى بأن أحدا لا يتجاهى عليه.

وفى عشرينه: خلع على أبى بكر بن خطاب، واستقر فى ولاية منوف [2].

وفى آخره: قدم البريد من حلب، بأن رجلا قام يصلى بقوم، فتعرض له شخص يعبث به، فتمادى فى صلاته ولم يقطعها حتى سلم منها فى آخرها، فتحول وجه الشخص الذى عبث به وجه خنزير، ومر على وجهه هاربا إلى غابة بالقرب من ذلك المسجد، فعبرها.

وفى يوم الإثنين ثامن صفر: قدم الأمير خضر - متسفر الأمير بَيْدَمُر نائب الشام - وعرض ما أنعم به عليه، وهو مبلغ مائتين ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف مثقال

---

(١) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة انظر ياقوت، معجم البلدان ٢٨٦/٤.

(٢) منوف: من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

من الذهب، وعشرة أرؤس من الخيل بسروج ذهب وكنابيش ذهب وسلاسل ذهب، وعشرة أرؤس خيل بقماش دون ذلك، وثمانون أكديش عريا، ومائة ناقة، ومائة وخمسون جملا، وعشرون مملوكا، وعشرون جارية، وخمسون بقجة فيها ثياب الصوف وأنواع الفرو من السمور والقاقم والسنجاب، والفوط والثياب القطنية، من النصافى[١] والبعلبكى، وغير ذلك.

وفى عاشره: شهرت امرأة على رأسها طرطور أحمر، ونودى عليها: «هذا جزاء من تتزوج برجلين فى وقت واحد».

وفى سابع عشره: بعث الأمير بركة إلى الأمير برقوق بأن الأمير أَيْتَمش قد ألبس مماليكه حربيا، فكشف عن ذلك فلم يظهر له صحة، وطلع أَيْتَمش إليه وأقام عنده خوفا من الفتنة، فترددت الرسل بينهم فى الصلح مرارا، حتى ركب بينهما الشيخ أكمل الدين، والشيخ أمين الدين الخلوى، وقررا الصلح، ونزلا بالأمير أيتمش إليه، فخلع عليه الأمير بركة.

وفيه اتفق شىء يُستغرب، وهو أن رجلا من الفرنج خاصم شخصا على مال ادعى به عليه بين يدى الأمير بركة، فلم يثبت له عليه شىء، فغضب، وأخرج سكينا، وضرب بها بلبان الترجمان، فقتله فى موقف الدعوى بين يدى الأمير بركة، بحضرة الملأ العظيم من الناس، ولم يخش عاقبة، فأمسك وسمر على لطليطة، فدور على الجمل، ثم قطعت يداه ورجلاه، وأحرق خارج القاهرة.

وفى ليلة الجمعة تاسع عشره: لبس الأمير بركة السلاح، هو ومماليكه، ولبس الأمراء أيضا، وباتوا فى اصطبلاتهم على احتراز، فلما أصبح نهار يوم الجمعة، طلب الأمير الكبير برقوق القضاة ومشايخ العلم، وندبهم للدخول بينه وبين الأمير بركة فى الصلح، مكيدة منه ودهاء، فما زالوا يترددون بينهما عدة مرار، حتى وقع الصلح على دخن[٢] وحلف كل منهم لصاحبه، ونزعوا عنهم السلاح، فبعث الأمير برقوق بالأمير أَيْتَمِش إلى الأمير بركة، فنزل إليه وفى عنقه منديل، ليفعل ما يريد من قتل أو حبس أو غير ذلك، وخضع له خضوعا زائدا، فلم يجد بركة بدا من الإغضاء عنه وقبول معذرته، وخلع عليه، وأعاده إلى الأمير برقوق، والقلوب ممتلئة حنقا، ونودى فى القاهرة بالأمان، وفتح الأسواق، فسكن انزعاج الناس.

---

(١) النصافى: نصفيه وجمعها نصافى، قماش من الحرير أو الكتان.

(٢) دخن: جاء فى القاموس المحيط أن الدخن محركة الحقد، وهدنة على دخن محركة أى سكون لعلة.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على قضاة القضاة الثلاث: برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الشافعى، وجلال الدين جار الله الحنفى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى، وخلع على الشيخ أكمل الدين محمد الحنفى شيخ الشيخونية؛ لكونهم سعوا فى الصلح بين الأميرين والتزم الأمير بركة بأنه لا يتحدث فى شىء من أمور الدولة. وأن يستقر الأمير الكبير برقوق متحدثا فى جميع الأمور بمفرده، وانفضوا من الخدمة السلطانية بالقصر على هذا، فشق على علم الدين سليمان البساطى المالكى حرمانه من لبس الخلعة، وكثرت الإشاعة بعزله، وكانت شائعة، فوعد بمال على استقراره، حتى استقر، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول.

وفيه أنعم على الأمير بُزْلار الناصرى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير محمد بن قرطاى الكركى بإمرة عشرة.

وفى يوم السبت خامسه: ولد للأمير الكبير برقوق ولد ذكر من جاريته أَرْدو، فسماه، محمدا، وأخذ فى عمل مهم عظيم لولادته. هذا، وهو والأمير بركة كل منهما يدبر فى العمل على الآخر. وسبب ذلك أنه لما كانت فتنة الأمير إينال مع الأمير برقوق وقبض عليه، عتبه على ما كان منه، فاعتذر بأن الأمير أيتمش اتفق معه، هو وعدة من الأمراء، على ذلك، فجمع بينه وبين أيتمش لثقة الأمير برقوق به، فظهر أن الاتفاق إنما كان بينهما على أن يأخذا الأمير بركة وحواشيه، فبلغ ذلك بركة فأسرها فى نفسه، وأراد غير مرة القبض على أيتمش، وبرقوق يدافعه عنه، فتوحش ما بينهما إلى الغاية، إلى أن عزم أيتمش على القيام بالحرب، ففطن به بركة واستعد له، فكاده برقوق بما كان من خبر الصلح الذى تقدم ذكره، هذا مع ما كان بين الأميرين بركة وبرقوق من التحاسد الذى لابد منه غالبا بين الشريكين، فإنهما قاما بتدبير أمور الدولة. ومن طبع كل أحد من الملوك الانفراد بالمجد ومحبة الاستئثار بالملك.

فلما كان يوم الإثنين سابعه: ركب الأميران بركة وبرقوق فى عامة الأمراء، وسيرا إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة، وعاد كل منهما إلى منزله، فمد الأمير برقوق سماط المهم لولادة ولده محمد، وطلع إليه الأمير صراى الطويل الرجبى - من إخوة بركة - وأسر إليه فيما قيل بأن «الأمير بركة قد اتفق مع جماعته على اغتيالك فى وقت صلاة الجمعة» ثم طلع الأمير أيتمش وغيره من الأمراء لحضور السماط، وتأخر الأمير بركة عن الحضور، وبعث من إخوته الأمير قرادمرداش الأحمدى، أمير مجلس، والأمير طبج المحمدى، والأمير أَقْتَمُر الدوادار، فهنوا الأمير الكبير بتجدد ولده محمد. وجلسوا على

السماط وأكلوا حاجتهم منه. فلما انقضى السماط، أشار الأمير برقوق إلى الأمير جركس الخليلى، والأمير يونس النوروزى دواداره، فقبضا على صراى الطويل وقرادمرداش وطبج وأَقْتَمُر العثمانى الدوادار، وألبس مماليكه فى الحال آلة الحرب، وبادر بإرسال الأمير بزلار الناصرى إلى مدرسة السلطان الملك الناصر[1] حسن فى عدة معه، فملكها وصعد إلى منارتها، ورمى بالنشاب على الأمير بركة، فإنهما يشرفان على بيته. وقد بلغه القبض على إخوته، فلبس وألبس مماليكه حربيا. وفى الحال نادى الأمير برقوق فى العامة «عليكم ببيت بركة فانهبوه». فجاء منهم خلق كالجراد المنتشر إلى بيت بركة من جهة بابه الذى بالرميلة تجاه باب السلسلة، وقد أغلق، فأضرموا فيه النار حتى احترق، وهجموا عليه، فلم يثبت لهم والرمى عليه من أعلى مأذنتى مدرسة حسن، وخرج بمن معه من باب سرداره، ومر إلى باب زويلة، فدخله، وشق بمن معه القاهرة إلى باب الفتوح فى عسكر عظيم، وأخذ والى القاهرة حتى فتحه له، وقد أغلق وخرج منه إلى قبة النصر، وكانت بينه وبين أصحاب برقوق وقعة انتصف كل طائفة من الأخرى. وبعث الأمير برقوق إلى الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى فأحضره إليه، وولاه ولاية القاهرة، عوضا عن بهاء الدين باد، لمخامرته مع الأمير بركة. فنزل إلى القاهرة وأغلق أبوابها على العادة فى أيام الفتنة، ومنع المماليك من دخولها.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء ثامنه: أصبح بيت بركة خرابا نبابا[2] قد نهبت العامة أخشابه ورخامه، وهدمت عدة مواضع منه، ولم تدع فيه إلا الجدر القائمة، ولا يجد به مالاً، ولا حريما، فإنه كان قد استعد للحرب، ووزع حريمه وأمواله فى عدة أماكن.

وفيه نادى الأمير برقوق فى العامة «من قبض على مملوك من مماليك بركة كان له ماله ولنا روحه». وركب الأمير آلان الشعبانى، والأمير أيتمش البجاسى، والأمير قُرُط التركمانى من جهة الأمير الكبير برقوق، لقتال الأمير بركة فركب إليهم الأمير يلبغا الناصرى - من أصحاب بركة - وقاتلهم وكسرهم كسرة قبيحة، قتل فيها جماعة، فباتوا متحارسين، وصار العسكر فريقين، فرقة جراكسة - وهم أصحاب الأمير الكبير برقوق - وفرقة ترك - وهم أصحاب الأمير بركة - فلما أصبح نهار يوم الأربعاء

---

(١) الملك الناصر حسن بن محمد مدرسة تنسب إلى السلطان الناصر حسن بن محمد وهو من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. انظر البداية والنهاية ١٤/٢٤٤- ٢٧٨ و٢٧٩ والأعلام ٢/٢١٦.

(٢) نبابا. نب التيس ينب نبا ونبيبا ونبابا، ونبنب: صاح عند الهياج. وقال عمر لوفد أهل الكوفة، حين شكوا سعدًا: ليكلمنى بعضكم، ولا تنبوا عندى نبيب التيوس، أى تصيحوا.

تاسعه، أنزل الأمير برقوق بالسلطان إلى عنده بالحراقة من الاصطبل، ودقت الكوسات حربيًا بالطبلخاناه من القلعة، فطلع مماليك السلطان إليه، وأمر بباب القلعة من جهة باب القرافة، فسد بالحجارة، ونودى فى الأجناد البطالة وأجناد الحلقة بطلوعهم إلى السلطان، فطلع جماعة كبيرة، فرقت فيهم أسلحة، أُخذت فى الليل من سوق السلاح بالقاهرة، وركزت كل طائفة منهم على تربة من الترب - فيما بين القلعة وقبة النصر - ليرموا من أعلاها أصحاب بركة عند محاربتهم بالسهام، وبالغ حسين بن الكورانى فى حفظ القاهرة، وأخذ الطرقات على من يتوجه إلى بركة بشىء من الأقوات والعلوفات.

وقبض على جمال الدين محمود المحتسب، وسجن بالاصطبل من أجل أنه نقل عنه أنه بعث إلى الأمير بركة بمأكل من خبز ولحم وغيره. وتوجه الأمير سودون الشيخونى فى الحاجب إلى بركة بتشريف نيابة الشام، فأخرق به وأعاده أقبح عود، ثم ركب وقت القايلة، وكان الوقت صيفا، ومعه الأمير يلبغا الناصرى من طريقين، وهجما على حين غفلة إلى تحت الطبلخاناه، يريدان الهجوم على القلعة، فتناولت العامة الحجارة يرجمونهم بها، ورماهم مع ذلك من بأعلى القلعة بالنشاب، وثبت لهم الأمير آلان فى نحو مائة فارس، فكانت وقعة عظيمة جدا، أبلى فيها أحمد بن هُمُز التركمانى ومماليك بركة - وعدتهم ستمائة فارس - بلاء اعظيما، كسروا فيه أصحاب برقوق عشرين كسرة، يمر فى كل وقعة منها ما يتعجب منه، فلما كثرت عليهم حجارة العامة ونشاب من بالقلعة، تقنطر بركة عن فرسه، فأركبه أصحابه، وعادوا به إلى مخيمهم بقبة النصر مكسورا، وقد اقتحم أيتمش على يلبغا الناصرى بطبر [١] وضربه حتى كاد يأتى على نفسه، وأخذ جاليشه وطبلخاناته، وجرح كثير منهم، وفر منهم الأمير مبارك شاه الماردينى إلى الأمير برقوق فى طائفة، فلما دخل الليل تفرق عن بركة أكثر من معه، وأشرفت خيول من بقى على الهلاك، من كثرة جراحاتها، أمرهم أن يطلبوا النجاة لأنفسهم، ومضى ومعه الأمير أقبغا صيوان استاداره بعد نصف الليل من قبة النصر إلى جامع المَقْس [٢] خارج باب القنطرة من القاهرة، فاختفيا به، فدل عليهما بعض من هناك، فبعث الأمير الكبير بيونس النوروزى دواداره إليهما، فأخذهما، وأتى بهما إليه فى يوم الخميس عاشره، فسجنه نهاره عنده، وحمله فى ليلة الجمعة مقيدا إلى الإسكندرية، فسجن بها، وبعث معه بقرا دمرداش، وبأقتمر العثمانى، واستمر باب القلعة فى يوم الجمعة حادى عشره مغلقا، و لم تصل الجمعة يومئذ بجامع القلعة.

---

(١) على هامش ط: طبر: وجمعه أطبار وهو الفأس من السلاح.

(٢) جامع المقس: انشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى على شاطئ النيل بالمقس. انظر خطط المقريزى ٢٣٨/٢ ، صبح الأعشى ٣٦٥/٣.

وفيه قبض على الأمير خُضَر، والأمير قراكَسَك، والأمير أَيْدَمُر الخطاى، وأمير حاج ابن مُغْلطاى، والأمير سودُن باشا، والأمير يَلْبُغا المنجكى، والأمير قرا بلاط، والأمير قرابغا الأبو بكرى، والأمير إلياس الماجارى، والأمير تَمُربغا السيفى، والأمير يوسف بن شادى، والأمير تمربغا الشمسى، والأمير قُطْلُوبك النظامى، والأمير أقبغا صيوان الصالحى، والأمير أحمد بن هُمُز التركمانى. والأمير كُزَل القرمى، والأمير طولو تمر الأحمدى، والأمير طُوجى الحسنى، والأمير تنكز العثمانى، والأمير قطلوبك السيفى، والأمير غريب الأشرفى، والأمير يَلْبُغا الناصرى، وجميع أصحاب بركة وألزامه ومماليكه، فانقرضت دولة الأتراك بأسرها، وتتبعوا بالأخذ فقتلوا ونفوا وسجنوا، ولقد كانت الجراكسة قبل ذلك تتحدث فيما بينها بأنه يكون فتنة كبيرة ثم تخمد، ويثور بعدها فتنة بينهم وبين الترك ينتصرون على الأتراك فيها بعد وقعة، وتعلو كلمتهم عليهم، وصاروا يتدارسون هذا فيما بينهم، لا يشكون فى وقوعه. فلما كانت حركة الأمير أينال جهروا بذكر ذلك، وقالوه من غير احتشام، وأذاعوه حتى تحدث به كبيرهم وصغيرهم، فكان كذلك كما تقدم ذكره، و لله عاقبة الأمور.

ومن عجيب ما وقع فى هذه الحادثة العظيمة، أنه لم يركب فيها الأمير برقوق لحرب ساعة من النهار؛ بل لم يزل فى مكانه، والحرب بين أصحابه وكبيرهم الأمير أيتمش وبين بركة ومن معه، حتى نصره الله عليهم من غير تعب، وأقامت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة الأبواب، إلا أن الخير كثير بالأسواق، ولم يقل سوى الماء فإنه صار ينقل بالقرب من خوخة [1] أيدغمش، فبلغت القربة نصف درهم، ثم نودى من آخر يوم الجمعة فى القاهرة بالأمان، ونودى «يا عوام إن كنتم راضين بمحتسبى القاهرة ومصر. وإلا عزلنا هما». فطلع جمع من الغوغاء إلى تحت القلعة وصاحوا «ما نرضى بهما» فرسم بعزلهما.

وفيه خلع على الأمير أحمد الطرخانى، واستقر فى ولاية الجيزة، ووجدت ذخيرة للأمير بركة فى ضمن مصطبة صغيرة بوسط اصطبله. كان يجلس عليها أحيانا، فيها زنة سبعين قنطارا من ذهب ووجد له عند جمال الدين محمود العجمى - محتسب القاهرة - مبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار.

---

(١) الخوخة: واحدة الخوخ. والخوخة: كوة فى البيت تؤدى إليه الضوء والخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هى مخترق ما بين كل شيئين، والمقصود هنا بالخوخة: باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن، وجرت العادة أن يخصص هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى. انظر الخطط ٢/٤٥.

وفى يوم السبت ثانى عشره: عرضت مماليك بركة على الأمير برقوق، ومماليك يلبغا الناصرى، فاختار من شاء منهم.

وفيه أفرج عن قراكَسَك. وطولو تمر الأحمدى، وتنكز العثمانى، وأَيْدَمُر الخطاى وأمير حاج بن مُغْلِطَاى، ويوسف بن شادى، وقبض على أرسلان دوادار بركة، وسلم هو وأقبغا صيوان وخضر وباشا إلى المقدم سيف، فنوع لهم العذاب أنواعا، وهو يقول لهم «أنتم أخذتم منى ألف ألف وخمسين ألف درهم»، وكانت عقوبتهم بقاعة الصاحب من القلعة، كما هى العادة فيمن يصادر.

وفى ليلة الأحد ثالث عشره: أخرج الأمير يلبغا الناصرى مقيدا إلى الإسكندرية، ومعه الأمير طُبُج المحمدى، والأمير أَطْلَمش الطازى، والأمير قرابلاط. والأمير إلياس، والأمير تمربغا السيفى، والأمير تمربغا الشمسى فساروا جميعا فى الحديد حتى سجنوا بها.

وفى نهار الإثنين رابع عشره: خلع على الأمير مبارك شاه السيفى، واستقر فى ولاية بلبيس[1] وخلع على السيد على نقيب الأشراف، واستقر فى حسبة مصر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمى، وخلع على شمس الدين محمد الدميرى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى وخلع على محمد بن العادلى، واستقر فى ولاية الأشمونين[2] وأفرج عن الأمير خضر وعن الأمير أرسلان وعن مسافر استادار الصحبة لبركة، على مال قرر عليهم، وأفرج عن الأمير أقبغا صيوان، ثم أخرج بعد أيام هو وخضر إلى الشام منفيين.

وفيه أنعم على كل ممن يذكر بتقدمة ألف وهم: الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير وأنعم عليه بإقطاع بركة، والأمير جركس الخليلى والأمير بزلار الناصرى والأمير أَلْطُنْبُغا المعلم، والأمير ألابغا العثمانى.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وست أصابع.

وفى سابع عشره: أنعم على الأمير أَطْلَمش الطازى بطبلخاناه بدمشق، وأخرج إليها. وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم: تَنْكز بُغا السيفى، وأَقْبُغا الناصرى، وطوجى العلاى، وفارس الصَّرْغَتْمُشى، وكَمُشْبُغا الخاصكى الأشرفى، وتمربُغا المنجكى، وسودُن السيفى باق، وأياس الصَّرْغَتْمُشى، وقُطُلوبغا السيفى كوكاى، وأنعم

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٩.

(٢) الأشمونين: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: بيبرس التَّمان تَمرى، وطنا الكريمى، وبيرم العلاى، وأقبغا اللاجينى، وقوصون الأشرفى.

وفيه خلع على الأمير بهادر الشاطر، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن أقبغا الفيل.

وفى ثامن عشره: قدم البريد بسيف الأمير بيدمر نائب الشام، وذلك الأمير بركة لما خرج إلى قبة النصر، بعث إليه بأخذ قلعة دمشق، والقبض على أكابر أمرائها، وأنه إن انكسر قدم إليه، فركب يريد القبض على الأمراء، وكانوا قد وصل إليهم كتاب الأمير الكبير برقوق باحترازهم، وأعلمهم بما كان من مخامرة بركة، وأنه إن قدم إليهم يأخذوه، فاستعدوا، وقام بحرب بَيْدَمُر الأمير محمد بيك، والأمير أحمد بن جُرجى الإدريسى، والأمير جَنْتمُر أخو طاز، والأمير أرغون الأسعردى، مدة ثلاثة أيام، وأعياهم من فى القلعة بالرمى من أعلاها، فانكسر بَيْدَمُر، وقبض عليه وعلى تغرى بَرْمَش وجبرائيل، والصارم البيدمرى، وعامة حواشى بيدمر، وسجنوا بقلعة دمشق، فسر الأمير الكبير بذلك سرورا كبيرا.

وفيه أفرج عن الأمير أَيْنَال اليوسفى من سجنه بالإسكندرية.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أَيْتمِش البجاسى، واستقر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن الأمير بركة. وخلع على الأمير آلان الشعبانى، واستقر أمير سلاح. عوضا عن يَلْبُغا الناصرى. وخلع على الأمير أَلْطنبُغا الجوبانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير ألطنبغا المعلم، واستقر رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير ألابغا العثمانى، واستقر دوادارا كبيرا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير جركس الخليلى، واستقر أمير أخور بتقدمة ألف، وخلع على الأمير بجمان المحمدى، واستقر رأس نوبة صغيرا وعلى كُمُشْبُغا الخاصكى الأشرفى، واستقر شاد الشراب خاناه، فصار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق.

وفى ثانى عشرينه: خلع على صلاح الدين خليل بن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية عوضا عن بلُّوط الصَرْغَتْمُشى، وأنعم عليه بتقدمة وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن دَنْدار بن قرمان، واستقر استادار الأمير محمد بن الأمير الكبير برقوق الأتابك، وخلع على ولده دَمُردان بن موسى واستقر أمير طَبّر، وكاشف الجيزة.

وفيه قدم الأمير أينال اليوسفى من الإسكندرية، فنزل ناحية سرياقوس، وتوجه منها إلى نيابة طرابلس عوضا عن منكلى بغا البلدى، ونقل البلدى إلى نيابة حلب، عوضًا عن أشَقْتمُر الماردينى، ونقل أشقتمر إلى نيابة الشام، عوضا عن بَيْدَمُر.

وفيه قدم ناصر الدين محمد بن الدمرداشى محتفظا به، وكان قد مات خطيب أخميم(١) عن مال كبير، وجعل وصيه الأمير بركة، ووصى له بمال جزيل، حماية لتركته، فشره لأخذ التركة جميعها. وبعث ابن الدمرداشى للحوطة على مخلفه، فأوقع بأصحاب الخطيب كل مكروه، فزالت دولة بركة وهو فى عقوبتهم، فلم يشعر إلا وقد قبض عليه، وحمل إلى القاهرة فى أسوأ حال، فضُرب ضربا عظيما، وأُخذ ماله، وأخرج منفيا إلى الصعيد، واتفق أيضا أن امرأة من مياسير نساء التجار خرجت حاجة، فأشيع أنها ماتت، فأخذ جميع مالها، وعادت إلى القاهرة فلم تُعوض عن ذلك بشىء وافتقرت بعد غناها، كما افتقر أولاد خطيب أخميم مع كثرة عددهم وعظم مال أبيهم.

ومات أيضا بعض المماليك السلطانية، وترك أولادا، فأخذ ماله، ولم تعط ورثته شيئا، فكان هذا من الحوادث التى لم تعهد.

وفى ثامن عشرينه: أخرج مبارك شاه المارديني - أحد أمراء الطبلخاناه - إلى حماة، أميرا بها.

وفيه خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر ناظر ديوان الأمير أيتمش. وهذا أيضا مما لم يعهد أن وزيرا خدم ديوان أمير.

وفيه رسم للأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة السلطانية ولا يقف.

وفى يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر: ركب الأمير الكبير الأتابك برقوق من الإصطبل، وسير بعد ما كان منذ حركة بركة لم يتحرك من موضعه خوفا على نفسه، فوقف له أهل الرواتب والصدقات المقررة على الدولة، واستغاثوا به على الوزير الملكى أن عوّق جاريهم عن الصرف، فلما عاد إلى الحراقة من الاصطبل طلب الملكى والمقدم سيف، وضربهما وأسلمهما إلى الأمير بهادر شاد الدواوين، ثم أفرج عنهما.

وفى رابعه: قدم الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من القدس، وعظم أمر الأمير الكبير، وانفرد بتدبير الدولة، وصار فى موكب عظيم لم يعهد مثله لأمير قبله.

وفى خامسه: خُلع على صدر الدين بديع بن نفيس الدوادارى الأسلمى التوريزى، واستقر شريكا للرئيس علاء الدين على بن صغير فى رئاسة الأطباء.

وفيه أنعم على الأمير مأمور حاجب الحجاب بزيادة فى إقطاعه، وأنعم على الأمير

---

(١) أخميم: بلدة بصعيد مصر. انظر معجم البلدان ١/٨٨.

أحمد ابن الأمير يلبغا الخاصكى بزيادة فى إقطاعه، وخلع على ناصر الدين محمد بن الأسناى شاهد ألابغا الدوادار، واستقر فى نظر الأحباس عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى [(١)] المحتسب، وخرج البريد بإحضار الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص.

وفى رابع عشرينه: ترك الوزير الملكى الوزارة، ولبس هيئة الزهاد، وأقام بجامع عمرو بن العاص بمصر، فطُلب فى يوم الإثنين سابع عشرينه، وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، وتولى شاد الدواوين مصادرته، فعذبه عذابا أليما. حتى هلك تحت العقوبة فى يوم النوروز، ولما قبض عليه خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر عوضه فى الوزارة مضافا إلى نظر الخاص.

وفيه قدم الخبر بخروج بدر بن سلام بعربان البحيرة عن الطاعة، فرُسم أن يجرد لهم من الأمراء أَيْتِمش البجاسى، وآلان الشعبانى، وألطنبغا الجوبانى ومأمور الحاجب، وأحمد بن الأمير يلبغا، وبَلُّوط الصَرْغَتْمُشى، وبزلار الناصرى، وبهادر الجمالى. ومعهم من أمراء الطبلخاناه اثنى عشر أميرًا، منهم سَوكَب الشيخونى، وقرابغا البوبكرى، وبجمان المحمدى، وطغاى تَمُر القبلاوى ومازى السيفى، وقُرُط بن عمر التركمانى، ويدكار السيفى، وبجاس النوروزى، وقرابغا السيفى، وعدة من أمراء العشرات، وطائفة من مماليك الأمير الكبير برقوق، وساروا فى أول جمادى الأولى، فارتفع بدر بمن معه عن البلاد وخرج ابن عرام بعسكر الإسكندرية إلى لقاء الأمراء، فبلغهم أن بدر بن سلام يريد كبسهم ليلا، فتركوا مخيمهم وقصدوا الجهة التى يكون مجىء بدر منها، فأقبل بدر من غير تلك الطريق، وهجم ليلا على مخيم الأمراء، وليس به إلا الغلمان، وقليل من المماليك، فقتل ونهب ومضى، فأدرك الأمير آلان طائفة من أصحابه، فقاتلهم قتالا كبيرا. انكسر منهم مرتين، ثم كانت الكرة له، فقتل منهم جماعة، وقبض على بنى بدران - من أعيانهم - واستولى على كثير مما كان معهم، ولما طال على الأمير أيتمش ومن معه السُرى[(٢)] عادوا، فإذا ببدر وجماعته قد عادوا من وقعتهم بمن

---

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين: باحث أديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس. وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة من كتبه «حياة الحيوان» و «حال الحسان من حياة الحيوان». انظر الفوائد البهية ٢٠٣. وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ والضوء اللامع ٥٩/١٠ والكتبخانة ٢٨٥/٣ والأعلام ١١٨/٧.

(٢) السرى: والسرى: سير الليل عامته؛ وقيل: السرى سير الليل كله، تذكره العرب وتؤنثه؛ قال: ولم يعرف اللحيانى إلا التأنيث؛ وقول لبيد: قلت: هجدنا فقد طال السرى وقدرنا إن خنى الليل غفل قد يكون على لغة من ذكر؛ قال: وقد يجوز أن يريد طالت السرى فحذف علامة=

فى المخيمات، فقصدوه فلم يدركوه، وقتلوا عدة ممن تخلف من أصحابه.

وفى ثالثه: على الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب واستقر حاجبا ثالثا.

وفى سادسه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص.

وفى رابع عشره: قدم البريد من البحيرة بما تقدم ذكره، وأنه قُتل من عرب بدر نحو الألف.

وفيه استقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة صفد، عوضا عن تمرباى الدمرداشى.

وفى يوم السبت خامس عشره وخامس وعشرين مسرى: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة البحيرة، و لم يدركوا بدر بن سلام، وقتلوا من ظفروا به ما بين مذنب وبرىء، ونهبوا أموالا كثيرة، وخربوا تروجة [1] وما حولها، فلما عاد الأمراء رجع بدر إلى البحيرة، وبعث ابن عرام يسأل له الأمان، فأجيب إلى ذلك، وخرج إليه الأمير بهادر المنجكى - استادار الأمير الكبير - والشريف بَكْتَمُر، فى ثانى

=التأنيث، لأنه ليس بمؤنث حقيقى؛ وقد سرى سرى وسرية وسرية فهو سار؛ قال: أتوا نارى فقلت: منون؟ قالوا: سراة الجن قلت: عموا صباحا! وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى، إذا سرت ليلاً؛ بالألف لغة أهل الحجاز؛ وجاء القرآن العزيز بهما جميعا. ويقال: سرينا سرية واحدة، والاسم السرية بالضم والسرى، وأسراه وأسرى يه. وفى المثل: ذهبوا إسراء قنفذة؛ وذلك أن القنفذ يسرى ليلة كله لا ينام؛ قال حسان بن ثابت:

حـى النضيرة ربـة الخـدر ... أسرت إليك ولـم تكـن تسـرى

قال ابن برى: رأيت بخط الوزين ابن المغربى: حى النصيرة؛ وقال النابغة: أسرت إليه من الجوزاء سارية ويروى: سرت؛ وقال لبيد:

فبـات وأسـرى القوم آخر ليلهم ... ومـا كـان وقافـا بغيـر معصـر

وفى حديث جابر قال له: ما السرى يا جابر؛ السرى: السير بالليل أراد ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت. واسترى كأسرى؛ قال الهذلى:

وخفوا فأما الجامل الجـون فـاسترى ... بليل وأما الـحى بعـد فـأصبحـوا

وأنشد ابن الأعرابى قول كثير:

أروح وأغـو من هـواك وأسـترى ... وفـى النفس ممـا قـد علمت علاقم

وقد سرى به وأسرى. والسراء: الكثير السرى بالليل. وفى التنزيل العزيز: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً».

(١) تروجة: بالفتح ثم بالضم، وسكون الواو، وجيم: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢٧/٢.

عشرينه، ومعهما أمان وخلعة لبدر وطبلخاناه، فالقهما، وبالغ فى إكرامهما، والتزم تدريك[١] البلاد وعمارة ما خرب منها، وتعويض أهلها عما تلف لهم، واعتذر عما وقع منه، وقدم إليها ابن عرام من الإسكندرية فقرأ الأمان على الناس فوق منبر مدينة دمنهور[٢] ونودى بالأمان فعاد أهل دمنهور إليها، بعدما كانت لا أنيس بها، وعاد الأمير بهادر، والشريف بَكْتَمُر، ومعهما بدر، حتى قاربا القاهرة، ثم مضى عنها، وقدما إلى القاهرة وقد قويت الإشاعة بمباطنة ابن عرام لبدر بن سلام، فخرج البريد بطلبه، فحضر بتقادم جليلة، واعتذر عما رمُى به، فخلع عليه، وأعيد إلى الإسكندرية على حاله.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودى بالقاهرة ومصر ألا يلعب أحد بالماء فى النوروز. وهدد من لعب فيه بالماء أن يضرب ويؤخذ ماله، فامتنع الناس فيه مما كانوا يفعلونه. ووجد أربعة من الناس يلعبون بالماء فى يوم النوروز. فضربوا بالمقارع وشهروا.وقدم البريد من طرابلس بأن الأمير طَقْتَمُر - مستقر الأمير إينال - أفسد بطرابلس من كثرة سكره وعربدته وقلة احترامه للنائب، وأن النائب ضربه بحضرة أمراء طرابلس ضربا مبرحا. فأخرج إقطاع طقتمر ورسم بسجنه بالكرك ورُسم بالإفراج عمن بالإسكندرية من الأمراء. فأفرج عنهم، وتأخر بالسجن منهم أربعة وهم بركة، ويلبغا الناصرى وقرا دمرداش، وبَيْدَمُر نائب الشام. فلما قدم المسجونون. فرقوا ببلاد الشام وأرسل بعضهم إلى قوص.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير كُرْجى. واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن قُطلوبَك صهر أيدمر المزوق. ثم خلع على الشريف بَكْتَمُر أطلسين. واستقر ملك الأمراء بالوجه البحرى. ورسم أن تكون إقامته بتروجة. وأن يُكَاتب بملك الأمراء. فكان أول من خوطب بذلك من كشاف الوجه البحرى.

وفى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخر: رست السلاسل على قنطرة المقسى بخليج فم الخور وعلى قنطرة الفخر برأس الخليج الناصرى - بجوار الميدان الكبير - كما عمل فى السنة الماضية. فامتنعت المراكب التى تحمل المتفرجين وأهل الخلاعة من عبور الخليج وبركة الرطلى، وانكف بذلك فساد كبير وبلغت زيادة النيل إلى أربع أصابع من ثمانية عشر ذراعا، وثبت إلى سادس عشر توت. ثم هبط فارتفع سعر الغلال، وطلبها

---

(١) على هامش ط: التزم تدريك: التزم تدريك البلاد أى التزم خفارتها.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

الناس للخزن طلبا للفائدة فيها. فكثر قلق الناس، واستغاثت العامة فى عزل الدميرى من الحسبة، وسألوا عود العجمى إليها، وهموا برجم الدميرى مرارا فاختفى بمنزله خوفا على نفسه.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين محمود العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، ففرح العامة به فرحا زائدا، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وأتلفوا من ماء الورد الذى صبوه عليه وعلى من معه، ومن الزعفران الذى تخلقوا به شيئا كثيرا. وبالغوا فى إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغانى تزفه إذا مر بها فى مواضع عديدة، فكان يوما مشهودا. وذلك أنه كان قد تعذر وجود الخبز بالأسواق. وفقد منها عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال محمود يكون مباركا، فكان كما ظنوا.

وقدم فى هذا اليوم عدة مراكب مشحونة بالغلال، فانحل السعر.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الكوكاى، واستقر أستادارا ثالثا. وقدم الأمير زامل بنى موسى بن مهنا، فأكرمه الأمير الكبير كرامة زائدة.

وفى سابع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر فى حسبة مدينة مصر عوضا عن الشريف على نقيب الأشراف.

وفيه أخرج إقطاع الأمير قرابغا فرج ا لله عنه، وقبض عليه من أجل قتل بعض مماليكه وهو سكران. وكتب باستقرار الأمير إينال اليوسفى فى نيابة حلب، واستقر عوضه فى نيابة طرابلس كُمُشْبُغا الحموى، واستقر طشتمر اللفاف فى نيابة صفد عوضا عن كُمُشْبُغا.

وفى أول شهر رجب: قبض على الأمير زامل، وسجن وذلك أن ولده نزل مرج دمشق فى طائفة من آل فضل. كما قد استجد. وأنزلوهم فيه أيام الشتاء فمنعهم الأمير أَشَقْتَمر من الإقامة به. فركبوا للحرب وقاتلوا عسكر دمشق مرتين. ثم انكسروا، ونهبت عامة أموالهم وجمالهم، وانجلت هذه الوقعة على قتل طَقْتَمُر الحسنى.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: أحيط بموجود الأمير صلاح الدين خليل بن أحمد بن عرام، وتوجه الأمير يونس دوادار الأمير الكبير للقبض عليه وسبب ذلك ورود الخبر بقتل الأمير بركة بسجنه من الإسكندرية، فثارت مماليكه تريد الفتنة، فأنكر الأمير الكبير أن يكون قد أمر بقتله. ويقال أنه كان قد تقدم إلى ابن عرام عند حضوره بأن

يقتل بركة. فأخذ بذلك خطه وخطوط الأمراء الأكابر، وعاد إلى الثغر وقتله. فلما دخل يونس الدوادار إلى الثغر نبش قبر بركة، فوجد فى رأسه ضربة وفى جسده ضربات عديدة وقد دفن بثيابه من غير غسل ولا كفن، فغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه فى تربة بناها على قبره، وقبض على ابن عرام. وخاف من بدر بن سلام أن يعترضه فى الطريق ويخلصه فطلب نجدة، فسار إليه عدة مماليك ساروا به فى بحر الملح إلى دمياط وأتوا فى النيل إلى القاهرة، وسجن فى يوم الثلاثاء ثانى عشره بخزانة شمايل مقيدا، وعذب على مال اتهم به أنه أخذه من بركة، فلم يقر بشيء. ثم أخرج فى يوم الخميس رابع عشرينه، وحمل على حمار إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء بباب القلعة منها، فجرد من ثيابه، وضرب بالمقارع نحو التسعين شيبا. ونودى عليه وهو يضرب: «هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن». فقال: «ما قتلته إلا بإذن الأمراء»، وأخرج خطوطهم فأخذت منه وهو يستغيث: «بينى وبينكم الله ياسيدى الشيخ نهار هذا اليوم الذى وعدتنى، فإنا لله وإن إليه راجعون». وذلك أن الشيخ نهار كان حدثه بأمور، ومنها أنه لا يموت إلا مقتولا بالسيف، موسطا أو مسمرا، فكان يتوقع ذلك. ثم أركب الجمل ودقت المسامير الحديد فى كفيه وذراعيه وقدميه على الخشب. وهو يقول: «يا سيدى الشيخ نهار، قد صح الذى وعدتنى به، هذا اليوم الذى وعدتنى به». وساروا به من باب القلعة على الجمل، ليشهر، فصار ينشد فى تلك الحال، التى يذهل فيها المرء عن نفسه.

لك قلبى تعِلُّه ... فدمى لم تحله
قال إن كنت مالكا ... فلى الأمر كله

فلما صار بالرمَيلة تحت القلعة. أوقف تجاه باب السلسلة، فبدره مماليك بركة بسيوفهم يضربوه بها حتى صار قطعا، وفرقوا شلوة تفريقا. ثم حملت رأسه وعلقت بباب زويلة، فأخذت أمه ما قدرت عليه من بدنه وأخذت رأسه، وغسلت ذلك. ودفنته بمدرسته جوار قنطرة أمير حسين. من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة. وكان ابن عرام فطنا ذكيا، فأحسن المشاركة فى القلم. كتب تاريخا مفيدا. وكانت له نوادر، وعنده حكايات يذاكر بها. وكان مهابا، رئيسا سيوسا، وكان يداخل كل ذى فن، ويتنقل فى أحوال مختلفة ويخوض فى كل ما يفيد وينفع.

وفى رابع عشره: استقر الأمير بلّوط الصَرْغَتْمشى فى نيابة الإسكندرية.

وفى حادى عشرينه: استدعى الأمير الكبير برقوق الشيخ جلال الدين رسولا التبانى، فطلع إليه بعد مراجعات كثيرة، وعرض عليه أن يستقر فى قضاء الحنفية. فلم يوافق على ذلك، وامتنع كما امتنع فى الأيام الأشرفية شعبان بن حسين. وقال: «هذه

الوظيفة ما يصلح لها عجمى، والعرب أولى بها». فلما ألح عليه الأمير الكبير فى القبول. أخرج مصحفا شريفا، وكتاب الشفاء للقاضى عياض[1]. وقال: أسألك بحق هذين. ألا ما أعفيتنى»؛ وقام عنه، فاستدعى الأمير الكبير القضاة. وشاورهم فيمن يصلح لقضاء الحنفية. فأشار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، بولاية صدر الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ علاء الدين أبى الحسن على بن منصور الدمشقى. فسار بإحضاره من دمشق، فى يوم الخميس رابع عشرينه.

وفى خامس عشرينه: أنعم على ناصر الدين محمد بن أقبغا آص. بإمرة طبلخاناة. عوضا عن أروس المحمدى، وأخرج أروس على إمرة بصفد وأنعم على سودون النظامى بإمرة طبلخاناة.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير خضر الزينى باستدعاء.

وفى يوم الجمعة رابع عشرين شعبان: قبل الأمراء الأرض بين يدى السلطان، وسألوا عفوه عن الأمراء المسجونين، فرسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرى. والأمير قرادمرداش، والأمير بيْدَمُر نائب الشام.

وفى أول شهر رمضان: قدم بيرم والى الغربية بطلب، وضرب وسجن.

وفى يوم الأحد رابعه: قدم صدر الدين محمد بن على بن أبى البركات منصور الدمشقى الحنفى، ونزل بصهريج منجك تحت القلعة وأتاه الناس على اختلاف طبقاتهم للسلام عليه ثم طلب فى يوم الخميس ثامنه بعد العصر. إلى بين يدى السلطان، فخلع عليه واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن جلال الدين جار الله بعد وفاته. ونزل ومعه قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة، والأمير قرابغا الحاجب.

---

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولى قضاء سبته، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفى بمراكش مسمومًا، قيل: سمه يهودى. من تصانيفه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى – ط» و «الغنية – خ» فى ذكر مشيخته، و «ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام منهب الإمام مالك – ط» أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و «شرح صحيح مسلم – خ» و «مشارق الأنوار – ط» مجلدان، فى الحديث، و «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع – ط» فى مصطلح الحديث وكتاب فى «التاريخ» وجمع المقرى سيرته وأخباره فى كتاب أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض – ط» ثلاثة مجلدات من أربعة و «الإعلام بحدود قواعد الإسلام – ط» و «شرح حديث أم زرع – خ» جزء لطيف، فى خزانة الرباط (١٨٥٧ كتانى) والظاهرية بدمشق. انظر الأصابه ٦١٤٢، وصفه الصفواة ٢٧٧/١. والأعلام ٥/ ٩٩.

وفي عاشره: خلع على أحمد بن سنقر البريدى. واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن بيرم. وخلع على فرج بن أَيْدَمُر المُزَوَّق. واستقر فى ولاية أشموم الرمان.

وفي تاسع عشره: كتب مرسوم سلطاني بأن يستقر لكل من القضاة الأربع أربعة نواب. فاستقر لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي أربعة نواب بالقاهرة، وهم: جمال الدين محمد بن محمد الخطيب الأسنائى. وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى[١] وصدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين. وسرى الدين محمد بن المسلاتي. واستقر فخر الدين محمد بن محمد القاياتي نائبه بمصر. واستقر لقاضى القضاة صدر الدين محمد بن منصور الحنفى أربعة نواب، وهم: مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم. وشمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى. وشهاب الدين أحمد الشنشى. وجمال الدين محمود المحتسب. واستقر لقاضى القضاة علم الدين سليمان اليساطى المالكى أربعة نواب. وهم: جمال الدين عبد الله بن عمر الفيشى، وتاج الدين بهرام، وشهاب الدين أحمد الدفرى، وعبيد البشكالسى. ولم يستنب قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى عنه أحدا. فاستراح الناس من نواب المجالس؛ وهم قوم يتكسبون من الحكم بين الناس، ويجلسون لذلك فى مجالس من الجوامع أو المدارس أو حوانيت الشهود، ويقاسمون الشهود فيما يتكسبونه من تحملهم الشهادات للناس وعليهم، فبطل ذلك بسفارة قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ولله الحمد.

وفي رابع عشرينه: خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير - كاملية حرير أخضر كمخا سكندرى بفرو قاقم ولم يعهد قبله متعمم يلبس مثل ذلك.

وفي ثالث شوال: أخرج الأمير طُغاى تَمُر القبلاوى منفيا إلى طرابلس.

وفي رابعه خلع على عبيد بن البازدار، واستقر مقدم الدولة. وخلع على قُطْلُوبُغا الأَسَنْ قجاوى أبو درقة، واستقر فى ولاية قوص. وخلع على الأمير قُرُط بن عمر التركمانى، واستقر نائب البحيرة والوه البحرى. عوضا عن الشريف بُكْتَمُر، وأنعم عليه بعُدد حربية، وأسلحة كثيرة، ومال جزيل، فأكثر من استخدام التراكمين، وسارقى

---

(١) المناوى: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعي صدر الدين، أبو المعالى: قاضى، عالما بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١، وحمدت سيرته. وصنف «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصابيح». مات فى غريقا فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٦/ ٤٩ والكتبخانة ١/ ٣٨٨والأعلام ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠.

عسكر كثير، فاستعد بدر بن سلام للقائه، وجمع له جمعا موفورا، فعرج قُرُط عن الطريق، حتى قارب دمنهور، فلقيه بدر وقاتله أشد قتال حتى احتاج إلى طلب نجدة من القاهرة.

وفى سادس عشرينه: خلع أَقْبُغا الماردينى، واستقر نائب الوجه القبلى، بعد موت الركن.

وفيه أُخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أَقْبُغا آص منفيا إلى الشام، وخلع على الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى، وأُعيد إلى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، عوضا عن شمس الدين محمد بن أخى الجار.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا، وتمادى إلى أثناء ذى الحجة.

وفى يوم الثلاثاء أول ذى الحجة: خلع على شمس الدين محمد الدَّميرى المحتسب، وأعيد إلى نظر الأحباس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الأسناى، واستقر كمال الدين المعرى فى قضاء الشافعية بحلب. عوضا عن الجمال الزُرَعى[1] بعد وفاته.

وفى ثالثه خُلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى. واستقر فى نظر الدخيرة، ونظر خاص الخاص، وأضيفت إليه الإسكندرية والكارم، والأملاك والمستأجرات. وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان، واستقر أستادار الدخيرة، رفيقا لابن البقرى.

وفى يوم الثلاثاء ثامنة: قدم البريد بوصول آنص - والد الأمير الكبير برقوق - صحبة الخواجا عثمان بن مسافر، فركب الأمير الكبير إلى لقائه وخرج معه عامة العسكر من الأمراء والأجناد، وجميع أرباب الدولة من القضاة والوزراء والأعيان، فلقى أباه بمنزلة العكرشا، وعاد به، وقد قدم معه الكمال المعرى قاضى حلب، وولى الدين عبد الله بن أبى البقاء قاضى دمشق. فنزل بالمخيم من سرياقوس وقد أعد له. وهيأت المطابخ. فمد سماط عظيم إلى الغاية، أجلس الأمير الكبير أباه فى صدره، وأجلس بجانبه الأمير عز الدين أَيْدَمُر الشمسى. وجلس الأمير الكبير تحت الأمير أَيْدَمُر، وجلس بجانب ولد الأمير الكبير من الجهة الأخرى الأمير سيف الدين أَقْتَمُر عبد الغنى، فأكلوا وأكل عامة من حضر حتى اكتفوا، ثم رفع فتناهبه الغلمان وغيرهم، حتى عم ذلك الجمع مع

---

(١) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين، فاضل كان قاضى عجلون وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحال فى وصف الخال». انظر شذرت النهب ٦/ ٢٦٤ والأعلام ٧/ ٤١.

كثرته. وركبوا جميعا وقت الظهر. وعبروا إلى القاهرة، وقد خلع على الخواجا عثمان، وصعدوا به إلى الإصطبل فكان يوما مشهودا، بالغ العامة فى إشعال الشموع والقناديل. ثم طلع الخواجا عثمان بآنص، فاشتراه السلطان منه وأعتقه، وخلع عليه. وأنعم على آنص بتقدمة ألف. فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له التقادم الجليلة على قدر همته وبذل الأمير الكبير برقوق للخواجا عثمان مالا كثيرا، وأنعم عليه بإنعامات سنية، من أجل أنه جلب أباه من بلاد الجركس.

وفى ثانى عشره: خرج الأمير آلان الشعبانى، ومعه خمسمائة مملوك إلى البحيرة، نجدة للأمير قُرُط.

وفى ثامن عشره: قدم البريد من الطرانة - وقد نزل بها الأمير آلان - بأن الأمير قُرُط قتل، فاضطرب العسكر بالقلعة. وعلق الجاليش للسفر، ونودى فى القاهرة بخروج الأمراء والمماليك وأجناد الحلقة للبحيرة. ورسم بتجهيز السلطان، فأشار الأمير أَيْدمُر الشمسى بإقامة السلطان، وتجهيز الأمراء، فعين للتجريدة الأمير أَيْتمِش البجاسى، والأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى، والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى، والأمير مأمور القَلْمُطاوى، والأمير أَقْبُغا العثمانى، والأمير أَلطُنْبُغا المعلم، وكلهم أمراء ألوف، ومعهم من أمراء الطبلخاناة: قرابغا الأحمدى، ومازى، وقرابغا البوبكرى، وبجَمَان المحمدى وفارس الصَرْغَمْشى، وبجاس النوروزى. وطوجى الحسنى. وطَقْتَمُش السيفى، وأطرجى العلاى، وأرسلان اللفاف. ومن أمراء العشرات: أَقْبُغا بوز الشيخونى، وكمجى، ويوسف بن شادى، وبكبلاط الصالح، وبيبرس التمَّان تَمُرى، وأقبغا اللاجينى، وسُبْرُج الكمشبغاوى، فقدم الخبر آخر النهار بأن قُرُط بن همر لم يقتل فسكن الحال بعض الشىء.

وفى تاسع عشره: قدم من شيوخ البحيرة خِضْر بن موسى بن خضر وجماعة تحت الاحتفاظ، فضربوا بالمقارع.

وفيه سارت التجريدة المذكورة صحبة الأمير أَيْتمِش إلى البحيرة.

وفى حادى عشرينه: قدم حسين بن الأمير قُرُط بعدة رءوس من القتلى فى الحرب، وأخبر أنه حُصِرَ بمدينة دمنهور، وكاد بدر أن يأخذه، ففر إلى العطف وعدى النيل إلى مدينة فوة[1] وسأل أن يمد بنشاب وغيره من آلة الحرب، وأخبر بوصول الأمير آلان بمن معه إلى دمنهور، فخلع عليه.

---

(١) مدينة فوة: بالضم ثم التشديد: بليدة على شاطئ النيل من نواحى مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أوستة. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٨٠.

وفيه أعيد فتح الدين محمد بن الشهيد[1] إلى كتابة السر بدمشق، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمد بن القاضى بها الدين أحمد بن القاضى محيى الدين يحيى ابن فضل الله.

وفى ثانى عشرينه: خُلع على الطواشى صفى الدين جوهر الصلاحى، واستقر مقدم المماليك بعد موت ظهير الدين مختار الحسامى.

وفيه أبطل الأمير الكبير برقوق ضمان المغانى بمدينة حماة، وبمدينة الكرك ومدينة الشوبك، وبناحية منية ابن خصيب من أراضى مصر وبناحية زفتا[2] منها، وأبطل ضمان الملح بمدينة عين تاب[3]، وضمان الدقيق من البيرة[4] - معاملة حلب - وضمان قمح المؤونة بدمياط وفارس كور[5] من أردبين إلى ما دون ذلك. وأبطل المقرر على أهل البرلس، وشورى، وبلطيم، وهو شبه الجالية ومبلغه ستون ألف درهم فى السنة. وأبطل مكس مدينة إعزاز بأجمعه، وعمر جسر الأردن الذى يعرف بالشريعة. فيما بين بيسان ودمشق، فجاء طوله مائة وعشرون ذراعا.

وفيه أنعم على قُطْلوبَك السيفى - والى مدينة مصر - بإمرة عشرة زيادة على عشرة، فاستقر أمير عشرين فارسا.

وفيه أنعم على الأمير قديد القلمْطاوى بإمرة عشرة.

* * *

ومات فى هذا السنة من الأعيان

---

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح، فتح الدين، ابن الشهيد، كاتب السر بالشام. له علم التفسير والأدب، ونظم ونثر، أصله من نابلس بفلسطين، ومولده بالرملة. اشتهر فى دمشق وكتب بها فى ديوان الإنشاء. ثم صار صاحب الديوان، ومع ولاية مشيخة الشيوخ وجرت له محنة اختفى بسببها مدة نظم فيها «السيرة النبوية». مات بظاهر القاهرة، مقتولا بسيف السلطان. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٦، وتاريخ ابن الفرات ٩/ ٢٨٦ ومطالع البدور ١/ ١٠ وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٩ والأعلام ٥/ ٢٩٩.

(٢) زفتا: بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شطنوف. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

(٣) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٦

(٤) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر: معجم البلدان ١/ ٥٢٦.

(٥) فارس كور: أو الفارسكر: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية انظر معجم البلدان ٤/ ٢٢٨.

شرف الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين[١] أبى الحسن على ابن أبى البركات منصور الدمشقى الحنفى، قاضى القضاة نبديار مصر، بعد ما عزل نفسه، وأقام بدمشق، فى ليلة الإثنين عشرين شعبان.

وتوفى الشريف شرف الدين عاصم بن محمد الحسنى نقيب الأشراف، فى عاشر المحرم.

وتوفى الشيخ عباس بن حسن التميمى الشافعى، المقرئ، خطيب جامع أصلم[٢] خارج القاهرة، فى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة. تصدى لتدريس الفقه وإقراء القراءات عدة سنين.

وتوفى نور الدين على عبد الصمد الجلاوى - بالجيم - أحد فقهاء المالكية، فى رابع عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير منكلى بُغا الأحمدى، الشهير بالبلدى، نائب حلب، وقد تجاوز نحو أربعين سنة.

ومات الركن عمر، نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير قطلوبغا البزلارى، أحد العشرات.

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين أبو عبد الله محمد، ويعرف بجار الله، بن قطب الدين محمد بن محمود النيسابورى، الحنفى، يوم الإثنين رابع عشر شهر رجب.

وتوفى قاضى القضاة بحلب جلال الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عثمان بن أحمد ابن عمرو بن محمد الزُرَعى الشافعى، قاضى حلب.

وتوفى الفقير المعتقد زين الدين محمد بن المَوّاز، فى ثانى عشرين ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى شمس الدين محمد الحكرى فى ذى الحجة، بالرملة[٣] وكان فقيها شافعيا،

---

(١) أحمد بن على بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين، بن منصور الحنفى قاضى. درس وأفتى. مولده وفاته فى دمشق. ولى قضاءها، وطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام. وعاد إلى دمشق. ودفن فيها بمقبرة الصوفية. له «التحرير» فى فروع الحنفية. انظر رفع الاصر ١/ ٨٩ - ٩١ والدرر الكامنة ١/ ٢٤١ والشذرات ٦/ ٢٧٣ وكشف الظنون ١٦٢٢ والأعلام ١/ ١٧٧.

(٢) جامع أصلم: يقع هذا الجامع داخل الباب المحروق، أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار سنة ٧٤٦. انظر : المقريزى، المواعظ ٢/ ٣٠٩.

(٣) الرملة: من قرى بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣/ ٧٣.

عارفا بالقراءات. قرأ على البرهان الحكرى، ناب فى الحكم ثم ولى قضاء القدس، وصيدا، وبيروت.

وتوفى الوزير الصاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى الأسلمى، تحت العقوبة، مستهل شهر جمادى الآخرة.

وتوفى أحد فقها الشافعية بدمشق، شمس الدين محمد بن نجم الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدى الدمشقى، المعروف بابن قاضى شهبة. فى ثامن المحرم، ومولده فى يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، بدمشق.

وتوفى أبو محمد حَجِّى بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى الحُسبانى، الشافعى، بدمشق، فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وقد صار من أعيان فقهائها، مع اقتصاد وانجماع.

ومات قتيلا الأمير صلاح الدين خليل بن على بن أحمد بن عرام فى رابع عشرين شهر رجب.

* * *

سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

فى يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة، نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام، قد فروا يريدون النجاة، فوسطوا، وأخذت مواشيهم.

وفيه ابتدأ الوباء بالطاعون فى الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت فى اليوم ثلاثمائة ميت.

وفى خامسه: خلع على قاضى القضاة بدمشق ولى الدين عبد الله بن أبى البقاء، باستقراره على عادته. وخلع على قاضى القضاة بحلب كمال الدين المعرى باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما.

وفى عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد، وإلزام من عِبْرَة إقطاعه ستمائة دينار، بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه.

وفى ثانى عشره: قدم الخبر بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أَيْتمِشِ، راغبين فى الطاعة، ومعهم نحو ستمائة فارس، وعدة رجالة.

وفيه قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام، من الأمير بَلُّوط أن يسأل له فى الأمان، فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا طائعين إلى الأمير أيتمش، فقبض عليهم، وقتل أكابرهم.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير قُطْلُوبغا الكُوكَاى، ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة، فعفى الأمير الكبير عنهم.

وفى خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية، ثم أحد أجناد الحلقة، واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن قُرْطاى الكَركى.

وفى هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف بموته، ثم عوفى.

وفى يوم الأحد ثانى صفر: قدم الأمير أَيتْمِشِ بمن معه من تجريدة البحيرة، وقد فر بدر بن سلام إلى جهة برقة[1] وبعث الأمير قُرُط برجال كثير قد قبض عليهم، وبعدة من رءوس قتلاهم، فعلقت على باب زويلة. ونزل قُرُط دمنهور، وبنى عليها سورا، وأخذ فى عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.

---

(١) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية انظر معجم البلدان ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

وفي تاسعه: خلع على أَلْطُنْبُغا الصلاحي، واستقر في ولاية الأشمونيين، عوضا عن محمد بن العادلي.

وفي حادي عشره: استعفى الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقلي من الوزارة؛ لضعف حالها. فإنه أخذ منها عدة بلاد. فقبض عليه وعلى علم الدين يحيى ناظر الدولة، وعدة من الكتاب،وسلموا الشاد الدواوين. فلما كان من الغد بعث الأمير الكبير إلى المقسي بخلعة الوزارة ليستمر على عادته، فامتنع من الولاية، ما لم يعد إلى الدولة ما خرج عنها من البلاد فالتزم كريم الدين عبد الكريم بن مكانس بتكفية الدولة والخاص من غير أن تعاد البلاد التي خرجت عن الوزارة. فخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشره، واستقر في الوزارة. ونظر الخاص، ونظر ديوان الأمير الكبير ووكالة الخاص، عوضا عن المقسي.

وفيه أنعم على الأمير شرف آنص - والد الأمير الكبير- بتقدمة الأمير أَيْدَمُر الشمسي بعد موته. وخلع عليه، فقبل الأرض بين يدى السلطان، وأقام في الخدمة حتى انقضت.

وفيه أحاط الوزير على موجود الأمير أَيْدَمُر، ورسم على مباشري ديوانه ولم تجر عادة بذلك.

وفي رابع عشره: قدم الأمير قُرُط، ومعه رحاب وإبراهيم وشادى، من أمراء البحيرة.

وفي تاسع عشره: قبض على المقدم سيف، وأحاط الوزير بجميع ماله وأُلزم بحمل مائتي ألف دينار. وعوقب، فكتب خطه بمائتي ألف درهم.

وفي عشرينه: خلع على رحاب ورفيقيه.

وفيه خلع على أحمد العَظْمَة - نقيب قرا غلامية - واستقر مقدم الدولة عوضا عن المقدم ورفيقه عبيد. وخلع على سعد الدين بن الريشة، واستقر ناظر الدولة، عوضا عن علم الدين يحيى، وخلع على عدة من الكتاب باستقرارهم في وظائف كانت بأيدى أصحاب ابن المقسي، فاستقر زين الدين نصر الله بن مكانس في نظر الأسواق، واستقر علم الدين أفسح في نظر دار الضيافة، واستقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى، صاحب ديوان خزانة الخاص، واستقر تاج الدين عبد الرحيم ابن الوزير

فخر الدين ماجد بن أبو شاكر[١] فى نظر دار الضرب، واستقر فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس[٢] فى نظر الإصطبل.

وفيه أفرج عن المقسى وعلم الدين يحيى، على مال مبلغه خمسمائة ألف درهم، ليورداه.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توفى السلطان الملك المنصور[٣] على بن الأشرف شعبان، ودفن ليلا بتربة جدته خوند بركة بالتبانة. وتولى تجهيزه الأمير قُطْلُوبُغا الكوكاى، فكانت مدة سلطنته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، وعمره نحو اثنتى عشرة سنة. ولم يكن له من السلطنة سوى الاسم، والجلوس على التخت، وله نفقة فى كل يوم.

ثم إن القبرسى لما قصد غزو الإسكندرية استنجد بملوك النصارى بإشارة الباب لهم فى ذلك، والباب هو بتفخيم الباء الأولى، وهو الذى تنقاد النصارى به، ويزعمون أنه من ذرية الحواريين، وعنده الصليب الأكبر، الذى إذا أبرزه للغزو لم يبق ملك مَن ملوك النصارى إلا أتى بجيشه نحوه. فإذا خرج الباب بصليبه ذلك ارتجت له بلاد النصرانية، فيظفر بتلك الجيوش القوية على مملكة من خالفه من ملوك الرومانية. فلما أعانت ملوك النصارى صاحب قبرس بالمال والرجال والغربان، بإشارة الباب لهم فى ذلك فعمرت المراكب له على ما قيل بِرودس، لأنها دار صناعة الفرنج، فكانت عمارتها على ما قيل فى أربع سنين، وذلك فى مدة طوافه على الملوك. فلما رجع إلى قبرس، وجدهم تهيئوا له، فجمع ما جاء به على ما عمر له، وتوجه إلى الإسكندرية. وكانت الأخبار تأتى إلى

---

(١) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) ابن أبى شاكر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان يلبغا العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة الأشرف ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٧٤ والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣٢ والأعلام ٥/ ٢٥١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب أصله من القبط. ولد بالقاهرة. وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها. من كتبه «ديوان الإنشاء». انظر كشف الظنون ١٩٤٧ والعباسية ٢/ ٤٧ والأعلام ٣/ ٣١٠.

(٣) على (الملك المنصور) بن شعبان (الملك الأشرف) ابن حسين بن محمد بن قلاوون: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع له بمصر،وهو طفل وتمت له البيعة بعد مقتل أبيه سنة ٧٧٨ هـ وقام مماليكه بتدبير الشئون . وأصيب بالوباء الذى انتشر فى مصر فمات فى الثانية عشره من عمره ولم يكن فى يده من الأمر شىء. انظر ابن إياس ١/ ٢٣٨ والأعلام ٣/ ٢٩٣.

الإسكندرية، بأن العمارة عند القبرسى، فاهتم نائب السلطان بها - وهو الأمير زين الدين خالد - فرفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر، وصار يجتهد فى العمارة، ويرسل يطلب من الأمير يلبغا الخاسكى - مقدم الجيوش المنصورة[١] - الإعانة على عمارة السور، ويعلمه بخبر عمارة القبرسى للمراكب الحربية، فيقول: «إن القبرسى أقل وأذل من أن يأتى إلى الإسكندرية». وما علم يلبغا أن شرارة أحرقت الجلمود، وبعوضة أهلكت النمرود، ودلمة قتلت فيلا، وبرغوثا أشهر ملكا جليلا.

* * *

ذكر كيفية ظفر القبرسى بالإسكندرية

بما جمعه من أجناس نصارى الرومانية، وغير ذلك من الواردات المستطردات. وذلك أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية - وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف، بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكى الخاسكى أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينتها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح، والزرد النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار، وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر فى البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: « هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم فى سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش، لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية، ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى، ويصيرونهم قتلى وأسارى».

فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم، ينظر إلى تلك الطوائف التى لكل طائفة منها ليلة فى الأسبوع، تبيت تحرس بساحل الميناء، وربما بات لبيال فى الغرفة التى على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتى طائفة الزراقين يطلقون النفط، وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التى تدور بألوان النار، من الخضرة والصفرة، والبياض والحمرة، فيتحصل بذلك الانشراح، من العشى إلى الصباح، ويبتهج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نصب لهم

---

(١) المنصورة: بلدة أنشاه الملك الكامل بين دمياط والقاهرة ورابط بها فى وجه الأفرنج لما ملكوا دمياط. انظر معجم البلدان ٥٠٠/ ٢١١، ٢١٢.

سوق فيه من أصناف المأكول، يشترون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقرب التى تحمل من البلد إليهم، يشربون. فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التى باتت تحرس، ودخل البلد فى همة وجلد، وكثرة ومدد، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان، ينظرون لأقوام كزهر بستان، من حسن الملابس وبياض تلك الأطالس، فتزغرت لهم النسوان إعلانا عند مشاهدتهن لهم عيانا، والأبواق حينئذ تصرخ والكوسات تدق، والمزامر تزمر، والأعلام منشورة، والمباخر بالطيب معمورة، ودخانها يفوح، فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس فى فرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المخبور، المهتز له الشوارع والدور. فبينما هم كذلك على عادتهم مستمرين، وفى ثغرهم مطمئنين، لا تروعهم الأعداء، ولا رأوا مكروها أبدا، إذا دهمهم صاحب قبرس اللعين فى جنده الضالين، وشتت شملهم أجميعن، فروا منه فى البلدان، ودخل البلد باطمئنان، وذلك فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم، سنة سبع وستين وسبعمائة، والنيل منتشر على البلاد، قصد الملعون بإتيانه لتتعوق النجدة من مصر لبعد الطريق من الجبل، فنال الخبيث قصده فى ذلك اليوم، والذى بعده، وتحصن قبل إتيان النجدة بمراكبه، وفرح بسلامة نفسه ومكاسبه فلو كان بها أمراء مجردة ما نال الخبيث منها ثمن زردة لكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

* * *

نعود إلى ذكر كيفية إتيان القبرسى إلى الإسكندرية وظفره بها

وذلك أنه لما كان فى يوم الأربعاء العشرين من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، ظهر فىالبحر مراكب مشرقة ومغربة، زعم أهل الإسكندرية أنهم تجار البنادقة، ينتظرونهم يأتون بمتاجرهم. على جارى عادتهم فى كل سنة. وكانت تجار المسلمين جلبوا لهم من اليمن أصناف البهار، يبيعونها عليهم، ويتعوضون عنها من متاجرهم. فلما لم يدخلوا الميناء بات الناس فى خوف شديد بسببهم. فلما أصبح يوم الخميس أقبلته المراكب الكثيرة طالبة ساحل الجزيرة، منشورة قلاعها كالقصور البيض. فصار الناس فى الطويل العريض من كثرة لهجهم، وحر وهجهم. وتلك المراكب مقلعة آتية قد ملأت البحر من كل ناحية، فلم تزل تشق البحر كالزلزلة، إلى أن حطت قلاعها ببحر السلسلة، وذلك من جهة الباب الأخضر المسدود بعد الوقعة بالجير والحجر، ثم فتح بعد ذلك وركبت عليه أبوابه الأول والثانى والثالث المتجددة، وذلك فى يوم الوقعة سنة سبع وستين وسبعمائة، فى ولاية الأمير سيف الدين الأكز بالإسكندرية، وسيأتى ذكر ولايته بها وما فعل فيها إن شاء الله تعالى.

نعود. ولما أرست المراكب الحربية ببحر السلسلة مبرزة عن الساحل اعتد أهل

الإسكندرية للقتال والحرب والنزال، فتعمرت القلاع التى من جهة البحر والجزيرة، بالرماة الكثيرة، وانتشر الناس على السور، وصار برماة الجرخ معمور، فخرج من مراكب الفرنج قارب يجس الميناء بقميرة، فرمى المسلمون عليه بالسهام، فولى هاربا حتى لصق بالمراكب. فلما كان بعد الغروب، أوقدت الفوانيس على السور، فضاء السور بالنور، وبات المسلمون متأهبين بالسور، محدقين والعدو خانس لم يتحرك من الموضع الذى أرسى به. وصارت تلك المراكب منضمة بعضها إلى بعض، كالطوق الصغير فى البحر الكبير، فاستهون المسلون أمره وقالوا: «ما يقدر هذا على هذه المدينة المسورة الحصينة. والقلاع المشيدة المتينة». فلما كان بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة، انتشر على الساحل بالجزيرة خلق من المسلمين كثيرة، منهم من معه سيفه وترسه، ومنهم من معه نبله وقوسه، ومنهم من معه رمحه وخنجره، ومنهم من ليس عليه سوى ثوبه الذى يستره، وبعضهم قد لبس الزرد المنضد، وبعضهم من هو عارى مجرد. وكانت الباعة خرجوا من البلد، بطباليهم وقدورهم ودسوتهم ملآنة بالطعام، يبيعونه على من بالجزيرة من الخاص والعام، وذلك من ليلة الخميس ليكسبوا معايشهم، وهم معلنون بلعن كل راهب وقسيس؛ وذلك من غير خوف من المراكب التى رؤيت يوم الأربعاء فى البحر. ثم إنهم ما فزعوا من الإفرنج باجتماع أفروطتهم يوم الخميس، بل صاروا يلعنون القبرسى كلعنهم لإبليس؛ لأنهم فيما تقدم لهم من بيعهم على الطوائف المتقدم ذكرهم. فكان أحدهم يغضب إذا أنقص له المشترى حبة أو حبتين، ويفرح إذا غلب المشترى بحبة واحدة، فيصير البائع كما قال الشاعر:

لا تغضب السوقى ... فبالحبة ترضيه
وأخذ الفلس من يده ... كأخذ الفرس من فيه

فصاروا يشترون من الباعة، ويأكلون كما كانوا فى خروجهم مع الطوائف، يعهدون وليس كل منهم مفكر فى أسطول الإفرنج، ولا منه خائف. وصارت الحرافيش والعوام يشتمون القبرسى بالصريح، ويسبونه بكل لفظ قبيح، والقبرسى يسمعهم من مراكبه، وهو ساكن، وكل من معه لم ينطق بكلمة، بل كل منهم صامت فقيل: إن القبرسى رمى من أعلى الجزيرة فى الليل جواسيسه فى زى لباس المسلمين، مستعربين كالشياطين، فاحتاطوا بالمسلمين متجسسين، فرأوهم من لباس الحرب عارين، فاشتروا كما قيل من المأكول، وأتوا به لصاحب قبرس بالأسطول، وقالوا: له ليس بالجزيرة أحد من الشجعان وليس بها إلا من هو من لباس الحرب عريان، يأكلون ويشربون، وبعضهم يحفر فى الرمل حفائر وبها ينامون. فلما كان قبل الشمس من يوم الجمعة. أقبلت

العربان. من كل ناحية ومكان، قد تخللوا بالكسيان. وكانت النسوان ينظرن إلى مراكب الفرنج من رءوس الكيمان التى هى داخل السور، المشرفة على القبور، فزرغتت[1] النسوان لتلك العربان. وقلن قد أتت الشجعان، يقتلون عباد الصلبان، فصاروا يتطاردون على خيولهم تحت الكيمان، وقد أرخوا لها الأعنة، عند سماعهم الزرغتة، وتلك العربان كالمطر من كثرتهم، خارجين من الباب الأخضر. فصاروا فى الجزيرة كالجراد المنتشر، وكل من سرابيل الحرب منتشر، ليس مع كل واحد منهم غير سيفه الأجرب ورمحه، قاصدا إما لقتله أو لجرحه، فقال أحد المغاربة وغيره للأمير جنغرا: «هذا عدو ثقيل، وقد خرج الناس من الثغر عرايا للبلايا، والمصلحة دخولهم المدينة يتحصنون بأسوارها الحصينة. ويقاتلون من خلف الأسوار. ليظن العدو أن خلفها كل رجل كالأسد المغوار، يذيقونه برميهم عليه الشدة. إلى أن تصل من مصر النجدة»، فقال ممن له رباط بالجزيرة: قد انصرف على بنائه ألوف كثيرة ، بنيت بين مقابر الأموات لمبيت طوائف القاعات: «ما نترك هؤلاء الفرنج الذى كل منهم رجس مقامر، تطرق بأرجلها ترب المقابر». قالوا ذلك خوفا على ربطهم تخربها الفرنج إذا نزلوا الجزيرة، بجموعهم الكثيرة. فقال عبد الله التاجر لجنغرا: «دخول المسلمين البلد أصلح لهم» فقالت أرباب الربط: «أنتم مغاربة أخربتم بلدكم طرابلس بأخذ الفرنج وتريدون أن تخربوا ربط المسلمين بدخول المسلمين البلد كذلك ولا كرامة، بل نمنعهم النزول من المركب، ونذيقهم بالسهام العذاب والرعب».

ثم لما كان بعد وقعة القبرسى بسنتين، رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بهدم ما تجدد فى الجزيرة من الربط والقصور، احترازا من العدو أن ينزلها، فيجد مأوى يأويه، ويجد ما يشرب من صهاريجها المملوءة بماء الأمطار، فهدمت تلك الربط والقصور. ولو كان المسلمون تركوا للقبرسى الجزيرة وتحصنوا بالسور وقاتلوا من ورائه كل رجس كفور، لكان المسلمون بتحصينهم بالثغر سلموا من القتل والنهب والأسر، وما كان عليهم من إخراب الفرنج للربط المبنية، لسلامة الإسكندرية، من أذى الملة النصرانية، فالذين خافوا على ربطهم تخربت، ودورهم التى داخل البلد نهبت، وذلك بالرأى الغير صائب، حتى حلت بهم المصائب، لكن القضاء إذا نزل لا يرد، وإذا أراد الله بحكم نفذ، قال بعضهم:

قضاء المهيمن لا يدفع ... إذا حل من ذا له يمنع

وقال الآخر:

---

(١) فزرغتت: أى زغردت أى رددت المرأة صوتها بلسانها فى فمها عند الفرح. انظر: المعجم الوجيز ١٨٩.

وإذا أراد الله إنفاذ القضا   لم يكن فيه لمخلوق مفر

نعود إلى ركوب أمير جنغرا لكلام أصحاب الربط، وتركه لما قاله له عبد الله التاجر المغربي، فكان جواب جنغرا لعبد الله التاجر المذكور: «لست أترك أحدا من الفرنج يصل إلى الساحل، ولو قطعت منى الأوداج ونفذت المقاتل»، وإذا أراد الله أن يلطف بعبده ألهمه حسن التدبير، وإذا خذله شتت رأيه. ثم إن الفرنج صاروا بمراكبهم ينظرون أحوال الناس، فلم يروا إلا من هو عار من اللباس، فطمعوا فيهم، وزحفوا بغراب التقدمة إليهم، فنزلت إليه طائفة من المغاربة خائفين فى الماء، ناوشوا[1] من فيه القتال والحرب، والنزال، وأمسكوا الغراب بأيديهم وطلبوا من الزراقين النار ليحرقوه، فلم يأت أحد بشرارة، وذلك لقلة همتهم وتهاونهم وغفلتهم، فاستعجلوهم بالنار، فرموا بمدفع فيه نار كنار الحلفاء، فوقع فى الماء فانطفأ. ثم إن المغاربة وأصحاب الغراب ضربوا بعضهم بعضا بالسيوف إلى أن قتلت المغاربة فى تلك المحاربة، فحينئذ دخل الغراب الساحل، وتبعه آخر كان برمى بالتسهام. فلما دخلا البر تتابعت الغربان داخلى من أماكن متفرقة، فنزلت الفرنج سريعا من مراكبها بخيلها ورجلها، وقت ضحى نهار يوم الجمعة إلى البر، فرمت الخيالة المسلمون يقدمهم أصحاب الدرق والسيوف، مشاة على الأقدام. فلما رأت الباعة الطعام، الذين كان كل واحد منهم يخاف على الحبة والحبتين، ترك ماعونه وهرب، حافيا بغير نعلين، فمنهم من نجا من الكفرة، ومنهم من صارت هامته على الأرض مكركرة. وكانت الفرنج مسربلة[2] بالزرد النضيد، متجلية بصفائح الحديد، على رءوسهم الخوذ اللامعة وبأيديهم السيوف القاطعة، قد تنكبوا القسى الموتورة، ورفعوا أعلام الصلبان المنشورة. وصاروا يرمون على المسلمين، فارتشقت سهامهم فى أهل الإيمان، وفى خيول العربان، فهاجت بهم تلك الخيول فى كل جهة ومكان، فانهزموا إلى ناحية السور. فصار جيش المسلمين بهزيمة العربان مكسور، ولا عادوا قابلوا الفرنج الكلاب، بل دخلوا البلد عابرين من الأبواب. وكانت الفرنج

---

(١) ناوشوا: ناوش فلانا: اختبر قوته قبل أن يقاتله وقال أبو حنيفة: التناوش بالواو من قرب. قال الله تعالى: ﴿**وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**﴾؛ قال أبو عبيد: التناوش بغير همز التناول والنوش مثله، نشت أنوش نوشا. قال الفراء: وأهل الحجاز تركوا همز التناوش وجعلوه من نشت الشىء إذا تناولته وقد تناوش القوم فى القتال إذا تناول بعضهم بعضًا بالرماح ولم يتدانوا كل التدانى. وفى حديث قيس بن عاصم: كنت أناوشهم وأهاوشهم فى الجاهلية، أى أقاتلهم؛ وقرأ الأعمش وحمزة والكسائى التناوش بالهمزة، يجعلونه من نأشت وهو البطء. فانظر لسان العرب صـ ٤٥٧٥

(٢) مسربلة: السربال: القميص والدرع، أو كل ما لبس والجمع سرابيل. انظر: المعجم الوجيز ٣٠٧.

لابسين الحديد من الفرق إلى القدم، والمسلمون كاللحم على وضم[1]، فكيف يقاتل اللحم الحديد، وكيف يبرز العارى لمن كسى الزرد النضيد، فانهزمت المسلمون وولت، ومن الكفار فرت، فقال الشاعر فى ذلك:

قد ولت المسلمونَ لما ... باللبس وافاهم جنود

وكيف لا يهربون منهم ... والناس لحم وهم حديد

ثم إن أهل الإسكندرية لما رأو ما لم يعهدوه أبدا، ولا شاهدوه على طول المدى، رجفت منهم القلوب، وصار كل واحد من عقله مسلوب، ولما رأو من الرءوس الطائرة، والخيول الغائرة، فتزاحموا فى الأبواب، بعضهم على بعض، فصاروا موتى بالطول والعرض، وثبت بعض الناس، وقاتل وهو مجتهد، حتى قتل من الفرنج ما تيسر له قبل أن يستشهد. قيل إن محمد الشريف الجزار هجم على الفرنج بساطور المجزرة، جعل عظام جماعة منهم مكسرة، وهو يقول: «الله أكبر قتل من كفر» إلى أن تكاثرت عليه منهم جماعة كثيرة، فاستشهد - رحمه الله - بالجزيرة وروى بعض فقهاء المكاتب - ويعرف بالفقيه محمد بن الطفال - وهو قاصد الفرنج بسيفه فقيل له «تموت يا فقيه محمد» فقال «إذاً أسعد، وأصير مجاورا للنبى محمد، وأى موتة أحسن من الجهاد فى سبيل الله لأصير إلى الجنة،» وهجم فيهم فصار يضربهم ويضربونه إلى أن رزق الشهادة، وختم له بالسعادة.

نعود إلى ذكر من قاتل بالجزيرة من المسلمين للفرنج الكافرين. وذلك أن جماعة من رماة قاعة القرافة المتطوعة. لما حوصروا فى الرباط الذى عمره لهما الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بالجزيرة بسبب مبيتهم فيه وصلواتهم، وذكرهم ليلة خروج طائفتهم، ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة، قيل إنه انصرف على عمارته ثمانمائة دينار. فلما تكاثرت الفرنج حول الرباط، صارت رماة

---

(١) وضم الوضم: كل شىء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض؛ قال أبو زغبة الخزرجى، وقيل: هو للحطم القيسى، وقيل: هو لرشيد بن رنيض العنزى:

لست براعى إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم

ومثله قول الأخر:

وفتيان صدق حسان الوجوه ... لا يجدون لشىء ألم

من آل المغيرة لا يشهدون ... عند المجازر لحم الوضم

والجمع أوضام. وفى المثل: إن العين تدنى الرجال من أكفانها والإبل من أوضامها على الوضم. ووضمه يضمه وضما: عمل له وضما، وفى الصحاح: وضعه على الوضم. وتركهم لحما على وضم: أوقع بهم فذللهم وأوجعهم. والوضم: ما وضع عليه الطعام فأكل. انظر لسان العرب ٤٨٦١.

المسلمين فى أعلاء يرمون على الفرنج بسهامهم، فقتلوا من الفرنج جماعة. فلما نفدت سهامهم عمدوا إلى شرفات الرباط. صاروا يهدمونها، ويرمون الفرنج بأحجارها إلى أن نفذت حجارة الشراريف منهم. فانقطع رميهم فكسرت الفرنج شبابيك الرباط المذكور، وصعدوا إليهم فلما صارت الفرانج معهم صاحوا بأجمعهم «يا محمد» وصمتوا، فلم يسمع لهم بعد ذلك صوت. أخبر عنهم بذلك عبد الله بن الفقيه أبو بكر قيم مسجد القشيرى، كان مختفيا بصهريج المذكور فذبحتهم الفرنج عن آخرهم بخناجرهم، فصارت أدميتهم تجرى من ميازيب الرباط المذكور، كجرى الأمطار حين أبانها فيها. وقيل كان عدد المذبوحين فوق السطح الرباط من المسلمين زيادة على الثلاثين، فطوبى لهم إذ رزقوا الشهادة، وختم لهم بالسعادة. فلما رجع من خرج من الإسكندرية فارا من الفرنج من أبواب البر - كما سيأتى ذكر صفة فرارهم - وعاينوا القتلى المطروحين بالأرض داخل البلد وخارجه بالجزيرة. وقصدو رباط ابن سلام المذكور، فرأوا تحت الميازيب دماء كثيرة جامدة، فصعدوا إلى سطحه فوجدوا الرماة ذبحوا. وبالجنة قد فرحوا وربحوا، فحفروا لهم خارج الربط قبرا متسعا ودفنوهم فيه، رحمة الله عليهم. فكانوا كما قال الله تعالى فى أمثالهم: **﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾**[1].

قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين -: حدثنى الشيخ الصالح أحمد بن النشاء - شيخ رماة قاعة القرافة بالإسكندرية - قال: حدثنى محمد الخياط بعد قدومه من مدينة قبرص مع من حضروا من أسارى الإسكندرية الراجعين إليها منها. قال: «كنت مع رماة المسلمين على سطح رباط ابن سلام. حين صعدت الفرنج إلينا، فصاروا يذبحون الرماة، وأنا أضطرب من الخوف، فتركونى حيا لصغر سنى. وأما حسين البياع فإنهم لما قصدوا ذبحه. ضحك لهم فضحكت الفرنج بضحكه: وقالوا: «اتركوه لأنه ضحك موضع الخوف، فأسرنا نحن الاثنين، فحزن حسين بعد ذلك وبكى».

ولما رأى الشيخ محمد بن سلام ما فعل برباطه من بابه وشبابيكه النحاس وكسر قناديله. وحرق سقف إيوانه، وقتل رماة المسلمين به بكى وتألم على ما رأى وشاهد. فسد حينئذ شبابيكه وبابه بالحجارة. ثم أنه عمره ثانيا سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، فصار كما كان أولا، لكنه أقنى سقف إيوانه بالحجارة لا بالخشب، حتى لا يصير للنار

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٥.

فيه عمل، إن حدث أمر...

نعود إلى ذكر خبر الإسكندرية: وذلك أن الأمير جنغرا المتقدم ذكره، لما رأى الناس فروا من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله بلذع سهام الفرنج، والتذع هو أيضا بها، وسال دمه من نصلها. ندم على مخالفته لقول القائل: «أدخل الناس ليتحصنوا بأسوارها الحصينة يقاتلوا الفرنج الكفار بسهامهم من كوى الأسوار. إلى أن تأتى النجدة فى أقرب مدة، ليزول بحضورها عن المسلمين الشدة». فتيقن حينئذ أن عدم خروجهم من الأبواب كان عين الصواب، وأن الذى أشار بعدم دخولهم البلد كان فيه أليم العذاب، وصار كل منهم بالفرار مركون ببلد البسلقون[1] وبلد الكريان، وغيرهما من البلاد الدانية والبعاد.

ثم إن جنغرا قصد ناحية المطرق المحاذى لدار السلطان، غربى الإسكندرية من ظاهر سورها، خائضا بفرسه فى الماء، ومن معه من المسلمين فدخل الإسكندرية من باب الخوخة. فأتى بيت المال، أخذ ما كان فيه من ذهب وفضة، وأخرجها من باب البر، وأمر بتجار الفرنج وقناصلهم - وكانوا نحو خمسين بالإسكندرية مقيمين - أخرجهم من باب البر، ووجههم إلى ناحية دمنهور[2]، بعد أن امتنعوا من الخروج مع الجبلية المرسمين عليهم. فعند ذلك ضرب أحد الجبلية عنق إفرنجى منهم بسيفه، فحين رأوا ذلك، خافوا أن تضرب أعناقهم، فأذعنوا بالخروج سرحة، فخرجت الجبلية بهم مسلسلين إلى جهة دمنهور. وكان خروجهم بهم حين انضمام العدو إلى القرب من السور فرمتهم المسلمون من أعلى السور بالسهام، فلم يقدروا على الوصول إليه. ثم إن الفرنج عمدوا إلى بتية خشب ماؤها حريقا، وقصدوا بها حرق باب البحر، بكركرتها بأسنة الرماح، فتتابعت عليهم السهام من أعلى السور فقتل من الفرنج جماعة، فحاروا فى أمرهم ماذا يفعلون، فتركوا البتية تتقد بنارها، بعيدا من الباب، ورجعوا إلى ناحية الميناء الشرقية، ونظروا فلم يجدوا على السور من تلك الجهة أحدا. ولا ثم خندق يمنع من الصعود إلى السور، فدرجوا إلى جهة باب الديوان أحرقوه، ودخلوا مع ما نصبوا هناك من السلالم الخشب المفصلة، صعدوا عليها السور فلما رآهم المسلمون الذين على السور من البعد قد صعدوه وبينهم وبين الفرنج قلعة عالية غير نافذة إليهم، شردوا طالبين النجاة منهم لكثرتهم، ولتحققهم بأن الفرنج ملكت البلد، فقتل من المسلمين من أدركته الفرنج، وسلم منهم من خرج من أبواب البر، فلو كان السور الذى يلى البحر

---

(١) البسلقون والكريان: من البلاد القديمة بمركز كفر الدوار.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢.

معمرا بالرجال من جهة الديوان والصناعة سلمت منهم الإسكندرية، وإنما قال شمس الدين بن غرّاب كاتب الديوان، وشمس الدين بن أبى عذيبة الناظر «أغلقوا باب الديوان الذى يلى البلد لئلا تنقل التجار بضائعها منه إلى البلد فتضيع الحقوق التى عليها». فقفل الباب فلذلك امتنعت الرماة من تلك الجهة من السور، فبذلك رأى العدو جهة خالية ودخل البلد منها. وقيل إن ابن غراب المذكور كان متعاملا مع صاحب قبرس[١] عليها، وأن صاحب قبرس أتاها قبل الوقعة فى زى تاجر أواه ابن غراب المذكور مدة، فصار القبرسى يتمشى بالبلد فى جملة الفرنج التى بها تجارا وهو يكيفها وينظر أحوال الناس. فلما علم ذلك بعد الوقعة وسط الأمير صلاح الدين بن عرام بعد قدومه من الحجاز شمس الدين بن غراب، وعلقه قطعتين على باب رشيد. فلو فتح باب الديوان الذى على البلد قاتلت المسلمون الفرنج من أعلى سوره،ووجدوا ما يقوتهم بالأكل من نقل الشام. وكانت أصحاب البضائع تحرسها، ويطعمون منها المجاهدين. فلما لم يكن للأمير جنغرا رأى صائب، وقفل ابن غراب والناظر لباب الديوان، أخذت الفرنج البلد منه، ونفذت المقادير، من كل كبير من أهل الثغر وصغير، فمنهم من قتل، ومنهم من أسر، ومنهم من سلم، ومنهم من كسر، ومنهم من هرب بعد أن ألقى سلاحه واضطرب، ومنهم من ترك وطنه وتغرب، ومنهم من ازدحم فى الأبواب ومات، ومنهم من افتقر وبلى بالشتات، فما أسرع ما أخذ الثغر، وما أعجل ما انكوت قلوب أهله بالجمر، ظفرت به الفرنج فى اليوم الذى نزلوا فيه من مراكبهم إلى البر، ولا أمسك بالحصار يومين بل أخذ من المسلمين فى ساعتين وقيل إن الحصار للمدن والحصون تمسك السنة والسنتين.

فلما دخل الإسكندرية الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، بعد الوقعة، قيل له ذلك فقال: «إذا كان النخال حفظ جهته فكيف لو كان دقيقا أو سويقا. كان يحمى البلد ولم يدخل إليه من الإفرنج أحد». وكان فرار أهل الإسكندرية من الفرنج من باب السدرة وباب الزهرى وباب رشيد بعد زحام شديد، فمنهم من أدركته الفرنج بباب السدرة فقتلته، ومنهم من أسرته، ومنهم من نزل من السور فى الحبال والعمائم، فعطب العاطب[٢]، وسلم السالم، وصعدت الفرنج على أعلى باب السدرة. نصبت عليه الصلبان، وصار كل واحد من المسلمين برؤيته للفرنج كالهائم الولهان.

---

(١) قبرس: قبرص أو قبرس بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة، هى جزيرة فى بحر الروم. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٥.

(٢) العاطب: الفاسد وعطب عطبًا: هلك وفسد. انظر المعجم الوجيز ٤٢٣.

وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجاب،وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفى ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة، فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة، بتوحيد الله معترفة، فامتلأت منهم الغيطان والبلدان، ونهب بعضهم العربان، وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان، فباعوا الغالى بالرخيص، وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص، ولا أمكنهم ترك القوت لزيادة الغلاء ولا رجعوا إلى قول الشاعر فى بيته السائر بين الملأ وهو:

وإذا غلا شىء على تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

ثم إنه لما حصل الغلاء بين أهل الإسكندرية، الذين فروا من الملة النصرانية، ومنهم من باع ما عليه من فوطة وفاضل قميص، ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص، وذلك لخروجهم من بلدهم سرعة، وليس مع بعضهم درهم ولا قطعة، بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب، كسرتها ورتعت فيها الإفرنج الكلاب، فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحمير والأيانق، ثم قتلوا من اختفى عند مصادفتها له من كبير وصغير، وعرقبوا المواشى، فمنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات، وأفسدوا النسوان والبنات، وكسر كل علج مارد قناديل الجوامع والمساجد، وعلقوا على السور أعلام الصلبان، وأسروا الرجال والنساء والولدن، وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى المجانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس فى خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج بمن كان معه، ومنهم من ضاع ما معه فى تلك الزحمة المفظعة ومنهم من ضاع ماله الذى خرج به بين الأبواب، وصار من ضياعه فى حسرة واكتئاب، قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد، ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار، فمن قوة الزحمة فى الباب سقط من بين يديه، بعد أن كان قابضا عليه، فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض، بل رفعه من كان خلفه، فخرج صحيح البدن من الباب، مجروح القلب من ضياع الجراب، فتفتت أكباده، وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده، وزال عنه عقله ورشاده، وصار يستغيث فلا يغاث، ونحل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات، ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس، لما أحاطت به العكوس والنحوس، فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب، فأنشد من لوعة الاكتئاب:

إذا كنت ألقى البؤس عند أحبتى ... ترى عند أعدائى يكون دوائى

ثم إن الفرنج فعلوا بالإسكندرية ما تقدم ذكره من نهب بعد كسر وقتل وإحراق، من عصر يوم الجمعة إلى آخر يوم السبت ثانيه. وكان مما أحرقوه حوانيت الحرف بكمالها، وسوق القشاشين بالمعاريج، والحوانيت الملاصقة لقيسارية الأعاجم من خارجها من الجهة الشرقية، وحوانيت شارع المرجانيين وبعض فنادقه، وفندق الطبيبة مع فندق الجوكندار، وفندق الدماميني الذى يسوق الجوار، ووكالة الكنان المقابلة لجامع الجيوشى بالقرب من العطارين مع سوق الخشابين. وأحرقوا أيضا درابزى مدرسة ابن حباشة مع سقف الإيوان، وعبثوا بكل ناحية ومكان، وأحرقوا باب مدرسة الفخر القريبة من باب رشيد، وعبث بإحراق بعض حوانيت المحجة كل علج مريد. ذكر لى شيخ يسكن بالحجة قال: «كنت مختفيا بأعلى دارى فى مكان أنظر من كوة[(١)] صغيرة، فرأيت الفرنج يأتون إلى الحانوت المغلق الباب، فيمد أحدهم على بابه خطة سوداء، ويخط من فوقها خطة حمراء، ويلقم الخط النار فيلتهب الباب بسرعة». قيل إن الفرنج يستصحبون معهم حلق الحراقات المغموسة بالزيت والقطران والزفت والنفط، فيضع أحدهم الحلقة الواحدة فى نصل السهم الموضوع على متن قوس الركاب، ويلقم الحلقة النار، ويفك الوتر من الحوزة، فيخرج السهم صاعدا إلى السقف يوكز فيه، فليتهب الخشب بسرعة، فينزل إلى الأرض يحرق كل ما فى البيت، مما ليس تحملهم به حاجة. يفعلون ذلك نكاية للمسلمين. لعنة الله على الفرنج أجمعين.

نعود إلى ذكر ما فعلته الفرنج بالإسكندرية: ثم إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين، وفندق الجنويين، وفندق الموزة، وفندق الموسليين ، فصارت النار تعمل فى البندق والبضائع التى لم تجد لها محملا معهم، لإشحان مراكبهم مما أخذوه من أموال الإسكندرية ثم كسرت الفرنج أيضا حوانيت الشماعين والبياعين، بعد نهب قياسر البزازين ، وكسروا ما فيها من الأوعية والأوانى والأحقاف[(٢)] والبرانى، فصارت ملقاة

---

(١) والكو والكوة: الخرق فى الحائط، والثقب فى البين ونحوه؛ وقيل: التذكير للكبير، والتأنيث للصغير، قال ابن سيده: وليس هذا بشىء. قال الليث: تأسيس بنائها من ك و ى كان أصلها كوى ثم أدغمت الواو فى الياء فجعلت واوًا مشددة؛ وجمع الكوة كوى، بالقصر نادر، وكواء بالمد، والكاف مكسورة فيهما مثل بدرة وبدر. وقال اللحيانى: من قال: كوة ففتح فجمعة كواء ممدود؛ والكوة، بالضم لغة، ومن قال: كوة فضم فجمعه كوى مكسور مقصور؛ قال ابن سيده: ولا أدرى كيف هذا وفى التهذيب: جمع الكوة كوى كما يقال قرية وقرى. وكوى فى البيت كوة: عملها. وتكوى الرجل: دخل فى موضع ضيق فتقبض فيه.

وكوى: نجم من الأنواء، قال ابن سيده: وليس بثبت. انظر لسان العرب ٣٩٦٤

(٢) الحقف من الرمل: المعوج، وجمعه أحقاف وحقوف وحقاف وحققة؛ ومنه قيل لما اعوج:=

مطروحة فى الطرقات، قد سال ما فيها من زيت وعسل وسمن وغير ذلك، وكسروا أيضا حوانيت الصاغة، وأخذوا ما فيها من مال ومصاغ، كما أخذوا من حوانيت الصرف ما كان بها من دنانير ودراهم، ونهبوا أقمشة التجار المصريين والشاميين المخزونة المبيعة للسفر بها لمصر والشام ونهبوا أيضا الحديد الذى قدمت به تجار الأعاجم وغيرهم إلى الإسكندرية، وكانت عدة قناطير، ونهبوا من الدور الأموال والأقمشة والمصاغ والفرش والبسط والنحاس وغيره وأخذوا معهم باب المنار الذى كان عمره الأمير صلاح الدين عرام قبل الوقعة، على الأساس الذى كان أسسه الملك المنصور قلاوون وبطل عمارته، فعمل ابن عرام عليه حصنا دائرا، ثم أخذت الفرنج أيضا شبابيك قبة طغية انتى بالجزيرة وأحرقوا سقف الربط التى بها، وهى التى خاف عليها أصحابها من الإفرنج قبل نزول الفرنج من مراكبهم، وكسروا قناديلها وقناديل المزارات، وأفسدوا قصور الجزيرة وتربها، وكسروا أعمدة قبة منبر مصلى العيد، وعمودى ضريح قبة تربة الأمير طغية، والأمير بلاط، واللذين فيهما تاريخ وفاتهما. وكانا مموهين بالذهب واللازورد، وقلعوا حلقتى باب المدرسة الخلاصية التى عمرها نور الدين بن خلاص، وكانا من النحاس المخرم فعمل لباب المذكورة غيرهما بعد أشهر من حين الوقعة، وأخذوا منها كرسى الربعة وبيتها، وكانا من النحاس الأندلسى المخرم، المنزل فيهما اليقات الفضة بدائرها، لم ير منها حسن صنعة وتدقيق وتخريم وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين جزءا مطروحة بالمدرسة المذكورة، لا يأخذوا جزءًا واحدا، وصعدوا صومعة المدرسة النابلسية، فوجدوا فيها جمال الدين ابن بانيها مختفيا منهم بها، وكان شيخا كبيرا، ضعيف البنية، فألقوه على رأسه من أعلاها إلى الأرض، فاندقت عنقه. فمات شهيدا رحمه الله. وقتلوا من وجدوه بالجوامع والمشاهد،

=محقوف. وفى حديث قس: فى تنائف حقاف، وفى رواية أخرى: حقائف؛ الحقاف: جمع حقف، وهو ما اعوج من الرمل واستطال، ويجمع على أحقاف، فأما حقائف فجمع الجمع، أما جمع حقاف أو أحقاف، وأما قوله تعالى: «إذ أنذر قومه بالأحقاف»، فقيل: هى من الرمال، أى أنذرهم هنالك. قال الجوهرى: الأحقاف ديار عاد. قال تعالى: «واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف»، وقال الفراء: واحدها حقف وهو المستطيل المشرف وفى بعض التفسير فى قوله بالأحقاف فقال بالأرض، قال: والمعروف من كلام العرب الأول، وقال الليث: الأحقاف فى القرآن جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كل أفق؛ قال الأزهرى: هذا الجبل الذى وصفه يقال: له قاف، وأما الأحقاف فهى رمال بظاهر بلاد اليمين كانت عاد تنزل بها. والحقف: أصل الرمل، وأصل الجبل، وأصل الحائط. وقد احقوقف الرمل إذا طال واعوج. واحقوقف الهلال: اعوج. وكل ما طال واعوج، فقد احقوقف كظهر البعير وشخص القمر. انظر لسان العرب ٩٣٩ انظر المعجم الوجيز ١٦٣

وأقاموا بالإسكندرية العرابد، فقتلوا الناس فى الدور والحمامات والشوارع والخانات، وكانت الفرنج تخرج بالنهب من الإسكندرية إلى مراكبهم على الإبل والخيل والبغال والحمير، فما فرغوا من النهب. وقضوا إربهم من البلد، طعنوها بالرماح وعرقبوها بالصفاح، فصارت مطروحة بالجزيرة والبلد لم يعلم لها عدد، فهلكت وجافت، فأحرقها المسلمون بالنار لتزول رائحة جيفها.

ثم إن الفرنج تحصنوا بمراكبهم بعد وقرها وإشحانها بما نهبوه، وكانت تزيد على سبعين مركبا، وتركوا بالساحل فضلات البهار التى لم يجدوا لها محملا، فرجع إلى أربابه، من وجد علامة عليه أخذه، ثم إن مراكب الفرنج ثقلت بما فيها، فصاروا يلقون ما فيها فى البحر - على ما قيل - لتخف من كثرة الوسق وكان الغواصون يرفعون النحاس وغيره بناحية أبوقير، ولولا لطف الله تعالى بعباده بحرقهم باب رشيد وباب الزيادى كانت الفرنج ملكت البلد وحصل التعب فى خلاصه، كما حصل فى طرابلس الغرب ومدينة أنطاكية[1] ببر التركية، وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر ظفر الفرنج بهما إن شاء الله تعالى. ولطف الله تعالى بعباده المسلمين فى عدم معرفة الفرنج لقصر السلاح، الذى بالموضع المعروف بالإسكندرية بالزربية، لو فهموه أحرقوا جميع ما فيه من السلاح المدخر من عهد الملوك السالفة. رحمة الله عليهم، فلقد وضعوا فيه من الأسلحة الكثيرة ما ليس لعددها حصر، ذكر أبو العباس أحمد شيخ رماة قاعة القرافة المرصدة لسلاح الجهاد المتطوع به: بها ستون ألف سهم من بعض السهام التى فى أحد بيوت قاعة من قاعاته، قيل إن فيه عدة قاعات فى كل قاعة عدة بيوت، فى كل بيت آلاف مؤلفة من السهام، إلى غيرها من السيوف والرماح والمزاريق والأتراس والخوذ والقنابر والزرد والزرديات والأطواف والقرقلات، والسواعد والركب والساقات والأقدام الحديد، والقسى الملولبة والجرخ والركاب والأعلام ما لا ينحصر بالأقلام. ثم فيه أيضا من حجارة العلاج والمدافع والنفط وحيل الحروب ومكايدها كثيرًا، فلو علمت به الفرنج أحرقته سريعا، فحصل اللطف الكبير من اللطيف الخبير لعدم معرفتهم إياه، بعد أن أتوا إلى بابه ظنوا أنه أحد أبواب المدينة، خافوا من كسر بابه ليكون ورائه كمين يطبق عليهم. قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين - حدثنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف حارس القصر المذكور- ويعرف بابن قراجا - قال: «كنت فيه بمفردى لما دخلت الفرنج الإسكندرية، فأغلقت بابه، وقرأت حزب سيدى الشيخ الصالح أبى الحسن الشاذلى، وإذا بالفرنج أتوا إلى الزربية، فيهم خيالة ومشاة، وكنت صعدت أعلى القصر، فعدت أنظر إليهم من شقوق فى حائط، فطلع

(١) انظر معجم البلدان ١/ ٢٦٦، ٢٧٠.

بعضهم على زلاقة بابه، وصاروا يتشاورون فى أمره، وكنت أعددت لنفسى مكانا أختفى فيه إن دخلوه، ولكن خفت بأن يحرقوه فأهلك بالنار، فوقفوا ساعة وتركوه ومضوا، فرأى أحدهم صبيا بالزربية يعدو سريعا حين معاينته لهم، فعدى الإفرنجى، فلما أحس به الصبى ووقف باهتا من الخوف، فضربه الإفرنجى، فالتقى الصبى الضربة بيده اليسرى. فطارت يده إلى الأرض، ثم ضربه ضربة أخرى على عانقه، فوقع على شقه الأيمن مستقبل القبلة، ومضى وتركه. فصار الصبى ينش الذباب بيده اليمنى عن وجهه وجراحه وهو راقد، وما أمكننى النزول إليه من القصر، خوفا من رجوع الفرنج إلى الزربية فصار الصبى مطروحا بالأرض إلى أن مات شهيدا، رحمه الله.انتهى.

نعود إلى ذكر ما أحرقته الفرنج أيضا بالإسكندرية: وذلك أنهم أحرقوا أبواب البحر الأولى والثانى، وأبواب الباب الأخضر الثلاثة، وباب الخوخة، والمجانيق التى كانت بالصناعتين الشرقية والغربية، وكان أهل الإسكندرية وقت هزيمتهم خرقوا إغربة كانت بالصناعة الشرقية لئلا تأخذها الفرنج، فلما رأتها الفرنج محروقة أحرقتها بالنار، ثم أحرقت الفرنج أيضا دار الطراز والديوان، بعد أن أخذوا ما فى دار الطراز من الاستعمالات الرفيعة الأثمان وأحرقوا أيضا قلعة ضرغام والمكان المعروف بالمكدس، وكان برسم الاستعمالات أيضا. وكانت مدة إقامة الفرنج من حين أتوا إلى الإسكندرية وظفروا بها إلى آخر من سافر منهم ثمانية أيام، وذلك أنهم أتوها يوم الخميس حادى عشرين المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، وسافر آخرهم يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وكان سبب إقامتهم تلك الأيام لينظروا من البحر من يأتى من البحيرة[١] من مصر. فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر أقبلت كالجراد المنتشر، يقدمها الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، سافروا.

* * *

السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين أبو الجود
حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الألفى[٢]

---

(١) البحيرة كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥١.

(٢) أمير حاج (الملك الصالح) بن شعبان (الأشرف) بن حسين بن محمد بن قلاوون: آخر سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. أخذت له البيعة فى القاهرة بعد وفاة أخيه (على بن شعبان) سنة ٧٨٣هـ ثم خلع سنة ٧٨٤هـ وكانت مدة سلطنته هذه سنة وسبعة أشهر وأيام. ثم أعيد إلى الحكم سنة ٧٩١هـ وغير لقبه وتلقب بالملك المنصور ثم خلع نفسه من السلطنة. انظر ابن إياس ٢٥٥/١، ٢٥٧، ٢٧٤ والأعلام ١٣/٢.

أقيم فى السلطنة ثانى يوم مات أخوه المنصور وقد اجتمع الأمير الكبير برقوق[(١)] والأمراء بالقلعة فى يوم الإثنين رابع عشرينه، واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان، وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجى، فوقع الاختيار على حاجى - فإنه أكبرهم - فحلفوا له، وبايعه الخليفة. ثم أركب من باب الستارة بشعار السلطنة، والأمراء فى ركابه مشاة، حتى صعد الإيوان فأجلس على تخت الملك، ولقب بالملك الصالح، ومد السماط بين يديه، ثم عبروا به إلى القصر، فأجلس به، وخلع على الخليفة، ونودى فى القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: أجلس السلطان بدار العدل، وعملت الخدمة على العادة، فلما دخل إلى القصر بعد الخدمة، حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم، وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، وكتب عليه الخليفة خطه، وشهد فيه القضاة عليه، ثم خلع على القضاة وكاتب السر والوزير.

وفيه خلع الوزير على يوسف بن المقدم محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن أحمد العظمة، باستعفائه.

وفى ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: مات المقدم سيف تحت العقوبة، ولم يخلف بعده فى معناه مثله، سعة مال وكثرة أفضال،

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بالقاهرة ومصر.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول: خلع على تاج الدين بن وزير بيته مستوفى الخاص، واستقر فى نظر الإسكندرية، عوضا عن مجد الدين بن البرهان. واستقر علم الدين ودينات فى استيفاء الخاص. وخلع على ناصر الدين أحمد بن محمد ابن محمد التنسى [(٢)]، وأعيد إلى قضاء الإسكندرية، عوضا عن تاج الدين بن الربعى.

---

(١) برقوق بن أنص- أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة تولى حكم السلطنة سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر ثم خلع ثم أعيد مرة ثانية سلطانا سنة ٧٩٢هـ وتوفى بالقاهرة. مدة حكمه أتابكا وسلطانا قرابة ٢١ عاما. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١، ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندرانى المالكى، ناصر الدين بن التنسى: قاض من أهل الإسكندرية. نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان كان تاجرا، وولى القضاء بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ صيانة لماله. عمل تعليقا على مختصر ابن الحاجب، وشرح الكافية لابن الحاجب واستقر فى قضاء المالكية بالقاهرة سنة ٧٩٤ ومات بها. انظر رفع الإصر ١٠٧/١ والوضوء ١٩٢/٢وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

وخلع على جلال الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق، واستقر في مشيخة خانكاه سرياقوس [١]، عوضا عن والده، ونعت بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ.

وفي تاسع عشره: ركب الأمير يونس - دوادار الأمير الكبير - البريد إلى حلب، لكشف أحوال التركمان - وقد ورد خبر خروجهم عن الطاعة - وتجهيز عساكر الشام لقتالهم.

وفي سادس عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وثماني أصابع.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير تغرى برمش من الشام باستدعاء.

وفي تاسع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى، بمال.

وفي آخر هذا الشهر ارتفع الوباء، وأكثر من مات فيه الأطفال.

وفي يوم الخميس: ثالث شهر ربيع الآخر، أنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، عوضا عن أمير على بن قَشْتَمُر بعد وفاته.

وفيه نودى بسفر الحجاج الرجبية، فسر الناس ذلك، وكتب بولاية علم الدين أبي عبد الله بن ناصر الدين محمد القفصي، قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان الصنهاجي.

وفي سابع عشرينه: وصلت خيمة جليلة من الشام، عملت للأمير الكبير، تُحمل على مائة وثمانين جملا، فضربت بالميدان الكبير.

وفي حادى عشرينه: أُنعم على الأمير سودن الشيخوني بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر حاجبا ثانيا.

وفي ثاني عشرينه: ركب الأمير الكبير لرؤية الخيمة بالميدان. ومد للأمراء سماطا جليلا. ومد بعده سماط حلوى، ثم سماط فاكهة، فكان يوما مذكورا خرج الناس لمشاهدة ذلك، فكان جمعا كبيرًا.

وفي ثامن عشرينه: خلع على على القِرَمِي، واستقر في ولاية الشرقية، عوضا عن مبارك شاه. وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصَرْغَتْمُشِي، واستقر حاجبًا رابعا.

---

(١) بليدة في نواحي القاهرة بمصر.
انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

وهذا أيضا مما تجدد، وكانت العادة أولا أن يكون حاجب واحد، ثم استقر حاجب الحجاب، وحاجب ثانى، ثم زيد بعد ذلك فى الأيام الأشرفية حاجبٌ ثالثٌ.

وفى أول جمادى الأولى ذكر بعض العجم للأمير الكبير أن النيل لا يزيد فى هذه السنة شيئا، وأرجف بذلك، فزاد فى هذا اليوم خمس عشرة أصبعا، وفى غده ست عشرة أصبعا، فضربه الأمير الكبير وشهره.

وفى يوم السبت حادى عشره: - وعاشر مسرى - وفَّى النيل ستة عشر ذراعًا، فركب الأمير الكبير حتى خلَّقَ المقياس، وفُتح الخليج من يومه.

وفيه قطعت أخبار الطواشين: شاهين دست، وشاهين الجلالى، وأمرا بلزوم بيتهما.

وفيه هبت ريح شديدة بدمشق، اقتلعت أشجارا كثيرة بعروشها، واستمرت عدة أيام، فهال الناس أمرها.

وقدم البريد بخروج الأمير أشقْتَمُر نائب الشام بعسكر دمشق، والأمير إينال اليوسفى بعسكر حلب، والأمير كمْشُبغا الحموى بعسكر طرابلس، والأمير طَشْتَمُر القاسى بعسكر حماة، والأمير طَشْتَمُر العلاى بعسكر صفد، ومعهم نواب القلاع، وتراكمين الطاعة، وللعربان، والعشران [١] لقتال خليل بن قراجا بن دُلْغادر وجمائعه ببلاد مَرْعش[٢]، وأنهم اجتمعوا بحلب وساروا منها صحبة الأمير يونس الدوادار، فى أول شهر ربيع الأول، فنزلو ظاهر مرعش. وتوجه فى ثامن شهر جمادى الأولى ضياء الملك

---

(١) وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، وقيل: هم القبيلة، والجمع عشائر. قال أبو على: قال أبو الحسن: ولم يجمع جمع السلامة. قال ابن شميل: العشيرة: العامة، مثل بنى تميم وبنى عمرو بن تميم، والعشير القبيلة، والعشير المعاشر والعشير: القريب والصديق، والجمع عشراء، وعشير المرأة: زوجها، لأنه يعاشرها وتعاشره كالصديق والمصادق؛ قال ساعدة بن جوية:

أتته على يأس وقد شاب رأسها ... حين تصدى للهوان عشيرها

أراد لإهانتها، وهى عشيرته. وقال النبى ﷺ: إنكن أكثر أهل النار، فقيل: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرون اللعن وتكفرن العشير؛ العشير: الزوج. وقوله تعالى: ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ أى لبئس المعاشر. ومعشر الرجل: أهله. والمعشر: الجماعة، متخالطين كانوا أو غير ذلك؛ قال ذو الإصبع العدوانى:

أنتم معشر زيد على مائة ... جمعوا أمركم طرأ فكيدونى

والمعشر والنفر والقوم الرهط معناهم: الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، للرجال دون النساء. قال: والعشيرة أيضا الرجال، والعالم أيضا للرجال دون النساء. وقال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد، نحو معشر المسلمين، ومعشر المشركين. والمعاشر: جماعات الناس. والمعشر: الجن والإنس. وفى التنزيل: **﴿يا معشر الجن والإنس﴾**.

(٢) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر معجم البلدان ١٠٧/٥.

ابن بوزدوغان الواصل بعسكره إلى نصرة العساكر، ومعه طائفة من العربان والأكراد لقتال التركمان، فقاتلهم ويومه، وكسرهم، وقتل ثلاثة من أعيانهم، وعاد، فاقتضى رأى النواب الركوب لأخذ مرعش، فأخذوها، ثم مشوا لتمهيد البلاد حتى انتهوا إلى ملطية[١]، ثم عادوا فى آخر شهر شعبان.

وفى خامس عشره: عقد مجلس عند الأمير الكبير برقوق بسبب وقف، فاجتمع القضاة ومشايخ العلم، فتغيظ قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة [٢] على علم الدين سليمان البساطى قاضى المالكى ونهره، فرسم بعزل البساطى، وجعل تعيين غيره لابن جماعة، فعين جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وخلع عليه.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم البريد بأن العسكر ركب فى يوم السبت ثانى عشره، وصدم ابن دلغادر فكسره، وولى منهزما بمن معه، والعسكر فى آثارهم، فغنموا منهم شيئا كثيرا، وملكوا منهم مدينة مرعش ونودى فيها بالأمان، فأتى الناس من الجبال وبطون الأودية. ورحل العسكر حتى نزل بمدينة الأَبْلَسْتَينُ، فى تاسع عشره، وأقاموا بها.

وفى نصف شهر جمادى الآخرة أوقعت الحوطة على الصاحب شمس الدين المقسى، وأخذ على حمار إلى القلعة، فسجن بقاعة الصاحب.

وفى هذا الشهر: كثر ظلم الوزير ابن مكانس [٣]، وأخذ مالا من الكارم، وطلب من مباشرى الدولة والخاص جامكية شهرين، ووكل بعدةٍ من التجار أعوانه، وأخذ منهم جملة مال، وأحرق ببعضهم، فكثرت الشناعة عليه.

وفى تاسع عشرينه: أفرج عن المقسى.

وفى هذا الشهر قَدِمت رسل الملك المعز جلال الدين حسين بن السلطان أويس -

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٢) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكنانى، أبو إسحاق، برهان الدين، الحموى الأصل، المقدسى الشافعى: مفسر من القضاة. ولد بمصر ونشأ بدمشق. وسكن القدس وولى قضاء الديار المصرية مرارا توفى فجأة. ودفن بالمزة ظاهر دمشق. انظر الأنس الجليل ٤٥٢/٢ والدرر الكامنة ٣٨/١ والشذرات ٣١١/٦ والأعلام ٤٦/١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب. أصله من القبط ولد بالقاهرة، وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزل السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها. فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣٣٠/٢ وابن الفرات ٣٢٢/٩ وآداب اللغة ١٢٤/٣ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٣١٣/٤ ودار الكتب ٣١٨/٣ والأعلام ٣١٠/٣.

متملك توريز وبغداد - وهم قاضى القضاة بتوريز وبغداد علاء الدين على بن الجلال عبد الله بن سليمان العتائقى الأسدى الشافعى، والصاحب الوزير الأعظم شرف الدين عطا بن الحاج زين الدين حسين الواسطى، والشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن البرادعى البغدادى، والشيخ زين الدين على بن عبد الله بن الشامى المعرى، فأنزلوا بالميدان الكبير، وأُجرى عليهم فى كل يوم مبلغ مائتى درهم، ومائتى رطل لحم، وثمانى فردات أوز، وعشرة أطيار دجاج، وسميد، ومصبعات، وخبز جراية بقدر كفايتهم.

وكانوا فى تجمل زائد. ذكر العتائقى عن نفسه أنه أنفق من توريز إلى مصر مائتين وخمسين ألف درهم. وجاء فى مائة عليقة [١] فترك جماعته بالشام،

فأتاه قضاة القضاة، وسلموا عليه، ثم مثلوا بين يدى الأمير الكبير، فخلع عليهم بعدما مد لهم سماطًا جليلا، أوقف عليه الطواشى مقدم المماليك السلطانية، ولم يتقدمه أمير لفعل ذلك.

وفيه عزل ابن التنس عن قضاء الإسكندرية بابن الربعى، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام. وورد الخبر بأن متملك الحبشة داود بن سيف أرعْدَ - الملقب بالحطى - أنفذ جيشًا إلى أطراف معاملة أسوان، فأوقعوا بالعربان، ونال أهل الإسلام منهم بلاء كبير، فبعث الأمير الكبير إلى متى بن سمعان بطريق النصارى اليعاقبة بالمعلقة من مدينة مصر، يأمره أن يكتب إلى صاحب الحبشة يمنعه من التطرق إلى بلاد المسلمين، فأجاب بعد امتناع، وكتب إليه بما اقترحه عليه الأمير الكبير من ذلك. وكتب السلطان إليه كتابا بالإنكار عليه، وندب لرسالته البرهان إبراهيم الدمياطى، نقيب قاضى القضاة المالكى، وجُهز بما يليق به.

وفى أول شهر رجب: وفُر إقطاع تقدمة الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى، ولم يُنعم به على أحد. وفيه امتنع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من الحكم، لأجل مال طلب منه من الأوقاف لتجهيز الرسل إلى الحبشة، فأعفى من ذلك، وخلع عليه فى ثانيه خلعة الاستمرار. وخلع على على بن القرمانى، واستقر فى ولاية منوف [٢] عوضا عن أبى بكر بن خطاب.

وفيه رسم بقطع ما تكاثر من الأتربة وغيرها بالشوارع المسلوكة، حتى علت الطرقات بالقاهرة ومصر، وندب الأمير مأمور الحاجب لذلك، فقطعت بالمساحر، ونقل

---

(١) المقصود بها الإبل وسائر الدواب.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

ما خرج منها إلى الكيمان. وبلغت زيادة ماء النيل تسع عشرة ذراعا واثنى عشرة أصبعا، وثبت إلى سادس عشرين توت، فغرقت بساتين كثيرة.

وفى سادسه: خلع على الأمير تغرى برمشى، واستقر أمير سلاح، وخلع على العتاقى - قاضى بغداد - أطلسين بطرز زركش، وطرحة حرير.

وفى سابعه: طلع الوزير ابن مكانس بهم الميدان على العادة، وهى كنابيش زركش، وطرز زركشى، فخلع عليه.

وفى يوم السبت ثامنه: ركب السلطان إلى الميدان - كما هى العادة فى كل سنة - وخلع على تقى الدين عبد الرحمن ناظر الجيش، وعلى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، خلع الميدان، وكانت عادتهما أن يلبسا الجبب فى الميدان الثانى، فتعجلا خلعتيهما فى الميدان الأول.

وفى يوم السبت خامس عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانيا، برسم اللعب بالكرة مع الأمراء. وخلع على الوزير جبة نخ بقصب، فركب بها إلى تحت القلعة، ثم عاد.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالثًا. وخلع على الوزير خلعة ثانية، جبة حرير بنفسجى، بطرز زركش وفرو قاقم، وخلع على جميع من جرت عادته بالخلع.

وفى هذا الشهر: دار محمل الحاج على العادة، وخرجت أثقال الحجاج الرجبية يوم دار المحمل إلى بركة الحجاج، صحبة الأمير بهادُر الجمالى، المشرف، وخرج الناس أفواجا، ثم رحلوا من البركة فى يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: توجهت الرسُل إلى بلاد الحبشة. وفيه أخرج الأمير مأمور حاجب الحجاب، منفيا إلى الشام، ثم رسم له بنيابة حماة، عوضا عن طَشْتَمُر القاسمى بعد موته. وخلع على الأمير تغرى برمش، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن مأمور. وخلع على نجم الدين محمد الطّنْبَدى، وأعيد إلى وكالة بيت المال، عوضا عن ابن عرب. وفيه أخذت دواة الوزير ابن مكانس، وعوق نهاره، ثم أفرج عنه. وفيه سارت رسل بغداد بعدما خُلع عليهم.

وفى يوم الإثنين ثانى شعبان: خُلع على الوزير ابن مكانس خلعة الاستمرار.

وفى يوم الأربعاء رابعه: رسم بنفى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة، فشفع فيه الأمير أيْتَمُش، فأُمر أن يلزم بيته. وسبب ذلك أنه نقل لقاضى القضاة صدر

الدين محمد بن منصور الحنفى عن الأمير الكبير برقوق أنه قال بالتركية لمن حوله - وهو فيهم -: «إن القضاة ما هم بمسلمين». فشق ذلك عليه، وركب إلى قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستشاره فى عزل نفسه عن القضاء، وقال: «قطعت عمرى فى الاشتغال بالعلم فى دمشق، ثم فى آخر عمرى أنفى بمصر عن الإسلام!». وحدثه بما نقله المحتسب فى حق القضاة عن الأمير الكبير، فتغير ابن جماعة من ذلك تغيرا كبيرا، وقام من فوره إلى الأمير الكبير، وأخبره الخبر، فغضب على محمود وعزله. وهذا أيضا مما تجدد من الحوادث القبيحة، وهو أن الأمير الكبير صار يقع فى حق القضاة والفقهاء مع خاصته، فتضع أقدارهم عند الأمراء والمماليك، بعدما كانوا يرون السلطان وأكابر الأمراء يبالغون فى إجلال القضاة والفقهاء، ويرون أن بهم عرفوا دين الإسلام، وفى بركتهم يعيشون. وحسب أعظمهم قدرا أن يقبل يد الفقيه والقاضى، فانقلب الأمر، وانعكس الحال، حتى كثرت وقيعة الأمراء والمماليك فيهم، لما لُقِّنوه من الأمير الكبير. ثم تزايد الحال، بحيث صار الفقهاء والقضاة فى أخريات الدولة الظاهرية برقوق، وفى الدولة الناصرية فرج [١]، وما بعد ذلك ينزلون من أهل الدولة منزلة سوء؛ ويتكلم فيهم أقل الغلمان، وأرذل الباعة، بكل قبيح عقوبة من الله لهم، لامتهانهم العلم، وخضوعهم فى طلب الدنيا ولا قوة إلا بالله.

وفى يوم الخميس خامسه: خلع على تاج الدين محمد المليجى، شاهد خزانة الخاص، صائم الدهر، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى. وخلع على علم الدين يحيى، وأعيد إلى نظر الدولة عوضًا عن ابن الريشة، وكان مريضًا، فُحملت له الخلعة إلى داره. وخلع على الأمير قرط بن عمر، وأعيد إلى نيابة البحيرة. وخلع على عمر ابن أخيه، وأعيد إلى ولاية البحيرة.

وفيه قدم الأمير يونس النوروزى - دوادار الأمير الكبير - من حلب، وقد عادت العساكر من محاربة ابن دُلغادر. وذلك أنهم أقاموا على الأبلستين إلى خامس عشر جمادى الآخرة ثم رحلوا عنها وقد بلغهم نزول خليل بن دلغادر بقلعة خرت برت [٢]، إلى جهة ملطية، فورد عليهم فى أثناء طريقهم كتاب الأمير حسام الدين طُرُنْطاى -

---

(١) نسبة إلى فرج «الملك الناصر» بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويع بالقاهرة سنة ٨٠١هـ. قتل فى القلعة سنة ٨١٥ على يد مماليك أبيه. انظر ابن إياس ٣١٧/١، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٧ ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٢) هو حصن فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٣٥٥/٢.

مقدم العسكر - بسيس [١]، يتضمن دخول الصارم إبراهيم بن رمضان - مقدم التركمان - عليه فى قبول توبته، وتنصله من مساعدة ابن دلغادر، فأجيب بقبول عذره. ونزلوا بظاهر ملطية فى ثامن عشره. ثم رحلوا عنها فى أول شهر رجب عائدين إلى حلب، بعد ما عزموا على خوض الفرات، وكشفوا مخايضها، فوجدوا تعديتها إلى البر الشرقى والوصول إلى خرت برت، متعذرا. فلما نزلوا على بريد من عين تاب [٢] - فى ثالث عشر رجب - قدم عليهم الأمير حيدر بن باشان كبير التركمان البوزوقية فى طلب أمان لأمراء طائفته، فكُتب له أمان، ورحلوا فى سابع عشره، فقدموا حلب فى ثانى عشرينه، وتفرقت العساكر إلى مواضعها، وقد نالهم مشقة عظيمة من البرد، وكثرة الأمطار.

وفى هذا الشهر ظهر فى السماء كوكب له ذؤابة، قدر رمحين من جهة القبلة، وأقام كذلك مدة. وفيه كُتب باستقرار شهاب الدين أحمد بن أبى الرضا بن عمر [٣] فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى. وفيه قبض الأمير قُرُط على طائفة من أعيان البحيرة، منهم شادى، ووسطهم، ورماهم فى النيل، وأحاط بموجودهم كله.

وفى يوم الإثنين آخره: قدم الأمير يلبغا الناصرى [٤]، فخرج الأمير الكبير إلى لقائه، وترجل له، ثم أركبه فرسا من مراكيبه.

وفى يوم الثلاثاء أول شهر رمضان: أنعم على الأمير يلبغا الناصرى بتقدمة ألف، وأجلس وقت الخدمة - السلطانية - بالإيوان، رأس الميسرة، فوق أمير سلاح.

---

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٧٧.

(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٣/١٧٦.

(٣) أحمد بن عمر بن أبى الرضى، أبو الخير، شهاب الدين: قاض من أهل حماة (بسورية) ولى القضاء بحلب ثلاث مرات. وكان عالما بالقراءات، له فيها نظم سماه bعقد البكرa وله منظومات أخرى فى موضوعات متعددة. أعدم فى خان شيخون بين المعرة وحماة. انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٧ ومجمع اللغة بدمشق ٣٢٩/٤٨ والأعلام ١/١٨٧.

(٤) يلبغا أبو المعانى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر، أخذ مدينة صفد باسمه، ثم اتهم واعتقل سنة ٨٠٣ هـ ونفى إلى دمياط ثم أحضر سنة ٨٠٥هـ وقرر فى الوزارة والإشارة وقبض عليه أيضا. وأفرج عنه سنة ٨٠٧ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل فى محبسه بها خنقا. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٨٩ والأعلام ٨/٢٠.

وفى يوم الخميس ثالثه: خلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن مكانس.

وخُلع على الوزير ابن مكانس، واستقر على عادته فى الوزارة فقط. وخلع على الأمير جركس الخليلى - أمير أخور - واستقر مشير الدولة. ورسم للوزير ألا يتصرف فى شيء إلا بعد مراجعته.

وفيه استقر تاج الدين عبد الله بن البقرى فى استيفاء الصحبة، عوضا عن أبيه سعد الدين، وخُلع عليه وعلى علم الدين يحيى - ناظر الدولة - خلعة استمرار.

وفى هذه الأيام: ساق الأمير جركس الخليلى ماء النيل إلى الميدان تحت القلعة، وصُب فى الحوض الذى على بابه بالرميلة، فعم النفع به سكان تلك الجهات. وكان له نحو من سبعة سنين لم يجر فيه ماء.

وفى هذا الشهر: قُرئ صحيح البخارى بالقصر من قلعة الجبل، كما هى العادة من عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين (١). فلما كان يوم الإثنين سابعه وانفض مجلس السماع، قام قاضى القضاة برهان الدين [إبراهيم] بن جماعة، لينصرف إلى داره. فلما ركب، أخذ شخص - يعرف بابن نهار - بعنان بغلته، وقال له: «حكمت علىّ بحكم لا يجوز شرعا، وقد فسقت بجهلك». فرجع ومعه المذكور إلى الأمير الكبير، وهو فى فكره، فأخذ ابن نهار فى الإساءة على ابن جماعة، والأمير الكبير فى شغل بما عنده من شدة الفكر؛ فشق ذلك على ابن جماعة، وعزل نفسه، وقام فتوجه إلى تربة كوكاى خارج القاهرة؛ ليمضى منها إلى القدس. وفى أثناء نزوله من عند الأمير الكبير، تجلى عنه الفكر، وسأل من حضر عما كان، فأخبروه الخبر، فبعث فى طلب ابن نهار، فأتى به من الغد، واستدعى القضاة ومشايخ العلم، فأفتى شيخ الإسلام البلقينى (٢) بتعزير ابن

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ. خنقه الأمير إينبك البدرى، ورماه فى بئر، فأخرج بعد ذلك ودفن. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والأعلام ١٦٤/٣.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية= مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» «محاسن الاصطلاح».=

نهار، فضربه والى القاهرة بالمقارع، وشهره بالقاهرة. وبعث الأمير الكبير يسترضى ابن جماعة، فلم يرض، فراجعه ثانيا فلم يرض، فبعث إليه الأمير قُطْلوبُغا الكُوكَاى، والأمير فخر الدين إيَاس الَصرْغَتْمُشى، فلم يزالا به حتى أخذاه، وأتيا به الأمير الكبير. فلما شاهده من بعد، قام إلى لقائه، ومشى إليه، وترضاه. فقال له: «أعدائى كثير، وما آمنهم، ومالى ولهذا الأمر». فقال له: «كل من تعرض لك - ولو بكلمة سوء - ضربته بالمقارع». ثم جىء بالتشريف، فأفيض عليه، ونزل إلى القاهرة فى تاسعه، فكان يوما مشهودا. وفيه ركب البريد الأمير جُلُبَان الدوادار، لإحضار الأمير أيْنال اليوسفى، نائب حلب.

وفى ثانى عشرينه: أُخرج الأمير مُقْبل الرومى الخازندار - أحد اليلبغاوية - منفيا، وكان ظالما غشوما.

وفيه أمطرت السماء مطرًا، قل ما عُهد مثله فى الكثرة، حتى سالت الأزقة والشوارع، وخاضت الخيل بالشارع فى الماء فبلغ بطونها، وسال الجبل سيلا عظيما إلى الغاية.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد بخروج الأمير إينال من غزة، فركب الأمير أقبغا الصغير - أحد أمراء الطبلخاناة - البريد، وقبض عليه بقَطْيا، وبعثه إلى الكرك، فسجن بها.

وفى تاسع عشرينه: ابتُدأ بهدم خان الزكاة بين القصرين، لتداعيه للسقوط. وفيه ثبت أن هلال رمضان رؤى ليلة الإثنين، وأن هذا اليوم تمام ثلاثين.

وفى هذا الشهر زاد سعر اللحم عما يعهد.

وفى يوم الأربعاء - يوم عيد الفطر -: حمل الأمير يلبغا الناصرى القبة والطير على رأس السلطان، عند نزوله لصلاة العيد، بالميدان تحت القلعة.

وفى يوم الخميس ثانيه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر نائب حلب، عوضا عن إينال اليوسفى. وأنعم على الأمير يونس - دوادار الأمير الكبير - بتقدمة ألف، ورأس نوبته الأمير قُرْدُم الحسنى أمير مائة مقدم ألف، ولم يعهد قبل ذلك أن يكون دوادار أمير ورأس نوبته من جملة مقدمى الألوف.

وفيه نادى الأمير المشير جركش الخليلى فى القاهرة ومصر، أن تكون الفلوس العتق

= انظر لحظ الألحاظ والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ والخزانة التيمورية ٣٨/٣ والتاج ١٤٣/٩ والأعلام ٤٦/٥.

كل رطل بدرهم وثلث، بعد ما كانت بدرهم ونصف الرطل وفرق فى الصيارفة فلوسا استجد ضربها، وعمل عليها رنكه، فمنها فلس زنته أوقية، ليكون كل أربعة بدرهم، كل فلس بربع درهم. ومنها ما زنته نصف أوقية، فكل ثمانية بدرهم، حسابا عن كل فلس ثُمْن درهم. ومنها ما يكون كل ثمانية وأربعين فلسًا بدرهم، فلم يمش له ذلك، وتوقفت أحوال الناس، وبطل بيعهم وشراؤهم، وقلّ جلب البضائع من المآكل وغيرها، فنادى الأمير الكبير برقوق فى يوم الجمعة ثالثه بإبطال ذلك، واستمرار الفلوس على حالها.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفى رابع عشره: خلع على صلاح الدين خليل بن عبد المعطى بن عبد المحسن نقيب دروس الفقهاء الحنفية، واستقر فى حسبة مصر، عوضا عن ابن عرب بمال التزم به، فاستفظع الناس ذلك، وعدوه بلاء ونقمة، لسوء سيرته ونذالته، فلما دخل على الأمير المشير جركس الخليلى، أنكر ولايته، وضربه.

وفيه خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، واستقر فى وزارة الشام، ونظر الخاص والمهمات، والمرتجع بها، ونظر ديوان نائب الشام، على قاعدة فخر الدين ماجد ابن قزوينه، وكتب له فى توقيعه .الوزير، وأنعم عليه ببغلة من الإصطبل السلطانى، وعليها زنارى جنيب خلفه، فلم يرض بذلك، لعلمه أنه إنما قصد الوزير ابن مكانس إبعاده وخروجه من مصر، خوفا منه. وفيه اسُتدعى الجلال رسولا التبانى، وسُئل أن يحج عن الأمير آنص والد الأمير الكبير بعد وفاته، فأجاب إلى ذلك، وجُهز أحسن جهاز، وسافر صحبة الركب.

وفى ثانى عشرينه: توجه محمل الحاج سائرا من البركة، وتبعه الركب على العادة فى كل سنة، وفيه أنعم على طُغاى تَمُر القَبْلاوى - من أمراء الطبلخاناة بطرابلس - بنيابة الكرك، عوضا عن منكلى بُغا الشمسى، وخلع على زين الدين عمر بن مِنْهال، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد. وكتب بمصادرة ابن الشهيد. وأنعم على الأمير قطلوبغا الكوكاى بتقدمة آنص - والد الأمير الكبير - بعد موته.

وفى رابع ذى القعدة: خلع على الشريف جماز بن هبة الحسينى، [1] واستقر أمير

---

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. ساءت سيرته. فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل فى تاريخ المدينة والأعلام ١٣٣/٢.

بالمدينة النبوية، عوضا عن عمه عطية، بعد وفاته. وقدم الشيخ شمس الدين محمد القُونَوى[١] من دمشق، فنزل بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأتاه الناس يلتمسون بركة زيارته.

وجُهز أربعمائة خلعة إلى البلاد الشامية، برسم النواب والأمراء وغيرهم، لنصرتهم على التراكمين.

وفى سادسه: قبض على بنى مكانس جميعا، بحيلة دبرها الأمير الكبير، فإنه تقدم إلى الوزير بجمع الكُتّاب ليندبهم إلى أشغال سلطانية، فلما اجتمعوا عنده، قبض على الوزير وإخوته، وقبض على علم الدين بن قارورة - ناظر ديوان الأمير الكبير - وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، وخُلع على شمس الدين إبراهيم - المعروف بكاتب أرلان - المستقر فى وزارة الشام، واستقر ناظر ديوان الأمير الكبير، عوضا عن ابن قارورة، فما أغنى عن ابن مكانس حذره منه. وكُتب باستقرار ابن بشارة فى نظر الشام على عادته. وخلع على سعد الدين إبراهيم الميمونى، واستقر عامل ديوان الأمير الكبير.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافى بن عبد الله الطباطبى، واستقر فى نقابة الأشراف، عوضا عن السيد على بن فخر الدين.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على علم الدين عبد الوهاب الطَّنْساوى، ويقال له سن إبرة، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين بن مكانس، وسُلم ابن مكانس وإخوته وحاشيتهم إلى شاد الدواوين، فعذبهم بأنواع العقوبات. وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة عنه فى نظر وقف الأشراف، الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة.

وفى خامس عشرينه: خلع على بلّوط نائب الإسكندرية خلعة الاستمرار، وقد حضر باستدعاء، ثم توجه إليها. وكانت الأسعار قد ارتفعت من شهر رمضان، حتى بلغ الإردب القمح إلى أربعين درهما، وتزايد حتى بلغ فى ذى القعدة ستين درهما، وعز وجوده، وارتفعت أسعار الحبوب كلها، وتعذر وجود الخبز بالأسواق واختطفه الناس من الأفران. فرسم فى خامس عشرينه بفتح شونة الذخيرة، وبيع منها. ثم توقفت أحوال

---

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوى: فقيه حنفى، تركى الأصل. مستعرب، ولد وتعلم فى قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده. انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدر الكامنة ٢٩٢/٤، ٢٩٥ وبغية الوعاة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ١٥٣/٧.

الناس، وكثرت الشكاية [١] فى الناس جميعهم من وقوف الحال، وقلة وجود الدراهم، فكان هذا - أعنى الشكاية - مما تجدد، ولم يكن يُعرف، بل أدركنا الناس، وإذا شكا أحد من الناس حاله، عُد عليه ذلك، فصرنا وما من صغير ولا كبير إلا وهو يشكو، وتزايد أمرهم فى ذلك، حتى صار أمر الناس بمصر فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها إلى فاقة [٢] وضعة.

وفى تاسع عشرينه: وقفت العامة واستغاثت، وطلبت ولاية العجمى الحسبة، فطُلب فى يوم السبت سلخه، وخُلع عليه، وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن المليجى.

وفى ثالث ذى الحجة: سُمر ثلاثة من قطاع الطريق، ووسطوا، ثم سُمر فى خامسه ثلاثة أخر.

وفى تاسعه: ترك الأمير تغرى بَرْمِش أمير سلاح إمرته، وتزيا بزى الفقراء، وفرق عنه مماليكه وحاشيته، وجلس بجامع قوصون خارج باب زويلة، وجمع عليه طائفة من العامة، فبعث إليه الأمير الكبير بالأمير سودُن الشيخونى الحاجب، والأمير قُرْدُم الحسنى - رأس نوبة - ليعود إلى إمرته، ولكنه أبى وصمم على الزهادة، فتردد إليه الأمراء وسألوه ذلك، فأبى عليهم، ثم لم يكن بأسرع من توجهه إلى الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخو، وسؤاله فى التحدث مع الأمير الكبير فى عوده إلى إمرته كما كان، فبعث يسأل الأمير الكبير فى ذلك، فاشتد غضبه عليه، وأمر به فأخرج فى الحال ماشيا ليمضى إلى القدس، فمشى على قدميه إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأدركه قاصد بالإذن له بالركوب، فركب وسار.

وفى حادى عشره: وسُط رحاب، أمير عربان البحيرة، ومعه ثلاثة نفر من أعيانها.

وفى هذه الأيام: اتفقت حادثة مستغربة، وهى أن بعض تجار قيسارية جهاركس - يعرف بابن القماح - أخلى حماما بالقرب منها فى ليلة الجمعة خامسه، وأطمع صدقه - حارس القيسارية - بأن فى البئر التى بها كنزًا، ففتح له القيسارية ليستخرج الكنز من البئر. فلما صار بها هو وولده والحارس أوهمه أنه يحتاج إلى قراءة عزيمة، وإلى تبخير البئر، حتى يتيسر أخذ الكنز بإبطال موانعه، وأمره أن ينصرف عنه - هو والولد - إلى الحمام؛ ليخلو بما ذكر. وترك عنده رجلا فى صورة أنه يعينه على ذلك، وكان صانع أقفال، فمضى الحارس وولد ابن القماح [فأخذ ابن القماح] فى فتح ما على

---

(١) المراد الشكوى.

(٢) الفاقة هى الفقر.

حوانيت القيسارية من الأقفال الحديدية بيد ذلك الرجل، حتى فتحها كلها، وأخذ منها ما يزيد قيمته على عشرة آلاف دينار، وهرب فى الليل هو وأهله. فأصبح الناس بالقيسارية وهى مفتحة الحوانيت، فارتجت القاهرة بأهلها، وحضر والى القاهرة، واجتمع التجار وغيرهم بها. فقالت امرأة ممن يسكن بالربع علو القيسارية: قد رأينا البارحة ليلاً ابن القماح هنا، فأخذ الوالى فى طلبه فلم يقدر عليه، ولا على صدقة الحارس. ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتد حنقه على والى القاهرة، وألزمه بإخراج السارق. فبينا هو فى الفحص عن ابن القماح، إذ دلّه شخص على موضعه، فركب إليه فى يوم الإثنين ثامنه، وأحاط بالبيت الذى هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة، فانكسرت يده، وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وعلى الأقفالى الذى فتح له الحوانيت. فوجد القماش الذى أخذه، والمال بعينه، لم يُفقد منه شىء، فحمل ذلك على عدة حمالين، وسار بهم والمغانى تزفهم، حتى طلع إلى الأمير الكبير. فأقر ابن القماح بما تقدم ذكره، فأمر الوالى بعقوبة الجميع. فنزل بهم فى الحديد والعملة من ورائهم على رءوس الحمالين، والمغانى تزفهم فى شارع القاهرة، فكان يوما مشهودا. ثم أخذ التجار مالهم بتمامه وكماله. وظفر أيضا الوالى بصدقة الحارس، فما زال هو والأقفالى تحت العقوبة حتى هلكا. وضُرب ابن القماح وولده مرارا، وسُجن فى خزانة شمايل، فإنه لم يجب عليه القطع شرعا. لأنه كان يقول عن الأقفال هذا ناولنى المتاع من الحوانيت. فأقام عدة سنين فى السجن ثم أخرج واتضع حاله حتى مات.

وفى سابع عشره: قدم الأمير كُمُشبغا الحموى نائب طرابلس باستدعاء، فَأُكرم غاية الإكرام، وحمل إليه الأمراء تقادم كبيرة جدا. وفى هذه الواقعة، أُلزم والى القاهرة عريف قيسارية جهاركس ألا يُسكن بها تاجرًا حتى يضمن عليه، وصار يتهدد التجار بفعلة ابن القماح، فتحدث الناس فى القاهرة بهذه الواقعة أعواما كثيرة.

وقدم البريد بوقوع الوباء بصفد.

وجاءت الأخبار بغلاء الأسعار بمكة، فلما قدمها الرجبية انحلت قليلا، حتى أبيعت الويبة الدقيق بعشرين درهما، والويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين [درهمًا]، مع غلاء كل ما يؤكل، وبلغت الغرارة [١] بالمدينة النبوية أربعمائة درهم. فلما قدم الحاج فى الموسم، ارتفعت الأسعار، وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين درهما وما فوقها، والويبة

---

(١) الغرارة – بفتح الغين – التصابى بعد نكة، والغفلة. انظر (محيط المحيط).

الشعير إلى أربعين درهما، وعظمت المشقة فى الرجعة إلى القاهرة من غلاء الأسعار.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم بن حسن بن الناصر محمد بن قلاون، فى عاشر جمادى الآخرة.

وتوفى مفتى دار العدل، ركن الدين أحمد بن محمد، المعروف بقاضى قرم الحنفى، فى عاشر رجب.

وتوفى فقيه حلب، شهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغنى بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف الأذرعى [1] الشافعى، فى خامس عشرين جمادى الآخرة، بحلب. ومولده سنة تسع وسبعمائة، وله مصنفات فى الفقه.

وتوفى شيخ الشيوخ، نظام الدين إسحاق بن عاصم بن سعد الدين محمد بن الأصفهانى شيخ خانكاة سرياقوس؛ فى ليلة الأحد ثالث ربيع الآخر. ودفن بمدرسته فوق الشرف، بجوار الضيافة رحمه الله تعالى.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح الدمشقى الحنفى، بدمشق، وقد أناف على التسعين. ومات أمير أحمد بن الملك المظفر حاجى بن محمد بن قلاون، فى سادس صفر.

ومات الأمير أَقْتَمر عبد الغنى، نائب طرابلس، ونائب الشام ونائب السلطان بديار مصر، وأمير كبير، فى تاسع عشرين جمادى الآخرة.

ومات الأمير آنص - والد الأمير الكبير برقوق - فى يوم السبت ثامن عشر شوال.

ومات الأمير أَيْدَمُر الشمسى، أحد أمراء الألوف، فى ثالث عشر صفر. ومات الأمير آلان الشعبانى، أمير سلاح، فى ثامن عشر ربيع الآخر.

ومات الحاج سيف بن على مقدم الدولة، تحت العقوبة، فى ليلة الأحد ثالث عشرين صفر، ولم يخلف فى معناه مثله.

---

(١) أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد، أبو العباس، شهاب الدين الأذرعى: فقيه شافعى. ولد بأذرعات الشام، وتفقه بالقاهرة، وولى نيابة القضاء بحلب له «جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح» فى عشرون مجلدا. عاد إلى القاهرة سنة ٧٧٢ ثم استقر فى حلب إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ١/١٢٥ وأعلام النبلاء ٥/٨٦ والفهرس المهتدى ٢٣١ وهدية العارفين ١/١١٥ ودار الكتب ١/٥٢٧، ٥٣٣ والأعلام ١/١١٩.

ومات الأمير طَشْتَمُر الشعبانى اليلبغاوى، نائب حماة فى رجب، بعين تاب صحبة العسكر.

وتوفى الشيخ المسند جمال الدين عبد الله محمد بن على بن حَدِيدة الأنصارى فى خامس عشرين شعبان. ومولده سنة عشر وسبعمائة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن الرقيق الأسملى، أحد أعيان الكتاب، فى ثالث عشر صفر.

وتوفى قاضى قضاة حلب، كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى الشافعى، فى شهر رجب بحلب.

ومات خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأمير الكبير برقوق.

وإليه ينسب فيقال برقوق العثمانى، فى سادس عشر رجب بالقاهرة، وشهد الأمير الكبير جنازته.

وتوفى الفقير المعتقد، أبو لحاف على الشامى بالقاهرة، فى خامس صفر.

وتوفى نور الدين على بن قَشْتَمُر المنصورى الشافعى فى ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات أمير على بن قَشْتَمُر الحاجب، أحد أمراء الألوف، الشهير بالوزير، فى تاسع عشرين ربيع الآخر. كان يشارك فى عدة علوم مشاركة جيدة، وسيرة جميلة.

ومات غلام الله مُهْتار الطشت خاناه؛ فى ثالث عشرين ربيع الآخر.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن الكومى الشافعى، الأعمى، فى تاسع عشرين ربيع الأول.

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن السيورى العمَّارى [١]، نسبة إلى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - الموصلى، إمام أهل الموسيقا فى زمنه، يوم العشرين من صفر.

وتوفيت المسندة جويرة بنت الشهاب أبى الحسن أحمد بن أحمد الهكارى، فى يوم السبت ثانى عشرين صفر. وقد انفردت برواية النسائى وغيره.

والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن السيورى العمارى، منسل عمار بن ياسر: موسيقى مغن انتهت إليه الرياسة فى ضرب العود أصله من الموصل. سكن القاهرة واشتهر وتوفى بها. انظر النجوم الزاهرة ٢٢٠/١١، ٢٢١، والأعلام ٤١/٧.

سنة أربع وثمانين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الثلاثاء: فيه خُلع على الأمير مُبارك شاه السيفى، واستقر والى الفيوم [1]، وكاشف الفيوم، وكاشف البهنساوية والأطفيحية؛ عوضا عن أسنبغا المنجكى.

وفى ثالثه: خلع على الأمير سودُن الشيخونى، واستقر حاجب الحجاب على إقطاع تغرى بَرْمِش. وخلع على الأمير كُمُشْبُغا الحموى اليلبغاوى - نائب طرابلس - خلعة الاستمرار على عادته. وخُلع على فرج بن أَيْدَمُر السيفى، واستقر فى ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن سُنْقُر. وخلع على أَلْطُنْبُغا الصلاحى واستقر فى ولاية الأشمونين، عوضا عن مبارك شاة السيفى.

وأنعم بإقطاع الأمير سودن الشيخونى، على الأمير أَيدْكار واستقر حاجبًا ثالثًا.

وفى عاشره: قدم الأمير أَقْبُغا المارِدينى، نائب الوجه القبلى، باستدعاء.

وفى حادى عشره: توجه الأمير بكلمش العلاى، لإحضار الأمير بيدمر الخوارزمى من سجنه فى ثغر دمياط. وقدم الأمير جَنْتَمُر أخوطاز من دمشق، بسؤاله.

وفى هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، وفقد الخبز من الأسواق، وأبيع كل رطلين بدرهم، وأبيع القمح بمائة وخمسة دراهم الأردب، والبطة الدقيق بثلاثين درهما، فلما دخل الشعير الجديد، أبيع الأردب منه بخمسين درهما.

وفيه رسم الأمير الكبير بإطلاق من فى سجنى الديلم والرحبة من المديونين، فأفرج عنهم جميعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، لما بالناس من الغلاء ووقوف الحال، فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون، وترسيم نقبائهم على من فى ذمته دين.

وفى ثامن عشرة: قدم ركب الحاج.

وفى عشرينه: قدم الأمير بيدمر من دمياط فى النيل، فركب الأمير الكبير إلى لقائه، وحضر من الغد يوم الإثنين حادى عشرينه الخدمة السلطانية، وقبل الأرض على العادة،

---

(١) بمصر، وهى ولاية غربية بينهما وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى، وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

فخلع عليه، واستقر فى نيابة الشام على عادته عوضا عن الأمير أَشَقْتَمُر، وهذه ولايته السادسة. وكتب بتوجه الأمير أَشَقْتَمُر إلى القدس بطالا.

وفيه خلع على الأمير أَقْبُغا الماردينى نائب الوجه القبلى، خلعة الاستمرار.

وفى آخره: انحط السعر إلى أربعين درهما الأردب القمح، والشعير والفول إلى اثنين وعشرين درهما الأردب، والبطة الدقيق إلى أحد عشر درهما.

وفى يوم الأربعاء: أول صفر خُلع على ابن عرب، وأعيد إلى حسبة مصر عوضا عن خليل بن عبد المعطى، على مال يقوم به. وأضيف إليه وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين الطَّنْبَدى.

وفى ثانيه: خلع على الأمير بَيْدَمُر نائب الشام، خلعة السفر، وسافر.

وفى سادسه: خلع على محمد بن أَشَقْتَمُر بولاية قطيا، عوضا عن علاء الدين على ابن الطشلاقى. وخلع على أبى بكر بن المزوَّق بولاية قوص، عوضا عن أبو درقة قُطْلوبُغا الأسن قُجاوى.

وفيه أعيد نجم الدين أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن الهمام أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأتقانى.

وفى تاسعه: قدم المجذوب المعتقد على الروبى من الفيوم، واجتمع بالأمير الكبير، فهرع الناس إلى زيارته، وبالغوا فى اعتقاده، ونقلوا عنه خوارق، الله أعلم بحقيقتها.

وفى سادس عشره: ركب الأمير بَهَدُر المنجكى أستادار الأمير الكبير على البريد. ليحضر من دمشق المال الذى وعد به الأمير بَيْدَمُر.

وفى ثامن عشره: أعيد النجم الطنبدى إلى وكالة بيت المال. لعجز ابن عرب عن القيام بالمال الذى وعد به.

وفى رابع عشرينه: طلب الأمير الكبير برقوق من قاضى القضاة أن يسلمه مال تاجر قد مات عن ورثة غائبين، وترك ما خلفه بمودع الحكم، فأبى أن يدفعه إليه، وقال: «ثبت عندى أن له ورثة، ولا سبيل أن أدفع المال إلا لورثته»، فغضب الأمير الكبير برقوق، واستدعى الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى ليوليه القضاء، فغيَّب ولم يظفر به، فامتنع ابن جماعة من الحكم، وأخذ الناس فى السعى.

وفى ثامن عشرينه: خلع على سراج الدين عمر العجمى، وأعيد إلى حسبة مصر،

عوضا عن ابن عرب؛ لعجزه عن القيام بما وعد به. ورسم الغرماء على ابن عرب ليقوم لهم بما استدانه منهم وبرطل به، ورفعوه إلى الأمير أَيْدَكار الحاجب، فأخرق به، وبالغ فى إهانته؛ نسأل الله العافية.

وفتحت طبقة الرفرف وبيت الأميرطاز علو خزانة الخاص بالقلعة من الإصطبل، حيث سكنى الأمير الكبير برقوق، ورَكَّب لهما سلما ليتوصل إليها، وأسكن بها مماليكه الذين اشتراهم.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وأضيف إلى وظيفة القضاء، عوضا عن البرهان إبراهيم بن جماعة، وسافر ابن جماعة إلى القدس.

وقدم البريد بمسير نائب حلب إلى محاربة التركمان، فلما دخل دربند أصلان، توفى حادى عشر صفر، وقد فر منه سولى بن دلغادر، فلم يظفر به، فثنى عنانه إلى ابن أوزر، فداس بيوته، ووضع فيمن لقيه السيف، فامتنع منه بالجبل، فعاد النائب من تل حمدون يريد مدينة مرعش، وعاد إلى حلب.

وفى يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأول: قرئ تقليد ابن أبى البقاء، وفوض أمانة الحكم لشهاب الدين أحمد الزركشى، وفوض نظر أوقاف مصر لشمس الدين محمد بن الوحيد، وفوض نظر أوقاف القاهرة لجمال الدين محمود العجمى المحتسب. واستناب فى الحكم تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى أحد موقعى الحكم. وأقر الصدر بن محمد المناوى وعمر بن رزين على خلافة الحكم.

وفى هذه الأيام: شرع الأمير المشير جركش الخليلى فى عمل جسر بين الروضة وجزيرة أروى، فى طول ثلاثمائة قصبة، وعرض عشر قصبات، وعمل فيه بنفسه ومماليكه، وحفر فى وسط مجرى النيل خليجا من هذا الجسر إلى زربية قوصون. ليعود الماء إلى البر الشرقى، ويستمر طول السنة، فأنفق على ذلك من ماله جملة من غير أن يكلف أحد فيه شيئا، حتى تم الجسر، فلم يفد شيئا، وقال فيه أدباء العصر شعرا كثيرا. وكان القاع ستة أذرع ونصف ذراع.

وفيه هرب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من ميضأة جامع الصالح خارج باب زويلة، وكان مسجونا به، هو وإخوته، فغضب الأمير الكبير على الأمير بهادر الأعسر - شاد الدواوين - وضرب إخوته، بالمقارع، وقبض على حواشيهم وحريمهم، ونودى عليه فلم يوجد.

وفى عاشر ربيع الأخر: خلع على ابن عبد المعطى بنظر المواريث.

وفى سابع عشره: خرجت تجريدة إلى البحيرة، فيها خمسة أمراء ألوف، وهم بهادر الجمالى، وقُطْلوبُغا الكوكاى، وأحمد بن يلبغا الخاصكى، وقُرْدُم الحسنى، وآلابغا العثمانى. وأربعة أمراء طبلخاناة، وعشرة أمراء عشرات. فلم يجدوا من أهل البحيرة أحدا، فساقوا من مواشيهم ثلاثة آلاف رأس من الضأن، وستة آلاف رأس من المعز.

وفى آخره: انتهى عمل الجسر الخليلى.

وفيه قدم البريد بأن حسين بن أويس - متملك بغداد - قتله أخوه أحمد بن أويس، واستقر فى المملكة بعده، وذلك بإشارة خواجا شيخ الكحجانى.

وفى خامس عشر جمادى الأول: استقر الأمير قُطْلُوبُغا أبو درقة فى ولاية دمياط، عوضا عن محمد بن قرابغا.

وفى عشرينه: استقر فتح الدين صدقة أبو دقن فى نظر المواريث، عوضا عن ابن عبد المعطى.

وفى يوم الأحد أول جمادى الآخرة: - الموافق له من أشهر القبط تاسع عشر مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، بعدما توقف عدة أيام، وأرجف خُزَّان الغلال يكون الغلاء، فخاب أملهم.

وفى سابع عشره: خُلع على جمال الدين محمود المحتسب خلعة الاستمرار وقد أرجف بعزله، ونقل قراجا من ولاية قليوب إلى ولاية الجيزة، ونقل حسين من ولاية الجيزة إلى ولاية قليوب.

وقدمت رسل ألفنس - متملك أشبيلية - بسبب الإفراج عن تكفور حاكم سيس، فأجيبوا إلى ذلك.

وفى هذه السنة: ركب السطان إلى الميدان سبتين، ولم يركب السبت الثالث لغرق الميدان بماء النيل.

وفى عشرينه: استقر مُقْبل الطيبى فى ولاية قوص، عوضا عن ابن المُزَوق وأعيد علاء الدين الطشلاقى إلى ولاية قطيا.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أقْبُغا الماردينى - نائب الوجه القبلى - فقبض عليه، وسجن فى الحديد بخزانة شمايل؛ لقبح سيرته، وعتوه على الخلق، وإسرافه فى إراقة الدماء، وأخذ الأموال، وأحيط بأمواله التى اغتصبها من أهل البلاد.

وفيه ضرب الأمير الكبير على خان بن قرمان - كاشف الوجه البحرى - ضربا

مبرحا، وأسلمه إلى حاجب الحجاب. وقدم نصارى مدينة سيس فى طلب من يقوم بأمرهم، وقد مات حاكمهم، فاختير لهم بعض الأسرى المقيمين بالكوم فيما بين جامع ابن طولون ومدينة مصر. وخلع عليه وعلى القادمين من سيس، وكتب تقليده، فأصبح خمّارا يبيع الخمر، وأمسى ملك الأرمن ينفذ حكمه فى خلق كثير.

وفى سلخه: استقر الأمير أَرْسَبُغا المنجكى ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن أَقْبُغا المارديني.

وفى ثالث شعبان: استقر بهادر طُبُج - كاشف الوجه البحرى - عوضا عن ابن قرمان.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاث أصابع من عشرين ذراعا، فعد ذلك طوفانا.

وفيه عمل الأمير جركس الخليلى طاحونا فى مركب عند بسطة المقياس، يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقا؛ فأتى الناس من كل جهة لرؤيتها، وقال فيها أدباء الزمان شعرا كثيرا.

وفيه نقل الأمير مأمور من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس، ونقل كُمُشْبُغا الحموى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، وأنعم عليه بإمرة جَنْتَمُر أخى طاز، وقبض على جَنْتَمُر وسجن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى قلعة المرقب [1]، واستقر الأمير يلو الحاجب بدمشق، فى نيابة حماة. ونقل الأمير طُرُنْطاى الكاملى من نيابة سيس إلى حجوبية دمشق، واستقر تمراز العلاى فى ولاية البهنسى، عوضا عن طاجار.

وفيه نقل عن مماليك الأسياد الذين فى خدمة الأمير الكبير برقوق، أنهم قد اتفقوا مع طائفة من مماليكه على أن يفتكوا به؛ وكبيرهم فى ذلك أيتمش الخاصكى. فعندما بلغه ذلك، بادر بالقبض على المذكور، وعلى بطا الخاصطى واستدعى من فى خدمته من مماليك الأسياد أولاد الأشرف، وقبض على سبعة عشر من أعيانهم، وسجنهم فى البرج من القلعة. وأصبح فقبض منهم على تكملة خمسة وستين، وسجنهم بخزانة شمايل، مقيدين، فهرب من بقى من مماليك الأسياد، فنودى فى القاهرة عليهم، وهدد من أخفاهم. وقبض على الأمير ألابغا العثمانى الدوادار فى تاسع عشرينه، وأخرج على إمرة بالشام. وأخرج أيضا أيضا بأميرين من العشرات منفيين. واستقر الأمير بيرم فى ولاية أشموم الرمان.

وفى يوم السبت أول شهر رمضان: نفى الأمير الكبير برقوق إلى قوص ممن قبض

---

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. انظر معجم البلدان ١٠٨/٥.

عليه ثلاثة وأربعين مملوكا، ونفى بقيتهم إلى الشام، وتتبع من اختفى منهم، فأغرق جماعة منهم فى النيل، ونفى كثيرا منهم حتى ذهبوا بأجمعهم. وخلا الجو للأمير الكبير، ورأى أنه قد أمن، فإنه لما أخذ الإمرة فى أيام الأمير أَيْنَبَك كان معه فى ضيق؛ لأن نفسه تريد منه ما لا يؤهل له.

فلما زالت دولة أَيْبَكَ، وتحكم الأمير طَشْتَمُر العلاى، لم يكن له معه كبير أمر، فما زال بَطْشَتَمر حتى أزله، وصار هو والأمير بركة يتنازعان الأمور، ولا يقدر على عمل شىء إلا بمراجعة بركة، حتى كان من أمره ما قد ذكر، فصارت مماليك الأسياد يريدون التوثب عليه وهو يداريهم جهده، حتى وثب بهم وأخذهم، فلم يبق له معاند، وصار له من المماليك الجراكسة عدد كبير جلبوا إليه من البلاد، فرقاهم إلى ما لم يخطر لهم ببال، وأنعم على جماعة منهم بإمريات.

وفيه نقل الأمير طشتمر العلاى من نيابة صفد إلى القدس بطلبه لذلك، فأقام به بطالا.

وفيه أمر الأمير الكبير بالإفراج عن المسجونين بسجن الديلم وسجن الرحبة، على الديون، فأفرج عنهم.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: جمع الأمير الكبير برقوق الأمراء والقضاة ومشايخ العلم، وأهل الدولة، والخليفة، إلى عنده بالحراقة من الإصطبل، وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان، وقلة حرمته، وأن الوقت محتاج إلى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة، ويقوم بأمور الناس، وينهض بأعباء الحروب والتدبير ونحو ذلك. فاتفقوا جميعهم معه على خلع الملك الصالح حاجى، وبعثوا فى الحال بالأمير قُطْلوبُغا الكوكاى - أمير سلاح - والأمير أَلْطُنبُغا المعلم - رأس نوبة - فقبضا على الملك الصالح من القصر، وأدخلاه إلى دور الحرم، وأخذا منه نمجاة [(١)] الملك، وعادا بها، فانقضت دولة الأتراك من مصر، وزالت دولة بنى قلاون، وصح ما أنذر به أرباب الحدثان، فقد قيل:

تمت ولايتهم بالحاء لا أحد ... من البنين يدانى الملك فى الزمن

وكذا كان، فإن آخر أولاد الناصر محمد بن قلاوون السلطان حسن بن محمد[(٢)]،

(١) النمجاة، خنصر محنى أشبه بالسيف الصغير. انظر.

(٢) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر صغيرا. كانت مدة سلطنته الثانية ست وستين وتسعة وأشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ ووليم موير ١٠١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢/٢.

وآخر من ولى من أولاد الأولاد حاجى، وعلى رأسه زالت دولتهم، وبه ختمت ملوكهم، فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الجركسى العثمانى اليلبغاوى القائم بدولة الجراكسة

أخذ من بلاد الجركس، فأبيع ببلاد القرم، ثم جلبه الخواجا فخر الدين عثمان بن مسافر إلى مصر، فاشتراه الأمير يَلْبُغا العُمَرى الخاصكى وأعتقه، وجعله من جملة مماليكه الأجلاب، وكان اسمه ألْطُنْبُغا فسماه الأمير يلبغا - برقوق - لنتوء فى عينه، ومولده فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة - تخمينا - فإنه ذكر فى سنة ثمان وتسعين أن سنه سبع وخمسون سنة. فلما قتل الأمير يَلْبُغا - وكانت واقعة الأجلاب - أخرج برقوق فيمن أخرج منهم، وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها الأمير مَنْجكَ حتى طلب الملك الأشرف شعبان اليلبغاوية، قدم مع من قدم منهم، وصار فى خدمة الأسياد، من جملة مماليكهم، إلى أن ثاروا بعد سفر الأشرف إلى الحجاز، كان ممن ثار معهم، وانتقل من الجندية إلى إمرة طبلخاناه، ثم إلى إمرة مائة، وملك الإصطبل، وعمل أمير آخور، ثم أميرا كبيرا. ومازال يدبر الأمور، والأقدار تساعده، حتى ذهب من يعانده، وتثبت دولته، ووافقه الجميع، على أن يكون سلطان البلاد.

فلما خُلع الصالح، وصلى الجماعة الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة - الموافق له آخر هتور، وسادس عشرين تشرين الثانى - خطب الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد [1] الخطبة على العادة، وبايع الأمير الكبير الأتابك على السلطنة، وقلده أمر العباد والبلاد، فأفيض فى الحال على السلطان تشريف الخلافة، وأفيض على الخليفة التشريف على العادة. وأشار شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى أن يقلب السلطان بالملك الظاهر، وقال: «هذا وقت الظهر، والظهر مأخوذ من الظهيرة والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافيا»، فتلقب بالملك

(١) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) ابن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالب مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها كانت مدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ١/ ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢،٣٨٣ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ والأعلام ٦/ ٧٨٤.

الظاهر، وركب من الحراقة بالإصطبل وطلع من باب السر إلى القصر. وعندما ركب أمطرت السماء فتفاءل الناس بذلك. ولما دخل إلى القصر، جلس على التخت، فكان طالع جلوسه برج الحوت. ونودى بالقاهرة ومصر «الدعاء للسلطان الملك الظاهر». وكتب إلى أعمال المملكة بذلك، وأن يحلف النواب والأمراء للسلطان على العادة، فسارت البرد بذلك، ودقت البشائر بقلعة الحبل عند تمام البيعة، وزينت القاهرة ومصر وعامة مدائن مصر والشام.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: قرئ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، بحضرة الخليفة والقضاة وأعيان الدولة.

وفيه خلع على الأمير أَيْتَمش البجاسى - رأس نوبة - وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى - أمير مجلس - وعلى الأمير جركس الخليلى - أمير أخور -، وخلع على الأمير سودُن الشيخونى الحاجب، واستقر نائب السلطان. وخلع على الأمير قُطْلُوبغا الكوكاى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير سودن النائب. وخلع على الأمير ألطنبغا المعلم، واستقر أمير سلاح عوضًا عن الكوكاى الحاجب. وخلع على الأمير قردم الحسنى، واستقر رأس نوبة ثانيا. وخلع على الأمير يونس النوروزى الدوادار، واستقر دوادار السلطان، عوضا عن آلابغا. وخلع على قضاة القضاة الأربع، وقضاة العسكر، ومفتين دار العدل، ومحتسبى القاهرة ومصر، وكاتب السر، والوزير، وناظر الخاص، وناظر الجيش، ووكيل بيت المال، وسائر أرباب الدولة، فكان يوما مشهودًا كثرت فيه التهانى والأفراح.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: جمع السلطان الأمراء بأجمعهم، وحلّفهم - صغيرهم وكبيرهم - على طاعته.

وفيه خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين، واستقر فى نظر خزانة الخاص، ووكالة الخاص. وخلع على الأمير بهادر المنجكى الأستادار، واستقر أستادار السلطان، بإمرة طبلخاناة، وأضيف إليه أستادارية الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسع شوال: خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل ا لله العمرى.

وفى حادى عشرينه: عرض السلطان المماليك الأشرفية، وعزل منهم خمسة، جعل لهم رواتب ليكونوا طرخان، وأرسل بقيتهم إلى الأمير سودن النائب، فعمل أصحاب

الأخباز الثقال مقدمين فى الحلقة، وباقيهم من جملة أجناد الحلقة. وطلب السلطان من المقسى أسماء من قبض بعد الأشرف العشرة آلاف، فوجد منهم قد بقى خمسمائة مملوك، فيهم أربعمائة مملوك بأيديهم إقطاعات فى الحلقة، ومائة مملوك لهم جوامك، فأمر فى يوم الإثنين سلخه، الأربعمائة أصحاب الأخباز فى الحلقة بلزوم دورهم، وأكلهم إقطاعاتهم. وقطع جوامك المائة أرباب الجوامك، وقرر عوضهم من مماليكه الذين اشتراهم ورباهم، وقال: «هؤلاء خونة قد خانوا أستاذهم الملك الأشرف، وأعانوا على قتله بشىء يسير أخذوه من المال، بعد ما عاشوا فى نعمته دهرا طويلا، فلا خير فيهم». فتلقوا قله وذله. ولقد رأيت بعض من كان من أمراء الألوف فى أيام الأشرف، وقد صار فقيرًا، يسأل الناس، وعليه ثياب صوف شبه عباءة.

وفى هذا الشهر: قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (١) من بلاد المغرب واتصل بالأمير ألطنبغا الجوبانى، وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: غضب السلطان على الوزير علم الدين عبد الوهاب الطْنساوى - ويقال له سن إبرة - وضربه، واستدعى بالأسعد أبى الفرج النصرانى - كاتب الحوائج خاناه- وأكرهه حتى أظهر الإسلام، فخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب، وكنبوش زركش، واستقر به ناظر ديوان ولده [محمد] رفيقا للأمير بهادر الأستادار.

وفى عاشره: خلع على الوزير سن إبرة خلعة الاستمرار. وخلع على الأمير منكلى الطرخانى واستقر حاجبا رابعا. وخلع على الأمير جلبان العلاى، واستقر حاجبا خامسا. و لم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب فى الدولة التركية.

وفيه استقر خير الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بالقدس. و لم يعرف قبله بالقدس قاض حنفى، واستقر موفق الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بغزة. و لم يعرف أيضا قبل ذلك بغزة قاض حنفى.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعى البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، ثم عاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر وولى فيها قضاء المالكية. توفى بالقاهرة فجأة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر» فى سبعة مجلدات. انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج ١٧ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣٠/٣.

وفيه كان بحث بين شيخ الإسلام البلقينى وبين بدر الدين بن الصاحب فى مسألة علمية، آل الأمر إلى أن كفر البلقينى ابن الصاحب، فطلبه إلى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى، وأقام رجلا يدعى عليه بأمور رتبت عليه، فجرت أحوال عقد من أجلها مجلس حضره القضاة والفقهاء، وذكر ما يدعى به عليه، فلم يثبت منه شىء بوجه شرعى، فحكم بعض القضاة بعدم كفر ابن الصاحب وبقائه على دين الإسلام.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: ركب السلطان من قلعة الجبل، ومر على قناطر السباع، حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة، وتصيد، ثم عاد من آخر النهار، وقد ركب الأمير أيتمش عن يمينه، والشيخ أكمل الدين - شيخ خانكاه شيخو - عن يساره.

وفيه استقر بدر الدين محمد بن أحمد بن مُزْهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد.

وفى هذا الشهر: ورد البريد بأن الأمير يَلْبُغا الناصرى - نائب حلب - سار بعسكر حلب إلى إلبيرة [١]، يريد تعدية الفرات، فجاءه الخبر بعصيان الأمير علاء الدين ألطنبغا السلطانى - نائب الأبلستين - وأنه لم يحلف للسلطان واستولى على قلعة درندة [٢] - المضافة إليه - وطلع إليها، وأمسك بعض أمرائها، وأطلع إليها ذخيرة وميرة، فركب العسكر الذى بالمدينة عليه، وأمسكوا رجاله، فطلب الأمان منهم، وفر من القلعة إلى الأبلستين. فكتب إليه الأمير يلبغا الناصرى، يهدده ويخيفه، فلم يرجعه إليه، ومر هاربا على وجهه إلى بلاد التتر، فعاد الأمير يلبغا المذكور إلى حلب.

وفى يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة: قبض على الأمير قُرُط - نائب الوجه البحرى - لقبح سيرته، وسوء أفعال حاشيته، وضرب بين يدى الأمير أيتمش ضربا مبرحا، ثم جلس وصودر - هو وجماعته - وفر ابنه حسين، فنودى عليه، وهدد من أخفاه. وخلع على الأمير قرابلاط الأحمدى، واستقر عوض قرط.

وفيه رسم باستقراء ولى الدين عبد الرحمن بن رشد فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن علم الدين القفصى.

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان من القلعة إلى جهة المطرية ومضى

---

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١.

(٢) هى من بلاد الثغور والعواصم خارج حدود البلاد الشامية.

إلى قناطر أبى المنجا [١]، وعاد فدخل إلى القاهرة من باب الشعرية، حتى خرج من باب زويلة [٢] وصعد القلعة، فكان يوما مشهودا، زينت فيه الأسواق وأشعلت الشموع والقناديل، فرحا برؤيته.

وفى ثانى عشرينه: خلع على محمود بن على بن أصفر عينه - أستادار الأمير سودن باق - واستقر شاد الدواوين، عوضا عن بهادر الأعسر. وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة.

وفيه ورد البريد بأن الأمير أقبغا عبد الله - نائب غزة - فر منها إلى جهة الأمير نعير.

وفيه خلع على الأمير قرقماس الطشتمرى اليلبغاوى، واستقر خازندارا كبيرا.

وفى رابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وشق مدينة مصر، وقد زينت له، حتى عدى النيل إلى بر الجيزة. ثم عاد على بولاق، إلى القلعة.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير ألطنبغا الجوبانى من الحجاز، وكان قد حج مع الركب.



مات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة الحنفية بدمشق، همام الدين - أمير غالب - ابن قوام الدين - أمير كاتب - الأتقانى، بعد عزله. وكان قد بلغ غاية فى الجهل.

ومات قاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخناى [٣] المالكى، فى يوم الخميس سادس عشر رجب، وهو معزول.

---

(١) هذا البحر أنشأه أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه أيام وزارته للخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٥٠٦هـ إشراف أبى المنجا يشيعا اليهودى الذى كان مشرفا على أعمال الرى، ولذلك عرف البحر باسم أبى المنجا. انظر الانتصار ٤٦/٥ وخطط المقريزى ١٥١/٢ وانظر تعليق النجوم الزاهرة ١٣٣/٧.

(٢) قال صاحب النجزم الزاهرة: ولما نزل جوهر القائد اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها، فزويلة بين البابين المعروفين ببابى زويلة، وهما البابان اللذان عند مسجد ابن البناء وعند الحجاررين، وهما بابا القاهرة.

وقال أيضا: وأما باب زويلة الآن فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، وكتب على باب زويلة تاريخه واسمه، وذلك فى سنة ٤٨٠هـ. انظر النجوم الزاهرة ٣٧/٤،٣٩.

(٣) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأخنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تآليف. انظر الديباج ٣٢٧، والأعلام ٥٦/٦.

ومات الصاحب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، فى سابع عشر شهر رمضان؛ وقد اتضع حاله وافتقر.

ومات علاء الدين على بن عمر بن محمد بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد - موقع الحكم - فى خامس عشرين صفر.

ومات جمال الدين محمد بن على بن يوسف، المعروف بالخطيب الأسنوى أحد خلفاء الحكم الشافعية، فى يوم الأحد عاشر ربيع الأول.

وتوفى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد الخالق، الأسيوطى الشافعى، فى يوم الأربعاء حادى ذى الحجة؛ وقد تصدر للأشغال عدة سنين.

ومات الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى الحاجب، أحد الطبلخاناه، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين زبالة الفارقانى، نائب قلعة دمشق، فى شعبان بدمشق؛ وقد أناف على السبعين.

* * *

سنة خمس وثمانين وسبعمائة

فى يوم السبت الأول المحرم: قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، فخرج الأمير سودن النائب إلى لقائه، وصعد به إلى بين يدى السلطان، فقبل له الأرض، وجلس تحت الأمير سودن النائب. ثم نزل إلى بيت أعد له فكان فى هذا عبرة، فإنه بالأمس قد كان الناصرى من جملة الأمراء الأشرفية، وبرقوق إذ ذاك من جملة مماليك الأسياد، إذا ضمه مجلس مع الناصرى قام على رجليه بين يديه، فأصبح ملكا يقبل الناصرى له الأرض، ويمتثل أمره ونهيه فسبحان مقلب الأمور.

وفى سادسه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة الاستمرار على نيابة حلب، ونزل من القلعة، وعن يمينه الأمير أيتمش، وعن يساره الأمير ألطنبغا الجوبانى، ومن ورائه سبعة جنائب من الخيول السلطانية، بسروج ذهب، وكنابيش زركش أخرجت له من الإصطبل. وكان قد حمل إليه السلطان والأمراء من أنواع التقادم ما يجل وصفه.

وفى يوم السبت ثامنه: ركب السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصرى حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة [1] وتصيد، ثم عاد من آخره.

وفى عاشره: خلع على الناصرى خلعة السفر، وتوجه من وقته إلى حلب.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، واستقر فى الوزارة بعد شدة تمنعه، وكثرة إبائه، وتشرطه عدة شروط، منها أنه لا يلبس تشريف الوزارة، فأجيب إلى كل ما سأله، ولبس خلعة من صوف كخلع القضاة، وأشار له السلطان بأن تكون يده فوق كل أيدى أهل الدولة، وأنه يستبد بالأمور من غير مشاورة، فنزل إلى داره، ولم يمكن أحدًا من الركوب معه كما جرت به العادة، ومضى كأحد الناس حتى نزل منزله، وضبط الأمور أشد ضبط. ولم يتناول من معلوم الوزراة إلا الشيء اليسير، الذى كان لا يرضاه أقل عبيد الوزراء، وأنفق فى أرباب الرواتب جاريهم من غير نقص، وملأ الأهراء [2] بالغلال، وبيت المال بالأموال، وأدار الطواحين السلطانية بجوار الأهراء بمدينة مصر، وعمل الحواصل بسائر الأصناف. ولم يمكن أحدًا

(١) والجيزة: بالزاى، من أعمال مصر: على الجانب الغربى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣٩٢/٣، وخطط المقريزى ٢٠٥/١.

(٢) مخزن للغلال. انظر ابن مماتى، قوانين الدواوين ١٩.

أن يركب معه، وصار يخرج من بيته، ويغلق بابه بيده، ويضع مفاتيحه فى كمه، ثم يركب فرسه، ويركب غلامه بغلة، ويردف خلفه الدوادار، وهو حامل الدواة تحت إبطه، ويمضى إلى القلعة، من غير أن يكون معه أحد من الكتاب، ولا الأعوان، فلا يعرفه إلا من له به معرفة. ومنع جميع أرباب الدولة أن يأتوا إلى بيته، وإنما يأتوه بقاعة الصاحب من القلعة. ورفع يد الأمير جركس الخليلى من التحدث فى الدولة، وانفرد بالكلمة فى الوزارة مع هذا الاقتصاد، ونفذت كلمته، وعظمت مهابته، حتى عند أكابر الأمراء، و لم يجد فيه عدوه سبيلا إلى الطعن عليه بوجه.

وفيه أنعم على الأمير بَهَادر المنجكى الأستادار بتقدمة الأمير قطلوبغا الكوكاى بعد موته.

وخلع على علم الدين الحزين، واستقر فى استيفاء الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله جعيص بعد موته.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: قدمت رسل السلطان أحمد بن أويس - متملك بغداد - بهدية فيها فهد وصقر وأربع بقج قماش، وتضمن كتابه أنه ملك بغداد بعد أخيه.

وفى سابع عشرة: أفرج عن الأمير قرط.

وفى سلخه: قدم البريد بأن الأمير طُغاى تَمُر القبلاوى - نائب الكرك - تنازع مع الأمير خاطر بسبب أنه كبس عربانا كانوا نزلائه، وقبض عليهم، وآل الأمر إلى اقتتالهما، فانكسر نائب الكرك من خاطر، وتخلص العربان من يده.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم الخبر بأن طائفة من الفرنج شحنوا مراكبهم، وساروا من مدينة الإسكندرية هاربين، فتبعهم المسلمون من الغد، وقاتلوهم، فقتل عدة من المسلمين، وعاد من بقى بغير طائل، فقبض الأمير بلوط النائب على من تأخر بالثغر من الفرنج، وأخذ أموالهم، فتنكر السلطان على النائب، وكتب بقدومه.

وفى سابعه: ضرب قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى عنقى رجلين، ارتدا عن الإسلام، و لم يوافقا على العودة إليه.

وفى عاشره: قدم الأمير بَلُّوط نائب الإسكندرية.

وفى حادى عشره: صُرف الشريف مرتضى عن نيابة نظر وقف الأشراف برغبته عنه، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين، أحد خلفاء الحكم.

وفي ثاني عشره: قدم الأمير بلوط تقدمة سنية.

وفي خامس عشره: ضرب قاضي المالكية عنق رجل على الردة عن الإسلام.

وفي سابع عشره: خلع على بلوط خلعة الاستمرار على نيابة الإسكندرية وتوجه إليها، وكتب بالقبض على الأمير طغاى تمر الجركتمرى، والأمير ألطنبغا السابقى، وكانا مجردين بالإسكندرية.

وفيه أخرج الأمير إياس السيفى - من العشرات - إلى دمشق، على إمرة بها. وأنعم على كل من سودن العلاى، وإينال الجركسى بإمرة طبلخاناة، وعلى حسن قجا الأسن قجاوى بإمرة عشرة. وقدم البريد بأن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب توجه منها بالعسكر فى طلب التركمان، فوافاه فى أثناء طريقه غالب تركمان الطاعة، فخلع عليهم، وسار حتى وصل دربند بغراص [(١)] وقدم طائفة من العسكر، فلقيهم التركمان وقاتلوهم، فقتل نائب بغراص، وجرح جماعة، فعاد إلى حلب. ثم قدم البريد بأن الأمير قرا محمد - حاكم الموصل - قد اتفق مع ضياء الملك بن بوز دوغان على محاربة سالم الدكرى؛ لما كان منه من قطع الطريق على حجاج الموصل وذبحهم وأخذ أموالهم، وأن الأمير يلبغا الناصرى لما بلغه ذلك سار من حلب بالعسكر إلى البيرة، وعدى الفرات فى المراكب إلى الرها، فوجد قرا محمد وضياء الملك قد ركبا فى زيادة على اثنى عشر ألف فارس على سالم، وضربا بيوته، فأخذا مالا يجد كثرة منها، قدر ثلاثين ألف حمل وكان بينهم وقعة عظيمة، قتل فيها من الفريقين خلق كثير، وفر سالم إلى جهة قلعة المسلمين، وقرا محمد فى إثره، فلم ينج إلا فى نفر قليل، فنهب عسكر قرا محمد تلك النواحى، وأفسدوا، فلم يجد سالم بدا من الترامى على الأمير يلبغا الناصرى، وكفنه فى عنقه، وعاد به إلى حلب، فكتب بتجهيزه إلى مصر.

وفي عشرينه: أخرج الأمير مقبل الرومى منفيا، وكان قد قدم من الشام، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة فلم يقبلها.

وفي نصف شهر ربيع الآخر: قدمت طائفة من الفرنج إلى الطينة [(٢)]، وأسروا منها سبعة، وقتلوا رجلا واحدا، فمروا على دمياط، وباعوا بها الأسرى السبعة.

وفيه قدم أمير أسد الكردى - أحد أمراء الألوف بحلب - فى الحديد، لشكوى بعض التجار عليه أنه أخذ له مملوكا غصبا، فحبس أياما، ثم أفرج عنه، وأخرج على إمرة بطرابلس.

---

(١) مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس. انظر معجم البلدان ١/٤٦٧

(٢) بلدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر. انظر ياقوت، معجم البلدان ٤/٥٦.

وفيه استقر الأمير تمرباى الدمرداشى فى نيابة صفد. وأنعم على الأمير أينال اليوسفى بتقدمة بدمشق.

وفيه استعفى الأمير يلو من نيابة حماة، فأعفى.

وفى تاسع عشره: قدم سالم الدّكْرى من حلب، فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بحلب.

وفيه أخذ قاع النيل فكان ثمانية أذرع سواء.

وفى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى: استقر جمال الدين محمود العجمى المحتسب، فى نظر الأوقاف كلها. واستقر الأمير قديد القلمطاوى - شاد الأوقاف - رفيقا له، وخلع عليهما، فشق ذلك على قضاة القضاة.

وفى عشرينه: قدم الخبر بأن سلام ابن التركية عملت له مبارد [(١)] فى رباب [(٢)] أحضرت له، وطلب سواسى [(٣)] خام ليفصلها له تمصانا، فبرد شبابيك البرج الذى هو مسجون فيه، وتدلى منها فى تلك السواسى وهرب، فلم يقدر عليه، فغضب السلطان على نائب الإسكندرية، وأمر بإحضاره، ثم أعفى عنه.

وفى خامس عشرينه: أنعم على دمر خان بن موسى بن قرمان، بطبلخاناة أبيه بعد موته.

وكان النيل فى أول مسرى [(٤)] على اثنى عشر ذراعا، وأربع أصابع، فزاد فى رابعه - وهو سادس عشرين جمادى الأولى - أربعين أصبعا، وفى الغد أربعة وثلاثين أصبعا، ثم زاد أربعا، فوفى ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين من سبعة ذراعا، فركب السلطان فى نهاره - وهو خامس مسرى - وفتح الخليج على العادة، ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس، وفتح الخليج سوى السلطان برقوق.

وفى هذا الشهر: اتفق بناحية برما [(٥)] من الغربية أن طائفة من مسلمة النصارى،

---

(١) جمع مبرد، وهو ما يبرد بة الحديد.

(٢) هى الجلدة التى يجمع فيها السهام.

(٣) جمعه سواس، قماش شهير يصنع فى سوسه. انظر.

(٤) شهر من الشهور القبطية، كانت الحكماء تحمد الأسفار فيه، وتحمد فيه محبة السلطان، ويتعمدون الإحسان إلى أتباعهم، ويكرهون فيه تحريك الضغائن فيها. انظر الفضائل الباهرة ١٤٢.

(٥) بليدة ذات أسواق فى كورة الغربية من أرض مصر فى طريق الإسكندرية من الفسطاط. انظر معجم البلدان ٢/٤٠٣.

صنعوا عُرسًا جمعوا فيه عدة من أرباب الملاهى، فلما صعد المؤذن ليسبح الله تعالى فى الليل على العادة، سبوه وأهانوه، ثم صعدوا إليه وأنزلوه، بعدما ضربوه فثار خطيب الجامع بهم؛ ليخلصه منهم، فأوسعوه سبا ولعنا وهموا بقتله وقتل من معه، فقدم إلى القاهرة فى طائفة، وشكوا أمرهم إلى الأمير سودن النائب، فبعث بهم إلى الأمير جركس الخليلى، من أجل أن ناحية وبرما من جملة إقطاعه، فلم يقبل قولهم، وسجن عدة منهم، فمضى من بقى منهم إلى أعيان الناس، كالبلقينى وأمثاله، وتوجه الحافظ المعتمد ناصر الدين محمد فيق إلى الخليلى، وأغلظ عليه حتى أفرج عمن سجنه، فغضب كثير من أهل برما واستغاثوا بالسلطان، فأنكر على الخليلى ما وقع منه. وبعث الأمير أبدكار الحاجب للكشف عما جرى فى برما، فتبين له قبح سيرة المسألة فحملهم معه إلى السلطان، فأمر بهم وبغرمائهم أن يتحاكموا إلى قاضى القضاة المالكية، فادعى عليهم بقوادح، وأقيمت البينات بها فسجنهم.

واتفق أن الخليلى وقع - فى شونة قصب له - نار أحرقها كلها وفيها جملة من المال، وحدث به ورم فى رجله، اشتد ألمه فلم يزل به حتى مات وذلك عقوبة له لمساعدة أهل الزندقة.

وفى أول جمادى الآخرة: قدم البريد بأن الأمير تمربادى الدمرداشى نائب صفد قدمها وأقام بها خمسة أيام، ومات فيها.وفيه استقر الأمير صنجق السيفى فى نيابة حماة، عوضا عن يلو.

وفيه قدمت رسل الفرنج.

وقدم البريد من الكرك بأن نائبها الأمير طغاى تمر، صالح الأمير خاطر حتى اطمأن له، ودخل إليه ومعه إبناه، فقبض عليهم، وذبحهم ثلاثتهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير كُمُشْبُغا الحموى فى نيابة صفد.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن وزير بيته إلى نظر الإسكندرية، واستقر جمال الدين عبد الله بن عزيز الإسكندرانى - تاجر السلطان - بها.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: اجتمع الأمير سودن النائب، وقضاة القضاة الأربع، بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وقدمت رسل مسلمة أهل برمة - وهم ستة - وضربت أعناقهم على الزندقة، ثم غسلوا وكفنوا، ودفنوا بمقابر المسلمين.

وفى يوم الإثنين أول شهر رجب: طلع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تَنْكِز -

نائب الشام - بالسلطان، ونقل له عن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد، أنه اتفق مع الأمير قُرُط بن عمر التركمانى والأمير إبراهيم بن الأمير قُطْلو أَقْتَمُر العلاى أمير جاندار، وجماعة قرط من التركمان والأكراد، وهم نحو الثمانى مائة فارس، على أن السلطان إذ نزل من القلعة إلى الميدان فى يوم السبت للعب بالكرة، وترجل الأمراء والمماليك كلهم، ومشوا فى ركاب السلطان على العادة، عند قربه من الميدان، خرجوا جميعا وقتلوا السلطان والأمراء، وأركبوا الخليفة، وصعدوا به إلى القلعة، ومكنوه من القيام بالسلطنة، فإن عارضه معارض، فر به قرط إلى الفيوم، ودعا عربان الصعيد للقيام بنصرته، وأن الخليفة قد كتب إلى بدر الدين بن سلام أن يقوم له فى البحيرة بالدعوة. فحلف السلطان ابن تنكز على صحة ما نقله، فحلف له. والتزم أنه يحاققهم على ما نقل عنهم. فبعث السلطان إلى الخليفة، وإلى قرط، وإبراهيم بن قطلو أقتمر، فأحضرهم إليه، واستدعى أيضا الأمير سودن النائب، وحدثه بما بلغه عن الخليفة وقرط وإبراهيم، فأخذ ينكر ذلك، ويستبعد وقوعه منهم، فأمر السلطان بالثلاثة، فحضروا بين يديه، وأخذ يذكر لهم ما نقل عنهم، فأنكروا إلا قرط، فإنه لما اشتد عليه السلطان، وخاف تهديده، قال: «إن الخليفة طلبنى، وقال لى هؤلاء ظلمة، وقد استولوا على هذا الأمير بغير رضائى، وأنى لم أقلد برقوق أمر السلطنة إلا غصبا، وقد أخذ أموال الناس بالباطل وطلب منى أن أقوم معه لله، وأنصر الحق، وأزيل هذه الدولة الظالمة. والتزم أنه يبطل المكوس[1] جميعها، ولا يفعل إلا الحق. فأجبته إلى ذلك، ووعدته المساعدة، وأن أجمع له ثمانى مائة فارس من الأكراد والتركمان، وأقوم بأمره». فقال السلطان للخليفة: «ما قولك فى هذا». فقال: «ليس لمقاله صحة». فسأل إبراهيم بن قطلو أقتمر عن ذلك، فقال: «ما كنت حاضرا هذا الأمر والاتفاق، لكن الخليفة استدعانى إلى بيته بجزيرة الفيل، وأخبرنى بهذا الكلام، وقال لى إن هذا مصلحة، ورغبنى فى موافقته والقيام لله تعالى، ونصرة الحق. فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم، وأخذ إبراهيم يحاققه، ويذكر له أمارات، والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فاشتد حنق السلطان، واستل السيف ليضرب به عنق الخليفة، فقام الأمير سودن النائب وحال بينه وبينه، وما زال به حتى سكن بعض غضبه. فأمر بقرط وإبراهيم أن يسمرا، واستدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة، فلم يفتوه بقتله، وقاموا عنه. فأخذ الخليفة وسجن فى موضع بالقلعة، وهو مقيد. وسمر قرط وإبراهيم، وشهرا فى القاهرة ومصر. ثم أوقفا تحت القلعة بعد العصر. فنزل الأمير أيد كار الحاجب، وسار بهما ليوسطا خارج باب المحروق من القاهرة. وابتدأ بقرط فوسطه. وقبل أن يوسط إبراهيم جاءت عدة من المماليك بأن الأمراء قد شفعوا فى إبراهيم، ففكت مساميره، وسجن بخزانة شمايل.

---

(١) المكوس هى الضرائب.

وطلب السلطان زكريا وعمر ابنى إبراهيم عم المتوكل، فوقع اختياره على عمر بن الخليفة المستعصم با لله أبى إسحاق ابراهيم بن المستمسك با لله أبى عبد ا لله محمد بن الإمام الحاكم بأمر ا لله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على إسحاق ابن على القبِّى [١]، فولاه الخلافة، وخلع عليه، فتلقب بالواثق با لله.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: قبض على حسين بن قرط، وعمر ابن أخى قرط، فسجنا بخزانة شمايل. وخلع على الأمير سَبْرج الكُمُشْبُغاوى، واستقر والى قلعة الجبل، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن طَشْتُمر المظفرى. وقبض على على ابن بدر والى أطفيح [٢] وقيد، واستعمل مع المقيدين فى نقل التراب ونحوه بالقلعة. وكتب بولاية عثمان بن قارة إمرة العرب، عوضا عن نعير بن حيار بن مهنا [٣]، وتوجه به وبالتشريف الأمير بجمان المحمدى، وقلده الإمارة. وركب هو والأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، وكبسوا نعير ابن حيار. وكانت بينهم وبينه وقعة عظيمة انهزم فيها نعير، ونهب له ما لا يوصف، فمما أخذ له ثلاثون ألف بعير. ووجد له بسط تحمل الفردة الواحدة منها على بعير، وسبى حريمه. فكان هذا أيضا من أعظم أسباب الفساد فى الدولة، ومن أكبر أسباب خراب الشام.

وفى يوم السبت سادسه: قدم البريد بخبر هذه الواقعة.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان على العادة.

وفى ثامنه: خلع على الطواشى بهادر الشهابى، واستقر مقدم المماليك، عوضا عن جوهر الصلاحى. وخلع على الأمير كمشبغا الخاصكى، واستقر رأس نوبة ثالثا بعد وفاة أيدمر من صديق. وخلع على الأمير بكلمش الطازى العلاى، واستقر رأس نوبة خامسا،

---

(١) عمر بن إبراهيم بن أحمد بن محمد العباسى، أبو حفص، الواثق با لله، من خلفاء العباسيين بمصر. وهو أخو المعتصم با لله (زكريا). ولى الخلافة بعد خلع المتوكل (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٨٥هـ. واستقام أمره فيها، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر مورد اللطافة ٩٤ وشذرات الذهب ٣٠٣/٦ وتاريخ المعتصم ٣٨٣/٢ والأعلام ٣٩/٥.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطىء النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعير: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه (سنة ٧٧٧هـ) وكان شجاعا جوادا مهيبا، إلا أنه كثير الغدر والفساد. كانت إقامته فى سلمية بسورية، ثم جىء به إلى حلب فقتل فيها، وقد نيف على السبعين. انظر الضوء اللامع ٣٠٢/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥٠ والأعلام ٣٤٤/٦.

عوضا عن بجمان المحمدى، وخلع على الأمير حسن قُجا الأسن قجاوى، واستقر شاد الشراب خاناه، عوضا عن كمشبغا الخاصكى.

وفى يوم السبت ثالث عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة.

وفى ثامن عشره: خلع على كرجى بولاية الأشمونين، عوضا عن قطلوبغا حاجى.

وفيه دار المحمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، واستجد له ثوب حرير أصفر بشمسات [١] زركش، فيها اسم السلطان، وعملت له رصافيات [٢] فضة، مطلية بذهب، فجاء أحسن ما عهد قبل ذلك. وفيه عرضت كسوة الكعبة، وقد استجد فيه أيضا أن عمل طرازها الدائر بأعلاها من قصب.

وفى يوم السبت عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالث مرة.

وفى يوم السبت سابع عشرينه: ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ونزل بالبيمارستان المنصورى، ثم ركب منه إلى القلعة.

وبلغ النداء على النيل أربع أصابع من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك حتى انتهى إلى أصابع من أحد وعشرين ذراعا، فغرقت مواضع عديدة، وتهدمت عدة دور وانتهبت، وانتدب عدة من الأمراء لسد مقاطع الماء.

وفيه قدم عدة من رجال نائب سنجار، ومن تكريت [٣] وقيصرية الروم، يسألوا أن تكون مضافة إلى مملكة مصر، فكتبت تقاليد الثلاثة، وحملت لهم التشاريف. وخرج السلطان إلى السرحة بسرياقوس على العادة فى كل سنة.

وفى أول شعبان: قدم الخبر بحركة الفرنج، فرسم بخروج اليزك إلى الساحل، فتجهزوا وساروا فى ليلة الخميس سابع عشره، فتوجه الأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى إلى ثغر رشيد، وتوجه الأمير أيدكار الحاجب إلى ثغر دمياط.

وقدم الخبر بأن سلام ابن التركية جمع عليه كثيرا من العربان، ونهب نواحى الفيوم. وقد لحق به إبراهيم بن اللبان فى زى أنه من جهة الخليفة، ولحق به أحمد بن الزعلى متولى قليوب - وقد فر من الشكوى عليه - فخرج أربعة أمراء فى طلب ابن التركية، ففر منهم إلى جهة الصعيد الأعلى، واستقر فى ولاية قليوب قُطْليجا الصفوى. واستقر أوناط اليوسفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى.

---

(١) مفردها شمسة، حلى مستدير فى شكل الشمس الصغيرة، تزين بها الثياب ونحوها، يغلب أن تكون من القصب. انظر.

(٢) حلى بارزة من الفضة زين بها المحمل. انظر.

(٣) تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات وقيل هى من كور الموصل، من سرَّ من رأى إلى تكريت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل. انظر معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٣.

وقدم البريد بخروج الأمير يلبغا الناصرى من حلب بالعسكر للقاء الفرنج، وقد وردت شوانيهم فى البحر لقصد إياس، ونزوله بالعمق لقربه من البحر. فورد عليه كتاب نائب اللاذقية بوصول الفرنج إلى بيروت، وأنهم نزلوا إلى البر، وملكوا بعض أبراجها. فأدركهم العسكر الشامى فى طائفة من رجّالة الأكراد، وقاتلوهم، فأيد الله المسلمين، حتى قتلوا من الفرنج نحو خمسمائة رجل، وانهزم باقيهم إلى مراكبهم، وساروا، وعادت العساكر إلى الشام.

وأن الأمير يلبغا الناصرى ألقى الفتنة بين التركمان الأجقية والقنقية، فرمى طائفة القنقية على الأخرى، وكتب إليهم بالنزول على باب الملك مفتتح البلاد السيسية حيث مقام الأجقية لإيقاع سيف الفتنة بينهم.

وفيه استقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين أبى العباس أحمد بن أبى العز.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رمضان: حضر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الخاص، الخدمة على العادة، وقد اجتمع نساؤه فى داره لفرح عندهم، وعليهن من اللؤلؤ والجوهر والذهب وثياب الحرير ما تجل قيمته، والخمور بينهن دائرة، والمغانى تغنيهن، فنزل الأمير قُرْقُماس الخازندار، والأمير بهاء الدين بهادر الأستادار، وأحاطا بداره، وأخذ النساء والغلمان، وحملا جميع ما فى الدار، فبلغت قيمته زيادة على مائتى ألف دينار، وقبض على ابن البقرى بالقصر، وعمل فى الحديد، وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، ولا علم له بما كان فى داره.

وخلع على الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان بنظر الخاص، فاستعفى من ذلك وقال: «هذه خلعة الاستمرار»، فلم يكلف لولايتها. وطلب موفق الدين أبو الفرج عبد الله الذى أسلم، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص.

وفى سادس عشره: قبض الوزير على عبيد البازدار - مقدم الدولة - وأخذ منه مائة ألف درهم، وأقام عوضه محمد بن عبد الرحمن فى تقدمة الدولة، ثم جعل معه شريكا له عبد الله بن محمد بن يوسف.

وفى عشرينه: خرجت تجريدة إلى دمياط، فيها ستون مملوكا، وخرجت تجريدة إلى الإسكندرية، وإلى رشيد.

وفيه أخرجت إقطاعات المماليك الأشرفية عنهم إلى مماليك السلطان.

وفيه اشتدت عقوبة ابن البقرى بالمقارع، وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، بعد ما أخذ منه ما يقارب الثلاثمائة ألف دينار.

وفى هذا الشهر ركب السلطان للصيد عدة مرار.

وفيه كتبت أسماء الذين فى سجن القضاة على الديون، وصولح غرماؤهم عما لهم عليهم من الدين بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركس الخليلى، وأفرج عنهم.

وفيه شفع الأمراء فى الخليفة، وتقدم منهم الأمير أَيْتمش، والأمير أَلْطنبُغا الجوبانى، وقبلا الأرض، وسألا السلطان فى العفو عنه، وترفقا فى سؤاله، فعدد لهما ما أراد أن يفعله من قتله وقتلهم، فكفا عن مساءلته.

ثم سأله بعد ذلك الأمير سودن النائب فيه، فأمر بقيده، ففك عنه.

وفى يوم الأحد ثالث شوال: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد من يومه، وأمر بتتبع المماليك الأشرفية والمماليك البطالين، فأخذوا، وعملوا فى الحديد، ونفوا من مصر.

وفى ثانى عشره: عدى السلطان النيل إلى الجيزة وتصيد، ثم عاد إلى مخيمه تحت الأهرام، فمر على خيمة الأمير قُطْلو أقتمر أمير جاندار فوقف عليها، وخرج إليه قطلو أقتمر وقبل له الأرض، وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها، فقبل الأرض ثانيا، وسأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله وقبلها. وتوجه السلطان إلى مخيمه، واستدعى فى الحال بإبراهيم بن قطلو أقتمر من خزانة شمايل، وخلع عليه، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأعطاه ثلاثة أروس أخر، وهى التى قدمها أبوه، وأذن له أن يمشى فى الخدمة، ووعده برزق، وأرسله إلى أبيه، فسر به سرورا كبيرا وكان فى هذه المدة لم يحدث السلطان، ولا أحدا من الأمراء فى أمر ولده، فأتاه الله بالفرج من حيث لا يحتسب.

ورحل السلطان إلى سسرحة بالبحيرة على العادة، وعاد فى يوم الخميس سادس ذى القعدة إلى القلعة. وخلع على قاضى العسكر بدر الدين محمد بن البلقينى الشافعى، وشمس الدين محمد القرمى الحنفى.

وفى يوم السبت ثامنه: جمع السلطان القضاة، واشترى الأمير أيْتمش البجاسى من ورثة الأمير جَرجى نائب حلب بحكم أن جرجى لما مات لم يكن أيتمش البجاسى ممن أعتقه، بل كان فى رقه، فأخذه بعد جرجى بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق

صحيح، فلم يصادف عتقه محلا، وأثبتوا ذلك على القضاة. فلما اشتراه السلطان منهم بمائة ألف درهم أعتقه وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة، وبناحية سفط رشين[١] ثم خلع على القضاة والموقعين الذين أسجلوا قضية البيع والعتق.

وفى تاسعه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فدخل من باب الفتوح وشق القاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى القلعة.

وفى عاشره: خلع على كاتب السر أوحد الدين لقراءته عتاقة الأمير أيتمش الظاهرى. وخلع على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطبى، واستقر فى نظر وقف الأشراف، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فخرج من حينئذ نظر الأشراف عن القضاة، و لم يعد إليهم. وأنعم على الأمير ألطنبغا السلطانى بإمرة طبلخاناة.

وفى سابع عشره: ضرب ابن البقرى بين يدى السلطان ضربا مبرحا.

وفيه خلع على المحتسب جمال الدين محمود العجمى خلعة الاستمرار، وقد أرجف بعزله.

وفيه كتب باستقرار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، فى قضاء القضاة بدمشق، بعد وفاة ولى الدين عبد الله بن أبى البقاء، وحمل إليه تقليده وتشريفه فلم يقبل، فخوف عاقبة ذلك، فأجاب وتوجه من القدس إلى دمشق.

وفى يوم الثلاثاء تاسع ذى الحجة: أفرج عن الخليفة المتوكل، ونقل من سجنه بالبرج إلى دار بالقلعة، وطلع إليه عياله.

وفيه قدم البريد بمحاربة التركمان. وكان من خبر ذلك أنه كتب بتجريد عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب ونواب الثغور وتركمان الطاعة وأكرادها، إلى جهة التركمان العصاة بالبلاد السيسية، كالصارم بن رمضان نائب أدنه وبنى أوزر، وابن برناص من طائفة الأجقية لمقاتلتهم على تعديهم طريقهم، وقطعهم الطرقات، ونهبهم حجاج الروم، ولاتفاقهم مع الأمير علاء الدين على بك بن قرمان - صاحب لارندة[٢] على اقتلاع بلاد سيس، فتأهبت العساكر لذلك ووافت حلب، فتقدمها الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، وركب من حلب فى ثانى ذى القعدة يريد العمق، وكتب إلى بنى أوزر وبقية التركمان العصاة، ينذرهم، ويحذرهم التخلف عن الحضور إلى الطاعة،

---

(١) من القرى القديمة فى مركز ببا.

(٢) المقصود بها قلعة درندة، وقد تقدم ذكرها.

ويخوفهم بأس العساكر، وإنهم إن أذعنوا وأطاعوا كانوا آمنين على أنفسهم وأموالهم، ومن تخلف كان غنيمة للعساكر. وسار حتى نزل تحت عقبة بغراس، فعرض العساكر، وترك الثقل وتوجه مخفا، وجاوز عقبة بغراس، وترك بها نائبى عين تاب وبغراس بخيالتهما ورجالهما، حفظا للدربند، إلى أن تصل العساكر الشامية. وجد السير إلى أن نزل باب إسكندرونه بجانب البحر، وأراح الخليل يسيرا. وقدم أمامه من أمراء الألوف بحلب دمرداش وكَشْلى ليملكا جسر المصيصة [١] قبل أن يفطن التركمان بوصول العساكر فيقطعونه ولا يمكن جوازه إلا بعد تعب زايد. ثم ركب فى الثلث الأول من ليلة الأحد خامس عشره وسار مجدا، فوصل المصيصة عصر نهار الأحد، فوجد الأميرين قد ملكا الجسر بعد أن هدم التركمان بعضه، وقطعوا منه جانبا لا يمنع الاجتياز، وتوقدت بينهم نار الحرب. وعدت العساكر نهر جاهان [٢] إلى جانب بلاد سيس، واقتفوا آثار من كان بالمصيصة من التركمان فأدركوا بعض البيوت، فانتهبوها، فتعلق الرجال بشعف الحبال، ثم حضرت قصاد التركمان – على اختلاف طوائفهم – يسألون الأمان، فأجاب الأمير يلبغا الناصرى سؤالهم، وكتب لهم أمانا. ولما أحس الصارم بن رمضان بالعساكر، ترك أذنة[٣] وفر إلى الجبال التى لا تسلك. ووصلت الأطلاب والثقل إلى المصيصة فى سابع عشره، فقدم من الغد ثامن عشره قاصد الأمير طَشْبُغا العزى – نائب سيس – بخبر وصول ابن رمضان إلى أطراف البلاد السيسية، وأنه ركب فى أثره ومعه طائفة من التركمان القرمانيين، فأدركوا بيوته، فانتهبوها، وأمسكوا أولاده وحريمه، ونجا بنفسه، ولحق بالتركمان البياضية مستجيرا بهم، فأجمعت الآراء على التوجه بالعساكر إلى جهتهم وإمساكه. فقدم الخبر من نائب سيس فى آخر النهار بأنه استمر فى طلب ابن رمضان إلى أن أدركه وأمسكه، وأمسك معه أخاه قرا محمد وأولاده وأمه وجماعته وعاد إلى سيس، فسرت العساكر بذلك سرورا زائدا.

---

(١) المصيصة: من الثغور بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفربيا، وجيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥،١٤٥، والروض المعطار ٥٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٥، والكرخى ٤٧، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

(٢) نهر جاهان تقع عليه المصيصة، وتقع عليه طرسوسوس وأذنة على التوالى.

(٣) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلاً بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهى على نهر جيحان وليس المسلمين عليه إلا أذنة هذه بين طرسوس والمصيصة، ومن أذنة إلى طرسوس اثنا عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ١٣٢/١،١٣٣، والروض المعطار ٢٠.

ورحلت فى تاسع عشره تريد سيس، وأحاطت بطائفة من التراكمين اليراكية، فانتهبت كثيرا من خيل ومتاع وأثاث ثم أمنوهم بسؤالهم ذلك وتفرقت جموع التركمان بالجبال ومرت العساكر إلى جهة سيس. وأحضر ابن رمضان، وأخوه قرا محمد، ومن أمسك معهما، فوسطوا، وعاد العسكر يريد المصيصة. وركب الأمير يلبغا الناصرى بعسكر حلب، وسلبهم جبلا يسمى صاروجا شام، وهو مكان ضيق حرج وعر، به جبال شوامخ وأودية عظام، مغلقة بالأشجار والمياه والأوحال، وبه دربندات خطره، لا يكاد الراجل يسلكه، فكيف بالفارس وفرسه الموقرين حملا باللبوس؟ وإذا هم بطائفة من التركمان اليراكرية، فجرى بينهم القتال الشديد. فقتل بين الفريقين جماعة، وفقد الأمير يلبغا الناصرى، وجماعة من أمراء حلب، وإذا بهم قد تاهوا فى تلك الأودية. ثم تراجع الناس وقد فقد منهم طائفة. وداخل العسكر رعب شديد، وخوف كاد يذهب منه أرواحهم. ووصلهم الخبر بأن التركمان قد أحاطوا بدربند باب الملك، فالتجأوا إلى مدينة إياس. ثم قدم يلبغا الناصرى إلى إياس بعد انقطاع خبره، فتباشروا بقدومه، وأقاموا عليها أياما، ثم رحلوا، فلقيهم التركمان فى جمع كبير. فكانت بينهم وقعة لم يمر لهم مثلها. قتل فيها خلق كثير، وانجلت عن كسرة التركمان بعد ما أبلى فيها الناصرى بلاء عظيما. وارتحل العسكر يوم عيد الأضحى إلى جهة بإياس، فما ضربت خيامهم بها حتى أحاط بهم التركمان وأنفذوا فرقة منهم إلى باب الملك، فوقفوا على دربنده ومنعوا عنهم الميرة، فعزت الأقوات عند العسكر، وجاعت الخيول، وكثر الخوف وأشرفوا على الهلاك، إلا أن الله تداركهم بخفى لطفه، فقدم عليهم الخبر بوصول الأمير سودن المظفرى - حاجب الحجاب بحلب - فى عدة من الأمراء. وقد استخدم من أهل حلب ألف راجل من شبان بانقوسا، ودفعوا إليهم مائة درهم كل واحد. وخرج العلماء والصلحاء وغالب الناس، وقد بلغهم ما نزل بالعسكر. ونودى بالنفير العام، فتبعهم كثير من الرجالة والخيالة، والأكراد ببلد القصير والجبل الأقرع وغيره من أعمال حلب. فقام بمؤنتهم الحاجب ومن معه من الأمراء، وهجموا على باب الملك، فملكوه وقتلوا طائفة ممن كان به من التركمان، وهزموا بقيتهم. ففرح العسكر بذلك فرحا كبيرا، وساروا إلى باب الملك حتى جاوزوا دربنده ونزلوا بغراس [١]، ثم رحلوا إلى أنطاكية وقدموا حلب. فكانت سفرة شديدة المشقة، بلوا فيها من كثرة تتابع الأمطار الغزيرة، وتوالى هبوب الرياح العاصفة، وكثرة الخوف، ومقاساة آلام الجوع، ما لا يمكن وصفه.

---

(١) مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الشريف سعد بن أبى الغيث الحسنى - الذى كان أمير ينبع [١] - نزل على الحاج المغاربة، بوادى العقى[٢]، وسألهم أن يعطوه شيئا، فأمسكوه وربطوا كتفيه، وأخذوا فرسه، وأخذوه معهم ماشيا، فأتاهم كثير من عربه وقاتلوهم، فقتل من المغاربة عدد كثير، وأفلت منهم سعد، فأدركهم حجاج التكرور وقاتلوهم، فقتل كثير من التكرور، وأخذت أموالهم وأموال من كان معهم من الصعايدة وغيرهم. وأن حاج العراق أخبروا بأن حاج شيراز[٣] والبصرة والحسا[٤] خرج عليهم قريش ابن أخى زامل فى ثمانية آلاف نفس، فأخذوا ما معهم من اللؤلؤ وغيره - وكان شيئا له مبلغ عظيم - وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا. فرد من بقى منهم ماشيًا عاريًا، وقدم بعضهم إلى مكة كذلك صحبة حاج بغداد. وأن ركب العراق جبى منهم عشرون ألف دينارا عراقية، حسابا عن كل جمل خمسة دنانير، حتى أمكنهم التوجه إلى مكة. وأن حاج اليمن تعذر حجهم لفتنة باليمن، شغل فيها سلطانهم عن تجهيز المحمل.

وفى هذه السنة: كثر الرخاء بالقاهرة، وأبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرطال بثمانية دراهم، ولحم البقر كل رطل بنصف درهم، والقمح كل أردب من ثمانية دراهم إلى خمسة عشر درهما، والشعير من ستة دراهم الأردب إلى ثمانية دراهم.

وفى هذا الشهر: استقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن الشهاب أحمد بن عمر بن أبى الرضا. ثم بعد قليل أعيد ابن أبى الرضا.

وفيها ولى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن غضبة بن حازم بن فضل بن ربيعة، إمرة آل فضل، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن نعير بن حيار بن مهنا.

وفيها أنشئ حوض للسبيل عند باب المعلا بمكة، باسم السلطان. ووصل الماء إلى القدس من قناة العروب، بعد عمارتها بأمر السلطان.

---

(١) من أرض تهامة، بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٥. ، والروض المعطار ٦٢١. ورحلة الناصرى ٢١٦.

(٢) يوجد بناحية المدينة المنورة. انظر معجم البلدان ١٧٢/٥.

(٣) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وتفسير شيراز: جوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣، والروض المعطار ٣٥١، ٣٥٢، ونزهة المشتاق ١٢٥.

(٤) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢.

وفيها قتل محمد بن مكى [1] كبير الرافضة بدمشق، لتظاهره بزى النصرية، ضربت عنقه تحت القلعة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مخلوف بن مر بن فضل الله بن سعد بن ساعد، المعروف بالأعرج السعدى رحمه الله.

ومات الأمير أرغون دوادار الأمير طَشْتَمُر أحد الطبلخاناة.

ومات الأمير أَيْدَمَر الخطابى من صديق، وهو مجرد بالإسكندرية.

ومات الأمير بلاط السيفى الصغير، أمير سلاح، وهو بطرابلس، فى جمادى الأولى.

ومات الأمير تمرباى نائب صفد، فى جمادى الأولى، بها.

ومات علم الدين سليمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن أبى الفتح بن هاشم العسقلانى، أحد أعيان الفقهاء الحنابلة، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة. ومات قاضى قضاة دمشق ولى الدين عبد الله ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على تمام السبكى [2] الشافعى بها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أيبك الفافا، أحد العشرات.

ومات شرف الدين موسى بن البدر محمد بن محمد بن الشهاب محمود الحلبى، أحد موقعى الدست، بمدينة الرملة عائدا من القاهرة إلى دمشق فى رابع عشرين صفر عن ثلاث وأربعين سنة. ومن شعره:

يا طيف دونك ناظرى خذ نوره إن جئت زائر

---

(١) محمد بن مكى بن محمد بن حامد العاملى النبطى الجزينى، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول: فقيه إمامى أصله من النبطية سكن جزين بلبنان. ورحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين وأخذ من علمائها واتهم بانحلال العقيدة. سجن فى قلعة دمشق سنة ثم ضربت عنقه. انظر شهداء الفضيلة ودار الكتب ٥٧٣/١ والأعلام ١٠٩/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

يـا طيـف دونـك نـاظرى خـذ نـوره إن جئـت زائـر

أخشـى عليـك لشقـوتـى مـن أن تعـثر فـى المحـابـر

ومات الأمير شرف الدين موسى بن دينار بن قرمان، أحد الطبلخاناة فى ليلة الأربعاء عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قُطْلوبغا الكوكاى، أحد أمراء الألوف، فى سادس المحرم.

ومات مستوفى المرتجع أمين الدين عبد الله بن جعيص الأسلمى، فى ثالث عشر المحرم.

ومات الشيخ نهار المجذوب المغربى بالإسكندرية وكان يتحدث بالمغيبات، وله كرامات.

* * *

سنة ست وثمانين وسبعمائة

في يوم الخميس ثاني المحرم: استقر طَشْتَمُر السيفى فى ولاية دمياط، عوضا عن الأمير قطلوبغا أبو درقة.

وفى ثامن عشره: استقر أبو درقة فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية، عوضا عن محمد بن قرابُغا.

وفى عشرينه: قدم محمل الحاج.

وفيه رسم برمى الإقامات بالصعيد، لسفر السلطان.

وفى حادى عشرينه: رسم بعمارة برجى ثغر دمياط، وعمارة جسر السبيل البنهاوى.

وفيه قدم البريد بأن السيل هجم على دمشق، وخرب بها عدة دور، فلم يعهد بها سيل مثله.

وفى يوم السبت ثالث صفر: قبض على الأمير يَلْبُغَا الصغير الخازندار، وسبعة من المماليك، وشيء بهم أنهم قصدوا الفتك بالسلطان، وضربوا ثم نفوا إلى الشام.

وفى خامس عشرينه: درّس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر، عوضا عن علم الدين سليمان البساطى بعد موته، وحضر معه بها الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى، والأمير يونس الدوادار، وقضاة القضاة والأعيان.

وفى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول: قدم الأمير بَيْدمُر الخوارزمى نائب الشام، فجلس بدار العدل فوق الأمير سودن النائب.

وفى ثالث عشره خُلع عليه وقيد له من الإصطبل ثمانية جنائب من الخيل، بقماش ذهب، جرها الأوجاقية خلفه.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: كان عقد السلطان على فاطمة ابنة الأمير مَنْجك اليوسفى وقبل النكاح كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد، وخلع عليه وعلى ناظر الخاص، وقضاة القضاة الأربع، وموقعى الحكم

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى أمير مجلس، وقد مرض.

وفيه طلع الأمير بَيْدمُر نائب الشام بتقدمة جليلة، تشتمل على عشرين مملوكًا منتخبة، وثلاثة وثلاثين حمالا عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف والفرو بأنواعه، وثلاثة عشر كلبًا سلوقيا، وثمانية عشر فرسا عليها جلال (١) الحرير، وخمسين فحلا، واثنين وثلاثين حجرة (٢)، ومائة أكديش (٣) لتتمة مائتى فرس، وثمانى قطر هجن بقماش ذهب، وخمسة وعشرين قنطارا من الهُجن بُعبى، وبكيران ساذجة، وأربعة قطر جمال بخاتى، لكل جمل منها سنمان وثمانين جملا عرايا. وباسم ولد السلطان سيدى محمد عشرين فرسا وخمس عشرة حمَّالا ثيابا وغيرها.

وفى عشرينه: خلع عليه خلعة السفر، وتوجه إلى محل ولايته.

وفى رابع عشرينه: أذن السلطان لنواب القاضى الحنفى أن يستمروا على حكمهم، بعد موت قاضيهم صدر الدين بن منصور.

وفى خامس عشرينه: نزل السلطان لعيادة الجوبانى مرة ثانية، ففرش له الجوبانى شقاق الحرير السكندرى، وشقاق الحرير الشامى، وشقاق نخ من باب اصطبله إلى حيث هو مضجع، فمشى عليها بفرسه، ثم بقدميه، ونثرت عليه الدنانير والدراهم، وقدّم له الجوبانى جميع ما عنده من الخيل والمماليك، فلم يرزأه شيئا منها.

وفى يوم الأحد سلخه: حمل جهاز فاطمة ابنة الأمير منجك - زوجة السلطان - إلى القلعة، وقيمته مائة ألف مثقال ذهبا، يحمله ثلاثمائة حمال، وعشرة أطباق مملوءة زركش، وسبعون بغلاً. والأمير أيدكار الحاجب ماش أمام الجهاز، هو والأمير بهادر الأستدار. والأمير قُرْدُم الحسى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار، والأمير قرقماس الخازندار، فكان يوما مشهودًا.

وفى ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر: بنى عليها السلطان.

وفى سابعه: قدم البرهان إبراهيم الدمياطى من الحبشة، وخلع عليه.

وفى تاسعه: قدم الخبر بنزول مركبين من مراكب الفرنج على رشيد، فخرج الأمير يونس الدوادار، والأمير ألطنبغا المعلم، فلم يدركوهم.

وفى ثامن عشره: ركب الأمير ألطنبغا الجوبانى إلى الخدمة السلطانية، وقد عوفى مما كان به.

---

(١) الجل ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) الأنثى من الخيل.

(٣) الحصان غير الأصيل المستخدم فى حمل الأثقال.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: استدعى شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى - أحد نواب الحكم الحنفية - وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين محمد بن منصور بعد وفاته.

وقد شغر منصب القضاة بعد موته أحدا وأربعين يوما، وسعى فيه غير واحد، فلم يتهيأ إلا للطرابلسى بسفارة أوحد الدين كاتب السر.

وفى سادس عشرينه: توفى للسلطان ولد ذكر، فدفن بتربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر.

وفى تاسع عشرينه: نزل السلطان لزيارة قبره، وعبر من باب النصر، فمرّ فى القاهرة وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى: قرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى بالمدرسة الناصرية، بين القصرين على العادة، وحضره القضاة والأعيان، وتكلم على قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله**﴾ (١)، الآية.

وفى ثالث عشره: غضب السلطان على ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد الشافعى، بسبب إقطاع زامل أمير آل فضل، وقد رادَّه فيه، فضربه بالدواة، ثم أمر به، فضرب بين يديه، نحو ثلاثمائة ضربة بالعصى. وكان ترفا، فحمل فى محفة إلى داره بالقاهرة، فلزم الفراش حتى مات ليلة الخميس سادس عشره.

وفى خامس عشره: قدم الأمير جمال الدين عبد الله بن بكْتَمُر الحاجب من سفره، وهو مريض فى محفة، فمات من يومه. وأنعم بإقطاعه على الأمير بورى، صهر الأمير أيتمش الأتابك.

وفى يوم الخميس سادس عشره: خلع على ناظر الخاص موفق الدين أبى الفرج الأسلمى، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين، مضافا إلى نظر الخاص، ونظر الذخيرة، واستيفاء الصحبة.

وفيه أخرج الشريف بَكْتَمُر الوالى منفيا إلى الشام، وأنعم بإمرته على الأمير ناصر.

وفى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة: عزلا قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن خير المالكى، من أجل أنه حكم فى قضية خطّأه فيها فقهاء المالكية.

---

(١) سورة النساء آية [١٣٥].

وكان قاع النيل فى هذه السنة ثمانية أذرع وأربع أصابع، وزاد على العادة حتى كان الوفاء في يوم الخميس ثامنه، ورابع مسرى. فركب السلطان إلى المقياس حتى خُلّق بين يديه، ثم فتح الخليج بحضرته على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: صلى الشيخ أكمل الدين صلاة الجمعة مع السلطان بقلعة الجبل، وترضاه. وذلك أنه كان عزل مدرس المالكية شمس الدين محمد الركراكى المغربى من تدريس الشيخونية، فبعث السلطان إليه عدة من الأمراء ليعيدوا الركراكى ، فلم يقبل شفاعته، فتغيظ عليه بسبب ذلك، فصمم على منع الركراكى، وترضى السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: استدعى شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون إلى قلعة الجبل، وعرض عليه السلطان ولاية قضاء المالكية، وخلع عليه، ولقب ولى الدين. فاستقر قاضى القضاة المالكية، عوضًا عن جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وذلك بسفارة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس، وقرئ فى المدرسة الناصرية بين القصرين على العادة، وتكلم على قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾ (١) الآية وفى تاسع عشرينه ولّى الشيخ أكمل الدين تدريس المالكية بخانكاة شيخو، تاج الدين بهرام، عوضا عن شمس الدين الركراكى، وحضر معه الدرس بها قضاة القضاة والفقهاء.

وفى آخره ركب الأمير سودن بن النائب، ومعه قضاة القضاة إلى الكنيسة المعلقة بقصر الشمع من مدينة مصر الفسطاط، وكشفها، وهدم ما استجده النصارى بها من البناء.

وفى يوم السبت تاسع رجب: - ورابع أيام النسىء - ركب السلطان إلى الميدان للعب بالكرة مع الأمراء على العادة فى كل سنة.

وفيه قدم عليه رسل التركمان، فعفا عنهم. وكان من خبرهم أن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب بلغه أن التركمان الأجقية والبوزقية استولوا على مدينة مرعش واقتلعوها، وكسروا تركمان الطاعة المقيمين بها. فركب فى أوائل ربيع الآخر بفرقة من العسكر، ونزل مرعش، وقتل عدة من المذكورين، وجرح كثيرا، وهزم باقيهم إلى الجبال، فأخذ أموالهم، وحرق بيوتهم، وأقام بمرعش أياما، فأتاه الخبر بأن خليل ابن دلغادر - عدو

---

(١) سورة الأحزاب آية [٧٢].

الدولة - اتفق مع القاضى إبراهيم حاكم سيواس وأرزنجان [١] ومع التتار، وسار بهم إلى أطراف بلاد درندة دوركى [٢]، فنهبوا وعاثوا، فركب من مرعش، وسار إلى أبلستين، وبعث كشافته فى طلب القوم، فإذا بهم قد تفرقوا، فأقام عليها أياما - على نهر جاهان - ثم رحل يريد ابن دلغادر. وقد بلغه نزوله بالقرب من سيواس، فبلغه ذلك، ففر، وعاد الناصرى. ثم سار إلى رأس العين من عمل ماردين، ثم عاد إلى حران فى طلب التركمان، فأقام عليها أياما ثم عاد.

وفى أثناء شهر رجب: استبدل السلطان خان الزكاة من ورثة الناصر محمد بن قلاوون، بقطعة أرض، وأقام الأمير جركس الخليلى أمير آخور على عمارة موضعه مدرسة، فابتدى بهدمه فى يوم الأحد رابع عشرينه.

وفى آخره: عزل السلطان قضاة حلب الأربع، وأعيد محب الدين محمد بن الشحنة إلى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن الجمال إبراهيم بن العديم.

واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية، عوضا عن أبى يزيد عبد الرحمن بن رشد.

واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن قاضى القضاة شرف الدين أبى البركات موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسى الصالحى فى قضاء الحنابلة بها، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض.

واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين بن أبى حفص عمر بن نجم الدين بن أبى عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن أبى الطيب الدمشقى فى كتابة السر بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى قضاة المالكية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى اللخمى الأندلسى.

وأعاد علم الدين القفصى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان إبراهيم الشاذلى.

وفى يوم الإثنين ثانى شعبان: مات تحت الهدم بخان الزكاة جماعة من الفعلة.

وفى خامسه: ركب السلطان إلى عمارته، فدخل من باب النصر، وخرج من باب زويلة، فدخل إلى بيت الأمير الأتابك أيتمش، وعاد إلى القلعة.

---

(١) هى بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قريبة من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) من بلاد الروم وهى من مضافات حلب.

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كل سنة، ونزل بالقصور.

وفى يوم السبت رابع عشره ورابع بابة: ابتدأ نقص ماء النيل، وقد بلغت زيادته إلى عشر أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سادس عشره: ضُرب بهادُر كاشف الوجه البحرى بالمقارع ستين شيبا، ثم خلع عليه، واستمر على الكشف.

وفى ثالث عشرينه: عاد السلطان من السرحة. للقبض على سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وألزم بمال، وقبض على نسائه، فدلت امرأته على موضع أخذ منه سبعة آلاف درهم فضة ومائتا دينار.

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: ركب السلطان وشق القاهرة.

وفى حادى عشره: خلع على تمرباى الحسنى نائب أبلستين، وعلى دمرداش القشْتَمُرى نائب الكرك، وعلى أيدمر الشمسى أبو زلطة، نائب الوجه القبلى، وعلى ابن رمضان التركمانى نائب البيرة. وحملت خلعة لأركماس حاجب طرابلس بنيابة صفد، وخلعة لطغاى تمر القبلاوى بنيابة سيس. وخلع على الشريف سعد بن أبى الغيث، واستقر شريكا لابن عمه محمد بن مسعود فى إمارة ينبع.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: نزل السلطان لعيادة الشيخ أكمل الدين فى مرضه، ثم نزل حتى يصلى عليه فى يوم الخميس ثامن عشره. وظهر أنه أغمى عليه و لم يمت، فعاد السلطان. فلما كان يوم الخميس تاسع عشره نزل السلطان حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة، ومشى على قدميه إلى الخانكاة الشيخونية مع الناس فى الجنازة، بعدما أراد أن يحمل النعش، فحمله الأمراء عنه، وما زال على القبر حتى دفن، ثم عاد إلى القلعة.

وفيه خلع على بكْتَمُر الطرخانى، واستقر فى ولاية الأشمونين، عوضا عن كَرْجى.

وفيه عُزل البرهان إبراهيم الدمياطى رسول الحبشة بالحبس من أجل أنه قال: «لا رحم الله أكمل الدين فإن موته فتح».

وفى ثانى عشرينه: عدَّى السلطان إلى بر الجيزة للصيد، وعاد من يومه.

وفى سابع عشرينه: خلع على عز الدين يوسف بن محمود الرازى العجمى [1] الأصم، واستقر فى مشيخة خانكاه شيخو، عوضا عن أكمل الدين بعد وفاته وخلع على الشرف الأشقر - واسمه عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل ابن نوح الكرادى العجمى الحنفى - إمام السلطان، واستقر فى مشيخة خانكاه بيبرس، عوضا عن الرازى واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية، عوضا عن الرازى، وأعيد الركراكى إلى تدريس المالكية بخانكاه شيخو، عوضا عن بهرام، واستقر أوحد الدين عبد الواحد كاتب السر محدثا فى نظر خانكاه شيخو، بعد أكمل الدين، بحكم أن النظر له لرأس نوبة، بشرط الواقف.

وفى ثامن عشرينه: عدى السلطان النيل إلى الجيزة، فتصيد وعاد من يومه.

واستقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر بن أبى الرضا.

وقدم كبيش بن الشريف عجلان بالقود من جهة أخيه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة على العادة فى كل سنة.

وفيه استقر شهاب الدين أحمد بن ظُهيرة فى قضاء مكة، عوضا عن كمال الدين أبى الفضل محمد النويرى بعد وفاته، بعناية أوحد الدين كاتب السر، وحُمل إليه تقليده وتشريفه.

وقدمت هدية متملك قيصرية الروم.

وفى يوم السبت سادس شوال: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، يريد سرحة البحيرة على العادة كل سنة.

وفى حادى عشره: قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، فعدى إلى السلطان.

وفى رابع عشره: خرج محمل الحاج على العادة فى كل سنة، صحبة الأمير بهادُر الجمالى المشرف.

---

(١) يوسف بن محمود بن محمد جمال الدين الرازى الظهرانى: فقيه حنفى كان شيخ خانكاه الشيخونية بالقاهرة له «كشف الحقائق» فى شرح الكنز، اختصر من شرح الزيلعى، وفرغ منه بالقاهرة سنة ٧٧٣. انظر الزيتونة ٤/٢١٠ ودار الكتب ٤٥٧/١ والأزهرية ٢٤٣/٢ وهدية ٢/ ٥٥٨ والأعلام ٢٥٣/٨.

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة: قدم السلطان من سرحة البحيرة.

وفى خامسه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفى سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فشق القاهرة إلى القلعة.

وفى يوم الخميس ثامنه: أسست المدرسة الظاهرية موضع خان الزكاة، بخط بين القصرين من القاهرة.

وفى ثالث عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد من يومه.

وفى ليلة الأربعاء رابع عشرة: قدم الخبر بموت الأمير بهادر أمير الحاج بمنزلة عينونة[1]، فقام الأمير عبد الرحمن بن الأمير منكلى بغا الشمسى بإمرة الحاج.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير أبى بكر بن الأمير سُنْقُر الجمالى، وأنعم عليه بتقدمة عمه الأمير بهادر، واستقر أمير الحاج، فسار إلى الحجاز فى ليلة السبت سابع عشره. وأنعم على أمير عمر بن بهادر الجمالى بإمرة عشرة وهو أعمى.

وفى رابع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار بولاية الغربية، عوضا عن أمير فرج ابن أَيْدَمُر.

وفى تاسع عشرينه: خلع على على خان بولاية البحيرة.

وفى يوم الإثنين رابع ذى الحجة: نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيت بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى، وتوجه به إلى القلعة، فخلع عليه السلطان وأعاده إلى كتابة السر بعد وفاة أوحد الدين، فنزل إلى داره، ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفى حادى عشره: قدم رسل الخان طَقْتَمُش بن أزبك - متملك بلاد الدشت[2] فخرج الأمير سودن النائب، والأمير يونس الدوادار، وأنزلوهم بالميدان الكبير على النيل، ثم أحضروا إلى الخدمة بالإيوان فى يوم الإثنين ثامن عشره، ومعهم هديتهم، وهى سبعة سناقر من الطيور الجوارح، وسبع بقج قماش، وعدة مماليك. فلما قرئ كتابهم ظهر أنهم رسل متملك بلاد القرم. فقطع راتبهم وكان فى كل يوم خمسمائة رطل لحم، ورأس بقر، ورأسا من الخيل برسم الذبح، ومبلغ ألف درهم. وأخرجوا من الميدان إلى موضع بالقلعة، وخلع عليهم فى حادى عشرينه وأعيدوا.

---

(١) هى من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) قرية من قرى أصبهان فى وسط الجبال بين أربل وتبريز. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفى عشرينه: أخرج محمد بن طاجار - والى الغربية - منفيا إلى طرابلس.

وفى خامس عشرينه: أخرج محمد بن طُيُبغا الدمرداش منفيا إلى صفد، وتوجه الأمير كمشبغا الخاصكى بخلعة قرابلاط الأحمدى نائب البحيرة ليستقر فى نيابة ثغر الإسكندرية، عوضا عن بلوط الصَرْغَتمشُى. واستقر جَمُق السيفى فى ولاية البهنسا (١) والإطفيحية (٢)، عوضا عن أبى درقة.

وفى ثامن عشرينه: استجد لقرافة مصر والى بإمرة عشرة، واستقر فيها سليمان الكردى، وأخرجت عن والى مدينة مصر. و لم يعهد هذا فيما سلف.

وفى سلخه: خلع على خان بولاية البهنسى، عوضا عن جَمُق. واستقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة طرابلس، عوضا عن مأمور القلمطاوى.

وفيه أخذ بقطيا مكس ستين ألف نصفية (٣)، قدمت من بغداد، سوى الثياب البغدادية والموصلية والحموية والدمشقية، وهى أضعاف ذلك.

وفيها خُلع ملك المغرب صاحب فاس أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى(٤) ومَلَكَ فاس عوضه موسى بن أبى عنان (٥)، فى العشرين من ربيع الأول.

وأعيد الأمير نعير بن حيار إلى إمرة آل فضل، عوضًا عن الأمير فخر الدين عثمان

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة انظر معجم البلدان ٥١٦/١،٥١٧.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) النصفية جمعها نصافى قماش من نسيج الحرير والكتان.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن سالم المرينى، السلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كانت مدة دولته الأولى عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما. والثانية ست سنين وأربعة أشهر ويلقب بذى الدولتين لذلك. انظر الاستقصا ١٣٣/٢. ١٤١ وروضة النسرين ٢٤ والأعلام ٨٧/١.

(٥) موسى فارس (أبى عنان، بن على المرينى، أبو فارس، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى كان من أبناء ملوك «بنى مرين» المبعدين إلى الأندلس. تمت البيعة لموسى (سنة ٧٨٦هـ) مدة حكمه سنتان وأربعة أشهر. انظرجذوة الاقتباس ٢٩/٥ والاستقصا ٢ والأعلام ٢٣٦/٧.

ابن قارا بن مهنا. ونقل الأمير سيف الدين سودن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير يلبغا الناصرى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الفيشى ناظر المواريث، وناظر الأهرام، فى سادس رجب.

ومات الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، أمير الحاج، أحد الألوف، فى ذى القعدة بعينونة من طريق الحجاز، وبها دفن.

وتوفى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطاى البساطى المالكى، وهو معزول، فى يوم الجمعة سادس عشر صفر، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير طبج المحمدى - أحد أمراء الألوف - وقد أُخرج إلى دمشق.

وتوفى كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفى، فى يوم السبت ثانى ذى الحجة.

وتوفى ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى، الحلبى الأصل، الشافعى، فى ليلة الخميس سادس جمادى الأولى.

وتوفى الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بَكْتَمُر الحاجب - أحد الطبلخاناة - فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير علاى الدين على بن أحمد بن السايس الطَّيبرسى - أستادار خوند بركة أم الأشرف شعبان - فى سادس شوال.

ومات قاضى القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفى، وهو قاضى، فى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول. وقد أناف على ثمانين سنة، وفاق فى علم الفقه أهل زمانه.

ومات الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومى البابرتى [1] الحنفى، شيخ

(١) محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرمانى: علم بالحديث أصله من كرمان:=

الخانكاة الشيخونية، وعظيم فقهاء مصر، فى ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان. شرح الهداية فى الفقه، وكتب تفسير القرآن، وشرح تلخيص المفتاح، وأخذ عن شمس الدين الأصفهانى، وأبى حيان.

ومات قاضى مكة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن شهاب الدين أحمد بن على العقيلى النويرى المصرى بمكة، فى ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب.

ومات عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى [١]، ثم البغدادى الشافعى، شارح البخارى، فى المحرم، بطريق الحجاز، فحمل إلى بغداد، ودفن بها. ومولده فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة. قدم مصر والشام.

ومات صائم الدهر محمد بن صديق التبريزى الصوفى، فى ليلة الإثنين خامس عشر رمضان، بالقاهرة.

وأقام نيفًا وأربعين سنة، يصوم الدهر، ويفطر دائما على حمص بفلس، لا يخلطه إلا بالملح فقط، ويقسّم أوقاته كلها للعبادة، ما بين صلاة وذكر وتلاوة، ومطالعة كتب العلم. وكان شديدًا فى ذات الله.

ومات تاج الدين موسى بن أبى شاكر بن سعيد الدولة أحمد، ويعرف بمالك الرق. والد الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاكر، فى أول ذى القعدة.

ومات ناظر الخاص تاج الدين موسى بن سعد الدين أبى الفرج، عرف بابن كاتب السعدى، وهو معزول.

وتوفى الطواشى شبل الدولة كافور الهندى الزمردى الناصرى، صاحب التربة بالقرافة، فى ثامن ربيع الأول، وقد عمَّر طويلا.

=اشتهر فى بغداد، تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه «الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى» خمسة وعشرون جزءا صغيرا. مات راجعا من الحج فى طريقه إلى بغداد، ودفن فيها. انظر الدرر الكامنة ٣١٠/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ ومفتاح السعادة ١٧٠/١ والأزهرية ٥٤٥/١ والكتبخانة ٣٩٠/١ والأعلام ١٥٣/٧.

(١) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومى البابرتى: علامة بفقه الحنفية، عارف بالأدب نسبته إلى بابرتى (قرية من أعمال دجيل بغداد) أو «بابرت» التابعة لأرزن الروم - أرضروم - بتركيا. وحل إلى حلب ثم إلى القاهرة. وعرض عليه القضاء مرارا فامتنع وتوفى بمصر. من كتبه «شرح تلخيص الجامع الكبير» للخلاطى، «والعقيدة». انظر الأعلام وبدائع الزهور ٢٦١/١ والفوائد البهية ١٩٥ والنجوم الزاهرة ٣٠٢/١١ وفهرست الكتبخانة ٦٨/٣، ٢٦/٢- ٣٤ والأعلام ٤٢/٧.

ومات يحيى بن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فى ليلة الأحد سابع عشرين شوال.

ومات تاج الدين بن وزير بيته الأسلمى، ناظر الإسكندرية بها، فى ربيع الآخر.

ومات أمين الدين محمد بن على بن الحسن الأنفى، قاضى المالكية بحلب، فى شوال، وقد ناهز السبعين. ومولده سنة ثلاث عشرة وسبعمائة.

ومات الأمير سيف الدين طَشْتَمُر العلاى الدوادار. كان خيرًا محسنًا، له مشاركة فى فهم العلوم، محبًا لأهل العلم، كثير الاجتماع بهم، ويعرف الكتابة، ويحب الأدب وأهله، ولا يهمل وقتًا بغير فائدة، مع الديانة. وباشر الدوادارية فى الأيام الأشرفية، ثم نيابة الشام، ثم صار أتابك العساكر والله تعالى أرحم بهم أجمعين.

ومات الأمير مُعيقل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، أمير آل فضل، شريكا لابن عمه زامل.

* * *

سنة سبع وثمانين وسبعمائة

في يوم الإثنين ثانى المحرم: خلع على الطواشى شمس الدين صواب الشهابى شَنْكَل، واستقر نائب المماليك، عوضا عن نصر البلسى. وخلع على ناصر الدين محمد بن أبى الطيِّب، واستقر كاتب السر بحلب. واستقر الأمير سودُن المظفرى، حاجب حلب، فى نيابة حماة، عوضا عن صَنجَق، واستقر صنجق من أمراء طرابلس.

وفى ثامنه: أخرج الأمير بلُوط الصَرْغُتْمشى - نائب الإسكندرية - منفيا إلى الكرك.

وفى تاسعه: خلع على الأمير قُطْلُوبغا الأسَن قُجَاوى - الذى يقال له أبو دَرَقَة - واستقر نائب الوجه البحرى، عوضا عن قرابَلاط الأحمدى، واستقر قرابلاط فى نيابة الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: فرش الإيوان، الذى يقال له دار العدل من قلعة الجبل، ببسط جدد، كان الملك الأشرف شعبان بن حسين قد رسم بعملها بالكرك عند توجهه إلى الحج، فأهمل عملها بعد قتله، حتى عرف السلطان برقوق بها فبعث فى تجهيزها، فحملت إليه.

وفيه بسط دهليز القصر من القلعة، ورسم للأمراء ألا يدخل أحد منهم إلى القصر، ومعه من مماليكه غير مملوك واحد، وتقف مماليكهم بأسرها خارج القصر، فامتثل الأمراء ذلك، واستمر.

وفى سابع عشره: ضرب الأمير على خان والى البهنسى، وأُخذ منه عشرة آلاف درهم، وأخرج من القاهرة منفيًا.

وفى تاسع عشره: خُلع على الأمير مُبارك شاه متولى أسوان، واستقر والى البهنسى.

وفيه قدمت رسل الخان طَقْتَمُش خان بن أُزْبَك، فخرج الأمراء وأجناد الحلقة إلى لقائهم، ومثلوا بين يدى السلطان، وقدموا هديتهم.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بورود سولى بن دلغادر طائعا، فخلع على القاصد، وأنعم عليه بثلاثة آلاف درهم.

وفى نصف شهر ربيع الأول: قدم البريد من حلب بأن سولى بن دلغادر التركمانى لما قدم طائعا بعدما حلف له الأمير يلبغا الناصرى، أقام بحلب حتى ورد مرسوم

السلطان بالقبض عليه، فسجن بالقلعة من حلب، ثم رُسم بإحضاره إلى مصر، فتسلمه حاجب حلب، وأنزله إلى الميدان فهرب منه ليلاً، فركب الأمير يلبغا الناصرى فى طلبه حتى عدى الفرات، فلم يقدر عليه.

وفى خامس عشرينه: خُلع على بَيْلَيَك السيفى بولاية أشموم الرمان، عوضًا عن بَيْرم.

وفى سلخه: خُلع على محمد بن العادلى، واستقر فى ولاية أطفيح، عوضا عن قُطْلوشاه.

وفى يوم السبت ثانى ربيع الآخر: ركب السلطان، وشق القاهرة لرؤية عمارته، ودخل إلى بيت الأمير أُلْطُنْبُغا الجوبانى مسلما عليه، ثم عاد إلى القلعة.

واستقر جمال الدين بن بشارة وزير دمشق فى نظر الجيش بها، عوضًا عن ناصر الدين بن مشكور مضافا إلى الوزارة. وأعيد الأمير نُعير بن حيا بن مهنا إلى إمرة آل فضل، بعد موت عثمان بن قارا، وحمل إليه تقليده وتشريفه، وحمل إلى الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب تشريف بالاستمرار على نيابته.

وفيه اشترى السلطان تُمُربُغا الأفضلى، المعروف بمنطاش، أخو الأمير تمر باى، وأعتقه.

وفى ثامن عشره: توجهت شوانى الأمير ألطنبغا الجوبانى من ساحل مصر نحو دمياط. وقد أنشأها وشحنها بالعدد والمقاتلة ليغزو بلاد الفرنج.

وخلع على الأمير بجمان، واستقر فى نيابة الإسكندرية، بعد موت قرا بلاط الأحمدى.

وفى حادى عشرينه: أخرج جوبان العمرى -من أمراء العشرات- منفيا إلى الشام.

وفى يوم السبت سابع جمادى الأولى: خلع على جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن ولى الدين أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون.

وفى عاشره: أخذ قاع النيل، فكان ست أذرع وأربع أصابع.

وأنعم على أزدمر الشرفى بإمرة جوبان العمرى.

وفى ثانى عشرينه: قرئ تقليد ابن خير بالمدرسة الناصرية على العادة.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة: قدم الخبر بأن شوانى الأمير ألطنبغا

الجوبانى سارت من ثغر دمياط فى بحر الملح، فوجدوا مركبا فيه الفرنج الجنوية، فأخذوه وأسروا منهم خمسة وثلثين رجلا، وقتلواغ منهم جماعة.

وفى حادى عشرينه: قدمت الشوانى إلى شاطئ النيل ببولاق - خارج القاهرة - بالأسرى والغنيمة،فعرضت الأسرى من الغد على السلطان.

وفى يوم الجمعة ثالث رجب-وثامن عشر مسرى-: كان وفاء النيل ست عشر ذراعا.

وتوجه الأمير حسن قجا على البريد؛ لإحضار الأمير يلبغا الناصرى، نائب حلب.

وفى عشرينه: سار كُمُشْبغا الخاصكى على البريد، لنقل سودُن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب.

وقدم الخبر بأن أولاد الكنز هجموا على ثغر أسوان، وقتلوا معظم أهله، ونهبوا الناس، وأن الوالى فر منهم. فخلع على حسين بن قُرْط بن عمر التركمانى، واستقر فى ولاية أسوان. ورُسم أن يتوجه معه الكاشف وابن مازن.

وخلع على مُقْبل مملوك الأزقى، واستقر فى ولاية أشموم الرمان، بعد موت بيليك.

وفيه قدم الأمير يلبغا الناصرى إلى بلبيس، فقيد وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: سار الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين على البريد؛ لاستخلاص أموال الأمير يلبغا الناصرى من حلب، وحملها.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: زلزلت القاهرة مرتين، زلزالاً قليلاً.

واتفقت فى هذا الشهر حادثة يتعجب منها، وهى أن امرأة رأت فى منامها رسول الله ﷺ وهو ينهاها عن لبس الشاش وهو عصبة أحدثها النساء من نحو سنة ثمانين وسبعمائة صارت تشبه أسنمة البخت، وسمينها، الشاش، يكون أوله على جبين المرأة، وآخره عند ظهرها، فمنه ما يبلغ طوله ممتدًا نحو الذراع فى ارتفاع دون الربع ذراع فلم تنته عن لبسه؛ فرأته - ﷺ - مرة ثانية فى منامها، وهو يقول لها: «قد نهيتك عن لبس الشاش فلم تسمعى، ولبستيه ما تموتى إلا نصرانية»، فأتت بها أمها إلى شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، حتى قصت رؤياها عليه، فأمرها أن تذهب إلى كنيسة النصارى، وتصلى بها ركعات، وتسأل الله تعالى لعله يرحمها، ثم تأتيه حتى يدعو لها. فمضت بها أمها من مجلس البلقينى إلى الكنيسة، فصلت ثم خرت ميتة لوقتها، فتركتها أمها وانصرفت عنها، فدفنها النصارى عندهم. نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء.

وفيه قدم رسل متملك مدينة اصطنبول بهديته وكتابه، يتضمن أن تُمكن تجارهم من القدوم إلى بلاد مصر والشام، وأن يقام لهم قنصل بثغر الإسكندرية أسوة بغيرهم من طوائف الفرنج، فأجيب إلى ذلك.

وفى أول شهر رمضان: استرجع عن الخليفة المتوكل ناحية أبو رجْوَان.

وفى هذا الشهر: ولدت امرأة ابنة لها رأسان كاملان، على صدر واحد ويدين، ومن تحت السرة تنقسم إلى شكل نصفين، فى كل نصف رجلان كاملتان، فلم تعش.

وفي يوم الإثنين عاشر شهر مضان: ألبس السلطان المقدم عُبيد البازدار زى الأجناد من الكَلْفتاه والقباء والخف.

وفى سابع عشرينه: خلع على همام الدين عبد الواحد السيواسى العجمى، نائب الحسبة بالقاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية، ونظر أوقافها بمساعدة جمال الدين محمود العجمى المحتسب.

وفى يوم الثلاثاء عاشر شوال: عدّى السلطان النيل إلى الجيزة، وسار إلى سرحة البحيرة على العادة.

وفيه قدم مصر خُجا أخو بيرم خجا، عم قرا محمد أمير الموصل بعد بيرم خجا، برسالة ابن أخيه قرا محمد، يسأل إن دهمه عدو أن يُمكن من الانتماء إلى الدولة وعبور الشام.

وفيه رُسم بعمارة شوانى حربية، فابتدئ بعملها فى أول ذى القعدة، تجاه المقياس.

وفى يوم الخميس ثالثه: عاد السلطان من سرحة البحيرة.

وفى ثامن عشرينه: كُسفت الشمس من قبل نصف النهار إلى العصر.

وفيه حمل الأمير جركس الخليلى قمحًا كثيرًا إلى مكة والمدينة، ليعمل منه فى كل يوم بمكة خمسمائة رغيف، وبالمدينة فى كل يوم خمسمائة رغيف، تفرق فى السُّؤال ونحوهم من الفقراء. وألا يقرر منها لأحد راتبًا، بل يأخذ من حضر ولا يراعى أحد فى التفرقة، فعم النفع بها. ولم يبق بالحرمين من يسأل عن جوع.

وفى ليلة الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة: خسف القمر من آخر الليل.

وفى ثامن عشره: خلع على أمير حاج بولاية الأشمونين، عوضا عن بَكْتَمُر الشهابى.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: قبض على الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى أمير مجلس وقُيد، ثم أفرج عنه بعد أيام، وخلع عليه بنيابة الكرك، عوضا عن دمرداش القَشْتَمُرى. وتوجه إليها فى تجمل زائد كبير.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل تيمور لنك - القائم ببلاد الشرق - بكتابه فأعيدوا بجوابه.

وفيه استقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الكمال محمد بن محمد بن الشحنة (١) فى قضاء الحنفية بحلب، بعد وفاة جمال الدين إبراهيم بن محمد بن العديم.واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية بحلب بعد وفاة زين الدين عبد الرحمن بن رشد. واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن موسى بن فياض بن عبد العزيز المقدسى الصالحى فى قضاء الحنابلة بحلب، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد ابن موسى بن فياض. واستقر شهاب الدين أحمد بن السلاوى فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ابن وهيبة.

واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية بطرابلس عوضا عن ناصر الدين محمد بن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن هانىء الأندلسى.

وفى هذه السنة: تزايد سعر الغلال بتوقف النيل، فأبيع الأردب القمح بثلاثين درهما، والأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بثمانية عشر درهما. فلما دخل شهر ذى الحجة أُبيع الأردب القمح بخمسين درهما.

وفيه كثرت رماية القمح على الطحانين بالثمن الغال، والتكلف للأعوان.

وهذا أيضا مما أحدث ونشأ منه مفاسد كثيرة.

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير أبو بكر بن سُنْقُر الجمالى. وحج الأمير أحمد بن الأمير يلبغا الخاصكى. وكان الحجاز رخى السعر.

وفيها كان بحلب وباء، بلغ عدة من مات فى كل يوم ألف إنسان وزيادة.

* * *

---

(١) محمد بن محمد، أبو المعالى محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى، له اشتغال بالأدب والتاريخ، من علماء حلب. ولى قضاءها مرات واستقصى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر، فى علم الأوائل والأواخر» اختصر به تاريخ أبى الفداء وذيل عليه إلى سنة ٨٠٦هـ و «الرحلة القسرية بالديار المصرية». مولده ووفاته بحلب. انظر أعلام النبلاء ١٦١/٥ والضوء اللامع ٣/١٠ والكتبخانة ٤١/٢، ١٤٦/٣، ١٥٥/٤. والأعلام ٤٤/٧.

ومات فيها من الأعيان

قاضى الحنفية بحلب، تاج الدين أحمد بن محمد بن محبوب، المحدث المسند الفاضل الأديب، عن سن عالية بدمشق.

ومات جمال الدين إبراهيم بن قاضى حلب ناصر الدين محمد بن قاضى حلب كمال الدين عمر بن قاضى حلب عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن الصاحب محيى الدين أبى عبد الله محمد، ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد، ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله، ابن قاضى حلب مجد الدين أبى غانم محمد، ابن قاضى حلب جمال الدين هبة الله، ابن قاضى حلب نجم الدين أحمد، ابن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبى جرادة بن ربيعة بن خويلد بن عوف ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، المعروف بابن العديم الحلبى الحنفى. عن نيف وسبعين سنة. حدث عن ابن الشحنة.

وتوفى كبير التجار، زكى الدين أبو بكر بن على الخروبى، بمصر، فى يوم الخميس تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير بيليك، والى الأشمونين.

وتوفى قاضى المالكية بحلب، زين الدين عبد الرحمن بن رشد.

ومات الأمير عثمان بن قارا بن مهنا بن عيس بن مهنا، أمير آل فضل، فى ربيع الأول.

ومات نائب الإسكندرية الأمير قرابلاط الأحمدى اليلبغاوى، فى نصف ربيع الآخر.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن سبع العبسى، أحد الأدباء ومستوفى ديوان الأحباس، فى ثامن عشر شعبان.

ومات الأمير أقبُغا الدوادار، فى شهر ربيع الآخر. ومات شيخ الشام نجم الدين أحمد ابن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين بن عبد المحسن، المعروف بابن الجابى الياسوفى الدمشقى الشافعى، فى جمادى الآخرة، بعد عوده من مصر.

وتوفى الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن سيف الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى.

ومات السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد ابن النقيب شهاب الدين أحمد ابن النقيب شمي الدين محمد بن أحمد الحسينى الحرانى الحلبى، عن تسع وأربعين سنة، بحلب، و لم يل وظيفة.

ومات شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين عبد اللطيف بن محمد بن موسى بن أبى الفتوح بن أبى سعيد فضل الله بن أبى الخير الخراسانى ثم الحلبى، عن بضع وسبعين سنة، بحلب.

وتوفى شرف الدين أبو بكر بن زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، ابن الوردى، المعرى الحلبى، الفقيه الأديب، عن بضع وسبعين سنة؛ بحلب.والله أعلم.

* * *

سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الجمعة.

فى سادسه: قدم مبشرو الحاج، وقد تأخروا عن عادتهم.

وفيه أخرج الأمير جوبان العمرى، منفيا إلى صفد. وأُنعم بإمرته على أرسبغا السيفى.

وفى تاسعه: عقد السلطان على هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، وأمها أخت الملك أشرف شعبان.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير أحمد بن يلبغا العمرى الخاصكى من الحجاز، ومعه الركب الأول.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير أبو بكر بن سنقر بمحمل الحاج.

وفيه قبض على عدة من المماليك، وضربوا ضربًا مبرحًا بالمقارع، لكلام بلغ السلطان عنهم من الفتك به. وقبض على الأمير تُمُربُغا الحاجب، وسُمر ومعه عشرة مماليك، وأركب كل مملوكين على جمل، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر، وسُمرا بالحديد، وأفرد تمربغا على جمل. وشهروا ونساؤهم حاسرات، يصحن ويلطمن خدودهن، ثم وسطوا، فكان أمرا شنيعا.

وفى خامس عشرينه: قبض على ستة عشر من مماليك الأمير الكبير أَيْتِمش ونفوا إلى الشام، وتتبع من بقى من المماليك الأشرفية، فقبض على كثير منهم، ونفوا من مصر.

وفى سلخه: قدم الأمير إبراهيم بن قَراجا بن دُلْغادر طائعا، فخلع عليه، ورسم له بإمرة طبلخاناة بديار مصر.

وفى يوم الإثنين ثالث صفر: نقل الشريف هيازع بن هبة الله الحسينى، أخو جماز أمير المدينة النبوية، من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وكان قد قبض عليه، وسجن نحو سنة ونصف، ثم أفرج عنه فى ذى الحجة من السنة الماضية، ثم قبض عليه فى هذه السنة وسجن.

وقدم الخبر ماردين باستيلاء تيمورلنك علىمدينة تبريز [١]، وقتل أهلها وتخريبها.

وفى ليلة السبت تاسع عشرينه: دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلاً، يقال أنهم تدلوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم، وقتلوا نفرين. فركب الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى - والى القاهرة - وقبض على ثلاثة منهم فى بعض الضواحى ومعهم بعض ما نهبوه، فعاقبهم حتى دلوه على بقيتهم.

وفى يوم الأحد سلخه: وقع حريق بالجسر، قريب قنطرة الحاجب [٢]، تلف فيه عدة بيوت، ونزل عدة من الأمراء حتى أطفوه.

وفى أول شهر ربيع الأول: أبيع اللحم البقرى كل رطلين ونصف بدرهم وأبيع اللحم الضأن السميط [٣] كل رطلين بدرهم.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: رُسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، ونقله من سجنه بالإسكندرية إلى إقامته بدمياط. وأُذن له أن يركب ويتنزه بها.

وفى خامس عشره: سُمر من رجال المنسر ثمانية عشرة على جمال، وثلاثة سمرت أيديهم فى الخشب، وألبسوا فى أرجلهم قباقيب خشب، ثم سمرت أرجلهم فيها. وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمرون كذلك، وشهروا جميعا بالقاهرة، ثم وسطوا إلا واحد منهم، وأبقى عليه ليدل على بقيتهم.

وفى يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: أَخرق السلطان بالأمير بَهادُر المنجكى الأستادار، وقبض عليه ثم أفرج عنه.

وفيه قدم البريد من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، فقبض فى الحال على أخيه عثمان بن قراجا، وعلى ابن أخيه إبراهيم.

وفيه غضب السلطان على موفق الدين أبى الفرج - ناظر الجيش - ، وضربه نحو مائة وأربعين ضربة بالعصى.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بالإسكندرية، وأنه تجاوز عدة من يموت بها فى كل يوم مائة إنسان.

---

(١) تبريز: فى خراسان من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ٤٠٥٦/٢، والروض المعطار ١٣٠.

(٢) تقع هذه القنطرة على الخليج الناصرى. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ١٥١/٢.

(٣) نتف الجدى من الصدف ونظف من الشعر ليشوى. انظر محيط المحيط.

وفيه استقر محمد بن عيسى - شيخ عرب العائد بالشرقية - كاشف الحسور بإمرة طبلخاناة. واستقر أخوه مهنا فى مشيخة العائد.

وفى تاسع عشرينه: ماتت للسلطان ابنة، فأدفنت بالعمارة بين القصرين قبل أن تكمل، وكانت جنازتها حَفِلَة.

وفى يوم الخميس أول جمادى الأولى: خُلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، واستقر فى نظر الدولة بعد موت علم الدين يحيى.

وفى خامسه: خلع على الوزير الصاحب علم الدين سن إبرة، واستقر فى نظر الأسواق، عوضا عن شرف الدين محمد بن الدماميني [١].

وفى ثاني: قدم الأمير أَقْبُغا الجوهرى - أحد أمراء الألوف بحلب - وقدم أمير زه ابن ملك الكُرْج راغبًا فى الإسلام، فأسلم بحضرة القضاة بين يدى السلطان، وسمى عبد الله، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وأنزل بقصر الحجازية من رحبة باب العيد بالقاهرة.

وفى حادى عشرينه: - وهو سادس عشرين بؤونة - أخذ قاع النيل على العادة فى كل سنة، فكان ستة أذرع سواء.

وفى ثانى عشرينه: خلع على عُبَيد البازدار، وأعيد إلى تقدمة الدولة، على ما كان عليه.

وفى سادس عشرينه: خلع على محمد بن أَشَقْتَمُر، واستقر والى منفلوط.

وفيه عزل شهاب الدين أحمد بن ظهيرة عن قضاء مكة وخطابتها، بمكاتبة الشريف أحمد بن عجلان [٢] أمير مكة فيه، وكُتب بنقل محب الدين محمد بن أبى الفضل النويرى

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى، بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم الشريعة وفنون الأدب. ولد فى الإسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر. ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية. ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلى الهند، فمات بها فى مدينة كلبرجا. من كتبه «تحفة الغريب» و «الفتح الربانى». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وبغية الوعاة ٢٧ وشذرات الذهب ٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ ومعجم المطبوعات ٨٩٧ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

(٢) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: من أشراف مكة. حسنى، يكنى أبا سليمان استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ، واستمر بها إلى أن توفى. انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ وخلاصة الكلام ٣٣، ٣٤ والأعلام ١٦٨/١.

من قضاء المدينة النبوية وخطابتها إلى قضاء مكة وخطابتها. وخلع على شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى [١]، واستقر فى قضاء المدينة النبوية وخطابتها.

وفيه كملت عمارة ثمانية غربان حربية، وشحنت بالأسلحة والعدد والمقاتلة.

وفى سلخه: قدمت هدية أحمد بن أويس، صاحب بغداد. وقدم الشريف ثابت بن نعير الحسينى من المدينة النبوية، بموت ابن عمه محمد بن عطية - أمير المدينة - فقبض عليه، وحمل إلى الإسكندرية، وسجن بها.

وفيه قدم الشريف عنان بن مَغَامس [٢] الحسنى من مكة، فارًا من سجن ابن عمه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة.

وفى أول جمادى الآخرة: قدم البريد من حلب بمسير عساكر الشام لمحاربة التركمان، وكانت بينهم وقعة عظيمة، قتل فيها سبعة عشر أميرًا، منهم سودُن العلاى نائب حماة. وقتل من الأجناد خلق كثير، وانكسر بقية العسكر.

وفيه كملت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين.

وفى يوم الخميس رابع عشره: نُقلت رمم أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القبة بالمدرسة الظاهرية المستجدة، ونقلت رمة الأمير آنص والد السلطان، عشاء، والأمراء مشاة قدامه، حتى دفن بالقبة المذكورة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: زلزلت القاهرة فى الساعة الرابعة زلزلة خفيفة.

وفى ثامن عشرينه: استقر سودن العثمانى الساقى فى نيابة حماة، عوضا عن سودن العلاى.

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان من أعمال إربل، تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» «نكت منهاج البيضاوى» و«ذيل على الميزان».

انظر الضوء اللامع ٤/٧١ وذيل طبقات الحفاظ، وغاية النهاية ١/٣٨٢ حسن المحاضرة ١/٢٠٤ والأعلام ٣/٣٤٤.

(٢) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (سنة ٧٨٨هـ) ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ، فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠/١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٥/٩٠.

وفى سلخه: قدمت رسل الفرنج بهدية جليلة القدر.

وفى يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب - وسابع مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير قُرْدُم الحسنى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار إلى المقياس، حتى خُلق العمود بحضرتهما على العادة، ثم فتح الخليج.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: نزل الأمير جركس الخليلى إلى المدرسة الظاهرية المستجدة، وهيأ بها الأطعمة والحلاوات والفواكه، فركب السلطان من الغد يوم الخميس ثانى عشره من القلعة، بأمرائه ومماليكه ونزل بها، وقد بسطت. واجتمع فيها قضاة القضاة والفقهاء والأعيان، فمد سماط أوله عند المحراب وآخره عند البحرة[١] التى فى وسط المدرسة، مملوء كله بأنواع الأطعمة الفاخرة، والأشوية من الخيل والخراف والأوز والدجاج والغزلان، فأكل القضاة والأعيان أولا، ثم أكل الأمراء والمماليك، وتناهب الناس بقيته. ثم مُد سماط الحلاوات والفواكه، وملئت البحرة من مشروب السكر. فلما انقضى الأكل والشرب، خلع على علاء الدين على السيرامى الحنفى، وقد استدعاه السلطان من بلاد المشرق، واستقر مدرس الحنفية وشيخ الصوفية. وفرش له الأمير جركس الخليلى السجادة بنفسه، حتى جلس عليها. ثم خلع على الأمير جركس، وعلى المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس، وأركبا فرسين بقماش ذهب. وخِلع على خمسة عشر من مماليك الخليلى، وأنعم على كل منهم بخمسمائة درهم. وخِلع على مباشرى العمارة وشاديها، وعلى المهندسين والبنائين. وتكلم العلاء السيرامى على قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلِكَ﴾ [٢] الآية، ثم قرأ القارئ عشرا من القرآن، ودعا. وقام السلطان وركب إلى القلعة، فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: دار محمل الحاج القاهرة ومصر، على العادة فى كل سنة.

وفى يوم الإثنين أول شعبان: خلع على الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمرى الخاصكى، واستقر أمير مجلس، عوضا عن الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى.

وفى يوم السبت سادسه: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ولعب بالكرة مع الأمراء.

---

(١) حوض من الرخام يملأ ماء وقد يزخرف بالفسيفساء ويوجد عادة فى صحن المنزل أو المبنى أشبه بالفسقية.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

وفيه أنعم على أحمد بن هُمز التركمانى، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن على بن الأمير منجك، بعد وفاته.

وفى ثانى عشرينه: خُلع على سودن الطُرنْطاى الخاصكى - أحد أمراء العشرات - واستقر رأس نوبة صغيرا. وأنعم على مُقْبل الرومى الطويل بإمرة عشرة، عوضا عن أحمد بن همز.

وفى ثالث عشرينه: أسلم ميخائيل الصبان - من نصارى مدينة مصر - فخلع عليه، وأركب بغلة سلطانية، واستقر ناظر المتجر السلطانى.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعا، وثبت إلى عيد الصليب، ثم هبط بعده بيومين.

وفى ثامن عشرينه: خُلع على أمير موسى بن سلار - من الطبر دارية - واستقر أمير طبر بإمرة عشرة.

وفى أول شهر رمضان: عُزل ناصر الدين أحمد التنسى من قضاء الإسكندرية، وركب طاش البريدى البريد للقبض على الأمير بَيْدَمُر نائب الشام، وعلى جميع ألزامه، وإيقاع الحوطة على موجوده. وركب الأمير تمربُغا المنجكى البريد، لتقليد الأمير أشقتَمُر الماردينى نيابة الشام، وحمله من القدس إلى دمشق، وحمل إليه التقليد والتشريف.

وقدم الشريف محمد بن مبارك بن رميثة الحسنى من مكة، وأخبر بموت الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة، وأن ابنه محمد بن أحمد أقيم بعده، وقام بإمرة عمه كُبَيْش ابن عجلان. وقدم الخبر من المدينة النبوية أن الشريف جماز بن هبة حضر المدينة بحشده، فحاربه على بن عطية، وهزمه عنها.

وفى سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحاج، وعاد إلى القاهرة من باب النصر، ونزل بمدرسته، ثم مضى إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة عاشره: أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وخطب بها جمال الدين محمود العجمى المحتسب، بثياب بيض.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نزل من قلعة الجبل أحد أمراء الدولة بسواد الخطبة إلى المدرسة الظاهرية، فلبسه جمال الدين محمود، وخطب بثياب السواد على العادة، وصلى بالناس الجمعة. فلما انقضت الصلاة أخرج له الأمير المذكور خلعة سلطانية، وأفاضها عليه، فسار إلى منزله فى موكب جليل.

وقدم الخبر بأن كُبَيْش بن عجلان سمل أعين جماعة من بنى حسن، وهم: أحمد وحسن ابنا ثقبة، ومحمد بن عجلان، وابن أحمد بن ثقبة وعمره نحو اثنتا عشرة سنة، فتغير السلطان على كبيش وابن أخيه محمد بن عجلان.

وفى سلخه: أنعم على ناصر الدين محمد بن الأمير جُلبان العلاى بطبلخاناة أبيه، بعد موته.

وارتفع سعر لب الفستق، حتى بلغ خمسة وثلاثين درهما الرطل، وعنها يومئذ قريب من مثقال ونصف، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف.

وفيه خلع على الشريف عنان بن مُغامس، واستقر أمير مكة.

وفى يوم الإثنين رابع شوال: ركب السلطان وتوجه إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كل سنة.

واستقر شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن فى مشيخة دار الحديث الكاملية عوضًا عن زين الدين عبد الرحيم العراقى، بحكم انتقاله إلى قضاء المدينة النبوية.

وفيه أخرج السلطان خمسة من مماليكه، على إمريات بدمشق.

وفيه ضرب شهاب الدين أحمد بن الجندى الشافعى - من فقهاء ناحية دمنهور [1] - من أجل أنه أنكر على الضمن ما يأخذه من المكوس، وألزم بألا يسكن دمنهور. ثم بلغ السلطان ما هو عليه من الورع وكثرة العلم، فاعتذر إليه، وخلع عليه، وأعاده إلى دمنهور مكرمًا.

وفى يوم الأحد عاشره: حضر المدرسون بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وهم سبعة، أربعة مدرسين الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس تفسير، ومدرس حديث، ومُصدر لإقراء القراءات السبع.

وفى ثامن عشره: سار محمل الحاج صحبة الأمير أقبغا الماردينى، وحج أيضا الأمير جركس الخليلى بتجمل كثر. وحج من الأمراء أيضا كُمُشْبُغا الخاصكى، ومحمد بن تَنْكربُغا، وجركس المحمدى. وكتب لنواب الشام باستخدام المماليك البطّالين الذين نفوا من الأشرفية وغيرهم.

---

(١) دمنهور: مدينة مسورة فى بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يمينًا وشمالاً لا تحصى كثيرة. انظر الروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزى ٢/٢، ٢٨٤.

وفى حادى عشرينه: عاد السلطان من سرحة سرياقوس.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: استدعى السلطان زكريا بن الخليفة المعتصم با لله أبى إسحاق إبراهيم بن المستمسك با لله أبى عبد ا لله محمد بن الحاكم با لله أحمد (١) وأعلمه أنه يريد أن ينصبه خليفة، عوضًا عن الخليفة الواثق با لله عمر بن المعتصم إبراهيم بعد وفاته. ثم استدعى بقضاة القضاة وأهل الدولة، فلما اجتمعوا أظهر زكريا عهد عمه - المعتضد با لله أبى الفتح أبى بكر - إليه بالخلافة، فخلع عليه خلعة الخلافة، ونزل إلى داره. فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه طلع الخليفة زكريا إلى القصر من قلعة الجبل، وحضر أعيان الأمراء وقضاة القضاة الأربع، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى (٢) - مفتى دار العدل - وبدر الدين محمد بن فضل ا لله كاتب السر، ونجم الدين محمد الطَّنْبَدى - وكيل بيت المال - فبدأ شيخ الإسلام بالكلام مع السلطان فى مبايعة زكريا على الخلافة، فبايعه السلطان أولا، ثم بايعه من حضر على مراتبهم. ونعت نفسه بالمستعصم با لله أبى يحيى. ثم أشهد عليه الخليفة أنه قلد السلطان أمور العباد والبلاد، وأقامه فى ذلك مقام نفسه، فخلع عليه خلعة الخلافة، وخلع على عامة من حضر، وركب القضاة بين يدى الخليفة إلى منزله، فكان يوما مشهودًا.

وفى سلخه: قدمت رسل أحمد بن أويس - متملك بغداد - بكتابه، يتضمن أن تيمور لنك نزل قرا باغ، ليشتى بها ثم يعود، وحذر منه.

وفى يوم الإثنين ثالث ذى القعدة: خُلع على الخليفة المستعصم بالقصر، واستقر فى نظر مشهد السيدة نفيسة. وخلع على شهاب الدين أحمد الأنصارى واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، عوضا عن برهان الدين إبراهيم الأبناسى، بواسطة الأمير سُودن النائب. وذلك أنه التزم أن يعمّر أوقاف الخانكاه من ماله، بمبلغ ثلاثين ألف درهم، ولا

---

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر ا لله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المعتصم با لله: من خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على ا لله (محمد بن أبى بكر، سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق با لله (عمر بن إبراهيم) سنة ٧٧٨هـ، فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١ هـ وصرف بعد شهرين وأعيد، مات غريقا فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٣٠٠/٥.

يتناول معلوم المشيخة، بل يقنع بماله من معلوم التصوف، فإنه كان من جملة صوفيتها. على أنه لا يستجد بها صوفيا، وأنه يوفر نصيب من مات منهم، حتى تُعمر أوقافها.

وفي سادسه: خلع على رسل ابن أويس وسافروا.

وفي ثامنه: عدّى السلطان النيل، ونزل تحت الأهرام، فأقام في سرحته حتى وصل إلى ناحية دلنجة [١]، ثم عاد فطلع إلى القلعة في عشرينه.

وفي هذا الشهر أخرج الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب قمحًا، طرحه على التجار، كل أربعة أرادب بثلاثة وتسعين درهما - عنها أربعة دنانير - سعر كل دينار ثلاثة وعشرون درهما وربع درهم. فمن هذه الأربعة أرادب، إردب بسبعة وعشرين درهما، وإردب بستة وعشرين درهما، وإردب بأحد وعشرين درهما؛ وإردب بتسعة عشر درهما، فيجيء معدل كل إردب بدينار.

وفيه خلع على قوزى السيفي، واستقر في ولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبي. وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر ناظر الديوان المفرد الذى استجده السلطان، وناظر ديوان المماليك. واستقر برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجي [٢] في قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصي. واستقر في قضاء الحنفية بحلب موفق الدين، عوضا عن محب الدين محمد بن الشحنة.

وفي أول ذى الحجة: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء في الحديد، اتهموا أنهم سعوا في نقض المملكة، والدعاء لإمام قرشي، فسجنوا. ثم أحضروا في يوم الأربعاء رابع عشرينه إلى بين يدى السلطان وتقدم كبيرهم - أحمد بن البرهان - فكلم السلطان عما سأله عنه، وصدع بالإنكار عليه، وأنه غير أهل للقيام بأمر المسلمين، وعدد له ما هو عليه من أخذ المكوس ونحو ذلك، وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا إمام قرشي. فأمر به وأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا بمن معهم من أمراء الدولة، فتولى عقوبتهم الأمير حسام الدين حسين والى القاهرة، ثم سجنهم بخزانة شمايل.

وفي خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وفيهم بطا الخاصكي، وأخبروا أن أقبغا الماردينى - أمير الحاج - لما قدم مكة في أول ذى الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد

---

(١) دلنجة من أعمال البحيرة.

(٢) نسبة إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب.

عجلان لتلقيه على العادة، وقبل الأرض، ثم خُفَّ الجمل. وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح، وثب عليه فداويان ضربه أحدهما بخنجر في جنبه، وضربه الآخر بخنجر في عنقه، وهما يقولان: «غريم السلطان» فخر ميتا وترك نهاره ملقى، ثم حمله أهله، وواروه، وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا يظنونه كبيشا، ففر كبيش، وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام، خوفا من الفتنة. فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعته، وتسلم مكة، وخطب له بها.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطى، واسمه داود بن سيف أرعد، ومعهم هدية على أحد وعشرين حمالا، فيها من ظرائف بلادهم، ومن جملتها قد ملئت قد صيغ على قدر الحمص.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

أديب مصر بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير الصاحب فخر الدين محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا [١]، فى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة بمدينة مصر، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الشريف أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد الحسنى أمير مكة، فى حادى عشرين شعبان عن نيف وستين سنة بمكة، ودفن بالمعلا، وكان حسن السيرة.

وتوفى الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الهادى بن الشيخ أبى العباس أحمد الشاطر الدمنهورى [٢]، الأديب الشاعر ذو الفنون، فى المحرم وهو عائد من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الزَّرْكشى - أمين الحكم - فجأة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول. واتهم أنه سم نفسه، فإنه نقص من مال الأيتام عليه نحو خمسمائة ألف درهم، ذهبت كأمس الذاهب.

---

(١) على بن محمد بن سليم المصرى، المعروف ببهاء الدين بن حنا: وزير. كان من أكابر الرجال فى عصره مولده ووفاته بمصر، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور فقام بأعباء المملكة ثبت فى وزارته إلى أن مات. انظر فوات الوفيات ٧٦/٢ وابن الفرات ١٢٥/٧ والأعلام ١٥٤/٤.

(٢) نسبة إلى دمنهور.

ومات أحمد بن الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاون، فى ليلة الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، ودفن بمدرسة أبيه، وكان أسن أولاده.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن الزُّمُكْحُل الناسخ، أحد الأفراد، كان يكتب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بكمالها على حبة أرز، كتابة بينة لا يطمس فيها واوا، إلى غير ذلك من بدائعه.

ومات الأمير جُلْبان الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه، فى أخريات شهر رمضان. وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، كبير التركمان البزوقية، وأمير أبلستين، قتيلا فى الحرب، مع الصارم إبراهيم بن همز التركمانى، قريبا من مدينة مرعش، عن نيف وستين سنة.

ومات الأمير سودن العلاى، نائب حماة، قتيلا فى محاربة التركمان.

وتوفى المقرئ فتح الدين عبد المعطى بن عبد الله فى سادس عشر رمضان، وقد أسن. أخذ القراءات عن أثير الدين أبى حيان.

وتوفى الشريف محمد بن عطيفة بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية.

وتوفى أحد الأفراد فى العبادة والزهد والورع، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمى بالقدس، فى صفر. ومولده فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة. كان لا يزال يتلو القرآن، فيقال إنه قرأ فى اليوم والليلة ثمانى ختمات، وقدم القاهرة.

وتوفى الشديد فى الله، الورع، شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الحنفى (١)، بدمشق، عن نيف وسبعين سنة. قدم القاهرة غير مرة. وأقسم بالله أنه إذا رأى منكرا يحُمُّ.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين عبد الله ابن محمد بن محمود بن أحمد بن عزاز الحنبلى، المعروف بابن التقى.

---

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوى: فقيه حنفى، تركى الأصل مستعرب ولد وتعلم فى قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده، فأقام بالمزة. صنف كتبا مفيدة منها «درر البحار» و «شرح تلخيص المفتاح». انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدرر الكامنة ٢٩٢/٤، ٢٩٥ وبغية الوعاة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ١٥٣/٧.

وتوفى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان.

وتوفى قرينه فى العلم بالميقات شمس الدين محمد بن الغزولى، فى رابع رجب.

وتوفى زين الدين أبو بكر بن نور الدين على بن تقى الدين محمد بن يوسف السعدى الخزرجى الأنصارى، المعروف بالسندوبى، أحد موقعى الدست، فى يوم الخميس ثالث ربيع الأخر، وهو أحد من أدركناه من الأفراد، فى الجود والكرم.

وتوفى شرف الدين موسى بن الفافا، أستادار الأمير أَيْتمِش الأتابك، فى تاسع شوال، وكان من رءوس الظاهرية.

وتوفى الشريف هيازع بن هبة بن جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى [١]، أمير المدينة النبوية، فى سجنه بالإسكندرية، لأيام من شهر ربيع الأول.

وتوفى شيخ القادرية شرف الدين صدقة ويدعى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلى، فى سادس عشر جمادى الأخرة بالفيوم، وأحرم مرة بالحج من القاهرة.

وتوفى ناظر الدولة علم الدين يحيى بن فخر الدولة، المعروف بكاتب ابن الدينارى: فى يوم الأربعاء تاسع شهر ربيع الأخر بالقاهرة، كان أولا نصرانيا ثم أسلم، وهو فى خدمة الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى شاد الدواوين. وصاهر المقسى ناظر الخاص. ثم ولى نظر الدولة، وتمذهب لأبى حنيفة، رحمه الله. وسمع الحديث، وجمع عنده الفقهاء، وأفضل عليهم وجمع كتبا كثيرة. وكان غاية فى الترف، يقول عن نفسه أن بدنه يحتاج فى كل يوم إلى ثمانين درهما، عنها نحو أربعة مثاقيل ذهبا، يصرفها فيما يأكله ويشربه خاصة. وترك أوانى وقماشا وأثاثا أبيعت بجملة كبيرة، وخلف من الكتب النفيسة عدة يجل ثمنها، مع كثرة شكواه الفقر.

ومات ملك المغرب صاحب فاس موسى بن السلطان أبى عنان فارس بن أبى الحسن المرينى فى جمادى، وأقيم بعده المنتصر بالله محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع

---

(١) هيازع بن هبة بن جماز بن منصور الحسنى المدنى: ممن ولى الإمارة بالمدينة المنورة. غضب عليه السلطان وقبض عليه، واعتقله بمصر مدة ثم أرسله إلى الإسكندرية فأقام بالجب محبوسا إلى أن توفى. انظر ابن قاضى شهبة والنجوم الزاهرة ٣١١/١١ والضوء اللامع ٧٨/٣ والأعلام ١٠٣/٨.

ابن أبى سالم [١] ثم خلع بعد قليل، وأقيم الواثق محمد بن أبى الفضل بن السلطان أبى الحسن [٢] كل ذلك بتدبير الوزير مسعود بن رحوب ماساى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) محمد بن أحمد أبى العباس بن أبى سالم المرينى، أبو زيان: طفل من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى أخذت له بيعة أهل فاس سنة ٧٨٨هـ ولقب بالمنتصر بالله. ولم يستمر سوى ٤٣ يوما وخلع. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وجذوة الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٢٩/٥.

(٢) محمد بن أبى الفضل بن أبى الحسن على بن عثمان المرينى، أبو زيان، الملقب بالسلطان الواثق بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى. بويع بالملك سنة ٧٨٨هـ وقد تعهد للوزير مسعود بأن يكون فى يده الحل والعقد. خلع وقيد وأرسل إلى طنجة فقتل ودفن بها. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وجذوة الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٣١/٦.

سنة تسع وثمانين وسبعمائة

فى يوم السبت سابع عشر صفر: قدم الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى من الكرك باستدعاء، فبالغ السلطان فى إكرامه، وألبسه لنيابة دمشق تشريفا سنيا، فى تاسع عشره، عوضا عن أَشَقْتَمُر الماردينى.

وفيه استقر جمال الدين ميخائيل الأسلمى فى نظر الإسكندرية، وعزل علم الدين توما، وكان ميخائيل هذا قد أسلم يوم الثلاثاء عشرين شعبان من السنة الماضية، بحضرة السلطان، وخلع عليه وأركب بغلة رائعة، وعمل تاجر الخاص.

وفيه استقر الأمير زين الدين مبارك شاه - متولى البهنسا - [1] فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن أيدمر الشمسى، الذى يقال له أبو زلطة. واستقر ناصر الدين محمد ابن الحسام فى ولاية البهنسا.

وفيه استقر سعد الدين عبد الله بن بنت الملكى الوزير فى استيفاء الإسكندرية.

وفى سابع عشرينة: استقر شمس الدين بن مشكور، ناظر الجيش بدمشق، عوضا عن ابن بشارة.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: برز الأمير أُلطُنبغا الجوبانى؛ ليسافر إلى دمشق، بعد ما خلع عليه، وحمل إليه مبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة. وقيد إليه فرس بسرج وكنفوش ذهب. وأرسل إليه الأمير الكبير أَيْتمِش مائة ألف درهم، وعدة بقج ثياب، قيمتها نحو السبعين ألف درهم، وعين مُسَفِّره قُرقُماس الظاهرى، وخرج بتجمل عظيم.

وفى رابعه رأى السلطان من قلعة الجبل خيمة قد ضربت على شاطئ النيل فبعث للكشف عنها، فوجد فيها كريم الدين بن مكانس، وشمس الدين أبو البركات، فأحضرا إليه، وقد كانا يتعاقران الخمر فى خواصهما، فضربهما بالمقارع، وألزم ابن مكانس بمائة ألف درهم، وأبا البركات بخمسين ألفا.

وفيه استقر عمر بن إلياس - قريب قُرُط - فى ولاية الشرقية، عوضا عن أُوناط اليوسفى.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

وعزم السلطان على عرض أجناد الحلقة، وشرع فيه، فتحدث معه شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى فى إعفائهم من ذلك، فأجابه وعفا عنهم.

وفى عاشر ربيع الآخر: ابتدأ السلطان فى اللعب بالرمح، وألزم المماليك بذلك، فاستمر.

وكثرت المرافعات فى ميخائيل، فعزل عن نظر الإسكندرية، وقبض عليه الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين السلطانية وحبسه، فأثبت أهل الثغر عليه أنه زنديق، وشهد عليه فى المحضر بذلك تسعة وأربعون نفسا، فضربت رقبته بالثغر، يوم السبت ثالث عشره.

وفى هذا الشهر: ضربت فلوس بإشارة الأمير جركس الخليلى فى قلعة الجبل، وجعل اسم السلطان فى دائرة، فتطير الناس بذلك، وقالوا: هذا يؤذن بأن السلطان تدور عليه الدوائر، ويحبس، فبطل ذلك، و لم يتم.

وورد البريد بنزول الفرنج على طرابلس، فحاربهم المسلمون، وغنموا منهم ثلاثة مراكب، وقتلوا جماعة كثيرة.

وورد الخبر بأن على بن عطيفة الحسنى [١]، طرق المدينة النبوية ونهبها، وقتل منها أناسا، وأخذ ما كان لجماز بن هبة الله من المال، فأفرج عن ثابت بن نعير، وقلد إمارة المدينة النبوية.

وقدم البريد بارتفاع الأسعار بالشام، وأن الخبز وصل بدمشق كل رطل بدرهم، والجرة الماء فى القدس بنصف درهم.

وقدم الخبر من مكة بأن كبيش بن عجلان حصر مكة، وأخذ من جدة ثلاثة مراكب للتجار.

وقدم البريد بمحاربة ابن همز نائب أبلستين [٢]، مع ابن دلغان.

وفى ثالث جمادى الآخرة: أخذ قاع النيل، فكان سبعة أذرع، وأربع أصابع.

---

(١) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى الحسنى، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩هـ. وأمضى أكثر أيامه فى حروب، فلم يهنأ له عش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن، اغتالوه فى بطن مر من نواحى مكة. انظر ابن الفرات ٩/٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١/٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/١٢٨.

(٢) هى مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ١/٧٥.

وفى سادسه: استقر الأمير ناصر الدين بن مبارك حفيد المهمندار فى نيابة حماة، عوضا عن سودن العثمانى. واستقر سودن فى إقطاع ابن المهمندار بحلب.

وفى سادس عشره - وهو تاسع أبيب: - توقف ماء النيل عن الزيادة ونقص، فاضطرب الناس. ثم أنه رد النقص وزاد فى رابع عشرينه.

وفى ليلة ثامن عشرينه: ظهر كوكب فى جهة الشمال عظيم القدر، ممتد إلى جهة الغرب، له ثلاث شعب، فى أحديها ذنب طويل بقدر الرمح، وله ضوء زايد على نور القمر، ثم أنه تحول امتداده من الغرب إلى الجنوب، وسمع له صوت مرعب، وذلك بعد عشاء الآخرة بقدر ساعة.

وفى آخره: ورد البريد بأن تمر لنك كبس قرا محمد وكسره، ففر منه فى نحو مائتى فارس، ونزل قريب ملطية. ونزل تمر لنك على آمد، فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث فى أخذ الأوقاف من الأراضى الخراجية، فكثر النزاع، وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة.

ورسم السلطان بتجهيز أربعة من الأمراء الألوف، وهم الأمير أُلطُنبغا المعلم أمير سلاح، والأمير قردم الحسنى، والأمير يونس الدوادار، والأمير سودن باق، وسبعة من أمراء الطبلخاناة، وخمسة من أمراء العشرات.

فتجهزوا، وعين معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس، وخرجوا من القاهرة فى أول رجب، فساروا إلى حلب، وبها يومئذ فى نيابة السلطنة سودن المظفرى.

وقدم الخبر بوقعة بين قرا محمد وولد تمرلنك، انكسر فيها ابن تمرلنك.

وفى تاسع عشر رجب: رسم للقاضى جمال الدين محمود، محتسب القاهرة بطلب التجار وأرباب الأموال، وأخذ زكوات أموالهم، وأن يتولى قاضى القضاة الحنفية شمس الدين محمد الطرابلسى تحليفهم على ما يدعون أنه ملكهم فعمل ذلك يوم واحد، ثم رد عليهم ما أخذ منهم، وبطل، فإن الخبر ورد برجوع تمرلنك إلى بلاده. وبعث نائب دمشق رجلا تركيا اتهم أنه جاسوس لتمرلنك، فعوقب حتى أقر بأنهم ثلاثة قدموا إلى دمشق، فسجن، وكتب بطلب المذكورين.

وفى سادس عشرينه - وهو تاسع عشر مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفى يوم الإثنين رابع شعبان: استدعى السلطان الشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت

ميلق[1]، وولاه قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، بعد ما امتنع وصلى ركعتى الاستخارة، وعزل بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفى سادس عشرينه: استقر فى الوزارة علم الدين عبد الوهاب بن القسيس كاتب سيدى، عوضا عن الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان نقل من استيفاء المرتجع إلى الوزارة، بوصية كاتب أرنان.

وفى ثانى رمضان: عزل كريم الدين بن مكانس من نظر الدولة، واستقر عوضه أمين الدين بن ريشة، واستقر حسن السيفى أمير أخور فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطَشْلاقى، فلم يقم سوى أيام، واعيد ابن الطَشْلاقى.

وفى تاسعه: استقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى فى إفتاء دار العدل، برغبة أخيه بدر الدين محمد له عن ذلك.

واستقر زوج أخته بهاء الدين محمد بن البرجى فيما كان باسمه من توقيع الدست، وصار بيد أخيه بدر الدين قضاء العسكر.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعا، وأربعة عشر أصبعا، وثبت إلى خامس بابة، أحد شهور القبط.

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للحكم بين الناس، بعد ما نودى قبل ذلك بيومين: «من كانت له ظلامة فعليه بالإصطبل السلطانى يوم الأحد والأربعاء». فداخل أعيان الناس من ذلك خوف شديد، واجترأ أسافل الناس على الأكابر.

وفيه قدم الشريف على بن عجلان يريد إمارة مكة.

وورد الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع كبيش، فقتل كبيش فى عدة من بنى حسن، وعاد عنان مظفرا، فشق على المجاورين.

وفى خامس عشرينه: استقر نجم الدين محمد الطنبدى - وكيل بيت المال - فى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود، على خمسين ألف درهم فضة يقوم بها، عنها ألف دينار مصرية. واستقر جمال الدين فى قضاء العسكر، عوضا عن شمس الدين محمد القرمى بعد وفاته.

---

(١) محمد بن عبد الدائم بن محمد، أبو المعالى، ناصر الدين المعروف بابن بنت الميلق ويختصر فيقال ابن الميلق: قاضى مصرى كان شافعيا شاذليا، واعظا بليغا ولاه الظاهر برقوق القضاء وباشره بعفة ونزاهة مدة اثنتى عشرة سنة. كتبه «حادى القلوب إلى لقاء المحبوب» و «الأنوار اللائحة فى أسرار الفاتحة». انظر الدرر الكامنة ٤٩٤/٣ والكتبخانة ٧٩/٢ ودار الكتب ٣٧/١ والأعلام ١٨٨/٦.

وفى ثالث شوال: استقر شمس الدين محمد النويرى فى قضاء طرابلس، مسئولا بها.

وورد الخبر بوصول العسكر إلى حلب فى أول شهر رمضان.

وقدم الأمير جبرائيل الخوارزمى، والأمير ناصر الدين محمد بن بيدَمُر نائب الشام، فسلما إلى الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة، ليخلص منهما مبلغ ألفى ألف درهم.

وفى نصفه: استقر الشريف على بن عجلان فى إمارة مكة، شريكا لعنان.

وفى عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. واستدعى الأمير يلبغا الناصرى من دمياط، فوصل إلى المخيم بسرياقوس فى حادى عشرينه، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائة فرس، ومائة جمل، وسلاح، ومال وثياب، قيمة ذلك خمسمائة ألف درهم فضة. وبعث إليه سائر الأمراء.

وعاد السلطان من سرياقوس أول ذى القعدة، وخلع على يلبغا الناصرى فى خامسه وأعاده لنيابة حلب، عوضا عن سودن المظفرى. واستقر سودن أتابك العسكر بحلب، ثم خلع عليه خلعة السفر فى ثامنه، وسار من القاهرة فى تاسعه لنيابة حلب.

وفى ثانى عشره: قدم البريد بأن تمر بغا الأفضلى منطاش نائب ملطية خامر، ووافقه القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، وقرا محمد التركمانى، والماجارى نائب البيرة[1]، ويلبغا المنجكى، وعدة من الأشرفية.

وفى ثالث عشره: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وتصيد.

وفى عشرينه: استقر قُطْلَيجا الصفوى فى ولاية قليوب، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفى سادس عشرينه: عاد السلطان من الصيد بالجيزة إلى القلعة.

وفى تاسع عشرينه: جاءت رأس بدر بن سلام، فعلقت على باب القلعة.

وكان قد فر وفسدت أحواله بالبحيرة، والسلطان يعمل فكره فى قتله، إلى أن قتله بعض أتباعه، وأحضر رأسه إلى الكاشف، فحملها، وكفى السلطان شره.

وفيه استقر نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين محمد بن أبى العز صالح المعروف بابن الكِشْك قضاء الحنفية بدمشق، وعوضا عن تقى الدين الكُفْرى.

---

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١

وفى رابع ذى الحجة: استقر زين الدين أمير حاج ابن مُغْلطاى، فى نيابة الإسكندرية، وعزل الأمير بَجْمان المحمدى. واستقر أمير حاج بن أيدمر والى الأشمونين، وعزل الصارم إبراهيم الشهابى القازانى.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن عنان بن مغامس لم يقابل الأمير قُرْقُماس الطَشْتَمُرى الخازندار أمير الحاج، وتوجه من مكة إلى نخلة(١)، فدخل على بن عجلان إليها، وقرئ تقليده بالحرم، وتسلم مكة، ثم خرج فى طلب عنان ففر منه.

وفيه خلع الواثق محمد بن أبى الفضل بن أبى الحسن، وأعيد السلطان المخلوع أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فملك فاس فى [خامس] رمضان، وحمل الواثق إلى طنجة، فسجن بها ثم قتل.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أرلان، ليلة الثلاثاء سادس عشرين شعبان. وأصله من نصارى مصر، وأظهر الإسلام. وخدم فى دواوين الأمراء، حتى تعلق بخدمة الملك الظاهر - وهو أمير - فولاه نظر ديوانه. ثم فوض إليه الوزارة لما صارت إليه سلطنة مصر، فنفذ الأمور، ومشى الأحوال أحسن تمشية، مع الغاية فى وفور الحرمة، ونفوذ الكلمة، والتقلل فى ملبسه ومركبه وسائر أسبابه، بحيث كان كهيئة أوساط الكتاب. ودخل فى الوزارة، وأحوال الوزارة غير مستقيمة، وليس للدولة حاصل من عين ولا غلة، وقد استأجر الأمراء النواحى بأجر قليلة عجلوها، فكف أيدى الأمراء عن النواحى، وضبط المتحصل، ومشى على القواعد القديمة، والقوانين المعروفة، فهابه الخاص والعام. وجدد مطابخ السكر، ودواليب النقود (٢) ومات والحاصل ألف ألف درهم فضة وثلاثمائة ألف وستون ألف أردب غلة، وستة وثلاثون ألف رأس من الغنم، ومائة ألف طائر من الأوز والدجاج، وألف قنطار من الزيت، وأربعمائة قنطار ماء ورد، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف دينار.

ومات الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهوارى، وترك أموالا جزيلة.

---

(١) موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم. انظر معجم البلدان ٥٦٨/٥.

(٢) المقصود الآلات العجلية المستخدمة فى صناعة النبيذ.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن الجمال إبراهيم بن إسحاق الغزاوى الشافعى، خطيب المدرسة الصالحية، وشاهد الإصطبلات السلطانية فى تاسع عشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر أستادار طبج، كاشف الوجه البحرى، فى نصف رمضان.

ومات الشيخ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مُفْلح الياسوفى بدمشق، معتقلا بقلعتها. وكان من أعيان فقهائها الشافعية وأكابر محدثيها. واشتهر بالزهد والعفة، واتهم بأنه ممن مالىء الفقهاء الظاهرية، فاعتقل بسبب ذلك.

ومات الأمير سيف الدين طيْنال الماردينى، عتيق الناصر محمد بن قلاون، ترقى فى الخدم من الأيام الناصرية، حتى صار من أمراء الألوف فى أيام الناصر حسن، ثم نفاه إلى دمشق، فأقام بها إلى أن استبد الأشرف شعبان، أحضره إلى القاهرة، وأعطاه إمرة مائة، ثم نزعها منه، وأعطاه إمرة طبلخاناه، ثم جعله والى قلعة الجبل، فباشر ذلك مدة، ثم أعطى إمرة عشرة، وتُرك طرخانا، حتى مات فى شهر رمضان.

ومات الأمير سيف الدين طَقْتَمُش الحسنى، أحد المماليك اليلبغاوية، وأمير طبلخاناة. مات فى تاسع عشرين رجب.

ومات زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحفيد بن رُشْد السجلماسى[1] المغربى المالكى، سمع بغلناطة أبا البركات محمد بن إبراهيم البلفيقى، وبمكة ضياء الدين أبا الفضل محمد بن خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن حسن القسطلانى، وبالمدينة النبوية عفيف الدين المطرى. وبرع فى الفقه وغيره. وأقام بالقاهرة زمانا. وولى قضاء المالكية بحلب، فسار فى الناس سيرة عسوف، فعزل. وأقام بغزة حتى مات. ومولده فى ثانى عشرين شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة.

ومات الرئيس نور الدين على بن عنان التاجر بالخاص، فى ليلة الجمعة ثامن عشر شوال.

---

(١) نسبة إلى سجلماسة، وهى مدينة فى حنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب.

ومات الخطيب ناصر الدين محمد بن على بن محمد بن محمد بن هاشم، بن عبد الواحد بن عشاير [١] الحلبى، بالقاهرة، فى ليلة الأربعاء سادس عشرين ربيع الآخر. وكان فقيها شافعيا، عارفا بالفقه والحديث، والنحو والشعر وغيره. ولى هو وأبوه خطابة حلب. وقدم إلى القاهرة، فلم تطل مدته بها، حتى مات.

ومات القاضى فتح الدين محمد بن قاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل الشافعى، موقع الدرج، فى حادى عشرين صفر. ومات الشيخ شمس الدين محمد بن الحافظ محب الدين عبد الله بن أحمد ابن المحب الحنبلى الدمشقى بها. وكان إماما فى الحديث والورع والزهد.

ومات الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى البلغارى [٢] المعروف بالخلوتى، فى سابع عشرين شعبان خارج القاهرة.

ومات القاضى شمس الدين محمد القرمى الحنفى، قاضى العسكر، فى سابع عشرين ربيع الآخر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعى فى تاسع عشرين شعبان. حدث بصحيح البخارى عن وزيره والحجار. وناب فى حسبة القاهرة، وعمر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن الوحيد الدمشقى، باشر نظر المواريث ونظر الأوقاف بمدينة مصر، وشهادة الجيش، مات فى سابع ربيع الأول.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن قطب البكرى الشافعى، فى خامس عشر شوال. تصدر للاشتغال بالفقه مدة.



---

(١) المعروف أن بلاد البلغار ربطتها علاقات بالإسلام والمسلمين منذ أيام الخليفة المقتدر العباسى.

(٢) محمد بن على بن محمد السلمى الحلبى أبو المعالى، ناصر الدين بن عشائر: حافظ، مؤرخ كان خطيب حلب وسافر إلى القاهرة فتوفى بها. من تصانيفه «ذيل على تاريخ حلب لابن العديم» و «تاج النسرين فى تاريخ قنسرين». انظر لحظ الألحاظ ١٧٠ وشذرات الذهب ٣٠٩/٦ وأعلام النبلاء ٩٧/٥ والدرر الكامنة ٨٥/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٥/١ والأعلام ٢٨٦/٦.

سنة تسعين وسبعمائة

فى المحرم: قدم قاصد من الأمير مُنطاش، يخبر أنه باق على الطاعة، فقدم البريد من حلب أنه خارج عن الطاعة، وقصد بهذا المدافعة عنه، حتى يدخل فصل الربيع، وتذوب الثلوج. فسير السلطان الأمير سيف الدين تُلَكْتَمُر الدوادار بعشرة آلاف دينار للأمراء المجردين، تقوية لهم وتوسعة عليهم، وليعرف حقيقة أمر مُنطاش.

وقدم الأمير جُمُق بن الأتابك أَيْتمِشِ من حلب، وقد قلد الناصرى النيابة بها.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قُرْقُماس - أمير الحاج - بالمحمل، والحاج، بعد ما أصابهم سيل عظيم فى ترعة حامد - فم وادى القباب - [1] فمات فيه عدد كبير، غرق منهم جمع ودفن مائة وسبعة، وتلف من الأمتعة شىء لا يعبر عنه كثرة، وذلك فى ليلة التاسع عشر منه.

وفيه سمر على بن نجم أمير عرب القيوم، ومعه عشرون رجلا، ووسطوا كلهم، بسبب قتلهم محمد وعمر ابنى شادى.

واستقر الأمير علاء الدين أقبغا الماردانى كاشف الجيزة.

وقدم رسل ابن عثمان ملك بُرصا، فأنزلوا بالميدان الكبير بخط موردة الجبس.

واستقر عمر بن الخطاب فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنسا وأطفيح، عوضا عن أمير أحمد بن الركن.

وفى أول صفر استقر أيدمر أبو زلطة نائب الوجه البحرى. وعزل قطلوبغا أبو درقة. واستقر أبو درقة كاشف الوجه البحرى.

وفى ثامن عشره: أحضر ترسل ابن عثمان إلى الخدمة بالقلعة، وقدموا هدية مرسلهم.

وقدم الخبر برحيل تمرلنك عن توريز إلى سمرقند [2] وأن الأسعار ارتفعت بسائر بلاد الشام، وأبيعت الغرارة القمح فى بلد الرملة بثلاثمائة درهم فضة، فنقل الناس الغلال من ديار مصر إليها.

---

(١) كانت أقصى محلة بنيسابور على طريق العراق. انظر معجم البلدان ٥٧٣/٤.

(٢)سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن افريقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيل شمر قند، وعربت فيل سمرقند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ابن الوردى ٢١٤.

وقدم الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع الشريف على بن عجلان، وانهزم من على. ثم قدم مقاصده يسأل السلطان العفو عنه.

وقدم البريد بأن مِنْطاش خرج من ملطية إلى سيواس، فسار البريد بالخلع والأموال. لتفرق فى تلك البلاد.

وفيه فرق نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة عدة فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق، ليعلموهم من القرآن ما لا بد منه فى الصلاة، فاستمر ذلك، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين فى كل يوم.

وفى ربيع الأول: منع قراء الأجواق عامة من التهنيك، وأن يكون عوضه الصلاة على النبى ﷺ.

وفى هذا الشهر: وقع بالقاهرة، ومصر وضواحيهم طاعون وحميات حادة، وفشى الموت بذلك فى الناس.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقصر على العادة، وأقيم السماع بإبراهيم بن الجمال وأخيه خليل يشبب.

وفى ليلة الأربعاء ثانى عشره: حضر ابنا الجمال المذكورين عند بعض أهل مصر مولدا. فلما أقيم السماع سقط البيت بمن فيه، فمات ابنا الجمال فى ستة أنفس، وسلم من عداهم.

ومن الاتفاق الغريب أنه كان يغنى بهذه الأبيات:

تغنيت فى حبكم ... ولا فادنى منه فن
وخضت بحار الهوى ... وجزت بوادى محن
وقالوا به جنة ... ومثلى بكم من يجن
فؤادى بكم هايم ... وعقلى بكم مفتتن
أغنى ولى فيكم ... فؤاد كثير الشجن
سيطرب من فى الحمى ... ويرقص حتى السكن

فلما وصل فى غنائه إلى قوله «ويرقص حتى السكن» سقط البيت على من فيه.
وتتمة هذه الأبيات:

لقد جئت مستعذرا ... لكم يا أهيل المحن
فجودوا على عبدكم ... وإن لم تجودوا فمن؟

وفى هذه الليلة: عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى المولد على عادته فى زاويته بناحية منبوبة [١] من الجيزة تجاه بولاق، فكان فيه من الفساد ما لا يوصف، إلا أنه وجد من الغد فى المزارع مائة وخمسون جرة فارغة من جرار الخمر التى شربت تلك الليلة فى الخيم، سوى ما حكى عن الزنا واللياطة، فجاءت ريح كادت تقتلع الأرض بمن عليها، وامتنع الناس من ركوب النيل فتأخروا هناك.

واتفق فى هذا الشهر موت خمسة من المشهورين، لم يخلفوا بعدهم مثلهم فى مغناهم، وهم: علم الدين سليمان القرافى المادح، مات ليلة الخميس تاسعه. وإبراهيم ابن الجمال المغنى، وأخوه خليل المشبب، فى ليلة الأحد ثانى عشره. وعلى بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر، فى ليلة الإثنين ثالث عشره. والمعلم إسماعيل الدجَيْجاتى، فى ليلة الأربعاء خامس عشره.

وفيه ورد الخبر بدخول العسكر المصرى إلى بلاد ملطية، لقتال منطاش.

وفى يوم السبت ثالث ربيع الآخر: استقر جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الحميدى فى قضاء الحنفية بالإسكندرية، وعزل همام الدين عبد الواحد السواسى [٢] العجمى.

وسار الشريف حسن بن عجلان [٣] من القاهرة إلى مكة، وسار معه جماعة يريدون العمرة والمجاورة بمكة.

وتزايد الموت، وطلب البطيخ الصيفى للمرضى، فأبيعت البطيخة بخمسين درهما فضة، وأبيع الرطل من الكمثرى بعشرة دراهم.

وفيه ندب قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، جماعة، فقرأو بالجامع الأزهر صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى فى رفع الطاعون. واجتمعوا أيضا فى يوم الجمعة سادس عشره بالجامع الحاكمى، وفعلوا ذلك. ثم اجتمعوا مرة ثالثة بالجامع

---

(١) من الأعمال الخيرية.

(٢) نسبة إلى سيواس.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه إلى مصر سنة ٨٢٨هـ فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٢١٣/٣، ٢١٤.

الأزهر، بعد عصر يوم الإثنين تاسع عشره، ومعه كثير من الأطفال الأيتام، فكان جمعا موفورا.

وفى سادس عشرينه: استقر الأمير أيدكار العمرى، حاجب الحجاب بديار مصر، عوضا عن الأمير قطلوبغا الكوكاى، وكانت هذه الوظيفة متوفرة نحو أربع سنين بعد وفاة الكوكاى، وأضيف إليه نظر الخانقاة الشيخونية. واستقر الأمير سيف الدين المعروف بسيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى حاجب ميسرة بإمرة مائة، عوضا عن أيدكار بحكم انتقاله حاجب الحجاب.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير بلّوط الصَرغَتْمُشى.

وفى تاسع عشرينه: مات الأمير سُنْبرج والى باب قلعة الجبل. وكثر الموت فى المماليك بالقلعة، فكان يموت منهم فى كل يوم زيادة على عشرين نفسا.

وفى أول جمادى الأولى: بلغت عدة الأموات الواردين على الديوان إلى مائتين وخمسة وثلاثين، سوى من يموت بالمارستان، وسوى الطرحاء على الطرقات.

وفى رابعه: استقر بحاس النوروزى نائب باب القلعة، وتزايدت عدة الموتى.

وفى رابع عشره: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس فى نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله بن ريشة بعد موته.

وفى حادى عشرينه: ورد صراى تَمُر - دوادار الأمير يونس الدوادار، ومملوك نائب حلب - على البريد بأن العسكر توجه إلى سيواس، وقاتل عسكرها، وقد استنجدوا بالتتار، فأتاهم منهم نحو الستين ألفا، فحاربوهم يوما كاملا، وهزموهم، وحصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين، وجرح معظمهم، وأن الأقوات عندهم عزيزة فجهز السلطان إلى العسكر مبلغ خمسين ألف دينار مصرية، وسار بها تُلَكْتَمُر الدوادار فى سابع عشرينه.

ثم أن العسكر تحركوا للرحيل عن سيواس، فهجم عليهم التتار من ورائهم فبرز إليهم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، وقتل منهم خلقا كثير، وأسر نحو الألف، وأخذ منهم العسكر نحو عشرة آلاف فرس، وعادوا سالمين إلى جهة حلب.

وفى حادى عشرينه: استقر كل من جَرْكَس وقُطْلوبَك السيفى أمير جاندار عوضا عن يَلْبُغا المحمدى وأَلْطُنْبغا عبد الملك بعد موتهما. وقدم البريد بقتل الصارم إبراهيم بن شهرى نائب دوركى على سيواس.

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين فى أستادارية السلطان، بعد موت الأمير بهادر المنجكى، واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى أستادار الأمير سودن باق فى شد الدواوين.

وفى يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: أنعم على كل من بَلُوط الصَرْغَتْمُشى ونوغيه العلاى، وناصر الدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخاناة. وعلى كل من داود ابن دلغادر، وناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى الشاد بإمرة عشرة.

وفيه استقر الأمير محمود الأستادرار مشير الدولة، وخلع عليه، فتحدث فى الدولة، والخاص، والديوان المفرد، وصار عزيز مصر. وحضر عنده الصاحب علم الدين كاتب سيدى، وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، وائتمرا بأمره.

وفى ثامنه: ارتفع الوباء بعدما تجاوز الثلاثمائة فى كل يوم.

وفى عاشره: قدم البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب بخبر وقعة سيواس التى ذكرناها، وعود العسكر إلى ملطية، فكتب بإحضار الأمير يونس الدوادار على البريد.

وفى ثانى عشره: خلع على الصاحب علم الدين خلعة استمرار، بعقب غضب السلطان عليه.

وفى رابع عشره – الموافق سادس عشرين بؤونة: - أخذ قاع النيل فجاء ستة أذرع وثمانية أصابع.

وفيه قدم الفقيه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الأشبيلى المغربى من الحجاز إلى القاهرة.

وفى تاسع رجب: قدم الأمير تُلَكْتَمُر الدوادار، وأخبر بأن منطاش قد فر من سيواس خوفا من القاضى برهان الدين أحمد صاحبها أن يقبض عليه.

وفى خامس عشره: استقر الأمير قُطلوبُغا الأَسَنْقجاوى أبو درقة كاشف الوجه البحرى، عوضا عن ركن الدين عمر بن إلياس بن أخلا قُرطُ.

وفى خامس عشرينه: استقر مُقْبل الطيبى والى قوص ملك الأمراء بالوجه القبلى، وعزل مبارك. واستقر الصارم إبراهيم الشهابى فى ولاية قوص.

وفى أول شعبان: أوفى النيل، ووافق ثالث عشر مسرى.

وفى ثالثه: قدم العسكر المجرد والأمراء من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل، فخلع على الأمراء وأركبوا خيولا بقماش ذهب، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة وأياما.

وفى عاشره: استقر بتخاص السودونى - حاجب طرابلس - فى نيابة صفد، بعد موت أركماس.

وفى خامس عشره: طلب السلطان الطواشى بهادُر مقدم المماليك، فلم يوجد بالقلعة، فأحضره سكرانا من بيت على البحر، فاشتد حنق السلطان عليه، ونفاه إلى صفد، وأعطى بها إمرة عشرة. واستقر عوضه الطواشى شمس الدين صواب السعدى - المعروف بشنكل الأسود - مقدم المماليك فى سابع عشره. واستقر الطواشى سعد الدين بشير الشرفى عوضا عن شنكل فى نيابة المقدم.

وفيه قدمت رسل الفرنج بجنوة فى الحديث بسبب من قبض عليه من الفرنج. وذلك أنه ورد الخبر أن بعض أقارب السلطان قدموا من بلاد الجراكسة فى البحر، فأخذهم الفرنج، فقبض على من بالإسكندرية منهم، وختم على أموالهم.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد بموت قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة بدمشق، فصلى عليه صلاة الغائب بجوامع القاهرة ومصر، فى يوم الجمعة خامس عشرينه.

وفيه عُقد عقد القاضى جمال الدين محمود القيصرى - قاضى العسكر - على ابنة ناصر الدين محمد بن المعلم شهاب الدين أحمد الطَّيْلُونى فى بيت الأمير يونس الدوادار، فكان يوما مشهودا.

وفيه استقر القاضى سرى الدين أبو الخطاب محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن زين الدين أبى محمد عبد الرحيم بن على بن عبد الملك السُّلمى المسَّلاتى فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن البرهان بن جماعة، وحمل إليه التشريف والتقليد إلى دمشق، مسئولا بذلك.

وفى ثامن رمضان: خلع على الصاحب علم الدين عقب عافيته من مرضه، وعلى الفخر بن مكانس ناظر الدولة، وابن الحسام الشاد، وعلى محمد بن صدقة الأعسر، واستقر والى الأشمونين، عوضا عن أمير حاج بن أَيْدُمر. ونقل أمير حاج إلى ولاية الفيوم (١) وكشفها وكشف البهنسا وأطفيح عوضا عن عمر بن خطاب.

واستقر محمد بن الهذبانى فى ولاية البهنسا، وعزل قُوزى.

---

(١) ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

وفى تاسع عشره: قبض على سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الديوان المفرد، وسلم لشاد الدواوين، وألزم بخمسة آلاف دينار، فباع أملاكه. وقبض على سعد الدين ابن قارورة - مستوفى الدولة - وألزم بثلاثين ألف درهم.

وفى رابع عشرينه: قبض على الصاحب الوزير علم الدين عبد الوهاب بن القسيس، المعروف بكاتب سيدى. واستدعى الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وخلع خلعة الوزارة، وسلم إليه كاتب سيدى، فألزمه بمال حمل منه ثلاثمائة ألف درهم، بعد ما قبض على حواشيه، والحاج عبيد البزدار، مقدم الدولة.

وفى يوم الخميس - سادس شوال: - قدم من حلب الأمير قرادمراش باستدعاء.

وفى تاسعه: قدم من الحجاز الشريف عنان بن مغامس أمير مكة، واستجار بالأمير الكبير أَيْتمِشِ، ونزل عنده، فشفع فيه، وأحضره إلى السلطان، فعفا عنه.

وفى عاشره: استقر شمس الدين محمد بن أخى الجار النيسابورى فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن شهاب الدين أحمد الأنصارى.

وخرج الحاج على العادة، وأمير الركب الأول جركس الخليلى أمير آخور، وأمير الركب الثانى أقبغا الماردانى، صحبة المحمل.

وقدم الخبر من أمراء دمشق بمخامرة أَلْطُنْبُغا الجوبانى نائب دمشق، وأنه ضرب طُرُنطَّاى حاجب الحجاب، واستكثر من استخدام المماليك، فبلغ الجوبانى ذلك، فاستأذن فى الحضور، فأذن له، فركب البريد من دمشق ونزل سرياقوس - خارج القاهرة - ليلة الخميس سابع عشرينه، فبعث إليه السلطان الأمير فارس الصَرْغَتْمشُى الجوكندار، فقيده وسار به إلى الإسكندرية، فسجنه بها. وقبض بقلعة الجبل فى يوم السبت تاسع عشرينه على الأمير أَلْطُنْبغا المعلم أمير سلاح، وقُرْدُم الحَسَنىِ - رأس نوبة - وقيدا، وحملا إلى سجن الإسكندرية، مع أَلْجبُغا الجمالى الدوادار.

واستقر الأمير سيف الدين طرنطاى حاجب دمشق فى نيابتها، عوضا عن الجوبانى، وحمل إليه التشريف والتقليد من قلعة الجبل إلى دمشق، مع سودن الطرنطاى. وكتب بقبض الأمير كمشبغا الحموى نائب طرابلس، فقدم سيفه فى عاشر ذى القعدة.

وفى حادى عشره: استقر الأمير أَلْجبُغا الجمالى الدوادار خازندارا ثانيا.

وتوجه الأمير شيخ الصفوى بتقليد أسندمر المحمودى حاجب طرابلس نيابة طرابلس. ونفى كُمُشْبغُا الأشرفى الخاصكى رأس نوبة إلى طرابلس، فسار من دمياط لأنه كان فى اليزك بها.

وفى خامس عشرينه: عزل أيدمر نائب الوجه البحرى، ثم أعيد من يومه.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد بعشرين سيفا من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم ببلاد الشام. وكتب بالقبض على الأمراء البطالين ببلاد الشام فقبض عليهم. وأعيد سودن العثمانى على نيابة حماة. واستقر كشلى القلمطاوى نائبا بملطية.

وفى يوم الخميس ثانى ذى الحجة: قدم الأمير سودن الطرنطاى من الشام بعدما قلد نائب دمشق، وقبض على الأمراء، فاستقر فى ثامنه رأس نوبة ثانيا عوضا عن قُرْدُم الحسنى.

وفيه قدمت رسل الأمير قرا محمد التركمانى بكتابه، يخبر أنه أخذ مدينة تبريز، وضرب بها السكة باسم السلطان، ودعا له على منابرها، وسير دنانير ودراهم ضربت بالسكة السلطانية. وسأل أن يكون بها نائبا عن السلطنة، فأجيب بالشكر والثناء. واستقر جمق السيفى فى ولاية الفيوم وكشفها، عوضا عن أمير حاج بن أَيْدَمُر. وقدم الأمير شيخ الصفوى من طرابلس.

وفى ثانى عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن عيسى أمير عرب العائد فى كشف الشرقية وولايتها، عوضا عن قُطْلُوبُغا التركمانى.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والسلامة.

وقدم البريد من الإسكندرية بوصول خواجا على أخى الخواجا عثمان، ومعه جميع من أسرهم الفرنج من أقارب السلطان. واستقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد ابن الحسين بن سليمان بن فزارة الكُفْرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين أحمد بن أبى العز بن الكشك. واستقر شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن المهاجر الحلبى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن شرف الدين مسعود. وأعيد محب الدين محمد بن الكمال محمد بن الشحنة إلى قضاء القضاة الحنفية بحلب، عوضا عن موفق الدين.

واستقر علاء الدين على بن أحمد بن عبد الله بن المقارعى فى قضاء القضاة الحنابلة بحلب، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فياض.

وكان الحاج من مصر خاصة سبعة ركوب من كثرتهم، سوى ركبى المغاربة والتكاررة، لتتمة تسعة ركوب.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى (١) الشافعى، بدمشق، ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان، ومولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة. و لم يخلف بعده مثله.

ومات الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الأسيوطى (٢) الشافعى بمكة، فى ثانى شهر رجب. وقد أسن وأفتى ودرس، وأسمع صحيح مسلم وغيره.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج والى الفيوم. كان أبوه أحد أمراء الألوف، وكاشف الوجه القبلى.

ومات الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى، بزاويته بناحية منبابة، فى سلخ شعبان.

ومات عماد الدين إسماعيل بن على، المعروف بابن المشرف، أستادار الأمير جركس الخليلى، فى العشرين من ذى القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المنجكى، أستدار السلطان، وأحد الأمراء الألوف، فى أول جمادى الآخرة.

ومات الوزير الصاحب علم الدين بن القسيس، المعروف بكاتب سيدى، الأسلمى، فى آخر ذى الحجة.

ومات القاضى أمين الدين عبد الله بن مجد الدين فضل الله بن أمين الدين عبد الله ابن ريشة القبطى الأسلمى، ناظر الدولة، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين جلبان الحاجب، فى خامس عشرين رمضان، وكان خيرا متدينا عارفا.

ومات الأمير سيف الدين سُبْرج الكمشبغاوى، نائب قلعة الجبل، فى تاسع عشرين ربيع الآخر.

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبرهيم، جمال الدين اللحمى الأسيوطى: أديب من فقهاء الشافعية. مصرى ناب فى الحكم بالقاهرة، وهاجر إلى مكة فاستوطنها ٧٧٦هـ وتوفى بها. له مختصر «شرح بانت سعاد وإعرابها». انظر الدرر الكامنة ١/ ٦٠ والأعلام ١/ ٦٤.

ومات الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد، المعروف بالعلاء السيرامى العجمى، شيخ المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، فى ثالث جمادى الأولى. وكان فاضلا فى الفقه على مذهب أبى حنيفة، مشاركا فى غيره، مشكور السيرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن قطلوبغا المحمدى، المعروف بقَشْقَلِدق، أحد أمراء العشرات، فى ثانى جمادى الآخرة.

ومات القاضى عز الدين أبو اليُمن محمد بن عبد اللطيف بن الكُوَيْك الربعى الشافعى، فى ثانى عشر جمادى الأولى، عن خمس وستين سنة، وقد أسمع الحديث مدة.

ومات القاضى تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكى موقع الدست، فى سابع عشرشعبان. وقد عين لكتابة السر.

* * *

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس.

ففي خامس المحرم: استقر قطلوبك السعدى البريدى والى الشرقية، عوضا عن الأميرشمس الدين محمد بن عيسى العايدى. واستقر ابن عيسى كاشف الشرقية.

وفي ثامنه: قدمت رسل ابن قَرَمان بهدية، فقبلها السلطان، وخلع عليهم.

وفي تاسع عشره: قدمت رسل فرنج جنوة بالخواجا على وأقارب السلطان ومعه هدية ملكهم، فقبلت، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير جركس الخليلى من الحجاز بإخوة السلطان.

وفي ثالث عشرينه: قدم البريد من سيس [(١)] بأن خليل بن دلغادر، ونائب سيس، جمعا تركمان الطاعة وحاربوا سولى بن دلغادر ومنطاش، وقتلوا كثيرا من أصحابهما، وهزماهما، وغنما ما معهما من الأموال والحريم.

وفيه قدم الأمير أَقْبُغا الماردانى بالمحمل وبقية الحاج.

وفيه استقر الشيخ جلال الدين نصر الله البغدادى الحنبلى فى تدريس المدرسة الظاهرية المستجد بدرس الحديث النبوى، عوضا عن الشيخ أحمد بن أبى يزيد، المعروف بمولانا زاده السيرامى. واستقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون عوضه فى تدريس الحديث بالمدرسة الصَرْغُتْمشية، خارج القاهرة.

وفي هذا الشهر: أشيع أن الأمير يلبغا الناصرى - نائب حلب - وقع بينه وبين الأمير سودُن المظفرى، وكاتب كل منهما فى الآخر، فلهج العامة فى كل وقت بقولهم: «من غلب صاحب حلب»، حتى لا تكاد تجد صغيرًا ولا كبيرا إلا ويقول ذلك، حتى كان من غلب الناصرى نائب حلب ما يأتى ذكره، فكان هذا من غرائب الاتفاقات.

وفي يوم الأحد خامس صفر: جمع السلطان الأمراء الخاصكية فى الميدان تحت القلعة، وشرب معهم القمز [(٢)]، وقرر لشربه يومى الأحد والأربعاء.

وفي سابعه: استقر سيف الدين أبو بكر بن شرف الدين موسى بن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن الصارم إبراهيم الشهابى.

---

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٢) القمز نبيذ يعمل من لبن الخيل.

وفي عاشره: بعث السلطان هدية الأمير يلبغا الناصرى، فيها عدة خيول بقماش ذهب وقباء، واستدعاه ليحضر. فلما قدم ذلك عليه خشى أن يفعل به كما فعل بالأمير أَلْطُنبغا الجوبانى، فكتب يعتذر عن الحضور بحركة التركمان ومنطاش، والخوف على حلب منهم، فلم يقبل السلطان عذره، وكثر تخيله منه. وبعث الأمير تلكتمر المحمدى الدوادار إلى حلب، وعلى يده مثالين ليلبغا الناصرى وسودُن المظفرى أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة. وسير معه خلعتين يلبسانهما بعد صلحهما. وحمله فى الباطن عدة ملطفات [١] إلى سودن المظفرى، وغيره من الأمراء، بقبض الناصرى وقتله إن امتنع من الصلح. وكان مملوك الناصرى قد تأخر عن السفر ليفرق كتبًا من أستاذه على الأمراء، يدعوهم إلى موافقته على الثورة بالسلطان. وأخر السلطان جواب الناصرى الوارد على يده ليسبقه تلكتمر إلى حلب، فبلغ المملوك ما على يد تلكتمر من الملطفات، وأخذ الجواب، وسار على البريد وجد فى السوق حتى دخل حلب قبل تلكتمر. وعرف الناصرى الحال كله، ويقال إن تلكتمر كان بينه وبين الشيخ حسن - رأس نوبة الناصرى - مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يخبره بما أتى فيه، فتنبه الناصرى لما أخبره الشيخ حسن برسالة تلكتمر، واحترز لنفسه. وخرج حتى لقى تلكتمر على العادة، وأخذ منه المثال، وحضر به إلى دار السعادة، وقد اجتمع الأمراء والقضاة وغيرهم لسماع المثال السلطانى. وتأخر سودُن المظفرى عن الحضور والرسل تستدعيه، حتى حضر وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه. فعندما دخل الدهليز جَسَّ قازان البرقشى - أمير أخور الناصرى - كتفه، فوجد السلاح وقال: «يا أمير، الذى يريد الصلح يدخل لابس آلة الحرب؟» فسبه المظفرى، فسل قازان عليه السيف وضربه، وأخذته السيوف من الدين رتبهم الناصرى من مماليكه حتى برد [٢]، فجرد مماليكه أيضا سيوفهم، وقاتلوا مماليك الناصرى، فقتل بينهم أربعة. وثارت الفتنة، فقبض الناصرى على حاجب الحجاب وأولاد المهمندار، وعدة ممن يخافهم، وركب إلى القلعة وتسلمها. واستدعى التركمان والعربان، وقدم عليه الأمير منطاش معاونا له، وداخلاً فى طاعته. وبعث تلكتمر إلى السلطان، فقدم فى خامس عشره وأعلم السلطان بخروج الناصرى عن الطاعة، واجتمع الناس معه، وكتب السلطان فى سابع عشره إلى الأمير سيف الدين أينال اليوسفى أتابك دمشق بنيابة حلب، وجهز إليه التشريف والتقليد. وطلب السلطان فى ثامن عشره القضاة والأعيان وأهل الدولة من الأمراء وغيرهم، وحدثهم بعصيان

---

(١) هى رسائل تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والتعزير.

(٢) أى حتى مات. انظر محيط المحيط.

الناصرى واستشارهم فى أمره، فوقع الاتفاق على إرسال عسكر لقتاله، فحلف الأمراء كلهم. ثم خرج السلطان إلى القصر الأول، وحلف أكابر المماليك على الطاعة.

وفى تاسع عشره: ضربت خيمة كبيرة بالميدان تحت القلعة، وضرب بجانبها عدة صواوين برسم الأمراء، ونزل السلطان إلى الخيمة، وحلف الأمراء وسائر المماليك. ثم مد لهم سماطًا جليلا، فأكلوا وانفضوا.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن قرا بغا فرج الله، وبزلار العمرى، ودمرداش اليوسفى، وكمشبغا الخاصكى الأشرف، وأقبغا حنجق، اجتمع معهم عدة كبيرة من المماليك المنفيين، وقبضوا على الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس، وقتلوا من الأمراء صلاح الدين خليل بن سنجر وابنه وقبضوا على جماعة، ودخلوا فى طاعة الناصرى.

وفيه عرض السلطان المماليك، وعين منهم أربعمائة وثلاثين للسفر ورسم لمن يذكر من الأمراء بالسفر، وهم: الأمير الكبير أيتمش الأتابك، والأمير جركس الخليلى أمير آخور، والأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس، والأمير يونس الدوادار، والأمير أيدكار حاجب الحجاب، وهؤلاء أمراء ألوف. ومن أمراء الطبلخانات فارس الصَرْغَتْمُشى، وبَكْلَمش رأس نوبة، وجركس المحمدى، وشاهين الصرغتمشى، وأقبغا الصغير السلطانى، وأينال الجركسى أمير آخور، وقديد القَلَمْطاوى. ومن أمراء العشراوات خضر بن عمر بن بَكْتَمُر الساقى، وناصر الدين محمد بن محمد بن أقبغا آص. وحمل إلى الأمير أُيتمِشِ مائتا ألف درهم فضة، وعشرة آلاف دينار ذهبا مصرية. وإلى كل من أمراء الألوف مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ما خلا أيدكار، فإنه حُمل له مبلغ ستين ألف درهم مع الذهب نظيرهم. ولمن عداهم من الأمراء لكل منهم مبلغ خمسين ألف درهم، وألف دينار، وأربعمائة دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد بأن مماليك الأمير سيف الدين سودن العثمانى - نائب حماة - هموا بقتله، ففر إلى دمشق، وأن الأمير سيف الدين بيرم العزى الحاجب بحماة دخل فى طاعة الناصرى، وملك حماة، فعرض السلطان المماليك وعين منهم أربعة وسبعين، لتتم جملة من يسافر من المماليك خمسمائة.

وورد الخبر باستيلاء الفرنج على جزيرة جَرْبَة. (١)

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: رسم للأمير بجاس والى باب القلعة، فتوجه إلى الخليفة المتوكل، ونقله إلى برج وضيق عليه، ومنع الناس من الدخول إليه خوفا من

---

(١) قرية كبيرة بالمغرب، قرب قابس.

الناصرى أن يدس من يأخذه، فإنه - أى الناصرى - شنع على السلطان بأمور أكبرها سجن الخليفة. فبات الخليفة به ليلة واحدة، ثم أعيد إلى مكانه. ورسم للطواشى مقبل الزمام بالتضييق على الأسياد أولاد الملوك الناصرية، ومنع من يتردد إليهم، والفحص عن أحوالهم، ففعل ذلك.

وفى يوم الإثنين ثانى ربيع الأول: خرج البريد بتقليد الأمير سيف الدين طُغاى تَمُر القبلاوى - أحد أمراء دمشق - نيابة طرابلس.

وفى خامسه: قدم قاصد خليل بن دلغادر بكتاه، يخبر أن سُنْقُر - نائب سيس - توجه إلى الناصرى ودخل فى طاعته، فلما عاد قبض عليه، وبعث سيفه، فخلع على قاصده.

وفيه أنفق فى المماليك نفقة ثانية، فالأولى لكل واحد من الخمسمائة مملوك ألف درهم فضة، والثانية أيضا ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح، فإنه فرق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملان، ولكل اثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال. ورتب لهم اللحم والجرايات والعليق، فرتب لكل من رءوس النوب فى اليوم ست عشرة عليقة، ولكل من أكابر المماليك فى اليوم عشر علائق، ولكل من أرباب الجوامك خمس علائق. ورسم لكل مملوك فى دمشق بمبلغ خمسمائة درهم.

وفى رابع عشره: استدعى السلطان شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى إلى مسجد رُدينى [(١)] داخل القلعة، واستدعى الخليفة المتوكل على الله فقام إليه وتلقاه، وأخذ فى ملاطفته والاعتذار إليه، وتحالفا. ومضى الخليفة إلى موضعه، فبعث إليه السلطان عشرة آلاف درهم، وعدة بقج، فيها صوف وثياب سكندرية، وفرو، لتتمة القيمة عن الجميع ألف دينار. فبعث الخليفة بجزء وافر من ذلك إلى شيخ الإسلام، وإلى والى القلعة.

وتواترت الأخبار بدخول سائر أمراء الشام والمماليك اليلبغاوية والأشرفية، وسولى أمير التركمان، ونعير أمير العربان، فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان. وأنه أقام سناجق خليفتيه، وأخذ جميع القلاع، خلا دمشق وبعلبك والكرك، فكثر الاضطراب بالقاهرة وقلعة الجبل. وخرج الأمراء والمماليك فى يوم السبت رابع عشره إلى الريدانية خارج القاهرة بتجمل عظيم واحتفال زائده، فإن الدولة كانت لم تطرق والبلد لم يتغير حاله، والناس فى عافية بلا محنة.

---

(١) يوجد بداخل قلعة الجبل.

وأقاموا فى التبريز [١] إلى يوم الإثنين سادس عشره، فكانت أياما مشهودة.

وفيه قدم البريد من صفد بأن وقعة كانت بها من أجل مخامرة بعض الأمراء.

وفيه أنعم علي قرابغا الأبو بكرى بإمرة صراى الرجى الطويل، وأنعم بإقطاعه على طغاى تَمُر الجَرَكْتَمُرى.

وفى سابع عشره: عزل موفق الدين أبو الفرج من نظر الجيش، واستقر عوضه جمال الدين محمود القيسرى قاضى العسكر الحنفى، واستقر الشيخ شرف الدين عثمان الأشقر إمام السلطان فى قضاء العسكر. واستقر القاضى سراج الدين عمر الحنفى العجمى محتسب القاهرة فى تدريس التفسير بالقبة المنصورية، عوضا عن جمال الدين محمود، برغبته له عنه.

وقدم البريد من دمشق بأن سودن العثمانى - نائب حماة - جدد له بركا [٢] بدمشق، وأقام عسكرا وسار معه الأمير صارم الدين إبراهيم بن هُمُزْ التركمانى يريد أخذ حماة، فلقيه الأمير منطاش بعسكر حلب، وقاتله وهزمه إلى حمص، ومعه ابن هُمُز.

وفيه أمر السلطان بإبطال الرماية والسَّلَف على البرسيم والشعير، وإبطال قياس القصب والقلقاس، والإعفاء بما على ذلك من المقرر السلطانى.

وفى سلخه: عزل مُقْبل الطيبى عن نيابة الوجه القبلى، وأعيد مبارك شاه.

وفى يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: قدم البريد من دمشق بأن كُمُشْبُغا المنجكى - نائب بعلبك - دخل فى طاعة الناصرى.

وفى خامسه: قدم البريد بأن ثلاثة عشر من أمراء دمشق خرجوا بمماليكهم إلى حلب نصرة للناصرى، فواقعهم النائب بمن معه، وجرح منهم عدة، وساروا إلى حلب. وأن الأمير جركس الخليلى لما قدم إلى غزة، أحس بمخامرة الأمير علاء الدين أقبغا الصفوى نائب غزة، فقبض عليه، وبعثه إلى الكرك، وأقر فى نيابة غزة الأمير حسام الدين حسن ابن باكيش.

وفى عاشره: أنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرين، عوضا عن نوغاى العلاى بعد موته.

وفى حادى عشره: عزل ناصر الدين محمد بن العادلى، واستقر عوضه فى ولاية

---

(١) المقصود المبارزة.

(٢) البرك: ثقل المسافر ومتاعه.

منوف أقبغا البَشْتَكى. وعزل الصارم إبراهيم الباشقردى من ولاية أشموم الرمان، واستقر عوضه علاء الدين على بن المقدم.

وفى تاسع عشره: عزل قُنُق السيفى عن كشف الفيوم وولايتها، وكشف البهنسا وأطفيح، واستقر شاهين الكَلَبكى عوضه. وعزل محمد بن صدقة بن الأعسر من الأشمونين، واستقر عوضه عز الدين أَيْدَمُر المظفرى.

وفى عشرينه: قدم رسول قرا محمد التركمانى، ورسول الملك الظاهر صاحب ماردين، بقدومهما إلى الخابور [١]، ويستأذنان فى محاربة الناصرى، فأجيا بالثناء والشكر، وأنهما ادخرا لأهم من هذا. ودخل العسكر المصرى إلى دمشق يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فتلقاه الأمير حسام الدين طُرُنْطَاى النائب، واتفقوا على إرسال طائفة من أعيان الفقهاء إلى الناصرى؛ ليدخلوا بينه وبين السلطان فى الصلح، فساوا فى ثانى عشره بكتب الأمراء وهو فيما بين قارا [٢] والنبك [٣] فلما وصل الجماعة إليه تلقاهم ووعدهم بالجميل وأنزلهم فى مكان، ووكل بهم من يحفظهم. وقد سار من حلب بمن معه يريد دمشق. وقد أقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق، واشتغلوا باللهو حتى نزل عليهم الناصرى، فى يزم السبت تاسع عشره، خان لاجين - خارج دمشق - فخرج فى يوم الأحد ويوم الإثنين حادى عشرينه عساكر مصر ودمشق إلى برزة [٤] والتقوا بالناصرى على خان لاجين وقاتلوه قتالا شديدا، انكسر فيه مرتين من المماليك السلطانية. فعندما تنازلوا فى المرة الثانية أقلب الأمير أحمد بن يلبغا رمحه، وصاح «فرج الله»، ولحق بعسكر الناصرى، ومعه مماليكه، وتبعه الأمير أيدكار والأمير فارس الصرْغَتْمُشى والأمير شاهين أمير آخور، بمن معهم، وقاتلوا المماليك ومن بقى من أمراء مصر ودمشق، معاونة للناصرى، فثبتوا لهم ساعة، ثم انهزموا. فهجم مملوك من عسكر الناصرى يقال له يلبغا الزينى الأعور، وضرب الأمير جركس الخليلى فقتله، وأخذ سلبه [٥]، وترك رمته بالعراء عارية مدة، إلى أن كفنته امرأة ودفنته. ومدت التراكمين أيديهم ينهبون من انهزم، ويأسرون من ظفروا به. ولحق الأمير أَيْتَمش بدمشق، وتحصن بقلعتها. وتمزق سائر العسكر، ودخل الناصرى دمشق فى يومه بعساكره وجموعه، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال. وأوقع الحوطة على سائر ما للعسكر.

---

(١) اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٢) قرية كبير من حمص. انظر معجم البلدان ١٨٢/٤.

(٣) قرية بين حمص ودمشق انظر معجم البلدان ٢٠٢/٥.

(٤) قرية من غوطة دمشق انظر معجم البلدان ٤٨٢/١.

(٥) ما يسلب من ثياب وسلاح ودابة انظر محيط المحيط.

وقيد أَيْتَمش وطُرُنطاى نائب دمشق، وسجنهما بالقلعة. وتتبع بقية الأمراء والمماليك، فقبض من يومه على الأمير بَكْلَمِش العلاى فى عدة من المماليك، واعتقلهم. ومدت الأجناد والتركمان أيديهم إلى النهب، وتبعهم أوغاد الناس، فما عفوا ولا كفوا، وتمادوا على هذا عدة أيام.

وفى رابع عشرينه: عزل سُنْقُر السيفى عن ولاية دمياط، واستقر عوضه ركن الدين عمر بن إلياس، قريب قُرُط.

وفى سادس عشرينه: استقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون فى مشيخة الخانقاة الركنية بيبرس، عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر بعد موته.

وفى سابع عشرينه: ورد الخبر من غزة بكسرة الأمراء والمماليك فى محاربة الناصرى، واستيلائه على دمشق، وقتل الخليلى، والقبض على الأمير أيتمش وغيره، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد. وكان فى البلد وباء، والناس فى شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنعت القالة.

وفى ثامن عشرينه: صرف سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى العجمى عن حسبة مدينة مصر، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر. واستقر عوضا عنه فى حسبة مصر همام الدين العجمى. واستقر الشيخ شمس الدين محمد بن على البلالى الحلبى فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن الشيخ شمس الدين محمد ابن أخى جار الله النيسابورى بعد موته. واستقر شمس الدين محمد القليجى فى إفتاء دار العدل عوضا عن النيسابورى.

وفيه خرج السلطان إلى الإيوان، واستدعى المماليك، واختار منهم خمسمائة، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضة؛ ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودن الطرنطاى.

وفى تاسع عشرينه: أنفق فى خمسمائة مملوك ثم فى أربعمائة، لتتمة ألف وأربع مائة مملوك. ثم أنفق فى المماليك الكتابية، لكل مملوك مائتى درهم فضة.

وفى يوم الأربعاء أول جمادى الأولى: أنعم على كل من قرابغا الأبو بكرى وبجاس النوروزى والى القلعة، وشيخ الصفوى، وقرقماس الطَّشْتَمُرى بإمرة مائة وتقدمة ألف،

نقلوا إليها من إمرة الطبلخاناه. وأنعم على كل من أجبغا الجمالى الخازندار، وألطُنْبُغا العثمانى رأس نوبة، ويونس الأسْعَردى الرماح، وقنق باى الألجاوى اللالا، وأسن بغا الأرغون شاهى، وبغداد الأحمدى، وأرسلان السيفى اللفاف، وأحمد الأرغونى، وجرباش الشيخى، وألطنبغا شادى، وأروس بغا المنجكى، وإبراهيم بن طَشْتَمُر العلاى، وقراكسك السيفى، بإمرة طبلخاناه، نقلوا إليها من إمرة العشرة. وأنعم على كل من السيد الشريف بكْتَمُر الحسنى والى القاهرة - كان - وقنق باى الأحمدى بإمرة عشرين. وعلى كل من سيف الدين بطا الطولو تمرى، ويلبغا السودونى، وسودن اليحياوى، وتانى بك اليحياوى، وأرغون شاه البيدمرى وأقبغا الجمالى الهذبانى، وقوزى الشعبانى، وتعزى بردى، وبكبلاط السونجى وأردبغا العثمانى، وشكر باى العثمانى، وأسنبغا السيفى، بإمرة عشرة، وكانوا من جملة المماليك.

وفيه قدم البريد من قطيا بأن الأمير أينال اليوسفى، والأمير أينال أمير أخور، وإياس أمير أخور، دخلوا إلى غزة فى عسكر، فاشتد الاضطراب، وكثر الخوف، وبدا على السلطان سيماء الزوال. وفى يومه استدعى السلطان القضاة والأعيان وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى.

وبعث الأمير سودن الطُرُنْطاى والأمير قُرْقُماس الطَشْتَمُرى، فأحضرا الخليفة المتوكل على الله، فقام إليه السلطان وتلقاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلفوا كلا منهما للآخر، فحلفا على الموالاة والمناصحة، وخلع على الخليفة، وقيد إليه حجرة شهباء [١] بسرج وكنبوش وسلسلة ذهب، فركب ونزل من القلعة إلى داره، وبين يديه الأمير بجاس النوروزى، وغيره، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يوما مشهودا. وأعيدت إقطاعاته ورواتبه، وأخلى له بيت بالقلعة ليسكنه، فنقل إليه حرمه، وسكنه، وصار يركب وينزل لداره، ويسير حيث شاء، من غير ترسيم، إلا أنه لا يبيت إلا بمنزله من القلعة وأفرج فيه أيضا عن الأمير أَسَنْبُغا السيفى أجاى من خزانة شمايل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وخيل وجمال وثياب وسلاح كبير.

وفيه عرض السلطان المماليك، وهم لابسين آلة الحرب، وقد ركبوا على خيولهم، وتفقد ما يحتاجون إليه، وأنعم عليهم به.

وفى يوم الجمعة: ثالثه قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن بقر، أمير عرب الشرقية - ومعه هجان الأمير جركس الخليلى، وحدث السلطان بتفصيل وقعة الأمراء مع

---

(١) هى الأنثى من الخيل. انظر القاموس المحيط.

الناصرى، وأنه فر مع الأمير يونس الدوادار فى خمس نفر، فعارضه الأمير عَنْقاء بن شَطِّى أمير آل مرا بالقرب من الخربة [١]، وأخذ يونس الدوادار وقتله، وبعث برأسه إلى الناصرى، ووقع الأمير أينال اليوسفى بيد حسن بن باكيش بالقرب من غزة، فبعث به إلى الكرك مقيدا. ففت ذلك فى عضد السلطان، واشتد قلقه، وانحط قدره، وزالت مهابته، واستشعر كل أحد ذهاب ملكه منه.

وفى رابعه: نودى فى القاهرة ومصر بإبطال سائر المكوس، فتفرق الكتاب وأرباب الشرط من مقاعدهم التى كانوا يجلسون بها لأخذ المكوس.

وفى سادسه: ركب الخليفة المتوكل على الله والأمير سودن الشيخونى - نائب السلطنة - وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، فكان الموكب للخليفة وبجانبه شيخ الإسلام وبين يديه النائب والحجاب والقضاة والأعيان، وداروا، ورجل على فرس أمامهم يقرأ من ورقة، أن السلطان قد أزال المظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وأنا قد سألنا العدو الباغى فى الصلح، فأبى وقد قوى أمره، فاحفظوا دوركم وأمتعتكم، وأقيموا الدروب على الحارات والسكك، وقاتلوا عن أنفسكم وحريمكم فتزايد خوف الناس وقلقهم، وشرعوا فى عمل الدروب وشراء الأقوات، والاستعداد للقتال والحصار. وكثر كلام العامة وانتقاصهم للدولة، وتجمع الزعر والدُعَّار ينتظرون قيام الفتنة، لينتهبوا الناس. وألزم الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام مباشرى جهات المكس بإحضار مكوس المبيعات، فاعتلوا بأن الناس امتنعوا من إعطاء المكس إعمادا على المناداة بإبطال المكوس، فألزمهم بمطالبة الباعة بمكس ما أبيع، فكثر بسبب ذلك اضطراب الناس، وتزايد طعنهم وهزؤهم بالدولة، وتناجوا فيما بينهم، وأكثروا من الجهر بقولهم: «السلطان من عكسه عاد فى مكسه». وبدا من الأمير قرا دمرداش وغيره تخذيل السلطان عن الحركة، وأنه يحصن القلعة، ويقاتل من ورائها. هذا وقد انقطعت الأخبار عن مصر، فإن مأمور نائب الكرك، وابن باكيش - نائب غزة - دخلا فى طاعة الناصرى ومنعا أحدا أن يرد إلى مصر، فكثر الكلام إلى أن قدم أحد مماليك السلطان الذين حضروا الوقعة، وأخبر بما أخبر به ابن بقر، وذلك فى سابعه، فزال الشك وتيقن كل أحد إدبار أمر السلطان.

وفى تاسعه: دمت طوائف من هوارة نجدة للسلطان، ونزلوا تحت القلعة ووقع الشروع فى حفر خندق القلعة، ومرمة أسوارها، وتوعير طريق باب القلعة المعروف

---

(١) قرب دمشق.

بباب القرافة، وتوعير باب الحوش، وباب الدرفيل [١] وسدت خوخة أيدغمش [٢] حتى صار لا يدخل منها راكب فرس. ونودى بإبطال مكس النشا، ومكس النحاس، ومكس الجلود.

وفى عاشره – وهو يوم الجمعة: – دعى فى الخطبة بجوامع القاهرة ومصر، للخليفة المتوكل على الله قبل السلطان.

وفى ثانى عشره: اجتمع القضاة بالمشهد النفيسى لقراءة تقليد ولد الخليفة المتوكل بنظر المشهد المذكور، ثم توجهوا إلى رباط الآثار النبوية، وقرأوا صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى للسلطان، وسألوه إخماد الفتنة.

وفى ثالث عشره: استقر قرا دمرداش أتابك العساكر، عوضا عن أَيْتَمش البجاسى، وسودن باق أمير سلاح، وقرقماش الطشتمرى الخازندار دوادار عوضا عن يونس، وقرا بغا الأبو بكرى أمير مجلس، عوضا عن أحمد بن يلبغا، وأقبغا الماردانى حاجب الحجاب، عوضا عن أيدكار، وتمربغا المنجكى أمير آخور، عوضا عن جركس الخليلى، وخلع عليهم كلهم.

وأنعم على صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز بإمرة طبلخاناه وعلى جلبان الكمشبغاوى الخاصكى بإمرة طبلخاناة.

وفيه كثر الاهتمام بتحصين قلعة الجبل، ونقل الأحجار إليها؛ ليرمى بها فى المنجنيق، وأمر سكان القلعة بادخار القوت لشهرين، ورسم بجمع الحجارين لسد فم وادى السدرة بجوار الجبل الأحمر، وأن يبنى حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة، وأن يبنى أيضا حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل.

وفيه أيضا نودى بأن يركب من له فرس من أجناد الحلقة للحرب، ويخرج من ليس له فرس بنشاب يرمى به مع العسكر، أو يصعد إلى القلعة حتى يرمى من بين شرفاتها، فكثر الهرج، وشنع الكلام، وتزايد القلق، وصارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبسة آلة الحرب. وطلبت آلات القتال بكل ثمن، فكسب أربابها مالا جزيلا، وتحاكى الناس عدة منامات رؤاها، تدل على زوال دولة السلطان، ولهجوا بذلك.

وفى ثامن عشره: استقر الأمير قرا دمرداش الأتابك فى نظر المارستان المنصورى

---

(١) تقع هذه الأبواب الثلاثة فى سور القلعة الشرقى، تجاه جبل المقطم والخندق. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

(٢) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/٤٥.

بالقاهرة، وخلع عليه، ونزل إليه على العادة وتتبعت عدة طرق تفضى إلى القلعة فسدت.

وفى سادس عشرينه: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس بمفرده فى نظر الدولة من غير شريك، بعد وفاة رفيقه تاج الدين بن ريشة.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير علاء الدين الطَشْلاقى والى قطْيا منهزما من عساكر الناصرى، فرسم للأمير حسام الدين حسين بن على بن الكورانى والى القاهرة، فسد الباب المحروق والباب الحديد - من أبواب القاهرة - وسد باب الدرفيل بجوار القلعة، والباب المجاور للقلعة المعروف قديما بباب سارية ويعرف اليوم بباب المدرج، تحت دار الضيافة. وسد عدة خوخ وأزقة، يتوصل منها إلى القلعة. وركب عند قناطر السباع ثلاثة دروب، أحدهما من جهة مصر، وآخر من طريق قبو الكرمانى، وآخر بالقرب من الميدان، وعمل عدة دروب أخر، وحفر خنادق كثيرة. هذا والموت بالطاعون فاشٍ فى الناس.

وأما الناصرى فإنه لما استقر بدمشق، نادى فى جميع بلاد الشام وقلاعها ألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النواب والأجناد، ومن تأخر - سوى من عين لحفظ البلاد - قطع خبزه، وسلبت نعمته. فاجتمع الناس إليه بأسرهم، وأنفق فيهم، وخرج من دمشق بعساكر كثيرة جدا، فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى، وأقر فى نيابة دمشق الأمير جَنْتَمُر أخاطاز وسار حتى نزل قطيا، ففر إليه من أمراء السلطان فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى سيف الدين طُغَيْتَمُر الجركتمرى، وأرسلان اللفاف، وأرْدَبُغا العثمانى، فى عدة من المماليك، ولحقوا بالناصرى بعد ما صدفوا الأمير عز الدين أيْدَمُر أبو درقة - ملك الأمراء بالوجه البحرى - وقد سار لكشف الأخبار، فضربوه، وأخذوا جميع ما معه، وساقوه معهم، وفرت عنه مماليكه.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أنفق السلطان بالإيوان فى العسكر، فأخذ كل من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء الألوف وأجنادهم خمسمائة درهم فضة، واستدعاهم طائفة طائفة، وأعطى كل أحد بيده، وسار يحرضهم على القتال معه، وبكى بكاء كثيرا، وفرق جميع الخيول - حتى خيل الخاص - فى الأمراء والأجناد.

وفى أثناء ذلك كثرت الشناعة فى القاهرة بوصول الناصرى ومنطاش، فتزاحم الناس فى شراء الخبز، وغلقت الأسواق، ولبس جميع الأمراء آلة الحرب، وركبوا إلى القلعة،

ووقفوا بالرميلة [١]، وحمل إلى الأمير أقبغا الماردانى جملة مال من السلطان، ليفرق ذلك فى الزعر وحملة السلاح من العامة؛ تقوية لهم ليقاتلوا مع العسكر، فاشتد خوف الناس من النهاية وصارت لهم اجتماعات وعصبيات. وافترقوا عدة أحزاب لكل حزب كبير وصاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويقتتلون بالحديد والمقاليع، ومن انفردوا من الناس أخذوا ثيابه، فتعطلت الأسواق وشغل كل أحد بما يترقبه من الخوف والنهب. واستعد الكافة للحصار، وأكثروا من شراء البقسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك، ونقل من ذلك ومن الأغنام إلى القلعة شىء كثير جدا. وفى ليلة الأربعاء حضر بهادر والى العرب، وأخبر نزول الناصرى إلى الصالحية، ومن معه من العساكر فى جهد. وقد وقف لهم فى الرمل عدة خيول، وأنه لما وجد الصالحية خالية من العسكر، سر بذلك وسجد لله شكرا، فإنه كان بحال لو تلقاه عسكر لما وجد فيمن معه منعة يلقى بها، وأن عرب العايد تلقاه بهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى وخدموا على العادة، وأحضروا الشعير وغيره من الإقامات. فرسم للأمير قرا دمرداش أن يتوجه لكشف الأخبار من جهة بركة الحبش؛ خشية أن يأتى أحد من قبل أطفيح، فسار لذلك. ورتب السلطان عسكره نوبتين، نوبة للحفظ بالنهار ونوبة للحفظ بالليل، وسير عدة من الأمراء إلى جهة مرج الزيات طليعة تكشف الخبر.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه: أنفق فى مماليك أمراء الطبلخاناة والعشراوات، فأعطى كل واحد أربعمائة درهم فضة، وأنفق فى الحطبردارية والبزدارية والأوجاقية، وأعطاهم القسى [٢] والنشاب [٣]، ورتب كثيرا من الأجناد البطالين بين شرفات القلعة ومعهم القسى والنشاب وأنفق فيهم المال، واستدعى رماة قسى الرجل من الإسكندرية فحضروا، وأنفق فيهم، ورتبهم بالقلعة فى يوم الأربعاء.

وفيه عاد الأمير سيف الدين قجماس ابن عم السلطان، ومن معه من مرج الزيات[٤]، و لم يقفوا على خبر، فخرج ليلة الخميس الأمير سودن الطرنطاى فى عدة من الأمراء إلى قبة النصر للحرس، وسارت طائفة أخرى إلى بركة الحبش. وبات السلطان بالإصطبل ساهرا لم ينم، ومعه النائب سودن وقرا دمرداش، وعدة من المماليك والأمراء.

---

(١) من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٣/٧٣.

(٢) قسى مفردها قوس وهو آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام ولها جمع آخر هو أقواس. انظر الوجيز ٥١٩.

(٣) والنشاب النبل ومفردها نُشَّابة والنَّشَّابُ صانع النُّشَّاب. انظر المعجم الوجيز ٦١٥.

(٤) المرج والزيات ناحية بمركز شبين القناطر بالقليوبية. القاموس الجغرافى ٣٩/١.

وفى يوم الخميس أول جمادى الآخرة: توجه الأمير قرا بغا الأبو بكرى إلى قبة النصر، وعاد و لم يقف على خبر. وظل الأمراء نهارهم لابسين آلة الحرب، وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة، ومعهم مماليكهم، ففر من مماليك السلطان اثنان، ومن مماليك الأمراء نحو الخمسين ولحقوا بالناصرى. ودارت النقباء على أجناد الحلقة، فحضروا إلى بيتى الأمير سودن النائب، والأمير أقبغا حاجب الحجاب، ففرقوا على أبواب القاهرة، ورتبوا بها لحفظها. وندب الأمير ناصر الدين محمد بن الدواداري - أحد أمراء الطبلخاناه - ومعه جماعة لحفظ قياسر القاهرة وأسواقها. وأغلق والى القاهرة باب البرقية، وأمر الناس بحفظ الدروب والخوخ، ورتبت النفطية على برج الطبلخاناه وغيره بالقلعة.

وقدم الخبر بنزول طليعة [١] الناصرى ببلبيس، ومقدمها الطواشى تُقْطاى الطَشْتَمُرى.

وفى يوم الجمعة ثانيه نزلت عساكر الناصرى البير البيضاء [٢]، فتسلل إليه العسكر أولا بأول. فكان أول من يخرج إليه من القاهرة الأمير جبرائيل الخوارزمى، ومحمد بن بَيْدَمُر نائب الشام، والأمير بجمان المحمدى نائب الإسكندرية، وغريب الخاصكى، وأحمد ابن أرغون الأحمدى اللالا.

فنصبت الصناجق السلطانية على برج القلعة، ودقت الكوسات الحربية، فاجتمع الأمراء والمماليك السلطانية والأجناد. وركب السلطان والخليفة المتوكل على الله من القلعة بعد العصر، ووقفا خلف دار الضيافة، وجميع من بقى من العسكر لابسون السلاح. واجتمع حوله من العامة ما لا يقع عليه حصر، ثم سار إلى الإسطبل، وجلس فيه. وصعد الخليفة إلى منزله بالقلعة وقد نزلت الذلة بالدولة، وظهر من جزع السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة. فلما غربت الشمس صعد إلى القلعة.

وفى يوم السبت ثالثه: نزل الأمير يلبغا الناصرى بركة الجب ظاهر القاهرة، ومعه من الأمراء الأمير سيف الدين تُمربغا الأفضلى المدعو منطاش، والأمير سيف الدين بزلار،والأمير سيف الدين كُمُشْبُغا، والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى، والأمير مأمور، والأمير أيدكار، فى آخرين وتقدمت الطلائع إلى مرج الزيات وإلى مسجد تبر، [٣] فغلقت أبواب القاهرة كلها، إلا باب زويلة، وغلقت جميع الدروب والخوخ، وسد باب القرافة، وماج [٤] الناس، وانتشر الزعر وأهل الفساد فىأقطار المدينة، وأفسدوا.

---

(١) الطليعة وهى المقدمة من الجيش. انظر الوجيز ٣٩٣.

(٢) البئر البيضاء مركز من مراكز البريد بين سرياقوس وبلبيس انظر صبح الأعشى ٣٧٦/١٤.

(٣) مسجد تبر يقع هذا المسجد خارج القاهرة قريبًا من المطرية بجوار سراى القبة حاليا، ويعرف بمسجد البئر والجميزة المقريزى المواعظ ٤١٣/٢.

(٤) ماج أى: اختلف القوم فى أمورهم واضطربت وماج الناس فى الفتنة. انظر الوجيز.

ونزل السلطان والخليفة من القلعة إلى تحت دار الضيافة، فقدم من الإسكندرية رماة قسى الرجل بالقسى محملة على الجمال، وهم نحو الثلاثمائة رام. ففرق فيهم مائة درهم لكل واحد، ورتبهم فى عدة أماكن. ونودى فى القاهرة ومصر بإبطال جميع المكوس(١). وفرقت دراهم على العامة. وخرج كثير من العامة إلى بركة الجب، حتى شاهدوا عسكر الناصرى وحدثوهم بما فعله السلطان من تحصين القلعة وغيرها.

وقدم الخبر بأن طليعة الناصرى وصلت إلى الخراب طرف الحسينية فلقيهم كشافة السلطان وكسروهم، فسار الأمراء إلى قبة النصر، ونزل السلطان فى بعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار، ثم عاد إلى الإسطبل وعاد إليه الأمراء والمماليك، والكوسات تدق، وهم جميعا على أهبة اللقاء، و مدافع النفوط (٢) لا تفتر، والرميلة قد امتلأت بالزعر والعامة ومماليك الأمراء، فلم يزالوا على ذلك حتى أصبحوا يوم الأحد، فإذا بالأمير علاء الدين أقبغا الماردانى - حاجب الحجاب - والأمير جُمق بن الأمير أيْتَمُش، والأمير صار الدين إبراهيم بن الأمير طشتمر الدوادار، قد فروا فى الليل، ومعهم خمسمائة من مماليك السلطان، ومماليك الأمراء، ولحقوا بالناصرى.

وفى يوم الأحد رابعه: فر الأمير قُرْقُمَاس الطشتَمُرى الدوادار، والأمير قرا دمرداش الأحمدى، والأمير سودن باق، وصاروا فى جملة الناصرى، فى عدة وافرة، بحيث لم يتأخر مع السلطان إلا طائفة من خاصكيته، من الأمراء، وابن عمه الأمير قَجْماس، وسودن الشيخونى نائب السلطنة، وسودن الطُرُنطاى، وتَمُربغا المنجكى، وسيدى أبو بكر بن سُنْقُر، وبيبرس التمان تَمُرى، وشَنْكل المقدم، وشَيْخ الصفوى.

وفيه أغلق باب زويلة وجميع الدروب والخوخ (٣)، وتعطلت الأسواق، وغصت القاهرة بالزعر، واشتد فسادهم، وتلاشت الدولة، واضمحل أمرها. وخاف والى القاهرة على نفسه، فقام من خلف باب زويلة، وسار بمن معه إلى منزله واختفى. وبقى الناس فوضى، فطمع المسجونون بخزانة شمايل، وكسروا قيودهم، وأتلفوا باب الخزانة، وخلصوا على حمية جملة واحدة، فتشبه بهم أهل سجن الديلم والرحبة، وخرجوا أيضا. واشتد الأمر حتى داخل الخوف كل أحد من الناس على نفسه وماله وأهله، وأمر السلطان من عنده من المماليك، فوقفوا تحت الطبلخاناه، ومنعوا العوام من التوجه إلى

---

(١) المكس: الضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

(٢) النفوط وهو النفاط مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز.

(٣) الخوخ والخوخة كوة فى البيت تؤدى إليه الضوء وباب صغير وسط باب كبير نصب حاجزًا بين دارين.

يلبغا الناصرى؛ لما بلغه من فعلهم بالأمس، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنشاب، وقتلوا منهم عدة تزيد على العشرة.

وأقبلت طليعة الناصرى، فقاتلهم قجماس ابن عم السلطان، وكثر الرمى عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفط والحجارة فى المقاليع [1]، وهم يوالون الكر والفر، وأمر السلطان فى إدبار، وأصحابه تتفرق عنه شيئا بعد شىء، وتصير إلى الناصرى. وكان السلطان قد فرق فى كل من الأمراء الكبار عشرة آلاف دينار، وفى كل من الطبلخاناه خمسة آلاف دينار، وفى كل من العشراوات ألف دينار، وأعطى الأمير قرا دمرداش فى ليلة واحدة ثلاثين ألف دينار، وحلفهم ألا يغدروا به، فما أغنى عنه ذلك شيئا، وفروا عنه، وصاروا مع عدوه عليه، ولم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه. وتكاثر الزعر يريدون نهب القاهرة لكثرة ما كان فيها من حواصل [2] الأمراء، فقاتلهم أهل الحارات والدروب، ومنعوهم، فكان يوما فى غاية الشناعة. فلما كان آخر النهار أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقى عنده، وهم قجماس ابن عمه، وسودن النائب، وسودن الطرنطاى، ومحمود الأستادار، وبعض المماليك، وقالوا: «نحن نقاتل بين يديك حتى نموت». فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على قولهم.

وقدم بعد العصر من عسكر الناصرى الطواشى طُقْطاى الطَشْتُمرى، والأمير بزلار العمرى، والأمير ألطنبغا الأشرفى، فى نحو الألف وخمسمائة فارس، يريدون القلعة، فبرز إليهم الأمير بُطا الخاصكى، والأمير شكربيه فى عشرين فارسا، فكسروهم إلى قبة النصر. فلم يغتر السلطان بذلك، وعلم أن أمره قد زال، فدبر لنفسه، وبعث الأمير المعروف بسيدى أبو بكر بن سُنْقر الحاجب، والأمير بَيْدَمُر المجدى - شاد القصر - بالمنجاة إلى الناصرى؛ ليأخذ له منه الأمان، فساروا فى خفية، واجتمعا بالناصرى خلوة، فأمنه على نفسه، وأمره بالاختفاء حتى يدبر له أمرا، فإن الفتنة الآن قائمة، والكلمة غير متفقة، فعادا إليه بذلك. فلما صلى العشاء الآخرة قام الخليفة إلى منزله بالقلعة، وبقى فى قليل من أصحابه، فأذن لسودن النائب فى التوجه إلى منزله، والنظر لنفسه، وفرق البقية، فمضى كل أحد لسبيله. واستقر حتى نزل من الإسطبل، فلم يعرف له خبر، وانفض ذلك الجمع من الأسوار وسكن دق الكوسات، ورمى مدافع النفط. ووقع النهب فى حواصل الإسطبل، فأخذوا منه نحو الألفى أردب من الشعير، ومائتى ألف درهم من الفلوس الجدد، وسائر ما كان فيه. ونهبوا أيضا ما كان فيه.

---

(١) المقاليع: مفردها مقلاع وهو ما يرمى به الحجر. انظر الوجيز ٥١٣.

(٢) حواصل الأمراء: بقية الأمراء ومفردها حاصل. انظر الوجيز ١٥٦.

ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وعدتها نحو الألفى رأس. ونبت طباق المماليك بالقلعة، واشتد بأس الزعر، وتخطفوا من مر بهم من المماليك والأجناد، وأخذوا ما عليه وأحاط أصحاب الناصرى بالقلعة، وأعلموا الناصرى بفرار السلطان، فثبت مكانه.

وزالت دولةِ الملك الظاهر كأن لم تكن، فكانت مدة تحكمه منذ قبض على الأمير طَشْتَمُر الدوادار فى تاسع ذى الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة، إلى أن جلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر فى تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

ويقال له فى هذه المدة الأمير الكبير أتابك العساكر. ومن حين تسلطن إلى أن اختفى ست سنين، وثمانية أشهر، وسبعة عشر يوما فيكون مدة حكمه أميرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما. وترك ملك مصر وله نحو الألفى مملوك اشتراهم، سوى المستخدمين. وكانت له فى مدته هذه آثار فاضلة، منها: إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البرلس، وشورى [١]، وبلطيم من أعم المصر شبه الجالية [٢] فى كل سنة، وهو مبلغ ستين ألف درهم فضة، وما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط من المكس، وما كان يؤخذ من معمل الفراريج بالنحريرية وأعمال الغربية بديار مصر، وما كان يؤخذ على الملح من المكس بعين تاب، وما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة من المكس، وما كان يؤخذ فى طرابلس عند قدوم النائب إليها من قضاة البر وولاة الأعمال، عن كل واحد مبلغ خمسمائة درهم، فى ثمن بغلة، ويقال لذلك «مقرر النائب»، وما كان يحمل فى كل سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهل الشرقية بديار مصر إلى من يسرح إلى العباسة؛ وما كان يؤخذ من مكس الدريس والحلفاء خارج باب النصر من القاهرة، وضمان المغانى بالكرك والشوبك من البلقاء [٣] ومنية بنى خصيب، وزفتى [٤] بديار مصر. وأبطل رمى الأبقار عند فراغ عمل الجسور على أهل النواحى. وأنشأ من العمائر المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة. ولم يعمر داخل

---

(١) شورى إقليم من البرلس قرب بلطيم معجم البلدان حـ٣.

(٢) الجالية وجمعها جوالى وهى ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية النوير نهاية الأردب ٢٣٦/٨.

(٣)البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عبيل بن لوط وهو بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/١، والروض المعطار ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٤) زفتا بكسر أوله وسكون ثانيه وتاء مثناه من فوقها بلد بغرب الفسطاط من مصر ويقال له منية زفتا. انظر معجم البلدان ١٤٤/٣.

القاهرة مثلها، ولا بأرض مصر والشام نظيرها، بعد مدرسة السلطان حسن، ولا أكثر معلوما منها، بعد خانكاة شيخو. وله أيضا السبيل من الصهريج [١] بقلعة الجبل من أحسن المبانى، والسبيل تجاه الإيوان بالقلعة، والطاحون بالقلعة أيضا، وجسر الشريعة على نهر الأردن [٢]، وطوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا. وجدد خزائن السلاح بالإسكندرية، وسور دمنهور [٣] بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزريبة البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس. وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم، قريبا من المدينة النبوية.

وكان حازما، مهابا، محبا لأهل الخير والعلم، إذا أتاه أحد منهم قام إليه، ولم يعرف قبله أحد من ملوك الترك يقوم لفقيه، وقل ما كان يمكن قام إليه، وقل ما كان يمكن أحد من تقبيل يديه، إلا أنه كان محبا لجمع المال. وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فلا يكاد أن يلى أحد وظيفة ولا عملا إلا بمال، فترقى للأعمال الجليلة والرتب السنية الأراذل، وفسد بذلك كثير من الأحوال. وكان مولعا بتقديم الأسافل، وحط ذوى البيوتات، وغيَّر ما كان للناس من الترتيب، وعادى أكابر التركمان والعربان ببلاد الشام ومصر والحجاز.

واشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة: إتيان الذكران، حتى تشبه البغايا لبوارهن بالغلمان، لينفق سوق فسوقهن، وذلك لاشتهاره بتقريب المماليك الحسان، وتهمته وتهمة أمرائه بعمل الفاحشة فيهم. والتظاهر بالبراطيل [٤] التى يستأديها، واقتدى الولاة به فى ذلك، حتى صار عرفا غير منكر ألبتة.

وكساد الأسواق وقلة المكاسب، لشحه وقلة عطائه. وبالجملة فمساوئه أضعاف حسناته. ولقد بعث العبد الصالح جمال الدين عبد الله السَكْسَيوى المغربى يخبر أبى - رحمهما الله - أنه رأى فى منامه أن قردا صعد منبر الجامع الحاكمى، وخطب ثم نزل، ودخل المحراب ليصلى بالناس الجمعة، فثار الناس عليه فى أثناء صلاته بهم، وأخرجوه من المحراب. وكانت هذه الرؤيا فى أخريات سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن

---

(١) الصهريج حوض كبير للماء جمع صهاريج.

(٢) نهر الأردن اسم البلد وإن كن معربات. انظر معجم البلدان ١٤٧/١.

(٣) دمنهور بفتح أوله وثانية بلدة بينها وبين الاسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة. معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٤) البراطيل مفردها برطيل هو الحديد أو حجر طويل صلب خلقة تقربهما الرحى، وحجر عظيم مستطيل بقدر الذراع يبنى به. وأيضًا بمعنى الرشوة.

حسين[١]، وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة. فكان تقدمه على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان متخلقا بكثير من أخلاق القردة، شحا وطمعا وفسادا ورذالة، ولكن الله يفعل ما يريد.

* * *

السلطان الملك الصالح المنصور حاجى
ابن الملك الأشرف بن حسين بن محمد بن قلاون

ولما اختفى الملك الظاهر برقوق [٢] في الليل، سار الأمير منطاش بكرة يوم الإثنين خامس جمادى الآخرة إلى باب القلعة، فنزل إليه الخليفة، وسار معه إلى الأمير يلبغا الناصرى بقية النصر خارج القاهرة، وقد انضمت أوغاد العامة وزعرانها إلى التركمان من أصحاب الناصرى، وتفرقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم، فانتهبوا ما وجدوا، وشعثوا [٣] الدور، وأخذوا أبوابها وكثيرا من أخشابها، وتطرقوا إلى منازل الناس خارج القاهرة، فانتهبوا كثيرا منها.

وقدم ناصر الدين محمد بن الحسام أستادار أرغون هزكه والى البهنسا [٤]، كان من قبل الناصرى على أنه والى القاهرة، فوجد باب النصر مغلوقا، فدخل بفرسه راكبا من الجامع الحاكمى إلى القاهرة، وفتح بابى النصر والفتوح.

واقتحم كثير من عسكر الناصرى المدينة، وعاثوا فيها، ومعهم من الزعر وأراذل [٥] العامة عالم عظيم، وحاصروا الدروب والحارات والأزقة [٦] ليدخلوا إليها وينهبوها،

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا. انظر مورد الطاقة لابن تغرى بردى ٨٧ وابن إياس ١:٢١٢ وحسن المحاضرة ٢:١٠٤ والدرر الكامنة ٢:١٩٠ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ ٣٢٤ والأعلام ١٦٤/٣.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة وتلقب الملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام وقام بأعمال من الإصلاح وبنى المدرسة البرقوقية بين القصرين - بمصر - وخلع سنة ٧٩١هـ. انظر ابن إياس ١: ٢٥٨و٢٩٠ والضوء اللامع ٣:١٠ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) شعت بفتحتين انتشار الأمر. المصباح المنير ٢٣٩، وأيضا الشعث ما تفرق من الأمر.

(٤) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل وهى عامرة كبيرة كثيرة الدخل انظر معجم البلدان ٥١٧/١.

(٥) الأرذل الدون الخسيس أو الردىء وجمعها أراذل. انظر المعجم الوجيز ٢٦٢.

(٦) **الأزقة** مفردها زقاق هو الطريق الضيق نافذا أو غير نافذ. انظر الوجيز ٢٨٩.

فمنعهم الناس وقاتلوهم جهدهم، فغلب الزعر وأشباههم على حواصل الأمير محمود الأستادار، بالقرب من الجامع الأزهر، وأخذوا منه شيئا كثيرا، وغلبوا على عدة حوانيت للتجار بشارع القاهرة، ونهبوها، فقاتلهم الناس، وقتلوا منهم أربعة. فمر بالناس من الأهوال ما لا يوصف. وبلغ الخبر الناصرى، فندب سيدى أبو بكر أمير حاجب وتنكز بغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة، فدخلا، ونودى بالأمان، وأن من ينهب شيئا، فلا يلومن إلا نفسه، ونزل تنكز بغا عند الجملون وسط شارع القاهرة، ونزل سيدى أبو بكر عند باب زويلة، فسكن الحال. وعندما أقبل الخليفة إلى وطاق الناصرى، قام إليه، وتلقاه، وأجلسه بجانبه، وحضر قضاة القضاة والأعيان للهناء. وأُمر الخليفة فصار إلى خيمة، وأخرج القضاة إلى خيمة أخرى.

واجتمع عند الناصرى من معه من الأمراء لتدبير أمرهم، وإقامة أحد فى السلطنة، فأشار بعضهم بسلطنة الناصرى، فامتنع من ذلك، وانفضوا بغير طائل، فتقدم الناصرى بكتابة مرسوم عن الخليفة، وعن الأمير الكبير يلبغا الناصرى، بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، وهم ألطنبغا الجوبانى، وقردم الحسنى، وألطنبغا المعلم، وإحضارهم إلى قلعة الجبل وسار البريد بذلك، وأمر بالرحيل من قبة النصر، وركب فى عالم كبير من العساكر القادمين معه، وعدتهم فيما يقال نحو الستين ألفا، وأن عليق [١] جماله فى كل ليلة ألف وثلاثمائة أردب. وسار إلى القلعة، فنزل بالإسطبل السلطانى ونزل الخليفة بمنزله من القلعة، ونزلت الأمراء فى منازل أمراء الظاهر برقوق، ففى الحال حضر إلى الناصرى الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وفخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة، والأمير ناصر الدين محمد ابن الحسام شاد الدواوين، وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وسائر أرباب الوظائف وقاموا بخدمته، فتقدم إلى ابن الحسام بتحصيل الأغنام لمطابخ الأمراء. وإذا بالناس تصرخ تحت القلعة، وتشكوا من كثرة نهب التراكمين والزعر، فأمر الناصرى الأمير منكلى الحاجب، وسيدى أبو بكر حاجب الحجاب، وأقبغا الماردانى، وبلوط، فنزلوا إلى القاهرة ونودى بأن من نهب من الترك والتركمان والعامة فاقتلوه. ووقف ابن الحسام متولى القاهرة عند باب زويلة لمنع من يدخل إلى القاهرة، وقبض على ثلاثة من التركمان، وسجنوا بخزانة شمايل، فخف الأمر. ونزل أيضا طائفة من الأمراء لحراسة القاهرة وظاهرها. ورسم للأمير تنكز بغا رأس نوبة بتحصيل مماليك الظاهر برقوق، فأخذ فى تتبعهم.

---
(١) العليق ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى هرج ومرج وقالات كثيرة فى الظاهر برقوق. واستدعى الناصرى الأمراء وشاورهم فيمن ينصب فى السلطنة، حتى استقر الرأى على إقامة الملك الصالح حاجى بن الأشرف، فإنه خلعه برقوق بغير موجب، فصعدوا من الإصطبل (١) إلى الحوش بالقلعة واستدعوه، وأركبوه بشعار السلطنة من الحوش إلى الإيوان، وأجلسوه على تخت الملك به، ولقبوه بالملك المنصور، وقلده الخليفة أمور الناس على العادة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه. ودقت البشاير، وقام إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه. ونودى فى الحال بالقاهرة بالأمان والدعاء للملك المنصور، والأمير الكبير يلبغا الناصرى، وتهديد من نهب، فاطمأن الناس.

ورتب الناصرى عند الملك المنصور بالقصر من الأمراء علاء الدين ألطنبغا الأشرفى، وأرسلان اللفاف، وقراكسك، وأردبغا العثمانى.

ورسم بمنع الأتراك والتركمان من دخول القاهرة. ونزل سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى، وتنكز بغا رأس نوبة، ونودى بين أيديهما بتهديد من نهب شيئا، وأقام تنكز بغا عند الجملون وسط القاهرة، وأبو بكر بن سنقر عند باب زويلة، وأخرجا من كان فى القاهرة من المماليك والتركمان.

وطلب الأمير حسين بن الكورانى، وخلع عليه عند الناصرى باستمراره على ولاية القاهرة، ونزل وقد سر الناس ولايته، فنادى بالأمان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان والأمير الكبير وتعين الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس مشير الدولة، وتعين أخوه فخر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته، وأخوهما زين الدين نصر الله فى ديوان الأمير الكبير يلبغا الناصرى. فاستدعى الفخر ابن مكانس مباشرى الجهات، وأعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر، فأخذت من الناس على العادة. ونودى بأمان الجراكسة، وأن جميع المماليك والأجناد على حالهم لا يغير على أحد منهم شيء مما هو فيه، ولا يخرج عنه إقطاعه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم الجوبانى وقردم وألطنبغا المعلم من الإسكندرية على البريد إلى الأمير الكبير، ونودى بأن من ظهر من المماليك الظاهرية فهو باق على إقطاعه، ومن اختفى بعد هذا النداء حل ماله ودمه للسلطان. ورسم لسودن النائب بلزوم بيته بطالا. وصار الأمير محمود الأستادار إلى ابن مكانس المشير، وترامى عليه، فأصلح حاله على مال يحمله إلى الأمير الكبير، وجمع بينهما، فأمنه الأمير الكبير.

---

(١) الإصطبل حظيرة الخيل جمعها إسطبلات. انظر المعجم الوجيز ١٦.

وفى ثامنه: اجتمع الأمراء وغيرهم فى القلعة للخدمة السلطانية، فأغلق باب القلعة، وقبض على تسعة من الأمراء المقدمين وهم الأمير سودُن الفخرى الشيخونى نائب السلطنة، وسودن باق، وسودن الطرنطاى، وشيخ الصفوى، وقجماس الصالحى ابن عم الظاهر برقوق، وأبو بكر بن سنقر الحاجب، وأقبغا المارديني حاجب الحجاب، وبجاس النوروزى، ومحمود بن على الأستادار، وقبض من أمراء الطبلخاناه على عبد الرحيم بن منكلى بغا الشمسى، وبورى الأحمدى، وتمربغا المنجكى، ومنكلى الشمسى الطرخانى، ومحمد جمق بن الأمير أيتمش، وطوجى، وقرمان المنجكى، وحسن خجا، وبيرس التمان تمرى، وأحمد الأرغونى، وأسنبغا الأرغون شاهى، وقنق باى السيفى الجاى، وجرباش الشيخى، وبغداد الأحمدى، ويونس الرماح الأسعردى، وأروس بغا الخليلى، وبطا الطولوتمرى، وقوص المحمدى، وتنكز العثمانى، وأرسلان اللفاف، وتنكز بغا السيفى، وألطنبغا شادى، وأقبغا اللاشينى، وبلاط المنجكى، وبجمان المحمدى، وألطنبغا العثمانى، وعلى بن أقتمر عبد الغنى، وإبراهيم بن طشتمر العلاى، وخليل بن تنكزبغا، ومحمد بن الدوادارى، وسليمان بن يوسف الشهرزورى، وحسام الدين حسين بن على الكورانى الوالى، وبلبل الرومى الطويل، والطواشى صواب السعدى شنكل المقدم، ومقبل الدوادارى الزمام. ومن أمراء العشراوات أزدمر الجوكانى، وقمارى الجمالى، وجلبان أخو مامق، وقلم طاى ابن أجاى اليوسفى، وأقبغا توز الشيخونى وصلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وعبدوق العلاى، ويمنشاه الشيخونى، وطولو بغا الأحمدى، ومحمد بن أرغون الأحمدى، وإبراهيم بن الشيخ على ابن قرا، وغريب ابن حاجى، وأسَنْبُغَا السيفى، وأحمد بن حاجى بلك بن شادى، وأقبغا الجمالى الهذبانى، وأمير زاه بن ملك الكرج، وجلبان الكمشبغاوى، وموسى بن أبى بكر بن سلار أمير طبر، وقنق باى الأحمدى، وأمير حاج بن أيدغمش وكمشبغا اليوسفى، ومحمد بن أقتمر الصاحبى الحنبلى النائب، وأقبغا الناصرى حطب، ومحمد بن سنقر المحمدى، وبهادر القجاوى، ومحمد بن طغاى تمر النظامى، ويونس العثمانى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وعمر بن يعقوب شاه، وعلى بن بلاط الكبير، ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب، ومحمد بن بكتمر الشمسى، وألجبغا الدوادار، ومحمد ابن يونس الدوادار، وخليل بن قرطاى شاد العماير، ومحمد بن قرطاى نقيب الجيش، وقطلوبك أمير جندار. وقبض على جماعة من المماليك.

وسفر قجُمْاس ابن عم الظاهر برقوق إلى طرابلس على البريد. وأفرج عن شَنكل المقدم، ومقبل الزمام، وشيخ الصفوى، ومحمد بن يونس الدوادار، وإبراهيم بن طشتمر

الدوادار، وعبد الرحيم وعبد الرحمن ابنى منكلى بغا، ومحمد بن الدواداري، وخليل ومحمد ابنى قرطاى، ويمن شاه، وقمارى، وحسين بن الكورانى، وعلى بن أقتمر عبد الغنى، وتنكز بغا، وبجمان، وبورى، وأقبغا اللاشينى، وخليل بن تنكزبغا، وسليمان بن يوسف الشهرزورى، وأزدمر الجوكانى، وجامان، وقمارى الجمالى، وابن ألجاى اليوسفى، وابن أَقْتَمُر الحنبلى، وابن أَيْدَغْمُش، وأحمد بن حاجى بك، وموسى أمير طبر. وسجن البقية بالزردخاناه.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما من أحضر السلطان برقوق وكان عاميا خلع عليه، وأعطى ألف دينار، وإن كان جنديا أعطى إمرة عشرة، وإن كان أمير عشرة أعطى طبلخاناة، وإن كان أمير طبلخاناة، أعطى إمرة مائة، ومن أخفاه بعد النداء شنق، وحل ماله للسلطان، فكثر كلام العامة فى ذلك.

وفى ليلة الجمعة: حمل الأمراء المسجونون فى الحراريق إلى سجن الإسكندرية خلا الأمير محمود. وعدتهم تسعة وعشرون أميرا، ونفى المماليك.

وفى يوم الجمعة تاسعه: قبض على ابن بقر، وابن عيسى العايدى، وابن حسن السلطانى، وطولبوا بمال قرر عليهم، ثم أطلقوا.

وفى عاشره: أفرج عن أقبغا الماردانى بشفاعة صهره أحمد بن يلبغا، فأعيد من الحراقة ومعه محمد بن تنكز، ورسلان اللفاف.

وورد الخبر باجتماع طائفة كبيرة من المماليك الظاهرية بناحية أطفيح، فتوجه إليهم الأمير منطاش، وعاد ولم يلقهم.

وفيه نودى ثانيا على الملك الظاهر، وهدد من أخفاه، فكثر الدعاء من العامة له، وعظم الأسف على فقده وثقلت وطأة أصحاب الناصرى على الناس، ونفروا منهم، فصار العامة يلهجون كثيرا، بقولهم: «راح برقوق وغزلانه وجاء الناصرى وثيرانه».

وفيه قبض على الأمير محمود وولده محمد، وقيد بقيد زنته أربعون رطلا، وقوائمه عشرة أرطال. وجعل فى عنقه ثلاث باشات [1].

وفى حادى عشره: استقر الشريف بكتمر بن على الحسينى فى كشف الجيزة، وابن الطشلاقى فى ولاية قطيا على عادته. وقبض على الطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، كان. وقد حضر مع الناصرى، وختم على حواصله. وذلك أنه اتهم بأنه أخفى السلطان الملك الظاهر، وأخرج منفيا إلى قلعة المرقب، هو وأسنبغا المجنون.

---

(١) الباشا لقب من ألقاب الشرف استعمل فى تركيا والبلاد التى خضعت لها. انظر الوجيز ٣٣.

وفي ثاني عشره: سجن الأمير محمود بالزردخاناه، وهو مقيد. وقبض على شيخ الصفوى، وسجن. وألزم حسين بن الكورانى الوالى بطلب المماليك الظاهرية، فنادى عليهم بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاهم.

وفيه أمر الوالى تجار القاهرة بنقل قماشهم من الحوانيت [١]، وخوفهم من النهب، فاضطرب الناس، وكثر كلامهم، وتوهموا اختلاف الدولة، وقيام الفتنة، وأخذوا في الاحتراز.

وفيه كثر فساد التركمان، وأخذوا النساء من الطرقات، ومن بعض الحمامات، وسلبوا من انفردوا به ثيابه، من غير أن يتجاسر [٢] أحد على منعهم.

وكثر أيضا ضرر الزعر وإخافتهم الناس.

وفيه أمر العسكر بنزع السلاح، وكانوا في هذه الأيام لا يزالوا بالسلاح عليهم وعلى خيولهم، فلا ترى أميرا ولا مملوكا ولا جنديا إلا لابس آلة الحرب.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: غُمز على الملك الظاهر برقوق. وذلك أنه لما نزل من الإصطبل في الليل مختفيا مضى إلى بيت أبي يزيد - أحد أمراء العشراوات - واختفى بداره، فلم يعرف خبره، والطلب له يشتد، وهجم على عدة بيوت بسببه، فلم يوجد. ونكر النداء عليه، فخاف أن يؤخذ باليد، فلا يُبقى عليه، فأعلم الأمير ألطنبغا الجوبانى بمكانه، فصار إليه، وقيل إنه نزل من الإسطبل ومعه أبو يزيد لا غير، فتبعه نعمان مهتار الطشت خاناه إلى الرميلة، فرده. ومضى هو وأبو يزيد إلى أن أخلى له مكانا اختفى فيه. وأخذ الناصرى يتتبع أثره حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد، وإنه لما تبعه رده، فأمر حينئذ حسين بن الكورانى بإحضار أبي يزيد، فشدد في طلبه، وهجم بيوتا كثيرة، فلم يقف له على خبر، فقبض جماعة ممن يعرفه وقررهم، فلم يجد عندهم علما به. وما زال يفحص حتى دله بعضهم على مملوك أبي يزيد، فقبض على امرأة المملوك وعاقبها، فدلته على أبي يزيد، وعلى الملك الظاهر، وأنهما في بيت رجل خياط بجوار بيت أبي يزيد، فمضى إلى البيت، وبعث إلى الناصرى يعلمه، فأرسل إليه الأمراء. وقيل إنه لما نزل من الإسطبل كان نحو نصف ليلة الإثنين، فسار إلى النيل وعدى إلى الجيزة، ونزل عند الأهرام، وأقام ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبي يزيد، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، حضر مملوك أبي يزيد إلى

---

(١) الحانوت: الحانة والدكان جمعها حوانيت. انظر المعجم الوجيز ١٧٦.

(٢) يتجاسر والجسور هو الشجاع وجمعها جُسُرٌ. انظر معجم الوجيز ١٠٥.

الناصرى، وأعلمه بأن الظاهر فى داره أستاذه، فأحضر أبا يزيد وسأله، فاعترف أنه عنده، فأخذه الأمير ألطنبغا الجوبانى، وسار به إلى حيث الظاهر، فأوقف الجوبانى من معه، وصعد إليه وحده. فلما رآه الظاهر قام له، وهّم أن يقبل يده، فاستعاذ با لله من ذلك. وقال: «يا خوند أنت أستاذنا، ونحن مماليكك». ثم ألبسه عمامة وطيلسة، ونزل به وأركبه وشق به الصليبية نهارا، حتى مر فى الرميلة، إلى أن صعد به إلى الناصرى فى الإصطبل، فحبس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو زيد بإحضار ما للظاهر عنده، فأحضر كيسا فيه ألف دينار، فأنعم به عليه، وخلع عليه، وخلى عنه. ورتب لخدمة الظاهر مملوكان وغلامه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل.

وفى خامس عشره: أفيض على الخليفة المتوكل تشريف جليل. وخلع على بدر الدين محمد بن فضل ا لله عند قراءة عهد الملك المنصور، وألبس الأمراء الذين قدموا مع الناصرى أقبية مطرزة بذهب. واستقر حسام الدين حسن بن على الكجكنى فى نيابة الكرك، عوضا عن مأمور القلمطاوى. وأُنعم على مأمور بإمرة مائة، بديار مصر.

وفى سابع عشره: توجه حسن لنيابة الكرك.

وفى تاسع عشره: قدم البريد من دمشق بأن الأمير أقبغا الصغير، والطنبغا استادار جَنْتَمُر، اجتمع عليهما نحو الأربعمائة من المماليك الظاهرية ليركبوا على جَنْتَمُر نائب دمشق، ويملكوا منه البلد. فلما بلغ جَنْتَمُر ذلك، ركب وكبسهم على حين غفلة، فلم يفلت منهم إلا اليسير، وفيهم أَقْبُغا الصغير.

وفيه أنعم على من يذكر من الأمراء، وخلع عليهم وهم: الأمير سيف الدين بزلار العمرى استقر فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين كمشبغا الحموى فى نيابة حلب[1]، وسيف الدين صنجق السيفى نائب طرابلس، وشهاب الدين أحمد بن محمد ابن المهندار فى نيابة حماة.

وفى حادى عشرينه: عرض الأمير ألطُنْبُغا الجوبانى المماليك الظاهرية، واخرج من المستخدمين مائتين وثلاثين لخدمة المنصور، وسبعين من المشتروات، نزلهم بالطباق من القلعة وفرق من عداهم من الأمراء.

وكان الغرض بالإصطبل، وأنعم على كل من آقبغا الجمالى الهذبانى أمير أخور

(١) حَلَب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات ا لله عليه ولها بساتين قلائل ويمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين حبل قنسرين . انظر تقويم البدان ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

ويلبغا السودونى، وتانى بك اليحياوى، وسودن اليحياوى، بإمرة عشرة فى حلب، ورسم بسفؤهم مع النائب.

وفى ليلة الخميس ثانى عشرينه: رسم بسفر الملك الظاهر بروق إلى الكرك (١) فأخرج من قاعة الفضة ثلث الليل إلى باب القرافة - أحد أبواب القلعة - ومعه الأمير ألطنبغا الجوبانى، فأركبه هجينا، وعين معه من مماليكه ثلاثة مماليك صغار وهم: سوُدن، وقُطلوبغا، وأقباى. وسار به إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأسلمه إلى الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى، فتوجه على عجرود إلى مدينة كرك الشوبك، وسلمه إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائبها، فأنزله بالقلعة فى قاعة النحاس. وكانت ابنة الأمير يلبغا العمرى - امرأة مأمور - بالكرك، فقامت له بما يحتاج إليه من الفرش والآلات. وقدمت له أسمطة تليق به واعتنى حسن الكجكنى بخدمته أيضا، وكان الناصرى قد أوصاه له، وقرر معه إن رابه أمر من شيء يبلغه عن منطاش فليفرج عن الظاهر، فاعتمد ذلك، وصار يتلطف به ويعده بالتوجه معه إلى التركمان، فإن له فيهم معارف. وحصن القلعة، وصار لا يبرح عنه، ويأكل معه، حتى أنس به، وركن له، واطمأن إليه.

وفى يوم الخميس: خلع على نواب الشام خلع السفر.

وفيه استقر سيف الدين قُطْلوبُغا الصفوى فى نيابة صفد، وسيف الدين بُغاجُق السيفى فى نيابة ملطية (٢).

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن المماليك الظاهرية يخدموا مع نواب الشام، وألا يقيم أحد منهم بديار مصر، ومن تأخر بعد النداء حل دمه وماله، ونودى بذلك من الغد.

وفى رابع عشرينه: برز النواب بالريدانية خارج القاهرة للسفر.

وفى سادس عشرينه: أخلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أتابك العساكر، وعلى الأمير أُلطُنْبُغا الجوبانى واستقر رأس نوبة النوب، وعلى الأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدى، واستقر أمير سلاح، وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير سيف الدين تمرباى الحسنى، واستقر حاجب الحجاب.

---

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهور فى الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان.

وخلع على قضاة القضاة الثلاثة: جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى، وشمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى. وخلع على صدر الدين محمد المناوى مفتى دار العدل، وعلى بدر الدين محمد بن على بن فضل الله العمرى كاتب السر، وعلى الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وعلى موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص، وعلى جمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش، وعلى فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة، وعلى ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وعلى مقدمى الدولة والخاص، باستمرارهم على وظائفهم.

وفيه أعيد السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين إلى نقابة الأشراف. وصرف السيد جمال الدين عبد الله الطباطبى. واستقر كُمُشْبغا الأشرفى الخاصكى نائب قلعة الروم. ولم يخلع على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن بنت ميلق، لتوعكه وانقطاعه.

وفيه رحل النواب من الريدانية، وسافروا إلى البلاد الشامية، وسافر معهم كثير من التركمان وأجناد الشام وأمرائها.

وفيه نودى ألا يتأخر بديار مصر أحد من المماليك الظاهرية، إلا أن يكون فى خدمة السلطان أو الأمراء، ومن تأخر شُنق.

وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وعشرون أصبعًا. ونودى فى يومى الأربعاء والخميس أن التركمان والعربان يرجعوا إلى الشام.

وأخلع يوم الخميس تاسع عشرينه على قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، وعلى بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر وعلى أخيه جلال الدين عبد الرحمن مفتى دار العدل، وعلى شهاب الدين أحمد الدَّفَرى مفتى دار العدل المالكى، وعلى نجم الدين محمد الطَنْبَدى محتسب القاهرة، وعلى همام الدين العجمى محتسب مصر، وعلى شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس، وعلى بقية أرباب الوظائف، باستمرارهم على وظائفهم. وأخلع أيضا على الأمير علاء الدين أقبغا الجوهرى واستقر أستادار السلطان، وعلى الأمير آلأبغا العثمانى واستقر دوادارًا كبيرًا، وعلى الأمير علاء الدين ألطنبغا الأشرفى واستقر رأس نوبة ثانيا، وعلى الأمير سيف الدين جُلْبان العلاى واستقر حاجبا، وعلى سيف الدين بلاط العلاى واستقر حاجبا، وعلى سيف الدين قطلوبك السيفى واستقر أمير جاندار بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن شهرى واستقر نائب دُوْركى.

وفيه قدم البريد بوصول الأمير نعير بن حيار بن مهنا أمير العربان [١] إلى دمشق، قاصدًا رؤية الملك المنصور. ولم يحضر قط فى الأيام الظاهرية.

وفيه قدم فتح الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن الشهيد، كاتب سر دمشق

وفى سلخه: فرق الناصرى المثالات [٢] على الأمراء، وجعلهم أربعة وعشرين تقدمة. ونودى فى القاهرة ومصر بالأمان، ومن ظُلم أو غُبن، أو قُهر من مدة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يَلْبُغا أو حاجب الحجاب، حتى يأخذ حقه.

وفيه كُبست بيوت الأسرى، وأُخذ منها جرار الخمر، وكسرت تحت القلعة.

وفى يوم السبت أول شهر رجب: زعق زامر على باب السلسلة تحت الإسطبل - حيث سكن الأمير الكبير - فاجتمع الأمراء والمماليك، ولم يعهد هذا الزمر قط بمصر، وذكروا أنها العادة فى بلاد حلب، فلما اجتمع العسكر ركب الأمير الكبير يلبغا وسار إلى جهة البحر وعاد.

وفيه عقد مجلس بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وحضر القضاة والفقهاء، وجيء بابن سبع من السجن. وقد شُهد عليه بأشياء شَنِعة، وأرد أخصامه إراقة دمه عند القضاة المالكية، فكثر سعيه بالمال حتى فوض أمره للقضاة الشافعية، ليحكموا بحقن دمه، ثم أعيد إلى السجن.

وفى ثالثه: استقر الأمير حسام الدين حسين بن باكيش فى نيابة غزة على عادته، وسيف الدين بورى الأحمدى لالا السلطان، وبهاء الدين أرسلان اللفاف السيفى، وسيف الدين قراكسك، وسيف الدين أردبُغا العثمانى، رءوس نوب، وأخلع عليهم.

وفيه رسم أن يكون رءوس نواب السلحدارية والسقاة والجمدارية ستة لكل طائفة، على ما كانوا أولاً، قبل أن يستقر الملك الأشرف شعبان بهم ثمانية، فى سنة ست وسبعين، بزيادة اثنين فى كل طائفة. واستقر قُطْلُوبَك السيفى فى ولاية قلعة الجبل، عوضا عن بَجَاس. واستقر زين الدين فرج السيفى أمير جاندار بإمرة طبلخاناه. وولى شهاب الدين أحمد بن زين الدين عمر [٣] القرشى الواعظ قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن سرى الدين محمد بن المسلاتى، وأضيف إليه نظر الجامع الأموى، وخلع على الجميع.

---

(١) العربان من العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام المعجم الوجيز ٤١٢.

(٢) المثالات ومفردها مثال أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذانا بإعطاء أحد المماليك إقطاعًا من الإقطاعات الحالية.

(٣) أحمد بن عمر بن أبى الرضى أبو الخير، شهاب الدين [.......٧٩١هـ=.....١٣٨٩م] قاضى من أهل حماة بسورية ولى القضاء بحلب ثلاث مرات وكان عالمًا بالقراءات، له فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات.

وفى خامسه: قدم الأمير نُعَيْر، وخرج الأمير الكبير إلى لقائه، ومعه سائر الأمراء، وقدم سرى الدين المسلاتى معه.

وفى سادسه: صعد الأمير نُعَيْر إلى القلعة، وقبل الأرض بحضرة السلطان فخلع عليه، وأنزل بالميدان الكبير تحت القلعة.

وفيه أخلع على الأمير ألابغا الدوادار، واستقر فى نظر الأحباس، وعلى قُرْقُماس الطَشْتَمُرى، واستقر خازندارا.

وفيه عُقد عند الأمير الكبير مجلس بسبب ابن سبع، وحضر القضاة والفقهاء، وكثر الكلام إلى أن قال قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد بن خلدون للأمير الكبير: «يا أمير، أنت صاحب الشوكة، وحُكمك ماضٍ فى الأمة، ومهما حكمت به نُفذ». فحكم الأمير الكبير بحقن دمه وإطلاقه، فأفرج عنه، ولم يعهد قط أن أحدا من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم فى شيء من الأمور التى من عادة القضاة الحكم فيها، إلا أن قضية ابن سبع هذا كانت قد شَنُعت [١] وطال أمرها، وكثر التعصب فيها، فقوم يريدون قتله، وقوم يريدون إطلاقه، وجُبن القضاة عن إمضاء شيء من ذلك، حتى عُمل ما ذكر، وهى من غريب ما وقع.

وفى ثامنه: أُخلع على الأمير نعير خلعة السفر.

وفى ثالث عشره: أنعم على الطواشى صواب السعدى شنكل بإمرة عشرة، وأخذت منه إمرة الطبلخاناه. ولم يقع مثل ذلك، أن يكون مقدم المماليك بإمرة عشرة قط. وقبض على الأمير سيف الدين بَهَادُر الأعسر القجاوى المهندار، ونفى إلى غزة.

وفيه أَخْلَع الملك المنصور على شخص، وعمله خياط السلطان، فطلبه الأمير الكبير وأخذ منه الخلعة وضربه ضربا مبرحا، وأسلمه إلى شاد الدواوين، ثم أفرج عنه بشفاعة أحمد بن يلبغا، فشق ذلك على المنصور وقال: «إذا لم ينفذ مرسومى فى خياط، فما هذه السلطنة؟» وسكت على مضض [٢].

وفى خامس عشره: قبض على الأمير سيف الدين قراكسك، ونفى.

وفى سابع عشره: رُسم بالإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية، لشفاعة الأمير نُعَيْر فيهم.

---

(١) شَنُعَ شناعة أى: اشتد قبحه فهو شنيع وهى شنعاء. انظر معجم الوجيز ٣٥٢.

(٢) مضض: التألم ويقال قبله على مضض انظر الوجيز ٥٨٤.

وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشره: توجه أربعون أميرًا من المقدمين والطبلخاناه والعشراوات إلى الشرقية للكبس على العربان الزهيرية [١]، وقد كثر عبثهم، وعظم فسادهم فى الريف، وصارت لهم جموع. يذبح لهم فى بعض الأوقات أربعمائة رأس من الغنم و البقر، حتى يكفيهم أكلة واحدة من كثرتهم.

فسار الأمراء، وفيهم الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى، ومنطاش، وقرا دمرداش، وشنوا الغارات فى السباخ وبلاد أشموم [٢] الرمان، وقتلوا جماعة، وأخذوا نحو الثلاثمائة رجل وألف فرس، وعادوا بهم، فسمر منهم فى خامس عشرينه نحو الثمانين رجلا، وطيف بهم على الجمال ومشاة، ثم أفرج عنهم.

وفى سابع عشرينه: استقر طَغَنْجى فى نيابة البيرة [٣]، وسافر، واستقر بدر الدين محمود الكلُسْتانى السراى فى قضاء العسكر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمى. واستقر إمام الدين محمد بن العلاف - وكان مؤدب أطفال مصر ثم اتصل بالناصرى بحلب، فصار إمام الأمير الكبير - فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفى أول شعبان: أُمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا فى الآذان لكل صلاة بعد الفراغ منه «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» عدة مرار.

وسبب هذا أن رجلا من الفقراء المعتقدين سمع فى ليلة الجمعة بعد آذان العشاء الآخرة «الصلاة على النبى ﷺ»؛ فأعجبه ذلك، وقال لأصحابه: «أتحبون أن يعمل هذا فى كل آذان؟». قالوا «نعم» فبات وأصبح، وقد زعم أنه رأى رسول ﷺ فى منامه يأمره أن يقول لنجم الدين الطَّنْبَدى المحتسب يأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقيب كل آذان، فمضى إلى الطَّنْبَدى - وكان فى غاية الجهل - فسره قول هذا الرأى، وأمر بذلك، فاستمر إلى يومنا من سنة عشرين وثمانمائة.

وفى يوم الإثنين ثانى شعبان: استقر علاء الدين على البيرى الحلبى - موقع الأمير

---

(١) الزهيرية منسوب إلى بنى زهير وهم بطن من حذام من القحطانية القلقشندى. نهاية الأرب ص٢٥٦.

(٢) بلاد أشموم اسم لبلدة بمصر وهى قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك. انظر معجم البلدان ١/٥٢٦، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨. بلد قرب سُميساط بين حلب والثغور الرومية وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

الكبير - فى توقيع الدست، وأخلع عليه. واستقر قطلوبك النظامى، نائب الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر أَرَسْبُغا المنجكى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن أبو درقة. واستقر قطلوبغا التركمانى والى الفيوم (١) عوضا عن شاهين العلاى. واستقر تمراز العلاى والى البحيرة، عوضا عن أَيْدَمُر الشمسى أبو زلطة.

وفيه نودى على النيل ثلاثين أصبعا.

واستقر مقبل الطيبى والى قوص، عوضا عن أبى بكر بن موسى بن الدينارى. وقبض على أقبغا اللاجينى ونفى إلى الشام. واستقر أمير مَلَك - قريب جَنْتَمر أخى طاز - فى نيابة الرحبة، بتقدمة ألف.

وفيه أنزل بالمماليك السبعين، الذين رتبوا فى الطباق بالقلعة، وفرقوا على الأمراء. ورُسم أيضا بإبطال المقدمين والسوَّاقين والطواشية ونحوهم، وأنزلوا من القلعة، فاتضع أمر الملك المنصور.

وفيه حضر من الإسكندرية الأمير أبو بكر بن سنقر، ومنكلى الطرخانى وطرجى الحسنى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، فسفِّر الطرخانى وطرجى إلى الشام بغير خُبز. ولزم أبو بكر وعبد الرحمن منزلهما بطَّالين.

وفى خامسه: استقر أقبغا الفيل فى ولاية الشرقية (٢)، عوضا عن قُطْلُوبك السعدى.

وفى سادسه: نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وهو سادس مسرى أيضا، ففتح الخيج على العادة.

وفى ثانى عشره: أخلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر مشير الدولة. وعلى أخيه زين الدين نصر الله لنظر الإسطبل، واستقر صاحب ديوان الأمير الكبير، ونزلا وبين أيديهما زامر يزمر، ولم يعهد مثل هذا بمصر قط.

وفيه أُشيع أن منطاش تنكر مع الأمير الكبير، وتأخر عن الخدمة، وأظهر أنه متضعف؛ ففطن الأمير الكبير بأنه يريد عمل مكيدة، ولم ينزل لعيادته.

وبعث إليه الأمير ألطنْبُغا الجوبانى فى يوم الإثنين سادس عشره، فدخل عليه وقضى

(١) الفيوم وهى بلدة بمصر فهى ولاية غربية بينها وبين القسطاط أربعة أيام.

(٢) الشرقية مدينة شرقى مدينة المنصورة لأنها فى الجانب الشرقى. انظر معجم البلدان ٣٣٧/٣.

حق العيادة، وهمَّ بالقيام، فقبض عليه، وعلى عشرة من مماليكه، وضرب قُرْقُماس دواداره، فمات من ذلك بعد أيام. وركب منطاش حال مسكه الجوبانى فى أصحابه إلى باب السلسلة، وأخذ جميع الخيول التى كانت واقفة هناك. وأراد اقتحام الباب ليأخذ الناصرى على غفلة، فلم يتمكن من ذلك، وأغلق الباب. ورمى عليه مماليك الناصرى من أعلى السور، فعاد ومعه الخيول إلى داره وهى قريب من الرميلة،[1] بجوار مدرسة السلطان حسن، ونهب بيت الأمير أقبغا الجوهرى، وأخذ خيله وقماشه، وأصعد إلى مدرسة السلطان حسن الأمير تنكزبغا رأس نوبة، والأمير أَزْدَمُر الجوكانى دوادار الظاهر برقوق فى عدة مماليك، وحمل إليها النشاب والحجارة، فرموا على من فى الرميلة من أصحاب الناصرى من أعلى المأذنتين وجوانب القبة.

وألبس الناصرى مماليكه السلاح، وتلاحقت المماليك الأشرفية والظاهرية بمنطاش، وصار فى فارس، بعد ما كانت عدة من معه أولا نحو السبعين فارسا. وأتاه من العامة عالم كبير، فترامى الفريقان واقتتلا.

ونزل الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة، والأمير مأمور الحاجب، من عند الأمير الكبير. ونودى فى الناس بنهب مماليك منطاش والقبض على من قدروا عليه، وإحضاره إلى الأمير الكبير، فخرج عليهما طائفة من المنطاشية، وضربوهما وهزموا من معهما، فعادوا إلى الناصرى. ولحق الوالى بالقاهرة، وأغلق أبوابها. واشتدت الحرب، وتقرب منطاش من العامة ولاطفهم، وأعطاهم، فتعصبوا له، وتزاحموا على التقاط النشاب الذى يرمى به أصحاب الناصرى على منطاش، وأتوه به، وبالغوا فى المخاطرة معه، حتى كان الواحد بعد الواحد منهم يثب فى الهواء، ويختطف السهم وهو مار، ويأتى به منطاش.

ولا يزالون فى نقل الحجارة إلى مآذن مدرسة حسن. وأقبل الليل وهم على ذلك، فبات منطاش ليلة الثلاثاء على باب مدرسة حسن، والرمى لا يبطل، وأتاه طوائف من الظاهرية حتى أصبح يوم الثلاثاء، وقد زادت أصحابه على الأف فارس، فأتاه مماليك الأمراء وغيرهم شيئا بعد شىء، حتى خشن جانبه، واشتد بأسه. فبعث الناصرى بالأمير بجمان والأمير قرابُغا الأبو بكرى فى طائفة كبيرة، ومعهم المعلم أحمد بن الطولونى، وكثير من الحجارين، لينقبوا بيت منطاش من ظهره حتى ينحصر. فبعث إليهم عدة من

---

(١) الرميلة وهو منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد قرية نحو مكة وهى أيضا قرية بالبحرين لبنى محارب. والرميلة من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

جماعته قاتلوهم، وأخذوا بجمان والأمير قرابغا وهزموا من معهما، فرتب الناصرى عدة رماة على الطبلخاناة، وعلى مدرسة الأشرف، فرموا على منطاش بالمدافع والنشاب، فقتل عدة من العوام، وجرح كثير، ونزل الأمير أحمد بن يلبغا والأمير جمق بن أيمش فى جمع كبير، وطردوا العامة، وقتلوا منهم وجرحوا عددا كبيرا، فحملت العامة فى فرسان منطاش عليهم حملة واحدة، وهزموهم أقبح هزيمة.

واستمر ذلك بينهما حتى انقضى النهار، وأقبل إلى منطاش الأمير أقبغا الماردانى بطلبه، وصار من جماعته، فتسلل الأمراء عند ذلك واحدا واحدا بعد ذلك، وأتوه. وكل من يأتيه من الأمراء يوكل به من يحفظه، ويبعث به إلى داره، ويأخذ مماليكه، يقاتل بهم. فلما رأى حسين الكورانى جانب الناصرى قد انهضم، خاف واختفى، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين بن الكورانى، وولاه ولاية القاهرة، وألزمه بتحصيل النشاب. ونزل إلى القاهرة وحمل إليه كثيرا من النشاب. ونادى فى القاهرة بالأمان والبيع والشراء وإبطال المكوس والدعاء للأمير منطاش بالنصر، فبعث الناصرى الخليفة المتوكل إلى منطاش، فحدثه فى الصلح وإخماد الفتنة، فقال: «أنا فى طاعة السلطان، وموافقة الأمراء. لكن الناصرى غريمى، فإنه حلف لى وأنا بسيواس، وحلف لى بحلب وبدمشق، أننا نكون شيئا واحدًا، وأن السلطان يتحكم كيف يشاء. فمنع السلطان من التصرف واستبد هو بالأمر، وأخرج بزلار إلى الشام، وبعثنى إلى قتال الفلاحين، ولم يعطنى شيئا من المال، سوى مائة ألف درهم. وأخذ لنفسه أحسن الإقطاعات، وأعطانى أضعفها، تعمل فى السنة ستمائة ألف درهم. ووالله ما أنا براجع عنه حتى أقتله أو يقتلنى، أو يقيم سلطانا يستبد بالأمور».

فقام الخليفة وأعاد الجواب على الناصرى، فركب بمن معه ونزل فى جمع كبير لقتال منطاش، فبرز إليه وقاتله وكسره، فقوى. وأتاه من الأمراء عبد الرحيم بن منكلى بغا، وصلاح الدين محمد بن تنكز ومعه خمسة أحمال نشابًا، وثمانون حمالا عليها المآكل، وعشرون ألف درهم، فنزل الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبغا، وألطنبغا المعلم، ومأمور، فى جمع موفور لقتال منطاش، فقاتلهم، واشتد الرمى عليهم من أعلى مدرسة حسن، فرجعوا خائبين. وأتاه العوام بنشاب كثير مما التقطوا من الرميلة، فترقق لهم، وقال أنا واحد منهم ونحو ذلك، وهم يبذلون نفوسهم فى خدمته. هذا والرمى شديد من القلعة على مدرسة حسن، ومنها على القلعة. وظفر منطاش بحاصل لجركس الخليلى، وبحاصل لِبَكلمِش، فأخذ منهما نشابا كثيرا، تقوى به.

ونزل إليه الأمير مأمور، وكشلى، وجُمُـق بـن أيتمـش فـى عـدة كبـيرة، فـبرز إليهـم العامة، وأكثروا من رميهم بالحجارة حتـى كسـروهم مرتـين، إلا أن الرمـى مـن القلعـة اشتد على من بأعلى المدرسة، وأصاب حجر من حجـارة المدافـع القبـة، خرقهـا، وقتـل مملوكا من المنطاشية، فبعث منطاش من أحضر إليه نـاصر الديـن محمـد بـن الطرابلسـى، وكان أستاذا فى الرمى بمدافع النفط. فلما جاءه جرده من ثيابه ليوسطه من أجل تـأخره عنه، فاعتذر إليه، ومضى فى طائفة من الفرسان، وأحضر الآلات، وصعد أعلى مدرسـة حسن، ورمى على الإسطبل حيـث سـكن النـاصرى، حتـى أحـرق جانبـا مـن الخيمـة، وفرق ذلك الجمع، وفر السلطان والناصرى إلى موضع امتنعا فيه.

ولم يمض النهار حتى بلغت فرسان منطاش نحو الألفـين، وبـات الفريقـان لا يبطـلان الرمى، حتى أصبحا فى يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش، وأتـاه الأمير تَمُرباى الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قُرْدِمُ الحسنى فـى جماعـة مـن الأمـراء، وصاروا فى جملته. وانتدب لقتاله الأمير قـرا دمـرداش وأحمـد بـن يلبغـا فهزمهمـا مـرارا عديدة. وفى كل ساعة يتسلل طائفة من أصحاب النـاصرى إلىمنطـاش، وتعبـث العامـة بالأتراك، وصاروا من وجدوه منهم قالوا «نـاصرى أو منطاشـى؟» فـإن قـال «منطاشـى» تركوه وأتوه بـه إلى منطـاش، وإن قـال «نـاصرى» أنزلـوه عـن فرسـه وأخـذوا مـا عليـه وسجنوه حتى يأتوا بـه إلى منطـاش. وتكـاثروا علـى بيـت الأمـير أيدكـار حتـى أخـذوا أيدكار وساقوه إلى منطاش، فأكرمه وأتاه الأمير ألطنبغـا المعلـم أيضـا، فعـين لهمـا جهـة يقفا بها ويقاتلا هناك. وبعث إليه الأمير قرا دمرداش يستأذنه فى الحضور إليه طائعا فلـم يأذن له وأتاه الأمير بَلُّوط الصرغتمشى بعدما حاربه عدة مرار، وحضـر أيضـا جمـق بـن أيتمش طائعا فاعتذر فقبل عذره. فلما أُذِّن العصر اختل أمـر النـاصرى وصـار فـى عـدد قليل، فلم يثبت وفر هو وقرا دمرداش، وأقبغا الجوهرى، وابـن يلبغـا، وألابغـا الـدوادار، وكشلى، فى نفر من المماليك، بعد ما أغلق بـاب الإسـطبل. وصعـد إلى القلعـة وخـرج مـن بـاب القرافـة، فبعـث أهـل القلعـة إلى منطـاش بذلـك، فسـار بمـن معـه وصعـد إلى الإسطبل، ووقع النهب فيه، فـأخذ منه مـن الخيـل والقمـاش والمـال شـىء كبـير جـدا. وتفرق الزعر والعامة إلى دور المنهزمين يريدون نهبها، فأخذوا ما قـدروا عليـه، ومنعهـم الناس من عدة مواضع.

وبـات منطـاش بـالإصطبل. وأصبـح يـوم الخميـس تاسـع عشـره، فصعـد القلعـة إلى السلطان، وأعلمه أنه فى طاعته، وممتثل سائر ما يرسم به، وتقدم إلى رءوس النوب بجمع المماليك وإنزالهم فى الطباق على العادة. ونزل إلى الإسطبل، فأحضر إليـه بالأمير أحمد

ابن يلبغا، والأمير مأمور، فحبسهما بقاعة الفضة. وأخرج الأمير بجمان المحمدى إلى الإسكندرية، فسجن بها. وكتب بإحضار الأمير سودن الفخرى النائب. واستدعى الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام، وبقية المباشرين، وأرباب الدولة، فأتوه. وقبض على كريم الدين بن مكانس، فوكل به من يحفظه، وقبض على الأمير يَلْبُغا الناصرى من ناحية سرياقوس، فسجن بقاعة الفضة من القلعة.

وفى العشرين منه: قبض على الأمير قرا دمرداش.

وفيه استقر الأمير سيف الدين دمرداش القَشْتَمُرى فى نيابة الكرك، وخلع عليه، ثم انتقض ذلك من يومه. وقبض أيضا على الأمير ألطنبغا المعلم، وكشلى القلمطاوى، وأقبغا الجوهرى، وألطُنْبُغا الأشرفى، وألابغا العثمانى، وتمرباى السيفى، وتمرباى الأشرفى، وفارس الصرَغَتْمُشى، وكُمَشْبُغا شيخ اليوسفى، وعبدوق العلاى، وبعثهم بأجمعهم إلى الإسكندرية.

وفى حادى عشرينه: أنعم على الأمير إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار بإمرة مائة، واستقر أمير مجلس.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير قطلوبغا الصفوى نائب صفد، والأمير أسَنْدَمُر الشرفى بن يعقوب شاه، والأمير تمان تمر الأشرفى، وعين لكل منهم إمرة مائة.

وفيه ضرب كريم الدين بن مكانس، وعصر مرتين بخزانة شمايل، فحمل مالا كبيرا من حاصل لجركس الخليلى.

وفى ثانى عشرينه: قبض على الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب، ويلبغا المنجكى، وإبراهيم بن قطلو أقتمر، أمير مجلس.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية القاهرة، وخلع عليه، وأخرج الطواشى تُقْطَاى الطَشْتَمُرى إلى الشام، على إمرة طبلخاناه.

وفى ثالث عشرينه: قبض على الأمير أرسلان اللفاف، وقراكَسَك السيفى، وأيدكار العمرى، وقُرْدم الحسنى، وأقبغا الماردانى، وعدة مماليك.

وفى خامس عشرينه: ظهر فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة، والتزم بمال، فخلى عنه، واستمر على وظيفته، وقبض على الطواشى مقبل الدوادارى الزمام، وجوهر اليلبغاوى لالا الملك المنصور.

وفيه أنعم على ألطنبغا دوادار الناصرى بإمرة فى صفد، وعلى بكتمر دواداره أيضا بإمرة فى طرابلس، وعلى رأس نوبته بإمرة فى حلب.

وفى سادس عشرينه: نقل قُطلوبَكَ النظامى من نيابة الوجه القبلى إلى نيابة صفد، عوضا عن قطلوبغا الصفوى، وأعيد الأمير مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى. وأنعم على إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار بإمرة تقدمة فى حلب، وأخرج إليها من يومه. وأخرج قراكسك إلى طرابلس على إمرة.

وفيه عذب الطواشى زين الدين صندل المنجكى على ذخائر الملك الظاهر، وعصر مرارا حتى دل عليها. واستقر شمس الدين بن الرويهب فى نظر الدولة، رفيقا للفخر بن مكانس؛ وخلع عليهما.

وفيه ألزم كتاب الدولة بمال فوزع على كل أحد بحسبه. وأعيد همام الدين إلى حسبة مصر، عوضًا عن إمام الدين. وأعيد سراج الدين عمر العجمى إلى قضاء العسكر.

وفى ثامن عشرينه: وصل الأمير سودن النائب من الإسكندرية، فأمر بلزوم داره.

وقدم من الشام الأمير منكلى الشمسى الحاجب، وطوجى الحسنى، فأخرجا إلى مدينة قوص (١) منفيين. وحبس الأمير ألطنبغا الجوبانى فى قاعة الفضة بالقلعة.

وفيه أنفق الأمير منطاش على من قاتل معه، فأعطى مائة منهم ألف دينار لكل واحد، وأعطى جماعة عشرة آلاف لكل منهم، ودونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم، ودونهم طائفة لكل منهم ألف درهم، وطائفة لكل واحد خمسمائة درهم، وطائفة لكل منهم مائتى درهم.

وفى تاسع عشرينه: خلع على زين الدين نصر الله بن مكانس، واستمر على نظر الإسطبل بمال يحمله.

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: استدعى منطاش المماليك الظاهرية وأغلق عليهم باب السلسلة، وقبض على نحو مائتى منهم. وبعث بالأمير جلبان الحاجب، والأمير بلاط الحاجب، فقبضا على كثير من الظاهرية.

وأخذ منطاش خيولهم، وقيدوا الجميع، وسجنوا فى البرج بالقلعة ونودى « من أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا»، وهدد من أخفى أحدا منهم، وتتبعت أسبابهم وأتباعهم وألزموا بهم. وقبض أيضا على الأمير أقبغا الماردانى، وقيد بعد ما خلع عليه بولاية الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه، ثم عصر حتى يقر على المماليك الظاهرية.

---

(١) مدينة قوص مدينة قبطية وهى كبيرة عظيمة واسعة. قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وفي ثالثه: قبض على الأمير سودُن النائب وأُلزم بمال يحمله، وقبض على الأمير قُـردُم الحسني بعد ما أفرج عنه، وقبض على بورى الأحمدى، وأرغون السلامى، وشاهين أمير أخور، وبهادُر فطيس أمير أخور، وجماعة من المماليك، واشتد الطلب على الظاهرية.

وفي رابعه: ضرب الأمير أقبغا الماردانى، وضرب عبد الرحيـم ابـن الصـاحب كريـم الدين بن مكانس فحمل مالا. وألزم سودن النائب بحمل ستمائة ألف درهم، أنعـم عليـه بها فى الأيام الظاهرية.

وفيه نودى بتجهيز الناس للحج مع الأمير أبى بكر بن سنْقُر.

وفيه وقف الناس تحت القلعة، وطلبوا إعـادة حسـين بـن الكورانـى إلى الولايـة، فـإن الزعر اشتدت شوكتهم، وشنع ضررهم، فإن منطاش كان قد اسـتدعاهم، وأنفـق فيهـم ستين ألف درهـم، وجعل عليهم عرفاء.

فأجابهم إلى ذلك، وبعث إليه أمانا، فحضر إليـه مـن اختفائـه، واستقر فـى الولايـة، وخلع عليه فنزل فى موكب عظيم.

وفي خامسه: نودى على الظاهرية، وهدد مـن أخفـى أحـدًا منهـم، وقبـض حسـين الوالى على جماعة منهم، وقيدهـم، وسـجنهم. وتتبـع أيضـا الزعـر [١] وأخـذ ثمانيـة مـن كبارهم، ثم أخذ ستة أيضا، وقطع أيديهم فى يـوم الأحـد سـابعه، وشـهرهم. وأحضـر خفراء الحارات وألزمهم بإحضار الزعر، فأخذوا من كل موضع، وسجنوا بخزانة شمايل، فسكن شرهم.

وفيه قبض على عدة من الظاهرية والناصرية وسجنوا.

وفي ثامنه: قدم الأمير قطلوبغا الصفوى نـائب صفـد، والأمـير أسـندَمُر الشـرفى بـن يعقوب شاه، فأنعم عليهما بالإمرة.

وفيه قبض على من كان فى خدمة الأمراء من الناصرية، ومـن كـان بطـالاً، فـأخذوا بأجمعهم من البيوت والإصطبلات، وحبسوا بخزانة شمايل فى القيود.

وفيه ظفر منطاش بذخيرة للظاهر، كانت بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

وفيه أُفرج عن الأمير محمود الأستادار، وخُلع عليه، وخلى لسبيله.

وفي تاسعه: قبض على الشريف عنان بن مَغَامس، وحبس مقيدًا.

---

(١) الزعر الشعر والريش والوبر. انظر المعجم الوجيز ٢٨٨.

وفيه ورد البريد بخروج الأمير نُعير عن الطاعة، غضبا للأمير يلبغا الناصرى، واتفق هو وسولى بن دلغادر التركمانى، ونهبوا عدة من البلاد الحلبية، وأن الأمير بزلار نائب دمشق خرج عن الطاعة أيضا.

وفيه استقر أبو بكر بن المزوَّق فى ولاية الشرقية، وعزل آقبغا الفيل.

وفى عاشره: قدم من الإسكندرية فى النيل إلى بولاق ساحل القاهرة عدة من الأمراء المسجونين، فرسم الأمير منطاش بأن يتوجه منهم ألطنبغا العثمانى، وبطا الطولوتَمُرى، وألطنبغا شادى، وعبدوق العلاى، إلى دمياط. ويتوجه منهم تمربُغا المنجكى، وقرمان المنجكى، وقُنق باى السيفى، وبيبرس التمَّان تَمُرى، وطوجى الحسنى، وقوصون المحمدى، وحسن خُجا، ومُقبل الرومى، وبغداد الأحمدى، ويونس الأسعَردى، وبلاط المنجكى، وطولوبغا الأحمدى، وتتمة خمسة عشر، إلى قوص.

وفيه حمل الأمير سودُن النائب مالا، واستمر الطلب عليه.

وفى حادى عشره: قبض علىالأمير أرغون البجمقدار العثمانى، بعد ما كان أخص الناس بمنطاش، وقُيد وعُصر.

وفى ثالث عشره: أخرج الطواشى صواب السعدى شَنْكل من القلعة، وأعيد الطواشى جوهر إلى تقدمة المماليك عوضه، واستقر صارم الدين إبراهيم بن بلُرغى فى ولاية القلعة، عوضا عن جُلْبان أخى مامُق.

وفيه أنعم على كل من يذكر بإمرة مائة وتقدمة ألف وهم: قُطلوبغا الصفوى، وناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، وأسندَمُر بن يعقوب شاه وتَمَّان تَمُر الأشرفى، وأيدكار العمرى، وأسندمر الشرفى - رأس نوبة منطاش - ، وجنتمر الأشرفى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتُكا الأشرفى، ومنكلى بغا خازندار منطاش، وصراى تَمُر دوادار منطاش. وتَمربُغا الكريمى، وألطنبغا الحلبى، ومبارك شاه.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة طبلخاناه وهم: الشريف بَكْتَمُر بن على الحسنى، وأبو بكر سُنْقُر الجمالى، ودمرداش القَشْتَمُرى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، وجُلُبان السعدى وأروس بغا سلنغر السيفى، وإبراهيم بن طَشتَمُر، وصُرْبغا الناصرى، وتنكز الأعور الأشرفى، وصراى تَمرُ الأشرفى، وأقبغا المنجكى، وتَلَكْتمُر المحمدى، وقرابغا السيفى، وقُطْلُوبُغا الزينى، وتمربغا المنجكى، وأرغون شاه السيفى، ومُقْبل السيفى، ومنطاش أمير سلاح، وطَيْبرَس السيفى رأس نوبة، وبَيْرم خُجا الأشرفى، والْطُنْبغا

الجُرْبغاوى، ومَنْجَك الزينى، وبُزلار الخليلى، ومحمد بن أَسَنْدَمُر العلاى، وطاش بغا السيفى، وإلياس الأشرفى، وقُطْلُوبغا السيفى، وشَيْخو الصرغَتْمُشى وجُلبان السيفى وألْطُنبغا الطازى، وإسماعيل السيفى، وحسين بن الكورانى.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرين، وهم: غريب خطاى، وياينجى الأشرفى، ومنكلى بغا الجوبانى، وقرابغا الأحمدى، وآق كَبَك السيفى، وفرج شاد الدواوين، ورمضان السيفى، ومحمد بن مُغْلَطاى المسعودى والى مصر.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة وهم: صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وخضر بن عمر بن بَكْتَمُر الساقى، ومحمد بن يونس الدوادار، وعلى الجركتمرى، ومحمد بن رجب بن محمد التركمانى، ومحمد بن منكوتَمُر عبد الغنى، وجوهر الصلاحى، وإبراهيم بن يوسف بن بلرغى، ولؤلؤ العلاى، وتنكز العثمانى، وصُراى تَمُر الشرفى، ومنكلى بغا المنجكى وشيخون الأرغون شاهى، وأقسنقر الأشرفى، وتمربُغا النظامى، وطاز الأشرفى وجركس القرا بغاوى، وأسنبغا التاجى، وسنقر السيفى، وكزل الجوبانى، وقرابُغا الشهابى، وقطلوبغا الزينى، وألطنبغا أمير سلاح، وبَكْ بلاط الأشرفى، وكمُشبغا الطشتَمرى، وبَيْبُغا العلاى، ويلبغا التركمانى، ورُسْبُغا الأشرفى، وحاجى اليْلبغاوى، وأرغون الزينى، ويلبغا الزينى، وتمر الأشر وجنبغا الشرفى، وجمق السيفى، وأرغون شاه البكْلَمشى، وألطنبغا الأشقر، وصُراى تَمَرُ السيفى، وألطنبغا الإبراهيمى، وآقبغا الأشرفى، وألجُبغا السيفى.

وفى خامس عشره: نودى على الزعر، من حمل منهم سيفًا، أو سكينا، أو شالق بحجر، وُسّط، وتتبعوا، فقطع الوالى فى ثامن عشره أيدى ستة منهم.

وفى تاسع عشره: قدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء من دمشق.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية الغربية، عوضا عن أمير فرج بن أيدمر، بحكم انتقاله إلى كشف الوجه البحرى: وقبض على الأمير محمود.

وفى عشرينه: قدم البريد بأن الأمير بزلار نائب دمشق قبض عليه الأمير جَنْتَمُر أخو طاز.

وفيه نزع الأمير منطاش عنه آلة الحرب، وأمر العسكر والأمراء بنزعها فنزعوها. وفى هذه المدة كلها كانوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب.

وفى حادى عشرينه: قبض على جمق بن أيتمش، وبيرم العلاى رأس نوبة أيتمش.

وفيه قدم سيف بَزْلار نائب دمشق. وكان من خبره أن منطاش لما غلب على الأمر، كتب يستدعيه فى ثلاثة سروج على البريد، فأجاب: «لا أحضر إليه إلا فى ثلاثين ألفا» فكتب إلى الأمير جَنْتَمُر، بولاية دمشق أن اقبض عليه. ثم سير إليه التشريف والتقليد، وكتب إليه بأن يكون محمد شاه بن بيدمر أتابك دمشق، وجبرائيل حاجب الحجاب، فتعاون الجماعة عليه وقبضوه، ففر دواداره وأظهر الخلاف، وانضم إليه طائفة كبيرة خارج دمشق.

وفيه قدم البريد من غزة بأن الملك الظاهر برقوق خلص من السجن، واستولى على مدينة الكرك، ووافقه حسن الكجكنى النائب، وقام فى خدمته وقد حضر إليه ابن خاطر أمير بنى عقبة - عرب الكرك - ودخل فى طاعته، فاضطرب منطاش.

وكان من خبر الظاهر أن منطاش لما تحكم بمصر بعث شخصا يعرف بالشهاب البريدى إلى الكرك، ومعه كُتب إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكنى بقتل الظاهر. وكان هذا الشاب من أهل الكرك، وتزوج بابنة عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرى قاضى الكرك، ثم شجر بينهما، فما زال به حتى طلقها، وزوجها بغيره. وكانت جميلة، فشق عليه فراقها، وخرج من الكرك. وضرب الدهر ضرباته، فكان من قيام منطاش ما قد ذكرنا، فاتصل به، ووعده بأنه يقتل له الملك الظاهر برقوق. فكتب معه إلى الأمير حسن الكجكنى بمعاونته على قتل الظاهر، وأن ينزله بالقلعة، فمضى على البريد ونزل بالمقير، بلد القاضى عماد الدين. ولم يكتم ما فى نفسه من الحقد، وقال: «والله لأخرين دياره، وأزيد فى أحكار أملاكه، وأملاك أقاربه بالمقير، فأوحش قلوب الناس منه». وقام فى الليل يريد دخول مدينة الكرك، وبعث إلى النائب من يصيح به من تحت السور، فمنعه من ذلك وأحس بالشر. فلما أصبح، أحضره إلى دار السعادة، وقرأ كتاب السلطان، وكتاب الأمير منطاش بأمور أخر. فلما انفض الناس أخرج إليه الكتاب بقتل الظاهر، فقام من فوره ودخل على الملك الظاهر بعد أن أنزل الشهاب فى مكان بالقلعة - اختاره قريبا من الموضع الذى فيه الظاهر - وأوقفه على الكتاب، فكاد أن يهلك من الجزع [1]، فحلف عند ذلك بكل يمين أنه لا يسلمه أو يموت. وما زال به حتى سكن روعه.

هذا، وقد اشتهر فى المدينة بمجىء الشهاب، وكثر الكلام فيه، وثقل على الناس، وخافوا شره. وأخذ يلج فى العجلة بقتل الظاهر، والنائب يدافعه إلى أن قال له: «هذا ما أفعله بوجه حتى أكتب إلى مصر بما أعرفه».

(١) جزع الشىء جزعًا جزأه وقطعه. انظر المعجم الوجيز ١٠٤.

وبعث البريد بأنه لا يدخل فى هذا الأمر، ولكن يحضر إليه من يتسلمه منه، ويفعل فيه ما يرسم له به.

وكان فى خدمة الظاهر غلام من أهل الكرك يقال له عبد الرحمن، فنزل إلى جماعة من أوغاد (١) المدينة، وأعلمهم أن الشهاب حضر لقتل الملك الظاهر، فأنفقوا من ذلك، وقاموا إلى القلعة، وهجموا على الشهاب وقتلوه، وجروه برجله إلى باب القاعة التى فيها الظاهر، فلم يشعر - والنائب عنده، وقد ابتدأوا فى الإفطار ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان - إلا وجماعة قد اقتحموا عليه، وهم يدعون له بالنصر، وأخذوه بيده حتى أخرجوه، وقالوا: «دس بقدمك على رأس عدوك». وأروه الشهاب مقتولا، ونزلوا به إلى المدينة، فدهش النائب ولم يجد بدًا من القيام فى خدمته، وتجهيزه. وتسامع به أهل البلاد، فأتوه من كل ناحية.

وفى ثانى عشرينه: استقر محمد بن أسندمر العلاى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن أمير حاج بن مُغْلطاى، واستقر ابن مُغلطاوى أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة.

وفيه استقر تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميرى فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير الإسكندرانى.

وفيه بلغت زيادة ماء النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعا، وهو يوم عيد الصليب.

وفى خامس عشرينه: قبض منطاش على الأمير قُرقماس الطشتَمُرى الخازندار، وعلى الأمير شاهين الصَرْغَتْمُشى أمير أخور، وقُطلوبَك أستادار الأمير أيتمش، وعلى عدة من المماليك الظاهرية. وقَبض على الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وضربه ضربًا كثيرًا.

وفيه استقر جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر (٢) البلقينى فى قضاء العسكر، بعد وفاة أخيه بدر الدين محمد.

---

(١) أوغاد مفردها وغد وهو الأحمق الدنيء الرذل. معجم الوجيز ٦٧٥.

(٢) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ٧٦٣- ٨٢٤هـ - ١٣٦٢- ١٤٢١م ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية وله مناسبات أبواب تراجم البخارى خ». انظر شذرات الذهب ١٦٦:٧ والبعثة المصرية ٢٠، وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ١٠٦:٤ والأعلام ٣٢٠/٣.

وفى تاسع عشرينه: نودى على المماليك الظاهرية، وهدد من أخفى أحدا منهم.

ونودى أيضًا بسفر أجناد غزة من القاهرة إليها.

وفى سلخه: أحضر حسام الدين حسن بن باكيش مملوكًا وبدويًا، حضرا إليه من الكرك تجهيز الإقامات للملك الظاهر وملاقاته، فسجنا بخزانة شمايل.

وفى يوم الأربعاء أول شوال: - وهو عيد الفطر - نزل الملك المنصور وصلى صلاة العيد بالميدان، وحمل الأمير قطلو أقتمر القبة على رأسه.

وفى ثالثه: أفرج عن كريم الدين بن مكانس بعد أن حمل أربعمائة ألف درهم فضة، وانساق حاصل الأمير منطاش على ثلاثماية ألف دينار، وخمسة وثلاثين ألف دينار مصرية، سوى الدراهم وغير ما أنفقه.

وفى خامسه: سُمّر الذين أحضرهما ابن باكيش من الكرك، ونودى ألا يسافر أحد إلى الحجاز من الخاص والعام إلا بورقة فيها إذن الأمير الكبير منطاش.

وفى سادسه: رُسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى غزة، وأربعة أمراء هم: أسَندمُر اليوسفى، وقُطلوبغا الصفوى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتَمُر بُغا الكريمى، وأُنفق فى كل أمير ماية ألف درهم.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن العادلى فى ولاية منوف، وعمر بن قادوس والى أشموم الرمان، وعزل على بن المقدم.

وفيه عين مائة مملوك للسفر صحبة أمير الركب إلى الحجاز.

وفى سابعه: خُلع بحضرة الملك المنصور على الأمير منطاش، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار أتابك العساكر. وعلى قطلوبُغا الصفوى واستقر أمير سلاح. وعلى تَمّان تَمُر الأشرفى، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى أسندمر بن يعقوب شاه، واستقر أمير مجلس. وعلى ألطنبُغا الحلبى، واستقر دوادارًا. وعلى تكَا الأشرفى، واستقر رأس نوبة. واستقر إلياس الأشرفى أمير أخور بإمرة طبلخاناه، وأرغون شاه السيفى رأس نوبة أيضا، وتُمربغا المنجكى رأس نوبة رابعا، وقطلوبغا الأرغونى أستادارا، وجقمق السيفى شاد الشراب خاناه.

وفى ثامنه: خلع على الأمير تَمّان تمر رأس نوبة لنظر المارستان المنصورى، وعلى الأمير أَلْطنبغا الحلبى الدوادار لنظر الأحباس.

وفيه بطل أمر التجريدة خوفا من المماليك أن يخامروا ويذهبوا إلى الملك الظاهر.

وفى تاسعه: استقر الأمير أيدكار العمرى حاجب الحجاب، والأمير أمير حاج بن مغلطاى حاجبا ثانيا.

وفيه استدعى الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى، وعرض عليه الأمير الكبير منطاش الوزارة ونظر الخاص، وأحضر التشريف ليلبسه فامتنع، واعتذر بأن يديه ورجليه قد بطلت من ضَرَبان المفاصل، وكان قد عصبهما، ولم يحضر إلا محمولا، فقبل عذره وخلّى عنه. واستدعى الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وقرر عليه مال، وخلع عليه بالاستمرار. وخلع أيضًا على موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص، وألزم بمال يحمله.

وفيه سُمر أربعة من الأمراء وهم: سودُن الرماح أمير عشرة رأس نوبة وألطنبغا أمير عشرة. وأميران من الشام، ووسطوا.

وفى عاشره: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الحسام، شاد الدواوين.

وفى حادى عشره: ضرب نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة عند الأمير الكبير، وألزم بمال يحمله.

وفى ثانى عشره: أعيد سراج الدين عمر إلى حسبة القاهرة.

وفيه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف وأخت الملك المنصور إلى القلعة، لتزف على الأمير الكبير منطاش - وقد عقد عليها - فكان على خمسمائة حمال، وعشرة قُطر بغال. ومشى الحجاب والعسكر معه، فخلع عليهم كلهم. وبنى عليها من ليلته، واهتم للعرس اهتماما زائدا. وعندما زفت إليه خوند، علق بشربوشها دينارا زنته مائتا مثقال، ثم دينارا زنته مائة مثقال. وفتح للقصر بابا من الإسطبل بجوار باب السر.

وفى ثالث عشره: استقر شمس الدين محمد السلاوى الدمشقى فى قضاء المدينة النبوية، عوضا عن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى شيخ الحديث.

وقدم البريد بدوادار بزلار نائب دمشق الثائر بها، ومعه أمير آخر، فسجنا.

وفيه استقر تنكز الأعور نائب حماة، عوضا عن طُغاى تَمُرُ القبلاوى.

وأخرج عدة من الظاهرية إلى قوص. وعزل عمر بن قُرُط عن ولاية أسوان [1]، واستقر عوضه أبو درقة.

---

(١) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين النوبة، وأسوان مدينة صغيرة كثيرة الحنطة وسائر أنواع الحبوب. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠.

وفيه قدم البريد بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على الوالى، فندب إلى الخروج تَمُربغا الناصرى، وبيرم خجا، وأروس بغا، من أمراء الطبلخاناه.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا، ولم يسمع بمثل ذلك إلا فى النادر. وثبت إلى تاسع بابه، ثم انحط.

وفى ثالث عشرينه: قُبض على نور الدين على الحاضرى وضُرب، وعُصر وسجن، بسبب تحدثه بمجىء كتب الملك الظاهر، وأنه هو الذى ينتصر.

وفيه قدم البريد بخروج الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب عن الطاعة، وأنه حارب إبراهيم بن قُطلو أَقْتَمُر أمير جاندار، وقبض عليه ووسطه - هو وشهاب الدين أحمد بن عمر (١) بن أبى الرضا الشافعى قاضى حلب - بعد أن قاتلوه ومعهم أهل بانقوسا.(٢) فلما ظفر بهم قتل عدة كبيرة منهم.

وفيه استقر الأمير آق كَبَكَ السونجة أمير علم بإمرة طبلخاناه.

وفى خامس عشرينه استقر فى نظر الخاص الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام، عوضا عن موفق الدين أبى الفرج. واستقر عوضه فى الوزارة موفق الدين أبو الفرج، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، جمع العشير وسار لمحاربة الملك الظاهر.

وقدم البريد بقوة شوكة الأمراء الخارجين بالصعيد، فخرج الأمير أسندمر بن يعقوب شاه فى نحو الخمسمائة فارس، وسار فى ثامن عشرينه.

وفى سادس عشرينه: أفردت بلاد من الخاص، وتحدث فيها ناصر الدين محمد بن الحسام، فحنق من ذلك الصاحب كريم الدين بن الغنام، واستعفى، فقبض عليه وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، وأخذ خطة بثلاثمائة ألف درهم فضة، وقبض على بعض حواشيه.

---

(١) أحمد بن عمر بن أبى الرضا [...- ٧٩١هـ = ..١٣٨٩] أبو الخير، شهاب الدين: قاض، من أهل حماة (بسورية) ولى القضاء بحلب ثلاث مرات، وكان عالمًا بالقراءات وله فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات أخرى فى موضوعات متعددة. انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٧ ومجمع اللغة بدمشق ٤٨/٣٢٩ والأعلام ١/١٨٧.

(٢) بانقوسا: قرية من قرئ حلب إلى الشمال منها. انظر معجم البلدان.

وفيه استقر أمير على بن القرمانى فى ولاية الجيزة [١] وعزل قراجا العلاى. واستقر طشبغا القَشْتَمُرى والى دمياط.

وفيه ورد الخبر باتفاق الولاة مع الأمراء بالصعيد. وكان من خبرهم أنه لما استقر أبو درقة فى ولاية أسوان سار إلى ابن قرط، واتفقا على المخامرة، وسارا إلى قوص وأفرجا عن الأمراء، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميرًا فى عدة كبيرة من المماليك. فلما بلغ ذلك الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى - وقد اجتمع معه نحو الثلاثمائة من الظاهرية - وافقهم على المخامرة، واستمال عرب هوارة، وعرب ابن الأحدب، فوافقوه واستولوا على البلاد. فلما خرجت التجريدة الأولى من قلعة الجبل، انتهت إلى أسيوط [٢]، فقبض عليهم مبارك شاه، وأفرج عمن كان معهم من المماليك الظاهرية، فخرج ابن يعقوب شاه، كما تقدم ذكره، وسار فى الشرق.

وفى سابع عشرينه: أضيف نظر الخاص إلى الوزير موفق الدين أبى الفرج، وأفرج عن الصاحب كريم الدين بن الغنام، واستقر فى نظر الإسطبلات.

وفيه عين خمسة أمراء من مقدمة الألوف، وثلاثمائة مملوك. ليسيروا إلى الكرك.

وفى ثامن عشرينه: استقر أمير على بن المكَلَّلَة فى ولاية منفلوط [٣]، وعزل محمد أَشَقْتمر.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أسندمر بن يعقوب شاه بمن معه وصل أخميم، فلقبهم الخارجون عن الطاعة وكسروهم، فرسم بخروج نجدة من المماليك وأجناد الحلقة، ثم عوقوا.

وفى سلخه: استدعى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - مفتى دار العدل - واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضًا عن الشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت الميلق، وخلع عليه، فنزل ومعه الأمير الدوادار والحجاب إلى المدرسة الصالحية على العادة، وسر الناس بولايته.

وخرج الأمير بلوط الصرغتمشى، والأمير غريب؛ لكشف أخبار الملك الظاهر.

---

(١) ولاية الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أخميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/ ١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٣) ولاية منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل ٥/ ٢١٤.

وفى يوم السبت ثانى ذى القعدة: استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى. واستقر قاضى القضاة سرى الدين محمد بن المسلاتى خطيب الجامع الأموى، وشيخ الشيوخ بدمشق واستقر موفق الدين بن العجمى فى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن محب الدين محمد بن محمد بن محمد الشحنة. واستقر بدر الدين محمود السراى الكُلُسْتانى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين الكفرى.

وفى ثالثه: توجه قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى إلى مدينة مصر، فى موكب جليل على العادة.

وفى سادسه: حضر الأمير حسين بن أخى قرط طائعا، واعتذر، فقبل عذره، وخلع عليه لولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبى.

وفى عاشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، فكان الجمع موفورا.

وفى ثانى عشره: أحضر بالأمير مبارك شاه الكاشف مقيدا، فسجن بخزانة شمايل.

وفى هذا الشهر: كثرت الإشاعات، وقويت الأراجيف، واختلفت الأقوال فى الملك الظاهر برقوق، وكان من خبره أنه لما قتل الشهاب بالكرك، وأنزل عوام البلد الملك الظاهر من قلعتها، وقاموا بخدمته، أتته العربان وصار فى طائفة، فلم تجد أكابر مدينة الكرك [1] بدا من الموافقة، إلا أنهم قد سقط فى أيديهم، وخافوا سوء العاقبة. فلما كثر جمع الظاهر عزم على الخروج من المدينة، وبرّز أثقاله. فاجتمع الأعيان عند العماد أحمد بن عيسى المقيرى، قاضى الكرك، وأجالوا الرأى، وخشوا من السلطنة بمصر، فاتفقوا على القيام عليه، وقبضه، وإعلام أهل مصر بذلك، وأنه لم يخرج إلا باجتماع السفهاء منهم، ليكون ذلك خلاصا لهم من معرة معاداة الدولة. وبعثوا ناصر الدين محمد أخا القاضى، فأغلق باب المدينة، وصار الظاهر وقد حيل بينه وبين أثقاله وعامة أصحابه فلما قام ليركب ويخرج، بلغه ذلك.

وكان علاء الدين على - أخو القاضى - مباشر الإنشاء بالكرك، فكتب للظاهر فى مدة خروجه وخدمه. فلما رأى ما نزل بالظاهر، عندما بلغه اتفاق أهل المدينة فى بيت أخيه على قبض الظاهر، حدثه وقوّى جأشه، وسار به، حتى وصل باب المدينة، فإذا به

---

(١) الكرك اسم لقلعة حصينة جدًا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وأيضا قرية كبيرة قرب بعلبك. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

مغلوق، وأخوه ناصر الدين قائم عنده، فما زال به حتى فتح الباب وخرج بالظاهر من المدينة، والتحق ببقية أصحابه من المماليك الذين وصلوا إليه، والعربان التى اجتمعت عليه، وأخلاط أهل مدينة الكرك. فأقام بالثنية خارج الكرك يومين، ورحل فى ثامن عشرين شوال، وسار بهم يريد دمشق - وبها الأمير جَنْتَمُر أخو طاز، متولى نيابتها - وقد وصل إليه الأمير أُلْطُنْبغا الحلبى الدوادار من مصر نائبا على حلب بحكم عصيان كمشبغا الحموى. فاستعدا لقتال الظاهر، وتوجه إليهما الأمير حسام الدين حسين بن باكيش - نائب غزة - بعساكرها وعشيرها.

وأقبل الظاهر بمن معه، فخرجوا إليه وقاتلوه بشقحب - قريبا من دمشق - قتالا شديدا، كسروه فيه غير مرة، وهو يعود إليهم ويقاتلهم، إلى أن كسرهم، وانهزموا منه إلى دمشق. وقتل منهم ما ينيف على الألف، فيهم خمسة عشر أميرا، وقتل من أصحابه نحو الستين، ومن أمرائه سبعة. وركب أقفية المنهزمين، فامتنع جَنْتَمُر بالقلعة، وتوجه بالقلعة، وتوجه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ومعهم نحو الثلاثمائة وخمسين فارسا، قد أثخنوا بالجراحات. وأخذوا نائب صفد، وقصدوا ديار مصر. فلم يمض غير يوم واحد حتى وصل ابن باكيش بجمائعه، فقاتله الظاهر وهزمه، وأخذ جميع ما كان معه، فقوى به قوة كبيرة. وأتاه عدة من مماليكه، ومن أمراء الشام، فصار فى عسكر كبير، وأقبل إليه الأمير جبرائيل حاجب الحجاب بدمشق، وأمير على بن أسندمر الزينى، وجَقْمَق، ومقبل الرومى، طائعين له، فصاروا فى جملته.

ونزل السلطان برقوق على قبة يلبغا ظاهر دمشق، وقد امتنع أهلها بها، وبالغوا فى تحصينها، فحصرها، وأحرق القبيبات [(١)]، وخربها، وأهلك فى الحريق خلقا كثيرا. وجد أهل المدينة فى قتاله، وأفحشوا فى سبه، وهو لا يفتر عن قتالهم، فأمده الأمير كمشبغا من حلب بثمانين فارسا من المماليك الظاهرية، فأخرج إليهم الأمير جَنْتَمُر خمسمائة فارس من دمشق؛ ليحولوا بينهم وبين الظاهر، فقاتلوهم، فكسرهم الظاهرية، واستولوا على جميع ما معهم.

وأتوا إلى الظاهر، فأقبل الأمير نعير بعربانه، يريد محاربته، فحاربه وكسره فانهزم عنه، وتقوى بما صار إليه فى هذه الوقائع. وصار له برك [(٢)] ويرق، بعدما كان بهيئة رثة، لا يكنه من المطر إلا خيمة صغيرة، ومماليكه فى أخصاص كل منهم هو الذى يتولى خدمة فرسه بنفسه.

---

(١) القبيبات محلة جليلة بظاهر دمشق. انظر معجم البلدان.

(٢) برك أناخ فى موضع لزمة انظر معجم الوجيز ٤٦.

واستمر الظاهر برقوق على حصار دمشق وقتال أهلها، فورد الخبر بذلك إلى منطاش فى خامس عشر ذى القعدة، فتقدم فى سابع عشره إلى الصاحب موفق الدين أبى الفرج بتجهيز الملك المنصور للسفر، فلم يجد فى الخزائن ما يجهزه به، واعتذر بأن المال انتهب وتفرق فى هذه الوقائع، فقبل ذلك، واستدعى القضاة، وسأل قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى أن يقرضه مال الأيتام، فامتنع من ذلك ووعظه، فلم تنجح فيه المواعظ، وختم فى يومه على مواد ع الأيتام، وكانت إذ ذاك عامرة بالأموال.

ورسم لحاجب الحجاب وناصر الدين بن قُرطُاى - نقيب الجيش - بتفرقة النقباء على أجناد الحلقة، وحثهم على التجهيز للسفر بعد العرض.

وفى تاسع عشره: قدم البريد بكسرة ابن باكيش، وأخذ الملك الظاهر جميع ما كان معه، فاشتد اضطراب الناس، وكثر الإرجاف [١]، ووقع الاجتهاد فى الحركة للسفر، وأزعج أجناد الحلقة. واستدعى الأمير منطاش الخليفة المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام، وأعيان أهل العلم، فرتبوا صورة فتيا فى أمر الملك الظاهر، وانفضوا من غير شىء.

وفيه قدم البريد بواقعة صفد، وكان من خبرها أن مملوك من المماليك الظاهرية - يعرف بيلبغا السالمى - أسلمه الملك الظاهر للطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، فرتبه خازنداره. واستمر على ذلك إلى أن نفى المقدم كما تقدم ذكره، فخدم يلبغا الطواشى، صواب السعدى شنكل المقدم، وصار دواداره الصغير. فلما قبض الناصرى على شنكل، خدم يلبغا عند الأمير قطلوبك النظامى صفد دوادارا، وسار معه إلى صفد، فتحبب إلى الناس بالإحسان إليهم وملاطفتهم، إلى أن قدم إلى صفد خبر مسير الملك الظاهر من الكرك إلى دمشق. وجمع النظامى العسكر ليصير إلى نائب دمشق. وقام يلبغا فى طائفة من المماليك الذين استمالهم، وأفرج عن الأمير أينال اليوسفى، الأمير قجماس ابن عم الظاهر، ونحو المائتين من المماليك الظاهرية من سجن صفد. ونادى بشعار الملك الظاهر يريد القبض على النظامى. فلم يثبت وفر من صفد فى مملوكين، فاستولى يلبغا بمن معه على مدينة صفد وقلعتها، وصار الأمير أينال قائما بأمر صفد، ووقف يلبغا فى خدمته، وقد تقووا بثقل النظامى وبركة. فلما ورد هذا الخبر، عظم اضطراب الأمير منطاش، وزاد قلقه، وكثرت قالة الناس، وتوالت الأخبار ذلك.

---

(١) الإرجاف الخبر الكاذب المثير إلى الفتن والاضطراب وجمعها أراجيف. انظر معجم الوجيز ٢٥٦.

وفى حادى عشرينه: استقر الشريف بَكْتَمُر فى ولاية البحيرة [١] ونقل تمراز العلاى إلى كشف الوجه البحرى، ورسم لهما بجمع عرب البحيرة لقتال الظاهر.

وفيه قدم الخبر بوصول نائب صفد ونائب حماة، وحمد بن بيدمر أتابك دمشق، فى تتمة خمسة وثلاثين أميرا، وجمع كثير من المماليك، وقد انهزموا من الظاهر، فرسم بدخولهم.

وفيه استدعى الخليفة والقضاة والفقهاء بسبب الفتيا، فكتب ناصر الدين محمد بن الصالحى - موقع الحكم - فتيا تتضمن السؤال عن رجل خلع الخليفة والسلطان، وقتل شريفا فى الشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس، وجعلها عشر نسخ.

وفى ثالث عشرينه: قدم سواق من سواقى البريد، وبدوى، وبشرا منطاش بأن الظاهر بعد ما ملك دمشق كبس فى الليل، وهرب، فمشى ذلك عليه، وأنعم عليهما.

وفيه رسم بفتح سجن قديم بالقلعة، وقد ارتدم، وسجن به عدة مماليك وسجن كثير منهم بأبراج القلعة، وضيق عليهم.

وفيه وجدت ذخيرة بالقاهرة، فى بيت عماد الدين إسماعيل بن المشرف أستادار جركس الخليلى، فيها ستمائة ألف درهم، ونحو الخمسين ألف درهم، فأخذها الأمير منطاش، وأخذ لابن جركس الخليلى أيضا نحو ثلاثمائة ألف دينار مصرية.

وفيه قدم الأمراء والمماليك المنهزمون من الظاهر، وهم: قطلوبك النظامى نائب صفد[٢]، وتنكز الأعور نائب حماة [٣]، ومحمد بن بيدمر أتابك دمشق، ويلبغا العلاى أحد المقدمين بدمشق، وأقباى الأشرفى نائب قلعة المسلمين، ومن أمراء الطبلخاناة دمرداش الأطروش والى الولاة، وشكر أحمد، وجوبان الخاصكى، وقطلوبغا جَبْجَق، وجبرائيل. ومن العشرينات آقبغا الوزيرى، وأزدمر الأشقتمرى، وقُنُق الزينى، ومنكلى بغا الناصرى، وبَيْبُغا، وطومان، وآقبغا الإينالى، وأحمد بن يانوق.

---

(١) ولاية البحيرة موضع من ناحية اليمامة عن الحفص بالفتح ثم الكسر. انظر معجم البلدان. ٣٥٢/١.

(٢) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٣) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى وهى كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأثمان يحيطها صور محكم. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

ومن العشراوات بيبغا العلاى، وطغاى تمر الأشرفى، ومصطفى البيدمرى، ويوسف الأطروش، وأقتمر الأشقتمرى، وأرغون شاه - دوادار يلبغا المنجكى - وألطنبغا البيدمرى، وقر ابغا السيفى.

ومن أمراء صفد تغرى بردى الأشرفى، ومنجك الخاصكى، وقجقار السيفى.

ومن أمراء حماة جَنْتَمُر الأسعردى، وألطنبغا الماردينى، وبكلمش الأرغونى، وطيبغا القرمى، وأسنبغا الأشرفى، وحسين الأيتمشى.

ومن المماليك عدة مائتين وأحد وعشرين.

وفيه أفرج عن الأمير قرقماش الطشتمرى، واستقر خازندارا على عادته.

وأفرج عن شيخ الصفوى الخاصكى، وأرغون السلامى، ويلبغا اليونسى، ونزلوا إلى دورهم.

وفيه رسم على مباشرى الأمراء المنفصلين ليجهزوا الأمراء المستجدين للسفر، فلم يسمع بمثل هذا.

وفيه نودى أن الفقهاء والكتاب لا يركب أحد منهم فرسًا عربيًا، وأن الكتاب الكبار أرباب الوظائف السلطانية، وكتاب الأمراء يركبون البغال.

وفيه أخذت أكاديش الحمالين المعدة للحمل عليها، وأخذت خيول الطواحين الجياد، وتتبعت المماليك الجراكسة، وطلبهم حسين والى القاهرة، وأخذهم من كل موضع، فقبض منهم على رجل شيخ يقال له يُلوا الأحمدى، وضرب، وأخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم فضة، وأفرج عنه وعن طُرنطاى الخطيرى، وطولو بغا الأحمدى، وأقبغا البشتكى، ومسافر؛ لأجل أن لكل منهم فى مصر نحو الستين سنة.

وفيه خشبت أيدى المماليك المسجونين، وأرجلهم.

وفى خامس عشرينه: اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير الكبير منطاش، واتفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور، وأثبتوا رشده بحضرة القضاة والخليفة. فرسم السلطان بتعليق الجاليش بالطبلخاناة؛ ليعلم الناس بالسفر إلى الشام، وأفرج عن الأمير محمود الأستادار، وأمر بعرض أجناد الحلقة والمماليك السلطانية، ونودى أن العامة لا يركب أحد منهم فرسا أصيلا وأن المكارية لا تحمل على أكديش حملا.

وفيه أحضرت نسخ الفتوى فى الملك الظاهر، وزيد فيها: «واستعان بالكفار على

قتال المسلمين»، وحضر الخليفة المتوكل وقضاة القضاة الأربع وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضى العسكر، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكى، وسراج الدين عمر بن الملقن الشافعى، وعدة دون هؤلاء؛ بالقصر الأبلق من القلعة بحضرة الملك المنصور والأمير الكبير منطاش، وقدمت إليهم الفتوى، فكتبوا عليها بأجمعهم وانصرفوا.

وفيه نودى على أجناد الحلقة بالعرض، وهدد من تأخر منهم.

وفيه كتب لعرب البحيرة بالحضور للسفر مع العسكر إلى الشام.

وفيه استقر الأمير قُطلبوبغا الزينى أمير جاندار، شريكا لطوغان العمرى.

واستقر أمير حاج بن مُغْلطاى الحاجب أستادار السلطان. وأنعم على كل من أرغون شاه السيفى، وقطلوبغا السيفى بإمرة مائة. وأنعم على الأمراء القادمين من الشام بفرس بقماش ذهب، وخمسين ألف درهم فضة لكل أمير مائة، ولمن عداهم من الأمراء بأقبية مفرية. ورتب لهم اللحم والجرايات [١] والعليق [٢] وفيه أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى وخلع عليه.

وفى سابع عشرينه: أخليت خزانة الخاص بالقلعة، وسدت شبابيكها وبابها، وفتح من سقفها طاق، وعملت سجنا.

وفى يوم السبت أول ذى الحجة: قدم البريد من الصعيد بأن العسكر المجرد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الخارجين عن الطاعة بمدينة قوص، وقبضوا عليهم كلهم، فدقت البشاير ثلاثة أيام بالقلعة.

وفيه قبض على الصاحب كريم الدين بن الغنام، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم فضة، وخمسين فرسا.

وفيه أنفق على كل من الأمراء الألوف مائة ألف درهم فضة، وعلى كل من أمراء الطبلخاناة خمسون ألف درهم.

وفيه سد باب الفرج - أحد أبواب القاهرة - وخوخة أيدغمش، وغير ذلك.

وفى ثالثه: قبض على متى بطرك النصارى، وألزم بمال، وقبض على رئيس اليهود، وألزم بمال. فتقرر على البطرك مائة ألف درهم، وعلى رئيس اليهود خمسون ألف درهم جبوها وحملوها.

---

(١) الجرايات الوكالة والجارى من الرواتب جمعها جرايات وهو نظام يحدد ما يستهلكه كل فرد. انظر الوجيز ١٠٣.

(٢) العليق ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وفيه طلب الشيخ شمس الدين محمد الركراكى المالكى، وألزم بالكتابة على الفتوى فى الملك الظاهر، فامتنع، فضرب مائة ضربة، وسجن بالإصطبل.

وفى رابعه: أفرج عن ابن غنام.

وفى سادسه: فتحت خوخة أَيْدُغْمُش.

وفيه خرجت تجريدة إلى الصعيد خوفا من أخذ العرب الأمراء المماليك الظاهرية المقبوض عليهم.

وفى سابعه: دقت البشائر لكذبة نمقت، وهى أن إينال اليوسفى سار من صفد بمن معه، فقاتله أهل دمشق، وقتلوه، وجرح الملك الظاهر.

وفى ثالث عشره: تولى الأمير تمان تمر الأشرفى رأس نوبة عرض المماليك السلطانية، وكثرت فى أمر الظاهر والأرجاف، تارة بنصرته وتارة بهزيمته، وتحدث كل أحد على مقتضى غرضه.

وفى خامس عشره: عرض الأمير تمان تمر أجناد الحلقة، مَنْ إقطاعه عبرة أربعمائة دينار فما فوقها، وعين جماعة منهم للسفر، وجماعة لحراسة القلعة، وجماعة لحراسة القاهرة وجماعة لحراسة مصر، وعرض مقدمى المماليك، وعرض البحرية والمفاردة.

وفيه برز الأمراء الشاميون بظاهر القاهرة، للتوجه إلى الشام.

وفيه قبض على الخليفة المخلوع زكريا، وأخذ منه العهد الذى عهده إليه أبوه بالخلافة، وأشهد عليه أنه لا حق له فى الخلافة.

وفيه قدمت التجاريد من بلاد الصعيد بالخارجين عن الطاعة فى القيود، فغرق جماعة من المماليك فى النيل ليلا، وأخرج بستة من الجب بالقلعة، موتى.

وفى سادس عشره: أحضر بالقادمين من الصعيد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه إلى القلعة، وهم: تمرباى الحسنى، وقرابغا الأبو بكرى، وبجمان المحمدى، ومنكلى الشمسى، وفارس الصرغتمشى، وتمربغا المنجكى، وطوجى الحسنى، وقرمان المنجكى، وبيبرس التمان تمرى، وقراكسك السيفى، وأرسلان اللفاف، ومقبل الرومى، وطوغاى تمر الجركتمرى، وجرباش الشيخى، وبغداد الأحمدى، ويونس الأسعردى، وأردبغا العثمانى وتنكز العثمانى، وبلاط المنجكى، وقراجا السيفى، وكمشبغا اليوسفى، وأقبغا حطب، وقرابغا المحمدى، وعيسى التركمانى، وبك بلاط السونجى، فأوقفوا فى القيود

زمانا ثم سجنوا. وأفرج عن جماعة ممن حضر وهم: قُنق بيه اللالا، وأقبغا السيفى، وتمرباى الأشرفى، وسمز الصرغتمشى، وخلع عليهم. وأفرج أيضا عن بك بلاط السونجى.

وفيه سجن بخزانة الخاص الأمير محمود، والأمير أقبغا الماردانى، وأيدمر أبو زلطة، وشاهين الصرغتمشى أمير أخور، وجُمُق بن أيتمش، وبطا الطولوتمرى، وبهادر الأعسر، وعدة كبيرة من الأمراء والمماليك.

وفيه ألزم سائر مباشرى الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم ثمن فرس، وقرر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص، على أن من كان له عشر وظائف فى عدة دواوين تحمل كل وظيفة خمسمائة درهم، فنزل بالناس ما لم يعهدوه، فتوزعوا ذلك بعد أن جبى [١] منهم عدة خيول، فجاء جملة الحمل من المباشرين خيلا وعينا ألف فرس.

وفيه أحضر من ألزم بالسفر من أجناد الحلقة، وأعفوا من السفر، على أن يحضر كل منهم فرسا جيدا، فأحضروا خيولهم، فأخذ جيادها، ورد ما عداها. وألزم من لم يحضر فرسا بألف درهم عن ثمن فرس، فتضرروا من ذلك، فاستقرت خمسمائة درهم جبيت منهم. وألزم رءوس نوب الحجاب بحمل كل منهم خمسين ألف درهم، وعدتهم أربعة، ثم استقر على كل واحد أربعة عشر ألف درهم، حملها وأفرج عنه.

وفيه أنفق على مماليك الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، لكل واحد ألف درهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: نزل الملك المنصور والأمير الكبير منطاش من قلعة الجبل بالعساكر إلى الريدانية خارج القاهرة. واستدعى قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى إلى الريدانية، وألزم بالسفر فامتنع وسأل الإعفاء، فأعفى. واستقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء على أنه يعطى مال الأيتام ويحمل من ماله مائة ألف درهم فضة، ثم خلع عليه وعبر إلى القاهرة من باب النصر.

وفيه استقر عبيد الله العجمى فى قضاء العسكر، وعزل سراج الدين عمر.

وفيها اعتقل الخليفة المخلوع زكريا، والأمير سودن النائب، بقاعة الفضة من القلعة.

وفيه تقرر على سائر المماليك البحرية والمفاردة وأولاد الأمراء المقيمين بالقاهرة

---

(١) جبى الخراج والمال. انظر الوجيز ٩٢.

- ممن تعين لحفظها وحفظ القلعة ومصر فى مدة غيبة السلطان - خيولا يحملونها إلى الريدانية، وتقرر على موقعى الإنشاء أيضا خيولا، وعلى بقية أرباب الوظائف من المتعممين، وأزعجوا بسبب ذلك، فمنهم من قاد العشرة أرءوس، ومنهم من قاد دونها، على قدر ما لزمه، كما تقدم فى الكتاب، فاشتد غم الناس، وكثرت حركاتهم، ونزل بهم ما لم يروا مثله.

وفى تاسع عشره: ركب الأمير تُمان تَمُر رأس نوبة فى عدة مماليك إلى الرميلة تحت القلعة، وقبض على كل من رآه راكبا على فرس من المتعممين وغيرهم، وأخذ خيولهم ومضى بها إلى داره.

وفيه اشتد الطلب على الأجناد وغيرهم بسبب جباية الخيول وأثمانها، وسلم كثير منهم للأمير حسام الدين حسين بن الكورانى - الوالى - ليخلص ذلك منهم بالعقوبة.

وفيه نزل الوزير موفق الدين أبو الفرج والأمير ناصر الدين محمد بن الحسام إلى خان مسرور بالقاهرة، حيث مودع الأيتام، وأخذا منه ثلاثمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحمل تتمة خمسمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بمصر أن يحمل مائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالحسينية [١] أن يحمل مائة ألف درهم قرضا، حسب إذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ذلك.

وفيه استدعى قضاة القضاة الأربع إلى الريدانية بكرة النهار، فأجلسوا فى خيمة، وتركوا بغير أكل إلى قريب العصر. ثم طلبوا إلى عند السلطان، فعقدوا عقده على خوند بنت أحمد بن السلطان حسن، بصداق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم، وعقدوا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على ابنة الأمير أيدمر الدوادار.

وفى عشرينه: رحل طليعة العسكر أربعة أمراء وهم: أسندمر بن يعقوب شاه، والكريمى، وتمان تمر رأس نوبة، وقطلوبغا الصفوى.

وفى ثانى عشرينه: رحل الأمير منطاش فى عدة من الأمراء، ثم رحل السلطان والخليفة والقضاة وبقية العسكر، وقد أقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا، ومعه الأمير دمرداش القشتمرى، وبالإسطبل الأمير سراى تَمُر، وبالقاهرة الأمير قُطلوبغا الحاجب، وجعل أمر العزل والولاية إلى الأمير سراى تمر.

وفيه نقل الأمير سودن النائب إلى بيت بالقلعة.

---

(١) الحسينية منسوب إلى الحسن بلد فى شرق الموصل على يومين بينهما وبين جزيرة ابن عمر انظر. معجم البلدان ٢/٢٦٠.

وفيه ألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى بإحضار عشرة أروس من الخيل. وطلب من كل الأمراء من المقدمين المقيمين عشرة أروس، ومن كل أمير طبلخاناة أربعة أروس، ومن كل أمير عشرة فرسان، فأخذ ذلك من الجميع. وكلب من سائر الولاة المستقرين بأعمال ديار مصر والمعزولين، الخيل. وقرر على كل واحد منهم بحسب حاله، وطلب من سائر الخدام الطواشية خيول، ثم أعفوا.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى فى ولاية مصر، مضافة إلى ولاية القاهرة، فاستناب فى مصر ابن أخيه أمير عمر بن ممدود.

واستقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضا عن قرطاى التاجى بحكم انتقاله لكشف التراب [١] بالجيزية.

وفى ثالث عشرينه: استقر قُطلوبغا السيفى أمير حاجب ثانيا، عوضا عن أمير حاج ابن مغلطاى. ورسم لفراج السيفى بإمرة عشرة. وأنعم على كل من قراكسك، وأرسلان اللفاف، وبك بلاط السونجى بقباء بفرو، وشق.

وفيه قدم نجاب من الحجاز بموت الطواشى مثقال الساقى الزمام، ببدر.

وفيه رحل السلطان من العكرشا إلى بلبيس، فتقنطر عن الفرس، فتطير الناس من ذلك بأنه يرجع مقهورا، وكذا كان.

وفى سلخه: سد الأمير صراى تمر باب القصر الذى بالإصطبل، وسد شبابيك الشراب خاناة.

وانقضت هذه السنة والناس فى مصر والشام بشر كبير.

واتفق أيضا فى هذه السنة. وقوع حادثة عظيمة ببلاد خراسان، [٢] وهى أنه هبت بمدينة نيسابور رياح عاصفة فى شهر صفر، ارتجت الأرض من شدة هبوبها، وحدثت زلزلة مهولة، تحركت الأرض منها حركة عنيفة، حتى كان الإنسان وغيره يرتفع عن موضعه قامتين وأكثر، وصارت الأرض تنتقل من موضع إلى موضع، فلم يبق شىء فى

---

(١) كشاف التراب تعينهم الدولة من الأمراء مقدمى الألوف مرة فى كل سنة وكان لكل إقليم أمير. انظر زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٢٩- ١٣٠.

(٢)خراسان: قطر معروف، قال الجرجانى: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. انظر معجم البلدان ٢/٣٥٠، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

جميع أقطار المدينة من البيوت والأسواق والمدارس ونحوها إلا واهتز اهتزازا عظيما، واستمر الحال كذلك إلى ضحوة نهار اليوم الرابع، فسكنت الزلزلة، وأمن الناس واطمأنوا، وإذا بريح عظيمة هبت فى الحال، ثم تحركت الأرض أقوى مما تحركت قبل ذلك، وانقلبت بأهلها، فصار عاليها سافلها، وخربت المدينة، وهلك أهلها، فلم يسلم منهم إلا النادر. وسلم سكان الفوقانيات، وهلك سكان التحتانيات، وسلم قوم كانوا فى بعض الحمامات، وقد خرجوا إلى الدهاليز فاحتوى من بقى من الأراذل على أموال من قد هلك من الأماثل، وترأسوا بعدهم. ثم بعد أشهر عمر من بقى عمارات بالقرب من المدينة التى هلكت، وعملوا عاليها من الخشب والخيام.

ومن غريب ما وقع فى هذه الحادثة أن قرية انتقلت من مكانها إلى مكان قرية أخرى، فصارت فوقها بحيث لم يبق للتى كانت أولا أثر يعرف، فكانت بين أهل القريتين عدة خصومات ومحاربات.

واتفق أيضا أن رجلا كان فى بيته، فسقط البيت إلا الموضع الذى فيه الرجل فإنه لم يسقط، وسلم الرجل. وكانت امرأة فى الحمام، وقد أخذت لقمة وضعتها فى فمها، فسقط الحمام عليها، فهلكت فيمن هلك، فلما نبش عنها، وجدت واللقمة فى فيها لم تبلعها، وولدها فى حضنها، ومئزرها فى وسطها، وقد أدخلت إحدى رجليها فى داخل الحمام، ورجلها الأخرى من خارج، لم تهمل حتى تدخلها بل هلكت قبل ذلك، وسلم مع ذلك الوقاد فى أتون الحمام، فإنه ممن ألقته الأرض عنها، فحدفته إلى العلو، وصار بالبعد عن موضعه، فسلم. وقد اشتهر عند أهل نيسابور [1] أنها خربت بالزلازل سبع مرات، فكانت هذه المرة أشنع مما مضى؛ لأنها تركت المدينة عاليها سافلها. ولا حول ولا قوة إلا با لله.

* * *

ومات فى هذه السنة

عالم كبير بالطاعون والسيف، فممن له ذكر من الأعيان:

---

(١) نيسابور: سميت بذلك لأن سابور مرَّ بها، فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت فقيل لها نيسابور، وهى بلاد خراسان، وهو بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر بن كريز فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثلاثين، وهى أرض سهلة ليس بها ماء جار إلا نهر يخرج إليهم فضله فى السنة ولا يدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة، وهى مدينة يكون قدرها قدر نصف مرو. انظر معجم البلدان ٣٣١، والروض المعطار ٥٨٨، ٥٨٩

الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير سيف الدين قُطلو أَقْتَمُر العلاى، أمير جاندار بحلب، قتله الأمير كُمُشْبُغا الحموى، وقد عصى كمشبغا. وقام إبراهيم بنصرة منطاش، واستمال جماعة وحارب كُمُشْبُغا، فانتصر عليه ووسطه فى شوال.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أبى الرضا قاضى القضاة الشافعى بحلب. ثار على كمشبغا نائب حلب، وجمع أهل بانقوسا [(١)] وقاتله، وظفر بهم كمشبغا وقتل كثيرا منهم، وفر ابن أبى الرضا، فأخذ قريبا من المعرة. وقتل وعمره زيادة على أربعين سنة. وكان إمامًا فى عدة علوم، شهما، صارما، مهابا، محبا للحديث وأهله.

ومات برهان الدين إبراهيم بن على المعروف بابن الحلوانى، الشامى الأصل، المصرى، الواعظ بالقاهرة، فى عاشر صفر، ولم يُر بعده من يعمل المواعيد مثله فى حسن أدائه، وكان لا يعظ إلا من كتاب.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى يزيد بن محمد، ويعرف بمولانا زاده السرائى العجمى، فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرم بالقاهرة. وكان فاضلا فى عدة علوم، وهو أول من ولى درس الحديث بالظاهرية المستجدة بين القصرين.

ومات الأمير أرنبغا، مقدم البريدية، وأحد أمراء العشراوات بالقاهرة، فى صفر.

ومات الأمير تلكتمر، أحد أمراء الطبلخاناه، وكاشف الجسور. مات بالطاعون فى جمادى الأولى.

ومات الأمير جركس الخليلى، أمير آخور. قُتل فى محاربة الناصرى خارج دمشق، يوم الإثنين حادى عشرين ربيع الآخر. وكان مهابًا، عارفا، خبيرا بالأمور، حسن السياسة، عاقلا، خيرا. وله بالقاهرة خان [(٢)] يعرف به وقفه على بر يعمل بمكة.

ومات الأمير سيف الدين بزلار العمرى نائب دمشق. كان من مماليك الناصر حسن. ربى مع أولاده وتأدب ومهر فى الكتابة، وشارك فى العلوم، سيما الفلكيات وعلم النجوم. وتقدم فى الفروسية، وأتقن أنواع الثقافة، وكان ذكيا فطنا شجاعا، ولى نيابة

---

(١) بانقوس بالقاف: جبل فى ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. ١/٣٣١ معجم البلدان.

(٢) أحمد بن عمر بن أبى الراضى، أبو الخير شهاب الدين: [....٧٩١هـ= ...١٣٨٩م] قاضى من أهل حماه بسوريه ولى القضاء بحلب ثلاث مرات، وكان عالمًا بالقراءات، له فيها نظم سماه عقد البكر وله منظومات. انظر الدرر الكامنة ١:٢٢٧، ومجمع اللغة بدمشق ٤٨:٣٢٩، والأعلام ١/١٨٧.

الإسكندرية، وتنقل فى الرتب. ثم نفى إلى طرابلس. وقدم مع الأمير يلبغا الناصرى إلى القاهرة، وولى نيابة دمشق. ثم قبض عليه واعتقل بقلعتها حتى مات، وقد أناف على الخمسين.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قَشْتمر، أحد العشراوات. مات بالطاعون فى القاهرة.

ومات الشيخ حسين الخبَّاز، الواعظ المعتقد. صحب الشيخ ياقوت الشاذلى، وتلقن منه، وتزوج ابنته، وترك بيع الخبز، وانقطع بزاويته خارج القاهرة، وجلس للوعظ، فاشتهر، وصار له عدة أتباع، حتى مات فى حادى عشرين ربيع الآخر، ودفن بالقرافة

ومات الأمير سودن المظفرى، مقتولا بحلب. وكان مشكورا، فيه خير وبر ومحبة للفقراء، وملازما للعبادة، وقلة الكلام مع المعرفة، وأصله من مماليك الأمير قُطلوبُغا المظفرى، أحد أمراء حلب. وبها نشأ وترقى إلى أن صار خازندار الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. ثم صار أحد الحجاب، وانتقل إلى نيابة حماة، ثم ولى نيابة حلب، وعزل منها، وصار أتابك حلب، إلى أن قتل، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير سراى الطويل الرجبى أحد المماليك اليلبغاوية، والأمراء الطبلخاناه. مات خارج القاهرة، ثالث عشر ربيع الأول.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى يوم الأربعاء سابع عشر رمضان.

نشأ بالإسكندرية، وبرع فى الفقه، واشتهر بحسن السيرة، فطلب لقضاء المالكية بديار مصر، وباشره أحسن مباشرة.

ومات جمال الدين عبد الله بن الشيخ علاء الدين مغلطاى فى ثامن عشرين ربيع الآخرة، بالقاهرة.

ومات الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول ابن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكرانى التركمانى الحنفى، المعروف بالأشقر. قدم إلى القاهرة، واتصل بالأمير الكبير برقوق، وحظى عنده، وصار يؤاكله، فلما ولى السلطنة رتبه إماما يؤم به فى الصلوات. ثم ولاه مشيخة الخانقاة الركنية بيبرس، وقضاء العسكر حتى مات، فى رابع عشرين ربيع الآخر بالطاعون.

ومات الأمير أشقتمر الماردينى نائب حلب، مات بطالا بالقدس[1].

---

(١) القدس بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة. انظر معجم البلدان جـ٤.

ومات علم دار بن عبد الله الناصرى بدمشق. وكان خيرا، له آثار جميلة بمصر والشام.

ومات الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى الساقى زمام الدور. كان من خدام المجاهد صاحب اليمن، فلما حج نهب وأبيع، فاشتراه حسين بن الناصر محمد، فترقى فى الخدم، وصار من الجمدارية. ثم ولى شد الأحواش. فلما مات سابق الدين مثقال الآنوكى، نقل افتخار الدين ياقوت الزمام إلى تقدمة المماليك، وولى مثقال هذا زمام الدور عوضه، ثم صرف بمقبل الدوادرى فسافر إلى الحجاز وجاور بالحرمين حتى مات ببدر، ليلة الجمعة تاسع عشر ذى القعدة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بزلار، أحد العشراوات. مات بالطاعون فى القاهرة.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى الشافعى، قاضى العسكر، فى يوم الجمعة سابع عشرين شعبان، ودفن بمدرسة أبيه من حارة بهاء الدين بالقاهرة، وكان مفتيا فى عدة علوم، حاد المزاج، مفرط الذكاء، منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس، متمتعا بالجاه والمال.

ومات الشيخ شمس الدين بن محمود بن عبد الله النيسابورى، المعروف بابن أخى جار الله الحنفى، فى سابع عشرين جمادى الأولى، عن قريب من خمسين سنة. ولى إفتاء دار العدل ومشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، وعدة تداريس، وكان خيرا.

ومات الشيخ منهاج الدين العجمى فى رابع عشر ربيع الأول. درس فقه الحنفية بالجامع الطولونى، وبمدرسة أم الأشرف. وكان قليل العلم جدا، لا يزيد فى الدرس على سماع ما يقرأ عليه.

ومات الشيخ محب الدين أحمد السبتى المعتقد، فى العشرين من صفر.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى والى القاهرة، فى المحرم.

ومات شهاب الدين أحمد بن موسى بن على [1]، عرف بابن الوكيل الشافعى المكى، بالقاهرة فى نصف صفر.

ومات الأمير سيف الدين نوغاى، أحد أمراء العشرينات، وأمير علم.

---

(١) شهاب الدين أحمد بن موسى بن على [٧٠٠- ٧٩٢هـ= ١٣٠١- ١٣٩٠م] فقيه يمانى عالم بالفرائض له مصنفات. انظر العقود اللؤلؤية ٢١٨/٢ والأعلام ٢٦١/١.

ومات القاضى تاج الدين ابن ريشة ناظر الدولة فى سادس عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير شرف الدين يونس النوروزى الدوادار، أصله من مماليك الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. واستقر من جملة المماليك اليلبغاوية، وصار دوادار الأمير الكبير أسندمر الأتابك. فلما ملك الظاهر برقوق جعله داودارا كبيرا. وكان أخص أمرائه حتى خرج إلى محاربة الناصرى وانهزم، فقتله عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قريبا من خربة اللصوص، فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين ربيع الآخر، عن نيف وستين سنة. وكان خيرا، كثير المعروف، صاحب نسك من صوم كثير وصلاة فى الليل، مع وفور الحرمة، وقوة المهابة، والإعراض عن سائر الهزل، ومحبة أهل العلم والدين وإكرامهم. وله بالقاهرة قيسارية وربع، وله تربة بقبة النصر، وتربة خارج باب الوزير، ومدرسة خارج دمشق، وخانا جليلا خارج غزة، وعدة أحواض سبيل بديار مصر والشام.

وماتت خوند شقراء ابنة الملك الناصر حسن زوجة الأمير أروس، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قرا محمد صاحب الموصل قتيلا.

ومات الأمير زامل بن مهنا أمير آل فضل فى السنة المذكورة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الإثنين، وديار مصر والشام من الفرات إلى أسوان في غاية الاضطراب وترقب الشر.

وفي ثانيه: وصل السلطان الملك المنصور إلى مدينة غزة بعساكر مصر، وجميعهم ملبسين السلاح، أبدانهم وخيولهم.

وفي سادسه: عدى الأمير صُراى تَمُر نائب الغيبة بحر النيل إلى بر الجيزة، وأحاط بخيول الناس المرتبطة على البرسيم للربيع، وأخذها كلها - ولم يكن بذاك الكبير - وأدخلها في الجشارات [1] السلطانية. وتتبعت الخيول، فأخذت خيول الأمراء وأولاد الناس، وخيول عربان البحيرة والغربية والشرقية.

وشرع الناشب في تجهيز الشعير والزاد إلى العسكر لغلاء السعر معهم.

وفي سابعه: دقت البشائر بالقلعة وأبواب الأمراء ثلاثة أيام، لكذب أشاعوه من فرار الملك الظاهر، وتابعوا الإشاعات بذلك. ورسم بزينة القاهرة ومصر، فزينتا في ثامنه.

وفيه استقر قُرُطاى التاجي في ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن أمير حاج بن أيدمر.

وفي حادى عشره: قُبض على ستة مماليك بالبرقية من القاهرة، وقد لبسوا السلاح وأعدوا عندهم كثيرا من السلاح، فأقروا أن معهم جماعة من مماليك نائب الغيبة، ومماليك غيره من الأمراء، قد اتفقوا على أنهم يثوروا يوم الجمعة ثاني عشره، وتأخذ كل طائفة أميرا، ويملكوا الإصطبل والقلعة.

فأمسك الأمير صراى تمر نائب الغيبة من مماليكه خمسة وثلاثين رجلا، وقبض الأمير تكا على عشرين، وقبض الأمير مقبل أمير سلاح على سبعة. وضرب الجميع فأقروا على جماعة، قبض منهم يونس من أمراء العشراوات، وناصر البدرى الأستادار، وقطلوبك، وفراج. ونزل والى القاهرة حسين بن الكوراني، والأمير قطلوبغا الحاجب إلى الدار البيسرية بالقاهرة، وبها أخوات الملك الظاهر، فأخذوا بيبرس ابن أخت الظاهر

(١) الجشارات الحشر قوم يبيتون مكانهم في مرعى الإبل لا يرجعون إلى بيوتهم. الوجيز ١٠٦.

برقوق وأفحش حسين الوالى فى سب أخوات الظاهر، وبالغ فى إهانتهن، وذم الظاهر، حتى ألجأهن إلى الخروج حاسرات مع الجنادرة (١)، يسحبن فى طول القاهرة، حتى قدم مرسوم نائب الغيبة بردهن من باب زويلة، فكان هذا أعظم الأسباب فى هلاك حسين، كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية المنوفية (٢) عوضا عن محمد بن العادلى.

وفى ثانى عشره: قلعت الزينة.

وفيه نزل قطلوبغا الحاجب، وفتش البيسرية، فلم يجد فيها أحدا من المماليك الظاهرية فدخل المدرسة الظاهرية برقوق، وفتش سائر بيوت فقهائها فلم يجد أحدا، فقبض على رجلين من التجار العجم، أحدهما خواجا إسماعيل، وعملهما فى الحديد، وسار بهما إلى القلعة.

وفيه ألزم أرباب المراكب ألا يعدوا بفرس من بر الجيزة إلى بر مصر والقاهرة.

وفيه نودى على المماليك الظاهرية أن من أحضر منهم مملوكا، أخذ ألفى درهم.

وأما الملك المنصور والأمير منطاش فإن الأخبار أتتهما بأن الأمير كُمُشْبغا لم يزل يبعث من حلب يمد الملك الظاهر بالعساكر والأزواد والآلات وغير ذلك، حتى صار له برك كبير، ثم إنه قدم لنصرته بعساكر حلب، وقاتل معه، فجد الملك المنصور من غزة فى المسير، وبلغ ذلك الملك الظاهر فترك قتال أهل دمشق، وأقبل نحوهم، فنزل العسكر المصرى على قرية المليحة - وهى عن شقحب بنحو بريد - وأقاموا بها يومهم. وبعثوا كشافتهم، فوجدوا الظاهر برقوق على شقحب، فكان اللقاء يوم الأحد رابع عشره، وقد وافاهم الظاهر برقوق، فوقف الأمير منطاش فى الميمنة، وحمل على ميسرة الظاهر، فحمل أصحاب ميمنة الظاهر على ميسرة المنصور، وبذل كل من الفريقين جهده، وكانت حروب شديدة، انهزمت فيها ميمنة الظاهر وميسرته، وتبعهم منطاش بمن معه، وثبت الظاهر فى القلب، وقد انقطع عنه خبر أصحابه، وأيقن بالهلاك. ثم حمل على المنصور بمن بقى معه، فأخذ المنصور والخليفة المتوكل والقضاة والخزاين، ومالت الطائفة التى ثبتت معه على الأثقال، فأخذتها عن آخرها، وكانت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة، ووقع الأمير قُجماس ابن عم الظاهر فى قبضة منطاش، ومر فى أثر المنهزمين

---

(١) يقصد بالجنادرة حملة السلام أى الحراس.

(٢) المنوفية وهى من قرى مصر القديمة فى فتوح مصر ويضاف إليها كورة فيقال كورة رمسيس ومنوف. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

حتى وصل إلى دمشق، وبها يومئذ الأمير جَنْتَمُر أخو طاز، فقال له: «قد كسرنا برقوق، وفى غد يقدم الملك المنصور، فاخرج إلى ملاقاته». فمشى ذلك عليه واستعد، وخرج فى يوم الإثنين خامس عشره والأمير منطاش ومن معه.

وأما الظاهر وأصحابه، فإن الأمير كُمشبغا نائب حلب كان ممن انهزم على شَقْحب، فتم فى الهزيمة إلى حلب، وتبعه الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائب الكرك، ومن بقى من عساكر حلب، فاستولى عليها، وانهزم أهل الكرك إليها، فلم يصلوا حتى مرت بهم شدائد. و لم يتأخر مع الظاهر إلا نحو الثلاثين، وقد تمزقت عساكره وعساكر مصر، فلم يقصد إلا المنصور، فأخذه بمن معه، وجرح قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن الطرابلسى الحنفى. وسلب النهاية جميع القضاة والمتعممين، ماعدا قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى، فإنه كان لم يركب وقت الحرب، فسلم من النهب، هو وولده برهان الدين إبراهيم. وقتل خلق كثير. ومضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وأخوه عز الدين حمزة، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وشمس الدين محمد بن الصاحب موقع الإنشاء، وتاج الدين عبد الرحيم - ابن الوزير فخر الدين بن أبى شاكر- صاحب ديوان منطاش، فى طائفة كبيرة إلى دمشق. ووقف الظاهر تحت العصائب السلطانية، والمنصور والخليفة بجانبيه، فتلاحق به عدة من أصحابه. وبات ليلته على ظهر فرسه.

ووكل بالمنصور والخليفة من يحفظهما، وهو فى قتل من خالفه، و لمّ من غاب من أصحابه، أو أطاعه من عسكر مصر، حتى أصبح فى نهار يوم الإثنين وقد صار فى عسكر كثيف. وأقبل منطاش فى عالم كبير من عوام دمشق وعساكرها ومن كان معه، فدارت بينه وبين الظاهر فى هذا اليوم منذ شروق الشمس إلى آخره حروب لم يعهد بمصر والشام فى هذه الأعصر مثلها، وبعث الله ريحا ومطرا فى وجه منطاش ومن معه، فكانت من أكبر أسباب خذلانه. و لم تغرب الشمس حتى فنى من الفريقين خلق كثير من الفرسان والعامة. وانهزم منطاش إلى دمشق. وعاد الظاهر إلى منزلته فأقام بها سبعة أيام. وعزت عنده الأقوات، حتى أبيعت البشماطة بخمسة دراهم فضة، وأبيع الفرس بعشرين درهما، والجمل بعشرة دراهم لكثرة الدواب وقلة العلف. ثم طُلب من يشترى الجمال فلم يوجد، وغنم أصحاب الظاهر أموالا جزيلة، استغنى به منهم عدة، بعد فقرهم.

وفى أثناء إقامته، أمر الظاهر فجمع كل من معه من الأعيان، وأشهد على المنصور حاجى أنه خلع نفسه، وحكم بذلك القضاة. ثم بويع الظاهر، وأثبت القضاة بيعته. فولى الظاهر الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى نيابة صفد، والأمير سيف الدين قديد القَمطاى الكرك، والأمير علاء الدين أقبغا الصغير غزة. ورحل الظاهر، فأتاه عند رحيله منطاش بعسكر الشام، ووقف على بعد، فاستعد الظاهر إلى لقائه فولى عنه، وعاد إلى دمشق.

وسار الملك الظاهر بمن معه يريد ديار مصر، وبعث إلى غزة يأمر منصور الحاجب بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش، فقبض عليه، واستولى على غزة. وبعث بابن باكيش إلى السلطان الظاهر برقوق فضربه بالمقارع وهو بالرملة. وسار [الظاهر] إلى غزة، فضربه بها ضربا مبرحا، يوم دخلها مستهل صفر.

وأما أمر ديار مصر، فإنه أشيع كسرة الظاهر لمنطاش، فى رابع عشر المحرم يوم الوقعة.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام أستادار الأمير منطاش، قرره فى ذلك الأمير صراى تمر، وخلع عليه.

وفى خامس عشره: أفرج عن الأمير ناصر الدين ناصر البدرى، وصُراى تَمُر الشرفى، وبيبرس ابن أخت الظاهر، فى جماعة أخر.

وفيه قدم من الفيوم محضر - يقال إنه مفتعل - بأن حائطا سقط على الأمراء المحبوسين بالفيوم، فقتلهم، وهم: تَمُر باى الحسنى، وقرابغا الأبو بكرى، وطغاى تمر الجركتمرى، ويونس الأسعردى، وقازان السيفى وتنكز العثمانى، وأردبغا العثمانى، وعيسى التركمانى.

وفى ثانى عشرينه: قدم المحمل والحاج، وكانوا ركبا واحدا.

وفى خامس عشرينه: قدم سواق بكتب مزورة، تتضمن أن الملك المنصور ملك دمشق، وفر الظاهر، فدقت البشائر ثلاثة أيام، وعمل الأمير حسين بن الكورانى وليمة عظيمة، وأظهر فرحا زائدا، فلم يمش هذا على أكثر الناس.

وفى ثامن عشرينه: كثرت الإشاعات بكسرة منطاش، واستيلاء الظاهر على المنصور والخليفة، وأنه متوجه إلى القاهرة.

وفى يوم الأربعاء أول صفر: قدم البريد من غزة وعلى يده كتاب مفتعل، بدخول المنصور دمشق، وهرب الظاهر. هذا والفتنة قائمة بين الأمير صُراى تَمُر نائب الغيبة، وبين الأمير تكا المقيم بالقلعة، وكل منهما ينافس الآخر، ويحترز منه، حتى اشتهر هذا.

واتفق أن الأمراء والمماليك الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا فى قصريتين فخار وسقوه، فنجب بصل إحدى القصريتين و لم ينجب الآخر، فرفعوا القصرية التى لم ينجب بصلها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها، وتحتها حجر يخرج من شقوق ما بينه وبين حجر آخر هواء، ففكوا الطاقة ورفعوه فوجدوا تحته خلوا، فما زالوا به حتى اتسع، وأفضى بهم إلى سرداب، مشوا فيه حتى صعدوا الأشرفية، من قصور القلعة.

وكان منطاش قد سد بابها الذى ينزل منه إلى الإسطبل، فعاد الذين مشوا فى السرداب واعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم - وهم نحو الخمسمائة رجل - ومشوا فيه ليلة الخميس ثانى صفر. هذا وقد ترأس عليهم الأمير بطا الطولوتمرى، وحاولوا باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحرس الموكلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكا يقال له تمربغا قتلوه، فبادر بطا ليخرج فضربوه ضربة سقط منها إلى الأرض. ثم قام وضرب بقيده الرجل صرعه، وفر البقية، فصرخ المماليك صرخة واحدة، وخرجوا، وقد جعلوا قيودهم سلاحا يقاتلون به، وصار الحرس يصيحون فى هروبهم «تكا، يا منصور»، فانتبه الأمير صُرَيْتَمُر فزعا، وهو لا يشك أن تكا ركب عليه ليأخذه، واستخفه الفزع، فنزل من الإسطبل، وصار إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب - وكان قريبا من الإسطبل - فملك بطا الإسطبل، واحتوى على ما فيه من قماش صراى تمر وأثاثه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المعوقين به، وأخذ الخيول التى كانت هناك، وأمر فدقت الكوسات حربيا من نحو ثلث الليل الأول إلى أن أصبح الناس يوم الخميس، فرماهم الأمير تكا من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح، ودمرداش القَشْتَمُرى فيمن معهم.

هذا، وقد تسامعت المماليك الظاهرية، وخرجوا من كل مكان، ولحقوا ببطا، وبعثوا إلى خزانة شمايل بالقاهرة، وكسروا بابها، وأخرجوا من كان فيها من المماليك الظاهرية واليلبغاوية وغيرهم. وكسروا أيضا سجنى الديلم والرحبة، وأفرجوا عن المسجونين. فخاف الأمير حسين بن الكورانى وهرب. وركب الأمير صُراى تمر، والأمير قطلوبغا الحاجب فى جمع لقتال بطا وأصحابه، فنزل إليهم وقاتلهم، وقد اجتمع معه من العوام خلق كثير لمعاونته، فخامر أكثر من معهما، وصاروا إلى بطا، فانكسرا ودخلا إلى مدرسة حسن. فلما رأى الأمير تكا جمع بطا يزداد، وصُراى تُمر قد انكسر، نزل من القلعة إلى الطبلخاناة، ورمى على بطا، فمضى طائفة منهم، وملكوا بيت قطلوبغا الحاجب، ونقبوا منه حتى ملكوا المدرسة الأشرفية، ورموا على من فى الطبلخاناة،

فانهزموا، وملكوا الطبلخاناة، وحاصروا مدرسة حسن، وكان بها طائفة من التركمان أعدهم منطاش لحفظها، فسألوا الأمان لشدة الرمى عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك من كان على باب القلعة من الرماة، فسارت الظاهرية إلى بيوت الأمراء ونهبوها، والناس فى القاهرة مع هذا فى أمن، لم يقع بها نهب ولا شر، مع عدم من يحميها. ولم يمض النهار حتى تجاوز عدد الظاهرية الألف، وأمدهم ناصر الدين ناصر - أستادار منطاش - بمائة ألف درهم فضة وأذن بطا لناصر الدين محمد بن العادلى أن يتحدث فى ولاية القاهرة، فدخلها ونادى بالأمان، والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسر الناس سرورا زائدا، بزوال الدولة المنطاشية.

وفى بكرة يوم الجمعة - ثالثه -: سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودن النائب.

وفيه أقام الأمير بطا منجك المنجكى فى ولاية القاهرة، عوضا عن ابن العادلى، فدخلها ونادى بالأمان.

وفيه نزل الأمير سودن النائب من قلعة الجبل، ومعه تكا ودمرداش القَشْتَمُرى، ومقبل السيفى إلى عند الأمير بطا فقبض عليهم، وقيدهم. وبالغ فى إكرام الأمير سودن، وبعثه إلى الأمير صُراى تمر، فما زال به حتى كف عن الرمى. ونزل هو وقُطلوبُغا الحاجب إليه، فتكاثرت العامة تريد قتلهما، والأمير سودن يمنعهم من ذلك أشد المنع، فلم يلتفتوا إليه، ورجموهما رجما متتابعا، كاد يهلك الجميع، فاحتاجوا إلى الرمى بالنشاب عليهم، وضربهم بالسيوف، فقتل منهم جماعة. وصار سودن بهما وبمن كان معهما إلى الإسطبل، فقيدهما بطا، وسجنهما، وأمر بمن فى المدرسة من المقاتلة، فأنزلوا كلهم، وأذهب الله الدولة المنطاشية من مصر. وركب الأمير سودن النائب، وعبر إلى القاهرة، والمنادى بين يديه ينادى بالأمان والاطمئنان، والدعاء للسلطان الملك الظاهر. وبعث إلى خطباء الجوامع، فدعوا فى خطبة الجمعة.

وفيه أفرج الأمير بطا عن الخليفة المخلوع زكريا والشيخ شمس الدين محمد الركراكى المالكى، وسائر من كان بالقلعة من المسجونين، وتتبع المنطاشية.

وفيه قدم أحمد بن شكير الدليل، وأشاع فى القاهرة أن الملك الظاهر قادم إلى القاهرة.

وقدم أيضا جلبان العيسوى الخاصكى، وأخبر برحيل الملك الظاهر من غزة [١] يوم الخميس ثانى صفر، فدقت البشائر، وتخلق الظاهرية بالزعفران.

وكتب بطا إلى السلطان يخبره بما اتفق لهم، وأنهم ملكوا ديار مصر، وأقاموا الخطبة باسمه، واستولوا على القلعة والإسطبل، وقبضوا على سائر الأمراء المنطاشية. وبعثوا به الشريف عنان بن مغامس ومعه أقبغا الطولو تمرى، المعروف باللكاش - أحد المماليك الظاهرية - فسارا ليلة السبت رابعه.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية القاهرة، عوضا عن منجك، فنزل القاهرة بخلعته، ونادى بالأمان والدعاء للملك الظاهر، وكتب بطا إلى ولاة الأعمال بإحضار المنطاشية، والإفراج عن الظاهرية، وتجهيزهم إلى قلعة الجبل.

وفيه طلب الأمير حسين بن الكورانى إلى الإسطبل. فلما حضر أراد المماليك الظاهرية قتله لقبيح ما فعله فيهم، فشفع فيه الأمير سودن النائب.

وفيه قبض على ألطنبغا الطازى كاشف الجيزية، وقيده، واستقر الأمير مبارك شاه عوضه.

وفى خامسه: خلع بطا على الأمير حسين بن الكورانى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وأمره أن يحصل المنطاشية كما حصل الظاهرية، فنادى: «من أحضر مملوكا من الأشرفية أو من مماليك منطاش، فله كذا.

وفيه قبض بطا على الأمير قطلوبغا اللالا، والأمير بيدمر شاد القصر والأمير بورى صهر منطاش، والأمير صلاح الدين محمد بن تنكز وسجنهم بالقلعة.

وفيه حُصنت القلعة والإسطبل، ومدرسة حسن، ومدرسة الأشرف تحصينا زائدًا، ورتب الرماة والمقاتلة والنفطية [٢]، حتى ظن الناس أن بطا يمنع الملك الظاهر من القلعة، وكثر الكلام فى هذا.

وفيه أمر الأمير بُطا فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة بعمل السماط [٣] بالإسطبل، فصارت الأمراء والمماليك بأجمعهم تحضر السماط فى كل يوم عند الأمير بطا، ورتب لهم على الدولة اللحوم وغيرها.

---

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤.

(٢) النفطية مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز ٦٢٨.

(٣) السماط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المآدب. انظر الوجيز ٣٢١.

وفيه أفرج بطا عن الصارم بن بلرغى والى القلعة، وأعاده إلى ولايته.

وفيه قدم الأمير سيف الدين بن محمد بن عيسى العائدى بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير بطا، بتجهيز الإقامات، والإخبار بما من الله عليه، وأن يواصل الأخبار فى كل يوم.

وفى سادسه: حضر زيد بن عيسى العائدى، وأخبر بتفصيل الوقعة.

وقدم البريد من قطيا بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير علاء الدين الطشلاقى والى قطيا، بحفظ الدرب، والقبض على من انهزم، وإعلامه بالنصرة على منطاش، وفراره. وكل هذا ولم تطمئن النفوس، ولا ارتفع الشك، بل كان بُطا يخشى أن يكون هذا من مكايد منطاش، وهو ينتظر جواب كتابه.

وفى سابعه: استقر الأمير بُطا بالصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية البهنسا، عوضا عن محمد بن الأعسر.

وفى ثامنه: استقر بالأمير بَكْتَمُر الطرخانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن أبى بكر بن بدر، واستقر بأحمد السيفى فى ولاية قوص.

وفيه قدم أقبغا اللكاش، وقد ألبسه الملك الظاهر خلعة سنية، شق بها القاهرة، وكتب على يده كتابًا إلى الأمير بُطا، فتحقق الناس نصرة السلطان الملك الظاهر، ونودى فى الناس بالأمان، ومن ظلم أو قهر فعليه بالأمير بطا.

وفيه قُبض على الأمير حسين بن الكورانى، وقيد بقيد ثقيل جدا، ونهبت داره. واستقر الصارم عوضه فى ولاية القاهرة. وفى غده سلم إلى الصارم، فأخذه فى الحديد، كما تؤخذ اللصوص، وضربه وعصره، ثم نقل من عند الصارم الوالى إلى الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص – شاد الدواوين – فعاقبه أشد العقوبة.

وفى تاسعه: قدم البريد بكتاب السلطان إلى الأمراء والمماليك بالسلام عليهم، فتزايدت مسرات الناس بنصرة الملك الظاهر، وكثر فرحهم، حتى قل بيت لم يداخل أهله السرور بذلك.

وفيه قدم تانى بك – المعروف بتنم الحسنى – من الإسكندرية [(١)]، المتوجه برسالة بطا إلى الإسكندرية، وقد امتنع نائبها من الإفراج عن الأمراء إلا بكتاب السلطان.

---

(١) الإسكندريه: مدينة عظيمة بديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح وقال عنه قوم أنه أرم ذات العباد التى ذكرت فى القرآن الكريم فى [سورة الفجر آيه٧] انظر معجم البلدان ١/١٨٣، والروض المعطار ٥٤، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

وفيه ألزم الفخر بن مكانس ناظر الدولة بتجهيز الإقامات السلطانية، وتجهيز الشقق الحرير، لتفرش تحت فرس السلطان عند قدومه.

وفيه قدم من دمياط الأمير شيخ الصفوى، وقُنق باى السيفى، ومقبل الرومى الطويل، وألطبغا العثمانى، وعبدون العلاى، وطوجى الحسنى، وأربعة أخر.

وفي عاشره: شد العذاب على حسين بن الكورانى، وألزم بمائة ألف درهم فضة، ومائة فرس، ومائة لبس حربى.

وفي حادى عشره: استقر قطلو شاه - نائب والى الجيزة - فى ولاية الجيزة، واستقر بورى القَلَنْجَقى فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن قرطاى التاجى.

وقدم البريد بنزول السلطان إلى الصالحية (١) فخرج الناس إلى لقائه.

وفي ثاني عشره: ورد مرسوم السلطان على حسين بن الكورانى، بعمل شىء من الأمور السلطانية، ظنًا أنه مستمر على ولاية القاهرة، فأمر الأمير بطا بالإفراج عنه، فخرج لسبيله.

وفيه نودى بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، فاستهم الناس فى الزينة، وتناظروا فى التفاخر بها، رغبة منهم فى الدولة الظاهرية، حتى لم نعهد زينة نظيرها.

وفي ثالث عشره: نزل السلطان بالعكرشا، قريبا من سرياقوس.

* * *

الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق ابن أنص الجركسى رحمه الله تعالى سلطنته الثانية

فى بكرة نهار يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، نزل الملك الظاهر بالريدانية خارج القاهرة، فخرج إلى لقائه الأشرف، مع السيد على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصناجقها، وخرجت العساكر بلبوسها الحربية.

وكانت العساكر منذ خرج بطا وأصحابه لابسة السلاح ليلا ونهارا. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ومعهم شموع كثيرة مشعلة. وخرج من عامة

---

(١) الصالحية قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صاع الهاشمى. انظر معجم البلدان ٣٨٩/٣.

الناس رجالهم ونساؤهم ما لا يحصيه إلا الله، وعندهم من الفرح والسرور شيء زائد، وهم يضجون [(١)] بالدعاء للسلطان، حتى لقوه وأحاطوا به، وقد فرشت الشقق الحرير من الترب إلى باب السلسة. فلما وصل إليها تنحى بفرسه عنها، وقدم الملك المنصور حاجى بن الأشرف حتى مشى بفرسه عليها، ومشى بجانبه، فصار كأن الموكب للمنصور، فوقع هذا من الناس موقعا عظيما، ورفعوا أصواتهم بالدعاء والابتهال له لتواضعه مع المنصور فى حال غلبته وقهره له، وأنه معه أسير، وعد هذا من فضائله. وصارت القبة والطير أيضا على رأس المنصور الخليفة راكب بين أيديهما، وقضاة القضاة بين يدى الخليفة. فإذا تقدم الفرس عن شقة إلى أخرى تناهبها العامة من غير أن يمنعهم أحد. وكانت العادة أن الشقق الحرير لجمدارية السلطان، لكنه قصد بذلك التحبب للعامة، فإنه صاحب كيد ودهاء. وكذلك لما نثر عليه الذهب والفضة تناهبه العامة. وعندما وصل إلى باب القلعة نزل عن فرسه، ومشى راجلا تجاه فرس المنصور - وهو راكب - حتى نزل، فأخذ يعضده وأنزله، فحسن هذا منه إلى الغاية. وأخذ فى المبالغة فى تعظيمه ومعاملته بما يعامل به الأمراء سلطانهم، إلى أن أدخله داره بالقلعة ثم تفرغ لشأنه. واستدعى الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة وأهل الدولة، وهو بالإصطبل. وجدد عقد السلطنة وتجديد التفويض الخليفتى، فشهد بذلك القضاة على الخليفة ثانيا، وأفيضت التشاريف [(٢)] الخليفتية على السلطان، ثم أفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة. وركب السلطان من الإصطبل، وصعد القلعة، وتسلم قصوره، وقد عاد إليها حرمه وجواريه، فدقت البشائر. واستمرت التهانى والأفراح بالقلعة ودور الأمراء وأهل الدولة، ونودى بالأمان والدعاء للسلطان، فسر الناس فى هذا اليوم مسرة [(٣)] كبيرة جدا.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: خلع السلطان على الفخر عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة خلعة الاستمرار. واستدعى كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيوش، واستقر به فى نظر الجيش، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى القيصرى. وخلع على الوزير الصاحب موفق الدين أبى الفرج، واستقر به فى الوزارة ونظر الخاص. وخرج البريد إلى الإسكندرية بإحضار الأمراء المسجونين بها.

---

(١) يضجون هو الجلب وصاح من مشرفة أو جزع ونحوهما.

(٢) التشاريف نال الشرف. انظر الوجيز ٣٤١.

(٣) مسرة والسرور ضد الحزن ومسرة كمسيرة. انظر المصباح المنير ٢٩٥.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكوراتى، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شاد الدواوين خلعة الاستمرار.

وأنعم على الأمير بُطا بإمرة مائة، وعين للدوادارية. واستقر الأمير قرقماس الطشتمرى أستادارا. واستقر شمس الدين محمد بن عبد العزيز فى صحابة ديوان الجيش.

وفى سابع عشره: وصل الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجيزة فباتوا به، وعدوا فى ثامن عشره إلى القلعة، وهم سبعة عشر أميرا: يلبغا الناصرى، وألطنبغا الجوبانى، وألطُنْبُغا المعلم، وقرا دمرداش الأحمدى، وأحمد بن يلبغا العمرى، وقُرْدُم الحسنى، وسودُن باق، وسودُن الطُرنطاى، وآقبغا الماردانى، وآقبغا الجوهرى، وكَشْلى القلمطاوى، وبَجَاس النوروزى، ومأمور القلمطاوى، وألطُنبُغا الأشرفى، ويُلبغا المنجكى، ويونس العثمانى، وآلابغا العثمانى، فقبلوا الأرض وعادوا إلى منازلهم من غير أن يؤاخذ أحد منهم بفعله، فعد هذا من جميل الأفعال.

وفى تاسع عشره: أعيد الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى إلى نقابة الأشراف، وصرف الشريف على.

وفى يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بالإيوان المعروف بدار العدل من القلعة، فى الموكب السلطانى، وحضر أهل الدولة للخدمة على العادة، فأخلع على الأمير سودن الفخرى الشيخونى، واستقر نائب السلطنة على عادته وعلى الأمير كُمشبُغا الأشرفى الخاصكى، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير إينال اليوسفى، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر. وعلى الأمير يلبغا الناصرى واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير الجوبانى، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى الأمير بطا، واستقر دوادارا. وعلى الأمير طوغان العمرى، واستقر أمير جاندار. وعلى الأمير سودن النظامى واستقر والى القلعة، فكان يوما عظيما.

وفى حادى عشرينه: أعيد نجم الدين محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف سراج الدين عمر العجمى، واستقر الأمير بَكْلَمش العلاى أمير آخور، وسكن بالإسطبل السلطانى.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه: قرئ عهد السلطان بدار العدل، وخلع على الخليفة المتوكل على الله، وكان حاضر القراءة.

وفيه استقر علاء الدين على بن عيسى المقيرى الكركى فى كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله. واستقر الأمير سيف الدين بُدْخاص السودونى - نائب صفد - حاجبا ثانيا.

وفى رابع عشرينه: قدم من دمياط جماعة مُحْتَفظ بهم، كان منطاش بعثهم فى بحر الملح من جهة طرابلس - قبل وقعة شقحب - إلى غزة، خوفا من أخذهم فى البر، حتى إذا وصلوا غزة ركبوا البريد إلى القاهرة، ومعهم كتب بقتل الأمراء المسجونين عن آخرهم. فلما وصلوا غزة بلغهم نصرة السلطان، فساروا فى البحر يريدون طرابلس[١]، فألقاهم الريح بدمياط[٢]، فسجنوا.

وفى سادس عشرينه: قبض على حسين بن الكورا وعُذب.

وفيه عرض السلطان المماليك.

وفيه قدم البريد من صفد بفرار الأمير طُغاى تمر القبلاوى من دمشق إلى حلب فى مائتين من المنطاشية. وقدم منهم إلى صفد ثلاثمائة مملوك، وشكوا من سوء حال أهل دمشق بمنطاش.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار، مشير الدولة.

وفيه سلم الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس إلى الأمير بَكْلَمِش أمير أخور، فضربه بالمقارع [٣]، وألزمه بما أخذ من دواوينه فى أيام الناصرى، وأطلقه بعد ما ضمن عليه.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للنظر فى المظالم والحكم بين الناس على عادته، فهرع الناس إليه، وأكثروا من الشكايات، فكثر خوف الأكابر وفزعهم، وترقب كل منهم أن يشكى إليه.

---

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور من صخر منيع، ولها ضياع جليلة، وطرابلس أيضًا مدينة من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، وتفسير طرابلس ثلاث مدن، أو مدينة الناس وسماها اليونانيون طرابلطية. انظر معجم البلدان ٢٥/٤، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

(٢) دمياط: - أو ذمياط - مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، والروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ٣٢٠/١٢، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦، وخطط المقريزى ٢١٥/١ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٣) المقارع كل ما يقرع به. انظر الوجيز ٤٤٩ ومفردها مقرع وجمعها مقارع.

وفى يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول: قدم الأمير أَسْبُغا التاجى، ونحو العشرين مملوكا، ومعهم عدة من المباشرين فروا من دمشق.

وفى حادى عشره: هرب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس عندما طلب، فلم يوقف له على خبر، فأخذ كثير من أقاربه وحواشيه وقبض على أخويه فخر الدين عبد الرحمن ناظر الدولة، وزين الدين نصر الله.

وفى ثانى عشره: استقر نور الدين على بن عبد الوارث البكرى فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفى ثامن عشره: استقر شمس الدين محمد الركراكى فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن تاج الدين بهرام الدميرى.

وفيه استقر سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى - المعروف بابن كاتب السعدى - فى نظر الخاص، عوضا عن صاحب موقف الدين، وانفرد الموفق أبو الفرج بالوزارة.

وفيه عزل شرف الدين محمد بن الدمامنى عن حسبة الإسكندرية، بجمال الدين بن خلاص. ونقل الشيخ علاء الدين على بن عصفور الشامى المكتب من توقيع الدرج إلى توقيع الدست.

وفى خامس عشرينه: استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا الجوبانى - رأس نوبة النوب - فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدى نائب طرابلس، ورسم لهما بمحاربة منطاش. واستقر علاء الدين على الكركى كاتب السر فى نظر المدرسة الظاهرية المستجدة، ونظر الخانكاة الشيخونية.

وفى ثامن عشرينه: طلب الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وفخر الدين عبد الرحمن[1] بن مكانس إلى القصر السلطانى، وضربا بالمقارع، فضرب ابن الغنام سبعة شيوب، وضرب ابن مكانس نحو الخمسين شيبا.

وفى يوم السبت أول ربيع الآخر: استقر الأمير مأمور القلمطاوى فى نيابة حماة، وأرغون العثمانى فى نيابة الإسكندرية، وآلابغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، وأسندَمُر السيفى حاجب الحجاب بطرابلس.

---

(١) عبد الرحمن بن مكانس بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس وزير، حنفى المذهب أصله قبطى. انظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٠ وابن الفرات ٣٢٢/٩ وآداب اللغة ١٢٤/٣ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٣١٣/٤ والأعلام ٣١٠/٣.

وفيه أنعم على كل من: ألطنبغا الأشرفى، وسودُن باق، وَبجْمان المحمدى بإمرة فى دمشق، ورسم أن يخرجوا مع النواب.

وفى ثالثه: استقر شرف الدين مسعود فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى.

وفى رابعه: استقر الشريف عنان بن مغامس (١) الحسنى شريكا لعلى بن عجلان فى إمارة مكة.

وفى ثامنه: استقر جمال الدين عبد الله السكسيوى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى عاشره: قدم جماعة من المنطاشية فارين من دمشق.

وفى سادس عشره: قبض على الوزير موفق الدين أبو الفرج.

وفى سابع عشره: استقر فى الوزارة سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر الصاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى نظر الدولة بمفرده، عوضا عن الفخر ابن مكانس، وشمس الدين بن الرويهب.

وفى ثامن عشره: عوقب الصاحب موفق الدين أبو الفرج.

وفى عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى فى نظر البيوت، مع ما بيده من استيفاء الصحبة.

وفى رابع عشرينه: قبض على الأمير يدكار العمرى، وسُرْبُغَا الظاهرى، وتَلَكْتُمُر الدوادار، وطاش بغا الحسنى، وقرابُغا، وأرغون الزينى.

وفيه استقر الأمير الدين جُلْبان الكمشبغاوى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن حسن خجا بعد وفاته.

وفى خامس عشرينه: قدم البريد بأن تجريدة خرجت من دمشق لمحاصرة صفد، مع الأمير قطلوبغا الصفوى، فدخلوا بأجمعهم فى الطاعة، وتوجهوا إلى مصر، فدق البشائر بالقلعة.

---

(١) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى شريف حسنى من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان سنة ٧٨٨هـ ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ انظر الإكليل ١٠/١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٥/٩٠.

وفى سابع عشرينه: استقر الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدى نقيب الجوندارية فى مقدمة الدولة، عوضا عن المقدم عبيد البازدار، شريكا للمقدم ثُنيتين، ولبس عبيد البزدار بالتركى، وخدم أستادار بعض الأمراء.

وفيه قتل ابن سبع الذى كان شهد عليه بالكفر، قتله بعض عبيده بالحمام، فأوقع الأمير قرقماس الأستادار الحوطة على موجوده، فوجد له من النقد ألف ألف وستون ألف درهم، ما بين ذهب وفضة وفلوس، ووجد له من الجمال والبقر والجاموس والأغنام ثمانون ألف رأس، غير عدة دواليب.

وفيه خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر مقدم العساكر المتوجهة لقتال منطاش، وخلع على نواب الشام خلع السفر، وأنعم على جماعة بإمريات فى الشام، ورسم لجماعة من أمراء مصر للسفر مع النواب، وألزم من له إقطاع فى شىء من بلاد الشام بالسفر مع العسكر.

وفى عاشره: برزت أطلاب نواب الشام والأمراء إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفى ثالث عشره: قدم الأمير قطلوبغا الصفوى بمن معه، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم البريد من صفد بأن منطاش لما بلغه مخامرة الصفوى ومن معه قبض على الأمير جنتمر أخى طاز وولده، وألطنبغا أستاداره، أحمد بن جرجى، وأحمد بن جبجق، وكمشبغا المنجكى نائب بعلبك، وشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق، وعلى عدة من الأمراء والأعيان، وأن طرنطاى بن ألجاى قدم فى سبعين فارسا إلى صفد، راغبا فى الخدمة السلطانية.

وفيه قدم زيادة على عشرين من مماليك الأمير يلبغا الناصرى، فارين من دمشق.

وفى عشرينه: قدم طرنطاى بن ألجاى بمن معه، ثم قدم أيضا نحو المائتى مملوك.

وقدم البريد بأن منطاش أخذ بعلبك [(١)] بعد أن حاصرها محمد بن بيدمر أربعة أشهر، وأنه وسط ابن حنش وأربعة معه.

وفى ثانى عشرينه: توجه الشريف عنان إلى مكة، وقد استخدم عدة أتراك.

---

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا وفيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أباطين. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤. بعلبك مدينة قديمة.

وفى ثامن عشرينه: ألزم شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس بعمل حساب الأمير قجماس ابن عم الظاهر، فإنه كان شاهد ديوانه.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على المشير، فى أستادارية السلطان، على عادته، عوضا عن الأمير قرقماس، بعد وفاته.

وفى يوم الثلاثاء أول جمادى الأولى: قدم البريد من صفد بنزول إبراهيم بن دُلغادر بجمائع التركمان على حلب، وأنه كسر تمان تمر الأشرفى.

وفى ثانيه: قدم رسول الأمير محمد شاه بن بيدَمُر متراميا على السلطان، يسأله العفو عنه، فأجيب إلى ذلك، وجُهز إليه أمان وتشريف.

وفى ثامنه: قدم البريد من صفد بأن الأمير قَشْتَمُر الأشرفى حضر على عسكر من قبل منطاش، فقاتله أهل صفد، فانكسروا منه، ثم إن جماعة من المنطاشية حضروا إلى صفد طائعين وقاتلوا مع عسكر صفد، فأنكر قَشْتَمُر، وقُتل كثير ممن معه، وأخذت أثقالهم.

وفى ثانى عشره: عزل شمس الدين محمد الدميرى عن نظر الأحباس، واستقر عوضه القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى.

وفيه استقر تاج الدين بن الرملى فى نظر الأسواق.

وفى رابع عشره: أنعم على الأمير قطلوبغا الصفوى بإمرة مائة وتقدمة ألف، عوضا عن الأمير قرقماس الطَشْتَمُرى، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنطاى.

وفى سادس عشره: قدم البريد من صفد بأن نواب الممالك لما وصلت بالعساكر إلى بحيرة قَدَس[1]، حضر إليهم ولد الأمير نُعير وعدة من الأمراء المنطاشية.

وفى سابع عشره: قدم البريد من دمشق بأن منطاش لما بلغه قدوم العساكر برز من دمشق، وأقام بقبة يلبغا، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصه، وهم نحو الستمائة فارس، ومعه نحو السبعين حملا ما بين ذهب ودراهم وقماش، وتوجه نحو قارا والنبك، بعد أن قتل المماليك الظاهرية، والأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار، وأن الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق وأفرج عمن بها، وملك القلعة، وبعث إلى النواب يعلمهم، وسير كتابه إلى السلطان بذلك، فسار النواب إلى دمشق

---

(١) بحيرة قَدَس بحيرة قرب حمص طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال وهى بين حمص وجبل لبنان. انظر معجم البلدان ١/٣٥٢.

وملكوها بغير حرب، ففرح السلطان فرحا زائدا، وتخلق [١] لأمراء وأهل الدولة، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وأن تزين الأسواق وغيرها. ودقت البشائر ثلاثة أيام بالقلعة، وتباهى الناس فى تحسين الزينة إلى الغاية، وأقامت القاهرة ومصر مزينتين عشرة أيام.

وفى تاسع عشره: قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفا من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد بثمانية سيوف أيضا.

وفيه أمر الناس بتقوية الزينة، فبالغوا فيها، ونصبوا عدة قلاع تزيد على عشرين قلعة، وكثر اللعب، وتوالت الأفراح، وأنفق الناس مالا كبيرا.

وفيه قدم أيضا البريد بسبعة سيوف، منهم سيف الأمير ألطنبغا الحلبى، وسيف الأمير دمرداش اليوسفى. وذلك أن منطاش كان قد بعث بإحضار عسكر طرابلس ليقاتل بهم العساكر المصرية، فَقَبْل حضور عسكر طرابلس فر من دمشق، وقدم العسكر بعد ذلك من غير أن يعلم بفراره، فقبض عليه بكماله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بأن الأمير محمد بن أينال اليوسفى حضر إلى الطاعة بدمشق ومعه من عسكر منطاش نحو المائتى فارس، وأن منطاش توجه إلى الأمير نعير، ومعه عنقا بن شطى أمير آل مرا.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد بأن الأمير نعير بن حيار قبض على منطاش، فزينت القلعة، ودقت البشائر؛ ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفى سابع عشرينه: حضر الأمراء المقبوض عليهم بدمشق، وهم أرسلان اللفاف، وقرا دمرداش، وألطنبغا الجربغاوى، وطنبرق رأس نوبة منطاش، وأسنبغا الأرغون شاهى. فأفرج عن أسنبغا، وحُبس البقية.

وفى تاسع عشرينه: قُلِعت الزينة.

وفى يوم الخميس ثانى رجب: قدم عماد الدين أحمد بن عيسى قاضى الكرك وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وصعد إلى القلعة، فقام السلطان عند رؤيته ومشى إليه، وعانقه، وأجلسه، وتحادثا ساعة. ونزل إلى دار أعدت له بالقاهرة.

وفيه أُخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وثمانية أصابع.

---

(١) تخلق الأمراء: أى تعطروا بالرائحة العطرية المسماة خلوق. انظر القاموس المحيط.

وفى ثانى عشره: حضر من دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى كاتب السر، وجمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيوش، ونزلا فى بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان.

وفى ثالث عشره: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى الكركى فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن بدر الدين محمد أحمد بن أبى البقاء؛ ونزل بالتشريف فى موكب جليل إلى الغاية.

وفى رابع عشره: استقر علاء على بن الطبلاوى شاد المارستان المنصورى فى ولاية القاهرة، عوضا عن الصارم، واستقر علم الدين سليمان والى القرافة فى ولاية مصر، عوضا عن محمد بن مُغلطاوى.

وفى سادس عشره: دار المحمل على العادة، فحجب الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى، قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى لخصوصيته بالسلطان، ولم تكن العادة، إلا أن الوزير يكون هو صاحب الموكب والقضاة بين يديه.

وفيه استقر شرف الدين موسى بن العماد أحمد بن عيسى فى قضاء الكرك، عوضا عن أبيه.

وفيه قدم البريد من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموى لما انهزم من شقحب، دخل حلب وأقام بها، فجهز إليه منطاش من دمشق - بعد توجه السلطان إلى ديار مصر - عسكرا، عليه الأمير تمان تُمُر الأشرفى، فدخل إليه واجتمع عليه أهل بانقوسا، وقد امتنع كُمُشْبُغا بالقلعة، فحصره تمان تمر أربعة أشهر ونصف، وأحرق الباب والجسر، ونقب القلعة من ثلاثة مواضع فنقب كُمشبغا أحد النقوب [1] حتى خرقه، ورمى على المقاتلة من داخل النقب بمكاحل [2] النفط، واختطفهم بالكلاليب الحديد، وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما، وهو فى ضوء الشمع، بحيث لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يعرف الليل من النهار، إلى أن بلغ تمان تمر فرار منطاش من دمشق، فضعف وفر، فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه. وحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلموه بذلك، فعمر الجسر فى يوم واحد، ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين، وقد أقاموا رجلا يعرف بأحمد بن الحرامى. فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامى وقُبض عليه وعلى أخيه، ونحو الثمانمائة من الأتراك والأمور والبانقوسية، فوسطوا

---

(١) النقوب مفردها نقب والنقب هو الخرق فى الجدار. انظر الوجيز ٦٢٩.

(٢) مكاحل مفردها المكحلة الوعاء الذى فيه الكحل جمعها مكاحل.

بأجمعهم، وخربت بانقوسا حتى صارت دكا، ونهب جميع ما كان بها، وأن كمشبغا بالغ فى تحصين حلب وعمارة قلعتها، وأعد بها مؤنة عشر سنين. وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف ألف درهم، وعمر سور مدينة حلب، وكان منذ خربه هولاكو خرابا، فجاء فى غاية الإتقان، وعَمَل له بابين، وفرغ منه فى نحو الشهرين وبعض الثالث، وكان أكثر أهل حلب تعمل فيه، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن المهمندار، والأمير طُغنجى نائب دوركى كان لهما بلاء كبير فى القتال لأهل بانقوسا. ويقال إنه قتل فى هذه الواقعة بحلب عشرات الآلاف من الناس، حيث لم يمكن عدهم لكثرتهم.

وفيه أُلزم أمير حاج بن مغُلطاى بلزوم بيته بطالا.

وفى ثامن عشره: خرج البريد بإحضار الأمير كمشبغا من حلب.

وفيه قدم الأمير طغاى تمر القبلاوى، نائب حماة.

وفيه كثرت القالة بأن الأمير بطا الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحرز الأمراء وأعدوا للحرب، إلى أن كان يوم الإثنين عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة، وصار بعد انقضاء الخدمة إلى القصر ومعه الأمراء، فتقدم الأمير بطا، وقال للسلطان: «قد سمعت ما قيل عنى وها أنا»، وحل سيفه وعمل فى عنقه منديلا كالمستسلم للموت، فشكره السلطان، وسأل الأمراء عما ذكره الأمير بطا، وأظهر إنه لم يسمع شيئا من ذلك، فذكروا أن الأمير كُمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بَكْلَمش أمير أخور، وجرى أيضا بين الأمير بطا والأمير محمود الأستادار مخاشنة، فأشاع الناس ما أشاعوا، فجمعهم السلطان وحلفهم وحلف المماليك أيضا، وطيب خواطر الجميع بلين كلامه ودهائه. وأحضر مملوك اتهم إنه هو الذى أشاع الفتنة، فضرب ضربا مبرحا، وسمر على جمل وشهر ثم سجن بخزانة شمايل، فلم يعرف له خبر. وقبض على بَكْبُغا - أحد العشراوت - وسمر وشهر أيضا، ونودى عليه «هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء». فسكنت الفتنة بعد أن كادت الحرب أن تقوم.

وفيه قدم البريد بأن منطاش ونعيرا جمعا جمعا كبيرا من العربان والأشفية والتركمان، وساروا لمحاربة النواب، فخرج الأمير يلبغا الناصرى والأمير ألطنبغا الجوبانى بالعساكر من دمشق إلى سليمة.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد من طرابلس بأن ابن أيمان التركمانى توجه إلى طرابلس من قبل منطاش فى ثمانية آلاف فارس، وحاصرها حتى ملكها.

وفى سلخه: رسم لأمير حاج بن مغلطاى بالمشى فى الخدمة مع الأمراء، فواظب الركوب للخدمة.

وفيه نفى تنكز بغا السيفى - كاشف التراب بالبهنسا - إلى قوص.

وفى ثانى شعبان: اجتمع البَيْدَمُرية والطازية والجنتمرية فى طوائف من العامة بدمشق، يريدون أخذها، فسرح الأمير الكبير أيتمش الطائر من القلعة إلى سليمة يعلم الأمير يلبغا الناصرى بذلك، فركب ليلا فى طائفة من العسكر، وقدم دمشق وقاتلهم ومعه آلابغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، فقتل بينهما خلق كثير من الأتراك والعوام وكسرهم، وقبض على جماعة ووسطهم تحت قلعة دمشق وحبس جماعة، وقطع أيدى سبعمائة رجل، وعاد إلى سليمة. وافترقت جمائع منطاش وعساكر الشام ثلاث فرق، وتولى الأمير يلبغا الناصرى محاربة الأمير نعير، فكسره، وقتل جمعا من عربانه، وركب قفا نعير إلى منازله. وحارب الأمير قرا دمرداش منطاش ومن معه من التركمان، فضرب كل منهما الآخر، فوقعت الضربة بكتف منطاش، جرحته وقطعت أصابع قرا دمرداش. وخامر[1] جماعة من الأشرفية على منطاش وصاروا فى جملة الأمير ألطنبغا الجوبانى، فأحسن إليهم وقربهم، فلما وقعت الحرب اتفق الأشرفية المذكورون مع بعض مماليكه وقتلوه، وقبضوا على الأمير مأمور ووسطوه، وقتلوا الأمير أَقْبُغا الجوهرى وعدة من الأمراء، فكانت حروبًا شديدة، قتل فيها بين الفرق الثلاث خلق لا يحصى عددهم إلا خالقهم - سبحانه وتعالى - ونهبت العرب والعشير جميع ما كان مع العسكرين.

وقدم البريد بذلك فى ثامنه، وأن منطاش انكسر، فأقام الأشرفية بدله ألطنبغا الأشرفى. فحضر منطاش من الغد وأراد قتله، فلم تمكنه الأشرفية من ذلك، وأن الناصرى لما رجع من محاربة نعير جمع العساكر وعاد إلى دمشق، ثم خرج بعد يومين وأغار على آل على، ووسط منهم مائتى نفس، ونهب كثيرا من جمالهم، وعاد إلى دمشق.

وفى ثانى عشره: نودى على المماليك والأجناد البطالين بالحضور لأخذ النفقة، والسفر لقتال نعير، ومنطاش.

وفى رابع عشره: طرحت الغلال على التجار، وأرباب الأموال، وتفرقت الأعوان فى طلبهم.

---

(١) خامر الشىء ماره وخالطه يقال خامر الداء وخامر الشك.

وقدم البريد بأن الأمير جبق السيفى خرج من دمشق لكشف أخبار طرابلس، فأخذه العرب، وحملوه إلى منطاش فقتله، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنطاى.

وفيه سار الأمير أبو يزيد على البريد بتقليد الأمير يلبغا الناصرى دمشق، عوضا عن ألطنبغا الجوبانى، ومعه التشريف ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر، وتوجه معه الشيخ شمس الدين محمد الصوفى لكشف الأخبار.

وفى حادى عشرينه: أو فى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثالث عشرينه: أنْعم على الأمير بجاس النوروزى بإقطاع سودن الطرنطاى.

وفيه قدم البريد من حلب بنزول نعير على سرمين ليقسم مغلها، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهندار، والأمير طُغنجى قاتلاه فى عسكر كبير من التركمان وأهل حلب، وأسروا ولده عليًا فى نحو المائتى رجل، وقتلوا جماعة كبيرة وهزموه، وساقوا أبنه وأصحابه إلى حلب، فقتلهم كمشبغا النائب، وسجن ابن نعير وجماعة.

وفيه سار الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى إلى الصعيد، ليحضر الخيل والجمال والرقيق وغير ذلك من العربان وأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن رمضان: عزل الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص من شدّ الدواوين، وأُلزم بحمل مائتى ألف درهم فضة، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد ابن رجب بن كلفت.

وفيه قدم البريد من الصعيد أن ابن التركية خرج على ابن الحسام، وأخذ جميع ما حصَّله، فخرجت إليه التجريدة.

وفى خامس عشره: استقر الأمير ألطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، عوضًا عن أرغون البجمقدار العثمانى، واستقر على بن غَلْبَك والى منفلوط، عوضا عن أبى بكر ابن الكنانى.

وفيه قدم البريد بنزول عدة مراكب للإفرنج على طرابلس، فعندما أشرفوا على الميناء بعث الله عليهم ريحا غرقت مركبا، وفرقت البقية، وكانت نحو السبعين، فردوا خائبين.

وفى سابع عشره: استقر مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم الحنفى فى قضاء الحنفية، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى.

ونزل معه الأمير شيخ الصفوى - القائم بالسعى له - فى عدة من الأمراء إلى

المدرسة الصالحية على عادة القضاة، ثم عاد إلى معتكفه بالمدرسة الطيبرسية [(١)] بجوار الجامع الأزهر. ولم يول أحدًا من نواب الحنفية ولا عُقّاد الأنكحة، ووعدهم إلى العيد، فثقل عليهم ذلك.

وفى العشرين: منه أعيد الصاحب موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة، وقبض على ابن البقرى وولده، وأوقعت الحوطة [(٢)] على دورهما، وجميع حواشيهما.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن الأمير قَشْتَمُر الأشرفى، الحاكم بطرابلس من جهة منطاش، سلمها من غير قتال، وأن حماة وحمص أيضا استولت العساكر السلطانية عليهما.

وفى ثانى عشرينه: قدم محمد بن على بن أبى هلال بهدية أبى العباس المتوكل على الله بن الأمير أبى عبد الله محمد بن أبى يحيى بن أبى بكر بن أبى حفص صاحب تونس[(٣)]، ومعه كتابه يتضمن الهناء بالعود إلى المملكة، فخرج الأمير محمود الأستادار إلى لقائه بالجيزة، وأُحضر بين يدى السلطان فى سادس عشرينه، فأكرمه السلطان، وأمر به فأنزل بدار، ورتب له فى كل يوم مائة درهم.

وفى يوم الإثنين أول شوال: قدم البريد من حلب بعبد الرحمن حاجب الأمير نعير، ومعه كتابه يعتذر عما وقع منه ويسأل الأمان، فكتب إليه الأمان، فجهز إليه تشريف وتقليد بعوده إلى إمرة آل فضل على عادته.

وفى ثانيه: قدم البريد من دمشق بفرار منطاش عن أرض حلب، ومعه عنقاء بن شطى، خوفا على نفسه من نعير، وأنه توجه فى نحو سبعمائة فارس من العرب، أخذهم على أنه يكبس التركمان ويأخذ أعناقهم، فلما قطع الدربند أخذ خيول العرب، وسار إلى مرَعش[(٤)]، وترك العرب مشاه، فعادوا.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بأن الفرنج الذين مزقت الريح مراكبهم على طرابلس، ساروا إلى إفريقية[(٥)] وحاصروا المهدية، وبها ولد أبى العباس صاحب تونس، فكانت حروبا شديدة، انتصر فيها المسلمون على الفرنج، وقتلوا كثيرا منهم.

---

(١) المدرسة الطيبرسية: تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة وهى غربية الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء.

(٢) الحوطة حفظه وتعهده، أى أدركه من جميع النواحى. انظر الوجيز ١٧٨.

(٣) تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم. انظر ٢/٦٠.

(٤) مرعش: مدينة من ثغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها سور حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه، وهو بمنبج. انظر معجم البلدان ٥/١٠٧، والروض المعطار ٥٤١.

(٥) إفريقية اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس. انظر معجم البلدان ١/٢٢٨.

وفيه ضرب الأمير ألطنبغا الجربغاوى بالمقارع، على مال أخذه لجركس الخليلى، وأعيد بعد الضرب إلى السجن بالبرج.

وفى عاشره: قدم فقيه المغرب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفه المالكى، يريد الحج.

وفى ثالث عشره: قدم البريد بأن أَسَنْدَمُر اليوسفى - وجماعة من المنطاشية - دخلوا فى الطاعة.

وفى ثالث عشرينه: رحل الحاج من بركة الحجاج، وأميرهم عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى. وحج الأمير محمد بن أبى هلال الرسول، والفقيه محمد بن عرفة، وخلق كثير جدا، وحملت خوند أم بيبرس وهى عائشة أخت السلطان، كسوة للحجرة النبوية، بالغت فى تحسينها، وعملت بابها مطرزا بالذهب. ولما وصل الحاج عجرود، أصابهم عطش شديد، بحيث أبيعت قربة الماء بنحو المائة درهم، ورجع كثير من الحجاج.

وفى سابع ذى القعدة: ركب السلطان للصيد فى بركة الحاج، وشق القاهرة فى عوده إلى القلعة من باب النصر، وخرج من باب زويلة، ونزل عند الأمير بطا الدوادار، وأقام عنده داره ساعة.

ثم صعد إلى القلعة من يومه، فكان من الأيام المشهودة. ثم ركب فى عاشره إلى مطعم الطيور خاج الريدانية تحت الجبل الأحمر (١) فقدم عليه من مماليكه الذين كانوا بحلب نحو الأربعين مملوكا.

وفى سابع عشره: قدم البريد من حلب بأن منطاش سار إلى عين تاب، وقاتل نائبها ناصر الدين محمد بن شُهرى وأخذ المدينة فامتنع ابن شهرى بقلعتها وكبسه ليلا، وقتل ستة من أمرائه ونحو المائتى فارس.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير محمد شاه بن بيدمر، فلم يؤاخذه السلطان وأنزله عند الأمير محمود.

وحضر أيضا الأمير أسندمر اليوسفى رأس نوبة منطاش فى عدة من الأمراء المنطاشية، فلم يؤاخذهم أيضا، وخلع على أسندمر.

---

(١) الجبل الأحمر اسم جبل مشرق على قعيقعات مكة كان يسمى فى الجاهلية الأعراف. انظر معجم البلدان ١/١١٧.

وفى يوم الخميس أول ذى الحجة: رسم الأمير قرا دمرداش نائب طرابلس بنيابة حلب، وجهز إليه التشريف والتقليد على البريد مع الأمير تنم الحسنى.

وفى خامسه: استقر إينال من خجا على، فى نيابة طرابلس، واستقر الأمير أَقْبُغا الجمالى، أتابك حلب، والأمير ناصر الدين محمد بن سلار، حاجب الحجاب بحلب. وكُتب لسولى بنيابة الأبلستين، وجهزت الخلعة إليه.

وفى يوم عيد النحر: خرج الأمير تنبك المحمدى لإحضار الأمير كمشبغا الحموى من حلب.

وفى تاسع عشره: برز أينال - نائب طرابلس - إلى الريدانية، وسار إلى طرابلس فى ثالث عشرينه.

وفيه سار الأمير تمربغا المنجكى بمال كبير ينفق فى عساكر الشام وتجهيزهم إلى عين تاب، لقتال منطاش.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر: لا يركب أحد من المتعممين فرسا سوى الوزير، وكاتب السر وناظر الخاص فقط، ومن عداهم فإنه يركب البغال، وأن طحانا لا يترك عنده فرسا صحيحا، ولا يركب فقيه ولا جندار ولا عامى فرسا، ولا تحمل المكارية أكديشا.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج ورخاء الأسعار معهم، وأنه لم يحضر حاج اليمن.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى وزيرًا، عوض الموفق أبى الفرج، ورسم له بإعادة بلاد الدولة على قاعدة الوزير شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، و ألا يكون معه مشير يشاركه فى التحدث والتصرف، بل ينفرد بالولاية والعزل وتنفيذ الأمور، وأن يستخدم جميع الوزراء المنفصلين فى المباشرات تحت يده، فخرج بتشريف الوزارة إلى قاعة الصاحب بالقلعة، واستدعى بالوزراء المصروفين، فقرر شمس الدين المقسى فى نظر الدولة، وعلم الدين سن إبرة شريكا له، وسعد الدين بن البقرى فى نظر البيوت واستيفاء الدولة، وموفق الدين أبا الفرج فى استيفاء الصحبة. وقرر الفخرى بن مكانس فى استيفاء الدولة، شريكا لابن البقرى، وركبوا فى خدمته، وصار ذلك دأبهم دائما، ولم يسمع بمثل ذلك. ومن العجيب أن ابن الحسام هذا كان أولا دوادار ابن البقرى، أيام كان فى نظر الخاص لا يبرح ليلا ونهارا قائما بين يديه،

يصرف أمره ونهيه، كآحاد خدمه، فصار ابن البقرى يقف بين يدى ابن الحسام فى وزارته هذه ويتصرف بأمره ونهيه، وربما أهانه، فسبحان محيل الأحوال.

وفى هذا اليوم: أعيد ناصر الدين محمد بن آقبغا آص إلى شدّ الدواوين، عوضا عن ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر ابن رجب شاد دواليب الخاص، عوضا عن خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام.

وأصاب الحاج فى عودهم مشقات لسوء سيرة ابن منكلى بغا ورذالته وفساده، إلا الركب الأول، فإن أميرهم بيسق الشيخونى أمير آخور كان مشكور السيرة، ومع ذلك فنزل بالجمال وباء كثير، فنى كثير منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

مات أمير حاج ابن السلطان فى ثامن جمادى الآخرة، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وكان أحد الأمراء، وهو صغير.

ومات الأمير علاء الدين أَقْبُغا الجوهرى، أحد اليلبغاوية، مقتولا فى وقعة حمص، عن بضع وخمسين سنة، وكان عارفا يذاكر بمسائل فقهية وغيرها، مع حدة خلق، وسوء معاملة.

ومات الأمير أردبغا العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلا.

ومات الأمير علاء الدين ألطّنبغا الجوبانى قتيلاً، وقد قارب الخمسين سنة، وكان حشمًا فخورا.

ومات الأمير تنكز العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلا.

ومات الأمير تمر الأشرفى، نائب قلعة بهنسا.

ومات الأمير تمرباى الأشرفى الحسنى، حاجب الحجاب بديار مصر.

ومات الأمير جُبّق الكمشبغاوى، أحد الأمراء الألوف بديار مصر.

ومات الأمير حسن خجا رأس نوبة.

ومات الأمير طغاى تمر الجركتمرى أحد أمراء الطبلخاناة.

ومات الأمير طولوبغا الأحمدى أحد أمراء العشراوات.

ومات عيسى التركمانى أحد العشراوات.

ومات الأمير قرابغا الأبو بكرى أمير مجلس.

ومات الأمير قرقماس الطشتمرى، فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قازان اليرقشى، أحد أمراء الطبلخاناة.

ومات الأمير مأمور القلمطاوى، حاجب الحجاب، وأحد اليلبغاوية، قتل على حمص، وهو يلى نيابة حماة.

ومات الأمير مقبل الطيبى نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير يونس الرماح الأسعردى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير على سلطان الطائفة الجعيدية [١] بديار مصر، مات فى سادس عشر جمادى الأولى، و لم يقم بعده مثله.

ومات الشيخ المعتقد على المغربل، فى خامس جمادى الأولى، ودفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزراق.

ومات الشيخ المعتقد محمد الفاوى، فى ثامن عشر جمادى الأولى، ودفن فى خارج باب النصر.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الأفلاقى المالكى فى سادس جمادى الأولى.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن أحمد الرفاء، فى سابع جمادى الأولى.

* * *

---

(١) الجعيدية بنى جعدة بطن من لخم منازلهم ساحل أطفيح من البر الشرقى من صعيد مصر. انظر نهاية الأرب فى معرفه أنساب العرب، ص٢٠٠.

سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الجمعة.

ففي ثانيه: عَزَل السلطان أكثر ولاة أعمال مصر، ورسم ألا يولى أحد ممن باشر الولاية، وأن يُعين الأمير سودن النائب جماعة من مقدمى الحلقة، فأحضر مقدمى الحلقة واختار منهم ثلاثة وهم: شاهين الكلفتى استقر فى الغربية، وطُرْقجى فى ولاية البهنسا، وقجماس السيفى فى المنوفية، وأخلع عليهم فى رابعه.

وفى سادسه: قدم البريد من دمشق بأن الأمير يلبغا الناصرى تنافس هو والأمير الكبير أيتمش، فأظهر الخروج عن الطاعة، ولبس السلاح، وألبس حاشيته. ونادى بدمشق من كان من جهة منطاش فليحضر، فصار إليه نحو الألف ومائتى فارس من المنطاشية، فقبض عليهم كلهم وسجنهم، وكتب إلى السلطان يُعَرِّفه بذلك، فأجابه بالشكر والثناء.

وفى سادس عشره: قُبض على الصاحب موفق الدين أبى الفرج، وألزم بحمل ستين ألف درهم، وقُبض على الصاحب علم الدين سن إبرة، وأُلزم بعشرين ألف درهم، وعلى الصاحب سعد الدين بن البقرى، وألزم بسبعين ألف درهم.

وفى ثامن عشره: ولى شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم [1] بن الحسين العراقى تدريس الظاهرية العتيقة ونظرها، بعد وفاة القاضى صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين، ونقل القاضى فخر الدين محمد القاياتى إلى مكانه بإيوان المدرسة الصالحية، للحكم بين الناس.

وفيه نودى لا يركب متعمم فرسا إلا أرباب الوظائف الكبار، ومن وجُد عنده فرس أخذت منه.

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى [٧٢٥- ٨٠٦هـ = ١٣٢٥- ١٤٠٤م] بحاث، من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد ومولده أزنان من أعمال إربل. تحول صغيرًا مع أبيه إلى مصر فتعلم وتبع فيها وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة. ومن كتبه [المغنى عن حمل الأسفار فى الأشعار -ط) (ونكت منهاج البيضاوى). انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٣٨٢/١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ١:٢٠٤ والأعلام ٣٤٤/٣.

وفي يوم الأحد ثامن صفر: هُدمت سلالم باب مدرسة السلطان حسن، والسلالم التى تصعد إلى السطح، والمناراتان منها، وفتح بابها من شباك بالرميلة تجاه باب السلسلة، وصار يتطرق إليها منه، ويقف المؤذنون عنده ويؤذنون فى أوقات الصلاة، واستمر الأمر على ذلك.

وفي تاسعه: قدم الأمير سيف الدين كُمُشْبُغا الحموى من حلب، فخرج الأمير سودُن النائب إلى لقائه، ومعه الحجاب وعدة من الأمراء. وصار به إلى القلعة، فَقَبَّل الأرض وجلس فوق الأمير إينال اليوسفى أتابك العساكر، ونزل إلى دار أعدت له، وبعث إليه السلطان ثلاثة أروس من الخيل بقماش ذهب، وعدة بُقج قماش. وبعث إليه كل من أمراء الألوف فرسا بقماش ذهب، وقدم إليه أمراء الطبلخاناه وغيرهم عدة تقادم من جند وغير ذلك.

وحضر مع الأمير كُمشبغا الأمير حسام الدين حسن الكجكنة - نائب الكرك - فى عدة من الأمراء.

وفي حادى عشره: قدم البريد بأن العساكر وصلت إلى مدينة عينتاب، ففر منطاش إلى جهة مرعش، وحضر عدة من جماعته إلى الطاعة.

وفيه حضر الأمير أقبغا الماردينى نائب الوجه القبلى، فقبض عليه وسجن بخزانة شمايل فى صورة أنه كُثر ظلمه وعسفه. وهذه عادة السلطان، أنه يصبر على أعدائه فلا ينتقم منهم لنفسه حتى يتهيأ له فيهم ما يوجب العقوبة فيأخذهم بذلك الذنب، ولا يظهر أنه انتقم لنفسه، وذلك من حسن ملكته وثباته، واستقْرِى هذا، تجده كما قلت لك.

وفي خامس عشره: أحضر الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة من السجن، وضُرب بالمقارع بين يدى السلطان، واحضر أقبغا الماردينى وضرب على أكتافه. وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه.

وفيه استقر الأمير مبارك شاه كاشف الجيزية، عوضًا عن محمد بن ليلى.

وفي تاسع عشره: استقر الأمير يلبغا الأحمدى المجنون نائب الوجه القبلى، عوضا عن آقبغا الماردينى، واستقر اسنبغا السيفى فى ولاية الفيوم وكشف البهنسا والأطفيحية، عوضا عن يلبغا الأحمدى، واستقر تُقْطاى الشهابى والى الأشمونين، عوضا عن اسنبغا السيفى.

وفى حادى عشرينه: استقر دمرداش السيفى نائب الوجه البحرى، عوضا عن الشريف بكتمر.

وفى تاسع عشرينه: أحضر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال، قاضى الحنابلة بطرابلس، وضرب بين يدى السلطان، بسبب قيامه مع منطاش وأخذ طرابلس، وقتل من قتل بها، وأن ذلك كان بفتواه لهم.

وفيه وسط من الزهور المقبوض عليهم من الوجه البحرى نحو السبعين، بعد تسميرهم وإشهارهم بالقاهرة، وكانوا قد أكثروا من الفساد وقطع الطريق على المسافرين، وأخذ أموالهم.

وفيه سار الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى هلال رسول صاحب تونس بجواب كتابه وهدية سنية.

وفى سابع شهر ربيع الأول: استقر الأمير يونم القشتمرى نائب الكرك، عوضا عن قديْد.

وفى ثامنه: أنعم بإقطاع أرغون البجمقدار العثمانى نائب الإسكندرية على الأمير حسن الكجكنى، وأخرج أرغون منفيا إلى الإسكندرية.

وفيه خرج البريد بإحضار الأمير الكبير أيتمش من دمشق، فسار الأمير قُنقباى الأحمدى رأس نوبة لذلك.

وفى عاشره: قدم الأمير أبو يزيد والشيخ شمس الدين محمد الصوفى على البريد من الشام.

وفى ثالث عشره: شدد العذاب على ابن باكيش لإحضار المال، وقبض على الشريف بكتمر بسبب إهماله مستخرج تزوجه، ثم أُفرج عنه على أن يحمل مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير علاء الدين بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، والتزم فيها بحمل مائة ألف وثلاثين ألف درهم، فى كل شهر.

وفيه توجه يلبغا السالمى على البريد بتقليد الأمير نُعير الإمرة على عادته.

وفى يوم الأحد أول شهر ربيع الآخر: استقر برمش الكمشبغاوى حاجب الحجاب بطرابلس. واستقر الحاج محمد بن عبد الرحمن مقدم الخاص فى تقدمة الدولة، عوضا عن عبيد البازدار بعد موته، فصار مقدم ديوانى الخاص والدولة.

وفى تاسع عشره: قبض على الأمير شاهين أمير آخور، ونُفى إلى الصعيد.

وفى يوم الإثنين رابع جمادى الأولى: قدم الأمير الكبير أيتمش من دمشق على البريد، فتلقاه الأمير سودُن النائب، وقدم معه عدة من الأمراء منهم: آلابغا العثمانى الدوادار حاجب دمشق، والأمير جنتمُر أخو طاز، وأمير ملك ابن أخت جنتمر المذكور، وألطنبغا أستادار جنتمر، ودمرداش اليوسفى، وألطنبغا الحلبى، وكثير من المماليك السلطانية، فمثل بالخدمة السلطانية، وقبل الأرض، وجلس بالميسرة تحت الأمير سودُن النائب واحضر بالأمراء القادمين معه، وعدتهم ستة وثلاثون أميرا، وبشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق، وبفتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن الشهيد كاتب السر بدمشق، وابن مشكور ناظر الجيش بدمشق، وكلهم فى القيود. فوبخ السلطان الأمير ألطنبغا الحلبى، والأمير جنتمر، وابن القرشى وأطال الحديث معهم، وكانوا قد قاتلوه فى محاصرته لدمشق، وأفحشوا فى أمره فحشًا زائدًا، حتى أن ابن القرشى كان يقف على الأسوار وينادى إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة، ويجمع العامة ويحرضهم على محاربته. ثم أمر السلطان بهم فسجنوا، وأُسلم ابن مشكور لشاد الدواوين، فعصر والتزم بحمل سبعين ألف درهم، وأفرج عنه. ونزل الأمير أيتمش إلى داره، وبعث إليه السلطان بإنعام كثير، وقدم إليه جميع الأمراء على قدر حالهم.

وفى ثالث عشره: وقع الهدم فى أملاك تجاه باب حارة الجوانبة بالقاهرة، وشرع الأمير محمود فى عمارة وكالة.

وفيه أحضر من الزهور ستة وثلاثون رجلاً، وقدم الأمير جبرائيل الخوارزمى فارًا من منطاش، فلم يؤاخذه السلطان، ورسم له بالمثنى فى الخدمة مع الأمراء.

وفى ثامن عشرينه: استقر جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحافظ فى قضاء الحنفية بحلب، عوضًا عن محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة، واستقر جمال الدين محمود بن العديم فى قضاء عسكر حلب، عوضًا عن ابن الحافظ؛ والشريف حمزة «الجعفرى» فى وكالة بيت المال بحلب ونظر جامعها، واستقر المعرى فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن شهاب الدين أحمد السلاوى، واستقر علم الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القفصى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن السكسيوى، وهى ولايته الخامسة، ثم عزل بالبرهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى. وولى ابن المنجا قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شرف الدين عبد القادر. وولى جمال الدين أبو الثناء محمود بن قاضى العسكر حافظ الدين محمد بن إبراهيم بن سنبكى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن على بن الشحنة.

وبرهان الدين إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن القفصى. وبدر الدين محمد بن شرف الدين مرسى بن الشهاب محمود فى نظر الجيش بحلب، وخلع على الجميع.

وفيه أفرج عن أقبغا الماردينى من خزانة شمايل، وعن طاش بغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قبض على أسندمر الشرفى، وإسماعيل التركمانى، وكزل القرمى، وأقبغا البجاسى، وصُرُبْغا، وتسلمهم والى القاهرة.

وفى تاسعه: قبض أيضا على أحد عشر أميرًا وهم: قطلوبغا الطشتمرى الحاجب، وتَقْطاى الطشتمرى، وآلابغا الطشتمرى، وقرابغا السيفى، وأقبغا السيفى، وبيبغا السيفى، وطيبغا السيفى، ومحمد بن بيدمر نائب الشام، وجبرائيل الخوارزمى، ومنجك الزينى، وأرغون شاه السيفى.

وفيه سُمر أسندمر الأشرفى رأس نوبة [1]، وأقبغا الطريف البجاسى، وإسماعيل التركمانى أمير البطالين فى أيام منطاش، وكُزَل القرمى، وصربغا، وشهروا بالقاهرة، ثم وسطوا بالكوم، ولم يعهد مثل هذا يفعل إلا بقطاع الطريق.

وفيه أُحضر الأمير ألطُنْبُغا الحلبى، وألطُنبغا أستادار جَنْتَمُر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين محمد الركراكى المالكى، وأُدعى عليهما بما يقتضى القتل، فسجنهما بخزانة شمايل مقيدين.

وفى ثانى عشره: قبض على الأمير صَنْجق.

وفى خامس عشره: شكا رجل شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى للسلطان فأحضر من السجن، واستدعى عليه غريمه بمال له فى قلبه، وبدعاوى شنعة، فضرب بالمقارع وسلم إلى والى القاهرة ليخلص منه مال المدعى الذى أَقَرَّ به؛ فوالى ضربه وعصره مرارا، وسجنه بخزانة شمايل.

وفى تاسع عشره: استقر الأمير قُطْلُوبغا الصفوى حاجب الحجاب، واستقر الأمير بدخاص حاجب الميسرة، واستقر الأمير قديْد نائب الكرك حاجبا ثالثا، واستقر الأمير على باشاه حاجبا رابعا.

واستقر يلبغا الأشْقَتُمرى أمير أخور فى نيابة غزة؛ وناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية.

---

(١) رأس نوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر وهم نصارى. انظر معجم البلدان ٣٠٩/٥.

وفى ثانى عشرينه: وقف شخص وادعى أن أمير ملك - ابن أخت جَنْتَمُر - أخذ له ستمائة ألف درهم، وأغرى به منطاش حتى ضربه بالمقارع، فأحضر وادعى عليه غريمه فضرب بالمقارع ضربا مبرحًا، وتسلمه والى القاهرة، فمات ليلة خامس عشرينه.

وفى يومه استقر أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار حاجب الحجاب بدمشق، عوضا عن آلابغا العثمانى. واستقر آلابغا فى نيابة حماة، وخرج البريد بتقليده.

وفيه أُنعم على كل من قاسم ابن الأمير الكبير كُمُشْبُغا الحموى، ولاجين الناصرى، وسودُن العثمانى النظامى، وأرغون شاه الأَقْبُغاوى، وسودُن باشاه الطاى تُمرى، وشكرباى العثمانى، وقجقار القَرْمُشى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من قطلوبغا الطَقْتَمُشى، وعبد الله أمير زاه بن ملك الكرُجْ [1] وكُزَل الناصرى، وآلان اليحياوى، وكُمُشْبُغا الإسماعيلى طاز، وقَلَمْطاى العثمانى بإمرة عشرة.

وفيه قدم آقُبغا الصغير نائب غزة بطلب.

وفيه قبض على مماليك الأمير بركة، والمماليك الذين خدموا منطاش، وتُتُبعوا من سائر المواضع، وأُخذوا من كل مكان.

وفى ثانى عشرينه: عرضهم السلطان، وأفرج عن جماعة منهم.

وفى خامس عشرينه: ضرب ابن القرشى نحو مائتى شيب بالمقارع، عند الوالى.

وفى سادس عشرينه: استقر الصارم والى القاهرة فى ولاية الأشمونين، عوضا عن تُقْطاى الشهابى.

وفى أخريات هذا الشهر: ظهر كوكب طوله نحو ثلاثة أرماح، قليل النور، يُرى فى أول الليل ويغيب نصف الليل، أقام ليالى واختفى.

وفى أول شهر رجب: قدم منطاش دمشق، وسار إليها من مرعش على العمق، حتى قارب من حماة، فانهزم منه نائبها إلى جهة طرابلس من غير لقاء، ودخلها منطاش، ولم يحدث حدثا. وتوجه منها إلى حمص، ففر منه أيضا نائبها إلى دمشق، ومعه نائب بعلبك، فخرج الأمير يلبغا الناصرى يريد لقائه من طريق الزبدانى، فثار أحمد شكر بجماعة البيدمرية، ودخل دمشق من باب كيسان [2]، وأخذ ما فى الإصطبلات من الخيول،

---

(١) الكرج وهو جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القيق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تقليس. انظر معجم البلدان ٤٥/٤٤٦.

(٢) باب كيسان أحد أبواب سور دمشق فى الجهة الشرقية الجنوبية وهو منسوب إلى كيسان مولى معاوية. [خطط الشام فى الجمع بين رجال الصحيحين ج ٦ ص ١٥٧]

وخرج فى يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة.وقدم منطاش فى يوم الإثنين أول رجب من طريق أخرى، ونزل القصر الأبلق، ونزل جماعته حوله. وقد أحضر إليه أحمد شكر من الخيول التى نهبها ثمانمائة فرس، وندبه ليدخل المدينة ويأخذ من أسواقها المال، فبينا هو كذلك إذ قدم الناصرى بعساكر دمشق فاقتتلا قتالاً كبيرًا مدة أيام.

وفى ثالثه: استقر أمير بن الدّمر فى ولاية الغربية، عوضا عن شاهين الكلفتى.

وفى خامسه: ورد البريد من حلب بدخول منطاش إلى دمشق، ومحاربة الناصرى له، كما ذكر.

وفى تاسعه: ضرب الشهاب أحمد بن عمر القرشى حتى مات بخزانة شمايل، وأُخرج من وقف الطرحاء.

وفى حادى عشره: اجتمع القضاة والأمير بدْخاص الحاجب بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأحضر الأمير ألطنبغا دوادار جَنْتمر، وأوقف تحت الشباك فى الطريق، وادعى عليه بما اقتضى إراقة دمه، وشُهد عليه به، فضرب عنقه، وشهد أيضا على الأمير ألطنبغا الحلبى، فضرب عنقه وحملت رءوسهما على رمحين. ونودى عليها فى القاهرة.

وفى سادس عشره: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع، وعشرون أصبعًا وفى رابع عشرينه قدم على ابن الأمير نُعير، فقبض عليه.

وفى خامس عشرينه: خلع على نجم الدين الطنبدى خلعة استمرار.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من دمشق باستمرار الحرب بين الناصرى ومنطاش، وأن منطاش انكسر، وقتل كثير ممن معه، وفر معظم التركمان الذين قدم بهم، وصار محصورا بالقصر الأبلق.

وفيه استقر الصارم إبراهيم الباشَقَردى فى ولاية أسوان، عوضا عن الصارم الشهابى.

وفيه أحضر أنواط - كاشف الوجه البحرى - سبعين رجلاً من العرب الزهور وخيولاً كثيرة، فوسط منهم ستة وثلاثون رجلاً.

وفى الأول من شعبان: رسم بتجهيز الأمراء للسفر إلى الشام، وشرع الوزير وناظر الخاص فى تهيئة بيوتات السلطان، وعمل ما يحتاج إليه فى السفر.

وفى خامسه: قدم البريد من صفد بأن منطاش فر من دمشق، وتبعته العساكر، فسر السلطان والأمراء بذلك.

وفيه قتل حسام الدين حسين بن باكيش، وسببه أن الخبر ورد بأن ولده جمع كثيرًا من العشير، ونهب الرملة[١] وقتل عدة من الناس.

وفى سادسه: ضرب حسين بن الكورانى بالمقارع.

وفى عاشره: نصب جاليش السفر، ورسم للقضاة بالتهئ إلى السفر.

وفى حادى عشره: تسلم الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى: الأمير صراى تمر داودار منطاش، وتكا الأشرفى، ودمرداش اليوسفى، ودمرداش القَشْتَمُرى، وعلى الجرْكَتمرى، فقتلوا، إلا على الجَرْكتَمرى فإنه عصر، وقُتل بعد ذلك هو وقطلوبك نائب صفد.

وفى ثانى عشره: عرض السلطان المحابيس من المنطاشية، وأفرد منهم جماعة للقتل، فقتل فى ليلة الأحد ثالث عشره منهم: الأمير جَنْتَمُر أخو طاز وابنه، وألطنبغا الجُربُغاوى، والطواشى تُقْطاى الطَشْتَمُرى، وفتح الدين محمد بن الشهيد، ضربت أعناقهم بالصحراء.

وفى خامس عشره: صرف مجد الدين إسماعيل عن قضاء القضاة الحنفية، واستقر عوضه جمال الدين محمود العجمى القيصرى، ونزل معه بعدما خلع عليه الأمير بُطا الدوادار، والأمير جُلبان رأس نوبة فى عدة من الأمراء، وسائر القضاة، فكان يومًا مشهودًا. وكتب له فى توقيعه «الجانب العالى»، كما كتب للعماد أحمد الكركى، وهما أول من كُتب به ذلك من قضاة القضاة ولم يُكتب هذا لأحد من المتعممين إلا للوزير فقط، ويكتب للقضاة «المجلس العالى»، فكتب للعماد الكَرَكى «الجناب العالى»، وتشبه به الجمال محمود، فكتب له ذلك، واستمر لمن بعدهما.

وفى سابع عشره: أخرج أمير حاج بن مُغْلطاى إلى دمياط، وأخرج الأمراء البطالون إلى ثغر الإسكندرية، وأفرج عن تَلكْتَمر الدوادار، وصراتمر دوادار يونس الدوادار، ونزلا إلى بيوتهما.

وفى ثامن عشره: قبض على عدة من الأمراء، وسجنوا، وأُمض من الغد فيهم قضاء الله، الذى لا يرد.

وفيه تعين لنيابة الغيبة بديار مصر الأمير الكبير كُمُشْبُغا الحموى، وتحول إلى

---

(١) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة وسط بلاد فلسطين. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

الإصطبل السلطانى. وتحول الأمير سُودن النائب إلى قلعة الجبل، ومعه الأمير بجاس النوروزى، وأقام بالقلعة ستمائة مملوك عليهم تغرى بردى رأس نوبة، والأمير الطواشى صواب السعدى. وتعين للإقامة بالقاهرة الأمير قُطْلُوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، والأمير بدْخاص السودونى أمير حاجب، وقديد، وطغاى تمر باشاه، وقرابغا الحاجب، فى عدة من أمراء العشراوات.

ورسم لشيخ الإسلام سراج الدين[1] عمر البلقينى وقضاة العسكر، ومفتيين دار العدل، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وبدر الدين محمد بن فضل الله العمرى بالسفر، فتجهزوا لذلك. ونزل السلطان بعد صلاة الظهر من القلعة، وسار إلى الوطاق بالريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت الأمراء والعساكر وأرباب الدولة به.

وفى ثانى عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص بالريدانية، وضرب على إحضار أربعمائة ألف درهم فضة. ورسم للأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد الطبلاوى الوالى بالتحدث فى شد الدواوين، عوضا عن ابن آقبغا آص، وسلم إليه، فشدد فى عقوبته ووجد له سبعون فرسا وأربعون جملا، وأربعة وعشرون مركبا فى النيل، وقماش كثير.

وفى ثالث عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن الجزرى المقرئ فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شرف الدين مسعود، بمال قام به، وأخرج بسائر من فى خزانة شمايل إلى الريدانية، وعُرضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة وثلاثين رجلا للقتل، منهم: محمد بن الحسام أستادار أرغون أسكى، وأحمد بن النُّقوعى، ومقبل الصفوى، فغُرِّقوا فى النيل. وسمر منهم سبعة وهم: شيخ الكريمى، وأسندمر والى القلعة، وثلاثة من أهل الشام، واثنان من التركمان، ثم وسطوا.

وفى رابع عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن رجب بن تَلْفت فى شد الدواوين. وأنعم على الأمير سيدى أبى بكر بن نقر الجمالى بإمرة طبلخاناة، ورسم به بإمرة الحاج.

---

(١) سراج الدين عمر البلقينى [٢٤- ٨٠٥هـ= ١٣٢٤ - ١٤٠٣م] عمر بن رسلان بن نصر ابن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب -خ» فى فقه الشافعية لم يتم وتصحيح المنهاج - خ). انظر الضوء اللامع ٦: ٨٥ وشذرات الذهب ٧: ٥١ والأعلام ٥/ ٤٦ والخزانة التيمورية ٣: ٣٨ والتاج ٩: ١٤٣.

وفى سادس عشرينه: رحل السلطان من الريدانية.

وفيه نودى بالقاهرة أن يتجهز الناس للحج، على العادة.

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشرينه: قتل اثنا عشر من الأمراء، منهم الأمير أرغون شاه السيفى، وآلابغا الطشتمرى، وآقُبغا السيفى، وبزلار الخليلى.

وفى ليلة الأربعاء سلخه: قتل من الأمراء سنجق الحسنى، وقرابغا السيفى، ومنصور حاجب غزة.

وفى يوم الأربعاء: قدم البريد من السلطان بكسرة منطاش وفراره فى سادس عشره، ومعه عنقاء بن شطى، فدقت البشائر، وتخلّق الأمراء والمماليك، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفى رابع شهر رمضان: قدم بريد السلطان بنزوله قطيا، وأن الأخبار صحت بفرار منطاش من دمشق فى خمسين فارسا.

وفيه قدم الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بمثال سلطانى إلى الأمير جمال الدين محمد الأستادار؛ فإذا هو يتضمن مسكه، وإلزامه بحمل مائة وستين ألف درهم، فقبض عليه، وأخذ منه سبعين ألف درهم.

وفى سادس شهر رمضان: زينت القاهرة.

وفيه أخرج الأمير كُمُشْبغا مائتى فارس من أجناد الحلقة إلى كاشف الوجه البحرى، تقوية له.

وفيه وُسط أحمد بن علاء الدين على بن الطشلاقى، والى قطيا.

وفى ثامنه: قلعت الزينة من القاهرة، ولم يكن للزينة سبب يقتضى ذلك.

وفيه استقر بهاء الدين محمد بن البرجى موقع الدست فى حسبة القاهرة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى بمال قام به للأمير كُمُشْبُغا.

وفى عاشره: نودى على النيل بعد توقفه أياما، وكان عاشر مسرى - وقد ارتفعت الأسعار - فتوالت الزيادة فى نهاره، حتى أوفى النيل ستة عشر ذراعا؛ وكسر الخليج وخرج شرف الدين بن أبى الردّاد على البريد ببشارة الوفاء.

وفيه قبض على بكتمر - دوادار الجوبانى - فهرب، ولم يوقف له على خبر.

وفى ثانى عشرينه: دخل السلطان إلى دمشق وقد زينت له، وخرج الأمير يلبغا الناصرى إلى لقائه بمنزلة اللجون (١)، فكان يوما مشهودا.

وفيه نودى بدمشق بالأمان. وصلى يوم الجمعة ثالث عشرينه بدمشق صلاة الجمعة فى جامع بنى أمية. وعندما انقضت الصلاة نادى الجاويش فى الناس بالأمان، «والماضى لا يعاد، ونحن من اليوم تعارفنا»، فضج الناس بالدعاء للسلطان، وقد كانوا مترقبين بلاء كبيرا ينزل بهم منه، لسوء ما فعلوا معه فى السنة الماضية، وكثرة مبالغتهم فى سبه، وإعلانهم بفاحش القول له، وهم يقاتلونه.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير كمشبغا نائب الغيبة بشاهين الكلفتى فى كشف الوجه البحرى، وعزل أنواط السيفى، وقبض عليه.

وفى ليلة الأحد خامس عشرينه: قتل خارج القاهرة أمير على الجَركْتَمُرى القازانى، المهمندار فى أيام منطاش.

وفى تاسع عشرينه: نودى فى القاهرة بمنع النساء من الخروج يوم العيد إلى الترب، ومن خرجت وسطت هى والمكارى (٢) والحمار؛ وألا يركب أحد فى مركب للتفرج على النيل، وهدد من فعل ذلك بإحراق المركب، فلم يتجاسر أحد يخرج فى العيد إلى القرافة، ولا إلى ترب القاهرة.

وفى ثانى شوال: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق.

وقدم البريد بنزول خوندكار أبى يزيد بن عثمان ملك الروم إلى قيصرية وأخذها.

وفيه استقر قطلوبغا الصفوى فى ولاية قليوب، وعزل تنكز البريدى.

وفى سابعه: خرج السلطان من دمشق، يريد حلب.

وفيه استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس فى وزارة دمشق، وعزل ابن الجزرى عن قضاء دمشق قبل أن يدخل إلى دمشق، وأعيد مسعود.

وفى تاسع عشره: قدم البريد إلى القلعة بتوجه السلطان إلى حلب، وأنه ورد عليه دوادار الأمير سولى بن دلغادر بهدية، فيها مائة بقجة قماش، ومائتا فرس، وهو يعتذر عن أخذ سيس، وبعث مفاتيحها، وسأل تعيين من يتسلمها منه، وأنَّ نعير ومنطاش نزلا الرحبة وجعبر.

---

(١) اللجون بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً. انظر معجم البلدان.

(٢) المكارى مكرى الدواب ويغلب على الحمار والبغال. انظر القاموس الوجيز ٥٣٣.

وفيه استقر محمد بن صدقة بن الأعسر فى ولاية الأشمونين [(١)] وعزل الصارم، واستقر محمد بن قرابغا فى ولاية دمياط، وعزل صديق.

وفى ثالث عشرينه: نودى بالقاهرة ألا تلبس امرأة قميصا واسعا، ولا تزيد على تفصيل القميص من أربعة عشر ذراعا. وكان النساء بالغن فى سعة القمصان، حتى كان يفصل القميص الواحد من اثنين وتسعين ذراعا من البندقى الذى عرضه ثلاثة أذرع ونصف، فيكون مساحة القميص زيادة على ثلاثمائة وعشرين ذراعا. وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء فى اللبس بنساء الملوك والأعيان.

وفى ليلة الأحد رابع عشرينه: أحضر الأمير محمد شاه بن بيدمر من الإسكندرية، فقتل خارج القاهرة ليلة الإثنين خامس عشرينه.

وفى سادس عشرينه: صرف نور الدين على بن عبد الوارث عن حسبة مصر بالشريف أحمد بن محمد بن حسن بن حيدرة، المعروف بابن بنت عطا، قاضى الحنفية بثغر الإسكندرية.

وفى سلخه: قدم البريد بدخول السلطان إلى حلب فى ثانى عشرينه، وأن بدر الدين محمد بن على بن فضل الله العمرى، أعيد إلى كتابة السر، وعزل علاء الدين على بن عيسى الكركى لضعفه.

وفى يوم الأحد أول ذى القعدة: دقت البشائر، واستمرت ثلاثة أيام.

وفى ثانيه: ندب الأمير كُمُشْبُغا نائب الغيبة جماعة نزلوا إلى أسواق القاهرة وشوارعها، وقطعوا أكمام النساء الواسعة، فامتنع النساء من يومئذ، أن يمشين بقمصان واسعة مدة نيابة الأمير كمشبغا، ثم عدن إلى ذلك بعد عود السلطان.

وفيه ورد الخبر بالقبض على منطاش، ولم يصح ذلك.

وفى ثالثه: قدم البريد بموت ناصر الدين محمد بن على بن الطوسى، واستقرار ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسى موقع الدرج عوضه فى توقيع الدست، وموت قاضى القضاة شمس الدين محمد الركراكى المالكى فأذن الأمير كمشبغا لنوابه بالحكم بين الناس على عادتهم.

وفى ثامنه – وهو عاشر بابة: – انتهت زيادة النيل إلى أصبع من عشرين ذراعا.

---

(١) أشمون مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الخبر ورد بقبض سالم الذكرى على منطاش، وأن صاحب ماردين قبض على جماعة من المنطاشية حضروا إليه، فبعث السلطان قرا دمرداش نائب حلب على عسكر، والأمير يلبغا الناصرى نائب دمشق على عسكر، والأمير أينال اليوسفى أتابك العساكر على عسكر، فساروا لإحضار منطاش ومن معه، فنودى فى القاهرة بالأمان، وقد حُصل غريم السلطان، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه استقر الأمير أيدمر الشمسى أبو زلطة فى نيابة البحيرة، وعزل دمرداش السيفى.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الأمير قرا دمرداش وصل بعسكر حلب إلى أبيات سالم الذكرى، وأقام أربعة أيام يطالبه بتسليم منطاش وهو يماطله، فحنق منه وركب بمن معه، ونهب بيوته، وقتل عدة من أصحابه. ففر سالم بمنطاش إلى سنجار، وامتنع بها. وأن الأمير يلبغا الناصرى حضر بعساكر دمشق بعد ذلك، فأنكر على قرا دمرداش ما وقع منه، وأغلظ فى القول، وهم بضربه، فكادت تكون فتنة كبيرة، وعادا، وأن الأمير أدينال وصل بعسكر مصر إلى رأس عين [1]، وتسلم من صاحب ماردين الذين قبضهم من المنطاشية، وكبيرهم قشتمر الأشرفى، وحضر بهم وبكتاب صاحب ماردين، وهو يعتذر، ويعد تحصيل غريم السلطان.

وفى يوم الإثنين أول ذى الحجة: خرج السلطان من حلب يريد دمشق.

وفى سادسه: قدم البريد بأن السلطان لما بلغه ما جرى من قرا دمرداش وما وقع بينه وبين الناصرى من الفتنة، وأنهما عادا بغير طائل، غلب على ظنه صحة ما نقل عن الناصرى من أن قصده مطاولة الأمر مع منطاش، وأنه لم يحضر إلى دمشق إلا بمكاتبته له بذلك، وأنه قصر فى أخذه بدمشق، وأن سالم الذكرى لم يرحل بمنطاش إلى سنجار إلا بكتاب الناصرى إليه بذلك. فلما قدم إلى حلب قبض عليه وعلى شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة، وكشلى أمير أخور الناصرى، وشيخ حسن رأس نوبته، وقتلهم فى ليلة قبضهم.

---

(١) رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الوردة، من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهى كلها بين الجزيرة والشام، وهى مدينة كبيرة عليها سوران. انظر معجم البلدان الجزء الرابع، والروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، وابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٦٢٣/٢ن وابن حوقل ٢٠٠، والكرخى ٥٣.

وما برح يلبغا الناصرى من مبدأ أمره سىء الرأى والتدبير، حتى قيل عنه أنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلا وانعكس عليهم أمرهم بواسطته.

وولى الأمير بطا الدوادار نيابة دمشق، والأمير جُلْبان الكمشبغاوى، رأس نوبة نيابة حلب، والأمير فخر الدين أياس الجرجاوى فى نيابة طرابلس، والأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حماة. وأنعم على قرا دمرداش نائب حلب بإقطاع الأمير بُطا، وأنعم على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن بالدوادارية، عوضا عن بطا بإمرة طبلخاناة، وأنعم على الأمير تانى بك اليحياوى بإقطاع جُلبان. ثم سار من حلب فى أول ذى الحجة، فنودى بتبييض حوانيت قصبة القاهرة، فشرع الناس فى ذلك.

وفى سادس عشره: قدم البريد بأن السلطان عاد إلى دمشق فى ثالث عشره، وأنه قتل من الأمراء آلابغا العثمانى، وسودن باق السيفى، وسمر ثلاثة عشر أميرا منهم: أحمد ابن بيدمر، ومحمد بن أمير على الماردينى، ويلبغا العلاى، وبغا جُق السيفى نائب ملطية[1] وكُمُشْبغا السيفي نائب بعلبك، وغريب الخاصكى، وقرابغا العمرى.

وفى ثالث عشرينه: توجه السلطان من دمشق يريد القاهرة.

وفى رابع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر.

وفى تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن وانقضت السنة وديار مصر قد ساسها الأمير كمشبغا أحسن سياسة، ولم يجسر أحد أن يتظاهر فى مدة تحكمه بمنكر، ولا بحمل سلاح.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

ممن له ذكر، سوى من قتل من الأمراء المذكورين.

مات قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مسلم بن سعيد بن بدر بن مسلم القرشى، الواعظ، الفقيه، الشافعى، قاضى دمشق، بخزانة دمشق، بعد عذاب شديد، فى ليلة الأربعاء تاسع رجب.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار. ولد بالقاهرة، ثم أعطاه الملك الناصر محمد بن [2] قلاون إمرة طبلخاناه فى

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين.

(٢) الناصر محمد بن قلاون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح (٦٨٤-٧٤١هـ= ١٢٨٥ - ١٣٤١) من كتاب ملوك الدولة القلاوونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال.=

حياة أبيه، وما زالت بيده إلى الأيام الناصرية حسن، فأعطاه إمرة مائة، وبقى عليها إلى عاشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة. ولى نيابة غزة، عوضا عن طشبغا المظفرى، فسار إليها وباشرها قليلا.

وأعيد إلى القاهرة على إمرة أربعين، وعمل من جملة الحجاب، فاستمر إلى اثنى ربيع الأول سنة تسع وتسعين، فاستعفى من الإمرة، وتركها، ولبس عباءة، وركب حمارا، ومشى بالأسواق، وتقنع بما يتحصل من أوقاف أبيه، وأقبل على عبادة الله، حتى مات يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الآخرة.

ومات القاضى ولى الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى ثانى عشرين جمادى الآخرة. وقد برع فى الفقه والأصول والنحو، وأفتى ودرس.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى شيخ الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء، فى عاشر ذى القعدة. وكان مقتصدا فى ملبسه، يجلس بحانوت الشهود، ويتكسب من تحمل الشهادات، فأثرى [1] وكثر ماله لقلة مؤنه، فإنه لم يتزوج. وأوقف ربعا على مدرس شافعى عنده عشر طلبة بالجامع الأزهر. ثم سعى بالأمير سودن النائب حتى ولى مشيخة سعيد السعداء، فلم يتناول سوى نصيب واحد، وأنشأ بها منارا يؤذن عليه، وعمر أوقافها وبالغ فى الضبط مع إساءة مَلَكَةٍ، حتى مقته الجميع.

ومات الأمير حسام الدين حسين بن على الكورانى، والى القاهرة مخنوقا، فى عاشر شعبان.

ومات الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف العجمى التبانى الحنفى قدم إلى القاهرة وأخذ عن القوام الأتقانى الفقه، وسمع الحديث على علاء الدين [2] على

=انظر مورد الطاقة لابن تغرى بردى ٤٤ والنجوم الزاهرة ١١٥،٨:٤١ وانظر ديوان صفى الدين الحلى ٥٥-٦٢ و٢٤٢ وفوات الوفيات ٢٦٣/٢/والأعلام ١١/٧.

(١) فأثرى (فأثرا) ترك فيه أثر. انظر معجم الوجيز.

(٢) على بن عثمان التركمانى [٦٨٣-٧٥٠هـ =١٢٣٤ - ١٣٤٩م]

على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى أبو الحسن قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر وله كتب، منها [المنتخب] فى علوم الحديث. انظر فوات الوفيات ٥٧/٢ والأعلام ٣١١/٤.

التركمانى. وأخذ العربية عن الجمال بن هشام، وعن ابن عقيل [١]، والبدر ابن أم قاسم. وبرع فى الفقه والأصول والنحو، وتصدى للتدريس والإفتاء عدة سنين، ودرس بمدرسة الأمير ألجاى، والمدرسة الصَرْغَتَمشية وغيرها.

وكان منجمعا عن الناس، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع. وشرح كتاب المنار فى أصول الفقه. واختصر شرح البخارى لمغلطاى، وشرح مختصر ابن الحاجب [٢] فى الأصول، ونظم كتابا فى الفقه وشرحه، وكتب التعليق على البزدوى، وكتب مختصرا[٣] فى ترجيح مذهب أبى حنيفة، رحمه الله، وكتب على مشارق الأنوار فى الحديث، وعلى تلخيص المفتاح، [٤] وله رسالة فى زيادة الإيمان ونقصانه، ورسالة فى أن الجمعة لا يجوز إقامتها فى مصر واحد.

ورسالة فى الفرق بين الفرض العلمى والواجب. وتوفى خارج القاهرة يوم الجمعة ثالث عشر رجب. والتبانى نسبة إلى موضع خارج القاهرة يقال له التبانة، كان يقف فيه سوق للتبن.

ومات الحاج عبيد بن البازدار مقدم الدولة، فى يوم السبت رابع عشر صفر.

ومات شرف الدين عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الحنبلى النابلمى، قاضى الحنابلة بدمشق، فى يوم الأضحى؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الشيخ المعتقد على الروبى، فى رابع عشرين ذى الحجة.

ومات صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين الشافعى، فى ليلة الأحد سادس عشر المحرم، وكان من أجل خلفاء الشافعية بديار مصر.

---

(١) عبد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى، بهاء الدين ابن عقيل [٦٩٤-٧٦٩هـ= ١٢٩٤- ١٣٦٧م]. من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبى طالب ومولده ووفاته فى القاهرة وله ألفية ابن مالك -ط، فى النحو. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ وبغية الوعاة ٢٨٤و البدر الطالع ٣٨٦/١ وشذرات الذهب ٢١٤/٦.

(٢) مختصر ابن الحاجب هو مختصر منهج السؤال والأمل فى علم الأصول والجدول. كشف الظنون ١٦٥٢/٢.

(٣) يقصد كتاب تلخيص الفتاح فى المعانى والبيان للشيخ الجليل جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩هـ. كشف الظنون الجزء الأول ٤٧٣.

(٤) يقصد مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية تأليف شرف الدين محمد بن عبد الله الأرزنجانى الرومى المتوفى سنة ٧٨٤هـ. كشف الظنون ٤٨٤/٤.

ومات الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم القرشى الدمشقى الشافعى الواعظ؛ لم يجلس للوعظ حتى حفظ أربعين مجلسا.

وبرع فى الحديث والفقه والتفسير. وقدم القاهرة ووعظ بها، وحصل له القبول التام. ومولده فى شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة. ومات بدمشق فى الاعتقال، بسبب ولده القاضى شهاب الدين أحمد.

ومات فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم [1] بن جلال الدين أبى الكرم محمد المعروف بابن الشهيد الدمشقى الشافعى، كاتب السر بدمشق. كان وافر الفضيلة، عالما بالفنون، عارفا فى الأدب، مشاركا فى عدة علوم، مليح الكتابة، صحيح الفهم، رئيسا، عالى الرتبة، رفيع المنزلة، له محاضرة لا تمل، نشأ بدمشق، وأخذ عن مشايخ عصره، وكتب فى الإنشاء، ثم ولى كتابة السر بدمشق، ومشيخة الشيوخ، وتدريس الظاهرية، ونظم كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وله نظم ونثر وتواليف مفيدة. مات بدمشق فى ليلة التاسع والعشرين من شعبان.

ومات أخوه نجم الدين محمد فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة، ودفن على أخويه فتح الدين محمد، وشمس الدين محمد. وباشر توقيع الدست وكتابة سر طرابلس، وسيس[2] وحماة. وأقام بسيس نحو عشرين سنة، ثم قدم إلى القاهرة حتى مات بها، عن نحو تسعين سنة.

ومات ناصر الدين محمد بن على الطوسى، موقع الدست، فى ثانى عشرين شوال، بحلب.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن محمد الزيلعى الحنفى، الرجل الصالح، فى ثانى عشرين المحرم.

ومات أمين الدين محمد بن الحسن الأنفى المالكى، المحدث الفاضل. ومولده فى شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسمع من البنديجى [3] وغيره.

---

(١) فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم [٧٢٨-٧٩٣= ١٣٢٨-١٣٩١] الملقب بابن الشهيد كاتب السر بالشام له علم بالتفسير والأدب ونظم ونشر، أصله من نابلس(بفلسطين) ومولده بالرملة. اشتهر فى دمشق وكتب بها فى ديوان الإنشاء. انظر الدرر الكامنة ٢٩٦/٣ ومطالع البدور ١٠/١ وشذرات الذهب ٣٢٩/٦ والأعلام ٢٩٩/٥.

(٢) سيس أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. انظر معجم البلدان ٣٩/٥.

(٣) البنديجى ناحية بالعراق قرب بغداد خرج منها جماعة من العلماء المحدثين والشعراء الفقهاء والكتاب. انظر: معجم البلدان ٢.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الركراكى المالكى، بحمص، فى رابع عشر شوال.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد بن محمد بن حاتم، شيخ الحديث، فى أول ذى القعدة.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد العسقلانى؛ إمام جامع أحمد بن طولون، فى حادى عشر المحرم، أخذ عن التقى الصايغ.

ومات المهتار ناصر الدين محمد بن على الشيخى، فى ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

* * *

سنة أربع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء:

فيه قدم البريد بأن السلطان يدخل إلى غزة فى ثالثه.

وفى حادى عشره: قدم البريد بنزول السلطان قطيا.

وفيه قدم الحريم السلطانى مع الطواشى بهادُر المقدم، فدقت البشائر، ونودى بالزينة، فشرع الناس فيها، وفى تبييض ظاهر البيوت بشارع القاهرة، وفى نصب القلاع (1).

وفى ثالث عشره: قدم البريد بالخروج إلى لقاء السلطان على بلبيس، فخرج الأمير كمشبغا، والأمير سودن النائب، وبقية الأمراء.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: نزل السلطان بالعكرشا، وأقام بها إلى ليلة الجمعة، ثم رحل، فخرج سائر الطوائف فى يوم الجمعة إلى لقائه، وأقبل فى موكب جليل حتى صعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودًا، خلع فيه على جميع الأمراء، وأرباب الوظائف بأسرهم.

وفى عشرينه: استقر أوناط فى كشف الوجه البحرى على عادته، وعزل شاهين الكلبكى.

وفى ثانى عشرينه: استقر دمرداش السيفى نائب الوجه البحرى على عادتــه، وعزل أبو زلطة، واستقر طُرَقْجى فى ولاية منوف على عادته، وعزل على بن محمد بن طاجار الشامى.

وفى خامس عشرينه: قدم البريد بموت الأمير بطا الطولوتمرى، نائب دمشق.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير سودن الطرنطاى فى نيابة دمشق، واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى - قاضى طرابلس - فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، عوضا عن الركراكى.

وفيه مات الأمير وزير الوزراء ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى، بعد مرض طويل.

---

(1) القلاع مفردها قلعة يقصد بها أقواس النصر أو الزينة التي تقام بعرض الطريق على ألواح من خشب ليمر من تحتها موكب السلطان. انظر [سعيد عاشور: العصر المملوكى فى مصر والشام ص٤٤٠].

وفيه طلب السلطان الولاة المعزولين وهم: الأمير أيدمَرُ الذى يقال له أبو زلطة، وشاهين الكلفتى، وناصر الدين محمد بن حسن بن ليلى، وعلى بن محمد بن طاز، وأسَنْبُغا، وضرب أيدمُر بالمقارع، وسلمهم كلهم إلى والى القاهرة، ليدفعهم على حمل المال.

وفى يوم الإثنين ثانى عشر صفر: قبض على الأمير قرا دمرداش نائب حلب، وعلى الأمير ألطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، وسجنا بالبرج.

وخرج البريد بطلب تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن الصاحب تاج الدين موسى بن أبى شاكر من الوجه القبلى، وقد توجه ليحضره، حتى يولى الوزارة، فلم يتم ذلك.

واستقر الأمير ركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين محمد بن قايماز، أستادار الأمير بيبرس - ابن أخت السلطان - فى الوزارة، وخلع عليه فى يوم الأربعاء رابع عشره.

واستقر تاج الدين بن شمحل فى نظر الدولة، رفيقا لشمس الدين المقسى.

وفى خامس عشره: قبض على الأمير قردم الحسنى.

وفيه خلع على الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن صدر الدين حمزة الحسينى، بنظر القدس والخليل.

وفى تاسع عشره: أخرج الأمير قردم إلى غزة، بإمرة عشرة بها.

وفيه استقر الأمير العثمانى أمير جاندار، بعد موت قطلوبغا الطَقْتَمُشى، وأفرج عن الأمير قطلوبغا الطشتمرى الحاجب.

وفى ثانى عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود الأستادار فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ألطنبغا المعلم. وقدم البريد بأن خمسة عشر من المماليك أتوا إلى باب قلعة دمشق مشاة، وشهروا سيوفهم وهجموا على القلعة، وأغلقوا بابها، وأخرجوا المنطاشية والناصرية من الحبس، وهم مائة رجل، وقتلوا نائب القلعة وجماعة معه، وأن الحاجب ركب بالعسكر وقاتلهم ثلاثة أيام حتى اقتحم عليهم القلعة، وأخذهم كلهم، إلا خمسة أنفس منهم، فإنهم فروا، ووسط الجميع.

وفى يومه: استقر صديق الكركى فى ولاية الفيوم، وعزل أسَنْبُغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: برز الأمير سودن الطرنطاى نائب دمشق إلى الريدانية، بعدما لبس قباء السفر. ولبس أيضا الأمير ناصر الدين محمد بن محمود الأستادار قباء السفر، وتوجه إلى الإسكندرية.

وفيه سار الأمير حسن الكَجكَنْى إلى بلاد الروم بهدية، لخوند كار أبى يزيد بن عثمان.

وفى سادسه: استقر القاضى جمال الدين محمود العجمى فى مشيخة الخانكاة الشيخونية ونظرها بعد وفاة الشيخ عز الدين يوسف الرازى.

وفى ثامنه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب - صهر الأمير بطا - على مال يحمله.

وفيه رحل الأمير سودن نائب دمشق، ومعه الأمير بكتمر شاد الشراب خاناه، ليقلده بدمشق.

وفى رابع عشره: تزوج السلطان بنت المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس.

وفى خامس عشره: عزل قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى نوابه، واقتصر منهم على خمسة فقط. وكان قد استكثر من النواب حتى زادوا على العشرين، فأنكر عليه السلطان ذلك، فصرفهم.

وفيه نقل علاء الدين على البيرى مواقع الأمير يلبغا الناصرى، ومحب الدين محمد بن محمد بن الشحنة قاضى الحنفية بحلب، من بيت الأمير جمال الدين محمود الأستادار إلى دار الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة، وكان قد قبض عليهما بالشام، وحضرا مع السلطان فى الترسيم، وأُنزلا بدار الأمير محمود، فأكرمهما، وقام لهما بما يليق بهما.

وفى سادس عشره: عزل قاضى القضاة شهاب الدين أحمد النحريرى المالكى نوابه، وترك منهم خمسة على حالهم.

وفى سابع عشره: استقر زين الدين أمير فرج الحلبى فى شد الدواوين، وكان والى القاهرة يتحدث فى شد الدواوين منذ قبض على ناصر الدين محمد بن أقبغا آص.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه: سافر إلى بلاده أبو الحجاج يوسف بن على بن غانم، أمير العرب ببلاد المغرب، [١] بعد ما حج، وأقام بالقاهرة أشهرا. واجتمع بالسلطان وألبسه كاملية حرير بطرز ذهب.

وفى رابع عشرينه: استقر الفخر عبد الرحمن بن مكانس وزيرا بدمشق.

وفيه قتل علاء الدين على البيرى، ودفن خارج باب النصر.

---

(١) بلاد المغرب بلاد واسعة كثيرة. قال بعضهم: مدينة مليانة وهما آخر حدود إفريقية. انظر معجم البلدان ٥/ ١٦٠.

وفى خامس عشرينه: أفرج عن المحب بن الشحنة.

وفى سادس عشرينه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب، على أن يحمل مائتى درهم فضة.

وفى يوم السبت سابع ربيع الآخر: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن أبى شاكر فى نظر الديوان المفرد. واستقر منجك السيفى والى أشموم الرمان، وعزل ناصر الدين محمد بن الطويل. واستقر يلبغا مملوك مبارك شاه والى الأشمونين، عوضا عن محمد بن الأعسر. واستقر شرف الدين أبو البركات موسى بن محمد بن جمعة الأنصارى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن الخطيب شمس الدين محمد بن خطيب نقيرين. وأنعم على الأمير قديد بتقدمة ألف، عوضا عن قُطْلوبُغا الصفوى بعد موته. وأنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرة، واستقر يَلْبُغا الظاهرى نائب الوجه القبلى على عادته.

وفى سادس عشره: أعيد نظر الجامع الطولونى إلى قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى، وكان قد استقر فيه الأمير قطلوبغا الصفوى مدة.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا الأسنقجاوى أبو درقة فى ولاية أسوان، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفى ثالث عشرينه: قتل الأمير أيدكار العمرى، وقراكسك، وأرسلان اللفاف، وصنجق، وأرعون شاه.

وفى خامس عشرينه: أعيد النجم محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه رسم السلطان للأمير أبى يزيد الدوادار، والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، بالتحدث فى أوقاف الحرمين، وأن يسترفع حسابها شمس الدين نصر الله ابن شطية - مستوفى ديوان المرتجع - فوُكِّل بمباشرى أوقاف الحرمين، وألزموا برفع حساب عشر سنين، وألزم مباشرو موادع الحكم بعمل حساب الأيتام، وذكر الترك المهملة، ورسم على أمناء الحكم وجباة الأوقاف.

وفيه أضيف إلى الأمير مبارك شاه كشف الفيوم والبهنسا والأطفيحية [١]، مع كشف الجيزة.

---

(١) الأطفيحية بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ١/٢١٨.

وفى أول جمادى الأولى: أحضرت عدة رءوس من المسجونين بالإسكندرية من الأمراء. واستقر أبو بكر بن بدر فى ولاية البهنسا، عوضا عن شرف الدين بن طىّ الدهروطى.

وفى تاسع عشره: استقر الأمير كُمُشْبُغا الحموى أتابك العساكر بعد موت الأمير الكبير أينال اليوسفى، وتحدث فى نظر المارستان المنصورى على العادة. واستقر الأمير أيتمش البجاسى رأس نوبة النوب.

وفى ثالث رجب: قدم البريد بقتل منطاش، و لم يصح.

وفى حادى عشره: تجمع عدة من المماليك السلطانية على الأمير جمال الدين محمود الأستادار عند نزوله من القلعة، وسبّوه، ورجمه بعضهم من أعلا القلعة بالحجارة، وشهروا دبابيسهم ليقتلوه، وكان قريبا من بيت الأمير أيتمش. فلما بلغه ذلك ركب بنفسه ليخلصه، ففر أكثر المماليك منه، وثبت بعضهم. فمازال بهم يدافعهم عنه بالرفق حتى انصرفوا عنه. وسار به إلى بيته حتى سكنت الفتنة، وشيعه فى مماليكه إلى داره.

وفى يوم الخميس رابع عشره: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فى الوزارة، عوضا عن الركن عمر بن قايماز. واستقر ابن قايماز أستادارا، عوضا عن الأمير محمود، بعدما أنفق من ماله ستمائة ألف درهم فى تكفية ديوان الوزارة، ذهبت عليه و لم يتعوض عنها، واستقر الأمير محمود عَلَى إمرته، وخُلع على الثلاثة.

وفى ثامن عشره: أعيد الشهاب الفرجوطى إلى ولاية قوص، وعُزل محمد بن العادلى.

وفى ثالث عشرينه: استقر كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم أفسح فى نظر الإسطبلات، بعد أن تعطلت مدة من ناظر.

وفى خامس عشرينه: استقبل الصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية منوف.

وفى تاسع عشرينه: بُشّر بزيادة النيل، وأن القاع سبعة أذرع، وعشرون إصبعا.

وفيه حضر الشريفان عنان بن مغامس وعلى بن عجلان - أميرا مكة - باستدعاء، ودخلا على السلطان فى يوم الإثنين ثانى شعبان. فأجلس السلطان ابن عجلان - مع صغر سنه - فوق عنان، مع شيخوخته.

وفى ثانى عشره: قبض على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من داره بدلالة بعض النصارى عليه، وسلم لوالى القاهرة، فوكل به من يحفظه فى داره.

وفى ثالث عشره: استقر الغرس خليل الشرفى والى أشموم الرمان، وصُرف منجك.

وفى ثامن عشرينه: ابتدأ بالسلطان مرض لزم منه الفراش.

وفى يوم الإثنين أول شهر رمضان: استقر الأمير كُمُشْبُغا الخاصكى الأشرفى نائبا بدمشق، بعد موت سودن الطرنطاى.

وفى خامسه: نودى بزينة القاهرة لعافية السلطان من مرضه، فزينت.

وفى سادسه – وهو ثالث مسرى: – أوفى النيل ستة عشر ذراعا، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى عاشره: ورد البريد بمحاربة عسكر حلب لمنطاش، وفراره، وأنه عدى الفرات، وقبض على عدة من أصحابه.

وفى حادى عشره: خلع على الشريف على بن عجلان، واستقر أميرا بمكة وحده من غير شريك له، وخلع على الشريف عنان والشريف على بن مبارك، خلعتى إنعام. ولبس كمشبغا نائب دمشق قباء السفر، وسار وطُلبه بتجمل عظيم، قاد فيه سبعين جنيبا[1] من الخيل.

وفى ثالث عشره: قُلعت الزينة.

وفى خامس عشره: نزل السلطان من القلعة إلى القاهرة، وصعد إلى مدرسته بخط بين القصرين، وزار أباه، وعاد.

وفيه أنعم على الأمير تغرى بردى من يشبغا بتقدمة ألف، وأنعم بطبلخاناته على الأمير قلمطاى العثمانى. وأنعم على شادى خجا بإمرة عشرين.

وفيه أعيد الأمير محمود إلى الأستادارية، عوضا عن الركن عمر بن قايماز.

واستقر ابن قايماز من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفى سادس عشره: استقر بدر الدين محمد بن الطوخى فى الوزارة بدمشق، عوضا عن الفخر عبد الرحمن بن مكانس. وخرج البريد بإحضاره من دمشق فى الترسيم، هو وابنه مجد الدين فضل الله وأخوه نصر الله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بوقوع الحريق فى دمشق، يوم السبت حادى عشرين شعبان، بجوار جامع بنى أمية، تلف فيه شيء كثير جدا.

---

(١) الجنيبة الدابة تقاد واحدة الجنائب وكل طائع منقاد جنيب. لسان العرب.

وفى هذا الشهر: وقع وباء فى البقر، حتى أُبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذارا له. وعم الوباء فى البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر.

وفى يوم الإثنين سادس شوال: استقر ناصر الدين محمد الضانى فى ولاية منفلوط، وعزل على بن غَلْبَك.

وفى سابعه: استقر أحمد الأرغونى فى ولاية دمياط، وعزل أبو بكر بن بدر.

وفى ثامن شوال: استقر القاضى بدر الدين الأقفهسى فى نظر الدولة، وعزل ابن شيخ. واستقر ناصر الدين مؤمن فى ولاية قليوب، وعزل قطلوبغا الصفوى. واستقر علاء الدين على الطشلاقى والى قطيا. وعزل حسام الدين حسن المؤمنى أمير آخور.

وفيه أنعم على الشريف على بن عجلان (١) أمير مكة بأربعين فرسا، وعشرة مماليك من الأتراك، وثلاثة آلاف أردب قمحا، وألف أردب شعيرا، وألف أردب فولا، وحمل على فرش بقماش ذهب، ورسم له أن يستخدم مائة فارس من الترك، يسير بهم إلى مكة.

وفيه قبض على تاج الدين بن شمحل، وسلم لشاد الدواوين على مال يحمله.

وفى خامس عشره: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهانى، وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتى ألف درهم.

وذلك أن السلطان لما اختل أمره بحركة الأمير يلبغا الناصرى ومسيره الى القاهرة، همَّ الملك الظاهر بالهرب، وأعطى شيخ الشيوخ هذا خمسة آلاف دينار، وواعده أن ينزل إليه ويختفى عنده، فلم يف له بذلك، وغيب عنه فاختفى السلطان عند أبى يزيد كما ذكر. فلما عاد إلى الملك طلب منه الخمسة آلاف دينار على لسان الدوادار، فقال «تصدقت بها على الفقراء». فلما ألح الدوادار فى مطالبته قال: «اعلم السلطان أنى أجمع الفقراء من الزوايا والربط وألزمهم بإعادة ما تصدقت به عليهم، وأقول لهم إن السلطان قد عاد فى صدقته فإنه لم يدفع هذا المال إلى إلا لأتصدق به، لا أنه وديعة عندى».

---

(١) على بن عجلان [...-٧٩٧هـ- ١٣٩٥م] على بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة٧٨٩هـ. انظر ابن الفرات ٤٢٠/٩ وشذرات الذهب ٣٥٠/٦ وابن إياس ٣٠٤:١ وخلاصة الكلام ٣٦ج الأعلام ٣١٢/٤.

فلما أعاد الدوادار على السلطان هذا القول أسرها فى نفسه، وصبر كعادته حتى وقف إليه من ادعى أن تاجرا ترك عند شيخ الشيوخ عدة أحمال، فيها ثياب ليسافر بها من غير مكس [1] فأمر بطلبه من خانكاه سرياقوس. فلما وقف مع غريمه اعتذر، فقال بعض من حضر أنه مكتوب فى يده سحر يسحر به السلطان، فعزله من المشيخة، وتسلمه شاد الدواوين.

وفى سادس عشره: استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى نقابة الجيش، وعزل أسندمر.

وفى تاسع عشره: استقر الشريف فخر الدين ناظر المارستان فى مشيخة الشيوخ بخانكاة سرياقوس.

وفى عشرينه: استقر جمال الدين محمود العجمى فى نظر الجيش، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، مع ما بيده من قضاء القضاة الحنفية، ومشيخة الشيخونية، و لم يقع مثل ذلك بدولة الأتراك فى مصر.

واستقر قطلوبغا القشتمرى الحاجب فى كشف الوجه البحرى، وعزل قطلوبغا وعزل أوناط.

وفى خامس عشرينه: سار الشريف على بن عجلان بعسكره إلى مكة، ومنع الشريف عنان من السفر، ورتب له فى كل يوم ما يقوم به.

وفى سادس عشرينه: نودى بزيادة النيل ثلاثة أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، عوضا عن الأمير بكلمش العلاى، واستقر بكْلَمِش أمير سلاح.

وفى سلخه: نودى بخروج القطعان الذين قطعت أيديهم فى السرقات، والبرصان، والجذماء، من القاهرة وظواهرها، وهدد من أقام منهم بالتوسيط.

وفى يوم الجمعة أول ذى القعدة - وهو ثالث عشرين توت -: انتهت زيادة النيل إلى اثنى عشر أصبعا من عشرين ذراعا، وثبت إلى سابع بابة، ثم انحط بعد ما بلغ عشرين أصبعا من عشرين ذراعا.

وفى رابعه: أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل يلبغا الأحمدى. واستقر حسام الدين المؤمنى أمير أخور فى ولاية الجيزة.

---

(١) مكس: ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

وفى سابعه: أعيد بهاء الدين محمد البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل النجم محمد الطنبدى، وأذن له فى الحكم عن قاضى القضاة الشافعى.

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة.

وفى عاشره: عفى عن القطعان [1] من النفى.

وفى ثالث عشره: قدم ناصر الدين أحمد التنسى من الإسكندرية باستدعاء، واستقر فى قضاء القضاة المالكية. وعزل الشهاب أحمد النحريرى، ودخل إلى القاهرة من سرياقوس بالتشريف.

وفى سادس عشره: قبض بسرياقوس على ستة مماليك، وحملوا فى الحديد إلى والى القاهرة، من أجل أنهم ارتكبوا الفاحشة بصبى حتى مات.

وفى ثامن عشره: عزل المقدم محمد بن عبد الرحمن وألزم بحمل مائتى ألف درهم، واستقر عوضه فى تقدمة الدولة تنيتين. واستقر محمد بن عبد الرحمن فى تقدمة الخاص، وشرع فى حمل ما قرر عليه للوزير.

وفيه قتل الأمير قرا دمرداش، والأمير طغاى تمر - نائب سيس - فى عدة من الأمراء.

وفيه استقر تقى الدين أبو محمد بن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين محمود بن الِكشْك. واستقر البرهان إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، واستقر عمر بن إلياس أخى قرط فى ولاية منفلوط.

وفى خامس عشرين ذى الحجة: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن، وتسلم على بن عجلان مكة، وأنه غرق بجدة نحو الثلاثين مركبا من ريح عاصف. واستقر شرف الدين مسعود فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن كمال الدين المعرى.

وفى سابع عشرينه: أمر قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى الشافعى بلزوم بيته، وألا يحكم.

وفى هذه السنة: ضرب الأمير محمود الأستادار بالإسكندرية فلوسا ناقصة العيار عن الفلوس التى يتعامل بها الناس فى ديار مصر.

---

(١) القطعان المفرد قطيع: الطائفة من القيم والنعم وغيرها وجمعها قطعان. انظر الوجيز ٥٠٨.

وفيها استقر الأميران شمس الدين محمد بن الأمير زين الدين قارا بن مهنا، وزين الدين رقيبة بن الأمير ركن الدين عمر بن موسى بن مهنا الشهير بعمر المصمع.

وفي هذه السنة: خرج جماعة من بلاد المغرب يريدون أرض مصر لأداء فريضة الحج، وساروا فى بحر الملح، فألقتهم الريح إلى جزيرة صقلية [1]، فأخذهم النصارى وما معهم، وأتوا بهم إلى ملك صقلية، فأوقفهم بين يديه وسألهم عن حالهم، فأخبروه أنهم خرجوا يريدون الحج، فألقاهم الريح إلى هنا، فقال: «أنتم غنيمة قد ساقكم ا لله إلىّ»، وأمر بهم أن يقيدوا حتى يباعوا ويستخدموا فى مهنهم، وكان من جملتهم رجل شريف، فقال له على لسان ترجمانه: «أيها الملك إذا قدم عليك ابن ملك ماذا تصنع به؟» قال: «أكرمه» قال: «وإن كان على غير دينك». قال: «وما كرامته إلا إذا كان على غير دينى، وإلا فأهل دينى واجب كرامتهم». قال: «فإنى ابن أكبر ملوك الأرض». قال: «ومن أبوك؟» قال: «على بن أبى طالب رضى ا لله عنه». قال: ولم لا. قلت: أبى محمد - ﷺ - قال: «خشيت أن تشتموه». قال: «لا نشتمه أبدا». قال: «بيِّنْ لى صدق ما ادعيت به»، فأخرج له نسبته - وكانت معه فى رق - فأمر بتخليته وتخلية من معه لسبيلهم، وجهزهم. ثم بلغه أن بعض النصارى من أجناده بال على هذا الشريف، فأمر به فأحرق، وشهر فى بلده. ونودى عليه: «هذا جزاء من يشتم الملوك»، فإنه كان شتم أبا الشريف أيضا.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

سوى من قتل من الأمراء:

شهاب الدين أحمد الدَّفرى، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة، فى ثانى عشر ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الدّنيسرى، المعروف بابن العطار، الشاعر، فى سادس عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير الكبير أينال اليوسفى، أحد المماليك اليلبغاوية، فى رابع عشر جمادى الآخرة. كان أينال شرش الأخلاق، شجاعا.

---

(١) جزيرة صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣.

ومات الأمير سيف الدين بُطا الطولوتمرى، أحد المماليك الظاهرية برقوق، ونائب الشام فى حادى عشرين المحرم بدمشق.

ومات الأمير سيف الدين تلكتمر. تنقل فى الخدم حتى أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بن حسين، وبعد واقعة الأمير أسندَمُر بإمرة مائة. واستقر رأس نوبة كبيرا فى تاسع عشر صفر سنة تسع وستين وسبعمائة. ثم صار أمير مجلس فى خامس عشر رمضان منها، ثم نقل من ذلك وصار أستادارا فى حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين، عوضا عن علم دار المحمدى. ثم أخرج إلى صفد فى ثالث ربيع الآخر منها، واستقر نائبها. ثم أحضر إلى القاهرة بعد قليل، وأنعم عليه بإمرة مائة. فلما كان فى صفر سنة خمس وسبعين، استقر حاجب الحجاب مدة، ثم تعطل ولزم داره، حتى مات فى حادى عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير سودُن الطرنطاى نائب دمشق بها، فى شعبان.

ومات الشيخ المعتقد طلحة المغربى المجذوب، فى رابع عشر شوال بمدينة مصر. وكانت جنازته مشهورة، ودفن خارج باب النصر، وهو أحد من أوصى الملك الظاهر عند موته بدفنه تحت أرجلهم.

ومات صدر الدين عبد الخالق بن على بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكى، موقع الحكم، أخذ الفقه عن الشيخ خليل، وكتب على غازى، وبرع فى الفقه والكتابة. ومات فى ثالث عشرين جمادى الآخرة.

ومات الشيخ عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى العجمى الحنفى الأصم، شيخ الخانكاة الركنية بيبرس، ثم شيخ الخانكاة الشيخونية، ومات فى ثالث عشرين المحرم، وقد أناف على السبعين.

ومات القاضى جمال الدين عبد الله بن الفيشى المالكى، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة. وكان نقيبا للقضاة، ثم تولى الحكم، ورتب درسا بالجامع الأزهر، وأجرى عليه وقفا. ومات فى العشرين من ربيع الأول بعد أن ابتلى بالجذام عدة سنين، وهو يباشر الحكم.

ومات الشريف عبد الرحمن بن عبد الكافى بن على بن عبد الله بن عبد الكافى بن قريش بن عبد الله بن عياد بن طاهر بن موسى بن محمد بن قاسم بن موسى الجليس بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الطباطبى، المؤذن، فى ثامن شوال، وكان قد حظى عند السلطان وتمكن منه. حدثنى

شمس الدين محمد بن عبد الله العمرى - موقع الدست - قال: كنت فى خدمة جمال الدين محمود العجمى قاضى القضاة، وناظر الجيش، فركب يوما وأتى معه إلى دار الشريف عبد الرحمن هذا، فتلقاه وأدخله إلى داره، واستعظم مجيئه إليه، فبالغ محمود فى التأدب معه، وقال له: «يا سيد، أنا أستغفر الله مما وقع منى». فقال: «وما الخير يا سيدى؟» قال: «ما دخلت البارحة إلى السلطان، وجئت أنت وجلست فوقى، أنفت من هذا فى سرى، وقلت: كيف يجلس هذا فوقى؟، ومحلى من الدولة ما قد عرف، وشق علىَّ ذلك، وقمت و لم يشعر أحد من خلق الله بشىء من ذلك، بل كان مما حدثت نفسى.فلما نمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول لى: «يا محمود تستقل ابنى أن تجلس تحته»، فاستغفرت مما وقع منى، وقد جئتك ثانيا بما خطر لى، وأسألك الدعاء». قال: «فبكى الجميع»، وكانت ساعة عظيمة.

ومات الأديب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن شمس الدين عبد الرزاق بن علم الدين إبراهيم بن مكانس القبطى، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق. مات فى خامس عشر ذى الحجة.

ومات علاء الدين على بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد الأزرقى المقيرى الكركى، كاتب السر، فى أول ربيع الأول، ودفن خارج باب النصر من القاهرة.

ومات علاء الدين على بن عبد الله بن يوسف البيرى الحلبى، الأديب، الشاعر، المنشئ، الكاتب، فى رابع عشرين ربيع الأول، مخنوقا.

ومات الأمير عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قتله الفداوية فى رابع المحرم.

ومات الشريف على بن الشريف شجاع الدين عجلان أمير مكة.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، فى أول ربيع الآخر.

ومات الأمير قطلوبغا الطقتمشى، أحد أمراء العشراوات فى عاشر صفر.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المنهاجى الزركشى، الفقيه الشافعى، ذو الفنون والتصانيف المفيدة، فى ثالث رجب. سمع الحديث وأفتى ودرس.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الركراكى المغربى، فى ثانى عشر جمادى الأولى، وقد قارب المائة سنة. وهو ممتع حتى بالنساء.

ومات شمس الدين محمد بن إسماعيل أمين الملك الحلبى الحنفى الأعور أحد نواب القضاة الحنفية بالقاهرة، فى رابع شوال.

ومات الشيخ المحدث بدر الدين محمد بن محمد بن بجير، المعروف بابن الصايغ، وابن المشارف، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين لاجين، الصقرى المنجكى، فى ثانى عشر صفر بمرض طويل، من غير أن ينكب.

ومات جمال الدين محمود بن حافظ الدين محمد بن تاج الدين إبراهيم بن شنبكى بن أيوب بن قراجا بن يوسف القيصرى، المعروف بابن الحافظ الحنفى، قاضى الحنفية بحلب[1]، وكان فاضلا، جليل القدر، عفى عنه.

* * *

(١) حَلب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ولها بساتين قلائل ويمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين جبل قنسرين . انظر تقويم البلدان ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦،١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

سنة خمس وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأحد: ففى ثانيه أعيد صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، عوضا عن العماد أحمد الكركى، ونزل بالتشريف من قلعة الجبل إلى المدرسة الصالحية على العادة، وبين يديه عالم عظيم، منهم الأمير أبو يزيد الدوادار، وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ورأس نوبة، وحاجب الحجاب.

وفيه استقر علاء الدين على بن غلبك بن المكللة فى كشف الفيوم[1] والبهنسا[2] والأطفيحية[3]، عوضا عن طيبغا الزينى.

وفى تاسعه: قبض على الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر وتسلمه أمير فرج شاد الدواوين؛ ليعاقبه على المال. وأعيد موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة.

وفى حادى عشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى بمدرسة السلطان.

وفى ثالث عشره: قدم البريد بموت الأمير كُمُشْبُغا الخاصكى نائب دمشق فاستقر عوضه تانى بك الأمير، المعروف بتنم الحسنى أتابك دمشق، وأُنعم بإمرته على فخر

---

(١) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيده فوق حقه، وهو من أحكم البنيان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار فى اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحى لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) انظر معجم البلدان ٥١٦/١.

(٣) الأطفيحية بالكسر فى أوله والفاء وباء ساكنة وحاء مهملة بالصعيد الأدنى من مصر على شاطئ النيل الشرقى. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

الدين إياس الجرجاوى نائب طرابلس[١]. ونقل دمرداش المحمدى نائب حماة[٢] إلى نيابة طرابلس. واستقر أقبغا الصغير فى نيابة حماة.

وفيه استقر حسن المؤمنى والى الجيزة[٣] فى ولاية قطيا، وعزل على الطشلاقى واستقر على بن قراجا فى ولاية الجيزة.

وفى يوم الخميس رابع صفر: استقر أسَنْبُغا السيفى فى ولاية قوص[٤].

وقدم الخبر من الحجاز بأن جنتمر التركمانى أمير ركب الشام هجم على أشراف المدينة النبوية ليأخذ منهم صقرا يصطاد به، وفهدا، فدافعوه، وقتل منهم شريفين. وكادت الحرب تقع لولا ركب الأمير ثابت بن نعير أمير المدينة، وكف عن القتال. وأن الشريف على بن عجلان[٥] قبض على سبعين من بنى حسن بمكة.

وفيه استقر محمد فى ولاية قطيا، وعزل حسن المؤمنى.

وفى تاسع عشرين جمادى الأول: قدم محمد بن قارا، ومملوك نائب دمشق على البريد، بأن منطاش ونعير أمير العرب. وابن بزدغان التركمانى، وابن أينال التركمانى، حضروا فى عساكر كثيرة جدا إلى سلمية، فلقيهم محمد بن قارا على شيزر بالتراكمين، فقاتلهم، فقتل ابن بزدغان، وابن أينال وجرح منطاش وسقط عن فرسه، فلم يعرف لأنه حلق شاربه ورمى شعره، ثم أنه أدركه ابن نعير وأردفه خلفه، وانهزم بعد أن قتل من الفريقين عالم كبير. وحُملت رأس بن بزدغان وابن أينال إلى دمشق، وعلقتا على قلعتها.

وفيه استقر يلبغا الزينى فى ولاية الأشمونين[٦]، وعزل محمد بن الأعسر.

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٥،٢٦.

(٢) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، وفى الروض المعطار حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وبينها وبين كفر كاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء. انظر الروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٣) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٤) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٥) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى الحسنى، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة. وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنأ له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحى مكة) . انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/ ٣١٢.

(٦) الأشمون مدينة قديمة أزلية عامرة وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل.=

وفى سلخه: استقر الحاج سلطان مهتار الركاب خاناه، وعزل المهتار خليل بن أحمد بن الشيخى.

وفى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة: قبض على الشريف عنان[1] بن مغامس، وسجن بالبرج فى القلعة.

وقدم الخبر بموت الطواشى زين الدين مقبل الرومى الشهابى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى، فكتب باستقرار الطواشى زين الدين مسرور الحبشى البشتكى الناصرى، عوضه.

وفى ثامنه: قدم البريد بأن نعير بن حيار ومنطاش، كبسا حماه فى عسكر كبير، فقاتلهم نائبى حماه وطرابلس، فانكسرا، ونهبت حماه، وأن جلبان نائب حلب سار بعسكر إلى أبيات نعير عندما بلغه ذلك، وأخذ ما قدر عليه من المال والخيل والجمال والنساء والأطفال، وأضرم النار فيما بقى، وأكمن كمينا، فما هو إلا أن سمع نعير بما نزل ببيوته رجع إليها بجمائعه، فخرج الكمين وقتل من العربان وأسر كثيرا، وقتل من عسكر حلب نحو المائة فارس، وعدة من الأمراء.

وفى عاشره: أفرج عن الأمير ألطنبغا المعلم، ونفى إلى دمياط، وأفرج عن الأمير قطلوبغا السيفى الحاجب فى أيام منطاش.

وفى رابع عشره: قدم البريد بموت الأمير يلبغا الأشقتمرى نائب غزة[2].

وفى خامس عشره: استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا العثمانى فى نيابة غزة

وفى تاسع عشرينه: استقر الحسام حسن صهر أبى درقة فى ولاية أسوان[3]، وعزل

بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنأ له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحى مكة) . انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات النهب ٦/ ٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/ ٣١٢.

(١) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى : شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق (صاحب مصر) بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠:١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٥/ ٩٠.

(٢) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٠٢. وفى الروض المعطار غزة: موضع بديار حذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/ ٩٩٧.

(٣) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين=

إبراهيم الشهابى.

وفى يوم الخميس ثالث رجب: استقر الأمير قَلَمْطاى دوادارا، بعد وفاة أبى يزيد.

وفى رابع عشره: توجه ألطنبغا العثمانى إلى نيابته بغزة، وأنعم على تمراز الناصرى رأس نوبة بطبلخاناه العثمانى، وأنعم على شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار بعشرة تمراز، زيادة على عشرته.

وفى عشرينه: ابتدأ بالسلطان وعك اشتد به، وأفرط عليه الإسهال الدموى، وكثر الإرجاف إلى سادس عشرينه. وأبل من مرضه، فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وجلس للحكم بين الناس فى يوم الأحد سابع عشرينه على عادته. وركب من الغد وشق القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى بيت الأمير الكبير أيتمش، ودخل إليه يعوده من مرض به، وركب إلى القلعة.

وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن آقبغا آص، كاشف الجيزة، وضرب بالمقارع؛ لشكوى الفلاحين منه، وسلم لابن الطبلاوى والى القاهرة.

وفيه استقر الأمير يلبغا الأحمدى الظاهرى - المعروف بالمجنون - فى كشف الوجه البحرى، وعزل قطْلُوبُغا الطشتمرى، واستقر فى كشف الجيزية، عوضا عن ابن آقبغا آص.

وفى رابع شعبان: نقل ابن آقبغا آص من بيت ابن الطبلاوى إلى الأمير جمال الدين محمود الأستادار ليأخذ منه مائة ألف درهم، فوقف عدة من الفلاحين إلى السلطان فى يوم الأحد سابعه، وشكوا منه أمورا قبيحة من أخذ نسائهم، وأولادهم، وفجوره بهم، وحاققوه فى وجهه على ذلك، وعلى أموال أخذها منهم، فضرب بالمقارع وسلم إلى والى القاهرة ليخلص منه أموال الفلاحين، فضربه أيضا بحضرة أخصامه.

وفى ثامنه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع، واثنى عشر أصبعا.

وفيه استقر أوناط اليوسفى نائب الوجه البحرى، وكاشف البحيرة، وواليها. وعزل دمرداش السيفى، وأعيد محمد بن حسن بن ليلى إلى ولاية قطيا، بعد موت محمد بن أشقتمر. واستقر أسندمر العمرى نقيب الجيش بعد أن كان فى ولاية بلبيس[1]، وعزل على بن الطشلاقى.

وفى ثانى عشرينه: استقر برهان الدين إبراهيم بن نصر الله فى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أبيه قاضى القضاة ناصر الدين.

=ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسى ٢١.

(١) بلبيس بكسر الباءين وسكون اللام مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

وفى سابع عشرينه: قدم عامر بن ظالم بن حيار بن مهنا - ولد أخى الأمير نعير - مغاضبا لعمه، فأقبل السلطان عليه وأجلسه، وخلع عليه.

وقدم البريد من دمشق بوصول أبى بكر وعمر ولدى نعير، مفارقين لأبيهما، ومعهما عدة من أكابر عربانه.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل القان طَقْتمش خان ملك الدشت[1].

وفى يوم الإثنين ثالث رمضان: قدم البريد من حلب بقبض منطاش، وذلك أن الأمير جلبان نائب حلب لم يزل يبذل جهده فى أمر منطاش، حتى وافقه الأمير نعير على ذلك. وكان فى طول هذه المدة مقيما عنده ويغزو معه، فبعث جلبان شاد شراب خاناته كمشبغا إلى نعير فى خمسة عشر فارسا، بعدما التزم له بإعادة إمرة العرب إليه. فلما قرب من أبيات نعير نزل وبعث يأمره بقبضه، فندب نعير أحد عبيده إلى منطاش يستدعيه إليه، فأحس بالشر، وهم بالفرار، فقبض العبد عنان فرسه وأدركه عبد آخر، وأنزلاه عن فرسه وأخذا سيفه، فبدر إلى سكين معه ضرب نفسه بها أربع ضربات، وأغشى عليه، وحمل إلى كمشبغا ومعه فرسه وأربع جمال، فسار به إلى حلب فى أربعمائة فارس من عرب نعير. فكان لدخوله يوما مشهودا، وسجن بقلعتها. فسر السلطان بذلك سرورا عظيما، وأنعم على كمشبغا الواصل بالبشرى بخمسة آلاف درهم، وقباء مطرز بذهب، وتقدم إلى سائر الأمراء بخلعهم عليه، ودقت البشائر، ونودى بالزينة فزينت القاهرة ومصر، ونودى من الغد بأن منطاش قد قبض عليه.

وفى خامسه: قرئ تقليد قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الحنبلى على العادة.

وفيه توجه الأمير سيف الدين طولو من على باشا - أحد العشراوات - على البريد لإحضار منطاش، فسار إلى حلب، وعصره ليقر فلم يعترف بشىء، ثم ذبح، وحملت رأسه على رمح وطيف بها حلب، وسائر مدن الشام، حتى قدمت قلعة الجبل صحبة طُولُو فى يوم الجمعة حادى عشرينه، علقت على باب القلعة، ثم طيف بها - على رمح - القاهرة ومصر، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام. ثم حطت وسلمت إلى زوجته أم ولده. فدفنت فى سادس عشرينه.

---

(١) الدشت: بفتح أوله، وسكون ثانيه قرية من قرى أصبهان منها القاضى أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن جرير بن سويد الدشتى. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفيه قلعت الزينة، وخرج يَلْبُغَا السالمى على البريد إلى الأمير نعير.

وفى هذا الشهر: هجم الفرنج على ناحية نَسْتَراوه(١) فى أربعة غربان، وسبوا ونهبوا، وأقاموا ثلاثة أيام.

وفى تاسع عشرينه: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وافقه سادس عشر مسرى فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم رسل متملك دهلك(٢) بفيل وزرافة، وعدة من الجوارى والخدم، وغير ذلك.

وفى يوم الإثنين سادس عشر شوال: خرج المحمل إلى الحجاز مع الأمير سيف الدين فارس من قطلو شاه، أحد أمراء الطبلخاناه.

وفيه ابتدأ الناس فى العمارة على الكبش، فبنوا الدور والأصطبل.

وفى تاسع عشره: قدم رسول الملك الظاهر مَجْد الدين عيسى - صاحب ماردين - بأن تَيْمُور لنك أخذ تبريز، وبعث إليه يستدعيه إلى عنده بها، فاعتذر بمشاورة السلطان مصر، فلم يقبل منه وقال: «ليس لصاحب مصر عليك حكم، ولأسلافك دهر بهذا الأقليم»، وأرسل إليه خلعة، وصكة ينقش بها الذهب والدنانير.

وفيه قدم رسول صاحب بسطام(٣) بأن تيمور قتل شاه منصور متملك شيراز(٤)، وبعث برأسه إلى بغداد، وبعث بالخلعة والصكة إلى السلطان أحمد(٥) بن أويس متملك

---

(١) نستراوه بلدة كانت واقعة غربى البرلس على الساحل الرملى الفاصل بين البحر المتوسط وبين بحيرة البرلس التى كانت تسمى قديما بحيرة نسترو.

(٢) دهلك: جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون،وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبلاً عاليًا يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه نارًا فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس. انظر معجم البلدان ٢/٤٨٠، والروض المعطار ٢٤٤، وابن خلكان ٦/٣٠٠، وتقويم البلدان ٣٧١.

(٣) بسطام بالكسر ثم السكون بلدة. كبيرة بقومس، على جاد الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. انظر معجم البلدان ١/٢١٨، والروض المعطار ١١٤، والكرخى ١٢٤.

(٤) شيراز بالكسر ثم السكون من قرى سرخس شبيهة بالمدينة بينهما مسيرة يومين للجمال.انظر معجم البلدان ٣/٣٨٢.

(٥) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى غياث الدين آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد. مغولى الأصل مستعرب. كان أسلافه من رجال جنكيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى جده=

بغداد، فلبس الخلعة وضرب الصكة. ثم أن تيمور مَلَكَ بغداد فى يوم السبت حادى عشرينه، وذلك أن ابن أويس كان قد أسرف فى قتل أمراء دولته، وبالغ فى ظلم رعيته، وانهمك فى الفجور، فكاتب أهل بغداد[١] تيمور، بعد استيلائه على تبريز[٢]، يحثونه على المسير إليهم، فتوجه إليها بعساكره حتى بلغ الدربند، وهو عن بغداد مسيرة يومين. فبعث إليه ابن أويس بالشيخ نور الدين الخراسانى، فأكرمه تيمور وقال: «أنا أترك بغداد لأجلك». ورحل يريد السلطانية، فبعث الشيخ نور الدين كتبه بالبشارة إلى بغداد، وقدم فى إثرها. وكان تيمور قد سار يريد بغداد من طريق آخر فلم يشعر ابن أويس - وقد اطمأن - إلا تيمور قد نزل غربى بغداد، قبل أن يصل إليها الشيخ نور الدين، فدهش عند ذلك ابن أويس وأمر بقطع الجسر، ورحل بأمواله وأولاده وقت السحر من ليلة السبت المذكور. وترك البلد، فدخل إليها تيمور، وأرسل ابنه فى إثر ابن أويس، فأدركه بالحلة[٣]، ونهب ماله، وسبى حريمه، وقتل وأسر كثيرًا ممن معه. ونجا ابن أويس فى طائفة، وهم عراة. فقصد حلب، وتلاحق به من تبقى من أصحابه.

وفى عشية يوم الجمعة عشرينه - وهو أول توت - : أمطرت السماء بالقاهرة مطرًا غزيرًا، حتى خاض الناس فى المياه، وهذا من غريب ما يحكى.

=الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز. انظر تاريخ العراق ٢/٣٠٥ والضوء اللامع ٢٤٤١ والبدر الطالع ١/٢٢ والأعلام ١/١٠٢.

(١) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. قال ابن الأنبار أصل بغداد للأعاجم. انظر معجم البلدان ١/٤٥٦، ٤٦٧، وفى الروض المعطار بغداد: دار مملكة خلفاء بنى العباس، وفيها أربع لغات: بغداد بدالين مهملتين، وبغداذ معجمة الأخيرة، وبغدان بالنون، ومغدان بالميم بدلاً من الباء، وتذكر وتؤنث. قالوا: وبغداذ بالفارسية عطية الصنم لأن بغ صنم وداذ عطية، ولذلك كره الأصمعية هذه التسمية، وكانت قرية من قرى الفرس فأخذها أبو جعفر غصبًا فبنى فيها مدينة وقال الجرجانى: باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر، وداذ: معطى، فمعناه معطى البستان، وسميت مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام فقيل بغداد مدينة السلام، وكان بعضهم يسميها الصيادة لأنها تصيد قلوب الرحال. انظر الروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ومعجم ما استعجم ١/٢٦١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨، وتاريخ بغداد ١/٢٥ - ١٢٧.

(٢) تبريز بكسر أوله وسكون ثانيه أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة. انظر معجم البلدان ٢/١٣، والروض المعطار ١٣٠.

(٣) الحلة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله، وبها أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية، وهى قوية التجارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخل داخلاً وخارجًا. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٤، والروض المعطار ١٩٧، ابن بطوطة ٢٢٠.

وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة: قدم البريد بأخذ تيمور بغداد.

وفى رابعه: قدم البريد بنزول ابن أويس الرحبة، فى نحو ثلاثمائة فارس. وقدم كتابه وكتاب الأمير نعير، فأجيب أحسن جواب، وكتب بإكرامه والقيام بما يليق به، وتوجه إليه الأمير نعير، فعندما عاين ابن أويس نزل وقبل الأرض، وسار به إلى بيوته، وأضافه. ثم سيره إلى حلب، فقدمها ومعه أحمد شكر، ونحو الألفى فارس، فأنزله الأمير جُلْبان نائب حلب بالميدان، وقام له بما يليق به. وكتب مع البريد إلى السلطان بذلك، وتشفع فى الأمير نعير، وفى شكر أحمد. وكتب أيضا ابن أويس يستأذن فى القدوم، فجمع السلطان الأمراء للمشورة فى أمر ابن أويس، فاتفقوا على إحضاره، وأن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أَزْدَمُر ومعه ثلاثمائة ألف درهم فضة وألف دينار، برسم النفقة على ابن أويس.

وفى رابع عشرينه: ركب السلطان إلى مطعم الطيور خارج القاهرة، وعاد من يومه.

وفى سادس عشرينه: توجه الأمير أزدمر على البريد؛ لإحضار ابن أويس.

وفيه سلم الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر إلى والى القاهرة، فضربه بالمقارع، وبالغ فى إهانته، وأخرجه نهارا على حمار، وفى عنقه الحديد، وثيابه مضمخة بالدماء، فترامى على الناس، وطرح نفسه على الأبواب، يسأل شيئا يستعين به فى مصادرته.

وفيه قدمت رسل أبى يزيد بيك، بن مراد بيك، بن عثمان، متملك الروم، مع الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، بهدية سنية، منها باز أبيض، وسأل الرسل تجهيز طبيب من أطباء القاهرة إلى ابن عثمان ليداويه من مرض به، فتعين الطبيب شمس الدين محمد بن محمد الصغير، وجُهز وأعطى من الأدوية والعقاقير ما يحتاج إليه ابن عثمان.

وأما تيمور فإنه لما مَلَك بغداد صادر أهلها ثلاث مرات فى كل مرة منهم ألف تومان، وخمسمائة تومان وكل تومان مبلغ ثلاثين ألف دينار عراقية، والدينار العراقى بقدر درهم مصر الفضة، حتى أفقرهم كلهم. وكان جملة ما أخذ منهم نحو مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم، بعد أن تنوع فى عقوبتهم، وسقاهم الملح والماء، وشواهم على النار، ولم يبق لهم ما يستر عوراتهم. وصاروا يخرجون فيلتقطون الخرق من الطرقات حتى تستر عوراتهم وتغطى رءوسهم. ثم إنه بعث ابنه إلى الحلّة، فوضع فى أهلها السيف يوما وليلة، وأضرم فيها النار حتى احترقت، وفنى معظم أهلها. ويقال

إنه قتل فى العقوبة من أهل بغداد ثلاثة آلاف نفس. وبعث تيمور من بغداد العساكر إلى البصرة، فلقيهم صاحبها الأمير صالح بن جولان، وحاربهم وأسر ابن تيمور، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، فبعث إليه عسكرا آخر فى دجلة، فظفر بهم صالح أيضا.

وفيه قدم الخبر من الحجاز بأن جماز[١] بن هبة حصر المدينة النبوية، فقاتله ابن عمه الشريف ثابت بن نعير، وقتل بينهما جماعة.

وفى أول ذى الحجة: أفرج عن صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر وقد بقى عليه مما ألزم به شىء، وكان الذى صودر عليه مبلغ خمسين ألف درهم.

وفى خامس عشره: استقر فى نظر الإصطبلات.

وفى سادس عشره: توجه السلطان إلى منزلة سرياقوس[٢] على العادة.

وفيه قدم البريد بأن الأمير يونس نائب الكرك[٣] ركب ليأخذ غنما للعشير، فلما أحاط بها، وقبض على عشرة من العشير، ثاروا به وقتلوه. وكان قد خرج إليهم بغير عسكر، ليس معه إلا عشرة مماليك.

وفى ثامن عشره: أخرج شكر باى العثمانى، أميرًا بحلب.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأنه لم يحضر أحد من حاج العراق[٤].

وفى تاسع عشرينه: أمر فى القاهرة ومصر بتجهيز الناس للسفر لقتال تيمور لنك، فإنه قصد أخذ البلاد، وقتل العباد، وهتك الحريم، وقتل الأطفال، وأحرق الديار، فاشتد بكاء الناس، وعظم خوفهم، وكان من الأيام الشنعة.

وفيه قدم الخبر بأن أربعة من رهبان النصارى خرجوا بمدينة القدس، ودعوا الفقهاء لمناظرتهم، فلما اجتمع الناس لهم جهروا بالسوء من القول، وصرحوا بذم الملة

---

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير فكان عبرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل فى تاريخ المدينة والأعلام ١٢٣/٢.

(٢) سرياقوس بليدة فى نواحى القاهرة. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) انظر معجم البلدان ٤٥٢/٤.

(٤) العراق. انظر معجم البلدان ٩٣/٤.

الإسلامية، والأزراء على القائم بها، وأنه كذاب وساحر وما الحق إلا فى دين عيسى، فقبض عليهم وقتلوا وحرقوا بالنار، فكان من الأيام المشهورة بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن طشتمر الدوادار، فى خامس رمضان، بالإسكندرية.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن الضياء محمد بن إبراهيم المناوى الشافعى، شيخ الجاولية، وأحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مخلوف الحنفى، نقيب القضاة الشافعية، فى عشرين رجب.

ومات الأديب الشاعر زين الدين أبو بكر عثمان بن العجمى، فى سادس عشر ذى الحجة.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد بن مراد الخازن، دوادار السلطان، فى سلخ جمادى الآخرة، وحضر السلطان جنازته.

ومات الحاج صبيح الغواصى، مهتار الطشتخاناه، بعدما أسنَّ وطالت عطلته، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسى القبطى، فى رابع شعبان، ودفن بجامع المقس الذى جدده على الخليج.

ومات علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن شاكر بن الغنام، ناظر البيوت، فى ثامن ربيع الأول، وكان حشما.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد الأرزنكانى الدوادار، وكان عفيفًا عاقلا عارفا يكتب الخط المليح، ويشارك فى عدة علوم.

ومات شهاب الدين أحمد بن صالح الزهرى، الفقيه الشافعى، بدمشق.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد الأقفهسى، الفقيه الشافعى، فى ثانى عشرين شوال، قرأ على الكمال النشائى، وبرع فى الفقه، وأفتى ودرس بالجامع الخطيرى وغيره، وناب فى الحكم بالقاهرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن سبع، الفقيه الشافعى، بعدما خرف وقارب المائة سنة، فى سادس عشرين رمضان، عن غير وارث.

ومات الأمير سيف الدين قُطلوبغا الأسنقجاوى، ويقال له أبو درقة، كاشف الوجه البحرى.

ومات الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى فى ليلة الأربعاء سادس ربيع الآخر، وقد درس بالمدرسة الظاهرية المستجدة وغيرها، وأفتى وتعين لقضاء الحنابلة بالقاهرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين آقبغا آص شاد الدواوين، فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوال، وهو من بيت الإمارة، وأُنعم عليه فى حياة أبيه - أيام الملك الأشرف[١] شعبان بن حسين - بإمرة طبلخاناه. ثم لما سخط الملك الأشرف على أبيه وأخذت منه الإمرة، وتعطل، وعق أباه. وحكيت عنه فى عقوقه أمور شنعة، ثم سافر إلى اليمن وعاد إلى القاهرة، وولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وصودر وعوقب عقوبة شديدة، وكان من شرار الخلق والمتجاهرين بالمنكر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أشقتمر الخوارزمى - والى قطيا - هو وأبوه، مات فى [......][٢].

ومات الطواشى زين الدين مُقبْل الرومى الشهابى شيخ الخدام بالحرم النبوى. أصله من خدام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل[٣] بن محمد بن قلاوون، وجانداره. وتنقل

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، تاج الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤ هـ وقام بأمور الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا (قاتل عمه الناصر)، خلع ابن عمه محمد المنصور بن حاجى فى أيامه (سنة ٧٦٧ هـ) أغار الإفرنج بقيادة صاحب قبرص على الإسكندرية فى سبعين مركبًا وظلوا زهاء أسبوع يقتلون الرجال، ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٨٧ وجاء فيه ٨٠٨ من خطأ الطبع وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ - ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح بن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٤٣هـ) وكانت أمور الدولة مختلة فأصلحها وحسنت سيرته. قال ابن إياس: كان خيار أولاد الملك الناصر محمد له بر ومعروف على جهات الخير استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر بدائع الزهور ١٨١/١ وروض المناظر -خ والبداية والنهاية ٢٠٢/١٤٠ - ٢١٦ والنجوم الزاهرة ٧٨/١٠ والدرر الكامنة ٣٨٠/١ والأعلام ٣٢٤/١.

فى الخدم، واختص بالأمير شيخو العمرى، وخدم السلطان حسن بن[١] محمد. ثم حج وجاور بالمدينة النبوية، وخدم الحجرة الشريفة فى جملة الخدام، وصار ينوب عن الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى شيخ الخدام، حتى مات، فولى بعده المشيخة إلى أن مات بالمدينة الشريفة فى [...[٢]...].

ومات قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانى الحنبلى، ولد قريبا من سنة عشرين وسبعمائة، وبرع فى الفقه والحديث والعربية والأصول والميقات، وناب فى الحكم بالقاهرة عن الموفق عبد الله الحنبلى نحو العشرين سنة. ثم ولى قضاء القضاة بعده فى محرم سنة تسع وستين، حتى مات ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان، وكان من خيار المسلمين.

ومات نجم الدين محمد بن جماعة خطيب القدس، فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة، بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر.

ومات سعد الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضايل الميمونى القبطى، كاتب العرب، ومباشر ديوان الجيوش.

وتوفى الشيخ المسلك عبد الرحمن بن [......][٣] الشريشى، أحد مريدى الشيخ يوسف العجمى[٤] فى [......] [٥].

* * *

(١) حسن (الناصر بن محمد الناصر) ابن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر، صغيرًا، بعد مقتل أخيه حاجى المظفر، سنة ٧٤٨ هـ وكان اسمه قمارى الدولة الأمير فلما ولى السلطنة تسمى «حنا» وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة ووزعت العطايا باسم الناصر. انظر ١٩٠ ، ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤ - ٢٧٨ و٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكردى الكورانى ويعرف بالعجمى: متصوف كانت له زاوية مشهورة فى قرافة مصر وعدة زوايا فى بلدان مختلفة وللناس فيه اعتقاد عظيم. له رسالة فى شرائط التوبة ولبس الخرقة، سماها «ريحانة القلوب فى التوصل إلى المحبوب - خ» و«بديع الانتفات بشرح القوافى الثلاث - خ» فى جامعة الرياض. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٤٦٣ وابن قاضى شهبه - خ ٢/١٣١، ٧/٢٢٧ وجامعة الرياض ٥: ١١٢ والأعلام ٨/٢٤٠.

(٥) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة ست وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: والسلطان بقصور سرياقوس، وعساكره معه، ففى رابعه عاد إلى القلعة.

وفى سادسه: قبض على فرج شاد الدواوين، وألزم بمال.

وفى سابعه: استقر فى نيابة الكرك الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على أحد أمراء دمشق.

وفى ثامنه: أفرج عن أمير فرج، وبقى فى وظيفة شد الدواوين، بعد التزامه بمائتى ألف درهم فضة.

وفى تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد من يومه.

وفى عاشره: قدم الحاج محمد وزير ماردين على البريد بأن الأكراد قد دخلوا فى طاعة تيمور لنك.

وفى حادى عشره: نفى الأمير قُنُقْباى إلى القدس.

وفى ثانى عشره: نزل السلطان وعدى إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد فى يومه.

وفى سادس عشره: ركب إلى المطرية، وتصيد بطنان، وعاد.

وفى ثامن عشره: عدى إلى بر الجيزة، وعاد فى الغد.

وفيه استقر خليل الجشارى فى ولاية قطيا، وعزل أحمد الأرغونى.

وفى ثالث عشرينه: قدم المحمل بالحاج.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان وتصيد، وعاد من يومه، وركب من الغد، وتصيد بالجيزة، وعاد فى ثامن عشرينه، وكان البريد قد ورد بحضور رسل تيمور لنك بهدية إلى أول حدود المملكة، فكتب بقتلهم، فلما كان سلخه، قدمت رسل النواب بهدية تيمور لنك وهى: تسعة مماليك، وتسع جوارى وغير ذلك، فوجد من جملة المماليك ابن وزير بغداد، وابن قاضيها، وابن محتسبها، وليس فيهم سوى مملوك واحد، فتركهم لحالهم، وتزى ابن القاضى بزى الفقهاء.

وفى يوم السبت أول صفر: ابتدأ الأمير سودن النائب بعرض أجناد الحلقة، ثم أبطله.

وفى ثالثه: ركب السلطان للصيد ببركة الحاج، وعاد.

وفى خامسه: تولى الأمير قلمطاى الدوادار عرض أجناد الحلقة بدار الأمير سودن النائب، وألزم أرباب الأخباز الثقيلة العبرة، الكثيرة المتحصل، بالسفر إلى قتال تيمور، واستمر العرض أربعة أيام فى الأسبوع وهى: السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء.

وفى سادسه: ركب السلطان وتصيد ببركة الحاج، ودخل إلى القاهرة من باب القنطرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وركب إلى الجيزة فى ثامنه، وعاد فى عاشره.

وفيه استقر حسن بن قراجا فى ولاية قطيا، بعد وفاة الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان وتصيد بالبركة، وعاد وركب فى سابع عشره إلى الجيزة. وعاد فى تاسع عشره وركب فى ثانى عشرينه إلى الصيد بالبركة وعاد.

وفى رابع عشرينه: خرج المطبخ إلى لقاء ابن أويس.

وفى خامس عشرينه: استقر شمس الدين محمد[1] بن الدميرى فى نظر الأحباس، بعد وفاة تاج الدين محمد المليجى، واستقر زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى - موقع الدست- فى نظر الخزانة، عوضا عن المليجى.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان للصيد بالبركة، وعاد. وركب فى تاسع عشرينه إلى الصيد بالجيزة، وعاد فى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول.

وفى خامسه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة.

وفى سابعه: ركب السلطان وتصيد بالبركة وعاد.

وفى حادى عشره: انتهى عرض أجناد الحلقة.

وفى ثانى عشره: نودى بالقاهرة ومصر أن من عرض على النائب والدوادر من أجناد الحلقة وتعين للسفر، فليحضر للعرض على السلطان فى يومى الخميس والإثنين.

وفيه طرحت البضائع على التجار، وأخرج القمح من الأهراء، لعمل البشماط برسم السفر.

---

(١) محمد بن موسى بن عسيى بن على الدميرى، أبو البقاء باحث وأديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميره (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة أقبل على العلم وأفتى ودرس وكان له (النجم الوهاج - خ). انظر الفوائد البهية ٢٠٣ وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ وكشف الظنون ٦٩٦ والأعلام ١١٨/٧.

وفى ثالث عشره: نودى على أجناد الحلقة أيضا بالعرض على السلطان وفيه قدم البريد بأخذ تيمور لنك قلعة تكريت[١]، وتخريبها وقتل من بها.

وفيه خرج عدة من الأمراء لملاقاة القان غياث الدين أحمد بن أويس.

وفى رابع عشره: استقر موسى بن على - شاد دواليب الخاص - فى ولاية البهنسا، وعزل قرطاى.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: نزل السلطان إلى لقاء ابن أويس فى جميع العساكر، وقعد بمسطبة مطعم[٢] الطيور من الريدانية خارج القاهرة إلى أن قرب منه ابن أويس، ونزل عن فرسه عدة خطوات، فمشى إليه الأمير بدخاص حاجب الحجاب، ومن بعده الأمراء للسلام عليه، والأمير بدخاص يعرفه اسم كل أمير ووظيفته، وهم يقبلون يده حتى أقبل الأمير أحمد بن يلبغا، فقال للأمير بدخاص: «هذا ابن أستاذ السلطان». فعانقه ابن أويس، و لم يدعه يقبل يده. ثم جاء بعده الأمير بكلمش أمير سلاح فعانقه أيضا، ثم بعده الأمير الكبير أيتمش رأس نوبة فعانقه، ثم الأمير سودن النائب فعانقه، ثم الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر، فعانقه. وانقضى سلام الأمراء، فقام عند ذلك السلطان ونزل عن المسطبة، ومشى نحو العشرين خطوة، وهرول ابن أويس حتى التقيا، فأومأ ابن أويس لتقبيل يد السلطان فلم يمكنه وعانقه، وبكيا ساعة. ثم مشيا، والسلطان يطيب خاطره، وبعده يعوده إلى ملكه، ويده فى يده، حتى صعدا إلى المسطبة، وجلسا معا على البساط من غير كرسى وتحادثا طويلا. ثم قدم قباء من حرير بنفسجى بفرو فاقم، وطرز ذهب عريضة، فألبسه ابن أويس. وقدم له فرسا من الخيل الخاص، بسرج وكنفوش، وسلسلة من ذهب، فركبه من حيث يركب السلطان، وركب السلطان بعده. وسارا يتحادثان، والأمراء والعساكر سائرة ميمنة وميسرة، وتارة يتقدم السلطان حتى يحجب ابن أويس، إلى أن قربا من القلعة، وقد خرج معظم

---

(١) تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هى من كور الموصل، من سرَّ من رأى إلى تكريت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جملية الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل، ودجلة منها فى جوفها ولها قلعة حصينة على الشط هى قصبتها المنيعة ويطيف بالبلد سور، وهى من المدن العتيقة وهى على شاطىء دجلة من الجانب الغربى ينزلها قوم يقال لهم الجرامقة وبها تجار مياسير، ومن تكريت يشق نهر دجيل - الآخذ من الدجلة - فيشق ربضها ويمر إلى سواد سرّ من رأى فيعبره إلى قرب بغداد. انظر الروض المعطار ١٣٣، ١٣٤.

(٢) يقصد مطعم طيور الصيد وكان يقع فى الشمال الشرقى لخانقاة السلطان برقوق فى صحراء الريدانية. انظر أبو المحاسن: حوادث الدهور ٣٨٠.

الناس لمشاهدة ابن أويس، فكان يوما مشهودًا. وعندما ترجل العسكر على العادة، صار ابن أويس مواكبا للسلطان، حتى بلغا حد موضع الطبلخاناه، أومأ إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أعده له على بركة الفيل، وجدد عمارته وزخرفته وملأه بالفرش والآلات، فسار إليه وجميع الأمراء فى خدمته، وصعد السلطان إلى القلعة. فلما دخل ابن أويس إلى منزله ومعه الأمراء، مد الأمير جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطا[1] جليلا فأكل وأكل معه الأمراء، وانصرفوا. فبعث إليه السلطان مائتى ألف درهم فضة، ومائتى قطعة قماش سكندرى، وثلاثة أفراس بقماش ذهب، وعشرين مملوكا حسانا، وعشرين جارية. فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس وثقله.

وفى ثامن عشره: استقر محمد الضانى واليا بأشموم[2] الرمان، عوضا عن محمد بن غرلوا.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: عمل السلطان الخدمة بالإيوان المعروف بدار العدل، على العادة. وصعد القان أحمد بن أويس إلى القلعة ليحضر الخدمة بالإيوان. وعبر من باب الجسر الذى يقال له باب السر، وجلس تجاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة، ومضى به إلى القصر فأخذه السلطان. وخرج به إلى الإيوان وأقعده رأس الميمنة فوق الأمير الكبير كمشبغا الأتابك. فلما قام القضاة ومد السماط قام الأمراء على عادتهم، فهمّ ابن أويس بالقيام معهم ووقف، فأشار له السلطان فجلس حتى فرغ الموكب. ولما انقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر، وحضر خدمة القصر أيضا، ثم خرج، والأمراء بين يديه حتى ركب، وقدامه جاويشيته، ونقيب جيشه، فسار الأمراء بخدمته إلى منزله.

وفيه علق الجاليش بالطبلخاناه، إشارة للسفر، فشرع الناس فى التجهيز.

وفى حادى عشرينه: ركب السلطان ومعه ابن أويس إلى مدينة مصر، وعديا النيل إلى بر الجيزة، ونزلا بالخيام ليتصيدا.

وفيه قبض على الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، وعلى ولده تاج الدين عبد الله، وجماعة من المباشرين وسلموا لشاد الدواوين.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من حلب برجل تترى، يقال له دولات خجا، مقيد بالحديد، من أصحاب تيمور لنك، قبض عليه سالم الذكر.

(١) السماط موائد الطعام. انظر المعجم الوجيز.

(٢) انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

وفيه قدم السلطان من الصيد إلى القلعة.

وفى خامس عشرينه: عرض التترى على السلطان، فسأله عن أشياء فلم يعترف، فسلم لوالى القاهرة ليعاقبه، فأقر أن بالقاهرة عدة جواسيس، قبض على سبعة أنفس، ما بين تجار وغيرهم من العجم.

وفيه أفرج عن ابن البقرى وولده، على حمل خمسين ألف درهم، وعن بقية المباشرين على مائة ألف درهم.

وفى تاسع عشرينه: استقر محمد بن صدقة بن الأعسر فى ولاية منوف.

وفى سلخه: قدم البريد من حلب بتوجه الأمير ألطنبغا الأشرفى، والأمير دقماق بعسكر من حلب إلى الرها، ومواقعتهم طلايع تيمور لنك، وهزيمتهم بعد أن قتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة، وعودهم إلى حلب بمائة رأس من التمرية، وعدة من المأسورين.

وفيه استقر أسنبغا السيفى فى ولاية قليوب، وعُزل محمد بن مؤمن الشمسى.

وفيه ألزم سائر مباشرى ديوان الخاص والدولة ومباشرى الأمراء بإحضار البغال من كل منهم، أو أخذ ثمن البغلة على قدر حال كل أحد، فوقع الشروع فى ذلك.

وفيه أفرج عن المماليك المعتقلين فى البرج بالقلعة، و لم يتأخر سوى الشريف عنان ومملوك واحد من الجوبانية[1]، يقال له أسنبغا.

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: حمل الأمير جمال الدين محمود الأستادار السلاح على ثمانمائة حمال، فيه ثلاثمائة لبس كامل للفارس وفرسه.

وفيه ابتدئ بالنفقة فى المماليك لكل واحد من المشتراوات مبلغ ألفى درهم، ولكل واحد من المستخدمين ألف وسبعمائة درهم، وعدتهم خمسة آلاف، فبلغت النفقة فى المماليك خاصة عشرة آلاف ألف درهم فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به الإقامات.

وفيه قدم كتاب تيمور لنك يتضمن الإرعاد والإبراق، وينكر قتل رسله، ونصه: «﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا

---

(١) الجوبانية من قرى مرو ويسمونها كوبان نسبة إلى جماعة. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

كَانُوا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ﴾[(١)]. اعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه، مسلطون على من حل عليه غضبه، لا نرق لشاكى، ولا نرحم باكى، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، ومن جهتنا. فقد خربنا البلاد وأيتمنا الأولاد، وأظهرنا فى الأرض الفساد، وذلت لنا أعزتها، وملكنا بالشوكة أزمتها، فإن خيل ذلك على السامع وأشكل وقال إن فيه عليه مشكل، فقل له: **﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾**[(٢)]، وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا، فخيولنا سوابق، ورماحنا خوارق، وأسنتنا بوارق، وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال، وجيوشنا كعدد الرمال، ونحن أبطال، وأقيال، وملكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، وعزنا أبدا بالسؤدد مقام، فمن سالمنا سلم، ومن رام حربنا ندم، ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل، وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منا، مع تشييدها لا تمنع، والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا، ولا يسمع، وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام، وضيعتم جميع الأنام، وأخذتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الحكام، وأعددتم لكم النار، وبئس المصير، **﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**[(٣)]. فلما فعلتم ذلك وأردتم أنفسكم موارد المهالك. وقد قتلتم العلماء، وعصيتم رب الأرض والسماء، وأرقتم دم الأشراف، وهذا والله هو البغى والأسراف، فأنتم بذلك فى النار خالدون، وفى غد ينادى عليكم **﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾**[(٤)] **﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُوْنَ﴾**[(٥)] فأبشروا بالمذلة والهوان، يا أهل البغى والعدوان، وقد غلب عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا أنكم والله الكفرة الفجرة. وقد سلطنا عليكم إله له أمور مقدرة، وأحكام مدبرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكثيركم لدينا قليل؛ لأننا ملكنا الأرض شرقا وغربا، وأخذنا منها كل سفينة غصبا. وقد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء، وتضرم الحرب نارها، وتضع أوزارها، وتصير كل عين عليكم باكية، وينادى منادى الفراق: هل ترى لهم من باقية؟، ويسمعكم صارخ الغناء، بعد أن يهزكم هزا، **﴿هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ**

---

(١) سورة الزمر آية ٣٩.

(٢) سورة النمل آية ٣٤.

(٣) سورة النساء آية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف آية ٢٠.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٣.

﴿تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[١]، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين، وتعصوا رب العالمين، فما على الرسول إلا البلاغ المبين. وقد أوضحنا لكم الكلام، فأسرعوا برد جوابنا، والسلام».

فكتب جوابه بعد البسملة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ * وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء * وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ * وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[٢]، حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية، ونزعاتكم الشيطانية، فكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنابية، وسيرة الكفرة الملاكية، وأنكم مخلوقون من سخط ا لله، ومسلطون على من حل عليه غضب ا لله، وأنكم لا ترقون لشاك، ولا ترحمون عسيرة باك، وقد نزع ا لله الرحمة من قلوبكم، فذاك أكبر عيوبكم، وهذه من صفات الشياطين، لا من صفات السلاطين، ويكفيكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُمْ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾[٣]، ففي كل كتاب لعنتم، وعلى كل لسان كل مرسل نعيتم، وبكل قبيح وصفتم، وعندنا خبركم من حين خرجتم، إنكم كفرة، ألا لعنة ا لله على الكافرين، من تمسك بالأصول فلا يبالى بالفروع، نحن المؤمنون حقا، لا يدخل علينا عيب ولا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، وعلمنا ببركته تأويله. فالنار لكم خلقت، ولجلودكم أضرمت، إذا السماء انفطرت. ومن أعجب العجب تهديد الرتوت[٤] بالتوت، والسباع بالضباع، والكماة بالكراع. نحن خيولنا برقية، وسهامنا عربية، وسيوفنا يمانية، وليوثنا مضرية، وأكفنا شديدة المضارب، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة. ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ا للهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ ا للهُ مِنْ فَضْلِه * وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ * أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ا للهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ا للهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾[٥]. وأما قولكم قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالقصَّاب لا يبالى بكثرة الغنم، وكثير الحطب يفنيه القليل من الضرم، ﴿فَكَمْ مِنَ فِئَةٍ قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ

---

(١) سورة مريم آية ٩٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

(٣) سورة الكافرون آية ٤.

(٤) الرتوت ومفردها الرت هم الرؤساء من الرجال فى الشرف والعطاء فيقال هؤلاء رتوت البلد. انظر لسان العرب.

(٥) سورة آل عمران آية ١٩٦.

ا لله * وا لله مَعَ الصَّـابِرِيْن﴾(١). الفـرار الفـرار مـن الرزايـا وحلـول البلايـا. واعلمـوا أن هجوم المنية عندنا غاية الأمنية، وإن عشنا عشنا سـعداء، وإن قتلنـا قتلنـا شـهداء، ألا إن حزب ا لله هم الغالبون. أبعد أمير المؤمنين وخليفـة رب العـالمين تطلبـون منـا طاعـة؟ لا سمع لكم ولا طاعة، وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبـل أن ينكشـف الغطـاء، ففـى نظمـه تركيك، وفى سلكه تلبيك، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفر بعد إيمـان؟ أم اتخذتم إلها ثان؟ وطلبتم مـن معلوم رأيكـم أن نتبـع ربكـم، ﴿لَقَدْ جِئْتُـمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتَنْشَقُّ الأَرْض وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾(٢)، قل لكاتبك الـذى وضـع رسالته، ووصف مقالته: وصل كتابك كضرب رباب، أو كطنين ذباب. كـلا سـنكتب ما يقول، ونمد له من العذاب مدا، ونرثه ما يقول إن شـاء ا لله تعـالى. ﴿وَسَـيَعْلَمُ الَّذِيـنَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلبٍ يَنْقَلِبُون﴾(٣). لقد لبكتم(٤) فى الذى أرسلتم. والسلام».

وفـى سادسـه: عـرض السـلطان أجنـاد الحلقـة الذيـن عينـوا للسـفر، واختـار منهـم أربعمائة فارس للسفر معه، وعرض رأس نوبة الأجناد البحرية، وعين منهم مائتى فـارس للسفر.

وفى سابعه: خرجت مدورة(٥) السلطان، ونصبت بالريدانية خارج القاهرة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: عقد السلطان على الخاتون تندى، بنت حسين بن أويـس، ابنة أخى القان أحمد بن أويس، ومبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار، صـرف الدينـار يومئـذ ستة وعشرون درهما، ونصف درهم، وبنى عليها فى ليلة الخميس عاشره.

وفيه نزل السلطان من القلعة إلى الإصطبل، وخـرج مـن بـاب السلسـلة بالرميلـة(٦)، وقد وقف القان أحمد بن أويس وجميـع الأمـراء وسـائر العسـاكر، وقـد لبسـوا للحـرب ومعهم أطلابهم، فسار السلطان وعليه قرقل(٧) بغير أكمام، وكلفته علـى رأسـه، وتحتـه فرس بعرقية من صوف سمـك إلى بـاب القرافـة، والعسـاكر قـد مـلأت الرميلـة، فرتـب بنفسه أطلاب الأمراء، ومر فـى صفوفهـم عـودا وبـدءا، حتـى ترتبـت أحسـن ترتيـب،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

(٢) سورة مريم آية ٩٠.

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

(٤) التبك: الأمر الذى اختلاط والتبس واللبك الخلط. انظر لسان العرب.

(٥) مدورة السلطان أى خيمته الكبيرة الخاصة به والتى تنصب له فى الأسفار.

(٦) الرميلة: من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٧) القرقل: الثوب الذى لا أكمام له.

ومضى إلى قبر الإمام الشافعى فزاره، وتصدق على الفقراء. وسار إلى مشهد السيدة نفسية، فزاره وتصدق وعاد إلى الرميلة. وأشار إلى الطلب السلطانى فسار إلى الريدانية فى أعظم قوة، وأبهج زى، وأفخر هيئة، وجر فيه مائتى جنيب من عتاق الخيل، عليها من الأسلحة والذهب ما يقصر الوصف عن حكايته. وسار فى موكب تهتز له الأرض، وإلى جانبه ابن أويس على فرس بقماش ذهب، وبجانب ابن أويس الأمير كمشبغا الأتابك. وتبع العساكر من ورائها طلب الأمير كمشبغا، ثم طلب الأمير قَلَمْطاى الدوادار، ثم أطلاب بقية الأمراء، فكان يوما لم ير مثله، وقد حشر الناس فى كل موضع، ونزل السلطان، وابن أويس بالمخيم من الريدانية.

وفى رابع عشره: أعيد بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف الصدر محمد المناوى، ودخل من الريدانية إلى القاهرة، ومعه من الأمراء تغرى بردى رأس نوبة، وقَلَمطاى الدوادار، وآقبغا اللكاش رأس نوبة، فى آخرين وعليه التشريف.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت التركمانى فى الوزارة. وعزل الموفق أبو الفرج. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، عوضا عن بدر الدين محمد بن الأقفهسى. واستقر الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن غنام فى نظر البيوت على عادته. واستقر الصاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى استيفاء الدولة شريكا للصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، ودخل الجميع القاهرة بالخلع.

وفى سابع عشره: قبض على الشريف محمود العُنّابى؛ وذلك أنه كان من العنابة خارج دمشق، فتوصل إلى السلطان وهو بها، وجاراه فى أمور من المغيبات صادف وقوعها. وكان السلطان له تطلع إلى ذلك، فأكرمه، وقدم به معه إلى القاهرة، وأجرى عليه ألف درهم فضة فى كل شهر، وصار إذا حضر مع القضاة يجلسه فوقهم بجانبه.

فلما كان يوم الثلاثاء خامس عشره: بعث الأمير شرف الدين موسى بن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى من خزانة شمايل ورقة إلى الأمير علاء الدين على ابن الطبلاوى والى القاهرة، وكان السلطان قد سخط على بنى عيسى وسجنهم بخزانة شمايل. فإذا فى الورقة أن الشريف العنابى بعث إليه أن يأمر عربانه بالنزول قريبًا من القاهرة ليملكها بهم فى غيبة السلطان فلم يقنع ابن الطبلاوى بهذا من ابن عيسى، وقال لقاصده: «إذا قيل هذا للشريف ينكره، لكن حصل إلىّ خطة بذلك» فسير إليه فى

يوم الخميس سابع عشره ورقة زعـم أنهـا مـن الشريف إليـه، وفيهـا: «إنـك ترسـل إلى عربان البحيرة، وعربان الصعيد بالركوب على الولاة والكشاف وقتلهـم، ونهـب البلاد ليشتغلوا عنا بأنفسهم، وابعث إلى عربك أن يكونوا بقرب القـاهرة، فـإذا عـدَّى الغريـم قطيا أركب أنا وأنت، ومعى خمسمائة مملوك، وتحضر عربانك وتأخذ القـاهرة، والنصر لنا إن شاء الله تعالى. وتولى الأمير شهاب الدين بن قايماز الأتابكية، وأتولى أنـا الخلافـة، ونفعل مـا ينبغى فعلـه». فقـام ابـن الطبـلاوى مـن وقتـه إلى الريدانيـة، وأوصـل الورقـة للسلطان، فكتم ذلك، وبعث يلبغا السـالمى ليحضـر العنـابى، فلـم يجـده، وقيـل هـرب، فألزم السلطان ابن الطبلاوى بتحصيله، فعاد إلى القاهرة، وبحث عنه حتى علـم أن خيلـه عند شهاب الدين أحمد بن قايماز، فأكمن عدة من ثقاته حتى قُبِضُوا على عبـد العنـابى، وضرب بالمقارع، حتى دله على أستاذه، فقبض عليـه، وعلـى ابـن قايمـاز، وحملهمـا إلى الريدانية، فأمر بعقوبتهما حتـى يعترفـا علـى مـن معهمـا علـى مـا قصـداه، فعـاد بهمـا، وسوط[1] العنابى فاعترف أن الورقة بخطه، ثم عصره ليقر على أحد، فلم يعترف بشـىء إلا أن معه طائفة من مماليك بركة، فأخذ خطه بذلك، وأن ابن قايمـاز معـه، فـأنكر ابـن قايماز، وحاققه العنابى، فتمادى فى الإنكار.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز بسبب أخيه أحمد.

وفيه نودى بحضور الأجناد البطالين إلى بيت الأمير قلمطاوى الدوادار؛ ليستخدموا.

وفى عشرينه: قبض ما وقع الاتفاق عليه من مال الأيتام، وذلك أن السلطان احتـاج إلى المال بسبب السفر، فسأل قاضى القضاة صدر الديـن محمـد المنـاوى أن يقرضـه مـن مال الأيتام، فامتنع كما امتنع من قرض منطاش. فلمـا سمع ذلـك البـدر محمـد بـن أبـى البقاء وجد سبيلا إلى ولايته، ووعد على عوده إلى القضاء بمال يقوم به هو، وأن يقـرض السلطان خمسمائة ألف وستين ألف درهم من مال الأيتام، فأجيب، واستقر كمـا ذكـر. ونزل إليه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب فى يومه هذا، وقبض المبلغ المذكور.

وفيه قرئ تقليد بدر الدين محمد بن أبى البقاء على العادة.

وفى حادى عشـرينه: قـدم الأمـير قَلَمْطـاى الـدوادار مـن الريدانيـة إلى داره لعـرض الأجناد البطالين، بعدما تكرر النداء عليهم مرارا، وتهديد من تأخر منهـم عـن العـرض. فإذا بهم قـد اجتمـع منهـم نحـو الخمسـمائة، فكتـب أسمـاءهم ثـم قـال لهـم: «أحضـروا

---

(١) سوط: ساطه سوطًا أسوطه أى ضربته بالسوط. انظر لسان العرب.

تراكيشكم[١] التى فيها القسى والنشاب، وأحضروا سيوفكم»، فتوجهوا لإحضار ذلك؛ طمعا منهم فى أنهم يأخذون النفقة، فما هو إلا أن حضروا بذلك، أحيط بهم. وكان قد أعد لهم والى القاهرة الحديد ليقيدوا به، فقبض على ثلاثمائة وسبعين منهم، وفر من بقى. وقتل ثلاثة أنفس، وجرح جماعة. وتسلم الوالى المقبوض عليهم فى الأغلال، ومضى بهم إلى خزانة شمايل، فسجنوا بها، وكان يوما مهولا من كثرة بكاء نسائهم وأولادهم.

وفيه قدم ولد الأمير نعير، ومعه محضر، بأن أباه أخذ بغداد وخطب بها للسلطان، فأُنعم عليه بتشريف.

وفيه أفرج عن الأمير ألطنبغا المعلم، وكتب بإحضاره من دمياط.

وفيه خلع على الأمير سودن النائب، وجعل مقيما بالقاهرة مدة الغيبة، وخلع على الأمير محمود الأستادار وولده، وعلى الأمير بجاس، وأُلزم بالإقامة فى القلعة، وخلع على برهان الدين إبراهيم المحلى التاجر، وشهاب الدين أحمد بن محمد[٢] بن مسلم، ونور الدين على بن الخروبى؛ لأنه اقترض منهم السلطان مبلغ ألف ألف درهم.

وفيه أفرج عن الأمير قُنُقْباى الأحمدى، وكتب بإحضاره من القدس إلى غزة، ورسم لمباشريه بتجهيز بَرْقه، وتعبئة طلبه.

وفى ثانى عشرينه: عرض الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى البطالين، الذين سجنوا بالخزانة، بدار الأمير محمود الأستادار وأفرج عن مائتى رجل منهم، ونفى ثلاثة وسبعين - كانوا غُرَّابًا غير معروفين - إلى عدة جهات.

وفيه أفرج عن الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، على مال التزم بحمله.

وفى ثالث عشرينه: رحل السلطان من الريدانية، وكانت عدة الجمال التى فرقت فى المماليك أربعة عشر ألف جمل، وعدة الخيل المفرقة فى المماليك السلطانية ألفين وخمسمائة فرس، سوى ما عندهم من الخيل، وهى أضعاف ذلك، وهذه الخيول والجمال فى المماليك خاصة.

---

(١) تراكيشكم جمع تركاش وهى الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب.

(٢) أحمد بن محمد بن عمر بن مسلم أبو العباس شهاب الدين العمرى المعروف بابن خضر فقيه حنفى دمشقى صالحى ولى إفتاء دار العدل وله حاشية على الفوائد. انظر سركيس ١٥٣١ وكشف ٢٠٧ ودار الكتب ١/ ٢٣٠ والأعلام ١/٢٢٥.

وأما السلطان والأمراء فيكون معهم ما يزيد على مائة ألف، ما بين فرس وجمل. ومما حمل برسم خرط الشطرنج خمسة قناطير من العاج والأبنوس؛ ليلعب به السلطان. والرسم أنه إذا لعب بشطرنج أخذه أرباب النوبة، وجدد غيره.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من السلطان بقتل بنى عيسى، فوسطوا على باب خزانة شمايل، وعدتهم أحد وعشرون رجلا، منهم موسى بن محمد بن عيسى، وعمه مهنا بن عيسى وسلموا لغلمانهم، فأقيمت المناحة عليهم بالصحراء عدة أيام.

وفيه قتل الشريف محمود العنابى أيضا.

وفى ثامن عشريه: ثارت عرب بنى عيسى بقليوب يريدون قتل الوالى ففر منهم إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بطلب بدر الدين محمود الكلستانى إلى السلطان، فخرج فى غاية الخوف من القتل؛ لأنه كان من ألزام ألطنبغا الجوبانى، فجاءه من العز ما لم يخطر له ببال، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن إلياس فى نيابة الوجه البحرى، وعزل أوناط.

وفى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توجه الأمير محمود بالخزانة إلى السلطان.

وفى عشرينه قدم البريد برحيل السلطان عن غزة فى ثانى عشره، وأنه أنعم على ألطنبغا المعلم بإمرة مائة فى طرابلس، وعلى قردم الحسنى بنيابة القدس[1] وأن قنقباى الأحمدى استعفى من الإمرة.

وفى ثالث عشرينه: قدم إلى مدينة دمشق رسل طقتمش خان، صاحب كرسى أزبك خان ببلاد القبجاق، بأنه يكون عونا مع السلطان على تيمور لنك.

وفى ثامن عشرينه: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق فى عشرينه.

وقدم الخبر بأن تيمور لنك رجع إلى بلاده، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه قدم إلى القاهرة رسل ابن عثمان متملك الروم.

وفى أول شهر رجب: أخذ الفرنج عدة مراكب تحمل الغلال إلى الشام.

وفى سابع عشره: برزت العساكر من دمشق تريد حلب، وفيها الأمير الكبير

---

(١) القدس: انظر معجم البلدان ٤/٣١١.

كمشبغا الحموى أتابك العساكر، والأمير بكلمش أمير سلاح، وأحمد بن يلبغا، وبيبرس ابن أخو السلطان، ونائب صفد[١] ونائب غزة[٢].

وفيه سار البريد من دمشق بتشريف الأمير نعير، واستقراره فى إمرة العرب على عادته.

وفيه قدم الأمير سالم الذكرى أمير التركمان، فخلع عليه.

وفى سلخه: قدم جلال الدين عبد الرحمن[٣] ابن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر من دمشق إلى القاهرة. وقد نزل له والده عن تدريس الزاوية الخشابية بجامع عمرو بن العاص بمصر، وعن مشيخة التفسير والميعاد بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وأقام والده مع السلطان.

وفيه كبس الأمير شرف الدين موسى بن طى متولى البهنسا على سفط ميدون، فقتله العرب بها، فاستقر عوضه إبراهيم الشهابى.

وفى يوم الإثنين أول شعبان: توجه القان غياث الدين أحمد بن أويس من دمشق إلى بغداد. وقد قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، وعند وداعه خلع عليه أطلسين بشاش متمر[٤]، وسيف بسقط ذهب. وأعطى تقليدا بنيابة السلطنة ببغداد، فأراد أن يقبل الأرض، فلم يمكنه السلطان من ذلك إجلالا له، ويقال إن الذى حمل إليه من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من الخيل والجمال والسلاح، وغير ذلك.

وفى ثالث عشره: سار من ظاهر دمشق.

وفيه أنعم على الأمير أقبغا طولو تَمُرى - الذى يقال له اللكاش - بإمرة ألف، بعد وفاة بيليك المحمدى.

---

(١) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٣) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث بمصر انتهت إليه رياسة الفتوى بمصر بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مرارًا إلى أن مات وهو متولى. له كتب فى «التفسير» و«الفقه» وفى «مجالس الوعظ» وتعليق على البخارى سماه «الإفهام لما فى صحيح البخارى من الإبهام - خ» ورسالة فى «بيان الكبائر والصغائر - خ». انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ١٠٦/٤ والتاج ٩/ ١٤٣ -١٤٤ والأعلام ٢٢٠/٣.

(٤) متمر نوع من الأقمشة ويظن أنه مزخرف على حافيته برسوم للثمر.

وفى عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع.

وفى ثانى عشرينه قدم البريد باستقرار سيدى أبى بكر بن سنقر الجمالى، حاجبا ثالثا.

وتوقف النيل عن الزيادة تسعة أيام متوالية من سلخ بؤونة - وهو رابع عشرين شعبان - إلى ثامن أبيب، فلم يناد عليه سوى أصبع واحد فى كل يوم.

وفيه استقر قطلوبغا الطشتمرى فى كشف الفيوم، والبهنساوية، والأطفيحية، مضافا لما معه من كشف الجيزية.

وفى ليلة الثلاثاء - الثلاثين من شعبان -: تراءى الناس هلال رمضان، فلم ير أحد الهلال مع كثرة عددهم، فأصبح الناس على آخر شعبان، وأكلوا إلى الظهر، فقدم الخبر بأن الهلال رؤى ببلبيس[١]، فنودى بالإمساك قبيل العصر.

وفى ثالثه: زاد النيل بعد توقفه.

وفى خامسه: نقل أمير فرج بن أيدَمُر من ولاية الغربية إلى نيابة الوجه البحرى، عوضا عن عمر بن إلياس قريب قُرُط، واستقر أخوه محمد بن أيدمر فى ولاية الغربية.

وفيه قدم البريد بالقبض على نصر الله بن شَنْطيَّة مستوفى المرتجع، وإيداعه خزانة شمايل على مال، وإحضار محمد بن صدقة الأعسر والى المنوفية، فسار إليه البريد وأحضره إلى القاهرة، فهرب، واستقر عوضه أحمد الأرغونى.

وفيه أخصب البطيخ العبدلى، حتى أبيع كل مائة رطل بدرهم.

وفى يوم الجمعة تاسع شوال - الموافق تاسع مسرى -: توقف النيل عن الزيادة، وأقام بغير زيادة إلى ثانى عشره، فزاد على العادة، واستمرت الزيادة.

وفى ثانى عشرينه: استقر بدر الدين محمود السرائى الكلستانى فى كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى بعد وفاته، وخلع عليه بدمشق.

وفى ثامن عشرينه - وهو ثامن عشر مسرى -: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخبر على السلطان من القان أحمد بن أويس، أنه لما وصل إلى ظاهر بغداد، خرج إليه نائب تيمور بها، وقاتله فانكسر، ودخل بغداد، وأطلق المياه على عسكر ابن أويس ليغرقه، فأعانه الله وتخلص منها بعد يومين، وعبر بغداد، وقد هرب التمرية منها،

---

(١) بلبيس مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

فاستولى عليها، واستخدم جماعة من التركمان والعربان، فلما بلغ ذلك تيمور جهز أمراءه بالأموال إلى سمرقندى.

وقدمت رسل ابن عثمان على السلطان بأنه جهز لنصرة السلطان مائتى ألف، وأنه ينتظر ما يرد عليه ليعتمده.

وقدم رسول القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس بأنه فى الطاعة، يترقب ورود المراسيم عليه بالمسير لجهة تعين له.

وفى أول ذى القعدة: سار السلطان من دمشق يريد حلب.

واتفق بالقاهرة ومصر وظواهرهما أنه أشيع بأن امرأة طال دوام رمد عينها، وأيس الأطباء من برئها، فرأت فى منامها كأنها تشكو ما بها إلى النبى - ﷺ - وأنه أمرها أن تمضى إلى سفح جبل المقطم، وتأخذ من حصى هناك وتكتحل به بعد سحقه، وأنها عملت ذلك، فزال ما فى عينيها من الرمد، فلم يبق من الناس إلا من أخذ من الحصى الذى بالجبل واكتحل به، وعملوا منه فى الأثمد وغيره، حتى أفنوا من ذلك لما لا يقدر قدره، وأقاموا على هذا مدة، وزعموا أنه شفى به خلق كثير.

وفى يوم الأحد سادسه - وهو سادس عشر توت -: انتهت زيادة النيل إلى أحد عشر أصبعا من الذراع الثامن عشر، وانحط، فارتفعت الأسعار. وبلغ الأردب القمح أربعين درهما، والفول والشعير عشرين درهما، والبطة الدقيق وزنتها خمسون رطلا إلى اثنى عشر درهما. وضج الناس على البهاء محمد بن البرجى المحتسب، فرسم الأمير سودن النائب للأمير علاء الدين الطبلاوى بالتحدث فى السعر، فنادى بفتح المخازن والبيع بسعر الله تعالى، وهدد من لا يفتح مخزنه ويبيع بالنهب. وفتح مباشرو الأمراء الشون وباعوا، فانحل السعر قليلا. ثم شحت الأنفس بالبيع، وكثر الخوف من القحط؛ لكثرة ما شرق من الأراضى ولم يزرع.

وفى يوم الخميس رابع ذى الحجة: قدم البريد بعزل قطلوبغا من كشف الفيوم، بطيبغا الزينى، واستمر على كشف الجيزية كما كان.

وفى حادى عشره: وصل الأمير شيخ الصفوى من الشام، وهو مريض.

وفى ثالث عشره: زاد ماء النيل، وغرق بعض ما زرع، ثم انحط.

وقدم البريد بأن الأمير تغرى بردى استقر فى نيابة حلب، عوضا عن جلبان. وأنعم على جلبان بإقطاع تغرى بردى. وأن الأمير محمد بن قارا خرج عن الطاعة، والتحق

بنعير، وصار بعربانه فى جملته، وأن ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين بن المعرى استقر فى قضاء طرابلس[1]، عوضا عن مسعود. وأن السلطان خرج من حلب يريد دمشق فى خامس عشره. وأنه قلد أرغون شاه الإبراهيمى نائب صفد نيابة طرابلس، عوضا عن دمرداش المحمدى، وأنعم على أقبغا الجمالى أحد أمراء حلب بنيابة صفد وأعطى إمرته لدمرداش المحمدى. وأن عامر بن ظالم انهزم من عرب زبيد بمن معه من آل مهنا إلى الفرات، فغرق، وغرق معه سبعة عشر من أمراء آل مهنا، وقتل ممن معه خلق كثير جدا.

وفى ثانى عشرينه: استقر على بن غلبك بن المكللة فى ولاية منوف، وعزل أحمد الأرغونى.

وفى تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج بحسن سيرة قديد أمير الحاج، وكثرة الأمن والرخاء. واستقر علاء الدين على بن قاضى القضاة شهاب الدين أبى البقاء فى قضاء الشافعية بدمشق، عوضا عن الشهاب أحمد الباعونى. واستقر نجم الدين أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن التقى عبد الله الكفرى. واستقر علم الدين القفصى فى قضاء المالكية، عوضا عن البرهان إبراهيم الصنهاجى. واستقر ناصر الدين محمد بن أبى الطيب فى كتابة السر بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من قتل

إبراهيم ابن السلطان، فى عشرين جمادى الأولى، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستجدة.

ومات الصارم إبراهيم الباشقردى - والى قطيا - بها فجأة، فى ثامن صفر.

ومات الأمير سيف الدين أبرك المحمودى، شاد الشراب خاناه، ودفن بدمشق.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادى بن أحمد بن أبى العباس الشاطر، الأديب الشاعر، فى خامس عشرينه جمادى الأولى.

ومات الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفرج الأسلمى القبطى، تحت العقوبة، فى يوم الإثنين حادى عشرينه ربيع الآخر، وكان أسوأ الوزراء سيرة، وكثرت فى أيامه

---

(١) طرابلس. انظر معجم البلدان ٢/٢٥،٢٦، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

المصادرات، وتسلط السفهاء بالسعاية إليه على الناس حتى عم الخوف، وفقد الأمن، وبه اقتدى فى الظلم من بعده، وعجل الله له فى الدنيا من العذاب ما لا يمكن وصفه، إلى أن أهلكه الله وأدخله سعيرا، فإنه لم يؤمن بالله قط، بل أكره حتى قال كلمة الإسلام، ولبس العمامة البيضاء فتسلط على الناس بذنوبهم، ومن العجب أنه لما كان يتظاهر بالنصرانية، ويباشر الحوائج خاناه، كان مشكورا بكثرة بره ورعايته للناس، فلما تظاهر بالإسلام جاء عذابا واصبا على عباد الله.

ومات بدر الدين حسن بن العَيْذَابى رئيس المؤذنين، فى سلخ جمادى الأولى، وكان من العجائب فى النهمة وكثرة الأكل.

ومات الشيخ المعتقد رشيد الأسود التكرورى، فى المارستان، فى يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع راشدة خارج مصر، وهو آخر من سكنه.

ومات الأمير سلاّم - بتشديد اللام - بن محمد بن سليمان بن فايد، بالفاء، المعروف بابن التركية، أمير خفاجة بالصعيد، فى سابع ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، فى عاشر شعبان.

ومات الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن محمد بن صغير رئيس الأطباء، وهو بحلب، فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة، ودفن بها، ثم نقل إلى القاهرة، وكان من محاسن الدنيا.

ومات بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، كاتب السر، فى يوم الثلاثاء العشرين من شوال بدمشق.

ومات القاضى الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى، المعروف بصائم الدهر، ناظر الأحباس ومحتسب القاهرة، وخطيب مدرسة حسن، فى تاسع عشر صفر، عن نحو سبعين سنة، وكان خيرًا دينًا، كثير النسك، ساكنًا، قليل الكلام، بهج الزى، جميل الهيئة، يسرد الصوم دائما.

ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الظاهرى، فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة. كان يتظاهر بحف شاربه، ورفع يديه فى كل خفض ورفع فى الصلاة، ولا يكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر، وكتب بخطه كثيرًا، واشتغل بالحديث.

ومات ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سيف الدين أرقطاى، فى ليلة

الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. كان جده وأبوه من أمراء الألوف، وهو من أمراء العشراوات، ويحب الحديث، ويواظب سماعه على المشايخ.

ومات الأمير سيف الدين منكلى الطرخانى الشمسى، أحد الأمراء، ونائب الكرك. وتوفى ليلة العاشر من المحرم.

ومات جمال الدين عبد الله بن محمد بن العمرى، المعروف بكاتب أيتمش، وبكاتب السمسرة، فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر.

ومات أمين الدين يحيى بن محمد الحنبلى العسقلانى ليلة الأربعاء ثانى ربيع الأول.

وماتت زبيدة بنت قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى الحنفى.

وماتت أم قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى، فى ليلة يوم السبت تاسع المحرم، ودفنت بالقرافة.

وماتت الشيخة الصالحة شيخة رباط البغدادية[1]، فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة. وكانت على قدم فاضلة من العبادة، وتذكير النساء فى وعظها إياهن، وتعليمهن الخير.

ومات متملك تونس[2] أبو العباس أحمد بن محمد[3] بن أبى بكر بن يحيى بن

---

(١) الرابطة البغدادية يقع هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس وقد بنته خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٨٤ هـ للشيخة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها جمع من النساء الخيرات. انظر المواعظ ٢ / ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) تونس: مدينة محدثة بإفريقية إسلامية سمعت من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين، قال بعضهم: لم يقصد بها أول أمرها وضع مدينة، وإنما احتمع الناس إليها وبنوا وسكنوا وزادوا حتى صارت مدينة وعمرت، وتونس فى سفح جبل وبها مبان عجيبة ودلٌ عضادات أبواب دورها رخام أبيض. وتونس من أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا إفريقية ينزلون بإزاء صومعة ترشيش - راهب كان هناك - ويأنسون بصوت الراهب فيقولن: هذه الصومعة تؤنس، فلزمها هذا الاسم. انظر معجم البلدان ٢/ ٦٠، والروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، الاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ٥/ ١٠٢.

(٣) أحمد بن محمد بن أبى بكر، أبو العباس الحفصى من كبراء ملوك الحفصيين بتونس يلقب أبا السباع. كان أميرًا على قسطينة، وثار على السلطان خالد بن إبراهيم صاحب تونس فخلفه وتولى السلطنة سنة ٧٧٢ هـ وقمع الفتن وكانت ملء السهل والجبل واستعاد البلاد من المتغلين فدخلت فى طاعته بلاد الجرير وقابس وحربة وطرابلس والزاب وقويت أساطيله. انظر: رفع الإصر ١/ ١٠٧ =

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن عمر بن ونُودَيْن الحفصى، فى ليلة الخميس رابع شعبان، فكانت مدة ملكه أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف. وقام من بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

ومات صاحب فاس[1] السلطان أبو العباس[2] أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى، ملك المغرب[3]، فى محرم. وأقيم بعده ابنه أبو فاس عبد العزيز بن أبى العباس.

* * *

=والضوء ٢/١٩٢ والأعلام ١/٢٢٥.

(١) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى صنهاجة، وفى كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفى كل دار صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء، وبين أهل المدينتين فتن ومصاولات، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشر مرحلة. وبالجملة فمدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل من البربر لكنهم يتكلمون بالعربية، فهى حاضرة المغرب الكبرى وإليها تشد الركائب وتقصد القوافل، ويدور عليها سور عظيم، وبين المدينتين قناطر كثيرة، والنهر الذى يخترق مدينتى فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب، فيها نحو الستين فوارة فى دائرة يجتمع منها هذا النهر الكبير، بينها وبين المدينة نحو عشرة أميال فى بساط من الأرض لا يكاد يتبين حرى الماء فيه لاستواء أرضه. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى: ٧٥/٥٠. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ٥/١٥٤.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المرينى السلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعدًا إلى طنجة ولما بويع ابن عمه السعيد بالله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، وكان صبيا قام أحمد من طنجة وساعده صاحب غرناطة الفتى بالله بن الأحمر وبعض بنى مرين، فنزل على فاس وحاصرها إلى أن خلع السعيد بالله (أول سنة ٧٧٦ هـ) فدخلها وبويع بها البيعة العامة وكان بويع بطنجة سنة ٧٧٥هـ قبل خروجه منها وضعف. أمام ابن الأحمر فأصبح المغرب كأنه من أعمال غرناطة . انظر الاستقصاء ٢/١٣٣ - ١٤١ والأعلام ١/٨٧.

(٣) المغرب ضد المشرق وهى بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة . انظر معجم البلدان ٥/١٦١.

سنة سبع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الثلاثاء.

ففي ثالثه: قدم ثقل الأمير محمود الأستادار من الشام. وقدم البريد باستقرار دقماق في نيابة ملطية[(١)]، وكان مُقْبل فى نيابة طرسوس[(٢)]، وطَغَنْجى فى نيابة قلعة الروم، ومَنْكلى بُغا الأسَنْبغاوى فى نيابة الرها[(٣)]. وأن السلطان قبض على عدة من أمراء حلب، منهم أَلْطُنْبغا الأشرفى، وتمرباى الأشرفى، وقُطْلوشاه الماردينى. وأن عربان آل مهنا خرجوا بأجمعهم عن الطاعة، ودخلوا إلى البرية.

وفي رابعه: خرج أتباع ابن أويس إلى بغداد بحريمه.

وفي سابعه: قدم السلطان من حلب إلى دمشق بعساكره.

وفى سابع عشره توجه السلطان من دمشق يريد مصر، وولى الأمير بدخاص السودونى - حاجب الحجاب - نيابة الكرك[(٤)]، عوضا عن الشهاب أحمد بن الشيخ على. ونقل الشهاب إلى دمشق حاجب الحجاب بها، عوضا عن تمربغا المنجكى. وقدم تمربغا فى الخدمة إلى مصر، واستقر قُنُق باى السيفى اللالا بصفد من جملة أمرائها. واستقر الجبغا الجمالى الحاجب أميرا بدمشق، على طبلخاناه.

---

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورًا محكمًا، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة طرسوس والمصيصة، وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهرى. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار ٥٤٥، واليعقوبى ٣٦٢، وآثار البلاد ٥٦٤، وابن حوقل ١٦٦، وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) طرسوس: مدين بالشام حصينة عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليها، وفى سنة سبعين ومائة بنى سور طرسوس على يد أبى مسلم فرج الخصى التركى، ولها خمسة أبواب: هى باب الجهاد، وباب الصفصاف، وباب الشام، وباب كذا، وباب البحر. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، والروض المعطار ٣٨٨، صبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٣) الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحران، وإليها ينسب الورق الجيد من ورق المصاحف، وهى مدينة ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الأنهار، وبينها وبين حران ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣، والروض المعطار ٢٧٣، نزهة المشتاق ٢٠٠، وصبح الأعشى ١٣٩/٤، وابن الفقيه ١٣٤، والكرخى ٥٤، والمقدسى ١٤١، ١٤٧، ومعجم ما استعجم ٦٧٨/٢.

(٤) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

وفى ثالث عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه قدم المحمل والحاج صحبة الأمير قديد، وهم ركب واحد.

وقدم البريد بأن السلطان توجه من الرملة[١] لزيارة القدس[٢]، جريدة.

وفى يوم الخميس أول صفر: قدم شيخ الإسلام سراج الدين[٣] عمر البلقينى من الشام.

وفى خامسه: قدم الحريم السلطانى مع الطواشى بَهادُر المقدم، وفيهن عدة من حرائر دمشق وأبكارها، ليختار منهن من يعقد عليها.

وفى سابعه: قدم الأمير محمود الأستادار، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وقد فرشت له شقاق الحرير من باب زويلة إلى داره، فمشى عليها بفرسه، ومعه من الخلائق عدد لا يقع عليه حصر، وأوقدت له البلد.

وفيه نودى بالخروج إلى لقاء السلطان.

وفى تاسعه: قدم بالبريد بأن السلطان قبض على جلبان الكمشبغاوى نائب حلب بقطيا، وبعثه من الطينة فى البحر إلى دمياط.

وفى ثانى عشره: قدم السلطان وصعد إلى القلعة، فكان يوما مشهودا وكان الشيطان قد أجرى على ألسنة العامة كلمة سوء، وهى: «لو جاء السلطان لوقع الرخاء». وصاروا يتناجون بذلك فى كل موضع، فأخلف الله ظنهم، وتزايدت الأسعار من يوم دخوله، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تعلق بشىء وكل إليه». وأبيع القمح بسبعين بعد أربعين، والفول والشعير بأربعين كل أردب، والحمل من التبن بعشرة دراهم بعد خمسة، وكل حملة دقيق - وهى ست بطط - بمائة وعشرة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم، والأرز كل قدح بدرهمين، والسكر كل رطل بستة دراهم، بعد ثلاثة، والجبن المقلو بنحو درهمين، بعد ثلثى درهم، والرطل اللحم البقرى بدرهم، بعد نصف درهم، والرطل اللحم من الضأن بدرهم ونصف، بعد نصف وربع درهم كل رطل.

---

(١) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) القدس. انظر معجم البلدان ٣١١/٤.

(٣) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة من غربية مصر وتعلم بالقاهرة.

واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الوباء، ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب.

وفى خامس عشره: ركب السلطان وعبر إلى القاهرة من باب زويلة، وزار أباه بمدرسته بين القصرين. وخرج من باب النصر إلى القلعة.

وفى سادسه: عدى إلى بر الجيزة.

وأحدث الأمير تمربغا المنجكى شرابًا من زبيب يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء، ويدفن فى جرار بزبل الخيل أياما، ثم يشرب فيسكر، وصار يقال له التمربغاوى، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، ولم يكن يعرف عنه أنه يتعاطى المسكر قبل ذلك.

وفى ثامن عشره: عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة.

وفى تاسع عشره: أنعم على الأمير فارس من قطلو خجا بتقدمة ألف، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن بِدْخاص المنتقل لنيابة الكرك.

وفيه استعفى الأمير سودُن من نيابة السلطنة والإمرة؛ لكبره وعجزه، فأعفى ولزم بيته.

وفى رابع عشرينه: أنعم على علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى بإمرة طبلخاناه، واستقر أخوه ناصر الدين محمد فى ولاية القاهرة، كأنه ينوب عنه، وشرط عليه ألا يستبد بشىء، بل يراجعه فى الأمور. وأنعم على أرغون شاه البَيْدَمُرى الأقبغاوى بتقدمة ألف، وعلى نوروز الحافظى بتقدمة ألف. وعلى تمربغا المنجكى بإمرة طبلخاناه، وعلى شيخ المحمودى بطبلخاناه، وعلى صلاح الدين محمد ابن تنكز بطبلخاناه، وعلى صَرْغَتْمُش المحمدى القزوينى بطبلخاناه، وعلى سودُن الطيار الناصرى بطبلخاناه. وأنعم على كل من مقبل الرومى، وأقباى بن حسين شاه، وآق بلاط الأحمدى، ومنكلى بغا الناصرى بإمرة عشرة.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى حاجبا عوضا من ألجبغا الجمالى، مع النظر فى الولاية على أخيه.

وفى يوم الأحد ثالث ربيع الأول: عدى السلطان إلى بر الجيزة[1]، وعاد آخر يوم الأربعاء سادسه.

---

(١) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

وفى سابعه: خلع على الأمراء والأكابر وناظر الجيش وناظر الخاص، أقبية بفرو سمور.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى على عادته.

وفى تاسعه: عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبى حنيفة، يقال له مصطفى القرمانى[1]، وأنه كتب شيئا فى الفقه، قال فيه: «لا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله»، ونسب إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - إلى ما نزهه الله من عبادتهما. فأراد قاضى المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسى الحكم بقتله، فأعتنى به جماعة من الأمراء، وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فعزره بأن أقامه وبعث به إلى السجن، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، وضربه ثم خلاه لسبيله.

وفى رابع عشره: أنعم على ناصر الدين محمد بن جلبان العلاى بإمرة عشرين، عوضا عن قرابغا بعد موته.

وفى ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأن تيمور توجه من قراباغ، وعدى السلطانية، وتوجه ابنه إلى كيلان[2]، فإن طَقْتَمُش أخذ أكثر بلاده. وقد حدث ببغداد وباء عظيم، واشتد بها الغلاء، وانتقل ابن أويس عنها إلى الحلة.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى، ومعه أمراء العربان، وهم: أبو بكر بن الأحدب أمير عرك، وعمر بن عبد العزيز أمير هوارة، وعلى بن غريب أمير هوارة أيضا، وأحضروا تقادمهم على العادة.

وفيه تنكر السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وكاد يبطش به. فلما نزل إلى داره أتاه الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى يأمره عن السلطان بحمل خمسمائة ألف دينار، وإن امتنع يوقع الحوطة عليه، ويضربه بالمقارع، فتلطف فى السعى بينه وبين السلطان، حتى تقرر أنه يحمل مائة ألف وخمسين ألف دينار، فلما صعد فى يوم الإثنين خامس عشرينه إلى الخدمة بالقلعة، صاح به المماليك من الأطباق، وسبوه ورجموه.

---

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى، مصلح الدين: من فقهاء الحنفية من أهل القاهرة. له تصانيف منها «التوضيح - خ» فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى ورسالة فى «حكم اللعب بالنرد والشطرنج - خ». انظر الضوء اللامع ١٠/ ١٦٠ والأعلام ٧/٢٣٤.

(٢) كيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان والعجم يقولون كيلان. انظر معجم البلدان.

وفى سابع عشرينه: قبض على يلبغا الزينى والى الأشمونين، وضرب بالمقارع بين يدى السلطان؛ لكثرة ما شكى منه أهل البلاد، وتسلمه ابن الطبلاوى؛ ليخلص منه حقوق الناس.

وفيه أحضر مبارك شاه تقدمته، وهى مائة وستون فرسا، ومائة وخمسون جملا، وسبع، وعشر نعامات، وعدة أبقار، وأنواع من الحلاوات، وأحضر أبو بكر بن الأحدب مائة فرس. وأحضر كل من عمر بن عبد العزيز وعلى بن غريب خمسين فرسا.

وفيه ادعى نصرانى على شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد الدفرى - أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة - بين يدى السلطان، فاقتضى الحال أنه ضرب القاضى وهو مبطوح على الأرض، ورسم عليه حتى يخلص منه النصرانى.

وفى ثامنه عشرينه: استقر منجك السيفى فى ولاية أطفيح[١].

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر: استقر قرطا التاجى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن يلبغا الزينى.

وفيه اشتد حنق السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وضربه لتأخره كسوة المماليك عن وقتها الذى تفرق فيه.

وفى رابعه: استقر على بن أبى بكر القرمانة فى ولاية الجيزة، وعزل على بن قراجا.

وفى خامسه: هرب مبارك شاه نائب الوجه القبلى لكثرة شكوى أهل النواحى من ظلمه، وطلب فلم يقدر عليه.

وفى سادسه: أنعم على أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بإمرة عشرين، عوضا عن تمان تمر الأشرفى الموسوى.

وفيه بلغ الأردب من القمح إلى ستة وستين درهما، والأردب من الفول والشعير إلى ثلاثة وثلاثين درهما.

وفى سابعه: ظهر أن مبارك شاه لبس زى الفقراء، وأخذ بيده إبريقا، ومضى نحو الجبل، فلم يعرف أين قصد.

وفى حادى عشره: استقر الشريف علاء الدين على بن [...[٢]...] البغدادى الأصل، الصعيدى الدار، فى ولاية منفلوط[٣]، عوضا عن آقبغا الزينى.

---

(١) أطفيح بلدة بالصعيد الأدنى من أراضى مصر على شاطئ النيل فى شرقية. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥.

وفى ثالث عشره: استقر أمير فرج بن أيدمر نائب الوجه البحرى فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر عوضه فى الوجه البحرى أوناط السيفى.

وفى رابع عشره: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، ونزل بناحية صقيل وأقبل على اللهو.

وفى حادى عشرينه: ترامى مبارك شاه على الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، فشفع فيه حتى عفا السلطان عنه.

وفى رابع عشرينه: رجع السلطان إلى القلعة.

وفيه حضر مبارك شاه بين يدى السلطان، فألبسه قباء مطرزا.

وفى خامس عشرينه: قدم السلطان ولد بن على شاه زاده بن شيخ أويس بن حسن، وكان ولد قد قدم مع عمه القان مغيث الدين أحمد بن أويس، وأقام حتى خرج صحبة حريمه، فالتحق بالقدس لتخوفه من عمه، وعاد إلى القاهرة - بعد أن استأذن - ومعه عياله، فأنزله السلطان فى دار من الأمراء، وأجرى عليه ما يقوم به، ووعده بإمرة.

وفيه قدم مسعود بن الشيخ محمد الكججانى من تيريز، فارا من تيمور.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستادار نائب الإسكندرية بتقدمته، وهى مائة فرس، وثلاثمائة قطعة من ثياب الإسكندرية، وعشرة آلاف دينار.

وفيه أفرج عن قطلوبك السيفى، وكمشبغا اليوسفى، وقدما من دمياط.

وفيه تزوج سلطان ولد بانية عمه تندى بعد انقضاء عدتها من السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وترك زى البغاددة، ولبس القباء والكلفتة كهيئة أمراء مصر.

وفى يوم الإثنين أول جمادى الأولى: رسم لجماعة من الأمراء الخاصكية بأن يسيروا فى الموكب تحت القلعة بالرملية مع الأمراء، وهم صَرْغَتْمُش المحمدى القزوينى، وصلاح الدين محمد بن تنكز، وهما من الطبلخاناة، وقرمان المنجكى، وتمر الشهابى، وهما من أمراء العشرينات، ودمرداش السيفى، وبهادُر السيفى، وجرجى الصَرْغَتْمُشى، وأَسَنْبُغا التاجى، وقوصون المحمدى وألجبغا السلطانى، وتغرة بردى القردمى، وقجماس البشيرى، ويلبغا المحمدى وبَيْدَمُر المحمدى، وبى خُجا الحسنى، فركبوا فى الموكب وصعدوا إلى القلعة فوقفوا مع الخاصكية، وصار هذا رسمهم.

وفيه طلب من سائر الأمراء خيول لعمارة مراكز البريد، فألزم كل من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش، وكل من الوزير والأستادار وبقية أرباب الوظائف وأمراء الطبلخاناة أكديشان، وكل من العشرينات والعشراوات بأكديش واحد، فجبى ذلك منهم وأرسلوا إلى المراكز.

وفى حادى عشرينه: فقبض على منكلى بُغا الزينى والى قوص، وسلم إلى ابن الطبلاوى لشكوى أهل البلاد منه، واستقر عوضه أقبغا البشتكى.

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير محمود خلعة الرضا.

وفى أول جمادى الآخرة: قدم البريد بمحاربة تركمان الطاعة لنعير، وقتل ألف من عربانه، وأنه انهزم وهلك له نحو ثلاثة آلاف بعير.

وقدم قاصد متملك ماردين، فجهز على يده تقليد لمرسله بنيابة السلطنة وتشريف، وهو أطسان وسيف عنبرينه ومنديل زركش.

وقدم البريد من حلب بأن سولى بن دُلغادر انكسر كسرة قبيحة، وفر بمفرده.

وفى رابع عشره: قدم عمر بن نعير بن حيار بن مهنا، فعفا السلطان عنه، وترافع رجلان من أهل الإسكندرية يقال لأحدهما زكى الدين أبو بكر بن الموازينى، والآخر أحمد المالقى، وكلاهما يدولب دار الضرب، فقبل قول كل منهما فى الآخر، وتسلمهما ابن الطبلاوى، وخلص منهما ألف ألف درهم.

وفى ثامن عشره: استقر يلبغا السالمى الخاصكى فى نظر الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، فأراد أن يجرى أمورها على ما شرطه الواقف، وأخرج منها أرباب الأموال، وزاد الفقراء المجردين كل فقير رغيفا فى اليوم على الثلاثة الأرغفة المقررة له، ورتب بها وظيفتى ذكر بعد صلاتى العشاء والصبح.

وفى يوم الإثنين خامس رجب: استقر الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز أستادار الأملاك السلطانية، والوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر ديوان الأملاك. واستقر كل من صَرْغَتمُش المحمدى القزوينى، وقجماش البشيرى أمير جاندار. واستقر الأمير تمر الشهابى حاجبا صغيرا.

وفى ثامنه: استقر الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة صغيرا، عوضا عن تغرى بردى من يشبغا.

وفيه عقد مجلس عند السلطان حضره القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر

البلقيني، بسبب يلبغا السالمي وشهاب الدين أحمد العبادي -أحد نواب القضاة الحنفية بالقاهرة - وذلك أن عدة الصوفية بخانكاه سعيد السعداء كانت عندما تحدث الأمير سودن النائب في نظرها من ابتداء دولة السلطان، دون الثلاثمائة، فتزايدت حتى بلغت نحو الخمسمائة. ولم يف ريع الوقف بالمصروف، فقطع ما كان لهم من الحلوى والصابون في كل شهر، ومن الكسوة في السنة. فلما شرقت ناحية دهمرو - الموقوفة على الخانقاه - في هذه السنة، من جملة ما شرق من النواحي؛ لقصور النيل، عزم مباشرو الخانقاه على غلق مطبخها ومخبزها من أول شهر رجب هذا، وقطع ما للصوفية من الطعام واللحم والخبز في كل يوم، فلم يصبروا على ذلك. وتكرر وقوفهم للسلطان، وشكواهم، حتى وَلّىٰ يَلْبُغا السالمي نظر الخانكاه، وشرط عليه إجراء الأمور فيها على ما في كتاب وقفها من الشروط، فوجد شرط الواقف أن يكون من بها من الصوفية أهل السلوك، فإن تعذر وجودهم كانت وقفا على الفقراء والمساكين، وأفتاه شيخ الإسلام بوجوب اتباع شرط الواقف، فجمع القضاة وشيخ الإسلام بالخانقاه، وأحضر سائر صوفيتها، وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسألهم في الحكم بالعمل بشرط الواقف، فانتدب له من جملة الصوفية زين الدين أبو بكر القمني من فقهاء الشافعية، وشهاب الدين أحمد العبادي من فقهاء الحنفية، وقضاتهم، وأخذا في مخاصمته. وطال النزاع فأضرب عن قولهما، وسأل القضاة عما يفعل. فقالوا كلهم مع شيخ الإسلام «افعل شرط الواقف» وانفضوا. فقطع من ليلته نحو الخمسين من الصوفية الذين يركبون البغلات، أو يلون القضاء والحكم بين الناس، أو لهم شهرة بغناء، وسعة مال، وفيهم القمني والعبادي، فأطلقا ألسنتهما فيه. وزاد العبادي في التعدي، وصرح بأن السالمي قد كفر، وصار يقول في المجالس «الكافر يلبغا سالمي استنبطت آية من كتاب الله فيه. وهي قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً**﴾[1]، وكتبت في ذلك كراريس، وهذا الكافر يلبغا يريد أن يكون مثل الفقراء الصالحين». فلما بلغ ذلك السالمي لم يحتمله، وشكا العبادي للسلطان. ونزل من القلعة إلى داره، فإذا بالعبادي قد مر في شارع القاهرة، فلشدة حنقه منه نزل عن فرسه، وقبض على كم العبادي، ودعاه إلى الشرع فزاد العبادي في التحامق، وقال: «تمسك كمي؟ كفرت». فبينما هما في ذلك إذ مر سعد الدين نصر الله بن البقري، فنزل عن فرسه، وما زال بهما حتى أخذهما ومشى إلى المدرسة الحجازية برحبة باب العيد، وجلسوا بها، فأتاهم الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي. وأخذ في الإصلاح بينهما،

---

(١) سورة الجاثية آية ٢١.

فزاد تجانن العبادى، وقال: «قد كفر السالمى بمسكه كمى، وأنا مذهبى من قال للفقيه يا فقيه بصيغة التصغير فقد كفر؛ لأنه احتقره، وكذلك مسك كمى فيه احتقارى، وهو كفر». فانفض المجلس عن غير صلح، فعاد السالمى إلى السلطان. وقد بلغ السلطان ما جرى بينه وبين العبادى، فقال له: «قد كفرك الفقهاء يا يلبغا»، فقال: «يا مولانا قد كفّروا أكبر منى». يعرض له بما كان من إفتاء الفقهاء فيه لمنطاش أيام كان بالكرك. ثم سأل فى عقد مجلس له ولغريمه، فرسم بذلك، وحضر القضاة وشيخ الإسلام عند السلطان، فى يوم الخميس ثامن شهر رجب هذا، وجىء بالعبادى، وأقيمت عليه البينة عند قاضى القضاة ناصر الدين محمد التنسى المالكى، بعد الدعوى فحكم بتعزيره، فقال السلطان: «التعزير لى». وأراد ضربه بالمقارع، فشفع فيه الأمير قَلَمطاى الدوادار، حتى فوض تعزيره لقاضى القضاة جمال الدين محمود الحنفى، فأجابه، وأمر به الجمال عند ذلك، فكشف رأسه، وأنزل به بين يدى بغال القضاة من القلعة، وهو ماش، حتى سجن بحبس الديلم[1] من القاهرة، ثم أخرج منه ونقل إلى سجن الرحبة. وطلب يوم السبت حادى عشره إلى بيت الجمال العجمى، وحضر ابن الطبلاوى، وضربه على قدميه نحو الأربعين ضربة، وأعيد إلى السجن. ثم خرج فى ثامن عشره إلى بيت السالمى، وقد حضر شيخ الإسلام عنده. وما زال به حتى أفرج عنه، وتسامع القضاة فأتوا إلى السالمى، وحضروا إصلاح شيخ الإسلام بينهما.

وفيه استقر تاج الدين محمد بن عبد الله بن الميمونى فى مشيخة خانكاة قوصون[2] بالقرافة ، بعد وفاة نور الدين على الهورينى. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية قطيا، عوضا عن صدقة الشامى.

وفى يوم الإثنين رابع شعبان: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وعملت الخدمة السلطانية، وكان قد عطل حضور دار العدل من نحو سنة ونصف.

وفى تاسعه: أعاد السلطان على الأيتام المال الذى اقترضه من المودع، وهو مبلغ نحو ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف درهم، من ذلك ما يختص بمودع القاهرة والشام خمسمائة وخمسون ألفا، ومن مودع الشام ستمائة ألف درهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى يتحدث فى أمر دار الضرب بالقاهرة، عوضا عن محمود الأستادار.

---

(١) ديلم حبل سموا بأرضهم فى قول بعض أصل الأثر . انظر معجم البلدان ٢/٥٤٤.

(٢) قوصون تقع فى شمال القرافة مما يلى القلعة تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين قوصون. انظر المواعظ ج ٢/ ٤٢٥.

وفيه أعيد صدر الدين محمود المناوى إلى قضاء القضاة بديار مصر، وعزل البدر محمد ابن أبى البقاء لفراغ الغرض منه. ونزل من القلعة بالتشريف ومعه الأمراء على العادة. فكان يوما مشهودا.

وفى رابع عشره: قبض على عمر بن الأمير نعير وحجابه الثلاثة، وحملوا إلى سجن الإسكندرية.

وفى سادس عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير بكْلَمش، وعاد.

وفى سابع عشره: ركب الصدر المناوى إلى مدينة مصر على العادة، وعاد.

وفى ثامن عشره: ركب السلطان ودخل القاهرة من باب النصر، وطلع إلى مدرسته بين القصرين لزيارة قبر أبيه، وعاد إلى القلعة.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: خرج من الأمراء المقدمين بكْلَمش أمير سلاح، ونوروز رأس نوبة، وقَلَمْطاى الدوادار، وأرغون شاه البيدمُرى، وفارس حاجب الحجاب، وقديد الحاجب، وأحمد بن يلبغا، فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشراوات؛ لكبس العربان ببلاد الصعيد.

وفى ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل فكان أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا.

وفى آخره: استقر الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فى وزارة دمشق، وعزل بدر الدين محمد بن الطوخى.

وفى يوم الإثنين ثانى رمضان: عاد الأمراء من الصعيد، بعدما قبضن الأمراء على خمسمائة رجل، وأخذوا ثمانين فرسا، وأحضروا نحو الستين رجلا، وأفرجوا عن البقية، فسجنوا بخزانة شمايل.

وفى سادس عشره: استقر شرف الدين محمد بن الدمامينى الإسكندرانى فى حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه أضيف إلى ابن الطبلاوى الكلام فى دار الضرب بالإسكندرية، وفى متجر السلطان عوضًا عن الأمير محمود، فلم يمض غير أيام حتى تنافسا وخرج ابن الطبلاوى على محمود من جهة دار الضرب مبلغ ستة آلاف درهم فضة، صالح السلطان عليها بمائة ألف وخمسين ألف دينار ذهبا، غلقها فى تاسع عشرينه، فخلع عليه وعلى ولده محمد، وعلى ابن الطبلاوى، وعلى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين إبراهيم بن غراب

كاتب الأمير محمود وكان قد تنكر ما بينه وبين مخدومه الأمير محمود، وظاهر عليه ابن الطبلاوى وصار يكشافه بالعداوة، فجعله ابن الطبلاوى من أكبر أعوانه على إزالة محمود، حتى تم له ذلك، فكان هذا ابتداء ظهور ابن غراب واشتهار ذكره ولم يبلغ العشرين سنة. وهذه أول غدراته، فإن محمود أخذه من الإسكندرية وهو طفل صغير، ورباه عنده، وعلمه الكتابة، ورتبه فى كتابة خاص أمواله. فلما كبر وبلغ مبالغ الرجال سمت نفسه إلى الرئاسة، ورأى أنه يبدأ بمحمود ولى نعمته فيزيله أولا، وكان ابن الطبلاوى قد كثر اختصاصه بالسلطان، فصار إليه وساعده على محمود، ودله على عوراته، ومت إليه بمعرفة حواصل أمواله، فجمع بينه وبين السلطان، وأخلاه به، فعرفه من حال محمود ما أوجب له أن صارت له بذلك اليد عند السلطان، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر محمد بن العادلى فى ولاية المنوفية(١)، عوضًا عن أيدمُر المظفرى.

وفى يوم السبت سادس شوال: ابتدأ السلطان بالجلوس فى الميدان تحت القلعة للحكم بين الناس. وكانت عادته أن يجلس فى يومى الأحد والأربعاء، فغير بذلك بيومى الثلاثاء والسبت، وجعل الأحد والأربعاء لمعاقرة الشراب مع الأمراء، فاستمر ذلك. واستدعى مباشرى الأمراء، وقال: «قد بلغنى أنكم تحمون البلاد، فمن سمعت أنه حمى بلدًا، ضربته بالمقارع وسمرته، بل ساووا الأجناد فى المغارم على النواحى». وكتب إلى ولاة الوجهين القبلى والبحرى بأن يكون الأمراء والأجناد سواء فى المغرم. ولا تُحمى بلد أمير عن إخراج المغرم، ولا يُحمر فلاح ألبتة.

واتفق فى زيادة النيل أمر غريب، وهو أن الزيادة استمرت منذ أخذ القاع حتى كملت ثمانية أذرع ثم زاد فى ستة أيام ثمانية أذرع وأصبعين، وهى من يوم الخميس رابع شوال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، وهو ثالث مسرى.

وفيه كان الوفاء، وركب السلطان حتى عدى النيل إلى المقياس، ثم فتح الخليج على العادة.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير ناصر الدين محمد جُمقُ بن الأمير الكبير أيتمش إلى الحج، وهو أمير الركب، فكان يوما مشهودًا.

وفى يوم الأربعاء أول ذى القعدة: قدم الخبر من الحجاز بأن الحرب ثارت بين بنى

(١) المنوفية هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

حسن وقواد مكة، ببطن مر، فقتل فيهـا الشريف على[١] بـن عجـلان، وامتنـع القـواد بمكة، وصدوا عنها بنى حسن. فـأفرج السـلطان عـن الشريف حسـن بـن عجـلان[٢]، وولاه إمرة مكة، عوضا عن أخيه على، وخلع عليه، وسار إلى مكة ومعه يلبغـا السـالمى ليقلده إمارة مكة فى سابعه.

وفى ثانى عشره – وهو آخر أيام النسىء –: انتهت زيـادة مـاء النيـل ثمانيـة عشـر ذراعا ونصف، ونقص من يومه.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان إلى دار الأمير محمود، يعوده من مرضه.

وفى رابع عشره: اسـتقر منكلـى بغـا الزينـى فـى ولايـة الأشمونـين، وعـزل قرطـاى التاجى.

وفى خامس عشره – وهو ثالث توت –: زاد ماء النيـل، ونـودى عليـه مـن الغـد، واستمرت زيادته.

وفيه استقر عمر بن إلياس – قريب قرط – فى ولاية منفلوط، عوضـا عـن الشـريف على البغدادى.

وفى سابع عشرينه – وهو خامس عشر توت –: انتهت زيادة ماء النيـل إلى ثمانيـة أصابع من عشرين ذراعًا، وثبت إلى رابع بابة، فكان طوفانًا، والأسعار تتزايد حتـى بلـغ القمح ثمانين درهمًا، والأردب من الفول والشعير أربعة وخمسين، والبطـة الدقيـق بـاثنى وعشرين درهما، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم، والحمل مـن التـبن بعشـرة دراهـم، والقـدح الأرز بدرهمـين، والأردب مـن الحمـص بخمسين، والرطـل مـن الجـبن المقلـو بدرهمين، والرطل من لحم الضأن بدرهم وربع، والرطل من لحم البقر بدرهم، والسـكر بخمسة دراهم الرطل.

---

(١) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩ هـ. وأمضى أكثر أيامه فى حروب، فلـم يهنأ لـه عيـش إلى أن قتله جماعة من أقاربه، من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر مـن نواحـى مكـة. انظر ابـن الفـرات ٩/ ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/ ٣٥٠ وابن إياس ١/ ٣٠٤ والأعلام ٤/ ٣١٢.

(٢) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى من أمراء مكة ولد ونشأ فيهـا، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بتسامية السلطانية فى جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر للقاء السـلطان برسباى فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ٢/ ١٩٨ – ١٩٩.

وفى آخره: استقر سنقر الماردينى فى ولاية قوص[١]، وعزل أقبغا البشتكى.

وفى السبت ثانى ذى الحجة: قدم الأمير طولو بن على شاه المتوجه إلى طقتمش خان، وأنه بعد ما اتفق معه على محاربة تيمور، توجه تيمورلمحاربته، فسار إليه وقاتله ثلاثة أيام، فانكسر من تيمور، ومر إلى بلاد الروس، فخرج طولو من سراى إلى القرم، ومضى إلى الكفا[٢]، فعوقه متملكها ليتقرب به إلى تيمور، حتى أخذ منه خمسين ألف درهم، فملك تيمور القرم والكفا وخربها.

وقدم رسول الأمير يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا - صاحب الموصل[٣] - بأن عسكر تيمور أتاه، فقاتلهم وهزمهم.

وفى آخره: قدم مبشرو الحاج، وأخبروه باستيلاء حسن بن عجلان على مكة، ووجود الأمن والرخاء.

وفيه ولى شمس الدين محمد الأخناى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن محمد بن خطيب نقيرين. وأعيد برهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصى. واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على بن محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن المنجا. ثم ولى القفصى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن البرهان إبراهيم الركراكى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن محمد القرقشندى موقع الحكم فى ثلث عشرين شعبان.

ومات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الآمدى، أحد أصحاب ابن تيمية، فى رابع عشرين ذى القعدة.

---

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) الكفا بفتح الكاف والفاء فرضة القرم تقع على الساحل الغربى لبحر ينطش (البحر الأسود) فى مقابل طرابيرون. انظر تقويم البلدان ٢٣، ٢٠٠، ٢١٤.

(٣) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزدرعاتها ممتدة، وأبنيتها بالجص والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة. انظر معجم البلدان ٥/٢٢٣، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة المشتاق ١٩٩.

ومات إسماعيل بن الملك الأشرف شعبان بن حسين، فى ثالث عشر رمضان، عن خمس وعشرين سنة.

ومات الأمير ألطُنبغا الحلبى الأشرفى، وهو مسجون بقلعة حلب فى [..(١)..].

ومات الشيخ المعتقد أبو بكر البجائى المغربى المجذوب، فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة، ودفن من الغد، خارج باب النصر حيث التربة الظاهرية الآن. وهو أحد الذين أوصى الملك الظاهر أن يدفن عندهم. وأنفق عليه فى مؤنة كفنه ودفنه، وقراءة ختمات عند قبره مائتى دينار، على يد يلبغا السالمى، وكانت جنازته عظيمة جدا.

ومات الأمير أبو بكر بن الأحمدى فى سابع عشر رجب.

ومات صدر الدين بديع بن نفيس التبريزى، رئيس الأطباء فى سادس عشر ربيع الأول.

ومات الأمير سيف الدين بلاط المنجكى، أحد أمراء العشرينات.

ومات عز الدين حمزة بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، نائب أخيه بدر الدين محمد كاتب السر، وأحد كتاب الدست. مات بدمشق يوم تاسوعاء، وهو آخر من رأس من بنى فضل الله.

ومات الخواجا الكبير رشيد الهُبّى، أحد تجار الكارم، فى ليلة السبت، العشرين من جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين طوغان الإبراهيمى، أحد المماليك الظاهرية، وأمير جاندار، فى سادس صفر.

ومات السيد الشريف على بن عجلان، أمير مكة، مقتولا، فى سادس عشر شوال.

ومات نور الدين على الهورينى، شيخ القوصونية، فى ثالث عشر شهر رجب.

ومات نور الدين على بن الركاب، أحد نواب قضاة الحنفية بالقاهرة، فى سابع عشر رجب.

ومات نور الدين على بن الشراب دار، أحد نبهاء الفقهاء الشافعية، فى تاسع عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن فراج النويرى، أحد الفقهاء المالكية، ونواب قضاتهم بالقاهرة.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

ومات الأمير قاسم بن السلطان فى ثانى عشر ذى الحجة، وعمره نحو خمس سنين.

ومات الأمير قرابغا والد الأمير جَرَكْتَمُر الخاصكى الأشرفى، وأحد أمراء العشرينات فى ثانى ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان، فى يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة، ومولده مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة، وكان قد أعيا الأطباء داؤه الذى برجليه وبه مات. وكان إقطاعه الديوان المفرد، وهو أكبر أولاد السلطان، ودفن فى التربة الظاهرية بين القصرين.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الدايم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلى، قاضى القضاة بديار مصر، وكان أولاً يعظ الناس، ولهم فيه اعتقاد، ثم امتحن بولاية القضاء، فلم تُشكر سيرته، وعُزل ونكب بأخذ مال كبير منه ظلمًا، وغُوِّرت عينه. ومات فى ليلة الإثنين تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات غياث الدين محمد بن جمال الدين[1] عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن ثابت، الواسطى الأصل، البغدادى، ابن العاقولى فى يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الآخر ببغداد. وقدم إلى القاهرة فى الجفلة من تيمور. وكان من علماء فقهاء الشافعية.

ومات شمس الدين محمد بن علىّ بن صلاح الحريرى، أحد نواب القضاة الحنفية بالقاهرة، ومشايخ القراء، وفقهاء الحنفية، فى يوم الجمعة رابع عشرين رجب، ومولده فى العشرين من شوال سنة عشرين وسبعمائة. قرأ على برهان إبراهيم الحركى القراءات و الحديث على علاء الدين التركمانى، والفقه على القوام الأتقانى.

ومات شمس الدين محمد بن عمر القليجى الحنفى مفتى دار العدل، وأحد نواب القضاة بالقاهرة، وموقعى الحكم، فى ليلة الثلاثاء العشرين من رجب. وقد بلغ من الرئاسة مبلغا كبيرا.

---

(١) محمد بن محمد بن عبد الله الواسطى الأصل البغدادى، غياث الدين أبو المكارم ابن العاقولى: عالم بغداد ومدرسها فى عصره ولد بها وكان هو وأبوه وجده كبراءها، انتهت إليهم الرياسة فى العلم والتدريس ولما دخل تيمور لنك بغداد هرب ابن العاقولى منه فنهبت أمواله. ورجع بعد ذلك فتوفى فيها. من كتبه «البيان بما يصلح لإقامة الدين من البلدان» و«شرح منهاج البيضاوى» و«شرح مصابيح البغوى». انظر كتاب (تراجم لمحمد باب الدين -ح) وكشف الظنون ١٦٩٩، ١٨٧٩ وشذرات الذهب ٦/ ٣٥١ وهدية العارفين ٢/ ١٧٥ والأعلام ٧/ ٤٢.

ومات شمس الدين محمد الأقصراى الحنفى، شيخ المدرسة الأيتمشية[1]، فى سابع عشر جمادى الأولى.

ومات الشيخ محمد بن أبى يعقوب القدسى الشافعى المعتقد، فى يوم الأحد أول شهر رمضان. وكان يسكن بجامع المقس على الخليج، وله حظ من الناس.

ومات الشيخ المعتقد محمد السمالوطى المالكى فى ثانى عشر رمضان.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن عبد العزيز المعروف بابن المطرز المصرى، ولد فى سنة عشر وسبعمائة تخمينا، وحدّث بصحيح مسلم عن على بن عمر الوالى، وبسُنن أبى داود عن يوسف بن عمر الختنى، وبكتاب التوكل لابن الدنيا عن الدبوسى. ومات يوم الأحد سادس جمادى الآخرة.

ومات موسى بن أبى بكر بن سلار، أحد أمراء العشراوات وأمير طبر. ولى أمير طبر[2] بعد دمرخان بن قرمان، سنة ثمان وسبعمائة. ومات فى ثالث ذى الحجة والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) الأيتمشية هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت القلعة، برأس النيابة أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش البجاسى ثم الظاهرى سنة ٧٨٥هـ. انظر المواعظ ٢ / ٤٠٠.

(٢) طبر وهى لفظ فارسى والطبر هو الذى يشقق به الأحطاب. انظر معجم البلدان ٤/١٣.

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأحد.

ففى ثانيه: تناقص سعر القمح وأبيع الأردب بستين درهما.

وفيه غير السلطان كتاب وقف مدرسته، وكان شرط النظر عليها من بعده للقضاة، فجعله لمن يكون سلطانا.

وفى خامسه: قرر الأمير قلمطاى الدوادار فى نظرها، ونزل إليها بالتشريف فى موكب جليل.

وفى تاسعه: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. وارتفع السعر حتى أبيع الأردب القمح بمائة درهم، والبطة الدقيق بستة وعشرين درهما، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم.

وفى عاشره: قدم يلبغا السالمى من الحجاز.

وفى ثامن عشره - وهو فى أثناء هاتور -: كان النيل ثابتا على ثمانية عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا، وهذا من غرائب أحوال النيل.

وفى سادس عشره: عاد السلطان من سرياقوس.

وفى يوم الخميس رابع صفر: نقل الأمير يلبغا الأحمدى المجنون من كشف الوجه البحرى إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل أوناط. ورسم ليلبغا أن يقيم بالقاهرة، ويخرج لعمل مصالح الإقليم. وبطل كشف الوجه البحرى، وصارت نيابة بتقدمة ألف، وهو أول من عمل هذا.

وفيه عزل شرف الدين محمد[1] بن الدمامينى من حسبة القاهرة بنور الدين على الفور.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عمران بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى بدر الدين المعروف بابن الدمامينى: عالم بالشعر وفنون الأدب ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كلبرجا. من كتبه: «تحفة الغد». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ٩/٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانه ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

وفى سادسه: بعث السلطان الطواشى فارس الدين شاهين الحسنى الجمدار، فأخذ من دار الأمير محمود وهو مريض مالا كبيرا، يقال إنه مبلغ مائة ألف دينار وجد فى عقد سلم غمز عليه، وعدة أحمال من قماش. وقبض على زوجته، وكاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب، وصار بهم إلى القلعة، وعاد فأخذ ابنه الأمير ناصر الدين محمد.

وفى سابعه: تسلم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأمير ألى باى الخازندار ونزل به إلى دار محمود ليدله على دخيرة اعترف بها، فكانت جملتها خمسين ألف دينار.

وفى ثامنه: استقر على بن غلبك بن المكللة فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بك بحكم انتقاله إلى ولاية البحيرة.

وفى تاسعه: استقر قطلوبغا الطشتمرى نائبا بالوجه القبلى، عوضا عن أمير فرج بن أيدمر بعد وفاته. واستمر الأمير بيسق الشيخى فى كشف الجيزة عوضا عن قطلوبغا.

وفى حادى عشره: استقر قطلوبك العلاى أستادار الأمير أيتمش فى وظيفة الأستادارية، عوضا عن الأمير محمود، وأنعم عليه بإمرة عشرين. واستقر محمود على إمرته وهو مريض. واستقر سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الديوان المفرد.

وفى خامس عشره: استقر الأمير قديد القلمطاوى فى نيابة الإسكندرية[1]، عوضا عن الأمير مبارك شاه. واستقر علاء الدين على بن الطبلاوى أستادار خاص الخاص، وناظر كسوة الكعبة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى وكيل بيت المال ومحتسب القاهرة - كان - مضافا لما معه من الحجوبية، والتحدث فى ولاية القاهرة، ودار الضرب، والمتجر، وشق القاهرة فى محفل حفل. واستقر الأمير أزدمر فى كشف الجيزة، عوضا عن بيسق، وعاد بيسق أمير أخور كما كان، وأضيف إليه كشف الجسور بالقليوبية.

وفى ثامن عشره: قدمت رسل الأمير قرا يوسف بن قرا محمد - صاحب تبريز - برجل يقال له أطلمش من نواب تيمور لنك، قبض عليه، فسلم لابن الطبلاوى.

وفى خامس عشرينه: استقر الأمير زين الدين مبارك شاه فى الوزارة، بعد موت الوزير ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، واستقر أمير فرج الحلبى شاد الدواوين.

---

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة بمصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح. انظر معجم البلدان ١٨٣/١، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦.

وفى سابع عشرينه: أعيد شرف الدين محمد بن الدمامينى إلى حسبة القاهرة، وعزل القور لعجزه عن القيام بما التزم به من المال، وأضيف إلى ابن الدمامينى نظر الكسوة، ونزعت من النجم الطنبدى بعد ما تحدث فيها ابن الطبلاوى كما ذكر.

وفى سلخه: أنعم على الوزير مبارك شاه بإمرة ناصر الدين محمد بن رجب.

وفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول: استقر أحمد بن محمد بن ماما فى ولاية المنوفية، عوضا عن محمد بن العادلى. ثم عزل فى اليوم الرابع، وأعيد ابن العادلى.

وفى حادى عشره: توجه السلطان إلى ناحية صقيل من الجيزة، وعاد فى سادس عشره.

وفيه تسلم ابن الطبلاوى سعد الدين أبا الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وابنه أمين الدين ليخلص منهما أربعمائة ألف وسبعين ألف درهم، وجد بها حجة لابن رجب الوزير، ثم أفرج عنهما بعد يومين.

وفى تاسع عشره: سلم ناصر الدين محمد بن محمود الأستادار لابن الطبلاوى، على مائة ألف دينار يخلصها منه، فأخرق به وبالغ فى إهانته ونزع عنه ثيابه ليضربه بحضرة الناس، فقال له: «يا أمير: قد رأيت عزنا وما كنا فيه، وقد زال، فعزك أيضا ما يدوم، وهذا أول يوم زال عنى وعن أبى فيه السعادة وأقبل الإدبار». فلم يضربه.

وفى عشرينه: أفرج عن سعد الدين ناظر الخاص وابنه، وخلع عليهما خلع الرضا.

وفيه نقل ابن محمود إلى الطواشى شاهين الحسنى، فأقام عنده يومين.

وفى ليلة الخميس ثالث عشرينه: نزل الطواشى صندل، والطواشى شاهين الحسنى، وابن الطبلاوى إلى خربة خلف مدرسة الأمير محمود، وأخرجوا من الأرض - بعد حفر كثير - عدة أزيار فيها ألف ألف درهم فضة، حملت إلى السلطان.

وفى بكرة يوم الخميس: وجد بالخربة أيضا بعد حفر كثير، ستة آلاف دينار، وأربعة عشر ألف وخمسمائة درهم فضة.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن محمود إلى ابن الطبلاوى.

وفى خامس عشرينه: احضرت أمه إلى السلطان.

وفى ثامن عشرينه: ظفر أيضا بمبلغ ثمانية وثلاثين ألف ومائتين وثلاثين دينارا فى مخزن خمار[١] بثغر الإسكندرية، حملت إلى السلطان.

---

(١) خمار حيث أن صانع الخمور هو الذى يحتاج إلى مخزن لخزنها فيه.

وفى يوم الخميس ثامن ربيع الآخر: ابتدأ السلطان بعمل الخبز الذى يفرق فى الفقراء، وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا، وتولى ابن الطبلاوى ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذ الخبز هما عظيما، بحيث لم يعرف أن أحدا مات فى هذا الغلاء بالجوع، واغتنى جماعة منه، فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضا.

وفى تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، ونزل بشاطئ النيل، تجاه القاهرة.

وفى رابع عشره: عاد إلى القلعة.

وفى خامس عشره: استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكى - ناظر قطيا - فى ولايتها مع وظيفة النظر، والتزم كل شهر بحمل مائة ألف وخمسين ألف درهم. وكان فى ابتداء أمره صيرفيا بقطيا، وترقى حتى باشر بها، ثم ولى النظر إلى أن جمع بين النظر والولاية.

وفيه ظفر أيضا بذخيرة لمحمود عند لاجين أمير سلاحه، فكان مبلغها ثلاثين ألف دينار.

وفى سابع عشره: استعفى أزدمر من كشف الجيزة، فأعفى. واستقر عوضه يلبغا مملوك الوزير مبارك شاه.

وفيه ارتجع عن شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب إمرته، وهى عشرة، وعوضه عنها إقطاعا برمح واحد.

وفى تاسع عشره: قدم محمد بن العادلى والى المنوفية فى الحديد، فتسلمه ابن الطبلاوى، واستقر عوضه حسام الدين.

وفيه قدم الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، ومعه على بن غريب أمير هوارة، وثلاثة وثلاثين رجلا من أهله وأولاده فى الحديد، فسجن ابن غريب بالبرج فى القلعة، وأودع أصحابه بخزانة شمايل.

وفيه تصدق السلطان بذهب كثير، فاجتمع بالإصطبل خمسمائة نفس، حصل لكل منهم مبلغ خمسين درهما.

وفى رابع عشرين: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضا، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، بحيث مات منهم فى الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفسا، تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب، والوزير مبارك شاه.

وقدم الخبر من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بنى حسن إلى ينبع، وهو فى طلبهم، ثم عاد إلى خليص[١]،ومعه أمير ينبع، فكبس عليهم وظفر بهم، وأن الأترك الذين استخدمهم أمير ينبع ركبوا عليه وقاتلوه، وقتلوا جماعة من أصحابه، فظفر بهم، وقتل منهم اثنى عشر، وأخرج باقيهم من بلاده.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: أوقعت الحوطة على دار الأمير محمود الأستادار، وأخذت مماليكه، وترك عنده ثلاثة يخدمونه فى مرضه.

وفيه فر شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الدزرى الدمشقى، من ترسيم ابن الطبلاوى. وكان قد تحدث للأمير أيتمش فيما يتعلق به فى دمشق وأحضره لعمل حسابه، فوقف عليه مال عجز عنه فهرب، ولم يوقف له على خبر.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل فى كل يوم طعاما للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس. ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهما، فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف.

وكانت الأسعار قد تزايدت لقلة وجود الغلال، وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية، وازدحم الناس على الأفران، وأبيع القمح بمائة وخمسة وسبعين درهما الأردب فى غلته، فإذا غربل تعدى المائتين.

وبلغت البطة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما، والخبز كل رطل وربع، بدرهم.

وفى عاشره: وجدت دخيرة لمحمود، فيها مبلغ سبعين ألف دينار.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: حضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء برفع الغلاء، ومعه خلائق، فكان وقتا عظيما. فلما كان من الغد قدم إلى ساحل القاهرة ومصر عدة مراكب بها الغلال، فانحط سعر الأردب عشرة دراهم، وأخذ يتناقص حتى أبيع الأردب بمائة وثلاثين درهما، والخبز كل رطلين بدرهم، ثم انحط عن ذلك أيضا.

وفى عشرينه: وجدت دخيرة لمحمود أيضا، فيها ثلاثة وستون ألف دينار ووجدت أيضا أخرى فيها مبلغ أربعين ألف دينار، ووجد له عند شخص مبلغ أربعين ألف دينار، وعند آخر عشرين ألف دينار. ووجد فى بيت مبلغ مائة دينار وسبعة وثلاثين ألف دينار، وفى موضع آخر مائة ألف دينار وثلاث برانى[٢] فى إحداها أحجار البلخش[٣]وفى اثنتين اللؤلؤ كبار، ووجد أيضا عند شخص حلى ذهب له قدر كبير.

---

(١) خليص حصن بمكة والمدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) برانى شبه فخارة خضراء وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه، والبرنية إناء من الخزف. انظر لسان العرب.

(٣) البلخش نوع من الأحجار الكريمة أقرب ما يكون إلى الزمرد.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: شدد على محمود حتى التزم بإرضاء السلطان.

وفى سابع عشرينه: وجد له فى موضع مائة ألف دينار، وثمانية وثلاثون ألف دينار.

وكثرت صدقات السلطان فى هذا الشهر، وأكثر من تفرقة دنانير الذهب والدارهم الفضة، والخبز والطعام، حتى عم الفقراء والمساكين وغيرهم، وصار لبعضهم من ذلك غنى.

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: خرج البريد إلى دمشق بإحضار الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى.

وفيه سُلم محمود الأستادار إلى شاد الدواوين ليعاقبه، فعصره من ليلته.

وفى خامسه: أخرج الأمير شهاب الدين أحمد بن يَلبغا الخاصكى العمرى إلى طرابلس.

وفيه أنعم على تمربُغا المنجكى بتقدمة ألف، وعلى قُطلوبَك الأستادار بتقدمة ألف. وعلى كل من طُولُو بن على شاه، ويَلْبُغا الناصرى، وسراى تمر الناصرى، وشاذى خُجا العثمانى، وقينار العلاى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من طَيْبُغا الحلبى أمير خور، وسودن طاز من على باى، ويعقوب شاه الخازندار، ويَشْبُك الخازندار، وتَمَان تَمُر الأَشَقْتَمُرى رأس نوبة الجمدارية بإمرة عشرة.

وفى عاشره: قدم البريد من الوجه القبلى بأن العرب الأحامدة قتلوا قُطُلوبُغا الطَشْتُمرى نائب الوجه القبلى، فاستقر عوضه عمر بن إلياس والى منفلوط، مضافا لما بيده.

وفيه استقر الشيخ زين الدين أبو بكر القمنى فى مشيخة الصلاحية بالقدس، عوضًا عن شمس الدين محمد بن الجزرى، وبعث بالنيابة عنه، وذلك بسفارة الأمير قَلْمطاى الدوادار لاختصاصه به.

وفى رابع عشره: استقر الشيخ شمس الدين محمد ابن [...[1] ...]، ويقال له شيخ زاده الحويزاتى فى مشيخة الشيخونية، عوضا عن البدر الكُلُستانى كاتب السر. واستقر الجمالى محمود العجمى ناظر الجيش وقاضى القضاة الحنفية فى تدريس الصرغتمشية، عوضا عن البدر الكُلُسْتانى. واستقر شهاب الدين أحمد بن النقيب اليغمورى الدمشقى فى التحدث على مستأجرات خاص الخاص، والمتجر نيابة عن ابن الطبلاوى، واستقر حاجبًا بدمشق.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى سادس عشره: استقر الأمير فارس حاجب الحجاب فى نظر الصَّرْغَتْمُشية والشيخونية، واستقر تَمُر بُغا المنجكى حاجبًا ثانيًا، عوضا عن قَديدَ.

وفى ثامن عشره: قدم بدر الدين محمد بن الطوخى وزير الشام على البريد.

وفى تاسع عشره: استقر أَلْطُنْبُغا البريدى فى ولاية البهنسا، عوضًا عن الصارم إبراهيم الشهابى، وأحضر الصارم، وضرب بالمقارع عند ابن الطبلاوى واستقر أَلْطُنْبُغا المرادى فى ولاية أسوان[١] عوضا عن حسين صهر أبى درقة، واستقر أَقْبُغا المُزَوَّق فى ولاية قوص، بعد موت سُنْقُر.

وفى العشر الثانى من هذا الشهر: انحلت الأسعار لكثرة ما جُلب، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما، وأبيع الأردب من الشعير والفول بثلاثين درهما، وأبيع فى ثانى عشرينه الخبز أربعة أرطال بدرهم، فسخط جلابة الغلال، وانحدروا بها إلى جهة الإسكندرية طلبا للسعر الغالى، فتكالب الناس على شراء الخبز والدقيق فى يوم الإثنين ثالث عشرينه، وتخاطفوه من رءوس الحمالين، فكان يوما مهولا، ووقف الناس من الغد إلى السلطان وضجوا من عدم ما يأكلونه، فندب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى للتحدث فى ذلك وتمادى الأمر فى الشدة يوم الأربعاء.

وفى يوم الخميس: رُسم أن يباع الرغيف بربع درهم، والناس فى غاية الانهماك على طلبه، وخطفه من الأفران، وقتال بعضهم لبعض بسببه، وأبيع القمح كل قدح بدرهم ونصف سدس، والشعير بربع وسدس درهم القدح. واختفى شرف الدين محمد ابن الدمامينى المحتسب فى بيته ثلاثة أيام؛ خوفا من العامة أن تبطش به، وطلب القمح كل أردب بمائة وعشرين درهما، والشعير بستين درهما، فلم يكد يقدر عليه. وفقد الخبز من الأسواق، فلم يره أحد، فصرف السلطان ابن الدمامينى واستدعى شمس الدين محمد المخانسى الصعيدى، وولاه الحسبة - بسفارة ابن الطبلاوى - بغير مال، فى يوم الخميس سادس عشرينه، فاستمر الأمر على ما ذكر بقية الشهر، فكانت أيام شنعة.

وفى آخره: استقر علاء الدين على بن محمد بن محمد بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد النابلسى.

وفى يوم الخميس رابع رجب: استقر سعد الدين نصر الله بن البقرى فى الوزارة، وبدر الدين محمد بن الطوخى، عوضا عنه فى نظر الدولة، وبقى مبارك شاه على إمرته. واستقر شرف الدين محمد بن الدمامينى فى نظر الكسوة، وخلع على الجميع. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضا عن الشهاب أحمد الأرغونى.

---

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسى ٢١.

وفى هذا الشهر: سارت الأحامدة من عرب الصعيد فى جمع من هوارة على ابن غريب إلى أسوان، واتفقوا مع أولاد الكنز، ففر منهم حسين صهر أبى درقة، ونهبوا داره، وكل ما فى البلد، فخرج البريد بتوجه عمر بن إلياس نائب الوجه القبلى لطلبهم، فسار بهوارة عمر بن عبد العزيز، فلم يقدر عليهم، وعاد بغير طائل.

وفيه استقر علاء الدين على بن السنجارى الدمشقى وزيرا بدمشق.

وفى أول شعبان: نقل الأمير محمود إلى ابن الطبلاوى، فعاقبه بالضرب والعصر لرجليه، وعاقب ابنه ناصر الدين محمدا، وألزمه بأربعمائة ألف درهم، فباع سائر موجوده، فلم يبلغ ثلاثمائة ألف.

وفيه استقر الحسام بن أخت الغرس فى شد الدواوين بغير إمرة. واستقر أمير فرج على إمرته بغير وظيفة الشد. واستقر ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين على بن كلفت التركمانى فى نقابة الجيش. وعزل علاء الدين على بن سنقر العينتابى.

وفى ثالث عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع سواء.

وفى ليلة الخميس رابع رمضان: خسف جميع جرم القمر بعد صلاة العشاء، حتى أظلم الجو.

وفى يوم السبت تاسع عشرين شوال: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وذلك فى ثانى عشر مسرى، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة: قبض على سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وأحيط بداره، واستقر عوضه فى نظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن غراب الإسكندرانى كاتب الأمير محمود بن على.

وفى أول ذى الحجة: عزل ابن السنجارى من وزارة دمشق بشهاب الدين أحمد بن الشهيد، وتوجه من القاهرة، وقد أضيف إليه نظر المهمات والأسوار بدمشق.

وانتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا.

وفى رابع عشرينه: استقر علاء الدين على بن الطبلاوى فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن الأمير الكبير كمشبغا الحموى.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وهو الأمير سودن طاز، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأن حسن بن عجلان واقع بنى حسن فى خامس عشرين شوال، وقتل من أعيانهم اثنى عشر شريفا، وقتل من القواد ثلاثين قائدا، وهزم من بقى منهم.

وفى يوم الأربعاء سلخه: قبض الوزير الصاحب سعد اللدين بن البقرى على مقدم الدولة محمد بن عبد الرحمن، وأقام عوضه ابن صابر وعلى ابن الفقيه.

وفيها ولى الأمير شرف الدين موسى بن عَسَّاف بن مهنا بن عيسى إمرة آل فضل. عوضا عن الأمير شمس الدين محمد بن قارا بن مهنا بن عيسى فى المحرم. واستقر الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا بن عيسى فى إمرة آل فضل، عوضا عن موسى بن عساف، فى شوال، بعد موته.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن الشيخ عبد الله المنوفى خطيب جامع ابن شرف الدين بالحسينية، الفقيه المالكى، فى ليلة الثلاثاء تاسع رجب، ودفن بتربة أبيه خارج باب النصر.

ومات المقرئ الجندى شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبرس، المعروف بابن الركن البيسرى الحنفى؛ أخذ القراءات عن الشيخ شمس الدين محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب.

ومات تقى الدين عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن الواسطى، وبابن البغدادى، وكان عارفا بالقراءات، وعلم الميقات، ويقرأ بالمصحف فى الجامع الأزهر، ويقوم فى رمضان بعد التراويح إلى طلوع الفجر. ومات بالفيوم[١] فى صفر عن خمس وسبعين سنة، ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

ومات ولى الدين أحمد بن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش، وهو يلى كتابة الدست، ونظر خزائن السلاح، فى سادس عشرين جمادى الآخرة. واستتر بموته، فإنه أسرف حتى ذهب ماله.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوى، فى ثانى جمادى الأولى. كان أولاً يعانى كَحْل الأعين، ويقيم أوده من ذلك، فتعلق بفخر الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، وهو يلى نظر دار الضرب، فاستنابه فيها، وخدم ابن الطبلاوى ففخم أمره، وعين لنظر الخاص، فعاجلته المنية، دون بلوغ الأمنية.

---

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

ومات شهاب الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن الشامية موقع الحكم، فى سابع عشرين شعبان.

ومات أمير فرج بن عز الدين أيدمر السيفى نائب الوجه القبلى. قتل فى سادس صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الأعسر فى يوم عيد الفطر، كان مشرفا بمطبخ الأمير خجا أمير شكار، ثم خدم زرد كاش الأمير الكبير يلبغا العمرى، وانتقل حتى صار أحد الأمراء، وولى مهمندارا ثم شاد الدواوين.

ومات الأمير سيف الدين تمر الشهابى الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه. وكان ينظر فى الفقه على مذهب الحنفية، ويتدين، وخرج عليه العرب، فقاتلهم وجرحوه، فمات من جراحه بعد أيام بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين تغرى بردى القُرْدُمى، أحد العشراوات، قتل فى محبسه.

ومات رضى الدين محمود بن الأقفهسى، نقيب القضاة الحنفية، فى خامس عشرين جمادى الآخرة. وكان يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة، ويتقن العربية، وله سيرة مشكورة.

ومات صلاح الدين خليل بن محمد الشطنوفى، موقع الحكم، فى خامس عشر رمضان.

ومات الأمير سيف الدين سودن الشيخونى الفخرى، نائب السلطان، بديار مصر، فى يوم الثلاثاء خامس جمادى الأولى بعد ما شاخ، وعلت[١] سنه، وكان خيرًا دينا. ومنذ مات تجاهر الملك الظاهر بمنكرات لم تكن تعرف عنه.

ومات الفقيه صَفَر شاه الحنفى، رسول متملك الروم خوند كار أبى يزيد بن مراد بك بن عثمان، بالقاهرة فى جمادى الأولى.

ومات فتح الدين عبد الله بن فرج المكينى أحد الأقباط الكتاب، فى العشرين من شعبان، ويحكى عنه مكارم جمة.

ومات زين الدين عبد الرحمن بن محمد الشريشى[٢]، الموقت الفاضل، فى تاسع عشر رمضان.

---

(١) المقصود كبرت سنه.

(٢) نسبة إلى شريش، وهى من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهى على مقربة من البحر، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطئ البحر، بينهما ستة أميال، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأقطار، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين، والحنطة بها ممكنة. انظر معجم البلدان ٣٤٠/٣، والروض المعطار ٣٤٠.

ومات نور الدين على بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميرى المالكى، شيخ القراء بخانكاة شَيْخو، وأخو القاضى تاج الدين بهرام، فى ثانى عشرين رمضان.

ومات الأمير سيف الدين قرابغا الأحمدى، أحد الطبلخاناه، وأمير جاندار فى [......][1].

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الطشتمرى، أحد الأمراء الألوف، فقتله العرب.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن محمد بن كلفت، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر، وهو ممن مات بغير نكبة من وزراء مصر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد جُمُق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسى، أحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة خامس صفر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جركس الخليلى، أحد الطبلخاناه، فى يوم الثلاثاء تاسع صفر.

ومات ناصر الدين محمد بن الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى. كان بارعا فى علوم الحساب، وكان قصير القامة، أحدبا[2]. مات يوم السبت سادس رجب.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى المعروف بالرخ - أحد نواب الحنفية - خارج القاهرة، فى يوم الخميس سادس جمادى الأول.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد القاياتى موقع القضاة الحنفية، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيش، فى ليلة السبت ثالث عشر صفر.

ومات الشيخ شمس الدين محمد الزرزارى الحجاجى الصوفى المعتقد، أمين مطبخ المارستان، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات فتح الدين صدقة - الذى يقال له أبو دقن - ناظر المواريث، كان يتوكل فى أبواب القضاة، ثم دولب وكالة قوصون بالقاهرة، وخدم معامل الحوائج خاناه

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) الحدب نتوء فى الظهر. انظر المعجم الوجيز ١٣٨.

السلطانية. ثم ولى نظر المواريث، فشكرت سيرته. مات فى أوائل جمادى الآخرة.

ومات الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزه الحسنى العراقى، فى ليلة السبت ثالث ربيع الآخر، ودفن على أبيه خارج القاهرة. قدم مع أبيه إلى القاهرة واتصل أبوه بأرباب الدولة، فدرت أرزاقه، وتمكن من الأمير الكبير يلبغا العمرى، حتى مات فى رجب سنة أربع وستين وسبعمائة. دفنه الأمير يلبغا بتربته خارج القاهرة، وأجرى على ابن مرتضى ما كان يجريه عليه. وكثر اتصاله بأرباب الدولة حتى أثرى، وولى نظر وقف الأشراف ونظر القدس والخليل، وكان شكلا بهيا جميلا، صاحب عبارة وفصاحة بالألسن الثلاثة، العربية والفارسية والتركية.

ومات الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى الحنفى، أحد الأجناد، فى أول رمضان، وكان عارفا بالفقه والنحو، وهو والد الأحدب.

وماتت خوند[١] عائشة القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى أول جمادى الأولى، بعد ما كبر سنها، وتلف مالها، بتبذيرها وإسرافها، حتى افتقرت.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم ابن أبى الحسن المرينى[٢]، صاحب فاس. وأقيم بعده أخوه أبو عامر عبد الله[٣]. رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) لقب يطلق على الملكات أو الأميرات.

(٢) عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم، أبو فارس المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى كان مع أبيه (أبى العباس) المستنصر الأول، فى معتقل أبناء الملوك المرينين، بحمراء غرناطة. وانتقل إلى المغرب حين تم له دخول فاس. وولاه أبوه قيادة الجيش لإخضاع تلمسان، فتوجه إليها وتوفى أبوه فى تازا، فاستدعاه رجال الدولة فبايعوه بها سنة٧٩٦هـ وانقادت له تلمسان وسائر العرب، فاستمر ثلاث سنين وشهرا ومات بفاس. انظر الاستقصا ١٤١/٢ وجذوة الاقتباس ٢٦٨ والأعلام ١٤/٤.

(٣) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة بنى مرينى فى المغرب. بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩هـ) وكان تصريف الأعمال فى أيدى الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباه. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أيام. انظر الاستقصا ١٤٢/٢ والأعلام ٦٨/٤.

سنة تسع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الخميس.

ففيه ركب. السلطان، وتصيد ببركة الحاج، وعاد من يومه.

وفي ثانيه: استقر تغرى برمش السيفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بن غلبك ابن المكللة، بحكم انتقاله إلى ولاية منفلوط[1]، عزضا عن بهاء الدين الكردى.

وفي خامسه: ركب الأمير سودن طاز البريد لإحضار الأمير تنم الحسنى نائب الشام.

وفي عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس[2]، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة، وخرج الأمراء وأهل الدولة، فأقام إلى سادس عشرينه وعاد إلى القلعة. واستقر محمد بن قرابغا الأنباقى فى ولاية أشموم الرمان، وعزل أسنبغا السيفى. وحضر الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين[3]، فأنعم عليه وعلى من معه، ورتب لهم اللحوم والجرايات. وكان سبب قدومه أن الظاهر عيسى لما قبض عليه تيمور لنك وأقام فى أسره، قام ألطنبغا بأمر ماردين ومنع تيمور لنك منها. وكان الظاهر قد أقام فى مملكة ماردين الملك الصالح شهاب الدين أحمد بن إسكندر بن الملك الصالح صالح، وهو ابن أخيه وزوج ابنته، فقاتل أصحاب تيمور قتالا شديدا، وقتل منهم جماعة، فشق هذا على تيمور، ثم أفرج عن الظاهر بعد أن أقام فى أسره سنتين وسبعة أشهر، وحلفه على الطاعة له وإقامة الخطبة باسمه، وضرب السكة له، والقبض على ألطنبغا وحمله. فعندما حضر إلى ماردين، فر منه ألطنبغا إلى مصر، فرتب له السلطان ما يليق به.

وقدمت رسل تيمور إلى دمشق، فعوقوا بها، وحملت كتبهم إلى السلطان فإذا فيها

---

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البدان ٢١٤/٥،٢١٥.

(٢) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣)ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دار نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قنته لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، الروض المعطار ٥١٨، الكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

طلب أطلمش، فأمر أن يكتب إلى أطلمش بما هو فيه ورفيقه من إحسان السلطان، وكتب جوابه بأنه متى أرسل من عنده من أصحاب السلطان، خير إليه أطلمش.

وفى يوم السبت أول صفر: حمل محمود الأستادار إلى عند السلطان، وانتصب له سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الخاص، وفجر عليه ، وبالغ فى محاققته[١]، والفحش فى الكلام، حتى امتلأ السلطان على محمود غضبا، وأمر بعقوبته حتى يموت، فأنزل إلى بيت الحسام شاد الدواوين.

وفى ثالثه: قدم الأمير تنم نائب الشام، فخرج السلطان إلى لقائه بالريدانية وجلس له على مطعم الطيور، وبعث الأمراء والقضاة إليه، فأتوه به، وسار معه إلى القلعة، وأنزل بالميدان الكبير على موردة الجبس، وبعث إليه السماط والنفقات، وخمس بقج قماش متصل، وأجرى له الرواتب التى تقوم به، وبمن معه، فحمل تنم تقدمته، وهى عشر كواهى[٢]، وعشرة مماليك صغار فى غاية الحسن، وعشرة آلاف دينار، وثلمثائة ألف درهم، ومصحف قرآن، وسيف بسقط ذهب مرصع، وعصابة نساوية من ذهب مرصع بجواهر نفيسة، وطراز من ذهب مرصع أيضا، وأربعة كنابيش زركش، وأربعة سروج ذهب، وبدلة فرس فيها أربعمائة دينار ذهبا، وأجرة صياغتها ثلاثة آلاف درهم فضة، ومائة وخمسون بقجة فيها أنواع الفرو، ومائة وخمسون فرسا، وخمسون جملا، وخمسة عشر حملا من النصافى ونحوه، وثلاثون حملا من فاكهة وحلوى، وغير ذلك مما يؤكل، واثنتى عشرة علبة من سكر النبات.

وفى سادسه: استقر أوناط السيفى فى ولاية قوص[٣]، وعزل آقبغا الزينى.

وفى سابعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة ومعه الأمير تنم، ونزل على شاطئ النيل تجاه القاهرة، وتصيد، ثم عاد فى ثالث عشره.

وفيه استقر تاج الدين عبد الغنى بن صورة فى توقيع الدست، عوضا عن ولى الدين أحمد بن تقى الدين ناظر الجيش.

وفى سابع عشره: جلس السلطان بدار العدل، وركب الأمير تنم فى الموكب تحت القلعة بمنزلة النيابة، وطلع إلى دار العدل، وخلع عليه خلعة الاستمرار. وجرت له من الإصطبل ثمانية جنايب بكنابيش وسروج ذهب.

---

(١) أهلكه وأباده . انظر المعجم الوجيز ٥٧٤.

(٢) الكواهى ومفردها كهى، هى الصقور برسم الصيد.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وفيه استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى حسبة القاهرة، وصرف شمس الدين محمد المخانسى.

وفى تاسع عشره: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، وكان قد حضر مع الأمير تنم. واستقر تاج الدين عبد الرزاق الملكى ناظر ديوان الأمير تنم - وقد حضر معه أيضا إلى القاهرة - فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن شمس الدين بن مشكور، وخلع عليهما.

وفيه خرج البريد بطلب الأمير جُلْبان من دمياط.

وفى عشرينه: لبس الأمير تنم قباء السفر، وتوجه فى حادى عشرينه إلى نيابته بدمشق.

وفى خامس عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد فى سابع عشرينه.

وفيه قدم الأمير جلبان الكمشبغاوى من دمياط[1] ومثل بحضرة السلطان، وقبل الأرض، فصفح عنه وألبسه خلعة الرضا، وأنعم عليه بإقطاع الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى، وجعله أتابك العساكر بدمشق، وبعث إليه بثمانية أفراس، منها فرس بقماش ذهب.

وفيه سلم إياس الجرجاوى أتابك دمشق إلى ابن الطبلاوى ليخلص منه المال، فالتزم بخمسمائة ألف درهم، وبعث مملوكه لإحضار ماله من دمشق فخلى عنه وهو مريض، فمات بعد يومين.

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول: قبض على الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى، وولده تاج الدين، وسائر حواشيه، واستقر عوضه فى الوزارة بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى، واستقر عوضه فى نظر الدولة سعد الدين الهيصم.

وفى ثامنه: استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى نظر الجيش، بعد موت جمال الدين محمود العجمى القيصرى، على أربعمائة ألف درهم فضة، قام بها بعد ما حمل فى ولاية الحسبة بالقاهرة مائتى ألف وخمسين ألف درهم فضة، سرق ذلك كله وأضعافه من مال الأمير محمود الأستادار، فإنه كان رفيقا لسعد الدين إبراهيم بن غراب فى مباشرته.

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣.

وفى تاسعه: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى، فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن الجمال محمود العجمى، وهذه ولاته الثانية. وولى كليهما من غير بذل مال، ولا سعى، بل يطلب لذلك. واستقر البهاء محمد بن البرجى فى حسبة القاهرة، عوضا عن ابن الدمامينى بمال قدام به. ولم يل قط إلا بمال، فتشاءم الناس بولايته من أجل أن القمح كان الأردب منه بنحو ثمانية وعشرين درهما، والبطة الدقيق بأحد عشر درهما، والخبز ستة أرطال بدرهم، فأبيع القمح بستة وثلاثين الأردب، والبطة الدقيق بأربعة عشر درهما، والخبز دون الخمسة أرطال بدرهم.

وفى سادس عشره: استقر أنواط اليوسفى فى نيابة الوجه القبلى، وعزل عمر بن إلياس، وخرج البريد بطلبه. واستقر محمد بن العادلى فى ولاية قوص عوضا عن أنواط.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير طولو بن على شاه من بلاد الروم، وقد توجه فى الرسالة إلى خوندكار بن عثمان، وأخبر بأنه واقع الأكروس، وظفر منهم بغنائم كثيرة، وقتل خلائق لا تحصى، وأن شمس الدين محمد بن الجزرى لحق بابن عثمان، فبالغ فى إكرامه، وجعل له فى اليوم مائة وخمسين درهما نقرة.

وكان خبره أنه لما فر من القاهرة ركب البحر من الإسكندرية إلى أنطاكية[1] فى ثلاثة أيام يريد اللحاق بابن عثمان، فإنه أقرأ بدمشق القراءات رجلا من الروم يقال له حاجى مؤمن، صار من عظماء أصحاب ابن عثمان، فأكرمه متولى أنطاكية، وبعث به إلى برصا - دار ملك ابن عثمان - من بلاد الروم، فتلقاه أهل برصا، ودخل على ابن عثمان، فأكرمه وأجرى عليه المرتب المذكور، وقاد إليه تسعة أروس من الخيل وعدة مماليك وجوارى، وصار يعد من العظماء.

وورد الخبر أيضا بأن الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فر من دمشق، وصار من بيروت إلى عند ابن عثمان، فأكرمه، وأجرى عليه فى اليوم خمسين درهما.

وفى حادى عشرينه: قدمت هدية الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول[2]، متملك اليمن، صحبة برهان الدين إبراهيم المحلى للتاجى، والطواشى افتخار الدين فاخر، وهى عشرة خدام

(١) انظر معجم البلدان ١/٢٦٦، ٢٧٠.

(٢) إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على بن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول، من ذرية جبلة بن الأبهم. من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه الملك الأفضل سنة ٧٧٨هـ. توفى بتعز . انظر العقود اللؤلؤية ٢/١٦٣ والضوء اللامع ٢/٢٩٩ والأعلام ١/٣١٦ و٣١٧.

طواشية، وأربعة عبيد، وست جوارى، وسيف بحلية ذهب، مرصع بعقيق، وحياصة[١] بعواميد عقيق مكلل بلؤلؤ كبار، ووجه فرس مرآة هندية، محلاة بفضة قد رصعت بعقيق، وبراشيم[٢] وحشية برسم الخيول عشرة، ورماح عدة مائتين، وشطرنج عقيق أبيض وأحمر، وأربع مراوح مطرطقة[٣] بذهب، ومسك ألف مثقال، وعنبر خام ألف مثقال، وزباد[٤] سبعون أوقية، ومائة مضرب غالية، ومائتى وستة عشر رطلاً من العود، وثلاثمائة واثنتين وأربعين رطلا من اللبان الجاوى، وثلاثمائة وأربعة وستون رطلاً من الصندل، وأربع برانى من الشند[٥] وسبعمائة رطل من الحرير الخام، ومن البهار والأنطاع[٦] والصينى، وغير ذلك من تحف اليمن والهند.

وفى ثانى عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فصاح العوام، وشكوا من ابن البرجى المحتسب، وسألوا عزله.

وفى ثالثه: وقف أوباش العامة تحت القلعة، ورصدوا ابن البرجى حتى نزل، ورجموه بالحجارة حتى كاد يهلك، لولا امتنع ببيت بعض الأمراء. وكان ذلك بإغراء المخانسى وتفرقته مبلغ مائتى درهم فى عدة من أوباش العامة؛ ليرجموا ابن البرجى، ويسألوا عزله وعود المخانسى، فتم له ذلك واشتد صراخ العامة بعد رجم البرجى، وهو يسألون عزله وولاية المخانسى فاستدعى وخلع عليه من يومه.

وفى خامسه: استقر محمد بن عمر بن عبد العزيز أميرا على هوارة، بعد موت أبيه.

وفى ثامنه: ركب شرف الدين محمد بن الدمامينى بفوقانية من صوف أخضر وعذبته مسبلة عليها من وراء ظهره. ولم يعهد قبله أحد من القضاة الذين يلبسون الجبة، ويلبسون العذبة، يلبس جبة ملونة، بل دائما لا يلبسون شتاء ولا صيفا إلا الجبة البيضاء، ففى الصيف من القطن، وفى الشتاء من الصوف، وكذلك كان الوزراء وأكابر الفقهاء، وأعيان الكتاب، لا يلبسون فى الخدمة السلطانية وأوقات الركوب وعند لقاء بعضهم بعضا إلا البياض دائما، فغير الناس ذلك، وصاروا يلبسون الملونات من الصوف بأمر السلطان لهم على لسان كاتب السر.

---

(١) الحياصة وجمعها حوائص، هى الحزام أو المنطقة.

(٢) البراشيم: جمع برشوم، وهو برقع يستخدم للخيل.

(٣) المقصود بها مصفحة بالذهب.

(٤) الزباد: الطيب.

(٥) نوع من الرياحين يجلب من الحجاز ويوضع فى محار.

(٦) أنطاع، مفرد نطع، وهى بساط من الجلد. انظر المعجم الوجيز ٦٢١.

وفى ثالث عشره: أحضر طيبغا الزينى والى الفيوم[١]، فسُلم لابن الطبلاوى ليعاقبه، واستقر ألطنبغا عوضه والى البهنسا[٢]، واستقر عوضه فى البهنسا خليل بن الطوخى.

وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد فى بطن، عاش منهم أحدهم.

وفيه تنكر السلطان على قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، لحدة خُلقه.

وفى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى توجه الحسام حسين شاد الدواوين إلى مساحة البلاد السلطانية بالوجه القبلى. ونُقل الأمير محمود إلى خزانة شمايل فى ليلة الجمعة ثالثه وهو مريض، فسجن بها.

وفيه أنعم على أمير خضر بن عمر بن أحمد بن بَكْتَمُر الساقى بإمرة عشرة.

وفى سادسه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وفرق الخيول على الأمراء، كما هى العادة فى كل سنة، وعاد فى عشرينه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: استدعى تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، أحد الخلفاء الحكم، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضا عن الصدر محمد المناوى، ونزل معه الأمير قَلَمْطاى الدوادار، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب فى عدة من الأمراء، وكاتب السر، والقضاة، والأعيان، وعليه التشريف. ولم تخطر ولايته ببال أحد، بل طلبه السلطان على بغتة[٣]، فشق ذلك على المناوى، وعظم عليه أن عزل بنائبه.

وفى سادس عشر جمادى الآخرة: أنعم على بيسق الشيخى بإمرة طبلخاناه. وقدم سرى الدين محمد بن المسلاتى من دمشق بعد عزله.

وفى هذا الشهر: اشتد الغلاء بدمشق، فخرج الناس يستسقون، وثاروا برجل يعرف بابن النشو، كان يحتكر الغلال، وقتلوه شر قتلة، وأحرقوه بالنار.

وفيه استقر ألطنبغا حاجب غزة[٤] فى نيابة الكرك، وعزل ناصر الدين بن مبارك بن المهمندار.

---

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٣) بغتة – بْغتا، وبغته: فجأة وبهته. انظر المعجم الوجيز ٥٧.

(٤) غزة: سبق ترجمتها انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفى سابع عشرين رجب: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرى الكركى فى خطابة القدس، بعد وفاة سرى الدين محمد بن المسلاتى. واستقر عوضه فى تدريس الجامع الطولونى شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى[1] وسراج الدين عمر بن الملقن عوضه فى تدريس وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بقبة الملك المنصور من المارستان. واستقر عوضه فى نظر وقف الملك الصالح هذا شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى المالكى، واستقر علاء الدين على بن أبى البقاء فى قضاء الشافعية بدمشق مرة ثانية، عوضا عن سرى الدين أبو الخطاب محمد بن محمد.

وفى ليلة الأحد ثامن شعبان – وحادى عشر بشنس –: أبرقت وأرعدت وجاء مطر بعد المغرب، قلما عهد مثله، وهذا من عجيب ما يقع بأرض مصر، ثم أمطرت، غير مرة من الليل.

وفى سادس عشره: استقر صَرْغَتْمُش القزوينى[2] الخاصكى فى نيابة الإسكندرية، وعزل قديد ونفى إلى القدس، ونفى أيضا صلاح الدين محمد بن تنكز إلى الإسكندرية، وخرج البريد بارتجاع إقطاع أحمد بن يلبغا، وألجبغا الجمالى وخضر الكريمى، فأقاموا بطالين بالبلاد الشامية، وأنعم على شيخ المحمودى بإقطاع صرغتمش القزوينى، وعلى طَغَنْجى نائب البيرة[3] بإقطاع شيخ، وعلى يشبك العثمانى بإقطاع صلاح الدين محمد ابن تنكز، وعلى شيخ السليمانى بعشرة يشبك العثمانى. واستقر علاء الدين على بن الطبلاوى، عوضا عن ابن تنكز فى أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية، مضافا لما بيده. واستقر سعد الدين الهيصم فى صحابة الديوان المفرد. واستقر عوضه فى الاستيفاء بالديوان المفرد الأسعد البحلاق النصرانى.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» فى تخريج أحاديث الأحياء و«نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول و«ذيل على الميزان». انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٤٨٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

(٢) نسبة إلى قزوين، ببلاد الديلم، بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا، وهى ثغر الديلم. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٤٢، ٣٤٤، والروض المعطار ٤٦٥.

(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال. انظر معجم البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، والعذرى ٨٨.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسن الكجكنى عند فراغه من عمل الجسور بالبهنساوية[١]، وأتقنها إتقانا جيدا، و لم يقبل لأحد شيئا من المأكول، فضلا عن المال.

وفى ثانى عشرينه: استقر زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى[٢] فى حسبة مصر، عوضا عن نور الدين على بن عبد الوارث البكرى بمال التزم به.

وفى ثالث عشرينه: قدمت رسل ابن عثمان متملك الروم إلى ساحل بولاق فخرج إليهم الحاجب بالخيول السلطانية حتى ركبوها إلى حين أنزلوا بدار أعدت لهم.

وفى يوم الجمعة رابع رمضان: أقيمت الخطبة بالجامع الأقمر من القاهرة، وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى بن إبراهيم الحلبى الحنفى - أحد نواب القضاة الحنفية - و لم يعهد فيه قط خطبة؛،لكن لما جدد الأمير يلبغا السالمى عمارته بنى على بابه منارا يؤذن عليه، و لم يكن به منارة قبل ذلك، وجدد بوسطه بركة ماء، وبصدره - بحد المحراب - منبرا، فاستمر ذلك.

وفى سابعه: قدَّم رسل ابن عثمان هدية مرسلهم. وأحضر صلاح الدين محمد بن تنكز من الإسكندرية، ورسم بإقامته بدمشق، متحدثا على أوقاف جده تنكز بغير إمرة. فسار إليها.

وفى حادى عشره: استقر عوض التركمانى فى ولاية بلبيس[٣]، وعزل تغرى برمش، واستقر عمر بن إلياس فى ولاية منفلوط[٤]، وعزل على بن غَلْبَك بن المكللة، واستقر شاد دواليب الخاص بمنفلوط.

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) شعبان بن محمد بن داود الموصلى، المعروف بالآثارى: أديب، له شعر كثير، فيه هجو ومجون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلدان، وتلقب بالآثارى لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة. واستقر فى القاهرة، وبها وفاته. له أكثر من ثلاثين كتابا فى الأدب والنحو، منها «لسان العرب فى علوم الأدب» أرجوزة فى دار الكتب. انظر ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣٠١/٣ وشذرات الذهب ١٨٤/٧ ودار الكتب ٢٥٧/٣ و١٨٨/٦ والأعلام ١٦٤/٣.

(٣) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

وفيه ترافع شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينه، وسعد الدين الهيصم، ناظر الدولة، فأُلزم الهيصم بحمل مائة ألف درهم.

وفيه أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، وخمسة وعشرين أصبعًا.

وفى سادس عشرينه: استقر الأمير يلبغا الأحمدى المجنون أستادار السلطان عوضًا عن الأمير قَطْلوبَك العلاى، واستقر قطلوبك على إمرته بعشرين فارسا فتحدث، المجنون فى الأستادارية والكشف. وقبض على ناصر الدين محمد بن محمود الأستادار، وألزم بثلاثة آلاف دينار بعد موت أبيه، فعوقب عند ابن الطبلاوى عقوبة عظيمة.

وفيه استقر علاء الدين على البغدادى الشريف فى ولاية دمياط[1]، بعد موت أحمد الأرغونى.

وقدم الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر من بلاد الروم، بعد ما أسره الفرنج، فلزم داره.

وقدم البريد بوصول عساكر تيمور لنك إلى أرزنكان[2] من بلاد الروم. وقتل كثير من التركمان، فتوجه الأمير تمربغا المنجكى على البريد لتجهيز عساكر الشام إلى أرزنكان، وندب شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة، لتجهيز الشعير برسم الإقامات فى منازل طريق الشام. وكان فى أثناء هذه السنة قد قبض الأمير بَكْلَمِش العلاى أمير سلاح على زين الدين مهنا - دواداره - بمرافعة موقعه وشاهد ديوانه، صفى الدين أحمد ابن محمد بن عثمان الدميرى، وأخذ منه أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، ثم أفرج عنه، وقبض على الصفى الدميرى وبالغ فى عقوبته، وأخذ منه مائة ألف درهم.

وفيه استقر شمس الدين أينبا التركمانى الحنفى فى مشيخة القوصونية، وعزل تاج الدين محمد بن الميمونى.

وفى أول ذى القعدة: استقر ألطنبغا السيفى والى الفيوم فى نيابة الوجه القبلى وعزل أوناط. واستقر قرابغا مُفرق والى أطفيح[3] فى ولاية الفيوم وكشفها، واستقر أسندَمر الظاهرى فى ولاية أطفيح.

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر زاوية بين بحر الروم والملح والنيل.انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم.انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

وفى يوم الجمعة ثامنه - وهو عاشر مسرى - : أوفى النيل ستة عشر ذراعًا فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفى عاشره: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى أمير آخور فى ولاية البهنسا، عوضًا عن خليل بن الطوخى، واستقر طيبغا الزينى فى ولاية الجيزة، وعزل محمد بن حسن بن ليلى وضرب وصودر.

وفى عشرينه: قتل الأمير أبو بكر بن الأحدب، أمير عرك من سيوط[1]، فأقيم بدله فى الإمرة أخوه عثمان بن الأحدب، واستقر محمد بن مسافر فى ولاية قوص[2]، وعزل إبراهيم بن محمد بن مقبل.

وفى أول ذى الحجة: توعك بدن السلطان إلى تاسعه، فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر لعافية السلطان.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وصلى صلاة عيد النحر على العادة.

وفى سادس عشره: جلس بدار العدل.

وفى ثالث عشرينه: ركب إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، وعاد إلى القلعة من باب زويلة، فقلعت الزينة.

وفى سادس عشرينه: انتهت زيادة النيل إلى خمسة عشر إصبعا من عشرين ذراعا، وثبت إلى ثانى بابة، وانحط. ومع ذلك فالسعر فى سائر الأشياء غال، والبطة الدقيق بأكثر من اثنى عشر درهما.

وفيه توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس[3]، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج بالأمن والرخاء.

وفيها ولى شرف الدين موسى بن محمد بن محمد بن جمعة الأنصارى، قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد الأخناى.

* * *

---

(١) مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١/١٩٣،١٩٤.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما . انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٣) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

شهاب الدين أحمد الأرغونى متولى دمياط، فى شوال.

ومات إسماعيل بن الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، بقلعة الجبل، فى خامس عشرين شوال. وكان قد تأمر فى أيام الأشرف شعبان[١].

ومات أسنبغا التاجى، أحد أمراء العشراوات.

ومات أياس الجرجاوى نائب طرابلس، وأحد أمراء الألوف بالقاهرة.

ومات أبو بكر بن محمد بن واصل، المعروف بابن الأحدب، أمير عرك، فى عشرين ذى القعدة قتيلا.

ومات بيبرس التمان تمرى أمير آخور، فى رابع عشر جمادى الآخرة.

ومات عمر بن عبد العزيز أمير هوارة.

ومات الشيخ المعتقد حسن القشتمرى، فى تاسع عشر جمادى الأولى.

ومات شعبان بن الملك الظاهر برقوق[٢]، وهو طفل، فى ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المسند المعمر زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك بن حماد الغزى[٣]، المعروف بابن الشيخة الشافعى. ولد فى سنة خمس عشرة وسبعماية[٤] تخمينا. وأخذ الفقه على مذهب الشافعى عن التقى السبكى. وحدث بصحيحى

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ٤/ ١٦٣، ١٦٤.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبا إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة تولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) عبد الرحمن بن المبارك بن حماد الغزى ثم القاهرى، أبو الفرج البزاز الفتوحى ويعرف بابن الشيخة: من المشتغلين بالحديث. كان يكتب فى حانوت «بز» بباب الفتوح فى القاهرة وتركه لما كبر. له «أحاديث عوال وفوائد منتقاة» فى دار الكتب. انظر الدرر الكامنة ٣٢٤/٢ وشذرات ٣٥٩/٦ ومخطوطات الدار ١٨/١ والأعلام ٢٩٥/٣.

(٤) المقصود مائة.

البخارى ومسلم، وسنن أبى داود، وموطأ مالك، وغير ذلك مما يطول شرحه، وتصدى للأسماع عدة سنين، حتى مات فى تاسع عشرين ربيع الآخر خارج القاهرة، وكان شيخا مباركا.

ومات الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلى - بفتح العين - المكى، إمام المالكية بالمسجد الحرام، وأخو القاضى أبى الفضل المعروف بالفقيه على النويرى، فى ثانى جمادى الأولى بمكة، وسمع وحدث.

ومات على النَّوَسانى، شيخ ناحية صندفا[1] من الغربية، فى ثالث عشر شوال، وكان له ثراء واسع.

ومات زين الدين قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربى المالكى، فى حادى عشر المحرم، درس الفقه زمانا بالجامع الأزهر، وكتب على الفتوى، وكان متدينا خيرا.

ومات محب الدين محمد بن شمس الدين محمد الطُرَيْنى أحد نواب القضاة الشافعية، خارج القاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم.

ومات الشيخ محب الدين محمد بن الشيخ جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوى، فى ليلة الإثنين رابع عشرين رجب، وقد تصدر لإقراء النحو سنين. وكان خيرا دينا.

ومات شمس الدين محمد بن على بن حسب الله بن حسون الشافعى، فى عاشر شعبان.

ومات ناصر الدين محمد بن فخر الدين أياز الدوادارى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات سرى الدين أبو الخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك، المعروف بابن المسلاتى، قاضى القضاة الشافعية بدمشق. مات بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، فى يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، وكان من خيار من ولى القضاء عفة، وصرامة وشهامة.

ومات جمال الدين محمود بن محمد القيصرى العجمى قاضى القضاة الحنفية وناظر الجيوش، وشيخ الشيخونية، فى ليلة الأحد سابع ربيع الأول.

---

(١) صندفا أو سندفا من القرى المتاخمة لمدينة المحلة الكبرى بالغربية.

ومات الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر. عينه الأستادار، فى يوم الأحد تاسع رجب، بخزانة شمايل، بعد ما نكب نكبة شنعة(١)، ودفن بمدرسته خارج باب زويلة. وجملة ما أخذ منه فى مصادرته للسلطان ألف ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار ذهبا، وألف ألف درهم فضة، وبضائع وغلال، وغير ذلك بألف ألف درهم فضة، وتلف له وأخفى هو شيئا كثيرا.

ومات الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى القطبى الأسلمى، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخرة، مخنوقا بعد عقوبة شديدة.

ومات الشريف إبراهيم بن عبد الله الأخلاطى، فى يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز وهيب بن عطا بن جبير بن جابر بن وهيب المعروف بابن أبى العز، قتيلا بدمشق، فى مستهل ذى الحجة. وقد باشر قضاء مصر، كما تقدم فى سنة سبع وسبعين، واستعفى، ومضى إلى دمشق، وولى بها قضاء القضاة الحنفية غير مرة، وصرف، فلزم بيته حتى مات، رحمه الله.

* * *

---

(١) المقصود قبيحة. انظر المعجم الوجيز.

سنة ثمانمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: ويوافقه من شهور القبط اليوم السابع والعشرون من توت، والنيل قد انتهت زيادته وبدأ ينحط.

وفيه ركب السلطان، وعاد الأمير بكلمش، وسار إلى شاطئ النيل وعاد إلى القلعة.

وفى ثانيه: قدم ناصر متملك بلاد النوبة فارًا من ابن عمه، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأعاد الصارم إبراهيم الشهابى إلى ولاية أسوان[1]، وتقدم إليه بمعاونة ناصر.

وفى ثامنه: توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة.

وفيه كُتب بعود العسكر المجرد بسبب تيمور لنك، وقد قربوا من بلد سيواس.

وفى ثانى عشرينه: خرج على البريد بكْتَمُر جلّقْ لإحضار الأمير تغرى بردى[2] من يَشْبُغا نائب حلب، وكتب بانتقال أرغون شاه الإبراهيمى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب. وسار على البريد الأمير يشبك العثمانى بتقليده. ورسم بانتقال آقبغا الجمالى من نيابة صفد[3] إلى نيابة طرابلس، وتوجه لتقليده الأمير أَزْدَمُر أخو أينال، ومعه أيضا الأمير تنم الحسنى باستمراره فى نيابة دمشق، ورسم بانتقال شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من نيابة غزة إلى نيابة صفد، وتوجه لتقليد الأمير يلبغا الناصرى رأس نوبة.

وفى ثامن عشره: قدم سوابق الحاج وأخبروا أنه هلك بالسبع وعرات[4] من شدة الحر نحو ستمائة إنسان، وأنه هلك من حاج الشام زيادة على ألفى إنسان، وأن ودائع الحاج التى بعقبة أيلة نهبت.

وفى خامس عشرينه: عاد السلطان من سرياقوس. ولم يخرج إليها بعد ذلك، ولا أحد من السلاطين، وجهلت عوائدها، وخربت القصور، وكانت من أجمل عوائد ملوك مصر.

---

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسى ٢١.

(٢) الأمير تغرى بردى هو والد المؤرخ المعروف أبو المحاسن يوسف.

(٣) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٤) السبع وعرات موضع قرب ينبع يعرف أيضا بالمحاطب لأن أهل ينبع يجمعون منه حطبهم.

وفى تاسع عشرينه: - فى وقت الخدمة السلطانية بالقصر - قبض على الأمير الكبير كمشبغا الحموى أتابك العساكر، وعلى الأمير بكلمش العلاى أمير سلاح، وقيدا. ونزل الأمير قلمطاى الدوادار، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب إلى الأمير شيخ الصفوى، ومعهم خلعة بنيابة غزة، فلبسها وخرج من وقته ليسافر، ونزل بخانكاة سرياقوس.

وفى ليلة الثلاثاء سلخه: توجه الأمير سودن الطيار بكُمُشْبُغا وبكلمش فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى الغد استعفى الأمير شيخ من نيابة غزة وسأل الإقامة بالقدس، فرتب له النصف من قريتى بيت لحم، وبيت جاله من القدس يرتفق بهما، وسار إلى القدس.

وفيه عرض السلطان مماليك الأمير كمبشغا وأولاده ومماليك بكلمش، فاختار منهم طائفة، وفرق البقية على الأمراء. وقبض على شاهين رأس نوبة كُمُشْبُغا.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: استقر الأمير أيتمش البجاسى أتابك العساكر، وأنعم عليه وعلى الأمير قلمطاى الدوادار، والأمير تانى بك أمير أخور ببلاد من إقطاع كمشبغا، وأنعم ببقيته على الأمير سودن المعروف بابن أخت السلطان، وصار من أمراء الألوف. وأنعم بإقطاع سودن المذكور على الأمير عبد العزيز ولد السلطان. وأنعم بإقطاع بكلمش على نوروز الحافظى رأس نوبة، وبإقطاع نوروز على الأمير أرغون شاه الأقبغاوى، وبإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا الأحمدى المجنون الأستادار. وأنعم بإقطاع شيخ الصفوى على الأمير تغرى بردى قبل قدومه من حلب.

وفى رابعه: استقر الأمير باى خجا طيفور الشرفى أمير أخور بنيابة غزة.

وفى سادسه: ركب السلطان للصيد، وشق القاهرة من باب القنطرة، وعاد إلى القلعة من باب زويلة.

وفى تاسعه: استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس، عوضا عن شيخ الصفوى.

وفى حادى عشره: توجه السلطان للصيد، وعاد فى ثالث عشره.

وفى رابع عشره: سُمر شاهين رأس نوبة كُمُشْبُغا، وطيف به ثم وسُط.

وفى سادس عشره: لبس طيفور نائب غزة قباء السفر، وتوجه إلى غزة.

وفى ثامن عشره: سار السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بها.

وفى عشرينه: قدم تَمُرْبُغا المنجكى على البريد، بعد ما جهز عساكر الشام مع الأمير تَنِم نائب دمشق إلى أرزن كان[(١)].

وفى ثالث عشره: عاد السلطان من بر الجيزة إلى القلعة.

وفى سابع عشرينه: أنعم على يَلْبُغا السالمى الخاصكى بإمرة عشرة، عوضا عن بهادر فطيس، وانتقل بهادر إلى إمرة طبلخاناه.

وفيه استقر شمس الدين محمد الشاذلى فى حسبة مصر، وعزل شعبان بن محمد الآثارى.

وفى يوم الخميس أول ربيع الأول: استقر حسن بن قراجا العلاى فى ولاية الجيزة، وعزل يَلْبُغا الزينى.

وفى ليلة الجمعة ثانيه: عمل السلطان المولد النبوى على عادته فى كل سنة، وحضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى[(٢)]، والشيخ إبراهيم بن زقاعة، وقضاة القضاة، وعدة من شيوخ العلم فى الحوش من القلعة تحت خيمة ضربت هناك. وجلس السلطان وعن يمينه البلقينى وابن زقاعة، وعن يساره الشيخ أبو عبد الله المغربى، وتحته القضاة. وحضر الأمراء فجلسوا على بعد منه. فلما فرغ القراء من قراءة القرآن، قام الوعاظ واحدا بعد واحد فدفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير، وعدتهم عشرون واعظا. ثم مدت الأسمطة الجليلة. فلما أكلت، مدت أسمطة الحلوى، فانتهبت كلها. فلما فرغ الوعاظ مضى القضاة، وأقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر.

وفى خامس عشره: قدم الأمير تغرى بردى من حلب، فخرج السلطان وتلقاه من الريدانية خارج القاهرة، وسار به معه إلى القلعة، وأنزله فى دار تليق به، وبعث إليه خمسة أفراس، بقج فيها ثياب.

---

(١) بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ الحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج» فى الفقه.

انظر: لحظ الألحاظ، وذيل طبقات الحفاظ، والضوء اللامع ٦/٨٥ وشذرات الذهب ٧/٥١ وحسن المحاضرة ١/٨٣ والخزانة التيمورية ٣/٣٨ والأعلام ٥/٤٦.

وفى سادس عشره: استقر أقبغا المزوق واليا بالأشمونين[1]، عوضا عن الشهاب أحمد المنقار.

وفى سابع عشره: حمل الأمير تغرى بردى تقدمته، فكانت عشرين مملوكا، وثلاثين ألف دينار عينا، ومائة وخمسا وعشرين فرسا، وعدة جمال، وأحمالا من الفرو والثياب.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة، وعاد.

وفى تاسع عشره: استقر قُطلوبُغا الخليلى التركمانى فى ولاية الشرقية، وعزل عوض التركمانى.

وفيه خلع على الأمير يلبغا الأستادار، واستقر فى كشف الوجه البحرى.

وفى هذا الشهر: وقع بالوجه البحرى وباء، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر. وكان قد خرج جماعة من الأمراء إلى الصعيد فمرض أكثرهم، وعاد الأمير قَلْمطاى الدوادار فى يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهو مريض، لا يثبت على الفرس.

ومات الأمير تمان شاه الشيخونى، فأنعم على ابنه عبد الله بإمرته.

ومات طوغان العمرى الشاطر أحد العشراوات، فأنعم على سودن من زاده بإمرته، واستقر علاء الدين على الحلبى فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن أمير على السيفى.

وفى حادى عشره: ركب السلطان، وعاد الأمير قَلْمطاى، ففرش تحت حوافر فرسه شقاق الحرير، مشى عليها من باب داره حتى نزل بباب القصر فمشى على شقاق النخ المذهب حتى جلس. وقدم إليه طبقا فيه عشرة آلاف دينار، وخمسة وعشرين بقجة قماش، وتسعة وعشرين فرسا، وغلاما تركيا بديع الحسن.

وفيه قدم الخبر بمسير تيمور لنك من سمرقند[2] إلى بلاد الهند، وأنه ملك مدينة دله[3].

وفى خامس عشره: شكى الشهاب أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى غريمه السالمى إلى السلطان فأفحش فى المخاطبة، فرسم بسجنه بخزانة شمايل بعد ما رسم بضربه بالمقارع، ولولا أنه شفع فيه لضرب.

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

(٢) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن افريقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقيل شمر قند، وعربت فقيل سمر قند. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٤٨، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) مدينة كبيرة فى الهند.

وفى ثامن عشره: قدم على البريد جمال الدين يوسف بن صلاح الدين موسى بن شمس الدين محمد الملطى[١] الفقيه الحنفى من حلب باستدعاء؛ ليلى قضاء الحنفية، فنزل عند بدر الدين محمود الكستانى كاتب السر، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضا عن شمس الدين محمد الطرابلسى، فى يوم الخميس عشرينه. ونزل بالخلعة ومعه عدة أمراء، بعدما شغر قضاء الحنفية مائة يوم وأحد عشر يوما. وأنعم على جانى بك اليحياوى بإمرة عشرة، عوضا عن آق بلاط الأحمدى.

وفى يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى: أنعم على الأمير ألى باى بتقدمة تانى بك أمير آخور، بعد موته.

وفى تاسعه: استقر مقبل - أحد المماليك الظاهرية - فى ولاية قليوب، عوضا عن محمد العلاى.

وفى ثامن عشره: أُنعم على الأمير يَشْبُك العثمانى بتقدمة قَلْمطاى بعد وفاته وعلى الأمير أسنبغا العلاى الدوادار التانى بطبلخاناة بكْتَمر الركنى، وعلى بكتمر بطبلخاناة ألى باى، وعلى محمد بن الأمير قَلَمْطاى بإمرة عشرة، وعلى أقباى الطرنطاى بطبلخاناه، وعلى تنكزبغا الحططى بإمرة عشرين.

وفى عشرينه: استقر صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيصرى فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى بعد عزله.

وفيه عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد فى خامس عشرينه.

وظهر فى هذا الشهر خرطوم من جزيرة أروى[٢]، امتد إلى تجاه جامع الخطيرى من بولاق، فيما بين الجامع وناحية منبابة من البر الغربى.

وفى تاسع عشرينه: استقر تغرى بردى من يَشْبُغا أمير سلاح، وأقبغا الطُولوتَمُرى - المعروف باللكاش - أمير مجلس، والأمير نوروز الحافظى أمير آخور، والأمير بيبرس ابن أخت السلطان دوادرًا، والأمير ألى باى العلاى خازندارًا، وخلع السلطان على الجميع

---

(١) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من «خرتبرت» بديار بكر. ومولده بملطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أيامه. توفى بالقاهرة. له كتب، منها «المعتصر من المختصر» فى فقه الحنفية. انظر الضوء اللامع ١٠/٣٣٥ وإعلام النبلاء ٥/١٣٣ وشذرات الذهب ٧/٤٠ والأعلام ٨ / ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) من الواضح أن المقصود هنا لسان أو بروز من الأرض امتد من جزيرة أروى فى ماء النيل حتى بولاق.

الأطلسين. واستقر على بن غُلْبك فى ولاية منفلوط[١] بعد قتل عمر بن إلياس: واستقر شمس الدين محمد الأخنادى الدمشقى فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على بن بهاء الدين أبى البقاء.

وفى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة: حضر الوزير علم الدين عبد الوهاب بن إبرة بطلب، من الإسكندرية وهو يلى نظرها، فضرب بين يدى السلطان بالمقارع.

وفى ثانى عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد فى رابع عشرينه. وكتب بعزل تاج الدين أبى بكر بن معين الدين محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد، المعروف بابن الدمامينى من قضاء الإسكندرية، وكان قد وليها بسفارة أخيه شرف الدين، فلم تُشكر سيرته لعدم أهليته. واستقر عوضه ابن الربعى، بسفارة سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفى هذا الشهر: منع الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى من الحديث فى إسكندرية، وتحدث فيها سعد الدين إبراهيم بن غراب، فولى أخاه فخر الدين ماجد نظر الإسكندرية. وخرج أمير فرج بالكشف على ابن الطبلاوى.

وفى يوم الجمعة ثانى رجب: أفرج عن الشهاب العبادى من سجنه بخزانة شمايل.

وفى ثامنه: خلع على شمس الدين محمد المخانسى خلعة الاستمرار، واستقر تمراز قمارى فى شد الأحواش، وأمير شكار بعد موت شرف الدين موسى بن قمارى.

وفى ليلة الجمعة ثامن شعبان: قبض على الأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى وجماعة من ألزامه. وذلك أن سعد الدين إبراهيم بن غراب لما تسور على مخدومه الأمير جمال الدين محمود الأستادار - بمعاونة ابن الطبلاوى - وتمالئا عليه حتى نكب وهلك كما ذكر؛ صار ابن غراب بعده من أعيان الدولة، فالتفت إلى ابن الطبلاوى وقد صار عظيم أهل الدولة، وظاهر عليه الأمير يلبغا المجنون الأستادار،وقد نافس ابن الطبلاوى، وما زال به يحمله عليه حتى أغرى به السلطان حسدا منه وبغيًا[٢]، إلى أن قرر معه القبض عليه، فأشاع أنه وُلد له وَلد ودعا إلى عمل وليمة، فحضر ابن الطبلاوى ومعه ابن عمه ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطبلاوى - المعروف بابن سُتَيْت - وحضر الناس، وفيهم الأمير يعقوب شاه

---

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢١٥.

(٢) المقصود: الظلم.

الخازندار، وقد رسم له بمعاونة ابن غراب فى القبض على ابن الطبلاوى، فعندما استقر بالناس الجلوس بعث ابن غراب بالأمير بهاء الدين أرسلان نقيب الجيش، فقبض على ناصر الدين محمد بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى والى القاهرة، وأكثر حواشيه، وحواشى أخيه علاء الدين. فلما علم ابن غراب بالقبض عليهم مد السماط ليأكل الناس، فتقدم الأمير يعقوب شاه، وقبض على علاء الدين وابن عمه ناصر الدين، وتوجه بهما. ووقعت الحوطة فى الليل على دور الجميع، وتتبعت من الغد أسبابهم وأتباعهم، فتجمعت العامة ورفعوا الأعلام، وحملوا المصاحف، ووقفوا تحت القلعة يسألون إعادة ابن الطبلاوى، فأمر بضربهم، ففروا. وأمر الأمير يلبغا المجنون الأستادار بمعاقبة ابن الطبلاوى، واستخلاص الأموال منه ومن حواشيه وأهله.

وفى ثانى عشره: حمل ابن الطبلاوى على فرس، وفى عنقه طوق من حديد مع الأمير يلبغا المجنون، وشق به القاهرة نهارا، حتى دخل به إلى منزله برحبة باب العيد، فأَخرج منه اثنين وعشرين حمالا، ما بين سمور وغيره من أنواع الفرو، وثياب صوف ومالاً، ذُكر أنه مبلغ مائة وستين ألف دينار.

وفى ثالث عشره: أخذ من داره أيضا ألف ومائتا قُفة فلوسا، صَرْفُها ستمائة ألف درهم، ومن الدارهم الفضة خمسة وثمانون ألف درهم، وجملة من الذهب.

وفى رابع عشره: استقر الأمير الكبير أَيتمِشْ الأتابك فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن ابن الطبلاوى.

وفى سادس عشره: طُلب ابن الطبلاوى الحضور إلى مجلس السلطان، فلما حضر طلب من السلطان أن يُدنيه منه، فاستدناه حتى بقى على قدر ثلاثة أذرع منه، قال له: «تكلم». قال: «أريد أسار[1] السلطان فى أذنه»، فلم يمكنه من ذلك، فألح ابن الطبلاوى فى طلب مسارة السلطان فى أذنه، حتى استراب منه، وأمر بإبعاده واستخلاص المال منه. فمضى به الأمير يَلْبُغا المجنون، حتى خرج من مجلس السلطان إلى باب النحاس، حيث يجلس خواص الخدام الطواشية، فجلس ابن الطبلاوى هناك ليستريح، وضرب نفسه بسكين كانت معه ليقتل نفسه، فلم يكن سوى أنه جرح نفسه فى موضعين وثار به من معه ومنعوه من قتل نفسه، وأخذوا السكين. ووقعت الصرخة حتى بلغ السلطان الخبر، فلم يشك فى أنه أراد اغتياله وقتله بهذه السكين، فأمر بتشديد عقوبته، فمضى به الأمير يَلْبُغَا، وعاقبه فأظهر فى سابع عشره خبية فيها مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم دلَّ على

---

(١) ساره فى أذنه مُسارة وسرار.

أخرى فيها مبلغ تسعين ألف دينار، ثم عشرين ألف دينار، وتُتُبِعَت أحواله وأبيع موجوده وعقاره، وألزم ابن عمه ناصر الدين محمد بحمل مائتى ألف درهم، وعوقب عقوبة شديدة حتى أوردها، وألزم أخوه ناصر الدين محمد بمائة ألف درهم، وألزم أربعة من خواصه بمائتى ألف درهم.

وفيه استقر بهاء الدين أرسلان فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفيه شُكى على تاج الدين أبى بكر بن الدمامينى قاضى الإسكندرية، فضرب بين يدى السلطان، ورسم عليه لُيرضى شكاته.

وفى ثامن عشرينه: أعيد بهاء الدين محمد بن البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل المخانسى.

وقدم رسول الملك الظاهر مجد الدين عيسى متملك ماردين[1] بكتابه، يترامى على التزام الطاعة، ويعتذر من طاعته لتيمور لنك بأنه أقام عنده فى قيد زنته خمسة وعشرون رطلا من الحديد مدة سنتين، حتى حلف له بالطلاق، وغير ذلك من الأيمان، أنه يقيم على طاعته، فأفرج عنه، وأنه وفى بما حلف له عليه، وعاد إلى طاعة السلطان، فأجيب بالشكر والثناء، وجهز إليه تشريف ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وكتب تقليده بنيابة ماردين.

وفيه استقر تغرى برمش السيفى متولى القاهرة - قبل ذلك أحد حجاب دمشق - متحدثا على مستأجرت الديوان المفرد ببلاد الشام، عوضا عن الشهاب أحمد بن النقيب اليغمورى.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رمضان: وصل الأمير قُطلُوبغا الخليلى أمير أخور للتوجه إلى بلاد المغرب بسبب شراء الخيول، ومعه مائة وعشرون فرسا ورسل ملوك المغرب، فقَدَّم رسول صاحب فاس[2] ثلاثين فرسا، وبغلتين منها ثمانية بقماش ذهب، وباقيهم دون ذلك، وثلاثين سيفا محلاة بذهب، وثلاثين مهمازا من ذهب، وقماشا، وغير ذلك.

---

(١) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، والروض المعطار٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى عيون صنهاجة. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، والإدريسى ٧٥/٥٠، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ٥/١٥٤.

وقَدَّم رسول تلمسان[١] أربعة وعشرين فرسا مسرجة ملجمة، وبغلتين وأربعة وعشرين سيفا بحلية من ذهب، وأربعة عشر مهمازا من ذهب، وكثيرا من القماش وغيره.

وقَدَّمَ رسول صاحب تونس ستة عشر فرسا مسرجة ملجمة بذهب، وقماشا كثيرا.

وفيه نزل تيمور لنك على بغداد بجموعه، وقد حصنها السلطان أحمد بن أويس، فسار عنها من الغد نحو همذان[٢].

وفى ثالث عشره: أنعم على أمير فرج الحلبى بإمرة علاء الدين على بن الطبلاوى، واستقر فى دار الضرب، وأنعم على ناصر الدين محمد بن سنقر البكجرى بإمرة أمير فرج. واستقر شهاب الدين أحمد بن حسن بن على بن بلبان - المعروف بابن خاص ترك، أحد البريدية - شاد الدواوين، عوضا عن الحسام ابن أخت الغرس، بإمرة عشرة.

وفى يوم الأربعاء ثالث شوال: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، واثنى عشر إصبعا.

وفى خامسه: ضرب علاء الدين على بن الطبلاوى ضربا مبرحا، فلم يعترف بشىء من المال.

وفى خامس عشره: ختن السلطان ولديه، الأمير فرج والأمير عبد العزيز وختن عدة من أولاد الأمراء المقتولين، منهم ابن الأمير منطاش، وكساهم وأنعم عليهم، وعمل مهما عظيما بالقلعة للنساء.

وفى ثامن عشره: نقل علاء الدين على بن الطبلاوى من دار الأمير الأستادار إلى خزانة شمايل، فسجن بها، بعد أن نوعت عقوباته، واشتد عذابه.

---

(١) تلمسان: مدينة بالمغرب، وهى قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع وهو فى نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب فى الطول والعرض من البحر الذى على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول وهى مدينة فى أول الصحراء وهى على الطريق إلى سجلماسة، ووراركلان وغيرهما من بلاد الصحراء ومدينة تلمسان أول بلاد المغرب، وهى على طريق الداخل والخارج منه ولابدّ من الاحتياز عليها فى كل حال. انظر معجم البلدان ٢/٤٤، والروض المعطار ١٣٥، ١٣٦، والاستبصار ١٧٦، والبكرى ٧٦.

(٢) همذان: بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم من كور الجبل، كبيرة جدًا فرسخ فى مثله، محدثة إسلامية، ولها أربعة أبواب، وهى كثيرة المياه والبساتين والزروع. انظر معجم البلدان ٥/٤١٠، ٤١٧، والروض المعطار ٥٩٦، وابن حوقل ٣٠٨، والكرخى ١١٧، واليعقوبى ٢٧٢، ونزهة المشتاق ٢٠٣.

وفيه استقر محيى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن أبى العز صالح بن أبى العز، المعروف بابن الكشك الدمشقى، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن تقى الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكُفرى.

وفى خامس عشرينه: استعفى سعد الدين إبراهيم بن غراب من نظر الديوان المفرد ونظر الكارم، فأعفى منهما.

وفيه قدم البريد بأن الحريق وقع بدمشق فى ليلة السبت عشرينه، وأقام إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه، فتلف فيه معظم أسواق المدينة، وتشعث جدار الجامع القبلى.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: استقر سعد الدين بن غراب فى نظر الجيش، وعزل شرف الدين الدمامينى، وبقى بيد ابن الدمامينى نظر الكسوة.

وفى ثامنه: عزل شعبان بن محمد الآثارى من حسبة مصر، بعد ما نودى عليه بها، فحضر عدة من شكاته إلى الدوادار، وادعوا عليه بقوادح، فأهين إهانة بالغة، ومن العجب أنه لما عزل ابن الدمامينى من نظر الجيش، أظهر شماتة بعزله، ونادى بعزله فى مصر، فاتفق له هذا من الغد.

وفى تاسعه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفى عاشره: أعيد شمس الدين محمد الشاذلى إلى حسبة مصر، بعد عزل شعبان الآثارى، وكان قد ولى قبل ذلك بمال، ففر من مطالبة أرباب الديون بمالهم.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: وقع حريق بدار التفاح[1] خارج باب زويلة، فركب الأمير يَشْبَك الخازندار، والأمير فارس حاجب الحجاب، وطفياه بمن معهما.

وفى يوم السبت هذا: عمل السلطان مهمًا عظيمًا بالميدان تحت القلعة، سببه أنه لعب بالكرة على العادة، فغلب الأمير أَيْتمش، والتزم أَيْتمش بعمل مهم بمائتى ألف درهم كونه غُلب، فقام السلطان عنه بذلك، وألزم به الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، والأمير يلبغا الأستادار. ونصبت الخيم بالميدان، وعمل المهم، فكان فيه من اللحم عشرون ألف رطل، ومائتا زوج أوز، وألف طائر من الدجاج، وعشرون فرسا ذبحت، وثلاثون قنطارا من السكر عملت حلوى ومشروبا، وثلاثون قنطارا من الزبيب، لعمل المشروب المباح والمسكر، وستون إردبا دقيقا لعمل الشراب المسكر،

---

(١) دار التفاح: فندق تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكه عل اختلاف أصنافها.

وعملت المسكرات فى دنان الفخار. ونزل السلطان سحر يوم السبت، وفى عزمه أن يقيم نهاره مع الأمراء والمماليك يعاقرهم[1] الشراب، فأشير عليه بترك هذا، وخوف العاقبة، فمد السماط وعاد إلى قصره قبل طلوع الشمس، وأنعم على كل من الأمراء المقدمين بفرس عليه قماش ذهب، وأنعم على الوزير، وناظر الخاص معهم أيضا. وأذن للعامة فى انتهاب المآكل والمشارب، فكان يوما فى غاية القبح والشناعة، أبيحت فيه المسكرات، وتجاهر الناس من الفحش والمعاصى بما لم يعهد مثله، وفطن أهل المعرفة بزوال الأمر، فكان كذلك. ومن يومئذ انتهكت الحرمات بديار مصر، وقل الاحتشام[2].

وفى خامس عشره: أعيد الشريف شرف الدين على بن فخر الدين محمد بن شرف الدين على الأرموى إلى نقابة الأشراف، بعد موت الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى.

وفى يوم السبت تاسع عشره – وعاشر مسرى –: وفى النيل ستة عشر ذراعا.

وقدم البريد بقتل سولى بن دلغادر أمير التركمان.

وفيه ركب السلطان بعد صلاة الظهر يريد المقياس، وفتح الخليج على العادة، ومعه الأمراء – إلا الأمير ألى باى الخازندار – فإنه كان قد انقطع فى داره أياما لمرض نزل به – فيما أظهره – وفى باطن أمره أنه قصد الفتك بالسلطان، فإنه علم أنه إذا نزل الخليج يدخل إليه ويعوده على ما جرت به عادته مع الأمراء، فدبر على اغتيال السلطان، وأخلى إصطبله وداره من حريمه وأمواله، وأعد قوما اختارهم لذلك. وكان سبب هذا فيما يظهر أن بعض مماليكه المختصين به – وكان شاد شراب خاناته – تعرض لجارية من جوارى الأمير أقباى الطرنطاى، يريد منها ما يريده الرجل من المرأة، وصار بينهما مشاكلة، فبلغ ذلك أقباى، فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا. فحنق ألى باى وشكاه للسلطان فلم يلتفت إلى قوله، وأعرض عن ذلك. وكان ألى باى فى زعمه أن السلطان يزيل نعمة أقباى لأجله، فغضب من ذلك وحرك ما عنده من البغى الكامن. فلما فتح السلطان الخليج وركب إلى جهة القلعة اعترضه مملوك من خشداشيته اليلبغاوية، يعرف بسودن الأعور، وأسر إليه أن داره التى يسكنها تشرف على إسطبل الأمير ألى باى، وأنه شاهد مماليك ألى باى وقد لبسوا آلة الحرب، ووقفوا عند بوائك الخيل، وستروا

---

(١) عاقر الخمر لازمها وداوم عليها . انظر المعجم الوجيز ٤٢٧.

(٢) الاستحيا . انظر المعجم الوجيز ١٥٣.

البوائك بالأنخاخ ليخفى أمرهم. فكتم السلطان الخبر، وأمر الأمير أرسطاى رأس نوبة أن يتوجه إلى دار الأمير ألى باى، ويعلمهم أن السلطان يدخل لعيادته. فلما أعلم بذلك اطمأنوا، ووقف أرسطاى على باب ألى باى ينتظر قدوم السلطان، وعندما بعث السلطان أرسطاى أمر الجاويشية بالسكوت، وأخذ العصابة السلطانية التى ترفع على رأس السلطان فيعلم بها مكانه، يريد بذلك تعمية خبره، وسار إلى تحت الكبش، وهو تجاه دار ألى باى، والناس من فوقه قد اجتمعوا لرؤية السلطان، فصاحت به امرأة: «لا تدخل فإنهم قد لبسو آلة القتال». فحرك فرسه وأسرع فى المشى ومعه الأمراء، ومن ورائه المماليك يريد القلعة. وأما ألى باى فإن بابه كان مردود الفردتين، وضبته مطرفة ليمنع من يدخل حتى يأتى السلطان، فلما أراد الله، مر السلطان حتى تعدى بابه، وكان فى طريقه، فلم يعلموا بمروره حتى تجاوزهم بما دبره من تأخير العصائب وسكوت الجاويشية. وخرج أحد أصحاب ألى باى يريد فتح الضبة فأغلقها، وإلى أن يحضر مفتاح الضبة ويفتح فاتهم السلطان، وصار بينهم وبينه سد عظيم من الجمدارية، قد ملأوا الشارع بعرضه. فخرج ألى باى بمن معه لابسين السلاح، وعددهم نحو الأربعين فارسا يريد السلطان، وقد ساق ومعه الأمراء حتى دخل باب السلسلة، وامتنع بالإصطبل. فوقف ألى باى تجاه الإصطبل بالرميلة[1] تحت القلعة، ونزل إليه طائفة من المماليك السلطانية لقتاله، فثبت لهم وجرح جماعة، وقتل من السلطانية بيسق المصارع ثم انهزم ألى باى، وتفرق عنه من معه. هذا وقد ارتجت مصر والقاهرة، وجفل الناس من مدينة مصر، وكانوا بها للفرجة على العادة فى يوم الوفاء، وطلبوا مساكنهم خوفا من النهابة. وركب يلبغا المجنون[2] ومعه مماليكه لابسين آلة القتال يريد القلعة. واختلف الناس فى السلطان، وأرجفوا بقتله وبفراره، وتباينت الأقوال[3] فيه، واشتد الخوف وعظم الأمر. هذا، وقد ألبس السلطان الأمراء والمماليك، وأتاه من كان غائبا منهم. فعندما طلع الأمير يلبغا المجنون إليه ثار به المماليك السلطانية، واتهموا بموافقة ألى باى؛ لكونه جاء هو ومماليكه بآلة القتال، وخذه اللكم من كل جهة، ونزعوا ما عليه، وألقوه إلى الأرض ليذبحوه، فلولا ما كان من منع السلطان لهم لقتلوه، فلما كفوا عن ذبحه سجن بالزردخاناه وقيد. وقبض أيضا على شاد شراب خاناه ألى باى؛ لأنه الذى أثار هذه الفتنة، وقطع قطعا بالسيوف. وبات السلطان بالإصطبل وقد نهبت العامة

---

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضرب نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان ٢/٧٣.

(٢) سمى بالمجنون لطيشه وحدة مزاجه.

(٣) اختلفت الأقوال.

بيت ألى باى وخربوه، ونهبوا دار الأمير يلبغا المجنون وخربوها. وأما ألى باى فإنه لما تفرق عنه أصحابه اختفى فى مستوقد حمام، فقبض عليه، وحمل إلى السلطان فقيده وسجنه بقاعة الفضة من القلعة. فلما أصبح نهار الأحد نزع العسكر آلة الحرب وتفرقوا، وعصر ألى باى، فلم يقر على أحد. وأحضر يلبغا المجنون فحلف أنه لم يوافقه، ولا علم بشيء من خبره، وأنه كان مع الوزير بمصر. فلما أشيع خبر ركوب ألى باى لحق يلبغا المجنون بداره، ولبس ليقاتل مع السلطان وبرأه ألى باى أيضا، فأفرج عنه، وأخلع عليه. ونزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، وقد نهب جميع أمواله، وسلبت جواريه، وفرت امرأته ابنة الملك الأشرف شعبان[1]، وأخذ رخام داره وأبوابها، وأكثر أخشابها، وتشعثت تشعثا قبيحا.

وفيه قدم البريد بأن أولاد ابن بزدغان من التركمان اقتتلوا مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، فقتل فى الحرب، وقام من بعده ابنه بمدينة سيواس، ومنعها من التركمان. وكان من خبره أن الأمير عثمان بن قرايلك التركمانى خالف عليه، ومنع ما كان يحمله إليه من التقادم، فلم يكترث به القاضى برهان الدين؛ لأنه من أقل أمرائه. وصار قرايلوك يتردد إلى أماسية[2] وأرزنجان[3]، فاتفق أنه قصد مصيفا بالقرب من مدينة سيواس، ومر عليها وبها القاضى برهان الدين، فشق ذلك عليه، وركب عجلا وساق فى طلبه، وتقدم عسكره حتى أقبل الليل، فمال عليه قرايلوك بجماعته، فأخذه قبضا باليد، ثم قتله وحاصر سيواس، فمنعه أهلها وقاتلوه أشد القتال، وكتبوا إلى أبى يزيد بن عثمان أن يدركهم، فسار إليهم ومضى قرايلوك إلى تيمور لنك وهو على أذربيجان[4]، فأقام فى جملته.

وفى حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على العادة، وعصر ألى باى فلم يعترف على أحد، وإذا بهجة عظيمة قامت فى الناس، فلبس العسكر ووقفوا تحت القلعة

---

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ١٦٣/٤، ١٦٤.

(٢) بلدة من بلد الروم بينها وبين سينوب ستة أيام.

(٣) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ٢٨٢/١/ ٣٩٠.

(٤) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف وتلى كور أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١٢٨/١: ١٣٠، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

وقد غلقت أبوابها. وكثرت الإشاعة بأن يلبغا المجنون، وأقبغا اللكاش قد خامرا على السلطان، ولم يكن الأمر كذلك، فركب اللكاش إلى القلعة. وكان المجنون فى بيت أمير فرج الحلبى بالقاهرة، فلما بلغه هذا ركب معه أمير فرج ليعلم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ مما رمى به، فصارا مع الأمراء بالقلعة عند السلطان، وأمر السلطان بقلع السلاح، ونزل كل أحد إلى داره، فانفضوا وسكن الأمر، ونودى بالأمان، ففتح الناس الأسواق واطمأنوا.

وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرينه: عذب ألى باى بين يدى السلطان عذابا شديدا، كسرت فيه رجلاه وركبتاه، وخسف صدره، فلم يقر على أحد، فأخذ إلى الخارج وخنق، فتنكرت الأمراء، وكثر خوفهم من السلطان، خشية من أن يكون ألى باى ذكر أحدا منهم. ومن حينئذ فسد أمر السلطان مع مماليكه، فلم ينصلح إلى أن مات، ولخوفه منهم لم ينزل بعد ذلك من القلعة.

وفى يوم الثلاثاء: نودى بالأمان، وأمر يلبغا المجنون أن ينفق فى المماليك السلطانية، فأعطى الأعيان منهم خمسمائة درهم لكل واحد، فلم يرضهم ذلك، وكثرت الإشاعات الردية، وقوى الإرجاف، فنقل الأمراء ما فى دورهم إلى القاهرة فى يوم الأربعاء رابع عشرينه، وباتوا ليلة الخميس على تخوف، ولم تفتح الأسواق يوم الخميس، فنودى بالأمان والبيع والشراء ولا يتحدث أحد فيما لا يعنيه.

وفيه استقر مقبل الظاهرى والى قليوب فى ولاية الفيوم[1] عوض عن قراجا مفرق، واستقر فى ولاية قليوب محمد بن قرابغا، وأنعم على الأمير أَرُسْطاى من خواجا على بتقدمة ألى باى، واستقر رأس نوبة. وأنعم على تمان تمر الناصرى بطبلخاناه أرسطاى.

وفى سادس عشرينه: نزل الأمير فارس حاجب الحجاب والأمير تمربغا المنجكى الحاجب، وقبضا على الأمير يلبغا المجنون الأستادار من داره، وبعثاه فى النيل إلى دمياط. وطلب الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجرى وخلع عليه للأستادارية، عوضا عن يلبغا المجنون بإمرة خمسين فارسا.

وفيه قدم محمد بن مبارك المنقار بن المهمندار بهدية.

وفيه أنعم على الأمير بكتمر رأس نوبة بتقدمة يلبغا المجنون.

وفى يوم السبت ثالث ذى الحجة: خلع على اثنين رءوس نوب صغار، وهما الأمير طولو، والأمير سودن الظريف.

---

(١) الفيوم: شبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وفي يوم الأحد رابع ذى الحجة: سمر أربعة من مماليك ألى باى، ووسطوا.

وفيه أبيع الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم عنها اثنى عشر رغيفا، زنة الرغيف ثمانى أواق بفلسين، فسر الناس سرورا زائدا، فإن لهم نحو الست سنين لم يروا الرغيف بفلسين، لكن لم يستمر هذا.

وقدم الخبر بأن الأمير شيخ الصفوى كثر فساده بالقدس، وتعرضه لأولاد الناس، يريدهم على الفاحشة، فرسم بنقله من القدس واعتقاله بقلعة المرقب[١] من طرابلس، فاعتقل بها.

وفي يوم النحر: صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة، و لم ينزل إلى الميدان فاستمر ذلك. وتركت صلاة العيد بالميدان حتى نسيت.

وفيه توجه البريد لإحضار الأمير بكلمش من الإسكندرية، ومسيره إلى القدس، على ما كان لشيخ من المرتب بها.

وفيه استقر على بن مسافر فى ولاية منوف[٢]، وعزل الشهاب أحمد بن أسد الكردى.

وفيه سار الأمير أرغون شاه، والأمير تمراز، والأمير طولو فى عدة من الأمراء إلى الشرقية، وأخذوا من عرب بنى وائل مائتى فارس، وعادوا فسمر منهم نحو الثلاثين، وسجن البقية بالخزانة.

واستمر السلطان من حركة ألى باى يتزايد به المرض إلى ليلة الإثنين سادس عشرينه، أقلع عنه الألم، ونودى من الغد بالزينة، فزينت القاهرة ومصر لعافيته وتصدق فى هذه المدة على يد الطواشى صندل وغيره بمال كبير، يقال مبلغه مائتا ألف وخمسون ألف دينار ذهبا.

وفي سابع عشرينه: سمر من بنى وائل مائة وثلاثة رجال.

وفيه قدم مبشرو الحاج بالسلامة والأمن.

وفيها ولى الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا إمرة آل فضل، عوضا عن أخيه أبى سليمان بعد وفاته، وولى ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أبى

---

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بليناس. انظر معجم البلدان ١٠٨/٥.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية . انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

الطيب كتابة السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن محمد بن على الحمصى بعد موته، ونقل علم الدين محمد القفصى من قضاء المالكية بحلب إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم التادلى، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الدايم الموصلى قضاء المالكية بحلب.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلبكى الدمشقى الضرير، المعروف بالبرهان الشامى، فى ثامن جمادى الأولى، عن تسعين سنة، وقد حدث منذ سنين.

ومات تاج الدين أحمد بن فتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشهيد.

ومات شهاب الدين أحمد بن قايماز فى ثانى عشر ربيع الأول، وكان من الأعيان، ويخدم فى أستادارية الأمراء، وامتحن فى نوبة الشريف العنابى.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد البكتمرى أحد علماء الميقات، فى سابع عشرين جمادى الأولى.

ومات آق بلاط الأحمدى، أحد أمراء العشراوات.

ومات تانى بك اليحياوى أمير آخور، أحد أمراء الألوف، فى ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر، ومشى السلطان فى جنازته وبكى عليه، وركب حتى دفن، وأقام القراء على قبره أسبوعا، وتمد لهم الأسمطة السلطانية.

ومات الأمير تَلكْتَمُر دوادار الأمير قلمطاى، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير طوغان العمرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء السطوحية فى أول ربيع الأول.

ومات مجد الدين عبد الرحمن مكى، أحد نواب القضاة المالكية خارج القاهرة، فى أول جمادى الأولى.

ومات الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافى بن على بن عبد الله الطباطبى، نقيب الأشراف فى ليلة الرابع عشر من ذى القعدة.

ومات تاج الدين عبد الله بن على بن عمر، المعروف بقاضى صور - بفتح الصاد المهملة - بليدة بين حصن كيفا وماردين - السنجارى الحنفى، عن نحو الثمانين سنة

بدمشق، وقدم القاهرة، وأقام بها زمانًا، وكان فاضلا أفتى، ودرس، وصنف كتاب البحر الحاوى فى الفتاوى، ونظم المختار فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة وبدمشق. ولى وكالة بيت المال بدمشق وكان لطيفا ظريفا.

ومات الأمير عمر بن إلياس قريب الأمير قرط التركمانى، والى منفلوط قتله العرب بها.

ومات الشيخ المعتقد عمر الفرنوى.

ومات الأمير قلمطاى[١] الدوادار فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى فصلى السلطان عليه، وشهد دفنه، وبكى عليه، وعمل للقراء الأسمطة عند قبره أسبوعا.

ومات الأمير قجماس البشيرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء الدسوقية.

ومات الأمير قرابغا المحمدى أحد أمراء العشراوات.

ومات أمين الدين محمد بن محمد بن على الحمصى كاتب السر بدمشق، وقدم القاهرة مع الأمير تنم. وكان أديبا شاعرا ناثرا.

ومات نجم الدين محمد بن عمر بن محمد الطنبدى وكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة فى رابع عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى[٢] المغربى، المعروف بالكركى لإقامته بالكرك[٣]، فى خامس عشرين ربيع الأول. وكان عند السلطان بمنزلة مكينة جدا، يجلسه إلى جانبه، وتحته قاضى القضاة الشافعى. ولم يغير لبس العباءة، ولا أخذ شيئا من المال. والناس فيه بين مفرط فى مدحه، ومفرط فى الغض منه. وتولى الأمير يلبغا السالمى تجهيزه إلى قبره، وبعث السلطان مائتى دينار لذلك، ولقراءة القرآن على قبره مدة أسبوع، فعمل ذلك على العادة.

ومات صفى الدين أحمد بن محمد بن عثمان الدميرى، موقع الدست، وأحد نواب

---

(١) هو الأمير قلمطاى بن عبد الله العثمانى الدوادار.

(٢) نسبة إلى توزر:وهى قاعدة كور قصطيلية من البلاد الجريدية، ولها سور عظيم حصين وبها نخل كثير جدًّا وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة والطوب وحولها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب وعليها غابة كبيرة وهى أكثر بلاد الجريد تمرًا. انظر معجم البلدان ٢/٥٧،٥٨، والروض المعطار ١٤٤، ١٤٥، والإدريسى ١٠٤/٧٥.

(٣) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

القضاة المالكية، فى رابع المحرم، بعدما ابتلى من الأمير بَكْلَمِش ببلاء عظيم. وله نظم.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن قُمارى أمير شكار، وشاد الأحواش السلطانية الموضوعة للطيور، فى ثانى عشر رجب.

ومات ملك المغرب صاحب فاس[١] أبو عامر عبد الله بن السلطان أبى العباس أحمد ابن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى[٢]. وأقيم بعده أخوه أبو سعيد عثمان بن أبى العباس. هذا، واشيخ أبو العباس أحمد بن على القبايلى هو القائم بتدبير الدولة بعد موت السلطان أبى العباس أحمد. وكل من أبى فارس عبد العزيز وأبى عامر عبد الله، وأبى سعيد عثمان تحت حجره، حتى قتل كما سيأتى ذكره، إن شاء الله تعالى.

وقتل الأمير سولى بن الأمير زين الدين قراجا بن دُلْغَادر التركمانى، فى ذى القعدة، قتله رجل من أقاربه يقال له على بك. وذلك أنه غاضبه وأخرجه، فنزل حلب، ثم اتفق مع غلامه - على القُصَيَّر - على قتل سولى، واحتالا عليه بأن ضرب على بك غلامه ضربا مبرحا، فمضى الغلام إلى سولى يشكو حاله، فأواه عنده، ووعده بأخذ ثأره. فما زال عنده حتى سكر سولى ليلة. فلما انفرد به ضربه بسكين قتله، ثم صاح. فلما جاءه التركمان أوهمهم أن بعض أعدائه اغتاله، ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب. فلما صح السلطان الخبر، استدعى على بك وغلامه، وأنعم عليهما بإمرتين لعلى بك إمرة طبلخاناه، ولعلى القصير بإمرة عشرة.

وقتل أمير آل فضل الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا، بعد القبض عليه فى كائنة جرت بينه وبين عمه الأمير نعير[٣]، بالقرب من الرحبة[٤].

---

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى: ٧٥/٥٠. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ٥/١٥٤.

(٢) عبد الله أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة بنى مرين فى المغرب، بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩ هـ) وكان تصريف الأعمال فى أيدى الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباه. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أياما . انظر الاستقصا ٢/٤٢ والأعلام ٤/٦٨.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعير: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه (سنة ٧٧٧ هـ) وكان شجاعا جوادا مهيبا إلا أنه كان كثير الغدر والفساد. وقتل فى حلب وكان قد نيف على السبعين . انظر الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ وإعلام النبلاء ٥/١٤٧ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٨ والأعلام ٦/١١١.

(٤) الرحبة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٣٣، والروض المعطار ٢٦٨.

ومات الأديب المادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البديوى، فى ثامن عشر جمادى الآخرة، بالنحريرية. وأكثر شعره مدائح نبوية، وله صلاح مشهور.

* * *

سنة إحدى وثمانمائة

أهل هذا القرن التاسع وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد[(١)]، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، وإنما هو بمنزلة واحد من الأعيان. وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والحرمين - مكة والمدينة - الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص[(٢)] أول ملوك الجركس، ونائبه بدمشق الأمير تنم الحسنى، ونائبه بحلب الأمير أرغون شاه الخازندار، ونائبه بطرابلس الأمير أقبغا الجمالى، ونائبه بحماة الأمير يونس بَلْطَا، ونائبه بصفد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على، ونائبه بغزة الأمير طيفور، ونائبه بالإسكندرية الأمير صَرْغتمش، ونائبه بمكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسنى[(٣)]، ونائبه بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - الشريف ثابت بن نعير. والأمير الكبير أتابك العساكر بديار مصر الأمير أيتمش البجاسى. وقاضى القضاة الشافعى بها تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ورفقاؤه قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى[(٤)]

---

(١) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المكتفى) بن محمد أحمد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٣ هـ بعهد منه بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما . انظر بدائع الزهور ١/ ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ والأعلام ٦/ ٥٦.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبا إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة. تولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ١/ ٢٥٨ و ٢٩٠ والضوء اللامع ٣/ ١٠ والأعلام ٢/ ٤٨.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بنيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين. ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر فتوفى بها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٢/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى. أصله من خرتبرت بديار بكر. ومولده بملطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ١٠/ ٣٣٥ وإعلام النبلاء ٥/ ١٣٣ وشذرات الذهب ٧/ ٤٠ والأعلام ٨/ ٢٥٤، ٢٥٥.

وقاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى المالكى، وقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم ابن نصر الله الحنبلى. وحاجب الحجاب الأمير فارس القطلوقجاوى، وناظر الخاص والجيش معا سعد الدين إبراهيم بن غراب، وكاتب السر بدر الدين محمود الكلستانى العجمى، والوزير بدر الدين محمد بن محمد الطوخى.

شهر الله المحرم أوله الجمعة.

فيه صرف المثقال الذهب المختوم الهرجة[١] بأحد وثلاثين درهما، ويصرف فى ثغر الإسكندرية باثنين وثلاثين درهما.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة اثنا عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا.

وفى ثانيه: خلع على الأمير زين الدين مقبل أحد المماليك السلطانية، واستقر فى ولاية ثغر أسوان[٢] عوضا عن الصارم إبراهيم الشهابى، وقد قتله أولاد الكنز.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد المخانسى إلى حسبة القاهرة، وعزل بهاء الدين محمد البرجى.

وفيه نودى بقلع الزينة فقلعت.

وفى عاشره: أحضر بعض مسالمة النصارى، من الكتاب الأقباط، إلى باب القلعة من قلعة الجبل، وقد ارتد عن الأسلام، وعرف فى إسلامه ببرهان الدين إبراهيم بن بُرَيْنِيَّة مستوفى المارستان المنصورى، فعرض عليه الإسلام مرارا، ورغب فى العود إليه، فلم يقبل، وأصر على ردته إلى النصرانية، فسئل عن سبب ردته، فلم يبد شيئا، فلما أيس منه ضربت رقبته بحضرة الأمير الطواشى شاهين الحسنى، أحد خاصكية السلطان.

وفى سابع عشره: سمر سبعة من المماليك، يقال لأحدهم أقبغا الفيل من جملة مماليك السلطان، وأحد إخوة الأمير ألى باى، وباقيهم مماليك ألى باى.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير بكلمس من سجنه بالإسكندرية. فلما خرج من سجنه، وتوجه يريد القاهرة أدركه مرسوم السلطان بأن يسير إلى القدس، ويقيم به بطالا، فمضى حيث رسم به.

---

(١) الهرجة، ومفردها هرج، دنانير تستعمل خاصة فى الحلى كالأساور.

(٢) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسى ٢١..

وفيه رسم بإعادة ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن زين الدين عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى الشافعى إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن الحمصى بعد وفاته.

وفيه رسم بانتقال الأمير سيف الدين جنتمر التركمانى من إمرة الطبلخاناه بدمشق إلى نيابة حمص، عوضا عن تَمَان بغا الظاهرى، بعد وفاته.

وفيه تنكر السلطان على سودن الحمزاوى الخاصكى، وضربه بين يديه، وسجنه بخزانة شمايل مدة أيام، ثم أخرجه منفيا إلى بلاد الشام.

وفى ثانى عشرينه: خلع على علاء الدين على بن الحريرى شاد المارستان، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن علاء الدين على الحلبى إلى ولاية الغربية، كل ذلك بمال وعد به.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفى رابع عشرينه: قدم المحمل ببقية الحجاج، وقد تأخر قدومهم يومين عن العادة.

شهر صفر أوله الأحد.

ففى ليلة الأربعاء رابعه: وقع حريق بخط باب سر المدرسة الصالحية، تلف فيه عدة دور، فنزل إليه الأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تَمُربغا المنجكى الحاجب، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير طولو، حتى طفوه.

وفيها قبض على أينال خازن دار الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، وقد اتهم بأنه ممن كان من أعوان ألى باى.

وفيها ابتدأ وعك بدن السلطان، وحدث له إسهال مفرط، لزم منه الفراش، واستمر وعكه مدة تزيد على عشرين يوما.

وفى تاسعه: قدم البريد بموت الأمير بكلمش العلاى أمير أخور، فى نفيه بالقدس.

وفى عاشره: رسم السلطان للفقراء بمال كبير يفرق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كبير وازدحموا لأخذ الذهب، فمات فى الزحام منهم سبعة وخمسون شخصا، ما بين رجل وامرأة، وصغير وكبير.

وفى ثانى عشره: رسم بجمع أهل الإصطبل السلطانى من الأمير أخورية،

والسلاخورية[١]، ونحوهم، فاجتمعوا، ونزل السلطان من القصر إلى مقعده بالإصطبل - وهو موعوك[٢] - لعرضهم، حتى انقضى ذلك وصرفهم. ثم قبض على جرباش من جماعتهم، وعرض الخيول وفرق خيل السباق على الأمراء كما هى العادة، ثم عرض الجمال البخاتى. كل ذلك تشاغلا، والغرض غير ذلك. ثم أظهر أنه قد تعب، واتكأ على الأمير نوروز الحافظى أمير أخور، ومشى فى الإصطبل متكئا عليه حتى وصل إلى الباب الذى يصعد منه إلى القصر، أدار بيده على عنق نوروز، فتبادر المماليك إليه يلكموه حتى سقط، فعبر السلطان الباب وقد ربط نوروز وسحب حتى سجن عنده. وكان القصد فى حركة السلطان مع توعكه إنما هو أخذ نوروز، فإنه كان يتهمه بممالأة ألى باى، ومعه الأمير أقبغا اللكاش. ثم بلغه أن نوروز، قصد أن يركب فمنعه أصحابه، وأشاروا عليه أن يصبر حتى ينظر، فإن مات السلطان حصل القصد بغير تعب، وإن حصل له الشفاء، جمع لحربه وركب، وكان ممن حضر هذا المشور مملوكان من الخاصكية، قرر نوروز معهما أنهما إذا كانت ليلة نوبتهما فى المبيت عند السلطان يقتلاه، ويرميا الثريا التى توقد بالمقعد المطل على الإصطبل حتى يأخذ هو حينئذ الإصطبل ويركب للحرب، فنم هذان المملوكان عليه، وأعلما صاحبا لهما من المماليك يقال له قانى باى، وواعداه أن يكون معهما، فأجابهما. وحضر إلى السلطان وأعلمه الخبر، فكان ما ذكر، وعندما قبض على نوروز ارتجت المدينة، وغلقت الأسواق، وحسب الناس أنها فتنة، فلم يظهر شيء، وسكن الحال، ونودى بالأمان، ففتح باب زويلة، وكان قد أغلق بغير إذن الوالى، فضرب البواب بالمقارع، وشُهِّر من أجل أنه أغلقه. فلما أصبح الناس يوم السبت رابع عشره خلع على الأمير أقبغا اللكاش بنيابة الكرك، وأخرج من ساعته ومعه الأمير أرُسْطَاى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمربغا المنجكى أمير حاجب، موكلين به إلى خارج القاهرة، وأُذن له فى الإقامة بخانكاة سرياقوس عشرة أيام، حتى يجهز أحواله. ووكل به الأمير تانى بك الكركى الخاصكى، وأن يكون متسفره.

وفى ليلة الأحد خامس عشره: أنزل الأمير نوروز من القلعة إلى الحراقة، وأخذ النيل إلى الإسكندرية ومعه الأمير أرنبغا الحافظى أحد أمراء العشرات موكلا به حتى يسجنه بالبرج.

وفى ثامن عشره: قبض على قوزى الخاصكى، وسلم إلى والى القاهرة.

---

(١) السلاخورية، مفردها سلاخور، وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب.

(٢) أى: مريض.

وفى تاسع عشره: أنعم على الأمير سيف الدين تمراز الناصرى بإقطاع نوروز الحافظى، وعلى الأمير سودن الماردينى بإقطاع اللكاش، وعلى الأمير سيف الدين أرغون البيدمرى الأقبغاوى، واستقر أمير مجلس. واستقر الأمير سودن قريب السلطان أمير أخور، عوضا عن نوروز.

وفى ثالث عشرينه: أملى بعض المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة على بعض فقهاء الطباق أسماء جماعة المماليك والأمراء أنهم قد اتفقوا على إقامة فتنة، فكتبها ودخل بها المملوك على السلطان، فلما قرئت عليه استدعى المذكورين، وأخبرهم بما قيل عنهم، فحلوا أوساطهم، ورموا سيوفهم وقالوا: «يوسطنا السلطان، وإلا يخبرنا بمن قال هذا عنا؟». فاحضر المملوك وسلمه إليهم فضربوه نحو الألف، فقال: «أنا اختلقت هذا حنقا من فلان» وسمى شخصا قد خاصمه، فأحضر الفقيه الذى كتب الورقة،وضرب بالمقارع، وسمر، ثم عفى عنه من القتل، وسجن بخزانة شمايل.

وفى آخره: وصل اللكاش إلى غزة[١]، فقُبض عليه بها، وأحيط بسائر ما معه، وحمل إلى قلعة الصبيبة، فسجن بها.

وفى هذا الشهر: ورد البريد بأن السكة ضربت فى ماردين[٢] باسم السلطان، وخطب له بها على المنبر، وحملت الدنانير والدراهم باسم السلطان إليه، ففرقها فى الأمراء.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين.

ففى ثانيه: استقر القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى فى قضاء العسكر، عوضا عن موفق الدين العجمى، بحكم أنه نقل إلى قضاء الحنفية بالقدس، عوضا عن خير الدين بن عيسى الحنفى بعد موته.

وفى رابعه: قدم البريد بوفاة الأمير سيف الدين أرغون شاه الإبراهيمى نائب حلب، وأحضر سيفه على العادة.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى على عادته.

---

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق، ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

وفى سادسه: توجه الأمير أرغون شاه أمير مجلس إلى السراحة ببلاد الصعيد على عادة من تقدمه.

وفى حادى عشره: رسم أن ينقل الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، وتوجه بتقليده الأمير أَيْنال باى بن قُجماس، وكان قد سأل فى ذلك على أن يحمل ألف ألف درهم فضة واستقر أيضا الأمير شرف الدين يونس بَلْطا نائب حماة فى نيابة طرابلس، وتوجه بتقليده الأمير يلبغا الناصرى. واستقر الأمير دمرداش المحمدى أتابك العساكر بحلب فى نيابة حماة، وتوجه بتقليده الأمير سيف الدين شيخ من محمود شاه رأس نوبة. واستقر الأمير سيف الدين سودن الظريف نائب الكرك، وسار من القاهرة ومعه الأمير تانى بك الكركى متسفرا.

وفى خامس عشره: توجه الأمير تغرى بردى أمير سلاح إلى السرحة بالبحيرة[1]، وتوجه إليها أيضا الأمير فارس حاجب الحجاب.

وفى سلخه:[2] قبض على الأمير عز الدين أَزْدَمُر أخى أينال، وعلى ناصر الدين محمد ابن أينال اليوسفى، ونفيا إلى الشام.

شهر ربيع الأخر.

أوله الأربعاء، فرسم فيه للأمير صُراى تَمُر شَلَق الناصرى رأس نوبة، أحد الطبلخاناه بديار مصر، بإمرة دمرداش بحلب، وأُخرج إليها.

واستقر جمال الدين يوسف بن أحمد بن غانم قاضى نابلس فى خطابة القدس، عوضا عن العماد الكركى.

وفى تاسعه: استقر شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين الحلبى فى ولاية القاهرة، وعزل عنها الأمير بهاء الدين أرسلان الصفدى، وألزم بعشرين ألف أردب شعير كان قد قبضها من الأمير يلبغا المجنون الكاشف لما كان يلى ولاية العرب؛ ليفرقها فى العربان.

وفى ثالث عشره: نودى بالقاهرة ومصر أن يتجهز الحجاج الرجبية إلى مكة، فسر الناس ذلك. وكانت الرجبية قد بطلت من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وفى رابع عشره: نودى أيضا: «من له ظلامة، من له شكوى، فعليه بالباب

---

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢٠٨/٣.

(٢) المقصود آخره.

الشريف». وجلس السلطان على العادة فى يومى الثلاثاء والسبت للنظر فى المظالم. واستقر الأمير ناصر الدين محمد بن طَلى والى قليوب، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن قرابُغَا الألناقى.

وفى عشرينه: أنعم على إينال بن إينال بخبز أخيه محمد، وعلى كل من سودن من زاده، وتغرى بردى الجلبانى، ومنكلى بغا الناصرى، وبكتمر جَلَق الظاهرى، وأحمد بن عمر الحسنى بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من بشباى، وتَمُرْبُغا من باشاه، وشاهين من إسلام وجوبان العثمانى، وجَكَم من عوض بإمرة عشرة.

وفى خامس عشرينه: طلع رجل عجمى إلى السلطان - وهو جالس للحكم بين الناس - وجلس بجانبه ومد يده إلى لحيته، فقبض عليها وسبه سبا قبيحا، فبادر إليه رءوس النوب، وأقاموه ومروا به وهو مستمر فى السب، فسلم إلى الوالى، فنزل به وضربه أياما حتى مات.

وفيه استعفى الأمير سودن باشاه من الحجوبية لعجزه، فأعفى، واستعيد خبزه.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأسلمى، والى قطيا، واستقر فى الوزارة عوضا عن الوزير الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، وكان بدء أمره. وسبب ولايته أن أباه كان نصرانيا من النصارى الأرمن الذين قدموا إلى القاهرة، فأظهر الإسلام وخدم صيرفيا بناحية منية عقبة من الجيزة مدة، ثم انتقل إلى قطيا، وخدم بها صيرفيا. ومات هناك، فاستقر ابنه عبد الرزاق هذا عوضه، وباشر الصرف بقطيا مدة، ثم سمت نفسه إلى أن استقر عاملا بها، فباشر زمانا. وانتقل من عمالة قطيا إلى وظيفة الاستيفاء فوعد بمال، واستقر فى نظر قطيا، ثم جمع إليها الولاية، ولم يسبق إلى ذلك، فباشرهما مدة. وترك زى الكتاب ولبس القباء والكلفتاه، وشد السيف فى وسطه، وصار يدعى بالأمير بعدما كان يقال له العلم. ثم صار يقال له القاضى، وتشدد على الناس فى أخذ المكوس، وكثر ماله، فوشى به إلى الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، فندب إليه الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبى، فسار إليه، وصادره، وضرب ابنه عبد الغنى - وكان صغيرا - بحضرته، وأخذ منه مالا جزيلا يقارب الألف ألف درهم، فحنق من الوزير، وكتب إلى السلطان يسأل فى الحضور، فأذن له وقدم، فأوصله المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى السلطان فى خفية، فرافع الوزير بما وغر عليه صدر السلطان، ونزل وقد رسم له أن ينزل عند الوزير، فأقام بداره وتحدث فى الوزارة مع خواص السلطان، فثقل مقامه على الوزير، واستأذن السلطان فى سفره إلى قطيا فلم يأذن له، وبعث إلى ابنه عبد الغنى بخلعة، وجعله فى

الولاية بقطيا، وقرره فى الوزارة، فنزل بزى الأمراء وسلم إليه ابن الطوخى، فأنزله من القلعة ومعه شاد الدواوين. وقبض على برهان الدين إبراهيم بن عبد الكريم الدمياطى ناظر المواريث بالقاهرة ومصر، وناظر الأهراء، وعلى المتقدم زين الدين صابر وشريكه على البديوى، فالتزم الدمياطى للوزير بأربعمائة ألف درهم، والتزم مقدما الدولة بثلاثمائة ألف درهم، وتسلمهم الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر قَطِّيِّنة أستادار البيوت؛ ليخلص ذلك منهم.

شهر جمادى الأولى أوله الجمعة.

فى رابعه: رسم بإحضار الأمير سيف الدين يلبغا الأحمدى المجنون من ثغر دمياط، فتوجه لإحضاره سيف الدين بيغان الخاصكى.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: استدعى الريس فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى - رئيس الأطباء - وخلع عليه، واستقر فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين محمود الكلستانى بحكم وفاته. وفتح الله هذا كان جده نفيس يهوديا من أولاد نبى الله داود عليه السلام، فقدم من توريز فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[١] إلى القاهرة، واختص بالأمير شيخو العُمَرى وطَبَّه، وصار يركب بغلة بخف ومهماز، وهو على اليهودية. ثم أنه أسلم على يد السلطان حسن. وولد فتح الله بتوريز وقدم على جده، فكفله عمه بديع بن نفيس، وقد مات أبوه وهو طفل. ونشأ وعانى الطب إلى أن ولى رئاسة الأطباء بعد موت شيخنا علاء الدين على بن صغير، واختص بالملك الظاهر، فولاه كتابة السر بعدما سئل فيها بقنطار من ذهب، فأعرض عنه، واختار فتح الله، مع علمه ببعده عن معرفة صناعة الإنشاء، وقال «أنا أعلّمه» فباشر ذلك، وشكره الناس.

وفى رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف الملطى الحلبى[٢] قاضى القضاة الحنفية، واستقر فى تدريس المدرسة الصرغِتْمشية المجاورة للجامع الطولونى عوضا عن الكلستانى.

---

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر، صغيرا بعد مقتل أخيه (حاجى، المظفر) سنة ٧٤٨ هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة تسمى حنا ثم خلع وأعيد إلى الحكم فكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢١٦/٢.

(٢) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من خرتبرت بديار بكر ومولده بملطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠ والأعلام ٢٥٤/٨، ٢٥٥.

وفيه وجد فى تركة الكلستانى من الذهب المختوم ما زنته مائة رطل وعشرة أرطال مصرية، سوى الأثاث والثياب والكتب والخيول وغير ذلك.

وفى خامس عشره: استقر الأمير صارم الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن مقبل فى ولاية مصر، عوضا عن الأمير علم الدين سليمان الشهرزورى وأضيف إليه ولايتى الصناعة والأهراء والقرافتين.

وورد البريد بوقوع الفتنة بين محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى وبين أصحاب على بن غريب الهوارى النازلين بالأشمونين[1]. وذلك أن ابن عمر أراد إخراجهم من البلاد، فتحالف أصحاب ابن غريب الهوارى الذين بالبحيرة وغيرها، مع فزارة وعرك وبنى محمد. ووافقهم عثمان بن الأحدب، وكبسوا بأجمعهم كاشف الوجه القبلى، وقتلوا عدة مماليكه. ونجا بنفسه، فرسم بتجريد ستة من الأمراء المقدمين، وهم الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، وتمربُغا المنجكى أمير حاجب، والأمير أرسطاى رأس نوبة، والأمير بَكْتَمُر الركنى، وسودن الماردينى، ورسم بتجريد عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات. ورسم لكل من المقدمين بثلاثين ألف درهم، وبكل من الطبلخاناه - وهم عشرة - بعشرة آلاف درهم، ولكل من العشرات بخمسة آلاف درهم. فشرعوا فى التجهيز إلى السفر، فحضر إلى القلعة فخر الدين عثمان بن الأحدب طائعا، وشكى من ابن عمر، وأن العربان توجهوا بعد كسرة الكاشف إلى ناحية جرجا[2]، وقاتلوا محمد بن عمر فكسرهم، وردوا مهزومين، فبطل سفر الأمراء.

وفيه قدم البريد بموت الأمير سيف الدين صرغتمش المحمدى القزوينى نائب الإسكندرية.

شهر جمادى الآخرة أوله السبت.

فى عاشره: توجه على البريد شهاب الدين أحمد بن خاص ترك إلى دمشق، واستقر جمال الدين الهذبانى فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن يَلو.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: أركب الوزير ابن الطوخى حمارا وسار به الرسل إلى القلعة، فتمثل بين يدى السلطان، وطالبه مشافهة بالمال، فأنكر أن يكون له مال، وحلف بالله على ذلك، فلم يقبل قوله. وسلمه إلى الوزير تاج الدين بن أبى الفرج، فأنزله إلى داره، وعصره فتجلد ولم يعترف بشىء، فأخذ عبدا من عبيده وخوفه وهم بضربه، فدل

---

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل . انظر معجم البلدان ٣/٢٠٨.

(٢) قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم. انظر معجم البلدان ٢/١١٩.

على شعير وجد فيه أربعة آلاف دينار ونيف، ثم وجد في مكان آخر تتمة[١] سبعة آلاف دينار، وضرب بعد ذلك فلم يعترف بشيء، فقام في أمره القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيوش وناظر الخاص، وتسلمه على أن يحمل سبعمائة ألف درهم، ونقله إلى داره، فشرع في بيع أثاثه وإيراد المال.

وفي رابع عشرينه: استقر الأمير زين الدين فرج الحلبي أستادار الأملاك والذخيرة في نيابة الإسكندرية، وخرج إليها.

وفيه استقر الأمير قلطوبغا والى الشرقية كاشف الوجه البحرى، وصرف على بن الحريرى. وخلع على الأمير علاء الدين على نائب الوجه البحرى خلعة استمرار، وتدرك الطرانة بثمانمائة ألف درهم في السنة.

وفي خامس عشرينه: استقر الطبيب كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن صغير، والطبيب شمس الدين عبد الحق بن فيروز في رئاسة الأطباء، عوضا عن فتح الله كاتب السر.

شهر رجب أوله الإثنين.

وفي ثانيه: استقر جقمق الصفوى في نيابة ملطية[٢] عوضا عن دقماق المحمدى، وجهز تقليده وتشريفه على يد مقبل أمير خازندار، على البريد.

وفي رابعه: كتب لنائب قلعة حلب بأن يحمل مائة قرقل[٣] وخمسين بركستوان[٤] من خزانة السلاح بها إلى نائب يأذنه[٥]، أحمد بن رمضان، وحمل له أيضا مبلغ ألفى دينار.

وفي سادسه: رسم لبدر الدين المقدسى بقضاء الحنفية بدمشق عوضا عن محيى الدين محمود بن أحمد بن الكشك، وتقى الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح[٦] بقضاء الحنابلة

---

(١) تكملة.

(٢) ملطية: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٣) القرقل: سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الأحمر والأصفر.

(٤) ما يوضع حول بدن الفرس كالدرع.

(٥) تقع بحذاء شرق جبل كاتوزع. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥.

(٦) إبراهيم بن محمد بن مفلح الأراميني الأصل، الدمشقى، أبو إسحاق، شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه «طبقات أصحاب الإمام أحمد» و«كتاب الملائكة» و«شرح المقنع» وتلف أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق. انظر المنهج الأحمد والدارس ٤٧/٢ والقلائد الجوهرية ١٦١ والمقصد الأرشد والأعلام ٦٤/١.

بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد النابلسى. واستقر الأمير يلبغا المجنون على إقطاع الأمير حسام الدين حسن بن على الكجكى، بحكم وفاته.

وفى يوم الإثنين ثامنه: دار المحمل، وبرز الأمير بيسق الشيخى بالريدانية ليكون أمير الحاج الرجبية، ورسم له بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام، وخرج معه المعلم شهاب الدين أحمد بن طولونى المهندس، وبرز الناس شيئا بعد شىء للحج.

وفى حادى عشره: استقر كاتبه أحمد بن على المقريزى[(١)] فى حسبة القاهرة والوجه البحرى، عوضا عن شمس الدين محمد المخانسى.

وفى خامس عشره: استقر قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى[(٢)] الشافعى فى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف تقى الدين عبد الرحمن بن محمد الزبيرى، ونزل معه دوادار السلطان الأمير بيبرس، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير أرسطاى رأس نوبة، وفتح الدين كاتب السر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، فكان يوما مشهودا لم نر بعده لقاض مثله.

وفى سادس عشره: ركب البريد الأمير مشترك الخاصكى بتقليد نيابة غزة للأمير ألطنبغا قراقاش.

وفى تاسع عشره: رحل ركب الحجاج من بركة الجب إلى مكة.

وفى ثانى عشرينه استقر الأمير يلبغا المجنون فى وظيفة الأستادارية، وصرف الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، ونزل فى خدمته نحو العشرين أميرا. واستقر ابن سنقر أستادار الأملاك والأوقاف، والذخيرة السلطانية، عوضا عن أمير فرج نائب الإسكندرية.

---

(١) أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسينى العبيدى، تقى الدين المقريزى: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة، ولد ونشأ ومات فى القاهرة، وولى فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات. من تأليفه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ويعرف «بخطط الملوك» و«اتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» والكتاب الذى بأيدينا . انظر التبر المسبوك ٢١ وخطط مبارك ٦٩/٩ ودرر الفوائد وآداب اللغة ١٧٥/٣ والفهرس التمهيدى ٣٨٣، ٤٣٦ والبدر الطالع ٧٩/١ والأعلام ١٧٧/١، ١٧٨.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمىّ المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاضى، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١هـ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف « كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصابيح». مات غريقا فى الفرات . انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانه ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

وفى خامس عشرينه: كتب إلى الأمير تنم نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد[١]، والأمير سيف الدين جُلْبان الكمشبغاوى أتابك دمشق، فورد المرسوم على النائب وهو بالغور[٢]، فاستدعى نائب صفد وقبض عليهما، وبعث بسيفهما إلى قلعة الجبل على العادة، وسجنا بقلعة دمشق. ورسم أن يستقر الأمير علاء الدين ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق فى نيابة صفد، فسار إليها فى خامس شعبان، ونقل الأمير سيف الدين بَيْقجاه الشرفى طيفور نائب غزة إلى دمشق، واستقر حاجب الحجاب بها، ونقل علاء الدين ألطنبغا نائب الكرك لنيابة غزة.

شهر شعبان أوله الأربعاء.

فى خامسه: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين المناوى بالظاهرية الجديدة على العادة، وحضر القضاة والفقهاء والوزير تاج الدين، والأمير تمربغا المنجكى أمير حاجب، والأمير أينال باى بن قمجاس، وقرأه القاضى ناصر الدين محمد بن الصالحى أحد نواب الحكم، فخلع عليه القاضى سعد الدين بن غراب بعد فراغه من القراءة، وكان قد جلس بالقبة، ومعه الأمير أبو بكر أمير حاجب.

وفى تاسعه: استقر كمال الدين عمر بنِ العديم فى قضاء الحنفية بحلب، وتوجه إليها من القاهرة، وكان قد قدم إليها بطلب. وخُلع على سائر الأمراء المقدمين أقبية مقترح نخ، وهى أقبية الشتاء. وكان قد بطل ذلك منذ انقطع الركوب فى الميادين نحو خمس عشرة سنة. وخلع على الأمير يلبغا السالمى أحد العشرات، واستقر فى نظر خانقاه شيخو، عوضا عن الأمير حاجب الحجاب فارس، لشكوى الصوفية من تأخر معاليهم مدة أشهر. واستقر الأمير على بن مسافر نائب السلطنة بالوجه البحرى، وخلع عليه عوضا عن أمير على السيفى.

وفى ليلة الإثنين ثالث عشره: - بالرؤية - خسف القمر جميعه.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير علاء الدين على بن الحريرى لولاية قوص[٣] عوضا عن قطليجا بن أوزان، وعلى كزل المحمودى لولاية منوف[٤]،عوضا عن علاء

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان . انظر معجم البلدان ٢٢/٤.

(٢) غور الأردن بالشام. بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٤) منوف: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

الدين على بن مسافر. وحمل جهاز خديجة بنت الأمير جهاركس الخليلى على ثلاثمائة وستين جملا، وعشرين قطارا بغالا، إلى دار زوجها الأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان، وبنى عليها الجمعة سابع عشره. وكتب لنائب حلب بأن يحمل إلى عثمان بن طور على من المال الحاصل خمسين ألف درهم فضة مع الأمان المجهز له، وكتب لنائب صفد أن يحمل موجود الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد[1]، كان.

وفى ثالث عشرينه: خلع على القاضى أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمى واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد بن الأخناى، على مال، فكتب إلى دمشق بأن يخلفه فى الخطابة والقضاء شهاب الدين أحمد بن حجى، فناب فيهما عنه.

وفى رابع عشرينه: ترافع الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى أمير هوارة، هو والأمير عثمان بن الأحدب، والأمير ألطنبغا والى العرب نائب السلطنة بالوجه القبلى بين يدى السلطان بالإصطبل، فظهر الحق مع محمد بن عمر، فسُلم ألطنبغا إلى الوزير ليصادره، وسلم ابن الأحدب وأولاده إلى الوالى، فسجنهم بخزانة شمايل، واستقر أمير على السيفى نائب السلطنة بالوجه القبلى.

وفى أخريات شعبان: رسم للقضاة بعرض الشهود الجالسين بالحوانيت للتكسب بالشهادة، فكتب نقباء القضاة أسماءهم، وشرع القضاة فى عرضهم ليختبر حال كل منهم، ويبقى من عرف بحسن السيرة، ويمنع من تحمل الشهادة من جهل حاله أو عرف بسوء، فمنع جماعة، ثم أعيدوا بالرسائل وشفاعات الأكابر، فلم يتم الغرض.

شهر رمضان أوله الخميس.

فى ثالثه: خلع على الأمير سيف الدين أوناط اليوسفى، واستقر كاشف الوجه البحرى، وعزل قطلوبغا الخليلى.

وفى عاشره: خرج البريد لإحضار الشيخ ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون[2] من قريته بالفيوم؛ ليستقر فى قضاء القضاة المالكية، وكان قد سعى فى ذلك شرف الدين محمد بن الدمامينى[3] الإسكندرانى، بسبعين ألف درهم، فردها السلطان.

---

(١) صفد: سبق ترجمتها. انظر: معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولى الدين الحضرمى الإشبيلى الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعى البحاثة. أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس.ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس ثم توجه إلى مصر فأكرمه الظاهر برقوق. وولى فيها قضاء المالكية ولم يتزى بزى القضاة محتفظا بزى بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفى فجأة فى القاهرة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر». انظر: الضوء اللامع ٤/١٤٥ ونيل الابتهاج ١٧ ونفح الطيب ٤/٤١٤ والعبر ٧/٣٧٩ والأعلام ٣/٣٣٠.

(٣) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى، بدر الدين المعروف=

وفى خامس عشره: حضر ابن خلدون وخلع عليه، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن ناصر الدين محمد بن التنسى بعد موته، فشرع فى عرض الشهود، وأغلق عدة حوانيت استجدت بعده. وهذه ولايته الثانية بعد ما أقام معزولا نحو خمس عشرة سنة.

وفى سادس عشره: سافر قاضى القضاة أصيل الدين إلى دمشق على خيل البريد، بعد ما وزن نحو المائة ألف درهم تداين كثيرا منها.

وفى حادى عشرينه: استقر الأمير ركن الدين عمر بن على الكورانى، فى ولاية مصر، عوضا عن الصارم إبراهيم بن مقبل بعد عزله.

وفى رابع عشرينه: كتب بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من اعتقاله بقلعة دمشق، وأن يستقر فى الأتابكية بدمشق، عوضا عن الأمير جلبان.

وفى سابع عشرينه: أخرج الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى من خزانة شمايل، وسلم إلى الأمير يلبغا المجنون الأستادار، فاجتمع لخروجه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وظنوا أنه قد أفرج عنه ، فاشتروا من الزعفران، وأوقدوا من الشموع ما يبلغ ثمنه ألوف الدراهم. فلما يئسوا منه انقبلوا خائبين، وكان هذا من جملة ذنوبه التى نقمت عليه.

وفى ثامن عشرينه: قدم أصيل الدين محمد بن عثمان إلى دمشق على البريد.

وفى هذا الشهر: ورد الخبر بأخذ تيمور لنك بلاد الهند، وأن سباياها أبيعت بخراسان بأبخس الأثمان، وأنه توجه من سمرقند(١) إلى الهند فى ذى الحجة من السنة الماضية.

شهر شوال أوله الجمعة: صلى السلطان صلاة عيد الفطر بالميدان على العادة ، وصلى به قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى(٢)، وخطب، وخلع على الأمراء وسائر أرباب الدولة على العادة، فكان يوما مشهودا.

=بابن الدماميني: عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كلبرجا. من كتبه «تحفة الغريب». انظر الضوء اللامع ٧/١٨٤ وشذرات الذهب ٧/١٨١ وآداب اللغة ٣/١٤٣ وحسن المحاضرة ١/٢٥٨ والكتبخانه ٤/٣٣٨ والأعلام ٦/٥٧.

(١) سمرقند: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٢٤٨، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا سنة ٧٩١ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد وصنف «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصابيح» مات غريقا فى الفرات. انظر: الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٦/٢٤٩ والكتبخانة ١/٣٨٨ والأعلام ٥/٢٩٩، ٣٠٠.

وفيه ورد البريد بموت رجب ابن الأمير كمشبغا الحموى فى سابع عشرين رمضان، وموت أبيه الأمير الكبير كمشبغا من الغد فى ثامن عشرينه، بسجن الإسكندرية. فابتهج السلطان لموته، ورأى أنه قد تم له أمره، فإنه آخر من كان قد بقى من الأمراء اليلبغاوية. وأقبل الناس فى يوم العيد وما بعده على أنواع من اللهو فى القرافة والترب خارج القاهرة، وبخرطوم الجزيرة الذى انحسر عنها ماء النيل ببولاق، فمر لهم فيه مسرات، وتفننوا فى أنواع اللذات، وكأنما كانوا يودعون الأمن والراحات.

وفى خامسه: قدم الأمير دقماق نائب ملطية إلى دمشق معزولا، وتوجه منها إلى القاهرة فى حادى عشره على البريد.

وفى سادسه: أخرج ابن الطبلاوى من القاهرة منفيا إلى الكرك، ومعه نقيب واحد قد وكل به، فسار ذليلا حقيرا وحيدا فريدا، فسبحان مزيل النعم. ومازال سائرا إلى أن وصل بلد الخليل - عليه السلام - فبلغه موت السلطان، فتوجه من بلد الخليل إلى القدس، فمر به الأمير شاهين كتك - يعنى الأفرم - وقد توجه إلى الكرك بخبر موت السلطان، وسلطنة ابنه بعده، فسأله أن يشفع له فى الإقامة بالقدس. فلما ورد إلى قلعة الجبل سأل الأمير الكبير أيتمش فى ذلك فأجابه، وكتب مرسوما إلى ابن الطبلاوى أن يقيم بالقدس، فأقام، وكان من خبره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: إبتدأ مرض السلطان. وذلك أنه ركب للعب الكرة بالميدان فى القلعة على العادة. فلما فرغ منه قدم إليه عسل نحل ورد من كختا[1]، فأكل منه ومن لحم بلشون[2]، ودخل إلى قصوره، فعكف على شرب الخمر، فاستحال ذلك خلطا رديا لزم منه الفراش من ليلة الأربعاء، وتنوع مرضه حتى أيس منه لشدة الحمى، وضعف القوى، فأرجفت بموته فى يوم السبت تاسعه. واستمر أمره يشتد إلى يوم الأربعاء ثالث عشره، فشنع الأرجاف، وغلقت الأسواق، فركب الوالى ونادى بالأمان. فلما أصبح يوم الخميس استدعى الخليفة المتوكل على الله أبا عبد الله محمد[3]، وقضاة القضاة وسائر الأمراء - الأكابر والأصاغر - وجميع أرباب الدولة إلى حضرة السلطان،

---

(١) كختا قلعة عالية البناء تقع شرقى ملطية، بينها وبين ملطية مسيرة يومين.

(٢) بلشون كلمة قبطية تعنى طائر.

(٣) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه ٧٦٣هـ بعهد منه بالقاهرة، وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر: بدائع الزهور ١/ ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/ ١٦٨ والأعلام ٦/ ٥٦.

فحدثهم فى العهد لأولاده. فابتدأ الخليفة بالحلف للأمير فرج[١] ابن السلطان أنه هو السلطان بعد وفاة أبيه، ثم حلف بعده القضاة والأمراء.

وتولى تحليفهم كاتب السر فتح الدين فتح الله، وكان منذ نزل بالسلطان مرضه أقام عنده ليلا ونهارا لثقته به. فلما تم الحلف لفرج حلفوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز[٢]، وبعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم، ثم كتبت وصية السلطان، فأوصى لزوجاته وسراريه وخدامه بمائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار، وأن تعمر له تربة تحت الجبل بجوار تربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر بثمانين ألف دينار، ويشترى بما يفضل عن العمارة عقار ليوقف عليها، وأن يدفن بها فى لحد تحت أرجل الفقراء الذين بحوش الخليلى، وهم علاء الدين على السيرامى، وأمين الدين الخلوتى وعبد الله الجبرتى، وعبد الكريم الجبرتى، وطلحة وأبو بكر البجائى، وأحمد الزهورى. وقرر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير دولة ابنه فرج. وجعله وصيا على تركته، ومعه الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بيبرس الدوادار[٣]، والأمير يشبك الخازندار، وفتح الدين فتح الله كاتب السر، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، والأمير قطلوبغا الكركى، والأمير يلبغا السالمى. وجعل الخليفة ناظرا على الجميع. فلما تقرر ذلك انفض الجميع ونزل الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير أيتمش إلى منزله. فوعدهم بخير، وأنه يبطل المظالم وأخذ البراطيل على المناصب والولايات. وأكثر السلطان من الصدقات، فبلغ ما تصدق به فى هذه المرضة أربعة عشر ألف دينار وتسعمائة دينار وستة وتسعين دينارا.

---

(١) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات زين الدين، من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويع بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ، بعد وفاة أبيه. انظر: ابن إياس ٣١٧/١ و٣٥٠ و٣٥٤ -٣٥٧ ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ٥/ ١٤٠.

(٢) عبد العزيز (الملك المنصور) بن برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى الجركس. أبو العز: من ملوك الجراكسة بمصر والشام بويع بالسلطنة وهو طفل صغير سنة ٨٠٨ هـ بعد اختفاء أخيه الناصر فرج وقام بأمره وأمر الدولة بيبرس الأتابكى. ودامت سلطنته نحو شهرين. وظهر أخوه فاستعاد السلطنة. وأرسل عبد العزيز إلى الإسكندرية فسجن بها ٤٠ يوما ومات مسموما أو مخنوقا. انظر: بدائع الزهور ٣٤٩/١، ٣٥١ والضوء اللامع ٢١٧/٤ والأعلام ١٥/٤.

(٣) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من مماليك المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر: النجوم الزاهرة ٢٦٣/٩ والدرر الكامنة ٣٦٩/٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٦٩/٤ والأعلام ٨٠/٢.

ومات بعد نصف ليلة الجمعة خامس عشر شوال، وقد تجاوز الستين سنة، منها مدة حكمه بديار مصر منذ صار أتابك العساكر، عوضا عن الأمير طشتمر العلاى الدوادار، إلى أن جلس على تخت السلطنة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام. ومنذ تسلطن إلى أن مات ست عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة وعشرون يوما، منها سلطنته إلى أن خلع ست سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما، وسلطنته منذ أعيد إلى أن مات تسع سنين وثمانية أشهر. والفترة بينهما ثمانية أشهر وتسعة أيام، ومدة حكمه أتابكا وسلطانا إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما.

وترك ثلاثة أولاد ذكور: الأمير فرج وتسلطن من بعده، وعبد العزيز وتسلطن أيضا، وإبراهيم ومات - هو وعبد العزيز - فى حياة أخيهما فرج وسلطنته الثانية، بثغر الإسكندرية، واتهم فرج بأنه سمهما. وخلف برقوق[1] ثلاث بنات تزوجن من بعده.

وترك من الذهب العين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار، ومن الغلال والقنود والأعسال والسكر والثياب وأنواع الفرو ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف دينار. ومن الجمال نحو خمسة آلاف جمل. ومن الخيل نحو سبعة آلاف فرس.

وبلغت جوامك مماليكه فى كل شهر نحو تسعمائة ألف درهم فضة، وعليق خيولهم فى الشهر ثلاثة عشر ألف أردب شعيرا، وعليق الخيل الخاص وجمال النفر، وأبقار السواقى فى كل شهر أحد عشر ألف أردب من الشعير والفول، وبلغت عدة مماليكه خمسة آلاف مملوك.

وكان نائبه بديار مصر الأمير سودن الفخرى الشيخونى إلى أن مات فلم يستنب بعده أحدا.

ونوابه بدمشق الأمير بيدمر الخوارزمى وعَشَقْتَمُر الماردينى، وأُلْطُنْبغا الجوبانى، وطُرُنْطاى السيفى، ويَلْبغا الناصرى، وبطا الطولوتمرى، وسودن الطرنطاى، وكُمُشْبُغا الأشرفى، وتانى بك المعروف بتنم الحسنى، ومات السلطان وهو على نيابة دمشق.

ونوابه بحلب يلبغا الناصرى، وسودن المظفرى، وكُمُشْبُغا الحموى، وقرا دمرداش الأحمدى، وجلبان الكُمُشْبُغاوى، وتغرى بردى من يشبغا، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأَقْبُغا الجمالى، ومات السلطان وهو على نيابة حلب.

---

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبا إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر: ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

ونوابه بطرابلس مأمور القلمطاوى، وكُمُشْبُغا الحموى، وأسندمر السيفى، وقرا دمرداش الأحمدى، وأينال بن خجا على، وإياس الجرجاوى، ودمرداش المحمدى، وأرغون شاه الإبراهيم، وأقبغا الجمالى، ويونس بُلطا. ومات السلطان وهو على نيابة طرابلس. ونوابه بصفد، أُركماس السيفى، وبُتْخاص السودونى، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأقبغا الجمالى، وأحمد بن الشيخ على، وألطنبغا العثمانى، ومات السلطان وهو على نيابة صفد. ونوابه بحماة[1] صَنْجَق الحسنى، وسودن المظفرى، وسودن العلاى، وسودن العثمانى، وناصر الدين محمد بن مبارك بن المهمندار، ومأمور القلمطاوى، ودمرداش المحمدى، وأقبغا السلطانى الصُّغَيَّر، ويونس بلطا، ثم دمرداش المحمدى، ومات السلطان وهو على نيابة حماة. ونوابه بالكرك طغاى تمر القبلاوى، ومأمور القلمطاوى، وقديد القلمطاوى، ويونس القَشْتَمُرى، وأحمد بن الشيخ على، وبتخاص السودونى ومحمد بن مبارك المهمندار، وألطنبغا الحاجب، وسودن الظريف الشمسى، ومات السلطان وهو على نيابة الكرك. ونوابه بغزة قُطْلُوبغا الصفوى، وأقبغا الصُغَيَّر، ويلبغا القَشْتَمُرى، وألطنبغا العثمانى، وبيقجاه الشرفى طيفور، وألطنبغا الحاجب، ومات السلطان وهو على نيابة غزة.

وأستاداريته بديار مصر بَهادُر، ومحمود بن على، وقرقماس الطَشْتَمُرى وعمر بن محمد بن قايماز، وقطلو بك العلاى، ويَلْبغُا الأحمدى المجنون، ومحمد بن سنقر البجكاوى، ثم يَلْبغُا المجنون ثانيا، ومات السلطان وهو أستادار.

وقضاته الشافعية بديار مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء، وناصر الدين محمد بن المليق، وعماد الدين أحمد الكركى وصدر الدين محمد المناوى، وتقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ثم المناوى ثالث مرة، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته صدر الدين محمد بن منصور الدمشقى، وشمس الدين محمد الطرابلسى، ومجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وجمال الدين محمود القيصرى، وجمال الدين يوسف الملطى، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته المالكية جمال الدين عبد الرحمن بن خير السكندرى، ثم ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون، وشمس الدين محمد الركراكى المغربى، وشهاب الدين أحمد النحريرى، وناصر الدين محمد بن التنسى، ثم ابن خلدون ثانيا، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الحنابلة ناصر الدين العسقلانى، ثم ابنه برهان الدين إبراهيم، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الشافعية بدمشق ولى الدين عبد الله

---

(١) حماة: من كور حمص بالشام، سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، الروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/ ١٤٠.

ابن أبى البقاء، وبرهان الدين إبراهيم بن جماعة، وشرف الدين مسعود، وشمس الدين محمد بن الجزرى وشهاب الدين الزهرى، وعلاء الدين على بن أبى البقاء، وشهاب الدين أحمد الباعونى، وشمس الدين محمد الأخناى، وأصيل الدين محمد، ومات السلطان وهو قاض.

ووزراؤه بديار مصر علم الدين عبد الوهاب سن إبرة، وشمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، وعلم الدين عبد الوهاب ابن كاتب سيدى، وكريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وموفق الدين أبو الفرج، وسعد الدين نصر الله بن البقرى، وناصر الدين محمد بن الحسام، وركن الدين عمر بن قايماز، وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، وناصر الدين محمد بن رجب، ومبارك شاه، وبدر الدين محمد بن الطوخى، وتاج الدين عبد الرزاق، ومات السلطان وهو وزير.

وكتاب سره بدر الدين محمد بن فضل الله، وأوحد الدين عبد الواحد بن ياسين، وعلاء الدين على الكركى، وبدر الدين محمود الكُلُسْتانى، وفتح الدين فتح الله، ومات السلطان وهو كاتب السر.

ونظار الجيش، تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين، وموفق الدين أبو الفرج، وجمال الدين محمود القيصرى، وكريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، وشرف الدين محمد بن الدمامينى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، ومات السلطان وهو ناظر الجيش، وناظر الخاص أيضا.

ونظار الخاص سعد الدين نصر الله بن البقرى، وموفق الدين أبو الفرج الوزير، وسعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش، ومات السلطان وهو ناظر الخاص والجيش.

وكان برقوق جركسى الجنس، قدم إلى مصر مع خواجا عثمان، فاشتراه الأمير يَلْبُغا، وسماه برقوق، بعد أن كان اسمه من بلاد القرم سودن، وأعتقه. فلما قتل يلبغا وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه، فسار إلى دمشق، وخدم عند نائبها الأمير منجك، ثم استدعى إلى مصر واستخدم عند الأمير على بن الأشرف إلى أن قتل الأشرف.

وكانت أيام الأمير أَيْنَبَك، استقر من جملة أمراء الطبلخاناه، ثم ركب فى إخواته، وملك باب السلسة، وصار أمير أخور، وأقام بالإصطبل السلطانى. ثم صار أميرا كبيرا، وترقى حتى ملك تخت مصر، وتلقب بالملك الظاهر، ثم خلع ونفى إلى الكرك، فسجن بها، ثم أخرجه عوام الكرك، وسار إلى دمشق، وجمع الناس وعاد إلى مصر، فملك التخت ثانيا. وقد تقدم جميع ذلك فى تواريخه.

وكان ملكا حازما، شهما، صارما، شجاعا، مقدما، فطنا، له خبرة بالأمور ومهابة عظيمة، ورأى جيد، ومكر شديد، وطمع زائد. وكان يحب الاستكثار من المماليك، ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم، ويشره فى جمع المال، بحيث لم يشبع منه، ويرغب فى اقتناء الخيول والجمال. وكان كثير التؤدة، لا يكاد يجعل فى شيء من أموره، بل يتروى فى الشيء المدد الطويلة ، ويتصدى للأحكام بنفسه، ويباشر أحوال المملكة كلها، ويجل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح. وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله. وتنكر للفقهاء فى سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم.

وكان كثير الصدقات وقف ناحية بهبيت[١] من الجيزة على سحابة تسير مع الركب إلى مكة فى كل عام، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أرضًا على قبور إخوة يوسف - عليه السلام - بالقرافة. وكان يذبح دائما طول أيام إمارته وسلطنته فى كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد ما تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقى، على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقى البر، سوى ما كان يفرق فى الزوايا من لحم الضأن، فيعطى فى كل يوم لكل زاوية خمسون رطلا وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم، ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة، ويفرق كل سنة فى أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد، إلى مائة دينار ذهبا. ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله، ويفرق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، ويفرق فى الخوانك وغيرها كل سنة مالا كثيرا. وكان يفرق فى كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحًا على أهل الخير وأرباب الستر. ويبعث فى كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحًا تفرق بالحرمين. وفرق فى مدة الغلاء كل يوم أربعين أردبا، عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع، فما علمنا. وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق فى الفقراء والفقهاء، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهبا على يد الطواشى صندل المنجكى.

وأبطل عدة مكوس، منها ما كان يؤخذ من أهل شورى[٢]، وبلطيم من البرلس شبه الجالية، وهو فى كل سنة مبلغ ستين ألف درهم، وأبطل ما كان يؤخذ على القمح

---

(١) قرية قديمة من أعمال الجيزية.

(٢) شورى وبلطيم من نواحى البرلس من أعمال نستراوه.

بثغر دمياط غما يبتاعه الفقراء وغيرهم من أردبين إلى ما دون ذلك. وأبطل مكس معمل الفراريج بالنحريرية وما معها من الغربية، وأبطل مكس الملح بعين تاب من عمل حلب، ومكس الدقيق بالبيرة. وأبطل من طرابلس ما كان مقررا على قضاة البر وولاة الأعمال، عند قدوم النائب، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كل منهم، أو بغلة بدل ذلك. وأبطل ما كان يقدم لمن يسرح إلى العباسة خارج القاهرة فى كل سنة من الخيل والجمال، والغنم. وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة. وأبطل ضمان المغانى بمدينة الكرك والشوبك[١] وبمنية بنى خصيب[٢] وأعمال الأشمونين وزفتا[٣] ومنية غمر[٤] من أعمال مصر. وأبطل رمى الأبقار - بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضى مصر - على البطالين بالوجه البحرى.

وأنشأ بالقاهر مدرسة لم يعمر مثلها بالقاهرة، ورتب بها صوفية بعد العصر كل يوم، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم، أربعة يلقى بها الفقه على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير القرآن، ودرس الحديث النبوى، ودرس للقراءات، وأجرى على الجميع فى كل يوم الخبز النقى ولحم الضأن المطبوخ. وفى كل شهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدور ونحوهما. وعمر جسرا على نهر الأردن بالغور[٥] فى طريق دمشق، طوله مائة وعشرون ذارعًا، فى عرض عشرين ذراعا. وجدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، وسور دمنهور بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزريبة البرزخ بدمياط، وقناة العروب[٦] بالقدس، وأنشأ به أيضا بركة كبيرة. وعمر بركة أخرى برأس وادى بنى سالم، فى طريق المدينة النبوية، يردها الحاج. ورم القناة التى تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، حتى صلحت بعد ما أعيت من تقدمه من الملوك. وجدد عمارة الميدان تحت قلعة الجبل بعد ما خرب، وسقاه

---

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣/٣٧٠.

(٢) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٣) بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شطنوف. انظر معجم البلدان ٥/٨٠.

(٤) شمالى مصر على فوهة النهر المؤدى إلى دمياط، ومقابلها منية زفتا. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٥) الغور: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢١٧، والروض المعطار ٤٣١.

(٦) اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين نزهة. انظر معجم البلدان ٤/١١٢.

وزرع به القُرْط، وغرس فيه النخل، وعمر صهريجا، ومكتبا يقرأ فيه الأيتام القرآن الكريم بقلعة الجبل، وجعل عليه وقفا دارًا، وعمر بها أيضا طاحونا. وعمر أيضا سبيلا تجاه باب الضيافة تحت قلعة الجبل.

وخطب على منابر توريز عندما أخذها قرا محمد، وضرب الدنانير والدراهم فيها باسمه، وبعثها إلى حضرته بقلعة الجبل. وخطب له على منابر الموصل، وعلى منابر ماردين[١]، ومنابر سنجار[٢]. وأخذت عساكره دوركى وأرزنكان من أرض الروم. ورثاه عدة من الشعراء[٣]، رحمه الله تعالى.

* * *

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد برقوق بن الأمير الكبير سيف الدين آنص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة بمصر[٤]

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه، يوم الجمعة النصف من شوال، سنة إحدى وثمانمائة.

وذلك أنه اجتمع بالقلعة الأمير الكبير أيتمش وسائر الأمراء وأرباب الدولة، واستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام البلقيني[٥]، ومن عادته الحضور. فلما تكاملوا بالإصطبل السلطاني أحضر فرج بن الملك الظاهر برقوق، وخطب الخليفة

---

(١) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩/٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٢٦٢/٣.

(٣) انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٤) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويع بالقاهرة سنة ٨٠١هـ، بعد وفاة أبيه. وكان صغير السن، فقام بتدبير ملكه الأتابكى «أيتمش» البجاسى. قتله المماليك سنة ٨١٤هـ. فى القلعة. انظر ابن إياس ٣١٧/١و٣٥٠ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٥) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج» فقه. انظر الضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ ورفع الإصر ١٦/١ والأعلام ٤٧/٥.

وبايعه بالسلطنة، وقلده أمور المسلمين، فقبل تقليده. وأحضرت خلعة سوداء، أفيضت على فرج، ونعت بالملك الناصر. ومضى حتى جلس على التخت بالقصر، وقبل الأمراء كلهم له الأرض على العادة، وألبس الخليفة التشريف.

وأخذ بعد ذلك فى جهاز الملك الظاهر، فغُسل وكفُن، وصَلّى عليه بالقلعة قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى[١]، وحُمل نعشه على الأعناق من قلعة الجبل إلى التربة قبل صلاة الجمعة، وسائر الأمراء والعساكر والأعيان والرعايا مشاة، يضجون ويصرخون، حتى ورى تحت التراب تحت أقدام الفقراء حيث أوصى. ولم يعهد قبله أحد من الملوك، دفن نهارًا بديار مصر.

فلما انقضى أمر دفنه عاد الأمراء، ونودى بالقاهرة ومصر بالترحم على الملك الظاهر، والدعاء للملك الناصر، وتطمين الناس وأمنهم. وخطب يومئذ على منابر القاهرة ومصر للناصر، وكثر الأسف على فقد الظاهر، وضربت خيمة على قبره، وقرأ القراء القرآن على قبره، وكان الناس يظنون قيام فتنة عظيمة لموته. فلم يتحرك ساكن فى هذا اليوم.

وأنشد الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدى[٢] فى ذلك:

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك	إلى ربه يرقى إلى الخلد فى الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته	فأكذبهم ربى وما جاء سوى فرج

وفى هذا اليوم: بشر بزيادة ماء النيل، وأن القاع أربعة أذرع ونصف.

وفيه أراد الأمير الكبير أيتمش أن يتحول من داره إلى الحراقة بالإصطبل السلطانى. فمنع من ذلك الأمير سودون أمير أخور، ورد ما حضر من قماش الأمير أيتمش، فاستدعى إلى حضرة السلطان، فامتنع.

---

(١) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالا (سنة ٧٩١هـ) وحمدت سيرته. وصرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصابيح». مات غريقا فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

(٢) أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان الأوحدى، شهاب الدين: مؤرخ، من أهل مصر، له كتاب كبير في «خطط مصر والقاهرة». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

وفى رابع عشره: كتب إلى مكة كتاب بالعزاء والهناء، وأن تقليد الشريف حسن بن عجلان [١] يصل صحبة أمير الحاج، وكتب إلى الأمير بيسق بذلك، وإلى أمير المدينة النبوية أيضًا.

وفى يوم السبت سادس عشره: اجتمع أيتمش والأمراء بالقلعة لتقرير أحوال الدولة، فكُتب بالعزاء والهناء إلى مملكة الشام وغيرها.

وكتب إلى الأمير نعير بن حيار [٢] بإمرة آل فضل على عادته.

وعزل الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا، وعرف بموت الظاهر وقيام الملك الناصر، وحُمل إليه التشريف على يد الأمير أسنبغا الدوادار.

وجهز سودون الطيار أمير أخور بالكتب إلى دمشق ومعه تشريف وتقليد، ونسخة يمين، وستة أروس خيل. وجهز الأمير يلبغا الناصرى إلى حلب بمثل ذلك، والأمير تغرى بردى [٣] قرا إلى طرابلس بمثل ذلك، والأمير أرتبغا الحافظى إلى حماة، ومعه خمسة أروس من الخيل، والأمير بشباى [٤] إلى صفد [٥]، والأمير شاهين كتك الأفرم إلى الكرك [٦]؛ وعلى يد كل منهم كتاب يتضمن العزاء بالظاهر والهناء بالناصر. وأن يحلف نائب السلطنة والأمراء على العادة، فساروا على خيل البريد.

وقرر الأمير أيتمش مع الأمراء إبقاء الأمور على ما هى عليه، وأكد على الوزير تاج

---

(١) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز. فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر. فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ١٩٩/٢.

(٢) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعير: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ قتل فى حلب. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٢٠٨/٤ والأعلام ١١١/٦.

(٣) هو والد المؤرخ إياس بن تغرى بردى صاحب كتاب «النجوم الزاهرة فى أحوال مصر والقاهرة».

(٤) هو الأمير بشباى بن عبد الله بن باكى الظاهرى، أصله من مماليك الظاهر برقوق وخواصه توفى سنة ٨١١هـ.

(٥) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤٢١/٣.

(٦) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

الدين عبد الرزاق، والأمير يلبغا الأستادار فى الكف عن ظلم الرعية، وتجهيز القسط والجامكية والعليق برسم المماليك السلطانية.

وفى ثامن عشره: خرج المحمل إلى الحج، صحبة الأمير شيخ المحمودى، وجعل أمير المحمل. وقدم أمير الركب الأول الأمير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك.

وفيه اجتمع الأمراء بالقلعة على عادتهم للخدمة، وتأخر الأمير سودون أمير أخور عن الحضور، فبعث الأمراء إليه ليحضر، فامتنع، فكرروا الإرسال إليه ثلاث مرات، إلى أن حضر، فكلموه فى النزول من الإصطبل، فلم يجبهم إلى ذلك، فتخيلوا منه، واتهموه أنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه وعلى الأمير على بن أينال، وأخرجوا ما كان له بالإصطبل من خيول وقماش ونحو ذلك.

وسكن الأمير أيتمش مكانه، وأنزل بسودون وابن إينال مقيدين إلى الحراقة، وجهزا إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى العشرين منه: نودى بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من مصر، وهدد من تأخر بعد ثلاثة أيام بالقتل، فلم يخرج منهم أحد، وسكت عن ذلك بما بلغ الأمراء عن الخاصكية أنهم قد اتفقوا على القبض عليهم عند طلوعهم إلى الخدمة بالقلعة، فكثر خوفهم.

وخُلع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار واستقر لالا السلطان، ومعه الأمير قطلوبغا الكركى، لالا أيضًا.

فلما كان يوم الخميس حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على عادة الملوك، وخلع على الأمير أيتمش، وعلى الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بيبرس الدوادار، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير أرسطاى رأس نوبة، والأمير يلبغا إستادار، والوزير تاج الدين، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمربغا المنجكى أمير حاجب، ومد السماط على العادة.

ودخل السلطان من دار العدل إلى القصر. وجلس القضاة بجامع القلعة حتى يخلع عليهم وعلى بقية أرباب الدولة. فعندما تكامل الأمراء بالقصر أغلق الخاصكية باب القصر، وكان رأسهم يومئذ سودون طاز، وسودون بن زاده، وأقباى رأس نوبة، وجهاركس المصارع. ثم سلوا سيوفهم وهجموا على الأمراء، وقبضوا على أرسطاى وتمراز الناصرى، وتمربغا المنجكى وطغنجى وبلاط السعدى، وطولو رأس نوبة، وفارس

الحاجب. وفر مبارك شاه وطبج، فأدركا وقبض عليهما.

وبلغ ذلك يلبغا أستادار - وكان خارج القصر - فخلع خلعته، وسل سيفه، ونزل من القلعة إلى داره.

وأحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير أيتمش - وقد بهت وأسكت - فقيدوا أرسطاى رأس نوبة، وتمراز، وتمربغا المنجكى، وطغنجى أحد أمراء الطبلخاناه، وطولو، وبلاط من الطبلخاناه أيضًا. وأطلقوا من عداهم. واستدعى يلبغا أستادار، فلما حضر قبض عليه، وقيد. وأنزل بالأمراء المقبوض عليهم إلى الحراقة فأحضروا إلى الإسكندرية فى ليلة السبت ثالث عشرينه، أرسطاى، وتمراز، وطولو.

وأحضروا إلى دمياط[١] تمربغا المنجكى، وبلاط السعدى، وطغنجى الأشرفى. وعصروا الأمير يلبغا ليحضر المال، وأسلموه إلى القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبه، فنزل به إلى داره. وسألوا يلبغا السالمى[٢] بوظيفة الأستادارية، فامتنع، فعرضوها على ابن سنقر وابن قطينة فلم يوافقا، فخلع على الأمير زين الدين مبارك شاه، واستقر أستادارًا، عوضًا عن يلبغا المجنون[٣]، فى ثالث عشرينه.

وفيه أمر بالنفقة على المماليك، فتولى الإنفاق عليهم يلبغا السالمى، وأعطى بحضرة السلطان كل مملوك من أرباب الخدم الجوانية ستين دينارًا، صرف كل دينار ثلاثين درهمًا وكل واحد من أرباب الأشغال البرانية خمسمائة درهم.

ونودى أن يكون سعر الدينار ثلاثين درهمًا، فإن الناس كانوا قد توقفوا فى الذهب بعد موت السلطان، وانحط من ثلاثين إلى ثلاثة وعشرين درهمًا الدينار. فشق ذلك على الناس، وخافوا الخسارة، لما كانوا يظنونه من انحطاط سعر الذهب، فجاء الأمر بخلاف

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) يلبغا أبو المعالى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر. كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه. واشتراه برقوق. ولما خلع برقوق سنة ٧٩١هـ أخذ يلبغا مدينة صفد باسمه فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك. ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحليف المماليك لولده الناصر. اتهم واعتقل سنة ٨٠٣هـ ونفى إلى دمياط. ثم أحضر سنة ٨٠٥هـ وقرر فى الوزارة والإشارة. وقبض عليه أيضًا. وأفرج عنه سنة ٨٠٧هـ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل فى محبسه خنقا. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٨٩، والأعلام ٨/٢٠٨.

(٣) سمى بالمجنون لطيشه.

ما فى ظنونهم. ولم يزل يرفع حتى بلغ ما لم يكن فى بال أحد قط.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: تأخر سائر الأمراء الألوف عن حضور الخدمة بالقلعة، خوفًا من الخاصكية، فإن الأمور صارت معذوقة بهم، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور، فأبوا من ذلك. فنزل حينئذ الخاصكية إلى الإصطبل فى خدمة الأمير أيتمش، واستدعوا الأمراء من منازلهم، فحضروا وكثر الكلام بينهم إلى أن اتفقوا جميعًا وتحالفوا على الائتلاف، وطاعة الأمير الكبير أيتمش، والملك الناصر. وحلف لهم أيتمش أيضًا، ثم حلفوا سائر المماليك والخدام، وتولى ذلك يلبغا السالمى، وقام أيضًا فى أمر المرتجع من إقطاعات الأمراء حتى تقرر أن يكون المرتجع من الأمير المقدم خمسين ألف درهم، ومن الطبلخاناه عشرين ألف درهم.

ومن أمير عشرين عشرة آلاف. ومن أمير عشرة خمسة آلاف، ومن أمير خمسة ألفين وخمسمائة، وكتب بذلك مرسوم سلطانى خلد فى الدواوين.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى شاد الشرابخاناه، عوضًا عن سودون الماردينى، مضافًا لما بيده. وأنعم على الأمير قراكسك بتقدمة ألف.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه: خلع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق، واستقر أستادارًا، عوضًا عن مبارك شاه بحكم استعفائه، فباشر الوظيفتين.

وفيه كتب مرسوم باستمرار الأمير قرا يوسف فى نيابة الرها على عادته. وباستمرار الأمير دمشق خجا[1] فى نيابة جعبر[2] على عادته.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه: هرب الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة، فخلع على شرف الدين عيسى فلان الشامى عوضه، فى يوم الأربعاء. وقبض على ابن الزين وسلم إليه. وكادت العامة أن تقتله لبغضهم فيه، فضرب بالمقارع ضربًا مبرحًا عند فلان، وألزم بحمل أربعمائة ألف درهم.

وفيه ورد الخبر بأن بايزيد بن عثمان ملك الروم تحرك للمشى على بلاد الشام، وأن تمرلنك القائم ببلاد العجم أخذ ممالك الهند.

وفى ثامن عشرينه: ورد الخبر بأن الأمير تنم نائب الشام أخذ قلعة دمشق، وذلك إنه

---

(١) هو الأمير دمشق خجا بن سالم التركمانى، المتوفى سنة ٨٨٠هـ.

(٢) على الفرات بين بالس والدقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر إلى أن ملكها رجل يقال له جعبر بن مالك فسميت بقلعة جعبر. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

كان بالمرج من غوطة دمشق، فلم يشعر الناس به فى ليلة الأربعاء - العشرين منه - حتى حضر إلى دار السعادة ثلث الليل.

فلما أصبح استدعى الأمير جمال الدين يوسف الهذبانى نائب القلعة، بحجة أن الملك الظاهر طلبه، فعندما نزل إليه قبض عليه وبعث من تسلم القلعة فكثر كلام الناس إلى أن أذن الظهر، وصل فارس دوادار تنم من مصر، وأخبر بموت الملك الظاهر، وإقامة ابنه الناصر، وتحكم الأمير أيتمش، وأن سودون الطيار قادم بالخلعة والتقليد. فخرج الأمير تنم إلى لقائه، ولبس الخلعة خارج المدينة. واجتمع القضاة والأعيان بدار السعادة. وقرئ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر، فأجابوا بالسمع والطاعة ونودى فى البلد بالأمان والزينة، فزينت الأسواق، ودقت الكوسات، وسر الناس بذلك.

وأخذ الأمير تنم يصرح بأن السلطان صغير، وكل ما يصدر ليس هو عنه، وإنما هو عن الأمراء وأنا وصى السلطان، لا يعمل شيء إلا بمراجعتى، ونحو هذا. فترقب الناس بدمشق وقوع الفتنة، وبلغ هذا نائب حمص[١]، فأخذ القلعة، وأخذ أيضًا نائب حماة[٢] قلعتها.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى ثانيه: ركب طغيتمر - مقدم البريدية - البريد، ومعه ملطفات لأمراء الورسق والأمراء الأوجقية[٣]، ومطلق لنواب المماليك والقلاع، ومثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة[٤]، ولأمراء التركمان، ولنائب حلب ونائب سيس[٥]، وصحبته أقبية مطرزة بفرو وخمس عشرة قطعة، وفوقانيات حرير بأطرزة زركش أربع وعشرون قطعة، وتشاريف عدة كثيرة.

وفى ثالثه: فرغ تحليف المماليك.

---

(١) بلد مشهور كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبير، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٢،٣٠٣.

(٢) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠،٣٠١.

(٣) المورسق والأوجقية من قبائل الغز التى تسكن شرق إقليم قليقية.

(٤) بلد من الثغور قرب المصيصة. انظر معجم البلدان ١/١٣٢،١٣٣.

(٥) بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.

وفيه أنعم على الأمير سيف الدين أينال باى بتقدمة ألف، وخبز أرسطاى. وعلى سودون من على بك - المعروف بطاز - بتقدمة تمراز، وعلى يلبغا الناصرى بتقدمة سودون أمير أخور، وعلى أقباى بن حسين شاه بتقدمة تمربغا المنجكى.

وأنعم على الأمير شرف الدين يعقوب شاه بطبلخاناه زيادة على طبلخاناته فصارت تقدمة ألف بثمانين فارسًا، وأنعم على كل من قرابغا الأسنبغاوى وينتمر المحمدى، وأقباى الأينالى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير جرباش الشيخى بإقطاع يلبغا المجنون بخمسين فارسا، وعلى أقبغا المحمدى بطبلخاناه، وعلى كل من تمر الساقى، وجركس المصارع، وأينال حطب، وكمشبغا الجمالى، وألطنبغا الخليلى، وكزل البشمقدار، وقانى باى العلاى، وجكا من عوض، وصوماى الحسنى بإمرة عشرة.

وفى خامسه: جلس السلطان بدار العدل، وحضر الأمراء، والقضاة وسائر أرباب الدولة على العادة.

وفى سابعه: خلع على سودون الماردينى، واستقر رأس نوبة كبيرًا، عوضا عن أرسطاى، وعلى يعقوب شاه واستقر حاجبا ثانيا عوضًا عن تمربغا المنجكى، وعلى كل من سودون بن زاده، وتنكز بغا الحططى، وخاير بك من حسين شاه، وبشباى وجكم، وأقبغا المحمدى الأشقر، واستقروا رءوس نوب.

وفى ثامنه: نودى على الذهب بأن يكون صرف الدينار الإفرنتى بثمانية وعشرين درهما، والهرجة بثلاثين درهما، وكان قد انحط سعره، فشق ذلك على الناس وتغيب الصيارفة وتوقفت أحوال الناس.

وفى تاسعه: خلع على قرابغا الأسنبغاوى، وسمز المحمدى، ومقبل، وعملوا حجابًا، فصارت الحجاب ستة. وخلع على تمان تمر الأشقتمرى بنيابة قلعة دمشق ثم بطل أمره.

وحضر الأمير سيف الدين دقماق نائب ملطية(١) بتقادم كثيرة.

وخلع على برهان الدين إبراهيم بن على التادلى، وأعيد إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضًا عن البرهان القفصى.

وفى ثانى عشره: خلع على جرباش الشيخى، وتمان تمر واستقرا من رءوس النوب. وخلع على كزل المحمدى البشمقدار - المعروف بالعجمى الأجرود - واستقر أستادار الصحبة، عوضًا عن قرابغا الأسنبغاوى، وعلى سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين

---

(١) بلد من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

موسى بن كاتب السعدى، واستقر ناظر الإصطبلات السلطانية. وعلى كل من الطواشيين شاهين السعدى الأشرفى وعبد اللطيف الشرفى، وصارا لالا السلطان.

وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن على بن كلفت، واستقر نقيب الجيش. وعلى علاء الدين على بن قرط بولاية أطفيح.

وفى رابع عشره: خلع على الشيخ جلال الدين أحمد - ويقال له إسلام - بن نظام الدين إسحاق الأصفهانى. وأعيد إلى مشيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس[١]، عوضًا عن الشريف فخر الدين بعد وفاته.

ونودى أن يكون صرف الدينار المختوم بثلاثين درهما، والإفرنتى بثمانية وعشرين درهما. وكان بعد موت السلطان قد انحط المثقال من اثنين وثلاثين إلى خمسة وعشرين، والدينار الإفرنتى من ثلاثين ونصف إلى عشرين درهما.

وفى خامس عشره: أخرج الأمير يلبغا المجنون إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى سادس عشره: خلع على الخليفة وقضاة القضاة وكاتب السر.

وفى سابع عشره: خُلع علىّ، وكتب إلى حسبة القاهرة. وعلى زين الدين عبد الرحمن بن الكويز بنظر الدولة، عوضًا عن شمس الدين عبد الله الهيصم.

واستدعى شيخ الإسلام والقضاة وأعيان الفقهاء إلى حضرة الأمير الكبير أيتمش بالحراقة من الإصطبل. وقد حضر الأمراء والخاصكية، بسبب الأموال التى خلفها الملك الظاهر: هل تقسم بين ورثته أو تكون لبيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن يفرق فى ورثته منه السدس، وما بقى فلبيت المال.

وفيه استقر الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس فى نظر الشيخونية عوضًا عن يلبغا السالمى، وخلع عليه فى تاسع عشره، وخلع على جانى بك اليحياوى بنيابة قلعة دمشق، وتوجه إليها.

وفيه قدم فخر الدين ماجد بن غراب ناظر الإسكندرية.

وفى حادى عشرينه: خلع على الأمير سودون الطيار، واستقر أمير أخور عوضًا عن الأمير سودون قريب السلطان.

---

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر، المعروف بابن قطينة الحسنى، واستقر وزيرًا، عوضًا عن تاج الدين عبد الرزاق والى قطيا، وسلم إليه ليعاقبه على إحضار المال، فاستدعى بالوزير بدر الدين محمد بن الطوخى ليحاققه.

وخلع فيه أيضًا على الأمير يلبغا السالمى، واستقر أستادارًا، عوضًا عن الوزير تاج الدين.

وعلى شهاب الدين أحمد بن أسد الكردى الطبرادار بولاية المنوفية[١]، وعزل كزل المحمدى. وعلى علم الدين سليمان بن يوسف الشهرزورى الكردى، واستقر فى ولاية مصر على عادته عوضًا عن ركن الدين عمر بن ممدود بن الكورانى.

وفى سادس عشرينه: وصل يلبغا الناصرى من حلب، وأسنبغا من عند نعير، وأخبرا باجتماع الكلمة على الملك الناصر.

وتوجه أسندمر الخاصكى على خيل البريد لإحضار علاء الدين على بن الطبلاوى من القدس، فورد فى غده البريد بأن نائب الشام استدعاه إلى دمشق، وأنه سار إليه.

وفى ثامن عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى فى نظر الإسكندرية، عوضًا عن فخر الدين ماجد بن غراب.

وفى تاسع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر. وعزل شمس الدين محمد الشاذلى الإسكندرانى.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

ففى أوله: استقر بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينتابى[٢] الحنفى فى حسبة القاهرة، عوضى.

---

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد ، بدر الدين العينتابى الحنفى: مؤرخ، علامة، ابن كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده فى عينتاب وإليها نسبته. أقام مدة فى حلب ومصر ودمشق والقدس. وولى فى القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفى بالقاهرة. من كتبه «عمدة القارى فى شرح البخارى» و«معانى الأخبار فى رجال معانى الآثار» و«عقد الجمان فى تاريخ أصل الزمان»). انظر التبر المسبوك ٣٧٥ والضوء اللامع ١٣١/١٠-١٣٥ وخطط مبارك ١٠/٦ وشذرات الذهب ٢٨٦/٧ والجواهر المضيئة ١٦٥/٢ وإعلام النبلاء ٢٥٥/٥ والأعلام ١٦٣/٧.

وفى رابعه: صرف ابن قطينة من الوزارة باستعفائه، فخلع عليه، ورد إليه التحدث فى أمر الكارم، كما كان قبل الوزارة. وخلع على فخر الدين بن غراب خلعة الوزارة، فصار إليه وإلى أخيه سعد الدين إبراهيم أمر الدولة.

وفيه فرق السلطان الأضاحى بالحوش من القلعة، على العادة فى كل سنة.

وخلع على القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وحضر على البريد جانى بك اليحياوى نائب قلعة دمشق، ومعه نسخة يمين الأمير تنم نائب الشام بإقامته على الطاعة، وأنه يريد من الأمراء الحلف ألاّ يغيروا عليه ولا يؤذوه، فحلف الأمير أيتمش بحضرة القضاة، وحلف له أيضًا جميع الأمراء، وعاد جانى بك بنسخ الأيمان على البريد.

وفى سابعه : وهو سادس عشر مسرى سنة ألف وست عشرة، من تاريخ القبط أوفى النيل ستة عشر ذراعا، فنزل الأمير فارس حاجب الحجاب وخلّق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثالث عشره: ورد الخبر بأن ابن عثمان ملك الروم أخذ الأبلستين[1]، وعزم أن يمشى على البلاد الشامية، فطلب الأمراء والقضاة وأرباب الدولة إلى القصر السلطانى فى يوم الإثنين خامس عشره، وقرئ عليهم كتب تتضمن أن ابن عثمان ملك الروم بعث أخاه عليا بالعساكر، وأنه أخذ ملطية والأبلستين، وفر منه صدقة بن سولى، فتسلمها فى ثامن عشرين ذى القعدة، وأنه محاصر درندة[2]، فوقع الاتفاق على المسير إلى قتاله، وتفرقوا، فأنكر المماليك السلطانية صحة ذلك، وقالوا «هذا حيلة علينا حتى نخرج من القاهرة فقط» وعينوا سودون الطيار أمير أخور لكشف هذا الخبر.

وفيه أعيد شمس الدين محمد الأخناى إلى قضاء دمشق وعزل أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمى[3]، فكانت ولايته نحو مائة يوم.

وفى ثامن عشره: قدم أسندمر وأخبر أن ابن الطبلاوى ترك لبس الأمراء وتزيا بزى الفقراء، وجاور بجامع بنى أمية، واستجار بالمصحف العثمانى، وامتنع من الحضور إلى

---

(١) هى مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ١/٧٥.

(٢) درندة أو طرندة بلد على بعد ثلاث مراحل من ملطية، داخلة فى بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤/٣٢.

(٣) نسبة إلى إشليم، وهى كورة أو قرية بحوض مصر الغربى. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

مصر، وأن نائب الشام قال: «هذا رجل فقير، وقد قنع بالفقر اتركوه فى حاله» فتركه.

وفيه سار سودون الطيار على خيل البريد لكشف الأخبار، فدخل دمشق فى العشرين منه. وأخرج مرسوم السلطان بتجهيز عساكر الشام إلى بلاد ابن عثمان، فنودى فى البلد بذلك، وتوجه إلى حلب.

وفى هذا الشهر: أبطل السالمى تعريف منية بنى خصيب[١]، وضمان العرصة وأخصاص الغسالين، وكتب بذلك مرسوما سلطانيا بعثه إلى الأشمونين[٢] نودى بإبطال ذلك فى سواحل البلاد، وفى منية بنى خصيب، ونقش على باب جامعها فبطلت هذه المظالم.

وأبطل أيضا وفر الشون السلطانية، وكان فى كل سنة ألافًا من الأرادب وأبطل المقرر على البردادار وهو فى كل شهر سبعة آلاف درهم، والمقرر على مقدم المستخرج[٣]، وهو ثلاثة آلاف درهمًا فى كل شهر.

وأبطل ما كانت السماسرة فى الغلال تأخذه من المبتاعين، وهو عن كل أردب درهمين. وكتب عليهم ألا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم.

وفى سابع عشرينه: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى فى ولاية الشرقية[٤] على عادته. وعزل أرغون، واستقر صارم الدين إبراهيم بن محمود والى أشموم طناح[٥]. وعزل قطلوبغا الجنتمرى.

وأما نائب الشام فإنه لما استولى على قلعة دمشق، وصل إليه فى سادس عشر ذى القعدة شخص ادعى أنه فداوى، بعثه الأمير أيتمش ليقتله وأحضر سكينا بدار السعادة، فوصله بمال وصرفه؛ فتحدث الناس أن هذه مكيدة ومقدمة لإظهار الخلاف، وأخذ النائب يسب أيتمش فى مجلسه. ويظهر الخلاف عليه. فلما قدم الأمير جانى بك اليحياوى دمشق على نيابة القلعة لما يمكنه منها، ورده ومعه سونج بغا - أحد مماليكه - ليحلف الأمراء فحلفا الأمراء، وعادا إليه فى نصف ذى الحجة، ومعهما تشريف، فلبسه

---

(١) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٢) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٣) المستخرج هو عبارة عن الأموال المتأخرة على الناس، والتى تستخرج منهم عن طريق الضرب والتعذيب، ويختص بهذا ديوان المستخرج.

(٤) كورة فى جنوبى مصر. انظر معجم البلدان ٣/٣٣٧.

(٥) بلد بمصر، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

إلى دار السعادة، ونزعه عنه، وألبسه الذى قدم به عليه. ودافع جانى بك عن القلعة وأعاد مملوكه سونج بغا إلى مصر. وبعث إلى قلعة الصبيبة، فأفرج عن أقبغا اللكاش وألجى بغا الحاجب، وخضر الكريمى، واستدعاهم إلى دمشق، فقدموا عليه فى ثانى عشرين ذى الحجة، وأنزلهم بدار السعادة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن جميل الأزرقى العامرى الكركى الشافعى، بالقدس فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات أمير حاج بن مغلطاى أحد الأمراء ونائب الإسكندرية بدمياط فى ربيع الأول.

ومات أرغون شاه الإبراهيمى نائب حلب بها، فى صفر، ليلة الخامس والعشرين منه، فكانت جنازته عظيمة جدًّا؛ لأنه كان أظهر من العدل بحلب أمرًا كبيرًا.

اتفق أنهم اكتروا لديوانه جمالا لنقل الملح، فأخذت سرية من العرب الجمال؛ فأحضر أربابها، وجعل يعطى من حلف، قيمة جمله التى يحلف عليه. وهذا غريب فى زماننا وقيل إنه مات مسموما. كان أولا خازندارًا، ثم ولى نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب.

ومات بكلمش العلاى أمير سلاح، وأمير مجلس بالقدس، فى صفر.

ومات تمان بغا الحسنى، نائب حمص.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن على الكجكنى، أحد أمراء الطبلخاناه فى رابع رجب.

ومات الشيخ المقرئ المعتقد خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل[1]، ويعرف بابن المشبب، فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى، فى ليلة الأحد تاسع عشرين ربيع الآخر. وكان من فضلاء الحنفية، درس فى عدة فنون وناب فى الحكم بالقاهرة.

---

(١) خليل بن عثمان بن عبد الرحمن، أبو الصفاء القرافى المصرى، المعروف بالمشبب: من كبار القراء من سكان القرافة. يظن أنه حنبلى . كف بصره وأقعد فى أواخر حياة وانقطع بسفح الجبل. له «تحفة الإخوان فيما تصح فيه تلاوة القرآن». انظر الضوء اللامع ٣/ ٢٠٠ ومخطوطات الرياض ٧/ ١٠ والأعلام ٢/ ٣٢٠.

ومات الأديب علاء الدين على بن أيبك الدمشقى بها، فى ثانى عشرين ربيع الأول.

ومات العارف شمس الدين محمد بن أحمد بن على، عرف بابن نجم الصوفى بمكة فى صفر، وقد جاور عدة سنين بمكة.

ومات الخليفة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم[(١)]، وهو مخلوع، فى رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير شيخ الصفوى بقلعة المرقب، مسجونًا.

ومات الطواشى صندل المنجكى فى ثالث رمضان.

ومات الأمير صرغتمش المحمدى نائب الإسكندرية، فى ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير كمشبغا الحموى بسجن الإسكندرية، فى ثامن عشرين رمضان.

ومات الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون[(٢)]. وهو مسجون بقلعة الجبل، فى تاسع المحرم.

ومات قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن التنسى[(٣)] المالكى، وهو قاضى أول شهر رمضان.

ومات بدر الدين محمود بن عبد الله الكُلُسْتانى السراى كاتب السر وهو متول، فى عاشر جمادى الأولى.

---

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المستعصم بالله من خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩هـ فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله سنة ٧٨٨هـ فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ ، ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد (المنصور) ابن حاجى (المظفر) بن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بالقاهرة، بعد مقتل عمه الناصر الثالث حسن بن محمد سنة ٧٦٢هـ. وقام بتدبير ملكه أتابك عساكره الأمير يلبغا. دامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن إياس ٢١١/١و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤-٣٠٢ والأعلام ٧٥/٦.

(٣) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندرانى المالكى ، ناصر الدين بن التنسى: قاضى من أهل الإسكندرية نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان. كان تاجرا ، وولى القضاء بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ، صيانة لماله وعنى بالعربية ، وشرح التسهيل. واستقر فى قضاء المالكية بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ وحمدت سيرته. ومات بها. انظر رفع الإصر ١٠٧/١، والضوء ١٩٢/٢ وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

ومات الأمير قديد أحد الأمراء ونائب الإسكندرية، وهو منفى فى رابع ربيع الأول، بالقدس.

ومات أحمد بن عبد الله الزهورى فى أول صفر، وكان شيخًا عجميا ذاهب العقل، للسلطان فيه اعتقاد كبير.

ومات الأمير أزدمر دوادار السلطان، وهو أمير.

* * *

المحتويات

السُّلوك لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العبَّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر
العُبيدي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء السادس

سنة ٨٠٢ هـ - ٨٢٢ هـ

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة اثنتين وثمانمائة

أهل المحرم بيوم الأربعاء، وهو خامس توت: والأردب القمح بأربعين درهمًا والشعير بخمسة وعشرين درهمًا، والفول بسبعة وعشرين، والدينار المصرى بثلاثين درهمًا، والدينار الإفرنتى بخمسة وعشرين درهمًا.

وفى ثانيه: استقر جمال الدين محمد بن عمر الطنبدى فى حسبة القاهرة، وصرف البدر محمود العين تابى. واستقر الأمير حاج بن أيدمر والى البهنسا[1] وصرف حيواط السيفى.

وفى سادسه: استقر الشريف الأمير علاء الدين على البغدادى والى دمياط فى وظيفة شد الدواوين، عوضًا عن شهاب الدين أحمد بن حسن بن خاص بك - المعروف بابن خاص ترك البريدى - وكان الملك الظاهر بعثه إلى بلاد الشام لتحصيل الأموال والأغنام.

فلما مات الملك الظاهر عوقه الأمير تنم نائب دمشق. وكان قد جمع كثيرًا من الأغنام والأموال.

وفى سابعه: قبض على أمير حاج بن بيدمر وسجن. وذلك أنه كان يلى الفيوم[2] أيام الأمير منطاش، فحبس عنده الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قرابغا العمرى أمير مجلس، والأمير أردبغا العثمانى، والأمير يونس الأسعردى، والأمير طغاى تمر الجركتمرى، والأمير قازان المنجكى، والأمير تنكز العثمانى، والأمير عيسى التركمانى، فبعث إليه الأمير صراى - دوادار الأمير منطاش - بقتلهم فى السجن، فألقى عليهم حائطًا قتلهم، واحضر قاضى الفيوم، وكتب محضرًا بأنهم ماتوا تحت الردم.

فلما انقضى تحكم منطاش، وعاد الظاهر برقوق[3]، هرب من الخوف مدة حياة

---

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر: معجم البلدان ١/٥١٦، ٥١٧.

(٢) ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينها مفازة لا ماء بها. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٣) برقوق بن أنص أو أنس العثمانى، أبو سعيد سيف الدين الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة جلبه إليها أحد تجار الرقيق واسمه عثمان، فباعه فيها منسوبا إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، انتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر استمرت دولته إلى سنة ٩٢٢هـ. انظر ابن إياس ١/٢٥٨و٢٩٠ والضوء اللامع ٣/١٠ والأعلام ٢/٤٨.

الظاهر. فلما مات الظاهر برقوق تعلق بخدمة الأمير تغرى بردى أمير سلاح، حتى استقر بشفاعته فى ولاية البهنسا، كما تقدم.

وكانت ابنة الأمير تمرباى الحسنى تحت تغرى بردى، فعرفها مماليك أبيها بأنه قاتل أبيها، فمازالت بزوجها حتى قبض عليه، وسجنه بخزانة شمايل، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد الضانى.

وفى ثامنه: أحضر الأمير يلبغا السالمى أوناط اليوسفى كاشف الوجه البحرى. وضربه عريا بالمقارع والعصى معًا، من أجل أنه أخرق برسوله. واستقر عوضه علاء الدين على بن طرنطاى فى تاسعه.

وفى سادس عشره: استقر جمال الدين يوسف بن قطلوبك - صهر ابن المزوق - فى ولاية الغربية. وصرف علاء الدين على الحلبى.

وفى سابع عشره: أطلق الأمير تنم نائب الشام من سجن الصبيبة الأمير أجبغا والأمير خضر. وقدم دمشق وأطلق الأمير آقبغا اللكاش أيضا.

وفى ثامن عشره: استقر علاء الدين ألطنبغا والى العرب نائب الوجه القبلى، وصرف علاء الدين على اليلبغاوى.

وورد الخبر بنزول ابن عثمان على ملطية ومحاصرتها، وبها الأمير جمق من الظاهرية. وأن العشير ببلاد الشام كانت بينهم فتن وحروب، قتل فيها آلاف.

وكان من خبر أبى يزيد بن عثمان أن القاضى برهان الدين صاحب سيواس لما قتل، كتب أهل سيواس إلى ابن عثمان يستدعوه، فسار إليهم من فوره على عسكر كبير وملكها، وأقام عليها ابنه سلمان ثم مضى إلى أرزنجان[1]، ففر منه طهر ابن حاكمها إلى تيمورلنك، فأخذ ابن عثمان ماله، وأفحش فى حريمه بتمكين سواسه[2] منهن، وعاد إلى مملكته.

وفى تاسع عشره: استقر القاضى نور الدين على بن الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن فى إفتاء دار العدل، مضافًا لمن بها.

وفى عشرينه: استقر المقدم محمد بن عبد الرحمن مقدم الدولة، وصرف الحاج زين الدين عمر بن صابر ورفيقه على البديوى وقبض عليهما.

---

(١) من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط ، قريبة من أرزن الروم. انظر: معجم البلدان ١/ ١٥٠.

(٢) المقصود، رعيته وأتباعه.

وفي يوم الثلاثاء حادى عشرينه : ركب الملك الناصر من قلعة الجبل ومعه الأمير الكبير أيتمش وسائر الأمراء إلى تربة أبيه، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وصعد القلعة. وهذه أول ركباته بعد السلطنة.

وفيه دخل المحمل والحاج، وشكوا من المشقة بشدة الحر وموت الجمال، وأن الشريف حسن بن عجلان أمير مكة، شكا إلى الأمير شيخ المحمودى أمير الحاج من الأمير بيسق أمير الرجبية، والمتحدث فى عمارة الحرم. وأن العبيد هموا غير مرة بقتله لثقله عليهم، فاستدعاه وأصلح بينه وبينهم، وأقام بمكة ليتم عمارة الحرم، وأن الأمير شيخ لما وصل إلى ينبع(١)، وهو عائد، نادى فى الحاج «من كان فقيرًا فليحضر إلى خيمة الأمير يأخذ عشرة دراهم وقميصًا» فاجتمع عنده عدة من الفقراء، فقبض عليهم وسلمهم إلى أمير ينبع، وأمره أن ينزلهم فى مراكب بالبحر ليسيروا إلى الطور، ورحل بالحاج من فوره، فتأخر الفقراء بينبع.

وفى ليلة الجمعة رابع عشرينه: أفرج الأمير تنم نائب الشام عن الأمير جلبان من سجنه بقلعة دمشق.

وفى خامس عشرينه: استقر علاء الدين أقبغا الزينى المزوق فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، وصرف طيبغا الزينى من ولاية الفيوم.

شهر صفر، أوله الخميس:

وفيه خلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن أسد الهذبانى الكردى الطبردار لولاية المنوفية، وعزل أقبغا البشتكى.

وفيه ركب الأمير تنم نائب الشام فى موكب جليل بدمشق، وركب معه الأميران جلبان وأقبغا اللكاش.

وفيه كتب الأمير تنم إلى النواب يدعوهم إلى موافقته، فلم يجبه نائب حلب، ولا نائب حماة.

وفى ثالثه: استقر شهاب الدين أحمد الطرخانى والى مصر، وصرف علم الدين سليمان الشهرزورى.

وفى سادسه: استقر بهاء الدين أرسلان - والى العرب المعزول من ولاية القاهرة - فى نيابة الوجة البحرى.

---

(١) بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٤٩، ٤٥٠.

وعزل علاء الدين على بن مسافر. وقبض على الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، وعلى ابنه سليمان، وسلما إلى الشريف شاد الدواوين فضربهما، وعصر الوزير على مائة ألف درهم، تأخرت للأمير الكبير أيتمش فى أيام مباشرته، من ثمن اللحم المرتب له على الدولة، فأوردا ثلاثة وثمانين ألفًا، وضمنهما شرف الدين محمد بن الدماميني[1]، والمهتار عبد الرحمن فى مبلغ سبعة عشر ألفًا، وأفرج عنهما، فهربا، وغرما ذلك من مالهما.

وفيه استقر علاء الدين طيبغا الزينى فى ولاية الفيوم على عادته، وعزل أقبغا المزوق.

وفيه قبض الأمير تنم نائب الشام على الأمير شهاب الدين أحمد بن خاص ترك شاد الدواوين، وأخذ جميع ما جمعه من الأغنام والأموال، وفوض أمر أستادارية الشام إلى الأمير علاء الدين الطبلاوى.

وفى خامس عشره: أعيد شمس الدين محمد الشاذلى إلى حسبة مصر، وصرف نور الدين على البكرى.

وفى خامس عشرينه: أحضرت جثة الأمير كمشبغا الحموى من الإسكندرية إلى تربته خارج باب المحروق.

وفى هذا الشهر: تحركت الأسعار بالقاهرة. وذلك أن الظاهر لما مات كان أعلى سعر: القمح كل إردب بخمسة وعشرين فما دونها، والشعير كل إردب من خمسة عشر درهما إلى ما دون ذلك، فأصبح فى يوم السبت التالى لدفن الملك الظاهر كل إردب من القمح بأربعين درهمًا من غير سبب. ودام ذلك حتى بلغت زيادة النيل فى نصف المحرم من هذا العام - وهو سابع عشر توت - ثمانية أصابع من تسعة عشر ذراعًا، وهبط عقيب ذلك أصابع.

فلما انقضى شهر توت انحط الماء، وتزايد السعر من أربعين درهمًا الإردب القمح حتى بلغ ستين درهمًا. وبلغ الأردب من الشعير والفول إلى خمسة وثلاثين، بعد خمسة وعشرين، والحملة من الدقيق - وهى زنة ثلاثمائة رطل بالمصرى - مائة درهم، والخبز أربعة أرطال بدرهم. وارتفع سعر غالب المأكولات.

---

(١) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم بالشريعة وفنون الأدب ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلى القاهرة فمات بها فى مدينة كلبرجا. من كتبه «تحفة الغريب» و«نزول الغيث». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ١٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

وفي آخره: أبيع الرغيف بثُمن درهم، زنته سبع أواقي.

وفيه أيضًا: تزايد الاختلاف بين الأمراء والخاصكية، وكثر نفور الخاصكية من الأمير أيتمش، وظنوا به وبالأمراء أنهم قد مالوا إلى نائب الشام. واتفقوا معه على إفناء المماليك بالقتل والنفى، فتخيل الأمراء منهم، واشتدت الوحشة بين الطائفتين. وتعين من الخاصكية سودون طاز، وسودون بن زاده، وجركس المصارع، ووافقوا الأمير يشبك، فصاروا فى عصبة قوية وشوكة شديدة وشرع كل من الأمراء والخاصكية فى التدبير، والعمل على الآخر.

وأما أمر الأمير تنم نائب الشام فإنه لما عاد إليه مملوك سونج بغا من مصر، فى ثالث عشر المحرم، ومعه مرسوم شريف بتفويض أمور البلاد الشامية إليه، وأن يطلق من شاء من الأمراء المحبوسين. أطلق الأمير جلبان من قلعة دمشق فى ليلة الجمعة رابع عشرينه، وأطلق الأمير أزدمر أخا أينال، ومحمد بن أينال من طرابلس؛ وأحضرهما إلى دمشق. وبعث إلى نواب البلاد يدعوهم إلى القيام معه، فأجابه يونس الرماح نائب طرابلس وألطنبغا العثمانى نائب صفد، وأقبغا الأطروش نائب حلب.

وامتنع من إجابته الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة. وبعث تنم إلى نائب طرابلس أن يجهز شينيا إلى ثغر دمياط ليحمل فيه الأمير نوروز الحافظى وغيره من الأمراء المسجونين. فبادر ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمنى، فتسلم برج الأمير الكبير أيتمش بطرابلس، وركب البحر إلى دمياط، وقدم إلى قلعة الجبل، وأخبر بذلك. فكتب على يده عدة كتب ملطفات إلى الأمير قرمش حاجب طرابلس، وغيره من القضاة والأعيان، بأن قرمش الحاجب يثب على يونس الرماح، نائب طرابلس ويقتله، ويلى مكانه، فسار بذلك. واتفق أن يونس الرماح قبض على قرمش الحاجب وقتله، قبل وصول ابن بهادر. واستدعى نائب الشام بالأمير علاء الدين على بن الطبلاوى، وأقامه متحدثًا فى أمور الدولة، كما كان بديار مصر، وسلم إليه شهاب الدين أحمد بن خاص ترك شاد الدواوين فى ثامن صفر هذا، فأخذ منه ما جمعه من الأموال السلطانية.

ثم إنه حلف الأمراء فى ثانى عشره على أن يكونوا معه، وتأهب للمسير إلى حلب، وأخذ ابن الطبلاوى فى طلب أرباب الأموال بدمشق، وطرح عليهم السكر الحاصل من الأغوار، فضر الناس كلهم، بحيث أنه طرح ذلك على الفقهاء ونقباء القضاة وأهل الغوطة. فتنكرت القلوب على النائب بهذا السبب، وكثر الدعاء عليه. وأظهر الأمير جنتمر نائب حمص الخلاف على تنم.

وقدم البريد من حلب إلى قلعة الجبل فى حادى عشرينه أن نائب حلب ونائب حماة، ونائب حمص، باقون على الطاعة، وأن تنم نائب دمشق خرج عن الطاعة، وأطلق من السجن الأمير جلبان، والأمير آقبغا اللكاش، والأمير أحمد بن يلبغا والأمير أزدمر أخا إينال، والجبغا الجمالى، وخضر الكريمى، فتحقق أهل الدولة حينئذ صحة ما كان يشاع من عصيان تنم، وصرح الخاصكية بأن الأمير أيتمش قد وافقه على ذلك فى الباطن، وتحرزوا منه.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه: كسفت الشمس، قبل العصر.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فيه وجه الأمير تنم نائب الشام عسكرًا إلى غزة[١] مع الأمير آقبغا اللكاش.

وفى ثالثه: أخرج عسكرًا إلى حلب مع الأمير جلبان.

وفيه قبض على بتخاص، وسجن بقلعة دمشق.

وفى يوم الخميس سادسه: استدعى الملك الناصر فرج بالأمير الكبير أيتمش إلى القصر، وقال له: «يا عم، أنا قد أدركت، وأريد أن أترشد». وكان هذا قد بيته معه الأمير يشبك، والأمير سودون طاز، فيمن معهما من الخاصكية، ليستبد السلطان، ويحصل لهم الغرض فى أيتمش والأمراء، ويمتنع أيتمش من تصرف السلطان، فينفتح لهم باب إلى القتال، ومحاربة أيتمش والأمراء. فأجاب أيتمش السلطان بالسمع والطاعة، واتفق مع الأمراء والخاصكية على ترشيد السلطان، وأن يمتثل سائر ما يرسم به. واستدعى فى الحال الخليفة، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وقضاة القضاة وقضاة العساكر، ومفتو دار العدل، وكاتب السر، وناظر الجيش، وغيره ممن عادته حضور المجالس السلطانية. وادعى القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش والخاص على الأمير أيتمش بأن السلطان قد بلغ راشدًا. وأشهد عدة من الأمراء الخاصكية بذلك، فحكم القضاة برشد السلطان، وخلع على الخليفة وشيخ الإسلام، وقضاة القضاة، ومن حضر من بقية القضاة والفقهاء، وعلى الأمير أيتمش. ونزل أيتمش إلى داره التى كان يسكنها فى الأيام الظاهرية ونقل سائر ما كان له بالإصطبل السلطانى وللحال دقت البشائر، ونودى فى القاهرة ومصر بالزينة والدعاء للسلطان، فزينتا.

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر: معجم البلدان ٤/٢٠٢.

وفى هذا اليوم: عمل السلطان المولد النبوى على عادة أبيه، وحضر معه الأمراء والقضاة ومن عادته الحضور.

وفيه خرج الأمير تنم نائب دمشق منها إلى نحو حلب. وعمل نائب الغيبة[١] الأمير أزدمر أخا أينال. وافترق من يومئذ العسكر فريقان، فرقة مع أيتمش وفرقة مع يشبك. وانقطع يشبك بداره، وأظهر أنه مريض، فتخيل أيتمش ومن معه من الأمراء وظنوا أنها من يشبك حيلة، حتى إذا دخلوا لعيادته قبض عليهم، فلزم كل منهم داره، واستعد. وأخلد أيتمش إلى العجز، وأعرض عن إعمال الرأى والتدبير. وكان قد تبين منذ مات الظاهر عجزه وعدم أهليته للقيام بالأمر.

فلما كان ليلة الإثنين عاشره: أشيع من العصر ركوب العساكر للقتال، وماج الناس، وكثرت حركاتهم، فلم يدخل الليل حتى لبس أيتمش بمن معه آلة الحرب. وملك أيتمش الصوة[٢] تجاه باب القلعة، وأصعد عدة من المقاتلة إلى عمارة الأشرف تجاه الطبلخاناه؛ ليرموا على من فيها ومن يقف على باب القلعة.

ولم يخرج يشبك من بيته. وأخذ الأمير فارس حاجب الحجاب رأس الشارع الملاصق لباب مدرسة السلطان حسن؛ ليقاتل من يخرج من باب السلسلة. وأخذ الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير أرغون أمير مجلس رأس سويقة منعم تجاه القصر. وركب الأمير يشبك الخازندار، والأمير بيبرس الدوادار إلى القلعة. ودقت بها الكوسات الحربية. ولبست المماليك السلطانية. ولحق بهم من الأمراء سودون طاز وسودون الماردينى، ويلبغا الناصرى، وبكتمر الركنى، وأينال باى بن قجماس، ودقماق المحمدى نائب ملطية[٣].

ووقعت الحروب بين الفريقين من وقت العشاء الآخرة إلى السحر. وقد نزل السلطان من القصر إلى الإصطبل، فاشتد قتال المماليك السلطانية، وثبت لهم الأمير فارس، وكاد يهزمهم لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن، ورميه من أعلاها إلى أن هزموه، وأحاطوا بداره، وهزموا تغرى بردى وأرغون شاه، بعدما أبلى تغرى بردى بلاءً كثيرًا، وأحاطوا بدورهما، فصار الجميع إلى أيتمش. وقد امتدت الأيدى إلى دورهم فنهبوا ما فيها، فنادى أيتمش بالقاهرة وظواهرها: «من قبض مملوكًا جركسيا من

---

(١) نائب الغيبة هو الذى يتولى شئون البلاد فى غياب السلطان.

(٢) اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة فى الجهة الشمالية من قلعة القاهرة.

(٣) بلد من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام. انظر: معجم البلدان ٥/١٩٢،١٩٣.

المماليك السلطانية، وأحضره إلى الأمير الكبير أيتمش يأخذ غُرية» فحنقوا من ذلك، وفارقه من كان معه من الجراكسة، وصاروا إلى جهة السلطان، ومالوا بأجمعهم على أيتمش، فإنهزم بمن بقى معه وقت الظهر من يوم الإثنين يريدون جهة الشام، وانهزم معه من الأمراء الألوف أرغون شاه أمير مجلس، وتغرى بردى أمير سلاح، وفارس حاجب الحجاب ويعقوب شاه الحاجب. ومن الطبلخاناه ألطنبغا شادى، وشادى خجا العثمانى، وتغرى بردى الجلبانى وبكتمر. جلق الناصرى، وتنكر بغا الحططى، وآقبغا المحمودى الأشقر، وعيسى فلان والى القاهرة. ومن أمراء العشرينات أسندمر الأسعردى، ومنكلى بغا العثمانى، ويلبغا الظريف من خجا على. ومن أمراء العشرات خضر بن عمر ابن بكتمر الساقى، وخليل بن قرطاى شاد العمائر، وعلى بن بلاط الفخرى، وبيرم العلاى، وأسنبغا المحمودى، ومحمد بن يونس النوروزى، وألجى بغا السلطانى، وتمان تمر الأشقتمرى، وتغرى بردى البيدمرى، وأرغون السيفى، ويلبغا البلشون المحمودى، وباى خجا الحسنى، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفى، ومقبل أمير حاجب، وناصر الدين محمد ابن علاء الدين على بن كلفت نقيب الجيش، وخايربك بن حسن شاه، وجوبان العثمانى، وكزل العلاى، ويدى شاه العثمانى، وكمشبغا الجمالى، وألطنبغا الخليلى، وألطنبغا الحسنى، فى تتمة نحو الألف. فمروا بالخيول السلطانية فى ناحية سرياقوس، فأخذوا من جيادها نحو المائة، وساروا إلى دمشق.

وتجمع من المفسدين خلائق، ونهبوا مدرسة أيتمش(١)، وحفروا قبر ولده الذى بها، وأحرقوا الربع المجاور لها من خارج باب الوزير، فلم يعمر بعد ذلك. ونهبوا جامع أقسنقر(٢)، واستهانوا بحرمة المصاحف. ونهبوا مدرسة السلطان حسن، وأتلفوا عدة من مساكن المنهزمين، وكسروا حبس الديلم وحبس الرحبة، وأخرجوا المسجونين.

وقتل فى هذه الواقعة من الأمراء قجماس المحمدى شاد السلاح خاناه من أمراء العشرات، وقرابغا الأسنبغاوى، وينتمر المحمدى من الأمراء الألوف. واختفى ممن كان معه مقبل الرومى الطويل أمير جاندار، وكمشبغا الخضرى فندب السلطان فى طلب المنهزمين بكتمر الركنى ويلبغا الناصرى، وأقبغا الطرنطاى من أمراء الألوف، وأسنبغا الدوادار من الطبلخاناه، وباشا باى بن باكى، وصوماى الحسنى من العشرات، فى خمسمائة من المماليك السلطانية، فلم يدركوهم، وعادوا.

---

(١) المدرسة الأيتمشية، نسبة إلى صاحبها الأمير الكبير أيتمش البجاسى ثم الظاهرى، أنشأها سنة ٧٨٥هـ.

(٢) جامع آقسنقر يقع بسويقة السباعين على البركة الناصرية.

وفى حادى عشره: استقر قرابغا مغرق فى ولاية القاهرة، عوضًا عن عيسى فلان، فنودى بين يديه أن من أحضر أميرًا من أصحاب أيتمش أخذ ألف دينار.

وفى ثانى عشره: استقر فى ولاية القاهرة بلبان من المماليك السلطانية، عوضًا عن مغرق، فإنه مات من جراحة كانت به، ونزل بالخلعة إلى القاهرة، فمر من باب زويلة يريد باب الفتوح، وعبر راكبًا من باب الجامع الحاكمى، وهو ينادى قدامه، فإذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين قد جاء إلى نحو باب النصر وهو ينادى بين يديه أيضًا. فلما التقيا وافى الطواشى شاهين الحسنى، ومعه خلعة ألبسها لابن الزين، فبطل أمر بلبان، وتصرف ابن الزين فى أمور الولاية، ونودى بالكف عن النهب، وهدد من ظفر به من النهابة، فسكن الحال.

وفى ثالث عشره: خلع على أسندمر العمرى بنقابة الجيش، وعلى ناصر الدين محمد ابن ليلى بولاية مصر، وعزل الشهاب أحمد الطرخانى.

وفى رابع عشره: قبض على الأمير مقبل الرومى أمير جاندار من منزله، ونهب ما وجد له.

وأما تنم فإنه وجه الأمير آقبغا اللكاش فى عدة من الأمراء والعساكر إلى غزة فساروا من دمشق فى أوله، وتبعتهم أطلاب أمراء دمشق. وخرجوا منها فى ثالثه، وعليهم الأمير جلبان، ومعه الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على، وطيفور حاجب الحجاب بدمشق، ويلبغا الأشقتمرى، وصُرُق الظاهرى فساروا إلى حلب. وقبض الأمير تنم على الأمير بتخاص، وموسى التركانى، وحبسهما بقلعة دمشق، من أجل أنه اتهمهما بالميل مع أهل مصر.

ثم خرج تنم من دمشق فيمن بقى معه فى سادسه، يريد حلب، وجعل الأمير أزدمر أخا إينال نائب الغيبة، فوصل إلى حمص واستولى عليها، وأقام فيها من يثق به. وتوجه إلى حماة. ووافاه يونس الرماح[1] نائب طرابلس، ومعه عسكر طرابلس، فامتنع دمرداش المحمدى نائب حماة وقاتل تنم قتالا شديدًا، وقتل من أصحابه نحو الأربعة، ولم يقدر عليه تنم فأتاه الخبر على حماة بقيام أهل طرابلس.

وذلك أنه لما قرب محمد بن بهادر المؤمنى من طرابلس بعث بما معه من الملطفات لأربابها، فوصلت إليهم قبل قدومه. ثم وصل بمن معه فى البحر، فظنه نائب الغيبة من

(١) هو الأمير سيف الدين المعروف بيونس بلطا وبالرماح، وهو من مماليك الظاهر برقوق. توفى سنة ٨٠٢هـ.

الفرنج، فخرج إليه فى نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس فتبين له أنـه مـن المسلمين، فقاتلهم على ساحل البحر حتى هزمهم إلى برج أيتمش، فأصبح الذين أتتهم الملطفـات، ونادوا فى العامة بجهاد نائب الغيبـة، نصـرة لابـن بهـادر. وأفتـاهم فقهـاء البلـد بذلـك. ونهبت دار نائب الغيبة، وخطب خطيب البلد بذلك فتسرعت العامة إلى النهب، فانهزم نائب الغيبة إلى حماة، وأعلـم الأمـير تنـم بذلـك فبعـث بالأمـير صـرق علـى عسـكر إلى طرابلس، فقاتله أهلها قتالا شديدًا مدة تسعة أيام، ودفعوه عنها.

وفى أثناء ذلك ورد على الأمير تنم خبر واقعـة الأمـير أيتمـش، وأنـه وصـل إلى غـزة ونزل بدار النيابة، فأذن بدخوله ومن معه إلى دمشق، ورجع مـن حمـاة بالعسـاكر، وقـد عجز عنها، فدخل دمشق، فى خامس عشرينه، وأرسل يونس الرماح نائب طرابلس فـى عسكره ومن انضم إليه من أمراء دمشق، وهم: ألجى بغا الحاجب، وخضر الكريمى، فـى طائفة إلى طرابلس فدخلوا، وانهزم ابن بهادر إلى البحر، فركبـه، ومعـه القـاضى شـرف الدين مسعود الشافعى قاضى طرابلـس يريـدون القـاهرة. ونهـب يونـس الرمـاح أمـوال الناس كافة، وفعل ما لا تفعله الكفار. وقتل نحو العشـرين رجـلا مـن المعروفـين، منهـم الشيخ المفتى جمال الدين بن النابلسى الشافعى، والخطيب شرف الدين محمود، والمحـدث القاضى شهاب الدين أحمد بن الأذرعى المالكى، والقاضى شهاب الدين الحنفى، وموفق الدين الحنبلى. وقتل من العامة ما يقارب الألف وصـادر النـاس مصـادرة كبـيرة، وأخـذ أموالهم. وكانت هذه الكائنة فى الخامس عشر منه.

وفى سادس عشره: عرض السلطان الملك الناصر المماليك، ففقد منهم مائة وثلاثين، انهزموا مع أيتمش.

وفيه قبض على الأمير بكتمر جلّق، وتنكز بغا الحططى رأس نوبة، وقرمان المنجكـى، وكمشبغا الخضرى، وخضر بن عمـر بـن بكتمـر السـاقى، وعلـى بـن بـلاط الفخـرى، وأسنبغا المحمدى، ومحمد بن يونـس النـوروزى، وألجبغـا السـلطانى، وأرغـون السـيفى، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفى، وناصر الدين محمد بن على بـن كلفـت نقيـب الجيـش، وألطنبغا الخليلى، وسجنوا. ثم أفرج عن قرمـان، وخضـر، وابـن يونـس، وابـن كلفـت وألطنبغا وحمل إلى الإسكندرية منهـم مقبـل الرومـى، وبكتمـر جلـق، والحططـى، وابـن بلاط، وأسـنبغا وألجبغـا، وأرغـون، وأحمـد بـن أرغـون شـاه. وتـأخر بالقلعـة كمشـبغا الخضرى، وإياس الخاصكى.

وفيه استدعى السلطان الأمير سودون أمـير أخـور، والأمـير تمـراز مـن الإسـكندرية، والأمير نوروز من دمياط فسارت القصاد لإحضارهم.

وفى سابع عشره: استقر موفق الدين أحمد بن قاضى القضاة نـاصر الديـن نصـر الله

الحنبلى فى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أخيه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم. واستقر علاء الدين أقبغا المزوق فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية[١]، وعزل طيبغا الزينى، وطلب، فهرب. واستقر أيضًا يلبغا الزينى والى البهنسا، وعزل الضانى.

وفى عشرينه: وصل الأمير نوروز من دمياط، والأمير سودون، والأمير تمراز من الإسكندرية إلى القلعة. وقبلوا الأرض للسلطان، ونزلوا إلى دورهم.

وكتب إلى الأمير تنم نائب الشام بدخوله فى الطاعة.

وفى آخره: قدم الأمير بيسق من مكة.

وفى هذا الشهر: ارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات والملبوسات.

وبلغ سعر الرطل من لحم الضأن درهمين، ومن البقر درهم وثمن، والأردب القمح إلى سبعين درهمًا، ثم نزل إلى خمسين.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فى ثانيه: استقر الأمير أقباى الطرنطاى بن حسين شاه حاجب الحجاب. والأمير دقماق المحمدى حاجب رأس الميسرة.

وفى ثالثه: استقر كل من الأمير أسنبغا العلاى الدوادار، والأمير قمارى الأسنبغاوى والى باب القلة ومنكلى بغا الصلاحى الدوادار وسودون المأمورى حاجبًا. واستقر تمربغا المحمدى نائب القلعة.

وفى خامسه: قدم الأمير أيتمش بمن معه إلى دمشق، فخرج الأمير تنم إلى لقائه، وبالغ فى إكرامه وإكرام من معه، وقدم إليهم تقادم جليلة. وخير فى الإقامة، فاختار النزول بالميدان، وسكنى القصر الأبلق[٢]، فأقام. وعظم شأن تنم بقدوم أيتمش عليه، وأطاعه من خالف عليه.

وفى ثامنه: قدم عليه كتاب الملك الناصر بمسك أيتمش ومن معه وقدومه إلى مصر، فأحضر الكتاب وحامله إلى عند أيتمش، وأعلمه بذلك. ثم جهز أيتمش وتغرى بردى قصادهما إلى نائب حماة، ونائب حلب، بدعواهما إلى ما هم عليه، فأجابا بالسمع والطاعة.

وكان الأمراء بمصر قد اتفقوا أن يكون الأمير بيبرس الدوادار أتابك العساكر،

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر: معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) القصر الأبلق بدمشق، بناه الظاهر بيبرس.

فأقاموه صورة بلا معنى. وأنعم على نوروز بإقطاع تغرى بردى، وعلى تمراز بإقطاع أرغون شاه، وعلى سودون أمير أخور بإقطاع فارس. وعلى دقماق بإقطاع يعقوب شاه، وعلى الأمير الكبير بيبرس بإقطاع أيتمش، إلا النحريرية[١]، ومنية بدران[٢]، وطوخ الجبل[٣]، فامتنع من قبوله وغضب، وأنعم بإقطاع بيبرس على بكتمر الركنى، وبإقطاع بكتمر على دقماق، وبإقطاع دقماق - الذى كان باسم يعقوب شاه - على جركس المصارع القاسمى، واستقر أمير طبلخاناه.

وأنعم على كل من كزل بغا الناصرى، وقمارى الأسنبغاوى، وشاهين من شيخ إسلام، وشيخ السليمانى، وباشا باى من باكى، وتمربغا، وحبك من عوض، وصوماى الحسنى، وتمر، وأينال حطب، وقانى باى العلاى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من بردى بك العلاى، وسودن المأمورى، وألطنبغا الخليلى، وأجترك القاسمى، وكزل المحمدى، وبيغان الأينالى بإمرة عشرين، وعلى كل من أزبك الرمضانى، والطبرس العلاى، وأسندمر العمرى، وقرقماس السيفى، ومنكلى بغا الصلاحى، وأقبغا الجوهرى، وطيبغا الطولوتمرى، وقانى باى بن باشا، ودمرداش الأحمدى، وأقباى السلطانى، وأرغون شاه الصالحى، ويونس العلاى، وجمق، ونكباى الأزدمرى، وأقبغا المحمدى، وقانى بك الحسامى، وبايزيد من بابا، وسودون البجاسى، وسودون الشمسى، وتمراز من باكى، وشكدان، وقطلوبغا الحسنى، وأسنبغا المسافرى، وسودون النوروزى، وقطلو أقتمر المحمدى، وقانق، وسودون الحمصى، وأرزمك، وأسن باى، وسودون القاسمى بإمرة عشرة.

وفى ثامنه: تحالف الأمراء على السفر بالسلطان إلى الشام، فامتنع المماليك وهددوا الأمراء. فخالف الأمير سودون طاز، وتأخر عن الخدمة، واجتمع المماليك بالأمير يشبك وهو ضعيف، وحدثوه فى أمر السفر، فاعتذر بما هو فيه من الشغل بالمرض.

وفيه اختلف الأميران سودون أمير أخور - كان - وسودن طاز وتسابا بسبب سكنى الحراقة من الإصطبل، وكادا يقتتلان، لولا فرق بينهما الأمير نوروز. ووقع أيضًا بين جركس المصارع وسودون طاز تنافس بسبب الإقطاع وتقابضا، ولم يبق إلا أن تثور الفتنة، حتى فرق بينهما.

---

(١) النحريرية، أنشأها نحرير الأرغلى الإخشيدى فى القرن الرابع الهجرى.

(٢) من أعمال الدقهلية.

(٣)من أعمال أخميم.

وفى عاشره: استقر أمير على نائب الوجه البحرى، وعزل بهاء الدين أرسلان. واستقر بلبان والى قليوب، وعزل عمر بن الكورانى. ورتب الأمراء أمورًا منها، إقامة نائب بمصر، وعبوا عدة تشاريف لإقامة أرباب وظائف من الأمراء. فلما كان يوم الخميس ثانى عشره خلع على سودون طاز، وعمل أمير أخور، عوضًا عن سودون الطيار، لتأخره بدمشق.

وفى رابع عشره: أعيد بدر الدين محمود العين تابى إلى حسبة القاهرة وصرف الجمال الطنبدى.

واستقر محمد بن الطويل فى ولاية منوف، وعزل الشهاب أحمد بن أسد الكردى.

واستقر الأمير مبارك شاه حاجبًا ثالثا بتقدمة ألف و لم يقع مثل ذلك فيما تقدم.

وفيه قدم قاضى القضاة شرف الدين مسعود من طرابلس، ومعه الشريف بدر الدين محمد بن كمال الدين محمد البلدى نقيب الأشراف، ووكيل بيت المال بها، وأخبر بواقعة طرابلس، وقتل قرمش حاجبها، وأن المقتولين فى الواقعة ألف وسبعمائة واثنان وثلاثون رجلا، وأن النائب أراد إحراقها، فاشتراها منه بثلاثمائة وخمسين ألف درهم.

وفى ثامن عشره: قدم نائب حماة إلى دمشق، فخرج الأمير تنم والأمير أيتمش بالعساكر إلى لقائه، وخلع عليه، وأنعم عليه تنم بمال جزيل وأقام خمسة أيام، وعاد إلى حماة ليتجهز.

وخلع الملك الناصر على أحد الأمراء، واستقر حاجبًا ثامنًا، و لم يعهد بمصر مثل ذلك فيما سلف.

وفى تاسع عشره: قبض السلطان على الوزير فخر الدين ماجد بن غراب، وأخيه سعد الدين إبراهيم ناظر الجيش والخاص، والشهاب أحمد بن عمر بن قطينة المتحدث فى الكارم، والشريف علاء الدين على شاد الدواوين. وتسلمهم أزبك رأس نوبة، ووقعت الحوطة على موجودهم.

وفى العشرين منه: قبض على الأمير قطلو بك الأستادار، وسجن عند صهره زوج ابنته سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفى حادى عشرينه: استدعى الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، وخلع عليه خلعة الوزارة، وخلع على شرف الدين محمد بن الدمامينى وكيل بيت المال لنظر الجيش ونظر الخاص.

وفي ثالث عشرينه: أفرج عن قرمان المنجكي وقطلو بك العلاي، ونقل ابنا غراب من عند أزبك إلى بيت الأمير قطلوبغا الكركي - شاد الشرابخاناه - فنزلا في داره ومعهما ابن قطينة والشريف علاء الدين علي، فأتاهما الناس بكل ضيافة فاخرة، وتوقف لذلك حال الوزير ابن الطوخي، وابن الدماميني ناظر الخاص.

وفي رابع عشرينه: أفرج عن ابن قطينة على مائة ألف درهم، وعن الشريف علاء الدين عليّ على خمسين ألف درهم.

وفي سادس عشرينه: توجه المهتار عبد الرحمن على البريد، ومعه مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم فضة، وعدة خلع لأهل الكرك[1]، وعلى يده ملطفات لتخذيل العساكر عن تنم نائب الشام.

وفي يوم السبت ثامن عشرينه: أفرج عن ابني غراب، وخلع عليهما، كما كانا. وسلم إليهما ابن الطوخي، وابن الدماميني ونقل أبناء التركماني من مشيخة خانقاة قوصون[2] إلى مشيخة خانقاه سرياقوس، عوضًا عن شيخ الشيوخ بهاء الدين إسلام ابن شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق الأصبهاني بعد موته.

واستقر في مشيخة القوصونية الشيخ شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن الشيخ جلال الدين التباني الحنفي.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

في ثالثه: قبض سعد الدين بن غراب على شرف الدين محمد بن الدماميني، ونقله إلى داره، ثم أفرج عنه في ثامنه، وخلع عليه بقضاء القضاة بالإسكندرية، وخطابة الجامع المغربي بها. واستقر أخوه تاج الدين أبو بكر في حسبة الإسكندرية، ونزل ابنا غراب معه إلى داره بجملين له.

وفي ليلة الخميس عاشره: كان بمكة - شرفها الله - سيل عظيم بعد مطر غزير، امتلأ منه المسجد الحرام حتى دخل الكعبة، وعلا على بابها نحو ذراع، وهدم عمودين من عمد المسجد، وسقطت عدة دور، ومات تحت الهدم - وفي السيل - نحو الستين إنسانا.

---

(١) اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٢) أنشأها الأمير سيف الدين قوصون.

وفيه قدم الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد إلى دمشق، فأكرمه الأمير تنم وأنزله، ثم أعاده إلى صفد فى تاسع عشره.

وفى يوم الخميس: هذا استقر بهاء الدين محمد بن البرجى فى وكالة بيت المال، عوضًا عن شرف الدين محمد بن الدمامينى.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الملك الظاهر لأتابكية العساكر، وعلى الأمير نوروز، واستقر رأس نوبة كبير. وعلى الأمير تمراز، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير سودون واستقر دواذار السلطان، وخلع على شرف الدين مسعود، واستقر قاضى دمشق عوضًا عن الأخناى.

وفى خامس عشره: ورد الخبر بخروج تنم نائب الشام، وأيتمش بمن معهما من دمشق إلى جهة غزة، فرسم بالتجهيز للسفر، وكثر عمل الناس فى القاهرة للدروب والخوخ خوفًا من النهب، وتتبع ابن الزين والى القاهرة المماليك البطالة، وقبض عليهم، وسجنهم بخزانة شمايل.

وفى سابع عشره: اجتمع الأمراء والمماليك بمجلس السلطان، فحثهم على السفر فى أول جمادى الآخرة، وأن يخرج ثمانية أمراء من الألوف بألف وخمسمائة من المماليك المشتراوات وخمسمائة من المستخدمين، فاختلف الرأى فمنهم من أجاب، ومنهم من قال لابد من سفر السلطان، وانفضوا على غير شىء، ونفوسهم متغيرة من بعضهم على بعض.

وفى ثامن عشره: أعدت إلى حسبة القاهرة، وصرف العين تابى(١).

ووقع الشروع فى النفقة للسفر، فحمل إلى كل من الأمراء الأكابر مائة ألف درهم، ولمن يليهم دون ذلك، وأنفق على ثلاثة آلاف وستمائة مملوك، لكل مملوك مائة دينار، فبلغت النفقة نحو خمسمائة ألف دينار.

وفى ثامن عشره: علق الجاليش، وخرج خام السلطان، فنصب تجاه مسجد تبر.

وفى تاسع عشره: استقر محمد بن غرلو فى ولاية الغربية وكشف جسورها وذلك بعد موت الجمال يوسف بن قطلو بك صهر ابن المزوق. واستقر علاء الدين على بن الحريرى فى ولاية قوص(٢)، وصرف أسنبغا.

---

(١) يقصد بدر الدين العينتابى.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٣.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة نائب الوجه القبلى عوضًا عن ألطنبغا والى العرب. واستقر شهاب الدين أحمد بن أسد الكردى فى ولاية القاهرة مسئولا بها. واستقر الحاج سعد المنجكى مهتار الطشتخاناه، عوضًا عن مفتاح عبد نعمان، بعد وفاته.

وفيه فر قطلوبغا الخليلى التركمانى والى الشرقية، وقد اجتمع عنده نحو الخمسين من مماليك الأمراء المنهزمين إلى الشام، ولحقوا بنائب الشام، فقدموا دمشق أول جمادى الآخرة.

وفى خامس عشرينه: استقر المهتار غرس الدين خليل بن الشيخى مهتار الركاب خاناه على عادته، وصرف المهتار عمر. واستقر تغرى برمش السيفى صراى والى الشرقية.

شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء:

فى ثانيه: استقر نور الدين على بن خليل بن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحكرى فى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر، على خمسين ألف درهم، وصرف موفق الدين أحمد بن نصر الله، واستقر الأمير بكتمر الركنى أمير سلاح، عوضًا عن تغرى بردى من يشبغا.

وفى سابعه: عرضت الجمال السلطانية، فعين الأمير سودون طاز منها برسم سفر السلطان وأثقال مماليكه سبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وستين جملا، سوى ما فرق على المماليك السلطانية، وسوى الهجن.

وفيه ورد الخبر بالفتنة فى الكرك، وذلك أن المهتار عبد الرحمن لما قدمها، أظهر كتبًا إلى الأمير سودون الظريف نائب الكرك باستعداده لحرب الأمير أيتمش، فاختلف أهل الكرك وافترقوا فرقتين: قيسية ويمانية، فرأس قيس قاضى الكرك شرف الدين موسى بن قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى. ورأس يمن الحاجب شعبان بن أبى العباس. ووقعت فتنة، نهب فيها رحل المهتار عبد الرحمن والخلعة التى أحضرها إلى النائب، وامتدت إلى الغور فنهب، ورحل أهله. وفر عبد الرحمن إلى جهة مصر. وكانت بين الطائفتين مقتلة قتل فيها ستة، وجرح نحو المائة.

وانتصر ابن أبى العباس بمن معه من يمن؛ لميل النائب معهم على قيس، وقبض على القاضى شرف الدين موسى وأخيه جمال الدين عبد الله، وذبحا فى ثامنه، ومعهما ثمانية من أصحابهما، وألقوا فى بئر من غير غسل ولا كفن، وأخذت أموالهم كلها.

وقدم علاء الدين على بن غلبك بن المكللة والى منفلوط[1]، وأخبر أن ألطنبغا نائب الوجه القبلى، خرج هو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى عن الطاعة وكبسا عثمان بن الأحدب. ففر إلى جهة منفلوط وتبعاه إليها، وخربوها. فرسم لكل من الأمير بيبرس الأتابك، وإينال باى بن قجماس، وأقباى حاجب الحجاب، وسودون بن زاده، وإينال حطب رأس نوبة، وبيسق أمير أخور، وبهادر فطيس أمير أخور، أن يتجهزوا ويسيروا جميعًا إلى بلاد الصعيد. فلم يوافقوا على ذلك، ولا سار أحد.

وورد الخبر بقدوم نائب حماة بعسكرها فى ثالث عشره إلى دمشق. وأن الأمير أقبغا نائب حلب لما برز من حلب للمسير إلى دمشق ثار عليه جماعة من الأمراء، وقاتلوه فكسرهم، وقبض على جماعة منهم. وسار إلى دمشق فقدمها فى يوم الخميس سادس عشره، فأكرمه الأمير تنم، وأنزله.

وأنه قد توجه الأمير أرغون شاه ويعقوب شاه، وفارس، وصرق، وفرج بن منجك إلى غزة من دمشق فى ثانى عشره، فعلق جاليش السفر على الطبلخاناه تحت قلعة الجبل، وخرج دهليز السلطان إلى الريدانية خارج القاهرة فى يوم الإثنين عشرينه.

وفى ثالث عشرينه خلع على الأمير ركن الدين عمر بن الطحان حاجب غزة بنيابة غزة، وعلى سودون حاجبها الصغير، وصار حاجب الحجاب بها.

وفى ثالث عشرينه: قدم يونس الرماح نائب طرابلس بعسكرها، ومعه الأمير أحمد ابن يلبغا إلى دمشق، فخرج الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة من دمشق فى خامس عشرينه، وتبعه الأمير تنم فى بقية العساكر، يريدون مصر.

وفى سابع عشرينه: استقر شهاب الدين أحمد بن الزين عمر فى ولاية القاهرة ومصر، وأن يكون حاجبًا.

وفى ليلة ثامن عشرينه: توجه الأمير سودون المأمورى الحاجب إلى دمياط؛ لينقل منها الأمير يلبغا المجنون، والأمير تمربغا المنجكى، وطغنجى، وبلاط السعدى، وقراكسك إلى سجن الإسكندرية.

وكان بالقاهرة ومصر من أول ربيع الأول إلى آخر جمادى الآخرة أمراض فاشية فى الناس من الحمى والبرد. ومات فيه عدة كبيرة مع توقف الأحوال، وتعطل المعايش.

---

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر: معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥.

وتزايد الأسعار فى كل ما يباع. وصار الخبز كل خمس أواقى بثمن درهم. وانقطع الواصل من البلاد الشامية، فبلغ الفستق عشرة دراهم الرطل، واللوز أربعة دراهم الرطل، والكمثرا سبعة دراهم الرطل. والسفرجلة الواحدة بعشرة دراهم. ومع ذلك خوف الناس من وقوع الفتن؛ لشدة اختلاف أهل الدولة.

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى رابعه: نزل السلطان من القلعة إلى الريدانية ليتوجه إلى قتال أيتمش ونائب الشام، فأقام بمخيمه، وتلاحق به الأمراء، والعساكر، والخليفة، وقضاة القضاة.

وفى خامسه: خلع على الأمير الكبير بيبرس بنظر المارستان المنصورى ونظر الأحباس، ونيابة الغيبة، وعلى الأمير نوروز الحافظى بنظر الخانقاة الشيخونية، عوضًا عن الأمير أرغون شاه الأقبغاوى المنسحب إلى الشام. وعلى الأمير مبارك شاه الحاجب بنيابة الوجه القبلى، ورسم له أن يحكم من جزيرة القط إلى أسوان[(١)]، ويولى من يختار من الولاة، ويعزل من كره.

وفى سادسه: خلع على الأمير نوروز لتقدمة العساكر، وأفرج عن على بن غريب الهوارى، وأقيم عوضًا عن محمد بن عمر الهوارى.

وفى سابعه: أنفق فى المماليك بالريدانية مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار. وعند تمام النفقة خلع على الأمير يلبغا السالمى، وأركب حجرة بسرج وكنفوش وسلسلة ذهب.

وفيه رحل الجاليش من الريدانية، وفيه من الأمراء نوروز الحافظى مقدم العساكر، وبكتمر أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وتمراز أمير مجلس، وسودون الدوادار، وشيخ المحمودى، ودقماق أمير حاجب.

وفى ثامنه: رحل السلطان ببقية العسكر، وعدة من سار أولا وثانيًا نحو سبعة آلاف فارس، وأقام بقلعة الجبل من الأمراء أينال باى بن قجماس، وأينال حطب رأس نوبة. وأقام بالإصطبل سودون بن زادة، وبهادر فطيس، وبيسق الشيخى أمير أخور. وأقام خارج القاهرة الأمير الكبير بيبرس، وهو نائب الغيبة، ومعه الأمير أقباى حاجب الحجاب.

وأما تنم نائب الشام، فإنه وجه نائب حلب بعسكره إلى جهة مصر فى ثامنه.

---

(١) مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه. انظر: معجم البلدان ١/١٩١.

وخرج فى تاسعه ومعه الأمير أيتمش وبقية العساكر، ومن انضم إليهم من التركمان. وخيم على قبة يلبغا خارج دمشق، حتى لحقه بقية العسكر، ومن سار معه من القضاة، وعمل الأمير جركس أبو تنم نائب الغيبة.

وفى حادى عشره: رحل الأمير تنم من ظاهر دمشق، وتبعه ابن الطبلاوى فى ثانى عشره. وسار نائب طرابلس بعسكره ساقة[1].

وكان تنم من حين قدم عليه أيتمش يعمل كل يوم موكبًا أعظم من الآخر، حتى قيل إنه أعظم من موكب الملك الظاهر، وكان يركب بالدف والشبابة والجاويشية والشعراء. وفى خدمته من الأمراء مقدمى الألوف ما يزيد على خمسة وعشرين، سوى أمراء الطبلخاناه. وجمع من التركمان جمعًا عظيما. وآخر موكب عمله بدمشق كان فيه عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب، والأمير أيتمش، ومن معه من المصريين ومن انضم إليهم من التركمان فى نحو أربعة آلاف. وأنفق من الأموال على العساكر ما لا يحصى، وأنعم عليهم من الخيل والجمال والعدد وآلات الحرب بما لا يعبر عنه، فصار فى جيش عظيم جدًا.

وفى غيبته أخذ الأمير جركس أبو تنم نائب الغيبة بدمشق فى طرح ما بقى من السكر على الناس، فكثر الدعاء عليهم بسبب ذلك. وكان الفساد قد عم بوصول العساكر إلى دمشق، وظلموا الناس خارج البلد، ونزلوا فى الخانات والحوانيت والدور والبساتين بغير أجرة، وعاثوا وأفسدوا كثيرًا، لاسيما عسكر طرابلس، فلذلك أخذهم الله أخذة رابية - كما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفى يوم السبت تاسعه: قدم البريد من البحيرة[2] على الأمير بيبرس نائب الغيبة بديار مصر، أن الأمير سودون المأمورى سار بالأمراء من دمياط إلى الإسكندرية. فلما وصل بهم إلى ديروط لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن بن نفيس الديروطى، وأضافه. فعندما قعد هو والأمراء للأكل ثار يلبغا المجنون وبقية الأمراء على سودون المأمورى، وقبضوا عليه وعلى مماليكه. وبينما هم فى ذلك، إذ قدمت حراقة من القاهرة فيها الأمير كمشبغا الخضرى، وأياس الكمشبغاوى، وجقمق البجمقدار، وأمير آخر والأربعة فى الحديد، ليسجنوا فى الإسكندرية. فدخلت الحراقة شاطئ ديروط، ليقضوا

---

(١) مؤخرة الجيش.

(٢) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، وتشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥١.

حاجة لهم، فأحاط بهم يلبغا المجنون، وخلص الأربعة المقيدين، وضرب الموكلين بهم، وكتب إلى نائب الوجه البحرى بالحضور إليه. وأخذ خيول الطواحين، وسار بمن معه إلى مدينة دمنهور[١]، وطرقها بغتة، وقبض على متوليها. وأتته العربان، فصار فى عدة كبيرة، ونادى فى إقليم البحيرة بحط الخراج عن أهلها، وأخذ مال السلطان الذى استخرج من تروجة وغيرها. وبعث يستدعى بالمال من النواحى. فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز، والتيقظ، وإلى أكابر العربان بالإنكار عليهم، وإمساك يلبغا المجنون ومن معه، وكتب إلى الأمير بيبرس بتجريد الأمير أقباى الطرنطاى حاجب الحجاب، والأمير أينال باى بن قجماس والأمير بيسق أمير أخور، والأمير أينال حطب رأس نوبة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، ومثال إلى عربان البحيرة بحط الخراج عنهم لمدة ثلاث سنين.

ثم إن يلبغا عدَّى من البحيرة إلى الغربية فى ليلة الجمعة خامس عشره، خوفًا من عرب البحيرة. ودخل المحلة ونهب دار الوالى، ودار إبراهيم بن بدوى كبيرها، وأخذ منه ثلاثمائة قفة فلوس، وست قفاف عن كل قفة مبلغ خمسمائة درهم. ثم عدى بعد أيام من سمنود[٢] إلى بر أشموم طناح[٣]، وسار إلى الشرقية، ونزل على مشتول الطواحين، وسار منها إلى العباسة، فارتجت القاهرة، وبعث الأمير بيبرس إلى مرابط الخيول على البرسيم، فأحضرها.

وورد الخبر بمخامرة كاشف الوجه القبلى مع هوارة، فكثر الاضطراب، واشتد الخوف، وتعين الأمير مبارك شاه إلى سفر الصعيد وشرع فى استخدام الأجناد. وعزم الأمير بيبرس أن يخرج إلى المجنون.

وفى رابع عشره: ورد كتاب السلطان بالقبض على شرف الدين محمد بن الدمامينى قاضى الإسكندرية، فقبض عليه من منزله بالقاهرة، وسجن فى برج بقلعة الجبل. وعظم الإرجاف بهجوم يلبغا القاهرة، فسدت الخوخ فى سابع عشره وغلقت أبواب القاهرة من عشاء الآخرة، وخرج الأمير أقباى والأمير يلبغا السالمى، والأمير بيسق، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر أستادار الذخيرة، والأملاك، فى ثلاثمائة من المماليك

---

(١) بلد بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة فى الصغر والكبر. انظر: معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٢) بلدة من نواحى مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل، بينها وبين المحلة ميلان تضاف إليها كورة فيقال كورة السمنودية.

(٣) بلد بمصر ، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر: معجم البلدان ١/٢٠٠.

السلطانية، إلى ملاقاة يلبغا المجنون بالعباسة، فى يوم الخميس حادى عشرينه، وساروا.

وفيه قدم يشبك العثمانى، وعلى يده كتاب السلطان بوصوله إلى تل العجول - ظاهر مدينة غزة - فى ثامن عشره، وقد برز نائب حماة، ونائب صفد، وأقبغا اللكاش وتغرى بردى، وفارس، وأرغون شاه، ويعقوب شاه، وفارس نائب ملطية[1]، فى عدة من أمراء الشام وحلب وغيرها، تبلغ عدتهم نحو خمسة آلاف فارس، يريدون الحرب، فلقيتهم عساكر السلطان، وقاتلوهم من بكرة النهار إلى وقت الظهر. فخرج اللكاش وانهزم فى جماعة، ودخل فى الطاعة الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة، والأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد، والأمير صراى تمر الناصرى أتابك العساكر بحلب، وجقمق نائب ملطية، وفرج بن منجك، فى عدة من الأمراء والأجناد. وملك السلطان غزة من يومه، فدقت البشائر بذلك، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا، وخلع على يشبك العثمانى، ولما أراد الله أنكر شخص يقال له سراج الدين عمر الدمياطى - من صوفية خانقاة شيخو - أن يكون هذا الخبر صحيحًا، فقبض عليه وضرب على كتفيه ضربًا مبرحًا، وشهر على حمار، قد أركبه مقلوبًا، وجهه إلى جهة ذنبه، وطيف به القاهرة، ثم سجن بخزانة شمائل، فى يوم الجمعة ثانى عشرينه.

وفى خامس عشرينه: كان العسكر قد وصل إلى نحو العباسة، فلم يقفوا ليلبغا على خبر، وقيل لهم إنه سار إلى قطيا، فنزل الأمراء بالصالحية فلم يروا أحدًا، فعادوا إلى القاهرة. وسار ابن سنقر وبيسق نحو بلاد السباخ[2] فى طلبه فلم يجداه، فعادا فى يوم الجمعة ثامن عشرينه إلى غيفا[3]، وأقاما فلم يشعرا إلا ويلبغا المجنون قد طرقهما، وقبض عليهما، وأخذ خطهما بجملة من المال، فارتجت القاهرة لذلك.

وأما تنم نائب الشام، فإن البريد وصل إلى دمشق من جهته فى ثالث عشرينه، أنه وصل إلى الرملة، وأن المصريين وصلوا إلى غزة، وبعثوا إليه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى فى طلب الصلح فدقت الكوسات لذلك، وأصبحوا يوم الأحد رابع عشرينه بدمشق، فأغلقوا الأبواب التى للمدينة وسدوها بالحجارة، إلا باب النصر وباب الفرج، وأحد بابى الجابية، وباب توما، فعجب الناس من ذلك، وكثر الكلام.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر ياقوت، معجم البلدان ٥/١٩٢/١٩٣.

(٢) من أعمال الشرقية.

(٣) من أعمال الشرقية.

وفى يوم السبت سلخه:[١] حضر إلى القاهرة قمج الخاصكى من البحر، فإنه سار من عند السلطان على البريد إلى قطيا، فبلغه خبر يلبغا المجنون، فركب البحر من الطينة، وعلى يده كتاب السلطان من الرملة بالنصر على تنم نائب الشام.

وملخص ذلك أن تنم نزل على الرملة بمن معه. وكان لما قدم عليه من انكسر من عسكره على غزة، شق عليه ذلك، وأراد أن يقبض على بتخاص والمنقار، ففارقاه ولحقا بالسلطان. وأن السلطان بعث إليه من غزة بقاضى القضاة صدر الدين المناوى فى يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومعه ناصر الدين محمد الرماح أمير أخور، وطغاى تمر مقدم البريدية، وكتب له أمانًا، وأنه باق على كفالته بالشام إن أراد ذلك. وكتب إليه الأمراء يقولون له: «أنت أبونا وأخونا، وأنت أستاذنا، فإن أردت الشام فهى لك، وإن أردت مصر كنا مماليكك وغلمانك، فصن الدماء». وكان الأمراء والعسكر فى غاية الخوف منه لقوته، وكثرة عدده، وتفرقهم، واختلافهم، فسار إليه القاضى وحدثه فى الصلح ووعظه، وحذره الشقاق والخروج عن طاعة السلطان. فقال: «ليس لى مع السلطان كلام، ولكن يرسل إلى الأمير يشبك وسودون طاز وجركس المصارع، وجماعه عينهم، ويعود الأمير أيتمش كما كان هو وجميع الأمراء الذين معه. فإن فعل ذلك، وإلا فما بينى وبينهم إلا السيف». وثبت على ذلك، فقام القاضى ليخرج، فخرج معه بنفسه إلى خارج الخيمة، وأركبه فرسًا فى غاية الحسن، وعضده لما ركب.

فقدم القاضى يوم الخميس حادى عشرينه ومعه أحد خاصكية السلطان، ممن كان عند تنم، وعوقه نحو أربعة أشهر عن الحضور، وأعاد الجواب فاتفق الجميع على محاربته.

فلما كان يوم السبت ثالث عشرينه: ورد الخبر أنه ركب بمن معه يريد الحرب، فسار السلطان بعساكره من غزة، إلى أن أشرف على الجينين[٢] قريب الظهر، فعاين تنم قد صف عساكره، ويقال إنهم خمسة آلاف فارس وستة آلاف راجل. فتقدمت عساكر السلطان إليهم وقاتلوهم، فلم يكن غير يسير حتى انهزمت عساكر تنم، ووقع فى الأسر تنم نائب الشام، وأقبغا نائب حلب، ويونس نائب طرابلس، وأحمد ابن الشيخ على، وفارس حاجب الحجاب وبيغوت، وشادى خجا، وبيرم رأس نوبة أيتمش، وجلبان نائب حلب. ومن أمراء الطبلخاناه والعشرات ما ينيف على مائة أمير، وفر أيتمش، وتغرى بردى، ويعقوب شاه، وأرغون شاه، وطيفور، فى ثلاثة آلاف إلى دمشق

(١) السين واللام والخاء أصل واحد، وسلخت الشهر إذا صرت فى آخر يومه. انظر: مقاييس اللغة مادة سلخ ٣/٩٤.

(٢) بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن. انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٢.

ليملكوها. وعندما قبض على تنم كتب إلى دمشق بالنصرة ومسك تنم، فوصل البريد بذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه على نائب الغيبة بدمشق، فنودى بذلك.

ثم قدم الأمير أيتمش إلى دمشق يوم الأربعاء سابع عشرينه، فقبض عليه، وعلى تغرى بردى، وطيفور، وآقبغا اللكاش، وحبسوا بدار السعادة. ثم مسك بعد يومين أرغون شاه، ويعقوب شاه. وتقدم القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى دمشق، فقدمها فى يوم السبت سلخه.

وأما يلبغا المجنون فإنه نزل البير البيضاء فى يوم الخميس ثامن عشرينه، فبعث إليه الأمير بيبرس أمانًا، فقبض على من أحضره إليه وطوقه بالحديد. فاستعد الناس بالقاهرة، وباتوا ليلة السبت على أهبة اللقاء. وركب الأمراء كلهم بكرة يوم السبت سلخه إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأقبل يلبغا المجنون، فواقعهم عند بساتين المطرية[١]، ومعه نحو ثلاثمائة فارس، وقصد القلب، وفيه سودون بن زادة، وأينال حطب، وثلاثمائة من المماليك السلطانية، فأطبق عليه الأمير بيبرس من الميمنة، ومعه الأمير يلبغا السالمى، وساعدهما إينال باى بمن معه من الميسرة، فتقنطر سودون من زادة، وخرق يلبغا المجنون القلب فى عشرين فارسًا، وصار إلى جهة الجبل الأحمر، وانكسر سائر من معه من الأمراء وغيرهم، فتبعهم العسكر وفى ظنهم أن يلبغا المجنون فيهم، فأدركوا الأمير تمربغا المنجكى بالزيات[٢] وأخذوه، وأخذ طلب يلبغا المجنون من عند خليج الزعفران برأس الريدانية، فوجد فيه الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار، والأمير بيسق أمير أخور، فأطلقوهما، ونهبوه، وعاد العسكر إلى تحت القلعة. وسار المجنون فى عشرين فارسًا مع ذيل الجبل إلى تجاه دار الضيافة. فلما رأى كثرة من اجتمع من العامة خاف منهم أن يرجموه، فقال لهم: «أنتم ترجمونى بالحجارة وأنا أرجمكم بالذهب»، فدعوا له وتركوه، فسار من خلف القلعة، ومضى إلى جهة الصعيد من غير أن يعرف به الأمراء.

وفيه استقر علاء الدين على بن طرنطاى كاشف الوجه البحرى، وتغرى برمش والى الشرقية.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى أوله: قدم الأمير سيف الدين جكم رأس نوبة إلى دمشق، وقيد أيتمش ومن معه

---

(١) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جانبها الشمالى عين شمس القديمة. انظر: معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٢) قرية قديمة أصبح اسمها بعد ذلك الفلج ، بناحية المرج.

ونقلهم من دار السعادة إلى قلعة دمشق، ونادى فى الناس بالأمان، ومنع المماليك السلطانية من التعرض للناس، وألا ينزلوا داخل المدينة.

وفى ليلة الإثنين ثانيه: وصل الأمير سودون الدوادار قريب السلطان وقد والى نيابة دمشق، ومعه الأمير تنم، وعشرة من الأمراء فى القيود فحبسهم بالقلعة أيضًا.

وفى يوم الإثنين المذكور: دخل السلطان الملك الناصر بأمرائه وعساكره إلى قلعة دمشق، فكان يوما مشهودًا وسر الناس به سرورًا كبيرًا. وقدم معه شرف الدين مسعود، وقد استقر فى قضاء دمشق، عوضًا عن الأخناى. ووقعت الحوطة على حواشى تنم وأسبابه، وعلى ابن الطبلاوى. ولم يفقد فى هذه الواقعة من الأعيان سوى الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز، فإنه قتل.

وفى خامسه: خلع على الأمير سودون الدوادار بنيابة دمشق، وعلى الأمير دمرداش نائب حماة بنيابة حلب، وعلى الأمير شيخ المحمدى بنيابة طرابلس، وعلى الأمير دقماق بنيابة حماة، وعلى الأمير ألطنبغا العثمانى بنيابة صفد على عادته، وعلى الأمير جنتمر التركمانى نائب حمص بنيابة بعلبك[1]، وعلى الأمير بشباى حاجب الحجاب بدمشق، وعلى شمس الدين محمد بن الأخناى، وأعيد إلى قضاء دمشق، وعزل مسعود، فكانت ولايته منذ كتب توقيعه نحو ثمانين يومًا، لم يباشر فيها بدمشق سوى ثلاثة أيام، وعلى تقى الدين عبد الله بن الكفرى بقضاء الحنفية بدمشق عوضًا عن البدر محمد المقدسى، فاستناب صدر الدين على بن أمين الدين بن الآدمى، وعلى شمس الدين محمد النابلسى بقضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن تقى الدين إبراهيم بن مفلح.

وفيه قبض على الأمير كمشبغا الخضرى، وبتخاص الخاصكى من أصحاب يلبغا المجنون، وسجنا بقلعة الجبل.

وورد الخبر بأن يلبغا المجنون فى نحو المائة، وأنه أخذ خيل والى الفيوم، وبغال قاضيها، واستخدم عدة، وتوجه إلى الميمون[2].

وفى تاسعه: استقر مسعود فى قضاء طرابلس.

وفى عاشره: استقر جمال الدين محمد بن عمر بن على بن عرب فى حسبة القاهرة، عوضى[3]، بمال وعد به.

---

(١) مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل. انظر: معجم البلدان ٢/٤٥٣.

(٢) من القرى القديمة بالواسطى.

(٣) على هامش ط: يشير المقريزى إلى نفسه.

وفى ثانى عشره: قدم أسنبغا العلاى بخبر دخول السلطان إلى دمشق، ووقوع أيتمش وغيره من الأمراء فى القبضة، فدقت البشائر بقلعة الجبل ونودى بتقوية الزينة. وأما الأسعار فإنها تزايدت بالقاهرة، وبلغ القمح خمسة وسبعين درهمًا الأردب، والحملة الدقيقماية وعشرين درهمًا، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم.

وفى ليلة الرابع عشر: ذبح بقلعة دمشق أربعة عشر أميرًا وهم: الأمير أيتمش، وأقبغا اللكاش، وجلبان الكمشبغاوى وأرغون شاه، وفارس الحاجب، ويعقوب شاه، وبيقجا طيفور حاجب دمشق، وأحمد بن يلبغا الخاصكى العمرى، وبيغوت اليحياوى، ومبارك المجنون، وبهادر العثمانى نائب البيرة. وجهزت رأس أيتمش ورأس فارس إلى القاهرة.

وفى رابع عشره: توجه الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب من دمشق إليها، وتوجه من الغد الأمير دقماق نائب حماة إليها. وتوجه فى سادس عشره الأمير شيخ نائب طرابلس إليها.

وفيه قدم الخبر من الرحبة إلى السلطان بدمشق أن السلطان أحمد بن أويس[1] متملك بغداد، والأمير قرا يوسف التركمانى، فرا هاربين فى نفر يسير إلى الفرات فمنعا من التعدية، حتى يرسم لهما بذلك.

وفيه خلع على الأمير يشبك الخازندار، واستقر دوادارا، عوضًا عن الأمير سودون، المنتقل لنيابة الشام.

وفى سادس عشره: نودى فى القاهرة بقلع الزينة فقلعت.

وفى تاسع عشره: وصل البريد من دمشق برأسى أيتمش وفارس، فعلقتا على باب قلعة الجبل، ونقلا من الغد إلى باب زويلة، وعلقا عليه إلى ثالث عشرينه، سلما لأهلهما، وقال فى ذلك المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدى:

يا دهر كم تفنى الكرام عامدا   هل أنت سبع للورى ممارس

---

(١) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد. مغولى الأصل، مستعرب، آل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن. ونشأ هو فى تبريز، وعاش زمنا فى بغداد، وناب عن أخيه السلطان حسين فى البصرة، ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ وثار عليه مغولى اسمه الأمير قرا يوسف، فقاتله، وانهزم السلطان أحمد وأسر وقتل خنقا ببغداد. انظر: تاريخ العراق ٣٠٥/٢ والضوء اللامع ٢٢٤/١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠١/١، ١٠٢.

أيتمش رب العلا صرعته ورحت لليث الهمام فارس

وقال:

أرى العز الكرام من البرايا تحكم فيهم أهل المناحس
ولولا جور حكم الدهر فيهم لما ظفرت جراكسة بفارس

وقال أيضًا:

أيا فرسان الوغا أمراء مصر ذللتم للجراكسة العوابس
ولولا طبع هذا الدهر غدر لأعجزهم من الفرسان فارس

وفيه أفرج عن سراج الدين عمر الدمياطى، وبعث الأمير يلبغا السالمى من مال الديوان المفرد برسم نفقة المماليك مبلغ خمسة وثلاثين ألف دينار إلى دمشق.

وخرج من القاهرة لتعبئة الإقامات السلطانية إلى قطيا، وقبض على الأمير طولو بالقاهرة، فسجن مع تمربغا المنجكى وكمشبغا الخضرى.

وفى سابع عشرينه: ولى الملك الناصر بدمشق السيد الشريف علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان نقيب الأشراف بدمشق كتابة السر بها، وصرف ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن هبة الله بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن على بن أبى الكتائب بن أبى الطيب.

شهر رمضان، أوله الإثنين:

فى ليلة الخميس رابعه: قتل الأمير تنم نائب الشام والأمير يونس الرماح نائب طرابلس بقلعة دمشق خنقًا بعد أن استصفيت أموالهما، ولم يبق لهما شىء، ثم سلما إلى أهلهما، فدفن تنم بتربته بميدان الحصى خارج دمشق، ودفن يونس بالصالحية[1]. فكانت مدة ولاية تنم نيابة الشام سبع سنين وستة أشهر ونصفًا، وولاية يونس طرابلس نحو ست سنين.

وكان سودون الظريف نائب الكرك قد خرج منها، وقدم دمشق على السلطان بعد أن استخلف على الكرك الحاجب شعبان بن أبى العباس، فعزل سودون فى هذا اليوم، وأقام السلطان فى نيابة الكرك الأمير سيف الدين بدخاص السودونى، وخرج إليها.

---

(١) قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسون من غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ٣/٣٩٠.

وفيه خرج السلطان من قلعة دمشق بعساكره، ونزل الكسوة[١] يريد مصر، فكانت إقامته بدمشق أحدًا وثلاثين يومًا. وأخرج ابن الطبلاوى، وابن أبى الطيب كاتب السر - فى الترسيم، بعدما أهينا وأخذت أموالهما. وسار البريد إلى القاهرة بخروج السلطان من دمشق فقدم فى ثامنه، فدقت البشائر ثلاثة أيام بقلعة الجبل.

ونودى فى القاهرة أن يبيض الناس حوانيتهم وظواهر أملاكهم وكثروا القناديل التى تعلق على الحوانيت كل ليلة.

وفى ثانى عشره: نزل السلطان غزة[٢]. وقتل ابن الطبلاوى. وقدم الحريم السلطانى إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل فى عشرينه، ودخل أيضًا ابن أبى الطيب محتفظًا به، فزينت القاهرة ومصر.

وفيه قدم القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقاء القادمين.

وفى سادس عشرينه: قدم السلطان، وقد فرشت له شقاق الحرير من تربة يونس عند قبة النصر إلى القلعة، فكان يومًا مشهودًا.

وفى ثامن عشرينه: أنعم على كل من الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى بإقطاع الأمير سودون - نائب الشام - وإمرة مائة تقدمة ألف، وعلى الأمير أقباى الكركى الخازندار بإقطاع الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس، وعلى الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه، وعلى الأمير جكم بإقطاع دقماق المحمدى، وعلى الطواشى مقبل الزمام بإقطاع الأمير الطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، وعلى الطواشى سعد الدين صواب السعدى جنكل بإقطاع مقبل، وبإقطاع صواب على الطواشى شاهين الحلبى نائب المقدم.

وفى هذا الشهر: نقص ماء النيل بحيث صار الرجل يخوض من بولاق إلى البر الغربى.

وفى آخره: كثر ازدحام الناس على شراء روايا الماء بالقاهرة وظواهرها،حتى بلغت الراوية أربعة دراهم، بعد درهم ونصف. وعجز كثير من الناس عن شرائها لعظم

---

(١) قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٦.

(٢) من أعمال البهنساوية.

الازدحام، وكثرة تلقى السقائين من البحر. وصار الناس يخرجون بأنفسهم وعبيدهم وإمائهم وغلمانهم، فينقلون الماء من البحر إلى دورهم على البغال والحمير، وفى الجرار على الروس. وتزايد العطش بالناس. واتفق مع ذلك شدة الحر المفرط، وقدوم العسكر، فكان من ذلك ما لم يعهد مثله.

وفى هذا الشهر: امتنع شعبان بن أبى العباس بالكرك على الأمير بتخاص، فكانت بينهما حروب شديدة طويلة، هلك فيها كثير من الناس وخربت عدة من القرى.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

وفيه قبض على علاء الدين ألطنبغا والى العرب نائب الوجه القبلى، وسلم إلى الوالى. واستقر دمرداش السيفى نائب الوجه القبلى، وصرف مبارك شاه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأفرج عن ناصر الدين محمد بن أبى الطيب، كاتب سر دمشق.

وقدم مملوك يلبغا المجنون بكتابه يسأل نيابة الوجه القبلى، فرسم أن يخرج إليه تجريدة فيها الأمير تمراز، ويلبغا الناصرى، وأقباى الحاجب وأينال باى وبكتمر، ونوروز الحافظى، وأسنبغا، وتتمة ثمانية عشر أميرًا. وأن يكون مقدمهم الأمير نوروز، وخرجوا فى ثالث عشره ومعهم نحو الخمسمائة من المماليك السلطانية.

وفى رابع عشره: أعيد شمس الدين محمد البخانسى إلى حسبة القاهرة، وصرف الطنبدى. وورد الخبر بأن محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى حارب يلبغا المجنون فى شرق أبويط[1]. وقبض على أمير على دواداره، وعلى نائب الوجه البحرى، وعلى أياس الكمشبغاوى الخاصكى وعلى جماعة من أصحابه، وأنه فر ونزل البحر فغرق بفرسه، وغرق معه جماعة، وأنه أخرج من النيل فوجد قد أكل السمك لحم وجهه، فتوجه البريد لرجوع الأمراء.

وفيه استقر سنقر السيفى فى ولاية أشموم الرمان، وعلى بن قرط فى ولاية أسوان.

وفى ثامن عشره: برز المحمل، وأمير الحاج بيسق، إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفى ثانى عشرينه: استقر على بن حمزة - أحد مقدمى الحلقة - فى ولاية منوف، وصرف محمد بن الطويل، وضرب بالمقارع عند الأمير يشبك الشعبانى الدوادار.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: - والناس فى انتظار الصلاة بالجوامع - ارتجت القاهرة وظواهرها، وقيل قد ركب الأمراء والمماليك فغلقت أبواب الجوامع، واختصر

---

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥١.

الخطباء الخطبة، ونزلوا عن المنابر، وأوجزوا فى الصلاة، وفى بعض الجوامع لم يخطب، وفى بعضها لم تصل الجمعة.

وخرج الناس مذعورين خوفًا من النهب، وفيهم من سقط منه منديله أو دراهمه ولم يع لذلك وأغلقت الأسواق، واختطف الناس الخبز، فلم يظهر للإشاعة صحة، وإنما كان سبب ذلك أن مملوكين تخاصما تحت القلعة، وكان حمار قد ربط فى تخت من خشب، فنفر من ذلك وسحب التخت، فجفلت الخيول التى تنتظر أربابها بالقرب من جامع شيخو بالصليبة حتى تنقضى الصلاة. فلما رأى الناس الخيول ظنوا لما فى نفوسهم من الاختلاف بين سودون طاز أمير أخور ويشبك الدوادار وأنهم على عزم الركوب للحرب، أن الواقعة قامت بينهما، فطار هذا الخبر إلى بولاق وظواهر القاهرة إلى مصر. وفى بقية النهار قبض والى القاهرة على جماعة من أراذل العامة، وضربهم وشهرهم، ونودى عليهم «هذا جزاء من يكثر فضوله ويتكلم فيما لا يعنيه». ثم نودى من الغد بالأمان وأن من تحدث فيما لا يعنيه ضرب بالمقارع وسمر، فسكن الناس.

وفيه حضر أمير على اليلبغاوى أبو دقن نائب البحيرة وقطلو بغا دوادار المجنون، وعمر دوادار ألطنبغا والى العرب، فسجنوا بخزانة شمايل.

وفى يوم الأحد سادس عشرينه : وسادس عشرين شهر بشنس:- أحد شهور القبط - بشر بزيادة ماء النيل على العادة، وأن القاع - وهو الماء القديم - ثلاثة أذرع ونصف. وكان القاع فى السنة الماضية أربعة أذرع ونصف.

وفى ليلة الثامن والعشرين منه: ظهرت نار بالمسجد الحرام من رباط، ومشت بالجانب الغربى من المسجد، فعمت النار، واحترقت جميع سقف هذا الجانب، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى، وعم الحريق فيه إلى محاذاة باب دار العجلة لخلوه بالهدم وقت السيل.وصار موضع الحريق أكوامًا عظيمة، وتكسر جميع ما كان فى موضع الحريق من الأساطين، وصارت قطعًا.

وفى ثامن عشرينه: منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار.

وذلك أن كل من الأستادار والوزير وناظر الجيش والخاص وكاتب السر كانوا منذ قدم السلطان من دمشق ينزلون من القلعة أيام المواكب الأربعة - وهى يومى الإثنين والخميس، ويومى الثلاثاء والسبت - إلى دار الأمير يشبك، ويقفون فى خدمته، ويعرضون عليه الأمور، فيأمرهم بما يريد، وينهاهم عما لا يحب، فيصرفون سائر أحوال الدولة عن أوامره ونواهيه. فحنق من ذلك سودون طاز أمير أخور، وتفاوض معه

بمجلس السلطان فى كفه عن ذلك، حتى أذعن، فمنعوا، ثم نزلوا إليه على عادتهم وصاروا جميعًا يجلسون عنده من غير أن يقفوا.

وفيه استقر على بن مسافر نائب الوجه البحرى، وعزل أحمد بن أسد.

واستقر ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح الحلبى فى نظر الأحباس، وعزل بدر الدين حسن بن المرضعة، وأضيف إليه نظر الجوالى وتوقيع الدست. وكان قد حضر مع العسكر من دمشق.

وفى تاسع عشرينه: استقر الوزير تاج الدين عبد الرزاق فى ولاية قطيا ونظرها، كما كان قبل الوزارة.

شهر ذى القعدة، أوله الخميس:

فيه استقر غرس الدين خليل بن الطوخى والى الجيزة[1]، وعزل الأمير حسن بن قراجا العلاى.

وفى ثانيه: ورد البريد من حلب ودمشق بأن ألقان أحمد بن أويس صاحب بغداد، لما توجه إلى بغداد واستولى عليها، كان لقرا يوسف فى مساعدته أثر كبير، فعندما تمكن قبض على كثير من أمراء دولته وقتلهم، وأكثر من مصادرات أهل بغداد وأخذ أموالهم، فثار عليه من بقى من الأمراء، وأخرجوه منها، وكاتبوا صاحب شيراز أن يحضر إليهم، فلحق ابن أويس بقرا يوسف بن قرا محمد التركمانى صاحب الموصل[2]، واستنجد به، فسار معه إليها، فخرج أهل بغداد وكسروهما بعد حروب، فانهزما إلى شاطئ الفرات، وبعثا يسألان نايب حلب أن يستأذن السلطان فى نزولهما بالشام. وأن الأمير دمرداش استدعى الأمير دقماق نايب حماة إلى حلب، وخرجا فى عسكر جريدة يبلغ عددهم الألف، وكبسا ابن أويس وقرا يوسف، وهما فى نحو سبعة آلاف فارس، فاقتتلا قتالا شديدًا فى يوم الجمعة رابع عشرين شوال، قتل فيه الأمير جانى بك اليحياوى أتابك حلب، وأسر دقماق نائب حماة، وانهزم دمرداش نائب حلب، وصار إلى حلب ولحقه بعد أن افتكّ نفسه بمائة ألف درهم وعد بها، وأن سودون بن زاده - القادم من مصر إلى حلب بالبشارة بقدوم السلطان إلى مصر سالمًا - بعث المائة ألف إليهما، فبعثا إليه:

---

(١) بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهى من أفضل كور مصر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) مدينة مشهورة عظيمة، وهى محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٢٢٤.

«إنا لم نأت محاربين وإنما جئنا مستجيرين، ومستنجدين بسلطان مصر، فحاربنا هؤلاء فدفعنا عن أنفسنا». فكتب إلى نائب الشام بمسير عساكر الشام جميعًا، وأخذ ابن أويس وقرا يوسف وإرسالهما إلى مصر.

وفي ثامنه: استقر أمير سعيد بن أمير فرج بن أيدمر فى ولاية الغربية، وصرف محمد ابن غرلو.

وفيه توقفت زيادة ماء النيل ثلاثة أيام أولها الخميس، فركب عدة من الأمراء، وكبسوا أماكن اجتماع الناس للفرجة ونهوا عن عمل الفواحش، فزاد يوم الأحد، واستمرت الزيادة.

وورد الخبر بأن محمد بن عمر الهوارى قابل الأمراء المجردين بالصعيد، وأنهم خلعوا عليه، وفر عثمان بن الأحدب فتتبع حتى أخذ.

وفيه استقر عمر بن ممدود الكورانى فى ولاية مصر، عوضًا عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين. وبقيت ولاية القاهرة بيد ابن الزين. واستقر أبو بكر بن بدر فى ولاية قليوب، وعزل بلبان.

وفيه توجه عبد الرحمن المهتار إلى الكرك[1]، فقدمها فى سادس عشرينه، وطلب من منجد بن خاطر أمير بنى عقبة أربعمائة بعير وعد بها فى الإمرة ووجد بتخاص لم يتسلم الكرك لامتناع شعبان بن أبى العباس بها.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فيه ورد الخبر من مكة بحريق الحرم الذى تقدم ذكره، وأنه تلف به ثلث الحرم. ولولا ما سقط قبل ذلك من السيل لأتت النار على ساير الحرم، وأنه تلف فيه من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودًا، فهال الناس ذلك وتحدث أهل المعرفة بأن هذا منذر بحادث جليل يقع فى الناس، فكان كذلك. ووقعت المحن العظيمة بقدوم تمرلنك، كما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفي خامسه: رسم باستقرار علاء الدين على بن أبى البقاء فى قضاء دمشق، وعزل الإخناى. ثم انتقض ذلك، واستقر عوضه أخوه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء ثم أعرض عنها واستقر علاء الدين فى خامس عشره.

---

(١) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣.

وفى ثامنه وهو سابع مسرى: أوفى ماء النيل ستة عشره ذراعًا، فركب الأمير يشبك وخلق المقياس، وفتح الخليج على العادة، بعدما عزم السلطان على الركوب لذلك؛ ثم تركه خوفًا من الفتنة.

وفى يوم عرفة: أفرج عن الأمير تغرى بردى، والأمير أقبغا الأطروش نائب حلب من سجنهما بقلعة دمشق، وحملا إلى القدس ليقيما به بطالين.

وظهر الأمير صُرُق من اختفائه بدمشق، فأكرمه نائب الشام، وكاتب فيه، فأنعم عليه بتقدمة ألف بحلب، وسار إليها.

وفى ثالث عشره: قدم حاجب الأمير نعير بن حيار أمير آل فضل، وقاصد نائب حلب، ونائب بهسنا، بأن نائب بهسنا جمع من التركمان كثيرًا، وواقع أحمد بن أويس صاحب بغداد، وكسره، ونهب ما معه، وبعث بسيفه. ويقال إنه سيف على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وفى سابع عشره: نزل تيمورلنك على مدينة سيواس، ففر منها الأمير سليمان بن خوندكار أبى يزيد بن عثمان إلى أبيه، فاستمر تيمور يحاصرها.

وفى ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: اتفق مماليك الأمير نوروز على قتله. فلما بلغه ذلك احترز منهم بداره، وأصبح قبض على جماعة منهم، وغرق منهم فى النيل أربعة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: أعيد موفق الدين أحمد بن نصر الله إلى قضاء القضاة الحنابلة، وصرف نور الدين على الحكرى. واستقر شهاب الدين أحمد اليغمورى الدمشقى فى نيابة الأستادار بالبلاد الشامية.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج.

وفى هذه السنة: ملك الأمير تيمورلنك مدينة دله[1] من الهند، وقد مات ملكها فيروز شاه بن نصره شاه.

وكان من عظماء ملوك الإسلام، فملك بعده مملوكه ملو وعليه قدم تيمور، ففر منه، وأوقع تيمور بالمدينة وما حولها وخربها، وسار عنها، فعاد إليها ملو وقد خربت، فمضى منها إلى السلطان.

* * *

(١) المقصود مدينة دلهى.

ومات فى هذه السنة

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن موسى بن أيوب الأبناسى الشافعى، بطريق مكة فى ثامن المحرم.

ومات الأمير علاء الدين على الحلبى والى الغربية، وكاشف الوجه البحرى فى حادى عشرين ربيع الأول.

ومات قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح الحنبلى، وهو قاض، فى ثامن ربيع الأول، عن نحو أربع وثلاثين سنة، وكان عفيفًا جميل السيرة.

ومات المعلم شهاب الدين أحمد بن محمد الطولونى المهندس، بطريق مكة، فى صفر.

ومات قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن على الحنفى[1]، وهو معزول، فى عاشر جمادى الأولى.

ومات شيخ الشيوخ شيخ الإسلام جلال الدين أبو العباس أحمد، ابن شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق بن عاصم الأصفهانى، بخانقاة سرياقوس، فى خامس عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير الطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، فى سابع عشر رجب.

ومات الفقير المعتقد المجذوب سليمان السواق القرافى فى تاسع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير قجماس المحمدى، شاد السلاح خاناه، فى ثامن ربيع الأول، قتيلا.

ومات الأمير قشتمر بن قجماس أخو الأمير أينال باى، فى ثامن ربيع الأول، قتيلا.

ومات الأمير قطلوبك الحسامى المنجكى، بالينبع من الحجاز.

ومات قرابغا الأسنبغاوى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين عبد الله ابن الأمير بكتمر الحاجب، فى خامس عشرين ربيع الآخر.

---

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكنانى البلبيسى، مجد الدين: قاض حنفى من الفضلاء من أهل (بلبيس) بمصر. صنف كتابا فى «الفرائض» واختصر «الأنساب» للرشاطى، وسماه «قدس الأنوار». نظم كثير وولى قضاء الحنفية بالقاهرة. وكف بصره فى كبره ، وساءت حاله. انظر: الضوء اللامع ٢٨٦/٢ وخطط مبارك ٧٥/٩ والمخطوطات المصورة ٢٣٤/٢ والأزهرية ٢٣٢/٣ ودار الكتب ٥٥٣/١ ورفع الإصر ١١٦/١، ١٢٠ والأعلام ٣٠٨/١.

ومات الأمير ينتمر المحمدى الحاجب.

وماتت خوند[١] التنكزية، بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، امرأة الأمير تنكز بغا، فى ثامن صفر.

وماتت شيرين أم الملك الناصر فرج، فى ليلة السبت أول ذى الحجة. ودفنت بالمدرسة الظاهرية بين القصرين.

ومات الأمير جمال الدين يوسف الهذبانى، فى ثامن ذى الحجة بدمشق، ومولده سنة أربع وسبعمائة تخمينا وتأمر فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وباشر ولاية الولاة بدمشق، وأعطى تقدمة ألف بها، وولى نيابة قلعة دمشق غير مرة. وكان شيخ الطور[٢]، وحصل فيها مالا كثيرًا، ونكب غير مرة، وقدم القاهرة مرارًا. وكانت فيه دعابة مفرطة.

ومات بالقدس شهاب الدين أحمد بن الحافظ أبى سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلاى[٣]، فى شهر ربيع الأول، ومولده سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بدمشق، سمع الكثير، وقدم القاهرة، وأقام بالقدس، ورحل الناس إليه.

* * *

---

(١) هو لقب يطلق على الملكات أو الأميرات.

(٢) جبل بعينه مطل على طبرية الأردن بينهمنا أربعة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٤٧/٤.

(٣) هو ابن خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائى الدمشقى أبوسعيد ، صلاح الدين، محدث، فاضل بحاث من كتبه «المجموع المذهب فى قواعد المذهب» فى فقه الشافعية وكتاب «الأربعين أعمال المتيقن». انظر فهرس الفهارس ١١٧/١ والنعيمى ٥٩/١ والدرر الكامنة ٢/ ٩٠ والأنس الجليل ٤٥١/٢ والأعلام ٣٢١/٢،٣٢٢.

سنة ثلاث وثمانمائة

أهل المحرم، بيوم الأحد، تاسع عشرين مسرى: والأردب القمح من خمسين إلى ما دونها، والشعير والفول بثلاثين فما دونها. والدينار الأفرنتي بتسعة وعشرين درهمًا.

وفي ثالثه: خلع على الأمير تغرى برمش السيفي متولى الشرقية، لولاية القاهرة، عوضًا عن شهاب الدين أحمد بن الزين.

وفي سادسه: قدم البريد من دمشق بأن تمرلنك نزل على سيواس، وانهزم سليمان ابن أبي يزيد بن عثمان، وقرا يوسف بن قرا محمد إلى جهة برصا، بلد الروم، وأنه أخذ سيواس، وقتل من أهلها جماعة كبيرة.

وفي تاسعه: وردت رسل ابن عثمان، فكتبت أجوبة كتبهم، وسفروا.

وفي يوم الخميس ثاني عشره: استقر القاضي نور الدين على بن الجلال يوسف بن مكي الدميرى المالكي في قضاء القضاة المالكية، عوضًا عن قاضي القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون[1] على مال وعد به.

وفي رابع عشره: استدعى إلى حضرة السلطان بالقصر من القلعة قاني باى العلاى، رأس نوبة أحد الطبلخاناه، وأمر بلبس تشريف نيابة غزة، فامتنع من ذلك، فقبض عليه وسلم إلى الأمير أقباى حاجب الحجاب، فأقام عنده إلى آخر النهار، فاجتمع طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه فخاف، وصعد إلى قلعة الجبل وشاور في أمره، فأخرج عنه، وبقيت عليه إمرته.

وفي سادس عشره: استقر الأمير جركس السودوني، - ويقال له أبو تنم - في نيابة الكرك، عوضًا عن الأمير بتخاص من غير أن يتسلمها، فسار جركس إليها، ودخلها من غير أن ينازعه شعبان بن أبي العباس، وأقام بها، وقد عمها الخراب، وتلف أكثر القرى،

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمي الإشبيلي الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي الباحثة أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فارس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالاً وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر. وولى فيها قضاء المالكية وعزل وأعيد. وتوفي في القاهرة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر».انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ وآداب زيدان ٢١٠/٣ والأعلام ٣٢٠/٣.

لشدة ما كان من بتخاص وابن أبى العباس من الفتن والحروب.

وفى عشرينه: استقر محمد بن العادلى والى منوف، وعزل علاء الدين بن حمزة.

وفى رابع عشرينه استقر: بلبان والى أسوان، وعزل على بن قرط.

وفى خامس عشرينه: ورد البريد من حلب بأخذ تمرلنك سيواس وملطية.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بوصول أوائل عسكر تمرلنك إلى عين تاب[1]، فأدركوا المسلمين.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعًا واثنى عشر إصبعا، وثبت إلى سابع عشرين توت.

وفى ثامن عشرينه: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الوزير الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت فى شد الدواوين، عوضًا عن الشريف علاء الدين على البغدادى.

وفيه استدعى الخليفة، وقضاة القضاء، والأمراء، وأعيان الدولة، وأعلموا أن تمرلنك وصل إلى سيواس وأخذها، ووصلت مقدمته إلى مرعش[2] وعين تاب والقصد أخذ مال من التجار إعانة على النفقة فى العساكر. فقال القضاة، «أنتم أصحاب اليد، وليس لكم معارض، وإن كان القصد الفتوى فلا يجوز أخذ مال أحد، ويخاف من الدعاء على العساكر إن أخذ مال التجار»، فقيل لهم «نأخذ نصف الأوقاف نقطعها للأجناد البطالين»، فقيل «وما قدر ذلك؟ ومتى اعتمد فى الحرب على البطالين من الأجناد؟ خيف أن يأخذوا المال؟ ويميلون عند اللقاء مع من غلب» وطال الكلام حتى استقر الرأى على إرسال الأمير أسنبغا الحاجب لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلى جهة تمرلنك.

وفى سلخه: استقر الأمير مبارك شاه حاجبًا ثانيًا، عوضًا عن دقماق نائب حماة، وأضيف إلى تغرى برمش والى القاهرة الحجوبية على عادة ابن الزين. واستقر ناصر الدين محمد بن الأعسر كاشف الفيوم وواليها كاشف البهنساوية والأطفيحية وعزل أسنبغا.

---

(١) قلعة حصينة ورستان بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهى الآن من أعمال حلب. انظر ياقوت، معجم البلدان ١٧٦/٤.

(٢) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر ياقوت، معجم البلدان ٤٠٧/٥.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: استقر حسام الدين بن قراجا العلاى والى الجيزة، وصرف خليل بن الطوخى.

وفيه سار الأمير أسنبغا لكشف أخبار تمرلنك. وأنعم على أقبغا الجمالى نائب - كان - بنيابة غزة، ثم بطل ذلك.

وفى رابع عشره: قدم البريد من حلب بكتاب النائب وكتاب أسنبغا، أن تمرلنك نزل على قلعة بهسنا، بعدما ملك المدينة، وأنه يحاصرها، وقد وصلت عساكره إلى عينتاب، فوقع الشروع فى حركة السفر.

وفى حادى عشرينه: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن مقلد القدسى الحنفى بقضاء الحنفية بدمشق، عوضًا عن تقى الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة، المعروف بابن الكفرى.

وفى رابع عشرينه: خرج الأمير يلبغا السالمى إلى شبرا الخيام - من ضواحى القاهرة - وكسر بها من جرار الخمر أربعة وأربعين ألف جرة، وأراق ما فيها، وخرب بها كنيسة للنصارى. وعاد فى آخره ومعه عدة أحمال من جرار الخمر، فكسرها عند باب زويلة وتحت القلعة.

ومن حينئذ تلاشى حال أهل شبرا ومنية الشيرج(١)، فإن معظم أموالهم كان من عصير الخمر وبيعه.

وفى سادس عشرينه: استقر طيبغا الزينى كاشف الوجه البحرى، وعزل ابن طرنطاى.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة.

وفى ثالثه: علق جاليش السفر، وأخذ العسكر فى أهبة السفر. وذلك أنه قدم البريد من أسنبغا أن تمرلنك نزل على بزاعة ظاهر حلب، فبرز نائب طرابلس بسبعمائة فارس إلى جاليش تمرلنك، وهم نحو ثلاثه آلاف. وترامى الجمعان بالنشاب، ثم اقتتلوا، وأخذ من التتار أربعة، وعاد كل من الفريقين إلى موضعه فوسط الأربعة على أبواب مدينة

---

(١) بلدة كبيرة طويلة ذات سوق، بينهما وبين القاهرة فرسخ أو أكثر قليلا على طريق القاصد إلى الإسكندرية. انظر ياقوت، معجم البلدان ٥/٢١٨.

حلب. وأما دمشق فإن أهل محلاتها اجتمعوا فى ثانية، ومعهم أهل النواحى، بالميدان وحملوا الصناديق الخليفتية، وشهروا السيوف، ولعبوا بين يدى النائب، ثم انفضوا. وخرج فى ثالثه القضاة فى جمع كبير، ونادوا بقتال تمرلنك، وتحريض الناس عليه، وعرض النائب العشران يالميدان، وفرض على البساتين والدور مالا، وقدم الأمير أسنبغا من القاهرة فى سابعه بتجهيز العساكر وغيرهم لحرب تمرلنك. فقرئ كتاب السلطان بذلك فى الجامع، ونودى فى تاسعه بألا يؤخذ من أحد شىء مما فرض على الدور وغيرها.

وفيه قدم رسول تمر بكتابه للمشايخ والأمراء والقضاة بأنه قدم فى عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة[1] ثم عاد إلى الهند لما بلغه ما ارتكبوه من الفساد، فأظفره الله بهم. فبلغه موت الظاهر، فعاد وأوقع بالكرج. ثم قصد، لما بلغه قلة أدب هذا الصبى - أبى يزيد بن عثمان - أن يعرك أذنه، ففعل بسيواس وغيرها من بلاده ما بلغكم. ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، ويذكر اسمه فى الخطبة، ثم يرجع بعد أن يقرر سلطان مصر بها. وطلب أن يرسل إليه أطلمش ليدركه، إما بملطية أو حلب أو دمشق، وإلا فتصير دماء أهل الشام وغيرهم فى ذمتكم، فخرج نائب صفد فى رابع عشره، وخرجت الأطلاب فى نصفه.

وقدم الخبر من حلب بنزول تمر على بهسنا فأخذ الناس فى الرحيل من دمشق، فمنعهم النائب من ذلك، ورحل النائب من برزه فى ثانى عشرينه يريد حلب، فلقيه نائب طرابلس فى طريقه.

وكان من خبر أخذ تمرلنك مدينة حلب، أنه لما نزل على عين تاب، بعث إلى دمرداش نائب حلب يعده باستمراره فى نيابة حلب، ويأمره بمسك الأمير سودن نائب الشام. فلما قدم عليه الرسول بذلك أحضره إلى نواب ممالك الشام، وقد حضروا إلى حلب[2] وهم: سودن نائب دمشق، وشيخ المحمودى نائب طرابلس[3] ودقماق نائب

---

(١) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر ياقوت، معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) مدينة بالشام بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاد وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض ونهر قويق يجرى على بابها. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٦ وصبح الأعشى ٤/١١٦.

(٣) من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، قيل وتفسيرها ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. انظر الاستبصار ١١٠، وقارن بالبكرى ٦-٩ أطرابلس، والإدريسى ١٢١/٨٩ والروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٩٠ وطرابلس أيضا مدينة بالشام عظيمة عليها سور ضخم منيع

حماة، وألطنبغا العثمانى نائب صفد (١)، وعمر بن الطحان نائب غزة بعساكرها، فاجتمع منهم بحلب نحو ثلاثة آلاف فارس منهم عسكر دمشق ثمانمائة فارس؛ إلا أن الأهواء مختلفة، والآراء مفلولة، والعزائم محلولة والأمر مدبر. فبلغ رسول تمرلنك الرسالة إلى دمرداش، فأنكر مسك سودن نائب دمشق. فقال له الرسول «إن الأمير - يعنى تمرلنك - لم يأت إلا بمكاتبتك إليه، وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها». فحنق منه دمرداش، وقام إليه وضربه، ثم أمر به فضربت رقبته. ويقال أن كلام هذا الرسول كان من تنميق تمرلنك ومكره، ليغرق بذلك بين العساكر. ونزل تمر على جبلان خارج حلب، يوم الخميس تاسع ربيع الأول. وزحف يوم الجمعة، وأحاط بسور حلب، وكانت بين الحلبيين وبينه فى هذين اليومين حروب.

فلما أشرقت الشمس يوم السبت حادى عشره، خرجت نواب الشام بالعساكر وعامة أهل حلب إلى ظاهر المدينة وعبوا للقتال. ووقف سودن نائب دمشق فى الميمنة، ودمرداش فى الميسرة، وبقية النواب فى القلب، وقدموا أمامهم عامة أهل حلب. فزحف تمرلنك بجيوش قد سدت الفضاء، فثبت الأمير شيخ نائب طرابلس، وقاتل - هو وسودن نائب دمشق - قتالا عظيما، وبرز الأمير عز الدين أزدمر أخو أينال اليوسفى، وولده يشبك ابن أزدمر فى عدة من الفرسان، وأبلوا بلاء عظيما. وظهر عن أزدمر وولده. من الإقدام ما تعجب منه كل أحد، وقاتلا قتالا عظيما، فقتل أزدمر وفقد خبره، وثخنت جراحات يشبك، وصار فى رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف، سوى ما فى بدنه، فسقط بين القتلى، ثم أخذ وحمل إلى تمرلنك.

ولم يمض غير ساعة حتى ولت العساكر تريد المدينة، وركب أصحاب تمر أقفيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من الناس عدد لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا حتى النساء والصبيان، وازدحم الناس مع ذلك فى دخولهم من أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضًا، حتى صارت الرمم طول قامة، والناس تمشى من فوقها.

وتعلق نواب المماليك بقلعة حلب، ودخل معهم كثير من الناس، وكانوا قبل ذلك قد نقلوا إلى القلعة سائر أموال الناس بحلب. واقتحمت عساكر تمرلنك المدينة وأشعلوا بها النيران، وجالوا بها ينهبون ويأسرون ويقتلون. واجتمع بالجامع وبقية المساجد نساء

انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

(١) مدينة: فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

البلد، فمال أصحاب تمر عليهن، وربطوهن بالحبال، ووضعوا السيف فى الأطفال فقتلوهم بأجمعهم، وأتت النار على عامة المدينة فأحرقتها. وصارت الأبكار تفتض من غير تستر ولا احتشام، بل يأخذ الواحد الواحدة ويعلوها فى المسجد والجامع، بحضرة الجم الغفير من أصحابه، ومن أهل حلب، فيراها أبوها وأخوها ولا يقدر أن يدفع عنها، لشغله بنفسه.

وفحش القتل، وامتلأ الجامع والطرقات برمم القتلى، واستمر هذا الخطب من صحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء، والقلعة قد نقب عليها من عدة أماكن، وردم خندقها، و لم يبق إلا أن تؤخذ. فطلب النواب الأمان، ونزل دمرداش إلى تمرلنك، فخلع عليه ودفع إليه أمانا، وخلعًا للنواب، وبعث معه عدة وافرة إلى النواب؛ فأخرجوهم بمن معهم، وجعلوا كل اثنين فى قيد وأُحضروا إليه، فقرعهم ووبخهم، ودفع كل واحد منهم إلى من يحتفظ به. وسيقت إليه نساء حلب سبايا. وأحضرت إليه الأموال، ففرقها على أمرائه. واستمر بحلب شهرًا. والنهب فى القرى لا يبطل، مع قطع الأشجار، وهدم البيوت وجافت حلب وظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشًا، لا يجد أحد مكانًا يمشى عليه إلا وتحت رجليه رمة قتيل. وعمل من الروس منابر عدة، مرتفعة فى السماء نحو عشرة أذرع، فى دور عشرين ذراعًا، حرز ما فيها من رءوس بنى آدم، فكان زيادة على عشرين ألف رأس. وجعلت الوجوه بارزة يراها من يمر بها.

ثم رحل تمر عنها، وهى خاوية على عروشها، خالية من ساكنها وأنيسها، قد تعطلت من الأذان، وإقامة الصلوات. وأصبحت مظلمة بالحريق، موحشة، قفراء مغبرة، لا يأويها إلا الرخم.

وأما دمشق، فأنه لما قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودى فى الناس بالتحول إلى المدينة والاستعداد للعدو، فاختبط الناس، وعظم ضجيجهم وبكاؤهم، وأخذوا ينتقلون فى يوم الأربعاء نصفه من حوالى المدينة إلى داخلها. واجتمع الأعيان للنظر فى حفظ المدينة.

فقدم فى سابع عشره المنهزمون من حماه، فعظم الخوف، وهم الناس بالجلاء، فمنعوا منه، ونودى «من سافر نهب».

فورد فى ثامن عشره الخبر بنزول طائفة من العدو على حماه، فحصنت مدينة دمشق، ووقف الناس على الأسوار، وقد استعدوا، ونصبت المناجنيق على القلعة، وشحنت بالزاد.

فقدم الخبر فى ثانى عشرينه بأخذ قلعة حلب، وبوصول رسل تمر بتسليم دمشق، فهم نائب الغيبة بالفرار، فرده العامة ردًا قبيحًا، وماج الناس وأجمعوا على الجلاء. واستغاث الصبيان والنساء فكان وقتاً شنعًا، ونودى من الغد «لا يشهر أحد سلاحًا، وتسلم البلاد لتمر» فنادى نائب القلعة بالاستعداد للحرب، فاختلف الناس.

فقدم الخبر بمجىء السلطان، ففتر عزم الناس عن السفر، ثم تبين أن السلطان لم يخرج من القاهرة.

وفى ثامن عشره: فرقت الجمال بقلعة الجبل على المماليك السلطانية.

وفى عشرينه: نودى بالقاهرة وظواهرها على أجناد الحلقة أن يكونوا يوم الأربعاء ثانى عشرينه فى بيت الأمير يشبك الدوادار للعرض عليه، فانزعج الناس، ووقع عرض الأجناد من يوم الأربعاء.

وفى خامس عشرينه: ورد الخبر بهزيمة نواب الشام، وأخذ تمرلنك حلب ومحاصرته القلعة، فقُبض على المخبر، وحُبس. ووقع الشروع فى النفقة للسفر، فأخذ كل مملوك ثلاثة آلاف وأربعمائة درهم. وخرج الأمير سودن من زاده، والأمير أينال حطب على الهجن فى ليلة الأربعاء تاسع عشرينه، لكشف هذا الخبر.

وفى هذا الشهر: أيضًا أُخذت مدينة حماه [1] وكان من خبرها أن مَرْزَه شاه ابن تمرلنك، نزل عليها بُكرة يوم الثلاثاء رابع عشره، وأحاط بسورها، ونهب المدينة، وسبى النساء والأطفال، وأسر الرجال، ووقع أصحابه على النساء يطؤوهن ويفتضّوا الأبكار جهارًا، من غير استتار، وخربوا جميع ما خرج عن السور. وقد ركب أهل البلد السور، وامتنعوا بالمدينة، وباتوا على ذلك. فلما أصبحوا يوم الأربعاء فتحوا بابًا واحدًا من أبواب المدينة، ودخل ابن تمر فى قليل من أصحابه ونادى بالأمان. فقدّم الناس إليه أنواع المطاعم فقبلها، وعزم أن يقيم رجلا من أصحابه على حماه، فقيل له أن الأعيان قد خرجوا منها، فخرج إلى مخيمه، وبات به. ودخل يوم الخميس ووعد الناس بخير، وخرج. ومع ذلك، فإن القلعة ممتنعة عليه.

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهل القلعة إلى المدينة وقتلوا من أصحاب مرزه شاه رجلين كانا أقرهما بالمدينة، فغضب من ذلك وأشعل النار فى أرجاء البلد، واقتحمها أصحابه يقتلون ويأسرون وينهبون، حتى صارت كمدينة حلب، سوداء، مغبرة، خالية من الأنيس.

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

وفيه تكاثر جمع الناس بدمشق، بمن فرّ إليها من مملكة حلب وحماه وغيرها، واضطربت أحوال الناس بها، وعزموا على مفارقتها، وخرجوا منها شيئًا بعد شىء، يريدون القاهرة.

وفيه ركب شيخ الإسلام سراج الدين [١] عمر البلقينى وقضاة القضاة، والأمير أقباى حاجب الحجاب، والأمير مبارك شاه الحاجب. ونودى بين أيديهم بالقاهرة من ورقة تتضمن أمر الناس بالجهاد «فى سبيل الله لعدوكم الأكبر تمرلنك، فإنه أخذ البلاد، ووصل إلى حلب، وقتل الأطفال على صدور الأمهات، وأخرب الدور والمساجد والجوامع، وجعلها اسطبلات للدواب، وهو قاصدكم، يخرب بلادكم، ويقتل رجالكم وأطفالكم، ويسبى حريمكم».

فاشتد جزع الناس وكثر صراخهم، وعظم عويلهم، وكان يومًا شديدًا.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم الأمير أسنبغا السيفى الحاجب، وأخبر بأخذ تمرلنك مدينة حلب وقلعتها، باتفاق دمرداش معه، وأنه بعد أن قبض عليه أفرج عنه. وحكى ما نزل من البلاء بأهل حلب، وأنه قال لنائب الغيبة بدمشق أن يخلى بين الناس وبين الخروج منها، فإن الأمر صعب وأن النائب لم يمكن أحدًا من المسير. فخرج السلطان فى يومه، ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة، وتبعه الأمراء والخليفة والقضاة إلا قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى، فإنه أقام لمرضه. وألزم الأمير يشبك قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بالسفر إلى دمشق، فخرج مع العسكر وتعين الأمير تمراز أمير مجلس لنيابة الغيبة.

وأقام من الأمراء الأمير جكم من عوض فى عدة من الأمراء. وأمر تمراز بعرض أجناد الحلقة، وتحصيل ألف فرس وألف جمل، وإرسال ذلك مع من يقع عليه الاختيار من أجناد الحلقة.

وفيه استقر الأمير أرسطاى من خجا على فى نيابة الإسكندرية [٢]، عوضًا عن أمير

---

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى أبو حفص، سراج الدين. مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين: ولد فى بلقينه من غربية مصر، وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنه ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه التدريب فى فقه الشافعية، لم يتمه، وتصحيح المنهاج) ست مجلدات، فقه. والملمات برد المهمات. انظر بغية الوعاة ٣٦١و هدية العارفين ٧٨٢/٢ والأعلام ٤٦/٥.

(٢) مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبس فنسب إليه وهى على ساحل البحر الأبيض. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ص٥٤، الاستبصار ٩١ وما بعدها ومعجم البلدان ١٨٢:١٨٩/١.

فرج، بعد موته. وكان أرسطاى منذ أفرج عنه مع الأمير نوروز قد أقام بثغر الإسكندرية بطالا. فوردت إليه الولاية بالتقليد والتشريف.

وفى خامسه: نودى على أجناد الحلقة بالحضور للعرض فى بيت الأمير تمراز، وهُدد من تأخر عن الحضور. وخرج البريد إلى أعمال ديار مصر بالوجهين القبلى والبحرى بجمع أقوياء أجناد الحلقة من الريف، وبتجهيز العربان للخروج إلى حلب تمرلنك.

وفى بكرة يوم الجمعة ثامنه: سار الجاليش، وفيه من الأمراء والأكابر نوروز رأس نوبة، وبكتمر الركنى أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وأقباى حاجب الحجاب، وأينال باى بن قجماس، وبيبرس الأتابك ابن أخت السلطان الظاهر.

وفى عاشره: رحل السلطان ببقية العساكر.

وفى ثانى عشره: قدم الخبر إلى دمشق بوصول جماعة تمرلنك قريبًا من حمص، فانزعج الناس، وأخذوا فى الأستعداد وحمل الناس أموالهم إلى القلعة، وجفل جماعة من الناس بقدوم الأمير دمرداش نائب حلب [1] إلى دمشق، فى يوم السبت رابع عشرينه، فارًا من تمرلنك. وخرج لملاقاة السلطان فقدم من الغد الناس - وقد جفلوا - من بعلبك وأعمالها، بنسائهم ومواشيهم، لنزول تمر عليهم، فخرج كثير من أهل دمشق فى ليلة الأربعاء ثامن عشرينه.

وفى رابع عشره: استقر البدر محمود العينتابى فى حسبة القاهرة بسفارة الأمير جكم، وعزل البخانسى.

وفى خامس عشره: استقر الأمير أسنبغا الحاجب فى كشف الجسور بالأشمونين. وخليل الشرفى جسور المنوفية، وقجماس والى العرب فى كشف جسور الغربية.

وفى عشرينه: دخل السلطان مدينة غزة [2] واستقر بالأمير تغرى بردى من أسنُبُغا فى نيابة دمشق، وبأقبغا الجمالى فى نيابة طرابلس، وبتمربغا المنجكى فى نيابة صفد، وبطولو من على شاه فى نيابة غزة، وبصدقة بن الطويل فى نيابة القدس، وبعثهم إلى ممالكهم. وسار الجاليش من غزة فى رابع عشرينه.

---

(١)سبق تخريجه.

(٢)موضع بديار جذام من مشارق الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر يرثيه:

ميت بردمان وميت بسدمان ... وميت عند غزات

انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٢٨ ومعجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣.

وسار السلطان فى سادس عشرينه، وقد انضم إليه كثيرة ممن فر من البلاد الشامية.

وفى آخره: استقر الأمير تمراز نائب الغيبة بمنكلى بغا - مملوك مبارك شاه - فى ولاية البهنسا، عوضًا عن يلبغا الزينى. فلما حضر إلى الأمير يلبغا السالمى نزع عنه الخلعة، وضربه بالمقارع ومقترح [1]، ووكل به. فلما أصبح خلع عليه، وأذن له فى السفر إلى ولايته، وذلك بعد ما دخل عليه فى أمره، فراعى الأمير تمراز، وتلافى ما وقع منه، فلم يرض هذا تمراز، وحقد عليه حقدًا زائدًا.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم البريد من السلطان، بأنه قد ورد خمسة من أمراء طرابلس بكتاب أسندمر نائب الغيبة، يتضمن أن أحمد بن رمضان التركمانى، وابن صاحب الباز، وأولاد شَهْرِى، ساروا وأخذوا حلب، وقتلوا من بها من أصحاب تمرلنك، وهم زيادة على ثلاثة آلاف فارس. وأن تمرلنك بالقرب من سليمة، وأنه بعث عسكرًا إلى طرابلس،؛ فثار بهم أهل القرى وقتلوهم عن آخرهم بالحجارة، لدخولهم بين جبلين، وأنه قد حضر إلى الطاعة خمسة من أمراء المغل، وأخبروا بأن نصف عسكر تمرلنك على نية المصير إلى الطاعة السلطانية. وأن صاحب قبرس [2]، ووزيره إبراهيم كُرِّى، وصاحب الماغوصة[3]، وردت كتبهم بانتظار الإذن فى تجهيز المراكب فى البحر لقتال تمرلنك.

وفيه استقر تمراز بناصر الدين محمد بن خليل الضانى فى ولاية مصر. وعزل عمر بن الكورانى.

وفيه قبض الأمير يلبغا السالمى على متاّ بترك النصارى اليعاقبه، وألزمه بمال ليأخذ عنه بضائع، فحلف أنه ليس عنده مال، وأن سائر ما يرد إليه من المال يصرفه فى فقراء المسلمين وفقراء النصارى، فوكل به.

وفى ثالثه: قدم الأمير تغرى بردى - نائب الشام - دمشق.

وفيه جفل أهل قرى دمشق إليها لوصول طائفة من أصحاب تمرلنك نحو الصَّنَمَين[4].

---

(١) قرحا: بدت به حروح من سلاح أو بثور، فهو قرح، وتقرح الجسد: علته القروح. انظر المعجم الوسيط (قرح).

(٢) قبرس: بضم أوله وسكون ثانيه حزيرة فى بحر الروم. انظر معجم البلدان ٤/٣٠٥.

(٣) الماغوصة: المقصود مدينة فاما حوستا على الشاطئ الشرقى بجزيرة قبرس.

(٤) الصنمين قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران، بينهما. انظر معجم البلدان.

وفى سادسه: قدم السلطان دمشق بعساكره، وقد وصلت أصحاب تمرلنك إلى البقاع.

وفى عاشره: اقتتل بعض العسكر مع التمرية.

وفى يوم السبت خامس عشره: نودى فى القاهرة ومصر أن الأمير يلبغا السالمى أمر أن نساء النصارى يلبسن أُزرًا زُرقًا، ونساء اليهود يلبسن أُزرًا صفرًا.

وأن النصارى واليهود لا يدخلون الحمامات إلا وفى أعناقهم أجراس. وكتب على بترك النصارى بذلك إشهادًا، بعد أن جرت بينه وبينه عدة محاورات، حتى أشهد عليه بالتزام ذلك، وإلزامه سائر النصارى بديار مصر، وألزم سائر مدولبى الحمامات ألا يمكنوا يهوديًا ولا نصرانيًا من الدخول بغير جرس فى عنقه، فقام الأمير تمراز فى معارضته.

وفى يوم السبت: هذا نزل تمرلنك إلى قطنا [١] فملأت جيوشه الأرض، وركب طائفة منهم إلى العسكر وقاتلوهم، فخرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشره إلى قبة يلبغا، فكانت وقعة انكسرت ميسرة العسكر، وانهزم أولاد الغزاوى وغيرهم إلى ناحية حوران، وجرح جماعة، وحمل تمر حملة منكرة، ليأخذ بها دمشق، فدفعته عساكر السلطان.

وفى عشرينه: نادى الأمير تُمِرَاز بالقاهرة «من كانت له ظلامة فعلية ببيت الأمير تمراز. وأن اليهود والنصارى على حالهم، كما كانوا فى أيام الملك الظاهر». فبطل ما أمر به السالمى.

وفيه أمر السالمى أن يضرب دنانير الذهب محررة الوزن، على أن كل دينار مثقال، سواء عزم على إبطال المعاملة بالدنانير الأفرنتية المشخصة، فضرب الدينار السالمى، وتعامل الناس به عددًا، ونقش عليه السكة الإسلامية.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد من السلطان أنه دخل دمشق يوم الخميس سادسه، وأقام بقلعتها إلى يوم السبت ثامنه، ثم خرج إلى مخيمه ظاهر المدينة عند قبة يلبغا. فحضر جاليش تمرلنك وقت الظهر من جهة جبل الثلج [٢]، وهو نحو ألف فارس، فسار إليهم مائة فارس من عساكر السلطان، وكسروهم وقتلوا منهم جماعة، وأنه

---

(١) قطنا من قرى دمشق. انظر معجم البلدان.

(٢) جبل الثلج يقع الطرف الجنوبى لهذا الجبل بالقرب من صفد.

حضر فى تلك الليلة عدة من التمرية للطاعة، وأخبروا بنزول تمر على البقاع العزيزى «فلتكونوا على حذرٍ، فإن تمر كثير الحيل والمكر» فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفى خامس عشرينه: قدم البريد من السلطان، فاستدعى الأمير تمراز شيخ الإسلام البلقينى وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضى العسكر، ومن تأخر بالقاهرة من الأعيان، وقرئ عليهم كتاب السلطان بأنه قدم إلى دمشق فى سادسه، وواقع طائفة من العسكر فى ثامنه، أصحاب تمرلنك، وأن مَرْزَه شاه بن تَمُر، وصهره نور الدين قتلا. وقتل قرايُلك بن طَرالى التركمانى، وأن السلطان حسين بهادر - رأس ميسرة تمرلنك وابن بنته - حضر إلى الطاعة فى ثالث عشره، ومعه جماعة كبيرة، فخلع عليه، وأركب فرسًا بسرج وكنفوش من ذهب، وأُنزل دار الضيافة بدمشق، وأن تمر نازلٌ تحت جبل الثلج، وقد أرسل فى طلب الصلح مرارًا، فلم نجبه لأنه بقى فى قبضتنا، ونحن نطاول معه الأمر حتى يرسل إلينا الأمراء المقبوض عليهم، وما أخذه من حلب وغيرها. وأن الأمير نُعَير دخل فى الطاعة، وقدم إلى عذراء [(١)] وضمير [(٢)]. وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ توجه إلى الأغوار، وجمع خلقًا كثيرًا، منهم عيسى بن فضل أمير آل على، وبنى مهدى، وعرب حارثة، وابن القان، والغزاوى، فصدفوا من التمرية زيادة على ألفى فارس، فقاتلوهم وقتلوا أكثرهم، وأخذوا منهم ذهبًا ولؤلؤًا كبيرًا. وأنه قد مات من أصحاب تمر بالبرد أكثر من ثلاثة آلات نفس.

وقرئ أيضًا كتاب آخر بأن الأمير يَلْبُغَا السالمى لا يحكم إلا فيما يتعلق بالاستادارية خاصة، ولا يحكم فى شىء مما كان يحكم فيه بين الأخصام مما يتعلق بالأمور الشرعية، وما يتعلق بالأمراء والحجاب، وأن الحاكم فى هذه الأشياء الأمير تَمْرَاز نائب الغيبة. وسبب هذا أن السالمى - لما مات قاضى القضاة جمال الدين يوسف المَلَطى فى تاسع عشر ربيع الآخر - كتب إلى السلطان يسأل فى الإذن له بالتحدث فى الأحكام الشرعية، فأجيب إلى ذلك، وكتب إليه به، فأقام له نقيبًا كنقباء القضاة، وحكم بين الناس فى الأمور الشرعية، فشق هذا على تمراز، وكاتب السلطان فى إبطال هذا،

(١) عذراء بالفتح ثم السكون والمد قرية معروفة بغوطة دمشق من إقليم جولان. انظر ١١٥/٣ معجم البلدان.

(٢) ضمير: بالشام، على خمسة عشر ميلا من دمشق، فيه مات عبيد الله بن معمر التيمى، وفى هذا الموضع يقول أبو الطيب:

لئن تركنا ضميرا عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم

انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٧٧، معجم ما استعجم ٨٨٢/٣ ومعجم البلدان ٢٢٥/٤.

فكتب إليه بذلك. ولما قرئ على من حضر، نودى بالقاهرة ومصر أن من وقف لَيْلُبغا السالمى فى شكوى عوقب، ومن كانت له ظلامة أو شكوى أو أخذ منه السالمى شىء، فعليه بالأمير الكبير تمراز. ودقت البشائر أيضًا بالقلعة.

وفى سابع عشرينه: استدعى الأمير تمراز شمس الدين محمد الَبْرقى الحنفى - أحد موقعى قضاة الحنفية - وتحدث معه فى أمر السالمى، فكتب محضرًا بقوادح فى السالمى، وكتب فيه جماعة. وبلغ ذلك السالمى، وكان قد خرج من القاهرة، فحضر يوم الأحد سلخه إلى عند الأمير تمراز، وتفاوضا مفاوضة كبيرة، آلت إلى أن أصلح بينهما الأمير مبارك شاه الحاجب، والأمير بيسق أمير أخور. وعاد السالمى إلى منزله، وطلب البَرْقى وضربه عريا ضربًا مبرحًا، وأمر به أن يُشهر كذلك، فقام الناس وشفعوا فيه حتى رده من الباب، وطلب جماعة من اليهود والنصارى وضربهم، وشهرهم، ونادى عليهم «هذا جزاء من يخالف الشرع الشريف». وطلب دوادار والى القاهرة، وضربه لكونه نادى بما تقدم ذكره فى حقه، فهرب الوالى إلى بيت تمراز واحتمى به، خوفًا على نفسه.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فى أوله خلع الأمير تمراز على ناصر الدين محمد بن ليلى بولاية مصر. فلما حضر إلى السالمى نزع عنه الخلعة وضربه عريانًا، وشهره وهو ينادى عليه «هذا جزاء من يلى من عند غير الأستادار، ومن يلى بالبراطيل»، فأدركه أحد مماليك تمراز وسار به إليه. فلما رآه مضروبًا اشتد حنقه، وعزم على الركوب للحرب، فما زال به من حضر حتى أمسك عن إقامة الحرب. واشتدت العداوة بينهما.

وفيه قدم من أخبر باختلاف الأمراء على السلطان، وعوده إلى مصر، فكثر خوض الناس فى الحديث، وكان من خبر السلطان أن تَمُرلنك بعث إليه وإلى الأمراء فى طلب الصلح، وإرسال أطْلَمِش من أصحابه، وأنه يبعث من عنده من الأمراء والمماليك، فلم يجب إلى ذلك. وكانت الحرب بين أصحاب تمر وطائفة من عساكر السلطان فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى كما تقدم. ثم كانت الحرب ثانيًا فى يوم الثلاثاء حادى عشره. وفى كل ذلك يبعث تمرلنك فى طلب الصلح فلا يجاب.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: اختفى من الأمراء والمماليك السلطانية جماعة منهم الأمير سودُن الطيار، والأمير قانى باى العلاى، وجُمُق أحد الأمراء.

ومن الخاصكية يشبك العُثمانى، وقُمُج الحافظى، وبَرَسْبُغَا الدوادار، وطُرُباى فى آخرين، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء. وأتاهم الخبر بأن الجماعة قد توجهوا إلى

القاهرة، ليسلطنوا الشيخ لاجين الجركسى، فركب الأمراء فى آخر ليلة الجمعة حادى عشرينه، وأخذوا السلطان، وخرجوا بغتة من غير أن يعى والد على ولده. وساروا على عقبة دمَّر، (١) يريدون مصر من جهة الساحل، ومروا بصفد، فاستدعوا نائبها الأمير تمربغا المنجكى وأخذوه معهم إلى غزة. وتلاحق بهم كثير من أرباب الدولة. فأدرك السلطان الأمراء الذين اختفوا بدمشق: سودُن الطيار، وقانى باى ومن معهما بغزة. فما أمكن إلا مجاملتهم، وأقام بغزة ثلاثة أيام، وتوجه إلى القاهرة، بعدما قدم بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدوادارية. فقدم إلى القاهرة يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة، وأعلم بوصول السلطان إلى غزة، فارتجت البلد، وكادت عقول الناس أن تختل. وشرع كل أحد يبيع ما عنده، ويستعد للهروب من مصر. فلما كان يوم الخميس خامسه، قدم السلطان إلى قلعة الجبل، ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونحو الألف من المماليك السلطانية، ونائب دمشق الأمير تغرى بردى، وحاجب الحجاب بها الأمير باشا باى، وغالب أمرائها، ونائب صفد، ونائب غزة، وهم فى أسوأ حال، ليس مع الأمير سوى مملوك أو مملوكين فقط، وفيهم من هو بمفرده، ليس معه من يخدمه. وذهبت أموالهم وخيولهم وجمالهم وسلاحهم، وسائر ما كان معه، مما لو قوّم لبلغت قيمته عشرات آلاف ألف دينار. وشوهد كثير من المماليك لما قدم وهو عريان. وكان الأمير يَلْبُغا السالمى قد تلقى السلطان بالكسوة له، وللخليفة، وسائر الأمراء.

وأما دمشق فإن الناس بها أصبحوا يوم الجمعة بعد هزيمة السلطان، ورأيهم محاربة تمرلنك، فركبوا أسوار المدينة ونادوا بالجهاد، وزحف عليهم أصحاب تَمُر، فقاتلوهم من فوق السور، وردوهم عنه، وأخذوا منهم عدة من خيولهم. وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رءوسهم إلى المدينة، فقدم رجلان من قبل تمر، وصاحا بمن على السور: «أن الأمير يريد الصلح، فابعثوا رجلاً عاقلاً حتى نحدثه فى ذلك». فوقع اختيار الناس على إرسال قاضى القضاة تقى الدين إبراهيم بن محمد بن مُفْلِح الحنبلى (٢)، فأُرخى من السور، واجتمع بتمرلنك وعاد إلى دمشق، وقد خدعه تمرلنك، وتلطف معه فى القول،

---

(١) عقبة دمر، مشرفة على غوطة دمشق، وهى من جهة الشمال فى طريق بعلبك. انظر . - معجم البلدان ٤/٢٩٨.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق برهان الدين الأرشد: مؤرخ من قضاة الحنابله مولد ووفاته فى دمشق وولى قضاءها سنة ٨٥١هـ، من كتبه «المقصد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد -ح» و «المبدع بشرح المقنع» فقه، عشرة مجلدات، انظر الدارس ٢/٥٩، الضوء اللامع ١/١٥٢ وهدية العارفين ١/٢١ والأعلام ١/٦٥

وقال: «هذه بلدة الأنبياء، وقد أعتقتها لرسول الله - ﷺ - صدقة عن أولادى». فقام ابن مُفْلِح فى الثناء على تَمُر قيامًا عظيما، وشرع يُخَذِّل الناس عن القتال، ويكُفُّهم عنه، فمال معه طائفة من الناس، وخالفته طائفة، وقالت: «لا نرجع عن القتال». وباتوا ليلة السبت على ذلك، وأصبحوا وقد غلب رأى ابن مفلح، فعزم على إتمام الصلح، وأن من خالف ذلك قُتل.

وفى الوقت ، قدم رسول تمر إلى سور المدينة فى طلب الطُقُزات، وهى عادة تَمُر إذا أخذ مدينة صلحًا أن يخرج إليه أهلها من كل نوع من أنواع المآكل والمشارب والدواب والملابس تسعة، يسمون ذلك طقزات، فإن التسعة بلغتهم يقال لها طُقُز. فبادر ابن مفلح واستدعى من القضاة والفقهاء والتجار حمل ذلك، فشرعوا فيه حتى كَمُل، وساروا به إلى باب النصر ليخرجوه إلى تمرلنك، فمنعهم نائب القلعة من ذلك، وهددهم بحريق المدينة عليهم. فلم يلتفتوا إلى قوله، وتركوا باب النصر، ومضوا إلى جهة أخرى من جهات البلد. وأرخوا الطُقُزات من السور، وتدلى ابن مفلح ومعه كثير من الأعيان وغيرهم، وساروا إلى مخيم تمرلنك، وباتوا به ليلة الأحد. ثم عادوا بكرة الأحد، وقد استقر تَمُر منهم بجماعة فى عدة وظائف، ما بين قضاة قضاة، ووزير، ومستخرج الأموال، ونحو ذلك، ومعهم فرمان، وهو ورقة فيها تسعة أسطر، تتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم، وأهليهم خاصة. فقُرئ على منبر جامع بنى أمية، وفتح من أبواب المدينة باب الصغير [١] فقط، وقدم أمير من أمراء تَمُرلنك، فجلس به ليحفظ البلد ممن يعبر إليها وأكثر ابن مُفْلح ومن كان معه من ذكر محاسن تَمُرلنك وبث فضائله، ودعا العامة إلى طاعته، وموالاته، وحثهم بأسرهم على جمع المال الذى تقرر جمعه وهو ألف ألف دينار، فُفرض ذلك على الناس كلهم، وقاموا به من غير مشقة لكثرة أموالهم. فلما كمل المال، حمله ابن مُفْلح وأصحابه إلى تَمُر، ووضعوه بين يديه. فلما عاينه غضب غضبًا شديًا، و لم يرض به، وأمر بابن مفلح ومن معه أن يخرجوا عنه، فأُخرجوا، ووكُل بهم. ثم ألزموا بحمل ألف تُومان، والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار من الذهب، إلا أن سعر الدينار عندهم يختلف، فتكون جملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار، فالتزموا بها، وعادوا إلى البلد، وفرضوه على الناس، فجبوا أجرة مساكن دمشق كلها عن ثلاثة أشهر، وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى، وحر وعبد، وصغير وكبير بعشرة دراهم. وأُلزم مباشر كل وقف من سائر الأوقاف بمال، فأُخذ من أوقاف جامع بنى أمية ألف درهم، ومن بقية أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والمشاهد

---

(١) باب الصغير، هو باب مدينة دمشق الجنوبى. انظر النجوم الزاهرة ١٢:٢٤١.

والربط والزوايا شىء معلوم، بحسب ما اتفق، فنزل بالناس فى استخراج هذا بلاء عظيم. وعوقب كثير منهم بالضرب، وشُغل كل أحد بما هو فيه، فغلت الأسعار، وعز وجود الأقوات، وبلغ المُسدُّ من القمح - وهو أربعة أقداح - إلى أربعين درهمًا فضة.

وتعطلت الجمعة والجماعة من دمشق كلِّها، فلم تقم بها جمعة إلا مرتين، الأولى فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة، ودعا الخطيب فيها بجامع بنى أمية للسلطان محمود، ولولى عهده ابن الأمير تيمور كُرْكان، ثم شغل الناس بعدها عن الدين والدنيا بما هم فيه. وذلك أنه نزل شاه ملك - أحد أمراء تَمُر - بجامع بنى أمية، ومعه أتباعه، وادعى أنه نائب دمشق، وجمع كل ما كان فى الجامع من البُسط والحصر، وستر بها شرفات الجامع، وصلى الناس الجمعة فى شمالى الجامع، وهم قليل. وشاهدوا أصحاب شاه ملك يلعبون فى الجامع بالكعاب، ويضربون بالطنابير. ثم بعد الجمعتين مُنِعوا من إقامة فى الجمعة بالجامع، فصلى طائفة الجمعة بعد ذلك بالخانقاه السُّميساطية [١]، فتعطلت سائر الجوامع والمساجد من إعلان الأذان، وإقامة الصلاة. وبطُلت الأسواق كلها، فلم يبع شىء إلا ما كان مما يورد ثمنه فى الجباية المقررة.

وزاد بالناس البلاء أن أصحاب تمر لا يأخذون إلا الدراهم والدنانير لا غير، وردوا الفلوس، فانحطت وصار ما كان بخمسة دراهم لا يحسب الناس فيه فيما بينهم غير درهم واحد.

هذا ونائب القلعة ممتنع بها، وقد حاصره تمر، فخرب ما بين القلعة والجامع بالحريق وغيره. ثم إن النائب سلَّم بعد تسعة وعشرين يومًا. فلما تكامل حصول المال الذى هو بحسابهم ألف تُومان، حُمل إلى تمر، فقال لابن مفلح وأصحابه: «هذا المال بحسابنا، إنما هو ثلاثة آلاف دينار. وقد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار، وظهر أنكم قد عجزتم». وكان تمر لما خرجت إليه الطُّقُزات، وفرض للجباية الأولى التى هى ألف ألف دينار، قرر مع ابن مفلح وأصحابه أن ذلك على أهل البلد، وأن الذى تركه العسكر المصرى من المال والسلاح والدواب وغير ذلك لا يعتد به لهم، وإنما هو لتمر. فخرج الناس إليه بأموال أهل مصر. وبدا منهم فى حق بعضهم بعضًا من المرافعات أنواع قبيحة، حتى صارت كلها إليه. فلما علم أنه قد استولى على أموال المصريين ألزمهم

---

(١) سميساط بلد من بلاد العجم منها السميساطى، وهو رجل من العجم كان معروفا بالورع والزهد، وبنى خانقاه للصوفية بدمشق فى موضع الدار التى كانت لعمر بن عبد العزيز. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٢٣. وسمسياط من بلاد الفرات الأعلى. وفى معجم البلدان «فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات».

بإخراج أموال الذين فروا من التجار وغيرهم إلى دمشق خوفًا منه. وكان قد خرج من دمشق عالم عظيم، فتسارعوا إلى حمل ذلك إليه، وجروا على عادتهم فى النميمة بمن عنده من ذلك شيء، حتى أتوا على الجميع. فلما صار إليه ذلك كله ألزمهم أن يخرجوا إليه سائر ما فى المدينة من الخيل والبغال والحمير والجمال، فأخرج إليه جميع ما كان فى المدينة من الدواب، حتى لم يبق بها شيء من ذلك. ثم ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع آلات السلاح، جليلها وحقيرها، فتتبعوا ذلك، ودل بعضهم على بعض، حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شيء. ثم بعد حمل الفريضتين ورَمْيه ابن مفلح ومن معه بالعجز عن الاستخراج، قبض على أصحاب ابن مفلح، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها وسككها، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه، ففرقه على أمرائه. وقسم البلد بينهم، فساروا إليها، ونزل كل أمير فى قسمه، وطلب من فيه، وطالبهم بالأموال، فكان الرجل يُوقَف على باب داره فى أزرى هيئة، ويلزم بما لا يقدر عليه من المال، فإذا توقف فى إحضاره عُذب بأنواع العذاب من الضرب وعصر الأعضاء، والمشى على النار، وتعليقه منكوسًا، وربطه بيديه ورجليه، وغم أنفه بخرقة فيها تراب ناعم، حتى تكاد نفسه تخرج، فيخلى عنه حتى يستريح، ثم تُعاد عليه العقوبة. ومع هذا كله تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، وتقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذب امرأته وهي توطأ، وابنته وهي تُقبض بكارتها، وولده وهو يلاط به، فيصير هو يصرخ مما به من ألم العذاب، وابنته وولده يصرخون من ألم إزالة البكارة، وإتيان الصبى، وكل هذا نهارًا وليلا، من غير احتشام ولا تستر. ثم إذا قضوا وطرهم من المرأة والبنت والصبى، طالبوهم بالمال، وأفاضوا عليهم أنواع العقوبات، وأفخاذهم مضرجة بالدماء. وفيهم من يُعَذِّب بأن يشد رأس من يُعَاقِبهَ بحبل ويلويه حتى يغوص فى الرأس، وفيهم من يضع الحبل على كتفى المعذَّب ويديره من تحت إبطيه، ويلويه بعصا حتى ينخلع الكتفين. وفيهم من يربط إبهام اليدين من وراء الظهر ويلقى المعذَّب على ظهره، ويذر فى منخريه رمادًا سحيقًا، ثم يعلّقه بإبهام يديه فى سقف الدار، ويشعل النار تحته. وربما سقط فى النار فسحبوه منها، وألقوه حتى يفيق، فيعذب أو يموت، فيترك.

واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يومًا، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين رجب، فهلك فيها بالعقوبة ومن الجوع خلق لا يدخل عددهم تحت حصر.

فلما علموا أنه لم يبق فى المدينة شيء له قدر، خرجوا إلى تمرلنك، فأنعم بالبلد على أتباع الأمراء، فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مشهورة، وهم مشاة،

فنهبوا ما بقى من الأثاث وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربطين فى الحبال. ثم طرحوا النار فى المنازل، وكان يومًا عاصف الريح، فعم الحريق البلد كلها، وصار لهب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار ثلاثة أيام، آخرها يوم الجمعة.

وأصبح تمر يوم السبت ثالث رجب راحلا بالأموال والسبايا والأسرى، بعدما أقام على دمشق ثمانين يومًا، وقد احترقت كُلُّها، وسقطت سقوف جامع بنى أمية من الحريق، وزالت أبوابه، وتفطر [١] رخامه، ولم يبق غير جدره قائمة. وذهبت مساجد دمشق، ومدارسها، ومشاهدها، وسائر دورها، وقياسرها، وأسواقها، وحماماتها، وصارت أطلالا بالية، ورسومًا خالية، قد أقفرت من الساكن، وامتلأت أرضها بجثث القتلى، ولم يبق بها دابة تدب، إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف، فيهم من مات، وفيهم من يجود بنفسه.

وأما بقية أمراء مصر وغيرهم، فأنهم لما علموا بتوجه السلطان من دمشق خرجوا منها طوائف طوائف، يريدون اللحاق بالسلطان، فأخذهم العشير، وسلبوهم ما معهم، وقتلوا خلقًا كثيرًا. وظفر أصحاب تمرلنك بقاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم[٢] المناوى الشافعى، فسلبوه ما عليه من الثياب، وأحضروه إلى تمرلنك، فمرت به محن شديدة، آلت إلى أن غرق بنهر الزاب، وهو فى الأسر.

وكان قاضى القضاة ولىّ الدين عبد الرحمن بن خلدون[٣] المالكى بداخل مدينة دمشق. فلما علم بتوجه السلطان تدلى من سور المدينة، وسار إلى تمرلنك فأكرمه

---

(١) فطر الشىء يفطره فطرًا فانفطر، وفطّره: شقّهُ وتفطر الشىء: تشقق، والفطر: الشق انظر لسان العرب (فطر).

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم الظاهرى الشافعى، صدر الدين، أبى المعالى قاض، عالم بالحديث من أهل القاهرة، ناب فى الحكم. وولى إفتاء دار العدل وله «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصابيح-خ». انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٣٠٠/٥.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولىّ الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد وائل بن حجر الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعى البحاثة أصله من إشبيليه، ومولده ومنشأه بتونس وولى قضاء المالكية فى مصر وتوفى فجأة فى القاهرة كان فصيح جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، وله «شرح البردة، وكتاب فى الحساب وكتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر» انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج وجذوة الاقتباس من الكراس ٣٣ والمعارف الإسلامية ١٥٢/١ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣:٣.

وأجله، وأنزله عنده، ثم أذن له فى المسير إلى مصر، فسار إليها وتتابع دخول المنقطعين بدمشق إلى القاهرة فى أسوأ حال، من المشى والعرى والجوع، فرسم لكل من المماليك السلطانية بألف درهم، وجامكية شهرين.

وأما السلطان فإنه لما استقر بقلعة الجبل أعاد شمس الدين محمد البخانسى إلى حسبة القاهرة، وصرف العينتابى فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة.

وفيه أذن للأمير يلبغا السالمى أن يتحدث فى كل ما يتعلق بالمملكة، وأن يجهز عسكرًا إلى دمشق لقتال تمرلنك، فشرع فى تحصيل الأموال، وفرض على سائر أراضى مصر فرائض، فجبى من إقطاعات الأمراء، وبلاد السلطان وأخبار الأجناد، وبلاد الأوقاف عن عبرة كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس، وجبى من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرته عن شهر، حتى أنه كان يقوم على الإنسان فى داره التى هو يسكنها، ويؤخذ منه أجرتها.

وجبى من الرزق - وهى الأراضى التى يأخذ مُغلها قوم من الناس على سبيل البر - عن كل فدان من زراعة القمح، أو الفول، أو الشعير عشرة دراهم، وعن الفدان من القصب، أو القلقاس، أو النيلة - ونحو ذلك من القطانى - مائة درهم. وجُبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم.

واستدعى أمناء الحكم والتجار، وطُلب منهم المال على سبيل القرض.

وصار يكبس الفنادق وحواصل الأموال فى الليل، فمن وجد صاحبه حاضرًا فتح مخزنه، وأخذ نصف ما يجد من نقود القاهرة، وهى الذهب والفضة والفلوس. وإذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود. وأخذ ما وجد من حواصل الأوقاف، ومع ذلك فإن الصيرفى يأخذ عن كل مائة درهم - تستخرج مما تقدم ذكره - ثلاثة دراهم. ويأخذ الرسول الذى يحضر المطلوب ستة دراهم، وإن كان نقيبًا أخذ عشرة دراهم. فاشتد الضرر بذلك، وكثر دعاء الناس على السالمى، وانطلقت الألسنة بذمه، وشنعت القالة فيه، وتمالأت القلوب على بغضه.

وفيه خلع على الأمير نوروز الحافظى، والأمير يشبك الشعبانى، واستقرا مشيرى الدولة، مدبرى أمورها. وخُلع على الأمير بهاء الدين أرسلان بن أحمد لنقابة الجيش، عوضًا عن أسندمر لانقطاعه بالشام.

وفى ثانى عشره: خُلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس

الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى قاضى العسكر، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضًا عن الجمال يوسف الملطى بعد وفاته وعلى القاضى جمال الدين عبد الله الأقفهسى، واستقر فى قضاء القضاء المالكية بديار مصر، عوضًا عن نور الدين على بن الجلال بعد موته أيضًا، وعلى ناصر الدين محمد بن خليل الضانى، واستقر أمير طبر، عوضًا عن الصارم إبراهيم بحكم انقطاعه، فصار والى مصر والقرافتين أمير طبر.

وفيه قدم من الشام ثلاثمائة من المماليك المنقطعين بأسوأ حال، من المشى والعرى والجوع، وشكوا من العشير.

وفى تاسع عشره: قُبض على المهتار عبد الرحمن، وأُلزم بما أخذه من العشير وغيرهم، ثم أفرج عنه بعد أيام.

وفى حادى عشرينه: قدم قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن نصر الله الحنبلى من الشام، فى أسوأ حال. وقدم أيضًا قاضى قضاة دمشق علاء الدين على بن أبى البقاء الشافعى. وحضر أيضًا كتاب تمرلنك على يد أحد مماليك السلطان، يتضمن طلب أطلمش أَطْلَندى، وأنه إذا قدم عليه أرسل من عنده من النواب والأمراء والأجناد والفقهاء، وقاضى القضاة صدر الدين المناوى ويرحل، فطلب أطلمش من البرج الذى هو مسجون فيه بقلعة الجبل، وأُنعم عليه بخمسة آلاف درهم، وأُنزل عند الأمير سودن طاز أمير أخور، وعين للسفر معه قُطْلوبك العلاى، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار.

وفيه توجه الأمير بَيْسَق أمير آخور رسولا إلى تمرلنك بكتاب السلطان.

وجدَّ الأمير يلبغا السالمى فى تحصيل الأموال، وعرض أجناد الحلقة، وألزم من كان منهم قادرًا على السفر بالخروج إلى الشام، وألزم العاجز عن السفر بإحضار نصف متحصل إقطاعه فى السنة. وألزم أرباب الغلال المحضرة للبيع فى المراكب النيلية أن يؤخذ منهم عن كل أردب درهم، وأن يؤخذ من كل مركب من المراكب التى تتنزه فيها الناس مائة درهم.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه بلغت الدنانير السالمية ثلاث آلاف دينار، وأمر السالمى أن يضرب دنانير أيضًا، منها ما زنته مائة مثقال ومثقال، ومنها ما وزنه تسعون مثقالا ومثقال، وهكذا ينقص عشرة مثاقيل إلى أن يكون منها دينار زنته عشرة مثاقيل، فضرب من ذلك جملة دنانير.

وفى ثالثه: خُلع على علم الدين يحيى بن أسعد، الذى يقال له أبو كُـمُ، واستقر فـى الوزارة، عوضًا عن الصاحب فخر الدين ماجد بن غراب، لاستعفائه من الوزارة.

وفيه ورد الخبر بأن دمرداش نـائب حلـب تخلـص مـن تمرلنـك، وجمـع وأخـذ حلـب وقلعتها من التَمُرية، وقتلهم.

وفى خامسه: استقر الطواشى فارس الدين شاهين الحلبى نـائب المقـدم فـى تقدمـة المماليك، عوضًا عن الطواشى شمس الدين صواب السعدى جنَكْلَ.

واستقر الطواشى زين الدين فيروز من جرجى، مقدم الرفرف، نائب المقدم.

وفى سابعه: حضر من عربان البحـيرة إلى خـارج القـاهرة ستة آلاف فـارس. ومـن الشرقية ابـن بقـر، والتزم بـألفين وخمسـمائة فــارس، ومــن العيســاوية وبنــى وائـل ألف وخمسمائة فارس، فأنفق فيهم الأمـير يلبغـا السـالمى الأمـوال، ليتجهـزوا إلى حـرب تمرلنك.

وفى ثامنه: قدم قاصد الأمير نعير، لأنه قد جمع عربانًا كثيرة، ونزل علـى تَدْمُـر، وأن تمرلنك رحل من ظاهر دمشق إلى القُطَيِّفَة [1].

وفى رابع عشره: قُبض على الأمير يلبغا السالمى، وعلىشهاب الدين أحمد بـن عمـر ابن قُطَينة، وسُلما للقاضى سعد الديـن إبراهيـم بـن غـراب، ليحاسـبهما علـى الأمـوال المأخوذة من الناس فى الجبايات.

وفى ثامن عشره: استقر سعد الدين إبراهيم بن غراب أستادار السلطان عوضًـا عـن السالمى، مضافًا إلى ما بيده من وظيفتـى نظـر الجيـش والخـاص. ولبـس جبـة مـن حرير بوجهين، أحدهما أحمر والآخر أخضـر، بطـراز ذهـب عريـض فـى عـرض ذراع وثمـن، وترفَّع عن لبس التشريف، و لم يغير زىّ الكتاب.

وفى سادس عشرينه: استقر جمال الدين عبد الله المنجكى فـى ولايـة البهنسـا، [2]، وعُزل منكلى بغا الزينى.

---

(١) القطيفة: قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البريـة مـن ناحيـة حمـص انظر: معجم البلدان. ١٨٨/٤.

(٢) مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيـل وبهـذه المدينـة تعمـل الستور البهنسية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطـار ١١٤، الإدريسـى ٥٠، وحنـى الأزهـار /١٠ ومعجم البلدان ٥١٦/١، ٥٢٧.

وفى سلخه: ورد الخبر بأن ابن عثمان وصل إلى قيصرية، من بلاد الروم.

شهر شعبان، أوله الخميس: فيه قدم قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون من دمشق، وقد أذن له تمرلنك فى التوجه إلى مصر، وكتب له بذلك كتابًا عليه خطه، وصورتهُ «تيمور كَرْكان»، وأُطلق معه جماعة بشفاعته فيهم، منهم القاضى صدر الدين أحمد بن قاضى القضاة جمال الدين محمود القيصرى، ناظر الجيش؛ وكان قد خرج مع السلطان من جملة موقعى الدست.

وفى ثانيه: جاء دمشق جراد كثير جدًا، ودام أيامًا.

وفى ثالثه: توجه تمرلنك من دمشق بعساكره، فعز القمح بدمشق، واقتات من تأخر بها من منابت الأرض.

وفى خامسه: برز الأمراء الذين كانوا بالقاهرة فى غيبة السلطان بدمشق، للمسير لحرب تمرلنك، وهم: الأمير تمراز أمير مجلس، والأمير أَقْباى حاجب الحجاب، والأمير جَرَباش الشيخى، والأمير تَمَان تمر، والأمير صوماى الحسنى. وامتنع الأمير جَكَم من السفر، فبطل سفر الأمراء أيضًا.

وفى سابعه: قدم الأمير سيف الدين شيخ المحمودى نائب طرابلس هاربًا من تمرلنك، فتلقاه الأمراء، وقدّموا إليه الخيول، بالسروج الذهب، والكنابيش الذهب، والقماش، والجمال، وغير ذلك،

وفى ثامن عشره: أفرج عن ابن قطينة، ولزم داره.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير دُقماق المحمدى نائب حماه فارًا من تُمرلنك، فأنعم عليه أيضًا بما يليق به.

وفيه برز الأمير تغرى بردى من بَشْبُغا نائب الشام للمسير إلى دمشق. وخرج بعده نواب البلاد الشامية وأمراؤها وأجنادها، وسائر أعيانهُا.

وخلع على الأمير القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب جُبَّة حرير بوجهين مطرزة، باستقراره فيما بيده عند استعفائه من الأستادارية. وعلى جمال الدين يوسف بن القُطب بقضاء الحنفية بدمشق، عوضًا عن محيى الدين محمود بن الكشْك.

وفى ثامن عشرينه: استقر تُمربغا المنجكى فى نيابة صفد، وخرج إليها واستقر تنكز بغا الحططى فى نيابة بعلبك [1] وناصر الدين محمد بن الطويل فى كشف الوجه البحرى، وعُزل طيبغا الزينى.

---

(١) مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرا، وهى كثيرة الغلات نامية الإصابات. انظر الروض المعطار ١٠٩ ونزهة المشتاق ١١٦ وصبح الأعشى ١٠٩/٤ ومعجم البلدان ٤٥٣/١.

وفى رابع عشرينه: قبض على مملوكين، فأقرا أنهما اتفقا مع جماعة من المماليك - سموهم - على إثارة فتنة وقتل الأمراء، فعُفى عنهما، و لم يتحرك فى ذلك ساكن.

وفيه نودى ألا يقيم بديار مصر عجمى، وأُجِّلو ثلاثة أيام، وهدد من تأخر بعدها، فلم يتم من ذلك شىء. ولهج الناس بالكتابة على الحيطان «من نصرة الإسلام قتل الأعجام».

وفى سادس عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر، وصُرف شمس الدين محمد الشاذلى.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: خُلع على القاضى ناصر الدين محمد بن الصالحى أحد نواب الحكم، واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، على مال التزم به، وذلك بعدما أيس من حضور الصدر محمد بن إبراهيم المناوى، فنزل فى خدمته أكابر الأمراء، مثل الأمير يَشْبَك الدوادار وغيره، حتى جلس بالمدرسة بين القصرين، وحكم على العادة، ثم سار إلى داره.

شهر رمضان، أوله الجمعة:

فى ثانى عشره: استقر جَنْتَمُر التركمانى النظامى نائب الوجه القبلى، وعُزل علاء الدين على بن غُلْبك بن المكللة.

وفى رابع عشره: استقر على ابن بنت معتوق فى ولاية منفلوط [١]، وعزل أحمد ابن على بن غلبك.

وفى ثامن عشره: خُلع على الأمير شيخ المحمودى بنيابة طرابلس على عادته عوضًا عن آقبغا الجمالى، وعلى دُقْماق المحمدى بنيابة صفد، عوضًا عن تمربغا المنجكى، وأُنعم على تمربغا بإمرة مائة بدمشق.

وفيه قدم حاج المغرب، وفيهم رسل صاحب تونس [٢] بهدية، منها ستة عشر فرسًا، قُدمت للسلطان، وقدم معهم نحو ثلاثمائة فرس للبيع.

---

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر ياقوت، معجم البلدان ٥/١٤، ٢١٥.

(٢) مدينة إفريقية محدثة إسلامية وهناك من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين قال بعضهم: لم يقصد بها أول أمرها وإنما اجتمع الناس إليها وبنوا وسكنوا وزادوا حتى صارت مدينة وعمرت. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٤٣ والاستبصار ١٢٠ والبكرى ٣٧ وصبح الأعشى ٥/١٠٢ ومعجم البلدان ٢/٦٠.

وفى هذا الشهر: توقفت أحوال الناس بسبب الذهب، فإنه أشيع أنه يُطرح على الصيارف، ويؤخذ فى الدينار الأفرنتى المشخص مبلغ تسعة وثلاثين درهمًا من الفلوس. وكان قد بلغ بين الناس إلى ثمانية وثلاثين درهمًا، فتناقص حتى صار إلى خمسه وثلاثين درهمًا، والدينار المختوم المصرى إلى ثمانية وثلاثين.

وقدم الخبر أن الفرنج أخذوا ستة مراكب مُوسّقة قمحًا، سار بها المسلمون من دمياط إلى سواحل الشام، ليباع بها، من كثرة ما أصابها من القحط والغلاء من نوبة تمرلنك، فرسم بخروج جماعة من الأمراء إلى ثغور مصر، فخرج الأمير آقباى حاجب الحجاب والأمير بَكْتمر، والأمير جرباش فى عدة من الأمراء وغيرهم، وتفرقوا فى الثغور.

وفى ثالث عشرينه: أعيد قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون إلى قضاء المالكية، وصُرف جمال الدين عبد الله الأقفهسى. واستقر مجد الدين سالم الحنبلى فى قضاء القضاة الحنابلة، عوضًا عن موفق الدين أحمد بن نصر الله بعد وفاته، بعد أن طُلب هو والشيخ علاء الدين على بن محمد بن على بن عباس بن فُتْيان البعلبكى [(١)] المعروف بابن اللحام الحنبلى، الوارد من دمشق إلى عند الأمير يَشْبَك الدوادار، وعرض عليهما ولاية القضاء، فامتنعا، وصار كل منهما يقول: «لا أصلح، وإنما يصلح هذا لدينه وعلمه». فكثر العجب من ذلك. واستقر الأمر لسالم، وخُلع عليه، وركب إلى الصالحية فى موكب حفل.

شهر شوال، أوله الأحد:

فيه أُفرج عن الأمير يلبغا السالمى، وهو متضعف بعدما عصر، وأهين إهانة بالغة.

وفى هذا اليوم: كثر تحرز الأمراء من بعضهم بعضًا، وتحدث الناس بإثارة فتنة بينهم.

وفى خامس: وصل الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى دمشق، ومن معه من العسكر.

وفى سابعه: استقر الأمير طولو من على شاه فى نيابة الإسكندرية، عوضًا عن الأمير

---

(١) على بن محمد بن عباس شيبان، أبو الحسن علاء الدين ابن اللحام: فقيه حنبلى أصله من بعبلك. سكن دمشق وصنف كتبًا منها «القواعد الأصولية والأخبار العلمية فى اختيارات الشيخ تقى الدين ابن تيميه- خ» فى المحمودية بالمدينة (٣٤- أصول الفقه)، وناب فى الحكم بدمشق ثم توجه إلى مصر واستقر مدرسا فى المنصورية إلى أن توفى عن نيف وخمسين عامًا. انظر شذرات الذهب ٣١/٧ ومجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٩/ ٤٠٠ والأعلام ٧/٥.

أرُسْطاى، واستقر الأمير باشا باى من باكى حاجبًا ثانيًا بديار مصر على خبز سودن الطيار بطبلخاناه. واستقر تَمُر البربرى مهمندارًا، عوضًا عن ألطنبغا العثمانى. واستقر كل من سودن الطيار، وألطنبغا سيدى حاجبًا بحب.

وفيه استدعى السلطان الأمراء إلى القلعة، وقال لهم: «قد كتبنا مناشير جماعة من الخاصكية بإمريات بالشام من أول رمضان، فلم لا يسافروا»، فقال الأمير نوروز: «ما هذا مصلحة، إذا أرسل السلطان هؤلاء من يبقى».

ووافقه سودن الماردينى على ذلك. فقال السلطان: «من ردَّ مرسومى فهو عدوى»، فسكت الأمراء، وأمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها.

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، ومنهم من ردَّ منشوره، فغضب السلطان وأصبح الجماعة يوم الأحد وقد اتفقوا مع الأمراء، وصاروا إلى الأمير نوروز، وتحدثوا معه فى ألا يسافروا، فاعتذر إليهم، وبعثهم إلى سودن الماردينى رأس نوبة، فحدثوه فى ذلك. وما زالوا به حتى ركب إلى الأمير يشبك الدوادار، وحدثه فى ألا يسافروا، فأغلظ فى الرد عليه، وهددهم بالتوسيط إن امتنعوا، وبعثه إلى السلطان ليحدثه فى ذلك، فصعد القلعة وسأل السلطان فى إعفائهم من السفر، وأعلمه أنه قد اتفق منهم نحو الألف تحت القلعة وهم مجتمعون. فبعث السلطان إليهم أحد الخاصكية يقول لهم: «نحن ما خليناكم بلا رزق، بل عملناكم أمراء». فما هو إلا أن بلغهم ذلك، ثاروا عليه وضربوه، حتى كاد يهلك. وبينما هم فى ضربه إذا بالأمير قُطْلوبُغا الكركى، والأمير أَقْباى الخازندار، نزلا من القلعة فمال عليهم المماليك يضربونهم بالدبابيس، إلى أن سقط قُطْلوبغا، فتكاثر عليه مماليكه، وحملوه إلى بيته، ونجا أقباى إلى بيت الأمير يَشْبك. وماجت البلد، فنودى آخر النهار أن الأمراء والمماليك السلطانية يطلعون من غد إلى القلعة، ومن لم يطلع حلّ دمه وماله للسلطان. فطلع الأمير يَشْبك ونوروز، وآقباى الخازندار، وقُطْلوبغا الكركى إلى القلعة بعد عشاء الآخرة، وباتوا بها إلا نوروز، فإنه أقام معهم ساعة ثم نزل. وطلع أيضًا غالب المماليك. وأصبحوا يوم الإثنين تاسعه، فطلع جميع الأمراء والمماليك، إلا الأمير جَكَم، وسودن الطيار، وقانى باى العلاى، وقُرْقُماش الأينالى، وَتَمُربغا المشطوب، وجُمَق، فى عدة من أعيان المماليك، منهم يشبك العثمانى، وقُمُج، وبَرَسْبُغا، وطراباى، وبقية خمسمائة مملوك، فإنهم لبسوا السلاح، ووقفوا تحت القلعة حتى تضحى النهار، ثم مضوا إلى بركة الحبش، ونزلوا عليها. فبعث الأمير يَشْبَك الدوادار - نقيب الجيش - إلى الشيخ لاجين قبض عليه، وحمله إلى

بيت آقباى حاجب الحجاب، فوكل به من أخرجه من القاهرة إلى بلبيس [١]. وقبض على سودن الفقيه، أحد دعاة الشيخ لاجين، وأخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وما زال الأمير جَكَم ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء، فاستدعى الأمير يَشْبَك الدوادار سائر الأمراء، فلما صاروا إلى القلعة وكل بهم من يحفظهم حتى مضى جانب من الليل، استدعى سودن طاز أمير أخور من الإسطبل ليحضر إلى عند الأمراء بالقلعة. وقد وقع الاتفاق على أن سودن طاز إذا طلع قُتل هو والأمراء الموكل بهم، فأتى بعض الخاصكية إلى سودن طاز، وقال له: «فز بنفسك». فلم يكذب الخبر، وأخذ الخيول التى بالإسطبل السلطانى، وركب بمماليكه ولحق بالأمير جكم على بركة الجيش. فارتج القصر السلطانى. ولحق كل أمير بداره، وركبوا بأجمعهم ودقت الكوسات، فلما أصبح نهار الأربعاء نزل السلطان من القصر إلى الإصطبل، وطلع إليه الأمراء، وبعث إلى الأمير جكم بأمان، وأنه يتوجه إلى صفد نائبًا بها، فقال «نحن مماليك السلطان، وهو أستاذنا وابن أستاذنا، لو أراد قتلنا ما خالفناه، وإنما لنا غرماء، يخلونا وإياهم».

فلما عاد الرسول بذلك، بكى الأمير يَشْبَك وأَقْباى الخازندار، وقُطْلوبُغا الكركى، ودار بينهم وبين السلطان كلام كثير، فبعث السلطان بالأمير نوروز الحافظى، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى، وناصر الدين الرماح أمير أخور، إلى الأمير جَكَم فى طلب الصلح، فامتنع من ذلك هو ومن معه، وقالوا: «لابد لنا من غرمائنا»، وأخّروا عندهم الأمير نوروز، وعاد قاضى القضاة والرماح بذلك. فقال السلطان ليشبك «دونك وغرماءك». فنزل إلى بيته، وقد اختل أمره. ثم عاد إلى القلعة، فلم يُمكن منها، وتخلّى عنه المماليك السلطانية، وتركوه وحده تحت الإسطبل السلطانى، فلم يكن غير ساعة حتى أقبل الأمير جَكَم، وسودن طاز، ونوروز، فى عددهم وعديدهم. وصاحب الموكب نوروز وجكم عن يساره، وطاز عن يمنه، وصاروا قريبًا من يَشْبَك. فنادى يَشْبَك: «من قاتل معى من المماليك يأخذ عشرة آلاف درهم». فأتاه طائفة، فحمل عليه نوروز فى من معه، فانهزم إلى داره، وقاتل ساعة، ثم فَرَّ، فنهبت داره ودار قُطْلوبُغا وأقباى. وقبض على أَقْباى، فشفع فيه السلطان، فترك بداره إلى يوم الخميس ثانى عشره، ركب الأمير جَكَم إليه. وأخذه وصعد به إلى الإسطبل السلطانى، وقَيده.

وقبض على قُطلوبغا من عند الأمير يَلْبُغا الناصرى، وقيده. وقبض على جركس المصارع من عند سودن الجَلَب، وقيده؛ وبعث الثلاثة إلى مدينة الإسكندرية ليلة السبت

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام انظر ياقوت معجم البلدان ٢/٤٧٩.

رابع عشره. وكتب بإحضار سودن الفقيه من الإسكندرية. وطُلب الأمير يَشْبَك، فلم يُقدر عليه، إلى ليلة الإثنين سادس عشره، دُلَّ عليه أنه فى تربة بالقرافة. فلما أحيط به ألقى نفسه من مكان مرتفع، فشج جبينه، وقبض عليه الأمير جكم، وأحضره إلى بيت الأمير نوروز، ثم سُير من ليلته إلى ثغر الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الاثنين: خُلع على الأمير القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب جُبة مطرزة، باستقراره على ما هو عليه.

وفى ثامن عشره: استقر ناصر الدين بن غُرلوا نائب الوجه البحرى، وعُزل ابن مسافر. وألبس الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس قباءنخ، وألبس أيضًا الأمير دُقماق نائب صفد [١] قباء السفر، وأذن لهما فى السفر إلى ولايتهما.

وفى تاسع عشره: خُلع على الأمير جَكَم، واستقر دوادار السلطان، مكان الأمير يَشْبَك الشعبانى. وعلى سودن من زاده، واستقر خازندارًا، موضع أقباى الكركى. وعلى أرغون من بَشْبُغا، واستقر شاد الشربخاناه، بدل قُطْلوبُغا الكركى.

وفيه خرج المحمل مع الأمير قُطْلوبَك العلاى إلى الريدانية، خارج القاهرة.

وعمل أمير الركب الأول الأمير بيسق الشيخى، ورسم له أن يقيم بعد انقضاء الحج بمكة، لعمارة ما بقى من المسجد الحرام.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: أقبل على دمشق جراد، حجب من كثرته الشمس عن الأبصار، فأتلف جميع ما تنتبه الأرض بعامة أرض الشام كلها، حتى لم يدع بها خضرًا من شجر ولا غيره، من غزة إلى الفرات [٢].

وفى سادس عشرينه: استقر يونس الحافظى فى نيابة حماة، وعزل ركن الدين عمر ابن الهذبانى، واستقر ناصر الدين محمد بن الطبلاوى فى ولاية القاهرة، وصُرف الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، المعروف بوالى قطيا، وعمل أحد الأمراء الحجاب بغير إقطاع، ثم قبض عليه بعد أيام وعصر وأخذ منه مال، ثم أفرج عنه.

وفيه أنعم على الأمير جَكَم بإقطاع يَشْبَك، وعلى سودن الطيار بإقطاع الأمير جَكَم، وبإقطاع أَقْباى الكركى على الأمير قانى باى العلاى، وبإقطاع قُطْلوبُغا الكركى على الأمير تمربُغا من باشاه، المعروف بالمشطوب، وبإقطاع جركس المصارع على سودن من زاده بستين فارسًا.

---

(١) انظر معجم البلدان. ٣:٤١٢.

(٢) الفرات نهر مخرجه من أرمينة ثم من فاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم. انظر معجم البلدان ١٨٨/٤.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه أُلزم سعد الدين إبراهيم بن غراب بتجهيز نفقة المماليك، فالتزم أن يحمل منها مائة ألف دينار، وأُلزم الوزير ناصر الدين محمد بن سُنْقر، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، ويَلْبغا السالمى، بمائة ألف دينار، فشرعوا فى تجهيزها.

وفيه قبض الأمير شهاب الدين أحمد بن رجب شاد الدواوين على يَلْبُغا السالمى من داره، وحمله إلى بيته، وضربه ضربًا مبرحًا، وبالغ فى عصره وتعذيبه، حتى أشرف على الموت، فأبيع موجوده فيما أُلزم به.

وفيه جاء رَحْل جراد غير ذلك إلى دمشق، فعظم به الخطب.

وفى ثالثه: قدم الأمير تمرْبغا المنجكى نائب صفد إلى دمشق، على إقطاع تقدمة ألف. وقدمت ولاية شمس الدين الأخناى قضاء دمشق.

وفى خامسه: استقر الشهاب أحمد اليغمورى الحاجب بدمشق نائب قلعتها، والتزم بعمارتها، فأفرد لها من بلاد دمشق داريًّا الكبرى [(١)] وأريحا [(٢)] من الغور، والمواريث الحشرية بدمشق وأعمالها، والرملة والقدس، وغزة ونابلس، والمسابك، ودار الضرب، ونصف متحصل كنيسة قمامة من القدس، وربع العشر، وربع الزكاة، وربع ما يتحصل من دار الوكالة. وأعيد بدر الدين حسن إلى نظر الأحباس بديار وعزل ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح.

وفى سادسه: - وهو سابع عشرين بؤونة، أحد شهور القبط - أُخذ قاع النيل، فجاء أربع أذرع ونصف.

وفى ثانى عشره: خُلع على يونس نائب حماة، وعلى علىّ بن مسافر نائب الوجه البحرى، للسفر.

وفى خامس عشره: أفرج عن يلبغا السالمى، فسار من بيت شاد الدواوين إلى داره على حمار.

وفيه ورد الخبر بأن دقماق المحمدى نائب صفد لما قدمها وُجد مُتَيْريك بن قاسم بن متيريك - أمير حارثة - قد نزل على بلاد صفد، وقسمها.

---

(١) داريا: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة انظر معجم البلدان ٢/٤١٨.

(٢) أريحا: مدينة الغور من أرض الأردن بالشام. انظر معجم البلدان ١/٢٣٥.

وكان قد أخذ من أموال الفارين من دمشق إلى مصر فى نوبة تمرلنك ما يجل وصفه. فركب عليه وحاربه، فانكسر منه دُقْماق، وقُتل من مماليكه اثنا عشر فارسًا، وأسرت أمه، بعدما قتل عدة من عرب حارثة. وأنه استنجد بالأمير شيخ نائب طرابلس، وكان نازلا على مرج العيون، فرجع إليه، وركبا معًا بمن معهما على مُتَيْريك فكسراه، وقتلا جماعة من عربه، وأسرا له ولدين وسَطّاهما، وأخذا له ستة آلاف بعير، فكُتب إلى مُتَيْريك بتطييب خاطره.

وكتب إلى شيخ ودقماق برد أباعره عليه، فلم يقبلا ذلك.

وقدم الخبر أن نائب حلب أحواله تقتضى أنه قد خرج عن الطاعة.

وفى سادس عشرينه: صعد سعد الدين بن غراب إلى القلعة برسم النفقة، فأنفق فى نحو ألف من المماليك، فثاروا به، وقبضوا عليه، وضربوه وعوقوه فى مكان؛ ثم خلى عنه، فنزل إلى داره.

وفى هذا الشهر: خربت بغداد.

وفيه طمع العربان فى بلاد الشام ونهبوا ما فيها.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى ليلة السبت رابعه: اختفى سعد الدين إبراهيم بن غراب، وأخوه فخر الدين ماجد وصهره - أخو زوجته - يوسف بن قُطْلوبَك العلاى، وعدة من مماليكه، فلم يوقف لهم على خبر.

وفى يوم السبت المذكور: فُرقت الأضاحى بالحوش من القلعة، على الأمراء وسائر أرباب الدولة، من القضاة والأعيان والمماليك السلطانية، وفى جهات البر من الجوامع والمدارس والخوانك والمشاهد والزوايا، وفى أرباب البيوت من أهل الستر، على العادة فى كل سنة. وفيه قدم إلى دمشق نائب حماة، وحريم تغرى بردى نائب الشام.

وفى سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن سُنْقُر البجكاوى، واستقر فى أستادارية السلطان، عوضًا عن سعد الدين بن غراب، مضافًا لما معه من الذخيرة والأملاك. وأنعم عليه بإقطاع ابن غراب، وإقطاع ابن قطّيْنة. فأرصد الدواليب، وإقطاع يلبغا السالمى للديوان المفرد. وأرصد إقطاع ابن قطينة لخزانة السلطان، يتصرف فيه الخازندارية بأمر السلطان.

وفيه استعفى الأمير سودن من زاده من وظيفة الخازندارية.

وفى سابعه: أضيف إلى الوزير علم الدين - الذى يقال له أبو كم - نظر الخاص مع الوزارة، عوضًا عن سعد الدين بن غراب، وخلع عليه بذلك. وخلع أيضًا على سعد الدين أبى الفرج بن بنت الملكى صاحب ديوان الجيش، واستقر فى نظر الجيش، عوضًا عن سعد الدين بن غراب. وفيه ورد الخبر أن نائب الوجه البحرى حضر إلى الإسكندرية، وطلب نائبها ليخرج إليه بسبب حفر الخليج فامتنع من الخروج إليه، فانصرف عنه.

فكُتب إليه أنه إن حضر أحد يطلب الأمراء المسجونين، فليبادر بقتل الأمير يَشْبَك، وإلقاء رأسه إليهم.

وفى تاسعه: ورد رسول مشايخ تروجة بقدوم سعد الدين بن غراب إليهم، ومعه مثال سلطانى باستخراج الأموال ومسيرهم معه إلى الإسكندرية، وإخراج يَشْبَك والأمراء من السجن، ليحضروا إلى القاهرة بهم. فخلع على الرسول، وكتب معه بأخذ ابن غراب ومن معه وإرسالهم إلى القاهرة.وقدم كتاب أُرُسطاى نائب الإسكندرية بأن سعد الدين بن غراب طلب زعران الإسكندرية، فخرج إليه أبو بكر المعروف بغلام الخدام بالزعر إلى تروجه، فأعطى كل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم، وقرر معهم قتل النائب. فلما بلغ النائب ذلك، وقدموا إلى الإسكندرية، قبض على جماعة منهم، وقتل بعضهم، وقطع أيدى بعضهم، وضرب غلام الخدام بالمقارع، وأنه ظفر بكتاب ابن غراب إلى بعض تجار الإسكندرية وجهزه، وفيه أنه يجتمع بالنائب ويؤكد عليه أن لا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر فى أمر يَشْبَك ومن معه، وأنه يجعل باله لا يجرى له ما جرى على ابن عرام فى قتله الأمير بركة. وورد كتاب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لابن غراب، فكتب له السلطان أمانًا، وكتب له الأمراء أيضًا - ما خلا الأمير جكم - فإنه كتب إليه كتابًا و لم يكتب أمانًا.

وخلع على علىِّ بن غريب الهوارى، وعثمان بن الأحدب، وعملا فى الإمرة على هوارة ببلاد الصعيد، عوضًا عن محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، وسارا. واستقر بهاء الدين أرسلان نقيب الجيش، حاجبًا.

وفى سادس عشره: خلع على الصاحب الوزير علم الدين، واستقر وكيل الخاص. وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلاوى والى القاهرة، وأضيف إليه ولاية القرافة.

وفيه رحل تَمُرلنك عن بغداد، بعدما هدمها.

وفيه قدم رسل أبى يزيد بن عثمان - ملك الروم - بهدية، فيها عشرة مماليك، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشر قطع من الجوخ، وشاربان [١] من الفضة، وعشر قطع فضة، ما بين أطباق وغيرها، وعدة هدايا إلى الأمراء؛ فقرئ كتابه فى العشرين منه.

وفى حادى عشرينه: قدم سعد الدين بن غراب إلى القاهرة ليلا، ونزل عند صديقه جمال الدين يوسف أستادار بجاس، وهو يومئذ أستادار سودن طاز أمير أخور. فتحدث له مع سودن طاز، وأوصله إليه، فأكرمه وأنزله عنده يومى الثلاثاء والأربعاء، واسترضى له الأمراء وأحضره فى يوم الخميس ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان، فقبل الأرض وخلع عليه جبة حرير مطرزة على عادته، واستقر فى الأستادارية، ونظر الجيش، ونظر الخاص على إقطاعه، وأضيف إليه الذخيرة ودواليب خاص الخاص.

وعُزل ناصر الدين محمد بن سنقر، ونزل إلى بيت الأمير جكم الدوادار، فمنعه من الدخول إليه ورده، فصار إلى داره. وما زال حتى دخل مع الأمير سودن من زادة إلى عند الأمير جكم، فقبل يده، فلم يكلمه كلمة، وأعرض عنه، فرضَّاه بعد ذلك.

وفى يوم الخميس سلخه: أنفق الأمير القاضى سعد الدين بن غراب تتمة النفقة على المماليك السلطانية، فأعطى كل واحد ألف درهم، وعندما نزل من القلعة أدركه عدة من المماليك السلطانية، ورجموه بالحجارة يريدون قتله، فبادر إلى بيت الأمير نوروز واستجار به، فأجاره، حتى انصرف المماليك عن بابه، وتوجه إلى داره.

وفيه نودى على النيل بزيادة ثمانية وأربعين إصبعًا، وتأخر عليه من الوفاء ست عشرة إصبعًا، وفَّاها فى الليل، وبلغ الدينار المصرى إلى أربعين درهمًا ثم انحط، وبلغ الأفرنتى إلى سبعة وثلاثين ثم انحط.

وفى هذا الشهر: كانت وقعة بين الأمير نعير وبين نائب حلب.

* * *

ومات فى هذه السنة

قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم العسقلانى الحنبلى، فى ثانى عشر رمضان، وكان مشكورًا.

---

(١) الشاربان فى السيف: أسفل القائم، أنفان طويلان، وهو يكون من حديد وفضة وادم. ينظر لسان العرب (شرب).

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى المالكى، وهو معزول، فى ثانى عشر رجب.

ومات ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن نجم الدين أبى القسم هبة الله بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن على بن أبى الكتائب بن محمد بن أبى الطيب العجلى الدمشقى الشافعى، كاتب سر دمشق، يوم الأحد سادس عشرين رجب، فى العقوبة بيد التمرية. ولى كتابة سر حلب وطرابلس ودمشق مرات، وأقام بالقاهرة مدة.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر بن الزين والى القاهرة، فى ثانى عشر ربيع الأول.

ومات شهاب الدين أحمد بن أسد بن طرخان الملكاوى الشافعى بدمشق، فى نصف رمضان.

ومات الأمير سيف الدين أَسَنْبُغا العلاى، دوادار الملك الظاهر، فى سادس عشر جمادى الأولى.

ومات أمير فرج الحلبى، نائب الإسكندرية بها، فى آخر ربيع الأول.

ومات الأمير سيف الدين المعروف بسيدى أبى بكر بن الأمير شمس الدين سنقر ابن أخى بهادُر الجمالى، فى ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات أبو بكر بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فى ثالث عشر ربيع الآخرة.

ومات الأمير سيف الدين بجاس النوروزى، فى ثانى عشر رجب.

ومات الأمير سودن نائب الشام فى آخر رجب، ودفن خارج دمشق بقيده، وهو فى أسر تَمُرلنك.

ومات تقى الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الدمشقى الحنفى، عرف بابن الكُفرى قاضى القضاة الحنفية بدمشق، فى العشرين من ذى القعدة، فى محنة تمرلنك.

ومات الوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، فى خامس عشرين جمادى الآخرة، وهو مصروف عن الوزارة.

ومات العلامة علاء الدين على بن محمد بن عباس بن فتيان البعلبكى الدمشقى، عُرف بابن اللحام الحنبلى، يوم عيد الفطر.

ومات نور الدين على بن عبد العزيز بن أحمد بن الخروبى التاجر الكارمى، فى ثانى عشر رجب.

ومات قاضى القضاة نور الدين على بن يوسف بن مكى، المعروف بابن الجلال الدميرى، المالكى، باللجون من طريق دمشق، فى جمادى الأولى.

ومات الفقيه الجندى قطلوبغا الحنفى، أحد أعيان الحنفية، فى نصف جمادى الأولى.

ومات قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء محمد بن عبد البر الخزرجى السبكى الشافعى، وهو مصروف عن القضاء، فى سابع عشر ربيع الآخر.

ومات شرف الدين محمد بن محمد الدماميني، قاضى الإسكندرية بها، فى آخر المحرم.

ومات شيخ المالكية شمس الدين محمد بن محمد بن إسماعيل بن المكين مدرس الظاهرية المستجدة بين القصرين، فى ثانى عشرين ربيع الآخر.

ومات بدر الدين محمد الأقفهسى، ناظر الدولة، فى ثالث عشر ربيع الآخر.

ومات قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطى الحنفى، وهو قاض، فى تاسع عشرين ربيع الآخر، ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وهلك بحلب وحماة ودمشق وأعمال الشام فى محنة تمرلنك، بالجوع والقتل والحريق، وفى الأسر، عشرات آلاف آلاف.

ومات قاضى القضاة صدر الدين أبو المعالى محمد بن إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم ابن عبد الرحمن السلمى المناوى الشافعى، وهو فى الأسر مع تمرلنك غريقًا بنهر الزاب، بعد ما مرت به محن شديدة.

ومات بدر الدين محمد بن محمد بن مُقَلّد القدسى الحنفى، قاضى الحنفية بدمشق. مات بغزة، فى ربيع الأول. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان قد أقام بالقاهرة مدة، وفيها ولى قضاء دمشق، فلم تشكر مباشرته. وكان أولا ينوب فى الحكم بدمشق، وأفتى، ودرس، وبرع فى الفقه، وشارك فى العقليات.

ومات الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل [١] عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول، فى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الأول، بمدينة تعز من بلاد اليمن، عن سبع وثلاثين سنة. ولى سلطنة اليمن بعد أبيه، فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائه. حتى مات. وكان حليما، كثير السخاء، مقبلا على العلم، محبًّا للغرباء، وصنّف تاريخًا لليمن. قدم علينا إلى القاهرة ووقفت عليه، وقام بمملكة اليمن بعده ابنه الملك الناصر أحمد.

ومات نور الدين على بن يحيى بن جُميع الطائى الصعدى، كبير تجار اليمن بعدن أمين، فى ليلة عيد الفطر، وقد جاوز الستين، وكان مكينًا عند الأشرف.

ومات برهان الدين إبراهيم بن على التادلى قاضى القضاة المالكية بدمشق، يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى، فى الحرب مع أصحاب تمرلنك. ومولده سلخ سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، ولى قضاء دمشق بعد المازونى سنة ثمان وسبعين، ثم صُرف وأُعيد، فكانت ولايته التى مات فيها هى العاشرة. وكان قوى اليقين، فاضلا.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الله ويعرف بابن الخرّاط الإسكندرى المالكى بالثغر، فى عاشر صفر، حدّث بكتاب التيسير فى القراءات عن العراداياشى، وبموطأ مالك عنه أيضًا.

ومات ملك دله من بلاد الهند، وهو فيروز شاه بن نصرة شاه، وقام من بعده ابنه محمد شاه.

ومات قاضى الحنابلة بدمشق تقى الدين إبراهيم بن العلامة شمس الدين محمد بن مفلح [٢] فى شعبان، عن اثنتين وخمسين سنة. وكان فقيهًا واعظًا، إلا أنه قام فى مصالحة الطاغية تيمور، فلم ينجح، ولم يُحمد.

* * *

---

(١) إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على بن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول من ذرية جبلة بن الأبهم، كما يقولون: ملك يمانى من ملوك الدولة الرسولية ولى بعد وفاة أبيه الملك الأفضل سنة ٧٧٨ وعاش محمود السيرة، استقام له الملك إلى أن توفى بتعز، واشتغل بفنون من الأدب والتاريخ والحساب. وألف كتبا كانت طريقته فيها أن يختار الموضوع ويجمع مادته أو بعضها ثم يأمر من يتمه ويعرض عليه فما ارتضاه أثبته وما أباه حذفه وما وجده ناقصا أكمله انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢- ٢٣٠ وتاريخ ثغر عدن والضوء اللامع ٢٩٩/٢ والأعلام ٣١٦/١.

(٢) إبراهيم بن محمد بن مفلح الرامينى الأصل، الدمشقى أبو إسحاق، برهان الدين: شيخ الحنابلة فى عصره. من كتبه «طبقات أصحاب الإمام أحمد» و«كتاب الملائكة» انظر الدارس ٤٧/٢ والقلائد الجوهرية ١٦١ والأعلام ٦٤/١.

سنة أربع وثمانمائة

أهل المحرم بيوم الخميس:

فيه كان وفاء النيل ستة عشر ذراعًا، ففتح الخليج على العادة.

وأما الذهب فإن الدينار المختوم بستة وثلاثين درهمًا، والأفرنتي بأربعة وثلاثين. والأردب القمح من خمسين إلى ما دونها، والشعير بخمسة وعشرين، والأرز بمائة وتسعين الأردب، والكتان كل رطل بدرهمين ونصف بعد درهم، والحملة الحطب - وهي مائة وعشرة أرطال - بعشرة دراهم بعد درهمين.

وفي ثانيه: توجه الأمير زين الدين عبد الرحمن المهتار إلى بلاد الشام، في مهم سلطاني.

وفي تاسعه: استقر الأمير أَرْكُماس الظاهري نائب عين تاب في نيابة ملطية [1]، كان الأمير دمرداش نائب حلب قد عزله من نيابة عين تاب [2]، فقدم إلى القاهرة واستقر علاء الدين صهر يَلْبَك في كشف البحيرة، وخُلع على سعد الدين بن غراب عند تكملة النفقة على المماليك السلطانية.

وفي سادس عشره: استقر شمس الدين محمد بن البنّا في نظر الأحباس، وصُرف بدر الدين حسن بن الداية. واستقر الصارم في ولاية مصر، وعُزل الضاني.

وفي حادي عشرينه: أَوْلم الأمير الكبير نوروز لعرسه على سارة ابنة الملك الظاهر، فذبح ثلاثمائة رأس من الغنم، وستة عشر فرسًا.

وفي ثالث عشرينه: استقر الأمير أبو يزيد - أحد الحجاب - بإمرة عشرة.

وفي سابع عشرينه: استقر شهاب الدين أحمد بن الجواشني في قضاء الحنفية بدمشق، عوضًا عن شمس الدين محمد بن القطب.

وفي أول صفر: قدم الخبر بأن الأمير تغري بردي نائب دمشق اختفى.

وذلك أن السلطان كان قد كتب إلى أمراء دمشق بالقبض عليه، فلما أحس بذلك،

---

(١) من الثغور الجزرية بالشام وهي المدينة العظمى وكانت قديمة وضربتها الروم فبناها أبو جعفر ويخرج منها سيحان وهو نهر أذنة. وفتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهري. انظر الروض المعطار في خبر الأقطار ٥٤٥ واليعقوبي ٣٦٢ وآثار البلاد ٥٦٤ والكرفي ٤٦ حوقل ١٦٦ ومعجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣ وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) عين تاب قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك من أعمال حلب انظر، معجم البلدان ١٧٦/٣.

فر من دمشق فى ليلة الجمعة ثانى عشرين المحرم، فى نفر يسير فتعين لنيابة دمشق عوضًا عنه الأمير آقبغا الجمالى أتابك دمشق، والأمير تمربغا المنجكى لنيابة صفد، عوضًا عن دقماق. ونُقل دقماق لنيابة حلب، وعُزل دمرداش عنها. فورد الخبر بالتحاق تغرى بردى بدمرداش فى حلب.

وفى خامسه: كتب توقيع باستقرار نجم الدين عمر بن حجى فى قضاء القضاة الشافعية بحماة [1] وتوقيع بنقل علاء الدين على بن مغلى قاضى الحنابلة بحماة، إلى قضاء الحنابلة بحلب.

وفى عشرينه: جُهز تشريف الأمير آقبغا بنيابة دمشق، على يد غُنجق.

وفى رابع عشرينه: خُلع على الصاحب علم الدين يحيى - المعروف بأبو كم - خلعة استمرار. وذلك أنه كان لكثرة طلب كُلَف الدولة منه، وعجزه، اختفى، فلما ظهر خلع عليه. وورد الخبر أن دمرداش نائب حلب قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر - زعيم التركمان - وسجنه. فلما قدم عليه تغرى بردى - نائب دمشق - شفع فيه، فأفرج عنه وعن من معه، وهم نحو الخمسين رجلا.

وفيه رسم للأمير سودن الحمزاوى بنيابة صفد وسبب ذلك أنه اختلف مع الأمراء الكبار وهم: نوروز، وجكم، وسودن طاز، وتمربغا المشطوب، وقانى باى العلاى؛ فانقطعوا عن الخدمة السلطانية من أول صفر، وعزموا على إثارة الحرب. فلبس الحمزاوى للحرب فى داره، واجتمع إليه من يلوذ به. وكان الأمراء قد عينوا للخروج من ديار مصر ثمانية أنفس وهم: الحمزاوى، وسودن بقجة، وهما من أمراء الطبلخاناة، ورءوس نوب، وأُزْبَك الدوادار، وسودن بشتا، وهما من أمراء العشراوات، وقانى باى الخازندار، وبردى باك، وهما من الخاصكية، وآخرين من المماليك الخاصكية، ثم مشى الحال بينهم وبين الأمراء، واصطلحوا على خروج الحمزاوى لنيابة صفد، وإقامة الباقين من غير حضورهم الخدمة، وحلف الأمراء والممالك السلطانية على الطاعة والاتفاق.

وفيه سار القاصد بتشريف دقماق لنيابة حلب.

وفى خامس عشرينه: استقر حسن بن قراجا فى ولاية الجيزة [2] وعزل عمر بن الكورانى.

---

(١) حماة مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١.

(٢) بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص فى زمان عمر بن الخطاب، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٨٣ وصبح الأعشى ٣٩٢/٣ وخطط المقريزى ٢٠٥/١، ومعجم البلدان ١١٧/٢.

وفى سابع عشرينه: خُلع على سودن الحمزواى لنيابة صفد، عوضًا عن دقماق المنتقل لنيابة حلب.

وفيه قدم الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد، والأمير بهاء الدين عمر بن الطحان نائب غزة من أسر تمرلنك، وذكروا أنهما فارقاه من أطراف بغداد.

وفى هذا الشهر: كانت كائنة طرابلس [١] وذلك أنه قدم إليها فى يوم الإثنين عاشره مركب فيه عدة من الفرنج، فخرج الناس لحربهم، وكان بالميناء مراكب لتجار الفرنج، فاجتمعوا على مراكب المسلمين التى قد شحنت بالبضائع لتسير إلى أرض، وأخذوا منها مركبين، فيهما مال كبير، وأسروا خمسة وثمانين مسلمًا، بعدما قاتلوا قتالا شديدًا وغرق جماعة وفر جماعة، وأصبحوا من الغد على الحرب، فوقع الاتفاق على فكاك من أسروه بمال يحمل إليهم. فلما حُمل إليهم بعض المال أسروا الرجل، ومضوا فى ليلة الخميس خامس عشره، ونزلوا على قرية هناك فقاتلهم أميرها، وقبضهم وجاء بهم إلى طرابلس، فسجنوا، وأخذ المسلمون مركبهم.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى خامسه: لبس آقبغا خلعة بنيابة الشام، وقد وصلت إليه من القاهرة إلى دمشق، وقرئ تقليده.

وفى عاشره: قدم الأمير دُقماق من صفد إلى دمشق، يريد حلب، وقد استقر فى نيابتها، فخرج الأمير آقبغا إلى لقائه، وأنزله بالميدان، وصحبة متسفّره كتاب السلطان يطلب الأمير دمرداش نائب حلب إلى مصر، وبتوجه الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى القدس، بعد ما أُحيط بموجوده فى دمشق.

وفى ثانى عشره: سار دقماق من دمشق يريد حلب [٢].

وفى نصفه: طلع الأمير نوروز إلى الخدمة، بعدما انقطع عنها زيادة على شهر، فخُلع عليه وعلى الأمير سودن طاز، وخلع على الأمير ألطنبغا العجمى والى دمياط، واستقر كاشف الوجه القبلى، عوضًا عن الأمير جَنْتَمُر الطرنطاى بحكم وفاته.

وفى ثانى عشره: طلع الأمير جكم إلى الخدمة، بعدما انقطع عنها مدة شهرين، وخلع عليه.

---

(١) انظر معجم البلدان. ٤/١٨٨.

(٢) حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات. انظر معجم البلدان ٢/٢٨٢/٢٩٠.

وفيه استقر شمس الدين محمد الشاذلى الإسكندرانى فى حسبة القاهرة، وعُزل البخانسى.

وفيه نودى فى دمشق بخروج العسكر لقتال دمرداش بحلب.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه: استقر فخر الدين ماجد بن غراب فى نظر الخاص برغبة أخيه سعد الدين إبراهيم بن غراب له عن ذلك.

وفى سابع عشرينه: استقر تاج الدين بن الحزين مستوفى الدولة، فى الوزارة بدمشق.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: استقر تاج الدين محمد بن أحمد بن على - عرف بابن المكللة - ربيب ابن جماعة، فى حسبة مصر، وعُزل نور الدين البكرى.

وفى خامسه: استقر الأمير جُمُق رأس نوبة دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير جركس المصارع، واستقر تنباك الخاصكى دوادارًا.

وفى سابعه: استقر فى نظر الأحباس بدر الدين محمود العينتابى، عوضًا عن شمس الدين بن البنا، بحكم وفاته. وخُلع على الأمير سلمان لنيابة الكرك، عوضًا عن الأمير جركس والد تنم.

وفى خامس عشره: كتب توقيع شمس الدين محمد بن عباس الصَّلْتى نائب قاضى غزة باستقراره فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضًا عن شمس الدين محمد بن الأخناى.

وفى سابع عشره: استقر الأمير مبارك شاه - الحاجب وكاشف الجيزة - وزيرًا، وصُرف علم الدين يحيى أبوكم، وقبض عليه، وسلم إلى شاد الدواوين ليعاقبه.

وفى حادى عشرينه: استقر أقتمر - أحد المماليك السلطانية - فى ولاية القاهرة، وعزل الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفى هذا الشهر: فَرَّ من كان مع الأمير دقماق من التراكمين، وقد قرب دقماق من حلب، فعاد بمن بقى معه إلى حماة، واستنجد الأمير آقبغا نائب دمشق فأمده بطائفة. فسار دمرداش من حلب، ولقى دقماق على حماة فى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى، فانكسر بعد قتال طول النهار، وكثرت فيه الجراحات. فلم يمكن دمرداش العود إلى حلب، من أجل أن الأمراء بها أخذوها للسلطان، ومر على وجهه، فعاد عسكر دمشق إليها، وسار دقماق إلى حلب فتسلمها.

وفى ثانى عشره: قُبض بدمشق على شمس الدين محمد الأخناى قاضى دمشق، ونودى بالكشف عليه، فكثر شاكوه باستيلائه على أملاك الناس وأوقافهم.

وقدم فى سادس عشرينه: إلى دمشق شمس الدين محمد بن عباس الصلتى - نائب قاضى غزة [(١)] متوليا القضاء عن الأخناى، وأفرج عن الأخناى، فى أول جمادى الآخرة.

وفى ليلة الجمعة تاسعه: ركب الأمير صروق نائب غزة. واقتتل هو والأمير سلامش الحاجب، والأمير جركس نائب الكرك [(٢)] فقتل بينهم عشرة أنفس، وجرح جماعة، وفر سلامش، وأُخذ جركس أسيرًا، فجمع سلامش لحرب صُرُوق، واستنجد بعمر بن فضل أمير حزم، فقام معه، وقدما فى جمع كبير إلى غزة فى رابع عشره، واقتتلوا مع صروق، فانهزم منهم فى يوم الخميس خامس عشره، فتبعوه، وقبضوا عليه، وقيدوه ونهبت غزة. وقتل بينهم نحو الخمسين رجلا، وجرح نحو ثلاثمائة.

وفى يوم الجمعة سادس عشرسن شعبان: أُقيمت الجمعة بالجامع الأموى بدمشق، وهو خراب منذ أحرقه التَمُرية، بعد ما نودى فيه الناس بذلك، فشهدها جماعة. هذا وجميع مدينة دمشق خراب، لا ساكن بها. وقد بنى الناس خارجها، وسكنوا هناك، وصاروا ينقلون ما عساه يوجد بالمدينة من الأحجار ونحوها، وبنى بذلك فى ظاهر المدينة، حتى أزالوا ما بقى من آثار الحريق، وصارت مدينة دمشق كيمانًا.

وفى هذا الشهر: كُتب باستقرار الأمير صروق فى كشف بلاد الشام، لدفع العربان عنها، فأوقع بهم، وأكثر من القتل فيهم.

وفى ثامن عشر رمضان: خرج الأمير دقماق نائب حلب لقتال الأمير دمرداش، وقدم دمرداش فى جمائع التركمان، فأقبل الأمير نعير لقتاله أيضًا، فانهزم، وأُخذت أكثر أثقاله.

وفى يوم الإثنين خامس جمادى الآخرة: صُرف قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى عن قضاء القضاة بديار مصر. واستقر القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى قاضى العسكر فى قضاء القضاة بديار مصر.

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤.

(٢) هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر وهو حصن ومعقل مشهور بناحية انظر الشام الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢،٢٠٣،٤٩٢،٤٩٣ ومعجم البلدان ٤٥٣/٤.

وفى ثامنه: استقر الأمير ألطنبغا العثمانى فى نيابة غزة، عوضًا عن الأمير صروق.

وفى طول هذه الأيام: كثر تنافر الأمراء واختلافهم، وانقطع نوروز، وجكم، وقَنْباى عن الخدمة.

ودخل شهر رمضان: وانقضى، فلم يحضروا للهناء بالعيد، ولا صلوا صلاة العيد مع السلطان.

فلما كان يوم الجمعة ثانى شوال: ركبوا للحرب، فنزل السلطان من القصر إلى الإسطبل عند سودن طاز، وركب نوروز وجكم وقنباى، وقُرْقُماس الرماح. ووقعت الحرب من بكرة النهار إلى العصر. ورأس الأمراء نوروز وجكم، وخصمهم سودن طاز.

فلما كان آخر النهار: بعث السلطان بالخليفة المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع إلى الأمير الكبير نوروز فى طلب الصلح، فلم يجد بدًّا من ذلك، وترك القتال وخلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير جكم الدوادار أيضًا عن الحرب. وعُد ذلك مكيدة من سودن طاز، فإنه خاف أن يُغلب ويسلمه السلطان إلى الأمراء، فأشار عليه بذلك حتى فعله، فتمت مكيدته بعدما كاد أن يؤخذ، لقوة نوروز وجكم عليه، وبات الناس فى هدوء.

فلما كان يوم السبت الغد: ركب الخليفة وشيخ الإسلام البلقينى، وحلّفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان، وإخماد الفتنة، فطلع الأمير نوروز إلى الخدمة فى يوم الإثنين خامسه، وخلع عليه، وأركب فرسًا خاصا بسرج، وكنفوش ذهب. وطلع الأمير جكم فى ثامنه وهو خائف. ولم يطلع قنباى، ولا قرقماس، وطُلبا فلم يوجدا، فُجهز إليهما خلعتان، على أن يكون قُنْباى نائبًا بحماة، وقرقماس حاجبًا بدمشق. ونزل جكم بغير خلعة حَنَقًا وغضبًا، فما هو إلا أن استقر فى داره، ونزل إليه سرماش رأس نوبة، وبشباى الحاجب بطلب قُنباى، ظنا أنه اختفى ليلبس الخلعة بنيابة حماة، فأنكر أن يكون عنده، وصرفهما، وركب من ليلته بمن معه من الأمراء والمماليك وأعيانهم: قُمش الخاصكى الخازندار، ويشبك الساقى، ويشبك العثمانى، وألطنبغا جاموس، وجانباى الطيبى، وبَرُسْبُغا الدوادار، وطُرُباى الدوادار، وصاروا كلهم على بركة الحبش خارج مصر. ولحق به الأمير قَنْباى، وقُرْقُماس الرماح، وأُرْغُز، وغنجق، ونحو الخمسمائة من مماليك السلطان. وأقاموا إلى ليلة السبت عاشره، فأتاهم الأمير نوروز، والأمير سودن من زاده رأس نوبة، والأمير تمربغا المشطوب، فى نحو الألفين، فسر بهم وأقاموا جميعًا إلى ليلة الأربعاء، وأمْرُهم يزيد ويقوى بمن يأتيهم من الأمراء والمماليك. فنزل السلطان من القصر فى ليلة الأربعاء رابع عشره إلى الإسطبل عند سودن طاز. وركب بكرة يوم

الأربعاء فيمن معه، وسار من باب القرافة، بعد ما نادى بالعرض، واجتمع إليه العسكر كله. وواقع جكم ونوروز، وكسرهما، وأسر تُمربغا المشطوب، وسودن من زاده، وعلى بن أينال، وأُرغر. وفر نوروز وجَكَم فى عدة كبيرة يريدون بلاد الصعيد. وعاد السلطان ومعه الأمير سودن طاز إلى القلعة مظفرًا منصورًا. وبعث بالأمراء المأسورين إلى الإسكندرية، فى ليلة السبت سابع عشره. وانتهى نوروز وجَكَم إلى منية القائد [(١)] وعادوا إلى طموه [(٢)]، ونزلوا على ناحية منبابه من بر الجيزة، تجاه القاهرة. فمنع السلطان المراكب أن تعدى بأحد منهم فى النيل، وطلب الأمير يشبك الشعبانى من الإسكندرية. فقدم يوم الإثنين تاسع عشره إلى قلعة الجبل، ومعه عالم كبير ممن خرج إلى لقائه، فباس الأرض ونزل إلى داره.

وفى ليلة الثلاثاء عشرينه: ركب الأمير نوروز نصف الليل، وعدى النيل، وحضر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس الأتابك. وكان قد تحدث هو والأمير إينال باى بن قجماس له مع السلطان، حتى أَمَّنه ووعده بنيابة دمشق. وكان ذلك من مكر سُودن طاز، فمشى ذلك عليه، حتى حضر، فاختل عند ذلك أمر جكم وتفرق عنه من معه، وفر عنه قنباى وصار فريدًا. فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يستأذنه فى الحضور، فبعث إليه الأمير أُزبك الأشقر رأس نوبة والأمير بشباى الحاجب، وقدما به ليلة الأربعاء حادى عشرينه إلى باب السلسلة من الإصطبل السلطانى، فتسلمه عدوه الأمير سودن طاز وأصبح وقد حضر يشبك وسائر الأمراء للسلام عليه. فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشرينه قيد وحمل فى الحراقة إلى الإسكندرية، فسجن بها حيث كان الأمير يشبك مسجونًا.

وفى يوم الخميس: هذا خرج المحمل وأمير الحاج نكباى الأزدمرى، أحد أمراء الطبلخاناه. وكان قد ألبس الأمير نوروز تشريف نيابة دمشق فى بيت الأمير بيبرس يوم الأربعاء، فقُبض عليه من الغد يوم الخميس، وحُمل إلى باب السلسلة، وقُيد، وأخرج فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه إلى الإسكندرية، فسجن بها أيضًا. وغضب الأميران بيبرس وإينال باى، وتركا الخدمة السلطانية أيامًا، ثم أُرضيا. واختفى الأميران قانباى وقرقماس، فلم يعرف خبرهما.

وفى سابع عشرينه: كُتب تقليد الأمير شيخ المحمودى باستقراره فى كفالة السلطنة بالشام، عوضًا عن الأمير أقبغا الأطروش.

(١) منية القائد: قرية صغيرة من أعمال الجيزة، تنسب إلى منشئها القائد فضل بن صالح.

(٢) طموه بلدة من أعمال الجيزة انظر معجم البلدان.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فى ثالثه: أنعم بإقطاع على الأمير إينال العلاى حطب رأس نوبة، وأخذ منه النحريرية. وبإقطاع قنباى على علاّن الأقطع. وبإقطاع تمربغا المشطوب على الأمير بشباى الحاجب، فلم يرض به، فاستقر باسم قطلوبغا الكركى، على عادته أولا. وبقى بشباى على طبلخانته. وأُنعم بإقطاع جكم على الأمير يشبك العثمانى على عادته أولا، وأنعم على بيغوت بإمرة طبلخاناه، بعدما كان أمير عشرة. وعلى أسنبغا المصارع بطبلخاناه. وعلى سودن بشتا بطبلخاناه؛ نقلوا كلهم من العشراوات.

وفى سادسه: قدم الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم: أقباى وقطلوبغا - الكركيان - وجركس المصارع، وصعدوا إلى القلعة، فباسوا الأرض على العادة، ونزلوا إلى منازلهم.

وفيه استقر بدر الدين حسن بن آمدى - أحد الأجناد - فى مشيخة خانقاه سرياقوس، وعزل الفقيه أنبياء التركمانى.

وفى ثامنه: خلع على الأمراء القادمين من الإسكندرية.

وفى تاسعه: قدم كتاب السلطان بعزل الأمير آقبغا، فانعزل. وكانت مدة نيابته تسعة أشهر تنقص خمسة أيام. وتوجه إلى القدس بطالا فى سابع عشره، فقدم متسلم الأمير شيخ لدمشق، وأمر الناس بملاقاة شيخ بالسلاح وهيئة القتال.

وفى ثامن عشره: لعب الأمراء بالأكرة فى بيت الأمير الكبير بيبرس، فاجتمع من المماليك السلطانية فوق الألف تحت القلعة، يريدون الفتك بسودن طاز. فعند ما خرج من بيت بيبرس هموا به، فساق ولحق بباب السلسلة، وامتنع بالإصطبل.

وفيه نفى الأمير يلبغا السالمى إلى دمياط.

وفى رابع عشرينه: خُلع على الأمير الكبير بيبرس الأتابك خلعة الاستمرار على الأتابكية، وخلع على الأمير يشبك، واستقر دوادار السلطان عوضًا عن جكم. وخلع على ناصر الدين محمد الطناحى إمام السلطان ومؤدبه، واستقر فى نظر الأحباس عوضًا عن البدر محمود العينتابى.

وفيه توجهت الأمراء إلى عرب تروجة، وتأخر الأمير بيبرس والأمير بشباى، وقدموا ليلة عيد النحر من غير شىء.

وفى أول ذى الحجة: كُتب إلى الأمير قرايوسف يُخَيَّر فى مكان يأوى إليه هو وجماعته، ليكتب له به. وجُهز إليه فوقانى حرير بوجهين، وطراز زركش عرض ذراع، وألف دينار، وتعبئة قماش عدة خمسين قطعة، ولإخوته فرعلى وترعلى، ولولده محمد شاه، ولألزامه أقبية حرير بطرز زركش.

وفى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة: استقر الأمير أقباى الكركى خازندارًا على عادته.

وفيه قدم الأمير شيخ المحمودى نائب الشام إلى دمشق من غير مدافع، فنزل بها، وولى جماعة من أصحابه عدة وظائف.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير يشبك الدوادار بنظر الأحباس، على عادته.

وفى ثالث عشرينه: استقر الأمير ناصر الدين محمد بن على بن كلفت التركمانى فى ولاية القاهرة والحجوبية، وصرف أقتمر. واستقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية مصر، عوضا عن ناصر الدين محمد الضانى.

وفى سادس عشرينه: استقر ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المغربى فى قضاء المالكية، وصرف جمال الدين يوسف بن خالد بن نعيم مقدم بن محمد بن حسن بن غانم ابن محمد بن على البساطى.

وفى يوم الإثنين سلخه: استقر الأمير جُمُق الدوادار فى نيابة الكرك، عوضًا عن سلمان. واستقر الأمير علان الأقطع أحد المقدمين فى نيابة حماة، وعزل عنها يونس الحافظى، فشق ذلك على سودن طاز، من أجل أنهما كانا عضديه، وكُتب باستقرار الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة طرابلس، والأمير على باك بن دلغادر فى نيابة عين تاب، والأمير عمر بن الطحان فى نيابة ملطية. وكانت الأخبار وردت بتجمع التركمان مع دمرداش ونزولهم على حلب، وأن دقماق نائب حلب اجتمع هو ونائب حماة والأمير نعير، وأن تمرلنك نزل على مدينة سيواس.

ولم يحج فى هذه السنة أحد من الشام ولا العراق.

* * *

ومات فى هذه السنة

الشيخ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان البلبيسى الضرير، إمام الجامع الأزهر، وشيخ القراءات بديار مصر، فى ثانى ذى القعدة.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن تاج الدين محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنبارى، موقع الدرج، فى حادى عشر ذى الحجة، وكان أبوه تاج الدين كاتب السر بطرابلس.

ومات شمس الدين محمد بن البنا ناظر الأحباس فى خامس ربيع الآخر.

ومات الأمير جنتمر التركمانى الطرنطاى، كاشف الوجه القبلى، فى منتصف صفر، قتله هوارة الصعيد، طائفة الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، فى نحو المائتين من عسكره، ونهبوا سائر ما كان معه.

وكان أولا من أمراء الشام وولى نيابة حمص وبعلبك، وأسر مع تمرلنك، ثم قدم بعد أسره إلى القاهرة، وولى كشف الصعيد. وكان سمحًا طائشًا، عسوفًا، جبارًا، ظالمًا، مفسدًا.

ومات الأمير علاء الدين على الشهير بابن الملكة والى منفلوط [(١)]، فى آخر ربيع الأول، قتله عرب بنى كلب.

وماتت الست خوند شقراء بنت حسين بن محمد بن قلاوون، أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، ليلة الإثنين ثامن عشر المحرم. ودفنت من الغد بمدرسة أم السلطان الأشرف بالتبانة خارج القاهرة.

ومات الشيخ لاجين الجركسى، فى رابع ربيع الآخر، عن ثمانين سنة. وكان عظيما عند الجراكسة، يزعمون أنه يملك مصر، ويشيعونه، فلا يتكتم هو ذلك. ويعد أنه إذا ولى أبطل الأوقاف التى أوقفت على المساجد والمدارس، وأخرج الإقطاعات عن الأجناد والأمراء، ويحرق كتب الفقه، ويعاقب الفقهاء. وعين جماعة لعدة وظائف، وحذّر وأنذر، فأخذه الله دون ذلك.

ومات الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الناصح بالنوب [(٢)] فى سابع عشرين رمضان. حدّث بمسلم عن ابن عبد الهادى، وبأبى داود والترمذى عن الميدومى. وكان وجيهًا عند الملوك؛ وللناس فيه اعتقاد كثير.

ومات المسند شهاب الدين أحمد، بن المحدث بدر الدين حسن بن محمد بن محمد بن زكريا بن محمد بن يحيى القدسى.

* * *

---

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/١٣٤.

(٢) النوب مكان من مصر وأشهره نوب طحا بمركز شبين الكوم، ونوب طريق بمركز السنبلاوين.

سنة خمس وثمانمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء، والأردب القمح بستين درهمًا، والأردب الشعير بأربعين درهمًا، والمثقال الذهب بخمسين درهمًا، والدينار الأفرنتى بسبعة وأربعين درهمًا.

وفيه كانت وقعة الطاغية تيمور كَرْكان ملك الشرق مع خونـد كـار أبى يزيد بن مراد بن عثمان ملك الروم. وملخص ذلك أنه سار من العراق إلى جهة بلاد الروم، فجمع ابن عثمان عساكره وعرضهم على مدينة آقشهر - يعنى المدينة البيضاء - فبلغ عدد الفرسان نحو السبعمائة ألف فارس، وثلاثمائة ألف راجل. ومات يوم العرض تحت الأقدام من الدوس فى الأزدحام خمسة وعشرون رجلا. وسار يريد لقاءه نحو الخمسة عشر يومًا. فبعث إليه تَمُرلنك يخدعه ويقول: «أنت رجل مجاهد غازى فى سبيل الله، وليس غرضى قتالك، ولكنى أريد منك أن تقنع بالبلاد التى كانت مع أبيك وجدك، وآخذ أنا بلاد الأمير أَرَطْنا أمير الروم أيام السلطان أبى سعيد». فانخدع لذلك ومال إلى الصلح، فلم يشعر إلا بالخبر قد ورد عليه أن تمرلنك نـزل على كماخ [١] وقتل أهلها وسباهم، وخربها. فعلم أنـه ما أراد إلا مخادعتـه، وسار إليه حتى قرب منه، فكاده تمرلنك ورجع، فظن أبو يزيد أنه قد خافه. وإذا به سلك طريقًا من وراء أبى يزيد، وساق فى بلاد الروم مسيرة ثمانية أيام، ونـزل على عمورية [٢] - ويقال لها اليوم أنكورية - وحاصرها، وألقى فيها النيران، فبلغ ذلك ابن عثمان فساق فى عساكره إليه مدة ثمانية أيام، إلى أن أشرف عليه، وقد جهده التعب، وتقطعت عساكره، وتلفت خيولهم. فعندما وصل ركب تمرلنك إلى حربه فى أول يوم من المحرم هذا، وقد علم أنه وعساكره فى غاية التعب، فلم يجد بدا من محاربته، فاقتتل كل منهما مع الآخر فى يوم الأحد خامسه من أول النهار إلى العصر، وتمرلنك مشرف على مكان مرتفع يرتب عساكره. وثبت كل من الفريقين حتى قُتل بينهما على ما قيل نحو الثمانين ألفًا، وتعين الغلب للروم على عساكر تمرلنك، حتى هموا بالهزيمة. فلما كان فى آخر النهار خرج كمين لتمرلنك، فيه نحو المائة ألف، وصدم الأمير سلمان بن أبى يزيد بن عثمان، فانكسر ولحق بأبيه فى ثلث العسكر، فانكشفت الميمنة، وانقلبت على القلب، ففر الأمير سلمان فى نحو مائة ألف يريد مدينة برصا تخت الملك. وأحاطت عساكر تمرلنك

---

(١) كماخ مدينة بالروم بينها وبين أذربيجان يوم واحد انظر معجم البلدان ٤/٤٥٢.

(٢) عمورية بلد من بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤/١٥٨.

عند ذلك بابن عثمان ومن ثبت معه، وأخذوه أسيرًا، وجاءوا به إلى تمرلنك، وقد تفرقت جمائعه، وتمزقوا كل ممزق، فلو لم يحل بينهم الليل، لما أبقى التمرية منهم أحدًا، ولما جيء بابن عثمان إلى تمرلنك أوقفه وأبنه، ثم وكل به. وبعث من الغد فى تتبع المنهزمين، فأحضر إليه من الجرحى نحو الثلاثة آلاف. وتفرقت التمرية فى بلاد الروم، تعبث وتفسد وتنهب، وتنوع العذاب على الناس، وأحرقوا مدينة برصا. ومكثوا ستة أشهر يقتلون ويأسرون وينهبون ويفسدون. وعدى الأمير سلمان بن أبى يزيد بن عثمان إلى بر القسطنطينية [١].

وفى ثالث المحرم: أنعم بإقطاع علاّن نائب حماة على الأمير جركس المصارع، وبإقطاع جُمُق نائب الكرك على الأمير آقباى الخازندار الكركى، وزيد عليه سمسطا[٢].

وفى سابعه: الأمير سُودن طاز أمير أخور من الإصطبل السلطانى بأهله وحاشيه إلى داره، وعزل نفسه عن الأمير أخوريه، وصار من جملة الأمراء.

وفى ثامنه: توجه الأمير عبد الرحمن المهتار إلى جهة الكرك فى مهمات.

وفى عاشره: استقر علاء الدين على بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق، عوضًا عن ابن عباس. واستقر صدر الدين على بن الآدمى فى كتابة السر بدمشق، عوضًا عن الشريف علاء الدين على بن عدنان.

وفى خامس عشره: أوفى النيل، وذلك فى ثانى عشرين مسرى.

وفى سادس عشره: قدم الأمير تغرى بردى- نائب الشام كان - إلى دمشق، وقد فارق دمرداش ورغب فى الطاعة، فأنزله الأمير شيخ وأكرمه.

وفى سابع عشره: خرج عَلاّن وجُمُق من القاهرة وخيما بالريدانية، وسارا إلى نيابتهما فى ليلة السبت تاسع عشره. وعندما نزل الحاج إلى منزلة نخل قبض على الأمير نَكَباى أمير الحاج فى عدة من المماليك السلطانية، وسفروا إلى الكرك فسجنوا بها.

وفى خامس عشرينه: قدمت ولاية علاء الدين على بن أبى البقاء إلى دمشق

---

(١) كانت روما فى القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر. ومدينة القسطنطينية ثلاث نواحى ناحيتان منها فى البحر الأعظم مما يلى القبلة والمشرق والمغرب والناحية الثالث مما يلى البر وفيه باب الذهب. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٨١:٤٨٣ والتنبيه والأشراف ١٣٨:١٤٢ وابن خرداذيه ١٠٩ وابن الفقيه ١٤٥ وآثار البلاد ٦٠٣ وابن الوردى ٥٠ ومعجم البلدان ١١٢/٣ ونزهة المشتاق ٢٥٦.

(٢) سمسطا بلد من أعمال البهنساوسية انظر معجم البلدان. ١١٢/٣.

باستقراره فى قضائها، عوضًا عن ابن عباس.

وفى ثامن عشرينه: ظهر الأمير قُرْقماس الرماح، وصعد إلى قلعة الجبل، فعفا السلطان عنه، ونزل إلى داره.

وفيه قُبض بدمشق على الأمير أسن بيه أتابكها، وعلى الأمير جقمق حاجب الحجاب وغيره، فسجنوا بالصَّبْيبة.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

فى أوله: سار الأمير تغرى بردى من دمشق إلى القاهرة، فقدم فى آخره.

وفى ليلة الإثنين ثالث عشره: خرج الأمير سودن طاز بمماليكه وحواشيه إلى المرج والزيات خارج القاهرة، ونزل هناك ليقيم الفتنة. وذلك أنه لما ثقل عليه الأميران نوروز وجَكَم، ودبر فى إخراجهما من مصر - كما ذُكر - ظن أنه ينفرد بأمور الدولة، فنزل عليه الأمير يشبك وجماعته، وانحصر لمجيئهم من الإسكندرية، وتحكمهم فى الدولة، وتلاشى أمره. وكان الأمير أقباى الكركى مع ذلك يعاديه قديمًا. فما زال يدبر عليه حتى نزل من الإصطبل، خوفًا على نفسه من كثرة جموع يشبك وجرأة أقباى، وميل السلطان معهم عليه. فعندما نزل، شق عليه فطامه عن التحكم، وكفه عن الأمر والنهى، فخرج ليأتى إليه المماليك السلطانية وغيرهم، ويحارب بهم يشبك وطائفته، ويخرجهم من مصر، أو يقبض عليهم، ويستبد بعدهم بالأمر، فجاء حساب الدهر غير حسابه، ولم يخرج إليه أحد، وولى السلطان عوضه فى الإصطبل الأمير إينال باى بن قجماس، وخلع عليه فى يوم الإثنين عشرينه، واستقر أمير أخور، وسكن فى الحراقة بباب السلسلة على العادة فى ذلك.

وبعث السلطان إلى سودن طاز بالأمير قطْلوبغا الكركى يأمره بالعود على أمريته من غير إقامة فتنة، وإن أراد البلاد الشامية فله ما يختار من نيابات السلطنة بها، فامتنع وقال: لابد من إخراج أقباى الكركى أولا إلى بلاد الشام، ثم إذا خرج كان فى طاعة السلطان، فإن شاء أقره على إمرته، وإن شاء أخرجه، وإن شاء حبسه. فلم يوافق السلطان على إخراج أقباى، وبعث إليه ثانيًا الأمير بشباى الحاجب فلم يوافق، فبعث إليه مرة ثالثة، وهو مقيم على ما قال. فلما أيس منه السلطان أن يوافق ركب بالعساكر من قلعة الجبل، وقد لبسوا للحرب، ونزل فى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول، فلم يثبت سودن طاز، ورحل بمن معه، وهم نحو الخمسمائة من المماليك السلطانية ومماليكه. وقد ظهر الأمير أقْبَاى، ولحق به من نحو عشرة أيام، وصار من حزبه وفريقه،

فتبعه السلطان، وهو يظن أنه توجه نحو بلبيس [١]. وعندما حاذى سرياقوس مضى إليها، وسلك على الخليج إلى جهة القاهرة، وعبر من باب البحر بالمقس إلى الميدان. وهجم قنباى فى عدة كبيرة على الرميلة [٢] تحت القلعة، ليأخذ باب السلسلة، فلم يقدر على ذلك.

ومر السلطان وهو سائق على طريق بلبيس، فتفرقت عنه العساكر، وتاهوا فى عدة طرق، فبلغ السلطان وهو سائق أن سودن طاز قد نزل يحاصر القلعة فرجع مسرعًا، وسار يريد القلعة حتى وصل إليها بعد العصر، وقد بلغ منه التعب مبلغًا عظيمًا، ونزل بالمقعد المطل على الرميلة وسوق الخيل. وندب الأمراء والمماليك لقتال سودن طاز، فقاتلوه فى الأزقة طعنًا بالرماح ساعة، فلم يثبت وانهزم، وفد جُرح من الفريقين كثير، فحال الليل بين عساكر السلطان وبينه. وتفرق من كان معه فى الدور، وبات السلطان ومن معه على تخوف.

فلما كان يوم الخميس سابعه: لم يظهر لسودن طاز وقنباى خبر إلى الليل، فلم يشعر الأمير يشبك بعد عشاء الآخرة إلا بسودن طاز قد دخل عليه داره فى ثلاثة أنفس، وترامى عليه، فقبله، وبالغ فى إكرامه، وأنزله عنده.

وأصبح يوم الجمعة: فكتب وصيته، وأقام فى ليلة الأحد عاشره، فأنزله فى الحراقة، وحمل إلى دمياط بغير قيد، ورتب له بها ما يكفيه، وأنعم عليه الأمير يشبك بألف دينار ذهبًا مكافأة له على ما كان من سعيه فى إخراجه من سجن الإسكندرية، وعوده إلى رتبته بعد نوروز وجكم. وأما قنباى فإنه اختفى، فلم يوقف له على خبر.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يلبغا السودنى، أحد أمراء حلب، واستقر أتابك دمشق، عوضًا عن الأمير أسن باى التركمانى بعد القبض عليه. وخلع أيضًا على الأمير سودن الظريف نائب الكرك، واستقر حاجب الحجاب بدمشق عوضًا عن الأمير جقمق الصفوى بعد القبض عليه أيضًا.

وقدم الخبر بأن الأمير دمرداش نائب حلب نزل إلى طرابلس واستقر بها عوضًا عن الأمير شيخ المحمودى. وكان قد خرج قُصَّاد السلطان بطلب كل من دمرداش نائب حلب، وتغرى بردى نائب دمشق من عند التركمان، وقد نزلا فى جواريهم بعد

---

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الرميله منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين انظر معجم البلدان ١٧٣/٢.

عزلهما، فتوجه الأمير سودن بقجة رأس نوبة إلى دمرداش، وأظهر له ولاية طرابلس، وسار به إليها. وأما تغرى بردى فإنه قدم إلى قلعة الجبل فى آخر صفر.

وفى خامس عشر ربيع الأول: توجه الشريف جماز بن هبة بن جماز [1] الحسينى من القاهرة إلى المدينة النبوية أميرًا بها، عوضًا عن ابن عمه ثابت بن نعير. وكان جماز قد عُزل فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وحُمل قلعة الجبل إلى وسجن بها، وولى عوضه ثابت. فلم يزل فى السجن إلى أن أفرج عنه وعن الشريف عنان بن مغامس الحسنى أمير مكة. وخلع على جماز بإمرة المدينة. ومرض عنان فمات فى مرضه.

وفى خامس عشرينه: قدم الأمير سودن الحمزاوى من صفد إلى قلعة الجبل باستدعاء، مع الطواشى عبد اللطيف اللالا، وسَعَى الأمير أقباى الكركى له لصداقة بينهما، حتى يقوى به عضده.

وفى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر: أُعيد أنبياء التركمانى إلى مشيخة خانقاه سرياقوس، عوضًا عن بدر الدين حسن بن على بن آمدى.

وفى سادس عشره: خُلع على الأمير شيخ السليمانى شاد الشراب خاناه، واستقر فى نيابة صفد عوضًا عن سودن الحمزاوى. وأُنعم على سودن الحمزاوى بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، فصار من جملة الأمراء الأكابر. وأُنعم أيضًا على الأمير تغرى بردى نائب الشام بتقدمة ألف بديار مصر.

وفى سابع عشره: أخرج الأمير قرقماس الرماح إلى دمشق، على إمرة الأمير صُروق.

وفى عشرينه: خلع على سودن الحمزاوى، واستقر شاد الشراب خاناه عوضًا عن الشيخ السليمانى.

وفى يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة: استقر كريم الدين محمد بن نعمان الهوى فى حسبة القاهرة، وصرف شمس الدين محمد الشاذلى.

---

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى أحد من تولوا إمازة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر، جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة للناس. فقتلوه وهو نائم. انظر الأعلام ١٣٣/٢.

وفى هذا الشـهر: ارتفعت الأسعار، فبلغ الدينار الهرجة خمسة وستين درهمًا، والدينار المشخص ستين درهمًا، وسبب ذلك تنقيص الفلوس، فإن القفة من الفلوس كان وزنها مائة رطل وخمسة عشر رطلا، عنها خمسمائة درهم، كل درهم أربعة وعشرين فلسًا، زنة الفلس مثقال، فصارت القفة زنتها خمسين رطلا. وغلت الأصناف، فبيع البدن من الفرو السنجاب - وهو أربع شقاق - بما ينيف على ألف درهم، بعد مائتين وخمسين درهمًا. وكان قدم فى أوله خواجا نظام الدين مسعود الكحجانى بكتاب تمرلنك، يتضمن أشياء، منها أنه إن وصل إليه أطلمش سار إلى سمرقند، فأفرج عن أطلمش فى آخره. وأنعم عليه بمال وقماش، وجهز مع الرسول المذكور، وخرج من القاهرة يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة إلى الريدانية، ورحل منها يوم الخميس، وسار إلى تمرلنك، بعد أن أقام مسجونًا نحو عشر سنين.

وفى يوم الإثنين سابع جمادى الآخرة: خُلع على سودن الحمزاوى شاد الشراب خاناه، واستقر خازندارًا عوضًا عن أقباى الكركى بعد وفاته.

وفى عاشره: استقر الأمير قطلوبك - المعروف بأستادار أيتمش - فى كشف الجيزية، وعزل الأمير مبارك شاه. ثم عزل قطلوبك عن ذلك، فى سابع عشره بالأمير بشباى الحاجب، فاستعفى بعد أيام، وأعفى.

وفى ثانى عشرينه: قدمت ولاية شمس الدين محمد بن عباس قضاء دمشق، فولى عوضًا عن علاء الدين على بن أبى البقاء، وسعى شخص بالأمير قنباى أنه فى دار فكبس عليه الأربعاء ثالث عشرينه، وقبض وقيد، وحمل إلى الإسكندرية فى سابع عشرينه، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بأن سودن طاز خرج من ثغر دمياط [(١)] يوم الخميس رابع عشرينه فى طائفة، فخرج إليه فى يوم الإثنين تاسع عشرينه الأمير تغرى بردى، والأمير تمراز، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير سودن الحمزاوى فى عدة أمراء، فبلغهم أنه نزل عند الأمير علم الدين سليمان بن بقر بالشرقية، ليساعده على غرضه، فعندما أتاه أرسل يعلم به، فطرقه الأمراء وقبضوا عليه، وأحضروه إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء سلخه.

وفى يوم الخميس أول شهر رجب: سُمِّر خمسة من المماليك السلطانية، ممن كان مع سودن طاز، أحدهم سودن الجلب، فاجتمع المماليك لإقامة الفتنة بسبب ذلك، فخلى عنهم، وقيدوا، وسجنوا بخزانة شمايل، ونفى سودن الجلب إلى بلاد الفرنج من الإسكندرية.

---

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم والملح والنيل انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣.

وفى ثالثه: حُمل سودن طاز مقيدًا فى الحراقة إلى الإسكندرية، وسجن بها.

وفيه خلع على القضاة الأربع خلع الاستمرار.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: دار المحمل بالقاهرة ومصر، على العادة فى ذلك.

وفيه قدم الأمير جقمق إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بالصبيبة، بكتاب السلطان.

وفى نصفه: سكن الأمير شيخ نائب الشام بدار السعادة من دمشق، بعدما عَّمرها، وكانت قد احترقت فى نوبة تمرلنك.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: عُقد للأمير سودن الحمزاوى على خوند زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وأخت الملك الناصر، وعمرها نحو الثمانى سنين.

وفى هذا الشهر: ارتفعت الأسعار ارتفاعًا لم يعهد مثله بمصر، فبلغ القمح إلى سبعين درهمًا الأردب، وزاد سعر الشعير على القمح، وبلغ الفول تسعين درهمًا، والحمل التبن إلى سبعين درهمًا بعد خمسة دراهم، والفدان البرسيم الأخضر ستمائة درهم بعد تسعين درهمًا، والقنطار السمن ستمائة درهم بعد مائة وعشرين درهمًا، والسكر إلى ألفى درهم القنطار المكرر بعد ثلاثمائة درهم، والقنطار الفستق بأربعة آلاف درهم بعد مائتين وخمسين، والقنطار الزيت خمسمائة بعد مائة درهم ودونها، والدبس أربعمائة درهم بعد أربعين درهمًا، وزيت الزيتون أربعمائة درهم بعد خمسين درهمًا. والصابون خمسمائة درهم القنطار، بعد ما كان بمائة درهم. ولحم الضأن ثلاثة دراهم الرطل، بعد نصف وربع درهم، ولحم البقر درهمين، بعدما كان بنصف درهم الرطل.

وارتفع أيضًا سعر الثياب، فبلغ الثوب القطن البعلبكى أربعمائة درهم، بعدما كان بستين درهمًا، والثوب القطن البطانة بمائة درهم بعد ثلاثين درهمًا ودونها، والثوب الصوف المربع ألف وخمسمائة درهم بعد ثلاثمائة درهم وسرى الغلاء فى كل ما يباع.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: استقر كمال الدين عمر بن جمال الدين إبراهيم ابن العديم قاضى حلب الحنفى فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، على مال. وصرف قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى، وكان مشكور السيرة.

وفى ليلة الثلاثاء سابع عشرينه: سار إلى الإسكندرية أَقْبَردى وتَنْباك من أمراء العشراوات فى ثلاثين من المماليك السلطانية، فقدموا إليها فى تاسع شعبان، وأخرجوا

الأمير نوروز الحافظى، والأمير جَكَم، والأمير قنباى، والأمير سودن طاز، وأنزلوهم فى البحر الملح وساروا بهم إلى البلاد الشامية، فحبس نوروز وقنباى فى قلعة الصبيبة من عمل دمشق، وحُبس جَكَم فى حصن الأكراد من عمل طرابلس. وحبس سودن طاز في قلعة المرقب من عمل طرابلس أيضًا. و لم يبق بسجن الإسكندرية من الأمراء غير تَمُربغا المشطوب وسودُن من زاده. ثم حُول جَكَم إلى قلعة المرقب فاستقر بها هو وسودن طاز فى الاعتقال.

وأهل شعبان بيوم الأحد:

ففي تاسعه: استقر شهاب الدين الأموى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان: استقر شمس الدين محمد بن شعبان الجابى فى حسبة القاهرة، وعزل الهوى.

وفى حادى عشرينه: تفاوض الأمير سودن الحمزاوى مع القاضى الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب فى مجلس السلطان، وأغلظ كل منهما على صاحبه وقاما. فعندما نزل ابن غراب من القلعة، تجمع عليه عدة من المماليك السلطانية ضربوه بالدبابيس، حتى سقطت عمامته عن رأسه، وسقط على الأرض، فحمله مماليكه إلى باب السلسلة، واحتمى منهم بالأمير إينال باى أمير أخور حتى تفرقوا، ثم صار إلى داره، فانقطع عن الخدمة السلطانية أيامًا لما به.

وفى يوم الثلاثاء رابع رمضان: خلع على الأمير الشريف علاء الدين على البغدادى، واستقر فى الوزارة عوضًا عن الوزير فخر الدين ماجد بن غراب.

وبقى فخر الدين بن غراب على نظر الخاص فقط. وخُلع أيضًا عن الأمير قجماس كاشف الشرقية، واستقر فى كشف البحيرة.

وفى عاشره: خلع على الأمير بهاء الدين رسلان، واستقر أحد الحجاب، بعد عزله من الحجوبية مدة بشهاب الدين أحمد بن المعلم ناصر الدين محمد بن سلام الإسكندرانى القزاز.

وفى حادى عشره: ضُرب الأمير يشبك الدوادار محمد بن شعبان محتسب القاهرة زيادة على أربعين عصا، لسوء سيرته، فتولى ضربه والى القاهرة بحضرة الناس فى دار الأمير.

وفى ثانى عشره: قُبض على سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين ماجد،

واعتقلا بالزردخاناه فى القلعة. وقبض على زين الدين صدقة، ومحمد بن الوارث المغربى، ومحمد بن الشيخة صباح، وجمال الدين يوسف أستادار بجاس، وغير هؤلاء من ألزام بنى غراب.

وفى رابع عشرينه: خُلع على تاج الدين أبى بكر بن محمد بن عبد الله، بن أبى بكر بن محمد بن الدمامينى الإسكندرانى، واستقر فى وظيفة نظر الجيش، عوضًا عن سعد الدين إبراهيم بن غراب على مال كبير. وخلع على تاج الدين عبد الله ابن الوزير سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر فى نظر الخاص عوضًا عن فخر الدين ماجد ابن غراب.

وفيه رُسم بقطع جوامك المماليك السلطانية المستجدة بالديوان المفرد، بعد موت الظاهر برقوق، وقطع عليق خيولهم أيضًا، فقطع نحو الألف ومائتى مملوك، ثم أعيدوا بشفاعات الأمراء، ما عدا مائتين وثلاثين لم يوجد من يعتنى بهم، فاستمر منعهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع على الأمير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز، واستقر أستادار السلطان عوضًا عن سعد الدين بن غراب.

وفيه أفرج عن جمال الدين يوسف المعروف بأستادار بَجَاس، واستقر أستادار الأمير الكبير بيبرس، عوضًا عن ركن الدين عمر بن قايماز، فصار يباشر أستادارية سودن الحمزاوى، وهو يومئذ شرارة الدولة، وأستادارية الأمير بيبرس - وهو أكبر الأمراء - فاشتهر ذكره وبعد وصيته، وصار يعد من أعيان البلد.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير أَزْبك الأشقر الرمضانى رأس نوبة، واستقر أمير الحاج، عوضًا عن الأمير بيْسق الشيخى، لتقلق الحاج منه.

وفى يوم الخميس رابع شوال: خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب وكاشف الجيزة، واستقر فى الوزارة عوضًا عن الشريف علاء الدين على البغدادى، بعد القبض عليه.

وفى ثامنه: أخرج الأمير ألجيبُغا أحد الحجاب فى الأيام الظاهرية إلى دمشق ليكون نائب ملطية [(١)] وأُخرج سرماش أحد الأمراء أخورية لنيابة سيس [(٢)] وكانت ملطية وسيس قد تغلب عليهما التركمان من واقعة تمرلنك.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

وفى ليلة النصف منه: اختفى الوزير مبارك شاه، لعجزه عن كلف الوزارة.

وفى هذه الأيام: نزل الدينار الهرجة من سبعين درهمًا إلى ستين، والدينار المشخص من ستين إلى خمسة وأربعين درهمًا.

وفى ثامن عشره: استقر سودن الحمزاوى رأس النوبة كبيرًا عوضًا عن سودن الماردينى، واستقر الماردينى أمير مجلس عوضًا عن تمراز. واستقر تمراز أمير سلاح عوضًا عن بكتمر الركنى. واستقر بَكْتَمُر رأس نوبة الأمراء، وهو ثانى أتابك العساكر فى المنزلة والرتبة. وخلع على الجميع، وعلى الأمير يلبغا السالمى، واستقر مشير الدولة، وكان قد استدعى من دمياط فقدم.

وفيه خرج المحمل، وأمير الحاج أُزبك الرمضانى إلى الريدانية، للمسير إلى الحجاز على العادة.

وفى ثانى عشرينه: خُلع على الأمير الوزير تاج الدين رزق الله المعروف بوالى قَطْيا، واستقر فى الوزارة عوضًا عن مبارك شاه، وهذه وزارته الثانية.

وفيه نودى أن يكون الذهب المختوم بستين المثقال، والأفرنتى بخمسة وأربعين درهمًا الدينار، ونودى من قبل السالمى بإبطال مكس البحيرة [1]، وهو ما يذبح من الغنم والبقر.

وفى ثالثه عشرينه: أعيد ناصر الدين محمد بن الصالحى إلى قضاء القضاة بديار مصر. وصرف قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام الشافعية البلقينى.

وفى خامس عشرينه: خُلع على الأمير طوخ، واستقر خازندارًا كبيرًا، عوضًا عن الحمزاوى.

وفى تاسع عشرينه: خُلع على الحمزاوى لنظر خانقاه شَيْخو، عوضًا عن سودُن الماردينى.

وفى يوم الثلاثاء سلخه: خلع على تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى بوظيفة نظر الجيش، عوضًا عن تاج الدين أبى بكر بن محمد الدمامينى؛ لعجزه عن المباشرة، فباشر وظيفتى نظر الخاص والجيش.

---

(١) انظر معجم البلدان ١/ ٣٥٠،٣٥٣.

وأهل ذو القعدة يوم الأربعاء:

وفى ثانيه: كُتب توقيع ناصر الدين محمد بن خطيب نقيرين، بقضاء القضاة بدمشق، عوضًا عن ابن عباس.

وفى تاسعه: نقل الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج جمال الدين عبد الله من الوزارة إلى كشف الوجه البحرى، عوضًا عن الأمير قُجماس.

واستقر فيه ألطُنبغا العجمى فى كشف الشرقية.

وفى رابع عشره: ورد الخبر بحركة الفرنج على السواحل، فخرج من الأمراء الألوف بَكْتَمر رأس نوبة، ويلبغا الناصرى، وجَرْكس المصارع، وأقباى حاجب الحجاب، وسودُن الماردينى أمير مجلس، وتمراز أمير سلاح وتغرى بردى. ومن الطبلخاناة سودن بقجة، وبَشْباى الحاجب. وساروا إلى دمياط وإسكندرية.

وفى خامس عشرينه: أفرج عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين، ونزلا إلى دورهما بعد أن تسلمهما الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، وضرب فخر الدين فالتزم سعد الدين بألف ألف درهم، وفخر الدين بثلاثمائة ألف درهم. فنقلا إلى الأمير يلبغا السالمى ليقتلهما، فاتقى الله فى أمرهما، ولم يتبع هوى نفسه، ولا انتقم منهما، وخاف سوء العاقبة، فعاملهما من الإكرام بما لم يكن ببال أحد. وما زال يسعى لهما حتى نُقلا من عنده إلى بيت شاد الدواوين ناصر الدين محمد بن جُلبان الحاجب، فرفق بهما حتى خلصا من غير أن يمسهما سوء، بخلاف ما فعلا مع السالمى.

وفى سابع عشرينه: ارتجع السلطان الزيادات من سائر الأمراء، ما خلا ابن عمته الأمير الكبير بيبرس، فإنه أبقى الزيادة بيده.

وفيه استقر الأمير يلبغا السالمى أستادار السلطان، وعزل ابن قايماز، وهذه ولاية السالمى الاستادارية الثانية، وتحدث أيضًا فى الوزارة.

وفيه عزل الأمير ألطنبغا العثمانى عن نيابة غزة [1] واستقر خاير بك أحد أمراء دمشق بها.

وفى يوم الأحد ثالث ذى الحجة: قدم الأمراء المجردون، ولم يلقوا أحدًا.

وفى هذا الشهر: بلغ القنطار الصابون سبعمائة درهم، والأردب القمح خمسة وتسعين درهمًا، والشعير زيادة على ستين، والفول ثمانين درهمًا، والأرز إلى مائتين وخمسين الأردب. وورد الخبر برخاء البلاد الشامية.

---

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فراسخان أو أقل، وهى من نواحى فلسطين غرب عسقلان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣.

وفى سابع عشره: أُخرج إلى دمشق الأمير أَسَنْبُغا المصارع، والأمير نَكَباى الأزدمرى، وهما من الطبلخاناة، وأينال جيا من أمراء العشرين، وإينال المظفرى من أمراء العشراوات. وعمل لهم هناك إقطاعات، فساروا من القاهرة.

وفى تاسع عشرينه: أغلق المماليك السلطانية باب القصر السلطانى من القلعة على من حضر من الأمراء، وعوّقوهم بسبب تأخر نفقاتهم وجوامكهم، فأقاموا ساعة، ثم نزلوا من باب السر إلى الإصطبل، ولحقوا بدورهم، وقد اشتد خوفهم. وطُلب السالمى فاختفى، ثم ظُفر به وعوق بباب السلسلة من الإصطبل عند الأمير أينال باى، ووكل به حتى يكمل نفقة المماليك. ولم يحج أحد فى هذه السنة من الشام ولا العراق [(١)] ولا اليمن [(٢)].

وفى هذه السنة: ثار على السلطان أحمد بن أويس [(٣)] ولده طاهر وحاربه، ففر من الحلة [(٤)] إلى بغداد [(٥)] فأخذ وديعة له كانت بها، فهجم عليه طاهر وأخذ منه المال،

---

(١) قال الخليل هو لغة شاطئ البحر بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات والكوفة والبصرة تسمى العراقات. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٠١، معجم ما استعجم ٩٢٩/٣ ومعجم البلدان ٩٣/٤.

(٢) يمن: بفتح أوله وثانيه موضع قريب من مكة وأما اليمن البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة، كما سمى الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٦١٩، معجم ما استعجم ١٤٠١/٤ ومعجم البلدان ٤٤٧/٥،٤٤٨.

(٣) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين: آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد مغولى الأصل، مستعرب، كان أسلافه من رحال جنكيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز وعاش زمنًا فى بغداد وناب عن أخيه السلطان حسين فى البصرة ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ ثم ثار عليه مغولى آخر اسمه الأمير قرايوسف، فقاتله فانهزم السلطان أحمد وأسر وقتل خنقًا ببغداد. انظر تاريخ العراق ٢:٣٠٥ والضوء اللامع ٢٤٤/١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠٢/١.

(٤) مدينة كبيرة منيعة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله وبها أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية بناها سيف الدولة زعيم بنى مزيد حوالى سنة ٤٩٥هـ ولهذا لا نجد لها ذكرا عند الجغرافيين المتقدمين والنص هنا عن ابن جبير ٢١٣ وانظر ابن بطوطة ٢٢٠ والروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٧ ومعجم البلدان ٤٩٤/٢،٤٩٥.

(٥) دار مملكة خلفاء بنى العباسى وفيها أربع لغات: بغداد بدالين مهلتين، وبغداذ معجمة الأخيرة وبغدان بالنون ومغدان بالميم بدلا من الباء وتذكر وتؤنث. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٠٩، معجم ما استعجم ٢٦١/١ وابن حوقل ١٥، والكرخى ٥٨ وتاريخ بغداد ٢٥/١: ١٢٧ ومعجم البلدان ٤٦٧/١:٤٥٦.

ففر أحمد من ابنه، وأتاه قرايوسف بطلبه له وأعانه على ابنه، وحاربه معه، ففر طاهر واقتحم بفرسه دجلة [١] فغرق بها، ولحق بربه.

* * *

ومات فى هذه السنة

شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان [٢] بن نصير بن صالح بن شهاب الدين ابن عبد الخالق العسقلانى، المعروف بالبلقينى، يوم الجمعة عاشر ذى القعدة، عن إحدى وثمانين سنة وثلاثة أشهر إلا ثلاثة عشر يوما. وقد انتهت إليه رياسة العلم فى أقطار الأرض، ودفن بمدرسة من حارة بهاء الدين بالقاهرة.

ومات قاضى القضاة تاج الدين بِهْرام [٣] بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميرى المالكى، فى يوم الإثنين سابع جمادى الآخرة عن سبعين سنة، وكان عين المالكية بديار مصر.

ومات قاضى القضاة المالكية بدمشق، علم الدين محمد بن محمد بن محمد القفصى، فى حادى عشرين المحرم، وقد قارب السبعين، وكان مشكور السيرة.

ومات قاضى قضاة الحنابلة بدمشق، شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى الحنبلى بدمشق، فى ثانى عشر المحرم، وكان فقيهًا نحويًا.

---

(١) نهر يخرج من بلاد آمد ديار بكر وهى من أعين ببلاد خلاط من أرمينية من الإقليم الخامس من موضع يعرف بحصن ذى القرنين انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٣٣ والتنبيه والأشراف ٥٢ ومعجم البلدان ٢/٤٤٠:٤٤٢.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ابن شهاب الدين بن عبد الخالق العسقلانى الشافعى البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب- خ» فى فقه الشافعية ولم يتمه. و «تصحيح المنهاج- خ» ست مجلدات، فقه، و «محاسن الاصطلاح» فى الحديث و «الفتاوى-» فى الأزهر. انظر الضوء اللامع ٦:٨٥ وشذرات الذهب ٥١/٧ والأزهرية ٢:٥٥٩ والأعلام ٥/٤٦.

(٣) قاضى القضاة تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميرى المالكى، أبو البقاء، القاهرى فقيه انتهت إليه رياسة المالكية فى زمنه، مصرى نسبته إلى «دميرة» قرية قرب دمياط أفتى ودرس وناب فى القضاء بمصر. وله كتب منها «الشامل - خ» على نسق «مختصر خليل» فى الصادقية وغيرها، و «شرح ألفية ابن مالك» وأطلع السخاوى على بعض هذه الكتب بخطه. انظر الشذرات ٤٩/٧ والأزهرية ٣٤٨/٢ وكشف الظنون ١٦٢٨ والأعلام ٧٦/٢.

ومات شيخ الشيوخ بدر الدين حسن بن على بن آمدى، خارج القاهرة فى أول شعبان. وكان يُعتقد فيه الخير.

ومات الأمير الشريف عنان بن مغامس [(١)] بن رميثة الحسنى بالقاهرة فى أول ربيع الأول.

ومات الأمير أَقْباى الكركى، فى ليلة السبت رابع عشر جمادى الأولى بعد مرض طويل، ودفن بالحوش الظاهرى خارج باب النصر.

ومات الأمير يلبغا السودنى. حاجب الحجاب بدمشق فى جمادى الآخرة، فاستقر عوضه جركس والد تنم، نقل إليها من حجوبية طرابلس. واستقر عوضه فى حجوبية طرابلس مراد.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب أحد أمراء العشراوات والحجاب، فى حادى عشر رجب، بالقاهرة، وكان شابًا جميلا شجاعًا.

ومات الأمير قُرْقُماس الرماح الأينالى، قتل بدمشق فى آخر رمضان بأمر السلطان وكان لما أخرج من القاهرة على إقطاع الأمير صُرُوق بدمشق ولى كشف رملة لد، ثم تحدث بالقبض عليه، ففر إلى جهة حلب، فأخذ عند بعلبك، وحمل إلى دمشق، وقتل بسجنها فى عدة من المماليك.

ومات نور الدين محمود بن هلال الدولة الدمشقى بالقاهرة، فى آخر رجب، ومولده سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة. وكان من أدباء دمشق وموقعيها.

ومات عبد الجبار رئيس الفقهاء عند تمرلنك، فى ذى القعدة.

ومات خوندكار أبو يزيد بن الأمير مراد بن الأمير أوره خان ابن الأمير عثمان ملك بلاد الروم، وهو فى الأسر عند تمرلنك فى ذى القعدة.

ومات جمال الدين عبد الله بن الخطيب شهاب الدين أحمد القسطلانى، خطيب جامع عمرو بمصر فى العشر الآخر من رمضان بعدما اختلط وقد أناف على السبعين، وخطب هو وأبوه بالجامع نحو خمسين سنة، وعنه أُخذت الخطابة.

---

(١) عنان بن مغامس بن رميثة الحسنى بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة. وليها للظاهر برقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (سنة ٧٨٨هـ) ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ، فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ، فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠/١٣٥ و ١٥٨ والأعلام ٥/٩٠.

ومات الفقير المعتقد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر، المعروف بابن الزيات، الأنصارى الشافعى، فى المحرم، ودفن فى القرافة. وعلى يده سلك صاحبنا الشاب النائب.

* * *

سنة ست وثمانمائة

أهل شهر الله المحرم يوم السبت: والذهب الهرجة كل مثقال بستين درهمًا من الفلوس الجدد، والدينار الإفرنتي- وهو المشخص ضرب الفرنج النصارى - كل شخص بخمسة وأربعين درهمًا من الفلوس. والنقد الرابح الفلوس، وكل أربعة وعشرين فلسًا تحسب بدرهم. والفضة الكاملية - التى كانت نقد مصر، ويصرف منها كل درهم بأربعة وعشرين فلسًا - قد صارت عزيزة الوجود، ويصرف كل درهم منها بدرهم ونصف وربع من الفلوس. والسلع كلها، وأجر الأعمال إنما تنسب إلى الفلوس. والأردب القمح بمائة درهم، والشعير كل أردب من ستين درهما إلى سبعين درهمًا، والفول سبعين درهمًا الأردب، والأرز بمائتى درهم الأردب، والكتان بثلاثة دراهم الرطل، وبأربعة أيضًا.

وفى يوم الإثنين ثالثه: قدم رسل الطاغية تيمور لنك، وكبيرهم مسعود الكَحْجَانى، فتلقاهم الحجاب ونحوهم من الأمراء، وشقوا القاهرة ومعهم هدية، فيها فيل عليه رجل قائم بيده علمان أخضران. قد نشرهما وقبض عليهما بيديه، وفيها فهد وصقران وثياب، فَأُنزلوا فى دار، وأُحضروا بين يدى السلطان بقلعة الجبل فى يوم الخميس سادسه، ثم أمر بهم إلى دار، وأجرى عليهم فى كل يوم ثلاثمائة رطل من لحم الضأن، وعدة من الأوز، والدجاج، وغير ذلك، وألف درهم، ومنعوا من الاجتماع بالناس مدة أيام، ثم أذن لهم فى الركوب والحركة.

وفيه نودى - بإشارة الأمير يلبغا السالمى [1] أن يتعامل الناس بالفلوس وزنًا لا عددًا، وأن يكون كل رطل منها بستة دراهم حسابًا عن كل قنطار ستمائه درهم، فاستمر ذلك و لم ينتقض.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: خلع على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، واستقر فى الأستادارية عوضًا عن الأمير يلبغا السالمى. وقبض على السالمى وسُلم إليه، فسكن بدار السالمى وسجنه بمكان منها، ثم نقَل من عنده، وسُلم إلى أمير أخور بالإصطبل السلطانى، فى عصر يوم الجمعة سابعه.

وفى يوم السبت ثامنه: خُلع على علم الدين يحيى - المعروف بأبى كم - واستقر

---

(١) يلبغا أبو المعالى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دزلة الملك «الظاهر» برقوق، ثم ابنه «الناصر» كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه «سالم» فنسب إليه واشتراه برقوق وعمل مشيرًا سنة ٨٠٧ ولم يلبث أن نفى إلى الأسكندرية وقتل فى محبسه بها خنقًا. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٨٩، الأعلام ٨/٢٠٨.

فى الوزارة ونظر الخاص، عوضًا عن الصاحب تاج الدين بن البقرى. واستقر ابن البقرى على ما بيده من نظر الجيش، ونظر الديوان المفرد وسبب ذلك أن جمال الدين يوسف أستادار الأمير بجاس استدعى بجمدار إلى حضرة السلطان، وأمر يفاض عليه تشريف الوزارة، فعندما أُلقى عليه ليلبسه، حلف ألا يلبسه. وطالت محاورته وهو يمتنع حتى أعيى أمره، وقال: «عندى من يلبس الوزارة بشرط أن يضاف إليها نظر الخاص، وهو أبو كم» فأحضر، وخلع عليه، ونزل وفى خدمته الناس على العادة.

وفى عاشره: استقر شمس الدين محمد بن شعبان فى حسبة القاهرة، وصُرف شمس الدين محمد الشاذلى.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: استدعى السالمى إلى حضرة السلطان ليعاقب فالتزم بحمل مال كبير، فسلم إلى شاد الدواوين.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: استقر قاضى القضاة بدمشق - محمد الأخناى - فى قضاء القضاة بديار مصر عوضًا عن ناصر الدين محمد بن الصالحى، بعد موته.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جميع جرم القمر نحو خمس ساعات.

وفى يوم السبت نصفه: فُقد الوزير أبو كم من داره، فلم يعرف موضعه لعجزه عن سد كلف الوزارة، فأعيد التاج بن البقرى إليها يوم الثلاثاء ثامن عشره.

وفيه أضيف شد الدواوين إلى الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت والى القاهرة وأحد الحجاب، وسلم إليه الأمير السالمى ليعاقبه، فتشدد عليه حتى باع كتبه العلمية.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: كثر اضطراب المماليك السلطانية بالقصر من قلعة الجبل، وهموا بأخذ الأمراء ورجوهم، وذلك لتأخر نفقاتهم وعليق خيولهم وكسوتهم، فوعدوا بخير، وأمر بإحضار التجار، وأُلزموا بمال فى نظير غلال بيعت عليهم، توزع الأمراء مالا يقومون به، فناب بعضهم من ذلك خمسة آلاف، وناب آخرون فوقها، ومنهم من قام بدونها.

وفى هذا الشهر: توقف النيل عن الزيادة فى وسط مسرى، فارتفع سعر الغلال حتى أبيع القمح بمائة وعشرين درهمًا الأردب، فأُمر الناس بالاستسقاء فى يوم الجمعة ثامن عشرينه، بالجوامع عقيب صلاة الجمعة، فاستسقوا.

وفيه عزل الأمير جُمُق عن نيابة الكَرك وسُفر إلى دمشق، واستقر عوضه الأمير الهذبانى.

وفى هذا الشهر: كانت واقعة الفرنج بطرابلس، وذلك أنهم نزلوا على طرابلس فى ثلاثين شينيًا وقراقر. وكان الأمير دمرداش غائبًا عن البلد، فقاتلهم الناس قتالا شديدًا، فى يوم الثلاثاء ثانى عشره إلى الغد. فبلغ دمرداش وهو بنواحى بعلبك [١] الخبر، فاستنجد الأمير شيخ نائب الشام، وتوجه إلى طرابلس، فقدمها يوم الخميس عشرينه.

ونودى فى دمشق بالنفير، فخرج الناس على الصعب والذلول، فمضى الفرنج إلى بيروت [٢] بعدما قاتلهم دمرداش قتالا كبيرًا، قتل فيه من المسلمين اثنان وجرح جماعة، فوصل الأمير شيخ إلى طرابلس وقد قُضى الأمر، فسار إلى بيروت، فقدمها وقت الظهر من يوم الجمعة حادى عشرينه، والقتال بين المسلمين وبين الفرنج من أمسه، وقتلى الفرنج مطروحين على الأرض، فحرق تلك الرمم، وتبع الفرنج، وقد ساروا إلى صيدا[٣] بعدما حرقوا مواضع وأخذوا مركبا قدم من دمياط ببضائع لها قيمة كبيرة. وقاتلوا أهل صيدا، فطرقهم الأمير شيخ وقت العصر وقاتلهم وهم فى البر، فهزمهم إلى مراكبهم. وساروا إلى بيروت فلحقهم وقاتلهم، فمضوا إلى جهة طرابلس، ومرّوا عنها إلى جهة الماغوصة. فركز الأمير شيخ طائفة ببيروت، وطائفة بصيدا، وعاد إلى دمشق فى ثانى صفر.

شهر صفر، أوله الإثنين:

ويوافقه سابع عشرين مسرى: - أحد شهور القبط - تمادت زيادة النيل إلى يوم الأحد سابعه، وثالث أيام النسىء، فانتهى ماء النيل فيه إلى اثنين وعشرين إصبعًا من الذراع السادس عشر، وبقى من الوفاء إصبعان. فتوقف يومى الإثنين والثلاثاء عن الزيادة، ونقص أربع أصابع، فاشتد جزع الناس، وتوقعوا حلول البلاء، فسار شيخ

---

(١) مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل اثنا عشر فرسخًا من جهة الساحل. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٢.

(٢) فى ساحل الشام وهى مرابط دمشق وعلى بيروت سور حجارة وبمقربة منها جبل فيه معدن حديد جيد انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٢٢،١٢٣ وصبح الأعشى ١١١/٤ ونزهة المشتاق ١١٧ وانظر الأعلاق الخطيرة (قسم لبنان والأردن وفلسطين) ١٠١ ومعجم البلدان ٥٢٥/١،٥٢٦.

(٣) بأرض الشام بينها وبين بيروت يومان وهى على ساحل البحر وعليها سور حجارة وتنسب إلى امرأة كانت فى الجاهلية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٧٣ ونزهة المشتاق ١١٥ وصبح الأعشى ١١ وهى المذكورة فى شعر النابغة:

لئن كان للقبرين قبر بجلق   وقبر بصيداء التى عند حارب

وفى معجم البلدان: صيداء هذه موضع بحوارن. انظر معجم البدان ٤٣٧/٣،٤٣٨.

الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى [1] من داره ماشيًا قبيل الظهر إلى الجامع الأزهر فى جمع موفور، و لم يزل يدعو ويتضرع، وقد غص الجامع بالناس، إلى بعد العصر. ثم خرج القضاة وشيوخ الخوانك إلى الجامع، ففعلوا ذلك إلى آخر النهار، فتراجع النيل من الغد أصبعين، واستمر إلى يوم الخميس حادى عشره - ويوم النوروز أول توت - فركب الأمير يشبك بعد العصر حتى فتح الخليج، وقد بقى من الوفاء أربع أصابع. وانتهى سعر الأردب القمح إلى مائة وثلاثين درهمًا.

وفى يوم السبت ثالث عشره: توجه شيخ الإسلام جلال الدين إلى رباط الآثار النبوية، وحمل الآثار النبوية على رأسه، واستسقى، وأكثر من التضرع والدعاء مليًا، وانصرف، فتراجع ماء النيل، ونودى فى يوم الثلاثاء بوفاء ستة عشر ذراعًا وإصبعين من سبعة عشر، وارتفع أيضًا سعر الذهب، فبلغ المثقال الهرجة إلى أربعة وستين درهمًا، والدينار الأفرنتى إلى خمسين وزيادة.

وفيه قدم الخبر بنزول الفرنج إلى صيدا وبيروت، وأن الأمير شيخ المحمودى نائب الشام سار إليهم وقاتلهم، وقتل منهم عدة، وهزم باقيهم، وبعث إلى القاهرة سبع رءوس منهم.

وفى سادس عشرينه: قدم الخبر بتكاثر مراكب الفرنج على الإسكندرية، فندب برهان الدين إبراهيم المحلى كبير التجار بمصر للمسير إلى الإسكندرية، وتبعه عدة من الأمراء، فأقاموا أيامًا ثم عادوا، و لم يلقوا كيدًا.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فيه نقص ماء النيل، فشرق الصعيد بكماله ورويت الشرقية، وكثير من بلاد الغربية. وارتفع السعر، فوصل القمح إلى مائة وثمانين درهمًا الأردب، والشعير إلى مائة درهم الأردب، والمثقال الذهب إلى سبعين، والدينار الأفرنتى إلى ستين.

وفى يوم السبت رابعه: أُعيد قاضى القضاة جلال الدين البلقينى إلى قضاء القضاة، وصرف الأخناى.

---

(١) قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين: من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مرارًا إلى أن مات وهو متول، له كتب فى «التفسير» و «الفقه» و «مجالس الوعظ». و «حواشى على الروضة» فى فروع الشافعية، أفردها أخوه فى مجلدين. ومات فى القاهرة. انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ والضوء اللامع ١٠٦/٤ والتاج ١٤٣/٩- ١٤٤ والأعلام ٣٢٠/٣.

وفى سادسه: أعيد البخانسى إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن شعبان، وأعيد جمال الدين يوسف البساطى إلى قضاء القضاة المالكية بديار مصر، وصُرف قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن (١) بن خلدون.

وقدم الخبر بقدوم السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد إلى حلب، فارا من الطاغية تيمورلنك، وأنه يعتذر عما كان منه، ومتى لم يُقبل عذره مضى إلى بلاد الروم.

وفى عشرينه: بلغ الأردب القمح إلى مائتين وخمسين درهمًا، والفول والشعير إلى مائتين وثلاثين، وعز وجود الشعير، بحيث فُرِّق عليق خيول المماليك السلطانية فولا، وبلغ الحمل التبن إلى خمسين درهمًا.

وفى سابع عشرينه: خُلع على رسل تيمورلنك خلعة السفر، وخلع على الأمير قانى باى التُمُربُغَاوى - أحد أمراء الطبلخاناه - وتوجه لإحضار الأمير دقماق نائب حلب.

وفى تاسع عشره: اختفى الوزير تاج الدين بن البقرى عجزًا عن تكفية اللحم والنفقات السلطانية.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الخاص، واستقر فى وظيفتى الأستادارية ونظر الجيش. وصُرف الأمير ركن الدين عمر ابن قايماز عن الأستادارية، وخلع على الأمير تاج الدين رزق الله كاشف البحيرة (٢) وأعيد إلى الوزارة وهى ثالث وزارته. واستقر محيى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين أبى العز، المعروف بابن الكِشْك، فى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضًا عن زين الدين عبد الرحمن بن الكفرى، وسافر من القاهرة، فلم يبلغ دمشق حتى استقر عوضه جمال الدين يوسف ابن القطب. واستقر شمس الدين محمد البيرى - أخو جمال الدين يوسف الأستادار - فى قضاء القضاة الشافعية بحلب.

---

(١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ولى الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المؤرخ، العالم الإجتماعى البحاثة. أصله من إشبيلية، مولده ومنشأه بتونس رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولى قضاء المالكية ولم يتزى بزى القضاة محتفظًا بزى بلاده، وعزل وأعيد وتوفى فجأة فى القاهرة. واشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر- ط» فى سبعة مجلدات. انظر الضوء اللامع ٤/١٤٥ونيل الابتهاج ١٧ وتعريف الخلف ٢/٢١٣والأعلام ٣/٣٣٠.

(٢) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٢/٣٥١.

وفى هذا الشهر: ألزم قاضى القضاة جلال الدين أن يكتبوا أجاير الدور والأراضى، وصدقات النساء وغير ذلك بالفلوس، ولا يكتبوا من الدراهم النقرة، فاستمر ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى خامسه: كُتب باستقرار الأمير أَقْبُغا الهذبانى [(١)] فى نيابة حلب، وجهز إليه تشريف، عوضًا عن الأمير دقماق، وطلب دقماق إلى مصر، فلما وصل إليه القاصد بطلبه هرب من حلب.

وفى يوم السبت آخره: قدم قرا يوسف بن قرا محمد إلى دمشق، فأنزله الأمير شيخ بدار السعادة، وكان من خبره أنه حارب أحمد بن أويس، وأخذ منه بغداد، فبعث إليه تمرلنك عسكرًا فكسرهم، فسير إليه جيشًا كبيرًا فكسروه، وفر بأهله وخاصته إلى الرحبة، فلم يمكن منها، ونهبه العرب، فمر على وجهه إلى دمشق.

وفيه أيضًا هرب الأمير قانباى من سجن الصُبَيْبة، وكان مسجونًا هو والأمير نوروز الحافظى، فتأخر نوروز بالسجن، وفر قانباى، فلم يعرف له خبر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه استقر كريم الدين محمد بن نعمان الهوى فى حسبة القاهرة، وصُرف البخانسى، فمات يوم الثلاثاء رابعه.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: خلع على بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن الفُوِّى، واستقر فى نظر الخاص، عوضًا عن ابن البقرى.

وفى أوله: قدم إلى دمشق الأمير علاء الدين أقبغا الأطروش من القدس وقد ولى نيابة حلب، فأقام بها إلى رابعه، وتوجه إلى حلب.

وفى سادسه: قدم السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد إلى دمشق، فارًّا من تمرلنك، فتلقاه الأمير شيخ وأنزله.

وفى تاسع عشره: نودى فى دمشق بإبطال مكس الفاكهة والخضراوات، بأمر الأمير شيخ. وكتب فى ذلك إلى السلطان، فرسم به، واستمر ولله الحمد.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فى سابعه: صرف الهوى عن الحسبة بالشاذلى.

---

(١) هو الأمير أقبغا العلاء الهذبانى الظاهرى برقوق، المعروف بالأطروش، توفى سنة ٨٠٦هـ.

وفى عاشره: اختفى الوزير تاج الدين، عجزًا عن تكفية اللحم وغيره، من مصارف الدولة.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: أُعيد ابن البقرى إلى الوزارة ونظر الخاص وصرف ابن نصر الله عن نظر الخاص.

وفى هذه الشهر: حدث فى الناس بالقاهرة ومصر وضواحيهما سعال، بحيث لم ينج أحد منه. وتبع السعال حُمَّى، فكان الإنسان يوعك نحو أسبوع ثم يبرأ، ولم يمت منه أحد. وكان هذا بعقب هبوب ريح غريبة، تكاد من كثرة رطوبتها تبل الثياب والأجسام.

وفيه اشتد البرد، وعظمت نكايته إلى الغاية، فشنع الموت فى المساكين من شدة البرد وغلاء الأقوات وتعذر وجودها؛ فإن القمح بلغ إلى مائتين وستين درهمًا الأردب، والقدح من الأرز خمسة دراهم، والرطل السمن إلى ستة دراهم، فكان يموت فى كل يوم بالجوع والبرد عدد كثير. وقام بمواراتهم الأمير سودن الماردينى، والقاضى الأمير سعد الدين بن غراب الأستادار، وغيره سوى من يجهز من وقف الطرحاء، فكان الماردينى يوارى منهم فى كل يوم ما يزيد على مائة، وابن غراب يوارى فى كل يوم مائتين وما فوقها، والأمير سودن الحمزاوى، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار، ووقف الطرحاء يوارون عدة كبيرة فى كل يوم مدة أيام عديدة. ثم تجرد ابن غراب لذلك تجردًا مشكورًا، فبلغت عدة من واراه منهم إلى آخر شوال، اثنى عشر ألف وسبعمائة، سوى من ذكرنا.

وفى سابع عشره: أعيد علاء الدين على بن أبى البقاء إلى قضاء دمشق، عوضًا عن ابن خطيب نقيرين.

وفيه قبض على السلطان أحمد بن أويس، والأمير قرايوسف، وسجنا بدمشق، فى سابع عشره، مقيدين.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى ثامن عشره: قدم الأمير أقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، وقد مات.

وفى ثالث عشرينه: خلع على رسل تيمورلنك خلعة ثانية، وعُين للسفر معهم الأمير منكلى بغا أحد الحجاب.

وفى هذا الشهر: بلغ الأردب القمح إلى ثلاثمائة وعشرين، وفيه غلت [١] كثير، وبيع كل قدح منه بثلاثة دراهم وثلث، وأبيع الخبز كل ثمانى أواق بدرهم، وكل قدح من الشعير بدرهمين، وكل أردب من الفول بمائة وثمانين، فاشتد الحال بديار مصر، وبلغت غرارة القمح بدمشق - وهى ثلاثة أرادب مصرية - إلى سبعمائة درهم وخمسين درهمًا فضة، عنها من نقد مصر الآن ألف وخمسمائة درهم.

وفيه عمل الأمير شيخ نائب الشام محمل الحاج وأداره بدمشق، فى ثانى عشرينه، حول المدينة وكان قد انقطع ذلك من سنة ثلاث وثمانمائة، فبلغ مصروف ثوب المحمل - وهو حرير أصفر مذهب - نحو خمسة وثلاثين ألف درهم فضة. ونودى بخروج الحاج على طريق المدينة النبوية وعين لإمرة الحاج فارس دوادار الأمير تنم.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: ورد الخبر بأن الأمير دقماق نزل على حلب بجماعة التركمان، فيهم الأمير على باى بن دُلْغَادِر، ففر منه أمراؤها إلى حماة، فملك حلب، فتوجه الأمير سودُن المحمدى بتقليد الأمير دمرداش المحمدى نائب طرابلس بنيابة حلب، عوضًا عن أَقْبُغَا الجمالى الأطْرُوش، وتوجه الأمير أَقْبَردى بتقليد الأمير شيخ السليمانى نائب صفد بنيابة طرابلس، عوضًا عن دمرداش واستقر فى نيابة صفد [٢] بَكْتَمُر جُلَّق - أحد أمراء دمشق -وتوجه أينال المأمورى بقتل الأمراء المحبوسين.

وفى يوم الخميس سادس عشره: صُرف قاضى القضاة جلال الدين البلقينى عن وظيفة القضاء بالأخناى.

وفى ثالث عشرينه: صرف الشاذلى عن الحسبة، بابن شعبان.

وفيه بلغ الحمل التبن إلى ثمانين درهمًا، والأردب الشعير والفول إلى مائتين وخمسين درهمًا، والأردب القمح إلى أربعمائة درهم، والرطل من لحم الضأن إلى درهمين ونصف.

وفيه ورد الخبر بأن طرابلس الشام زلزلت بلادها زلزلة عظيمة، هدمت مبانى عديدة، منها جانب من قلعة المرقب. وعمت اللاذقية وجبله وقلعة بلاطنس [٣] وثغر بكاس [٤]، وعدة بلاد بالجبل والساحل، فهلك تحت الروم جماعة.

(١) قال أبو عمرو: الغَلَطُ فى المنطق، والغلتُ فى الحساب، وقيل: هما لغتان، وهو المبالغة فى الشيء والبعد عن الحقيقة.

(٢) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٣) بلاطنس: قلعة بلاطنس بضم الطاء والنون والسين المهملة، حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان).

(٤) ثغر بكاس- قلعة من نواحى حلب على شاطئ العاصى. انظر معجم البلدان.

شهر رمضان أوله الخميس:

وفيه بلغ المثقال الذهب إلى تسعين درهمًا، والدينار الأفرنتى إلى سبعين، والدرهم الكاملى ثلاثة دراهم من الفلوس، وكل درهم من الفضة الحجر بأربعة دراهم.

وفيه فُتح جامع الأمير سودن من زاده، بخط سويقة العزى، خارج باب زويلة. وخطب من الغد فيه قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب، ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى. ودرّس فيه بدر الدين حسن القدسى الحنفى.

وفيه أَفرج الأمير دمرداش عن الأمير سودن طاز، والأمير جَكَم،وكانا قد سجنا ببعض حصون طرابلس؛ وسار بهما إلى حلب.

وفى تاسعه: قدم رسول تَمُرلنك، ومعه الطواشى مُقْبِل الأَشَقْتَمُرى ممن أسره تَمُر من الخدام السلطانية إلى دمشق، وقدموا إلى قلعة الجبل فى تاسع عشرينه.

وفى هذا الشهر: تحارب الأمير نعير بن حيار (١) والتركمان، فقتل ابن سالم الدكرى، وانهزم التركمان.

شهر شوال، أوله السبت:

فى رابعه: صُرف ابن شعبان عن الحسبة بالهوى. وبلغ المثقال الذهب نحو المائة درهم، والأفرنتى خمسة وسبعين، والقنطار السكر ستة آلاف درهم، والفروج الواحد إلى سبعين درهمًا، والرطل من البطيخ الصيفى إلى ثلاثة دراهم، والحمل التبن بمائة وأكثر، منها.

وورد الخبر بأن الأمير نُعير بن حيار بن مهنا حارب التركمان الدكرية، قريبا من حلب، وهزمهم أقبح هزيمة.

وفى رابع عشره: استقر تاج الدين محمد بن شقير - خطيب جامع الجيزة - فى حسبة مصر، عوضًا عن نور الدين البكرى.

وفى سابع عشره: قُبض علىالوزير تاج الدين بن البقرى، وسلُم للأمير سعد الدين ابن غُراب. وخلع فى يوم الخميس خلعة الوزارة على بدر الدين حسن بن نصر الله، مضافة إلى نظر الخاص.

---

(١) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعير: أمير آل فضل بالشام ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٠م. قتل فى حلب. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٢٠٨/٤ والأعلام ١١١/٦.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الهوى. ثم أعيد الهوى وصرف ابن شعبان في يوم الخميس رابعه. واستقر شمس الدين محمد [1] بن عبد الله بن أبى بكر القليوبى - أحد طلبة الشافعية - فى مشيخة خانكاة سرياقوس عوضًا عن الفقيه أنبياء التركمانى.

وفيه ارتفعت أسعار عامة المبيعات. فبلغ الرطل الجبن المقلى إلى إثنى عشر درهمًا، والرطل اللحم البقرى إلى ثلاثة دراهم، والرطل اللحم الضانى إلى خمسة دراهم. وقلت الأغنام ونحوها، فأبيع عشر دجاجات سمان بألف وخمسين درهمًا. وبيعت عشر دجاجات فى سوق الدجاج بحراج حراج بخمسمائة درهم. وأنا أستدعيت بفروجين لأشتريهما، وقد مرضت، فأخبرت أن شراءهما أربعة وسبعون درهمًا، ويريد ربحًا على ذلك.

وتوالى فى شوال وذى القعدة هبوب الرياح المرِّيسية، فكانت عاصفة ذات سموم وحر شديد، مع غيم مطبق، ورعود ومطر قليل، غرق منها عدة سفن ببحر الملح، وفى نيل مصر، هلك فيها خلائق. واشتدت الأمراض بديار مصر، وفشت فى الناس حتى عمت، وتتابع الموتان. ثم عقب هذا الريح الحارة هواء شمالى رطب، تارة مع غيم، ومرة بصحو، حتى صار الربيع خريفًا باردًا، فكانت الأمراض فى الأيام الباردة تقف ويقل عدد الموتى، فإذا هبت السمائم الحارة كثر عدد الموتى. وكانت الأمراض حادة، فطُلبت الأدوية حتى تجاوز ثمنها المقدار، فبيع القدح من لب القرع بمائة درهم، والويبة من بذر الرجلة بسبعين درهمًا بعد درهمين. والرطل من الشير خشك بمائة وثلاثين. والأوقية من السكر النبات بثمانية دراهم، ومن السكر البياض بأربعة دراهم، ثم بلغ الرطل إلى ثمانين درهمًا. والرطل البطيخ بثمانية دراهم، والرطل الكمثرى الشامى بخمسة وخمسين درهمًا، والعقيد بستين درهما الرطل، وعضد الخروف الضأن المسموط بأربعة دراهم، والزهرة الواحدة من اللينوفر بدرهم، والخيارة الواحدة بدرهم ونصف. وزكت الغلال بخلاف المعهود، فأخرج الفدان الواحد من أرض انحسر عنها ماء بركة الفيوم - المعروفة ببحر يوسف الصديق - أحدا وسبعين أردبًا شعيرًا بكيل الفيوم، وهو

---

(١) شمس الدين محمد بن عبد الله بن أبى بكر القليوبى بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسى الدمشقى الشافعى حافظ للحديث، مؤرخ. أصله من حماة. ولد فى دمشق، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة ٨٣٧ وقتل شهيدًا فى إحدى قرى دمشق. من كتبه «عقود الدرر فى علوم الأثر» و «افتتاح القارى لصحيح البخارى» و «التبيان- خ» شرحها. انظر لحظ الألحاظ ٣١٧ وشذرات الذهب٧/٢٤٣ والضوء اللامع ١٠٢/٨ والدرر الكامنة ٣٩٧/٣والأعلام ٢٣/٦.

أردب ونصف، فبلغ بالمصرى مائة وستة أرادب كل فدان. وهذا من أعجب ما وقع فى زمننا. وأخرج الفدان مما روى - سوى هذه الأرض - ثلاثين أردبًا شعيرًا، ودون ذلك من القمح. وأقل ما أبيع القمح الجديد بمائتى درهم وخمسين درهمًا الأردب.

وهلك أهل الصعيد لعدم زراعة أراضيهم. وكثُرت أموال من رويت أرضه من أهل الشرقية والغربية. وعز البصل حتى أبيع الرطل بدرهم ونصف، وبلغ الفدان منه إلى عشرين ألفًا. وأحصى من مات بمدينة قوص فبلغوا سبعة عشر ألف إنسان، ومن مات بمدينة سيوط [1] فبلغوا أحد عشر ألفًا، ومن مات بمدينة هوْ فبلغوا خمسة عشر ألفًا، وذلك سوى الطرحاء، ومن لا يُعرف.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فى سابعه: أُعيد قاضى القضاة جلال الدين البلقينى إلى منصب القضاء، وصرف الأخناى.

وفى يوم الخميس سابع عشره: قبض على الأمير بيبرس الدوادار الصغير، وعلى الأمير جانم، والأمير سودن المحمدى، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. واستقر الأمير قُرْقُماس - أحد أمراء الطبلخاناة - دوادارًا صغيرًا، عوضًا عن بيبرس.

وسار أمير الحج فى هذه السنة طول. وحج من الأمراء شَرَباش رأس نوبة، وَتَمان تَمُر الناصرى رأس نوبة، وبَيْسَق الشيخونى أمير أخور ثانى. ونودى على النيل فى يوم السبت ثانى عشره - وسابع عشرين بؤونة - ثلاث أصابع، وجاء القاع ذراع واحد وعشر أصابع. وكان النيل قد احترق احتراقًا غير ما نعهد، حتى صار الناس يخوضون من بر القاهرة إلى بر الجيزة، وقلت جرية الماء.

وهذه السنة: هى أول سنى الحوادث والمحن التى خرجت فيها ديار مصر، وفنى معظم أهلها، واتضعت بها الأحوال، واختلت الأمور خللا آذن بدمار إقليم مصر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

على بن خليل بن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحكرى الحنبلى. مات فى يوم السبت ثامن المحرم. وكان قد ولى قضاء القضاة الحنابلة بديار مصر نحو ستة ثم عزل، وكان من فضلاء الحنابلة.

---

(١) مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر.انظر ، معجم البلدان ١/١٩٣،١٩٤.

ومات محمد بن محمد بن عبد الرحمن ناصر الدين الصالحى الشافعى، توفى يوم الأربعاء ثانى عشر المحرم، وهو متولى قضاء القضاة بديار مصر، وكان غير مشكور السيرة، قليل العلم، يشدو شيئًا من الأدب، ويكتب خطًا حسنًا.

ومات محمد بن مبارك بن شمس الدين، شيخ رباط الآثار النبوية توفى يوم الإثنين سابع عشر المحرم، عن ثمانين سنة.

ومات محمد بن شمس الدين البخانسى الصعيدى. توفى يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى، وقد ولى حسبة القاهرة عدة مرار، وكان عسوفًا.

ومات عبد الرحيم بن الحسين [1] بن أبى بكر، زين الدين العراقى، الشافعى شيخ الحديث، توفى يوم الأربعاء ثامن شعبان، ومولده فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وولى قضاء المدينة النبوية، وانتهت إليه رياسة علم الحديث.

ومات على بن محمد بن عبد الوارث نور الدين البكرى الشافعى. توفى فى ذى القعدة، وولى حسبة القاهرة والفسطاط غير مرة. وكان يعد من فضلاء الفقهاء.

ومات الأمير أُزْبَك الرمضانى، أحد أمراء الطبلخاناة، توفى ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير قطلوبك، أستادار أَيْتمش. توفى يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، وولى أستادارية السلطان، وكان من الأغنياء.

ومات آقبغا الفقيه، توفى ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى. وكان أحد دوادارية السلطان، وله به اختصاص زائد، وسيرته ذميمة.

ومات إبراهيم بن عمر بن على برهان الدين المحلى توفى يوم الأربعاء ثانى عشرين ربيع الأول. وبلغ من الحظ فى المتجر وسعة المال الغاية، وجدد عمارة جامع عمرو بن العاص بمصر، وانتهب ماله نهبا.

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن أبى بكر بن عبد الرحمن أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى. بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان (من أعمال أربل) تحول صغيرًا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة، من كتبه: «نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول، و «ذيل على الميزان» ، و«التحرير- خ» فى أصول الفقه. وغير ذلك وهو كثير. انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية ٣٨٢ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد [١]. توفى بدمشق - وهو أحد أمرائها الألوف - فى ذى القعدة، وقدم مصر غير مرة.

ومات الأمير سودن طاز. مات مقتولا فى شهر ذى الحجة.

ومات الشيخ محمد بن على بن عبد الله، المعروف بالحرفى، المغربى، فى يوم الخميس سادس شوال. وكان من خواص الملك الظاهر، يمت إليه بمعرفة علم الحرف.

* * *

---

(١) مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

سنة سبع وثمانمائة

أهلت بيوم الخميس، ثم بعد أيام أثبت القضاة أن أول المحرم الأربعاء.

وكان فيه النيل على ستة وعشرين اصبعًا من الذراع السادس، ووافقه خامس عشر أبيب. وكان سعر القمح بالقاهرة قد انحط، فأبيع بمائتين وخمسين درهمًا الأردب، وهو يباع فى الريف بثلاثمائة درهم. وقطع الرغيف زنة رطل بدرهم. وأبيع الفول بمائتين وخمسين درهمًا، لقلته من أجل انهماك الناس فى أكله أخضر. وبلغ سعر المثقال الذهب تسعين درهمًا، والأفرنتى سبعين.

وفى رابعه: باشر أبو العباس أحمد بن محمد بن سلطان الحمصى قضاء دمشق، عوضًا عن علاء الدين بن أبى البقاء.

وفى رابع عشره: استقر شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله - المعروف بُسَوَيْدان الأسود - أحد قراء الأجواق، فى حسبة القاهرة، وعزل الهوى.

وفى ثامن عشرينه: أوفى النيل ستة عشر ذراعًا. وركب السلطان من قلعة الجبل، وعدى النيل حتى خلق المقياس بين يديه، وفتح الخليج على العادة.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ثانيه: توجه الأمير طولو إلى الشام فى مهم سلطانى، فقدم دمشق فى سادس عشره، ومعه الأمير خير بك نائب غزة فتلقاهما الأمير شيخ، ولبس التشريف السلطانى، الذى حمله طولو. وأقام عنده طولو إلى سادس عشر ربيع الأول، ثم سار إلى القاهرة.

وفى ثالثه: عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله عن نظر الخاص، واستقر عوضه الصاحب فخر الدين ماجد بن غراب.

وارتفع سعر الذهب، فبلغ المثقال بالإسكندرية إلى مائتى درهم بالفلوس، وبالقاهرة إلى مائة وعشرة. وسبب ذلك فساد الفلوس، وذلك أن سُنَّة الله فى خلقه أن النقود التى تكون أثمانًا للمبيعات وقيمًا للأعمال إنما هى الذهب والفضة فقط، وأما الفلوس فإنها لمحقرات المبيعات التى يقل أن تباع بدرهم أو بجزء منه. وكانت الفلوس أولا تعد بمصر: فى درهم الكاملى منها ثمانية وأربعون فلسًا، ويقسم الفلس منها بأربع قطع،

تقام كل قطعة مقام فلس، فيُشترى بها ما يشترى بالفلس؛ إلى أن كانت سنة تسع وخمسين وسبعمائة ضربت الفلوس الجدد، وجعلت أربعة وعشرين فلسًا بدرهم كاملى، زنة الفلس منها مثقال. فلما استبد الأمير محمود بن على بن أصفر عينه - المعروف بجمال الدين الأستادار - وتحكم فى أمور الدولة، منذ أعوام بضع وتسعين، أكثر من ضرب الفلوس شرهًا فى الفائدة. فلم يمت الظاهر برقوق حتى صارت الفلوس هى النقد الرائج الذى ينسب إليه قيم الأعمال كلها وأثمان المبيعات بجملتها. وقلّت الدراهم الكاملية بترك السلطان والرعية ضربها، ولسبكهم إياها، واتخاذها حليا وأوانى وردف ذلك كثرة النفقات فى العساكر من الذهب المخلف عن الظاهر، فكثر بالأيدى، وصار أيضًا نقدًا رائجًا، إلا أنه ينسب إلى الفلوس، ولا تنسب الفلوس إليه، فيقال: «كل دينار بكذا كذا درهم من الفلوس». وصارت الفضة مع هذا كأنها من جملة العروض، تباع بحراج فى النداء، كل درهم من الكاملية بكذا وكذا من الفلوس. وكل درهم من الفضة الحجر - وهى الخالصة التى لم تضرب ولم تغش - بكذا وكذا درهم من الفلوس. ثم دخل الفساد فى الفلوس، فضرب بالإسكندرية منها شىء أقل من وزن فلوس القاهرة وتمادى أمرها فى النقصان حتى صار وزن الفلس أقل من ربع درهم وكانت القفة زنة مائة وعشرين رطلا - عنها خمسمائة درهم - فصارت زنة مائة وثمانية عشر رطلا، ثم صارت مائة وسبعة عشر رطلا ما ثم صارت مائة وخمسة عشر رطلا، ثم صارت مائة واثنى عشر رطلا، واستمرت كذلك عدة أعوام. فلما كان فى هذه المحن والحوادث، كثرت فلوس الإسكندرية حتى بقيت زنة القفة ثمانية وعشرين رطلا، فشنعت القالة، وكثر تعنت الناس فى الفلوس، وزهدوا فيها، وكثرت رغبتهم فى الذهب، فبذلوا فيه الكثير من الفلوس حتى بلغ هذا المقدار، فامتعض الأمير يشبك الدوادار لذلك، وتقدم بإبطال ضرب الفلوس بالإسكندرية، فبطلت.

وبلغ سعر لحم الضأن كل رطل بخمسة دراهم ونصف، والدرهم الكاملى، كل عشرة دراهم بثلاثة وثلاثين درهمًا من الفلوس، والطائر الأوز بسبعين درهمًا. وقَلت اللحوم، فلم توجد إلا بعناء، وهى هزيلة وأبيع الرطل من لحم البقر بثلاثة دراهم ونصف، واللبن كل رطل بدرهمين، والرطل السمن بثمانية عشر درهمًا. وبيعت خمس بقرات بخمس وعشرين ألف درهم، وخروفان بألفين وأربعمائة درهم، وزوج أوز بثلاثمائة درهم. وانحل سعر الغلات، فبيع الأردب القمح بمائتين وعشرين بعد أربعمائة ونيف، والأردب الشعير بمائة وأربعين بعد مائتين ونيف، والحمل التبن بثلاثين إلى أربعين بعد مائة ونيف. وأبيع فى شهر ربيع الأول الأردب الحمص بخمسمائة،

والأردب من حب البرسيم بثمانمائة. والفضة الكاملية كل مائة درهم بأربعمائة درهم من الفلوس. وبلغ الرطل اللحم من الضأن إلى اثنى عشر درهمًا، والرطل من اللحم المسموط عشرة دراهم، ورطل اللحم البقرى إلى أربعة دراهم وربع. والبيضة الواحدة بنصف درهم، والرطل الزيت بستة دراهم، والسيرج بتسعة دراهم، وعسل النحل كل رطل بثمانية عشر درهمًا، والجبن من الحالوم بسبعة دراهم الرطل، والقدح الحمص المصلوق بثلاثة دراهم، والقدح الفول المصلوق (١) بدرهمين ونصف، وكل رغيف زنة سبع أواقى بدرهم، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بمائة درهم وعشرة دراهم. وارتفع سعر القمح بعد انحطاطه، فبلغ الأردب إلى أربعمائة درهم، سوى كُلَفة وهى: سمسرة عشرة دراهم، وحمولة سبعة دراهم، وغربلته بدرهمين، وأجرة طحنه ثلاثون درهمًا. وأكثر ما يخرج عنه خمس ويبات ونصف، فينقص الأردب نصف سدسه وبلغ الأردب الفول إلى ثلاثمائة وعشرين درهمًا غير حمولته وسمسرته، والشعير كذلك. وبيعت الفجلة الواحدة بربع درهم، والدجاجة بنحو عشرين درهمًا، والجيدة بأربعين درهمًا، والمعلوفة بمائة درهم ونيف، وأبيع الكتان كل رطل بعشرة دراهم واشترى جمل من الحجاز بخمسة وأربعين درهمًا كاملية، فبيع بسوق الجمال تحت قلعة الجبل بنحو تسعمائة درهم. واشترى جمل آخر من الحجاز بمائة وأربعين درهمًا كاملية، فأبيع بريف مصر بألف ومائتى درهم، واسترخص، وقيل قد غُبن بائعه، وارتفع سعر الثياب، فبلغ الذراع من الكتان المنسوج عشرة دراهم بعد ثلاثة. وبيع الثوب الصوف بألفين وخمسمائة بعد ثلاثمائة، والبدن الفرو السنجاب بألفين ونيف بعد ثلاثمائة، وبلغ ثلاثة آلاف درهم البدن، وبلغ البدن الفرو السمور بخمسة عشر ألف درهم. وبيع زوج أوز بثلثمائة وخمسين درهمًا.

وفى نصف جمادى الأولى نودى بتسعير الذهب بمائة درهم المثقال، وثمانين درهمًا الأفرنتى، فكسد كسادا عظيمًا، وكثر فى الأيدى ورده الناس، وامتنعوا من أخذه فى ثمن المبيعات، خوفًا من انحطاط سعره. وتغيب الصيارفة، فتوقفت أحوال الناس، حتى نودى بعد أيام بالسعر الذى ذكر، فسكنوا قليلا وغلت البزور، فبلغ القدح من بزر القرع، وبزر الجزر، وبزر البصل إلى مائة درهم ونيف. وتعطل كثير من الأراضى لاتساع النيل بكثرة زيادته، وعجز الفلاحين عن البذر، سيما أراضى الصعيد فإن أهلها بادوا موتًا بالجوع والبرد، وباعوا أولادهم بأبخس الأثمان، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق، ونقل الناس منهم إلى البلاد الشامية ما لا يعد، فبيعوا فى أقطار الأرض كما

---

(١) يقصد بها المسلوق.

يباع السبي، ووطئ الجوارى بملك اليمين. ولقد كنت أسمع قديمًا أنه يتوقع لأهل مصر غلاء، وجلاء، وفناء. فأدركنا ذلك كله في سنى ست، وسبع، وثمان مائة. وهلك فيها ما ينيف على ثلثى أهل مصر، ودمر أكثر قراها.

وفى آخر جمادى الأولى: عزّ وجود الشعير، فبلغ إلى ثلاثمائة وستين درهمًا الأردب. وبلغ الأردب الفول إلى أربعمائة درهم، لكثرة أكل الناس له، وبيع الرطل البصل بدرهمين، والرطل الثوم بخمسة دراهم هذا مع اختلاف أهل الدولة، وكثرة تحاسدهم.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير دُقْمَاق دمشق، وذلك أنه لما فر من حلب اجتمع هو والأمير جَكَم بحماة وكان دمرادش قد أفرج عن سودن طاز وجكم، وسار بهما من طرابلس إلى حلب وخرج بهما لقتال التركمان فانكسر، وفر جكم إلى حماة، فاجتمع بدقماق بعدما قتل سودن طاز، وصارا فى جماعة، فبعث السلطان يُخَيِّر دقماق في بلد ينزل بها، فأحب الإقامة بدمشق وخرج الأمير شيخ إلى لقائه وأكرمه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، وذلك أن الأمير يشبك هو زعيم الدولة، بيده جميع أمورها من الولاية والعزل، والنقض والإبرام. فإذا ركب من داره إلى الخدمة السلطانية بالقلعة، ركب معه كثير من الأمراء والمماليك، فيبرم بالقصر بين يدى السلطان سائر ما يريد إبرامه، وينقض ما يختار نقضه. ثم يقوم وأهل الدولة عن آخرهم فى خدمته إلى داره، فيجلسون بين يديه، ويصرف أمور مصر والشام والحجاز، كما يحب ويختار. وصار له عصبة كبيرة، فأحبوا عزل الأمير إينال باى ابن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق [(١)] من وظيفة أمير أخور. وذلك أنه اختص بالسلطان لأمور منها قرابته، ثم مصاهرته إياه، فإنه تزوج بخوند بيرم ابنة الملك الظاهر، وسكن بالإصطبل، فصار السلطان ينزل إليه ويقيم بدار أخته، فشق ذلك على عصبة يشبك، وأحبوا أن يكون جَرْكَس المصارع أمير أخور، وانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية عدة أيام من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم، وتمادى الحال إلى يوم الجمعة هذا. فتقدم السلطان إلى الأمير أينال باى أن ينزل إلى الأمراء ويصالحهم، فمنع جماعة

(١) برقوق بن أنص أو أنس- العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق واسمه عثمان فباعه فيها منسوبًا إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة ثم عاد إلى مصر وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتوفى سنة ٨٠١ انظر ديوان الإسلام والضوء اللامع٣/ ١٠ والأعلام ٢/ ٤٨.

من المماليك السلطانية إينال باى أن ينزل، وتشاجروا مع طائفة من مماليك الأمراء واشتد ما بينهم من الشر، حتى أزعج الناس بالقاهرة، وباتوا مترقبين وقوع الحرب. وكان قد تقدم السلطان إلى الأمير يشبك أن يتحول من داره، فإنها بمجاورة لمدرسة السلطان الملك الناصر حسن، فإنه وشى به أنه يسوَّر إليها، ويرمى منها على القلعة، فامتنع من ذلك، فساء الظن به.واستدعى السلطان القضاة فى يوم السبت ثانيه إلى بيت الأمير الكبير الأتابك بيبرس ابن أخت الظاهر، ليصلحوا بين الأمير إينال باى والأمراء، فامتنع أن ينزل من الإصطبل، وتسوَّر بعض أصحاب الأمير يشبك على مدرسة حسن، فتحقق السلطان ما كان يظنه بيشبك، وأخذ كل أحد فى أهبة الحرب، وأصبحوا جميعًا يوم الأحد لابسين السلاح، وقد أعد يشبك بأعلا مدرسة حسن مدافع النفط والمكاحل، ليرمى على الإصطبل السلطانى، ومن يقف تحت القلعة بالرميلة [١].

ونزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإصطبل، واجتمع عليه من أقام على طاعته من الأمراء والمماليك. وأقام مع يشبك من الأمراء المقدمين سبعة هم: تمراز الناصرى أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وإينال حطب العلاى، وقطلوبغا الكركى، وسودن الحمزاوى رأس نوبة، وطولو، وجركس القاسمى المصارع وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادرار، وناصر الدين محمد بن سُنْقُر البكجرى، وناصر الدين محمد بن على ابن كلفت، فى جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء وثبت مع السلطان الأمير الكبير بيبرس ابن عمته، والأمير إينال باى قجماس عم أبيه، والأمير سودن الماردينى، والأمير بكتمر، والأمير أقباى حاجب الحجاب، وأكثر المماليك الظاهرية فأقاموا على الحصار والمراماة، من بكرة الأحد إلى ليلة الخميس سابعه. وقد أخذ أصحاب السلطان على اليشبكية المنافذ، وحصروهم والقتال بينهم مستمر، وأمْر يشبك فى إدبار، فلما كان ليلة الخميس نصف الليل، خرج يَشْبك بمن معه على حمية من الرميلة، ومروا إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانية. ونودى من آخر الليل فى الناس بالقاهرة «الأمان والاطمئنان» ومنع أهل الفساد من النهب. ومر يشبك بمن معه إلى قطيا، فتلقاه مشايخ عربان العايد، ومشايخ ثعلبة، وهلبا سُوَيد [٢] وبنو بياضة[٣] وقفوا فى خدمته، فدخلها بكرة يوم السبت تاسعه. وبات بها ليلة الأحد، وأصبح، فنهب أصحابه بيوتها وأسواقها، ثم رحلوا بعد الظهر، وتركوا جركس المصارع، ومحمد

---

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضرية نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان ٧٣:٣.

(٢) انظر البيان والإعراب للمقريزى. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

(٣) انظر البيان والإعراب للمقريزى. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

ابن كَلَفْت بقطيا، حتى يتلاحق بهما من انقطع منهم، فأتـاهم جماعـة، ثـم مضـوا حتـى لحقوا بيشبك، فسار إلى العريش، وقد بلغ خبره إلى غزة فتلقاه أمراؤهـا. ثـم خـرج إليـه الأمير خَير بك نائب غزة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشره، ونزل بها. وبعث طولو إلى الأمير شيخ المحمودى نائب الشام يعلمه بالخبر، فقـدم دمشـق يـوم الأحـد ثـامن عشـره، وخرج الأمير شيخ، فتلقاه. ولما أعلمه بما وقع، شق ذلك عليه، فإنه كـان مـن أصحـاب يشبك وبعث إليه الأمير ألطُنْبُغا حاجب دمشق، والأمير شهاب الدين أحمد بن اليغمورى بأربعة أحمال قماش، ومـال وكتـب إليـه يرغبـه فـى القـدوم عليـه، ويعـده بالقيـام معـه ونصرته، فسار من غزة بعدما أقام بها ثلاثة عشر يومًا، فى ليلة الإثنين خامس عشـرينه. وأخذ ما كان بها من حواصل الأمراء، وعدة خيول، وبعدما قدم عليـه مشـايخ العربـان بالتقادم، وبعث إليه أهل الكرك والشوبك [١] بأنواع مـن التقـادم، وبعدمـا عـرض مـن معه، فكانوا ألفًا وثلاثمائة وخمسة وعشرين فارسًا. فتلقاه بعـد مسيره مـن غـزة مشـايخ بلاد الساحل والجبل، وحمل إليه الأمير بكتمر شلق نـائب صفـد عـدة تقـادم مـن أغنـام وشعير وقماش وغير ذلك. وقدم إليه ابن بشارة فى عدة من مشايخ العشير. وجهـز إليـه الأمير شيخ الناس لملاقاته طائفة بعد أخرى، ثم سار إليه.

فلما تقاربا، ترحل الأمير شيخ عن فرسه، وسلم عليه، وسـار بـه وقـد ألبسـه وجميـع من معه من الأمراء الأقبية بالأطرزة العريضـة، وعدتهـم أحـد وثلاثـون أميرًا مـن أمـراء الطبلخاناه والعشرات، وسوى من تقدم ذكره من أمراء الألوف، ومعهم مـن الخاصكيـة والمماليك والأجناد نحو الألفى فارس، بعددهم وآلات حربهـم. وقـد انضـم إليهـم خلـق كثير، فدخلوا دمشق بكرة الثلاثاء رابع شهر رجب، فسألهم الأمـير شـيخ عـن خـبرهم، فأعلموه بما كان، وذكروا له أنهم مماليك السلطان، وفى طاعته، لا يخرجـون عنهـا أبـدًا غير أن الأمير إينال باى نقل عنهم ما لم يقع منهم، فتغير خاطر السلطان، حتى وقـع مـا وقع، وأنهم ما لم ينصفوا منه ويعودوا لما كانوا عليه وإلا فـأرض الله واسـعة، فوعدهـم بخير، وقام لهم بما يليق بهم، حتى قيل أنـه بلغـت نفقتـه عليهـم نحـو مـائتى ألـف دينـار، وكتب إلى السلطان يسأله فى أمرهم.

وفيه أحضر الأمير شيخ، الأمير أسـن بيـه، مـن سـجنه بقلعـة صفـد، وأكرمـه. وأمـا السلطان، فإنه لما أصبح، وقد انهزم يشبك ومن معـه، كتـب بـالإفراج عـن سـودن مـن زادة، وتمربغا المشطوب، وكتب إلى الأمير نوروز بالحضور ليستقر علـى عادتـه، وكتـب إلىالأمير جكم أمانًا، وتوجه به طغيتَمُر مقدم البريدية.

وفى رابع عشره: أُعيد علاء الدين على بن أبى البقاء إلى قضاء دمشـق، عوضًـا عـن

---

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلـة والقـلزم قـرب الكـرك. انظر معجـم البلـدان ٣/٣٧٠.

أبى العباس الحمصى، وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلطان.

وفى يوم السبت تاسعه: ولى ناصر الدين محمد - ويعرف بمحنى ذقنه - ولاية القاهرة، وعزل أَقْتمر.

وفى ثانى عشره: خلع السلطان على عدة من الأمراء، فخلع على الأمير سودن الماردينى، وعمله دوادارًا عوضًا عن الأمير يشْبك، وعلى الأمير سودن الطيار أمير أخور ثانيا وعمله أمير مجلس عوضًا عن سودن الماردينى، وعلى أقباى حاجب الحجاب، وعمله أمير سلاح عوضًا عن تمراز، وخلع على أبى كم، وعمله ناظر الجيش عوضًا عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وكان قد استقر فى الوزارة تاج الدين بن البقرى فى خامسه وهم فى الحرب.

وفى خامس عشره: استقر ركن الدين عمر بن قايماز أستادارًا، وعزل سعد الدين ابن غراب.

وفى سابع عشره: قدم من الإسكندرية سودن من زاده، وتَمُربغا المشطوب، وصُروق إلى قلعة الجبل، فقبلوا الأرض بين يدى السلطان، ونزلوا إلى دورهم.

وفى حادى عشرينه: استقر الأمير يَشْبك بن أزدَمر رأس نوبة، عوضًا عن سودن الحمزاوى.

وفى ثانى عشرينه: أعيد الأخناى إلى وظيفة قضاء القضاة بديار مصر، وصرف شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى. واستقر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى نظر الجيش، وعُزِل أبو كم.

وفى هذا الشهر: ألزم مباشرو الأمراء المتوجهين إلى الشام بمال، بعدما أُوقفوا بين يدى السلطان فى ثامن عشره، وقرر على موجود الأمير يشبك الدوادار مائة ألف دينار، وعلى موجود تمراز مائة ألف دينار، وعلى موجود الحمزاوى ثلاثون ألف دينار، وعلى موجود قطلوبغا الكركى عشرون ألف دينار، وأن يكون الدينار بمائة درهم، ثم مضى الوزير تاج الدين بن البقرى إلى حواصل الأمراء، فختم عليها، وافتقد من توجه من المماليك السلطانية، فكانوا مائتى مملوك.

وفى يوم الثلاثاء عشرين جمادى الآخرة: وصل الأمير نوروز الحافظى من قلعة الصبَيْبة إلى دمشق، فتلقاه الأمير شيخ وأكرمه، وضرب البشائر لقدومه.

وتاسع عشرينه: خرج الأمير شيخ من دمشق إلى لقاء الأمير يشبك ومن قدم معه.

وفى هذا الشهر: كثر فساد فارس بن صاحب الباز، من أمراء التركمان، واستولى على كثير من معاملة حلب، فبعث إليه الأمير دمرداش نائب حلب بناصر الدين محمد ابن شُهْرى الحاجب، وتغرى بردى ابن أخى دمرداش، إلى علاء الدين على بك بن دُلغادر بعث ابن أخيه الآخر قرقماس إلى الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان؛ ليحضرا بجمائعهما من التراكمين البياضية والأينالية. وخرج من حلب فى جمع موفور، فنزل العمق، وجمع بين ابن رمضان وابن دلغادر، وأصلح بينهما بعد العداوة الشديدة. وأصلح أيضًا بين طائفتيهما وهما الأجقية والبزقية، وحلفهما للسلطان، وبالغ فى إكرامهم. وألبس الأميرين وخواصهما خلعًا سنية. ثم مضى بهم على ابن صاحب الباز، وقد انضم مع الأمير جكم، وسودن الجلب، وجُمُق، وغيره من المخامرين على السلطان، وقاتلهم، فانهزم ابن صاحب الباز، وتحصن هو وجكم بأنطاكية، فنزل عليها دمرداش وحصرها. فبينما هو فى ذلك، قدم طُغَيْتَمُر - مقدم البريدية - وشاهين الأقجى، وأقبغا - من إخوة جكم - وشرف الدين موسى الهذبانى حاجب دمشق، ومملوك الأمير شيخ نائب الشام، والأمير علان الحافظى نائب حماه [١] وعلى يدهم أمان السلطان وكتابه إلى الأمير جَكَمْ بتخييره بين الحضور إلى ديار مصر، أو إقامته بالقدس أو طرابلس فتفرق الجميع عن دمرداش، ورحل ابن رمضان وابن دلغادر عائدين إلى بلادهما. فأدرك الأمير دمرداش بن دلغادر، ولم يزل به حتى أقام معه على العمق، فى طائفة من البياضية والأينالية.

وقدم طُغيْتَمر على الأمير بأنطاكية [٢] فلم يعبأ به، ولا اكترث بما على يده من الأمان والكتاب، بل قبض عليه واعتقله، وخلى سبيل البقية، ما عدا أقبغا، فإنه أخره عنده.

شهر رجب، أوله السبت:

فى رابعه استدعى جمال الدين يوسف أستادار الأمير بجاس، ولم يزل به السلطان حتى رضى أن يلبس خلعة الأستادارية، فلبسها عوضًا عن ابن قايماز بعدما رسم عليه

---

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠،٣٠١.

(٢) بتخفيف الياء مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، قالوا: وكل شيء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكية، ويقال ليس فى أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها. انظر الروض فى خبر الأقطار ٣٨، ونزهة المشتاق ١٩٥، والمروج ٢/ ٢٨٢ والكبرى (مخ) ٨٥ وصبح الأعشى ٤/ ١٢٩ ومعجم البلدان ١/ ٢٢٦، ٢٢٧.

فى بيت شاد الدواوين محمد بن الطبلاوى يومًا وليلة. واستمر يتحدث فى أستادارية الأمير بيبرس ابن أخت السلطان، كما كان يتحدث فيها قبل استقراره فى أستادارية السلطان.

وفى عشرينه: توجه عبد الرحمن المهتار إلى البلاد الشامية فى مهمات سلطانية.

وقدم الخبر على السلطان بإفراج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير نوروز من سجن قلعة الصبيبة، وأنه جهز له فرسًا بسرج ذهب، وكنفوش مطرز بذهب، وأحضر الأمير قانباى، وبعث إلى الأمير عمر بن فضل الحرمى خلعة بطراز عريض. وقدمت كتب نواب الشام إلى الأمير يَشْبَك، تعده بالأمداد، وتقويته بما يريد وقدم عليهم الأمير نوروز والأمير دقماق، فبعث الأميران شيخ ويشبك بيشبك العثمانى إلى الأمير جكم، يستدعيه من أنطاكية إلى دمشق. وأفرج الأمير شيخ أيضًا عن قرا يوسف ابن قرا محمد التركمانى، فى يوم الإثنين سابع عشره، وخلع عليه وحلّفه على موافقته والقيام معه.

وفيه سار الأمير جكم من أنطاكية يريد طرابلس، فلما نزل عليها واطأه الأمير تنكزبغا الحاجب، وأقجبا أمير أخور، وكُزَ السيفى أسندَمُر، ومكنوه من البلد، وقد أقامهم النائب على بعض جهاتها، فدخل إليها، فلم يثبت عسكر طرابلس، وفر الأمراء والأجناد. وبقى الأمير شيخ السليمانى نائب طرابلس فى طائفة من ألزامه، فقاتل جكم من بكرة يوم الأحد عاشره إلى وقت الظهر، فأُحيط به، وقبض عليه وعلى مماليكه، ونهبت داره وحواصله، ثم حمل إلى قلعة صهيون [١] فسجن بها عند نائبها الأمير بيازير - من إخوة الأمير نوروز - ثم كتب الأمير جكم بقتله، فامتنع بيازير من ذلك، واتفق معه على مخالفة جَكَم. وعندما تمكن جكم من طرابلس، قطع اسم السلطان من الخطبة، وكتب إلى نائب غزة، وإلى عمر بن فضل أمير جَرْم [٢] يأمرهما بتجهيز الإقامات، ويعلمهما بأنه قد عزم على التوجه إلى مصر، وأخذها صحبة الأمير نائب شيخ نائب الشام وكان الأمير نائب الشام لما بلغه استيلاء جكم على طرابلس، بعث إليه الأمير قانباى يدعوه إلى الاجتماع معهم، والحضور إليهم بدمشق، فعوق عنده قانباى، واستماله إليه، فصار من جماعته.

وفى هذا الشهر: أبيع عجل مُخُصى بالقاهرة بسبعة آلاف درهم كانت قيمته

(١) حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام وهى قلعة حصينة فى طرف جبل. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) بنو حرم: بطن من طيئ من القحطانية، بلادهم غزة، والداروم مما يلى الساحل إلى الجبل وبلد الخيل، انظر البيان والإعراب للمقريزى، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

خمسمائة. وبيع زوج أوز بـألف ومـائتى درهـم. واشـتد الغـلاء بالوجـه البحـرى، فبلـغ القدح القمح إلى أربعين درهمًا، والقدح الشـعير إلى ثلاثـين درهمًـا، والخبز إلى عشـرة دراهم الرطل. وأبيع بالإسكندرية كل قدح من القمح بثلاثين درهمًـا، وكـل قـدح مـن الشعير بخمسة وعشرين درهمًا، وكل رطل لحـم مـن الضـأن بـالجروى بسـتين درهمًـا، وكل طائر من الدجاج المتوسط من خمسين إلى خمسة وخمسين درهمًـا، وبيعـت البيضـة من بيض الدجاج بدرهمين، والأوقية من الزيت بأربعة دراهم. وبلغ الدينـار إلى ثلاثمائـة وعشرة دراهم، فخرج منها خلق كثير من الغلاء، ركب عدة منهم فى خمـس مراكـب، فغرقوا بأجمعهم. وبيعت عجلة بالريف بسـتة آلاف درهـم. وتزايـد الموتـان فـى الفقـراء بالجوع، فقبض على رجل من أهل الجرائم بمدينة بلبيس ووُسط، ثم علق خارج المدينـة، فوجد رجل قد أخذ قلبه وكبده ليأكلهما من الجوع، فمسك وأُحضـر إلى متـولى الحـرب - وهما معه - فقال: «الجوع حملنى على هذا» فوصله بمال، وخلاه لسبيله.

وفيه غلت الملابس من الحرير وغيره حتى تعدت الحد وتجاوزت المقدار، فبلغ الـذراع الكتان الخام إلى عشرين درهمًا وأكثر بعد أربعة دراهم.

وفيه قبض الأمير شيخ على جماعة بدمشق، وألزمهم بحمل مـال كبـير. وفـرض علـى البساتين بالغوطة مبلغًا كبيرًا من الذهب، جُبى من الناس، وأكثر من المصادرات.

شهر شعبان، أوله لأحد:

فيه سار الأمير جكم من طرابلس على أنه متوجه إلى الأمراء بدمشق. فلما نزل حماة، أخذ الأمير علان نائبها ومضى إلى حلب. وقد كتـب إليـه عـدة مـن أمرائهـا يسـتدعونه إليها، فقدمها فى سابعه، ومعه عسكر طرابلس وحماة، وطغرول بن سَـقَل سـيز - أحـد أمراء التركمان - فى جمع موفور، فقاتله الأمير دمرداش. فلم يشعر إلا بجكم قد فتح لـه الأمراء أحد أبواب المدينة ودخلها، ففر دمـرداش ومعـه نـاصر الديـن محمـد بـن شـهرى الحاجب وابن عمه نصر الدين محمد بن شهرى نائب القلعة، وأُزدَمُر الحاجب، وشَرَبَاش نائب سيس [١] ومضى إلى البياضية والأينالية من التركمان، فنزل فيهم قريبًـا مـن حلـب مدة أيام. ثم توجه إلى مدينـة إيـاس بجماعتـه، وولـدى أخيـه قرقمـاس، وتغـرى بـردى، فدخلها فى ثالث عشره، فقام له نائبها بما يليق به، وأركبه البحر يريد مصر. وأما الأمـير جكم فإنه استولى على حلب، وأنعم على الأمـير عـلان نـائب حمـاة بموجـود دمـرداش،

---

(١) سيس: بلد هو اليوم من أعظم مدن الثغـورا الشـامية بـين أنطاكيـة وطرسـوس. انظـر معجـم البلدان ٢٩٧/٣.

وبعض جواريه، وأعاده إلى حماة، بعد دخوله حلب بثلاثة أيام. وأحسن جكم السيرة فى حلب، وولى فى القلاع نوابًا من جهته، فاجتمعت له حلب وحماة وطرابلس.وأما الأمير شيخ نائب الشام فإنه سير فى أوله الأمير سُودُن الحمزاوى، والأمير سودن الطريف إلى الأمير جكم على أنه بطرابلس. وكان فى أمسه قد ضرب خامه خارج دمشق ليلقى الأمير جَكَم. وسير الأمير شرف الدين موسى الهذبانى الحاجب إلى الأمير دمرداش على أنه بحلب يستدعيه إلى موافقته ومن عنده من أمراء مصر. وكان قد ورد كتابه بأنه معهم، ومتى دعوه حضر إليهم. وعين الأمير شيخ الأمير جركس المصارع، ليتوجه إلى غزة بعسكر. وخلع فى ثالثه على الأمير أسن بيه، وبعثة إلى الرملة.

وفى رابعه: خرج الأمير تمراز والأمير جركس المصارع، والأمير سودن الطريف - وقد عاد من طرابلس - والأمير أَلطُنبغا العثمانى، والأمير تنكز بغا الحططى، على عسكر، ومعهم خليل التوريزى الجشارى، فى مائتى فارس من التركمان والجشارية، لأخذ صفد بحيلة أنهم يمضوا إلى جشار الأمير بكتمر شلق نائب صفد ليأخذوه. فإذا أقبل إليهم ليدفعهم عن الجشار، قاطعوا عليه، وأخذوا المدينة، فتيقظ بكتمر شلق، وترك لهم الجشار، فساقوه من غير أن يتحرك عن المدينة، وعادوا إلى دمشق.

فاستعد الأمير شَيْخ، وعمل ثلاثين مدفعًا، وعدة مكاحل للنفط ومنجنيقين، وجمع الحجارين والنقابين وآلات الحرب. وخرج من دمشق يوم الثلاثاء سابع عشره، ومعه جميع من عنده من عسكر مصر والشام، وقرا يوسف بجماعته، وجماعة السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد، والتركمان الجشارية، وأحمد بن بشارة بعشرانه، وعيسى بن الكابولى بعشيره، بعدما نادى بدمشق «من أراد النهب والكسب فعليه بصفد» فاجتمع له خلائق، وسار ومعه مائة جمل تحمل المدافع والمكاحل والمناجنيق، والزحافات، والبارود، ونحو ذلك من آلات الحصار. وولى الأمير أَلطُنْبُغا العثمانى نيابة صفد، فكتب يستدعى عشران صفد وعربانها وتركمانها، فقدم الأمير شيخ بمن معه إلى صفد فى عشرينه. وبعث أماهه تقى الدين يحيى بن الكرمانى، وقد ولاه قضاء العسكر، ومعه قُطْلوبغا رأس نوبة بكتابه إلى الأمير بَكْتَمر شلَقَ، يدعوه إلى موافقته، ويحذره من مخالفته، ويعلمه أن الأمير جَكَم قد أخذ حلب من الأمير دمرداش بالقهر، وأنه قادم إليه ومعه الأمير علاّن نائب حماة. فلم يذعن له بَكْتمر، وأبى إلا قتاله. فأحاط الأمير شيخ بقلعة صفد وحصرها من جميع جهاتها، وقد حصنها الأمير بكتمر وشحنها بالرجال والآلات.

فاستمرت الحرب بينهم أيامًا، جرح فيها من الشيخية نحو ثلاثمائة رجل، وقتل ما ينيف على خمسين فارسًا.

وفيه سار الأمير سودن الجلب من حلب إلى حريمه بالبيرة [١] فحضر يغمور من الذكرية، وكبس البيرة، وسبى الحريم، وعاد إلى ناحية سروج. فلما بلغ ذلك الأمير جَكَم سار من حلب فى ثانى عشرينه إلى البيرة، وسار بسودن الجَلَب إلى يغمور، وقاتله وكسره، وأخذ له ستة آلاف جمل، وعشرة آلاف رأس من الغنم. وبعث سودن الجَلَب فى أثره، فضرب حلقة، وأسر سودن الجلب ومن معه. وعاد الأمير جكم إلى حلب ومعه حريم يغمور رهينة على سودن الجلب. فأفرج يغمور عن سودن الجلب ومن معه، ولم يبعثهم إلى جَكَم.

وفيه ورد الخبر من مكة بأن جميع ما احترق من المسجد الحرام - وهو ما بين الثلث والنصف - قد عمر علوا وسفلا، وعملت العمد من حجارة صوان منحوتة، وأن الأَرَضة قد أَكَلت فى سقف مقام إبراهيم عليه السلام.

وفيه باع سُنْقُر نائب طرسوس [٢] المدينة للأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، وسلمها له، وقد نزل ظاهرها.

وفيه سار الأمير المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى الكرك، ونزل عليها فى سادس عشره. وقد أتهم الأمير عمر بن الهذبانى النائب بالخروج عن طاعة السلطان، فجمع عبد الرحمن العشير فى تاسع عشره، وزحف على المدينة وقاتل النائب، وهزمه، وقتل منه عددًا كبيرًا وحصر المدينة، ومنع الميرة عنها، وجمع جمعًا آخر وقاتل النائب مرة ثانية. وكان الغلاء قد اشتد بتلك البلاد، وكثر نهب الدور بالمدينة، وأخذ أموال أهلها، وتخربت ديارهم وتنوعت عقوبتهم. وأما السلطان فإنه قبض فى ثانيه على الصاحب تاج الدين بن البقرى، وأخذ جميع ما وجد له، وأسلمه إلى شاد الدواوين.

وفى تاسعه: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، مضافا لما معه من نظر الجيش، عوضًا عن ابن البقرى.

وفى حادى عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء المالكية، وصرف البساطى.

وفى رابع عشره: استقر الأمير بشباى حاجب الحجاب، عوضًا عن الأمير أقباى الطرنطاى، المستقر أمير سلاح.

---

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ١/٥٢٦.

(٢) مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينها فصيل وخندق ويجرى الماء حواليها ولى قضاءها أبو عبيد القاسم بن سلام وفيها دفن المأمون بن الرشيد. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٣٨، ٣٣٩ وصبح الأعشى ٤/١٣٣ ومعجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

فى عاشره: قدم الأمير يلبغا السالمى من ثغر الإسكندرية، وقد أفرج عنه واستدعى فأُكرم، ونزل إلى داره، ثم طُلب إلى قلعة الجبل وخُلع عليه، واستقر مشير الدولة. وخلع معه على الأمير جمال الدين الأستادار خلعة استمرار. وخُلع على ناصر الدين محمد بن الطبلاوى خلعة الوزارة، نقل إليها من شد الدواوين. واستقر أقتمر شاد الدواوين عوضه. وخُلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر فى نظر الجيش ونظر الخاص على عادته.

وفيه قدم سلامش حاجب غزة يخبر بوصول الأمير نوروز إلى غزة طائعًا. وذلك أنه خرج من دمشق للدورة بأرض حوران [(١)] والرملة [(٢)] فلما قارب غزة كتب إلى السلطان بأنه قد أناب ودخل فى طاعته، فكتب إليه بما يرضيه، ورسم للأمير خاير بك نائب غزة أن يتلقاه ويكرمه، فقدم به إلى غزة، وتوجه منها يريد القاهرة، فقدمها فى رابع عشر رمضان، فخلع عليه، وأُعطى خبز الأمير يلبغا السالمى، وزيد عليه.

وأما أمر الشام، فإن الأمير جكم خرج من حلب فى حادى عشره يريد دمشق، وقد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه. وكان جكم قد سلم القلعة إلى شرف الدين موسى بن يَلْدُق، وعمل حجابًا وأرباب وظائف، وعزم على أن يتسلطن ويتلقب بالملك العادل. ثم أخر ذلك وقدم دمشق فى ثالث عشرينه، ومعه الأمير قانباى، والأمير تغرى بردى القجقارى وجماعة. وقد خرج الأمير شيخ والأمراء إلى لقائه، وأنزله فى الميدان، فترفع على الأمراء ترفعًا زائدًا أوجب تنكرهم عليه فى الباطن، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الإغضاء فأكرموه، وأنزلوه، وحلّفوه على القيام معهم على السلطان، وموافقتهم. وأخذ فى إظهار شعار السلطنة، فشق عليهم ذلك، ومازالوا به حتى تركه. وأقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرينه، فتوجه منها مخفًا إلى طرابلس، وترك أثقاله بدمشق، ليجمع عساكر طرابلس وغيرها ممن انضم إليه.

وأما الأمير دمرداش نائب حلب، فإنه قدم على ظهر البحر إلى دمياط فى سابع عشره، وبعث يستأذن فى الحضور فإذن له، وقدم إلى قلعة الجبل.

وفيه قُبض بدمشق على الأمير جركس الحاجب فى رابع عشرينه، وأنعم بموجوده على الأمير قرا يوسف بن قرا محمد.

---

(١) جبل بالشام، وحوران أيضا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل مدينة بصرى. انظر معجم البلدان ٣١٧/٢، ٣١٨ والروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٦.

(٢) سبق ترجمتها.

وأما الأمير شيخ، فإنه فى ليلة الجمعة ثامن عشره، وقع الصلح بينه وبين الأمير بَكْتَمُر نائب صفد، ونزل إليه أمراء صفد فى يوم السبت تاسع عشره ثم نزل إليه الأمير بَكْتَمُر فى يوم الإثنين حادى عشرينه، وتحالفوا جميعًا على الاتفاق. فكانت مدة الحرب اثنين وعشرين يومًا، أولها ثانى عشرين شعبان، وآخرها نصف شهر رمضان، مستمرة ليلا ونهارًا، نُقب فيها على القلعة ستة نقوب، وخرب كثير من المدينة، ونُهب أموال أهلها، وقطعت أشجارها. وفشت الجراحات فى أكثر المقاتلة، وجرح الأمير شيخ، والأمير يَشْبَك، والأمير جركس المصارع، وقتل فى الحرب عدد كثير. وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، فقدم عليه الأمير جكم كما تقدم، ومنعوا فى يوم الجمعة خامس عشرينه من الدعاء للسلطان على المنبر.

وفى حادى عشرينه: نزل ابن الأمير طور على - المعروف بقرا يلُك - على البيرة ونهبها، وسبى وأحرق.

وفى هذا الشهر: حلت الشمس برج الحمل، الذى هو أول فصل الربيع، فعزت الأدوية لكثرة الأمراض الحادة بالقاهرة ومصر، وبلغ بزر الرجلة إلى ستين، ثم إلى ثمانين درهمًا كل قدح، وبيع وزن الدرهم بدرهم من الفلوس، وبلغ القنطار الشِّيرخُشْك إلى ثلاثين ألفًا بعد ألف وأربعمائة، والقنطار التِّرنْجبين إلى خمسة عشر ألفًا بعد أربعمائة. ووصف طبيب دواء لمريض فيه سنامكى [1] وشيرخشك، وترنجبين، وماء ورد، وسكر نبات، فابتاعه بمائة وعشرة دراهم. وبلغ بزر القرع إلى مائة وعشرين درهمًا.

وفى هذا الشهر: ظهر فى بر الجيزة على شاطئ النيل، وفى النيل، وفى مزارع بلاد القليوبية شبه نيران كأنها مشاعل، وفتايل سرج تقد، ونار تشتعل، فكان يرى من ذلك عدد كبير جدًا مدة ليال متوالية، ثم اختفى.

وفيه كثرت المصادرات بدمشق، وغلت أسعار المبيعات بها، لتحول أحوال النقود، وكثرة تغييرها، فإن الفلوس كثرت وصغر حجمها من أجل أنها كل قليل تضرب جُددًا وتُصغَّر، وينادى على التى قبلها بالرخص، فتشترى لدار الضرب، وتضرب ثم بعد أيام تعاد العتق قبلها إلى الميزان. فتضرر الناس، وبلغ صرف العشرة منها بخمسة وعشرين، وتزايدت حتى بلغت العشرة ثلاثين، وبلغ الدينار المشخص سبعين، وانتهى إلى ثمانين درهمًا فنودى على الفلوس بتسعة دراهم الرطل.

---

(١) السنا: نبات شجيرى من الفصيلة القرنية، زهره مصفر وحبه مفلطح رقيق كلوى الشكل تقريبا، إلى الطزل، تستعمل أوراقه وثماره مسهلات يتداوى بها، وأحوده الحجازى ويعرف بالسنا المكسى انظر المعجم الوسيط.

وفيه فرض حسن نائب القدس على الناس مالا، فأبوا عليه فتركهم حتى اجتمعوا بالمسجد، وغلّق الأبواب، وألزمهم بالمال، فاستغاثوا عليه، فلبس السلاح وقاتلهم، فقتل بينهم بضعة عشر رجلا، وجرح كثير، وفر النائب مهزومًا. فلما بلغ الخبر الأمير شيخ نائب الشام، بعث عوضه إلى القدس، وخلع على الأمير أسن بيه وولاه حاجب الحجاب فى ثامن عشرينه.

شهر شوال، أوله الخميس:

فيه عين الأمير شيخ نائب الشام ممن عنده الأمير تمراز الكبير، والأمير سودن الحمزاوى، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير إينال حطب، والأمير جركس المصارع، والأمير سودن بقجة، للمسير إلى غزة، وحمل إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة.

وفى سادسه: برز الحمزاوى خامه خارج دمشق، وتبعه بقية الأمراء.

ولم يتأخر بدمشق سوى الأميرين شيخ نائب الشام، ويشبك الدوادار فى انتظار الأمير جكم حتى يحضر من طرابلس، وبعثا يستحثانه. وحمل الأمير جركس الحاجب إلى قلعة بعلبك، وبعث الأمير شيخ بعياله وأمواله إلى الصبيبة.

وفيه تنكّر جكم على تنكز بغا الحاجب بطرابلس، وقبضه، وأخذ موجوده، ثم قتله.

وفيه قدم سودن الجلب على الأمير جكم، وقد أفلت من أيدى التركمان؛ فلم تطل إقامته حتى استوحش منه، ومضى إلى قلعة المرقب، وأخذها.

وفى سابع عشره: أطلق بيازير نائب قلعة صهيون الأمير شيخ السليمانى، واتفقا على طاعة السلطان، وكتبا إلى جماعة من الناس يدعوهم إلى ذلك، وأعلنا بالدعاء للسلطان. ودقت البشائر، وعلق السنجق السلطانى. وكتب إلى الأمير علان نائب حماة، وإلى الأمير طغرول بن سقل سيز فأجابا، ووعدا بالحضور إلى صهيون متى دعيا. وكتب الأمير شيخ نائب الشام إلى سودن الجَلب، يدعوه إليه، فأجابه بالطاعة، وأنه قد استمال جماعة من مماليك جكم.

وفيه حضر عشير الصلت، مع صدِّيق أبى شوشة التركمانى الكاشف بقلعة الصبيبة، وقتلوا عدة.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير دقماق فى طائفة إلى صفد، داخلا فى طاعة السلطان، مفارقًا للأمير شيخ ومن معه.

وفيه فرض على كل واحد من جند دمشق فرس، ومبلغ خمسمائة درهم.

وفيه أنعم الأمير شيخ على السلطان أحمد بن أويس بمبلغ مائة ألف درهم فضة، وثلاثمائة فرس، بعدما أفرج عنه. وأنعم على قرا يوسف بمائة ألف وثلاثمائة فرس، وولى أُلْطُنبغا بشلق نيابة قلعة الصبيبة، وبعث حريمه صحبته.

وأما السلطان فإنه أفرج عن الأمير سودن المحمدى، وبيبرس الصغير، وجانم، من سجن الإسكندرية فى سابع عشره، وجهزوا إلى قلعة الجبل.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير خير بك - نائب غزة - إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر لقدومه وخلع عليه.

وفيه أعيد كاتبه المصنف إلى حسبة القاهرة مكرهًا، بعد مراجعة السلطان ثلاث مرار، وصرف سويدان. وكان الأمير يلبغا السالمى قد سعر المثقال الذهب بمائة درهم، بعدما وصل إلى مائة وثلاثين، وسعر الدينار الأفرنتى بثمانين، وجعل الرطل من الفلوس بستمائة درهم، بعدما كانت القفة بخمسمائة، فكثر اختباط الناس، وتعنتهم واختلافهم، ثم اعتادوا ذلك، فاستمر سعر الفلوس على هذا، ثم أراد السالمى أن يرد سعر المبيعات إلى سعر الذهب، فيجعل ما يباع بدينار قبل تسعير الذهب، يباع بدينار بعد تسعيره، فسعَّر القمح بمائتى درهم الأردب، وسعر الخبز كل عشرة أواق بدرهم، فعز وجود الخبز. ثم قدم القمح الجديد فانحل السعر، وبيع الأردب بمائة وخمسين، ثم بيع بمائة درهم الأردب، فسعر الخبز كل رطل ونصف، وربع رطل بدرهم. واتفق مع هذا حركة السلطان للسفر، وعمل البشماط، ففقد الخبز، ولم يوجد ألبتة، وتعذر وجود الدقيق أيضًا مدة خمسة عشر يومًا، قاسى الناس فيها شدائد، لا تكاد توصف وفى هذه السنة حدثت ولاية قاض مالكى بمكة، فاستقر المحدث تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى الشريف الحسنى. وحدثت أيضًا ولاية قاض حنفى، فاستقر شهاب الدين أحمد ابن الضياء محمد بن محمد بن سعيد الهندى، ولم يعهد قط مثل هذا.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

فى ثانيه: عُلِّق الجاليش على قلعة الجبل للسفر.

وفى رابعه: أنفق السلطان للماليك خمسة آلاف لكل واحد، وصرف الذهب سعر مائة درهم كل مثقال، فَصُرَّ لكل منهم تسعة وأربعين مثقالا، واحتاج السلطان، فاقترض من مال أيتام الأمير قلمطاى الدوادار عشرة آلاف مثقال، ورهن بها جوهرة، وجعل كسبها ألف دينار ومائتى دينار. وأخذ منهم أيضًا نحو ستة عشر ألف مثقال، وباعهم بها بلدًا من الجيزة. وأخذ من تركة برهان الدين إبراهيم المحلى التاجر، وغيره،

مالا كبيرًا. ووزع له قاضى القضاة شمس الدين الأخنـاى خمسمائة ألـف علـى تركـات خارجة عن المودع، منها تركة بدر الديـن محمـد بـن فضـل الله كـاتب السر. وكـانت النفقة على نحو خمسة آلاف مملوك، بلغت النفقة عليهم - سوى ما أنفق فـى الأمـراء - إلى مائتى ألف دينار، وخمسين ألف دينار.

وفى ثانى عشرينه: أعيـد شيـخ الإسـلام جـلال الديـن البلقينـى إلى قضـاء القضـاة، وصرف الأخناى غير مشكور.

وفى سادس عشـرينه: استقر جمـال الديـن فىقضـاء القضـاة المالكيـة بديـار مصـر، وصرف ابن خلدون. وأما أمر الشام، فإن الأمير سيف الدين علان - نائب حماة - فـى تاسعه أظهر مخالفة الأمراء، وأعلن بانتمائه إلى طاعـة السلطان، وخـرج مـن حمـاة يريـد صهيون. فبعث إليه الأمير جكـم عسكرًا مـن طرابلس، صحبـة حسين بـن أمـير أسـد الحاجب، فسبقه إلى صهيون ونزل عليها وحصرها عشرة أيام.

وكتب إلى عشير الجبل يدعوهم، فجرت بينه وبين الأمير شـيخ السـليمانى حـروب، قتل فيها جماعة. ثم سار جكم من طرابلس فى عشـرينه، وخيـم ظاهرهـا. فبعـث شيـخ السليمانى يستدعى علاّن، فبعث إليه نائب شيزر على عسكر، ففـر ابـن أمـير أسـد بمـن معه، وترك أثقاله، فأخذها السليمانى، ورتـب أمـر قلعـة صهيـون، وجعـل بيـازير بهـا. وتوجه إلى علان - وقد نزل على بارين [(١)] - فتلقاه وبالغ فى كرامته، وأنزلـه بمخيمـه. فأخذ شيخ عند ذلك فى مكاتبة أمراء طرابلس وتراكمينها يدعوهم إلى طاعته، فأجـابوه بالسمع والطاعة، ووعدوه بالقيام معـه. فـاضطرب أمـر جكـم، وانسـل عنـه مـن معـه، طائفة بعد أخرى، فمضى إلى الناعم، وقـد كـثر جمـع السـليمانى، فمشـى ومعـه عـلان يريدان جكم فتركهم، ومضى إلى دمشـق، فأدركـه فىطريقـه إليهـا الأمـير سـعد الديـن إبراهيم بن غراب، ويشبك العثمانى، وآقبغا دوادار الأمير يشبك الـدوادار، يحثوه علـى القدوم. وقد سار من من دمشق فى مستهله، فسار معهم، وأركب السليمانى تراكمـين طرابلس فـى أثـر جكـم، فـأخذوا بعـض أطرافـه. وقـدم السـليمانى طرابلـس فـى ثـانى عشرينه، وأعاد الخطبة للسلطان، ومهد أمورها، وكتب يُعلم السلطان بذلك. ثم خـرج منها بعد يومين يستنفر الناس، فاجتمع عليه خلائق من التراكمين، والعربان، والعشـران، وعسكر طرابلس وكثـير مـن عسـكر حلـب، وطائفـة مـن المماليك السـلطانية. وكـان العجل بن نعير قد استولى على معاملة الحصن والمناصف، واسـتولى فـارس بـن صـاحب

---

(١) هى مدينة يمين حلب وحماة من جهة الغرب. انظر معجم البلدان ١/ ٣٢٠، ٣٢١.

الباز - وأخوه حسين - على سواحل اللاذقية وجبلة [١]، وصهيون، وبلاطنس [٢]. واستولى علم الدين على حصن الأكراد وعصى بها. واستولى رجب بن أمير أسد على قلعة المرقب، فطرد السليمانى العجل من المعاملة. ونزل على حصن الأكراد وحصرها، حتى أخذها، وأعاد بها الدعاء للسلطان. وأخذ فى استرجاع الساحل، فقدم عليه الخبر بولاية الأمير قانباى طرابلس، ووصول متسلمه سيف الدين بورى - ومعه شهاب الدين أحمد الملطى - على ظهر البحر من ديار مصر. ففت ذلك فى عضده، وصار إلى علان نائب حماة، فأشار عليه أن لا يسلم طرابلس حتى يراجع السلطان بما يترتب على عزله من الفساد بتبدد شمل العساكر، فكتب بذلك، ودخل بورى والملطى إلى طرابلس، وتسلماها، وحلفا الأمراء وغيرهم للسلطان.

وفى ثامنه: خرج الأمير شيخ نائب الشام ومعه الأمير يشبك وبقية الأمراء إلى لقاء الأمير جكم، فعندما رأوه ترجَّل له يشبك، ونزل الأرض، وسلم عليه، فلم يعبأ به، ولا التفت إليه، وجرى على عادته فى الترفع والتكبر، فشق ذلك على الأمير شيخ، ولام يشبك على ترجله، وعيَّب جكم على ما كان منه. ودخلوا معه إلى دمشق يوم السبت تاسعه، والطبول تضرب وهو فى موكب مهول. فنزل الميدان، وجرى على عادته فى التكبر والترفع، فتنكرت القلوب، واختلفت الآراء، فكان جكم أمة وحده، يرى أنه السلطان، ويريد إظهار ذلك، والأمراء تسوسه برفق، حتى لا يتظاهر بالسلطنة. ورأيه التوجه إلى بلاد الشمال، ورأى بقية الأمراء المسير إلى مصر، فكانوا ينادون يوما بالمسير إلى مصر، وينادون يومًا بالمسير إلى حماة وحلب، وينادون يومًا من أراد النهب والكسب فعليه بالتوجه إلى صفد.ثم قوى عزمهم جميعًا على قصد مصر، وبعثوا لرمى الإقامات بالرملة وغزة، وبرزوا بالخيام إلى قبة يلبغا فى رابع عشره. وخرج الأمير شيخ والأمير يَشْبَك وقرا يوسف من دمشق، فى عشرينه وقد عمل الأمير شيخ فى نيابة الغيبة سودن الظريف، ووقف جميع أملاكه على ذريته وعلى جهات بر، منها مائتا قميص تُحمل فى كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق فى الفقراء، ومنها مبلغ لمن يطوف عنه كل يوم أسبوعًا. ومنها عشرة أيتام فى كل من الحرمين، ومؤدب يقرئهم القرآن، ومنها قراء بجامع دمشق. وندبوا الأمير يشبك وقرا يوسف إلى صفد، فسارا من الخربة فى عسكر.

---

(١) قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. انظر معجم البلدان ٢/١٠٤، ١٠٥.

(٢) حصن منيع بسواحل الشام يقابل اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ١/٤٧٨.

ومضى الأمير شيخ إلى قلعة الصبيبة فاستعد الأمير بكتمر شلق نائب صفد، وأخرج كشافته بين يديه. ونزل بجسر يعقوب، فالتقى أصحابه بكشافة يشبك وقرا يوسف، واقتتلوا، فكثرت الجراحات بينهما، وغنم الصفديون منهم عشرة أفراس، فرجع يشبك وقرا يوسف إلى طبرية [١]، ونزلا على البحيرة [٢] ليلة الخامس والعشرين، حتى عاد الأمير شيخ من الصبيبة، وقد حصن قلعتها. ثم ساروا جميعًا إلى غزة وقد تقدمهم الأمير جكم، ونزل بالرملة [٣] فى خامس عشرينه.

وفيه سار ألطنبغا بشلاق، وصدِّيق أبو شوشه - كاشف أذرعات [٤] - بخمسمائة رأس من الغنم وعدة جمال، عليها غلة، يريدا قلعة الصبيبة، فاعترضهم الأمير بكتمر شلق وأخذ ما معهم، وفر بشلاق وصدِّيق.

وفيه قدم الخبر على السلطان بنزول الأمراء إلى غزة، وأخذهم الإقامات المعدة لسفر السلطان، من الشعير وغيره. وكانت غزة قد غلت الأسعاد بها لقلة الأمطار. وبلغت الويبة القمح مائة وعشرين درهمًا، فجد السلطان فى الحركة للسفر والاستعداد للحرب.

وفيه نزل العجل بن نعير [٥] شرقى دمشق، وأخذ ما وجد من الغلال.

وفيه فُرض مال على قرى دمشق كلها، الموقوف منها وغير الموقوف، ما عدا القرى التى هى إقطاعات الأمراء. ثم تقرر على القضاة مبلغ ألفى دينار مصالحة عن الأوقاف من القرى. وهذا الذى فرض فى هذا الشهر سوى ما تقدم أخذه من الأوقاف وغيرها.

---

(١) مدينة من بلاد الأردن بالشام بينها وبين عكة يومان، وبنى هذه المدينة طيباريوس أحد ملوك الروم، وطبرية مدينة جبلية على جبل مطل. انظر الروض المعطار فى خبز الأقطار ٣٨٥، ٣٦٨ ونزهة المشتاق ١١٥ وقارن بابن الوردى ومعجم البلدان ٤/١٠.

(٢) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع؟ انظر معجم البلدان ٢/٣٥١.

(٣) من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٣/٧٣.

(٤) أذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء، بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. انظر معجم البلدان.

(٥) العجل بن نعير بن حيار بن مهنا، من بنى فضل بن ربيعة، من طيىء: أمير عرب الفضل بالشام والعراق: نشأ فى حجر أبيه، بسلمية. ولما جاوز العشرين خرج عن طاعته، ووالى نائب حلب، وكان هذا على عداء مع أبيه. واستمر عجل فى خدمته، فآلت إليه إمارة الفضل بعد مقتل أبيه سنة ٨٠٨هـ، ثم حدثت بينه وبين نائب حلب نفرة، فخرج عجل إلى البادية ثائرا، فلم يزل يقاتل إلى أن قتل، وهو فى نحو الثلاثين من عمره. انظر الضوء اللامع ٥/١٤٦ وحوادث الدهور ١/٦٠ والأعلام ٤/٢١٦.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثانيه: سار شاليش الأمراء من غزة إلى جهة القاهرة.

وفى ثالثه: سار منها الأمير شيخ بمن بقى معه، واستناب فى غزة الأمير ألطنبغا العثمانى.

وفى سادسه: سقط الطائر من بلبيس بنزول الأمراء قطيا. فكثرت حركات العساكر بالقاهرة، وركب السلطان من قلعة الجبل فى يوم السبت ثامنه، ونزل بالريدانية، وبات بها. وقد عمل بباب السلسلة من القلعة الأمير بكتمر أمير سلاح. فورد الخبر بنزول الأمراء الصالحية يوم التروية، وبأخذهم ما بها من الشعير وغيره، فرحل السلطان فى يوم الأحد تاسعه، ونزل العكرشة، ثم سار منها ليلا، وأصبح ببلبيس، فضحى بها، وأقام يومى الإثنين والثلاثاء.

وأعاد فى يوم الثلاثاء ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، عوضًا عن ابن الجباس، ثم صُرف فى يوم الخميس ثالث عشره، وأعيد ابن الجبَّاس.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قُبض بالقاهرة على الأمير يلبغا السالمى [1] وعوق بباب السلسلة، وأُخذ جميع موجوده بسعاية الأمير جمال الدين الأستادار. وذلك أنه غَضَّ بمكانه، فأغرى به السلطان حتى رسم له أن يقبض عليه وكان قد خرج لتعبئة الإقامات، ونزل بالحوف، فسار إليه، فأُعلم به، ففاته وقدم على السلطان، فأصلح بينهما. ثم لما كان يوم عيد الأضحى نادى السالمى فى الناس أن الفلوس بأربعة دراهم الرطل بعد ستة، وأن المثقال الذهب بثمانين بعد مائة وثلاثين، وأن الإفرنتى بستين فقلق الناس من ذلك قلقًا عظيمًا، وأنكر نائب الغيبة هذا، ونادى بخلافه. وكتب فيه إلى السلطان فوجد جمال الدين السبيل إلى القول فيه، واغتنم غيبته بالقاهرة عن السلطان، وما زال حتى كتب إلى نائب الغيبة بقبضه وتقييده.

وفيه التقت مقدمة السلطان ومقدمة الأمراء واقتتلوا، فرحل السلطان من بلبيس

---

(١) يلبغا أبو المعالى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه، واشتراه برقوق. ولما خلع برقوق سنة ٧٩١ أخذ يلبغا مدينة صفد باسمه فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك، ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحاليف المماليك لولده الناصر اتهم واعتقل سنة ٨٠٣ ونفى إلى دمياط. ثم أحضر سنة ٨٠٥ وقرر فى الوزارة والإشارة وقبض عليه أيضا وأفرج عنه سنة ٨٠٧ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية. وقتل فى محبسه خنقًا. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠ والأعلام ٢٠٨/٨.

بكرة نهار الأربعاء، ونزل السعيدية فأتاه كتاب الأمراء الثلاثة شيخ، وجَكَم، ويَشْبَك، بأن سبب حركتهم ما جرى بين الأمير يَشْبَك والأمير إينال بيه بن قجماس من حظ الأنفس، حتى توجه يشبك بمن معه إلى الشام، فكان بها من خراب البلاد، وهلاك الرعية ما كان. وطلبوا منه أن يُخرج أينال بيه ودمرداش نائب حلب من مصر إلى الشام، وأن يعطى لكل من يشبك وشيخ وجكم، ومن معهم بمصر والشام ما يليق به، لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم على الطاعة، وتحقن الدماء، ويعمر ملك السلطان. وإن لم يكن ذلك تلفت أرواح كثيرة، وخربت بيوت عديدة وقد كان عزمهم المكاتبة بهذا من الشام، لكن خشوا أن يظُنَّ بهم العجز، فإنه ما منهم إلا من جعل الموت نصب عينيه.

فلما كانت ليلة الخميس ثالث عشره: بَيَّت الأمراء السلطان وهم فى نحو الثلاثة آلاف فارس وأربعمائة تركمانى من أصحاب قرا يوسف، فاقتتل الفريقان قتالا شديدًا، من بعد عشاء الآخرة إلى بعد نصف الليل، جُرح فيه جماعة، وقتل الأمير صُرُق صبرًا بين يدى الأمير شيخ، لأنه ولى نيابة الشام من السلطان. وركب السلطان ومعه الأمير سودن الطيار، وسودن الأشقر هجنا، وساقوا على البر تحت غلس [1] الصبح يريدون القلعة. وتفرقت العساكر وتركوا أثقالهم وسائر أموالهم، فغنمها الشاميون، ووقع فى قبضتهم الخليفة وقضاة مصر، ونحو من ثلاثمائة مملوك، والأمير شاهين الأفرم، والأمير خير بك نائب غزة. وقدم المنهزمون إلى القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشره. ولم يحضر السلطان، ولا الأمراء الكبار فكثر الإرجاف، وأقيم العزاء فى بعض الدور وماج الناس، وكثر النهب، حتى وصل السلطان قريب العصر، ومعه الأمراء، إلى الأمير أقْباى، وقد قاسى من العطش والتعب ما لا يوصف، فاستعد وجمع إليه عساكره.

وفى يوم السبت: سُلِّم الأمير يَلْبُغا السالمى إلى الأمير جمال الدين الأستادار، فرسم أن يكون سعر الذهب والفلوس على ما كان عليه قبل مناداة السالمى.

وأصبح فى يوم الأحد: فعاقب السالمى بالضرب المبرح

وفى يوم الإثنين سابع عشره: حمله مقيدًا إلى الإسكندرية [2] فسجن بها.

وفيه زحفت عساكر الشاميين من الريدانية، وقد نزلوا بها من أمسه وكثر اضطراب

---

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح، وفى الحديث: «أن النبى ﷺ كان يصلى الصبح بغلس» انظر المعجم الوسيط (غلس).

(٢) الإسكندرية: انظر معجم البلدان ١/١٨٢ : ١٨٩.

الناس بالقاهرة، وغلقت أبوابها ودروبها، وتعطلت الأسواق، وعز وجود الماء. ووصلت العساكر قريبًا من دار الضيافة تحت القلعة، فقاتلهم السلطانية من بكرة النهار إلى بعد الظهر فأقبل عدة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين له، منهم أسِن بيه أمير ميسرة الشام، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير سودن اليوسفى، وإينال حطب، وجُمُق، ففت ذلك فى أعضاد من بقى، وعاد طائفة منهم، وحملوا خفهم [1] وأفرجوا عن الخليفة والقضاة وغيرهم. وتسلل الأمير قُطْلوبغا الكركى، والأمير يَشْبَك الدوادار، والأمير تمراز الناصرى، وجركس المصارع فى جماعة، واختفوا بالقاهرة وظواهرها، فولى حينئذ الأمير شَيْخ المحمودى نائب الشام، والأمير جَكَم، وقرا يوسف، وطولو، فى طائفة يسيرة، وقصدوا الشام، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان. ونادى السلطان بالأمان، وأصبح، فقيد من استأمن إليه من الأمراء، وبعثهم إلى الإسكندرية، فاعتقلوا بها. وانجلت هذه الفتنة عن تلف مال العسكرين، فذهب فيها من الخيل والبغال والجمال والسلاح والثياب والآلات، ما لا يدخل تحت حصر.

وفى تاسع عشره: قُبض على الصاحب تاج الدين بن البقرى، وعاقبه الأمير جمال الدين، واستقر عوضه فى الوزارة، فخر الدين ماجد بن غراب وكان أخوه سعد الدين قد ترامى عند فراره من عسكر الشاميين على الأمير أينال بيه، فجمع بينه وبين السلطان ليلا، ووعده بستين ألف دينار. فأصبح يوم الأربعاء تاسع عشره، وصعد القلعة، فخلع عليه السلطان، وجعله مشيرًا، وجعل أخاه وزيرًا.

وفى ثالث عشرينه: خلع على الأمير نوروز واستقر فى نيابة الشام، وعلى الأمير بكتمر واستقر فى نيابة صفد [2] وعلى الأمير سلامش - حاجب غزة - واستقر فى نيابتها، ونودى بعرض أجناد الشام.

وفى ثانى عشرينه: مرض السلطان بحمى حادة، قيل إنها دوسنطاريا، وكثر رميه للدم، واستمر به بقية الشهر. وأما الأمير شيخ فأنه قدم إلى غزة، ومعه جَكَم، وقرا يوسف فى نحو الخمسمائة فارس، معظمهم أصحاب قرا يوسف، وقد غنموا شيئًا كثيرًا، وفروا به، وتمزقت عساكر الأمير شَيْخ، وتلفت أمواله وخيوله. ومضى إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثامن عشرينه، بعد ما نهب اللجون [3] وخرج إليه بَكْتَمُر نائب

---

(١) هو كل شىء خف محمله انظر المعجم الوسيط (خفف).

(٢) مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى فى جبال لبنان انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٣) بفتح اللام وضم الجيم المشددة، قرية على نصف مرحلة من بيسان من جهة الغرب

صفد، وشيخ السليمانى نائب طرابلس - وقد قدم صفد فى نحو المائتين - فتبعاه إلى عقبة فيق [١] فلم يدركاه، وتخطفا من أعقابه بعض خيل. فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد قد فر من دمشق فى ليلة الأحد سادس عشره. وكان قد تأخر بدمشق، ولم يتوجه مع الأمراء إلى مصر، فأوقع الأمير شيخ الحوطة ببيوت الأمراء، الذين خامروا عليه.

وأما حلب، فإن الأمير جكَم لما سار عنها ثار بها عدة من أمرائها، ورفعوا سَنْجق السلطان بباب القلعة، فاجتمع إليهم العسكر، وحلفوا للسلطان، فقدم ابنا شهرى الحاجب، ونائب القلعة من عند التركمان البياضية إلى حلب. وقام بتدبير الأمور يونس الحافظى. وامتدت أيدى عرب العجل بن نعير وتراكمين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب، فقسموها، ولم يدعوا لأحد من الأمراء والأجناد شيئًا من المغل.

وفى سادس عشرينه: أشيع بمكة أن ركب العراق قدم صحبة ابن تمرلنك بعسكر، فاستعد الشريف حسن بن عجلان [٢] أمير مكة إلى لقائه. وكشف عن الخبر، فتبين أن محمل العراق قدم ومعه حاج ضعفاء بغير عسكر. فلما قضوا مناسك الحج تأخروا بعد مضى الركب المصرى يومًا، ثم قاسوا طول الكعبة وعرضها، وعدوا عمد المسجد الحرام وأبوابه، فأسرَّ إلى ابن عجلان رجل ممن حضر معهم من بنى حسن بأن تمرلنك كان قد عزل على بعث جيش عدتهم عشرة آلاف فارس، صحبة المحمل، فخُوف من عطش الدرب فأخرهم وبعث لكشف الطريق، حتى يبعث من قابل [٣] عسكرًا بكسوة الكعبة، فكتب بذلك ابن عجلان إلى السلطان.

---

(١) فيق مدينة بالشام بين دمشق وطبرية، وعقبة فيق ينحدر منها إلى غور الأردن. انظر معجم البلدان.

(٢) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر. فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ١٩٩/٢.

(٣) قد يكون المقصود كابل وهى من ثغور خراسان وقيل فى بلاد الترك وقيل من مدن الهند المجاورة لبلاد طخارستان، وكابل مدينة جليلة المقدار حسنة البنية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٨٩، ومعجم ما استعجم ١١٠٨/٤ الإدريسى (ق) ٧١، وقارن باليعقوبى ٢٩١ والكرخى ١٥٧ وابن حوقل ٣٧٥ والمقدسى ٣٠٤ والزهرى ٣٠ وتقويم البلدان ٤٦٨، ابن بطوطة ٣٩٢ وحدود العالم ١١، ٣٤٦ ومعجم البلدان ٢٤٢/٤.

وفى هذا الشهر: أخذ ناصر الدين محمد بن دلغادر قلعة درنده [1] صلحًا. واستهم لمحاربة محمد بن كَبكَ، وأخذ ملطية [2] منه.

وفيه أخذ قرا يُلُك قلعة الرها [3] بعد حصارها مدة، وأنزل بها ولده، ومضى إلى ماردين [4] فأخذ المدينة وأحرقها وخربها، وحصر قلعتها، وأخذ التركمان كركر وكختا [5] وبهسنا، وعدة قلاع. ولم تنسلخ هذه السنة حتى شمل الخراب إقليم مصر، وتلاشى الصعيد، ودثرت عدة مدن، وكثير من القرى وتعطلت معظم أراضيه من الزراعة، وتمزق أهله أيدى سبا وبيع من الأطفال ما لا يدخل تحت حصر، فاسترقوا بعد الحرية، وذلوا بعد العز.

وفيه كُتب تقليد الأمير علان اليحياوى فى نيابة حلب، منتقلا عن نيابة حماة [6] وتوجه على يد متسفره أينال الخازندار. واستقر الأمير بَكْتَمر شَلَق نائب صفد فى نيابة طرابلس، وتوجه لتقليده الأمير صُرماش العمرى واستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير بكْتمُر الركنى، ومتسفره أينال الخازندار.

واستقر الأمير دقماق المحمدى فى نيابة حماة، عوضًا عن علان. واستقر الأمير علم الدين سلمان فى نيابة الكرك والشوبك. واستقر الأمير سلامش نائب غزة، عوضًا عن خاير بك.

وفيه سار الأمير شيخ السليمانى نائب طرابلس - بعد عزله عنها - إلى جهة صفد.

* * *

ومات فى هذه السنة

الوزير بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى.

---

(١) قلعة درنده: أو طرندة، بلدة على بعد ثلاث مراحل من ملطية داخلة فى بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥،١٩٣.

(٣) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، بينها ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣.

(٤) قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ودار ونصيبين انظر معجم البلدان ٣٩/٥.

(٥) كركر وكختا وبهنسا: حصون قرب مرعش وسميساط، فى الطرف الشمالى لشمال الشام. انظر معجم البلدان٣١٢/٤.

(٦) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢،٣٠١.

ومات ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد، المعروف بابن السفاح الحلبى، توفى يوم الثلاثاء ثانى عشرين محرم وكان قد قدم من حلب، وباشر توقيع الأمير يَشْبَك الدوادار، وتعين لكتابة السر.

ومات الأمير قانباى رأس نوبة أحد أمراء العشرينات فى يوم الخميس أول جمادى الآخرة.

ومات على بن عمر بن الملقن نور الدين بن سراج الدين، فى يوم الإثنين سلخ شعبان، فجأة، بمدينة بلبيس وحُمل ميتًا، فدفن عند أبيه بحوش الصوفية، خارج باب النصر، ومولده فى شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة وكان قد برع فى الفقه، ودرس بعد أبيه فى عدة مواضع، وناب فى الحكم مدة أعوام، حتى فخم ذكره، وتعين لقضاء القضاة الشافعية، وكثر ماله.

ومات عبيد الله بن الأردبيلى فى شهر رمضان وكان يُعد من فضلاء الفقهاء الحنفية. وناب فى الحكم مدة، ودرس، وولى قضاء العسكر فى أيام تَغلب الأمير منطاش، فتأخر فى الأيام الظاهرية.

ومات عبد المنعم بن محمد بن داود شرف الدين البغدادى الحنبلى، فى يوم السبت ثامن عشر شوال، وقد انتهت إليه رئاسة الحنابلة وكتب على الفتوى، ودرَّس عدة سنين. وكان قد قدم من بغداد، وأخذ الفقه عن الموفق الحنبلى قاضى القضاة. وتعين لقضاء الحنابلة، ثم ولى غيره. وانقطع بالجامع الأزهر عدة سنين، يدرس ويفتى، ولا يخرج منه إلا فى النادر.

ومات شمس الدين محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمود بن عباس الصلتى، فى مستهل جمادى الأولى. ولد فى سابع عشرين شعبان، سنة خمس وأربعين وسبعمائة وولى القضاء فى عدة بلاد من معاملة دمشق ثم ولى قضاء بعلبك وحمص وغزة وحماة. وجمع فى أيام الفتنة بين قضاء القدس وغزة ونابلس. ثم عمل مالكيًا، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق، ثم ترك ذلك وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، وباشر مباشرة غير مشكورة.

* * *

سنة ثمان وثمانمائة

المحرم أوله الإثنين ويوافقه خامس أبيب:

أهل والسلطان قد اشتد به المرض. وأُرجف بموته ليلة الإثنين هذا، فباع في يومه فرسًا بمائتي ألف درهم، وتصدق بها.

وفي ثانيه: استقر صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيسري في حسبة القاهرة، وعزل ابن الجباس.

وفي ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفي يوم السبت سادسه: بعث الأمير شيخ نائب الشام برسالته: شهاب الدين أحمد ابن حجي[1] - أحد خلفاء الحكم بدمشق - والسيد ناصر الدين محمد بن الشريف علاء الدين علي -نقيب الأشراف - والفقير المعتقد محمد بن قُدادار، ويلبغا المنجكي، ومعهم كتابه يتضمن الترقق والاعتذار عما وقع منه، ويسأل استقراره في نيابة الشام، فقدموا القاهرة يوم الإثنين ثالث عشرينه، ودخل منهم على السلطان ابن حجّي وابن قُدَيْدار ويلبغا خاصة، لأنهم الرسل، ومن عداهم رفقاؤهم فلم يلتفت السلطان إلى قوله، ورسم أن ينزل السيد ناصر الدين عند كاتب السر، وينزل ابن حجّي وابن قدادار عند القاضي الشافعي، والمنجكي عند الأمير أينال بيه. وأن لا يجتمعوا بأحد.

وفي تاسعه: استقر الأمير قاني بيه في نيابة الإسكندرية.

وفي ثالث عشره: نودي بالزينة لعافية السلطان، فزُينت القاهرة ومصر إلى خامس عشره وتوجه الأمير يَشْبَك الموساوي الأفْقَم إلىالشام، يُبَشِّر بعافية السلطان.

وفي ثاني عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج، وقد تأخر عن عادته يومًا.

وفي رابع عشرينه: سار الأمير نوروز الحافظي إلى دمشق، بعدما خُلع عليه وخرج لوداعه الأمراء، فأناخ بالريدانية، ثم رحل منها، ومضى لشأنه، ومعه متسفره بُرْدُ بك الخازندار، في ثامن عشرينه.

وفي هذا الشهر: بلغ المثقال الذهب إلىمائة وأربعين، والدينار الأفرنتي إلى مائة

---

(١) أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني الأصل، الدمشقي شهاب الدين بن علاء الدين: حافظ مؤرخ، من أهل دمشق ولد ومات فيها ويلقب بمؤرخ الإسلام انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية صنف كتبا جليلة منها الدارس من أخبار المدارس. انظر الضوء اللامع ٦٩/١، والنعيمي ١٣٨/١ والشذرات ١١٦/٧ والأعلام ١١٠/١.

وعشرين. والفلوس كل رطل عنه ستة دراهم، واستمر الأمر عليه وأبيع القمح بمائة وسبعين درهمًا فلوسًا الأردب، والشعير والفول بمائة وخمسين الأردب، واللحم الضأن السليخ بسبعة دراهم الرطل والسميط كل رطل بستة دراهم، ولحم البقر بأربعة دراهم، وهو قليل جدًا. وكل بيضة بنصف درهم، وكل راوية ماء من عشرة دراهم إلى اثنى عشر درهمًا. وسائر ما يباع غال، حتى بلغ القدح الأرز إلى ثلاثة عشر درهمًا. وبيعت ملوطتان [1] قطن قد لبستا وغسلتا بألفين ومائتى درهم، وأربعين درهمًا. وبلغ رطل الحب رمان إلى عشرة دراهم. وأما الأمير شَيْخ نائب الشام، فإنه قبض فى سابعه على الأمير سُودن الظريف، وحمله إلى الصبيبة، فسجن بها. وقبض على القضاة وكاتب السر والوزير. وولى ابن باشى قاضى دمشق. ومشى قضاة دمشق فى خدمته وهو راكب من باب النصر إلى العادلية وسلمهم إليه ليصادرهم، ففروا منه ليلا وبذلوا للأمير شيخ مالا وعادوا إلى القضاء. واستناب ابن أبى البقاء ابن باشى.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

وفى ليلة الإثنين سادسه: قبض على الأمير يَشْبك بن أزدمر رأس نوبة، والأمير تمراز والأمير سودن، من إخوة سودن طاز، فاختفى الأمير أينال بيه أمير أخور، ومعه الأمير سودن الجلب، وحزمان فى جماعة، فأحاط السلطان بدورهم، وأخذ ما قدر عليه.

وفى يوم الثلاثاء سابعه: سُفِّر ابن أزدمر وَتُمر سودن إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وأما أينال بيه، فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يوافقوه فاختفى، واجتمع طائفة من المماليك السلطانية تحت القلعة. فأغلق باب الإصطبل، وكثرت مفاوضة المماليك من القلعة إلى من وقف تحتها منهم، ثم رموهم بالنشاب، فتفرقوا وسكن الحال.

وفى تاسعه: استقر فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن سديد الدين، أبى الفضائل ابن سناء الملك، المعروف بابن المزوق، كاتب سعد الدين إبراهيم بن غراب فى نظر الجيش، وعزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وأعيد ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، وعزل صدر الدين أحمد بن العجمى.

وفى يوم الجمعة عاشره: ظهر الأمير أينال بيه بن قجماس، وطلع به الأمير بيبرس بن أخت السلطان إلى القلعة، فكثر الكلام. ثم آل الأمر إلى أن قبض عليه السلطان، وأرسله إلى دمياط فى حادى عشره، بطالا.

---

(١) الملوطة قباء واسع الكمين طويلهما، يلبس فوق الفرجية.

وفى رابع عشره: أعيد الأخناى إلى قضاء القضاة، وصرف شيخ الإسلام جلال الدين.

وفى يوم السبت ثامن عشره: - وخامس عشرين مسرى - وفّى النيل، فركب الأمير الكبير بيبرس لكسر الخليج، فى عدة من الأمراء.

وفى حادى عشرينه: فرق السلطان إقطاعات الأمراء الممسوكين، فأنعم بإقطاع أينال باى بن قجماس على الأمير تغرى بردى، وبإقطاع تغرى بردى على الأمير دمرداش نائب حلب [١] وبإقطاع دمرداش على الأمير أُزْبَك الإبراهيمى. وأُنعم على الأمير بيبرس الصغير الدوادار بإمرة مائة وعلى قراجا بإمرة عشرين، نُقل إليها من إمرة عشرة وعلى الأمير بُشبْاى الحاجب بإمرة مائة، نقل إليها من الطبلخاناة. وعلى الأمير علان بإمرة مائة، وأُنعم بطبلخاناة سودن الجَلَب على الأمير أَلْتش الشعبانى، نُقل إليها من إمرة عشرة.

وفى ثالث عشرينه: نقل الأمير شَرباش من وظيفة رأس نوبة، واستقر أمير أخور كبير، عوضًا عن أينال بيه. واستقر الأمير أُرُسطاى حاجب الحجاب، عوضًا عن الأمير بِشباى.

وفى سابع عشرينه: أعيد صدر الدين أحمد بن العجمى إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان. واستقر الحجازى والى القاهرة، وعُزل ناصر الدين مجد المحنى.

وأما الأمير شيخ، فإنه توجه من دمشق، ومعه الأمير جَكَم والأمير قرا يوسف فى نصفه، لحرب الأمير نعير، فأدركوا أعقابه ثم اختلفوا، فمضى جَكَم إلى ناحية طرابلس[٢]، ومضى بقرا يوسف إلىجهة الشرق، عائدًا إلى بلاده. وعاد الأمير شيخ من البقاع، فنزل سطح المِزة فى ثامن عشره، ومعه خواصه فقط، فأقام يسيرًا، وتوجه إلى جهة الصبيبة. فدخل الأمير نوروز دمشق يوم الثلاثاء ثانى عشرينه من غير قتال ولا نزاع على عادة النواب. وبلغ فى هذا الشهر بالقاهرة الأردب الأرز إلى ألف ومائتى درهم، غير كلفه. وبلغ القنطار السيرج إلى ألف وثلاثين درهمًا، غير كُلَفه. وبيعت بطيخة خضراء بعشرين درهمًا. وأبيع الرطل العنب بأربعة دراهم، والرطل الخوخ بدرهمين ونصف، والتين بدرهم ونصف الرطل، والقنطار القرع بثمانين درهمًا.

وفيه نادى الأمير نوروز على الفلوس كل رطل شامى بتسعة دراهم، ومنع من ضرب

(١) بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) انظر معجم البلدان ٢٥/٤،٢٦.

الفلوس بدمشق. ثم نادى أن يكون الرطل من الفلوس بستة، فصار الدرهم الفلوس كالدرهم الفضة. والدينار الإفرنتى بخمسة وعشرين درهمًا، إما فضة وإما فلوسًا. واستقام أمر الناس بدمشق فى المعاملة.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه استقر جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة ناصر الدين التنسى، فى قضاء القضاة المالكية، وصرف البساطى، ثم صرف يوم السبت ثالثه، وأُعيد البساطى، فكانت ولايته يومين.

وفى خامسه: استقر الأمير بشباى رأس نوبة كبيرًا، عوضًا عن يَشْبَك بن أزدمر. وأعيد شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى [١] إلى قضاء القضاة، وعزل الأخناى، فكانت مدة عزله وولاية الأخناى يومًا. وهذه خامسة ولايات شيخ الإسلام قاضى القضاة.

وفى يوم الثلاثاء سادسه: تخبطت الأحوال بين السلطان وبين المماليك، فوقف طائفة من المماليك الجراكسة، وسألوا أن يُقبض على الأمير تغرى بردى، والأمير دمرداش، والأمير أرغون، من أجل أنهم من جنس الروم.

وذلك أن السلطان اختص بهم، وتزوج ابنة تغرى بردى، وأعرض عن الجراكسة، وقبض على أينال بيه فخاف الجراكسة من تقدم الروم عليهم، وأرادوا من السلطان إبعادهم، فأبى عليهم، فتحزبوا عليه، واجتمعوا على الأمير الكبير بيبرس، وتأخروا عن الخدمة السلطانية، فتغيب فى ليلة الأربعاء الأميران تغرى يردى ودمرداش. وأصبح الناس يوم الأربعاء سابعه، وقد ظهر الأمير يشْبك الدوادار، والأمير تمْراز، والأمير جركس المصارع، والأمير قانباى العلاى، وكانوا مختفين من حين الكسرة، بعد وقعة السعيدية. وذلك أن الأمير بيبرس ركب سحرًا إلى السلطان وتلاحى [٢] معه طويلا، وعرفه بمواضع الأمراء المذكورين، فاستقر الأمر على مصالحة السلطان للجراكسة، وإحضار الأمراء المذكورين، والإفراج عن أينال باى وغيره، فانفضوا على ذلك.

---

(١) البلقينى عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى أبو الفضل جلال الدين: من علماء الحديث بمصر انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية إلى أن مات وهو متول له كتب فى «التفسير» و «الفقه». انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ والتيمورية ٦٤١/٢ والضوء اللامع ٦/٤. والأعلام ٣٢٠/٣.

(٢) تلاحى: حيت فلانًا لحيًا، إذا لمته لحا الرجل لحوا: شتمه وفى حديث نُهيت عن ملاحاة الرجال أى مقاولتهم ومخاصمتهم انظر لسان العرب (لحا).

وفى ثامنه: استقر سودن المحمدى - المعروف بتلى، يعنى المجنون - أمير أخور، وصُرف جَرَبَاش.

وفى يوم السبت عاشره: طلع الأمير يَشْبَك، وتمراز، والمصارع، وغيره إلى القلعة، فخلع السلطان عليهم خلع الرضا، ونزلوا إلى دورهم.

وفى ثانى عشره: أُعيد الهوى إلى الحسبة، وعُزل ابن العجمى.

وفى خامس عشره: قدم الأمير قُطْلوبُغا الكركى، والأمير أينال حطب، وسودن الحمزاوى، ويلبغا الناصرى، وتمر، وأسندمر الناصرى الحاجب، من الإسكندرية.وقدم الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير تمان تمر الناصرى رأس نوبة، من دمياط.

وفى سابع عشره: خُلع عليهم خلع الرضا.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير يشبك بن أزدمر من سجن الإسكندرية.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: قبض على فتح الدين فتح الله، كاتب السر، وتسلمه الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت شاد الدواوين، وأحيط بداره وحواصله، وأُلزم بحمل ألف ألف درهم. واستقر عوضه فى كتابة السر سعد الدين إبراهيم بن غراب، وخلع عليه الأمراء بطراز ذهب، ولم يعهد هذا قبله.

وفى ثانى عشرينه: ظهر الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب من اختفائه.

وخُلع عليه بنيابة غزة، وأُنعم عليه بمال كبير وخيول، فسار فى يوم السبت رابع عشرينه. وخُلع على يَشْبَك بن أزدَمر بنيابة ملطية [(١)] فامتنع من ذلك، فأُكره حتى لبس الخلعة، ووكُل به الأمير أرسلان حاجب الحجاب، والأمير ناصر الدين محمد بن جُلْبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة. وبعث السلطان إلىالأمير أزبك الإبراهيمى - المعروف بخاص خَرْجى وكان قد تأخر عن الخدمة، بأن يستقر فى نيابة طرسوس [(٢)] فأبى أن يقبل، والتجأ إلى بيت الأمير أينال بيه. فاجتمع طائفة من المماليك ومضوا إلى يشبك بن أزدمر، وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه، وقد وصل قريبًا من سرياقوس، وضربوا الحاجب، وصار العسكر حزبين وأظهر الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد السلطان، وجلس الأمير الكبير بيبرس فى جماعة من الأمراء بداره. وصار السلطان بالقلعة، وعنده عدة أمراء. وتمادى الحال يوم الخميس والجمعة والسبت، والناس فى قلق، وبينهم قالة وتشانيع وإرجافات.

---

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥،١٩٣.

(٢) بفتح أوله وثانيه وهى مدينة بسهول الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر معجم البلدان ٢٨/٤،٢٩.

وفى يوم السبت هذا: نزل السلطان إلى باب السلسلة، واجتمع معه بعض الأمراء ليصلح الأمر، فلم يفد شيئًا، وكثرت الشناعة عليه. وباتوا على ما هم عليه. وأصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه وقد كثروا، فطلبوا من السلطان أن يبعث إليهم بالأمير تغرى بردى والأمير أرغون. فلما بعثهما قبضوا عليهما، وأخرجوا تغرى بردى منفيًا فى الترسيم إلى القدس. فلما كان عند الظهيرة، فُقد السلطان من القلعة، فلم يعرف له خبر. وسبب اختفائه أن النوروز كان فى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول هذا، فجلس السلطان مع عدة من خاصكيته لمعاقرة الخمر، ثم ألقى نفسه فى بحرة ماء وقد ثمل، فتبعه جماعة وألقوا أنفسهم معه فى الماء. وسبح بهم فى البحرة، وقد ألقى السلطان عنه جلباب الوقار، وساواهم فى الدعابة والمجون، فتناوله من بينهم شخص، وغَمَّه فى الماء مرارًا، كأنه يمازحه ويلاعبه، وإنما يريد أن يأتى على نفسه. فما هو إلا أن فطن به فبادر إليه بعض الجماعة - وكان روميا - وخلّصه من الماء، وقد أشرف على الموت، فلم يبد السلطان شيئًا، وكتم فى نفسه. ثم باح بما أسره، لأنه كان لا يستطيع كتمان سر. وأخذ يذم الجراكسة - وهم قوم أبيه، وشوكة دولته، وجل عسكره - ويمدح الروم، ويتعصب لهم، وينتمى إليهم، فإن أمه شيرين كانت رومية. فشق ذلك على القوم، وأخذوا حذرهم، وصاروا إلى الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر واستمالوه، فخاف السلطان وهم أن يفر، فبادره الأمير بيبرس وعنفه، وما زال به حتى أحضر الأمراء من الإسكندرية ودمياط، وأظهر الأمراء المختفين كما ذكر، فاجتمع الأضداد، واقترن العدى والأنداد. ثم عادوا إلى ما هم عليه من الخلاف بعد قليل، وأعانهم السلطان على نفسه، بإخراج يَشْبَك بن أزدمر، وأُزْبَك، فأبدوا عند ذلك صفحات وجوههم، وأعلنوا بخلافه، وصاروا إلى أينال باى بن قجماس، ليلة الجمعة، وسعوا فيما هم فيه. ثم دسوا إليه سعد الدين بن غراب كاتب السر، فخيله منهم، حتى امتلأ قلبه خوفًا. فلما علم ابن غراب بما هو فيه من الخوف، حسَّن له أن يفر، فمال إليه. وقام وقت الظهر من بين حرمه وأولاده، وخرج من ظهر القلعة من باب السر الذى يلى القرافة، ومعه الأمير بيغوت، فركبا فرسين قد أعدهما ابن غراب، وسارا مع بَكْتَمُر مملوك ابن غراب، ويوسف بن قُطلوبَك صهره أيضًا، إلى بركة الحبش. ونزلا وهما معهما فى مركب، وتركوا الخيل نحو طُرا [١] وغيبوا نهارهم فى النيل، حتى دخل الليل، فساروا بالمركب إلى بيت ابن غراب، وكان فيما بين الخليج وبركة الفيل، فلم يجدوه فى داره، فمروا على أقدامهم حتى أووا فى بيت بالقاهرة لبعض معارف بكْتمر

---

(١) طرا: أو - طره -: بلدة فى شرقى النيل قريبة من الفسطاط.

مملوك ابن غراب. ثم بعثوا إلى ابن غراب فحول السلطان إليه وأنزله عنده بداره، من غير أن يعلم بذلك أحد. وقد حدثنى بَكْتَمُر المذكور بهذا فيما بعد، وقد صحبته فى السفر، فبلوت منه دينا، وصدق لهجة، وشجاعة، ومعرفة ومحبة فى العلم وأهله.

* * *

السلطان الملك المنصور عز الدين أبو العز
عبد العزيز بن السلطان الظاهر
أبى سعيد برقوق بن أنص(١)

ثالث ملوك الجراكسة أمه أم ولد تركية، اسمها قنقباى. ولد بعد التسعين وسبعمائة بسنيات ، وجعل أبوه إليه السلطنة بعد أخيه الناصر فرج(٢).

فلما فقد الملك الناصر وقت الظهر من يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأول، بادر الأمراء بالركوب إلى القلعة، وهم طائفتان: الطائفة التى خالفت على الناصر فى السنة الماضية وحاربته، ثم مضت إلى الشام، فشنت الغارات وأقبلت بالعساكر وبيتته بالسعيدية. وانتهبت ما كان معه ومع عساكره، حتى رجع إلى قلعة الجبل على جمل. فجمع وحشد.، وأعد واستعد، فقاتلوه أياما، ثم غلبوا، فكر بعضهم راجعا إلى الشام، واختفى بعضهم إلى أن أمنهم وأعادهم إلى رتبهم.

وهم عدة، يرجع أمرهم إلى الأمير يشبك الدوادار.

والطائفة الأخرى هى التى وفت للناصر وحاربت من ذكرنا معه، وكبيرهم الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر. فلما صار الفريقان إلى القلعة، منعهم الأمير سودون تلى المحمدى أمير أخور من صعود القلعة، وهم يضرعون إليه من بعد نصف النهار إلى بعد

---

(١) المنصور ابن برقوق (٧٩٨ - ٨٠٩ هـ ١٣٩٥ - ١٤٠٧م). عبد العزيز بن برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى الجركسى، أبو العز: من ملوك الجراكسى بمصر والشام بويع بالسلطنة وهو طفل سنة (٨٠٨هـ) بعد اختفاء أخيه الناصر (فرج) وقام بأمره وأمر الدولة بيبرس الأتابكى ودامت سلطنته نحو شهرين، وظهر أخوه، فاستعاد السلطنة، وأرسل عبد العزيز إلى الإسكندرية فسجن بها أربعين يوما ومات مسموما أو مخنوقا. انظر بدائع الزهور ١/ ٣٤٩، ٣٥١، الضوء اللامع ٤/ ٢١٧ الأعلام ٤، ١٥.

(٢) الناصر فرج (٧٩١ - ٨٢٥ هـ ١٣٨٩ - ١٤١٢م). فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويع بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ، بعد وفاة أبيه، وكان صغير السن. انظر ابن إياس ١/ ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٧، الضوء اللامع ٦/ ١٦٨ الأعلام ٥/ ١٤٠.

غروب الشمس. ثم مكنهم من العبور من باب السلسلة.

وقد أحضروا الخليفة والقضاة الأربع، واستدعوا الأمير عبد العزيز بن الظاهر، وقد ألبسه بن غراب الخلعة الخليفتية، وعممه . فعهد إليه الخليفة أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بالسلطنة، ولقبوه الملك المنصور عز الدين، وكنوه بأبى العز. وذلك عند أذان عشاء الآخرة، من ليلة الإثنين سادس عشرين ربيع الأول، وقد ناهز الاحتلام.

وصعدوا به من الإسطبل إلى القصر. ولم تدق البشائر على العادة، ولا زينت القاهرة، وأصبح الناس فى سكون وهدوء، فنودى بالأمان والدعاء للملك المنصور.

فتحيرت المماليك التى من عصبة الناصر. وأشاعوا أنه مضى به دمرداش نائب حلب وبيغوت إلى الشام.

وهم كثير منهم باللحاق به، فأشاع آخرون أنه قتل، وأعرض الأمراء عن الفحص عنه، وتواصوا بالاتفاق. وقام بن غراب بأعباء المملكة، يدبر الأمراء كيف شاء .

والمنصور تحت كفالة أمه. ليس له من السلطنة سوى مجرد الاسم فى الخطبة، وعلى أطراف المراسيم.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: استقر الأمير بيبرس لالا السلطان، وخلع عليه.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: عملت الخدمة بالإيوان المعروف بدار العدل وجلس السلطان على تخت الملك. وحضر الأمراء والقضاة وأهل الدولة على العادة، وخلع على أرباب الوظائف. فاستمر الأمير الكبير بيبرس على عادته أتابك العساكر، والأمير أقباى أمير سلاح، وسودن الطيار أمير مجلس، وسودن تلى المحمدى أمير أخور، وبشباى رأس نوبة كبيرا، وأرسطاى حاجب الحجاب، وسعد الدين بن غراب كاتب السر، وفخر الدين ماجد بن غراب وزيرا، وفخر الدين بن المرزوق ناظر الجيش.

وخلع على القضاة الأربع خلع الاستمرار.

وفى هذا الشهر: بلغ المثقال الذهب إلى مائة وخمسين، والإفرنتى إلى مائة وثلاثين، فنودى فى سابع عشرينه أن المثقال بمائة وأربعين، والأفرنتى بمائة وعشرين، من أجل أنه توقف الذهب من قلة الفلوس، وذلك أنها صارت رخيصة، وكل قنطار منها بستمائة، عنها أربعة مثاقيل من الذهب. ومع ذلك يباع النحاس الأحمر الذى لم يضرب بألفى درهم، عنها ثلاثة عشر مثقالا وثلث.

فضن التجار بإخراج الفلوس، حتى اتضع الذهب، وكثر فى الأيدى، وزهد الباعة فى أخذه. فتوقفت الأحوال بسبب هذا، حتى نودى فمشت الأحوال.

وفيه أبيع الأردب القمح بمائتين وعشرين، والشعير والفول بمائة وعشرين، وبلغ الأرز إلى ستة عشر درهما القدح. وأبيع الباذنجان كل واحدة بنصف درهم .

والرطل اللحم الضأن بثمانية دراهم. ولحم البقر بخمسة دراهم الرطل. وبيع رأسان من البقر - بعد النداء عليهما بحراج حراج فى السوق - باثنى عشر ألف درهم. وبلغ الأردب من زريعة الجزر إلى خمسمائة درهم، والقدح من بزر الفجل إلى مائة وخمسين درهما. والقدح من بزر اللفت إلى ثمانين درهما.

والرطل من لحم الجمل بثلاثة دراهم ونصف، بعد خمسة أرطال بدرهم.

وفى هذا الشهر: كانت وقعة بين المسلمين والفرنج بالأندلس[١]. وذلك أن مدة الصلح بين المسلمين بغرناطة[٢] وبين الطاغية صاحب قشتالة[٣] لما انقضت، أبى الطاغية من الصلح، فبعث السلطان أبو سعيد عثمان[٤] صاحب فاس [٥] عشرين غرابا أوسقها بالعدد والزاد، وجهز ثلاثة آلاف فارس، قدم عليهم القائد مارح. وجعل الشيخ عمر بن زيان الوساطى على ألف فارس أخرى.

---

(١) الأندلس: جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر فى نيف وعشرين مرحلة، تغلب عليها المياة الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة فى الأحوال. انظر معجم البلدان ١/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٢) غرناطة: قال أبو محمد عفان الصحيح أغرناطة بالألف فى أولها أسقطها العامة. وهى أقدم مدن كورة ألبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها . انظر معجم البلدان ٤/ ١٩٥.

(٣) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته، اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج . انظر معجم البلدان ٤/ ٣٥٤.

(٤) السلطان أبو سعيد المرينى (٧٨٤ - ٨٢٣ هـ = ١٣٨٢ - ١٤٢٠م). عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن على، من بنى عبد الحق، أبو سعيد المرينى، من ملوك الدولة المرينية فى المغرب. وهو ثالث الأخوة الأشقاء من أبناء أحمد بن إبراهيم الذين تولوا الملك من بعده بويع بفاس بعد وفاة أخيه عبد الله (سنة ٨٠٠هـ) وكان التصرف فى دولته للوزراء والحجاب وفى أيامه استولى البر تغال على مدينة سبتة سنة ٨١٨هـ، بعد حصار طويل. وازداد ضعف الدولة المرينية واستمر أبو سعيد إلى أن قتله وزيره عبد العزيز اللبانى. انظر: جذوة الاقتباس ٢٨٩، الاستقصا ٢/ ١٤٤، الضوء اللامع ٥/ ١٢٤ الأعلام ٤/ ٢٠٢

(٥) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٣٠.

فنزلوا سبتة[1]. وجهز أبو عبد الله محمد بن أبى الحجاج يوسف - صاحب غرناطة- أسطوله إلى جبل الفتح، فلقيهم أسطول الطاغية بالزقاق[2]، فى يوم الجمعة سادس عشرة، وقاتلهم. وقد اجتمع أهل فاس وأهل غرناطة، فكانت النصرة للفرنج، ولم ينج من المسلمين إلا القليل. وغنم الفرنج المراكب كلها بمن فيها وما فيها. فكانت مصيبة عظيمة، تكالب فيها الفرنج على المسلمين، وقوى طمعهم فيهم.

شهر ربيع الآخر أوله الجمعة:

فيه بلغ الأردب القمح إلى مائتى درهم وستين. ولحم الضأن إلى عشرة دراهم الرطل. ولحم البقر إلى خمسة ونصف.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسع عشرة ذراعا سواء، وعزت ألبقار، وطلبت لأجل حرث الأراضى، فأبيع ثور بثمانية آلاف درهم.

وفى آخر نهار الأربعاء ثامن عشره: أفرج عن فتح الله كاتب السر.على أن يحمل خمسمائة ألف درهم فلوسا. عنها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون مثقالا ذهبا، وثلث مثقال.

وفيه توجه الأمير نوروز نائب الشام من دمشق إلى الصبيبة، لقتال الأمير شيخ.

شهر جمادى الأولى أوله الأحد.

فيه بلغ رطل اللحم الضأن إلى اثنى عشر درهما، ولحم البقر إلى ستة دراهم، والأردب القمح إلى مائة وثمانين، وبلغت الفضة الكاملية إلى أربعمائة وسبعين درهما فلوسا، كل مائة درهم منها.

وبلغ القنطار الزيت إلى ستمائة وعشرين. وبيع فى السوق بحراج ثمانية أطيار من الدجاج بستمائة درهم وبيع زوج أوز بستمائة درهم. فوقف فيه اللحم - بعد سمطه - كل رطل بخمسة وعشرين درهما.

وفيه فشت الأمراض الحادة فى الناس بالقاهرة ومصر، وشنع موت الأبقار. فبلغ لحم الضأن إلى خمسة عشر درهما الرطل، وبيعت ثلاث رمانات بستين درهما، والرطل

---

(١) سبتة: هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أبو دمرس على البحر . انظر معجم البلدان ٣/ ١٨٢.

(٢) الزقاق هو فى الأصل طريق نافذ وغير نافذ ضيق دون السكة، والزقاق: مجاز البحر بين طنجة والجزيرة الخضراء. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

الكثمرى بعشرين درهما، وغلت الأسعار بغزة[1] أيضا، فبيع القدح القمح بسبعة دراهم، والقدح الشعير بخمسة، والقدح العدس بعشرة، وبيع فى القاهرة بطيخة بثمانية وستين درهما بعد درهم، والرطل من لعاب السفرجل [2]بمائة وثلاثين، من كثرة طلبه للمرضى.

وفى حادى عشره: توجه الطواشى الأمير شاهين الحسنى - لالا السلطان - فى عشرة سروج لإحضار الأمير شيخ المحمودى نائب الشام[3]، والأمير جكم، وقد ورد كتاب للأمير شيخ قبل ذلك بعشرين يوما، وكتاب الأمير جكم بعد كتاب الأمير شيخ بعشرة أيام، يخبرا بأنهما حاربا الأمير نوروز وهزماه، وأنه لحق بطرابلس[4]، ودخلا إلى دمشق، فولى الأمير شيخ قضاء دمشق شهاب الدين أحمد بن الحسبانى الشافعى، فى ثانيه.

وفى سابع عشرة: خرج الأمير جكم من دمشق فى جماعته، يريد محاربة الأمير نوروز، وقد ورد الخبر بنزوله على بحرة حمص، ثم تلاه الأمير شيخ بجماعته، فبلغ ذلك نوروز، فسار فى عشية الأربعاء ثامن عشره إلى حماة[5]، ونزل شيخ وجكم

---

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

(٢) يقصد به لب السفرجل، وهو ينفع فى ترطيب يبس القصبة. ينظر نهاية الأرب فى فنون الأدب ١١/ ١٦٨.

(٣) شيخ المحمودى الظاهرى (٧٥٩ - ٨٢٤ هـ ١٣٥٨ - ١٢٢١م). شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى، أبو النصر: من ملوك الجراكسة بمصر والشام أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه من محمود شاه الأزدى، وأعتقه واستخدمه فى بعض أعماله، وكانى يعرف بشيخ المجنون وسافر إلى الحجاز أميرا للحاج سنة ٨٠١ هـ، ثم جعل مقدم ألف، فى دولة الناصر فرج بن برقوق، فنائبا لطرابلس، ونائبا فى الشام. وأسره تيمورلنك فى حلب، ثم سجنه الناصر فى خزانة شمايل فى وأطلقه فخرج إلى لاشام، فاشترك فى العصيان والهياج، إلى أن قتل الملك الناصر وولى السلطنة العباس بن محمد سنة ٨١٥ هـ، فجعله أتابكا للعسكر، ومديرا للمملكة، وعاد معه إلى مصر فلم يلبث أن خلع العباس، وتولى السلطنة فى السنة نفسها، وتلقب بالملك المؤيد، وعزل وولى، فأطاعه الجند، وعصان نوروز الحافظى نائب الديار الشامية، فقصده إلى دمشق، فقتله سنة ٨٨٧ هـ وعاد إلى مصر فهدم خزانة شمايل وبينى مكانها جامع الملك المؤيد. انظر ابن إياس ٢/٢، شذرات الذهب ٧/ ١٦٤ وليم مولر ١٢٨، الضوء اللامع ٣/ ٣٠٨ الأعلام ٣/ ١٨٢.

(٤) طرابلس: وهى على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب. انظر معجم البلدان ٤/٢٥.

(٥) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق، يحيط-

حمص[١] إلى يوم الثلاثاء رابع عشرينه. ثم سارا إلى طرابلس، وقد نزل نائبها بأعناز[٢] ففر عنه من معه، ومضى يريد حماة. فدخل شيخ وجكم طرابلس يوم الخميس سادس عشرينه، فنزل حكم بدار النيابة.

فلما بلغ علان نائب حلب نزول نوروز وبكتمر نائب طرابل على حماة، سار إلى نوروز، وأقام معه بعسكره وجماعة من التراكمين.

شهر جمادى الآخرة، أوله الثلاثاء.

فيه مرض السلطان الملك المنصور.

وفى يوم الجمعة رابعه: عادت الخيول من الربيع.

وظهر بين أهل الدولة حركة، فكثرت القالة، وبات المماليك تسعى بعضها إلى بعض، فظهر الملك الناصر فى بيت الأمير سودن الحمزاوى، وتلاحق به كثير من الأمراء والمماليك، و لم يطلع الفجر حتى ركب السلطان بآله الحرب. وإلى جانبه ابن غراب. وعليه آلة الحرب. وسار بمن اجتمع إليه يريد القلعة، فقاتله سودن المحمدى أمير أخور، وأينال بيه بن قجماس، وبيبرس الكبيرى، ويشبك بن أزدمر، وسودن الماردينى، قتالا ليس بذاك.

ثم انهزموا، وصعد السلطان إلى القلعة، فكانت مدة عبد العزيز سبعين يوما.

* * *

عود السلطان الملك الناصر زين الدين فرج
ابن الملك الظاهر برقوق إلى الملك ثانيا

وذلك أنه لما فقد من القلعة، وصار إلى بيت سعد الدين بن غراب[٣]، ومعه بيغوت،

=بها سور محكم، وبظاهر السور حاضر كبير جدا، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى، عليه عدة نواعر تستقى الماء من العاصى. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠.

(١) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهى بين دمشق وحلب فى نصق الطريق. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٢.

(٢) أعناز: بالنون والزاى: بلد بين حمص والساحل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٢٢.

(٣) إبراهيم بن عبد الكريم بن بركة، القاضى سعد الدين ناظر الخواص الشريف بن القاضى كريم الدين ناظر الخواص بن سعد الدين الشهير بابن كاتب حكم. مولده بالقاهرة قبل العشرين وثمانمائة، وأمه بنت الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، ونشأ تحت كنف والده وكتب الخط=

قام له بما يليق به. وأعلم الأمير يشبك به، فخفى على أهل الدولة مكانه، ولم يعبأوا به. وأخذ ابن غراب يدبر فى القبض على الأمير أينال بيه، فلم يتم له ذلك، فلما تمادت الأيام، قرر مع الطائفة التى كانت فى الشام من الأمراء، وهم: يشبك، وقطلو بغا الكركى، وسودن الحمزاوى فى آخرين، أنه يخرج إليهم السلطان، ويعيدوه إلى الملك، لينفردوا بتدبير الأمور.

وذلك أن الأمير بيبرس الأتابك قويت شوكته على يشبك، وصار يتردد إليه، ويأكل على سماطه، فعز عليه، وعلى أصحابه ذلك، فما هو إلا أن أعلمهم ابن غراب بالخبر، وافقوه على ذلك، وواعد بعضهم بعضا. فلما استحكم أمرهم، برز الناصر نصف ليلة السبت خامس جمادى الآخرة من بيت ابن غراب. ونزل بدار الأمير سودن الحمزاوى، واستدعى الناس، فأتوه من كل جهة. وركب وعليه سلاحه. وابن غراب إلى جانبه، وقصد القلعة، فناوشه من تأخر عنه من الأمراء قليلا، ثم فروا، فملك السلطان القلعة

=المنسوب، وتنهب للشافعى رضى الله عنه، واشتغل يسيرا ومهر فى الحساب وصناعة الديونة إلى أن استقل بوظيفة نظر الخاص بعد وفاة والده القاضى كريم الدين عبد الكريم فى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وسنة نيف على عشرين سنة أو دونها فباشر وظيفة نظر الخاص بتجمل، ونالته السعادة وحسنت سيرته وشكرت أفعاله بالنسبة إلى غيره من أبناء جنسه، هذا وخلفه مثل الصاحب بدر الدين بن نصر الله المعزول عن الخاص بوالده قبل تاريخه، وقد كان يترقب زوال والده القاضى كريم الدين عبد الكريم، ولده وفى ظنه أن الملك الأشرف برسباى لا يعدل عنه إلى غيره، فوليها بعد موته ولده سعد الدين فى هذا وخاب ظن الصاحب بدر الدين بن نصر الله، واستمر سعد الدين فى وظيفته وسافر صحبة السلطان الملك الأشرف إلى آمد فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، بعد أن قام بالكلف السلطانية أحسن قيام، ثم من بعد عوده إلى القاهرة بمدة حصل عليه من السلطان إخراق، وضرب بسبب إمتناعه عن الاستقرار بوظيفة الوزير، وتولى أخوه الصاحب جمال الدين يوسف الوزر كرها غير إرادة أخيه سعد الدين المذكور، كل ذلك بعد فرار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم فلم تطل أيام جمال الدين فى الوزير، واستعفى وعزل بعد أن ألزم هو وسعد الدين صاحب الترجمة بحمل جملة مستكثرة من الأموال إلى الخزانة الشريفة فحملا ما ألزما به من المال وخلع على سعد الدين بالاستمرار فى وظيفة الخاص على عادته، ولزم أخوه جمال الدين داره إلى أن توفى سعد الدين بعد مرض طويل فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى، ودفن بالقرافة رحمه الله، وتولى، أخوه الصاحب جمال الدين الخاص من بعده. وكان شابا حسن الشكل، جوادا كريما، وعنده دربة وسياسة ومعرفة وإقدام، إلا أنه كان منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس، ومسرفا على نفسه، وعنده قليل تيه وشمم، عفا الله عنه. انظر ترجمة فى: الدليل الشافى ٢١/١، والنجوم الزاهرة ٢١/١٥، والضوء اللامع ٦٨/١.

بأيسر شيء. وذلك أن صوماى رأس نوبة كان قد وكل بباب القلعة[1]، فعندما رأى السلطان فتح له، فطلع منه، وملك القصر، فلم يثبت بيبرس ومن معه، ومروا منهزمين. فبعث السلطان بالأمير سودن الطيار فى طلب الأمير بيبرس فأدركه خارج القاهرة، فقاتله وأخذه وأحضره إلى السلطان، فقيده، وبعثه إلى الإسكندرية فسجن بها. واختفى الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير سودن الماردينى.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير يشبك الشعبانى، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن الأمير بيبرس. وعلى الأمير سودن الحمزاوى، واستقر دوادارا، عوضا عن سودن الماردينى، وعلى جركس المصارع، واستقر أمير أخور، عوضا عن سودن تلى المحمدى.

وفيه قبض على الأمير جرقطلو رأس نوبة، والأمير قنباى أمير أخور، والأمير أقبغا رأس نوبة؛ وكلهم أمراء عشرات. وقبض على الأمير بردبك رأس نوبة، أحد أمراء الطبلخاناه.

وفيه استقر سعد الدين بن غراب رأس مشورة. وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف. ولبس الكلفته. وتقلد السيف كهيئة الأمراء، وترك زى الكتاب. ونزل إلى داره. فلم يركب بعدها إلى القلعة ومرض.

وفيه كتب تقليد الأمير شيخ المحمودى [2] بكفالة الشام على عادته، وجهز إليه على يد أينال المنقار شاد الشراب خاناة، وكتب تقليد الأمير جكم بنيابة حلب [3]، وجهز على يد سودن الساقى. وكتب للأمير نوروز الحافظى أن يحضر من دمشق إلى القدس بطالا، وحذر من التأخر. وكتب للأمير دمرداش المحمدى نائب حلب - كان - بالحضور إلى مصر.

وفى عاشره: قبض على سودن تلى أمير أخور، وأخرج إلى دمشق على تقدمة سودن اليوسفى.

وفى رابع عشره: توجه سودن الساقى بخلعة الأمير جكم وتقليده بنيابة حلب.

---

(١) ينظر النجوم الزاهرة ٣/ ٤٦ فقد وقع فيها باب المدرج، وهو يقع فى الحافظ الغربى للقسم البحرى منها.

(٢) ينظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٤٦ فقد وقع فيها باب المدرج وهو يقع فى الحائط الغربى للقسم البحرى منها.

(٣) سبق ترجمته.

وفى خامس عشره: استقر الأمير سودن من زاده فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير سلامش. واستقر فخر الدين ماجد بن المزوق - ناظر الجيش - فى كتابة السر، عوضا عن سعد الدين بن غراب، بحكم انتقاله إلى الإمرة.

واستقر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى نظر الجيش. واستقر شرف الدين يعقوب بن التبانى فى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ولى الدين محمد ابن أحمد بن محمد الدمياطى، مؤدب الأمير بيبرس وموقعه.

وفى حادى عشرينه: استقر الأمير يشبك فى نظر المارستان المنصورى بين القصرين، ونزل إليه وعليه التشريف السلطانى، على العادة.

وفيه استقر الأمير تمراز الناصرى نائب السلطنة، وقد شغرت من أثناء الأيام الظاهرية.

وفيه استقر الأمير أقباى رأس نوبة الأمراء، والأمير سودن الطيار أمير مجلس فى وظيفة أمير سلاح، عوضا عن الأمير أقباى. واستقر يلبغا الناصرى أمير مجلس، عوضا عن الطيار.

وفى سادس عشرينه: استقر شرف الدين محمد بن على الجيزى - أحد باعة السكر - فى حسبة مصر، عوضا عن شمس الدين محمد بن محمد بن المنهاجى، بمال قام به، فكان هذا من أشنع القبائح وأقبح الشناعات.

وفى ثامن عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن على بن المعلمة الإسكندرانى فى حسبة القاهرة، وعزل كريم الدين الهوى. واستقر بهاء الدين محمد بن البرجى فى الوكالة ونظر الكسوة، عوضا عن ابن التبانى.

وفى هذا الشهر: بلغ القنطار السيرج إلى ألف ومائتى درهم . وبلغت الفضة الكاملية كل مائة درهم خمسمائة درهم من الفلوس.

وفيه انحل سعر الغلال، ولحوم البقر، لكثرة موتها.

الش[...](1) فإن الأمير [.........](1) سارا من طرابلس، يريدان نائب طرابلس [...](1) وهى [...](1) على قص، ففر منها، ونزلا بوطاقه، وقدم فى ثالثه الطرابلسى شاهين الحسنى إلى دمشق، ومعه رسول الأمير شيخ إلى السلطان يسأله النيابة فى دمشق، فأنكر على ابن الحسبانى وغيره ممن ولى من قبل شيخ بغير موسوم السلطان، وأخبرا أنه قدم لأخذ شيخ وجكم إلى مصر.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

وفى ثالث عشره: قدم الخبر إلىدمشق بعود السلطان الملك الناصر إلى السلطنة، واستقراره بشيخ فى نيابة الشام، وجكم فى نيابة حلب، فضربت البشائر، ونودى بذلك فى دمشق. ودعى للسلطان الملك الناصر فى يوم الجمعة ثامن عشره.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أينال المنقار إلى دمشق، بخلعة الأمير شيخ لنيابة الشام. ووصل معه الأمير سودن المحمدى. فتوجه المنقار إلى الأمير شيخ؛ فكتب بقبض سودن المحمدى، فأخذ فى ليلة الأحد سابع عشرينه وقيد.

وفيه دخل الأمير شيخ حماة، وذلك أنه سار من حمص[١] يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، وقدم حماة[٢] يوم السبت وحصرها، وقاتل من بها. وكان نوروز وعلان قد مضيا إلى حلب[٣]، فإن الأمير دمرادش كان فارقهما، ومضى إليها ليأتهم بالتركمان، فلما وصلها ملكها. فلما وصل نوروز حلب فر منها دمرداش، واستقر بها دقماق، فامتنع وقاتل، حتى أخذ وقتل بين يدى الأمير جكم، ونهبت حلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فى رابعه: أعيد ابن التبانى إلى الوكالة والكسوة، وصرف ابن البرجى.

وفى ثامن عشره: قبض على الأمير أزبك الرمضانى[٤]، وسفر إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى سابع عشرينه: مات الخليفة أبو عبد الله محمد المتوكل على الله.

وأما الشام فإن الأمير شيخ والأمير جكم سارا بعسكريهما من حماة يريدان حلب، وبها الأمير نوروز. فلما وصلا إلى المعرة، كتب إليهما نوروز، يعتذر بأنه لم يعلم بولاية الأمير جكم حلب. وخرج بمن معه منها إلى البيرة[٥]، فدخل الجماعة إلى حلب بغير قتال، واستقر جكم بها، وعاد الأمير شيخ.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات وهى من الديار الشامية انظر معجم البلدان ٢٨٢/٢ وما بعدها.

(٤) أزبك بن عبد الله الرمضانى الظاهرى، الأمير سيف الدين (... - ٨٠٦ هـ = ... - ١٤٠٣ م). أحد المماليك الظاهرية برقوق، وأحد أمراء الطبلخاناه فى الدولة الناصرية فرج إلى أن توفى ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة رحمه الله تعالى. انظر المنهل الصافى ٣٤٢/٢، ٣٤٣.

(٥) سبق ترجمتها.

وكتب باستقرار الأميرجكم فى نيابة طرابلس مضافا إلى نيابة حلب بمثال سلطانى على يد مغل بيه، من غير كتابة تقليد. وكتب إلى الأمير نوروز الحافظى بالحضور إلى القدس بطالا، وإلى الأمير بكتمر شلق بأن يكون أميرا كبيرا مقدم ألف بدمشق.

فلما كان يوم الإثنين عشرينه: دخل الأمير شيخ إلى دمشق بالخلعة السلطانية ونزل بدار السعادة، وقرئ تقليده. فكتب بالإفراج عن الأمير سودن الظريف[١]، ودمرادش حاجب دمشق، وتنكز بغا نائب بعلبك[٢]، فقدموا من الصبيبة فى رابع عشرينه. وكان سماط الخليل عليه السلام قد بطل، فحمل إليه من دمشق مائة غرارة ما بين قمح وشعير، لتعمل جشيشة[٣] وتخبز خبزا.

---

(١) سودن عبد الله الظاهرى (٨١٤ هـ = ١٤١١ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بسودن الظريف. هو أيضًا من مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن ترقى فى دولة أستاذه إلى أن ولى نيابة الكرك فى يوم حادى عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة، فتوجه إليها وباشر نيابتها، إلى أن توجه الملك الناصر فرج إلى دمشق، بعد القبض على نائبها الأمير تنم الحسنى، فى سنة اثنتين وثمانمائة، فقدم عليه الأمير سودن الظريف هذا بدمشق، بعد أن استخلف بالكرك حاجبها الزينى شعبان بن أبى العباس، فعزله الملك الناصر عن الكرك بالأمير تخاص السودون، فى يوم الخميس رابع شهر رومضان من السنة. وتنقلت به الأحوال إلى أن ولى حجوبية الحجاب بدمشق، بعد القبض على الأمير حقمق الصفوى وحبسه فى رابع شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانمائة، فاستمر فى الحجوبية إلى سنة ثمان وثمانمائة. قبض عليه الأمير شيخ المحمودى نائب الشام وسجنه بالصبيبة إلى يوم الإثنين العشرين من شعبان من السنة المذكورة أفرج عنه شيخ المذكور، وأنعم عليه بإمرة بدمشق، فاستمر على ذلك مدة ثم قبض عليه ثانيا وحبسه بالصبيبة أيضًا، فاستمر محبوسا إلى أن أفرج عنه الملك الناصر فرج، وعن الأمير أرغز لما توجه إلى البلاد الشامية فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، واستصحبه معه إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بإمرة بها. فاستمر سودن الظريف من جملة أمراء مصر مدة، ووقع له أمور، وآخر الحال قبض الملك الناصر عليه وعلى أرغز المذكور وعلى أينال الصصلانى وعدة آخر فى ثانى عشرين شهر رجب سنة أربع عشرة وثمانمائة، فاستمر سودن الظريف محبوسا إلى اليوم الأربعاء ثامن شعبان من السنة، أخرجه من الحبس ورسم بتوسيطه، فوسط فى اليوم المذكور تحت قلعة الجبل، ووسط معه أيضا جماعة من الأمير هم:الأميرمغلباى، والأمير حزمان نائب القدس،والأمير عاقل، والأمير أرغز والأمير محمد بن قجماس، ثم قتَل الملك الناصر، فى ليلة الخميس ثانية، ومن الملك السلطانية الجراكسة زيادة على مائة مملوك من مماليك والده. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٢٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٣٠، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٥، الضوء اللامع ٣/ ٢٨٢.

(٢) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها فى الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل. انظر معجم البلدان ١/٤٥٣ وما بعدها.

(٣) جش الحب يجشه جشا إذا دقه أو طحنه طحنا غليظا والجشيشة ما جش من الحب . انظر لسان العرب (جش).

وأما الأمير جكم فإنه لما استقر بحلب، ما زال يكاتب الأمير نوروز وعلان حتى قدما بمن معهما حلب[١]، وانضما إليه. ثم كتب إلى الأمير شيخ بذلك، فقبض حينئذ على الطواشى شاهين وسجنه بقلعة دمشق.

شهر شعبان أوله الجمعة.

فى يوم الإثنين رابعه: استدعى أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله وقرر فى الخلافة، عوضا عن أبيه. ولبس التشريف بحضرة السلطان ولقب بالمستعين بالله[٢]، ونزل إلى داره.

وكتب باستقرار الأمير طولو من على باشاه[٣] فى نيابة صفد عوضا عن الأمير

---

(١) حلب: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٨٢ وما بعدها. والروض المعطار.

(٢) المستعين با لله (٨٣٣ هـ - ١٤٣٠م). لعباس بن محمد بن أبى بكر بن سليمان، أبو الفضل، المستعين با لله: من خلفاء لدولة العباسية الثانية بمصر. وهو ابن المتوكل على الله ابن المعتضد بويع بالخلافة فى القاهرة، بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٨هـ، بعهد منه وتوجه مع السلطان الناصر (فرج بن برقوق) سنة ٨١٤هـ، إلى البلاد الشامية لإخضاع الأتابكى « شيخ» المحمودى فقتل الناصر، وتولى المستعين السلطنة بعد أن اتفق مع أمراء الجراكسة على أن يكون شيخ أتابكا للعساكر بمصر ومدبرا للمملكة وعاد المستعين مع شيخ إلى مصر، فلم يلبث شيخ أن خلعة من السلطنة، وتولاها هو (سنة ٨١٥هـ) وظل المستعين فى الخلافة، محجوزا ٣، بقلعة الجبل. ثم خلعه شيخ من الخلافة أياضا (سنة ٨١٦هـ) وأرسله إلى سجن الإسكندرية فأقام إلى أن تولى الملك الأشرف بداسباى، فأخرجه من السجن وأسكنه فى دار بالإسكندرية فمات فيها بالطاعون، ولم يبلغ الأربعين. انظر تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٤، ابن إياس ١/ ٣٥٧ المقريزى ٢/ ٢٤٢، التبر المسوك ٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٩. الأعلام ٣/ ٢٦٥.

(٣) طولو بن علد الله باشا الظاهرى (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م)، الأمير سيف الدين. هو من مماليك الظاهر برقوق، ومن أعيان خاصكيته، وتَرَقَّى بعد موته حتى صار من جملة أمراء الديارالمصرية، ثم والى غزة عند قدوم تيمورلنك إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وثمانمائة، عوضا عن عمر الطحان بحكم القبض عليه عند تيمور مع جملة النواب، فلما عاد الملك الناصر إلى الديار المصرية وعاد تيمور إلى بلاده عُزل طولو عن نيابة غزة واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير ارنسطاى، فتوجه إلى الأسكندرية وباشر نيابتها مدة، ثم عُزل وعاد إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدم ألف بديار مصر، فاستمر إلى أن خرج الأمير يشبك الدوادار من الديار المصرية مغاضبا للناصر فرج، وخرج معه جماعة من الأمراء، وهوم: الأمير تمراز النائب، ويلبغا الناصرى، وأينال حطب، وقطلوبغا الكركى، وسودون الحمزاوى، وجاركس القاسمى المصارع، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، ومحمد بن سنقر البكجرى، ومحمد بن كلبك، وطالو صاحب الترجمة، وخرجوا الجميع إلى دمشق ونائبها يومئذ الأمير شيخ المحمودى، ووقع ما حكيناه فى غير موضع من اتفاق شيخ وحكم نائب حلب معهم وعودهم=

بكتمر الركنى[١]. وجهز تقليده وتشريفه على يد الأمير آق بردى رأس نوبة.

وكتب باستقرار الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حماة. وكان منذ فارق نوروز على حماة، وسار إلى حلب، وأخذها. فلما أدركه نوروز، هرب دمرداشونزل عند التركمان.

وفى ثامن عشره: خلع بدمشق على الشهاب الحسبانى بقضاء دمشق، وقد كتب فيه الأمير شيخ إلى السلطان، فبعث إليه بالخلعة والتوقيع، وكان قبل ذلك يباشر القضاء بغير ولاية.

وفى تاسع عشره: قدم دمشق الأمير علان نائب حلب - كان - يريد القاهرة، فأكرمه الأمير شيخ وأنزله.

وفى سابع عشرينه: قدم إلى دمشق الأمير ألطنبغا العثمانى[٢]، وقد ولاه السلطان

=إلى الديار المصرية لقتال الملك الناصر فرج، وكبسوا الناصر بالسعيدية، وانهزمو منهم إلى جهة القاهرة، ثم وقع الخلف بين الأمراء، واختفى بعضهم، ورجع البعض إلى البلاد الشامية، فكان طولو هذا ممن عاد صحبة «شيخ نائب الشام» وحكم نائب حلب وقرا يوسف صاحب تبريز إلى دمشق، وذلك فى أواخر سبع وثمانمائة. واستمر طولو بالشام إلى شهر رمضان من سنة ثمان وثمانمائة برز المرسوم الشريف من الديار المصرية باستقراره فى نيابة صفد عوضا عن الأمير بكتمر الركنى، وجهز تقليده على يد الأمير أقبردى رأس نوبة، فتوجه طولو إلى صفد وحكمها مدة إلى أن أرسل إليه الأمير شيخ محمود نائب الشام يستنجده لقتال حكم من عوض نائب حلب، فتوجه إلى الوقعة بأرض الرسنن فيما بين حماة وحمص، فقتل المذكور فى الوقعة، وقتل أيضا الأمير علان وجماعة أخر وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانمائة. وطولو هذا هو أستاذ طوغا أمير آخور المؤيد. انظر المنهل الصافى ٢٨/٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٧٤، النجوم الزاهرة ١٣/ ٥٢ الضوء اللامع ٤/ ١٢.

(١) بكتمر بن عبد الله الركنى (٨٠٧ هـ = ١٤٠٤ م)، الأمير سيف الدين. أنشأه الملك الظاهر برقوق، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم طبلخاناخ، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف، ثم نقل إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح، ثم خلع فى شوال سنة خمس وثمانمائة باستقراره رأس نوبة الأمراء - وهذه الوظيفة مفقودة الآن - واستقر عوضه فى إمرة سلاح الأمير تمراز الناصرى. واستمر على ذلك مدة، ثم ارتفعت رتبته، وتولى نيابة صفد عوضًا عن الأمير بكتمر شلق بعد انتقاله إلى نيابة طرابلس؛ وذلك فى ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة، وأظنه مات بها بعد ذلك بيسير والله أعلم. انظر المنهل الصافى. ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣، والدليل ١/ ١٩٥، ونزهة النفوس/ ٢/ ٤٧، ٤٨، بدائع الزهور ٧٤٢/١.

(٢) ألطنبغا بن عبد الله العثمانى الظاهرى (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م)، الأمير الكبير علاء الدين. هو من مماليك الظاهر برقوق، وممن صار فى دولة أستاذه المذكور نائبا بصفد، ودام بصفد إلى أن كانت وقعة الأمير تنم الحسنى نائب الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم كانت وقعة تيمور لنك فى سنة ثلاث، وقبض عليه تيمور مع جملة من قبض عليه من (النواب بالبلاد) الشامية. وولى الناصر=

حاجب الحجاب بدمشق، فلبس تشريفة، وباشر من الغد.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى رابع عشره: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل ابن المعلمة.

وفى سادس عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء القضاة المالكية، وعزل البساطى، واستقر فى الحسبة ابن المعلمة، وعزل ابن شعبان بعد يومين.

وفى تاسع عشره: مات سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفى ثالث عشرينه: مسك أينال الأشقر، وسفر إلى الإسكندرية.

وفى رابع عشرينه: أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن المعلمة.

وفى خامس عشرينه: أعيد ابن التنسى إلى قضاء المالكلية، بعد موت ابن خلدون.

وفيه قبض إلى الأمير سودن الماردينى من بيته، فقيد وحمل إلى الإسكندرية.

وفى سادس عشرينه: كتب أمان لكل من الأمير جمق، والأمير أسن باى، والأمير برسبان [(١)]، والأمير أرغز، والأمير سودن اليوسفى، وجهز إليهم بالشام.

=عوضهم جماعة، فولى والدى نيابة دمشق، بعد القبض على سيدى سودون قريب فإنه كان فر من تيمور وقدم على الناصر، وولى نيابة طرابلس للأمير آقبغا الجمالى، عوضًا عن شيخ المحمودى - أعنى المؤيد - وولى تمربغا غزة - عوضًا عن الأمير عمر بن الطحان - واستمر ألطنبغا العثمانى هذا فى أسر تيمور مدة، إلى أن فر مع من الأمراء من أسر تيمور، وقدم إلى الديار المصرية، وتنقلت به الأحوال، وولى عدة وظائف إلى ان آلت السلطنة للملك المؤيد شيخ المحمودى جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم جعله نائب الغيبة بالقاهرة لما خرج المؤيد لقتال نوروزا الحافظى نائب الشام، وسكن السلسلة من الإسطبل، ثم لما قدم خلع عليه بعده مدة باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية - بعد موت الأمير الكبير يلبغا الناصرى - وذللك فى يوم الخميس مستهل شهر رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة، فأقام أتابكًا إلى أن ولاه المؤيد نيابة دمشق - بعد خروج الأمير قانى باى المحمدى عن الطاعة - فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة فتوجه إليها صحبة السلطان، واستمر على كفالته بها إلى المحرم سنة عشرين وثمانمائة ثم عزل عن نيابة دمشق، ورسم له أن يتوجه إلى القدس بطالا، وبرز المرسوم بذلك على يد الأمير آقبغا التمرازى، وولى مكانه الأمير أقباى المؤيدى نائب حلب، ولما قدم من حلب على النجب واستمر الأمير ألطنبغا بالقدس إلى أن مات فى يوم الإثنين ثانى عشرين شوال سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. وكان أميرا ضخمًا، جليلا مشكور السيرة، ساكنًا عاقلا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٥١،٥٢،٥٣، الدليل ١/ ١٥٠، والنجوم ١/ ٧٣، أعيان العصر ١/ ٦٢، الدرر، ١/٤٣٦، الوافى ٩/ ٣٦١، الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ص ٢٢.

(١) جاء فى هامش المخطوطة أمام اسمه عبارة «هو الذى تسلطن ولقب بالأشرف» هو: برسباى الدقماقى الظاهرى، أبو النصر، (٧٦٦ - ٨٤١هـ. ١٣٦٥ - ١٤٣٨م). الملك الأشرف: صاحب=

وكان من خبر البلاد الشامية فى هذا الشهر أن التركمان اجتمعوا على ابن صاحب الباز، وقصدوا حماة، فدافعهم أهلها أشد المدافعة عن دخولها، فأفسدوا فى الضواحى فسادا كبيرا.

وقدم فى يوم الإثنين ثانيه: تشريف سلطانى للأمير شيخ نائب الشام، فلبسه، وأعاد صدر الدين على ابن الآدمى إلى كتابة السر بدمشق. عوضا عن السيد الشريف علاء الدين، بتوقيع وصل إليه من السلطان.

ونودى بدمشق فى العسكر بالتأهب للسفر، فقدم فى ثامنه الأمير بكتمر شلق إلى دمشق، وقد عزل عن نيابة صفد بالأمير طولو، واستقر على إقطاع الأمير آسن بيه، بحكم أنه أقام بطرابلس، نيابة عن الأمير جكم بها، فلبس بكتمر تشريفة. واستقر أتابك دمشق، وسار طولو من دمشق إلى صفد، فتسلمها.

وفى ثالث عشره: قبض الأمير شيخ على سودن الظريف، وأعيد إلى السجن لكلام نقل عنه.

وكانت الأسعار قد غلت بدمشق، ففرق الأمير شيخ الفقراء على الأغنياء وجعل لنفسه منهم نصيبا وافرا، فاجتمعوا فى بعض الليالى لأخذ الطعام فمات منهم أربعة عشر إنسانا.

وقدم الأمير دمرداش إلى دمشق فى يوم السبت ثانى عشرينه، وقد وصل إليه تقليده بنيابة حماة، وهو مشتت عند التركمان. فتوصل حتى دخل حماة. فيوم دخلها وصل إليها ابن صاحب الباز بجمائع التركمان، فلم تكن فيه قوة يلقاهم بها، فإن عسكر حماة سار إلى الأمير حكم بحلب، فخرج من حماة فارا إلى حمص، وكتب إلى الأمير شيخ يستأذنه فى القدوم عليه، فأذن له. ولما قدم أكرمه وأنزله.

وفى هذا الشهر: فرض الأمير شيخ على أهل دمشق أجرة مساكنهم لشهر يحملونها إليه، إعانة له على قتال التركمان، فإنهم أكثروا الفساد فى بلاد حماة وطرابلس.

=مصر جركسى، الأصل، كان من مماليك الأمير دقماق المحمدى وأهداه إلى الظاهر برقوق فأعتقه واستخدمه فى الجيش، فتقدم إلى أن ولى نيابة طرابلس الشام فى أيام المؤيد (شيخ بن عبد الله) ثم اعتقله بقلعة المرقب مدة طويلة، وأطلق. ثم اعتقل بقلعة دمشق، فأخرجه الظاهر ططر وجعله دوادارا كبيرا له بمصر وتوفى الظاهر ططر وبويع ابنه الصالح محمد، فتولى برسباى تدبير الملك أسابيع ثم خلع ونادى بنفسه سلطان وتلقب بالملك الأشرف سنة ٨٢٤هـ فأطاعه الإمراء وهدأت البلاد فى أيامه وغزا مدينة قبرس ففتحها وأسر ملكها. انظر ديوان الإسلام - خ - ابن إياس ٢/١٥، وليم موير ١٣٣ تاريخ الكعبة ١٤١، الضوء اللامع ٣/ ٨، الأعلام ٢/ ٤٨.

وفيه كتب السلطان بطلب الأمير نوروز من حلب، وقدومه إلى القاهرة.

شهر شوال أوله الإثنين.

فى يوم الثلاثاء سادس عشره: استقر البساطى فى قضاء المالكية، وعزل ابن التنسى. واستقر قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى فى مشخة خانكاه شيخو، وعزل الشيخ زادة الخرزيانى.

وفى عشرينه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الهوى.

وأما البلاد الشامية فإن الأمير جكم نائب حلب خرج ومعه الأمير نوروز وغيره، فقاتل التركمان وكسرهم كسرة فظيعة؛ فقدم عليه كتاب السلطان بطلب نوروز وغيره من الأمراء، فأغلظ على الرسول، وامتنع من ذلك، وكان قد بعث إلى الأمير شيخ يطلبه ليحارب التركمان، فتباطأ عنه، وبلغه مع ذلك أنه قد أكرم الأمير دمرداش. فشق ذلك عليه وتنكر على الأمير شيخ وكتب يأمره بإمساك دمرداش وفطن دمرداش بذلك، وفر من دمشق فى ليلة الإثنين ثالث عشرينه، فبعث الأمير شيخ فى طلبه جماعة، ففاتهم و لم يدركوه.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء.

فى ثالثه: قدم الخبر بأن الأمير جكم لما أخذ حلب سار إلى الأمير فارس بن صاحب الباز التركمانى المتغلب على أنطاكية[1]، وقاتله وكسره أقبح كسرة وقتله وأخذ له أموالا جزيلة فقوى جكم بذلك، فجاءه الخبر بمسير الأمير نعير بن حيار أمير الملا إليه، فلقيه عند قنسرين[2] فى نصف شوال، وقاتله، فوقع نعير فى قبضته، وسجنه بقلعة حلب. وولى ابنه العجل [3] بن نعير إمرة آل فضل، عوضا عنه، فسار العجل إلى

---

(١) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . انظر معجم البلدان ١/ ٢٦٦ وما بعدها.

(٢) قنسرين: مدينة فى الإقليم الرابع، وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فى سنة ١٧هـ وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٠٣.

(٣) العجل بن نعير (٨١٦ هـ = ١٤١٣م). العجل بن نعير بن حيار بن مهنا، من بنى فضل بن ربيعة، من طيئ: أمير عرب الفضل بالشام والعراق نشأ فى حجر أبيه، بسلمية. ولما جاوز العشرين خرج على طاعته، ووالى نائب حلب، وكان هذا على عداء مع أبيه، واستمر عجل فى خدمته، فآلت إليه إمارة الفضل بعد مقتل أبيه سنة ٨٠٨هـ، ثم حدثت بينه وبين نائب حلب نفرة، فخرج عجل إلى البادية ثائرا، فلم يزل يقاتل إلى أن قتل وهو فى الثلاثين من عمره. قيل اسمه: يوسف= =والعجل لقب له؛ واسم أبيه يوسف ونعير لقبه. انظر الضوء اللامع ٥/ ١٤٦، حوادث الدهور ١/ ٦٠ الأعلام ٤/ ٢١٦.

سلمية[1] وعاد جكم إلى حلب، ثم بدا له فى العجل رأى، فاستدعاه فأخذ يعتذر بأعذار، فقبلها، وسار إلى أنطاكية، فأرسل إليه التركمان بالطاعة، وأن يمكنهم من الخروج إلى الجبال لينزلوا من أماكنهم القديمة، وهم آمنون، ويسلمو إليه ما بيدهم من القلاع فأجابهم إلى ذلك، وعاد إلى حلب. ثم سار منها يريد دمشق، فنزل شيزر[2] وواقع أولاد صاحب الباز وكسرهم كسرة فاحشة وأسر منهم جماعة، قتلهم صبرا، وقتل الأمير نعير أيضا، وبعث برأسه إلى السلطان، وذلك كله فى شوال، ثم واقع جكم التركمان فى ذى القعدة وبدد شملهم.

وفى خامسه: أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان.

وفيه قدم طولو نائب صفد إلى دمشق.

وفى سابعه: قبض على الوزير فخر الدين ماجد بن غراب مشير الدولة، وأحيط بموجوده.

وفى تاسعه: قبض على كثير من التجار ووكل بهم فى بيت الأمير جمال الدين الأستادار ليؤخذ منهم مال على قمح وفول بناحية منفلوط[3] من صعيد مصر، حسابا عن كل أردب مائة درهم.

وفيه قدم الأمير دمرداش إلى دمشق بعدما وصل إلى الرملة [4] فأتته ولايته بنيابة طرابلس، فبعث الأمير شيخ يستدعيه لينظرا ما بينه وبين الأمير جكم، فأكرمه الأمير شيخ وأنزله.

وفيه قدم الخبر بتغلب الأمير جكم على البلاد الحلبية، وأنه حارب الأمير نعير بن مهنا أمير آل فضل، وكسره، وقبض عليه.

---

(١) سلمية: قرب المؤتفكة، وهى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٤٠.

(٢) شيزر: من قرى أمسرخس شبيهة بالمدينة، بينهما مسيرة يومين للجمال، على طرف من طريق هراة. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٢.

(٣) منفلوط: بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد . انظر معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٤) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها وقد خربت الآن، وكانت رباط للمسلمين. انظر معجم البلدان ٣/ ٦٩.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى رابعه: كتب إلى الأمير نوروز بأنه تقدمت الكتابة له بأن يتوجه إلى القدس، وأنه لم يجب عن ذلك، فيتقدم بالحضور إلى مصر.

وفى سابعه: أعيد فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى[١] إلى كتابة السر، بسفارة الأمير جمال الدين الأستادار، وعزل فخر الدين ماجد بن المزوق.

وفى ثانى عشره: رضى السلطان على فخر الدين بن غراب، واستمر مشيرا، وزيرا، ناظر الخاص، على عادته. وخلع عليه بعدما قام بعشرين ألف دينار.

وفى هذا الشهر: انحل سعر القمح، وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب، وبيع الرغيف زنة نصف رطل بثلث درهم، وأبيع ثور بمائة مثقال ذهبا، عنها من الفلوس ثلاثة عشر ألف درهم، و لم نسمع بمثل ذلك.

وفيه أبيع الرطل اللوز العاقد بأربعة عشر درهما، يحصل من قلبه أوقيتان وذلك من حساب أربعة وثمانين درهما الرطل، وهذا أعجب ما يحكى.

وفيه فشى الطاعون بصعيد مصر، حتى خلت عدة بلاد، وأحصى من مات من سيوط[٢] ممن له ذكر، فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفطن له. وهم كثير. وأحصى من مات فى بوتيج[٣]، فبلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة، وكان الزمان ربيعا، فلما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء.

وأما الشام، فإن فى ثالثه كتب باستقرار الأمير زين الدين عجل بن نعير فى إمرة آل

---

(١) ابن نفيس ٧٥٩ - ٨١٦هـ = ١٣٥٨ - ١٤١٣م). فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى العنانى التبريزى: رئيس الأطباء، وكاتب السد، بمصر. ولد بتبريز، ونشأ بالقاهرة، وتفقه بالحنفية، وتعلم عدة لغات. وتفوق فى الطب وولاه الظاهر برقوق رياسة الأطباء، ثم كتابة السر. خلع عليه سنة ٨٠١هـ ، فاستمر إلى أن مات الظاهر، وولى فرج الناصر فقبض عليه (سنة ٨٠٨ هـ) وألزمه بمال فحمله، فأفرج عنه وأعيد إلى كتابة السر بعد تسعة أشهر. واتسعت حاله ونيط به حل الأمور إلى أن قتل الناصر، وخلفه المستعين بالله العباسى والمعتبد أحد الأمراء بالمملكة المصرية واعتقل الخليفة، فقبض على فتح الله سنة ٨١٥ هـ وسجن ثم خنق وكان من خير أهل زمانه علما ودينا وأدبا وسياسة. خطط المقريزى ٢/ ٦٢، ابن إياس، شذرات الذهب ٧/ ١٢٢ . انظر الضوء اللامع ١٦٥/٦. الأعلام ٥/ ١٣٦.

(٢) أسيوط: كورة جليلة من صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٠١.

(٣) بوتيج: بليدة بالصعيد الأدنى من غربى النيل، وهى عامرة نزهة ذات نخل كثير وشجر وفير. انظر معجم البلدان ١/ ٥٠٦.

فضل، عوضا عن والده، وكتب بعزل الأمير جكم عن نيابة حلب وطرابلس، وولاية الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حلب، والأمير عمر بن الهيدبانى فى نيابة حماة، والأمير علان اليحياوى: فى نيابة طرابلس، وتوجه بتقاليدهم ألطنبغا شقل الأينالى مملوك الأمير شيخ نائب الشام فى رابعه.

وفى خامسه: اقتتل الأمير جكم، والأمير شيخ المحمودى نائب الشام، بأرض الرستن[١] - فيما بين حماة وحمص - ، قتل فيها الأمير طولو نائب صفد، والأمير علان نائب حماة، وجماعة كثيرة من الفريقين، وانهزم الأمير شيخ ومعه الأمير دمرداش المحمدى إلى دمشق. ومضى منها إلى الرملة[٢] يريد القاهرة.

وقدم الأمير نوروز إلى دمشق من قبل الأميرجكم فى يوم الإثنين سابع عشرين ذى الحجة.

وكان من خبر الأمير شيخ، والأميرين جكم ونوروز، أن الأمير شيخ توجه من دمشق بعد عيد الأضحى، ومعه الأمير دمرداش، فنزل مرج عذراء[٣] فى عسكره يريد حمص، وقد نزل بها عسكر جكم عليهم الأمير، ونزل جكم على سلمية، فلبس الأمير دمرداش خلعة نيابة حلب الواصلة إليه مع تقليده وهو بالمرج. وقدم إليهم الأمير عجل ابن نعير بعربه طالبا أخذ ثأره من جكم.

ووصل أيضا ابن صاحب الباز يريد أيضا أخذ ثأر أخيه من جكم، ومعه جمع من التركمان، فسار بهم الأمير شيخ من المرج فى ليلة الإثنين ثالث عشره إلى أن نزل قارا ليلة الثلاثاء، فوصل تقليد العجل بن نعير بإمرة العرب.

وقدم الأمير علان نائب حماة وحلب - كان - من مصر، وقد استقر أتابك دمشق. ونزل الأمير شيخ حمص يوم الخميس سادس عشره، فكاتب الفريقان فى الصلح فلم يتم، واقتتلا فى يوم الخميس ثالث عشرينه بالرستن، فوقف الأمير شيخ والأمراء فى الميمنة، ووقف العرب فى الميسرة، فحمل جكم بمن معه على جهة الأمير شيخ فكسره، وتحول إلى جهة العرب - وقد صار شيخ إليها وقاتلوا قتالا كبيرا ثبتوا فيه، فلم يطيقوا جموع جكم وانهزموا، وسار شيخ بمن معه - من دمرداش وغيره - إلى دمشق،

---

(١) الرستن: بليدة قديمة كانت على نهر الميماس، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصى الذى يمر قدام حماة، والرستن بين حماة وحمص فى نصف الطريق. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٣.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) مرج عذراء: بغوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٥/ ١٠١.

فدخلوها يوم السبت خامس عشرينه، وجمعوا الخيول والبغال، وأصحابهم متلاحقين بها. ثم مضوا من دمشق بكرة الأحد.

فقدم فى أثناء النهار من أصحاب الأمير جكم الأمير نكبيه، وأزبك، دوادار الأمير نوروز. ونزل أزبك بدار السعادة، وقدم الأمير جرباش، فخرج الناس إلى لقاء نوروز، فدخل دمشق يوم الإثنين سابع عشرينه، ونزل الإسطبل. ودخل الأمير جكم يوم الخميس سلخه، ونادى ألا يشوش أحد على أحد. وكان قد شنق رجلا فى حلب رعى فرسه فى زرع، وشنق آخر بسلمية، ثم شنق جنديا بدمشق على ذلك، فخافه الناس، وانكفوا عن التظاهر بالخمر. وقتل فى وقعة الرستن الأمير علان نائب حماة وحلب، والأمير طولو نائب صفد، قدما بين يدى الأمير جكم فضرب أعناقهما، وعنق طواشى كان فى خدمة الأمير شيخ، كان يؤذى جماعة نوروز المسجونين، ومضى الأمير شيخ إلى جهة الرملة.

وفى ليلة الأربعاء خامس عشره: خسف القمر من آخر الليل.

وفى هذا الشهر: انحل سعر القمح إلى مائة وعشرين درهما الأردب، ثم ارتفع فى آخره لقلة ما يصل منه، وعز وجود الخبز فى الأسواق.

ووقف الحاج بعرفة يوم الجمعة، ولم يسر المحمل من دمشق على العادة لكثرة الفتن بالشام، وقدم من الشام حاج قليل نحو خمسمائة، وقدم من العراق نحو ذلك.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

محمد بن موسى بن عيسى الدميرى[1]، كمال الدين أبو البقاء الشافعى، توفى ليلة الثلاثاء ثالث جمادى الأولى، عن نحو ست وستين سنة، وكان عالما صالحا.

ومات محمد بن حسن شمس الدين السيوطى الشافعى، فى يوم الأحد عشرين، جمادى الآخرة، عن سن عالية، وكان صاحب فنون عديدة من نحو وفقه. وأصول، وغير ذلك. وكان يأخذ الأجر على التعليم، وللناس عنه إعراض، وفيه وقيعة.

---

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى أبو البقاء كمال الدين باخت أديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميرة بمصر ولد نشأ وتوفى بالقاهرة كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة وأقام مدة بمكة والمدينة من كتبه حياة الحيوان حادى الحسان من حياه الحيوان خ اختصره بنفسه من كتابه. انظر الأعلام ٧/ ١١٨.

ومات أبو حاتم محمد بن أبى حامد أحمد بن على بن عبد الكافى القاضى تقى الدين، حفيد الشيخ بهاء الدين السبكى(١)، فى يوم الخميس سادس عشرين جمادى الأولى، ومولده فى شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة: ناب فى الحكم بالقاهرة، ولم يكن بالماهر فى الفقه.

ومات أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف بن سمير بن حازم شهاب الدين أبو هاشم بن البرهان(٢) العبد الصالح الداعى إلى الله، فى يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الأولى، وهو الذى قام على الملك الظاهر برقوق(٣)، وكان أحد نوادر الدنيا.

---

(١) بهاء الدين السبكى (٧١٩ - ٧٦٣ هـ ١٣١٩ - ١٣٦٢م). أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حامد بهاء الدين السبكى : فاضل، له عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح. ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ. فأقام عاما، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. انظر البدر الطالع ١/ ٨١، الدرر الكامنة ١/ ٢١٠ الأعلام ١/ ١٧٦.

(٢) شهاب الدين بن البرهان (٧٥٤ - ٨٠٨ هـ = ١٣٥٣ - ١٤٠٥م) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف، الشيخ الإمام العلامة الظاهرى شهاب الدين أبو هاشم، عرف بابن البرهان، مولده فيما بين القاهرة ومصر فى شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وهو أحد من قام على الملك الظاهر برقوق، وكان أبوه من العدول، ونشأ أحمد بالقاهرة، وصحب سعيد السحولى فأماله إلى مذهب الظاهرية على طريقة ابن حزم، ورحل وطاف البلاد البعيدة ودعا الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فاستجاب له بشر كثير من خراسان إلى الشام، وآخر الأمر قبض عليه بحمص وعلى جماعة من أصحابه، وحملوا الجميع فى القيود إلى الديار المصرية، فأوقفه الملك الظاهر برقوق بين يديه ووبخه على فعلته، وضرب أصحابه بالمقارع، ثم حسبه مدة طويلة إلى أن أطلقه فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وطال خموله، إلى أن توفى فى يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٢/٨٧، ٨٨، الدليل الشافى ٧٤/١، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣ - ٣٥٥، تذكرة التنبيه ٧٤/١، ٧٥، درة الأسلاك ص ٧١، شذارت الذهب ٥/ ٣٧١، فوات الوفيات ١/ ١٠٠، طبقات الشافعية ١٤/٥، وفيات الأعيان ص١: ٤ وما بعدها، تاريخ ابن الفرات مج٧/ ٢٥٣، درة الحجال ١/ ٧، البداية والنهاية ٣٠١/١٣.

(٣) الظاهر برقوق (٧٣٨-٨٠١ هـ = ١٣٣٨ - ١٣٩٨م). برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر فى الشراكسة جلبه إليها أحد تجار الرقيق واسمه عثمان فباعه فيها منسوبا إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر فكان أمير عشرة وتقدم فى دولة المنصور القلاوونى (على بن شعبان) فولى أتابكية العساكر، وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون الصالح أمير حاج سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام، وقام بأعمال من الإصلاح، وبنى المدرسة البرقوقية بين القصرين - بمصر . انظر ديوان الاسلام - خ - وابن إياس ١/ ٢٥٨و٢٩٠ ووليم ماؤير ١١١ والضوء اللامع ٣/ ١٠ وسوبر نهيم فى دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٥٥٨، الأعلام ٢/ ٤٨.

ومات على بن محمد بن عبد النصير بن على علاء الدين عصفور، السنجارى الأصل، الدمشقى المولد والدار، المالكى، شيخ الكتاب، فى يوم الإثنين رابع عشرين شهر رجب، كتب على زين الدين محمد بن الحرانى، ناظر أوقاف دمشق.

ومات محمد بن محمد بن محمد بن أسعد بن عبد الكريم بن يوسف بن على بن طحا القاضى فخر الدين أبو اليمن الثقفى القاياتى، أحد نواب الحكم الشافعية، فى ليلة الأربعاء حادى عشرين شهر رجب، وقد تجاوز الثمانين، بمدينة مصر. وكان عريا عن العلم. وكتب بخطه كثيرا.

ومات عبد الرحمن بن على بن خلف زين الدين أبو المعالى الفارسكورى(١)، أحد فضلاء الشافعية وخيريهم، فى ليلة الأحد سادس عشرين شهر رجب.

ومات الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبى بكر ابن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بن الحكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

بويع بالخلافة بعهد من أبيه فى سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

وجعله الأمير أينبك البدرى بن زكريا بن إبراهيم فى ثالث عشرين صفر سنة تسع وسبعين، ثم أعيد فى عشرين ربيع الأول، منها. وقبض عليه الظاهر برقوق فى أول رجب سنة خمس وثمانين، وقيده وسجنه إلى أول جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين، ثم أفرج عنه. واستمر فى الخلافة حتى مات ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب. وعرض عليه الاستقلال بالأمر مرتين فأبى، وأثرى كثيرا.

ومات عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون(٢) أبو زيد ولى الدين، الحضرمى،

---

(١) الفارسكورى (٧٥٥ - ٨٠٨ هـ = ١٣٥٤ -١٤٠٦ م). عبد الرحمن بن على بن خلف، أبو المعالى، زين الدين الفارسكورى فقيه شافعى مصرى تقدم فى علوم العربية مولده بفارسكور، ووفاته بالقاهرة جاور مدة بمكة وصنف بها شيئا فى مقام إبراهيم وله شرح على شرح العمدة لابن دقيق العيد. انظر الضوء اللامع ٤/ ٩٦ - ٩٧ الأعلام ٣/ ٣١٨ .

(٢) ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ - ١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد عبد الرحمن، قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد الحضرمى الأشبيلى، المعروف بابن خلدون. مولده فى يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ببلاد المغرب، ونشأ بها، وطلب العلم، وقرأ وحفظ القرآن العزيز، وقرأه على الأستاذ أبى عبد الله محمد بن سعد بن تراك الأنصارى بالقراءات السبع إفرادا وجمعا فى إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها فى ختمة واحدة ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعا بين الروايتين عنه، وعرض عليه قصيدتى الشاطبى اللامية والرائية، وكتاب النقطى لأحاديث الموطأ لابن=

الأشبيلى، المالكى، فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان فجأة، ولى المالكية عدة مرار.

ومات إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب[1]، الأمير لاقاضى سعد الدين بن علم الدين

=عبد البر، ودرس كتاب التسهيل فى النحو لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الفقهى، وأخذ العربية عن أبيه، وأبى عبد الله محمد الشواش الزرالى، وبدأ بحفظ الشعر، فحفظ: المعلقات، وحماية الأعلام، وشعر حبيب بن أوس، وقطعه من شعر المتنبى، وكتاب سقط الزند لأبى العلاء المعرى. انظر المنهل الصافى ٢٠٥/٧، وما بعدها.

(١) (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥م) إبراهيم بن عبد الرازق، القاضى الأمير سعد الدين بن علم الدين «بن شمس الدين» الشهير بابن غراب. أصله من أولاد الكتبة الأقباط بالإسكندرية، ثم اتصل بخدمة الأمير محمود بن على الأستادار واختص به حتى صار عارفا بجميع أحواله، ثم بسفارته. ولى نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج تاج الدين موسى وذلك فى يوم الخميس تاسع عشر ذى الحجة سنة ثمانى وتسعين وسبعمائة، وعمره إذ ذاك دون العشرين سنة، ولما استفحل أمره أخذ فى المرافعة فى أستاذه الأمير محمود الأستادار فى الباطن، ولازال على ذلك حتى قبض عليه الملك الظاهر برقوق وصادره، وأجرى عليه أنواع العذاب وانتدب سعد الدين هذا فى محاققته، وأظهار خباياه، وصار أشد الناس عليه، ولازال على ذلك حتى هلك محمود تحت العقوبة. حدثنى بعض خواص محمد بن خدمه قال: كان أستاذنا - يعنى محمود - لما صودر ينظر فى وجه سعد الدين ويبكى قهرا منه. انتهى. ولما هلك محمود يوم الأحد تاسع شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة، صار سعد الدين خصيصا عند الملك الظاهر برقوق إلى أن توفى سنة إحدى وثمانمائة، وتسلطن من بعده ابنه الملك الناصر فرج، خلع عليه بنظر الجيش بديار مصر مضافا لما بيده من نظر الخاص وغيره، ثم استقر بأخيه فخر الدين ماجد فى الوزارة، وصار هو صاحب الحل والعقد فى الدولة إلى تاسع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة فقبض عليهما وأحيط بموجودهما، وخلع على القاضى بدر الدين محمد الطوخى، واستقر فى الوزارة عوضا عن فخر الدين ماجد بن غراب، وعلى شرف الدين محمد بن الدمامينى، واستقر فى نظر الجيش والخاص معا، عوضا عن سعد الدين صاحب الترجمة، وتسلمهما الأمير أزبك رأس نوبة، ثم نقلا إلى بيت الأمير قطلوبغا الكركى شاد الشراب خاناه، فأقاما عنده إلى يوم السبت ثامن عشرينه وخلع عليهما بوظائفها كما كانا أولا، وسلم إليهما الوزير الطوخى وابن الدمامينى، فصار الطالب مطلوبا، فلم يؤاخذ سعد الدين القاضى شرف الدين بن الدمامينى على فعله، بل أفرج عنه واستقر به قاضى قضاة الإسكندرية، ولما خلع عليه بقضاء الإسكندرية نزل سعد الدين بن غراب وأخوه فى خدمته إلى داره، واستمر سعد الدين فى وظيفتى الجيش والخاص إلى أن أمسك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار وسجن بثغر الإسكندرية، اختفى سعد الدين، ثم اختفى أخوه فخر الدين ماجد. وكان فخر الدين قد عزل من الوزارة قبل تاريخه بأبى كم بمدة يسيرة، فلما تسحبا أضيف لعلم الدين أبى كم الوزير نظر الخاص عوضا عن سعد الدين المذكور، وخلع على سعد الدين أبى الفرنج بن بنت الملكى صاحب ديوان الجيش، واستقر فى نظر الجيش عوضا عن سعد الدين أيضًا، وسار سعد الدين متوجها إلى تروجة ومعه مثال سلطانى باستخراج الأموال، ومسيرهم معه إلى =

.. ..

=الإسكندرية لإخراج يشبك الشعبانى والأمراء من السجن بها، ثم توجه إلى الإسكندرية وجمع الزعران وحرضهم على قتل نائب الإسكندرية، فلم ينتج أمره، وأرسل طلب الأمان فلما وصل إليه الأمان قد إلى القاهرة ليلا ونزل عند صديقه جمال الدين يوسف البيرى أستادار بجاس، وهو يومئذ أستادار الأمير سودون طاز أمير آخور، فتحدث له جمال الدين مع أستاذه سودون طاز وأوصله إليه، فأكرمه وأنزله عنده يومى الثلاثاء والأربعاء، واسترضى له الأمراء، وأحضره يوم الخميس ثالث عشرين ذى الحجة سنة ثلاث إلى مجلس السلطان فقبل الأرض، وخلع عليه باستقراره فى الأستادارية، ونظر الجيش ونظر الخاص، ونزل إلى بيت الأمير حكم فمنعه من الدخول ورده، فلا زال سعد الدين حتى دخل إليه بعد أيام فى خدمة الأمير سودون من زاده، وقبل يده وهو لا يلتفت إليه، والتزم عند استقراره بتتمة، فأعطى كل مملوك ألف درهم، وعندما نزل من القلعة أدركه عدة من المماليك السلطانية ورجموه فرمى بنفسه إلى الأمير نوروز الحافظى مستجيرا به، فأصلح الأمير نوروز أمره، ومشى حاله إلى شهر ربيع الأول سنة أربع، ورغب لأخيه فخر الدين عن نظر الخاص، واستمر على حاله إلى سنة خمس، فلما كان فى حادى عشرين شعبان تفاوض مع الأمير سودون الحمزاوى بالكلام فى مجلس السلطان، وأغلظ كل منهما على الآخر ونزلا، فعندما نزل سعد الدين من القلعة تجمع عليه عدة من المماليك السلطانية وضربوه بالدبابيس حتى سقطت عن رأسه، وسقط إلى الأرض فحملوه إلى باب السلسلة، وقد احتمى بالأمير أينال باى أمير آخور، ثم توجه إلى داره وانقطع عن الخدمة أياما، ثم ركب واستمر إلى ثانى عشر شهر رمضان، قبض عليه وعلى أخيه فخر الدين واعتقلا بالزردخانه، وخلع على تاج الدين أبى بكر بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الدمامينى السكندرى، واستقر فى نظر الجيش عوضا عنه، وخلع على تاج الدين عبد الله بن الوزير سعد الدين نصر الله بن البقرى واستقر فى نظر الخاص عوضا عن أخيه فخر الدين، وتسلمهما ابن قايماز، فضرب فخر الدين ضربا مبرحا، وأهان سعد الدين حتى أخذ خطه بألف ألف درهم، وأخذ خط فخر الدين بثلاثمائة ألف، ثم نقلا إلى الأمير يلبغا السالمى ليقتلهما، فلم ينتقم السالمى منهما، وخاف سوء العاقبة، وعاملهما بالإكرام، ولازال يسعى فى أمرهما حتى تخلصا، فلما انتصبا عاملا السالمى بخلاف ذلك، واستمر سعد الدين المذكور إلى شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة خلع عليه باستقراره فى وظيفتى الأستادارية ونظر الجيش، وعزل ابن قايماز عن الأستادارية، واستمر سعد الدين على ذلك إلى أن وقع للأمير يشبك ما وقع، ونهزم إلى الشام، توجه سعد الدين هذا معه، ثم قدم أيضًا صحبة الأمراء فى وقعة السعيدية، ودخل القاهرة لما دخلها الأمير يشبك المذكور متخفيا وترامى على الأمير أينال باى ووعد السلطان بمبلغ ستين ألف دينار، وتعصب له الأمير جمال الدين الأستادار، فخلع عليه واستقر مشيرا، وعلى أخيه وزيرا، فاستمر على ذلك إلى أن فر الملك الناصر فرج واختفى عنده فى يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، واستمر الناصر عنده مختفيا إلى أن ظهر وجرى من أمره ما استقر وعاد إلى ملكه وخلع على سعد الدين واستقر به رأس مشهورة بعد أن أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، ولبس سعد الدين الكلفتاه وتقلد بالسيف وترك زى الكتاب.
حدثنى بعض خواص سعد الدين قال: لما نزل من الخدمة بزى الأمراء سألنى بأن قال: يا فلان هذه الصفة أحسن أم تلك الصفة؟ فقلت له: لا والله تلك الصفة أحسن أجمل وأليق بك، فلم يرد=

ابن شمس الدين، فى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان، ولم يبلغ الثلاثين سنة.

ومات طاهر بن الحسن[(١)] بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب زين الدين الحلبى، رئيس كتاب الإنشاء، فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى الحجة. وقد أناف على الستين، وعين لكتابة السر.

ومات عبد الله بن سعد الله بن البقرى الوزير الصاحب تاج الدين بن الوزير الصاحب سعد الدين، مات تحت العقوبة ليلة الإثنين ثامن عشرين ذى القعدة.

ومات الأمير قانباى العلاى أحد أمراء الألوف، فى ليلة الأحد، حادى عشرين شوال، بعد مرض طويل، وكان كثير الفتن، ويعرف بالغطاس لكثرة اختفائه.

ومات الأمير قينار أحد أمراء الطبلخاناه. مات فى خامس عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير بلاط السعدى أحد أمراء الطبلخاناه، ماتت بطالا فى رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات أحمد بن عماد بن يوسف شهاب الدين المعروف بابن العماد الأقفهسى[(٢)]

الجواب، انتهى. قلت: ولما نزل سعد الدين إلى لم يركب بالكلفتاه بعد أول مرة، ومرض ولزم الفراش إلى أن توفى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمانمائة، ولم يبلغ الثلاثين سنة. وكان شابا جميلا كريما جوادا. ممدحا، رئيسا نالته السعادة فى مباشرته، وكان يميل إلى فعل الخير والصدقة لاسيما فى الوباء الذى فى سنة ست وثمانمائة، فإنه فعل فيه من الخيرات ما هو مشهور عنه، قيل أنه منذ ولى الوظائف السنية إلى أن مات ما دخل عليه مملوك من المماليك السلطانية فى حاجة - كبيرا كان أو صغيرا - إلا وسقاه السكر المذاب، ثم مضى فى قضاء حاجته، رحمه الله تعالى.

(١) (طاهر بن الحسن) (٧٤٠ - ٨٠٨ هـ ١٣٤٠ - ١٤٠٦م). طاهر بن الحسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب، الشيخ زين الدين أبو العز بن الشيخ بدر الدين أبى محمد الحلبى الحنفى، الإمام البليغ الأديب المنشئ. ولد بعد الأربعين وسبعمائة بقليل، وسمع من إبراهيم بن الشهاب محمود وغيره. وأجاز له أبو العباس المرداوى خاتمة أصحاب ابن عبد الدايم، وجماعة. واشتغل وحصل، وبرع فى الأدب وغيره، وصنف، وكتب فى ديوان الإنشاء بحلب، ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة، ثم توجه إلى القاهرة وكتب بها فى ديوان الإنشاء، وولى وظائف غير ذلك. وكان يكتب الخط المنسوب، وله نظم ونثر. نظم تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان، وشرح البردة للبوصيرى، وخمسها، وذيل على تاريخ والده. ومن شعره:

قلت له إذ ماس فى أخضر ... وطرفه ألبابنا يسحر
لحظك ذا؟ أو أبيض مرهف؟ ... فقال هذا موتك الأحمر

انتهى. توفى بالقاهرة يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة سنة ثمان وثمانمائة. رحمه الله وعفا عنه.

(٢) ابن عماد (٧٥٠ - ٨٠٨ هـ ١٣٤٩ - ١٤٠٥م) أحمد بن عماد بن يوسف أبو العباس،=

أحد فضلاء الشافعية، وله من المصنفات، « أحكام المساجد»، و « أحكام النكـاح» سمـاه كتـاب «توقيـف الحكـام لى غوامـض الأحكـام»، وكتـاب « أحـوال الهجـرة» نظمـه ثـم شرحه.

ومات محمد بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن سنان، شمـس الديـن البرشنسـى، أحـد فضلاء الشافعية، توفى عن نحو سبعين سنة.

ومات شاهين السعدى، أحد الخدام السلطانية الأشـرفية، عظـم فـى الأيـام الناصريـة حتى صار لالا السلطان، وولى نظر خانكاة سرياقوس.

ومات محيى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بـن العمـاد إسمـاعيل بـن العـز - عـرف بابن الكشك - الحنفى، بدمشـق، فـى ذى القعـدة. ولى قضـاء الحنفيـة بدمشـق، وقـدم القاهرة.

ومات عبد الرازق بن أبى الفرج الأمير الوزير تاج الدين المعـروف بـابن أبـى الفـرج الأرمنى، مات فى رابع شهر ربيع الآخر. كان أولا كاتبا، ثم ولى نظـر قطيـا، ثـم صـار والى قطيا. وولى الوزارة ثم الأستادارية معا، ثم ولى بعد ذلك كشف الوجه البحرى، ثم ولاية القاهرة وكان أولا يسمى بـالمعلم، ثـم سمـى بالقـاضى، ثـم نعـت بالصـاحب، ثـم بالأمير، ثم بملك الأمراء كل ذلك فى مدة يسيرة من السنين.

ومات تيمورلنك كوركان بن أنس قتلغ، وقيل بل هو تيمور بن سرتختته بـن زنكـى بـن سبنا بن طارم بن طغرل بن قليج بن سنقور، بن كنجك بـن طوسـبوقا بـن ألتـان خـان، ومعنى «لنك» الأعرج، ومعنى «كوركان» صهر الملك. توفى تيمور بآهنكران من شـرقى سمرقند[١]، فى ثالث عشر شعبان، وملك عامـة بـلاد العـراق، وخراسـان[٢]. وسمرقنـد،

=شهاب الدين الأقفهسى، ثم القاهرى : قيـه شـاعى، كثـير الاطـلاع، فـى لسـانه بعـض حبسـة. لـه التعقبات على المهمات للإسنوى . شرح المنهاج والسر المستبان ما أودعه الله من الخواص فـى أجـزاء الحيوان - خ) والتبيان فى آداب حملة القران ومنظومة فى العقائد والمعفوات فـى الفقـه والذريعـة فـى إعداد الشريعة وكشف الأسرار مما خفى من الأفكار ونيل مصر. انظـر الضـوء اللامـع ٢/ ٤٧، ١١/ ١٨٥، البدر الطالع ١/ ٩٣. العلام ١/ ١٨٤.

(١) سمرقند: قيل: أنها من أبنية ذى القرنين بماوراء النهر، وإلى قصبـة الصغـد مبنيـة علـى جنوبـى وادى الصغد مرتفعة عليه. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٧ وما بعد ها.

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق، وآخر حدودها مما يلـى الهنـد طخسـتان وغزنة وسجستان وكرمان. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥٠.

والهند، وديار بكر[1]، وبلاد الروم، وحلب، ودمشق، وخرب مدن العالم، وحرقها، وهدم بغداد، وأزال نعم الناس، وكان قاطع طريق. أول ظهوره سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

* * *

(١) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٩٤.

سنة تسع وثمانمائة

استهلت والخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله والسلطان الملك الناصر فرج بن الظاهربرقوق، ودمشق بيد الأمير نوروز، من قبل الأمير جكم، وحلب وحماة وطرابلس بيد الآمير جكم، وهو خارج عن طاعة السلطان. ونائبه بديار مصر الأمير تمراز، وبدمشق الأمير شيخ، وقد توجه بعد الكسرة على حمص إلى جهة الرملة.

شهر الله المحرم، أوله الجمعة، ويوافقه رابع عشرين بؤونة: والمثقال الذهب بمائة درهم وخمسة وثلاثين درهما بالفلوس، وكل دينار أفرنتى بمائة وخمسة عشر درهما، والقمح بمائة وثلاثين درهما الأردب، والشعير والفول بنحو مائة درهم، والفلوس كل رطل بستة دراهم، والفضة لا تظهر بين الناس، وإذا ظهرت تباع كل درهم كاملى بخمسة دراهم من الفلوس - زنة عشر أواقى - وبهذا فسدت أحوال أرباب الجوامك من الفقهاء وأمثالهم، الذين رزقهم على الأوقاف، والمرتبات السلطانية، فصاروا يأخذون معاليمهم عن كل درهم فضة أوقيتين فلوسا، وتسمى درهما، وارتفعت أسعار جميع المبيعات حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتادة بالفضة، فصار من معلومه مثلا مائة درهم فى الشهر - وكان قبل هذه الحوادث والمحن يأخذها فضة، عنها خمسة مثاقيل ذهبا - فإنه الآن يأخذ عن المائة سبعة عشر رطلا، وثلثى رطل من الفلوس، يقال لها مائة درهم، ولا تبلغ دينارا واحدا، فيشترى بهذه المائة ما كان قبل هذا يشتريه بأقل من عشرين بكثير، فإن كل سلعة كانت تباع بدينار لا تباع الآن إلا بدينار وبأكثر من دينار.

وأما الأجراء وأصحاب الصنائع فإن أجرهم تزايدت، فكل من كانت أجرته درهما لا يأخذ الآن إلا خمسة فما فوقها. وكذلك التجار ضاعفوا ربحهم فى بضائعهم، وأما أرباب الإقطاعات فإنهم جعلوا كل فدان بستة أمثال ما كان، فلم يختل من حالهم شىء، إلا أنه صار بهذا الاعتبار لا يرجى الرخاء بمصر، فإن الغلة تقوم على صاحبها بقيمة زائدة من أجل غلاء أجرة الطين، وثمن البذر، وأجرة الحصادين ونحوهم، وكل ذلك من سوء نظر ولاة الأمور. وقد كتبت فى هذا مصنفا اسمه « **إغاثة الأمة بكشف الغمة**»، وقد اعتذر لى بعضهم عن إفساد أهل الدولة الدرهم، فإنه حملهم على ذلك كثرة ما عليهم من جوامك المماليك، وذلك أن نفقة المماليك السلطانية تبلغ فى كل شهر إلى

ألف ألف ومائتى ألف درهم، سوى ما لهم من لحم وعليق خيولهم وكسوتهم. وجامكية المملوك منهم من أربعمائة إلى خمسمائة، وكانت أولا المائة درهم عنها خمسة مثاقيل ذهبا، فجعل المباشرون المثقال بهذا السعر، لعلمهم أن الأمتعة لا تنزل عن سعوها من الذهب والفضة، وأنهم لا ينفقون للمماليك إلا الفلوس، وقطعوا ضرب الفضة، وأكثروا من ضرب الفلوس، فرخصت الفلوس؛ وبذل الكثير منها فى الذهب لقلة الفضة، وكثرة احتياج المسافرين إلى حمل النقود حتى بلغ الدينار إلى هذا القدر، فصار الدرهم بعد أن كان قيراطا وبعض قيراط من الدينار، لا يساوى كل خمسة منه أو ستة قيراطا.

واستمرت نفقة المماليك على ذلك وهم لا يشعرون بحقيقة الحال، فعم الفساد، وخص الفقهاء ونحوهم من ذلك أعظم البلوى. ومؤسس هذا الفساد بديار مصر رجلان هما: سعد الدين إبراهيم بن غراب، وجمال الدين يوسف الأستادار؛ وذلك أن ابن غراب منذ ولى نظر الخاص فى آخر الأيام الظاهرية لم يزل لكثرة ما ظفر به من الذهب يزيد فى سعره حتى بلغ هذا القدر، وهو آخذ فى الزيادة أيضا على هذا القدر. وأما جمال الدين فإنه منذ كان يلى أستادارية الأمير بجاس فى أجرة الراضى: ثم لما مات الظاهر ولى فى الأيام الناصرية أستادارية جماعة كثيرة من الأمراء الأكابر، فجرى على عادته، وزاد فى أجر الأراضى حتى عمل ذلك كل أحد، وصار باعتبار غلاء سعر الذهب كل شىء يباع فإنه بأضعاف ثمنه، وباعتبار غلاء الأطيان لا يرجى الرخاء، وهذان الفسادان سبب عظيم فى خراب إقليم مصر، وزوال نعم أهله سريعا، إلا أن يشاء ربى شيئا.

وفى أوله: كتب باستقرار الأمير خير بك فى نيابة غزة.

وفى يوم الأحد ثالثه: استقر شمس الدين محمد بن عبد الخالق المناوى - المعروف بالطويل وبالبدنة - فى حسبة القاهرة، وصرف الهوى.

وفى رابعه: نودى على النيل.

وفى حادى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج إلى القاهرة، وقدم المحمل ببقية الحاج من الغد.

وفى خامس عشرينه: نودى فى المماليك السلطانية بالعرض لأخذ نفقة السفر.

وفى ثامن عشرينه ابتدأ السلطان فى نفقة المماليك يفرقها عليهم، فأنفق لكل واحد أربعين مثقالا، فبلغت النفقة على ثلاثة آلاف.

ونودى فى يومه بأن سعر كل مثقال بمائة وخمسين بعد مائة وثلاثين فكثر الضرر بذلك.

وأما الشام فإن فى خامسه قدم الخبر بانهزام الأمير شيخ نائب الشام من جكم إلى غزة، فاهتم السلطان للسفر.

وفى حادى عشره: توجه الأمير سودن من زادة إلى الأمير شيخ باستمراره فى نيابة الشام على عادته، وصحبته سلاح كثير أنعم به عليه، وتشرف ليلبسه مع عدة ثياب.

وفيه خرج المطبخ إلى ملاقاة الأمير شيخ.

وفيه أنكر على الأمير كزل العجمى أمير الحاج ما فعله، فإنه أخذ من الحجاج عن كل حمل دينارا، وباعهم الماء الذى يريدوه، فصودر، وأخذ منه قريب المائتى ألف درهم، ففر فى سلخه، فأخذ له حاصل فيه قماش وغيره، وأخرج إقطاعه.

وأما الشام فإن الأميرين جكم ونوروز وجها فى رابعه الرسل إلى السلطان بصورة ماجرى، وخرج الأمير جكم من دمشق هو والأمير نوروز فى حادى عشره، فتوجه جكم إلى جهة حلب، وتوجه نوروز فى طلب شيخ فلم يدركه وفر سودن المحمدى من عند الأمير شيخ - وكان مقيدا - ولحق بالأمير نوروز.

وفى آخره: أثبت قضاة حماة أن طائرات سمع وهو يقول: «اللهم انصر جكم».

شهر صفر، أوله السبت:

أهل والأسعار غالية، وبلغ لحم البقر إلى سبعة دراهم الرطل، ولحم الضأن إلى تسعة، والأسواق متعطلة، والناس فى خوف ووجل من كثرة الظلم.

وفيه خرج الأمير يشبك وغيره من الأمراء إلى ملاقاة الأمير شيخ.

وفى ثالثه: قدم الأمير شيخ ومعه الأمير دمرداش نائب حلب، والأمير خير بك نائب غزة، والأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، والأمير يونس الحافظى نائب حماة - كان - والأمير سودن الطريف، والأمير تنكز بغا الحططى وغيرهم، فصعدوا القلعة وأكرموا غاية الإكرام، وذلك أن عسكر الأمير جكم سار من دمشق وأخذ صفد[1] والصبيبة والكرك[2] وغزة.

وفى سادسه: خلع على الأمير شيخ واستقر فى نيابة الشام على عادته، وعلى الأمير دمرادش بنيابة حلب على عادته.

---

(١) صفد: مدينة فى حبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من حبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٢) الكرك: قرية فى أصل حبل لبنان. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٥٢.

وفى سابعه: استقر تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله[1] فى نظر الأحباس، عوضا عن ناصر الدين محمد الطناحى.

وفى حادى عشرينه: حمل السلطان أخاه الملك المنصور عبد العزيز، وأخاه إبراهيم إلى سكندرية، مع الأمير قطلوبغا الكركى، والأمير أينال حطب العلاى ليقيموا بها، وخرج مع أخويه أمهاتهما وخدمهما، وأجرى لهما فى كل يوم خمسة آلاف درهم، ولكل من الأمير ألف درهم فى اليوم.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فيه برز الأمير شيخ نائب الشام، والأمير دمرداش نائب حلب، ومعهما جماعة من عسكر دمشق وحلب، ونزلا خارج القاهرة بالريدانية، ولحق بهما الأمير سودن الحمزاوى الدوادار، والأمير سودن الطيار أمير سلاح.

وفيه أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل شمس الدين الطويل، ورحل الأمير شيخ، والأمير دمرداش بالشاميين.

وفى رابعه: ضربت خيمة السلطان بالريدانية، فرحل الحمزاوى والطيار.

وفى ثامنه: سار السلطان من قلعة الجبل ونزل مخيمه بالريدانية.

وفى حادى عشره: أعيد الطويل إلى الحسبة، وعزل الهوى.

وفى ثانى عشره: رحل السلطان من الريدانية يريد الشام، وجعل الأمير تمراز الناصرى نائب الغيبة، فلم يحمد رحيله فى يوم الجمعة، فقد نقل عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قال: « ما سافر أحد يوم الجمعة إلا رأى ما يكره».

وفى رابع عشرينه: نزل السلطان غزة، ورحل منها فى سابع عشرينه.

---

(١) عبد الوهاب بن نصر بن الحسن (٧٦٠ - ٨٢٠ هـ = ١٣٥٩ - ١٤١٧ م)، القاضى تاج الدين، الفوى الأعلى ثم المصرى الحنفى، أخو الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ووالد القاضى شرف الدين وغيره. مولده سنة وسبعمائة بفوة، وقدم القاهرة واشتغل، وتفقه بجماعة من فقهاء السادة الحنفية، وناب فى الحكم سنين، وولى عدة وظائف جليلة، كنظر الأحباس، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، وتوقيع الدست وخدم عند عدة من أكابر الأمراء بالديار المصرية. وكان له وجاهة ووقار فى الدولة، وكان حارف، ونعم الجار كان إلى أن توفى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وثمانمائة، وخلف عدة أولاد ذكر وإناث. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٩٨ والدليل الشافى ١/ ٤٣٥، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٧٤، أنباء الغمر ٣/ ١٥٠، نزهة النفوس ٢/ ٤٠٦.

وأما الشام فإن الأمير نوروز جهز فى أوله عسكرا من دمشق، عليهم الأمير سودن المحمدى، وأزبك الدوادار، فساروا إلى جهة الرملة.

وفى حادى عشره: خرج الأمير بكتمر شلق من دمشق لجمع العشران، فقدم فى ثالث عشره الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير يشبك بن أز دمر، وكانا مختفيين بالقاهرة، من حين عاد الملك الناصر إلى الملك بعد أخيه المنصور عبد العزيز، ووصل معهما الأمير سودن المحمدى لضعف حصل له، فأكرمهما الأمير نوروز، وانعم عليهما. وعقيب ذلك عاد العسكر المتوجه مع سودن المحمدى إلى الرملة، لوصول الأمير خير بك نائب غزة إليها - هو والأمير ألطنبغا العثمانى - وأخبروا باستقرار الأمير شيخ فى نيابة الشام، وأن السلطان قد خرج من القاهرة، فاضطرب نوروز، وخرج من دمشق فى يوم الثلاثاء سابع عشره، فبلغه وصول الأمير ألطنبغا العثمانى إلى صفد، وقد ولى نيابتها، ومعه شاهين دوادار الأمير شيخ. ففر منه بكتمر شلق، وقدم على نوروز، فعاد حينئذ من جسر يعقوب، وقد عزم على الفرار خوفا من السلطان، ولحق به من كان بدمشق من أصحابه. وسار من دير زينون فى سادس عشرينه على بعلبك إلى حمص، فدخل شاهين - دوادار شيخ - من الغد يوم الجمعة سابع عشرينه إلى دمشق، ثم قدم الأمير شيخ فى يوم الإثنين آخره، ومعه دمرداش نائب حلب، وألطنبغا العثمانى نائب صفد، والأمير زين الدين عمر بن الهذبانى أتابك دمشق، فلم يجد من يمانعه.

شهر ربيع الاخر، أوله الثلاثاء:

فى ليلة الإثنين سابعه: مات الملك المنصور عبد العزيز بن الظاهر برقوق بالإسكندرية. بعد مرضه مدة إحدى وعشرين ليلة.

ومات بعقب موته من ليلته أخوه إبراهيم، ودفنا من الغد، فكانت جنازتهما جمعها كبير، ولهج الناس بأنهما ماتا مسمومين.

وفى هذا اليوم: دخل السلطان إلى دمشق فى تجمل عظيم، ونزل بدار السعادة إلى أن توجه يريد حلب فى سابع عشره، فدخلها فى سادس عشرينه، وقد رحل الأمير جكم عنها، وعدى الفرات ومعه الأمير نوروز، والأمير تمربغا المشطوب، وجماعة؛ فنزل السلطان بالقلعة، وبعث الأمراء فى طلب جكم.

وفى ثامن عشرينه: قدمت رمة الملك المنصور عبد العزيز وأخيه إبراهيم من الإسكندرية على ظهر النيل إلى ساحل القاهرة، وحملا إلى تحت القلعة، وأمهاتهما وجواريهن مسلبات، فصلى عليهما، ودفنا عند أبيهما تحت الجبل بتربته التى أوصى بعمارتها.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فيه خرج السلطان من حلب عائدا إلى دمشق، وولى بحلب الأمير جركس المصارع. وولى الأمير سودن بقجة نيابة طرابلس. وأقر الأمير شيخ على نيابة الشام، وجد فى مسيره حتى قدم دمشق فى خمسة أيام، وترك الخام وراءه.

فثارت طائفة من المماليك ومعهم عامة حلب على جركس المصارع، وقدم الأمير نوروز بعسكره ففر جركس يريد دمشق، ونوروز فى أثره، فعثر بخام السلطان فقطعه، ووقع النهب فيه. وخلص الأمير جركس إلى السلطان، ودخل معه دمشق فى ثامنه، فنزل السلطان دار السعادة، ونادى بالإقامة فى دمشق شهرين. وكان الأمير يشبك قد دخل بالأمس وهو مريض، ومعه الأمير دمرداش، والأمير باش باى رأس نوبة.

وفى خامس عشره: أعيد شمس الدين الأخناى إلى قضاء دمشق، وعزل ابن حجى.

وقدم الخبر بنزول الأمير نوروز حماة ثم حمص ووصول جكم إلى حلب، فسار السلطان من دمشق يوم الأحد سادس عشره بعدما تقدم إلى العسكر بأن من كان فرسه عاجزا فليذهب إلى القاهرة، وألا يتبعه إلا من كان قويا، فتسارع أكثر العساكر إلى العود إلى القاهرة. ولم يتبع السلطان منهم كثير أحد فانتهى فى مسيره إلى قريب منزلة قارة، ثم عاد مجدا، فدخل دمشق يوم الخميس عشرينه. وقد فرق شمله، وتأخر جماعة من الأمراء مع شيخ نائب الشام، فخرج الأمير يشبك فى ثانى عشرينه، وخرج شيخ ودمرداش وألطنبغا العثمانى فى عدة أمراء يوم الأحد ثالث عشرينه إلى صفد. وسار السلطان ويشبك يريد مصر، فدخل إلى القدس، وقد تخلف الأمير سودن الحمزاوى بدمشق ومعه عدة من الأمراء مغاضبين للسلطان. ثم توجه الحمزاوى من دمشق يريد صفد، وأخذ كثيرا من الأثقال السلطانية، واستولى على صفد.

وفى يوم الأحد رابع جمادى الأولى: أعاد نائب الغيبة ابن شعبان إلى الحسبة وعزل الطويل.

وأما الشام فإن الأمير سودن الحمزاوى الدوادار دخل بالجاليش السلطانى إلى دمشق فى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر، ودخل الأمير بيغوت فى رابعه، وقدم السلطان فى يوم الإثنين سابعه والأميرشيخ نائب الشام قد حمل الجتر على رأسه، وبين يديه الخليفة والقضاة والأمير يشبك وبقية العساكر، فنزل السلطان بدار السعادة.

وفى ليلة الثلاثاء ثامنه: بعث الوزير فى طلب علاء الدين على بن أبى البقاء قاضى دمشق، ففر من الأعوان بعدما قبضوا عليه.

وفى يوم الثلاثاء: هذا خلع على الأمير سودن بقجة بنيابة طرابلس، وسار إليها.

وفى يوم الجمعة حادى عشره: صلى السلطان الجمعة بجامع بنى أمية وخطب به، وصلى الشهاب أحمد بن الحسابانى. وفى هذه الأيام ركب المماليك السلطانية تحت قلعة دمشق، وطلبوا النفقة، وتكلموا كثيرا بما لا يليق.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير شيخ نائب الشام والأمير دمرداش نائب حلب من دمشق يريدان حلب، وضرب خام السلطان ببرزة[1]، وخرج السلطان من الغد، فنزل ببرزة.

وفى خامس عشره: أعيد الشريف علاء الدين على بن عدنان إلى كتابة السر بدمشق، وكانت بيد ابن الآدمى، فلما قدم الأمير نوروز اختفى منه فباشرها تقى الدين القرشى موقع نوروز، حتى خرج من البلد.

وفى تاسع عشره: ولى نجم الدين عمر بن حجى قضاء دمشق. وعزل الشهاب الحسانى.

وفى حادى عشرينه: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الأخناى من القاهرة إلى دمشق، وكان قد ولى بعد صرفه من قضاء ديار مصر خطابة القدس.

وفى خامس عشرينه: وصل إلى دمشق الأمير جمال الدين الأستادار، وكان قد تأخر بعد السلطان بالقاهرة.

وفى آخره: قبض على قضاة حماة، ووضعوا فى الحديد، وألزموا بمال، كونهم أثبتوا محضر الطائر بالدعاء لجكم.

وأهل جمادى الأول: والناس فى دمشق و أعمالها فى ضرر كبير لما نزل من جباية الشعير للسلطان.

وفى تاسع عشره: طلب السلطان قضاة طرابلس فقدموا عليه بحلب، وأخذ منهم مالا. وأعادهم إلى حالهم. وأخذ من قضاة حلب مالا وأقرهم.

وفى خامس عشرينه: ولى صدر الدين على بن الأدمى قضاء الحنفية بدمشق بمال كبير. وقدم الأمير يشبك من حلب إلى دمشق فى سابع جمادى الآخرة، ثم قدم السلطان فى ثامنه، وخلع فى عاشره على شيخ خلعة الاستمرار فى نيابة الشام، وعلى

(١) برزة: قرية من غوطة دمشق. انظر معجم البلدان ١/ ٣٨٢.

سودن الحمزاوى خلعة الاستمرار. ونودى بالإقامة فى دمشق فقدم الخبر فى سادس عشره بوصول نوروز إلى حمص، فنودى بالرحيل، فتقدم الأمير شيخ. ثم سار السلطان فى آخره. وتوجه كثير من العسكر إلى جهة القاهرة، فوصل السلطان إلى قارا وعاد إلى دمشق يوم الخميس عشرينه، فخرج الأمير يشبك فى يوم السبت وهو مريض يريد القاهرة.

وخرج شيخ ودمرداش وألطنبغا العثمانى فى يوم الأحد ثالث عشرينه إلى جهة صفد، ومعهم جماعة من الأمراء ندبهم السلطان إليها. وخرج السلطان ليتبعهم، فنزل الكسوة[1] يريد مصر، ورحل؛ فثار بدمشق فى يوم الإثنين رابع عشرينه جماعة نوروز الذين كانوا مختفين، ونادوا بالأمان، ودقوا البشائر. ثم قدم فى سابع عشرينه عدة أمراء، منهم سودون الحلب وجمق وأزبك دوادار نوروز إلى دمشق. وقدم من الغد أينال بيه بن قجماس، ويشبك بن أزدمر، ويشبك الساقى فى عدة من النوروزية.

شهر رجب، أوله الأحد:

فيه قدم الأمير نوروز دمشق، فى موكب جليل.

وفى ثانيه: وصلت طائفة من عسكر السلطان إلى القاهرة، وتتابع دخولهم.

وفى تاسعه: قدم الأمير جمال الدين الأستادار.

وفى سادسه: أعيد الطويل إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان.

وفيه قدم حريم السلطان من الشام، وقدم عدة من المماليك السلطانية وغيرهم.

وفى حادى عشره: قدم السلطان إلى قلعة الجبل، و لم ينل غرضا، وقد تلف له مال كثير جدا، ونقصت عساكره، فزينت القاهرة لقدومه.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير دمرداش نائب حلب، والأمير سودن من زاده نائب غزة، وقد ثار بها الأمير خير بك.

وفى ثانى عشرينه: استقر زين الدين حاجى التركمانى فى حسبة القاهرة، وعزل الطويل، ثم أعيد فى سابع عشرينه.

وكان الأمير سودن الحمزاوى قد أخذ صفد وقلعتها، واستمر هو والأمير شيخ، ودمرداش. ففر عنهم دمرداش، وأخذ الحمزاوى يسعى فى صلح شيخ مع نوروز حتى

(١) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٦١.

أجاب نوروز إليه . وكتب فى ذلك إلى جكم، فخرج الحمزاوى يوما من صفد ليسير فى برها، فسار شيخ، وأخذ فى غيبته القلعة، فنجا الحمزاوى بنفسه وبعض أصحابه، وقدم دمشق فى ثانى عشره، فأخذ شيخ جميع ماكان له بصفد، وقبض على جماعته. ونزل دمرداش بغزة، فأخذ نوروز فى عمارة قلعة دمشق، ووقف عليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة، وفرض الأموال على الأراضى، فجبى مالا كبيرا، وأخرج الأوقاف إقطاعات لإصحابه، وأقطع الأملاك أيضا.

شهر شعبان، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: قبض على الوزير المشير فخر الدين بن غراب، وسلم إلى الأمير جمال الدين الأستادار ليعاقبه.

وفى سابعه: استقر الأمير جمال الدين فى وظيفتى الوزارة ونظر الخاص، مضافا لما بيده. وكان بن غراب قد قطع فى شهر رجب اللحم المرتب على الدولة للمماليك السلطانية والأمراء وأهل الدولة، وصرف لأربابه عن كل رطل لحم درهما، وسعره يومئذ ثمانية دراهم الرطل، فخفت كلفة الدولة، وصار الوزراء فى راحة. وذلك أن اللحم كان ثمنه فى كل يوم زيادة على خمسين ألف درهم، فنزل بالناس من أجلها أنواع من البلاء، ويمر بالوزير من القباض - إذا تأخرت - إهانة لا توصف، ويحتاج فى هذا إلى مصادرات الناس وأخذ الأموال بأنواع الظلم، ولذلك كان الوزراء يعجزون عن سد الوزارة، فمنهم من يختفى، ومنهم من يستعفى، ومنهم من ينكب. وكان ثمن هذا اللحم يقال له النقدة، والذين يقضونه من الوزير يقال لهم المعاملون، ولهم سلاطة، فإذا أحيلوا على أحد استخصوا منه بأيديهم، فإن تعاسر عليهم نهبوا داره أو حانوته. وإذا لم يجد الوزير سبيلا إلى إعطائهم تلك الليلة ثمن اللحم ولا أحالهم على أحد، أسمعوه ما يكره، ومدوا أيديهم إلى ما يجدوه تحته من فراش أو عنده من شىء، وأخذوه، فزال عن الناس عامة، وعن الوزراء خاصة بترك صرف لحم الراتب وتعويض أربابه عنه مالا، بلاء عظيم.

وصار الوزير بعدما كان يحتاج إلى النقدة فى كل ليلة، ولا يقدر أن ينام حتى يدفعها إلى المعاملين، أو يوزعها على من يحيلهم عليهم قد أمن، فإنه لا يصرف ثمن ذلك لأربابه إلا من الشهر إلى الشهر. ومع هذا فيعطى فى الدرهم سدسه أو سبعه، واستمر الأمر على هذا.

وفى خامس عشره: نودى على المثقال الذهب بمائة وعشرين درهما، وعلى الدينار الإفرنتى بمائة درهم، بعد مائة وخمسة وثلاثين، فتوقفت الأحوال.

وفيه انحل سعر القمح فنزل إلى ستين درهما الأردب، ونزل الشعير إلى خمسة وثلاثين، والفول إلى خمسة وعشرين الأردب. ونودى أن يكون الخبز ثلاثة أرغفة بدرهم، زنة الرغيف عشر أواقى، فقل وجوده فى الأسواق، ثم نودى أن كل أربعة أرغفة بدرهم زنة تسع أواقى كل رغيف، فبيع كذلك، وتعذر وجوده غالبا.

وفى ثامن عشره: قبض بغزة على الأمير خير بك. وحمل مقيدا إلى القاهرة وقدم فى ثانى عشرينه.

وأما الشام فإن المصادرات كثرت بدمشق، وصار أهلها فى شدة من كثرة ما جبى منهم لعمارة القلعة، واخرجت أوقافهم وأملاكهم إقطاعات للنوروزية. وأخذت أموال كثير من التجار.

وفى رابع عشرينه: ولى الأمير نوروز نيابة غزة للأمير أينال بيه بن قجماس وولى أسن بيه كاشف الرملة، وأخرجهما ومعهما يشبك بن أزدمر، وسودن الحمزاوى، فساروا إلى جهة غزة. وبعث سودن الحلب إلى الكرك نائبا بها، فأطلق من كان سجنه السلطان فيها، وبعثهم إلى دمشق .

شهر رمضان، أوله الخميس:

وفى عاشره: خرج من القاهرة عسكر إلى لاشام، فيه الأمير تمراز الناصرى، والأمير أقباى، فورد الخبر بأن عسكرا من الشام قد أخذ غزة، وأن يشبك بن أزدمر نزل قطيا وخربها، وعاد إلى غزة. فأقام تمراز بمن معه على بلبيس[(١)].

وفى هذا الشهر: أخرج أهل القدس عبد الرحمن المهتار ويشبك الساقى. وابن قجماس ومن معهم إلى وادى بنى زيد، فكثر هناك جمعهم، وساروا إلى الرملة، وقاتلوا العسكر، فقتل منهم نحو الخمسين رجلا، واسر خمسة عشر، وجرح أسنباى، وانهزم من بقى.

وفيه سار عسكر من دمشق يريد الرملة، فخرج ألطنبغا العثمانى من صفد إلى قاقون[(٢)] وكتب إلى السلطان أن ينجده بعسكر.

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ١/ ٤٧٩.

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل: هو من عمل قيسارية فى ساحل الشام. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.

وفى هذا الشهر: تسلطن الأمير جكم بحلب يوم حادى عشره، وتلقب بالسلطان الملك العادل أبى الفتوح عبد الله جكم، وخطب باسمه من حلب إلى الفرات إلى غزة، ما عدا صفد، فإن الأمير شيخ المحمودى نائب الشام كان قد أخذها من الحمزاوى وأقام بقلعتها.

ففر منه الحمزاوى، وقام الأمير شيخ على طاعة السلطان. و لم يجب جكم إلى التوجه إليه.

شهر شوال، أوله الجمعة:

فى رابعه: خلع الأمير نوروز على الأمير بكتمر شلق بنيابة صفد، عن أمر الملك العادل عبد الله جكم.

وفى سابعه: عاد الأمير تمراز والأمير أقباى بمن معهما إلى القاهرة، من غير أن يتجاوزوا السعيدية[1]، وقدمت عدة كتب من الشاميين إلى المماليك السلطانية بترغيبهم فى اللحاق بهم، وتخويفهم من التأخر بديار مصر، وقدمت عدة كتب من الأمير جكم وغيره إلى عربان مصر وفلاحيها، يمنعهم من دفع الخراج إلى السطان وأمرائه، وتخويفهم وتحذيرهم.

وفى ثامن عشره: قدم إلى دمشق قاصد الملك العادل جكم، ومعه مرسومه بتقرير الأمير سودن الحمزاوى دودارا، وتقرير الأمير اينال بيه بن قجماس أمير أخور، والأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة، والأمير سودن الحمزاوى. أمير مجلس، والأمير نوروز قسيم الملك، وما يختار يفعل، وأمرهم بلبس الكلفتاة، وكانوا قد تركوها مدة، إشارة منهم أنهم غير طائعين السلطان.

وفى خامس عشرينه: لبس الأمير نوروز خلعة الملك العادل جكم، ودقت البشائر بدمشق وزينت.

وفى هذا الشهر: ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومصر. وتزايد حتى فشا فى الناس وكثر الموت الوحى [2] ، وبلغ عدد من يرد اسمه الديوان إلى مائتين وخمسين فى كل يوم،

---

(١) هو مركز من مراكز البريد فى طريق الشام يقع بين بلبيس والخطارة بأرض مصر من الشرقية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن السلطان الظاهر بيبرس عمر هذه البلدة وسماها باسم ولده السعيد محمد بركة خان. انظر صبح الأعشى ١٤/ ٣٧٧، المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٠٠ والقاموس الجغرافى القسم الأول ص. ٧٠

(٢) الوحى: العجلة، يقولون: الوحى الوحى، والوحاء الوحاء، يعنى البدار البدار، والوحاء والوحاء الوحاء يعنى الإسراع، فيمدونهما ويقصرونهما إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدوه ولم يقصروه؛ قال أبو النجم: يفيض عنه الربو من وحائه، التهذيب الوحاء ممدود، السرعة، وفى=

وترجف العامة بأن عددهم أضعاف ذلك وشبهتهم أن الحوانيت المعدة لإطلاق الأموات أحد عشر حانوتا، فى كل حانوت نحو الخمسين تابوت، ما منها تابوت إلا ويتردد إلى الترب كل يوم ثلاث مرات وأكثر، مع كثرة ازدحام الناس عليها، وعز وجودها، فيكون على هذا عدة من يموت لا يقصر عن ألف وخمسمائة فى اليوم، سوى من لا يرد اسمه الديوان من مرضى المارستان، ومن يطرح على الطرقات، وغالب من يموت الشباب والنساء. ومات بمدينة منوف العليا[(١)] أربعة آلاف وأربعمائة إنسان، كان يموت بها فى كل يوم مائة وأربعون نفرا. واتفق فى هذا الشهر أنه كان لبعض الأمراء صاحب من فقراء العجم، وكان له أيضا ولد صغير كيس، فكان الفقير يحب ذلك الصغير ويكثر أن يقول: «لو مات هذا الصغير لمت من الأسف عليه»، فقدر الله موت الصغير، فما فرغوا من غسله حتى مات الفقير، فساروا بالجنازتين معا، ودفنا متجاورين.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى سادس عشره: استقر فى حسبة القاهرة تاج الدين محمد بن أحمد بن على، عرف بابن المكللة، ربيب ابن جماعة، وعزل الطويل.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل ربيب بن جماعة.

وفى هذا الشهر: كثر الموتان فى الناس، وعز وجود البطيخ الصيفى من كثرة طلبه للمرضى. فبيعت بطيخة بمائتى درهم وسبعين درهما.

=الصحاح: يمد ويقصر، وربما أدخلوا الكاف مع الألف واللام فقالوا الوحاك الوحاك، قال: والعرب تقول النجاء النجاء والنجى النجى والنجاك النجاك والنجاءك النجاءك، وتوح يا هذا فى شأنك أى أسرع، ووحاه توحية أى عجله، وفى الحديث: إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته، فإن كانت شرًا فانته، وإن كانت خيرًا فتوحه، أى أسرع إليه، والهاء للسكت، ووحى فلان ذبيحته إذا ذبحها ذبحا سريعا وحيا؛ وقال الجعدى:

أسيران مكبولان عند ابن جعفر والوحى قد وحيتموه مشاغب

والوحى، على فعيل: السريع، يقال: موت وحى، وفى حديث أبى بكر: الوحا الوحا، أى السرعة السرعة، يمد ويقصر، يقال: توحيت توحيا إذا أسرعت، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر، واستوحيناهم، أى استصرخناهم، واستوح لنا بنى فلان ما خبرهم، أى استخبرهم، وقد وحى، وتوحى بالشىء: أسرع، وشىء وحى: عجل مسرع. انظر لسان العرب ٤٧٨٨.

(١) منوف: من قرى مصر القديمة لها ذكر فى فتوح مصر، ويقال لكورتها. لآن: المنوفية. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٦.

وفى آخره: توجه عدة من الأمراء إلى جهات مصر، فمضى الأمير يشبك فى طائفة إلى البحيرة، ومضى الأمير يلبغا الناصرى فى طائفة إلى أطفيح[١] لأخذ جمال الناس من أجل التجريدة لقتال جكم.

وفيه ظهرت بثرة[٢] برجل، فوصف له شخص أن يؤخذ فروج ويوضع دبره على تلك البثرة، فإن مات الفروج وضع دبر فروج آخر. وفعل كما قال فمات عشرون فروجا عندما يلصق دبر الفروج بالبثرة يموت لوقته.

وفيه ملك العادل جكم البيرة.

وفى رابع عشرة: بعث الأمير شيخ - وهو بصفد - عسكره إلى نابلس[٣]،فقبض على عبد الرحمن المهتار، وحمل إليه، فعاقبه ثم قتله.

وفى ثامن عشره :حلف الأمير نوروز ومن معه بدمشق للملك العادل جكم ولبسوا الكلفتاه.

ووقع الجد فى عمارة قلعة دمشق، وسخر نوروز فيها الناس.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فيه كبس الناصرى بأطفيح [٤] على العربان، وساق عدة من إبلهم، فاجتمعوا عليه، وأوقعوا بساقته وأخذوا عدة من بغاله، وقتلوا منه جماعة، وجرحوا طائفة.

وقدم الخبر بأن عربان البحيرة، أحاطوا بمن توجه إليهم من الأمراء، وحصروهم فى مدينة دمنهور[٥] فخرجت النجدة إليهم، بحيث لم يتأخر أحد من الأمراء، فمرت العربان فى البرية إلى جهة الحمامات.

---

(١) أطفيح: بالكسر فى أوله والفاء، وياء ساكنة، وحاء مهملة: بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقية. انظر معجم البلدان ١/ ٢١٨

(٢) البثرة: والبثر والبثور: خراج صغار، وخص بعضهم به الوجه، واحدته بثرة وبثرة، وقد بثر جلده ووجهه يبثر بثرًا وبثورًا وبثر، بالكسر، بثرًا وبثر، بالضم، ثلاث لغات، فهو وجه بثر، وتبثر وجهه: بثر. وتبثر جلده: تنفط، قال أبو منصور: البثور مثل الجدرى يقبح على الوجه وغيره من بدن الإنسان، وجمعها بثر. انظر لسان العرب ٢٠٨.

(٣) نابلس، هى مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرضة لها، إلا أنها كثيرة المياه لأنها لصيقة فى جبل أرضها حجر. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة فى الصغر والكبر. انظر المعجم البلدان ٢/ ٤٧٢.

وفيه وقع الاهتمام بالسفر إلى الشام.

وفيه طلب ابن التركية من الأمير يشبك الأمان فأمنه، وحلف له، فندما نزل قريبا منه، بينه وقبض عليه، وقتل عدة من أصحابه، وبعث إلى أمواله فنهبها، وساق له منها ثلاثين ألف رأس غنم، وبعثها مع الأمير تغرى بردى، والأمير أقباى والأمير بشباى، فوصلو ا إلى الجيزة[1] فى سادس عشره، بعد ما لقوا فى رمل الحاجر شدة، وتلفت لهم عدة خيول. وقدم يشبك بمن معه فى يوم الجمعة تاسع عشره وبين يديه بن التركية وجماعة من أهل البحيرة، فوسط السلطان ابن التركية وعلق رأسه على باب زويلة.

وفى خامس عشرينه: علق الجاليش لتجهز العسكر للسفر.

وفى تاسع عشرينه: رسم بالنفقة، وصر لكل فارس مبلغ ثلاثين مثقالا وألف درهم فلوسا، فتجمع المماليك تحت القلعة وامتنعوا من أخذها.

وفيه دقت البشائر بموت جكم. وكان من خبره أنه لما تسلطن، استعد لأخذ بلاد الشمال، وأعرض عن مصر. ثم خرج من حلب يريد الأمير عثمان بن طور على بن قرايلك، وقد نزل بتركمانه فى أراضى آمد[2]. فحضر جكم البيرة حتى أخذها وقتل نائبها كزل ثم عدا الفرات من البيرة، فأتته رسل قرايلك ترغب إليه فى رجوعه إلى حلب، وأنه يحمل إليه من الجمال والأغنام عددا كثيرا، فلم يقبل. وسار حتى قرب من ماردين[3]، فنزل وأقام أياما، حتى نزل إليه الملك الظاهر مجد الدين عيسى وحاجبه فياض من ماردين، فسار به إلى قرايلك وحطم عليه، فقاتله قتالا كبيرا أبلى فيه جكم بنفسه بلاء عظيما، وقتل بيده إبراهيم بن قرايلك، فانهزم لقتله التركمان إلى مدينة آمد، وامتنعوا بها، فاقتحكم جكم فى طائفة عليهم حتى توسط بين بساتين آمد، فإذا هم قد أرسلوا المياه فوحلت الأراضى بحيث يرتطم فيها الفارس بفرسه فلا يقدر على الخلاص، فأخذ جكم ومن معه الرجم من كل جهة، وقد انحصروا فى مضيق لا يمكن فيه كر

---

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

(٢) آمد: بكسر الميم. وهى أعظم مدن ديار بكر وأحلها قدرا وأشهرها ذكرا. وهو بلده قديم حصين مبنى بالحجارة السود على نشز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال، وفى وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين، يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور. انظر معجم البلدان ١/ ٥٦.

(٣) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٥/ ٣٩.

ولا فر، وصوب بعض التراكمين على جكم ورماه بحجر فى مقلاع أصاب جبهته، فتجلد قليلا، ومسح الدم عن وجهه ولحيته، ثم اختلط وسقط عن فرسه، فتكاثر التركمان على من معه وقتلوهم، فانهزم بقية العسكر، والتركمان فى أعقابهم تقتل وتأسر، فلم ينج منهم إلا القليل، وطلب جكم بين القتلى، حتى عرفه بعض التراكمين، فقطع رأسه وبعثها إلى مصر، وقتل فى هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى حاجب حلب، والأمير أقمول نائب عينتاب، والملك الظاهر عيسى صاحب ماردين، وحاجبه فياض، وفر الأمير كمشبغا العيساوى، والأمير تمربغا المشطوب، حتى لحقا بحلب. وكانت هذه الوقعة فى سابع عشرين ذى القعدة، فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفى هذا الشهر: أيضا ركب الأمير شيخ نائب الشام من صفد يريد الأمراء بغزة، وهم سودن الحمزاوى، والأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير يشبك بن أزدمر فطرقهم على حين غفلة، فقاتلوه على الجديدة[1] فى يوم الخميس رابعه، فقتل أينال بيه ويونس الحافظى نائب حماة وسودن تلى المحمدى، وسودن قرناس.

وقبض على سودن الحمزاوى بعدما قلعت عينه، وفر يشبك بن أزدمر إلى دمشق، ووقع فى قبضة الأمير شيخ عدة من المماليك، فوسط تسعة من المماليك السلطانية، وغرق أحد عشر، وأفرج عن مماليك الأمراء، وقال لهم: « قد وفيتم لأستاذيكم»، وبعث بطائفة من المماليك السلطانية إلى السلطان، وعاد إلى صفد.

وفى هذا الشهر: خسف جميع جرم القمر فى ليلة الأحد رابع عشره.

وفيه عاد الأمير نوروز إلى طاعة السلطان الملك الناصر، بعد قتل جكم، وافتتح كتبه بالملكى الناصرى، وأعيدت الخطبة للناصر بدمشق يوم الجمعة سادس عشرينه.

وسمع بعض أهل طريق ا لله صوتا فى الهواء بدمشق، حفظ منه:

يمر السحاب بأرض الشآم ... كمر الحمام بأرض الحرم
تروم النزول فلا تستطيع ... لفعل الخطايا وذنب الأمم

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن عمر بن محمد الطنبدى الشافعي، وقد أناف على الستين فى حادى عشرين ربيع الأول، وكان من أعيان الفقهاء العارفين بالأصول والتفسير والغريب. وأفتى ودرس

(١) الجديدة: اسم موقع قرب غزة.

ووعظ عدة سنين، وكان من الأذكياء، والأدباء الفصحاء، ولم يكن مرضى الديانة.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حيدرة بن عبد الله الدجوى الشافعى، فى ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، عن ستة وسبعين سنة، وكان إماما فى الحديث والنحو واللغة والتاريخ وغير ذلك، حافظا، ضابطا، ثقة، حدث فى آخر عمره. بعد طول خموله.

ومات شرف الدين أبو بكر بن تاج الدين محمد بن إسحق السلمى المناوى، أحد خلفاء الحكم الشافعية، وخطيب الجامع الحاكمى، فى نصف جمادى الآخرة، عن بضع وخمسين.

ومات الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن فهيز المغيربى، فى يوم الإثنين رابع عشرين جمادى الآخرة. وكان فى شبابه له تنسك. وخدم عبد الله اليافعى بمكة. ثم صحب طشتمر الدوادار(١) فى الأيام الأشرفية، فنوه به حتى صار يعد من الأعيان والأغنياء المترفين.

ومات الشريف بدر الدين حسن بن محمد بن حسن النسابة الحسنى(٢)، شيخ خانكاه بيبرس، فى ليلة السبت سادس عشر شوال، عن سبع وثمانين سنة. حدث عن الواداياشى والميدومى ، والحافظ قطب الدين عبد الكريم، وغيرهم.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن زاده الخرزبانى شيخ خانكاه شيخو فى يوم الأحد

---

(١) طشتمر عبد الله العلائى الدوادار (٧٨٦ هـ = ١٣٨٤ م)، الأمير سيف الدين. كان من أجل الأمراء وأعظمهم، وتنقل فى عدة وظائف جليلة. ولى الدوادارية الكبرى بالديار المصرية، وطالت مدته فيها. وهو أول دوادار صار أمير مائة ومقدم ألف. ثم نقل إلى نيابة دمشق فباشرها مدة، ثم عزل وطلب إلى الديار المصرية، واستقر بها أتابك العساكر. واستمر إلى أن وثب الأمير زين الدين برك، والأمير سيف الدين برقوق على الأمراء، وصار هما صاحبا العقد والحل فى مملكة الديار المصرية، وأمسكا طشتمر هذا، ووجها إلى ثغر دمياط بطالا، فأقام بالثغر مدة، ثم نقل إلى القدس الشريف، فدام به إلى أن مات فى سنة ست وثمانين وسبعمائة. انظر المنهل الصافى ٦/ ٣٩٥، ٣٩٦، الدليل الشافى ١/ ٣٦٣، درة الأسلاك ص ٤٩٩ الدرر ٢/ ٣٢١.

(٢) النسابة (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦م) الحسن بن محمد بن حسن، السيد الشريف الحسنى بدر الدين، المعروف بالنسابة، شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير بالقاهرة. توفى ليلة السبت سادس عشر شوال سنة تسع وثمانمائة، عن سبع وثمانين سنة، رحمه الله تعالى. انظر المنهل الصافى ٥/١٣٦، ١٣٧.

آخر ذى القعدة، ودفن بالخانكاه. وكان من أعيان الحنفية، وله يد فى العلوم الفلسفية. واستدعاه السلطان من بغداد إلى القاهرة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى فى يوم الإثنين خامس جمادى الأولى. وولى حسبة مصر ثم حسبة القاهرة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن قايماز أستادار السلطان؛ فى يوم الإثنين أول شهر رجب.

ومات الأمير نعير بن حيار بن مهنا ملك العرب، قتله جكم فى قلعة حلب.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجرى، أستادار السلطان، بحلب.

ومات علاء الدين على بن بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر السبكى الشافعى، قاضى قضاة دمشق، ليلة الأحد ثانى عشر ربيع الآخر بدمشق، ومولده بها فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة. وقدم القاهرة صغيرا ونشأ بها، ثم عاد إلى دمشق، ودرس بها، ثم ولى قضاء القضاة بها غير مرة، وطلبه السلطان، فاختفى حتى مات.

ومات زين الدين عبد الرحمن بن يوسف الكفرى[١] قاضى الحنفية بدمشق، ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر. ومولده سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، بدمشق. وقدم القاهرة، وولى قضاء الحنفية بدمشق غير مرة، فساءت سيرته.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن الجواشنى الحنفى[٢] بدمشق، فى ليلة الأحد

---

(١) (٧٥٠ - ٨١١ هـ = ١٣٤٩ - ١٤٠٨م). عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن الحسن بن سليمان بن فزارة بن بدر بن محمد بن يوسف، قاضى القضاة زين الدين أبو هريرة الكفرى الحنفى. ولد سنة خمسين وسبعمائة تقريبا، وحضر على محمد بن إسماعيل بن الخباز، وسمع على بشر بن إبراهيم ابن محمود الحلى، وتفقه بعلماء عصره حتى برع فى الفقه والأصول العربية، وشارك فى عدة فنون، وأفتى ودرس، وتولى قضاة القضاة بدمشق، هو وأبوه وأخو وجده، وهو بيت علم وفضل ورئاسة، ثم قدم القاهرة بعد سنة ثلاث وثمانمائة، وولى قضاءها مدة، وحمدت سيرته، وأفتى ودرس بها، ولازم الإشتغال والاشغال إلى أن توفى بالقاهرة ثالث شهر ربيع الآخر سنة إحدة عشر وثمانمائة، رحمه الله تعالى.

(٢) ابن الجواشنى (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦م) أحمد بن محمد بن يعقوب البالى الحنفى، ابن الجواشنى: قاضى له اشتغال فى التراجم. أصله من بالس (بين حلب والرقة) ومنشأه ووفاته بدمشق. ناب فى الحكم واستقل بالقضاة قليلا، وعزل، على أنه كان حسن السيرة. انظر الضوء اللامع ٢/٢١٦، التاج ٩/١٩٢، الأعلام ١/٢٢٦.

سادس عشر جمادى الآخرة، وقدم القاهرة، وناب فى الحكم بها، وولى قضاء الحنفية بدمشق، ودرس فى عدة مدارس، وكان مشكورًا.

ومات شرف الدين مسعود بن شعبان الحلبى، فى يوم الجمعة تاسع شهر رمضان بطرابلس. قدم القاهرة غير مرة، وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق وطرابلس مرارًا.

ومات عبد الرحمن المهتار، مقتولا بصفد، فى ذى القعدة وكان قد تأمر وغزا الكرك وأفسد فيما هنالك بكثرة الفتن.

* * *

سنة عشر وثمانمائة

أهلت ودمشق بيد نوروز الحافظى، وقد تغلب تمربغا المشطوب على حلب بعدما حاربه أهلها، وأعانهم الأمير على بك بن دُلغادر، وقد قصد حلب بجمع كبير من التراكمين، بعد قتل جكم، ليأخذها، فكانت بينهم حروب آلت إلى استيلاء المشطوب على القلعة بموافقة من بها، فانهزم ابن دلغادر، وتمكن المشطوب، وأخذ أموال جكم، واستخدم مماليكه، فعز جانبه.

وأهل المحرم بيوم الأربعاء: وسعر الدينار المشخص بالقاهرة مائة وأربعين درهمًا فلوسًا. وكل درهم كاملى بخمسة دراهم من الفلوس. وكل رطل من لحم الضأن بتسعة دراهم. وكل رطل من لحم البقر بسبعة، وهو قليل الوجود. وكل أردب من القمح بمائة وثمانين فما دونها.

وفى يوم الخميس ثانيه: جلس السلطان للنفقة، فلم يتهيأ .

وفى ثالثه: قدم مبشوا الحاج، ولم تجر عادتهم بالتأخر إلى مثل هذا الوقت. وذلك أن صاحب خُلَيْص[1] عوقهم عنده، وجرح بعضهم بعد محاربتهم، من أجل تأخر مرتبه الذى جرت عادته أن يحمل إليه من قديم الزمان.

وفى يوم الإثنين سادسه:، فرقت الجمال على المماليك والأمراء، بسبب السفر إلى الشام.

وفيه قدم كتاب الأمير شيخ المحمودى من صفد بوصول رأس جكم، فدقت البشائر.

وفى ثامنه: وصل عدة مماليك، قد قبض عليهم الأمير شيخ فى وقعة غزة.

وفى ثانى عشره: ضربت عنق والى الفيوم بين يدى الأمير جمال الدين الأستادار فى داره، بأمر شهد به عليه، اقتضى قتله.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: قدم حاجب الأمير نعير ومعه رأس الأمير جكم، ورأس ابن شهرى، فخلع عليه، ودقت البشائر لذلك. وطيف بالرأسين على قناتين[2]،

---

(١) خُلَيْص: حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٨٧.

(٢) القناة: الرمح الأجوف، وكل عصا مستوية أو معوجة جمع قنوات. انظر المعجم الوسيط (قنى).

ونودى عليهما فى القاهرة، ثم علقا على باب زويلة، ونودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وقدم كتاب الأمير شيخ، يحث على سرعة حركة السلطان إلى الشام.

وفى يوم السبت تاسع عشره: ضربت خيمة السلطان تجاه مسجد التبر خارج القاهرة، فتأهب العسكر للسفر.

وفى يوم الأحد عشرينه: درس ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبى الحنفى بالمدرسة المنصورية بين القصرين، وهو شاب إما بلغ الحلم أو لم يبلغ. فحضر معه القضاة والفقهاء والأمير يشبك والأمير تمراز، والأمير تغرى بردى، وقد زوجه بابنته، وبنى عليها فى ليلة الجمعة ففخم أمره بمصاهرة الأمير تغرى بردى. ووجد بذلك أبوه سبيلا إلى تقديمه للتدريس مع صغر سنه، وخلو وجهه من الشعر جملة.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه: قدم المحمل بالحاج مع الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير جمال الدين الأستادار، وقد توجه به وعمل أمير الحاج مع صغر سنه. ولعله لم يبلغ عشرة سنة، فسار بجاه أبيه. وتمشت له الأحوال مع هوجه وسخفه. وحدث فى الحاج ما لم يعهد، وهو أنهم عند رحيلهم من بركة الحجاج فى شوال، وقف الأمير جمال الدين وقد خرج لو داع ولده، حتى رتبهم ليسيروا ذهابا وإيابا، قطارين متحاذيين، لا غير وجعل الحاج ناسا بعد ناس، فاستمر هذا ولم يتغير. وكان الحاج يسيرون كيف شاءوا، فإذا وصلوا إلى مضيق وقف أمير الحاج بنفسه وعقبهم، فساروا قطارا، أو قطارين بحسب الحال، حتى يخلصوا من المضيق بغير قتال، فيسيروا كيف شاءوا، ثم لما تغيرت الأحوال وولى الأمور غير أهلها، قلت عناية أمراء الحاج بما ذكرنا، فصار الناس فى المضايق يقضى بهم الحال إلى القتال، وإسالة الدماء، وكسر الأعضاء، وغلبة الأقوياء على الضعفاء. ثم لما ولى الأمير كزل العجمى الحاجب إمارة الحاج فيما تقدم، جبى من الحاج مالا كثيرا، حتى عقبهم فى المضايق، فقصد الأمير جمال الدين بما فعله خيرا، فكان فيه خير من وجه وشر من وجه، أما خيره فراحة الناس من الازدحام فى المضايق.

وأما شره فإن الأقوياء والأعيان يسيرون أولا فأولا. وضعفاء الناس لا يزالون فى الأعقاب. فإذا نزلوا لا تقدم الساقة حتى يرحل من تقدم، فيسيرون طول سيرهم فى عناء. وأحسن من ذلك ما أدركنا الناس عليه فى تعقيبهم عند المضايق، من غير غلبة ولا قتال. واستمر ما رتبه الأمير جمال الدين فى كل عام.

واتفق أن المغاربة انضم إليهم فى عودهم من مكة حاج الإسكندرية وغزة والقدس، فنهبوا جميعا، ونزل بالمغاربة بلاء كبير.

وفى حادى عشرينه: برز الأمير يشبك الأتابك والأمير تغرى بردى والأمير بيغوت، والأمير سودن بقجة فى عدة أمراء إلى الريدانية، فأقاموا إلى ليلة الجمعة خامس عشرينه، ورحلوا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرينه: سار السلطان من قلعة الجبل فى آخر الثانية بطالع الأسد، ونزل بمخيمه من خارج القاهرة تجاه مسجد تبر، وقد بلغت النفقة على المماليك إلى مائة ألف دينار وثمانين ألف دينار، وبلغت عدة الأغنام التى سيقت معه عشرة آلاف رأس من الضأن،وتقرر عليق خيوله وجماله - لخاصه ومماليكه - فى كل يوم ألفا وخمسمائة أردب، خارجا عن عليق الأمراء وغيرهم من أهل الدولة. وبلغ راتب لحمه المطبوخ بمطابخه فى كل يوم إلى ألفين ومائه رطل.

وأما الشام، فإن دمشق بيد الأمير نوروز، وقد خرج منها لقتال الأمير شيخ، فخيم على عقبة يلبغا من نصف ذى الحجة، ثم نزل شقحب وأخذ فى الإرسال إلى السلطان ليسأله الأمان. ودخل بمن معه إلى دمشق فى ثالث المحرم، بعدما غاب ستة عشر يوما بشقحب، ثم بعث الأمير بكتمر شلق فى ثامنه إلى الجهة الغربية فى طلب أصحاب شيخ فلم يظفر بهم، وعاد من الغد.

ثم خرج جماعة من الأمراء فى حادى عشره، منهم جمق، وسلامش، وقرمشى وسودن اليوسفى، ثم عادوا فى نصفه بغير طائل. فخرج الأمير نوروز إلى المزة[1]، وعاد بالأمراء المذكورين، وبعث طائفة إلى البقاع[2]، كل ذلك فى طلب أصحاب شيخ، فلم ينل منهم القصد، وعاد إلى طلب الصلح وترك الحرب، حتى يكتبا معا إلى السلطان، فما يرسم به يمتثل، ورغب نوروز إلى شيخ فى الموافقة وترك الخلاف، وأنه يتوجه من دمشق إلى حلب، ويترك دمشق لشيخ على أنه يستقر فى نيابة حلب، وأكد على شيخ أن يكتب إلى السلطان فى ذلك، وبعث فى الرسالة جماعة من قضاة دمشق وأعيانها فى أول صفر، وقد نزل شيخ على بحيرة قدس[3]، وقدم الخبر من الغد بأنه عازم على التوجه

---

(١) المزة: هى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر معجم البلدان ٥/ ١٢٢.

(٢) البقاع: موضع يقال بقاع قلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياة غزيرة نميرة. انظر معجم البلدان ١/ ٤٧٠ .

(٣) بحيرة قدس: قرب حمص؛ طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال، وهى بين حمص وجبل لبنان. انظر معجم البلدان ١/ ٣٥٢.

إلى دمشق، فنادى نوروز بالخروج لحربه، وسار فى خامسه، وخيم بالمزة، ففر منه فى تلك الليلة جماعة، منهم جمق وقمش إلى شيخ، ففت ذلك فى عضده، وتحول فى سابعه إلى قبة يلبغا، فقدم عليه جواب شيخ بأن تشريف نيابة الشام قد وصل إليه، وأن طلبه له نيابة حلب فات، فإن السلطان قد وصلت عساكره غزة، فتحول نوروز إلى برزة. ودخلت عساكر شيخ دمشق فى سابعه، ورحل نوروز من برزة إلى جهة حلب. ودخل الأمير شيخ إلى دمشق بكرة يوم الجمعة، تاسع صفر.

وفى حادى عشره: سار ألطنبغا العثمانى من دمشق لنيابة طرابلس.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ليلة الجمعة ثانيه: رحل السلطان من الريدانية خارج القاهرة بمن معه من العسكر.، وجعل الأمير تمراز نائب الغيبة، وأنزله بباب السلسلة، وأنزل الأمير أقباى بالقلعة وأنزل الأمير سودن الطيار فى بيت الأمير بيبرس بالرميلة[1] تجاه باب السلسلة، فلما نزل السلطان الصالحية[2] أبيع بها الشعير كل أردب بدرهمين فضة، لكثرته.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: دخل السلطان إلى غزة، فقدم الخبر بفرار الأمير نوروز من دمشق.

وفى سابع عشره: أعاد الأمير تمراز نائب الغيبة شمس الدين الطويل إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن شعبان.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: دخل السلطان إلى دمشق، بعدما خرج الأمير شيخ فى سابع عشره إلى لقائه، فأكرمه، وسار معه، وحمل الجتر على رأسه، لما عبر البلد، فنزل السلطان بدار السعادة، وصلى الجمعة بجامع بنى أمية.

وفى يوم الجمعة هذا: قبض على قضاة دمشق ووزيرها، وكاتب السر علاء الدين، وأهينوا وألزموا بمال.

وفى يوم الأحد خامس عشرينه: قبض السلطان على الأمير شيخ وعلى الأمير الكبير يشبك بدار السعادة، واعتقلهما بقلعة دمشق، وكان الأمير جركس المصارع أمير

---

(١) رميلة: هو منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربة نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان ٣/ ٧٣.

(٢) الصالحية: قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمى . انظر معجم البلدان ٣/ ٣٨٩.

أخور قد تأخر بداره، فلما بلغه الخبر فر من ساعته، فلم يدرك، وفر جماعة من الشيخية، واليشبكية.

وفى سادس عشرينه: خلع على الأمير بيغوت بنيابة الشام، وعلى الأمير فارس دوادار تنم حاجب الحجاب، وعلى عمر الهيدبانى بنيابة حماة، وعلى صدر الدين على بن الآدمى بقضاء الحنفية بدمشق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى ليلة الاثنين ثالثه: فر الأميران يشبك وشيخ، وذلك أن السلطان لما قبض عليهما وكل بهما الأمير منطوق لثقته به، وعمله نائب القلعة، فاستمالاه، حتى وافقهما، ثم تحيل على من عنده من المماليك، بأن أوهمهم بأن السلطان أمره بقتل الأميرين، فصدقوه، فأخرجهما على أن يقتلهما، وفر بهما .

فلم يبلغ السلطان الخبر حتى مضوا لسبيلهم، وأصبح السلطان يوم الإثنين، فندب الأمير بيغوت نائب الشام لطلبهم، فسار فى عسكر، وقد اختفى الأمير شيخ فى الليل، ومضى يشبك، فلم يدرك بيغوت غير منطوق، فقبض عليه بعد حرب، وقتله وقطع رأسه، فطيف بها، ثم علقت على سور القلعة.

وقدم الخبر باجتماع يشبك وشيخ وجركس على حمص، فى دون الألف فارس، وأنهم اشتدوا على الناس فى طلب المال. فكتب السلطان إلى الأمير نوروز - وقد وصل حلب، وتلقاه الأمير تمربغا المشطوب، وأنزله، وقام له بما يليق به - يستدعيه لمحاربة يشبك وشيخ، وولاه نيابة الشام، ويأمره أن يحمل إليه جماعة من الأمراء. وبعث إليه التشريف والتقليد مع الأمير سلامش، وقد ولاه السلطان نيابة غزة، فلبس التشريف، وخدم على العادة وكتب إليه يعتذر عن حضوره بما عنده من الحياء والخوف، وأنه إذا سار السلطان من دمشق قدم وكفاه أمر أعدائه.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر بأن الأمراء الذين فروا من دمشق قبض منهم الأمير نوروز بحلب على الأمير علان، والأمير جانم، والأمير أينال الجلالى المنقار، والأمير جقمق أخو جركس، وبعث إليه بالأمير أينال المنقار، والأمير علان، والأمير جمق نائب الكرك، والأمير أسن باى التركمانى أحد أمراء الألوف بدمشق، والأمير أسن باى أمير أخور.

وفى تاسعه: قدم كتاب السلطان إلى الأمراء بمصر يتضمن دخوله دمشق، وقبضه

على يشبك وشيخ، وفرار جركس، ويأمرهم بالقبض على الأمير تمراز نائب الغيبة، فأذعن لذلك، وقيد وسجن بالبرج فى القلعة، ونزل سودن الطيار موضعه من باب السلسلة، وانفرد الأمير أقباى بالحكم بين الناس.

وفيه نودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر.

وفيه قبض على مباشرى الأمير يشبك، والأمير تمراز، والأمير جركس المصارع، ووقعت الحواطة على حواصلهم.

وفى عاشره: أعيد الشيخ شمس الدين محمد البلالى[1]، شيخ خانكاه سعيد السعداء، وكان الأمير تمراز قد عزله فى يوم الخميس وولى عوضه خادمه خضر السراى، فقبض على تمراز كما ذكر فى يوم السبت، فطار أتباع البلالى كل مطار، وعدوا ذلك من جملة كراماته، فأعيد.

وفيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الطويل.

شهر ربيع الاخر، أوله الأحد:

فى رابعه: ركب السلطان، وتنزه بالربوة، وعاد.

وفى خامسه: لعب بالكرة فى الميدان.

وفيه قدم الأمير بكتمر شلق من حلب بالأمراء الذين قبض عليهم الأمير نوروز.

وفيه توجه حريم السلطان إلى جهة مصر.

وفى سادسه: قبض على الأمير أسن باى، وخرج غالب العسكر.

وفى يوم السبت سابعه: خرج السلطان من دمشق، ومعه الأمراء الذين أرسلهم إليه الأمير سودن الحمزاوى، وقد أحضره من سجن صفد، والأمير أقبر دى رأس نوبة أحد أمراء الطبلخاناه، والأمير سودن الشمسى أمير عشرة، والأمير سودن البجاسى، أمير عشرة، وسار السلطان إلى مصر، وجعل نائب الغيبة بدمشق الأمير بكتمر شلق. فقدم فيه أزبك دوادار الأمير نوروز إلى دمشق، ونزل بدار السعادة، ونزل بكتمر شلق نائب طرابلس بالإصطبل.

---

(١) البلالى (٧٥٠ - ٨٢٠ هـ ١٣٤٩ - ١٤١٧م). محمد بن على بن جعفر، شمس الدين أبو عبد الله العجلونى ثم القاهرى المعروف بالبلالى: فقيه شافعى من أهل بلالة (من أعمال عجلون)، تميز بالتصوف ولازم النظر فى كتاب الإحياء للغزالى، وصنف مختصرا له. انظر الضوء اللامع ٨/ ١٠٧٨، هدية العارفين ٢/ ١٧٩، شذرات الذهب ٧/ ١٤٧. الأعلام ٦/ ٢٨٧.

فلما كانت ليلة الأحد ثامنه: طرق الأمير شيخ - ومعه يشبك وجركس المصارع - دمشق، ففر من كان بها من الأمراء وملك شيخ دمشق، وقبض على جماعة، وولى وعزل، ونادى بالأمان. وأخذ خيول الناس، وصادر جماعة. فورد الخبر فى يوم الأربعاء حادى عشره، بأن بكتمر شلق نزل بعلبك[١] فى نفر قليل، فسار يشبك وجركس فى عسكر، فمضى بكتمر إلى جهة حمص، فوافاهم الأمير نوروز بجمع كبير على كروم بعلبك، فكانت بينهما وقعة قتل فيها يشبك وجركس المصارع فى طائفة، وقبض نوروز على عدة ممن معهما. فلما بلغ ذلك الأمير شيخ سار من دمشق على طريق جرود[٢] فى ليلة الجمعة ثالث عشره، وهى الليلة التى تلى يوم الوقعة، فدخل نوروز دمشق يوم السبت رابع عشره بغير ممانع، وبعث بالخبر إلى السلطان، فوافاه ذلك بالعريش، فى يوم الخميس تاسع عشره، فسره سرورا كثيرا. وجد السلطان فى سيره حتى صعد قلعة الجبل ضحى نهار الثلاثاء رابع عشرينه وبين يديه ثمانية عشر أميرا فى الحديد، ورمة الأمير أينال بيه بن قجماس، وقد حملها من غزة، فسجن الأمراء، ودفن الرمة، فزينت القاهرة ومصر.

وفى عشرينه: توجه الأمير بكتمر جلق من دمشق إلى طرابلس، وتوجه يشبك بن أزدمر إلى نيابة حماة.

وفى سادس عشرينه: استدعى السلطان القضاة إلى بين يديه، وأثبت عندهم إراقة دم سودن الحمزاوى لقتله إنسانا ظلما، فحكموا بقتله، فقتل. وقتل بربغا دواداره، والأمير أقبردى، والأمير جمق. ولأمير أسن باى التركمانى والأمير أسن باى أمير أخور. وتأخر أينال المنقار، وعلان، وسودن الشمس وسودن البجاسى فى البرج.

وفى سابع عشرينه: أنعم على الأمير تغرى بردى بإقطاع الأمير يشبك، وعلى الأمير قردم الحسنى بإقطاع تغرى بردى، وعلى الأمير قراجا بإقطاع الأمير تمراز، واستقر شاد الشراب خاناه، وعلى الأمير أرغون بخبز قراجا، وعلى الأمير شاهين قصقا بخبز أرغون، وعلى الأمير طوغان الحسنى بخبز قصقا.

وفى ثامن عشرينه: قتل الأمير أسن باى أمير آخور.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى يوم الخميس ثالثه: خلع على الأمير تغرى بردى، واستقر أتابك العساكر عوضا

(١) سبق ترجمتها.

(٢) جرود: من أعمال غوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٠.

عن الأمير يشبك الشعبانى، ونحى الأمير كمشبغا المـرزوق، واستقر أمـير أخـور كبـيرا، عوضا عن جركس المصارع.

وفيه قدم قاصد الأمير نوروز برأس الأمير يشبك، ورأس الأمير جركـس المصـارع، ورأس الأمير فارس التنمى حاجب دمشق.

وفى خامسه: شق أساس مدرسة الأمير جمال الديـن يوسـف الأستادار برحبـة بـاب العيد[١].

وفى عاشره: حمل فى النيـل الأمـير يلبغـا النـاصرى، والأمـير أينـال الجـلالى المنقـار، والأمير علان إلى سجن الإسكندرية .

وفى سادس عشره: ركب السلطان متخففا بثياب جلوسه ونـزل إلى بيـت الأمـير قراجا يعوده. ثم سار إلى بيت الأمير جمال الدين الأستادار، فـأكل ضيافتـه، وركـب إلى المدرسة الظاهرية بين القصرين فزار قبر أمه وجده وإخوته، وأنعم بناحية منبابة من الجيزة على المدرسة الظاهرية زيادة على وقف أبيه، فتسلمها مباشرو المدرسة. ثـم ركـب منهـا إلى دار الأمير بشباى رأس نوبة، وأقام عنده ثـم ركـب إلى بيـت الأمـير كـزل العجمـى حاجب الحجاب، وسار من عنده إلى القلعة، ولم يعهـد قـط أن ملكـا مـن ملـوك مصـر ركب وشق القاهرة بثياب جلوسه، وما من أحد ممن ذكرنا إلا وقدم للسلطان من الخيل والمال وغيره ما يليق به.

وفى تاسع عشره: خلع علـى الأمـير قـردم، واسـتقر خـازندارا، عوضـا عـن الأمـير طوخ، وعلى طوخ، واستقر أمير مجلس، عوضا عن يلبغا الناصرى.

وفى ثانى عشرينه: توجه سودن الحلب من دمشق إلى نيابة الكرك، فامتنع بها يشبك الموساوى و لم يسلم قلعتها، فنزل سودن البلقاء[٢]، واشتد ظلمه للناس.

وفى سادس عشرينه: خرج الأمير نـوروز مـن دمشـق يريـد حلـب، ليصـالح الأمـير شيخ، وقد جرت بينهما عدة مكاتبات.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فـى سـادس عشـره: قبـض علـى الأمـير سـودن مـن زاده، وحمـل إلى الإسـكندرية، فسجن بها.

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٠١.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى، قصبتها عمان وفيهـا قـرى كثيرة. انظر معجم البلدان ١/ ٤٨٩.

وفى سابع عشرينه: كتب تقليد حسام الدين حسن نائب غزة - كان - باستقراره فى نيابة الكرك، عوضا عن يشبك الموساوى الأفقم، ورسم بإحضار يشبك.

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى ثامن عشره: استقر الحجازى فى نقابة الجيش، عوضا عن حسام الدين حسين الوالى.

وفى حادى عشرينه: استقرشهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى فى ولاية القاهرة، وقبض على حسام الدين المذكور، وصودر.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى حادى عشره: أفرج عن الأمير تمرازالناصرى نائب السلطنة، ونزل من البرج بالقلعة إلى داره.

وفى رابع عشره: خرج أزبك دوادار الأمير نوروز من دمشق على عسكر لأخذ الأمير يشبك الموساوى نائب الكرك، وقد منع سودن الجلب فى قلعتها، وجمع عرب جرم [١] مع أميرهم عمر بن فضل، وسار إلى غزة، فاستعد نائبها سلامش وقاتله، فوقع فى قبضته، وكان سودن المحمدى قد بعثه الأمير نوروز لنيابة غزة، ونزل بالرملة، فبعث سلامش إلى الأمير نوروز بأخذه يشبك الموساوى، فندب لإحضاره أزبك، فسار إليه، وقدم بيشبك إلى دمشق، فى أول شهر رمضان، فسجن بالقلعة.

وفى ليلة الأربعاء عاشر رمضان: فر الأمير بكتمر شلق من سجنه بقلعة دمشق، إلى جهة صفد، ونزل غزة.

وفى خامس عشرينه: توجه الأمير نوروز من دمشق، وتلاحق به العسكر.

وقدم الأمير يشبك بن أزدمر نائب حماة إلى دمشق فى يوم السبت تاسع شوال بطلب نوروز له، وقدم الخبر بأن تمربغا المشطوب - نائب حلب - توجه لقتال التركمان، فبيتوه وكسروه، فعاد إلى حلب.

وفى خامس عشرينه: خلع على نجم الدين عمر بن حجى، وصدر الدين على بن الآدمى، واستقرا فى قضاء دمشق، وقد قدما إلى القاهرة، وأنعم السلطان بالرضا عن شيخ، وعين المذكورين فى الرسالة إليه.

---

(١) انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٧، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ١٩٥، ١٩٦.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

فيه كتب تقليد الأمير شيخ المحمودى باستمراره فى كفالة الشام على عادته، وتوجه به ألطنبغا بشلاق وألطنبغا شقل، وقاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى الشافعى، وقاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى، ومعهم تشريفة ونسخة اليمين، وكتب تقليد باستقرار الأمير بكتمر شلق فى نيابة طرابلس على عادته، وجهز إليه مع تشريفة، وكتب باستقرار الأمير يشبك بن أزدمر فى نيابة حماة، وجهز إليه تشريفة.

وفى رابعه: قدم الأمير نوروز إلى دمشق، بعد غيبته خمسا وثلاثين يوما، انتهى فيها إلى الرملة.

وفى ثامنه: وصلت رسل السلطان إلى الأمير شيخ على ظهر البحر إلى عكا[١].

وفى سابع عشره: قدم تمربغا المشطوب نائب حلب إلى دمشق، ثم توجه إلى حلب فى رابع عشرينه.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى رابع عشرينه: استقر الجيزى محتسب مصر فى حسبة القاهرة، عوضا عن ابن شعبان، فصار محتسب القاهرة ومصر. وسار أمير الحاج - الأمير بيسق الشيخى - بالمحمل على العادة.

وفى رابعه: قدمت رسل السلطان إلى شيخ ، فنزلوا صفد، ثم ساروا إلى طرابلس. وقد نازل الأمير شيخ المرقب[٢]، فلقوه عليها، وأوصلوه التقليد والتشريف فلم يقبل ذلك. وجهز التشريف إلى الأمير نوروز، وأعلمه أنه باق على طاعته. فزينت دمشق ودقت البشائر.

وفى هذه السنة: أقبلت سحابتان من جهة برية أيلة[٣] والطور[٤]، حتى حاذتا بلد العريش، ومرتا فى البحر، فإذا فى وسطهما تنينان[٥] مثل عامودين عظمين، لا يرى

---

(١) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهى مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرحه وزيادة. انظر معجم البلدان ٤/ ١٤٣.

(٢) المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام، وعلى مدينة بنياس. انظر معجم البلدان ٥/ ١٠٨.

(٣) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام؛ وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام. انظر معجم البلدان ١/ ٢٩٢ وما بعدها.

(٤) الطور: يقال لجميع بلاد الشام الطور،، وقد ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس. انظر معجم البلدن ٢/ ٤٧. والطور: جبل بعينة مطل على طبرية الأردن.

(٥) التنين: الحوت والحية العظيمة، وبياض خفجى فى السماء يكون جسده فى ستة بروج=

أعلاهما وأسفلهما مما يلى الماء، وفى كل عمود منهما خط أبيض بطوله من أعلاه إلى أسفله، فيرتفعان عن الماء قدر ساعة ثم ينحطان، فيضرب كل منهما بذنبه فى البحر، فيضطرب اضطرابا شديدا، ثم يرتفعان وذنب كل منهما بقدر جامور[١] المنارة التى يؤذن عليها، فلم يزالا على ذلك حتى غابا عن العين.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى الحنفى،[٢] شيخ المدرسة الظاهرية برقوق، فى ليلة السبت حادى عشرين ربيع الأول، واستقر عرضه ابنه نظام الدين يحيى . وكان منشأه بتبريز[٣]حتى طرقها تيمور لنك، فسار فى الجفل إلى حلب، وأقام بها، فاستدعاه الملك الظاهر برقوق وقرره فى مشيخة مدرسته، عوضا عن علاء الدين السيرامى بعد موته، فى سنة تسعين وسبعمائة. ثم أضاف إليه مشيخة خانكاه شيخو بعد موت عز الدين الرازى. وناب عنه ابنه محمود فى الظاهرية [٤]. ثم ترك الشيخونية، وبقى على مشيخة الظاهرية حتى مات.

ومات شمس الدين محمد بن الشاذلى الإسكندرانى محتسب القاهرة ومصر، فى يوم الجمعة ثانى صفر، وكان عاريا من العلم، كان خردفوشيا [٥] ثم بلانا [٦] بالإسكندرية، فترقى لما تقدم ذكره ببذل المال.

=وذنبه فى البرج السابع دقيق أسود فيه التواء وهو ينتقل تنقل الكواكب الجوارى وهو مأخوذ من تن بمعنى امتدج تنانين . انظر محيط المحيط ص ٧٤.

(١) الجامور: القمة أو الرأس انظر لسان العرب (جمر) وفى محيط المحيط. الجامور هو شحم النخلة.

(٢) السيرامى (٧٧٧ - ٨٣٣هـ = ١٣٧٦ - ١٤٣٠م). يحيى بن يوسف (أو سيف) بن محمد ابن عيسى، نظام الدين السيرامى (أو الصيرامى) المصرى الحنفى: عالم بالعقليات كالمنطق والمعانى والبيان، وبالفقه وغيره ، ولد على ما يظن السخاوى فى تبريز، وانتقل مع أبيه إلى القاهرة سنة ٧٩٠ هـ وخلفه فى مسشيخة البرقوقية فعكف على الإقراء والتدريس. انظر الضوء اللامع ١٠/ ٢٦٦. الأعلام ٨/ ١٧٨.

(٣) تبريز: وهى أشهر مدن أذربيجان، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجص، وفى وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣

(٤) الظاهرية: قريتان بمصر منسوبتان إلى الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم ملك مصر، إحداهما من كورة الغربية والأخرى من كورة الجيزة. انظر معجم البلدان ٤/ ٥٧.

(٥) الخردفوش: تاجر الخردة.

(٦) البلان: هو العامل المختص بإزالة الوسخ والشعر عن الجسد فى الحمام. ينظر معالم القربة فى أحكام الحسبة لابن الأخوة ص ١٥٨.

ومات الأمير سودن الناصرى الطيار[1] أمير سلاح، فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شوال، وشهد السلطان جنازته، وكان مشكور السيرة، شجاعا محبا لأهل العلم والصلاح.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار، فى ليلة الأحد ثالث ذى القعدة، قتلا فى بيت الأمير جمال الدين الأستادار، وكان قد اختفى بعد محنة أبيه فى آخر أيام الملك الظاهر بعد واقعة ألى باى، وفر إلى الشام، واقام بها مدة، ثم قدم القاهرة متنكرا، فدل عليه حتى أخذ وقتل، وكان غير مشكور السيرة.

ومات الأمير شاهين قصقا فى ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة، وكان من الأشرار المفسدين.

---

(١) سودون بن عبد الله الناصرى، المعروف بالطيار، الأمير سيف الدين. أحد مماليك الظاهر برقوق وأعيان خاصكيته فى الدولة الناصرية فرج أمير أخورا ثانيا، ثم أمير أخورا كبيرا، بعد القبض على الأمير سودون قريب الملك الظاهر. فى حادى عشرين ذى القعدة سنة إحدى وثمانمائة، فأقام مدة يسيرة، وورد الخبر بأن عثمان يلدرم بايزيد ملك الروم مشى لأخذ ملطية، فعين الأمير سودون هذا إلى البلاد الشامية للكشف عن هذا الخبر. فتوجه فى ذى الحجة من السنة، وطالت غيبته، وعوقه الأمير تنم الحسنى نائب الشام عنده، فاستقر الأمير سودون طاز فى الأمير أخورية عوضه، فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة. واستمر الأمير سودون الطيار هذا بالبلاد الشامية إلى أن انفصل أمر تنم، وعاد الملك الناصر فرج إلى القاهرة، ثم خرج ثانيا إلى البلاد الشامية لقتال تيمور. فلما كان «الناصر بدمشق وتيمور نازل بظاهرها، ولقتال عمَّال كل يوم، اختفى سودون هذا وقانى باى العلائى وجماعة أخر، وقصدوا الوجه إلى الديار المصرية ليسلطنوا الشيخ لاجين الجاركسى، وبلغ أرباب الدولة ذلك، فأخذوا الملك الناصر فرج وعادوا به إلى الديار المصرية، وخلوا دمشق تنعى من بناها. فكان هذا الأمر من أكبر الأسباب لأخذ تيمور دمشق، وإلا لو دام الملك الناصر بها، من أين كان وصوله إليها؟ وتواترت الأخبار عن تيمور أنه كان يريد الرحيل عن دمشق فى تلك الأيام، فما شاء الله كان. ولما قدم الملك الناصر إلى القاهرة أنعم بعد مدة على الأمير سودون هذا بإمرة بحلب، وأن يكون حاجبا بها، فامتنع من ذلك وركب مع الأمير حكم من عوض وانضاف إليهم جماعة كبيرة من الأمراء وغيرهم، وقاتلوا يشبك الشعبانى الدوادار، فانتصروا عليه، فأنعم على سودون الطيار بإقطاع حكم بحكم انتقال حكم إلى إقطاع يشبك، ثم استقر بعد مدة طويلة أمير مجلس، عوضا عن سودون الماردينى فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانمائة، ثم نقل إلى إمرة سلاح، عوضا عن الأمير آقباى الطرنطاى، واستمر على ذلك إلى أن توفى بالقاهرة فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة عشرة وثمانمائة، وحضر السلطان جنازته. وكان أميرا شجاعا مقداما، دينا، محبا لأهل العلم والصلاح، وكان مشكور السيرة، وإليه ينتسب الأمير أسنبغا، رأس نوبة النوب، بالطيارى، فإنه كان خدمه بعد موت أستاذه الأمير ناصر الدين محمد بن رجب. انظر المنهل الصافى ١٦١/٦ وما بعده والدليل الشافى حـ١ ص ٣٢٩ رقم ١١٢٨، والنجوم الزاهرة ١٦٧/١٣، وأنباء الغمر ٣٩٤/٢، نزهة النفوس ٢٤٤/٢، الضوء اللامع ٢٨١/٣.

ومات الأمير مقبل الطواشى زمام الدار السلطانية، فى يوم السبت أول ذى الحجة، وترك مالا كثيرا، وله بخط البندقانيين [١] من القاهرة مدرسة تقام بها الجمعة [٢].

* * *

(١) كان قديما إصطبل الجميزة، أحد الاصطبلات فى الدولة الفاطمية فلما زالت الدولة اختط، وصارت فيه مساكن وسوقيه عدة دكاكين بعضها لعمل قسى البندق فعرف باسمها . انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣١.

(٢) وهى المدرسة الزمامية نسبة: إلى صاحبها الأمير الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الآدر. انظر المواعظ الاعتبار ٢/ ٣٩٤

سنة إحدى عشرة وثمانمائة

أهلت والأمير نوروز مستول على البلاد الشامية، والقمح فى ديار مصر بنحو مائة درهم الأردب، والشعير بنحو سبعين الأردب، والفول بستين.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد:

فى ثانيه: برز الأمير نوروز من دمشق إلى قبة يلبغا يريد صفد. ثم رحل إلى سعسع، فأتاه الخبر بأن الأمير بكتمر شلق جمع لحربه، ونزل الجاعونة، فتقدم إليه ومعه حسين ومحمد وحسن بنو بشارة، واقتتلا، فقتل بينهما جماعة وحرق الزرع، وخربت القرى، ونهبت. وسار نوروز إلى الرملة.

وفى نصفه: سار الأمير ألطنبغا العثمانى إلى غزة، وقد ولى نيابتها، ومعه الأمير باشا باى رأس نوبة النوب، والأمير طوغان رأس نوبة، والأمير سودن بقجة، ليأخذوا غزة من سودن المحمدى، ويمضوا إلى صفد نجدة لمن بها.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير بيسق أمير الحاج بالمحمل، ولم يزر الحجاج فى هذه السنة قبر رسول الله ﷺ، وذلك أن الأمير بيسق قبض بمكة على قرقماس أمير الركب الشامى، فتخوف أن يبلغ خبره إلى الأمراء بدمشق، فيبعثون إليه من يقصده بسوء فيما بين عقبة أيلة ومصر، فعدل السير ولم يعرج على المدينة النبوية. وهلك جماعة كثيرة من الضعفاء لعنفه فى السير.

شهر صفر، أوله الأثنين:

فى ثامن عشره: كان وفاء النيل ستة عشرذراعا، فركب السلطان على عادته حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج، وعاد إلى القلعة.

وفى هذا الشهر: عاد الأمير بشباى بمن خرج معه من الأمراء وغيرهم إلى القاهرة. وكان من خبرهم أن الأمير بكتمر جلق، والأمير جانم خرجا من صفد إلى غزة، وملكاها، ففر منها سودن المحمدى المعروف بتلى - يعنى المجنون - فى نفر، ولحق بالأمير نوروز. فلما انتهى عسكر مصر إلى العريش بلغهم إقامة الأمير نوروز بالرملة، وأنه جهز إليهم سودن المحمدى، وسار فى إثره، فردوا على أعقابهم إلى القاهرة. وقدم

المحمدى فلم يدركهم فعاد إلى نوروز، فمضى عند ذلك نوروز إلى دمشق، فقدمها فى حادى عشره، بعد غيبته عنها ثمانية وثلاثين يوما، بعدما قصد صفد، فقدم عليه الخبر بحركة الأمير شيخ، فضاق بذلك ذرعه، واستعد له. ثم سار من دمشق فى عشرينه ونزل برزة، فقدم عليه من الغد سودن المحمدى، فارا من بكتمر جلق، وقد قدم عليه غزة وأخذها، فأعاده إلى دمشق، حتى أصلح شأنه، ولحق به فى ليلة الأربعاء رابع عشرينه، فسار إلى حمص، وكان الأمير شيخ قد جمع من العربان والتراكمين طوائف. وسار بهم من حلب يريد دمشق، فى ثانى عشره.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فى أوله: قدم الأمير علان والأمير أينال المنقار من الإسكندرية، صحبة الطواشى فيروز، وقد أفرج عنهما، فمثلا بين يدى السلطان، ثم نزلا إلى بيوتهما.

وفى رابعه: نزل الأمير شيخ القريتين، وقد عاد الأمير نوروز محاديا له، وتراسلا فى الكف عن القتال، فامتنع الأمير شيخ وأبى إلا أن يأخذ دمشق، واحتج عليه بأن السلطان قد ولاه نيابتها، فاعتدا على القتال من الغد، فلما كان الليل تحمل الأمير شيخ، وسار بمن معه يريد دمشق، وأكثر من إشعال النيران فى منزلته، يوهم أنه يقيم، فلم يفطن نوروز برحيله، حتى مضى أكثر الليل، فرحل فى إثره، ففاته. ودخل الأمير نوروز دمشق يوم الأحد خامسه، ومعه الأمير يشبك بن أزدمر نائب حماة. وأما الأمير شيخ فإنه لما رحل علق بالكسوة ظاهر دمشق، ورحل فنزل سعسع، ثم سار.

وفى ثامنه: قدم الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب إلى دمشق، فأكرمه الأمير نوروز، وأنزله. وشرع فى تعبئة العسكر ليسير إلى الأمير شيخ.

ثم بدا له فأخذ فى بيع ما كان قد أعده من الغلال بقلعة دمشق؛ فكثرت القالة.

وفى حادى عشره: ولى الأمير نوروز كلا من سونج صهر الأمير تنم، وعمر بن الطحان، حاجبا بدمشق.

وفى ثانى عشره: أعاد شمس الدين محمد الأخناى إلى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، وولى جمال الدين يوسف بن القطب قضاء الحنفية بها.

وفى رابع عشره: خرج نوروز من دمشق بالعسكر، ونزل قبة يلبغا إلى ليلة الخميس سادس عشره، سار إلى سعسع، فلقيه الأمير شيخ وقد تفرق عنه أصحابه، وبقى فى جمع قليل، فلم يثبت نوروز مع كثرة من معه، وانهزم بمن معه، وقصد حلب، فركب

الأمير شيخ أقفيتهم، وذلك فى يوم السبت ثامن عشره، فدخل نوروز بمن معه دمشق فى ليلة الأحد، فمر فى عدة من الأمراء على وجهه وبات بها ليلة واحدة، ثم خرج منها على وجهه إلى حلب، وبعد خروج نوروز دخل الأمير بكتمر جلق نائب طرابلس، والأمير قرقماس ابن أخى دمرداش إلى دمشق ونودى بالأمان، فلم يبق للنوروزية عين ولا أثر. وقدم الأمير شيخ فى الساعة الرابعة من يوم الأحد، ونزل بدار السعادة، ونودى من الغد: « من عرف له شيئا أخذ منه فليأخذه»، فأخذ جماعة ما عرفوه.

وفى حادى عشرينه: خلع السلطان بقلعة الجبل على الأمير شرباش كباشة أمير عشره ورأس نوبة، وولاه نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير أرسطاى بعد موته، فاستعفى منها، فأعفى، وخلع فى ثالث عشرينه على الأمير سنقر الرومى رأس نوبة، وأمير طبلخاناه بنيابة الإسكندرية.

وفى هذا اليوم: ركب الأمير شيخ نائب الشام من دار السعادة بدمشق، وسار إلى قبة يلبغا، ولبس التشريف السلطانى المجهز إليه من مصر بنيابة الشام.

وعاد ومعه القضاة والأمراء والأعيان والعسكر إلى دار السعادة، فخدم على العادة، وكان يوما شهودا.

وفيه لبس أيضا نجم الدين عمر بن حجى تشريفه المجهز إليه بقضاء القضاء بدمشق، عوضا عن الأخناى.

وفيه قبض على الأمير أرغز بدمشق، وعلى الأمير نكباى الحاجب أيضا، وقبض على جماعة من النوروزية.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير دمرداش المحمدى إلى دمشق، فأكرمه الأمير شيخ، وأنزله.

وفيه أفرج الأمير شيخ عن محمد بن أينال بيه، ويعقوب شاه من السجن، وبقى سودن بن الظريف، وسلامش وأرغز فى السجن بدمشق.

وفى سابع عشرينه: خرج الأميران دمرداش، وبكتمر جلق من دمشق بعسكر كبير، فنزلوا برزة قاصدين حرب نوروز، واستقلا بالمسير فى يوم الجمعة.

وفى هذا الشهر: استناب نجم الدين بن حجى قاضى دمشق عشرة نواب، ولم يبلغ عدد نواب قضاة دمشق هذا قبله.

وفيه قدم أولاد بشارة فى عشيرهم إلى وادى التيم[1] فى رابع عشره، وعاثوا فى معاملة صفد، وقتلوا جماعة، ونهبوا شيئا كثيرا، فخرج إليهم عدة من عسكر وقاتلوهم، فقتلوا بأجمعهم، واشتدت وطأة بنى بشارة على الناس، وكتب ناصر الدين محمد، وبدر الدين حسن ابنا بشارة إلى السلطان يسألان فى تقدمة العشير على عادتهما، والتزما بحمل ثمانية آلاف دينار.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فيه طلب الأمير شيخ نائب الشام من أهل دمشق مالا كثيرا، وفرض على القرى شعيرا يقوم به أهلها، فأخذ من تجار دمشق خمسة آلاف دينار على يد كبيرهم شمس الدين محمد بن المزلق، وألزم القضاة بألف وخمسمائة دينار، وأمرهم أن يفرضوها على الأوقاف، ووكل بهم بعض الحجاب حتى قاموا بها.

وفى سادسه: قبض الأمير شيخ على تاج الدين زق الله ناظر الجيش بدمشق، وألزمه بحمل خمسة آلاف دينار، وولى عوضه علم الدين داود بن الكويز فى نظر الجيش، واستقر بأخيه صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر ديوان النيابة. واستقر بشهاب الدين أحمد الصفدى الموقع فى كتابة السر بدمشق، وخلع عليهم، وقبض على غرس الدين خليل الأشتقتمرى أستاداره وضربه بالمقارع. وكان حين قدم دمشق جعله أستادارا، ثم عزله وجعل عوضه فى الأستادارية بدر الدين حسن بن محب الدين كاتب سر طرابلس وجعل الغرس أستادار المستأجرات، ثم قبض عليه ونكبه فى تاسعه .

وفيه استقر أيضا شهاب الدين أحمد الباعونى فى خطابة الجامع الأموى.

وفى عاشره: خرج الأمير شيخ من دمشق بالعسكر يريد نوروز، وعمل تمراز الأعور نائب الغيبة، فنزل ببرزة أياما، وأخذ من بدر الدين بن الموصلى محتسب دمشق ألف دينار، ثم ألفا أخرى، وسار.

وفى ثالث عشرينه: قدم إلى دمشق الأمير يشبك الموساوى الأفقم. وكان الأمير نوروز قد قبض عليه وسجنه بدمشق؛ ثم حمله معه لما انهزم، وسجنه بقلعة حلب، وأمر بقتله. فلما اختلف نوروز وتمربغا المشطوب نائب حلب وصعد القلعة، أفرج تمربغا عن الموساوى، وكتب معه إلى السلطان يسأل الأمان.

وكان سبب الاختلاف بين نوروز والمشطوب أن نوروز لما خرج منهزما من دمشق

---

(١) وادى التيم: أحد وديان الشام، عليه بعلبك والجدال. انظر تقويم البلدان ص٢٩٩، ٢٣٠.

سار إلى حلب، فتلقاه المشطوب، وقام لـه بما يليق بـه، ثـم أشـار عليـه أن يطلـب مـن السلطان الأمان، ويدخل فى طاعته، فلم يوافقه.

ومال المشطوب إلى طاعة السلطان وترك نوروز. وامتنع عليه بقلعة حلب، ففر نوروز من حلب وقصد ملطية [١]، واستمر المشطوب فى القلعة.

وفى ثامن عشره: سار يشبك الموساوى من دمشق يريد القاهرة، وقد ظلم الناس ظلما كثيرا.

وفى سابع عشرينه: قدم إلى دمشق صدر الدين على بن الآدمى من القاهرة، وقد ولاه السلطان كتابة السر بدمشق وقضاء الحنفية، وكان الأمير شيخ قد سيره رسولا إلى السلطان لما أخذ دمشق ولبس تشريف النيابة، وبعث معه ألطنبغا شتل، وقاصد الأمير عجل بن نعير وكتب معه إلى الأمير جمال الدين الأستادار، فأنزله جمال الدين وأنعم عليه، وتحدث له مع السلطان حتى ولاه ذلك، وأعاده مكرما. فلم يمض الأمير شيخ له كتابة السر وأقره على وظيفة قضاء الحنفية فقط.

وفى تاسع عشرينه: قدم قاصد السلطان إلى دمشق بتشريف الأمير تمراز الأعور واستقراره أتابك العسكر بدمشق، وكان الأمير شيخ قد كتب يسأل له فى ذلك.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى سابع عشره: قبض السلطان بقلعة الجبل على الأمير بيغوت - أخص الأمراء عنده - وعلى الأمير سودن بقجة، وعلى الأمير أرنبغا أحد أمراء الطبلخاناة من إخوة بيغوت، وعلى الأمير أينال الأجرود أحد أمراء الطبلخاناه وعلى الأمير قرا يشبك أمير عشرة، وسجنهم بالقصر، وأحاط بأموالهم. ثم بعث بيغوت وسودن بقجة وقرا يشبك إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. وذبح أرنبغا وأينال الأجرود، وأنعم على أينال المنقار وعلان ويشبك المرساوى، وعمل كل منهما أمير مائة مقدم ألف.

وفى خامس عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر ابن العديم الحنفى فى مشيخة خانكاه شيخو، وتدريس الحنفية بها، برغبة أبيه له عنها، كما رغب له عن تدريس المدرسة المنصورية، فباشر ذلك مع صغر سنه، وكثرة جنه، فيا نفس جدى إن دهرك هازل.

---

(١) ملطية: هى من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان ٥/ ١٩٢

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أرغون واستقر أمير أخور كبير، عوضا عن كمشبغا المزوق.

وفيه منع الأمير جمال الدين من فصل المحاكمات بين الناس.

وأما الشام فإن الأمير نوروز لما قدم ملطية[1] واستقر بها، أواه ابن صدر الباز التركمانى، وسلم تمربغا المشطوب حلب لأصحاب الأمير شيخ، ونزل من قلعتها، فتسلم حلب الأمير قرقماس ابن أخى دمرادش. فلما نزل الأمير شيخ العمق فر جماعة من النوروزية إليه، منهم سودن تلى المحمدى، وسودن اليوسفى، وأخبروا بأن نوروز عزم على الفرار من أنطاكية [2].وقدم أيضا على الأمير شيخ الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان زعيم التركمان[3]، فى عدد كبير من قومه، فرحل الأمير شيخ بجمائعه من

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) أحمد بن رمضان، الأمير شهاب الدين التركمانى الآجقى، أمير التركمانى، ومقدمتهم بإياس، وأذنة، وسيس. كان عنده إقدام وشجاعة، مع طيش ومحبة للفتن، وكان تارة يطيع السلطنة وتاره يشاقق، ويكثر من الفساد، وتجردت العساكر الحلبية إليه مرارا عديدة، الأولى سنة ثمانين وسبعمائة، وكان أمير التركمان إذ ذاك أخوه إبراهيم والنائب بحلب تمرباى التمرداشى، وانكسر العسكر الحلبى منه فى هذه المرة، والثانية فى سنة خمس وثمانين والنائب بحلب الأمير يلبغا الناصرى، وأمير التركمانى أخوه إبراهيم أيضا، فجرى بينهم فى هذه الوقعة أمور يطول شرحها، ثم انهزم ابن رمضان المذكور إلى جهته، ودام على العصيان مدة سنين، إلى أن دخل تحت طاعة الملك الناصر فرج بن برقوق، وقدم ديار مصر فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وتزوج السلطان الملك الناصر بابنته، وأسكنها تحت كنف كريمة، لأنها كانت إذ ذاك هى خوند الكبرى، وصاحبه القاعة، ثم أفرد لها الناصر بيتا من الدور السلطانى، وأقام ابن رمضان بالقاهرة مدة يسيرة، وخلع عليه بالإمرة وتوجه إلى بلاده، وأقام بها إلى أن توفى سنة تسع عشرة وثمانمائة. وكان أميرا شجاعا، مقداما، مهابا ذا همة عالية وكرم مفرط، وتدبير وسياسة، وعمر دهرا، إلا أنه كان كثير الخروج عن الطاعة، وكان بينه وبين والدى صحبة ومحبة، ولما أن خرج والدى من نيابة دمشق فارا، عندما أرد الملك الناصر القبض عليه فى سنة أربع وثمانمائة إلى حلب، وانضم إليه نائبها الأمير تمرداش المحمدى، ووقع لهما مع العساكر المصرية ما حكيناه فى غير هذا الموضع، وآل أمره إلى أن انهزم بعد حروب طويلة، وولى مكانه بدمشق الأمير آقبغا الجمالى، وتولى دقماق المحمدى نيابة حلب عوضا عن تمرداش، قصد ابن رمضان هذا، فلما قارب بلاده خرج إلى تلقيه، ونزله عنده وأكرمه غاية الإكرام، وأجرى عليه الرواتب الهائلة، وقدم له التقادم السنية، ودام عنده نحو السنة، إلى أن أرسل الملك الناصر إليه بالإمان وقدم على الديار المصرية، وأنعم عليه بتقدمتى ألف، وإمرة طلبخاناه، زيادة على التقدمتين، ودامت الصحبة بينهما إلى أن توفى والدى بدمشق فى نيابة الثالثة فى سنة خمس عشرة وثمانمائة، رحمه الله. انظر ترجمة فى: الدليل الشافى ٤٦/١، والضوء اللامع ٣٠٣/١.

العمق يريد نوروز، فأدرك أعقابه، وقبض على عدة من أصحابه، وعاد إلى العمق[١]، وبعث العسكر فى طلبه، فقدم عليه الخبر أنه أمسك، هو ويشبك بن أزدمر، وجماعة من أصحابه.

وفى ثامن عشرينه: كسفت الشمس.

وفى هذا الشهر: قدم كتاب الشريف حسن بن عجلان[٢] إلى الشريف جماز بن هبة[٣] أمير المدنية فى عاشره، وكانت تولية إمارة المدينة للشريف ثابت بن نعير، فمات فولى حسن بن عجلان مكانه نيابة عنه أخاه، فثار بالمدينة جماز بن نعير، فكتب إليه ابن عجلان يقول: « اخرج بسلام، وإلا فأنا قاصدك»: فأظهر جماز الطاعة. وكان السلطان قد فوض سلطنة الحجاز لحسن بن عجلان. ثم أن جماز أرسل إلى الخدام بالمسجد النبوى يستدعيهم، فامتنعوا، فأتى إلى المسجد وأخذ ستارتى باب الحجرة النبوية، وطلب من الطواشية - خدام المسجد - المصالحة عن حاصل القبة بتسعة آلاف درهم، فأبوا ذلك، فطلب مفاتيح الحاصل من زين الدين أبى بكر بن حسين[٤] قاضى المدينة، فمانعه،

(١) العمق: علم مرتجل على جادة الطريق إلى مكة بين معدن بنى سليم وذات عرق. انظر معجم البلدان ٤/ ١٥٦.

(٢) حسن بن عجلان (٧٧٥ - ٨٢٩هـ = ١٣٧٣ - ١٤٢٦م). حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنيابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر للقاء السلطان برسباى، فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ الأعلام ٢/ ١٩٨، ١٩٩.

(٣) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة بيانه للناس قتلوه وهو نائم. انظر سائل فى تاريخ المدينة: الوفا بما يجب لحضرة المصطفى، للسهودى ١٩٠. الأعلام ١/ ١٣٣.

(٤) أبو بكر بن حسين (٧٢٧ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٧ - ١٤١٤م). أبو بكر بن الحسين بن عمر، القرشى العبشمى الأموى العثمانى، زين الدين ، و أبو محمد ويقال اسمه عبد الله والمشهور أبو بكر المصرى الشافعى المراغى مؤرخ ولد بالقاهرة وقرأ و اشتهر، وتحول إلى المدينة فاستوطنها نحو ٥٠ سنة، وولى قضاءها وخطابتها وأمامتها سنة ٨٠٩هـ وصرف بعد سنة ونصف، وأقام بمكة سنتين، ومات بالمدينة له تحقيق النصرته بتلخيص معالم دار الهجرة فى تاريخ المدينة، أنجزه سنة ٧٩٦ و روائح الزهر اختصر به الزهر الباسم، فى السيرة النبوية المغلطاء، والوافى أكمل به شرح شيخه الإسنوى للمنهاج وغير ذلك. انظر شذرات النهب ٧/ ١٢٠، الضوء اللامع ١١/ ٢٨، وكشف الظنون ٣٧٨ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١ / ١٢٥ . الأعلام ٢/ ٦٣.

فأهانه وأخذها منه، وأتى إلى القبة، وضرب شيخ الخدام بيده، ألقاه على الأرض، وكسر الأقفال ودخلها ومعه جماعة، فأخذ ما هناك؛ فمن ذلك أحد عشر حوائج خاناه، وصندوقين كبيرين، وصندوقا صغيرا فيها ذهب من ودائع ملوك العراق وغيرهم. وأخرج خمسة آلاف شقة بطاين معدة لأكفان الموتى، فنقل ذلك كله، وهم أحد بنى عمه بأخذ قناديل الحجرة الشريفة، فمنعه. وأخذ آخر بسط الروضة، فأمره جماز بردها. وصادر بعض الخدام. ثم خرج من الغد حادى عشره راحلا، فقصد العرب المجتمعة الرجوع، فرماهم الناس بالحجارة.

فلما كان ليلة تاسع عشره: وصل الشريف عجلان بن نعير من مكة إلى المدينة أميرا عليها من قبل حسن بن عجلان، ومعه آل منصور، فنودى بالأمان. ومن الغد قدم العسكر من مكة مع الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، وهم ستون ما بين فارس وراجل، واثنان وعشرون مملوكا، وصحبتهم رضى الدين أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطرى متوليا قضاء المدينة من قبل السلطان، قدم من القاهرة بولايته، فقرأ توقيعه بعد توقيع الشريف حسن بن عجلان، وتضمن استقراره فى سلطنة المدينة النبوية وينبع، وخليص والصفراء[1] وأعمالهم . وقرئ بعده مرسوم آخر باستقرار الشريف ثابت وتسلميه المدينة، وإيقاع الحوطة على الشريف جماز وما تحت يده من ناطق وصامت.

وقرأ توقيع من جهة الشريف باستنابته عجلان بن نعير على المدينة. ثم توجه العسكر بعد أيام من المدينة عائدا إلى مكة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى تاسعه: أخذ عسكر الأمير شيخ - نائب الشام - أنطاكية من التركمان البازانية بعد حرب، فسار أحمد بن رمضان بالأمير نوروز ومن معه، ولم يمكن العسكر منه.

وفى رابع عشره: استقر ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، بعد موت أبيه، وهو أمرد، ليس بوجهه شعر. وكانت ولايته إحدى الدواهى والمصائب العظام.

وفى ثالث عشرينه: قدم شاهين دوادار الأمير شيخ إلى دمشق ومعه سودن المحمدى، وطوخ، وسودن اليوسفى، وقد قبض عليهم الأمير شيخ، فاعتقلوا بقلعة دمشق. وقدمت رأس حسين بن صدر الباز زعيم التركمان إلى دمشق، وذلك أنه لما

---

(١) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهى فوق ينبع مما يلى المدينة. انظر معجم البلدان.

سار مع الأمير نوروز من أنطاكية، حصلت بينه وبين الأمير شيخ حرب، قتل فيها، فانكسرت شوكة التركمان بقتله.

وفى خامس عشرينه: أنعم بإقطاع الأمير بشباى رأس نوبة على الأمير أينال الساقى، وبإقطاع أينال على الأمير أرغون أمير أخور، وبإقطاع أرغون على الأمير مقبل الرومى، نقل إليه من الطبلخاناه. وأنعم بطبلخاناه مقبل على الأمير بردبك.

وفى سادس عشرينه: كتب مرسوم باستقرار ناصر الدين محمد وبدر الدين حسن ابنى بشارة فى تقدمة العشير بمعاملة صفد، على أن يحملا ثمانية آلاف دينار للسلطان، ففرضا على أهل النواحى مالا كبيرا جبوه لأنفسهما، ولم يصل منه شىء إلى السلطان.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أينال الساقى واستقر رأس نوبة النوب عوضا عن الأمير بشباى بحكم موته.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير شيخ نائب الشام من سفره إلى دمشق، وقد دخل حلب، فكانت غيبته ثمانين يوما. وبعث من ليلته بسودن الظريف. وسودن اليوسفى، وطوخ، وأرغز، وسلمان، وطغاى تمر - مقدم البريدية بديار مصر - إلى قلعة الصبيبة، فسجنوا بها.

وفى ثالثه: فتحت مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار التى أنشأها برحبة باب العيد من القاهرة، وحضر بها مدرسو الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس الحديث؛ فكان يوما مشهودا. وقرر فى تدريس الحنفية بدر الدين محمود بن محمد - ويعرف بابن الشيخ زاده الخرزبانى، وفى تدريس المالكية شمس الدين محمد البساطى، وفى تدريس الحنابلة فتح الدين محمد بن نجم الدين محمد الباهى، وفى تدريس الحديث النبوى الشريف شهاب الدين أحمد بن حجر، [1] وفى تدريس التفسير شيخ الإسلام قاضى

---

(١) أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩م). أحمد ابن على بن محمد الكنانى العسقلانى، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام فى عصره، قال السخاوى: انتشرت مصنفاته فى حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه وولى قضاء مصر مرات ثم اعتزل أما تصانيفه فكثيرة جليلة. انظر التبر المسبوك ٢٣٠، وابن شقدة - خ - والضوء اللامع ٢/ ٣٦ والبدر الطالع ١/ ٨٧ وخطط مبارك ٦/ ٣٧، وأداب اللغة ٣/ ١٦٥، ولسان الميزان. والدرر الكامنة ٤: خاتمة للناشر وبدائع الزهور ٢/ ٣٢ والفهرس التمهيدى ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٢، ٥٦٣ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٣١. الأعلام ١/ ١٧٩.

القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني. وقرر عند كل مدرس طائفة، عمل لهم الخبز فى كل يوم والمعلوم فى كل شيء وصار يجلس كل مدرس فى يوم حتى كان آخرهم جلوسا مدرس التفسير.

وفى خامسه: أفرج الأمير شيخ عن رزق الله ناظر الجيش بدمشق.

وفى عاشره: استقر شيخ بالأمير برسباى حاجب الحجاب بدمشق.

وولى شمس الدين محمد بن الجلال التبانى نظر الجامع الأموى.

وفى حادى عشرينه: قدم الخبر بأن التركمان أطلقوا الأمير نوروز.

وفى ثانى عشرينه: فر الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب من الأمير شيخ بدمشق.

وفى رابع عشرينه: أعاد السلطان أمين الدين عبد الوهاب بن محمد بن الطرابلسى[1] إلى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم، فشكر الناس ذلك من أفعاله.

وفى ليلة الأحد سابع عشرينه: فر من دمشق جماعة من المماليك، ولحقوا بالأمير نوروز، وقد سار بعد خلاصه من يد التراكمين إلى قلعة الروم[2]، واستولى عليها، فركب الأمير شيخ فى طلبهم، فلم يدركهم وعاد ليلة الثلاثاء وقبض على يشبك العثمانى.

وفيه ولى شمس الدين محمد البيرى - أخو الأمير جمال الدين الأستادار - تدريس

---

(١) عبد الوهاب بن محمد بن أبى بكر (٧٧٣ - ٨١٩ هـ)، قاضى القضاة «أمين الدين ابن قاضى القضاة» شمس الدين الطرابلسى الحنفى ولد بالقاهرة فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ونشأ بها تحت كنف والده، وبه تفقه وبغيره، وتولى قضاء العسكر مدة، ثم قضاء القضاء الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاء جمال الدين يوسف الملطى فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة، فسار على سيرة أبيه فى العفة والديانة إلى أن صرف فى سادس عشرين شهر رجب سنة «خمس وثمانمائة بقاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم قاضى حلب، فباشر كمال الدين إلى أن توفى سنة» إحدى عشرة وثمانمائة، وتولى من بعده ابنه ناصر الدين محمد مدة يسيرة، وصرف وأعيد عبد الوهاب المذكور فى رابع شهر رجب من السنة، فباشر مدة يسيرة هو أيضًا، وصرف بناصر الدين محمد بن العديم المذكور إلى أن توفى سنة تسع عشرة وثمانمائة، وقد تجاوز الأربعين سنة. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٩٤، ٣٩٥ والدليل الشافى ١/ ٤٣٤، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٤٢، إنباء الغمر ٣/ ١١١، نزهة النفوس ٢/ ٣٧٥، الضوء اللامع ٥/ ١٠٦.

(٢) قلعة الروم: قلعة حصينة فى غربى الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٩٠.

الشافعي بالقرافة[1]، ومشيخة خانكاه بيبرس القاهرة، مع ما بيده من خطابة بيت المقدس تجاه أخيه.

وفى هذا الشهر: توجه الأمير يشبك الموساوى الأفقم إلى الأمير شيخ لإحضاره من عنده من الأمراء النوروزية، وقتل أرغز وجان بك القرمى.

وجهز إلى الأمير أحمد بن رمضان خيول ثلاثة أروس. وتشريف. وسرج ذهب، وسيف، وسلاح ، وقماش سكندرى، وأقبية مفرية، له ولألزامه.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى رابعه: قدم دمشق قاصد السلطان ومعه تشريف للأمير شيخ، فركب إلى داريا[2] ولبسه، وعاد إلى دار السعادة فى أبهة جليلة، وبين يديه الأمير برسباى الحاجب، وعليه تشريف سلطانى قدم من مصر، والأمير تمراز الأعور وعليه أيضا تشريف سلطانى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد الأخناى وعليه تشريف سلطانى قد بعثه إليه السلطان ، وأعاده إلى قضاء دمشق عوضا عن نجم الدين بن حجى.

وفى خامسه: فرض الأمير شيخ خطابة الجامع الأموى لناصر الدين محمد بن البارزى كاتب سر حماة، وصرف الباعونى، وخطب يوم الجمعة عاشره، وكان قد ترك كتابة سر حماة، وقدم دمشق.

وفى تاسعه: قدم الأمير يشبك المرساوى الأفقم من القاهرة إلى دمشق، فخرج الأمير شيخ إلى لقائه، وأكرمه وأنزله، وقام له بما يليق به، ثم توجه إلى بلاد حلب وغيرها فى مهمات سلطانية.

وفى عاشره: جاءت زلزلة عظيمة فى نواحى بلاد حلب وطرابلس. فخرب من اللاذقية[3] وجبلة[4] وبلاطنس[5] أماكن عديدة، وسقطت قلعة بلاطنس. فمات تحت

---

(١) القرافة: خطة بالفسطاط من مصر كانت لبنى غضن بن سيف بن وائل من المعافر. انظر معجم البلدان ٤/ ٣١٧.

(٢) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٣١.

(٣) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص وهى غربى جبلة بينهما ستة فراسخ، وهى الآن من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٥/ ٥.

(٤) جبلة: اسم لعدة مواضع، منها جبلة الموضع الذى كانت فيه الواقعة المشهورة بين بنى عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة. وهضبة بجبل بين الشريف والشرف وجبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبل الشعب. انظر معجم البلدان ٢/ ١٠٤.

الردم بها خمسة عشر نفسا، ومات بجبلة خمسة عشر نفسا، وخربت شغر بكاس[1] كلها والقلعتين بها، ومات جميع أهلها، إلا نحو خمسين نفسا، وانشقت الأرض وانقلبت قدر بريد من بلد القصير[2] إلى سلفوهم، وأن بلد السلفوهم كانت فوق رأس جبل، فنزلت عنه وانقلبت قدر ميل بأهلها وأشجارها وأعينها ومواشيها، وذلك ليلا لم يشعروا إلا وقد صاروا إلى الموضع الذى انتقلت إليه البلد، ولم يتأذ أحد منهم. وكانت الزلزلة أيضا بقبرص[3] فخربت منها أماكن كثيرة، وكانت بالساحل والجبال، وشوهد ثلج على رأس الجبل الأقرع، وقد نزل إلى البحر، وطلع وبينه وبين البحر عشر فراسخ. وأخبر البحرية أن المراكب بالبحر الملح جلست على الأرض بما فيها، من انحسار البحر. ثم إن الماء عاد كما كان، ولم يتضرر أحد.

وفى حادى عشره: ولى الأمير شيخ نيابة بعلبك للأمير سيف الدين أبى بكر بن شهاب الدين أحمد بن النقيب اليغمورى.

وفيه وصل إلى دمشق عدة رءوس من المماليك الذين فروا، وقد قبض عليهم بحلب، وقتلوا منهم رأس طوخ الأجرود.

وفى سادس عشرة: قرئ بدمشق كتاب السلطان بإلزام الناس بعمارة ما خرب من المساكن والمدارس وغيرها داخل مدينة دمشق.

وفيه خلع على تاج الدين رزق الله ناظر الجيش بدمشق، واستقر نائب السلطنة بالقدس، وناظر أوقاف القدس والخليل. ولم نعهد مثل ذلك أن كاتبا يلى نيابة السلطنة ببلد.

وفى آخره: نودى بالقاهرة ألا يركب أحد من القضاة والفقهاء والكتاب والتجار وأجناد الحلقة فرسا، ولا بغلا إلا أن يكون فى خدمة السلطان، أو الأمراء الكبار،

---

(٥) بلاطنس: حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ١/ ٤٧٨.

(١) الشغر: قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق لهما كل واحدة تنارح الأخرى، وهما قرب أنطاكية. انظر معجم البلدان ٣، ٣٥٢.

(٢) القصير: فى عدة مواضع، منها: قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن والقصير: ضيعة أول نزل لمن يريد حمص من دمشق، والقصير: موضع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد. معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

(٣) قبرص: وهى جزيرة فى بحر الروم وبأيديهم دورها على مسيرة ستة عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٥.

فامتنع الجميع. ثم أذن لطوائف فى الركوب بمراسيم سلطانية، وكتبت من ديوان الإنشاء. فكان الرجل يحمل مرسومه معه خشية من تعرض المماليك له. واشتد الأمر فى ذلك أياما، ثم انحل .

شهر رمضان، أوله الجمعة:

فى يوم الأربعاء سادسه: نودى بالقاهرة ألا يتعامل أحد بالذهب، وهدد من باع بالذهب واشترى، وكان قد وصل المثقال إلى مائة وسبعين فلوسا، كل درهم وزنه أوقيتان، واستدعى الأمير جمال الدين جميع أهل الأسواق ، وكتب عليهم قسايم بذلك، فنزل بالناس من ذلك ضرر عظيم، من أجل أن النقد الرابح الذهب وبه معاملة الكافة أعلاهم وأدناهم، ومنع أيضا من صنع الذهب المطرز والمصوغ، فاستمر الحال على ذلك أياما. ثم نودى فى حادى عشرينه بأن يتعامل الناس بالذهب على أن يكون كل مثقال بمائة وعشرين، وكل دينار مشخص بمائة درهم، فشح الناس باخراج الذهب، وارتفعت الأسعار ارتفاعا كثيرا.

وفى ليلة الإثنين حادى عشره: فر من دمشق الأمير برسباى حاجب الحجاب، فلم يعلم خبره، واقام الأمير شيخ عوضه الأمير ألطنبغا القرمشى[1].

---

(١) ألطنبغا بن عبد الله القرمشى الظاهرى الأتابكى (٨٢٤ هـ = ١٤٣١ م)، الأمير علاء الدين. هو من مماليك الملك الظاهر برقوق، وتقلب مع الأمير شيخ المحمودى بالبلاد الشامية فى أيام تلك الفتن، وصار من جملة أمراء دمشق لما ولى نيابتها الأمير شيخ المذكور ثم صار حاجب الحجاب بحلب لما وليها أيضًا الأمير شيخ، واستمر مصاحبا للأمير شيخ إلى أن تسلطن ولقب بالملك المؤيد جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولاه الأمير أخورية، بعد انتقال الأمير قانى باى المحمدى منه إلى نيابة دمشق، فاستمر على ذلك مدة إلى أن استقر أتابك العساكر بالديار المصرية، بعد الأمير ألطنبغا العثمانى، بحكم انتقال العثمانى إلى نيابة دمشق، بعد خروج نائبها قانباى المحمدى عن الطاعة، وذلك فى سنة عشرين وثمانمائة. وعظم ألطنبغا القرمشى هذا فى الدولة ، وضخم له حرمة وافرة وأبهة زائدة، وأقام على ذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ندبه الملك المؤيد إلى التوجه إلى البلاد الشامية، مقدما على العساكر المجردين من القاهرة فى عدة من الأمراء وقدامى الألوف، وهم: الأمير طوغان أمير آخور، والأمير ألطنبغا من عبد الواحد رأس نوبة النوب المعروف بالصغير، والأمير أزدمر الناصرى، والأمير حليان، الذى هو الآن نائب دمشق، والأمير سودن اللكاشى. وأسرَّ المؤيد إلى الأمير ألطنبغا القرمشى بالقبض على الأمير يشبك اليوسفى نائب حلب، عند وصوله إلى حلب - على ما قيل - وتوجهت العساكر إلى حيث قصدهم، ودخلوا حلب فى سنة أربع وعشرين، وأقاموا بها، فاستوحش الأمير يشبك نائب حلب منهم فى الباطن، ولم يجسروا عليه. فبينما هم كذلك، إذ ورد عليهم الخبر بموت الملك المؤيد، واضطربت الأمراء المجردين، فعزم الأمير الكبير ألطنبغا القرموشى على العود إلى الديار المصرية، وبرز بمن معه إلى ظاهر حلب، وخرجوا من باب المقام، وبلغ ذلك يشبك=

وفيه شرع الأمير شيخ فى عمارة مواضع من داخل مدينة دمشق مما خرب فى فتنة تيمورلنك، وألزم الناس بالعمارة فى أماكنهم، ومن عجز فليؤجر ذلك، فأخذ الناس فى ذلك.

وفى ليلة حادى عشرينه: خرج الأمير شيخ من منزله بدار السعادة ماشيا إلى جامع بنى أمية، بثياب بدلته، وهو حاف متواضع لربه تعالى، حتى دخل الجامع؛ وتصدق بأقراص محشوة بالسكر وغير محشوة، فعم القراء والفقراء. وطلب أرباب السجون المعسرين، فأدى غرماؤهم ما عليهم من الديون.

وفى بكرة نهاره: قدم يشبك الأفقم من حلب إلى دمشق، وقد مشى على المملكة كلها، فأكرمه الأمير شيخ، وأنعم عليه، وأعاده إلى القاهرة فى ثالث عشرينه.

=نائب حلب - وكان لم يخرج لتوديعهم - فلبس آلة الحرب، وركب فى إثرهم بعسكره، فأدركهم بالسعدى. فلما رآه الأمراء المصريون، رجعوا عليه، وتقاتلوا معه ساعة، فانكسر يشبك، وقطع رأسه فى الوقت، وقدم الأمير ألطنبغا القرمشى بمن معه من الأمراء إلى حلب، ونزل بدار السعادة. ومن غريب ما اتفق أن الأمير يشبك المذكور، كان قد أخر سماط الغذاء حتى يعود من قتاله ويأكله، فقتل ودخل القرمشى بمن معه، ومد السماط بين أيديهم، فأكلوه. واستمر القرمشى بحلب إلى أن ولى نيابة حلب للأمير ألطنبغا الصغير وعاد إلى دمشق واتفق الأمير حقمق الأرغون شاوى نائب دمشق على قتال الأمراء المصريين لمخالفتهم لما أوصى به الملك المؤيد قبل موته. وكانت وصية المؤيد أن يكون ابنه المظفر أحمد سلطانا، وأن يكون الأمير ألطنبغا القرمشى هذا هو المتحدث فى المملكة، فخالف ذلك الأمير ططر، وصار وهو المتحدث، وأخذ وأعطى، وأخرج إقطاعات الأمراء المجردين صحبة ألطنبغا القرمشى، وتجرد بالملك المظفر إلى جهة البلاد الشامية، ثم وقع بين القرمشى وبين حقمق، «نائب الشام وحشة، ولهس كل منهما وتقاتلا ساعة، وانكسر حقمق»، وتوجه منهزمًا إلى قلعة صرخد، ودام القرمشى بدمشق، إلى أن قارب الأمير ططر والسلطان الملك المظفر دمشق، وخرج القرمشى إلى لقاء السلطان والأمير ططر، وخلع عليه وعاد فى خدمة السلطان إلى دمشق، ودخلوها فى شهر جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وطلع الأمراء صحبة السلطان إلى قلعة دمشق، فعند ذلك أمر الأمير ططر بالقبض على الأمير ألطنبغا القرمشى صاحب الترجمة، فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء ممن كان مع القرمشى، وكان ذلك آخر العهد به، وقتل فى الشهر المذكور، وصلى عليه،ودفن بتربة ألطنبغا الجوبانى فى باب المصلى. وكان أمير جليلا محترما، وقورا ساكنا، عاقلا، مقربًا عند الملك المؤيد شيخ إلى الغاية، وكان يسلك فى أتابكيته طريق السلف من عظماء الأمراء فى الحشم،وكثرة المماليك، والأسمطة الهائلة وغير ذلك. وكان دمث الأخلاق سخيًا، حلو المحاضرة، متواضعًا مع علو منزلته فى الدولة المؤيدية وكان سليم الباطن، مقاصده جميلة، كثيرة الصدقة والبر للفقراء، فُجِع فى ولده الأمير ناصر الدين - أحد أمراء الطبلخاناه - قبل موته فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٦٢ وما بعدها، الدليل ١/ ١٥١، النجوم، ١٤/ ٢٣٦، عقد الجمان ٢/ ٣١٩، إنباء ٣/٢٥٥، نزهة النفوس ٢/ ٥٢٢.

وفى هذا الشهر: ضرب الأمير شيخ بدمشق فلوسا كل ستة منها بثمن درهم. وكانوا منذ سنين يتعاملون بها وزنا، كل رطل دمشقى بثمانية دراهم، فصارت على حسابها عددا كل رطل باثنى عشر درهما، ووزن الفلس منها درهم، فشملت المضرة فى هذا الشهر أهل مصر والشام من جهة المعاملة.

وفى هذا الشهر: كوتب الأمير قرا يوسف، جوابا عن مكاتبته عند أخذه تبريز.

شهر شوال، أوله الأحد:

فى خامسه: قبض الأمير شيخ على الأخناى قاضى دمشق وسجنه، من أجل أنه وشى به أنه يكاتب الأمير نوروز ثم أفرج عنه آخر النهار، على أن يقوم بثلاثمائة ثوب أبيض، نصفها وجوه ونصفها بطائن، فأخذ فى جمعها.

وفى سادسه: قدمت ولاية نجم الدين بن حجى القضاء عوضا عن الأخناى وتاريخ توقيعه ثالث عشر شهر رمضان.

وفى تاسع عشره: وصل إلى دمشق تشريف السلطان للأمير شيخ، فركب إلى تلقيه، ولبسه خارج دمشق، وعاد إلى دار السعادة. ثم لبس بن حجى تشريفة بولايته قضاء دمشق ومضى إلى الجامع، فقرئ تقليده بحضرة الحاجب والوزير والقضاة والأعيان. وأخذ مع القضاء جميع ما بيد ابن الأخناى من الوظائف، سوى نظر وقف القلانسى، فإنه خرج باسم كاتبه أحمد بن على المقريزى.

وفى هذا الشهر: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة درهم فامتنع الناس من إظهاره، وارتفع سعر المبيعات ارتفاعا زائدا.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: سار المحمل بالحاج مع الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير جمال الدين الأستادار، وبلغت نفقة الأمير جمال الدين على الحاج فى هذه السنة إلى أربعين ألف دينار، منها لشيخ الجبال مبلغ خمسين ألف درهم.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة، والأفرنتى ثمانين، وألا يمكن أحد من السفر بشىء من الذهب، فاشتد الأمر على الناس.

وفى عاشره: قدم الخبر على الأمير شيخ بأن يشبك الموساوى وشىء به إلى السلطان أنه قد خرج عن طاعته، وأن السلطان غضب، وعزم على السفر إلى الشام،

فاستدعى القضاة والأعيان، وكتب محضرا أخذ خطوطهم فيه ببطلان ما قيل عنه، وأنه باق على الطاعة السلطانية. وبعث به مع نجم الدين بن حجى قاضى دمشق، فسار فى ثالث عشره.

وفى رابع عشره: خرج الأمير شيخ من دمشق إلى جهة القبلية، وأفرج - وهو نازل على قبة يلبغا - عن يشبك العثمانى.

وفيه قدم الأمير قرقماس بن أخى دمرداش نائب صفد منها، مارا بدمشق إلى حلب يريد عمه الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب، وقد استدعاه.

فاستماله الأمير شيخ واشتمل عليه، ومضى به إلى الخربة [1] للصيد والنزهة.

وفى خامس عشره: نقل الوزير فخر الدين بن غراب من سجنه بدار الأمير جمال الدين الأستادار، وسلم للأمير شهاب الدين أحمد بن الطبلاوى والى القاهرة، فعاقبه عدة عقوبات.

وفى حادى عشرينه: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب الهرجة بمائة وعشرين، والدينار المشخص، والدينار الناصرى بمائة درهم.

وفى ثالث عشرينه: قدم القاضى نجم الدين بن حجى القاهرة بالمحضر وكتاب الأمير شيخ، يستعطف خاطر السلطان، ويعتذر عن تأخيره إرسال من طلبه من الأمراء، فلم يقبل السلطان عذره، واشتد غضبه، وأظهر الاهتمام بالخروج إلى الشام، ثم كتب الجواب بتجهيز أمراء عينهم إلى مدة ستة وعشرين يوما، ومتى مضت هذه المدة ول يجهزهم سار لقتاله وحربه. وبعث بذلك على يد ابن حجى.

وفى ليلة الأربعاء رابع عشرينه: قتل الأمير عمر بن فضل الجرمى. وذلك أن السلطان كان قد بعث بنيابة الكرك رجلا يقال له محمد التركمانى، من عرض الجند وآحاد الناس، عزل به سودن الجلب، وأسر إليه قتل عمر بن فضل، وكان قد اشتدت شوكته وثقلت وطأته وكثر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان. فلما نزل محمد التركمانى على الكرك - وقد امتنع الجلب، وأسرَّ إليه قتل عمربن فضل، وكان قد اشتدت شوكته وثقلت وطأته وكثر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان. فلما نزل محمد التركمانى على الكرك - وقد امتنع الحلب بها - أتاه ابن فضل وقد نازعه عمه وكثر الخلف بينهما، فأخذ ليصلح بينهما، ويسكن ما ثار من الشر، وفى ظن ابن فضل

---

(١) الخربة: أرض مما يلى به معدن يقال له معدن خربة. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥٥.

وغيره أنه أقل من أن يتعرض لأحد من خدمه، فضلا عنه، فلم يعبأ به، ولا أتاه فى عدة من سلاحه ولا عدد من قومه، فوجد عند ذلك التركمانى السبيل إليه، فانتهز الفرصة، وبادر إليه وقتله، وبعث برأسه إلى السلطان. فكتب فضل بن عيسى الجرمى يسأل السلطان فى الإمرة عوض عمر، على أن يقوم بمائة و خمسين ألف درهم فضة، وكتب: «شاورت عمر بن فضل»؛ يسأل فيها، ويعد بمائتى ألف درهم.

وفى هذا الشهر: بعث الأمير شيخ إلى سودن الجلب بالكرك يستميله إليه، وبعث بالأمير جانم ليصلح بينه وبين الأمير نوروز، وجهز له ستة آلاف دينار، فمال إليه.

وفيه اهتم الأمير دمرداش نائب حلب بحرب الأمير نوروز، وجمع طوائف العربان والتركمان، وسار إليه الأمير بكتمر جلق نائب طرابلس فى ثانيه، فنزل بالعمق، وحضر إليه نائب أنطاكية وقصاد الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان زعيم التركمان، يحث بمسيره إليه.

وقدم كردى باك بن كندر وعربان بنى كلاب، ومشوا ببيوتهم إلى إعزاز، وقد نزل تغرى بردى بن أخى دمرداش وهو أتابك العسكر بحلب على برج دابق، ومعه أيدغمش بن كبك، وطوائف التركمان الأوشرية.

وبرز الأمير دمرداش نائب حلب منها ومعه التراكمين البياضية، فرحل الأمير بكتمر جلق والأمير تغرى بردى من مرج دابق. وقد نزل الأمير نوروز بجمائعه على عين تاب، فتقدم إليه تغرى بردى بالكبكية[1] جاليش. فرحل نوروز إلى جهة مرعش[2]، وتحاربت كشافته مع كشافة العسكر محاربة قوية، أسر فيها عدة من النوروزية، فانهزم نوروز، واستولى العسكر السلطانى على عين تاب. وكانت كسرة نوروز يوم الأحد ثانى عشره، وعاد الأمير دمرداش إلى حلب، وكتب بذلك إلى السلطان.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فيه قدم رأس عمر بن فضل إلى السلطان، فطيف به القاهرة، وعلق على باب زويلة.

وفيه هبت رياح عاصفة شديدة.

---

(١) الكبكية هى من بطون التراكمان الجراكسة. انظر السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد لبدر الدين العينى ص ٢٦.

(٢) مرعش: مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه يسور يعرف بالمرواني. انظر معجم البلدان ٥/ ١٠٧.

وفيه أخرج الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن غراب من سجنه بدار الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوى والى القاهرة[١]، ميتا.

وفى حادى عشره: قدم ابن حجى قاضى دمشق بجواب السلطان على الأمير شيخ، فأعاده إلى دمشق، فقدمها فى رابع عشره، ومضى الأمير شيخ إلى صرخد[٢] وعاد فنزل الحرجلة فى[٣] رابع عشرينه. ونودى بدمشق من الغد بخروج العسكر إليه، فخرجوا فى سابع عشرينه، فدخل وهم بين يديه ومعهم القضاة إلى دمشق، فنزل بدار السعادة وقد غاب فى سفره بأراضى الخربة مدة اثنتين وأربعين يوما، فأقام يومه، وأصبح وعزمه قوى على تجهيز الأمراء المسجونين إلى السلطان، وأخذ فى ذلك فبلغه أن تغرى برمش كاشف الرملة فر منها لقدوم كاشف ونائب القدس من قبل السلطان، وأن السلطان عزم على المسير إلى الشام، وأخرج الروايا والقرب على الجمال، ومعها الطبول، وعدتها نحو مائتى جمل، على كل جمل راويتان وثلاث، لتطيب فى الردك بشاطئ النيل بسبب التجريدة. فرجع عن إرسال الأمراء، وعول على أمر آخر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عمر بن إبراهيم بن محمد بن العديم، قاضى القضاة كمال الدين، فى ليلة السبت ثانى عشر جمادى الآخرة، ومولده بحلب سنة إحدى وستين وسبعمائة، وكان قاضى سوء. قال فيه عثمان بن محمد الشغرى الحنفى.

ابن العديم الذى فى عينه عور ... وليس محمودة فى الناس سيرته
أليس أن عليه ستر عورته ... لكن نزول القضاء أعمى بصيرته

---

(١) أحمد بن محمد، الأمير شهاب الدين الشهير بابن الطبلاوى، والى القاهرة، وكاشف الوجه الشرقى من أعمال القاهرة. قتله الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق على ما اتهم به من جهة خوند بنت صروق مطلقة الملك الناصر المذكور فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وثمانمائة، بعد أن قتل الناصر بنت صروق المذكورة فى ذلك اليوم، قبل أن يقتل صاحب الترجمة، وكان غير مشكور السيرة، كما هو عادة ظلمة الولاة، عفا الله عنه. انظر ترجمة فى الدليل الشافى ١/٨٢، والنجوم الزاهرة ١٣/١٣٠، انباء الغمر ٢/٤٨٨، والضوء اللامع ٢/٢١٤.

(٢) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٠١.

(٣) الحرجلة: من قرى دمشق. انظرمعجم البلدان ٢/ ٢٣٩.

ومات الأمير بشباى[١] رأس نوبة النوب فى ليلة الأربعاء رابع عشرينه، ودفن بالقرافة. وكان ظالما غشوما.

ومات الأمير يلبغا السالمى[٢]، خنق بعد عصر يوم الجمعة سابع عشره بالإسكندرية. وكان مخبطا، خلط عملا صالحا بعمل سيئ .

ومات محمد بن محمد بن أبى البقاء جلال الدين بن قاضى القضاة بدر الدين بن قاضى القضاة بهاء الدين، فى يوم الإثنين سابع رجب . وكان ينوب فى القضاء، ودرس الشافعى وغيره، وهو عار من الفضل والفضيلة.

ومات الأمير أرسطاى[٣] نائب الإسكندرية، بها، فى نصف ربيع الآخر، وكان مهابا.

---

(١) (٨١١ هـ = .. ١٤٠٨م). بشباى بن عبد الله من باكى الظاهرى. الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق وخوصاه، وترقى من بعده فى الدولة الناصرية فرج إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى لحجوبية الحجاب بها، ثم نقل وظيفة رأس نوبة النوب. وكان معلمًا لسوق المحمل. وكان له ثروة وميل زائد إلى النسوة. وكان حريصًا على جمع المال. وعمَّر عدة أملاك تعرف به، ولا نعلم أحدًا سمى بهذا الاسم من الأكابر غيره. ولم يزل على وظيفته وإمرته إلى أن توفى ليلة الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة، ودفن بالقرافة، وهو فى أوئل الكهولة.وبشباى - بباء ثانية الحروف مفتوحة مفخّمة، وبعدها ألف - ومنهم من يسقط الألف - ثم شين معجمة ساكنة، وباء أيضًا ثانية الحروف مفتوحة، وألف وياء آخر الحروف. ومعناه باللغة التركية: رأس سعيد. انتهى. الدليل، حـ١، ص ١٩١، النجوم، حـ١٣، ص ١٧٢، سنة ٨١١ هـ، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١١ هـ، والضوء، حـ٣، ص١٦، أنباء الغمر، حـ٢، ص٤٠٥، سنة ٨١١، هـ، نزهة النفوس، حـ٢، ٢٥٠، سنة ٨١١ هـ، بدائع الزهور، حـ١، ق٢، ص٧٩٢، سنة ٨١١ هـ.

(٢) يلبغا السالمى (٨١١ هـ = ١٤٠٩م). يلبغا أبو المعالى. السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك «الظاهر» برقوق، ثم ابنه «الناصر» كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه «سالم» فنسب إليه، واشتراه برقوق. ولما خلع برقوق (سنة ٧٩١ هـ) أخذ يلبغا مدينة صفد باسمه، فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك. ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحليف المماليك لولده الناصر، وسار فى الأستادارية سيرة عفيفة، مع عسف وشدة. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، الأعلام ٢٠٨/٨.

(٣) (٨١١ هـ = ١٤٠٨م) أرسطاى بن عبد الله الظاهرى، الأمير سيف الدين، نائب الإسكندرية. هو من مماليك الظاهرى برقوق، وممن صار فى أيام أستاذه «من جملة أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة، وهو الذى أرسله» الملك الظاهر برقوق يوم وقعة على باى، لما فطن بركوب على لاى، ليعلمه أن السلطان قادم لزيارة على باى وخدعه بأن قال: السلطان ذا الحين يدخل لزيارتك، فكف على باى عن الخروج من داره، واطمأن بأن السطان داخل إليه ويفعل فيه ما شاء، ثم وقف أرسطاى على باب على باى فى انتظار السلطان، وقد أخر السلطان العصائب السلطانية إلى خلف، واحتاز=

ومات الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر برقوق[1] بسجنه من الإسكندرية، مقتولا.

ومات الأمير سودن الماردينى.

ومات الأمير بيغوت.

=عن باب على باى، فلما علم أرسطاى بأن السلطان قد فاز، ركب ولحق به، انتى. ثم أن أرسطاى ولى نيابة الإسكندرية فى الدولة الناصرية فرج بعد تنقلات، ودام فى نيابة الإسكندرية إلى أن توفى بها سنة إحدى عشرة وثمانمائة. لـه أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ١/١٠٤ رقم ٣٥٩، والنجوم الزاهرة، حـ١٣ ص ١٧٢، الضوء اللامع حـ٢ ص ٢٦٦ ترجمة ٨٢٤.

(١) (٨١١ هـ = ١٤٠٨م) بيبرس بن عبد الله الظاهرى الأتابكى، أحد مماليك الملك الظاهر برقوق وابن أخته. استقدمه الملك الظاهر برقوق صغيرًا مع ولدته وأقاربه فى حدود سنتين نيف وثمانين وسبعمائة؛ فربى فى الحرم السلطانى إلى أن كبر أنعم عليه بإمرة عشرة. ولازال الملك الظاهر يرقيه إلى أن جعله أمير مجلس بعد نفى الأمير شيخ الصفوى إلى القدس فى تاسع صفر سنة ثمانمائة؛ فدام على ذلك إلى تاسع عشرين جمادى الأولى من السنة نقل إلى الدوادارية الكبرى بعد موت الأمير قلمطاى الدوادار، وأنعم بإمرة مجلس على الأمير أقبغا اللكاش؛ فاستمر بيبرس دوادارًا إلى أن نقله الملك الناصر فرج بن برقوق إلى الأتابكية، بعد عصيان الأتابك أيتمش البجاسى، وخروجه إلى الشام فى اثنتين وثمانمائة. واستقر عوضه فى الدوادارية الأمير يشبك الشعبانى الظاهرى الخازندار؛ فاستمر بيبرس المذكور أتابكا مدة إلى أن اختفى الناصر فرج، وخلع، وتسلطن أخوه الملك المنصور عبد العزيز ابن الملك برقوق فى سنة ثمانمائة؛ فلم تطل أيام الملك المنصور عبد العزيز، وظهر الملك الناصر فرج طالبًا ملكه من بيت الأمير سودون الحمزاوى الدوادار فى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة من السنة، تلاحق به كثيرًا من أمرائه، ولم يطلع الفجر حتى ركب الملك الناصر بآلة الحرب وسار بمن اجتمع عليه يريد قلعة الجبل؛ فقاتله الأتابك بيبرس هذا ومعه الأمير أينال باى أمير آخور، وسودون الماردينى، ويشبك بن أزدمر من القلعة، قتالاً ليس بذاك، ثم انهزموا، وملك الملك الناصر فرج القلعة، وتوجه بيبرس «منهزمًا إلى خارج القاهرة؛ فأدركه الأمير سودون الطيَّار؛ فقاتله، فلم يثبت بيبرس»، وأخذه سودون، وقبض عليه، وأحضره بين يدى الملك الناصر فرج يقيده، وبعث به إلى الإسكندرية. وعاد الملك الناصر إلى ملكه، وخلع المنصور عبد العزيز، فكانت مدة ملك المنصور سبعين يومًا، وخلع السلطان على الأمير يشبك الشعبانى الدوادار باستقراره أتابك العساكر، عوضا عن بيبرس المذكور، واستقر سودون الحمزاوى دوادارًا، عوضا عن يشبك. ولازال بيبرس فى حبس الإسكندرية إلى أن قتل بالثغر فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وقتل معه الأمير سودون الماردينى، والأمير بيغوت. وكان بيبرس أميرًا جليلاً، كريمًا، لين الجانب، قليل الشر، منهمكًا فى اللذات، واللهو، والطرب، منقادًا إلى نفسه، بمعزل عن الشجاعة والفروسية، رحمه الله تعالى. الدليل، جـ١، ص ٢٠٥، النجوم، جـ١٣، ص ١٧٢، سنة ٩١١ هـ، الضوء جـ٣، ص ٢١، أنباء الغمر، حـ٢، ص ٤٠٥، سنة ٨١١ هـ، نزهة النفوس، حـ٢، ص ١٣٣.

ومات الشريف ثابت بن نعير[1] بن ومنصور بن جماز بن شيحه الحسينى، أمير المدينة النبوية، فى صفر، فولى بعده أخوه عجلان بن نعير.

ومات الوزير فخر الدين ماجد، ويسمى محمد بن عبد الرازق بن غراب، فى غرة ذى الحجة.

* * *

(١) هو ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن سالم بن قاسم بن جماز بن قاسم(٨١١ هـ = ١٤٠٨ م) قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن القاسم بن أبى على عبد الله بن أبى القاسم طاهر بن الفقيه المحدث النسابة ألى يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسن الأصغر ابن زين العابدين أبى الحسن بن على بن الحسين السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، الأمير عز الدين أبو قيس الشريف الهاشمى الحسينى، أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام انظر المنهل الصافى ٤/١٨٥: ١٩٨، الدليل الشافى ١/ ٢١٣ النجوم الزاهرة ١٣/١٧٣ التحفة اللطفية ١/ ٣٩٦، الضوء اللامع ٣/ ٥٠.

سنة اثنتى عشرة وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المستعين با لله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. والسلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الظاهر أبى سعيد برقوق بن أنص العثمانى اليلبغاوى. وهو مستقل بتدبير الأمور، ومعتمد على وزيره الأمير الوزير المشير ناظر الخواص، وكاشف الكشاف جمال الدين يوسف بن أحمد الأستادار البجاسى البيرى، وكاتب سره فتح الدين فتح ا لله بن معتصم بن نفيس الإسرائيلى الداودى التبريزى. وناظر جيشه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله النستراوى، ونائب الشام الأمير شيخ المحمودى. ونائب حلب الأمير دمرداش المحمدى ونائب حماة الأمير جانم، ونائب طرابلس الأمير بكتمر جلق، ونائب صفد الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش. ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثمانى. ونائب الكرك الأمير ناصر الدين محمد التركمانى، ولم يمكن منها لتغلب سودن الحلب عليها.

وقضاة مصر شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين أبى الفضل بن شيخ الإسلام قاضى القضاة سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى الشافعى[1]. وقاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد القدسى المدنى المالكى، وقاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم المقدسى الحنبلى.

وقضاة دمشق نجم الدين عمر بن حجى الشافعى، وصدر الدين على بن الآدمى الحنفى. وشرف الدين عيسى المغربى المالكى، وشمس الدين محمد بن عبادة الحنبلى.

شهر ا لله المحرم الحرام، أوله الجمعة ثم ثبت أنه الخميس:

أهل والدينار الهرجة فى القاهرة بمائة وستين درهما فلوسا، والقمح بمائة وخمسين درهما الأردب.

---

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب – خ» فى فقه الشافعية، لم يتمه، و«تصحيح المنهاج – خ» ست مجلدات، فقه، و«الملمات برد المهمات – خ» فقه، و«محاسن الاصطلاح» فى الحديث، و«حواشى الروضة» فى مجلدان. انظر الأعلام ٥/٤٦.

وفى ثانيه: أخرج الأمير شيخ نائب الشام المنجنيق من قلعة دمشق إلى الإسطبل، وأقطع جماعة من أصحابه عدة من الأوقاف.

وفى ثالثه: سار شيخ من دمشق إلى المرج، فخيم به.

وفى رابعه: نصبت خيمة السلطان تجاه مسجد تبر من الريدانية، خارج القاهرة.

وفى سابعه: خرج مقدم العساكر الأمير الكبير تغرى بردى الأتابك، ومعه من الأمراء الألوف، الأمير أقباى الطرنطاى رأس نوبة الأمراء، والأمير طوخ أمير مجلس، والأمير طوغان الحسنى رأس نوبة، والأمير علان، والأمير أينال المنقار الجلالى، والأمير كمشبغا المزوق، والأمير يشبك الموساوى الأفقم، وعدة من الأمراء الطبلخاناة، والعشرات والمماليك، ونزلوا بالريدانية.

وفيه أعيد ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى إلى قضاء الحنفية بديار مصر وعزل قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى، وكان قد قبض نفقة السفر أسوة رفقائه خمسة عشر ألف درهم فلوسا، فأنعم بها عليه.

وولى مشيخة خانكاه شيخو، عوضا عن ابن العديم، فغبطه الناس على هذه النعم الثلاثة: العافية من السفر، وتعوض الشيخولية عن القضاء، والسعة بهذا القدر من المال. وكانت ولاية ابن العديم بمال جزيل.

وفيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة بمال، وعزل الحيرى.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل فى بقية عساكره، ونزل بمخيمه تجاه مسجد تبر.

وفيه رحل الأمير الكبير تغرى بردى من الريدانية، بمن معه من الأمراء والأجناد، قاصدا دمشق.

وفيه طلب الأمير شيخ نائب الشام قضاة دمشق، فخرجوا إليه بالمرج فأرادهم أن يسلموه الأوقاف ليقطعها أصحابه، فآل الأمر إلى مصالحته عنها بثلث متحصلها، وعادوا.

وفى ثالث عشره: أعيد الحيرى إلى حسبة القاهرة، وخلع عليه بحضرة السلطان، وهو بتربة أبيه خارج باب النصر، وقد عاد إليها من مخيمه، وعزل بن شعبان.

وفى رابع عشره: خلع السلطان على الأمير أرغون الرومى، واستقر نائب الغيبة مقيما بالإسطبل على حاله بالأمير مقبل الرومى. ورسم أن يقيم بقلعة الجبل لحفظها، والأمير يلبغا الناصرى، واستقر نائب الغيبة، لفصل القضايا و الأحكام بين الناس.

والأمير كزل العجمى الحاجب، ليحكم بين الناس أيضا، والأمير شهاب الدين أحمد ابن أخت الأمير جمال الدين الأستادار، ليتحدث عوضا عن خاله مدة غيبته، ومرجع الجميع إلى الأمير يلبغا الناصرى.

وفيه رحل السلطان من تجاه مسجد تبر، يريد الشام، ومعه الخليفة والقضاة وأرباب الدولة.

وفيه أفرج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير سودن تلى الحمدى، والأمير طوخ، والأمير سودن اليوسفى، وهم الذين طلبهم السلطان، فامتنع من إرسالهم إليه حتى غضب، وسار من مصر إلى دمشق ليأخذ الأمير شيخ.

وفيه قبض الأمير شيخ على الأمير كمشبغا الجمالى الواصل من جهة السلطان لأخذ الأمراء المذكورين.

وفيه أظهر شيخ ما فى نفسه، وصرح بالخروج عن طاعة السلطان، وأخذ فى الاستعداد، وطلب الأمراء الذين أفرج عنهم إليه بالمرج، فى ليلة الثامن عشرينه. واستدعى قضاة دمشق وفقهاءها، وتحدث معهم بحضرة الأمراء بجواز محاربة السلطان، فأفتاه شهاب الدين أحمد بن الحسبانى بما وافق غرضه، وقام فى ذلك شمس الدين محمد ابن الجلال التبانى الحنفى قياما بالغا، نقل عنه إلى السلطان.

وفى حادى عشرينه: سار الأمير سودن المحمدى[1] من دمشق إلى غزة، ومعه طائفة من عسكر الأمير شيخ، واستخدم جماعة.

---

(١) سودون بن عبد الله المحمدى (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م) نائب قلعة دمشق، الأمير سيف الدين. هو مملوك سودون المحمدى، واعتقه، وإليه ينسب بالمحمدى. واستمر بخدمته إلى أن أمسكه الملك المؤيد شيخ وحبسه بثغر الإسكندرية ثم قتله فعند ذلك اتصل سودون المحمدى هذا بخدمة السلطان الملك المؤيد شيخ،واستمر من جملة المماليك السلطانية، إلى أن صار فى الدولة الأشرفية برسباى خاصكيا ورأس نوبة الجمدارية مدة طويلة. ثم أردا الأشرف أن يُؤَمِره فامتنع وترك وظيفة أيضا، وصار من جملة المماليك السلطانية على إقطاعه، ودام على ذلك إلى أن وثب الأتابك حقمق «على الملك العزيز، ولم يوافق الأتابك حقمق»، فعدها سودون المحمدى المذكور على الملك العزيز،ولم يوافق بعد أشهر، وكتب بعوده إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بسفارة خوند مغل بنت القاضى ناصر الدين البارزى زوجة الملك الظاهر حقمق، فإن سودون المذكور هو زوج أختها لأبيها القاضى ناصر الدين البارزى. فاستمر سودون المذكور مدة ثم توجه إلى مكة المشرفة ناظرا بها وشاد العمائر، كما كان توجه فى الدولة الأشرفية برسباى، وأستمر بمكة نحو الستين أو أكثر، وعاد إلى القاهرة وأقام بها مدة يسيرة، واستقر فى نيابة قلعة دمشق فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مات فى صفر سنة خمسين وثمانمائة. وكان دينا خيرا، عفيفا عن المنكرات والفروج. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٢١، وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٢٢٩، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٥١٦، والضوء اللامع ٣/ ٢٨٥.

وفى ثالث عشرينه: دخل السلطان إلى غزة، ونزل ظاهرها. وولى الأمير أينال الصصلانى أمير أخور نيابة غزة، وعزل عنها الأمير ألطنبغا العثمانى، وولاه نيابة صفد.

وقدم الخبر بأن الأمير تغرى بردى كبس الرملة، يريد القبض على شاهين، دوادار الأمير شيخ، فى حادى عشرينه ففر منه و لم يظفر به، وأقام حتى تقدم السلطان إلى الرملة، فرحل السلطان.

وفى بكرة رابع عشرينه: عاد سودن المحمدى ومعه شاهين الدوادار إلى وطاق الأمير شيخ، وأخبراه بقدوم السلطان، فتحول فى سادس عشرينه من المرج إلى داريا،ونزل إلى قبة يلبغا. فقدم عليه قرقماس ابن أخى دمرداش، فار من صفد.

وفيه قبض الأمير شيخ على ابن عبادة قاضى الحنابلة بدمشق، وعلى الرشاوى أحد نواب قضاة الشافعية، وعلى الأمير شرف الدين يحيى بن لاقى وألزمهم بمال كثير.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير جانم نائب حماة على الأمير شيخ فى عشرة

وفى تاسع عشرينه: رحل الأمير شيخ بمن معه يريد ناحية صرخد، وجعل نائب الغيبة بدمشق الأمير تنكر بغا الحططى.

وفيه قبض شيخ على عدة من تجار دمشق وقرر عليهم عشرة آلاف دينار وحملهم معه، هم وبدر الدين محمد بن الموصلى محتسب دمشق وكمشبغا الجمالى، وغيره فى الحديد، وأفرج عن ابن عبادة الحنبلى، وفر الرشاوى.

وفى سلخه: قدمت كتب السلطان إلى دمشق - بعد رحيل الأمير شيخ - باسم قضاتها وأعيانها، تتضمن إنكار أفعال الأمير شيخ، وأنه ما لم يجهزالأمراء الذين طلبوا منه، وإلا فهو معزول، ولتقاتله العامة.

شهر صفر، أوله السبت:

فى ليلة السبت المذكور: نزل السلطان باللجون[1]، فشاع بين العسكر تنكر قلوب المماليك الظاهرية على السلطان، وتحدثوا بإثارة فتنة لتقديمه مماليكه الجلب عليهم، واختصاصه بهم، وكثرة عطائه لهم، فلما أصبح السلطان، رحل ونزل بيسان [2] من آخره، فما هو إلا أن غربت الشمس، ملج العسكر، وهدت الخيم، واشتد اضطراب

---

(١) اللجون: وهو بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلا، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلا. انظر معجم البلدان ٥/ ١٣.

(٢) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامى، ويقال: هى لسان الأرض وهى بين حوران وفسلطين. انظر معجم البلدان ١/ ٥٢٧.

الناس. وكثر قلق السلطان وخوفه طول الليل إلى أن طلع الفجر رحل إلى جهة دمشق. وسب ذلك أن الأمير أقبغا دوادار يشبك - وهو يؤمئذ من جملة دوادارية السلطان - قال لكاتب السر فتح الدين فتح الله - وقد خرج معه من خدمة السلطان بالمخيم - أن الأمير علان، والأمير أينال المنقار، والأمير سودن بقجة، قد عزموا على الركوب فى هذه الليلة على السلطان، ومعهم عدة من المماليك السلطانية. فأخذ فتح الله بيد أقبغا، وعاد به إلى السلطان، وأمره أن يعلمه بما حدثه به، فأعلم السلطان الخبر سرا فيما بينه وبينه. فاستدعى الأمير جمال الدين الأستادار، وأمر أقبغا فحدثه الحديث وذلك أنه لم يكن حينئذ السلطان يثق بأحد، ولا يعتمد عليه.، كثقته بكاتب السر فتح الله، وأستاداره جمال الدين، فاستشارهما فيما يعمل، فدار الرأى بين السلطان وبينهما، وبين أقبغا، من غير أن يعلم ذلك أحد، حتى استقر رأيهم على أن السلطان يستدعى وفى وقت المغرب بعلان وأينال المنقار إلى عنده، ويقبض عليهما، ويكون جمال الدين قد ركب فى جماعته إلى ظاهر المعسكر من جهة الشام لأخذ من عساه يفر من المماليك إلى جهة الأمير شيخ، وقاموا من عند السلطان على هذا، فغدر جمال الدين، وبعث إلى علان، وأينال المنقار، وسودن بقجة، والأمير تمراز الناصرى نائب السلطنة - وكان قد خرج من مصر وهو أرمد - يسير فى المحفه، فأعلمهم بالخبر وبعث إليهم بمال كبير لهم، وللأمير شيخ نائب الشام، فما هو إلا أن غربت الشمس ركب تمراز، وسودن بقجة، وأينال المنقار، وقرا يشبك، وسودن الحمصى وعدة مماليك سلطانية يتجاوز عددهم المائة، وسروا إلى جهة الشام يريدون الأمير شيخ، حتى لحقوا به، فاختبط العسكر، واشتد قلق السلطان، وطلب السلطان جمال الدين وفتح الله لثقته بهما - ولا علم له بشىء مما فعله جمال الدين - فأشار عليه فتح الله بالثبات، وأشار جمال الدين بركوبه ليلا، وعوده إلى مصر، يريد بذلك إفساد حال السلطان، فنازعه فتح الله وخاصة السلطان، وما زالوا بالسلطان يثبتونه حتى طلع النهار، فسار يريد دمشق.

وفى ثانيه: نودى بدمشق فى الناس بقدوم السلطان، فخرجوا إلى لقائه.

وفيه ورد الخبر على السلطان برحيل الأمير شيخ عن دمشق إلى جهة بصرى[1].

وفى ليلة الخميس سادسه: نزل السلطان الكسوة، ففر الأمير علان وجماعة من المماليك إلى جهة الأمير شيخ. فركب السلطان بكرة يوم الخميس، ودخل دمشق، ونزل بدار السعادة. ونزل الأمراء فى أماكنهم.

---

(١) بصرى: فى موضعين: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، والأخرى من قرى بغداد قرب عكبراء. انظر معجم البلدان ١/ ٤٤١.

وفى سابعه: قبض بدمشق على الشهاب أحمد بن الحسبانى، وسلم إلى ألطنبغا شقل من أجل أنه أفتى بقتال السلطان. وطلب ابن التبانى فإذا هو قد سار مع الأمير شيخ.

وفيه كتب السلطان بالإفراج عن سودن الظريف، وأرغز، وسلمان، من سجنهم بقلعة الصبيبة.

وفى ثامن: توجه الأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد من دمشق إلى محل كفالته.

وفيه ألزم الأخناى وابن عبادة الحنبلى بحمل شعير، قرر عليهما.

وفيه قدم الخبر بنزول الأمير شيخ الصنمين، فنودى فى العسكر بدمشق أن يلبسوا السلاح، ويقفوا بالليل عند باب الميدان، فبات الناس على خوف ووجل.

وفى تاسعه: استقر الأمير زين الدين عمر الهيذبانى حاجب الحجاب بدمشق والأمير ألطنبغا شقل حاجبا ثانيا، والأمير بردى باك نائب حماة، عوضا عن جانم، وخلع عليهم بدارالسعادة.

وفيه كتب تقليد الأمي رنوروز بنيابة حلب، وجهز إليه، ومعه التشريف والسيف على العادة.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أق بلاط من القاهرة بطائفة من المماليك السلطانية.

وفيه قبض على رجلين معهما كتب الأمير شيخ إلى الأمراء، فشنقا.

وفى خامس عشره: قدم الأمير بكتمر جلق نائب طرابلس إلى دمشق، وكان قد اجتمع مع الأمير دمرداش نائب حلب عند باب الحديد، يريدان حرب الأمير نوروز، وهو على ملطية ، فوافاهما كتاب السلطان من غزة بطلبهما، فسارا حتى قدما على السلطان.

وفيه قدم الخبر بأن الطاعون قد فشى بحمص، ومات بها - وبحماة - ألوف من الناس، وأنه حدث بطرابلس طاعون.

وفى سادس عشره: قدم من مصر عدة من المماليك السلطانية، وفيه فرض على قرى المرج والغوطة[1] - ظاهر دمشق - وعلى بلاد حوران[2] وغيرها، شعير يقوم به أهل كل ناحية بقدر معلوم، فاشتد الأمر فى جبايته على الناس.

---

(١) غوطة دمشق: هى الكورة التى منها دمشق. انظر معجم البلدان ٤/ ٢١٩.

(٢) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما زالت منازل العرب، وذكرها فى أشعارهم كثير وقصبتها بصرى. انظر معجم البلدان ٢/ ٣١٧.

وفى عشرينه: قدم الأمير دمرداش نائب حلب، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وفيه خلع على الأمير بكتمر جلق، واستقر نائب الشام، عوضا عن الأمير شيخ، وخلع على الأمير دمرداش، واستقر فى نيابة طرابلس مضافة إلى نيابة حلب.

وفيه قبض الأمير جمال الدين الأستادار على ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وضربه ضربا مبرحا، واستعاد منه ما تناوله من معلوم خطابة الجامع الأموى، وسبب ذلك أنه كان ولى أخاه شمس الدين محمد بن أحمد البيرى - قاضى حلب - خطابة القدس، عوضا عن شهاب الدين أحمد الباعونى، وعوض الباعونى خطابة القدس بخطابة الجامع الأموى، فولى الأمير شيخ بن البارزى الخطابة بالجامع الأموى، وعزل الباعونى - كما تقدم ذكره - فترامى الباعونى على الأميرجمال الدين وتلقاه قبل دخوله دمشق بعدة أيام، فتعصب له، وفعل بابن البارزى هذا وسجنه.

وفى ليلة ثانى عشرينه: قتل شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمودالحلبى، قتله الأمير جمال الدين الأستادار، لحقد كان فى نفسه منذ أيام حموله بحلب.

وفى رابع عشرينه: ولى السلطان قضاء الحنفية بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز - المعروف بابن الكشك - وعزل الصدر على بن الآدمى، وولى نجم الدين عمر بن حجى قضاء طرابلس بسؤاله. ورسم أن يعين غيره بقضاء دمشق، فوقع الاختيار على الباعونى، فولاه قضاء دمشق فى سابع عشرينه، وهذه ولايته الثانية.

وفى تاسع عشرينه: ركب الخليفة المستعين بالله، وقضاة مصر الأربع، وقضاة دمشق، ونودى فى الناس بدمشق أن يقاتلوا الأمير شيخ الكذا، فإنه كذا، إلى غير ذلك فى كلام طويل، يقرأ من ورقه.

شهر ربيع الأول، أوله الأحد:

فيه ركب السلطان من دار السعادة إلى الربوة، وعاد.

وفى ثانيه: سارت أطلاب السلطان والأمراء من دمشق إلى الكسوة، وتبعهم السلطان بعساكره، وعليهم آلة الحرب، فبات بالكسوة، وأصبح راحلا إلى جهة الأمير شيخ. وأقر تنكز بغا الحططى فى نيابة الغيبة بدمشق، وسار بكرة يوم الثلاثاء، فمر بالصنمين، ونزل من آخره برأس الماء على بريد من الصنمين، وبات. فقدم الخبر بالتقاء

كشافة السلطان بكشافة الأمير شيخ، وأسرهم رجلا من الشيخية. وسار السلطان بكرة يوم الأربعاء إلى قرية الحراك، فنزل نصف النهار - قدر ما أكل السماط ثم رحل رحيلا مزعجا، ظن الناس أن العدو قد طرقهم، فجد فى مسيره ونزل عند الغروب بكرك البثنية[1] من حوران . وبات على خوف من جمال الدين أن يقبض عليه، فإنه بلغه أنه وافق الأمير قردم وغيره على ذلك، فأعد عنده بداخل مخيمه هجنا، وأسر إلى كاتب سره فتح الله أنه قد عزم فى هذه الليلة على ركوب هذه الهجن والعود إلى مصر « فإن جمال الدين وقردم قد عولا على أن يكبسا على، فرحلت من الحراك خوفا منهما. ثم ها أنا متيقظ لحدوث أمر، فتأهب أنت أيضا لتسير إلى مصر». فعاد فتح الله من عند السلطان ليلا، وتأهب للرحيل، وأطلعنى على ما عزم عليه - وكنت فى صحبته - فترقبنا حدوث أمر لنركب، فلم يحدث شىء، حتى أصبحنا.

وفى هذه الليلة: وصلت طائفة من المماليك الجلبان إلى دمشق، فنهبوا عدة مواضع فقاتلهم العامة، وقبضوا على جماعة منهم، فاجتمعوا فى يوم الخميس عند قبة سيار، فخرج إليهم عامة دمشق ، وقاتلوهم.

وفى يوم الخميس: سار السلطان إلى أن نزل ظاهر مدينة بصرى، فتحقق هناك خبر الأمير شيخ، وأنه فى عصر يوم الأربعاء الماضى بلغه أن السلطان قد سار فى إثره، فرحل فزعا يريد صرخد، فأقام السلطان على بصرى إلى بكرة السبت. وقدم عليه ببصرى من الشيخية الأمير برسباى والأمير سودن اليوسفى، فكتب بذلك إلى دمشق . ثم سار ونزل بقرية عيون - تجاه صرخد - فكانت حرب بين أصحابه وبين الشيخية، قتل فيها فارسان من الشيخية، وجرح من السلطانية جماعة، ففر منهم جماعة إلى الأمير شيخ، فلحقوا به.

وكثر تخوف السلطان من أمرائه ومماليكه. وبلغه أنهم عولوا على أنه إذا وقع مصاف الحرب، تركوه ومضوا إلى الأمير شيخ، فبات ليلته مستعدا لأن يؤخذ، ودبر أمرا كان فيه نجاته. وهو أنه لما أصبح عند طلوع الفجر، نادى ألا تهد خيمة، ولا يحمل جمل، وأن يركب العسكر خيولهم، ويجر كل فارس جنيبه مع غلامه، من غير أن يأخذوا أثقالهم ولا جمالهم. وسار بهم كذلك، وقد أخر الأمراء ومن يخشاه من المماليك وراءه، وتقدم أمامهم فى ثقاته. فلم يفجأ القوم إلا وقد طلع عليهم من ثنية هناك، وقد عبأ الأمير شيخ أصحابه، فأوقف المصريين ناحية، وقدم عليهم الأمير تمراز

(١) البثنية: ناحية من نواحى دمشق. انظر معجم البلدان ١/ ٣٣٨.

الناصرى نائب السلطنة، ووقف فى ثقاته - وهم نحو الخمسمائة فارس - وحطم[1] عليهم السلطان بنفسه ومن معه، فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة، وثبت الأمير شيخ فيمن معه، فكانت بينهم معارك صدرا من النهار، وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه، وهو يتأخر إلى جهة القلعة. وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد، فولى السلطان وطاق الشيخية، وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل، وجمال، وثياب، وأثاث، وخيام، وآلات، وغيرها، فحازوا شيئا كثيرا. واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعده أصحابه، فرموا من أعلى المنارة بمكاحل النفط والأسهم الخطائية على الأمير شيخ، وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة، فانهزم أصحاب شيخ، والتجأ فى نحو العشرين إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره، وقد أعدها لذلك، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، فأحاط السلطان بالمدينة، ونزل على القلعة، فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر، وامتدت الأيدى إلى صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، حتى أخذوه نهبا وغصبا.

فامتلأت الأيدى مما لا يدخل تحت حصر. وسار الأمير تمراز، وسودن بقجة، وسودن الحلب، وسودن المحمدى، وتمربغا المشطوب - نائب حلب - وعلان، فى عدد كبير إلى دمشق، فقدموها يوم الإثنين تاسعه، فقاتهلم العامة فى عاشره، ودفعوهم عن البلد، فولوا يريدون جهة الكرك، بعدما قتل منهم وجرح جماعة. وتأخر كثير منهم بدمشق، ومضى طائفة إلى جهة حماة وحلب، فأخذ منهم بدمشق وغيرها عدد كثير.

وفى عاشره: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بخبر الواقعة.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير برد بك نائب حماة، وسار إليها فى رابع عشره.

وفى رابع عشره: قدم دمشق الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش من صرخد، متوجها إلى حلب، نائب الغيبة بها، عن عمه الأمير دمرداش.

وقدم أيضا الأمير أقباى حاجب الحجاب، وقد مرض بصرخد، ليقيم بدمشق حتى يبرأ.

وقدم الأمير قردم، وقضاة مصر، وتاج الدين رزق الله ناظر جيش دمشق، فى جماعة، فأقاموا بدمشق.

---

(١) حطمه يحطمه حطما كسره أو خاص باليابس وحطمت الدابة تحطم حطما أسنت، وحطم اندفع نحوهم فى عنف ليحطمهم. ينظر لسان العرب (حطم) محيط المحيط (حطم).

وقدم أيضا كتاب السلطان فقرئ بالجامع الأموى. وفيه خبر وقعة صرخد، وأنه قد حصر الأمير شيخ بالقلعة، وعزم أ لا يبرح حتى يأخذه، وأنه رد أمور دمشق إلى الأمير قردم، وأن من ظفر بأحد من الأمراء المنهزمين وأحضره فله من المال كذا.

وفيه قبض بدمشق على الكليباتى والى دمشق فى أيام الأمير شيخ، فضرب ضربا مبرحا.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد.

وفيه قبض بدمشق على علم الدين داود الكويز وأخيه صلاح الدين خليل من بيت نصرانى.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير دمرداش نائب حلب وطرابلس، فأقام بها إلى حادى عشرينه، وسار إلى محل كفالته.

وفى حادى عشرينه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية.

وفيه أخرج من دمشق بالمنجنيق إلى صرخد.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الطواشى فيروز الخازندار، فتسلم ابنى الكويز والشهاب أحمد الصفدى، موقع الأمير شيخ. و لم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام، ويقاتل من بها ثلاثة أيام بلياليها، حتى أحرق جسر القلعة، فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها، وركبوا أسوارها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير بقتال جهة من جهاتها، واستدعى المدافع ومكاحل النفط من الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة؛ فكان فيها ما يرمى بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا. وتمادى الحصار ليلا ونهارا، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتى جمل. فلما تكامل نصبه و لم يبق إلا أن يرمى بحجره - وزنته تسعون رطلا شاميا - ترامى الأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تغرى بردى الأتابك، وألقوا إليه ورقة فى سهم من القلعة، يسألونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان، فما زال حتى بعثه السلطان إليهم، فصعد إلى القلعة، ومعه الخليفة، وكاتب السر فتح الله، وجماعة من ثقات السلطان، فى يوم السبت ثامن عشرينه، فجلسوا على شفير[1] الخندق،

---

(١) الشفير: ناحية كل شىء وحده، وشفير الوادى ناحية من أعلاه، وشفير الكتيب رأسه الذى فيها شيئا فشيئا: انظر محيط المحيط (شفر).

وخرج الأمير شيخ، وجلس بداخل باب القلعة، ووقف أصحابه على رأسه، وفوق سور القلعة، وتولى كاتب السر محادثة الأمير شيخ، فطال الخطب بينهما، واتسع مجال الكلام، فتارة يعظه وأخرى يؤنبه ويوبخه، وآونة يعدد با لله على السلطان من جميل الأيادى وعوائد النصر على أعدائه، ويخوفه عاقبة البغى، وفى كل ذلك يعتذر الأمير شيخ، ثم انصرفوا على أن الأمير شيخ لا يقابل السلطان أبدا خوفا من سوء ما اجترمه، وقبيح ما فعله، فأبى السلطان إلا أن ينزل إليه، وأعاد الأمير تغرى بردى وفتح ا لله فقط، بعدما ألح تغرى بردى على السلطان فى سؤاله العفو، فأحلف الأمير شيخ، وأخذ منه الأمير كمشبغا الجمالى وأسنبغا، بعدما خلع عليهما، وأدلاهما بحبال من سور القلعة، ثم أرخى أيضا ابنه ليبعث به إلى السلطان، فصاح الصغير وبكى من شدة خوفه، فرحمه من حضر، وما زالوا به حتى نشله. وتصايح الفريقان من أعلى القلعة، وفى جميع خيم العسكر. فرحا وسرورا بوقوع الصلح. وذلك أن أهل القلعة كانوا قد أشفوا على الأخذ لقلة زادهم ومائهم، وخوفا من حجارة المنجنيق، فإنها كانت تدمرهم تدميرا، لو رمى بها عليهم.

وأما العسكر فإنهم كانوا طول إقامتهم يسرحون كل يوم، فينهبون القرى نهبا قبيحا، ويأخذون ما يجدونه من الغلال، والأغنام، وآلات النساء، ويعاقبون من ظفروا به حتى يطلعهم على ما عنده من علف الدواب وغيره، وفيهم من يتعرض للحريم فيأتون من القبائح بما يشنع ذكره، وهذا وهم فى خصاصة من العيش، وقل من المأكل. وكادت بركة صرخد أن ينزح ماؤها. ومع ذلك فإن أصحاب السلطان معظمهم غير مناصح له، لا يريدون أن يظفر بالأمير شيخ خشية أن يتفرغ منه لهم. فلهذا حسن موقع الصلح من الطائفتين، وبات العسكر على رحيل، وأصبحوا يوم الأحد، فركب الأمير تغرى بردى، وكاتب السر فتح ا لله، والأمير جمال الدين، ومعظم الأمراء، فصعدوا إلى قلعة صرخد، وجلسوا على شفير خندقها - وكنت معهم - فخرج الأمير شيخ وجلس بداخل باب القلعة، ووقف من معه على رأسه، ومن فوق السور. وأحلف فتح ا لله من بقى مع الأمير شيخ من الأمراء للسلطان، وهم جانم نائب حماة، وقرقماس ابن أخى دمرداش نائب صفد، وتمراز الأعور وأفرج الأمير شيخ عن يحيى بن لاقى وتجار دمشق، وغيرهم ممن كان مسجونا معه، وبعث للسلطان تقدمة، فيها عدة مماليك، وتقرر الحال على مسير الأمير شيخ نائبا بطرابلس، وأن يلبس التشريف السلطانى إذا رحل السلطان. فلما عادوا إلى السلطان رحل من صرخد، وقد رحل أكثر المماليك من الليل، فسار فى قليل من ثقاته، وترك عدة من الأمراء على صرخد،

وأفق فيهم خمسة وعشرين ألف دينار وستين ألف درهم فضة، خارجا عن الغنم والشعير ونزل زرع، فبات بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فيه قدم السلطان دمشق قبيل الغروب، وقد جد فى المسير، فنزل بدار السعادة، وأما الأمير شيخ فإنه نزل من قلعة صرخد بعد رحيل السلطان، ولبس تشريف نيابة طرابلس، وقبل الأرض على العادة، وعاد إلى القلعة، وجهز ابنه إلى الأمير تغرى بردى، فرحل به من صرخد، ورحل معه سائر من تأخر من الأمراء السلطانية، وقدم الأمير جمال الدين الأستادار دمشق فى يوم الخميس ثالثه.

وفيه أفرج السلطان عن المسجونين، إلا ابنى الكويز والصفدى.

وفى سادسه: قدم الأمير تغرى بردى والأمير بكتمر جلق وبقية الأمراء.

وفى سابعه: قدم ابن الأمير شيخ - وعمره سبع سنين - فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأعاده إلى أبيه، ومعه خيول وجمال وثياب ومال كبير.

وفيه ولى السلطان بدمشق الشريف جماز بن هبة الله إمرة المدينة النبوية، وشرط عليه عادة ما أخذ من الحاصل وولى أيضا جمال الدين محمد بن عبد الله الكازرونى قضاء المدينة، وبعث لهما توقيعهما وتشريفهما. وأفردت خطابة المسجد النبوى لابن صالح .

وفى ثامنه: أعفى نجم الدين عمر بن حجى من قضاء طرابلس، وكتب بإحضاره.

وفى رابع عشره: توجه قضاة مصر من دمشق، وكثير من الأثقال، يريدون القاهرة، فنزلوا بداريا. ثم عاد القضاة من يومهم لعقد ابنة السلطان على الأمير بكتمر جلق نائب الشام.

وفى يوم الخميس سابع عشره: حمل بكتمر المهر وزفته المغانى حتى دخل دار السعادة. ثم عقد العقد بحضرة السلطان والأمراء والقضاة، فتولى السلطان العقد بنفسه، وقبله عن الأمير بكتمر الأمير الكبير تغرى بردى.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: توجه القضاة سائرين إلى مصر.

وفيه أعيد الصدر على بن الآدمى إلى قضاء الحنفية بدمشق. وعزل ابن الكشك.

وصلى السلطان الجمعة بالجامع الأموى، وسار بعساكره، يريد مصر، فنزل الكسوة.

وفيه استقر الأمير نكباى حاجب الحجاب بدمشق، عوضا عن الهيدبانى.

وفى تاسع عشره: استقر سودن الحلب فى نيابة الكرك.

وفى ليلة الأحد: سار السلطان من الكسوة، وقد ولى غرس الدين خليل الأشقتمرى حاجبا بدمشق، ومتحدثا فى أستادارية السلطان بها، واستولى الأمير بكتمر جلق على دمشق، ونزل بدار السعادة على العادة.

وفى رابع عشرينه: نزل السلطان على الرملة، وسار منها يريد القدس، فقدمها . وبعث الأثقال إلى غزة، فزار، وتصدق بخمسة آلاف دينار وعشربن ألف فضة. وبات ليلة بالقدس. وسار من غده إلى الخليل، فبات به، وتوجه إلى غزة، فدخلها فى سابع عشرينه، وأقام بها.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: شنق السلطان بغزة ثلاثة من مفسدى بلد الخليل، ورحل .

وفى ثالثه: قرئ بدمشق كتاب السلطان بأنه قد ولى الأمير شيخ نيابة طرابلس فإن قصد دمشق فدافعوه عنها وقاتلوه. وكان الأمير شيخ قد قصد دمشق، وكتب إلى الأمير بكتمر جلق بأنه يريد دخول دمشق، ليقضى بها أشغاله ويرحل إلى طرابلس، فكثر تخيل السلطان من دخوله إليها.

وفيه قدم من حلب إلى دمشق جمال الدين الحسفاوى، ومحب الدين محمد بن الشحقه الحنفى وأخوه، وقد طلبهم السلطان لينكل بهم، من أجل أنهم وافقوا الأمير جكم على السلطنة، وافتوه بذلك.

وفى سادسه: جمعت قضاة دمشق وقرر عليهم ما فرض على القرى الموقوفة من المغارم، كما فرض على بقية القرى.

وفى يوم الخميس تاسعه: نزل السلطان على غيفا[1] خارج بلبيس، وقبض على الأمير جمال الدين الأستادار، وعلى ابنه الأمير شهاب الدين أحمد وعلى ابنى أخته الأمير شهاب الدين أحمد وحمزة، وعامة حواشيه وأسبابه، وقيدوا. ومضى بهم الأمير الكبير تغرى بردى إلى القاهرة.

---

(١) غيفا: قرية قديمة من قرى مصر عرفت بعد فى العصر العثمانى باسم غيتة وهى من قرى مركز بلبيس بمحافظة الشرقية. انظر الخطط التوفيقية ١٤/ ٦٤ القاموس الجغرافى ع ق٢/ ١٠٢.

وسار السلطان فدخل قلعة الجبل فى يوم السبت حادى عشره، وقد ختم على حواصل جمال الدين ودوره، وأحيط بها. وتقدم فتح الله كاتب السر لحفظ موجوده.

وفى ليلة الجمعة عاشره: نزل الأمير شيخ على شقحب، وكان الأمير بكتمر قد خرج إلى لقائه بعسكر دمشق. ونزل قبة يلبغا. ثم ركب ليلا يريد كبس الأمير شيخ، فلقى كشافته عند خان ابن ذى النون، فواقعه. فبلغ ذلك الخبر شيخا، فركب وأتاه. فلم يثبت بكتمر، وانهزم وأتى الأمير شيخ فنزل بمن معه قبة يلبغا. ودخل بكرة يوم الجمعة إلى دمشق، ونزل بدار السعادة من غير ممانع، وقد تلقاه الناس، فاعتذر لهم بأنه لم يقصد سوى النزول فى الميدان خارج دمشق، ليقضى أشغاله، وأنه كتب يستأذن الأمير بكتمر فى ذلك، فأبى ثم خرج وقاتله، فانهزم بكتمر وأما بكتمر فإنه توجه نحو صفد، ومعه قريب مائة فارس، وتخلف العسكر عنه بدمشق.

وفى ثالث عشره: ولى الأمير شيخ شهاب الدين أحمد بن الشهيد نظر الجيش بدمشق. وولى شمس الدين محمد التبانى نظر الجامع الأموى، وتغرى برمش - أستادار - نيابة بعلبك، وأياس الكركى نيابة القدس، ومنكلى بغا كاشف القبلية والشريف محمد ابن دغا محتسب دمشق.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على تاج الدين عبد الرازق بن الهيصم ناظر الإسطبل، وكاتب المماليك. واستقر أستادار السلطان، عوضا عن الأمير جمال الدين، ولبس زى الأمراء - وهو القباء - وشد بوسطه السيف، وعمل على رأسه كلفتاه، وخلع على أخيه مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم، مستوفى الديوان المفرد، واستقر فى نظر الخاص، وخلع على سعد الدين إبراهيم البشيرى ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة. وخلع على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، واستقر ناظر الديوان المفرد على عادته، وأضيف إليه أستادارية الأملاك والأوقاف السلطانية، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن أخت جمال الدين، وخلع على تاج الدين فضل الله بن الرملى، واستقر فى نظر الدولة بمفرده، وخلع على حسام الدين حسين الأحول، واستقر أمير جاندار.

وفيه ركب الأمير شيخ، ومعه عسكر دمشق بأجمعهم، يريدون صفد.

ولم يتأخر بدمشق سوى الأمير تمراز نائب السلطنة، والأمير علان.

وفيه كتب الأمير شيخ محضرا بأنه كان متوجها إلى طرابلس، فلما وصل شقحب قصده بكتمر، وأراد أن يركب عليه، ويبدد شمله، فدفع عن نفسه. وشهد له فيه جماعة، وقصد تجهيزه إلى السلطان، فلم يجسر أحد على المضى به، فسار - وهو معه - حتى بلغ إلى المنية قريبا من صفد وجد إمام الصخرة بالقدس، فبعثه به إلى القاهرة.

وفى ثامن عشره: سار سودن المحمدى من دمشق ليلحق الأمير شيخ.

وكان الأمير شيخ لما قارب صفد جهز الأمير جانم والأمير قرقماش ابن أخى دمرداش، وسودن الجلب، وشاهين الدوادار إلى صفد، فطر قوها على غفلة فثار إليهم أهل القلعة ودفعوهم، فولوا راجعين.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير بكتمر جلق نائب الشام، ومعه الأمير برد بك نائب حماة، والأمير نكباى حاجب دمشق، والأمير ألطنبغا العثمانى نائب صفد، والأمير يشبك الموساوى الأفقم نائب غزة، فخرج السلطان إلى لقائهم، ودخل من باب النصر، فشق القاهرة، وخرج من باب زويلة، ونزل بدار الأمير طوخ أمير مجلس يعوده فى مرضه. وصعد إلى القلعة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن أوحد، واستقر فى مشيخة خانكاه سرياقوس، عوضا عن شمس الدين محمد القليوبى.

وفيه أحضر الأمير جمال الدين الأستادار محمولا إلى بين يدى السلطان، لعجزه عن المشى من العقوبة. وكان قد عوقب بالعصر فى رجليه، فأخرج عدة دخائر منها دخيرة فى حادى عشره من حارة زويلة، وجدت مدفونة فى التراب، ذهبا صبيبا من غير وعاء، زنته خمسة وخمسون ألف مثقال، غربلت من التراب، ووزنت بحضرة قضاة القضاة الأربع، ودخيرة أخرى فى غده، وجد فيها تسع قفاف مملوءة ذهبا، وحق فيه نفائس من الجوهر، ودخيرة ثالثة أخرجها ابنه أحمد بحضرة القضاة وكاتب السر من منزله، بلغت مائتى ألف دينار، واثنتين ألف دينار، عنها اثنان وعشرون قنطارا وخمس قنطار، حضروا بها القضاة وكاتب السر، ثم خبيئة أخرى من داره،بلغت ستين ألف دينار. ومن السلاح والقماش وسائر الأصناف شيئا كثيرا، فكان يحمل منه فى كل يوم عدد كثير من الأحمال ثم عصر فى ثانى عشرينه عصرا شديدا، وعصر ابنه بحضرته، فاعترف الابن بدخيرة وجد فيها أحد عشر ألف دينار، وثلاثمائة دينار، ولم يعترف جمال الدين بشىء، فأنزل بابنى أخته شهاب الدين أحمد الحاجب وأخيه حمزة إلى بيت الأمير تاج الدين بن الهيصم الأستادار، فسلما إليه، فعاقب جماعة من أقارب جمال الدين وألزامه. فلما مثل جمال الدين بحضرة السلطان عنفه على ما كان منه فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وقبل الأرض، ثم أعاده إلى موضع حبسه من القلعة، وأمر بمعالجته حتى يبرأ.

وفى سابع عشريه: أيضا قدم الأمير نوروز من عند التركمان إلى حلب، ومعه

الأمير يشبك بن أزدمر وجماعة. فخرج الأمير دمرداش إلى لقائه، وبالغ فى إكرامه، وأنزله. وقام له ولمن معه بما يليق بهم، وحلفهم للسلطان، وكتب يعلم السلطان بذلك، ويسأله أن يعيد الأمير نوروز إلى نيابة الشام، وأن يولى يشبك بن أزدمر طرابلس، ويولى ابن أخيه تغرى بردى حماة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه توجه الأمير مقبل الرومى - أحد أمراء الألوف إلى دمياط، ليركب البحر إلى الأمير نوروز، ومعه تشريف وتقليده نيابة الشام، ومبلغ خمسة عشر ألف دينار. وإنما ركب البحر لتعذر السلوك فى البر إلى الشام.

وفيه وجد لجمال الدين بمدرسته بيت فيه سبعمائة قفة فلوس، فكان مبلغ ما وجد له تسعمائة ألف دينار وأربعة وستين ألف دينار.

وفى ثانيه: قدم إمام الصخرة، ومعه جندى بكتاب الأمير شيخ والمحضر، فغضب السلطان ووسط الجندى، وضرب الإمام ضربا مبرحا، وسجنه بخزانة شمايل.

وفى رابعه: أنزل بجمال الدين وابنه أحمد من قلعة الجبل على قفصى حمال، إلى بيت ابن الهيصم.

وفيه قدم الأمير شيخ من سفره إلى دمشق، وقد وصل إلى غزة فى طلب الأمير بكتمر، فلم يدركه، فولى فى غزة سودن المحمدى، وفى الرملة جانبك، فقدم الخبر إلى دمشق بأن يشبك ابن أزدمر، وتغرى بردى بن أخى دمرداش، بعثهما نوروز إلى حماة، ففر منها جانم، وكان قد بعثه الأمير شيخ إليها.

وفى سابعه: قبض السلطان على الأمير بلاط أحد أمراء الألوف، وعلى الأمير كزل الحاجب، وبعثا مقيدين إلى الإسكندرية.

وفى ثامنه: بعث الأمير شيخ الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من دمشق على عسكر إلى طرابلس.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد الطزويل إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن شعبان، واستقر زين الدين حاجى فى قضاء العسكر وعزل شمس الدين محمد البرقى الحنفى.

وفى حادى عشره: نقل جمال الدين الأستادار ليلا من بيت ابن الهيصم فى قفص حمال إلى بيت الأمير حسام الدين حسين الأحول، فعاقبه أشد العقوبة لإحن كانت فى

نفسه منه، ثم خنقه من الغد، وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان حتى رآه، ثم أعاد الرأس، فدفن مع جثته.

وفيه استقر علاء الدين على الحلبى قاضى غزة فى مشيخة خانكاه بيبرس بالقاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد البيرى قاضى حلب و أخى جمال الدين، واستقر نور الدين على التلوانى فى تدريس الشافعى، عوضا عن أخى جمال الدين.

وفيه أحضر السلطان رجلا يعرف بالشهاب أحمد بن الزعيفرينى، وقطع يسيرا من لسانه، وبعض عقد أصابع يده، من أجل أنه كتب ملحمة قيل أنها من نظمه، زعم أن الملك يصل إلى جمال الدين وإلى ابنه أحمد.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن كزل العجمى.

وفى سابع عشره: قبض سنان نائب قلعة صفد على الأمير ألطنبغا العثمانى، لممالأته الأمير شيخ. وقام الأمير علان بنيابة صفد من قبل الأمير شيخ.

وفيه ولى الأمير شيخ صدر الدين على بن الآدمى نظر الجيش بدمشق، وولى محب الدين محمد بن الشحنة الحلبى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى حادى عشرينه: ولى الأمير شيخ الشهاب أحمد بن الحسبانى خطابة الجامع الأموى، وعزل الباعونى، ثم أعاده من الغد، وخطب، ثم قسم الخطابة بعد صلاة الجمعة بينه وبين الحسبانى. ثم فى عصر يومه ولى الحسبانى قضاء الشافعية بدمشق، وعزل الباعونى.

وفى رابع عشرينه: خرج الأمير شيخ من دمشق، يريد حماة.

وفى ثامن عشرينه: وصل الأمير يشبك الموساوى من مصر إلى رفح[1]، فلقيت كشافته كشافه سودن المحمدى فكسروهم، ففر المحمدى من غزة، ودخلها الموساوى من يومه نائبا بها، بعدما نهب المحمدى شيئا كثيرا من غزة فتبعه يشبك، ومن قدم معه من مصر، وهم الأمير قانبك رأس نوبة، والأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج[2]

---

(١) رفح: منزل فى طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٥٤.

(٢) عبد الغنى بن عبد الرزق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأصل القبطى الأمير فخر الدين بن الوزير تاج الدين (٧٨٤ - ٨٢١ هـ = ١٣٨٢ - ١٤١٨ م)، الشهير بابن الفرج . قال المصنف:=

كاشف الشرقية، والأمير حسين بن قطايا وعدة من المماليك السلطانية، فلحق بجهة الكرك، وقدم خبر ذلك إلى دمشق، فانزعج الشيخية انزعاجا شديدا.

وفى هذا الشهر: كانت فتنة بين الأمير علان وأهل صفد، هزموه فيها، لما بلغهم من قدوم عسكر السلطان مع الموساوى إلى غزة، فقدم دمشق فى سابعه.

وفيه تقرر الصلح بين الأمير نوروز والأمير شيخ، فدقت البشائر بدمشق عدة أيام.

وفيه قدم شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى الحنفى إلى دمشق، فارا من السلطان فى أوائله.

وفيه سار أبو شوشة صديق التركمان من صفد بطائفة، وكبس حولة[(١)] بانياس، ففر من كان بها من جهة الأمير شيخ، ولحقوا بدمشق.

شهر رجب، أوله السبت:

فى سابعه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الطويل، ثم عزل ابن شعبان بشمس الدين محمد بن يعقوب الدمشقى فى ثامن عشره.

=كان جده من جملة نصارى الأرمن وأسلم، وكان أبوه ممن ولى الوزارة والأستادارية، ومولد فخر الدين هذا فى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وعرف الحساب، وكتب الخط الجيد، ولما نُقل أبوه من ولاية قطيا إلى الوزارة فى الأيام الظاهرية برقوق ولاه موضعه بقطيا، وحملت إليه الخلعة فى أول يوم جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة فباشر ولاية قطيا ونظرها مدة وزارة أبيه، ثم صرف عنها وأعيد إليها عدة مرار فى الأيام الناصرية فرج، ثم ولى كشف الشرقية فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، فوضع السيف فى العرب، وأسرف فى سفك الدماء وأخذ الأموال، وتجاوز عن الحد والمقدار فى الظلم، ثم طلب الزيادة فى الظلم والفساد وبذل للناصر أربعين ألف دينار، فولاه وظيفة الأستادراية، عوضًا عن تاج الدين عبد الرزق بن الهيصم فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة، فوضع يده فى الناس بأخذ أموالهم بغير شبهة من شبهة الظلمة حتى داخل الرعب كل برىء، وكثر الشناعة عليه وساءت القالة فيه، فصرف فى ذى الحجة من السنة، وسر الناس بعزله سرورًا كثيرًا، وعوقب عقوبة لم تعهد مثلها فى الكثرة حتى أيس منه كل أحد ورق له أعداؤه، وهو فى ذلك يظهر من قوة النفس وشدة الجلد ما لا يوصف، ثم خلى عنه وعاد إلى ولاية قطيا، ثم صرف عنه، وخرج مع الناصر إلى دمشق من غير وظيفة، وشهد واقعته بها فلما قُتل الناصر تعلق بحواشى الأمير شيخ وقدم معهم إلى القاهرة وأعيد إلى كشف الوجه البحرى. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣١٤ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢٠، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٥٢، نزهة النفوس ٢/ ٤٣٢، أنباء الغمر ٣/ ١٨٢ العقد الثمين ٥/ ٤٦٩ الضوء اللامع ٤/ ٢٤٨.

(١) اسم لناحيتين بالشام، والمقصود بالمتن حول التى بين بابياس وصور من أعمال دمشق. انظر معجم البلدان.

ومن النوادر أن النيل وفى ست عشرة ذراعا، وفتح الخليج فى أول يوم من مسرى، وبلغ فى الزيادة ما يقارب اثنتين وعشرين ذراعا، وثبت إلى نصف هاتور.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه بلغ القمح إلى قريب ثلاثمائة درهم الأردب، والشعير والفول إلى مائتى الأردب، والحمل التبن إلى مائة وعشرين، والرطل اللحم الضأن إلى عشرة دراهم.

وفى ثامنه: أعيد كريم الدين الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن يعقوب.

وفى هذا الشهر: كانت وقعة بغزة بين يشبك الموساوى، وسودن المحمدى، وعلان نائب صفد، قتل فيها جماعة، وفر الموساوى، ودخل القاهرة فى أوائله، وجرح علان فى وجهه، فحمل إلى الرملة، ومات بها، فبعث المحمدى يسأل الأمير شيخ فى نيابة صفد، فولاه فى خامس عشره.

وفى سابع عشرينه: قبض على الأخناى قاضى دمشق، وسجن بدار السعادة وطلب منه عشرة آلاف دينار، وسبب ذلك أنه اتهم بمكاتبة نوروز .

وفى ليلة الأحد حادى عشرينه: قدم الأمير دمرداش إلى حماة نجدة للأمير نوروز، ومعه عسكر حلب وطوائف التراكمين الأوشرية والبياضية، وكردى بن كندر، وعرب الفرات، وبلاد حلب. وكان قد وصل الأمير مقبل الرومى من مصر على ظهر البحر، وسار الأمير نوروز، فوصل إلى حماة فى رابعه، ومعه تقليده بنيابة الشام، والتشريف السلطانى. وكتاب السلطان، فلبس التشريف، وقبل الأرض على العادة، وجدد اليمين بالطاعة للسلطان، فقدم عليه فى غد قدوم مقبل جماعة ممن فى صحبة الأمير شيخ، منهم تمربغا المشطوب، وتمراز نائب حماة، وسودن الحلب، وجانبك القرمى، وبردبك حاجب جلب فلما بلغ الأمير شيخ قدوم دمرداش نائب حلب ركب وترك وطاقه وأثقاله، وتوجه إلى ناحية العربان، فركب دمرداش بكرة يوم الأحد المذكور، وأخذ الرطاق، فعاد الأمير شيخ وقاتله قتالا شديدا، قتل فيه جماعة، منهم بيازير من إخوة نوروز، وأسر عدة كثيرة، منهم الأمير محمد بن قطبكى أمير الأوشرية، وفارس أمير أخور دمرداش، وأحد طبلجاناه دمرداش، وكسر أعلامهم. ونزل الأمير شيخ على نقيرين، ورحل ليلة الإثنين يريد حمص، فقدم الخبر إلى دمشق فى ليلة الخميس بكسرة الأمير شيخ، فعزم من بها من أصحابه على الهرب، واشتغلوا بأنفسهم، ففر الأخناى من سجنه بدار السعادة، واختفى حتى سار إلى صفد، فقدمها فى ثالث شوال، وكتب يعرف السلطان خبره، ويغريه بالأمير شيخ.

وفى سادس عشرينه: قدم إلى دمشق من وطاق الأمير شيخ شمس الدين محمد بن التبانى، وقد ولاه خطابة الجامع الأموى، فأكبر الناس ذلك، لأنهم لم يعهدوا خطيبه قط إلا شافعيا. وكتبوا فى هذا إلى الأمير شيخ فأعاد الباعونى إلى الخطابة.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

فيه أرجف فى دمشق بهجوم سودن المحمدى، فجعلت الستائر على قلعة دمشق، وسبب ذلك أن نوروز كاتبه يستميله إليه، فاستحال على الأمير شيخ، وتوجه إلى دمشق يريد أخذها، وعاث فى بلاد صفد، وصادر أهل القرى. ونزل سعسع، فكتب بذلك إلى الأمير شيخ فبعث دواداره جقمق، فقدم فى سادسه باستخراج الأموال من الناس، ففرض على البساتين والقرى مالا جبى منهم. فبينما هو فى ذلك، إذ قدم المحمدى من غده يوم الإثنين سابعه إلى داريا، وزحف حتى وصل إلى المصلى، وضرب خامه، ونادى بالأمان.

وقال: «أنا من جهة السلطان والأمير نوروز نائب الشام»، وحطم يريد القلعة، وقد وقف الأمير ألطنبغا القرمشى نائب الغيبة بمن معه على باب النصر، فدخل طائفة من أصحاب المحمدى المدينة من باب الصغير، فدخل القرمشى وجماعته من باب النصر، وأغلقوا عليهم. ورمى من بالقلعة على رجالة المحمدى فانهزموا. وبينما الناس فى القتال، إذ قدم من وطاق الأمير شيخ الأمير سودن بقجة، والأمير أينال المنقار على عسكر، فقاتلوا المحمدى قتالا كثيرا، تقنطر فيه عن فرسه إلى الأرض، فأدركه من معه وأركبوه، وقد تفرق جمعه.

فمر على وجهه ولحق بالأمير نوروز وحلف له وللسلطان وغنم أهل دمشق ما كان معه، وقبضوا على خمسين من أصحابه. فلما انجلت الوقعة، قدم فى اللَيل شاهين الدوادار من وطاق الأمير شيخ، وجد فى استخراج ما فرض على الناس من الأموال، فنزل بأهل دمشق شدائد.

وفى سادس عشرينه: نودى فى دمشق بالتأهيب للخروج مع الأمير سودن بقجة، ليسير إلى صفد، فانه استقر فى نيابتها من جهة الأمير شيخ، وكان قد وصل الأمير شاهين الزردكاش(١) إلى صفد من قبل السلطان نائبا بها، وولى أيضا جانبك دوادار

---

(١) شاهين بن عبد الله الزردكاش (٨٤٠ هـ = ١٤٣٠م)، الأمير سيف الدين، نائب طرابلس، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم صار حاجب حجاب دمشق. ثم نقل إلى نيابة حماة، بعد عزل الأمير نكباى واستقره عوضه فى حجوبية دمشق فى جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين=

الحمزاوى نيابة غزة، وشاهين الحلبى كاشف الرملة، ووعدهم أن يسيرهم جميعا إلى محل ولاياتهم فى عيد لافطر.

وفى هذا الشهر: كتب الأمير شيخ كتابا إلى السلطان يخادعه فيه، من مضمونه أنه لما عفى السلطان عنه بصرخد امتنع من الحلف الأمير بكتمر جلق، والصلح معه. ثم توجه بعد رحيل السلطان، وصحبته الأمير سودن الأسندمرى متسفره، حتى بلغ عجلون أعاده السلطان ليعود إليه بما يرسم به، فلما تأخر حضوره توجه إلى محل كفالته، فبلغه أن الأمير بكتمر جمع عليه ثم أنه كبسه على شقحب، فكان من أمره ما كان. ثم توجه إلى غزة وجهز قصاده بمطالعته، تتضمن صورة ما اتفق، فلم يصل إليه الجواب، وأن ذلك بوساطة من قصده إبعاده عن خاطر السلطان، ثم بلغه أن الأمير نوروز حضر إلى حماه وتطرق إلى حمص وأعمالها، وشن الغارات بها، وأظهر الفساد ونهب، فما وسعه سوى المبادرة إليه ليردعه، وتعب البلاد والعباد مما حل بهم، فلما قربه تحصن بمدينة حماة، فنازله وضايقه، وحاصره مدة، إلى أن حضر إليه الأمير دمرداش نائب حلب بعسكرها، وطوائف التركمان والعرب، وخرج إليه فقاتله وكسره، وقتل منه جماعة. فلما أن أدركه شهر رمضان رفع القتال تعظيما لحرمته، ونزل بحمص ليصوم بها، فبلغه أن سودان المحمدى كاتب نوروز ووعده أن يأخذ له دمشق فبادر وجهز فرقة ليسير بها إليه خوفا على المسلمين، فوافوه وقد قدم بالعشير والتركمان، فكسروه، وأخذوا غالب جماعته، وجميع ما كان معه، ثم أخذ بعد هذه الأخبار يذكر أنه تاب وأناب، ورجع إلى طاعة السلطان. ثم أخذ يغرى نوروز، وأنه يريد الملك لنفسه، ولا يطيع أبدا، وأنه هو لا يريد إلا الانتماء إلى السلطان فقط، ورغبته فى عمل مصالح العباد والبلاد، وسأل العفو والصفح عنه، فلم يمش هذا على السلطان.

شهر شوال، أوله الخميس:

فى ثالثه: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الأخنادى إلى صفد، فارا من الشيخية

=وثمانمائة. نقل إلى نيابة طرابلس، بعد موت سودون القاضى. واستقر فى نيابة حماة الأمير أينال النوروزى نائب غزة، واستقر فى نيابة الأمير أركماس الجلبانى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية. فاستمر شاهين المذكور فى نيابة طرابلس، إلى أن توفى الملك المؤيد شيخ، وعزل الأمير ططر عن نيابة طرابلس، بالأمير أركماس الجلبانى نائب غزة. واستمر شاهين بطالا، إلى أن مات فى حدود الأربعين وثمانمائة وورثه الشهابى أحمد بن على بن أينال، فما أدرى هل شاهين المذكور عتيق والده على، أم عتيق جده أينال الأتابك. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢١٢، ٢١٣ والدليل الشافى ١/ ٣٤٢، الضوء اللامع ٣/ ٢٩٥.

بدمشق، فأكرمه الأمير شاهين الزردكاش، وأنزله ثم بعث الأخناى كتبا يخبر فيه السلطان بما جرى له، ويغريه بالأمير شيخ، وأنه خارج عن طاعته، ويحثه فيه على سرعة الحركة إلى الشام.

في ثامنه: خرج من دمشق عسكر، عليه شاهين الدوادار، وخرج من غده عسكر آخر عليه الأمير سودن بقجة، والأمير ألطنبغا القرمشى الحاجب، فساروا إلى سعسع وأقاموا بها، وقد جمع الأمير شاهين نائب صفد العشير، واستعد لهم، وكان تغرى برمش نائب بعلبك قد جمع منها أموالا جزيلة، بأنواع الظلم على عادته، ثم فر بها، وقدم صفد مفارقا للأمير شيخ، ثم سار إلى السلطان.

وفي يوم السبت عاشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعدى النيل إلى بر الجيزة، ونزل بناحية أوسيم[١] عند مرابط خيوله على البرسيم الخضر ليتصيد ويتنزه.

وفي ثالث عشره: أعاد السلطان ابن شعبان إلى الحسبة وعزل الهوى؛ ثم عدى النيل فى يوم الخميس ثالث عشرينه، وركب يريد القلعة، حتى وصل قريبا من قناطر السباع عند الميدان، أمر بالقبض على الأمير قردم الخازندار، والأمير أينال المحمدى الساقى[٢]، فقبض فى الطريق على قردم.

---

(١) أوسيم: من أعمال مركز إمبابة، فى الضفة الغربية من النيل دون الجيزة. انظر القاموس الجغرافى ج ٣ ق ٢/ ٥٧.

(٢) أينال بن عبد الله المحمدى الظاهرى الساقى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بأينال ضُضَعْ - يعنى شفتر -. أصله من المماليك الظاهرية برقوق الخواص، وصار ساقيًا فى أيام أستاذه الظاهر برقوق، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم رأس نوبة النوب بعد موت الأمير بشباى فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة فى جمادى الآخرة، فدام على ذلك مدة «ثم نقل» إلى إمرة سلاح، فاستمر على ذلك إلى يوم الخميس ثالث عشرين شوال اثنتى عشرة وثمانمائة عدى السلطان الملك الناصر فرج النيل عائدا إلى القلعة حتى وصل إلى قريب قناطر السباع عند الميدان. وكان أينال هذا أمام السلطان، «فرسم السلطان» فى الموضع المذكور وهو شائر بالقبض على الأمير قَرْدَم الخازندار، فقبض عليه «ثم بالقبض على» أينال هذا. فلما سمع أينال ضضع المذكور ذلك شهر سيفه وساق فرسه ومضى، فلم يلحقه غير الأمير قجق، وضربه على يده بالسيف ضربة جرحت أينال جرحًا بالغًا، وفاته، فلم يقدر عليه، واختفى من الناصر أيامًا، إلى أن غمز عليه، فأمسك فى بعض حارات القاهرة، فى عاشر شهر ذى القعدة من السنة، فحمل من وقته وحبس عند الأمير قردم بثغر الإسكندرية مدة، ثم أفرج عنه وصار بطالا بالقاهرة إلى أن تجرد الناصر فى سنة أربعة عشر وثمانمائة، أراد القبض عليه ثانيًا، فأحس بذلك واختفى، وخرج إلى البلاد الشامية ولحق بالأمير شيخ ونوروز، ثم صار من حزب نوروز بعد قتل الملك الناصر. ودام عنده بدمشق إلى أن خرج=

وأما أينال فإنه شهر سيفه، وساق فرسه، ومضى فلم يلحقه غير الأمير قجق أدركه وضربه على يده ضربة جرحه جرحا بالغا، وفاته، فلم يقدر عليه، وصعد السلطان إلى القلعة سالما. وسبب ذلك أنه بلغه عنهما أنهما يريدان إثارة فتنة. وقام بعض المماليك فحاققهما أنهما يكاتبان الأمير شيخ، فنودى على الأمير أينال بالقاهرة، عدة أيام، فلم يعرف خبره. وحمل قردم إلى الإسكندرية، فسجن بها، ورتب له فى كل يوم مبلغ خمسمائة درهم من الفلوس. و لم يؤخذ له خيل ولا قماش، ولا غير ذلك .

وفى ثالث عشره: نزل على صفد عسكر دمشق، وفيه شاهين الدوادار، وقرقماش ابن أخى دمرداش وسودن بقجة، وألطنبغا القرمشى، وخليل الجشارى، وحسن بن قاسم بن متيرك مقدم عرب حارثة، وأبو بكر بن مشاق شيخ جبل نابلس، فى جمع كثير من العشير والتركمان، فخرج إليهم الأمير شاهين وقاتلهم يومه، وباتوا متحاربين، وعدوا على حربهم، فاقتتلوا يومهم بطوله قتالا شديدا، جرح فيهم شاهين بوجهه ويده، وكاد يؤخذ لولا أنه فر، فتبعه قرقماش وبقية العسكر، وقد جرح أكثرهم، ونهب لهم شىء كثير، وقتل بين الفريقين جماعة، وأسر من أهل صفد أسندمر كاشف الرملة، فنزل الشيخية قريبا من صفد، ومنعوا الميرة أن تصل إليها، وبعثوا بأسندمر إلى الأمير شيخ، وسألوه فى نجدة، فعين لهم أقبردى المنقار بمائة وخمسين فارسا، وأردفه بيشبك الأيتمشى، وبنائب بعلبك.

وفى خامس عشره: قدم إلى صفد الأمير يشبك الموساوى نائب غزة من قبل السلطان. وقدم أيضا سودن اليوسفى، وبرد بك من أصحاب نوروز.

ثم سار قرقماش ابن أخى دمرداش عن صفد، وقدم على الأمير شيخ بحمص، فسيره إلى دمشق، فقدمها فى ثانى عشرينه، ومعه مائة فارس لتجهيز الآلات لقتال صفد، وقد حصنت قلعة دمشق، ونصب عليها المنجنيق خوفا من قدوم الأمير نوروز إليها.

وفيه قدم أيضا إلى دمشق ناصر الدين محمد بن خطيب نقيرين، وقد ولاه الأمير شيخ قضاءها. وعزل الشهاب الحسبانى.

=نوروز عن طاعة الملك المؤيد. وكان أينال هذا من جملة الأمراء الذين مع نوروز إلى أن ظفر شيخ بنوروز ومَن معه. حبس أينال هذا أيضًا بقلعة حلب مدة، ثم أطلقه، فتوجه إلى بلاد الجاركس، ثم قدم إلى القاهرة بعده مماليك على قاعدة تجار المماليك، فاشتراهم المؤيد منه، ثم عاد ثانيًا، وجلب أخرى كالأول، واستمر بالقاهرة بطالا إلى أن مات فى تاسع عشرين شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة. وكان أميرًا شجاعًا، مقدامًا، مهابًا، عارفًا بفنون الفروسية، باشر تعليم المحمل فى الدولة الناصرية فرج لما كان رأس نوبة النوب سنين. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٣ وما بعدها.

وقدم شرف الدين يعقوب بن التبانى وقد ولاه أيضا مشيخة السميساطية[١]، وعزل الباعونى عنها

وفى خامس عشرينه: ركب الشيخية بأجمعهم على صفد، وقد أتاهم من العشران وغيرهم طوائف، فافترقوا عن المدينة ثلاث فرق، وزحفوا عدة زحوف، فكان قتالا شديدا من بكرة النهار إلى الظهر؛ فانكسر قرقماس، وجرح، وقتل عدة من أصحابه، فانهزم البقية، وتبعهم الصفديون، ونهبوا وطاقهم، وعدة دواب لهم وخرج من الغد الأمير برد بك السيفى نوروز من صفد بعسكر إلى حولة بانياس[٢]، ومعه الأمير مهنا ابن الغزاوى بقومه، وقد أبلى فى أمه على صفد بلاء كثيرا، وقتل ولده الأكبر، وعورت عين ابنه الآخر، واصيبت رجل ابنه الثالث. وتوجه معه أيضا فضل بن غنام بن زامل من آل مهنا. وكانت له أيضا فى الوقعة آثار مشهورة.

وتوجه أيضا محمد بن هيازع، فعاثوا فى تلك النواحى.

وفيه سار يشبك الموساوى من صفد عائدا إلى غزة، وعاد أولاد ابن بشارة أيضا بعشيرهم إلى بلدانهم، فكانت وقعة صفد هذه من الحروب المذكورة، قل من سلم فيها من عسكر صفد، فكانوا بين قتيل وجريح، وتلفت خيول كثيرة، وأقام الشيخية بأراضى الحول هوهم بأسوأ حال، فاشتد الأمر بدمشق، وطلب سودن بقجة نائب شيخ من تجارها وأعيانها الأموال والخيول، وجبى من الجناد ومن الطواحين عدة خيول، واستجد بها عسكرا. هذا والأمير شيخ بحمص، حاصر الأمير نوروز بحماة.

وفيه قدم على الأمير شيخ كتاب قرا يوسف، بأنه قد ملك عراق العجم وديار بكر وماردين، وأنه سلطن ابنه محمد شاه، ونزل فى الموصل[٣]، وقصده الحضور إلى الشام نجدة له لاستمراره على ما بينه وبينه من العهود والمودة.

فجمع الأمير شيخ الأمراء واستشارهم، فما منهم إلا من أشار بحضور قرا يوسف إلا الأمير تمراز الناصرى نائب السلطنة، فأنه أنكر ذلك وخوفهم عاقبة قدومه، وأشار

---

(١) سميساط: وهى مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٥٨.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة فهى محط حال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٢٣

بتأخير جوابه حتى يعلم السلطان بذلك، ويراجع فى أمر الأمير شيخ ومن معه، ثم يعمل بمقتضى جوابه عن ذلك، فوافقوه على هذا، وكتبوا إلى السلطان يخوفوه من قدوم قرا يوسف إلى بلاد الشام أن يتطرق منها إلى مصر، وسألوه حسن النظر للأمراء، بما فيه مصلحة العباد والبلاد.

وفى سابع عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى فى قضاء القضاة المالكية بديار مصر، وعزل جمال الدين يوسف البساطى.

وفيه أنعم على سودن الأشقر(١) رأس نوبة بتقدمة ألف بديار مصر.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فيه سارت نجدة من دمشق إلى من فى الحولة من الشيخية، فمضوا إلى بيسان وكبسوا محمد بن هيازع أمير عرب بنى مهدى فى خامه، وأخذوا ماكان معه، وتوجهوا إلى صفد، فكانت بينهم وبين الأمير شاهين وقعة جرح فيها جماعة.

وفى عاشره: قبض على الأمير أينال المحمدى الساقى أمير سلاح فى بعض حارات القاهرة، فأخرج إلى الإسكندرية فى يومه.

وفيه استقر أقتم أحد المماليك الظاهرية فى ولاية القاهرة، وعزل ابن الطبلاوى. واستقر حسام الدين حسين الأحول أمير جاندار فى شد الدواوين، وعزل آدم البريدى، وكان ظالما فاجرا، وقبض عليه، وعوقب.

---

(١) سودن الأشقر بن عبد الظاهرى (٨٢٧ هـ = ١٤٢٤ م)، الأمير سيف الدين المعروف بسودون الأشقر. هو أيضا من المماليك الظاهرية برقوق، وممن ترقى فى الدولة الناصرية فرج حتى صار أمير مائة وتقدم ألف بالديار المصرية، وشاد الشراب خاناه، ثم عزل عن وظيفته بالأمير أسنبغا الزردكاش، واستمر على إقطاعه إلى أن خلع عليه الأتابك شيخ المحمودى نظام مملكة المستعين با لله العباس فى سنة خمس عشرة وثمانمائة باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن سنقر الرومى بعد قتله، واستمر على ذللك إلى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة خلع عليه الملك المؤيد شيخ باستقراره أمير مجالس، واستقر عوضه رأس نوبة النوب الأمير جانبك الصوفى، ثم قبض عليه المؤيد فى يوم السبت حادى عشرينه، وعلى الأمير كمشغبا العيساوى أمير شكار، وتوجه بهما إلى سجن الإسكندرية الأمير برسباى الدقماقى أحد أمراء العشرات واستقر عوضه أمير أينال الصصلانى. ثم إن الملك الأشرف أنعم على سودون هذا بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، وأنعم بإقطاع سودون الطبلخانات، فإنها كانت أولا إمرة طبلخاناه وقسمت بين كزل وسودون المذكور، وهى قرية الميمون بالوجه القبلى،واستمر سودون الأشقر بدمشق إلى أن توفى بها فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٤٧ وما بعدها وإنباء الغمر ٣/ ٣٣٥ الضوء اللامع ٢٨٢/٢.

وفى آخره: أضيفت ولاية القاهرة إلى الحسام حسين الأحول.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فى ثانيه: قدم كتاب الأمير شيخ من الوطاق إلى دمشق، بأن الشيخ أبا بكر بن تبع وصل إليه رسولا من رسول الله - ﷺ - عن منام رآه شخص، فيه أن النبى - ﷺ - يقول له: « قل لشيخ إن لم يرجع عما هو فيه وإلا هلك ومن معه». فقال: « يا رسول الله أخاف ألا يصدقنى».

فقال: « قل لابن تبع يذهب إليه». فقال « ما يصدقه». فذكر له علامة من تحويط نفسه عند النوم بذكر ذكره. فتوجه هو وابن تبع إليه فقص عليه المنام، فصدق العلامة، وكتب إلى دمشق برفع المظالم، وأنه قد رجع وأناب إلى الله تعالى، وسأل الدعاء له بالتوفيق والسداد. فقرئ الكتاب فى الجامع الأموى بحضرة القضاة والأعيان والعامة. ونادى الأمير سودن بقجة نائب الغيبة برفع المظالم، فلم يرفع شىء منها، بل قدم تاج الدين محمد بن الشهاب أحمد الحسبانى من الوطاق بحمص إلى دمشق، وقد ولاه الأمير شيخ حسبة دمشق ووكالة بيت المال وقضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، على أن يقوم له بألف دينار، كتب بها خطه، حتى بيها من وجوه المظالم. وقدم أيضا الطواشى مرجان الهندى الخازندار بالكشف عن أوقاف الصدقات ومحاسبة المباشرين عليها.

وفى سادسه: سار من دمشق شاهين الدوادار على عسكر، وسار جقمق الدوادار من الغد إلى البقاع.

وفى ليلة الإثنين تاسعة: قتل سنان نائب قلعة صفد، بحيلة دبرت عليه.

وأما الأميران شيخ ونوروز، فانه لما كان فى أول هذا الشهر اجتمع على الأمير شيخ جمع كبير من عسكره، ومن طائفة التركمان البازية والأشرية، والكبكية، والذكرية، والأسقية، والبزقية. وقدم عليه الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان، ونزل العمق، فسار الأمير شيخ من حمص إلى وادى الخزاندار، واجتمع بأمير الملا العجل بن نعير وأخذه معه، وقد قدم ببيوته وبوشه[1]، ونزل بظاهر حماة فى يوم الخميس ثانى عشره، وخيم بظاهرها.هذا وقد اجتمع عند الأمير نوروز ودمرداش بحماة طائفة التركمان الأوشرية والبياضية، وقدم على ابن دلغادر، ونزل قريبا من العمق ببيوته، فاقتتل أصحاب شيخ ونوروز قتالا يسيرا، وأصبح الأمير شيخ فى يوم الجمعة على ألا يقاتل،

---

(١) البوش والبوش الجماعة المختلطة أو لا يكون إلا من قبائل شتى أو الكثرة من الناس ومنه بوش بائس. محيط المحيط (بوش).

فما أحس وقت صلاة الجمعة، إلا ونوروز قد خرج من مدينة حماة - هو ودمرداش بعساكرهما، فركب حينئذ واتتلوا إلى قريب العصر فخامر على نوروز طائفة التركمان الأوشرية، فانهزم وعبر المدينة - هو ودمرداش - وقد أخذ الأمير شيخ سودن الجلب وجان بك القرمى وشاهين الأياسى وسودن أمير أخور، ونوروز، وبيازير، وجماعة. وغرق بوزجا أمير التركمان البياضية فى نهر العاصى، وغرق أسطاى أخو يونس، وجماعة كثيرة، وتسحب منهم جماعة، وغنم الأمير شيخ نحو ألف فرس. وتفرق أكثر التركمان والعربان عن نوروز، ولحق بالأمير شيخ منهم جماعات. ونزل بالميدان خارج حماة ومعه العجل، وأقاما يومى السبت والأحد بغير قتال، فلما كان ليلة الإثنين صلع تمربغا المشطوب وسودن المحمدى وتمراز نائب حماة، وكبسوا العجل ليلا، فاقتتلوا إلى قريب الفجر واخذوا مواشى كثيرة، فركب الأمير شيخ بجدة للعجل، فخرج نوروز ونهب وطاقه وعاد إلى حماة، فنزل الأمير شيخ بكرة يوم الإثنين قريبا من شيزر، ونزل العجل بطرف البر، وقد كملت مدة الحرب سبعة أشهر. وكتب الأمير شيخ إلى دمشق بكسرة نوروز، فدقت البشائر بها وزينت. وكتب دمرداش إلى السلطان يطلب منه نجدة، ويحثه على سرعة المسير إلى الشام، ويخوفه عاقبة تأخره لخروج البلاد من يده.

وفى تاسع عشره: وصلت كشافة برد بك السيفى إلى عقبة شحورا[١] ظاهر دمشق، ونزل هو بشقحب، وتأهب أهل قلعة دمشق لحربه.

وفى عشرينه: وصل إلى دمشق الأمراء المأخوذون من أصحاب نوروز، وهم سودن الجلب، وكشكنا، وجان بك القرمى، ونحو خمسين مملوكا، ما بين ماش وراكب حمار، فسجنوا بقلعة دمشق.

وفيه خرج عسكر من دمشق مع سودن بقجة وألطنبغا القرمشى، فاقتتلوا مع برد بك، فانكسر جاليش بقجة، فركب ومال على تركمان برد بك وكسرهم، وحمل بمن معه على برد بك هزمه على خان ابن ذى النون، فمر إلى صفد، ونهب ما كان معه، ومضى سودن بقجة وألطنبغا القرمشى، والأجرود نائب بعلبك وأينال المنقار بجمع كبير من العشير والتركمان والعرب يريدون غزة، فاشتد الأمر على نوروز من طول الحصار، ومنع الميرة، وفرار أكثر التركمان عنه، بحيث لم يبق عنده غير كردى باك، وابن دلغادر، وانضم ابن رمضان وابن صاحب الباز إلى الأمير شيخ. وأخذت له أنطاكية، فكثر جمعه، وجهز شاهين الدوادار، وأيدغمش من كبك، إلى حلب، ولم يبق بيد السلطان

(١) عقبة الشحورة: هى عقبة لطيفة تقع بين الكسوة ودمشق. انظر تقويم البلدان ص ٢٥٣.

من البلاد الشامية غير غزة وصفد، ومعه بردبك السيفى، ونوروز بحماة وهو محصور، فلما تزايد الضيق على نوروز ودمرداش، استدعيا أعيان مدينة حماة.

وما زالا بهم حتى كتبوا إلى العجل بن نعير بأن نوروز فر من حماة، ولم يبق بها إلا دمرداش، وسألوه أن يأخذ لهم الأمان من الأمير شيخ، فمشى ذلك على العجل، وركب إلى الأمير شيخ، وأعلمه بذلك، فبعث فرقة من مماليكه ومن عرب العجل بسلالم تسوروا منها على السور، وتركوا خيولهم بباب الجسر، ونزلوا المدينة، فأخرج النوروزية خيولهم وركبوا عليهم وقتلوهم جميعا، إلا رجلين من أمراء العجل، وعلقوا الرءوس على السور، وألزم أمير العجل حتى كتب إليه بأن الصلح قد انعقد بين نوروز وشيخ على أن يمسك نوروز دمرداش يسلمه لشيخ، ويمسك شيخ يسلمه لنوروز، فلم يكذب العجل ذلك، وركب لوقته وسار يريد البر، فركب الأمير شيخ فى إثره ليرده، فخرج نوروز ودمرداش بمن معهما، ونهبوا وطاقه وخيله، فبلغه ذلك، فعاد إلى حمص، ثم سار عنها إلى القريتين وكتب إلى سودن بقجة أن يبعث الأمراء النوروزية والمماليك إلى قلعة المرقب، وكتب يطلب الصلح من نوروز فأبى عليه، وخرجت السنة وهم على ذلك، والسلطان متحرك للسفر إليهما.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر جماعة منهم

نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التسترى [1] البغدادى مدرس المدرسة الظاهرية برقوق للحنابلة، فى حادى عشرين صفر. ومولده ببغداد فى حدود الثلاثين وسبعمائة، وله مصنفات ونظم ونثر.

ومات الأمير جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبى. قتل فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة، بعدما حكم إقليمى مصر والشام، ولم يفته من السلطنة إلا الاسم، وقد بسطت ترجمته فى التاريخ الكبير المقفى، وفى كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة - هو وكل من له وفاة فى هذا الجزء، ويستحق بها أن يذكر، إما بشهرته أو بفضيلته.

ومات الأمير أقباى الكبير الطرنطاى [2] رأس نوبة الأمراء، فى ليلة الأربعاء سابع

---

(١) نسبة إلى. تستر، وهى أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب مشوشتر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٩.

(٢) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩م). آقباى بن عبد الله من حسين شاه الطرنطاى الظاهرى، الأمير=

عشرين جمادى الآخرة، ونزل السلطان إلى داره، ثم تقدم راكبا إلى المصلى فصلى عليه، وشهد دفنه. وترك من العين أربعين ألف دينار مصرية واثنى عشر ألف دينار مشخصة، ومن الغلال والخيول والجمال وغير ذلك شيئا كثيرا، فأخذ السلطان الجميع، ولم يترك لأولاده شيئا، وكان عسوفا، شرها فى جمع المال، بخيلا.

ومات الأمير طوخ الخازندار[1]، فى آخر جمادى الآخرة.

ومات الأمير بلاط، أحد المقدمين، مقتولا بين الأسكندرية ودمياط.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الله، أبى بكر القليوبى، شيخ خانكاه سرياقوس،

=سيف الدين المعروف بالحاجب. هو من مماليك الملك الظاهر برقوق ومن خواصه، وأعيان دولته و خاصكيته، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، ثم نقله بعد مسك الأمير على باى إلى إمرة طبلخاناه، ومات الملك الظاهر برقوق فى سنة إحدى وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده الملك الناصر فرج، صار آقباى هذا أمير مائة ومقدم ألف يالديار المصرية بعد الأمير تمربغا المنجكى، واستمر على ذلك إى أن كانت واقعة الأمير الكبير أيتمش البجاسى، وخروجه عن الطاعة، وتوجهه إلى البلاد الشامية بمن معه من الأمراء، وكان من جملتهم الأمير فارس الحاجب، فخلع على أقباى هذا بحجوبية الحجاب من بعده فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة، فدام فى الحجوبية مدة سنتين إلى أن نقله الملك الناصر فرج إلى إمرة سلاح، ثم صار بعد مدة رأس نوبة الأمراء، وهذه الوظيفة مفقودة الآن، واستقر من بعده أمير سلاح الأمير سودون الطيار، واستقر أمير مجلس بعد سودون الطيار الأمير يلبغا الناصرى، فلم تطل أيام الأمير أقباى ومات فى ليلة الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة اثنتى عشرة وثمانمائة. قال المقريزى: ونزل الملك الناصر إلى داره، ثم تقدم راكبا إلى المصلى فصلى عليه، وشهد دفنه، وترك من العين أربعين ألف دينارا مصريا واثنى عشر ألف دينار مشخصا، وغير ذلك شيئًا كثيرا، فأخذ السلطان الجميع، وكان شرها فى جمع المال بخيلا. انتهى. كلام المقريزى. قلت: كان مشهورا بالدين والخير إلا أنه كان كما قال المقريزى فى البخل وجمع المال، وخلف عدة أملاك من جملتها الحاصل والربع بالبندقيين وغيرهما، عفا الله عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى حـ١ ص ١٣٦ رقم ٤٧٧، النجوم الزاهرة حـ١٣ حـ١ ص ١٣٦ رقم ٤٧٧ ص ١٧٦، نزهة النفوس حـ٢ ص٢٦٠ ترجمة ٤٧٣، الضوء اللامع حـ٢ ص٣١٣ ترجمة ٩٩٣.

(١) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩م) طوخ هو من مماليك الملك الظاهرى برقوق، وممن ترقى فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولاه الملك الناصر فوج خازندار كبيرا، وصار له أمر فى الدولة، واستمر على ذلك إلى أن توفى بالقاهرة فى آخر جمادى الآخرة سنة ثنتى عشرة وثمانمائة. وكان أميرا ضخما، رحمه الله، وطوخ بطاء مهملة مضمومة وبعدها واو وخاء معجمة ساكنة، وكانت العامة تُسميه: طوق بالقاف، وهذا أيضًا من تحريف أولاد العرب وتلاعبهم بالأسماء العجمية. انتهى. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى حـ١ ص٣٧٠ رقم ١٢٧١، النجوم الزاهرة حـ١٣ ص١٧٦، نزهة النفوس حـ٢ ص٢٦١ رقم ٤٧٤، الضوء اللامع حـ٤ ص١٠ رقم ٣٤.

بها فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الأولى، وكان من فضلاء الشافعية، متواضعا، دينا.

وقتل الأمير الشريف جماز بن هبة الله بن جماز بن منصور الحسينى[(١)]، أمير المدينة النبوية، فى جمادى الآخرة، بالفلاة، وهو فى عشر الستين.

وولى إمارة المدينة ثلاث مرات، آخرها فى سنة خمس وثمانمائة، واستمر إلى صفر سنة إحدى عشرة، وما خرج حتى نهب ما فى القبة من حاصل الحرم النبوى.

ومات الشريف أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبى نمى الحسنى[(٢)] بمكة، فى المحرم، وقد أناف على الستين، وكان الشريف عنان بن مغامس فى ولايته الأولى على مكة أشركه معه فى ولايتها وهو مكحول، وكان ابن أخته الشريف محمد بن أحمد بن عجلان، وكبيش بن عجلان قد خافا منه، فكحلاه، وقتل ابن أخته بعد ثلاثة أشهر، وكبيش بعد ستة أشهر من كحله.

ومات محمد بن أميرزه، الشيخ عمر بن الطاغية تيمور لنك، فى المحرم، مقتولا، على

---

(١) جماز بن هبة (٨١٢ = ١٤٠٩م). جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرام النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها. فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة للناس. قتلوه وهو نائم. انظر رسائل تاريخ المدينة، الأعلام ١٣٣/٢.

(٢) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩م). أحمد بن ثقبة بن رميثة، واسم رميثة منجد، بن أبى نمى «محمد» بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة، الشريف شهاب الدين الحسنى المكى، أمير مكة. وليها شريكا لعنان بن مغامس فى ولايته «الأولى» بتفويض من عنان المذكور إليه ليستظهر به على آل عجلان المنازعين له فى ذلك. وكان الخطيب بمكة يذكره فى الخطبة مع ابن مغامس، ومع هذا كله كان ضريرا؛ لأن عمه أحمد بن عجلان اعتقله مع ابنه على وأخيه حسن بن ثقبة وابن عمهم عنان ومحمد بن عجلان فى أول سبع وثمانين وسبعمائة، ولما كحل المذكور أصاب المرود ظاهر إحدى عينيه فلم تذهب، وأصاب المرود جوف الأخرى فأذهبها، فلما كحل ابنه على بعده صاح، فنهل أبوه هذا لصياحه، وفتح عينيه لينظر إليه، وقال: وولداه، ففطن له بعض من حضر، وأشار بكحله ثانيا، فكحل، ولم يكن ذنب يوجب اعتقال أحمد بن عجلان له؛ لأنه كان مظهرا لطاعته غير موافق لأخيه حسن وعنان فى مشاقتهم لأحمد بن عجلان، لكن كان ذلك مقدار عليه. وكان أحمد بن ثقبة من أجل بنى حسن وأسعدهم وأكثرهم خيلا وسلاحا. توفى فى آخر المحرم سنة إثنتى عشرة وثمانمائة بمكة، ودفن بالمعلاه، وقد قارب السبعين، وخلف أربعة ذكور وبعض بنات، رحمه الله. وثقبة بفتح التاء المثلثة وبعدها قاف مفتوحة كذلك وباء موحدة من تحت وهاء، والله أعلم. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٤٢ رقم ١٣٤، النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٧٧، أنباء الغمر جـ٢ ص٤٣٦، العقد الثمين جـ٣ ص٢٢ رقم ٥٢٧، الضوء اللامع جـ١ ص٢٦٦.

يد بعض خواصه، وكان مشكور السيرة، وقام من بعده بمملكة جغطاى أخـوه اسـكندر شاه بن أمير زه شيخ عمربن تيمورلنك.

* * *

سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

أهلت والخليفة المستعين با لله أبو الفضل العباسى بن محمد، والسلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، ونائب الشام الأمير نوروز، و لم يتمكن من المباشرة بل هو محصور بحماة، والأمير شيخ وجماعته يحيطون به، ونائب حلب الأمير دمرداش، وهو بحماة مع نوروز، وعنده أيضا نائبى حماة وطرابلس، ونائب صفد الأمير شاهين الزردكاش، ونائب غزة الأمير يشبك الموساوى الأفقم.

والذهب فى القاهرة بمائة وثمانين المثقال، وبمائة وستين الدينار المشخص، والأردب القمح بمائتى درهم، وقد هافت الزروع، إلا قليلا، بسبب ريح هبت، سيما الشعير فإنه كاد يهيف كله، والفلوس كل رطل منها بستة دراهم، تسمية لا معنى لها، والفضة إن وجدت فكل درهم نقرة خالص باثنى عشر درهما ثمن الفلوس التى زنتها رطلان. وكل درهم كاملى بستة وسبعة دراهم من الفلوس.

شهر المحرم، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: قدم الأمير شاهين، دوادار الأمير شيخ، إلى حلب، على عسكر، فقاتله أهلها من أعلى السور، فلم يزل حتى أصعد جماعة من عسكره فوق السور بسلالم قد أحضرها معه، فأخذوا له المدينة فى خامسه، وامتنع من كان يقاتله بالقلعة.

وفى عاشره: خلع السلطان على الأمير قراجا شاد الشراب خاناه، وجعله دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير قجاجق بعد موته، وخلع على سودن الأشقر، واستقر شاد الشراب خاناه.

وفيه كانت وليمة الأمير بكتمر جلق، وزفت عليه ابنة السلطان ليلا، فبنى عليها ليلة الجمعة حادى عشره.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: أخرج من قلعة دمشق سودن الجلب، ومن معه من المسجونين، وتوجه بهم الأمير ألطنبغا القرمشى إلى قلعة المرقب، فسجنهم بها، وعاد إلى دمشق.

وفى ليلة الإثنين حادى عشرينه: اجتمع رجلان بصالحية دمشق، [1] أحدهما

---

(١) صالحية دمشق: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق=

تراس[1] والآخر قيم حمام، وشربا الخمر، فأصبحا محرقين، ولم يكن عندهما نار، ولا وجد أثر الحريق فى غير يديهما، وبعض ثيابهما. وقد مات أحدهما، وفى الآخر رمق، فأقبل الناس أفواجا أفواجا لرؤيتهما، والاعتبار بحالهما.

وفى هذا الشهر: فشا الطاعون ببلاد الشام، فعم طرابلس وحوران وبالس[2] ودمشق، ووقع جراد بالرملة والساحل.

وفيه توجه السلطان أحمد بن أويس[3] من بغداد إلى توريز، ليأخذها من قرا يوسف، وقد سار عنها إلى أرزنكان[4].

شهر صفر، أوله الأربعاء.

فى ثانيه: قدم الأمير ألطنبغا القرمشى من قلعة المرقب إلى دمشق، بعدما مر على الأمير شيخ وعمله نائب الغيبة بدمشق، وأذن لسودن بقجة أن يخرج ويسير من دمشق للدورة لأخذ مال يرتفق به.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه: خرج الأمير بكتمر الناصرى جلق الأتابك وخيم بالريدانية ظاهر القاهرة، ليسير جاليش العسكر إلى الشام، ومعه الأمير طوغان الحسنى رأس نوبة النوب، والأمير سنقر الرومى، والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب، والأمير خاير بك، والأمير ألطنبغا العثمانى، والأمير شاهين الفرم رأس نوبة، وعدة من أمراء الطبلخاناه، وغيرهم.

وفيه نودى بالقاهرة أن تكون الفلوس باثنى عشر درهما الرطل، وكانت بستة دراهم الرطل، وقد بلغ المثقال الذهب إلى مائتين، والدينار المشخص إلى مائة وثمانين، فغلقت

=وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٩٠.

(١) هو صانع التروس . انظر القاموس المحيط (ترس).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. انظر معجم البلدان ١/ ٣٢٨.

(٣) اسلطان أحمد بهادر (٨١٣ هـ ١٤١٠م). أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين: آخر سلاطين الدولة البجلايرية. فى بغداد مغولى الأصل، مستعرب كان أسلافه من رحال جنكيز خان وهو لاكو، وآل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز وعاشر زمانا فى بغداد، وناب عن أخيه السلطان حسين، فى البصرة، ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ. وقتل جماعة من أمارء الجيش كان يخشى انقلابهم عليه. انظر تاريخ العراق ٢/ ٣٠٥، الضوء اللامع ١/ ٢٤٤، البدر الطالع ١/ ٢٢. والأعلام ١/ ١٠٢.

(٤) أرزنجان: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاى، وسكون النون، وجيم وألف ونون، وأهلها يقولون: أرز نكان، بالكاف: وهى بلده طيبة مشهورة كثيرة الخيرات والأهل، من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قريبة من ارزن الروم، وغالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها. انظر معجم البلدان ١/ ١٥٠.

الأسواق، وتعطلت أسباب الناس، فنودى بذلك فى يوم الجمعة، وهدد من خالف، فاشتد الأمر، وفقد الخبز وغيره من المآكل، فلم يقدر على شىء منها، فغضب السلطان، وهم أن يركب بنفسه بعد صلاة الجمعة، ويضع السيف فى العامة، فما زال الأمراء به حتى كف عن الركوب. وبات الناس فى كربة. وأصبحوا يوم السبت خامس عشرينه، فسأل الأمراء السلطان فى أمر سعر الفلوس، وما زالوا به حتى رسم - بعد جهد - أن يكون الرطل بتسعة، فنودى بذلك فى القاهرة، فسكن الحال قليلا، وظهرت المآكل، ثم نودى فى يوم الإثنين سابع عشرينه أن تكون الفلوس بستة دراهم الرطل، كما كانت، ففتحت الأسواق، وعاد الأمر كما كان أولا. وكان لهذا الحادث سبب، وهو أن السلطان اشترى نعالا للخيل، وسك حديدا لأجل السفر، فحسب ثمنها كل رطل باثنى عشر، فقال: « هذا غبن أن يكون الحديد الأسود باثنى عشر درهما الرطل، والنحاس المصفى المسكوك - وهو الفلوس - كل رطل بستة دراهم»، ووجد عنده عشرة آلاف قفة من الفلوس، زنة كل قفة مائة رطل، عنها ستمائة درهم، قد حملت إلى القلعة لتنفق فى المماليك عند السفر إلى الشام، فأراد أن يجعل الرطل الفلوس بخمسة عشر ليعطى القفة الفلوس التى حسبت عليه بستمائة فى النفقة بألف وخمسمائة، وتخيل فى ذلك ربحا عظيما إلى الغاية، وخشى ألا يتمشى له هذا، فرسم أن تكونالرطل باثنى عشر درهما، ثم رجع عنه إلى تسعة، ثم إلى ستة. وسبب رجوعه تنمر المماليك عليه، اليفطنهم بما أراده من الفائدة عليهم، وحدثوه غير مرة فلم يجد بدا من عود الأمر إلى حاله، خشية نفورهم عنه وقت حاجته إليهم.

وفى سابع عشرينه: رحل الأمر بكتمر من الريدانية بمن معه يريد الشام.

وفى يوم الخميس سلخه: عمل السلطان المولد النبوى ليلا، بعمارته التى أنشأها فى الحوش من قلعة الجبل، على عادته، وحضر القضاة، فجلسوا صفا عن يساره، وجلس عن يمينه الشيخ إبراهيم بن زقاعة[1]، والشيخ نصر الله الجلالى، ومشايخ العلم، ومدت الأسمطة، وفرقت الخلع.

---

(١) ابن زقاعة (٧٢٤ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٣ - ١٤١٤م). إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين القرشى النوفلى الغزى المعروف بابن زقاعة ويقال ابن سقاعة: إنسان عجيب من أهل غزة. بدأ خياطا، وقرأ على شيوخ بلده ونظم كثيرا مما يسميه بعض الناس شعرا وتفرد فى معرفة الأعشاب ومنافع النبات فكان يصف أشياء منها للأوجاع كالأطباء، ويسترزق العقاقير وتزهد وساح فى طلب الأعشاب وكان يستحضر كثيرا من الحكايات والماجريات كما يقول السخاوى. وخدع به بعض العلماء فنعته بشيخ الطريقة والحقيقة، وشاعت عنه مخاريق شعبذة. وكان له حظ وافر عند ملوك مصر، يجلسونه فوق قضاة القضاة وتوفى بالقاهرة. انظر الضوء ١/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٥، شذرات النهب ٧/ ١١٥. الأعلام ١/ ٦٥.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب السلطان من قلعة الجلبل إلى الريدانية بعساكره، فنزل بمخيمه، وبات به، ثم عاد من الغد إلى التربة التى أنشأها على قبر أبيه، خارج باب النصر، فى سفح الجبل، وقرر فى مشيختها صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمى، ورتب عنده أربعين صوفيا، وأجرى عليهم الخبز واللحم الضأن المطبوخ أنواعا فى كل يوم، مع المعاليم فى كل شهر.

وفى سادسه: أخذ ما فى الطواحين والمعاصر من الخيل والبغال، وسيرت إلى العسكر، فتضرر الناس بالقاهرة من ذلك.

وفيه تقرر الصلح بين الأمير شيخ والأمير نوروز، بعدما اشتد الأمر بحماة، وقلت العلوفات منها، حتى أخذت حصر الجامع، وقدمت للخيل، فأكلتها من الجوع. وحلف كل منهما لصاحبه بموافقته، وما ذاك عن حب ولا رغبة سوى الخوف من السلطان أن يظفر بأحدهما فيتطرق إلى أخذ الآخر. فلما تم صلحهما عزما على أخذ دمرداش نائب حلب، وابن أخيه قرقماش. فلما أحسا بذلك، فر دمرداش من حماة، ولحق بالعجل بن نعير، ثم سار إلى السلطان، فقدم عليه. وسار ابن أخيه إلى أنطاكية. وتوجه نوروز إلى حلب، فدخلها فى عاشره، وتسلم قلعتها من بيتحار مملوك دمرداش، وفر الأمير مقبل الرومى، ولحق بالسلطان وهو على غزة، وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، فقدمها فى ثامن عشره، ومعه الأمير يشبك بن أزدمر، وسودن الجلب، وقد أفرج عنه وعن أصحابه من سجنهم بقلعة المرقب، وترك خامه على قبة يلبغا - خارج دمشق - وأشاع أنه يسير إلى غزة، ونزل بدار السعادة.

وأظهر بدمشق، ونوروز بحلب، الخروج عن طاعة السلطان، وأعلنا بذلك.وصارا يكتبان فى كتبهما ومراسيمهما بدل الملكى الناصرى ما مثاله« الملك لله» فظهر ما كان خافيا، وانكشف ما كان خافيا، وانكشف ما كان من سنين مستورا.

وفى يوم السبت تاسعه: استقل السلطان بالمسير من الريدانية يريد الشام، ومعه من الأمراء الألوف تغرى بردى الأتابك، وقنباى، وقجق العيساوى، وسودن الأسندمرى، وسودن من عبد الرحمن، وسودن الأشقر، وكمشبغا المزوق، وبرد بك لخازندار، وعدة من أمراء الطبلخاناه، والعشرات، والمماليك، والخليفة، والقضاة، وأرباب الوظائف. وجعل نائب الغيبة الأمير أرغون، وأنزله بباب السلسلة، وجعل بقلعة الجبل الأمير كمشبغا الجمالى نائب القلعة، وجعل بظاهر القاهرة الأمير أينال الصصلانى الحاجب

الثانى، وأنفق فى هذه الحركة مالا عظيما، فأعطى كل مملوك عشرين ألف درهم من الفلوس، وأعطى الأمير تغرى بردى والأمير بكتمر جلق ثلاثة آلاف دينار لكل منهما، ولكل من المقدمين ألفين ألفين، ولكل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، ولمن دونهم ثلاثمائة دينار، ولمن دونهم مائتى دينار. وأعطى لقاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى مائة دينار. ولم يعط غيره من القضاة.

وفى ليلة الإثنين خامس عشرينه: توجه الأمير شيخ من دمشق، وأوقع بالعربان، وأخذلهم جمالا وأغناما كثيرة، فرقها فى أصحابه، وعاد، فكثر عنده الإرجاف بمسير السلطان، فلم يثبت للقائه، وخرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشرينه، ومعه العسكر، وتبعه جانم نائب حماة، فلم يشعر الناس بدمشق فى يوم الأربعاء سابع عشرينه إلا والأمير بكتمر جلق قد قدم بعد الظهر على حين غفلة، فأدرك أعقاب الأمير شيخ، وأخذ منه جماعة.

وقدم السلطان بعد العشاء من ليلة الخميس ثامن عشرينه، وقد ركب من بحيرة طبرية[1] عصر يوم الأربعاء على جرائد الخيل، ليكبس الأمير شيخ ففاته، لأن النذير عندما أتاه يوم الأربعاء ركب من وقته ونجا بنفسه، فما بلغ سطح المزة إلا وبكتمر جلق بدمشق، فمر على وجهه، وتبعه أصحابه، وفى يوم الخميس قدمت أثقال السلطان.

وفيه نودى بدمشق الأمان والاطمئنان، ولا ينزل أحد من العسكر فى منزل أحد، ولا يشوش أحد منهم على أحد فى بيع ولا شراء. ونودى أن الأمير نوروز هو نائب الشام.

وقدم الأخناى مع العسكر، وقد لقى السلطان بالطريق، فأعاده إلى قضاء دمشق.

وفى يوم الجمعة: صلى السلطان الجمعة بالجامع الأموى، وخطب به، وصلى شهاب الدين أحمد الباعونى. ثم عوض الباعونى عن خطابة الجامع الأموى بخطابة القدس، وأضيفت خطابة الجامع الأموى للأخناى.

وفى هذا الشهر: كان قرا يوسف بالقرب من أرزنكان، فبلغه مسير أحمد بن أويس إلى توريز، وأنه اتفق مع شاه رخ بن تمرلنك وأخويه إسكندر وخليل، فأعرض قرا يوسف عن محاربة قرا يلك، واستعد لحرب بن أويس وعزم على لقائه.

---

(١) بحيره طبرية: هى نحو من عشرة أميال فى ستة أميال، وغور مائها علامة لخروج الدجال. انظر معجم البلدان ١/ ٣٥١.

وفيه بلغ الأردب القمح بالقاهرة مائتين وخمسين درهما، والشعير إلى مائة وخمسين، والفول إلى مائة وستين. فلما سافر السلطان نزل القمح إلى مائة وعشرين، والشعير إلى ستين درهما، والفول إلى تسعين درهما.

شهر ربيع الآخر أوله السبت:

فى ثانيه: قدم الأمير شاهين الزردكاش نائب صفد إلى دمشق.

وفيه استقر الأمير نكباى حاجب الحجاب بدمشق ، واستقر تغرى برمش - الذى كان أستادار الأمير شيخ، وفر من بعلبك وسار إلى القاهرة - فولى شاد الدواوين. ثم توجه إلى غزة ليجهز الإقامات للسلطان، وقدم دمشق فشرع فى أمسه يقرر الشعير على ضياع الغوطة والمرج، فزاد على ظلم من قبله، وبالغ. فلما أصبح، عزله السلطان وولاه نيابة غزة، ثم فى آخر النهار طلب وأخذت منه الخلعة التى لبسها بكرة النهار، وقبض عليه، وصودا.

وفى ثالثه: استقر الأمير يشبك الموساوى فى نيابة طرابلس على مال مبلغه مائة ألف دينار، ومضى إليها. واستقر زين الدين أو بكر بن اليغمورى فى نيابة بعلبك، وأخوه شعبان فى نيابة القدس.

وفى خامسه: قدم إلى القاهرة عاقل الخازندار من قبل السلطان، وعلى يده كتبه بقدومه دمشق.

وفى يوم الجمعة سادسه: سارت أطلاب السلطان والأمراء وغيرهم من دمشق إلى برزة. وصلى السلطان الجمعة بجامع بنىأمية، وتوجه بعساكره ، فنزل فى مخيمه على برزة، وعمل شاهين الزردكاش نائب صفد على دمشق نائب الغيبة، فتحول إلى دار السعادة، ونزل بها، وتأخر بدمشق الأمير قنباى المحمدى لضعف به، وتخلف بها أيضا القضاة الأربع، والوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى لجمع مال السلطان، وعمل أشياء اقترح عملها، وتأخر مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص أيضا.

وسار السلطان فى طلب الأمير شيخ والأمير نوروز ومن معهما، وقد قصدوا حلب.

وفى سابع عشره: قدم ابن أبى الرداد إلى دمشق ليبشر السلطان بوفاء النيل فى خامس مسرى.

وفيه قبض بدمشق على موسى الملكاوى، وضرب ليحضر صدر الدين على بن الآدمى كاتب سر دمشق، وقاضى الحنفية بها، فدل عليه، فلما أتاه الطلب فر.

وفى خامس عشره: سار السلطان من حلب، بعدما قدم عليه الأمير دمرداش نائب حلب يريد أعداءه، وقد ساروا إلى عينتاب، فلما أحسوا بمسيره، مضوا إلى مرعش، ثم إلى ككسوا حتى أتوا إلى قيسارية[١] الروم.

فنزل السلطان بأبلستين[٢] وأقام عليها، وكتب إلى الأميرين شيخ ونوروز ومن معهما يخيرهم بين الخروج من مملكته وبين الوقوف لمحاربته، أو الرجوع إلى طاعته، وأنه قد عزم على الإقامة بأبلستين السنتين والثلاث، حتى ينال غرضه منهم. فأجابه الأمير شيخ يعتذر عن حضوره بما خامر قلبه من شدة الخوف عند القبض عليه فى سنة عشر وثمانمائة، وأنه لا يحارب السلطان ما عاش، بعدما حلف له فى نوبة صرخد. وكرر الاعتذار عن محاربته الأمير بكتمر جلق، وذكر أن الذين معه إنما هم مماليكه، أشتراهم بماله من نحو عشر سنين، ولا يمكنهم مفارقته، وأنه ما أخذ من أوقاف دمشق إلا ما خرب، وصار لا ينتفع به، ولا يقام فيه شعائر الإسلام، فكان يأكلها من لا ستحقها.

وأنه لم يفعل ذلك إلا من فقره وعدم قدرته، وأنه إن لم يسمح السلطان له بنيابة الشام كما كان، فلينعم عليه بنيابة أبلستين، وعلى الأمير نوروز بملطية، وعلى يشبك ابن أزدمر بعينتاب، وعلى غيرهم من الأمراء ببقية القلاع، فإنهم أحق من التركمان والأكراد المفسدين. فلم يرض السلطان منهم بذلك، وصمم على الإقامة، وكتب يستدعى التراكمين وغيرهم.

وفى هذا الشهر: مات نيق، القائم بمدينة الكرك، فقام بعده أخوه يشبك، واستولى على قلعتها.

وفيه وقعت فتنة بجبل نابلس، بين ابن عبد الساتر وابن عبد القاد، شيخى العشير، ففر ابن عبد القادر، وكثرت الفتن بتلك البلاد، حتى انقطعت الدروب فلم تسلك.

وفيه بعث تنبك نائب قلعة الروم إلى الأمير نوروز عشرين فرسا تقدمة، فعين لأخذ قلعة الروم وقلعة البيرة سودن تلى المحمدى على رأبعمائة فارس، فنزل تنبك إلى البيرة، فقاتله مبارك شاه نائبها، وظفر به، واعتقله بالقلعة، فكتب السلطان بمسير مبارك شاه مع نكباى، وقد ولاه قلعة الروم حتى يتسلمها فمضى به وأخذها.

---

(١) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٢١.

(٢) أبلستين: بالفتح ثم الضم ولام مضمومة والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وياء ساكنة ونون: هى مدينة مشهورة ببلاد الروم، انظر معجم البلدان ١/ ٧٥.

وفيه وصل قرا يوسف إلى توريز وقد جمع أحمد بن أويس قدر ستين ألف فارس، فيهم ابن الشيخ إبراهيم بن الدربندى، وأمراء البلاد، فاقتتلا قتالا عظيما فى يوم الجمعة ثامن عشرينه، فانكسرت عساكر ابن أويس، وقتل هو وولده سلطان على، فى ليلة الأحد آخره، وقتل أيضا كثير من الأمراء، وأسر ابن الشيخ إبراهيم، وعدة من الأمراء، ونهبت أموالهم، وملك قرا يوسف بلاد توريز وغيرها، وقدم كتابه بهذا إلى السلطان، ويقال أن ابن أويس لما وقعت الكسرة اختفى فى عين ماء، ودخل عليه بعض فرسان قرا يوسف ليقتله، فعرفه بنفسه، فأخذه، وأعلم قرا يوسف به، فأحضره إليه وبالغ فى إكرامه، ووكل به أحد أمرائه، فلم يرض كثير ممن مع قرا يوسف بذلك، وما زالوا به حتى قتله خنقا.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فى سابعه: قض على صدر الدين على بن الآدمى، وسجن بقلعة دمشق.

وفى خامس عشرينه: قدم كتاب السلطان من أبلستين إلى دمشق، فلم يؤخذ من البساتين نصف ما كان يأخذه شيخ ونوروز. هذا وأهل القرى بأجمعهم يجبى منهم الشعير الذى وظف عليهم. ثم قرر عليهم شعير آخر ليزرع القصيل[1] برسم رعى الخيول السلطانية.

وفى سلخه: قدم محمد التركمانى من أبلستين إلى دمشق، وقد ولى نيابة الكرك. وولى علاء الدين على الحلبى قاضى غزة خطابة القدس مع قضاء غزة، فنزل غزة قبل رحيل الناصر من القاهرة، واستقر عوضه شهاب الدين بن حجر فكان فى مدة تسعة أشهر قد ولى خطابة القدس خمسة، أحدهم وليها مرتين .

وفى هذا الشهر: سار الأمير عثمان بن أمير طرعلى - المعروف بقرايلك - إلى وطأة أرزنجان، وحرق قراها، وجلا رعيتها معه إلى بلاده.

وفيه اقتتل أمير سليمان بن خوندكار أبى يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان مع أخيه موسى جلبى وهزمه، ففر موسى إلى أفلاق، فحصره سليمان، وكان أخوهما كرشجى مقيما ببرصا.

---

(١) القصيل: الجماعة والشعير يجز أخضر لعلف الدواب سمى به لأنه تقضل وهو رطب أو لسرعة انقصاله وهو رخص، والفقهاء تسمى الزرع قبل إدراكه قصيلا هو مجاز. انظر محيط المحيط (قصل).

وفيه خامر على الأمير ناصر الدين محمد بـاك بـن قرمـان صهـره ابـن كريمـان ولحـق بكرشجي في عسكره.

وفيه قدم علـى السلطان بأبلستين كثير مـن طوائـف التركمـان والعربـان، ونـواب القلاع، وأتته رسل مـاردين، ورسـل قـرا يوسـف، وقـرا يلـك، بتقـادمهم. فلمـا ملـت عساكره من طول الإقامة خشى تفرقهم عنه،ورحل من أبلستين وقد التزم له ابنا دلغـادر - محمد وعلى - بأخذ أعدائـه أو طردهـم مـن البـلاد. ومضـى علـى الفـرات إلى قلعـة الروم، وقبض على نائبها تنبك، وقـرر عوضـه طوغـان الطويـل، وسـار علـى البـيرة إلى سودن الجلب، فقدمها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

في رابعه: قدم الخبر من دمشق بأن سـودن الجلـب فـارق الأمـيرين شـيخا ونـوروز، ومر على القريتين فى نحو عشرة فرسان، يريد الكرك، فـانزعج العسـكر، وخـرج الأمـير نكباى فى طلبه، فلم يدركه، ودخل الجلب إلى الكرك وملكها، وقدم الخبربأن قرقمـاس ابن اخى دمرداش، وجانم، فارقا الجماعة أيضا وقصدا حلب، فلما وصـلا ملطيـة مضـى جانم فى طائفته من طريق، ومضى قرقماس من أخـرى، فقـدم قرقمـاس علـى السـلطان بحلب، فأكرمه وأنعم عليه.

وفى هذا الشهر: سار حيدر - نائب قلعة المرقب - من طرابلس على عسكر ونـزل عليها، وبها بدر الدين حسن بن محب الدين أستادار الأمير شيخ، وأولاد الكويز.

وفيه سار تنكز نائب حصن الأكراد ومعه ابن أيمان بتركمانه لأخذها.

وقد نزل على بن صوجى ببيوته وحواشيه وتركمانه على برج السلطان - قريبـا مـن صهيون[1] - لحصارها، وكان السلطان قد ولى نيابتها بلبان ليأخذهـا مـن كـزل، أحـد أصحاب الأمير شيخ .

وفيه وصل إلى ميناء يافا[2]، أربع قطع، فيها نحو سبعمائة من الفرنج، فأسروا جماعـة من المسلمين، وأخذوا مركبا فيه خام للسلطان قدم من مصر، وفيه قـدم أيضـا إلى يافـا،

---

(١) صهيون: هى الروم، وقيل: البيت المقدس، وهـو موضـع معـروف بـالبيت المقـدس محلة فيهـا كينسة صهيون، وصهيون: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنـه ليـس بمشرف على البحر.انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣٦.

(٢) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا.انظر معجم البلـدان ٥/ ٤٢٦.

مركب فيه فرنج، معهم أخشاب، وعجل، وصناع، برسم عمارة بيت لحم[1]، بالقدس، حيث مولد عيسى عليه السلام، وبيدهم مرسوم السلطان بتمكينهم من العمل، فدعوا الناس للعمل بالأجرة، فأتاهم عدة من القلعة والصناع، وشرعوا فى إزاحة ما بطريقهم من الأوعار.

وكان سبب هذا أن موسى - صبى بطرك النصارى الملكانية - سأل السلطان لما قدم إلى القدس، بعد نوبة صرخد، فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، أن يمكن النصارى من إعادة عمارة مولد عيسى - بيت لحم - على ما كان عليه، فكتب له بذلك مرسوما، فطار به كل مطار، وبعثه إلى بلاد الفرنج فاغتنموا الفرصة، وبعثوا هؤلاء، فبدأوا بتوسعة الدرب، الآخذ من ميناء روبيل إلى القدس، وقصدوا أن يصير سعته بحيث يمر فيه عشرة فرسان متوا كبين، فأنه لم يكن يسع غير فارس واحد بمشقة، وأحضروا معهم دهنا إذا وضعوه على تلك الصخرة، سهل قطعها.

وفيه خلع السلطان على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش - ويقال له سيدى الصغير - وولاه نيابة صفد، واستقر بالأمير جانم فى نيابة طرابلس، واستقر بجركس الذى يقال له أبو تنم، حاجب الحجاب بدمشق، وعزل نكبية عنها، وأنعم عليه بإمرة فى ديار مصر، وولى الأمير بكتمر جلق نيابة الشام، وأنعم بتقدمته على الأمير دمرداش نائب حلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فى خامسه: برز الأمير ألطنبغا العثمانى، والأمير قنباى المحمدى من دمشق يريدان حلب، وقد أتاهما الطلب من السلطان.

وفيه نودى بدمشق، ألا يتأخر بها أحد ممن قدم من مماليك السلطان من حلب.

وفى سادسه: وصل إلى دمشق، متسلم الأمير بكتمر جلق.

وقدم أيضا فيروز الخازندار، لإخراج من بدمشق من المماليك، ولأخذ مال، وسلاح، فأقام يومه وبات، ثم أصبح فركب العسكر، ووقفوا تحت القلعة، وعليهم آلة الحرب، فدقت كوسات القلعة حربيا، ورفع علم السلطان على باب الناصر، ونودى: «من أطاع السلطان فليقف تحت الصنجق السلطانى»، فسارع العسكر إليه، إلا قليلا

---

(١) بيت لحم: بليد قرب بيت المقدس عامر حافل، فيه سوق وبازارات، ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام. انظر معجم البلدان ١/ ٥٢١.

منهم، تحيزوا إلى الميدان، ودقوا طبلا، وقبضوا على الأمير قنباى المحمدى، وعلى نكباى الحاجب، وساروا والطلب فى أثرهم، فلم يقدر عليهم، وساروا إلى الكرك، وكبيرهم يردبك الخازندار، وكان قد بعثه السلطان، من حلب، فانحل عنه كثير ممن خرج معه، وبقى فى نفر قليل، فأدخله سودن الجلب إلى الكرك، وسكن الشر بدمشق فى يومه.

وفى تاسع عشره: قدم دمشق، الأمير تغرى بردى بن أخى دمرداش، ويقال له سيدى الكبير، يريد صفد، وقد ولاه السلطان نيابتها، عوضا عن شاهين الزردكاش، نائب الغيبة بدمشق، فلما قدم أخوه قرقماس إلى حلب طائعا وولاه صفد، عوضه عنها بحلب، وأقر هذا على صفد.

وفى هذه الأيام: فرض على قرى دمشق وعلى بساتينها ذهبا يجبى من أهلها، سوى ما عليهم من الشعير، وفرض أيضا على طواحين دمشق وحماماتها وحوانيتها مال جبى منهم.

وفى رابع عشرينه: وصلت خلعة سودن الجلب إلى دمشق، باستقراره فى نيابة الكرك، وسارت إليه.

وفى ثامن عشرينه: توجه الأمير تغرى بردى نائب صفد من دمشق إلى صفد.

وفيه أدير محمل الحاج بدمشق، فبينما الناس فى التفرج عليه، إذ أتاهم خبر وصول السلطان من حلب، فماج الناس، وقدم السلطان بعد العصر فى طائفة من خواصه، ونزل بدار السعادة. وسبب ذلك أن الخبر ورد عليه بأن شيخ ونوروز وصلا عينتاب، وسارا على البريد، فبعث عسكرا فى طلبهما وركب من حلب على حين غفلة فى ثالث عشرينه، وسار إلى دمشق فى أربعة أيام، ثم قدم الأمير الكبير تغرى بردى، ثم قدم الأمير بكتمر نائب الشام فى تاسع عشرينه، ومعه الأمير دمرداش، والأمير جانم نائب طرابلس، فنزلوا منازلهم بدمشق.

وفى هذا الشهر: قدم محمد شاه بن قرا يوسف بغداد، وقد امتنع من بها من تسليمه، فحاصرها مدة عشرة أشهر، فكانت فيها أمور عجيبة، حاصلها أن قرا يوسف لما هزم ابن أويس وقتله، بلغ ذلك أهل بغداد، وكان عليها من قبل أحمد بن أويس مملوكه بخشايش، فلم يصدق ذلك، واستمر على الخطبة له. فبعث قرا يوسف ابنه، فلما قارب بغداد بعث إلى الأعيان يعدهم ويرغب إليهم فى تمكينهم من البلد، فأبوا عليه وقالوا لرسوله، إن ابن أويس لم يقتل وإنما هو حى، وأقاموا صبيا لم يبلغ الحلم، يقال له أويس، من أخى أحمد أو يس وسلطنوه. فنزل بن قرا يوسف على بغداد، فقاتلوه من

فوق الأسوار مدة أربعة أشهر، ثم قامت ببغداد ضجة عظيمة في الليل، قتل فيها بخشايش، وأصبح ملقى في بعض الشوارع. وأشيع أن الذى أمر بقتله أحمد بن أويس، وأنه في بعض الدور ببغداد، فصار يخرج من الدار - التى قيل أنه بها - أوامر على لسان رجلين، أحدهما يقال له المحب، والآخر يقال له ناصر الدين، وقام بعد بخشايش عبد الرحيم بن الملاح، وأعيدت الخطبة باسم أحمد بن أويس، وضربت السكة باسمه، وانقطع ذكر أويس الصبى، فسار محمد شاه بن قرا يوسف عن بغداد، وكتب إلى أبيه يخبره بما وقع ببغداد، فخرج من بغداد عسكر نحو خمسمائة وكبسوا بعض أمراء ابن قرا يوسف، فقتل وأسر عدة من أصحابه، وكان في جهة غير جهة ابن قرا يوسف، وزعموا أن هذا بأمر أحمد بن أويس، ثم قتل المحب وناصر الدين، وعبد الرحيم الملاح ببغداد، ونسبوا قتلهم أيضا إلى أحمد بن أويس، فلما كان بعد إشاعة حياته بأربعين يوما، أشيعت وفاته، وكان الذى أشاع وفاته، أم الصبى أويس، وذلك أنها استدعت الأعيان، وأعلمتهم أنها هى التى أمرت بما وقع من القتل، وإشاعة حياة أحمد بن أويس، وأنه ليس بحى، وما زالت بهم حتى أعادوا ابنها أويس إلى السلطنة، وعملوا عزاء أحمد بن أويس ببغداد. فلما بلغ ذلك ابن قرا يوسف عاد إلى بغداد وحاصرها، فأشيع أيضا أن أحمد بن أويس حى لم يمت، فعوقب جماعة ممن ذكر هذا، ثم بعد أربعة أشهر من إظهار موت أحمد بن أويس وقعت ضجة عظيمة ببغداد على حين غفلة، وقيل ظهر أحمد بن أويس، فاجتمع الناس إلى دار، فخرج إليهم منها رجل فى زى أحمد بن أويس على فرس، فقبلوا له الأرض، وتناقل الناس حياته. ثم سألوا ذلك الشخص أن يروه رؤية بتبين لهم فيها أكثر من المرة الأولى، فوعدوا بذلك فى دار عينت لهم، فلما صاروا إليها خرج إليهم عند غروب الشمس شخص راكب على فرس فى زى أحمد بن أويس، فصاح غوغاء العامة هذا السلطان أحمد، وتناقلوا ذلك، ثم أشاعوا أنه غير موجود، فكانت مدة إشاعة وجوده ثانيا خمسة عشر يوما، وفى أثنائها خرج من بغداد نحو خمسمائة فارس إلى جهة البصرة[1] بأمر أحمد بن أويس[2] على زعمهم، ثم خرجت أم الصبى أويس به ومعها خواصها، وسارت من بغداد إلى ششتر.

فبعث أهل بغداد إلى ابن قرا يوسف يستدعونه، وقد رحل عندما أشيع ظهور أحمد ابن أويس مرة ثانية، فقدم ودخلها فى أثناء سنة أربع عشرة وثمان مائة فكان خبر بغداد هذا من أغرب ما يحكى.

---

(١) البصرة: هما بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب. انظر معجم البلدان ١/ ٤٣٠ وما بعدها.

(٢) سبق ترجمته.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه قدم الأمير قرقماس نائب حلب إلى دمشق، فأكرمه السلطان وأنعم عليه.

وفى ثالثه: قدم الأمير تمراز الناصرى نائب السلطنة فى خمسين فارسا، وقد فارق الأمير شيخ، فركب السلطان وتلقاه، وبالغ فى إكرامه، وأنعم عليه بما يليق به.

وفى ثامنه: توجه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى من دمشق إلى القاهرة، لتجهيز صرر المال المحمولة مع الحاج إلى مكة والمدينة على العادة، وتوجه مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص أيضا.

وفى خامسه: قدم الخبر على السلطان بدخول الأمير شيخ قلعة صرخد.

وفيه أفرج عن الصدر على بن الآدمى، ثم قبض عليه من الغد، وأعيد إلى السجن.

وفى سابعه: سمر بدمشق ستة من أصحاب الأمير شيخ ووسطوا.

وفى ثانى عشره: استقر نائب الغيبة بديار مصر، فى حسبة القاهرة، بزين الدين محمد بن شمس الدين محمد الدميرى، عوضا عن شمس الدين محمد المناوى الملقب ببدنة والمعروف بالطويل بعد وفاته.

وفى خامس عشره: ورد الخبر على السلطان بوصول الأميرين شيخ ونوروز فى نحو مائتين وخمسين فارسا إلى أرض البلقاء، وأنهم فى قل وجهد، وليس معهم غلمان تخدمهم، وكان من خبرهم أن السلطان لما سار عن أبلستين قدم الجماعة من قيسارية[1] إلى أبلستين[2]، فمنعهم ابن دلغادر وقاتلهم، فانكسروا منه وفروا إلى عينتاب، وعندما قاربوا تل باشر[3] تمزقوا، وأخذت كل طائفة تسلك جهة من الجهات، فلحق بحلب ودمشق منهم عدة وافرة، واختفى منهم جماعة، ومر شيخ ونوروز فى خواصهما على البر إلى تدمر[4]، فامتاروا منها، ومضوا مسرعين إلى صرخد، فلم يقر لهم قرار بها، فمضوا إلى البلقاء، ودخلوا بيت المقدس، وتوجهوا إلى غزة - فأقاموا بها.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمال حلب، بينها وبينها يومان، وأهلها نصارى أرمن، ولها ربض وأسواق.انظر معجم البلدان ٢/ ٤٠.

(٤) تدمر: مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام.انظر معجم البلدان ١٧/٢.

فأخرج السلطان إليهم الأمير بكتمر نائب الشام على عسكر، فسار إلى زرع، وكتب يطلب نجدة، فخرج إليه من دمشق الأمير طوغان الدوادار على عسكر فى خامس عشرينه.

وفى سادس عشره: وصل مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص إلى القاهرة، واشتد فى طلب الأموال من المصادرات فلم يمهل، ومات فى ليلة العشرين منه، فسر الناس بموته سرورا عظيما.

وفى خامس عشرينه: كتب السلطان إلى أرغون كاشف الرملة بمنع الفرنج من عمارة بيت لحم، والقبض عليهم، وعلى من معهم من الصناع، وأخذ ما عندهم من السلاح والآلات والمال، والجمال التى استأجروها لنقل آلات، وحمل ما معهم من العجل والدهن الذى إذا وضع على الحجارة هان قطعها، فختم أرغون على مخازن ثلاثة من الفرنج، وقبض عليهم، وحملهم، ومعهم ما رسم به.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: دخل الأميران شيخ ونوروز بمن معهما إلى غزة، وقد مات من أصحابهما الأمير تمربغا المشطوب نائب حلب، والأمير أينال المنقار، بطاعون فى مدينة حسبان. وقدم عليهما بغزة الأمير سودن الجلب من الكرك، فتتبعوا ما بغزة من الخيول وأخذوها.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه: وصل الأمير طوغان الدوادار والأمير قنبك رأس نوبة، والأمير ألطنبغا العثمانى، والأمير أسنبغا الزردكاش، والأمير يشبك الموساوى الأفقم، والأمير سودن الظريف، والأمير تمراز الناصرى نائب السلطنة - كان - فى عدة من المماليك السلطانية إلى قاقون، وهناك الأمير بكتمر شلق نائب الشام وكثير من المماليك، فساروا جميعا مجدين فى السير إلى غزة، فقدموها عصر يوم الثلاثاء ثالثه، وقد رحل الأميران شيخ ونوروز ومن معهما بكرة النهار عندما قدم الأمير سودن بقجة وشاهين الدوادار من الرملة، وأخبرا بقدوم عسكر السلطان، فنهبوا غزة وأخذوا منها خيولا كثيرة وغلالا، فتبعهم الأمير خير بك[1] نائب غزة إلى الزعقة، وكشافته فى أثرهم إلى

---

(١) خيربك بن عبد الله النوروزى، الأمير سيف الدين، نائب غزة. أصله من أصاغر مماليك الأمير نوروز الحافظى، وممن طال خموله بالبلاد الشامية إلى أن تأمر ببلاد صفد فى الدولة الظاهرية جقمق. ثم حدثته نفسه بما فوق ذلك، فسعى فى نيابة غزة بعد موت الأمير طوغان العثمانى بمال، واستقر فى نيابتها زيادة على سنة، وعزل بالأمير جانبك التاجى المؤيدى نائب بيروت فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة، ورسم له بالتوجه إلى دمشق بطالا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٨٧، الضوء ٣/ ٢١، بدائع الزهور ٢/ ٣٨٨.

العريش، وعندما قدم العسكر إلى غزة بعث الأمير بكتمر بالأميرين شجاع الدين شاهين الزردكاش وسيف الدين أسنبغا الزردكاش إلى قلعة الجبل من على البرية ليخبر من بها بقدوم العسكر، فسارا وقدم الخبر من القاهرة وقلعة الجبل على الأمير بكتمر فى كتاب الأمير سيف الدين أرغون نائب الغيبة بأنه قد حصن قلعة الجبل، والإصطبل السلطانى والحوش، ومدرسة السلطان حسن، ومدرسة الأشرف، وأنه ومن معه قد استعدوا للقاء شيخ ونوروز. فسار شاهين الزردكاش بمن معه من غزة عصر يوم الخميس خامسه يريد القاهرة.

وفيه ورد الخبر بموت جماعة من أصحاب الأميرين شيخ ونوروز، منهم تمربغا المشطوب نائب حلب وأينال المنقار، وألطنبغا بابا، وشاهين دوادار الأمير شيخ، وأن شاهين هذا مات بالعريش.

وفيه سقط الطائر من قطيا إلى قلعة الجبل، وقد سرحه الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج - متولى قطيا وكاشف الوجه البحرى - بخبر وصول الأميرين شيخ ونوروز إلى قطيا، وأن من معهما نهبها، وأنه تنحى إلى جهة الطينة، وأنهم ساروا من قطيا يريدون القاهرة. فأخذ الأمير أرغون ومن معه أهبتهم، وعزم الأمير كافور - زمام الآدر السلطانية - أن يسير بالأميرين فرج ومحمد ولدى السلطان مع الحريم السلطانى إلى ثغر الإسكندرية، حسب ما رسمه به، فلم يتمكن من ذلك لضيق الوقت، وقلة الأمن، وكثرة الفتن فى البر والبحر، فلما كان يوم الأحد ثامنه، وصل الأمير شيخ، والأمير نوروز، والأمير يشبك بن أزدمر، والأمير بردبك، والأمير قنباى، والأمير سودن بقجة، والأمير سودن المحمدى، ويشبك العثمانى، وقمش، وقوزى، وأتباعهم، ومعهم جمع كثير من الزهور، وبنى وائل من عرب الشرقية، وأمير سعيد كاشف الشرقية وهو معزول عنها، فبلغهم تحصين القلعة والمدرستين[١]، وأن الأمير أرغون ومن معه من الأمراء قبضوا على أربعين مملوكا من النوروزية الذين يمشون فى الخدمة السلطانية، وسجنوهم بالبرج من قلعة الجبل، خوفا من غدرهم، فسار الأمير شيخ بمن معه من ناحية المطرية إلى جهة بولاق، ومضوا على الميدان الكبير إلى الصليبة[٢]، وخرجوا إلى الرميلة تحت القلعة من سويقة منعم، فرماهم المماليك السلطانية بالمدافع والنشاب. وبرز لهم الأمير أينال الصصلانى الحاجب بمن معه، وقد وقف عند باب السلسلة، فتقنطر من

---

(١) يقصد مدرسة السلطان حسن الملك الأشرف شعبان بن حسين. انظر النجوم الزاهرة ١٣/١٠٩.

(٢) الصليبة: ماء من مياة قشير. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٢٢.

القوم فارسان، وانهزموا، ثم عادوا ونزلوا فى بيت الأمير نوروز، حيث كان سكنه بالرميلة، وفى بيت الأمير أينال حطب بجواره، وقد اجتمع معهم من الغوغاء خلائق، وأقام الأمير شيخ رجلا فى ولاية القاهرة فنادى بالأمان والاطمئنان، ووعدوا الناس بترخيص سعر الذهب، وسعر القمح، ورغبوهم بإزالة المظالم، فمال إليهم جمع من العامة، فأقاموا على ذلك يوم الحد ، وملكوا مدرسة الأشرف تجاه الطبلخاناه. ثم أخذوا مدرسة السلطان حسن تجاه الإسطبل، وهزموا من كان فيهما من المقاتلة، وأقاموا بهما رماة من أصحابهم، ورموا على الإسطبل يومهم وليلتهم، ففر الأمير أرغون من بشبغا نائب الغيبة، والتجأ إلى باب السر، وسأل أن يكون مع الأمير جرباش والأمير كمشبغا الجمالى بداخل القلعة، فأدخلاه بمفرده، من غير أن يدخل معه أحد من مماليكه.

فلما كان ليلة الإثنين: كسرت خوخة أيدغمش - بجوار باب زويلة - وعبر طائفة من الشاميين إلى القاهرة، ومعهم طوائف من العامة، ففتحوا باب زويلة. وكان الأمير حسام الدين حسين الأحول والى القاهرة قد أغلقه، وجميع أبواب القاهرة، على ما جرت به العادة من ذلك فى أوقات الفتنة.

ثم أنهم كسروا خزانة شمايل التى هى سجن أصحاب الجرائم، وأخرجوا من بها من المسجونين، وكسروا سجن حارة الديلم، وسجن رحبة باب العيد، وأفرجوا عمن بهما، وانتشروا فى حارات القاهرة وظواهرها. ونهبوا بيت الأمير كمشبغا الجمالى، وتتبعوا الخيول البغال، فأخذوا منها شيئا كثيرا. وفتحوا حاصل الديوان المفرد بين القصرين، وأخذوا منه مالا، فداخل الناس خوف عظيم.

هذا وقد ملك الأمير شيخ باب السلسلة، واستولى على الإسطبل، وجلس فى الحراقة، ومشى الأمير نوروز ومعه يشبك بن أزدمر، وبردبك، وقنباى المحمدى الخازندار، ويشبك العثمانى، وقمش فى بكرة يوم الثلاثاء إلى باب القلعة - وهو مغلوق - وطلبوا فتحه، فاعتل الأمراء عليهم بأن مفاتيحه عند الزمام، فاستدعوه، فأتاهم وكلمهم من وراء الباب، فسلموا عليه من عند الأمير شيخ، ومن عند أنفسهم، وسألوه الفتح لهم، فقال: « ما يمكن، فإن حريم السلطان فى القلعة»، فقالوا« ما لنا غرض فى النهب، وإنما نريد أن نأخذ ابن أستاذنا»، يعنون فرج بن السلطان الناصر فرج، فقال «وإيش أصاب السلطان؟» قالوا: « لو كان السلطان حيا ما كنا هنا»، فلم يفتح لهم. فهددوه بإحراق الباب، فقال: « إن كنتم إنما تريدون ابن أستاذكم فليحضر

إلى باب السر منكم اثنان أو ثلاثة، وتحضر القضاة، واحلفوا أنكم لا تغدرون به، ولا تمسوه بسوء»، وكان بلغهم - بالقلعة - قرب العسكر، فسرحوا الطائر باستعجالهم، وأنهم فى الحصار، ومتى ما لم يدركوا أخذوا، فأخذ الزمام فى مدافعة الجماعة، والتمويه عليهم، وتسويفهم رجاء أن يحضر العسكر، فبينما هو فى ذلك، إذ لا حت بيارق العسكر لمن وقف يرقبهم من المماليك بأعلى موادن القلعة، وقد ارتفع العجاج، وأقبلوا سائقين خيولهم سوقا عظيما، جهد طاقتهم، فضجوا بالتكبير والتهليل، وأن السلطان وصل، فخارت قوى الجماعة، ولم يثبتوا للقائه، وركبوا من ساعتهم، ووقفوا قريبا من باب السلسلة وفيهم الأمير شيخ، فدهمهم العسكر، فولوا هاربين نحو باب القرافة، والعسكر فى إثرهم، فكبى بالأمير شيخ جواده فى باب القرافة، فبادر إليه أصحابه وأركبوه غيره، ومروا به على وجوههم، وقد نزل الأمير طوغان الدوادار بباب السلسلة من القلعة، فقبض العسكر من الشاميين جماعة، منهم قرا يشبك قريب الأمير نوروز، وبردبك رأس نوبة نوروز، وبرسباى الطقطائى أمير جاندار - كان - وثمانية وعشرون فارسا. وحضر سودن الحمصى فاعتقل الجميع بالبرج، وجرح يشبك بن أزدمر. وتبعهم العسكر إلى طموه [1]. فقدم الخبر ليلة الأربعاء حادى عشره بنزول الأمير شيخ فى طائفة بأطفيح، وأن شعبان بن محمد بن عيسى العائدى توجه بهم إلى نحو الطور، فنودى فى يوم الأربعاء بالقاهرة ومصر بتحصيل من تسحب أو اختفى من الشاميين. ثم قدم الخبر بوصولهم إلى السويس، فإنهم أخذوا ما هنالك للتجار علفا، وزادا، وجمالا، وسار بهم شعبان بن عيسى فى درب الحاج إلى نخل[2]، فأخذوا عدة من جمال العربان، وأن شعبان أمدهم بالشعير والزاد، وانهم افترقوا فرقتين، فرقة رأسها الأمير نوروز ومعه يشبك ابن أزدمر، وسودن بقجة، وفرقة رأسها الأمير شيخ، ومعه سودن تلى المحمدى، وسودن صقل، وجماعة. وأنهم لما وصلوا إلى الشوبك[3] دفعهم أهله وصدوهم، فساروا إلى الكرك، فنزل إليهم الأمير سودن الجلب، وتلقاهم، وأدخلهم المدينة، وأنزلهم، فاستقروا بها، وتتبع الأمير حسام الدين والى القاهرة من كان انتمى إلى الشاميين، وأخذ منهم مالا، حتى منعه الأمير طوغان من ذلك.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: خلع الأمير أرغون نائب الغيبة على القاضى تاج

---

(١) طموه: قرية من الأعمال الجيزية .انظر الانتصار لابن دقماق ٤/ ١٣٢.

(٢) نخل: وهو موضع فى طريق الشام من ناحية مصر.انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٦

(٣) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك.انظر معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.

الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر فى نظر الكسوة ووكالة بيت المال، بعد موت شمس الدين الطويل، مضافا لما بيده من نظر الأحباس وتوقيع الدست، وتوقيع نائب الغيبة، ونيابة القضاء، عن قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى.

وفى خامس عشره: اشتدت مضرة الأمير بكتمر جلق بالناس، وألزم زين الدين محمد بن الدميرى محتسب القاهرة بألفى دينار، ثمن قمح يبيعه له على الناس، وطلب من جماعة من تجار الشام مالا، وأخذ من الأمير منكلى الأستادار ألف دينار.

وفى سادس عشره: سار الأمير بكتمر من القاهرة بالعسكر يريد دمشق، وتأخر الأمير طوغان الدوادار ويشبك الموساوى، وأسنبغا الزردكاش، وشاهين الزردكاش.

وفى ثانى عشرينه: وصل الأمير بكتمر إلى غزة بمن معه، فبث قصاده فى كشف أخبار الأميرين شيخ ونوروز.

وأما دمشق فإن شهر رمضان افتتح بمصادرة الناس، فأخذ من الخانات والحمامات والطواحين والحوانيت والبساتين أجرتها من ثلاثة أشهر، سوى ما أخذ قبل ذلك، وطلب جماعة من الناس اتهموا بأن عندهم ودائع للشيخية، وعوقبوا وكبست عدة دور.

وقدم فى عاشره ولد الجلال التبانى شمس الدين محمد، وشرف الدين يعقوب، ومحب الدين محمد بن الشحنة الحلبى، وشهاب الدين بن سفرى إمام نوروز فى الحديد إلى دمشق، وقد قبض عليهم من حلب، فسجنوا بقلعة دمشق، وأرجف بقتلهم.

وفى حادى عشره: أعيد شهاب الدين أحمد بن الكشك إلى قضاء الحنفية بدمشق، وكان منصب قضاء الحنفية شاغرا من حين قدم السلطان.

وفيه قدم الأمير تغرى بردى نائب صفد إلى دمشق، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير جانم نائب طرابلس إلى دمشق، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه، وكان قد بعث يستدعيهما.

وفيه ألزم مباشرو مدارس دمشق بألف دينار، وكلف القضاة بجمعها.

وفيه استقر نجم الدين عمر بن حجى قاضى دمشق فى قضاء طرابلس، وقدم نائب حماة أيضا.

وقد كان فى يوم الثلاثاء سابع عشره: خرجت أطلاب الأمراء تريد أخذ الأميرين شيخ ونوروز، وهم الأمير الكبير تغرى بردى، والأمير دمرداش نائب حلب، وتغرى

بردى نائب صفد، وجانم نائب طرابلس، والأمير يلبغا الناصرى، فى طائفة من المماليك السلطانية، فقدم الخبر بدخول الجماعة إلى القاهرة، وخروجهم منها، فتوجه فى تاسع عشره آقبغا دوادار الأمير يشبك - وهو من جملة أمراء العشرات - إلى القاهرة، ومعه التشاريف إلى أمراء مصر، وأمراء العسكر، لشكرهم، والثناء عليهم.هذا وقد وشى إلى السلطان بأن الأمير طوغان الدوادار، والأمير بكتمر جلق قصرا فى أمر أعداء السلطان، وأنه لم يكن بينهم وبين الأعداء فى مدة السفر إلا نحو بريد واحد، ولو أرادا لأخذا الأعداء، فأسر السلطان ذلك فى نفسه، وحقده عليهما، و لم يسعه إلا مجاملتهما، والإغضاء عن هذا.

وفى تاسع عشرينه: قدم الأمير قرقماس نائب حلب إلى دمشق باستدعاء، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وأما حلب فإن قرقماس هذا كان قد سار منها لمحاربة أولاد ابن بيشان فى حادى عشره، وكتب إلى أولاد ابن كبك وإلى كردى بن كندر بملاقاته، فمضى عن حلب يوما وليلة، وأوقع ببيوت أولاد ابن بيشان فيما بين مرعش وكينوك، فقاتلوه قتالا شديدا، قتل فيه منهم نحو مائتى رجل، وانكسر من بقى، فأتاه أولاد بن كبك فى آخر القتال بنحو مائتى فارس، فرمى أيدغمش بن كبك بسهم فى صدره خرج من قفاه فمات، وجرح أخوه حسين بن كبك فى وجهه. ثم سار نائب حلب إلى عينتاب، وقبض على حسين ابن كبك وأعيان أصحابه، وقيدهم، وبعثهم إلى حلب، ومشى على بيوتهم وساق أعيانهم، ورجع، فلما وصل حسين بن كبك قريبا من أعزاز، أدركه تركمانه، واستنقذوه - ومن أسر معه - ومضوا بهم، فلم يقدر عليهم، وقدم قرقماس إلى حلب، وجهز مما أخذه من الأغنام أربعة آلاف رأس إلى مطابخ السلطان وسار من حلب، فى تاسع عشره يريد دمشق، فقدمها ومعه صغير، له من العمر نحو خمس سنين، اسمه حسن ابن السلطان أحمد بن أويس فرت به مرضعته من بغداد.

وقدم أيضا اسفنديار قاصد قرا يلك.

وورد الخبر بأن الأمير سلمان بن عثمان حصر أخاه جلبى ببلاد أفلاق، وأن أخاه محمد كرشجى ولى ابنه مراد البلاد الرومية، وأن ابن قرمان حاصر بلاد ابن كريمان وأحرقها، وأن دلغادر منع من الزرع بأبلستين.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فيه دقت البشائر بقلعة دمشق لأخذ قلعة صرخد.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير جانبك القرمى، فضربه السلطان ضربا مبرحا، وسجنه بقلعة دمشق.

وفى خامس عشره: خرج محمل الحاج من دمشق صحبة الأمير تنكز بلغا الحططى.

وفى سابع عشره: توجه الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من دمشق عائدا إلى نيابة حلب على عادته، وتوجه قاضى القضاة شمس الدين محمد الأخنائى، وتاج الدين رزق الله ناظر الجيش، وغرس الدين خليل الأشقتمرى الأستادار من دمشق، لتجهيز الإقامات من بلاد عجلون[1]، برسم سفر السلطان إلى الكرك، وفى عشرينه أخرج بالمماليك المقبوض عليهم من سجنهم بقلعة دمشق، وسيقوا فى الحديد إلى مصر وهم بأسوأ حال.

وفى رابع عشرينه: قدم شمس الدين محمد بن شعبان من دمشق إلى القاهرة، وعلى يده توقيع باستقراره فى حسبة القاهرة على عادته، عوضا عن زين الدين محمد بن الدميرى، وكان قد توجه إلى دمشق، وسعى حتى خلع عليه بها، وكتب توقيعه ومال إلى الأمير أرغون نائب الغيبة بتمكينه من مباشرة الحسبة، فأمضى الأمير أرغون ذلك، وخلع عليه فى غده، وعزل ابن الدميرى، وكل ذلك بمال وعد به.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: قدم الأمير الكبير دمرداش بمن معه من العسكر إلى بلد الخليل عليه السلام، فأقام به، وبث القصا[2]، ذلك من أخبار أهل الكرك.

وفى سابعه: وصل إلى القاهرة من دمشق الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم الأستادار، والوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، لتحصيل الأموال، فأسعر ابن الهيصم البلد نارا، وطلب جماعة قد ورثوا من مات لهم فى مدة غيبة السلطان، ما بين أولاد ذكور وإناث وزوجات، وإخوة وأخوات ونحو ذلك، وألزمهم برد ما أخذوا من الإرث الشرعى، فمنهم من أخذ ما ورثه، ومنهم من صالحه ببعض شىء من إرثه، فشنعت القالة بأنهم قد أبطلوا أحكام الله - سبحانه - فى المواريث.

وفى عاشره: دخل الأمير جانم إلى طرابلس.

وفى رابع عشره: نودى بدمشق بالعسكر أن يلبسوا سلاحهم، ويقفوا بأجمعهم عند باب النصر فى يوم الجمعة.

---

(١) حصن وربضة، فى حبل الغور الشرقى، قبالة بيسان بالشام . انظر تقويم البلدان ص ٢٤٥.

(٢) بث القصا: أى حاط العدو من بعيد، وهو يتبصرهم ويتحرز منهم ينظر (لسان العرب).

وفيه تتبعت الحمير بدمشق، وأخذت من البساتين وسائر المواضع، لتحمل عليها الأمتعة للسفر، فنزل بالناس من هذا ضرر كبير.

وفى ليلة الأربعاء خامس عشره: خسف جرم القمر كله.

وفى يوم الأربعاء هذا: ركب السلطان من دار السعادة إلى الغوطة، فكبس عقرباء[1] ونهبها، على أن الأمير شيخ قد اختفى بها، فلم يوجد، وتبين كذب ما قيل، وحل بأهل الناحية بلاء عظيم .

وفى يوم الجمعة سابع عشره: خرج السلطان من دمشق ونزل بقبة يلبغا، وتبعه من بقى معه من العسكر، فبات بمخيمه، واستقل بالمسير من الغد يريد الكرك، وعاد الأمير بكتمر جلق نائب الشام وعليه تشريف جليل، فنزل بدار السعادة على العادة.

وفى سادس عشرينه: ورد الخبر بأن الأمير شيخ نزل من قلعة الكرك، وعبر الحمام بالمدينة ومعه الأمير قنباى المحمدى، والأمير سودن بقجة، وطائفة يسيرة، فبادر شهاب الدين أحمد بن أبى العباس حاجب الكرك إليه، ومعه جمع كبير من أهل البلد، واقتحموا الحمام ليقتلوه، فسبقهم بعض المماليك وأعلمه بهم، فنهض ولبس ثيابه، ووقف فى مسلخ الحمام عند الباب، ومعه أصحابه، فدفع عن نفسه، وقاتل القوم حتى أدركه الأمير نوروز ومعه بقية عسكره، وهزموهم، فأصاب الأمير شيخ بهم غار فى بدنه، وخرج منه دم كثير كاد يأتى على نفسه، وحمل إلى قلعة الكرك فأقام ثلاثة أيام لا يعقل وهو فى غيبة عن حسه. وقتل فى وقعة الحمام الأمير سودن بقجة، وحمل الأنير نوروز على حاجب الكرك. وقتل ممن معه جماعة.

وفى سلخه: ألزم بكتمر نائب الشام قضاة دمشق بحمل عشرة قراقل[2] وألزم تجارها بعشرة أخرى.

وفى هذا الشهر: كثرت الفتن بين التركمان، وخربوا قرى كثيرة ببلاد حلب.

وفيه قدم رسل ابن عثمان متملك الروم إلى حلب.

وفيه خالف أقبغا شيطان - أحد أصحاب الأمير شيخ - عليه، وسار من قلعة المرقب فى عشرين رجلا، وقدم حلب، منتميا إلى طاعة السلطان، وفيه تنكر سودن

---

(١) عقرباء: اسم مدينه الجولان، وهى كورة من كور دمشق. انظر معجم البلدان ١٨٨/٢.

(٢) القرقل: سلاح يشبه الدرع، يصنع من صفائح الحديد، ويغشى بالديباج الأصفر والأحمر. انظر الأعشى ٤/ ١١، ١٢.

الجلب عن الأمراء النازلين عنده بالكرك، وسار عنهم حتى عدى الفرات، فبعث معه يغمور من يوصله إلى ماردين، فلما نزل بها أقام ثلاثا، وعزم على المضى إلى قرا يوسف، فأتاه الخبر بأن أيدكى بك ملك الترك ، والشيخ إبراهيم الدربندى، وشاه رخ ابن تيمورلنك ملك جقطاى، قد اجتمعوا على محاربة قرا يوسف، فتحير فى أمره.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: نزل السلطان على مدينة الكرك، وحصرها.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

وفى خامسه: ورد مرسوم السلطان إلى دمشق بطلب نواب الشام.

وفى سابعه: وصل حريم السلطان من دمشق إلى قلعة الجبل، صحبة الأمير كزل العجمى، ووصل معه قضاة القضاة الثلاث بديار مصر، وجماعة كثيرة ممن كان بدمشق مع العسكر، وقدم مرسوم السلطان بإعادة زين الدين محمد بن الدميرى إلى حسبة القاهرة، فخلع عليه فى حادى عشره، وعزل ابن شعبان.

وفى ثالث عشره: قدم رسول محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد.

وفى تاسع عشره: خرج الأمير بكتمر جلق نائب الشام من دمشق، ونزل قبة يلبغا، فقدم عليه الخبر بأن الأميرين تغرى بردى وتمراز الناصرى دخلا بين السلطان وبين الأميرين شيخ ونوروز فى الصلح، وصعدا إليهما بقلعة الكرك ونزلا ومعهما الأمير سودن تلى المحمدى، ويشبك العثمانى، وقرروا مع السلطان نزول الأمير شيخ والأمير نوروز إلى خدمته غدا، وأنهما نزلا إليه من الكرك، فخلع عليهما وعلى جماعة ممن معهما بضع عشرة خلعة، فسار الأمير بكتمر من قبة يلبغا ليلة الخميس ثانى عشرينه يريد الكرك، فقدم الخبر بانتقاض الصلح بين السلطان وبين الأميرن شيخ ونوروز، ثم ترددت الرسل بينهما وبين السلطان، حتى انعقد الصلح على أن يستقر الأمير الكبير تغرى بردى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير بكتمر، ويستقر الأمير شيخ فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وتستمر قلعة المرقب بيده، ويستقر الأمير نوروز فى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير جانم، ويستقر جانم أمير مائة مقدم ألف بديار مصر، ويكون أمير مجلس، ويستقر الأمير تغرى بردى ابن اخى دمرداش فى نيابة حماة على عادته، وينقل سودن من عبد الرحمن من صفد إلى إمرة مائة تقدمة ألف بديار مصر، وأن يكون الأمير يشبك بن أزدمر أتابك على العسكر بدمشق، ويكون الأمير قنباى المحمدى أميرا بحلب، وشرط السلطان على الأميرين شيخ ونوروز ألا يخرجا إمرة ولا إقطاعا ولا غير ذلك إلا بمرسوم سلطانى، وألا ينفرد أحد منهما بأمر

يتعلق بالسلطنة، وأن يسلما قلعة الكرك ومدينتها للسلطان، ويسلم الأمير شيخ قلعة صرخد وقلعة صهيون للسلطان، وحلف الجميع للسلطان على الوفاء له بما ذكر، والإقامة على طاعته.

وحلف لهم السلطان أيضا، وخلع عليهم خلعا جليلة، ومد لهم سماطا، أكلوا معه عليه.

ثم رحل السلطان عن الكرك يريد القدس بمن معه، وتوجه الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى جهة دمشق، فأقام السلطان بالقدس خمسة أيام، وسار يريد القاهرة، فقدم دوادار الأمير تغرى بردى إلى دمشق متسلما لها فى ثامن عشرينه، ونزل بدار السعادة، فكانت مدة الأمير بكتمر جلق بدمشق بعد رحيل السلطان منها إلى الكرك سبعة وثلاثين يوما، وكانت مدته فى النيابة الأولى عشرين يوما.

وفى هذا الشهر ذى الحجة: فشا الطاعون بدمشق وضواحيها. وكان فى أول هذا العام وباء ببلاد فلسطين وحوران وعجلون ونابلس وطرابلس، فمات خلق كثير جدا، وانحلت الأسعار بديار مصر فى آخر هذه السنة، فأبيع الأردب القمح بمائة وثلاثين فما دونها، والأردب الشعير بثمانين درهما فما دونها، والأردب الفول بمائة فما دونها.

هذا والدينار الأفرنتى بمائتى درهم من الفلوس، والمثقال الهرجة بمائتى درهم وعشرين درهما، والدينار الناصرى - وهو على وزن الأفرنتى - بمائتى درهم الدينار، وبطل الدينار السالمى الذى ضربه الأمير يلبغا السالمى فى أيام ولايته، وكان يتعامل به عددا به، فمنه ما زنته مثقال، ومنه ما زنته نصف مثقال وربع مثقال، وعليه سكة أهل الإسلام، فاستحسنه الناس، وراج بينهم، فأراد السلطان أن يكون له اسم فى ذلك، فجدد ضرب الدينار الناصرى على وزن الأفرنتى، وأكثر من ضربه، فراج كرواج الأفرنتى، وقل السالمى فى أيدى الناس، لكن دخل الغش فى الناصرى والأفرنتى، فصار ما ذكرنا بأيدى الناس من الذهب؛ شىء يقال له خارج الدار، وهو يعمل بغير دار الضرب افتئاتا على السلطان، وينقص سعره قليلا؛ وشىء يقال له التركى، وهو دينار من بلاد الفرنج، وسعره أقل من سعر الأفرنتى؛ ودينار آخر يقال له المغربى، يجلب من بلاد المغرب، عليه سكة أهل الإسلام؛ ودينار من ضرب الإسكندرية، وأما الفلوس، فإنها النقد الرائج بديار مصر كلها، حاضرتها وريفها، إليها حسب أثمان المبيعات كلها، وقيم الأعمال بأجمعها، ويتعامل بها كما قرره السالمى وزنا، على أن كل رطل مصرى منها بستة دراهم، وبلغت الفضة النقرة التى لم تغش بثلاثة عشر درهما من الفلوس، زنة كل درهم منها، وقلت الفضة الكاملية، فلم تكد توجد.

وحج بالناس من مصر فى هذه السنة الأمير الطواشى فارس الدين شاهين الحسنى.

وأخذت فى هذه السنة مدينة أنتقيرة(١)من بلاد الأندلس، وذلك أن الطاغية صاحب قشتالة لما أوقع بالمسلمين فى الزقاق، كثرت غاراته فى بلاد المسلمين بالأندلس، وكثرت غاراتهم أيضا على بلاد قشتالة، وكان ألفنت قد قام بأمر أخيه دون [......](٢)، وكان عارفا بالحروب والمكايد، شجاعا، دريا، شديد البأس، فجمع لحرب المسلمين، ونزل على أنتقيرة - تجاه مالقة - أول ذى الحجة، فلم يستنجد أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر - صاحب غرناطة- عساكر فاس كما هى العادة، بل رأى أن فى عسكره كفاية، وجهز أخويه محمد(٣) وعليا على عسكر الأندلس، وقد جمع أهل القرى بأسرها، وخرجوا من غرناطة فى ثامن عشر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، ونزلوا على حصن أرشذونة(٤) - وهوعلى ستة أميال من أنتقيرة - حتى تكاملت الجموع فى ثامن عشرينه، ثم ساروا فى ليلة التاسع والعشرين وعسكروا تجاه العدو، بسفح جبل المدرج، فما استقرت، وقد أعجبتهم أنفسهم بهم الدار حتى زحف العدو لحربهم، فثاروا لقتاله، وقد أعجبتهم انفسهم، واغتروا بكثرتهم، وتباهوا بزينتهم، ولم يراقبوا الله فى أمرهم، فما أحد إلا ومعه نوع من المعاصى كالخمر والأحداث، حتى لقد أخبرنى من شهد الوقيعة أنه سمع عالم الأندلس - أبا يحيى بن عاصم - يقول: « ما أظن إلا أنا مخذولون». فلما اشتد القتال فى الليل، انهزم العدو بعد ما قتل من المسلمين عشرة فرسان، ولما كان أول يوم من محرم سنة ثلاث عشرة، نادى أخو السلطان فى العسكر بالنقة، وكانت نفقة السفر قد أخرت عن وقتها، لئلا يأخذها العسكر ولا يشهدوا الحرب، وجعلت عند حضور الجهاد، فهم فى أخذ النفقة، وإذا بالعدو وقد أقبل عند طلوع الشمس، فخرجت المطوعة وقاتلتهم، وأقام العسكر بأجمعهم لأخذ النفقة، وعلم العدو بذلك فرجعوا كأنهم منهزمين، والمطوعة تتبعهم. وتنادى فى العسكر: « يا أكالين الحرام! العامة هزمت النصارى، وأنتم فى خيامكم جلوس».

فلما وصل العدو إلى معسكرهم، وقفوا للحرب، وقد اجتمع جميع رجالة المسلمين

---

(١) أنتقيرة: حصن بين مالقة وغرناطة.انظر معجم البلدان ١/ ٢٥٩.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) محمد بن يوسف بن محمد بن الأحمد أبو عبد الله من ملوك الأندلس المغمورين لا تزال سيرته مجهولة وهو فيما يبدو حفيد محمد الغنى بالله. انظر الأعلام ٧/ ١٥٤.

(٤) أرشذونة: مدينة بالأندلس معدودة فى أعمال رية قبلى قرطبة بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ١/ ١٥٢.

طمعا فى الغنيمة، فإذا العدو وقد خندق على معسكره ورتب عليه الرماة، فسقط فى أيديهم، ووقفوا إلى الظهر فى حيرة، فخرج أمراء الطاغية عند ذلك من جوانب الخندق، وحملوا على المسلمين، فقتلوا من قاتلهم، وأسروا من ألقى منهم سلاحه، حتى وصلوا مخيم المسلمين، فركب طائفة من بنى مرين وبنى عبد الواد، وقاتلوا على أطراف خيمهم قليلا، وانهزموا هم وجميع أهل الأندلس، بحيث خرج أخوا السلطان بمن معهما مشاة إلى الجبل على أقدامهم، فأحاط العدو بجميع ما كان معهم، وأكثروا من القتل فيهم.

وكانت عدة من قتل من المعروفين من أهل غرناطة خاصة مائة ألف إنسان، سوى من لم يعرف، وسوى أهل أقطار الاندلس، بحرها وخرها، سهلها وجبلها، فأنهم عالم لا يحصيه إلا الله تعالى. واستشهد أبو يحيى بن عاصم فى عدة من الفقهاء. وأقام النصارى ثلاثة أيام يتتبعون المسلمين، فيقتلون ويأسرون.

وبعث الطاغية إلى أعماله يخبرهم بنصرته. فلما بلغ ذلك أهل أبده[1] وسبته[2]، وأهل حيان، خرجوا إلى وادى أش - وهو بيد المسلمين - ونزلوا قريبا من حصن أرتنة، فاستغاث أهل الحصن بأهل غرناطة، فأمدوهم بعسكر، فصار النصارى إلى حصن مشافر، وقاتلوا أهله حتى أخذوا الربض[3]، وشرعوا فى تعليق الحصن. وإذا بعسكر غرناطة قد جاءهم فى سابع المحرم، فأوقعوا بهم وقيعة شنعاء، أفنوهم فيها، وأسروا منهم زيادة على ألف وخمسمائة، وعادوا إلى غرناطة بهم، فدخلوا فى تاسعه، وبلغ ذلك الطاغية - وهو على حصار أنتقيرة - فكف أصحابه عن الدخول بعدها إلى بلاد المسلمين، وأقام على الحصار ستة أشهر حتى ضعفت أحوال المسلمين بأنتقيرة، ورفعوا كرائم أموالهم إلى حصنها، وتعلقوا به، فملك الطاغية المدينة بما فيها من الأزواد والأمتعة. ووقع مع هذا فى المسلمين الوخم، فمات منهم جماعة كثيرة، فاضطرهم الحال إلى طلب الأمان ليلحقوا ببلاد المسلمين بأموالهم فأمنهم ألفنت على أن يخرجوا بما يطيقون حمله، فخرجوا بأجمعهم إلى معسكره، فوفى لهم، حتى أن بعض البطارقة من أكابر أمرائه أخذ بنتا جميلة، وخلا بها يومه كله، ثم خلى سبيلها. فوقفت بها أمها،

---

(١) أبدة: بالضم ثم الفتح والتشديد: اسم مدينة بالأندلس من كورة حيان، تعرف بأبدة العرب. اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وتممها ابنه محمد بن عبد الرحمن. انظر معجم البلدان ١/ ٦٤.

(٢) سبتة: بلدة بشمال أفريقية تقابل الأندلس على مضيق حبل طارق.

(٣) الرُّبض هو أساس المدينة والبناء، والرُّبض ما حوله من خارج. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٥.

وشكت ما نزل بها، فقال لها: « أتعرفيه؟» قالت: « إذا رأيته عرفته» فنادى بحضور جميع من معه، فأتوا بأسرهم، ووقفوا صفوفا، فقال للمرأة:«سيرى فيهم حتى تعرفى غريمك». فما زالت تتصفح وجوهم إلى أن رأت خصمها، فقادته إليه، فشنقه لوقته. وجهز جميع المسلمين، وبعث من أوصلهم إلى غرناطة، فلم يفقد أحد منهم، ولا شراك نعل وأقام بأنتقيرة من يثق به، وعاد عنها قافلا إلى بلاده فى أوائل جمادى الآخرة، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما أصاب المسلمين بالأندلس، ولا قوة إلا با لله.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

قجاجق دوادار السلطان، فى سادس المحرم، وكان أشبه بالنساء منه بالرجال، فشهد السلطان دفنه، بعدما صلى عليه.

وتوفى كريم الدين محمد بن محمد بن نعمان بن هبة ا لله الهوى، محتسب القاهرة، فى حادى عشر شعبان، وكان من فضائح الزمان.

وتوفى مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم(١) ناظر الخاص، فى ليلة الأربعاء عشرين شعبان. وكان من ظلمة الأقباط.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الرياسة محمد بن عبد الناصر(٢)

(١)عبد الغنى بن الهيصم، وقيل إن اسم الهيصم إبراهيم(٨١٣ هـ = ١٤١٠م)، الرئيس مجد الدين، ناظر الخواص، الشهير بابن الهيصم، وهو أخو الصاحب تاج الدين عبد الرازق المتقدم ذكره، يقال إن الهيصم من ذرية المقوقس. نشأ مجد الدين هذا بالقاهرة، ومهر فى قلم الديونة والحساب، وكتب فى عدة جهات إلى أن ولى استيفاء الديوان المفرد، ثم استقر به الملك الناصر فرج بن برقوق فى وظيفة نظر الخاص، بعد القبض على جمال الدين يوسف البيرى الأستادار فى يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فاستمر المذكور فى وظيفة الخاص إلى أن توفى ليلة الأربعاء عشرين شعبان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة. قال المقريزى رحمة ا لله: وكان من ظلمة الأقباط. انتهى. قل: وهذا والد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم - وزير زماننا هذا - ذكرناه فى حرف الهمزة فى مكانه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٤٢٠ رقم ١٤٤٧ النجوم الزاهرة جـ٣ ص١٧٨، أنباء الغمر جـ٢ ص٤٧٨، نزهة النفوس جـ٢ ص٢٧٩، رقم ٤٨٣، الضوء اللامع جـ٤ ص٢٤٥ رقم ٦٣٨.

(٢) (٧٣٤ - ٨١٣ هـ = ١٣٣٣ - ١٤١٠م)، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن هبة ا لله ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن محمد بن عبد المنعم بن طاهر بن أحمد بن مسعود بن داود ابن يوسف، قاضى القضاة تقى الدين أبو محمد الزبيرى المحلى، يعرف بابن تاج الرئاسة، والزبيرى نسبة إلى محلة الزبير من قرى الغربية من أعمال وبتلك النواحى نشأ وطلب العلم، وسمع على أبى الفتح الميدوى وغيره، وقرأ على أبيه القراءات وغيره، وتفقه بجماعة، ثم قدم القاهرة وتزوج بابنة=

المحلى الزبيرى الشافعى، فى يوم الأحد أول شهر رمضان. ومولده سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وولى قضاء القضاة - كما تقدم - نحو ثلاثين شهرا، حسنت فيها سيرته. ثم عزل، فلزم بيته نحو ثلاث عشرة سنة، حج فيها مرتين، وجاور بمكة سنة. وأول من حكم عنه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى المالكى، يوم الإثنين تاسع شهر رمضان، وولى حسبة القاهرة فى الأيام الأشرفية شعبان[1]، وبعده غير مرة.وولى نظر الأحباس، ونظر المارستان، وقضاء العسكر على مذهب مالك. وكان عاريا من العلم.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن على القطان الشافعى[2]، فى أول شهر شوال وكان من أعيان الفقهاء النحاة القراء.

=قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، وباشر توقيع الحكم مدة طويلة، ثم ناب فى الحكم عن القضاة بالقاهرة دهرا، وعملا سنة، وعرف بين الناس، واستمر على ذلك إلى أن طلبه الملك الطاهر برقوق فى يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة على حين غفلة وفوض إليه قضاء القضاة الشافعية، عوضا عن قاضى القضاة صدر الدين المناوى بحكم عزله وحنق السلطان عليه، فباشر المذكور القضاة، وحسنت سيرته لتواضعه ومعرفته بالشروط والأحكام، ولعفته أيضًا عن كل قبيح، ودام إلى أن صُرف بصدر الدين المناوى فى خامس عشر شهر رجب سنة إحد وثمانمائة، فلزم المذكور داره، وترك ركوب الغلة، وصار يمشى فى الطرقات، وترك الاحتشام إلى أن توفى يوم الأحد أو شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عن ثمانين سنة وقد هرم، رحمه الله، ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٤٠٦ رقم ١٣٩٨، النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٧٩، أنباء الغمر جـ٢ ص٤٧٠ رقم ١١ ورفع الإصر ص٣٣٦، نزهة النفوس جـ٢ ص٢٧٨ رقم ٤٧٩، الضوء اللامع جـ٤ ص١٣٨ رقم ٣٦٢.

(١) شعبان بن حسين (٧٥٤ - ٧٧٨م ١٣٥٣ = - ١٣٧٧م). شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٦هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧، ابن إياس ١/ ٢١٢، حسن المحاضرة ٢/١٠٤، الدر الكامنة ٢/ ١٩٠، البداية والنهاية١٤/ ٣٠٢ - ٣٢٤. الأعلام ٣/ ١٦٣، ١٦٤.

(٢) ابن القطان (٧٣٧ - ٨١٣ هـ = ١٢٣٧ - ١٤١١م). محمد بن على بن محمد السمنودى الأصل، المصرى، شمس الدين، بن القطان: باحث، من فقهاء الشافعية. من أهل القاهرة. له كتب، منها «السهل» فى القراءات السبع، و«بسط السهل» شرحه فى مجلدين، وذيل على طبقات الإسنوى: و«شرح ألفية ابن مالك» يزيد على أربعة مجلدات، و«جمع الشمل» فى الفرائض والحساب، و«المشرب المنى» فى شرح مختصر المزنى. قال السخاوى يعرب بابن القطان، حرفة أبيه وأخيه. انظر البدر الطالع ٢/٢٢٦، الضوء اللامع ٩/٩، الأعلام ٥٨٧/٦.

وتوفى شمس الدين محمد بن عبد الخالق المناوى المعروف ببدنه، ويعرف بالطويل أيضا، فى رجب ، وولى حسبة القاهرة، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، ونظر الأوقاف. وكان غاية فى الجهل .

وتوفى الأمير قراجا دوادار السلطان، فى منزلة الصالحية، وهو صحبة السلطان يريد الشام، يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن بها.

وتوفى الأمير قرا تنبك الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه بالقاهرة، فى أول شوال.

وتوفى القان أحمد بن شيخ حسن بن شيخ حسين بن أقبغا بن أيلكان، صاحب بغداد، مقتولا فى ليلة الأحد آخر شهر ربيع الآخر، وكان جلوسه سلطانا فى صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقتل الأمير سلمان بن بايزيد بن عثمان، وملك أخوه موسى الجزيرة الرومية وأعمالها. وملك محمد بن عثمان القرية الخضراء وأعمالها، وهى يقال لها برصا بالرومية.

* * *

سنة أربع عشرة وثمانمائة

أهلت، وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية وأرض الحجاز الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق بن أنص، وخليفة الوقت الإمام المستعين با لله أبو الفضل العباس بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. وأتابك العساكر الأمير تمرتاش المحمدى. والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى ورأس نوبة قنباى، وحاجب الحجاب يلبغا الناصرى.وقاضى القضاة بديار مصر شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم، وقاضى القضاة المالكية شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم المقدسى. وكاتب السر فتح الدين فتح ا لله بن معتصم بن نفيس، وناظر الجيش الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله والوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم البشيرى. والأستادار الأمير تاج الدين عبد الغنى بن الهيصم ونائب الشام الأمير تغرى بردى، ونائب حلب الأمير شيخ المحمودى، ونائب طرابلس الأمير نوروز الحافظى، ونائب حماة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش، ويعرف بسيدى الصغير، ونائب صفد الأمير قرقماس بن أخى دمرادش، المعروف بسيدى الكبير، ونائب غزة الأمير أينال الرجبى، وقد عزل واستقر عوضه الأمير سودن من عبد الرحمن . ومتملك بغداد وتبريز(١) قرا يوسف ابن قرا محمد التركمانى، وينوب عنه ببغداد ولده محمد شاه. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان، وصاحب اليمن الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل(٢)، وصاحب بلاد قرمان الأمير ناصر الدين محمد باك بن الأمير علاء الدين بن قرمان، وصاحب

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الملك الناصر (٨٢٧ هـ = ١٤٢٤م). أحمد بن إسماعيل بن العباس الرسولى، الملك الناصر بن الأشرف ابن الأفضل: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن تولاها بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٣ هـ ولم تحمد سيرته، قال السخاوى: كان من شرار بنى رسول خرج عليه أخوه حسين، وتقلب بالملك الظافر، فاستولى على زبيد سنة ٨٢٢ هـ وبايعه خلق كثير، فجهز عليه الناصر وحاصره وقاتله ثم قبض عليه وسمر عينيه واستمر الناصر إلى أن توفى متأثرا من روعة إصابته بسقوط صاعقة على حصنه خارج مدينة زبيد، وحمل إلى تعز، فدفن فيها. انظر الضوء اللامع ١/ ٢٤٠.الأعلام ١/ ٩٧.

أجات[1] الأمير موسى جلبى بن الأمير أبى يزيد بن مراد خان بن أزمان بن عثمان جق. وصاحب قرم وصراى[2] وبلاد الدشت الأمير أيدكى، وصاحب سمرقند[3] وبخارى[4] وبلاد فارس[5] فرخشاه بن تيمورلنك.

والأسعار بديار مصر: أما الذهب الهرجة فكل مثقال بمائتى درهم، وخمسة عشر درهما بالفلوس المتعامل بها كل رطل بستة دراهم. والدينار الأفرنتى والدينار الناصرى، كل شخص منها بمائة وتسعين درهما، إذا عوض الذهب فى ثمن مبيع حسب بزيادة خمسة دراهم. وأما القمح فإن الأردب بمائة وأربعين درهما إلى ما دونها، فيكون على حساب الذهب فى غاية الرخص فإنه بثلثى مثقال. والأردب من الشعير والفول بمائة درهم فما دونها.

شهر الله المحرم الحرام، أوله السبت:

فيه تسلم الأمير أسنبغا الزردكاش قلعة الكرك من الأميرين شيخ ونوروز فوجد مدينة الكرك خرابا، ليس فيها من أهلها سوى خمسين إنسانا، وقد تشتت أهلها فى البلاد من كثرة الظلم وشدة الجور.

وفى سادسه: قدم الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى دمشق، ونزل بدار السعادة على العادة، فنودى بالزينة، فزين الناس حوانيتهم.

وفى ثامنه: وصل الأميران شيخ نائب حلب، ونوروز نائب طرابلس إلى دمشق، ونزلا بسطح المزة، فخرج الأمير تغرى بردى نائب الشام إليهما، وسلم عليهما وترحب بهما وعاد. وكان لما بلغه قدومهما خرج ليلقاها على قبة يلبغا، فبلغه أنهما مضيا إلى المزة، فعاد إلى دار السعادة، وتخفف من ثيابه، وركب إليهما بثياب بذلته، فوجد الأمير شيخ فى أثناء الطريق، وقد ركب إليه ليسلم عليه، فرجع معه وتوجه إلى الأمير نوروز،

---

(١) إحدى إمارات آسيا الصغرى، تقع قرب برسا. انظر عقد الجمان ج ٢٥ القسم الثانى ص ٣٢٩.

(٢) صراى: مدينة عظيمة غربى بحر الخزر. انظر تقويم البلدان ص ٢١٧.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية. انظر معجم البلدان ١/ ٣٥٣ وما بعدها.

(٥) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٢٦ وما بعدها.

فقضى حقه من السلام. ثم جاء إلى دار السعادة، فركب الأمير شيخ وأتى إلى البلد، ونزل بدار القرمانى، ونزل الأمير نوروز بدار فرج بن منجك، بعدما ركب إلى النائب، وسلم عليه.

وفى تاسعه: نزل السلطان بقطيا، وسرح الطائر إلى قلعة الجبل بأنه يقدم يوم الأربعاء ثانى عشره، فتأهب الناس إلى لقائه، وخرجوا إليه، فنزل بكرة يوم الأربعاء بتربة والده السلطان الملك الظاهر خارج باب النصر، وخلع على الخليفة والقضاة والأمراء وسائر أرباب الوظائف، وخلع على شمس الدين محمد بن يعقوب وولاه حسبة القاهرة، وعزل ابن الدميرى، وخلع على محمد بن النجار. وعزل ابن الهوى من حسبة مصر، وقبض عليه ليحضر ما خلفه أبوه من المال. وصعد إلى قلعة الجبل، فكان يوما مشهودا.

وفى سابع عشره: سار الأمير شيخ من دمشق إلى حلب، بعدما قضى أشغاله، فخرج الأمير تغرى بردى معه ليوادعه، حتى نزل بسطح المزة، ثم خرج الأمير نوروز فنزل بالمزة أيضا، واستقلا بالمسير فى غده، وكان الأمير شيخ قد بعث متسلمه إلى حلب، وهو مملوكه قنباى، فقدمها فى ثالث عشره، فخرج الأمير قرقماش ابن أخى دمرداش من حلب، وخيم بظاهرها، ثم سار من غده يريد صفد.

وفى حادى عشرينه: خلع السلطان على زين الدين حاجى التركمانى الحنفى قاضى العسكر وأحد أئمة السلطان، وولاه مشيخة التربة الظاهرية برقوق خارج باب النصر، وعزل عنها صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيصرى - المعروف بابن العجمى - من أجل أنه ودع عنده قبل سفره عشرة آلاف دينار، فأنفقها كلها فى مأكل وملابس، وحج منها، فقبض عليه السلطان وطلب منه المال، فباع ما اشتراه منه، وأورد بعضه، وعجز عن البعض، فتركه له.

وفى رابع عشرينه: وصل الأمير بكتمر جلق من الشام، فركب السلطان وتلقاه، وألبسه تشريفا سنيا، وخلع على الأمير الكبير تمرتاش تشريفا بنظر المارستان المنصورى على العادة، وعبر السلطان إلى القاهرة من باب النصر، وهما بتشريفهما بين يديه، حتى مر بالمدرسة التى أنشأها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار برحبة باب العيد، نزل إليها وصلى بها، ثم ركب منها.

وذلك أن جمال الدين لما قتل فى سنة اثنتى عشرة، وقبض السلطان على أمواله، حسن أعداؤه للسلطان أن يهدم هذه المدرسة، ويأخذ رخامها، فإنه فى غاية الحسن،

ويسترجع الأملاك والأراضى الموقوفة عليها، فإنها تغل جملة كبيرة، فعزم على ذلك، ولم يبق إلا أن تهدم، فقام فتح الله كاتب السر فى صرف السلطان عن ذلك، ومازال به حتى رجع إليه، على أنه ينقض ما وقفه جمال الدين، ويجدد السلطان وقفها، فتصير مدرسته، وذلك أن مكان هذه المدرسة كان وقفا على تربة، فاستبدله جمال الدين بقطعة أرض من أراضى مصر الخراجية، فأخذ السلطان المستبدل بها، وقال: «إنى لم آذن له فى أخذ هذه الأرض، وهى من جملة أراضى الخراج، وإنما أخذها افتئاتا. فصارت أرض هذه المدرسة وقفا على ما كانت عليه قبل بنائها». فحكم قاضى القضاة المالكى أن البناء الموقوف على هذه الأرض ملك لم يصح وقفه، فاشترى السلطان عند ذلك بناء المدرسة، بعدما قوم بمبلغ عشرة آلاف دينار، من ورثة جمال الدين. ثم أشهد عليه أنه وقفه بعدما عوض مستحقى أرضها بدلها. وحكم القضاة الحنفية بصحة الاستبدال. وكتب لها كتاب وقف على ما كان جمال الدين قرره فيها من الفقهاء والقراء وغيرهم. وأبطل ما كان لأولاد جمال الدين من الفائض بعد المصروف. ومزق كتاب وقف جمال الدين، وأفرد لهذه المدرسة بعض ما كان جمال الدين جعله وقفا عليها، وزادها قطعة أرض بأراضى الجيزية. وفرق باقى وقف جمال الدين على التربة التى أنشأها على قبر أبيه خارج باب النصر، وعلى أولاده، وحكم القضاة الأربعة بصحة ذلك كله، وإبطال ما عمله جمال الدين. فلما تم ذلك أمر أن يمحى اسم جمال الدين ورنكه من المدرسة، فمحى، وكتب بدله اسم السلطان ، فصارت تدعى بالمدرسة الناصرية، بعدما كان يقال لها الجمالية.

ولما سار السلطان من هذه المدرسة مر بمدرسة أبيه فى بين القصرين، فنزل إليها أيضا، وزار جده. ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وعبر الأمير تمرتاش إلى المارستان، ومعه فتح الله كاتب السر، وقد ولاه السلطان أيضا نظر المارستان وهو بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى بعد وفاته، فنظرا فى أمره وانصرفا، وقد استناب الأمير تمرتاش عنه فى المارستان الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله.

شهر صفر، أوله الإثنين:

فى سادسه: وصل الأمير قرقماس نائب صفد إلى دمشق، فأراح بها، وسار إلى صفد بعدما قدم له الأمير تغرى بردى نائب الشام ما يليق به، وأكرمه غاية الإكرام.

وفى ثانى عشره: عين السلطان اثنين وعشرين أميرا من الأمراء البطالين، ليتوجهوا

إلى الشام على إقطاعـات عينهـا لهـم، منهـم الأمـير حزمـان الحسـنى، والأمـير تمـان تمـر النـاصرى، والأمـير سـونجبغا، والأمـير شـادى خجـا، والأمـير أرطوبغـا، والأمـير قنبـاى الأشقر، ومعهم مائتا مملوك ليكر[.......][١] النائب

وفى ثالث عشره: قتل بسجن الإسكندرية الأمير جـانبك القرمـى، والأمـير أسـندمر الحاجب، والأمير سودن البجاسى، والأمير قنباى أخو بلاط.

وفى حادى عشرينه: خلع على تقى الدين عبد الوهاب بـن الوزيـر الصـاحب فخـر الدين ماجد بن أبى شاكر، واستقر فى نظر الخـاص، ولم يـول السـلطان فيهـا بعـد مجد الدين بن الهيصم أحدا.

وفى رابع عشرينه: قبض السلطان على ثلاثة أمراء من المقدمين، وهـم الأمـير قنبـاى رأس نوبة، والأمير يشبك الموساوى الأفقم، والأمير كمشبغا المزوق، وقبض على الأمـير منجك أمير عشرين، والأمير قنباى الصغير ابـن بنـت أخـت الملـك الظـاهر برقـوق أمـير عشرة، وشاهين، وخير بك، ومأمور، وخشكلدى، وحملوا فى الحديـد إلى الإسـكندرية فسجنوا بها، ررسم للأمير تمراز الناصرى أن يكون طرخانا، لا يحضر الخدمة السـلطانية ويقيم بداره، ويتوجه إلى دمياط، وعين له شىء يقوم بحاله.

وفـى سـابع عشـرينه: ورد كتـاب الملـك مـانويل صـاحب إصطنبـول[٢]، وهـى القسطنطينية[٣]، وهدية خمس كواهى، فتضمن كتابه ما عنده من المحبة، ويسأل الوصيـة بالنصارى، ومراعاة كنائسهم، ونحو ذلك.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الأمير سنقر الرومى، واستقر رأس نوبـة كبـير، عوضـا عن قنباى.

وفى سلخه: انقطع الأمير طوغان الـدوادار عـن الطلـوع إلى الخدمـة السـلطانية بقلعـة الجبل على العادة، خوفا على نفسه، فإنه وشى به مملوكان من مماليكه، ومملوك من ممـاليك السلطان، أنه يريد الركوب على السلطان ومحاربته، فأرسل السلطان إليـه الأمـير الكبـير تمرتاش، والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب ليحضراه، فمازالا به حتى صعد معهمـا إلى القلعة، فآل الأمر بعد كلام كثير إلى أن خلع عليه، وسلم له غرماؤه فى الحديد.

---

(١) ما بين المعقوفتين مطموس فى الأصل.

(٢) إصطنبول: هو اسم لمدينة القسطنطينية. انظر معجم البلدان ١/ ٢١٢.

(٣) قسطنطنية: ويقال قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، كانت روميـة دار ملـك الـروم وكـان بهـا منهم تسعة عشر ملكا، واسمها إصطنبول حلايا).انظر معجم البلدان ٤/ ٣٤٧، ٣٤٨.

وفى هذا الشهر: انتهى الطاعون الذى ابتدأ فى البلاد الشامية من شوال، فأحصى من مات من أهل دمشق وسكان غوطتها، فكانوا نحو خمسين ألفا، سوى من لم يعرف، فخلت عدة من القرى، وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير أينال الساقى من سجن الإسكندرية.

وفى ثالثه: قطع السلطان خبز الأمير شرباش كباشة، ورسم بتوجهه بطالا إلى دمياط.

وفى رابعه: أخرج الأمير تمراز الناصرى والأمير شرباش كباشة إلى دمياط، منفيين.

وفيه قبض على جماعة من المماليك الخاصكية، منهم جان بك العثمانى، وفيه قدم الخبر بأن الأميرين شيخ ونوروز لم يمضيا حكم المناشير السلطانية وأنهما أخرجا إقطاعات حلب، وطرابلس لجماعتهما، وأن الأمير شيخ سير يشبك العثمانى لمحاصرة قلعة البيرة، وقلعة الروم، وأنه خرج من حلب وخرج نوروز من طرابلس، وأن عزمهما العود على ما كانا عليه من الخروج عن الطاعة.

وقدم الخبر بأن جلبى بن أبى يزيد بن عثمان - صاحب برصا - قتل أخاه سلمان، وأخذ جميع بلاده، وهو عازم على المسير إلى أخيه كرشجى.

وفى خامسه: قبض السلطان على جماعه من كبار مماليك أبيه الخاصكية، وسجنهم بالبرج، ثم قتلهم بعد شهر.

وفى سابعه: قبض على الأمير خير بك نائب غزة، وهو يومئذ أحد أمراء الألوف بديار مصر، وقبض على عدة من المماليك، وحملهم إلى الإسكندرية، وفيه قدم الخبر بقتل الأمير قرا يشبك والأمير أقبغا جركس، والأمير أسندمر الناصرى[1] والأمير سودن

---

(١) أسندمر بن عبد الله الناصرى (٧٦٩ هـ = ١٣٦٨ م)، الأمير سيف الدين، أتابك العساكر بالديار المصرية. أصله من مماليك الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وممن وافق يلبغا العمرى الخاصكى على قتل أستاذه السلطان حسن، استمر المذكور من حزب يلبغا، «وصار أمير مائة ألف بديار مصر إلى أن وقع من أمر يلبغا» مع مماليكه وانضمامهم على الملك الأشرف شعبان على ما سنحكيه فى غير موضع إن شاء الله تعالى، كان أسندمر هذا أيضا ممن انضم مع يلبغا ووافقه؛ ووقعت خطوب وحروب آلت إلى قتل يلبغا، وإلى أن صار أسندمر المذكور أتابكا بعده، وسكن بدار يلبغا وصار هو ثلاثة أمراء أخر، هم أصحاب الحل والعقد فى المملكة، وهم أسندور هذا، وطغيتمر النظامى، وآقبغا حلب الأحمدى، وقجماس الطازى، فأقاموا على ذلك مدة ثم وقع؛

الحمصى، بسجن الإسكندرية.

وفى عشرينه: قدم سودن الجلب من بلاد الشرق إلى حلب، فسيره الأمير شيخ إلى الأمير نوروز.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير نوروز بعث عسكرا لحصار قلعة الأكراد.

=بينهم الخلف، فصار أسندمر وحده، وانضم هؤلاء الثلاثة إلى الملك الأشرف شعبان، وانضم على أسندمر جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا، إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة، ركب الأمراء جميعهم نصف الليل، ونزل السلطان معهم، ودقت الكوسات، وكان قصد الأمراء مسك أسندمر الناصرى هذا، ومسك بعض مماليك يلبغا الأشرار، فلم يركب أسندمر إلى طلوع الشمس، ثم ركب من الكبش بمن معه وراح إلى قبة الصفراء ونزل القرافة، وطلع من خلف القلعة، ولم يعلم به الأمراء إلا وهو تحت الطبلخاناه السلطانية، فهرب أكثر الأمراء إلا ألجاى اليوسفى وأرغون تتر فهما ثبتا، وقاتلا بمن معهما إلى قريب الظهر فلم يردفهما أحد من الأمراء، فانكسرا وجرح آقبغا حلب، وقتل الأمير دروط ابن أخى الحاج آل ملك وقبض أسندمر هذا على عدة من الأمراء مقدمى الألوف وهم: طغيتمر النظامى، «وآقبغا حلب، أيدمر الشامى، وألجاى اليوسفى، وقجماس الطازى» وأقطاى، وأرغون، وقطلوبغا جركس، ومن الطبلخانات، ويلبغا شقير، وقرابغا شاد الأحواش، وطاجار من عوض، وقطلوبغا الشعبانى، وأيدمر الخطاى وتمراز الطازى، وأسن الناصرى، وقرانمر المحمدى، وقرابغا الأحمدى، أخو حلب وأرسلوا الجميع إلى سجن الإسكندرية، ثم فى حادى عشر شوال خلع على جماعة من الأمراء المقدمين، يطول الشرح فى تسميتهم. وصار أسندمر هذا هو مدبر الممالك يقدم من شاء ويؤخر من شاء، ودام على ذلك إلى يوم الجمعة سادس صفر من سنة تسع وستين وسبعمائة، وركبت مماليك يلبغا الأجلاب ودخلوا على أسندمر فمسك منهم جماعة، وأراد سكون الفتنة بذلك ، فأصبحوا يوم السبت أيضا لابسين آلة الحرب، ودخلوا على أسندمر وطلبوا منه خلع الملك الأشرف، وكان قد تغير الأشرف لأمور صدرت منه فى حقه، فواقهم على ذلك، فبلغ الأشراف فركب وركب معه نحو مائتين مملوك، وكانت مماليك يلبغا فوق ألف وخمسمائة مملوك، وانضاف إلى السلطان جماعة من أكابر الأمراء وجاءوا مماليك يلبغا، فتلاقوا مع الأمراء والسلطان، وكان أسندمر أخذ جماعة وطلع من خلف القلعة كما فعل فى تلك المرة الأولى فانكسرت مماليك يلبغا قبل وصوله، فانهزم أسندمر أيضا، ثم أمسك وجىء به إلى الملك الأشراف فلما حضر بين يدى السلطان شفعت فيه الأمراء فأطلقه وخلع عليه على عادته ونزل إلى بيته بالكبش، ورسم أيضا لابن قوصون أن يكون رفيقا لأسندمر، ونزل خليل ابن قوصون معه صفة الترسيم إلى بيته، فلما نزلا تحالفا وخامرا على السلطان، وركبا بسوق الخيل من الغد، وقاتلا السلطان ساعة، ثم انهزما، وأمسك أسندمر وخليل بن قوصون وجماعة من الأمراء وأرسلوا إلى الإسكندرية، وأطلق من كان من الأمراء المسجونين قبل تاريخه، ووقع السيف فى مماليك يلبغا وتشتت شملهم، واستمر أسندمر هذا محبوسا إلى أن مات فى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة بثغر الإسكندرية. انظر المنهل الصافى ٢/٤٤٠، وما بعدها.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

في ثانيه: خلع على الأمير أسنبغا الزركاش أحد أمراء الألوف، وزوج أخت السلطان، واستقر شاد الشراب خاناه، عوضا عن الأمير سودن الأشقر.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبى الفرج كاشف الوجه البحرى، واستقر أستادار السلطان، عوضا عن الأمير تاج الدين بن الهيصم بعد عزله والقبض عليه، وتسليمه وحواشيه وأسبابه له، مع إيقاع الحوطة على بيوته وحواصله.

وفى ثامن عشره: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان وعدى النيل إلى المقياس، حتى خلق بين يديه، ثم فتح الخليج على عادته.

وفى هذا الشهر: قدم الخبر بأن قرا يوسف سار ونزل على بلاد قرا يلك، وحصر آمد[١]، ففر قرا يلك إلى جهة الأطاغ، وأن عساكر قرا يوسف تفرقت على قلاع قرا يلك، وسار ابنه على عسكر كبير إلى ماردين[٢]، وأن الحرب امتدت بين قرا يوسف، وقرا يلك مدة اثنين يوما، قتل بينهما خلائق كثيرة، فبينما هم فى ذلك، إذ قدم الخبر على قرا يوسف بأن ابن تيمورلنك نزل على توريز، فرحل من وقته وترك أثقاله، فركب قرا يلك فى إثره، وأخذ منه جماعة، ومضى إلى أرزنكان[٣]، ليخرب بلادها، كما خرب قرا يوسف بلاده، وأن نائب عينتاب كبس أكراد قلعة الروم[٤]، وقاتلهم فقبض عليه طوغان نائب قلعة الروم، راعتقله بها، وأن كردى بن كندر ركب على نائب أنطاكية [٥] وأخذه، ومضى به، وأن الأمير نوروز نائب طرابلس، نزل على قلعة صهيون[٦] وحاصرها أياما، حتى صالحه أهلها على مال، ثم رحل وعاد إلى طرابلس، وأن الأمير شيخ نائب حلب قبض على المماليك الذين فروا من الكرك، وأنه مشى هو والأمير نوروز على الأمير العجل بن نعير، فتركهم وتوجه إلى الرحبة[٧] من غير لقاء،

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) سبق ترجمتها.

فعاد الأمير شيخ ونزل على سرمين[١] وعاد الأمير نوروز ونزل على جبلة[٢]، وأن الأمير شيخ ما زال حتى أفرج عن نائب عنتاب، وأن نائب صهيون قبض على نائب اللاذقية، وقتله. وأن ابن أوزر التركمانى حصر أنطاكية وأخذ الأمير جانبك نائبها، واعتقله. وأن الأمير العجل بن نعير استولى على بلد عانة[٣]، فبعث إليه قرا يوسف عسكرا، فكسره، ومضى إلى الأنبار[٤]، فرحل من بغداد من التركمان، خوفا منه، فبعث إليهم وطيب قلوبهم، وكانوا فى اختلاف شديد.

وفى هذا الشهر: ضربت الحوطة على قرايب الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فأمسك ابنه الأمير شهاب الدين أحمد، وأخواه القاضى شمس الدين محمد، وناصر الدين، وابنا أخته الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب، وحمزة، وزوج ابنة أخيه شرف الدين أبو بكر بن العجمى، وعوقبوا عقوبات شديدة، وألزموا بأموال كثيرة. فمات ناصر الدين أخو جمال الدين فى العقوبة بعد ما أخذ منه نحو مائة ألف درهم، وأخذ من الأمير أحمد ابن أخته ستة آلاف دينار مصرية.

وفيه وردت من طائفة الفرنج الكيتلانية والجنوية جماعة إلى ميناء الإسكندرية، واقتتلوا، فخاف أهل الإسكندرية، وظنوا أنها مكيدة، فلما تمادى الشر بينهم، وبلغت عدة قتلاهم نحو الألفين، اطمأنوا قليلا، وكان من الجنويين رجل من العتاة المفسدين - يعرف بالبسقاونى - قد أسرته الكيتلانية، فأسلموه للسلطان، وحمل فى الحديد إلى قلعة الجبل، فألزم بمائة وخمسين ألف دينار، فذكر أن ماله بيد الجنويين، فطلب منهم ذلك، فأبوا أن يعطوه شيئا، فقبض على تجارهم بالإسكندرية، فغضبوا، وساروا بمراكبهم إلى الطينة[٥]، فسبوا نساء أهلها وبنيهم بعد وقعة كانت لهم مع المسلمين ، فخرجت طائفة من دمياط لنجدتهم، فاستشهد منهم فقير معتقد، يعرف بمحيى الدين، فى نفرين من فقرائه، وأخذ الفرنج ما كان بالطينة من مال أهلها، وأموال التجار، وساروا. وصالح السلطان البساقى بستين ألف دينار.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

---

(١) سر مين: بلدة مشهورة من أعمال حلب.انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٤/ ٧٢.

(٤) الأنبار: مدينة قرب بلخ وهى قصبة ناحية جوزجان وبها كان مقام السلطان، وهى على الجبل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٥٧.

(٥) الطينة: بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر.انظر معجم البلدان ٤/ ٥٦ .

فيه أمر السلطان بهدم مدرسة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون، التى تجاه الطبلخاناه، فوقع الهدم فيها، وكانت من أعظم بناء رأيناه، وعمر بأحجارها فى مواضع بالقلعة، وأمر أيضا بهدم الدور التى كانت ملاصقة لسور القلعة، ما بين الصوة وتحت الطبلخاناه إلى قريب باب القرافة، فهدمت، وصارت خرابا موحشة، وتشتت سكانها وتمزقوا، وألسنتهم تضج بالدعاء.

وفى ثانيه: ختم على جميع حواصل القاهرة التى يتوهم أن فيها فلوسا لتؤخذ فلما كان فى رابع عشرينه رسم لقاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى أن يتوجه مع الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوى متولى القاهرة، وبعض مماليك السلطان، وعبد الرحمن بن فيروز الصيرفى إلى الحواصل المختوم عليها، وأخذ ما فيها من الفلوس، وتعويض أربابها عن ذلك ذهبا ناصريا، من حساب كل دينار بمائتى درهم، وكان صرفه يومئذ بمائة وتسعين. فمضوا لذلك، وفتحوا الحواصل فى غيبة أربابها، وأخذوا نحو خمسمائة قفة فلوسا كل قفة ستمائة درهم، بثلاثة دنانير ناصرية.

وفى هذا الشهر: اشتدت العقوبة على أقارب الأمير جمال الدين الأستادار، ثم خنق أحمد ابن أخته، وأحمد ابنه، وحمزة بن أخته، فى ليلة الأحد سادس عشره.

وفى هذا الشهر: أخذت عساكر قرا يوسف بن قرا محمد بغداد بعد حصارها نحو عشرة أشهر، وهم ببغداد يشيعون أن السلطان أحمد بن أويس قد وصل إليهم مختفيا، وتبرز المراسيم عن أمره، ويخرجونه أحيانا فيكبسون عسكر قرا يوسف، ويأخذون ما قدروا عليه، ثم أشاعوا خروجه غدا، وزينوا المدينة. فلما كان الليل، اجتمع عسكرهم، وساروا نحو تستر بأجمعهم، فدخلها أصحاب قرا يوسف مع ولده شاه محمد، ونهبوها، وقتلوا بها جماعة. واستمرت بغداد بيد قرا يوسف.

وفيه كتب السلطان إلى الأمير شيخ يعتبه على ما وقع منه، ويحذره، ويخوفه، ويأمره أن يجهز إليه يشبك العثمانى، وبرد بك، وقنباى الخازندار، محتفظا بهم، ويرسل سودن الجلب إلى دمشق أو صفد ليكون من جملة الأمراء بها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى أوله: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بعمارة القلعة والمدينة، فنودى بذلك.

وفى رابعه: وصل إلى دمشق حريم الأمير تغرى بردى وأولاده من القاهرة، وفى هذا الشهر فارق الأمير برد بك - نائب حماة - الأمير نوروز، وسار عنه من طرابلس، فقدم دمشق، فأكرمه الأمير تغرى بردى، وكتب يعلم السلطان به.

وفيه تواترت الأخبار بأن الأميرين شيخ ونوروز قد اتفقا على الخروج عن طاعة السلطان، وعزما على أخذ حماة، فوقع الشروع فى عمارة قلعة دمشق، وكتب تقدير المصروف على ذلك، مبلغ ثلاثين ألف دينار.

وفيه وقع الاهتمام فى بلاد الشام بتجهيز الإقامات للسلطان، فإنه عزم على السفر.

وفيه شنعت المصادرات بالقاهرة، وفحش أخذ الأموال من الناس، حتى خاف البرىء، وتوقع كل أحد أن يحل به البلاء من الأمير فخر الدين الأستادار.

وفيه أفرج عن الأمير تاج الدين بن الهيصم، وخلع عليه خلعة الرضا، فاستماله الأمير فخر الدين إليه، وعزما على أن يتحدثا مع السلطان فى تسليمهما الوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، والرئيس تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر ناظر الخاص، بمال يقومان به فى نظير ما عساه يؤخذ منهما بأنواع العقوبات. فلما بلغهما ذلك، بادرا واتفقا مع السلطان وأرضياه بمال جزيل، فقبض على الأمير فخر الدين وعلى الأمير تاج الدين فى عصر يوم الإثنين سلخه على حين غفلة، وسلمهما للوزير سعد الدين ففوجئ الناس من السرور ما لا يعبر عنه، وأظهروا من الفرح شيئا زائدا. ونزل الوزير بابن أبى الفرج معه إلى داره، وأذن له فى عقوبته، فلم يدع نوعا من أنواع العذاب حتى عاقبه به، فلم يعترف بشىء، ووجد له نحو ستة آلاف دينار، وجرار كثيرة قد ملئت خمرا، فطرحت كل جرة بمائة درهم على باعة الخمر، فكان هذا من أقبح ما سمع به.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فيه شرع الأمير غرس الدين خليل الأشقتمرى الأستادار بدمشق فى تقرير الشعير على بساتين دمشق وضياعها، كما فعل فيما مضى.

وفيه رجم رجل تركمانى تحت قلعة دمشق، أقر بالزنا، وكان رجمه بعدما كتف وأقعد فى حفرة. وما زال يرجم حتى مات. ثم غسل وصلى عليه ودفن.

وفى هذا الشهر خرج السلطان للصيد، فبات ليلة، وعزم على مبيت ليلة أخرى بناحية سرياقوس[1]، فبلغه أن طائفة من الأمراء والمماليك اتفقوا عليه، فعاد إلى قلعة الجبل سريعا، وتتبع ما قيل له، حتى ظفر بمملوكين عندهما الخبر، فعوقبا فى ثامن عشره، فأظهرا ورقة فيها خطوط جماعة، وكبيرهم الأمير جانم. وكان جانم قد سافر

---

(١) سرياقوس: بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٨.

إلى منية ابن سلسيل من الغربية[1]، وهى من جملة إقطاعه، فكثرت القالة بالقاهرة، وخرج الأمير طوغان الدوادار والأمير بكتمر جلق لإحضار الأمير جانم، فى يوم السبت عشرينه. على أن الأمير طوغان يلقاه والأمير بكتمر يمسك عليه الطريق، وقبض السلطان على جماعة من الأمراء، والمماليك، منهم الأمير عاقل، والأمير سودن الأبايزيدى، وقدم طوغان على جانم فاقتتلا فى البر، ثم فى المراكب على ظهر النيل قتالا شديدا، تعين فيه طوغان، فألقى جانم نفسه فى الماء لينجو، فرماه أصحاب طوغان بالسهام حتى هلك، فقطع رأسه فى ثانى عشرينه، وقدم به فى رابع عشرينه.

وكان السلطان قد قبض فى ثانى عشرينه على الأمير أينال الصصلانى الحاجب، والأمير أرغز، والأمير سودن الظريف، وعلى جماعة من المماليك. وقبض فى ثالث عشرينه على الأمير سودن الأسندمرى، أحد أمراء الألوف وأمير أخور ثانى، وعلى الأمير شرباش العمرى رأس نوبة وأحد أمراء الألوف.

وفى خامس عشرينه: قبض على جماعة من أكابر مماليك أبيه، ووسط خمسة.

وفيه خلع على الأمير منكلى أستادار الأمير جركس الخليلى، واستقر أستادار السلطان، عوضا عن فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج.

وفى هذا الشهر: قدم الخبر بأن الأمير نوروز نائب طرابلس توجه منها إلى حصن الأكراد، وحاصرها. وأن الأمير شيخ كتب إليه أنه اتفق مع جماعة من قلعة حلب على أن يسلموها له، وأشار عليه أن يرجع إلى طرابلس يحصل قلعة حلب بيده، وأن الاتفاق وقع بينهما على أن يجهزا سودن الجلب على ثلاثمائة فارس ليأخذ حماة، وأن الأمير شيخ أرسل إلى ناصر الدين محمد بن دلغادر يعرض عليه نيابة عينتاب فلم يقبل ذلك، وأنه خرج من حلب يريد العمق، فنزله سلخ جمادى الآخرة، وجمع عليه طائفة التركمان البياضية وابن سقل سيز، وابن صاحب الباز، وغيرهم من التركمان والعرب، وأنه أوقع بعمر بن كندر فى ثالث رجب، ثم قاتل التركمان فى سابعه، فكسرهم، وأسر منهم جماعة. وأنه بعث أحمد الجنكى أحد ندمائه بهدية إلى قرا يوسف، وأن نوروز بعث إليه بهدية أخرى، صحبة بهلوان، من أصحابه.

وفيه كتب إلى الأمير تغرى بردى نائب الشام، بالقبض على الأمير يشبك بن أزدمر، والأمير أينال الخازندار، والأمير برد بك الخازندار، والأمير برد بك أخى طولو، والأمير سودن من إخوة يشبك، والأمير تنبك من إخوة يشبك، والفحص عن الأمير نكباى

---

(١) من أعمال الدقهلية. انظر التحفة السنية لابن دقماق ٥/ ٧٦.

الحاجب، فإن وجده من جملة المخالفين فليقبض عليه، ويعتقلهم، وينعم على الأمير تمراز بالإمرة الكبرى بدمشق.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ليلة الأربعاء مستهله: ذبح السلطان عشرين رجلا، ممن قبض عليهم من المماليك. ووسط فى يوم الأربعاء ثلاثة عشر رجلا تحت القلعة، منهم الأمير حزمان نائب القلس وأحد أمراء العشرات ، والأمير عاقل، والأمير أرغز، أحد أمراء الألوف بدمشق، والأمير سودن الظريف، والأمير مغلباى، ومحمد بن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر.

وفى ليلة الخميس ثانيه: قتل السلطان بالقلعة زيادة على مائة من أكابر الجراكسة وعتاتهم، وركب السلطان سحر يوم الخميس للصيد بناحية بهتيت من الضواحى. وتقدم إلى والى القاهرة أن يقتل عشرة من المماليك، لتخلفهم عن الركوب معه، فقتلوا. وعاد السلطان من الصيد، فمر بشارع القاهرة فى دون المائة فارس، وعليه ثياب جلوسه، وهو ثمل،لا يكاد يثبت على فرسه حتى صعد القلعة نصف النهار، ولم يعرف قط بمصر ملك شق القاهرة بثياب جلوسه قبل هذا.

وفى خامس عشره: أعيد ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن يعقوب الدمشقى.

وفى يوم السبت ثامن عشره: عزم السلطان على شرب دواء مسهل، وبعث رئيس الأطباء علم الدين سليمان بن جنيبة إلى الأمراء يعلمهم بذلك، فتهيئوا بأجمعهم لتجهيز التقادم فى غده، وأصبحوا يوم الأحد فى حملها على مقاديرهم، فحمل الوزير مبلغ ألفى دينار وأربعمائة طائر من الدجاج، ومائة طائر أوز، وقنطارين سكرا مكررا، وفواكه وحلوى، وغير ذلك.وحمل ناظر الخاص وغيره، حتىمحتسب القاهرة، واستمر هذا عادة فى كل سنة.

وفى هذا الشهر: اشتد مرض الأمير تغرى بردى نائب الشام، فكتب إلى الأمير قرقماس نائب صفد بالحضور، فتوجه إلى دمشق، وكان خبر قتل جانم قد اشتهر بدمشق، فتخيل الأمير يشبك بن أزدمر وخاف على نفسه، وعزم أن يثور بجماعة، ثم ركب وخرج من البلد فى سابعه، فقدم نائب صفد إلى دمشق فى تاسعه، فقبض فيه على جماعة منهم تمراز الأعور ، وأينال الخازندار، وخشكلدى، وسودن، وأزدمر، فماج الناس. ثم حمل تمراز الأعوار، وبرد بك الخازندار، وجركس التنمى، وأزدمر إلى

قلعة الصبيبة، فسجنوا بها فى عاشره، وقبض على تغرى برمش دوادار بن أزدمر، وسجن. وأما ابن أزدمر فإنه لحق بنوروز، وقد اجتمع مع الأمير شيخ فى ناحية التركمان، فعاد كل منهما إلى بلده وأخذا فى إظهار الخلاف.

وفى عشرينه: قبض بدمشق على الأمير نكباى الحاجب، وحمل إلى الصبيبة، فسجن بقلعتها. وكثر الإرجاف بدمشق أن الأمير شيخ قد عزم على أخذها، فاستعد العسكر، وحصنت القلعة، وكتب بذلك إلى السلطان، وأن يعجل بتجهيز ألف فارس نجدة، لئلا يطرق الأمير شيخ دمشق، ويشير عليه الأمير تغرى بردى نائب الشام بأن يحضر بنفسه إلى دمشق: فأجيب بتجهيز الإقامات، وأنه عزم على السفر، فاشتد الطلب بدمشق على الناس، وألزموا بالشعير وغيره.

وفيه كانت فتنة بين كرشجى بن أبى يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان جق، وبين أخيه موسى جلبى، فانكسر فيها محمد كرشجى من أخيه موسى جلبى على قسطنطينية.

وفيه نزل قرا يوسف بن قرا محمد متملك تويز وبغداد على قرا باغ[(١)]، ليشتى بها، فوقع فى عسكره فناء عظيم.

وفيه نهب الأمير عثمان قرا يلك بن طور على بلاد قرا يوسف، ونهب بلد سنجار[(٢)]، وأخذ قفل الموصل، وأوقع بالأكراد، وأسر عدة من أمرائهم حتى افتدوا منه بمائة ألف درهم، وألف رأس من الغنم، وعشرة أفراس، فبعث قرا يوسف إليه فى الصلح، فامتنع من ذلك.

وفيه اجتمع أصحاب تيمورلنك على حرب قرا يوسف، وقصدوا مدينة توريز.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه نودى بالقاهرة لجميع المماليك بالأمان، وأنهم عتقاء شهر رمضان، فظهر منهم جماعة، فأمنوا. وتتابع بقيتهم حتى ظهر قريب من ثلاثين مملوكا فى عدة أيام، فوعدوا بخير، وأن يعطوا الخيل. ورسم لهم بيوم يجتمعون فيه لأخذ خيولهم فاغتروا وحضروا، فقبض علهم كلهم وحبسوا، وتتبع المماليك السلطانية، وجلس السلطان لتفريق

---

(١) تقع فى شرق إقليم الدان من كيلان. انظر بلدان الخلافة الشرقية لسترنج ص ٢١٣.

(٢) سنجار: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٦٢.

القرقلات برسم الرسم عليهم، فقبض على جماعة كثيرة منهم، وسجنهم، فما انقضى شهر رمضان حتى زادت عدة المسجونين من المماليك السلطانية على أربعمائة رجل.

وفى رابعه: أبل الأمير تغرى بردى نائب الشام من مرضه.

وفى هذا الشهر: تأكد عند السلطان خروج الأميرين شيخ ونوروز عن طاعته، وأنهما عزما على أخذ دمشق، وأن سودن الجلب ويشبك بن أزدمر سعيا فى ذلك، وأن الأمير نوروز قتل أقسنقر الحاجب، وأن الأمير شيخ بعث فى رابعه إلى ناصر الدين محمد بن دلغادر خلعة وبدلة قماش كاملة - حتى السراويل - برسم لباسه، وبدلة نسائية كاملة برسم امرأته، وذلك بعدما بعث الأمير شيخ يشبك الساقى، وجقمق الدوادار إليه، وإلى أخيه على باك بن دلغادر، يستدعيهما ليحضرا إلى عينتاب، فامتنعا من ذلك وأعادا قاصديه، ثم إنهما اختلفا فمضى على باك إلى جهة بلاد الروم، فلما بلغ ذلك الأمير شيخ أعاد يشبك الساقى ومعه تتر إلى محمد بن دلغادر، لقياه بأبلستين، وما زالا به حتى سار معهما إلى عينتاب، فقدموها فى حادى عشره، ونزل بها محمد ابن دلغادر حتى أتته الخلعة والبدلتان.

وفى هذا الشهر: توجه الأمير شيخ بمن معه إلى قلعة نجمة، وعدى الفرات، ليوقع بالعربان، فغرق جماعة من أصحابه، فعاد وجمع النجارين، وأنشأ بناحية الباب[١] - قريبا من حلب - مركبا، وحمله إلى قلعة نجمة، فكان طوله اثنتين وعشرين خطوة، وهو محمل خمسين رجلا. فجهز إليه الأمير مبارك شاه نائب قلعة الروم ثلاثين فارسا لإحراقه.

شهر شوال، أوله السبت:

فى ليلة الإثنين ثالثه: ذبح السلطان من مماليك أبيه الذين فى الاعتقال مائة رجل وسحبوا، ثم ألقوا من سور القلعة إلى الأرض، ورموا فى جب مما يلى القرافة. واستمر الذبح فيهم.

وفى يوم الإثنين عاشره: عدى السلطان النيل إلى ناحية وسيم[٢]، وبات بها ورحل سحرا يريد الإسكندرية، بعدما نودى بالقاهرة ألا يتأخر أحد من المماليك السلطانية فى القاهرة، وأن يعدوا إلى بر الجيزة، فعدوا بأجمعهم، فمنهم من أمره بالسفر فى خدمته، ومنهم من أمره بالسفر فى خدمته، ومنهم من أمره بالإقامة. وبعث الأمير طوغان

---

(١) بليدة صغيرة، ذات سوق وحمام ومسجد جامع، تقع فى طرف وادى بطنان من أعمال حلب. انظر تقويم البلدان، معجم البلدان (باب).

(٢) سبق ترجمتها.

الدوادار، والأمير جانبك الصوفى[1]، والأمير سودن الأشقر، والأمر يلبغا الناصرى فى

---

(١) جانبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م)، الأمير سيف الدين أتابك العساكر بالديار المصرية. هو من مماليك الظاهر برقوق، وممن صار أمير مائة ومقدم ألف فى دولة الملك الظاهر فرج بن برقوق، ثم استقر رأس نوبة النوب فى دولة الملك المؤيد شيخ، ثم نقله إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح إلى أن قبض عليه وحبسه بثغر الإسكندرية فى رابع عشر شهر رجب سنة ثمانى عشرة وثمانمائة. واستمر محبوسًا إلى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة أفرج عنه الملك المؤيد، وأنعم عليه بإقطاع ولده المقام الصارمى إبراهيم بعد موته فلم تطل أيامه، ومات المؤيد شيخ فى أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده الرضيع أحمد المظفر، وصار الأمير ططر مدبر المملكة فخلع على حانبك المذكور باستقراره أمير سلاح، عوضا عن قجقار القردمى بعد القبض عليه، ثم صار أتابك العساكر بالديار المصرية بعد سلطنة ططر «فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وثمانمائة. ولما مات الملك الظاهر ططر» أوصى أن يكون حانبك الصافى هذا مدبر مملكة ولده الملك الصالح محمد، فسكن حانبك المذكور بباب السلسلة من الإصطبل السلطانى بعد موت الظاهر ططر، فلم تطل مدته غير أيان وتغلب عليه الأميران برسباى الدقماقى الدوادار وطرباى حاجب الحجاب، وكثر الكلام بينهم حتى ركب الأتابك حانبك الصوفى فى يوم عيد الأضحى بآلة الحرب، ولبس الأمراء الذين بقلعة الجبل، ولم تقع حرب بين الفريقين، بل تراموا بالسهام ساعة، ثم خمدت الفتنة، ومشى جماعة من الأمراء بينهم فى الصلح، فنزل الأتابك من باب السلسلة إلى بيت الأمير بيبغا المظفرى أمير سلاح لعمل المصالحة، ومعه الأمير يشبك الجمكى أمير آخور، فلما صارا فى وسط حوش بيت بيبغا قبض عليهما، وقيدا، وحملا إلى ثغر الإسكندرية، فحبسا بها فى شهر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة. فاستمر الأمير حانبك فى حبس الإسكندرية إلى أن فر من حبسه فى سنة ست وعشرين وثمانمائة، وورد الخبر بتسحبه على الملك الأشرف فى يوم الجمعة سابع شهر شعبان من السنة - ولما سمع الملك الأشرف برسباى بفراره من حبس الإسكندرية قلق لذلك، وقبض على جماعة من الأمراء،وعاقب جماعة من خاصكيته. واستمر هذا البلاء بالناس سنين عديدة، والسلطان حثيث الطلب عليه والناس فى شدة وبلاء من الكبس عليهم فى بيوتهم على غفلة، والقبض على من اتهم أنه يعلم به، واستمر ما بين هلاك الشخص وبينه إلا أن يقال حانبك الصوفى عند فلان، فيؤخذ ويعاقب، وطال هذا الأمر، وعم هذا البلاء سائر الممالك، واستمر من سنة ست وعشرين وثمانمائة - منذ هرب حانبك الصوفى من حبس الإسكندرية - إلى أن ظهر خبره أنه توجه إلى بلاد الشرق سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ونزل عند الأمير ناصر الدين بك محمد بن دلغادر، فلما يتحقق الملك الأشرف هذا الخبر أرسل الأمير شاد بك الجكمى رأس نوبة ثانى إلى الأمير ناصر الدين بك بطلب حانبك الصوفى منه، وتمكينه من القبض عليه، وعوده على الديار المصرية وصحبته الهدايا والتحف حتى وصل إليه،وسأله فيما ندب بسببه، فصار يسوف به من وقت إلى وقت بعد أن أخذ جميع ما جاء به من الهدايا والتحف ، وطال الأمر على شاد بك المذكور، فعاد إلى الديار المصرية من غير طائل، بع ما قاسى من شدة البرد والثلوج ما لا مزيد عليه، فتأكدت الوحشة بين الملك الأشرف وبين دلغادر بسبب حانبك الصوفى فجهز إليها عسكرا من الديار المصرية، ومقدم العسكر الأتابك حقمق العلائى - الملك الظاهر - وصحبته جماعة أخر من الأمراء، وساروا من الديار المصرية حتى وصلوا إلى=

عدة من المماليك إلى عدة جهات من أرض مصر لأخذ الأغنام والخيول والجمال، حيث وجدت، فشنوا الغارات على النواحى، وما عفوا ولا كفوا.

وسار السلطان إلى الإسكندرية فدخلها يوم الثلاثاء ثامن عشره، وقد قدم عليه مشايخ البحيرة بناحية تروجة[1]، ومعهم تقادمهم، فخلع عليهم، ثم أمسكهم وساقهم فى الحديد، واحتط على أموالهم، ففر باقيهم إلى جهة برقة[2]، وقدم الأمراء، وقد ساقوا عشرات آلاف من الغنم التى انتهبوها من النواحى، وقد تلف كثير منها، فسيقت

=حلب خروج معهم، نائبها الأمير تغرى برمش بعساكر حلب وجموع التركمان، ونزلو بظاهر حلب، فجاءهم الخبر جئ الأمير جانبك الصوفى إلى عينات، وكان قد هرب إليه جماعة من إمراء حلب وغيرها قبل وصول العسكر المصرى إليها. وكان الأمير خجا سودون أحد مقدمى الألوف بديار مصر خرج من حلب قبل تاريخه ونزل من عينتاب، فوقع بينه وبين أعوان جانبك الصوفى وقعة هائلة انهزم فيها عسكر جانبك، وقبض على الأمير قرمش الأعور، الذى كان أولا أتابك حلب، ثم صار من جملة مقدمى الألوف بالقاهرة، ثم قبض عليه الأشرف وحبسه، ثم أطلقه وجعله من جملة المقدمين بدمشق، فلما عصى الأمير تنبك البجاسى نائب الشام على الملك الأشرف وافقه قرمش هذا على العصيان، لما انهزم تنبك البجاسى وقبض عليه فر قرمش واختفى إلى أن انضم على الأمير جانبك الصوفى لما صار جانبك عند ناصر الدين بك بن دلغادر، وقبض أيضا على الأمير كشبغا المعروف بأمير عشرة، أحد أمراء حلب، وأمسك معهم جماعة من المماليك والتركمان، وجيء بالجميع إلى حلب وحبسوا بقلعتها، وكاتب الأمراء السلطان بذلك، فعاد المرسوم بقتلهم أجمعين، فقتلوا وعلقوا بباب قلعة حلب فى أوائل سنة أربعين وثمانمائة. ثم توجهت العساكر المصرية والحلبية من حلب إلى جهة إبلستين لقتال ناصر الدين بك بن دلغادر والأمير جانبك الصوفى، فساروا إلى أن وصلوا إلى مدينة سيواس، بعد أن أخرجوا ابن دلغادر وجانبك الصوفى من أبلستين وشتت شملهما، ولما وقع لابن دلغادر ما وقع من تغربه عن وطنه، وخراب غالب بلاده ندم كثيرا، صار لا يمكنه استدراك فرطه، فإنه كان زوج الأمير جانبك الصوفى بإحدى بناته وولدت منه بنتا، فضم إليه ولده سليمان بن ناصر الدين بك، ثم انعزل هو عنهما، فأخذهما الأمير تغرى نائب حلب من أدبه، حتى ضيق عليهما واسع الفضاء، وطال الأمر على جانبك الصوفى فتوجه إلى ديار بكر عند بعض أولاد قرايلك والتجأ إليه فلم تطل مدته عنده. ومات فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وسنه نيف على خمسين تخمينا، أو مناهز الستين. ولما مات قطع رأسه وجيء به إلى الديار المصرية، فحمل على رمح ونودى عليه، وعلق على بعض أبواب القاهرة. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٢٤ وما بعدها والدليل الصافى ١/ ٢٢٦، النجوم الزاهرة ١٥/ ٢١٤، نزهة النفوس ٣/ ٤٣٠، الضوء اللامع ٣/ ٥٧ بدائع الزهور ٢/ ١٧٨.

(١) تروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية، أكثر ما يزرع بها الكمون. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٧، ٢٨.

(٢) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر معجم البلدان ١/ ٣٨٨.

إلى القاهرة مع الأموال والجمال والجاموس، والخيل. ورسم السلطان أن يؤخذ من تجار المغاربة العشر، وكان يؤخذ منهم الثلث، فشكر له هذا.

ثم خرج السلطان من الإسكندرية عائدا إلى القاهرة، فترك ناحية وسيم في يوم السبت تاسع عشرينه، وأقام على مرابط خيوله. وكان الوقت شتاء، وهى مرتبطة على البرسيم الأخضر.

وفيه أضيف إلى الأمير قتلوبغا الخليلى نائب الإسكندرية كشف الوجه البحرى، ولبس التشريف الذى جهز إليه من السلطان.

وفيه مات الأمير خير بك - نائب غزة - بسجن الإسكندرية.

وفى هذا الشهر: غلا الزيت الحار، حتى بيع بتسعة دراهم الرطل، بسعر الزيت الزيتون، و لم يعهد ذلك قط.

وفيه بلغ المثقال الذهب إلى مائتى درهم وثلاثين درهما والدينار الأفرنتى إلى مائتى درهم وعشرة دراهم، والدينار الناصرى إلى مائتى درهم.

وفيه قبض بدمشق على شهاب الدين أحمد بن الحسبانى الشافعى، وعلى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وسجن بقلعة دمشق فى سابع عشره بمرسوم السلطان.

وفيه قدم كتاب الأمير نوروز على يد فقيه يقال له سعد الدين، ومملوك اسمه قنغر، ومحضر شهد فيه من أهل طرابلس ثلاثة وثلاثون رجلا، ما بين قاضى وفقيه وتاجر، بأنه لم يظهر منه منذ قدم طرابلس إلا الإحسان للرعية، والتمسك بطاعة السلطان، وامتثال مراسمه، وأن أهل طرابلس كانوا قد نزحو منها فى أيام جانم، لما نزل بهم من الضرر، فعادوا إليها. وأنه كلما ورد عليه مثال سلطانى يتكرر منه تقبيل الأرض أمامه، وأنه حلف بحضرة من يضع خطه فيه بالأيمان المغلظة الجامعة لمعانى الحلف، أنه مقيم على الطاعة، متمسك بالعهد واليمن التى حلفها للسلطان بالكرك، لم يحل ذلك، ولا يخرج عنه، ونحو ذلك. فلم يغتر السلطان به.

وفى هذا الشهر: نزل على دمياط فى ثانى عشرينه أربعة أغربة وبيونيين[1]، تحمل عدة من الفرنج، فقاتلهم المسلمون على بر الطينة قتالا كبيرا، جرح فيه جماعة من المسلمين، وقتلت خيولهم. فمضى الفرنج فى آخر النهار إلى بر الطينة القديمة، ونهبوا ما

(١) البيونى: نوع من أنواع السفن يتصف بارتفاع جدرانه.

كان هناك، وأتوا من الغد إلى حيث كانوا، فقاتلوا المسلمين مرة ثانية قتالا كثيرا، وعادوا إلى مراكبهم. فقدم فى الحال غراب من أغربة المسلمين، فأحاط به الفرنج، فلم يثبت من كان فى الغراب وألقوا أنفسهم فى الماء، وخلصوا إلى البر - وكانوا قريبا منه - ثم مضوا إلى دمياط. فتكاثر المسلمون على الفرنج، وأخذوا منهم غراب المسلمين بعد قتال شديد، وقتلوا منهم إفرنجيين وأخذوا سلاحا، فانهزم بقيتهم، وحمل الرأسان والسلاح إلى السلطان.

وفيه وصلت سرية مبارك شاه نائب قلعة الروم إلى قلعة نجمة، تريد إحراق المركب الذى أنشأه الأمير شيخ، فدفعهم أصحابه عنه، وعادوا خائبين. فبعث عسكرا عدته مائة فارس فى سادس عشره، فقاتلوا أصحاب الأمير شيخ قتالا شديدا، حتى أثخنوا جراحهم، وأحرقوا المركب حتى لم يبق منه شىء، وغرقوا مركبا صغيرا، يحمل فارسين. وفيه عاد إلى الأمير شيخ رسوله المجهز إلى قرا يوسف، وصحبته فاختبط الناس، وغلقت حوانيت الباعة كتابه على يد قاصده.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى ثانيه: عدى السلطان النيل، وصعد قلعة الجبل.

وفى سادس عشره: نودى بالقاهرة أن تكون الفلوس باثنى عشر درهما الرطل، فلم يقدر على الخبز ولا غيره، فغضب السلطان غضبا شديدا وهم أن يركب مماليكه الجلبان، فتضع السيف فى الناس، وتحرق جميع الأسواق، فما زال به الأمراء حتى كف عن ذلك، وأمر فقبض على جماعة، وضربوا بالمقارع.

وفى سابع عشره: شنق رجل، وأشيع أنه قتل بسبب الفلوس.

وفيه قتل بسجن الإسكندرية الأمير شرباش العمرى، والأمير خشكلدى، ودفنا بالثغر.

وفيه قبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى كاشف الشرقية، وعلى الأمير تاج الدين بن الهيصم، وعلى الحجازى نقيب الجيش، وسلموا للوزير سعد بن البشيرى.

وفى تاسع عشره: استقر زين الدين محمد بن محمد بن الهوى فى حسبة القاهرة، وعزل بن شعبان.

وفى رابع عشرينه: أنفق السلطان على المماليك نفقة للسفر، لكل نفر سبعين دينارا

ناصريا، ومبلغ ستة آلاف درهم، حسابا عن كل قنطار بألف ومائتى درهم، وبعث إلى الأمير الكبير تمرتاش المحمدى ثلاثة آلاف دينار، ولكل من أمراء الألوف ألفى دينار، ولأمراء الطبلخاناه ما بين سبعمائة دينار وستمائة دينار، وخمسمائة دينار، بحسب رتبهم.

وفى ليلة الخميس سابع عشرينه: ضرب السلطان عنق الأمير شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الطبلاوى بيده. وقتل السلطان امرأته - ابنة الأمير صروق - فإنه وشى بها أنها تأتى ابن الطبلاوى هذا فى منزله، وأمر بهما، فلفا فى لحاف، ودفنا معا فى قبر واحد.

وفى يوم الخميس: هذا خرج الأمير بكتمر جلق رأس نوبة النوب، والأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير شاهين الأفرم[1] أمير سلاح، والأمير شاهين الزردكاش

---

(١) شاهين بن عبد الله من إسلام الظاهرى (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م)، الأمير سيف الدين المعروف بشاهين كَمِتِكْ، أعنى أفرم أمير سلاح.هو من المماليك الظاهرية برقوق، وممن أنعم عليهم الظاهر برقوق عليه بإمرة عشرة فى سنة إحدى وثمانمائة، بعد ركوب على باى، وسبب ذلك، أن الأمير على باى لما تضاعف، وانقطع بداره، إلى أن نزل الملك الظاهر عند وفاء النيل، لخليق المقياس وفتح الخليج على العادة، وأراد العود إلى قلعة الجبل، وجاءه الخبر بأن على باى المذكور ظهر من أمر الغدر والفتك بالسلطان، لما يدخل إليه ليعود عند عود السلطان إلى القلعة، فاحترز الملك الظاهر لنفسه، واحتاز بيت على باى المذكور بعد أن جعل الصنجق السلطانى خلفا وتقدم هو، ولم يشعر به المترصد له، ويظنه تحت العصائب السلطانية، وساق السلطان حتى وصل إلى باب السلسلة، فلما علم على باى بأن السلطان فاته، وخرج من داره بآلة الحرب فى إثر السلطان، ولم يكن عسكر السلطان مُعْتَدين للقتال، فلم يجد من يرد غير جماعة من الأمراء، ممن كان داره بالقرب من دار على باى، فوقع بعض قتال. وكان شاهين باى الأفرم هذا خاصكيا وقد توجه على بركة الحبش من باكر النهار، للعب الرمح، ولم يركب مع السلطان فى ذلك اليوم، ثم عاد إلى جهة القاهرة وعليه ثياب اللعب، ومعه رماح اللعب لا غير فلما قرب من القاهرة، بلغه واقعة على باى فحرك فرسه، ثم تناول من رماح اللعب رمحا ولقى به عسكر على باى، وقاتلهم أشد قتال حتى أظهر من الفروسية والشجاعة فى ذلك اليوم ماهو أعجب من أن يحكى، ثم توجه إلى داره ولم يطلع فى يومه إلى القلعة، ولم يفخر بما وقع منه من الفروسية والشجاعة، وبلغ الظاهر ذلك فأعجبه منه، وأنعم عليه بإمرة عشرة. ولما مات الملك الظاهر برقوق، وتسلطن ولده الملك الناصر فرج من بعده ترقى شاهين كَتَك هذا، حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم تنقل فى عدة وظائف حتى ولى إمرة سلاح. وتوجه الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية لقتال الأميرين شيخ ونوروز فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، وعين الأمير شاهين الأفرم هذا، مع جماعة من الأمراء فى الجاليش وأمرهم بتقدمهم على عادة الجاليش. فساروا حتى وصلوا إلى دمشق، ودخلوا سلموا على تغرى باى الأتابكى بدار سعادة دمشق، وكان تغرى بردى ضعيفا فى مرض موته، وكان شاهين المذكور من إخوة تغرى بردى المذكور، فأسر بأنه يريد العصيان على الملك الناصر والإلحاق بشيخ ونوروز، ثم قبل يده وقام، وخرج من وقته بمن معه عن طاعة=

بمضافيهم، وعليهم آلة الحرب بأجمعهم وهم فى تجمل كبير، فعرضوا على السلطان وهم مارون من تحت القلعة، ثم مضوا فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، فى مخيماتهم.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: نودى بالقاهرة على الفلوس، أن تكون على عادتها، كل رطل بستة دراهم، فسر الناس بذلك.

وفيه رحل الأمراء من الريدانية، وساروا يريدون دمشق.

وفى يوم الإثنين ثامنه: ركب السلطان من قلعة الجبل، فيمن بقى عنده من العسكر، وقد لبسوا كلهم السلاح، وتباهوا بزى لم نر مثله حسنا وإتقانا، وجر السلطان ثلاثمائة جنيب من عتاق الخيل بالسروج الذهب الثقيلة، التى بعضها مرصع بالجوهر، ومياثرها[1] من حرير مطرز بالذهب الموشى بأبدع إتقان، وعلى أكفالها عبى الحرير البديعة الصنعة، وفيها ما هو مطرز بالذهب الثقيل، وبعضها على أكفالها الكنافيش الذهب، وكلها باللجم المسقطة بالذهب الثقيل، ومن وراء الجنائب المذكورة ثلاثة آلاف فرس، ساقها جشار[2]، ثم عدد كثير من العجل التى تجرها الأبقار، وعليها آلات الحصار، من مكاحل النقط الكبار، ومدافع النفط المهولة، ونحو ذلك . وخرجت خزانة السلاح على ما ينيف على ألف جمل، تحمل القرقلات والخوذ ونحوها فى الحوائج خاناه الخشب، التى غشيت باللباد الأحمر، وبجلود البقر، وتحمل الرماح، وتحمل الصناديق المملوءة بالنشاب، وغير ذلك من السيوف ونحوها.وخرجت خزانة المال فى الصناديق المغشاة بالحرير الملون، وفيها ما ينيف على أربعمائة ألف دينار، وخرج المطبخ، وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم وكثيرا من

=الناصر. ولحق بالأميرين شيخ ونوروز، وستمر عندهما حتى انكسر الملك الناصر، وحوصر بقلعة دمشق، ثم قتل. وتسلطن الخليفة المستعين با لله العباسى، وصار الأمير شيخ المحمودى مدبر المملكة يالديار المصرية، أخلع على الأمير شاهين هذا خلعة الاستمرار بإمرة سلاح على عادته أولا. واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك المؤيد شيخ، واستمر على عادته أيضا إلى أن توحه الملك المؤيد شيخ فى سنة سبع عشرة وثمانمائة لقتال الأمير نوروز بالبلاد الشامية، وانتصر عليه وظفر به وقتله، ثم عاد إلى نحو القاهرة، عاد صحبته الأمير شاهين الأفرم المذكور، ومات برملة لد بطريق الشام فى السنة المذكورة. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢٠٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٤١، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٣١، أنباء الغمر ٣/ ٤٣ نزهة النفوس ٢/ ٣٤٦، الضوء اللامع ٣/ ٢٩٢.

(١) الميثرة: ميثرة الفرس لبدته انظر لسان العرب.

(٢) سيقت جشارا أى سيقت مباشرة. انظر لسان العرب وجشر الخيل نزاها فرعاها أسام بيته انظر محيط المحيط (بشر).

الأبقار والجواميس، تحلب ألبانها .وتقدم الحريم فى سبع محفات قد غشيت بالحرير، وبعضها مطرز بالذهب، ومن ورائها نحو الثلاثين جملا من المحاير المغشاة بالحرير والجوخ، فبلغت عدة الجمال إلى ثلاثة وعشرين ألف جمل، فكان شيئا مستكثرا إلى الغاية.

ونزل السلطان فى مخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، وخرج الخليفة المستعين بالله، وقضاة القضاة الأربع وأرباب الدولة، وكلهم قد بالغ فى تحسين جماله وخيوله وخيمه وآلات سفره، وزاد فيها على عادته، فنزلوا منازلهم.وتردد السلطان من الريدانية إلى تربته التى أنشأها على قبر أبيه خارج باب النصر وبات بها ليال، ونحر بها ضحاياه على عادته، وجعل الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة. وأنزل بباب السلسلة الأمير ألطنبغا العثمانى. وأنزل بقلعة الجبل الأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشراب خاناه، وزوج أخته خوند بيرم. وولى نائب القلعة شاهين الرومى، عوضا عن الأمير كمشبغا الجمالى. وبعث الجمالى صحبة الحريم، وقدمهم بين يديه بمرحلة.

وفى حادى عشره: خلع على زين محمد بن الدميرى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، وعزل بن الهوى.

ورحل السلطان من التربة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ثانى عشرة، بطالع اختاره له الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقاعة. وبات بمخيمه من الريدانية، تجاه مسجد تبر، واستقل بالمسير سحر يوم السبت.

وفى ثانى عشره: فر من دمشق الأمير سودن اليوسفى.

وفيه انتكس الأمير تغرى بردى نائب الشام، ولم يزل بما به، حتى مات.

وفيه قدم الأمير شيخ من حلب إلى حمص. ثم جاءه الأمير نوروز، فكثر الإرجاف بدمشق، وفر إليه جماعة منها.

وأما السلطان فأنه حذر من معه من الرحيل قبل النفير، فبلغه وهو بالريدانية أن طائفة رحلت، فركب بنفسه، وقبض على واحد ووسطه.

ونصبت مشنقة يرهب بها، فما وصل إلى غزة حتى قتل عدة من الغلمان، من أجل الرحيل قبل النفير. فتشاءم الناس بهذه السفرة. ثم لما نزل بغزة وسط تسعة عشرة من المماليك الظاهرية، وهو لا يعقل من شدة السكر، فقدم عليه - عقب ذلك - الخبر بأن

الأمراء الذين تقدموه قد خرجوا عن الطاعة، فلم يثبت، وسار من غزة مجدا فى طلبهم، وقد نفرت منه القلوب، وتمالت على بغضه، لقبح سيرته، وسوء سريرته.

وفى ثانى عشرينه: أفرج بدمشق عن شهاب الدين أحمد بن الحسبانى، بعد سجنه ثلاثة وستين يوما.

وفى سادس عشرينه: نزل الأمراء الذين تقدموا بقبة يلبغا خارج دمشق، وركبوا إلى الأمير تغرى بردى نائب الشام، فعادوه، وقد اشتد به مرضه، وأعلنوا بما هم عليه من الخلاف للسلطان، والخروج عن طاعته. ثم رحلوا عن قبة يلبغا فى تاسع عشرينه، ونزلوا على برزة يريدون اللحاق بالأميرين شيخ ونوروز على حمص، فلم يوافقهم على ذلك الأمير شاهين الزردكاش، فقبضوا عليه ومضوا

ونزل السلطان الكسوة فى بكرة يوم الثلاثاء سلخه، وقد فت فى عضده مخالفة الأمراء عليه، ولاحت أمارات الخذلان عليه،وظهرت كآبة الزوال والإدبار. فألبس من معه من العسكر السلاح، ورتبهم بنفسه. ثم ساق بهم، وقصد دمشق، فدخلها وقت الزوال من يومه.

وفى هذه السنة: قوى الأمير محمد بن قرمان، وفتح مملكة كرميان جميعها.

وفيها حاصر الأمير موسى بن عثمان القسطنطينية، وفتح منها عدة بلاد، وغنم غنائم كثيرة، ومزق شمل النصارى.

وفيها انخسف قبر بمقبرة باب الصغير خارج دمشق، فخرج من الخسف ذباب أزرق كبار، حتى صارت كالظلة. ووجد ذلك قد خرج من قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا، وبطوله ميت قد صار عل هيئة الرماد من البلاء.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر:

السلطان الملك الصالح المنصور حاجى بن الملك الأشرف شعبان[1] بن الأمير حسين

---

(١) (٨١٤ هـ = ١٤١١م). حاجى بن شعبان بن حسين بن قلاوون السلطان الملك الصالح أولاً، ثم الملك المنصور ثانيًا - حسبما سنذكره إن شاء الله تعالى - ابن الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. ولى السلطنة بعد موت أخيه الملك المنصور على بن الأشرف شعبان، فى يوم الإثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، وعمره نيف على عشر سنين. وكان مدبر المملكة إذ ذاك الأتابك برقوق العثمانى اليلبغاوى؛ فأقام المذكور فى=

ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال. ودفن بتربة جدته خوند بركة أم الأشرف.

وولى سلطنة مصر والشام والحرمين مرتين كما تقدم ذكره. ثم أقام بدوره من قلعة الجبل، وتعطلت حركة رجليه ويديه مدة سنين قبل موته.وتوفى عن بضع وأربعين سنة.

وقتل من المماليك الظاهرية ستمائة وثلاثون رجلا، وطأ الملك الناصر بقتلهم لمن بعده سلطانه.

وقتل عدة من الأمراء، منهم:

الأمير تمراز الناصرى[(١)] فى آخر أيام التشريق بالإسكندرية، وقد نقل إليها من

=الملك إلى أن خلع بالملك الظاهر برقوق العثمانى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وكان الموافق ليوم الأربعاء المذكور آخر شهر هاتور من شهور القبط، فكانت مدة ملكه سنة واحدة ونصف سنة وخمسة عشر يوما. ولما خلع من السلطنة رسم له الملك الظاهر برقوق بلزوم داره بقلعة الجبل على ما كانت العادة أولاً. فاستمر مقيمًا بداره إلى أن خلع الملك الظاهر برقوق من الملك، الأمير يلبغا الناصرى والأمير تمربغا الأفضلى - المدعو منطاش - وحبساه بقلعة الكرك فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، واحتمعا على سلطنة الملك الصالح حاحى ثانيًا، لما امتنع يلبغا الناصرى من السلطنة. فجلس المذكور على تخت الملك ثانيًا فى يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وغير لقبه بالملك المنصور. وصار الأتابك يلبغا الناصرى مدبر مملكته. بل صار هو السلطان فى الحقيقة، إلى أن وقع بينه وبين منطاش وحشة، وتقاتلا وانكسر الناصرى، وقبض عليه منطاش، وحسبه بثغر الإسكندرية. ثم أراد منطاش قتل برقوق، وأرسل بذلك على يد البريدى، وقتل الشهاب المذكور بالكرك، وتخلص برقوق- حسبما ذكرناه فى ترجمته مفصلاً - وعاد إلى ملكه. خلع الملك المنصور هذا ثانيًا بالملك الظاهر برقوق أيضًا، ودخل برقوق إلى الديار المصرية ومعه الملك المنصور صاحب الترجمة - فى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، واستمر المنصور ملازمًا لداره بقلعة الجبل إلى أن توفى بعد أن أقعد فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة - رحمه الله - عن بضع وأربعين سنة، ودفن بتربة جدته خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان. رحمه الله تعالى. الدليل: جـ١ ص٢٥٧ النجوم: جـ١١ ص٢٠٦ - ٢١٦ الضوء: جـ٣ ص٨٧، الجوهر الثمين: ص ٤٥٥، ٤٧٠، أنباء الغمر: جـ٢ ص٤٨٩، وفيه: «مات فى عشر شوال». بدائع الزهور: جـ٢ ص٨١٥ سنة ٨١٤ هـ نزهة النفوس: جـ٢ ص٢٩٥ سنة ٨١٤ هـ البدر الطالع: جـ١ ص١٨٦ مورد اللطافة: عقد الجمان حوادث سنة ٨١٤. وفيه: «ت ليلة الخميس العشرين من شوال، ودفن صبيحة نهاره فى تربة حدته أم شعبان بالمدرسة التى فى التبانة خارج بابى من ناحية القلعة».

(١) تمراز بن عبد الله الناصرى الظاهرى (٨١٤ هـ = ١٤١٢م)، الأمير سيف الدين، نائب السلطنة بديار مصر. هو من جملة مماليك الظاهر برقوق وأمرائه، ونسبته بالناصرى لجالبه خواجا ناصر الدين، كان خصيصا عند الملك الظاهر برقوق، رقاه إلى أن جعله أمير طبلخاناه ومعلما للرمح، =

.. ..

=وكان ينادمه ويلعب معه الشطرنج، ويعجبه كلامه ويداعيه، ثم نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف فى شهر صفر سنة إحدى وثمانمائة بعد مسك الأمير نوروز الحافظى الأمير آخور، وحبسه بسجن الإسكندرية لأمر أوجب ذلك، واستقر سيدى سودون عوضه أمير آخورا، فدام تمراز المذكور على ذلك إلى أن قبض عليه الملك الناصر فرج فى أوائل دولته وحبسه بثغر الإسكندرية مدة يسيرة، ثم أطلقة بعد واقعة الأمير الكبير أيتمش وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير أرغون شاه أمير مجلس، بحكم عصيان أرغون شاه مع الأتابك أيتمش فى سنة اثنتين وثمانمائة، فاستمر تمراز من السنة المذكورة إلى سنة ثلاث استقر نائب الغيبة بالديار المصرية عند خروج الملك الناصر فرج لقتال تيمور لنك - لعنه الله - فباشر نيابة الغيبة بالديار المصرية إلى أن عاد الملك الناصر فرج من البلاد الشامية - بعد استيلاء تيمور عليها - إلى القاهرة. واستمر تمراز على إقطاعة إلى شهر شوال سنة خمس وثمانمائة أخلع عليه بإمرة سلاح، عوضا عن الأمير بكتمر رأس نوبة الأمراء.قلت وهذه الوظيفة مفقودة الآن، واستقر عوضه فى إمرة مجلس الأمير سودون الماردينى، واستقر بعد سودون الماردينى رأس نوبة النوب سودون الحمزاوى، وأقام الأمير تمراز فى هذه الوظيفة إلى سنة سبع وثمانمائة وقع للأمير يشبك وقعته المشهورة، ثم انكسر وخرج إلى البلاد الشامية، فكان تمراز هذا ممن خرج معه، واستقر عوضه فى إمرة سلاح الأمير أقباى الطرنطاى حاجب الحجاب، ثم عاد تمراز المذكور إلى القاهرة، ووقع له أمور يطول شرحها إلى أن صار نائب السلطنة بالديار المصرية، ثم فر بعد ذلك بمدة من الملك الناصر إلى الأميرين شيخ المحمودى، ونوروز الحافظى، فأكرماه وعظماه وأحلا محله، فلم تطل مدة إقامته عندهم، وفر من عندهم وعاد إلى الملك الناصر ثانيا، فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة مائة وتقدمة ألف، وفى النفس ما فيها بسبب هروبه من عنده بغير موجب وعوده إليه. فتمهل عليه إلى شهر صفر من سنة أربع عشرة وثمانمائة، وأخرج إقطاعه ورسم له بالإقامة فى داره أو يتوجه إلى ثغر دمياط، فتوجه إلى الثغر، وأقام به بطالا إلى العشر الأوسط من شهر ذى الحجة من السنة رسم بالقبض عليه وتجهيزه إلى حبس الإسكندرية، «فقبض عليه وأودع فى سجن الإسكندرية»، ثم قتل التاريخ المذكور. حكى لى بعض أعيان الأمراء قال: قال الملك المؤيد شيخ بعد سلطنته إن كان الملك الناصر فرج يدخل الجنة يدخلها بقتلة لتمراز: قال: فقيل له وكيف ذلك يا مولانا السلطان؟، قال: لأن الملك الناصر كان يعظمه وجعله نائب السلطنة بالديار المصرية بعد شغورها عدة سنين من أيام سودون الشيخونى النائب، وجعله أعظم أمراء الديار المصرية، فلم يقنعه ذلك وفر من عنده، وقد على فقلت فى نفسى: وما أفعل أنا هذا حتى يعجبه منى؟ فخرجت إلى تلقيه، ومشيت فى خدمته حتى أرضيه وأطيب خاطره، فمنعنى من ذلك بعد أن رأى منى من الحرمة والتعظيم له ما لا مزيد عليه، وأقام عندى مدة وأنا لا أخرج عما يأمرنى به، فلم يكن بعد قليل إلا وقد هرب من عندى وعاد إلى الناصر، فاختار الملك الناصر يرضيه بماذا، فإنه أولا كان أنعم عليه بنيابة السلطنة وأشياء يطول شرحها فلم يعجبه ذلك، وفر من عنده إلى عندى، ثم عاد إليه، فلم يجد بدا من القبض عليه وقتله، فكان ذلك من أعظم مجازاته. انتى. قلت: وكان الأمير تمراز المذكور تركيا، رأسا فى فنون الفروسية، حشما وقورا، وعنده خفة روح ودعابة، وهو أستاذ أقبغا التمرازى، «وغيره من التمرازية»، رحمه الله تعالى، وعفا عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى حـ١ ص٢٢٥ رقم ٧٨٧، النجوم الزاهرة حـ١٣ ص١٨٤، الضوء اللامع حـ٣ ص٣٨ رقم ١٥٦، أنباء الغمر حـ٢ ص٤٩٧، نزهة النفوس حـ٢ ص٢٩٦ رقم ٤٩٤، بائع الزهور حـ١ ق٢ ص٨١٧.

دمياط، وقد بلغ نحو ستين سنة. وكان تركيا، غيره شر منه.

والأمير خير بك فى تاسع عشرين شوال، لم يعرف عنه خبر.

والأمير جانم[١]، قتل فى ثانى عشرين شهر رجب، وكان من شرار الخلق المفسدين فى الأرض.

والأمير يشبك الموساوى الأفقم، وكان كثير الشر والظلم، محبا للفتن، مفسدا، لا خير فيه.

والأمير قردم الحسنى، قتل بالإسكندرية، وكان من أمراء الألوف، خازندارا كبيرا، وله تربة بباب الفافة.

والأمير قنباك، رأس نوبة كبير، قتل أيضا، وكان من سيئات الزمان، جهلا، وظلما، وفسقا.

---

(١) جانم (٨١٤ هـ = ١٤١١م): هو جانم بن عبد الله من حسن شاه الظاهرى، الأمير سيف الدين نائب طرابلس. وكان من أصاغر مماليك الملك الظاهر برقوق وخاصكيته، وترقى فى الدولة الناصرية فرج حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولى نيابة حماه، ثم طرابلس، ووقع له أمور وحوادث، وتكرر عصيانه على الملك الناصر فرج غير غير مرة، ومشى مع الأميرين شيخ ونوروز بتلك البلاد مدة، ثم عاد إلى الملك الناصر فرج، وصار من جملة المقدمين بالديار المصرية، ثم ولى إمرة مجلس، واستمر على ذلك مدة يسيرة، وتوجه إلى إقطاعه بالوجه البحرى، فبدا للملك الناصر القبض عليه، لما بلغه عنه أنه يريد إثارة فتنة، وهو أن الملك الناصر فرج خرج للصيد فى شهر رجب من سنة أربع عشرة وثمانمائة، وبات ليلته وعزم على مبيته ليلة أخرى بسرياقوس، فبلغه أن طائفة من الأمراء والمماليك اتفقوا عليه، فعاد إلى القلعة سريعا، وتتبع ما قيل له حتى ظفر بمملوكين عندهما الخبر، فعوقبا فى ثامن عشره، فاظهرا وقة فيها خطوط جماعة وكبيرهم جانم المذكور، كل ذلك وجانم مسافر فى جهة إقطاعه منية ابن سلسيل من الغربية، فلما تحقق الملك الناصر مقالتهما، أرسل طوغان الحسنى الدوادار، والأمير بكتمر جلق لإحضار جانم المذكور إلى القاهرة، والقبض عليه إن امتنع، فخرجا فى يوم السبت، على أن طوغان يلفاه فى البحر، وبكتمر جلق يمسك عليه الطريق فى البر، ثم قبض الملك الناصر على جماعة من الأمراء والمماليك، وسار طوغان إلى أن وافى جانم بشاطئ النيل فأحسن جانم بالأمر فامتنع، فاقتتلا فى البر ثم فى المراكب بمهجته، فرماه أصحاب طوغان بالنشاب حتى هلك، وقطع رأسه فى ثانى عشريه شهر رجب من سنة أربع وثمانمائة، وقدم به فى رابع عشرينه، رحمه الله ومات قبل الكهولة. وكان شابا جميلا، وأشقر، طوالا، مشهورا بالشجاعة، إلا أنه كان مسرفا على نفسه، كثير الشرور والفتن، و«عفا الله عنه». وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٢٢٤ رقم ٨١١، النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٨٤، الضوء اللامع جـ٣ ص٦٥ رقم ٢٦٤، أنباء الغمر جـ٢ ص٤٩٧ رقم ١٠.

ومات الأمير آقبغا القديدى، دوادار يشبك أحد أمراء العشرات، ومن جملة دوادارية السلطان، توفى ليلة الثالث عشر من شوال.

وقتل الأمير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى[1] والى القاهرة، وكاشف الشرقية. قتل ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة، فأراح به الناس من ظلمه، وفسقه، وعتوه.

ومات الأمير الشريف علاء الدين عل البغدادى، ثم الأخميمى، والى دمياط، ثم وزير الديار المصرية.

ومات الطواشى فيروز[2]. توفى فى ليلة الأربعاء تاسع شهر رجب ، وكان قد شرع فى بناء مدرسة خط الغرابليين[3] داخل باب زويلة من القاهرة، ووقف عليها عدة أوقاف، فمات قبل فراغها، فدفن بحوش السلطان خلف قبر الملك الظاهر برقوق. فأقر السلطان ما قرره فى كتاب وقفه من المصارف على الفقهاء والأيتام وغيرهم، وأضاف الوقف إلى تربته التى أنشأها على قبر أبيه، فاستمر ذلك، وأخذ السلطان آلات عمارة فيروز، وأنعم بمكانها على الأمير الكبير تمرتاش المحمدى، فشرع فى بنائها قيسارية، وكمل بظاهرها عدة حوانيت. فما شعر حتى خرج فى خدمة السلطان إلى الشام وتركها، وكان من أمرها ما يأتى ذكره - إن شاء الله - فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.

وتوفى الأديب أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن أبى الوفاء الشاذلى[4]، غريقا

---

(١) (٨١٤ هـ = ١٤١١م). أحمد بن محمد، الأمير شهاب الدين الشهير بابن الطبلاوى، والى القاهرة، وكاشف الوجه الشرقى من أعمال القاهرة. قتله الملك الناصر بن الملك الظاهر برقوق على ما اتهم به من جهة خوند بنت صروق مطلقة الملك الناصر المذكور - فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وثمانمائة، بعد أن قتل الناصر بنت صروق المذكورة فى ذلك اليوم، قبل أن يقتل صاحب الترجمة، وكان غير مشكور السيرة، كما هو عادة ظلمة الولاة، عفا الله عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٨٢ رقم ٢٨٧، النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٣٠، أنباء الغمر جـ٢ ص٤٨٨، الضوء اللامع جـ٢ ص٢١٤ ترجمة ٥٨٢.

(٢) هو زين الدين فيروز بن عبد الله الرومى.

(٣) يقع قرب باب زويلة .انظر الخطط التوفيقية ٢/ ٣٢.

(٤) ابن أبى الوفاء (٧٨١ - ٨١٤هـ = ١٣٧٩ - ١٤١١م). عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، أبو الفضل بن أبى الوفاء: شاعر مصرى، شاذلى مالكى قال ابن تغرى بردى: هو أشعر بنى الوفاء بلا مدافعة. مات فى عنفوان شبيبته، غريقا فى النيل بين الروضة ومصر القديمة له ديوان شعر.انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ١٨٧، شتر بيتى ٤٤٣١، الضوء اللامع رقم ١٧٩. الأعلام ٣/ ١٩٦.

ببحر النيل، فى يوم تاسوعاء. وغرق معه أيضا جمال الدين عبد الله بن ناصر الدين أحمد التنسى، قاضى القضاة المالكية.

وتوفى الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الملك يوسف بن عبد الله بن عمر بن خضر العجمى الكورانى، فى يوم الحادى والعشرين من شعبان، ودفن بزاوية الشيخ يوسف العجمى بالقرافة، وكان حشما، يركب الخيول، ويتردد إلى الأمراء، وله غنى وسعة.

* * *

سنة خمس عشرة وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستعين با لله أبو الفضل العباس، ابن المتوكل على ا لله أبي عبد ا لله محمد، والسلطان الملك الناصر أبو السعادات زين الدين فرج ابن السلطان الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين برقوق، ابن الأمير أنص؛ وهما بدمشق. وأتابك العساكر الأمير دمرداش المحمدى[1]، وأمير آخور الأمير أرغون البشبغاوى الرومى، والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى، وقد خرج عن طاعة السلطان، ومضى إلى الأمير شيخ بحمص، هو والأمير بكتمر جلق الناصرى رأس نوبة، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح ورأس نوبة الأمير الكبير سنقر الرومى. وبديار مصر الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة، والأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشربخاناه، والأستادار الأمير منكلى الخليلى، والقضاة الأربع، وكاتب السر، والوزير وناظر الخاص، وناظر الجيش، الذين تقدم ذكرهم فى السنة الماضية، وهم بدمشق صحبة السلطان. ونائب حلب الأمير شيخ المحمودى، وقد أعلن هو والأمير نوروز الحافظى نائب طرابلس بمخالفة السلطان، ونزلا على حمص، ونائب دمشق الأمير تغرى بردى، وهو شديد المرض، ونائب غزة الأمير

---

(١) دمرداش بن عبد ا لله المحمدى الأتابكى الظاهرى (٨١٨ هـ = ١٤١٥ م)، الأمير سيف الدين هو أيضا من مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن صار خاصكيا «سلاح دارا فى سلطنة برقوق الأولى» فلما خلع برقوق وحبس بالكرك، وتغيبت مماليكه أخرج دمرداش هذا إلى الشام، وصار بخدمة نائبها الأمير بزلار العمرى واستمر بدمشق إلى أن خرج أستاذه الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك وتسلطن ثانيًا أنعم على دمرداش هذا بإمرة بالبلاد الشامية، ثم ولاه نيابة حماة. «فاستمر فى نيابة حماة» إلى سنة خمس وتسعين، ونقل إلى نيابة طرابلس بعد عزل الأمير إياس الجرجاوى عنها وتوجهه إلى دمشق أتابكا بها بعد انتقال الحسنى منها إلى نيابة دمشق. وتولى نيابة حماة بعد الأمير آقبغا الصغير، فدام دمرداش فى نيابة طرابلس إلى أن تجرد الظاهر برقوق إلى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين، قبض عليه وولى عوضه فى نيابة طرابلس الأمير أرغون شاه الإبراهيمى نائب صفد.... وكان (دمرداش) أميرًا كبيرًا، شجاعًا، مقدامًا، عارفًا، جوادًا كريمًا باشر الحروب وحضر الوقائع، وتنقل فى عدة ولايات وأعمال جليلة، إلا أنه كان قليل السعادة فى حركاته، مع معرفة تامة، وخديعة، ومكر ، ودهاء. وكان يعظم العلماء، ويحب أهل الصلاح وبنى بحلب جامعًا كان قد أسسه الأمير آقبغا الهذبانى الأطروش، فكمله، ووقف عليه وقفًا جيدًا، وبنى بطرابلس أيضًا زاوية عظيمة على بركة زاوية معروفة به. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣١٦ وما بعدها والدليل ١/ ٢٩٨، النجوم ١٤/ ١٣٨، الضوء ٣/ ٢١٩، أنباء الغمر ٣/ ١٨، عقد الجمان حوادث سنة ٨١٨.

سودن من عبد الرحمن، ونائب صفد الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وهو بدمشق، وقد ولاه السلطان نيابة حلب، عوضا عن الأمير شيخ، فلم يتمكن من المسير إليها. ونائب حماة الأمير تمراز. ومتملك بلاد قرمان الأمير محمد باك ابن الأمير علاء الدين بن قرمان. ومتملك بقية الروم الأمير موسى جلبى بن أبى يزيد خوندكار بن مراد خان بن أرخان بن عثمان جق. متملك بغداد وتوريز الأمير قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى وهو مقيم بتوريز، وعلى بغداد لابنه محمد شاه. ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن رسول. وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان الحسنى، وأمير المدينة النبوية الأمير ثابت بن نعير الحسينى.

وسعر المثقال الذهب الهرجة بديار مصر مائتين وأربعين درهما من الفلوس إذا اشترى به شىء من أنواع المبيعات، وإذا أخذ عنه الفلوس فينقص خمسة دراهم والدينار الأفرنتى بمائتين وعشرين فى المعاملة، وينقص إذا صرف بالفلوس خمسة دراهم، والدينار الناصرى بمائتين وعشر دراهم، ويدفع فيه من الفلوس بناقص خمسة دراهم. والأردب القمح بمائة وخمسين درهما. والنقد الرابح الفلوس، وإليه ينسب ثمن كل ما يباع، وقيمة جميع الأعمال. وحصل فى الزروع عند حصادها ودراسها نماء، بحيث يحصل من الفدان قدر اثنى عشر أردبا من القمح.

شهر الله المحرم، أوله يوم الأربعاء:

فيه خلع السلطان على شهاب الدين أحمد بن الكشك، وأعاده إلى قضاء الحنفية بدمشق، وكان قد قدم ابن القضامى الحموى مع العسكر متوليا قضاء الحنفية بدمشق. ولى وهو بغزة وكان أولا على قضاء الحنفية بحماة، فجرت له كائنة قبيحة مع نائبها يشبك بن أزدمر، افتضح بها. وقدم دمشق فولاه الأمير نوروز قضاء الحنفية بها فى أيام عصيانه، بمال التزم به. ثم خرج من دمشق وصار إلى مصر، فاتصل بالأمير طوغان الدوادار، وسعى به حتى ولاه فى غزة قضاء دمشق، فصرفَ قبل أن يباشر. وكان قد قدم قبل ذلك بأسبوع الشريف ابن بنت عطاء، وبيده توقيع شريف باستقراره فى قضاء الحنفية بدمشق، مؤرخا يام من شهر رجب، فوصل قبل وصوله توقيع ابن الكشك بإعادة وظائفه إليه. ثم كتب توقيعه بالقضاء بعدما لبس ابن بنت عطاء تشريفه بيومين، فلبس ابن الكشك تشريفه، واستمر، فكان فى مدة عشرة أيام ثلاث قضاة، ولوا وعزلوا، منهم ابن الكشك ولى ثلاث ولايات، وعزل مرتين.

وفيه أفرج عن ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى من سجنه بقلعة دمشق وأفرج أيضا عن الأمير نكباى الحاجب.

وفى يوم الإثنين سادسه: سار السلطان من دمشق، ونزل برزة، ثم رحل بعسكره يريد محاربة الأميرين شيخ ونوروز، ومن انضم إليهما من الأمراء المصريين، ومن معهم. فنزل حسيا بالقرب من حمص، فبلغه رحيل القوم من قارا إلى جهة بعلبك، فترك أثقاله بحسيا. وسار فى أثرهم إلى بعلبك، وقد توجهوا إلى البقاع، فقصدهم، فمضوا نحو الصبيبة وهو يتبعهم، حتى نزلوا باللجون، فأشار عليه كاتب سره فتح الله أن يعود إلى دمشق، ولا يتوجه إلى اللجون فإذا استقر بدمشق، تخير لنفسه إما أن يبعث إليهم عسكرا، أو يصفح عنهم ويوليهم أماكن، أو يريح عساكره ويخرج إليهم، فمال إلى قوله، وكاد أن يعود، فخلا به شياطينه - أقبغا النظامى، أحد الدوادارية، وألطنبغا شقل، وأضرابهما من الفجار المفسدين - وقبحوا هذا الرأى، وشجعوه على المسير إلى أعدائه، وأنه عندما يلقاهم يأخذهم عن آخرهم أخذا باليد، فإنهم كلهم فى قبضته، ورموا عنده فتح الله بأنه ما قال هذا ولا أشار به إلا وهواه مع القوم. وكان الناصر يميل مع من يستميله، ويؤثر فيه قول كل قائل، فانفعل لهذا، واستدعى فتح الله، وأوسعه سبا، وملأ آذانه توبيخا وتهديدا بحضرة الملأ، ورماه بأنه مع أعدائه عليه. فخرج وقد اشتد غيظه وغضبه، وملئ حنقا وحقدا.

وركب السلطان من ساعته وساقه وهو ثمل، فما وصل إلى اللجون حتى تقطعت عساكره من شدة السوق، ولم يبق معه غير من ثبت وهم أقل ممن تأخر، وكان قد دخل وقت العصر من يوم الإثنين ثالث عشره، والقوم قد نزلوا قبله، وأراحوا، وفى ظنهم أنه يتمهل ليلته ويلقاهم من الغد، فإذا جنهم الليل، ساروا بأجمعهم من وادى عارة إلى جهة الرملة، وسلكوا البر عائدين إلى حلب، وليس فى عزمهم أن يقاتلوه أبدا، خوفا منه وعجزا عنه. فلما أراد الله سبحانه لم يتمهل، وحمل بنفسه من فوره - حال وصوله - واقتحم عليهم، فارتطمت طائفة ممن معه فى وحل كان هناك من سيل عظيم حصل عن قريب. وخامر مع ذلك عليه طائفة أخرى، ومضوا إلى القوم، فقووا. وثبت السلطان فى حماته وثقاته، فقتل الأمير مقبل الرومى أحد أمراء الألوف، وزوج ابنة الملك الظاهر التى كانت تحت الأمير نوروز، وتركها عند خروجه من مصر، فأنكحها السلطان قبل هذا بعقد ملفق، لا يعبأ الله به، وقتل أيضا أحد رءوس الفتنة - ألطنبغا شقل. وانهزم السلطان وقد جرح فى عدة مواضع، ونجا بنفسه، وهو يريد دمشق، ليكون بها مصرعه. وفاته الرأى أخيرا كما فاته أولا، فلم يتوجه إلى مصر، وعدل عنها ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

وأحاط القوم بالخليفة المستعين بالله، وكاتب السر فتح الله، وناظر الخاص تقى

الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله. وكان الناصر أمرهم أن يقفوا على حدة. فذكر لهم كاتب السر أن الرأى أن يتوجه إلى صفد، فإذا انتصر السلطان أتيناه، فأبى. وكان هذا من سوء تدبيره أيضا، فإن القوم ازدادوا بالخليفة ومن ذكرنا قوة إلى قوتهم، وبهم تم لهم الأمر، وأحاطوا أيضا بجميع ما كان مع الناصر من مال وخيول وجمال وغير ذلك، ما عدا الأثقال التى تركها بحسيا، فإنها عادت إلى دمشق، فى ثانى عشره، قبل الوقعة بيوم، فما غربت الشمس حتى صار القوم من الخوف إلى الأمن، ومن الذل إلى العز، فتقدم شهاب الدين أحمد بن حسن بن الأذرعى - إمام الأمير شيخ - وصلى بهم المغرب، فقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة بصوته الشجى **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**[1] فوقعت قراءة هذه الآية أحسن موقع بمناسبة الحال.

وباتوا بمخيماتهم ليلة الثلاثاء، وأصبحوا ليس فيهم واحد ينقاد لآخر، فينادى الأمير شيخ بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وينادى الأمير نور بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء، وينادى بكتمر جلق بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وأخذ الأمير سودن تلى المحمدى بيده الإصطبل السلطانى، وحواه لنفسه، فبعث الأميران شيخ ونوروز إلى كاتب السر فأحضراه إليهما فى خلوة، وبالغا فى إكرامه، وأراداه أن يكتب بما جرى إلى الديار المصرية، ويعلم الأمراء به، فقال لهما « من السلطان الذى يكتب عنه»، فأطرق كل منهما رأسه ساعة، ثم قال « ابن أستاذنا ما هو هنا حتى نسلطنه»، يريدان الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج. فلما رأى انقطاعهما قال: « الرأى أن يتقدم كل منكما إلى موقعه بأن يكتب عنه إلى أمراء مصر كتابا بصورة الحال، ويأمر بحفظ القلعة والمدينة حتى يقدم عليهم، ويعدهم بالخير ثم يكتب الخليفة أمير المؤمنين عنه كتابا إلى الأمراء بصورة الحال، ويأمرهم بامتثال ما تضمنه كتابيكما». فوقع هذا الرأى منهما الموقع الجيد، وكتب كل منهما كتابا، وكتب الخليفة كذلك. وندب قجقار القردمى بحمل الكتب وجهز إلى القاهرة، فمضى إليها من يومه.

ونودى بالرحيل، فرحل العسكر يريدون دمشق فى يوم الأربعاء خامس عشره، وليس عندهم من السلطان علم، وكان السلطان قد قدم دمشق آخر ليلة الأربعاء فى ثلاثة نفر، ونزل بالقلعة، وأصبح الناس فى اضطراب. فاستدعى القضاة والأعيان ووعدهم بكل خير، وحثهم على نصرته، والقيام معه، ورغبهم فيما لديه، فانقادوا له،

(١) سورة الأنفال الآية (٢٦).

وقووا قلبه، وشجعوه فأخذ فى تدبير أموره، وتلاحقت به عساكره شيئا بعد شىء. وقدم عليه الأمير دمرداش المحمدى عصر يوم الخميس، فولاه سادس عشره نيابة الشام، عوضا عن الأمير تغرى بردى، وقد مات فى هذا اليوم. ثم قدم الأمير أرغون أمير آخور، والأمير سنقر، وبقية من تأخر من عسكر السلطان.

وأخذ السلطان فى الاستعداد، فأخرج الأموال وصبها بين يديه ظاهرة.ودعا الناس إلى القيام بنصرته، فأتاه جمع كبير من التركمان وغيرهم، فكتب أسماءهم، وأنفق فيهم، وقواهم بالسلاح، وأنزل كل طائفة فى موضع لحفظه. فكانت عدة من استنجده من المشاة زيادة على ألف رجل قد أجلسوا فوق سقائف الحوانيت وأعلى الحيطان. وجمع العساكر المصرية والشامية، وقواها، وأنفق فيها. وحصن القلعة بالمجانيق، ومدافع النفط الكبار، وبالمكاحل، وجعل بين كل شرفتين من شرفات سور المدينة، جنوية[1]؛ ومن ورائها الرماة بالسهام والجروخ، والمدافع والأسهم الخطائية. ونصب على كل برج من أبراج السور شيطانيا[2] يرمى به الحجارة. ورفع الجسور عن الخنادق، وأتقن تحصين القلعة، بحيث لم يبق سبيل إلى التوصل لها بالقوة.

وفيه ولى السلطان الأمير نكباى الحاجب نيابة حماة.

وفيه ركب قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى، ومعه بقية قضاة مصر ودمشق، وجماعة من أرباب الدولة، ونودى بين أيديهم بأسواق دمشق عن لسان السلطان، أنه قد أبطل المكوس وأزال المظالم، فادعوا له. فقوى ميل الشاميين إليه، وتعصبوا له، وصار أكثرهم من حزبه وفريقه.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: ورد الخبر بنزول الأمراء سعسع، فقوى الاستعداد.

وفى بكرة يوم السبت ثامن عشره: نزل الأمراء على قبة يلبغا خارج دمشق، فندب السلطان إليهم عسكرا توجهوا إلى القبيبات[3]، فبرز لهم الأمير سودن تلى المحمدى، والأمير سودن الجلب، فاقتتلوا حتى تقهقر السلطانية منهم مرتين، ثم انصرف الفريقان.

---

(١) الجنوية: الأوتاد أو الأسياخ المدببة التى تمنع دون عبور السور.

(٢) الشيطانية: نوع من آلات حرب، يستخدم فى قذف الحجارة .

(٣) القبيبات: بئر دون المغيثة فى طريق مكة بخمسة أميال بعد وادى السباع. وهى أيضا: محلة ببغداد وماء فى منازل بنى تميم وموضع بالحجاز. وهى: محلة حديدة بظاهر مسجد دمشق. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٨.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: ارتحل الأمراء عن قبة يلبغا، ونزلوا غربى البلد من جهة الميدان، ووقفوا من جهة القلعة إلى خارج البلد، فتراموا عامة نهارهم بالنشاب والنفط، فاحترق ما عند باب الفراديس من السواق، ومضوا.

فلما كان الغد يوم الإثنين عشرينه: اجتمعوا للحصار، فوقفوا شرقى البلد وقبليه، ثم كروا راجعين، فنزلوا ناحية القنوات[1] إلى يوم الأربعاء ثانى عشرينه. فوقع القتال فى ناحية شرقى البلد، ونزل الأمير نوروز بدار الطعم، وامتدت أصحابه إلى العقيبة، وأخذ طائفة، الصالحية والمزة، ونزل الأمير شيخ بدار الأمير غرس الدين خليل الأستادار - تجاه جامع كريم الدين بطرف القبيبات - ومعه الخليفة وكاتب السر وجماعته ورفقته. ونزل الأمير بكتمر شلق، والأمير قرقماس ابن أخى دمرداش فى جماعة من جهة بستان معين الدين ومنعوا الميرة عن الناصر، وقطعوا نهرى دمشق[2]، ففقد الماء من البلد، وتعطلت الحمامات، وغلقت الأسواق. واشتد الأمر على أهل دمشق، وترامى الأمراء بالنشاب، واقتتلوا قتالا شديدا، احترق فيه عدة حوانيت وغيرها. وكثرت الجراحات فى أصحابه الأمراء، وذلك أن رميهم يقع فى أحجار السور، ورمى السلطان دائما يقع فيهم فينكيهم.

وفى آخر هذا اليوم: بعث الأمير شيخ إلى شهاب الدين أحمد بن الحسبانى، وشهاب الدين أحمد الباعون، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم - وكان قد انقطع بالشبلية[3] لمرض به - فلم يدخل إلى جامع بنى أمية مع رفاقه قضاة مصر، فأحضر الثلاثة وأنزلهم عنده.

وفيه أيضا لحق بالأمير شيخ، ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وصدر الدين على بن الآدمى، فتأنس بهما، وأخذا فى تعريفه بأمر البلد، ومواضع العورات منها، ونحو ذلك مما يتقرب به إليه. فلما بلغ السلطان ذلك استدعى محب الدين محمد بن الشحنة الحلبى، وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن ناصر الدين محمد بن العديم، فى يوم الخميس ثالث عشرينه.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: أحضر الأمير شيخ إلى بين يديه الأمير بلاط آقشق

---

(١) أحد روافد نهر بردى، الذى يجرى فى دمشق وينقسم داخلها، ويجرى فى قناة مدفونة فى الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها بالدور والأماكن . انظر صبح الأعشى ٤/ ٩٥.

(٢) يقصد بهما نهرا باناس والقنوات.

(٣) الشبلية: مدرسة للحنفية بسفح جبل قاسيون، وهى تنسب إلى الطواشى شبل الدولة الحسامى. انظر الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٣٠.

شاد الشربخاناة، وكان ممن قبض عليه فى وقعة اللجون، ووسطه من أجل أنه كان يتولى ذبح المماليك الظاهرية، ليلى قتلهم السلطان بقلعة الجبل. ووسط أيضا الأمير بلاط أمير علم، وكان ممن قبض عليه أيضا.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع الخليفة المستعين با لله الملك الناصر من الملك، فكانت مدته فى السلطنة منذ مات أبوه الملك الظاهر وجلس بعده على سرير الملك إلى أن خلع بأخيه السلطان الملك المنصور عبد العزيز ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما. ومدة سلطنته الثانية من حين وثب على أخيه عبد العزيز إلى أن خلعه الخليفة أمير المؤمنين ست سنين وعشرة أشهر سواء. فجميع مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما.

* * *

الخليفة أمير المؤمنين المستعين با لله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله العباسى

اجتمع عليه الأمراء وبايعوه خارج دمشق، فى آخر الساعة الخامسة من نهار السبت الخامس والعشرين من شهر ا لله المحرم الحرام سنة خمس عشرة وثمانمائة، والطالع برج الأسد. وسبب ذلك أنه خرج صحبة الملك الناصر فرج من القاهرة إلى الشام عند سفره إليها، كما جرت العادة به.فلما وافى اللجون ليقاتل الأمراء، أوقف الخليفة ناحية، وأوقف معه كاتب السر ورفقاءه، من المباشرين. فما هو إلا أن نزلوا وصلوا صلاة العصر، إذ انهزم الناصر، فأشار كاتب السر حينئذ على الخليفة أن ينشر علمه الأسود، يريد بذلك أن يصيروا فى حمايته خشية من معرة العساكر. فعندما نشر العلم، وعاينه الأمراء تباشروا بالفتح. وفى ذلك الوقت جاء صلاح الدين خليل بن الكويز صاحب ديوان الأمير شيخ، وشهاب الدين أحمد الصفدى، فى طائفة من العسكر، فأخذوا الخليفة، ومن معه وأتوا بهم إلى الأمراء، فأجلوا مقدم الخليفة، وأنزلوه ومن معه عند الأمير طوغان الدوادار. فلم يزل عنده حتى نزلوا ظاهر دمشق، فاستدعى الأميران شيخ ونورو كاتب السر فتح ا لله - وقد بلغهم أن الناصر قد صار فى قلعة دمشق وحصنها، وأعد لهم - واستشاراه فيما يعملاه فقال لهما: « ما هكذا يقاتل السلطان».وذكر لهما ما هم فيه من الافتراق، وعدم الانقياد إلى واحد منهم، وأن كلا من الأمراء يرى أنه الأمير الكبير، وهذا أمر لابد فيه من إقامة واحد ترجع الأمور كلها إليه وتصدر عنه. فأطرق كل منهما ساعة، ثم رفع رأسه وقال: « ابن أستاذنا ما هو حاضر هنا حتى نسلطنه»،

فلما رأى عجزهم وانقطاعهم قال: « أقيموا الخليفة يتحدث، وقوموا معه، فإن أحدا لا يتجاسر عليه». فقالا له: « أو يرضى بذلك». قال: « أنا أرضيه». وقام عنهما إلى الخليفة، فذكر له شيئا من هذا، فأبى أن يقبل، وفرق من الناصر فرقا شديدا، وخاف ألا يتم له هذا الأمر فيهلك، وصمم على الامتناع، وفتح الله يلح عليه، لما داخل قلبه من خوف الناصر والحقد عليه، فلما رأى أن الخليفة لا يوافقه على القيام بالأمر، دبر عليه حيلة يقوده بها لما يريد منه، وهو أنه حسن للأمير شيخ حتى أمر ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازى أخا الخليفة لأمه، فركب ومعه ورقة تتضمن أسطرا عديدة، فيها مثالب الناصر ومعايبه، وأن الخليفة قد خلعه من الملك وعزله من السلطنة، ولا يحل لأحد معاونته، ولا مساعدته، فإنه الكذا الكذا. فلما بلغ الخليفة هذا،سقط فى يده، وأيس من انصلاح الناصر له وأراد أن يبقى له حيلة مع الأمراء، يعيش بها حينا من الدهر فى رحيله معهم، وفى ظنه وظن غيره عجز الأمراء عن الناصر، فأذعن حينئذ لهم أن يقوم بالأمر، فبايعوه بأجمعهم، وأطبقوا كلهم على يده، يعطوه صفقة أيمانهم، وحلفوا له على الوفاء بتبعيته، ونصبوا له كرسيا خارج باب الدار، تجاه جامع كريم الدين. وجلس فوقه وعليه سواده الذى أخذوه من الجامع، وهو بثياب الخطيب عند خطبته للجمعة. ووقفوا بين يديه على قدر منازلهم، ما عدا الأمير نوروز فإنه لم يحضر لاشتغاله بحفظ الجهة التى هو بها. ثم قبلوا الأرض بين يديه على العادة، وتقدم الأمير بكتمر جلق فخلع عليه، واستقر به فى نيابة الشام، وخلع على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، واستقر به فى نيابة حلب. وخلع على الأمير سودن الجلب واستقر به فى نيابة طرابلس.

ثم ركب أمير المؤمنين والأمراء، ونادى مناد « ألا إن الناصر فرج بن برقوق قد خلع من السلطنة، فلا يحل لأحد مساعدته، ومن حضر إلى أمير المؤمنين من جماعته فهو آمن، وأمدكم إلى يوم الخميس»، فى كلام كبير من هذا المعنى قد رتب. وسار أمير المؤمنين بعساكره من تجاه جامع كريم الدين إلى قرب المصلى، ثم عاد وأمر فنودى بذلك أيضا فى الناحية الشرقية من دمشق. فتفخذ الناس[1] عن الناصر، وصاروا حزبين، حزب يرى أن مخالفة أمير المؤمنين كفر، وأن الناصر قد انعزل من الملك، فمن قاتل معه فقد عصى الله ورسوله، ومنهم من يرى أن القتال معه واجب، ومن قاتله فإنما هو باغ عليه. وكثر الناس فى ذلك. وكتب أمير المؤمنين إلى أمراء مصر، باجتماع الكلمة على إقامته، وأنه خلع الناصر، وقد أبطل المكوس والمظالم. وبعث بذلك على يد الأمير كزل العجمى.

---

(١) يقال: فخذت بين القوم أى: فرقت وخذلت. انظر لسان العرب (فخذ).

وفى يوم الأحد سادس عشرينه: قدم حاج دمشق مع الأمير مؤمن، فأوقفهم الأمير شيخ عند جامع كريم الدين، وبعث كل طائفة إلى جهة قصدها من البلد، ومنعهم أن يمروا تحت القلعة، وأنزل المحمل بجامع كريم الدين حيث كان الشهابان أحمد الباعونى وأحمد بن الحسبانى نازلين بمن معهما من فقهاء دمشق وأتباعهما.

وفيه مات الأمير سكب الدوادار، وكان ممن خامر على الناصر، وصار فى جملة أصحاب الأمير شيخ من حين وقعة اللجون، فأتاه سهم فى ركبته أتى عليه.

وفى سابع عشرينه: خلع أمير المؤمنين على شهاب الدين أحمد الباعونى، واستقر به فى القضاء بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى. وخلع أيضا على شهاب الدين أحمد بن الحسبانى، واستقر به فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن الأخناى.

وفى يوم الخميس سلخه: اشتد القتال من جهة الأمير شيخ قريبا من باب الجابية. ومن جهة الأمير نوروز قريبا من باب الفراديس، فكثرت الجراحات ومات جماعة.

وأما القاهرة فإن مبشرى الحاج تأخر وصولهم إلى ثامنه. وقدم فى تاسع عشره الخبر بمخامرة الأمراء وقدوم السلطان دمشق، ثم مسيره منها يريد أعداءه، وتأخر قدوم الحاج عن العادة، فلم يصل إلى سادس عشرينه، وخرج هذا الشهر والإرجاف بالقاهرة كثير، وقد استعد الأمير أسنبغا الزردكاش، فحصن قلعة الجبل وشحنها بالغلال والزاد، ووسط الأمير قنباى، قريب الأمير الكبير بيبرس، ابن أخت السلطان، فى ليلة الحادى والعشرين منه.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه مات يشبك العثمانى خارج دمشق، من سهم أصابه فى أمسه، فصلى عليه الأمير شيخ.

وفيه خلع السلطان الملك الناصر بدمشق على فخر الدين ماجد - المعروف بابن المزوق - ناظر الإسطبل، واستقر به فى كتابة السر، عوضا عن فتح الدين فتح الله. وقبض على ما كان لفتح الله بدمشق من خيل وجمال، فكان هذا أيضا مما أعان به على نفسه، فإنه تأكد بذلك بعد ما بينه وبين فتح الله، وكشف له عن قناعه، وحسر عن ساعد الجد، ودبر عليه بمكايده وحيله، حتى هدم ما رسخ من ملكه، ونقض ما ثبت من أكيد سلطانه.

وفيه خلع أيضا على الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، وولاه نظر الخاص، عوضا عن تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، وخلع على ابن وزير بيته صاحب ديوان الجيش، واستقر به فى نظر الجيش، عوضا عن بدر الدين حسن بن نصر الله.

وفيه قدم إلى القاهرة قجقار القردمى فى عشرين فارسا، فأراد الأمير أسنبغا أن يقبض عليه، فبادر الأمير يلبغا الناصرى وأرسل طائفة من أجناده إلى لقائه، وشقوا به القاهرة، وأنزله ببيت الأمير تمراز، ورتب له ما يليق به، وقرأ ما على يده من الكتب، فاشتهر الخبر فى البلد، وكثرت القالة بين الناس.

وفى ثالثه: وصل عشير البقاع مع ابن حنيش إلى دمشق، فقاتلوا المشاة قتالا كبيرا، ورجعوا من الغد إلى الصالحية، فأفسدوا، ونهبوا ما قدروا عليه.

وفى خامسه: وصل بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى - أستادار الأمير شيخ - من قلعة المرقب بالزردخاناة، فتقوى بها الأمير شيخ، وكان قد عمل مدافع، وكثيرا من النشاب، ونحوه من آلة الحرب.

وفى سادسه: دقت البشائر بقلعة دمشق، ونودى أنه قد وصلت أمراء التركمان - قرا يلك وغيره - ونواب القلاع لنجدة السلطان، فنودى بمعسكر الأمير شيخ - عن أمير المؤمنين - باستعداد العوام لقتال المذكورين، فإنهم مقدمة تمرلنك وجاليشه. ثم اجتمع الأمراء والمماليك السلطانية كلهم، وحلفوا بأجمعه يمينا ثانية لأمير المؤمنين، بأنهم يلتزمون طاعته، ويأتمرون بأمره، وأنهم راضو بأنه الحاكم عليهم، وأنه يستبد بجميع الأمور من غير أن يعارضه أحد فى شىء ، وأنهم لا يسلطنوا أحدا غيره، وقبلوا كلهم له الأرض، ومضى كاتب السر فتح الله إلى الأمير نوروز بدار الطعم - حيث هو نازل - فحلفه على ذلك، وقبل الأرض لأمير المؤمنين، وقد استقبل جهته وأظهر من الفرح والسرور، باستبداد أمير المؤمنين بالأمر ما لا يوصف كثرة، وحمد الله تعالى على ذلك، وقال: «حينئذ استقام لنا الأمر». وسأل كاتب السر أن ينوب عنه فى تقبيل الأرض بين يديه، وسؤاله فى أن ينفرد بالتدبير ولا يشارك فى أمره الأمير شيخ، ولا هو، ولا غيره

وفى ليلة الجمعة ثامنه: اشتد القتال إلى الغاية، واستمر من بعد العصر إلى ثلث الليل.

وفى يوم الجمعة هذا: وصل الأمير كزل العجمى الحاجب من دمشق إلى القاهرة يبشر بقيام أمير المؤمنين، فشق القاهرة، وخرج من باب زويلة، ونزل عند الأمير يلبغا

الناصرى، وحضر إليه الأعيان. فقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليه، بأن العساكر المصرية والشامية قد اتفقت على إقامته، وبايعوه، وحلفوا له. وأنه قد خلع الناصر فرج من الملك، لما ظهر منه، وثبت عليه، بمقتضى محضر شهد فيه خمسمائة نفس بقوادح فى الدين، توجب إراقة الدم. ويأمر فى كتابه أن ينادى فى القاهرة ومصر: «لا سلطان إلا الخليفة»، وأنه قد أبطل المكوس والمظالم، وأخذ البراطيل، ورمى البضائع على التجار، وأن يأمر الخطباء بقطع اسم الناصر من الخطب، وإقامة اسم أمير المؤمنين بمفرده. فلم يتمكن الأمير يلبغا الناصرى من ذلك، خوفا من أسنبغا الزردكاش، فأنه كان قد امتعض الناصر، وعزم على أخذ كزل هذا، فسبقه الأمير يلبغا، وأنزله. هذا، والكتب من الناصر تأتى مع السعاة إلى أسنبغا بأنه محصور بقلعة دمشق، فيهمُّ بأمور من الشر، فيوسوسه الأمير يلبغا الناصرى، ويتلطف به، حتى يكف عن ذلك.

وفى هذا اليوم: بلغ الأمير شيخ أن الناصر قد عزم على إحراق ناحية قصر حجاج[1] حتى تصير فضاء، ثم يركب بنفسه ويواقع القوم هناك. فبادر وركب بعد صلاة الجمعة، بأمير المؤمنين وجميع من معه، وسار من طرف القبيبات، حيث كان منزله. ونزل بأرض الثابتية وقاتل من بالقلعة، فاشتد القتال إلى أن مضى من الليل جانب، وكثر الرمى بالنفط وغيره، فاحترق سوق خان السلطان وما حوله. وحمل السلطانية على الشيخية حملة منكرة، هزموهم فتفرقوا شذر[2] مدر. وثبت الأمير شيخ فى حماته بعدما وصل إلى قريب الشويكة ثم حمل بنفسه - هو ومن معه - حملة واحدة، ملك فيها القنوات، ففر من كان هناك من التراكمين الرماة.

وكان الأمير دمرداش منزله عند باب الميدان تجاه القلعة، فلما بلغه ذلك أتى إلى السلطان وهو جالس تحت قبة فوق باب النصر، فسأله أن يندب معه طائفة كبيرة من المماليك ليتوجه بهم إلى الأمير شيخ، فإنه قد وصل إلى طرف القنوات، وسهل أخذه فنادى السلطان من هناك من العساكر وأمرهم بذلك، فلم يجبه منهم أحد، فلما كرر الأمر به. أجابه بعضهم جوابا فيه جفاء.

وبينما هم فى ذلك، إذ اختبط العسكر، ووقع الصوت فيهم :«قد كبسكم الأمير نوروز». فتسارعوا بأجمعهم، وعبروا من باب النصر إلى المدينة، وتفرقوا فى خرائبها، بحيث لم يبق منهم أحد بين يدى السلطان، فولى الأمير دمرداش عائدا إلى موضعه. وقد

---

(١) محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان.

(٢) أى ذهبوا فى كل وجه.

ملك الأمير شيخ الميدان، والإسطبل، فبعث دمرداش إلى السلطان بأن «الأمر قد فات، والرأى أن تلحق بحلب». فقام عند ذلك من مجلسه وترك الشمعة تتقد حتى لا يقع الطمع بأنه قد ولى، ويوهم الناس أنه ثابت. ثم دخل إلى حرمه، وجهز ماله فلم يخرج حتى مضى أكثر الليل. وتوجه دمرداش نحو حلب، وخامر الأمير سنقر. وجاء إلى الأمير شيخ، فإذا الطبول قد بطل دقها، والرماة قد فروا. وكان قد تقرر من النهار بأن يدس بعض من استماله فتح الله من أصحاب الناصر ناسا، يقومون فى الليل، يقولون من فوق الأسوار: « نصر الله أمير المؤمنين». فما هو إلا أن قالوا ذلك تفرق الرماة من فوق الأسوار، وعندما خرج الناصر من داره، أمر بخيوله، فحملت المال ليسير إلى حلب، عارضه الأمير أرغون أمير أخور وغيره، ورغبه فى الإقامة، :« وأن الجماعة مماليك أبيك لا يوصلون إليك سوءا»، ونحو ذلك، حتى طلع الفجر، فركب فرسه، ودار على السور، فلم يجد أحدا ممن أعده للرمى، فعاد، والتجأ إلى القلعة.

وأقبل الأمير شيخ نحو باب النصر، وركب نوروز إلى جهة باب أتوما، ونصبت السلالم حتى فتح باب النصر، وأحرق باب الجبية، فعبر الأمير شيخ من باب النصر، وأخذ المدينة، ونزل بدار السعادة، وامتدت أيدى النهابة من الغوغاء، فما عفوا ولا كفوا. وأخذوا من المال ما يجل عن الوصف. فلم يكد أحد يسلم من معرة النهب.

ونزل أمير المؤمنين بدار فى طرف من ظواهر دمشق، وتحول الأمير شيخ إلى الإصطبل. وأنزل الأمير بكتمر جلق بدار السعادة.

وأخذ الناصر يرمى من أعلى القلعة يومه، وبات ليلة الأحد على ذلك، فلما كان يوم الأحد عاشره بعث بالأمير أسندمر أمير أخور ليحلف له الأمراء فكتب نسخة اليمين، فحلفوا له، ووضعوا خطوطهم. وكتب أمير المؤمنين خطه أيضا. وصعد به إليه ناصر الدين محمد بن مبارك أخو الخليفة، فطال الكلام بينهما، وكثر الترداد بغير طائل. وعاد الناصر إلى الرمى من القلعة بمدافع النفط، والنشاب. فركب القوم وأحاطوا به يريدون قتاله. فأرسل يسأل فى الكف عنه، فضايقوا القلعة خشية أن يفر منها، فاضطره الحال إلى أن نزل ليلة الإثنين حادى عشره، ومعه أولاده يحملهم ويحملون معه، وهو ماش من باب القلعة إلى الإصطبل، حيث منزل الأمير شيخ، فقام إلى لقائه وقبل له الأرض، وأجلسه بصدر المجلس، وسكن روعه، وتركه وانصرف عنه، فأقام بمكانه إلى يوم الثلاثاء ثانى عشره، فجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بين يدى أمير المؤمنين، وقد تحول إليها وسكنها، فأفتوا بإراقة دم الناصر شرعا. فأخذ فى ليلة الأربعاء من

الإصطبل، وأنزل بموضع من قلعة دمشق وحده، وقد ضيق عليه، وأفرد من خدمه إلى ليلة السبت سادس عشره دخل عليه ثلاثة، أحدهم ابن مبارك أخو الخليفة، وآخر من ثقات الأمير شيخ، وآخر من ثقات الأمير نوروز، ومعهم رجلان من المشاعلية، فعندما رآهم ثار إليهم، ودافع عن نفسه فساوره الرجلان حتى صرعاه، بعدما أثخنا جراحه. وتقدم إليه بعض صبيان الفداوية بخنجر فخنقه، وقد أصابته الجراحة فى خمسة مواضع. فلما ظن أنه قد أتى على نفسه وقام عنه، تحرك فعاد وخنقه مرة ثانية، حتى قوى عنده أنه هلك تركه، فإذا به يتحرك، فعاوده مرة ثالثة، وفرى أوداجه بخنجر، وسحب بعدما سلب جميع ما عليه من الثياب. وألقى على مزبلة مرتفعة عن الأرض تحت السماء، وهو عارى البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به، ما بين أمير ومملوك، قد صرف الله قلوبهم عنه. وغوغاء العامة وأراذل الغلمان تعبث بلحيته ويديه ورجليه طول نهار السبت، نكالا من الله له، فإنه كان مستخفا بعظمة الله سبحانه، فأراه الله قدرته فيه:

لا تيأسن على شيء فكل فتى ... إلى منيته يستن فى عنق
بأيما بلدة تقدر منيته ... ألا يسارع إليها طائعا يسق

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة: حدثنا يزيد بن أبى حبيب أن قيس بن سعد بن عبادة - رضى الله عنه - قال: إن رسول الله - ﷺ - قال: «من شدد سلطانه بمعصية الله عز وجل، أوهن الله كيده إلى يوم القيامة».

فلما كانت ليلة الأحد: حمل وكفن بعدما غسل، وصلى عليه، ودفن بمقبرة باب الفراديس، بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم يكن له جنازة مشهودة، ولا عرف من تولى غسله وكفنه، ويقال أنه تصدق عليه بالكفن، فسبحان المعز المذل.

وقد كان الأمير شيخ لا يريد قتله، وعزم على أن يحمله مع الأمير طوغان الدوادار إلى الإسكندرية ويسجنه بها، فقام الأمير نوروز والأمير بكتمر جلق فى قتله قياما بذلا فيه جهدها، فإن الأمير يشبك بن أزدمر ممن امتنع من الموافقة على قتله، وشنع فى ذلك، واحتج بالأيمان التى حلفت له، فتقوى نوروز وبكتمر بالخليفة، فإنه اجتهد هو وكاتب السر فتح الله فى ذلك، وحمى الفقهاء والقضاة على الكتابة بإراقة دمه. وتجرد قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى لذلك، وكافح من خالف فى قتله، وأشهد على نفسه أنه حكم بقتله شرعا، فأمضى قتله، وقتل كما تقدم ذكره.

وكان الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضى مصر

وبلاد الشام، من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات، فطرق الطاغية تيمورلنك بلاد الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة، وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق، وحرقها، حتى صارت دمشق كوما ليس بها دار، وقتل من أهل الشام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، وقطع أشجارها حتى لم يبق بدمشق حيوان، ونقل إليها من مصر، حتى الكلاب، وخربت أراضى فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلى خلف الإمام سوى رجلين.

وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته ومدبروها جهدهم فى ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير ، ثم زيادة أجرة أطيان أراضى مصر، حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأرضى، وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب، والمعاملة بالدنانير المشخصة، التى هى ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين كل مثقال، بعدما كان بعشرين درهما. وعكسوا الحقائق، فصيروا الفلوس - التى لم تكن قط فى قديم الدهر ولا حديثه نقدا رابحا - هى التى ينسب إليها ثمن المبيعات، وقيم الأعمال. وأخذت على نواحى مصر مغارم تجبى من الفلاحين فى كل سنة، وأهمل عمل جسور أراضى مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه.

وأكثر وزرائه من رمى البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان، واضطروهم إلى حمل ثمنها، فعظمت مغارمهم للرسل التى تستحثهم، ولمستخرجى المال منهم مع الخسارة فى أثمان ما طرح عليهم من البضائع، لا جرم أن خرب إقليم مصر، وزالت نعم أهله، وقلت أموالهم، وصار الغلاء بينهم كأنه طبيعى، لا يرجى زواله.

هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، فما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجا عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك، زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر، ومهجهم. ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى. ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت أعظم ما كانت.

فخربت الإسكندرية، وبلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية، والجيزية، وتدمرت بلاد الفيوم، وعم الخراب بلاد الصعيد، بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطبة كانت تقام فى يوم الجمعة، ودثر ثغر أسوان، وكان من أعظم ثغور المسلمين، فلم يبق به أمير ولا كبير لا سوق ولا بيت، وتلاشت مدائن الصعيد كلها، وخرب من

القاهرة وظواهرها زيادة على نصف أملاكها. ومات من أهل إقليم مصر بالجوع والوباء نحو ثلثى الناس. وقتل فى الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع تجاهره بالفسوق من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على ا لله - جلت قدرته -، والتلفظ من الاستخفاف با لله تعالى ورسله ما لا تكاد الألسنة تنطق بحكايته لقبيح شناعته.

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل الأمير يلبغا الناصرى بعساكر الشام لينزع أباه الملك الظاهر من الملك، وهو فى غاية الاضطراب من ذلك، فعندما بشر به، قيل له: «ما نسميه؟» فقال: «بلغاق» يعنى «فتنة»،وهى كلمة تركية، فقبض على أبيه وسجن بالكرك - كما تقدم ذكره - وهو لم يسم. فلما عاد برقوق إلى الملك عرض عليه، فسماه «فرج»، فما كان فى الحقيقة إلا فتنة. أقامه ا لله سبحانه نقمة على الناس لذيقهم بعض الذى عملوا. ومن عجيب الاتفاق أن حرف اسمه «ف رج» وعددها ثلاثة وثمانون ومائتان، وهى عدد جركس، فكان فناء طائفة الجركس على يديه، فإن حروفها يعنى إذا أسقطت بحروف اسمه.

وكانت وفاته عن أربع وعشرين سنة، وثمانية أشهر، وأيام.

وفى يوم الأحد عاشر صفر هذا: قبض على الأخناى قاضى دمشق، وعلى رزق ا لله ناظر جيشها، وعلى الأمير غرس الدين خليل الأستادار، وعلى فخر الدين بن المزوق كاتب سر الناصر، وعلى يحيى بن لاقى، وسلموا للأمير نوروز. ثم شفع فيهم فأطلقوا بعد أيام، ما عدا غرس الدين، فإنه استمر فى قبضة الأمير نوروز، وصادره.

وفى ثامن عشره: خلع على صدر الدين على بن الآدمى، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن محيى الدين يحيى بن زكريا البهنسى، وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الأموى، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى خامس عشرينه: استقر الأمير نوروز فى نيابة الشام، وخلع عليه بحضرة أمير المؤمنين بدار السعادة، وقد جلس بها. وجلس الأمير شيخ عن يمينه فى وقت الخدمة، وكان منذ قتل الناصر قد اتفق الحال على الأميرين شيخ ونوروز يقومان بالأمر مع أمير المؤمنين، ويسيران إلى مصر، فينزل الأمير شيخ بباب السلسلة من قلعة الجبل، وينزل الأمير نوروز فى بيت الأمير قوصون بالرميلة تجاه باب السلسلة، وكتب إلى القاهرة بتجديد عمارته، وأن يضرب عليه رنك الأمير نوروز. وصار الأمير نوروز يركب من داره إلى تحت قلعة دمشق، فيخرج الأمير شيخ من الإصطبل - حيث هو نازل -

ويسيران تحت القلعة بموكبهما ساعة، ثم يدخلان إلى دار السعادة، فيجلس الأمير طوغان الدوادار على عادته، والأمراء على مراتبهم، ويقرأ كاتب السر فتح الله القصص على أمير المؤمنين، فيمضى ما يختار إمضاءه، ثم يقدم إليه المراسيم والأمثلة، فيعلم عليها. ويمد السماط بين يديه، فيأكل الأمراء كما جرت به عادتهم، فإذا انقضت الخدمة، قاموا وصاروا إلى دورهم. فكان الناس يتوقعون عود الفتنة بين الأميرين شيخ ونوروز، إلى أن اختار نوروز من تلقاء نفسه أن يكون بالشام، وخلع عليه. وعندئذ انفرد الأمير شيخ بتدبير المملكة، وأخذ جانب الخليفة فى الاتضاع، وفوض إلى الأمير نوروز كفالة الشام كله - دمشق وحلب وحماة - وجعل له تعيين الإمريات والإقطاعات لمن يريده ويختاره، وأن يولى النواب بالقلاع وغيرها، ويولى الكشاف والولاة بالأعمال، ويولى المباشرين أيضا، ويطالع الخليفة بمن يستقر به فى شىء من ذلك، ليجهز إليه التشريف، فكانت مدة نيابة الأمير بكتمر نحو الشهرين.

وفى سادس عشرينه: استدعى أمير المؤمنين شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن البلقينى، وخلع عليه وأعاده إلى قضاء القضاة بالديار المصرية، فكانت ولاية الباعونى نحو شهر، ثم خلع على بقية قضاة مصر، وخلع على ناصر الدين محمد بن محمد البصروى موقع الأمير نوروز، واستقر به فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن ابن الآدمى، وأضاف إليه قضاء طرابلس، وأذن له أن يستنيب فيه.

وفى ثامن عشرينه: قدم كتاب الخليفة، وكتابى الأميرين شيخ ونوروز إلى الأمراء بديار مصر، تتضمن أخذ الناصر فرج، فقرئت الكتب عند الأمير يلبغا الناصرى، وعند الأمير ألطنبغا العثمانى. ثم نودى بالقاهرة: « الأمان، فإن فرج بن برقوق قد مسك، ودخل فى قبضة الأمير شيخ ونوروز»، وأرسلت الكتب إلى الجوامع، فقرئت بالجامع الأزهر، وبجامع الحاكم من القاهرة، وبجامع أحمد بن طولون، وجامع عمرو من مدينة مصر، على المنابر، فكان يوما مشهودا. وامتنع الأمير أسنبغا الزردكاش بقلعة الجبل، وكذب ذلك ، وأراد أن يركب للحرب. فساس الأمير يلبغا الناصرى الحال، حتى كف أسنبغا عن الفتنة.

وفى هذا الشهر: بث أمير المؤمنين كتبه فى البلاد الشامية وغيرها إلى التركمان والعربان والعشير، وجعل افتتاحها بعد البسملة: « من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، المفترض طاعته على الخلق أجمعين. أعز الله ببقائه الدين، إلى فلان..».

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى رابعه: ورد كتاب أمير المؤمنين إلى الأمراء بديار مصر، يتضمن قتل فرج بن برقوق، وأن الأمير أسنبغا الزردكاش يسلم قلعة الجبل إلى الأمير يلبغا الناصرى. فنزل أسنبغا إلى الأمير يلبغا بمفاتيح القلعة، وتوجه إلى داره، وشيعه الأمير يلبغا، وشكر له فعله.

وقدم أيضا من الإسكندرية الأمراء المسجونون بها، وهم سودن الأسندمرى أمير آخور ثانى، وأينال الصصلانى الحاجب الثانى، والأمير كمشبغا المزوق، والأمير جانباك الصرفى، وتاج الدين بن الهيصم الأستادار. وقد كتب من دمشق بالإفراج عنهم، فتوجهوا إلى منازلهم.

وفى ثامنه: توجه أمير المؤمنين والأمير شيخ وعساكر مصر من دمشق، ونزلوا بقبة يلبغا.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد الأخناى إلى قضاء القضاة بدمشق، فكانت مدة ولاية ابن الحسبانى أحد وأربعين يوما، منها مباشرته أقل من شهر.

واستقل الخليفة والأمير شيخ بالمسير إلى ديار مصر.

وفى سادس عشره: توجه الأمير نوروز نائب الشام من دمشق يريد حلب، فنزل على برزة.

وفيه تقدم الأمير نوروز بأن يضرب دراهم نصفها فضة ونصفها نحاس، فضربت، واستمرت أيضا الدراهم التى يتعامل بها فى دمشق وليس فيها من الفضة إلا العشر، والتسعة أعشار من نحاس. وكانوا فى سنة ثلاث عشرة قد جعلوا بدمشق الربع فضة والثلاثة أرباع نحاسا، وضربوا الدراهم على هذا، ثم ما زالوا يقللوا من الفضة حتى لم يبق فيها من الفضة سوى العشر، فغلا عندهم أيضا سعر الذهب، وارتفع من خمسة وعشرين درهما الدينار، حتى بلغ إلى خمسة وخمسين درهما. ثم أمر الأمير نوروز بأن تضرب الدراهم من فضة خالصة، ليس فيها غش، فضربت دراهم، زنة كل درهم منها نصف درهم فضة. وجعل كل دينار من الذهب بثلاثين درهم منها، فاستمر الصرف عندهم على هذا.

وفى سابع عشره: قدم الأمير ألطنبغا القرمشى إلى صفد، على نيابتها.

وفى ثالث عشرينه: خلع الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة بديار مصر، على محب

الدين محمد بن شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكرادى، المعروف بابن الأشقر. واستقر به فى مشيخة خانقاة سرياقوس، عوضا عن شيخها شهاب الدين أحمد بن أوحد برغبته عنها.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

فى يوم الثلاثاء ثانيه: قدم أمير المؤمنين والأمير شيخ والعسكر إلى القاهرة، فشقوا القصبة من باب النصر إلى باب زويلة، ومضوا إلى القلعة وقد زينت الشوارع، فنزل الخليفة بالقصر من قلعة الجبل، ونزل الأمير شيخ باب السلسلة. وظهر اتضاع جانب الخليفة. وظن الأمير شيخ أنه لما دخل إلى القاهرة، أن الخليفة كان يمضى إلى داره، ولا يصعد إلى القلعة. و لم يخلع على أحد ممن جرت العادة بأنه يخلع عليه عند القدوم من السفر. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخ للسعى فى الوظائف، وترك الخليفة وحده، ليس له سوى من يخدمه من حاشيته قبل مصير ما صار إليه.

وفى رابعه: قبض الأمير شيخ على الأمير أسنبغا الزردكاش، واستفتى فى قتله، لقتله الأمير قنباى، فأفتوا بقتله، وحكموا به، وقبض فيه أيضا على الأمير حطط البكلمشى[1] - من أمراء العشرات - وعلى آخر، وكانا من خواص الناصر.

وفى سادسه: قبض الأمير شيخ على الأمير أرغون الرومى، أمير أخور، ورأس نوبة فى الأيام الناصرية، وعلى الأمير سودن الأسندمرى، والأمير كمشبغا المزوق، الذى قدم من سجن الإسكندرية، وسفروا إلى دمياط.

وفيه خلع على خليل الجشارى - من أصحاب الأمير شيخ - واستقر به فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير قطلوبغا الخليلى، بعد موته.

وفى ثامنه: حضر الأمير شيخ بالقصر بين يدى أمير المؤمنين، ومعه الأمراء وأهل الدولة وخلع على الأمير شيخ تشريف جليل، بطراز لم يعهد مثله فى عظم القدر، واستقر به أميرا كبيرا، وفوض إليه الحكم بالديار المصرية فى جميع الأمور، وأن يولى ويعزل من غير مراجعة ولا مشورة، وأشهد عليه بذلك، فتلقب «بنظام الملك»، وكتب

---

(١) حطط بن عبد الله، الأمير سيف الدين نائب حماة. كان أولا من جملة الأمراء بالديار المصرية، ثم نقل إلى نيابة أبلستين بعد مقتل مبارك شاه، فباشرها مدة، ثم نقل إلى نيابة حماة، «واستمر بها إلى أن توفى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة»، وتولى نيابة حماة من بعده الأمير طشتمر خازندار الأتابك يلبغا الخاصكى. انظر المنهل الصافى ٥/ ١٧٧، ١٧٨ والدليل ١/ ٢٧٨، النجوم ١١/ ٢٠١، عقد الجمان حوادث سنة ٧٨١.

بذلك فى مكاتباته، وكوتب به.وخلع أيضا على الأمير طوغان الحسنى، واستقر دوادارا على عادته.

وخلع على الأمير شاهين الأفرم، واستقر على عادته أمير سلاح، وخلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير أينال الصصلانى، واستقر حاجبا، عوضا عن يلبغا الناصر. وخلع على الأمير سودن الأشقر، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير سنقر الرومى. وخلع على الأمير ألطنبغا العثمانى، واستقر فى نيابة غزة، عوضا عن سودن من عبد الرحمن. ونزلوا فى خدمة الأمير شيخ، ثم حضروا إلى دورهم، فكان يوما عظيما.

وفى تاسعه: عرض الأمير شيخ المماليك السلطانية، وفرق عليهم الإقطاعات بحسب ما اقتضاه رأيه. وأنعم على جماعة من مماليكه بعدة إمريات، ما بين طبلخاناة وعشرة.

وفيه خلع الأمير شيخ على دواداره الأمير جقمق، واستقر به دوادار الخليفة، وأسكنه بقلعة الجبل، حتى لا يتمكن الخليفة من العلامة على شىء ما لم يكن على يد جقمق، ولا يقدر أحد على الاجتماع به إلا وهو معه. فاستوحش الخليفة من ذلك لانفراده بعياله فى تلك القصور الواسعة، وضاق صدره، وكثر فكره.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير سودن بن الأشقر، واستقر فى نظر خانكاة شيخو، ومدرسة صرغتمش بالصليبة خارج القاهرة، وخلع على الأمير قنباى المحمدى، وعلى الأمير سودن من عبد الرحمن، لإطابة قلبيهما، من غير ولاية وظيفة. وخلع على صدر الدين أحمد بن محب الدين محمود العجمى، واستقر فى حسبة القاهرة، وعزل زين الدين محمد بن الدميرى. وكان ابن العجمى هذا قد أوصله شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى بالأمير شيخ، وصار من ندمائه، هو وقاسم البشتكى، زوج ابنة الأشرف شعبان بن حسين. وخلع فيه أيضا على الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، واستقر فى الوزارة على عادته. وكان عندما قتل الناصر بدمشق ترامى على أمير المؤمنين، فأمنه، ونزل عنده. ثم توصل إلى الأمير شيخ بعلم الدين داود، وأخيه صلاح الدين خليل - ابنى الكويز - فجمع بينه وبين بدر الدين حسن بن محب الدين أستادار الأمير شيخ، حتى قام معه، وأصلح أمره عند الأمير شيخ، فأقر على وزارته إلى أن قدموا مصر، فبادر على عادته. وخلع أيضا على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر على عادته فى نظر الجيش وقد تقدم أنه صار مع كاتب السر فتح الله،

وتقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر عند وقعة اللجون إلى عند الأمير شيخ ونوروز، فتسلمهم الأمير طوغان. ومازالوا عند الأمير شيخ حتى ظفر بالسلطان الملك الناصر، فأقره الخليفة على نظر الجيش، وتوصل بالتاج الشويكى[1] - أحد أصحاب الأمير شيخ - إلى الأمير شيخ وخدمه، حتى اعتنى به، وصار عنده بمكانة.

وخلع فيه أيضا على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، واستقر به فى نظر

(١) تاج بن سيفة الشويكى الدمشقى، الفازانى الأصل، والى القاهرة. كان أولا بلانا بحمامات دمشق، واستمر على ذلك إلى أن ولى الأمير شيخ المحمودى نيابة دمشق، فى سنة خمس وثمانمائة، اتصل تاج هذا بخدمته بالتمسخر والدعابة، وصار يغسله ويحلق رأسه، ولا زال يتقرب إليه بأنواع الهزال إلى أن صار من ندمائه، فلما تسلطن المذكور وتلقب بالملك المؤيد قرب التاج هذا وولاه ولاية بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه أستادارية الصحبة لأنه كان يحسن طبخ الطعام، ثم ولاه حسبة القاهرة، وكل ذلك لدعابة كانت فيه لا لحسن سيرته ومعرفته، ثم ولى إمرة حاج المحمل المصرى فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ولازال يتنقل من وظيفة إلى أخرى حتى صار له كلمة فى الدولة وحرمة، وأثرى فعند ذلك طغى وتجبر، وظلم وعسف، وأخذ يتجاهر بالمعاصى والفسوق، وصار لا يكف عن قبيح، وهو مع ذلك قبيح المنظر والشكل، فإنه كان شيخا طوالا غليظا، كث اللحية، ليس عليه نورانية ولا أبهة وكان لا يتجمل فى ملبسه بل يسير على طبعه أولا، وهو من مساوئ الملك المؤيد شيخ، بل من الأوباش الذين قربهم، ومن الأندال الذين رقاهم. ولم يزل على ذلك حتى مات الملك المؤيد شيخ أخذ أمره فى الانحطاط بموته إلى أن تسلطن الملك الأشرف برسباى أبعده وأخرج غالب وظائفه وإقطاعاته، وتبهدل فى الدولة الأشرفية. ولما طالت دولة الملك الأشرف أخذ التاج هذا يتقرب إليه بأنواع التحف والتمسخر، ولازال يفعل ذلك إلى أن نادمه الملك الأشرف، وعاد إلى بعض رتبته أولا، وولى ولاية القاهرة، وصار يتمسخر بالحضرة الشريفة، ويضرب بحضرة السلطان حتى ينحرف عامدا ليضحك السلطان من ذلك، يقع منه فى هزله ما يوجب ضرب عنقه من الألفاظ الكفرية، ويمعن فى ذلك. واستمر على طغيانه واستخفافه بالدين وفسقه إلى أن مرض ولزم الفراش، وطال مرضه، وصار يعتريه الأرق إلى أن كان قبل موته بمدة يسيرة جدا أتانى من عنده بعض حفدته يطلب منى فرشا محشيا من ريش نعام لينام عليه لعله يغمض، فقلت لقاصده: ما حاله اليوم؟ فقال: بشر، فإنه فى الليلة الماضية حصل له سهر عظيم وقلق، فقالت له زوجته القديمة أم محمد: استغفر ربك وأسأله العافية، فسبها ثم سب أهل السموات والأرضين بلفظ يوجب ضرب عنقه على فراشه، ثم مات بعد ذلك بقليل، فى ليلة الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وكان شيخا جاهلا، مسرفا على نفسه، مستخفا بالحارم، متجاهرا بذلك، وداره كبعض الحانات لما بها من أنواع القبائح، وكان لا يحجب زوجته زهور الجنكية من أحد، ويعجبه محبة بعض أعيان الدولة لها، وكانت داره بسويقة الصاحب بالقرب من دار سكنها منذ قدم من دمشق إلى أن مات. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥: ٨، الدليل الشافى ١/ ٢١٣ النجوم الزاهرة ١٥/ ١٩٨ نزهة النفوس ٣/ ٣٥٧ الضوء اللامع ٣/ ٢٤، بدائع الزهور ٢/ ١٦٥.

الخاص وكان قد تعرف فى دمشق بزين الدين عبد الباسط(١) بن خليل - أحد خواص الأمير شيخ - فأوصله بالأمير شيخ مع ما رباه به عنده كاتب السر فتح الله، فصار من المقربين عنده، المعتمد على قوله، الموثوق به.

وخلع أيضا فى هذا اليوم على فتح الدين فتح الله، واستقر فى كتابة السر على عادته. وقد تقدم أنه صار مع الخليفة بعد واقعة يوم اللجون إلى الأميرين شيخ ونوروز، فكانا يجلانه، بحيث إن أصحاب الأمير شيخ أنكروا عليه قيامه له إذا دخل عليه، فقال لهم: «يا ويلكم لما كنت أرى ثياب هذا على مقعد أستاذى الملك الظاهر، وهو يحادثه سرا. أين كنت أنا أقف؟ إنما كنت أقف فى أخريات المماليك». ثم إنه اختص به، وقام فى مكايدة الناصر حتى أقام الخليفة وخلع الناصر. ثم مازال به حتى قتله، فتمكنت رياسته عند أهل الدولة، وصار منه منزلة شيخهم ومشيرهم، فصار يجلس فوق الوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، [ولم تكن عادة كاتب السر ذلك](٢)، بل صار الوزير وناظر الخاص وناظر الجيش مدة إقامته بعد قتل الناصر فى دمشق لا يتمشى أحوالهم إلا به، لتقدمه فى الدولة، وامتنانه بأنه هو الذى أقام الخليفة، ووطأ للقوم سلطانهم.

وفى ثالث عشره: قبض على الأمير بهاء الدين أرسلان والى القاهرة، وخلع على تاج الدين تاج بن سيفا القازانى - المعروف بالتاج الشويكى - أحد خواص الأمير شيخ وندمائه، واستقر فى ولاية القاهرة.

وفى ثامن عشره: أخرج الأمير شيخ عدة بلاد من أوقاف الناصر، منها ناحية منبابة على الخانكاة الظاهرية برقوق(٣)، وناحية دنديل(٤) عليها أيضا. وأخرج أيضا عدة أراضى من الرزق التى وقفها الناصر على المدارس ونحوها.

---

(١) عبد الباسط بن خليل (٧٨٤ - ٨٥٤ هـ = ١٣٨٢ - ١٤٥٠م). عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، زين الدين الدمشقى ثم القاهرى: أول من سمى عبد الباسط. ولد وتعلم فى دمشق، وانتقل إلى القاهرة، وكان ناظر الخاصة والكتابة، فى أيام السلطان المؤيد شيخ ومن بعده إلى أيام حقمق ونكبه هذا وأبعده إلى حجاز، ثم عاد إلى دمشق، وإلى القاهرة، وتوفى بها. أثنى عليه السخاوى، وقال: له من المآثر بأقطار الأرض ما يفوق الوصف، من ذلك مدارس فى كل من المساجد الثلاثة بمكة والمدينة والقدس وفى دمشق وغزة والقاهرة وللشعراء فيه مدائح. انظر البدر الطالع ٢/ ٣١٥، الضوء اللامع ٤/ ٢٤.الأعلام ٣/ ٢٧٠.

(٢) ما بين المعقوفتين حاء ذكره فى الأصل ولم عادة كاتب السر بذلك.

(٣) تقع بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية، أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة ٧٨٦ هـ . انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٤١٨.

(٤) دنديل: من قرى مصر فى كورة البوصيرية. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٨.

وفى تاسع عشره: خلع على قضاة القضاة الأربع خلع الاستمرار. وخلع أيضا على بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى[1]. أستادار الأمير شيخ، واستقر أستادار السلطان، فنزل إلى دار الأمير جمال الدين، وجميع أهل الدولة فى خدمته، وأصبح عزيز مصر.

---

(١) الحسن بن عبد الله (٨٢٤ هـ ١٤٢١ م)، المعروف بابن محب الدين الطرابلسى، الأمير بدر الدين المشير، الوزير الأستادار. كان أبوه من مسالمة طرابلس، وتعانى الخدام الديوانية، ونشأ ولده الأمير بدر الدين هذا على ذلك إلى أن اتصل بخدمة الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس، ولزم خدمته حتى صار شيخ المذكور كافل مملكة الخليفة المستعين بالله العباسى أخلع عليه بأستدارية السلطان بالديار المصرية، فباشر المذكور بحرمة وعظمة، ونالته السعادة إلى أن تسلطن أستاذه الأمير شيخ المذكور، ولقب بالملك المؤيد فحينئذ عظم فى الدولة أكثر مما كان. واستمر على ذلك إلى أن عزل بفخر الدين عبد الغنى «بن أبى الفرج» فى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة سنة ست عشرة وثمانمائة، وتولى الإسكندرية عوضًا عن الأمير خليل النوريزى، المعروف بالشحارى، فتوجه إلى الإسكندرية، وباشر نيابتها إلى أن عزل بالأمير صُومَاى الحسنى فى ثالث عشر رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة، وقدم القاهرة، فأعيد إلى الأستادارية بعد عزل ابن أبى الفرج فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، فسار على سيرته أولا، وطالت يده لغياب ابن أبى الفرج، وزاد ظلمه وعسفه إلى ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة قبض عليه الملك المؤيد شيخ بعدما أوسعه سبًّا وهم بقتله حتى شفع فيه الأمير حقمق الأرغون شاوى الدوادار، فأسلم له على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ثلاثمائة ألف دينار، ونزل معه آخر النهار. وسبب قبض السلطان عليه تأخر جوامك المماليك السلطانية وعليق خيولهم. وكان فخر الدين بن أبى الفرج قد ولى كشف الوجه البحرى، وهو يواصل حمل المال إلى السلطان حتى كان ما حمله فى هذه المدة اليسيرة زيادة على مائة ألف دينار، سوى الخيول وغيرها، فطلبه السلطان، وولاه الأستادارية عوضه، وتقرر على ابن محب الدين هذا حمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار بعدما عُصِرَ فى بيت الأمير حقمق الدوادار وعوقب، ونقل إلى بيت الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج، أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات متعددة. وكان المشير هذا قد تزوج خوند حاج ملك زوجة الملك الظاهر برقوق، فقبض على زوجته القديمة الشريفة، وعوقبت حتى أظهرت مالا كثيرًا، ولم يتعرض أحد لزوجته خوند حاج ملك المذكورة ولا لجواريها. ثم طلبه السلطان وضربه ضربًا مبرحًا. ودام فى المصادرة مدة طويلة، ثم أفرج عنه. ولزم داره مدة إلى أن طلب وأخلع عليه باستقراره فى كشف الوجه القبلى فى يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب سنة تسع عشرة وثمانمائة، فتوجه إلى الصعيد وظلم وأبدع إلى أن عزل وصودر ثانيًا، وأهين ونكب. بعد مدة أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بطرابلس، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن مات الملك المؤيد شيخ «وتوجه الأتابك ططر إلى دمشق صحبة الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ» قبض على الأمير بدر الدين هذا بدمشق فى يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولا زال تحت العقوبة إلى أن هلك فى سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وكان رجلا طوالا، ظالما، مسرفًا على نفسه، منهمكا فى اللذات قليل الخير، كثير الشر. انظر المنهل الصافى ٥/ ٨٥ وما بعدها والدليل ١/ ٢٦٣، النجوم ١٤/ ١٣٧، الضوء ٣/ ١٠٢، نزهة النفوس ٢/ ٥٢٢، عقد الجمان حوادث سنة ٨٢٤.

وفى ثانى عشرينه: خلع على شهاب الدين أحمد الصفدى، موقع الأمير شيخ، واستقر فى نظر المارستان المنصورى - برغبة كاتب السر فتح الله له عنه - وفى نظر الأحباس، عوضا عن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله. وخلع على ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، واستقر فى توقيع الأمير شيخ، عوضا عن الشهاب الصفدى. وكان قد قدم إلى الأمير شيخ كما تقدم ذكره، وهو فى محاصرة الناصر، واختص به، فأخذه معه إلى مصر، وجعله من ندمائه الأخصاء.

وفى خامس عشرينه: خلع على الشيخ شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى، واستقر فى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، وعزل عنها تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله.

وفى هذا الشهر: نزل الأمير نوروز نائب الشام على حمص، وقد امتنع عليه الأمير أينال الرجبى، فلم يزل به حتى نزل إليه بأمان، فعصر كعبيه وأخذ أخته منه، وقتل ممن كان معه خمسة عشر رجلا، وبعثه مقيدا إلى قلعة دمشق، فسجن بها.

وسار نوروز إلى حماة، وكان الأمير دمرداش قد عاد إلى حلب، فخرج منها إلى جهة قلعة الروم، فدخل نوروز حلب، وعليه تشريفة، وأمر فقرئ تقليده الخليفتى بحضرة أهل الدولة. ثم مضى يريد عينتاب، وجعل نائب الغيبة بحلب الأمير سودن الجلب نائب طرابلس، ففر الأمير دمرداش وقطع الفرات. فعاد نوروز إلى حلب، وقدمها فى ثانى عشره، وقد مات سودن الجلب، فعين بنيابة طرابلس الأمير طوخ، ولنيابة حلب الأمير يشبك بن أزدمر.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء، يوافقه سابع عشر مسرى:

فيه أوفى ماء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير يلبغا الناصرى أمير مجلس، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح، والأمير طوغان الحسنى الدوادار، حتى خلق المقياس بحضرتهم، وفتح الخليج على العادة.

وفى رابعه: قدم الأمير نوروز من حلب إلى دمشق.

وفى يوم الخميس سادس عشره: قرئ تقليد أمير المؤمنين للأمير الكبير نظام الملك شيخ، بأنه فوض إليه ما وراء سرير خلافته.

وفى ثالث عشرينه: جلس الأمير الكبير نظام الملك شيخ بالحراقة من الإصطبل، وبين يديه قضاة القضاة، والأمراء، والوزير، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر

الخاص، وسائر أرباب الدولة، وقرأ كاتب السر عليه القصص كما جرت عادته بالقراءة بين يدى السلطان، فكان موكبا سلطانيا لم يعره إلا أنه عمل فى الإصطبل، ولم يعمل فى دار العدل، وأن الأمير جالس وليس تحته تخت الملك.

وفى رابع عشرينه: خلع الأمير نظام الملك شيخ على صدر الدين على بن الآدمى الحنفى، واستقر به فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم.

وفيه بعث الأمير نظام الملك بالأمير جقمق الدوادار إلى البلاد الشامية، ومعه تقاليد النواب الخليفتية باستقرارهم على عادتهم، وخلع عليه عندما سار.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى ثامنه: مات الأمير بكتمر جلق من مرض تمادى به نحو شهرين. أصله أن عقربا لسعته وهو عائد مع العسكر من دمشق، فاشتد ألمه منها، وأخذه الحمى. فنزل الأمير الكبير نظام الملك راكبا، وجميع الأمراء وغيرهم مشاة، حتى صلى عليه تحت القلعة، وعاد من غير أن يشهد دفنه. وخلا له الجو بموت بكتمر هذا، وصرح بما كان يكتمه من الاستبداد بالأمر، وعزم على ذلك، ثم أخره.

وفى ثانى عشره: خرج الأمير نوروز من دمشق لملاقاة أهله، خوند سارة ابنة الملك الظاهر، وقد سارت إليه من القاهرة، فلقيها بالرملة[1]، وهى مريضة،فتوجه بها إلى القدس، فماتت هناك، فدفنها . وولى فى إقامته بالقدس الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد الهروى[2] - ثم الرازى - تدريس الصلاحية، وكانت بيد الشيخ زين الدين أبى بكر بن عمر بن عرفات القمنى وهو مقيم بالقاهرة، وينوب عنه بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهايم، وقد مات.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الهروى (٧٦٧ - ٨٢٩ هـ ١٣٦٥ - ١٤٢٦م). محمد بن عطاء الله بن محمد الرازى الأصل، الهروى، أبو عبد الله، شمس الدين قاض، من فقهاء الشافعية، من ذرية الفخر الرازى أصله من الرى، ومولده بهراة. انتقل إلى فلسطين، وولى تدريس الصلاحية (بالقدس) سنة ٨١٥هـ ثم ولى القضاء بمصر مدة وتقلب فى مناصب كثيرة منها أمانة السر للملك الأشرف برسباى بمصر، واستقر أخيرا فى القدس إلى أن توفى. له كتب منها فضل المنعم، فى شرح صحيح مسلم وغيره. انظر الأنس الجليل ٢/ ٤٥٦ الضوء اللامع ٨/ ١٥١ - ١٥٥، البدر الطالع ٢/ ٢٠٦ شذرات الذهب ٧/ ١٨٩. الأعلام ٧/ ٢٦١.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، موقع الأمير الكبير نظام الملك، يقرأ القصص على الأمير الكبير بالإصطبل السلطاني، وقد انتصب فيه للحكم بين الناس، وجلس في المقعد الذى كان يقعد فيه الملك الظاهر برقوق، وابنه الملك الناصر فرج، وكان كاتب السر فتح الله قد قرأ بين يديه، كما كان يقرأ بين يدى من تقدم ذكره، فاختار أن يقرأ عليه موقعة، فانحط بذلك جانب فتح الله، وقل ترداد الناس إليه، وكثر الناس على باب ابن البارزى لطلبهم الحوائج.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: دعى لأمير المؤمنين المستعين با لله على منبر المسجد الحرام، بعدما دعى له فى ليلة الخميس على ظهر بئر زمزم[1]، واستمر ذلك فى كل ليلة على زمزم، وفى كل جمعة على منبرى مكة والمدينة، ولم يدع بها لأحد من الخلفاء الذين قاموا بديار مصر من بنى العباس، سوى المستعين هذا . وآخر من دعى له على منابر الحجاز من بنى العباس الخليفة المستعصم با لله. فلما قتله هولاكو فى سنة ست وخمسين وستمائة، انقطع الدعاء من الحرمين لبنى العباس، واستقر الحال بمكة على أن يدعى على منبرها وفوق زمزم لصاحب مصر، وصاحب اليمن، ولأمير مكة، من بنى حسن خاصة.

شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالث عشره: قدم الأمير نوروز من سفره إلى دمشق.

وفى تاسع عشرينه: خلع الأمير الكبير نظام الملك على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم، واستقر به فى مشيخة خانكاة شيخو، وعزل عنها قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى.

وفيه خلع أيضا على شيخ شمس الدين محمد البيرى أخى الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فاستقر به فى مشيخة خانكاة بيبرس، وعزل عنها الشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر، وكان قد استنزل عنها علاء الدين على الحلبى قاضى غزة، وباشرها مدة. فما زال يتوصل بقاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى، والقاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، إلى أن اشترك هو وأخو جمال الدين فى المشيخة.

وفى هذا اليوم: عقد مجلس عند الأمير الكبير نظام الملك بسبب أوقاف جمال الدين، وقد تقوى جانب أخيه شمس الدين، وزوج ابنة شرف الدين أبو بكر بن

---

(١) زمزم: هى البئر المباركة المشهورة. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٧، ١٤٨.

العجمى الحلبى الموقع، ومن بقى من ذرية جمال الدين يوسف الأستادار بانتمائهم إلى حاشية الأمير الكبير نظام الملك شيخ محكيهم بما نزل بهم فى أيام الناصر فرج، فقام معهم قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى وناصر الدين بن البارزى، حتى أعادوا إلى أخى جمال الدين مشيخة البيبرسية.

وقررا مع الأمير الكبير أن الناصر غصب هؤلاء حقهم وأخذ أوقافهم، وقتل رجالهم، وغرضهم فى الباطن تأخير كاتب السر فتح الله وإضاع قدره. فصادف مع ذلك عناية الأمير الكبير بجمال الدين فإنه كان عندما انتقل إليه - بعد موت الملك الظاهر - إقطاع الأمير بجاس وإمرته استقر عنده جمال الدين أستادار، وخدمه. ولم يترك خدمته فى مدة غيبته طرابلس ولا بدمشق، وهو يتولى نيابتها حتى أنه فى الحقيقة لم يقبض عليه إلا لممالأته الأمير شيخ كما تقدم ذكره، فأحضر فى هذا اليوم قضاة القضاة وأخو جمال الدين وابنته، وطلبوا كاتب السر فتح الله ليوقعوا عليه الدعوى، فإنه كان يتولى نظر المدرسة، فوكل فى سماع الدعوى ورد الأجوبه بدر الدين حسن البرديني - أحد خلفاء الحكم الشافعية - فلم يرض الأمير الكبير بذلك وأقام البدر البرديني، وأمر فتح الله بمحاكمتهم، فادعوا عليه وحكم صدر الآدمى برد أوقاف جمال الدين إلى ورثته حكما كله تهور ومجازفة فعصوا على ذلك، فانكسر فتح الله، وتبين فيه اتضاع القدر، واستطال عليه حاشية جمال الدين وغيرهم.

شهر شعبان المكرم، فيه تولى:

السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى

سرق من بلاده وهو صغير، فصار إلى تاجر يقال له محمود شاه اليزيدى، اشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة، وقدم به إلى القاهرة على ظهر بحر الملح، فى سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة، وعمره قريبا من اثنتى عشرة سنة، فأخذه السلطان الملك الظاهر بعد موت محمود هذا من تركته، ودفع إلى ورثته ثلاثة آلاف درهم، ورقاه فى خدمته، فعرف بشيخ المحمودى، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ثم بإمرة طبلخاناه، وجعله رأس نوبة، ثم سار من جملة أمراء الألوف. وولى نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام، وحاربه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق إلى أن انهزم وقتل، كما تقدم ذكره، وقدم بعد قتله إلى الديار المصرية من دمشق بالخليفة المستعين با لله. وفوض الخليفة إليه جميع الأمور، ولقبه نظام الدولة، فتصرف فى الولايات والعزل والأخذ والعطاء وغير ذلك، بحيث لم يكن للخليفة معه أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، وإنما هو مقيم فى دار وحشة بقصور قلعة

الجبل، وتحضر إليه المراسيم، فيكتب عليها بحسب ما يختاره الأمير شيخ، إلى أن كان يوم الإثنين مستهل شعبان هذا، واجتمع قضاة القضاة الأربع، وجميع الأمراء وكافة أرباب الدولة، بمجلس الخدمة مع الحراقة، وعمل الموكب على العادة، قام فتح الدين فتح الله كاتب السر على قدميه، وقال لمن حضر أن الأحوال ضائعة، ولم يعهد أهل نواحى مصر عندهم اسم الخليفة، ولا تستقيم الأمور إلا بأن يقوم سلطان على العادة. ودعاهم إلى الأمير شيخ، فقال الأمير شيخ: « هذا أمر لا يتم إلا برضى أهل الحل والعقد»، فقال من حضر من الأمراء بلسان واحد: « نحن راضون بالأمير الكبير». فمد قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى يده، وبايعه، فلم يختلف عليه أحد، وقام من فوره إلى مخدع بجانبه، ولبس الخلع السود الخليفتية، وتقلد بالسيف على العادة، وخرج شيخ فركب فرس النوبة، والأمراء وغيرهم مشاة، إلى أن عبر القصر الكبير من قلعة الجبل، فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وقبلوا يده.

فلما استقر له الأمر بعث وهو بالقصر القضاة إلى الخليفة ليسلموا عليه، ويشهدوا عليه بأنه فوض إليه السلطنة، كما جرت به عادة ملوك الترك بمصر، فدخلوا إليه وراودوه على ذلك، فتوقف فى الإشهاد عليه بتفويض السلطنة توقفا كبيرا. ثم اشترط أن يؤذن له فى النزول من القلعة إلى داره، وأن يحلف له السلطان بأنه يناصحه سرا وجهرا، ويكون سلما لمن سالمه، حربا لمن حاربه، فعاد القضاة إلى السلطان، وردوا الخبر عليه، وحسنوا عبارة الرد، فأجاب: « ليمهل علينا أياما، فإن الآن لا يمكن نزوله إلى بيته». فنزلوا إلى دورهم، وكانت مدة إقامة الخليفة حاكما - منذ جلسته خارج دمشق إلى هذا اليوم - سبعة أشهر وخمسة أيام.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: قدم الأمير جقمق الدوادار إلى دمشق، فتلقاه الناس، وأنزله الأمير نوروز بدار السعادة، وخلع عليه خلعة سنية، وفى ظنه أن الأمر بيد الخليفة. ثم سار بعد أيام إلى طرابلس.

وفى رابعه: نادى الأمير نوروز بدمشق ألا يتعامل أحد بالدراهم المغشوشة، وأن تكون المعاملة بالدراهم الخالصة التى استجد ضربها، وكانوا بدمشق يتعاملون بها جميعا إلى أن ضربت فلوس جدد، زنة الفلس منها مثقال، وكانت الدراهم المغشوشة قد فسدت بحيث لم يكد يوجد فيها - إذا سبكت - شيء من الفضة، وتعاملوا بينهم على صرف خمسة منها بدرهم خالص، مما وزنه نصف درهم فضة، ثم نودى بتسعير المأكل، فسعرت.

وفى سادسه: خلع السلطان الملك المؤيد على الأمير درباى أحد الطبلخاناة، وسيره إلى الأمير نوروز بخلعة استقراره فى نيابة الشام، ويعلمه بأنه تسلطن.

وفى ثامنه: جلس السلطان بدار العدل من قلعة الجبل، وعملت خدمة الإيوان على عادة من تقدم من السلاطين، وخلع بدار العدل على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر به أتابك العساكر، وعلى الأمير طوغان، واستقر كعادته دوادار السلطان، وعلى الأمير شاهين الأفرم، واستقر على عادته أمير سلاح، وعلى الأمير قنباى المحمدى، واستقر أمير أخور، وعلى الأمير سودن الأشقر، واستقر على عادته رأس نوبة النوب، وخلع على كاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، وعلى الوزير، والقضاة خلع الاستمرار، وفى هذا اليوم أعاد الأمير نوروز شرف الدين عيسى المغربى إلى قضاء المالكية بدمشق، وعزل شهاب الدين أحمد بن محمد الأموى، فتوجه إلى القاهرة.

وفى حادى عشره: خلع على شمس الدين محمد بن الجلال التبانى - أحد خواص السلطان - واستقر فى قضاء العسكر.

وفى سابع عشره: ورد الخبر إلى دمشق بسلطنة الملك المؤيد، بقدوم الأمير درباى، فتجهم نوروز لذلك.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير جقمق من طرابلس إلى دمشق فقبض عليه نوروز وسجنه، وأعاد الأمير درباى بجواب خشن، لم يخاطب فيه السلطان إلا كما كان يخاطبه من غير أن يعترف له بالسلطنة.

وفى هذا الشهر: نزلت لبيد [(١)] على تروجة[(٢)] وأفسدت فسار إليهم الأمير طوغان وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وعاد. فنزلوا بعد عوده على الإسكندرية وحصروها، فسار إليهم الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير درباى، واخبر بامتناع الأمير نوروز من لبس التشريف، وأنه قبض على الأمير جقمق واعتقله.

وفيه جمع اليهود والنصارى بزيادة جامع الحاكم من القاهرة. وحضر الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش - خطيب الجامع الطولونى - وشمس الدين محمد بن التبانى،

---

(١) هم بطن من سليم، مساكنهم ببلاد برقة. نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٣٧٤.
(٢) سبق ترجمتها.

قاضى العسكر، وصدر الدين أحمد بن العجمى محتسب القاهرة، وكتبت أسماؤهم لتؤخذ منهم الجزية بحسب قدرتهم، وعلى قدر أحوالها، فإنهم لا يزنون الجزية إلا مصالحة عن الجميع، بمبلغ بضعة وثلاثين ألف دهم فى السنة، فقام الجماعة المذكورون مع السلطان فى أن يؤخذ من كل واحد من أهل الذمة بمفرده، إن كان غنيا أخذ منه أربعة دنانير، وإن كان متوسط الحال فيؤخذ منه ديناران، وإن كان فقيرا أخذ منه دينارا واحدا.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: هرب الأمير أينال الرجبى من قلعة دمشق ومعه جماعة ممن كان مسجونا بها، وسار إلى صفد يريد القاهرة.

وفى سابع عشره: أرسل السلطان الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى رسولا إلى الأمير نوروز.

وفى تاسع عشرينه: خرج الأمير نوروز لملاقاة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش، وقد قدم ومعه على بن دلغادر، بعث به الأمير دمرداش، وقد كتب إليه الأمير نوروز يستدعيه إليه، فأكرمه الأمير نوروز وخلع عليه، وأنزله، ورتب، ولمن معه ما يليق بهم.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: توجه أقبغا الأسندمرى إلى الأمير دمرداش المحمدى، بتقليد نيابة حلب.

وفى سابعه: قدم ابن التبانى دمشق على الأمير نوروز، فمنعه من الإجماع بالناس وكتب يستدعى نواب البلاد الشامية إليها.

وفى يوم الخميس تاسعه: قبض على الأمير سودن المحمدى، وحمل من وقته إلى الإسكندرية، وقبض أيضا على فتح الدين فتح الله كاتب السر، وعوق بقلعة الجبل، وأحيط بداره. وقبض على حواشيه وأسبابه، فكانت مدة ولايته أربع عشرة سنة وثمانية وعشرين يوما، تعطل فيها. وعصر فى ليلة الجمعة، وألزم بمائتى ألف دينار، فتقرر معه الوزن على خمسين ألف دينار، بعدما ضرب ضربا مبرحا، ثم حمل فى ليلة الأحد ثانى عشره إلى بيت الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، وأخرجت حواصله فبيعت.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد البارزى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن فتح الله.

وفى هذا اليوم: قبض الأمير نوروز على نجم الدين عمر بن حجى وسجنه بقلعة دمشق، خشية أن يتوجه إلى القاهرة، فأقام خمسة عشر يوما، وأفرج عنه.

وفيه خرج محمل الحاج بدمشق.

وفى عشرينه: دار المحمل بالقاهرة، ولم يعهد تأخره إلى مثل هذا الوقت فيما مضى من السنين، وخرج أمير الحاج بيبغا المظفرى(١).

---

(١) بَيْبُغا بن عبد الله المظفرى الظاهرى (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م)، الأمير سيف الدين، أتابك العساكر بالديار المصرية. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ومن خاصكيته، ثم تنقل فى الدولة الناصرية فرج إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى أن تجرد الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، لقتال الأمير ابن شيخ المحمودى ونوروز الحافظى، وقدم الملك الناصر عدة أمراء أمامه جاليشا. وكان الأمير بيبغا هذا أيضًا فى الجاليش، وتوجهوا إلى أن قدموا دمشق، ودخل الجميع على والدى بدار السعادة، وهو ملازم للفراش، فباسوا يده، ثم شكوا من فعل الناصر بهم وبغيرهم من الأمراء والجند، وعرفوه توجههم إلى الأميرين وعصيانهم على الناصر، فنهاهم والدى نهيا هينا، ثم خرجوا من عنده وذهبوا بأجمعهم إلى الأمراء، وعصوا على الناصر، وكانوا عدة أمراء، فكان من أمراء الألوف: الأمير بكتمر جلق، والأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير بيبغا هذا وعدة أخر. واستمر بيبغا من حزب الأمير شيخ المحمودى ودخل معه إلى الديار المصرية بعد قتل الملك الناصر فرج فى السنة المذكورة بدمشق، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة، كما كان أولا، ثم إخراجه بعد مدة أتابكا بدمشق، فتوجه إلى دمشق، ودام بها إلى أن خرج نائبها قانى باى المحمدى عن طاعة الملك المؤيد شيخ، وعصى فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة، ثم قاتل أمراء دمشق، فكان بيبغا هذا من حزب الملك المؤيد، وقاتل قانى باى المذكور مع من انضم إليه من أمراء دمشق وغيرهم. ثم انكسر بيبغا وهرب إلى بعض البلاد الشامية إلى أن خرج الملك المؤيد من الديار المصرية، لقتال قانى باى، وانتصر عليه، وظفر به، وبالأمير أينال الصصلانى نائب حلب وغيرهما، فعند ذلك أنعم الملك المؤيد على بيبغا المذكور ثانيًا بتقدمة ألف بديار مصر، وأخذ معه، وعاد إلى القاهرة، فاستمر بيبغا على ذلك مدة يسيرة، وقبض عليه الملك المؤيد ثانيًا، وحبسه بثغر الإسكندرية إلى أن أطلقه الأمير ططر بعد موت الملك المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف على عادته، ثم صار أمير مجلس، ثم أمير سلاح. واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف برسباى أخلع عليه باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير طرباى بعد القبض عليه بمدة، وذلك فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وصار الأمير قجمق أمير سلاح، واستمر بيبغا على ذلك إلى أن قبض عليه الملك الأشرف برسباى فى يوم السبت تاسع عشرين شوال سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وحمله إلى الإسكندرية، فسجن بها مدة إلى أن أطلقه الملك الأشرف، ورسم له بالإقامة بثغر دمياط بطالا، فتوجه إليها، ودام بها إلى أن نقل إلى القدس بطالا أيضًا بشفاعة زوجته خوند قنقباى، أم الملك المنصور عبد العزيز الملك المظفر برقوق، فلم تطل أيامه بالقدس، وطلب إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف وصار أمير مجلس، لكنه كان يجلس فى الخدمة السلطانية=

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير طوخ من طرابلس إلى دمشق، وقدم أيضا الأمير قمش من حماة [١]، فخرج الأمير نوروز لملاقاتهما، وبالغ فى إكرامهما، والإنعام عليهما.

وفى ليلة السبت خامس عشرينه: حمل فتح الله إلى قلعة الجبل، وسجن بها.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير يشبك بن أزدمر من حلب، فخرج الأمير نوروز إلى لقائه وأكرمه إكراما كبيرا.

وفى سلخه: قدم كاشف الرملة إلى دمشق فارا؛ وذلك أن الأمير أينال الرجبى لما هرب من قلعة دمشق إلى صفد [٢] سار منها إلى القاهرة، فأقبل عليه السلطان، وجهزه إلى غزة، فخرج ومعه الأمير جانى بك الصوفى على عسكر، فنزلوا على غزة، وأخذوها للسلطان، فلما قدم كاشف الرملة إلى دمشق، وأخبر بقدوم عسكر مصر، كان الاتفاق قد وقع على عود النواب من دمشق إلى بلادهم، ليستعدوا ويعودوا، فيتوجهوا إلى غزة، فتغير رأيهم، وعينوا جماعة لتسير إلى غزة. وولى الأمير نوروز الأمير كستا نيابة غزة.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

فى رابعه: جمع الأمير نوروز قضاة دمشق وفقهائها بدار السعادة، ليسألهم ما حكم الله فى سلطنة الملك المؤيد شيخ، وسجنه للخليفة، وكان السلطان قد نقل الخليفة من القصر، وأنزله فى بعض دور القلعة، ومعه أهله وأولاده، ووكل به من يحفظه، ويمنع من يجتمع به، فأقام الفقهاء ساعة، ثم مضوا من غير شىء سئلوا عنه.

وفيه سار النواب من دمشق إلى بلادهم، وخرج الأمير نوروز مودعا الأمير يشبك ابن أزدمر.

وفى سابعه: سار على باك بن دلغادر من دمشق، بعدما خلع عليه الأمير نوروز،

=رأس الميسرة، بخلاف قاعدة أمراء مجلس، وذلك مراعاة لمنزلته السالفة، فأقام على ذلك مدة يسيرة ، وتوفى بالطاعون فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وله نحو خمسين سنة. وكان أميرا حليلا، مهابًا، شجاعًا، معظمًا فى الدولة، وعنده تعصب لمن يلوذ به ومروءة، لكنه سيئ الخلق، قوى النفس، له بادرة وخسة إلى الغاية مع سلامة باطن. وكان تركى الجنس مستحقًا بالجراكسة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٨٩: ٤٩٢، الدليل ١/ ٢٠٧، النجوم ١٥/ ١٥٩، الضوء ٢٢/٣.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

وأنعم عليه إنعاما بالغا. وكثر إنعام الأمير نوروز فى هذه المدة على الأمراء والمماليك، بحيث إنه أنعم على يشبك بن أزدمر بخمسة آلاف دينار، وعلى تغرى بردى ابن أخى دمرداش مرة بثلاثة آلاف دينار ومرة بخمسة آلاف دينار، وبلغت نفقته فى يوم واحد إلى أربعين ألف دينار، وعمر قلعة دمشق أحسن عمارة، وأخذ من الأمير غرس الدين خليل الأستادار فى مصادرته ما يزيد على مائتى ألف دينار.

وفى هذا الشهر: سار الأمير أينال الرجبى من غزة إلى جهة القدس، فهجم عليه كاشف الرملة، وقاتله فكسره. ثم قبض عليه وبعثه إلى دمشق، فقدم صحبة أينال الدوادار، وقد توجه إليه ليحضره فى سادس عشره وهو مقيد، فلما مثل بين يدى الأمير نوروز بصق فى وجهه، وأفرج عنه، وخلع عليه من غير أن يؤاخذه، فإنه زوج أخته، وكان بين فراره من قلعة دمشق وعوده أربعة وستين يوما.

وفيه أخذ عسكر الأمير نورز غزة، ولحق الأمير جانبك الصوفى ومن معه بصفد.

وفى تاسع عشره: سار الأمير سودن بن كستا من دمشق على عسكر يريد غزة، فنزل على قبة يلبغا، واستقل بالمسير فى حادى عشرينه.

وفيه مات الأمير طوغان نائب قلعة الروم، فأخذها الأمير دمرداش.

وفيه قطع الدعاء للخليفة بالحرمين، ودعى للسلطان الملك المؤيد، واستمر يدعى له بالصلاح قبل أن يدعى للسلطان نحو سنة، ثم قطع من أجل أن الدعاء للخليفة بمكة لم يكن يعهد من بعد قتل المستعصم، فكان مدة الدعاء للخليفة بتلك الأماكن نحو خمسة أشهر.

وفيه قدم ابن التبانى من دمشق.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله الجمعة:

فى ثالثه: خلع على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش بقلعة الجبل، واستقر به السلطان فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير نوروز، وخلع أيضا على الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى، واستقر به فى مشيخة خانكاة شيخو، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم، وكان قد توجه للحج.

وفى خامسه: تنكر أهل حلب على الأمير يشبك بن أزدمر، فركب عليهم وقاتلهم فغلبوه وهزموه، ففر منهم، وكان الأمير طوخ قد توجه من طرابلس إلى حماة، وأقام بها، فسار أهل طرابلس على مباشريه، وقتلوا أستاداره وولده، وأخرجوا الحاجب بعدما جرح جراحات بالغة.

وفى سادسه: عوقب كاتب السر فتح الله بالضرب على ظهره عقوبة شديدة بالغة، وعصر حتى أشفى على الموت، وأهين مع هذا إهانة من يطلب منه ثأر.

وفى ثامنه: حمل من القلعة إلى بيت تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر ناظر الخاص، فسجنه فى داره، ووكل به، وأخذ فى حمل المال المقرر عليه.

وفى تاسعه: قدم أقبغا الأسندمرى إلى حلب من جهة السلطان، وعلى يده تقليد الأمير دمرداش المحمدى نيابة حلب، وتشريفه، وكان دمرداش قد وصل إليها فى يوم الجمعة سابعه، فخرج من مدينة حلب، ولبس تشريف السلطان، وسار به فى مركب جليل إلى باب القلعة، فنزل، وصلى هناك ركعتين، وقبل الأرض خدمة للسلطان على العادة، ودعى باسم السلطان بحلب ومعاملتها وضربت السكة باسمه، وحلف الأمراء وأرباب الدولة على الطاعة للسلطان.

وفى ثامن عشرينه: عزل صدر الدين أحمد بن العجمى عن الحسبة بابن شعبان وقد وعد ابن شعبان بخمسمائة دينار يقوم بها، والتزم أن يحمل فى كل شهر مائة دينار. وعوق ابن العجمى فى بيت الأمير جانبك الدوادار، وألزم بمال يحمله.

وفى هذا الشهر: اشتد الغلاء بمكة أيام الموسم، فأبيع الشعير كل ويبة بدينارين، وكل ويبة فصى - وهو نوى التمر - بدينار ونصف، وكل رطل بشماط بعشرة دراهم فضة. ولم يحج أحد من العراق ولا من اليمن. وعز الفلفل بمكة، لطلب التجار له، فإنه قل بديار مصر، حتى بلغ الحمل إلى مائتين وعشرين مثقالا من الذهب، بعدما كان بستين مثقالا، فاشترى منه بمكة للسلطان من حساب خمسة وعشرين مثقالا الحمل، بمبلغ خمسة آلاف دينار. وحمل إلى القاهرة فبلغ الحمل بمكة خمسة وثلاثين دينارا هرجة، بعدما كان بعشرة مثاقيل.

وفى هذه السنة: توغل الأمير موسى بن عثمان فى بلاد النصارى، يأسر وينهب ويحرق، ثم عاد فوجد صاحب اصطنبول قد عدى بأخيه محمد بن عثمان إليه، وقد خامر الأمراء معه، فجرت بينهم حروب عظيمة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره

جمال الدين عبد الله بن محمد بن طميان[1]، المعروف بالطيمانى الشافعى، قتل

---

(١) عبد الله بن محمد (٨١٥ هـ ١٤١٢م). عبد الله بن محمد بن طيمان، جمال الدين الطيمانى: من فضلاء الشافعية. مصرى اشتهر فى دمشق، كان يلبس زى العجم، قريبا من زى الترك. قال ابن=

بدمشق فى الفتنة ليلة الجمعة ثانى صفر، وكـان مـن الفضـلاء، وانتقـل مـن القـاهرة إلى دمشق وسكنها.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن خليفة ابن عبد العال الدمشقى، المعروف بابن الحسبانى(١)، فى يوم الأربعاء عاشـر شـهر ربيـع الآخر، بدمشق، عن خمس وستين سنة وسـبعة أشـهر وأيـام. أفتـى، ودرس، وبـرع فـى العربية والفقه والحديث، وولى قضاء دمشق وخطابتها غير مرة، وقدم إلى القاهرة مرارا.

ومات قاضى القضاة محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبى الحنفى(٢) فى يـوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر، بحلب، عن ست وستين سنة . أفتـى ودرس بحلـب ودمشق والقاهرة وولى القضاء بحلب ودمشق، وبرع فى العربية والأدب وغيره.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بـن محمـد بـن عمـاد بـن علـى بـن الهـايم المصـرى الشافعى(٣)، بالقدس، فى جمادى الآخرة، عن سبع وخمسين سنة، درس بالقدس، وكـان قد تحول إليه من القاهرة، وبرع فى الحساب والفرائض.

* * *

=حجى: أفتى وصنف، واختصر شرح الغزى على المنهاج، وضم إليه أشياء من شرح الأذرعى. مـات مقتولا فى فتنة الناصر فرج بدمشق، بغير قصد من قاتله، وهو فى نحو ٤٧ سنة من عمره. انظر الضوء اللامع ٥/ ٥٠، شذرات الذهب ٧/ ١١١، الأعلام ٤/ ١٢٧

(١) ابن الحسبانى (٧٤٩ - ٨١٥ هـ = ١٣٤٩ - ١٤١٢م) أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال، المعروف بابن الحسبانى: حافظ، مؤرخ، من أهل دمشق، مولدا ووفاة. ولى قضاء القضـاة فيهـا غير مرة. من كتبه «جامع التفسير» و«طبقات الشافعية» ويقال إن كتبه تلفت كلها فى فتنة تيمـور لمـا استولى على الشام. انظر لحظ الألحاظ ٢٤٤، الضوء اللامع ٢٣٧/١، الأعلام ٩٧/١.

(٢) ابن الشحنة (٧٤٩ - ٨١٥ هـ = ١٣٤٨ - ١٤١٢م) محمـد بـن محمـد، أبـو الوليـد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى، له اشتغال بالأدب والتاريخ، من علمـاء حلـب. ولى قضاءهـا مرات، واستقضى بدمشق والقاهرة. لـه كتـب، منهـا «روض المنـاظر، فـى علـم الأوائـل والأواخـر». و«الرحلة القسوية بالديار المصرية»، وكتاب فى «السيرة النبوية» و«الموفقات العمرية للقرآن الشريف»، وغيرها. انظر إعلام النبلاء ١٦١/٥، الضوء اللامع ٣/١٠، الأعلام ٤٤/٧.

(٣) ابن الهاشم (٧٠٣ - ٨١٥ هـ = ١٣٥٢ - ١٤١٢م). أحمد بن محمـد بـن عمـاد الديـن بـن على، أبو العباس، شهاب الدين، بن الهاشم: من كبـار العلمـاء بالرياضيـات مصرى المولـد والنشـأة. انتقل إلى القدس، واشتهر ومات فيها. من تصانيفـه «اللمـع -ط» فـى الحسـاب، و«غايـة السـول فـى الإقرار بالمجهول - خ» فى الجبر والمقابلة، و«مرشد الطالب - خ» حساب، و«المقنع - خ» مـع شـرح لـه، فـى الجبر، وغيرهـا. انظـر الأنـس الجليـل ٤٥٦/٢، وشـذرات الذهـب ١٠٩/٧، البـدر الطـالع ١١٧/١، الأعلام ٢٢٦/١.

سنة ست عشرة وثمانمائة

أهلت هذه السنة، وسلطان مصر والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى، والخليفة المستعين با لله، ممنوع من التصرف، موكل به، وأتابك العسكر الأمير يلبغا الناصرى. والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى. وأمير أخور الأمير قنباى المحمدى. وكاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وقضاة القضاة على ما كانوا عليه فى السنة التى قبلها، ما عدا الحنفى، فإنه قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الدمشقى.

والمباشرون على ما كانوا عليه، ما عدا الأستادار، فإنه الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى، وحاجب الحجاب الأمير أينال الصصلانى، ووالى القاهرة الأمير تاج الدين تاج بن سيفا الشويكى، ونائب الإسكندرية الأمير غرس الدين خليل الجشارى، ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثمانى، والشام كله بيد الأمير نوروز الحافظى، وهو يدعو على المنابر بها لأمير المؤمنين المستعين با لله، ويضرب السكة باسمه، ويفتتح كتبه التى يبعثها إلى البلاد ومراسيمه التى تصدر عنه، بالإمامى المستعينى. ما خلا حلب، فإنها بيد السلطان، ونائبه بها الأمير دمرداش المحمدى.

شهر ا لله المحرم أوله الأحد:

يوافقه اليوم الثالث من نيسان، واليوم الخامس من برمودة: وسعر الذهب بالقاهرة، ما كان من الهرجة فبمائتين وخمسين درهما كل مثقال، وما كان من الإفرنتى فكل دينار بمائتين وثلاثين درهما، وما كان من الناصرى فبمائتين وعشرة دراهم الدينار، والقمح من مائة وثمانين الأردب إلى ما دونها، وبلغ الكتان كل رطل إلى ثلاثين درهما. وهذا شىء لم نعهده قط بمصر، فغلا لغلائه جميع أصناف الثياب، حتى أبيع الثوب القطن البعلبكى بعشرين مثقالا.

وفى رابع عشره: نقل فتح ا لله محمولا من بيت ابن أبى شاكر، ولعجزه عن الحركة، وسلم إلى الأمير تاج الدين والى القاهرة، فأنزله بدار أقام بها وحيدا فريدا، يقاسى ألم العقوبة، ويترقب الموت، وخرج من القاهرة جماعة لضبط ما يصل من أصناف المتجر، صحبة الحاج، فساروا إلى عقبة أيلة، ففر كثير من التجار، وتوجهوا نحو الشام، ففات أهل الدولة منهم مال كبير.

وفى عشرينه: سافر الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من القاهرة يريد أخذ دمشق.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير بيبغا المظفرى بالمحمل وبقية الحاج.

وقدم الخبر بمفارقة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش لدمشق، وقدومه إلى صفد منتميا إلى السلطان، فسر بذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل، واشتد الأمر على صدر الدين أحمد بن العجمى فى حمل ما ألزم به، وهو خمسمائة دينار، وقد تأخرت عليه من ألف دينار، فباع موجوده، وأورد نحو ثلاثمائة دينار.

وفى هذا الشهر: تزايد الطاعون فى الناس بالقاهرة ومصر، وكان ابتداؤه من أخريات ذى الحجة الحرم، وهب يوم النحر ريح فى غاية الشدة من ناحية الجنوب، واستمرت أياما، ففشا الطاعون والحميات الحادة المحرقة فى الناس، لاسيما الأطفال والشباب.

وأهلت السنة، ويموت فى كل يوم ممن يرد الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين، والوقت ربيع. وقد صار حارا يابسا، ورياحه كلها جنوبية، وحره خارج عن المعتاد، فكثر الوباء، وناف عدة من يرد الديوان على المائة.

وفى سلخه: أفرج عن صدر الدين بن العجمى، وخلع عليه، وقرر فى نظر المواريث، وأفردت عن الوزير، وألزم أن يحمل ما يتحصل من ذلك إلى خزانة السلطان.

وفى هذا الشهر: ثار بالسلطان وجع المفاصل.

شهر صفر، أوله الإثنين:

أهل والوباء يتزايد، ثم تناقص من نصفه. وذلك أن الشمس لما نقلت إلى برج الثور رطب الحر المحرق، واستمر الوقت رطبا مدة عشرين يوما، ثم انقلب الزمان فى آخر برج الثور إلى حر مفرط، وسموم محرقة، فتزايدت الأمراض، حتى تجاوز عدد من يرد الديوان من الأموات مائة وعشرين، فعز وجود البطيخ الصيفى من كثرة ما يطلب للمرضى، حتى بيعت نصف بطيخة بخمسمائة درهم، عنها مثقالان من الذهب، وعز أيضا وجود الماء وأقبل الناس فى أخذ جمال السقائين، فبلغت الراوية خمسة عشر درهما، وأبيعت خمس بطيخات بألفى درهم، عنها ثمانية مثاقيل ذهبا.

وفى تاسعه: سار الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من غزة، وقد وصل إليها يريد صفد، ومعه أخوه تغرى بردى نائب حماة، وقد بعث إليه السلطان بولايتها، وخرج الأمير ألطنبغا العثمانى فى أثرهما من الغد، لمساعدتهما، فبلغهم عود الأمير نوروز من حلب إلى دمشق، فأقاموا على الرملة.

وفى ثامن عشرينه: قدم أقبغا الأسندمرى بجواب الأمير دمرداش ونواب القلاع بطاعتهم، وصحبته قاصد عثمان بن طر على وغيره من أمراء التركمان، ودمرداش، والفضة المضروبة بالصكة المؤيدية.

شهر ربيع الأول ، أوله الثلاثاء، ثم استقر الأربعاء:

وفى ثانيه: منع خدم فتح الله من الدخول إليه، فأقام إلى ليلة الأحد سادسه، فخنق وأخرج به من الغد، فدفن بتربته خارج باب المحروق. ولم يشيع جنازته أحد من الناس.

وفيه وقع حريق فى الدور بقلعة الجبل عظم أمره، واستمر إلى يوم الأربعاء تاسعه، وهم فى إطفائه فاحترق فيه رجل ومات.

وفى سابعه: سمر الأمير فارس المحمودى، ثم وسط تحت القلعة، وهو أحد أمراء الطبلخاناه من الأيام الناصرية، وسبب ذلك أنه وشى للأمير طوغان الدوادار، وللأمير شاهين الأفرم بأن السلطان الملك المؤيد عزم على قبضهما، فاجتمعا بالسلطان وأعلماه بذلك، فقبض عليه وقتله.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى أوله حمل الأمير قصروه[1] إلى ثغر الإسكندرية، فسجن بها .

وفى ثامن عشره: خلع على شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد المغربى المالكى الأموى قاضى دمشق، واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، وعزل شمس الدين محمد ابن المدنى.

وأما أخبار الشام، فإن الأمير نوروز كتب فى خامس عشرين المحرم كتابا إلى السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ جرى فيه على عادته من مخاطبته بمولانا، وافتتحه بالإمامى المستعينى. ولم يخاطبه فيه كما يخاطب السلطان، فكان يتضمن العتب على ولايته الأمير دمرداش حلب، وابن أخيه الأمير تغرى بردى حماة، وبن أخيه الآخر الأمير قرقماش طرابلس وتقديمهم عليه، وقد تقدمت بينهما عهود، فإن كان القصد أن يستمر على الأخوة، ويقيم على العهد فلا يتعرض إلى ما هو بيده، وينقل دمرداش من نيابة حلب إلى نيابة طرابلس، ويستقر قرقماش أميرا بمصر. ثم خرج من دمشق يريد محاربة دمرداش، حتى نزل حماة فى تاسع صفر.

---

(١) هو قصروه بن عبد الله الظاهرى، المتوفى ٨٣٩ هـ انظر الضوء اللامع ٦/ ٢٢٢، المنهل الصافى ٣/ ورقة ٢٧ ب، ٢٨ب.

فلما بلغ ذلك الأمير دمرداش، خرج من حلب فى حادى عشره، ومعه الأمير بردبك أتابك حلب، والأمير شاهين الأيدكارى[١] الحاجب، والأمير أردبغا الرشيدى، والأمير جربغا، وبقية العسكر. ونزل العمق، فحضر إليه الأمير كردى بن كندر، وأخوه الأمير عمر، وأولاد أوزر، ودخل الأمير نوروز إلى حلب فى ثالث عشره، بعدما تلقاه الأمير أقبغا جركس نائب القلعة بالمفتاح، فولى الأمير طوخ نيابة حلب، والأمير يشبك الساقى نيابة قلعتها، وعمر بن الهيذبانى حاجب الحجاب، والأمير قمش نيابة طرابلس. ثم خرج منها فى تاسع عشره، ومعه الأمير يشبك بن أزدمر يريد دمشق، فقدمها فى سادس عشرينه . وسار الأمير دمرداش بمن معه إلى حلب فنزل على بانقوسا فى هذا اليوم، فقاتله النوروزية قتالا شديدا إلى ليلة ثامن عشرينه، قدم عليه الخبر بأن العجل بن نعير[٢] قد أقبل لمحاربته نصرة للأمير نوروز، فلم يثبت لعجزه عنه، ورحل من ليلته إلى العمق، ثم سار إلى أعزاز، فأقام بها.

فلما كان عاشر ربيع الأول: بعث طوخ نائب حلب عسكرا إلى سرمين، وبها آق بلاط - دوادار الأمير دمرداش - فكبسوه، فثار عليهم، هو وشاهين الأيدكارى، ومن معهما من التراكمين، وقاتلوهم، وأسروا منهم كثيرا، بعثوا بهم إلى دمرداش، فسجن أعيانهم فى قلعة بغراص[٣]، وجدع أنافى أكثرهم، وأطلقهم عراة، وقتل بعضهم.

فعندما بلغ طوخ الخبر ركب من حلب، ومعه قمش إلى تل السلطان[٤]، وقد نزل عليه العجل بن نعير، وسألاه أن يسير معهما لحرب دمرداش، فأنعم بذلك، وتأخر قليلا. فبلغهما أنه قد اتفق مع دمرداش على مسكهما فاستعدا له، وترقباه حتى ركب إليهما فى نفر قليل، ونزل عندهما ودعاهما إلى ضيافته، وألح عليهما فى ذلك. فثار به، ومعهما جماعة من أصحابهما، فقتلوه بسيوفهم، فى رابع عشرين ربيع الأول ورحلا من

---

(١) شاهين عبد الله الأيدكارى، الأمير سيف الدين، حاجب حجاب حلب. ولاه الملك المؤيد شيخ حجوبية حلب، لما ولى الأمير دمرداش المحمدى نيابة حلب، فى أوائل دولته عند خروج الأمير نوروز من الطاعة، واستمر على ذلك إلى أن توجه الملك المؤيد إلى البلاد الشامية، فى سنة عشرين وثمانمائة، عزله عن حجوبية حلب بالأمير تمراز الأعور. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢١١، ٢١٢ والدليل الشافى ١/ ٣٤١.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) بغراس: مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس. انظر معجم البلدان ١/ ٤٦٧.

(٤) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيدق. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٢.

فورهما عائدين إلى حلب، وكتبا بالخبر إلى نوروز، وطلبا منه النجدة، فإن حسين ابن نعير جمع العرب، ونزل على دمرداش، وسار به إلى حلب، وحصرها، فصعد طوخ وقمش إلى القلعة، واشتد القتال بينهم، فانهزم دمرداش.

واتفق فى ربيع الأول أيضا أن شخصا يسمى عثمان بن أحمد بن عثمان بن محمود ابن محمد بن على بن فضل بن ربيعة، يعرف بابن ثقالة، من فقهاء دمشق، قدم إلى أرض عجلون، وادعى فى أوله أنه السفيانى، وظهر بقرية الجيدور[١] وحلف أهل البلاد وأقطع الإقطاعات، وأمر عدة من الناس، وقال: «أنا السلطان الملك الأعظم السفيانى»، فاجتمع عليه خلق كثير، من عرب وترك وعشير، بألوية خضر إلى وادى البايس من جبل عوف بمعاملة عجلون، وبث قصاده بكتبه، ووقع عليها تحت البسملة السفيانى، ونصها: «إلى حضرة فلان أن يجمع فرسان هذه الدولة السلطانية، الملكية، الإمامية، الأعظمية، الربانية، المحمدية، السفيانية، أعلاها الله تعالى وشرفها، وأنفذها فى الآفاق، وصرفها ويحضروا بخيلهم ورجالهم وعددهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، ومجاهدين فى سبيل الله تعالى، ومقاتلين، لتكون كلمة الله هى العليا، والاعتماد على العلامة الشريفة أعلاه أعلاها الله تعالى».

ثم دخل عجلون فى تاسعه، بعسكر كبير، فيه سلاح دارية، وطبر دارية، فأقطع الإقطاعات، وكتب على القصص، يكتب كما يكتب السلطان، فقبل الناس الأرض بين يديه فى ساعة واحدة، وهم زيادة على خمسمائة رجل، فى وقت واحد معا، وخطب له على منبر عجلون، فقيل السلطان الملك الأعظم السفيانى، ونادى ببلاد عجلون أن مغل هذه السنة يسامح به الناس فلا يؤخذ منهم منه، وفيما بعدها يؤخذ منهم العشر فقط، ويترك أخذ الخراج وأخذ المكس، فإن حكم الترك قد بطل، ولم يبق إلا حكم أولاد الناس.

فثار عند ذلك غانم الغزاوى به، وجهز إليه طائفة طرقوه وهو بالجامع وقاتلوه، وقبضوا عليه، وعلى ثلاثة من أصحابه، بعدما ركب وقاتلهم، فاعتقل الأربعة بقلعة عجلون. وكتب بالخبر إلى السلطان، فنقله إلى قلعة صفد، واعتقله بها.

ثم إن الأمير نوروز سار من دمشق يريد غزة، ففر منها قرقماس ابن أخى دمرداش بمن معه، ونزل على الصالحية بطرف الرمل، وعاد نوروز من غزة إلى دمشق، فقدمها فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر هذا.

---

(١) الجيدور: كورة من نواحى دمشق فيها قرى، وهى فى شمال حوران. انظر معجم البلدان ١٩٧/٢.

شهر جمادى الأولى، أوله الأحد:

فى يوم الأربعاء رابعه: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان، وعدى النيل حتى خلق المقياس بين يديه، وفتح الخليج على عادة من تقدمه من الملوك فكان ذلك تاسع مسرى، فقال الأديب تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى - أحد ندماء السلطان - يخاطبه:

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا ... ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى ... وحقك بعد الكسر أيام نوروز

وفى يوم الخميس خامسه: قبض السلطان على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر ناظر الخاص، واعتقله بقلعة الجبل، وأحاط بعامة أسبابه وحاشيته، وقبض أيضا على الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيرى، وخلع على تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، واستقر به فى الوزارة، فعاد إلى زى الكتاب، كما كان قبل أن يلى الأستادارية. وتسلم ابن البشيرى، ونزل به إلى داره.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الجيش، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن ابن أبى شاكر، وخلع على علم الدين داود ابن الكويز، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن ابن نصر الله.

وفى حادى عشره: ضرب شمس الدين محمد ابن الحاج عمر بن شعبان، محتسب القاهرة بين يدى السلطان بالإسطبل أكثر من ثلاثمائة ضربة بالعصى، وكتب عليه إشهاد، وحلف أنه لا يسعى فى وظيفة الحسبة.

وفى يوم الخميس المبارك ثانى عشره: خلع على قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى، وأضيف إليه حسبة القاهرة، عوضا عن ابن شعبان، ولم نعهد قبله الحسبة أضيفت إلى قاضى القضاة.

وفيه خلع الأمير جانباك الصوفى، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير سودن الأشقر، وكان جانباك قد قدم من غزة هو وألطنبغا العثمانى وتغرى بردى، قرقماس ابنا أخى دمرداش، فأقام الخوان على قطيا، ودخل جانباك والعثمانى إلى القاهرة قبل يومه.

وفيه خلع على الأمير سودن الأشقر، واستقر أمير مجلس.

وفى سادس عشره: أشيع بالقاهرة أن الأمير طوغان الدوادار استعد للركوب على السلطان، وقد اتفق معه جماعة من الأمراء والمماليك، فلما كان الليل انتظر أن يأتيه أحد من أصحابه، فلم يأته، حتى قرب الفجر، فرأى مملوكين، وأصبح الناس يوم الثلاثاء سابع عشره يتوقعون الحرب، والأسواق مغلقة، فنادى السلطان بالأمان، وأن من أحضر طوغان فله ما عليه، مع خبز فى الحلقة. ولم يحرك ساكن إلى ليلة الجمعة عشرينه، ووجد طوغان قد اختفى بمدينة مصر، فأخذ وحمل إلى القلعة، وأرسل إلى الإسكندرية مع الأمير طوغان المؤيدى أمير أخور، فسجن بها.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: قبض على الأمير سودن الأشقر أمير مجلس والأمير كمشبغا العيساوى أمير شكار، وتوجه بهما الأمير برسباى، فسجنهما بالإسكندرية.

وفى ثانى عشرينه: وسط أربعة أحدهم مغلباى نائب القدس من جهة نوروز وكان الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش قد قبض عليه، وبعثه إلى السلطان واثنان من مماليك السلطان، وآخر من أصحاب طوغان الدوادار.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: أنعم بإقطاع طوغان الدوادار على الأمير أينال الصصلانى، وبإقطاع الأمير سودن الأشقر على الأمير تنباك البجاسى نائب الكرك، وخلع على الصصلانى، واستقر أمير مجلس، عوضا عن سودن الأشقر، وخلع على الأمير قجق، واستقر حاجب، عوضا على الصصلانى، وخلع على الأمير شاهين الأفرم خلعة الرضى، لأنه اتهم بممالأة طوغان.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الأمير جانباك، أحد المماليك المؤيدية، والدوادار الثانى من أمراء الطبلخاناة، واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن طوغان. وخلع على الأمير شرباش كباشة، واستقر أمير جاندار.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج كاشف الشرقية والغربية، واستقر أستادارا، وعزل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وخلع على الأمير بدر الدين، واستقر مشير الدولة.

ولم يكن فى جمادى الآخرة كثير شىء تجدد.

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى سادسه: قدم من دمشق الأمير جار قطلو أتابكها، فارا من نوروز، فخلع عليه.

وفى ثامنه: أعرس الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان بابنة الملك الناصر خوند، التى كانت تحت الأمير بكتمر جلق، وعمل مهم حسن.

وفى ثانى عشره: قدم الأمير ألطنبغا القرمشى نائب صفد باستدعاء، وقد استقر عوضه فى نيابة صفد الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وعزل عن نيابة الشام من أجل أنه لم يتمكن منها. وصار يتردد من حين خرج من القاهرة فيما بين غزة والرملة. واستقر أخوه تغرى بردى فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير ألطنبغا العثمانى.

وفى خامس عشره: خرج الأمير نوروز من دمشق يريد صفد، فنزل من الغد على القنيطرة، قريبا من طبرية [١] وكان قرقماس ابن أخى دمرداش قد قدم إلى صفد، فلما بلغه ذلك قصد أن يسكن قلعتها بمماليكه، وينزل فيها معه أخاه تغرى بردى، فلم يتمكن من ذلك فجرد، وركب من يوم الجمعة خامس عشره، وعاد إلى الرملة. وبعث الأمير نورز أينال دواداره إلى بيسان لجمع العشير.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير بيسق الشيخى من بلاد الروم، وكان الملك الناصر قد أخرجه إليها.

وفيه أيضا خلع على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، واستقر أستادار الذخيرة والأملاك، كما كان بعد جمال الدين الأستادار قبل أن يلى نظر الخاص. وذلك بعدما عصر وضرب، وأخذ منه نحو خمسين ألف دينار.

وفى عشرينه: خلع على الأمير منكلى بغا العجمى، أحد دوادارية الملك الظاهر برقوق الصغار، واستقر حاجبا ومحتسب القاهرة، عوضا عن قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى. ولم يعهد قبل ذلك تركيا تولى الحسبة.

وفى هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى خمسة عشره أصبعا وعشرين ذراعا.

وفيه فشت الأمراض فى الناس من حميات، ونزلات، وسعال. فعز السكر النبات والرمان، حتى بلغا أربعة أمثال سعرهما، وكانت أمراض سليمة، لم يكن معها موتان.

وقدم الخبر أنه كان ببلاد الروم فناء عظيم، وأنه امتد إلى حلب وحماة، وفشت الأمراض بدمشق، كما فشت بأرض مصر.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى سابع عشره: عزل صدر الدين أحمد بن العجمى من نظر المواريث، وتحدث فيها الطواشى زين الدين مرجان الهندى خازندار السلطان.

---

(١) طبرية: هى بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهى فى طرف جبل وجبل الطور مطل عليها، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور. انظر معجم البلدان ٤/ ١٧ وما بعدها.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأنزله. وذلك أن الأمير نوروز لما توجه من دمشق يريد صفد، وبعث يجمع الرجال، لم يثبت الأخوان تغرى بردى وقرقماس، فسارا إلى مصر، وقدم قرقماس إلى مصرى، وأقام أخوه تغرى بردى على قطيا، وهذه كانت عادتهما فى الأيام الناصرية، أنهما لا يجتمعان عنده قط حذرا من القبض عليهما، وإنما إذا اضطر أحدهما وحضر إليه، كان الآخر نائبا عنه.

شهر رمضان، أوله السبت:

فيه قدم الأمير دمرداش المحمدى ، فأجل السلطان مقدمه، وخلع عليه خلعة جليلة إلى الغاية، ونزل إلى داره، وكان من خبره أنه لما انهزم على حلب - كما تقدم ذكره - اجتمع إلى أصحابه وقد تحير فى أمره، بين أن ينتمى إلى الأمير نوروز ويصير معه على رأيه - وكان نوروز قد بعث إليه بألف دينار، ودعاه إليه - وبين أن يقدم على السلطان، فأشار عليه جل أصحابه بالانتماء إلى نوروز، فلم يوافقهم، وركب البحر حتى نزل دمياط، واستأذن فى القدوم، فأذن له السلطان.

وفى سادسه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى مشيخة التربة التى أنشأها الملك الناصر فرج على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر، وعزل عنها زين الدين حاجى.

وفيه كتب بنقل الأميرين سودن الأشقر، وكمشبغا العيساوى من سجن الإسكندرية إلى دمياط.

وفى سابعه: بعث السلطان الأمير سودن القاضى والأمير قجقار القردمى، والأمير أقبردى رأس نوبة، والأمير يشبك شاد الشرابخاناه إلى الشرقية، وأظهر أنهم خرجوا لكبس المفسدين من العربان. وأسر إليهم أن يقبضوا على الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش - المعروف بسيدى صغير - وكان نازلا على الصالحية، فساروا.

وفى ليلة السبت ثامنه: استدعى السلطان الأمراء للفطر عنده، ومد لهم سماطا يليق بهم، فأكلوا معه، وتباسطوا فلما رفع السماط، قبض على الأمير دمرداش المحمدى وعلى ابن أخيه الأمير قرقماس، وقيدهما، وبعثهما من ليلته إلى الإسكندرية، فاعتقلا بها.

وفى يوم الإثنين عاشره: قدم الأمراء ومعهم الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش،

مقيدا فسجن بقلعة الجبل، ثم قتل فى آخر شوال، وأراح الله بالقبض على هؤلاء الثلاثة فتنا كثيرة، وأراح منهم العباد والبلاد، فإنهم كانوا قد أكثروا فى الأرض الفساد، من لإقامة الفتن وإثارة الشرور.

وفى هذا اليوم أيضا: خلع على قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر ، عوضا عن صدر الدين على بن الآدمى، بعد موته.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير قنباى المحمدى أمير أخور كبير، واستقر فى نيابة الشام، ونزل من باب السلسلة فى يومه، فسكن بداره، وخلع أيضا على الأمير أينال الصصلانى أمير مجلس، واستقر فى نيابة حلب، وخلع أيضا على الأمير سودن قراصقل، واستقر فى نيابة غزة.

وخلع على الأمير ألطنبغا القرمشى، واستقر أمير أخور كبيرا، عوضا عن الأمير قنباى.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فى ثامنه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين المشير، واستقر فى نيابة الإسكندرية، وعزل خليل الجشاوى.

وفى حادى عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، وأعيد إلى نظر المواريث. وتسلم ذلك من الطواشى مرجان.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى يوم الخميس ثالثه: عدى السلطان النيل، ونزل على أوسيم؛ فألزم الأمير التاج والى القاهرة النصارى واليهود بحمل ثلاثمائة مروقة خمر، فوزعت على الأسارى المعروفين ببيع الخمر، وعلى بقية النصارى، وعلى طوائف اليهود الثلاث، وجبيت منهم بعنف وعسف وضرب، وأخذ الخمر من النصارى بالمقارع، واحتاج الجميع إلى كلف كثيرة لأعوان الوالى، ولمن حمل الجرار إلى بر الجيزة، حيث أمروا، وطلب أيضا باعة الفواكه وأصحاب البساتين أن يحملوا النرجس ونحوه من المشموم، فجبى ذلك منهم، حتى عز وجود البنفسج بعد ذلك، وأبيع بخمسة وعشرين درهما الباقة بعد درهم. وأقام السلطان إلى يوم الإثنين حادى عشرينه، وعدى النيل، وصعد إلى قلعة الجبل، فنصب جاليش السفر من يومه، وأخذ فى التأهب هو والأمراء.

وفى خامس عشرينه: جلس السلطان لعرض الأجناد المماليك.

وفيه توجه الأمير أينال الصصلانى نائب حلب، والأمير سودن قرا صقل نائب غزة، إلى جهة الشام، ونزلا بالريدانية خارج القاهرة.

شهر ذى الحجة أوله الخميس، ثم استقر الأربعاء:

فى سادس عشره: توجه الأمير قنباى المحمدى نائب الشام إليها، ونزل بالريدانية.

وفيه استدعى السلطان داود بن المتوكل على الله [1] من داره، فحضر بين يديه بقلعة الجبل، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، فعندما رآه قام له، وقد ألبسه خلعة سوداء، وأجلسه بجانبه، بينه وبين قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى، فدعا القضاة، وانصرفوا على أن داود بن المتوكل على الله استقر فى الخلافة، ولم يقع خلع الخليفة المستعين بالله تعالى، ولا أقيمت بينه بما يوجب شغور الخلافة عنه، ولا بويع داود هذا، بل خلع عليه فقط، ولقب بأبى الفتح المعتضد بالله أمير المؤمنين. وكانت العادة بديار مصر أن يدعى على منابرها أيام الجمع، وفى الأعياد للخليفة، ويذكر كنيته ولقبه، من حين المستعين بالله فى أيام المعتضد غير أن من الخطباء من يقول: «اللهم أصلح الخليفة» من غير أن يعينه؛ ومنهم من يقول: «اللهم أيد الخلافة العباسية ببقاء مولانا السلطان» ومنهم من يقتصر على الدعاء للسلطان.

وفيه أنفق السلطان على المماليك مائة دينار ناصرى لكل واحد، برسم السفر.

وفى عشرينه: خرج الأمير سودن من عبد الرحمن ونزل بالريدانية، وخرج الأمير سودن القاضى أيضا.

وفيه رحل الأمير قنباى نائب الشام من الريدانية.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن التبانى قاضى العسكر، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بدمشق.

وفى سابع عشرينه: نصب خام السلطان تجاه مسجد تبر، من أجل سفره إلى الشام.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة كانت يوم الجمعة.

---

(١) المعتضد بالله (٧٥٠ - ٨٤٥ هـ = ١٣٥٤ - ١٤٤١م). داود بن المتوكل على الله محمد بن المعتضد الأول أبى بكر بن سليمان، أبو الفتح، المعتضد بالله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية بمصر، بويع له بالقاهرة بعد القبض على أخيه المستعين بالله العباس (سنة ٨١٦هـ) واستمر إلى أن توفى عقب مرض طويل. انظر التبر المسبوك ٢٥، ابن إياس ٢/ ٢٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٤. الأعلام ٢/ ٢٣٤.

وفى ثامن عشرينه: تنكر السلطان على الوزير تاج الدين بن الهيصم، وضربه وبالغ فى إهانته، ثم خلع عليه خلعة الرضا.

ذى الحجة: وفى هذا الشهر قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من بلاد الصعيد، فى ثالث عشرينه، بخيل وجمال وأبقار وأغنام كثيرة جدا، وقد جمع المال من الذهب وحلى النساء مع السلاح والغلال وغير ذلك من العبيد والإماء والحرائر اللاتى، استرقهن. ثم وهب منهن وباع باقيهن. وذلك أنه عمل فى بلاد الصعيد كما تعمل رءوس المناسر إذا هم هجموا ليلا على القرية وتمكنوا بها، فإنه كان ينزل على البلد فينهب جميع ما فيها من غلال وحيوان، وسلب النساء حليهن وكسوتهن، بحيث لا يسير عنها إلى غيرها حتى يتركها أوحش من بطن حمار، فخرب بهذا الفعل بلاد الصعيد تخريبا يخشى من سوء عاقبته، فلما قدم إلى القاهرة شرع فى رمى الأصناف المذكورة على الناس من أهل المدينة وسكان الريف بأغلى الأثمان، ويحتاج من ابتلى بشىء من ذلك أن يتكلف لأعوانه من الرسل ونحوهم شيئا كثيرا، سوى ما عليه من ثمن ما رمى عليه.

وفيها ملك برصا الأمير محمد بن عثمان بعد قتل أخيه موسى.

وفيها نزل الأمير محمد بن قرمان على مدينة برصا وحرقها وحصر قلعتها، حتى كاد أن يملكها، فلما بلغه قتل الأمير موسى رحل إلى بلاده.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره:

الأمير عمر بن السلطان الملك المؤيد شيخ، فى خامس عشرين صفر، وقد تجاوز عشر سنين، فدفن بالقبة التى أنشأها الملك الناصر فرج بن برقوق تجاه قبة أبيه الظاهر برقوق التى على قبره.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن خليل الغراقى - بفتح الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة وكسر القاف - الشافعى، رحمه الله، الأربعاء، خامس شهر شعبان، بعدما تصدى بالجامع الأزهر من القاهرة عدة سنين للتدريس فى الفقه والفرائض والحساب طول نهاره، وكان بارعا فى ذلك، وكان على طريقة مشكورة.

ومات فخر الدين عثمان بن إبراهيم[1] بن أحمد البرماوى الشافعى شيخ الإقراء

---

(١) عثمان بن إبراهيم بن أحمد (٨٢٦ هـ = ١٤١٣ م) الشيخ الإمام فخر الدين البرماوى الشافعى شيخ القراء بالمدرسة الظاهرية برقوق. كان إماما بارعا فى معرفة القراءات. توفى فجأة بعد=

بالمدرسة الظاهرية برقوق، فى يوم الإثنين تاسع عشرشعبان فجأة وقد خرج من الحمام. وكان إماما بارعا فى معرفة القراءات وتوجيهها، عارفا بالفقه والحديث والعربية، جميل الشام.

ومات قاضى القضاة صدر الدين على بن أمين الدين محمد بن محمد بن الآدمى الدمشقى الحنفى[١]، فى يوم السبت ثامن شهر رمضان، وقد تجاوز الأربعين. وكان أديبا بارع النظم، ونظر فى الفقه، ذكيا. ولى قضاء القضاة الحنفية بدمشق والقاهرة، وولى كتابة السر، ونظر الجيش بدمشق، ولم يكن مرضى الديانة.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجى بن موسى السعدى الحسبانى[٢] الأصل، الدمشقى المولد والوفاة، فى ليله الجمعة سادس المحرم، عن خمس وستين سنة، ولى خطابة جامع بنى أمية، ودرس وأفتى، وقدم القاهرة فى الرسالة عن الأمير شيخ قبل أن يلى السلطنة، وكان عارفا بالفقه والحديث والعربية.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى الشافعى، فى رابع المحرم، ومولده بقرية باعونة من قرى عجلون، فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، تخمينا. ولى قضاء القضاة بدمشق، وخطابة بيت المقدس. ودرس وقال الشعر، وقدم القاهرة.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى، الشافعى،

=خروجه من الحمام فى يوم الإثنين تاسع عشر شعبان سنة ست عشرة وثمانمائة. والبرماوى نسبة إلى برمة، بلدة بالغربية من أعمال القاهرة بالوجه البحرى، وإليها ينتسب جماعة كثيرة من الفقهاء وغيرهم. انظر المنهل الصافى ٧/ ٤١١ والدليل الشافى ١/ ٤٣٨، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٢، أنباء الغمر ٣/ ٢٦، نزهة النفوس ٢/ ٣٣٦، الضوء اللامع ٥/ ١٢٣.

(١) ابن الآدمى (٧٦٨ - ٨١٦ هـ = ١٣٦٦ - ١٤١٣م) على بن محمد بن محمد، أبو الحسن، صدر الدين بن الآدمى: قاض، من الشعراء الكتاب المترسلين مولده ووفاته فى دمشق. باشر كتابة السر فى دمشق ثم قضاءها. وجمع له فى دولة المؤيديين الفقهاء والحسبة. وأصيب مرارًا وامتحن من أجل اختصاصه بالمؤيد. وأكثر من مدح ابنه ناصر الدين محمد، له «ديوان - خ». انظر الضوء اللامع ٨/٦، مطالع البدور ١/٤، ٢،٨٤، الأعلام ٥/٧.

(٢) ابن حجى (٧٥١ - ٨١٦ هـ = ١٣٥٠ - ١٤١٣م) أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد السعدى الحسبانى الأصل، الدمشقى، شهاب الدين بن علاء الدين: حافظ مؤرخ، من أهل دمشق، ومات فيها. ويلقب بمؤرخ الإسلام، انتهت إليه مشيخة الشيوخ فى البلاد الشامية. وصنف كتب جليلة منها «الدارس من أخبار المدارس» و«جمع المفترق» فوائد فى علوم متعددة، و«معجم» فى أسماء شيوخه. انظر الضوء اللامع ٢٦٩/١، القلائد الجوهرية ١١٢، النعيمى ١٣٨/١، التبيان - خ - شذرات الذهب ١١٦/٧، الأعلام ١/ ١١٠.

المعروف بابن الأخناى، فى نصف شهر رجب، عن نحو ستين سنة. ولى قضاء القاهرة بغزة ودمشق وحلب وديار مصر عدة سنين، وكان قليل العلم.

ومات الأمير مبارك شاه الظاهرى فى شهر رمضان، ولى كشف الوجه القبلى، ووزارة الديار المصرية، والأستادارية، والحجوبية. وكان تبعا يخدم الملك الظاهر برقوق وهو جندى، فرقاه لما تأمر ثم لما تسلطن.

ومات قاضى المدينة النبوية زين الدين أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبى الفخر بن نجم العثمانى المراغى، المعروف بابن حسن الشافعى، فى سادس عشر ذى الحجة، وقد قارب التسعين. كان من الفقهاء الفضلاء، شرح منهاج النووى(١)، وكتب تاريخا للمدينة النبوية. وولى قضاءها وخطابتها وإمامتها. وهو من مصر، وسكن المدينة حتى مات.

ومات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد القرشى النوفلى الغزى الشافعى(٢)، المعروف بابن زقاعة - بضم الزاى المعجمة وتشديد القاف وفتح العين المهملة - فى ثانى عشرين ذى الحجة، عن اثنتين وسبعين سنة، أخبرنى مرارا أن مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان عارفا بعدة فنون من الأعشاب وغيرها، وله نظم كثير وتقدم فى الأيام الظاهرية برقوق، واشتمل على عقيدته.

ومات شهاب الدين أحمد المعروف بابن الشنبل - بضم الشين المعجمة، ثم نون ساكنة بعدها باء موحدة مضمومة - الحمصى الشافعى، قدم القاهرة وولى منها قضاء القضاة بدمشق فى آخر سنة ست وثمانمائة، ثم عزل بعلاء الدين على بن أبى البقاء بعد أشهر، وكان عارفا بالفقه، خفيفا، طائشا.



---

(١) يقصد كتاب النووى المشهور منهاج الطالبين فى مختصر المحرر فى فروع الشافعية . انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٧٣ - ١٨٧٦ وهو كتاب مطبوع.

(٢) ابن زقاعة (٧٢٤ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٣ - ١٤١٤م) إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، أبو إسحاق برهان الدين القرشى النوفلى الغزى المعروف بابن زقاعة ويقال ابن سقاعة: إنسان عجيب. من أهل غزة، بدأ خياطا، وقرأ على شيوخ بلده ونظم كثيرا مما يسميه بعض الناس شعرا. وتفرد فى معرفة الأعشاب ومنافع النبات فكان يصف أشياء منها للأوجاع كالأطباء، ويسترزق بالعقاقير. وتزهد وساح فى طلب الأعشاب. انظر الضوء اللامع ١/ ١٣٠، النجوم ١٤، ١٢٥، شذرات ٧/ ١١٥، الأعلام ١/ ٦٤، ٦٥.

سنة سبع عشرة وثمانمائة

أهلت هذه السنة، وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد، والسلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وأتابك العساكر الأمير الكبير يلبغا الناصرى، وقاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى الشافعى، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد ابن كمال الدين عمر بن العديم الحلبى، وقاضى القضاة المالكية شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى المغربى، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد ابن سالم بن عبد الملك المقدسى، وكاتب السر ناصر الدين محمد بن عثمان بن البارزى الحموى، والوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله بن حسون الفوى، وناظر الجيش علم الدين داود بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز الكركى. والأستادار الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، ونائب الإسكندرية الأمير المشير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد ا لله الطرابلسى، ونائب غزة الأمير سودن قرا صقل. والشام كله بيد الأمير نوروز الحافظى ويقيم الخطبة ويضرب السكة باسم أمير المؤمنين المستعين با لله، وهو مقيم فى داره بقلعة الجبل، وقد منع من التصرف.

شهر ا لله المحرم، أوله يوم الجمعة:

أهل وسعر الدينار الهرجة بمائتى درهم وخمسين درهما، والدينار الأفرنتى بمائتى درهم وثلاثين درهما، والدينار الناصرى بمائتى درهم وعشرة دراهم، وهو أكثرها وجودا، والفلوس هى النقد الرائج الذى ينسب إليه قيم المبيعات، وأجر الأعمال، وصرف الذهب، وسعر الأردب من القمح من مائة وأربعين إلى ما دونها، ويباع فى الريف كل ثلاثة أرادب مصرية بناصرى، وثياب القطن والكتاب فى غاية من الغلو.

وفى ثالثه: هبت ريح شديدة تلاها رعد مرعب، ومطر غزير، وسقط مع ذلك بمدينة مصر خاصة برد بقدر البندقة كثير جدا، بحيث ألقى على أسطحة الدور منه قناطير، وأخرب عدة دور، فخزن الناس منه شيئا كثيرا وبيع فى الأسواق بعد ذلك كل رطل بستة دراهم، ولم يسقط منه بالقاهرة شىء ألبتة.

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب السلطان من قلعة الجبل بعد طلوع الفجر، وسار إلى

مخيمه بالريدانية تجاه مسجد تبر من غير تطليب فى قليل من العسكر، ثم خرجت الأطلاب فى أثناء النهار، وعمل نائب الغيبة الأمير ألطنبغا العثمانى، وأنزله بباب السلسلة، وعمل بالقلعة الأمير بردى قصقا . وكان قد قدم إلى القاهرة مع الأمير دمرداش المحمدى من حلب فى البحر، فأنعم عليه السلطان بإمرة مائة، ووكل بباب الستارة الأمير صماى الحسنى، وجعل للحكم بين العامة الأمير قجق حاجب الحجاب.

وفى يوم الجمعة ثامنه: رحل الأمير يلبغا الناصرى من الريدانية خارج القاهرة جاليش بمن معه من الأمراء.

وفيه خلع على زين الدين حاجى، وأعيد إلى مشيخة التربة الظاهرية برقوق خارج باب النصر، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى، وخلع على صدر الدين، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، وأعيدت المواريث إلى ديوان الوزارة كما كانت .

وفى يوم السبت تاسعه: استقل السلطان بالمسير من طرف الريدانية يريد محاربة الأمير نوروز، ومعه الخليفة المعتضد با لله داود، وقضاة القضاة الأربع، وأرباب الدولة، ما عدا الأمير فخر الدين الأستادار، فإنه تأخر بالقاهرة إلى يوم الجمعة خامس عشره، وخرج يريد المشى فى بلاد الوجه البحرى ليجبى أموالها، فنزل مدينة قليوب، ثم رحل منها وقد ذعر منه أهل النواحى خوفا بما نزل منه بأهل الوجه القبلى، فبعث رسله واستدعى أكابر البلاد، وقرر عليهم أموالا جبيت منهم، ثم عاد بعد أيام بأحمال موقرة ذهبا، وتوجه إلى السلطان.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: نزل السلطان بغزة، ورحل منها فى تاسع عشرينه.

شهر صفر أوله الأحد:

فى ثامنه: نزل السلطان على قبة يلبغا - خارج دمشق - وقد استعاد نوروز وحصن القلعة والمدينة، فأقام السلطان أياما، ثم رحل ونزل بطرف القبيبات. وكان السلطان - من الخربة - قد بعث قاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى إلى الأمير نوروز ومعه قرا أول المؤيدى فى طلب الصلح، فامتنع من ذلك، ووقعت الحرب، فانهزم نوروز، وامتنع بالقلعة فى سادس عشرينه ونزل السلطان بالميدان، وحاصر القلعة، ورمى عليها بالمكاحل، والمدافع والمنجنيق، حتى بعث نوروز بالأمير قمش الأمان، فأجيب، ونزل من القلعة، ومعه الأمراء طوخ، ويشبك بن أزدمر، وسدن كستا، وقمش، وبرسبغا[1]،

---

(١) بَرسْبُغَا بن عبد الله الظاهرى الدوادار (٨٢٠ هـ تخمينًا = ١٤١٧ م)، الأمير سيف الدين. كان من أعيان مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن صار دوادارًا صغيرًا فى الدولة الناصرية فرج، ثم صار من جملة أمراء الألوف بدمشق، ثم وافق الأميرين شيخ ونوروز إلى أن قتل الناصر، صار من=

وأينال، فقبض عليهم جميعا فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر وقتل من ليلته، وحملت رأسه على يد الأمير جرباش إلى القاهرة، وعلى يده كتب البشارة.

وذلك أن الأمير كزل نائب طرابلس قدم فى العشر الأخير من صفر، وقاتل عسكر نوروز، فركب السلطان بمن معه، فانهزم النوروزية إلى القلعة، وملك السلطان المدينة، ونزل بالإسطبل ودار السعادة، وحصر القلعة.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى: قدم رأس نوروز، فعلق على باب القلعة، وارتجت البلد، ونودى بتقوية الزينة.

وفيه خرج السلطان من دمشق، ونزل برزة، ورحل منها فى ثانيه يريد حلب، فلما قدمها أقام بها إلى آخره، ثم سار منها أول جمادى الآخرة، ومضى إلى أبلستين، وأقام بها أياما، ودخل إلى ملطية، واستناب بها الأمير كزل المذكور، ثم عاد إلى حلب، وأقر بها الأمير أينال الصصلانى. وولى بحماة الأمير تنباك البجاسى، وبطرابلس الأمير سودن من عبد الرحمن، وبقلعة الروم جانباك الحمزاوى، بعد ما قتل نائبها طوغان، ثم قدم دمشق فى ثالث شهر رجب، فقرر بنيابتها الأمير قنباى المحمدى، وسار منها.

أول شعبان: قد وصل السلطان إلى القدس، ومضى إلى غزة، فولى نيابتها الأمير طرباى فى ثانى عشرينه، وسار فنزل على سرياقوس يوم الخميس رابع عشرين شعبان، فأقام هناك بقية الشهر، وعمل أوقاتا بالخانكاه، أنعم فيها على أهلها وغيرهم بمال جزيل. وركب يوم الأربعاء سلخه، ونزل تجاه مسجد تبر، وبات هناك.

=جملة أعوان نوروز الحافظى، ولما خامر نوروز على الملك المؤيد شيخ وافقه أيضًا، واستمر معه إلى أن ظفر المؤيد شيخ بنوروز المذكور، وبمن معه من الأمراء وغيرهم. حبس برسبغا هذا بحبس المرقب مدة، وكان معه فى الحبس أيضًا الأمير برسباى الحاجب حتى برز مرسوم المؤيد بقتله، وقدم البريد عليه بذلك. وقبل أن يعلموا بالخبر، قرأ نائب المرقب المرسوم، فغلط القارئ، وقال برسباى – يعنى برسباى الحاجب –، فدخل النائب له، وأعلمه، فقام من وقته برسباى المذكور وتوضأ، وصلى ركعتين على صفة عجيبة، بعد أن حل به من البلاء والجزع ما لا مزيد عليه، وأوصى، ثم قعد للقتل. والعادة أن يعطى المرسوم فى يد المقتول حتى يقرأه، ويُقرأ عليه. فلما أخذ برسباى المرسوم، ليقرأه، وقد آيس عن روحه بعد أن قال: ما يحتاج قَرْأَهُ، فقال له النائب: هذه العادة، ولا بد من ذلك، فتأمل المرسوم، فإذا فيه بقتل برسبغا الدوادار، صاحب الترجمة، فأخذ وقتل، ونجا برسباى، فكان برسباى كثيرًا ما يحكى هذه الحكاية. وكان قتل برسبغا المذكور بقلعة الرقب، قبيل سنة عشرين وثمانمائة تخمينًا. وكان يميل إلى دين وخير، ويتفقه يسيرًا، ويكتب هيئة، وكان عفيفًا عن المنكرات، إلا أنه كان كثير الشرور والفتن. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

وفى هذا الشهر: خرج فى سادس عشرينه الأمير أينال الصصلانى من حلب ومعه العسكر وجماعة من التركمان والعرب، يريد قتال حسين بن نعير.

شهر رمضان، أوله يوم الخميس:

فيه سار السلطان من الريدانية، وصعد قلعة الجبل، فانتفض عليه ألم رجله من ضربات المفاصل، وانقطع بداخل الدور.

وفيه قدم الأمير يشبك نائب الكرك إليها، فوجدها خرابا، وقد تهدم أكثر قلعتها، ونفد ما كان بها حاصلا من السلاح وغيره.

وفى ثامنه: أخرج الأمير جرباش كباشة[1] منفيا إلى القدس، ورسم بإخراج الأمير أرغون الرومى - أمير أخور فى الأيام الناصرية - بطالا إلى القدس أيضا، فسأل أن يتأخر إلى بعد العيد، فأجيب، ثم سار بعد عيد الفطر.

وفيه خلع على الأمير ألطنبغا العثمانى، واستقر أتابك العساكر عوضا عن الأمير يلبغا الناصرى بعد موته.

وفى يوم السبت عاشره: ركب السلطان من القلعة إلى خارج باب النصر، وشق القاهرة، وصعد القلعة، فهدمت الزينة.

وفى ثانى عشره: قبض على الأمير قجق حاجب الحجاب، والأمير بيبغا المظفرى، والأمير تمان تمر أرق، وحملوا فى الحديد إلى الإسكندرية، صحبة الأمير صماى.

وفيه خلع على الأمير ألطنبغا العثمانى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، وخلع

---

(١) جرباش بن عبد الله الظاهرى (٨١٨ هـ = ١٤١٥)، الأمير سيف الدين، المعروف بكباشة حاجب الحجاب بحلب. هو أيضًا من مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن صار أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية فى دولة ابن أستاذه الناصر فرج، ثم له أمور فى دولة الملك المؤيد شيخ، وآل أمره إلى أن ولى حجوبية حلب الكبرى بعد شاهين الأيدكارى، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن عصى نائبها الأمير أينال الصصلانى على الملك المؤيد شيخ موافقة للآمير قانى باى المحمدى نائب الشام، فوافقهما أيضا الأمير بيبرس المذكور مع من انضم عليهما من النواب بالبلاد الشامية وغيرهم ثم وقع ما حكيناه فى غير موضع من قتالهم مع المؤيد وانهزامهم والقبض عليهم، ولما قبض المؤيد على أينال نائب حلب، قبض أيضا على جرباش هذا معه، وعلى غيرهن وقتل الجميع فى العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وجاءت رءوسهم إلى الديار المصرية، وعلقت على باب النصر أياما. وكباشة: اسم فروة من جلود الأغنام، كان يلبسه جرباش هذا. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٥٤، ٢٥٥، الدليل الشافى ١/ ٢٤٢، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٦.

على قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكى[١] وأعيد إلى القضاة المالكية بديار مصر، وعزل شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى المغربى[٢].

وفى ثالث عشره: كتب للأمير صوماى الحسنى[٣] المسفر بالأمراء أن يستقر فى نيابة الإسكندرية، وأن يحضر الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين إلى القاهرة.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير سودن القاضى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير قجق، وعلى الأمير قجقار القردمى، واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير جانبك الصوفى رأس نوبة، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير شاهين الأفرم، وقد مات. وخلع على الأمير كزل العجمى الأجرود - حاجب الحجاب فى الأيام الناصرية - واستقر أمير جاندار، عوضا عن الأمير جرباش كباشة.

وفيه قبض على ثلاثة من أمراء العشرات، وهم طقز ونفاه إلى الشام، ومنطاش نفاه إلى صفد، وتنبك القاضى نفاه إلى طرابلس، وأخرج خاصكيا يعرف بسودن الأعراج إلى قوص منفيا.

وفى سابع عشره: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من الإسكندرية.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير تنبك ميق، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير جانباك الصوفى، وخلع على الأمير أقباى الخازندار واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير جانباك بعد موته.

---

(١) عبد الله بن مقداد (٧٤٥ - ٨٢٣ هـ ١٣٤٤ - ١٤٢٠م).عبد الله بن مقداد بن إسماعيل، جمال الدين الأقفهسى، ثم القاهرى، ويقال له الأقفاصى: قاض فقيه مالكى، انتهت إليه رئاسة المذهب والفتوى بمصر.ولى القضاء وحمدت سيرته إلى آخر حياته، وهو من تلاميذ الشيخ خليل. شرح المختصر لشيخه وله المقالة فى شرح الرسالة.انظر نيل الابتهاج ١٥٥، شجرة النور ١/ ٢٤٠، الضوء اللامع ٥/ ٧١.الأعلام ٤/ ١٤٠.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد، قاضى القضاة شهاب الدين الأموى المالكى، قاضى قضاة دمشق. كان أولا ولى قضاء القضاة بالشام إلى أن ولى بديار مصر فى الدولة المؤيدية شيخ، ثم عزل وولى بعد مدة قضاء دمشق إلى أن مات فى يوم الثلاثاء، حادى عشر صفر سنة ست وثلاثين وثمانمائة. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٨٢/١، والنجوم الزاهرة ١٧٨/١٥، أنباء الغمر ٥٠٣/٣، الضوء اللامع ٣٦٩/١.

(٣) صوماى بن عبد الله الحسنى الظاهرى (٨٢٠ هـ = ١٤١٧ م)، الأمير سيف الدين أحد أمراء الديار المصرية، رأس النوبة فى الدولة الناصرية ثم المؤيدة.. وكان تركيا سليم الباطن، عديم الشر. انظر المنهل الصافى ٦/ ٣٥٦، الدليل الشافى ١/ ٣٥٦، الضوء اللامع ٣/ ٣٢٣.

وفيه أفرج عن الأمير كمشبغا العيساوى من سجنه بدمياط[1] وقدم القاهرة، ونقل الأمير سودن الأسندمرى، والأمير قصروه، وشاهين الزردكاش، وكمشبغا الفيسى أمير أخور إلى دمياط.

وفى خامس عشرينه: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين للسلطان مائة فرس وثيابا وسلاحا، فكانت قيمة ذلك خمسة عشر ألف دينارا.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وأعيد إلى الأستادارية، وكان ابن أبى الفرج - لما سار من القاهرة إلى الشام كما تقدم - داخله خوف من السلطان، ففر فى أوائل شهر رجب - وهو بمدينة حماة - إلى جهة بغداد، وسد تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر - وهو يلى نظر الديوان المفرد - أمور الأستادارية فى هذه المدة.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، حتى بيع كل ثلاثة أرادب من القمح بدبنار، وكل أربعة أرادب شعير بدينار.

وفيه كثرت الدراهم الفضة بأيدى الناس، وكان قد بعد عهد أهل مصر بها. وفقدوها، وتركوا المعاملة بها من نحو ثلاثين سنة وأزيد. وكانت هذه الدراهم مما جلبه العسكر وأتباعهم من البلاد الشامية، وهى صنفان: أحدهما يقال له الدراهم النوروزية، وهى التى ضربها الأمير نوروز كما تقدم ذكره، ونقش عليها اسم أمير المؤمنين المستعين با لله العباس بن محمد، وزنة الدرهم منها نصف درهم فضة خالصة من النحاس، والصنف الآخر الدراهم البندقية، وهى التى تضرب ببلاد الفرنج، وعليها سكتهم، وهى فضة خالصة.

شهر شوال:

فى أوله: حمل إلى الإسكندرية الأمير سودن الأسندمرى وقصروه وكمشبغا الفيسى أمير آخور وشاهين الزردكاش، فسجنوا بها، وكتب بإحضار الأمير كمشبغا العيساوى من دمياط.

وفيه أمر السلطان بضرب الدراهم المؤيدية فضربت.

---

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهى ثغر من ثغور الإسلام. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٢ وما بعدها.

وفيه ولى السلطان عدة ولاة فى نواحى أرض مصر، وضرب جماعة، وقتل عدة من مشايخ النواحى.

وفيه جلس السلطان شيخ بالإصطبل من القلعة للحكم بين الناس، كما جلس الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الملك الناصر فرج، وجعل ذلك فى كل يوم ثلاثاء وجمعة وسبت، ورد كثيرا من المحاكمات إلى القضاة.

وفيه خسف جميع جرم القمر فى ليلة الخميس رابع عشره، ومكث منخسفا نحو أربع ساعات.

وفيه كثرت الدراهم النوروزية والبندقية بأيدى الناس فى ديار مصر، وحسن موقعها من كل أحد.

وفيه تراخى سعر الغلة، بحيث أبيع فى بلاد البحيرة كل خمسة أرادب مصرية بمثقال ذهب، وهذا شىء لم نعهد مثله.

وفيه اشتدت وطأة الأمير بدر الدين حسن الأستادار على الرسل والبرددارية المرصدين بباب الأستادار لقضاء الأشغال، والتصرف فى الأمور وكانوا منذ أيام الأمير جمال الدين يوسف الأستادار قد كثر عددهم، وتزايدت أموالهم، حتى تبلغ نفقة الواحد من آحادهم الألف درهم فى اليوم، فمال عليهم، وصادر جماعة منهم.

وفيه اشتد السلطان فى أيام جلوسه للحكم بين الناس على المباشرين من الكتاب الأقباط، وضرب جماعة منهم بالمقارع، ووضع منهم، ولهج بذمهم، فذعروا ذعرا زائدا.

وفيه ألزم اليهود بمبلغ ألفى مثقال من الذهب، وألزم النصارى بثمانية عشر ألف مثقال، لتتمة عشرين ألف مثقال، وذلك فى نظير تفاوت ما كانوا يقومون به فيما مضى من الجزية، وتولى استخراج ذلك منهم زين الدين قاسم البشتكى المعروف بسيدى قاسم.

وفى يوم السبت آخره: خلع على الأمير تاج الدين التاج الشويكى والى القاهرة، واستقر فى حسبة القاهرة، مضافا لما بيده من الحجوبية والولاية، وقبض على الأمير منكلى بغا العجمى، وسلم إليه ليحمل مالا قرر عليه، فأقام عنده أياما، ثم أفرج عنه.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى يوم الإثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعدى النيل إلى بر الجيزة،

ونزل على ناحية أوسيم، وتبعه الأمراء والمماليك، وخرجت الزردخاناة فأقام أياما، ثم توجه إلى ناحية البحيرة لقبض مشايخها، فأقام على تروجة، وولى الأمير كمشبغا العيساوى كشف الوجه البحرى، واستمر هناك إلى آخر السنة.

وفى هذا الشهر: وقع وباء بكورة البهنسى، واستمر بقية السنة.

وفى هذه المدة: كثر حمل شجر النارنج، حتى أبيع كل مائة وعشر حبات نارنج بدرهم بندقى، زنته نصف درهم فضة، عنه من الفلوس رطلان، فيكون باثنى عشر درهما، و لم نعهد مثل هذا، وقال لى شيخنا - الأستاذ قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون - «ما كثر النارنج بمدينة إلا أسرع إليها الخراب».

ووقع فى الخامس من ذى الحجة بمكة ، أن الأمير جقمق أمير الحاج المصرى، ضرب أحد عبيد مكة، وقيده لكونه يحمل السلاح فى الحرم، وكان قد منع من ذلك، ثارت فتنة انتهكت فيها حرمة المسجد الحرام، ودخلت الخيل إليه، عليها المقاتلة من قواد مكة العمرة لحرب الأمير جقمق، وأدخل هو أيضا خيله المسجد، فباتت به تروث، وأوقدت فيه مشاعله، وأمر بتسمير أبواب المسجد، فسمرت كلها إلا ثلاثة أبواب، ليمتنع من يأتيه .ثم أنه أطلق الذى ضربه، فسكنت الفتنة من الغد، بعدما قتل جماعة. و لم يحج أكثر أهل مكة من كثرة الخوف. ونهب بمأزمى[1] عرفة جماعة وجرحوا، وقدم الخبر بأن الأمير يغمور بن بهادر الذكرى - من أمراء التركمان - مات هو وولده فى يوم واحد بطاعون فى أول ذى القعدة، وأن قرا يوسف انعقد بينه وبين شاه رخ بن تيمورلنك[2] صلح، وتصاهرا.

وفيها نزل ملك البرتقال من الفرنج على مدينة سبتة فى ثلاثمائة مركب، وأقام بجزيرة فيما بينها وبين جبل الفتح - يقال لها طرف القنديل - مدة، حتى مل المسلمون الذين

---

(١) تثنية المأزم، موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة.انظر معجم البلدان.

(٢) شاه رخ بن تيمور لنك (٨٥١ هـ = ١٤٤٧ م) هو القان معين الدين، سلطان هراة، وسمرقند، وشيراز، وما والاهم من بلاد العجم وغيرها، ملك البلاد بعد ابن أخيه خليل بن أميران شاه ابن تيمور، فإنه كان لما مات والده تيمور بأهنكران من شرقى سمرقند وثب خليل المذكور على الأمر وتسلطن، وبلغ شاه رخ هذا الخبر فى هراة فجمع ومشى عليه، ووقع بينهما حروب وخطوب إلى أن ملك شاه رخ المذكور واستقل بممالك العجم وعراقه، وعظم أمره وهابته الملوك، وحمدت سيرته وشكرت أفعاله، وقدمت رسله إلى البلاد المصرية مرارا عديدة. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٩٩ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٤٠ نظم العقيان ص ١١٨ الضوء اللامع ٣/ ٢٩٢، البدر الطالع ١/ ٢١٧.

حشروا بسبتة من الجبال، ونفدت أزوادهم، وعادوا إلى جبالهم، فطرقها عند ذلك الفرنج، وقاتلوا المسلمين، وهزموهم، وركبوا أقفيتهم، وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه، ومروا على وجوههم، فتملك البرتقال سبتة فى سابع شعبان منها. وكان لذلك أسباب، منها إن بنى مرين - ملوك فاس - لما ملكوها ساءت سيرتهم فى أخذ أموال أهلها، ثم أن موسى بن أبى عنان، لما ملك، أعطى سبتة لأبى عبد الله محمد بن الأحمر، فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة؛ فلما استرد بنو مرين سبتة ساءت سيرة عمالهم بها، وكثر ظلمهم، فوقع الوباء العظيم بها، حتى باد أعيانها، وكان من فساد ملك بنى مرين وخراب فاس وأعمالها ما كان، فاغتنم الرند ذلك، ونزلوا على سبتة، فلم يجدوا فيها من يدفعهم، ولله عاقبة الأمور.

وفيها كانت وقعة بين الأمير محمد بن عثمان وبين الأمير محمد بن قرمان، انهزم فيها ابن قرمان، ونجا بنفسه.

وفيها أحرق قبر الشيخ عدى بجبل هطار من بلاد الأكراد، وهذا الشيخ عدى هو عدى بن مسافر الهكارى [1]- بتشديد الكاف - صحب عدة من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد، وهو من أعمال الموصل، وبنى له به زاوية، فمال إليه بتلك النواحى من بها، واعتقدوا صلاحه، وخرجوا فى اعتقاده عن الحد فى المبالغة، حتى مات عن تسعين سنة، فى سنة سبع - وقيل خمس - وخمسين وخمسمائة، فدفن بزاويته، وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره، وهم عدد كثير، وجعلوه قبلتهم التى يصلون إليها، وذخيرتهم فى الآخرة التى يعولون عليها، وصار قبره أحد المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، لكثرة أتباعه، وشهرته هو فى الأقطار، وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة، فلما تطاولت المدة، تزايد غلو أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدى بن مسافر هذا هو الذى يرزقهم، وصرحوا بأن كل رزق لا يأتى من الشيخ عدى لا نرضاه، وأن الشيخ عدى جلس مع الله تعالى - عن قولهم - وأكل معه

---

(١) عدى بن مسافر (٤٦٧ - ٥٥٧ هـ ١٠٧٤ - ١١٦٢ م)، عدى بن مسافر إسماعيل الهكارى، شرف الدين أبو الفضائل، من ذرية مروان بن الحكم الأموى: من شيوخ المتصوفين. انظر وفيات الأعيان ١/ ٣١٦، غربال الزمان - خ - جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤٧ ابن الوردى ٢/ ٦٤، شذرات الذهب ٤/ ١٧٩، تاريخ العراق ٣/ ٣٦ - ٣٨ لغة العرب ٩/ ٤٣٣ - ٤٤١، تاريخ الزيدية ١٢٢، ١٦٨، ١٦٤. الأعلام ٤/ ٢٢١.

خبزا وبصلا، وتركوا الصلوت المفروضة فى اليوم والليلة، وقالوا الشيخ عدى صلى عنا، واستباحوا الفروج المحرمة، وكان للشيخ عدى خادم، يقال له حسن البواب، فزعموا أن الشيخ لما حضرته الوفاة، أمر حسن هذا أن يلصق ظهره، فلما فعل ذلك قال له الشيخ: «انتقل نسلى إلى صلبك»، فلما مات الشيخ عدى و لم يعقب ولدا، صارت ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد العدوية فيها أنها ذرية الشيخ عدى، وتبالغ فى إكرامهم، حتى أنهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن، فيخلو بهن، ويقضى منهن الوطر، ويرى أبوها وأمها أن ذلك قربة من القرب التى يتقرب بها إلى الله تعالى، فلما شنع ذلك من فعلهم انتدب لهم رجل من فقهاء العجم يتمذهب بمذهب الشافعي - رحمه الله - ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلوانى، ودعا لحربهم، فاستجاب له الأمير عز الدين البختى صاحب جزيرة ابن عمر[1] والأمير توكل الكردى - صاحب شرانس - وجمعوا عليهم كثيرا من الأكراد السندية - وأمدهم صاحب حصن كيفا[2] بعسكر، وأتاهم الأمير شمس الدين محمد الجردقيلى، وساروا فى جمع كبير جدا إلى جبل هكار، فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع الشيخ عدى - وصاروا فى هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبتية، وأسروا منهم خلائق حتى أتوا الشرالق - وهى القرية التى فيها ضريح الشيخ عدى - فهدموا القبة المبنية عليه، ونبشوا ضريحه وأخرجوا عظامه، فأحرقوها بحضرة من أسروه من الصحبتية، وقالوا لهم: «انظروا كيف أحرقنا عظام من ادعيتم فيه ما ادعيتم، و لم يقدر أن يدفعنا عنه». ثم عادوا بنهب كثير، فاجتمعت الصحبتية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة، وأقاموا بها على عادتهم، وصاروا عدوا لكل من قيل له فقيه ، يقتلونه حيث قد قدروا عليه، ولو شاء ربك ما فعلوه.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير نوروز الحافظى.

ومات الأمير طوخ[3] نائب حلب.

---

(١) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل.انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٨.

(٢) حصن كيفا: ويقال كيبا، وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر.انظر معجم البلدان ٢/ ٢٦٥.

(٣) (٨١٧ هـ = ١٤١٤م). طوخ بن عبد الله الظاهرى، الأمير سيف الدين المعروف بطوخ.=

ومات الأمير يشبك بن أزدمر.

ومات الأمير قمش.

ومات الأمير برصبغا. قتلوا جميعا بدمشق، فى شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير شاهين الأفرم برملة لُد[١]، وهو عائد من دمشق، وكان ظالما فاسقا، من شرار خلق الله.

ومات الأمير يلبغا الناصرى، فى ليلة الجمعة ثانى عشر رمضان بمنزله، بعد عوده من الشام، وكان خير أمراء الوقت بعفته عن الأموال التى أحدثوا أخذها من الحمايات والمستأجرات ونحوها، وصيانته عن القاذورات المحرمة من شرب الخمر وشبهه. ومع ذلك فاستجد مباشروه شونة خارج القاهرة، لبيع الملح، وألزموا الباعة ألا يشتروا الملح إلا منها، وباعوه بأغلى الأثمان. وتتبعوا بائعيه، فمن ظفروا به، وقد اشترى الملح من غيرهم ضربوه وغرموه مالا، فلهذا بلغ الملح أضعاف ثمنه.

ومات الأمير جانباك الدوادار[٢]، أحد المماليك المؤيدية بمدينة حمص، وهو متوجه

=هو أيضًا من مماليك الملك الظاهر برقوق، ووقع له بعد موت أستاذه الظاهر برقوق أمور وحوادث إلى أن قتل الملك الناصر فرج وصار الأمير نوروز الحافظى نائب دمشق وحاكم البلاد الشامية انضم طوخ المذكور إلى نوروز وولى نيابة حلب، فلما عصى نوروز على الملك المؤيد وافقه ودام معه إلى أن ظفر المؤيد بنوروز وقبض عليه وقبض على طوخ هذا أيضًا وقتله ذبحا فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، بعد أن حوصر بقلعة دمشق مدة طويلة مع الأمير نوروز. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص٣٧٠ رقم ١٢٧٢، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص ١٣٠، نزهة النفوس جـ٢ ص٣٤٥، إعلام النبلاء جـ٥ ص ١٦٨، الضوء اللامع جـ٤ ص٩ رقم ٣٠.

(١) رملة لد: رملة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوما، وهى كورة من فلسطين، وكانت دار ملك داود وسليمان، ولما ولى الوليد بن عبد الملك وولى أخاه سليمان جند فلسطين نزل لد ثم نزل الرملة ومصرها. انظر معجم البلدان ٣/ ٦٩.

(٢) (٨١٧ هـ = ١٤١٤م) جان بك بن عبد الله المؤيدى الدوادار، الأمير سيف الدين. هو من مماليك الملك المؤيد شيخ فى حال إمرته، فلما تسلطن المؤيد جعله طبلخاناة ودوادارا ثانيا دفعة واحدة، ثم نقله بعد مدة يسيرة إلى الدوادارية الكبرى بعد القبض على الأمير طوغان الحسنى الدوادار، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وذلك فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة. وصار جانبك المذكور عظيم الدولة المؤيدة، وصاحب أمرها ونهيها، حتى أنه أمعن فى التجبر والتكبر، وحدثته نفسه بأشياء بعيدة عنه، إلى أن توجه الملك المؤيد إلى البلاد الشامية لقتال الأمير نوروز الحافظى، ووصل الملك المؤيد إلى دمشق، ووقع القتال بين الفريقين، أصاب جانبك هذا سهم=

مع العسكر إلى حلب من جرح أصابه فى محاربة نوروز على دمشق، لزم منه الفراش إلى أن مات.

ومات بمكة قاضيها ومفتيها، جمال الدين أبو حامد محمد بن القدوة، عفيف الدين عبد الله بن ظهيرة بن أحمد القرشى الشافعى، فى ليلة سابع عشر شهر رمضان، عن نحو سبع وستين سنة، ولى قضاء مكة وخطابتها وحسبتها مرات، وتصدى بها للتدريس والإفتاء نحو أربعين سنة، وصنف، فبرع فى الفقه والحديث، واشتغل بالقاهرة معنا قديما. ولم يخلف بالحجاز بعده مثله.

ومات بالمدينة النبوية قاضى القضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن بن نور الدين على ابن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندى الحنفى[1]، فى ربيع الأول، ومولده سنة ست وأربعين وسبعمائة، وقد أناف على السبعين . وولى قضاء الحنفية بالمدينة نحو ثلاث وثلاثين سنة، مع حسبتها، وكان غزير المروءة.

وتوفى بزبيد [2] من بلاد اليمن قاضى القضاة بها، شيخنا مجد الدين محمد أبو الطاهر بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروزابادى الشيرازى الشافعى[3]

=لزم منه الفراش، بعد أن كان ولاه أستاذه الملك المؤيد نيابة الشام، عوضا عن نوروز الحافظى بحكم عصيانه. واستمر مريضا إلى أن مات بمدينة حمص، وهو متوجه صحبة العساكر المصرية إلى حلب، بعد قتل نوروز. وكانت وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة سبع عشرة وثمانمائة. وكان أميرا شجاعا، مقداما، كريما جوادا، جبارا متكبرا لم تطل أيامه فى السعادة، ومات، رحمه الله. وجانبك: لفظ تركى معناه أمير روح، وصوابه فى الكتابة كما هو مكتوب بغير ياء آخر الحروف، يعرف ذلك من عنده فضيلة وعلم باللغات.

(١) عبد الرحمن بن على بن يوسف بن الحسن بن محمد(٧٤٦ - ٨١٧ هـ = ١٣٤٥ - ١٤١٤م)، قاضى القضاة زين الدين نور الدين، أبو الفرج المدنى الزرندى الحنفى. مولده فى ذى القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة بالمدينة النبوية، وسمع على قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والصلاح العلائى، وأجاز له الزبير الأسوانى، وهو آخر من حدث عنه، وتفقه، وبرع فى الفقه وغيره، ولى قضاء الحنفية بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - نحوا من ثلاث وثلاثين سنة مع حسبتها، وحمدت سيرته لعفته ولدينه، وكان عنده فضيلة ومشاركة فى عدة علوم، ولم يزل بالمدينة إلى أن توفى بها فى شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٧/ ١٩٦ والدليل الشافى ١/ ٤٠٢، النجوم الزاهرة ١٣٢/١٤، أنباء الغمر ٤٤/٣ الضوء اللامع ١٠٥/٤.

(٢) زبيد: اسم واد به مدينة يقال لها الحُصيب ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف إلا به وهى مدينة مشهورة باليمن.انظر معجم البلدان ٣/ ١٣١.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازى الفيروزابادى:=

اللغوى، فى ليلة العشرين من شوال، عن ثمانى وثمانين سنة وأشهر. وهو ممتع بحواسه. وله مصنفات كثيرة، منها كتاب القاموس فى اللغة[١]، لا نظير له .

وقد اشتهر فى أقطار الأرض كتابه الذى صنفه للناصر وسماه « تسهيل الأصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول[٢]»، وله نظم حسن . ولى قضاء الأقضية ببلاد اليمن نحو عشرين سنة حتى مات بعدما طاف البلاد مشارقا ومغاربا، وأقام بالقاهرة زمانا.

ومات بالقاهرة الشريف سليمان بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى[٣] أمير المدينة

=من أئمة اللغة العربية والأدب ولد بكارزين بكسر الراء من أعمال شيراز وانتقل إلى العراق وجال فى مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند ورحل إلى زبيد وانتشر اسمه فى الآفاق حتى كان مرجع عصره فى اللغة والحديث والتفسير وتوفى فى زبيد. أشهر كتبه القاموس المحيط. ط. أربعة أجزاء و«المغانم الطالبه فى معالم طابه» القسم الجغرافى منه حققه ونشره أحمد الجاسر وبقية الكتاب مخطوطة عنده وينسب للفيروزابادى تنوير المقياس فى تغير ابن عباس. ط. وله بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز – ط، و«نزهة الأذهان فى تاريخ أصبهان» والدرر الغوالى فى الأحاديث الحوالى والجليس الأنيس فى أسماء الخندريس – خ – سفر السعاده –ط فى الحديث والسيرة النبوية والرقاة الوفية فى طبقات الحنفية وكان شافعيا و«البلغة فى تاريخ أئمة اللغة – خ –» والإشارات إلى ما فى كتب الفقه من الأسماء ... واللغات – خ – ونخبة الرشاف من خطبة الكشاف – خ رسالة وكان قوى الحافظة يحفظ ١٠٠ سطر كل يوم قبل أن ينام وللشيخ رمضان بن موس العطيفى رى الصادى فى ترجمة الفيروزابادى – خ – انظر البدر الطالع ٢: ٢٨٠ والضوء اللامع ١٠: ٧٩ وبغية الوعاة ١١٧ والعقود اللؤلؤية ٢ ٢٦٤و ٢٧٨: ٢٩٧ والعقيق اليمانى – خ وفيه وفاته فى شوال ٨١٩ .وأزهار الرياض ٣: ٣٨ – ٥٣ وفيه وفاته ١٨١٦و ٨١٧ والتاج ١: ١٣ وأداب اللغة ٣: ١٤٥ ومفتاح السعادة ١: ١٠٣ والشقائق النعمانية ١: ٣٢ ومجلة الجنان ١٨٧٣ ١ ٧٠١ وروضات الجنات الطبعة الثانية ٧١٦ وكشف الظنون ١٦٥٧ وعاشر ٤٣ والتيمورية ١: ١٦٣ الأعلام ٧/ ٤٦.

(١) يقصد القاموس المحيط، وهو مطبوع عدة طبقات أحدها فى أربعة أجزاء والأخرى فى جزء واحد. ينظر كشف الظنون ٢/ ١٣٠٦ – ١٣١٠.

(٢) يقصد جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبى السعادات بن الأثير الجزارى المتوفى فى سنة ٦٠٦ هـ وقد عمل الفيروزابادى زوائد عليه سماه: تسهيل طريق الصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول .انظر كشف الظنون ١/ ٥٣٥ ، ٥٣٧.

(٣) سليمان بن هبة الله بن جماز بن منصور (٨١٧ هـ = ١٤١٤م)، الشريف الحسينى. أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ولى إمرة المدينة ثم عزل عنها، وقبض عليه الملك المؤيد شيخ، وسجنه إلى أن توفى بسجنه بالقاهرة سنة سبع عشرة وثمانمائة، وهو فى عشر الأربعين، عفا الله عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ١/٣٢١، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٣٢، التحفة اللطيفة ٢/ ١٨٥، الضوء اللامع ٣/٧٠.

النبوية، مسجونا، وهو فى عشر الأربعين. ولى إمرة المدينة النبوية فى أخريات ذى الحجة سنة اثنتى عشرة ثم قبض عليه فى أخريات ذى الحجة سنة خمس عشرة، وعلى أخيه محمد، وحملا إلى القاهرة، فاعتقل بها حتى مات، وولى بعده المدينة عزيز بن هيازع بن هبة.

ومات بالنحريرية الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن محمد بن على البديوى، فى رابع عشر ربيع الآخر. وأكثر شعره فى المدائح النبوية.

* * *

سنة ثمان عشرة وثمانمائة

أهلت، وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود، والسلطان بديار مصر والشام والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وأتابك العساكر الأمير ألطنبغا العثمانى، وأمير آخور الأمير ألطنبغا القرمشى والدوادار الأمير أقباى المؤيدى، ورأس نوبة النوب تنباك ميق، وأمير مجلس جانباك الصوفى، وأستادار الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد ا لله الطرابلسى، وقاضى القضاة الشافعية شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن عمر ابن العديم، وقاضى القضاة المالكية جمال الدين عبد ا لله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى. وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم بن عبد الملك المقدسى، وكاتب السر قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزى الحموى الشافعى، والوزير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم ، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله، وناظر الجيش علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكويز، ونائب الإسكندرية الأمير صوماى الحسنى، ونائب غزة الأمير طرباى، ونائب الشام الأمير قنباى المحمدى، ونائب طرابلس الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب حماة تنباك البجاسى، ونائب حلب الأمير أينال الصصلانى، وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان الحسنى، وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هيازع بن هبة الحسينى، ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الشرف إسماعيل بن رسول، ومتملك الروم محمد كرشجى بن خوندكار أبى يزيد بن مراد خان بن أورخان بن عثمان جق، وكان قد عدى من بر قسطنطينية يريد الأمير محمد باك بن قرمان، ففر إليه أعيان دولة بن قرمان، فملك أكثر بلاده وفر منه إلى بلاد الورسق، وامتنع بها، وأهلت هذه السنة وهم على هذا.

شهر ا لله المحرم الحرام، أوله الأربعاء:

فى يوم الخميس ثانيه: قدم السلطان من البحيرة، بعدما قرر على من قابله من أهلها أربعين ألف دينار، فكانت مدة غيبته ستين يوما.

وفى عاشره: أفرج عن الأمير بيبغا المظفرى، والأمير تمان تمر اليوسفى من سجن الإسكندرية.

وقدم الخبر بأن شاه رخ بن تيمور لنك عمل عيد النحر بمدينة قزوين[١] وتسلم مدينة السلطانية، وأرسل إلى قرا يوسف يطلب منه فرسين عينهما، ويطلب منه امرأة أخيه وابنة أخيه، وكانتا عنده فى الأسر، ويلزمه بدماء إخوتهم، والقيام بأموالهم التى وصلت إليه، وأن يضرب السكة ويقيم الخطبة باسمه، فاستعد قرا يوسف لمحاربته، وبعث يستدعى ابنه شاه محمد من بغداد، وبقية عسكره، خوفا على تبريز أن يملكها منه شاه رخ.

وقدم كتاب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج من بغداد، يتضمن أنه مقيم بها فى المدرسة المستنصرية، وسأل العفو عنه، فأجيب بما طيب خاطره .

وقدم كتاب أقبغا النظامى - أحد خواص الناصر فرج - من جزيرة قبرص[٢]، وقد توجه إليها لفك الأسرى، بأنه وجد بالجزيرة من أسارى المسلمين خمسمائة وخمسة وثلاثين أسيرا، فكاكهم بثلاثة عشر ألف دينار وثلاثمائة دينار، وأنه قد أوصل إلى متملك قبرص العشرة آلاف دينار المجهزة معه، فانفك بها أربعمائة أسير، كل أسير بخمسمائة درهم، عنها خمسة وعشرون دينارا، وقد افتك متملك قبرص من ماله مائة وخمسة وثلاثين أسيرا، بثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسة وسبعين دينارا، وقد حمل منهم إلى جهة مصر فى البحر مائتى أسير، وفرق فى جهات السواحل الشامية باقيهم.

وقدم الخبر بأن الأمير أينال الصصلانى نائب حلب سار منها فى نصف ذى القعدة من السنة الخالية، ومعه العساكر إلى العمق لمحاربة كردى بن كندر، ففر منه، وأنه أخذ له عدة كثيرة من الأغنام، فصار كردى إلى على بن دلغادر وسأله فى الصلح، فدخل بينهما ابن دلغادر، حتى اصطلحا، وعاد إلى حلب.

وفى هذا الشهر: قتل بسجن الإسكندرية الأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير دمرداش المحمدى، والأمير سودن تلى المحمدى، والأمير أسنبغا الزردكاش، فى يوم السبت ثامن عشره، وأقيم عزاؤهم بالقاهرة فى خامس عشرينه.

وفى هذا الشهر: ابتدأ الطاعون فى الناس بالقاهرة، فمات منه جماعة.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه أمر قاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد بن عبد الملك المقدسى

---

(١) قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ٣٤٢/٤.

(٢) سبق ترجمتها.

العسقلانى الحنبلى أن يلزم داره، ومنع من الحكم بين الناس.

وفى ثامنه: ركب السلطان من القلعة، وسار إلى نحو منية مطر، التى تعرف اليوم بالمطرية[(١)] وعاد فدخل القاهرة من باب النصر، ونزل بمدرسة جمال الدين الأستادار من رحبة باب العيد، ثم عبر إلى بيت الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، فأكل عنده ومضى إلى القلعة.

وفى ثانى عشره: خلع على قاضى القضاة علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر، ابن مغلى الحنبلى الحموى واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بديار مصر، عوضا عن مجد الدين سالم، وكان قد قدم من حماة إلى القاهرة من نحو شهرين، وخلع أيضا على تقى الدين أبى بكر بن عثمان بن محمد الحسينى الحموى الحنفى، واستقر فى قضاء العسكر.

وفى هذا الشهر: وقع الشروع فى حفر الرمال التى حدثت ما بين الجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وبين جامع الخطيرى فى بولاق، وسبب ذلك أن النيل - فى وقتنا هذا - سار بجراه فيما يلى بر مصر والقاهرة على غير ما كان عليه فى الدهر الأول، وهيئته الآن أنه إذا صار فى الجهة القبلية من مصر - قريبا من طرا - [(٢)] فإنه يمر من الجهة الغربية من أجل أنه حدث فيما بين طرا وطرف الروضة تجاه المقياس جزيرة رمل فى غاية الكبر، ينحسر عنها الماء فى أيام نقصه، فيصير ما تجاه بركة الحبش [(٣)] إلى رباط الآثار النبوية وجسر الأفرم[(٤)] إلى المدرسة المعزية التى تجاه المقياس رملا لا يعلوه الماء، إلا فى أيام الزيادة، وصار عظم النيل من وراء جزيرة الصابونى[(٥)] فيمر بينها وبين الجيزة إلى أن يصل قريبا من المقياس، فيصير فرقتين: واحدة تمر فيها بين الروضة والجيزة وهى معظم النيل، وأخرى تمر فيها بين الروضة ومصر إلى أن تصل قريبا من موردة الحلفاء، تقف فى أيام نقص الماء هناك.

---

(١) المطرية: من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن. انظر معجم البلدان ٥/ ١٤٩.

(٢) طرا: قرية فى شرقى النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٤.

(٣) بركة الحبش: هى أرض فى وهدة من الأرض واسعة، طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة، وقف على الأشراف. انظر معجم البلدان ١/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٤) يقع بظاهر مدينة فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحفاء وبين رباط الآثار النبوية. انظر المواعظ والاعتبار ٢/١٦٥.

(٥) تقع تجاه رباط الآثار النبوية، وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعه من بركة الحبش، فجعل نصفها على الشيخ الصابونى وأولاده، وأما النصف الآخر فهو للصوفية . انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٨٥.

ويصير ما بين موردة الحلفاء وجامع الخطيرى ببولاق رمالا لا يعلوها الماء إلا فى أيام زيادته فقط، ولذلك خربت منشأة المهرانى[١] ومنشأة الكتبة[٢] وخط موردة البلاط، وخط زريبة قوصون، وخط فم الخور، وحكر ابن الأثير[٣] لانقطاع ماء النيل عن هذه المواضع، وجميعها فى البر الشرقى، وتجاهها من غربيها جسر الخليلى[٤] والجزيرة الوسطى، ومجرى النيل من غربى الجزيرة الوسطى إلى أن يصل قريبا من جامع الخطيرى ، فيصير بين الماء وبين الجامع جزيرة ظهرت من حدود سنة ثمانين وسبعمائة من بحرى الجزيرة، واتسعت شيئا فشيئا فى الطول والعرض حتى لم يبق بناحية بولاق إلى أوائل جزيرة الفيل شىء من ماء النيل ألبتة، وإنما هى أرض، فإذا كان أوان الزيادة علاها الماء، ثم ينحسر عنها إذا هبط فخرب - كما ذكرنا - بسبب انطراد الماء عن البر الشرقى مما بين منشأة المهرانى وجزيرة الفيل، أكثر ما كان هناك من المبانى، فقصد السلطان حفر ما بين موردة الحلفاء وبولاق، ليعود الماء هناك صيفا وشتاء على الأبد، وأمر فى يوم السبت عاشر صفر هذا أن يشرع فى حفره، وندب له الأمير كزل العجمى الأجرود - أمير جانداز - فنزل وعلق مائة وخمسين رأسا من البقر لتجرف الرمال، وعملت أياما ، ثم ندب الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب لهذا العمل، فاستمر العمل بقية.

صفر وشهر ربيع الأول:

وفى هذا الشهر: أيضا تعامل الناس فى القاهرة بالدراهم المؤيدية، وسبب ذلك أن نقود مصر الآن - كما تقدم - هى الذهب والفلوس، والذهب صار ثلاثة أصناف، وهى:الذهب الهرجة: وقد قل فى أيدى الناس، وبلغ كل مثقال منه إلى مائتى درهم وخمسين درهما من الفلوس. وهذا الصنف هو الذهب الإسلامى الخالص من الغش، وهو مستدير الشكل على أحد وجهيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان وتاريخ ضربه، واسم المدينة التى ضرب بها، وهى إما القاهرة أو دمشق أو الإسكندرية، وكل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم.

(١) تقع منشأة المهرانى بأول بر الخليج الغربى.انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١١٧وينظر الانتصار ٤/ ١١٦ والخطط التوفيقية ٣/ ٦١.

(٢) منشأة الكتبة تقع بين بولاق ومنشأة المهرانى. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣١ - ١٣٢.

(٣) حكر ابن الأثير: قال المقريزى: أما الجانب الغربى من خليج فم الخور، المعروف اليوم بحكر ابن الأثير، فإنه محدث، عمر بعد سنة سبعمائة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١١٧.

(٤) جسر الخليلى : يقع بين الروضة من طرفها البحرى، وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦٩.

والصنف الثانى: ذهب يقال له الأفرنتى والأفلورى والبندقى، والدوكات وهو يجلب من بلاد الإفرنج، وعلى أحد وجهيه صورة إنسان فى دائرة مكتوبة بقلمهم وفى الوجه الآخر صورتان فى دائرة مكتوبة و لم يكن يعرف هذا الصنف قديما مما يتعامل به الناس، وإنما حدث فى القاهرة من حدود سنة تسعين وسبعمائة، وكثر حتى صار نقدا رائجا، وبلغ إلى مائتى درهم وثلاثين درهما من الفلوس، كل دينار منه. ووزن كل مائة دينار من هذا الذهب أحد وثمانون مثقالا وربع مثقال. غير أن الناس قصّوه حتى خف وزنه، واستقر ثمانية وسبعين وثلثا، وضرب كثير من الناس على شكله، وتسامح الناس فى أخذه، فراج بينهم كرواج الإفرنجى، ويقع فيه اختلاف كبير؛ فيقال هذا تركى وهذا خارج الدار، وهذا ناقص الوزن، وهذا ليس بجيد العيار، ويجعل بإزاء كل عيب حصة من المال تنقص من صرفه.

والنوع الثالث: الذهب الناصرى، وهو الذى ضربه الملك الناصر فرج، كما تقدم ذكره، وزنة كل دينار منه تسعة عشر قيراطا من أربعة وعشرين قيراطا، وذهبه دون الحايف، وبلغ كل دينار منه إلى مائتى درهم وعشرة دراهم. وفيه الخارج الدار أيضا.

وأما الفلوس فإنها كانت معدودة غير موزونة. ويعد فى الدرهم الكاملى منها أربعة وعشرون فلسا زنة كل فلس مثقال، ثم تناقص وزنها وكثر ضربها، حتى صارت فى آخر الأيام الظاهرية برقوق هى النقد الرائج، كما تقدم ذكره.

ثم نقص أهل الدولة وزنها، وكثر تعنيت الناس فيها، فرسم الأمير يلبغا السالمى الأستادار فى سنة سبع وثمانمائة أن يتعامل الناس بها وزنا، وجعل كل رطل منها بستة دراهم، كما تقدم ذكره فاستمر الحال على ذلك، وتزايد سعر الذهب لكثرة الفلوس، وشناعة حملها فى الأسفار، وقلة الدراهم الكاملية، حتى بلغ ما بلغ، وصارت الفلوس هى التى ينسب إليها ثمن جميع المبيعات، جليلها وحقيرها، وقيم الأعمال بأسرها، ويعطى الذهب والفضة عوضا عنها.

فلما قدم السلطان من دمشق، وكثرت الدراهم النوروزية والبندقية بأيدى الناس فى القاهرة - كما تقدم ذكره - تقدم السلطان بضرب دراهم مؤيدية.

فأهل صفر هذا: والإشاعة قوية بأن السلطان سبك دنانير كثيرة من الناصرية، وعمل دنانيز مؤيدية، فتوقف الناس فى أخذ الدينار الناصرى، إلى يوم الجمعة ثالث عشرينه، استدعى السلطان قضاة القضاة، وكبار الصيارفة، إلى بين يديه بالإسطبل من القلعة، وتحدث فى إبطال الدنانير الناصرية، فذكر له قاضى القضاة جلال الدين بن

البلقينى أن فى هذا إتلاف كثير من الأموال، فلم يعجب السلطان ذلك، ورد النظر فى النقود إليه.

فلما كان الغد يوم السبت رابع عشرينه: حضر الصيارفة، وكثير من التجار إلى مجلس قاضى القضاة من المدرسة الصالحية بين القصرين، فآل الأمر إلى أن تقرر سعر المثقال الذهب المختوم الهرجة المؤيدى ونحوه من الذهب المصرى الهرجة بمائتين وخمسين درهما فلوسا، وسعر الدينار الأفرنتى الجيد بمائتين وثلاثين درهما فلوسا، وسعر الدينار الناصرى الجيد من نسبة المثقال، وأن يتعامل بالناصرية وزنا، وما كان منها ناقص الوزن أو ردىء الذهب يقطع، ويؤخذ فيه بحسب قيمته، وأن يكون الدرهم المؤيدى - وزنته نصف وربع وثمن درهم فضة خالصة - بثمانية عشر درهما من الفلوس، وعملت أنصاف وأرباع، واستكثروا من ضرب الأنصاف، فتكون بتسعة دراهم النصف، وتقرر أن يكون الفضة - المصوغة والحجر - لا تباع كلها إلا للسلطان، ليضربها دراهم مؤيدية، وسعر كل درهم منها بخمسة عشر درهما فلوسا، وتقررت الدراهم البندقية والنوروزية بالوزن لا بالعدد، فما كان منها جيدا حسب فيه خمسة عشر درهما كل درهم وما كان منها رديا قطع وبيع بسعره.

ثم لما كان يوم الإثنين سادس عشرينه: حملت الدراهم المؤيدية والذهب المؤيدى، من دار الضرب بالقاهرة إلى القلعة، وزفت بالمغانى، ثم نودى أن تكون المعاملة على ما تقرر، كما تقدم ذكره، فشملت الخسارة خلقا كثيرا، واعتبر الباعة الدنانير الناصرية، وقصوا منها كثيرا من الجيد فيها، وحملوه إلى دار الضرب فسبك، ودفع لصاحبه فيه مائة وثمانين درهما، وقصوا أيضا كثيرا من الناصرية الناقصة والردية، وحملوها إلى دار الضرب، وحسبوا فيها من نسبة مائة وثمانين فى الجيد، وأخذت الدراهم النوروزية والبندقية أيضا وحملت إلى دار الضرب، وأعطى فى وزن كل درهم منها خمسة عشر درهما، وحجر على صنف الفضة، وابتيع كله للسلطان.

فلما كان بعدد ثلاثة أيام - فى سلخ الشهر -: نودى ألا يقص من الناصرية ما كان جيدا وازنا، وأن يستمر بمائة وثمانين كل دينار منه، فكف الناس عن قصه، وتعاملوا به ما رسم لهم.

وفى هذا الشهر: قبض بحلب على الأمير شاهين الأيدكارى، وسجن بالقلعة.

وفيه مات الأمير سنقر الرومى بسجن الإسكندرية، فى سابع عشره.

وفيه استقر الأمير طوغان أمير أخور فى نيابة صفد، واستقر حسن بن بشارة فى

تقدمة العشير على ثلاثين ألف دينار، يقوم بها للسلطان وجهز إلى كل منهما تشريفة من قلعة الجبل، على يد يشبك الخاصكى، فلبسه وقبل الأرض على العادة، ووكل يشبك بابن بشارة حتى حمل ثلاثة عشر ألف دينار، وأحيل عليه الأمير أرغون شاه الأستادار بالشام[1]، بعشرة آلاف دينار، فغضب محمد بن بشارة، وجمع على حسن

---

(١) أرغون بن عبد الله النوروزى، الوزير الأستادار الأعور. أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظى، اشتراه وأعتقه، وجعله أستاداره، ودام بخدمة أستاذه إلى أن ولى نيابة جمشق، بعد وفاة والدى وقتل الملك الناصر فرج، فى سنة خمس عشرة وثمانمائة من قبل السلطان المستعين با لله أمير المؤمنين ابن العباس، فباشر أرغون شاه هذا أستادارية أستاذه الأمير نوروز واستطال به وطال، لاسيما لما تسلطن الملك المؤيد شيخ المحمودى بعد خلع المستعين با لله وخرج أستاذه الأمير نوروز عن طاعة المؤيد فعند ذلك أظهر أرغون شاه من الظلم والعسف بدمشق وأعمالها، واستولى على الأوقاف والأملاك، وأخذ ما لا يستحقه، واستمر على ذلك إلى أن أخذ أستاذه الأمير نوروزو وقتل، على ما سنذكره فى ترجمته، قبض عليه الملك المؤيد وصادره وعاد به إلى القاهرة، ثم أطلقه وولاه بعد مدة الوزارة عوضا عن فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، وخلع على فخر الدين بالأستادارية على عادته، وأن يكون مشيرا وذلك فى يوم الإثنين سادس شوال سنة عشرين وثمانمائة، فباشر الوزارة إلى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين، وفرض عليه وعلى الأمير آقبغا شيطان، وسلما إلى فخر الدين بن أبى الفرج فتتبع حواشيهما وصادرهما واستقر الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الوزارة عوضه. واستمر أرغون شاه فى المصادرة إلى عاشر الشهر المذكور وأفرج عنه من غير عقوبة، ثم نفى إلى دمشق بعد مدة فدام بدمشق إلى أن استقدمه الملك الظاهر ططر صحبته إلى الديار المصرية، فدام بها إلى أن ولى الأستادارية من قبل الأمير برسباى الدقماقى مدبر مملكة الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر، عوضا عن الأمير صلاح الدين محمد بن نصر ا لله، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة، فباشر الأستادارية إلى أن صرفه عنها الملك الأشرف برسباى بالأمير أيتمش الخضرى فى حادى عشرين شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فلم تطل أيام أيتمش وعزل، وأعيد أرغون شاه ثانيا إلى الأستادارية فى خامس ذى القعدة من السنة المذكورة، فاستمر أرغون شاه إلى رابع ذى الحجة، من المنة المذكورة خلع عليه باستقراره وزيرا مضافا إلى الأستادارية وذلك بعد أن فر الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخات، فباشر الوظيفتين إلى ثامن عشرين شوال سنة ست وعشرين وثمانمائة، ثم عزل عن الأستادارية بالأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن موسى المرداوى المعروف بابن بوالى، وقبض على أرغون شاه، واستقر عوضه فى الوزارة الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق المنسحب قبل تاريخه لعجزه عن الوزارة. فاستمر أرغون شاه مقبوضا عليه إلى تاسع عشرين شوال تسلمه ابن بوالى ليستخلص منه ستين ألف دينار، فنزل أرغون شاه مع أعوان والى القاهرة حتى دخل إلى داره التى كان يسكنها فى أيام عمله، وقد سكن بها ابن بوالى، فعندما دخل الدار بكى وكان فى بلائه هذا أعظم عبرة، وذلك أن ابن بوالى هذا كان فى ابتداء أمره من جملة الأجناد بخدمة الأمير أرغون شاه المذكور لما كان أستادار بخدمة الأستاذه الأمير نوروز بدمشق، ثم أنه كان فى أمسه يأتى إلى باب داره التى سكنها=

واقتتلا، فانكسر محمد وفر إلى البقاع، ونزل بالزبداني، خارج دمشق، ومر على وجهه يريد العراق.

وفيه قدم كتاب نائب حلب بأن الشهابي أحمد بن رمضان أخذ مدينة طرسوس[١] عنوة في ثالث عشر المحرم، بعد أن حاصرها سبعة أشهر، وأنه سلمها إلى ابنه إبراهيم، بعدما نهبها وسبى أهلها، وقد كانت طرسوس من نحو اثنتي عشرة سنة يخطب بها تارة لتمرلنك وتارة لمحمد باك بن قرمان ، فيقال السلطان الأعظم سلطان السلاطين، فأعاد ابن رمضان الخطبة فيها باسم السلطان الملك المؤيد.

وقدم الخبر بأن حسين بن نعير نزل على الرقة[٢] بعدما رعى زروع بلاد الرحبة. وأنه قد تحالف مع فسليس مقدم الكلبيين، وتزوج ابنته.

وفيه بعث حسين بن نعير إلى الأمير عثمان بن طر على قرا يلك يسأله أن يشفع إلى السلطان فيه، فكتب قرا يلوك يسأل تأمينه، وبعث حسين مع ذلك قوده وكتابه يسأل العفو عنه، فأجيب بما يطيب خاطره.

وقدم الخبر بأن محمد باك كرشجي بن عثمان حارب الأمير محمد بن قرمان صاحب قونية[٣] وكسره، وأخذ له بلادا كثيرة، بحيث لم يبق بيده سوى قونية.

=الآن ويقعد على الباب حتى يستأذن= =له، فيأذن له أرغون شاه فيدخل ابن بوالي ويقف على قدميه بخدمة الأمير أرغون شاه، وها هو اليوم يحكم فيه ويتولى عقوبته، بل وعاقبه بحضره الملأ من العامة، فنعوذ با لله من زوال النعم. ثم أن الحال انتهى على أن يقوم أرغون شاه بمبلغ عشرة آلاف دينار، ويمهل بمبلغ عشرين ألف دينار مدة، وأفرج عنه واستمر بالقاهرة بطالا إلى يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثمانمائة، أخرج هو وابن بوالي إلى دمشق، وكان ابن بوالي قد عزل عن الأستادارية بالأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله، فدام أرغون شاه خمولا بدمشق دهرا، ثم استقر في أستادارية السلطان بها إلى أن مات في حادى عشرين شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة. وكان شيخا أعورا، طوالا سمينا بطينا، شكلا مهولا، ظالما عسوفا، قليل الخير، كثير الشر، يخترع الظلم، سيئة من سيئات الدهر، فلله الحمد والمنة على موته وموت أمثاله من الظلمة. انظر الترجمة في: الدليل الشافي ١/ ١٠٨، والنجوم الزاهرة ١٥/٢٠٧، والضوء اللامع ٢/٢٦٧.

(١) طرسوس: هي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٨.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنها من جانب الفرات الشرقي. انظر معجم البلدان ٣: ٥٩ .

(٣) قوينة: من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها قصور أكثر سكنى ملوكها. انظر معجم البلدان ٤/٤١٥.

وفيه كثر الموتان فى الناس بالقاهرة ومصر، وزادت عدة من يرد اسمه الديوان على ثمانين فى كل يوم.

وفيه حدث رعد وبرق، قل ما عهد مثله بمصر، وعقبه مطر كثير جدا سالت منه الأودية، وتغير ماء النيل لكثرة ما انحدر إليه من السيل، وكان ذلك فى تاسع بشنس.

وفى سابع عشرينه: أنكر السلطان على القضاة الأربع كثرة نوابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر، وكانوا قد تجاوزوا مائتى قاض، فعزلوا نوابهم، ثم أذن قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن العديم فى الحكم لستة من نوابه.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فيه أذن قاضى القضاة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى لأربعة عشر من نوابه فى الحكم، وشرط عليهم شروطا منها أن من أخذ مالا رشوة فهو معزول.

وفى ثالثه: نودى بأن الدراهم البندقية يصرف ما كان وزنه نصف وثمن، باثنى عشر درهما، وما كان أقل من ذلك فإنه من حساب خمسة عشر كل وزن درهم.

وفى رابعه: رسم بنقلة السكان من قيسارية سنقر الأشقر[1] المقابلة لقيسارية الفاضل[2] فإن السلطان عزم على هدمها لتبنى جامعا.

وفى خامسه: نزل الأمير التاج والى القاهرة، وجماعة من أرباب الدولة، وابتدأ بالهدم فى القيسارية المذكورة وما بجوارها، فكثر بكاء النساء والأطفال من السكان، ونقلوا أمتعتهم.

---

(١) قيسارية سنقر تقع على يسرة من يدخل من باب زويلة، فيما بين خزانة شمايل ودرب الصغيرة. وسنقر الأشقر هو سنقر بن عبد الله الصالحى النجم، الأمير شمس الدين. كان من عتقاء الملك الصالح نجم الدين بن أيوب، ومن أعيان مماليكه ثم صار بعد موته من جملة الأمراء، ثم توجه إلى دمشق فأمسكه الملك الناصر يوسف صاحب حلب وحبسه، فاستمر محبوسا إلى أن ورد هولاكو إلى حلب وجده محبوسا فأطلقه، وأخذه صحبته إلى بلاده وأنعم عليه وأكرمه واستمر عنده مدة وتأهل هناك، ورزق الأولاد فلما عاد الأشرف من فتح قلعة الروم إلى دمشق فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، أمسك سنقر الأشقر وجهزه إلى الديار المصرية، وتوجه الأشرف بعده إلى القاهرة، وقتله فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة. انظر المنهل الصافى ٦/٨٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٢٧، درة الأسلاك ١/ ٣٢٧، كنز الدرر ٨/ ٣٤٠ الوافى ١٥/ ٤٩٠ تاريخ الفرات ٨/ ١٥١، تالى وفيات الأعيان ص ٨٥، تذكرة النبيه ١/ ١٥٤.

(٢) قيسارية الفاضل تقع على يمنة من يدخل من باب زويلة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٨٩.

وفى ثانى عشره: عمل مهم عرس الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ألطنبغا القرمشى، على ابنة الملك الناصر فرج بن برقوق، واعتنى به عناية كبيرة، إلى أن بنى عليها ليلة الجمعة رابع عشره، فتظاهر فيه المماليك والعامة بما كان يجب فيه الاحتشام ، وكان شيئا نكرا.

وفى سادس عشره: نودى فى القاهرة بمنع المعاملة بالدنانير الناصرية، وأن تقص كلها، ويدفع فيها من حساب مائة وثمانين، فقصها الصيارفة.

وفى حادى عشرينه: قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود الرازى الهروى، مدرس الصلاحية[١] بالقدس، بعدما خرج الأمير ألطنبغا العثمانى، فتلقاه وصعد إلى السلطان بقلعة الجبل، فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وأجلسه عن يمينه، وحضر مجتمعا كان عند السلطان، هو وقاضى القضاة جلال الدين البلقينى. ثم انصرف إلى دار قد أعدت له، ورتب له فى كل يوم مبلغ مائتى درهم فلوسا، ومن اللحم قدر ثلاثين رطلا، وأنعم عليه بفرس قد أسرج برج ذهب، وبكثير من الثياب الفاخرة، وأهدى إليه كثير من أهل الدولة الهدايا الجليلة.

وفى هذا الشهر: ارتفع الوباء من القاهرة.

وفيه قبض بحلب على الأمير آق بلاط نائب عينتاب، وسجن ، وقبض على الأمير شاهين الزردكاش، وسجن بقلعة حلب فى ثامنه.

وفيه استقر محيى الدين أحمد بن حسين بن إبراهيم المدنى الدمشق فى كتابة السر بدمشق.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فى يوم الإثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه ومماليكه ووجوه دولته، وسار إلى حيث العمل فى حفر البحر تجاه منشأة المهرانى، ونزل فى خيم قد نصبت له هناك، ونودى بخروج الناس للعمل فى الحفير، وكتبت حوانيت الأسواق كلها، فخرج الناس طوائف، ومع كل طائفة الطبول والزمور، وهم فى لهو ولعب، وغلقت الأسواق. وأقبلوا إلى العمل ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوق طاقته. وعمل جميع العسكر أيضا من الأمراء والمماليك، وجميع أرباب الدولة وأتباعهم،

---

(١) تقع بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط.انظر الدارس فى تاريخ المدارس ٣٣١/١ وما بعدها.

ثم ركب السلطان بعد العصر وقد مدت أسمطة جليلة، فكان يوما بالهزل واللهو أشبه منه بالجد ووقف السلطان حتى فرض على كل من الأمراء حفر قطعة عينها له، وعاد إلى القلعة، واستمر العمل والنداء فى كل يوم بالقاهرة، أن يخرج أهل الأسواق وغيرهم للعمل فى الحفير.

وفى تاسعه: ركب الأمير ألطنبغا القرمشى أمير أخور ومعه جميع مماليكه وأتباعه وعامة غلمان الإصطبل السلطانى، والركابة من عرب آل يسار، والأوجاقية، والبياطرة، وصوفية المدرسة الظاهرية برقوق بخط بين القصرين وأرباب وظائفها، من أجل أنهم تحت نظره، فمضوا بأجمعهم إلى باب السلسلة، وتوجهوا معه للعمل، وخرج معهم الفيل والزرافة، بعدة طبول وزمور، فحفروا فيه ونقلوا، وقد اجتمع هناك معظم الناس من الرجال والنساء للفرجة، فكثرت سخريتهم، وتضاحك بعضهم على بعض، فأعفى القرمشى فقهاء الظاهرية من العمل، وردهم، وتولى القيام بحفر ما وظف عليه، ومعه عالم كبير، طول نهاره .

وفى عاشره: جمع الأمير الكبير ألطنبغا العثمانى أتابك العساكر جميع من يلوذ به، وألزم كل من هو ساكن فى شىء من البيوت والحوانيت الجارية فى وقف المارستان المنصورى أن يخرج معه من أجل أنه يلى نظر المارستان، وأخرج أيضا جميع أرباب وظائفه من الأطباء والجرائحية، والكحالين والفراشين والقراء والمباشرين والمؤذنين، وأخرج سكان جزيرة الفيل لأنها من وقف المارستان. وتتابع الأمراء فى العمل، وخرج علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، والأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، فى حادى عشره، ومع كل منهم طائفة من أهل القاهرة، وجمع غلمانه وأتباعه ومن يلوذ به وينسب إليه، وأخرج والى القاهرة جميع اليهود والنصارى، وكثر النداء فى كل يوم بالقاهرة على أصناف الناس بخروجهم للعمل، وخرج كل أمير، وأخذ معه جيرانه ومن يقرب سكنه من داره، فلم يبق عنبرى ولا فراء ولا تاجر ولا بزاز ولا قزاز ولا طباخ ولا جبان ولا سقاء ولا مناد، إلا وخرج للعمل، وأخرج كاتب السر القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى معه جميع البريدية والموقعين، بأتباعهم، فعملوا.

وفى رابع عشره: خلت أسواق القاهرة وظواهرها من الباعة، وغلقت القياسر، وخرج الناس للعمل وجدوا فى الحفر نهارهم مع ليلهم، بحيث لم يعف أحد من العمل، وكثرت حركات الناس وخروجهم إلى العمل طوائف طوائف، وتكرر النداء فى الناس بالخروج للحفير، وتهديد من تأخر عنه.

وفي خامس عشره: نودى أن لا يفتح فى غد حانوت، ومن فتح دكانا شنق، وأن يخرجوا كلهم بالسلاح، فأصبحت الأسواق كلها مغلقة، واستمر العمل طول هذا الشهر فى الحفير، فتوقفت أحوال الناس بغلق الأسواق.

وفي هذا الشهر: اشتد الطلب على اليهود والنصارى، وأهينوا فى استخراج العشرين ألف دينار إهانة بالغة، ونالهم للأعوان كلف كبيرة.

وفيه ألزم السلطان الأمير بدر الدين حسن الأستادار بحمل عشرين ألف دينار من مباشرى الديوان المفرد، وألزم الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرازق بن الهيصم بحمل عشرين ألف دينار من مباشرى الدولة، وألزم الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بحمل عشرة آلاف دينار من مباشرى الخاص، فوقع الشروع فى توزيع ذلك وجبايته من يوم الخميس سابع عشره.

وفيه كثر عبث العربان بالوجه القبلى والوجه البحرى، واشتد بأسهم، وعجز أرباب الدولة عنهم.

وفيه ثارت الأحامدة من عرب الصعيد بوالى قوص[١] وقتلوا كثيرا ممن معه .

وفيه قتل الأمير يشبك من عبد العزيز بدمشق، وصلب على باب القلعة فى تاسعه.

وفيه أفرج عن أقبردى الحاجب بدمشق، وقدم منها إلى القاهرة.

وفيه سار الأمير بيبغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق، فقدمها فى ثامن عشره، واستقر بها أميرا كبيرا.

وفيه سار الأمير أينال الصصلانى نائب حلب فى خامسه، ومعه الأمير سودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، ومضى على جرائد الخليل في طلب كردى بن كندر، فأخذ أعقابه، وقد فر من العمق وتعلق بالجبال، فاستولى على كثير من أغنامه وأبقاره، ثم نزل على قلعة دربساك [٢] وحاصرها ثلاثة أيام حتى أخذها فى سادس عشره بأمان، ففر عن كردى أكثر جمائعه، وعزموا على قبضه، فتسحب إلى مرعش، وانضم أصحابه على فارس بن دمرخان بن كندر.

وفيه استقر الأمير جرباش حاجبا بحلب، عوضا عن شاهين الأيدكارى.

---

(١) قوص: وهى قبطية، وهى مدينة كبيرة عظيمة وواسعة قصبة صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٢) قلعة دربساك قلعة مرتفعة قرب أنطاكية. انظر تقويم البلدان ص ٢٦١.

وفيه خرج شاه محمد بن قرا يوسف من بغداد لمحاصرة ششتر.

وفيه ركب الأمير كزل - نائب ملطية - فى رابع عشرينه، وقاتل سولو بن كبك وأخاه حسينا على كركر، وقد أحرقا بلد جوباص من أعمال ملطية فقتل من جماعتها كثيرا، وهزم بقيتهم، وعاد إلى ملطية، فجمعا عليه الأكراد والتركمان ونائب كركر، وزحفوا عليه، فاقتتلوا قتالا كثيرا.

وفيه نقل الأمير طوغان أمير آخور نائب صفد منها إلى دمشق، واستقر بها حاجب الحجاب عوضا عن خليل الجشارى، واستقر خليل فى نيابة صفد، وكان المتوجه لنقلهما الأمير أينال الأزعرى[1] الأعور، أحد رءوس النوب.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

أهل والناس يعملون فى الحفير، والأخبار متواترة بكثرة فساد أهل الوجه القبلى والوجه البحرى.

وفى خامسه: سار الأمير بدر الدين حسن الأستادار فى عدة من الأمراء معه إلى الوجه البحرى.

وفى سابعه: ركب الأمير صارم الدين إبراهيم ولد السلطان، وجمع له من الناس خلائق ما بين مسلمين وأهل الذمة، ومضى بهم إلى العمل فى الحفير، يعملوا يومين، وتمادى العمل عدة أيام من هذا الشهر، حتى أدركته زيادة ماء النيل، فلم يظهر لما كان من العمل أثر.

وفى سابعه: خلع على الأمير ألطنبغا العثمانى أتابك العساكر، واستقر فى نيابة الشام. وعزل الأمير قنباى المحمدى وخلع على الأمير أقبردى المنقار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن صوماى الحسنى.

وفيه نودى بالمنع من المعاملة بالدنانير الناصرية، وهدد من تعامل بها أو وجدت

---

(١) أينال بن عبد الله الأزعرى الشيخى (٨٣٠ هـ تقريبًا = ١٤٢٦ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأمير شيخ الصفوى أمير مجلس، واتصل بعد موت أستاذه المذكور بخدمة الملك المؤيد شيخ قبل سلطنته. فلما تسلطن الملك المؤيد أمره ورقّاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى الحجوبية الكبرى بها بعد موت المؤيد، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدية وحبسه، فدام فى الحبس سنين إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، ورسم له بالإقامة بدمشق بطالا، ودام على ذلك إلى أن مات فى حدود الثلاثين وثمانمائة تقريبًا. وكان عرفًا بفنون الفروسية، وأنواع الملاعب كالرمح وغيره، مشكور السيرة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٣.

عنده وكان الناس قد تظاهروا بها، وصرفوها بمائة وثمانين درهما الدينار، فلم ينتهوا عن ذلك ، فنودى فى خامس عشرينه بتهديد من اشترى بها شيئا بأن تسبك فى يده.

وفى هذا الشهر: تحسن سعر الغلة، وسببه أن فى يوم الأربعاء عاشره وثالث عشرين أبيب، بلغ ماء النيل إلى أربعة عشر إصبعا من أحد عشر ذراعا، ونقص أربعة أصابع، ثم لم يناد عليه فى يومى الخميس والجمعة، فاشتد قلق الناس، وأمسك خزان القمح أيديهم عن بيعه، ليبلغوا فيه أملهم من الغلو، فلطف الله بعباده، ونودى عليه فى يوم السبت، واستمر النداء.

وفى يوم الأربعاء :المذكور انتقض على السلطان الألم الذى يعتاده برجله، ولزم الفراش إلى يوم الخميس خامس عشرينه.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: - وهو حادى عشر مسرى - أوفى ماء النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج .

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

أهل والناس من كثرة فساد العربان بنواحى أرض مصر، فى جهد .

وفى رابعه: حفر أساس الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة.

وفى سادسه: برز الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام، ونزل بالريدانية خارج القاهرة.

وفى ليلة الحادى عشر منه: طرق الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب الجامع الأزهر بعد الفراغ من صلاة عشاء الآخرة، ومعه كثير من مماليكه وأعوانه، فنهبوا شيئا كثيرا من ثياب وفرشهم، ومنع الناس من المبيت به، وكان قد وشى إليه بأن كثيرا ممن ينام به تصدر منه منكرات قبيحة، فكان فى إزالته ما ظنه منكرا أضعاف ما ظنه من المنكر.

وفى هذا الشهر المبارك: ارتفع سعر الغلال، فبلغ الأردب القمح إلى مائة وستين درهما، والأردب الشعير إلى مائة وثلاثين درهما، مع توالى زيادة ماء النيل وكثرة الغلال.

وفيه قدم الخبر بخروج الأمير قنباى المحمدى عن الطاعة، وأنه ثارت الفتنة بدمشق، ثم قدم الخبر بخروج الأمير طرباى نائب غزة أيضا عن الطاعة، وأنه سار إلى الأمير

قنباى فاستعد السلطان، وناب الأمير يشبك شاد الشرابخاناه، ومعه مائة مملوك، وبعثه نجدة إلى الأمير ألطنبغا العثمانى، وذلك أنه لما حضر الأمير جلبان[1] أمير آخور إلى دمشق بطلب الأمير قانباى المحمدى إلى القاهرة أظهر امتثال ذلك، وأخذ ينقل حريمه إلى بيت غرس الدين، وطلع بنفسه فى ثانى جمادى الآخرة إلى البيت المذكور بطرف القبيبات على أنه متوجه إلى مصر. فلما كان فى سادسه، وبيبغا المظفرى، وابن منجك، وجلبان، وأرغون شاه، ويشبك الأيتمشى، فى جماعة يسيروين بسوق الخيل، بلغهم أن يلبغا كماج كاشف القبلية، حضر فى عسكر إلى قريب داريا، وأن خلفه من جماعته طائفة، وأن قنباى طلع إليه، وتحالفا، ثم عاد إلى بيت غرس الدين، وقد تأهب للحركة، فاستعد المذكورون، ولبسوا آلة الحرب، وزحفوا إليه، وقاتلوه من بكرة النهار إلى العصر، فهزمهم ومروا على وجوههم إلى صفد، ودخل قانباى إلى دمشق، ونزل دار العدل من باب الجابية، ورمى على أهل القلعة بالمدفع، وأحرق جملون دار السعادة،

---

(١) جُلُبّان بن عبد الله، المعروف بأمير آخور، الأمير سيف الدين نائب الشام. اتصل بخدمة الملك المؤيد شيخ لما كان أميرًا ودام عنده، حتى طرق الملك المؤيد الديار المصرية فى غيبة الملك الناصر فرج بالبلاد الشامية، وحاصر قلعة الجبل بمن معه من الأمراء، ثم انكسر المؤيد وأصحابه وانهزموا إلى جهة باب القرافة، وتقنطر المؤيد عن فرسه، فلحقه جلبان هذا بالجنيب، فعرفها له المؤيد لما تسلطن، ورقاه حتى جعله أمير طبلخاناة وأمير آخور ثانى، ثم مقدم ألف بالديار المصرية، وجرد صحبة من تجرد من الأمراء المصريين إلى البلاد الشامية ومات المؤيد فى غيبته، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من المؤيدية وغيرهم، وحبسه بتلك البلاد، إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم نقله إلى نيابة حماة فى يوم الخميس عشرين شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة، عوضا عن الأمير جارقطلو بحكم انتقاله إلى نيابة حلب بعد الأمير تنبك البجاسى المتنقل إلى نيابة دمشق بعد موت الأمير تنبك العلائى ميق، واستمر فى نيابة حماة سنين إلى أن نقل إلى نيابة طرابلس «فى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة بعد موت الأمير طرباى، فباشر نيابة طرابلس» إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حلب فى شوال سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بعد عصيان تغرى برمش نائب حلب، فدام فى نيابة حلب إلى أن نقل إلى نيابة الشام بعد موت الأمير آقبغا التمرازى فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير دولات باى المحمودى المؤيد الدوادار الثانى، واستمر فى نيابة دمشق سنين ولا يعلم أحدا أقام فى نيابة دمشق بعد تنكز أكثر من جلبان هذا وأيضا له منذ ولى نيابة حماة إلى يومنا هذا – من سنة ست وعشرين – يتنقل من نيابة إلى أخرى. ولم يعزل فيها عن عمل إلا عندما ينقل إلى عمل أعلا منه، وهذا أيضًا لم يقع على أحد من أهل الدولة الكثير، مع أنه لا فارس الخيل، ولا وجه العرب، وإن كان يعرف فنون الملاعيب، وركوب الخيل، لكنه لم يشهر بشجاعة، ولا إقدام، غير أنه عارف بالسياسة، وجمع المال وإنفاقه إلى ذخائر الملوك، ولذلك طالت أيامه. انظر المنهل الصافى ٥/ ١٠ وما بعدها، الدليل ١/ ١٣٨، النجوم ١٦/ ١٧٤، الضوء ٣/ ٧٧.

فرماه من بالقلعة بالمجانيق. فانتقل إلى خان السلطان، وبات فى خيمة وهو يحاصر القلعة. ونزل على باب الفرنج تنبك البجاسى نائب حماة، وعلى الباب الذى من جهة باب البريد الأمير طرباى نائب غزة، وعلى باب الحديد الأمير تنبك دوادار قانباى، إلى أن بلغهم وصول العساكر، ساروا من دمشق. وكان الأمير ألطنبغا العثمانى قد توجه على بلاد المرج إلى جرود، فجد العسكر السير وراء قانباى، إلى أن نزلوا برزة، وتقدم منهم طائفة، فأخذوا من ساقته أغناما وغيرها، وجرح أحمد بن تنم فى يده بنشاب، وجرح معه جماعة فلما بلغ الخبر الأمير أينال الصصلانى نائب حلب رحل فى ثالث عشره من حلب، فنزل قانباى سلمية فى سلخه، ثم رحل من حماة ليلة ثانى عشر شهر شعبان يريد حلب، فاجتمع بأينال نائب حلب فى نهار الأربعاء حادى عشره، واتفقوا جميعا على التوجه إلى جهة العمق، وسيروا أثقالهم فى ليلة الخميس وأصبحوا وقد أجهر نائب قلعة حلب النداء بالنفير العام، فأتاه جل أهل حلب، ونزل بمن عنده من العسكر، فلم يثبتوا، وفر قانباى وأينال الصصلانى على خان طومان، وتخطف العامة بعض أثقالهم. وكان السلطان قد بلغه - وهو برأس وادى عارا يريد دمشق - فرار قانباى، فعدى السير حتى دخل دمشق.

وفيه صار الجامع الأزهر تحت نظر الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب فاستناب عنه فى النظر رجلا ممن قدم إلى القاهرة مع الملك المؤيد شيخ من دمشق، واشتهر بمجالسته وعرف بكثرة التردداد إليه، يقال له شمس الدين طغد الخواجا الشمس الماحوزى - يعانى المتجر - فجرت فى مباشرة هذا المذكور حوادث بالجامع الأزهر لم يعهد لها نظير فى شناعتها؛ منها أنه لم يزل هذا الجامع منذ بنى يجاور به طوائف من الناس، ما بين عجم ومغاربة وزيالع، ومن يرد من أرض الريف إلى القاهرة من طلبة العلم، ولكل طائفة رواق يختص بهم، فلا يبرح عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتعليمه والاشتغال بأنواع العلوم من الفقه والنحو وسماع الحديث، وعقد مجالس الوعظ، فيجد الإنسان إذا دخل إليه من الأنس با لله، والارتياح، وترويح النفس، ما لا يجده قبل أن يصير فيه ، وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر، من الذهب والفضة والفلوس، مساعدة للمقيمين به على التفرغ للعبادة، وفى كل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات، لاسيما فى المواسم، وبلغ عدد مجاوريه إلى سبعمائة وخمسين رجلا فأمر الماجوزى - فى جمادى الأولى من هذه السنة - بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة به، وأخرج ما كان لهم فيه من صناديق ونحوها، ظنا منه أن هذا الفعل مما يثاب عليه من ا لله، وما كان إلا من أعظم الذنوب وأشدها نكرا،

وأكثرها ضررا، لما نزل بأهل الجامع من البلاد الكبير، وتشتت شمل الفقراء، وعز عليهم وجود ما كان يأويهم، فساروا فى القرى، وتبدلوا بعد الصيانة، وفقد من الجامع ما كان يوجد فيه من كثرة تلاوة القرآن، ودراسة العلم، وذكر الله تعالى، ثم لم يقنع بما صنع ، حتى زاد فى التعدى، وأغرى الأمير سودن القاضى بأن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون ما لا ينبغى ذكره، وكانت العادة أيضا قد جرت بمبيت كثير من الناس فى هذا الجامع، ما بين تاجر وفقيه وجندى وغيرهم، منهم من يقصد بمبيته البركة، ومن الناس من لا يجد مكانا يأويه، وفيه من يستروح بالمبيت فيه، خصوصا فى زمن الصيف، وأيام المواسم، فإنه يمتلئ صحنه، وأكثر رواقاته.

فلما كان فى ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة: طرق الأمير سودن الجامع بعد عشاء الآخرة، والوقت صيف، وقبض جماعة وضربهم، وكان قد حضر معه من الأعوان والغلمان، ومن يقصد النهب أمة كبيرة، فحل بمن كان بالجامع أنواع من البلاء، ووقع النهب فيهم، فأخذت عمائمهم وفرشهم، وفتشوا فأخذ من عدة من الناس مال كان على أوساطهم ما بين ذهب وفضة، وفيهم من سلب ثيابه، فكان أمرا من الشناعة لم يسمع بأقبح منه، سيما والناس يومئذ يتظاهرون بأنواع المحرمات القبيحة، تظاهر من يتبجح بما يعمل، ويفتخر بما يبدى، ورأى الماحوزى أنه قد أزال المنكر من الجامع، ولم يبق من المعروف إلا عمل ثوب أسود غشى به المنبر، وجدد له علمين، بلغت النفقة على ذلك نحو خمسة عشر ألف درهم، فسبحان من يضل من يشاء، ويهدى من يشاء، لا إله إلا هو.

وفى هذا الشهر: قدم الأمراء من سفرهم بالبحيرة، وذلك أن أهل البحيرة فروا منهم إلى جهة الفيوم، فسار الأمير تنبك ميق، وسودن القاضى حاجب الحجاب، إلى حربهم بالفيوم، فلم يظفرا بهم.

وفى ثانى عشرينه: استقر الأمير مشترك فى نيابة غزة، عوضا عن طرباى.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير ألطنبغا القرمشى أمير أخور، واستقر أميرا كبيرا، عوضا عن الأمير ألطنبغا العثمانى.

وفيه قدم رسول دوج البنادقة من الفرنج بكتابه وهدية فيها هناب[1] بلور محلى بفضة مجراة بالمينا، وأربعة طشوت بأربعة أباريق، وخمسة أطباق وهناب، وشربتان، كل ذلك فضة مجراة بالمينا وملعقة فضة بساعد مرجان، وجوخ، وحرير مخمل، وحلوى سكرية، وزجاج، فعرب كتابه، وقبلت هديته.

---

(١) على هامش ط: قدح الشراب.

وفى سلخه: خلع على الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى واستقر فى نظر المارستان المنصورى على العادة، وخلع على الأمير تنبك ميق رأس نوبة، واستقر أمير آخور، عوضا عن القرمشى.

شهر رجب أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار من البحيرة بغير طائل، وقد بلغ إلى قبيصة[١] قريبا من العقبة الصغرى[٢] وقد التقى أهل البحيرة مع عرب لبيد أهل برقة، واقتتلوا، فانكسر أهل البحيرة، وأخذ منهم لبيد نحو ثلاثة آلاف بعير، وعشرات آلاف من الأغنام ومضى أهل البحيرة نحو الفيوم، فاستولى العسكر على أغنام كثيرة جدا، وهلك لهم أكثر مما أخذ منهم، فكان عدة ما ذهب لأهل البحيرة فى هذه الحركة من الأغنام زيادة على مائة ألف رأس، يخاف بسببها أن تعز الأغنام بأرض مصر.

وفى رابعه: خلع على الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب، واستقر رأس نوبة عوضا عن تنبك ميق، وخلع الأمير سودن القاضى قرا صقل، واستقر حاجب الحجاب.

وفى حادى عشره: سار الأمير أقباى الدوادار[٣] على مائتى مملوك، نجدة لنائب الشام.

وفيه دار محمل الحاج على العادة.

---

(١) قبيصة: قرية من أعمال شرقى مدينة الموصل. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٨.

(٢) العقبة الصغرى: من أعمال برقة.

(٣) آقباى بن عبد الله الدوادار، نائب الإسكندرية، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأتابك يشبك الشعبانى الظاهرى، وتنقلت به الأيام إلى أن صار من جملة الدوادارية الصغار فى الدولة الأشرفية برسباى، باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير الصاحب غرس الدين خليل بن شاهين الشيخى عنها فى يوم الخميس ثالث عشرين شهر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، وخلع على شرف الدين بن الفضل، واستقر فى نظر الإسكندرية عوضا عن الأمير خليل وجهز خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدمامينى باستقراره فى قضاء الإسكندرية على عادته، فتوجه آقباى المذكور إلى الإسكندرية وباشر نيابتها إلى أن توفى بها فى آخر شوال سنة أربعين وثمانمائة، واستقر عوضه فى نيابة الإسكندرية الزينى عبد الرحمن بن علم الدين داود بن الكويز أحد الدوادارية فى ثانى ذى القعدة من السنة. وكان آقباى المذكور مشهور بالطمع الزائد والشره فى جمع المال، وخلف مالا جزيلا، لكنه كان فيه تعصب لمن يقصده بجعالة، وإلا فلم يتعصب له، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته فى الدليل الشافى ١/١٣٧ والضوء اللامع٢/٣١٤.

وفى ثالث عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك من دمشق، فارا من الأمير قنباى، فارتجت القاهرة لسفر السلطان، وكثر الاهتمام بذلك.

وفى رابع عشره: قبض على الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح وسجن فى برج بقلعة الجبل.

وفيه رسم للأمراء بالتأهب للسفر إلى الشام، وأخذ السلطان فى عرض المماليك، وتعيين من يختاره للسفر.

وفى ثامن عشره: أنفق السلطان نفقات السفر، فأعطى كل مملوك ثلاثين دينارا أفرنتية، وتسعين نصفا مؤيدية، وفرق الجمال .

وفى تاسع عشره: قبض على الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وضرب بالمقارع، وأحيط بحاشيته وأتباعه، وألزم بمال كبير.

وفى حادى عشرينه: خلع على علم الدين - المعروف بأبوكم - واستقر فى نظر الدولة، ليسد مهمات الدولة مدة غيبة السلطان.

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة من قلعة الجبل ، ونزل بمخيمه خارج القاهرة. وخلع على الأمير ططر[1] وعمله نائب الغيبة بديار مصر، وأنزله بباب السلسلة. وخلع على الأمير سودن قراصقل حاجب الحجاب، وجعله مقيما للحكم بين الناس، وخلع على الأمير قطلوبغا التنمى، وأنزله بقلعة الجبل.

وبات السلطان تلك الليلة، واستقل من الغد بالمسير إلى الشام، ومعه الخليفة، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى - وحده من دون القضاة حسب سؤاله لما له من التعلقات ببلاد الشام - فدخل السلطان إلى غزة فى تاسع عشرينه، وسار منها فى نهاره، وكان قد خرج الأمير قنباى من دمشق فى سابع عشرينه، ومعه طرباى نائب غزة، وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، يريد حلب.

---

(١) ططر (٧٦٩ - ٨٢٤هـ = ١٣٦٧ - ١٤٢١م)ططر الظاهرى الجركسى المكنى بسيف الدين أبى سعيد، الملك الظاهر.من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام، أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه بمصر، وأعتقه واستخدمه ولما آلت السلطنة إلى الناصر فرج توجه ططر إلى حلب ولحق بأهل الشغب والعصيان، ثم جعله المؤيد شيخ بن عبد الله مقدم ألف، فأمير مجلس. وتولى ططر إدارة المملكة عندما تسلطن ابن المؤيد المملكة وتزوج أم المظفر ثم خلع المظفر، وطلق أمه، بدمشق؛ ونادى بنفسه سلطانا، وتلقب بالظاهر سنة ٨٢٤هـ وعاد إلى مصر مريضا، فلم يلبث أن مات بالقاهرة، ويقال: أن أم المظفر دست له سما بطيئا بعد خلعه ابنها، فمات من أثره.

وفى تاسع عشرينه نزل حسين بن نعير على سلمية، لأخذ الأمير حديثة بن سيف، فركب إليه وقاتله، فظفر به حديثة وقطع رأسه، وحملها إلى السلطان.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى ثانيه: دخل الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام إلى دمشق، وقرئ تقليده فكان يومًا مشهودًا.

وفى يوم الجمعة سادسه: قدم السلطان دمشق، وسار منها بعد يومين فى أثر قنباى ورفيقه.

وقدم الأمير أقباى الدوادار على عسكر، فانتهى إلى قريب من تل السلطان، ونزل السلطان على سرمين، فخرج أينال الصصلانى نائب حلب، وقنباى، بمن معهما، ولقوا أقباى وقاتلوه، فكسروه، وقبضوا عليه، وعلى جماعة كبيرة ، فأتى الصارخ بذلك للسلطان، فركب من سرمين وأدركهم، فلم يثبتوا، وفروا فقبض على أينال نائب حلب، وشرباش كباشة حاجب حلب، وتمان أرق، وجماعة، فى يوم الخميس رابع عشره، ومضى إلى حلب فأخذ قنباى أسيرًا، وأحضر إليه فى ثالث يوم الوقعة، فقتل معه جماعة وسيرت أربعة رءوس من رءوسهم إلى القاهرة، فقدم بها الأمير شاد الشربخاناه فى يوم الأحد خامس عشر رمضان، وهى رأس الأمير قنباى المحمدى نائب الشام، ورأس الأمير أينال الصصلانى نائب حلب، ورأس شرباش كباشة - وكان قد نقل من القدس واستقر فى حجوبية الحجاب بحلب - ورأس الأمير تمان تمر أرق، الأمير الكبير بحلب، فرفعت على رماح، ونودى عليها بالقاهرة «هذا جزاء من خامر على السلطان، وأطاع الشيطان، وعصى الرحمن»، ثم علقت على باب زويلة أياما وحملت إلى الإسكندرية، فطيف بها هناك، ثم أعيدت إلى القاهرة وسلمت إلى أهاليها.

وخلع السلطان بحلب على الأمير أقباى الدوادار، واستقر به فى نيابة حلب،وعلى الأمير جرقطلو، واستقر به فى نيابة حماة، عوضا عن الأمير تنبك البجاسى، وخلع على الأمير يشبك شاد الشر بخاناه، واستقر به فى نيابة طرابلس، فقدم أبو يزيد بن قرا يلوك على السلطان بحلب، يهنئه بالنصر، ومعه هدية سنية، فخلع عليه وأكرمه، ثم بعثه إلى أبيه فى رابع عشرين رمضان، ومعه هدية جليلة.

وفيه توجه الأمير يشبك نائب طرابلس من حلب إلى محل كفالته، ثم قدمت رسل قرا يوسف وغيره.

وورد الخبر بخروج كزل نائب ملطية عن الطاعة، ومسيره منها إلى جهة التركمان.

وتوجه السلطان من حلب عائدا إلى دمشق، فنزل حماة، وعزم على الإقامة بها مدة الشتاء، ليحسم مواد الفتن، ويأخذ من فر فى وقعة قنباى، وهم تنباك البجاسى نائب حماة، وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، وطرباى نائب غزة، وكزل نائب ملطية وغيرهم، فأقام أياما، وبلغه عن القاهرة ما اقتضى حركته إليها، وقدم الأمير طوغان أمير أخور نائب صفد، وقد أنعم عليه بإمرة مائة بديار مصر، فى آخر شهر رمضان، وتوجه إلى الشرقية لأخذ تقادم الولاة والعربان، عونا له على تجديد ما نهب له فى الوقعة.

وفى هذه السنة: حدث غلاء عظيم بديار مصر، وذلك أن هذه السنة لما أهلت كانت الأسعار رخيصة، فلا يتجاوز الأردب القمح نصف دينار، إلا أن الغيث كان فى أوانه قليلا بأرض مصر، فلم ينجب الزرع بنواحى الوجه البحرى كله من الشرقية والغربية والبحيرة، ولا حصل منها وقت الحصاد طائل.

وحدث مع هذا فى كثير من نواحى أرض مصر فأر أتلف كثيرا من الغلال، واتفق مع ذلك وقوع الفتنة بأراضى البحيرة وخروج العسكر إليها، فتلف من غلالها شىء كثير ، فإنها تمزقت تمزيقا فاحشا، ثم إن العسكر توجه إلى بلاد الصعيد فى وقت قبض المغل، فعاثوا وأفسدوا و لم ينالوا من المفسدين الغرض، وعادوا عودا رديا، فعظم النهب وشن الغارات ببلاد الصعيد، وشملت مضرة العربان عامة الناس.

ووقع الغلاء بأرض الحجاز وبوادى العرب، وبلاد الشام، فدف [١] إلى أرض مصر من هذه البلاد خلائق كثيرة لشراء القمح، فحملوا منه ما لا يقدر قدره، وكان مع ذلك كله توجه السلطان من القاهرة إلى الشام، بسبب الفتنة التى أثارها قنباى المحمدى، فخلا الجو لمن يحكم بالقاهرة، وتصرف أقبح تصرف وذلك أنه أخذ عند ابتداء زيادة النيل يستكثر من شراء القمح، فأشيع عنه أنه يخزنه لينال فيه ربحا كثيرا، فإن النيل يكون فى هذه السنة قليلا، وكثرت الإشاعة بهذا، فتنبه خزان القمح وأمسكوا أيديهم عن بيعه، فحدث مع هذا توقف النيل عن الزيادة فى جمادى الآخرة، كما تقدم ذكره، فجزع الناس، وأخذ الأغنياء فى شراء القمح وخزنه، فارتفع سعره، وعز وجوده بعد كساده. فلما منَّ الله بزيادة ماء النيل، حتى بلغ القدر المحتاج إليه بزيادة، اطمأنت قلوب العامة، فأرجف خزان القمح بأن الفتن ببلاد الصعيد عظيمة، وأن الغلاء واقع من عدم الواصل، فلطف الله عز وجل، وثبت ماء النيل حتى قرب برد

(١) دف الرجل دفا ودفيفا مشى خفيفا. انظر محيط المحيط (دف).

الخريف، ثم نزل نزولا حسنا، وزرع الناس الأراضى، وقد أمنوا حدوث الدودة، حتى كمل الزرع، ودخل شهر رمضان، ومع ذلك القمح آخذ فى الزيادة فى الثمن إلى أن بلغ الأردب إلى مائة وستين درهما، وعز وجوده، وتعذر وجود التبن أيضا، بحيث علفت الدواب بالنخال، ومن الناس من علفها عوضا عن التبن قشور القصب، وبلغ كل حمل من التبن إلى ثلاثمائة درهم، بعد ما كان بدون الأربعين درهما، فلم يهل شوال حتى زاد الأردب القمح على مائتى درهم، وقل الواصل منه من أجل أن المتولى حجر على من يجلب القمح، وجدد على كل أردب مبلغا يؤخذ من بائعه، فعز وجود الخبز بالأسواق، وتزاحم الناس فى الأفران على شرائه منها، وشنعت القالة فى متولى القاهرة. وفحش الإرجاف به، فخاف على نفسه، واستعفى نائب الغيبة، فأعفاه من التحدث فى الحسبة، واستدعى رجلا من الشاميين يعرف بشمس الدين محمد الحلاوى، وولاه الحسبة فى العشرين منه بسفارة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، فباشر بعفة عن تناول ما لا يستحقه، إلا أنه منع من الزيادة فى السعر، وتشدد فيه، فقل الواصل حتى فقد القمح وبلغ الناس الجهد.

وكان خبر القاهرة المحروسة قد انتشر فى عامة أرض مصر، قبليها وبحريها، فارتفعت عندهم الأسعار أيضا، وأقبل أهل الوجه البحرى إلى ساحله بالقاهرة فى شراء القمح لقلته عندهم، وأمسك أهل الصعيد أيديهم عن بيع القمح، لما بلغهم من منع الحلاوى الزيادة فى سعره، فاشتد الأمر، وكثر صراخ الناس من الرجال والنساء، وشنع ضجيجهم لفقدهم الخبز بالقاهرة ومصر وجميع أرض مصر، من دمياط والإسكندرية إلى قوص، وضجت عامة المدن والقرى والأرياف.

فلما أهل ذو القعدة: تزايدت الأسعار بالقاهرة ومصر لقلة الواصل، واشتد الزحام بالأفران فى أخذ الخبز، فخشى الحلاوى على نفسه، واعتزل.

وأعيد التاج فى يوم الإثنين ثانى عشره، وقد امتدت الأيدى لخطف الخبز، واجتمع عشرات آلاف من الناس بساحل بولاق لطلب القمح، فاستشعر الناس بنهب البلد كله، وخشوا من تعطيل الأسواق وترك البيع والشراء، لكثرة الاشتغال بطلب الخبز والقمح ، فإن العامة صارت تخرج لطلبه من نصف الليل، وتزدحم بالأفران، وتمضى طوائف من الرجال والنساء فى طلب القمح إلى الساحل، ويبيتون هناك، فغلت أصناف المأكل كلها وشرهت النفس، وطلب كل أحد شراء أكثر ما يحتاج إليه بحسب قدرته، وبمقتضى حاله من السعة والضيق، فتفاقمت الشناعة، وعظم الخطب، بحيث عجز كل

أحد عن شراء القمح مالم يعط أحدا من أعوان الوالى مالا، ويبيت معه بالساحل ، وكان الوقت شتاء، فإذا اشترى أردبا فما دونه يحتاج إلى عون آخر يحرسه، ويحميه من النهابة.

واستقر على كل أردب مبلغ خمسين درهما لمن يحميه، ولا يأخذ السمسار إلا عشرة دراهم، بعدما كانت سمسرته خمسة دراهم، ويأخذ التراس أجرة حمل الأردب خمسة عشر درهما، بعدما كانت أجرته خمسة دراهم، وإذا وردت مركب تحمل القمح إلى قريب الساحل لا يجسر أربابها على عبور الساحل خوفا من النهب، وإنما يوقف بها فى وسط النيل، فيحتاج المشترى أن يركب إليها فى مركب يسير به، ثم يعود به وبما اشتراه بأجرة يتكلف لها، وغرقت مركب فيها جماعة كثيرة ممن عدى من الساحل ليشترى من قمح وصل فى مركب قد وقفت فى وسط النيل، فغرق منهم نحو العشرين ما بين رجل وامرأة، فلم يقدر عليهم. ومات عدة من النسوان فى الزحمة بالأفران، وتجاوز القمح الثلاثمائة درهم كل أردب، سوى كلفه، وتقرب من مائة درهم، ويحتاج فى غربلته وطحنه إلى مائة أخرى، فيقوم بنحو خمسمائة درهم.

فلما اشتد الأمر، خرج قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى ليس تسقى بالناس، فى يوم الإثنين ثامن عشره ومعه عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، سبحانه وتعالى فسار من منزله ماشيا، ومعه الأمير التاج، حتى خرج من باب النصر إلى الترب، فانطلقت الألسنة بكل سوء فى حق التاج، ولم يبق إلا أن يرجم، فاختفى ومضى شيخ الإسلام بالناس إلى سفح الجبل ، قريبا من قبة النصر، فضجوا ودعوا ا لله سبحانه وتعالى وهم قيام نحو ساعة، ثم انصرفوا، فكان من المشاهد العظيمة، وتيسر وجود الخبز إلى يوم السبت رابع عشرينه، ثم فقد. وسبب فقده أن التاج منع كل من قدم بقمح أن يبيعه إلا للطحانين، وسعر الأردب بثلاثمائة وخمسين درهما، فكان إذا طحن وبيع دقيقا وقف من حساب ستمائة درهم وأزيد، فإذا عجن خبزا كان من حساب ثمانمائة درهم وأزيد ، فامتنع من سوى الطاحنين من سائر الناس من شراء القمح ، وكثر طلبهم للدقيق والخبز، وازدحموا على الأفران من عدم الخبز بالأسواق.

وانقطع الواصل من القمح، فركب التاج إلى البلاد القريبة، وتتبع مخازن القمح بها، وباعها على الطمانين فشنع الأمر فى الأفران، واقتتل الناس على أخذ الخبز منها، وانتهبوا عدة أفران وأخذوا ما بها من العجين، فعطلها أربابها، وتغيبوا، وأبيعت البطة

من الدقيق بمائة درهم، والقدح من الأرز بثلاثة عشر درهما، والأردب القمح فى البحر للطحان بثلاثمائة وخمسين، سوى كلفه،ولمن عدا الطحان من الناس بحسب تشدد بائعه، فاشترى بثمانمائة وألف درهم الأردب ، وشح كل أحد به، وامتنع من عنده منه شىء أن يبيعه، وإن باع فلا يسمح منه إلا بقليل، وبلغ الأردب الشعير - إن وجد - إلى مائتين وخمسين، والأردب الفول إلى ثلاثمائة درهم، وبلغ الحمل من التبن إلى مائتين، وبيعت أربعة أحمال بألف درهم، حسبها أن تكون قدر حملين فيما كنا نعهده.

وتزايد سعر الذهب، فبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين درهما، والدينار الأفرنتى إلى مائتين وخمسين درهما، والدينار الناصرى إلى مائتين، ثم اشتد الأمر، فندب نائب الغيبة إلى كل فرن جماعة من الأجناد يقفون به لمنع العامة من الخطف والنهب، وقعد حاجب الحجاب بنفسه على فرن بخط التبانة، ومعه عدة من مماليكه، حتى وجد الخبز على الحوانيت بالأسواق، بعدما عجز الكثير من الناس عن الخبز، واعتاضوا عن أكله بالفول الأخضر والقلقاس، ولولا لطف الله تعالى بعباده وكون البهائم مرتبطة على البرسيم الأخضر، لهلكوا من عند آخرهم جوعا، فإن القدح الفول بلغ أربعة دراهم، وتعذر وجود الشعير، وخرج الناس أفواجا إلى الأرياف فاشتروا القمح بخمسمائة درهم الأردب غير كلفه، وأنا استقام علىَّ أردب قمح فى آخر ذى القعدة، اشترى لى من الريف مع - العناية - بستمائة درهم.

وأهل ذو الحجة: والناس فى جهد جهيد، من تعذر وجود الخبز والدقيق والقمح، إلا بعناء ومشقات كثيرة، مع تواصل مجىء مراكب الغلال، ونزول الغيث المحتاج إليه فى وقت الحاجة، وخصب الزروع وكثرتها، وقرب أوان مجىء الغلة الجديدة، ولكن الله يفعل ما يريد.

وفى يوم الخميس رابع عشرين شوال: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج إلى القاهرة، وقد عاد من بغداد إلى السلطان وهو بحلب، فولاه كشف الشرقية والغربية والبحيرة، ورد إليه أمر قطيا.

وفى يوم السبت رابع عشرين ذى القعدة: قدم كتاب السلطان بأنه قدم دمشق، وعزم على عوده إلى القاهرة، وأنه قبض على الأمير سودن القاضى، وخلع على بردى باك قصقا، واستقر به عوضه رأس نوبة كبيرا، وسجن سودن القاضى.

ورسم السلطان بتجهيز ولده الأمير صارم الدين إبراهيم لملاقاته، فسار إليه فى يوم الثلاثاء سابع عشرينه وفى خدمته الأمير سودن حاجب الحجاب، والأمير كزل العجمى

فى عدة من المماليك، فلقى السلطان، وعاد معه، فنزل السلطان على السماسم شمالى خانكاه سرياقوس - فى يوم الخميس نصف ذى الحجة.

وركب السلطان فى ليلة الجمعة إلى الخانكاه، وعمل مجتمعا حضره عشر جوق من قراء القرآن، وعدة من المنشدين، ومدت لهم أسمطة جليلة، ثم أقيم السماع بعد فراغ القراء والمنشدين طول الليل، فكانت ليلة غراء، مدت فيها أنواع الأطعمة وأنواع الحلاوات، وطيف على الحاضرين بالمشروب من السكر المذاب، وأنعم السلطان على القراء والمنشدين، وصوفية الخانكاه بمائة ألف درهم.

وركب السلطان بكرة يوم السبت سادس عشره من الخانكاه، ونزل بطرف الريدانية، فتغدى هناك، وعبر من يومه إلى القاهرة، وصعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودا.

ونودى من الغد بالأمان، وأن الأسعار بيد الله سبحانه تعالى، فلا يتزاحم أحد على الأفران، وتصدى السلطان للنظر فى الأسعار بنفسه، وعمل معدل القمح، وقد تزايدت الأسعار، وبلغ الأردب القمح - إن وجد - إلى ما يزيد على ستمائة درهم، والأردب الشعير إلى أربعمائة درهم.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: خلع على الأمير جقمق الدوادار الثانى، واستقر دوادار كبيرا، عوضا عن الأمير أقباى المتولى نيابة حلب، وخلع على الأمير يشبك واستقر دوادارا ثانيا، عوضا عن الأمير جقمق.

وفيه نودى بمنع الناس من المعاملة بالدنانير الناصرية، وتهدد من تعامل بها أن تسبك فى يده هذا وقد بلغ سعر المثقال الذهب إلى مائتين وثمانين درهما، والدينار الأفرنتى إلى مائتين وستين درهما، والدينار الناصرى إلى مائتين وعشرة دراهم، فرسم أن يكون سعر المثقال بمائتين وخمسين، والأفرنتى بمائتين وثلاثين، وأن يقص الناصرى، ويدفع فيه من حساب مائة وثمانين، ولا يتعامل به.

وفى يوم السبت سلخه: خلع على الأمير سيف الدين إبراهيم[1]، المعروف بأبخروص - ويقال خرز - نقيب الجيش، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن تاج الدين تاج بن سيفا القازانى، المعروف بالتاج الشويكى الدمشقى، وخلع على الأمير التاج، واستقر أستادار الصحبة.

وفيه انتصب السلطان فى مجلسه بالإصطبل للحكم بين الناس على عادته، وضرب جماعة من الكتاب والفلاحين وغيرهم.

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الله سيف الدين الشامى المهمندار، المتوفى سنة ٨٣١ هـ. انظر الضوء اللامع ١/ ٧٢.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج، وأن القمح أبيع بمكة كل ويبة ونصف بدينار.

وفيه قل وجود الخبز فى الأفران، لعدم القمح بالساحل، وبشون الأمراء، ومخازن التجار.

وحج بالناس من مصر الأمير يشبك الدوادار الصغير.

وفيها عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أفلاق، فاضطرب الأمير محمد كرشجى.

وفيها اشتد الوباء بمدينة فاس من بلاد المغرب وأعمالها، حتى فنى أكثر الناس سوى من مات من الجوع فى سنى الغلاء.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم

الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيرى[1]، يوم الأربعاء رابع عشر صفر. ومولده ليلة السبت سادس ذى القعدة، سنة ست وستين وسبعمائة، وبالقاهرة.

ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد بن الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف التركمانى، المعروف بابن التبانى، يوم الأحد ثامن عشرين رمضان.

ومات سعد الدين بن بنت الملكى، فى ثالث رمضان. ولى نظر الجيش .

ومات زين الدين حاجى الرومى، شيخ التربة التى أنشأها الملك الناصر فرج، على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر من القاهرة، ليلة الخميس رابع عشرين شوال، واستقر عوضه فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد البساطى المالكى، بعناية الأمير ططر نائب الغيبة.

ومات الملك سكندر بن ميرز شيخ عمر بن تيمورلنك، وكان قد ملك بلاد فارس بعد قتل أخيه بير محمد عدة سنين، ثم خالف على عمه شاه رخ، فسار إليه وقاتله،

---

(١) (٧٦٦ - ٨١٨ هـ = ١٣٦٤ - ١٤١٥م) إبراهيم بن بركة، الصاحب سعد الدين المعروف بالبشيرى القبطى المصرى. مولده فى ليلة السبت سابع ذى القعدة سنة ست وستين وسبعمائة، وتوفى ليلة الأربعاء رابع عشر صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى جـ١ ص١١ رقم ٢٣، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص١٣٧، الضوء اللامع جـ١ ص٣٣.

وأسره، وسمل عينيه، وأقام عوضه أخاه رستم، وخلاه لسبيله، وعاد فجمع سكندر جمعا قليلا، وقدم عليهم ابنه، فقاتلهم رستم وهزمهم، وأخذ سكندر، وقتله بأمر عمه شاه رخ.

ومات الفقير المعتقد الشيخ محمد الديلمى، فى رابع ذى القعدة، ودفن بالقرافة.

* * *

سنة تسع عشرة وثمانمائة

أهلت، وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز، الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود، وأتابك العساكر الأمير ألطنبغا القرمشى، وأمير أخور كبير تنبك ميق ورأس نوبة النوب الأمير بردباك. والدوادار الكبير الأمير جقمق، وحاجب الحجاب الأمير سودن قرا صقل، وقضاة القضاة على ما تقدم فى السنة الماضية، ما عدا الحنبلى، فإنه قاضى القضاة علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر بن مغلى الحموى، ومباشرى الدولة على ما مر فى السنة الماضية، ما خلا الوزارة، فإنها شاغرة، ونائب الإسكندرية الأمير أقبردى المنقار[1]، ونائب غزة الأمير مشترك، ونائب صفد الأمير خليل الجشارى، ونائب الشام الأمير ألطنبغا العثمانى، ونائب طرابلس الأمير ونائب حماة الأمير جرقطلو، ونائب حلب الأمير أقباى.

وأما مكة فإن الشريف حسن بن عجلان عزل عن نيابة السلطنة ببلاد الحجاز، وعزل ابناه الشريف بركات[2] والشريف أحمد عن إمرة مكة، فى صفر من السنة الماضية، واستقر الشريف رميثة بن محمد بن عجلان[3] فى إمرة مكة.

---

(١) آقبردى بن عبد الله المؤيدى، المعروف بالمنقار، الأمير سيف الدين. أحد المماليك المؤيدية، وأحد مقدمى الألوف بالديار المصرية فى دولة أستاذه، اشتراه المؤيد فى حال إمرته وخدمه فى أيام تلك الفتن إلى أن تسلطن المؤيد قربه ورقاه وولاه نيابة الإسكندرية، وجعله أمير مائة مقدم ألف، ثم عزله عن نيابة الإسكندرية عند توجهه إلى البلاد الشامية، وأخذه صحبته وهو مريض فى محفة إلى أن وصل إلى دمشق. مات بها فى يوم الخميس سابع عشرين صفر سنة عشرين وثمانمائة. وكان غير مشكور السيرة، مشهور بالظلم والعسف وقبح الشكل.انظر ترجمته فى الدليل ١/١٣٩، النجوم الزاهرة ١٤/١٤٦، الضوء اللامع ٢/٣١٦.

(٢) بركات بن حسن (٨٠٢ - ٨٥٩ هـ = ١٤٠٠ -- ١٤٥٥م)بركات بن حسن بن عجلان ابن رميثة: من أمراء مكة فى عهد الأشراف. وليها مشاركا لأبيه سنة ٨١٠هـ، وانفرد بعد وفات أبيه سنة ٨٢٩ فاستمر إلى سنة ٨٤٥ عزل بأخيه على ثم أعيد ثم عزل بأخيه أبى القاسم سنة ٨٤٦ هـ ثم أعيد سنة ٨٥١ هـ فاستدعاه السلطان حقمق إلى مصر، فقدمها ولقى منه عناية وإكراما، وعاد إلى مكة فاستمر أميرا إلى أن توفى وكان فاضلا له نظم.انظر نظم العقيان ١٠٠، صفحات لم تنشر ٣٢، بدائع الزهور ٢/ ٥٢ حوادث الزهور ٢/ ٣٦٤، خلاصة الكلام ٤٠ - ٤٣، التبر المسبوك ١٤، ١٤٣، ١٨٤.

(٣) رميثه بن محمد بن عجلان (٨٣٧ هـ = ١٤٣٣ م)، الشريف الحسنى المكى، أمير مكة =

ودخل إليها بعد ما فارقها المذكورون فى مستهل ذى الحجة منها، وأقام بها.

فأهلت هذه السنة والأمر على هذا.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد:

فى ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر النيل فى الحراقة إلى البر الغربى للصيد، وأقام هناك، فتلاحقت به أهل الدولة.

وقدم كتاب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج من الوجه البحرى أن القمح بلغ عنده إلى تسعمائة درهم الأردب.

وفيه نزل الطواشى زين الدين فارس بمبلغ كبير من الفضة المؤيدية، وطاف فى الجوامع والمدارس، والخانكاهات، وفرق فى أرباب وظائفها، الفقهاء والقراء والأئمة والمؤذنين والخطباء والقومة والمترددين، مبلغا كبيرا فحصل فى الأكثر لكل واحد أربعة عشر مؤيديا، وفيهم من تكرر اسمه فى خمسة مواضع وأكثر، فأخذ فى كل مكان نصيبا، فتوسع الناس بذلك، وحسن موقعه، وفرق أيضا مبلغا فى السوال، فأقل ما كان نصيب الواحد من المساكين خمسة مؤيدية، عنها مبلغ خمسة وأربعين فلوس، فعم النفع، وشمل البر عدة طوائف، وكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار.

وفيه بيعت ويبة قمح بمائة وثلاثين درهما من الفلوس، من حساب كل أردب بثلاثة مثاقيل ذهبا، وبيعت ويبة شعير بثمانين درهما فلوسا، من حساب الأردب بدينارين.

وفى خامسه: خلع السلطان - وهو بناحية أوسيم من الجيزية - على بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينتابى الحنفى، واستقر به فى حسبة القاهرة، وكانت شاغرة منذ قدم السلطان، وإنما كان قد تقدم للطواشى مرجان الهندى الخازندار أن يتحدث فيها من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له توقيع، فتحدث أياما، ثم بعثه السلطان إلى الوجه القبلى بمال ليشترى القمح، ويسيره إلى القاهرة توسعة على الناس، وتقدم بعد سفر مرجان إلى الأمير أينال الأزعرى أن يتحدث فيها، فنظم العينتابى فى الحسبة، والخبز لا يكاد يوجد.

=ولى إمرة مكة مدة ولم تحمد سيرته، وعزل وقتل خارج مكة فى خامس شهر رجب سنة سبعة ثلاثين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٥٧. والدليل ١/ ٣٩٦، النجوم ١٥/ ١٨٩، الضوء ٣/ ٢٣٠ أنباء الغمر ٣/ ٤٢٤، بدائع الزهور ٢/ ١٥٤.

وفى يوم الجمعة سادسه: وردت عدة مراكب من الوجه القبلى تحمل نحو الألفى أردب قمحا، فتباشر الناس بها.

وفى يوم السبت سابعه: ركب المحتسب، والأمير أينال الأزعرى إلى ساحل بولاق، لتفرقة القمح وتوزيعه على الطحانين، فاجتمع عالم لا يحصيهم إلا الله لشراء القمح، فركب الأمير أينال الأزعرى فى أجناده، طرد الناس عن القمح، خوفا من النهب، فلم ينتهوا ، وتكاثروا عليه، فغضب منهم، وحمل عليهم بمن معه يضربهم، فشنع الحال، وغرقت امرأة، فلم يوقف لها على خبر، وصلب الأمير أينال الأزعرى أربعة رجال طول نهارهم، وضرب رجلين على ظهورهما عريا ضربا وجال فى القوم جولة هو ومماليكه، ذهب فيها من العمائم ونحوها ماشاء الله،وعطب عدة أناس، وضرب بدبوسه رجلا كسر لوح كتفه، وسالت دماء جماعة متعددة، فكان من الأيام الشنيعة، بات الناس بالقاهرة ومصر ليلة الأحد والخبز عندهم أعز ما يذكر، وأشهى شيء به ينظر، وأفخر ما يتحف به من الطرف، وأجل ما يتهادى به من التحف، فلا قوة إلا با لله.

وفى ليلة الخميس: نقلت الشمس إلى برج الحمل، ودخل فصل الربيع، وقد فشا فى الناس الموت بالطاعون.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: عبر السلطان النيل بمن معه، وصعد قلعة الجبل، بخير.

وفى ثامن عشره: وردت عدة مراكب فيها غلال، بعث بها الأمير فخر الدين بن أبى الفرج مما اشتراه، الأردب بمبلغ ثمانمائة درهم بكيل الريف، وهو أردب ونصف بكيل القاهرة، فرسم السلطان أن يباع كل أردب منه على الطحانين بستمائة درهم، فاشتروا منه على هذا السعر، وقبض منهم فى ثمنه الذهب خاصة، دون غيره من النقود، ولم يعتد لهم فى الدينار الأفرنتى إلا بمائتين وثلاثين درهما، ولا فى الناصرى إلا بمائة وستين، فتضرروا بذلك من أجل أن الذهب يخرج بالأكثر، فالأفرنتى بمائتين وخمسين، والناصرى بمائتين وقد كانوا فى سادسه اشتروا القمح الذى ورد بأربعمائة وعشرين الأردب، فشملتهم الخسارة من الوجهين، واقتضى هذا أن عز وجود الخبز، وأبيع الرغيف الذى زنته نصف رطل بدرهمين بعد ما كان بدرهم.

وفى تاسع عشره: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وأحضر زين الدين مفلح رسول الملك الناصر أحمد بن الشرف إسماعيل متملك اليمن، ومعه هدية جليلة من شاشات، وأزر، وتفاصيل من حرير، وصينى، وعود، ولبان ، وصندل، وغير ذلك على

مائتى جمال، وفيها عدة سروج من عقيق بأطراف ذهب، وقطاط يخرج منها الزباد، فقبلت هديته، وقرئ كتابه، وأنزل رسوله، وأجرى عليه ما يليق به.

وفيه رسم أن يزاد فى قطيعة الفدان بأراضى مصر مبلغ مائتى درهم، فيصير بستمائة درهم الفدان، بعدما كان بأربعمائة درهم، وهذا يقتضى استمرار غلاء الأسعار، لأن الغلال لا تتحصل إلا وقد استقامت على أربابها بسعر عال والخسارة لا يأتيها أحد طوعا، خصوصا ومعظم غلال أرض مصر للسلطان والأمراء.

وفيه استدعى تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، وخلع عليه خلع الوزارة كرها، وكانت شاغرة منذ عزل بن الهيصم.

وفى هذا الشهر: خصب البرسيم الأخضر، وكثر، وانحط سعره، بحيث أنه كان يباع الفدان منه بألف ومائتى درهم، فنزل إلى مائتى درهم، ولهذا سمنت البهائم فى هذا الغلاء لكثرة اعتلافها من البرسيم الأخضر.

وفيه تزايدت أسعار الغلال، فبلغت البطة الدقيق إلى مائتين وخمسين درهما، ولم يعهد فيما تقدم من الغلوات مثل ذلك.

وفى حادى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج.

وفى ثالث عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج.

وفى سادس عشرينه: ركب السلطان ونزل إلى دار الضيافة بجوار القلعة، وقد جمع بها الصناع من الحجارين والبنائين والفعلة، وأقام بها صدرا من النهار، وقد شرعوا فى مرمتها، وكانت تشعثت لخلوها فى الأيام الظاهرية والناصرية، فذبح فيه للصناع بقرة طبخت واستمر العمل فى دار الضيافة مدة أيام.

وفى ثامن عشرينه: نودى بتأهب أجناد الحلقة للعرض على السلطان فى أول ربيع الأول، وندب جماعة من البريدية، توجهوا إلى جميع أعمال مصر، لإحضار من فى النواحى من الأجناد.

وفى هذا الشهر: قدم الأمير كزل نائب ملطية فى جماعة، وهجموا على حلب، فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها، بعدما قتل منهم وأسر طائفة.

وفيه استقر الأمير ركن الدين عمر بن الطحان نائب قلعة صفد.

وفيه ارتفع السعر بالرملة حتى بلغت العليقة الشعير إلى اثنى عشر درهما فضة، ثم انحط.

وفيه كثرت الفتن بين عرب جرم وعرب العايد، بأرض القدس وغزة والرملة.

وفيه رغب الأمير أحمد بن أبى بكر بن نعير فى الطاعة، ثم نفر لما قبض على أخيه.

وفيه قبض على أينال الجركسى - أحد أمراء دمشق - وسجن بقلعتها.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فيه عزل السلطان جميع نواب القضاة الأربع، وكانت عدتهم مائة وستة وثمانين قاضى بالقاهرة ومصر، سوى من بالوجه القبلى والوجه البحرى، وشنعت القالة عنهم.

وفيه تيسر وجود الخبز بحوانيت الباعة من أسواق القاهرة، فتباشر الناس بذلك، وابتهجوا برؤيته لبعد عهدهم برؤيته فى الحوانيت، وأخذه من غير ازدحام مدة ثلاثة أشهر، أولها مستهل ذى القعدة من السنة الماضية.

واستقرت زنة الأخباز التى يفرقها السلطان فى كل يوم على الفقراء ستة آلاف رطل، عنها نحو اثنى عشر ألف رغيف.

وفيه خرج عسكر نجدة للأمير فخر الدين بن أبى الفرج بالبحيرة، وتزايد موت الناس بالطاعون.

وفى خامسه: وقع الاهتمام فى عمارة الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، وأقيم بها مائة فاعل، وبضع وثلاثون بناء، ووفيت لهم أجرهم من غير أن يكلفوا فيه أكثر من طائفتهم، ولا سُخر أحد من الناس بالقهر.

وفى عاشره: أحصى من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة فى مدة شهر أوله عاشر المحرم، فكان ثلاثة آلاف إنسان.

وفى ثانى عشره: استدعى السلطان قضاة القضاة الثلاث، سوى الحنبلى، فإنه سافر إلى بلدة حماة، فحضر الثلاثة بنوابهم، واستقر الحال بين يديه على أن يكون نواب القاضى الشافعى عشرة، ونواب الحنفى خمسة، ونواب المالكى أربعة، وانفضوا على هذا، فتصدى النواب المذكورون للحكم بين يدى، بعدما امتنع نواب الحكم من أول الشهر.

وفى رابع عشره: زيد فى عدة نواب القضاة، ثم رد من منع شيئا بعد شىء ، حتى زادت عدتهم عما كانت عليه قبل المنع.

وفى خامس عشره: نودى أن لا يزوج أحد من الشهود مملوكا من مماليك السلطان، وهدد من عقد نكاح أحد منهم.

وفيه بطلت تفرقة الأخباز السلطانية على الفقراء، لسعة الوقت، وذهاب الغلاء.

وفى سادس عشره: تجاوز عدد من يرد اسمه الديوان من الأموات مائة نفس فى اليوم. وهذا سوى من يموت بالمارستان، وفى عدة مواضع خارج المدينة، ويكون ذلك نحو الخمسين نفسا.

وفى ثانى عشرينه: كانت عدة من صلى عليه من الأموات - بمصلى باب النصر خاصة - من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتا، وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت فى الأماكن، بحيث مات فى أسبوع واحد من درب واحد ثلاثون إنسانا، وكثير من الدور يموت منها العشرة فصاعدا، وقدم الخبر بكثرة الوباء أيضا ببلاد الصعيد، وفى طرابلس الشام، وأحصى من مات بها فى مدة أيام، فكانت عدتهم عشرة آلاف إنسان، وكثر الوباء أيضا بالوجه البحرى من أراضى مصر.

وفى سادس عشرينه: تجاوزت عدة أموات القاهرة المائتين.

وفيه قدم الطواشى مرجان الهندى الخازندار من الصعيد بغلال كثيرة وقد انحل السعر، فبيع الأردب القمح بمائتين وسبعين درهما، وعنها يومئذ مثقال ذهب، فإن الناس لم يمتثلوا ما رسم به فى سعر الذهب، وبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين، والأفرنتى إلى مائتين فقط.

وقدم الخبر بأن معظم أهل مدينة هُو[1] - من صعيد مصر - قد ماتوا بالطاعون.

وفى ثامن عشرينه: أنفق من الديوان المفرد على أرباب الجوامك من الأمراء والمماليك وغيرهم، ذهب وفضة مؤيدية، فحسب عليهم المثقال الذهب بمائتين وسبعين، والأفرنتى بمائتين وخمسين. ولم يصرف لأحد منهم فلوس، ورسم بأنها تخزن، وأن لا يقبض من أحد أبيع عليه شىء من الغلال المحضرة من الصعيد إلا الفلوس لا غير، وذلك ليغير ضربها وتعمل فلوس مؤيدية.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا، واستقر فى نيابة الإسكندرية، وعزل أقبردى المنقار، وكان قطلوبغا هذا ممن أنعم عليه الأمير منطاش بإمرة مائة، فطال خموله فى الأيام الظاهرية والناصرية، حتى تنبه فى هذا الوقت، وولى بغير سؤال ولا قدرة على ما يتجهز به.

---

(١) هُو: بليدة أزلية على تل بالصعيد بالجانب الغربى دون قوص يضاف إليها كورة. انظر معجم البلدان ٥/٤٢٠.

وفيه قتل بدمشق يعقوب شاه، وشاهين الأجرود، وطوغان المجنون.

وفيه خرجت عدة من الأمراء لقتال أهل البحيرة، فتبعوهم واحتووا لهم على كثير من الجمال والغنم والبقر والخيل، حملت إلى السلطان، وقتلوا عدة من الناس.

وفيه اشتد الغلاء بنابلس، وكثر فساد محمد بن بشارة بأرض صفد.

وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج كاشف الكشاف، بطائفة من أهل البحيرة، واستاق لهم من الأغنام الشعارى أربعة آلاف وستمائة رأس، وأغنام ضأن ثلاثمائة رأس، وأبقار مائتى رأس، وحمير مائتى رأس، بعثها إلى السلطان، سوى ما حصل بيده ويد أعوانه، ثم جهز أيضا غنما شعارى ثلاثة آلاف رأس، وغنم ضأن ألف رأس، وخيلا عشرين فرسا، ومائتى رأس من البقر، ومائة حمار.

وفيه كتب إلى عرب لبيد - أهل برقة - بنزولهم على البحيرة، واستيطانها وقتال أهلها، وأخذهم.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء:

فيه كثر الموتان بالقاهرة ومصر، وتجاوزت عدة من ورد اسمه الديوان من الموتى الثلاثمائة، وتوهم كل أحد أن الموت آتيه عن قريب، لسرعة موت من يطعن، وكثرة من يموت فى الدار الواحد، وتواتر انتشار الوباء فى جميع أراضى مصر، وبلاد الشام، والمشرق، بحيث ذكر أنه بأصبهان [(١)] غالب أهلها، حتى صار من يمشى بشوارعها لا يرى أحدا يمر إلا فى النادر، وأن مدينة فاس بالمرغب أحصى من مات بها فى مدة ثلاثين يوما ممن ورد الديوان - سوى الغرباء من المساكين - فكانوا ستة وثلاثين ألف، وأن المساكن عندهم صارت خالية، ينزل بها من قدم إليها من الغرباء، وأن هذا عندهم فى سنتى سبع عشرة، وثمان عشرة وثمانمائة.

وفى هذا الشهر: تصدى الأمير بدر الدين الأستادار لمواراة من يموت من المساكين، بعد تغسيلهم وتكفينهم، فحسن الثناء عليه.

وفيه وعك السلطان من عاشره، وشنع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان، فلا

---

(١) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر، وكسرها آخرون، منهم: السمعانى وأبو عبيد البكرى الأندلسى: وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهى اسم للإقليم بأسره، وهى من نواحى الجبل فى آخر الإقليم الرابع، وهى مدينة فارسية. انظر معجم البلدان ١/ ٢٠٦ وما بعدها.

تجد إلا باكيا على ميت، أو مشغولا بمريض، وبلغت عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات فى ثالث عشرينه ما ينيف على خمسمائة، بما فيهم من موتى المارستان والطرحاء، ومع ذلك والأخبار متواترة بأنه صلى فى هذا اليوم بمصليات الجنائز على ما ينيف على ألف ميت، وأن الكتاب يخفون كثيرا ممن يرد اسمه إليهم.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابى، واستقر فى وظيفة الحسبة، وعزل بدر الدين محمود العينتابى.

وفى سابع عشره: أشهد عليه السلطان بوقف الجامع الذى أنشأه بجوار باب زويلة، ووقف عليه عدة أماكن بالشام ومصر.

وفيه تزايد بالسلطان ألم رجله، وتمادى به أياما.

وفى عشرينه: خرج عدة من الأمراء إلى الصعيد، لقتال المفسدين، والوقت حينئذ أيام قبض الغلال، فيخشى منه تمزقها.

وفيه نقص عدد الموتى من خامس عشره.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى، واستقر ناظر الأحباس بعد موت شهاب الدين أحمد الصفدى.

وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرنج من الوجه البحرى إلى القاهرة وأقام بها.

وفى تاسع عشرينه: قدم الخبر بنزول الفرنج على ثغر نستراوه، ونهبهم وتحريقهم الثغر.

فيه استقر الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى(١) فى مشيخة المدرسة الجمالية برحبة باب العيد، بعد موت الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى.

---

(١) ابن العراقى (٧٦٢ - ٨٢٦ هـ =، ١٣٦١ - ١٤٢٣م) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردى الرازيانى ثم المصرى، أبو زرعة ولى الدين، ابن العراقى: قاضى الديار المصرية مولده ووفاته بالقاهرة.رحل به أبوه الحافظ العراقى إلى دمشق فقرأ فيها وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته إلى أن ولى القضاء سنة ٨٢٤هـ، بعد الجلال البلقينى، وحمدت سيرته. ولم يرضى أهل الدولة فعزل قبل تمام العام على ولايته. من كتبه «البيان والتوضيح لمن أخرج له فى الصحيح وقد مس بضرب من التجريح» و«فضل الخيل» و«الإطراف بأوهام الأطراف» للمزى، ورواة المراسيل وحاشية على الكشاف وأخبار المدلسين وتذكرة، وذيل فى الوفيات ومبهمات الأسانية وتحرير الفتاوى وغير ذلك وله نظم ونثر كثير. انظر لحظ الألحاظ ٢٨٤ والبدر الطالع ١/ ٧٢ والضوء اللامع ١/ ٣٣٦ - ٢٤٤ المكتبة الأزهرية ٢/ ٤٦٠ والتبيان - خ - والرسالة المستطرفة وفهرس المخطوطات .المصورة: القسم الثانى من الجزء الثانى ٦٩/ ١٢٧، الأعلام ١/ ١٤٨.

وانقضى هذا الشهر، وقل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما لم يكن بها حزن على ميت وأقل ما قيل أنه مات من عاشر المحرم إلى آخر هذا الشهر عشرون ألفا والمكثر يبالغ فى العدد.

وفيه كانت وقعة فى عاشره، بين نائب حلب وبين كزل، قريبا من دربساك، انهزم فيها كزل، وقتل وجرح منه جماعة، وأخذ كردى باك وقتل ، وحمل رأسه إلى مصر.

وفيه أخذ حسين بن كبك ملطية، وأساء السيرة فى أهلها.

وفيه حارب نائب حلب حميد بن نعير وهزمه، وغنم له كثيرا من الجمال.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

بلغت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات - سوى المارستان والطرحاء - إلى مائة وعشرين .

وفى خامسه: سفر الأمير جانبك الصوفى من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نيفا وستين، وفى تاسعه كانت عدتهم ثلاثة وعشرين.

وفى ثانى عشره: قبض على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، بعد ما أوسعه السلطان سبا، وهم بقتله، ثم عوق نهاره بالقلعة، فشفع فيه الأمير جقمق الدوادار، فأسلم له على أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار، ونزل معه آخر النهار، وسبب قبضه تأخر جوامك المماليك وعليق خيولهم من عجزه، مع كثرة دالته على السلطان، وبسط لسانه المانه عليه.

هذا والأمير فخر الدين بن أبى الفرج يواصل حمل المال من الوجه البحرى، حتى أناف ما حمله على مائة ألف دينار، سوى الخيول وغيرها.

وفيه قبض على كثير من التجار والصيارفة، وجمعوا فى بيت الأمير جقمق الدوادار، واشتد الإنكار عليهم، بسبب غلاء سعر الذهب،ومخالفتهم ما رسم لهم به فيه غير مرة، حتى بلغ المثقال إلى مائتين وثمانين، والدينار الأفرنتى إلى مائتين وستين، والناصرى إلى مائتين وعشرة دراهم، وباتوا فى داره، محتفظا بهم، وموكلا عليهم، حتى تراجع السلطان فى أمرهم.

فكثر خوض الناس فى حديث الذهب، وتوقفوا فى أخذه، ثم أفرج عنهم من الغد، ولم يتقرر شىء يعتمد عليه فى أمر الذهب.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات تسعة وعشرين، وقدم الخبر من دمشق بتزايد الموتان عندهم، وأنه يموت فى اليوم ستون إنسانا وأنه ابتدأ الوباء عندهم من أثناء ربيع الأول، عندما تناقص من ديار مصر.

وفى ثامن عشره: كتب السلطان بطلب الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أسعد العبسى القدسى الديرى الحنفى من القدس، ليستقر به فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن ابن العديم بعد موته.

وفى عشرينه: بعث السلطان تشريفا إلى الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج كاشف الوجه البحرى، ليستقر أستادارا، عوضا عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وكتب إليه بحضوره.

وفيه تقرر على الأمير بدر الدين بحمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، بعد ما عصر فى بيت الأمير جقمق عصرا شديدا وضربت الحوطة على موجوده، وتتبعت حواشيه وأسبابه وألزامه، فقبض عليهم.

وفيه قدم الخبر بأن عدد الموتى بدمشق بلغ إلى مائة إنسان فى اليوم، ممن يرد اسمه للديوان.

وفى حادى عشرينه: قبض على كثير من الصيارفة والتجار، ورسم عليهم وأخذوا من الغد، وأحضروا بالقلعة، فلم يتهيأ لهم حضور بين يدى السلطان، وتقرر معهم ألا يخالفوا ما يرسم به فى الذهب، وأفرج عنهم بعدما أرجف بأنهم يشنقوا، ونودى أن يكون المثقال الذهب بمائتين وخمسين، والدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وأن لا يتعامل بالناصرى، بل يقص ويصرف بحساب الذهب الهرجة المصرى، فشق ذلك على الناس وتلف لهم مال كثير.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج إلى القاهرة.

وفى رابع عشرينه: نودى على النيل أنه زاد ثلاثة أصابع، وأن القاع بلغ سبعة أذرع ونصف ذراع.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، واستقر أستادارا، مع ما بيده من كشف الوجه البحرى.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه: نقل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من بيت الأمير جقمق الدوادار إلى بيت الأمير فخر الدين الأستادار، وقد أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات كثيرة متعددة، وقبض على امرأته وعوقبت حتى أظهرت مالا كثيرا، فأصبحوا مرحومين بعدما كانوا محسودين، نكالا من الله بما قدمت أيديهم، فإنهم كانوا قوم سوء فاسقين، لم يعفوا عن قبيح، ولا كفوا يدا عن ظلم.

وفى هذا الشهر: قدم الفرنج فى أربعة أغربة إلى منية يافا، وأسروا نحو الخمسين امرأة وطفلا، وحاربهم المسلمون، وقتلوا منهم واحدا، ثم افتكوا الأسرى بخمسة عشر دينارا كل أسير. ونزل فى ثانى عشرينه على الإسكندرية فرنج فى مركب بضاعة، فثار بينهم وبين بعض العتالين شر، إلى أن آل القتال، وأخذ الفرنج مركبا فيها عدة من المسلمين، ولم يكفوا عن الحرب حتى بعث إليهم النائب غرماءهم من العتالين، وهم ثلاثة، فردوا ما أخذوه عند ذلك، ثم قدمت مركب للمغاربة، فأخذها الفرنج بما فيها، ولم ينج منهم سوى خمسة عشر نفرا، سبحوا فى الماء إلى البر، وأسر بقيتهم.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه سار الأمير جقمق الدوادار فى عدة من الأمراء إلى الوجه القبلى،وكتب بإحضار من هناك من الأمراء.

وفى سادسه: ندب السلطان طائفة من القراء إلى الاجتماع على تلاوة كتاب الله العزيز بالمقياس وأجرى عليهم من الأطعمة ما يليق بهم، وفرق فيهم مالا، فأقاموا على ذلك بالمقياس وسببه توقف النيل عن الزيادة مدة أيام، ونقصه أربعة عشر إصبعا.

وفى يوم الجمعة سابعه: ركب الأمير سودن قرا صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل، وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس، ومنعهم من الاجتماع، فإنهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمور ونحوها من المسكرات، واختلاط النساء بالرجال، من غير استتار، فعندما طرقهم الحاجب اضطربوا، ونهب بعضهم بعضا، فذهبت أموال عديدة.

وفى ثالث عشره: قدم الشيخ شمس الدين محمد الديرى من القدس، ونزل بقاعة الحنفية من المدرسة الصالحية بين القصرين.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: استدعى إلى قلعة الجبل، وخلع عليه بحضرة السلطان، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، ونزل ومعه أعيان الدولة إلى المدرسة الصالحية، فحكم على العادة.

وفى ثالث عشرينه: قبض على الأمير كزل العجمى الأجرود أمير جاندار، ونفى إلى صفد.

وفيه كثر الطاعون بدمشق، حتى بلغ عدد من يموت نحو المائتين فى كل يوم.

وفيه قبض على محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة، الذى كان يقطع الطريق، وعلى عبده، وحمل من وادى التيم[1] إلى دمشق.

وفى خامس عشرينه: نزل عرب لبيد فى خمسمائة خيال - سوى المشاة - على ريف البحيرة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فيه اشتد الطلب على الأمير بدر الدين بن محب الدين، وعوقب أشد عقوبة، ونوعت عقوبات ألزامه أيضا.

وفيه قدم الأمراء من الوجه القبلى.

وفيه أشار السلطان لمن حضر مجلسه من الفقهاء بأن من الأدب أنه إذا دعا الخطباء فى يوم الجمعة للسلطان، أن ينزلوا عن موقفهم الذى كانوا فيه درجة، ثم يدعوا للسلطان، حتى لا يكون ذكر السلطان فى الموضع الذى فيه يذكر الله تعالى ورسوله ﷺ، وأمر الخطباء بذلك، وكان ممن حضر يومئذ بين يديه الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش خطيب الجامع الطولونى، والشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر خطيب الجامع الأزهر، فامتثلا ذلك.

وفى يوم الخميس رابعه: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، واستقر مشير الدولة، مضافا لما بيده من الأستادارية وكشف الوجه البحرى.

وفيه قدم الأمير جقمق من الوجه القبلى.

وفى يوم الجمعة خامسه: اعتمد خطباء مصر والقاهرة ما أشار به السلطان، فنزلوا عندما أرادوا الدعاء له درجة، ثم دعوا ، وامتنع من ذلك قاضى القضاة البلقينى فى جامع القلعة، لكونه لم يؤمر بذلك ابتداء، فسئل عن ذلك، فقال: « ليس هو السنة»، فغير عزم السلطان عن ذلك، فترك الناس ذلك بعده ولقد كان عزم السلطان فى هذا جميلا، و لله الأمر.

---

(١) وادى التيم: يقع غربى دمشق، من أعمال بانياس. انظر النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٤.

وفى سادسه: فرق السلطان على يد الطواشى فيروز جملة فضة مؤيدية على الفقهاء والفقراء والأيتام، فتوسع الناس بذلك.

وفى يوم الإثنين ثامنه – وعاشر مسرى –: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، فنزل السلطان وعدى النيل إلى المقياس، حتى خلق بين يديه، ثم سار، وفتح سد الخليج على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى سادس عشره: نودى أن يكون صرف الدينار المختوم الهرجة بثلاثين مؤيديا فضة، وصرف الدينار الأفرنتى بثمانية وعشرين مؤيديا، فيكون الدينار الهرجة بمائتين وسبعين درهما من الفلوس، والدنيار الأفرنتى بمائتين واثنين وخمسين درهما، ومنع الناس أن يتعاملوا بالناصرى، وأن يقص جميع ما يظهر منه، ويحسب فى المثقال منه مبلغ مائتين وأربعين درهما فلوسا، فلم يستقر الحال على ذلك، وخرج الدينار الأفرنتى بمائتين وستين درهما، والناصرى بمائتين وعشرة.

وفى سادس عشره: قدم الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص إلى الإسكندرية فى تحصيل المال، فجلس بالخمس، وبين يديه أعيان أهلها، فجاءه الخبر بأن الفرنج الذين وصلوا ببضائع المتجر- وهم فى ثمان عشاريات [1] من مراكب بحر الملح – قد عزموا على أن يهجموا عليه، وأن يأخذوه هو ومن معه، فقام عجلا من غير تأن يريد الفرار، وتسارع الناس أيضا يفرون، فهجم الفرنج من باب البحر، فدافعهم من هناك من العتالين، حتى أغلقوا باب البحر، وقتلوا رجلا من الفرنج، فقتل الفرنج نحو عشرين من المسلمين، وانتشروا على الساحل، وأسروا نحو سبعين مسلما، وأخذوا ما ظفروا به، ولحقوا بمراكبهم، وأتوا فى الليل يريدون السور، فتراموا ليلتهم كلها مع المسلمين إلى الفجر، فأخذ كثير من المسلمين فى الرحيل من الإسكندرية، وأخرجوا عيالهم، وقام الصياح على فقد من قتل وأسر، وباتوا ليلة الجمعة مع الفرنج فى الترامى من أعلى السور، فقدمت طائفة من المغاربة فى مركب ومعهم زيت وغيره من تجاراتهم، فمال الفرنج عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى أخذوهم عنوة، وأخرجوهم إلى البر، وقطعوهم قطعا، وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيثونهم . فقدم الخبر بذلك فى ليلة السبت عشرينه، فاضطرب الناس بالقاهرة، وخرج ناظر الخاص نجدة لولده، ومضى معه عدة من الأمراء، وخرج الشيخ أبو هريرة بن النقاش فى عدة من المطوعة، يوم الأحد حادى عشرينه، وقدموا

---

(١) مفردها عشارى وهو نوع من السفن.

الإسكندرية، فوجدوا الفرنج قد أقلعوا، وساروا بالأسرى، وما أخذوه من البر ومن مركب المغاربة، فى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، فعادوا فى آخر الشهر إلى القاهرة.

وفيه كثر الطاعون بدمشق.

وفيه قتل حميد بن نعير غدرا.

وفيه نزل على مدينة الرحبة حسين بن نعير وحصرها عشرين يوما، كانت فيها حروب عظيمة، حتى أخذها ونهبها، ثم أحرقها حتى جعلها فحمة سوداء.

وفى سابع عشرينه: اعتقل الأمير كزل العجمى، الذى كان حاجب الحجاب بديار مصر، ونفى إلى قلعة صفد.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فى سابع عشره: دار المحمل على العادة، بعدما جبى الأمير سيف الدين خرز والى القاهرة ما حدث من أخذ الخمر للمماليك الرماحة من أهل الذمة، فجبى من اليهود خمسة وستين مروقة خمر، ثمنها عندهم مائة وعشرون درهما كل مروقة، وغرموا مع ذلك جملة لأعوانه، بلغت خمسة آلاف درهم.

وطلب من النصارى مثل ذلك، فتعززوا عليه لقوة جاههم، فحقد عليهم ذلك، وكبس سويقة صفية خارج القاهرة، وكبس الكوم خارج مصر، وأراق للنصارى - باعة الخمر - عدة آلاف من جرارها وكتب على أكابرهم إشهادات بكثير من جرار الخمر، يقومون له بها، فمنهم من ألزمه بثلاثمائة جرة، وتلف لهم مع هذا مال كبير مما غرموه للأعوان، ومما نهب، فكان هذا من شنيع المنكرات.

وفى ثامن عشره: نودى أن يكون النصف المؤيدى بثمانية دراهم فلوسا، وكل رطل من الفلوس بخمسة دراهم ونصف، وكل دينار أفرنتى بمائتين وثلاثين فلوسا، وكل دينار هرجة بمائتين وخمسين درهما فشملت المضرة عامة الناس لخسارة أموالهم.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الأمير منكلى بغا العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة. وعزل ابن شعبان مزموما لقبح سيرته، ونودى بتهديد من خالف ما رسم به فى الفلوس والفضة المؤيدية، أو تكلم فيما لا يعنيه.

وفى يوم الثلاثاء سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، واستقر كاشف الوجه القبلى، بعدما ضرب بحضرة السلطان.

وفي هذا الشهر: رسم بدمشق على قاضي نجم الدين عمر بن حجي الشافعي، ونودي بعزله والكشف عليه، وأن من له عليه حق يحضر إلى بيت الحاجب الدعوى عليه، واستمر النداء مدة أيام، فلم يظهر عليه شيء ثم نقل إلى المدرسة اليونسية، بالشرف الأعلى، ورسم عليه، ونصب للحكم بين الناس نائبان من نوابه، وكتبت أوراق بوظائفه، وأشهد عليه أنه إن كان له غير ذلك يكون عنده عشرة آلاف دينار لعمارة الأسوار، وحملت الأوراق إلى السلطان.

وفيه نزل قرا يلوك على أرزنجان، وأفسد بلادها، فكتب نائبها بير عمر إلى قرا يوسف، فأمده بابنه إسكندر، ففر منه قرا يلوك، وأخذ ما كان معه.

وفيه مات الأمير ناصر الدين محمد إلياس حاجب غزة وقد كان قدم إلى القاهرة غير مرة، وكان من الظلمة الكبار.

شهر شعبان المكرم، أوله الأربعاء:

فيه انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء، وثبت إلى وقت انحطاطه، فنزل نزولا حسنا.

وفيه تردد السلطان إلى العمارة بجوار باب زويلة، غير مرة.

وفيه كثر طلب مباشري الدولة للرخام - من العمد والألواح - برسم الجامع المؤيدي، فأخذ ذلك من عدة بيوت في القاهرة ومصر.

وفيه كثر غبن الناس لانحطاط النقود بديار مصر، مع ثبات أسعار المبيعات وأجر الأعمال.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه: وسط بمدينة المحلة[(١)] شمس الدين محمد بن مريجينة - قاضي ناحية جوجر[(٢)] من الغربية ومتدركها - وأحيط بموجوده، وهو نحو خمسة وأربعين ألف دينار، فدخل ديوان السلطان، ولم يترك منه لأولاده شيء.

وفي سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين خلعة السفر، فتوجه إلى الوجه القبلي من غده.

---

(١) المحلة: هي مدينة مشهورة بالديار المصرية وهي عدة مواضع، منها محلة دقلا: وهي أكبرها وأشهرها وهي بين القاهرة ودمياط؛ ومحلة أبي الهيثم: أظنها بالحوف من ديار مصر وغيرها. انظر معجم البلدان ٥/ ٦٣

(٢) جوجر: بليدة بمصر من جهة دمياط في كورة السمنودية. انظر معجم البلدان ٢/ ١٧٨.

وفيه خلع على زين الدين قاسم قاضى العلايا[١] من بلاد الروم، واستقر فى قضاء العسكر وإفتاء العدل، على مذهب الحنفية، وكانتا قد شغرتا من مدة، وقاسم هذا قدم إلى القاهرة من نحو سنة، وحضر فى مجلس السلطان مع من يحضر من الفقهاء فى كل أسبوع.

وقدم الخبر بكثرة الوباء بالقدس وصفد، وأنه ابتدأ عندهم من مدة أشهر.

وفيه وعك السلطان.

وفيه مات أيدغمش بن أوزر من أمراء التركمان، فى الاعتقال بدمشق.

وفيه قبض على محمد عبد القادر وأخيه عمر بغزة، وحملا إلى القاهرة.

وفيه قدمت هدية سلمان بن أبى يزيد بن عثمان، متملك برصا، فأنزل قاصده بدار الضيافة، وقبلت هديته، ورسم أن تجهز له هدية.

شهر رمضان المعظم، أوله الجمعة:

لم يشهد فيه السلطان الجمعة، لملازمته الفراش .

وفيه فرق الطواشى فيروز فى الناس مبلغا من المؤيدية، على العادة.

وفيه رتب السلطان عدة أبقار تذبح فى مواضع متعددة، ويفرق لحمها كما كانت عادة الملك الظاهر برقوق فى شهر رمضان.

وفى يوم الخميس سابعه: خلع على الأمير أقبغا شيطان، شاد الدواوين، واستقر فى ولاية القاهرة، وعزل الأمير خرز، فصار بيده ولاية القاهرة وشد الدواوين والحجوبية، وخلع على خرز واستقر فى نقابة الجيش.

وفى تاسعه: نودى بأن يكون سعر المؤيدى ثمانية دراهم، وأن تكون الفلوس بخمسة دراهم ونصف كل رطل، ويكون الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد فى ذلك أو غيره. وكان الأفرنتى قد بلغ إلى أحد وثلاثين مؤيديا.

وفيه قدم الشريف بركات بن الأمير حسن بن الأمير عجلان من مكة المشرفة بخيل وغيرها، تقدمة للسلطان ، فقبلت منه، وأنزل وأجرى عليه راتب.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير خرز، واستقر شاد الداوين، عوضا عن أقبغا شيطان، وجعل من جملة الحجاب، فصار شاد الدواوين، نقيب الجيش، حاجبا.

---

(١) العلايا: بلدة محدثة فى آسيا الصغرى، أنشأها علاء الدين أحد ملوك سلاجقة الروم، وتقع جنوب أنطاليا.انظر تقويم البلدان ص ٣٨١.

وفى خامس عشره: كتب تقليد الشريف حسن بن عجلان بإعادته إلى إمرة مكة، وعزل الشريف رميثة.

وفى عشرينه: أحضر إلى السلطان برجل عجمى، ادعى أنه صعد إلى السماء السابعة، ورأى الله سبحانه، وأنه تعالى صرفه فى الملك، فسجن بالمارستان عند الممرودين.

وفيه أعيد رسول ملك اليمن، ورسول الفرنج البندقية، ورسول قرا يوسف، ومع كل منهم هدية.

وفى آخره: قدم قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى من دمشق، وقد عزل عن قضاء دمشق بجمال الدين عبد الله بن نور الدين محمد بن صدر الدين محمد بن محمد ابن زيد، قاضى بعلبك.

وفى هذا الشهر: قرئ كتاب صحيح البخارى بالقصرمن قلعة الجبل، على ما جرت به العادة، وحضر قراءته القضاة الأربع، و لم تجر العادة بذلك، وإنما كان يحضر قاضى القضاة الشافعى ، وشيخ الإسلام فى طائفة يسيرة من الفقهاء، فزاد عدد الفقهاء الحاضرين فى هذه السنة على ستين فقيها، صرف لكل منهم ألف درهم فلوسا.

وفيه كان السلطان منقطعا لألم رجله.

وفيه كانت فتنة بالبحيرة.

وفيه كثر الغبن من انحطاط النقود وتغيرها، مع ثبات السعر فى المبيعات.

شهر شوال، أوله السبت:

فى ثالثه: قتل الأمير دمرداش الفخرى كاشف الوجه البحرى، موسى بن رحاب، وخلاف بن عتيق من شيوخ البحيرة، وقتل أهل البحيرة حسين بن شرف، وعدة من شيوخهم.

وفى سادسه: قدمت رسل قرا يوسف.

وفى رابع عشره: توجه الأمير فخر الدين بن أبى الفرج بالعسكر لقتال أهل البحيرة.

وفيه قدم ركب التكرور للحج، ومعهم ألف وسبعمائة رأس من العبيد والإماء، وشىء كثير من التبر.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى بركة الحجاج، وحج من الأعيان قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى المالكى، والأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، وخوند خديجة زوجة السلطان.

وفى سابع عشرينه: قلع باب مدرسة السلطان حسن، ونقل إلى الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، ونقل معه التنور الذى كان معلقا هناك، وقد اشتراهما السلطان بخمسمائة دينار.

وفى هذا الشهر: توجه محمد كرشجى بن أبى يزيد بن عثمان صاحب برصا لقتال اسفنديار بن أبى متملك قسطمونية[1] وحصره فى جزيرة سينوب[2] إلى أن وقع بينهما الاتفاق على أن يخطب له ويضرب السكة باسمه، فأفرج عنه وعاد اسفنديار إلى قسطمونية، وخطب باسم محمد كرشجى، فلم يوافقه وزيره خواند سلار على إقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه لمحمد، وصار يخطب فيه باسم ملكه اسفنديار، وخطب اسفنديار فى بقية جوامع قسطمونية باسم محمد كرشجى، وهذا من غريب ما وقع أن يخطب فى مدينة واحد باسم ملكين فى وقت واحد.

وفيه عز وجود لحم الضأن ولحم البقر بالقاهرة.

وفيه كانت فتنة بمكة وذلك أن الشريف حسن بن عجلان لما عزل بالشريف رميثة فى صفر من السنة الخالية، ودخل رميثة إلى مكة فى أول ذى الحجة منها - كما تقدم - لم يتعرض إليه الشريف حسن، حتى بعث ابنه بركات، وقائده شكر، إلى السلطان، فقدما - كما تقدم - فكتب السلطان بإعادة الشريف حسن إلى الإمرة فى ثامن عشر شهر رمضان، وجهز إليه تشريفه وتقليده، فقدما عليه وهو بجدة فى ثانى شوال، فبعث إلى القواد العمرية - وكانوا باينوه من شعبان ولحقوا برميثة فى مكة - يرغبهم فى طاعته، فأبوا عليه، وجمعوا لحربه، فسار إلى مكة، وعسكر بالزاهر - ظاهر مكة - فى يوم السبت ثانى عشرين شوال هذا، ومعه الأشراف، آل أبى نمى، وآل عبد الكريم، والأدارسة، ومعه الأمير الشريف مقبل بن مختار الحسنى أمير ينبع بعسكره، ومعه مائة وعشرون من الأتراك، فبعث إلى العمرية يدعوهم إلى طاعته، فندبوا إليه ثلاثة منهم،

---

(١) قسطمونية: مدينة فى آسيا الصغرى، تقع شرقى هرقلة، وتقع جنوبى سينوب بينهما خمس مراحل. انظر تقويم البلدان ص ٣٩٣.

(٢) سينوب: تقع شمالى قسطمونية وغربى سامسون. انظر تقويم البلدان ص ٣٩٣.

فلما أتوه خوفهم عاقبة الحرب، وحذرهم، ومضوا إلى مكة، فلم يعودوا إليه لتماديهم وقومهم على مخالفته، فركب يوم الإثنين رابع عشرينه من الزاهر، وخيم بقرب العسيلة[١] أعلا الأبطح[٢] وأصبح يوم الثلاثاء زاحفا فى ثلاثمائة فارس وألف راجل، فخرج إليه رميثة فى قدر الثلث من هؤلاء فلما بلغ الشريف حسن إلى المعابد، بعث يدعوهم، فلم يجيبوه فسار إلى المعلا[٣] ووقف على الباب ورمى من فوقه فانكشفوا عنه، وألقيت فيه النار فاحترق، وانبثَّ أصحاب حسن ينقبون السور ويرمون من الجبل بالنشاب والأحجار أصحاب رميثة، ثم اقتحموا السور عليهم وقاتلوهم حتى كثرت الجراحات فى الفريقين، فتقدم بعض بنى حسن وأجار من القتال، فانكف عند ذلك حسن، ومنع أصحابه من الحرب، فخرج القضاة، والفقهاء، والفقراء، بالمصاحف والربعات إلى حسن، وسألوه أن يكف عن القتال، فأجابهم بشرط أن يخرج رميثة ومن معه من مكة، فمضوا إلى رميثة وما زالوا به حتى تأخر عن موضعه إلى جوف مكة، ودخل الشريف حسن بجميع عسكره، وخيم حول بركتى المعلا، وبات بها، وسار يوم الأربعاء سادس عشرينه وعليه التشريف السلطانى، ومعه عسكره، إلى المسجد، فنزل وطاف بالبيت سبعا، والمؤذن قائم على بئر زمزم، يدعو له حتى فرغ من ركعتى الطواف ثم مضى إلى باب الصفا فجلس عنده، وقرئ تقليده إمرة مكة هناك، ثم قرئ كتاب السلطان إليه بتسلم مكة من رميثة، وقد حضره عامة الناس، ثم ركب وطاف البلد، ونودى بالأمان، وأجل رميثة ومن معه خمسة أيام، فلما مضت سار بهم إلى جهة اليمن، واستقر أمر الشريف حسن بمكة على عادته، وثبت من غير منازع.

وفيه قدمت الخاتون زوجة الأمير أيدكى صاحب الدست إلى دمشق، تريد الحج، وفى خدمتها ثلاثمائة فارس.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان إلى مكة.

وفى رابعه: ركب السلطان، وعدى النيل البر الغربى، وأقام هناك يتصيد.

---

(١) العسيلة: ماء فى حبل القنان شرقى سميرا. انظر معجم البلدان ٤/ ١٢٥.

(٢) الأبطح: بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء مهملة: مكان يضاف إلى مكة وإلى منى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بنى كنانة. انظر معجم البلدان ١/٧٤.

(٣) معلا: موضع بالحجاز. انظر معجم البلدان ٥/١٥٨.

وفى ثامنه: قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من البحيرة، ومعه شىء كثير من الأغنام وغيرها، وعدة رءوس ممن قتله من الناس، بعدما وصل فى طلب أهل البحيرة إلى العقبة، فلم يظفر بهم، فمضى من العقبة نحو برقة أياما، ثم رجع بغير طائل، سوى تخريب البلاد ونهبها.

وفيه قدم أيضا الأمير سودن الأشقر من سجن الإسكندرية، فنزل خارج القاهرة، ومضى منها إلى القدس، ليقيم به بطالا.

وفى ثامن عشره: عاد السلطان إلى القلعة، وقد انتهى إلى الطرانة.

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج واستقر فى الوزارة بعد موت تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، مضافا لما بيده من الأستادارية، والكشف. وخلع على سيدى سليمان بن الكويز، واستقر أستادار الأمير صارم الدين ابن السلطان، عوضا عن تقى الدين بن أبى شاكر، ولبس هيئة الأجناد، وحملة السلاح، من القباء والكلفتاه، وترك زى أبيه وأخويه، وخلع على الأمير يحيى بن لاقى، واستقر شاد الخاص مضافا لما بيده من المهمندارية.

وفى هذا الشهر: كان اللحم بالقاهرة عزيز الوجود.

وفيه بيعت الباقية البنفسج - وهو حين أوانه - بمائة وخمسين درهما فلوسا، عنها نحو عشرين مؤيديا فضة، وذلك لقلة وجوده، فإنه لم يزرع سوى فى موضع واحد ولقد عهدنا الباقة منه تباع بنصف درهم فضة، فسبحان محيل الأحوال.

وفيه هدمت قلعة الخوابى إحدى قلاع الإسماعيلية من عمل طرابلس، حتى سوى بها الأرض بعد حصار طويل، فصارت أثرا بعد عين.

وفى سابع عشرينه: خلع على مانع بن سنيد بإمرة بنى مهدى(١) عوضا عن محمد ابن هيازع، بحكم وفاته.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: استدعى نجم الدين عمر بن حجى، وخلع عليه بإعادته إلى قضاء القضاة الشافعية بدمشق.

---

(١) بنو مهدى: بطن من بنى طريف من حذام من القحطانية وتقع منازلهم بالبلقاء من بلاد الشام. انظر نهاية الأرب فى أنساب العرب.

وفى رابع عشره: وصل إلى القاهرة دوغان بن حديثة، أمير آل فضل، بكتاب أبيه، يتضمن تسحب أولاد نعير من الرحبة.

وفى سلخه: قدم رسول الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، ومعه دراهم قد ضربت بالسكة المؤيدية.

وفى هذا الشهر: ابتدأ الأمير جقمق الدوادار بعرض أجناد الحلقة.

وفى يوم النحر عاشره: أنزل بالخليفة المستعين با لله العباس بن محمد من محبسه بقلعة الجبل نهارا إلى ساحل مصر، وهو على فرس، وجىء أيضا بالأمير فرج بن الملك الناصر فرج، وبأخويه محمد وخليل، فى محفة، فساروا فى النيل إلى الإسكندرية، ووكل بهم الأمير كزل الأرغون شاوى أحد أمراء حماة، فسجنوا بها، وكان الخليفة لما جلس الملك المؤيد على التخت،حوله من القصر، واسكنه بدار من دور الحرم السلطانية ومعه أهله وولده، ثم نقله إلى برج قريب من باب القلعة، فأقام به وعنده أهله مدة، حتى حمل إلى الإسكندرية، فأنزل ببرج من أبراجها بأهله وولده، من غير أن يجرى عليه شىء.

وفى ثانى عشره: ركب السلطان، وعدى إلى ناحية أوسيم. فأقام هناك إلى سادس عشرينه، ثم سار إلى شاطئ النيل، ونزل على منبابة إلى ثامن عشرينه وعدى إلى القلعة.

وفيه قدمت خديجة خاتون - زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر - من أبلستين فى طلب ولدها. وكان قد عوقه السلطان عنده من مدة طويلة، فأكرمها السلطان، وأنزلها، وجمع بينها وبين ابنها، وكان قد قبض عليه بعد فتنة الأمير قانباى، وحمله إلى قلعة الجبل، وأجرى عليها ما يليق بها.

وفى تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، وأخبروا أنهم وقفوا بعرفة يوم الخميس، وكانت الوقفة بمصر يوم الأربعاء.

وكانت النفقة على الجامع المؤيدى إلى سلخ هذه السنة مبلغ أربعين ألف دينار.

وفيها كانت بين ابن عثمان وبين النصارى حروب عظيمة، أخذ له فيها النصارى اثنى عشر مركبا، وقتلوا من المسلمين أربعة آلاف.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير الوزير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر المعروف بابن قطينة - تصغير قطنة

بالنون - يوم الأحد ثانى عشرين المحرم، باشر الوزارة فى سنة اثنتين وثمانمائة دون الأسبوع ، وعزل، وتصرف فى عدة أعمال . وكان ذا يسار وترف.

ومات الأمير تنبك شاد الشراب خاناة، فى سادس عشرين صفر، فشهد السلطان جنازته، وشكر لما سافر بالحاج فى سنة ثمان عشرة.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد القدسى، المعروف بالمدنى المالكى، يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الأول، وقد بلغ سبعين سنة وكان مشكور السيرة فى ولايته، بالعفة مع قلة العلم.

ومات شهاب الدين أحمد الصفدى ناظر المارستان وناظر الأحباس، ثانى عشر ربيع الأول، و لم يكن مشكور السيرة.

وماتت خوند ستيتة بنت الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق، ليلة السبت تاسع عشر ربيع الأول، فاشتد حزن زوجها الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان عليها.

ومات الشيخ فتح الدين أبو الفتح ابن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الدايم الباهى الحنبلى، فى ليلة الجمعة خامس عشرينه، وكان من نبهاء الفضلاء فى عدة فنون.

ومات الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى، شيخ المدرسة الجمالية، برحبة باب العيد من القاهرة وكان يدرس فى عدة علوم، من فقه ونحو وغيره.

ومات قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى، ليلة السبت سادس عشرينه، وقد تجاوز أربعين سنة، وكان مشكور الطريقة.

ومات تقى الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتى الحموى الحنفى، قاضى العسكر، فى تاسع عشرينه، وكان من فضلاء الحنفية ونحاتهم.

ومات الطواشى زين الدين مقبل الأشقتمرى، رأس نوبة الجمدارية، ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، ودفن بمدرسته بخط التبانة، خارج باب زويلة.وكان روميا، يحفظ القرآن الكريم، وكتاب الحاوى فى الفقه على مذهب الشافعى ويحله، مع ديانة.

ومات قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن العديم، الحلبى، الحنفى، فى ليلة السبت تاسعه، بعد مرض طويل،

عن سبع وعشرين سنة، وكان سيىء السيرة، ردىء الطريقة، كثير الهوج، أحمقا، مائقا، جر هو وأبوه على أهل الإسلام عارا كبيرا.

ومات الشيخ عز الدين محمد بن شرف الدين أبى بكر ابن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة[1] يوم الأربعاء عشرين ربيع الآخر، ومولده بمدينة ينبع فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان قد برع فى عدة علوم مع الانقطاع عن الناس وإطراح التكلف والقنع باليسير.

ومات الوزير الصاحب تقى الدين عبد الوهاب بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن الوزير تاج الدين موسى بن علم الدين بن أبى شاكر بن تاج الدين أحمد بن الصاحب شرف الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدولة فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة.

وماتت خوند عائشة ابنة الأمير أنص، أخت الملك الظاهر برقوق، وأم الأمير الكبير بيبرس، ليلة الأحد رابع عشرين ذى القعدة، وقد بلغت الكبر.

ومات الشيخ زين الدين أبو هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى أمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم الدكالى، المعروف بابن النقاش الشافعى، خطيب جامع أحمد بن طولون، فى يوم عيد النحر، وكان آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، قويا فى ذات الله تعالى.

ومات الأمير قمارى شاد السلاح خاناه، وأمير الركب الأول، من الحاج، فى تاسع عشرين شوال، بوادى القباب، وهو متوجه إلى الحج.

وقتل محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة، أحد شيوخ صفد، بسجنه من القاهرة، فى سادس ذى الحجة، وجعل بوًّا [2]محشوا، وحمل إلى صفد، وكان قد قبض عليه، وحمل إلى القاهرة.

---

(١) ابن جماعة (٧٤٩ - ٨١٩ هـ = ١٣٤٨ - ١٤١٦ م)محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبد الله عز الدين الكنانى الحموى ثم المصرى، الشافعى المعروف بابن جماعة: عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان أصله من حماة، ومولده فى ينبع انتقل إلى القاهرة، وسكنها، وتتلمذ لابن خلدون، وتوفى فيها بالطاعون وكان مكثرا من التصنيف.انظر حسن المحاضرة ١/ ٢٣٦، الضوء اللامع ٧/ ١٧١ - ١٧٤، شذرات الذهب ٧/ ١٣٩. الأعلام ٦/ ٥٧.

(٢) البوّ: ولد الناقة وجلد الحمار يُحش ثماما أو تبنا فيقرب من أم الفصيل إذا فقدت ولدها بذبح أو غيره، فتعطف عليه فتدر. انظر القاموس المحيط ٦٢.

ومات الأمير أرغون[1]، أمير أخور في أيام الناصر فرج،وهو بالقدس، في يوم الجمعة ثالث ذي القعدة، بعدما ابتلى بالجذام، وكان دينا خيرا.

ومات حسين بن شرف، من شيوخ البحيرة، في نصف شهر رمضان.

* * *

(١) (٨١٩ هـ = ١٤١٦م) أرغون بن عبد الله البشبغاوى الظاهرى، أمير آخور، الأمير سيف الدين. هو من مماليك الملك الظاهر برقوق، وهو من خواصه وممن ترقى في دولة ابن أستاذه الملك الناصر فرج بن برقوق إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ولى أمير آخورا كبيرا بعد الأمير كمشبغا الفيسى الظاهرى، واستمر في وظيفته إلى أن اقتضت السلطنة إلى الملك المؤيد شيخ المحمودى عزله عن الأمير آخورية بالأمير قانى باى المحمدى المتولى بعد ذلك نيابة دمشق، وأخرجه إلى القدس بطالا، فأقام بالقدس إلى أن مات في يوم الجمعة ثالث ذى القعدة سنة تسع عشرة وثمانمائة، رحمه الله. وكان أميرا دينا خيرا، متواضعا، مشكور السيرة، عفيفا عن المنكرات والفروج، يميل إلى خير ودين، كثير العبادة والتلاوة، قليل الكلام فيما لا يعنيه، لم يدخل مع الملك الناصر فرج فيما كان عليه، وهو من جملة الأمراء الذين أوصاهم والدى على أولاده وتركته، وهو خشداشه كلاهما من خواحا بشبغا، أخذهما الملك الظاهر برقوق من بشبغا المذكور قبل سلطنته بمدة يسيرة، عفا الله عنهما. وله أيضًا ترجمة في: الدليل الشافى جـ١ ص١٠٦ رقم ١٦٦، النجوم الزاهرة جـ١٤ ص١٤٣، أنباء الغمر جـ٣ ص١٠٧ ترجمة ١٣ وسماه «أرغون الرومى»، الضوء اللامع جـ٢ ص٢٦٨ ترجمة ٨٣٠ وسماه «أرغون السبعاوى».

سنة عشرين وثمانمائة

أهلت، ومتملك مصر والشام والحجاز السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ المحمودى الظاهرى، والأمير الكبير سيف الدين ألطنبغا القرمشى، وأمير سلاح سيف الدين قجقار القردمى، وأمير مجلس الأمير بيبغا المظفرى، وأمير أخور تنبك ميق والدوادار الكبير الأمير جقمق، ورأس نوبه الأمير برد بك. وأمير جندار نكباى . ونائب الشام الأمير ألطنبغا العثمانى ، ونائب حلب الأمير أقباى، ونائب طرابلس الأمير يشبك اليوسفى، ونائب حماة الأمير جار قطلى، ونائب غزة الأمير اجترك، ونائب الكرك الأمير شاهين، وقضاة القضاة بمصر، وكاتب السر، وبقية المباشرين على حالهم كما تقدم.

شهر الله المحرم، أوله الخميس:

فيه ورد الخبر بأن حديثة بن سيف أمير آل فضل لما توجه إلى مدينة الرحبة، صحبه نائبها الأمير زين الدين عمر بن شهرى وطائفة من عسكر الشام، افترق عُذرًا وموسى ولدا على بن نعير وتسحبا، فعادت العساكر، وأقام الأمير حديثة على الرحبة، ثم نزل قريبا من تدمر، فأتاه عذرا فى نحو ثلاثة آلاف فارس، فحاربهم وكسرهم.

وفى ثانيه: جلس السلطان لعرض الأجناد البطالين، فعين منهم طائفة ليسافروا صحبته إلى الشام.

وفى خامسه: علق الشاليش على الطبلخاناه بقلعة الجبل، ليتأهب العسكر للسفر.

وفيه نودى أن يكون سعر الفضة المؤيدية على ما هو عليه، كل مؤيدى بثمانية دراهم فلوسا، وأن كل دينار أفرنتى بمائتين وثلاثين درهما فلوسا، وكل مثقال ذهب مصرى بمائتين وخمسين، وكل رطل فلوس بستة دراهم، وكان بخمسة ونصف، فازداد نصف درهم فلوسا، وعاد كما كان، فسر الناس بذلك، وتمشت أحوالهم، إلا أنه حصل لكثير من الناس غبن، ولآخرين فوائد، لتفاوت السعرين.

وفى سادسه: وضعت جاموسة بناحية بلقس[1] من ضواحى القاهرة مولودا أنثى،

---

(١) بلقس: ناحية من ضواحى القاهرة وأنها من أعمال القليوبية. انظر التحفة السنية ص٦. وقد ذكر ابن دقماق: أن الملك طلائع بن رزبك أوقفها على السادة الأشراف. الانتصار ٥/ ٤٥. والملك=

برأسين، وعنقين، وأربع أيدى، ورجلين اثنين، وسلسلتى ظهر، وذنب مفروق من آخره اثنين، ودبر واحد، وفرج واحد.

وفى سابعه: خلع على الأمير طغرل بن صقل سيز ورسم بسفره لجمع تراكمينه.

وفيه جلس السلطان لتفرقة النفقات، فبعث إلى كل من أمراء الألوف ألفى دينار، وأعطى كل مملوك ثمانية وأربعين دينار، صرفها عشرة آلاف درهم فلوسا، فرقت فيهم فضة مؤيدية وفلوسا وذهبا منه ما زنة الدينار الواحد منه عشرة مثاقيل.

وفى عشرينه: عرضت كسوة الكعبة على السلطان، وكان قد صرف عن نظر الكسوة شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى، وكيل بيت المال، فى سنة سبع عشرة، وفوض ذلك إلى علم الدين داود ناظر الجيش، المعروف بابن الكويز، ثم فوض ذلك إلى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الخزانة السلطانية، فى سنة ثمان عشرة، فاستمر فيه، وزاد فى تحسين الكسوة وبهجتها.

وقدم الخبر بموت الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان، صاحب درند وسيس، واختلاف أولاده.

وفى ثالث عشرينه: قدم الخبر بنزول الأمير أقباى نائب حلب إلى قطيا، فى ثمان هجن، فكثرت الأقوال، وساءت الظنون به، ورسم بتلقيه، فسار الأمراء والخاصكية إلى سرياقوس، وجهز له فرس بسرج ذهب، وكنبوش ذهب، وكاملية بفرو سمور، فقدم من الغد يوم السبت رابع عشرينه، فلامه السلطان وعنفه على حضوره على هذا الوجه، فاعتذر ، واستغفر الله، ثم أمر السلطان باستقراره فى نيابة الشام، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير قجقار القردمى أمير سلاح، وأنعم بإقطاع قجقار القردمى على الأمير بيبغا المظفرى أمير مجلس، وجهز أقبغا المؤيدى أمير أخور إلى دمشق، للقبض على الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام، وإيداعه القلعة، والحوطة على موجوده.

=طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح، أبى الغارات: وزير عصامى، يعد من الملوك. أصله من الشيعة الإمامية فى العراق قدم مصر فقيرا، فترقى فى الخدم، حتى ولى منية ابن خصيب من أعمال الصعيد المصرى وسنحت له فرصة فدخل القاهرة بقوة، فولى وزارة الخليفة الفائز الفاطمى سنة ٥٤٩هـ، واستقل بأمور الدولة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصر الدين. ومات الفائز سنة ٥٥٥ هـ، وولى العاضد، فتزوج بنت طلائع واستمر هذا فى الوزارة فكرهت عمة العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأموالها، فأكمنت له جماعة من السودان فى دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد، وكان شجاعا حازما مدبرا، جوادا، صادق العزيمة عارفا بالأدب ، شاعرا. وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ٥١ المقريزى ٢/ ٢٩٣، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٧ خريدة القصر، قسم شعراء مصر ١: ١٧٣. الأعلام ٣/ ٢٢٨.

وفيه نودى للبطالين أن كلا منهم يخدم عند الأمراء أو عند السلطان، ومن امتنع لا يلومن إلا نفسه.

وفيه قدم الركب الأول من الحاج، مع أميرهم صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ناظر الخاص.

وفيه نصبت المدورة السلطانية، برسم السفر خارج القاهرة.

وفيه قبض على جماعة من البطالين الذين تركوا الخدمة، وتسببوا فى البيع والشراء فى الأسواق، واعتقلوا.

وفى خامس عشرينه: قدم الحاج ببقيتهم مع الأمير أزدمر شايا، وقد قاسوا شدة من موت الجمال، وغلاء الأسعار معهم.

وفى سادس عشرينه: توجه السلطان من قلعة الجبل، ونزل بمخيمه ظاهر القاهرة، تجاه مسجد تبر.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن يعقوب الشامى بحسبة القاهرة، وعزل عنها الأمير منكلى بغا الحاجب، وقدم من دمشق بخيمات مبيتين ومدورتين ومطبخين، وبيوتات، بلغت النفقة عليهم عشرة آلاف دينار.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أقباى نائب الشام خلعة السفر، وسار جريدة على الخيل، وخلع على الأمير طوغان أمير أخور، واستقر نائب الغيبة وعلى الأمير أزدمر شايا بنيابة القلعة، وعلى الأمير قجقار القردمى نائب حلب خلعة السفر وسار وتقدم الشاليش صحبة الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان ومعه عدة من الأمراء.

شهر صفر، أوله السبت:

فى رابعه: استقر بالمسير من ظاهر القاهرة ببقية العساكر يريد الشام، ومعه الخليفة وقضاة القضاة ومعه من القصاد الواردين فى السنة الخالية قاصد قرا يوسف، وقاصد سليمان بن عثمان ، وقاصد بير عمر صاحب أرزنكان، وقاصد ابن رمضان، وتأخر بالقاهرة الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، وخلع عليهما بمنزلة العكرشة[1] فيه، فعين الأمير طوغان نائب العيبة من أجناد الحلقة – بعد عرضهم – مائتين يكونون مع الأمير فخر الدين.

---

(١) العكرشة: باليمامة من مياه بنى عدى بن عبد مناة.انظر معجم البلدان ٤/ ١٤٢.

وفى سابع عشره: سار الأمير فخر الدين بأتباعه وأجناد الحلقة المذكورين إلى الوجه البحرى، لتحصيل المال، وقد كثر بالقاهرة طرح البضائع على التجار والباعة، فغرم الناس فيها أموالا جمة، وداخل الخوف كثيرا من الناس أن يوقع بهم الأمير فخر الدين، فإنه ألزم طائفة من الكتاب بالدواوين بمال، ومضى فى مسيره هذا إلى المحلة ودمياط، وجبى جميع تلك الأعمال البحرية بفريضة ذهب، يقرره على كل قرية من قرى ديوان السلطان، وقرى الأمراء والأجناد لم يترك بلدا من بلدان الوجه البحرى حتى أخذ منه ما قرره على أهله، فكان لا يأخذ إلا الذهب فقط، فتحسن سعر الذهب لكثرة طلبه، وبلغ الدينار المصرى ما ئتين وستين، بعد مائتين وثلاثين، وتتبع مع ذلك كل من يشار إليه بغنى أو مال، فأخذ مالا كثيرا من مصادرات الناس، سوى ما ساق من الخيل والجمال وغيرها، فأنزل بالإقليم من الخلل ما يخاف عواقبه.

وفى هذا الشهر: كثر فساد العربان ببلاد الجيزة وكورة البهنسى.

وفيه هدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الدور التى بالأحكار فيما بين طهر المقس[1] إلى قنطرة الموسكى[2] ليعمل مكانها بستانا، فأتى الهدم على ما لا يدخل تحت حصر من الدور والرباع والمساجد والأسواق، وغير ذلك مما يكون قدر مدينة من مدن الشام.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى هذا الشهر: كثر ضرر المفسدين بالوجه القبلى والوجه البحرى، وثقلت وطاة الأمير فخر الدين بن أبى الفرج على أهل النواحى البحرية، وعظم البلاء بالوجه القبلى، من جور الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين.

وفيه هدمت الدور التى فوق البرج المجاور لباب الفتوح من القاهرة، رسم أن يعمل سجنا لأرباب الجرائم، عوضا عن خزانة شمايل.

وفيه كثرت حركة الإرجاف بحركة الفرنج، فحفر خندق الإسكندرية ، واستعد أهلها.

---

(١) المقس: كان فى القديم يقعد عندها العامل على المكس فقلب اسم المقس: وهو بين يدى القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أم دنين.انظر معجم البلدان ٥/ ١٧٥.

(٢) قنطرة الموسكى تقع على الخليج الكبير، وقد أنشأها الأمير عز الدين موسك. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٤٧.

وفى حادى عشره: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى من الوجه البحرى، ونزل بداره التى شرع فى عمارتها، وتعرف ببيت بهادر الأعسر، وكانت تعرف قديما بدار الذهب.

وفى خامس عشره: قدم الخبر بدخول السلطان إلى دمشق فى أول الشهر، وأن الأمير أق بردى المنقار مات، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن القاضى، بعد ما عفى عنه، وأخرج من سجنه بدمشق.

وفى سادس عشره: سار الأمير الوزير المشير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار بجمع موفور إلى جهة الصعيد، ومعه القرب والروايا، ليتبع العربان فى البرية، حيث ساروا، فإنه كثر عبثهم وفسادهم.

وفى عشرينه: دخل السلطان مدينة حلب.

وفى سادس عشرينه: مات الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق، بثغر الإسكندرية، وقد ناهز الاحتلام فكان فى هذا عبرة لمن يعتبر، فإن أباه الناصر فرج أخرج أخويه - عبد العزيز وإبراهيم - إلى الإسكندرية لما توجه إلى الشام، فماتا بها، واتهم أنه سمهما، ففعل الله كذلك بأولاده، وأخرجهم المؤيد شيخ عند مسيره إلى الشام، وسجنهم بالإسكندرية، فمات فرج - أكبرهم - فى هذا اليوم، وبموته [......][1] يثورون، ويقيمونه فى السلطنة، ولا يزالون يتربصون الدوائر لأجل ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفى هذا الشهر: كثر الموت بدمياط والإسكندرية وما حولهما، وكان منه بالقاهرة شىء بلغ فى اليوم عدة من يموت نحو الأربعين، وكل ذلك بالطاعون.

وفيه واقع الأمير فخر الدين العرب بناحية القلندون[2] من الأشمونين ، وهزمهم.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فيه قدم قاصد السلطان يبشر بقدومه حلب.

وأهل هذا الشهر، وفى جميع أرض مصر - أعلاها الذى يقال له بلاد الصعيد، وأسفلها الذى يعرف بالوجه البحرى، وحاضرتها، وفى القاهرة ومصر - من أنواع الظلم ما لا يمكن وصفه بقلم، ولا حكايته بقول، من كثرته وشناعته، فجملته أن

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) من القرى القديمة من أعمال الأشمونين، وتسمى قلنديمون. انظر القاموس الجغرافى «ع ق» ٢/٦٧ - ٦٨.

الحكام بالقاهرة وأعمالها ما بين محتسب، ووال، وحجاب، وقضاة، ونائب الغيبة، والأمير فخر الدين الأستادار، فالمحتسب بالقاهرة والمحتسب بمصر كل ما يكسبه الباعة مما تغش به البضائع وما تغبن فيه الناس فى البيع يجبى منهم بضرائب مقررة لمحتسبى القاهرة ومصر وأعوانهما، فيصرفون ما يصير إليهم من هذا السحت فى ملاذهم المنهى عنها، ويؤديان منه من استداناه من المال الذى دفع رشوة عند ولاياتهما، ويؤخران منه بقيه لمهاداة أتباع السلطان، ليكونوا عونا لهما فى بقائهما.

وأما القضاة فإن نوابهم يبلغ عددهم نحو المائتين، ما منهم إلا من لا يحتشم من أخذ الرشوة على الحكم، مع ما يأتون - هم وكتابهم وأعوانهم - من المنكرات بما لم يسمع بمثله فيما سلف، وينفقون ما يجمعونه من ذلك فيما تهوى أنفسهم، ولا يغرم أحد منهم شيئا للسلطنة، بل يتوفر عليهم فلا يتخولون [١] فى مال الله تعالى بغير حق، ويحسبون أنهم على شىء، بل يصرحون بأنهم أهل الله وخاصته، افتراء على الله سبحانه.

وأما والى القاهرة، ووالى مصر، وغيرهما من سائر ولاة النواحى، فإن جميع ما يسرق من الناس يأخذونه من السراق، إذا ظفروا به، فلا يأتون بسارق معه سرقة إلا أخذوها منه، فإن لم تكن السرقة معه ألزموه مالا، ويتركوه لسبيله، وقد تيقن أنه متى عثر عليه صانع عن نفسه، وتخلص.

وصار كل من يقطع من السراق يده، إنما يقطع لأحد أمرين، إما لقوة جاه المسروق منه، أو عجز السارق عن القيام للولاة بالمال، ويزيد ولاة البر على والى مصر والقاهرة بأخذ من وجدوا معه غنما أو إبلا أو رقيقا، من الفلاحين أو العربان وغيرهم، فإذا صار أحد من ذكرنا فى أيديهم، قتلوه واستهلكوا ماله، ومع هذا فلأعوان الولاة فى أخذ الأموال من الناس أخبار لم يسمع قط بمثل قبحها وشناعها، حتى أنه إذا أخذ شارب خمر غرم المال الكثير، وكذلك من ساقه سوء القضاء إليهم من المتخاصمين، فيغرم الشاكى والمشكو المال الكثير، بقدر جرمه، بحيث تبلغ الغرامة آلافا كثيرة. وجميع ما تجمعه الولاة كلهم من هذه الوجوه لا يصرف إلا فى أحد وجهين، إما للسلطنة مصانعة عن إقامتهم فى ولاياتهم، أو فيما تهواه أنفسهم من الكبائر الموبقات، وينعم أعوانهم بما يجمعونه من ذلك، ويتلفونه إسرافا وبدار فى سبيل الفساد، ويتعرض الولاة لمقدميهم، ويأخذون منهم المال حينا بعد حين.

وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك

---

(١) خول مال حسن: القيام على نعمة يدبره ويقوم عليه (لسان العرب) (خول) فالتخول هو التعهد وحسن الرعاية.

إليهم، ومشكو عليه، فما من أحد من الحجاب إلا وفى بابه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له فى كل يوم قدرا معلوما من المال، يقوم له به، ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيقسط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب، وما لا بد له من صرفه على عياله، ومؤنة فرسه، وأجرة سايسها، وما اعتاده من المحرمات التى لا يتركونها ما وجدوا إليها سبيلا وما يرصده ويدخره عنده عدة له فى وقت مكروه ينزل به من عزله، أو مصادرة الحاجب له، أو غير ذلك من العوارض ، فيتناول من كل واحد من النقباء شيئا مقررا عليه عند مضيه فى طلب غريم، يقال له الإطلاق، فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبوابا من أنواع مكرهم الذى تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له، ولدوادار الحاجب، وللحاجب، بحسب ما يقتضيه رأيهم. فربما بلغ الغرم فى الشكوى الآلاف من الدراهم، فإنهم يسلسلون قضايا ظلمهم حتى يستمر المشكو فى فى الترسيم الأيام والأشهر ، وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجه، فإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات، ولا يكلفون حمل شىء منه إلى السلطان.وأما نائب الغيبة فسبيل بابه سبيل أبواب الحجاب فيما تقدم ذكره.

وأما الأستادار فإنه أمدهم باعا، وأقواهم فى الظلم ذراعا، وأنفذهم فى ضرر الناس أمرا، وأشنعهم فى الفساد ذكرا، وذلك أنه خرج إلى الوجه البحرى، ففرض على جميع القرى فرائض ذهب، قررها بحيث أن الجباية شملت أهل النواحى عن آخرهم، و لم يعف عن أحد منهم ألبتة، فما وصلت إليه مائة دينار إلا وأخذ أعوانه مائة دينار أخرى، ثم تتبع أرباب الأموال فصادرهم، وأخذ لنفسه ولأعوانه مالا كثيرا ثم طرح على جميع النواحى بعد ذلك الجواميس التى نهبها ، فقامت كل واحدة من الجواميس على الناس باثنى عشر ألف درهم، وأكثر ما تبلغ الجيدة منهن إلى ألفى درهم ، فجبى من الوجه البحرى على اسم الجاموس مالا جما، ثم إنه ألزم الصيارفة ألا تأخذ الدرهم المؤيدى إلا من حساب سبعة دراهم ونصف، وهو محسوب على الناس بثمانية دراهم، وألزمهم أيضا ألا يأخذوا الفلوس إلا من حساب خمسمائة وخمسين درهما القنطار، وهو إلى الناس بستمائة درهم.

فإذا أمر بصرف الفلوس على أحد حسب عليه بستمائة درهم القنطار، وربما كان هذا الذى حسبت عليه بستمائة قد أخذت منه أمس بخمسمائة وخمسين، وألزمهم أيضا أن لا يقبضوا الذهب الأفرنتى إلا من حساب مائتين وثلاثين الدينار، وهو معدود على الناس بمائتين وستين، وإذا صرف لأحد ذهبا يحسبه عليه بمائتين وستين، فلا يورد أحد لديوان السلطان ألف درهم إلا ويحتاج إلى غرامة مثلها، أو قريب منها، ثم إنه كل قليل

يلزم صيارفته، ومقدميه، وشادى أعماله، ومباشريها، وولاتها، بمال يقرره عليهم ، فى نظير ما يعلم أنهم أخذوه من الناس، ثم تقرر فى أعمالهم حتى يعلم أنهم قد جمعوا شيئا آخر، أعاد عليهم المصادرة، فما من مرة إلا وهم يبالغون فى ظلم الناس، حتى يفضل لهم بعد المصادرة شىء هذا وهم يبالغون فى الترف، ويتلفون المال الكثير فى أنواع السرف فى المحرمات، ثم أنه لما عاد من الوجه البحرى وسار إلى بلاد الصعيد أوقع بلهانه على الأشمونين، وكسرهم ، وساق من الأغنام والأبقار والجمال والخيل شيئا كثيرا فرقه على أهل الوجه البحرى بأغلى الأثمان، وهو الآن يفرض على جميع بلاد الصعيد الذهب كما فرضه على نواحى الوجه البحرى ومع ذلك فقد شمل باعة مصر والقاهرة رماية البضائع عليهم، من السكر والعسل والصابون والقمح وغير ذلك، فإنه اشترى من الإسكندرية وغيرها بضائع كثيرة، ثم طرحها على الباعة بأغلى الأثمان فلا يصير إليه درهم حتى يغرم لأعوانه نظيره، وله نوع آخر من الظلم وهو أنه أخذ دار بهادر الأعسر(١) بخط بين السورين - فيما بين باب الخوخة وباب سعادة - وشرع فى عمارتها، وعمارة ما حولها، وما تجاهها من بر الخليج الغربى ، فأخذ من الناس آلات العمارة بغير ثمن، أو بأقل شىء، وتفنن أعوانه فى ظلم من يستدعيه بهم إلى هذه العمارة حمل صنف من الأصناف، أو عمل شىء من أنواع العمارة حتى يغرموه لأنفسهم مالا آخر، هذا وجميع ما يتحصل من وجوه الأموال التى تقدم ذكرها فإنه يحمل إلى السلطان وأعوانه، وينفق فى سبيل الشهوات المحرمة.وقد اختل إقليم مصر فى هذه السنى خللا شنيعا، يظهر أثره فى القابلة.

ومع ذلك ففى أرض مصر من عبث العربان ونهبهم وتخريبهم وقطعهم الطرقات على المسافرين من التجار وغيرهم شىء، عظيم قبحه، شنيع وصفه.والسلطان بعسكره فى البلاد الشامية يجول وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون**﴾.

ويضاف إلى ما تقدم ذكره أن الطاعون فاش بدمياط والغربية والإسكندرية، والإرجاف بالإفرنج متزايد، وأهل الإسكندرية على تخوف من هجومهم، وقد استعدوا لذلك، و لله عاقبة الأمور.

وفى سابع عشره: سقط من العمال بالعمارة السلطانية بجوار باب زويلة عشرة، مات منهم أربعة، وتكسر ستة.

---

(١) تقع بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير. المواعظ والاعتبار ٢/٧٤.

وفى عشرينه: قدم الخبر برحيل السلطان فى ثانى عشرين شهر ربيع الأول من حلب، ونزوله على العمق.

وفى خامس عشرينه: سار مفلح - رسول الناصر أحمد متملك اليمن - عائدا إلى بلاده، وصحبته الأمير بكتمر السعدى، بكتاب السلطان وهديته.وقد كثر بر مفلح هذا، وصلاته وصدقاته، وحسن الثناء عليه واحتاج من كثرة مصروفه إلى قرض مال.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فى ثانيه: أقيمت الجمعة بالجامع المؤيدى، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى، وخطب به عز الدين عبد السلام القدسى - أحد نواب الحكم الشافعية بالقاهرة - نيابة عن ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كاتب السر.

وفى خامسه: نودى على النيل ثلاثة أصابع، وكانت القاعدة ستة أذرع.

وفى عاشره: سافر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله - ناظر الخاص - إلى جهة الشام، بالخزانة السلطانية.

وفى رابع عشره: قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من الوجه القبلى ومعه ستة آلاف رأس من البقر، وثمانية آلاف رأس من الغنم، وألفا جمل، وألفا قنطار من القند، وعدد كثير من الإماء والعبيد، ومبلغ وافر من الذهب؛ وذلك أنه فرض على أهل البلاد مالا قاموا به فمن النواحى من فرض عليها الألفى دينار. وفرض على هوارة خمسة وعشرين ألف دينار، عوضوه عن أكثرها أصنافا فما هو إلا أن قدم أخذ يطرح الأبقار وغيرها على نواحى بلاد الجيزة وسائر الوجه البحرى، وعلى دواليب الناس بالقاهرة من البساتين والمعاصر، بأغلى الأثمان، وبث أعوانه فى طرح ذلك وجباية ثمنه، فأذاقوا الناس أنواع المكاره، ونظر فى الرقيق الذى أحضره - وفيه من بنات أهل الصعيد عدة قد استرقهن بعد الحرية - ففرق من خيارهن طائفة على الأعيان، وطئوهن - على زعمهم - بملك اليمين، واختار لنفسه طائفة، وباع باقيهن مع ما جلبه من العبيد، فشملت مضرته عامة أهل مصر، من أعلى الصعيد إلى أسفل مصر، وصادر مع هذا عدة من أعيان الصعيد، فاختل الإقليم بهذا من فعله خللا فاضحا.

وفى تاسعه: نودى أن يكون سعر الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين فنقص ثلاثين، وأن يكون الدينار الهرجة بمائتين وخمسين فنقص ثلاثين أيضا، وأن لا يتعامل بالدينار الناصرى وإنما يقص، وكان قد بلغ إلى مائتين وعشرين، فوقفت أحوال الناس،

وكسدت الأسواق وذلك أن القصد جباية ثمن ما طرح من البضائع بنوع آخر من التجسر.

هذا والنيل ينادى عليه كل يوم إصبع، من سادس عشره إلى ثالث عشرينه، فارتفع سعر القمح من مائة وثمانين الأردب إلى مائتى درهم، فلما كان يوم السبت رابع عشرينه لم يناد عليه ، فقلق الناس، وطلبوا القمح، وساءت ظنونهم، وأصبح الناس يوم الأحد وقد نقص ستة أصابع، ثم زاد سبعة أصابع، فرد النقص، وزاد إصبعا نودى به فى يوم الإثنين سادس عشرينه واستمرت الزيادة فى كل يوم، فانحل سعر القمح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فى ثامن عشره: وقع الشروع فى بناء برجين بجانبى باب السلسلة، أحد أبواب قلعة الجبل.

وفى حادى عشرينه: عزل ابن يعقوب عن حسبة القاهرة، واستقر فيها عماد الدين ابن بدر الدين بن الرشيد، وكان ينوب فى الحسبة عن التاج وغيره، وناب أبوه فى حسبة مصر أكثر من أربعين سنة متوالية، وخلع الأمير طوغان نائب الغيبة.

وفى رابع عشرينه: - الموافق له سادس عشرين مسرى - وفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة، واستمرت زيادة النيل فى كل يوم بقية الشهر.

وأما السلطان فإنه رحل من العكرشة فى رابع صفر، فلما نزل سبخة بردويل - فى ثانى عشره - قدم ناصر الدين بن خطاب الحاجب بدمشق، وعلى يده سيف الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام، وقد قبض عليه وسجن بقلعة دمشق، وكان من خبره أن كتب قبل ذلك إلى الأمير شاهين الحاجب الكبير بدمشق بالقبض على المذكور وسجنه، فوافاه الكتاب والنائب قد توجه من دمشق، وهو بنابلس، فلما بلغه الخبر بادر بالتوجه إلى دمشق، فلقيه شاهين بعسكر دمشق، قريبا من الخربة، وقرأ عليه كتاب السلطان، فأذعن وحل سيفه بيده، وتوجه صحبة العسكر إلى دمشق حتى تسلمه نائب القلعة، فسار السلطان، ونزل غزة فى يوم السبت خامس عشره على مصطبة، استجدها بظاهر المدينة، ضرب مخيمه عليها، ونودى بالأمان والاطمئنان، فقدم الأمير غرس الدين خليل الجشارى نائب صفد، والأمير بدر الدين حسن بن بشارة مقدم البلاد الصفدية بغزة، ثم ما زال يسير، وأمراء العربان ومشايخ البلاد والمقدمين يردون عليه إلى أن وصل إلى برج الكثيبة فى يوم الخميس سابع عشرينه، فقدم عليه قصاد الأمير على باك بن دلغادر،

وكردى باك بن كندر، والأمير طغريل بن صقلسيز بمكاتباتهم يسألون الصفح والعفو عنهم، ويعدون بحضورهم إلى الطاعة، فأجيبوا بأنهم إن صدقوا وداسوا البساط، وإلا فليتخذ كل منهم نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء، ثم قدم من الغد الأمير أقباى نائب الشام بعسكر دمشق، لملاقاة السلطان، وقدم سيف الأمير آق بردى أحد الأمراء المقدمين الألوف بالديار المصرية، وقد مات فى ليلة الخميس المذكور بدمشق.

وفى يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الأول: حل السلطان بمنزلة برزة بالموكب السلطانى، وولده الأمير صارم الدين إبراهيم حامل القبة على رأسه، من قرب ميدان الحصى[1] خارج دمشق من جهة مصر إل المصطبة المستجدة بمنزلة برزة خارج دمشق من جهة حلب، فكان يوم مشهودا، مر السلطان من تحت القلعة، ولم ينزلها، بل مضى حتى أناخ ببرزة.

وفى ثالثه: أفرج عن الأمير سودن القاضى من سجنه بقلعة دمشق، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب.

وفى ليلة الجمعة رابعه: عمل السلطان المولد النبوى بالمصطبة ظاهر برزة، وحضره القضاة والأمراء والخاصكية والقراء، فكانت من الليالى المشهودة المذكورة، وأنعم على السادة القراء بالخلع والمال.

وفى ثامنه: توجه الخواجا زين الدين ولى تاجر الخاص إلى الأمير محمد بن قرمان، رسولا بكتاب السلطان.

وفى تاسعه: تقدم الأمير يشبك نائب طرابلس، وقد نزل السلطان قريبا من حسيا.

وفى عاشره: نزل السلطان حمص، فقدم نائب طرابلس المذكور تقدمته، وفيه قدم الأمير جار قطلو نائب حماة، فأعيد من ساعته إليها لعمل المهم، وسار السلطان إلى حماة، فقدم عليه بها الأمير حديثة بن سيف ، أمير آل فضل وقدم غنام بن زامل، كبير عرب آل موسى، فكانت بينهما مشاجرة بسبب قتل سالم بن طويب من آل أحمد، فسكن السلطان ما بينهما، وعرضت عليه تقادم نائب طرابلس، وأمير آل موسى ، ونائب حمص، وقدم قصاد الأمير إبراهيم بن رمضان، وقصاد أولاد بن أوزر، وهم يسألون العفو فكان يوما مشهودا، ثم سار السلطان وخيم فى ليلة الثلاثاء سابع عشرة بمنزلة تل السلطان، وبها من تقدم من العساكر فى الجاليش.

---

(١) يقع قبلى دمشق. انظر معجم البلدان (دمشق).

وقد رسم لهم أن لا يبرحوا منها حتى يقدم السلطان، فبات السلطان، وأصبح يوم الثلاثاء وقد ضرب له صيوان على التل المذكور، وجلس فى أبهة ملكه.

ونودى فى العساكر أن تتقدم للعرض بعددها وأسلحتها، فعرضت بين يديه.

وفيه ورد الخبر بوصول جميع التراكمين من الأوجقية وغيرهم.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: رحل السلطان إلى منزلة قنسرين(١) فقدم بها الأمير قُجقار القردمى نائب حلب(٢) بعسكرها، وقدم أيضًا الأمير طغريل بن صقلسيز فى ألف وخمسمائة فارس.

وفى يوم الجمعة: انتقل السلطان إلى منزلة الوُضَيْحى.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: ركب السلطان عند انشقاق الفجر، وشرع فى صف الأطلاب وتعبئة العساكر بنفسه، فانتشرت يمينًا وشمالا إلى أن طبقت الأرض، ثم سار إلى حلب، ومر من ظاهرها، ودخل منها نائب الشام، ونائب طرابلس، ونائب حماة، ونائب صفد، وعدة من العربان والتركمان، وخرجوا من الباب الآخر، ونزل السلطان بالمصطبة الظاهرية فى مخيماته، وترقب عود الرسل المتوجهة إلى الأطراف، فقدم فى ثانى عشرينه خليل بن بلال نائب مدينة أياس، وكان قد ولى نيابتها فى عاشر شوال سنة ست عشرة وثمانمائة ومعه مفاتيح قلعتها، فخلع عليه.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: جلس السلطان بالميدان، وحضر نواب الشام وأمراء مصر، ومن قدم من التركمان والعربان والأكراد، وعين السلطان الأمير أقباى نائب الشام والأمير جار قطلو نائب حماة وعسكر دمشق وحماة ومعهم خمسمائة ماش من التركمان الأوشرية والأينالية، وفرقة من البوصجاوية وفرقة من عرب آل موسى،

---

(١) قنسرين: بالشام، وهى الجابية، وبينها وبين حلب اثنا عشر ميلاً، وفيها كان قبر هشام بن عبد الملك بن مروان، وكان على قنسرين سور حصين فهدم فى أيام قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بأمر معاوية، وفيها الآن آثار من سورها، ولها حصن منيع وبها أسواق وهى على نهر قويق، وهو نهر حلب يصل فى جريته إلى قنسرين ثم يغوص فى الأجمة، وقيل بين قنسرين وحلب عشرين ميلاً. انظر الروض المعطار ٤٧٣، ٤٧٤،

(٢) حلب: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ٤/ ١١٦، ومعجم البلدان. وقال بعضهم فى وصف حلب: حلب قدرها خطير، وذكرها فى كل زمن يطير، لها قلعة شهيرة الامتناع، معدومة الشبيه والنظير فى القلاع، ويقال إن هذه القلعة كانت فى قديم الزمان ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام، بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها، فلذلك سميت حلب. انظر الروض المعطار.

المتوجة إلى ملطية[١] وإخراج حسين بن كبك منها وإلى كختا وكركر[٢]. وخلع على داود بن أوزر، وجماعته، وسوغهم مالا جزيلا وأسلحة، وأعادهم إلى بيوتهم بالعمق، وولى الأمير سيف الدين صاروجا مهمندار حلب نيابة أياس، عوضًا عن خليل بن بلال، وقدم الجاليش بين يديه، وفيه الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر، والأمير يشبك اليوسفى نائب طرابلس، والأمير غرس الدين خليل الجشارى التوريزى نائب صفد، فى عدة من أمراء مصر، فساروا إلى العمق، وركب السلطان إلى قلعة حلب، وأقام بها، ثم رحل السلطان بكرة يوم الإثنين ثانى شهر ربيع الآخر إلى جهة العمق على درب الأثارب، فقدم بالمنزلة المذكورة قصاد الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، وفيهم القاضى مصلح الدين مرتيل - قاضى عسكره - بهدية، وكتاب يتضمن أنه ضرب السكة المؤيدية، ودعا للسلطان فى الخطبة، وبعث من جملة الهدية طبقًا فيه دراهم بالصكة المؤيدية، فعنف السلطان رسوله ووبخه، وعدد له خطأ مرسله فى تقصيره فى الخدمة، لما وصل السلطان والعسكر إلى قيسارية[٣]، ومنها إهماله القبض على كزل ومن معه من المستحبين، ومنها عدم تجهيزه مفاتيح طرسوس، لما استولى عليها، فاعتذر مصلح الدين، وسأل الصفح، فقال السلطان له: «إنما سرت وتكلفت هذه الكلفة العظيمة لأجل طرسوس[٤] لا غير»، ثم فرق الدراهم وغيرها على الحاضرين، وأمر مصلح الدين، فجلس وآنسه وقدم كتاب الأمير سلمان بن أبى يزيد ابن عثمان، صاحب برصا، ثم قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان، وابن عمه حمزة بن أحمد بن رمضان، وسائر أمراء التركمان الأوجقية، فى جمع كبير، ومعهم أم

---

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورًا محكمًا، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة، وكان فتح ملطية عنوة على يد حبيب بن مسلمة الفهرى وجهه إليها عياض بن غنم من سميساط. انظر الروض المعطار ٥٤٥، واليعقوبى ٣٦٢، وآثار البلاد ٥٦٤، والكرخى ٤٦، وابن حوقل ١٦٦، وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) على هامش ط: كخنا وكركر: قلعتان متقاربتان على جانب الفرات الغربى، فى طرف الحد الشمالى. انظر تقويم البلدان ٢٦٣، ٢٦٥.

(٣) قيسارية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٤٨٦، ونزهة المشتاق ١١٥، ومعجم البلدان (قيسارية)، والمقدسى ١٧٤، واليعقوبى ٣٢٩، وفتوح البلدان ١٦٧.

(٤) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليها. وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، صبح الأعشى ٤/ ١٣٣.

إبراهيم المذكور، وأولاده الصغار فى خمسمائة من أمرائه وأقاربه وألزامه، فقام السلطان لها، وخلع على إبراهيم وعلى أخيه، وأركبهما بالسروج الذهب والكنابيش الذهب.

وفى يوم السبت سابعه: عمل السلطان الموكب بالعمق، وحلف التركمان على الطاعة، وأنفق فيهم، وخلع عليهم نحوًا من مائتى خلعة، وألبس إبراهيم بن رمضان الكلوتة، وأنعم عليه، وعلى جماعته، فقبلوا الأرض بأجمعهم، وضجوا بالدعاء، فكان وقتًا عظيما، ثم تقرر الحال على أن الأمير قجقار نائب حلب يتوجه بمن معه إلى مدينة طرسوس، ويسير السلطان على جهة مرعش إلى الأبلستين، ويتوجه مصلح الدين إلى ابن قرمان بجوابه، ويعود فى مستهل جمادى الأولى بتسليم طرسوس، فإن لم يحضر مشى السلطان إلى بلاد ابن قرمان، فسار مصلح الدين صحبة نائب حلب إلى طرسوس، وسار السلطان يريد الأبلستين، فنزل النهر الأبيض فى حادى عشره، وقدم كتاب نائب حلب أنه لما نزل بغراص قدم إليه خليفة الأرمن بسيس - المسمى كريكون - وأكابر الأرمن، وعلى يدهم مفاتيح قلعتى سيس وناورزا[1]، وأنه جهزهم، فحضروا بالمفاتيح، فولى السلطان نيابة القلعة الشيخ أحمد أحد أمراء العشرات بحلب، وخلع عليه وعلى الأرمن، وأعادهم إلى القلعة المذكورة.

وفى ثانى عشره: نزل السلطان بمنزلة كونيك، فقدم كتاب نائب الشام بأن حسين ابن كبك أحرق ملطية فى خامس شهر ربيع الآخر، فشاهد أسواقها ودار السعادة بها قد عمهم الحريق، وأنه لم يتأخر بها إلا الضعيف والعاجز، وأن فلاحى بلادها نزحوا بأجمعهم، وأن ابن كبك قد نزل عند كوركى، فإنه سار من ملطية فى إثره، فندب عند ذلك السلطان - وهو بكونيك - ولده الأمير صارم الدين إبراهيم للمسير، ووجهه فى يوم الأحد ثالث عشره، ومعه الأمير جقمق الدوادار، وجماعة من الأمراء، لكبس الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، فساروا مجدين، وأصبحوا بالأبلستين، وقد فر ابن دلغادر منها، وأخلى البلاد من سكانها، فجدوا فى السير ليلا ونهارًا، إلى أن نزلوا بمكان يقال له كل دلى فى يوم الثلاثاء خامس عشره، فأوقعوا بمن هناك من التركمان، وأخذوا بيوتهم، وأحرقوها. ومضوا إلى خان السلطان فأوقعوا بمن هناك أيضًا، وأحرقوا بيوتهم، وأخذوا من الدواب شيئًا كثيرًا، وصاروا إلى موضع يقال له صاروش، فحرقوا بيوت من فيه من التركمان، وأخذوا ما عندهم، وباتوا هناك، وتوجهوا بكرة يوم الأربعاء سادس عشره، فأدركوا محمد بن دلغادر وهو سائر بأثقاله وحريمه، فتبعوه، وأخذوا

---

(١) على هامش ط: ناورزا: أكد أبو الفدا أنه الاسم المحرف لقلعة عين زربة، وهى تقع إلى الجنوب الغربى من سيس، بينهما أربعة وعشرون ميلاً. انظر تقويم البلدان ٢٥٠،٢٥١.

أثقاله، وأثاثه، وجميع ما كان معه، وخلص على جرائد الخيل ووقع في قبضتهم عدة من أصحابه، ثم عادوا إلى السلطان بالغنائم، ومن جملتها مائة بسرك[١] - يعنى بختى - كالأفيلة، وخمسمائة حمل من اللوكات - جمال الأثقال - ومائتى فرس، وأما ما أخذ من الأقمشه الحرير والفرو والأوانى ما بين فضيات وغيرها، فشيء لا يكاد ينحصر.

ومازال السلطان يتنقل في مراعى الأبلستين، فقدم الأمير أقباى نائب الشام، بعد أن سار فى إثر حسين بن كبك إلى أن بلغه أنه دخل بلاد الروم، وبعد أن قرر أمر ملطية بعود أهلها إليها، وبعد أن جهز الأمير جار قطلو نائب حماة، ومعه عدة من الأمراء، ونائب البيرة، ونائب قلعة الروم، ونائب عين تاب، ونائب كختا وكركر إلى جهة كختا وكركر فنازلوا القلعتين وقد أحرق نائب كختا أسواقها وتحصن بقلعتها، فبعث السلطان إليهم نجدة فيها ألف ومائتى ماش وعدة من آلات الحصار، وقدم كتاب محمد بن دلغادر وهو يسأل العفو، وأنه يسلم قلعة درندة، فأجيب إلى ذلك، وكان الأمير قجقار نائب حلب لما توجه إلى طرسوس، قدم بين يديه إليها الأمير شاهين الأيدكارى متولى نيابة السلطنة بها، وقد بعث ابن قرمان نجدة إلى نائبه بطرسوس الأمير مقبل، فلما بلغ مقبل مسير عساكر السلطان إليه، رحل من طرسوس وبعث إلى شاهين الأيدكارى يخبره برحيله، فدخل شاهين طرسوس وقد امتنع مقبل بقلعتها، فنزل الأمير قجقار والأمير شاهين عليها، وكتب إلى السلطان بذلك، فورد كتابه فى سادس عشرينه إلى الأبلستين، فدقت البشائر لذلك، وبعث السلطان الأمير سيف الدين أينال الأزعرى[٢] - أحد مقدمى الألوف بديار مصر - إلى درندة ليحمل من معاملتها الميرة، فأحضر شيئًا كثيرًا من العلوفات ونحوها، بحيث أبيعت العليقة الشعير بنصف درهم بمعاملة درندة. واستمر الأمير قجقار والأمير شاهين على حصار قلعة طرسوس، إلى أن أخذت بالأمان في يوم

---

(١) أوضح فى ط أن البسرك: هو البختى الصغير السنى من الجمال، وربما اشتق اللفظ من البسر، وهو الغض من كل شيء. انظر (لسان العرب).

(٢) أينال بن عبد الله الأزعرى الشيخى (٨٣٠ تقريبًا هـ = ١٤٢٦ م)، هو سيف الدين. أصله من مماليك الأمير شيخ الصفوى أمير مجلس، واتصل بعد موت أستاذه المذكور بخدمة الملك المؤيد شيخ قبل سلطنته. فلما تسلطن الملك المؤيد أمره ورقّاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى الحجوبية الكبرى بها بعد موت المؤيد، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدة وحبسه، فدام فى الحبس سنين إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، ورسم له بالإقامة بدمشق بطالا، ودام على ذلك إلى أن مات فى حدود الثلاثين وثمانمائة تقريبًا. وكان عارفا بفنون الفروسية، وأنواع الملاعيب كالرمح وغيره، مشكور السيرة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٣ والدليل ١/ ١٧٤، النجوم ١٤/ ٢٩، ١٩٥.

الجمعة ثامن عشره، وأخذ مقبل ومن معه وسجنوا، وكتب بذلك إلى السلطان، فقدم الكتاب فى عشية يوم الأحد سابع عشرينه فانتقل السلطان إلى منزلة سلطان قرشى، فقدم قاصد الأمير على باك بن دلغادر بهديته وكتابه، وقدم كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر مع ولده، وصحبته كواهى، ومفاتيح قلعة درندة، فأضاف السلطان نيابة الأبلستين إلى على باك بن دلغادر مع ما بيده من نيابة مرعش[1]، وجهز له التشريف. ثم ركب السلطان فى ثامن عشرينه ليرى درندة، وسار جرائد الخيل ونازلها، وبات عليها، وأصبح فرتب الأمير أقباى نائب الشام فى إقامته عليها، واستدعى من المخيمات بالزردخاناه والعتالين والنقابين والصناع، وألزمهم بأخذها، وعادوا إلى المخيم، فوصل فى تلك الليلة مفاتيح قلعة خندروس، من مضافات درندة، وقدم الخبر باستقرار على باك بن دلغادر فى الأبلستين على يد ولده حمزة، ومعه هدية، وقدم الخبر بأن الأمير أسنبك بن أينال واقع عسكر الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وأخذ منهم جميع ما معهم، وأنه قطعت يد ولده الكبير فى الوقعة، فسر السلطان بذلك، وركب إلى درندة وبات على سطح العقبة المطلة عليها، فلما أصبح، ركب بعساكره، وعليهم السلاح، ونزل بمخيماته على القلعة وهى فى شدة من قوة الحصار، فلما رأى من فيها السلطان قد نزل عليهم طلبوا الأمان فأمنهم ونزلوا بكرة الجمعة سلخه، وفيهم داود بن الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، فألبسه السلطان تشريفًا، وأركبه فرسًا بقماش ذهب، وخلع على جماعته، واستولى السلطان على القلعة، وكتب بالبشارة إلى البلاد، وخلع على الأمير ألطنبغا الحكمى أحد رءوس النوب، واستقر فى نيابة درندة، وأنعم عليه بأربعة آلاف دينار سوى السلاح، وخلع على الأمير منكلى بغا الأرغون شاوى - أحد الأمراء الطبلخاناه بالديار المصرية - واستقر به فى نيابة ملطية ودوركى، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار، وصعد السلطان من الغد إلى قلعة درندة، وأحاط بها علمًا، ثم رحل، فورد كتاب ناصر الدين محمد بن شهرى يتضمن أنه جهز فى يوم الأربعاء سابع جمادى الأولى عشرة أنفس، ليسرقوا قلعة كرت برت من أصحاب محمد بن دلغادر، وأردفهم بعسكر، فقاتلوا من بالقلعة فى يوم الخميس غده، حتى غلبوهم، وأخذوا القلعة، وجهز من أهلها أحد عشر رجلا، فصلبوا على قلعة درندة.

---

(١) مرعش: من ثغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها سور حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه، وجهه إليها أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، وقالوا: وجيحان مخرجة من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مرعش. انظر الروض المعطار ٥٤١، ٥٤٢.

ولما قضى السلطان الغرض من أمر درندة وطرسوس وأياس، وجعل أمر الأبلستين إلى على باك بن دلغادر، وأمر مرعش إلى ولده حمزة، ارتحل بالعسكر ونزل على النهر من غربى الأبلستين بنحو مرحلة، ليتوطد له أمر ملطية ونائب درندة، وتكمل رجوع أهل البلدين إليهما، فأقام أربعة أيام، ثم عاد ونزل الأبلستين، يريد بهسنى وكختا وكركر، وأعاد من هناك حمزة بن على باك دلغادر إلى أبيه، وجهز دنكز رسول قرايوسف وصحبته رسول على يده جوابه وهدية، وكان قد سار الأمير أقباى نائب الشام إلى بهسنى[1] فرحل السلطان فى إثره، فقدم الخبر من الأمير أقباى نائب الشام بأنه كتب إلى الأمير طغُرق بن داود بن إبراهيم بن دلغادر، المقيم بقلعة بهسنى يرغبه فى الطاعة، ويدعوه إلى الحضور، فاعتذر عن حضوره بخوفه على نفسه، فما زال به حتى سلم القلعة، وحضر إليه.

فلما كان فى سادس عشرين جمادى الآخرة: قدم الأمير أقباى، ومعه الأمير طغرق - وقد قارب السلطان فى مسيره حصن منصور - فخلع على طغرق ومن معه، وأنعم عليهم بمال والكساوى، وأنزل بخام ضرب له، ونزل السلطان بحصن منصور، فقدم الخبر بنزول الأمير قجقار نائب حلب على كركر وكختا وقدم أيضا قاصد قرا يلك بهدية، فخلع عليه، وقدم رسول الملك العادل سليمان صاحب حصن كيفا[2] بهدية، فلما كان الغد رحل السلطان ونزل شمالى حصن منصور، قريبًا من كركر وكختا، وأردف نائب حلب بالأمير جار قطلو نائب حماة، وجماعة من أمراء مصر والشام، وبعث يشبك اليوسفى نائب طرابلس لمنازلة كختا.

وفيه خلع على الأمير منكلى خجا السيفى أرغون شاه بنيابة قلعة الروم، عوضًا عن الأمير أبى بكر بن بهادر البابيرى الجعيرى، وخلع على الأمير كمشبغا الركنى رأس نوبة جمال الدين الأستادار - كان - بنيابة بهسنى، عوضًا عن الأمير طَغْرُق بن دلغادر. وقدم جواب قرايوسف صحبة القاضى حميد الدين قاضى عسكره، وكتاب محمد شاه بن قرايوسف وكتاب بير عمر حاكم أرزنكان[3] وهدية جليلة من قرايوسف، فأنزل حميد الدين وأجرى عليه ما يليق به.

---

(١) بهنسى: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل، وهى عامرة بالناس جامعة لأمم شتى، ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام. انظر الروض المعطار ١١٤، والإدريسى ٥٠، وجنى الأزهار ١٠.

(٢) حصن كيفا: سبق ترجمته. انظر معجم البلدان (حصن كيفا)، وفى الروض المعطار جاء ذكره فى وسط الكلام عن مدينة سروج، وهو أنه بينه وبين سروج ستة فراسخ. انظر الروض المعطار ٣١٦ (سروج).

(٣) سبق ترجمتها.

ثم رحل السلطان ونازل كختا وحصر قلعتها، وقد نزح أهل كختا ومعامليها عنها، فنصب للرمى على القلعة مدفعًا زنة حجره ستمائة رطل بالمصرى، وعدة مدافع دون ذلك، فبينما هو فى حصارها، إذ ورد الخبر بقرب قرايوسف وأنه يقصد قرايلك. فبادر قرايلك وجهز ابنه الأمير حمزة العشارى صحبة نائبه الأمير شمس الدين أمير زه بهدية، من خيل وشعير، ويسأل الاعتناء به، فأكرم السلطان ولده ونائبه وأنزلهما.

وقدم أيضًا قاصد طور على نائب الرها[١] وقاصد الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى نائب دوركى، وقاصد بيرعمر حاكم أرزنكان، بكتابه أنه مشى يريد قرا يلك، معه عشرون ألف فارس لأخذه. وقدم أيضا قاصد الأمير محمد بن دولات شاه الحاكم بأكل[٢] من ديار بكر، ومعه مفاتيح قلعتها، فأعيدت إليه المفاتيح، ومعها تشريف أطلسين. فلما اشتد الحصار على قلعة كختا، وفرغ النقابون من النقب، ولم يبق إلا إلقاء النار فيها، طلب قرقُماس شمس الدين أمير زاه فبعثه السلطان إليه، فجرت أمور آلت إلى أنه بعث ولده رهنًا، وأنه بعد رحيل السلطان عنه ينزل، فرحل السلطان إلى جهة كركر، وأقام الأمير جقمق على كختا وسارت الأثقال إلى عين تاب، فنازل السلطان قلعة كركر، ونصب عليها منجنيقًا يرمى بحجر زنته ما بين الستين والسبعين رطلا بالدمشقى، وذلك فى يوم الجمعة تاسع عشرينه.

شهر رجب، أوله السبت:

فيه قدم الخبر من الأمير جقمق بنزول الأمير قرقماس من قلعة كختا، ومعه حريمه، فتسلمها نواب السلطان، وأنه توجه ومعه قرقماس إلى حلب، وقدم الخبر من الأمير منكلى بغا نائب ملطية بأن طائفة من عسكر قرايوسف نزلوا تحت قلعة منشار[٣] ونهبوا بيوت الأكراد، وعدى الفرات منها نحو ثلاثمائة فارس، وأنه ركب عليهم وكسرهم، وقتل منهم نحو العشرين، وغرق بالفرات نحو ذلك، وأسر اثنى عشر نفرًا، وأنهم ساروا إلى خرت برت[٤].

---

(١) الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحران، وإليها ينسب الورق الجيد من ورق المصاحف، وهى مدينة ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الأنهار، وبينها وبين حران ستة فراسخ، والرها مدينة رومية عليها سور حجارة، تدخل بها أنهار وتخرج عنها، وهى سهلية جبلية كثيرة البساتين والخيرات. انظر الروض المعطار ٢٧٣، ٢٧٤، ونزهة المشتاق ٢٠٠، وصبح الأعشى ١٣٩/٤، وابن الفقيه ١٣٤، والكرخى ٥٤، والمقدسى ١٤١، ١٤٧، ومعجم ما استعجم ٦٧٨/٢.

(٢) أَكِلُ: من قرى ماردين. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٤٠.

(٣) ذكر فى ط: أن منشار حصن قريب من الفرات. انظر معجم البلدان.

(٤) خَرْتَبِرتُ: وهو الحصن المعروف بحصن زياد الذى يجيىء فى أخبار بنى حمدان فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٥٥.

وفيه خلع السلطان على الأمير شاهين الحاجب بصفد، واستقر به في نيابة كركر، وعلى الأمير كزل بغا - أحد أمراء حماة - بنيابة كختا، فمضى كزل بغا وتسلم كختا وقلعتها ورحل السلطان بكرة يوم الثلاثاء رابعه، وقد عاوده ألم رجله الذى يعتريه فى كل سنة، فركب المحفة عجزًا عن ركوب الفرس، وقصد حلب، ثم ركب الفرات فى الزوارق من تجاه بلدة يقال لها كيلك[1] وصحبته خاصته، ونزل قلعة الروم عشية الخميس سادسه وبات بها ونزل من الغد بالميدان، بعدما رتب أحوال القلعة، وأنعم على نائبها بخمسمائة دينار، وعلى بحريتها بنفقة، فقدم الخبر فى يوم الجمعة سابعه من الأمير قجقار نائب حلب بهزيمة قرا يلك من قرايوسف، وأن من معه من العسكر المقيم على كركر خافوا، وعزموا على الرحيل، وبينما كتابه يُقرأ، إذ قدم كتاب الأمير أقباى نائب الشام، بأن الأمير قجقار رحل عن كركر بمن معه، من غير أن يعلمه، وأنه عزم على محاصرتها، فكتب إليه بأن يستمر على حصارها.

وفى بكرة يوم السبت ثامنه: انحدر السلطان على الفرات إلى البيرة، فدخلها من آخره، وصعد قلعتها، وقرر أمورها، فقدم الخبر من الغد بقرب قرايوسف، وأن الأمير أقباى نائب الشام صالح خليل نائب كركر، ورحل بمن معه، فحنق السلطان من ذلك، واشتد غضبه على الأمير قجقار نائب حلب، ثم رحل السلطان من البيرة يريد حلب فدخلها بكرة يوم الخميس ثالث عشره، بأبهة الملك، وقد تلقاه أهل حلب، وفرحوا بمقدمه لكثرة الإرجاف بقدوم قرايوسف، فاطمأنوا، وصعد القلعة، ونادى بالأمان، وفرق فى الفقهاء والفقراء مالا جزيلا، وأمر ببناء القصر الذى كان الأمير جكم شرع فى عمارته.

وفى سابع عشره: قدم أقباى نائب الشام، وقجقار نائب حلب، وجار قطلو نائب حماة، فأغلظ السلطان على الأمير قجقا وبخه، فأجابه بدله، ولم يراع الأدب، فقبض عليه وحبسه بالقلعة، ثم أفرج عنه من يومه بشفاعة الأمراء، وبعثه إلى دمشق بطالا. واستقر بالأمير يشبك اليوسفى - نائب طرابلس - فى نيابة حلب، وخلع عليه. واستقر بالأمير بردبك رأس نوبة فى نيابة طرابلس.

وفى يوم الخميس عشرينه: ركب السلطان إلى خارج حلب وعاد إلى دار العدل فى موكب عظيم، وحضر الأمير حديثة أمير العرب، وحميد الدين رسول قاصد قرايوسف،

(١) ذكر فى ط: أنه يفهم من المتن أن كيلك بلدة على الفرات قرب قلعة الروم. انظر النجوم الزاهرة ٣٧١/٦، ولعله فى ط: استند على أن السلطان ركب الفرات حتى وصل إلى قلعة الروم فيجب أن تكون هذه المدينة واقعة على جانب الفرات؛ لأنه لم يذكر أى انحراف للسلطان أثناء سفره.

وخلع عليه، وأنعم له بمال وأعاده. وخلع على الأمير ططر، واستقر به رأس نوبة كبيرًا، عوضًا عن برد بك نائب طرابلس، واستقر بالأمير نكباى فى نيابة حماة، عوضًا عن جار قطلو، واستقر بجار قطلو فى نيابة صفد، عوضًا عن الأمير غرس الدين خليل التوريزى الجشارى، واستقر خليل فى الحجوبية الكبرى بطرابلس وخلع على الجميع، فاستعفى خليل من حجوبية طرابلس، فأعفى، وخلع على الأمير سودن قرا صقل حاجب الحجاب بديار مصر، واستقر فى الحجوبية بطرابلس، واستقر بالأمير شاهين الأرغون شاوى فى نيابة قلعة حلب عوضًا عن الأمير ألطنبغا المرقبى، بحكم انتقاله فى جملة مقدمى الألوف على إقطاع الأمير أقبردى المنقار.

وفى رابع عشرينه: رسم للنواب بالتوجه إلى محل كفالاتهم، وخلع عليهم خلع السفر.

وفى خامس عشرينه: قبض على الأمير طغرول بن صقل سيز وابن عمه طر على وسجنا بقلعة حلب واستقر الأمير ناصر الدين محمد بن التركمانى فى نيابة شيزر، عوضًا عن طغرول المذكور، واستقر الأمير مبارك شاه فى نيابة الرحبة[1]، عوضًا عن عمر بن شهرى.

وفى سادس عشرينه: كملت عمارة القصر بقلعة حلب، وجلس فيه السلطان واستدعى مقبل القرمانى ورفاقه، وضربه ضربًا مبرحًا ثم صلب هو ومن معه.

وفيه قدم الخبر من القاهرة بوفاء النيل وقدم رسول سليمان صاحب حصن كيفا[2] وكتابه، يسأل انتسابه إلى السلطان، وأن ينعم عليه بتقليد باستقراره واستمراره واحدًا من نواب السلطنة، وطلب تشريفًا على على عادة النواب، فأجيب إلى ذلك وخلع على قاصديه وعين له حجرة بقماش ذهب، وتعبية ثياب.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه عمل السلطان الخدمة بالقصر الجديد من قلعة حلب، وأصلح بين الأمير حديثة

---

(١) رحبة مالك بن طوق: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابور مرحلتان. انظر الروض المعطار ٢٦٨، ومعجم البلدان.(رحبة مالك بن طوق).

(٢) هو: الملك العادل (٨٢٧هـ = ١٤٢٤م) سليمان (العادل) بن غازى بن محمد بن شادى الأيوبى، صاحب «حصن كيفا» وكان من أطول الملوك مدة، استمر فى الحكم نحو ٥٠ سنة. انظر: الضوء اللامع ٣/ ٢٦٨، بحلة المجمع العلمى ١٦/ ٢١٢. الأعلام ٣/ ١٣١.

أمير آل فضل وبين غنام بن زامل، وحلفهما على الطاعة، وأن لا يتضارا، واستقر بالأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر فى نيابة الأبلستين على عادته، وجهز له نفقة وسيفًا وسلاحًا وجمالا وخيولا.

وفيه قدم قاصد كردى باك، ومعه الأمير سودن اليوسفى، أحد المنسحبين من وقعة قانباى، وقد قبض عليه، فسمر تحت قلعة حلب من الغد، ثم وسط. وانتهت زيادة النيل فى يومه - وهو سادس عشر توت - إلى عشر أصابع من عشرين ذراعًا.

وفى يوم الجمعة خامسه: خطب القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى - كاتب السر - خطبة الجمعة، وصلى بالسلطان فى القصر المستجد بقلعة حلب.

وفى يوم السبت سادسه: أمسك بالقاهرة نصرانى وقد خلا بامرأة مسلمة، فاعترفا بالزنا، فرجما خارج باب الشعرية[1] ظاهر القاهرة عند قنطرة الحاجب، وأحرق العامة النصرانى ودفنت المرأة، فكان يومًا عظيما.

وفى ثامنه: قدم على السلطان بحلب كتاب الأمير سليمان بن عثمان، بأنه قبض على محمد بن قرمان وعلى ولده مصطفى بعد محاصرته بقونيا، وأنه استولى عليها، وعلى غالب بلاد ابن قرمان؛ قيسارية وغيرها.

وفيه خلع على تمراز بحجوبية حلب، عوضًا عن أقبلاط الدمرداشى.

وفيه اجتمع عدة من فقهاء القاهرة عند الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار، فى أمر نصرانى ادعى عليه بما يوجب إراقة دمه، فتشطرت البينة عليه، ولم يكمل النصاب، فحكم قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى المالكى بتعزيره، فعندما جرد ليضرب أسلم، فأنعم عليه، وترك لحاله، وتجاوروا[2] ما فيه النصارى من كبر عمائمهم، ولبسهم الفرجيات والجبب بالأكمام الطويلة الواسعة، كهيئة قضاة الإسلام، فنودى بمنعهم من ذلك، ومن ركوبهم الحمر الفرة، ومن استخدامهم المسلمين، وأن يلتزموا الصغار، ولا يلبسوا إلا عمامة من خمسة أذرع فما دونها.

وفى يوم الخميس حادى عشره: قدم الأمير يشبك - أحد دوادارية السلطان - إلى القاهرة، وقد استقر أمير ركب الحاج.

---

(١) أحد أبواب المحروسة، القاهرة، وهو ينسب إلى طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية. انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ٣٨٣.

(٢) جاراه مجاراة وجراء، جرى معه، وجاراه فى الحديث وتجاروا فيه. انظر: لسان العرب (جرى).

وفيه عزل السلطان تمراز عن حجوبية حلب، واستقر عوضه بالأمير عمر سبط بن شهرى، وخلع عليه وعلى عمر شاه بن بهادر البابيرى بنيابة جعبر[١] عوضًا عن خليل ابن شهرى.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: جمع الناس بالجامع الأزهر من القاهرة وبالجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، وقرأ عليهم القاضى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر[٢] بالجامع الأزهر كتاب السلطان بأنه وصل إلى الأبلستين[٣] وملك كختا[٤] وسيس[٥] والمصيصة[٦] وأذنة[٧] وغير ذلك، وأن قرايوسف حاكم توريز وبغداد بعث إليه بهدية، وقد قرب ما بينهما، وأن السلطان عاد إلى حلب، وسطرها فى تاسع عشر رجب وقرئ ذلك بالجامع المؤيدى، فكثر كلام الناس واختلف على قدر أغراضهم.

وفى سابع عشره: قدم الخبر على السلطان بحلب من الأمير فخر الدين عثمان بن طور على قرايلك، ومن الأمير ألطنبغا نائب البيرة، ومن نائب قلعة الروم، ومن نائب كختا، ونائب ملطية، بأن الصلح وقع بين قرايوسف على أن قرايوسف تسلم قلعة صور، وعوض قرا يلك عنها ألف ألف درهم بمعاملتهم، ومائة فرس ومائة جمل بسارك، ثم رحل فى رابع شهر شعبان عنه إلى جهة توريز، فلما تحقق أهل حلب رحيل قرايوسف، وعوده إلى بلاده اطمأنوا، بعدما كانوا قد تهيئوا للرحيل عن حلب.

وأصبح السلطان بكرة يوم الخميس ثامن عشره، راجلا عن حلب إلى جهة مصر، فنزل عين مباركة[٨].

---

(١) جعبر: قلعة جعبر على الفرات بين بالس والدرقة قرب صفين. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٤٢.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفربيا، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٥٥٤، ومعجم ما استعجم ٤/١٢٣٥.

(٧) أَذَنَةُ: بفتح أوله وثانيه، ونون بوزن حَسَنَة. وأَذِنَةَ بكسر الذال، بوزن خَشِنَة؛ قال السكوني: بحذاء توز جبل يقال له الغمر شرقى توز، ثم يمضى الماضى فيقع فى جبل شرقيه أيضا، يقال له أَذَنَة، ثم يقطع إلى جبل يقال له حبشىّ. انظر: معجم البلدان ١/ ١٣٢، ١٣٣.

(٨) موضع به عين ماء قرب حلب، يجرى منه الماء فى قناة إلى قنسرين. انظر: زبدة الحلب فى تاريخ حلب ١/١٩.

وفيه أسلم الأسعد النصرانى خازنًا، وكان كاتب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار، وذلك بعدما حفظ جزءًا من القرآن الكريم، وشدا طرفا من النحو، فتسمى بعد إسلامه بمحب الدين محمد.

وفى عشرينه: استقل السلطان بالمسير من عين مباركة، ونزل قنسرين، وأعاد منها الأمير يشبك نائب حلب إليها، بعدما خلع عليه، ثم سار ونزل حماة بكرة الأربعاء رابع عشرينه. ورحل عنها من الغد، ونزل حمص، ورحل عنها عشية الجمعة سادس عشرينه.

شهر رمضان المعظم، أوله الثلاثاء:

فى بكرة يوم الخميس ثالثه: دخل السلطان دمشق، ونزل بقلعتها وكان يوما مشهودا، ونودى فى الناس بالأمان والاطمئنان.

وفى سابعه: قبض على الأمير أقباى نائب الشام، وقيد وسجن بقلعة دمشق، وسبب ذلك أن السلطان اشتراه صغيرًا بألفى درهم، ورباه، ثم عمله خازندارا، ثم نقله فى أيام سلطنته إلى أن صار من الأمراء، وولى داودارًا كبيرًا، ثم ولاه نيابة حلب، وهو مجبول على طبيعة الكبر، يحدث نفسه - كلما انتهى إلى غاية - بأعلى منها، فأوى جماعة من مماليك قانباى بعد قتله، وعدة من العصاة، فأشيع عنه الخروج عن الطاعة فلما بلغه ذلك، بادر إلى التوجه إلى القاهرة، وقدم على السلطان بغتة، كما سبق فيما سبق، فتنكر السلطان له وأسرها فى نفسه، وولاه نيابة الشام، وكان الجاليش قد نصب، وفرقت نفقات السفر، فظن أن يصل قبل ذلك، فيثنى عزم السلطان عن السفر بعده، كما شرح فوشى به دواداره، الأمير شاهين الأرغون شاوى إلى السلطان، فى جماعة من أمراء دمشق، وقد ذكروا للسلطان إنه يسير إذا مرض السلطان، أو عاوده ألم رجله، وأنه استخدم جماعة من أعداء الدولة وأن حركاته كلها تدل على أنه يطلب فوق ما هو فيه، وأنه يعانى غير ما تعانيه النواب، وأنه يكثر سماطه وجنايبه وهجنه إذا ركب فى الموكب، ونحو ذلك، إلى أن كان يوم تاريخه، التفت السلطان إليه بحضرة الأمراء، وسأله عن المماليك المستخدمين عنده، وعدد له من استجده من العصاة الذين كانوا مع قانباى وغيره، وأنكر عليه تركه إمساك جماعة رسم له بمسكهم، وكونه قدم إلى مصر بغتة، وأشياء من هذا الجنس، وقبض عليه، ثم أشار إلى الأمير تنبك ميق أمير أخور كبير باستقراره فى نيابة الشام، فامتنع من ذلك ساعة طويلة، ثم أذعن، ولبس التشريف، وقبل الأرض على العادة.

وفيه استدعى السلطان الأمير قجقار القردمى نائب حلب - كان - وأنعم عليه بإمرة الأمير تنبك ميق.

وفيه أفرج عن الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام - كان - ورسم بتوجهه إلى القدس بطالا.

وفيه قبض على جماعة من المماليك.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز المقدسى، واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن شمس الدين محمد بن عبادة بحكم وفاته.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: سار السلطان من دمشق يريد مصر، ونزل على قبة يلبغا، ثم استقل بالمسير، وأعاد الأمير تنبك ميق إلى دمشق بعدما خلع عليه.

وفى ثامن عشره: سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان من القاهرة عائدًا إلى مكة فى تجمل زائد، وقد التزم عنه وعن أبيه الأمير فخر الدين بمال للسلطان.

وفيه بلغ الأمير فخر الدين أن السجن الذى استجد عند باب الفتوح بالقاهرة - عوضًا عن خزانة شمايل - تقاسى فيه أرباب الجرائم شدة من ضيقه، ويقاسون غما وكربًا شديدًا، فعين قصر الحجازية، بخط رحبة باب العيد، ليكون سجنًا وأنعم على من هو بيده بعشرة آلاف درهم فلوسًا عن أجرة سنتين، وشرع فى عمله سجنًا، ثم أهمل.

وفى ليلة الخميس رابع عشرينه: توجه الأمير فخر الدين بن أبى الفرج لملاقاة السلطان.

وفى بكرة يوم الجمعة خامس عشرينه: قدم السلطان بيت المقدس فزار وفرق فى أهله مالا جزيلا، وصلى الجمعة، وجلس بالمسجد الأقصى بعد الصلاة، وقرئ صحيح البخارى من ربعه فرقت على من بين يديه من الفقهاء القادمين إلى لقائه من القاهرة، ومن القدس، ثم قام المداح بعد فراغهم، فكان وقتًا مشهودًا.

ثم سار السلطان من الغد إلى الخليل عليه السلام، فزار وتصدق، وسار فلقيه الأمير فخر الدين بين قرية السكرية والخليل فأقبل عليه، وسر السلطان بالقائمة التى أوقفه الأمير فخر الدين عليها، مما أعده له من الأموال، ونزل غزة يوم الإثنين ثامن عشرينه، فأراح بها.

شهر شوال، أوله الخميس:

فيه صلى السلطان صلاة العيد على المسطبة المستجدة ظاهر غزة، وصلى به وخطب شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، ورحل من آخره، فقدم قاضى القضاة

جلال الدين إلى القاهرة فى ثامنه، ونزل السلطان على خانكاه سرياقوس فى يوم الجمعة تاسعه، فأقام إلى يوم الأربعاء رابع عشره، ثم رحل ونزل خارج القاهرة، فبات، وركب يوم الخميس من الريدانية فى أمرائه وعساكره، وعبر من باب النصر، وولده الأمير صارم الدين إبراهيم يحمل القبة على رأسه، فترجل المماليك، ومشوا من داخل باب النصر وبقى الأمراء ركابًا، ببعد من السلطان، وعليهم - وعلى قضاة القضاة وسائر أرباب الدولة - التشاريف، وفى جملتهم الخليفة المعتضد با لله فمر كذلك إلى الجامع المؤيدى، ونزل به وقد زينت القاهرة وأشعلت بحوانيتها القناديل والشموع، فأكل السلطان سماطًا، عبأه له الأمير فخر الدين، ثم ركب إلى قلعة الجبل، ودخلها من باب السر، راكبًا بشعار الملك حتى دخل من باب الستارة، وهو على فرسه، إلى قاعة العواميد، فنزل عن فرسه على فراشه بحافة الإيوان، وقد تلقاه حرمه، فكان يومًا مشهودًا.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على الأمير طوغان، واستقر أمير أخور كبير. مكان الأمير تنبك العلاى - ويقال له ميق - المتنقل إلى نيابة الشام، وخلع على الأمير علاء الدين ألطنبغا المرقبى نائب قلعة حلب، واستقر حاجب الحجاب، وعلى الأمير قجقار القردمى، واستقر أمير سلاح، على عادته قبل نيابة حلب، وعلى الأمير فخر الدين بن أبى الفرج خلعة الاستمرار، وأضيف إليه أستادارية الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان، عوضًا عن سليمان بن الكويز.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية خارج القاهرة، مع الأمير بشبك الدوادار الثانى، أحد الطبلخاناه وحصل فى الجمال شىء يستغرب، وهو أن العادة غلو سعر الجمال عند سفر الحاج لطلبها، فمنذ قدم السلطان من الشام انحط سعرها، لكثرة ما جاء به العسكر منها، حتى أبيع الجمل الذى كان ثمنه أربعين دينارًا بخمسة عشر دينارًا.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: سرح السلطان إلى بر الجيزة[1] لصيد الكركى[2]

---

(١) قال ابن إياس فى ذكر الجيزة: اعلم أن الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على شاطىء النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر ولها فى كل يوم أحد سوق عظيم تجلب إليه من النواحى أصناف كثيرة جدًا من البضائع وغيرها، ويقال أن بالجيزة قبر كعب الأحبار، وكان بها أحجار من الرخام قد جعل فيها طلسم للتماسيح فكانت فيما يلى البلدة من النيل على مقدار ثلاثة أميال علوا أو سفلا، وكان بها سجن يوسف عليه السلام. انظر نزهة الأمم لابن إياس ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) طائر أغبر طويل الساقين، فى قدر الأوزة. انظر: صبح الأعشى ٢/ ٦٣ وينظر المعجم الوسيط (كرك).

وعاد فى آخره من باب القنطرة، ومر بين السورين ونزل فى بيت الأمير فخر الدين، فقدم له فخر الدين المذكور عشرة آلاف دينار، وركب حتى شاهد الميضأة التى بنيت للجامع المؤيد وصعد قلعة الجبل، ثم ركب من الغد وسرح أيضا ثم عاد فى يوم الأحد خامس عشريه إلى القلعة.

وفى يوم الإثنين سادس عشريه: خلع على الأمير أرغون شاه الأعور - أستادار نوروز - واستقر فى الوزارة عوضًا عن الأمير فخر الدين، وخلع على الأمير فخر الدين خلعة باستمراره فى الأستادارية وأن يكون مشير الدولة، وبلغت تقدمه فخر الدين التى قدمها للسلطان عند قدومه من الشام أربعمائة ألف دينار عينًا، وثمانية عشر ألف أردب غلة، من ذلك ما وفره من ديوان الوزارة مبلغ أربعين ألف دينار وثمانية عشر ألف أردب غلة، وما وفره من الديوان المفرد ثمانين ألف دينار، وما جباه من النواحى مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار، ومن إقطاعه ثلاثين ألف دينار، وذلك سوى مائة ألف دينار حملها إلى السلطان وهو بالشام.

شهر ذى القعدة الحرام، أوله الجمعة:

فى سادسه: قدم الخبر من الأمير تنبك ميق نائب الشام بأن فى ليلة السبت رابع عشرين شوال خرج الأمير أقباى ومن بالقلعة من المسجونين، ففر نائب القلعة، وخرج فى إثره أقباى إلى باب الحديد، بمن معه، وقد أدركه الأمير تنبك ميق بالعسكر، فأغلق الباب، وامتنع بالقلعة، وأنه على حصاره، فتشوش السلطان من ذلك، وكتب بالجد فى أخذه، فقدم من الغد كتاب الأمير تنبك ميق، بأن أقباى استمر بالقلعة إلى ليلة الإثنين سادس عشرين شوال، ثم نزل فيها من قرب باب الحديد، ومشى فى نهر بردا إلى طاحون باب الفرج، فقبض عليه هناك وعلى طائفة، فأجيب بمعاقبته حتى يقر على الأموال ثم يقتل، وحمل جماعة من أهل القلعة إلى مصر، وأنعم عليه بفرس قماش ذهب، وكاملية حرير مخمل بفرو سمور، وطراز عريض ورسم أن يستقر الأمير شاهين - مقدم التركمان - الحاجب الثانى بدمشق نائب القلعة، ويستقر عوضه حاجبًا كمشبغا السيفى طولو. وفى تقدمة التركمان الأمير شعبان بن اليغمورى، أستادار المفرد بدمشق.

وفى يوم الجمعة ثامنه: سار الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان فى عدة من الأمراء إلى الوجه القبلى، لأخذ تقادم العربان، وولاة الأعمال.

وفى تاسعه: قدم رسول قرا يلك.

وفيه خلع على الأمير ططر رأس نوبة، واستقر فى نظر الشيخونية على عادة رءوس النوب، وخلع على الأمير طوغان أمير آخور، واستقر فى نظر المدرسة الظاهرية برقوق.

وسرح السلطان إلى الطرانة فى يوم الإثنين حادى عشر ذى القعدة.

وفيه قدم محمد وخليل - ولدا الملك الناصر فرج بن برقوق - من الإسكندرية، إلى قلعة الجبل.

وفى تاسع عشره: وصلت رمة الأمير فرج بن الناصر فرج من الإسكندرية، فصلى عليها بمصلى المؤمنى[١] تحت قلعة الجبل، ودفن بتربة جده الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: عاد السلطان من السرحة، وهو وصل إلى العظامى ويعرف برأس القصر، فنزل بقصر أنشأه القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر على شاطئ النيل من البر الغربى، تجاه داره المطلة على النيل، وكان قد شرع فى أساسه قبل سرحة السلطان، ففرغ منه بعد أربعة أيام، واستمر به السلطان ثلاثة أيام ثم ركب النيل، وتصيد بناحية سرياقوس، وصعد القلعة.

واتفق هذا الشهر ببلاد الصعيد[٢] أن غنما عدتها نحو الأربعة وعشرين ألف رأس من الضأن رعت ببعض المراعى، فماتت عن آخرها.

وفيه جهزت الأضاحى السلطانية، فقام الأمير فخر الدين منها بعشرة آلاف رأس من الضأن،وقام الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله - ناظر الخاص - بألفى رأس.

وفى سلخه: نودى بأن يكون سعر المؤيدى الفضة تسعة دراهم من الفلوس وزنتها رطل ونصف. وأن يكون الذهب بسعره الذى يتعامل به، وكان قد بلغ المثقال الذهب الهرجة المختوم إلى مائتين وثمانين درهمًا، والدينار الإفرنتى إلى مائتين وستين درهمًا فلوسًا، فآل الأمر على هذا.

وفى هذا الشهر: انحل سعر عامة المبيعات من أغلال وسائر الأقوات وغيرها من الملابس والدواب والأثاث. وكان فى الظن أن تغلو بقدوم العسكر من الشام، فجاء الأمر بخلاف ذلك.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فيه حمل إلى الأمير فخر الدين مائة ألف دينار، وإلى الأمير الوزير أرغون شاه خمسون ألف دينار، وإلى الصاحب بدر الدين ناظر الخاص خمسون ألف دينار، وأمر

(١) نسبة إلى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى. انظر: النجوم الزاهرة ٥٠/١١.
(٢) الصعيد: هو أعالى بلاد مصر وكأنه الصاعد منها. انظر الروض المعطار ٣٦١.

الثلاثة أن يأخذوا من القاهرة بهذه المائتى ألف دينار فلوسًا لتضرب بصكة مؤيدية. ففرق الذهب فى الناس، وألزموا بالفلوس، على أن كل دينار بمائتين وستين.

وفى ثانيه: قدم رأس الأمير أقباى من دمشق، فعلق على باب النصر، بعدما علقت جثته - بعد قتله - على قلعة دمشق، وصلب عليها جماعة.

وفى ثالثه: نودى بالقاهرة من كان عنده فلوس فليحملها إلى الديوان السلطانى. وهدد بالنكال من امتنع من حملها، أو سافر بها من القاهرة.

وفيه فرقت الأضاحى السلطانية.

وفيه ساق الأمير فخر الدين إلى السلطان ألف رأس من الكباش المعلوفة، ومائة وخمسين بقرة فى غاية السمن.

وفى سادس عشره: ركب السلطان بثبات جلوسه فى قليل من خاصكيته ونزل بالجامع المؤيدى، ثم توجه منه إلى بيت ناصر الدين محمد بن البارزى الحمرى كاتب السر، بسويقة المسعودى[1] فقدم له تقدمة، ثم ركب إلى القلعة.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين أقبغا شيطان. شاد الدواوين، ووالى القاهرة، فى الحسبة، عوضًا عن عماد الدين، بعد عزله لسوء سيرته.

واستقر الأمير سودن القاضى - الحاجب كان - فى نيابة الوجه القبلى، وعزل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، ورسم بإحضاره.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: قدم الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان من سفره، بعد أن وصل إلى جرجا وأخذ التقادم، ومن جملتها تقدمة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وتبلغ نحو اثنى عشر ألف دينار، سوى الكلف من العلوفات والمآكل فى مدة النزول عليه.

وفى هذا الشهر: وقعت فتنة بدمياط قتل فيها الوالى، وهى أن أعمال مصر منذ ابتداء الأيام الظاهرية برقوق، لا يولى بها وال إلا بمال يقوم به، أو يلتزم به، وكان من أتباع المماليك رجل سولت له نفسه ولاية دمياط، يعرف بناصر الدين محمد السلاخورى، التزم بمال ووليها، واستدان مالا حتى عمل له ما يتجمل به وباشرها غير مرة فى هذه الأيام المؤيدية، فلما وليها فى هذه السنة، جرى على عادته فى ظلم الناس، وأخذ أموالهم ونسائهم وشباب أولادهم. ومن جملة أهل دمياط طائفة يقال لهم

(١) نسبة إلى الأمير صارم الدين قايماز المسعودى، المتوفى سنة ٦٦٤هـ.

السمناوية[١]، يتعيشون بصيد السمك من بحيرة تنيس[٢] ويسكن كثير منهم بجزائر يسمونها العزب - واحدتها عزبة - فأنفوا من قبائح أفعال السلاخورى فى يوم الأحد ثانى عشرين ذى الحجة: وأوقعوا بنائب الوالى وضربوه وأهانوه، بحيث كاد يهلك، وجروه إلى ظاهر البلد، وتجمعوا على باب الوالى، وقد امتنع بها، ورماهم بالنشاب من أعلاها، فأصاب واحدًا منهم قتله، وجرح ثلاثة حردهم[٣] وألحوا فى أخذه، وهو يرميهم، حتى نفدت سهامه، فألقى نفسه فى البحر، وركب فى سفينته إلى الجزيرة، فتبعوه فى السفن، وأخذوه وتناوبوا ضربه، وأتوا به إلى البلد، وسجنوه موثقًا فى رجليه بالخشب، وباتوا يحرسونه إلى بكرة غدهم، ثم أخرجوه وحلقوا نصف لحية نائبه، وشهروه على جمل والمغانى تزفه، حتى طافوا به البلد ثم قتلوه شر قتلة، وأخرجوا الوالى من الحبس، وأتوا ببعض قضاتهم وشهودهم، ليثبتوا عليه محضرًا، وأوقفوه على رجليه مكشوف الرأس عارى البدن، فبدره أحد السمناوية، وصرعه. وتواثب عليه باقيهم حتى هلك، وسحبوه وأحرقوه بالنار ونهبوا داره وسلبوا حريمه وأولاده ما عليهم، وقتلوا ابنا له فى المهد، مات من الرجفة، وأسروا له ابنًا. فكانت فتنة لم يدرك مثلها فى معناها.

وفى ليلة الأحد تاسع عشرينه: طرق القاهرة منسر، عددهم ثلاثة وعشرون رجلا منهم فارسان، ومروا على الجامع الأزهر أول الليل، وقتلوا رجلين برحبة الأيدمرى[٤] ونهبوا عدة حوانيت، وعادوا على حارة الباطلية[٥]. فكان هذا مما لم يدرك مثله فى الشناعة ببلدنا.

---

(١) نسبة إلى سمناوة وهى بلدة من نواحى تنيس. انظر: الانتصار ٥/ ٧٨، القاموس الجغرافى القسم الأول من ٢٨١.

(٢) قال ابن إياس فى ذكر مدينة تنيس: وهى تنيس بكسر التاء وكسر النون المشددة وباء وسين مهملة، قال المسعودى: فى كتاب «مروج الذهب» بحيرة تنيس كانت أرضًا لم يكن بمصر مثلها وكان بها النخيل والكرم وسائر أصناف الشجر، ولم يرى الناس بلدًا أحسن منها، وكان الماء من النيل لا ينقطع عنها صيفًا ولا شتاء، وكان فيما بين العريش وحزيرة قبرس طريق مسلوكة يابسة تمشى فيها الدواب حتى غلب عليها الماء، وغرق تلك الأرض وهى اليوم تسمى بحيرة تنيس وكان استحكام عرق الأرض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة. وقيل إن الذى بنى هذه المدينة كانت امرأة تسمى بنت صا الأصغر ابن تادرس أحد ملوك القبط بمصر، وكان قد ابتدأ الفرق لأرضها ومزارعها قبل الإسلام بمائة سنة. انظر نزهة الأمم ١٨٣، ١٨٤.

(٣) يقصد غيظهم وغضبهم. انظر: لسان العرب (حرد).

(٤) من جملة رحبة باب قصر الشوك، وهى منسوبة إلى الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الظاهر بيبرس. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٥) سمت بهذا الاسم نسبة إلى طائفة يقال لها الباطلية. ينظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٨.

وفى هذا الشهر: قلت الغلال، وبلغ سعر الأردب القمح مائتين وأربعين بعد مائة وثلاثين، ومائة وخمسين، وبلغ الأردب من الشعير والفول قريبًا من المائتين، بعدما كان الشعير قريبًا من تسعين فما دونها، وسبب ذلك قلة المطر فى فصلى الخريف والشتاء، وعدمه، فخفت زروع الوجه البحرى، وأمسك الناس ما عندهم من الغلال، فلما طلبت تعذر وجودها، فارتفع سعرها، فتدارك الله بلطفه، وأنزل الغيث - بعدما قنطوا - فى يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء رابع عشره، وسقى الزروع عند حاجتها، فإن الزمن شهر أمشير، حتى جادت وزكت ونمت، ﴿**إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾[١].

وفيها نزل ابن عثمان صاحب برصا على قونيا، وحاصر محمد بن قرمان، فدهمه سيل عظيم، كاد أن يهلكه وعساكره، فرحل عنها.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير أقبردى المنقار[٢]، أحد الأمراء المقدمين بمصر، فى ليلة الخميس سابع عشرين صفر بدمشق، وقد توجه إليها صحبة العساكر. وهو أحد المماليك المؤيدية، ولم يكن بالمشكور[٣].

ومات الأمير فرج ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق فى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول بثغر الإسكندرية وقد نفى إليها ثم حملت رمته، ودفنت بتربة جده خارج باب النصر، ولم يبلغ الحلم وتحدث غير مرة بإقامته فى الملك، فلم يقدر ذلك[٤].

ومات القاضى الرئيس تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن الفوى، أخو الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، ومولده سنة ستين وسبعمائة. ولى نظر الأحباس، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، وتوقيع الدست، وناب عن قضاة الحنفية ووقع عند عدة أمراء، وورثه أبوه[٥].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٢) هو الأمير سيف الدين أَقْبَرْدى بن عبد الله المؤيدى المِنْقَار، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٥.

(٤) جاء فى النجوم أنه «أكبر أولاد الملك الناصر فرج من المذكور، وبموته خمدت نفوس الظاهرية» انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٥.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٥.

ومات الشيخ موسى بن محمد بن على المناوى بمكة، فى ثانى شهر رمضان، ولم تدرك مثله فيما رأينا وعاشرنا، فإنه نشأ بالقاهرة يعانى طلب العلم، وتفقه على مذهب مالك، وحفظ الموطأ حفظًا جيدًا، وبرع فى الفقة والعربية، ثم زهد فى الدنيا الفانية، وترك ما كان بيده من الوظائف من غير عوض تعوضه، وانفرد بالصحراء مدة. ثم خرج إلى مكة فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وأقبل على العبادة متخليًا عن كل شىء من أمور الدنيا، معرضا عن جميع الناس، يسكن القفر والجبال، ويقتات ما تنبته الأرض، ولا يدخل مكة إلا يوم الجمعة فقط، ليشهد بها الجمعة، ثم مضى لشأنه فى الجبال، وأقام بالمدينة النبوية على هذا القدم زمانًا، وهو يتردد إلى الحرمين، ولا يأوى دارًا، ولا يسكن إلى أحد، ثم سافر إلى اليمن، وعاد إلى مكة، وطالما عرض عليه المال الكثير من المذهب، يحمل إليه من مصر وغيرها، ويراه فلا يمسه بيده، بل يأمر بتفرقته على من يعينه لهم، فيدفع إليهم، ولم يزل على ذلك حتى خلصه الله تعالى إلى دار القدس والسعادة(١).

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن على بن جعفر البلالى، شيخ خانكاه سعيد السعداء بها، فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان(٢) وكان فقيهًا معتقدًا، له شهرة طارت فى الآفاق، وللناس فيه اعتقاد، وعليه انتقاد.

ومات الأمير أقباى نائب الشام(٣) مقتولا بها، فى ذى القعدة، كما شرح أمره.

وقتل الأمير ناصر الدين محمد السلاخورى والى ثغر دمياط مقتولا، فى رابع عشرين ذى الحجة، كما ذكر(٤).

ومات عز الدين محمد بن علاء الدين بن بهاء الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة عز الدين محمد ابن قاضى القضاة تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى الحنبلى، قاضى الحنابلة بدمشق، فى ليلة السبت رابع عشرين ذى القعدة، وكان عالمًا دينًا حسن السيرة.

* * *

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٦.

(٢) فى النجوم «فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان» انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٧.

(٣) هو الأمير سيف الدين أقباى بن عبد الله المؤيدى. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٦.

(٤) جاء فى النجوم «فى رابع عشر ذى الحجة، بعدما ولى عدة وظائف». انظر: النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٨٧.

سنة إحدى وعشرين وثمانى مائة

أهل شهر الله المحرم بيوم الثلاثاء.

فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامتهم.

وفى ثالثه: أعرس الأمير فخر الدين ببعض جوارى السلطان، وعمل مهمًا جليلا ذبح فيه ثمانية وعشرين فرسًا وأغنامًا، بلغ زنة لحمها عشرة آلاف رطل، ومن الدجاج ألفين ومائة طائر، ومن الأوز ثلاثة آلاف طائر، ومن الدقيق ستة وخمسين قنطارًا، ومن الزبيب خمسين قنطارًا عملت مشروبًا.

وفى رابعه: ركب السلطان إلى جامع أحمد بن طولون[1] وصلى فيه الجمعة، ثم عدى النيل، وسرح إلى ناحية أوسيم.

وفى حادى عشره: كتب من المخيم على يد الأمير حكم الخاصكى بخروج عسكر من دمشق ومن حمص وحماة، والأمير حديثة بن سيف أمير آل فضل، إلى قتال التركمان. وكذلك أن الأمير ألطنبغا الجكمى - نائب درندة - ركب على حسين كُبك، فتقنطر به فرسه، فقبض عليه وقتل، ونزل حسين على ملطية وحصرها.

وفى خامس عشره: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار من الوجه القبلى.

وفى سادس عشره: قدم الخبر بأن الأمير يشبك الدوادار أمير الحاج لما قدم المدينة النبوية، بعد انقضاء الحج، أظهر أنه يسير إلى الركب العراقى، يبتاع منه جمالا، ومضى فى نفر يسير، وتسحب صحبة الركب العراقى خوفًا أن يصيبه من السلطان ما أصاب الأمير أقباى نائب الشام[2].

---

(١) هو أحمد بن طُولُون (٢٢٠ - ٢٧٠هـ = ٨٣٥ - ٨٨٤م) أحمد بن طولون، أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور تركى مستعرب. كان شجاعا جوادًا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفا بالشدة على خصِوصه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه. بنى الجامع المنسوب إليه فى القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا بفلسطين. انظر: الولاة والقضاة ٢١٢ - ٢٣٢، والنجوم الزاهرة ١/٣ وبدائع الزهور ١/ ٣٧، ابن خلدون ٤/ ٢٩٧، وابن الأثير ٧/ ١٣٦ وكاتبه ابن خلكان ١/ ٥٥. الأعلام ١/ ١٤٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٣.

وفى ثالث عشرينه: نودى بالقاهرة أن جميع الباعة من الجبانين والطباخين والخبازين واللحامين، ونحوهم، يحمل كل واحد منهم عشرة مسارج إلى بولاق، لتعرض على الأمير التاج، فشرعوا فى تحصيل المسارج، وحملوها إلى الأمير تاج الدين الشويكى.

وفيه قدم محمل الحاج الأربعاء.

وفى ليلة الخميس رابع عشرينه: كان الوقيد[١] ببر منبابة، بين يدى السلطان، وذلك أنه سار من وسيم، ونزل بالقصر الذى أنشأه ابن البارزى بحرى منبابة على النيل، وألزم الأمراء بحمل الزيت والنفط، فجمع من ذلك شىء كثير، وأخذ من البيض، وقشر النارنج، ومن المسارج الفخار التى أحضرها الباعة عدد كثير جدًا، وعمل فيها فتايل القطن المغموسة بالزيت، وأُشعلت بالنار، ثم أرسلت فى النيل بعد غروب الشمس بنحو ساعة، وأُطلقت النفوط وقد امتلأ البران بطوائف الناس، ومر لهم جميعًا من السخف ما لم نعهد مثله لملك قط[٢].

وفى خامس عشرينه: قدم محمل الحاج ببقيتهم.

وفيه عدى السلطان النيل، وصعد قلعة الجبل.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: قبض على الأمير سيف الدين بيبغا المظفرى: أحد مقدمى الألوف، وأمير سلاح، وحمل مقيدًا إلى الإسكندرية[٣]، ليعتقل بها.

وفيه وجد السجن المستجد بجوار باب الفتوح قد نقب، وفر منه جماعة من المعتقلين.

وفى ثامن عشرينه: نودى بالقاهرة أن كل غريب ينزح إلى وطنه، فإنه كان قد كثرت بالقاهرة أصناف الطوائف من القلندرية وغيرهم من العجم، فاضطربت الأعاجم، ثم تركوا على حالهم.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

أهلَّ والناس بالقاهرة ومصر فى ضيق من قلة الفلوس، فإن السلطان - كما تقدم -

---

(١) يتضح أن الوقيد كان يجرى كل سنة احتفالا برجوع السلطان من مرابط خيله فى وسيم التى كان يزورها عند تمام الربيع. انظر: الخطط التوفيقية ١/ ١٤٤ وينظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢١٣، نزهة النفوس ٢/ ٤٢٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٣.

(٣) سبب ذلك أنه «لما جاء بيبغا مع السلطان من الشام فى آخر سفرته صدر منه كلام فى الطريق بلغ السلطان، فتوهم سنة ومسكه». انظر: نزهة النفوس ٢/ ٤٠٩.

طرح على التجار والباعة الذهب، يريد بدله فلوسًا، فقلت فى الأيدى، من الشح بإخراجها، حتى عزت بعد هوانها.

وفى رابعه: وسط قرقماس متولى كختا وخمسة عشر رجلا معه، خارج باب النصر. وكانوا فيمن أحضره السلطان معه فى الحديد، وسجنوا بالقلعة(١).

وفى سادسه: ركب السلطان بثياب جلوسه، ومعه ابنه الأمير إبراهيم فى نفر يسير، إلى جامعه بجوار باب زويلة، ثم توجه منه إلى دار الأمير فخر الدين(٢) فأكل عنده، وقدم له فخر الدين خمسة آلاف دينار، ثم توجه إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ونزل عنده، فقدم له ثلاثة آلاف دينار، وعرض عليه خزانة الخاص، فأنعم منها على ولده، وعلى من معه من الأمراء، بعدة ثياب حرير، وفرو سمور، ثم عاد إلى القلعة(٣).

وفى عاشره: نودى أن يكون سعر الدينار المختوم بمائتين وخمسين وكان بمائتين وثمانين، وأن يكون الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وكان بمائتين وستين وأن تكون الفلوس على حالها، كل رطل بستة دراهم، والمؤيدى بحاله، كل نصف بتسعة دراهم.

وفى سادس عشره: نودى أن يكون سعر الدينار المختوم بمائتين وثلاثين، والدينار الأفرنتى بمائتين وعشرة، وأن يكون المؤيدى بسبعة دراهم، حتى يصرف بالدينار الأفرنتى من المؤيدية بمبلغ ثلاثين، فماج الناس، وكثر قلقهم وكلامهم، لما نزل بهم من الخسارة، فلم يعتد بهم، واستمر الحال على ذلك.

وفى سابع عشره: طلب الأمير علاء الدين أقبغا شيطان - والى القاهرة ومحتسبها وشاد الدواوين - جميع أرباب المعايش، وقرر أسعار المبيعات على حطيطتها بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة، وتشدد عليهم، فلم يجدوا بدًا من امتثال ما أمر به، على مضض وكره، فغرم كثير من الناس غرامات متعددة.

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان لعيادة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى، من وعك به، ثم مضى إلى بيت الأمير جقمق الدوادار، وأقام عنده يومه كله، وعاد من آخره إلى القلعة على حالة غير مرضية فى الديانة من شدة السكر(٤).

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٤.

(٢) يقصد به الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٤.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٤.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم علاء الدين محمد الكيلانى الشافعى، أحد فضلاء العجم، من بلاد الشرق، فبدأ أولا بزيارة قبر الإمام الشافعى، ثم نزل بالقاهرة، فأكرمه الناس، وأتاه قضاة القضاة والفقهاء للسلام عليه، ثم اجتمع بالسلطان، وتردد إلى مجلسه مع الفقهاء.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: جمع الأمير أقبغا شيطان أهل الأسواق من تجار البز وغيرهم، وأنكر عليهم مخالفة ما رسم به فى سعر الذهب والفضة، وبالغ فى تهديدهم ووعيدهم، من أجل أنهم لم يحطوا من سعر البضائع بقدر ما انحط من سعر الدينار والدرهم، وضمن بعض أكابر الأسواق لبعض، وواعدهم الحضور بين يدى السلطان فى يوم الجمعة، وصرفهم، فكثر الإرجاف بهم، وتوقف أحوال الناس، وقل جلب البائع، وكثرت خسارات الناس.

وفى رابع عشره: انقطع السلطان عن حضور الموكب بالقصر على العادة، لانتقاض ألم رجله عليه.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير برديك الخليلى - نائب طرابلس - خرج للدورة، فلما عاد بلغه اتفاق قضاة طرابلس وأمرائها ورعيتها على منعه من الدخول إلى البلد، كراهة فيه، لكثرة ظلمه وطمعه، فأقام بعد مراسلتهم فى جهة من الجهات، حتى يرد مرسوم السلطان، ثم سار إلى جهة مصر، فكتب أهل طرابلس إلى السلطان بقبيح سيرته وأخذه الأموال بغير حق، ومخالفته المراسم السلطانية، فرسم السلطان بإحضاره.

وقدم الخبر بقيام أهل المحلة - من النواحى الغربية - على الوالى بها ورجمه، بسبب طلب الفلوس، وذلك أنه حُمل إلى الغربية مبلغ كبير من الذهب لتؤخذ به الفلوس، بسعر مائتين وعشرة الأفرنتى، فنزل بالناس بلاء عظيم، وعملوا فى الحديد، ونزح كثير منهم إلى القاهرة فى طلب الفلوس، فانحط سعر الدينار إلى مائة وسبعين، لعزة الفلوس، وهوان الذهب.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: جمع الأمير أقبغا شيطان التجار وكبار المتعيشين، ومضى بهم إلى قلعة الجبل، وقد اشتد خوفهم من السلطان، وشنعت القالة بالإرجاف فإذا بالسلطان فى شغل عنهم بألم رجله، فلم يروه بل أوقفهم الأمير جقمق الدوادار، وقرر معهم أن يكون المؤيدى هو النقد المتعامل به، دون غيره من الذهب والفلوس، فلا يباع ويشترى إلا بالدراهم المؤيدية، ويدفع الذهب أو الفلوس عوضًا عنها، ليكون النقد الرابح المنسوب إليه ثمن المبيعات، وقيم الأعمال هى المؤيدية، وأن لا يأخذ التاجر فى

كل مائة درهم اشترى بها الفائدة سوى درهمين، وحذّرهم من مخالفة ذلك، ثم أفرج عنهم، فانصرفوا، وكأنما ردت إليهم الحياة بعد الموت.

ونودى من الغد على الخيل فى سوقها تحت القلعة بالدراهم المؤيدية، وعمل كذلك فى بقية أسواق القاهرة، فبطل النداء على البضائع بالفلوس من يومئذ.

وفيه نودى أن يكون الدينار على حاله بمائتين وعشرة، والمؤيدى بسبعة دراهم فلوسًا، إلا فى الديون القديمة، وأجر الأملاك، وجوامك الغلمان، فإن المؤيدى يحسب بتسعة كما كان، فظهر ارتفاع الأسعار فيما نودى عليه بالمؤيدية.

وفى هذا الشهر: تنكر السلطان على قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى لاستكثاره من النواب، فكثرت القالة وتجرأ عليه رفاقه، فعزل طائفة من نوابه، واقتصر منهم على أربعة عشر.

وفى ثامن عشره: خلع على الشريف حسن بن الشريف على بن محمد بن على الأرموى، بنقابة الأشراف، عوضًا عن والده بعد وفاته، واستقر الأمير فخر الدين فى نظر وقف الأشراف، لصغر سن الشريف.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير بُرْدُبَك الخليلى نائب طرابلس، وقدم الخبر بكثرة الأمطار بالغربية، وأنه سقط برد، منه ما زنة الحبة الواحدة مائة درهم، تلف منه زروع كثيرة قد استحق حصادها، حتى أن مارسًا[1] فيه ثمانمائة فدان تلف عن آخره، وهلكت عدة أغنام بوقوعه عليها.

وفى سلخه: قدم الأمير سودن الأسندمرى من الإسكندرية، وقد أفرج عنه، وكان مسجونًا بها منذ زالت الدولة الناصرية فرج.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروى ناظر القدس والخليل، ومدرس الصلاحية بالقدس، فأكرمه السلطان، وأنزله، وبعث إليه الأمراء عدة تقادم. وأجرى له راتب.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر وألم السلطان متزايد من رجله، وهو منقطع ملازم للفراش، والناس فى ضيق من تعذر وجود الفلوس، وقلة وجود المآكل بالأسواق، منذ نودى على المؤيدية بسبعة دراهم.

---

(١) هو الحقل.

وفى ثانيه: قبض على الأمير أرغون شاه الوزير، وعلى الأمير أقبغا شيطان وسلما إلى الأمير فخر الدين، فتتبع حواشيهما وأسبابهما، ودورهما.

وفيه استقر الأمير بردبك نائب طرابلس فى نيابة صفد، وكتب بنفى عمر بن الهذبانى إلى طرسوس، ثم كتب باستقراره فى نيابة بهسنى، عوضًا عن كمشبغا رأس نوبة جمال الدين، واستقر شاهين بن عبد العزيز - الحاجب بصفد - فى نيابة قلعتها، عوضًا عن عمر بن الطحان.

وفيه قدم كتاب طغرول بن صقيل سيز على يد أخيه طرعلى، يسأل الأمان، وكان قد قدم إلى القاهرة، وسار فى ركاب السلطان، ثم فرَّ من دمشق فأمن، وقدمت مكاتبة الأمير شاهين الأيدكارى - نائب طرسوس - بأنه محصور مدة أربعة أشهر من إبراهيم ابن رمضان، وقد عزم محمد بن قرمان على المشى إلى طرسوس.

وفى ثالثه: نقل الأمير علاء الدين على ابن الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، من ولاية مصر إلى ولاية القاهرة، عوضًا عن أقبغا شيطان.

وفى خامسه: أعيد شمس الدين محمد بن يعقوب الدمشقى إلى حسبة القاهرة، عوضًا عن أقبغا شيطان.

وفى يوم السبت: سابعه خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، واستقر فى الوزارة، عوضًا عن أرغون شاه.

وفى عاشره: أفرج عن أرغون شاه، من غير عقوبة.

وفى ثانى عشره: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية بدمشق، عوضًا عن شرف الدين عيسى.

وفى سادس عشره: ضرب عنق بعض أعوان الظلمة المتصرفين بأبواب الوزراء، لتعرضه إلى ما يريق دمه شرعًا.

وفيه نقل سوق الرقيق من موضعه بخط المطاح[1] فيما بين الوزيرية وخط الملحيين[2] إلى فندق تجاه المشهد الحسينى، ثم أعيد إلى موضعه بعد قليل.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير أرغون شاه وأركب فرسًا، واستقر فى إمرة

(١) كان يقع هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب، وكان به سوق الرقيق والمدرسة الحسامية. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٣.

(٢) كان يقع هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢.

التركمان بثلاثين ألف دينار، وكُتب أن ينقل الأمير سنقر نائب المرقب إلى نيابة قلعة دمشق، عوضًا عن شاهين، ويستقر ألطنبغا الجاموس فى نيابة المرقب، ويستقر سودن الأسندمرى - الذى أفرج عنه - حاجبًا بطرابلس، عوضًا عن بزدار، واستقر فى وزارة دمشق يعقوب الإسرائيلى، بعدما أسلم، وكان صيرفيًا فى يهوديته، واستقر فى وزارة حلب علم الدين سليمان بن الجابى.

وفيه أوقع الأمير سودن القاضى - نائب الوجه القبلى - بعرب فزارة، ونهب أموالهم، وساق إلى السلطان منها ألف جمل وخمسين فرسًا، وفرَّ من نجا منهم إلى البحيرة، فأوقع بهم الأمير دمرداش نائب الوجه البحرى، وقتل كثيرا منهم، ونهب ما معهم، وحمل إلى السلطان منه أربعمائة جمل وعشرين فرسًا، ورءوس رجال كثيرة قد قطعها، فانحسم أمرهم وقدم الخبر بقتل منكلى بغا الأجرود وسودن الركنى، من جماعة الأمير أقباى، وقتل على بن نعير، وناصر الدين وزير حلب، وصلبهم على شرفات قلعة دمشق.

وقدم الخبر من حلب بوقعة عظيمة بين على باك بن دلغادر وأخيه محمد باك، انتصر فيها محمد، وكسر أخاه، وغنم جميع موجوده، فأدركه الأمير يشبك نائب حلب بعد الواقعة وقد انتصر، فتلقاه وأضافه، وقدم له وحلف على الطاعة.

وفيه جُهز الأمير جار قطلو نائب حماة وصفد إلى الإسكندرية، فسجن بها عند حضوره من صفد إلى قطيا، فحمل منها.

وفى تاسع عشره: سار الأمير فخر الدين بن أبى الفرج إلى الوجه القبلى، وخيم بالجيزة، واستقل بالمسير من غده فى طوائف كثيرة من العربان، وعدة من المماليك. وقد استعد للحرب، وأخذ معه الروايا والقرب والزاد ليتتبع العرب حيث ساروا.

وفيه ظهر بالمأذنة المؤيدية اعوجاج.

وفى ثالث عشرينه: استقر الأمير برسباى الدقماقى - أحد مقدمى الألوف - فى نيابة طرابلس، عوضًا عن الأمير بردبك الخليلى، المنتقل إلى نيابة صفد، وأنعم بإقطاعه على الأمير فخر الدين على الوزير الأمير بدر الدين، وكان برسباى يلى كشف التراب وعمل الجسور بالغربية، فطلب منها، وخلع عليه فيه، واستقر أيضًا الأمير سودن الأسندمرى أميرًا كبيرًا بطرابلس.

وفيه كتب محضر بهدم المأذنة المؤيدية، فهدمت من الغد، وغلق باب زويلة مدة ثلاثين يومًا.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فيه سافر الأمير أرغون شاه إلى دمشق على تقدمة التركمان بها.

وفيه تحرك عزم السلطان إلى الحجاز، فكتب إلى أمراء الحجاز بذلك.

وفى رابعه: قدم من الشام ألف وثلاثمائة حمل، جهزها الأمير تنبك ميق نائب الشام. وذلك أنه أوقع بعرب آل على، قريبًا من حمص، وكسرهم، وأخذ لهم ألفا وخمسمائة حمل، باع منها رديئها، وجهز باقيها.

وفى يوم الخميس حادى عشره: ولد للسلطان ولد ذكر، سماه موسى، من أمة يقال لها طولو باى، فدقت البشائر، وكتب إلى الأقطار بذلك، فتوجه الطواشى مرجان الهندى إلى الشام للبشارة بولادته، وزينت القاهرة ومصر.

وفى سادس عشره: ابتدئ بالنداء على النيل ثلاثة أصابع، وجاءت القاعدة أربعة أذرع وثمانية أصابع.

وفى سابع عشره: كانت عقيقة[١] الأمير موسى ابن السلطان، عمل فيها مدة جليلة، وخلع على الأمراء، وأركبوا خيولا بقماش ذهب، بلغ المصروف عليها خمسة عشر ألف دينار.

وفى ثالث عشرينه: قدم الخبر بأن الأمير فخر الدين ركب فى طلب هوارة، فتبعهم من سيوط مدة خمسة أيام، حتى أركبهم قريب أسوان[٢]، فقاتلوه عامة يومهم، فجرح كثير منهم، وقتل جماعة نحو المائتين وعشرين، وانهزم باقيتهم إلى الواحات[٣] فأحاط بأموالهم، وبعث خمسة رءوس من أعيانهم.

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه: عرض السلطان مماليك الطباق بالقلعة، وعين منهم عدة للسفر معه إلى الحجاز، وأخرج الهجن، وجهز الغلال فى البحر إلى مكة وينبع.

---

(١) العقيقة: هى الذبيحة التى تذبح بعد أسبوع من مولد الطفل سنة عن النبى ﷺ. انظر: ثلاث شعائر للشيخ عمر سليمان الأشقر، فقه السنة للسيد سابق.

(٢) أسوان: سبق ترجمتها. انظر نزهة الأمم (ذكر مدينة أسوان)، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/ ٤٠.

(٣) الواحات: وهى ثلاث كور فى غربى مصر ثم غربى الصعيد. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤١، ٣٤٢.

وفيه كتب أن يستقر الأمير شاهين الزردكاش - حاجب الحجاب بدمشق - فى نيابة حماة، عوضًا عن الأمير نكباى، ويستقر نكباى فى الحجوبية.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان - ومعه ولده - الأمير إبراهيم، والأمراء، ونزل إلى المارستان المنصورى بخط بين القصرين، وهو بثياب جلوسه، فزار المرضى، وعاد إلى القلعة.

وفيه فتح باب زويلة، ولم يعهد قط أنه أقام هذه المدة مغلوقًا.

وفيه كتب بإعادة إقطاع على بن أبى بكر الجرمى إليه واستقراره فى الإمرة على عادته، وجهز له تشريف، وكتب إلى الأمير شاهين نائب الكرك أنه جهز إليه نائب غزة ونائب القدس، وكاشف الرملة، بمن معهم من العساكر، لضرب عربان بنى عقبة وأخذهم، وجهز إليه فوقانى بوجهى حرير كمخا بطراز عريض، وكتب إلى المذكورين أن يتوجهوا إلى الكرك، لضرب بنى عقبة وأخذهم صحبة نائب الكرك، وأسر إلى نائب غزة بأن يقبض عليه، ويوقع الحوطة على موجوده.

وفيه جهز إلى ملطية مبلغ أربعين ألف دينار، لعمارة طاحونين وخان وقيسارية تشتمل على أربعين دكانا وزاوية، وكتب إلى نائب طرابلس أن يتوجه إلى ملطية بعسكره، ويقيم مع نائبها لمعاضدته.

وفى ثامن عشرينه: منع قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى من الحكم(١).

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروى، واستقر قاضى القضاة، عوضًا عن شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى، ونزل من قلعة الجبل، ومعه الأمير جقمق الدوادار والأمير قطلوبغا التنمى رأس نوبة، وعدة من الأمراء والقضاة وغيرهم، إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، وحكم على العادة، ومضى إلى داره، ثم بعث إلى قاضى القضاة جلال الدين بأن يحمل ما عنده من مال الحرمين والأوقاف، فأبى أن يسلمه ذلك إلا بإذن السلطان، وكان قاضى القضاة جلال الدين لما أعيد إلى وظيفة القضاء فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة تصدى لمحاسبة مباشرى أوقاف الحرمين وغيرهما بنفسه، فضبط عليهم ضبطًا زائدًا، وخشى من تفريطهم، فجعل ما يتحصل من المال تحت يده، وصار ينفق ما يحتاج إليه من مصارف الحرمين وغيرهما، ففاض تحت يده نحو سبعة آلاف دينار، منها لجهة حرمى

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٦.

مكة والمدينة ستة آلاف دينار، ولجهة الجامع الطولونى والمدرسة الأشرفية ألف دينار. وهذا شىء لم يقع لقاض قبله فى الدولة التركية.

وفى يوم الأربعاء غده: استدعى قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى شهود القاهرة ومصر، الجالسين بالحوانيت للتكسب بتحمل الشهادة وأدائها ليعرضوا عليه، فأوقفهم بين يديه، طائفة بعد أخرى، وأقرهم على ما هم عليه، ولم يستتنب سوى عشرة، وكان قاضى القضاة جلال الدين قد انصرف ونوابه أربعة عشر، ثم زاد الهروى بعد ذلك فى عدة النواب فى الحكم حتى بلغوا نحو العشرين، وأقام أيامًا يركب ويمر فى الشوارع بهيئة العجم، وهو لابس فرجية مفتوحة عن صدره، ولعمامته عذبة مرخاة على يساره، وسلك فى تحجبه مسلكًا غير مسلك القضاة، مع قلة الدراية بمصطلح البلد، وعادة الناس بمصر.

وفى يوم الجمعة: ترقب الناس ركوبه للقلعة ليخطب ويصلى بالسلطان فى جامع القلعة، فبعث نائبا عنه، فإن لسانه فيه عجمة، وعنده حبسة، بحيث أنه إذا أراد أن يتكلم عسر عليه ابتداء الكلام قليلا، وهو يعالجه علاجًا، ثم يتكلم بعجمة، وهذا لا يتأتى معه إقامة الخطبة، واتفق له أيضا أنه حضر مع رفقائه قضاة القضاة الثلاث عند السلطان، فلما حان انصرافهم لم يستطع قراءة الفاتحة والدعاء كما هى العادة، فقرأ قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى فاتحة الكتاب، ودعا، ومن العادة أن لا يتقدم أحد فى القراءة على قاضى القضاة الشافعى.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: وقفت طائفة من بلد الخليل عليه السلام للسلطان، وشكوا الهروى على مال أخذه منهم فى أيام نظره على بلد الخليل، وأنه طرح على بعضهم بيضاء وألزمه أن يحمل بعدده دجاجًا، فبعث السلطان إليه يأمره أن يخرج لهم مما يلزمه من الحق.

وفيه وشى للسلطان بالأمير جقمق الدوادار أنه موافق لقرايوسف، وذلك أنه اتصل بالسلطان رجل ادعى أنه من أولاد على الدربندى، فأحسن إليه وأمر بتجهيزه للحج، فحج وعاد، فوشى بالأمير جقمق أنه لما كان السلطان بكختا حسن لرسول قرايوسف جذبه إلى البلاد الشامية، وأنه مشى بينه وبين قرايوسف بذلك، فبعث إليه قطعة بلخش[1] ثمينة، فأعلم السلطان الأمير جقمق بما قيل عنه، ولم يسم القائل، وأظهر له أنه لم يصدق الناقل، فقلق جقمق قلقا كبيرا، إلى أن كان فى شهر تاريخه، أعاد ابن الدربندى الكلام، وأنه قدم إلى جقمق كتاب فى المعنى المذكور، فأسلمه السلطان فى

---

(١) هو الياقوت البدخشى المنسوب إلى إقليم بدخشان.

هذا اليوم إلى جقمق، وأعلمه بخبره، وما نقل عنه، فعاقبه فلم يثبت، وأحضر وتدًا مجوفًا مسدودًا بالحديد من رأسه، وطيه كتاب رق لطيف مكتوب بالفارسية بماء الذهب معناه أنه للأمير جقمق من قرايوسف، أن القاضى حين وصل إليه أوصله رسالته وهديته، وأن هذا الكلام لم يرد إلينا منك وحدك، ولكن اعتمدنا عليك، وعد من الذين فروا جماعة، واللقاء بيننا وبينك حلب، ولك نياتها، فطلب الأمير جقمق الخراطين وأراهم الوتد المذكور، فعرفه بعضهم وقال: «أنا صنعت هذا لشخص شاب، ولم يعطنى أجره» فأحضر الشاب، وتتبع الكتاب من العجم، فوجد رجل أعجمى قد مرض، ونزل بالمارستان فأوقف على الكتاب فاعترف أنه خطه، فنفى الشاب إلى قوص[1]، وطلب ابن الدربندى وعنف على ما عمل، فقال: «الأمير ألطنبغا الصغير الجانى إلى الكذب على الأمير جقمق»، فلم يعبأ به ولا بقوله، وغرق فى النيل. ومات العجمى المريض بالمارستان من ليلته.

وفى رابعه: قدم الخبر بأن الشيخ إبراهيم الدربندى مات، وأن قرايوسف بعث ابنه الخان على ستة آلاف فارس إلى شماخى[2] فأتته عساكر بلاد الدشت، وكسرته، وقتل منه أناس كثير. فلما بلغ ذلك شاه ميرزه بن تيمورلنك، عزم على أن يصيف فى تبريز[3] لأجل قرايوسف، وأن بير عمر حاكم أرزن كان انكسر من عساكر الروم كسرة عظيمة، قتل فيها كثير من أصحابه وأن قرا يلك ركب على بلاد قرايوسف، وحارب من بماردين[4] منهم وكسرهم، وقتل وأسر منهم نحو السبعين، وأخذ له ثمان قلاع ومدينتين، ورحل مائتين وعشرين قرية بأموالها وعيالها، ليسكنهم ببلاده، وأنه على حصار ماردين[5].

---

(١) قال ابن إياس فى ذكر مدينة قوص: أعلم أن قوص من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطىء النيل بنيت فى أيام شدات بن عديم، قال ابن وصيف شاه: وهو الذى بنى الأهرام الدهشورية وغيرها من البرابى. انظر نزهة الأمم ٢٢٥، والروض المعطار ٤٨٤، ٤٨٥، والإدريسى ٤٩.

(٢) مدينة عامرة، هى قصبة بلاد شروان فى طرف أران، تعد من أعمال باب الأبواب. انظر: معجم البلدان.

(٣) تبريز: فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر الروض المعطار ١٣٠، وجاءت فى الروض المعطار أيضا أنها تكتب توريز وذكرت كالتالى فى توريز : وهى المعروفة فى كتب الأدب بتبريز، نزل عليها الططر سنة ثمان عشرة وستمائة فلما قاربوها فارقها سلطان أذربيجان أزبك بن البهلول. انظر الروض المعطار ١٤٣. وقد سبق ذكرها من معجم البلدان.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) ماردين: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، وآثار البلاد ٢٥٩، ومعجم البلدان (ماردين).

وفى ثامنه: قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من الوجه القبلى، ومعه من الأغنام عشرون ألف رأس، سوى ما تلف منها، فإنه أخذ أربعة وخمسين ألف رأس لم يحضر للسلطان إلا ما ذكر، ومن الرقيق العبيد والإماء ألف وثلاثمائة شخصًا، ومن البقر ثلاثة آلاف رأس، ومن الجاموس تسعة آلاف رأس، ومن الجمال ألفان، ومن القند والعسل والغلال شىء كثير جدًا، قوم عليه بمائة ألف دينار، يقوم بها.

وفيه رسم أن يستقر الأمير بردبك العجمى فى نيابة سيس، وجهزت إليه الخلعة، عوضا عن أقبغا.

وفى تاسعه: رسم بإخراج من لا وظيفة له من العجم، بين الفقهاء من الخوانك وغيرها ثم أهمل أمرهم.

وفى تاسع عشره: قدم الخبر بأن هوارة اجتمعوا - ما بين راكب وماشى - نحو الألفين، وأقبلوا يريدون الأمير سودن القاضى، وكان معه من الإمراء أينال الأزعرى أحد مقدمى الألوف، فاقتتلوا قتالا كبيرًا قتل فيه من أصحاب الأميرين جماعة. ثم كانت الكسرة على هوارة، وقتل منهم جماعة، حمل منهم عشرون رأسًا إلى السلطان. فتوجه الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى والأمير جقمق الدوادار، والأمير ططر رأس نوبة النوب، والأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، والأمير قطلو بغا فى عدة من المماليك فى حادى عشرينه نجدة لسودن القاضى.

وفى عشرينه: أعيد شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابى إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن يعقوب.

وفى رابع عشرينه: قدم الخبر بأن نائب غزة، وكاشف الرملة ونائب القدس، ساروا نجدة للأمير شاهين نائب الكرك على العرب، فتلقاهم ليسير بهم، ويقاتل العرب، فأمسكوه - كما أسر إليهم السلطان - وحمل مع نائب القدس إلى دمشق، وسجن بقلعتها، وقبض معه على حاجب الكرك، واعتقل بقلعتها، وسبب إمساك شاهين هذا لم يحضر لملاقاة السلطان عند عوده من بلاد الروم.

وقدم الخبر بأن نائب حلب سار بالعسكر الحلبى ونواب القلاع، وأمراء تركمان الطاعة، ونزل على قلعة كركر، فى ثانى جمادى الآخرة هذا، وحصر خليل نائبها، وقد جلا أهل كركر عنها، واستعد خليل بقلعتها وحصنها.

وفى هذا الشهر: شرع السلطان فى بناء مارستان للمرضى، موضع مدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسن تجاه الطلبخاناه من القلعة.

وفى آخره: نقل سوق الرقيق من مكانه إلى مكان بطرف البندقانيين.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه وفى النيل ستة عشر ذراعًا، وزاد إصبعين، فركب السلطان النيل إلى المقياس حتى خلّق بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، فكان يوما مشهودًا، وغرق فيه جماعة انقلبت بهم المركب، فهلكوا.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: ولد للسلطان ولد ذكر، من خوند ابنة الأمير تنم الحسنى، نائب الشام سماه محمدا، وكناه بأبى المعالى، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفى عشرينه: ورد الخبر بأن الأمراء أوقعوا بهوارة على ناحية جرجا[1] فقتلوا منهم وأسروا نحو الخمسين، وفر باقيهم على طريق الواحات، وتركوا حريمهم وأموالهم.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: كانت عقيقة الأمير المعالى محمد ابن السلطان، وخلع على الأمراء، وأركبوا الخيل بالقماش الذهب، فتجاوز المصروف عليها خمسة عشر ألف دينار.

وفى ثالث عشرينه: قدم سيف بردبك الخليلى، نائب صفد، بعد موته.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه وجد السلطان ورقة بمجلسه. فيها: -

يا أيها الملك المؤيد دعوة	من مخلص فى حبيه لك ينصح
انظر لحال الشافعية نظرة	فالقاضيان كلاهما لا يصلح
هذا[2]أقاربه عقارب وابنه	وأخ وصهر فعلهم مستقبح
غطوا محاسنه بقبح صنيعهم	ومتى دعاهم للهدى لا يفلح
وأخو هراة[3]بسيرة اللنك[4]اقتدى	فله سهام فى الجوانح تجرح
لا درسه يقرأ ولا أحكامه	تدرى ولا حين الخطابة يفصح
واكشف هموم المسلمين بثالث	فعسى فساد منهم يستصلح

---

(١) جَرْجا: قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم. انظر: معجم البلدان ٢/ ١١٩.

(٢) جاء فى هامش نسختى أ،ب أمام هذا البيت، يعنى قاضى القضاة جلال الدين البلقينى.

(٣) جاء فى هامش نسختى أ،ب أمام هذا البيت، يعنى قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى.

(٤) جاء فى هامش نسخة أن اللنك هو تيمور لنك.

فعرضها السلطان على الفقهاء الذين يحضرون مجلسه فى يوم الأحد، فلم يعرفوا كاتبها، واستحسن السلطان الأبيات، وكانت ابتداء سقوط الهروى من عينه.

وفيه غرق ولد بعض الباعة فى الخليج، فأخرجه أبوه ميتًا، فلم يمكن من دفنه إلا بعد استئذان الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى، والى القاهرة، - كما هى العادة - فأمر به عندما استأذنه إلى السجن، فسجن، وبعث إليه أنه لا سبيل إلى الإفراج عنك، حتى تحمل خمسة دنانير، فمازالوا به حتى وعدهم بذلك، وخرج وهو موكل به، فباع بضاعته التى يقيم منها أوده وأود عياله فأحرزت ثلاثة دنانير، ثم أخذ جميع ما عند امرأته - أم الغريق - وباعه، فبلغ دينارًا واحدًا واقترض دينارا، حتى كملت الخمسة دنانير التى للوالى، ثم اقترض شيئا أخذه الموكلون عليه من أعوان الوالى، وشيئا كفن به ولده ودفعه لمن دفنه، ثم ترك امرأته، وفر. وهذا من بعض ما تفعله الولاة، فى هذا الزمن العجيب.

وفى يوم السبت ثامن شعبان: نودى على النيل بزيادة إصبعين، تتمة ثلاثة أصابع، من تسعة عشر ذراعا. وكان له من يوم النوروز - وهو يوم الإثنين سادس عشرين شهر رجب لم يزد، فإنه انتهى فى يوم النوروز إلى إصبع من تسعة عشر ذراعا. ثم نقص نصف ذراع، ثم تراجع قليلا قليلا، حتى رد النقص وزاد إصبعين، وكان منذ نقص النيل، ارتفع سعر الغلال.

وفيه قدم الأمراء من الوجه القبلى، بألفى جمل، واثنى عشر ألف رأس من الغنم الضأن، سوى ما تفرقه الأمراء من الجمال، وعدتها نحو الألفين، وسوى ما نهب من الأغنام، وهو شئ كثير جدًا.

وفيه نودى أن لا يتعامل الناس بالدنانير الأفرنتية الناقصة عن درهم وثمن فى الوزن، وأن من وجد معه دينار ناقص يقص، ويحضر به إلى دار الضرب، وأن يكون الدينار الأفرنتى التام على حاله بثلاثين مؤيديا وكل مؤيدى بسبعة دراهم فلوسا؛ ليكون الأفرنتى بمائتين وعشرة دراهم فلوسا، والأصل فى هذه الدنانير المشخصة، التى يؤتى بها من بلاد الفرنج، وتعرف بالأفرنتية، أن تكون زنة كل مائة دينار منها أحد وثمانين مثقالا وربع مثقال، والمعاملة بها عددًا لا وزنا، فلم يتركها أهل الفساد على حالها، بل يردئوا منها، حتى فحش نقصها، نودى عليها، وقع كثير من الناس فى الخسارة من أجل ما فى الأيدى منها، ووجدت الصيارفة والباعة السبيل إلى أخذ أموال الناس، بحجة أن الدينار نقص بكذا وكذا، ويتحكم الصيرفى بما يريد فذهب كثير من أموال الناس فى تغيير أحوال النقود، ولا قوة إلا بالله.

وفى تاسعه: قبض على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ناظر الخاص، بقلعة الجبل، وأنزل به مع بعض الأمراء المقدمين إلى بيت الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، وسلم له، وكان قد تقدم من ابن نصر الله قبل ذلك بأيام يسيرة مفاحشة، خرج فيها عن الحد فى حق ابن أبى الفرج، وشافهه فى حضرة السلطان بعظائم تقتضى غضب السلطان عليه، فما شك أحد فى هلاكه، فكان الأمر بخلاف ذلك، وأكرمه ابن أبى الفرج، وأنزله وقام له بما يليق به، وأرسل إلى داره يعد أهله بكل خير، ويأمر غلمانه وأتباعه أن يلازموا ما هم فيه من خدمته على عادتهم، وركب فخر الدين من الغد إلى السلطان، وقد نزل إلى بركة الحبش لعرض الهجن التى بها إلى الحجاز، فأقام عنده يومه كله، وهو يلج فى السؤال أن يفرج عن ابن نصر الله، ويقره على ما بيده، إلى أن قبل شفاعته فيه، فلما عاد أركبه إلى داره، فبات بها وركب فى بكرة يوم الثلاثاء ثانى عشره إلى القلعة، فخلع عليه خلعة الرضا والاستمرار، ونزل إلى داره، وقد سر الناس به سرورًا كبيرًا، وعدت هذه الفعلة من ابن أبى الفرج نجدًا لا يشابهه شىء من أخلاق أهل زماننا.

وقدم الخبر بأن الأمير يشبك نائب حلب أقام على كركر أربعين يومًا، مجدًا فى حصارها، حتى نفذ العليق من العسكر، فأخلى بلاد كركر من أهلها، وسيرهم إلى بلاد حلب، ورعى الكروم وحرقها، وحرق القرى حتى تركها بلاقع[1] وعاد إلى حلب بمن معه، من غير أخذ قلعة كركر.

وقدم الخبر بأن الأمير ناصر الدين محمد بيك بن على بيك بن قرمان نزل على طرابلس، فى خامس عشر رجب، وحاصرها، وسأل نائبها الأمير شاهين الأيدكارى النجدة، فكتب بخروج عساكر الشام إليها. واستقر الأمير عز الدين حمزة ابن الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان فى نيابة أذنة، وإمرة التركمان، على عادة أبيه عوضا عن إبراهيم بن رمضان، لانتمائه إلى ابن قرمان. وأنعم على عساكر حلب بعشرة آلاف دينار، نفقة كونهم توجهوا إلى كركر. واستقر فى نيابة كختا الأمير بردبك الحمزاوى، عوضًا عن الأمير منكلى بغا، وأعيد منكلى بغا إلى إمرته بحماة.

وفى يوم الجمعة نصفه: نقص النيل عشر أصابع، بعد ما انتهى فى الزيادة إلى عشر أصابع، من تسعة عشر ذراعا.

وفى سادس عشره: ابتدئ بهدم دار التفاح، خارج باب زويلة، وهى جارية فى

---

(١) تركها بلاقع أى قفر لا شىء بها. انظر: تاج العروس (بلقع).

وقف الأمير طقز دمر، على خانكاته بالقرافة، بعد ما دفع فيها ألف دينار أفرنتية، ليعتاض أهل الوقف بها مكانا غيره.

وفى ثامن عشره: استقر الأمير مراد خجا أحد أمراء الألوف - فى نيابة صفد وخلع عليه، وأنعم بتقدمته وإقطاعه على الأمير جلبان المؤيدى رأس نوبة السلطان، ورأس نوبة الأمير إبراهيم ابن السلطان.

وفى ثالث عشرينه: توجه الأمير أزدمر الظاهرى[1]- أحد مقدمى الألوف - فى عدة الأمراء والمماليك السلطانية إلى بلاد الصعيد، للإقامة بها، وعاد الأمير جقمق الداودار بمن بقى معه.

وفيه قدم الخبر باستمرار ابن قرمان على حصار طرسوس ونزول قرايوسف على آمد[2]، وفرار قرايلك منه، ونزوله على جانب الفرات تجاه قلعة نجمة، واستئذانه نائب حلب فى التعدية، وأن أهل البلاد الحلبية عظم خوفهم، وعزموا على الفرار منها، مخافة أن يصيبهم مثل ما أصابهم فى نوبة تمرلنك.

---

(١) أزدمر بن عبد الله الظاهرى (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م)، الأمير عز الدين. أحد مقدمى الألوف بديار مصر، المعروف بأخى أينال اليوسفى. قدم أزدمر هذا من بلاد الجركس هو وولده الأمير يشبك ابن أزدمر بطلب من الملك الظاهر برقوق، فلم يقم بالقاهرة إلا أيام قليلة، أنعم عليه الملك بإمرة عشرة، ثم رقاه إلى أن جلعه أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، وجعله ابنه يشبك خاصكيا، واستمر على ذلك إلى أن ركب الأمير على باى على الملك الظاهر برقوق اتهم أزدمر هذا بالميل إلى على باى فأفرج إلى دمشق منفيا، ثم بعد وقعة تنم نائب الشام أنعم عليه الملك الناصر فرج بتقدمة ألف بدمشق، فدام بها إلى أن ورد تيمور لنك إلى أطرف البلاد الحلبية، فخرج أزدمر هذا وولده يشبك صحبة نائب دمشق الأمير سودون قريب الملك الظاهر برقوق وجماعة النواب الشامية، والسلطان إذ ذاك مقيم بالقاهرة، ووصل الجميع إلى حلب، وخرج لقتال تيمور فكان الأمير سودون على الميمنة والأمير دمرداش المحمدى، نائب حلب، على الميسرة والأمير شيخ المحمودى نائب حلب، وعلى الميسرة والأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس والأمير دقماق نائب حماه الأمير أزدمر هذا وولده فى القلب، فلما التقى الفريقان برز الأمير عز الدين هذا وولده فى عدة من الفرسان وابتلوا بلاء عظيما، وظهر من أزدمر هذا وولده من الأقدام والفروسية ما تعجب منه كل أحد، وقاتلا قتالا شديدا حتى قتل أزدمر، وفقد خبره. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٤٩ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ١١٤، نزهة النفوس ٢/ ١٣١، الضوء اللامع ٢/ ٢٧٤.

(٢) آمد: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم بعد قتال على مثل صلح الرها، وهى مدينة كبيرة حصينة على جبل غربى دجلة وهى كثيرة الشجر والجبل مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ. انظر الروض المعطار ٣،٤،٥.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه شعبان: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى ظاهر القاهرة، وعبر من باب النصر ومر فى شارع المدينة[١] إلى القلعة، وبين يديه الهجن التى عينها للسفر معه إلى الحجاز، وعليها حلى الذهب والفضة، فكان يوما عظيما، فما هو إلا أن استقر بالقلعة قدم الأمير بردبك الحمزاوى - أحد أمراء الألوف بحلب - ومعه نائب كختا - الأمير منكلى بغا - بكتاب نائب حلب والأمير عثمان بن طرعلى، المعروف بقرايلك، بأن قرايلك عدى الفرات من مكان يقال له زغموا[٢] ونزل على نهر المرزبان[٣] وذلك أنه بلغه أن قرايوسف قصد كبسه فما أحسن قرايلك إلا وقد هجمت فرقة من عسكر قرايوسف عليه من شميصات[٤] دخل بهم خليل نائب كركر، فأدركوا قرايلك عند رحيله من نهر المرزبان إلى مرج دابق، فقاتلهم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان هذا، وأخذوا بعض أثقاله، فنزل مرج دابق، ثم قدم حلب فى نحو ألف فارس، باستدعاء الأمير يشبك له، فجفل من كان خارج سور مدينة حلب، ورحلوا ليلا عن آخرهم. واضطرب من بداخل السور، وألقوا بأنفسهم من السور ورحل أجناد الحلقة ومماليك النائب المستخدمين ، بحرمهم وأولادهم، فانثنى عزم السلطان عن السفر إلى الحجاز، وكتب إلى العساكر الشامية فى المسير إلى حلب، والأخذ فى تهيئة الإقامات. وأصبح يوم الثلاثاء سادس عشرينه وقد جمع الأمراء والخليفة وقضاة القضاة، وطلب شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى، وقص عليهم خبر قرايوسف، وما حصل لأهل حلب من الخوف والفزع، وجفلتهم - هم وأهل حماة - وأن الحمار بلغ ثمنه خمسمائة درهم فضة، والأكديش إلى خمسين دينارًا، وأن قرايوسف فى عصمته أربعون امرأة، وأنه لأيدين بدين الإسلام، وكتب صورة فتوى فى المجلس فيها كثير من قبائحه، وأنه قد هجم على ثغور المسلمين، ونحو هذا من الكلام. فكتب شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى وقضاة القضاة بجوار قتاله. وكتب الخليفة خطه بها أيضا. وانصرفوا ومعهم الأمير مقبل الداودار فنادوا فى الناس بالقاهرة بين يدى الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة الأربع، بأن قرايوسف يستحل الدماء،

---

(١) يقصد به الشارع الأعظم الذى هو قصبة القاهرة، ويمتد من باب زويلة إلى بين القصرين حيث باب الخرنفش. انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ٢٧٢.

(٢) زغموا: بلد قديم على غربى الفرات فيه آثار قلعة وعمارة عظيمة دثرت كلها. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٤٣.

(٣) نهر صغير يمر تحت قلعة الروم، ويصب فى نهر الفرات. انظر: تقويم البلدان ٢٦٩.

(٤) هى نفسها سميساط التى تقع على الفرات فى الغرب عن قلعة الروم. انظر: تقويم البلدان ٢٦٧.

ويسبى الحريم، ويخرب الديار، فعليكم بجهاده كلكم، بأموالكم وأنفسكم. فدهى الناس عند سماعهم هذا، واشتد قلقهم. وكتب إلى ممالك الشام أن ينادى بمثل ذلك فى كل مدينة، وأن السلطان واصل إليهم بنفسه وعساكره. وكتب إلى الوجه القبلى باحضار الأمراء.

وفيه بلغ ماء النيل فى زيادته عشر أصابع، من تسعة عشر ذراعا، ونقص فى يومه أصبعين، بعدما نقص خمسا، وذلك قبل أوان نقصه فارتفع سعر الغلال، وتخوف الناس الغلاء.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: نودى بين يدى الأمير خرز نقيب الجيش فى أجناد الحلقه بتجهيز أمرهم للسفر إلى الشام، ومن تأخر حل به كذا وكذا من العقوبة[1].

شهر رمضان، أوله الأحد:

فيه قدم الخبر بأن قرايلك رحل من حلب، وأقام بها الأمير يشبك نازلا بالميدان، وعنده نحو مائة وأربعين فارسا، وقد خلت حلب من أهلها، إلا من التجأ إلى قلعتها. فأتاه النذير ليلا أن عسكر قرا يوسف قد أدركه، فركب قبيل الصبح فإذا مقدمته معلى وطأة بابلا[2] فواقعهم وهزمهم، وقتل وأسر جماعة، فأخبروه أنهم جاءوا لكشف خبر قرايلك، وأن قرايوسف بعين تاب. فعاد وتوجه إلى سرمين، فلما بلغ قرايوسف هزيمة عسكره، كتب إلى نائب حلب يعتذر عن نزوله بعين تاب، وأنه ما قصد إلا قرايلك، فإنه أفسد فى ماردين، فبعث إليه صاروخان - مهمندار حلب - فلقيه على جانب الفرات، وقد جازت بجموعه الفرات وهو على نية الجواز، فأكرمه واعتذر عن وصوله إلى عين تاب، وحلف أنه لم يقصد دخول الشام، وأعاده بهدية للنائب، فسر السلطان بذلك.

وكان سبب حركة قرايوسف، أن الأمير فخر الدين عثمان بن طر على بن محمد - ويقال له قرايلك - صاحب آمد، نزل فى أوائل شعبان على مدينة ماردين من بلاد قرايوسف، فأوقع بأهلها، وأسرف فى قتلهم، وسبى نساءهم، وباع الأولاد والنساء، حتى أبيع صغير بدرهمين، وحرق المدينة، ورجع إلى آمد، فلما بلغ قرايوسف ذلك، اشتد حنقه وسار، ومعه الطائفة المخالفة للسلطان، يريد أخذ قرايلك، ونزل على آمد،

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢١٧.

(٢) بابلاً: بكسر الباء، وتشديد اللام، مقصور: قرية كبيرة بظاهر حلب، بينهما نحو ميل، قال سياقون: وهى عامرة آهلة فى أيامنا هذه. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٠٩.

ثم رحل عنها فى ثامن شعبان جريدة خلف قرايلك، وقطع الفرات من شميصات فى عاشره ولحق قرايلك، وضربه على نهر المرزبان ففر منه إلى حلب، وهو فى إثره، فتوجه قرايلك من حلب، وكان من مواقعة نائب حلب لعسكر قرايوسف ما ذكر.

وفى ثانيه: كتب ببيع الغلال المجهزة فى البحر إلى الحجاز لرجوع السلطان عن السفر إلى الحج.

وفى خامسه: نودى فى أجناد الحلقة، بالعرض على السلطان، فعرضوا عليه فى يوم الجمعة سادسه، وابتدأ بعرض من يركب منهم فى خدمة الأمراء، فخيرهم بين الاستمرار فى جملة رجال الحلقة، وترك خدمة الأمراء وبين الإقامة فى خدمة الأمراء وترك أخبار الحلقة فاختار بعضهم هذا وبعضهم هذا، فأخرج إقطاعات من أراد خدمة الأمراء، وصرف من خدمة الأمراء من أراد الإقامة على إقطاعه، وشكا إليه بعضهم قلة متحصل إقطاعه، فزاده، وكان هذا من جيد التدبير، فإن العادة كانت أن عسكر مصر فى هذه الدولة التركية على ثلاثة أقسام: قسم يقال لهم أجناد الحلقة، وموضوعهم أن يكونوا فى خدمة[١] السلطان، ولكل منهم إقطاع يقال له خبز، ونظيرهم فى أيام الخلفاء أهل العطاء وأهل الديوان، وقسم يقال لهم مماليك السلطان، ولهم جوامك مقررة فى كل شهر، وجرايات ولحوم فى كل يوم، وكسوة فى كل سنة، وقسم ثالث يقال لهم مماليك الأمراء وهم الذين يخدمون الأمراء، ويعتد بطائفة من إقطاع الأمير للعدة المقررة له منهم، فلذلك كانت عدة عساكر مصر كثيرة، ثم تغير هذا فى الأيام الظاهرية برقوق ومن بعده، وصار الأمراء يأخذون إقطاعات الحلقة بأسماء مماليكهم، وطواشيتهم، وتخدم أجناد الحلقة عندهم وتأخذ المماليك السلطانية أيضا الإقطاعات مع الجوامك، فقلت عدة الرجال، وكثر متحصل قوم، وقل لآخرين ما يحصل من الإقطاعات، وخربت عدة بلاد من كثرة المغارم، وعجز مقطعيها[٢].

وفى سابعه: أفرج عن الأمير كمشبغا الفيسى أمير أخور، وعن قصروه من تمراز وكانا بالإسكندرية[٣]، وعن الأمير كزل العجمى حاجب الحجاب وكان، بصفد وعن الأمير شاهين نائب الكرك وكان بقلعة دمشق[٤].

---

(١) المراد أنهم كانوا يأتمرون بإمرة السلطان دون أن يكونوا ملكا له.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ١١٩، ٢٢١.

(٣) يقصد بسجن الإسكندرية.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢١.

وفى تاسعه: قدم الخبر[١] بأن قرايوسف أحرق أسواق عين تاب ونهبها، فصالحه أهلها على مائة ألف درهم، وأربعين فرسًا، فرحل عنها بعد أربعة أيام، إلى جهة البيرة، وعدى معظم جيشه إلى البر الشرقى فى يوم الإثنين سابع عشر شعبان، وعدى من الغد، ونزل ببساتين البيرة وحصرها، فقاتله أهلها يومين وقتلوا منه جماعة، فدخل البلد، ونهب، وأحرق الأسواق، حتى بقيت رمادًا، امتنع الناس منه ومعهم حريمهم بالقلعة، ثم رحل فى تاسع عشره إلى جهة بلاده، بعد ما حرق ونهب جميع معاملة البيرة، فسر السلطان برجوع قرايوسف، وفتر عزمه عن السفر إلى الشام[٢].

وقدم الخبر بأن ابن قرمان حارب أهل طرسوس، فقتل بين الفريقين خلق كثير، إلى أن رحل عنها فى سابع شعبان من ألم اشتد بباطنه.

وفى ثالث عشره: جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فعرض عليه منهم زيادة على أربعمائة، ما بين غنى وفقير، وكبير وصغير. فمن كان إقطاعه قليل المتحصل أشرك معه غيره، ومثال ذلك أن جنديًا يتحصل من إقطاعه فى السنة سبعة الآف درهم فلوسًا، وآخر يتحصل له ثلاثة آلاف، فألزم من إقطاعه ثلاثة آلاف أن يعطى الذى إقطاعه سبعة آلاف مبلغ ثلاثة آلاف ليسافر صاحب السبعة آلاف ويقيم الذى أعطى الثلاثة آلاف، وأفرد جماعة وجد إقطاعاتهم قليلة المتحصل ثم ضم أربعة منهم، وأمرهم أن يختاروا منهم واحدًا يسافر، ويقوم الثلاثة بكلفته، ورسم أن المال المجتمع من أجناد الحلقة يكون تحت يد قاضى القضاة شمس الدين الهروى[٣].

وفى رابع عشره: قدم كمشبغا الفيسى وقصروه من تمراز من الإسكندرية، فمثلا بين يدى السلطان ونزلا إلى دورهما.

وفى سابع عشره: ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب الفتوح إلى القلعة.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر من طرابلس بنزول التركمان - الأينالية والبياضية والأوشرية - على صافيتا من عمل طرابلس، جافلين من قرا يوسف، وأنهم نهبوا بلادا، وأحرقوا منها جانبًا، وأن الأمير برسباى الدقماقى النائب نهاهم عن ذلك، فلم يرجعوا، وأنه أمرهم بالعود إلى بلادهم بعد رجوع قرايوسف، فأجابوا بالسمع والطاعة، فركب

---

(١) من حلب. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢١، ٢٢٢.

عليهم برسباى ليأخذ مواشيهم وقاتلهم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان، فقتل منهم خلق كثير، منهم الأمير سودن الأسندمرى، وثلاثة عشر من عسكر طرابلس، وانهزم باقيهم عراة، فغضب السلطان، ورسم بعزل برسباى عن نيابة طرابلس، واعتقاله بقلعة المرقب، وكتب بإحضار سودن القاضى نائب الوجه القبلى - ليستقر فى نيابة طرابلس.

وفى عشرينه: عرض السلطان أجناد الحلقة.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان إلى المطعم خارج القاهرة، وعاد فلم يكد يستقر حتى فى الساعة الرابعة، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة إلى السرحة، وعاد فى يوم الأربعاء خامس عشرينه.

وفيه ختمت قراءة صحيح البخارى بالقصر من قلعة الجبل، وحضر السلطان ختمه على العادة، وفرق على الجماعة الحاضرين من الفقهاء - وعدتهم سبعون - مبلغ مائة وأربعين مؤيديا كل واحد، وخلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى جبة صوف بفرو سمور على العادة.

وفى سابع عشرينه: عرض السلطان الأجناد على عادته، وتشدد فى طلب المال منهم، فنزل بهم من ذلك شدائد، لفقر أكثرهم، وعجزهم عن القيام بما لزمهم، فلما انقضى مجلس العرض، ركب السلطان، وعدى النيل إلى بر الجيزة، وبات هناك، ثم عاد من الغد.

وفى هذا الشهر: أتلفت الدودة كثيرًا من البرسيم المزروع بأراضى الجيزة.

وفيه قدم مصطفى ابن الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، إلى مدينة طرسوس، باستدعاء أهلها، من قبيح سيرة نائبها شاهين الأيدكارى، واستحلاله أموالهم ودماءهم، وأخذ المدينة وحصر القلعة، وقد امتنع بها شاهين الأيدكارى حتى أخذه، وبعث به ابنه، وأن قرايوسف لما مضى إلى بلاده مات ابنه بير بدق على ماردين، وعندما وصل إلى بلاده قبض على ولده إسكندر[1] واعتقله، وأنه وقع بينه وبين ولده شاه محمد، صاحب بغداد.

---

(١) إسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركمانى (٨٤١ هـ = ١٤٣٨ م)، متملك تبريز وما والاها. ملك البلاد بعد موت قرا يوسف فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ودام فيها مدة طويلة، وخرجت البلاد فى أيامه من كثرة حروبه وشروره مع شاه رخ بن تيمور لنك وأولاده، ومع قرايلك التركمانى صاحب آمد، ودام على ذلك سنين عديدة، ووقع له مع هؤلاء وغيرهم وقائع وحروب يطول الشرح فى ذكرها إلى أن انكسر فى آخر حروبه مع أحمد جوكى بن شاه رخ، وتشتت عن بلاده وذهب إلى الروم، ثم عاد إلى نحو بلاده، ثم انهزم أيضًا، والتجأ إلى قلعة النجا=

شهر شوال، أوله الإثنين:

في ثانيه: عرض السلطان الأجناد.

وفي خامسه: جلس للحكم بين الناس، وكان قد ترك ذلك، فعاد إليه، وضرب ابن الطبلاوى والى القاهرة بالمقارع بين يديه، ولم يعزله، واستقر الملطى فى نيابة الوجه القبلى، عوضًا عن سودن القاضى.

وفي ليلة السبت سادسه: ركب السلطان، وسرح إلى جهة سرياقوس.

وفي ثامنه: قدم الأمير سودن القاضى من الوجة القبلى، وتمثل بمخيم السلطان من السرحة.

وفي عاشره: عاد السلطان من السرحة إلى القلعة.

وفي ثاني عشره: ركب إلى الصيد، وعاد فى ثالث عشره، وقد وعك بدنه، وعاوده ألم رجله، فلزم الفراش.

وفي خامس عشره: خلع على الأمير سودن القاضى، واستقر فى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير برسباى الدقماقى، وخلع على الأمير كمشبغا الفيسى، واستقر أميرًا كبيرًا بطرابلس.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير سيف الدين أبى بكر ابن الأمير قطلوبك، المعروف بابن المزوق، واستقر أستادار السلطان، بعد وفاة الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج وخلع على ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، واستقر فى نظر وقف الأشراف عوضًا عن ابن أبى الفرج، واشتملت تركة ابن أبى الفرج على نحو ثلاثمائة ألف دينار، منها صندوق فيه مبلغ اثنين وسبعين ألف دينار، وثلاثة مساطير[1] بمبلغ سبعين ألف دينار وغلال وفرو وقماش وعدة بضائع بنحو مائة ألف دينار، أحاط السلطان بها كلها.

=فحصره بها أعوان أخيه جهان شاه بن قرا يوسف مع عسكره شاه رخ، فلما طال ذلك بينهم نهض ابنه قوماط بن إسكندر وذبحه، وأراح الناس منه فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمة، وسلم قلعة النجا إلى عمه جهان شاه. وكان إسكندر شجاعا مقداما، وأهوجا جريئا، فاسقا، سفاكا للدماء، غير محب لرعيته لا يتدين بدين، وخربت عامة بلاد بغداد والعراق فى أيامه، ثم فى أيام أخويه أصبهان وشاه أحمد أولاد قرا يوسف. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٧٣، ٣٧٤ والدليل الشافى ١١٩/١، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٢٢٠، الضوء اللامع ٢/ ٢٨٠.

(١) هو الإيصال الذى يكتبه المدين على نفسه للدائن.

وفى حادى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى البركة مع الأمير جلبان أمير أخور، ورحل فى رابع عشرينه، بعد أن تقدمه الركب فى أمسه.

وفى هذا الشهر: عز وجود التبن، حتى أبيع الحمل بدينار، بعد خمسة أحمال بدينار.

وفيه كثرت الفتن بالوجه البحرى. وانقضى الشهر والسلطان مريض.

شهر ذى القعدة. أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: قبض على الوزير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى. وسلم إلى الأمير أبى بكر الأستادار، بعد إخراق السلطان به، ومبالغته فى إهانته لسوء تدبيره، وقبح سيرته، وخبث سريرته. وتتبعت حواشيه أتباعه فقبض عليهم ثم أفرج عنهم، وفيه خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله خلع الوزارة، مضافًا لنظر الخاص. وأنعم عليه مرة ماله وتقدمة ألف، فنزل الأمراء وأهل الدولة معه، وسر الناس به، وفيه دقت الطبلخاناه على بابه بعد غروب الشمس على عادة الأمراء الأكابر ولم يقع فى الدولة التركية مثل هذا لوزير صاحب قلم[1].

وفيه خلع على الأمير جَرْبُغا دوادار الأمير يشبك نائب حلب، واستمر على عادته، وكان قد قدم فى سادس عشرين شوال، وصحبته شهاب بن أحمد بن صلاح الدين صالح بن محمد، كاتب سر حلب بطلب، لشكوى نائب حلب منها، فسار جربغا وتأخر ابن السفاح بالقاهرة وكتب بقبض على قرمش الأمير الكبير بحلب وسجنه بقلعتها.

وفى خامسه: ركب السلطان المحفة - وهو مريض - وسرح، ثم عاد من آخره[2].

وفى سابعه: استقر شمس الدين محمد بن يعقوب فى وزارة دمشق.

وفى تاسعه: خلع على الشيخ الأمجد رفائيل - كاتب الجيزة - واستقر بطرك اليعاقبة، عوضًا عن متى بعد موته.

وفى عاشره: ركب السلطان ونزل إلى بيت كاتب سره، ناصر الدين محمد بن البارزى، المطل على النيل، وعدى الأمراء إلى بر الجيزة ثم سار السلطان من بيت كاتب السر فى يوم الجمعة حادى عشره إلى السرحة ببركة الحجاج، وركب من الغد النيل

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٣.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٤.

يريد سرحة البحيرة، ونزل بالبر الغربى على الطرانة، وانتهى إلى مريوط[١] فأقام بها أربعة أيام. ورسم بعمارة بستان السلطان بها، وقد تهدم، واستأجر مريوط من مباشرى وقف الملك المظفر بيبرس الجاشنكير على الجامع الحاكمى، وتقدم بعمارة سواقيه، ومعاهد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، وعاد.

وفى هذا الشهر: عز وجود لحم الضأن بأسواق القاهرة، ولم يرتفع سعره.

وفيه أفرج عن الشريف عجلان بن نعير الحسينى أمير المدينة، وللإفراج عنه خبر فيه معتبر: وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على البغدادى الحنبلى[٢] - أحد جلساء السلطان - رأى فى منامه كأنه فى مسجد رسول الله - ﷺ - وقد انفتح قبر رسول الله ﷺ وخرج منه ﷺ، وجلس وعليه أكفانه، وأشار بيده المقدسة إلى عز الدين فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: «قل للمؤيد يفرج عن عجلان» فانتبه وصعد على عادته إلى مجلس السلطان، وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه وبينه معرفة، وقص عليه رؤياه، فسكت حتى انفض المجلس، وخرج إلى مرمى نشاب استجدها بالقلعة، فأحضر الشريف عجلان، وخلى عنه، وقد حدثنى عز الدين بالرؤيا، وأقسم لى بالله أنه ما كان قبل رؤياه يعرف عجلان، ولا رآه قط، وهو غير متهم فيما تحدث به.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

فيه قلَّ وجود الخبز بالأسواق، وازدحم الناس فى طلبه ثلاثة أيام، ثم كسد وارتفعت الأسعار، حتى تجاوز الأردب من الشعير والفول مائتين وخمسين درهمًا.

ووافى عيد الأضحى والسلطان بناحية وردان[٣] وهو عائد، فصلى به صلاة العيد وخطب ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر.

---

(١) مريوط: قرية من قرى مصر قرب الإسكندرية ساحلية. انظر: معجم البلدان ٥/ ١١٩.

(٢) عبد العزيز بن على (٧٦٨ - ٨٤٦هـ = ١٣٦٦ - ١٤٤٣م) عبد العزيز بن على بن أبى العز البكرى، التيمى القرشى البغدادى ثم المقدسى: قاضى فقيه. ولد ببغداد وقدم دمشق سنة ٧٩٥هـ، وسكنها ثم سكن بيت المقدس زمنا، وولى قضاء الحنابلة. وعاد إلى بغداد سنة ٨١٢هـ، فولى قضاءها ثلاث سنين وصرف، فعاد إلى دمشق، ثم إلى بيت المقدس، فالقاهرة. ثم ولى قضاء الشام مدة. ورجع إلى القاهرة فاستقر فى قضاءها إلى سنة ٨٣١هـ وصرف، فانقلب إلى دمشق، وأقام فيها إلى أن توفى. ويقال له: قاضى الأقاليم. من كتبه عمدة الناسك فى معرفة المناسك، سلك البررة فى معرفة القراءات العشرة. وغيرها. انظر: السحب الوابلة -خ- التبر المسبوك ٥٤، المقصد الأرشد -خ- الدارس ٢/ ٥٣. الشذرات ٧/ ٢٥٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٢٢. الأعلام ٤/ ٢٣.

(٣) وَرْدان: موضعان، سوق وردان: بمصر، ووادى وردان. انظر: معجم البلدان ٣٦١/٣.

وكان الحال بالقاهرة فى الأضاحى بخلاف ما نعهد، لقلة ما ذبح، فإن السلطان والأمراء لم يفرقوا الأضاحى، كما جرت به العادة.

وفى ثانى عشره: قدم السلطان من سرحة البحيرة، وعدى النيل إلى بيت كاتب السر، وأقام به إلى بكرة يوم الثلاثاء ثالث عشره، وركب إلى القلعة وألم رجله لم يبرح. وتقدم إلى الأمراء بتجهيزهم للسفر إلى الشام.

وفى خامس عشره: عرض السلطان أجناد الحلقة على عادته، وعين منهم من يسافر، وألزم من يقيم بالمال، كما تقدم.

وفيه قدمت أم إبراهيم بن رمضان التركمانى من بلاد الشرقى، وتمثلت بين يدى السلطان، فرسم بتعويقها، فعوقت.

وفى تاسع عشره: عرض السلطان أجناد الحلقة، ثم ركب فى خاصته بثياب جلوسه إلى جامعه بجوار باب زويلة، واجتمع عنده القضاة فتنافس كل من القاضيين شمس الدين الهروى، وشمس الدين محمد الديرى، وخرجا عن الحد حتى تسابا سبابا قبيحا بحضرة السلطان، وقد اجتمع من طوائف الناس خلق كثير، وانفضوا وعناية السلطان بالهروى. فكان هذا مما لا يليق بالقضاة.

وفيه بلغ الأردب القمح مائتين وستين درهمًا، والأردب الفول ثلاثمائة درهم، لقلته. وكثر كساد الأسواق، وتوقف حال الناس، وقلة فوائدهم.

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان للصيد، وشق القاهرة من باب النصر.

وفى رابع عشرينه: أفرج عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وأقام بالمدرسة الفخرية موكلا به، ومرسما عليه.

وفيه ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه: جلس السلطان بالإسطبل لعرض أجناد الحلقة، على عادته، وتشدد فى طلب المال ممن عين للإقامة، وضرب عدة منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشريف النقيب شرف الدين أبو الحسن على بن الشريف النقيب فخر الدين أبى على أحمد بن الشريف النقيب شرف الدين أبو محمد على بن شهاب الدين حسن بن

محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن زيد بن الحسين بن مظفر بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب الأرموى، نقيب الأشراف، فى يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الأول، وكان يعد من رؤساء البلد، كرما وأفضالا من غير شهرة بعلم ولا نسك(١).

ومات فيه عبد الله بن علاء الدين على بن محى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، وقد حمل واشتدت فاقته، وهو آخر من بقى من أولاد علاء الدين بن فضل الله.

ومات الأمير أجْتَرك القاسمى، وقد تنقل فى عدة ولايات، منها نيابة غزة.

وقتل الأمير حسين بن كبك(٢)، أحد أمراء التركمان، فى ثالث جمادى الأولى، وكان من خبر قتله أن الأمير تغرى بردى الجكمى - أحد العصاة على السلطان - فر والسلطان على مدينة كختا فيمن تسحب، ثم لحق بالأمير منكلى بغا نائب ملطية مع رفقته، فسأل السلطان فى الصفح عنه، فصفح، وأقام عند منكلى بغا إلى أن قدم حسين ابن كبك على ملطية، وحصرها، فقرر الأمير منكلى بغا تغرى بردى هذا، أنه يظهر الهرب، ويتسحب إلى حسين بن كبك، ويقيم عنده إلى أن يجد فرصة يقتله فيها، فخرج من ملطية فارًا إليه، فأكرمه، واستمر به عنده إلى أن توجه إلى بير عمر حاكم أرزنكان، فى أول جمادى، فأنزله بير عمر فى مخيم، وأجرى له ما يليق به، فلم يبت عنده سوى ليلة واحدة، وجلسوا لشرب الخمر فى الليلة التى بعدها، حتى تفرق عن حسين أصحابه ودخل إلى مبيته، واستدعى بتغرى بردى إليه ليكبسه، فعندما نام - وهو سكران - أخذ تغرى بردى سيفه وحشاه فى بطنه، فلم يتنفس، وركب فرسه ليلا إلى جهة شماخى(٣) وتوصل منها إلى ملطية، وقدم حلب، وجاء إلى مصر، فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأعطاه عشرة الآف درهم فضه، وثلاثة أروس من الخيل كاملة العدة، وثيابا نفيسة، وإقطاعا بديار مصر كثير المتحصل، وتقدم إلى الأمراء أن يخلع كل منهم عليه، فناله مال كبير، واستراح الناس من حسين بن كبك.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٨، الضوء اللامع ٥/ ١٧٢.

(٢) الحسين بن كُبُك التركمانى (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) الأمير حسام الدين أمير التركمان الكبكية كان بطلا، شجاعًا، قتل فى يوم ثالث جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ١٦٧، ١٦٨ والدليل ١/ ٢٧٥، النجوم ١٤/ ١٤٩، الضوء ٣/ ١٥٤.

(٣) شَمَاخِي: مدينة عامرة وهى قصبة بلاد شروان فى طرف أران تعد من أعمال باب الأبواب. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٦١.

ومات بالقاهرة شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد القرقشندى الشافعى[(١)] فى ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة، عن خمس وستين سنة، وقد كتب فى الإنشاء، وبرع فى العربية، وشارك فى الفقه، وناب فى الحكم، وعرف الفرائض ونظم ونثر. وصنف كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جمع فيه جمعا كبيرًا مفيدًا، وكتب فى الفقه وغيره[(٢)].

ومات الأمير بيسق الشيخى، أحد المماليك الظاهرية، فى جمادى الآخرة بالقدس، وترقى حتى صار من أمراء الطلبخاناه، وأمير أخور، وولى إمرة الحج فى الأيام الظاهرية والناصرية، وولى عمارة المسجد الحرام، لما احترق فى سنة ثلاث وثمانمائة، ثم تنكر عليه الناصر فرج، وأخرجه من القاهرة إلى بلاد الروم منفيا، فأقام بها حتى تسلطن المؤيد شيخ قدم عليه، فلم يُقْبل عليه وأقام فى داره مدة، ثم أخرجه إلى القدس بطالا، فمات بها، وكان عارفا بالأمور، متعصبا الفقهاء الحنفية على الشافعية، شرس الخلق، عسوفا، كثير المال، وفيه بر وصدقات[(٣)].

ومات الأمير علاء الدين أقبغا شيطان[(٤)]، مقتولا فى ليلة الخميس سادس شعبان، وقد جمع له بين ولاية القاهرة وحسبتها، وشد الدواوين، وكان يحسن المباشرة، ولم يشهر عنه تعاطى شىء من القاذورات المحرمة، كالخمر ونحوه.

ومات الأمير بُرْدُبَك الخليلى[(٥)] بصفد، فى ليلة الخميس نصف شهر رجب بها،

---

(١) القلقشندى (٧٥٦ - ٨٢١هـ = ١٣٥٥ - ١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد الفزارى القلقشندى ثم القاهرى: المؤرخ الأديب البحاثة. ولد فى قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة) سماها ياقوت قرقشندة، ونشأ وناب فى الحكم وتوفى فى القاهرة. وهو من دار علم، وفى آبائه وأبنائه وأجداده علماء أجلاء. أفضل تصانيفه «صبح الأعشى فى قوانين الإنشا» وله حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخر بين السيف والقلم و«قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان». وضوء الصبح المسفر. ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب. انظر: الضوء اللامع ٢/٨ وآداب اللغة ٣/ ١٣٣ وعشائر العراق ١/ ١٢. الأعلام ١/ ١٧٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) فى النجوم «علم الدين آقبغا بن عبد الله المعروف بالشيطان» ١٣/ ٢٨٩.

(٥) بردبك بن عبد الله الخليلى (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بقصقا. كان أحد أمراء المقدمين بديار مصر فى الدولة المؤيدية شيخ، ثم صار رأس نوبة النوب، ثم ولى نيابة طرابلس فى سابع عشر شهر رجب سنة عشرين وثمانمائة عوضًا عن الأمير يشبك المؤيدى، بحكم انتقاله إلى نيابة حلب عوضًا عن الأمير قجقار الفردمى. واستقر من بعده رأس نوبة النوب الأمير=

وهو على نيابتها.

ومات الأمير سودن الأسندمرى(١)، مقتولا فى وقعة التركمان خارج طرابلس، فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهو أحد مماليك الظاهرية، ومن جملة أمراء مصر، فلما قتل الناصر فرج، قُبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وعمل أميرًا بطرابلس، فقتل بها عن قليل.

ومات الأمير أبو الفتوح موسى ابن السلطان، فى يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان، وهو فى الشهر الخامس، فدفن بالجامع المؤيدى.

ومات الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، فى يوم الإثنين نصف شوال، ودفن بجامعه(٢).

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا العثمانى الظاهرى، نائب الشام، بطالا بالقدس، فى يوم الإثنين ثانى عشرين شوال.

ومات الأمير الطواشى بدر الدين لؤلؤ العزى كاشف الوجه القبلى، فى يوم الأربعاء رابع عشرين شوال. ولى كشف الوجه القبلى فى سنة ثلاث عشرة، ثم فى رجب سنة ثمان عشرة، وعزل وصودر وأخذ منه مال جزيل، بعد عقوبة شديدة، ثم ولى شد الدواليب السلطانية بالوجه القبلى، حتى مات، وكان من الحمقاء المتمعقلين، والظلمة الفاتكين، فى هيئة متدين ناسك واعظ.

وتوفى شرف الدين محمد بن عز الدين أبى اليمن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبى الفتح، الشهير بابن الكُويك الرِّبعى، الإسكندرى، الشافعى، فى يوم

=ططر، فباشر المذكور نيابة طرابلس إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ووقع بينه وبين أهل طرابلس، وعزل، وطلب إلى القاهرة، فحضرها بعد أن كتب عليه أهل طرابلس محاضر بقبائح، فعند حضوره استقر به السلطان فى نيابة صفد فى ثانى شهر ربيع الآخر من السنة. واستقر بعده فى نيابة طرابلس الأمير برسباى الدقماقى، أحد أمراء الألوف بديار مصر وتوجه بردبك المذكور إلى صفد، وباشر نيابتها مدة يسيرة، إلى أن مات بها فى نصف شهر رجب سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٣/٢٤٩، ٢٥٠ والدليل ١/ ١٨٤، النجوم ١٤/ ١٥١ عقد الجمان حوادث سنة ٨٢١، الضوء ٣/ ٦، أنباء الغمر ٣/ ١٧٩، نزهة النفوس ٢/ ٤٣٤ بدائع الزهور ٢/ ٣٩.

(١) هو الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله الأسندمرى الظاهرى، أتابك طرابلس. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢٩٠، ٢٩١.

السبت سادس عشرين ذى القعدة. ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، بالقاهرة، وقد انفرد بأشياء لم يروها غيره. وتصدى للإسماع عدة سنين، فسمع عليه كثير من أهل القاهرة والقادمين إليها، وأضر قبل موته. وكان خيرًا ساكنا كافا عن الشر، من بيت رياسة. وأول سماعه حضورًا سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولم يشتهر بعلم.

ومات الأمير قُطلوبغا الخليلى نائب الإسكندرية، فى يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة، وكان قد ولى حاجبًا بالقاهرة، ثم تعطل ستا وعشرين سنة، فساءت حاله، إلى أن ولاه الملك المؤيد نيابة الإسكندرية، فباشرها مباشرة مشكورة، ومات وهو على نيابتها.

ومات الأستاذ إبراهيم بن باباى العَوَّاد، فى ليلة الجمعة مستهل شهر ربيع الأول. وقد انتهت إليه الرياسة فى الضرب بالعود. وكان أبى النفس، من ندماء السلطان، مقربًا عنده، وجدد عمارة بستان الحلبى المطل على النيل، وبه مات.

* * *

سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبـد ا لله محمد، وسلطان مصر والشام والحجاز الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، والأمير الكبير ألطنبغا القرمشى، وأتابك العساكر المقام الصارمى إبراهيم ابـن السلطان، والدوادار الأمير جقمق، ورأس نوبة الأمير ألطنبغا الصغير، وأمير سلاح الأمير قجقار القردمى، وأمير مجلس الأمير ططر، وكاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى، والوزير وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله، أحد الأمراء مقدمى الألوف، والأستادار الأمير أبو بكر، وناظر الجيش علم الدين داود بن الكويز، وقضاة القضاة على حالهم، ونائب الشام الأمير تنبك ميق العلاى، ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفى، ونائب طرابلس الأمير سودن القاضى، ونائب حماة الأمير شاهين الزردكاش، ونائب صفد الأمير قرا مراد خجا، ونائب الإسكندرية ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر ا لله المحرم الحرام، أوله الجمعة:

فى ثانيه: جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة على ما تقدم، وأنفق على الأمراء نفقة السفر، فبعث إلى كل من الأميرين الطنبغا القرمشى وططر ثلاثة آلاف دينار، ولمن عداهما ألفى دينار.

وفى خامسه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أنه لم يرد أحد من حاج العراق.

وفى رابع عشره: قرئ تقليد الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله، بالجامع المؤيدى، وكانت العادة أن يقرأ تقليد الوزارة بخانكاه سعيد السعداء.

وفى نصفه: ضرب خام المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان تجاه مسجد تبر خارج القاهرة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: ركب إبراهيم ابن السلطان بكرة النهار فى أمراء الدولة والعساكر، وتبعه طُلبه وطُلب الأمير جقمق الدوادار، حتى نزل بمخيمه، وخرج بعده الأمراء بأطلابهم، وهم ططر أمير مجلس، وقجقار القردمى أمير سلاح، وأينال الأزعرى رأس نوبة، وجلبان، وأركماس الجلبانى من مقدمى الألوف، وثلاثة من أمراء الطبلخاناه، وخمسة عشر من أمراء العشرات، ومائتين من المماليك السلطانية.

وفى عشرينه: نزل السلطان إلى مخيمه على خليج الزعفران، ثم سار إلى مخيم ولده وبات عنده، ثم ودعه وركب من الغد إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة ثانى عشرينه: رحل المقام الصارمى إلى جهة البلاد الشامية، بمن معه.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج، وقدم المحمل ببقية الحاج من غده، ومعهم الشريف عجلان بن نعير، أمير المدينة النبوية فى الحديد.

وقدم الأمير بكتمر السعدى عائدا من اليمن، بكتاب الناصر أحمد بن الأشرف.

وفيه شرع السلطان فى عمارة قبة عظيمة بالحوش من قلعة الجبل، أنفق عليها مالا كبيرًا.

وفيه كتب تقليد الأمير ناصر الدين محمد بن باك بن دلغادر، باستقراره فى نيابة السلطنة بقيسارية الروم، وجهز إليه.

وفيه خُلع على الأمير مقبل الدوادار، واستقر شاد العمارة بالجامع المؤيدى، عوضًا عن الأمير ططر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه بجوار باب زويلة، واستدعى القضاة ومشايخ العلم، ليسألهم عن إصلاح ما تهدم من أروقة المسجد الحرام، وتشقق الكعبة، وعمارة الحجرة النبوية، ومن أين تكون النفقة على ذلك. فأجالوا القول فى هذا. وسأل قاضى القضاة علاء الدين على بن مغلى الحنبلى قاضى القضاة شمس الدين الهروى عن أربع مسائل، وهو يجيبه، فيقول له: «أخطأت». وأخذ قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى فى الكلام مع الهروى حتى خرجا إلى المسابة. وعدد الديرى قبائح الهروى، من أنه من أتباع تيمورلنك، وأنه كان ضامن يزد، ونحو ذلك. ثم قال: «يا مولانا السلطان، أشهدك على أنى حجرت عليه أن لا يفتى، وحكمت بذلك». فنفذ الحنبلى والمالكى حكمه. فكان مجلسًا فى غاية القبح، من إهانة الهروى وبهدلته، ثم انفضوا على ذلك، وقد تبين انحطاط قدره، وبعده عن العلم بالفقه والحديث.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى خامسه: اجتمع المماليك السلطانية بالقلعة، وهموا أن يوقعوا بالوزير والأستادار لتأخر عليق خيولهم، فما زال الأمراء بهم حتى فرقوهم على أن يصرف لهم ما استحق.

وفيه خلع على صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضًا عن ابن شعبان.

وفى يوم السبت سابعه: عدَّى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم وأقام بها. فقدمت له التقادم، من الخيول والجمال، على العادة.

وفى سادس عشره: توجه الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد اللطيف الطرابلسى إلى طرابلس، ليكون مقيما بها، من جملة أمرائها.

وفى ثامن عشره: عاد السلطان من أوسيم، ونزل على النيل بناحية منبابة، وعمل الوقيد فى ليلة الخميس تاسع عشره، فمر تلك الليلة من السخف، وإتلاف النفوط ما ينكر مثله، ثم أصبح فركب الحراقة، وقطع النيل بكرة، وصعد القلعة، فتعصب المماليك سكان الطباق بقلعة الجبل، وبقوا يدًا واحدة وامتنعوا من أخذ الجامكية، وطالبوا بأن يصرف لهم فى هذه الدولة المؤيدية من ابتدائها نظير ما كان يصرف فى الأيام الظاهرية، من الكسوة واللحم، والسكر وغيره، فتوقع الناس حدوث شر وفتنة، فَرُدُّوا وسكن الشر.

وفى هذا الشهر: استقر رقم أمير هوارة البحرية، وتوجه ومعه الأمير ألطنبغا المرقبى إلى الوجه القبلى، وكتب للكشاف والولاة بالركوب معه، وطرد هوارة، فلما نزل الأمير ألطنبغا بسفط ميدوم[1] وقد نزلت هوارة قمن[2] فى نحو أربعة آلاف، فركبوا يوم الجمعة ثامن عشرينه، وطرقوا الأمير ألطنبغا والأمير رقم،وقاتلوهم عامة النهار، ثم مضوا إلى الميمون[3] وقد قتل من الفريقين نحو ثلاثة آلاف، فأخذ العسكر السلطانى ما تركوه من الأغنام، والأبقار، والجمال، والرقيق، وغيرها، وهو شيء كثير جدًا.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: وصل المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان بمن معه إلى دمشق، وقد تلقته النواب والعساكر.

وفى هذا الشهر: فشا الموت بالطاعون فى إقليمى الشرقية والغربية وجميع الوجه البحرى، وابتدأ بالقاهرة ومصر منذ حلت الشمس فى برج الحمل، فى يوم الأحد خامس عشره، فبلغت عدة من يرد الديوان من الأموات ما بين العشرين والثلاثين فى كل يوم.

---

(١) من أعمال البهنساوية. انظر: الانتصار.

(٢) من القرى القديمة فى مركز الواسطى من أعمال البهنساوية. انظر: القاموس الجغرافى.

(٣) الميمون: قرية حليلة بالصعيد الأدنى قرب الفسطاط على غربى النيل. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٠.

وفيه رسم بمرمة قناطر شبين بالجيزية[1] وكتب تقدير مصروفها خمسة آلاف دينار، فرضت على بلاد الجيزة. وقرر على كل فدان مبلغ عشرين درهم يسهم الفلاح منها بستة دراهم، والمقطع بأربعة عشر. ولا يعفى من ذلك من انقطع رزقه. فجبى المال من البلاد على هذا.

وفي ثامن عشرينه: عرض السلطان أجناد الحلقة، وكان قد ترك عرضهم مدة أيام.

وفي تاسع عشرينه: كسفت الشمس قبيل الزوال، فاجتمع الناس، وصلى بالناس فى الجامع الأزهر الشيخ الحافظ شهاب الدين أبو الفتح بن حجر العسقلانى الشافعى - خطيب الجامع - صلاة الكسوف. عقيب صلاة الظهر ركعتين، ركع فى كل ركعة ركوعين، أطال فيهما القراءة، فَقَرأت فى قيام الركعتين نحوًا من ستة أحزاب. وكان الركوع نحوًا من القيام والسجود نحو الركوع، فقارب فى أركان الصلاة ما بينها، وأذكرنى بصلاته أهل السلف، ثم صعد بعد صلاته المنبر فخطب خطبتين، وعظ فيهما وأنذر، وذكر. وعم اجتماع الناس جوامع مصر والقاهرة، وظواهرها وعد هذا من حميد أفعال محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمى، فإنه بث أعوانه قبل آذان الظهر، فنادوا فى الأسواق تهيئوا رحمكم الله لصلاة الكسوف». فبادر الناس للتطهر، وأقبلوا يسعون إلى الجوامع طوائف طوائف، ما بين رجال ونساء. وهم فى خشوع وذكر واستغفار، فدفع الله بذلك عن الناس بلاءًا كثيرًا.

وفي هذا الشهر: اتفق وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع عشره حدوث زلزلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها. لا تهدأ، فسقط سور المدينة، وخرجت عامة دورها، بحيث لم يبق بها دار إلا سقطت أو هدم بها شيء، وانقطع من جبل قطعة فى قدر نصف هرم مصر، وسقطت إلى الأرض، وتفجرت عدة أعين من وادى الأزرق، وانطمت عدة أنهر، وكانت الزلزلة تأتى من جهة المغرب إلى جهة المشرق، ولها دوى كركض الخيل، ثم امتدت الزلزلة بعد ثلاثة أيام مدة أربعين يومًا، تعود كل يوم مرة أو مرتين وثلاث وأربع، حتى خرج الناس إلى الصحراء، ثم تمادت سنة.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه نزل المقام الصارمى تل السلطان ظاهر حلب، وقد خرج إليه نائب حلب بعسكرها، وأتته العربان والتركمان، ودخل حلب فى ثالثه[2].

---

(١) هى قناطر حسر شبين، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٦.

وفيه جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، على عادته[١].

وفيه بلغت عدة من ورد من الأموات بالقاهرة إلى الديوان نحو الخمسين، أكثرهم أطفال، وذلك سوى المارستان، وموتهم بأمراض حادة. وحبَّة الموت قل من يمرض منهم ثلاثة أيام، بل كثير منهم يموت ساعة يمرض، أو من يومه.

وفى رابعه: سار الأمير أبو بكر الأستادار إلى الوجه القبلى لأخذ أموال هوارة.

وفى ثامنه: استدعى قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى إلى قلعة الجبل، وقد قدم طائفة من بلد القدس والخليل مع الأمير حسن نائب القدس، للشكوى عليه بأنه أخذ فى أيام نظره من مال وقف الخليل قدرا كبيرًا، فندب السلطان للقضاء بينهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر مفتى دار العدل، وخطيب الجامع الأزهر، فثبت فى جهة الهروى مال كثير بحضرة السلطان، فرسم بإمضاء حكم الشرع فيه، فلما نزل من القلعة وحاذى المدرسة الصالحية بين القصرين، أمره نقيب قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى بالنزول ليعتقل بها، فنزل بعد تمنع، وجلس قليلا وركب يريد منزله، فتسارع إليه الرسل أعوان القضاة وجذبوا بغلته ليردوه إلى المدرسة، فتصايحت العامة وعطعطوا[٢] به وسبوه ورجموه، فعاد عودًا قبيحًا، وقد رحمه من رآه، وأدخل فى دار وأغلق عليه، فلم يمض غير قليل حتى نزل إليه الطواشى مرجان الهندى الخازندار وأخرجه من معتقله، ومضى به إلى داره.

وفيه واقع الأمير ألطنبغا المرقبى هوارة بناحية بنى عدى، وكان قد توجه فى طلبهم إلى ناحية الأشمونين[٣] وترك أثقاله بها، وتبعهم بالعساكر جريدة حتى أدركهم ليلا، فكانت بينهما معركة قتل فيها جماعة وانهزمت هوارة وتشتتوا.

وفى ثانى عشره: جلس الأمير مقبل الدوادار، والقاضى علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، بقلعة الجبل، لعرض بقية أجناد الحلقة، من غير أن يحضر السلطان.

وفيه رسم السلطان للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر أن يرسم على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى ليخرج عما ثبت عليه، فندب له أربعة من أعوان القضاة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٦.

(٢) على هامش ط: هو تتابع الأصوات مع اختلافها. انظر: القاموس المحيط (عط).

(٣) قال ياقوت: أُشْمُون: بالنون وأهل مصر يقولون: الأُشمونين: وهى مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية، وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٠٠.

لازمه منهم اثنان فى داره، أقاما معه فى موضع منهـا، وتوكـل اثنـان ببـابى داره، ومنع من البروز من داره حتى يخرج مما فى قبله.

وفى رابع عشره: نزل مرسوم السلطان إلى الهروى أن يخرج ممـا ثبـت عليـه، ويدفـع إلى مستحقى وقف الخليل مصالحة عما ثبت فى جهته، لو عمل حسـابه، لمـدة مباشـرته مبلغ ثلاثة آلاف دينار، فشرع فى بيع موجوده إلى يوم الثلاثاء نصفه، بعث السلطان من ثقاته أميرًا إلى بيت الهروى، فأخذ منه ما تحت يده من المال المـأخوذ مـن أجنـاد الحلقـة، وهو ألف ألف وستمائة ألف درهم فلوسًا، فلـم يوجـد سوى ألـف ألـف درهـم، وقـد تصرف فى ستمائة ألف درهم عنها نحو ثلاثة آلاف دينار، فشنعت القالـة عليـه، واشتد غضب السلطان منه، وبعث قاضى القضاة شمس الدين محمـد الديـرى الحنفـى إلى نـواب الهروى، فمنعهم من الحكم بين الناس، بمقتضى أنه ثبت فسقه، وحكـم الفاسـق لا ينفـذ وولايته لا تصح عند الإمام الشافعى، وهددهم متـى حكمـوا بـين النـاس، فـانكفوا عـن الحكم.

وفى يوم الأربعاء غده: صعد بعض الرسل المرسمين على الهروى إلى السلطان، وبلغـه - على لسان بعض خواصه - أنه تبين له ولرفقائه أن الهروى تهيأ ليهـرب، فبعـث عـدة من الأجناد وكلهم به فى داره.

وفى يـوم الخميـس سـابع عشـره: نـزل السـلطان إلى جامعـه بجـوار بـاب زويلـة، واستدعى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينـى، فـارتجت القـاهرة، وخـرج النـاس مـن الرجـال والنسـاء علـى اختـلاف طبقـاتهم لرؤيته، فرحًـا بـه، حتـى غصـت الشوارع، فعندما رآه السلطان، قام له وأجلّه، وبالغ فى إكرامه وأفاض عليه التشـريف، وشافهه بولاية القضاة، وتوجه جلال الدين البلقينى مـن الجـامع إلى المدرسـة الصالحيـة، فمر من تحت الربع[1]، وعبر من باب زويلة، وسـلك تحـت شـبابيك الجـامع، وقـد قـام السلطان فى الشباك ليراه، فأبصر من كثرة الخلـق، وشـدة فرحهـم، وعظيـم مـا بذلـوه، وسمحوا به من الزعفران للخلوق، والشموع للوقود، مع مجامر العود والعنـبر، ورش مـاء الورد، وضجيجهم بالدعاء للسلطان، ما أذهله، وقوى رغبته فيه، وسار كذلك حتى أن بغلته لا تكاد أن تجد موضعًا لحوافرها، حتى نزل بالمدرسة الصالحية، ومعـه أهـل الدولـة عن آخرهم، ثم توجه إلى داره، فكان يومًا مشهودًا، واجتماعًا لم يعهد لقاضٍ مثله[2].

---

(١) شارع تحت الربع: يبتدئ من آخر شارع بـاب زويلـة بجوار تكيـة الجلشـنى، وينتهـى لأول شارع باب الخلق من عند درب المذبح. انظر: خطط على مبـارك ٣/ ٢٠٤. وحاليا يسـمى: شـارع أحمد ماهر.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٧.

وفى سادس عشرينه: انتهى عرض أجناد الحلقة.

وفى هذا الشهر: تتبع صدر الدين محتسب القاهرة أماكن الفساد بنفسه، ومعه والى القاهرة، فأراق آلافا من جرار الخمر وكسرها، ومنع النساء من النياحة على الأموات، ومنع من التظاهر بالحشيش، وكف البغايا عن الوقوف لطلب الفاحشة فى الأسواق، ومواضع الريب، وألزم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام الواسعة وتصغير العمائم، حتى لا تتجاوز عمامة أحدهم سبعة أذرع، وأن يدخلوا الحمامات بجلاجل فى أعناقهم، وأن تلبس نساؤهم أزرًا مصبوغة، ما بين إزار أصفر لليهودية، وإزار أزرق للنصرانية، فاشتد قلقهم من ذلك، وتعصب لهم قوم، فعمل بعض ما ذكر دون باقيه.

وبلغت عدة من ورد الديوان من الأموات فى هذا الشهر بمدينة بلبيس[١] ألف إنسان، وبناحية بردين[٢] من الشرقية خمسمائة نفس، وبناحية ديروط من الغربية ثلاثة آلاف إنسان، سوى بقية القرى، وهى كثيرة جدًا.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى ثالثة: بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات بالقاهرة إلى مائة وستة وتسعين، سوى المارستان، ومصر، وبقية المواضع التى لا ترد الديوان، وما تقصر عن مائة أخرى. هذا مع شناعة الموتان بالأرياف، وخلو عدة قرى من أهلها.

وفى خامسه: خدع قاضى القضاة الهروى الموكلين به من الأجناد، حتى مكنوه أن يخرج من داره، فالتجأ إلى بيت الأمير قطلوبغا التنمى، فطار الخبر فى الوقت إلى الأمير مقبل الدوادار وغيره، بأن الهروى قد هرب، وبلغ السلطان ذلك، فبعث الأمير تاج الدين الشويكى أستادار الصحبة إليه، فأخذه من بيت التنمى، وحمله إلى القلعة، فسجنه بها فى أحد أبراجها، وضرب الدوادار الأجناد الموكلين به ضربًا مبرحا.

وفى يوم الخميس ثامنه: نودى فى الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام آخرها يوم الخميس خامس عشره، ليخرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحراء فى رفع الوباء، ثم أعيد النداء فى ثانى عشره أن يصوموا من الغد فتناقص عدد الأموات

---

(١) قال ابن إياس فى ذكر مدينة بلبيس: سميت فى التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب عليه السلام، وذكر ابن خرداذبة أن بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرون ميلاً، وكانت مدينة كبيرة من أجل مدائن مصر إلى أن خربت فى سنة ست وثمانمائة. انظر نزهة الأمم ١٨٦.

(٢) بردين، قرية قديمة من أعمال الشرقية بمركز الزقازيق. انظر: (التحفة السنية، لابن الجيعان، والقاموس الجغرافى لمحمد رمزى).

فيه، وأصبح كثير من الناس صيامًا، فصاموا يوم الثلاثاء، ويوم الخميس، وبطل كثير من الباعة بيع الأقوات فى أول النهار، كما هى العادة فى أول شهر رمضان.

وفى يوم الخميس خامس عشره: نودى فى الناس بالمضى إلى الصحراء من الغد، وأن يخرج العلماء والفقهاء، ومشايخ الخوانك، وصوفيتها وعامة الناس، ونزل الوزير الصاحب بدر الدين بن نصر الله، والأمير التاج الأستادار بالصحبة إلى تربة الملك الظاهر برقوق، ونصبوا المطابخ بالحوش القبلى منها، وأحضروا الأغنام والأبقار، وباتوا هناك فى تهيئة الأطعمة والأخباز، ثم ركب السلطان بعدما صلى صلاة الصبح، ونزل من قلعة الجبل، وهو لابس الصوف، وعلى كتفيه مئزر صوف مسدل كهيئة الصوفية، وعليه عمامة صغيرة جدًا، لها عذبة مرخاة من بين لحيته وكتفه الأيسر، وهو بتخشع وانكسار وفرسه بقماش ساذج، ليس فيه ذهب ولا حرير، وقد أقبل الناس أفواجا.

وسار شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى من منزله، ماشيًا فى عالم كبير، وسار معظم الأعيان من منازلهم، ما بين ماش وراكب، حتى وافوا السلطان بالصحراء قريبًا من قبة النصر، ومعهم الأعلام والمصاحف، ولهم بذكر الله تعالى أصوات مرتفعة، فنزل السلطان عن فرسه، وقام على قدميه، وعن يمينه وشماله القضاة والخليفة، وأهل العلم، ومن بين يديه وخلفه طوائف لا يحصيها إلا خالقها سبحانه، فبسط يديه، ودعا الله وهو يبكى، وينتحب، والجم الغفير يراه ويشهده زمانًا طويلا، ثم ركب يريد الحوش من التربة الظاهرية، والناس فى قدمه وبين يديه، حتى نزل وأكل ما تهيأ، وذبح بيده قربانًا، قربة إلى الله، مائة وخمسين كبشًا سمينًا، من أثمان خمسة دنانير الواحد، ثم ذبح عشر بقرات سمان، وجاموستين، وجملين، وهو يبكى، ودموعه تنحدر - بحضرة الملأ - على لحيته، ثم ترك القرابين على مضاجعها كما هى، وركب إلى القلعة، فتولى الوزير والتاج تفرقتها، صحاحًا، على الجوامع المشهورة، والخوانك، وقبة الإمام الشافعى، وتربة الليث بن سعد[1] ومشهد السيدة نفيسة، وعدة من الزوايا، حملت إليها صحاحا، وقطع منها عدة بالحوش، فرقت لحمًا على الفقراء، وفرق من الخبز النقى يومئذ عدة ثمانية وعشرين ألف رغيف، تناولها الفقراء من يد الوزير، وبعث

---

(١) هو الليث بن سعد (٩٤ - ١٧٥ هـ = ٧١٣ - ٧٩١م) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر فى عصره، حديثا وفقها. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٣٨، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧، صبح الأعشى ٣/ ٣٩٩، ٤٠٠، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٢، الجواهر المضية ١/ ٤١٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦١، حلية الأولياء ٧/ ٣٠٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٣. الأعلام ٥/ ٢٤٨.

منها إلى كل سجن خمسمائة رغيف، وعدة قدور كبار مملوءة بالطعام الكثير اللحم، هذا، وشيخ الإسلام فى طائفة عظيمة من الناس يقرأون القرآن، ويدعون الله حيث وقف السلطان، وشيخ الحديث النبوى - شهاب الدين أحمد بن حجر - فى صرفية خانكاة بيبرس، وغيرهم كذلك، وأهل كل جامع ومشهد وخانكاه كذلك، حتى اشتد حر النهار، انصرفوا، وركب الوزير بعدهم قبيل نصف النهار إلى منزله، فكان يومًا مشهودًا، لم ندرك مثله، إلا أنه بخلاف ما كان عليه السلف الصالح، فقد خرج الإمام أحمد - عن شهر بن حوشب - فى حديث طاعون عمواس[1] أن أبا عبيدة بن الجراح قام خطيبا، فقال: «أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة من ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وأن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لنا حظًا منه» فطعن، فمات. واستخلف معاذ بن جبل، فقام خطيبًا بعده، فقال: «أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة من ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وأن معاذًا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ حظه منه» فطعن ابنه عبد الرحمن، فمات. ثم قام فدعا ربه لنفسه، فطعن في راحته. ولقد رأيته ينظر إلى السماء، ثم يقبل كفه ويقول: «ما أحب أن لى بما فيك شيئا من الدنيا» ومات. فاستخلف عمرو بن العاص، فذكر الحديث. فهذه أعزك الله أفعال الصحابة. وقد عكس أهل زماننا الأمر، فصاروا يسألوا الله رفعه عنهم.

ومن غريب ما وقع فى هذا الطاعون أن رجلا له أربعة أولاد أراد ختانهم وعمل لهم مجتمعًا، بالغ فى عمل الأطعمة ونحوها لمن دعاه، يريد بذلك تفريح أولاده وأهله قبل أن يأتيهم الموت، وقدمهم واحدًا واحدًا ليختتنوا، وهم يسقون الأولاد الشراب المذاب بالماء على العادة، فمات الأربعة فى الحال عقيب اختتانهم، والناس حضور. فاتهم أباهم الخاتن أنه سمهم، فجرح نفسه بالموسى الذى ختنهم به ليبرئ نفسه فانقلب الفرح مأتمًا، وبينما هم فى ذلك، إذ ظهر أن الزير الذى عندهم فيه الماء الذى أخذوا منه ومزجوا به الشراب الأطفال، فيه حية ميتة. تنوعت الأسباب والداء واحد.

وقدم الخبر بحدوث زلزلة عظيمة ببلاد الروم، حدثت يوم كسف الشمس. خسف منها قدر نصف مدينة أرزنكان، هلك فيها عالم كثير، وانهدم من مبانى القسطنطينية شيء كثير، وكان ابن عثمان قد بنى فى برصا قيسارية[2] وعدة حوانيت، خسف بها

---

(١) انظر: تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥١٦ وما بعدها، الكامل ٢/ ٥٥٨ وغيرها.

(٢) قَيسارية: مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم وهى كرسى ملك بنى سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٢١.

وبما حولها، فهلك خلق كثير، لم يسلم منهم أحد. وأن الوباء عم أهل إقريطش[١] والبندقية من بلاد الفرنج، حتى خلتا، وأن الفرنج قد اجتمعوا لحرب ابن عثمان متملك برصا.

وفي ثاني عشرينه: أنزل بالهروى مع معتقله بالبرج، مع الأمير التاج إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، وقد اجتمع قضاة القضاة الثلاث عند شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى بقاعته منها، فأوقف الهروى تحت حافة الإيوان، وادعى الأمير التاج عليه عند الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر - بحضرة القضاة - بما ثبت عليه عنده فى مجلس السلطان، فأجاب بأن ما ثبت عليه قد أدى بعضه، وأنه يحمل باقيه قليلا قليلا، فطلب التاج حكم الله فيه، فأمر بسجنه، حتى يؤدى ما عليه، فأخرج به إلى قبة الصالح[٢] فسجن بها، ووكل به جماعة يحفظونه. فأقام إلى ثامن عشرينه، ونقل من القبة إلى قلعة الجبل من كثرة شكواه، بأنه يمر به من سب الناس ولعنهم له، ما لا يحتمل مثله، وأنه لا يأمن أن يفتك الناس به لكراهتهم فيه، فعندما صار بجامع القلعة، نقل للتاج أن الهروى ما أراد بتحوله من القبة إلى القلعة إلا القرب من خواص السلطان، ليتمكن منهم، حتى يشفعوا له عند السلطان فى خلاصه، فبادر ونقله من جامع القلعة إلى موضع يشرف على المطبخ السلطانى.

وقدم الخبر برحيل ابن السلطان من حلب، ودخل إلى مدينة قيسارية الروم، فى يوم الخميس تاسعه، فحضر إليه أكابرها من القضاة والمشايخ، والصوفية، وتلقوه، فألبسهم الخلع، وطلع قلعتها فى يوم الجمعة، وخطب فى جوامعها للسلطان، وضربت السكة باسمه. وأن شيخ جلبى نائب قيسارية تسحب قبل وصوله إليها، وأنه خلع على الأمير محمد بك قرمان، وأقره فى نيابة السلطنة بقيسارية الروم فدقت البشائر بقلعة الجبل، وفرح السلطان بأخذ قيسارية، فإن هذا شيء لم يتفق لملك من ملوك الترك بمصر، سوى للظاهر بيبرس، ثم انتقض الصلح بينه وبين أهلها.

---

(١) إقريطش: جزيرة فى البحر الشامى، وهى جزيرة عامرة كثيرة الخصب وبها مدن عامرة ودورها خمسة عشر يومًا وبينها وبين ساحل البحر يوم وليلة، وقال هرشيوش: طولها مائة واثنان وسبعون ميلاً فى عرض خمسين ميلاً، وقال آخرون: طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل، ويقال هى بجريان ونصف وبينها وبين الأرض الكبيرة ستون ميلاً من ناحية الغرب ومن شرقيها إلى الأرض الكبيرة يومان، والأرض الكبيرة هى أرض الروم التى تتصل ببلاد الشام. انظر الروض المعطار ٥١، نزهة المشتاق ١٩٣، وصبح الأعشى ٣٧١/٥.

(٢) تقع بجوار المدرسة الصالحية. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٧٤.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات سبعة وسبعين، وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر - أمسه - سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلا، والنساء ستمائة وتسعة وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيرًا، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وسوى ديوان مصر، وسوى من لا يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقصر ذلك عن تتمة العشرة آلاف.

ومات بقرى الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد[١].

وفى يوم الأحد ثانيه: ولد الأمير أحمد ابن السلطان من زوجته سعادات[٢].

وفيه رسم بإخلاء حوش العرب تحت القلعة، مما يلى باب القرافة، فأخرج منه عرب آل يسار بحرمهم وأولادهم، ووقع الشروع فى عمارته.

وفى ثالثه: خلع على الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر، واستقر مدرس الشافعية بالجامع المؤيدى، واستقر الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسى البجائى المغربى النحوى فى تدريس المالكية، واستقر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى فى تدريس الحنابلة، وخلع عليهم بحضرة السلطان، ونزلوا ثلاثتهم.

وفى سادسه: استدعى السلطان الأطباء، وأوقفهم بين يديه، ليختار منهم من يوليه رئاسة الأطباء، فتكلم سراج الدين عمر بن منصور بن عبد الله البهادرى الحنفى، ونظام الدين أبو بكر محمد بن عمر بن أبى بكر، الهمدانى الأصل، البغدادى المولد، ومولده بها فى شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وقد استدعاه السلطان من دمشق، فقدم إلى القاهرة فى شهر ربيع الآخر، وادعى دعوى عريضة فى علم الطب، والنجامة، فظهر البهادرى عليه بكثرة حفظه واستحضاره، وكاد يروج، لولا ما رمى به عند السلطان من أنه لا يحسن العلاج، وأنه مع علمه، يده غير مباركة، ما عالج مريضًا إلا مات من مرضه، فانحل السلاح عنه، وصرفهم من غير أن يختار منهم أحدًا.

وفى سابعه: استدعى بطرك النصارى، وقد اجتمع القضاة ومشايخ العلم عند السلطان، فأوقف على قدميه، ووبخ وقرع، وأنكر عليه ما بالمسلمين من الذل فى بلاد

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩، ٢٣٠.

(٢) هى خَوَنْد سعادات بنت الأمير صرغتمس. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٠.

الحبشة، تحت حكم الحطى[1] متملكها، وهدد بالقتل، فانتدب له محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن العجمى وأسمعه المكروه له من أجل تهاون النصارى فيما أمروا به من التزام الذلة والصغار فى ملبسهم وهيأتهم، وطال الخطاب فى معنى ذلك إلى أن استقر الحال على أن لا يباشر أحد من النصارى فى ديوان السلطان، ولا عند أحد من الأمراء، ولا يخرج أحد منهم عما يلزموا به من الصغار، ثم طلب السلطان بالإكرام فضائل النصرانى كاتب الوزير، وكان قد سجن منذ أيام، فضربه بالمقارع وشهره بالقاهرة، عريانًا بين يدى المحتسب، وهو ينادى عليه «هذا جزاء من يباشر من النصارى فى ديوان السلطان». ثم سجن بعد إشهاره، فانكف النصارى عن مباشرة الديوان ولزموا بيوتهم، وصغروا عمائهم، وضيقوا أكمامهم، والتزم اليهود مثل ذلك، وامتنعوا جميعهم من ركوب الحمير فى القاهرة، فإذا خرجوا من القاهرة ركبوا الحمير عرضًا، وأنف جماعة من النصارى الكتاب أن يفعلوا ذلك، وبذلوا جهدهم فى السعى، فلما لم يجابوا إلى عودهم إلى ما كانوا عليه، تتابع عدة منهم فى إظهار الإسلام، وصاروا من ركوب الحمير إلى ركوب الخيول المسومة، والتعاظم على أعيان أهل الإسلام، والانتقام منهم بإذلالهم، وتعويق معاليمهم ورواتبهم، حتى يخضعوا لهم، ويترددوا إلى دورهم، ويلحوا فى السؤال لهم، ولا قوة إلا بالله[2].

وفيه قدم الخبر بتوجه ابن السلطان من مدينة قيسارية إلى جهة قونية[3] فى خامس عشر شهر ربيع الآخر، بعدما مهد أمور قيسارية، ورتب أحوالها، ونقش اسم السلطان على بابها وأن الأمير تنبك ميق نائب الشام، لما وصل إلى العمق، حضر إليه الأمير حمزة ابن رمضان بجمائعه من التركمان، وتوجه معه هو - وابن أرزر - إلى قريب المصيصة[4]، وأخذ أذنة وطرسوس[5].

وفى ثامنه: عملت عقيقة الأمير أحمد ابن السلطان، وخلع على الأمراء، وأركبوا الخيول بالقماش الذهب على العادة.

وفيه قدم الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، والأمير أبو بكر الأستادار، من الوجه القبلى، وخلع عليهما.

---

(١) هو لقب ملك الحبشة الأكبر. انظر: صبح الأعشى ٥/ ٣٢٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) هى مدينة على شاطئ نهر جيحان من ثغور الشام بالقرب من طرسوس.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٢.

وفيه نادى المحتسب فى شوارع القاهرة ومصر بأن النصارى واليهود لا يمرون فى القاهرة إلا مشاة، غير ركاب، وإذا ركبوا خارج القاهرة، فليركبوا الحمير عرضًا، ولا يلبسوا إلا عمائم صغيرة الحجم، وثيابًا ضيقة الأكمام، ومن دخل منهم الحمام فليكن فى عنقه جرس، وأن تلبس نساء النصارى الأزر الزرق، ونساء اليهود الأزر الصفر، فضاقوا بذلك، واشتد الأمر عليهم، فسعوا فى إبطاله سعيًا كبيرًا، فلم ينالوا غرضًا، وكبست عليهم الحمامات، وضرب جماعة منهم لمخالفته، فامتنع كثير منهم عن دخول الحمام، وعن إظهار النساء فى الأسواق.

وفيه أحضر إلى السلطان ما قدم به الأمير أبو بكر الأستادار من أموال هوارة، وهو مائتا فرس، وألف جمل، وستمائة رأس جاموس، وألف وخمسمائة رأس بقر، وخمسة عشر ألف رأس من الغنم الضأن، وذلك سوى ما تفرق فى الأيدى، وسوى ما هلك واستهلك، وهو كثير جدًا، وقد اختل بهذه النهبات إقليم مصر خللا فاحشًا، فإن الصعيد بكماله قد أقفر من المواشى، وإذا أخذت منه رميت على أهل الوجه البحرى بأغلى الأثمان، فتجحف بهم.

وفى هذه الأيام: كثر تسخير الناس فى العمل بحوش العرب تحت القلعة وتتبعهم أعوان الوالى فى الطرقات، حتى قل سعى الناس فى الطرقات ليلا.

وفيه شرع السلطان فى حفر صهريج بجوار خانكاه بيبرس.

وفى ثالث عشره: درس الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر بالجامع المؤيدى.

وفيه تشاجر الصاحب بدر الدين بن نصر الله، والأمير أبو بكر الأستادار بين يدى السلطان، وتفاحشا، فكثر الإرجاف بهما.

وفى نصفه: رسم أن لايسخر أحد من العامة فى العمل بحوش العرب، فأعفوا وخلص كثير من العمامة.

وفى تاسع عشره: خلع على الوزير والأستادار، بعدما التزما أن يحملا مائة ألف دينار، فلما نزلا، وزعا ذلك على من تحت أيديهما، فعمت هذه البلية جماعة كثيرة بالقاهرة والأرياف.

وفى ثالث عشرينه: لم يشهد السلطان الجمعة، لانتقاض ألم رجله، ولزم الفراش.

وفى رابع عشرينه: وصل محمد بن بشارة - شيخ بلاد صفد فى الحديد وكان قد خرج عن طاعة السلطان، فتطلبه زمانًا، وأزعجه من بلاد صفد إلى أن ترامى بدمشق

على الأمير ناصر الدين محمد بن منجك أحد خواص السلطان وقدم عليه فى سابع صفر، وقد بعث إليه بأمان السلطان، وخلع عليه، وأنزله فلما ظن أنه أمن، تصرف فى أشغاله، وركب فى أرجاء دمشق. فبينما هو فى ذات يوم قد وقف بسوق الخيل - هو وابن منجك - إذ دعاه إلى الدخول على الأمير نكباى نائب الغيبة بدمشق، فدخل معه إليه، ووقف أصحابه - وهم نحو العشرين - على خيولهم، خارج باب السعادة، فما هو إلا أن استقر بابن بشارة المجلس، أشار ابن منجك إلى نكباى بطرفه أن اقبضه، فأحيط به، فأخذ ليدفع عن نفسه، وسل سيفه، فقبض عليه، فسل خنجره، وجرح به من تقدم إليه، فتكاثرت السيوف على رأسه، وأخذ، وقيد، وقبض على العشرين من أصحابه، ووسط منهم أربعة عشر، واعتقل أربعة مع ابن بشارة، ثم حمل محتفظًا به، فاعتقل.

وفى سابع عشره: أخذ قاع النيل فجاء أربعة أذرع، تنقص إصبعين. ونودى بزيادة ثلاثة أصابع.

وقدم الخبر بأن ابن السلطان وصل إلى نكدة[1] فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر، فتلقاه أهلها، وقد عصت عليه قلعتها، فنزل عليها وحصرها، وركب عليها المنجنيق، وعمل النقابون فيها، وأن محمد بن قرمان تسحب من مدينة نكدة فى مائة وعشرين فارسًا، هو وولده مصطفى[2].

وفى سلخه: رسم للأمير التاج الشويكى أن يتوجه إلى البلاد الشامية، مبشرًا بولادة الأمير أحمد ابن السلطان، فسار من غده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

أهل والسلطان ملازم الفراش، وقد تزايد ألمه، والأسعار مرتفعة، والخبز يعز وجوده بالأسواق أحيانا، لكثرة اختزان الغلال، طلبًا للزيادة فى أسعارها.

وفى خامسه: أفرج عن شمس الدين محمد الهروى، ونزل إلى داره فى هيئة جميلة.

وفى ثانى عشره: قدم الخبر بأن ابن السلطان حاصر قلعة نكدة سبعة وعشرين يوما، إلى أن أخذها عنوة، فى رابع عشر جمادى الأولى، وقبض على من فيها وقيدهم، وهم مائة وثلاثة عشر رجلا، ثم توجه فى سادس عشره إلى مدينة لارندة.

---

(١) على هامش ط: نكدة أو نكدا مدينة قديمة صغيرة، بينها وبين قيسارية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٣.

وفى سادس عشره: استدعى قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى - محتسب القاهرة - صدر الدين أحمد بن العجمى طلبًا مزعجًا، لما بلغه أنه انتقص عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فأوقفه بين يديه، وادعى عليه مدع أنه قال: «وإيش هو عبد الله بن عباس بالنسبة إلى الإمام أبى حنيفة رحمه الله، فأمر به فسجن بالمدرسة الصالحية حتى تقام عليه البينة بذلك، وكان سبب هذا أن السلطان لما اشتد به المرض، أفتاه بعض الفقهاء أن يجمع بين كل صلاتين ما دام مريضًا، فلما فعل ذلك أنكره صدر الدين على مقتضى مذهبه، وهو المنع من الجمع بين الصلاتين فى المرض والسفر، وقال للسلطان: «مذهبك حنفى، ولا يجوز تقليدك غير مذهب أبى حنيفة»، فناظره بعض من هناك على جواز الجمع، وأنه ثبت فى صحيح مسلم وغيره، وقد ذهب عبد الله بن عباس إلى الجمع بين الصلاتين فى الحضر من غير عذر، واختار طائفة من أهل العلم الجمع فى حال المرض، فلم يحسن الرد، وقال فى مسلم عدة أحاديث غير صحيحة، وأخذ فى تفصيل أبى حنفية بما نسبوه فيه إلى غضه من ابن عباس وترجيح أبى حنيفة عليه، فشنعوا عليه ذلك، وقد حرك منهم أحقادًا فى أنفسهم أنتجها جرأته وإقدامه، حتى رسم السلطان بإمضاء حكم الشرع فيه، فكان ما ذكر.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، يريد النزول بدار ابن البارزى على النيل(١) فلم يطق حركة الفرس لما به من الألم، فركب المحفة إلى البحر وحمل منها على الأعناق حتى وضع على فراشه، ونقل حرمه معه، ونزل الأمراء فى عدة من دور الناس التى حوله، وصارت الطبلخاناه تدق هناك، وتمد الأسمطة، وتعمل الخدمة على ما جرت به العادة فى القلعة، ولم نعهد بمصر نظير هذا(٢).

وفى تاسع عشره: طلب صدر الدين المحتسب من الصالحية إلى بيت ابن الديرى، ليعزره، فسار ماشيًا ومعه من العامة خلائق لايحصى عددها إلا الذى خلقها، وقد تعصبوا له، وجهروا بسب من يعاديه ويعانده، حتى دخل إلى بيت الديرى، فأدبه بما اقتضاه رأيه من غير إقامة بينه عليه. ثم أفرج عنه، فترك الحكم، والنظر فى أمر الحسبة إلى أن خلع عليه فى ثالث عشرينه ببيت كاتب السر بين يدى السلطان، فسر الناس به سرورًا كبيرًا.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

أهل والسلطان فى بيت ابن البارزى كاتب السر، وينتقل منه وهو محمول على

(١) تقع على النيل ببولاق. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٣.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٣.

الأعناق، تارة إلى الحمام التى بالحكر، وتارة حتى يوضع بالحراقة، ويسير فيها على النيل إلى رباط الآثار النبوية، ثم يحمل من الحراقة إلى الرباط، وتارة يسير فيها إلى القصر من بحر منبابة. وتارة يقيم بالحراقة وهى بوسط النيل نهاره.

ووافى أول مسرى، والنيل على عشر أذرع وستة عشر إصبعًا، والقمح من مائتين وخمسين درهمًا الأردب إلى دونها، والشعير بمائة وثمانين الأردب فما دونها. والشعير والفول بمائة وسبعين وما دونها كل أردب.

وفى ثانى عشره: قدم الخبر بأن ابن السلطان لما تسلم نكدة، استناب بها على باك ابن قرمان، ثم توجه بالعساكر إلى مدينة أركلى ومدينة لارندة[1] فى سادس عشر جمادى الأولى، فوصل إلى أركلى[2] فى ثامن عشره، ثم سار منها إلى لارندة فقدمها فى ثامن عشرينه. وبعث الأمير يشبك اليوسفى نائب حلب، فأوقع بطائفة من التراكمين، وأخذ أغنامهم وجمالهم وخيولهم وموجودهم. وعاد فبعث الأمير ططر والأمير سودن القاضى نائب طرابلس، والأمير شاهين الزردكاش نائب حماة، والأمير مراد خجا نائب صفد، والأمير أينال الأزعرى، والأمير جلبان رأس نوبة، وجماعة من التركمان، فكبسوا على محمد بن قرمان بجبال لارندة فى ليلة الجمعة سادس جمادى الآخرة، ففر منهم وأخذ جميع ما فى وطاقه من خيل وجمال وأغنام وأثقال، وعادوا. فتوجه يريد حلب فى تاسعه، فجهز السلطان إليه ستة آلاف دينار ليفرقها على الأمراء، ويقيم بحلب لعمارة سورها

وفى رابع عشره: تحول السلطان من بيت ابن البارزى إلى بيت نور الدين الخروبى التاجر بساحل الجيزة تجاه المقياس. وكان فى مدة إقامته ببيت ابن البارزى قد أحضر الحراريق من ساحل مصر إلى ساحل بولاق، وزينت بأفخر زينة وأحسنها. وصار السلطان يركب فى الحراقة الذهبية، وبقية الحراريق سائرة معه، مقلعة ومنحدرة، وتلعب بين يديه أحيانًا. والناس على اختلاف طبقاتهم مجتمعون للتفرج، فلا ينكر على أحد منهم، ثم تقدم إلى المماليك السلطانية بلعب الرمح بكر الأيام على شاطئ النيل، وهو يشاهدها، ومع ذلك فإنه لا ينهض أن يقوم، بل يحمل على الأعناق، فمرت للناس ببولاق فى تلك الأيام والليالى أوقات لم نسمع بمثلها. ولم يكن فيها - بحمد الله -

---

(١) تقع فى آسيا الصغرى من بلاد الروم، وهى مركز قضاء قونية. انظر: صبح الأعشى ٣٣٦/٥.

(٢) هى مدينة مرقلة ببلاد الروم، وهى فى شرقى نهر ينزل من جبل العلايا إلى نحو سنوب، وهرقلة عليه فى قرب البحر. انظر: معجم البلدان، صبح الأعشى ٥/ ٣٣٣، بلدان الخلافة الشرقية.

شيء مما ينكر، كالخمور ونحوها، لإعراض السلطان عنها. فلما نزل بالخروبية أرست الحراريق بساحل مصر - كما هى عادتها - إلى أن كان يوم الوفاء، فى سادس عشره، ركب السلطان من الخروبية فى الحراقة على النيل إلى المقياس، ثم إلى الخليج، حتى فتح على العادة. وتوجه على فرسه فى الموكب إلى القلعة، فكانت غيبته عنها فى تنزهه ثلاثين يومًا. وبلغ مقدار ما حمله الأمير أبو بكر الأستادار إلى السلطان منذ باشر إلى آخر هذا الشهر مائة ألف دينار، وستة وعشرين ألف دينار، كلها من مظالم العباد، ما منها دينار إلا وتلف بأخذه عشرة، وتخرب بجبايته من أرض مصر ما يعجز القوم عن عمارته. ولو شاء ربك ما فعلوه[١].

وقدم الخبر بوصول ابن السلطان إلى حلب فى ثالث رجب، وأن الأمير تنبك ميق العلائى نائب الشام واقع مصطفى بن محمد بن قرمان[٢]، وإبراهيم بن رمضان، على أذنه، فانهزما منه، وأن يشبك الدوادار - الفار من المدينة النبوية - أقام ببغداد، عند شاه محمد بن قرا يوسف، منذ قدم عليه، ثم فر منه ولحق بقرا يوسف، لما بينه وبين ابنه شاه محمد من التنكر.

وقدم الخبر من الإسكندرية بتجمع العامة فى سادس عشرينه، وأنهم أخذوا السلاح والأحجار وكسروا للفرنج ثلثمائة بنية[٣] خمر، ثمنها عندهم أربعة آلاف دينار. ثم مالوا على جميع بيوتهم ومخازنهم، فأراقوا ما فيها من الخمر ونهبوها. وتعرضوا لنهب بيوت القزازين، وأراقوا ما وجدوا فيها من الخمر، فكان يومًا مشهودًا. ولم يعلم لهذه الفتنة سبب.

شهر شعبان. أوله الأربعاء.

فى ثامنه: كان نوروز القبط. والنيل على ثمانية عشر ذراعًا تنقص أصبعًا، فلما فتح بحر أبى المنجا، فقص النيل عشر أصابع. وارتفعت الأسعار فبلغ القمح ثلاثمائة درهم الأردب، وزاد سعر اللحم وغيره. وسببه قلة الغلال بالوجه القبلى من خسة وقوعها بعد حصادها، ثم كثرة قطاع الطريق فى النيل وأخذهم المراكب الموسقة بالغلال ونحوها، مع كثرة ما حمل من الغلال إلى الحجاز، لشدة الغلاء به، وشره أهل الدولة وأتباعهم فى الفوائد، واختزانهم الغلال طلبًا للزيادة فى أسعارها.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) فى النجوم «واقع مصطفى آبان محمد بن قرمان، وإبراهيم من رمضان على أَذَنة فانهزموا منه أقبح هزيمة» ١٣/ ٢٣٦.

(٣) هو إناء يشبه البرميل.

فلما كان يوم الخميس سادس عشره: نودى على النيل بزيادة أصبعين بعد رد النقص، فسكن بعض قلق الناس، وتيسر وجود الأخباز بالأسواق.

وفى عشرينه: قدم الأمير التاج الشويكى من الشام.

وفيه تزايد ألم السلطان، و لم يحمل إلى القصر، واستمر به المرض واشتد(١).

وفى ثالث عشرينه: خلع على الأمير التاج، واستقر أمير الحاج.

وفى خامس عشرينه: برز مرسوم السلطان ألا يصرف لأحد من غلمان البيوتات السلطانية، ولا غلمان الأمراء جراية من الخبز. ورسم لجميع مباشرى الأمراء بذلك، فالتزموه. وكان يصرف قديمًا مستمرا عادة لكل غلام رغيفان فى اليوم. ورسم أيضًا أن تكون جامكية السايس على الفرسين ثلاثمائة درهم فى الشهر، وجامكية على الفرسين والبغل ثلاثمائة وخمسين، من غير جراية خبز.

وفيه ابتدأ نقص النيل، وهو ثامن عشر توت، وقد انتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعًا ونصف.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان سحرًا ومعه الأمراء والمماليك، ووقف بهم تحت قبة النصر(٢). وقد بعث أربعين فرسًا إلى بركة الحجاج فأجريت منها، وأتته ضحى النهار، فعاد من موقفه بقبة النصر إلى تربة الظاهر برقوق، ووقف قريبا منها دون ساعة. ثم بعث المماليك والجنائب والشطفة(٣) إلى القلعة، وتوجه إلى خليج الزعفران(٤)، فنزل بخاصته، ثم عاد من آخر النهار إلى القلعة.

وفى سلخه: ركب أيضا إلى بركة الحبش، وسابق بالهجن. ونظر فى عليق الجمال، واستكثره، فرسم أن يصرف نصف عليقة لكل جمل.

وفى هذا الشهر: سرق الفرنج البنادقة من الإسكندرية رأس مرقص الإنجيلى - أحد من كتب الإنجيل - فغضب اليعاقبة من النصارى وأكبروا ذلك، وعدوه وهنًا فى دينهم. وذلك أنهم لا يولون بطركًا إلا ويمضى إلى الإسكندرية، وتوضع هذه الرأس فى

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٦.

(٢) زاوية كان يسكنها الفقراء من العجم فى الصحراء تحت الجبل الأحمر.

(٣) من الشعائر السلطانية فى عصر سلاطين المماليك؛ وهى أشبه بالراية أو العلم ترفع على رأس السلطان.

(٤) كان يقع بأطراف الريدانية، وهى العباسية حاليا.

حجره، زعمًا منهم أن البطركية لا تتم بدون ذلك، وقد اقتصصت فى تاريخ مصر الكبير المقفى أخبار المرقص هذا، فانظره فى حرف الميم، تجده.

شهر رمضان، أوله الخميس.

أهل هذا الشهر والناس فى قلق، لنقص النيل قبل أوانه. وأسعار الغلال مرتفعة. والسلطان بحاله من المرض، إلا أنه تناقص. وقدم الخبر بأن ابن السلطان رحل من حلب فى رابع عشرين شهر شعبان. وأن محمد بن قرمان، وولده مصطفى، وإبراهيم بن رمضان، وصلوا إلى قيسارية، فى سادس عشر شعبان، وحصروا الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائبها، فقاتلهم، وكسرهم، ونهب ما معهم. وقتل مصطفى، وحملت رأسه، وقبض على أبيه محمد بن قرمان، فسجن. وقدم رأس مصطفى بن محمد بك بن قرمان إلى القاهرة فى يوم الجمعة، سادس عشر شهر رمضان، وطيف به ثم علق على باب النصر. وكانت العادة أن تعلق الرءوس على باب زويلة. فلما أنشأ السلطان الملك المؤيد الجامع بجوار باب زويلة، منع من تعليق الرءوس هناك، فعلقت على باب النصر. ودقت البشائر عند قدوم الرأس. وكان من خبره أن الأمير ناصر الدين محمد بك بن على بك بن قرمان، اقتتل مع الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب مدينة أبلستين[1]، فكاده ابن دلغادر بأن تأخر عن بيوته، فنهبها ابن قرمان. فرد عليه ابن دلغادر، وقتل ابنه الأمير مصطفى، بعدما عورت عينه، ففر ناصر الدين إلى مغارة، ومعه بعض من يثق به، فدل عليه رجل نصرانى. فأخذه ابن دلغادر وبعث به، وبرأس ابنه مصطفى. وفر إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن قرمان، إلى بلاده[2].

وفيه قدم الخبر بمسير ابن السلطان من حلب، وقدومه دمشق فى خامسه.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان إلى لقاء ولده، وقد وصل قطيا[3]. فاصطاد ببركة الحاج، ومضى إلى بلبيس . فقدم الخبر بنزول الابن الصالحية. فتقدم الأمراء وأهل الدولة، فوافوه بالخطارة[4]. فلما عاين ابن البارزى كاتب السر، نزل له، وتعانقا. ولم ينزل لأحد من الأمراء غيره، لما يعلم من تمكنه عند أبيه. ثم عادوا معه إلى العكرشة، والسلطان على فرسه. فنزل الأمراء وقبلوا الأرض. ثم نزل المقام الصارمى، وقبل

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٦.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) قرية من أعمال الشرقية بين السعودية والصالحية. انظر: القاموس الجغراف ١/١١٢، القسم الثانى.

الأرض. ثم قام ومشى حتى قبل الركاب، فبكى السلطان من فرحه به، وبكى الناس لبكائه، فكانت ساعة عظيمة. ثم ساروا بموكبيهما إلى المنزلة من سرياقوس[1] وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشرينه. وتقدمت الأطلاب، والأثقال، وزين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى، ناظر الخزانة. ودخلوا القاهرة. وركب السلطان آخر الليل، ورمى الطير بالبركة. فقدم الخبر بكرة يوم الخميس بوصول الأمير تنبك ميق نائب الشام. وكان قد طلب، فوافى ضحى، فركب فى الموكب. ودخل السلطان من باب النصر، وشق القاهرة، وقد زينت، والأمراء قد لبسوا التشاريف الجليلة. وأركبوا الخيول المسومة بقماش الذهب والمقام الصارمى بتشريف عظيم، وخلفه الأسرى الذين أخذوا من قلعة نكدة وغيرها فى الأغلال والقيود، وهم نحو المائتين، كلهم مشاة، إلا أربعة، فإنهم على خيول، منهم نائب نكدة، وثلاثة من أمراء ابن قرمان، وكلهم فى الحديد. ومضى حتى صعد القلعة، فكان يومًا مشهودًا، آذن بانقضاء الأمر فإنها غاية لم ينلها أحد من ملوك مصر، وعند التناهى يقصر المتطلول[2].

شهر شوال، أوله السبت.

فيه صلى السلطان العيد بالقصر، لعجزه عن المضى إلى الجامع من شدة ألم رجله، وامتناعه من النهوض على قدميه[3]. وصلى به وخطب قاضى القضاة جلال الدين البلقينى على عادته، ثم أنشد تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى - على عادته - قصيدًا، أبدع فيها ما شاء.

وفى ثالثه: خلع على الأمير جقمق الدوادار، واستقر فى نيابة الشام، عوضًا عن الأمير تنبك ميق. وخلع الأمير مقبل الدوادار الثانى، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضًا عن جقمق. وأنعم بإقطاع جقمق وإمرته على الأمير تنبك ميق العلاى[4].

وفى رابع عشره: خلع على الأمير قطلوبغا التنمى، أحد أمراء الألوف، واستقر فى نيابة صفد، عوضًا عن الأمير مراد خجا. ورسم بنفى مراد خجا إلى القدس. وأنعم بإقطاع التنمى على الأمير جلبان أمير أخور ثانى.

وفى سابع عشره: رحل الأمير جقمق سائرًا إلى دمشق، بعدما خلفه كاتب السر

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٨.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٨.

ناصر الدين محمد بن البارزى على العادة، فأركبه فرسًا بسرج ذهب وكنبوش ذهب، كما جرت به العادة.

وفى عشرينه: برز الأمير التاج بالمحمل إلى الريدانية ظاهر القاهرة، بعدما خلع عليه خلعة سنية. وتتابع خروج الحاج.

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه، وقد هيئت المطاعم والمشارب، فمد سماط عظيم، وملئت البركة التى بصحنه سكرًا قد أذيب بالماء، وأحضرت الحلاوات، لإجلاس قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى على سجادة مشيخة الصوفية، وتدريس الحنفية، وخطابة القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر. فعرض السلطان الفقهاء، وقرر منهم عند المدرسين السبعة من اختار، ثم أكل على السماط، وتناهبه الناس، وشربوا السكر المذاب، وأكلوا الحلوى. ثم استدعى الديرى وألبس خلعة، واستقر فى المشيخة وتدريس الحنفية. وجلس بالمحراب، والسلطان وولده عن يساره، والقضاة عن يمينه، ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة، فألقى درسًا تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة، حتى قرب وقت الصلاة، ثم انفضوا. فلما حان وقت الصلاة صعد ابن البارزى المنبر، وخطب خطبة من إنشائه، بلغ فيها الغاية من البلاغة، ثم نزل فصلى. فلما انقضت الصلاة، خلع عليه، واستقر فى الخطابة، وخزانة الكتب. ثم ركب السلطان، وعدى النيل إلى الجيزة، فأقام إلى يوم الأحد ثالث عشرينه، وعاد إلى القلعة(١).

وفيه رحل ركب الحاج الأول من بركة الحاج، ورحل التاج بالمحمل من الغد.

وفيه سرح السلطان إلى ناحية شيبين القصر(٢)، وعاد إلى القلعة من الغد.

وقدم الخبر أن الغلاء اشتد بمكة، فعدمت بها الأقوات، وأكلت القطط والكلاب، حتى نفدت، فأكل بعض الناس الآدميين، وكثر الخوف منهم، حتى امتنع الكثير من البروز إلى ظاهر مكة خشية أن يؤكلوا.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فيه ركب السلطان للصيد.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) من أعمال القليوبية، وقد كانت مقطعة لجماعة من أكابر المماليك السلطانية وقد اشتهرت بالقناطر التى أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ على بحر أبى المنجا. انظر الانتصار ٥/٤٩.

وفى ثالثه: سار الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى، والأمير طوغان أمير اخور للحج، على الرواحل(١).

وفى يوم الجمعة سادسه: خلع على زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن التفهنى(٢)، واستقر فى وظيفة قضاء القضاة الحنفية، عوضًا عن شمس الدين محمد بن الديرى، المستقر فى مشيخة الجامع المؤيدى. وكان له من حادى عشرين شوال قد انجمع عن الحكم بين الناس ونوابه تقضى(٣).

وفيه عدى السلطان النيل، يريد سرحة البحيرة. وجعل نائب الغيبة الأمير أينال الأزعرى(٤).

وفى هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، فبلغ القمح إلى ثلاثمائة وخمسين درهمًا

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن علي عبد الرحمن (٧٦٤ - ٩٣٥ هـ = ١٣٦٢ - ١٤٣١ م)، قاضى القضاة «زين الدين أبو هريرة التَفهَنْى المصرى الحنفى قاضى القضاة» بالديار المصرية قال المصنف: ولد سنة بضع وستين وسبعمائة تخمينًا، وقد قام بأمره أخوه الذى عرف بعد ذلك بشمس الدين، وصار من قضاة دمياط، أوقف عبد الرحمن هذا عنده فى طاحون بناحية تفهنا، ثم قدم شمس الدين القاهرة وأقرأ بعض أولاد الأجناد، فقدم عليه أخيه عبد الرحمن هذا عَرّيف الكتاب، ثم أقرأ هو أيضًا بعض أولاد الأجناد بتلك الجهة، وحفظ كتاب القدورى مذهبه. ا.هـ. كلام المصنف. ثم طلب العلم ولازم خدمة العلامة بدر الدين محمود الكُلُسْتَانى قبل أن يلى كتابة السر وأخذ عنه وعن غيره من علماء عصره حتى برع فى الفقه والأصلين والعربية والتفسير، وتصدر للإفتاء والتدريس سنين، وناب فى الحكم مدة طويلة، ثم ترك ذلك دهرًا، ودرس بالصرغتمشية بالصليبية، ثم ولى القضاء استقلالا بالديار المصرية فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، عوضا عن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى برغبته، فباشر التفهنى القضاء مدة إلى أن صرف بقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة وخُلع عليه باستقراره شيخ شيوخ خانقاة شيخو، بعد موت العلامة سراج الدين عمر قارئ الهداية، فدام المذكور معزولا إلى أن أعيد إلى القضاء بعد عزل العينى فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، واستقر صدر الدين أحمد بن العجمى فى مشيخة خانقاة شيخو عوضه، واستمر فى النصب إلى أن مرض، وطال مرضه وعزل بالعينى ثم مات بعد ذلك بأيام يسيرة فى ليلة الأحد ثامن شوال سنة خمس وثلاثين بالقاهرة. وكان فقيها عالما، متبحرا فى المذهب، بصيرا فى الأحكام إلا أنه كان سيئ الخلق. انظر المنهل الصافى ٧/ ١٩١ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٠١ العقد الثمين ٥/ ٣٨٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٣٤٠.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٣٤٠.

الأردب، والشعير إلى مائتين وخمسين، والفول إلى مائتين وعشرة. وذلك أن فصل الخريف مضى و لم يقع مطر بالوجه البحرى، فلم ينجب الزرع، وأتلفت الدودة كثيرا من البرسيم المزروع، حتى أنه تلف بها من ناحية طهرمس[1] وقرية بجانبها ألف وستمائة فدان. وتلف بعض القمح أيضا. هذا وقد شمل الخراب قرى أرض مصر. ومع ذلك فالأحوال متوقفة، والأسواق كاسدة، والمكاسب قليلة، والشكاية عامة، لا تكاد تجد أحدا إلا ويشكو سوء زمانه. وقد فشت الأمراض من الحميات، وبلغ عدد من يرد الديوان من الأموات نحو الثلاثين فى اليوم. والظلم كثير، لا يتركه إلا من عجز عنه. والعمل بمعاصى الله مستمر. و لله عاقبة الأمور.

وفى هذا الشهر: قدم مهنا بن عيسى، وولى إمرة جرم، عوضًا عن على بن أبى بكر بعد قتله. وعاد إلى أرضه. وكان لبسه من المخيم السلطانى.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

أهل والسلطان بعسكره نازل على تروجة.

وفيه منع صدر الدين بن العجمى محتسب القاهرة النساء من عبور الجامع الحاكمى والمرور فيه. وألزم الناس كافة ألا يمروا فيه بنعالهم، فامتثل ذلك، واستمر. وتطهر المسجد - و لله الحمد - من قبائح كانت به بين النساء والرجال، ومن لعب الصبيان فيه، بحيث كان لا يشبه المساجد، فصانه الله بهذا ورفعه.

وفى خامسه: وردت هدية الأمير على باك بن قرمان - نائب السلطنة بنكدة ولارندة ولؤلؤة[2]. وقدم الخبر بقبض الأمير جقمق نائب الشام على نكباى الحاجب بدمشق، واعتقاله. وانتهى السلطان فى مسيره إلى مريوط. وعاد فأدركه الأضحى بمنزلة الطرانة. وصلى به العيد وخطب ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر. وارتحل من الغد، فنزل منبابة بكرة الأحد ثالث عشره. وعدى النيل من الغد إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ودخل الحمام التى أنشأها كاتب السر إلى جانب داره، وهى بديعة الزى. ثم عاد فى يوم الإثنين رابع عشره إلى القلعة، وخلع على الأمراء والمباشرين خلعهم على العادة.

---

(١) طُهُرْمُس: قرية بمصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٥٢، وهى من أعمال الجيزية. انظر قوانين الدواوين ص ١٦٢.

(٢) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس غزاها الملك المأمون وفتحها. ولؤلؤة الكبير: مسلة كبيرة كانت بدمشق خارج باب الجابية. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٦.

وفى ثامن عشره: قرئ تقليد قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى بالجامع المؤيدى، على ما استقر عليه الحال. وحضر عنده القضاة والأعيان على العادة.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: صلى السلطان الجمعة بالجامع المؤيدى، وخطب به كاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى، وصلى. ثم أكل طعامًا أعده له شيخ الشيوخ شمس الدين محمد الديرى وركب إلى الصيد.

وفى سابع عشرينه: وصل الأمير بَكْتَمر السعدى[(١)]، وقد قدم بالأمير شمس الدين محمد باك بن الأمير علاء الدين على باك بن قرمان، صاحب قيسارية وقونية ونكدة ولارندة، وغيرها من البلاد القرمانية، وهو مقيد، محتفظ به، فأنزل فى دار الأمير مقبل الدوادار، ووكل به.

وفى هذا الشهر: زُلزلت مدينة اصطنبول، وعدة مواضع هناك، حتى كثر اضطراب البحر، وتزايد تزايدًا غير المعهود.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير سيف الدين كزل الأرغون شاوى، نائب الكرك، بعدما عزل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بدمشق. فمات فى خامس عشرين المحرم قبل توجهه من مرض طال به مدة[(٢)].

---

(١) بكتمر بن عبد الله السعدى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين. أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية. أصله من مماليك القاضى الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب ودواداره. وإليه ينتسب بالسعدى اشتراه سعد الدين فى صغره، ورباه فى حجر نسائه، وعلمه القرآن، فنشأ على أجمل طريقة وأحسن سيرة من البداية، وطلب العلم والمعرفة بأنواع الفروسية. وترقى بعد موت أستاذه إلى أن صار أمير عشرة، ثم طبلخاناة. وأرسله الملك المؤيد شيخ إلى بلاد اليمن رسولا، فتوجه إلى اليمن، ثم عاد إلى الديار المصرية بعدما أظهر بتلك البلاد من جميل صفاته وغزير عقله وقوة جنانه ما أذهل ملوك اليمن. واستمر على إقطاعه وإمرته إلى أن مات فى يوم الخميس لثلاث عشر مضين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وسنه زيادة على خمسين سنة تقريبًا. ولم يخلف بعده فى أبناء جنسه مثله، دينًا، وعقلا، وشجاعة، وسؤددا وكان رومى الجنس، طوالا، جميلا، مجسمًا، ذا قوة مفرطة يضرب بها المثل، ذا شكالة حسنة ولفظ فصيح، بادره الشيب فى مقدم لحيته قديمًا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، الدليل ١/ ١٩٥، والنجوم ١٤/ ٣١٣، عقد الجمان ١٥/ ١٤٧، الضوء ٣/ ١٧، أنباء الغمر ٣/ ٤٠٧، نزهة النفوس ٣/ ١٣٨ بدائع الزهور ٢/ ١٨٨.

(٢) هو الأمير سيف الدين كُزُل بن عبد الله الأرغون شاوى، أحد أمراء الطبلخانات بديار مصر، ثم نائب الكرك، بعد عزله عن نيابة الكرك، وتوجهه إلى الشام على إمرة طبلخانان، بحكم طُول مرجه، وكان أصله من مماليك الأمير أرغون شاه، أمير مجلس أيام الملك الظاهر برقوق، وكان عاقلا ساكنا. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٥.

ومات الأمير شرف الدين يحيى بن بركة بن محمد بن لاقى الدمشقى، فى يوم الأربعاء حادى عشر صفر، قريبًا من غزة، فحمل ودفن بغزة، يوم الجمعة ثالث عشره. وكان أبوه من أمراء دمشق، ونشأ بها فى نعمة، وصار من أمرائها. وقدم القاهرة مرارًا، آخرها فى خدمة السلطان الملك المؤيد، وصار من أعيان الدولة بالقاهرة. واستقر مهمندارًا، وأستادار النواحى التى أفردها السلطان لعمل غذائه وعشائه. فعرف بأستادار الحلال إلى أن تنكر عليه الأمير جقمق الدوادار، بسبب كلام نقله عنه للسلطان تبين الأمر بخلافه، فرسم السلطان بنفيه من القاهرة، وولى الأمير خُرُز مهمندار عوضه، وأخرج من القاهرة على حمار، فمات - كما ذكر - غريبًا طريدًا[١].

ومات إبراهيم بن خليل بن علوة، برهان الدين بن غرس الدين الإسكندرى، رئيس الأطباء، ابن رئيسها، فى يوم الإثنين آخر صفر، وكان عارفًا بالطب.

ومات الشيخ محمد بن محمود الصوفى، أحد طلبة الحنفية وفضلائهم، فى ثامن عشرين شهر ربيع الأول. وكان لا يكترث بملبس ولا زى، بل يطرح التكلف، ومتهم بحشيشة الفقراء.

ومات أخى، ناصر الدين محمد بن علاء الدين على بن محيى الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المقريزى، يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر. ومولده يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد ابن كاتب السر ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزى الحموى. يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الآخر، وصلى عليه السلطان[٢].

ومات مجد الدين فضل الله بن الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، فى يوم الأحد خامس عشرين ربيع الآخر. ومولده فى رابع عشر شهر شعبان سنة سبع - أو تسع - وستين وسبعمائة، على الشك منه. وكان يقول الشعر ويترسل، كتب فى الإنشاء مدة[٣].

ومات الخواجا نظام الدين مسعود بن محمود الكججانى العجمى، ناظر الأوقاف، فى يوم الأربعاء ثانى عشر جمادى الأولى، وكان قدم إلى دمشق فى زى فقراء العجم

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٥.

المتصوفة، وأقام بهـا، وصـار يلـى المدرسـة الكججانيـة التـى بالشـرف الأعلـى، خـارج دمشق. فلما قدمها الطاغية تيمورلنك اتصل بـه، فبعثـه فـى الرسـالة إلى القـاهرة، وعـاد إليه، وقد أثرى وحسنت حاله، فلم يجد منه إقبالا، وتنكر له، فعـاد إلى دمشـق، وتوجـه إلى بلاد الروم، واتصل بالأمير محمد باك بن قرمان، وأقـام عنـده. ثـم قـدم القـاهرة فـى الأيام المؤيدية. واتصل بالسلطان، فولاه نظر الأوقاف فـى سنة إحـدى وعشـرين، وقـد تزيا بزى الأجنـاد، وصـار يخـاطب بالأمـير، فسـاءت سـيرته، وقبحـت الأحدوثـة عنـه، بأخذه الأموال، حتى ولى الهروى القضاء أخذ منه مالا، وكف يده عن الأوقاف، فشـق عليه ذلك، وأطلق لسانه فى الهروى، ورماه بعظائم. ووضع منه بعد ما كـان مبـالغ فـى إطرائه، ويتجاوز الحد فى تعظيمه. ومات على ذلك، بعد مرض طويل.

ومات عز الدين عبد العزيز بن أبى بكر بـن مظفـر بـن نصـير البلقينـى، أحـد خلفـاء الحكم بالقاهرة، فى يوم الجمعة ثالث عشرين جمادى الأولى. كان فقيها شـافعيا. عارفـا بالفقة والأصول والعربية، رضى الخلق، ناب فى الحكم من سنة إحـدى وتسـعين وسـبع مائة[1].

ومات على بن أمير جرم، ببلاد المقدس، فى وقعة بينـه وبـين محمـد بـن عبـد القـادر شيخ جبل نابلس، فى رابع عشر شوال. وكان كثير الفساد.

وقتل أيضًا صدقة بن رمضان، أحد أمراء التركمان، قريبًا من سيس، فى شوال.

وقتل بالقاهرة محمد بن بشارة، شيخ جبال صفد، فى يوم السبت آخر شوال.

ومات الأمير سودن القاضى[2]، نائب طرابلس، فى رابـع عشـر ذى القعـدة، ومـات الأمير أبو المعالى محمد ابن السلطان، فى عاشر ذى الحجة. ودفن بالجامع المؤيدى.

ومات خضر بن موسى، شيخ عربان البحـيرة، فـى يـوم عيـد الفطـر. وسَّطه الأمـير طوغان التاجى نائب البحيرة.

ومات أحمد بن بدر شيخ عربان البحيرة، فى تاسع شعبان.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٧.

(٢) هو الأمير سيف الدين سودن بن عبد الله القاضى الظاهرى، نائب طرابلس، وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وترقى بعد موته الى أن ولى فى الدولة المؤيدية حجوبية الحجاب ثـم رأس نوبة النوب، ثم قبض عليه، وحبس مدة، ثم أطلقه الملك المؤيد، وولاه كشف الوجه القبلـى ثـم نقلـه إلى نيابة طرابلس بعد مسك الأمير برسباى الدقماقى، أعنى الأشراف، فدام على نيابة طرابلس الى أن مات. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٦.

ومات بالنحريرية الشيخ المعتقد أبو الحسن على بن محمد ابن الشيخ كمال الدين عبد الوهاب، فى المحرم.

* * *

المحتويات

السُّلُوك

لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر

العُبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمّد عبد القادر عطا

الجزء السّابع

سنة ٨٢٣هـ - ٨٤٤هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز والروم، السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، والأمير الكبير ألطنبغا القرمشى. وأتابك العساكر المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان. وأمير أخور الأمير طوغان. والدوادار الأمير مقبل، من أمراء الطبلخاناه. وأمير سلاح الأمير قجقار القردمى. وأمير مجلس الأمير ططر. ورأس نوبة الأمير ألطنبغا من عبد الواحد، المعروف بالصغير، وحاجب الحجاب الأمير ألطنبغا المرقبى[1]. ونائب الشام الأمير جقمق. ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفى. ونائب حماة الأمير شاهين الزردكاش. ونائب صفد الأمير قطلوبغا التنمى. ونائب غزة الأمير أينال السيفى نوروز. ونائب الأبلستين وقيسارية الروم ونكدة ولارندة ولؤلؤة الأمير على باك بن قرمان. ونائب سيس الأمير بردبك العجمى[2].

---

(١) ألطنبغا بن عبد ا لله المرقبى المؤيد (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين. أصله من قدماء مماليك المؤيد شيخ، اشتراه لما كان من جملة أمراء العشرينات وأعتقه، ودام بخدمته فى أيام تلك المحن والفتن إلى أن تسلطن جعلة نائب قلعة حلب، ثم نقله إلى إمرة مائة ألف بعد موت الأمير أقبردى المنقار المؤيد فى سنة عشرين وثمانمائة، ثم استقر حاجب الحجاب بالديار المصرية، فدام على ذلك إلى أن تجرد صحبة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى من جملة الأمراء المجردين إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة. ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد، ووقه ما حكيناه فى غير موضع من القبض على القرمشى وغيره من الأمراء. كان المرقبى هذا من جملة من قبض عليه، ثم أطلق، واستمر بطالا بالقاهرة مدة سنين إلى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأنعم عليه الملك الأشراف برسباى بإمرة عشرة بعد موت الأميلا تمراز الأعور الحاجب، فاستمر على ذلك إلى أن تجرد صحبة الملك الأشرف إلى آمد، وعاد أيضًا فى ركابة فى سنة سبع وثلاثين. ومات الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، والمرقبى هذا على حاله إلى أنعم عليه الملك الظاهر حقمق بإمرة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى أوائل دولته وعاد فيه الرمق، فإنه كان من جملة الأموات وهو فى قيد الحياة، وكان يئس لطول البطالة من السعادة. ولكن أخذ أمره يتراجع حتى أدركته المنية، فكان حاله كقول القائل: إلى أن يسعد المعتر فرغ عمره. ومات فى يوم الإثنين عاشر شهر رجب سنة أربع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، وأنعم على الأمير طوخ من تمراز ثانى رأس نوبة، المعروف بينى بازق. وكان المرقبى جاركسى الجنس، مدور اللحية، للقصر أقرب، مهملا جدًا، ومات وهو فى السبعين تقريبًا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٧٨ وما بعدها.

(٢) بُرْدَبَك بن عبد ا لله الجكمى، المعروف بالعجمى الأعور(٨٥٥ هـ = ١٤١٥ م)، الأمير=

ونائب طرسوس[١] الأمير بيكى باك التركمانى، ونائب أياس الأمير دُرْمِش. ونائب دوركى ناصر الدين محمد بن شهرى. ونائب ملطية الأمير منكلى بغا الأرغون شاوى. ونائب كختا الأمير كزل بغا. ونائب قلعة الروم[٢] الأمير آق قجا. ونائب البيرة الأمير ألطنبغا الصفوى. ونائب الرها الأمير طور على ابن الأمير عثمان بن طور على، المعروف بقرايلك. ونائب جعبر الأمير عمر الجعبرى. ونائب الرحبة الأمير أرغون شاه الشرفى. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هيازع. وأمير ينبع الشريف مقبل بن نخبار الحسنى. ونائب الإسكندرية الأمير ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

أهل والسلطان فى الصيد، فقدم إلى القلعة. وجلس من الغد - يوم الخميس - بالإيوان المعروف بدار العدل. وحضر الأمراء والقضاة وسائر أرباب الدولة. وأوقفت العساكر من المماليك السلطانية. وأجناد الحلقة، والنقباء، والأوجاقية، صفوفًا من تحت القلعة إلى باب الإيوان. وأحضر بالأمير محمد بن قرمان - وهو مقيد - ومعه داود بن دلغادر، فمرا فى العساكر، ثم فى الطبردارية، والسلاح دارية، وبأيديهم السلاح، حتى دخلا، فمثلا قائمين بين يدى السلطان، وقد جلس على تخت الملك. فأمر بإيقاف

=سيف الدين. أصله من مماليك الأمير حكم من عوض، المتغلب على حلب، وخدم بعد أستاذه عند الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش - المدعو بسيد الصغير - ولما أن كان بردبك المذكور راكبًا بخدمة الأمير تغرى بردى، وقعت تخفيفة الأمير تغرى بردى المذكور عن رأسه، فأشار لبردبك هذا أن يناوله التخفيفة من الأرض، فأخذ بردبك قوسه من تركاشه، ومال عن فرسه، وأخذ التخفيفة برأس قوسه. فلما رأى الأمير تغرى بردى منه ذلك، وجه التفاته له أخذ الطبر وضربه به على وجهه ضربة ذهبت منه عين بردبك المذكور. وتغيرت محاصنه من يومئذ، ثم تنقلت به الأيام. ولى عدة ولايات، ثم صار فى أواخر الدولة الأشرفية حاجب حجاب حلب. ثم نقله الملك الظاهر جقمق إلى نيابة حماة فى سنة إثنتين وأربعين وثمانمائة، فدام بها إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة تقريبًا، وقع بينه وبين أهل حماة فتنة آلت إلى قتاله معهم، وقتل من الفريقين جماعة كبيرة، ثم عصى بردبك، وخرج من حماة أشهرًا. ثم طلب الحضور، فلما حضر إلى الديار المصرية قبض عليه، وحبس بالإسكندرية إلى سنة ثلاث وخمسين أطلق وتوجه إلى ثغر دمياط بطالا، ثم طلب بعد ذلك بمدة يسيرة إلى القاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق، عوضًا عن الأمير يشبك النوروزى، حاجب حجاب دمشق، بحكم انتقال يشبك إلى نيابة طرابلس بعد مسك الأمير يشبك الصوفى المؤيدى، ثم استقر بردبك المذكور فى إمرة حاج دمشق، وتوجه إلى الحج وعاد إلى دمشق. انظر المنهل الصافى ٣/٢٥٣، ٢٥٤

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

الأمير دواوين بن دلغادر مع الأمراء، وتأخير ابن قرمان. ثم نهض السلطان قائمًا إلى القصر، وأحضر ابن قرمان وأنعم على داود، وأُركب هو ومملوك أبيه قانباى بالقماش الذهب. ورتب له ما يليق به. ثم أمر بابن قرمان فجلس، ولامه السلطان على تعرضه لطرسوس، وشرهه لما أوجب وقوعه فى الأسر. ووبخه على قبيح سيرته، وتعرضه لأخذ أموال رعيته، وعلى خيانته لكُرشجى بن عثمان متملك برصا، وإحراقه بعض بلاده، بعدما من عليه وأطلقه. فسأل العفو. ثم قال: «لمن يعطى مولانا السلطان البلاد؟» فضحك منه، وقال له: «وما أنت والبلاد؟». ثم أمر به فأخرج إلى الاعتقال، فسجن بالقلعة. وأمر السلطان بأن يكتب ابن قرمان إلى نوابه بالبلاد القرمانية أن يسلموا ما بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان، وأُعلم أنهم متى لم يُسلموا ما قد بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان وإلا قتل، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة بعرفة كانت يوم الأربعاء بخلاف ما كانت بمصر. وأخبروا بأن حاج العراق لم يأتوا. وأن الغلاء شديد بمكة، وأن الغرارة القمح أبيعت بخمسة وعشرين دينارًا، وهى سبع ويبات مصرية. ثم انحطت لما قدم الحاج إلى عشر دينارًا. وأن السمن والعسل واللحم فى غاية القلة؛ لعدم المطر. وأن مسجدى مكة والمدينة قد تشعثا، ويخاف خرابهما. وأن الجانب الشامى من الكعبة قد آل إلى السقوط.

وفى ثالثه: قدم الأميران ألطنبغا القرمشى وطوغان أمير أخور كبير من الحجاز، فكانت مدة غيبتهما تسعة وخمسين يومًا[١].

وفى رابعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وقدم على بار – أحد الأمراء الأينالية من التركمان – فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وجهز الأمير قجقار القردمى رسولا إلى ابن عثمان متملك برصا، وعلى يده كتاب يتضمن القبض على ابن قرمان واعتقاله.

وفيه استقر الأمير شاهين الزردكاش نائب حماة فى نيابة طرابلس. واستقر فى نيابة حماة عوضه الأمير أينال السيفى نائب غزة. واستقر عوضه فى نيابة غزة الأمير أركماس الجلبانى أحد الأمراء مقدمى الألوف بديار مصر. وأفرج عن الأمير نكباى من سجنه بقلعة دمشق، واستقر فى نيابة طرسوس، وإحضار نائبها الأمير تانى بك إلى حلب.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠.

واستقر الأمير خليل الجشارى أحد أمراء الألوف بدمشق فى الحجوبية بدمشق، عوضًا عن نكباى المذكور. واستقر الأمير سنقر المؤيدى نائب قلعة دمشق فى الحجوبية بطرابلس، عوضًا عن الأمير سودن بن على شاه بعد وفاته. واستقر الأمير كمشبغا التنمى فى نيابة قلعة دمشق. واستقر الأمير أقبغا الأسندمرى - الذى كان نائب سيس وحمص - حاجبًا بحماة، وكان بطالا بالقدس، عوضًا عن الأمير سودن السيفى علان، بحكم عزله واعتقاله[1].

وفى سادس عشره: نقل عز الدين عبد العزيز البغدادى من تدريس الحنابلة بالجامع المؤيدى إلى قضاء الحنابلة بدمشق، واستقر عوضه فى التدريس محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى، وخلع عليهما[2].

وفى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. وقدم الأمير التاج بالمحمل من الغد. وكتب بالإفراج عن الأمير برسباى الدقماقى الظاهرى من قلعة المرقب، واستقراره فى جملة الأمراء الألوف بدمشق.

وفى هذا الشهر: أغاث الله الزروع فى الوجه البحرى، وأسقاها، فأخصبت بعدما كانت جافة، فانحل السعر قليلا.

وفيه عز وجود القمح بالوجه القبلى، وبلغ الأردب المصرى إلى دينارين، واقتاتوا بالذرة، وأكثروا من زراعتها، لسوء حالهم، وبوار أرضهم، وخراب قراهم، وقلة المواشى عندهم، حتى لقد صار اللبن عندهم طرفة من الطرف، فسبحان مزيل النعم.

وفيه قدم الخبر بفتنة كانت فى شهر رمضان ببلاد اليمن، ثار فيها حسين بن الأشرف على أخيه الناصر أحمد، وأنه عم بلاد اليمن جراد عظيم، أهلك زروعهم، فاشتد الغلاء عندهم.

وفيه انتقض على السلطان ألم رجله، وتزايد، فلزم فراشه.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه عدى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم على العادة فى كل سنة، فقدم عليه بها فى ثامنه رسول الأمير على باك بن قرمان، نائب لارندة، ونكدة، وقونيا، ومعه هدية وكتاب، يتضمن أنه أخذ مدينة قونيا، وأقام فيها الخطبة باسم السلطان، وضرب

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٠.

الصكة المؤيدية، وأنه محاصر قلعتها.

وفى عشرينه: عدى السلطان النيل عائدا من سرحة أوسيم، فنزل فى بيت كاتب السر على النيل، وبات به، وعمل الوقيد فى ليلة الخميس ثانى عشرينه على ما تقدم. وأكثر فيه من النفط وإشعال النيران، فكانت ليلة مشهودة. وركب بكرة الخميس إلى القلعة. فقدم بالخبر بأن عذرا بن على بن نعير بن حيار احتال حتى قبض الأمير أرغون شاه نائب الرحبة، وحمل إلى عانة. وأن قرايوسف نادى فى عسكره بالتأهب إلى المسير للشام.

وفى سادس عشرينه: نزل السلطان إلى بيت الأمير أبو بكر الأستادار، يعوده وقد مرض، فقدم له تقدمة سنية.

وفى ثامن عشرينه: عُملت خدمة الإيوان بدار العدل، وأحضر برسل الأمير محمد كرجى بن عثمان صاحب برصا وهديته.

وفيه سخط السلطان على صدر الدين بن العجمى المحتسب، لكلام نقل له عنه، فأخرجه من القاهرة إلى صفد، وكتب توقيعه بكتابة السر بها، فخرج بعد الظهر، ونزل بتربة خارج باب النصر، ثم سار فى يوم الجمعة آخره، وقد أزعج إزعاجًا غير لائق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فيه أمر السلطان برد صدر الدين بن العجمى فأعيد إلى القاهرة، وأنزل عند الأمير مقبل الدوادار إلى يوم الإثنين ثالثه، أصعد إلى القلعة، فرسم له بخلعة، فلبسها، واستقر فى كتابة سر صفد. ونزل إلى بيت الأمير مقبل الدوادار، فشفع فيه ألطنبغا الصغير رأس نوبة، فقبل السلطان شفاعته. واستمر فى حسبة القاهرة على عادته، ففرح الناس به فرحًا كبيرًا لمحبتهم إياه، وبالغوا فى إظهار السرور به، وكان السلطان قد تنكر على كاتب السر من أجل إخراج ابن العجمى من القاهرة بغير خلعة، ولم يمهله حتى يأخذ عياله معه. وبالغ فى الإنكار عليه بسبب ذلك، وأسمعه مكروهًا كبيرًا، فنزل فى يوم السبت إلى داره. وكانت عادته دائمًا أن يبيت ليلة الأحد وليلة الأربعاء عند السلطان، فأشيع عزله، وركب الأعيان إليه يترغمون[١] له. فلما كان يوم الإثنين المذكور، ركب إلى القلعة، وباشر وظيفة كتابة السر، ونزل وفى ظنه أن ابن العجمى إنما لبس خلعة بكتابة سر صفد. فعندما رأى حوانيت الباعة بالقاهرة وقد أشعلوا الحوانيت بالقناديل

(١) راغمهم: نابذهم وحجرهم وعاداهم؛ ويقال: رغم فلانا: حجره وعاداه. انظر القاموس المحيط (رغم)، المعجم الوسيط (رغم).

والشموع فيمر ابن العجمى بخلعته عليهم، فرحا بأنه قد عاد إلى الحسبة، غضب ابن البارزى من ذلك، وأسمعهم مكروهًا. ومالت مماليكه على القناديل، فكسروا بعضها، وسبوا ولعنوا. فما كاد ابن البارزى يصل إلى بيته حتى شفع الأمير ألطنبغا الصغير فى ابن العجمى، واستقر فى الحسبة، وشق القاهرة وعليه الخلعة، فتزايد كلام الغوغاء فى ابن البارزى، وجهروا بما يقبح ذكره.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: قدم شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد بن الفنرى(1) الحنفى قاضى مملكة الأمير محمد كُرشجى بن عثمان ببلاد الروم. وكان قد قدم دمشق فى السنة الماضية، يريد الحج. فلما حج وعاد استدعاه السلطان ليستفهم منه أحوال البلاد الرومية، فتمثل بين يدى السلطان، فأكرمه وأنزله عند القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الخزانة، وأجريت عليه الإنعامات. وأمر أهل الدولة بإكرامه، فبعثوا إليه ما يليق به من الهدايا.

وفى خامسه: ركب الأمير أبو بكر الأستادار إلى السلطان، وهو فى شدة المرض بحيث لا يستطيع القيام، ومعه خيول وسلاح وغير ذلك، مما تبلغ قيمته نحو ثلاثين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل وقد اشتد به مرضه، فمات بعد أربعة أيام .

وفى سادسه: خلع على ابن البارزى كاملية صوف بفرو سمور خلعة الرضا.

وفى ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد النبوى عند السلطان على عادته. وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم وأهل الدولة، ورسل ابن عثمان، وابن الفنرى، وكان وقتا جليلا.

وفى يوم الجمعة: أعيد داود ابن الأمير ناصر الدين محمد بك بن دلغادر بهدية إلى أبيه، وقصاد على باك بن قرمان، ومعهم فرس بقماش ذهب، وعدة تعابى فى ثياب سكندرى، وغيرها. وتوجه معه محمود العينتابى ناظر الأحباس، لتحليف نواب قلاع البلاد القرمانية وبلادها. وكتب إلى نواب الممالك، وإلى العربان والتراكمين، بالتهيؤ إلى ملاقاة السلطان، فإنه عزم على المسير لحرب قرايوسف. وسبب ذلك قدوم كتاب قرا

---

(١) الفنرى (٧٥١ - ٨٣٤هـ = ١٣٥٠ - ١٤٣١م) محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفنارى (أو الفَنَرى) الرومى: عالم بالمنطق والأصول. ولى قضاء بردسة. وارتفع قدره عند السلطان «بايزيد خان» وحج مرتين، زار فى الأولى مصر (سنة ٨٢٢هـ) واجتمع بعلمائها، والثانية (سنة ٨٣٣هـ) شكرا لله على إعادة بصره إليه، وكان قد أشرف على العمى، أو عمى، وشفى، ومات بعد عودته من الحج. انظر: الفوائد البهية ١٦٦، مفتاح السعادة ١/ ٤٥٢. الأعلام ٦/ ١١٠.

يوسف يتضمن أن السلطان يجهز إليه الجواهر- التى أخذها منه وهو مسجون بدمشق - كما هى، وإلا سار إليه وخرب البلاد وأخذها.

وفى عاشره: توجه شمس الدين محمد الهروى إلى القدس، على ما كان عليه من تدريس الصلاحية فقط، دون نظر القدس والخليل.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: خلع على الأمير يشبك أينالى المؤيدى، واستقر فى الأستادارية، عوضًا عن الأمير أبى بكر بعد وفاته، وكان قد استقر قبلها فى كشف الجسور بالغربية، وعزل عنها، وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله خلعة الاستمرار فى الوزارة ونظر الخاص.

وفى سابع عشره: أضيف إلى صاحب بدر الدين بن نصر الله أستادارية المقام العالى الصارمى إبراهيم ابن السلطان، وخلع عليه عوضا عن الأمير أبى بكر المتوفى. وأنعم على ولده الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بإمرة طبلخاناه.

وفى ثانى عشرينه: سافر ابن الفنرى قاضى الروم بلاده، بعدما ألقى عدة دروس فى الفقه والأصول بالجامع الباسطى[1] من القاهرة، وجهزه السلطان وأهل الدولة جهازًا جليلا، فسار بتجمل كبير.

وفى رابع عشرينه: قدم قاصد الأمير شاه رخ أمير زه بن تيمورلنك.

وفى سابع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعة بجوار باب زويلة، وحضر دروس المشياخ كلهم، فكان يجلس فى كل حلقة قليلا، والمدرس يلقى درسه. ثم يقوم إلى الحلقة الأخرى، حتى طاف الحلق السبع، وعاد إلى القلعة.

وفى هذا الشهر: عزم السلطان على السفر لقتال قرايوسف. وأخذ فى الأهبة لذلك، وأمر الأمراء به فشرعوا فى ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

فيه وقع الشروع فى بناء منظرة على الخمس وجوه[2] بجوار التاج[3] خارج

---

(١) يقع فى بولاق، وهو مطل على النيل، وقد أنشئ سنة ٨١٧هـ. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢٧.

(٢) منظرة الخمس وجوه، قد أنشأها الأفضل ابن أمير الجيوش، وكان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

(٣) منظرة التاج كانت من جملة المناظر التى ينزلها الخلفاء الفاطميون للنزهة. وقد بناها أيضا الأفضل أمير الجيوش. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

القاهرة[١]، لينشئ السلطان حولها بستانًا جليلا، ويجعل ذلك عوضًا عن قصور سرياقوس، ويسرح إليها كما كانت سرحة سرياقوس.

وفى خامسه: سافر قاضى القضاة علاء الدين على بن مغلى الحنبلى إلى مدينته[٢] لينظر فى أحواله، واستخلف على قضاء القضاة بعض ثقاته.

وفى ثالث عشره: ابتدأ بالسلطان ألَمٌ تجدد له من حبس الإراقة[٣]، مع ما يعتريه من ألم رجله[٤].

وفى سابع عشره: صرف الصاحب بدر الدين بن نصر الله من أستادارية ابن السلطان. وأقيم بدله جمال الدين يوسف بن خضر بن صاروجا المعروف بالحجازى، وأصله من الأكراد، وقدم القاهرة، وترقى حتى عمل أستادارية الأمراء فى الأيام الناصرية فرج. وتمكن عند الأمير طوغان الحسنى الدوادار تمكنًا زائدًا، فعظم قدره. ثم لما قبض على طوغان فر إلى مكة، وأقام بها مدة. ثم حضر إلى القاهرة وباشر الدواليب السلطانية بالوجه القبلى زمانًا، فنكبه الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، وعاقبه وصادره، ثم أفرج عنه فلزم داره حتى الأمير أبو بكر الأستادار، سعى جمال الدين يوسف فى الأستادارية، فأخرق به الصاحب بدر الدين بن نصر الله، وأراد القبض عليه، فلم يمكنه السلطان منه، وعنى به، ثم ولاه بعد ذلك أستادارية ولده.

وفى ثانى عشرينه: اشتد بالسلطان الألم وتزايد به إلى يوم الأربعاء رابع عشرينه، نودى فى القاهرة بإبطال مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة، وهو فى كل سنة نحو ستة آلاف دينار سوى ما يأخذه القبط الكتبة والأعوان - ويقارب ذلك - فبطل، ونقش ذلك على باب الجامع المؤيدى.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية والبحيرة، وكثر الإرجاف بحركة قرايوسف إلى جهة البلاد الشامية.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء:

وفى ثانيه: ركب السلطان - وقد أبل من مرضه - إلى خارج القاهرة وعبر من

---

(١) فى النجوم «خارج القاهرة بالقرب من كوم الريش» وهى بلدة فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٢، الخطط التوفيقية ١٥/ ١٣.

(٢) يقصد بها مدينة حماة.

(٣) الإرق هو امتناع النوم ليلاً. انظر المعجم الوسيط.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٤٢.

باب النصر، وقد زينت المدينة فرحًا بعافيته، وأشعلت الشموع والقناديل، فمر إلى القلعة.

وفى هذه الأيام: مرض المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان، فركب فى يوم الثلاثاء رابع عشره من القلعة فى محفة، لعجزه عن ركوب الفرس، ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطل على البحر، وأقام به. ثم ركب النيل فى غده إلى الخروبية بالجيزة، وأقام بها: وقد تزايد مرضه(١).

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الخمس وجوه، فشاهد ما عمل هناك، ورتب ما اقتضاه نظره من كيفية البناء، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر الديوان المفرد، المطل على بركة الرطلى خارج باب الشعرية، فأقام عنده نهاره، وعاد من آخره إلى القلعة، وقدم له ابن الكويز تقدمة تليق به سوى ما أعده له من المآكل والمشارب.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى شيخ الخانكاة الناصرية فرج، بتربة أبيه الظاهر برقوق خارج باب النصر، واستقر قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى، فاقتصر من نواب الحكم على أربعة، ثم زادهم بعد ذلك(٢).

وفى يوم الأربعاء آخره: نزل السلطان إلى الميدان الكبير الناصرى بموردة الجبس. وكان قد خرب وأهمل أمره، منذ أبطل السلطان الملك الظاهر برقوق الركوب إليه ولعب الكرة فيه، وتشعثت قصوره وجدرانه، وصار منزلا لركب المغاربة الحجاج، فرسم السلطان لصاحب بدر الدين بن نصر الله بعمارته فى هذا الشهر، فعمره أحسن عمارة. فعندما شاهده السلطان أعجب به، ومضى منه إلى بيت ابن البارزى كاتب السر المطل على النيل، ونزل به، وقد تحول المقام الصارمى من الحروبية بالجيزة إلى المنظرة الحجازية(٣)، وهو بحاله من المرض، فزاره السلطان غير مرة، وأنزل بالحريم إلى بيت كاتب السر، فأقاموا به عنده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان الجمعة بجامع ابن البارزى، الذى جدد عمارته، تجاه بيته. وكان

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٣.

(٣) فى النجوم «قاعة الحجازية» ١٣/ ٢٤٣.

يعرف قبل ذلك بجامع الأسيوطى[١]. وخطب به وصلى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، وركب من الغد إلى الميدان، فعمل به الخدمة، وتوجه إلى القلعة.

وفيه نودى أن لا يتحدث فى الأمور الشرعية إلا القضاة، ولا يشكو أحد غريمه على دين لأحد من الحجاب. وسبب ذلك أن القاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى رفع على رجل فى مجلسه من أجل دين لزمه، فاحتمى ببيت الأمير ألطنبغا المرقبى - حاجب الحجاب - وامتنع عن الحضور إلى بيت القاضى. وضرب الحاجب رسوله ضربًا مبرحًا. فلما أعلم القاضى بهذا السلطان، أنكر على المرقبى. ووبخه على ما فعل ونادى بما تقدم ذكره؛ فسعى الأمراء فى نقض ذلك حتى نودى فى يوم الإثنين رابعه - بعد يومين - بعود الحكم إلى الحجاب، وضرب من جهر بالنداء.

وفى سادسه: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، وأقام به[٢].

وفى سابعه: أخذ قاع النيل، فكان ثلاثة أذرع سواء، ونودى عليه من الغد.

وفى يوم السبت تاسعه: ركب السلطان إلى الميدان وعمل به الخدمة، وصعد إلى القلعة.

وفى حادى عشره: ضرب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة بالمقارع، بين يدى السلطان. ونزل وهو عارى البدن على حمار إلى بيت شاد الدواوين، ليستخلص منه مالا. وخلع على ناصر الدين محمد بن أمير أخور واستقر والى القاهرة ومصر وقليوب.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره: حمل المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان على الأكتاف من الحجازية إلى القلعة، لعجزه عن ركوب المحفة، فمات ليلة الجمعة خامس عشره. ودفن من الغد بالجامع المؤيدى. وشهد السلطان دفنه، مع عدم نهضته للقيام، وإنما يحمل على الأكتاف حتى يركب، ثم يحمل حتى ينزل، وأقام السلطان بالجامع إلى أن صلى الجمعة، فصلى به ابن البارزى، وخطب خطبة بليغة. ثم عاد إلى القلعة. وأقام القراء يقرأون القرآن على قبره سبع ليال[٣].

---

(١) يقع بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق. كان موقعه فى القديم غامرا بماء النيل، فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق، أنشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن عمر السيوطى ناظر بيت المال، ومات فى سنة ٧٤٩هـ ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر، وأجرى فيه الماء. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٤، أنباء الغمر ٧/ ٣٨٠، نزهة النفوس ٢/ ٤٧٤.

وفى ثامن عشره: توقف النيل عن الزيادة، وتمادى على ذلك أيامًا. فارتفع سعر الغلال، وأمسك أربابها أيديهم عن بيعها، وكثر قلق الناس، ثم نودى فيهم أن يتركوا العمل بمعاصى الله، وأن يلتزموا الخير. ثم نودى فى ثانى عشرينه أن يصوموا ثلاثة أيام، ويخرجوا إلى الصحراء، فأصبح كثير من الناس صائما، وصام السلطان أيضًا. فنودى بزيادة أصبع مما نقصه، ثم نودى من يوم الأحد غده أن يخرجوا غدًا إلى الجبل وهم صائمون، فبكر فى يوم الإثنين خامس عشرينه شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، وسار من منزله راكبًا بثياب جلوسه فى طائفة، حتى جلس عند فم الوادى، قريبًا من قبة النصر، وقد نصب هناك منبر، فقرأ سورة الأنعام، وأقبل الناس أفواجًا من كل جهة، حتى كثر الجمع، ومضى من شروق الشمس نحو ساعتين أقبل السلطان بمفرده على فرس، وقد تزيا بزى أهل التصوف، فاعتم بمئزر صوف لطيف، ولبس ثوب صوف أبيض، وعلى عنقه شملة[١] صوف مرخاة، وليس فى سرجه - ولا شىء من قماش فرسه - ذهب ولا حرير، فأنزل عن الفرس، وجلس على الأرض من غير بساط ولا سجادة، مما يلى يسار المنبر، فصلى قاضى القضاة جلال الدين ركعتين كهيئة صلاة العيد، والناس من ورائه يصلون بصلاته. ثم رقى المنبر، فخطب خطبتين، حث الناس فيهما على التوبة والاستغفار، وأعمال البر، وفعل الخير، وحذرهم، ونهاهم. وتحول فوق المنبر فاستقبل القبلة، ودعا فأطال الدعاء، والسلطان فى ذلك يبكى وينتحب، وقد باشر فى سجوده التراب بجبهته. فلما انقضت الخطبة انفض الناس، وركب السلطان فرسه، وسار والعامة محيطة به من أربع جهاته، يدعون له، حتى صعد القلعة، فكان يومًا مشهودًا، وجمعًا موفورًا.

وفى مشاهدة جبار الأرض على ما وصفت، ما تخشع منه القلوب، ويرجى رحمة جبار السماء، سبحانه. ومن أحسن ما نقل عنه فى هذا اليوم. أن بعض العامة دعا له، حالة الاستسقاء أن ينصره الله، فقال: «اسألوا فإنما أنا واحد منكم». فلله دره، لو كان قد أيد بوزر أصدق وبطانة خير، لما قصر عن الأفعال الجميلة، بل إنما اقترن به فاجر جرىء، أو خب[٢] شقى.

---

(١) الشَّمْلَةُ: شقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويُتلفع وهو أيضا كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به، جمع شِمال وفى حديث على «إن أبا هذا كان ينسج الشمال بيمينه». انظر المعجم الوسيط (شمل).

(٢) أخب الدابة: خببة: خدعه وأفسده، يقال: خبب عبدًا أو أمة لغيره، وخبب على فلان زوجة: أفسدها عليه، وفى الحديث «من خبب امرأة أو مملوكًا على مسلم فليس منا» انظر المعجم الوسيط.

وفي غده، يوم الثلاثاء: نودى على النيل بزيادته اثنى عشر أصبعًا، بعدما رد النقص، وهو قريب من سبع وعشرين أصبعًا، فتباشر الناس باستجابة دعائهم، ورجوا رحمة الله[1].

وقدم الخبر بنزول قرايوسف على بغداد، وقد عصاه ولده شاه محمد فحاصره ثلاثة أيام، حتى خرج إليه، فأمسكه واستصفى أمواله، وولى عوضه ابنه أصبهان أمير زاة. ثم عاد إلى تبريز لحركة شاه رخ بن تمرلنك عليه.

وفي تاسع عشرينه: خلع على الأمير مقبل الدوادار، والقاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، بنظر الجامع المؤيدى، فنزلا إليه، وتفقدا أحواله.

شهر رجب، أوله السبت:

في ثالث عشره: أدير محمل الحاج على عادته.

وفي نصفه: استدعى السلطان بخلعة لكاتب سر صفد، وبعثها إلى الأمير مقبل الدوادار، وأمر أن يطلب صدر الدين أحمد بن العجمى محتسب القاهرة إلى داره، ويلبسه الخلعة، ويخرجه إلى صفد، فأحضره فى الحال، وألبسه الخلعة، وأمره بالتوجه من القاهرة إلى صفد، فتوجه إلى داره، وانجمع عن التحدث فى الحسبة، وأخذ يسعى فى الإقامة فى القاهرة بطالا. فرسم السلطان أن يخرج إلى القدس بطالا، فسار فى يوم الثلاثاء ثامن عشره.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، ليقيم به على عادته، ونزل الأمراء بالدور من حوله. وصارت الخدمة تعمل هناك.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: سبح السلطان فى النيل مع خاصته، من بيت كاتب السر إلى منية السيرج[2]، ثم عاد فى الحراقة، وكثر التعجب من قوةسبحه مع زمانة رجله، وعجزه عن القيام، لكنه يحمل على الأكتاف، ويمشى به، أو يوضع على ظهر الفرس، ثم يحمل، وينزل عنها. ولما أراد السباحة أقعد فى تخت من خشب، وأرخى من أعلا الدار بحبال إلى الماء، فلما عاد رفع به فى التخت كذلك، حتى جلس على مرتبته. فنودى من الغد يوم الخميس، بزيادة ثلاثين أصبعًا، ولم يزد فى هذه السنة مثلها جملة،

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٥.

(٢) منية الشيرج: بلدة كبيرة طويلة ذات سوق، بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٨؛ وهى الآن تقع فى حى شبرا بالقاهرة.

فتيامن الناس بعوم السلطان، وعدوا ذلك من حملة سعادته. ومن صحة عقيدته أنه لما بلغه قول العوام أن النيل زاد هذه الزيادة البالغة لكونه سبح فيه، فقال: «لو علمت أن ذلك يقع لما سبحت فيه، لئلا يضل العوام بذلك».

وفى عشرينه: خلع على صارم الدين إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى بوظيفة حسبة القاهرة، عوضًا عن صدر الدين بن العجمى فباشرها وهو يتزيا بزى الجند، وقد التزم بحمل ألف دينار، يجبيها من الباعة ونحوهم، فلم تحمد مباشرته.

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه: ركب السلطان النيل للنزهة به، فزار الآثار النبوية، وبر من هناك من الفقراء بمال، ثم توجه إلى المقياس بالروضة، فصلى الجمعة بجامع المقياس[1]، ورسم بهدمه وبنائه، وتوسعته، وترميم بناء رباط الآثار النبوية أيضًا. ثم ركب من الجزيرة الوسطى[2] إلى الميدان الناصرى، وبات به. وركب من الغد يوم السبت إلى القلعة.

وفيه قدم البدر محمود العينتابى ناظر الأحباس من بلاد ابن قرمان، فخلع عليه.

وفى ثالث عشرينه: وجد بكرة النهار خارج القاهرة فرسان، فقيدا إلى بيت الأمير يشبك الأستادار، فعرفا أنهما من خيل ابن العجمى المحتسب، وذلك أنه نزل بلبيس يوم السبت أمسه، وفقد منها عشاء. فارتجت القاهرة بأنه قتل وخرج نساءه مسبيات يصحن صعدن القلعة إلى السلطان، ووجهوا التهمة بقتله إلى ابن البارزى كاتب السر، فأنكر السلطان أن يكون قتل، وقال: «هذه حيلة عملها، وقد اختفى بالمدينة». ثم بعث للكشف عن قتله من أرباب الأدراك فلم يوقف به على خبر. ونودى فى سابع عشرينه بتهديد من أخفاه عنده، وترغيب من أحضره. فظهر فى آخر النهار أنه بعث إلى أهله كتابًا بتضمن أنه من خوفه على نفسه مضى على وجهه. فطلب زوج ابنته، وعوقب على إحضاره، ثم سجن.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير علمان بن طرعلى قرايلك كبس على بير عمر، حاكم أرزنكان من قبل قرايوسف، وأمسكه وقيده، هو وأربعة وعشرين من أهلة وأولاده، وقتل ستين رجلا، وغنم شيئًا كثيرًا.

---

(١) يقع بجوار مقياس النيل بالجزيرة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٩٠.

(٢) جزيرة مصر: وهى محلة من محال الفُسطاط، وإنما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٩ وهى الآن جزيرة مستقلة بنفسها.

شهر شعبان المكرم، أوله الإثنين:

فيه وصل رأس بير عمر حاكم أرزنكان، وكان السلطان قد كتب محاضر وفتاوى بكفر قرايوسف وولده حاكم بغداد، فأفتى مشايخ العلم بوجوب قتاله. ورسم للأمراء بالتهيؤ للسفر، وحملت إليهم النفقات، فوقع الشروع فى تجهيز أمور السفر. ونودى فى رابعه، وقد ركب الخليفة والقضاة الأربع بنوّابهم، وبين يديهم بدر الدين حسن البرديني أحد نواب الحكم الشافعية، وهو راكب يقرأ من ورقة استنفار الناس لقتال قرايوسف، وتعداد قبائحه ومساوئه، فاضطرب الناس، وكثر جزعهم.

وفيه ادعى على الأمير ناصر الدين محمد بن أمير أخور والى القاهرة بأنه قتل رجلا وسطه بالسيف نصفين بغير موجب شرعى. وأقيمت البينة بذلك بحضرة القضاة، وهم بين يدى السلطان، فحكم بقتله، فأخذ ووسط فى الموضع الذى وسط فيه المذكور.

وخلع فيه على الأمير ناصر الدين محمد، ويعرف ببكلمش بن فرى نائب الوجه البحرى وابن والى العرب، واستقر والى القاهرة، عوضًا عن ابن أمير أخور، على مال كبير التزم بحمله مما يجبيه من مظالم العباد، فباشر مباشرة سيئة، وركبته الديون، وهان أمره على العامة، لعدم حرمته، حتى كان أحد المقدمين أحشم منه. وصار الناس يلقبونه «قندورى»؛ لأنه أراد أن يقول «قباى» فغلط وقال «قندورى» فنقبت عليه، وهو بزى النساء أشبه منه بالرجال.

وفى يوم الإثنين ثامنه – وخامس عشرين مسرى –: كان وفاء النيل، فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة، ثم عاد إلى قلعة[1].

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: عقد للأمير الكبير ألطنبغا القرمشى على خوند ستيتة – ابنة السلطان – بصداق مبلغه خمسة عشر ألف دينار هرجة[2]، بالجامع المؤيدى، بحضرة القضاة والأمراء والأعيان.

وفى يوم السبت ثالث عشره: برز الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى إلى الريدانية خارج القاهرة، ومعه من الأمراء ألطنبغا الصغير رأس نوبة، وطوغان أمير أخو، وجلبان المؤيدى أحد مقدمى الألوف، وألطنبغا المرقى حاجب الحجاب، وجرباش الكريمى رأس نوبة، وأقبلاط السيفى دمرداش، وأزدمر الناصرى من مقدمى الألوف، ليتوجهوا إلى حلب، خشية حركة قرايوسف.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٧.

(٢) أى: الدينار المصنوع من الذهب الخالص.

وفيه نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، فأقام به يوم الثلاثاء سادس عشره، توجه إلى الميدان لعرض المماليك السلطانية الرماحة. وعاد من آخره على ظهر النيل. ثم ركب إلى الميدان نهار السبت، وبات به. وتوجه نهار الأحد، فزار الآثار النبوية، وكشف عمارة جامع المقياس بالروضة. وعاد إلى الميدان، فبات به. وعرض الرماحة فى يوم الإثنين. ثم راجع زيارة الآثار النبوية فى يوم الثلاثاء. وعاد إلى مخيمه بالجزيرة الوسطى، فأقام يومه ومعه الأمراء ومباشروه، فأكلوا وشربوا القمز. وعاد إلى الميدان، فبات به ليلتين. ثم رجع إلى بيت كاتب السر فى يوم الخميس، فبات به وصلى الجمعة بجامع كاتب السر. ثم توجه إلى الميدان، فبات به، وركب إلى القلعة بكرة السبت سابع عشرينه. وكان صائمًا فى رجب وشعبان، لم يفطر فيهما إلا نحو عشرة أيام(١).

شهر رمضان المعظم، أوله الثلاثاء:

أهل، وقد انتفض على السلطان ألم رجله.

وفى رابع عشره: خلع السلطان على الصاحب تاج الدين عبد الرازق الهيضم واستقر فى نظر الديوان المفرد، بعد موت صلاح الدين خليل بن الكويز(٢).

وقدم الخبر من غزة أن فى ليلة الأربعاء ثالثه ذبح جمل بسوق الجزارين، وعلق لحمه فى داخل بيت الجزار، فأضاء اللحم كما يضىء الشمع إذا أشعل فيه النار، فأخذ منه قطعة فأضاءت بمفردها، فقطعوه قطعا فأضاءت كل قطعة منه، فأخذوه بجملته ودفنوه من غير أن يأكل أحد منه شيئا، إلا أن رجلا قطع منه قطعة لحم وهى تضىء، وتركها عنده إلى أن أصبح وألقاها لكلب. فلم يأكلها وتركها. وكان لحم هذا الجمل بحيث لو أخذ منه زنة درهم لأضاءت كأنها النجم. وشاهد هذا جماعة لا يحصى عددهم.

وانتهت زيادة النيل فى ثالث بابة إلى ثمانية عشر ذراعًا وثلاثة أصابع، وابتدأ النقص من خامس بابة.

وفى هذا الشهر: ابتدأ مرض القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، كاتب السر.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بالقصر الكبير من القلعة، عجزًا عن المضى إلى الجامع.

وفى رابعه: ركب السلطان فى المحفة إلى منظرة الخمس وجوه التى استجدها، وقد كملت، ثم عاد من يومه.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٢٩.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: تنكر السلطان على الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وضربه بين يديه ضربًا مبرحًا. ثم أمر به فنزل إلى داره على وظائفه. هذا والسلطان مريض.

وفى يوم الإثنين عشرينه: أرجف بموت السلطان، فاضطرب الناس، ونقلوا ثيابهم خوفًا من الفتنة أن تثور. ثم أفاق فسكنوا(١).

وفيه خرج محمل الحاج إلى الريدانية، والحجاج على تخوف من النهب.

وفيه طلب القضاة والأمراء، وجلس السلطان، فعهد إلى ولده الأمير أحمد بالسلطنة من بعد. ومولده فى ثانى جمادى الأولى من السنة الماضية، وله من العمر سبعة عشر شهرًا وخمسة أيام، وجعل الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى القائم بأمره، وأن يقوم بتدبير الدولة حتى يحضر القرمشى من حلب الأمراء الثلاثة وهم: قجقار القردمى، وتنبك ميق، وططر. وحلف الأمراء على ذلك، ثم حلف المماليك من الغد.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، بعد وفاة أبيه، على مبلغ أربعين ألف دينار، يحملها، وكان صدر الدين أحمد بن العجمى لم يزل مختفيًا حتى مات ناصر الدين محمد بن البارزى، فظهر، وعند جمهور الناس أن ابن البارزى ناصر الدين محمد كاتب السر هو الذى قتله، فشفع فيه بعض الأمراء، وكان السلطان فى شغل بمرضه عنه، فقبل شفاعته، ورسم أن يقيم بداره من القاهرة، فلزم داره، وظهرت براءة ابن البارزى.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، ناظر الإصطبل، واستقر فى نيابة كتابة السر، عوضًا عن كمال الدين بن البارزى المنتقل لكتابة السر.

وفى تاسع عشرينه: دخل السلطان الحمام، وقد تناقص ما به من الأمراض فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وفرق مال فى الناس من الفقهاء والفقراء.

وفى هذا الشهر: أعاد قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى نواب الحكم الذين كانوا يلون عمن قبله، واستناب زيادة عليهم عدة من ألزامه.

شهر ذى القعدة أوله الجمعة:

فيه ظهرت دخيرة لناصر الدين محمد بن البارزى، فيها نحو من سبعين ألف دينار،

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٠.

أخذها السلطان.

وفى رابعه: ركب السلطان وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة[١] فنزل بمنظرة الخمس الوجوه إلى يوم الأربعاء سابعه عاد من باب القنطرة، وشق القاهرة بثياب جلوسه، حتى صعد القلعة[٢].

وفى تاسعه: ركب السلطان إلى المنظرة أيضًا، وبات بها، وتصيد من الغد ببر الجيزة، وأقام هناك.

وفيه نزل زين الدين عبد الباسط، ومرجان الهندى الخازندار إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وقد لزم الفراش من يوم ضرب، وأخذا منه خزانة الخاص وسلمت للطواشى مرجان المذكور، فتحدث فى نظر الخاص عن السلطان من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له توقيع، وأنفق من غده عن كسوة المماليك السلطانية نحو ثمانية آلاف دينار.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: عاد السلطان فى المحفة إلى القلعة.

وفى رابع عشره: خلع على الصاحب بدر الدين بن نصر الله خلعة الرضا، واستمراره فى الوزارة والإمرية.

وفيه قرئ توقيع كمال الدين محمد بن البارزى بكتابه السر فى الجامع المؤيدى، بحضرة الأمراء والقضاة وأرباب الدولة والأعيان. و لم يقرأ قبله توقيع كاتب السر.

وفى خامس عشره: ركب السلطان إلى منظرة الخمس الوجوه، وأقام بها إلى سابع عشره، ثم عاد إلى القلعة، وركب فى يوم الأربعاء عشرينه بثياب جلوسه، وعبر من باب زويلة، وشق القاهرة حتى خرج من باب القنطرة إلى المنظرة، فأقام بها إلى يوم الجمعة، وعدى النيل إلى الجيزة، يريد صرحة البحيرة. وخرج الناس على عادتهم بعدما نزل فى يوم الجمعة هذا بدار على شاطئ نيل مصر، وعبر الحمام بجوار الجامع الجديد. ثم خرج إلى الجامع المذكور وصلى به الجمعة. ثم ركب النيل، وهو فى هذا كله يحمل على الأكتاف[٣].

وفى هذا الشهر: فقد لحم الضأن من أسواق القاهرة عدة أيام، وعز وجود لحم

---

(١) هو باب مصر من الجهة القبلية، وسمى باسم القنطرة، التى تقع على الخليج الكبير التى يتوصل إليها من القاهرة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٤٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٢.

البقر، ثم أبيع لحم الضأن بعشرة دراهم الرطل، بعد سبعة، ثم أبيع بتسعة.

وفيه قتل العربان كاشف البهنسى، لكثرة ظلمه وفسقه، وشدة تعديه وعتوه، فلم يؤخذ له بثأر.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثامنه: عاد السلطان من السرحة، بعدما انتهى إلى الطرانة. وقد اشتد به المرض، وأفرط الإسهال، فأرجف بموته، وكادت تكون فتنة. ثم ركب النيل منها عجزًا عن الركوب فى المحفة، حتى نزل منبابة، فأقام بها حتى نحر قليلا من ضحاياه، ثم ركب النيل آخر يوم النحر إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ثم صعد القلعة فى المحفة يوم الثلاثاء حادى عشره، وهو شديد المرض من الإسهال، والزحير[١] والحصاة، والحمى، والصداع، والمفاصل.

وفى ثامن عشره: قدم كتاب سليمان صاحب حصن كيفا، يتضمن موت قرايوسف فى رابع عشر ذى القعدة، مسمومًا، فيما بين السلطانية وتوريز، وهو متوجه إلى قتال شاه رخ بن تيمورلنك[٢].

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج[٣].

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: أرجف بموت السلطان.

وفيه أثبت عهد الأمير أحمد ابن السلطان، على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى، بالسلطنة. ثم نفذ على بقية القضاة، فكثر الاضطراب فى الناس، وتوقعوا الفتنة، واشتد خوف خواص السلطان، ونقلوا ما فى دورهم[٤].

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين محمد بن على الحبرى، فى ثانى عشرين ربيع الأول. وقد ولى حسبة القاهرة ومصر غير مرة، بعدما كان من شرار العامة، بتمعش بنيابة الحكم عند المالكية

---

(١) الزُّحَارُ والزَّحِيرُ: وهو مرض يتميز بتبرز متقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم وتعنٍّ. انظر: المعجم الوسيط (زحل).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

بمصر. ثم وقع فى كفر فى سنة ست وتسعين، فأريد قتله، ثم حقن دمه وعزر بالضرب والحبس. ثم صار بتمعش ببيع السكر فى حانوت بالقاهرة. ويشهر بقبائح من السخف، والمجون، وسوء السيرة.

ومات صاحبنا ناصر الدين محمد بن مبارك الطازى، أخو الخليفة المستعين بالله لأمه. ونعم الرجل كان.

ومات محب الدين محمد بن الخضرى الأسلمى، أحد كتاب القبط، فى عاشر ربيع الآخرة. وكان نصرانيا، وأسلم عن قريب، على يد الأمير فخر الدين الأستادار، فسماه محمدًا كما تقدم، ولقبه محب الدين.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكى، فى رابع عشر جمادى الأولى عن نحو ثمانين سنة - وقد ولى قضاء القضاة المالكية مرتين، الأولى فى الأيام الناصرية فرج، بعد موت نور الدين على بن يوسف بن جلال، فى ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثمانمائة، فأقام أربعة أشهر وعشرة أيام، وصرف فى ثالث عشرين شهر رمضان بابن خلدون. ثم ولى ثانيًا، فأقام خمس سنين وثمانية أشهر ويومين، ومات وهو قاض، وكان فقيهًا، بارعًا فى الفقه. أخذ عن الشيخ خليل. وناب فى الحكم عن العلم سليمان البساطى[١] من سنة ثمان وسبعين وسبعمائة إلى أن استبد بالقضاء. ودرس بالقمحية وغيرها. وعرف بالستر والصيانة وصار المعول على فتاويه مدة سنين[٢].

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن حسين البرقى الحنفى، أحد نواب الحكم

---

(١) سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد (٧٨٦هـ = ١٣٨٤ م) قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع البساطى المالكى. قاضى قضاة الديار المصرية. أصله من شيرابيسون من قرى الغربية بالقرب من النحريرية من أعمال القاهرة، ونزل عمه عثمان بن نعيم بقرية بساط، وكان أخوه خالد والد علم الدين هذا فى حجره، فنشأ ببساط، وولد سليمان هذا بها فعرف بالبساطى، وقدم علم الدين إلى القاهرة واشتغل بها حتى برع فى الفقه وغيره، وناب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين الإخنائى، ثم عن بدر الدين عبد الوهاب الإخنائى، ثم وقع بينه وبين البدر الإخنائى المذكور، فسعى عليه الأمير قرطاى القائم بعد قتل الملك الأشرف شعبان بأمور الدولة، وتولى القضاء فى سابع عشرين ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، عوضا عن بدر الدين الإخنائى. وباشر القضاء بعفة وتقشف، واطراح التكلف فى ملبسه ومجلسه وجميع أحواله. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢٦ وما بعدها. الدليل الشافى ١/ ٣١٢ النجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٠ أنباء الغمر ١/ ٢٩٣ الدرر ٢/ ٢٤٣ نزهة النفوس ١/ ١٠٨ حسن المحاضرة ٢/ ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٧، ٢٩٨.

الحنفية، فى سابع جمادى الآخرة. وكانت سيرته ذميمة(١).

ومات الشيخ على كهنفوش(٢): صاحب الزاوية تحت الجبل الأحمر. وكان مشكور السيرة، محمود الطريقة، له حظ من الأتراك(٣).

ومات صلاح الدين خليل بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، ناظر الديوان المفرد، فى عاشر رمضان(٤).

ومات ناصر الدين محمد بن كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منظور بن أحمد بن البارزى، الجهنى، الحموى، الشافعى، الفقيه، الأديب، النحوى، كاتب السر، فى يوم الأربعاء ثامن شوال، ودفن على ولده الشهابى أحمد تجاه قبر الإمام الشافعى بالقرافة(٥).

ومات الصاحب كريم الدين عبد الله بن شاكر بن عبد الله بن غنام، فى سابع عشرين شوال، وقد أناف على المائة، وحواسه سليمة، وُزِّر مرتين، وأنشأ مدرسة(٦) بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

ومات قرايوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا، صاحب بغداد وتبريز، فى رابع عشر ذى القعدة.

وقتل ملك المغرب صاحب فاس، السلطان أبو سعيد عثمان ابن السلطان أبى العباس أحمد ابن السلطان أبى سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى(٧)، فى ليلة الثالث عشر من شوال، قتله وزيره عبد العزيز اللبانى(٨)، وأقام عوضه ابنه أبا عبد الله محمد. وكانت مدته ثلاثًا وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وأيامًا، خربت فيها فاس(٩) وأعمالها، وذلت بنو مرين، واتضع ملكها، وتلاشى، وفى ذى الحجة سار أبو زيان محمد بن أبى طريق محمد ابن السلطان أبى

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.
(٢) فى أنباء الغمر «على القلندرى».
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.
(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.
(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٨.
(٦) هى مدرسة ابن غنام بحارة كتامة، وتعرف بزاوية الغنامية. انظر الخطط التوفيقية ٢/ ٢٦٢.
(٧) سبق ترجمته.
(٨) وقع فى الضوء اللامع اللبابى.
(٩) سبق ترجمتها.

عنان من تازى. وكان ابن الأحمر قد بعث به من الأندلس لأخذ فاس، فنزل عليها، وبايعه الشيخ يعقوب الحلفاوى الثائر بمدينة فاس، بمن اجتمع معه من أهل البلد، وقاتلوا اللبانى أربعة أشهر[١].

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٣٠٠.

سنة أربع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد. والسلطان بديار مصر والشام والحجاز الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وهو مريض، ومعظم عسكر مصر بمدينة حلب صحبة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر، ومعه من الأمراء طوغان أمير أخور، وألطنبغا من عبد الواحد - المعروف بالصغير - رأس نوبة النوب، وألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، وجرباش الكريمى رأس نوبة، وغيرهم. وعند السلطان من الأمراء قجقار القردمى أمير سلاح، وططر أمير مجلس، وتنبك ميق العلاى، ومقبل الدوادار. والوزير يومئذ الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. ووظيفة نظر الخاص ليست بيد أحد، وإنما يتحدث فيها عن السلطان الطواشى مرجان الهندى الخازندار. وأستادار الأمير يشبك أينالى. وكاتب السر كمال الدين محمد بن محمد بن البارزى، وقاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى الشافعى. وقاضى القضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وقاضى القضاة المالكية بديار مصر شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنابلة علاء الدين على بن مغلى. ونائب الإسكندرية ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن العطار. ونائب غزة أركُماس الجلبانى. ونائب الشام جقمق الدوادار. ونائب حلب يشبك اليوسفى، ونائب قيصرية الروم محمد بك بن دلغادر التركمانى. ونائب صفد قطلوبغا التنمى. ونائب طرابلس أسنبغا الزردكاش. ونائب حماة آق بلاط. وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عُزَيْر بن هيازع، ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل. ومتملك بلاد الشرق شاه رخ بن تيمور كُركان، ومتملك بلاد الروم سلطان محمد كرشجى بن خوندكار بايزيد بن مراد بن عثمان. ومحتسب القاهرة إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام. ووالى القاهرة بكلمش ابن فرى. وكاشف الوجه القبلى دمرداش. وكاشف الوجه البحرى حسين الكردى ابن الشيخ عمر، وكان مشكور السيرة على تقوى، كما ذكر.

شهر ا لله المحرم الحرام، أوله الأحد:

أهل والقمح بمائتى درهم وثمانين درهمًا الأردب فما دونها، والشعير كل أردب

بمائة وسبعين. والفول كل أردب بمائة وستين، وذلك سوى كلفه، ولحم الضأن بتسعة دراهم الرطل، ولحم البقر بستة دراهم ونصف كل رطل. والدينار المشخص بمائتين وعشرة دراهم فلوسًا. والمثقال الهرجة بمائتين وثلاثين درهمًا، وهو قليل الوجود بأيدى الناس. والدراهم المؤيدية كل مؤيدى بسبعة دراهم فلوسًا، وهى كثيرة بأيدى الناس، وقد أتلف أهل الفساد وزنها ونقصوها بهرشها، حتى خفت، وضربوا على مثالها نحاسًا يخالطه يسير من الفضة، فعن قليل تنكشف ويظهر زيفها. والفلوس كل رطل بستة دراهم، وقد فسدت، فإنه صار يخلط مع الفلوس من المسامير الحديد المكسورة، ومن نعال الخيل الحديد، ونحوها من قطع النحاس وقطع الرصاص شىء كثير، بحيث لا يكاد يوجد فى القنطار من الفلوس إلا دون ربعه فلوسًا وباقيه حديد ونحاس ورصاص.

هذا والناس فى القاهرة على تخوف وقوع الفتنة بموت السلطان. وقد كثر عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد. وفحش قتل الأنفس، وأخذ الأموال هناك. ومع ذلك فالأسواق كاسدة، والبضائع بأيدى التجار بايرة، والأحوال واقفة، والشكاية قد عمت، فلا تجد إلا شاكيًا وقوف حاله، وقلة مكسبه. وجور الولاة والحكام وأتباعهم متزايد، فتسأل الله حسن العاقبة.

وفى يوم الخميس خامسه: صعد الأمراء قلعة الجبل، وجلسوا على باب الدار، فخرج إليهم الطواشى واعتذر لهم عن دخولهم، فانصرفوا، وكانوا على هذا منذ أيام. والإرجاف يقوى، فإن السلطان أفرط به الإسهال مع تنوع الأسقام، وتزايد الآلام، بحيث قال لى طبيبه: «لم يبق مرض من الأمراض حتى حصل له». وقد افترق الأمراء فرقا، فطلب الأمراء الذين فى القلعة - وكبيرهم ططر - الأمير التاج الشويكى، وخلعوا عليه فى بعض دور القلعة، وجعلوه والى القاهرة، وشقها فى تجمل زائد، أرهب به من كان يخاف منه أن يمد يده إلى النهب من مفسدى العامة. وما برح الإرجاف بالسلطان فى كل يوم، حتى مات قبيل الظهر من يوم الإثنين تاسعه، فارتج الناس ساعة، ثم سكنوا. فطُلب القضاة والخليفة لإقامة ابن السلطان، فأقيم فى السلطنة. وأخذ فى جهاز المؤيد، وصلى عليه خارج باب القلة، وحمل إلى الجامع المؤيدى، فدفن بالقبة قبيل العصر، و لم يشهد دفنه كثير أحد من الأمراء والمماليك، لتأخرهم بالقلعة، فيما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى[1].

واتفق فى أمر المؤيد موعظة فيها أعظم عبرة، وهو أنه لما غُسل لم يوجد له منشفة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٤ وما بعدها.

ينشف بها، فنشف بمنديل بعض من حضر غسله. ولا وجد له مئزر تُستّر به عورته، حتى أخذ له مُئزر صوف صعيدى من فوق رأس بعض جواريه فستر به، ولا وجد له طاسة يصب عليه بها الماء وهو يغسل مع كثرة ما خلفه من أنواع الأموال.

ومات وقد أناف على الخمسين، وكانت مدة ملكه ثمانى سنين، وخمسة أشهر، وثمانية أيام. وكان شجاعًا، مقدامًا، يحب أهل العلم، ويجالسهم، ويجل الشرع النبوى، ويذعن له، ولا ينكر على من طلبه منه إذا تحاكم إليه أن يمضى من بين يديه إلى قضاة الشرع، بل يعجبه ذلك. وينكر على أمرائه معارضة القضاة فى أحكامهم. وكان غير مائل إلى شىء من البدع. وله قيام فى الليل إلى التهجُّد أحيانًا. إلا أنه كان بخيلا، مسيكًا يشح حتى بالأكل، لجوجًا، غضوبًا، نكدًا، حسودًا، معيانًا[(١)]، يتظاهر بأنواع المنكرات، فحّاشًا، سبابًا بذيًا شديد المهابة، حافظًا لأصحابه، غير مفرط فيهم، ولا مضيعًا لهم، وهو أكثر أسباب خراب مصر والشام، لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن أيام نيابته بطرابلس ودمشق. ثم ما أفسده فى أيام ملكه من كثرة المظالم ونهب البلاد، وتسليط أتباعه على الناس، يسومونهم الذلة، ويأخذون ما قدروا عليه، بغير وازع من عقل ، ولا ناه من دين[(٢)].

* * *

السلطان الملك المظفر أبو السعادات

أحمد بن المؤيد شيخ[(٣)]

أقيم فى السلطنة يوم مات أبوه، على مضى خمس درج من نصف نهار الإثنين، تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانى مائة، وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة أيام. وأركب على فرس من باب الستارة، فبكى. وساروا به وهو يبكى إلى القصر، حيث الأمراء والقضاة والخليفة، فقبلوا له الأرض، ولقبوه بالملك المظفر أبى السعادات. وأمر فى الحال، فنودى فى القلعة والقاهرة أن يترحم الناس على الملك المؤيد، ويدعوا للملك المظفر ولده. وأخذ فى جهاز المؤيد ودفنه.

---

(١) رجل معيان أى شديد الإصابة بالعين. انظر القاموس المحيط ومحيط المحيط ومعجم الوسيط (عين).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٥٥، ٢٥٦ نقلا عن المقريزى.

(٣) انظر: ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٤/ ٣ وما بعدها، نزهة النفوس والأبدان ٢/ ٤٩٤، أنباء الغمر ٤٠٦/٧ وما بعدها، الضوء اللامع ١/ ٣١٣، الأعلام ١/ ١٣٧.

وقبض على الأمير قجقار القردمى أمير سلاح قبل دفن المؤيد، وأحيط بمباشريه وحواصله، بإشارة الأمير ططر، وبات بالقلعة والناس على تخوف.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: عملت الخدمة بالقصر، وعرض على الأمير تنبك ميق أن يتحدث فى أمور الدولة، رفيقًا للأمير ططر، فامتنع من ذلك أشد امتناع، فقام الأمير ططر بأعباء الدولة، وخلع عليه لالا للسلطان وكافله. وخلع على الأمير تنبك ميق هذا، والمظفر قد أجلس وهم حوله. فلما انقضت الخدمة أعيد إلى أمه. واستقر سكنى الأمير ططر بالأشرفية من القلعة، ووقف الأمراء ومباشرو الدولة بين يديه[١].

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: قبض على الأمير جُلبان والأمير شاهين الفارسى، وهما من أمراء الألوف. وطلب قضاة القضاة الأربع إلى القلعة، وختم بحضورهم على حواصل المؤيد بعدما أخرج منها أربعمائة ألف دينار، برسم النفقة على العسكر. فلما كان عشاء، اضطرب الناس ولبس الأمراء والمماليك للحرب، فخرج الأمير مقبل الدوادار فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات ومن المماليك والأتباع، وسروا إلى جهة الشام، فاجتمع الأمراء بكرة الخميس بالقلعة. ونودى بأبطال المغارم التى حدثت على الجراريف[٢] وعمل الجسور بأعمال مصر. ونودى باجتماع المماليك السلطانية للنفقة فيهم، فأخذ كل واحد منهم مائة دينار. ونودى ثالث مرة بحضور أجناد الحلقة، ليرد عليهم ما أخذ منهم المؤيد من المال فى سنة اثنين وعشرين، فسروا بذلك سرورًا زائدًا.

وفيه أخذ الأمير الكبير ططر بيد المظفر، وفيها القلم حتى علّم على المناشير ونحوها، بحضرة الأمراء وأرباب الدولة، واستمر ذلك أحيانا[٣].

وفى يوم الجمعة ثالث عشره: حُمل قجقار القردمى وجلبان وشاهين الفارسى فى القيود إلى سجن الإسكندرية[٤].

وفيه أنفق فى بقية المماليك السلطانية أيضا كما تقدم.

وفى يوم السبت رابع عشره: خلع على الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد إليه نظر الخاص. وخلع على صدر الدين أحمد بن العجمى وأعيد إلى حسبة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤.

(٢) آله تستخدم فى تطهير الترع، وفى جرف الطمى منها. انظر: المعجم الوسيط ١/ ١٢٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨.

القاهرة، عوضًا عن الصارم إبراهيم بن الحسام، وأنعم عليه بصرة فيها ثمانون دينارًا. وأضيف إليه حسبة مصر، ورتب له على ديوان الجوالى[١] فى كل يوم دينار[٢].

وفيه أنفق فى بقية المماليك أيضا، وأفرج عن جماعة سجنهم المؤيد.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير الكبير ططر، واستقر نظام الملك، كافل المماليك. وخلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أمير مجلس، عوضًا عن الأمير ططر. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصروه، أحد رءوس النوب الطبلخاناه، واستقر أمير أخور، وأنعم عليه بتقدمة، عوضًا عن طوغان أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير آق قُجا الأحمدى أحد الطبلخاناه، واستقر أمير مائة. وخلع على الأمير قشتمر أحد العشرات، واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضًا عن ابن العطار. وخلع على الأمير جانبك الصوفى، واستقر أمير سلاح عوضًا عن الأمير قجقار القردمى. وأنعم عليه بخبز آق بلاط الدمرداشى. وخلع على الأمير أينال أحد الطبلخاناه، واستقر رأس نوبة النوب، عوضًا عن الأمير ألطنبغا الصغير أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير يشبك أستادار، خلعة الاستمرار، وخلع على التاج باستمراره فى ولاية القاهرة، وأن يكون حاجبًا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: توجهت القصاد بتشاريف نواب الشام وتقاليدهم المظفرية باستقرارهم على عاداتهم فى كفالاتهم. وكتب الأمير نظام الملك ططر العلامة على الأمثلة ونحوها، كما يكتب السلطان[٣].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ابتدئ بالنفقة فى أجناد الحلقة، ورد على كل أحد منهم ما أخذ منه. وتولى ذلك الأمير نظام الملك بنفسه[٤].

وفيه نودى بكف الناس عن المنكرات كلها، فكثر الدعاء لناظم الملك، وتمشت أحوال الناس، وكثر البيع والشراء، فراجت البضائع وربحت التجار لتوسع أهل الدولة، مما صار إليهم من الأموال.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على قضاة القضاة الأربع، وبقية أرباب الدولة باستمرارهم على عوائدهم فى وظائفهم. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين

---

(١) الجوالى: هو ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة عليهم فى كل سنة.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ٩/١٤.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ٩/١٤.

عبد الوهاب بن نصر الله موقع الأمير نظام الملك. واستقر في نظر أوقاف الأشراف. وكان يليه الأمير ططر منذ مات ناصر الدين محمد بن البارزى[١].

وفيه استعفى علم الدين داود بن الكويز من مباشرة نظر الجيش، فأعفى. وخلع عليه جبة بفرو سمور، ونزل إلى داره.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير مقبل الدوادار إلى قطيا، ومضيه إلى الطينة وركوبه البحر فى غراب قد أعده.

وفى يوم الجمعة عشرينه: نودى بأن الأمير الكبير نظام الملك ططر يجلس للحكم بين الناس، فجلس بعد الصلاة بالمقعد من الإسطبل، كما كان المؤيد يجلس، إلا أنه قعد عن يسار الكرسى، ولم يرقه. وحضر الأمراء على العادة، وقعد كاتب السر على الدكة، فقرأ عليه القصص، كما كان يقرأ فى الأيام المؤيدية. ووقف نقيب الجيش ووالى القاهرة بين يديه، كما كانا يقفان بين يدى المؤيد، فنظر فى ظلامات الناس[٢].

وفى يوم السبت حادى عشرينه: تنكر الأمير الكبير على الصاحب تاج الدين بن الهيصم، وعزله عن نظر الديوان المفرد[٣].

وفى يوم الأحد المبارك ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير نظام الملك ططر فى بقية أجناد الحلقة ما أخذ منهم.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم محمل الحاج ببقية الحجاج.

وفيه طلب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخات، مستوفى[٤] الديوان المفرد، وخلع عليه بوظيفة نظر الديوان المفرد، عوضًا عن ابن الهيصم. وخرج من بين يدى الأمير الكبير، حتى توسط الدهليز طلب ونزعت عنه الخلعة، وأفيض عليه تشريف الوزارة وهو يمتنع، فلم يلتفت إليه ومضى إلى داره. وكان ذلك برغبة ابن نصر الله عن الوزارة، وتعيينه لها عوضه. وطُلب ابن الهيصم، وخلع

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠، ١١.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١.
(٤) المستوفى من كتاب الأموال بالدواوين، وعمله هو ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أموال ونحو ذلك. انظر: صبح الأعشى ٥/ ٤٦٦، قوانين الدواوين ٢٩٨، ٣٠١ نهاية الإرب ٣/ ٢٩٩.

عليه وأعيد إلى نظر الديوان المفرد. وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره فى نظر الخاص. وخلع على الأمير يشبك باستقراره ملك الأمراء كاشف الكشاف[١] بالوجهين القبلى والبحرى، مضافا للأستادارية.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر، واستقر فى نظر الجيش، عوضًا عن علم الدين داود بن الكويز[٢].

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: جلس الأمير الكبير ططر بالمقعد السلطانى من الإسطبل بعد صلاة العصر، للحكم بين الناس. وأخرج المسجونين وعرضهم، فعزل من عليه دين منهم ليصالح غرماءهم عن ديونهم.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: توجه الأمير يشبك أستادار، وكاشف الكشاف، إلى الوجه القبلى، فى عدة من الأجناد.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على القاضى علم الدين داود بن الكويز، واستقر فى نظر ديوان الإنشاء كاتب السر عوضًا عن كمال الدين محمد بن البارزى، فتسلم القوس غير راميها، ووسدت الأمور إلى غير أهليها.

وفيه خلع أيضا على عدة من موقعى الدست، خلع الاستمرار.

شهر صفر:

أهل بيوم الثلاثاء: والإرجاف متزايد بأن أهل الشام قد امتنعوا من طاعة الأمير ططر.

وفى يوم الجمعة رابعه: جلس الأمير ططر للحكم على العادة.

وفى سابعه: قدم الخبر بأن الأمير جقمق نائب الشام أخذ قلعة دمشق واستولى على ما فيها من الأموال وغيرها، وكان بها نحو المائة ألف دينار، فاضطرب أهل الدولة.

وفى عاشره: جمع الأمير الكبير ططر عنده بالأشرفية من القلعة قضاة القضاة وأمراء الدولة ومباشريها، وكثيرًا من المماليك السلطانية، وأعلمهم بأن نواب الشام والأمير ألطنبغا القرمشى ومن معه من الأمراء المجردين لم يرضوا بما عمل بعد موت المؤيد، ولابد للناس من حاكم يتولى تدبير أمورهم، ولابد أن يعينوا رجلا ترضونه ليقوم بأعباء

(١) كاشف الكشاف: هو رئيس الكشاف، وكانت رتبته أمير مائة مقدم ألف، وهو الذى يشرف على أحوال الأراضى والجسور. انظر: صبح الأعشى ٢٥/٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٢/١٤.

المملكة ويستبد بالسلطنة. فقال الجميع «قد رضينا بك». وكان الخليفة حاضرًا فيهم، فأشهد عليه أنه فوض جميع أمور الرعية إلى الأمير الكبير ططر، وجعل إليه ولاية من يرى ولايته، وعزل من يريد عزله من سائر الناس، وأن يعطى من شاء ما شاء ويمنع من يختار من العطاء، ما عدا اللقب السلطانى، والدعاء له على المنابر، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، فإن هذه الثلاثة أشياء باقية على ما هى عليه للملك المظفر. وأثبت قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى هذا الإشهاد، وحكم بصحته. ونفذ حكمه قضاة القضاة الثلاثة. ثم حلف الأمراء للأمير الكبير يمينهم المعهودة. وكان سبب هذا أن بعض فقهاء الحنفية تقرب إلى الأمير الكبير بنقل أخرجه إليه من فروع مذهبه أن السلطان إذا كان صغيرًا وأجمع أهل الشوكة على إقامة رجل ليتحدث عنه حتى يبلغ رشده نفذت أحكامه، وأقام أياما يحسن له ذلك، فاتفق ورود الخبر باستيلاء جقمق على قلعة دمشق. ثم ردفه خبر آخر، بأنه جهز عدة أمراء إلى غزة، فعمل ما تقدم ذكره ليكون فيه تقوية لقلوب العسكر، وأنهم على حق، ومن يخالفهم على باطل[1].

وفى يوم الإثنين رابع عشره: خلع على عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج، واستقر فى كشف الشرقية وولاية قطيا، وله من العمر خمسة عشر سنة أو أكثر منها، فتحكم فى دماء الخليقة وأبشارها من لم يجعل الله له تحكما فيما يرثه من أبيه، لعدم رشده.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشره: خسف جميع جرم القمر.

وفى يوم الثلاثاء هذا: قدم سيف نائب حلب الأمير يشبك اليوسفى المؤيدى، وقد قتل. وكان من خبره أنه لما ورد خبر موت المؤيد على الأمير ألطنبغا القرمشى وهو بحلب، جمع الأمراء وفيهم الأمير يشبك نائب حلب، وحلّفهم للسلطان الملك المظفر، وأخذ فى رحيله بمن معه، فلم يتكامل رحليهم حتى ركب يشبك فى جمع من التركمان، وهجم عليهم وهم فى جدران المدينة، فقاتلوه وقد مالت معهم العامة، فتقنطر عن فرسه، فأخذ وقتل، وذلك فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار خلق الله، لما هو عليه من الفجور والجرأة على الفسوق، والتهور فى سفك الدماء، وأخذ الأموال. وكان المؤيد قد استوحش منه لما يبلغه من أخذه فى أسباب الخروج عليه، وأسرَّ للأمير ألطنبغا القرمشى إعمال الحيلة فى القبض عليه، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وأخذه أخذًا وبيلا، ولله الحمد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/١٣، ١٤.

وفى يوم الخميس سابع عشره: قدم الأمير قُجق العيسوى حاجب الحجاب، والأمير بيبغا المظفرى وقد أفرج عنهما من سجن الإسكندرية. وقدم يشبك الساقى الأعرج وكان قد نفاه المؤيد من دمشق إلى مكة. وقد حضر إليه من حلب فى حصاره الأمير نوروز بحيلة دبرها عليه، حتى استنزله من قلعة حلب. فلما ظفر بنوروز أراد قتله فيمن قتل من أصحابه، فشفع فيه الأمير ططر فأخرجه إلى مكة فأقام بها سنين. ثم نقله إلى القدس، فلم تطل إقامته بها حتى مات المؤيد وتحكم الأمير ططر، فاستدعاه. وكان له منذ خرج من القاهرة نحو العشرين سنة، فإنه خرج فى نوبة بركة الحبش من سنة أربع وثمانى مائة.

وفيه أيضا قدم سودن الأعرج من قوص، وقد نفى إليها من سنين عديدة.

وفيه أفرج عن الأمير ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، وخلع عليه، ورسم بتجهيزه ليعود إلى مملكته. وأنعم عليه بمال وثياب وخيول وغير ذلك، فسار فى النيل يوم السبت سادس عشرينه إلى جهة رشيد(١)، ليتوجه منها.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فيه ورد كتاب الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى من حلب، يتضمن أنه لما قتل الأمير يشبك نائب حلب، ولى عوضه نيابة حلب الأمير ألطنبغا الصغير، وأنه عندما ورد عليه خبر موت السلطان بعدما عهد بالسلطنة من بعده لابنه، وأن يكون القائم بأمور الدولة ألطنبغا القرمشى، وأنه قد أقيم فى السلطنة الملك المظفر كما عهد، أخذ فى الرحيل إلى مصر كما رسم له به. فكان من أمر يشبك ما كان، فاشتغل عن المسير. ثم ورد عليه الخبر باستقرار نواب المماليك الشامية على عوائدهم فيما بأيديهم، وتحليفهم للسلطان الملك المظفر، وللأمير الكبير ططر، فحمل الأمر فى ذلك على أنه غلط من الكاتب، وسأل أن يفصح له عن ذلك، فأجيب بأنه بعد ما عهد المؤيد لابنه، وأقيم من بعده فى السلطنة طلب الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية أن يكون المتحدث فى أمور الدولة كلها الأمير ططر، ورغبوا إليه فى ذلك، ففوض إليه الخليفة جميع أمور المملكة، ما عدا اللقب السلطانى والخطبة والسكة، فليحضر الأمير ومن معه ليكونوا على إمرياتهم. وأنكر عليه استقرار ألطنبغا الصغير(٢) فى نيابة حلب من غير استئذان(٣).

---

(١) رشيد: بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥.

(٢) ألطُنبُغا بن عبد الله بن عبد الواحد الظاهرى(٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالصغير هو من صغار المماليك الظاهرية برقوق، وممن ترقى فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن=

وفيه أيضا قدم الخبر بأن على بن بشـارة قَاتَل الأمير قطلوبغا التنمى نـائب صفد، فـامتنع بالمدينـة، فحصروه حتى فر إلى دمشـق. وأن الأمـير جقمـق استعد بدمشـق، واستخدم جماعة، وسكن قلعة دمشق.

وفى تاسعه: خلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أتابك العساكر، عوضا عـن الأمير ألطنبغا القرمشى. وأنعم عليه بإقطاعه. وأنعم بإقطاع تنبك ميقق على الأمير أينـال الأزعرى. وأنعم بإقطاع أينـال الأزعـرى علـى الأمـير قُجُـق العيسـوى. وأنعـم بإقطـاع الأمـير طوغـان أمير أخـور - أحـد المجرديـن - علـى الأمير تغرى بـردى الأقبغـاوى، المعروف بأخى قصروه. وأنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا من عبد الواحـد المعـروف بالصغـير رأس نوبة المستقر فى نيابة حلب، على سـودن العـلاى. وأنعـم بإقطـاع سـودن العـلاى على قَطُج من تمرار. وأنعم بإقطاع الأمـير أزدمـر النـاصرى[1] - أحـد المجرديـن - علـى الأمير بيبغا المظفرى. وأنعـم بإقطـاع الأمـير جربـاش مـن عبـد الكريـم علـى تمربيـه مـن قرمش. وبإقطاع على أركمـاس اليوسـفى. وبإقطـاع أركمـاس علـى سـودن الحمـوى. وبإقطاع سودن الحموى على شاهين الحسنى وتغرى بردى المحمدى قُسِّم بينهما. وأنعـم

=صار أميرا ومقدم ألف ، ثم ولاه رأس نوبة النوب بعـد الأمـير ططر، بحكـم انتقـال ططر إلى إمـرة مجلس. واستمر الأمـير ألطنبغـا علـى ذلـك، إلى أن تجرد صحبـة الأمـير ألطنبغـا القرمشـى إلى البـلاد الشامية، ووقع ما حكيناه قريبًا فى ترجمة القرمشى، ومن تولية المذكور لنيابـة حلـب بعـد قتـل الأمـير بشتك اليوسفى المؤيدى. واستمر ألطنبغا الصغير هذا فى نيابة حلب إلى أن بلغه أن الأمير ططر قبـض على القرمشى وقتله تخوفا منه، وخرج من حلب فارًا، فلقيه بعض تركمان الطاعـة، فركبـوا وقـاتلوه، فقاتلهم قتالا شديدًا، ثم إنكسر وأُمسـك وقُتـل بمعاملـة البـلاد الحلبيـة، فـى تاسـع شـعبان سـنة أربـع وعشرين وثمانمائة. وكان شـابًا ظريفًـا تركيـا، مليـح الشـكل، شـجاعًا، سـخيًا، ولـه مشـاركة هينـة، ويستحضر بعض تاريخ وكثيرًا من السيرة النبوبة، وكان منهمكـا فـى اللـذات. انظـر المنهـل الصـافى ٣/٦٦، ٦٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٨.

(١) أزدمر عبد الله الناصرى، الأمير سيف الديـن (٨٢٤ هـ = ١٤٢١م). أحـد أمـراء الألـوف بالديار المصرية، أصله من مماليك الظاهر برقوق ونسبته بالناصرى إلى جالبه خواجا ناصر الدين، مات أستاذه الملك الظاهر وهو من جملة المماليك السلطانية، وتنقل فى الدولة حتى صار فى الدولـة المؤيـدة شيخ أمير مائة ومقدم ألـف بديـار مصـر، واستمر علـى ذلـك إلى أن تجرد صحبـة الأمـير إلى البـلاد الشامية، ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد ثم سافر الأتابك ططر إلى بـلاد الشـام، ووقـع لـه أمـور وحوادث، وقبض على الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى وعلى جماعة أخر ممن كانوا صحبة، قبـض علـى أزدمر هذا أيضا معهم، وكان ذلك آخر العهد به، وذلك سـنة أربـع وعشـرين وثمانمائـة. وكـان امـير حليلا ذا لحية بيضاء نيرة، رأسا فى العب الرمح وغيره من أنواع الفروسية، وعنده سلامة بـاطن، ولـه وجاهة فى الدول. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٥١، ٣٥٢.

بإقطاع الأمير جلبان المؤيدى أمير أخور على ألى بيه من علم شيخ الدوادار. وأنعم بإقطاع ألى بيه على الديوان المفرد، زيادة فيه. وأنعم بإقطاع الأمير مقبل الدوادار على جقمق الخازندار. وأنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب على قصروه التمرازى. وأنعم بإقطاع جانبك من حمزة على قانبيه الحمزاوى. وأنعم بإقطاع قصروه على مغلباى البوبكرى[١].

وفى يوم الأحد حادى عشره: عوق القاضى كمال الدين محمد بن البارزى ناظر الجيش، وحموه الأمير ناصر الدين محمد بن العطار نائب الإسكندرية بالقلعة، على مال يقومان به. ثم أفرج عنهما من الغد يوم الإثنين، وخلع على كمال الدين خلعة الاستمرار، ليقوم بمال، ورسم على ابن العطار.

وفيه قدم الأمير يشبك أستادار من الوجه القبلى، فخلع عليه فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستقر كاشف الكشاف، وفوض إليه عزل الولاة بالأعمال وولايتهم، عونًا له على كلف الديوان المفرد. بما يأخذه منهم من البراطيل.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير ططر على الأمراء والمماليك أربع مائة فرس برسم السفر إلى الشام ورُسم بالتجهيز للسفر.

وفيه قدم قصاد عديدة، من الأمراء المجردين بالشام، فى طلب جمالهم وأموالهم، فمنعوا منها. وكتب إلى الأمير ألطنبغا القرمشى بأن الجمال فرقها السلطان، وقد عزم على السفر «وأنك مخير بين أن تحضر على ما كنت عليه، وبين أن تستقر فى نيابة الشام، عوضا عن جقمق». وكثر الاهتمام بأمر السفر[٢].

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع الأمير صلاح الدين محمد ابن الوزير الصاحب ناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله أحد الحجاب، واستقر أستادارًا عوضا عن الأمير يشبك بعد عزله من يوم الجمعة. وأنعم على الأمير صلاح الدين بإمرة مائة تقدمة ألف[٣].

وفى هذا الشهر والذى قبله: نودى أن لا يسافر أحد من الناس كافة إلى البلاد الشامية، وهدد من وجد مسافرًا إليها بأشد العقوبة. وكان القصد بذلك تعمية الأخبار عن المخالفين[٤].

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٠.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢١.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢١.

شهر ربيع الآخر:

أهل بيوم الجمعة: والعسكر فى أهبة السفر.

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب الأمير الكبير نظام الملك ططر من القلعة، ومعه الأمراء والمماليك السلطانية. ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، فكان فى موكب سلطانى لم يفقد فيه إلا الجاويشية والعصابة. وهذا أول موكب ركبه، فإنه منذ مات المؤيد شيخ لم يركب سوى يومه هذا.

وفى سادسه: نودى من قبل الأمير الكبير نظام الملك ططر فى سائر المماليك السلطانية باجتماعهم لتنفق عليهم النفقة.

وفى يوم الخميس سابعه: جلس الأمير الكبير نظام الملك طَطَر بالقلعة، وأنفق فى المماليك نفقة السفر، لكل واحد منهم مائة دينار أفرنتية.

وفيه خلع على شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى واستقر قاضى العسكر. وكان قضاء العسكر قد شغر منذ أعوام.

وفى تاسعه: أنفق فى الأمراء والمماليك أيضا، فحمل إلى الأمير تنبك العلاى ميق خمسة آلاف دينار.

وفى عاشره: أخرج بولدى الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق من القلعة، ونفيا إلى الإسكندرية[١].

وفى رابع عشره: نصب المخيم السلطانى خارج القاهرة.

وفيه وسط الأمير راشد بن أحمد بن بقر، خارج باب النصر، ظلما.

وفى ثامن عشرة: قدم الخبر بأن عساكر دمشق برزت منها، وأنها نزلت باللجون، فركب الأمير ططر فى يوم الثلاثاء تاسع عشره من قلعة الجبل، ومعه السلطان الملك المظفر والأمراء، يريد السفر إلى الشام. ونزل بهم فى المخيم ظاهر القاهرة، وخرج الناس أفواجًا، فى إثره. وأصبح يوم الأربعاء الأمير تنبك ميق راحلا، ومعه عدة من الأمراء وغيرهم ثم استقل الأمير ططر بالمسير ومعه السلطان والخليفة وبقية العسكر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه. وقد جعل نائب الغيبة الأمير قانبيه الحمزاوى - وهو يومئذ غائب ببلاد الصعيد - وأن ينوب عنه حتى يحضر الأمير جقمق أخو جركس المصارع، وتأخر عن السفر الوزير وأستادار.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٣.

شهر جمادى الأولى أوله الأحد:

فى ثانيه: دخل الأمير ططر[١] بالسلطان إلى غزة، فقدم إليه طائعا كثير ممن خرج من عسكر دمشق، منهم الأمير جلبان أمير أخور أحد المجردين إلى حلب فى أيام المؤيد، والأمير أينال نائب حماة، فسر بهم، وأنعم عليهم، وفر ممن كان معهم الأمير مقبل الدوادار فى طائفة يريد دمشق. وقدم الخبر بذلك إلى القاهرة فى تاسعه، فدقت البشائر بالقلعة، وخلع على القادم.

وفى سادس عشره: قدم الخبر بنزول الأمير ططر ومن معه على بيسان فى يوم الثلاثاء عاشره، وأنه ورد عليه الخبر من دمشق أن الأمير مقبل لما دخل دمشق وأخبر بدخول الأميرين جلبان أمير أخور وأينال نائب حماة فى الطاعة، شق ذلك على الأمير جقمق نائب الشام، وعلى الأمير ألطنبغا القرمشى، واختلفا، فاقتضى رأى القرمشى أن يدخل فى الطاعة، وامتنع جقمق من ذلك، وصاروا حزبين.

فلما كان فى يوم الإثنين ثالثه: بلغ القرمشى عن جقمق بأنه يريد أن يقبض عليه، فبادرا إلى محاربته، وركب فى جماعته بآلة الحرب، ووقف بهم تجاه القلعة، وقد رفع الصنجق السلطانى، فأتاه جماعة عديدة راغبين فى الطاعة. وكانت بينه وبين جقمق وقعة طول النهار. فانكسر جقمق ومضى هو والأمير طوغان أمير أخور والأمير مقبل الدوادار فى نحو الخمسين فارسًا إلى جهة صرخد. وأن القرمشى استولى على مدينة دمشق وتقدم إلى القضاة والأعيان أن يتوجهوا إلى ملاقاة السلطان. فقدموا إلى العسكر، فدقت البشائر بقلعة الجبل، وخلع على الذى قدم بذلك.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قانبيه الحمزاوى من بلاد الصعيد، وحكم فى نيابة الغيبة، فانكفت يد جقمق عن الحكم، وكانت سيرته فى الناس جيدة.

وفيه نودى على النيل ثلاثة أصابع، وجاء القاع أربعة أذرع وأربعة وعشرين أصبعًا.

وفى تاسع عشرينه: قدم الخبر بأن الأمير ططر لما نزل بمن معه اللجون، أتاه الأمير أزدمر الناصرى، وعلى يده كتاب الأمير ألطنبغا القر ومضمونه أن جقمق نائب الشام ركب عليه فى يوم الثلاثاء ثالثه بعسكر دمشق، ووقف عند باب النصر. وأنه ركب بمن معه، ووقف عند جامع يلبغا[٢] . وكانت بينهما حرب من قبل الظهر إلى بعد

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) يقع بسوق الخيل على نهر بردى، والذى أنشأه الأمير يلبغا بن عبد الله اليحياوى الناصرى سنة ٧٤٨هـ.

العصر، فانكسر من جقمق إلى سويقة صاروجا[1] ثم قوى وعاد، وقد نصب الصنجق السلطاني ونادى «من كان فى طاعة السلطان فليقف تحت الصنجق» فأتاه كثير ممن مع جقمق، فلم يجد بدا من الفرار، فتوجه نحو صرخد ومعه الأميران مقبل وطوغان. فسر الأمير ططر سرورًا زائدًا. وأنه قدم أيضا الأمير قطلوبغا التنمى نائب صفد، فخلع عليه. وسار الأمير ططر بمن معه إلى دمشق، فدخلها بكرة يوم الأحد، خامس عشره، وقد تلقاه الأمير ألطنبغا القرمشى والأمير ألطنبغا المرقبى والأمير جرباش قاشُق، فخلع على القرمشى ونزل الأمير ططر بالقلعة مع السلطان. وأول ما بدأ به أن قبض على القرمشى والمرقبى وجرباش، وعلى الأمير أَرْدُبُغا من أمراء الألوف بدمشق، وعلى الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين أستادار المؤيد.

وأصبح يوم الإثنين سادس عشره: وقد جلس للخدمة بالقلة. وخلع على الأمير تنبك العلاى ميق، واستقر به نائب الشام عوضا عن جقمق. وخلع على الأمير أينال الجكمى رأس نوبة النوب، واستقر به نائب حلب. وخلع على الأمير يونس الأتابك بدمشق، واستقر نائب غزة، عوضا عن أركماس الجلبانى. وخلع على الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح واستقر أتابك العساكر، عوضا عن الأمير تنبك ميق. وبعث فى طلب الأمير جقمق الأمير بيبغا المظفرى والأمير أينال الأزعرى، والأمير يشبك أينالى، والأمير سودن اللكاشى ومعهم مائتا مملوك. فدقت البشائر بقلعة الجبل مدة ثلاثة أيام. وزينت القاهرة عشرة أيام.

شهر جمادى الآخرة أوله الثلاثاء:

فى ثامن عشره: قدم إلى دمشق جماعة من المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا من الملك المؤيد منذ سنين، منهم الأمير طرباى نائب غزة، والأمير سودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، والأمير يشبك الدوادار، والأمير جانبك الحمزاوى نائب طرسوس فخلع عليهم الأمير طُطر. وأنعم عليهم بالمال والخيل والسلاح والقماش. وحمل إليهم الأمراء عدة تقادم على قدر رتبهم.

وفى تاسع عشرينه: توقفت زيادة ماء النيل، ونقص خمسة أصابع. وقد بلغ خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا.

وفيه قدم الخبر بتوجه الأمير ططر بمن معه من السلطان والعساكر إلى جهة حلب، فى خامس عشرينه.

---

(١) تقع سويقة صاروجا بدمشق. انظر خطط الشام ٦/ ٦٢.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والناس فى قلق لتوقف ماء النيل عن الزيادة، وقد نقص بضع عشرة أصبعا، ثم أن الله أغاث عباده، ونودى عليه فى رابعه بزيادة أصبع، واستمرت زيادته.

وفى سادسه: دخل الأمير ططر بمن معه إلى حلب، فقدم عليه بها الأمير مقبل الحسامى الدوادار طائعا، وقد فارق جقمق بصرخد، فخلع عليه، وعفى عنه. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصروه أمير أخور، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن أينال الجكمى. وخلع على أينال، واستقر أمير سلاح.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فى يوم الإثنين حادى عشره – الموافق لثامن عشر مسرى –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة. وقدم الخبر بأن الأمير برسباى الدقماقى نائب طرابلس – كان – بعثه الأمير ططر من حلب، ومعه القاضى بدر الدين محمد بن مزهر ناظر الإصطبل إلى صرخد، وأنه ما زال بالأمير جقمق حتى أذعن، وسار معه إلى دمشق، وصحبته الأمير طوغان أمير أخور. فلما قدموا دمشق قبض الأمير تنبك ميق النائب على جقمق وطوغان وسجنهما. وأن الأمير ططر برز من حلب بمن معه فى حادى عشره، وأنه قدم بهم إلى دمشق فى ثالث عشرينه، فقتل جقمق نائب الشام. ونفى طوغان إلى القدس بطالا. وأنه قبض فى ثامن عشرينه على كثير من الأمراء، منهم سبعة من أمراء الألوف بمصر، وهم أينال الأزعرى حاجب الحجاب وأينال الجكمى نائب حلب، وأمير سلاح، وسودن اللكاشى، وجلبان أمير أخور، وألى بيه الدوادار، ويشبك أينالى أستادار، وأزدمر الناصرى. وقبض على الطواشى مرجان الخازندار، ثم أفرج عنه. وعزم على خلع المظفر من السلطنة، وخلعه فى تاسع عشرينه، فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر(١)

جلس على تخت الملك بقلعة دمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع

---

(١) السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر، تسلطن بعد خلع السلطان الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ. انظر: ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٤/ ٣٠ وما بعدها، نزهة النفوس ٢/ ٥٠٨، أنباء الغمر ٧/ ٤٣٨، بدائع الدهور ٣٢٢، الضوء اللامع ٤/ ٧، الأعلام ٣/ ٢٢٦.

وعشرين وثمانمائة، الموافق له يوم نوروز القبط بمصر، وتلقب بالملك الظاهر. وخطب له من يومه على منابر دمشق. وكتب إلى مصر وحلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد وغزة بذلك.

شهر رمضان، أوله السبت:

نودى على النيل ثلاثة أصابع، لتتمه ثمانية عشر ذراعا وأصبعين. فلما فتح بحر أبى المنجا نقص النيل اثنى عشر أصبعا، ثم إنه تراجعها قليلا قليلا فى عدة أيام.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع السلطان الملك الظاهر ططر بقلعة دمشق على الأمير طُرباى الذى كان نائب غزة، وفر من الملك المؤيد، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أينال الأزعرى. وخلع على الأمير برسباى الدقماقى، واستقر به دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير ألى بيه. وبرسباى هذا بعث به الأمير دقماق نائب ملطية إلى الظاهر برقوق، فنزل بالطباق من القلعة إلى أن أخرج له خيلا، وصار يركب وينزل، فلما مات الظاهر انتمى إلى الأمير جركس المصارع، وتقلبت به الأحوال فى تلك الأيام إلى أن خرج من القاهرة فارا إلى الشام. وصار من جماعة الأمير نوروز الحافظى. ثم انتقل عنه هو وأخوه ططر إلى الأمير شيخ المحمودى ومازالا معه حتى قتل الملك الناصر فرج بن برقوق، وقدم الأمير شيخ إلى مصر، وتسلطن، أنعم على برسباى بإمرة، وعمله كاشف الجسور. ثم ولاه نيابة طرابلس، فواقع التركمان فكسروه. فتنكرعليه الملك المؤيد شيخ وسجنة بالمرقب مدة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة فى دمشق، فمات المؤيد، وهو من جملة أمراء دمشق. فقبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه من أجل أنه معروف بينهما قرابة قريبة. فلم يزل مسجونا بقلعة دمشق، حتى ثار الأمير ألطنبغا على جقمق نائب الشام، وهزمه. فأفرج عن برسباى. ودخل عقيب ذلك الأمير ططر إلى دمشق، فتوجه معه إلى حلب وبعثه منها حتى أحضر جقمق من صرخد. فلما تسلطن ططر عمله دوادارًا كبيرًا. وسيظهر لك فائدة التعريف بحال برسباى هذا عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وخلع فى هذا اليوم أيضا على الأمير يشبك الدوادار الذى فر من الحجاز إلى قرايوسف فى الأيام المؤيدية، واستقر أمير أخور، عوضا عن الأمير تغرى بردى من قصروه.

وفى يوم الأربعاء خامسه: خلع على قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى، بين يدى الأمير قانبيه الحمزاوى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين

أحمد بن العجمى، ونزل فى موكب جليل إلى داره. وكان سبب ولايته أنه طالت عطلته سنين، فلما استبد الظاهر ططر بالسلطنة، تذكره لصحبة بينهما، فكتب إلى الأمير قانبيه بطلبه، وعرض الحسبة عليه فإن قبلها ولاه، فلم يمتنع من قبولها لرغبته فى الحكم(١).

وفى ثامنه: قدم الخبر بسلطنة الأمير ططر، فنودى بذلك فى القاهرة، ودقت البشائر بقلعة الجبل.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: برز السلطان من دمشق عائدًا إلى مصر، بعدما أثر بدمشق آثارًا جميلة، منها أن نائب الشام كان له محتسب دمشق فى كل سنة نحو الألف وخمسمائة دينار يحملها إليه، ويتعوضها بزيادة من مظالم العباد، فعوض السلطان نائب الشام عن هذا المبلغ بلد أربل، ويتحصل له منها فى السنة نحو الألفين وخمسائة دينار، وولى حسبة دمشق لرجل بغير مال، ونادى «إن طلب منكم المحتسب يا أهل دمشق شيئا فارجموه». ونقش بإبطال هذه الحادثة - وما كان منه فيها - على حجر بجامع بنى أمية.

ثم مر السلطان فى طريقة بمدينة القدس، فرفع إليه أن من عادة نائبها أن يجبى كل سنة من فلاحى الضياع نحو أربعة آلاف دينار، وبسبب ذلك خربت معاملة القدس، فعوض النائب عن ذلك. ونادى بإبطال هذه المغارم، ونقشه على حجر بالمسجد، فتباشر الناس بأيامه، ورجوا أن يزيل الله عنهم به ما هم فيه من الجور.

شهر شوال، أوله الإثنين، الموافق له ثانى بابة:

وفيه بلغت زيادة النيل تسعة عشر ذراعا، وأصبع واحد.

وفيه نزل السلطان بالصالحية، فخرج الناس إلى لقائه، وقد تزايد السرور به، فصعد قلعة الجبل فى يوم الخميس رابعه، وأنزل المظفر مع أمه فى بعض دور القلعة.

وفى يوم الجمعة خامسه: خلع على الطواشى مرجان الهندى، واستقر زمام الدار، عوضا عن الطواشى كافور الشبلى.

وفى يوم الإثنين: ابتدأ السلطان بعرض مماليك الطباق، وأنزل منهم عدة، فسكنوا فى الصليبية وغيرها.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: استدعى السلطان الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٤٠.

ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى، وخلع عليه، وفوض إليه قضاء القضاة بديار مصر، بعد وفاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى. فنزل فى موكب عظيم من الأمراء والقضاة والأعيان، بعدما اشترط أن لا يقبل شفاعة أمير فى يوم الحكم. فسر الناس بولايته لكفاءته، وتمكنه من علوم الحديث والفقه وغير ذلك، مع جميل طريقته وحسن سيرته، وتصديه للإفتاء والتدريس عدة سنين، وتنزهه عن التراداد لأبواب الأمراء ونحوهم، وسعة ذات يده، وغير هذا من الصفات المحمودة[١].

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: أصبح السلطان مريضا فلزم الفراش إلى آخر الشهر.

وفى هذا الشهر أنعم على كل من الأمير سودن الأشقر والأمير كزل العجمى بإمرة. وكانا منفيين، فأعادهما السلطان إلى القاهرة[٢].

وفيه انحل سعر الغلال عما كان.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه أبلّ السلطان من مرضه، ودخل الحمام، وخلع على الأطباء وأنعم عليهم.

وفى ثالثه: خلع على فارس دوادار السلطان وهو أمير، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن قشتمر، وقد أحضر من الثغر.

وفيه قبض على قشتمر المذكور، وعلى الأمير قانبيه الحمزاوى نائب الغيبة، وحملا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى، واستقر ناظر الجيوش، عوضا عن كمال الدين محمد بن محمد بن البارزى الحموى. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر فى نظر وقف الأشراف، وفى نظر الخزانة، ونظر كسوة الكعبة عوضا عن عبد الباسط[٣].

وفى عاشره: انتكس السلطان، ولزم الفراش.

وفى خامس عشرينه: عزل قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة نفسه لمعارضة بعض الأمراء له فى ولاية القضاء ببعض الأعمال[٤].

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤١، ٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٤٢، ٤٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٣.

وفى سادس عشرينه: رسم بالإفراج عن أمير المؤمنين أبى الفضل العباس بن محمد من سجنه بالبرج فى الإسكندرية، وأن يسكن بقاعة فى المدينة، ويخرج لصلاة الجمعة بالجامع، ويركب حيث شاء. وجهز إليه بفرس عليه سرج ذهب وكنفوش زركش وبقجة قماش تليق بمقامه، ورتب له على الثغر فى كل يوم مائة درهم من نقد القاهرة[1].

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: درس علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالزاوية المعروفة بالخشابية التى بجامع عمرو بن العاص بمدينة مصر، عوضا عن أخيه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الخميس:

أهل والسلطان مرضه متزايد، والإرجاف به كبير.

وفى يوم الجمعة – ثانيه –: استدعى الخليفة والقضاة إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء والمباشرون والمماليك، وعهد السلطان لابنه الأمير محمد، وأن يكون القائم بدولته الأمير جانبك الصوفى، والأمير برسباى الدقماقى لالا، فحلف الأمراء على ذلك، كما حلفوا لابن الملك المؤيد.

وفيه أذن لقاضى القضاة ولى الدين بن العراقى أن يحكم، وأعيد إلى القضاء. وكان من حين عزل نفسه قد انكف هو ونوابه عن الحكم، فصلى بالناس الجمعة، بعدما خطب فى جامع القلعة، ونزل من غير أن يخلع عليه، شغلا بمرض السلطان.

وفيه أخذ الناس فى توزيع أمتعتهم من الدور والحوانيت خوفا من الفتنة، فلما كانت ضحوة نهار الأحد رابعه، توفى السلطان، فاضطرب الناس ساعة، ثم غُسل وأخرج من باب السلسة، وليس معه إلا نحو العشرين رجلا، حتى دفن بجوار الليث بن سعد من القرافة. فكانت مدة تحكمه منذ مات المؤيد أحد عشر شهرًا تنقص خمسة أيام، منها مدة سلطنته أربعة وتسعين يوما. وكان جركسى الجنس، رباه بعض التجار، وعلمه شيئا من القرآن وفقه الحنفية. وقدم به القاهرة فى سنة إحدى وثمانمائة، وهو صبى، فدل عليه الأمير قانبيه العلاى لقرابته به، فسأل السلطان الملك الظاهر فيه حتى أخذه من تاجره. ومات السلطان قبل أن يصرف ثمنه. فوزن الأمير الكبير أيتمش ثمنه اثنى عشر ألف درهم. ونزَّله فى جملة مماليك الطباق، فنشأ بينهم، وكان الملك الناصر فرج

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٣.

أعتقه، فلم يزل فى مماليك الطباق، حتى عاد الناصر إلى السلطنة بعد أخيه المنصور عبد العزيز، فأخرج له الخيل، وأعطاه إقطاعًا فى الحلقة، فانضم إلى الأمير نوروز الحافظى، وتقلب معه فى بحار تلك الفتن، وفر إليه بالشام، ثم صار منه إلى جماعة الأمير شيخ. ومازال معه حتى قتل الناصر، وقدم إلى مصر، وتسلطن، فأمره، وتنقل حتى صار سلطانًا، فلم يتهن. وكان أولا كالمحجور عليه مع ألى بيه الدوادار، وتغرى بردى من قصروه أمير أخور. ثم تعلل منذ خرج من حلب، فلم يقم بقلعة الجبل سوى ثمانية عشر يومًا. وألجأه تعلله إلى لزوم الفراش، حتى مات. وكان يميل إلى تدين، وفيه لين، وإغضاء، وكرم، مع طيش، وخفة. وكان شديد التعصب لمذهب الحنفية. يريد أن لا يدع أحدًا من الفقهاء غير الحنفية. وأتلف فى مدته - مع قلتها - أموالا عظيمة، وحمل الدولة كلفا كثيرة، أتعب بها من بعده. ولم تطل أيامه حتى تُشكر أفعاله أو تذم.

* * *

السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر (١)

أقيم فى السلطنة بعهد أبيه إليه، وعمره نحو العشر سنين، عقيب موت أبيه. فى يوم الأحد رابع ذى الحجة، سنة أربع وعشرين وثمانمائة. قد اجتمع الأمراء بالقلعة، إلا الأمير جانبك الصوفى فإنه لم يحضر، فمازالوا به حتى حضر، وأجلسوا السلطان، ولقبوه بالملك الصالح. ونودى فى القاهرة أن يترحموا على الملك الظاهر، ويدعوا للملك الصالح وسكن الأمير جانبك الصوفى بالحراقة من باب السلسة، وانضم إليه معظم الأمراء والمماليك. وأقام الأمير برسباى الدقماقى بالقلعة، فى عدة من الأمراء والمماليك، منهم الأمير طُرباى حاجب الحجاب، والأمير قَصْروه رأس نوبة، والأمير جقمق، وباتوا بأجمعهم مستعدين. وأصبحوا يوم الإثنين خامسه وقد تجمع المماليك يطلبون النفقة عليهم، والأضحية، وأغلظوا فى القول، حتى كادت الحرب أن تكون. فترضاهم الأمراء حتى تفرق جمعهم. وبات العسكر على أهبة القتال. وأصبحوا يوم الثلاثاء سادسه فى تفرقة الأضاحى، فأخذ كل مملوك رأسان من الضأن. وتجمعوا تحت القلعة لطلب النفقة، فطال النزاع بينهم وبين الأمير جانبك الصوفى، حتى تراضوا أن ينفق فيهم بعد عشرة أيام من غير أن يعين لهم مقدار ما ينفقه فيهم، فانفضوا وبعث الأمير جانبك إلى الأمير برسباى أن ينزل من القلعة هو والأمير طرباى والأمير قصروه، وأن يسكنوا فى دورهم. ويقيم الأمير جقمق عند السلطان. فنزل الأمير طرباى مُظْهرًا

(١) انظر ترجمته: النجوم الزاهرة ١٤/ ٤٩ وما بعدها، نزهة النفوس ٢/ ٥١٦، أنباء الغمر ٧/ ٤٣٢ وما بعدها، بدائع الزهور ٣٢٢، الضوء اللامع ٧/ ٢٧٤.

أنه فى طاعة الأمير جانبك وهو فى الباطن بخلاف ذلك، فإنه أخذ فى تدبير أمره وإحكام الأمر للأمير برسباى. واستمال كثير من المماليك، وأصبح فى يوم الأربعاء ثامنه الأمير جانبك الصوفى متوعكا، وقد أشيع أنه قصد بذلك مكيدة فتمادى الحال إلى يوم الخميس تاسعه. وأصبح يوم الجمعة عاشره، وهو يوم النحر، وقد أخرج الأمير برسباى بالسلطان من قصره إلى الجامع بالقلعة، ومعه الأمير قصروه، فصلى بهم قاضى القضاة ولى الدين العراقى صلاة العيد، وخطب على العادة. ثم مضى الأميران بالسلطان إلى باب الستارة، فذبح السلطان هناك طائفة من غنم الأضحية، وذبح الأمير برسباى ما هنالك من البقر وبقية الغنم. وبينما هم فى ذلك إذ رمى المماليك بالنشاب من أعلا القلعة على الأمير جانبك، وهو بالحراقة من باب السلسلة، فاضطرب الناس. وللحال أغلق باب القلعة، ودقت الكوسات حربيا، فخرج الأمير طرباى من داره فى عسكر كبير، وقد لبسوا جميعهم لامة الحرب. وطلع ومعه الأمير قجق إلى الأمير جانبك الصوفى بالحراقة، وأخذ يلومه على تأخره عن الطلوع لصلاة العيد، ومازال يخدعه حتى انخدع له، وركب معه ليشتوروا فى بيت الأمير بيبغا المظفرى على ما يعمل. وكان بيبغا قد تأخر عن الركوب، وأقام فى داره. ومضوا وقد ركب مع جانبك الأمير يشبك أمير أخور. فما هو إلا أن صاروا فى داخل بيت بيبغا المظفرى إذا بباب الدار قد أغلق، وأحيط بجانبك الصوفى، ويشبك أمير أخور وقيدا، وأخذا أسيرين إلى القلعة، ونودى بالنفقة فى المماليك مائة دينار لكل واحد، فكأنها جمرة طُفيت. وللحال سكنت الفتنة، كأن لم تكن، فلم تنتطح فيها عنزان. ونودى فى القاهرة بالأمان، فقد قبض على أعداء السلطان، ففتحت أبواب القاهرة، بعدما أغلقت. واطمأن الناس بعدما كان فى ظنهم أن الفتنة تطول. وكل ذلك فى ضحى النهار، فسبحان من بيده الأمر كله.

وفى يوم السبت حادى عشره: استدعى الأمير أرغون شاه أستادار الأمير نوروز الحافظى. وكان قد قدم من دمشق فى خدمة الظاهر ططر، فصعد القلعة، وخلع عليه الأمير برسباى، واستقر أستادارًا، عوضا عن الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله.

وفيه حمل الأمير جانبك الصوفى والأمير يشبك مقيدين من القلعة إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: أعيد الصاحب تاج الدين بن الهيصم إلى نظر الديوان المفرد. وكان قد عزل عنه بدمشق فى شهر رمضان. وعاد إلى القاهرة بطالا.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير آق قجا، واستقر فى كشف الوجه القبلى. وكان قد وليه فى الأيام الظاهرية طَطَر. وساءت سيرته حتى أشيع أنه افتض مائة بكر غصبًا، إلى غير ذلك.

وفى يوم الخميس سادس عشره: اجتمع الأمراء بالخدمة فى القصر. وقد أخرج السلطان من عند أمه وأجلس ثم خلع على الأمير برسباى الدقماقى الدوادار، واستقر نظام الملك، كما كان الظاهر ططر قبل أن يتسلطن. وكان الأمير برسباى منذ اشتد مرض الظاهر مقيما بالقلعة، لم ينزل منها طول هذه المدة.

وفيه فوض الخليفة إلى الأمير الكبير نظام الملك برسباى أمور المملكة بأسرها، ليقوم بها إلى أن يبلغ السلطان رشده. وحكم بصحة ذلك قاضى القضاة الحنفى.

وفيه خلع على الأمير سودن من عبد الرحمن، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير الكبير نظام الملك برسباى. وخلع على الأمير طُرباى حاجب الحجاب. واستقر أميرًا كبيرًا عن جانبك الصوفى. وتقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير برسباى والأمير طرباى شركة. وأن يسكن طرباى بداره تحت القلعة تجاه باب السلسلة، ويحضر الخدمة عند الأمير برسباى بالأشرفية. وخلع على الأمير جقمق[1] نائب القلعة، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير طرباى. وخلع على الأمير قَصْروه رأس نوبة، واستقر أمير أخور، عوضا عن يشبك. وخلع على الأمير أزبك، واستقر رأس نوبة كبيرًا، عوضًا عن قصروه. وخرج جميع الأمراء وسائر أهل الدولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة فى خدمة الأمير نظام الملك برسباى، حتى دخل الأشرفية التى هى سكنه، وعملت بها الخدمة بين يديه. وصرف أمور الدولة على حسب أخياره، ومقتضى رأيه، واستمر الأمر على هذا.

وفى السبت ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير تغرى بردى من قصروه نائب حلب استدعى جمائع التركمان إلى حلب، وقبض على الأمراء الحلبيين، وخرج عن الطاعة. وسبب ذلك أن الظاهر ططر كان قد كتب بولاية الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس فى نيابة حلب، وعزل تغرى بردى. فلما بلغه ذلك كان منه ما ذكر.

---

(١) جقمق العلائى (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) جقمق العلائى الظاهرى، سيف الدين، أبو سعيد: من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز. شركسى الأصل اشتراه العلائى وقدمه إلى الملك الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه. وحبس فى أيام الملك الناصر فرج، ثم أطلق وولى أعمالا فى دولتى الملك المؤيد شيخ، والظاهر ططر، إلى أن كان أتابك العساكر فى دولة الأشرفى برسباى. انظر: ابن إياس ٢/ ٢٤، ٣٤، حوادث الدهور ٢/ ٣٤٩، ووليم موير ١٤٢، شذرات الذهب ٧/ ٢٩١، الضوء اللامع ٣/ ٧١. الأعلام ٢/ ١٣٢.

وفى ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن محمود العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين يوسف البساطى.

وفيه نودى بمنع النساء من الخروج إلى الترب، وتشدد الأمير جقمق الحاجب فى ذلك. وكان قد كثر فى هذا الشهر مرض الناس. ومات عدة منهم، فصارت النساء يترددن إلى الترب فى أيام الجمع، ويقمن بها المآتم والعزاء.

وقدم الخبر بعظم الفناء ببلاد الفرنج - سيما رودس - وبشدة الغلاء ببلد العلايا[١]، ونحوها من بر التركية.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: ابتدأ الأمير نظام الملك برسباى فى نفقة المماليك، وهو والأمراء على تخوف منهم أن يمتنعوا من أخذها. وذلك أنهم وعُدوا فى نوبة جانبك الصوفى بمائة دينار لكل واحد، فلم يصرف لكل واحد منهم سوى خمسين دينارًا من أجل قلة المال، فإن الظاهر طَطَر أتلف المال الذى كان خلفه المؤيد شيخ حتى لم يبق منه غير ستين ألف دينار. ومع ذلك فإنه زاد فى نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما ينيف على عشرة آلاف دينار. فأحسن الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى؛ على أنه قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار فى نفقة المماليك. وتسلم منهما الأمير أرغون شاه عشرين ألف أردب شعيرًا. وعندما استقر أرغون شاه أستادارًا، رهب الناس واشتد عليهم، وخشن جانبه، حتى غُلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفا من بطشه. وكتب يطلب متدركى النواحى ليصادرهم. وقرر على مباشرى الدولة بأسرهم أموالا يحملونها إليه، فقرر على الوزير الصاحب تاج الدين بن كاتب المناخ ستة آلاف دينار، وعلى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص عشرة آلاف دينار، وعلى من دونهما بحسب ما سولت له نفسه، حتى اجتمع من ذلك نفقة المماليك، فأنفق فى ثلاثة آلاف ومائتى مملوك مبلغ مائة وستين ألف دينار، فأخذوا النفقة، وانفضوا بغير شر، ولله الحمد.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، وأنهم وقفوا بعرفة يوم الجمعة، وأنه لم يرد حاج من العراق ولا من اليمن.

وفى هذه السنة: كانت حروب مثيرة بين طوائف الفرنج، اقتتل فيها طائفة الكتيلان مع الفنش، فهزموه، وقُتل بينهم عشرة آلاف فأقل ما قيل أن عدة قتلاهم ثمانون ألفا.

---

(١) العلايا: بلدة محدثة، أنشأها الملك علاء الدين السلجوقى، وهى تطل على خليج فى بحر الروم على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى. انظر تقويم البلدان ٣٨٠ - ٣٨١.

وفيها كانت حرب بمدينة فاس من بلاد المغرب بين أبى زيان محمد بن أبى طريق بن أبى عنان - وقد قام بأمره الشيخ يعقوب الحلفاوى الثائر على الوزير الحاجب عبد العزيز اللبانى لقتله السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد وثلاثة عشر أميرًا من إخوته وأولاده وبنى إخوته - وبين اللبانى، وكان قد استنصر بالشاوية، وبعث إليهم بمال كبير، فأتوه، فلم يطق الحلفاوى مقاومتهم، فأدخله مدينة فاس بجموعه، وألويته منشورة على رأسه، وأنزله دار الحرة آمنة بنت السلطان أبى العباس أحمد، فرحل الشاوية عن المدينة . وقُبض على اللبانى. وأسلم إلى الحلفاوى. فدخل السلطان أبو زيان فاس الجديد فى ربيع الآخر، وبعث بالسلطان أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد إلى الأندلس. فما كان سوى شهر حتى ثار بنو مرين على أبى زيان، وحصروه، وطلبوا الوزير أبا البقاء صالح بن صالح أن يحمل أبا عبد الله محمد المتوكل ابن السلطان أبى سعيد، فقدم الوزير به، واستمرت الحرب أربعة أشهر إلى أن فر أبو زيان ووزيره فارح. وأخذ بنو مرين البلد الجديد، وطلبوا من ابن الأحمر أن يبعث بالسلطان الكبير أبى عبد الله محمد المستنصر بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فبعثه إليهم، فملكوه وأطاعوه.

وفيها - كما تقدم - كان تغير دول مصر، فبلغت عدة من قتل وسجن من أمراء مصر والشام زيادة على أربعين أميرًا.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى - أحد مماليك الملك الظاهر برقوق فى يوم الإثنين ثامن المحرم، وقد أناف على الخميس سنة.

ومات عبد الحمن بن السمسار، فى ثالث صفر، وله شهرة فى طائفته، ومال جم.

ومات الأمير فرج بن سَكزبيه، أحد الأمراء العشرات، فى رابع صفر. وكان من خواص المؤيد، لجمال صورته.

ومات بهاء الدين محمد بن بدر الدين حسن بن عبد الله، المعروف بابن البرجى، عن ثلاث وسبعين سنة، فى يوم الخميس عاشر صفر. وقد ولى حسبة القاهرة غير مرة. وولى وكالة بيت المال ونظر كسوة الكعبة وباشر نظر عمارة الجامع المؤيدى. وكان أبوه يلى قضاء المحلة(١).

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.

وقتل الأمير سيف الدين يشبك اليوسفى نائب حلب، أحد المماليك المؤيدية، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار الخلق(١).

ومات علم الدين سليمان بن جنيبة رئيس الأطباء، وقد أناف على ثمانين سنة، فى سادس عشر صفر. كان أبوه يهوديا، ونشأ سليمان هذا مسلما، يتكسب بصناعة الطب، ويعاشر الأعيان، فصار من مشهورى الأطباء عدة سنين، وعرف بحسن العلاج. ثم ولى رياسة الأطباء فى سنة ثلاث عشرة. وكان فاضلا فى علم الطب، هشا، جميل المعاشرة، يكتب الخط الجيد. تردد إلىَّ سنين، وما علمت عليه إلا خيرًا.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن الجباس، الذى ولى حسبة القاهرة فى سنة سبع وثمانمائة. وكان عاميا فى هئية فقيه. توفى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر.

وقتل الأمير ألطنبغا القرمشى فى خامس عشرين جمادى الأولى بقلعة دمشق. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا إلى الشام، وصار من جملة الأمير شيخ. وما برح يرقيه على ما تقدم ذكره(٢).

ومات الأمير الوزير المشير الأستادار بدر الدين محمد بن محب الدين عبد الله الطرابلسى. كان أبوه من مسالمة نصارى طرابلس. وبها نشأ البدر هذا، وولى بها كتابة سرها، وولى شد الدواوين بها. وتعلق بخدمة الأمير شيخ أيام تلك الفتن. وعمل أستادارًا عنده. فلما قدم مصر باشر به أستادار، ثم عزله وولاه الوزارة. ثم عزله كما تقدم. وكان يكتب الخط المنسوب، ويتظاهر بقبائح المعاصى، وينوع الظلم فى أخذ الأموال، فعاقبه الله بيد ناصره المؤيد شيخ أشد عقوبة، ثم قبض عليه الظاهر ططر وعاقبه حتى هلك تحت الضرب. وضُرب ميتًا. فأراح الله منه عباده. وذلك فى سابع عشر جمادى الآخرة بدمشق(٣).

ومات بحلب الأمير كردى بن كندر. أحد أمراء التركمان، مقتولا فى شهر رجب.

ومات متملك بلاد الروم بمدينة بُرصا، غياث الدين أبو الفتح محمد كرشجى بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان، وملك برصا بعده ابنه خوند كار مراد شلبى محمد كرشجى بن بايزيد خوندكار، وذلك فى شهر رجب.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٢.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٣.

وقتل الأمير ألطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير، فى واقعة مع التركمان بمعاملة حلب، فى تاسع شعبان. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وجعله أمير مائة مقدم ألف(١).

وقتل الأمير قجقار القردمى بسجن الإسكندرية، فى سادس عشرين شعبان. وهو أحد من أنشأه المؤيد شيخ، حتى صار أمير مائة مقدم ألف، أمير سلاح.

وقتل الأمير جقمق نائب الشام بعد عقوبة شديدة، فى ليلة الأربعاء سابع عشرين شهر شعبان. وكان ممن أنشأه المؤيد شيخ، وعمله أمير مائة مقدم ألف، وأعطاه نيابة الشام. وكان فاجرا ظالما غشوما، لا يكف عن قبيح(٢).

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر البلقينى الشافعى، فى ليلة الخميس حادى عشره، عن ثلاث وستين سنة. وصُلى عليه بالجامع الحاكمى. ودفن على قبر أبيه وأخيه، بمدرستهم من حارة بهاء الدين، فكان جمعًا موفورًا، ومشهدًا جليلا حافلا مذكورًا. وانتاب الناس قبره مدة. ولم يخلف بعده مثله فى كثرة علمه بالفقه وأصوله، وبالحديث والتفسير والعربية، مع العفة والنزاهة عما يرمى به قضاة السوء، وجمال الصورة، وفصاحة العبارة. وبالجملة فلقد كان ممن يتجمل به الوقت(٣).

ومات السلطان الملك الظاهر ططر، فى يوم الأحد رابع ذى الحجة. وقد تقدم التعريف به.

* * *

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٦.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٤، ٧٥.

سنة خمس وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر. والقائم بأمور الدولة الأمير الكبير نظام الملك برسباى الدقماقى. والأمير الكبير الأتابك طربـاى. والدوادار الأمير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح بيبغا المظفرى. وأمير مجلـس الأمير قُجق. وأمير أخور الأمير قصروه. ورأس نوبـة الأمـير أزبـك. والوزيـر تـاج الديـن عبـد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر علم الدين داود بن الكويز. ونـاظر الخـاص بـدر الدين حسن بن نصر الله. وأستادار الأمير أرغـون شـاه. وقـاضى القضـاة الشـافعى ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى. وباقيهم كما تقدم فى السنة الخاليـة. وكاشـف الوجـه القبلى الأمير أقجا ونائب الإسكندرية الأمير فارس. ونـائب الشـام الأمـير تنبـك العـلاى ميق. ونائب حلب الأمير تغرى بردى من قصروه، وقد أظهر الخلاف. ونـائب طرابلـس الأمير تنبك البجاسى. ونائب حماة الأمير شارقُطلوا. ونائب صفـد الأمـير أينـال. وبـلاد الصعيد قد عاث بها العربان، وكثر فسادهم.

شهر الله المحرم، أوله الجمعة:

فى ثالث عشره: قدم الخبر بفرار الأمير تغرى بردى نـائب حلـب منهـا، بعـد وقعـة كانت بينه وبين الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس. وقد كتب له باسـتقراره فـى نيابـة حلب ومحاربة المذكور، فسار إليـه وحاربـه، فـانهزم منه وتسـلم تنبـك حلـب، فدقـت البشائر بقلعة الجبل أياما.

وفى تاسع عشره: خلع على بلبان الجمالى، واستقر كاشف الوجه القبلى، بعد موت أقجا.

وفى ثالث عشرينه: قد الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج فى عده صحبة الأمير تَمُر بيه اليوسفى، أحد الأمراء الألوف. وقد كثر ثناء الحجاج عليـه لحسـن سيرته فيهم، فقبض عليه فى ثامن عشرينه.

وفى هذا الشهر: دخل شخص يعرف بالشيخ سعد، لم يـزل يعـرف بـالفقر، ويقبـل من النـاس صدقتهـم، ويقـرئ الأطفـال بـالأجرة، إلى الجـامع الأزهـر، وتصـدق بمائتين وسبعين دينارًا إفرنتية، وبستة وعشرين دينارًا هرجـة، وبأربعـة آلاف وخمسـمائة درهـم مؤيدية. فعد هذا من نوادر الزمان.

وفيه قبض على الأمير قَرْمش أحد الأمراء الألوف، وأُخـرج هـو وتمربيـه إلى دميـاط. وأنعم على يشبك الساقى الأعرج بإقطاع قرمش وإمرته.

وفيه وقع بَرَد بناحية قصر عفرا مـن بـلاد حـوران بالشـام، فكـان فيـه شبه خنـافس وعقارب وضفادع.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى ثانيه: قبض على الأمير أيتمش الخضرى(١)، ونفى بطالا إلى القدس(٢).

---

(١) أيتمش بن عبد الله الخضـرى الظـاهر (٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م)، الأمـير سيف الديـن. أحـد المماليك الظاهرية برقوق، وممن صار فى الدولة الناصرية فرج من جملـة الدواداريـة الصغـار، ثـم تـأمر عشرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ودام على ذلك مدة طويلة لا يُؤْبَهُ إليه، إلى أن افتضت السلطنة للملك الظاهر ططر تحرك سعده قليلا فى الدولة الظاهرية ططر، ثم ركضت ريحة بموته، وتسلطن ولده الملـك الصالح محمد بن ططر، وآل التحدث فى المملكه للأمير برسباى الدقمـاقى الـدوادار نفـى المذكـور إلى القدس بطالا فى ثانى شهر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فدام بالقدس إلى شهر ربيـع الأول مـن السنة، ورسم بعوده إلى القاهرة، فقدم إلى القاهرة، وأقام بها يسيرا، وولى الإستادارية فى يـوم حـادى عشرين شهر رمضان من السنة، عوضًا عن أرغون شاه النوروزى الأعور، فلـم تطـل مدتـه ولم تحمـد سيرته، وعزل فى خامس ذى القعدة بالأمير أرغون شاه المذكور، واستمر أيتمـش على إقطاعـه إمـرة عشرة على ما كان عليه أولا، ودام على ذلك إلى سنة نيف وثلاثين وثمانمائـة، ابتلـى جسـده بالبيـاض وأشيع عنه ذلك. فلما تحقق الملك الأشرف برسباى الإشاعة أخرج عنه إقطاعه، ورسم له بلزوم داره، فصار يتردد إلى الجامع الأزهر، فإن سكنه كان بالقرب مـن الجـامع، بـدار بشـير الجمـدار بالأبـارين، ويحضر الدروس ويشوش على الطلبة، ويسأل الأسئلة التى لا محل لها من الدرس. وكان قليـل الفهـم، وتصوره غير صحيح، مع جهل، مفرط، وعدم اشتغال قديمًا وحديثًا، فإن أجابه أحد من الطلبة بجواب لا يفهمه، لبعده عن الفهم، سفه عليه، وإن سكت القوم ازدراهم ووبخهم بذكر العلماء الأقدمـين ثـم سفه على الجميع. وكان قبل تاريخ ناب فى نظر الجامع المذكور عن الأمير جرباش الكريمـى حـاجب الحجاب، المعروف بقاشق، ووقع له مع أهل الجامع أمور فى أيـام توليتـه على الجـامع. فلمـا زاد منـه ذلك، بلغ الأشرف رسم بنقلته من داره المذكور وبسكناه بقرافة مصر، فسعى فى عدم نقلتـه، وشـفع فيه جماعة فاستمر بداره على أنه لا يكثر من دخـول الجـامع إلا فـى أوقـات الصلـوات، إلى أن سـافر الملك الأشرف «برسباى إلى آمـد فـى سنة سـت وثلاثـين، ونفـى المذكـور إلى القـدس، إلى أن قـدم الأشرف» إلى الديار المصريـة فـى سنة سـبع وثلاثـين، وقـدم المذكـور إلى القـاهرة، ودام بهـا، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَقَ فى سنة اثنتين وأربعين لزمه أيتمش المذكور وداخله فى الأمور من غير أن يأخذ إمرة ولا وظيفة، وزاد وأمعن، وصار يتكلم فيما لا يعنيه، لم يكـن بعـد مـدة إلا وغضـب عليـه الملك الظاهر جقمق، ونفاه إلى القدس ثم شُفع فيه، وعاد إلى داره ولزمها، إلى أن توفى بالقـاهرة فـى شهر رجب سنة ست وأربعين وثمانمائة، ولم تطل مدة مرضه. وسببه أنـه سـقط مـن علـو درج قليلـة، فوعك أياما ومات. وكان من مساوئ الدهر حِسًا ومعنـى، كثير الكـلام فيمـا لا يعنيـه، ويخـاطب=

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: جُمعت الصيارف بالإصطبل للنظر فى الدراهم المؤيدية، فإنه كثر هرش الجيد منها. ومعنى الهرش أن يبرد من الدرهم حتى يخف وزنه، ويصير نحو ربع درهم. فاستقرت المعاملة بها وزنا لا عددًا. ورسم أن يكون كل درهم وزناً بعشرين درهمًا فلوسا. وأن يكون الدينار الإفرنتى بمائتين وعشرين فلوسا، وبأحد عشر درهما فضة، وازنة عنها من المؤيدية اثنان وعشرون عددًا، زنة كل مؤيدى نصف درهم، فنزل بالناس من ذلك شدة لخسارتهم. وذلك أن المؤيدى الذى كان بسبعة دراهم فلوسا صار بخمسة دراهم، وفيها ما لا يبلغ الخمسة. وكثر مع ذلك الاختلاف فى أسعار المبيعات، وقيم الأعمال، أجر المستأجرات، فذهب معظم مال الناس(١).

وفى هذا الشهر: عز وجود لحم الضأن فى الأسواق، لقلة الأغنام.

وفيه كثر فساد لهانة وهوارة ببلاد الصعيد، وقطعهم الطرقات على المسافرين، وشنهم الغارات على البلاد، وإحراقهم عدة نواحى بما فيها. هذا مع ما ببلاد الصعيد من قلة وجود القمح عندهم، بحيث صار يحمل إليهم من القاهرة، وذلك لخراب بلاد الصعيد ودثور(٢) أكثر بلادها، بحيث العشرة أيام ببلاد الصعيد لا يوجد فيها أحد، ولا تزرع أراضيها، فقلت الأغنام عندهم. وصار أهلها إلى فقر وبؤس، حتى أن غالب قوت أهلها إنما هو الذرة. ومع ذلك كله، فجور الولاة فيهم لا يمكن وصفه. ولعل هذا إن تمادى أن تهلك بلاد الصعيد كلها.

وفيه تنكر الحال بين الأمير طُرباى والأمير نظام الملك برسباى. وخرج طرباى إلى بر الجيزة فى هيئة متنزه، والإرجاف يقوى حتى انسلخ الشهر.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى ثانيه: قدم الأمير طرباى من بر الجيزة.

وفى ثالثه: قبض الأمير برسباى على الأمير سودن الحموى، أحد أمراء الألوف، وعلى الأمير قانصوه أحد أمراء الطبلخاناة، وكانا من أصحاب الأمير طرباى، فكثرت

=الشخص بما يكره، ويوبخ الرجل بما فيه من المعاتب من غير أن يكون بينه وبين الرجل عداوة ولا صحبة، مع طيش وخفة وبادرة وجرأة وأفحاش فى اللفظ. وكان جاركسى مسرفًا على نفسه. انظر المنهل الصافى ٣/ ١٣٩ وما بعدها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٤.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٤.

(٢) دَثَرَ الشىء – دثورا: قَدُم ودَرَس. ويقال: دَثَرَا المنزل بلى وتهدَّم. انظر المعجم الوسيط (دثر).

القالة، وبات طرباى ليلة الخميس وجماعته يحذرونه الطلوع إلى القلعة، وهو لا يصغى لقولهم، وفى ظنه أن الأمير برسباى لا يفاجئه بسوء، لأنه فى ابتداء الأمر كان طرباى متميزا عليه منذ مات الظاهر برقوق، وفى آخر الأمر كان هو استمال المماليك للأمير برسباى، وفخذهم عن جانبك الصوفى، ثم خدع جانبك حتى نزل من الإصطبل ثم قبض عليه، فكان يرى أنه هو الذى أقام الأمير برسباى فيما هو فيه. وأصبح يوم الخميس فركب طرباى إلى الخدمة بالقلعة، فما هو إلا أن استقر جلوسه، أشار الأمير برسباى بالقبض عليه، فجذب سيفه ليدفع عن نفسه، وقام، فبدره الجماعة وعاقوه عن النهوض وغافصه الأمير برسباى بالسيف، وضربه ضربة جاءت فى يده كادت أن تبينها. وأخذ إلى السجن، وقد تضمخ بدمه فوقعت هجة بالقصر، ثم سكنت من ساعتها. ولم يتحرك أحد لنصرة طُرباى. ونودى بالأمان والبيع والشراء، وأن لا يتحدث أحد فيما لا يعنيه. وأخرج من الغد بطرباى مقيدًا إلى الإسكندرية ليسجن بها. فكان فى هذا عبرة لأولى الأبصار، وهو أن طرباى مَكَر بجانبك الصوفى، وخدعه حتى أنزله من الحراقة بباب السلسلة، وقبض عليه بحيلة دبرها، وحمله مقيدًا إلى الإسكندرية، حتى سجن بها وظن أنه قدم صفا له الوقت، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وخدعه الأمير برسباى حتى صعد إليه، بعدما امتنع ببر الجيزة أياما، والإرجاف قوى بوقوع الحرب، إلى أن مشى لحتفه بقدميه، حتى قبض عليه، وسجن بالإسكندرية لتجزى كل نفس ما كسبت[1].

وفيه أخرج الأمير سودن الحموى منفيا إلى دمياط، وتوجه الأمير ناصر الدين محمد ابن منجك إلى دمشق ليحضر بالأمير تنبك ميق من الشام وقد تحدث بأمر سيظهر بمجيء نائب الشام. ورسم بإحضار أيتمش الخضرى من القدس.

وفى خامس عشره: قبض على الطواشى مرجان الهندى زمام الدار، وسلم للأمير أرغون شاه، أستادار، ليستخلص منه مالا.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الطواشى كافور الشلبى، واستقر زمام الدار على عادته.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، فلزم داره.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٦٦.

في ثانيه: أفرج عن الطواشى مرجان الهندى بعد ما أخذ منه عشرون ألف دينار، وضمنه جماعة فى عشرة آلاف دينار أخرى.

وفي سادسه: قدم الأمير تنبك العلاى ميق نائب الشام، بعدما تلقاه عامة أهل الدولة، فخلع عليه واستقر على عادته فى نيابة الشام. وتحدث معه فى سلطنة الأمير برسباى، فوافق على ذلك.

وخلع الملك الصالح فى يوم الأربعاء ثامنه، فكانت مدته أربعة أشهر وثلاثة أيام.

* * *

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقمقاى الظاهرى الجركسى[(١)]

تقدم التعريف به. ومازال قائمًا بتدبير أمر الدولة. ثم أحب أن يطلق عليه اسم السلطان، لما خلا له الجو، فأخذ طرباى وسجنه، تم بموافقة نائب الشام على ذلك، فاستدعى الخليفة والقضاة، وقد جمع الأمراء وأرباب الدولة، فبايعه الخليفة فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. ولقب بالملك الأشرف أبى العز، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر. وكان فى هذا موعظة وذكرى لأولى الألباب، فإن الملك المؤيد أنشأ ططر وآواه، بعدما كان من أقل المماليك الناصرية الهاربين من الملك الناصر فرج. وما زال يرقية حتى صار من أكبر أمراء مصر، وائتمنه على ملكه. فقام بعد موت المؤيد بكفالة ولده أحمد المظفر. وما زال يحكم الأمر لنفسه إلى أن خلع ابن المؤيد، وتسلطن، وأودع ابن المؤيد وأمه ببعض دور القلعة فى صورة معتقل. فلما أشفى ططر على الموت، عهد إلى ابنه محمد، واستأمن برسباى - لقرابة بينهما - على ولده، بعدما كان برسباى مقيما بدمشق من جملة أمرائها وجل مناه أن يبقى المؤيد عليه مهجته، فأواه ططر، وجعله من أكبر أمراء مصر، فقام بأمر ابنه الملك الصالح قليلا، واقتدى بأخيه ططر فى أخذ الملك لنفسه. فلما أخذ طرباى، كما قبض ططر على الأمراء بدمشق، ولم يبق من يخشاه إلا نائب الشام، بعث يخيره بين أن يكون الأمير الكبير بديار مصر مكان طرباى وبين أن يستمر على نيابة الشام، فرغب فى السلامة، وأتى إلى بين يديه، فأمن برسباى عند ذلك، وتسلطن، وأودع الصالح محمد بن ططر وأمه فى دار بالقلعة. من يعمل سوءًا يجز به.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٧٨ وما بعدها، نزهة النفوس ٣/ ٥، بدائع الزهور ٣٢٤، أنباء الغمر ٧/ ٤٥٣ وما بعدها، الضوء اللامع ٣/ ٨، شذرات الذهب ٧/ ٢٣٨.

وفى يوم الخميس تاسعه: خلع على الأمير بيبغا المظفرى أمير سلاح، واستقر الأمير الكبير الأتابك، عوضا عن طرباى. وخلع على الأمير قجق أمير مجلس واستقر أمير سلاح عوضا عن بيبغا المظفرى. وخلع على الأمير أقبغا التمرازى من مقدمى الألوف، واستقر أمير مجلس، عوضا عن قجق. وخلع على حسن الكردى، واستقر نائب الوجه البحرى على عادته. وأفرج عن جماعة كانوا مسجونين بالقلعة من أمراء العشرات قبض عليهم فيما تقدم. وكان أول ما بدأ به السلطان أن منع الناس كافة من تقبيل الأرض له، فامتنعوا. وجرت العادة عند ملوك مصر، منذ قدم أمير المؤمنين الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمى إلى مصر، أن كل من تمثل بين يدى الخليفة ثم بين يدى السلطان أن يخر وهو قائم حتى يقبل الأرض. فلم يعف من ذلك أمير، ولو بلغ الغاية، ولا مملوك، ولا وزير ولا صاحب قلم، ولا رسول ملك من ملوك الأقطار، إذا قدم برسالة، ولا أحد من سائر الناس على اختلافهم، إلا قضاة الشرع، وجميع أهل العلم وأهل الصلاح وأشراف الحجاز من بنى حسن وبنى حسين، فإن هؤلاء أدركناهم ولا يُقبل أحد منهم الأرض، إجلالا لهم عن ذلك. وكذلك إذا ورد مرسوم السلطان على نائب مملكة أو والى عمل، فإنه يقوم عند وروده عليه، ويقبل الأرض. فأبطل السلطان برسباى ذلك كله، وجعل بدله إما تقبيل يده لمن عظم قدره، أو يقف فقط. فكان هذا حسنًا لو دام، لكنه بطل عن قليل، وعاد الأمر كما تقدم ذكره.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على الأمير تنبك ميق نائب الشام قباء السفر، وتوجه إلى دمشق، فخرج عظماء الدولة لوداعه، بعدما قدموا له عدة تقادم، ما بين خيول وقماش وغير ذلك.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: توجه الأمير سودن الحاجب، ومعه مال برسم حفر خليج سكندرية فما أجدى شيئا.

وفى هذا الشهر: أجدبت أراضى بلاد حوران والكرك والقدس والرملة وغزة، لعدم نزول المطر فى أوانه، ونزح كثير من سكان هذه البلاد عن أوطانهم، وقلت المياه عندهم. ومع هذا ففى بلاد حلب وحماة ودمشق وبلاد الساحل كلها رخاء من كثرة الأمطار التى عندهم، فسبحان الفعال لما يريد.

وفيه عظم الخطب، واشتد البلاء ببلاد الصعيد، من كثرة الفتن، ونهب البلاد.

وفيه قتل والى قوص، وتعذر أخذ الخراج.

وفيه عُمل المارستان المؤيدى[1] الذى بالصوة تحت القلعة جامعا، تقام به الجمعة والجماعة، ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة. وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدى. وكان المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان، ونزل به المرضى. فلما مات لم يوجد فى كتاب الوقف المؤيدى له جهة تصرف، فأخرجت المرضى منه، وأغلق، وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق، فبقى حانة خمار برسم شرب المسكرات، وضرب الطنابير، وعمل الفواحش. ومع ذلك تُربط به الخيول. فكان هذا منذ مات المؤيد إلى هذا الوقت، فطهره الله من تلك الأرجاس، وجعله محل عبادة.

وفيه وقع الشروع فى هدم المنظرة التى استجدها المؤيد فوق الخمس الوجوه. ثم انتفض ذلك، فبقى بناؤها مشعثًا، وسكنها بعض فقراء العجم.

شهر جمادى الأول، أوله الأربعاء:

فى سابعه: سارات تجريدة إلى بلاد الصعيد.

وفى ثامنه: نودى أن لا يخدم أحد من اليهود والنصارى فى ديوان من دواوين السلطان والأمراء، فلم يتم ذلك.

وفى يوم الجمعة تاسعه: جُدِّدت خطبة بمدرسة شمس الدين شاكر بن البقرى بالجوانية، جددها علم الدين داود بن الكويز كاتب السر، لقربها من داره التى يسكنها.

وفيه قدم الخبر بكثرة الوباء ببلاد حلب وحماة وحمص، فهلكت خلائق.

وفيه أقيمت الجمعة بالمارستان المؤيدى، يوم الجمعة سلخه.

وفيه رسم أن لا تباع الثياب التى تجلب من بغداد أو الموصل وبلاد الشام والإسكندرية إلا بالنقد. وكانت العادة إذا ورد التاجر بشىء من القماش، تسلمته السماسرة وباعته على التجار إلى أجل، ثم جبت الثمن فى مدة أشهر، فمن أجل بيعها نسيئة يزداد ثمنها عما تباع فى النداء الحراج زيادة كبيرة، فإذا باعها التاجر أخذ ربحا آخر، فتغبن الناس دائما فيما يشترونه من التجار، سيما إذا باعوا ذلك فى النداء فإنه ربما خسر ثلث الثمن. فامتنع التجار مدة من الشراء نسيئة، ثم عادوا لما نهوا عنه.

وقدم الخبر بقحط العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرايوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تيمورلنك، فمنع الناس من الزرع، وطرد

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٠٨.

ضعفاء الناس، فنزحوا عن العراق، وقدم منهم كثير إلى بلاد الشام. وجمع أهل القوة عنده ببغداد، فكان القحط والغلاء عقوبة من الله لهم بما هم عليه من القبيح.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فى تاسعه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن البرهان إبراهيم بن عدنان الحسينى كاتب السر بدمشق ونقيب الأشراف إلى بلده. وكان قد طُلب من دمشق، فقدم القاهرة فى ثالث عشر جمادى الأولى، وسجن فى بعض المدارس، وألزم بحمل عشرين ألف دينار. وكتب باستقرار بعض مسالمة السمرة[1] - ويقال له حسين عوضه - فى كتابة السر بدمشق. وكان حسين هذا قد قدم إلى القاهرة فى الأيام الناصرية فرج، وخدم من جملة كتاب الأمير بكتمرشلق، ثم عاد إلى دمشق. واتفق أنه تزوج مملوك يقال له أزبك بابنة امرأة حسين. وكان أزبك هذا ممن أنشأه ططر، وصار أمير مائة مقدم ألف، فتحدث لحسين هذا فى استقراره ناظر الجيش بدمشق، فأجيب إلى ذلك. واستقر حسين فى نظر الجيش، عوضا عن قاضى القضاة الحنفية شهاب الدين أحمد من الكشك. ثم أضيف إليه كتابة السر، مع نظر الجيش. ولم يتفق مثل ذلك فى هذه الدول. ومازال السيد محبوسا حتى تقرر عليه عشرة آلاف دينار، فخلع عليه فى رابع جمادى الآخرة، هذا وتوجه إلى بلده لحمل ما ألزم به. وسبب ذلك تنكر السلطان عليه لأمور بدت منه فى حقه، وهو أمير بدمشق والسيد كاتب السر.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى من القدس.

وفى رابع عشره: نودى بسفر الناس فى رجب إلى مكة، فكثرت المسرات بذلك، لبعد العهد بسفر الرجبية. ثم انتقض ذلك.

ونودى فى سابع عشرينه «لا يسافر أحد الرجبية».

وفى هذا الشهر: قدم الخبر بغلاء مدينة توريز، وأن المطر تأخر نزوله ببلاد إفريقية.

وفيه عزم تغرى بردى الجكمى- الذى قتل ابن كبك - على الفتك بالأمير تنبك ميق نائب الشام، ففطن به وقتله.

---

(١) هى فرقة أثبتوا نبوة سيدنا موسى وهارون ويوشع عليهم السلام، ورفضوا نبوة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من أنبياء بنى إسرائيل. ينظر الملل والنحل ١/ ٥١٤.

وفيه جلس السلطان للحكم بين الناس، كما كان المؤيد ومن قبله، وصار يحكم يومى الثلاثاء والسبت بالمقعد من الإسطبل السلطانى.

شهر رجب، أوله الأحد:

فيه نودى على النيل ثلاثة أصابع. وقد جاء القاع خمسة أذرع وسبعة أصابع. واستمر يزيد فى كل يوم عدة أصابع، بحيث نودى عليه فى يوم خمسة عشر أصبعا. وقل ما عهد مثل هذا شهر أبيب.

وفى خامس عشره: توجه الهروى عائدا إلى القدس، بعدما أهدى للسلطان هدية بنحو خمسمائة دينار، سوى ما أهداه للأمراء. وكاد أن يلى القضاء على أنه يقوم فى كل سنة بثمانين ألف دينار. ويثبت فى جهة جلال الدين بن البلقينى زيادة على ثمانين ألف دينار. ويحمل معجلا خمسة آلاف دينار، فألزم أن يكتب خطة بذلك كله، فأنكر أن يكون قال شيئا من ذلك، فانحل أمره، ورده الله خائبا، و لله الحمد.

وفيه زينت القاهرة ومصر لإدارة محمل الحاج على العادة، فمنع صدر الدين أحمد بن العجمى المحتسب النساء من الجلوس على حوانيت الباعة، وتشدد فى ذلك، فامتنعن. وكانت العادة أن تجلس النساء صدرًا من النهار، ويبتن بالحوانيت حتى ينظرن المحمل من الغد، فيختلطن بالرجال فى مدة يومين وليلة، وتقع أمور غير مرضية، فعد منعهن من جميل ما صنع، لكنه لم يتم، وعدن فيما بعد كما كن لإهمال أمرهن.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على ما جرت به العادة. وقد كثر الاعتناء بأمره، وعملت كسوة الكعبة فى غاية الحسن، بحيث لم يعمل مثلها فيما أدركناه. وولى عملها شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله ناظر الكسوة، لحسن مباشرته وعفته.

وفى هذا الشهر: نزل الأمير تنبك البجاسى نائب حلب بعساكرها على مدينة بهسنى. وحضر الأمير تغرى بردى بن قصروه.

وفيه خرج الأمير أينال الظاهرى[1] نائب صفد عن الطاعة. وذلك أنه كان من جملة

---

(١) إينال باى بن قَجْمَاس الظاهر (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م)، الأمير سيف الدين. قدم مع أبيه من بلاد الجاركسة بطلب من الظاهر برقوق، لقربة بينهما وترقى والده قجماس فى الدولة الظاهرية، إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف وصار والده أينال باى هذا من جملة خاصكية السلطان الخواص، ثم أمره عشرة، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف، ثم أمير آخور كبير - بعد الأمير سودون طاز - وتزوج بأخت السلطان خوند يوم، بنت الملك الظاهر برقوق. وكانت توليته فى=

مماليك الظاهر ططر، رباه صغيرا، ثم ولاه نيابة قلعة صفد، لما خرج بالمظفر إلى دمشق لحفظ ذخيرة حملها إلى القلعة صفد. فلما قام السلطان برسباى بالأمر بعد ططر، ولى أينال نيابة صفد، فشق عليه خلع ابن أستاذه من السلطنة، وأخذ فى تدبير أمره، حتى أظهر ذلك، وأخرج من كان مسجونا بقلعة صفد، وهم الأمير يشبك أينالى أستادار،

=يوم الإثنين العشرين من شهر صفر سنة خمس وثمانمائة، وعظم قدره وضخم، وصار له كلمة نافذة فى الدولة، لزواجه بأخت السلطان. وسار على قاعدة الملوك من استكثار المماليك والسماط الهائل، ولازال على ذلك إلى يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ثمان وثمانمائة، قبض الملك الناصر فيه على الأمير يشبك بن أزدمر، رأس نوبة، وعلى الأمير تَمُر، وعلى سودون - من إخوة سودون طاز -. فلما بلغ أينال باى هذا الخبر تخوف، ونزل من باب السلسلة واختفى هو والأمير سودون الجلب، فاحتاط السلطان على موجودهما، ثم فى الغد - يوم الثلاثاء - سفروا الأمراء المقبوض عليهم إلى الإسكندرية. وإما أينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء، ليركبوا معه، فلم يوافقه أحد على ذلك. وسكن الحال إلى يوم الجمعة عاشر صفر، ظهر أينال باى، ووطلع به الأمير بيبرس الأتابك إلى القلعة، فكثر الكلام فى أمر أينال باى، فقبض السلطان عليه، وأوصله إلى دمياط، فاستمر بالثغر، إلى أن كانت وقعة السعيدية، أفرج عنه وعن يشبك بن أزدمر ، وخلع على أينال باى خلعة الرضى. واستمر الحال إلى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول من سنة ثمان استقر السلطان بالأمير يشبك بن أزدمر فى نيابة الملطية، فامتنع من ذلك فأكره حتى لبس الخلعة، ووكل به أرسطاى الحاجب، والأمير محمد ابن حلبان الحاجب، حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة، ثم بعث السلطان إلى الأمير أزبك الإبراهيمى، أحد أمراء الألوف، المعروف بخاص خرجى، بأن يستقر فى نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل، والتجأ إلى بيت أينال باى هذا، ثم احتمع جماعة من المماليك، ومضوا إلى يشبك بن أزدمر وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه، وصار العسكر حزبين، طائفة مع السلطان، وهم الذين كانوا عليه فى وقعة السعيدية، ورأسهم الأمير يشبك الشعبانى، وطائفة عليه، ورأسهم بيبرس وأينال باى ويشبك بن أزدمر وغيرهم. وعظمت الفتنة، وجرت أمور يطول شرحها آلت إلى اختفاء الملك الناصر فرج وخلعه أخيه الملك المنصور عبد العزيز، وذلك فى يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأخر سنة ثمان، فاختفى الملك الناصر إلى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة، ظهر من بيت الأمير سودون الحمزاوى، وحصل بينه وبين من بالقلعة وقعة انتصر فيها الملك الناصر، وعاد إلى ملكه، وقبض على الأمير بيبرس، وسودون الماردينى. واختفى أينال باى صاحب الترجمة مدة، ووقعت له حوادث آلت إلى خروجه إلى البلاد الشامية وأخذه مدينة غزة. واحتمع عليه بها جماعة من الأمراء إلى شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانمائة، ركب الأمير شيخ المحمودى من صفد يريد أينال باى هذا ومن معه، فطرقهم على حين غفلة، فقاتلوه على الجديدة فى يوم الخميس رابع الشهر المذكور، فقتل الأمير أينال باى، والأمير يونس الحافظى نائب حماة، والأمير سودون قُرناص، وقبض على الأمير سودون الحمزاوى، وفر يشبك بن أزدمر إلى دمشق. ودفن أينال باى بغزة، ثم نقلت رمته فى شهر ربيع الآخرة سنة عشرة وثمانمائة إلى تربة أبيه قجماس، التى هى شرق تربة الظاهر برقوق، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢١٧ وما بعدها.

والأمير أينال الجكمى نائب حلب، والأمير جلبان أمير أخور. وقبض على من خالفه من أمراء صفد وأعيانها. فكتب السلطان إلى الأمير مقبل الحسامى المؤيدى حاجب دمشق باستقراره فى نيابة صفد، وأن يستمر إقطاع الحجوبية بيده، حتى يتسلم صفد، وكتب إلى الأمير تنبك ميق نائب الشام أن يخرج بالعسكر إلى قتال أينال بصفد.

وفيه كانت وقعة بين الأمير يونس نائب غزة وبين عرب جرم، هزموه فيها، وقتلوا عدة من عسكره.

وفيه كثرت الحروب والفتن والغارات والنهب والتخريب ببلاد الصعيد من عربانها.

وفى خامس عشرينه: قدم كتاب نائب الشام بمجىء أينال الجكمى ويشبك أينالى وجلبان من صفد إلى دمشق طائعين، فدقت البشائر بقلعة الجبل.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير فارس نائب الإسكندرية باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف. وخلع على الأمير أسندمر النورى(١) أحد مقدمى

(١) أسندمر بن عبد الله النورى الظاهرى (٨٤٨ هـ = ١٤٤٤ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، ومن آنيات الأمير جركس القاسمى المصارع بطبقة الزمام، وترقى بعد موت أستاذه الملك الظاهر برقوق إلى أن تأمر فى آخر الدولة الناصرية فرج عشرة، ثم صار من جملة أمراء الطبلخاناة فى الدلة المؤيدية شيخ، ثم صار بعد موت المؤيد شيخ من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وولى الإسكندرية فى أوئل الدولة الأشرفية برسباى بعد الأمير فارس، فاستمر فى نيابة الإسكندرية إلى أن فر من سجنها الأتابك جانبك الصوفى فى العشر الأول من شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة، وبلغ السلطان ذلك وشق عليه إلى الغاية، واستمر إلى أن أهل شهر شوال أرسل بطلب أسندمر المذكور من الإسكندرية، فحضر فى رابع عشره، وقبل الأرض ونزل، فلم يكن بعد ساعة إلا وقد نزل إليه السيفى يلخجا الساقى الناصرى بسفره إلى دمياط بطالا، فأخذه يلخجا المذكور وتوجه به إلى الثغر وعاد، وولى نيابة الإسكندرية من بعد الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، فدام أسندمر بالثغر مدة ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، فتوجه إلى دمشق ودام بها إلى أن تسلطن الملك العزيز يوسف بعد موت أبيه الملك الأشرف، ثم آل الأمر إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق وأرسل بطلبه إلى القاهرة وأنعم عليه بإقطاعه ألف بدمشق على الأمير مغلباى الجقمقى أستادار الصحبة، وقدم الأمير أسندمر إلى القاهرة، وهو يظن كل خير فإنه كان آنيا لأخى السلطان الأمير جاركس كما تقدم ذكره، وقد تقدم جماعة من مماليك جركس عند السلطان فى دولته، فكيف وأسندمر من رفقة جركس وأخصائه، وقد حكى لى أسندمر من لفظه قال: لما بلغنى أن الملك الظاهر جقمق تسلطن قلت فى نفسى الآن صرت من أعيان المملكة وأحد أكابرها، فلما طلبت تحققت ما قد فى نفسى، وها أنا قد حضرت وتعلم ما وقع لى معه. انتهى. قلت: ولما أحضر أسندمر إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدى السلطان وعد بكل خير وما مواعيدها إلا الأباطيل، ونزل إلى دار سكنها وأخذ يترقب الوعد الشريف ، وطالت الأيام به وكلما كُلّم السلطان فى أمره يسوف به من=

الألوف، واستقر فى نيابة الإسكندرية[1].

وفى سلخه: نودى «من كانت له ظلامة فعليه بالإسطبل». وكان السلطان قد ترك جلوسه للحكم منذ قدم خبر صفد، فعاد للجلوس للنظر فى محاكمات المتخاصمين، على عادته.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه تكرر النداء بجلوس السلطان للحكم.

وفى ثانيه: جلس للحكم، واستدعى مدرسى المدرسة القمحية بمصر، وأوقفهم بين يديه، وألزمهم بعمل حساب أوقافها وعمارتها، مما تناولوه من ريعها فيما سلف، وأخرج وقفها - وهو ضيعتان بالفيوم يقال لهما الأعلام والخنبوشية - لمملوكين من مماليكه، ليأكلوها إقطاعا بينهما. وندب الأمير أزبك رأس نوبة للكشف عن المدرسة، فوجد الخراب قد أحاط بها من جوانبها، وصار ما هنالك كيمان تراب، وهى قائمة بمفردها ليس بجانبها عامر ولا بها ساكن، سوى رجل يحرسها، فطلب السلطان مدرسيها الخمسة، وأوقفهم بين يديه بالإصطبل، وألزمهم بعمل حسابها، والقيام بما استأدوه من العلوم، فخرجوا فى الترسيم.

وفيه نظر السلطان فى أمر جامع عمرو بن العاص، وأخذ الناس فى تتبع عورات القضاة والفقهاء لميل ولاة الشوكة إلى معرفة ذلك، فإن الأحدوثة عنهم قبحت، والقالة فيهم شنعت:

وكنا نستطب إذا مرضنا ... فجاء الداء من قبل الطبيب

وفى يوم الخميس رابعه - الموافق له تاسع عشرين أبيب -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وهذا من النوادر، مع أن زيادته فى هذا العام كانت مما يتعجب له، وذلك أن العادة التى عهدت أن زيادة النيل فى شهر أبيب تكون قليلة، حتى أنه ليقال قديما

=وقت إلى وقت، وأسفرت القضية على أن كتب له جامكية فى كل شهر خمسة آلاف درهم على ديوان المفرد، وصار كآحاد الأجناد إلى أن توفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة بالقاهرة وهو فى حدود السبعين. وكان سامحه الله مهملا جدا، مسرفا على نفسه، صار لا يطيق الحركة لكبر سنه وضعف بدنه إلا بجهد، وهو على ما هو عليه، وكان سليم الباطن، متواضعا قليل المعرفة، كثير التغفل، وكان تركى الجنس، خفيف اللحية أبيضها، أحمر اللون، معتدل القد نحيفا. انظر المنهل الصافى ٢/ ٤٤٧ وما بعدها.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٥.

«فى أبيب، يدب الماء دبيب». وأما مسرى فأيام الزيادة الكثيرة، ويقال لها عرس النيل وهى مظنة الوفاء حتى يقال «إذا لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الأخرى». هذه عادة الله التى أجراها بين خلقه فى أمر نيل مصر، وربما وقع الأمر فى النيل بخلاف ذلك، فيعد نادرا. واتفق فى هذه السنة أنه منذ ابتدأت الزيادة لم تزل زيادته كبيرة، بحيث نودى عليه فى يوم بزيادة خمسين إصبعا، فكثر تعجب الناس لذلك، ثم ازدادوا تعجبا لوفائه قبل مسرى، و لله الحمد. وتولى تخليق المقياس وفتح الخليج الأمير الكبير بيبغا المظفرى.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: أخرج بالمظفر أحمد بن المؤيد شيخ وأخيه من قلعة الجبل نهارا، وحُملا فى النيل إلى الإسكندرية، فكانت هذه موعظة، فإن المؤيد أخرج بأولاد ابن أستاذه الملك الناصر فرج إلى الإسكندرية، فعومل بمثل ذلك، وأخرج الله ابنيه إلى الإسكندرية، كما يدين الفتى يُدان(١).

وفى ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى ناظر الأحباس، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى.

وفى هذا الشهر: كثر عبث الفرنج بالسواحل، وهَجم فى الليل غرابان، فيهما طائفة من الفرنج، على ميناء الإسكندرية فوجدوا فيها مركبا للتجار فيه بضائع بنحو مائة ألف دينار، فاقتتلوا معهم عامة الليل، فخرج الناس من المدينة، فلم يقدروا على الوصول إليهم، لعدم المراكب الحربية عندهم، ولا وصلت سهامهم إلى الفرنج، بل كانت تسقط فى البحر، فلما طال الحرب بين الفرنج والتجار المسلمين، واحترقت مركب التجار، نجوا فى القوارب إلى البر، فأتت نار الفرنج على سائر ما فى المركب من البضائع، حتى تلف بأجمعها، ومضى الفرنج نحو برقة، فأخذوا ما قدروا عليه، ثم عادوا إلى الإسكندرية، ومضوا إلى نحو الشام.

وفيه قدم رسول إسكندر بن قرا يوسف، ومعه رأسان، زعم أنهما رأس متملك السلطانية نيابة عن شاه رخ بن تيمور لنك، ورأس نائبه بشيراز.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: أعيد الآذان بمأذنتى مدرسة السلطان حسن بسوق الخيل.

وفى حادى عشره: كان نوروز القبط بمصر، والنيل قد بلغ تسعة عشر ذراعا وستة

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٥، ٨٦.

أصابع، فعم به النفع عامة أراضى مصر إلا أن الجسور لم يعتن بها لسوء سيرة متوليها، فقطع ماء النيل منها عدة مقاطع، أفسدت أكثر الزراعات الصيفية كالسمسم والبطيخ ونحوه، فكان بلوغ النيل هذا القدر فى النوروز عجب آخر(١).

وفيه اتضع سعر الغلال، حتى أبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما من الفلوس، وعنها يومئذ سبعة دراهم ونصف فضة أشرفية، وأبيع الشعير بخمسة وثمانين درهما الأردب عنها أربعة دراهم وربع فضة، وأبيع الفول بثمانين درهما الأردب، عنها أربعة دراهم فضة.

وفيه فتح باب مدرسة السلطان حسن، الذى سدَّه الظاهر برقوق، وهدم درجه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بدار العدل وعمل به الخدمة، وأحضرت رسل الفرنج الفرنسيس بهدية. وهذا أول جلوس جلسه السلطان بدار العدل.

وفى حادى عشرينه: خلع على الأمير أيتمش الخضرى، واستقر أستادار عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفى ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الجوالى.

وفى سابع عشرينه: نودى أن السلطان رسم أن لا ينزل أحد من الفقهاء عن وظيفته فى وقف من الأوقاف، وهدد من نزل منهم عن وظيفته، فامتنعوا عن النزول، ثم عادوا كما كانوا، ينزل هذا عن وظفته من الطلب فى الدروس، أو التصوف فى الخوانك، أو القراءة أو المباشرة بالمال، فيلى الوظائف غير أهلها، ويحرمها مستحقوها، فإن الوظائف المذكورة صارت بأيدى من هى بيده، ينزلها منزلة الأموال المملوكة، فيبيعها إذا شاء ويسمى بيعها نزولا عنها، ويرثها من بعده صغار ولده. وسرى ذلك حتى فى التداريس الجليلة، والأنظار المعتبرة، وفى ولاية القضاء بالأعمال يليه الصغير من بعد موت أبيه ويستناب عنه كما يستناب فى تدريس الفقه والحديث النبوى، وفى نظر الجوامع ومشيخة التصوف، فيا نفس جدى إن دهرك هازل!!

وفيه خلع على الأمير أرغون شاه أحد أمراء دمشق، واستقر كاشف الوجه القبلى، عوضا عن بلبان الجمالى.

وفيه أغلقت كنيسة قمامة بالقدس عن أمر السلطان.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٦.

وفى سلخه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى الترب فى أيام العيد، وهددن بالعقوبة إن خرجن، فامتنع كثير منهن عن الخروج إليها.

وفيه ارتفع سعر الشيرج، حتى أبيع الرطل بثمانية عشر درهما من الفلوس و لم يعهد مثل ذلك، وسببه غرق السمسم، فقل وجوده.

شهر شوال، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة.

وفى رابعه: رفعت يد قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى عن وقف الطرحاء، ثم أعيد إليه بعد أيام، وكان لما رفعت يده عنه نودى «من مات له ميت وعجز عن كفنه فعليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة».

وفيه رفعت يد قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى الشافعى عن وقف قراقوش، وفوض السلطان أمره إلى التاج الشويكى والى القاهرة، واستمر كذلك فلم يعد إلى القضاة، فكان هذا مما يستشنع، وكثرت الشناعات بمقت السلطان للقضاة والفقهاء، وأنه يريد الكشف عما بأيديهم من الأوقاف.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعا ونصف ذراع، وابتدأ نقصه من الغد، وهو رابع عشرين توت.

وفى هذه الأيام: ابتدئ بعمل الخربة - التى بخط الركن المخلق من القاهرة - وكالة، وهذه الخربة موضعها الآن داخل الدرب الأصفر، حيث كان يعرف قديما بالمنحر، وبابها من وسط سوق الركن المخلق، عملته خوند بركة[1] أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون أعوام بضع وسبعين وسبعمائة ليكون داخله قاعة، بجوار القيسارية التى أنشأتها، وعملت برسم بيع الجلود، فماتت قبل

---

(١) بركة خاتون خوند (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) والدة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، وزوجة الأتابك ألجاى اليوسفى كانت من أعظم نساء عصرها خيرًا، ودينًا، وبرًا، وجمالا، وكرمًا. ولما حجت فى سنة سبعين وسبعمائة، توجهت فى أبهة عظيمة إلى الغاية وفى خدمة الأمراء والخاصكية والخدام، وفرقت بالحرمين الشريفين أموالا عظيمة، وعادت إلى القاهرة، ولم يعظم ألجاى إلا بزواجها، وصار له ميزة على أكابر الأمراء بذلك. وتوفيت فى حياة ولدها الملك الأشرف فى يوم الثلاثاء آخر ذى الحجة سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفنت بمدرستها التى أنشاتها بخط النيابة - خارج القاهرة تعرف بمدرسة أم السلطان ووجد ابنها الأشرف عليها وجدًا عظيمًا. وبسبب ميراثها خرج ألجاى عن الطاعة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧.

عمارتها، وقد فرغت واجهة الباب فقط، فتعطلت دهرًا إلى أن أخذ الأمير جمال الدين يوسف - أستادار القيسارية المذكورة - من وقف أم السلطان على مدرستها بخط التبانة قريبًا من قلعة الجبل، وصيرها من جملة أوقافه على مدرسته التى أنشأها بخط رحبة باب العيد، وضع يده أيضا على هذه الخربة، ومات قبل أن يعمل فيها شيئا، فلم تزل معطلة حتى وقع اختيار السلطان فى هذا الوقت على عملها وكالة فابتدئ بعملها.

وفى يوم السبت تاسع هذا الشهر: رسم بإعادة مكس دار التفاح الذى أبطله الملك المؤيد شيخ، فأعيد بسفارة الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ وطول سعيه فيه، عامله الله بعدله، فإنه جدد مظلمة يتلف فيها من أموال الناس بنهب الظلمة الفساق ما شاء الله. ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**﴾(١).

وفى يوم الإثنين رابع عشره: برز محمل الحاج بكسوة الكعبة صحبة الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم المماليك السلطانية - ونزل خارج القاهرة، ثم توجه إلى بركة الحاج على العادة.

وفى سابع عشرينه: قدم من صفد ثلاثون رجلا، ممن أسر من أصحاب الأمير أينال، فقطعت أيدى الجميع إلا واحدًا، فإنه وسط بالسيف نصفين، وأخرج الذين قطعت أيديهم من يومهم إلى بلاد الشام، فمات عدة منهم بالرمل. وكان من خبر صفد، أن الأمير مقبل لم يزل على حصارها إلى يوم الإثنين رابع شوال هذا، فنزل إليه أينال بمن معه، فتسلم أعوان السلطان القلعة، وعندما نزل أينال أمر أن تفاض عليه خلعة السلطان ليتوجه أميرًا بطرابلس، وكان قد وعد بذلك، وترددت الرسل بينه وبينهم مرارًا، حتى استقر الأمر على أن يكون من جملة أمراء طرابلس، وكتب له السلطان أمانا ونسخة يمين، فانخدع البائس ونزل من القلعة، فما هو إلا أن قام ليلبس الخلعة، وإذا هم أحاطوا به

وقيدوه وعاقبوه أشد عقوبة. ثم قتلوه، وقتلوا معه مائة رجل ممن كان معه بالقلعة، وعلقوهم بأعلاها(٢).

وفى هذا الشهر: تسلم الأمير تغرى بردى بن قصروه قلعة بهسنى، ونزل بأمان، فقيد وسجن بقلعة حلب، فأمن السلطان بعد تخوفه من جهة صفد وتغرى بردى.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٦.

فى ثانيه: ركب السلطان من القلعة إلى مطعم الطير تجاه الريدانية خارج القاهرة، وألبس الأمراء الأقبية الصوف لملابس الشتاء كما كان المؤيد يفعل، ثم عبر القاهرة من باب النصر، ودخل عمارتها بخط الركن المخلق، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، ونثر عليه الدنانير والدراهم وهذه أول ركبة ركبها فى سلطنته(١).

وفى خامسه: عزل الأمير أيتمش الخضرى، وأعيد الأمير أرغون شاه أستادارا، ولم تشكر سيرة أيتمش لعتوه وشدة ظلمه، مع عجزه عن القيام بما وليه(٢).

وفى سابعه: ركب السلطان إلى جهة بركة الحجاج، وعاد.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فى رابعه: اختفى الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ، فخلع على الأمير أرغون شاه، وأضيفت إليه الوزارة، فصار وزيرًا أستادار، وذلك فى يوم الإثنين ثامنه، فظهر ابن كاتب المناخ فى عاشره، وصعد إلى القلعة فعفى عنه، ولزم بيته بطالاً على حمل مال قام ببعضه.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضا عن ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى، بمال كبير.

وفى سابع عشرينه: نزل الحاج بينبع، وقد استعد من فيهم من المماليك السلطانية مع الأمير جانبك الخازندار(٣) أحد أمراء العشرات لحرب الشريف مقبل متولى ينبع،

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٧.

(٣) جانبك بن عبد الله من أمير، الأشرف الخازندار (٨٧٠ هـ = ١٤٦٥ م) المعروف بالظريف. أصله من مماليك الأشرف برسباى الصغار، ولم يعترض إليه الملك الظاهر جقمق لما نفى أعيان المماليك الأشرفية وحبسهم، لكونه إذ ذاك لا يوبه إليه واستمر على عادته، ثم جعله فى أواخر دولته من جملة الدوادارية الصغار إلى أن استقر بدقاق البشبكى زردكاش، بعد موت تغرى برمش الردكاش، وأمره عشرة من إقطاع تغرى برمش، أنعم بإقطاعه على جانبك هذا، فلم يباشر دقاق الزردكاشية إلا دون الجمعة، وغضب عليه السلطان وعزله من الزردكاشية بالأمير لاجين وأخذ الإمرة منه، واحتاج بالقاهرة أن يرد إقطاع دقاق الجندية إليه، ورده إليه، فصار جانبك هذا بغير إقطاع، فأعطاه الإمرة التى كانت بيد دقاق واحدة، فكان هذا سبب أخذه الإمرة. ثم صار رأس نوبة فى دولة المنصور عثمان إلى أن تسلطن الملك الأشرف أينال صار أمير طبلخاناة وخازندارا كبير، عوضا عن أزبك الساقى الظاهرى، بحكم القبض على، ولما أراد الملك الأشرف أينال أن يجدد دوران المحمل فى شهر=

وقد قدم عقيل بن وبير الحسنى من القاهرة صحبتهم، بعدما خلع عليه بها، فى شوال، واستقر أمير ينبع، شريكا لعمه مقبل، بمال التزم به للدولة، فلما علم مقبل بذلك، نزح عن ينبع إلى واد بالقرب منها. ودخل الحاج إلى ينبع فى ذى القعدة، فبعث أمراء الحاج الثلاثة، وهم افتخار الدين ياقوت أمير المحمل، وأسندمر الأسعردى من أمراء العشرات أمير الركب الأول، وجانبك أمير الركب الثانى، إلى الشريف مقبل حتى يحضر إليهم، فجرت أمور آخرها، أن يستقر عقيل شريكا له كما كان أبوه وبير، وأن يكاتب السلطان بذلك. ومهما ورد المرسوم به اعتمده. ورحل الحاج من ينبع إلى مكة، وقد وجهوا نجابا إلى السلطان بكتبهم، وتركوا عقيلا بينبع، فاقتتل هو وعمه، فظفر به عمه، وقيده، وأقام بينبع حتى عاد الحاج إليها، فاستعد الأمير جانبك - كما قلنا - وركب فى جمع من المماليك وغيرهم، ليلة الأحد ثامن عشرين ذى الحجة هذا، وطرق مقبل على حين غفلة، فكانت بينه وبين مقبل وقعة قتل فيها جماعة من الأشراف بنى حسن، وجرح كثير من العربان والعبيد، وانهزم مقبل، فمدت المماليك أيديها، وانتهبت ما قدرت عليه، وسلبت النساء الشريفات ما عليهن، وساقوا خمسمائة وخمسين جملا، وثلاثين فرسا، وأمتعة كثيرة، ومالا جزيلا، وعادوا من يومهم إلى ينبع، ومعهم عقيل قد خلصوه من الأسر ورحلوا، وقد أقام عقيل بينبع أميرًا، فلم يكن إلا ليال حتى عاد مقبل، واحترب مع عقيل، فانهزم مقبل، وقتل بينهما جماعة، كل ذلك بسوء الطبع والطمع فى القليل.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج.

وفى هذا الشهر: اتفقت نادرة فيها عبرة لذوى النهى والأبصار، وهو أن رجلا من فقراء الناس الذين لا يكادون يجدون القوت، له امرأة وبنات منها، يسكنون بخرابات الحسينية، ظاهر القاهرة، فلما كان يوم عيد النحر، ذبح أرباب اليسار ضحاياهم واشتووا لحومها، فهاجت شهوات بنات هذا الرجل لأكل اللحم، وطلبن منه فلم يجد سبيلا إلى قضاء شهواتهن، وأخذ يعللهن، وهن يتصايحن وينتحبن بالبكاء، وقلبه يتقطع عليهن حسرات طول نهار العيد حتى جنه الليل، ورقدن. فكان يسمع فى الليل حركة تتوالى طول ليلته، وهو وأم أولاده لشدة الحزن قد ذهب نومهما، حتى أصبحا فإذا

=رجب على قديم العوائد، طلب معلما للرماحة سأل جانبك هذا أن يكون معلما، وارتجى معرفة ذلك، فأجابه السلطان، وسوق المحمل سنة سبع وسنة ثمان بالفقيرى وفيهما أيضا ولى إمرة حاج المحمل، وحج بالناس سنتى سبع وثمان، ولقى الحاج فى السنة الثانية شدائد من قطع الطريق، وغيره. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٤٤ وما بعدها، الضوء اللامع ٣/ ٥٣.

كوم كبير من اللحم فى دارهم قد باتت العرس تنقله طول ليلها، لا يدرون من أين أتت به، فسرا بذلك سرورًا كبيرًا، وأيقظ بناته فاشتووا من ذلك اللحم، فأكلوا حتى شبعوا، وطبخوا منه وقد دار باقيه، فكافهم عدة أيام. ﴿**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[1].

وفى هذه السنة: كثرت الأمطار بأرض الحجاز وبلاد الشام، وسقط بقرية تسمى حداثا من جبال صفد برد لم يعهدوا مثله، بلغ وزن بردة واحدة سبعة أرطال ونصف بالدمشقى، عنها ثلاثون رطلا مصرية، ووجدت بردة على باب دار قدر الثور. وكان سقوط هذا البرد ليلة السبت سادس ذى الحجة هذا.

وفيها كانت حروب ببلاد الروم بين أهل حصنين بالقرب من مدينة برصا، فى أحديهما طائفة من الروم المسلمين، وفى الأخرى طائفة من النصارى، فامتدت الحرب أياما، حتى كان بعض الليالى، إذا هم بصيحة من حصن النصارى، كادت تنخلع منها قلوب المسلمين، فلما أصبحوا إذا بجميع من فى الحصن من النصارى قد هلكوا هم ودوابهم، فتسلموا ما فى الحصن بلا مانع.

وفيها فشت الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى، عند انحطاط ماء النيل فى فصل الخريف.

وفيها انحل سعر الغلال، ورخت رخاءًا زائدًا.

وفيها سار مراد بن محمد كرشجى بن عثمان فى شهر رجب من برصا إلى اصطنبول[2] وهى قسطنطينية - ونزل عليها أول شعبان، وقطع عامة أشجارها، ومنع عنها الميرة، حتى فرغ شهر رمضان من غير حرب، سوى مرة واحدة فى يوم الجمعة ثالث رمضان، فإنه زحف على المدينة فكان بينه وبين أهلها حرب شديدة، فتخلى عنه عسكره، وبينما هو فى ذلك إذ جاءه أخوه مصطفى، وكان فى مملكة محمد باك بن قرمان، فتفرق عن مراد عسكره، وكانوا نحو مائة وخمسين ألفًا، حتى بقى فى زهاء عشرين ألفًا، والتجأ مصطفى إلى اصطنبول، وواقف مراد نحو شهر، وقد عجز عنه مراد لمخالفة عسكره عليه.

* * *

---

(١) سورة آل عمران ٣٧.

(٢) سبق ترجمتها.

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين على ابن قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ليلة الأحد ثالث المحرم، وقد أناف على الستين. وكان يعرف الفرائض والحساب، ويشارك فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة، ودرس فى عدة مدارس(١).

ومات بدر الدين محمود بن شمس الدين محمد الأقصراى الحنفى، ليلة الثلاثاء خامس المحرم،ولم يبلغ ثلاثين سنة، وكان يعرف طرفًا من الفقة، ويشارك فى غيره، وتحرك له حظ فى دولة المؤيد، وصار يحضر مجلسه فيمن يحضر من الفقهاء، فلما قام ططر بعد المؤيد اختص به، فعظم قدره، وتردد الناس لبابه، وتحدثوا برقيه إلى العليا، فلم يمهل وعوجل(٢).

ومات الأمير آق قجا، كاشف الوجه القبلى، فى العشرين من المحرم، فأراح الله منه(٣).

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن معالى الحبتى الدمشقى الحنبلى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم وكان من فقهاء الحنابلة، وأحد المحدثين، ناب فى الحكم عن القضاة سنين، واتصل بالمؤيد، وكان يحضر عنده فى جملة الفقهاء، ويقرأ عنده صحيح البخارى كل سنة، وولاه مشيخة الخروبية التى استجدها بالجيزة(٤).

ومات الأمير حسن بن سودن الفقيه الجركسى(٥)، خال الصالح بن ططر، يوم

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٠.
(٥) الحسن بن سُودُون (٨٢٥ = ١٤٢١ م)، الفقيه الأمير بدر الدين، صهر الملك الظاهر ططر، وخال ولده الملك الصالح محمد بن ططر. كان والده سودون الفقيه جنديا من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وتزوج الأمير ططر بابنته شقيقة حسن المذكور، فصار حسن بخدمة صهره ططر، وترك والده سودون، واستمر عنده إلى أن تسلطن بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولقربه بالملك الظاهر، قَرَّبَ حسن هذا، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بالديار المصرية دفعة واحدة، بعد القبض على الأمير مُغُلْباى، ثم صار بعد مدة يسيرة أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ومات الملك الظاهر ططر، وتسلطن ولده الملك الصالح فلم تطل مدته، ومرض، وطال مرضه إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. وورثه والده سودون المذكور «وهو على حاله جندى، غير أنه كان معظما فى الدولة» لكونه حمو الملك الظاهر ططر، وجد ولده الملك الصالح محمد. وعاش سودون المذكور إلى بعد سنة ثلاثين وثمانمائة. وكان شكله حسنًا فى شبيبته، ثم حصل فى إحدى=

الجمعة ثالث عشر صفر، وكان قد صار أمير مائة مقدم ألف فى أيام ابن أخته الصالح محمد بن ططر، بعدما عمله زوج أخته الظاهر ططر أمير طبلخاناه، فلم يتهن بالنعمة، وطال مرضه حتى مات(١).

ومات الشريف عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية، فى ربيع الأول، وهو مسجون بالقلعة، وقد أخذ من المدينة مقيدًا فى موسم السنة الخالية، وولى عوضه عجلان بن نعير.

ومات شمس الدين محمد بن على بن أحمد المعروف بالزراتيتى، المقرئ الحنفى، إمام الخمس بالمدرسة الظاهرية برقوق، فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، وقد تجاوز السبعين، وكف بصره وصار شيخ الإقراء بالقاهرة.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن على البيجورى، الفقيه الشافعى (٢)، يوم

=عينيه خلل. عاريًا، مهملا، أجنبيًا عن كل علم وفن. انظر المنهل الصافى ٥/ ٧٩ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٦٢، النجوم ١٤/ ١٥: ١١٤، الضوء ٣/ ١٠٠ بدائع الزهور ٢/ ٧٨، نزهة النفوس ٣/ ١٦.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١.

(٢) إبراهيم بن أحمد بن على، الشيخ الإمام العلامة فقيه عصره برهان الدين البيجورى الشافعى. مولده قبل الخمسين وسبعمائة. قال ابن تغرى بردى فى تاريخ القاضى علاء الدين خطيب الناصرية، قال شيخنا برهان الدين أبو إسحاق: قدم حلب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونزل بالمدرسة العصرونية، وكتب بخطه شرح الأذرعى على المنهاج المسمى بالقوت، وكان ينظر عليه فى أماكن من دماغه على الكتابة، أخبرنى أنه نظر إلى كتاب الطلاق ثم تركه حياء من الشيخ شهاب الدين الأذرعى فإنه كان نازلا عنده فى المدرسة، وكان تفقه على الشيخ جمال الدين الأسنوى، وبرع فى الفقه وأفتى وأشغل الطلبة، حضرت عنده بالقاهرة بالمدرستين الناصرية والسابقية، وقرأت عليه، ورأيته يستحضر كثيرا من الفقه خصوصا من كلام المتأخرين فى ذلك، ولم أر فى القاهرة فى ذلك الوقت وهو فى سنة ثمان أو تسع وثمانمائة من يستحضر الفقه كاستحضاره، وهو فقير جدا، ووظائفه قليلة، ثم قال: ولقد رأيته يجارى شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى حتى يحرد منه، ويلج هو فلا يرجع، ولا يزال الصواب يظهر معه فى النقل، انتهى كلام ابن خطيب الناصرية. قال ابن تغرى بردى: ودام بعد ذلك دهرا إلى أن بنى الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار مدرسته التى بين الصورتين من القاهرة، وأعطى مشيخة المدرسة المذكورة للشيخ شمس الدين محمد البرماوى، فباشرها مدة إلى أن تحول إلى دمشق صحبة قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة دفع القاضى نجم الدين المذكور إلى البرماوى مالا وأمره أن ينزل عن المشيخة للشيخ برهان الدين البيجورى هذا، فلما وصل النزول إلى البيجورى امتنع من قبوله حتى ألح الطلبة عليه فقبل، على العادة، ورأيت فى بعض الطبقات أن قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى كان لا يزال يصلح فى تصانيفه مما ينقله له الطلبة عن البيجورى. انتهى. قال ابن تغرى بردى: رأيته مرارا=

السبت رابع عشر رجب، وقد أناف على السبعين، وتصدى للإشغال عدة سنين، ولم يخلف بعده أحفظ منه لفروع الفقه، مع إطراح التكلف، وقلة الاكتراث بالملبس، والإعراض عن الرياسة التى عرضت عليه فأباها[١].

ومات مقدم العشير بجبال صفد، بدر الدين حسن بن أحمد بن بشارة، فى سابع ذى الحجة[٢].

* * *

=عديدة، كان إماما بارعا، فقيه عصره بلا مدافعة مع علمى بمن عاصره من العلماء، تصدر للتدريس والإفتاء عدة سنين، وانتفع به غالب الطلبة، وقرأ عليه غالب علماء عصرنا، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم السبت رابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وقد أناف على السبعين. ونسبته إلى بيجورى قرية بالمنوفية من أعمال القاهرة، بباء ثانية الحروف مفتوحة وبعدها ياء آخرة الحروف ساكنة، وجيم مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة. انتهى. انظر ترجمته فى الدليل الشافى ١/ ٨، والنجوم الزاهرة ١٥/ ١١٤، والضوء اللامع ١/ ١٧، وشذرات الذهب ٧/ ١٦٩.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩١، ٢٩٢.

سنة ست وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى، والأمير الكبير الأتابك بيبغا المظفرى، والدوادار الكبير الأمير سودن بن عبد الرحمن، وأمير سلاح الأمير قجق، وأمير مجلس الأمير أقبغا التمرازى، وأمير أخور الأمير قصروه، ورأس نوبة النوب الأمير أزبك، والوزير أستادار الأمير أرغون شاه، وكاتب السر علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكويز، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله وقاضى القضاة الشافعى علم الدين صالح بن البلقينى، ونائب الشام الأمير تنبك العلاى ميق، ونائب حلب الأمير تنبك البجاسى، ونائب طرابلس الأمير أينال النوروزى[1] ونائب صفد الأمير مقبل الدوادار ونائب، حماة شار قطلوا.

وأسعار الغلال رخيصة. والأمراض فى الناس فاشية.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

فى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج وقدم المحمل ببقية الحاج من الغد. وكانت سنة مشقة إلى الغاية، توالت فيها الأمطار الخارجة عن الحد، زيادة على أربعين يوما، وأتت سيول مهولة مع غلاء الأسعار بمكة، فأبيع الحمل الدقيق بخمسة وثلاثين دينارا، وأبيعت ويبة شعير فى الأزلم بخمسين مؤيديا، فيكون الأردب الشعير

---

(١) أينال بن عبد الله النوروزى (٨٢٩ هـ = ١٤٢٥ م)، أمير سلاح، الأمير سيف الدين. وأصله من مماليك نوروز الحافظى، المتغلب على دمشق ودواداره، ثم اتصل بعد قتل أستاذه بخدمة الملك المؤيد شيخ، وترقى إلى أن ولى نيابة غزة، ثم نقل إلى نيابة حماة، ثم أمس، وصار من جملة أمراء دمشق، ثم ولى فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى نيابة طرابلس، بعد أركاس الجلبانى، واستمر فى نيابة طرابلس إلى أن عزل عنها بالأمير قصروه من تمراز، وقدم إلى القاهرة، وأنعم بإمرة مائة وتقدمة ألف بها، ثم استقر أمير مجلس بعد الأمير أقبغا التمرازى، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية، ثم نقل إلى إمرة سلاح، واستمر على ذلك إلى أن توفى أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة. وكان أمير حليلا، مهابًا، عظيمًا فى الدولة، ذا حرمة وافرة، وجبروت، وله سطوة على خدمه وحواشيه، وكان ظالمًا سفيها شرس الخلق، وعنده حدة وبادرة، إلا أنه كان كريم النفس، متجملا فى ملبسه إلى الغاية وفى مركبه ومآكله، ومماليكه. وكان يصرف لبعض مماليكه جامكية خمسة آلاف فى كل شهر، وأقل ما فى مماليكه له جامكية عشرة دنانير فى كل شهر. وهو زوج كريمة خوند فاطمة، تزوجها بعد موت زوجها الملك الناصر فرج، ومات عنها. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

على ذلك بألفين ومائة درهم من نقد القاهرة، وكثر موت الجمال، ومشت النساء والصغار عدة مراحل، ومات كثير من الناس، واشتد الحر، ثم اشتد البرد، ومع هذا كله كثرة الخوف.

وفى ثامن عشرينه: أعيد زين قاسم بن البلقينى إلى نظر الجوالى، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى على مال التزم به.

وفيه أنعم على الأمير جانبك الخازندار بإمرة طبلخاناه من جملة إقطاع الأمير فارس نائب الإسكندرية، كان.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ثامن عشره: جمع السلطان الأمراء والقضاة ومباشريه، وأحضر جماعة من التجار، وأنكر حال الفلوس، وذلك أنها كما تقدم غير مرة أنها هى النقد الرائج بأرض مصر، فينسب إليها أثمان المبيعات وقيم الأعمال، ثم لما ضرب الملك المؤيد شيخ الدراهم المؤيدية رسم أن تنسب قيم الأعمال وأثمان المبيعات إليها، فعمل بذلك مدة من أيامه حتى مات، فعادت قيم الأعمال وأثمان المبيعات تنسب إلى الفلوس، كما كانت قبل المؤيدية، وحدث فى الفلوس مع ذلك ما لم يكن يعهد منذ ضربت، وهو أنه خلط فيها قطع الحديد وقطع النحاس وقطع الرصاص، من أجل أنها تؤخذ وزنا لا عددا، وتغافل الحكام عن إنكار ذلك فتمادى الحال على هذا من بعد موت المؤيد، حتى صارت القفة من الفلوس التى وزنها مائة رطل لا يكاد يوجد فيها قدر عشرين رطلا من الفلوس، وإنما هى - كما قدم - ذكره ما بين نحاس وحديد ورصاص وانفتح للصيارفة ونحوهم من ذلك باب ربح، وهو أنهم صاروا ينقون الفلوس ويبيعونها لمن يحملها إلى الحجاز واليمن وبلاد المغرب، كل قنطار بسبعمائة درهم، فلما بلغ السلطان ذلك أراد أن يضرب فلوسا، فاختلفوا عليه فى مقدار وزنها، فأشار بعضهم أن يكون كل ستين فلسا بدرهم أشرفى، وأشار آخرون أن تكون أوزانها مختلفة، فيها ما زنته مثقال، وفيها ما زنته غير ذلك، فجمع الناس كما تقدم ليقوى عزمه على ما يمضيه، فمازالوا به حتى رجع عن تغيير المعاملة بالفلوس التى بأيدى الناس، خوفا من وقوف أحوال الأسواق، لعنت العامة، فاستقر الرأى على أن نودى بأن يكون سعر الفلوس المنقاة من الحديد والرصاص والنحاس، بسبعة دراهم كل رطل، ويكون سعر هذه القطع بخمسة دراهم الرطل، فامتثل الناس ذلك، وصارت الفلوس صنفين بسعرين مختلفين، ومشى الحال على هذا.

وفيه أبيع الرغيف بنصف درهم فلوسا، بعدما كان بدرهم لرخاء الأسعار.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير أينال النوروزى نائب طرابلس باستدعاء، فأكرمه السلطان، وأنزله بدار، ثم طلب الأمير قصروه أمير أخور، وخلع عليه بنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير أينال المذكور، وأنعم على أينال هذا بإقطاع قصروه.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، حتى أبيع القمح كل خمسة أرادب بدينار، ولهذا أسباب: أحدها النيل فى وقت زيادته، حتى شمل الرى عامة أراضى مصر. ثانيها غزارة الأمطار فى فصل الشتاء وتواليها أياما فأخصبت الزروع والمراعى. ثالثها رخاء الأسعار ببلاد الشام وأرض الحجاز فاستغنت العربان عن شراء الغلال، وترك التجار حملها إلى الحجاز، فتوفرت بديار مصر. رابعها أن الأمير الوزير شمس الدين أرغون شاه أستادار خرج إلى نواحى الغربية والبحيرة وعسف المزارعين والمتدركين، حتى ألجأتهم الضرورة إلى أن يبيعوا غلالهم ويقوموا له بما ألزموا به من المال، فلذلك كثرت الغلال، فاتضعت، و لله الحمد. ومع هذا فقد ساس كثير من الغلال بالوجه البحرى، فتسارع خزانها إلى بيعها خوفا عليها من التلف، و لله عاقبة الأمور.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم الأمير الوزير أرغون شاه من الوجه البحرى، بما جمعه من الأموال التى جباها.

وفى ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد السلطانى على العادة، فى كل سنة وحضر الأمراء وقضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وجمع كبير من القراء والمنشدين، فاستدعى قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى ليحضر، فامتنع من الحضور، فتكرر استدعاؤه حتى جاء فأجلس عن يسار السلطان حيث كان قاضى القضاة زين الدين التفهنى جالسا، وقام التفهنى فجلس عن يمين السلطان، فيما يلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

وفى ثانى عشره: توجه الأمير قصروه نائب طرابلس إلى محل كفالته.

وفى هذه الأيام: وجدت ورقة بالقصر، فيها شناعات على علم الدين بن الكويز كاتب السر، منها أنه يريد إقامة ابن الملك المؤيد شيخ فى السلطنة، فعرف من ألقاها، فدل على الذى كتبها، وهو رجل من الفقراء يقال له حسن العليمى، يخدم قبر الشيخ على بن عليم بالساحل، فاعترف أنه كتبها نصيحة للسلطان، فبعث به السلطان إلى ابن الكويز، فثبت على قوله وفاجأه بما لا يحب، فنفاه إلى بلاد الصعيد.

وفى خامس عشره: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبى أهلها، كما جبى الوجه البحرى.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة، ظهر فى السماء صفرة من قبل مغرب الشمس، كست الجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فكنت أمد يدى فلا أراها لشدة الظلام، فما بقى أحد بمصر إلا واشتد فزعه، فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلى قليلا قليلا، وعقبه ريح عاصف كادت المبانى تتساقط وتمادى طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمرًا مهولا من شدة هبوب رياح عاصفة، وظلمة فى النهار والليل لم يعهد مثلها، بحيث كان جماعة فى هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتاهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر، وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحرى وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير فى منامه كأن قائلا يقول ما معناه: لولا شفاعة رسول الله ﷺ لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس، لكنه شفع فيهم، فحصل اللطف.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة.

وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجى قاضى القضاة الشافعى بدمشق، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضى القضاة الحنفى بها، وعدة من تجارها، فصودروا.

وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحرى من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت.

وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلف عامة زروعها وأشجارها، حتى أكل الأسابيط من فوق النخل فأمحلت[1] ونزح كثير من أهلها، فمات معظم الفقراء النازحين جوعًا وعطشًا، ولا قوة إلا بالله.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

---

(١) هو أى اشتدت وحدبت، يقال أمْحلَ المكان: أجدب. فهو ما حل. انظر القاموس المحيط «محل» المعجم الوسيط «محل».

فى ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بناحية وسيم فى أمرائه ومماليكه يتنزه، ثم عاد.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فخلع عليه، ورتب له ما يليق به، وقدم له الأمراء على مقدارهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه قدم الخبر أن مدينة الكرك[(١)] تلاشى أمرها، وخربت قراها وتشتت أهلها، وأنها آيلة إلى الدثور.

وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اصطنبول إلى أزنيك[(٢)] وملكها بعدما حاصرها مدة، فسار إليه أخوه مراد بعساكره وقاتله، فظفر به وقتله، وعاد إلى برصا، وقد صفا له الجو.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسى إلى حلب على نيابته.

وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس، وأبيع الأردب القمح بثمانين درهمًا، فيكون كل ثلاثة أرادب بمثقال ذهب، وكل أردب بأربعة دراهم فضة، وكل ستين رغيفًا بدرهم فضة، ولم يعهد مثل هذا الرخاء فى هذه الأزمنة، ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز، فالله يحسن العاقبة.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير جقمق، واستقر أمير آخور، عوضًا عن قصروه نائب طرابلس، وكانت فى هذه المدة شاغرة[(٣)].

وفى يوم السبت تاسع عشر: أمطرت السماء مطرًا كبيرًا من أول يوم الجمعة أمسه، حتى مضى السبت، وكانت عامة فى معظم أرض مصر قبليها وبحريها، فسالت الأودية، وظهرت فى النيل زيادة نحو ذراع، ودثرت مقابر كثيرة وسقط ببلاد البحيرة برد كبار جدًا، يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعًا.

وفى شهر بشنس، وفى نصف نهار السبت هذا: هبت رياح قوية ألقت مبانى

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أَزْنِيكُ: مدينة على ساحل بحر القسطنطينية. انظر معجم البلدان ١/ ١٦٩.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٨٩.

عديدة وعم هبوبها فى أكثر أرض مصر، فسقط فى ناحية أبيار[١] ألف ومائتا نخلة، وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألقتها ببعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة.

وفى هذا الشهر: انتشر ببلاد الصعيد من الطير التى يقال لها الزرازير أمة لا يحصى عددها إلا الله خالقها سبحانه، فأهلكها هذا الريح، حتى صار منها عدة كيمان يمر الفارس فيها بفرسه مدة ثلاثة أيام، ولولا هلكت لرعت الزروع.

وفيه جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد فى الكثرة، فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر، فهلك عن آخره، كفاية من الله.

وفيه تلفت زروع عدة بلاد من نواحى أرض مصر لكثرة المطر والبرد بحيث وجد فى البرد ما وزن الواحدة منه عدة أواقى، وتلفت أشجار كثيرة ونخيل كثير بالقرى من الريح، وسقط من طير السماء فيما بين الإسكندرية وبرقة شىء كثير جدًا من قوة الريح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى هذا الشهر: عظم الوباء بدمشق، وفشا فى البلاد إلى غزة.

وفيه تحرك سعر الغلال بأرض مصر، فارتفع الأردب القمح من مائة إلى مائة وأربعين، والشعير من سبعين درهمًا الأردب إلى مائة درهم.

وفى سابع عشره: قدم الأمير أرغون شاه من بلاد الصعيد، وقد وصل إلى مدينة هو، فجبى الأموال، وما عف ولا كف، وأحضر معه من الأغنام والأبقار والخيول ومن القند والسكر والعسل شىء كثير، فخرب فى حركتيه المذكورتين إقليم مصر، أعلاه وأسفله، ثم شرع فى رمى ما أحضره على الناس بأغلى الأثمان والعسف فى الطلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه كملت الوكالة وعلوها بخط الركتن المخلق على يد عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش، ولم يعسف العمال فيها، ولا بخسوا شيئًا من أجرهم، فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.

---

(١) أبيار: بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ جمع البئر مخفف الهمزة: اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية. انظر معجم البلدان ١/ ٨٥.

وفيه ابتدئ بهدم الحوانيت والفنادق، التى فيما بين المدرسة السيوفية[1] وسوق العنبريين لعمل[2] موضعها مدرسة للسلطان، وكانت موقوفة على المدرسة القطبية وغيرها، فاستبدل بها أملاك أخر من غير إجبار المستحقين. وجعل الاختبار لهم فيما يستبدل به حتى تراضوا، ولم يشق عليهم. وتولى ذلك زين الدين عبد الباسط.

وفيه انحل سعر الغلال وقد أبيعت الغلال الجديدة.

وفيه قدم عدة من الفرنج الكيتلان، لزيارة القدس مستخفين، فعسر على نحو المائة منهم، وسجنوا.

وفى ثانى عشره: ابتدأت المناداة بزيادة النيل، وقد جاءت القاعدة ثمانية أذرع وعشر أصابع. وهذا مما يندر مثله.

وفيه أدير محمل الحاج على العادة[3].

وفيه كتب بعزل قاضى القضاة الشافعى بدمشق، نجم الدين عمر بن حجى وسجنه، والكشف عنه، واستقرار شمس الدين محمد بن زيد قاضى بعلبك عوضه فى قضاء دمشق. وسبب ذلك تنكر الأمير تنبك ميق نائب الشام عليه، وتغير كاتب السر علم الدين داود بن الكويز وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وبدر الدين محمد بن مُزهر ناظر الإصطبل ونائب كاتب السر، فإنه أطرح جانبهم، وصار يبلغهم عنه ما يوغر صدورهم، من استخفافه بهم لمعرفته إياهم قبل ارتفاعهم فى الأيام المؤيدية. واغتر بكثرة من يساعده من الأمراء لما له عليهم من الأفضال المستمر، فأخذ الجماعة فى مكايدته، حتى أوقعوا بينه وبين السلطان، فلم يفده مساعدة الأمراء له.

وفى يوم السبت سابع عشره: اتفقت حادثة فيها موعظة، وهى أن الأمير أرغون شاه جمع الجزارين لأخذ شىء من الأبقار التى أحضرها، ورسم على كل منهم رسولا من الأعوان الظلمة، حتى يمضى إلى بر منبابة حيث الأبقار، ويأخذ منهم ما ألزم به منها، فوافوا ساحل بولاق بكره، ونزلوا فى مركب، ونزل معهم أناس آخرون.

---

(١) تعد هذه المدرسة من جملة دار الوزير المأمون البطائحى، وقفها السلطان صلاح الدين على الحنفية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٦٥.

(٢) كان مكان هذا السوق - سجنا فى عهد الدولة الفاطمية، فلما تسلطن السلطان المنصور قلاوون هدمه وبناه سوقا لبائعى العنبر. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤/ ٩٠.

وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يحييهم، حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب، ودعا بذلك، وهم يؤمنون على دعائه، فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت، فغرقوا بأجمعهم، إلا قليلا منهم، فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة، فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن، وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه، وذهب الغرقى بلا قاتل ولا قود.(١)

وفى ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضى القضاة الشافعى إلا عشرة نواب، وأن يكون للحنفى ثمانية نواب وللمالكى ستة وللحنبلى أربعة. فعمل ذلك مُديدة، ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت قالة العامة فيهم، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان فى أبوابهم، حتى اتضعت نواب القضاة فى أعين الكافة، وانحطت أقدارهم عند أهل الدولة، وجهروا بالسوء من القول فيهم.

واتفق فى هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس فى جميع الجهة الشمالية، التى يسميها المصريون وجه بحرى؛ وانتشار الحمرة فى الجهة الشمالية أيضًا بعد غروب الشمس حتى يمضى من الليل ساعة، وتصير الأرض والجدران وغير ذلك فى هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر، وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك.

وفيه تناقص الوباء ببلاد الشام، بعدما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصى من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفًا، وكان يموت من غزة فى كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا.

وفيه وقع الوباء ببلاد الخليل عليه السلام.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفى فر من السجن بالإسكندرية، فلم يقدر عليه، فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمياط.

---

(١) هو القصاص. انظر: القاموس المحيط (قود)، المعجم الوسيط (قود).

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر حاجب الحجاب. وكانت شاغرة منذ انتقل جقمق عنها، وصار أمير أخور.

وفيه كتب باستقرار الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فى نيابة الشام، بعد موت تنبك ميق. واستقر شارقطلو نائب حماة فى نيابة حلب، عوضًا عن تنبك البجاسى، واستقر جلبان - أمير أخور الملك المؤيد شيخ - فى نيابة حماة. وقد كان من جملة أمراء دمشق. وتوجه الأمير جانبك الخازندار فى ثامن عشرينه بتقاليد المذكورين وتشاريفهم.

وفيه رسم بإعادة نجم الدين عمر بن حجى إلى قضاء القضاة بدمشق، وحمل تقليده وتشريفه.

وفيه جرى الماء فى خليج الإسكندرية، وعبرت فيه السفن، وذلك أنه غلب الرمل على أشتوم[1] بحيرة الإسكندرية[2] حتى جف ماؤها، وصارت الريح تسفى الرمال على الخليج، إلى أن علت أرضه، وجف ماؤه من بعد سنة سبعين وسبعمائة، وصار الماء لا يدخل إليه إلا أيام الزيادة، فإذا نقص ماء النيل جف الخليج. ولذلك خرجت أكثر بساتين الإسكندرية وضياعها التى على الخليج. وصار شرب أهلها من الماء المخزون بالصهاريج. وحاول السلاطين حفر هذا الخليج مرارًا، فلم ينجح عملهم، لقلة المعرفة بأمره، ثم إن السلطان ندب الأمير جرباش قاشق - أحد مقدمى الألوف - لعمل هذا الخليج، فجمع من النواحى ثمانمائة، وخمسة وسبعين رجلا، وابتدأ فى حفره من حادى عشر جمادى الأولى من حنى فم النيل. وصار كلما حفر منه شيئًا أرسل الماء عليه من الفم، حتى انتهى حفره فى حادى عشر شعبان هذا لتمام تسعين يومًا، وعبر الماء فى اليوم المذكور إلى الإسكندرية، وقد خرج الناس لرؤيته، وسروا به سرورًا كبيرًا. وكانت كلفة الحفر مما جبى من النواحى التى تسقى من الخليج، ومن بساتين الإسكندرية.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه - الموافق له سادس مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعًا، فنزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان، حتى خلّق عمود المقياس، وفُتح الخليج على العادة.

---

(١) أُشْتُوم: بالضم ثم السكون: موضع قرب تنيس. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩٦.

(٢) بحيرة الإسكندرية: هذه ليست بحيرة ماء، إنما هى كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قُرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٥١.

وفيه قبض على الأمير سودن الأشقر أحد مقدمى الألوف، ونفى بطالا إلى القدس. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق، فتوجه إليها.

وفيه خرج عدة من الأمراء إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد، وقد ورد الخبر بحركة الفرنج، فتكامل توجههم فى سابعه.

وفى ثامن عشرينه: جمع السلطان التجار والصيارف بسبب الفلوس، فإنها من حين نودى عليها فى صفر أن تكون المضروبة بسبعة دراهم الرطل، والقطع بخمسة الرطل، قلت حتى لم تكد توجد. وسبب ذلك أن التجار كثرت تجارتهم فيها، وشدوا أحمالا كثيرة من الفلوس المنقاة، وقد بلغ القنطار منها ثمانمائة درهم، وبعثوا منها إلى الحجاز واليمن والهند وبلاد المغرب بشىء لا يدخل تحت حصر، لما لهم فيها من الفوائد. وضرب آخرون منها الأوانى النحاس كالقدور ونحوها، وباعوها بثلاثين درهمًا الرطل. وتصدى جماعة لقطع الحديد والنحاس والرصاص والقصدير، فأفرزوا كل صنف على حدة، واستعملوه فيما يصلح له، فربحوا فيها كثيرًا. ومع ذلك فمن عنده شىء منها شح بإخراجه فى المعاملة. وتصدت جماعة لجمعها، فعزت حتى لم يقدر عليها. وتوقفت أحوال الناس فى معايشهم، لفقدها. فلما اجتمع الناس عند السلطان، استقر الرأى على أن تكون الفلوس المنقاة بتسعة دراهم الرطل، وأن لا يتعامل أحد بشىء من القطع النحاس والحديد والرصاص والقصدير، ونودى بذلك، وهدد من خالف وسافر بشىء منها إلى البلاد.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى سادسه: ابتدأ الهدم فى الحوانيت والرباع التى علوها فيما بين الصنادقيين[١] ورأس الخراطين[٢]، لتبنى وكالة وربعا، تجاه العمارة الأشرفية.

وفى سابعه: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك، باستدعاء.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر كاتب السر بعد موت علم الدين داود بن الكويز، فأذكرتنى ولايته بعد ابن

---

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٢.

(٢) سوق الخراطين سوق كبير، وبه حوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع الدوى. نظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٣.

الكويز قول أبى القاسم خلف بن فرج الألبيرى(١) - المعروف بالسميسر - وقد هلك وزير يهودى لباديس بن حبوس الحميدى(٢) أمير غرناطة من بلاد الأندلس، فاستوزر بعد اليهودى وزيرا نصرانيا:

كل يوم إلى ورا ... بدل البول بالخرا
فزمانًا تهودا ... وزمانًا تنصرا
وسيصبو إلى المجوس إذا الشيخ عُمِّرا

وقد كان أبو الجمال هذا من نصارى الكرك، وتظاهر بالإسلام فى واقعة كانت للنصارى، هو وأبو العلم داود بن الكويز، وخدم كاتبًا عند قاضى الكرك عماد الدين أحمد المقيرى. فلما قدم إلى القاهرة. وصل فى خدمته وأقام ببابه، حتى مات وهو بائس فقير، لم يزل دنس الثياب، مقتم الشكل، وابنه هذا معه فى مثل حاله. ثم خدم عند التاجر برهان الدين إبراهيم المحلى كاتبًا لدخله وخرجه، فحسنت حاله، وركب الحمار. ثم سار بعد المحلى إلى بلاد الشام، وخدم بالكتابة هناك، حتى كانت أيام الملك المؤيد شيخ، ولاّه ابن الكويز نظر الجيش بطرابلس، فكثر ماله بها. ثم قدم فى آخر أيام ابن الكويز إلى القاهرة، فلما مات وعد بمال كثير حتى ولى كتابة السر، فكانت ولايته أقبح حادثة رأيناها.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أسندمر نائب الإسكندرية باستدعاء، فقبض عليه، ونفى إلى دمياط بطالا. واستقر الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس عوضه فى نيابة الإسكندرية.

---

(١) خلف بن فرج (نحو٤٨٠هـ = ١٠٨٧م) خلف بن فرج الإلبيرى، أبو القاسم، المعروف بالسميسر: شاعر هجاء، أصله من ألبيرة وبيته فى غرناطة. أدرك الدولة العامرية وانقراضها. انظر: ابن بسام فى الذخيرة المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧٢، الأعلام ٢/ ٣١١.

(٢) المظفر الصنهاجى (٤٦٥هـ= ١٠٧٣م) أديس بن حبوس بن ماكس الصنهاجى، أبو مناد، الملقب بالمظفر صاحب غرناطة وأعمالها. من ملوك الطوائف بالأندلس. بويع بها بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. وطمع به زمير العامرى (صاحب المدية) فهاجم غرناطة بجيش كثيف حتى وصل إلى بابها (سنة ٤٢٩) فقاتله باديس، فظفر، وقتل زهير فى آخر المعركة. وأراد احتلال إشبيلية، فأرسل إليه ابن عياد ابنا له اسمه إسماعيل بن محمد، فقاتله رحال باديس، وقتل إسماعيل وانهزم من معه إلى إشبيلية (سنة ٤٣٤) فارتفع شأن باديس وهابه نظراؤه . وكانت خطبته للأدارتة من بنى حمود أصحاب مالقة فنشأت بينه وبين المهدى الحمودى عداوة، فأرسل إليه باديس كأسا مسمومة فقتله (سنة ٤٤٤هـ) وخضعت له مالقة. انظر: الإحاطة ١/ ٢١٩، سيد النبلاء - خ - المجلد ١٠، العبر ٦/ ١٨٠ البيان المغرب ٣/ ١٦٧ - ٢٦٦. الأعلام ٢/ ٤٠.

وفى سادس عشره - الموافق له رابع عشرين توت -: انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعًا، تنقص إصبعًا واحدًا، وابتدأ نقصه من الغد.

وفى تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الطواشى افتخار الدين مثقال مقدم المماليك، ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه، وقد تقدمه الركب الأول صحبة الأمير أينال الششمانى[(١)] أحد أمراء العشرات.

وفى رابع عشرينه: خلع على نقيب الأشراف، السيد الشريف بدر الدين حسن بن الشريف النقيب على، وأضيف إليه نظر وقف الأشراف، عوضًا عن شرف الدين محمد ابن عبد الوهاب بن نصر الله. وكان قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عادتهم.

وفى سادس عشرينه: نزل السلطان إلى عمارته.

وفيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الكسوة، عوضًا عن شرف الدين المذكور، وفى نظر الجوالى عوضًا عن قاسم بن البلقينى وخلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، واستقر كاشف الشرقية. وكان الكشف بيد الأمير أرغون شاه أستادار.

وفى سابع عشرينه: قبض على أرغون شاه المذكور لعجزه - مع ظلمه وعسفه - عن جامكية المماليك، فإن مصروف الديوان المفرد عظم، وصارت البلاد المفردة له - مع مظالم العباد - لا تفى به.

وفى ثامن عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن موسى المرداوى، المعروف بابن أبى والى، واستقر أستادارًا، عوضًا عن أرغون شاه. وعوقب

---

(١) أينال بن عبد الله الششمانى الناصرى (٨٥ هـ = ١٤٤٧ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الناصر فرج، وممن صار فى أيام أستاذه أمير عشرة. ولما آلت السلطنة إلى الملك المؤيد شيخ، قبض عليه، وحبسه سنين إلى قريب موته أفرج عنه، فأقام من جملة الأجناد إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، فدام على ذلك سنين فى دولة الأشرف برسباى إلى أن ولاه حسبة القاهرة، ثم جعله أمير طبلخاناة، وثانى رأس نوبة، ثم استقر فى نيابة صفد بعد وفاة الأمير مقبل الدوادار، فباشرها سنيات، وعزل واتجه إلى دمشق أمير مائة ومقدم ألف بها، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى أتابكية دمشق، بعد الأمير قانى باى البهلوان، بحكم انتقاله إلى نيابة صفد بعد الأمير أينال العلائى الأجرود، فدام على ذلك إلى أن توفى بدمشق فى شهر ربيع الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة. وكان ضخمًا، معتدل القامة، مليح الشكل، عفيفا عن المنكرات والفروج، إلا أنه كان بخيلا، جبانًا. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨.

أرغون شاه بين يدى السلطان. ومن خبر ابن أبى والى هذا أن أباه من تجار القدس، وتزيا هو بزى الأجناد، وخدم أستادار الأمير جقمق الدوادار فى أيام المؤيد بديار مصر مدة، ثم صادره وصرفه، فخدم أستادار نائب الشام مدة. وكثر ماله، فأحضر من دمشق إلى القاهرة فى هذا الشهر، وألزم بحمل عشرين ألف دينار، فوعد أن يحمل فى هذا اليوم ثلاثة آلاف دينار. فلما قبض على أرغون شاه، سولت له نفسه وزين له شيطانه أن يكون أستادارًا، ويسد المبلغ الذى ألزم به منها، فاستقر[1].

وفيه خلع أيضًا على كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ، واستقر فى الوزارة، عوضًا عن أرغون شاه.

وفى تاسع عشرينه: سلم أرغون شاه إلى الأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى أستادار ليستخلص منه ستين ألف دينار، فنزل من القلعة مع أعوان الوالى حتى دخل داره التى كان يسكنها أرغون شاه وقد سكنها ابن أبى والى، فعندما دخلها بكى، وكان فى بلائه هذا أعظم عبرة. وذلك أن ابن والى فى ابتداء حاله كان من جملة أجناد أرغون شاه الذين يخدمونه أيام عمله وهو أستادار نوروز الحافظى، فدارت الدوائر حتى صار ابن أبى والى أستادار عوضًا عن أرغون شاه، وسكن فى داره بالقاهرة التى كان بالأمس يتردد إليه فيها. ويجلس حتى يستأذن له عليه. ثم أخذ ليعلقه فى هذه الدار، يحضره من كان يخدمه بها. أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة وزوال نعمه، ورزقنا العافية بمنه وكرمه.

وفيه خلع على الأمير إينال النوروزى الذى كان نائبًا بطرابلس، واستقر أمير مجلس، عوضًا عن أقبغا التمرازى نائب الإسكندرية.

شهر ذى القعدة، أوله يوم الخميس:

فيه قدم للسلطان إخوان من بلاد الجركس فى ستين من الجراكسة، فخرج الأمراء إلى لقائهم.

وفيه توجه الأمير قجق أمير سلاح، والأمير أركماس الظاهرى أحد مقدمى الألوف، والقاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش إلى مكة، على الرواحل حاجين.

وفى رابعه: تقرر على أرغون شاه عشرة آلاف دينار حالة يقوم بها، ويمهل فى مبلغ عشرين ألف دينار مدة، فأفرج عنه.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٣.

وفى سادسه: وصلت هدية الأمير قصروه نائب طرابلس، وهى مائة وخمسون فرسًا، وكثير من القماش والفرو.

وفى هذه الأيام: هبط ماء النيل سريعًا مع فساد جسور النواحى، من سوء سيرة ولاة عملها، فانقطعت منها مقاطع كثيرة، شرق بسببها عدة أراضى بالوجه القبلى وبالوجه البحرى وبالجيزة، فنسأل الله اللطف. هذا، والغلال رخيصة، فالقمح بمائة وأربعين درهمًا من الفلوس كل أردب، والشعير والفول بسبعين درهمًا الأردب.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره - الموافق له ثانى عشرين بابه -: والشمس فى الدرجة الخامسة من برج العقرب، حدث فى السماء راعد شديد وبرق، ثم مطر كثير جدا، لم نعهد مثله فى مثل هذا الزمان. ومع ذلك فالحر موجود، فسبحان الفعال لما يريد.

وفى سادس عشره: قدم الأمير جانبك الخازندار من الشام، وقد قلد النواب، فخلع عليه، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير قرقماس المتوجه إلى الحجاز، بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف. وجانبك هذا رباه السلطان صغيرًا، فحفظ حق التربية، بحيث أن جقمق نائب الشام لما ثار بعد موت المؤيد وقبض على السلطان، وهو يومئذ من أمراء دمشق، وسجنه، بذل الرغائب لجانبك هذا، فلم تستمله الدنيا، وثبت على خدمة أستاذه حتى خلصه الله، فوفى السلطان له بذلك، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم إمرة طبلخاناة، وبعثه لتقليد نواب الشام فأثرى. ولما قدم، صار دوادارًا. وفى الحقيقة هو صاحب التدبير فى الدولة نقضًا وإبرامًا، لكثرة اختصاصه بالسلطان، ومزيد قربه منه(١).

وفى سادس عشرينه: ثارت المماليك بأستادار لعجزه عن تكملة النفقة، وضربوه، ففر حتى التجأ إلى بيت بعض الأمراء.

وفى ثامن عشرينه: ختم على مطابخ السكر، وألزم من يدولب طبخ السكر ألا يتعرض أحد منهم لعمله، ومنعت باعة السكر وباعة الحلوى من شراء السكر إلا من سكر السلطان. وعمل لذلك ديوان، وأقيم له جماعة ليدولبوا السكر، فامتنع كل أحد من بيع السكر، إلا السلطان، ومن شراه إلا من سكر السلطان، فضاق الناس ذرعًا بذلك، وتضرر به جماعة عديدة(٢).

شهر ذى الحجة، أوله الجمعة:

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٥.

فى ثالثه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان للسرحة فى عدة من الأمراء حتى اصطاد، ودخل القاهرة من باب النصر، وصعد القلعة من باب زويلة. ومولده فى سنة تسع عشرة. وركب أيضا فى سادسه.

وفى هذه الأيام: اشتد الفحص عن الأمير جانبك الصوفى، وعوقب بعض المماليك حتى هلك بسببه. وقبض على أصهاره وعوقب بعضهم، وأخذت له أشياء وجدت له.

وفيها تحرك سعر الغلال، وفشت الأمراض فى الناس من الحميات.

وفى ليلة السبت سادس عشره: زلزلت القاهرة زلزلة كلمح البصر، ثم زلزلت كذلك فى ليلة الأحد.

وفى حادى عشرينه: ألزم الناس أن لا يتعاملوا بالذهب الإفرنتى المشخص، إلا من حساب كل دينار بمائتين وعشرين فلوسًا، وكان آخر ما استقر عليه الحال أن الدينار بمائتين وخمسة وعشرين، فلم يتغير صرفه عن ذلك مدة إلى أثناء هذه السنة، زادت العامة فى صرفه حتى بلغ مائتين وثلاثين، فأنكر السلطان ذلك عندما بلغه، ورسم أن ينقص كل دينار عشرة دراهم، حتى يبقى بمائتين وعشرين درهمًا، فخسر الناس مالا كثيرًا.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار، وكثرة الأمطار، وأن الشريف حسن بن عجلان لم يقابل أمير الحاج ونزح عن مكة، لما بلغه من الإرجاف بمسكه، فنودى من يومه بعرض الأجناد البطالين، ليجهزوا إلى التجريدة بعد النفقة عليهم لغزو مكة، فاستشنع ذلك.

وفيه كبست عدة أماكن بسبب جانبك الصوفى فلم يوجد.

وفى هذه السنة: اشتد غضب متملك الحبشة وهو أبرم - ويقال له إسحاق بن داود بن سيف أرعد - بسبب غلق كنيسة قمامة بالقدس، وقتل عامة من فى بلاده من الرجال المسلمين، واسترق نساءهم وأولادهم، وعذبهم عذابا شديدًا، وهدم ما فى مملكته من المساجد، وركب إلى بلاد جبرت[1] فقاتلهم وقتل عامة من فيها، وسبى نساءهم وذراريهم، وهدم مساجدهم، فكانت فى المسلمين ملحمة عظيمة جدًا لا يحصى عدد من قتل فيها.

وفى هذه السنة: حدث أمر الناس فى غفلة عنه معرضون، وهو أنه أخبرنى من لا

---

(١) جبرت: مدينة من أكبر مدن الحبشة، تقع غربى زيلع، وأهلها مسلمون. نظر تقويم البلدان.

أتهم فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة أن الأرضة التى من طبعها إفساد الكتب والثياب الصوف، أكلت له بناحية مرج الزيات - ظاهر القاهرة - ألفا وخمسمائة قتة[١] دريس وهذا الدريس يحمله خمسة عشر جملا وأكثر. فكثر تعجبى من ذلك، ومازلت أفحص عنه على عادتى فى الفحص عن أحوال العالم حتى وقفت على أن ضرر الأرضة تعدى بناحية مرج الزيات، فأتلفت الأخشاب والثياب عندهم، وقوى ضررها حتى شاهدت تلك الأعوام حوائط البساتين التى بناحية المطرية وقد جددت الأرضية فيها أخاديد طوالا. ثم لما كان بعد سنة عشرين وثمانمائة كثر عبث الأرضة بالحسينية خارج القاهرة، حتى صارت أخشاب سقوف الدور ترى مجوفة من داخلها، فشرع أربابها فى الهدم حتى أتوا على معظم تلك الديار، والأرضة ضررها يفحش، إلى أن وصلت الدور التى بباب النصر. وقد كثر ضررها أيضا بالمدينة النبوية. وحدثت فى هذه الأعوام بمكة أيضًا، وفى سقف الكعبة. ولقد مر بى قديما فى كتب الحدثان مما أنذر بوقوعه فى هذا الزمان، أن يسلط على الناس الحيوان الردىء، فكنت أفكر فى ذلك زمانا وأقول كيف يسلط الحيوان على الناس وأحسب ذلك من جملة ما رمزوه، حتى كان من أمر الأرضة ما كان، فعلمت أنها هى الحيوان المعنى، ولعمرى هذا أمر له ما بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

تاج الدين فضل الله بن الرملى ناظر الدولة، فى حادى عشرين صفر وباشر نظر الدولة عدة سنين، وأناف على الثمانين، وسئل بالوزارة غير مرة فامتنع. وكان من ظلمة الكتاب الأقباط وفساقهم[٢].

وقتل ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح[٣] قاضى المدينة النبوية، ليلة السبت رابع عشرين صفر.

---

(١) القت: علف للدواب، وهو نباتات عشبية كلئية، فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية فى المروج والحقول. انظر لسان العرب (قت)، المعجم الوسيط (قت).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن صالح (٨٢٦ هـ = ١٤٢٢ م) قاضى القضاة ناصر الدين المدنى ولى قضاء المدينة مدة سنين إلى أن توفى ليلة السبت رابع عشر صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة. وكان فاضلا، مشكور السيرة، عفيفا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٢١١ والنجوم الزاهرة ١٥/ ١١٦، أنباء الغمر ٣/ ٣١٧، نزهة النفوس ٣/ ٣٦، التحفة اللطيفة ٥٣٢/٢، الضوء اللامع ٤/ ١٣١.

وقتل ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، متملك بلاد قرمان فى صفر بحجر مدفع أصابه فى حرب مع عساكر مراد بن كرشجى متملك برصا. وقد ذكرنا قدومه أسيرا فى الأيام المؤيدية شيخ ثم أفرج عنه بعد موته(١).

ومات الأمير قطلوبغا التنمى أحد أمراء الألوف فى الأيام المؤيدية شيخ، وهو بطال بدمشق. فى ليلة السبت سابع عشرين ربيع الأول(٢).

وماتت خوند زينب ابنة الظاهر برقوق فى ليلة السبت ثامن عشرين ربيع الآخر وهى آخر من بقى من أولاد الظاهر، لصُلبه.

وماتت ابنتى فاطمة يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الأول، وهى آخر من بقى من أولادى، عن سبع وعشرين سنة وستة أشهر.

ومات الأمير غرس الدين خليل الجشارى، نائب الإسكندرية - كان - وهو من جملة أمراء دمشق فى شهر رجب.

ومات الأمير تنبك ميق العلاى نائب الشام، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وكان مع ظلمه سخيفًا ماجنا متجاهرًا. وهو من جملة المماليك الذين أثاروا الفتن. وفر من الناصر فرج، ولحق بشيخ المحمودى وهو ببلاد الشام، فلزمه حتى تسلطن، فرقاه كما تقدم.

ومات قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى فى يوم الخميس سابع عشرينه، عن خمس وستين سنة. وقد نشأ على أجمل طريقة، وبرع فى الحديث الشريف والفقه، وشارك فى فنون، وناب فى الحكم بالقاهرة عن العماد أحمد بن عيسى الكركى، ومن بعده. ثم ترفع عن ذلك، وتصدى للإفتاء والتدريس، حتى ولى القضاء ثم صرف عنه كما تقدم(٣).

ومات علم الدين داود بن زين عبد الرحمن بن الكويز الكركى، كاتب السر، فى يوم الإثنين سلخه، و لم يبلغ الخمسين سنة. ودفن خارج القاهرة. وكان الجمع فى جنازته موفورًا. وقد كان أبوه من كتاب الكرك النصارى، يقال له جرجس، فأظهر الإسلام، وتسمى عبد الرحمن، وباشر عدة جهات بالكرك ودمشق والقاهرة، آخرها

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٥.

نظر الدولة. وخدم ابنه داود هذا فى الجيزة، ثم لحق بالشام، وباشر نظر جيش طرابلس. واتصل بالمؤيد شيخ المحمودى - هو وأخوه صلاح الدين خليل فولاه نظر الجيش بدمشق. وعمل أخاه صلاح الدين فى ديوانه فقبض عليهما فى سنة اثنتى عشرة، وحملا إلى القاهرة على حمارين فى أسوأ حال. ثم أفرج عنهما ففرا إلى دمشق. ومازالا فى خدمة شيخ حتى قدم بهما إلى مصر وتسلطن، فولى داود هذا نظر الجيش، ثم ولاه ططر كتابة السر. وكانت تؤثر عنه فضائل، منها أنه يلازم الصلاة، وصيام أيام البيض من كل شهر، ويتنزه عن القاذورات المحرمة كالخمر واللواط والزنا، ويتصدق كل يوم على الفقراء، إلا أنه كان متعاظما، صاحب حجاب وإعجاب، مع بعد عن جميع العلوم. ولكنه فى الألفاظ ذو شح زائد، وحفظت عليه ألفاظ تكلم بها سخر الناس منها زمانا، وهم يتناقلونها، وكان مهابا إلى الغاية متمكنا فى الدولة، موثوقا به فيها، بحيث مات ولا أحد أعلا رتبة منه[١].

ومات قاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد المقدسى الحنبلى، يوم الخميس تاسع عشرين ذى القعدة، وقد بلغ الثمانين، وابتلى بالزمانة[٢] والعطلة عدة سنين وكان يعد من نبهاء الحنابلة وخيارهم. وباشر القضاء[٣].

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٥.

(٢) الزَّمَانَةُ: مرض يدوم أى: العاهة. انظر: المعجم الوسيط (زمن).

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٤.

سنة سبع وعشرين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباى. والأمير الكبير الأتابك بيبغا المظفرى. والدوادار الكبير سودن بن عبد الرحمن. وأمير سلاح قجق. وأمير مجلس أينال النوروزى. وأمير أخور جقمق. ورأس نوبة أزبك. وحاجب الحجاب جرباش قاشق. والوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق[1] بن محمد ابن كاتب المناخ. وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله. وكاتب السر جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى. وأستادار ناصر الدين محمد بن محمد بن أبى والى القدسى. ونائب الشام تنبك البجاسى. ونائب حلب شارقطلوا. ونائب حماة جلبان ونائب طرابلس قصروه. ونائب صفد مقبل. ونائب الإسكندرية أقبغا التمرازى. والسلطان فى قلق من جانبك الصوفى، وهو حثيث الطلب له، والفحص عنه. والناس فى تخوف من ذلك، فما بين الواحد وبين هلاكه، إلا أن يقول عدو له: «جانبك الصوفى عند فلان» فيؤخذ ويعاقب حتى يهلك.

ومع ذلك فالناس فى ضيق من الحجر على السكر، والامتناع من بيعه إلا للسلطان بأربعة آلاف درهم القنطار، ولا يشتريه أحد إلا من الحوانيت التى يباع منها سكر السلطان.

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى ثانيه: قدم الأمير مقبل نائب صفد باستدعاء، فأكرمه السلطان، وخلع عليه

---

(١) عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م)، الصاحب كريم الدين ابن الصاحب تاج الدين بن شمس بن علم الدين، الشهير بابن كاتب المناخ، القبطى الأصل المصرى. ولد بالقاهرة، وأمه أم ولد رومية، ونشأ بها تحت كنف والده، وعرف قلم الديونة بحسب الحال، وخدم فى عدة جهات، وباشر عند جماعة من أعيان الأمراء، ثم ولى نظر الديوان المفرد، ثم ولى الوزر بعد عزل الأمير أرغون شاه النوروزى الأعور - فى حياة والده - بعد استغناء والده من الوزر بأشهر، فإن والده كان عزل عن الوزر بأرغون شاه فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة، «وكان لبس الصاحب كريم الدين هذا للوزر فى ثامن عشرين شوال سنة ست وعشرين وثمانمائة». انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٤٠ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢٥، النجوم الزاهرة ١٥/ ٥٢٧ حوادث الدهور ص ٣٠، الضوء اللامع ٤/ ٢١٣.

خلعة الاستمرار(١).

وفى رابعه: ركب السلطان فى طائفة يسيرة، وعبر من باب زويلة ، حتى شاهد عمارته. ومضى عائدا إلى القلعة من باب النصر، وهو بثياب جلوسه، كآحاد الأجناد، من غير شعار المملكة.

وفى ثامنه: قدم الأمير قجق، والأمير أركماس، والقاضى زين الدين عبد الباسط من الحجاز على الرواحل، فخلع عليهم. وقدم معهم الشريف مقبل أمير ينبع، راغبا فى الطاعة، فخلع عليه(٢).

وفى رابع عشره: توجه الأمير مقبل عائدًا إلى صفد، على عادته.

وفى حادى عشرينه: قدم الركب الأولى من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج. وتأخر الأمير قرقماس الدوادار فى ينبع، وطلب عسكرًا ليقاتل به الشريف حسن بن عجلان، ويستقر عوضه فى إمارة مكة، فأجيب إلى ذلك. ونودى فى الأجناد البطالين بالعرض، كما تقدم. وعين منهم ومن المماليك السلطانية جماعة ليسافروا صحبة حسين الكردى الكاشف.

وفى ثالث عشرينه: خلع على الأمير سودن بن عبد الرحمن الدوادار، واستقر نائب الشام، عوضا عن تنبك البجاسى، ونزل من القلعة سائرًا إلى دمشق، من غير أن يدخل داره، فى عدة من مماليكه على خيولهم بغير أثقال. وكان قد تحدث منذ أيام بمخامرة تنبك.

وفى سادس عشرينه: قدمت رسل مراد بن عثمان صاحب برصا بهدية.

وفيه خلع على الشريف على بن عنان بن مغامس، واستقر فى إمارة مكة شريكا للأمير قرقماس.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الشيخ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر، مفتى دار العدل، واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى.

وفى هذا الشهر: كثرت الأمطار بالقاهرة والوجه البحرى كثرة زائدة. واشتد البرد إلى غاية لم نعهد مثلها، حتى جمد الماء فى بعض الأوانى، وتجلد الطل فى الأسحار على

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٦.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٦.

الأرض وعلى الزروع. وهلكت دواب كثيرة بالأرياف من البرد، وسقطت دور كثيرة بها من الأمطار، ورؤى الثلج على جبل المقطم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى عاشره: قدم شمس الدين محمد الهروى من القدس، متعرضا بعوده إلى القضاء وغير ذلك من المناصب.

وفى رابع عشره: قدم الخبر بخروج تنبك البجاسى عن الطاعة ومحاربته أمراء دمشق. وسبب ذلك أنه لما ولى سودن بن عبد الرحمن نيابة الشام، تقدمت الملطفات السلطانية إلى أمراء دمشق، بالقبض على تنبك البجاسى، فأتوا دار السعادة فى ليلة الجمعة رابعه، واستدعوه ليقرأ عليه كتاب السلطان، فارتاب من ذلك، وخرج من باب السر، وقد لبس السلاح فى جمع من مماليكه. فثار إليه الأمراء واقتتلوا معه حتى مضى صدر نهار الجمعة، فانهزموا منه، وتحصن طائفة منهم بالقلعة، ومضى آخرون إلى سودن بن عبد الرحمن، وقد نزل على صفد.

وفى تاسع عشره: خلع على نور الدين السفطى - أحد مباشرى دواوين الأمراء - واستقر فى وكالة بيت المال، بعد موت شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى.

وفى ثانى عشرينه: نودى بأن يُمكن الناس من طبخ السكر وبيعه وشرائه، وارتفع تحكيره، وتضمين بيعه، فسر الناس بذلك.

وقدم الخبر بأن الأمير سودن بن عبد الرحمن لما نزل على صفد تلقاه الأمير مقبل نائبها، ونزل معه على جسر يعقوب. خرج تنبك البجاسى من دمشق بعدما تقدم ذكره من محاربة الأمراء حتى نزل على الجسر فى يوم الجمعة حادى عشره، وقد قطع سودن بن عبد الرحمن الجسر فباتوا يتحارسون، وأصبحوا يوم السبت ثانى عشره يترامون نهارهم كله حتى حجز الليل بينهم، فباتوا ليلة الأحد على تعبيتهم. وأصبح تنبك يوم الأحد ثالث عشره راحلا إلى جهة الصبيبة، فى انتظار ابن بشارة أن يأتيه تقوية له، فكتب سودن بذلك إلى السلطان، وركب بمن معه على جرائد الخيل، وترك الأثقال فى مواضعها مع نائب القدس. وساق حتى دخل دمشق فى يوم الأربعاء سادس عشره، فتمكن من القلعة. فللحال أدركهم تنبك، وقد بلغه مسيرهم، فلقوه عند باب الجابية، وقاتلوه، فثبت لهم مع كثرتهم، وقاتلهم أشد قتال، والرمى ينزل عليه من القلعة، فتقنطر عن فرسه لضربة أصابت كتفه، حتى خلّته فتكاثروا عليه، وجروه إلى القلعة، ومعه نحو عشرين من أصحابه. وكتب بذلك للسلطان، فقدم الكتاب الأول من

جسر يعقوب في يوم الأحد عشرينه، فاضطرب الناس، ووقع الشروع في السفر، وأحضرت خيول كثيرة من مرابطها بالربيع، فقدم الخبر الثاني بأخذ تنبك البجاسي بدمشق، فدقت البشائر، وكتب بقتل تنبك، وحمل رأسه إلى مصر، وتتبع من كان معه. وبطلت حركة السفر.

وفيه ابتدئ بهدم المأذنة التي أنشأها الملك المؤيد شيخ على باب الجامع الأزهر، من أجل أنها مالت حتى قرب سقوطها.

وفي رابع عشرينه: خلع على الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن فارس الخلاطي[1] المعروف بقارئ الهداية. واستقر في مشيخة خانقاه شيخو، عوضا عن شرف الدين يعقوب بن التباني.

وفي سابع عشرينه: نودي على جانبك الصوفي، ووعد من أحضره بألف دينار، وإن كان جنديا بإمرة عشرة وهدد من أخفاه وظهر عنده، بإحراق الحارة التي هو ساكن بها، وحلف المنادي على كل واحدة مما ذكر يمينا عن السلطان.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه خلع على ولي الدين محمد السفطي الشافعي، واستقر في إفتاء دار العدل، لا عن أحد.

وفي ثانيه: نودي بالخروج إلى حرب مكة، فاستشنع ذلك. وكان قد بطل أمر التجريدة إلى مكة، شغلا بخبر تنبك البجاسي. فلما تفرغ قلب السلطان اشتغل بأمر مكة.

وفي رابعه: أنفق في المجردين مبلغ أربعين دينارًا، لكل واحد.

وفي حادي عشره: قدم رأس تنبك البجاسي وعلق على باب النصر.

وفي يوم الخميس خامس عشره: رسم بفتح كنيسة قمامة بالقدس، ففتحت.

وفي سابع عشره: ركب السلطان حتى عبر من باب زويلة وشاهد عمارته ومضى من باب النصر إلى القلعة، وهو بثياب جلوسه، من غير شارة الملك.

---

(١) قارئ الهداية (٨٢٩هـ = ١٤٢٦م) عمر بن علي بن فارس الكناني القاهري الحسيني، أبو حفص، سراج الدين المعروف بقارئ الهداية، فقيه حنفي، من أهل «الحسينية» بالقاهرة، ونسبته إليها. انتهت إليه رياسة الحنفية في زمنه. وتصدى للإفتاء والتدريس، ولم يُقبل على التصنيف لتوقف في ذهنه. انظر: الضوء اللامع ٦/١٠٩، شذرات الذهب ٧/ ١٩١، كشف الظنون ٢٠٣٤ الأعلام ٥/ ٥٧.

وفى ثامن عشره: خرجت التجريدة إلى مكة، صحبة الشريف على بن عنان.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى، واستقر فى تدريس الفقه للشافعية بالجامع المؤيدى، وكان بيد قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أزبك رأس نوبة، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضا عن الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وكانت شاغرة هذه المدة. وخلع على الأمير تغرى بردى المحمودى(١) واستقر رأس نوبة، عوضا عن الأمير أزبك(٢).

---

(١) تغرى بردى بن عبد الله المحمودى الناصرى (٨٣٦ هـ = ١٤٣٣ م)، الأمير سيف الدين، رأس نوبة النوب، ثم أتابك دمشق. نسبته إلى الملك الناصر فرج بن برقوق، اشتراه وأعتقه ورقاه إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة بالديار المصرية، ودام على ذلك إلى أن قتل الملك الناصر، وتسلطن الخليفة المستعين با لله من بعده، وصار الأمير نوروز الحافظى نائب دمشق بعد والدى وأضيف إليه من الفرات إلى المدينة غزة يولى فيها من يشاء ويعزل من يشاء انضم إليه تغرى المحمودى هذا، وصار من جملة أمراته وحزبه، إلى أن تسلطن المؤيد شيخ وخرج نوروز عن طاعته وافقه تغرى بردى هذا على العصيان، واستمر عنده إلى أن ظفر المؤيد بالأمير نوروز وجماعته حبس تغرى بردى هذا مدة طويلة بحبس المرقب، ثم أطلقه قبل موته بمدة يسيرة، فلما مات المؤيد وصار ططر مدبر ملك ولده الملك المظفر أحمد أنعم على تغرى بردى المذكور بإمرة طبلخاناة، ثم لما تسلطن جعله أمير مائة ومقدم ألف المصرية، واستمر على ذلك إلى أن أخلع عليه الملك الأشرف برسباى باستقراره رأس نوبة النوب بعد انتقال الأمير أزبك منه إلى الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير تلبك البجاسى فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فباشر الوظيفة بحرمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة، وعظم فى الدولة. وتوجه إلى غزو قبرس مقدما على العساكر إذا حلوا بجزيرة قبرس، وكان الأمير أينال الجكمى مقدما على العساكر فى المركب، وعاد من غزو قبرس بعد النصرة والظفر بصاحب قبرس، وحج أمير حاج المحمل فى بعض السنين بتحمل زائد وعظمة وافرة. ولازال فيما هو فيه إلى أن قبض عليه الملك الأشرف فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة ثلاثين وثمانمائة، وقيد وأخرج إلى الإسكندرية ليحبس بها، فاتفق بمسكه أمر عجيب، وهو أن رجلا يعرف بابن الشامية من مباشريه لما بلغه القبض عليه، خرج إلى جهة القلعة فوافاه نزول أستاذه مقيدا، فصار يصرخ ويبكى وهو ماشيا معه تجاه فرسه حتى وصل إلى ساحل البحر، فأنزلوا أستاذه فى الحراقة ليمضوا به، فاشتد صراخه حتى سقط ميتا، واستمر الأمير تغرى بردى المذكور بحبس الإسكندرية مدة إلى أن أفرج عنه، ورسم له بالإقامة بثغر دمياط بطالا، فرام بالثغر المذكور إلى أن نقل إلى دمشق أتابك العساكر بها، عوضا عن الأمير قانى باى الحمزاوى بحكم انتقاله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، فاستمر بدمشق إلى أن تجرد الملك الأشرف فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة إلى آمد بديار بكر وحاصرها، فكان الأمير تغرى بردى هذا ممن توجه إليها مع العسكر الشامية صحبة السلطان، فأصابه سهم فى رجله لزم منه الفراش إلى أن مات فى شهر شوال من السنة المذكورة، ودفن بآمد ثم نقل صحبة العساكر فى عودهم إلى جهة الديار المصرية إلى مدينة الرها، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥١: ٥٣، الدليل الشافى ١/ ٢١٧، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٧٩، أنباء الغمر ٣/ ٥٠٤، نزهة النفوس ٣/ ٢٦٨، الضوء اللامع ٣/ ٢٩.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى ثانيه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وأعيد إلى تدريس الجامع المؤيدى. وخلع على البرماوى واستقر نائبا عن حفيد قاضى القضاة ولى الدين أبى زرعة بن العراقى فيما باسمه من وظائف جده، حتى يتأهل لمباشرتها.

وفى تاسعه: خلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن الجمال يوسف بن الصفى. ونزل فى موكب جليل ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفى هذا الشهر: تحرك سعر الغلال، وأبيع القمح بمائتى درهم الأردب، بعد مائة وأربعين. وقل وجوده.

وفى سابع عشره: ختن السلطان ولده الأمير ناصر الدين محمد، وعمل لختانه مهما حضره الأمراء، ثم خلع عليهم، وأركبهم خيولا بقماش ذهب، وما منهم إلا من نقط عند الختان بمبلغ ذهب، فجمع النقوط وصرف للمزين منه مائة دينار، وحمل البقية إلى الخزانة.

وفى هذه الأيام: عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بنى آدم شيئا كثيرًا، فحملوا إلى الوالى، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت فى الماء بنار شديدة، حتى ينهرى لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونُسى خبرهم بعدما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأوانى التى بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها وشق بها القاهرة.

وفى خامس عشرينه: حضر السلطان نفقة جامكية المماليك، وقطع عدة ممن له إقطاع بالحلقة.

شهر جمادى الأول، أوله السبت:

فى ثالثه: خلع على زين الدين عبد الرحيم الحموى الواعظ، واستقر خطيبا بالجامع الأشرفى.

وفى رابعه: نودى «من نزل عن وظيفة تصوف بخانكاة أو غير تصوف ضرب بالمقارع». وسبب ذلك أن جماعة ممن له تصوف بخانكاة سعيد السعداء، وخانكاة

---

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٩٩.

بيبرس، والظاهرية المستجدة بين القصرين، وبخانكاة شيخو، وبالجامع المؤيدى، أخذوا فى النزول عما باسمهم من التصوف بمال حتى يتشفعوا بمن له جاه، ويستقروا فى عمارة السلطان من جملة صوفيتها، كما فعل جماعة عندما أنشأ الملك المؤيد شيخ الجامع بجوار باب زويلة، وجعل فيه صوفية، فوشى بذلك للسلطان، فمنع من ذلك ليستقر فى جامعه من ليس له وظيفة من فقراء أهل العلم.

وفى يوم الجمعة سابعه: أقيمت الخطبة بالجامع الأشرفى، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى.

وفى خامس عشره: قدم قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى من دمشقى، وقد طلب الحضور.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن العطار الحموى الذى كان نائب الإسكندرية، واستقر ناظر القدس والخليل عليه السلام، عوضًا عن الأمير حسام الدين حسن نائب القدس.

وفى هذا الشهر: صودر أعيان دمشق، وهى ثالث مصادرة.

وفى تاسع عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى أستادار، وعلى ناظر الديوان المفرد كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جكم، وعُوِّقا بالقلعة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى ثانيه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد أستادارًا عوضا عن ابن أبى والى، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى، فنزل فى موكب جليل، ومعه أكثر الأمراء الأكابر، وعامة الأعيان.

وفيه قدم الخبر بوصول الشريف على بن عنان إلى ينبع بمن معه من المماليك المجردين. وتوجه الأمير قرقماس معه إلى مكة، فدخلوها يوم الخميس سادس جمادى الأولى، بغير حرب. وأن الشريف حسن بن عجلان سار إلى حلى بنى يعقوب[1] من بلاد اليمن. وأن الوباء بمكة ابتدأ من نصف ذى الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت فى اليوم خمسون إنسانا عدة أيام، وأن الوباء تناقص من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء فى ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى صار المسجد الحرام بحرًا، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار

---

(١) حلى من أطراف اليمن من جهة الحجار. انظر: تقويم البلدان.

فى المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن فى سابع جمادى الأولى، بعدما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: جمع القضاة وأهل العلم، وقد رُسم بأخذ زكوات أموال الناس للسلطان، فاتفقوا على أنه ليس له أخذها فى هذا الزمان، فإن النقود من الذهب والفضة، والناس مأمونون فيها على إخراج زكاتها. وأما العروض من القماش ونحوه مما هو بأيدى التجار، فإن المكوس أخذت منهم فى الأصل على أنها زكاة، ثم تضاعفت المكوس المأخوذة منهم، حتى جرى فيها ما جرى. وأما البهائم من الإبل والغنم، فإن أرض مصر لا ترعى فيهًا سائما، وإنما هى تعلف بالمال، فلا زكاة فيها. وأما الخضروات والزروع، فإن الفلاحين فى حال من المغارم معروفة. وانفضوا على ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفى ثانى عشره: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وأضيف إليه نظر الديوان المفرد، رفيقا للأمير صلاح الدين أستادار، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب جكم واستقر ابن كاتب جكم على ما بيده من أستادار ابن السلطان.

وفى تاسع عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك عائدًا إلى دمشق على قضاء الحنفية بها، بعدما أخذ منه نحو عشرة آلاف دينار.

وفيه قدم الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم، نقيب الأشراف بدمشق، وقد طلب الحضور.

وفيه اتفقت نادرة، وهى أن زوجة السلطان لما ماتت، عمل لها ختم عند قبرها فى الجامع الأشرفى، ونزل ابنها الأمير ناصر الدين محمد من القلعة لحضور الختم، وقد ركب فى خدمته الملك الصالح محمد بن طَطَر، فشق القاهرة من باب زويلة وهو فى خدمة ابن السلطان، بعدما كان فى الأمس سلطانا. وصار جالسا بجانبه فى ذلك الجامع، وقائمًا فى خدمته إذا قام، فكان فى ذلك موعظة لمن اتعظ.

وفى يوم السبت المبارك حادى عشرينه: خلع على قاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حجى، واستقر كاتب السر، عوضا عن شمس الدين محمد الهروى. ونزل على فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يومًا مشهودًا. وقد ظهر نقص الهروى وعجزه، فإنه باشر بتعاظم زائد، مع طمع شديد وجهل بما وسِّد إليه، بحيث كان لا يحسن قراءة القصص ولا الكتب الواردة، فتولى قراءة ذلك بدر الدين

محمد بن مزهر نائب كاتب السر، وصار يحضر الخدمة، ويقف على قدميه، وابن مزهر هو الذى يتولى القراءة على السلطان[١].

وفى رابع عشرينه: ابتدئ بهدم ربع الحلزون تجاه قبو الخرنفش. وكان وقفا على فكاك الأسرى ببلاد الفرنج، وعلى الحرمين. وقد خلق[٢] من قدم السنين، فعوض بدله مسمط تجاه مصبغة الأزرق، وصار من جملة الأملاك السلطانية.

وفى سلخه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد نقيب الأشراف بدمشق، واستقر قاضى القضاة بدمشق، عوضا عن القاضى نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر، على مال كبير.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع على شخص قدم من بلاد الروم عن قرب، يقال له علاء الدين على، واستقر فى مشيخة التصوف، وتدريس الفقه، على مذهب الحنفية بالجامع الأشرفى.

وقدم الخبر بأخذ الفرنج مركبين قريبا من دمياط، فيها بضائع كثيرة، وعدة أناس، يزيدون على مائة رجل، فكتب بإيقاع الحوطة على أموال التجار التى ببلاد الشام والإسكندرية ودمياط، والختم عليها، وتعويقهم عن السفر إلى بلادهم.

وفى عشرينه: توجه قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى - شيخ المؤيدية - لزيارة القدس.

وفى يوم الأحد حادى عشرينه: نزل السلطان إلى الجامع الذى أنشأه، وجلس به قليلا. ثم ركب عائدًا إلى القلعة.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الدمشقى[٣]، وقد غاب عن

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠١.

(٢) خلق الثوب والجلد وغيرهما خلوقا بلى. انظر المعجم الوسيط (خلق).

(٣) ابن الجزرى (٧٥١ - ٨٣٣هـ = ١٣٥٠ - ١٤٢٩م) محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمرى الدمشقى ثم الشيرازى الشافعى، الشهير بابن الجزرى: شيخ الإقراء فى زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ فى دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها «دار القرآن» ورحل إلى مصر مرارًا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمور لنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولى قضاءها. ومات فيها. نسبته إلى حزيرة ابن عمر من كتبه «النشر فى القراءات العشر»، «غاية النهاية فى طبقات القراء» «التمهيد فى علم التجويد»، «ملخص تاريخ الإسلام»، «ذات الشفاء فى سيرة النبى والخلفاء» وغيرها. انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ٣/ ٨٥، مفتاح السعادة ١/ ٣٩٢ الأندلس الجليل ٢/ ٢٥١، غاية النهاية ٢/ ٢٤٧، الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥ - ٢٦٠، الأعلام ٧/ ٤٥، ٤٦.

مصر والشام نحوًا من ثلاثين سنة، فإنه فر من ضائقة نزلت به إلى مدينة برصا، فأكرمه أبو يزيد بن عثمان ونوَّه به، حتى حاربه تيمورلنك وأسره، فتحول ابن الجزرى من بلاد الروم إلى سمرقند فى خدمة تيمور، وأقام ببلادهم حتى قدم فى هذه الأيام.

وفى رابع عشرينه: نودى على النيل، وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين إصبعا.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه تتبعت البغايا وأُلزمن بالزواج، وأن لا يزاد فى مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس، تعجل منها مائتان وتؤجل مائتان. ونودى بذلك، فلم يتم منه شىء.

وفيه ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان، وحضرة القضاة، ومشايخ العلم، والهروى، وابن الجزرى، وكاتب السر نجم الدين بن حجى، ونائبه بدر الدين محمد بن مزهر، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، والفقهاء الذين رتّبهم المؤيد. فاستجد فى هذه السنة حضور كاتب السر ونائبه وحضور ناظر الجيش. وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخارى أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضى القضاة الشافعى، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط. ويختم فى سابع عشرينه، ويخلع على قاضى القضاة، ويركب بغلة رائعة بزنارى تخرج له من الإصطبل السلطانى، ولم يزل الأمر على هذا حتى تسلطن المؤيد شيخ، فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان. وطلب قضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم، وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضا، فكانت تقع بينهم بحوث يسيء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة، فجرى السلطان الأشرف برسباى على هذا، واستجد كما ذكرنا حضور المباشرين، وكثر الجمع. وصار المجلس جميعه صياحا ومخاصمات، يسخر منها الأمراء وأتباعهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمياط، فمات عدد كثير.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى رابعه: أخرج الأمير أرغون شاه أستادار والأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى، من القاهرة إلى دمشق، بطّالين.

وفى تاسعه: سار غائبان من ساحل بولاق خارج القاهرة، وقد قدما منذ أيام، أحدهما من الإسكندرية، والآخر من دمياط، وأشحنا بالمقاتلة والأسلحة. وأنزل فيهما ثمانون مملوكا، وأُمروا أن يسيروا فى بحر الملح من جهة طرابلس، ويأخذوا من سواحل الشام عدة أغربة، عسى أن يجدوا من يتجرم فى البحر من الفرنج[١].

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٥.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: نودى على النيل بزيادة إصبعين لتتمة خمسة عشر ذراعا وأربعة عشر أصبعا، ثم نقص من آخر النهار نحو أربعة أصابع، فأصبح الناس فى قلق، وطلبوا القمح ليشتروه، فأمسك من عنده شىء منه يده عن البيع، وضن به، فاشتد طلبه، إلا أن الله فرَّج، وزاد فى آخر يوم الأحد. ونودى عليه يوم الإثنين تاسع عشره برد ما نقص، وزيادة أصبع. واستمرت الزيادة حتى كان الوفاء فى يوم الأربعاء المبارك حادى عشرينه، وهو ثالث عشر من مسرى، ففتح الخليج على العادة.

وفى هذا الشهر: سار مقاتل فى بحر القلزم[1] إلى مكة المشرفة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى رابعه: ابتدئ بحفر صهريج بوسط الجامع الأزهر، فوجدت فيه آثار فسقية قديمة، فلما أزيلت، وجد - بعدما حفر - عدة أموات.

وفيه قدم الخبر بأن أبا فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد - صاحب تونس وبلاد أفريقية - جهز ابنه المعتمد أبا عبد الله محمدًا، من بجاية فى عسكر إلى مدينة تلمسان، فحارب ملكها أبا عبد الله عبد الواحد بن أبى محمد عبد الله بن أبى حمو موسى حروبًا كثيرة، حتى ملكها فى جمادى الآخرة، وخطب لنفسه ولأبيه، فزالت دولة بنى عبد الواد من تلمسان[2] بعد ما ملكت مائة وثمانين سنة.

وانتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر ذراعًا واثنى عشر أصبعا. ووقفت الزيادة من خامسه، ونقص إلى يوم الأحد تاسعه، زاد إلى يوم الأربعاء ثانى عشره، فبلغ سبعة عشر إصبعا من ثمانية عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعًا. ونقص فى يوم الخميس ثالث عشره، وكان قد تأخر فتح سد بحر أبى المنجا عن عادته، هو وغيره مما يفتح فى يوم النوروز، لتأخر وفاء النيل. فلما فتحت نقص الماء، وقلق الناس من ذلك، وطلبوا القمح ليشتروه، فزاد سعر الأردب عشرة دراهم.

وفى خامس عشره: ابتدئ بهدم الربع المعروف بوقف الشهبانى، تجاه الجامع الأشرفى، برأس الخراطين. وقد استبدل به لتشعث بنائه، وخوف سقوطه.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى جهة بركة الحجاج، صحبة الأمير قراسنقر

---

(١) بحر القلزم: شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان وعدن ثم يمتد مغربا وفى أقصاه مدينة القلزم قرب مصر. انظر معجم البلدان ١/ ٣٤٤.

(٢) تِلْمِسَان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رميةُ حجر، إحداهما قديمة والأُخرى حديثة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٤.

كاشف الجيزة. ورحل الركب الأول فى ثانى عشرينه، وتبعه المحمل ببقية الحجاج فى ثالث عشرينه.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: حضر الأمراء الخدمة السلطانية على العادة، ونزلوا إلى دورهم، فاستدعى السلطان جماعة منهم لطعام عمله، منهم الأمير الكبير بيبغا المظفرى فلما صار بالقلعة قبض عليه وقيد، وأنزل فى النيل، حتى سجن بالإسكندرية. وقد كانت الإشاعة منذ أيام، بتنكر ما بينه وبين السلطان وأنه صار له حزب.

وفى هذا الشهر: كان أوان جذاذ النخل، فلم يثمر كبير شىء وأمحل النخل أيضا ببلاد الصعيد، حتى عز وجود التمر هناك. وتلف الموز فى هذه السنة بدمياط، وقل وجوده بأسواق القاهرة، أو فقد.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع الأمير قجق أمير سلاح. واستقر أميرًا كبيرًا، عوضا عن بيبغا المظفرى. وخلع على الأمير إينال النوروزى أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضا عن قجق. وأنعم بإقطاع بيبغا المظفرى - ومتحصله فى السنة مبلغ ستين ألف دينار - على تغرى برمش نائب القلعة وعلى إينال الجكمى وهو بطال بالقدس، وكتب بإحضاره. وتغرى برمش هذا من جملة تركمان بهسنى، اسمه حسين، خدم بحلب فى الأيام الظاهرية برقوق، بباب نائبها الأمير تغرى برمش. وتنقل فى الخدم حتى صار فى الأيام المؤيدية شيخ دوادار الأمير جقمق الدوادار. فلما تسلطن الملك الأشرف برسباى اختص به، وجعله من جملة الأمراء(١).

وفى يوم الإثنين ثامنه: خلع على شمس الدين محمد الهروى، واستقر قاضى القضاة، عوضا عن الشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، فغير زيه. وهذه المرة الرابعة فى تغيير زيه، فإنه كان أولا يتزيا بزى العجم، فيلبس عمامة عوجاء بعذبة عن يساره. فلما ولى قضاء القضاة لبس الجبة، وجعل العمامة كبيرة، وأرخى العذبة من بين كتفيه. فلما ولى كتابة السر تزيا بزى الكتاب، وترك زى القضاة، فضيق كمه، وجعل عمامته صغيرة مدورة، ذات أضلاع، وترك العذبة، وصار على عنقه طوق، ولبس الذهب الحرير، ولم يخش الله، ولا استخفى من الناس. فلما أعيد إلى القضاء ثانيًا خلع زى الكتاب، وتزيا بزى القضاة وكان ضخما، بطينا، ألحى، فأشبه فى حالاته هذه الصفاعتة من المخايلين، الذين يضحكون أهل المجانة والهزو، وماذا بمصر من المضحكات!!.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٥.

وفى يوم الإثنين: قدم الأمير إينال الجكمى من القدس، فخلع عليه واستقر أمير مجلس، عوضا عن إينال النوروزى. وهذا الجكمى من جملة مماليك الأمير جكم، وانتقل إلى الأمير سودن بقجة. ثم صار إلى الأمير شيخ المحمودى. فلما تسلطن، عمله من جملة المماليك الخاصكية. ثم غضب عليه ونفاه، ثم أعاده من النفى لبراءته مما رمى به، فرقاه طظر حتى صار من الأمراء المقدمين. ثم قبض عليه، ونفى حتى أعاده السلطان فى يوم تاريخه إلى الإمرة.

وفى يوم السبت عشرينه: وصل الغرابان بالأسرى والغنيمة. وذلك أنهما لما مرا بدمياط، تبعهما قوم من المطوعة فى سلورة[1]، حتى مروا بطرابلس سار معهم غربان إلى الماغوصة[2]، فأضافهم متملكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون[3] من جزيرة قبرس، وقد استعد أهلها وأبعدوا عيالهم، وخرجوا فى سبعين فارسا وثلاثمائة راجل، فقاتلهم المسلمون، وهزموهم وقتلوا منهم فارسا واحدًا وعدة رجال، وحرقوا ثلاثة أغربة، وغرقوا ثلاثة أغربة، وعاثوا فيما وجدوه من ظروف العسل والسمن وغير ذلك. وأسروا ثلاثة وعشرين رجلا، وغنموا جوخًا كثيرًا، رفع للسلطان منه مائة وثلاث قطع، طرحت على التجار و لم يعط المجاهدون منها شيئا[4].

وفى تاسع عشرينه: نودى بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم فلم يعمل بذلك.

وفى هذا الشهر: هبط ماء النيل، وشرق أكثر النواحى بالصعيد والوجه البحرى. ومع ذلك فالأسعار رخيصة، القمح بمائة وثمانين درهما الأردب، والشعير بخمسة وثمانين الأردب، والفول بثمانين درهما الأردب.

وفيه كثرت الفتن، وتعددت بالوجه القبلى والبحرى.

وفيه فتحت كنيسة قمامة بالقدس، وكان قد تأخر فتحها بعدما رُسم به.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى يوم النحر رمى بعض المماليك من أعلا الطباق بالحجارة، والسلطان يذبح الأضاحى، والمماليك تنهب لحومها، بخلاف العادة، فأصيب بعض الأمراء بحجر. ودخل السلطان داخل الدور، وكثر الكلام. وسبب ذلك أنه لم يفرق الأضاحى فى

(١) نوع من المراكب متوسطة الحجم يستعمل فى الحرب والسلم على السواء، له ثلاثة أشرعة، ويحتوى على أربعين مجدافا، وهو سريع الحركة. انظر: الحربية فى مصر الإسلامية ص ٣٤٧.

(٢) مدينة تقع بجزيرة قبرص.

(٣) هى مرفأ فى قبرص، وهى ليماسول.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٦.

المماليك، وأعطى كل واحد منهم دينارا، فلم يرضهم هذا، ولم يكن منهم سوى ما ذكر. وسكن أمرهم.

وفى ثالث عشره: قبض على الأمير كمشبغا الفيسى، أحد أمراء الناصر فرج.

وفى ثامن عشره: خلع على سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى، واستقر فى مشيخة الجامع المؤيدى، بعد موت أبيه بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين يعقوب بن الجلال رسولا بن أحمد بن يوسف التبانى الحنفى فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر. وكان يعرف الفقه والعربية، وله همة ومكارم ووصلة كبيرة بالأمراء واختص بالمؤيد شيخ اختصاصا كبيرًا. وأفتى ودرس وولى نظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ومشيخة خانكاة شيخو(١).

وقتل بدمشق الأمير تنبك البجاسى فى أول ربيع الأول، وهو أحد المماليك الذين فروا من الناصر فرج، ولحق بشيخ المحمودى، فرقاه فى سلطنته، وولى نيابة حماة وحلب ودمشق، وشكرت سيرته، لتنزهه عن قاذورات المعاصى، كالخمر والزنا، مع إظهار العدل وفعل الخير(٢).

ومات الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرازق بن شمس الدين عبد الله ابن كاتب المناخ، فى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الأول، وهو متعطل، وابنه كريم الدين عبد الكريم يلى الوزارة. وباشر جده أو جد أبيه النصرانية، وترقى فى الخدم بالكتابة، وأثرى منها، حتى ولى الوزارة. وكان سيوسا، لينا، ضابطا، همه بطنه وفرجه. واستجد مكس الفاكهة بعد إبطاله، فما تهنى به، وصرف عن الوزارة، فكان كما يقال «حتى وصلها غيرى، وحملت عارها»(٣).

ومات الأمير سودن الأشقر بدمشق فى جمادى الأولى، وهو أحد المماليك الذين أنشأهم الناصر فرج. وكان عيبا كله. لشدة بخله، وكثرة فسقه وظلمه(٤).

وتوفى بمكة قاضيها محب الدين أحمد ابن قاضيها جمال الدين محمد بن عبد الله بن

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٦.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٨.

ظهيرة[1] الشافعى، فى ثامن عشر ربيع الآخر. وكان مشكورا فى عمله وسيرته، له معرفة جيدة بالفقه والفرائض والحساب، ومشاركة فى غير ذلك.

وتوفى خطيب مكة جمال الدين أبو الفضل ابن قاضى مكة محب الدين أحمد بن قاضى مكة أبى الفضل محمد النويرى الشافعى، فى ربيع الأول.

وتوفى إمام مقام المالكية بمكة شهاب الدين أحمد بن على النويرى. فى ربيع الآخر.

وماتت خوند زوجة السلطان، وأم ابنه الأمير ناصر الدين محمد، فى خامس عشر جمادى الآخرة. ودفنت بالقبة من الجامع الأشرفى. وكان لها تحكم وتصرف فى الأمور.

ومات الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن على بن محمد بن رسول متملك زبيد[2] وعدن[3] وتعز[4] وجبلة[5] وحرض[6]، والمهجم[7]، والمحالب[8]، والمنصورة، والدملوة[9]، والجوه[10]، والشحر[11]، وقوارير[12]، من بلاد اليمن، فى سادس عشر

---

(١) ابن ظَهيرة (٨٢٥ - ٨٨٥هـ - ١٤٢٢ - ١٤٨٠م) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن على، أبو الطيب، محب الدين المعروف كسلفه بابن ظهيرة القرشى المخزومى: قاضى مكة الشافعى، وابن قاضيها. مولده ووفاته بها. تفقه وناب فى القضاء عن أبيه سنة ٨٤٧هـ واستقل به بعد وفاة أبيه. وفصل وأعيد وأضيف إليه نظر الحرم وقضاء جدة، ثم انفصل إلى أن مات. ورجح بعض الفضلاء أنه مصنف كتاب «الفضائل الباهرة فى محاسن القاهرة». انظر: الضوء اللامع ٢/ ١٩٠ والفضائل الباهرة: مقدمة محققة. الأعلام ١/ ٢٣١.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) عَدَنُ: وهى مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردئة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم. انظر معجم البلدان ٤/ ٨٩.

(٤) تَعز: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٤.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) حَرَضُ: هو بلد فى أوائل اليمن من جهة مكة. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٣.

(٧) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٢٩.

(٨) المحالب: بليدة وناحية دون زبيدة من أرض اليمن. انظر معجم البلدان ٥/ ٥٩.

(٩) الدَمْلُوَةُ: حصن عظيم باليمن كان يسكنه آل زُريع المتغلبون على تلك النواحى. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧١.

(١٠) الجُوَةُ: قرية باليمن معروفة. انظر معجم البلدان ٢/ ١٩١.

(١١) الشحر: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعى، هو بين عَدَن وعَمَان. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٢٧.

(١٢) قوارير: من حصون زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٤/ ٤١١.

جمادى الآخرة، بصاعقة سقطت على حصنة قوارير خارج مدينة زبيد، فارتاع، وأقام أيام لما به. وأقيم من بعده فى مملكة اليمن ابنه المنصور عبد الله[١]، وكان من شرار ملوك الأرض، فسقًا وظلمًا وطمعًا[٢].

ومات ملك المغرب صاحب فاس السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى إسحق المرينى، فى شهر رجب. وأقيم بعده ابن أخيه أبو زيد عبد الرحمن.

وتوفى الشيخ الملك أبو عبد الله المعروف بالعطار، فى ثامن عشرين المحرم، بمدينة النحريرية[٣]، وهو آخر من بقى من أصحاب الشيخ يوسف العجمى.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد العبسى، القدسى، الديرى، الحنفي، بالقدس. وقد توجه إليه زائرًا فى يوم عرفه. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة تخمينًا. وله معرفة بالفقه والأصول والتفسير والعربية، وفيه شهامة وقوة. نشأ بالقدس، وولى قضاء الحنفية بديار مصر، فاشتد فيه، وأجرى أموره على السداد بحسب الوقت. ثم نقل من القضاء إلى مشيخة الجامع المؤيدى، رحمه الله[٤].

وتوفى زاهد الوقت أبى بكر بن عمر بن محمد الطرينى الفقيه المالكى، فى يوم النحر، بمدينة المحلة. وكان قد ترك أكل اللحم مدة أعوام؛ تورعا لما حدث من نهب البلاد وغارتها، وقنع بما يقيم به أوده من أرض يزرعها، فكان يقتصر فى قوته وملبسه على ما لا يطيقه سواه. ولو قبل من الناس ما يحبوه به لكنز قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، لكنه أعرض عن زينة الحياة الدنيا ولذاتها، حتى لعله مات من قلة الغذاء، مع ما اشتمل عليه مع ذلك من آثار جميلة، وأيادى مشكورة، وعلم وعمل مرضى، رفع الله درجاته فى عليين[٥].

---

(١) عبد الله بن أحمد (٨٣٠هـ - ١٤٢٧م) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولى بعد وفاة أبيه (سنة ٨٢٧هـ) واستمر إلى أن توفى بزبيد، وحمل إلى تعز فدفن فيها. وكان صالح السيرة عادلا أظهر أبهة الملك، ولكنه لم تطل مدته. انظر الضوء اللامع ٥/٥، الأعلام ٤/ ٦٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٩٩.

(٣) النحريرية: مدينة من أعمال الغربية ذات أسواق وقياسر وفنادق وجامع، بها تجار مياسير. انظر الانتصار ٥/ ٨٦.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤/ ٢٩٩.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ٣٠٠.

ومات صاحب حصن كيفا الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الكامل شهاب الدين غازى بن العادل مجير الدين محمد بن الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى.

وقتل محمد بن الموحد تقى الدين عبد الله بن المعظم غياث الدين تورانشاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد الكامل بن أبى بكر العادل بن نجم الدين أيوب بن شادى، وأقيم بعده ابنه الأشرف أحمد.

* * *

سنة ثمان وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبـد ا لله محمد، وليس له من الخلافة إلا مجرد الاسم بلا زيادة. وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى. والأمير الكبير الأتابك قجق. والدوادار الكبير أزبـك - وهـو اسم - معناه الأمير جانبك، فهو صاحب الأمر والنهى فى الدوادارية، بل فى سائر أمور الدولة. وأمير سلاح إينال النوروزى. وأمير مجلس إينال الجكمى. وأمـير أخـور جقمـق. ورأس نوبة النوب تغرى بردى المحمودى. وحاجب الحجـاب جربـاش قاشـق. وأستادار صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. وناظر الخاص الصـاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر نجم الدين عمر بن حجـى الدمشـقى. وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل. وليـس لأحـد فـى الدولـة تصـرف غـير والأمير جانبك الدوادار. وقاضى القضاة الشافعى شمـس الديـن محمـد الهـروى. وقـاضى القضاة الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمـد البساطى. وقاضى الحنبلى علاء الدين علـى بـن مغلـى. ونـائب الشام سـودن مـن عبـد الرحمن. ونائب حلب شار قطلـوا. ونـائب حمـاة جلبـان أمـير أخـور. ونـائب طرابلـس قصروه. ونائب صفد مقبل الدوادار. ونائب الإسكندرية أقبغا التمرازى. وبمكة الشريف على بن عنان والأمير قرقماس. وأسواق القاهرة ومصر ودمشق فى كسـاد. وظلـم ولاة الأمر من الكشاف والولاة فاش. ونواب القضاة قد شنعت قالة العامة فيهم من تهافتهم. وأرض مصر أكثرها بغير زراعة، لقصور مد النيل فى أوانه، وقلة العناية بعمـل الجسـور، فإن كشافها، إنما دأبهم إذا خرجوا لعملها أن يجمعوا مال النواحى لأنفسـهم وأعوانهـم. والطرقات بمصر والشام مخوفة من كثرة عبث العربـان والعشـير. والنـاس علـى اختـلاف طبقاتهم قد غلب عليهم الفقر. واستولى عليهم الشح والطمع، فلا تكاد تجـد إلا شـاكيا مهتما لدنياه. وأصبح الديـن غريبـا لا نـاصر لـه. وسـعر القمـح بمائتى درهـم الأردب. والشعير بمائة وعشرة. والفول بنحو ذلك. ولحم الضأن السليخ كل رطل بسـبعة دراهـم ونصف. ولحم البقر كل رطل بخمسة دراهم. والفلوس كل رطل بتسـعة دراهـم، وهـى النقد الذى يُنسب إليه ثمن ما يباع، وقيمة ما يعمل. والفضة كـل درهـم وزنـا بعشـرين درهما من الفلوس. والذهب الأفرنتى المشخص بمائتين وخمسة وعشرين درهما.

شهر المحرم، أوله الخميس:

فى ثانيه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، ورخاء الأسعار بمكة، وأنه لم يقدم من العراق حاج.

وفى رابع عشرينه: قدم الركب الأول. ثم قدم من الغد المحمل ببقية الحاج، ومعهم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان فى الحديد، وقد قبض عليه الأمير قرقماس بمكة.

وفى هذه الأيام: رُسم بتجهيز عسكر يتوجه إلى مكة، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفى تاسع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه، وكشف عمائره، ودخل الجامع الأزهر لرؤية الصهريج وزار به الشيخ خليفة والشيخ سعيد، وهما من المغاربة، لهما بالجامع الأزهر عدة سنين، وشهرا بالخير. ثم خرج من الجامع إلى دار رجل يعرف بالشيخ محمد بن سلطان، فزاره، وعاد إلى القلعة(١).

وفى هذا الشهر: وقع الشروع فى عمل مراكب حربية لغزو بلاد الفرنج.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الجوالى، وأضيف نظرها إلى القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش. وكانت الجوالى قد كثر المرتب عليها للناس من أهل العلم وغيرهم، حتى لم تف بمالهم.

شهر صفر، أوله السبت:

فى حادى عشرينه: ركب السلطان فى طائفة يسيرة بثياب جلوسه، كما قد صارت عادته. وكشف الطريدة الحربية التى تعمل بساحل بولاق وسار وقد تلاحق به بعض أهل الدولة حتى مر على جزيرة الفيل إلى التاج. ونزل بالمنظرة التى أنشأها المؤيد شيخ فوق الخمس وجوه. ثم سار فى أرض الخندق(٢) إلى خليج الزعفران، وتوجه إلى القلعة.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الشيخ محب الدين أحمد بن الشيخ جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التسترى البغدادى الحنبلى. واستقر قاضى القضاة الحنابلة بعد موت علاء الدين على بن مغلى. ومحب الدين هذا قدم من بغداد بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فسمع الحديث، وقرأ بنفسه على مشايخ الوقت، ولازم الاشتغال حتى برع فى الفقه وغيره. وقدم أبوه من بغداد باستدعائه، فنزله الظاهر

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١٠٧.

(٢) كان يقع هذا الموضع خارج باب الفتوح. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣٦ - ١٣٨.

برقوق فى تدريس الحنابلة بمدرسته بين القصرين. ثم نّزل ابنه محب الدين هذا يدرس الحديث فيها. ثم انتقل إلى تدريس الفقه بعد أبيه، وكتب على الفتوى، وناب فى الحكم عن ابن مغلى. وصار ممن يحضر من الفقهاء بمجلس المؤيد فى كل أسبوع.

وفى ليلة الأربعاء سادس عشرينه: غرقت إمرأة لها ولزوجها شهرة، لقالة سيئة عنها.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الكسوة، وأضيفت أيضا إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فعنى بها، حتى لم ندرك كسوة عملت للكعبة مثلها.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى ليلة الجمعة خامسه: عمل المولد السلطانى، كما هى العادة فى عمله كل سنة.

وفى سابعه: سار الأمير أرم بغا - أحد أمراء العشرات - تجريدة إلى مكة، ومعه مائة مملوك. وتوجه سعد الدين إبراهيم بن المرة - أحد الكتاب - لأخذ مكوس المراكب الواصلة من الهند إلى جدة. وجرت العادة من القديم أن مراكب تجار الهند ترد إلى عدن ولم يعرف قط أنها تعدت بندر عدن. فلما كان سنة خمس وعشرين، خرج من مدينة كاليكوت ناخذاه[1] اسمه إبراهيم. فلما مر على باب المندب جور إلى جدة بطراده، حنقا من صاحب اليمن؛ لسوء معاملته للتجار، فاستولى الشريف حسن بن عجلان على ما معه من البضائع، وطرحها على التجار بمكة. فقدم إبراهيم المذكور فى سنة ست وعشرين على المندب، ولم يعبر عدن، وتعدى جدة[2] وأرسى بمدينة سواكن[3] ثم بجزيرة دهلك[4] فعامله صاحباها أسوأ معاملة. فعاد فى سنة سبع وعشرين، وجور عن عدن، ومرَّ بجدة يريد ينبع. وكان بمكة الأمير قرقماس، فمازال يتلطف بإبراهيم حتى أرسى على جده بمركبين، فجامله أحسن مجاملة، حتى قويت رغبته، ومضى شاكرًا ثانيًا. وعاد فى سنة ثمان وعشرين، ومعه أربعة عشر مركبا موسوقة بضائع. وقد بلغ السلطان خبره، فأحب أخذ مكوسها لنفسه، وبعث ابن المرة

---

(١) لفظ فارسى يعنى ربان السفينة.

(٢) جُدَّة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهى فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال. انظر معجم البلدان ٢/١١٤ وهى ميناء فى السعودية حاليا.

(٣) سَوَاكِنُ: بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من جُدَة. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٢٧٦.

(٤) جزيرة فى بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة.

لذلك، فصارت جدة من حينئذ بندرًا عظيما إلى الغاية وبطل بندر عدن إلا قليلا. ولم تكن جدة مرسى إلا من سنة ست وعشرين من الهجرة، فإن عثمان رضى الله عنه اعتمر فيها، فكلمه مواليه أن يحول الساحل إلى جدة، وكان فى الشعيبة[١] فى الجاهلية فحوله إلى جدة، ومن كان وراء قديد[٢] يحملون من الجار[٣] والأبواء[٤]، وكان ما يحمل إلى هذه المواضع قوت أهل الحرمين وعيشهم.

وفى تاسعه: عدى السلطان النيل فى الحراقه، ونزل بناحية وسيم، وعاد إلى القلعة فى سادس عشره.

وفى هذا الشهر: كمل الصهريج الذى عمله السلطان بصحن الجامع الأزهر، وبنيت بأعلاه مصطبة، فوقها قبة برسم تسبيل الماء، وغرس بصحن الجامع أربع شجرات نارنج فلم تفلح، وهلكت من الذباب.

وفيه أيضا كملت الزيادة التى تولى عمارتها الأمير تاج الدين الشويكى بميضات الجامع الأزهر، فعظم النفع بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فى سابع عشره: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام فخلع عليه وجاءته تقادم الأمراء، وتوجه إلى نيابته فى سادس عشرينه.

وفى هذا الشهر: الشهر ابتدئ بعمل طريدتين حربيتين، لتتمة أربع طرائد، وأنشئت بساحل بولاق فيما انحسر ماء النيل عنه تجاه جامع الخطيرى، وأخذت لها أخشاب كثيرة من قصور سرياقوس التى كان ينزل بها السلاطين أيام السرحة بسرياقوس.

وفيه أيضا كمل بناء الحوانيت والربع فوقها، والتربيعة التى زيدت فى الوراقين. وفتح لها باب كبير من آخر سوق المهامزيين[٥]. وقام بعمارة ذلك الأمير جانبك، فجاء

---

(١) اسم مرفأ السفن من ساحل الحجاز.

(٢) قُدَيْدٌ: اسم موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان ٤/ ٣١٣.

(٣) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة. انظر معجم البلدان ٢/ ٩٢.

(٤) الأبواء: بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة؛ قال قوم: يسمى بذلك لما فيه من الوباء، ولو كان كذلك لقيل الأوباء، إلا أن يكون مقلوبا وقيل غير ذلك: قال السكرى: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة. انظر معجم البلدان ١/ ٧٩.

(٥) هو سوق كان معد لبيع المهاميز بالدولة الفاطمية. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٩٧.

من أحسن العمائر. وكمل أيضا بناء الحوانيت وعلوها تجاه باب المدرسة الصالحية بجوار الصاغة، وهى من العمائر السلطانية.

وفيه وقع الهدم فى قصر الأمير صرغتمش المجاور لبير الوطاويط[١] بالصليبة، خارج القاهرة.

وفيه كملت عمارة برج حربى بالقرب من الطينة على بحر الملح، فجاء مربع الشكل، مساحة كل ربع منه ثلاثون ذراعا، وشحن بالأسلحة، وأقيم فيه خمسة وعشرون مقاتلا، فيهم عشرة فرسان. وأنزل حوله جماعة من عرب الطينة، فانتفع الناس به. وذلك أن الفرنج كانت تقبل فى مراكبها إلى بر الطينة، وتتخطف الناس من هناك فى مرورهم من قطيا إلى جهة العريش. وتولى عمارة هذا البرج الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. وأخذ الآجر الذى بناه به من خراب مدينة الفرما[٢] وأحرق حجارة الجير مما أخذه من الفرما، فسبحان محيل الأحوال.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فى عاشره: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر أستادارًا، عوضا عن ولده الأمير صلاح الدين محمد وخلع فى ثانى عشره على كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم[٣] واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن ابن كاتب جكم.

وفى هذه الأيام: كثرت الإشاعات بحركة الفرنج، فخرج عدة من الأمراء والمماليك لحراسة الثغور.

---

(١) بئر الوطاويط: أنشأه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين سنة ٣٥٥هـ . فلما خربت بنى فوق البئر، وتولد فيها كثير من الوطاويط. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) الفَرَمَا: مدينة على الساحل من ناحية مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٥٥.

(٣) ابن الهيصم (٨٠٠ - ٨٥٩هـ = ١٣٩٧ - ١٤٥٥م) إبراهيم بن عبد الغنى بن إبراهيم القبطى، المعروف بالصاحب أمين الدين ابن الهيصم: وزير مصرى، تقدم فى أيام الجراكسة بمصر، واستوزر عدة مرات. كان يميل إلى أهل العلم وله اشتغال بالفقه الحنفى. قال ابن إياس: كان نادرة فى أبناء جنسه - القبط - مسددًا فى أمر الوزارة. انظر بدائع الزهور ٢/ ٤٨. الأعلام ١/ ٤٧.

وفيه كان بدمياط حريق شنيع، ابتدأ يوم الجمعة تاسعه، ذهبت فيه بيوت عديدة، وهلكت جماعة من الناس.

وفيه قدمت طائفة من الفرنج إلى صور من معاملة صفد، فحاربهم المسلمون، وقتلوا كثيرا منهم، واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رجلا.

وفى ثالث عشره: خلع على زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج[1]، واستقر شاد الخاص، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفى هذا الشهر: أصيبت عامة فواكه بلاد الشام بأسرها - من دمشق إلى حلب - فى ليلة واحدة. من شدة البرد، وكانت الشمس حينئذ فى برج الحمل، فتلفت الأعناب ونحوها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى عاشره: قبض على نجم الدين عمر بن حجى، كاتب السر، وسلم إلى الأمير جانبك الدوادار، فسجنه فى برج بالقلعة، وأحيط بداره، وسبب ذلك أنه التزم عن ولايته كتابة السر، حتى وليها بعشرة آلاف دينار، ثم تسلم ما كان جاريا فى إقطاع

---

(١) عبد القادر بن عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأصل القبطى (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م)، الأمير زين الدين بن الأمير فخر الدين ابن الصاحب تاج الدين، الشهير بابن أبى الفرج. مولده بالقاهرة فى أوائل القرن تخمينًا، ونشأ بها، وباشر بعد موت والده عدة جهات إلى أن شد الخاص وأستادارية المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى فى ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة،واستمر على ذلك إلى يوم الخميس عاشر شعبان من السنة طُلب وأُخلع عليه باستقراره أستادارا، عوضا عن الصاحب بدرالدين حسن بن نصر الله الفوى بحكم عجزه عن القيام بالكلف السلطانى، فباشر عبد القادر هذا وظيفة الأستادارية مدة سنين، وقاسى فيها من الذل والهون والعجز ما لا يوصف، وافتقر، واستغنى منها غير مرة، والملك الأشرف لا يرق لحاله، وأخرب فى أيام مباشرته بلادا كثيرة حتى يقوم بما عليه من الجوامك والكلف، ثم إن الملك الأشرف رحمه الله عزله بالأمير آقبغا الجمالى الكاشف فى يوم السبت خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة، ورسم عليه وطلب بالحساب غير مرة، وبينا هو فى ذلك إذ خلصه الله بالموت بالطاعون فى يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانمائة. وكان شابا جميلا، خفيف اللحية، وجسيما، متواضعا، قضى عمره بالكد والقهر والخوف، وهو أصلح حالا من أبيه وحده، بل بالنسبة إليهما. كان صالحا، على أنه كان متأصلا فى الظلم والعسف ويعرف طرق ذلك جيدا لكن لم تنله السعادة فى مباشرته. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٢٠، وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢١، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٦٣ - ١٦٤، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ١٤٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٧٢.

ابن السلطان من حمايات علم الدين داود بن الكويز ومستأجراته، على أن يقوم لديوان ابن السلطان فى كل سنة بألف وخمسمائة دينار، فحمل فى مدة ولايته كتابة السر إلى الخزانة خمسة آلاف دينار، فى دفعات. فلما كانت هذه الأيام، طُلب منه حمل ما تأخر عليه، وهو ستة آلاف دينار وخمسمائة دينار، فسأل السلطان مشافهة أن ينعم عليه بالألف وخمس مائة دينار المقررة على الحمايات[1] والمستأجرات، وتشكى من قبله متحصلها معه، فلم يجب سؤاله. ونزل إلى داره فكتب ورقة إلى السلطان تتضمن أنه غرم من حين ولى كتابة السر إثنى عشر ألف دينار، منها الحمل إلى الخزانة خمسة آلاف دينار ولمن لا يسمى مبلغ ألفى دينار، وللأمراء أربعة آلاف دينار، وذكر بقية تفصيلها. فلما قرئت على السلطان فهم أنه أراد بمن لا يسمى الأمير جانبك. وأخذ يسأل من جانبك - عندما حضر هو والأمراء - عما وصل إليه وإليهم من ابن حجى، فأجابوه بما لا يليق فى حق ابن حجى، وحنق منه جانبك، فما هو إلا أن اجتمعا بالقلعة، جرت بينهما مفاحشات آخرها أنه قبض عليه وسجن.

وفى هذه الأيام: كملت عمارة المأذنة التى فوق الباب المجاور للمنبر بجامع الحاكم، وأنشأها بعض الباعة.

وقدم الخبر بوقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج، فيما بين جبلة وطرابلس قتل فيها جماعة من الفرنج، وانهزم باقيهم. وحمل غرابان مما أنشئ بساحل بولاق خارج القاهرة، وهما قطعًا - على الجمال إلى السويس، ليركبا ويطرحا فى بحر السويس، لأجل حمل الغلال ونحوها إلى مكة، مددًا للمجردين. وعملا بمجاديف لتمر سريعة، وأن تمسك عنها الريح.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: أخرج نجم الدين عمر بن حجى من البرج فى الحديد، وحمل إلى دمشق حتى يكشف عن سيرته بها، ويؤخذ ماله هناك، وكتب فى حقه إلى النائب والقضاة بعظائم مستشنعة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن نجم الدين عمر بن حجى. وابن مزهر هذا كان أبوه كاتب السر بدمشق، ولهم أصالة قديمة، رأس عدة من آبائه، تضمن ذكرهم التاريخ. وولد هو بدمشق ونشأ بها، وكتب بديوان الإنشاء، وتعلق بخدمة الأمير شيخ المحمودى، وقدم معه مصر، فولاه نظر الإصطبل، حتى مات. فلما ولى علم

---

(١) هى مكوس يفرضها السلطان أو الأمير على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق.

الدين داود بن الكويز باشر معه نيابة كتابة السر، وقام بأمر ديوان الإنشاء، لبعد ابن الكويز عن ذلك. فتمشت به الأحوال. ولم يزل قائما بأمور كتابة السر، لعجز من وليها فى هذه المدد، من الجمال يوسف بن الصفى ومن الهروى وغيره، حتى ولى كتابة السر، فكان أنسب الموجودين[١].

وفيه خلع على تاج الدين عبد الوهاب المعروف بالخطير، واستقر فى نظر الإصطبل. وهذا الخطير - من سنين قريبة - أسلم، وكان يباشر بديوان السلطان وهو أمير، فرقاه فى سلطنته إلى هنا[٢].

وفيه كتب بالإفراج عن نجم الدين عمر بن حجى وإطلاقه من الحديد، وإقامته بدمشق، على أن يحمل مبلغا ذكر له.

وفى ثامن عشرينه: قبض على السيد الشريف مقبل أمير ينبع، وسجن.

وفى هذا الشهر: عرض السلطان المماليك الذين عينهم لغزو الفرنج فى البحر. وتقدم إلى كل من الأمراء الألوف بتجهيز عشرة مماليك من مماليكه.

وفيه خرج الأمير قرقماس من مكة بمن معه فى طلب الشريف حسن بن عجلان حتى بلغ حلى من أطراف اليمن، فلم يقابله ابن عجلان مع قوته وكثرة من معه، بل تركه وتوجه نحو نجد تنزها عن الشر، وكراهة الفتنة، فعاد قرقماس وقدم مكة فى العشرين منه.

شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالثه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن محمد الهروى، لسوء سيرته، وقبح سريرته، وفساد طويته، وبعده عن كل خير، واشتماله على جملة الشر[٣].

وفى رابعه: حمل الشريف مقبل أمير ينبع والشريف رميثة بن محمد بن عجلان فى الحديد إلى الإسكندرية، وسجنا بها[٤].

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر الفول من تسعين درهما الأردب إلى مائة وخمسين. وارتفعت أسعار الغلال بدمشق.

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/١١١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٢.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٢.

وفيها وقع الاجتهاد فى عمل الأغربة. ولم تحسن سيرة من ولى عملها، فإنه أخذ الأخشاب ظلما، وقطع أشجار الجميز والحور بغير رضاء أربابها، وسخر الناس فى حملها وعملها، فأشبه هذا الغزو، مَنْ صلى لغير القبلة بغير وضوء عمدًا.

وفيها توقفت أحوال الديوان المفرد، وتأخرت نفقة المماليك.

وفى عاشره: أدير محمل الحاج على العادة، وعرضت كسوة الكعبة على السلطان. وقد اجتهد القاضى زين الدين عبد الباسط فى تأنقها، حتى جاءت فى غاية من الحسن، بحيث لم يعمل فيما أدركناه مثلها.

وفى هذا الشهر: كان قطاف عسل النحل، فلم يوجد منه كبير شىء، فارتفع سعره، وبلغ سعر الفول مائتى درهم الأردب.

وفيه اعتبر متحصل الديوان المفرد ومصروفه، فعجز فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف دينار، يجبيها أستادار من النواحى بعد ما عليها من المستقر والحادث، ويتنوع فى مظالم العباد، ويبالغ فى العسف، حتى يسدها. ويأخذ المباشرون وأعوانه نحوًا منها. فلذلك خرب إقليم مصر وآلت أحوال الناس إلى التلاشى.

وفى ثالث عشره: أنفق فى الغزاة، وهم ستمائة رجل، مبلغ عشرين دينارًا لكل واحد، وجهز الأمراء ثلاثمائة رجل. ونودى من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النفقة.

وفى عشرينه: سارت الخيول فى البر إلى طرابلس. وعدتها ثلاثمائة فرس، لتحمل صحبة الغزاة من طرابلس فى البحر.

وفى هذا الشهر: خرج مركب من اللاذقية، قد أشحن بمجاديف، حتى يحضرها إلى مصر برسم الأغربة التى أنشئت صحبة الريس فاضل. فلما حاذت جزيرة أرواد خرج طائفة من الفرنج يريدون أخذها، فقاتلهم المسلمون حتى قُتلوا عن آخرهم، وعدتهم خمسون رجلا. وأفلت منهم رجل واحد. وأخذ الفرنج المجاديف وغيرها، وحرقوا المركب. وفاضل هذا من أهل مدينة أياس، فقدم إلى السلطان فى السنة الخالية، وحسن له غزو الفرنج، ووعده بغنيمة أموال عظيمة، حتى كان من غزوة اللمسون ما كان، فأخذ فى التعبئة لغزوهم ثانيا، أيده الله تعالى بنصره عليهم.

وفيه شنع الوباء بدمياط وفارسكور، وكان ابتداؤه عندهم من جمادى الأولى.

وفى حادى عشره: توجه الهروى عائدا إلى القدس على وظيفة التدريس بالصلاحية.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة بثبات جلوسه، كما هى عادته، حتى شاهد الأغربة بساحل بولاق، وعاد.

وفى ثالث عشرينه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان والأمير جانبك، حتى شاهد توجه الأغربة. وقد أقام فى دار القاضى زين الدين عبد الباسط المطلة على النيل، فانحدر فى النيل أربعة أغربة بكل غراب أمير، ومقدم الجميع الأمير جرباش حاجب الحجاب، فكان يوما مشهودا، حُشر فيه الناس من كل جهة لمشاهدة ذلك. ثم انحدر فى يوم الإثنين غراب واحد، وانحدر فى يوم الثلاثاء غرابان، وفى يوم الخميس سادس عشرينه غراب.

وفى هذا الشهر: قطع السلطان جرايات المباشرين من القمح، وهى خمسة آلاف أردب، فتوفرت للسلطان.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى ثالثه: انحدر غراب ثامن.

وفيه جاء قاع النيل خمسة أذرع وعشر أصابع، ونودى عليه من الغد خمسة أصابع. وهى ابتداء النداء على النيل.

وفى يوم السبت سادسه: حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانيا مثل ذلك، ثم زلزلت مرة ثالثة، فلولا أن الله لطف بسكونها، لسقطت الدور، فإن الأرض مادت، وتحركت المبانى وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج عن مكانه ثم عاد. وأخبرنى من لا أتهم أنه كان وقت الزلزلة راكبا فرسه فخرج عن السرج حتى كاد يسقط.

وفى غده: نودى - عن أمر السلطان - بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سمعوا.

وفى ثامنه: نودى بأن لا يباع السكر إلا للسلطان ولا يشترى إلا منه، فعاد الأمر كما كان.

وفى ليلة الخميس ثامن عشره: وقع الحريق بثلاثة أماكن فما طفئ إلا بعد جهد.

وفى هذا الشهر: بلغ الفول دينارًا لكل أردب، بعدما كان كل ثلاثة أرادب ونصف بدينار. وتجاوز القمح المائتين بعد مائة وخمسين. وقل وجود الغلال، وطلبها الناس، فشحت أنفس أربابها وخزنتها، هذا مع توالى زيادة النيل.

وفى هذا الشهر: اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر فى سفره ببلاد الغربية على أتان[١] له، وتحته خرج فيه قماش، فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألقاه إلى الأرض ليذبحه، فقال له: «با لله اسقنى شربة ماء قبل أن تذبحنى» فألقى ا لله تعالى فى قلبه عليه رحمة، لما يريده به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر فى الماء حتى يغترف فى الإناء منه، فاختطفه تمساح، وذهب فى الماء فكسره، وأكله، والرجل يراه وهو مكتوف، وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق، قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد، فصاح بهم إلى أن أتوه، فأعلمهم بما جرى له، وما كان من هلاك عدوه، فحلوا أكتافه وأتوا به وبالفرس والأتان، والخرج، إلى الوالى، فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخُرجه، فكان فى هذا موعظة لمن اتعظ. وكفى با لله نصيرًا.

والثانية: أن متولى الحرب بتلك النواحى وسط سبعة رجالة من قطاع الطريق وعلقهم على ممر المسافرين، كما هى عادتهم فى ذلك. وأكد على الخفراء أرباب الدرك فى حراستهم طول الليل، خوفا من مجىء أهاليهم وأخذهم إياهم، وحلف بأيمانه لئن فقد أحد منهم ليوسطن الجميع فباتوا يحرسونهم حتى كاد الليل يذهب، أخذهم النوم ثم انتبهوا فى السحر، فإذا بعدة الموسطين قد نقصت واحد. فمن شده خوفهم أن يطلع النهار ويبلغ الوالى أن الموسطين قد أخذ منهم واحد فيوسطهم بدله، مروا فى الدرب المسلوك ليأخذوا من انفرد من المسافرين، يوسطوه ويعلقوه بدل الذى نقص من العدة، فإذا هم برجل على حمار وتحته قفتين، فأخذوه، ووسطوه، وعلقوه مع الموسطين. فلما طلع النهار جاءهم مقدم الوالى لكشف حال الموسطين، فإذا عدتهم قد زادت واحدًا، فأنكر على الخفراء وأحضرهم إلى الوالى، وأعلمه الخبر، فلم يجدوا بدا من الصدق. وأخبروه أنهم ناموا من آخر الليل، وانتبهوا سحرًا فرأوا العدة قد نقصوا واحدًا فما شكوا فى أنه أخذه أهله، فأخذوا رجلا على حمار من المارة ووسطوه وعلقوه مكان الذى نقص. وحلفوا أيمانًا عديدة أنهم ما رأوهم إلا ناقصين واحدًا. فأمر بفتح القفتين اللتين كانتا على حمار المقتول، فإذا فى كل قفة نصف امرأة قد نقشت، فعلم الوالى ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرًا حتى يواريها، فقتله ا لله بها. وكان فى هذه تذكرة لمن وعى أن الجزاء واقع.

وفى آخر هذا الشهر: أفرج عن الأمير طربای من سجن الإسكندرية، ونقل إلى القدس ليقيم به غير مضيق عليه، وأنعم عليه بألف دينار.

---

(١) هى زوج الحمار، والجمع أتن. انظر لسان العرب (أتن) والمذكر والمؤنث للفراء، وللتسترى لأبى بكر الأنبارى، ولابن حنى، وللمفضل، لأبى حاتم.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

أهل هذا الشهر وقد انحل سعر الغلال، وكثرت فى العراص[1] والساحل من غير سبب يظهر فى ارتفاعها أولا، ثم فى انحطاطها، إن الله على كل شىء قدير، وبالناس لرءوف رحيم.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: قبض على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله أستادار، وعلى ولده الأمير صلاح الدين محمد، وعوقا بالقلعة.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. واستقر أستادارًا عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله.

وفى ثانى عشره: أفرج عن الصاحب بدر الدين، ونزل إلى داره، وقد ألزم بحمل نفقة الشهر وعليقه، وذلك نحو ثلاثين ألف دينار. وترك ابنه الأمير صلاح الدين بالقلعة رهينة على المال، فأخذ فى بيع أملاكه وخيوله وثيابه وأثاثه.

وفى رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسن.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه - الموافق له رابع عشر مسرى -: أوفى النيل ستة عشر ذراعا. ونزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان ففتح الخليج على العادة بعد تخليق المقياس، وركب فى خدمته الصالح بن ططر.

وفى يوم الأربعاء - صبيحة الوفاء -: نودى على النيل بزيادة عشر أصابع. ونودى فى يوم الخميس بزيادة عشر أصابع. وهذا من نوادر زيادات النيل.

وفى هذا الشهر: عز وجود اللحم بالأسواق.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: ورد الخبر من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر بالقلعة، وجمع القضاة والأعيان بالجامع الأشرفى، وقرئ عليهم الكتاب ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينتا. ثم قرئ الكتاب من الغد بجامع عمرو بن العاص. وكتبت البشائر

---

(١) العرصة: هى كل موضع واسع بين الدور لا يوجد بناء فيه. انظر لسان العرب، المعجم الوسيط (عرص).

إلى الإسكندرية والبحيرة والوجه القبلى. وبينما الناس مستبشرين بنصر الله على أعدائه إذ قدم الخبر فى يوم الإثنين ثالث عشره بوصول الغزاة إلى الطينة، فكثر القلق. وكان من خبرهم أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق، مروا على دمياط إلى طرابلس، وتوجهوا منها فى بضع وأربعين مركبا إلى جزيرة الماغوصة، فخيموا فى برها الغربى، وقد خافهم متملكها، وبعث بطاعته للسلطان، فبلغهم تهيؤ صاحب قبرس للقائهم، واستعداده لمحاربتهم، فباتوا بمخيمهم على الماغوصة ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان. وشنوا من الغد - يوم الأحد - الغارات على ما فى غربى قبرس من الضياع، وعادوا بغنائم كثيرة، بعدما قتلوا وأسروا وحرقوا. ثم أقلعوا ليلة الأربعاء يريدون الملاحة، وتركوا فى البر أربعمائة من الرجال، يسيرون بحذائهم، فقتلوا وأسروا وحرقوا. ثم ركبوا البحر وقد وافاهم صباحا الفرنج فى عشرة أغربة وقرقورة، فلم يثبتوا وانهزموا من غير حرب، فأرسى المسلمون بساحل الملاحة. وللحال كرت أغربة الفرنج راجعة إليهم، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدًا، وهزموهم. وباتوا ليلة الجمعة خامس عشرينه، فأقبل بكرة يوم الجمعة خامس عشرينه عسكر قبرس، وعليهم أخو الملك، فقاتله نصف العسكر الإسلامى أشد قتال وهزموه بعدما كادوا أن يؤخذوا، وقتلوا من الفرنج مقتلة كبيرة. وأخرجوا الخيول من المركب إلى البر فى ليلة السبت وساروا بكرة يوم السبت يقتلون ويأسرون ويحرقون القرى، حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الأسرى، وامتلأت أيديهم بالغنائم، فكتب الأمير جرباش الكريمى - حاجب الحجاب ومقدم العساكر المجاهدة - إلى الأمير قصروه نائب طرابلس بذلك، صحبة قاصد، بعثة من الغزاة ليأتيه بخبرهم، فكتب الأمير قصروه كتابًا إلى السلطان وفى طيه كتاب جرباش إليه، فقرئ كما تقدم ذكره. ثم إن العسكر خاف من متملك قبرس، فإنه قد جمع واستعد، فرأى جرباش أن يعود بهم، فسار حتى أرسى على الطينة قريبا من قطيا، ومن دمياط.

وفى ثالث عشره: أفرج عن الأمير بيبغا المظفرى، ونقل من سجن الإسكندرية إلى دمياط، وجهز إليه فرس ليركبه هناك.

وفى رابع عشره: نودى بالقاهرة من أراد الجهاد فعليه بالنفقة، فكثر قلق الناس.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل على ثمانية عشر ذراعا وثمانية إصبعا. وهذا مما يستعظم قدره فى هذا الوقت.

وفى خامس عشرينه: قدم الغزاة بألف وستين أسيرًا، فباتوا بساحل بولاق. وصعدوا بكرة يوم الأحد سادس عشرينه إلى القلعة، وبين أيديهم الأسرى والغنائم وهى على مائة وسبعين حمالا، وأربعين بغلا، وعشرة جمال ما بين خرج، وصناديق،

وحديد، وآلات حربية، وأوانى، فعرض الجميع على السلطان، فكان يوما مشهودًا لم يعهد مثله فى الدولة التركية والجركسية، فرسم ببيع الأسرى وتقويم الأصناف، فابتدئ فى البيع من يوم الإثنين سابع عشرينه بحضرة الأمير جقمق العلاى أمير أخور. وتولى البيع عن السلطان الأمير إينال الششمانى، فاشتراهم الناس على اختلاف طبقاتهم. ورسم أن لا يفرق بين الأولاد وآبائهم، ولا بين قريب وقريبه، فكانوا يشترونهم جميعا. وأنفق السلطان فى طائفة من الغزاة ثلاثة دنانير ونصف لكل واحد، وفى طائفة سبعة دنانير لكل واحد.

وفى هذا الشهر: تعذر وجود اللحم بالأسواق أياما، وإن وجد فإنه قليل جدًا، وغلت أسعار أكثر الأقوات إلا القمح.

وفيه أنشأ زين الدين عبد الباسط، بناحية بركة الحاج بستانا وساقية ماء، وعمّر فسقية كبيرة تملأ بالماء ليردها الحجاج، فعظم الانتفاع بها.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

ويوافقه عيد الصليب. كان ماء النيل على عشرين ذراعا، تنقص أصبعا واحدًا، وقل ما عهد مثل هذا.

وفى يوم الإثنين رابعه: اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها، وهى أن رجلا من العشير ببيروت(١) من سواحل الشام - يقال له شعث بن أبى بكر بن الحمراء - قدم ليسعى فى بعض تعلقاته، فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه، ومعه غلامه، وقد سايره رجل من أهل بلاده، وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس، فأخرج الرجل خنجرًا وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقى ابن الحمراء طريحًا عدة ساعات، ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان، فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة، وابنه هذا صبى، فتحول إلى القاهرة، وربى بها، وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء فى هذه الأيام القاهرة، تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده، فأنس به وغفل عما كان منه، إلى أن جاءه الرجل فى هذا اليوم على عادته، وركب معه، فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه، ففعل ما فعل، وأخذ بثأره.

---

(١) بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعد من أعمال دمشق، بينهما وبين صيداء ثلاثة فراسخ. انظر معجم البلدان ١/ ٥٢٥ وهى عاصمة لبنان حاليا.

وفى هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء.

وفيه ارتفع سعر القمح حتى تجاوز الأردب مائتى درهم من الفلوس.

وفيه هدم السلطان خرائب الطظر بقلعة الجبل، وكانت خطا كبيرًا يشتمل على مساكن عديدة، فسوى بها جميعها الأرض.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها من حساب اثنى عشر درهما الرطل. وكانت قد قلت وعز وجودها لشح الناس بإخراجها، فربح من كان عنده منها شيء، وخسر من له مطالبات، فإنه صار درهمه نصفا.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى سابعه: اتفقت حادثة شنعاء، وهى أن الخبز قل وجوده فى الأسواق، فعندما خرج بدر الدين محمود العينتابى[1] - محتسب القاهرة - من داره سائرًا إلى القلعة، صاحت عليه العامة، واستغاثوا بالأمراء، وشكوا إليهم المحتسب، فعرج عن الشارع، وطلع إلى القلعة وهو خائف من رجم العامة له، وشكاهم إلى السلطان. وكان يختص به، ويقرأ له فى الليل تواريخ الملوك، ويترجمها له بالتركية. فحنق السلطان وبعث طائفة من الأمراء إلى باب زويلة، فأخذوا على المارة أفواه السكك ليقبضوا على الناس. فرجم بعض العبيد أحد الأمراء بحجر أصابه، فقبض عليه، وضرب. وقبض على جماعة كبيرة من الناس، وأحضروا بين يدى السلطان، فرسم بتوسيطهم ثم أسلمهم إلى الوالى فضربهم وقطع آنافهم وآذانهم، وسجنهم ليلة السبت. ثم عرضوا من الغد على السلطان فأفرج عنهم - وعدتهم اثنان وعشرون رجلا من المستورين - ما بين شريف وتاجر، فتنكرت القلوب من أجل ذلك، وانطلقت الألسنة بالدعاء وغيره.

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر اللحم، وعدم أياما من الأسواق. وارتفع سعر القمح أيضا، وعز وجوده، مع كثرته بالشون والمخازن، وعلو النيل وثباته[2].

وفى حادى عشرينه: خلع على شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين بن محمد المعروف بابن المحمرة، واستقر فى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد البيرى، المعروف بأخى جمال الدين الأستادار. وابن المحمرة هذا كان أبوه سمسارًا فى الغلال بساحل بولاق، وعمه طحانا، وولد هو بظاهر القاهرة، وقرأ القرآن وقرأ عدة كتب ما بين فقه ونحو وغيره، واشتغل على شيوخ العصر حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى. وشارك فى فنون، وجلس فى

---

(١) انظر: النجوم الزاهرة «العينى» ١٤/ ١١٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/ ١١٧، ١١٨.

حوانيت الشهود زمانا، واستنابه في الحسبة بالقاهرة بوساطة الأمير يلبغا السالمى، وكان من أصحابه. ثم ناب في الحكم بالقاهرة عن قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى مدة سنين. وأثرى في قضائه، وكثر ماله. ثم صرف عن الحكم، ودرس الفقه بخانكاة شيخو بمال وزنه في التدريس، ثم ولى الخانكاة.

وفيه قدم كتاب الأمير تغرى بردى المحمودى من مكة وقد توجه حاجبا يتضمن أنه بعث، لما نزل من عقبة أيلة، قاصدًا إلى الشريف حسن بن عجلان، يرغبه في الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة، فقدم ابنه الشريف بركات بن حسن، وقد نزل بطن مر، في ثامن عشرين ذى القعدة، فسر بقدومه ودخل به معه مكة أول ذى الحجة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم، أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه، وقدم به مكة يوم الإثنين ثالث ذى الحجة، وأنه حلف له ثانيا، وألبسه التشريف السلطانى، وقرره في إمارة مكة على عادته، وأنه عزم على حضوره إلى السلطان صحبة الركب، واستخلاف ولده بركات على مكة.

وفي خامس عشرينه: ورد إلى ساحل بولاق اثنا عشر غراب من أغربة الغزاة.

وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن الوقفة بعرفة كانت يوم الإثنين، وكانت بالقاهرة يوم الأحد.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن بدر الدين أبو الثناء محمود بن أبى الجود أبى بكر بن مغلى الحموى الحنبلى، في يوم الخميس العشرين من المحرم، وقد قارب السبعين سنة، وكانت أباؤه من سلمية، يعانون التجارة وولد هو بحماة، ونشأ بها، وعانى طلب العلم، وقدم القاهرة شابا سنة إحدى وتسعين في زى التجار، واشتهر بكثرة الحفظ لجودة حافظته، ومازال يدأب حتى صار من أئمة الفقه والحديث والنحو، ويشارك في فنون كثيرة، وكان يحفظ في كل مذهب من المذاهب الثلاثة كتابا، ويحفظ من مذهبه كثيرا إلى الغاية، وولى قضاء الحنابلة بحماة بعد سنة ثمانمائة، ثم ولاه المؤيد شيخ قضاء القضاة الحنابلة بالديار المصرية، فباشره حتى مات. وكان له ثراء وسعة، ولم يخلف بعده مثله.

وقتل الأمير تغرى بردى خنقا بقلعة حلب في ربيع الأول، فمستراح منه، لا دين ولا عقل ولا مروءة، ما هو إلا الظلم والفسق.

ومات زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى[1] فى سابع عشر جمادى الآخرة، وقد ولى حسبة مصر فى أيام الظاهر برقوق بمال عجز عنه، ففر إلى اليمن بعد عزله، وصار له بها حظ، لأنه كان يكتب خطا جيدا وينظم الشعر، ثم قدم مكة بعد سنين، وقدم القاهرة، وتوجه إلى الشام، ثم عاد وهو مريض، فمات يوم قدومه، وورثه أخوه.

وتوفى بدر الدين محمد بن عمر بن أبى بكر الدمامينى المالكى، الأديب، الشاعر بمدينة كربركا من بلاد الهند، فى شعبان، عن نحو سبعين سنة، وكان قد نشأ بالإسكندرية، وفاق فى الأدب، وقال الشعر الجيد، وبرع فى العربية، وعانى دولبة عمل الثياب الحرير، فاحتج، وألجأته الضرورة إلى فراره من أرض مصر، فصار له فى بلاد الهند ثراء، فلم يتهن به، ومات.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر التنوخى الشهير بابن العطار الحموى ناظر القدس، فى ثالث عشر شوال، ببلد الخليل عليه السلام، ومولده فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة. وكان أبوه من أعيان أهل حماة، يباشر أستادار الأمراء، واختص بالظاهر برقوق أيام سجنه بالكرك، وقد كان بها، وخرج معه منها، فمات قبل عود الملك إليه، فاستدنى الظاهر برقوق ابنه ناصر الدين هذا، وأنعم عليه بإمرة فى حماة، ثم ولى حجوبية حماة. ونوه به ناصر الدين محمد بن البارزى، لما ولى كتابة السر، لقرابته به، وولاه نيابة الإسكندرية[2]، فلما مات - وهو المؤيد - صرف عنها ثم ولاه السلطان نظر القدس

---

(١) شعبان بن محمد (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ = ١٣٦٤ - ١٤٢٥م). شعبان بن محمد بن داود الموصلى المعروف بالآثارى: أديب، له شعر كثير، فيه هجو ومجون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلدان، وتلقب بالآثارى لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة واستقر فى القاهرة، وبها وفاته وله أكثر من ثلاثين كتابا فى الأدب والنحو، منها «الحسان العرب» فى علوم الأدب، وألفية فى النحو: «كفاية الغلام». انظر ديوان الإسلام - خ - الضوء اللامع ٣/٣٠١، شذرات الذهب ٧/٨٤، الأعلام ٣/١٦٤.

(٢) الإسكندرية: قال ابن إياس فى ذكر مدينة الإسكندرية وما فيها من العجائب: هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعًا، وقد بنيت غير مرة فأو ما بنيت بعد كون الطوفان فى زمان مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكان يقال لها مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين، فلما كان فى أيام اليونانيين جددها الإسكندر بن فيلبس المجدونى بعد تخريب بختنصر مدينة منف بمائة وعشر سنين شمسية فعرفت به، وانتقل بختنصر الملك من مدينة منف إلى الإسكندرية، فصارت دار المملكة بديار مصر، ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الإسلام، وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الإسكندرية وصارت ديار مصر مع المسلمين فانتقل تخت الملك حينئذ من الإسكندرية دار مملكة ديار مصر. انظر نزهة الأمم ١٧١.

والخليل، وكان من خير من صحبت ديانة وملازمة لتلاوة القرآن، ومعرفة وخبرة ومشاركة، فى فنون من العلم.

ومات الفقيه نور الدين على بن أحمد بن سلامة السليمى المكى، بها، فى أخريات شوال، وقد أناف على الثمانين، وكان فقيها شافعيا فاضلا فى فنون، قدم القاهرة وسمع معنا الحديث وتردد إلى سنين بالقاهرة ومكة.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبى، أخو الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فى يوم الجمعة المبارك رابع عشر ذى الحجة، عن نحو الثمانين سنة، وكان يلى قضاء البيرة، ثم قدم القاهرة وولى قضاء القضاة بحلب مدة ثم عزل وعاد إلى القاهرة، ودرس بالمدرسة الناصرية المجاورة لقبة الإمام الشافعى بعد الجلال محمد أبى البقاء، وولى مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس بعد الشريف بدر الدين حسن النسابة، كل ذلك بجاه أخيه. فلما قتل أخوه نكب وصرف، ثم أفرج عنه وولى فى أيام المؤيد شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء حتى مات وكان فيه سكون، ويذكر عنه تدين.

وقتل الأمير طوغان - أمير أخور فى أيام المؤيد شيخ - ذبحًا بقلعة المرقب، فى ذى الحجة، وكان من جملة التراكمين، يخدم سايس خيل بعض أجنادها، فترقى حتى صار أمير أخور كبير للملك المؤيد، وله به اختصاص، ثم نكب بعده حتى قتل، وهو كما قيل: لم أبك منه على دنيا ولا دين.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر حاجب طرابلس بها، وقد تكرر ذكره فى أيام الأمير جكم، وكان مشكورا.

* * *

سنة تسع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبو عبد ا لله محمد، وسلطان الإسلام الملك الأشرف أبو العز برسباى الدقماقى، وأتابك العساكر الأمير الكبير قجق، وأمير مجلس الأمير أينال الجكمى، وأمير سلاح الأمير أينال النوروزى، وأمير أخور الأمير جقمق، والدوادار الأمير أزبك، ورأس نوبة تغرى بردى المحمودى، وحاجب الحجاب الأمير جرباش قاشق، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير الوزير فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد ا لله بن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب جكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد بن عبد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر ا لله البغدادى، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب شارقطلوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصروه، ونائب صفد الأمير مقبل الداوادار، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى، وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية عجلان بن نعير.

وأسعار المبيعات بالقاهرة مع عامة الأقوات قليلة، سيما اللحم واللبن والجبن، لم نعهد مثل قلتهم فى هذا الوقت، وقد انحل سعر الغلال، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب. والدينار الأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين درهما من الفلوس، والفلوس باثنى عشر درهما الرطل، وأحوال الناس بديار مصر وبلاد الشام واقفة، لقلة مكاسبهم، وقد شمل إقليم مصر - مدينتها وأريافها - الخراب، لاسيما الوجه القبلى، فمن شدة فقر أهله وفاقتهم وسوء أحوالهم لا يتبايعون إلا بالغلال، لعدم الذهب والفضة، بعدما كان ما كانوا فيه من الغنى والسعة فى غاية.

شهر ا لله المحرم، أوله الإثنين:

فى ليلة الخامس عشر: خسف جرم القمر بأجمعه، ومكث جميع جرمه منخسفا نحو ثمانى عشر درجة.

وفى يوم الإثنين: هذا خلع على الأمير أينال الششمانى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن بدر الدين محمود العينتابى.

وفى تاسع عشره: قدم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان، وقد أفرج عنه من سجنه بالإسكندرية.

وفى عشرينه: منع قضاة القضاة الأربع من الإكثار من نواب الحكم بالقاهرة ومصر، وأن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، ولا يزيد الحنفى على ثمانية، ولا المالكى على ستة ولا الحنبلى على أربعة، فعمل بذلك مدة أيام، وعادوا لما نهوا من الاستكثار منهم، ولو كان ذلك من الخير لنقص.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وتتابع قدومهم حتى قدم الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة بالمحمل، وتبعه ساقة الحاج وهم فى ضر وبؤس شديد، من غلاء الأسعار، وقدم معه أيضا الأمير قرقماس المقيم هذه المدة بمكة، وقدم الشريف حسن بن عجلان، فأكرم، ثم خلع عليه سابع عشرينه، واستقر فى إمارة مكة على عادته، وألزم بثلاثين ألف دينار، فبعث قاصده إلى مكة حتى يحضرها، وأقام هو بالقاهرة رهينة، ولم يقع فى الدولة الإسلامية مثل هذا.

وفى هذا الشهر: كثر موت الجاموس، ولذلك قلت الألبان والأجبان.

وفيه تجددت على الحجاج مظلمة لم تُعهد من قبل، وذلك أنه منع التجار أيام الموسم أن يتوجهوا من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند، وألزموا أن يسيروا مع الركب إلى مصر حتى يؤخذ منهم مكوس ما معهم، فلما نزل الحجاج بركة الحاج وخرج مباشرو الحاج وأعوانهم، واشتدوا على جميع القادمين من التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش محايرهم وأحمالهم، وأخرجوا سائر ما معهم من الهدية وأخذوا مكسها، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع[1] الصغير عشرة دراهم فلوسا، وأما التجار فإنه كان أخرج إليهم فى السنة الخالية بعض مسالمة الأقباط من القاهرة - كما تقدم ذكره - فوصل إلى مكة، ومضى إلى جدة بأعوانه، فضبط ما وصل فى المراكب من بلاد الهند وهرمز من أصناف المتجر، وأخذ منها العشور، فقدم فى المراكب الهندية إلى جدة فى هذه السنة زيادة على أربعين مركبا تحمل أصناف البضائع، وذلك أن التجار وجدوا راحة بجدة، بخلاف ما كانوا يجدون بعدن، فتركوا بندر عدن واستجدوا بندر جدة عوضه، فاستمر بندر جدة عظيما، وتلاشى أمر عدن من أجل

---

(١) هو البساط من الأديم.

هذا، وضعف حال متملك اليمن، وصار نظر جدة وظيفة سلطانية يخلع على متوليها، ويتوجه فى كل سنة إلى مكة فى أوان ورود مراكب الهند إلى جدة، ويأخذ ما على التجار ويحضر إلى القاهرة به، وبلغ ما حمل إلى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار، سوى ما لم يحمل، فجاء للناس ما لا عهد لهم بمثله، فإن العادة لم تزل من قديم الدهر فى الجاهلية والإسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق فى أشرافها ومجاوريها، فانعكست الحقائق، وصار المال يحمل من مكة، ويلزم أشرافها بحمله، ومع ذلك فمنع التجار أن يسيروا فى الأرض يبتغون من فضل الله، وكلفوا أن يأتوا إلى القاهرة حتى تؤخذ منهم المكوس على أموالهم، وأنى لأذكر أن الملك المؤيد شيخا نظره مرة فى أيام قدوم الحاج فرأى من أعلى قلعة الجبل خياما مضروبة بالريدانية خارج القاهرة، فسأل عنها، فقيل عنها، فقيل له إن العادة أن ينصب ناظر الخاص عند قدوم الحاج خياما هناك ليجلس فيها مباشرو الخاص وأعوانه، حتى يأخذوا مكس ما معهم من البضائع، فقال: «والله إنه لقبيح أن يعامل الحاج عند قدومه بهذا»، واستدعى بعض أعيان الخاصكية، وأمره أن يركب ويسوق حتى يأتى تلك الخيام ويهدمها على رءوس من فيها، ويضربهم حتى يحملوها وينصرفوا، ففعل ذلك، ولم يتعرض أحد فى تلك السنة للحجاج، وكان ناظر الخاص إذ ذاك الصاحب بدر الدين حسن نصر الله، ولعمرى لقد سمعت عجائز أهلنا وأنا صغير يقلن إنه ليأتى على الناس زمان يترحمون فيه على فرعون فبرغمى إن مضين وخلفت حتى أدركت وقوع ما أنذرنا به قبل، ولله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

فى نصفه: جمع السلطان الأمراء والقضاة وكثيرًا من التجار، وتحدث فى إبطال المعاملة بالذهب المشخص الذى يقال له الأفرنتى، وهو من ضروب الفرنج، وعليه شعار كفرهم الذى لا تجيزه الشريعة المحمدية. وهذا الأفرنتى كما تقدم ذكره قد غلب فى زمننا من حدود سنة ثمانمائة على أكثر مدائن الدنيا، من القاهرة ومصر وجميع أرض الشام، وعامة بلاد الروم والحجاز واليمن، حتى صدر النقد الرابح، فصوب من حضر رأى السلطان فى إبطاله، وأن يعاد سبكه بدار الضرب، ثم يضرب على السكة الإسلامية، فطلب من الغد صياغ دار الضرب، وشرع فى سبك ما عنده من الدنانير الإفريقية.

وفى هذا الشهر: عز وجود الخبز فى الأسواق أحيانا، مع كثرة الغلال وقلة طالبيها. وفقد اللحم أيضا عدة أيام من قلة جلب الأغنام، وسبب ذلك أن الوزير يحتاج فى كل

يوم إلى اثنى عشر ألف رطل من اللحم برسم المماليك السلطانية، ومطبخ السلطان وحريمه، فحجر على باعة اللحم أن يزيدوا فى سعره حتى لا يزداد عليه ما يقوم به فى ثمن اللحم، واقتنى أغناما كثيرة، وصار يشتريها بما يريد، فلا تصل أثمانها إلى بائعها إلا وقد بخسوا فيها، كما هى عادتهم فى بخس الناس أشياءهم، فنفر تجار الغنم وجلابتها من الحضور بها إلى أسواقها، خوفا من الخسارة، وكانت أراضى مصر فى السنة الخالية محلا من قلة ماء النيل فى أوانه، وسرعة هبوطه، حتى شرقت الأراضى إلا قليلا، فقلت المراعى، ثم ارتفع سعر الفول والشعير، فشحت الأنفس بعلف البهائم والأنعام، خصوصا الفلاحون، فإن أحوالهم ساءت فهزلت من أجل هذا بهيمة الأنعام من الغنم والبقر والجاموس، وتعذر من نصف شهر رمضان الماضى وجود لحم الضأن، وارتفع سعره من سبعة دراهم للرطل إلى عشرة دراهم ونصف، وقلت الألبان والأجبان والسمن، وبلغت أثمانا لم نعهد مثله فى زمن الربيع، واتفق مع هذا كله الموت الذريع فى الجاموس، حتى فنى معظمه، ووقع الفناء أيضا فى الأبقار وماتت أيضا الأغنام وحمير وخيل غير كثيرة العدد.

وفى سادس عشرينه: نودى بإبطال المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن يتعامل الناس بالدنانير الأشرفية، وزنة الدينار منه زنة الدينار الأفرنتى، وألزم الناس بحمل ما عندهم من الأفرنتية إلى دار الضرب، حتى تسبك وتعمل دنانير أشرفية وخلع على شرف الدين أبى الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر فى نظر دار الضرب، وقد كان باشر نظر وقف الأشراف، ونظر كسوة الكعبة أحسن مباشرة، بعفة وأمانة ونهضة.

وفى نصف هذا الشهر: ارتفع سعر القمح وتجاوز الأردب ثلاثمائة درهم وقل وجود الدقيق فى الطواحين، ووجود الخبز بالأسواق، وشنع الأمر فى تاسع عشرينه، وازدحم الناس بالأفران فى طلب الخبز، وتكالبوا على ابتياع القمح، فشحت نفوس الخزان به وأبيع القدح الفول بأربعة دراهم ولهذا أسباب: أحدها أن البدر محمود العنتابى كان أيام حسبته يلين للباعة، حتى كأنه لا حجر عليهم فيما يفعلوه، ولا ما يبيعوا بضائعهم به من الأثمان، فلما ولى الششمانى أرهب الباعة وردعهم بالضرب المبرح، فكادوه، وترك عدة منهم ما كان يعانيه من البيع، واتفق فى هذه الأيام هلك كثير من الجاموس والبقر، بحيث أن رجلا كان عنده مائة وخمسون جاموسة فهلكت بأجمعها، ولم يبق منها سوى أربع جاموسات، وما ندرى ما يتفق لها، فقلت الألبان والأجبان والسمن. ثم هبت فى نصف هذا الشهر رياح مريسية، وتوالت أياما تزيد على عشرة، لم تستطع المراكب

السفر فى النيل، فانكشف الساحل من الغلة، وجاء الخبر بغلاء الأسعار فى بلاد غزة والرملة ونابلس والساحل ودمشق وحوران وحماة، حتى تجاوز سعر الأردب المصرى عندهم ألف درهم فلوسا، إذا عُمل حسابه. وقدم الخبر بغلاء بلاد الصعيد وأنها بأسرها لا يكاد يوجد بها قمح ولا خبز برّ، ومع هذه الرزايا كلها شح الأعيان وطمعهم، فإن بعض أمراء الألوف لما بلغ القمح مائتين وخمسين درهما الأردب قال: «لا أبيع قمحى إلا بثلاثمائة درهم الأردب». ومنع السلطان أن يباع من حواصله قمح لقلة ما عنده، فظن الناس الظنون، وجاعت أنفسهم، وقوى الحرص، وتزايد الشح، فأمسك خزان القمح ما عندهم منه ضنًا به وأملوا أن يبيعوا البر بالدر. هذا، ومتولى الحسبة بعيد عن معرفتها، فآل الأمر إلى ما قيل: «تجمعت البلوى على وتحد فرد».

وفيه انحط سعر اللحم من عشرة دراهم ونصف الرطل إلى ثمانية ونصف، وهو هزيل لقلة علف البهائم.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

أهل هذا الشهر والأردب القمح بثلاثمائة، سوى كلفه، وهى مبلغ عشرين درهما، والدقيق كل بطة زنة خمسين رطلا بمائة وعشرين درهما، وهما قليل، وقد خسر الناس فى تفاوت سعر الدينار الأفرنتى والدينار الأشرفى جملة مال، فإن الأفرنتى كان يصرف بمائتين وخمسة وعشرين درهما، وفى علم السلطان أنه إنما يصرف بمائتين وعشرين، ومشى الناس أيضا فيما بينهم نقصه زنة قمحة، فلما نودى أن لا يتعامل أحد بالأفرنتى وضرب السلطان الدنانير الأشرفية وأنفقها فى جوامك المماليك بالديوان المفرد، كثرت فى أيدى الناس، فصار من عنده شىء من الأفرنتية يحتاج أن يتعوض بدله من الصيارفة دنانير أشرفية فيخسر فى كل دينار أفرنتى سبعة دراهم ونصف، إن كان نقصه قمحة، وما زاد على القمحة فبحسابه، فتلفت أموال الناس بسبب ذلك، وربحت الصيارفة أرباحا كثيرة، بحيث أخبرنى من لا أتهم أنه خسر فى دنانير أفرنتية خمسة آلاف درهم.

وفى يوم السبت ثانيه: تيسر وجود الخبز فى الأسواق.

وفيه ابتدأ السلطان بعمل خبز يفرق فى الفقراء كل يوم.

وفى رابع عشره: نودى أن يقطع كل أحد ما تحت حانوته من الأرض، ويرمى بالكيمان، وأن تصلح الطرقات فى سائر أزقة القاهرة ومصر وظواهرهما، وفى جميع الحارات والخطط، وهدد من لم يفعل ذلك، فشرع كل أحد - من جليل وحقير - فى طلب الفعلة وقطع الأراضى، وطلب الحمارة لنقل الأتربة ورميها، فجاءتهم كلف

ومغارم مع ما هم فيه من غلاء الأسعار والخسارة فى الذهب، فلطف الله وبطل ذلك بعد يومين، وقد خسر فيه من خسر جملة.

وفيه قدم الأمير قصروه نائب طرابلس.

وفى هذا الشهر: ظهر رجلان أبديا صنائع بديعة أحدهما من مسلمة الفرنج الذين يتزيوا بزى الأجناد فإنه نصب حبلا أعلى مأذنة المدرسة الناصرية حسن بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ومده حتى ربطه بأعلى الأشرفية من قلعة الجبل، ومسافة ذلك رمية سهم أو أزيد، فى ارتفاع ما ينيف على مائة ذراع فى السماء، ثم إنه برز من رأس المأذنة، ومشى على هذا الحبل، حتى وصل إلى الأشرفية، وهو يبدى فى مشيه أنواعا من اللعب، وقد جلس السلطان لرؤيته، وحشر الناس من أقطار المدينة، فعُد فعله من النوادر التى لو لم تشاهد لما صدقت، ثم خلع عليه السلطان، وبعثه إلى الأمراء، فما منهم إلا أنعم عليه فانتدب بعد ذلك بقليل شاب من أهل البلد لمحاكاة المذكور فى فعله، ونصب حبلا عنده فى داره، ومشى عليه فلما علم من نفسه القدرة على ذلك صعد إلى رأس نخلة، ومد منها حبلا إلى نخلة أخرى ومشى عليه، فأقدم عند ذلك وأظهر نفسه، ونصب حبلا من رأس مأذنة المدرسة الظاهرية برقوق إلى رأس مأذنة المدرسة المنصورية بين القصرين بالقاهرة، وأرخى من وسط هذا الحبل الممتد حبلا، وواعد الناس حتى ينظروا ما يفعله، مما لم يقدر ذلك الرجل على فعله، فجاءوا من كل جهة، وخرج من رأس المأذنة المدرسة الظاهرية، ومشى قائما على قدميه، وقامته منتصبة، حتى وصل رأس مأذنة المدرسة المنصورية، ومسافة ما بينهما نحو المائة ذراع فى ارتفاع أكثر من ذلك، ثم إنه نام على الحبل، وتمدد، ثم قام ومشى حتى وقف على الحبل الذى أرخاه فى وسط الحبل الذى هو قائم عليه، ونزل فيه إلى آخره، ثم صعد فيه، وهو يبدى فى أثناء ذلك فنونا تذهل رؤيتها، لولا ضرورة الحس لما صدقت، وتلاشى بما فعله فعل ذلك الرجل، ثم إنه نصب حبلا من مأذنة حسن إلى الأشرفية بالقلعة، كما نصب الرجل الأول، وجلس السلطان لمشاهدته، وأقبل الناس فى يوم الجمعة تاسع عشرينه، وقد هبت رياح كادت تقتلع الأشجار، وتلقى الدور، فخرج هذا الشاب وتلك الرياح فى شدة هبوبها، فمشى على قدميه حتى وصل إلى حبل قد أرخاه فى الوسط، وأدلى رأسه ، ونزل فيه منكوسا، رأسه أسفل ورجلاه أعلاه، إلى آخره، ثم صعد على الحبل الممتد، ومشى قائما عليه حتى وصل إلى قبة المدرسة، فنزل من الحبل وصعد القبة وهو يجرى فى صعوده جريا قويا فوق شكل كرسى من رصاص أملس، حتى وقف بأعلاها، والرياح عمالة فى طول ذلك، بحيث لا يثبت لها طير السماء، ولا يقدر على المرور لشدة هبوبها، وهذا

الشاب يروح ويجىء شاقا لها، ومارا فيها، كأنما خلق من الريح، فكان شيئا عجبا، لاسيما ولم يتقدم له إدمان فى ذلك، ولا دربه فيه معلم، وإنما تاقت إليه نفسه، فامتحنها فإذا هى متأتية له فيما أراد، فبرز وأبدى ما يعجز عنه سواه.

ومن نصف هذا الشهر: انحل سعر الشعير، حتى أبيع الأردب بدينار أشرفى، وانحل سعر الفول، حتى أبيع الأردب بثلاثمائة درهم بعدما بلغ أربعمائة، ووجد القمح وكثر، ولله الحمد.

وفيه قدم الأمير أُرُنْبُغا المتوجه فى البحر إلى مكة، وكان معه هدية لصاحب اليمن، فمضى بها فى البحر من جدة ومعه شخص يقال له ألطنبغا فرنجى - ولى دمياط مرارًا - ومعهما من المماليك السلطانية خمسون نفرًا، وقد حسن للسلطان شخص أخذ اليمن بهذه العدة، فتأخر فرنجى فى مركب على ساحل حلى بنى يعقوب[1] بالمماليك، وتوجه أرنبغا ومعه منهم خمسة نفر بالهدية والكتاب، وهو يتضمن طلب مال للإعانة على جهاد الفرنج، فأخذ متملك اليمن فى تجهيز الهدية، فأتاه الخبر بأن فرنجى نهب بعض الضياع، وقتل أربعة رجال فأنكر صاحب اليمن أمرهم، وتنبه لهم وقال لأرنبغا: «ما هذا خبر خير، فإن العادة أن يقدم فى الرسالة واحد فقدمتم فى خمسين رجلا، ولم يحضر إلىّ منكم إلا أنت فى خمسة نفر، وتأخر باقيكم، وقتلوا من رجالى أربعة» وطرده عنه من غير أن يجهز هدية ولا وصله بشىء، فنجا ومن معه بأنفسهم وعادوا جميعا إلى مكة، وقدم أرنبغا مخفا.

شهر ربيع الآخر، أول السبت:

فيه توجه الأمير قصروه عائدا إلى طرابلس على نيابته بها.

وفى ثامنه: خلع على الأمير يشبك الساقى الأعرج، واستقر أمير سلاح بعد موت أينال النوروزى.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: نصب تاجر عجمى حبلا فيما بين مأذنتى مدرسة حسن ليفعل كما فعل من تقدم ذكرهما، وخرج من أعلى أحديهما ومشى على الحبل عدة خطوات ثم عاد من حيث ابتدأ، ومشى ثانيا على قدميه إلى آخره، وأبدى عجائب، منها أنه جلس على الحبل وأرخى رجليه، وتناول وهو كذلك قوسا كانت على كتفه، وأخرج من كنانته سهمين رمى بهما واحد بعد آخر، ثم قام ودخل وهو قائم على الحبل فى طارة كانت معه، وخرج منها، وكرر دخوله فيها وخروجه منها

(١) سبق ترجمتها.

مرارًا، فتارة يدخل رجليه قبل إدخاله يديه، وتارة يدخل يديه قبل رجليه، ثم ينزل من الحبل الممدود فى حبل قد أرخاه، وهو حال نزوله يتقلب بطنًا لظهر وظهرًا لبطن، حتى نزل إلى أسفله ورأسه منكوسة نحو الأرض، وقامته ممتدة، بحيث صارت قدماه توازى السماء، ورمى وهو منكوس بالقوس ثلاثة سهام واحدا بعد واحد، ثم صعد من أسفل الحبل المرخاة حتى قام على قدميه فوق الحبل الممدود، ثم ألقى نفسه وهو قائم إلى جهة الأرض، فإذا هو قد تعلق بإبهامى قدميه، وصار رأسه منكوسا، ثم انقلب وهو منكوس، فصار رأسه على الحبل الممدود ورَجلاه إلى السماء، ثم انقلب فصارت قدماه على الحبل وهو قائم فوقه، ثم رفع إحدى رجليه ووقف فوق الحبل على رجل واحدة، وهو يرفع تلك الرجل، حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف عليها، ورفع الرجل الأخرى التى كان قائما عليها حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف على قدميه منتصب القامة، وخر ساجدا على الحبل حتى صار فمه عليه يشير أنه يقبل الأرض بين يدى السلطان، وهو مستقبله، فأنست أفعاله من تقدمه.

وفى خامس عشرينه: استقر كمال الدين محمد بن همام الدين محمد السيواسى الحنفى فى مشيخة التصوف وتدريس الجامع الأشرفى، عوضا عن علاء الدين على الرومى، وقد عزم على عوده إلى بلاده. و لم يكن بالمشكور فى علمه ولا عقله.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وخلع على التفهنى، واستقر فى مشيخة خانكاه شيخو بعد وفاة سراج الدين عمر قارئ الهداية.

وفى يوم الجمعة: أركب السلطان كثيرًا من مماليكه، ونزلوا فى عدة من الأمراء إلى القاهرة متقلدى سيوفهم، حتى طرقوا الجودرية[1] - إحدى الحارات - وأحاطوا بها من جميع جهاتها، وفتشوا دورها، وقد وشى للسلطان بأن جانبك الصوفى فى دار بها، فلم يعثروا عليه، وقبض على فخر الدين بن المزوق وضرب بالمقارع ونفى، لتعلق بينه وبين جانبك الصوفى من جهة المصاهرة، ونودى من الغد بأن لا يسكن أحد بالجودرية، فأخليت عدة دور بها، واستمرت زمانا خالية، فكانت حادثة شنعة.

وفى سلخه: قدم المماليك الذين كانوا مجردين بمكة.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال بعد انحطاطها، وبلغ الأردب القمح ببلاد الصعيد أربعة دنانير.

---

(١) عرفت باسم طائفة من العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٥.

وفيه تحارب الفرنج القطرانيون والبنادقة فى ميناء الإسكندرية، فغلب القطرانيون، وأخذوا مركب البنادقة بما فيه، بعدما قتل بينهم جماعة، ثم أسروا طائفة من المسلمين كانوا بالميناء، ومضوا فى البحر.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فى سابع عشرينه: قدم رسول صاحب اصطنبول - وهى القسطنطينية - بهدية وشفع فى أهل قبرس أن لا يغزوا.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر القمح حتى بلغ دينارين الأردب، ثم انحط فى آخره إلى دينار، وانحطت البطة الدقيق من مائة وخمسين درهما إلى ثمانين درهما، لكثرة وجود القمح.

وفيه تبرع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر بما له من المعلوم المقرر على القضاء، فى أنظار الأوقاف ونحوها، لمدة سنة، فجبيت للسلطان، وباشر بغير معلوم.

شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء:

فى ثالث عشره: قدم من عسكر الشام عدة، ومن طوائف العشير جماعة ليسيروا للجهاد، فأنزلوا بالميدان الكبير.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى الحنبلى، الذى ولى قضاء الحنابلة بدمشق فى الأيام المؤيدية، واستقر قاضى قضاة الحنابلة عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى بعد عزله، وقد شنعت فيه القالة لسوء سيرة أخيه وابنه.

وفى ثالث عشرينه: جلس السلطان لعرض المجاهدين بالحوش من القلعة وأنفق فيهم فكان يوما جميلا.

شهر رجب أوله الخميس:

فيه أدير محمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، وعجل عن وقته لتوجه المجاهدين للغزو.

وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة[1] كاتب إبراهيم البرددار، واستقر فى نظر

---

(١) عبد العظيم بن صدقة (٨٦٠ هـ = ٤٥٦) الملقب تاج الدين القبطى الأسلمى، ناظر ديوان المفرد. ولى المذكور عدة وظائف بالطالع والنازل، وقاسى خطوب الدهر ألوانا، وهو معدود من الكتاب عند أبناء جنسه، وكان هو وزين الدين يحيى أستادارء - قريب أبى الفرج أستادار هذا الزمان - حمولهما كفرسى رهان، وكان يقع بينهما فى تلك الأيام مقالات ومفاوضات وكل منهما=

الديوان المفرد، وكان قد شغر عن الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ من حين ولى الأمير زين الدين عبد القادر أستادار، وعبد العظيم من مسلمة النصارى الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.

وفى يوم الجمعة ثانيه: سار أربعة أمراء إلى الجهاد، وهم تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وقد جعل مقدم عسكر البر، والأمير أينال الجكمى أمير مجلس وجعل مقدم عسكر البحر، والأمير تغرى برمش، والأمير مراد خجا وتبعهم المجاهدين، وتوجهوا فى النيل أرسالا، حتى كان آخرهم سفرًا فى يوم السبت حادى عشره.

وفى يوم الخميس عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن تقص ويحضر بها مقصوصة إلى دار الضرب حتى تسبك، وهدد من خالف ذلك، وكان العامة بعد النداء الأول قد تعاملوا بها كما هى عادتهم فى المخالفة، لقلة ثبات الولاة على ما يرسم به.

وفى ثامن عشرينه: قدم الخبر بأن الغزاة مروا فى سيرهم إلى رشيد، وأقلعوا من هناك يوم السبت رابع عشرينه وساروا إلى أن كان يوم الإثنين سادس عشرينه، انكسر منهم أربعة مراكب غرق فيها نحو العشرة أنفس فانزعج السلطان لذلك، وهم بإبطال الغزاة، ثم بعث فى يوم الجمعة آخره الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، لكشف خبرهم، والعمل فى مسيرهم أو عودهم، بما يقتضيه رأيه، فقوى عنده إمضاء العزم على المسير، فساروا على بركة الله.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فى خامسه: قدم الخبر بأن طائفة من الغزاة لما ساروا من رشيد إلى الإسكندرية وجدوا فى البحر أربع قطع بها الفرنج، وهى قاصدة نحو الثغر، فكتبوا لمن فى رشيد من بقيتهم بسرعة لحاقهم، وتراموا هم والفرنج يومهم، وباتوا يتحارسون، واقتتلوا من الغد،

=كان يسعى على الآخر ويرافع فيه ويعزله، وكان الغالب فى الغالب عبد العظيم هذا إلى أن تعلق زين الدين يحيى بأذيال الأمير قيزطوغان العلائى لما ولى الأستادارية وصار زين الدين المذكور ناظر ديوان المفرد، فمن يومئذ تأخر عبد العظيم هذا وتقدم زين الدين إلى أن صار كل منهما إلى ما آل أمره إليه، وتقهقر عبد العظيم فى الدولة إلى أن بقى من خاميل الأقباط الذين عليهم الغلاسة بالقناطير، فإنه كان فى أيام سعادته وولايته وثروته دنسا مظلما ليس عليها نورانية الإسلام: لما عزل وافتقر زادت دناسته أضعاف ما كانت عليه أولا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٠٦، الدليل الشافى ١/ ٤١٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٤٠.

فما هو إلا أن قدمت بقية الغزاة من رشيد[1]، ولىّ الفرنج الأدبار بعد ما استشهد من المسلمين عشرة.

وفى رابع عشره: جاء قاع النيل أربعة أذرع وسبعة أصابع، وابتدئ بالنداء بزيادة النيل فى يوم الجمعة خامس عشره خمسة أصابع.

وفى يوم الأربعاء عشرينه: أقلع الغزاة من ميناء الإسكندرية طالبين قبرس، أيدهم الله على أعدائه بنصره.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى سابعه: قدم الخبر بوصول الغزاة فى أخريات شعبان إلى قلعة اللمسون، وأن صاحب جزيرة قبرس قد استعد، وأقام بمدينة الأفقسية، وعزم على اللقاء.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أنعم بإقطاع الأمير الكبير قجق على الأمير يشبك الساقى الأعرج أمير سلاح وأنعم بتقدمه قرقماس وإقطاعه على الأمير بردبك أمير أخور، وأنعم بطبلخاناه بردبك على الأمير يشبك أخى السلطان، و لم يتأمر قبلها، فصار من أمراء الطبلخاناه.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يشبك الساقى واستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن الأمير قجق بعد موته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره – الموافق له أول يوم من مسرى –: كان النيل على ثلاث عشر ذراعا وأربعة أصابع، وهذا المقدار مما يندر وقوعه فى أول مسرى لكثرته.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم الخبر فى النيل بأخذ جزيرة قبرس وأسر ملكها. وكان من خبر ذلك أن الغزاة نازلوا قلعة اللمسون، حتى أخذوها عنوة فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهدموها وقتلوا كثيرًا من الفرنج، وغنموا. ثم ساروا بعد إقامتهم عليها ستة أيام، فى يوم الأحد أول شهر رمضان وقد صاروا فرقتين، فرقة فى البر وفرقة

---

(١) رشيد: من مدن البلاد المصرية كبيرة على كثيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية ملأت عليهم سككهم وبيوتهم رملاً، فلا يقدرون على التصرف فى أسواقهم، وهى على ضفة النيل، وضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه من أعجب منتزهات الدنيا، وليس لغلات هذه الناحية نظير فى الدنيا، ورئى فى تلك الجهات ضيعة لأحد المصريين يغل رمانها وموزها خاصة عشر ألف مثقال فى العام، وهناك ضيعة الليث بن سعد وكان يقول: يدخل على كل سنة خمسون ألف دينار ما وجبت علىّ زكاتها قط. انظر الروض المعطار ٢٧٢، ٢٧٣، والاستبصار ٨٩، وصبح الأعشى ٣/٤٠٠، والإدريسى ١٦٢، وابن دقماق ٥/١١٣، ١١٤.

فى البحر، حتى كانوا فيما بين اللمسون والملاحة، إذا هم بجينوس بن جاك متملك قبرس[1] قد أقبل فى جموعه، فكانت بينه وبين المسلمين حرب شديدة، انجلت عن وقوعه فى الأسر بأمر من عند الله يتعجب منه لكثرة من معه وقوتهم، وقلة من لقيه، ووقع فى الأسر عدة من فرسانه، فأكثر المسلمون من القتل والأسر، وانهزم بقية الفرنج، ووجد معهم طائفة من التركمان، قد أمدهم بهم على بك بن قرمان فقتل كثير منهم، واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين فى الملاحة، فى يوم الإثنين ثانيه، وقد تسلم ملك قبرس الأمير تغرى بردى المحمودى، وكثرت الغنائم بأيدى الغزاة، ثم ساروا من الملاحة يوم الخميس خامسه يريدون الأفقسية، مدينة الجزيرة، ودار مملكتها فأتاهم الخبر فى مسيرهم أن أربعة عشر مركبا للفرنج قد أتت لقتالهم، منها سبعة أغربة، وسبعة مربعة القلاع، فأقبلوا نحوها وغنموا منها مركبا مربعا، وقتلوا عدة كثيرة من الفرنج، حتى لقد أخبرنى من لا أتهم من الغزاة أنه عد فى الموضع الذى كان فيه ألفا وخمسمائة قتيل، وانهزم بقيتهم، وتوجه الغزاة إلى الأفقسية وهم يقتلون، ويأسرون، ويغنمون، حتى دخلوها، فأخذوا قصر الملك، ونهبوا جانبا من المدينة، وعادوا إلى الملاحة بعد إقامتهم بالأفقسية يومين وليلة. فأراحوا بالملاحة سبعة أيام، وهم يقيمون شعائر الإسلام، ثم ركبوا البحر عائدين بالأسرى والغنيمة، فى يوم الخميس ثانى عشره وقد بعث أهل الماغوصة يطلبون الأمان.

ولما قدم هذا الخبر دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وقرئ الكتاب الوارد على الناس بالجامع الأشرفى، وندب جماعة من المماليك، فساروا فى النيل لحفظ مراكب الغزاة، والمسير بها من دمياط، وقد قدمت بالغزاة وما معهم، حتى يوقفوها بميناء الإسكندرية.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان من مكة، وقد استدعى بعد موت أبيه فخلع عليه، واستقر فى إمرة مكة، على أن يقوم بما تأخر على أبيه وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، فإنه كان قد حمل قبل موته من

---

(١) جينوس بن جاك بين بيدو بن أنطون بن جينوس الفرنجى (٨٣٥ هـ = ١٤٢٦ م)، متملك جزيرة قبرس ملكها بعد موت أبيه جاك فى حدود سنة ثمانمائة، واستمر بها إلى أن قبض عليه العساكر الإسلامية من قبل الملك الأشرف، وقدموا به إلى القاهرة من جملة الأسرى. وأقام جينوس هذا بالقاهرة مدة، ثم أعاده الملك الأشرف إلى مملكته، بعد أن ضرب عليه الجزية فى كل سنة، إلى أن توفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٤٦، ٤٧، الدليل ١/ ٢٥٥، النجوم ١٥/ ١٧٦، الضوء ٣/ ٨٥، بدائع الزهور، ٢/ ١٤٢، نزهة النفوس ٣/ ٢٤٥.

الثلاثين الألف التى التزم بها مبلغ خمسة آلاف دينار، وألزم بركات أيضا بحمل عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وأن لا يتعرض لما يؤخذ بجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فيه ابتدأ عبور الغزاة، فقدم عدة منهم فى البر وفى النيل.

وفى يوم الخميس رابعه - الموافق له اليوم الخامس عشر من مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفى يوم الأحد سابعه: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى والأمير أينال الجكمى - مقدما الغزاة المجاهدين - بمن معهما من العسكر، وصحبتهم جينوس بن جاك متملك قبرس، وعاد ومن أسروه وسبوه من الفرنج، وما غنموه. وجميعهم فى مراكبهم التى غزوا قبرس فيها، فمروا على ساحل بولاق حتى نزلوا بالميدان الكبير، فكان يوما مشهودا لم ندرك مثله. وأصبحوا يوم الإثنين ثامنه سائرين بملك قبرس والأسرى والغنائم، وقد اجتمع لرؤيتهم من الرجال والنساء خلائق لا يحصى عددها إلا الله الذى خلقها، فمروا من الميدان على ظهر أرض اللوق، حتى خرجوا من المقس، وعبروا من باب القنطرة إلى بين القصرين، وشقوا قصبة القاهرة إلى باب زويلة، ومضوا إلى صليبة جامع ابن طولون، وأقبلوا من سويقة منعم[1] إلى الرميلة، تحت القلعة، وطلعوا إليها من باب المدرج[2] وكانوا فى مسيرهم هذا الذى لا يبعد أن يقارب البريد قد قدموا الفرسان من الغزاة المجاهدين فى سبيل الله أمام الجميع، ومن وراء الفرسان طوائف الرجالة - من عشران البلاد الشامية وزعر القاهرة ومطوعة البلاد - ومن وراء الرجالة الغنائم محمولة على رءوس الرجال، وظهور الجمال والبغال والحمير، وفيها تاج الملك وأعلامه ورايته منكسة، وخيله تقاد ومن وراء الغنائم الأسرى من الرجال والسبى من النساء والصبيان، وهم زيادة على ألف إنسان، ومن وراء الأسرى جينوس بن جاك الملك، وقد أركب بغلا، وقيد بقيد من حديد، وأركب معه ثنان من خاصته، وركب الأميران تغرى بردى وأينال الجكمى عن يمين جينوس بن جاك وشماله، حتى وصلا به باب القلعة، أنزلاه عن البغل، فكشف رأسه، وخر على وجهه إلى الأرض، فقبلها ثم

---

(١) تقع فى خط الصليبة بالقاهرة قرب جامع أحمد بن طولون. انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٨٦.

(٢) يسمى أيضا باب الدر، وهو أحد أبواب قلعة الجبل، وينتهى منه إلى القرافة، وهو يقع بين سور القلعة والجبل. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

انتصب قائما ودخل يرسف فى قيوده، حتى مثل بين يدى السلطان قائما، وقد جلس السلطان بالمقعد، وفى خدمته أهل الدولة من الأمراء والمماليك والمباشرين، وحضر الشريف بركات بن عجلان أمير مكة، ورسل ابن عثمان ملك الروم، ورسل صاحب تونس، ورسل أمراء التركمان، ورسل عذراء أمير العرب، ومماليك نواب البلاد الشامية، فعرضت الغنائم ثم الأسرى، ثم جىء بجينوس فى قيوده مكشوف الرأس، فخرَّ على وجهه يعفره فى التراب، ويقبل الأرض، ثم قام وقد خارت قواه، فلم يتمالك نفسه لهول ما عاينه، وسقط مغشيا عليه، ثم أفاق من غشوته، فأمر به إلى منزل قد أعد له بالحوش من القلعة، فكان يومًا عظيما لم ندرك مثله، أعز الله تعالى فيه دينه.

وفيه نودى بهدم الزينة، فهدمت، وخلع على الأمراء الأربعة القادمين من الغزاة، وأركبوا خيولا بقماش ذهب.

وفى تاسعه: جمع التجار لشراء ما حضر من الغنيمة، وهى ثياب وقماش وأثاث وأوانى.

وأما جينوس فإنه لما استقر فى منزله أتته قصاد السلطان لطلب المال، فأظهر جلدًا، وقال: «مالى إلا روحى، وهى بيدكم»، فغضب السلطان من جوابه وبعث إليه من الغد يهدده إن لم يفد نفسه منه بالمال، فثبت على التجلد، وقال: «ألا لعنة الله على واحد من النصارى». فأمر السلطان بإحضاره، فأخرج إلى الحوش، وقد جعلت الأسرى فيه، فما هو إلا أن شاهدوا جينوس ملكهم قد أخرج أسيرًا ذليلا، صرخوا بأجمعهم صرخة مهولة، وحثوا بأكفهم التراب على رءوسهم، والسلطان قد جلس بالمقعد، وأوقف جينوس حيث أوقف أمس من تحت المقعد، وقد وقف معه جماعة من قناصلة الفرنج، فالتزموا عنه بفدائه بالمال من غير تعيين شىء، وأعيد إلى منزله، ودخل إليه قصاد الملك لتقرير المال.

فلما كان يوم الأربعاء، عاشره: رسم له ببدلتين من قماشه، ورتب له عشرون رطل لحم وستة أطيار دجاج فى كل يوم، وفسح له فى الاجتماع بمن يختاره، وطال الكلام فيما يفدى به نفسه، وطُلب منه خمسمائة ألف دينار، فتقرر الصلح على مائتى ألف دينار، يقوم منها مائة ألف دينار، فإذا عاد إلى ملكه بعث بمائة ألف دينار ويقوم فى كل سنة بعشرين ألف دينار، واشترط على السلطان أن يكف عنه الطائفة البندقية وطائفة الكيتلان.

وفى حادى عشره: سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان عائدًا إلى مكة أميرًا بها.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير أينال الجكمى أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير يشبك، وكانت شاغرة فى هذه الأيام، وخلع على الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير قرقماس - الذى كان بمكة - واستقر حاجب الحجاب.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: قدم أمير الملأ عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، فأنزل بالميدان الكبير على عادة جده نعير، وأجريت له الرواتب، وعذراء هذا أقامه الظاهر ططر بعد موت الملك المؤيد شيخ، عوضا عن حديثة بن مانع من آل فضل. وحديثة استقر بعد حسين بن نعير بن حيار بن مهنا، وحسين استقر بعد قتل أخيه العجل ابن نعير. والأمير الملأ عدة سنين لم يقدم إلى مصر.

وفى ثامن عشره: خلع على الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر الحسينى واستقر فى إمرة المدينة النبوية عوضا عن الشريف عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة إلى ظاهر القاهرة.

وفى خامس عشرينه: توجه الأمير عذراء عائدًا إلى بلاده على إمرة العرب، بعدما خلع عليه.

وفيه كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل قد بلغ ثمانية عشر ذراعا وإصبعا واحدًا.

وفى هذه الأيام: تعطلت أسواق القماش من البيع عدة أيام لاشتغال التجار بشراء الغنائم.

وفيها قل وجود اللحم بالأسواق لقلة الأغنام.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى نصفه: قدم نجم الدين عمر بن حجى من دمشق بسعيه فى ذلك، وكان منذ أخرج بعد عزله من كتابة السر مقيما بدمشق.

وفى ثامن عشرينه - وهو رابع بابه -: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا وخمسة أصابع، وثبت.

وفى هذا الشهر: انحط سعر الغلال.

وفيه كثر تتبع القضاة والفقهاء فيما تحت أيديهم من الأوقاف، وانطلقت الألسن بقالة السوء فيهم.

وفيه وقع بالمدينة النبوية حادث شنيع، وهو أن خشرم بن درغان قدم المدينة وقد رحل عنها عجلان لما بلغه أنه عزل، فلم يلبث غير ليلة حتى صبحه عجلان فى جمع من العربان، وحصره ثلاثة أيام، ثم دخل عربه المدينة ونهبوا دورها، وشعثوها وخربوا مواضع من سورها، وأخذوا ما كان للحجاج الشاميين من ودائع، وقبضوا على خشرم، ثم خلوه لسبيله، واستهانوا بحرمة المسجد، وارتكبوا عظائم.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير شارقطلوا نائب حلب، خلع عليه وأتته تقادم الأمراء.

وفى هذه المدة انحط ماء النيل قليلا بحيث دخل شهر هتور فى سادس عشرينه والماء فى تسعة عشر ذراعا. وهذا ثبات جيد نفعه، إن شاء الله.

وفيه قدم قاضى دمشق الشريف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم الحسينى، وقدم مبشروا الحاج وأخبروا بسلامتهم.

وفى هذه الأيام: رسم السلطان بمنع الأمراء والأعيان من الحمايات، ومحيت رنوكهم عن الطواحين والحوانيت والمعاصر، حتى يتمكن مباشرو السلطان من رمى البضائع، فرميت، وهى ما بين سكر وأرز وغير ذلك، فشمل الضرر كثيرًا من الناس، لما فى ذلك من الخسارة فى أثمانها، والمغرم للأعوان.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ المعتقد خليفة بن المغربى[1]، فى حادى عشرين المحرم، من غير تقدم مرض، بل عبر إلى الحمام فأتاه أجله هناك، وكان قد انقطع بالجامع الأزهر نيفا وأربعين سنة، وصار للناس فيه اعتقاد، وترك مالا وأثاثا له قدر.

ومات الأمير سيف الدين أينال النوروزى أمير سلاح، فى أول شهر ربيع الآخر، وقد

---

(١) خليفة، الشيخ المعتقد الصالح المغربى، نزيل جامع الأزهر. قدم من بلاده، وسكن الجامع مدة تزيد على أربعين سنة، على قدم هائل من العبادة والصلاح، وصار الناس فيه اعتقاد حسن، وترددت الناس إليه كثيرا للزيارة. وكان عليه حرمة، مهابة، خفر زائد، بحيث أن الناس كانوا لا يتحدثون معه فى الغالب إلا جوابا، واستمر على ذلك إلى أن دخل يوما إلى الحمام – حمام القاضى التى بالقرب من الجامع – فأتاه فيها أجله. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٣١، الدليل ١/ ٢٨٩، النجوم ١٥/ ١٣٤، الضوء ٣/ ١٨٧ أنباء الغمر ٣/ ٣٧٣.

أناف على الثلاثين سنة، فوجد له من الذهب خمسون ألف دينار، وكان ظالما فاسقا، لا يوصف بشيء من الخير.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن على - المعروف بابن المكلله وبابن جماعة - في ثامن شهر ربيع الآخر، وقد ولى حسبة القاهرة فلم ينجب وخَمُل حتى مات.

وتوفى الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس المعروف بقارئ الهداية. وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية، لمعرفته بالأصول والعربية، ومشاركته فى فنون عديدة، بعد ما تصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين، وصار له ثراء وسعة، من كثرة وظائفه. وآخر ما ولى مشيخة خانكاه شيخو، وكان مقتصدًا فى ملبسه، يتعاطى شراء حوائجه من الأسواق بنفسه، مع جميل سيرته. ولم يخلف بعده مثله فى إتقان فقه الحنفية واستحضاره.

وتوفى الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن محمد الحسن السبط ابن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فى يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، ودفن خارجها، وقد أناف على الستين. ومولده ومرباته، وولى إمارتها فى أوائل سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فحسنت سيرته، ثم كلفه السلاطين حمل المال إليهم فجار. وولى سلطنة الحجاز كله فى شهر ربيع الأول سنة أحدى عشرة وثمانمائة، واستناب عنه بالمدينة الشريفة وخطب له على منبرها، وعارك خطوب الدهر حتى مضى لسبيله. والله يعفو عنه بمنه.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد بن على الطائى البساطى المالكى، فى يوم الإثنين عشرين جمادى الآخرة، عن ثمان وثمانين سنة، وهو مصروف، وكان فقيها مشاركا فى فنون، وفيه سياسة ودربة بالقضاء.

وتوفى شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد - المعروف بابن كاتب السمسرة، وبالعمرى -، عن نحو سبعين سنة، فى يوم الأربعاء العشرين من شعبان. وقد كتب فى الإنشاء عدة سنين، ووقع فى الدست، وناب عن كاتب السر، وكان فاضلا ماهرًا فى صناعته.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين قجق الشعبانى أحد المماليك الظاهرية برقوق، فى تاسع شهر رمضان، وكان لا معنى له فى دين ولا دنيا.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مكنون الشافعى، قاضى دمياط، ليلة الأحد ثانى عشرين شهر رمضان، عن ستين سنة. وقد قدم إلى القاهرة. وكان فاضلا يعرف الفقه، ويشارك فى غيره.

ومات شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى الهروى الشافعى بالقدس، فى ثامن عشر ذى الحجة. ومولده بهراة سبع وستين وسبعمائة. وقد ولى قضاء القضاة، وكتابة السر، فلم ينجب. وكان يقرئ مذهب الشافعى، ومذهب أبى حنيفة، ويعرف العربية، وعلم المعانى والبيان، ويذاكر بالأدب والتاريخ، ويستحضر كثيرًا من الأحاديث، والناس فيه بين عال ومقصر، وأرجو أن يكون الصواب ما ذكرته.

* * *

سنة ثلاثين وثمانمائة

أهلت وسلطان الإسلام ببلاد مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباى الدقماقى، والأمير الكبير أتابك العساكر سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، ورأس نوبة النوب الأمير تغرى بردى المحمودى، وأمير سلاح الأمير أينال الجكمى، وأمير مجلس الأمير جرباش الكريمى، وأمير أخور الأمير جقمق، والدوادار الكبير الأمير أزبك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر بن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب حلب شارقلطوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصروه، ونائب صفد الأمير مقبل الدوادار، وأمير مكة الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى.

والأسعار مختلفة فالقمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة درهم الأردب وما دونها، والفول بمائة وخمسين درهما الأردب، وقد كثر وجوده بعدما كان قليلا، والحمص بخمسمائة درهم الأردب، واللحم متعذر الوجود فى الأحيان، فإن الوزير يمنع من الزيادة فى سعره من أجل ما يحتاج إليه من راتب السلطان ومماليكه، وإذا حضر معاملو اللحم أسواق الغنم، أخذوا الأغنام كيفما شاءوا، وأحالوا أربابها بالثمن على جهات، فيغبنوا فيما يصل إليهم من أثمان أغنامهم، فقل جلب الأغنام لأجل ذلك، والأسواق كاسدة، والجور فاش، وقد شمل الناس الفاقة، وعمت الشكاية، ولا يزداد الناس إلا إعراضا عن الله، فلا جرم أن حل بهم ما حل، ولا قوة إلا بالله.

شهر المحرم، أوله السبت:

فيه سار الأمير شارقطلوا إلى محل كفالته بحلب.

وفى سادسه: أخرج الأمير أزدمر شاية أحد الأمراء الألوف إلى حلب، على إمرة، وكان من أقبح الناس سيرة، يرمى بعظائم.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على نجم الدين عمر بن حجى، وأعيد إلى قضاء دمشق عوضا عن الشريف شهاب الدين أحمد، بعدما حمل عينا وأهدى أصنافا بنحو عشرة آلاف دينار، فلم يفد وعزل.

وفى هذا الشهر: منع الأمراء ونحوهم من حماية أحد على مباشرى السلطان، ورميت البضائع على جماعات، فكثرت خسارتهم فيها مع الغرامة.

وفيه أبيع بالإسكندرية فلفل للديوان على تجار الفرنج، ثم رسم بزيادة ثمنه عليهم، وقد سافروا به، فكلف قناصلتهم القيام عنهم بذلك.

وفيه قدم التجار الذين تبضعوا بمكة ليسافروا ببضائعهم إلى الشام، فمنعوا من ذلك، وألزموا بمجيئهم إلى مصر، حتى يؤخذ منهم مكسها للخاص، وحتى يباع بالشام متجر الديوان، فأصابتهم بذلك بلايا عديدة.

وفيه اشتدت مطالبة أهل الخراج بما عليهم من الخراج والمغارم.

وفيه حصل العنت على الذمة فى إلزامهم بأشياء حرجة، فلم يتم ذلك لاختلاف الآراء.

وفى سابع عشره: سافر قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى، بعدما خلع عليه خلعة السفر.

وفى ثانى عشرينه: قدم بوادر الحاج.

وفيه سار أزدمر شاية إلى حيث نفى. وقدم الركب الأول من الغد، ثم قدم المحمل فى رابع عشرينه ببقية الحاج.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه: توجه الشريف شهاب الدين أحمد عائدًا إلى دمشق بغير وظيفة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار، سوى ما حمل أولا وآخرًا، وهو مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار، وجملة ما حمله غريمه نجم الدين عمر بن حجى فى تلك المدد ستون ألف دينار، وهذا الشىء لم نعهد مثله، وإن هذا لمحض الفساد، ولا قوة إلا بالله.

وفى هذا الشهر: حدثت زلزلة بجزيرة درحت المجاورة لهرمز من البحرين[1] فخسف ببعض إصطبل السلطان، وبدار القاضى، وانفرج جبل بالقرب منهم، فروُى فيما انفرج منه فيران فى قدر الكلاب، وورد الخبر بذلك إلى دمشق فى كتاب من يوثق به.

---

(١) البَحْرين: فى الإقليم الثانى، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان قيل: هى قصبة هَجَرَ، وقيل: هَجَرَ قصبة البحرين. انظر معجم البلدان ١/٣٤٦ وما بعدها.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى سادسه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى البرماوى الشافعى، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقدس، عوضًا عن شمس الدين محمد الهروى، وكان شاغرًا منذ وفاته. وهذا البرماوى كان أبوه يتعيش بتعليم الصبيان القراءة، ونشأ ابنه هذا فى طلب العلم، فبرع فى الفقه والأصول والنحو وغير ذلك، وتعلق بصحبة الجلال محمد ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وحاول أن يكون من نواب القضاة فى أيام الجلال عبد الرحمن البلقينى، فأذن له فى الحكم، ثم عزله، وطالت مدته فى الخمول صغيرا وشابا وكهلا، فتحول إلى دمشق، فنوه به نجم الدين عمر بن حجى واستنابه واختص به، فحسنت حاله وتحول فى النعم إلى أن قدم مع ابن حجى، وولى كتابة السر، رفع من مقداره، ورتب له ما يقوم به فارتفع بين الناس قدره، حتى استقر فى الصلاحية.

وفى سابعه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدراهم البندقية، وهى فضة عليها شخوص من ضروب الفرنج، تعامل الناس بها من سنة ثمان عشرة وثمانمائة وبالعدد وبالوزن، ورسم بحمل ما فى أيدى الناس منها إلى دار الضرب لتسبك دراهم أشرفية عليها صكة الإسلام، فجرى الناس على عادتهم فى الإصرار والاستهانة بمراسيم الحكام، وتعاملوا بها، إلا قليلا منهم.

وفى ثامنه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، فخلع عليه، وقدم للسلطان مبلغ خمسة عشر ألف دينار أفرنتية، وقماشًا وفروًا بثلاثة آلاف دينار، وتوجه عائدًا إلى محل كفالته على عادته، فى ثالث عشرينه.

وفيه قدم الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم المماليك - من مكة بمبلغ ثلاثة عشر ألف دينار، مما ألزم به الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وكان قد تأخر بعد الحج بمكة حتى استخرج ذلك منه.

وفى هذه الأيام: عز وجود اللحم بالأسواق، وفقد أياما، وقل وجود اللبن والجبن، وغلا سعر الحطب حتى أبيع بمثلى ثمنه منذ شهر. هذا والوقت شتاء والبهائم مرتبطة على الربيع، وعادة مصر فى زمن ربيعها أن يكثر وجود اللبن والجبن، ويرخص ثمنها. غير أن سيرة ولاة الأمور، وقلة معرفتهم بما ولوه، وفساد الرعية اقتضى ذلك.

وفى يوم الإثنين سلخه: جاء جراد سد الأفق لكثرته، وانتشر إلى ناحية طرا، وقد أضر ببعض الزروع، فأرسل الله عليه ريحا مريسية ألقته فى النيل ومزقته حتى هلك عن آخره، ولله الحمد.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

أهل والأمراض من النزلات والسعال والجدرى فاشية فى الناس، بحيث لا يخلو بيت من عدة مرضى، إلا أنها سليمة العاقبة فى الغالب، يزول بعد أسبوع. هذا والوقت شتاء. وقدم الخبر بكثرة الوباء ببلاد صفد.

وفى ليلة الجمعة رابعه: كان المولد النبوى بالقصر عند السلطان، وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم ومباشرو العلم والدولة على العادة، فكان الذى عمل فى السماط عشرة كباش، ذبحت ثم طبخ لحمها، ومد بعد سماط الطعام سماط الحلوى.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أفرج عن جينوس بن جاك متملك قبرس من سجنه بقلعة الجبل، وخلع عليه، وأركب فرسا بقماش ذهب، ونزل إلى القاهرة فى موكب، فأقام فى دار أعدت له، وصار يمر فى الشوارع ويزور كنائس النصارى ومعابدهم، ويمضى فى أحواله بغير حجر عليه، وقد أجرى له راتب يقوم به وبمن معه.

وفى هذا الشهر: كثرت الرياح العاصفة، فقدم الخبر بغرق ثلاثة عشر مركبا فى بحر الملح، قد ملئت ببضائع، من ناحية صيدا[١] وبيروت، وأقبلت نحو دمياط.

وفيه ألقى البحر دابة بشاطئ دمياط، أخبرنى من لا أتهم، أنها ذرعت بحضوره فكان طولها خمسة وخمسين ذراعا، وعرضها سبعة أذرع.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فيه قدم الخبر بتشتت أهل المدينة النبوية، وانتزاحهم عنها، لشدة الخوف وضياع أحوال المسجد النبوى، وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه، منذ كانت كائنة المدينة، فرسم الأمير بكتمر السعدى أحد أمراء العشرات إلى المدينة فأخذ فى تجهيز حاله.

وقدم الخبر بتجمع التركمان وإفسادهم فى المملكة الحلبية، فرسم فى يوم الإثنين عشرينه بتجريد ثمانية أمراء مقدمى ألوف، وعدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فأخذوا فى أهبة السفر، ثم بطل ذلك.

---

(١) صيدا: بأرض الشام، بينها وبين بيروت يومان، وهى على ساحل البحر، وعليها سور حجارة، وتنسب إلى امرأة كانت فى الجاهلية، وهى مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار محدقة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه، ولها أربعة أقاليم، وهى متصلة بجبل لبنان. انظر الروض المعطار ٣٧٣، ونزهة المشتاق ١١٥، وصبح الأعشى ١١.

وقدم الخبر بأن صاحب أغرناطة[١] ومالقة[٢] والمرية[٣] ورندة[٤] ووادى آش[٥] وجبل الفتح من الأندلس، وهو أبو عبد الله محمد الملقب بالأيسر ابن السلطان أبى الحجاج يوسف ابن السلطان أبى عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف ابن لشيخ السلطان أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن نصر الأنصارى الخزرجى الأرجونى الشهير بابن الأحمر، خرج من غرناطة - دار ملكه - يريد النزهة فى فحص غرناطة - يعنى مرج غرناطة - فى نحو مائتى فارس فى مستهل ربيع الآخر هذا. وكان ابن عمه محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف محبوسا فى الحمراء، وهى قلعة أغرناطة، فخرج الجوارى السود إلى الحراس الموكلين به، وقالوا لهم: «تخلو عن الدار حتى تأتى أم مولاى تزوره وتتفقد أحواله». فظنوا أن الأمر كذلك، فخلوا عن الدار، فخرج فى الحال شابان من أولاد صنايع أبى المحبوس، وأطلقوه من قيده، وأظهروه من الحبس، وأغلقوا أبواب الحمراء، وذلك كله ليلا، وضربوا الطبول والأبواق على عادتهم، فبادر الناس إليهم ليلا، وسألوا عن الخبر، فقيل لهم من الحمراء: «قد ملكنا السلطان أبا عبد الله محمد ابن السلطان» فأقبل أهل المدينة وأهل الأرباض فبايعوه محبة فيه وفى أبيه، وكرها فى الأيسر، فما طلع النهار حتى استوسق له الأمر، وبلغ الخبر إلى الأيسر فلم يثبت وتوجه نحو رندة وقد فر عنه من كان معه من جنده، حتى لم يبق معه منهم إلا نحو الأربعين. وخرجت الخيل من غرناطة فى طلبه، فمنعه أهل رندة، وأبوا أن يسلموه، وكتبوا إلى المنتصب بغرناطة فى ذلك فآل الأمر إلى أن ركب سفينه وسار فى البحر، وليس معه سوى أربعة نفر. وقدم تونس متراميا على متملكها أبى فارس عبد العزيز الحفصى، وبلغ ألفنش متملك قشتلة ما تقدم ذكره، فجمع جنوده من الفرنج، وسار يريد أغرناطة فى جمع موفور، فبرز إليه القائم المذكور بغرناطة،

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) المَرِيَّةُ: هى مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. انظر معجم البلدان ١١٩/٥.

(٤) رندة معقل حصين بالأندلس من أعمال كُرَنَا، وهى مدينة قديمة على نهر جار وبها زرع واسع وضرع سابغ. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٥) ووادى آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو عليه أرحاء لاصقة بسورها، وهى كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير، ولها بابان: شرقى على النهر وغربى على خندق، وقصبتها مشرفة عليها، وعليها سور حجارة، وهو فى ركنها الذى بين المغرب والقبلة. وبقرب وادى آش قرية بها عين تجرى سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام، قالوا: وهذه معروفة على قديم الزمان تسكن بجريان عينها وتخلو بغورها. انظر الروض المعطار ٦٠٤، ٦٠٥.

وحاربه، فنصره الله على الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرًا، وغنم ما يجل وصفه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى سابعه: خلع على الأمير جرباش قاشق أمير مجلس، واستقر نائب طرابلس، عوضا عن الأمير قصروه، ونقل قصروه إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير شارقطلوا. وكتب بحضور شارقطلوا. وقدم رسول صاحب رودس[١] يسأل الأمان، وأن يعفى من تجهيز العسكر إليه، وأنه يقوم بما يطلب منه، فأركب فرسا، وفى صدره صليب من ذهب وطلع القلعة، وقبل الأرض بين يدى السلطان، وأدى رسالة، ثم نزل إلى القاهرة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: عملت الخدمة بدار العدل من قلعة الجبل، وجىء برسل رودس، فقدموا هدية قومت بستمائة دينار، وقرئ كتابهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: قدم ميخائيل بطركا لليعاقبة، عوضا عن غبريال. وكان ميخائيل هذا أحد الرهبان بدير شعران[٢] من طرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على ملك قبرس خلعة السفر.

وفى تاسعه: قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق معزولا.

وفى عاشره: قبض على الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وأخرج مقيدا إلى الإسكندرية ليسجن بها، فاتفق أمر غريب، وهو أن رجلا من مباشريه لما بلغه القبض عليه خرج إلى القلعة، فوافى نزول أستاذه مقيدًا، فجعل يصيح ويبكى وهو ماشٍ معه حتى وصل إلى ساحل النيل، وأحدر أستاذه فى الحراقة، اشتد صراخه حتى سقط ميتا.

---

(١) رودس: بضم أوله، جزيرة فى البحر من الثغور الشامية، افتتحها جنادة بن أبى أمية عنوة فى خلافة معاوية. وعن مجاهد قال: قال لى شيخ فى غزوة رودس وقد كان أدرك الجاهلية، قال: كنت أسوق لأىً لنا، يعنى بقرة، فسمعت من جوفها: يالَ ذريح، قول نصيح، رجل نصيح، يقول لا إله إلا الله، قال: فقدمنا فوجدنا النبى ﷺ قد خرج بمكة. ورودس هو حصن أغريقيا، وهو فى الأرض الكبيرة مقدار عشرين ميلاً، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام، وذكر أبو نصر الفارابى أن هذه الجزيرة كانت مقرًا لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية، ورودس بلغة الأغريقين: الورد. انظر الروض المعطار ٢٧٨، ومعجم ما استعجم ٦٨٣/٢.

(٢) هذا الدير يقال له دير شهران بالهاء، وشهران هذا أحد حكماء النصارى. انظر المواعظ والاعتبار ٥٠١/٢.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير أركماس الظاهرى، واستقر رأس نوبة، عوضا عن تغرى بردى المحمودى، وأنعم عليه بإقطاعه، وأنعم بإقطاع أركماس وتقدمته على قانى باى البهلوان. وأنعم بطبلخاناه البهلوان على سودن ميق، وهذا المحمودى من جملة المماليك الناصرية فرج بن برقوق، ربى عنده صغيرا، ثم خدم بعد قتل الناصر عند الأمير نوروز الحافظى بدمشق، فلما قتل نوروز سجنه المؤيد شيخ بقلعة المرقب، فمازال مسجونا بها حتى تنكر المؤيد على الأمير برسباى الدقماقى نائب طرابلس وسجنه بالمرقب مع المحمودى وأينال الششمانى، فرأى تغرى بردى المحمودى فى ليلة من الليالى منامًا يدل على أن برسباى يتسلطن، فأعلمه به، فعاهده على أن يقدمه إذا تسلطن، ولا يعترضه بمكروه، فلما كان من سلطنة الأشرف برسباى ما كان، وتقدمته للمحمودى ما ذكر فيما مضى، وتمادى الحال إلى أن بات على عادته بالقصر، فقال لبعض من يثق به من المماليك ما تقدم من منامه وهو بالمرقب، وأنه وقع كما رأى وأنه أيضا رأى مناما يدل على أنه يتسلطن ولابد. فوشى ذلك المملوك به إلى السلطان، فحرك منه كوامن، منها أن المحمودى غره منامه وتحدث بما كان يجب كتمانه حتى أشيع عنه وصار يقول: «أنا لما حجبت أحضرت ابن عجلان، ولما مضيت إلى قبرس أسرت ملكها، أين كان الأشرف حتى يقال هذا لسعده؟ والله ما كان هذا إلا بسعدى». وينقل كل ذلك إلى السلطان، ومع هذا يبدو منه فى حال لعبه بالكرة مع السلطان دالة، وقديما قيل «الملك ملول».

وفى سادس عشره: سار ملك قبرس ورسل رودس فى النيل إلى الإسكندرية ليمضوا منها إلى بلادهم، فكان هذا من الفرج بعد الشدة.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فيه قدم الخبر بموت المنصور عبد الله بن أحمد الناصر صاحب اليمن، وتملك أخيه الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر(١).

وفيه استقر القسيس أبو الفرج بطركا للنصارى اليعاقبة، عوضا عن ميخائيل بعد صرفه لطعن النصارى فيه، وكان يعلم أولاد النصارى بالمقيس، فرغبوا فى ولايته. وتسمى لما ولى يوحنا.

---

(١) الأشرف الرسولى (٨٣٠ هـ = ١٤٢٧ م). إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى، الملقب بالملك الأشرف: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن، بويع وهو صغير قبل الاختتان، بعد وفاة أخيه المنصور (عبد الله بن أحمد) سنة ٨٣٠ هـ، ولم يلبث أن قبض عليه العسكر بمدينة تعز وخلعوه بعمه يحيى بن إسماعيل ومات على الأثر فى السنة نفسها بالدملوة. وفى المؤرخين من لا يذكره لصغر سنه، وقصر مدته. انظر الضوء اللامع ٢/ ٢٩٠. الأعلام ١/ ٣٠٩.

وفي ثامنه: قدم الأمير شارقطلوا من حلب فخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضا عن جرباش قاشق المنتقل لنيابة طرابلس، وقد كانت شاغرة هذه المدة.

وفي حادى عشره: أدير محمل الحاج، وحملت كسوة الكعبة على العادة، حتى شاهدها السلطان.

وفي تاسع عشره: توجه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وزعيم الدولة على الهجن إلى بلاد الشام لعمارة سور حلب، وغير ذلك من المهمات السلطانية، بعدما قدم خيوله وأثقاله بين يديه، قبل ذلك بأيام.

وفي هذه الأيام: انحط سعر الغلال عند دخول الغلال الجديدة حتى أبيع الأردب القمح من مائة وعشرة دراهم فلوسا إلى ثمانين درهما، والشعير كل ثلاثة أرادب ونصف بدينار، وأبيع الرطل من لحم الضأن السليخ بستة دراهم فلوسا، ولحم البقر بأربعة دراهم، والرغيف الخبز بنصف درهم فلوسا، فيشترى بالدرهم الفضة أربعون رغيفا، ولم نعهد مثل ذلك فلله الحمد.

وفي هذا الشهر: هدمت إحدى المآذن الثلاثة اللاتى أنشأهن المؤيد شيخ بجامعه، وهى الصغرى التى تشرف على صحن الجامع، لميلها وخوف سقوطها، ثم جددت.

وفيه كثر عبث الفرنج فى البحر، وأخذوا مراكب مشحونة بضائع للمسلمين، يقال عدتها ثمانى مراكب، آخرها مركبان قدمتا من بلاد العلايا حتى قاربتا ميناء الإسكندرية أخذتا، ولا قوة إلا با لله.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه ابتدئ بقراءة الحديث النبوى بالقصر السلطانى من القلعة، على العادة التى استجدت، ورسم أن لا يحضر أحد من القضاة المعزولين، وأن لا يكون من الحاضرين بحث فى حال القراء، وقد كان يقع بينهم فى بحوثهم ما لا يليق.

وفيه رسم بعزل نواب قضاة القضاة، وأن يقتصر الشافعى من نوابه على عشرة، والحنفى والمالكى كل منهما على ثمانية، والحنبلى على ثلاثة، فهموا بذلك أو كادوا. ثم عادوا لما نهوا عنه، كما هى عادتهم.

وفي رابع عشره: أخذ قاع النيل بالمقياس، فكان خمسة أذرع، وخمسة عشر إصبعا.

وفي يوم السبت خامس عشرينه – وسابع عشرين بؤونة –: ابتدئ بالنداء فى الناس بزيادة النيل ثلاثة أصابع.

وفيه أيضا اتفق حادث فظيع، وهو أن بعض المماليك السلطانية الجراكسة انكشف رأسه بين يدى السلطان، فإذا هو أقرع، فسخر منه من هنالك من الجراكسة، فسأل السلطان أن يجعله كبير القرعان، ويوليه عليهم، فأجابه إلى ذلك، ورسم أن يكتب له به مرسوم سلطانى، وخلع عليه، فنزل وشق القاهرة بالخلعة فى يوم الإثنين سابع عشرينه، وصار يأمر كل أحد بكشف رأسه حتى ينظر إن كان أقرع الرأس أو لا، وجعل على ذلك فرائض من المال؛ فعلى اليهودى مبلغ عينه، وعلى النصرانى مبلغ، وعلى المسلم مبلغ، بحسب حاله ورتبته، و لم يتحاش من فعل ذلك مع أحد، حتى لقد فرض على الأمير الأقرع عشرة دنانير، وتجاوز حتى جعل الأصلع والأجلح[1] فى حكم الأقرع ليجبيه مالا فكان هذا من شنائع القبائح، وقبائح الشنائع، فلما فحش أمره نودى بالقاهرة «يا معشر القرعان لكم الأمان» فكانت هذه مما يندر من الحوادث.

وفى هذا الشهر: كثر رخاء الأسعار حتى أبيع كل أربعة أردب شعير بدينار، وفى الريف كل خمسة أرادب بديار، وأبيع الفول كل ثلاثة أرادب بأقل من دينار، وأبيع القمح كل أردبين بأقل من دينار، وأقبلت الفواكه إقبالا زائدًا على المعهود فى هذه الأزمنة، وكثرت الخضروات، و لله الحمد. ونسأل الله حسن العاقبة. فإنك مع هذه النعم الكثيرة لا تكاد تجد إلا شاكيا لقلة المكاسب، وتوقف الأحوال، وفشو الظلم، والإعراض عن العمل بطاعة الله، سبحانه وتعالى سيما من يقيم الحدود.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه فتح الجامع الذى أنشأه الأمير جانبك الدوادار[2] قريبا من صليبة جامع ابن طولون، وأقيمت به الجمعة ثانية، وجاء من أبهج العمارات وأحسنها.

وفى سابع عشره: قدم زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، بعدما انتهى فى سفره إلى مدينة حلب، ورتب عمارة سورها، فعمل به بين يديه فى يوم واحد ألف ومائتا حجر، وبعد صيته، وانتشر ذكره، وعظم قدره، وفخم أمره، فى هذه السفرة، بحيث لم ندرك فى هذه الدولة المتأخرة صاحب قلم بلغ مبلغه. فلما نزل ظاهر القاهرة خرج الأمير جانبك الدوادار[3] وطائفة من الأمراء وسائر مباشرى الدولة، وعامة الأعيان إلى

(١) الجلح: هو انحسار الشعر عن جانبى الرأس. انظر القاموس المحيط.

(٢) هو جامع الجنابكية، الذى أنشأه الأمير جانبك الدوادار سنة ٨٢٨ هـ. انظر الخطط التوفيقية ١٣٤/٢.

(٣) جانبك بن عبد الله الأشرفى الدوادار الثانى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين. أحد مماليك الملك الأشرف برسباى، عظيم دولته، اشتراه فى أيام إمرته وتبناه، ورباه بين حرمه،=

لقائه، فصعد القلعة، وخلع عليه، ونزل إلى داره فى موكب جليل، وقد زينت له الأسواق، وأشعلت له الشموع وجلس الناس لمشاهدته، فسبحان المعطى ما شاء من شاء.

وفى حادى عشرينه: قبض على عبد العظيم ناظر الديوان المفرد، وأسلم إلى الأمير زين الدين عبد القادر أستادار على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد أيام.

وفى ثالث عشرينه: طلع عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط بهدية إلى السلطان،

=وجعله خازنداره إلى أن قبض على الملك الأشرف وهو إذ ذاك بطرابلس، وحبس بقلعة المرقب، وتخلى عنه جميع أعوانه إلا جانبك هذا، فإنه لازمه فى محبسه إلى أن أفرج عنه وآل أمره إلى سلطنة الديار المصرية، فلما جلس على تخت الملك أنعم على جانبك المذكور بإمرة عشرة وجعله خازنداره. ثم أرسله إلى حلب وعلى يده تشريف لنائبها البجاسى باستقراره فى نيابة دمشق بعد موت الأمير تنبك ميق العلائى، فتوجه إلى ما ندب إليه، وعاد إلى الديار المصرية بالأموال والتحف والهدايا، فحال قدومه. أنعم عليه السلطان بإمرة طبلخاناه والدوادارية الثانية فى يوم سادس عشر ذى القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة، عوضا عن الأمير قرقماس الشعبانى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية، وتوجه إلى مكة المشرفة على إمرتها. فباشر جانبك المذكور الدوادارية بحرمة وافرة وعظمة زائدة، وصار هو صاحب العقد والحل فى المماليك، وإليه مرجع أمور الدولة الأشرفية من الولاية والعزال، وشاع اسمه، وبعد صيته، تسامع الناس به فى الآفاق ، وقصده أرباب الحوائج من الأقطار، وصار كل كبير فى الدولة يتصاغر عنده، ويمشى فى خدمة، حتى أن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ الوزير، والقاضى كريم الدين عبد الكريم كاتب حكم ناظر الخواص، لما ينزلان من الخدمة السلطانية يأتيان إلى بيت الأمير جانبك ويجلس كل منهما على دكة ويتعاطى أشغال الأمير جانبك المذكور، كأحد كتابه، وقع ذلك منهما غيره مرة، وكان الدوادار الكبير يومئذ الأمير أزبك فكان بالنسبة إلى الأمير دانبك الدوادار الثانى هذا كآحاد الدوادارية الصغار. ثم جعله الملك الأشرف لالا لولده المقام الناصرى محمد، فزادت حرمته بذلك وعظم وضخم، ونالته السعادة، وأخذ يقتنى من كل شيء أحسنه حتى جمع من الأموال والخيول والتحف ما يستحى من ذلك كثرة، وكثر تردداد أعيان الدولة إليه، وخضع إليه كل متكبر، ولين له كل متجبر، حتى حدثته نفسه بما كان فيه حتفه، فمرض ولزم الفراش، وطال مرضه، ونزل الملك الأشرف لعيادته غير مرة، وكان بالدار التى بابها من قبو السلطان حسن، وكان قد فتح له بابا آخر من حدوة البقر، وصار هو الباب، الباب الكبير، ولما طال مرضه نقله السلطان إلى عنده بقلعة الجبل، وصار يتردد إليه فى كل يوم حتى نصل وتعافى، ونزل إلى داره راكبا. ثم انتكس بعد أيام، إلى أن أشرف على الموت نزل إليه الملك الأشرف ليلا ودام عنده إلى أن مات فى آخر الليلة المذكورة، وهى ليلة الخميس سابع عشرين شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وسنه دون الثلاثين. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٣ وما بعدها ، الدليل الشافى ١/ ٢٣٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٠٨ النفوس ٣/ ١٣٨، الضوء اللامع ٣/ ٢١٦.

وفيها مائتا فرس وحلى ما بين زركش ولؤلؤ برسم النساء، وثياب صوف، وفرو سمور، وغيره مما قيمته نحو العشرين ألف دينار، وعم المباشرين والأمراء بأنواع الهدايا.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه - وسابع عشرين أبيب -: نودى على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة عشر أذرع وتسعة عشر إصبعا، فنقص من الغد أربعة أصابع إلا أن الله تدارك العباد بلطفه، ورد النقص، وزاد، فنودى يوم الخميس تاسع عشرينه بزيادة سبعة أصابع و لله الحمد.

شهر شوال، أوله السبت:

فى أثناء هذا الشهر قدم الخبر بأن مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان، صاحب برصا من بلاد الروم، جمع لمحاربة الأنكرس - من طوائف الروم المتنصرة - وواقعهم، عدة من عسكره، وهزموا وأن مدينة بلنسية التى تغلب عليها الفرنج - مما غلبوا عليه من بلاد الأندلس - خسف بها وبما حولها نحو ثلاثمائة ميل، فهلك بها من النصارى خلائق كثيرة، وأن مدينة برشلونة زلزلزت زلزالا شديدًا، ونزلت بها صاعقة، فهلك بها أمم كثيرة، وخرج ملكها فيمن بقى فارين إلى ظاهرها، فوقع بهم وباء كبير.

وفى يوم الخميس عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية، ظاهر القاهرة، ورفع منها ليلا إلى بركة الحاج على العادة، فتتابع خروج الحجاج.

وفى يوم الجمعة حادى عشرينه - الموافق له ثانى مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان حتى خلق عمود بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، و لم تزين الحراريق فى هذه السنة، ولا كان للناس من الاجتماعات بمدينة مصر والروضة على شاطئ النيل ما جرت به عادتهم فى ليالى الوفاء، وذلك أن النيل توقفت زيادته من أوائل مسرى، وأقام أياما عديدة لا ينادى عليه فى كل يوم سوى إصبع أو إصبعين، وأجرى الله العادة فى الغالب من السنين أن تكون زيادة النيل المبارك منذ يدخل شهر مسرى فى كل يوم عدة أصابع، فيقال: «فى أبيب يدب الماء دبيب، وفى مسرى تكون الدفوع الكبرى». فجاء الأمر فى نيل هذه السنة بخلاف ذلك، حتى ظن الناس الظنون، وتوقف خزان الغلال عن بيعها، وأخذ غالب الناس فى شراء الغلال خوفا من ألا يطلع النيل، فمنع السلطان من تزيين الحراريق، ومن اجتماع الناس بشاطئ النيل لانتظار الوفاء، فانكف عن منكرات قبيحة، كانت تكون هناك و لله الحمد، فإنه تعالى أغاث عباده وأجرى النيل بعدما كادوا يقنطوا.

وفى هذا الشهر - والذى قبله -: كثر عبث المماليك الجلب الذين استجدهم السلطان، وتعدى فسادهم إلى الحُرم. وهذا أمر له ما بعده.

وفى سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ستة عشر ذراعًا وخمسة عشر إصبعًا، فما أصبح يوم الخميس إلا وقد نقص.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

وكان النيل قد توقف عن الزيادة من يوم الخميس، والناس على ترقب مكروه، وإن لم يتدارك الله بلطفه فإنه نقص ثلاثة أصابع، وجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده، وقرئت سورة الأنعام أربعين مرة فى ليلة الأحد.

هذا ودعوا الله أن يجرى النيل، ثم ركب السلطان من يوم الثلاثاء ثالثه إلى الجرف[1] الذى يقال له الرصد[2] ووقف بفرسه ساعة، وهو يدعو، ثم عاد إلى القلعة. فلما كان يوم الخميس خامسه، نودى بزيادة إصبع بعد رد الثلاثة الأصابع اللاتى نقصت، فسر الناس ذلك، لأن الغلال ارتفع سعرها، وشره كل أحد فى طلبها، وشحت أنفس خزّانها ببيعها.

وفى عاشره: قدم الخبر بأن قاضى دمشق - نجم الدين عمر بن حجى - وُجد مذبوحا فى بستانه بالنيرب[3] خارج دمشق، ولم يعرف قاتله.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير قانى باى البهلوان - أحد مقدمى الألوف - واستقر فى نيابة ملطية، عوضا عن الأمير أزدمر شاية وعين معه عدة من المماليك، وأن يتوفر له إقطاعه بديار مصر، عونا له على قتال التركمان، وأن يستقر أزدمر شاية أميرًا بحلب. وقانباى هذا أحد المماليك الناصرية فرج، وخدم بعد قتل الناصر عند أمراء دمشق، ثم اتصل بخدمة الأمير ططر فلما تسلطن بدمشق أنعم على قانى باى هذا بإمرة طبلخاناه بمصر، وقدم معه، ثم نقل إلى إمرة مائة حتى ولى نيابة ملطية.

وفى هذا اليوم: أخذ النيل فى النقصان، بعدما انتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعًا، وستة أصابع، ويوافق هذا اليوم ثامن توت، وهذا هبوط فى غير أوانه، فما لم يقع اللطف الإلهى بعباد الله، وإلا عظم الخطب.

وفى العشر الأخير: من هذا الشهر تكالب الناس على شراء القمح ونحوه من الغلال، وارتفع الأردب إلى مائتى درهم، والشعير والفول إلى مائة وخمسين، وتعذر

---

(١) الجُرْفُ: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. انظر معجم البلدان ١٢٨/٢.

(٢) هذا المكان يطل من غربيه على جامع راشدة، ومن قبليه على بركة الحبش وسمى بهذا الاسم؛ لأن الأفضل بن أمير الجيوش أقام فوقه كرة لرصد الكواكب. انظر المواعظ والاعتبار ١٢٥/١.

(٣) قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان.

وجود ذلك لشح الأنفس ببيع الغلال، مع كثرتها بالقاهرة والأرياف، فرسم السلطان للأمير أينال الششمانى المحتسب أن لا يمكن أحدًا من الناس بيع القمح بأزيد من مائة وخمسين درهما الأردب، وأن لا يشترى أحد أكثر من عشرة أرادب، وسبب ذلك أن الناس ترقبوا الغلاء، فأخذ أرباب الأموال فى الاستكثار من شراء الغلال ظنًا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثمان، حتى أن بعض من لم يكن شيئًا مذكورًا اشترى فى هذه الأيام ألف أردب من القمح، وكم أمثال هذا، فا لله يحسن العاقبة.

وفى سابع عشرينه: كمل نقص النيل مما زاده ستة عشر إصبعًا، ثم أغاث ا لله عباده بعدما كادوا أن يقنطوا. ونودى فى يوم السبت ثامن عشرينه بزيادة إصبعين من النقص، واستمرت الزيادة فى يوم الأحد والإثنين، فسكن قلق الناس قليلا.

وفى يوم الجمعة: هذا قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان أحد أمراء التركمان، ونائب طرسوس وأذنة، ونائب الملك، وقد عزل وفر إلى ابن قرمان ليحميه، فأسلمه إلى قصاد السلطان خوفا من معرة العسكر، فقيد وحمل من بلاد قرمان حتى قدم به كذلك، فسجن.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، واستقر فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن أبيه، وهو شاب صغير لم يستتر عذاريه بالشعر، لكن قام بمال كبير، فلم يلتفت مع ذلك لحداثة سنه، ولا لكونه ما قرأ ولا درى، وقديما قيل:

تعد ذنوبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفور

شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الثلاثاء، ووافقه من شهور القبط خامس عشرين توت.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عش ذراعًا وإصبعين، بعد تراجع نقصه. وهبط شيئا بعد شيء، فكثر شراقى الأراضى بالوجه القبلى والوجه البحرى لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه.

وفى سابع عشره: خلع أياس أحد المماليك، واستقر نائب السلطنة بالعلايا، ورسم أن يجهز معه طائفة من العسكر ليسيروا فى البحر، وسبب ذلك أن صاحب العلايا الأمير قرمان بن صوجى بن شمس الدين ألجاته الضرورة إلى أن قدم منذ شهر بأهله مترامبا على السلطان فى أخذه بلاد العلايا منه، وأن يقيم بخدمة السلطان حتى تدخل فى الحوزة السلطانية.

وفيه جهز تشريف إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان وقد ورد كتابه يرغب فيه أن يدخل فى الطاعة السلطانية وينتمى إلى أبوابها، والتزم بإقامة الخطبة للسلطان ببلاد الروم وضرب الصكة باسمه، ويستمر فى نيابة السلطنة ببلاد قرمان، فأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد، وجهز معه التشريف.

وفيه جهز أماج - أحد الدوادارية - إلى الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغار نائب أبلستين، ليجهز عدد أغنام التركمان، على ما جرت به العوايد القديمة، وإلا داست العساكر بلاده.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، وقل طالبها، وكثر كسادها، مع كثرة الشراقى فى أراضى مصر لقصور زيادة النيل، وسرعة هبوطه، وعدم العناية بعمل الجسور فكان هذا من جميل صنع الله تعالى وخفى لطفه، إن الله بالناس لرءوف رحيم.

وفى تاسع عشره: رسم بعرض المماليك على السلطان بآلة الحرب، فأخذوا فى الاستعداد لذلك، وطلب الأسلحة بعد كسادها مدة وبوار أربابها وصناعها، فنفقت سوقها وربحت تجارتهم، واشتغل بعملها صناعهم.

وفيه ركب السلطان بثياب جلوسه، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر عائدًا إلى القلعة، ونظر فى ممره وقف الشهابى بخط باب الزهومة ليؤخذ له، وهو من جملة الأوقاف التى ينصرف فيها القاضى الشافعى ويصرفها على ما يراه من وجوه البر، إلا أنه تشعث واحتاج إلى العمارة، فإنه قدم عهده مع كثرة مساكنه، وضاق الحال عن إصلاحه، فوجدوا ارتفاعه فى الشهر عن الفندق الذى يعرف بخان الحجر وعلوه وما جاوره من الحوانيت وعلوها فى الشهر ثلاثة آلاف درهم فلوسًا، عنها نحو أربعة عشر دينارًا أشرفية، فقومت أنقاضه كلها بألفى دينار، وصارت للسلطان بالطريقة التى صار يعمل بها، ولم يقبض المبلغ المذكور للمتولى، بل وُعد أنه إذا عمر هذا الوقف للسلطان جعل منه فى كل شهر ثلاثة آلاف درهم لجهة الأوقاف الحكمية فمشى الحال على ذلك.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار بمكة، وأنه قرئ مرسوم السلطان بمكة بمنع الباعة من بسط البضائع أيام المواسم فى المسجد الحرام، ومن ضرب الناس الخيام بالمسجد على مصاطبه وأمامها، ومن تحويل المنبر من مكانه إلى جانب الكعبة، لأنه عند جره على عجلاته يزعج الكعبة إذا أسند إليها، فأمر أن يترك مكانه مسامتا لمقام إبراهيم عليه السلام، ويخطب الخطيب عليه

هناك، وأن تسد أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب، من كل جهة باب واحد، وأن تسد الأبواب الشارعة من البيوت إلى سطح المسجد، فامتثل ذلك، وأشبه هذا قول عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقد سأله رجل عن دم البراغيث فقال: «عجبا لكم يا أهل العراق، تقتلون الحسين بن على وتسألون عن دم البراغيث؟». وذلك أن مكة استقرت دار مكس حتى أنه يوم عرفة قام المشاعلى والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرة ذنوبهم، فنادى معاشر الناس كافة من اشترى بضاعة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان، فأخّر التجار القادمون من الأقطار حتى ساروا مع الركب المصرى على ما جرت به هذه العادة المستجدة منذ سنين، لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ثم إذا ساروا من القاهرة إلى بلادهم من البصرة[1] والكوفة[2] والعراق أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها. وهذا لينكر وتلك الأمور يعتنى بإنكارها ويسعى أهل البلاد فى إزالتها، فيا نفس جدى إن دهرك هازل. ولقد كان السبب فى كتابة هذا المرسوم أن رجلا من العجم يظهر للناس النسك، ولأمراء الدولة فيه اعتقاد، أمرهم بذلك، فأتمروا. وقد أذكرنى هذا ما كتب به أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لما ولى الخلافة: «أما بعد فإنكم بلغتم، بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعاجم والأعراب القرآن. فإن النبى ﷺ قال: «الكفر فى العُجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا». ولم يعرف قط أن أبواب المسجد الحرام أغلقت إلا فى هذه الحادثة، فإنها أقامت مدة أشهر مغلقة ضج الناس وفتحوا جميع أبواب المسجد على عادتها، واستمر المنع فى بقية ما رسم بمنعه إلا جر المنبر، فإنه أيضا جر على عادته إلى جانب الكعبة فى يوم الجمعة.

وقدم من الهند إلى مكة رسولان أحدهما من صاحب كلبرجه[3] واسمه محمود، واسم رسوله شمس الدين الغالى بغا، وصحبته هدية لأمير مكة، وهدية السلطان، ومبلغ ستة آلاف دينار ليشترى به دارًا عن الصفا، وتعمر مدرسة، والرسول الآخر من صاحب بنكالة بهدية للسلطان وهدية للخليفة.

---

(١) المصر المشهور بأرض العراق. انظر معجم البلدن.

(٢) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق. انظر معجم البلدان ٤/٤٩٠ وما بعدها.

(٣) كلبرجه: من بلاد الهند.

ووصل من العراق أحمد وعلى[1] ولدا الشريف حسن بن عجلان. وكان لهما مدة بها، وصحبتهما مال جزيل، فنهب جميعه فى الركب العقيلى قريب مكة، ونهبت أموال كثيرة، منها لتاجر واحد مائة جمل محملة بضائع ما بين شاشات وأرز وبهار، وغير ذلك.

وفى رابع عشرينه: قبض بالمدينة النبوية على أميرها الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، فإنه لم يقم بالمبلغ الذى وعد به، وقرر عوضه الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير قشتمر الذى تولى نيابة الإسكندرية، ثم أخرج إلى حلب، فقتل فى وقعة التركمان فى المحرم، ومستراح منه.

وتوفى بدر الدين محمد بن محمد بن محمد القرقشندى الشافعى، أمين الحكم، فى يوم الإثنين رابع عشرين المحرم. ومولده أول المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكان فقيها فاضلا ناب فى الحكم بالقاهرة سنين، وبرع فى الحساب والفرائض، وعمى قبل موته.

وتوفى زاهد الوقت الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد اليمنى، المعروف بابن عرب[2]،

---

(١) على بن حسن (٨٠٧ - ٨٥٣ هـ = ١٤٠٤ - ١٤٤٩ م). على بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى، أبو القاسم: من أشراف الحجاز. ولى إمرة مكة سنة ٨٤٥هـ، عن أخيه بركات. ونشبت بينهما فتنة، وخلعه الأتراك سنة ٨٤٦ هـ، وحملوه معتقلا مقيدا إلى القاهرة، فسجن فى البرج، ثم نقل إلى الإسكندرية، ومنها إلى دمياط، وتوفى سجينا بها. انظر التبر المسبوك ١٤، ٤٠، ٤٥ ٢٨٢، ٣٥٥، حوادث الدهور ٤٢/١، والضوء اللامع ٢١١/٥. الأعلام ٢٧٤/٤.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن محمد، الشيخ الإمام العالم الزاهد المعتقد الكبير صاحب الكرامات اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ، المصرى الدار والوفاة الحنفى، الشهير بابن عرب. أحد أفراد الدنيا فى الزهد والعبادة والورع، نزيل الخانقاة الشيخونية وأحد الصوفية بها، كان والده من اليمن، ثم رحل تغلى برصا من بلاد الروم واستوطنها وتزوج بها، فولد له أحمد هذا، ونشأ برصا على قدم هائل، ثم قدم إلى القاهرة شابا ونزل بخانقاة شيخو، وطلب العلم فقرأ على إمام الخمس بها خير الدين سليمان ابن عبد الله، وعلى غيره. وكان فقيرا جدا، ينسخ للناس بالأجرة ويتقوت وهو=

=مكب على طلب العلم، ودام على ذلك مدة طويلة إلى أن استقر من جملة الصوفية بها بمبلغ ثلاثين درهما فى كل شهر، فتعفف بذلك عن النسخ وغيره، وانقطع عن مجالسة الناس والاختلاط بهم، وسكن ببيت بالخانقاة المذكورة، وأعرض عن كل أحد، واجتهد فى العبادة والعمل، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وصار يقنع بيسير القوت، ولا ينزل من بيته إلا ليلا لشراء قوته، ثم يعود إلى منزله بالشيخونية، وكان لا ينزل من بيته إلا فى كل ثلاثة أيام مرة بعد العشاء الآخرة، وكان إذا حاباه أحد من السوق فيما يشتريه من قوته تركه وما حاباه به، فلما عرف بذلك ترك الباعة المحاباة له، ووقفوا عند ما يشير لهم به، وكان لا يقبل من أحد شيئا بحيث أن رجلا دس عليه شيئا فى قفته وهو قليل من الموز، والشيخ لا يشعر بذلك، فلما رآه عند طلوعه إلى منزله عاد، ولم يزل بالرجل إلى أن عرفه ورد له الموز المذكور. وكان يغتسل بالماء البارد شتاء وصيفا فى بكرة نهار كل جمعة، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول نهار الجمعة، ويأخذ فى الصلاة والقراءة وأنواع العبادة حتى تقام الصلاة ويصلى، ثم يعود إلى منزله من غير أن يكلم أحدا، ولا يتجرأ أحد على الكلام معه لهيبته ووقاره وعظم حرمته، ورأيته مرارا عديدة لكننى لا أعرف ما فى وجهه حياء منه ومهابة، وكان يطيل قيامه فى الصلاة مقدار أن يقرأ فى كل ركعة حزبين تقديرا، فيكون تعبده فى كل يوم جمعة يعنى من حين دخوله إلى الجامع إلى وقت الصلاة مقدار نصف ختمة من غير أن يسمع له قراءة ولا تسبيح، وكان يرى نهارا إلا عند ذهابه يوم الجمعة إلى الجامع لا غير، ولا يرى ليلا إلا فى كل ثلاث ليال مرة واحدة عند شراء قوته حسبما ذكرناه. وكان له كرامات كثيرة، من ذلك ما أخبرنى من أثق به عن بعض أهل الخانقاه أنه اشترى فى بعض الأحيان كنافة وصب فوقها خلا، فرآه ذلك الرجل والشيخ لا يشعر به، والشيخ يقول لنفسه: ما تأكلى إلا كنافة؟ كلى، فهجم ذلك الرجل على الشيخ، وكان يعرفه قديما، وقال: أنا آكل معه من هذه الكنافة التى بالخل تبركا، فقال له الشيخ: بسم الله كل يا فلان، فصار الرجل يأكل الكنافة بعسل غاية فى الحلاوة، والشيخ يأكل معه إلى أن فرغا معا. ورئى مرة بسطح الخانقاه وقد مد يدة وفيها فتات الخبز والطيور تأكل مما فى يده، وله أشياء من هذه المقولة وكرامات هائلة. ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة. وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة يلبسها، أو أعانة أحد عند عجزه فى أواخر عمره عن حمل الجرة بالماء التى يتوضأ منها أعطاه من الفلوس شيئا، ويقول: هذا أجرتك، وكان تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة مع أحد سوى قراءة القرآن وذكر الله، وكان خادم الخانقاه يحمل إليه فى كل شهر الثلاثين درهم فلا يأخذها إلا عددا، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه عن الناس، فكان لا يعرف إلا المعادة. ولم يزل على ذلك إلى أن توفى بخانقاة شيخو فى ليلة الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة، وحمل من الغد حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى من تحت القلعة، وحضر السلطان الملك الأشرف برسباى الصلاة عليه، وتقدم قاضى القضاة بدر الدين محمود العينتابى الحنفى فصلى عليه بمن حضر، ثم أعيد إلى الخانقاة الشيخونية بالصليبة ودفن بها، وهناك كان سكنه، وحمل نعشه على الأصابع لكثرة ازدحام الخلق على حمله. وبالجملة فإنه فريد عصره فى العبادة والزهد، لم نر فى عصرنا من داناه ولا قاربه فى طريقته، رحمه الله تعالى. انظر الدليل الشافى ٣٦/١، والنجوم الزاهرة ١٣٩/١٥، أنباء الغمر ٣٨٤/٣، نزهة النفوس ١٢٤/٣، والضوء اللامع ٢٠٠/١.

في ليلة الأربعاء ثاني ربيع الأول، وحمل من الغد حتى صلى عليه تحت القلعة بمصلى المرمنى. ونزل السلطان للصلاة عليه، فتقدم قاضى القضاة بدر الدين محمود العنتابى الحنفى فصلى عليه بمن حضر، وكان الجمع موفورًا، ثم أعيد إلى خانكاه شيخو بالصليبة خارج القاهرة، فدفن بها. وهناك كان سكنه، ووجد له مبلغ ألفين وسبعمائة درهم فلوسا. ومن خبره أن أباه كان من أهل اليمن، وسكن مدينة برصا من بلاد الروم، وتزوج بها، فولد أحمد هذا، ونشأ ببرصا، ثم قدم القاهرة شابًا، ونزل خانكاه شيخو، وقرأ على إمام الخمس بها، خير الدين سليمان بن عبد الله فقيرًا مملقا، يتصدق عليه بما عساه يقيم رمقه، ويسد من خلته، وينسخ بالأجرة، ثم نزل بعد مدة فى جملة صوفيتها بمبلغ ثلاثين درهما الشهر فقط، فتعفف عند ذلك عن أخذ ما كان يتصدق به عليه، وانقطع عن مجالسة الناس فى بيت بالخانكاه، وترك مخالطتهم وأعرض عن كل أحد، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وتقنع بيسير القوت، وصار لا ينزل من بيته إلا ليلا ليشترى قوته، ثم يطلع إليه، فإذا حاباه أحد من الباعة فيما يشتريه من قوته تركه، وما حاباه به. فلما عرف بذلك تبرك الباعة به، ووقفوا عندما يشير لهم به، ثم صار لا ينزل من بيته إلا كل ثلاث ليال مرة، بعد عشاء الآخرة، فيشترى قوته، ويعود إلى منزله، ولا يقبل من أحد شيئا، بحيث أن رجلا دس فى قفته قليل موز وهو لا يشعر فلما رآه عند طلوعه إلى منزله لم يزل يفحص عنه حتى عرفه، فألقى إليه موزه ولم يرزأ منه شيء، وكان يغتسل بالماء البارد شتاء وصيفا فى كل يوم جمعة، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول النهار، ويظل يصلى حتى تقام الصلاة، فيكون قيامه فى تركعه هذا بنحو ربع القرآن، من غير أن تسمع له قراءة، إلا أنه يطيل قيامه، حتى يجوز أنه يقرأ فى كل ركعة بحزبين. ومع محبة الناس له وكثرة تعظيمهم له، صانه الله من إقبالهم إليه، فكان يمر إلى الجمعة، ولا يرى نهارًا إلا إذا راح إلى الجمعة، ولا يرى ليلا إلا كل ثلاث ليالى إذا نزل لشراء ما يتقوت به، ولا يجسر أحد أن يدنو منه، فإن دنا منه أحد وكلمه لا يجيبه، أقام على ذلك نحو الثلاثين سنة، وفى أثناء ذلك ترك النسخ بالأجرة، واقتصر على الثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر، وأفضل منها ما وجد بعد موته، وكان يرى فى الليل، وقد قام على قدميه، وقرأ ربع القرآن، وكان يعرف القراءات، ورؤى مرة بسطح الخانكاه، وقد مد يده وفيها فتات الخبز، والطيور تأكل مما فى يده، وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة ليلبسها، أو إعانة أحد عند عجزه فى آخر عمره عن حمل الجرة الماء التى يتوضأ منها، أعطاه من الفلوس شيئا ويقول: «هذا أجرتك». وكانت تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة، سوى قراءة القرآن، وذكر الله. وفى كل شهر خادم

الخانكاه يحمل إليه الثلاثين درهم، فلا يأخذها إلا عددًا لا وزنًا، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه، وبالجملة فلا نعلم أحدًا على قدمه فى هذا الزمان.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن موسى بن نصير المتبولى المالكى (١)، موقع الحكم فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة. وقد حدَّث عن محمد بن أزبك، وعمر بن أميلة، وزغلس، وست العرب(٢) وجماعة، وناب فى الحكم بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الزعيفرينى الدمشقى(٣)، الشاعر فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول. وكان يقول الشعر ويكتب خطًا حسنًا، ويزعم علم الحرف، ويستخرج من القرآن الكريم ما يريد معرفته من الأخبار بالمغيبات، وخدع بذلك طائفة من المماليك فى أيام الفتن لأوائل دولة الناصر فرج، فتحرك له حظ راج به مُدَيْدة؛ ثم ركدت ريحه، وامتحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فإنه عثر على أبيات

---

(١) أحمد بن موسى بن نصير، القاضى شهاب الدين المتبولى الشافعى، أحد نواب الحكم. ولد فى حدود سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان فقيها محدثا، سمع الكثير، وحدث عن محمد بن أزبك، وعمر بن أميله، وست العرب، وجماعة أخر، وتوفى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. انظر الدليل الشافى ٩١/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، والضوء اللامع ٢٣٠/٢، شذرات النهب ١٩٢/٧.

(٢) هى ست العرب ابنة الجمال إبراهيم. انظر الضوء اللامع ٥٥/١٢.

(٣) أحمد بن يوسف بن محمد، الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس الدمشقى الشاعر المشهور، عرف بابن الزعيفرينى. كانت له فضيلة، ويكتب الخط المنسوب، وينظم الشعر، ويشتغل بعلم الحرف، ويزعم أن له فيه اليد الطولى، وحصل له حظ لهذا المعنى عند جماعة من أعيان الأمراء وغيرهم إلى أن امتحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وسبب المحنة أن بعض أعيان الدولة ظفر بأبيات من نظمه بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين للأستادار يوهمه أنها ملحمة وأنه سيملك مصر، ثم يملك بعده ابنه، فقطع الملك الناصر فرج بن برقوق لسانه وعقدتين من أصابعه، ورفق به عند القطع فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ فى الظهور والكتابة بيده اليسرى، فلم يرج فى شىء أيام المؤيدية شيخ، وانقطع حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. ومن شعره ما كتبه بيده اليسرى إلى قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى يقول:

قد عشت دهرا فى الكتابة مفردا ... صور منها أحرفا تشبه الدرا

قد عاد خطى اليوم أضعف ما ترى ... هذا الذى قد يسر الله لليسرى

فأجابه قاضى القضاة صدر الدين المذكور يقول:

ئن فقدت يمناك حسن كتابة ... لا تحتمل هما ولا تعتقد عسرًا

انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٩٨/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، أنباء الغمر ٣٨٧/٣، والضوء اللامع ٢٥٠/٢، شذرات النهب ١٥٤/٧.

بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين يوسف الأستادار يوهمه أنها ملحمة فيها أنه سيملك مصر ويملك بعده ابنه، فقطع الناصر لسانه، وعقدتين من أصابعه ورفق بـه عند القطع، فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره، وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ فى الظهور أيام المؤيد شيخ، فلم يبرح بهرجه، فانقطع حتى مات كمدًا.

وهلك بطرك النصارى اليعاقبة غبريال، فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول. وكان أولا من جملة الكتـاب، ثـم ترقـى حتـى ولى البطركيـة. وكـانت أيامـه شـر أيـام مـرت بالنصارى. ولقى هو شدائد، وأهين مرارًا، وصار يمشى فى الطرقـات علـى قدميـه، وإذا دخل إلى مجلس السلطان أو الأمراء يقـف، وقلـت ذات يـده، وخـرج إلى القـرى مـرارًا يستجدى النصارى، فلم يظفر منهم بطـائل، لمـا نـزل بهـم مـن القلـة والفاقـة، وكـانت للبطاركة عوائد على الحطى ملك الحبشة، يحمل إليهم منه الأمـوال العظيمـة، فـانقطعت فى أيام غبريال هذا، لاحتقارهم له وقلة اكتراثهم بـه، وطعنهـم فيـه، بأنـه كـان كاتبـا، وذمته مشغولة بمظالم العباد. وبالجملة فما أدركنا بطركا أخمل منه حركة، ولا أقـل منـه بركة.

ومات الأمير الطواشى كافور الصرغتمشى، شبل الدولـة، زمـام الـدار، وقـد قـارب الثمانين سنة، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر، وكـان مـن عتقـاء الأمـير منكلى بغا الشمسى، وخدم دهرًا عند زوجته خوند الأشـرفية، أخـت الأشـرف شـعبان ابن حسين مدة، ثم خدم فى بيت السلطان، فولاه الناصر فرج زمام الدار، وعـزل منهـا بعد موت المؤيد شيخ، ثم أعيد، وكان قليـل الشـر. أنشـأ بحـارة الديلـم جامعًـا، وأنشـأ بالصحراء خانكاه، وله عدة مواضع أنشأها بالقاهرة، ما بين رباع غيرها. وخلـف مـالا مثيرًا. وضرب عنق نصرانى فى يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيـع الآخـر، علـى أنـه ساحر، وقد حكم بعض نواب الحكم المالكية بقتله، واتهم أنه قتله لغرض، و لله العلم.

وتوفى الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكى[(١)] فى يوم الإثنـين ثـالث عشرين جمادى الآخرة. وجد فى حوض الحمام ميتًا، ومولده فى أحد الربيعين، من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. وكان أحد أفراد الزمان فى كثرة الكتابة، ينسخ فى اليوم خمـس كراريس، فإذا تعب اضطجع على جنبه، وكتب كما يكتب وهو جالس. فكتـب مـا لا

---

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد (٧٤٨ - ٨٣٠ هـ = ١٣٤٧ - ١٤٢٧ م). محمد بن إبراهيم بـن محمد ، أبو البقاء، بدر الدين الأنصارى البشتكى: أديب، من الشعراء. دمشقى الأصل. مولده ووفاتـه بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام - خ، المطالع البـدور ١/٨٠، الضـوء اللامـع ٦/٢٧٧ التـاج ٧/١١٠. الأعلام ٥/٣٠٠.

يدخل تحت حصر، ومن النسخ كانت معيشته، مع نزاهة النفس، وحدة المزاج، والاقتداء بالسنة، والتمذهب لابن حزم الظاهرى، وكان يقول الشعر، ويذاكر بما شئت من أنواع العلوم، فالله يرحمه. ولقد أوحشنا فقده، ولم يخلف مثله بعده.

ومات نجم الدين عمر بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى الحسبانى الدمشقى الشافعى، قاضى القضاة بدمشق، وكاتب السر بديار مصر، فى ليلة الأحد مستهل ذى القعدة، عن ثلاث وستين سنة، وقد نقب عليه بستانه بالنيرب[1] خارج دمشق، ودخل عليه وهو نائم عدة رجال فقتلوه، وخرجوا من غير أن يأخذوا له شيئا فلم يرع زوجته إلا به وهو يضطرب. وكان أبوه من فقهاء دمشق، ونشأ بها، وولى قضاءها بعد الخراب فى واقعة تمرلك. وعزل وأعيد مرارًا، ثم ولى كتابة السر فلم ينجح، وخرج منها بأسوأ حال، ثم أعيد إلى قضاء دمشق، فمات وهو قاض. وكان يسير غير سيرة القضاة، ويرمى بعظائم، ولم يوصف بدين قط.

ومات بعدن من بلاد اليمن التاجر شهاب الدين بركوت بن عبد الله المكينى، مولى الحاج سعيد مولى المكين، فى سادس ذى الحجة. وقد سكن القاهرة سنين.

وتوفى تقى الدين محمد بن الزكى عبد الواحد بن العماد محمد ابن قاضى القضاة علم الدين أحمد الأخناى المالكى، أحد نواب الحكم بالقاهرة عن المالكية، وهو بمكة فى ثالث ذى الحجة، عن ثلاث وستين سنة. وكان بالنسبة إلى سواه مشكورًا.

ومات متملك اليمن الملك المنصور عبد الله بن الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن على بن رسول[2] فى جمادى الأولى، وأقيم من بعده أخوه الأشرف إسماعيل، ثم خلع بعده، وأقيم بدله الملك الظاهر هزبر الدين يحيى بن الأشرف إسماعيل فى ثالث شهر رجب.

* * *

---

(١) النَيْرَبُ: قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان ٥/٣٣٠.

(٢) الظاهر الرسولى (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م). يحيى بن إسماعيل بن العباس بن على، الملك الظاهر ابن الأشرف الأول الرسولى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن، يُكنى هزبر الدين. ملك سنة ٨٣٠ هـ بعد خلع ابن أخيه (إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل) وانتظم له أمرها، فاستمر إلى أن توفى بزبيد. ودفن بتعز. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٢. الأعلام ٨/١٣٨.

سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد العباسى، وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباى الدقماقى الظاهرى الجركسى، ثامن الملوك الجركسة، والأمير الكبير الأتابك يشبك الأعرج الساقى، وأمير أخور الأمير جقمق العلاى وأمير سلاح أينال الجكمى. وأمير مجلس الأمير شارقطلوا، ورأس نوبة الأمير أركماس الظاهرى، والدوادار الأمير أزبك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن محمد، المعروف بكاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن بركة[1]، المعروف بابن كاتب جكم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ومحتسب القاهرة ومصر الأمير أينال الششمانى، ووالى القاهرة التاج

---

(١) عبد الكريم بن بركة (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م) القاضى كريم الدين بن سعد الدين، ناظر الخواص القبطى المصرى، المعروف بابن كاتب جكم. مولده بالقاهرة، وبها نشأ، وتنقل فى عدة خدم، وباشر فى دواوين الأمراء، واتصل بخدمة الملك الأشرف برسباى - لما كان دِوادارا - فلما تسلطن أخلع عليه باستقراره فى نظر الدولة، فباشر وظيفة النظر مدة، وأخلع عليه باستقرار فى نظر الخاص، عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله الفوى - بحكم انتقال بدر الدين إلى الأستادارية عوضا عن ولده صلاح الدين بحكم عزله - وذلك فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، واستقر فى نظر الدولة من بعده القاضى أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم، فباشر كريم الدين المذكور الخاص مدة سنين، ونالته السعادة، وعظم أو ثرى، ومشى حال الخاص فى أيامه حتى قيل إنه منذ ولى الخاص إلى أن توفى لم يبطل الواصل عنه يوما واحدا مبالغة. وكان مشكور السيرة، متواضعا، كريما، وعنده معرفة وعقل وصارت له منزلة عند الملك الأشرف إلى أن توفى بالقاهرة فى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول ثلاث وثلاثين وثمانمائة، بغير طاعون، بل بمرض تمادى به أشهرا. انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٣٤، ٣٣٥ والدليل الشافى ١/ ٤٢٤، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٥٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ٢٠٥، الضوء اللامع ٤/ ٣٠٨.

الشويكى، ونائب الشام سودون من عبد الرحمن، ونائب حلب الأمير قصروه، ونائب طرابلس الأمير جرباش قاشق، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزينى، ومتولى مكة - شرفها الله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسنى، ومتولى المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز الحسينى، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن مختار بن مقبل بن راجح بن إدريس الحسنى، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازى.

وأسعار الغلال رخيصة، أما القمح فمن مائة وسبعين درهما فلوسا الأردب إلى ما دونها، وأما الشعير فمن مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، وأما الفول فبنحو ذلك.

والناس بالنواحى فى شغل بزراعة الأراضى، وقد كثر الشراقى فى أعمال القاهرة ومصر، لقصور مد النيل، وسرعة هبوطه، على ما تقدم ذكره فى السنة الحالية. والعسكر فى الاهتمام للعرض على السلطان، والناس قد غلب عليهم فى عامة أرض مصر القلة والفاقة، وعدم المبالاة بأمور الدين، والشغل بطلب المعيشة، لقلة المكاسب.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

فى يوم الجمعة ثالثه: قدم الحمل من قبرس، ومبلغه خمسون ألف دينار، فرسم بضربها دنانير أشرفية، فضربت بقلعة الجبل، حيث يشاهد السلطان الحال فى ضربها.

وفى يوم السبت حادى عشره: ركب السلطان من القلعة إلى دار الأمير جانبك الدوادار. يعوده وقد مرض.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحج، وقدم من الغد يوم الخميس ثالث عشرينه المحمل ببقية الحاج، ومعهم الشريف خشرم أمير المدينة الشريفة فى الحديد، وقدم الأمير بكتمر السعدى من المدينة النبوية، وقدم الحمل من عشور التجار الواردين من الهند إلى جدة وهو أصناف، ما بين بهار، وشاشات، يكون قيمة ذلك نحو الخمسين ألف دينار.

وفى يوم الأحد سادس عشرينه: ابتدئ فى هدم خان الحجر وقف الشهابى الششمانى وقد أخذه السلطان وألزم سكانه بالنقلة منه. وكانوا أمة كبيرة، قد مرت بهم وبآبائهم فيه عدة سنين، فنزل بهم مكاره كبير، لتعذر وجود مساكن يسكنون بها.

وفى هذا الشهر: كانت فتنة بين آل مهنا عرب الشام، قتل فيها الأمير عذراء بن على بن نعير، واستقر أخوه مدلج عوضه فى إمرة آل فضل.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم أن لا يزرع أحد من الناس قصب السكر، وأن يبقى صنفا مفردًا للسلطان يزرعه فى مزارعه بجميع الإقليم، ويعصره عسلا وقندًا وسكرًا، ويبيعه من غير أن يشاركه فى ذلك أحد، ثم بطل هذا المرسوم و لم يعمل به، وكثر فى هذا الشهر - والذى قبله - أكل الدود للزراعات؛ من البرسيم الأخضر والقمح ونحو ذلك، وسببه شدة الحر فى فصل الخريف، وعدم المطر، ومع هذا فأسعار الغلال منحطة، فالقمح بمائة وأربعين درهما الأردب، والشعير والفول بتسعين درهما الأردب.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: خلع على محب الدين أحمد بن نصر الله، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنابلة، عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى، وقد عزل لتنكر كاتب السر عليه وسعايته به.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر فى نظر الديوان المفرد، عوضا عن عبد العظيم. واستقر عبد العظيم كاشف الجسور بالبهنساوية.

وفى يوم الثلاثاء المبارك تاسع عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل بثياب جلوسه، وشق من باب زويلة شارع القاهرة، حتى خرج من باب النصر إلى خليج الزعفران، فرأى البستان الذى أنشأه هناك، وعاد على تربته التى أنشأها بجوار تربة الظاهر برقوق وصعد إلى القلعة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم السبت:

ففى ليلة الجمعة: كان المولد النبوى الذى يعمله السلطان، ويحضره بقلعة الجبل، على عادته فى كل سنة.

وفى ثالث عشره: أنعم بطبلخاناه الأمير بكتمر السعدى، على الأمير قجقار جقطاى، أحد أمراء العشرات.

وفى تاسع عشره: قدم قاضى القضاة الحنفى بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، وقد ألزم بحمل عشرة آلاف دينار.

وفى عشرينه: قدم قاضى القضاة الشافعى، ونقيب الأشراف بدمشق، شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى. وقد ألزم أيضا بحمل مال كبير.

وفيه ركب السلطان وشق القاهرة بثياب جلوسه، على عادته.

وفى أخريات هذا الشـهر: تحركـت أسـعار الغـلال، وسـببه خسّـة الـزرع بالجيزيـة والوجه البحرى لعدم المطر، وتوالى هبوب الراح المريسية زيادة علـى ثلاثـين يومـا، فلـم تسر فيها المراكب.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

أهل والناس على تخوف من سوء حال الزرع، وانكشاف ساحل النيـل مـن الغـلال، وقلة وجود القمح مع هذا عدة أيام، وقدمت الأخبار بكثرة أمراض أهل الشـام، وكـثرة موت الخيول بدمشق وحماة.

وفى ثالث عشـرينه: خلـع علـى القـاضى شـهاب الديـن أحمـد بـن الكشـك خلعـة الاستمرار فى قضاء الحنفية بدمشق وقد حمل مبلغ ألفى دينـار بعنايـة بعـض الأمـراء بـه، وكان قد ألزم بمال كثير.

وفى هذه الأيام: تتبعت أماكن الفساد، وأريقت منهـا الخمـور الكثـيرة، وشـدد فـى المنع من عصير الزبيب، ومنع الفرنج من بيع الخمر المجلوب من بلادهم.

وفى سادس عشرينه: توجه الشهاب بن الكشك إلى محل ولايته.

وفى هذه الأيام: تشكى التجار الشاميون من حملهم البضائع التى يشترونها من جـدة إلى القاهرة، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكة عن كل حمل قل ثمنـه أو كـثر ثلاثـة دنانير ونصف، ويعفوا من حمل ما يتبضعونه مـن جـدة إلى مصـر، فـإذا حملـوا ذلـك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك، على ما جرت به العادة.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: غضب السلطان علـى الطواشـى فـيروز السـاقى، وضربـه وأخرجـه إلى المدينة النبوية.

وفى سادسه: هدمت الحوانيت المعروفة بالصيارف وبالسـيوفين، فيمـا بـين الصاغـة ودرب السلسلة. وكانت فى أوقاف المدارس الصالحية، فأخذت باسم ولد الأمير جانبك الدوادار، لتعمر له مما ورثه من أبيه.

وفى ثانى عشرينه: برز من القاهرة طائفة من العمار، ونزلوا بركة الحجاج، وسـاروا منها يريدون مكة فى رابع عشرينه.

وفى سادس عشـرينه: توجـه السـيد الشـريف شـهاب الديـن أحمـد بـن عدنـان إلى

دمشق، بعد ما حمل ثلاثة آلاف دينار، وألزم بحمل خمسة آلاف دينار من دمشق، سوى ما أهدى إلى أرباب الدولة، وهو بمال جم.

وفى هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال وكسدت.

وفيه كانت الفتنة الكبيرة بمدينة تعز من بلاد اليمن. وذلك أن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول[1] لما مات قام من بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، وقام بعد الملك الناصر أحمد ابنه الملك المنصور عبد الله بن أحمد، فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، ومات فى جمادى الأولى سنة ثلاثين، فأقيم بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر بن الملك الأشرف إسماعيل بن عباس، فتغيرت عليه نيات الجند كافة من أجل وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوى، نسبة إلى على بن بولان العكى، فإنه أخّر صرف جوامكهم ومرتباتهم، واشتد عليهم، وعنف بهم، فنفرت منه القلوب، وكثرت حساده، لاستبداده على السلطان، وانفراده بالتصرف دونه. وكان يليه فى الرتبة الأمير شمس الدين على بن الحسام، ثم القاضى نور الدين على المحالبى مشد الاستيفاء، فلما اشتد الأمر على العسكر وكثرت إهانة الوزير لهم، وإطراحه جانبهم، ضاقت عليهم الأحوال، حتى كادوا أن يموتوا جوعا، فاتفق تجهيز خزانة من عدن، وبرز الأمر بتوجه طائفة من العبيد والأتراك لنقلها، فسألوا أن ينفق فيهم أربعة دراهم لكل منهم، يرتفق بها، فامتنع الوزير ابن العلوى من ذلك، وقال: «ليمضوا غصبا إن كان لهم غرض فى الخدمة، وحين وصول الخزانة يكون خير، وإلا ففسح الله لهم، فما للدهر بهم حاجة، والسلطان غنى عنهم». فهيج هذا القول حفائظهم، وتحالف العبيد والترك على الفتك بالوزير، وإثارة فتنة، فبلغ الخبر السلطان، فأعلم الوزير، فقال: «ما يسوءوا شيئا، بل نشنق كل عشرة فى موضع، وهم أعجز من ذلك».

فلما كان يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة هذا: قبيل المغرب، هجم جماعة من العبيد والترك دار العدل بتعز، وافترقوا أربع فرق، فرقة دخلت

---

(١) الأشرفى الرسولى (٧٦١ - ٨٠٣ هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل ابن المجاهد على ابن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول، من ذرية جبلة بن الأيهم، كما يقولون: ملك يمانى، من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه (الملك الأفضل) سنة ٧٧٨هـ وعاش محمود السيرة، استقام له الملك إلى أن توفى بتعز. أثنى عليه مؤرخوه ووصفوه بالحلم والعطف وحسن السياسة. انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ - ٣٢٠، تاريخ ثغر عدن - خ - العقيق اليمانى - خ -، الضوء اللامع ٢٩٩/٢. الأعلام ٣١٧/١.

من باب الدار وفرقة دخلت من باب السر، وفرقة وقفت تحت الدار، وفرقة أخذت بجانب آخر فخرج إليهم الأمير سنقر أمير جندار، فهبروه بالسيوف حتى هلك، وقتلوا معه على المحالبى مشد المشدين، وعدة رجال، ثم طلعوا إلى الأشرف - وقد اختفى بين نسائه وتزيا بزيهن - فأخذوه ومضوا إلى الوزير ابن العلوى فقال لهم: «ما لكم فى قتلى فائدة؟ أنا أنفق على العسكر نفقة شهرين». فمضوا إلى الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاجين، فقبضوا عليه، وقد اختفى، وسجنوا الأشرف وأمه وحظيته فى طبقة المماليك، ووكلوا به وسجنوا ابن العلوى الوزير وابن الحسام قريبا من الأشرف، ووكلوا بهما، وقد قيدوا الجميع، وصار كبير هذه الفتنة برقوق من جماعة الترك، فصعد هو فى جماعة ليخرج الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن عباس من ثعبات[1] فامتنع أمير البلد من الفتح ليلا، وبعث الظاهر إلى برقوق بأن يتمهل إلى الصبح، فنزل برقوق ونادى فى البلد بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وأن السلطان هو الملك الظاهر يحيى بن الأشرف. هذا وقد نهب العسكر عند دخولهم دار العدل جميع ما فى دار السلطان، وأفحشوا فى نهبهم، فسلبوا الحريم ما عليهن، وانتهكوا ما حرم الله، ولم يدعوا فى الدار ما قيمته الدرهم الواحد، وأخذوا حتى الحصر، وامتلأت الدار وقت الهجمة بالعبيد والترك والعامة.

فلما أصبح يوم الجمعة عاشره: اجتمع بدار العدل الترك والعبيد، وطلبوا بنى زياد وبنى السنبلى والخدم، وسائر أمراء الدولة والأعيان، فلما تكامل جمعهم، ووقع بينهم الكلام فيمن يقيموه، قال بنو زياد: «ما ثم غير يحيى، فاطلعوا له هذه الساعة». فقام الأمير زين الدين جياش الكاملى والأمير برقوق، وطلعا إلى ثعبات فى جماعة من الخدام والأجناد، فإذا الأبواب مغلقة، وصاحوا بصاحب البلد حتى فتح لهم، ودخلوا إلى القصر، فسلموا على الظاهر يحيى بالسلطنة وسألوه، أن ينزل معهم إلى دار العدل، فقال: «حتى يصل العسكر أجمع». ففكوا القيد من رجليه، وطلبوا العسكر بأسرهم، فطلعوا بأجمعهم، وأطلعوا معهم بعشرة جنائب من الإصطبل السلطانى فى عدة بغال فتقدم الترك والعبيد وقالوا للظاهر: «لا نبايعك حتى تحلف لنا أنه لا يحدث علينا منك سوء بسبب هذه الفعلة، ولا ما سبق قبلها». فحلف لهم ولجميع العسكر، وهم يعددون عليه الأيمان، ويتوثقون منه، وذلك بحضرة قاضى القضاة موفق الدين على بن الناشرى، ثم حلفوا له على ما يحب ويختار، فلما انقضى الحلف، وتكامل العسكر، ركب ونزل إلى دار العدل فى أهبة السلطنة، فدخلها بعد صلاة الجمعة، فكان يوما مشهودا. وعندما

---

(١) موضع يقع بالقرب من تعز.

استقر بالدار أمر بإرسال ابن أخيه الأشرف إسماعيل إلى ثعبات، فطلعوا به، وقيدوه بالقيد الذى كان الظاهر يحيى مقيدا به، وسجنوه بالدار التى كان مسجونا بها، ثم حمل بعد أيام إلى الدَّملوه، ومعه أمه وجاريته، وأنعم السلطان الملك الظاهر يحيى على أخيه الملك الأفضل عباس بما كان له، وخلع عليه، وجعله نائب السلطنة كما كان فى أول دولة الناصر، وخمدت الفتنة.

وكان الذى حرك هذا الأمر بنو زياد، فقام أحمد بن محمد بن زياد الكاملى بأعباء هذه الفتنة، لحنقه على الوزير ابن العلوى، فإنه كان قد مالأ على قتل أخيه جياش، وخذل عن الأخذ بثأره وصار يمتهن بنى زياد، ثم ألزم الوزير ابن العلوى وابن الحسام بحمل المال، وعصرا على كعابهما وأصداغهما، وربطا من تحت إبطهما، وعُلقا منكسين، وضربا بالشيب والعصا، وهما يوردان المال، فأخذ من ابن العلوى - ما بين نقد وعروض - ثمانون ألف دينار، ومن ابن الحسام مبلغ ثلاثين ألف دينار، واستقر الأمير برقوق أمير جندار، واستقر الأمير بدر الدين محمد الشمسى أتابك العسكر، واستقر ابنه العفيف أمير أخور، ثم استقر الأمير بدر الدين المذكور أستادارا، وشرع فى النفقة على العسكر، وظهر من السلطان نبل وكرم وشهامة ومهابة، بحيث خافه العسكر بأجمعهم، فإن له قوة وشجاعة، حتى أن قوسه يعجز من عندهم من الترك عن جره، ومدحه الفقيه يحيى بن رويك بقصيدة، أولها:

بدولة ملكنا يحيى اليمانى ... بلغنا ما نريد من الأمانى
سيحيى بابن إسماعيل يحيى ... أناس أدركتهم موتتان

فكتب بخطه على الحاشية «الموتتان هى دولة المنصور والأشرف». وكانت عدة هذه القصيدة أحد وأربعين بيتا، فقال: «ثمنوها». وأجاز عليها بألف دينار أحضرت له فى المجلس، وبهذه الكائنة اختل ملك بنى رسول.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى خامسه: أنعم على الأمير جارقطلوا، وخلع عليه، فاستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن يشبك الساقى، بحكم وفاته.

وفى سادسه: أحضرت هدية ملك كلبرجة من الهند، وهى أربعة سيوف، وستة عشر جمالا، عليها شاشات وأزر، وقد أهدى إلى غير واحد من أعيان الدولة، وسأل أن تمكن رسله من بناء رباط بالقدس، وكان من خبر الهند أن بلاد الهند قسمان، قسم بيد أهل الكفر وهم الأكثر، وقسم بأيدى المسلمين. وكان ملك الهند صاحب مدينة دله،

وهى قاعدة الملك. وكان ملكها فيروز شاه بن نصرة شاه من عظماء ملوك الإسلام، فلما مات، ملك دله بعده مملوكه ملّو وعليه قدم الأمير تيمور لنك بعد سنة ثمانمائة، وأوقع بالهند وقيعة شنعاء، وخرب مدينة دله، وعاد إلى بلاده، فأتى بلاد الشام بعد ذلك. وكان ملّو قد فرّ منه، فعاد مسير تيمور لنك إلى دله، ومضى منها إلى ملطان[١] فخرج عليه خضر خان بن سليمان، وحاربه فقتل فى الحرب. وكان قد ملك دله دولة يار، فنازله خضر خان وحصره مدة، ففر منه، وملك خضر خان دله حتى مات، فقام من بعده ابنه مبارك شاه بن خضر خان هذا، وقد انقسمت بعد أخذ تيمور مدينة دله مملكة الهند، وصار بها عدة ملوك، أجلهم ملك بنجالة، وملك كلبرجة، وملك بزرات.

فأما بنجالة فقام بها رجل من أهل سجستان يقال له شمس الدين، فلما مات قام من بعده ابنه إسكندر شاه ثم ابنه غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، ومات سنة خمس عشرة وثمانمائة فملك بعده ابنه سيف الدين حمزة، فثار عليه مملوكه شهاب الدين وقتله، فلم يتهن بعد أستاذه، وأخذه الكافر فندو، وملك بنجالة وما معها، فثار عليه ولده - وقد أسلم - وقتله، وملك بنجالة، وتسمى بمحمد، وتكنى بأبى المظفر، وتلقب بجلال الدين، ثم جدد ما دثر أيام أبيه فندو من المساجد، وأقام معالم الإسلام.

وأما كلبرجة فإن محمد شاه صاحب مدينة دله، بعث إليها حسن بهمن، فأخذها له، وأقام نائبها عن محمد شاه حتى مات، فقام ابنه أحمد بن حسن بهمن، ثم قام بعد أحمد ابنه فيروز شاه بن أحمد بن حسن بهمن ثم قام بعده أخوه شهاب الدين أحمد أبو المغازى بن أحمد بن حسن بهمن، وهو الذى بعث الهدية المذكورة.

وأما بزرات وكنباية[٢] فإن ظفر خان كان ساقيا عند الملك فيروز شاه بن نصرة شاه صاحب دله، فولاه كنباية على ألف ألف تنكة[٣] حمراء عنها من الذهب ثلاثة آلاف ألف مثقال وخمسمائة ألف مثقال. وكان ظفر هذا كافرًا، وله أخ اسمه لاكه. وفى ولايته خرب تيمور دله، فقام عليه ابنه تتر خان وسجنه، وصانع تيمور فأقره، فلما سار تيمور عن الهند، خرج لاكه عَلَى ابن أخيه تتر خان وقتله، وأعاد أخاه ظفر خان إلى مُلكه، فوثب أحمد خان بن تتر خان بن ظفر خان على جده، وقتله، وأحرق عم أبيه

(١) ملطان: - أو ملتان أو مولتان -، مدينة من نواحى الهند أهلها مسلمون. انظر معجم البلدان، وتقويم البلدان لأبى الفدا.

(٢) كنباية: مدينة من سواحل الهند. انظر معجم البلدان.

(٣) عملة فارسية.

لاكه، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة. وقد أسلم وتلقب بالسلطان. وما عدا هذه المماليك الثلاثة، فإنها دونها كديوه[١] ومهايم وتانه[٢] ونحو ذلك مما هو بأيدى المسلمين.

وفى ثامن جمادى: المذكور خلع على الأمير الكبير جارقطلوا، واستقر فى نظر المارستان المنصورى بالقاهرة، ونزل إليه على العادة.

وفى عاشره: كتب بحضور الأمير صرماش قاشق نائب طرابلس، ليستقر أمير مجلس، وكتب إلى الأمير طرباى المقيم بالقدس بطالا أن يستقر فى نيابة طرابلس، وجهز إليه خيل ليركبها، ورسم لمن فى خدمة الأمراء من مماليكه أن يتوجهوا إليه.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل ملك الروم بمدينة برصا، مراد بك بن كرشجى محمد بن بايزيد، بكتاب وهدية فاحتفل السلطان لقدومهم، وأركب العسكر إلى لقائهم. ومن خبر ملوك الروم أن خوندكار بايزيد بن مراد بن عثمن ترك أربعة أولاد: سلمان وهو أكبرهم، ومحمدا، وعيسى، وموسى، فقام بالأمر سلمان، وأقام ببر قسطنطينية فى مدينة أدرنة وكالى بولى، وقام أخوه عيسى بمدينة برصا، وتحاربا، فقتل عيسى، واستبد سلمان بمملكة أبيه، فثار عليه أخوه موسى وحاربه، فقتل سلمان، وملك بعده موسى ببر أدرنة، وقام ببرصا أخوه محمد كرشجى وقاتله، فقتل موسى، واستبد بالمملكة حتى مات فأقيم من بعده ابنه مراد بك بن محمد كرشجى.

وفى هذا الشهر: اتضع سعر الغلال بديار مصر وكسدت، فأبيع الأردب القمح بمائة وأربعين فلوسا إلى ما دون ذلك، والشعير بتسعين درهما الأردب.

وفيه أخذ السلطان خان مسرور والرباع التى تعلوه، وذلك أنه قومت أنقاضه باثنى عشر ألف دينارًا، رصد منها تحت يد مباشرى السلطان تسعة آلاف دينار لعمارة الربع، فصار النصف والربع للسلطان، وأقبض قاضى القضاة عن ثمن أنقاض الربع ثلاثة آلاف دينار، على أنه إذا كملت يكون ريعه جاريا تحت نظر الحكم العزيز الشافعى، يصرف ريعه فيما كان يصرف فيه ريع الأصل.

شهر رجب، أوله السبت:

فيه عملت الخدمة بالإيوان من دار العدل من القلعة، وأحضرت رسل مراد بن عثمن

---

(١) ديوه: جزيرة فى البحر تقابل بلاد الهند. انظر تقويم البلدان ص ٣٥٤.

(٢) تانه: بلدة بالهند. انظر صبح الأعشى ٥/٧١.

ملك الروم ببرصا. وكان موكبا جليلا أركب فيه الأمراء ومماليك السلطان، وأجناد الحلقة.

وفيه ابتدىء بهدم خان مسرور.

وفى سابعه: خلع على القاضى كمال الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر بدمشق عوضا عن بدر الدين حسين بحكم وفاته. وكان القاضى كمال الدين منذ من عزل نظر الجيش بعد كتابة السر ملازما لداره على أجمل حالة وأمثل طريقة، من الصيانة والديانة والوقار والسكينة، وتردد الأكابر والأعيان إلى بابه، وكثرت مداراته، وبسط يده بالإحسان.

وفى عاشره: خلع على عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمن العجلونى القدسى أحد خلفاء الحكم الشافعية، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقدس، عوضا عن شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى. وعز الدين هذا قدم القاهرة بعد كائنة تيمور، فبلونا منه فضيلة ومعرفة بالحديث وغيره، وصحب كاتب السر فتح الله، وناب فى الحكم فاشتهر، ثم نوه به ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، وصار يزاحم الأكابر فى المحافل، ويناطح الفحول بقوة بحثه وشهامته وغزارة علمه، ونعم الرجل هو.

وفى حادى عشره: أدير محمل الحاج على العادة فى كل سنة.

وفى تاسع عشره: كتب باستقرار السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسين، وحملت إليه الخلعة والتوقيع على يد نجاب.

وفى ثانى عشرينه: سار القاضى كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته. ولقد استوحشنا لغيبته، فالله يمن علينا بجميل عودته.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من طرابلس، واستقر أمير مجلس.

وفى سابع عشرينه: استدعى السلطان من فى سجن القضاة، وأفرج عن عدة من المديونين.

وفى هذا الشهر: تحرك سعر الغلال فأبيع الشعير كل أردب بمائة وخمسة وعشرين بعد تسعين وأبيع الفول بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين بعد مائة وأربعين. هذا مع دخول الغلات الجديدة، إلا أن الفأر كثر عبثه فى الغلال، ووقعت صقعة فى عاشر طوبة من أشهر القبط ببلاد الصعيد، تلف بها أكثر الفول وهو

أخضر، وكانت الشراقى كثيرة، فلم يزرع ما شرق من الأراضى وأكلت الدودة مواضع مزروعة ولم يزل الغلاء يترقب فى هذه السنة منذ هبط النيل سريعا، إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفًا منه بعباده ﴿**إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾[1]. وقدمت الأخبار بأن أراضى حوران بالشام لم تزرع لعدم المطر، وأن الغلاء قد اشتد بالحجاز لعدم الغيث به.

وفيه فشت أمراض حادة فى الناس ببلاد الصعيد، وكثر الموتان، لاسيما بمدينة هو، وبوتيج، ومنشية أخميم[2] وما حولها.

شهر شعبان، أوله الأحد:

أهل وأسعار الغلال آخذة فى الارتفاع، ولم يكد يوجد عند قطاف عسل النحل منه شىء. وهلك النحل من قلة المراعى، وعز وجود الفول لقلة ما تحصل منه عند الدراس، وقل الحمص أيضا، وخس الكتان.

وفى سادس عشره: توجهت تجريدة عدتها خمسون مملوكا إلى ينبع.

وكثر الوباء فى هذا الشهر بصعيد مصر، فمات بشر كثير.

شهر رمضان، أوله الإثنين:

فى ثانيه – الموافق لسابع عشرين بؤونة – :نودى على النيل ثلاثة أصابع بعدما أخذ القاع فكان ثلاثة أذرع وعشر أصابع.

وفيه عزل سعد الدين إبراهيم بن المرة من نظر الديوان المفرد، وولى عوضه زين الدين يحيى، قريب الأمير فخر الدين بن أبى الفرج.

وفى عشرينه: أخرج قانصوه – أحد أمراء الطبلخاناه – لنيابة طرسوس، وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد. وقانصوه هذا أحد مماليك الأمير نوروز الحافظى، وصار إلى المؤيد شيخ بعد قتل نوروز، فرقاه حتى صار أمير طبلخاناه، وهو أحد الفرسان المشهورين، وكبير الطائفة النوروزية.

وفى هذا الشهر: بلغ القمح إلى مائتين وستين درهما الأردب، وأناف الأردب من الشعير والفول على المائتين، وبلغت البطة الدقيق – وهى خمسون رطلا – ثمانين درهما.

---

(١) سورة الحج الآية ٦٥.

(٢) المنشية: اسم لأربع قرى بمصر والمقصودة التى من أعمال أخميم يقال لها منشية الصلعاء. والصلعاء: قرية إلى جانبها. انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٠.

وفيه قدم إلى الإسكندرية مركبان من مراكب طائفة الفرنج القطلان لأخذ المدينة، فإذا الناس على يقظة وأهبة لهم، فإن متملك قبرس كان قد بعث يحذر منهم، فردهم الله خائبين.

وفيه قدم الحمل من قبرس.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، فشق القاهرة، ونظر إلى عمارته، ونزل إلى المارستان المنصورى، فعاد المرضى، وعاد إلى القلعة.

وفى ثانى عشره - الموافق لأول مسرى -: نودى على النيل بزيادة أربعة وعشرين إصبعا، لتتمة اثنى عشر ذراعا وعشر أصابع، وهذا مما يستكثر من زيادة النيل.

وفى هذه الأيام: هدمت الحوانيت التى تجاه شبابيك المدرسة الصالحية التى بجوار قبة الملك الصالح. وكانت فى وقف الجوكندار، وكان هدمها فى رابعه.

وفى سادسه: توجه سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى جدة لأخذ مكوس التجار الواردين من الهند، وقد أعيد إلى ولايته.

وفى حادى عشره: سارت تجريدة خمسون مملوكا، عليها الأمير أرنبغا - أحد أمراء العشرات - وسببها أن الخبر ورد من مكة بأن بنى عجلان إخوة الشريف بركات بن عجلان متولى مكة طلبوا من شاهين المتوجه إلى جدة أن يأخذوا مما يتحصل ما كانت عادتهم أخذه فى أيام أبيهم الشريف حسن بن عجلان، فمنعهم من ذلك، فهددوه بالقتل، وأن كثيرا من القواد قد قام معهم، فأخرج التجريدة تقوية لابن المرة على حفظ المال.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة، إلا أنه أناخ ببركة الحجاج، ولم ينزل بالريدانية خارج القاهرة، وخرج معه أمير الحاج الأمير قراسنقر الذى كان كاشف الجيزة، وقد خرج أمير الركب الأول الأمير أينال الششمانى المحتسب - أحد رءوس النوب - واستناب عنه فى الحسبة دواداره.

وفى خامس عشرينه - الموافق له رابع عشر مسرى -: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وركب المقام الناصرى محمد بن السلطان، ومعه الأتابك جارقطلوا وغيره من الأمراء، حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثامن عشرينه: أمسك الأمير قطش أحد أمراء الألوف، والأمير جرباش قاشق أمير مجلس، وحمل قطش فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها وأخرج الأمير جرباش قاشق الكريمى بغير قيد إلى دمياط.

وفيه خلع على الأمير أينال الجلالى الأجرود، واستقر فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير تمراز الدقماقى، وأنعم بطبلخاناته على الأمير تمراز الدوادار، وكتب بإحضار الأمير بيبغا المظفرى من القدس، وقد نقل إليها من دمياط من نحو شهر.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وقل طالبها، وعز وجود اللحم بالأسواق، أحيانا.

شهر ذى القعدة الحرام، أوله الجمعة:

أهل وأسعار الغلال رخيصة، فأخذت فى الارتفاع، وعز وجود التبن، فبلغ الحمل مائتى درهم، وعز وجود اللحم أيضا، وفقد من الأسواق، وصارت المماليك تخرج إلى الضواحى فى طلب التبن لخيولها، فتأخذ بالعسف على عادتها، فامتنع الناس من جلبه من الأرياف، ولم يقدر عليه أحد بعد ذلك، فندب السلطان طائفة من غلمانه للخروج إلى الأرياف بالجمال السلطانيه، وشراء التبن من النواحى، وأن يكون بمائة درهم الحمل، وتوقف الجمال المحملة التبن تحت القلعة، ويباع الحمل منه بمائة وأربعين درهما، ومنع المماليك من الخروج إلى الضواحى فى طلب التبن، وأن لا يشترى أحد التبن إلا من تحت القلعة، فتمشى الحال فى وجوده.

وفى هذه الأيام: تعدى سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب، والفول مائتين وستين، والشعير مائتين وثلاثين، وفقدت الغلال من العراص مع كثرتها، وتوفر زيادة النيل، فإنه بلغ إلى يوم النوروز - وهو يوم الأحد سابع عشره - ثمانية عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا. وهذا مما يستكثر من زيادة النيل، إلا أن الأمراء والأعيان شرهوا فى الفوائد، وشاركوا من دونهم فى إدخار الغلال وغيرها من البضائع، رجاء الفائدة، فعز وجود الغلال، وارتفع سعرها وفقد الخبز من الأسواق أحيانا، وصارت ولاة الأمور مع ذلك بعيدة عن معرفة طرق المصالح، فإن غاية مقاصدهم إنما هى أخذ المال على كل وجه أمكن أخذه، فلهذا اختلت الأحوال، وضاعت المصالح.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير بيبغا المظفرى من القدس، وأنعم عليه بإمرة جرباش قاشق وإقطاعه.

شهر ذى الحجة الحرام أوله السبت:

أهل والغلال عزيزة الوجود، مع كثرتها فى الشون والمخازن، وإمساك أربابها أيديهم عن بيعها لأملهم فيها غاية الربح، فبلغ القمح أربعمائة درهم الأردب، والبطة الدقيق مائة وثلاثين درهما، والشعير ثلاثمائة درهم الأردب، والفول بنحو ذلك، وأبيع الفدان البرسيم بألف درهم، ففرج الله عن عباده، وانحل السعر، حتى أبيع القمح بثلاثمائة وخمسين درهما الأردب وما دونها، وكسدت الغلال حتى لا يجد من يطلبها.

وفى ليلة الخميس سادسه: قبض على الأمير أزبك الدوادار، وأخرج من ليلته إلى القدس بطالا، وقبض على عدة من الخاصكية، وسبب ذلك أنه فى أخريات ذى القعدة الحرام بلغ السلطان أن جماعة من خاصكيته ومماليكه يريدون الفتك به وقتله ليلا، فقبض على عدة منهم فى أيام متفرقة، ونفى جماعة منهم إلى الشام وقوص، وعاقب طائفة منهم، فكثرت القالة، واشتد الإرجاف، وأخذ السلطان فى الاستعداد والحذر، وسقط عليه مرارًا سهام من طباق المماليك، سلمه الله تعالى منها. وبلغه أن المماليك كانت تجتمع بأزبك.

وفى ثامنه: خلع على الأمير أركماس الظاهرى رأس نوبة. واستقر دوادارًا كبيرًا عوضا عن أزبك، وخلع على الأمير تمراز القادم من غزة، واستقر رأس نوبة عوضا عن أركماس، وأنعم على الأمير يشبك المشد، وأنعم بطبلخاناه يشبك على أقبغا الخازندار، واستقر الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنقباى اللالا خازندارًا عوضا عن أقبغا، فبلغ الاختصاص بالسلطان مبلغا كبيرًا.

وفى ثانى عاشره - الموفق ثالث عشر توت -: نودى على النيل بزيادة أصبع لتتمة زيادته عشرين ذراعا سواء، وابتدأ نقصه من الغد.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة، واستقر مهمندارًا عوضا عن حرز - مضافا بما بيده من الولاية وشد الدواوين والحجوبية - وهو من مجالسى السلطان فى مجالسه الخاصة.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الأمن والرخاء، وأنه قدم محمل من العراق معه أربعمائة جمل تحمل الحاج، جهزه حسين بن على ابن السلطان أحمد بن أويس من الحلة، وكان قد استولى على ششتر وصاهر العرب، فقوى بهم، وناهض شاه محمد بن قرا يوسف صاحب بغداد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شمس الدين محمد بن يعقوب النحاس الدمشقى، فى يوم الجمعة ثالث المحرم، وهو من عامة دمشق، تشفع بى لما قدمت دمشق فى سنة عشر وثمانمائة، أن يلى حسبة الصالحية، ثم قدم القاهرة فى سنة اثنى عشرة، وولى حسبة القـاهرة ثـم وزارة دمشـق، فلـم تحمـد يرته، ولا شكرت طريقته.

ومات أمير الملأ عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، مقتولا، فى المحرم.

ومات الأمير بكتمر السعدى، فى يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيـع الأول، وكـان قد رباه الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب صغيرا فى حجور نسـائه، فنشـأ علـى أجمـل طريقة من الديانة وطلب العلم، وترقى بعد أستاذه حتى صار من أمـراء الطبلخانـاه، ولم يخلف فى أبناء جنسه مثله، دينا وعلما وشجاعة ومعرفة.

ومات الشيخ سعيد المغربى فى يوم الأربعـاء تاسـع عشـر شـهر ربيـع الأول. وكـان مجاورًا بالجامع الأزهر عدة سنين، وللناس فيه اعتقاد، ويؤثرون عنه كرامات، وترك مـالا يبلغ الألفى دينار ذهبا، ما بين ذهب وفضة وفلوس، وقد علت سنه وطال مرضه.

ومات الأمير سيف الدين جانبك الدوادار، فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيـع الأول وكان قد رباه السلطان صغيرًا، وتقلب معه فى تقلباته. فلمـا تسـلطن رقـاه حتـى صار أجل الأمراء وعذقت به أمور الدولة كلها فاعُتبط[1] قبل بلـوغ الثلاثـين - وكـان فطنًا ذكيا شهما - وتولى السلطان تمريضه، ونزل إليه وحضر وفاتـه، ودفنـه ولـه جـامع بهج الذى فى الشارع خارج باب زويلة بالقرب من اليانسية[2].

ومات الأمير أزدمر شايه فى سادس شـهر ربيـع الآخـر بحلـب، وهـو أحـد المـاليك الظاهرية الذين خرجوا من القاهرة فى أيـام الفـتن، والتحـق بالأمـير شـيخ، وتقلبـت بـه الأحوال معه، فرقاه لما تسلطن حتى صار من أمراء الألوف، ثم خرج فى الأيام الأشرفية من القاهرة، ولم يشكر فى دينه، ولا فى أمر دنياه، بل كان من الظلم والشح والإعراض عن الله بمكان.

ومات الأمير كمشبغا الجمالى فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. وهو أحد المماليك الظاهرية، ومن جملة أمراء الطبلخاناه، وشهرته جميلة.

---

(١) أى شابا صحيحا.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١٦/٢.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية الذين خرجوا فى أيام الفتن وممن له فى تلك الفتن ذكر، وكان أولا من أتباع نوروز الحافظى فى قيامه بالشام، ثم صار مع الأمير شيخ، فلم يقبل عليه، ونفاه إلى مكة، ثم حمله منها إلى القدس، فأحضره الأمير ططر بعد موت المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة، فرقاه السلطان إلى أن صار الأتابك، وهو الذى أثار الفتنة بمكة حنقا على الشريف حسن بن عجلان، حتى وقع بها ما وقع. وكان يقرأ القرآن ويشدو شيئًا من الفقه، ويؤثر عنه ديانه وعفة، إلا عن المال فإن له فى الشح والطمع أخبار سيئة.

ومات نجم الدين حسين بن عبد الله السامرى الأصل كاتب السر وناظر الجيش، بدمشق يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة وكان من سمرة دمشق، يعانى كتابة الديونة، وخدم عند الأمير بكتمر شلق، وقدم إلينا القاهرة معه فى الأيام الناصرية، وهو بزى المسلمين، فلما كانت الأيام الأشرفية جمع له بين كتابة السر ونظر الجيش بدمشق، ولم يجتمعا لأحد قبله، وطالت أيامه وكثر ماله حتى أتاه حمامه، ولم يشهر بفضل ولا دين.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى البرماوى، مدرس الصلاحية بالقدس، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة، وقد أناف على الستين بل قارب السبعين. كان أبوه يؤدب الأطفال، فنشأ ابنه هذا وطلب العلم حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى، وفى الأصول والحديث والنحو، وناب فى الحكم بالقاهرة قليلا، ثم خرج إلى دمشق لضيق حاله، فأكرمه قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى، ورفع من مقداره، ثم نوه به لما ولى كتابة السر بديار مصر. وولى الصلاحية بالقدس، حتى مات بها، وله مصنفات مفيدة.

ومات بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البردينى أحد خلفاء الحكم الشافعى فى يوم الإثنين خامس عشرين شهر رجب، وقد أناف على الثمانين. وكانت فيه عصبية ومحبة لقضاء حوائج الناس. ولم يوصف بعلم ولا دين، صحبناه سنين، ومستراح منه.

ومات الأمير قجقار جقطاى، فى يوم الإثنين هذا. وهو أحد أمراء الطبلخاناه الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وسار فى إقطاعه سيرة جميلة، حتى أنه عمر الخراب، ورفق بالفلاحين، فزرع فى أيامه ما كان بورًا.

ومات الأمير جانبك ابن الأمير حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون،

فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان، عن نحو ثمانين سنة، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه فى أيام أخيه الأشرف شعبان بن حسين، وأقام بقلعة الجبل سنين بطالا، حتى أنزل السلطان الأسياد بنى قلاوون إلى القاهرة، فنزل فيمن نزل، ومات وهو قُعدد بنى قلاوون.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن على العسقلانى الشامى الحنبلى، فى يوم السبت ثامن عشرين شعبان. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة. حدث عن العُرضى وغيره بالسماع، وناب فى الحكم بالقاهرة سنين. وكان مفيدًا.

ومات الأمير سيف الدين إبراهيم - ويقال له حرز - فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى القعدة، وقد قدم مع الأمير شيخ من الشام، فولاه ولاية القاهرة، ثم عمله مهمندار، فمات وهو يباشر المهمندارية.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الإثنين:

ففى ليلة الإثنين خامس عشره: حدث مع غروب الشمس برق متوال، تبعه رعد شديد، ثم مطر غزير، واستمر معظم الليل، فلم يدرك بمصر مثله برقا ورعدا، ولا عهدنا مثل غزارة هذا المطر فى أثناء فصل الخريف. وقدم الخبر بأنها أمطرت وقت العشاء من ليلة الإثنين ثامنه بناحية بنى عدى من البهنساوية بردًا فى قدر بيضة الدجاجة وما دونها كبيضة الحمامة، فهلك به من الدجاج والغنم والبقر شىء كثير، فهلك لرجل ستون رأسا من الضأن، وهلك لآخر خمسون رأسا من المعز، ولم يتجاوز هذا البرد بنى عدى، وكان مع البرد والمطر راعد مرعب من شدته، وبرق متوال ورياح عاصفة.

وفى هذا الشهر: تتبع الأمير قرقماس حاجب الحجاب مواضع الفساد، فأراق من الخمور وحرق من الحشيشة المغيرة للعقل شيئا كثيرا، وهدم مواضع، ومنع من الاجتماع فى مواضع الفساد.

وفى ثانى عشرينه: قدم ركب الحاج الأول صحبة الأمير أينال الششمانى، وقدم من الغد محمل الحاج ببقيتهم.

وحدث فى هذا الشهر: ثلاث مظالم، **إحداها:** أنه كان قد تقرر فى العام الماضى مع القاضى كريم الدين عبد الكريم بن بركة ناظر الخاص أن تعفى تجار الشام ومشهد على والكوفة والبصرة، الذين يتبضعون من متاجر الهند، من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضاعتهم، وأن يقوموا عن كل جمل بثلاثة دنانير ونصف، فانتقض ذلك فى الموسم بمكة، وألزم سائر التجار أن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب، وتتبعوا، بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ولا يتوجه إلى الشام، بل حضروا بأجمعهم، وأقيمت عليهم الأعوان فى طول الطريق بتفقدهم وبعد أجمالهم، حتى قدموا صحبة الحاج فحل بهم من البلاء ما لا يوصف.

ثانيها: أنه منع بالإسكندرية أن ينصب قبان لوزن بضاعة أحد من التجار، فامتنع الكافة من بيع النهار على الفرنج، وألزم الفرنج بشراء فلفل السلطان المحضر من جدة بمائة وعشرين دينارا الحمل، وكانت قيمته مع التجار ثمانين دينارا، فأخذ الفرنج منه ما وصلت قدرة مباشرى السلطان أن يبيعوه عليهم، وامتنعوا من أخذ بقيته، ورجعوا بكثير مما حملوه من بضائعهم إلى بلادهم، فشمل التجار وغيرهم من ذلك ضرر كبير.

ثالثها: أنه بلغ السلطان أن التجار الواردة إلى القاهرة من الموصل وحماة ودمشق تربح فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرًا فألزم السماسرة أن لا تبيع لأحد من هذا الصنف شيئا، بل يكون بأجمعه متجرًا للسلطان، فأخذ تاجر ومعه ثمانون ثوبا، وأخذ آخر ومعه عشرة ثياب، وقومت، بأقل من ثمنها فى بلادها، وكتب إلى بلاد الشام بأن لا تمكن التجار من حمل شيء من ذلك إلى القاهرة، فصادف قدوم قفل من الموصل إلى مدينة حماة بثياب موصلية، فرسم عليهم حتى رحلوا من حماة بما معهم وعبروا إلى البرية عائدين إلى بلادهم. واحتج عليهم بأنهم ردوهم لأن طول الثياب نقص عن ثلاثين ذراعا كل ثوب، وأنه لا يمكن أحد منهم أن يبيع ثوبا حتى يكون ثلاثين ذراعا فى عرض ذراع ونصف، وأن لا يكون فيها ثوب يغلو ثمنه، فحل بالناس بلاء لا يمكن حكايته، وخربت الموصل بعد ذلك، وبطل عمل الثياب بها، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى. وقدم مع ذلك الحمل من جزيرة قبرس وفيه ثياب صوف، فحملت إلى دمشق، وهى ثمانمائة ثوب، فطرح الثوب بثمانية عشر دينارا، ويحتاج إلى دينار آخر كلفه، فأبيع أحسنها باثنى عشر دينارا، فخسر كل ثوب سبعة دنانير، وطرح بها أيضا السكر المعمول بالأغوار على الناس، فلم يكد يسلم أحد من الأخذ منه، و لله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فيه جبيت أثمان البضائع بالعسف.

وفى حادى عشرينه: كتب على يد نجاب بحضور الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية.

وفى رابع عشرينه: خرجت تجريدة لأخذ خيول أهل الغربية والبحيرة.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه ترك طائفة كبيرة من مماليك السلطان الجلب الذين يسكنون الطباق بقلعة الجبل إلى بيت الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستادار، وتسوروا الجدران حتى دخلوه فنهبوا ما فيه، وكان غائبا عنه، وعبثوا فى طريقهم بالناس، فأخذوا ما قدروا على أخذه، ثم مضوا إلى بيت ناظر الديوان المفرد، ثم إلى بيت الوزير، فأدركهم مقدم المماليك والزمام، وتلطفا بهم، حتى انصرفوا عن بيت الوزير وسبب ذلك تأخر جوامكهم بالديوان المفرد لشهرين، فلما شكوا ذلك إلى السلطان قال لهم امضوا إلى المباشرين. فنزلوا وكان يوما شنعا.

وفى خامسه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدراهم البندقية والدراهم اللنكية، فامتنعوا وتصدى جماعة لأخذها بأقل من قيمتها، لعلمهم بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت على حال، فخسر طوائف من الناس جملة، وربح آخرون.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر أستادار، وضرب، ثم خلع عليه من الغد، واستقر على عادته.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

أهل وقد ارتفع سعر القمح من أربعمائة درهم الأردب إلى أربعمائة وخمسين والشعير من مائة وثمانين درهما الأردب إلى ثلاثمائة. والفول بنحو ذلك، وأبيعت البطة من الدقيق بمائة وأربعين درهما، هذا والبهائم مرتبطة على البرسيم الأخضر. ومن العادة انحطاط أسعار الغلال فى مثل هذا الوقت، غير أن الاحتكار على الغلال متزايد، والطمع فى غلاء أثمانها كثير.

وفى ثامنه: نودى أن تكون الفلوس بثمانية عشر درهما الرطل، وقد كان الناس تضرروا من قلة وجود الفلوس، فإن التجار أكثرت من حملها إلى بلاد الهند وغيرها لرخصها بالنسبة إلى سعر النحاس الأحمر الذى لم يضرب.

وفى يوم السبت سادس عشره: ركب السلطان بثياب جلوسه ونزل من قلعة الجبل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، فأقام عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، فحمل إليه عبد الباسط من الغد ألفى دينار، وخيلا وبغالا.

وفى هذا الشهر: تكرر ركوب السلطان مرارًا.

وفيه ارتفع القمح إلى خمسمائة درهم الأردب، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب، بعد خمسمائة.

وفى سادس عشرينه: تقدم أمر قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر إلى الشهود الجالسين بالحوانيت للتكسب بتحمل الشهادات بين الناس أن لا يكتبوا صداق امرأة إلا بأحد النقدين، الدراهم الفضة أو الدنانير الذهب. وأدركناهم يكتبون الصداقات من الذهب والفضة التى هى الدراهم النقرة. فلما راجت الفلوس رسم قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى - رحمه الله تعالى - فى سنة ست وثمانمائة أن لا تكتب صداقات النساء، وأجاير الدور، وسجلات الأراضى، وعهد الرقيق من العبيد والإماء، ومساطير الديون، إلا من الفلوس الجدد معاملة القاهرة، فاستمر ذلك إلى الآن.

وفى هذا الشهر: أعيد الحجر على السكر، ورسم أن لا يشتريه أحد ولا يبيعه إلا السلطان، ثم بطل ذلك.

وفيه عثر على بعض تجار العجم المنتمين إلى الإسلام وقد توجه من عند الحطى ملك الحبشة إلى الفرنج يحثهم على القيام معه لإزالة دين الإسلام وأهله، وإقامة الملة العيسوية، فإنه قد عزم على أن يسير من بلاد الحبشة فى البر بعساكره، «فتلاقوه بجموعكم فى البحر إلى سواحل بلاد المسلمين»، فسلك هذا التاجر الفاجر فى مسيره من الحبشة البرية حتى صار من وراء الواحات إلى وراء المغرب، وركب منها البحر إلى بلاد الفرنج، ودعاهم للثورة مع الحطى على إزالة ملة الإسلام وأهلها، واستعمل بتلك البلاد عدة ثياب مذهبة باسم الحطى، ورقمها بالصلبان، فإنه شعارهم، وقدم من بلاد الفرنج فى البحر إلى الإسكندرية ومعه الثياب المذكورة وراهبان من رهبان الحبشة، فنم عليه بعض عبيده، فأحيط بمركبه، وحمل هو والراهبان وجميع ما معه إلى السلطان.

وفى هذا الشهر: كشف عن أمر الديوان المفرد واعتبر متحصله فى السنة ومصروفه، فإذا هو يعجز مبلغ ستين ألف دينار عن جميع ما يرد إليه من خراج النواحى، والحمامات، والمستأجرات، ورماية البضائع، وغرامات البلاد، فعين له مبلغ ثلاثين ألف دينار برسم المتجر السلطانى وأول ما بدأ به من ذلك تحكير صنف السكر، فلا يدولب زراعة القصب واعتصاره وعمل القند سكر ثم بيع السكر إلا السلطان، وأن توزع الثلاثين ألف الأخرى على الكشاف والولاة، ثم أهمل ولم يتم، ولله الحمد.

وفى هذا الشهر: ألزم دلالو الخيل أن لا يبيعوا فرسا لمتعمم ولا لجندى من أولاد الناس، ثم بطل ذلك.

وفى سادس عشرينه: قدم الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية باستدعاء، فأعيد على ما كان عليه من الخدمة.

وفى هذه الأيام: انحل سعر الغلال وانحط القمح عن خمسمائة درهم الأردب، وفرقت الحمال على الأمراء برسم التجريدة إلى بلاد الشام وحلب.

وفى يوم السبت سلخه: كثر الإرجاف بأخذ خيول الناس من مرابطها على البرسيم بالنواحى، فسارع كل أحد إلى أخذ خيله، وقودها من الربيع إلى الإصطبلات فمنهم من نجا بها ومنهم من عوجل، فأخذت خيله وسلمت إلى أمير أخور، وسبب ذلك أن الخيول شنع هلاكها، فنفق للسلطان ومماليكه نحو الألفى فرس، ثم وقف جماعة للسلطان فأفرج لهم عن خيولهم فأخذوها.

وفى هذا الشهر: هدم علو بيت الأمير منجك بخط رأس سويقة منعم، قريبا من مدرسة السلطان حسن، وأبيعت أنقاضه لرجل بألفى دينار، فباعها هو فى الناس، وكان من جملة أوقاف صهريج منجك، وسبب هدمه أن الأمراء كانت تسكنه، ولا تعطى له أجره، فإذا تهدم فيه موضع ألزموا مباشرى الوقف بعمارته، ورأى الناس أن هذا فأل ردىء فإنه قيل وقع الخراب فى بيوت الأمراء.

شهر جمادى الأولى، أوله الأحد:

فى ثامنه: برز ركب يريد المسير إلى مكة المشرفة، صحبة سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، فيه جماعة كبيرة.

وفى رابع عشرينه: استدعى قضاة القضاة للنظر فى أمر نور الدين على بن الخواجا، التاجر التوريزى المتوجه برسالة الحطى ملك الحبشة إلى الفرنج، فاجتمعوا بين يدى السلطان، وندب قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى للكشف عن أمره، وإمضاء حكم الله فيه فنقله من سجن السلطان إلى سجنه، فقامت عليه بينة بما أوجب عنده إراقة دمه، فشهر فى يوم الأربعاء خامس عشرينه على جمل بمصر وبولاق، ونودى عليه «هذا جزاء من يجلب السلاح إلى بلاد العدو ويلعب بالدينين». ثم أقعد تحت شباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضربت عنقه. وكان يوما مشهودا، نعوذ بالله من سوء العاقبة.

وفى هذا الشهر: سار الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستادار، إلى النواحى، ففرض على كل بلد مالاً سماه الضيافة، ليستعين بذلك على عجز الديوان المفرد لنفقة المماليك السلطانية فجبى مالاً كثيرًا، فإنه كان يأخذ من البلد مائة دينار، ويأخذ من أخرى دون ذلك، على حسب ما يراه، فاختل حال الفلاحين خللا يظهر أثره فيما بعد، والله المستعان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فيه استدعى شيخ الشيوخ شهاب الدين أحمد بن الصلاح - المعروف بابن المحمرة - شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء إلى مجلس السلطان، وعرض عليه قضاء القضاة بدمشق فقبله، فخلع عليه عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى. وكان السلطان قد استدعى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وسأله بذلك فلم يقبل، وكان منذ صرف عن القضاء ملازما لداره، وهو مقبل على عمل الميعاد فى كل يوم جمعة بمدرسة أبيه، وعلى التدريس والإفتاء.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان. وكان الجمال منذ عزل عن كتابة السر مقيما بالقاهرة.

وفيه كتب بانتقال شهاب الدين أحمد بن الكشك من قضاء الحنفية بدمشق إلى قضاء طرابلس، عوضا عن شمس الدين محمد الصفدى، ثم بطل ذلك، واستقر الصفدى عوضا عن ابن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى ثامن عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن المحمرة، والقاضى جمال الدين يوسف بن الصفى إلى محل ولايتهما بدمشق، وعين أحد الخاصكية مسفرا معهما، وأن يحضر الصفدى من طرابلس إلى قضاء دمشق، على أن يأخذ من الثلاثة ألف وثلاثمائة دينار ذهبًا، يخص ابن المحمرة منها ثلاثمائة دينار، وتبقى الألف نصفين على ابن الصفى والصفدى، ولم تجر العادة بأن يخرج مسفر مع متعمم.

وفى هذا الشهر: نزل القمح إلى مائتين وثمانين درهما الأردب، بعد خمسمائة. وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد أن كان بثلاثمائة، وأبيعت البطة من الدقيق بتسعين درهما بعدما بلغت مائة وخمسين درهما.

وفيه تتبع والى القاهرة العبيد السود، وقبض على عدة منهم، لكثرة فسادهم، ونفاهم من القاهرة.

وفيه رسم بأخذ الشعير من النواحى لعجز الديوان عن عليق خيول المماليك السلطانية، فأخذ من شعير الناس ما قدر عليه.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والقمح من مائتين وأربعين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، والذهب عزيز الوجود، وقد بلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وخمسين درهما، ورخص اللحم حتى أبيع لحم الضأن بستة الرطل ولحم البقر بأربعة دراهم الرطل.

وفى ثامنه: خلع على جلال الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن مزهر بكتابة السر، عوضا عن أبيه. وله من العمر نحو خمس عشرة سنة، وخلع على شرف الدين أبى بكر ابن سليمان الأشقر الحلبى، واستقر نائب كاتب السر، وألزم ابن مزهر بحمل تسعين ألف دينار من تركة أبيه، فشرع فى بيع موجوده وهو أصناف كثيرة ما بين بضائع للمتجر، وكتب علمية، وثياب بدنه وخيول وجمال ورقيق، وحمل ما ألزم به.

وفى تاسعه: أدير محمل الحج، فكان فيه من نهب المماليك السلطانية لمآكل الباعة، والتعرض للنساء والشباب فى ليالى الزينة شناعات، اقتضت تجمع السودان وقتالهم المماليك عدة مرار، فقتل بينهم رجلان.

وفى هذه الأيام: قدم عدة تجار من الموصل، فأخذ منهم ما معهم من الثياب الموصلية، وقومت بما لم يرضيهم، ورسم أن يكون صنف البعلبكى والعاتكى والموصلى للسلطان، لا يشتريه ممن يجلبه إلى القاهرة ويبيعه فى الناس إلا هو.

وفيه حكر بيع الحطب من بلاد الصعيد، وجعل من أصناف المتجر السلطانى، وحكر بيع غلات النواحى بأسرها، وجعلت أيضا من جملة المتجر السلطانى ثم بطل ذلك كله، و لله الحمد.

وفيه طرحت بضائع من المتجر السلطانى على الناس، و لم يعف أحد من التجار عن أخذها فارتفعت الغلة من مائتين وعشرين درهما الأردب، إلى ثلاثمائة.

وفى ثامنه: أيضا خلع على شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى الدمشقى، واستقر فى وكالة بيت المال، عوضا عن نور الدين على الصفطى وكان قد وليها فى الأيام الناصرية فرج، مع نظر الكسوة.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وصحبته القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فحمل النائب تقدمته فى ثالث عشرينه، وفيها مبلغ خمسة عشر ألف دينار، وخيل وثياب حرير، وفرو سمور، وغيره، فأخذ السلطان الذهب، وأعاد ما عداه إعانة له على تقادمه للأمراء. وقدم الكمال ثياب حرير وفرو سمور بنحو خمسمائة دينار.

شهر شعبان المكرم، أوله الخميس:

فى يوم الجمعة ثانيه: نزل من مماليك السلطان سكان الطباق بالقلعة جماعة إلى بيت الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونهبوه لتأخر لحمهم المرتب لهم كل يوم.

وفيه توجه نائب الشام ومن معه إلى دمشق على حالهم، بعدما ألزم النائب بحمل خمسين ألف دينار، حمل منها خمسة وعشرين، ووعد أن يرسل من دمشق خمسة وعشرين.

وفى ثالثه: خلع على نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح(١) واستقر فى

---

(١) ابن مفلح (٧٨٢ - ٨٧٢ هـ = ١٣٨٠ - ١٤٦٧ م). عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح، أبو حفص، نظام الدين، الرامينى المقدسى الصالحى: قاضى حنبلى، من أهل الصالحية (بدمشق) مولدا ووفاة. ناب فى القضاء بدمشق ثم بالقاهرة، واستقل بقضاء غزة سنة ٨٠٥ هـ وكان أول حنبلى=

قضاء الحنابلة بدمشق. وكان قد قدم القاهرة، وعمل بالجامع الأزهر عدة مواعيد، دلت على حفظه وتفننه.

وفي سادسه: ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير شارقطلوا، فباتوا على تخوف وأصبح الجلب تحت القلعة فى جمع كبير، وقد امتنع الأمير الكبير منهم بداره - وهى تجاه باب السلسلة - فماج الناس، وخشوا من النهب، فكانت حركة مزعجة بالقاهرة، من تكالب الناس على شراء الخبز والدقيق، وانتشار أهل الفساد فى الشوارع للنهب، ثم سكن الحال، وأقام الجلب يومهم لا يقدرون على الأمير الكبير، لعجزهم وقلة دريتهم بالحرب، وعدم السلاح، فطلب السلطان ثلاثة من مماليك الأمير الكبير وضربهم وسجنهم من أجل أنهم أصل هذه الفتنة، فخمد الشر، ولله الحمد.

وفي خامسه: ورد إلى ميناء الإسكندرية خمسة أغربة للفرنج، وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ثم واقعوهم من الغد، وقد أدركهم الأمير زين الدين ابن أبى الفرج أستادار فى سابعه. وكان بتروجة ومعه جمع كبير من العرب، فلما اشتد الأمر على الفرنج، انهزموا وردوا من حيث أتوا، فى يوم الأحد حادى عشره، ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبى الفرج.

وفي ثاني عشره: أنفق السلطان فى ثلاثمائة وتسعين من المماليك، كل واحد خمسين دينارًا، وفى أربعة من أمراء الألوف - وهم أركماس الدوادار، وقرقماس حاجب الحجاب، وتغرى بردى، ويشبك المشد - كل واحد ألفى دينار، وأنفق فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف دينارًا، ورسم بسفرهم إلى الشام، فتوجهوا فى سادس عشرينه.

وفيه سقط موضع مبنى على كتاب أطفال، فمات منهم اثنى عشر طفلا، وأصيب تسعة يخاف عليهم.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بغزة والرملة، من أرض فلسطين.

شهر رمضان، أوله الجمعة:

=ولى قضاءها. واستقل بالقضاء أيضا فى الشام سنة ٨٣٣ هـ عزل ثم أعيد ثم انقطع إلى التدريس. وحدث بمصر والشام وبيت المقدس وغيره. وأنشأ مدرسة دار الحديث النظامية فى شرقى الصالحية له مشيخة. انظر تاريخ الصلاحية ٨٧، الضوء اللامع ٦/٦٦، الأعلام ٥/٣٩.

فيه ابتدئ بهدم حوانيت الصيارف، وسوق الكتب، وحوانيت النقليين والأمشاطيين، فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وهى جارية فى وقف المارستان المنصورى، لتجدد عمارتها.

وفى رابع عشره: خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وأعيد إلى نظر الديوان المفرد، وكان شاغرًا.

وفيه حملت نفقة المماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة ستمائة درهم لكل واحد.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره - الموافق لسادس عشرين بؤونة -: أخذ قاع النيل وكان خمسة عشر ذراعا وسبعة أصابع، ونودى عليه من الغد بزيادة خمسة أصابع.

وفيه زيد فى جوامك عدة من شرار المماليك، فسكن شرهم، وأخذوا جميعا النفقة.

وفى حادى عشرينه: استعفى ابن الهيصم من نظر الديوان المفرد، فأعفى، ولزم داره على عادته.

وفى هذه الأيام: اشتد فساد المماليك الجلب، وكثر عيثهم وعبثهم بالناس، وأخذهم ما قدروا عليه من مال وحريم، فتجمع السودان وقاتلوهم، فقتل بينهم عدة، وصاروا جمعين، لكل جمع عصبة.

شهر شوال، أوله الأحد:

أهل والأسعار قد ارتفعت، فالقمح من مائتين وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها والشعير من مائة وثلاثين إلى ما دونها وسببه هيف الزرع فى كثير من النواحى عند توالى رياح حارة فقل وقوع الغلة عند الدراس.

وفى هذه الأيام: اشتد بلاء من المماليك، وعظم الضرر بهم، حتى أن السلطان منع الناس من عمل الأعراس والولائم، وتهدد من عمل ذلك، خوفا من المماليك أن تهجم على النساء وهن مجتمعات، وتبين قصور اليد عن ردعهم، ولا قوة إلا بالله.

وفى عاشره: نودى بمنع الناس من أخذ الدراهم البندقية والقرمانية واللكنية، فعاد الضرر فى خسارة قوم وربح آخرين، ونودى أيضا أن تكون الدنانير بمائتين وثلاثين، وكانت العامة قد رفعت سعره إلى مائتين وستين، بحجة أن الذهب قليل الوجود بأيدى الناس، وأن الدراهم الأشرفية كثر فيها البندقية واللكنية والقرمانية، وكل ذلك من

إعراض ولاة الأمور عن عمل المصالح، لبعدهم عن معرفتها، مع طلبهم المال بكل وجه يذم ويستقبح.

وفى تاسع عشره: برز محمل الحاج على العادة، فرحل الركب الأول من بركة الحجاج فى ثانى عشرينه، ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثالث عشرينه، صحبة الأمير قراسنقر. وانتهت زيادة النيل فى هذا اليوم - ويوافقه أول مسرى - إلى عشرة أذرع وخمسة عشر إصبعا. وهذا مقدار كبير، و لله الحمد.

وفى هذا الشهر: خربت مدينة الرها ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه - الموافق لثانى عشر مسرى -: نودى بزيادة سبعة أصابع لتتمة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، و لم يناد عليه من الغد، وتوقفت الزيادة إلى تاسعه. وذلك أنه نقص أربعة أصابع، لتقطع عدة جسور من فساد عملها، فغرق عدة جرون، تلف فيها ماشاء الله من الغلال، فتكالب الناس على شراء الغلة، خوفا من الشراقى، فنزل السلطان فى يوم الثلاثاء ثامنه إلى رباط الآثار النبوية، ودعا الله تعالى، فأغاث الله عباده، ووفى النيل ستة عشر ذراعا، ونودى عليه بالوفاء يوم الأربعاء تاسعه - الموافق له سابع عشر مسرى - فنزل المقام الناصرى محمد بن السلطان لتخليق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الخبر بأخذ مدينة الرها. وذلك أن العسكر سار من القاهرة لأخذ قلعة خرت برت، وقد مات متوليها، ونازلها عسكر قرايلك صاحب آمد، فلما وصلوا إلى مدينة حلب، ورد إليهم الخبر بأخذ قرايلك قلعة خرت برت وتحصينها، وتسليمها لولده، فتوجه العسكر وقد انضم إليه الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وجميع نواب المماليك الشامية، ومضوا بأجمعهم إلى الرها، فأتاهم بالبيرة كتاب أهل الرها بطلب الأمان، وقد رغبوا فى الطاعة، فأمنوهم، وكتبوا لهم به كتابا، وساروا من البيرة، وبين أيديهم مائتا فارس من عرب الطاعة كشافة، فوصلت الكشافة إلى الرها فى تاسع عشر شوال، فإذا الأمير هابيل قد وصل إليها من قبل أبيه الأمير عثمن بن طور على، المعروف بقرايلك صاحب آمد، وحصنها، وجمع فيها عامة أهل الضياع بمواشيهم وعيالهم وأموالهم، فناولوها وهم يرمونهم بالنشاب من فوق الأسوار ثم برز إليهم الأمير هابيل فى عسكر نحو ثلاثمائة فارس، وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وعلق رءوسهم على قلعة الرها، فأدركهم العسكر، ونزلوا على ظاهر الرها فى يوم الجمعة عشرينه، وقد

ركب الرجال السور.ورموا بالحجارة، فتراجع العسكر المصرى والشامى عنهم، ثم ركبوا بأجمعهم بعد نصف النهار وأرسلوا إلى أهل قلعة الرها بتأمينهم، «وإن لم تكفوا عن القتال وإلا أخربنا المدينة». فجعلوا الجواب رميهم بالنشاب، فزحف العسكر وأخذوا المدينة فى لحظة، وامتنع الأكابر وأهل القوة بالقلعة. فانتشر العسكر وأتباعهم فى المدينة ينهبون ما وجدوا، ويأسرون من ظفروا به، فما تركوا قبيحا حتى أتوه ولا أمرا مستشنعا إلا فعلوه. وكان فعلهم هذا كفعل أصحاب تيمور لما أخذوا بلاد الشام. وأصبحوا يوم السبت محاصرين القلعة، وبعثوا إلى ما فيها بالأمان فلم يقبلوا، ورموا بالنشاب والحجارة، حتى لم يقدر أحد على أن يدنو منها. وباتوا ليلة الأحد فى أعمال النقوب على القلعة، وقاتلوا من الغد يوم الأحد حتى اشتد الضحى، فلم يثبت من بالقلعة، وصاحوا «الأمان». فكفوا عن قتالهم حتى أتت رسلهم الأمير نائب الشام، وقدم مقدم العساكر، فحلف لهم - هو والأمير قصروه نائب حلب - على أنهم لا يؤذوهم ولا يقتلون أحد منهم فركنوا إلى أيمانهم. ونزل الأمير هابيل بن قرايلك ومعه تسعة من أعيان دولته عند دخول وقت الظهر من يوم الأحد المذكور، فتسلمه الأمير أركماس الدوادار، وتقدم نواب المماليك إلى القلعة ليتسلموها فوجدوا المماليك السلطانية قد وقفوا على باب القلعة ليدخلوا إليها، فمنعوهم فأفحشوا فى الرد على النواب، وهموا بمقاتلتهم، وهجموا القلعة، فلم تطق النواب منعهم، ورجعوا إلى مخيماتهم فمد المماليك أيديهم ومن تبعهم من التركمان والعربان والغلمان، ونهبوا جميع ما كان بها، وأسروا النساء والصبيان، وألقوا فيها النار، فأحرقوها بعدما أخلوها من كل صامت وناطق، وبعدما أسرفوا فى قتل من كان بها وبالمدينة حتى تجاوزوا الحد، وخربوا المدينة وألقوا النار فيها فاحترقت. ولقد أخبرنى من لا أتهمه أنه شاهد المماليك، وقد أخذوا النساء، وفجروا بهن فكانت الواحدة منهن إذا قامت من تحت واحد منهم، مضت - إن كان لها ولد - هى وولدها، إلى موضع كان به تبن لتختفى فيه. قال فاجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة، ومعهن أو مع غالبهن أولادهن، وقد زنوا بهن جميعا، ثم أضرموا النار عليهن، فاشتعل التبن فاحترقن جميعا. وأخبرنى الثقة أنه كان يدوس فى المدينة القتلى لكثرتهم بها، وأنه كاد الماء الذى لهم أن يمتلئ بجيف القتلى. ثم رحلوا من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه، وأيديهم قد امتلأت بالنهوب والسبى، فتقطعت منهم عدة نساء من التعب، فمتن عطشا، وبيعت منهن بحلب وغيرها عدة. وكانت هذه الكائنة من مصائب الدهر.

وكنا نستطب إذا مرضنا فجاء الداء من قبل الطبيب

فأما بالعهد من قدم، لقد عهدنا ملك مصر إذا بلغه أحد من ملوك الأقطار أنه قد فعل ما لا يجوز أو فعل ذلك رعيته، بعث منكر عليه ويهدده، فصرنا نحن نأتى من الحرام بأشنعه، ومن القبيح بأفظعه وإلى الله المشتكى.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى القعدة: نودى على النيل بزيادة إصبع، لتتمة سبعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا، ولم يناد عليه من الغد.

وفيه كتب باستدعاء السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق، وكاتب السر بها، وناظر الجيش، ونقيب الأشراف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى، ليستقر فى كتابة السر، وتوجه لإحضاره من دمشق أحد الخاصكية.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: نودى على النيل بزيادة إصبعين، بعد رد ما نقصه، لتتمة ستة عشر إصبعاً من الذراع الثامنة عشر، وكان قد انقطع بعض جسور النواحى لفساد عملها، فقل وجود الغلال، وارتفع الأردب من مائتين وسبعين إلى ثلاثمائة، واستمرت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، وقد بلغ ثمانية عشر ذراعا إلا إصبعين، ونقص من يومه خمسة أصابع، لتقطع الجسور، فتكالب الناس على شراء الغلة، وشحت الأنفس ببيعها، حتى قل وجودها وارتفع ثمنها.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر والنيل متوقف عن الزيادة، وقد نقص، فمن الله تعالى، ونودى فى يوم السبت ثالثه برد النقص وزيادة تتمة ثمانية عشر ذراعا.

وفى ليلة الخميس ثامنه: قدم السيد الشريف شهاب الدين أحمد من دمشق وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وهو موعوك فلزم الفراش.

وفى ثانى عشره – الموافق لخامس عشر توت –: نودى بزيادة إصبعين لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا ثم نقص من الغد لقطع الصليبيات.

وفى يوم الخميس نصفه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان، واستقر فى كتابة السر عوضا عن الجلال محمد بن مزهر، وعملت للطرحة الخضراء برقمات ذهب، فكان موكبا جليلا إلى الغاية، ركب بين يديه الأمراء والوزراء وقضاة القضاة الأربع، والأعيان، فابتهج الناس به، وسروا بقدومه.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبع.

وفيه خلع على الجلال محمد بن مزهر، واستقر فى توقيع المقام الناصرى محمد ابن السلطان، كما كان فى أيام أبيه.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير هابيل بن الأمير قرايلك ومن معه فى الحديد فشهروا بالقاهرة إلى القلعة، وسجنوا بها.

وفيه قدم مبشرو الحاج.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ووافق ذلك ثامن عشرين توت، ثم لم يناد عليه، فكانت هذه زيادة ماء النيل فى هذه السنة.

وفى هذا الشهر: كانت حرب بنواحى المدينة النبوية بين بنى حسين، قتل فيها غير واحد من أعيانهم.

وفيه كان خراب مدينة توريز. وسبب ذلك أن متملكها إسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا، زحف على مدينة السلطانية، وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان فى عدة من أعيانها، ونهب وأفسد، فسار إليه جموع كبيرة، فخرج إسكندر من توريز، وجمع لحربه، ولقيه وقد نزل خارج توريز، فانتدب لمحاربته الأمير قرايلك صاحب آمد، وقد لحق بشاه رخ، وأمده بعسكر كبير، وقاتله خارج توريز فى يوم الجمعة سابع عشره، قتالا شديدا، قتل فيه كثير من الفئتين، وانهزم إسكندر وهم فى إثره يطلبونه ثلاثة أيام، ففاتهم هذا. وقد نهبت جقطاى عامة تلك البلاد، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره. ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بمال كبير احتاجهم فيه أموالهم، حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند، فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه، ورحل بعد مدة يريد بلاده، وقد اشتد الغلاء معه، فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم، لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحى تعبث وتفسد، ففقدت الأقوات، حتى أبيع اللحم الرطل بعدة دنانير. وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا. وأما إسكندر فإنه جال فى بلاد الأكراد، وقد وقعت بها الثلوج مدة، ثم صار إلى قلعة سلماس[1] فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت فى البلاد.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفى، بعد ما عمى سنين، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم. ومولده فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وهو أحد من

---

(١) مدينة مشهورة بأذربيجان. انظر معجم البلدان ١/ ١٢٨.

صحبته من أهل العبادة والنسك. ورأس مدة. واتصل بالظاهر برقوق. وولى نظر المارستان المنصورى. وجال فى الأقطار، فدخل بغداد والحجاز واليمن والهند، رحمه الله.

ومات شمس الدين محمد بن سعيد المعروف بسويدان أحد أئمة السلطان، فى يوم الإثنين سابع صفر. كان أبوه عبدا أسودا يسكن القرافة. وحفظ هو القرآن مع الأجواق، فأعجب الظاهر برقوق صوته، فجعله أحد أئمته، واستمر، فولاه الناصر فرج حسبة القاهرة. ثم عزل فعاد كما كان يقرأ فى الأجواق عند الناس، ويأخذ الأجرة على ذلك، وصار رئيس جوقة حتى مات على ذلك. وكان أسود اللون.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنباى الشافعى، فى ليلة الأحد حادى عشر شهر ربيع الأول، وقد أناف على الستين. وقد برع فى الفقه وأصوله وفى العربية، والحساب، ودرس وخطب عدة سنين بدمياط، والقاهرة.

ومات الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن المواز، فى يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول. وقد قدم إلى زيارتى على عادته. وطلع إلىّ سلمًا كنت فى بيت بأعلاه، فما هو إلا أن خلع إحدى نعليه، خر على وجهه، ثم رفع رأسه، ونزل إلى الأرض، وأنا أستدنيه إلى، وأعتبه على انقطاعه أياما عنى، فزحف قدر ذراعين وسقط إلى الأرض، فإذا هو قد مات، رحمه الله. فلقد كان لى به أنس وله فى اعتقاد كبير، وبلوت منه تألها وديانة وعبادة مرضية، فرأيته سحر يوم الجمعة العشرين من صفر سنة ثلاث وثلاثين، وقد اضطجعت بعد الوتر، وكأنه قدم علىَّ على عادته لزيارتى فقمت فرحا به وأنا أذكر أنه ميت. وقلت كالمباسط له: «كيف دار البلاء» فهش. فقلت له: «أسلمت من عذاب القبر» قال: «نعم». قلت «وأنت الآن لا تعذب ولا يشوش عليك؟» قال: «نعم». قلت «فلقيت الله». فأيقظنى صوت رجل قريب منى قبل أن يخبرنى، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشطنوفى الشافعى، فى ليلة الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الأول، وقد قارب الثمانين، وبرع فى الفقه والفرائض والعربية وغير ذلك. ودرس سنين عديدة، فانتفع به جماعة.

ومات بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، فى ليلة الأحد سابع عشرينه جمادى الآخرة، عن نحو خمسين سنة. ولد سنة ست وثمانين وسبعمائة. وهو من بيت رياسة. ولى أبوه كتابة الإنشاء بدمشق. واشتهرت رياسته ومكارمه، وباشر هو كتابة الإنشاء بدمشق، واتصل بنائبها الأمير شيخ المحمودى، فلما قدم بعد قتل الناصر

فرج إلى القاهرة، كان ممن قدم معه، وولاه نظر الإصطبل. ثم ناب عن القاضى كمال الدين محمد بن البارزى فى كتابة السر، وقام بأعباء الديوان فى أيام العلم داود بن الكويز ومن بعده، واستقل بكتابة السر، فاستبد بتدبير المملكة وكثر ماله، رحمه الله.

ومات نور الدين على السفطى، وكيل بيت المال المعمور فى ليلة الثلاثاء سلخ شهر جمادى الآخرة، وكان مشكور السيرة.

ومات السيد الشريف عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، مقتولا فى ذى الحجة. وقد ولى إمرة المدينة النبوية مرارا، وقبض عليه فى موسم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وحمل فى الحديد إلى القاهرة، فسجن ببرج فى قلعة الجبل، ثم أفرج عنه وكان فى الإفراج عنه ذكرى من كان له قلب. وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى الحنبلى قاضى القضاة ببغداد ثم بدمشق رأى فى منامه كأنه بمسجد الرسول - ﷺ - وإذا بالقبر قد فتح، وخرج منه رسول الله - ﷺ - وجلس على شفيره، وعليه أكفانه، وأشار بيده الكريمة إلى عبد العزيز هذا فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: «قل للمؤيد يفرج عن عجلان» فانتبه وصعد إلى قلعة الجبل. وكان من جملة جلساء السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى، وجلس على عادته بمجلسه وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه معرفة. ثم قص عليه رؤياه فسكت ثم خرج بنفسه بعد انقضاء المجلس إلى مرماة النشاب التى قد استجدها بطرف الدركاه، واستدعى بعجلان من سجنه بالبرج، وأفرج عنه، وأحسن إليه. وقد حدثنى قاضى القضاة عز الدين بهذه الرؤيا غير مرة، وعنه كتبتها وعندى مثل هذا الخبر فى حق بنى حسين عدة أخبار صحيحة، فإياك والوقيعة فى أحد منهم، فليست بدعة المبتدع منهم، أو تفريط المفرط منهم فى شىء من العبادات، أو ارتكابه محرما من المحرمات، بمخرجه من بنوة الرسول ﷺ، فالولد ولد على حال، عق أو فجر.

ومات الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، الحسين مقتولا فى ذى الحجة أيضا، فى الحرب.

ومات الواعظ المذكر بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشاب التائب بدمشق، فى يوم الجمعة ثامن عشر رجب عن نحو سبعين سنة، ومولده ومنشأه بالقاهرة. وكان من جملة طلبة العلم الشافعية، ثم صحب فى أثناء عمره

رجلا من الفقراء يعرف بأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن الزيات، أحد أصحاب الشيخ يحيى الصنافيرى، فمال إلى طريقة التصوف، ورحل إلى اليمن. ثم قدم وعمل الميعاد، ونظم الشعر على طريق القوم، وبنى زواية خارج القاهرة، فحصل له قبول من العامة. وسمعت ميعاده بالجامع الأزهر، وقد تكلم فى تفسير آية من كتاب تعالى فأكثر من النقل الجيد بعبارة حسنة، وطريقة مليحة. وحج مرارًا، ثم رحل إلى دمشق وبنى بها زاوية وعمل الميعاد، فأقبل عليه الناس، وزاد اعتقادهم فيه بمصر والشام، حتى توفى. ونعم الرجل كان.

ومات بالنحريرية الأديب المعتقد نور الدين على بن عبد الله الشهير بابن عامرية، فى يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر، وأكثر شعره - رحمه الله - فى المدائح النبوية.

* * *

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة بيوم الجمعة، الموافق له ثاني بابة: والشمس في نصف برج الميزان، والوقت فصل الخريف.

شهر المحرم:

في يوم السبت ثانيه: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر أستادار خلعة الإستمرار، ثم خلع عليه ثانيا في يوم الإثنين رابعه، وخلع على الأمير أقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى خلعة الاستمرار؛ وقد أرجف باستقراره أستادارًا وألزم بحمل عشرين ألف دينار.

وفي تاسعه: خلع على الصاحب كريم الدين الوزير، واستقر في نظر الديوان المفرد، مضافا إلى الوزارة، ليتقوى به الأمير زين الدين أستادار.

وفي ليلة الجمعة تاسعه أو عاشره: أمطرت مدينة حمص مطرًا وابلا، ونزل معه ضفادع خضر حتى امتلأت بها أزقة المدينة وأسطحة الدور.

وفي العشر الثاني من هذا الشهر: حملت نفقة المماليك السلطانية من حاصل الأستادار إلى قلعة الجبل، لتنفق في المماليك على العادة في كل شهر، فامتنعوا من قبضها وطلبوا أن يزاد كل واحد على ماله مبلغ ثلاثمائة درهم في كل شهر وكانوا قد فعلوا ذلك في نفقة ذى الحجة، حتى زيد كل منهم أربعمائة درهم في كل شهر فبلغت الزيادتان في الشهر نحو الخمسة آلاف دينار. وكان قبل رضائهم بذلك قد استطار شرهم، وتعدوا في العتو طورهم حتى خافهم أعيان أهل الدولة، ووزعوا ما في دورهم خوف وقوع الفتنة.

وفي حادى عشرينه: قدم ركب من الحاج تقدم أولا، ثم قدم الركب الأول من الغد، وقدم المحمل ببقية الحاج في ثالث عشرينه.

وفي رابع عشرينه: قدم رسول ملك المشرق - شاه رخ بن تيمور - بكتابه يطلب فيه شرح البخارى للحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وتاريخى السلوك لدول الملوك، ويعرض فيه بأنه يريد أن يكسو الكعبة ويجرى العين بمكة.

وفى ثامن عشره: بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان[١] - أبو فارس عبد العزيز - أصطولا فيه مائتا فرس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية والمطوعة، لأخذ جزيرة صقلية[٢]، فنازلوا مدينة مارز[٣] حتى أخذوها عنوة، ومضوا إلى مدينة مالطة[٤]. وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهزم من جملتهم أحد الأمراء من العلوج، فانهزم المسلمون لهزيمته، فركب الفرنج أقفيتهم، فاستشهد منهم فى الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العلج الذى كادهم بهزيمته، وبعثوا به إلى أبى فارس، فأمدهم بجيوش كثيرة.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى رابع عشره: خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر ونزل إلى الجامع المؤيدى، وقد استقر ناظره على العادة، فقرئ به تقليده بكتابة السر، تولى قراءته منشأه القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر. وقد حضر قضاة القضاة الثلاث، ولم يحضر الحنفى، وحضر الأمير أركماس الدوادار، وكثير من الأعيان، فكان من المجامع الحفلة الحشمة.

وفى هذه الأيام: ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الأفرنتى مائتين وستين درهما، وارتفع أيضا سعر الغلال.

وقدم الخبر بغلاء الأسعار بمدينة حلب ودمشق، وأن بدمشق وحمص طاعون فاش فى الناس.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وخلع على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن بدر الدين محمود العينى، ورسم باستقراره صدر الدين أحمد بن محمود العجمى فى ميشخة خانكاه الأمير شيخو، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين التفهنى، ورسم أن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، والحنفى على ثمانية، والمالكى على ستة، والحنبلى على أربعة فكان حسنا إن تم.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) صَقِلِّيَةُ: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣ وما بعدها.

(٣) مدينة بصقلية. انظر معجم البلدان.

(٤) مَالِطَةُ: بلدة بالأندلس. انظر معجم البلدان ٤٣/٥.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى ميشخة الشيخونية.

وفى يوم الثلاثاء سلخه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم ابن سعد الدين بركة كاتب جكم، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن أبيه بعد وفاته، وألزم بحمل ستين ألف دينار، فشرع فى حملها.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وسبب ذلك أن المحتسب أينال الششمانى منع كل من ورد بغلة إلى ساحلى مصر وبولاق من بيعها، وتشدد فى ذلك، فامتنعوا وأخذوا فى بيع الغلال السلطانية، على أن كل أردب من القمح بثلاثمائة وستين درهما، فتوفرت الغلال فى مدة بيعه، ثم أذن لهم فى بيعها، وقد تكفى الطحانون بغلال السلطان، فانحل السعر و لله الحمد، وربما صحت الأجسام بعد العلل.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

فى رابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى، واستقر فى الحسبة بالقاهرة ومصر، عوضا عن الأمير أينال الششمانى، مضافا لما معه من نظر الأحباس.

وفى تاسعه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير أقبغا التمرازى، ورسم بإحضاره.

وفى ثالث عشره: خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، واعيد إلى نظر الديوان المفرد، عوضا عن الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى الكاشف، واستقر أستادارًا، عوضا عن الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج، على أن يحمل مائة ألف دينار بعد تكفية الديوان، فلم ينهض بها.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، فأبيع القمح بمائتين وخمسين درهما الأردب، والشعير بمائة وعشرة دراهم الأردب.

وفيه فشى الطاعون فى الوجه البحرى، سيما فى النحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جدا، بحيث أحصى من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. ومن

ناحية صا[1] زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق فى شعبان فى السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر. وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدركناه وقوع الطاعون إلا فى فصل الربيع. ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط فى الربيع، وجمودها فى الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد. وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها فى كل يوم على ألف وخمسمائة إنسان. وأما القاهرة فإنه جرى على ألسنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع فى الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا فى الطرقات.

فلما أهل شهر ربيع الآخر هذا: كانت عدة من ورد الديوان فيه من الأموات اثنى عشر إنسانا، وأخذ يتزايد فى كل يوم حتى بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة فى يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنسانا. وجملة من أحصاه ديوان القاهرة فى الشهر كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنسانا. وبلغ ديوان المواريث بمدينة مصر دون ذلك. هذا سوى من مات بالمارستان، ومن جهز من ديوان الطرحاء على الطرقات من الفقراء، وهم كثير.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة إلى خارج القاهرة، وقد توجه معه كثير من الناس يريدون العمرة والحج. وفيه بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة مائة، على أنهم لا يرفعون فى أوراقهم إلى الوزير وغيره إلا بعض من يرد، لا كلهم.

وفيه نودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم. ويخرجوا من المظالم، ثم يخرجوا فى يوم الأحد رابعه إلى الصحراء. هذا والحكام والولاة على ما هم عليه.

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وفى يوم الأحد رابعه: خرج قاضى القضاة علم الدين صالح فى جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برقوق فوعظ الناس على عادته فى عمل الميعاد، فكثر ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاؤهم فى دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت.

وفى ثامنه: ورد كتاب إسكندر بن قرا يوسف، بأن شاه رخ عاد إلى بلاده وأنه هو رجع إلى توريز، وقصده أن يمشى بعد انقضاء الشتاء لمحاربة قرايلك صاحب آمد.

---

(١) صا: بالقصر: كورة بمصر يقال لها صا، وصا مسماة بصا بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٧.

وقدم كتاب مراد بن عثمن صاحب برصا بأنه هادن الفرنج ثلاث سنين.

وقدم كتاب قرايلك يسأل العفو عن ولده هابيل وإطلاقه.

وفى حادى عشرينه: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج وكثير من ألزامه، وسلموا إلى الأمير أقبغا أستادار، ثم أفرج عنه فى رابع عشرينه على مال يحمله.

وفى سادس عشرينه: حضر تجار الإسكندرية وقد طلبوا منها، فأوقفوا بين يدى السلطان، وألزموا جميعهم أن لا يبع أحد منهم شيئا من أصناف البضائع التى تجلب من الهند، كالفلفل ونحوه، لأحد من التجار الفرنج، وهددوا على ذلك. وسبب هذا أن السلطان أقام طائفة تشترى له البضائع وتبيعها، فإذا أخذت بجدة المكوس من التجار التى ترد من الهند، حملت فلفلا وغيره فى بحر القلزم من جدة إلى الطور، ثم حملت من الطور إلى مصر، ثم نقلت فى النيل إلى الإسكندرية، وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين دينارا. هذا وسعره بالقاهرة خمسون دينارا. فبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج بالإسكندرية أن يبتاعوا منه الحمل بأربعة وستين دينارًا، فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين، فأحب السلطان عند ذلك الزيادة فى الفوائد، وأن يأخذ ما عند التجار من الفلفل بسعر ما دفع لهم فيه الفرنج، ليبيعه هو على الفرنج بما تقدم ذكره، فمنعهم من بيعهم على الفرنج ليبور عندهم، فيأخذه حينئذ منهم بما يريد.

وفيه أيضا طلب الأمير أقبغا الأستادار الباعة بالقاهرة ومصر ليطرح عليهم السكر، فأغلقوا الحوانيت، وفروا منه، فأعيا الناس شراء الأدوية للمرضى، ولم يكادوا أن يجدوا ما يعللوهم به.

وفى هذا الشهر: شنع الموتان الوحى السريع بالطاعون، والنزلات التى تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان فى أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر هذا فى الأطفال والشباب، ثم فى العبيد والإماء، وأقله فى النساء والرجال. وتجاوز فى مدينة مصر الفسطاط المائتين فى كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز فى القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه فى مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه فى ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية - خاصة - إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثير جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية فى كل يوم نحو المائة. وشمل الوباء عامة البحيرة والغربية والقليوبية.

وفى العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التى بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بُنية كبيرة، فإذا هى كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد فى البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر بوقوع الوباء ببلاد الفرنج.

وفى يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التى صلى عليها، فبلغت ألفين ومائة، ولم يورد فى أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف.

وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثنى عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادى السمك كانوا فى موضع فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر، حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا فى مركب، وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهى راكبة على حمار مكارى، فماتت وهى راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله، حتى بدأ تغير ريحها، فدفنت، ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا، مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سرياقوس، حتى بلغت العدة فى كل يوم نحو المائتين، وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية، حتى كاد يموت فى الكفر الواحد فى كل يوم ستمائة إنسان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصى فى يوم الإثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة، فبلغت عدتهم ألفا ومائتى ميت، سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبية ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولا يردون الديوان أسماءهم.

وفى هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التى تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى، على أن القليل من المرضى هو الذى يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا فى ساعة وأقل منها وعظم الوباء فى المماليك السلطانية - سكان الطباق بالقلعة - الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكا، وشنع الموت بمدينة فوه ومدينة بلبيس، ووقع ببلاد الصعيد الأدنى[1]. وانقطع الوباء من البحيرة والنحريرية، وكثر بمدينة المحلة.

---

(١) الصعيد الأدنى: من البهنسا إلى قرب الفسطاط. انظر معجم البلدان ٤٠٨/٣.

وفى يوم الخميس سابعه: أحصى من صلى عليه من الأموات فى المصليات المشهورة خاصة، فكانوا نحو الألف ومائتى ميت، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد فى ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين، وفى ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط فى يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة، فكانوا ألفا ومائتين وثلاثا وستين، لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة، فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر فى هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوف، فلم يقدر له على تابوت، حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان - مع كثرتهم وشدتهم - على تابوت له، حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر فى يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة، وهى من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه فى يوم الإثنين حادى عشره فى المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن الذى ضبط الكثير، ممن لم يصل عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة فى يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت، ومثل ذلك فى مصلى المؤمنى تحت القلعة، وكان يصلى على أربعين ميتا معا، فما تنقضى الصلاة على الأربعين جميعا، حتى يؤتى بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ميت. واتفق فى هذا الوباء غرائب منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف، ما بين رجل وامرأة، صغير وكبير، ففنوا بالطاعون، حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل، وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا، وأصبحوا، فإلى أن يأخذوا فى دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعا بالحلقة انتقل فى أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات، تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء، وتزايد ازدحام الناس فى طلب الأكفان والنعوش، فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدى وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها فى المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى فى الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون فى طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات فى الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها فى إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التى أدركناها.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفا، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا - هم والناس - على أرجلهم، فدعوا الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفا إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعا، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا، وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وأنه عمل هذا ببلاد المشرق فى وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء يتناقص فى كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد، وببوادى العرب، وبمدينة حماة، ومدينة حمص. ووجد فى بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات، وجد فى كل واحدة منهن كبة فى ناحية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغذاء وتشرب مرة واحدة فى اليوم، ثم هلكت بعد ثلاث.

وفى ليلة الجمعة التاسع والعشرين: منه خرج بعد غروب الشمس بقليل كوكب فى هيئة الكرة، بقدر جرم القمر فى ليلة البدر، فمر بين المشرق والقبلة إلى جهة المغرب، وتفرق منه شرر كثير من ورائه.

شهر رجب، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة، إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل فى ثامن عشر جمادى الآخرة، ودخل فصل الربيع، فشا الموت فى أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة، بعدما كان فى الأطفال والخدم، وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت مددها، بعدما كان الموت وحيا فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع فى هذا الوباء ما لم يعهد مثله إلا فى النادر، وهو خلو دور كثيرة جدًا من جميع من كان بها، حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضا الموت والأمراض فى المماليك السلطانية، بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب الدين، وقد عين كتابة السر، فأخبرنى - رحمه الله - أنه خرج من بين يدى السلطان حتى وجد واحدًا من المماليك خارج القصر، فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسعه: خلع على الطواشى زين الدين خشقدم[1]، واستقر مقدم المماليك بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت. وخشقدم هذا رومى الجنس، رباه الأمير يشبك وأعتقه، واشتهر فى الأيام المؤيدية شيخ، وترقى حتى عمل نائب المقدم، وعرف بالمهابة والحرمة الوافرة.

وفى سادس عشره: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى من سجنه بدمياط، فرسم أن يتوجه من قليوب إلى دمشق، ليكون أتابك العساكر بها، فتوجه إليها.

وفى ثالث عشرينه: خلع على بدر الدين حسن بن القدسى، واستقر فى مشيخة الشيخونية بعد موت صدر الدين أحمد بن محمود العجمى.

وفى هذه الأيام: انحل سعر الغلال، وقد دخلت الغلة الجديدة، فأبيع الشعير بتسعين درهما الأردب، والقمح بمائتين وما دونها، وكثر الإرجاف بحركة قرايلك على البلاد الفراتية وأن شاه رخ بن تيمور شتا على قراباغ، فأخذ السلطان فى تجهيز العسكر للسفر.

---

(١) خُشْقَدم بن عبد الله البَشْبُكِي (٨٥٦ هـ = ١٤٥٢ م)، الطوشى الرومى، الأمير زين الدين، مُقَدمْ المماليك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباى. أصله من خدام تغرى بردى الأتابكى اشتراه فى نيابته بحلب، ثم قدمه فى جملة خدام ومماليك إلى أستاذه الملك الظاهر برقوق فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأنعم به الملك الظاهر على مملوكه الأمير فارس حاجب بالديار المصرية، ثم انتقل من ملك فارس المذكور إلى ملك الأمير يشبك الشعبانى فأعتقه يشبك المذكور، وبه عرف باليشبكى، واستمر خشقدم هذا فى خدمة أستاذه يشبك إلى أن قتل هو والأمير جاركس القاسمى المصارع بيد نوروز الحافظى بالقرب من بعلبك. فى سنة عشرة وثمانمائة عاد إلى خدمة تغرى بردى الأتابكى وصار عنده مقدم المماليك، واستمر على ذلك إلى أن توفى تغرى بردى المذكور فى نيابته الأخيرة بدمشق فى سنة خمس عشرة وثمانمائة، اتصل بخدمة السلطان الملك المؤيد، وصار من جملة الجمدارية الخاص، إلى أن جعله الملك الظاهر ططر نائب مقدم المماليك السلطانية «فاستمر فيها سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى تقدمة المماليك السلطانية» بعد موت الأمير الطواشى افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوى فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وولى النيابة من بعده الطواشى الرومى فيروز الركنى، فاستمر خشقدم فى وظيفته إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة. وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده. ثم وقع بين الملك العزيز وبين الأتابك حقمق عند خلع الملك العزيز وسلطنة حقمق وقعة، فكان خشقدم هذا من حزب الملك العزيز هو ونائبه فيروز. فلما تسلطن الملك الظاهر حقمق قبض عليهما مع من قبض عليه من الأمراء، وحبسهما بثغر الإسكندرية، فدام خشقدم هذا فى الحبس مدة، ثم نقل إلى القدس، ثم المدينة الشرفية، ثم عاد إلى القاهرة. ودام بها بطالا إلى أن توفى فى شوال سنة ست وخمسين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٠٥ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٨٥، النجوم ٧/ ٤٧، الوافى ١٣/ ٣١٧.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: منع نواب القضاة من الحكم، ورسم أن يقتصر الشافعى على أربعة نواب، والحنفى على ثلاثة، والمالكى والحنبلى كل منهما على نائبين، فما أحسن هذا إن تم.

وفى يوم الإثنين ثامنه: أدير محمل الحاج على العادة، ولم نعهده أدير قط فى شعبان، وإنما يدار دائما فى نحو نصف من شهر رجب، غير أن الضرورة بموت المماليك الرماحة اقتضت تأخير ذلك، حتى أن معلمى اللعب بالرماح أخذوا فى تعليم من بقى من المماليك ما عرفوا منه كيف يمسك الرمح، فكان الجمع فيه دون العادة.

وفى ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين يوسف بن أحمد التزمنتى - المعروف بابن المجير - أحد فضلاء الشافعية، واستقر فى مشيخة الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء. وكان قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن المحمرة قد استنابه فيها. واستقر أيضا بدر الدين محمد بن عبد العزيز - المعروف بابن الأمانة - أحد خلفاء الحكم الشافعى فى تدريس الشافعية بالشيخونية، وكان ابن المحمرة قد استنابه عنه، فاستقل كل منهما بالوظيفة عوضا عن مستنيبه بحكم إقامته على قضاء دمشق. وخلع أيضا على أمين الدين يحيى بن محمد الأقصراى، واستقر فى مشيخة الأشرفية المستجدة، وتدريس الحنفية بها، عوضا عن كمال الدين محمد بن الهمام لرغبته عنها، تعففا وزهادة.

وفى هذا الشهر: انحطت الأسعار فأبيع القمح بمائة وخمسين درهما الأردب فما دونها، والشعير بتسعين فما دونها، والفول بسبعين درهما فما دونها. وبلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وثمانين درهما، والأفرنتى إلى مائتين وستين.

وفيه كثر الاستعداد لسفر السلطان.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: قرر السلطان فى جامعه المستجد بجوار قيسارية العنبر من القاهرة دروسا ثلاثة، فجعل مدرس الشافعية شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى. وقرر عنده عشرين طالبا، وجعل مدرس المالكية عبادة بن على بن صالح الزرزارى، مولده سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وعنده عشرة من الطلبة وجعل مدرس الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشى، ومعه عشرة من الطلبة. ومولد عبد الرحمن الزركشى فى تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. وسمع على محمد بن إبراهيم البنانى صحيح مسلم.

وفى يوم السبت ثامن عشره: قدم كاتب السر بحلب، شهاب الدين أحمد بن صالح ابن السفاح، باستدعاء ليستقر فى كتابة السر بديار مصر، ويستقر عوضه فى كتابة السر بحلب ابنه زين الدين عمر، على أن يحمل عشرة آلاف دينار. وكانت كتابة السر قد شغرت بعد موت السيد الشريف شهاب الدين، فباشر أخوه عماد الدين أبو بكر أياما قلائل، ومات فباشر شرف الدين أبو بكر الأشقر نيابة حتى يلى أحد، وسعى فيها جماعة، فاختار السلطان ابن السفاح، وبعث فى طلبه وخلع عليه فى عشرينه.

وفى ثالث عشرينه: قدم رجل أدعى أنه شريف - اسمه هاشم - بكتاب شاه رخ ابن تيمور، ومعه هدية هى عدة قطع فيروزج، ولم يختم الكتاب، ولا كتب فيه بسملة، بل ابتدأه بقوله تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾**[1] إلى آخر السورة، وخاطب السلطان فيه بالأمير برسباى، وأبرق وأرعد.

وفى تاسع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة ستة أذرع وثلاثة أصابع.

شهر شوال، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر وعامة المبيعات من الغلال واللحوم والفواكه رخيصة جدا.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: برز محمل الحاج وكسوة الكعبة إلى الريدانية خارج القاهرة. فرحل الركب الأول فى ثانى عشرينه، ورحل المحمل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة خمسة وعشرين إصبعا من الذراع التاسعة، ولم يناد عليه من الغد، فتوقفت الزيادة، ثم نودى عليه من يوم الأحد.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: قدم المماليك السلطانية من التجريدة إلى الرها. وخلع على سليمان بن عذراء بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، واستقر أمير الملأ عوضا عن مدلج بن نعير، وعمره نحو خمس عشرة سنة.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم رسول شاه رخ أيضا بكتابه.

---

(١) سورة الفيل آية (١).

وفى ثالثه: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، واستقر أستادارًا عوضا عن الأمير علاء الدين آقبغا الجمالى مضافا إلى الوزارة.

وفى سادس عشره: قبض على آقبغا الجمالى، وعوقب على المال.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره – وخامس عشر مسرى –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج. ولم يركب لذلك منذ تسلطن إلا هذه السنة.

وفى رابع عشرينه: خلع على آقبغا الجمالى وأخرج لكشف الجسور.

وفى سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة سبعة عشر ذراعا، وتسعة أصابع.

وفيه نقص النيل لتقطع الجسور، من فساد عمالها، فتوقفت الزيادة.

وفى ليلة السبت خامس عشره: ظهر للحجاج – وهم سائرون من جهة البحر الملح. – كوكب يرتفع ويعظم، ثم يفرع منه شرر كبار، ثم اجتمع. فلما أصبحوا اشتد عليهم الحر فهلك من المشاة ثم من الركبان عالم كثير، وتلف من جمالهم وحميرهم عدد عظيم، وهلك أيضا فى بعض أودية ينبع جميع ما كان فيه من الإبل والغنم، كل ذلك من شدة الحر والعطش.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فيه نودى على النيل برد النقص وزيادة ثلاثة أصابع، لتتمة سبعة عشر ذراعا ونصف.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: نزل السلطان من قلعة الجبل إلى بيت ابن البارزى المطل على النيل، وقدم بين يديه فى النيل غرابان حربية، فلعبا كما لو حاربا الفرنج، ثم ركب سريعا، وعاد إلى القلعة.

وفى عاشره: توجه عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش ومدبر الدولة فى جماعته لزيارة القدس.

وفى عشرينه – الموافق لثانى عشر توت –: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة تسعة عشر ذراعا وعشر أصابع ولم يناد عليه من الغد، ونقص عشر أصابع لتقطع الجسور.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بهلاك من هلك من العطش.

وفى تاسع عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس.

وفى سلخه: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبعين.

وفى هذا الشهر: توجه الأمير قصروه نائب حلب والأمراء المجردون من مصر بمن معهم لمحاربة قرقماس بن حسين بن نعير، فلقوا جمائعه تجاه قلعة جعبر[1] وقد أخلى الجليل، فأخذ العسكر فى نهب البيوت، فخر عليهم العرب فقتلوا كثيرا منهم، وفيهم أتابك حلب، وسلبوهم، فعادوا إلى حلب بأسوأ حال.

فكانت هذه السنة ذات مكاره عديدة من أوبئة شنعة، وحروب وفتن، فكان بأرض مصر - بحريها وقبليها - وبالقاهرة ومصر وظواهرهما، وباء مات فيه - على أقل ما قيل - مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلى والوجه البحرى، وهم مثلى ذلك، وغرق ببحر القلزم فى شهر ذى القعدة مركب فيه حجاج وتجار يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاثة رجال، وهلك باقيهم، وهلك فى ذى القعدة أيضا بطريق مكة - فيما بين الأزلم وينبع - بالحر والعطش ثلاثة آلاف ويقول المكثر خمسة آلاف، وغرق بالنيل فى مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء، هلك فيه خلائق لا يحصى عددها إلا الله تعالى. وكان ببلاد المشرق بلاء عظيم، وهو أن شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، قدم إلى توريز فى عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف. فأقام على خوى[2] نحو شهرين، وقد فر منه إسكندر بن قرا يوسف، فقدم عليه الأمير عثمن بن طر على - المعروف بقرايلك التركمانى - صاحب آمد فى ألف فارس، فبعثه على عسكر لمحاربة إسكندر، وسار فى إثره، وقد جمع إسكندر جمعا يقول المجازف إنهم سبعون ألفا، فاقتتل الفريقان خارج توريز، فقتل بينهما آلاف من الناس، وانهزم إسكندر وهم فى أثره يقتلون ويأسرون وينهبون فأقام إسكندر ببلاد الكرج، ثم نزل بقلعة سلماس، وحصرته العساكر مدة، فنجا منهم، وجمع نحو الأربعة آلاف، فبعث إليه شاه رخ عسكرا أوقعوا به وقتلوا من معه، فنجا بنفسه جريحا.

---

(١) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفين التى كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنهما. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٠.

(٢) خوى: إحدى مدن أذربيجان. انظر تقويم البلدان.

وفى مدة هذه الحروب ثار أصبهان بن قرا يوسف، ونزل على الموصل ونهب تلك الأعمال، وقتل وأفسد فسادا كبيرا، وكانت بعراقى العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل، بحيث أن شاه محمد بن قرا يوسف - متملك بغداد - من عجزه لا يتجاسر على أن يتجاوز سور بغداد، وخلا أحد جانبى بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك، وجف أكثر النخل من أعمالها، ومع هذا كله، فوضع شاه رخ على أهل توريز مال الأمان، حتى ذهبت فى جبايته نعمهم، ثم جلاهم بأجمعهم إلى بلاده، وكثر الإرجاف بقدومه إلى الشام، فأوقع الله فى عسكره الغلاء والوباء حتى عاد إلى جهة بلاده، وعاد قرايلك إلى ماردين فنهبها، ونهب ملطية وما حولها إلى عينتاب وحرقها.

وكان ببلاد السراى والدشت وصحارى فى هذه السنة والتى قبلها قحط شديد، ووباء عظيم جدا، هلك فيه عالم كبير، بحيث لم يبق منهم ولا من أنعامهم إلا أقل من القليل. وكان ببلاد الحبشة بلاء لا يمكن وصفه، وذلك أنا أدركنا ملكها داود بن سيف أرعد بن قسطنطين - ويقال له الحطى - ملك أمحرة، وهو وهم نصارى يعقوبية. فلما مات فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، قام من بعده ابنه تدرس بن داود، فلم تطل مدته، ومات. فملك بعده أخوه أبرم، ويقال له إسحاق بن دواد بن سيف أرعد، وفخم أمره، وذلك أن بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام ترقى فى الخدم، وعرف بألطنبغا مغرق، حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد، ثم فر إلى الحبشة واتصل بالحطى هذا، وعلّم اتباعه لعب الرمح، ورمى النشاب وغير ذلك من أدوات الحروب، ثم لحق بالحطى أيضا بعض المماليك الجراكسة - وكان زرد كاشا - فعل له زرد خاناه ملوكية، وتوجه إليه مع ذلك رجل من كُتاب مصر الأقباط النصارى - يقال له فخر الدولة - فرتب له مملكته، وجبى الأموال وجند له الجنود، حتى كثر ترفه، بحيث أخبرنى من شاهده وقد ركب فى موكب جليل وفى يده صليب من ياقوت أحمر، وقد قبض عليه ووضع يده على فخذه، فصار يبين ويظهر لهذا الصليب الياقوت طرفان كبيران من قبضته، فشرهت نفسه إلى أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها، فبعث بالتوريزى التاجر ليدعو الفرنج للقيام معه، وأوقع فى بمن مملكته من المسلمين، فقتل منهم وأسر وسبى عالما عظيما. وكان ممن أسر منصورًا ومحمدًا، ولدى سعد الدين محمد بن أحمد على بن وَلَصْمَع الجبرتى - ملك المسلمين بالحبشة، فعاجله الله بنقمته، وهلك فى شهر ذى القعدة، فأقيم بعده ابنه اندراس بن إسحاق، فهلك لأربعة أشهر، فأقيم بعده عمه حَزْبناى بن داود بن سيف أرعد، فهلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين، فأقيم بعده

ابن أخيه سلمون بن إسحاق بن داود بن سيف أرعد، فكانت على أمحرة أربعة ملوك فى أقل من سنة.

وفى هذه المدة: ثار جمال الدين ابن الملك سعد الدين محمد بن أحمد بن على بن ولصمع الجبرتى. وذلك أن سعد الدين محمد لما قام بأمر المسلمين أكثر من محاربة النصارى، واتسعت مملكته، وحارب الحطى غير مرة حتى استشهد بعد سنة عشر وثمانمائة، فتمزق أصحابه، وذهب ملكه، ولحق أولاده بزبيد، فأكرمهم ملك اليمن، ثم عادوا إلى الحبشة بعد سنين، فقام بالأمر صبر الدين على بن سعد الدين مدة ثمانى سنين، ومات، فقام من بعده أخوه منصور بن سعد الدين بأمر المسلمين فى بلاد الحبشة، وحارب الحطى مرارًا آخرها فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، وقد سار إليه فى عدد جم، وأوقع بالنصارى واقعة شنعاء، قتل فيها وأسر وسبى عالما كبيرا، بحيث كان عدة من أسر عشرة آلاف، ورجع مظفرا منصورًا، فسار عليه الحطى فى آلاف كثيرة وواقعه، فقتل من أمحرة أتباع الحطى خلق كبير، و لم يقتل من المسلمين سوى دون العشرين رجلا، إلا أنه وقع فى قبضة الحطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد منصور بن سعد الدين[1]، وأخوه محمد، وانهزم المسلمون، فقيدهما ورجع إلى مقر ملكه، وقد كاد يطير

---

(١) إسحاق بن داود بن يوسف أرعد، ملك الحبشة، وصاحب أمحر الملقب بالحطىء (٨٣٣ هـ، ١٤٣٠م). قال المقرزى فى «الإلمام» ص: ٤ وما بعدها. أدركنا أبا داود، وقدمت رسله بكتابه وهديته إلى الملك الظاهر برقوق، وهلك سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وقد طالت مدته فأقيم بعده ابنه تَدْرُوس وهلك سريعا، فأقيم من بعده أخوه إسحاق، وفخم أمره، وذلك أن بعض المماليك الأتراك أو الجراكسة كان يسمى ألطنبغا مغرق فر إليه وحظى عنده لما يتقنه من الآلات الحربية وأدوات القتال كاللعب بالرمح ورمى السهام ونحو ذلك، ولحق به أيضا زردكاش من المماليك الجراكسة فعمل له زردخاناة عظيمة، وتعلم عسكره أنواعا من صنائع الحرب، ثم قدم عليه رجل من كتاب مصر النصارى يعرف بفخر الدولة، فرتب له مملكته وجبى له الأموال، فصار ملكا بعدما كانت مملكته ومملكة أبائه همجا، ولا ديوان لها ولا قانون، فانضبطت عنده الأمور، وتميز زيه عن رعيته، بحيث أخبرنى من شاهده وهو راكب وفى يده صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه بيده اليمنى، ووضعها على فخذه، وطرفا الصليب بارزان عن يده، وذلك بعدما أخبرنى برهان الدين إبراهيم الدمياطى، وكان الظاهر برقوق بعثه رسولا إلى الحطى داود بن يوسف أرعد، أنه لا يزال عريانا، حاسر الرأس، وأنه يعصب رأسه بعصابة حمراء، وانه شاهده وقد جئ إليه بكرش بقوة قد نفض منها ما فيها من الفرث ولم تغسل على نار فصار يأكلها نيئة وما بقى بها من الفرث يسيل من جانبى فمه. فلما كبرت مملكة إسحاق وسوس إليه شياطينه بأخذ ممالك الإسلام فأوقع بمن فى ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة، قتل منهم فيها وسبى وأسر مما لا يحصيهم إلا الله خالقهم، فأزال دولة سعد الدين وأسر ابنه منصور أبو محمد، وكتب إلى بلاد الفرنج من بها من الفرنج على «المسير إلى=

فرحا، فلما قرب من مدينة الملك، أركب الملك المنصور كهيئته فى مملكته، وسار فى العساكر به حتى دخل المدينة، فأنزله وأخاه محمدا بدار وأجرى لهم ما يليق بهما، ووكل بهما الحرس، فقام بأمر المسلمين بعد منصور أخوه جمال الدين بن سعد الدين، فلما مات الحطى إسحاق بن داود جمع جمال الدين المسلمين وأغار على بلاد أمحرة، فدوخ تلك البلاد، وقتل وأسر وسبى عالما عظيما، واستسلم منهم أمما كثيرة، فأقر كل من أسلم ببلاده، وولى عليهم من قبله، فاتسع نطاق مملكته، وقويت عساكره، وكثرت أموالهم، وبعث بالسبى إلى الآفاق، فكثر الرقيق من العبيد والإماء ببلاد اليمن والهند وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم، وظهر من ثبات جمال الدين وشجاعته وصرامته ومهابته وعدله ما يتعجب منه، بحيث أن بعض أولاده الصغار لعب مع صبيان من الحبشة، فضرب منهم صبيا كسر يده، فكتموا ذلك عنه مدة ثم بلغه الخبر، فجمع أعيان الدولة ولامهم على كتمان خبر ولده عنه، ثم أمر بولده فجيء به محمولا على الكتف لصغره حتى يقتص به، فقام إليه الأعيان بأجمعهم يشفعون فيه ويلتزمون بإحضار أولياء الغريم، فلم يقبل شفاعتهم فيه، فأحضروا أبا الصبى وأهله، فأسقطوا حقهم، وتضرعوا إليه جهدهم فى العفو عن ولده، فلم يجبهم، وأخذ ابنه بيده، ومد يَدَهُ على حجر، وضرب عضده بحديدة، فكسره، والأعيان قيام يبكون لبكاء الصغير، وهو يقول له: «تألم كما آلمت هذا الصغير». ثم سار به الخدم وهو يصيح من الألم إلى أمه، حتى تمرضه فكان يوما مهولا، ولم يجسر بعد ذلك أحد فى مملكته أن يظلم أحدًا. وله من هذا النمط عدة أخبار، مع العفة والنسك والاستبداد بجميع أموره، وأمور مملكته، ووفور الحرمة، وقمع أهل الفساد، وإزالة المنكرات، فالله يؤيده بعونه.

وأما بلاد المغرب، فإن متملك فاس أبا زيد عبد الرحمن حفيد السلطان أبى سالم إبراهيم، ثار عليه السعيد أبو عبد الله محمد المعروف بالجبلى ابن أبى عامر عبد الله بن أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بنِ أبى الحسن، فى أوائل سنة ثمان وعشرين، وملك فاس، وقتله، وخرج إلى الشاوية فقتلوه، وأقيم ولده أبو عبد الله محمد، فقام الوزير صالح وبايع الناصر أبى على بن أبى سعيد عثمان، فقدم أبو عمرو بن السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن من إفريقية، وملك فاس، ثم فر، فأعيد الناصر

=بلاد» المسلمين ليوافوه بالبحر إذا قدم هو فى البر، وواعدهم على ذلك فعاجله الله بنفسه وأهلكه عقيب ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأيد عليه وعلى قومه - أمحرة النصارى - جمال الدين بن سعد الدين محمد فجمع من المسمين طائفة وقام يعيث فى بلاد الحطى ويسبى ويغنم. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٥٨ وما بعدها.

أبو على، فعالجه أخوه أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد[1] وملك فاس بعد قتال فى آخر شهر رجب، سنة ثلاث وثلاثين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

ولى الدين محمد بن الدمياطى فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول، وقد تجاوز الثمانين، ولى وكالة بيت المال ونظر الكسوة فى الأيام الناصرية، ثم تعطل حتى مات، وكان قليل الشر.

ومات شرف الدين أبو الطيب بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله فى ليلة الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، ومولده فى ليلة السبت خامس عشرين شهر ذى القعدة، سنة سبع وتسعين وسبعمائة. وكتب فى الأنشاء، وولى نظر وقف الأشراف ونظر الكسوة، ودار الضرب، فشكرت سيرته.

ومات كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف بابن كاتب جكم، ناظر الخاص، فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول. خدم أبوه بكتابة الديونة حتى باشر ديوان الأمير جكم، وترقى ابنه كريم الدين فى الخدم الديوانية، وباشر استيفاء الدولة ثم نظر الدولة ثم نظر الخاص. وكان مشكورا، فيه خير وبر، وله صدقات كثيرة.

ومات الأمير أزبك الدوادار بالقدس، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الأول، وهو أحد مماليك الظاهر برقوق. وكان غير مشهور بارتكاب الفواحش.

ومات الأمير كمشبغا الفيسى بدمشق فى رابع عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد الأمراء الناصرية فرج. وكان بها أمير أخور، ثم انحطت رتبته فى الأيام المؤيدية، وأخرج إلى الشام ولم يشهر بشىء من الخير.

ومات الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمودى بثغر الإسكندرية، فى ليلة الخميس آخر شهر جمادى الأولى، هو وأخوه إبراهيم، وحملا إلى القاهرة، بعدما دفنا بالثغر، فقدما فى يوم الإثنين نصف شعبان، ودفنا بجوار أبيهما فى القبة من الجامع المؤيدى، ولم يبق للمؤيد بعدهما ولد ذكر.

---

(١) المرينى (٨٦٩ هـ = ١٤٦٥ م). عبد الحق بن عثمان بن أحمد، أبو محمد المرينى: آخر ملوك بنى مرين، من بنى عبد الحق بالمغرب. قال السلاوى. وهو أطولهم مدة. وأعظمهم محنة وشدة ولى بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٣ هـ. انظر الاستقصا ١٤٩/٢، جذوة الاقتباس ٢٧٤، ٣٣٦، لقط الفرائد - خ - الضوء اللامع ٣٧/٤ ابن إياس ١٥٣، سلوة الأنفاس ١٦٨/٣. الأعلام ٢٨١/٣.

ومات الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى محمد بن حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان ابن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، أمير مكة، وهو بالقاهرة، مطعونا، فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة. وكان قد توجه بعد عزله إلى بلاد المغرب، فأكرمه أبو فارس عبد العزيز صاحب تونس، ثم عاد فطالت عطلته وإقامته بالقاهرة. وكان جميل المحاضرة، له معرفة بالأدب.

ومات الأمير بيبغا المظفرى، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية، وترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوف فى الأيام الناصرية فرج، ونكب وسجن مرارا، وعمل أتابك العساكر، وكان تركى الجنس، قوى النفس، لم يبك منه على دين ولا دنيا.

ومات الأمير برد بك أحد الألوف، فى يوم الأحد، عاشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى، فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة. وكان يتزيا بزى الأجناد، ويكتب الخط المنسوب، ويحب الأدب وأهل الفضائل، وباشر الحسبة فى الأيام المؤيدية شيخ.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالإسكندرية فى يوم الإثنين حادى عشره؛ وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وأمه أم ولد، اسمها عاقولة.

ومات الأمير زين الدين قاسم ابن الأمير الكبير كمشبغا الحموى، أحد الحجاب، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشره.

ومات الشيخ يحيى سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى، الحنفى، شيخ الظاهرية المستجدة، بين القصرين. وكان من أعيان الفقهاء الحنفية، وفضلائهم، أفتى ودرس عدة سنين.

ومات الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم أبى العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر العباسى بالإسكندرية، فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة، ولم يبلغ الأربعين وترك ولدًا ذكرًا اسمه يحيى. وكان خيرًا دينا هينا لينا، حشما وقورًا، إلا أن الأيام لم تسعده، والأقدار لم تساعده.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى، فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه. وقد ترشح للسلطنة بعد أبيه، فدفن على أمه بالأشرفية المستجدة بالقاهرة.

ومات الأمير الطواشى مرجان الهندى الخازندار، فى سادس عشرين جمادى الآخرة، وبلغ فى أيام السلطان الملك المؤيد شيخ مبلغا كبيرًا من التمكن فى الدولة، ثم انحط بعد موته.

ومات الأمير زين الدين عبد القادر أستادار ابن الأمير الوزير أستادار فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير أستادار عبد الرزاق بن أبى الفرج، فى يوم الأربعاء سابع عشرينه، ودفن على أبيه بمدرسته، وكان ساكنا لينا محبا لأهل الخير.

ومات السلطان الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، فى ليلة الخميس ثامن عشرينه، وانقرض بموته عقب ططر.

ومات السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسينى كاتب السر، فى ليلة الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة. ومولده فى سابع شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق. ونشأ بها، وولى كتابة السر، وقضاء القضاة الشافعية، ونظر الجيش بها، ثم طُلب وولى كتابة السر بديار مصر، فسار فيها أجمل سيرة ، رحمه الله.

ومات تقى الدين يحيى بن العلامة شمس الدين محمد الكرمانى الشافعى، فى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة، وكان فاضلا فى عدة فنون، قدم من بغداد قبل سنة ثمانمائة، وأشهر شرح أبيه على البخارى، وصحب الأمير شيخ المحمودى، وسافر معه إلى طرابلس لما ولى نيابتها، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن، وقدم معه القاهرة، فلما تسلطن، عمله ناظر المارستان المنصورى. وكان ثقيل السمع.

ومات الشريف سرداح بن مقبل بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيزة قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى آخر جمادى الآخرة، وولى أبوه مقبل ابن نخبار إمرة ينبع مدة، ثم وثب عليه ابن أخيه عقيل بن وبير بن نخبار وحاربه بأهل الدولة فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ثم قبض عليه وحمل إلى سجن الإسكندرية، فمات به، وكحل ابنه سرداح هذا حتى تفقأت حدقتاه وسالتا، وورم دماغه، ونتن.

فتوجه بعد مدة من عماه إلى المدينة النبوية، ووقف عند قبر المصطفى ﷺ وشكا ما به، وبات تلك الليلة، وأصبح وعيناه أحسن ما كانتا. وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ، فمسح عينيه بيده المقدسة، فانتبه وهو يبصر، واشتهر ذلك عند أهل المدينة، ثم قدم القاهرة، فشق ذلك على السلطان وأغضبه، واستدعى الذين تولوا كحله، وسمل عينيه، وضربهما. فأقاما عنده من أخبره بمشاهدة الميل وقد أُحمى فى النار ثم كحل به فسألت حدقتاه بحضورهم، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم رأوه ذاهب الحدقتين، وأنه أصبح عندهم وهو يبصر، وقص عليهم رؤياه، فترك حاله حتى مات بالطاعون، فضم - أعزك الله - هذه إلى قضية عجلان بن نعير وأخواتها، وتنبه بها لإكرام الله تعالى لآل بيت نبيه ﷺ عساك تقوم لهم ببعض ما يجب من حقوقهم، إن وفقك الله لذلك.

ومات الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن البرهان إبراهيم بن عبد الله بن داود ابن أبى الفضل بن أبى المنى بن أبى البيان الدواداری الإسرائيلى فى أول شهر رجب، وقد أناف على التسعين.

ومات الأمير الطواشى فخر الدين ياقوت مقدم المماليك، فى يوم الإثنين ثانى شهر رجب. وكان حبشى الجنس، وشهرته جميلة.

ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان، فى رابع رجب، وهو أحد الأمراء الألوف.

وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، فى رابع رجب، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وتزوجها الظاهر برقوق بكرا، وحظيت عنده حتى مات. وهى آخر نسائه موتا، ولم تعقب.

ومات الشيخ نصر الله بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمى، فى ليلة الجمعة سادس رجب. وكان قدم القاهرة بعد الثمانمائة على قدم التجريد، فصحب الأمراء حتى كثر ماله، وعين لكتابة السر، وكان يكتب الخط المنسوب، ويتكلم فى علم التصوف على طريقة ابن العربى، وله مشاركة فى فنون وعدة مصنفات.

ومات فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن السديد، أبى الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق فى ليلة الخميس ثانى عشر رجب. وولى كتابة السر ونظر الجيش فى الأيام الناصرية، ثم ولى نظر الإصطبل، وتعطل بعد ذلك مدة.

ومات الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى فى ليلة

الجمعة ثالث عشر رجب، و لم يبلغ الأربعين. وكان قد قدم على أخيه السيد شهاب الدين أحمد، فوقع الوباء ومات أخوه، فباشر بعده، وتعين لكتابة السر، فقافصته المنايا، وعاجله ريب المنون، ومات رحمه الله.

ومات الشيخ زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض القمنى، فى ليلة الجمعة ثالث رجب، عن نحو الثمانين، وقد صار من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم، مع الديانة والنسك، رحمه الله.

ومات أبو مسلم هابيل بن الأمير عثمن بن طر على - المعروف بقرايلك التركمانى - فى يوم الجمعة ثالث عشر رجب، وهو مسجون.

ومات صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن محمد بن عبد الله القيصرى - المعروف بابن العجمى [(١)] - فى يوم السبت رابع عشر رجب. وقد ولى الحسبة بالقاهرة مرارًا، وولى نظر الجيش بدمشق، وكان من فضلاء الحنفية، وله معرفة جيدة بالنحو.

---

(١) أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله، العلامة صدر الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين القيصرى العجمى الحنفى، الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة، وشيخ الشيخوخة. مولده بالقاهرة وبها نشأ وطلب العلم، ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان وغير ذلك، وأفتى ودرس، وكان معدودا من فقهاء الحنفية الأذكياء الفضلاء، وتولى عدة وظائف: نظر حيش دمشق، وحسبة القاهرة غير مرة، ونظر الجوالى ومشيخة الشيخونية دينية. وكان عنده حذق وذوق ومحاضرة حسنة، وكرم وتواضع، مع بلاغة وفصاحة عبارة، وإقدام وطلاقة لسان، بحاثا مستحضرا ذكيا، وكان يجالس الملك المؤيد شيخ وينادمه، مما وقع له من حسن الاستدراك معه أن الملك المؤيد أرسل مرة تجريدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى الصعيد وعليهم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار، فلما كان فى بعض الأيام، وجد الملك المؤيد شيخ مقبوض الخاطر مع جلسائه مهموما، فقيل له فى ذلك، فقال رأيت الليلة فى منامى أن فخر الدين الأستادار مكشوف الرأس فأهمنى ذلك، فلما سمع جلساء المؤيد منه منه ذلك سكت الجميع إلا صدر الدين هذا، فإنه بادر وقال أبشر له بالنصر يا مولانا السلطان، فالتفت إليه المؤيد وقال: وكيف ذلك؟، ومن أين لك هذا؟ قال من قول الشاعر:

نا ابن جلا وطلاع الثنايا ... تى أضع العمامة تعرفونى

فكان يا مولانا السلطان عندهم كشف الرأس علامة النصر، وكذا يجرى إن شاء الله، فاستحسن الملك المؤيد منه ذلك، ووقع بعد أيام كما قال صدر الدين، وانتصر فخر الدين بن أبى الفرج وعاد منصورا، وله من هذا أشياء. توفى بالطاعون فى يوم السبت رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، رحمه الله تعالى. وانظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٨٩/١، والنجوم الزاهرة ١٦٧/١٥، وأنباء الغمر ٤٤٢/٣، والضوء اللامع ٢٢٣/٢، وشذرات الذهب ٢٠٢/٧، ونزهة النفوس ٢١٣/٣.

ومات جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن محمد بن مزهر، فى ليلة الإثنين سادس عشرين رجب، عن نحو عشرين سنة. وولى كتابة السر بعد أبيه، فكان حظه منها الاسم.

ومات زين الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى، فى يوم الأربعاء ثالث شعبان. وولى حسبة القاهرة ونظر البيمارستان المنصورى. وكان من الفقهاء المالكية، وله معرفة بالعربية.

ومات الأمير مدلج بن على بن نعير بن حيار بن مهنا، أمير آل فضل، مقتولا، فى ثانى عشر شوال، بظاهر حلب.

ومات شيخ الرفاعية الشيخ نور الدين على فى العشرين من جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن المعلمة السكندرى، فى سابع شعبان. وولى حسبة القاهرة.

* * *

سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

أهل شهر الله المحرم بيوم الأربعاء: والأسعار رخيصة؛ القمح كل أردبين - وشيء - بدينار، والشعير والفول كل أربعة أرادب بدينار هرجة.

وفى يوم الخميس عاشره - وثانى بابة -: انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا وعشرين إصبعا؛ ونقص من الغد.

وفى ثامن عشره: قدم الأمراء المجردون، وهم قرقماش حاجب الحجاب، وأركماس الدوادار، وبقية الأمراء.

وفى ثالث عشرينه: قدم ركب الحاج الأول، وقدم المحمل ببقية الحاج فى رابع عشرينه، وقد هلك كثير منهم - ومن جمالهم وحميرهم - عطشا فيما بين أكره وينبع، وهم متوجهون إلى مكة.

وفى سابع عشرينه: برز الأمراء المجردون إلى ظاهر القاهرة، وهم الأمير الكبير شارقطلوا، والأمير أينال الجكمى، والأمير تمراز الدقماقى، والأمير أقبغا التمرازى، والأمير مراد خجا، فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، ومن المماليك السلطانية خمسمائة مملوك، وسبب تجردهم أن قرايلك نزل فى أول هذا الشهر على معاملة ملطية فنهبها وحرقها، وحصر ملطية، فخرج إليه الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام بالعساكر الشامية، وأردف بالعسكر المذكور.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم بعود الأمراء والمماليك المجردين فرجعوا من خانكاه سرياقوس، واستعيدت منهم النفقات التى أنفقت فيهم، فاحتاجوا إلى رد الأمتعة والأزواد على من ابتاعوها منهم، واحتاجوا إلى استعادة ما أنفقوه على غلمانهم، وقد تصرف الغلمان فيما أخذوه، فاشتروا منه احتياجهم، ودفعوا منه إلى أهاليهم، فنزل من أجل هذا بالناس ضرر كبير.

وفى هذا الشهر: نزل الفول إلى خمسين درهما الأردب، والشعير إلى ستين درهما الأردب، والقمح إلى مائة وثلاثين درهما الأردب. هذا والذهب بمائتين وثمانين درهما الدينار.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب جليل

ملوكى، احتفل له، ولبس قماش الركوب كما كان يلبس الظاهر برقوق، وهو قباء أخضر بمقلب أحمر، وعلى رأسه كلفتاه، وجر الجنائب، وصاحت الجاويشية وهو سائر، وحوله الطبردارية، حتى عبر من باب زويلة، فشق القاهرة وخرج من باب الشعرية يريد الصيد، فبات ليلة الثلاثاء وعاد يوم الثلاثاء آخر النهار. ولم يركب منذ تسلطن للصيد سوى هذه الركبة.

وكانت الدراهم الأشرفية التى يتعامل الناس بها فى القاهرة ومصر، ويصرف كل درهم منها بعشرين من الفلوس - زنتها رطل وأوقية وثلث أوقية - قد كثر فيها أنواع من الدراهم، وهى البندقية ضرب الفرنج، والقرمانية ضرب بنى قرمان أصحاب الروم، واللنكية ضرب بلاد العجم، والقبرسية ضرب قبرس، والمؤيدية التى ضربت فى الأيام المؤيدية شيخ، والدراهم الزغل وهى عمل الزغلية [1] فترد عند النقد لكثرة ما فيها من الغش، فنودى فى يوم الأحد رابع عشرينه أن لا يتعامل بشىء من الدراهم سوى الأشرفية. وكان قد نودى بمثل ذلك فيما تقدم، وعمل به الناس مدة، ثم ترخصت الباعة فى التعامل بها كلها، لما جمعوه منها فى أيام النهى عنها، حتى مشت فى أيدى الناس، وتعاملوا بها، فلما نودى بالمنع منها عاد الأمر كما كان، فخسر أناس عدة خسارات، وأخذت الباعة وغيرها فى جمعها لتتربص بها مدة، ثم تخرجها شيئا فشيئا، لعلمهم أن الدولة لا تثبت على حال، وأن أوامرها لا تمضى.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان للصيد، ورمى الجوارح، وعاد من الغد. وتكرر ركوبه لذلك مرارا.

وفى هذا الشهر: توقف التجار فى أخذ الذهب، من كثرة الإشاعة بأنه ينادى عليه، فنودى فى يوم السبت سلخه أن يكون سعر الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثلاثين، والمشخص بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد على ذلك بأن يسبك فى يده، فعاد الضرر فى الخسارة على كثير من الناس، لانحطاط سعر الدينار خمسين درهما.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى رابعه: جمع الصيارفة والتجار، وأشهد عليهم أن لا يتعاملوا بالدراهم القرمانية، ولا الدراهم اللنكية، ولا القبرسية، وأن هذه الثلاثة أنواع تباع بالصاغة على حساب وزن كل درهم منه بستة عشر درهما من الفلوس، حتى يدخل بها إلى دار الضرب، وتعمل دراهم أشرفية خالصة من الغش، ونودى بذلك وأن تكون المعاملة بالدراهم

---

(١) على هامش ط: الزغلية هم المزيفون.

الأشرفية والدراهم المؤيدية، والدراهم البندقية، فإن هذه الثلاثة فضة خالصة ليس فيها نحاس، بخلاف الدراهم التى منع من المعاملة بها، فإن عشرتها إذا سبكت تجىء ستة، لما فيها من النحاس. واستقر الذهب الأشرفى بمائتين وثمانين، والأفرنتى بمائتين وسبعين، وأخذت الدنانير الأفرنتية فى القلة، لكثرة ما يسبك منها فى دار الضرب، وتعمل دنانير أشرفية، فإنها بوزن الأفرنتية، وسعرها عشرة دراهم على الأفرنتى.

وفى تاسعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من الغد.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والسلطان والأمراء فى الاهتمام بحركة السفر لمحاربة قرايلك، والأسعار رخيصة جدا.

وفى سادسه: برز الأمير شاهين الطويل - أحد الأمراء العشرات - ليسير إلى طريق الحجاز، ومعه كثير من البناة والحجارين والآلات والأزواد والأمتعة، لإصلاح المياه التى فيما بين القاهرة ومكة، وحفر آبار فى المواضع المعطشة، فساروا فى نحو المائة بعير.

وفى سابعه: نودى بأن الفضة على ما رسم به، وأن لا يتعامل بالقرمانية ولا اللنكية، وأن الدينار الأشرفى بمائتين وثلاثين، والأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين. وحذر من خالف ذلك، فتزايدت المضرة لكثرة التناقض، وعدم الثبات على الأمر، واستخفاف العامة براعيها، وقلة الاهتمام بما يرسم به.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى سابعه: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة يريد التوجه إلى مكة فسار معه ركب فيه جماعة ممن يريد الحج والعمرة، تبلغ عدة جمالهم نحو الألف وخمسمائة جمل، ثم رفعوا من بركة الحاج فى ثانى عشره، فلما وصلوا إلى الوجه - وكنت فيهم بأهلى - وجدنا فيما بين الوجه وأكره عدة موتى، ما بين رجال ونساء، ممن هلك فى عطشة الحاج، فدفن منهم نحو الألف، وترك ما شاء الله.

وفى رابع عشرينه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وأعيد إلى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى تاسع عشره: عارض ركب المعتمرين رفقة ابن المرة عرب زبيد، فأنخنا فى غير وقت النزول، وكادت الفتنة أن تثور، حتى صولحوا على مائة دينار، قام بها ابن المرة من ماله، و لم يكلف أحد وزن شىء، فلما نزلنا رابغ[1] أهلينا بالعمرة، ونحن على تخوف. وسرنا، فبينما نحن فيما بين الجرينات وقديد[2] أغار علينا، ونحن سائرون ضحى، الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، فى نحو مائة فارس وعدة كثيرة من المشاة، وقاتلنا فقاتله القوم صدرا من النهار، والجمال مناخة بأحمالها، فقتل منا رجلان، ومن العرب نحو العشرة، وجرح كثير، ثم وقع الصلح معه على ألف ومائة دينار أفرنتية، وعلى ثياب جوخ وصوف وعبى بنحو أربعمائة دينار، فكف الناس عن القتال بعدما تعين الظفر لزهير، وبتنا بأنكد ليلة من شدة الخوف، والمال يجبى من كل أحد بحسب حاله، فمنهم من جبى منه مائة دينار، ومنهم من أخذ منه دينار واحد، وحمل ذلك من الغد، وسرنا فقدمنا مكة و لله الحمد فى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، فكانت مدة سيرنا من القاهرة إلى مكة - شرفها ا لله تعالى - ستة وأربعين يوما.

وفى هذا الشهر: استقر جانبك الناصرى الإسكندرية، بعد موت الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واصله من مماليك الأمير يلبغا الناصرى، ثم عمل فى الأيام المؤيدية رأس نوبة المقام الناصرى إبراهيم ابن السلطان، وصار من جملة الأمراء وولى كشف الجسور بالغربية.

وفيه أنذر المنجمون بكسوف الشمس، فنودى بالقاهرة أن يصوم الناس ويفعلوا الخير، فلم يظهر الكسوف، ووقع الإنكار على من أنذر به، ثم قدم الخبر بحدوث كسوف الشمس بجزيرة الأندلس، حتى استولى على جرم الشمس كله، إلا مقدار الثمن منه، وذلك بعد نصف النهار من ثامن عشرينه.

شهر رجب، أوله السبت:

فى سابع عشره: أدير محمل الحاج على العادة.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى حادى عشره: كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر، بجزيرة الأندلس، وبمرج أغرناطة، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاث بلاد

(١) رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور. انظر معجم البلدان ٣/ ١١.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان.

كبيرة فى مرج أغرناطة - وهى بلد همدان[1] وبلد أوطورة وبلد دارما - فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا، وانخسف فى كثير من البلاد عدة مواضع، وسقط نصف قلعة أغرناطة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم، وسقط أعلى منارته، ورؤى حائط الجامع يرتفع ثم يرجع، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، ارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة، فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره، فالتصق جانبا الباب، وانفرج الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان، وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا فى الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم، وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبى عبد الله محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس، وحصره قلعة أغرناطة سبعة أشهر، وقتله الأجناد والرجال حتى فنيت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة الفنشى فجمع عساكره من الفرنج، وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أغرناطة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقلة المال بأغرناطة، وفناء عسكرها فى الفتنة، وموت من هلك فى الزلزلة، وهم زيادة على ستة آلاف إنسان، ونزل الفرنج عليهم، فلقوهم فى يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة، وقاتلوهم يومهم ومن الغد، قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف، وألجأهم العدو إلى دخول المدينة، وعسكر بإزائها على بريد منها، وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف، وقد اشتد الطمع فى أخذها، فبات المسلمون ليلة الأحد فى بكاء وتضرع إلى الله، ففتح عليهم الله تعالى، وألهمهم رشدهم، وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمن بن عبد الحق - شيخ الغزاة - خرج من مدينة أغرناطة فى جمع ألفين من الأجناد، وعشرين ألفا من المطوعة، وسار نصف الليل على جبل الفخار حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة بلادهم، ورفع أمارة فى الجبال يعلم بها السلطان بأغرناطة، فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد، بجميع من بقى عنده إلى الفرنج، فثاروا لحربهم، فولى السلطان بمن معه من المسلمين، كأنهم قد انهزموا، والفرنج تتبعهم، حتى قاربوا المدينة، ثم رفعوا الأعلام الإسلامية، فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى معسكر الفرنج، وألقى فيه النار، ووضع السيف فيمن هنالك، فقتل وأسر وسبى، فلم يدع الفرنج إلا والصريخ قد جاءهم، والنار ترتفع من معسكرهم، فتركوا

(١) همذان: بالتحريك والذال معجمة، وآخره نون كانت همذان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ فى مثلها، وكان فتحها فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه. انظرمعجم البلدان ٥/ ٤١٠ وما بعدها.

أهل أغرناطة ورجعوا إلى معسكرهم، فركب السلطان بمن معه أقفيتهم، يقتلون ويأسرون، فبلغت عدة من قتل من الفرنج ستة وثلاثون ألفا، ولحق باقيهم ببلادهم، بعد ما كادوا أن يملكوا أغرناطة.

وبلغت عدة من أسر المسلمون من الفرنج نحو اثنى عشر ألفا، ويقول المكثر إنه قتل ومات وأسر من الفرنج فى هذه الكائنة زيادة على ستين ألفا. وكان سبب هذه الحادثة أنه وقع بين ملك القطلان صاحب برجلونة، وبين ملك قشتالة[١] صاحب أشبيلية[٢] وقرطبة، فجمع القشتيلى، وسار لحرب القطلانى، حتى تلاقى الجمعان، فمشى الأكابر بين الملكين فى الصلح، فاعتذر القشتيلى بأنه أنفق فى حركته مالا كثيرًا، فأشير عليه بأخذ ما أنفقه من المسلمين، بأن يغزوهم فإنهم قد ضعفوا، وما زالوا حتى تقرر الصلح، ونزل على أغرناطة، وكان ما تقدم ذكره.

وفى شهر رمضان: هذا ابتدأت فى إسماع كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع ﷺ من أول يوم فيه بقراءة - المحدث الفاضل تقى الدين محمد بن محمد بن فهد الهاشمى، بالمسجد الحرام تجاه الميزاب، وكان جمعا موفورا.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى يوم الأربعاء تاسعه - الموافق لسادس عشرين بؤونة -: أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودى عليه من الغد بزيادة ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة.

وفى حادى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية خارج القاهرة، صحبة الأمير قراسنقر، ورفع منها إلى بركة الحجاج، وحج القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، عظيم الدولة ومدبرها، وحجت خوند جلبان زوجة السلطان أم ولده، فى تجمل كبير بحسب الوقت.

وفى هذا الشهر: اتفقت حادثة غريبة، وهو أنه اجتمع بأجران كوم النجار[٣] بالغربية، من الفيران، عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، واقتتلوا من العصر إلى قريب عشاء الآخرة، فوجد من الغد نحو خمسة آلاف فأر ميت، فجمعوا، وأحرقوا، وأفسد الفأر مقاتى البطيخ ونحوه، وأكلوا الغلال وهى فى سنبلها، وأكلوا أكثر ما فى جرون نواحى

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) إشْبِيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها تُسمى حِمْص أيضا. وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عباد. انظر معجم البلدان ١/١٩٥.

(٣) من القرى الغربية القديمة.

الغربية، بحيث أن بعض النواحى لم ترد بذارها. وكان يجتمع فى المواضع الواحد أكثر من ثلاثمائة فأر.

شهر ذى القعدة، أوله الخميس:

فى يوم الإثنين ثانى عشره – الموافق له تاسع عشرين أبيب –: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وركب الأمير قرقماس حاجب الحجاب حتى خلق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه زاد النيل اثنى عشر إصبعا من الذراع السابعة عشر، وفى هذا نادرتان من نوادر النيل، إحداهما الوفاء قبل مسرى، وقد أدركنا ذلك وقع مرتين. والثانية زيادة هذا القدر فى يوم الوفاء ولم يدرك مثل ذلك، واستمرت زيادة النيل والنداء عليه فى كل يوم.

وفى هذا الشهر: استجد بعيون القصب من طريق الحجاز بئر، حفرت بإشارة القاضى زين الدين عبد الباسط، فعظم النفع بها. وذلك أننى أدركت عيون القصب، وتخرج من بين الجبلين ماء يسيح على الأرض، فينبت فيه القصب الفارسى وغيره شىء كثير، ويرتفع فى الماء حتى يتجاوز قامة الرجل فى عرض كبير، فإذا نزل الحاج عيون القصب أقاموا يومهم على هذا الماء يغتسلون منه ويردون ثم انقطع هذا الماء، وجفت تلك الأعشاب فصار الحاج إذا نزل هناك، احتفروا حفائر يخرج منها ماء ردىء إذا بات ليلة واحدة فى القرب نتن فأغاث الله العباد بهذه البئر، وخرج ماؤها عذبا. وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد حفر الأمير شاهين الطويل بئرين بموضع يقال له زعم وقبقاب وذلك أن الحاج كان إذا ورد الوجه، تارة يجد فيه الماء، وتارة لا يجده. فلما هلك الناس من العطش فى السنة الماضية، بعث السلطان بشاهين هذا كما تقدم ذكره، فحفر البئرين بناحية زعم، حتى لا يحتاج الحاج إلى ورود الوجه، فيروى الحاج منهما، وعم الانتفاع بهما، وبطل سلوك الحاج على طريق الوجه من هذه السنة.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير، واستقر فى نظر الديوان المفرد، عوضا عن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم بعد موته. وابن الخطير هذا من نصارى القبط، وله بيتوته مشهورة. كان اسمه جرجس، وتلقب بالشيخ التاج، وترقى فى الخدم الديوانية، وباشر ديوان الأمير برسباى فى الأيام المؤيدية شيخ، فألزمه بالإسلام، فأسلم وتسمى تاج الدين عبد الوهاب، وخدم بديوان الخاص

وبالديوان المفرد، فلما تسلطن الأشرف برسباى، رقاه، وولاه نظر الإصطبل، عوضا عن بدر الدين محمد بن مزهر لما ولاه كتابة السر، وأضاف إليه عدة رتب، منها أستادار المقام الناصرى ابن السلطان، فشكرت سيرته من عفته وأمانته ورفقه بالفلاحين، ولين جانبه، وحسن سياسته، مع كثرة بره وإحسانه، بحيث لا يوجد فى أبناء جنسه من يدانيه فكيف يساويه. وإن أراد الله عمارة البلاد جعل إليه تدبير أمرها.

وفى يوم السبت سلخه: قدم مبشرو الحاج، وقد مات كبيرهم الأمير فارس بينبع، وكان مجردًا بمكة على طائفة من المماليك، وهو أحد أمراء العشرات.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

مجد الدين إسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عبد الله البرماوى الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر. ومولده فى حدود الخمسين وسبعمائة. مهر فى الفقه والعربية، وعدة فنون، وتصدى للاشغال سنين كثيرة، وخطب بجامع عمرو بن العاص بمصر.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار بن الأقطع نائب الإسكندرية، فى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة. كان أبوه من الأوشاقية فى الإصطبل السلطانى. وترقى أحمد هذا فى الخدم حتى اتصل بالأمير برسباى، وعمل دواداره، فرقاه فى سلطنته، وعمله من جملة الأمراء، ثم ولاه نيابة الإسكندرية.

ومات برهان الدين إبراهيم بن على بن إسماعيل بن الظريف أمين الحكم، فى يوم السبت خامس عشر شوال، عن نحو ستين سنة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور البهادرى فى يوم السبت ثانى عشر شوال. وقد برع فى الفقه والنحو، وناب فى الحكم عن القضاة الحنفية، وانفرد بالتقدم فى علم الطب، فلم يخلف بعده مثله.

ومات الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة. وقد ولى أستادار وولى الوزارة، ونكب غير مرة.

* * *

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى عاشره - الموافق لعشرين مسرى -: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا واثنى عشر إصبعا، ثم نقص خمسة عشر إصبعا، وزاد ونقص إلى حادى عشرينه، وهو أول بابه. ثم لم يناد عليه لاستمرار النقص.

وفى ثانى عشرة: قدم الأمير طرباى نائب طرابلس، فأكرمه السلطان وأعاده إلى محل كفالته، فسار بعد خمسة أيام.

وفى ثالث عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط، وصحبته خوند جلبان، وبقية الركب الأول، وقدم بعدهم من الغد محمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر، وقدمت معهم، وقد عسف الأمير الناس فى المسير، مع ما أصابهم من العطش فى توجههم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: انتشر بآفاق السماء جراد كثير، كفى الله شره.

وفى نصفه: خلع عى الأمير أقبغا الجمالى، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضا عن مراد خجا، وقد ساءت سيرته، ومبالغته فى ظلم الناس.

وقدم الخبر بأن الخراب شمل البلاد من توريز إلى بغداد، مسيرة خمسة وعشرين يوما بالأثقال، وأن الجراد وقع بتلك البلاد حتى لم يدع بها خضرا، مع شدة الوباء وانتهاب الأكراد ما بقى، وأن الغلاء شنع عندهم حتى أبيع المن من لحم الضأن - وهو رطلان بالمصرى - بدينار ذهب، وأبيع لحم الكلب كل من بستة دراهم، وقد كثر الوباء ببغداء والجزيرة وديار بكر، ومع ذلك فقد عظم البلاء بأصبهان بن قرا يوسف بناحية الحلة والمشهد.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى سابع عشره: نزل عدة من المماليك السلطانية - سكان الطباق - من قلعة الجبل، إلى دار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أستادار، يريدون الفتك به، وكان علم من الليل، فتغيب واستعد، فلم يظفروا به ولا بداره، وعادوا، وقد أفسدوا فيما حوله، فسأل الإعفاء من الأستادارية، فأعفى، واستدعى الوزير الصاحب بدر الدين

حسن بن نصر الله فى يوم السبت ثالث عشرينه، وخلع عليه، وأعيد إلى الأستادارية. فكان فى ذلك موعظة، وهى أن المماليك كانت جراياتهم ولحومهم وجوامكهم وعليقهم مصروفة، ولا يخطر ببال أحد عزل ابن كاتب المناخ لثباته وسداد أمور الديوان فى مباشرته، وانقطاع ابن نصر الله فى بيته منذ نكب عدة سنين، فألقى الله فى نفس ابن كاتب المناخ الخوف من المماليك، حتى طالب الإعفاء، وألهم الله السلطان ذكر ابن نصر الله، فبعث إليه بالقاضى زين الدين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص فى يوم الأربعاء يسلمون عليه من قبل السلطان، ويعلموه بأنه عينه أستادارًا، فاعتذر بقلة ماله، وتغير أحواله، وهم يرددون سؤاله فى القبول، ويشيرون عليه بذلك، ويحذرونه من المخالفة، فاستمهلهم حتى يستخير الله، فتركوه وانصرفوا، فأشار عليه من يثق به أن يقبل فأجاب، وأرسلوا إليه، فوافقهم على رأيهم.

وفى سابع عشرينه: نودى بأن لا يسافر أحد صحبة ابن المرة إلى مكة، فشق ذلك على الناس لتجهز كثير منهم للسفر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى ثامنه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة خلعة السفر إلى جدة وحذر من أخذ أحد معه، خوفا عليهم من العرب.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جرم القمر جميعه مدة ثلاث ساعات من أول الليل.

وفى سادس عشره: ابتدئ بهدم قصر بيسرى بين القصرين، وكان قد أخذ رخامه وعمل فى داير الأشرفية المستجدة.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وغبر القاهرة من باب زويلة، ونزل فى بيت عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم ركب منه بعد ساعة إلى بيت سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص، فجلس عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، وأكثر فى هذا الشهر - بل فى هذه السنة - من الركوب وعبور القاهرة، وإلى الصيد والنزهة، بخلاف ما كان عليه أولا.

وفى سادس عشرينه: حمل القاضى زين الدين عبد الباسط، والقاضى سعد الدين ناظر الخاص إلى السلطان تقادم جليلة.

وفى هذه الأيام: قدم بيرم التركمانى الصوفى صاحب هيت فارًا من أصبهان بن قرا

يوسف، وقد قتل السلطان حسين، وملك الحلة، فخرج بيرم من هيت فى ستمائة من أصحابه، فيهم ثلاثمائة فارس، فلقيته غزية عرب تلك البلاد، فأخذوا من كان معه، وكان جمعا غفيرا ما بين تجار وغيرهم ونجا فى طائفة معه، فأكرمه السلطان، وأنزله وأجرى له راتبا يليق به، ثم أقطعه بناحية الفيوم إقطاعا معتبرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فى ثانيه: عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ورسم لأقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى أن يتحدث فى وظيفة الأستادارية، ثم خلع عليه من الغد، ولزم ابن نصر الله داره. وسبب ذلك لما بلغ اقبغا عزل ابن كاتب المناخ من الأستادارية سأل فى الحضور، فأجيب، وقدم، فسعى فى الأستادارية على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وإن سافر السلطان إلى الشام حمل معه نفقة شهرين، وهى مبلغ أربعين ألف دينار، فأجيب، وأبقى الكشف أيضا معه، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى.

وفى عاشره: برز سعد الدين بن المرة يريد السفر إلى جدة، ثم رحل فى ثانى عشره، و لم يمكن أحدًا من السفر معه، فلم يتمكن إلا ألزامه وحاشيته.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العينتابى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وقد طالت مدة مرضه، فباشر القضاء والحسبة ونظر الأحباس جميعا.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه خلع على الأمير صلاح الدين أستادار ابن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله، واستقر محتسب القاهرة، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينتابى. وكان الأمير صلاح الدين - منذ نكب هو ووالده - ملازما لداره، وعمل مع الحسبة حاجبا.

وفى ثالثه: أدير محمل الحاج على العادة، إلا أنه عجل به فى أول الشهر لأجل حركة السلطان إلى سفر الشام، فإنه تجهز لذلك هو وأمراؤه.

وفى عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام باستدعاء، وقدم معه القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فباتا فى تربة الظاهر برقوق خارج القاهرة، وصعدا من الغد إلى قلعة الجبل، وقبلا الأرض، فلما انقضت الخدمة نزل النائب إلى بيته و لم يخلع عليه، فعلم أنه معزول، وخلع عليه من الغد واستقر أميرًا كبيرا

عوضا عن الأمير شارقطلوا، وخلع على شارقطلوا واستقر عوضه فى نيابة الشام، ورسم بإبطال الحركة إلى السفر، فبطلت.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه خلع على الأمير شارقطلوا نائب الشام خلعة السفر، وتوجه إلى مخيمه خارج القاهرة، وخلع على القاضى كمال الدين بن البارزى خلعة السفر، ثم خلع عليه من الغد يوم الجمعة ثالثه، واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن المحمرة، مضافا لما بيده من كتابة السر، ولم يعهد مثل ذلك فى الجمع بين القضاء وكتابة السر، إلا أنه أخبرنى - أدام الله رفعته - أن والده المرحوم ناصر الدين محمد بن البارزى جمع بين قضاء حماة وكتابة السر بها.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى يوم الثلاثاء ثالث عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى أستادار، وسبب ذلك أنه سافر إلى بلاد الصعيد، فعاث فى البلاد عيث الذئب فى زريبة غنم، فصادر أهلها وعاقبهم أشنع عقوبة، حتى أخذ أموالهم، وتعتع ما بقى من الإقليم، فشنعت القالة فيه، فوعد لما قدم أن يحمل عشرين ألف دينار، فحاققه القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير ناظر الديوان المفرد على ما أخذ من أموال النواحى، حتى تسابا بين يدى السلطان، فرسم بمحاسبته، فحقق فى جهته خمسة عشر ألف دينار، فخلع عليه تقوية له، ونزل على أنه يحمل ما وجب عليه.

وفى هذه الأيام: أوقعت الحوطة على فلفل التجار بالقاهرة ومصر والإسكندرية، ليشترى للسلطان من حساب خمسين دينارًا الحمل، وكان قد أبيع عليهم فلفل السلطان فى أول هذه السنة بسبعين دينارًا الحمل، ورسم بأن يكون الفلفل مختصا بمتجر السلطان، لا يشتريه من تجار الهند الواردين إلى جدة غيره، ولا يبيعه لتجار الفرنج القادمين إلى ثغر الإسكندرية سواه، فنزل بالتجار من ذلك بلاء كبير.

وفى سادس عشرينه: خلع على دولات خجا[1]، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا

---

(١) دُولات خُجَا بن عبد الله الظاهرى (٨٤١ هـ = ١٤٣٧ م)، سيف الدين والى القاهرة ومحتسبها هو من أصاغر مماليك الملك الظاهر برقوق الذين كانوا لا يؤبه به إليهم. كان المذكور من جملة المماليك السلطانية، ودام على ذلك دهرًا طويلا إلى أن جعله الملك الأشرف برسباى كاشفًا ببعض أقاليم الوجه البحرى، فأظهر فى ولايته للكشف من الظلم والعسف ما صيره بعد ذلك واليا بالقاهرة لما كثر فساد الزعر. فلما ولى القاهرة عدة من المحابيس أرباب الجرائم، وهدد من أمسكه=

عن التاج الشويكى وأخيه عمر. ودولات هـذا أحـد المماليك الظاهرية، وولى كشف الوجه القبلى فتعدى الحدود فى العقوبات، وصار ينفخ بالكير فى دبر الرجل حتى تنـذر عينيه وتنفلق دماغه إلى غير ذلك من سىء العذاب، ثـم ولى كشف الوجـه البحـرى، وكان التاج قد ترفع عن مباشرة الولاية، وأقام فيها أخاه عمـر، فشره فـى المـال، حتـى كان كلما أتاه أحد بسارق أخذ منه مـالا وخلـى عنـه، فـأمن السـراق فـى أيامـه علـى أنفسهم، وصاروا له رعية يجبى منهم ما أحب، فلما ولى دولات خجا بدأ بالإفراج عـن أرباب الجرائم من سجنهم، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهـم وقـد سـرق ليوسـطنه، وأرهب إرهابا زائدًا، وركب فى الليل، وطاف، وأمضى وعيده فى السراق، فما وقع له سارق إلا وسطه، فذعر الناس منه.

وفيه خلع على عمر أخى التاج، واستقر من جملة الحجاب، ليرتفق بمطالع العباد على بلوغ أغراضه ونيل شهواته.

وأكثر دولات خجا من الركوب ليلا ونهارا بفرسانه ورجالته، وألـزم الباعـة بكنـس الشوارع، ثم رشها بالماء، وعاقب على ذلك، ومنع النساء مـن الخـروج إلى الـترب فـى أيام الجمع.

وفى هذا الشهر: أجريت العين حتى دخلت إلى مكة، بعدما ملأت البرك داخل باب المعلاه، ومرت على سوق الليل إلى الصفا، وانتهت إلى باب إبراهيم، وساحت من هناك فعم النفع بها، وكثر الخير، لشـدة احتيـاج النـاس بمكـة إلى المـاء، وقلتـه أحيانـا، وغـلاء سعره، وتولى ذلك سراج الدين عمر بن شمس الديـن محمـد بـن المزلـق الدمشـقى، أحـد التجار وأنفق فيه من ماله جملة وافرة.

شهر شوال، أوله السبت:

=منهم ثانيًا بالتوسيط، فوسط جماعة منهم عندما ظفر بهـم. ولمـا كـثر ظلمـه، عزلـه السـلطان عـن الولاية، وولاه الكشوفية ففعل فى الكشوفية أيضا ما لا يليق ذكره. ثـم عـزل عـن الكشـوفية، وطلبـه السلطان، وولاه حسبة القاهرة، عوضا عن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله، فأظهر فى حسبة القاهرة أيضا من الظلم والعقوبة للباعة، مـا هـو مشـهور عنـه، فلـم تطـل أيامـه، وأخـذه الله بـالموت بالطاعون فى يوم السبت أول ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وقـد قـارب السـبعين تخمينـا. وكان شيخًا تركيًا، للقصر أقرب، ذا لحية بيضاء، وضيعًا فى الدول، وعنده ظلم وعسـف وجـور، إلا أنـه كـان قليـل الطمـع فتّاكًـا. انظر المنهـل الصـافى ٥/ ٣٣٠، ٣٣١ والدليـل ١/ ٢٩٩، والنجـوم ١٥/ ٢١٧، الضوء ٣/ ٢٢١ بدائع الزهور ٢/ ١٨٦، نزهة النفوس ٣/ ٤١٦ عقد الجمان حـوادث سـنة ٨٤١ هـ.

فى ثالثه: قدم النجاب من دمشق بجواب الأمير شارقطلوا نائب الشام، يعتذر عن حضور قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك. وكان قد كتب بحضوره ليستقر فى كتابة السر، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد موته، ويحمل عشرة آلاف دينار، فامتنع من ذلك واحتج بضعف بصره وآلام تعتريه، فاستدعى السلطان عند ذلك الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، ورسم له بكتابة السر.

فلما أصبح يوم الثلاثاء رابعه: خلع عليه خلعة الوزارة، واستقر فى كتابة السر مضافا إلى الوزارة، ولم يقع مثل ذلك فى الدولة التركية أنهما اجتمعا لواحد، فنزل فى موكب جليل إلى الغاية، وباشر مع بعده عن صناعة الإنشاء وقلة دربته بقراءة القصص والمطالعات الواردة من الأعمال، غير أن الكفاءة غير معتبرة فى زماننا، بحيث أن بعض السوقة ممن نعرفه ولى كتابة السر بحماة على مال قام به، وهو لا يحسن القراءة ولا الكتابة، فكان إذا ورد عليه كتاب وهو بين يدى النائب لا يقرأه مع شدة الحاجة إلى قراءته، ليعلم ما تضمنه، ثم يمضى إلى داره حتى يقرأه له رجل أعده عنده لذلك، ثم يعود إلى النائب فيعلموه بمضمون الكتاب، وتداعى بالقاهرة خصمان عند كبير من قضاتها، فقضى على المدعى عليه، فقال له ما معناه أنه حكم بغير الحق، فأمر بإخراجهما حتى ينظر فى مسألتهما، ثم طلع بعض كتب مذهبه، فوجد الأمر على ما ادعاه الرجل من خطأ القاضى، فردهما، وقال: وجدنا فى الكتاب الفلانى الأمر كما قلت، ولم يبال بما تبين من جهله، ولهذا نظائر لو عددنا ما بلغنا منها، لقام من ذلك سفر كبير مع الحجاب وإعجاب، وفرط الرقاعة، وإلى الله المشتكى.

وفى الخميس ثالث عشره: ابتدأ السلطان بالجلوس فى الإيوان بدار العدل من القلعة. وكان قد ترك من بعد الظاهر برقوق الجلوس به فى يوم الإثنين والخميس، إلا فى النادر القليل، سيما فى الأيام المؤيدية شيخ، فتشعث ونسيت عوائده ورسومه، إلى أن اقتضى رأى السلطان أن يجدد عهده، فأزيل شعثه وتتبعت رسومه. ثم جلس فيه، وعزم على ملازمته فى يومى الخدمة، ثم ترك ذلك.

وفيه قدم ركب الحجاج المغاربة، وقدم ركب الحاج التكرور أيضا، وفيهم بعض ملوكهم، فعوملوا جميعا بأسوأ معاملة من التشدد فى أخذ المكوس مما جلبوه من الخيل والرقيق والثياب، وكلفوا مع ذلك حمل مال، فشنعت القالة.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى بركة الحجاج.

وفى حادى عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفى هذه الأيام: رسم بشراء الغلال للسلطان، فإنها رخيصة، وربما توقفت زيادة النيل، فغلت الغلال، فيكون السلطان أحق بفوائدها، فخرجت المراسيم إلى أعمال مصر بشراء غلال الناس، وألزم سماسرة الغلة بساحل مصر وساحل بولاق أن لا يبيعوا لأحد شيئًا من الغلال، حتى يتكفى السلطان، فكثر من أجل هذا تطلع الناس إلى شراء الغلة، بعد ما كان عدة أشهر وهى كاسدة، وسعر القمح من مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، والفول والشعير من ثمانين درهما الأردب إلى ما دونها، وسائر أسعار المبيعات رخيصة جدًا، فا لله يحسن العاقبة.

وفى ثانى عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فنودى بزيادة أربعة أصابع، وقدم الخبر من مكة المشرفة بأن عدة زنوك قدمت من الصين إلى سواحل الهند، وأرسى منها اثنان بساحل عدن، فلم تنفق بها بضائعهم من الصينى والحرير والمسك وغير ذلك لاختلال حال اليمن، فكتب كبير هذين الزنكين إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة وإلى سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، يستأذن فى قدومهم إلى جدة، فاستأذنا السلطان فى ذلك، ورغباه فى كثرة ما يتحصل فى قدومهم من المال، فكتب بقدومهم إلى جدة وإكرامهم.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه استدعى قضاة القضاة الأربع، بجميع نوابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر إلى القلعة، لتعرض نوابهم على السلطان، وقد ساءت القالة فيهم، فدخل القضاة الأربع إلى مجلس السلطان، وعوق نوابهم عن العبور معهم، فانفض المجلس على أن يقتصر الشافعى على خمسة عشر نائبا، والحنفى على عشرة نواب، والمالكى على سبعة، والحنبلى على خمسة، وقد تقدم مثل هذا كثير ولا يتم.

وفى سابعه: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن دولات خجا.

وفى ثامن عشرينه: ورد الخبر بموت جينوس بن جاك صاحب قبرس.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى، واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بدمشق، عوضا عن نظام الدين عمر بن مفلح، وخلع عليه من بيت الوزير كاتب السر كريم الدين، ولم يعهد قضاة القضاة يخلع عليهم إلا من عند السلطان، غير أن الوزير أعاد لكتابة السر بعض ما كان من رسومها لوفور حرمته واستبداده، وكان مع ذلك القضاة والفقهاء قد انحط جانبهم، واتضع قدرهم.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافق ذلك خامس مسرى. وهذا مما يندر وقوعه، فركب الأمير جقمق أمير أخور لفتح الخليج على العادة.

وفى خامس عشرينه: سارت سرية عدتها ستون مملوكا مع بعض أمراء العشرات إلى قبرس، ومعهم خلعة لجوان بن جينوس باستقراره فى مملكة قبرس، عوضا عن أبيه، نيابة عن السلطان، ومطالبته بما تأخر على أبيه، وهو أربعة وعشرون ألف دينار، وما التزم به فى كل سنة، وهو خمسة آلاف دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفى هذا الشهر: كثر تقطع الجسور بالنواحى، فغرقت بلاد عديدة، ودخل الماء إلى كثير من البلاد قبل أوانه، فغرقت الجرون وهى ملآنة بالغلال، وتلف من المقاتى والسمسم والنيلة ما يبلغ قيمته آلاف دنانير، وشرقت عدة بلاد، وكل ذلك من فساد عمل الجسور وأخذ الأموال من النواحى عوضا عن رجال العمل وأبقارها.

وفيه فرقت عدة بلاد من بلاد الديوان المفرد على جماعة ليعمروها، فإنها خربت من سوء ولاية الأستادارية وعسفهم، وكثرة المغارم، فسلم إلى القاضى زين الدين عبد الباسط وإلى الوزير كريم الدين، وإلى سعد الدين ناظر الخاص، وإلى التاج بن الخطير، كل منهم بلد من البلاد، وسلم إلى آخرين دون هؤلاء عدة بلاد.

وفيه رسم أن يعلق على كل حانوت من حوانيت الباعة بالأسواق قنديل يضىء الليل، فعمل ذلك.

وفيه كثرت زيادة ماء النيل، فانسلخ ذو الحجة بيوم الأربعاء رابع أيام النسىء، والماء على ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا.

وهذه السنة: تحول الخراج فيها من أجل أنه لم يقع فيها نوروز، فحولت سنة ست إلى سنة سبع وثلاثين.

وفيها نزل الطاغية النشو بن دون فرنادو بن أندريك بن جوان قتيل الفرس بن فدريك بن أندريك ملك الفرنج القطلان، وصاحب برشلونة، على جزيرة صقلية، فى شهر رمضان، وسار ومعه صاحب صقلية فى نحو مائتى قطعة بحرية حتى أرسى على جربة فى سابع عشر ذى الحجة وملكها. وكان ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز غائبا عن تونس فى جهات تلمسان، فلما بلغه ذلك ترك معظم عسكره وسار على الصحراء

حتى دنا من جربة، وكانت بينه وبين الفرنج وقعة كاد يؤخذ فيها، وقتل من الفريقين جماعات كثيرة. وهذا الطاغية النشو مات جده أندريك، وملك بعده ابنه جوبان بن أندريك بن جوبان. خرج فرناندو بن أرندريك من بلد أشبيلية يريد محاربة القطلان أهل برشلونة - وقد مات ملكهم مرتين، فغلبهم، وملك برشلونه وأعمالها، حتى مات، فملك بعده ابنه النشو هذا.

وفيه قدم أحد ملوك التكرور للحج، فسار إلى الطور ليركب البحر إلى مكة، فمات بالطور ودفن بجامعه. وكان خيرًا كثير التلاوة للقرآن، فيه بر وإحسان.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

السلطان حسين بن علاء الدولة بن القان غياث الدين أحمد بن أويس. وكان قد أقيم بعد أحمد بن أويس فى السلطنة ببغداد شاه ولد بن شاه زاده بن أويس، ثم قتل بعد ستة أشهر بتدبير زوجته تندو ابنة السلطان حسين بن أويس، وقامت بالتدبير، ثم خرجت من بغداد بعد سنة فرارًا من شاه محمد بن قرا يوسف، ونزلت ششتر فى عدة من العسكر، وملك شاه محمد بغداد، فأقيم مع تندو فى السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد؛ فدبرت عليه وقتلته بعد خمس سنين، وانفردت بمملكة ششتر، وملكت البصرة، بعد حرب شديدة، ثم ماتت بعد انفرادها بثلاث سنين، فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد، وقتله أصبهان بن قرا يوسف فى الحرب بعد سبع سنين، وأقيم بعده بششتر أخوه شاه محمد بن شاه ولد، فمات بعد ست سنين وقام من بعده حسين بن علاء الدولة وملك البصرة، وواسط، وعامة العراق ما عدا بغداد، فإنها بيد شاه محمد بن قرا يوسف. ولم يزل محاربا لأصبهان بن قرا يوسف حتى نزل عليه أصبهان وحصره بالحلة مدة سبعة أشهر، حتى أخذه وقتله فى ثالث صفر من هذه السنة، فانقرضت بمهلكه دولة الأتراك بنى أويس من العراق، وصار عراقا العرب والعجم بيد إسكندر وشاه محمد وأصبهان - أولاد قرا يوسف - وقد خرب على بأيديهم.

ومات شرف الدين عيسى بن محمد بن عيسى الأقفهسى الشافعى، أحد نواب الحكم، فى ليلة الجمعة سادس عشرين جمادى الآخرة، ومولده فى سنة خمسين وسبعمائة. وبرع فى الفقه، وناب فى الحكم عن العماد أحمد الكركى، ومن بعده من سنة اثنين وتسعين، وكان كثير الاستحضار للفروع.

ومات شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر المعروف بابن السفاح الحلبي[١]، فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان، عن ثلاث وستين سنة، وباشر هو وأخوه وأبوه كتابة السر بحلب، ولهم بها رياسة وتمكن وأموال، ثم باشر كتابة السر بديار مصر، فلم يسعد ولم ينجب، وكان فيه هوج وطيش.

ومات الصاحب علم الدين يحيى أبو كم الأسلمي، فى ليلة الخميس ثانى عشرين رمضان، وقد أناف على السبعين، فباشر نظر الأسواق، وتنقل حتى ولى الوزارة فى الأيام الناصرية فرج، وكان يريد الانتفاء من النصرانية، فحج وجاور بمكة، وأكثر من زيارة الصالحين، والله أعلم بما كانوا عاملين.

ومات قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن التفهنى الحنفى، بعد مرض طويل، فى ليلة الأحد ثامن شوال، وقد أناف على السبعين. ومولده سنه أربع

---

(١) أحمد بن صالح بن أحمد بن أحمد بن عمر، القاضى شهاب الدين ابن القاضى صلاح الدين، المعروف بابن السفاح؛ الحلبى الأصل والمولد والمنشأ والدار، المصرى الوفاة، كاتب السر بالمملكة الحلبية، ثم بديار مصر. هو من بيت رئاسة ووجاهة وعراقة بحلب، ولى كتابة سر حلب هو وأبوه وأخوه، وطالت مدته فى كتابة سر حلب، وبنى بها جامعا، وعدة أملاك ثم أشخص إلى القاهرة، وولى كتابة السر بها، بعد موت السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الدمشقى، وبعد موت أخيه عماد الدين أبى بكر، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وتولى كتابة سر حلب من بعده ولده سراج الدين عمر فباشر شهاب الدين المذكور كتابة سر مصر بغير دربة، وعدم سياسة لأهل مصر، فلم ينتج أمره، وصار لا يلتفت إليه فى الدولة، لما كان احتوى عليه من الجهل، وعدم معرفة صناعة الإنشاء، كلاما كثيرا يظهر منه ذلك فى الملأ من الناس، وكان يتكلم فى بعض الأحيان مع نفسه كلاما كثيرا يظهر عليه الغضب، وكان يتكرر منه ذلك إلى أن يحتد منه نفسه، ويظهر عليه الغضب، وكان يعتريه ذلك حتى فى الصلاة. وكان باشر التوقيع عند والدى فى نيابته لحلب، فأخذ مرة يحدثنى عن ما وقع له بحلب، وشرع يتكلم، وقبل أن يتم الحكاية تركها والتفت يحدث نفسه، وانفض المجلس على ذلك، وكان لا يعتريه ذلك غالبا إلا فى حالة الغضب، أو إذا شرع فى أمر مهم. وكان إذا تكلم يظهر من كلامه أنه غير فاضل، ووقع له مرة أنه أرسل من حلب وهو كاتب سرها كتابا إلى الملك الأشرف برسباى بواقعة حال، وكان القاضى بدر الدين محمد بن مزهر إذ ذاك كاتب سر مصر، وكانت كتابة ابن السفاح هذا ضعيفه قلقة، وتركيب ألفاظه فى الكتب ركيكة، فلم يفهم ابن مزهر ما تضمنه الكتاب، فختمه ثانيا وأرسله فى طى كتاب يقول فيه: قد عجزنا عن فهم ما فى كتابك، فالمخدوم ينقل خطواته إلى الديار المصرية ليقرأه على مولانا السلطان، فغرم بسبب هذا الكتاب جملة مستكثرة. ولم يزل فى وظيفة كتابة السر إلى أن توفى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة عن ثلاث وستين سنة، وتولى عوضه كاتب السر الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، رحمهما الله تعالى. الضوء اللامع ١١/٥٠.

وستين وسبعمائة تخمينا. وقد برع في الفقه والأصول والعربية وولى قضاء القضاة فحسنت سيرته، ولم يترك في الحنفية مثله، ويقال إن بعض جواريه سمعته وقد أوصى بخمسة آلاف درهم لمائة فقير يذكرون [الله] قدام جنازته، وسبعة آلاف درهم لكفنه وجهازه ودفنه وقراءة ختمات.

ومات جينوس بن جاك بيروس بن أنطون بن جينوس ملك قبرس، وملك بعده ابنه في حدود سنة ثمانمائة، وقدم إلى القاهرة مأسورا، ثم أعيد إلى مملكته، وصار نائبا عن السلطان يحمل إليه المال كل سنة.

وقتل نصراني في سابع شوال، ضربت رقبته تحت شباك المدرسة الصالحية؛ بسبب وقوعه في حق نبي الله داود بعد ما سجن مدة، وعرض عليه الإسلام، فامتنع.

* * *

سنة ست وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة والخليفة المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف أبو الفرج برسباى، والأمير الكبير الأتابك سودن من عبد الرحمن، وأمير سلاح أينال الجكمى، وأمير مجلس أقبغا التمرازى، ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى، وأمير أخور جقمق، والدوادار الأمير أركماس الظاهرى، والوزير كاتب السر كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وناظر الجيش عظيم الدولة ومدبرها القاضى زين الدين عبد الباسط وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب الجكمى، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى ناظر الأحباس بدر الدين محمود العينتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر ا لله البغدادى، والمحتسب الأمير الحاجب صلاح الدين محمد بن نصر ا لله، والوالى التاج الشويكى، ونائب الشام الأمير شار قطلوا، ونائب حلب الأمير قصروه، ونائب طرابلس الأمير طرباى، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزينى، ونائب غزة الأمير أينال الأجرود، ومتولى مكة - شرفها ا لله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان، ومتولى مدينة الرسول - ﷺ - الشريف مانع بن على بن عطية، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار، وملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس الحفصى، وملك المشرق شاه رخ بن تيمورلنك، ومتملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف، وملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمن، وملك اليمن الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن العباس بن رسول .

ونيل مصر متزايد، والأسعار رخيصة، القمح من مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دون ذلك والشعير والفول من ثمانين درهما الأردب إلى ما دونها. والدينار الأشرفى بمائتين وستين درهما من الفلوس التى كل رطل منها بثمانية عشر درهما، ومصر الدرهم الأشرفى بعشرين درهما من الفلوس، والدينار الأفرنتى بمائتين وخمسين درهما من الفلوس، والأسواق كاسدة.

شهر ا لله المحرم، أوله الخميس:

فى يوم الجمعة ثانيه: كان نوروز القبط بأرض مصر، وهو أول توت.

وقد صار ماء النيل على ثمانية عشر ذراعا، وثلاثة وعشرين إصبعا . واتفق من الغرائب أن يوم الخميس أول السنة وافقه أول يوم من تشرين وهو رأس سنة اليهود، فاتفق أول سنة اليهود مع أول سنة المسلمين، ويوم الجمعة وافقه أول توت - وهو أول سنة النصارى القبط - فتوالت أوائل سنى الملل الثلاث فى يومين متوالين واتفق ذلك أن طائفة اليهود الربانيين يعملون رءوس سنينهم وشهورهم بالحساب، وطائفة القرائين يعملون رءوس سنينهم وشهورهم برؤية الأهلة.

كما هو عند أهل الإسلام، فيقع بين طائفتى اليهود فى رءوس السنين والشهور اختلاف كبير، فاتفق فى هذه السنة مطابقة حساب الربانيين والقرائين للرؤيا، فعمل الطائفتان جميعا رأس سنتهم يوم الخميس. وهذا من النوادر التى لا تقع إلا فى الأعوام المتطاولة.

يوم الأحد ثامن عشره: وافقه سابع عشر توت، وهو يوم عيد الصليب عند أقباط مصر. ونودى فيه على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعًا، تنقص إصبعا واحدا. وهذا أيضا مما يندر من كثرة ماء النيل.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل من الغد ببقية الحاج.

وفى سادس عشرينه: ضرب السلطان الأمير أقبغا الجمالى أستادار، وأنزله على حمار إلى بيت الأمير التاج وإلى القاهرة ليعاقبه على استخراج المال. وخلع من الغد يوم الثلاثاء سابع عشرينه علىالوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، وأعاده إلى الأستادارية. ورفعت يده من مباشرة كتابة السر، فاستقل بالوزارة والأستادارية، ورسم لشرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بمباشرة كتابة السر، حتى يستقر أحد، وعين جماعة لكتابة السر، فوقع الاختيار منهم على قاضى القضاة كاتب السر بدمشق كمال الدين محمد بن البارزى.

وفى ثامن عشرينه - الموافق لسابع عشرين توت -: نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وخمسة أصابع.

وفى هذا الشهر: طرق الفرنج ميناء طرابلس الشام، فى يوم السبت عاشره، وأخذوا مركبا فيه عددكثير من المسلمين، وبضائع لها قيمة جليلة. وبينا هم فى ذلك إذ قدمت مركب من دمياط فأخذوها أيضا بما فيها وساروا، فلما ورد الخبر بذلك كتب بإيقاع الحوطة على أموال الفرنج الجنوية والقطلان دون البنادقة، فأحيط بأموالهم التى بالشام والإسكندرية.

وفيه أقلع الطاغية صاحب برشلونة عن جزيرة جربة فى عاشره، ومضى إلى جزيرة صقلية بمن معه من جمائع القطلان، وأهل صقلية.

شهر صفر، أوله السبت:

فى ثانيه: توجه القاصد لاستدعاء القاضى كمال الدين محمد بن البارزى ليستقر فى كتابة السر، وأن يستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق بهاء الدين محمد بن حجى. وأن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى، ويستقر ولده شمس الدين محمد بن الكشك فى قضاء القضاة الحنفية، ويستقر جمال الدين يوسف بن الصفى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن بهاء الدين محمد بن حجى؛ كل ذلك بمال.

وفى سابعه: قدمت الرسل المتوجهة إلى قبرس. وكان من خبرهم أنهم ركبوا البحر من دمياط فى شينين، فوصلوا إلى الملاحة يوم السبت عاشر المحرم، وسار أعيانهم فى البر يريدون مدينة الأفقسية دار مملكة قبرس، فتلقاهم وزير الملك جوان بن جينوس بن جاك فى وجوه أهل دولته، وأنزلهم خارج المدينة، وعبروا المدينة من الغد يوم الإثنين ثانى عشره، ودخلوا على الملك جوان فى قصره، فإذا هو قائم على قدميه، فسلموا عليه وأوصلوه كتاب السلطان وهو قائم، وبلّغوه الرسالة، فأذعن وأجاب بالسمع والطاعة وقال: «أنا مملوك السلطان، ونائب عنه، وقد كنت على عزم أن أرسل التقدمة». فطلبوا منه أن يحلف، فأجابهم إلى ذلك، واستدعى القسيس، وحلف على الوفاء والاستمرار على الطاعة، والقيام بما يجب عليه من ذلك، فأفيض عليه التشريف السلطانى المجهز له.

وخرجت الرسل من عنده، فداروا بالمدينة وهو ينادى بين أيديهم باستمرار الملك جوان فى نيابة السلطنة، وأن للناس الأمان والاطمئنان، وأمروا بطاعته وطاعة السلطان، ثم أنزلت الرسل فى بيت قد أعد لهم، وأجرى لهم ما يليق بهم من المأكل، وحمل إليهم سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه أظهر خصم أربعة آلاف دينار ووعد بحمل العشرة آلاف دينار بعد سنة، وبعث إليهم أيضا بأربعين ثوبا صوفا برسم الهدية للسلطان الملك، المالك الأشرف أبو النصر برسباى الدقماقى، وأرسل لكل من الرسل شيئا يليق به على قدره.

وساروا بعد عشرة أيام من قدومهم إلى اللمسون، وركبوا البحر ستة أيام حتى أرسوا على دمياط، وعبروا فى النيل إلى القاهرة فقبل السلطان ما حملوه إليه وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن السمع والطاعة، وأنه نائب السلطنة فيما تحت يده، ونحو هذا.

وفى ثامنه: خلع على حسن باك بن سالم الدكرى أحد أمراء التركمان، وابن أخت قرايلك، واستقر فى نيابة البحيرة، ورسم أن يكون ملك الأمراء، عوضا عن أمير على، وأنعم عليه بمائة قرقل، ومائة قوس، ومائة تركاش، وثلاثين فرسا.

وفى سادس عشرينه: ضربت رقبة رجل ارتد عن الإسلام. وكان من خبره أنه كان نصرانيا، فوجده بعض الناس عند زوجته، فاتقى من القتل بأن أظهر الإسلام، ومضى لسبيله، فلم يقم سوى أشهر وجاء يوم جمعة إلى بعض القضاة وذكر له أنه كان نصرانيا وأسلم، ثم أنه رغب أنه يعود إلى النصرانية.

وقصد أن يُطَهَّر بالسيف، وتكلم بما لا يليق من القدح فى دين الإسلام وتعظيم دين النصرانية وصرح بما يعتقد من إلاهية المسيح وأمه، فتلطف به القاضى ومن عنده، وهو يلح ويعاند ويفحش فى القول، فأمر به فسجن، وعرض عليه الإسلام مرارا فى عدة أيام وهو متماد فى غيه، فلما أعياهم أمره، وملت الأسماع من فحش كلامه، وجهره بالسوء، ضربت رقبته ثم أحرقت جثته.

وفى سابع عشرينه: كتب باستقرار تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين - أحد موقعى الدست بدمشق - فى كتابة السر بها، لامتناع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن الكشك من ولايتها. وكتب أيضا باستقرار محيى الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحيانى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى بعد موته.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم رسول ملك القطلان من الفرنج بكتابه، وقد نزل على جزيرة صقلية، فى ثانى رمضان، بما ينيف على مائتى قطعة بحرية، فتضمن كتابه الإنكار على الدولة ما تعتمده من التجارة فى البضائع، وأن رعية الفرنج لا يشترون من السلطان ولا من أهل دولته بضاعة، فرد رسوله ردًا غير جميل.

وفى رابعه: فتحت القيسارية المستجدة بخط باب الزهومة من القاهرة، وسكنها الكتبيون؛ وكان سوق الكتب المقابل للصاغة قد هدم وما حوله فى سنة ثلاث وثلاثين، وبنى قيسارية يعلوها ربع، وبدائرها حوانيت، حيث كانت الصيارف تجاه الصاغة، وحيث كانت النقليون وسوق الكتب والأمشاطيين تجاه شبابيك المدرسة الصالحية، وسكن الكتبيون بقيسارية خارج باب زويلة، وسكن عدة منهم فى حوانيت متفرقة

بالقاهرة والصليبية، وسكن فى القيسارية التى عملت بجوار الكتبيين أرباب الأقفاص[١] الذين كانوا بالقفيصات تحت شبابيك القبة المنصورية وشبابيك المدرسة المنصورية، وصارت هذه القيسارية سوقا يضاهى الصاغة، وأسكن فى مقاعد القفيصات ودككها قوم من الخريزاتية - بياعى الخرز - وطائفة من أرباب المعايش. فلما كملت القيسارية المستجدة بباب الزهومة، تجاه درب السلسلة، تحول إليها الكتبيون، وجاءت من أحسن ما بنى بالقاهرة.

وفى ثامن عشره: سرح السلطان إلى جهة أطفيح، برسم الصيد، وقدم من الغد آخر النهار، وسرح قبل هذا إلى جهة شيبين، وإلى بركة الحجاج أربع سرحات.

وفى تاسع عشره: قدم القاضى كمال الدين محمد بن البارزى من دمشق، ومثل يدى السلطان، وقد خرج الناس إلى لقائه، ثم نزل فى داره وخلع عليه من الغد يوم السبت عشرينه، واستقر فى كتابه السر ونزل فى موكب جليل، فسر الناس به سرورا كثيرا لحسن سيرته وكفايته وجميل طويته وكرمه، وكثرة حيائه، يؤيده.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه قدم الأمير مقبل الزينى نائب صفد، وكان السلطان قد ركب إلى خارج القاهرة، فركب فى الخدمة إلى القلعة، ثم نزل فى دار أعدت له.

وفى خامسه: خلع على ابن [...[٢]...] واستقر فى كشف الوجه القبلى، عوضا عن طوغان العثمانى، على مبلغ اثنى عشر ألف دينار يحملها من البلاد.

وفى ثامنه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى[٣]، أحد أمراء العشرات، واستقر فى

---

(١) أقفاص: كذا يتلفظ به العوام وينسبون إليه الأقفاصى، وصوابه أقفهص: اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا فيما حسب. انظر معجم البلدان ١ / ٢٣٧.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) أسنبغا بن عبد الله الناصرى الطيارى (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير سيف الدين رأس نوبة النوب قدم من بلاده وهو فى سن التمييز صحبة الملك الظاهر حقمق، لكن حالبهما غير واحد، فإن تاجره الملك الظاهر حقمق كان الخواجا كَرْلك، وكان تاجر أسنبغا هذا الخواجا عبد الرحمن، فقدم به تاجره المذكور إلى الديار الصرية فابتاعه منه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب وأعتقه واستمر بخدمته إلى أن توفى، خدم عند الأمير سودون الطيار، وبه عرف، وغلب عليه شهرته بالطيارى، واختص به، وصار دواداره والمتحدث عنه فى جميع أموره إلى أن توفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة عشرة وثمانمائة، وبعد موت أستاذه سودون الطيارى اتصل بخدمة الملك الناصر فرج وحظى عنده، وصار من جملة الدوادارية الصغار، إلى أن توفى الناصر تنقلت بأسنبغا المذكور=

نظر جدة، عوضا عن سعد الدين إبراهيم بن المرة، وأذن لابن المرة أن يتوجه معه.

وفى حادى عشره: نودى للناس بالإذن فى السفر صحبة الطيارى إلى مكة، فسروا بذلك سرورًا زائدًا، وتجهزوا للسفر.

وفيه توجه الأمير مقبل نائب صفد إلى محل كفالته على عادته، بعدما قدم مالا وغيره بنحو اثنى عشر ألف دينار.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: بالرؤية ورابع عشره بالحساب، خسف جميع جرم القمر فى الساعة الحادية عشر، وأقام فى الخسوف ثلاث ساعات ونصف ساعة.

وفى سابع عشرينه: توجه الوزير الأمير أستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ إلى الوجه البحرى، لتحصيل ما يقدر عليه من الجمال والخيل والغنم والمال، لأجل سفر السلطان إلى الشام.

وفى تاسع عشرينه: ورد كتاب شاه رخ بن تيمور ملك المشرق على يد بعض التجار، يتضمن أنه يريد كسوة الكعبة. و لم يخاطب السلطان إلا بالأمير برسباى وقد تكررت مكاتبته بسبب كسوة الكعبة مرارا عديدة، و لم يظهر لذلك أثر.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الجمعة:

=الأحوال إلى أن صار فى الدولة الأشرفية برسباى أمير عشرة، ثم خلع عليه بعد مدة باستقراره مقدم البريدية بعد موت بيبغا، ثم رسم له بالتوجه إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية لحصد أموال السلطنة بها فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة على عادة من تقدمه فتوجه المذكور إليها وباشر البندر أحسن مباشرة، وحسنت سيرته، و لم يسلم من الحساد وأوغروا خاطر الملك الأشرف عليه، فرسم بمسكه ومصادرته ثم بنفيه إلى مدينة طرابلس، فتوجه المذكور إلى طرابلس فلم يلبث بها إلا يسيرا، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها، ثم نقل إلى دمشق، فما أظن، ثم طلب إلى ديار مصر، وأنعم عليه بإمرة عشرة بها، ثم نقل إلى الحجوبية الثانية وإمرة طبلخاناه، ودام على ذلك إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده العزيز يوسف نقل أسنبغا من الحجوبية الثانية إلى الدوادارية الثانية بعد الأمير أيتال الأبى بكرى بحكم الظاهر حقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف، «فباشر الدوادارية إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف»، وتولى الدوادارية عوضه الأمير دولات باى المحمودى الأمير آخور الثانى، واستقر فى الأمير آخورية الثانية عوضه الأمير حرباش المحمدى الناصرى المعروف بكرت، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر أسنبغا من جملة الأمراء مقدمى الألوف من يوم تاريخه إلى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، واستقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير تمرباى التمربغاوى. انظر المنهل الصافى ٢/ ٤٣٨، وما بعدها.

فى خامسه: أنفق السلطان فى المماليك المجردين إلى مكة صحبة الأمير أسنبغا الطيارى، وهم خمسون مملوكا، كل واحد مبلغ ثلاثين دينارا.

وفى ثامن عشره: برز الطيارى بمن معه.

وفيه خلع على سعد الدين بن المرة ليكون رفيقا للطيارى.

وفيه ابتدئ بصر نفقة السفر إلى الشام.

وفى حادى عشره: أنفق فى الأمراء نفقة السفر، فحمل إلى الأمير الكبير الأتابك سودن من عبد الرحمن فضة عن ثلاثة آلاف دينار، وإلى كل من الأمراء الألوف - وهم عشرة - ألفا دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، كل ذلك فضة.

وفى ثالث عشرينه: استقل الطيارى بالمسير من بركة الحجاج فى ركب يزيد على ألف ومائة جمل.

وفى سلخه: ابتدئ بنفقة المماليك السلطانية، وهم ألفا وسبعمائة، لكل منهم صرة فيها ألف درهم أشرفى، وخمسون درهما أشرفية، عنها من الفلوس اثنان وعشرون ألف درهم؛ وهى مصارفة مائة دينار، من حساب كل دينار بمائتين وعشرين درهما فلوسا، والدينار يومئذ يصرف بمائتين وثمانين. وكذلك نفقات الأمراء التى تقدم ذكرها، إنما حملت إليهم دراهم على هذا الحساب.

وفى هذا الشهر: نزل بأهل الوجه البحرى من نزول الأستادار على بلاء عظيم.

شهر رجب أوله، الأحد:

فى ثالثه: قدم الوزير أستادار من الوجه البحرى، وقد احتاج أهله بأخذ خيولهم وأغنامهم وأموالهم، هو وأتباعه، فما عفوا ولا كفوا.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أدير محمل الحاج، ولم يعمل ما جرت العادة به من التجمل، بل أوقف تحت القلعة، وأعيد، ولم يتوجه إلى مصر، وهذا شىء لم يعهد مثله.

وفى رابع عشره: نصبت خيام السفر خارج القاهرة، بطرق الريدانية، تجاه مسجد تبر.

وفى سادس عشره: خرج أمراء الجاليش - وهم الأمير الكبير سودن من عبد الرحمن، وأمير سلاح أينال الجكمى، وحاجب الحجاب قرقماس، وقانباى الحمزاوى، وسودن ميق - ونزلوا بالمخيمات، ورسم بإخراج البطالين من الأمراء والمماليك، فتوجه

الأمير ألطنبغا المرقبى - صاحب الحجاب فى الأيام المؤيدية - والأمير أيتمش الخضرى أستادار إلى القدس. وكان كل منهما عدة سنين ملازما لداره، ومنع من بقى من الأسياد أولاد الملوك من ذرية الناصر محمد بن قلاوون من سكنى القلعة وطوعها، وأخرجوا من دورهم بها، وكانوا لما منعوا من سنين، سكن أكثرهم بالقاهرة وظواهرها، فذلوا بعد عزهم، وتبذلوا بعد تحجبهم، وبقى من أعيانهم طائفة مقيمة بالقلعة، وتنزل بالقاهرة لحاجاتها، ثم تعود إلى دورها، فأخرجوا بأجمعهم فى هذه الأيام، ومنعوا من القلعة، فتفرقوا شذر مذر، كما فعل أبوهم الناصر محمد بن قلاوون بأولاد الملوك بنى أيوب، وكذلك فعل الله ببنى أيوب كما فعل أبوهم الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بأولاد الخلفاء الفاطميين، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾[1].

وفى سابع عشره: أعيد دولات خجا إلى ولاية القاهرة، عوضا عن التاج، لسفره فى الخدمة السلطانية مهمندار وأستادار الصحبة، وجليسا. وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن على[2] - ويعرف بابن النسخة شاهد القيمة - واستقر فى حسبة مصر، عوضا عن شمس الدين أحمد بن العطار.

وقدم كتاب متملك تونس - وعامة بلاد المغرب - أبى فارس عبد العزيز، يتضمن واقعته مع ملك الفرنج القطلان، على جزيرة جربة.

وفى يوم الخميس تاسع عشره - الموافق له أول فصل الربيع -: وانتقال الشمس إلى برج الحمل - ركب السلطان، وعبى أطلابه، وتوجه فى أثناء الساعة الثالثة من النهار، فسار فى ركب جليل إلى الغاية، وقد تجمع الناس لرؤيته، حتى نزل بمخيمه، وصحبته الأمير جقمق العلاى أمير أخور، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز القرمشى رأس نوبة، والأمير جانم ابن أخى السلطان، والأمير يشبك المشد، والأمير جانبك الحمزاوى، هؤلاء أمراء الألوف، ومن الطبلخاناه الأمير تمرباى الدوادار الثانى، والأمير قراخجا الشعبانى، والأمير قراسنقر من عبد الرحمن، واستقر فى نيابة الغيبة بباب

---

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٢) الشهاب الحجازى (٧٩٠ - ٨٧٥ هـ = ١٣٨٨ - ١٤٧١). أحمد بن على الأنصارى الخزرجى، شهاب الدين المعروف بالحجازى: من شيوخ الأدب فى مصر. مولده ومنشأه ووفاته فى القاهرة. نظم الشعر، وعنى بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس. انظر نظم العقيان ٦٣، بدائع الزهور ٢ / ١٢٥، آداب اللغة ٣ / ١٢٦، الضوء اللامع ٢ / ١٤٧. الأعلام ٢٣٠/١.

السلسة من القلعة الأمير تغرى برمش التركمانى[1] أحد الألوف، واستقر بالقلعة المقام الجمالى ولد السلطان أحد الألوف، والأمير خشقدم الزمام أحد الطبلخاناه، والأمير تانى بك والى القلعة، فى عدة من المماليك. واستقر خارج القلعة الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وقد رسم بحضوره من عمل الجسور بعد فراغها. ورسم للأمير أينال الششمانى أحد الطبلخاناه أن يكون أمير الحاج فى الموسم، ورسم بإقامة الأمير الإسماعيلى أحد الطبلخاناه وحاجب الميسرة، وإقامة الأمير الوزير كريم الدين أستادار.

وفى يوم الجمعة عشرينه: سار السلطان من الريدانية ومعه من ذكرنا من الأمراء والمماليك، ومعه الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وسافر فى الصحبة ناظر الدولة أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم، ونديم السلطان ولى الدين محمد بن قاسم الشيشينى.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه وصل السلطان إلى غزة، ورحل منها فى رابعه، وقدم النجاب بذلك فى ثامنة، فنودى بالقاهرة فى الناس بالأمان، ورفع الظلم، ومنع الرمايات على الباعة.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: وصل السلطان إلى دمشق، وسار عنها يريد حلب فى يوم السبت عشرينه، وقدم النجاب بذلك فى سادس عشرينه، فدقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى فى القاهرة وظواهرها بذلك.

---

(١) هو تغرى برمش بن يوسف (٨٢٠ هـ = ١٤١٤ م)، الشيخ زين الدين التركمانى الجندى الحنفى أبو المحاسن، أصله من بلاد الروم، واعتنى بطلب العلم ببلده، ثم قدم إلى القاهرة فى دولة الملك الظاهر برقوق وهو شاب، واشتغل بالعلم، وأخذ عن المشايخ وتفقه بجماعة من أعيان العلماء كالشيخ الدين التبانى وغيره، وكان كثير الإستحضار لفروع مذهبه، يحفظ بعض مختصرات إلا أن ذكاءه لم يكن بذاك وكان يميل إلى الصوفية، مع أنه كان يبالغ فى ذم ابن عربى، وأحرق كتبه. وكان لجماعة من الأمراء فيه محبة ونال بصحبتهم جاها وتعظيما عنده الأعيان وقتا بعد وقت فى دولة الظاهر برقوق، ثم فى دولة ابنه الملك الناصر فرج، ثم فى الدولة المؤيدة شيخ، وأرسله الملك المؤيد إلى الحجاز وعلى يده مراسيم تتضمن النظر فى أحوال مكة المشرفة، وجاور بمكة، وأخذ فى الأمر فيها بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنع المؤذنين من المدائح النبوية فوق المنبر ليلا، ومنع المداحين من الإنشاد فى المسجد الحرام، ومنع الصغار من الخطابة فى الليالى رمضان، والوقيد فى الليالى المعروفة بالحرم، وجرى له مع أهل مكة أمور بسبب ذلك بطول الشرح فى ذكرها، ثم عاد إلى القاهرة، وكان يميل إلى دين وخير. وتوفى سنة عشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٤/٥٦، ٥٧، الدليل الشافى ١/ ٢١٨ العقد الثمين ٣/ ٣٨٨، شذرات الذهب ٧/ ١٥٧.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

وفى خامسه: وصل السلطان إلى حلب، فنزل بظاهرها فى المخيمات، ورحل يريد مدينة آمد فى حادى عشرينه.

وفيه قدم الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر، ونودى بإعلام الناس، فنزل السلطان إلى البيرة فى سادس عشرينه، وكتب منها إلى القاهرة على يد نجاب.

شهر شوال، أوله الخميس:

فى تاسعه: قدم النجاب برحيل السلطان من البيرة، بعد تعدية الفرات فى سادس عشرين رمضان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير أينال الششمانى إلى الريدانية خارج القاهرة، ورفع منها إلى بركة الحجاج، ثم استقل بالمسير من البركة فى ثالث عشرينه، والحاج ركب واحد لقلتهم، ولم نعهد الحاج فيما سلف بهذه القلة.

وفى هذا الشهر: تعدد وقوع الحريق فى أماكن، فظهرت نار فى الجرون بناحية شبين القصر، وأحرقت غلات كثيرة، وكان وقت الدراس، واجترت فأرة فتيلة سراج فى خن مركب قد أوسق بثياب وسيرج وغير ذلك، ووقف بساحل مدينة مصر ليسير إلى الصعيد، فأحرقت النار جميع ما كان فى الركب، وسرت إليها فاحترقت بأجمعها، وهي فى الماء حتى صارت فحما، ووقعت النار فى دور متعددة بالقاهرة ومصر.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه: كسف من جرم الشمس نحو الثلثين فى برج السرطان، بعد العصر بزيادة على ساعة، فما غربت حتى بدأ الكسوف ينجلى، وفى مدة الكسوف اعتمت الآفاق، وظهر بعض الكواكب.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فيه أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودى من الغد بزيادة خمسة أصابع، واستمر النداء بزيادة ماء النيل.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف أكثر جرم القمر، فطلع من الأفق الشرقى منخسفا، وانجلى الخسوف وقت العشاء. وهذا من النوادر، وقوع الخسوف القمرى بعد كسوف الشمس بخمسة عشر يوما.

وفى خامس عشره: قدم ساع على قدميه من حلب بكتاب السلطان من آمد بأنه

نزل عليها وقد خرج عنها عثمان بن ططر على المعروف بقرا يلك، وأشحنها بالمقاتلة، فحصرها العسكر.

وفى حادى عشرينه: قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد مؤرخ بعشرين شوال، بأن قرا يلك عزم تعدية الفرات يريد حلب، فأدركته العساكر السلطانية، وقد نزل بعض أصحابه الفرات، فقاتلوهم، وقتلوا منهم، وغرق منهم جماعة، وأسر جماعة، ضربت أعناقهم.

وفى رابع عشرينه: دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بأن إسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره نجدة للسلطان، ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفى هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال فأبيع القمح بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد مائة، وأبيع الأردب الشعير والفول من ثمانين إلى بضع وتسعين بعدما كان بستين. وسبب ذلك أن طائفة من الناس قد اعتادت منذ سنين أن ترجف فى أيام زيادة النيل بأنه لا يبلغ الوفاء، يريدون بذلك غلاء الأسعار، فتكف أرباب الغلال أيديها عن البيع، ويأخذ آخرون فى شراء الغلال وخزنها، ليتربص بها دوائر الغلاء، فيتحرق السعر من أجل ذلك، فإذا بلغ النيل القدر المحتاج إليه فى رى الأراضى، وزرع الناس، أيس طلاب الغلاء فباعوا ما قد اختزنوه منها، فينحل السعر، ويتضع.

وفى ثامن عشرينه: عزل نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة، وأقام عوضه دواداره - أعنى دولات خجا - وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف، ومع ذلك فأحوال الناس بالقاهرة جميلة لحسن سيرة نائب الغيبة، وتثبته وإظهار العدل، مع كثرة الأمن ورخاء أسعار عامة المبيعات كلها.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فى سادسه: قدم الأمير كمشبغا الأحمدى أحد الطبلخاناه بكتاب السلطان من الرها، مؤرخ بثامن عشر ذى القعدة، يتضمن أنه رحل عن آمد بعدما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما، حتى طلب قرايلك الصلح، فصلولح، ورحل العسكر فى ثالث عشر ذى القعدة، فدقت البشائر، ونودى بذلك فى الناس، وقدم الخبر بقدوم السلطان إلى حلب فى خامس عشرين ذى القعدة، ورحيله منها فى خامس ذى الحجة، وقدومه دمشق فى تاسع عشره.

وفى ثامن عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة خمسة عشر ذراعا،

وثمانية عشر إصبعا. وأصبح الناس يوم الأحد عشرينه - وهو ثالث عشرين مسرى - وقد نقص ستة أصابع، فازدحم الناس على شراء القمح، وقد بلغ إلى مائة وأربعين درهما الأردب، فتعدى مائة وخمسين.

وفيه خرج الأمير الوزير كريم الدين أستادار إلى لقاء السلطان.

وفى ثامن عشرينه: برز السلطان من دمشق يريد القاهرة. وكان من خبره أنه سار من حلب فى حادى عشرين رمضان، ونزل البيرة فى خامس عشرينه، وقد ترك الأثقال والقضاة ونحوهم بحلب، فعدى الفرات بالمقاتلة فى يومين، ودخل الرها فى سلخه، وسار من الغد، فنزل على آمد فى ثامن شوال، ومعه من المماليك السلطانية والأمراء ومماليكهم ونواب البلاد الشامية بأتباعهم، ومن انضم إليهم من التركمان، ومن عرب كلاب، ما يقارب عددهم عشرة آلاف، والمجازف يقول ما لا يعلم، فأناخ عليها، وقد خرج قرا يلك منها إلى أرقنين[١] وترك بآمد ولده، فترامى الفريقان بالنشاب، ثم زحف السلطان بمن معه فى يوم السبت عاشره من بكرة النهار إلى ضحاه وعاد فلم يقع زحف بعد ذلك، وقتل فى هذا الزحف مراد بك بن قرا يلك بسهم، وقتل حمزة الخازندار نائب آمد وجماعة، وجرح من أهل آمد ومن العسكر كثير، وقبض على جماعة من أهل آمد، فقتل بعضهم وترك بعضهم فى الحديد، ونزل محمود بن قرا يلك فى عسكر على جبل مشرف على العسكر، وصار يقتل من خرج من الغلمان ونحوهم لأخذ القمح ونحوه، ومنع الميرة عن العسكر. فقدم فى يوم الإثنين ثانى عشره صاحب أكِل[٢] - واسمه دولات شاه - فخلع عليه، وأنزل فى العسكر، ثم قدم الملك الأشرف أحمد بن سليمان ابن غازى بن محمد بن أبى بكر بن عبد الله، صاحب حصن كيفا، باستدعاء، حتى قارب العسكر، فخرج عليه عدة من العسكر قرا يلك، فقتلوه وقتلوا معه قاصد السلطان المتوجه إليه، فاشتد ذلك على السلطان وبعث فى إحصار قاتليه جماعة من العربان والتركمان، فأحضروا من جماعة قرا يلك عشرين رجلا، ثم توجهوا ثانية فأحضروا ثلاثين رجلا وسطوا تجاه قلعة بآمد[٣] ثم توجهوا ثالثا فأحضروا واحدًا وعشرين رجلا،

---

(١) أرقنين: بلد بالروم غزاه سيف الدولة حمدان، وذكره أبو فراس فقال: إلى أن وردنا أرقنين نوقها وقد نكلت أعقابنا والمخاصر. ورواه بعضهم بالفاء، والأول أكثر. انظر معجم البلدان ١ / ١٥٣.

(٢) سبق ترجمتها، وهى قرية من قرى ماردين.

(٣) سبق ترجمتها.

منهم قرا محمد أحد أمراء قرا يلك، ومنهم صاحب ماردين[1] فوسط قرا محمد ومعه عشرون رجلا. فاتفق أن واحدًا منهم انفلت من وثاقه، فمر يعدو والعسكر تنظره، فما أحد رماه بسهم، ولا قام فى طلبه حتى نجا، وطلع القلعة. وفى أثناء ذلك سار الأمير شار قطلوا نائب الشام، ومعه عدة من التركمان والعرب وغيرهم لقتال قرا يلك، فكانت بينهم وقعة، قتل وجرح فيها من التركمان والعرب وأصحاب قرا يلك جماعة، وتأخر شار قطلوا عن لقائه، فبعث قرا يلك بقرا أحمد بن عمه، وبكاتب سره بكتبه يترامى على نواب الشام فى الصلح، فمازالوا بالسلطان حتى أجاب إلى ذلك، وبعث إليه شرف الدين أبا بكر الأشقر نائب كاتب السر، حتى عقد الصلح معه، وحلفه على الطاعة، وجهز إليه كاملية حرير مخمل بفرو سمور، وقباء حرير بوجهين وعليه طراز عرض ذراع ونصف وربع، وثلاثون قطعة قماش سكندرى، وسيف بسقط ذهب، وفرس بقماش ذهب، وخلع على قصاده. فقدم قاصدا إسكندر بن قرا يوسف صاحب توريز وعراق العجم بأنه قادم إلى الخدمة السلطانية، فأجيب بالشكر، وأنه قد وقع الصلح مع قرا يلك.

وكان الذى وقع الصلح عليه أن قرا يلك لا يتعرض إلى شىء من أطراف المملكة من الرحبة، وإلى دوركى، وأن يسهل طرق الحجاج والتجار ونحوهم من المسافرين، ولا يتعرض لحصن كيفا ولا لرعيتها وحكامها، ولا لدولات شاه حاكم أكل وقلاعه، وأن يضرب السكة، ويقيم الخطبة للسلطان بديار بكر، وأن يمتثل ما يرد عليه من مراسيم السلطان.

ثم قدم الملك شرف الدين يحيى بن الأشرف صاحب كيفا - وقد استقر فى سلطنة الحصن أخوه الملك الصالح صلاح الدين خليل بن الملك الأشرف - بتقدمة أخيه، فخلع عليه، وجهز للصالح خلعة وسيف.

ثم رحل السلطان ومن معه عن آمد، بعد الإقامة عليها خمسة وثلاثين يوما، فى ثالث عشر ذى القعدة، وقد غلت عندهم الأسعار، فبلغ الأردب الشعير نحو دينارين ونصف، وأنه كان يعطى فيه إثنان وسبعون درهما مؤيدية، عن كل مؤيدى سبعة دراهم ونصف من الفلوس، نقد القاهرة، ويصرف دينار بثلاثين مؤيديا فضة، وبلغ القمح كل أربعة أقداح بدرهمين فضة، وبلغ القدح الواحد من الملح خمسة عشر درهما فضة، وبلغ الرطل من الزيت ومن السرج بثلاثين درهما فضة، ونهب من ضواحى آمد غلال لا

---

(١) سبق ترجمتها.

تحصى، منها زيادة على مائتى ألف أردب بمقتضى المحاسبة، سوى ما انتهبه العسكر، وخرب ما هنالك من الضياع، وأخذت أخشابها، وقطعت أشجارها، ونهب ما فيها، وفعل بأهلها ما لا يمكن وصفه، فلما وصل السلطان من آمد إلى الرها أقر الأمير أينال الأجرود نائب غزة بالرها، وقواه بنحو خمسة آلاف دينار وشعير وبشماط وأرز وزيت وصابون وسلاح كثير، وولى عوضه نيابة غزة الأمير جانبك الحمزاوى، وقدمه إليها، ثم رحل، فقدم حلب فى خامس عشرينه، وسار منها فى خامس ذى الحجة، ودخل دمشق فى تاسع عشره. وكانت سفرة مشقة زائدة الضرر، عديمة النفع، أنفق السلطان فيها من المال الناض[1] خمسمائة ألف دينار، وتلف له من سلاح والخيل والجمال وغير ذلك. وأنفق الأمراء والعساكر بمصر والشام، وتلف لهم من الآلات والدواب والقماش ما تبلغ قيمته مئات قناطير من ذهب، وتلف لأهل آمد وذهب مال عظيم جدا. وقتل خلق كثير، ونفق من دواب العسكر زيادة على عشرة آلاف، ما بين جمل وفرس، ولم يبلغ أحد غرضا من الأغراض، ولا سكنت فتنة. وإنى لأخشى أن يكون الأمر فى هذه الكائنة كما قيل:

لا تحقرن سببا كم جر شرًا سبب

ولله عاقبة الأمور.

وفيها تحيل أصبهان بن قرا يوسف على أخذ بغداد من أخيه محمد شاه، بأن بعث أربعين رجلا قد حلقوا لحاهم، كأنهم قلندرية، ثم دخلوا بغداد شيئا بعد شىء، وقد واعدهم على وقت، فلما وافاهم ليلا إذا هم قد ركبوا السور، ورفعوا من أصحاب أصبهان جماعة، ثم قتلوا الموكلين بالباب، ودخل بمن معه، ففر شاه محمد بحاشيته فى الماء، واستولى أصبهان على بغداد، وسلب من بها جميع ما بأيديهم، بحيث لم يبق بها من الأسواق سوى حانوتين فقط، ولحق شاه محمد بالموصل.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين على جلال الدين محمد الطنبدى التاجر، فى ليلة الجمعة رابع عشر صفر، عن سبعين سنة، وترك مالا جما.

ومات الشهاب أحمد بن غلام الله بن أحمد بن محمد الكومريشى[2] فى سادس

(١) النض: يقصد الدرهم الصامت.

(٢) الكوم الريشى (٧٧٨٣ - ٨٣٦ هـ = ١٣٨١ - ١٤٢٢م). أحمد بن غلام الله بن أحمد=

عشرين صفر، وقد أناف على الخمسين. وكان يجيد حل التقويم من الزيج ويشدو شيئًا من أحكام النجوم، ولم يخلف بعده مثله.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن الأموى المالكى بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر. وقد ولى قضاء القضاة المالكية بديار مصر فى الأيام المؤيدية شيخ، ولم يشهر بعلم ولا دين.

ومات الأمير علاء الدين منكلى بغا الصلاحى، أحد الحجاب، فى ليلة الخميس عشر ربيع الأول، بعد مرض امتد سنين. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وأحد دواداريته. وولى حسبة القاهرة فى الأيام المؤيدية، وعزل عنها وصار من جملة الحجاب. وكان يدرى طرفا من الفقه، ويكتب الخط الجيد وأرسل إلى تيمور لنك رسولا فى الأيام الناصرية فرج.

وماتت قنقباى خوند أم المنصور عبد العزيز بن برقوق، فى سلخ جمادى الآخرة، عن مال كثير، وكانت تركية الجنس. وهى آخر من بقى من أمهات أولاد الظاهر برقوق. وكانت شهرتها جميلة.

ومات الأمير تغرى بردى المحمودى أتابك العساكر بدمشق، مقتولا على آمد فى شوال.

ومات الأمير سودن ميق أحد الألوف، مقتولا على آمد أيضا.

ومات الأمير جانبك الحمزاوى. وقد ولى نيابة غزة، وتوجه إليها فأتته المنية فى طريقه. ومستراح منه ومن أمثاله.

ومات الأمير تنبك المصارع أحد أمراء العشرات مقتولا على آمد.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين كاتب سر دمشق فى ذى القعدة، وولى عوضه نجم الدين يحيى بن المدنى، ناظر الجيش بحلب.

ومات الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الأوحد عبد الله بن المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم

=ابن محمد، شهاب الدين الكوم الريشى القاصدى: فلكى مصرى، من أهل «كوم الريشى» اشتغل فى فن النجوم وصار يحل الزيج ويكتب التقادم. وعين مؤقتا بجامع الملك المؤيد بالقاهرة. له «اللمع فى حل الكواكب السبعة». انظر الضوء اللامع ٢ / ٦٢ والأعلام ١ / ١٩٢.

الدين أيوب[١] بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن نجم الدين أيوب بن شادى، صاحب حصن كيفا. وقد سار من بلده يريد لقاء السلطان على آمد، فاغتيل فى ذى القعدة. وكان قد أقيم فى سلطنة الحصن بعد أبيه فى سنة سبع وعشرين. وكان فاضلا بارعا أديبا، له ديوان شعر. وكان جوادًا محبًّا فى العلماء. وولى بعده ابنه الكامل أبو المكارم خليل.

* * *

(١) الملك الصالح (٦٠٣-٦٤٧هـ= ١٢٠٦-١٢٤٩م) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (ملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع: أخيه (العادل) سنة ٦٣٧هـ. وظبط الدولة بحزم. وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمر، أحد من ملوك بن أيوب. وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧٩هـ) وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائب فى دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسد فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة. انظر خطط المقريزى ابن إياس ٨٣/١ السلوك ٢٩٦/١-٣٤٢ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩، ومرآة الزمان ٧٧٥/٨. والأعلام٣٨/٢.

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد با لله داود. وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف برسباى. والأمير الكبير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح أينال الجكمى. وأمير مجلس أقبغا التمرازى. ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشى، وأمير أخور جقمق. و الدوادار أركماس الظاهرى. وحاجب الحجاب قرقماس. والوزير وأستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ. وكاتب السر كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وهو عظيم الدولة وصاحب تدبيرها. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم. وقضاة القضاة على حالهم. ونواب السلطنة وملوك الأطراف كما تقدم فى السنة الخالية.

والنيل قد تأخر وفاءه، والناس لذلك فى قلق وتخوف، وقد كثر تكالبهم على شراء الغلة، وبلغ القمح إلى مائة وأربعين درهما الأردب. على أن الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار.

شهر ا لله المحرم، أوله الثلاثاء:

فيه نودى على النيل برد ما نقص، وزيادة ثلاثة أصابع، فعظم سرور الناس بذلك، وباتوا على ترجى الوفاء، فنودى من الغد - يوم الأربعاء ثانيه، وسادس عشرين مسرى - بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وزيادة أصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكاد معظم الناس يطير فرحا. وغيظ من عنده غلال يتربص بها الغلاء، ففتح الخليج على العادة.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثانى عشره: ورد الخبر بمسير السلطان من دمشق، بمن معه فى أوله فنودى بالزينة، فزين الناس الحوانيت. ووافق هذا اليوم أول توت، وهو نوروز أهل القبط بمصر. وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

وفيه قدمت أثقال كثير من العسكر.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، وتتابع مجىء الأثقال من أمتعة العسكر وجمالهم، واستعد الناس للملاقاة.

وفيه خرج المقام الجمالى يوسف[1] ابن السلطان؛ لملاقاة أبيه.

وفيه أمطرت السماء، ولم نعهد قبله مطرا فى فصل الصيف، فأشفق أهل المعرفة على النيل أن ينقص، فإن العادة جرت بأن المطر إذا نزل فى أيام الزيادة هبط ماء النيل، فكان كذلك، ونقص فى يوم الجمعة ثامن عشره، وقد بلغت زيادته سبعة عشر ذراعا، وثمانية عشر إصبعا. وكان نقصه فى هذا اليوم ستة وعشرين أصبعا، فشرق من أجل هذا كثير من أراضى مصر؛ لفساد الجسور، وإهمال حفر الترع.

وفى يوم الأحد عشرينه: قدم السلطان بمن معه من سفره، ومر من باب النصر فى القاهرة، وقد زينت لقدومه، فنزل بمدرسته، وصلى بها ركعتين، ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة. وخلع على أرباب الدولة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير تاج الدين الشويكى، وأعيد إلى ولاية القاهرة على عادته، مع ما بيده من شد الدواوين وغيره.

وفى ثانى عشرينه: قدم سوابق الحاج. ونزل المحمل ببركة الحاج فى غده، وقد مات من الحاج بطريق المدينة من شدة الحر عدة كثيرة.

شهر صفر:

أهل بيوم الخميس، وقلق الناس متزايد، فإن النيل تراجع نقصه، حتى صار على سبعة عشر ذراعا. ثم نقص تسعة أصابع، فشره الناس فى ابتياع الغلال، وشح أربابها بها. فبلغ الأردب القمح مائة وثمانين درهما، والشعير مائة وأربعين. وفُقد الخبز من الأسواق عدة ليالى.

---

(١) يوسف بن برسباى (الملك العزيز- جمال الدين) [٨٢٧- ٨٦٨هـ= ١٤٢٤-١٤٦٣م] (الأشرف) الدقماقى الظاهرى، أبو المحاسن، جمال الدين: من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام. ولد بالقاهرة، ونودى به سلطانا بعد وفاة أبيه سنة (٨٤١هـ) بعهد منه فولّى الأتابكى «جقمق العلائى» تدبير مملكته، فاستولى هذا على أمور الدولة صغيرها وكبيرها. ولم يلبث مماليك جقمق أن خلعوا العزيز (سنة ٨٤٢) ونادوا بجقمق ملكا، فأدخله دور الحرم، فكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام وخرج من دور الحرم متخفيا، يريد استنفار مماليكه ومماليك أبيه فقبض عليه، وأرسل إلى برج الإسكندرية معتقلا، فأقام إلى أن كانت دولة الظاهر «خشقدم» سنة ٨٦٥ هـ فأفرج عنه وسمح له بالسكنى فى الإسكندرية حيث شاء على ألا يخرج منها فسكنها إلى أن مات.

مورد اللطافة لابن تغرى بردى ١٢٢ والضوء اللامع ١٠:٣٠٣ وحوادث الدهور: انظر فهرسته. وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٠١ ووليم موير ١٤٢ وشذرات ٧:٢٣٩،٢٤٢،٣٠٨ وابن إياس ٢:٢٣،٢٥- ٢٦. وفيه أن الذى أفرج عنه وألزمه الإقامة بالإسكندرية، هو «الأشرف أينال سنة ٨٥٧ هـ. ونظم العقيان ١٧٩هـ وفيه: ولد سنة ٨٠٧هـ».

وفيه ألزم السلطان الوزير الصاحب كريم الدين أستادار بحمل ما توفر من العليق بالديوان المفرد فى مدة السفر، وهو خمسون ألف أردب [١]، وما توفر من العليق بديوان الوزارة، وهو عشرون ألف أردب، وبعث إلى النواحى من يتسلمها منه.

وفى ثانى عشرينه: عزل داود التركمانى من كشف الوجه القبلى، وسلم إلى الأمير أقبغا الجمالى أستادار - كان - وقد أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، عوضا عن تنبك المصارع.

وفى هذا الشهر: ظهر فى جهة المغرب بالعشايا كوكب الذُّؤابة [٢] وطوله نحو الرمحين، ورأسه فى قدر نجم مضىء، ثم برق، حتى تبقى ذنبه كشعب برقة الشعر، وذنبه مما يلى المشرق.

وفيه أيضا توالت بروق ورعود وأمطار غزيرة متوالية بالوجه البحرى، وفى بلاد غزة والقدس.

وفيه أيضا أخذ الفرنج قريبا من طرابلس الغرب تسع مراكب، تحمل رجالا وبضائع بآلاف دنانير، وتصرفوا فى ذلك بما أحبوا.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فى ليلة الجمعة ثامنه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة. وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال لقلة طالبها. وكان ظن الناس خلاف ذلك.

وفيها طلب السلطان بعض الكُتاب، فهرب منه فرسم بهدم داره، فهدمت حتى سوى بها الأرض.

وفيها أمر بإحراق معصرة بعض المماليك، فأحرقت بالنار حتى ذهبت كلها.

وفى ثانى عشره: ركب السلطان فى موكب ملوكى، وسار من قلعة الجبل، فعبر من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة يريد الرماية بالجوارح لصيد الكراكى [٣] ثم عاد فى آخر رابع عشره.

---

(١) ينظر أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٣٧هـ).

(٢) الذئبان: كوكبان أبيضان بين العوائذ والفرقدين؛ وأظفار الذئب كواكب صغار قدامهما، والذؤيبان مصغرا ما آن لهم.انظر تاج العروس (ذئب).

(٣) نوع من الطيور. المعجم الوسيط (كرك).

وفى خامس عشره: نصب المدفع الذى أعد لحصار آمد، وهو مكحلة من نحاس زنتها مائة وعشرون قنطارا مصريًا. وكان نصبها فيما بين باب القرافة وباب الدرفيل، فرمت إلى جهة الجبل بعدة أحجار، منها ما زنته خمسمائة وسبعون رطلا. وقد جلس السلطان بأعلا سور القلعة لمشاهدة ذلك، واجتمع الناس. واستمر الرمى بها عدة أيام.

وفى تاسع عشره: رسم أن يخرج الأمير الكبير سُودن بن عبد الرحمن إلى القدس بطالا، فاستعفى من سفره وسأل أن يقيم بداره بطالاً، فأجيب إلى ذلك، ولزم داره، وأنعم بإقطاعه زيادة فى الديوان المفرد. و لم يقرر أحد عوضه فى الإمرة (١).

وفى هذا الشهر: ثارت رياح عاصفة بمدينة دمياط، فتقصفت نخيل كثيرة، وتلف كثير من قصب السكر المزروع، وهدمت عدة دور، وخرج الناس إلى ظاهر البلد لهول ما هم فيه. وسقطت صاعقة فأحرقت شيئا كثيرا ونزل مطر مغرق. و لم يكن بالقاهرة شيء من هذا.

وفى سادس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، واستقر فى قضاء الحنفيه بدمشق، عوضا عن أبيه بعد وفاته، بمال وعد به. وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة الأسلمى، وأعيد إلى نظر ديوان المفرد، عوضا عن تاج الدين الخطير(٢). وكان قد ترك ذلك تنزها عنه من قبل سفر السلطان إلى الشام، و لم يباشر أحد عوضه.

شهر ربيع الآخر، أوله السبت:

فيه خلع على دُولات شاه المعزول من ولاية القاهرة، واستقر فى ولاية المنوفية والقليوبية (٣) وفى ثالثه سَرَح السلطان للصيد وعاد فى خامسه.

وفى عاشره: خلع السلطان على الأمير أينال الششمانى، واستقر فى نيابة مدينة صفد عوضا عن الأمير مقبل بعد وفاته. واستقر خليل بن شاهين (٤) فى نظر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٢) انظر الضوء اللامع ١١٤/٥، ١١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى، غرس الدين، يعرف بابن شاهين: أمير، من المماليك، اشتهر بمصر كان من المولعين بالبحث، وله تصانيف ونظم. ولد ببيت المقدس، وتعلم بالقاهرة. وولى نظر الإسكندرية ثم نيابتها سنة ٨٣٧هـ وحمدت سيرته فنقل إلى الوزارة بالقاهرة، فاستعفى بعد مدة يسيرة. وسافر سنة ٨٤٠هـ أمير للحاج المصرى وولى نيابة الكرك، فأتابكية صفد، فنيابة ملطية، فأتابكية حلب وشكا نائبها سنة، فاعتقل وسجن بقلعتها مقيدًا، ثم أطلق. وولى إمرة الحاج الدمشقى مرتين، وتوفى فى طرابلس. نسبته إلى الظاهر برقوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه. من كتبه وهى نحو ٣٠ مصنفا منه «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك».=

الإسكندرية، عوضا عن فخر الدين بن الصغير. وخليل هذا أبوه من مماليك الأمير شيخ الصفوى، وسكن القلس، وبه ولد له خليل هذا ونشأ.

ثم قدم القاهرة من قريب، واستقر حاجب الإسكندرية. ثم عزل، فسعى فى النظر بمال، حتى وليه مع الحجوبية.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى، واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن حسن باك بن سقل سيز التركمانى، وأضيف له كشف الجسور أيضا.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان بعد الخدمة، ومعه ناظر الجيش، وكاتب السر، والتاج الشويكى. ونزل إلى المارستان المنصورى للنظر فى أحواله ليلى التحدث فيه بنفسه، فإنه لم يول نظره أحدًا بعد الأمير سودن بن عبد الرحمن.

وأقام الطواشى صفى الدين جوهر الخازندار لما عساه يحدث من الأمور، فاستمر على ذلك.

شهر جمادى الأولى: أوله الإثنين.

فى سادسه: خلع على نظام الدين بن مفلح وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق. عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى ثامن عشرينه: استقر حسين الكردى فى كشف الوجه البحرى عوضا عن أقبغا الجمالى، بعد قتله فى خامس عشرينه، فى حرب كانت بينه وبين عرب البحيرة. وقتل معه جماعة من مماليكه ومن العربان وخلع على الوزير أستادار كريم الدين جبه بفرو سمور؛ ليتوجه إلى البحيرة - ومعه حسين الكردى - لعمل مصالحها، واسترجاع ما نهبه أهلها من متاع أقبغا الجمالى. وكتب إليهم بالعفو عنهم، وأن أقبغا تعدى عليهم فى تحريق بيوتهم، وأخذ أولادهم، ونحو ذلك مما يطمئنهم، عسى أن يؤخذوا بغير فتنة ولا حرب [1].

وفى ليلة الجمعة سادس عشرينه: وقع بمكة المشرفة مطر غزير، سالت منه الأودية، وحصل منه أمر مهول على مكة، بحيث صار الماء فى المسجد الحرام مرتفعا أربعة أذرع. فلما أصبح الناس يوم الجمعة ورأوا المسجد الحرام بحر ماء، أزالوا عتبة باب إبراهيم، حتى خرج الماء من المسفلة، وبقى بالمسجد طين فى سائر أرضه قدر نصف ذراع فى ارتفاعه فانتدب عدة من التجار لإزالته.

=انظر الضوء اللامع ١٩٥/٣، خطط مبارك ٦٨/٨، هدية العارفين ٣٥٣/١ الأعلام ٣١٨/٢.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

وتهدم فى الليلة المذكورة دور كثيرة، يقول المكثر زيادة على ألف دار. ومات تحت الردم اثنا عشر إنسانا، وغرق ثمانية أنفس. ودلف سقف الكعبة، فابتلت الكسوة التى بداخلها، وامتلأت القناديل التى بها ماء. وحدث عقيب ذلك السيل بمكة وأوديتها، وبأطرق من اليمن.

شهر جمادى الآخرة: أوله الثلاثاء.

فيه أحصى ما بالإسكندرية من القزازين، وهم الحُيَّاك، فبلغت ثمانمائة نول، بعدما بلغت عدتها فى أيام محمود أستادار - أعوام بضع وتسعين وسبعمائة - أربعة عشر ألف نول ونيف، شتت أهلها ظلم ولاة الأمور وسوء سيرتهم [(١)].

وفى ثالثه: سار الوزير إلى البحيرة.

وفى ثانى عشره: رسم بإعادة أبى السعادات جلال الدين محمد بن أبى البركات ابن أبى السعود بن زهيرة [(٢)] إلى قضاء الشافعية بمكة، عوضا عن جمال الدين محمد بن على بن الشيبى بعد موته.

وفى سابع عشره: رجم مماليك الطباق بالقلعة المباشرين عند خروجهم من الخدمة السلطانية؛ لتأخر جوامكهم بالديوان المفرد عن وقت إنفاقها.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أصبح السلطان ملازما للفراش من آلام حدثت فى باطنه من ليلة الخميس، وهو يتجلد لها إلى عصر يوم الجمعة، فاشتد به الألم، وطلب رئيس الأطباء، فحقنه فى الليل مرارا. وأصبح لما به، فلم يدخل إليه أحد من المباشرين. وبعث بمال فرقه فى الفقراء. ومازال محجوبا عن كل أحد، وعنده نديماه ولى الدين محمد بن قاسم، والتاج الشويكى فقط.

ثم دخل فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الأمراء لعيادته وقد تزايد ألمه. ثم خرجوا سريعا، فأبل تلك الليلة من مرضه.

شهر رجب الفرد، أوله الخميس:

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٢) ابن ظهيرة (٧٩٥-٨٦١هـ=١٣٩٣-١٤٥٧م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومى المكى، أبو السعادات، جلال الدين: قاضى مكة. مولده ووفاته فيها. كان شافعى المذهب من كتبه ذيل على طبقات السبكى، وتعليق على جمع بجوار للسبكى. انظر نظم العقيان ١٦٧، الضوء اللامع ٢١٤/٩ الأعلام ٤٧/٧.

فيه عملت الخدمة السلطانية بالبيسرية، وقد زال عن السلطان ما كان به من الألم. وشهد الجمعة من الغد بالجامع على العادة. وخلع على الأطباء فى يوم السبت ثالثه. ثم ركب فى يوم الخميس ثامنه، وشق القاهرة من باب زويلة، ومضى إلى خليج الزعفران بالريدانية، وعاد إلى القلعة.

وفى ثانى عشره: أدير محمل الحاج على العادة.(١)

وفى خامس عشره: نودى فى القاهرة بسفر الناس إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا (٢) وقد عين أن يسافر بطائفة من المماليك، فأخذ طائفة من الناس فى التأهب للسفر.

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير بربغا التنمى الحاجب بسيف الأمير جار قطلوا نائب الشام، وقد مات بعدما مرض خمسة وأربعين يوما، فى تاسع عشره (٣).

وفيه قدم الوزير من البحيرة، وقد مهد أمورها على ما يجب.

وفى تاسع عشرينه: كتب بانتقال الأمير قصروه من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، عوضا عن جارقطلوا، وأن يتوجه له بالتشريف وتقليد النيابة الأمير خجا سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه. وخلع على الأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحجاب، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير قصروه، وأن يتوجه متسفره الأمير شادى بك رأس نوبة من الطبلخاناه. وخلع على الأمير يشبك المشد الظاهرى ططر، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن قرقماس. وأنعم بإقطاع قرقماس على الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وبإقطاع أقبغا على الأمير يشبك المذكور. وخلع على الأمير أينال الجمكى أمير سلاح، واستقر أميرا كبيرًا أتابك العساكر، وكانت شاغرة منذ لزم سودن بن عبد الرحمن داره.

وخلع على الأمير جقمق أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضا عن الأمير أينال الجمكى. وخلع على الأمير تغرى برمش، واستقر أمير أخور عوضا عن جقمق. وأخرج سودن بن عبد الرحمن إلى دمياط. وسار الأمير بربغا التنمى؛ ليبشر الأمير قصروه بنيابة الشام (٤).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٢) هو أرنبغا بن عبد الله اليونسى الظاهرى الناصرى. انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع ٢٦٩/٢.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٩/١٤.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه نودى ألا يتعامل الناس بالدراهم القرمانية ونحوها بما يجلب من البلاد، وأن تكون المعاملة بالدراهم الأشرفية فقط، وأن يكون الذهب والفلوس على ما هما عليه. وذلك أنه كان قد عزم السلطان على تجديد ذهب ودراهم وفلوس، وإبطال المعاملة بما بأيدى الناس من ذلك، فكثر اختلاف أهل الدولة عليه بحسب أغراضهم. ولم يعزم على أمر، فأقر النقود على حالها، وجمع الصيارفة، وضرب عدة منهم وشهرهم من أجل الدراهم القرمانية وإخراجها فى المعاملة، وقد نهوا عن ذلك مرارا فلم ينتهوا.

وفى سابعه: خلع على الأمير الكبير أينال الجكمى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى على عادة من تقدمه.

وفى تاسعه: رزت المماليك المتوجهة إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا، ورافقهم عدة كبيرة من الرجال والنساء يريدون الحج والعمرة.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فرض السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة وسائر الوجه البحرى خيولا تؤخذ من أهل النواحى(١).

وكان يؤخذ من كل قرية خمسة آلاف درهم فلوسا عن ثمن فرس، ويؤخذ من بعض النواحى عشرة آلاف عن ثمن فرسين. ويحتاج أهل الناحية مع ذلك إلى مغرم لمن يتولى أخذ ذلك منهم. وأحصى كُتاب ديوان الجيش قُرى أرض مصر كلها - قبليها وبحريها - فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية. وقد ذكر المسَّبحى (٢) أنها عشرة آلاف قرية (٣) فانظر تفاوت ما بين الزمنين.

وفى رابع عشره: برز الأمير قرقماس نائب حلب، فى تجمل حسن بالنسبة إلى الوقت؛ ليسير إلى محل كفالته. وخلع عليه خلعة السفر ططرى بفرو سمور ومن فوقه قباء نخ بفرو قاقم.

وفى تاسع عشره: ختن السلطان ولده، المقام الجمالى يوسف، وأمه أم ولد اسمها

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣١.

(٢) يقصد به محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى (٣٦٦-٤٢٠هـ) أحد العلماء المورخين المشهورين، له كتاب فى أخبار مصر لم يصل إلينا إلا جزءا واحدًا منه. انظر الأعلام ٧/١٤٠.

(٣) فى النجوم الزاهرة وقد ذكر المسيحى فى تاريخه أنها كانت فى القرن الرابع ألف قرية عامرة ١٤/٢٣١. وينظر خطط المقريزى ١/٧٣-٧٤ فتوح مصر ١٥٦.

جلبان، جركسية. وختن معه نحو الأربعين صبيا، بعدما كساهم. وقدم له المباشرون ذهبا وحلاوات، فعمل مهما للرجال وللنساء، أكلوا فيه وشربوا.

وكتبتُ عند ذلك كتابا سميته «الأخبار عن الأعذار»، وما جاء فيه من الأخبار والآثار، وما لأئمة الإسلام فيه من الأحكام، وما فعله الخلفاء والملوك. وفيه من المآثر الجسام، والأمور العظام، لم أُسبق بمثله فيما علمت.

وفى يوم السبت ثالث عشرينه: فُقد الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، فخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: ظهر الوزير كريم الدين، وصعد إلى القلعة، فخلع عليه قباء من أقبية السلطان . ونزل على أنه أستادار. ثم خلع عليه من الغد، فكان موكبه جليلا إلى الغاية. هذا وقد ألزم السلطان فى غيبة الوزير عظيم الدولة، القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بإقامة دواداره جانبك أستادار، فلم يرض بذلك خوف العاقبة، وأخذ يسعى فى دفع ذلك عنه حتى أعفى، فعين سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم ناظر الخاص أستادار، فمازال يسعى فى الإعفاء، حتى ظهر الوزير كريم الدين، فتنفس خناق الجميع.

وفيه قدم الحمل من قبرس على العادة فى البحر فى كل سنة.

وفى هذا الشهر: اشتد الوباء بمكة وأوديتها، حتى بلغ بمكة فى اليوم عدة من يموت خمسين، ما بين رجل وامرأة [(١)]

شهر رمضان، أوله السبت:

فى ثامنه: ورد الخبر من دمياط بأخذ الكيتلان من الفرنج خمس مراكب من ساحل بيروت، فيها بضائع كثيرة ورجال عديدة. وبعث ملكهم إلى والى دمياط كتابا ليوصله إلى السلطان، يتضمن جفاء ومخاشنة فى المخاطبة؛ بسبب إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعد للمتجر السلطانى، فغضب السلطان لما قرئ عليه، ومزقه.

وفى هذه الأيام: قطع عدة مرتبات للناس على الديوان المفرد، وعلى الإسطبل السلطانى، وعلى ديوان الوزارة. وذلك ما بين نقد فى كل شهر، ولحم فى كل يوم، وقمح فى كل سنة. واغتنم لذلك كثير من الناس وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات فى شهر رمضان، فاقتضى الحال قطع الأرزاق لضيق حال الدولة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٣.

وفيها عينت تجريدة فى النيل لتركب بحر الملح من دمياط، وتجول فيما هنالك، عسى تنكف عادية الفرنج ويقل عبثهم وفسادهم.

وفى ثانى عشرينه: دخل الأمير قرقماس إلى حلب. فما كاد أن يستقر بها حتى ورد الخبر بوقعة كانت بين الأمير أينال الأجرود نائب الرها وبين أصحاب قرا يلك، انهزم فيها. فأخذ فى أهبة السفر إلى الرها.

وفى هذا الشهر: تناقص الوباء بمكة.

شهر شوال، أوله الإثنين:

واتفق فى الهلال ما لم يذكر مثله، وهو أن أرباب تقويم الكواكب، اقتضى حسابهم أن هلال شهر رمضان فى ليلة السبت يكون مع جرم الشمس، فلا تمكن رؤيته. فلما غربت الشمس تراءى السلطان بمماليكه من فوق القلعة الهلال، وتراءاه الناس من أعلى الموادن والأسطحة بالقاهرة ومصر وما بينهما وما خرج عنهما، وهم ميون ألوف، فلم ير أحد منهم الهلال، فانفضوا وقد أظلم الليل.

وإذا برجل ممن يتكسب فى حوانيت الشهود بتحمل الشهادة جاء إلى قاضى القضاة الشافعى، وشهد بأنه رأى الهلال، فأمر أن يرفع للسلطان. فلما مثل بين يديه ثبت وصمم على رؤيته الهلال. وكان حنبليا، وهو من أقارب نديم السلطان ولى الدين بن قاسم، فبالغ فى الثناء عليه عند السلطان، فأمر بإثبات الهلال، فأثبت بعض نواب قاضى القضاة الحنبلى بشاهدة هذا الشاهد أول رمضان، ونودى فى الليل بصوم الناس من الغد بأنه من رمضان. فأصبح الناس صائمين، وألسنتهم تلهج بالوقيعة فى القضاة والشهود، وتمادوا على ذلك، فتوالت الكتب من جميع أرض مصر، قبليها وبحريها، ومن البلاد الشامية وغيرها. بأنهم تراءوا الهلال ليلة السبت، فلم يروه، وأنهم صاموا يوم الأحد. فلما كان ليلة الإثنين التى يزعم الناس أنها أول ليلة من شوال، تراءى الناس الهلال من القلعة، وبالقاهرة ومصر وما بينهما وحولهما، فلم يروه، فجاء بعض نواب القضاة، وزعم أنه رآه، وأنه شهد عنده برؤيته من أثبت بشهادته أن هلال شوال غدا يوم الإثنين، فكانت حادثة لم ندرك قبلها مثلها، وهى أن الهلال بعد الكمال عدة ثلاثين يوما لا يراه الجم الغفير الذى لا يحصى عددهم إلا خالقهم، مع توفر دواعيهم على أن يروه، وقد خلت السماء من الغيم. وجرت العادة بأن يتساوى الناس فى رؤيته، وأوجب ذلك تزايد الوقيعة فى القضاة بل وفى سائر الفقهاء، حتى لقد أنشدنى بعضهم لمحمود الوراق:

كنا نَفِر من الولاة | الجائرين إلى القضاة
فالآن نحن نفر من | جور القضاة إلى الولاة

وفى ثامنه: سارت التجريدة فى النيل، وهى مائتا مملوك من المماليك السلطانية، ومائة من مماليك الأمراء. وعليهم ثلاثة أمراء من أمراء العشرات، بعدما أنفق فى كل مملوك ألف وخمسمائة درهم فلوسا، عنها خمسة دنانير وكسر.

وفيه برز الأمير قرقماس نائب حلب إلى الرها.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: وسط الأمير علم الدين حذيفة بن الأمير نور الدين على بن نصير الدين، شيخ لواته، خارج القاهرة.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر بوقعة أينال الأجرود المذكورة، وهى أن بعض من معه من أمراء حلب صادف بين بساتين الرها طائفة من التركمان، وهو يسير خيله، فقاتلهم وهزمهم. فلما بلغ ذلك أينال خرج من مدينة الرها نجدة له، فخرجت عليه ثلاث كمائن، فكانت بينه وبينهم وقعة، قتل فيها من الفريقين عدة. ولحق أينال بالمدينة، فوقع العزم على سفر السلطان. وكتب إلى بلاد الشام بتعبئة الإقامات من الشعير ونحوه.

وفى عشرينه: خرج محمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر إلى بركة الحاج، وصحبته كسوة الكعبة على العادة. وقد قدم من بلاد المغرب، ومن التكرور، ومن الإسكندرية وأعمال مصر حاج كثير، فتلاحقوا بالمحمل شيئا بعد شيء.

ثم استقل الركب الأول بالمسير من البركة فى ثانى عشرينه. ورحل الأمير قرا سنقر بالمحمل وبقية الحاج فى ثالث عشرينه.

وكتب إلى البلاد الشامية بخروج نواب المماليك للحاق بالأمير قرقماس نائب حلب. ثم أبطل ذلك: وكتب بمنعهم من المسير، حتى يصح لهم نزول قرايلك على الرها بجمائعه وبيوته. فإذا صح لهم ذلك ساروا لقتاله.

وفيه أيضا كتب باستقرار خليل بن شاهين ناظر الإسكندرية وحاجبها فى نيابة الثغر، مع النظر والحجوبية. وكان قد بعث بثلاثة آلاف دينار، ووعد بحمل مثلها، وسأل فى ذلك فأجيب إليه. ولم ندرك مثل ذلك، وهو أن يكون النائب حاجبا، فإن موضوع الحاجب الوقوف بين يدى النائب والتصرف بأمره، هى الأيام كلها قد صرن عجائب حتى ليس فيها عجايب وقدم قاصد من بغداد كان قد توجه لكشف الأخبار، فأخبر أن أصبهان بن قرا يوسف لما أخذ بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف أساء

السيرة، بحيث أنه أخرج جميع من ببغداد من الناس بعيالاتهم وأخذ كل مالهم من جليل وحقير، فتشتتوا بنسائهم وأولادهم فى نواحى الدنيا، وصارت بغداد وليس بها سوى ألف رجل من جند أصبهان [١]، لا غير. وليس بها إلا ثلاثة أفران تخبز الخبز فقط، و لم يبق بها سكان ولا أسواق. وأنه أخرب الموصل حتى صارت يبابا، فإنه سلب نعم أهلها وأمر بهم فأخرجوا وتمزقوا فى البلاد. واستولت عليها العربان، فصارت الموصل منازل العرب بعد التمدن الذى بلغ الغاية فى الترف. وأنه أخذ أموال أهل المشهد، وأزال نعمهم، فتشتتوا بعيالهم. وصار من أهل هذه البلاد إلى الشام ومصر خلائق لا تعد ولا تحصى. [٢]

وفيه قدم جنيد - أحد أمراء أخورية - وقد توجه إلى أبى فارس عبد العزيز ملك المغرب، وعلى يده كتاب السلطان بمنع التجار من حمل الثياب المغربية المحشاة بالحرير من ملابس النساء، وأن يلزمهم بقود الخيول بدل ذلك. فوجده متوجها من بجاية [٣] إلى فاس، فأكرمه ونادى بذلك فى عمله، وأجاب عن الكتاب. وبعث بهدية، هى ثلاثون فرسا، منها خمسة مسرجة ملجمة، ونحو مائتين وخمسين بعيرا وقدم صحبة جنيد ركب فى نحو ألف بعير يريدون الحج.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه: كسفت الشمس فى آخر الساعة الرابعة، فتغير لونها تغيرا يسيرا، و لم يشعر بها أكثر الناس ولا اجتمعوا للصلاة بالجوامع على العادة؛ لقلة الشعور بذلك. ثم انجلى الكسوف سريعا. وكان بعض من يزعم علم النجوم لقلة درايته وكثرة جرأته قد أرجف قبل ذلك بأيام، وشنع بأمر الكسوف، وما يدل عليه، حتى اشتهر إرجافه وتشنيعه، وداخل بعض الناس الوهم. فلما لم يكن من أمر الكسوف كبير شىء، طلب السلطان طائفة ممن يتحل هذا الفن من أهل التقويم، وأنكر عليهم وهددهم.

وفى هذه الأيام: قطعت أيضا عدة مرتبات للناس من ديوان السلطان، ما بين عليق لخيولهم، ومبلغ دراهم فى كل شهر.

وفيها ارتفع سعر الغلال قليلا، فكان القمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، فبلغ مائة وسبعين مع كثرته لزكاة الغلال وقت الدراس، ورخاء بلاد الشام والحجاز.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٤/١٤.

(٣) بِجَايةُ: مدينة على ساحل البحر بين: إفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ٣٣٩/١.

وفيها ظفر المجردون فى البحر على بيروت بغراب للبنادقة، فيه صناديق مرجان ونقد وغير ذلك. وظفروا بمركب آخر للجنويين على طرابلس فيه بضائع، فأحرقوه بما فيه، وأسروا سوى من غرق بضعا وعشرين رجلا.

وقتل من المماليك المجردين سبعة، فلم يحمد هذا من فعلهم، وذلك أن البنادقة والجنوية مسالمون المسلمين.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فيه توجه الأمير جقمق أمير سلاح إلى مكة حاجا، وسار معه كثير ممن قدم من المغاربة وغيرهم.

وفى ثالث عشره: ابتدىء بالنداء على النيل بزيادته، وقد أخذت القاعدة فكانت خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا، والنداء بزيادة ثلاثة أصابع.

شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الخميس، وسعر القمح قد ارتفع إلى مائتى درهم، والفول إلى مائتى درهم أيضا. والشعير إلى مائة وسبعين لتكالب الناس على شرائه، مع استمرار زيادة النيل من غير توقف. لكنها عوائد سوء قد ألفوها منذ هذه الحوادث والمحن، أن يكثر إرجاف المرجفين بتوقف النيل، رغبة فى بيع الغلال بأغلى الأثمان، فيأخذ كل أحد فى شرائها، ويمسك أربابها ما بأيديهم منها، لاسيما أهل الدولة، فيرتفع لذلك سعرها.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: نودى بزيادة ماء النيل اثنى عشر إصبعا، لتتمة ثلاثة عشر ذراعا، واثنتين وعشرين أصبعا. ووافق هذا اليوم أول مسرى. وهذا القدر مما يستكثر من الزيادة فى هذا الوقت، ويؤذن بعلو النيل وكثرة زيادته إن شاء الله تعالى.

وفى يوم السبت رابع عشرينه – وسابع مسرى –: نودى بزيادة عشر أصابع لتتمة ستة عشرة ذراعا، وهى التى يقال لها أذرع الوفاء، وزيادة أربعة أصابع من سبعة عش ذراعا ويعد هذا من الأنيال الكبار، وفيه نادرتان، إحداهما زيادة عشر أصابع فى يوم الوفاء، وقل ما يقع ذلك والنادرة الثانية وفاء النيل فى هذا العام مرتين، إحداهما فى ثانى المحرم كما تقدم، والأخرى هذا.

اليوم من ذى الحجة: ولا أذكر أنى أدركت مثل ذلك. ونادرة ثالثة أدركنا مثلها مرارًا، وهى الوفاء فى سابع مسرى، بل أدركنا وفاه قبل ذلك من أيام مسرى، إلا أن ذلك قل ما وجد فى الأنيال القديمة.

وفيه ركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، فكان يوما مشهودا.

وفى غده نودى على النيل بزيادة ثمانية أصابع لتتمة ستة عشر ذراعا ونصف ذراع. ثم نودى من الغد بزيادة خمسة عشر أصبعا لتتمة سبعة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، وهذه الزيادة بعد الوفاء من النوادر أيضا. فالله يحسن العاقبة.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامتهم. وهذا أيضا مما يندر وقوعه.

وفى هذه السنة: أخذ الفرنج ثمانى عشرة مركبا من سواحل الشام، فيها من البضائع ما يجل وصفه، وقتلوا عدة ممن كان بها من المسلمين، وأسروا باقيهم.

وفيها طلق رجل من بنى مهدى بأرض البلقاء امرأته وهى حامل، فنكحها رجل غيره، ثم فارقها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعا فى قدر الطفل، فأخذوه ودفنوه خوف العار.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز قاضى القضاة، شهاب الدين أحمد بن قاضى القضاة محيى الدين المعروف بابن الكشك الحنفى، بدمشق فى ليلة الخميس، سابع شهر ربيع الأول، وقد ولى قضاء القضاة الحنفية بدمشق مرارا. وجمع بينها وبين نظر الجيش. وكثر ماله، وصار عين دمشق، وعين لكتابة السر بديار مصر، فامتنع.

ومات الأمير مقبل نائب صفد بها، فى يوم الجمعة تاسع عشرين ربيع الأول، وكان مشهورا بالشجاعة. وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ.

ومات قاضى مكة جمال الدين محمد بن على أبى بكر الشيبى الشافعى[1] بها، فى ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة. وكان خيرا، ساكنا، سمحا، مشكور السيرة، متواضعا، لينا؛ رحمه الله.

ومات الأمير أقبغا الجمالى الأستادار مقتولا بالبحيرة، فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر، ومستراح منه.

---

(١) النجوم الزاهرة ٦/٨٣٠، أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٣٧هـ)، عقد الجمان.

ومات الشيخ أبو الحسن على بن حسين بن عروة بن زكنون الحنبلى [(١)]، الزاهد، الورع، فى ثانى عشر جمادى الآخرة، خارج دمشق، وقد أناف على الستين. وشرح مسند الإمام أحمد وكان فى غاية الزهد والورع، منقطع القرين.

ومات الأمير جار قطلوا نائب الشام بها،فى ليلة الإثنين تاسع عشر شهر رجب. وهو أحد المماليك الظاهرية. ومستراح منه.

ومات الشريف رميثة بن محمد بن عجلان مقتولا خارج مكة، فى خامس شهر رجب. وقد ولى إمارة مكة قبل ذلك ثم عزل. ولم يكن مشكورا.

ومات تقى أبو بكر بن على بن حجة - بكسر الحاء - الحموى، الأديب، الشاعر، فى خامس عشرين شعبان، بحماة. ومولده سنة سبع وستين وسبعمائة. وقدم إلى القاهرة فى الأيام المؤيدية، وصار من أعيانها.

ثم عاد بعد ذلك إلى حماة. وكان فيه زهو وإعجاب، وعلمه الأدب، فنظم كثيرا، وصنف شرحا على بديعية نظمها بديع فى بابه.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن ونودين الهنتاتى الحفصى، عن ست وسبعين سنة، منها مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وأيام. فى رابع عشر ذى الحجة، بعدما خطب له بتلمسان وفاس وكان خير ملوك زمانه صيانة، وديانة، وجودا، وأفضالا، وعزما، وحزما، وحسن سياسة، وجميل طريقة. وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس[(٢)].

ومات ملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف بن قرا محمد، فى ذى الحجة، مقتولا

---

(١) على بن حسين (٧٥٨-٨٣٧هـ= ١٣٥٧- ١٤٣٤م) هو على بن حسين بن عروة، أبو الحسن المشرقى، ويقال له ابن زكنون فقيه حنبلى عالم بالحديث وأسانيده. وفاته فى دمشق. أشهر تصانيفه «الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى» كبير جدا و «السيرة النبوية»، منتزعة من الكواكب. انظر الضوء اللامع ٥/٢١٤، كتاب مشيخة - خ - السحب الوابلة -خ - الأعلام ٤/٢٨٠،٢٨١.

(٢) المنتصر الحفصى (٨٣٩هـ =١٤٣٥م) محمد (المنتصر) بن محمد (المنصور) ابن أبى فارس عزوز بن أحمد الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع بعد وفاة جدة عزوز (سنة ٨٣٧هـ) وكان فى طرابلس الغرب، فانتقل إلى تونس ولازمه مرض عضال إلى أن توفى بسانية بادو ومدته سنة و٧١ يوما. كان محمود السيرة، من أثاره ابتادؤه بناء المدرسة المنتصرية بسوق الفلقة بتونس، وقد أكملها بعده أخوه عثمان أبو عمرو. انظر الخلاصة النقية ٨١/ شذرات النهب ٧/٢٣٢، خلاصة تاريخ تونس ١٢٣ الأعلام ٧/٤٦.

على حصن من بلاد شاه رخ بن تيمور، ويقال شنكان، فأقيم بدله أمير زاه على ابن أخى قرا يوسف وكان شر ملوك زمانه لفسقه وجوره وعتوه، وإبطاله شرائع الإسلام، فإنه ربى بمدينة إربد [١]، وصحب نصاراها، فلقن منهم عقائد سوء. فلما أقامه أبوه فى بغداد بعد قتل أحمد بن أويس أظهر فيها سيرة جميلة، وعفة عن القاذورات المحرمة مدة سنين. وكان الغالب على دولته نصرانى يعرف بعبد المسيح، فأظهر بعد ذلك تعظيم المسيح وفضله على من عداه، وصرح باعتقاده النصرانية: وأخرج عساكره من بغداد. وبقى فى طائفة، فكثر فى الأعمال قطاع الطريق حتى فسدت السابلة، وجلت الناس عن بغداد، وانقطع ركب الحاج منها، إلى أن غلبه أخوه أصبهان، وأخرجه من بغداد، فقتل، وأراح الله الناس منه. والله يلحق به من بقى من إخوته، فإنهم شر عصابة، سلطت على الناس بذنوبهم.

ومات سلطان بنجالة من بلاد الهند، جلال الدين أبو المظفر محمد بن فندو ويعرف بكاس. كان كاس كافرا، فثار على شهاب الدين مملوك سيف الدين حمزة ابن غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، وملك منه بنجالة وأعمالها، وأسره. فثار عليه ابنه وقد أسلم، وتسمى محمدا، وتكنى بأبى المظفر، وتلقب جلال الدين، وجدد مآثر جليلة، منها عمارة ما أخربه أبوه من المساجد، وإقامة شعائر الإسلام. وبعث بمال إلى مكة وهدية للسلطان بمصر فى سنة اثنتين وثلاثين، على يد شميل ومرغوب [٢] وعلى يدهما كتابه بأن يفوض إليه الخليفة سلطنة الهند، فجهز له التقليد عن الخليفة مع تشريف، فبعث عند وصول ذلك إليه هدية ثانية، فى سنة أربع وثلاثين، فجهزت إليه هدية أخرى، فوصلت إليه. ومات فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة وأقيم بعده ابنه المظفر أحمد شاه، وعمره أربع عشرة سنة.

* * *

---

(١) أَرْبَدُ: بالفتح، ثم السكون والباء الموحدة: قرية بالأردن، قرب طبرية، عن يمين طريق المغرب. انظر معجم البلدان ١/١٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة، عقد الجمان.

سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة

شهر الله الحرام، أوله السبت:

فى ثالثه: قدمت التجريدة المجهزة فى البحر، بغير طائل.

وفى رابعه: قدم قاصد الأمير عثمان قرا يُلك بكتابه، وتسعة أكاديش تقدمة للسلطان، وبعث بدراهم، عليها سكة السلطان.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير بردبك الإسماعيلى، أحد أمراء الطبلخاناه وحاجب ثانى، وأُخرج إلى دمياط. وأنعم بإقطاعه علىالأمير تغرى بردى البكلمشى(1)، المعروف بالمؤذى، أحد رءوس النوب. واستقر الأمير جانبك الذى عزل

(1)تغرى بردى بن عبد الله البكلمشى الدوادار (٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م)، المعروف بالمؤذى، الأمير سيف الدين أحد مماليك الأمير بكلمش العلائى، أمير فى دولة الظاهر برقوق، لما قبض الظاهر على أستاذه بكلمش المذكور صار تغرى هذا من جملة المماليك السلطانية إلى أن تأمر عشرة فى الدولة الناصرية فرج، وأقام على ذلك زيادة على عشرين سنة إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى إمرة طبلخاناه فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية فى سنة تسع وثلاثين تخمينًا، فدام على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق حجوبية الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير يشبك السودونى المشد، بحكم انتقال يشبك إلى إمرة مجلس عوضا عن الأمير آقبغا التمرازى المنتقل إلى إمرة سلاح بعد استقرار الأمير قرقماس الشعبانى أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن السلطان الملك المظفر جقمق. فلم تطل مدة تغرى بردى هذا فى الحجوبية، ونقل إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير أركماس الظاهرى إلى ثغر دمياط، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وباشر الدوادارية بحرمة وافرة،وعظمة زائدة بحيث أنه لم يدع لأرباب الدولة شيئا من الأمر والنهى، وسار على قاعدة السلف من الأمراء المتقدمين، ونالته السعادة. وكان مشكور السيرة فى أحكامه لا يسمع رسالة مرسل بل يجتهد فى عمل الحق حسب ما يظهر له، إلا أنه كان غليظا بذئ السان، شرس الخلق، يخاطب الرجل بما يكره، غير بشوش، متكبر وعنده جبروت، ولما عظم أظهر ما كان مخفيا من لقبه، فانطبق الاسم على المسمى. وكان له مشاركة هينة، ويذكر بالتاريخ فيمن عاصره، ويحفظ مسائل يمارى الفقهاء، وكان عنده نباهة وفطنة، ومعرفة بأنواع الفروسية يحب الجد ويكره الهزل، وعمر جامعا ليفل بخط صليبة جامع أحمد ابن طولون، ووقف عليه عدة أوقاف، وكان يروم المرتبة العليا،ويقول فى نفسه أنه هو حرف التاء، فأدركته المنية بعد أن لزم الفراش مدة طويلة، ومات فى يوم حادى عشرين جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة،وهو فى عشر الثمانين تقريبا. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥٤: ٥٦، الدليل الشافى ١/ ٢١٧ النجوم الزاهرة ١٢/ ١٥٤.

من نيابة الإسكندرية حاجبا، عوض الإسماعيلى.[١]

وفى خامس عشره: قدم الأمير جقمق من الحج، بمن معه، على الرواحل.

وفيه شرع سودون المحمدى - المجهز لعمارة الحرمين - فى هدم سقف الكعبة.

وفى ثانى عشرينه: - الموافق لآخر أيام النسىء نودى على النيل بزيادة أصبعين، لتتمة تسعة عشر ذراعا ونصف ذراع.

وفيه خلع على الأمير دولات خجا وأعيد إلى ولاية القاهرة، عوضًا عن التاج الشويكى [٢] وكان أخوه عمر يتحدث عنه فى الولاية، وقد ترفع عنها بمنادمته السلطان.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. ووافق هذا اليوم نوروز القبط. ونودى فيه بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا. وهذه زيادة كبيرة يندر أن يكون يوم النوروز والنيل على ذلك.

وفى رابع عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج، وقد هلك جماعة من المشاة، وتلفت جمال كثيرة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: عملت الخدمة السلطانية وأقيم الموكب بالإيوان المسمى دار العدل من قلعة الجبل، بعدما هُجر مدة. وأحضر رسول شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، وهو من أشراف شيراز - يقال له السيد تاج الدين على، فدفع ما على يده من الكتاب، وقدم الهدية، تتضمن كتابه وصول هدية السلطان المجهزة إليه. وأنه نذر أن يكسو الكعبة البيت الحرام، وطلب أن يبعث إليه من يتسلمها، ويعلقها من داخل البيت. واشتملت الهدية على ثمانين ثوب حرير أطلس، وألف قطعة فيروزج ليست بذاك، تبلغ قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار. ولم يكلف الرسول أن يقبل الأرض رعاية لشرفه. ووجد تاريخ الكتاب فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين. وكان قدومه من هراه [٣] إلى هرمز، ومن هرمز إلى مكة. ثم قدم صحبة ركب الحاج، فأنزل وأجرى له ما يليق به [٤].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

(٣) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. انظر معجم البلدان ٥/٣٩٦.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

وفى ثامن عشرينه: وصل من القدس مائة وعشرة رحال من الفرنج الجرجان، وقد قدموا لزيارة قمامة على عادتهم، فاتهموا أن فيهم عدة من أولاد ملوك الكيتلان الذين كثر عيثهم وفسادهم فى البحر، فأحضروا ليكشف عن حالهم، وهم بأسوأ حال فسجنوا مهانين. ثم أفرج عنهم بعد أيام، وقد مات منهم عدة.

شهر صفر، أوله الإثنين:

فى سادسه: رُسم باستقرار سراج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصى - قاضى طرابلس - فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين بن عمر بن حجى. وقد وَعد بأربعة آلاف دينار يقوم بها. واستقر عوضه فى قضاء طرابلس صدر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد النويرى، بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار. وأُعيد القاضى شمس الدين محمد بن على بن محمد الصفدى إلى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، على أن يقوم بألفى دينار. وعزل شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمود بن الكشك.

وفى سادسه: عُقد بين يدى السلطان مجلس جمع فيه قضاة القضاة الأربع بسبب نذر شاه رخ أن يكسو الكعبة، فأجاب قاضى القضاة بدر الدين العينى بأن نذره لا ينعقد، فانفضوا على ذلك (١).

وفيه خلع على نكار الخاصكى، واستقر شاد جدة. وخُلع معه على علم الدين عبد الرزاق الملكى، واستقر عوضا عن سعد الدين بن المرة. وساروا بعد أيام إلى مكة - شرفها الله تعالى - فى البحر.

وفى تاسعه - الموافق لسابع عشر توت: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وعشر أصابع.

وفى ثالث عشره: كتب إلى مكة - شرفها الله تعالى - بأن يتحدث الأمير سودن المحمدى المجرد هناك فى نظر الحرم. وكتب أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين إلى جدة من الهنود سوى العُشر فقط، وأن يؤخذ من التجار الشاميين والمصريين إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشران. وأنَّ من قدم إلى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة تؤخذ بضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن يدفع له عنها.

وسبب ذلك أن تجار الهند فى هذه السنين صاروا عندما يعبرون من باب المندب

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦ وما بعدها.

يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة كما تقدم، فأقفرت عدن من التجار، واتضع حال مَلِك اليمن لقلة متحصله. وصارت جدة هى بندر التجار، ويحصل لسلطان مصر من عشور التجار مال كبير. وصار نظر جدة وظيفة سلطانية، فإنه يؤخذ من التجار الواردين من الهند عشور بضائعهم. ويُؤخذ مع العشور رسوم تقررت للناظر والشاد، وشهود القبان، والصيرفى، ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم. وصار يُحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس وغير ذلك مما يحمل من الأصناف إلى بلاد الهند، فيطرح على التجار. وتشبه به فى ذلك غير واحد من أهل الدولة. فضاق التجار بذلك ذرعا، ونزل جماعة منهم فى السنة الماضية إلى عدن، فتنكر السلطان بمصر عليهم؛ لما فاته من أخذ عشورهم، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة، إن كان من الشاميين أو المصريين، أن يضاعف عليه العشر بعُشْرَيْن، وإن كان من أهل اليمن أن تؤخذ بضاعته بأسرها. فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشىء من هذا الحادث، لكن قُرئت هذه المراسيم تجاه الحجر الأسود، فراجع الشريف بركات ابن عجلان أمير مكة فى أمرها للسلطان، حتى عفا عن التجار وأبطل ما رسم به.

وكانت العادة التى أدركناها أن الحرم يلى نظره قاضى مكة الشافعى، فبذل بعض التجار العجم المجاورين بمكة - وهو داود الكيلانى - مالا للسلطان حتى ولاه نظر الحرم، وعزل عنه أبا السعادات جلال الدين محمد بن ظهيرة قاضى مكة فى السنة الماضية. فلما قدم مكة وقُرئ توقيعه تجاه الحجر الأسود على العادة، أنكره الشريف بركات، وراجع السلطان فى كتابه إليه بأن الفقراء وغيرهم من أهل الحرم لم يرضوا بولاية داود، وأنه منعه من التحدث، وأقام سودن المحمدى المجهز لعمارة الحرم يتحدث فى النظر حتى يرد ما يعتمد عليه، فكتب لسودن المحمدى فى التحدث فى نظر الحرم، فباشر ذلك.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ثارت مماليك السلطان سكان الطباق بقلعة الجبل، وطلبوا القبض على المباشرين بسبب تأخر جوامكهم فى الديوان المفرد، ففر المباشرون منهم، ونزلوا من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة، فنزل جمع كبير من المماليك إلى القاهرة، ومضوا إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وهو يومئذ عظيم الدولة، وصاحب حلّها وعقدها، فنهبوا ما قدروا عليه. وقصدوا بعده بيت الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وبيت الأمير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ أستادار، فنهبوهما. ولم يقدروا على أحد من الثلاثة؛ لفرارهم منهم، فكان يوما شنيعا.

وفى يوم الثلاثاء غده: غُلقت أسواق القاهرة، وماج الناس فى الشوارع والأزقة، وفرَّ الأعيان من دورهم لإشاعة كاذبة بأن المماليك قد نزلوا من القلعة للنهب. وكان ذلك من أشنع ما جرى، إلا أن الحال سكن بعد ساعة؛ لظهور كذب الإشاعة، وأن المماليك لم تتحرك (١).

وفى سابع عشره: ركب القاضى زين الدين عبد الباسط إلى القلعة بعدما نزل له الأمراء فى أمسه بأن يتوجه إلى الإسكندرية، فمازال حتى انصلح حاله. وركب بقية المباشرين إلى القلعة للخدمة السلطانية على العادة، فتقرر الأمر على أن يقوم عبد الباسط للوزير من ماله بخمسمائة ألف درهم مصرية، عنها نحو ألفى دينار أشرفية، تقوية له، وأن السلطان يساعد أستادار بعليق المماليك لشهر، ونزلوا وقد أمنوا واطمأنوا.

وفى يوم الأربعاء: هذا نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وأحد عشر أصبعا. وكان قد نقص بعد عيد الصليب عندما فتحت جسور عديدة لرى النواحى، فرد النقص فى هذه المدة، وزاد إصبعا، وقد طبق الماء جميع أراضى مصر، قبليها وبحريها، وشمل الرى حتى الروابى؛ و لله الحمد.

وفى يوم الخميس – ثامن عشره: – نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا ونصف.

وفى يوم الجمعة – تاسع عشره: – عين شمس الدين بن سعد الدين بن قطارة لنظر الدولة، وألزم بتكفية يومه. ورُسم بطلب الأمير أرغون شاه الوزير – كان – من دمشق، وهو أستادار بها؛ ليستقر فى الوزارة، عوضا عن أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، بعدما تنكر السلطان على أستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ من أجل أنه عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، فرسم بعقوبته، وضمنه ناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم.

وفيه بدأ النقص فى ماء النيل، وهو سابع عشرين توت.

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على أستادار كريم الدين على عادته. وخلع على الوزير أمين الدين واستقر بعد الوزارة فى نظر الدولة، كما كان قبل الوزارة (٢).

وألزم بتكفية الدولة إلى حين قدوم الأمير أرغون شاه، فاختفى فى ليلة الإثنين.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٧،٢٣٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٨.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: قبض على الأمير كريم الدين أستادار، وألزم سعد الدين ناظر الخاص بولاية الوزارة، فلم يوافق على ذلك.

وفيه سار الشريف تاج الدين على - رسول شاه رخ - وصحبته الأمير أقطوة المؤيدى المهمندار. وأُجيب شاه رخ عن طلبه كسوة الكعبة بأن العادة قد جرت ألا يكسوها إلا ملوك مصر، والعادة قد اعتبرت فى الشرع فى مواضع وجُهزت إليه هدية.

وفى خامس عشرينه: تغير السلطان على سعد الدين ناظر الخاص لامتناعه من ولاية الوزارة، وأمر به فضرب - وقد بطح على الأرض - ضربا مبرحا. ثم نزل إلى داره [(١)].

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، وقلَّ وجوده فى الأسواق. وارتفع سعر الأجبان وعدة أصناف من المأكولات، مع رخاء سعر الغلال.

وفيه طرح من شون السلطان عشرة آلاف أردب من الفول على أصحاب البساتين والمعاصر وغيرها من الدواليب، بسعر مائة وخمسة وسبعين درهما من الفلوس كل أردب. ورسم ألا يحمى أحد ممن له جاه، فلم يعمل بذلك. ونجا من الطرح من له جاه، وابتلى به من عداهم. فنزل بالناس منه خسارات متعددة، لا من زيادة السعر، بل من كثرة الكُلف.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه: ضُرب الوزير الصاحب أستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ بالمقارع، وقد عرى من ثيابه زيادة على مائة شيب. ثم ضُرب على أكتافه بالعصى ضربا مبرحا، وعصرت رجلاه بالمعاصير. وكان له - منذ قُبض عليه وهو مسجون ومقيد - عدةُ مرسمون عليه فى موضع بالقلعة ثم أنزل فى يوم الجمعة غد من القلعة، وأركب بغلا، ومضى به إلى الأعوان الموكلون به، إلى بيت الأمير التاج والى القاهرة؛ ليورد ما ألزم به وقد حوسب، فوقف عليه خمسة وخمسون ألف دينار ذهبا، صولح عنها بعشرين ألف دينار، فشرع فى بيع موجوده وإيراد المال.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه خُلع على سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص جبة. واستقر على عادته [(٢)].

وخلع على أخيه جمال الدين يوسف، واستقر فى الوزارة. وكانت منذ تغيب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وسعد الدين ناظر الخاص يباشرها، ويسدد أمورها من غير

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٩/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٠/١٤.

لبس تشريف، فغرم فيها جملة مال لعجز جهاتها عن مصارفها: وخلع أيضا على ابن قطارة، واستقر فى نظر الدولة [١].

وفى ليلة الجمعة رابعه: عمل المولد النبوى بين يدى السلطان بقلعة الجبل على العادة. وضبط الوزير أمور الدولة ونفذ أحوالها بقوة. وقطع عدة مرتبات من لحم ودراهم. ولم يفرج لأحد من أرباب الجهات عن شىء له عليه مقرر فهابه الناس وطلبت الغلال للبذر، فارتفع السعر قليلا. وطرحت من الغلال على الناس ما بلغت جملته بما تقدم ذكره ثمانية عشر ألف أردب فولاً وثمانية آلاف أردب قمحًا، فنزل بالناس فى هذا الشهر شدائد.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أفرج عن الصاحب كريم الدين من ترسيم التاج، فسار إلى داره، بعدما حمل نحو عشرين ألف دينار، وضمنه فيما بقى جماعة من الأعيان.

وفى هذا الشهر: انتهت عمارة سقف الكعبة - شرفها الله تعالى - على يد سودن المحمدى، وشرع فى هدم المنارة التى على باب اليمنى من المسجد الحرام، فهدمت وبنيت بناء عاليا.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى ثالثه - قبيل الظهر بقليل -: حدثت زلزلة بالقاهرة اهتزت لها الدور هزة، فلو قد طالت قليلا لأخربت ما زلزلت.

وفى رابعه: قدم الأمير أرغون شاه المطلوب للوزارة من دمشق فأخذت تقدمته [٢].

وفى خامسه: ركب السلطان من قلعة الجبل باكرا، وشق القاهرة، فمضى للصيد، ورجع من آخر نهار يوم الأربعاء. وتكرر ركوبه لذلك مرتين أخريين، يبيت فى كل مرة ثم يعود.

وفى هذا الشهر: كثرت الأمطار ببلاد غزة وعامة بلاد الشام، فانتفعوا بها.

وفيه ارتفع بالقاهرة سعر اللحم والخبز والجبن واللبن والعسل وعدة من الأقوات، حتى بلغ بعضها مثلى ثمنه، مع رخاء سعر القمح والشعير، وغلاء الأرز أيضا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

وفيه احترقت مركب بساحل الطور، تلف فيها بضائع كثيرة.

وفيه منع التجار بالإسكندرية من بيع البهار على الفرنج، فأضرَّهم ذلك.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى ثانيه: ركب السلطان إلى الصيد، وشق القاهرة وعاد آخر يوم الثلاثاء خامسه، وهذه رابع ركبة له للصيد.

وفى سابعه: سافر الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية وناظرها بعدما حمل خمسة آلاف دينار ذهبا، سوى قماش وغيره بألف دينار. وكان قد قدم من الثغر فى الشهر الماضى.

وفى هذه الأيام وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام [١].

وفى خامس عشره: خلع على دولات خجا والى القاهرة، واستقر فى ولاية منفلوط وكاشف القبض. وشغرت ولاية القاهرة إلى يوم الأحد سابع عشره، فخلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة [٢] على أن يحمل ألفا ومائتى دينار وكان له منذ عزل من الولاية بضع عشرة سنة يتسخط فى أذيال الخمول.

وفى هذه الأيام: حُمل إلى مكة - شرفها الله تعالى - من الرخام ما ذرعه ستون ذراعا لمرمة الحجر وشاذروان البيت. وحمل من الجبس خمسون حملا؛ لبياض أروقة المسجد الحرام، ومن الحديد عشرة قناطير لعمل مسامير، وأربعون قطعة خشب لشد أروقة المسجد الحرام.

وفى سلخه: برز الأمير تمراز رأس نوبة النوب، وصحبته عدة مائتى مملوك، وخجا سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه، وأمير آخر من أمراء العشرات؛ ليتوجهوا إلى الوجه القبلى، وذلك أن الأمير تغرى برمش - أمير أخور - خرج إلى سرحة الوجه القبلى لأخذ تقادم العربان وغيرهم، فلقيه على بن غريب على ناحية دهروط [٣]، وهو يومئذ يلى أمر هوارة البحرية؛ ليحضر تقدمته على العادة.

---

(١) وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام؛ لقتال قرايلك والفحص أيضا عن جانبك الصوفى. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٣) دَهْروط: بُليدة على شاطىء غربى النيل من ناحية الصعيد قرب البهنسا. انظر معجم البلدان ٢/٤٩٢.

وحضر ملك الأمراء بالوجه القبلى - وهو محمد الصغير - وجاءت طائفة من محارب وطائفة من فزارة ليقدموا تقادمهم، فاقتضى الحال إرسال ملك الأمراء وعلى ابن غريب معهم لأخذ التقادم منهم، فغدروا بهم، وثاروا عليهم، فقاتلهم ملك الأمراء، وعاد مهزوما، وقد جرح، وقتل عدة من جماعته. ثم إن السلطان عين لكشف الوجه القبلى الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ.

وفى هذا الشهر: قبض الأمير قرقماس نائب حلب على الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمرعش. وأقام بدله عليها حمزة باك بن على باك بن دلغادر. هذا وأبوه ناصر الدين محمد بن دلغادر على أبلستين وقيصرية الروم وهما بيده. وسبب ذلك أنه كان فى نيابة مرعش الأمير حمزة بك بن الأمير على بك بن دلغادر، فوثب عليه فياض المذكور، وولى مرعش بغير مرسوم.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فيه خلع على الأمير الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر كاشف الوجه القبلى. ورسم أن يستقر محمد الصغير المعزول عن الكشف دواداره، وأمير على الذى كان كاشفا بالوجه القبلى والوجه البحرى رأس نوبته. ونزل من القلعة إلى داره فى موكب جليل.

وفى سادسه: خلع على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، واستقر شريكا لعبد العظيم بن صدقة فى نظر الديوان المفرد.

وقدم الخبر بأن الأمير عثمان قرايلك صاحب آمد وماردين نزل على ظاهر الرها، وأخذ فى جمع جمائعه، وأن ابنه نهب معاملة دوركى ومعاملة ملطية.

وفى يوم الأحد سادس عشره: قبض السلطان على سعد الدين [1] ناظر الخاص، وأخيه الوزير جمال الدين يوسف، وأوقع الحوطة على دارهما، ثم أفرج عنهما من الغد. وخلع على ناظر الخاص باستمراره على عادته. وعزل أخوه عن الوزارة، وألزما بحمل ثلاثين ألف دينار فنزلا وشرعا فى بيع موجودهما وإيراد المال المذكور [2] وفيه ألزم تاج الدين عبد الوهاب بن الشمس نصر الله الخطير بن الوجيه توما ناظر الإصطبل بولاية الوزارة، وخلع عليه من الغد يوم الثلاثاء ثامن عشره.

---

(١) هو سعد الدين إبراهيم. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤١.

وفيه قدم سيف الأمير أركماس الجلبانى [١] أحد مقدمى الألوف بدمشق، وقد مات.

وفيه خلع على الأمير التاج الشويكى، واستقر مهمندارا عوضا عن الأمير أقطوة المتوجه رسولا إلى شاه رخ.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: رسم بإقطاع أركماس الجلبانى لتِمْراز المؤيدى [٢].

وأنعم بطبلخاناه تمراز على الأمير سنقر العزى نائب حمص، واستقر عوضه طغرق أحد أمراء دمشق.

وفى العشرين منه: خلع على شمس الدين أبى الحسن ابن الوزير تاج الدين الخطير، واستقر فى نظر الإسطبل عوضا عن أبيه.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توجه الأمير الكبير أينال الجكمى والأمير جقمق أمير سلاح، والأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير قانباى الحمزاوى، فى عدة من الأمراء إلى العرب بالوجه البحرى، وذلك أن لبيد عرب برقة قدم منهم طائفة بهدية، وسألوا أن ينزلوا البحيرة، فلم يجابوا إلى ذلك وخلع عليهم، فعارضهم أهل البحيرة فى طريقهم، وأخذوا منهم خلعهم. وكان السلطان يلهج كثيرا بإخراج تجريدة إلى البحيرة، فبلغهم ذلك فأخذوا حذرهم.

واتفق مع ذلك أن شتاء هذه السنة لم يقع فيه مطر ألبتة، لا بأرض مصر ولا بأرض الشام، فدَّفت دافة [٣] من لبيد إلى البحيرة لمحل بلادهم، وصالحوا أهل البحيرة، وساروا إلى محارب وغيرها من العرب بالوجه القبلى لرعى الكتيح من الأراضى البور. وكان قد كتب إلى الكاشف بألا يمكنهم من المراعى حتى يأخذ منهم مالاً، فأنفوا من ذلك؛ لأنه حادث لم يعهد قبل ذلك، وأظهروا الخلاف، فخرجت إليهم هذه التجريدة.

وفى هذا الشهر: رسم أن يكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانك، ويعمل بها. وندب لذلك قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى، فبدأ أولا بمدرسة الأمير صرغتمش بخط الصليبة وقرأ كتاب وقفها. وقد حضر معه رفقاؤه

---

(١) مات فى الرملة، ودفن بالقدس. انظر الضوء اللامع ٢/٢٦٨، المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) فى النجوم: أنعم السلطان على تمراز المؤيدى الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، بعد موت الأمير أركماس الجلبانى. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٢.

(٣) دفت دافة، أى أتى قوم من أهل البادية، ويقال دفت علينا من بنى فلان دافة. انظر لسان العرب.

الثلاث قضاة القضاة، فأجمل فى الأمر، فلم يعجب السلطان ذلك، وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها، فروجع فى ذلك حتى أقرهم على ما هم عليه. وأبطل الكشف عما رسم به، فسر الناس بهذا لأنهم كانوا يتوقعون تغييرات كثيرة.

وفيه اشتد قلق الناس لقلة البرد فى فصل الشتاء، وعدم المطر، وهبوب رياح حارة فى أوقات عديدة، خوفا على الزرع. و لله الأمر.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى ثامنه: أدير محمل الحاج بمصر والقاهرة، وكانت العادة ألا يدار إلا بعد النصف من رجب، فأدير فى هذه الدولة قبله غير مرة [١].

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير تمرباى الدوادار الثانى، واستقر أمير الحاج، وخلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله محتسب القاهرة؛ ليكون أمير الركب الأول.

وفى حادى عشرينه: ورد الخبر بأن العرب - من محارب - لما علموا نزول الأمير أينال الجكمى على الفيوم، ساروا إلى جهة الواحات. ثم بدا لهم فنزلوا بالأشمونين، فركب الأمير كريم الدين الكاشف، والأمير تغرى برمش أمير أخور، والأمير تمراز رأس نوبة النوب، وقاتلوهم وهزموهم، وظفروا منهم بستمائة جمل، غير ما نهب لهم وأن ذلك كان فى يوم الثلاثاء سادس عشره.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر تحت الحوطة، فسجن بقلعة الجبل.

وفى هذا الشهر: بعث الملك شهاب الدين أحمد بدلاى بن سعد الدين [٢] سلطان المسلمين بالحبشة، أخاه خير الدين لقتال أمحرة الكفرة، ففتح عدة بلاد من بلاد الحطى ملك الحبشة، وقتل أميرين من أمرائه، وحرق البلاد، وغنم مالا عظيما، وأكثر من القتل فى أمحرة النصارى، وخرب لهم ست كنائس.

هذا وقد شنع بعامة بلاد الحبشة الوباء العظيم، فمات فيه من المسلمين ومن النصارى عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٤ وفيه أدير المحمل على العادة فى كل سنة.

(٢) هو بدلاى؛ شهاب الدين أحمد بن سعد الدين أبى البركات بن أحمد بن على الجبرتى. سلطان المسلمين ببلاد الحبشة تولى الملك سنة ٨٣٥هـ وقتل سنة ٨٤٧هـ. انظر الضوء اللامع ٣،٤، عقد الجمان (حوادث سنة ٨٣٨هـ).

وهلك فى هذا الوباء الحطى ملك الحبشة الكافر، وأقيم بدله صبى صغير.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

وفى سادسه: قدم بقية المماليك والأمراء المجردين إلى العرب بالوجه القبلى.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير قانباى الحمزاوى أحد الأمراء الألوف. واستقر فى نيابة حماه عوضا عن الأمير جلبان. ونقل جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طراباى بعد موته. وأنعم بإقطاع قانباى وإمرته على الأمير خجا سودن أحد أمراء الطبلخاناه. ووفرت إمرة خجا سودن وأُضيف إقطاعه إلى الدولة؛ تقوية للوزير تاج الدين.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالفلوس، وألا يتعامل الناس إلا بالفلوس التى ضربها السلطان. وكان من خبر ذلك أن الفلوس الجدد لما ضُربت فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة عمل زنة كل فلس منها مثقال، على أن الدرهم الفضة المعاملة يعد فيه منها أربعة وعشرون فلسا، فكانت زنة القفة الفلوس مائة وثمانية عشر رطلا، عنها خمسمائة درهم من الفضة الظاهرية، معاملة مصر والشام. والمثقال الذهب الهرجة المضروب بسكة الإسلام يصرف بعشرين درهما من هذه الدراهم، ويزيد تارة ثُمن درهم على العشرين درهما، وتارة ربع درهم عليها. ثم تزايد صرف الدينار فى آخر الأيام الظاهرية برقوق، حتى بلغ نحو خمسة وعشرين درهما. وكان النقد الرائج بديار مصر وأرض الشام الفضة المذكورة، ويعمل ثلثها نحاس، وثلثاها فضة. ثم يلى الفضة المذكورة فى المعاملة الذهب المختوم الإسلامى، ولا يعرف دينار غيره. وكانت الفلوس أولا إنما هى برسم شراء المحقرات، التى لا تبلغ قيمتها درهم. فلما كانت الأيام الظاهرية برقوق، وقام بتدبير الأموال الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه أستادار، أكثر من ضرب الفلوس الجدد المذكورة، حتى صارت هى النقد الرائج بديار مصر، وقلت الدراهم. فلما كانت الأيام الناصرية فرج بن برقوق، تفاحش فى دولته أمر نقود مصر، وكادت الدراهم الفضة المعاملة التى تقدم ذكرها أن تعدم، وصارت تباع كما تباع البضائع، فبلغت كل مائة درهم منها إلى ثلاثمائة وستين درهما من الفلوس، التى يعد عن كل درهم منها أربعة وعشرون فلسا. وزاد سعر الذهب، وراج منه الدينار الأفرنتى، وهو ضرب الفرنج، حتى عدمت الدنانير الذهب الهرجة المختومة بسكة الإسلام، وبلغ الدينار الأفرنتى المذكور مائتين وستين درهما من الفلوس المذكورة وفسدت مع ذلك هذه الفلوس، فعملت كل قنطار مصرى - وهو مائة رطل مصرية - بستمائة درهم، وصارت معاملة الناس بها فى ديار مصر كلها بالوزن لا

بالعدد، فيحسب فى كل رطل منها ستة دراهم، وصارت قيم الأعمال وثمن المبيعات كلها - جليلها وحقيرها - وأجرة البيوت والبساتين، وسجلات الأراضى كلها، ومهور النساء، وسائر إنعامات السلطان، إنما هى بالفلوس، وصار النقدان - اللذان هما الذهب والفضة - ينسبان إلى هذه الفلوس، فيقال كل دينار بكذا أو كذا من الفلوس، وكل درهم من الفضة إن وجد ـ ولا يكاد يوجد ـ بكذا من الفلوس، فلم يبق للناس بديار مصر نقد سوى الفلوس. ثم بعد الفلوس، الذهب الأفرنتى أو الذهب السالمى أو الذهب الناصرى، وهو بأنواعه إنما ينسب إلى الفلوس. وصار الذهب مع ذلك أصنافا، الهرجة وهو قليل جدا، والأفرنتى وهو من الذهب النقد الرائج، والسالمى وهى دنانير ضربها الأمير يلبغا السالمى أستادار زنتها مثقال كل دينار، والناصرى وهى دنانير ضربها الملك الناصر فرج بن برقوق.

فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ ضرب دراهم عرفت بالمؤيدية، تعامل الناس بها عددًا مدة أيامه، وحسن موقعها من الناس، فصارت النقود بمصر الفلوس، والذهب بأنواعه، والفضة المؤيدية. والنقد الرائج منها إنما هو الفلوس، وإليها تنسب قيم الأعمال وثمن المبيعات، كما تقدم.

فلما كانت الأيام الأشرفية برسباى رد الدراهم إلى الوزن، وأبطل المعاملة بها بالعدد، فإنه كثر قص المفسدين منها فتعنت الناس فى أخذها.واستمرت المعاملة بالدراهم وزنًا. وضرب أيضا دراهم أشرفية، يصرف كل درهم وزنا بعشرين درهما من الفلوس. ثم تزايد سعر الفلوس حتى بلغ كل قنطار منها ألفًا وثمانمائة، فتعمل الناس بها من حساب كل رطل بثمانية عشر درهمًا فلوسا. ومازالت تقل لكثرة ما يحمل التجار منها إلى بلاد الهند وغيرها، وما يضرب منها بالقاهرة أوانى كالقدور التى يطبخ فيها ونحوها من آلات النحاس. وصار على من يتولى ضرب الفلوس أوانى ضمانا مقررًا لديوان الخاص، فى كل شهر خمسة عشر ألف درهم. ثم زاد مبلغ الضمان عن ذلك، فاقتضى رأى السلطان بعد اختلاف واضطراب كثير فى مدة أيام أن يضرب فلوسا، يعد فى كل درهم من دراهم الدينار ثمانية فلوس، على أن الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثمانين درهما، والدينار الأفرنتى بمائتين وثمانين. فتكون هذه الفلوس الأشرفية كل رطل منها بسبعة وعشرين درهما. ويؤخذ فى كل دينار أشرفى ألفان ومائتا فلس وثمانون فلسا. فلما ضربت الفلوس على هذا الحكم، نودى أن يتعامل الناس بها، وألا يتعاملوا بما فى أيديهم من الفلوس القديمة، بل يحملوها إلى دار الضرب على حساب كل رطل بثمانية عشر. وما أحسن هذا لو استمر.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى خامسه: خلع على محمد الصغير، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضا عن الصاحب كريم الدين.

وفيه توجه الأمير قانباى إلى محل كفالته من نيابة حماة، بعدما اقترض نحو خمسة آلاف دينار بفوائد حتى تجهز بها لقلة ذات يده. وهذا من نوادر ما يحكى عن أمراء مصر.

وفى خامس عشره: قدم الصاحب كريم الدين من الوجه القبلى، فنزل داره.

وفى هذه الأيام - وموافقتها من شهور القبط برمودة: - وقع بالقاهرة ومصر مطر كثير غزير، دلفت منه سقوف البيوت، وسال جبل المقطم سيلا عظيما، أقام منه الماء بالصحراء عدة أيام. وهذا أيضا فى هذا الوقت مما يندر وقوعه بأرض مصر.

وفى هذا الشهر: الأمير قرقماس نائب حلب منها بالعسكر، ونزل العمق، وجمع تركمان الطاعة؛ وسبب ذلك أن الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان قصد أخذ مدينة قيصرية من الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين فى الأيام المؤيدية شيخ. وكان ابن دلغادر قد تغلب عليها، وانتزعها من بنى قرمان، وولى عليها ابنه سليمن، فترامى ابن قرمان على السلطان فى هذه الأيام أن يملكه - بإعانته بعسكر حلب - بمدينة قيصرية، ووعد بمال، وهو عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وثلاثون بختيا، وثلاثون فرسا، سوى خدمة أركان الدولة. فكتب السلطان إلى نائب حلب أن يخرج إلى العمق ويجمع العساكر لأخذ قيصرية. وبعث بذلك الأمير خش كلدى مقدم البريدية، فخرج فى ثانى عشر رمضان هذا، ونزل العمق، وجمع تركمان الطاعة، وكتب إلى ابن قرمان بأن يسير بعسكره إلى قيصرية.

وفى هذا الشهر: أيضا ورد الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد توجه لأخذ الموصل، فبعث زينال الحاكم بها إلى الأمير عثمن قرايلوك صاحب آمد بمفاتيح الموصل، وحثه على المسير إليها، فبعث نائبه محمود بن قرايلوك، ومعه بشلمش أحد أمرائه فى مائتى فارس، فلما قدموا على زينال، جعلهم فى الموصل كالمسجونين مدة، فجهز محمود إلى أبيه قرايلوك يعلمه بحاله، فأمده بأخيه محمد بيك بن قرايلوك على ألف فارس، فنزل على الموصل مدة. ولم يتمكن من رؤية أخيه محمود، فسار قرايلوك بنفسه

من مشتاه برأس عين [١]، ونزل على نصيبين [٢]، فبلغه توجه إسكندر بن قرا يوسف إليه، وقد فر من شاه رخ ملك المشرق، وكان الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر لما بلغه خروج العساكر من حلب لأخذ قيصرية منه بعث بامرأته الحاجة خديجة خاتون بتقدمة للسلطان، ومعها مفاتيح قيصرية، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها، وأن يفرج عن ولدها فياض المسجون بقلعة الجبل. وكتب على يدها بذلك كتابا، ووعد بمال، فقدمت حلب فى سابع عشرينه.

شهر شوال، أوله يوم السبت:

فى رابعه: قدم كتاب الخان شاه رخ ملك المشرق، يتضمن أنه عازم على زيارة القدس الشريف وأرعد فيه وأبرق، وأنكر أخذ المكوس من التجار بجدة [٣].

فى رابع عشره: خلع على علاء الدين على بن التلوانى أحد أجناد الحلقة، واستقر فى نيابة دمياط، عوضا عن سودن المغربى أحد المماليك الظاهرية برقوق.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى أحد ندماء السلطان وجلسائه، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن ابن الطبلاوى، بحكم عزله. فأقام أخاه الأمير عمر يتحدث فى الولاية عنه.

وفى ثامن عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير تمرباى الدوادار، فنزل بركة الحاج. ورحل فى ثانى عشرينه الركب الأول صحبة الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله [٤] وفيهم خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر زوجة السلطان. وقد أذن لوالده الصاحب بدر الدين أن يتحدث فى الحسبة، حتى يقدم من الحج. ورحل الأمير تمرباى بالمحمل وبقية الحاج فى يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفى هذا الشهر: زاد ماء النيل نحو أربعة أذرع قبيل أوان الزيادة، فأغرق كثيرًا من مقاتى البطيخ. واستمرت الزيادة إلى ثالث بؤونة، وهذا مما يستغرب وقوعه، فتلف للناس مال عظيم بسبب ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت خديجة خاتون امرأة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى

---

(١) رَأسُ عَيْنٍ: بين تمم وبكرين وائل. انظر معجم البلدان ١٣/٣.

(٢) نَصيبين: هى مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر معجم البلدان ٢٢٨/٥و٢٨٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٥/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٥/١٤، أنباء الغمر (حوادث نفس السنة).

القاهرة، فأنزلت، وأقيم لها بما يليق بها. وقبلت هديتها لما صعدت قلعة الجبل. وأفرج لها عن ولدها فياض، وخلع عليه وولى نيابة مرعش وكان الأمير إبراهيم بن قرمان قد بلغه توجه خديجة خاتون إلى القاهرة، فبعث يسأل أن تكون قيصرية له. فقدم قاصده إلى حلب فى ثامن عشرين شهر شوال هذا، ووعد بالمال المذكور وقد رحل الأمير قرقماس نائب حلب فى رابع عشرينه من مرج دابق يريد عينتاب، بعدما أقام بالعمق خمسا وثلاثين ليلة.

وفى هذا الشهر: ظهر الأمير جانبك الصوفى، بعدما أقام منذ خرج من سجن الإسكندرية فى شهر شعبان سنة ست وعشرين لا يوقف له على خبر، حتى قدم فى يوم الثلاثاء حادى عشر شوال هذا إلى مدينة حلب تركمانى يقال له محمد، قد قبض عليه الأمير قرقماس نائب حلب بالعمق، ومعه كتاب جانبك الصوفى فى سابعه، فسجن بقلعة حلب، وجهز الكتاب إلى السلطان [١].

شهر ذى القعدة، أوله يوم الإثنين:

فيه نزل الأمير قرقماس نائب حلب بمن معه عينتاب، وقد جمع التركمان على كينوك، فأتاه الخبر بأن حمزة بن دلغادر خرج عن الطاعة، وتوجه إلى ابن عمه سليمن ابن ناصر الدين محمد بن دلغادر، بعدما بعث إليه، وحلفه له. وأن دوادار الأمير جانبك الصوفى ومحمد بن كندغدى بن رمضان التركمانى وصلا إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بأبلستين، وحلفاه أنه إذا قدم عليه جانبك الصوفى لا يسلمه، ولا يخذله، وأن جانبك كان عند أسفنديار، فسار من عنده يريد سليمن بن دلغادر، فخرج إليه، وتلقاه هو وأمراؤه التركمان، وكان السلطان قد جهز خديجة خاتون - كما تقدم ذكره - فسارت بابنها فياض فى أوائل هذا الشهر. وقد جمع الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان، ونزل على قيصرية، فوافقه أهلها، وسلموها له. ففر سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر، فبلغه ظهور جانبك الصوفى، وأنه اجتمع عليه الأمير أسلماس بن كبك، ومحمد بن قطبكى، وهما من أمراء التركمان، ونزلوا على ملطية. فقدم على أبيه بأبلستين، و لم يبلغهما خبر الإفراج عن ولده فياض، وخروجه مع أمه خديجة من القاهرة، فأراد أن يتخذ يدًا عند السلطان؛ ليفرج عن ابنه فياض، وينعم له بقيصرية، فجهز فى ذلك ابنه سليمان، بعد عوده منهزما من قيصرية، بكتابه.

وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف مشى على قرايلوك وغزا على مدينة أرزن

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٥.

الروم [١] وأخذها. فعاد قرايلوك إلى آمد، وخرج منها بعد ليلة إلى أرقنين [٢] خوفا من إسكندر. وأن كتاب الأمير جانبك الصوفى ورد على الأمير بلبان نائب درنده، فقبض على قاصده، وسجنه، وحمل كتابه إلى السلطان.

وفى سابع عشرينه: عاد الأمير قرقماس نائب حلب إليها، بعد غيبته عنها بالعمق ومرج دابق وعينتاب خمسة وسبعين يوما، وقد فات أخذ قيصرية؛ لاستيلاء إبراهيم بن قرمان عليها. وكان القصد أخذها واستنابة أحد أمراء السلطان بها، ولظهور جانبك الصوفى، وانتمائه إلى ابن دلغادر، ووصلت خديجة خاتون وابنها فياض إلى زوجها ناصر الدين محمد بن دلغادر فبلغ مراده، وترك مداة السلطان، وأشغل فكر الدولة؛ لأنه قد جاء من خروج جانبك ما هو أدهى وأمر.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه - وهو سابع عشرين بؤونة: - ابتدأ بالنداء على النيل، فزاد إصبعين، وجاءت القاعدة أحد عشر ذراعا وعشر أصابع، وهذا مما يندر وقوعه، ولم ندرك مثله.

وفى سادس عشرينه: لم يناد على النيل إلى سلخه، ونقص ستة عشر أصبعا.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى سادسه: نودى بزيادة أصبع من النقص، واستمرت الزيادة فى كل يوم.

وفى تاسعه: أضيف إلى زين الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد بن السفاح كاتب السر بحلب نظر الجيش بها، عوضا عن جمال الدين يوسف بن أبى أصيبعة، بمال وعد به.

وفى سابع عشره: خرج على مبشرى الحاج طائفة من عنزة، [٣] فأخذت جميع ما معهم، وقتلوا منهم مملوكا، وتركوهم حفاة عراة، بادية عوراتهم، فمشوا إلى أن لقوا أرباب الأدراك من جهينة بأرض السماوة فآووهم، وذبحوا لهم الأغنام، وأضافوهم، وكسوهم من ملابسهم، وحملوهم إلى القاهرة، وقد قلق الناس بهذا لتأخرهم عن عادة قدومهم عدة أيام.

---

(١) أَرْزَن: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاى، ونون، وهى مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمر نواحى: إرمينية. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) أَرْقنين: بلد بالروم. انظر معجم البلدان.

(٣) بطن من أسد بن ربيعة. انظر نهاية الأرب ص٣٤٨.

وحج في هذه السنة الملك الناصر حسن بن أبي بكر بن حسن بن بدر الدين متملك ديوة - التي تسميها العامة دينة، وهي جزائر في البحر تجاور سيلان (١).

وفيها وقع وباء عظيم ببلاد كرمان. (٢) وابتدأ في مدينة هراة من بلاد خراسان، في شهر ربيع الأول، وشنع، فمات فيه عالم عظيم، يقول المكثر ثمانمائة ألف.

وخرج شاه رخ منها في ثاني عشر شهر ربيع الأول هذا، وقد جمع عسكرا عظيما يريد قتال اسكندر بن قرايوسف. وتأهب ومن معه لمدة أربع سنين؛ وسبب ذلك أن إسكندر نزل على شماخي من مملكة شروان (٣)، وقاتل ملكها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندية (٤) مدة. فلما كان في بعض الأيام توجه إسكندر من معسكره للصيد، فهجم خليل في غيبته على المعسكر، وقتل وأسر ابن إسكندر وابنته وزوجته، وبعث بالابن إلى شاه رخ، فأكرمه وتركه يركب معه أياما. ثم حمله إلى سمرقند (٥) وأوقف خليل بنت إسكندر وزوجته في الخرابات للزنا بهما. فلما رجع إسكندر من متصيده ألح في القتال، حتى أخذ شماخي وخربها، حتى جعلها دكًا، ونهب أموال أهلها، وأفحش في قتلهم، وسبيهم، وقد فر خليل وبعث يستنجد بشاه رخ، ويترامى على الخاتون امرأته، فمازالت به حتى خرج لقتاله. وكان إسكندر في شماخي بابنة خليل وامرأته، فأوقفهما للزنا بهما، وألزمهما أن يزني بكل واحدة، خمسون جلا في كل يوم؛ نكاية في خليل.

وفيها كانت بين الفرنج حروب سببها أن ألفنش الذي يقال له ألفنت صاحب مملكة أرغون، وهو الذي غزا مدينة أغرناطة (٦) من الأندلس وأخذ من المسلمين النقيرة (٧) وغيرها، وكان وصيا على ولد أخيه بقشتالة (٨)، فلما هلك قام من بعده ابنه بترو بن

---

(١) سَيَلانُ: حزيرة عظيمة دورها ثمانمائة فرسخ، بها سرنديب وعدة ملوك لا يدين بعضهم لبعض. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٨.

(٢) كَرْمَان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٤ وما بعدها.

(٣) شَرْوَانُ: مدينة من نواحي باب الأبواب.انظر معجم البلدان ٣/٣٣٩.

(٤) دَرْبَند: وهو باب الأبواب. انظر معجم البلدان ٢:٤٤٩.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) النقيرة: ركية معروفة ماؤها رواء بين ثاج وكاظمة. انظر معجم البلدان ٥/٣٠١.

(٨) سبق ترجمتها.

ألفنت صاحب برشلونة وبلنسية [١]، وغير ذلك من مملكة أرغون، حتى هلكت ملكة نابل [٢] فاستضاف الجنويون مملكة نابل إلى مملكتهم، فشق ذلك على بترو بن ألفنت، وسار إليهم فى أربعين قطعة فى البحر، ونزل على قلعة كايات، وحصرها إلى أن أخذها عنوة وخربها بعد أن صلب ثلاثة من رؤسائها على السور وأسر جميع من فيها، وتوجه إلى جزيرة غيطلة، وهى من أجلّ مملكة نابل، وأقام عليها مدة، فبعث الجنويون إلى المنتصر أبى عبد الله محمد صاحب تونس ومملكة إفريقية رجلا من أخواله، فإن أمه جنوية، يستنجدونه على بترو، فأمدهم بمال، وجهز لهم اثنى عشر مركبا حربية. فلما قدمت عليهم مع رسولهم نجدة صاحب تونس، ساروا فى خمسة وأربعين مركبا - منها ثمانية عشر كبارا وخمسة عشر غرابا - وقد اشتد الأمر على أهل غيطلة وكثرت محاربتهم لبترو، فلقوه وحاربوه، فانتخب ألفا من عسكره، ونزل فى مركب عظيم ليخالفهم إلى بلادهم. ففطنوا به، فأدركوه، وحاربوه حتى غلبوه وأسروه وأخويه، ومن معه فى آخر يوم من ذى الحجة. وعادوا بهم إلى بلادهم، وسجنوه وأخويه وردوا إلى المنتصر مراكبه الخمسة عشر.

وفيها قوى عرب إفريقية وحصروا مدينة تونس. وذلك أن المنتصر أبا عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس عبد العزيز، لما قام فى سلطنة أفريقية بعد موت جده عبد العزيز بن أبى العباس أحمد فى سفره بنواحى تلمسان، قدم إلى مدينة تونس دار ملكه فى يوم عاشوراء، وأقام بها أياما، ثم خرج إلى عمرة، ونزل بالدار التى بناها جده أبو فارس، وضيق على العرب ومنعهم من الدخول إلى بلاد إفريقية. وكان مريضا، فاشتد به المرض، وفر من عنده الأمير زكريا ابن محمد ابن السلطان أبى العباس وأمه ابنة السلطان أبى فارس عبد العزيز بن أبى العباس، ونزل عند العرب المخالفين على المنتصر.

فسار عند ذلك المنتصر من عمرة عائدا إلى تونس، وقد تزايد مرضه، فتبعه زكريا ومعه العرب حتى نزلوا على مدينة تونس، وحصروها عدة أيام، فخرج عثمان أخو المنتصر من قسنطينة، وقدم تونس فسر به المنتصر هذا، والفقيه أبو القاسم البرزلى مفتى البلد وخطيبها يجول فى الناس بالمدينة، ويحرضهم على قتال العرب، ويخرجهم فيقاتلون العرب، ويرجعون مدة أيام، إلى أن حمل العرب عليهم حملة منكرة، هزموهم، وقتل من

---

(١) بَلَنْسِيَةُ: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بجوزة كورة تدمير، وهى شرقى تدمير شرقى قرطبة، وهى برية بحرية ذات أشجار وأنهار. انظر معجم البلدان ١/ ٤٩٠.

(٢) أى نابلى بإيطاليا.

الفريقين عدد كبير. كل ذلك والمنتصر ملقى على فراشه لا يقدر أن ينهض للحرب، من شدة المرض.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الحطى ملك الحبشة.

ومات ملك كربرجة - من بلاد الهند - وهو السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن، فى شهر رجب، بعدما أقام فى المملكة أربع عشرة سنة. وقام من بعده ابنه ظفر شاه، واسمه أحمد. وكان من خير ملوك زمانه. وقد ذكرت ترجمته فى كتاب «درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة».

ومات الأمير سيف الدين طراباى نائب طرابلس، بكرة نهار السبت، رابع شهر رجب، من غير وعك ولا تقدم مرض، بل صلّى الجمعة، وصلى الصبح، فمات فى مصلاه فجأة. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق وممن نبغ بعد موته، واشتهر ذكره. ثم خرج عن طاعة الناصر فرج فيمن خرج، وتنقل فى أطوار من المحن، إلى أن صار من أعظم الأمراء بديار مصر. ثم سجن عدة سنين بالإسكندرية فى الأيام الأشرفية، ثم أفرج عنه وعمل فى نيابة طرابلس، وكان عفيفا عن القاذورات، متدينا.

وقتل الشريف زهير بن سليمن بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى فى محاربة أمير المدينة النبوية مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة فى شهر رجب. وقتل معه عدة من بنى حسين، منهم ولد عزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، وكان زهير هذا فاتكا، يسير فى بلاد نجد، وبلاد العراق، وأرض الحجاز، فى جمع كبير فيه نحو ثلاثمائة فرس، وعدة رماة بالسهام، فيأخذ القفول، وخرج فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة على ركب عُمَّار، توجهوا إلى مكة من القاهرة، وكنت فيهم، ونحن محْرِمون بعد رحيلنا من رابغ، فحاربنا، وقتل منا عدة رجال، ثم صالحناه بمال تجابيناه له، حتى رحل عنا.

ومات أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور[1]

---

(١) إبراهيم بن شاه رخ بن تيمورلنك، بقية نسبة تأتى فى ترجمة جده تيمور، السلطان أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ ابن الطاغية تيمور كوركان. ملك إبراهيم المذكور شيراز من قبل والده شاه رخ، فأظهر فيها النجابة والعدل، فأضاف إليه ما والى شيراز وأعمالها، وحسنت=

كوركان، متولى شيراز، فى شهر رمضان. وكان قد جهز جيشا إلى البصرة فى شعبان، فملكوها له. ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، واقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب إبراهيم، وقتلوا منهم عدة. فورد عليهم خبر موته، فسروا به. وكان من أجلّ الملوك، وله فضيلة، ويكتب الخط الذى لا أحسن منه فى خطوط أهل زماننا.

ومات صاحب مملكة كرمان، باى سنقر بن شاه رخ بن تيمور لنك[1]، فى العشر الأول من ذى الحجة، وكان ولى عهد، وعنده جرأة وشجاعة وإقدام، فعظم مصابه على أبيه.

* * *

=سيرته فى رعيته، واستمر بها مدة إلى أن أرسل عسكرا إلى البصرة فى شعبان من سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فملكوها له، ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، فاقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب أمير زاه إبراهيم هذا، وقتلوا منهم عدة، وصاروا بعد ذلك فى أمر عظيم من الخوف والرعب من أمير زاه إبراهيم، فورد عليهم فى أثناء ذلك خبر موته فى شهر رمضان من السنة المذكورة، فسر أهل البصرة بموته سرورا زائدا. وكان أمير زاه إبراهيم شابا جميلا من عظماء الملوك، وأجل أولاد شاه رخ، وكان له فضيلة تامة، وهو صاحب الخط المنسوب الذى يضرب بحسنه المثل، رحمه الله. أنظر الدليل الشافى ١٦/١، وأنباء الغمر ٥٥٤/٣، نزهة النفوس ٣٢٥/٣، والضوء اللامع ٥٢/١، شذرات الذهب ٢٩٩/٧.

(١) باى سُنْقر بن القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كور كان (٨٣٨ هـ = ١٤٣٤ م)، صاحب مملكة كرمان ولاها من قبل والده شاه رخ.. وباى سنقر هذا هو ولى عهد أبيه من بعده، وأمه كهرشاه خاتون زوجة شاه رخ، وهى صاحبة العقد والحل فى ممالك شاه رخ، وهى والدة غالب أولاده، ولكن كان ميلها لباى سنقر هذا أكثر من جميع أولادها حتى من ألوغ بك أكبر أولادها صاحب سمرقند. واستمر باى سنقر فى مملكة كرمان إلى أن توفى فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وعظم مصابه على والديه - لاسيما والده -. ومستراح منه، فإنه كان ذا قوة، وجبروت، وبطش، وجرأة، مع شجاعة، وإقدام، وظلم. وهؤلاء أولاد باى سنقر المذكور الذين ملكوا بعد موت جدهم شاه رخ غالب ممالك العجم وهم، علاء الدولة - الذى سلطنته جدته كهرشاه بعد موت زوجها شاه رخ، وهو أسن أولاد باى سنقر - ودام فى مملكة هراة إلى أن أخرجه عمه ألوغ منها مع جدته، وتشتت شملها - ومحمد - وهو الذى استفحل أمره الآن، وملك غالب بلاد العجم - وبابور - وهو أصغرهم -. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٣٣ وما بعدها.

سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله يوم الخميس:

فى خامسه – الموافق ثامن مسرة: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وأربعة أصابع، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخبر بأن شاه رخ، لما خرج من مدينة هراة - كرسى مُلكه - فى ثانى عشر شهر ربيع الأول من السنة الماضية نزل على مدينة قزوين فى شهر رجب منها. ورسم لأمير الأمراء فيروز شاه أن يتوجه إلى بغداد. ونادى فى معاملة قزوين إلى السلطانية وتبريز وسائر ممالك العراقيين، بعمارة ما خُرب، وزراعة ما تعطل من الأراضى، وغراسة البساتين. وأن من زرع أرضا لا يؤخذ منه خراجها مدة خمس سنين، ومن عجز عن العمارة دفع إليه ما يقوى به على ذلك.وأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد كتب بدخوله فى طاعة شاه رخ، فكفَّ عن تجهيز العسكر إليه، وسار حتى نزل على تبريز فى عساكر كثيرة جدا؛ لقتال إسكندر بن قرايوسف، وأن جانبك الصوفى بكماخ عند ابن قرايلوك، وقد أمده قرايلوك بخيل ومال. وجهز شاه رخ ابنه أحمد جوكى إلى نحو ديار بكر على عسكر فى ذى الحجة من السنة الحالية، ونزل هو على قراباغ، وبعث إلى بلاده بحمل الميرة إليه، فأتته من كل جهة. وأخذ فى عمارة مدينة تبريز فى محرم هذا. ونادى فى مملكة أذربيجان بالعدل. وتقدم إلى جميع عساكره بألا يؤخذ لأحد قمح فما فوقها إلا بثمنه، ومن خالف ذلك قتل.

شهر صفر، أوله السبت:

فيه كانت وقعة بين إسكندر بن قرايوسف وعثمن قرايلوك، لقتال إسكندر، وقد فر منه. فجمع عثمان فلقى إسكندر فاقتتلا، فخرج كمين لإسكندر على عثمن، فانهزم، وقصد أرزن الروم، والخيل فى طلبه. فلما خاف أن يؤخذ باليد رمى نفسه فى خندق المدينة فغرق ثم أخرجه أولاده، ودفن فى مسجد هناك. فقدم إسكندر وهو يسأل عن عثمن، فدلّه بعضهم على قبره، فأخرجه بعد ثلاثة أيام من دفنه وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان بمصر، ومعه خمسة رءوس، منها رءوس بعض أولاده. وكان شاه رخ قد بعث

بولده أحمد جوكى والأمير بابا حاجى على عسكر فى أثر إسكندر؛ نجدة لقرايلوك، فقدما بعد هزيمته وقتله، فلقى إسكندر مقدمة هذا العسكر على ميافارقين (١) وقاتلهم، وقتل منهم. ثم انهزم إلى جهة بلاد الروم، وكتب بخبره إلى السلطان. فملك أحمد جوكى بن شاه رخ أرزن، ونزلها، وفرض على أهلها مالا عظيما، وتزوج بإبنة عثمن قرايلوك، وأخذ منها نحو ألف حمل دقيق وشعير ونحو ذلك، وعاد إلى أبيه شاه رخ، وقد نزل على قراباغ ليشتى هناك، كما كان أبوه يشتى بها.

وأما إسكندر بن قرا يوسف فإنه نزل على آقشهر، فقام متوليها بخدمته، وبعث فى السر يُعرّف أحمد جوكى به، فلم يشعر إلا وقد طرقه العسكر بغتة، ففر فى جماعة، وغنم جوكى ما كان معه، وعاد فمضى إسكندر يريد القدوم على ملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمن، حتى نزل توقات، فكتب حاكمها أركُج إلى مراد، يعلمه بقدوم إسكندر. فجهز له عشرة آلاف دينار، وعدة من الخيل والمماليك والجوارى والثياب. هذا وقد عاث إسكندر - هو ومن معه - فى معاملة توقات، ونهبوا وخربوا، فجرت بينه وبين أركج بسبب ذلك مقاولات، آلت إلى أن كتب إلى مراد يعرفه بما حلَّ ببلاده من النهب والتخريب، فشق عليه ذلك، وجهز من رد الهدية، وبعث بعسكر، وكتب إلى ابن قرمان وغيره بإخراج إسكندر وقتاله، ففر منهم إلى جهة البلاد الفراتية.

وفى هذا الشهر: بعث القان شاه رخ إلى مراد بن عثمان ملك الروم، وإلى صارم الدين إبراهيم بن قرمان، وإلى قرايلوك وأولاده، وإلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بخلع (٢).

شهر ربيع الأول أوله يوم الأحد: الموافق لسابع عشر توت، ابتدأ نقص ماء النيل، وذلك قبل انقضاء أيام الزيادة، ثم رد فى ثالثه، واستمرت الزيادة إلى يوم الخميس خامسه، وهو أول بابه، وقد بلغت الزيادة إلى عشرين ذراعا وعشرين أصبعا، فثبت أيامًا ثم انحط بخير. و لله الحمد.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على شرف الدين أبى بكر الأشقر نائب كاتب السر، واستقر كاتب السر بحلب، عوضا عن عمر بن أحمد بن السفاح، بعدما امتنع من ذلك أشد الامتناع، وهُدد بالقتل. وسبب ذلك أن ابن السفاح كتب مرارًا بالحط على الأمير

---

(١) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. انظر معجم البلدان ٥/٢٣٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٨.

قرقماس نائب حلب، وأنه يريد الخروج عن الطاعة، ويخامر على السلطان، وآخر ما ورد كتابه فى ذلك فى نصف صفر، فطلب الأمير قرقماس ليحضر، وتوجه النجاب بذلك، وقد حصل القلق خوفا من عدم حضوره؛ لامتناعه، فلم يكن بأسرع من مجىء نجاب نائب حلب فى خامس عشرينه، يستأذن فى القدوم، وقد بلغه شىء مما رمى به من المخامرة. فغضب السلطان على ابن السفاح، ورسم بعزله، واستقرار شرف الدين المذكور عوضه؛ لأنه علم أنه لو كان قرقماس مخامرًا لما استأذن فى الحضور، وسرّ بذلك، وكتب بحضوره. وكان هو عندما ورد عليه المثال الأول خرج على الفور من حلب، فقدم خارج القاهرة فى سادس ربيع الأول هذا.

وفيه ورد الخبر بقتل قرايلوك، كما تقدم.

وفى ثامنه: خلع على الأمير جقمق أمير سلاح، واستقر أميرًا كبيرا أتابك العساكر، عوضا عن الأمير أينال الجكمى. واستقر الأمير أينال المذكور فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير قرقماس. واستقر قرقماس أمير سلاح، عوضا عن جقمق هذا.

وفيه قدم الأمير طوغان حاجب غزة، وقد عين أن يستقر فى نظر القدس الخليل، فقام الأمير تغرى برمش أمير أخور فى الاعتناء بتوليها، فأعيد طوغان إلى غزة على حجوبيته.

وفى عاشره: خُلع على معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين أبى بكر ابن العجمى المعروف بالأشقر كاتب السر بحلب، واستقر فى وظائف أبيه.

وفى ثالث عشره – الموافق لثامن بابة: – ابتدأ نقص ماء النيل، وقد انتهت زيادته كما تقدم إلى عشرين ذراعا وعشرين أصبعا. وقد بلّغ الله به المنافع على عوائد لطفه بخلقه.

وفيه برز الأمير أينال الجمكى نائب حلب ليتوجه إلى محل كفالته، وصحبته القاضى شرف الدين كاتب السر بحلب.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير الكبير جقمق بنظر المارستان المنصورى، على العادة فى ذلك [١].

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير عمر، واستقر فى ولاية القاهرة بعد موت أخيه التاج.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٩.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بمدينة بروسا [١] - التى يقال لها برصا - من مملكة الروم، واستمر بها وبأعمالها نحو أربعة أشهر [٢].

وفى هذا الشهر: قُبض على جانبك الصوفى، وكان من خبره أنه ظهر بمدينة توقات فى أوائل شوال من السنة الماضية، فقام متوليها أُرْكُج باشا بمعاونته، حتى كتب إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى أَسْلَماس بن كُبَك، ومحمد ابن قُطْبَكى، وعثمن قرايلوك، ونحوهم من أمراء التركمان، فانضم إليه جماعة. وخرج من توقات، فأتاه الأمير قَرْمِش الأعور وابن أَسْلَماس وابن قُطبكَى، ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرايلك صاحب قلعة جُمُرْكَسَك [٣] فقواهم. وشنوا منها الغارات على قلعة دوركى، وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها.

فاتفق ورود كتاب القان شاه رخ ملك المشرق على قرايلك، يأمره بالمسير بأولاده وعسكره لقتال إسكندر بن قرايوسف سريعا عاجلا، فكتب إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك، فترك محمد جانبك ومن معه على دوركى، وعاد إلى أبيه. فسار جانبك بابن أَسْلَماس وابن قُطْبكى حتى نزلوا على ملطية وحصروها، فكادهم سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكتب إلى جانبك بأنه معه فكتب إليه أن يقدم عليه، وبعث بكتابه قرمش الأعور، فأكرمه وسار معه فى مائة وخمسين فارسا. فتلقاه جانبك وعانقه، ثم عادا، وحصرا ملطية، فأظهر سليمان من المناصحة ما أوجب ركون جانبك إليه، فأخذ فى الحيلة على جانبك، وخرج هو وإياه فى عدة من أصحابه ليسيرا إلى مكان يتنزهوا به. ورتبا قَرْمِش وبقية العسكر على الحصار، فلما نزل سليمن وجانبك للنزهة، وثب به أصحاب سليمن، وقيدوه، وسرى به سليمن على أكديش ليلته ومن الغد، حتى وافى به بيوته على أبلستين، وكتب يعلم السلطان بذلك. وكان القبض على جانبك فى سابع عشر شهر ربيع الأول هذا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش بدمشق مطلوبًا، وهو مريض بضربان المفاصل، ومعه تقدمة جليلة، فقبلت تقدمته، وأمر بالإقامة فى منزله حتى يبرأ.

---

(١) بروسا أو بروسة أو بورسة - بروما - هى مدينة تركية. انظر دائرة المعارف الإسلامية ١٧/٧-١٧٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٩/١٤.

(٣) وردت فى النجوم الزاهرة: «جهر كشك»انظر النجوم الزاهرة ٧٣٧/٦.

وفيه ورد إلى السلطان كتاب شاه رخ إلى جانبك الصوفى وقد قبض على حامله وحبس بحلب، فتضمن الكتاب تحريضه على أخذ البلاد الشامية، وأنه سيقدم عليه أحمد جوكى، وبابا حاجى، نجدة له. فكتب إلى نواب الشام بالتأهب والاستعداد، لنجدة نائب حلب، إذا استدعاهم.

وفى ثالثه: ورد الخبر بالقبض على جانبك الصوفى، كما تقدم.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على ولى الدين أبى اليمن محمد بن تقى الدين قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشينى ثم المحلى، مضحك السلطان ونديمه وجليسه، واستقر فى نظر الحرم الشريف بمكة، عوضا عن سودن المحمدى، وفى مشيخة الخدام الطواشية بالمسجد النبوى، عوضا عن الطواشى بشير التنمى. و لم نعهد مشيخة المسجد النبوى يليها دائمًا - منذ عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - إلا الخدام الطواشية. فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثًا من الأحداث، وبلية تساق إلى أهل الحرمين.

وفى حادى عشره: قدم سيف الأمير قصروه نائب الشام بعد موته، على يد أمير على بن أينال باى، أحد الحجاب بدمشق.

وفى ثانى عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن قَصْروه، وقَراجا دواداره، فقرر عليهما مالاً يحملاه من تركة قَصْروه، وهو من النقد مائة ألف دينار، وغلال، وبضائع، وخيل، وغير ذلك ما قيمته نحو مائة ألف دينار، وعاد إلى دمشق.

وفى ثالث عشره: نودى بعرض أجناد الحلقة؛ ليستعدوا للسفر إلى الشام، ولا يُعفَى أحد منهم [(١)].

وفيه جمع قضاة القضاة بين يدى السلطان وسئلوا فى أخذ أموال الناس للنفقة على العساكر المتوجهة لقتال شاه رخ، فكثر الكلام، وانفضوا. هذا، وقد تزايد اضطراب الناس وقلقهم [(٢)].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

(٢) جاء فى النجوم الزاهرة وجمع السلطان قضاة القضاة بين يديه وسألهم فى أخذ أموال الناس للنفقة المتوجهة (أى اللازمة) لقتال شاه رُخ بن تيمور، فكثر الكلام وانفضوا من غير أن يفتون بذلك. فقبل إن بعض الفقهاء قال: كيف نفديه بأخذ أموال المسلمين، وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها- يعنى الملك العزيز يوسف - ما قيمته ثلاثون ألف دينار، وهى بدلة واحدة. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: ابتدئ بعرض أجناد الحلقة، فجمع المشايخ والأطفال وعدة عميان فى الحوش من قلعة الجبل، وعرضوا على السلطان، فقال لهم: «أنا ما أعمل كما عمل الملك المؤيد من أخذ المال منكم، ولكن اخرجوا جميعكم، فمن قدر منكم على فرس، ركب فرسا، ومن قدر على حمار ركب حمارا». فنزلوا على ذلك إلى بيت الأمير أركماس الدوادار، فكان يوما شنعا (١).

وفى هذا اليوم ورد كتاب أصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد، على يد قاصده حسن بيك، يشتمل على التودد، وأنه هو وأخوه إسكندر يقاتلون شاه رخ (٢) وتاريخه قبل قدوم أحمد جوكى وبابا حاجى بعساكر شاه رخ، وقبل موت.

وفى سادس عشره: أصيب القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بضربة فرس على ركبته اليمنى، وهو سائر مع السلطان إلى الرماية عند جامع الماردينى خارج باب زويلة، فتجلد حتى وصل ناحية كوم أشفين من البلاد القليوبية. ثم عجز فألقى نفسه عن الفرس، فأركب فى محفة إلى داره، ولزم الفراش ثلاثة عشر يوما.

وفى سابع عشره: قدم قصاد إسكندر بن قرايوسف صحبة الأمير شاهين الأيْدكارى، برأس الأمير عثمن قرايلوك، ورأسى ولديه، وثلاثة رءوس أخر. وكان السلطان قد توجه للرماية بالجوارح على الكراكى، فقدم من الغد يوم الخميس ثامن عشره، فطيف بالرءوس الستة على رماح، وقد زينت القاهرة لذلك فرحا بقتل قرايلوك. ثم علقت على باب زويلة ثلاثة أيام، ودفنت. ولقد أخبرنى من له معرفة بأحوال قرايلوك أنه كان فى ظنه أنه يملك مصر. وذلك أن شخصا منجما قال له إنك تدخل القاهرة، فدخل ولكن برأسه وهى على رمح يطاف بها، وينادى عليها(٣)، ﴿**نكالا من الله والله عزيز حكيم**﴾(٤).

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على الأمير تغرى برمش (٥) أمير أخور، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أينال الجكمى. وكتب بانتقال الجكمى إلى نيابة الشام، عوضا عن قصروه بحكم وفاته، وجهز له التشريف والتقليد (٦).

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٥) هو الأمير حسين بن أحمد البهسنى المدعو تغرى بَرْمش. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٤.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٤.

وفيه حضر قصاد إسكندر بن قرايوسف بين يدى السلطان بكتابه، فقرئ، وأجيب بالشكر والثناء. وحمل إليه مال وغيره بنحو عشرة آلاف دينار. ووعد بمسير السلطان إلى تلك البلاد [١].

وفيه عرض السلطان الإصطبل بنفسه [٢].

وفى حادى عشرينه: سار الأمير تغرى برمش إلى محل كفالته بحلب.

هذا وقد ارتفعت الأسعار بالقاهرة، فبلغ الأردب القمح ثلاثمائة وستين، والبطة الدقيق مائة وعشرة، والخبز نصف رطل بدرهم، والأردب من الشعير أو الفول مائتى درهم وعشرة دراهم، ولحم الضأن ثمانية دراهم، ولحم البقر خمسة دراهم ونصف، وكل ذلك من الفلوس، وبلغ الزيت الطيب - وهو زيت الزيتون - أربعة عشر درهما الرطل. وبلغ الشيرج اثنى عشر درهما الرطل. وقد حكر الفلفل، فلا يباع إلا للسلطان فقط، ولا يشترى إلا منه خاصة.

وفى رابع عشرينه: ركب السلطان للرماية، فضج العامة واستغاثوا من قلة وجود الخبز فى الأسواق، مع كثرة وجود القمح بالشون، فلم يلتفت إليهم.

وفى ثامن عشرينه: ركب القاضى زين الدين عبد الباسط إلى القلعة، وقد عوفى مما كان به.

وفى تاسع عشرينه: توجه شادى [٣] بك، أحد رءوس النوب، بمال وخيل وغير ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى والده الأمير سليمن، وكتب لهما بأن يسلما شادى بك جانبك الصوفى، ليحمله إلى قلعة حلب [٤].

وفى هذا الشهر: قدمت طائفة من أعيان التجار بدمشق إلى القاهرة، وقد طُلبوا، فإنه بلغ السلطان أنهم حملوا مما اشتروه من جدة من البهار عدة أجمال إلى دمشق.

وقد تقدم مرسوم السلطان من سنين بأن من اشترى بهارًا من جدة لابد أن يحمله إلى القاهرة، سواء كان المشترى شاميًّا أو عراقيا أو عجميا أو روميا. وأنكر على

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٢) وأرسل إلى الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ وإلى الأمير يلخجا بجمال كثيرة، وكان بهما للسفر إلى بندر جدة. انظر النجزم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٣) فى النجوم الزاهرة « شادبك» وفى نزهة النقوس «شادى بك».

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

المذكورين حملهم بضائعهم من الحجاز إلى دمشق. وختم على حواصلهم بالقاهرة وغيرها. ثم أفرج لهم عنها بعدما صالحوا ناظر الخاص بمال قاموا به.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الثلاثاء:

فيه قدم الحمل من جزيرة قبرس على العادة.

وفى ثالثه: خلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر فى نظر جدة. وخلع على الأمير يَلْخُجا أحد رءوس النوب من أمراء الطبلخاناه، واستقر شاد جَدّة. ونودى بسفر الناس إلى مكة صحبتهما، فسروا بذلك، وتأهبوا له.

وفى خامسه: خلع على الجمال يوسف بن الصفى واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن يحيى بن المدنى، ورسم لقاضى القضاة بهاء الدين محمد بن حجى بنظر الجيش بدمشق، عوضا عن الجمال المذكور، وجهز له التشريف والتوقيع فى يوم الإثنين سابعه.

وفيه رسم باستقرار السيد الشريف بدر الدين محمد بن على بن أحمد الجعفرى فى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضا عن الشريف ركن الدين عبد الرحمن بن على بن محمد المعروف بالدخان، وكان قد شغر قضاء الحنفية بدمشق من حين توفى الدخان فى سابع عشر المحرم مدة ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وكانت ولايته بغير مال.

وفى خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر اللالا [١] واستقر زمام الدار [٢] عوضا عن الأمير زين الدين خُشْقَدم بعد موته، وكانت شاغرة منذ مات [٣].

وفى تاسع عشرينه: استعفى الوزير الصاحب تاج الدين الخطير على عادته، وقوى بمال إعانة له.

وفى هذه الأيام: رسم بإخراج الفرنج المقيمين بالإسكندرية ودمياط وسواحل الشام، فأخرجوا بأجمعهم.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأربعاء:

---

(١) هو جوهر الصفوى الجُلبانى اللالاَ، ولالا: لفظ فارس بمعنى مربى الأطفال. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥.

(٢) الزمام دار هو المتحدث على باب ستارة السلطان من الخدام الخصيان، وهو الموكل بحفظ الحريم وأصل التسمية «زنان - دار» انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥ «الهامشى».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥.

فى ثالثه: عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم بالجوع.

ثم أعيدوا إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد، ورسم لأرباب الديون أن يقوموا بمؤونة مسجونهم، حتى تنقضى أيام الغلاء، هذا إن كان الدين مبلغا كبيرا، فإن كان الدين يسيرًا أُلزم رب الدين بتقسيطه عن المدين أو الإفراج عن الديون، فاتفق أن رجلا ادعى عند بعض نواب القاضى الحنفى على رجل بدين، واقتضى الحال أن يُسجن، فكتب القاضى المدعى عنده، على ورقة اعتقال المدين، «يُعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة».

ثم فى ثالث عشره: عرض السلطان جميع من فى السجون، وأفرج عنهم بأسرهم، حتى أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ورسم ألا يسجن القضاة والولاة أحدًا، وأن من قبض عليه من السراق يقتل ولا تقطع يده، فغلقت السجون، ولم يبق بها مسجون. ثم نقض ذلك بعد قليل، وسجن من استحق السجن.

وفى هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها، حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها، وأُبيع الجليد فى الأسواق مدة أيام، ولم نعهد هذا، ولا سمعنا به.

وفى ثامنه: كان آخر عرض أجناد الحلقة.

وفى حادى عشره: قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية بهدية، فخلع عليه من الغد يوم الإثنين ثانى عشره. ونزل من القلعة، فأدركه من خلع عنه الخلعة، وأعادها إلى ناظر الخاص، وذلك أنه بلغ السلطان عنه أنه أفرج للتجار عن عدة أحمال فلفل، حتى باعوها للفرنج بمال أخذه منهم، وكان قد تقدم مرسوم السلطان بمنع التجار من بيع الفلفل، وأن الفرنج لا تشتريه إلا من الديوان السلطانى.

وفى تاسع عشره: خلع على رجل أسود من المغاربة - يقال له سرور - لم يزل يدخل فيما لا يعنيه، ويناله سبب ذلك المكروه، فاستقر فى قضاء الإسكندرية ونظرها، على أن يكفى أجناد الثغر معاليمهم، ويقوم للمرتبين بمرتباتهم، ويقوم بالكسوة السلطانية، ويقوم بعد ذلك كله بمائة وثلاثين دينارًا فى كل يوم. وكتب عليه بذلك تقرير قرره على نفسه. ونزل بالقلعة، فلم يقم سوى أياما، وطلع فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستعفى من وظيفة النظر، فضرب. ورسم بنفيه، فأخرج فى الترسيم من القاهرة فى ثالث عشرينه.

وفى يوم السبت ثامن عشره: برز الصاحب كريم الدين والأمير يلخجا [١] بمن معهم من المعتمرين [٢] إلى ظاهر القاهرة، ثم ساروا فى تاسع عشره إلى مكة [٣].

وفيه فتحت السجون، وسجن بها.

وفى عشرينه: [٤] خلع على أقباى البشْتكَى [٥] أحد الدوادارية، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن خليل [٦] وجهزت خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدماميني، باستقراره على عادته فى قضاء الإسكندرية. وخلع على شرف الدين بن مفضَّل، واستقر فى نظر الإسكندرية، عوضا عن خليل المذكور.

وفى ثامن عشرينه: [٧] وصل الأمير أَقْطَوه المتوجه فى الرسالة إلى شاه رخ. وقدم من الغد شيخ صفا رسول شاه رخ بكتابه فأنزل، وأجرى له ما يليق به [٨].

وفيه ورد الخبر بأن جانبك الصوفى قد أفرج عنه ناصر الدين محمد بن دُلغادر نائب أبلستين، وصار فى جمع، بعدما أخذ من شاد بك ما على يده من المال وغيره، فكثر القلق بسبب ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد إلى القان معين الدين شاه رخ، وهو على قراباغ، بدخوله فى الطاعة، وأنه من جملة الخدم. فأقامت رسله ثلاثين يوما لا تصل إلى القان. ثم أجابه ينكر عليه خراب بلاده، ويأمره بعمارتها، وأنه إن لم يعمرها وإلا وإلا، وأمهله سنة. وكان أصبهان قد بعث بهدية، فلم يعوضه عنها شيئا، وإنما جهز له خلعة وتقليدا، وخلع على رسله [٩].

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى ثانيه: أحضر صفا رسول شاه رخ ومن معه، وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن أن

---

(١) هو الأمير يلخجا الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

(٢) فى النجوم «من الحاج».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٤) فى النجوم «فى يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الآخرة».

(٥) هو آقباى اليشبكى الجاموسى أحد دوادارية السلطان الأجناد.

(٦) يقصد خليل بن شاهين الشيخى. انظر النجوم ٢٥٥/١٤.

(٧) فى النجوم «فى ثانى عشرينه».

(٨) انظر النجوم ٢٥٦/١٤.

(٩) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٤.

يخطب وتضرب السكة باسمه، وأخرج صفا خلعة بنيابة مصر ومعها تاج ليلبس السلطان ذلك. وخاطب السلطان بكلام لم يسع معه صبر، فضرب صفا ضربا مبرحا، وألقى فى بركة ماء. وكان يوما شديد البرد ثم أنزلوا، ورسم بنفيهم، فساروا فى البحر إلى مكة، فوصلوها، وأقاموا بها بقية السنة، وحجوا (١).

وفى رابعه: كتب إلى مراد بن عثمان - متملك بلاد الروم - بأن يكون مع السلطان على حرب شاه رخ. وكتب إلى بلاد الشام بتجهيزهم الإقامات للسفر.

وفى سابعه: خُلع على شيخ الشيوخ محب الدين ابن قاضى العسكر شرف الدين عثمان الأشقر بن سليمان بن رسول بن الأمير يوسف بن خليل بن نوح الكرانى التركمانى الحنفى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن القاضى كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى. وخلع على ولده شهاب الدين أحمد، واستقر شيخ الشيوخ، وخلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، الذى ولى نيابة الإسكندرية، واستقر فى نظر دار الضرب، وكان بيد ابن قاسم المتوجه إلى الحجاز، وقد أقام فيه أخاه، واستقر أيضا أمير الحاج.

وفى حادى عشره: قدم الأمير شاد بك (٢) المتوجه لأخذ جانبك الصوفى من عند الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد أخذ ما على يده من المال وغيره، ولم يمكن من جانبك الصوفى، فشق على السلطان ذلك، وعزم على السفر، وجمع الأمراء، وحلّفهم على طاعته. وعين سبعة أمراء للسفر، وألفًا من المماليك السلطانية، وألفًا من أجناد الحلقة، فأخذوا فى أهبة السفر.

وفى ثانى عشره: رسم بأن القضاة لا تحبس من عليه من دين إلا بالمقشرة حيث تحبس أرباب الجرائم. وألا يحبس إلا من عليه من الذين مبلغ ثلاثمائة درهم فصاعدًا، لا أقل من ذلك. ثم انتقض هذا بعد قليل، كما هى عادة الدولة فى تناقض ما ترسم به.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشره: بعث الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، بعثًا لمحاربة بشر، من بطون حرب، إحدى قبائل مدحج، ومنازلهم حول عسفان (٣) نزلوها من نحو ستة عشر وثمانمائة، وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة النبوية، فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة. وجعل

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٤.

(٢) قدم من بلاد أبلستين انظر. النجوم ٢٥٨/١٤.

(٣) عُسْفَانُ: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. انظر معجم البلدان ١٢١/٤.

على هذا البعث أخاه الشريف على بن حسن بن عجلان، ومعه من بنى حسن الشريف ميلب بن على بن مبارك بن رميثة، وغيره. والوزير شكر فى عدة من الناس. وسار معهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين المركزين بمكة من المماليك السلطانية، وصحبته منهم عشرون مملوكا، فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشره، وقطعوا الثنية التى تعرف اليوم بمدرج على، حتى أتوا القوم، وقد أنذروا بهم، فتنحوا عن الأرض، وتركوا بها إبلا مع خمسة رجال. فأول ما بدأوا به أن قتلوا الرجال الخمسة، وامرأة حاملا كانت معهم، وما فى بطنها أيضا، واستاقوا الإبل حتى كانوا فى نحو النصف من الثنية المذكورة، وركب القوم عليهم الجبلان يرمونهم بالحراب والحجارة، فانهزم الأمير أرنبغا فى عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلا، وجرح كثير ممن بقى. وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرسا، وعشرين درعا، ومن السيوف والرماح والتجافيف [١] ونحو ذلك من الأسلحة. ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل أنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار، وأكثر. فلما طلعت شمس يوم الجمعة النصف منه دخل أرنبغا - بمن بقى معه من المماليك - مكة، وهم يقولون «قتل جميع من خرج من العسكر». فقامت عند ذلك صرخة بمكة من جميع نواحيها، لم نر مثلها شناعة. وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئا بعد شىء فى عدة أيام. وحُمل الشريف ميلب فى يوم السبت ميّتًا. ومات بعده بأيام شريف آخر من جراحة شوهت وجهه، بحيث ألقته كله من أعلا جبهته إلى أسفل ذقنه.

وفى هذا الشهر: طرح على التجار بالقاهرة ودمشق ألف حمل فلفل بمائة ألف دينار، حسابا عن كل حمل مائة دينار، نزل بهم منها بلاء لا يوصف.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: أدير محمل الحاج. ورسم أنه إذا وصل إلى الجامع الجديد خارج مدينة مصر، يرجع به والقضاة أمامه، إلى الخانكاه الشيخونية بالصليبة خارج القاهرة فقط، ويمضى الفقراء معه إلى تحت قلعة الجبل، ثم منها إلى الجامع الحاكمى، وأبطلت الرماحة من الركوب مع المحمل فى هذه السنة.

وفى هذا الشهر: كملت عمارة القان شاه رخ لمدينة تبريز. وقد تقدم لأهل البلاد بزراعة أراضيها، فتراجع الناس إليها. وولى شاه رخ على تبريز شاه جهان بن قرايوسف، عوضا عن إسكندر.

---

(١) التَّجْفَافَ: ما يلبسه المحارب كالدرع وما يُجَلَّلُ به الفرس من سلاح وآله تقياه الجراح فى الحرب جمع تجافيف. انظر المعجم الوسيط (جفف).

شهر شعبان، أوله يوم الأحد:

فى أوله: قدم ركب العمار إلى مكة - شرفها الله تعالى - وفيهم ولى الدين محمد ابن قاسم، مضحك السلطان، والصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، والأمير يَلْخجا ومعه عدة مماليك، بدل من بمكة من المماليك الذين صحبة أَرَنْبُغا وبلغ ركبهم نحو ستمائة جمل.

وفى ثالثه: أنفق السلطان فى الأمراء المجردين من القاهرة إلى الشام ومن معهم، سبعة عشر ألف دينار.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الشريف بركات إلى مكة، فقرئ بحضوره تجاه الحجر الأسود توقيع ابن قاسم باستقراره فى نظر الحرم الشريف وعمارته، وتوقيع باستقرار الصاحب كريم الدين فى نظر جدة، وأن إليه أمر قضائها وحسبتها. وتوقيع باستقرار الأمير يَلْخُجا فى شد جدة.

وفى سابعه: رسم بفتح سجن الرحبة بالقاهرة، فصار يسجن فيه وفى المقشرة فقط.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: توجه الصاحب كريم الدين من مكة إلى جدة، ومعه الأمير يلخجا. ومضى الشريف بركات لمحاربة حرب. ثم خرج الأمير أرنبغا بمن بقى من المماليك المركزين معه من مكة يريد القاهرة، وقد تأخر منهم - سوى من قتل - أربعة؛ لعجزهم من شدة جراحاتهم عن الحركة. فنزل جدة، ثم مضى منها على الساحل، خوفا من العرب.

وفى سابع عشرينه: سار الأمراء المجردون إلى الشام، بمن معهم. وقد كانوا برزوا خارج القاهرة فى خامس عشرينه. وهم الأمير جقمق الأتابك، والأمير أركماس الدوادار الكبير، والأمير يَشْبُك حاجب الحجاب، والأمير تنبك نائب القلعة، والأمير قراجا، والأمير تغرى بردى المؤذى، والأمير خُجا سودن.

وكان قد وقع بعدن - من بلاد اليمن وباء استمر أربعة أشهر، آخرها شعبان. هذا بعدما طبق بلاد الحبشة بأسرها، وامتد إلى بربرة [1].

وقد شنع ببلاد الزنج. ثم كان بعدن فمات بها - أعنى عدن - عالم عظيم قدم علينا منها بمكة كتاب موثوق به يخبر أنه مات بعدن فى هذه الأربعة أشهر - خاصة

---

(١) بَرْبَرةُ: هذه بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان جدًا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم. انظر معجم البلدان ٣٦٩/١.

ممن عرف اسمه - سبعة آلاف وثمانمائة. وفى كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس، ولم يبق إلا نحو من الناس. وفى كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها، وأن الوباء ارتفع منها آخر شهر شعبان، وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة [١].

وفى سابع عشرينه: ورد كتاب إسكندر بن قرايوسف يستأذن فى القدوم، فوعد بخير.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه تسلم الشريف أميّان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى [٢] إمرة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله. وقد قدم تشريف ولايته، وتوقيع استقراره.

وفى رابعه: خلع على رسول إسكندر بن قرايوسف، وأعيد إليه بجوابه.

وفى سابعه: خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، واستقر فى الوزارة، عوضا عن تاج الدين بن الخطير؛ وسبب ذلك أن مماليك الطباق بالقلعة رجموا فى رابعه الوزير تاج الدين حتى كاد أن يهلك، فسأل أن يعفى من المباشرة، فرسم بطلب كريم الدين ابن كاتب المناخ من جدة ليلى الوزارة، فتهيأت لغرس الدين هذا.

وفيه جهز لطوغان حاجب غزة خلعة بنيابة القدس، ونظر الخليل، وكشف الرملة ونابلس، عوضا عن حسن التركمانى، وعمل حسن حاجبا بحلب عوضا عن الأمير قنصوه.[٣] وأنعم على قنصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانبك المؤيدى، بحكم وفاته.

وفى رابع عشرينه: قدم الأمير أسلماس بن كبك التركمانى مفارقا لجانبك الصوفى، فأكرم وأنعم عليه.

وفى هذا الشهر: وقع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، وعم أعمالها.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

---

(١) صَعْدَةُ: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا. انظر معجم البلدان ٣/٢٠٦.

(٢) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع.

(٣) هو قنصوة النوروزى نوروز الحافظى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٦/١٩٩.

فيه خلع على الأمير أَسْلَماس فيمن خلع عليه، ورسم بتجهيزه.

وفى ثامنه: عزل الوزير غرس الدين خليل عن الوزارة، وألزم الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة لسد أمور الدولة، ومراجعة القاضى زين الدين عبد الباسط فى جميع أحوال الدولة، فتمشت الأحوال، وتوجه النجاب فى تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ليلى الوزارة بعد فراغه من أمر جدة.

وفى سابع عشرينه: رسم بطلب الأمير أينال الأجرود نائب الرها. واستقر الأمير شاد بك الذى توجه لأخذ الأمير جانبك الصوفى من ابن دلغادر عوضه.

وعزل الأمير أينال الششمانى من نيابة صفد، وإقامته بطالاً بالقدس. وأن يستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير تمراز المؤيدى.

وفى هذا الشهر: شنع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، فورد علينا منها كتاب إلى مكة بأنه صلى فى يوم واحد بجامع تعز على مائة وخمسين جنازة. وفى كتاب آخر أنه مات بها فى ثلاثة أيام ألفان، وخلت عدة قرى من سكانها. فشمل الوباء جميع بلاد الحبشة، كافرها ومسلمها، وسائر بلاد الزنج، ومقدشوه إلى بربرا وعدن وتعز وصعدة والجبال.

وفى هذا الشهر: رحل القان شاه رخ عن مملكة أذربيجان، بعدما زوج نساء إسكندر بن قرايوسف لشاه جهان الذى استنابه على تبريز فى شهر رمضان شهر ذى القعدة، أوله يوم الجمعة.

فى ثانى عشره: رسم باستقرار شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن بدر الدين الجعفرى، بمال وعد به.

وفى رابع عشره: منع الناس بالقاهرة من ضرب أوانى الفضة وآلاتها، وأن يحمل ذلك إلى دار الضرب ليضرب دراهم.

وفى تاسع عشرينه: قبض بمكة على رسل ملك بنجاله من بلاد الهند، وسبب ذلك أن السلطان جهز فى سنة خمس وثلاثين هدية من القاهرة إلى السلطان جلال الدين أبى المظفر محمد بن فندوا صحبة بعض الطواشية، فوصل بها إلى بنجالة، وقدمها إلى السلطان جلال الدين فقبلها، وعوض عنها بهدية قيمتها عندهم اثنا عشر ألف تنكة حمراء، ومات فى أثناء ذلك، وقام من بعده ابنه المظفر أحمد، فأمضى هدية أبيه، وزادها من عنده هدية أخرى، فيها ألفا شاش، وعدة ثياب بيرم، وخدام طواشيه، وطُرف.

وجهز الجميع، وبعث معهم عدة من خدامه الطواشية، وعلى أيديهم خمسة آلاف شاش ليبيعوها ويشتروا له بها أمتعة. فركبوا فى البحر، فحيرهم الريح وألقاهم إلى بعض جزائر ذيبة، فمات بها الطواشى المجهز من مصر. وبلغ صاحب ذيبة أنه عتيق غير السلطان، فأخذ ما تركه، ولم يتعرض لشيء من الهدية فاتفق مع ذلك قتل ملك بنجالة أحمد الذى جهز الهدية الثانية، وقام آخر بعده. فلما اعتدل الريح، ساروا عن ذيبة إلى أن قاربوا جدة، غرق مركبهم بما فيه عن آخره. فنهض الصاحب كريم الدين من مكة، وقد بلغه الخبر، حتى نزل جدة، وندب الناس، فأخرج من تحت الماء الشاشات والثياب البيرم، بعد مكثها فى الماء ستة أيام. وتلفت المراطبينات التى بها الزنجبيل المربا والكابلى المربا، ونحو ذلك. فسلّم الشاشات والبيارم إلى القصَّارين حتى أعادوا جدتها. وكتب إلى السلطان بذلك. فكتب بالقبض على طواشية ملك بنجالة، وأخذ الخمسة آلاف شاش منهم، ومنعهم من المجيء إلى القاهرة. وأن من ورد ببضاعة إلى جدة من ذيبة أخذت للديوان بأسرها، فندب أبو السعادات ابن ظهيرة [1] قاضى مكة الشافعى، معه أبو البقاء بن الضياء [2] قاضى الحنفية لإيقاع الحوطة على الشاشات. ورسم على الطواشية، حتى أخذت منهم بأسرها، بعضها صنفا، وثمن ما باعوه منها، وضمت إلى مال الديوان.

وفى هذا الشهر: نزل القان شاه رخ على سلطانية، وعزم على أنه لا يرحل عنها إلى هراة دار ملكه، حتى يبلغ غرضه من إسكندر بن قرايوسف.

شهر ذى الحجة، أوله يوم السبت:

فى يوم الخميس سادسه وسابع عشرين بوؤنة: نودى على النيل بزيادة خمسة أصابع. وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية عشر أصبعا، واستمرت الزيادة. ولله الحمد.

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن الضياء (٧٨٩-٨٥٤هـ = ١٣٨٧-١٤٥٠م) محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشى العمرى المكى، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء فقيه حنفى صاغانى الأصل ولد وتوفى بمكة وولى قضاءها. من كتبه «شرح مجمع البحرين» فى الفقه «والبحر العميق فى مناسك الحج»، وتنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام، و«النكت على الصحيح»، فى الحديث، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف. انظر نظم العقبان ١٣٧، البدر الطالع ١٢٠/٢ و ٢٢٢والتبر المسبوك ٣٣٤، فهرست الكتبخانة ٦٧/٣، الدهلوى، فى مجلة المنهل ٢٩٧/٧، والضوء اللامع ٨٤/٧ ودار الكتب ١١٥/٥. الأعلام ٣٣٢/٥.

وفي سابع عشرينه: وصل الأمير حمزه بك بن على بك بن دلغادر، فأنزل. ثم وقف بين يدى السلطان فى تاسع عشرينه، فقبض عليه، وسجن فى البرج بالقلعة.

وفى هذه السنة: غزت العساكر السلطانية الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر غير مرة، فسار الأمير تغرى برمش نائب حلب، ومعه الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة بعساكر حلب وحماة، فى أول شهر رمضان إلى عينتاب، وقد نزل جانبك الصوفى على مرعش فتوجهوا إليه من الدربند، ونزلوا بَزرْجُق، وأقاموا يومين، وقد عدوا نهر جيحان، وقطعوا الجسر من ورائهم، وقصدوا الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن قراجا بن دلغادر من جهة دربند كينوك، فلم يقدروا أن يسلكوه من كثرة الثلوج التى ردمته، فمضوا إلى دربند أَتْرنيت من عمل بهنسى، وقد ردمته الثلوج أيضا، فقدم نائب حلب بين يديه عدة رجال ممن معه، ومن أهل البلاد المجاورة للدربند لفتح الطريق، ودروس الثلج بأرجلهم، حتى يحمل مسير العسكر ثم ركب فى يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، وعبر الدربند المذكور بمن معه، وسار يومه. ثم نزل تحت جبل بزقاق وقدَّم أربعين فارسا كشافة، فظفروا فى خان زلىّ بدمرداش مملوك ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد بعثه فى ثلاثة لكشف خبر العساكر، ففر الثلاثة، وقبض على دمرداش وأتوا به، فأخبر أن القوم على أبلستين. فركب نائب حلب بمن معه فى الحال، وجد فى سيره حتى طرق أبلستين يوم الثلاثاء تاسعه، وقد رحل ابن دلغادر بمن معه عند عود رفقة دمرداش إليه بخبر قبض كشافة العساكر عليه، فسار فى أثره يومه، وقد عبر بمن معه نهر جيحان فلم يدركهم. ثم عاد نائب حلب وجماعته ونزل ظاهر أبلستين، وأمر بأهلها، فرحلوا إلى جهة درنده، وأضرم النار فى البلد حتى احترقت بأجمعها، بعدما أباحها للعسكر فنهبوها وسائر معاملاتها، فحازوا من الخيول والبغال والأبقار والجواميس والأغنام والحمير والأقمشة والأمتعة ما لا نهاية له، بحيث أنه لم يبق أحد من العسكر إلا وأخذ من ذلك ما قدر عليه. وعاد نائب حلب بمن معه، والغنائم تساق بين يديه على طريق بهسنى، ثم عبر عينتاب، فلم يبق بأبلستين ولا معاملتها قدح واحد من الغلال. وحرقت ونهبت - هى وبلادها - فبقيت قاعا صفصفا. وعبر بالعسكر إلى حلب بعد غيبتهم عنها خمسين يوما.

ثم إن ابن دلغادر جمع جمائعه ورحل ببيوته إلى أولخان، بالقرب من كينوك وكانت الأمراء المجردة من مصر نازلة بحلب، فجهز الأمير تغرى برمش نائب حلب الأمير حسام الدين حسن خجا حاجب الحجاب بحلب، ومعه مائة وخمسون فارسا، إلى عينتاب تقوية للأمير خجا سودن، وقد نزل بها.

فلما كان يوم الإثنين رابع عشرين ذى الحجة: وصلاالصوفى، ومعه الأمير

قرمش الأعور وكمشبغا أمير عشرة - من أمراء حلب - وقد خامر منها، وصار من جملة جانبك الصوفى، وأولاد ناصر الدين محمد بن دلغادر - سوى سليمان - يريدون لقاء الأمير خجا سودن، فنزلوا على مرج دلوك، ثم ساروا منه إلى عينتاب، فقابلهم الأمير خجا سودن فى آخر النهار وباتوا ليلتهم، وأصبحوا يوم الثلاثاء خامس عشرينه. فقدم الأمير حسن خجا حاجب حلب فى جمع كبير من تركمان الطاعة، فتقدم إليهم جانبك الصوفى بمن معه، وهم نحو الألفى فارس، فقاتلهم عسكر السلطان المذكور، وقد انقسموا فرقة عليها الأمير خُجا سودن حاجب حلب، وفرقة عليها الأمير تمرباى الدوادار بحلب، وتركمان الطاعة، كل فرقة فى جهة فكانت بينهم وقعة انجلت عن أخذ الأمير قُرمش الأعور، وكمشبغا أمير عشرة، وثمانية عشر فارسًا، فانهزم جانبك الصوفى ومن معه، وتبعهم العسكر إلى انحاصُوا. ثم عادوا، وحمل المأخوذون إلى حلب، فسجنوا بقلعتها فى الحديد، وكتب بذلك إلى السلطان.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عبد الرحمن بن على بن محمد، الشريف ركن الدين، عرف بالدُّخان قاضى القضاة الحنفية بدمشق، ليلة الأحد سابع عشر المحرم، وقد أناف على ستين سنة، وكان فقيها حنفيًا، ماهرًا فى معرفة فروع مذهبه، وله مشاركة فى غير ذلك، ولد بدمشق، ونشأ بها، ثم مات فى الحكم عن قضاتها، ودرس. وهو ممن ولى القضاء بغير رشوة، فشكرت فيه سيرته. ومات قاضيا. وهو من بنى أبى الحسن الحسينيين.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية من الغرب، السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس، فى يوم الخميس حادى عشرين صفر بتونس. و لم يتهن فى ملكه لطول مرضه وكثرة الفتن، وسفكت فى أيامه - مع قصرها - دماء خلق كثير. وقام بمملكة تونس من بعده أخوه شقيقه عثمان، فقتل عدة من أقاربه وغيرهم. وكان من خبر المنتصر أنه ثقل فى مرضه، حتى أقعد، وصار إذا سار يركب فى عمَّاريّه (١) على بغل. وتردد كثيرًا إلى قصر بخارج تونس للتنزه به، إلى أن خرج يوما ومعه أخوه أبو عمرو عثمان (٢) صاحب قسنطينه. وقد قدم عليه وولاه الحكم بين

(١) هو ما يشبه الهودج.

(٢) أبو عمرو الحفصى (٨٢١-٨٩٣هـ = ١٤١٨-١٤٨٨م) عثمان بن محمد بن عزوز (عبد=

الناس. ومعه أيضا القائد محمد الهلالى، وقد رفع منه حتى صار هو وأبو عمرو عثمان المذكور - مرجع أمور الدولة إليهما، وحجباه عن كل أحد. فلما صارا معه إلى القصر المذكور تركاه به، وقد أغلقا عليه، يوهما أنه نائم. ودخلا المدينة، وعبرا إلى القصبة واستولى أبو عمرو على تخت الملك، ودعا الناس إلى بيعته، والهلالى قائم بين يديه. فلما ثبتت دولته، قبض على الهلالى، وسجنه، وغيبه عن كل أحد. ثم التفت إلى أقاربه، فقتل عم أبيه الأمير الفقيه الحسين بن السلطان أبى العباس. وقتل معه ابنيه وقد فر بهما إلى العرب، فنزل عندهم، فاشتراه منهم بمال جم. وقتل ابنى عم أبيه الأمير زكريا بلد العناب [١] ابن أبى العباس.

وقتل ابنى الأمير أبى العباس أحمد صحب بجاية، فنفرت عنه قلوب الناس. وخرج عليه الأمير أبو الحسن بن السلطان بن أبى فارس عبد العزيز، متولى بجاية.

ومات الأمير تاج الدين التاج بن سيفا القازانى، ثم الشويكى الدمشقى [٢] فى ليلة الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول، بالقاهرة. وكان أبوه قد قدم دمشق من بلاد حلب، وصار من جملة أجنادها، وممن قام مع الأمير منطاش، فأخرج عنه الملك الظاهر برقوق إقطاعه، وولد له التاج بناحية الشريكة التى تسميها العامة الشويكة، خارج دمشق، ونشأ بدمشق فى حال خمول، وطريقة غير مرضية، إلى أن اتصل بالأمير شيخ وهو يلى نيابة الشام، فعاشره على ما كان مشهورًا به من اتباع الشهوات، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن. وولاه وزارة حلب، لما ولى نيابتها، فلما قدم القاهرة بعد قتل الناصر فرج بن برقوق، قدم معه من جملة أخصائه وندمائه، فولاه فى سلطنته ولاية القاهرة مدة أيامه، فسار فيها سيرة ما عفّ فيها عن حرام، ولا كفّ عن إثم، وأحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله، ثم تمكن فى الأيام الأشرفية وارتفعت درجته، وصار جليسا نديما للسلطان، وأضيفت له عدة وظائف، حتى مات من غير نكبة. ولقد كان عارًا على جميع بنى آدم، لما اشتمل عليه من المخازى التى جمعت سائر القبائح، وأرست بشاعتها على جميع الفضائح.

=العزيز) بن أحمد الهنتاتى الحفصى، أبو عمرو: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع بعد وفاة أخيه المنتصر سنة ٨٣٩هـ وتلقب بالمتوكل على الله. انظر الخلاصة النقية ٨١، الدولة الحفصية ١٥٧، التبر المسبوك ٧ فى حوادث سنة ٨٤٥، البدر الطالع، ٤١٤/١ الضوء اللامع ١٣٨/٥، لقط الفرائد -خ معجم دوزى ١٥٩/٢، الأعلام ٢١٣/٤.

(١) العُنّابُ: جبل فى طريق مكة، ويقال: أنه طريق المدينة من فَيْد. انظر معجم البلدان ١٥٩/٤.

(٢) الشُويكى نسبة إلى الشويكة، أحد الأماكن بدمشق، انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٢٤/٣.

ومات الأمير قَصْرَوه نائب الشام بدمشق، ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر، وهو على نيابتها، وترك من النقد والخيول والسلاح والثياب والوبر وأنواع البضائع والمغلات ما يبلغ نحو ستمائة ألف دينار، وكان من أقبح الناس سيرة وأجمعهم لمال من حرام.

ومات الأمير عثمان قَرَايُلوك بن الحاج قُطْلوبَك بن طُرْ على التركماني، صاحب مدينة آمد ومدينة ماردين، فى خامس صفر، وقد انهزم من إسكندر ابن قرايوسف، وألقى نفسه فى خندق أرزن الروم فغرق، وقد بلغ نحو المائة سنة، وكان من المفسدين فى الأرض. وهو وأبوه من جملة أمراء التركمان، أتباع الدولة الأَرْتقية أصحاب ماردين. وله أخبار كثيرة، وسير قبيحة. وقد ذكرته فى كتاب درر العقود الفريده فى تراجم الأعيان المفيده.

ومات الأمير الطواشى خُشْقَدم زِمام الدار، فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى بالقاهرة، وترك مالاً جمًا، منه نقدا ستون ألف دينار ذهبا، إلى غير ذلك من الفضة والقماش والغلال والعقار، ما يتجاوز المائتى ألف دينار. وكان شحيحا بذىء اللسان، فاحشًا.

ومات الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية. وقد خرج يتصيد خارج المدينة، فوثب عليه حيدر بن دوغان بن جعفر ابن هبة بن جماز بن منصور بن شيحة، قتله بدم أخيه خَشْرم بن دوغان أمير المدينة، فى عاشر جمادى الآخرة. وكان مشكور السيرة.

ومات بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز، عرف بابن الأمانة، أحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان، ومولده فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة تخمينا. وكان فقيها شافعيا بارعا فى الفقه والأصول والعربية، وغير ذلك، ذكيا متقنا لما يعرف، عارفا بالقضاء، كثير الاستحضار. ناب فى الحكم وأفتى عدة سنين. رحمه الله.

ومات الشريف كبش بن جماز من بنى حسين. وكان قد مالأ حيدر بن دوغان على قتل أمير المدينة مانع بن على، ومضى يريد القاهرة ليلى إمرة بالمدينة حتى لم يبق بينه وبين القاهرة إلا نحو يوم واحد، صدفه جماعة من بنى حسين، لهم عليه دم، فقتلوه فى أخريات جمادى الآخرة.

وماتت خوند جُلْبَان الجركسية(١)، زوجة السلطان، وأم ولده المقام الجمالى يوسف، فى يوم الجمعة ثانى شوال. ودفنت بتربة السلطان التى أنشأها بالصحراء خارج باب المحروق. وكانت قد تصدت لقضاء الحوائج، فقصدها أرباب الدولة لذلك وكثر مالها، فأبيعت تركتها بمال كبير.

ومات السلطان أبو العباس أحمد بن أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر أسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكداز بن بيدوكس بن طاع الله بن على بن القاسم. (٢) وهو عبد الواد متملك مدينة تلمسان والمغرب الأوسط، فى يوم [...(٣)...] شوال. وكان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحفضى صاحب تونس وبلاد أفريقية - رحمه الله - قد سار إلى تلمسان مرة ثالثة، وبها محمد بن أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو المعروف بابن الزكاغية ففر منه، فمازال حتى

---

(١) حلبان بنت عبد الله الجاركسية الأشرفية (٨٣٩ هـ = ١٤٣٥ م)، زوجة الملك الأشرف برسباى، والخوند الكبرى صاحبة القاعة فى أيامه إلى أن ماتت، وأم ولده الملك العزيز يوسف. اشتراها الملك الأشرف فى أوائل سلطنته، واستولدها الملك العزيز يوسف ثم تزوجها بعد وفاة زوجته خوند الكبرى وأم ولده الماقم الناصرى محمد فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فأقامت بعد وفاة خوند المذكورة أياما، وعقد عليها، ورسم لها بالسكنى فى قاعة العواميد على عادة من تقدمها من الخوندات، وحظيت عنده ونالتها السعادة وعظمت حرمتها فى الدولة، وقصدها الناس لقضاء حوائجهم، وبعث السلطان يطلب إخوتها وأقاربها من بلاد الجاركس، فقدموا بعد مدة شيئًا بعد شىء، وكانوا عدة كثيرة يزيدون على عشرة أنفس، وهم: والدتها، ثم زوجة ولدها اضرة أمها، وإخوتها الرجال وهم: بيبرس، وأخته، وهما غير أشقتها من زوجة والدها المذكورة، ثم حكم وقانى باى، وهما شقيقاها، وأختها أصيل، وأختها أرزُ، ومعها أولادها عدة بنات، وزوجها خوتى تبعها، وحضر إلى القاهرة، هؤلاء أيضًا أشقتها. ومن أشقتها أيضًا: أخوها أبا يزيد كان قد قدم القاهرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ففر بهم الملك الأشرف وأبناهم، وأنعم عليهم بالرواتب والإقطاعات والوظائف. ثم حجت حلبان ومعها أهلها وأقاربها فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بتجمل زائد وأبهة عظيمة، وفى خدمتها الزينى خشقدم الزمام أمير الركب الأول، والزينى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش، إلى أن قضت المناسك وعادت. واستمرت فى عزها إلى أن مرضت وطال مرضها. واختلفت الأقاويل فى ضعفها، واتهم جماعة بسمها إلى أن توفيت يوم الجمعة ثانى شوال سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ونقلت خوند فاطمة بنت الملك الظاهر زوجة الملك الأشرف إلى قاعة العواميد بعدها. وكانت خوند حلبان من عظماء النساء، ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير. انظر المنهال الصافى. الدليل ١/ ٢٤٩، النجوم ١٥/ ٢٠٣ بدائع الزهور ٢/ ١٦٩، نزهة النفوس ٢/ ٣٦١.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١/٢٩٢.

(٣) بياض فى نسخ المخطوطة (هامش الأصل).

ظفر به، وقتله، وأقام على تلمسان عوضه أحمد هذا فى أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وهو أصغر أولاد أبى حمو، فلم يزل على تلمسان حتى مات بها، وولى بعده أخوه أبو يحيى بن أبى حمو.

ومات أحمد جُوكى بن القان معين الدين شاه رخ سلطان بن الأمير تيمور كوركان، بعد قتل قرايلوك وعوده من أرزن الروم، فى شعبان، بمرض عدة أيام، فاشتد حزن أبيه عليه، وعظم مصابه، فإنه فقد ثلاثة أولاد فى أقل من سنة.

ومات ملك بنجالة من بلاد الهند، السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبى المظفر أحمد شاه بن فندو كاس، فى شهر ربيع الآخر، ثار عليه مملوك أبيه كالوا الملقب مصباح خان، ثم وزير خان. وقتله واستولى على بنجاله.

ومات الشيخ الملك زين الدين أبو بكر بن محمد بن على الخافى ثم الهروى، فى يوم الخميس ثالث شهر رمضان، بهراه فى الوباء الحادث بها.

نادرة قلَّ ما وقع مثلها، وهى أن ثمانى عشر دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت فى مدة بضعة عشر شهرا، وأكثر أرباب هذه الدول الزائلة مات، وهم: الحطى ملك أمحرة، وسلطان الحبشة.

ومات ملك كلبرجه من بلاد الهند السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسين شاه بن بَهْمن. كلاهما مات فى شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة.

ومات الأمير سيف الدين طرباى نائب طرابلس، فى رجب هذا.

ومات الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، فى رجب أيضا.

ومات أمير زاده إبراهيم سلطان بن القان الأعظم معين الدين شاه رخ ابن الأمير الكبير تيمور لنك. صاحب شيراز، فى شهر رمضان.

ومات ملك دله مدينة الهند، وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان.

ومات صاحب مملكة كرمان [١]، باى سنقر سلطان بن القان شاه رخ.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية، المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز، فى حادى عشرين صفر سنة تسع وثلاثين.

---

(١) سبق ترجمتها.

ومات الأمير قصروه نائب الشام، في ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر، وهو أعظم مملكة من كثير من ملوك الأطراف.

ومات الأمير عثمان قرايلوك بن الحاج قطلوبك بن طر على صاحب مدينة آمد [١] ومدينة ماردين[٢] وأرزن الروم [٣] وغير ذلك، في صفر.

وقتل أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، في جمادى الآخرة، ولم تطل مدته بعد قتل ابن عمه زهير بن سليمان، وكان ينازعه في الإمرة.

ومات متملك مدينة تلمسان [٤] وصاحب المغرب الأوسط أحمد بن أبى حمو العبد وادى، في شوال.

ومات أحمد جوكى سلطان بن القان شاه رخ.

ومات قطب الدين فيروز شاه بن محمد شاه بن تَهَمْ تَمْ بن جُرْدُن شاه بن طُغْلق بن طِبْق شاه، ملك هرمز والبحرين [٥] والحسا [٦] والقطيف [٧].

وفر إسكندر بن قرايوسف عن مملكته بتبريز [٨] وتشتت في الآفاق.

وأسر بترو بن ألفنت صاحب برشلونة وبلنسية [٩] وغير ذلك من مملكة أرغون[١٠]، وزالت دولته.

* * *

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) الحَسا: بالفتح، والقصر: موضع.الحُسا: بالضم، والقصر: واد بأرض الشربة من ديار عبس غطفان. انظر معجم البلدان ٢/٢٥٨.

(٧) القَطيف: وهى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة غلب عليها الآن اسم هذه المدينة. انظر معجم البلدان ٤/٣٧٨.

(٨) سبق ترجمتها.

(٩) سبق ترجمتها.

(١٠) سبق ترجمتها.

سنة أربعين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت والزمان أمير المؤمنين المعتضد با لله أبو الفتح داود بن المتوكل على ا لله أبى عبد ا لله محمد، وسلطان الإسلام بديار مصر وبلاد الشام وأراضى الحجاز - مكة والمدينة وينبع - وجزيرة قبرس، السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى. والأمير الكبير أتابك العساكر جقمق السيفى رأس الميمنة. والمقام الجمالى يوسف ولد السلطان رأس الميسرة. وأمير سلاح الأمير قُرقْماس الشعبانى. وأمير مجلس أقبغا التمرازى. والدوادار الأمير أرْكُماس الظاهرى. ورأس نوبة النوب الأمير تمراز القَرْمِشى [1].

وحاجب الحجاب الأمير يشبَك. وأمير آخور جانم أخو السلطان. وبقية المقدمين الأمير تغرى بردى البكلمشى المؤذى، وخُجا سودن، وقراقُجا الحسنى، وأينال الأجرود نائب الرها، والأمير تنبك، فهم ثلاثة عشر، بعدما كانوا أربعة وعشرين مقدما.

ونواب السلطنة بالممالك الأمير أينال الجمكى نائب الشام. والأمير تغرى برمش الجقمقى [2] نائب حلب. والأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة. والأمير جُلْبان المؤيدى

---

(١) انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع، النجوم الزاهرة ٧٥٧/٦.

(٢) تغرى برمش (٨٤٢ هـ = ١٤٣٩ م)، اسمه الأصلى حسين بن أحمد. كان أبوه يدعى بابن المصرى، من أهل بهسنا، وكان أحد الأجناد بها، وكان له ثروة فى أول أمره، فلما قدم تيمور إلى بهسنا وأخذها افتقر، وقدم إلى حلب، ومعه أولاده حسن هذا، ثم أنه مات فانتقل تغرى برمش هذا مع أخيه حسن ووالدتهما إلى القاهرة، واتصلا بخدمة الأمير قراسنقر الظاهرى أمير الحاج فأقام مدة إلى أن أخذ تغرى برمش المذكور الأمير أينال حطب أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، واستمر أخوه حسن بخدمة الأمير قراسنقر، وسمى أيضا حسن شاه. قال ابن تغرى بردى: لما مات أينال حطب اتصل تغرى برمش هذا بخدمة والدى بسفارة دوادار الأمير أينال حطب، وكان تغرى برمش المذكور إذ ذاك صغيرا، فأخرج له والدى خيلا وقماشا، وجعله من جملة الجمدارية، وسمى تغرى برمشى، واستمر عندنا سنين إلى أن استقر والدى فى نيابة الشام سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، فلما وصل والدى إلى دمشق، وأقام بها مدة، فر تغرى برمش هذا من عنده وأخذ معه جماعة من طبقته، وكان تغرى برمش ومن هرب معه من المماليك آنيات شاهين أمير آخور والدى الكبير، وكان شاهين المذكور له ميل زائد إلى تغرى برمش هذا، فأخفى شاهين خبر تغرى برمش، ورفقته عن والدى مدة لكثرة مماليكه ثم علم ذلك فشق عليه، ثم بلغه أنه هو ورفقته بمدينة طرابلس، فرسم بأن يكتب إلى نائب طرابلس الأمير جانم من حسن شاه بالقبض على تغرى برمش المذكور ورفقته، فلما سمع شاهين أمير=

نائب طرابلس، والأمير تمراز المؤيدى نائب صفد، والأمير يونس نائب غزة والأمير عمر شاه نائب الكرك، والأمير أقباى البْشبَكى نائب الإسكندرية. والأمير أَسَنْدُمُر الأسعردى نائب الوجه القبلى، والأمير حسن بيك الدُّكرى التركمانى نائب الوجه البحرى، ولم يعد فى الدول الماضية أن يستقر أحد من النواب تركمانيا، إلا فيما بعد عن بلاد حلب، فاستجد فى هذه الدولة الأشرفية ولاية عدة من التركمان ولايات ونيابات وإمريات بمصر والشام.

وأمير مكة المشرفة الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان

=آخور ذلك صعب عليه، ولم يمكنه مراجعة ملك الأمراء فى الكلام، فسأل أن يتوجه هو إلى طرابلس ويقبض عليهم، ويعود بهم إلى دمشق، قصد شاهين بذلك الشفقة عليهم، وتوجه إلى طرابلس، فبلغه خبرهم أنهم يتعاطون الشراب فى قاعة بطرابلس، فترك شاهين مماليكه وخدمه، وركب وتوجه إليهم، ودخل عليهم هجما فى القاعة المذكورة، فلما وقع نظره عليهم سبهم قبل السلام، فقام إليه تغرى برمش المذكور. وسل سيفه وضربه به ضربة أتلفه فيها، ومات من وقته وفر هو وأصحابه، وبلغ الخبر الأمير جانم نائب طرابلس، فركب من وقته إلى القاعة المذكورة، فوجد شاهين قد مات، بعد أن أشهد عليه جماعة من الناس قبل موته أن الذى قتله هو تغرى برمش، فكتب الأمير جانم بذلك محضرا وأثبته على قاضى طرابلس، وأرسل به غلى والدى وأعتذر أنه لم يعلم بمجىء شاهين إلى طرابلس، ولا بما وقع له إلا بعد فوات الأمر، وأنه شدد الطلب على تغرى برمش المذكور، ومتى حصل فى يده أرسله مقيدا إلى الخدم العالية فلما سمع والدى بموت شاهين أمير آخور شق عليه ذلك، وكتب إلى نواب البلاد الشامية يعلمهم بواقعة تغرى برمش المذكور، ويأمرهم بشنقه متى ظفروا به. وكان والدى ملازما للفراش من مرضه الذى مات فيه، فلم تطل أيامه، ومات، وتقلبت الدولة، واتصل تغرى برمش بخدمة الأمير طوخ نائب حلب ودام المحضر عندنا، ثم صارا بخدمة جقمق الأرغون شاوى الدوادار فحظى عنده، وصار رأس نوبته، ثم دواداره إلى أن قتل جقمق بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات اتصل تغرى برمش هذا بعد قتله بالأمير ططر، فلما تسلطن ططر أمره طبلخاناة وجعله نائب قلعة الجبل، فدام بقلعة الجبل إلى سنة سبع وعشرين وثمانمائة نقله الملك الأشرف برسباى إلى تقدمة ألف بالديار المصرية، وتولى القلعة عوضه الأمير تبك البردبكى......
وكان تغرى برمش أميرا جليلا، عاقلا عارفا سيوسا ذا رأى وتدبر، ودهاء ومكر مع ذكاء مفرط وفطنة، وكان رجلا طوالا، أسود اللحية، مليح الوجه فصيح اللسان باللغة التركية، عارفا بأمور الدنيا وجمع المال، وله قدرة على مداخلة الملوك، وكان جاهلا بسائر العوم حتى لعله لم يحفظ مسألة فى دينه، بل كانت جميع حواسه على أمر دنياه، وكان جبانا، بخيلا بالبر والصدقة، كريما على مماليكه، متجملا فى مركبه وملبسه ومأكله، وكان حريصا، جبار يميل إلى الظلم والعسف، ولقد أخرب فى حروبه هذه عدة قرى من أعمال حلب وما حولها، وقتل من أهلها جماعة، لا جرم أن الله عامله وجازاه من جنس أعماله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. انظر المنهل الصافى ٤/ ٥٨: ٦٥، الدليل الشافى ١/ ٢١٨ النجوم الزاهرة ١٥/ ٤٧١ الضوء اللامع ٣/ ٣٥، بدائع الزهور ٢/ ٢١٦ - ٢١٧.

الحسنى. وبالمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام الشريف، وميان ابن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، وباليبنع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز قتاده الحسنى. وهؤلاء الأشراف الثلاثة نواب عن السلطان.

وفى بقية ممالك الدنيا القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور كوركان صاحب ممالك ما وراء النهر، وخراسان (١) وخوارزم (٢) وجرجان (٣) وعراق العجم، ومازندران، (٤) وقندهار، (٥) ودله من بلاد الهند، وكرمان (٦)، وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان، التى منها مدينة تبريز، ومتملك تبريز إسكندر بن قرايوسف بن قرا محمد، وهو مشرد عنها خوفا من القان شاه رخ.

وحاكم بغداد أخو أصبهان بن قرايوسف، وقد خرجت بغداد و لم يبق بها جمعة ولا جماعة، ولا أذان، ولا أسواق. وجف معظم نخلها، وانقطع أكثر أنهارها، بحيث لا يطبلق عليها اسم مدينة بعدما كانت سوق العلم. وعلى حصن كيفا الملك الكامل خليل بن الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الموحد عبد الله ابن السلطان الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى(٧) وعلى بلاد قرمان - من بلاد الروم - إبراهيم بن قرمان. وملك الإسلام ببلاد الروم خوندكار مراد بن محمد بن كُرْشجى بن بايزيد يلدَريم بن مراد بن أُرخان بن أُردِن على

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) خُوارزم: أوله بين الضمة والفتحة، والألف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة هكذا يتلفظون به، وهى فى الإقليم السادس، وهو ليس اسما للمدينة وإنما هو اسم للناحية بجملتها. انظر معجم البلدان ٣٩٥/٢ وما بعدها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) مَازندران: اسم لولاية طبرستان. انظر معجم البلدان ٤١/٥.

(٥) قندهار: مدينة فى الإقليم الثالث، وهى من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح. انظر معجم البلدان ٤٠٢/٤،٤٠٣.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) الكامل الأيوبى (٨٥٦هـ= ١٤٥٢م» خايل بن أحمد بن سليمان، من بنى أيوب: أمير، من الشعراء، كان صاحب حصن كيفا (فى ديار بكر) ويلقب بالملك الكامل. استقر فى حصن كيفا بعد قتل والده سنة ٨٣٦هـ واستمر إلى أن وثب عليه ابن له فقتله على فراشه. له كتاب الدر المنضود القصد الجليل فى نظم السلطان خليل. انظر التبر المسبوك ٣٩٩ص، مجلة المجمع العلمى العرب ١٩٠/٥، حوادث الدهر ١٢٨/١ معجم المطبوعات ١٥٤٤. الأعلام ٣١٤/٢.

ابن عثمان بن سليمان بن عثمان، صاحب برصا وكالى بولى. وبجانب من بلاد الروم أسفنديار بن أبى يزيد، وعلى ممالك إفريقية من بلاد المغرب أبو عمرو عثمانبن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز الحفصى [(١)] صاحب تونس وبجاية وسائر إفريقية. وعلى مدينة تلمسان والمغرب الأوسط أبو يحيى بن أبى حمو، وبمملكة فاس ثلاثة ملوك أجلهم صاحب مدينة فاس، وهو أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن المرينى، وليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى درهم، فما فوقه. والقائم بالأمر دونه أبو زكريا يحيى بن أبى جميل زيان الوِطَاسى [(٢)] وبعد صاحب فاس صاحب مكناسة الزيتون [(٣)] على نحو نصف يوم من فاس.والآخر بأصِيلا[(٤)] على نحو خمسة أيام من فاس، وهما أيضا تحت الحجر، ممن تغلّب عليهما. وقد ضعفت مملكة بنى مرين هذه، ويزعم أهل الحدثان أن الشاوية تملكها، وقد ظهرت إمارات صدق ذلك. وبالأندلس أبو عبد الله محمد بن الأيسر ابن الأمير نصر ابن السلطان أبى عبد الله بن نصر المعروف بابن الأحمر، صاحب أغرناطة. وببلاد اليمن الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب تعز [(٥)] وزبيد [(٦)] وعدن. وعلى صنعاء[(٧)] وصعدة [(٨)] الإمام على بن صلاح الدين محمد بن على الزينى. وبممالك الهند الإسلامية عدة ملوك. وممالك الفرنج بها أيضا نحو سبعة عشر ملكا، يطول علينا إيرادهم. وببلاد الحبشة الحطى الكافر، ويحاربه ملك المسلمين شهاب الدين أحمد بدلاى ابن سعد الدين أبى البركات محمد بن أحمد بن على بن صبر الدين محمد بن ولخوى بن منصور بن عمر بن ولَسْمَعَ الجبرتى.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) ابن زَيَّان (٨٥٣هـ= ١٤٤٩م) يحيى بن زيان بن عمر بن زيان، أبو زكريا، الوطاسى المرينى اللمتونى: وزير المغرب الأقصى (بفاس) فى أيام عبد الحق بن عثمان. قال السخاوى: كان عادل بحيث أن ترجمته أفردت بالتأليف، وقتل ظلما. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٢٥، التبر المسبوك ٢٥٣، جذوة الاقتباس ٣٣٦. الأعلام ٨/١٤٦.

(٣) مِكْنَاسَةُ: مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، وهى مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصنُ حواد. انظر معجم البلدان ٥/١٨١.

(٤) أصِيل: بلد بالأندلس، ربما كان من أعمال طليطلة. انظر معجم البلدان ١/٢١٢.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) صنعاء: موضعان: أحدهما باليمن، وهى العظمى وهى المقصودة، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق. انظر معجم البلدان ٣/٤٢٦.

(٨) سبق ترجمتها.

وأرباب المناصب بالقاهرة الأمير جانبك أستادار. والقاضى محب الدين محمد بن الأشقر كاتب السر. وناظر الجيش عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط، ولا يبرم أمر ولا يحل ولا يولى أحد ولا يعزل إلا بمشورته. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم. وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر، وإليه المرجع فى عامة الأمور الشرعية لسعة علمه وكثرة اطلاعه، لاسيما علم الحديث ومعرفة السنن والآثار فإنه أعرف الناس بها فيما نعلم. وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العينى. وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر ا لله البغدادى. والمحتسب الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر ا لله. ووالى القاهرة عمر الشويكى.

شهر ا لله المحرم ، أوله يوم الإثنين:

فى عاشره: وصل العسكر المجرد إلى مدينة حلب ونزلها.

وفى رابع عشرينه: قدم المحمل الحاج مع الأمير طوخ مازى أحد أمراء الطبلخاناه، وأحد رءوس النوب، وكنتُ صحبة الحاج، فساءت سيرته فى الحاج، وفى ذات نفسه.

وفى ثامن عشرينه: جمعت أجناد الحلقة المأخوذ منهم المال - كما تقدم ذكره - فى بيت الأمير تَمِرْباى الدوادار، وأعيد لهم ما كان أُخذ منهم من المال، من أجل أن التجريدة بطلت. و لله الحمد.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير أستادار المقام الجمالى يوسف ولد السلطان، ثم أُفرج عنه. وخُلع من الغد على الصاحب جمال الدين يوسف ابن كريم الدين بن عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف والده بابن كاتب جكم. واستقر عوضه فى الأستادارية.

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه - الموافق لتاسع عشر مسرى -: نودى على النيل بزيادة عشر أصابع فوفى ستة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وركب المقام الجمالى يوسف - ولد السلطان - حتى خُلق المقياس وفتح الخليج بين يديه على العادة.

وقدم الخبر بمسير العسكر المجرد من حلب فى عشرينه إلى جهة الأبلستين.

وأنه فى حادى عشرينه: طرق ميناء بوقير - خارج مدينة الإسكندرية - ثلاثة أغربة من الفرنج الكيتلان وأخذوا مركبين للمسلمين، فخرج إليهم أقباى اليشبكى [1]

(١) هو أقباى بن عبد ا لله الدوادار. انظر المنهل الصافى، عقد الجمان. (حوادث سنة ٨٤٠هـ).

الدوادار نائب الثغر، ورماهم حتى أخذ منهم أحد المركبين، وأحرق الفرنج المركب الآخر، وساروا.

وأن في ثاني عشرينه: غد هذه الوقعة طرق ميناء الإسكندرية مركب آخر للكيتلان، وكان بها مركب للجنوية، فتحاربا، وأعان المسلمون الجنوية حتى انهزم الكيتلان.

وفي هذا الشهر: خرج من مدينة بجاية [١] بإفريقية أبو الحسن على ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز، حتى نزل على قسنطينة، وحصرها.

شهر صفر، أوله يوم الثلاثاء:

في رابعه: قدم قاصد نائب حلب برأس الأمير قَرْمش الأعور. وكان من خبره أنه من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وترقى في الخدم حتى صار من الأمراء وأُخرج إلى الشام. فلما خامر الأمير تَنْبَك البجاسي على السلطان كان معه، ثم هرب بعد قتله فلم يعرف خبره، إلى أن ظهر الأمير جانبك الصوفي، انضم عليه. فلما قدم العسكر المجرد إلى حلب، ومن جملته الأمير خجا سودن نزل بمن معه على عنتاب، فطرقه قَرْمِش المذكور، وهو في مقدمة جانبك الصوفي. فكانت بينهما وقعة أُخذ فيها قَرْمش وكُمُشْبُغا من أمراء حلب المخامر إلى جانبك الصوفي في جماعة، فقطعت رأس قرمش وكمشبغا وجهزتا إلى السلطان، ووسط الجماعة، فشهرت الرأسان بالقاهرة، ثم أُلقيتا في سراب مملوء بالأقذار والغدرة [٢].

وفي خامسه: استقر خُشْكَلْدى أحد الخاصكية في نيابة صهيون، عوضا عن الأمير غرس الدين خليل الهذباني بحكم وفاته. ثم عزل بعد يومين بأخي المنوفي.

وفي ثامن عشرينه: قدم الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من جدة وصحبته الأمير يلخجا والمماليك المركزة بمكة.

وفي هذا الشهر: سار أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز من مدينة تونس يريد قسنطينه؛ لقتال عمه أبي الحسن علي.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الخميس:

فيه عاد العسكر المجرد إلى أبلستين بعدما وصلوا إلى مدينة سيواس، في طلب

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الغَدَرَةُ: ما بقي من شيء، والغدارة: بقية الشيء. انظر المعجم الوسيط (غدر).

جانبك الصوفى وابن دلغادر، حتى بلغهم لحاقهما بمن معهما ببلاد الروم، والانتماء إلى ابن عثمان صاحب برصا، فنهبوا ما قدروا عليه، وعادوا.

وفيه رسم بعزل الأمير تمراز المؤيدى عن نيابة صفد، واستقراره فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير يونس الأعور، واستقرار يونس فى نيابة صفد، وتوجه بذلك دولت بيه أحد رءوس النوب (١).

وفيه قدم الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ تقدمة قدومه من جدة، فخلع عليه فى يوم السبت ثالثه، ونزل إلى داره، فسأل فى يوم الأحد رابعه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش والسلطان فى استقرار الصاحب كريم الدين المذكور فى الوزارة على عادته. وكان السؤال على لسان الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، فأجيب بأن «هذا الأمر متعلق بك، فإن شئت استمريت على مباشرتك للوزارة، وإن شئت تعين من تريد». فتكلم من الغد يوم الإثنين مع السلطان مشافهة فى ذلك، فتوقف السلطان خشية ألا يسد لقصور يده. فمازال بالسلطان حتى أجاب إلى ولايته، ونزل إلى داره، فاستدعى الصاحب كريم الدين وقرر معه ما يعمل. وأسعفه بأن عين له جهات يسد منها كلفة شهرين. وأنعم له بألفى رأس من الغنم، وأذن له أن يوزع على مباشرى الدولة كلفة شهرين آخرين.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الصاحب كريم الدين، واستقر فى الوزارة على عادته، ونزل إلى داره فى موكب جليل. وسر الناس به، فصَّرف الأمور، ونفذ الأحوال. وخلع معه على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة خلعة استمرار، فنزل فى خدمته، وجلس بين يديه كما كان أولا، وكانت الوزارة منذ عزل الأمير غرس الدين خليل عنها فى شوال سنة تسع وثلاثين لم يستقر فيها أحد، وإنما كان القاضى زين الدين عبد الباسط ينفذ أمور الوزارة، وقررها على ترتيب عمله، وهو أنه أحال مصروف كل جهة من جهات المصروف على متحصل جهة من جهات المتحصل، فإن لم تف تلك الجهة بما أحيل به عليها قام بالعوز من ماله.

وندب للمباشرة عنه الصاحب أمين الدين بن الهيصم، وهو يلى نظر الدولة، فتمشت أحوال الدولة فى هذه المدة على هذا.

وفى ليلة الإثنين خامسه: فقد سليمان بن أَرْخُن بك بن محمد كُرشجى بن عثمان، وأخته شاه زاده، وجماعته، وكانوا يسكنون بقلعة الجبل، وتمشى سليمان هذا فى خدمة

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٣/١٤.

المقام الجمالى ولد السلطان. ومن خبره أن مراد بن كُرشجى صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم، قبض على أخيه أَرْخن بك، وكحله، وسجنه مدة، فكان يقوم بخدمته وهو فى السجن مملوك من مماليكه يقال له طوغان. فأدخل إليه جارية إلى السجن، وهى متنكرة، فاشتملت من أَرْخن على هذا الولد وغيره. ومملوكه هذا يخفى أمرهم حتى مات أرخُن فى سجنه. ففر المملوك بهذين الولدين، وهما سليمان وأخته شاه زاده وأمهما إلى مدينة حلب، وأقاموا بها حتى قدم السلطان حلب فى سنة ست وثلاثين، وقف بهما إليه، فأكرمهم وأنزلهم بقلعة حلب، ثم سيرهم إلى القاهرة وأسكنهم فى الدار التى كانت قاعة الصاحب من قلعة الجبل، وكساهم، ورتب لهم فى كل شهر اثنين وعشرين ألف درهم من معاملة القاهرة، و لم يحجر عليهم فى النزول إلى القاهرة. وأضاف هذا الصبى سليمان بن أُرخُن إلى خدمة ولده المقام الجمالى، فكان يركب معه إذا ركب، ويظل بين يديه، ويبيت - إذا شاء عنده - إلى أن فقدوا.

وفى ليلة الإثنين: المذكور قُتل جاسوس معه كتب من جانبك الصوفى [1].

وفى ليلة الجمعة عاشره: عُمل المولد النبوى بين يدى السلطان، على العادة فى كل سنة.

وفى يوم الجمعة: المذكور عدا رجل من الهنود على رجلين، فقتلهما بعد صلاة الجمعة تجاه شبابيك المدرسة الصالحية بين القصرين، بمشهد من ذلك الجمع الكثير. فأخذ وقطعت يده، ثم قُتل، فكانت حادثة شنعة.

وفى يوم السبت حادى عشره: توجه الأمير قُرْقُماس أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، فى جماعة إلى الوجه البحرى، من أجل أن أولاد بكّار بن رحاب وعمهم عيسى من أهل البحيرة انضم إليهم الطائفة التى يقال لها محارب، وأفسدوا.

وفى ثالث عشره: وصل الأروام الهاربون، وعدتهم خمسة وستون شخصا، منهم ثمانية من مماليك السلطان، فوسطوا الثمانية تحت المقعد السلطانى بالإصطبل من القلعة بين يدى السلطان. ووسط طوغان لالا سليمان بن أرخن، ورجل آخر لتتمة عشرة. وقطعت أيدى سبعة وأربعين رجلا وضرب رجل بالمقارع.فكانت حادثة شنعة. وكان من خبرهم أن طوغان المذكور قصد أن يفر بموسى إلى بلاد الروم. ونزل فى غراب قدم فى البحر، ومعه جماعة، منهم المماليك الثمانية، وعدة من الأروام. ورافقهم فى المركب

---

(١) ذكر ابن تغرى فى النجوم أحداث تتعلق بيوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول فلتراجع هناك. انظر النجوم الزاهرة ٢٦٣/١٤.

جماعة من الناس ليسوا مما هم فيه فى شىء، إنما هم ما بين تاجر وصاحب معيشة ومسافر لغرض من الأغراض. وانحدروا فى النيل ليلا يريدون عبور البحر، فأدركهم الطلب من السلطان، وقد قاربوا رشيد. وكانت بينهم محاربة فى المراكب على ظهر النيل، قتل فيها عدة. وتخلصوا حتى عبروا بغرابهم من النيل إلى بحر الملح، فخرجت عليهم ريح ردتهم حتى نزلوا على وحلة، فلم يقدروا أن يحركوا غرابهم من شدة الوحل، فأدركهم الطلب، وهم كذلك، فقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم، وقد جاءهم نائب الإسكندرية فى جمع موفور. فمازالوا يقاتلون حتى غلبوا وأخذوا، فسيقوا فى الحديد إلى أن نزل من البلاء ما نزل. وسجن سليمان بن أرخن مدة ثم أفرج عنه، ونودى فى الشوارع بخروج الهنود من القاهرة، فلم يخرج أحد.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: رحل العسكر من أبلستين، بعد أن أقاموا بها عشرة أيام، وهم ينهبون أعمالها، ويخربون ويحرقون، فمازالوا سائرين حتى نزلوا تجاه مدينة سيواس، وقد رحل العدو المطلوب إلى جبل آق طاغ، ومعناه الجبل الأبيض، ثم مضوا منه إلى أنكورية.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: نودى ألا يلبس أحد زمط أحمر[(١)]، ثم نودى من الغد لا يحمل أحد سلاحا.

وفى رابع عشرينه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر فى نظر جدة على عادته من قبل.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير جانبك الناصرى[(٢)] رأس نوبة الأمير إبراهيم ابن المؤيد، وحاجب ميسرة. واستقر أمير المجردين إلى مكة ويتحدث مع ابن المرة فى أمر جدة، وتعين معه مائة وعشرة مماليك، السبتوى ثلاثين مملوكًا فى خدمته. وأنعم عليه بألف دينار أشرفية وقطارى جمال، وخمس عشرة ألف فردة نشاب، وأربعة أفراس.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أعيد يونس خازندار نائب حلب الوارد بعود

---

(١) وهو رداء يكون للرأس.

(٢) جانبك بن عبد الله الناصرى (٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م)، المعروف بالمرتد، الأمير سيف الدين نسبته إلى معتقه الملك الناصر فرج، وتَرقى من بعده حتى صار خاصكيا فى دولة الأشرف برسباى، ثم صار ساقيا فى أوائل دولة الملك الظاهر حقمق، ثم تأمر عشرة وصار من جملة رؤس النوب. ودام على ذلك سنين لا يوبه إليه فى الدولة إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف أينال بأمرة طبلخاناة، واستمر على ذلك. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣. والدليل الشافى ١/ ٢٣٩، الضوء اللامع ٣/ ٥٦.

العسكر المجرد إلى أبلستين. وجهز على يده لنائب حلب فرس بقماش ذهب، وقباء فوقانى، وخمسة آلاف دينار أشرفية. وأنعم على الأمير الكبير جقمق الأتابك بألف دينار. وعلى كل من أمراء الألوف المجردين - وعدتهم ستة أمراء - بخمسمائة دينار. وعلى أمراء حلب المقدمين الذين خرجوا فى التجريدة بألف وخمسمائة دينار، وعدتهم ثلاثة أمراء، وعلى أمير من طبلخاناه حلب بمائتى دينار. وعلى سبعة من أمراء العشرين بحلب لكل أمير منهم بمائة وخمسة وعشرين دينارا، جملتها ثمانمائة وخمسة وسبعين دينارا وأنعم على ستة عشر من أمراء العربان بحلب بألف وستمائة دينار. وأنعم على خمسة عشر من أمراء الجهات لكل أمير خمسين دينارا. وأنعم على أمراء التركمان ونواب القلاع ممن كان فى التجريدة بخمسة آلاف دينار. وبلغت جملة هذه الإنعامات تسعة عشر ألف دينار ومائة دينار وخمسة وسبعين دينارًا، سوى ثلاثين قرطية [1]، وثلاثين ثوب صوف، وعشرة أقبية سنجاب، كل قباء خمس شقات.

وفيه نودى فى الناس بالإذن فى السفر إلى مكة، صحبة المجردين.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى سادس عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة، وخرج من باب القنطرة للصيد. وهذه أول ركبة ركبها فى هذه السنة للصيد.

وفيه جمع الأمير جوهر الخازندار الجزارين، وأشهد عليهم ألا يشتروا اللحم إلا من أغنام السلطان التى تذبح. وصار يذبح لهم من الأغنام ما يبيعوا لحمه للناس، ولم يسمع بمثل ذلك.

وفى غده: عاد السلطان من الصيد، وخرج ثانيا فى حادى عشرينه.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه قدمت رسل مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان ملك الروم، بهدية.

وفى سادسه: برز الأمير جانبك وابن المرة إلى ظاهر القاهرة، وتلاحق بهما جماعة، إلى أن استقلوا بالمسير إلى مكة فى عاشره.

وفى ثالث عشره: خلع على دمرداش، وأعيد إلى نيابة الوجه البحرى، عوضا عن حسن بيك التركمانى.

---

(١) القرطية: ضرب من الإبل. لسان العرب (قرط).

وفى سابع عشره: قدم الأمراء المجردون لقتال جانبك الصوفى، وناصر الدين محمد ابن دلغادر. وهم الأمير الكبير جقمق العلاى، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، وأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب، والأمير قراخجا الحسنى، والأمير تنبك السيفى، والأمير تغرى بردى البكلمشى المعروف بالمؤذى، ومثلوا بين يدى السلطان، وقبلوا الأرض، فخلع على الأمير الكبير متمر [١]، ومن فوقه قباء فوقانى. وخلع على كل من بقية الأمراء المذكورين فوقانى بطرز ذهب. وأركبوا جميعهم خيولا سلطانية بقماش ذهب. وتأخر من الأمراء الأمير خجا سودن لبطئه فى المسير.

وفيه أيضا قدم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، والأمير قراجا شاد الشرابخاناه، والأمير تمرباى الدوادار الثانى من تجريدة البحيرة، وصحبتهم الأمير حسن بك بن سالم الدكرى التركمانى، وقد عزل ومحمد بن بكار ابن رحاب، وقد دخل فى الطاعة.

وفى هذا الشهر: كثر ركوب السلطان للصيد.

وفيه رفعت يد قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى عن وقت الطرحاء من الأموات، وفوض إلى الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، ورسم له أن يسترفع حساب الوقف فيما مضى. ثم نقض ذلك، واستمر بيد قاضى القضاة على العادة.

وفى سابع عشرينه: نودى بأن من كانت له ظلامة فعليه بالوقوف إلى السلطان. ورسم أن تجتمع قضاة القضاة الأربع بمجلس السلطان للحكم فى يومى الثلاثاء والسبت. ثم انتقض ذلك، و لم يعمل به. وجلس السلطان للحكم فى يوم السبت تاسع عشرينه. وحضروا عنده. ثم بطل واستمر على عادته من غير حضور القضاة.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الإثنين:

فى ثالثه: ركب الأمير تمرباى الدوادار النيل إلى الإسكندرية، حتى يبيع الفلفل المحمول من جدة على الفرنج الواردين الثغر ببضائعهم، بعدما عين لذلك القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم أعفى منه.

وفى ثامنه: قدم الأمير خجا سودن أحد المجردين، فخلع عليه.

وفى ثانى عشره: ورد كتاب الأمير إبراهيم بن قرمان، يتضمن أن ناصر الدين محمد ابن دلغادر وجانبك الصوفى نزلا بعد توجه العسكر قريبا من أنكوريه.

---

(١) نوع من القماش.

وجهز الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى مراد بن عثمان، فلقيه على مدينة كالى بولى، وترامى عليه. وكان ابن قرمان المذكور قد قاتل حاكم مدينة أماية فقتله، فغضب ابن عثمان وتحركت كوا من العداوة التى بين القرمانية والعثمانية، وعزم على المسير إلى أخذ ابن قرمان. وبرز من كالى بولى يريد مدينة برصا فلما قدم عليه سليمان بن دلغادر جهز معه عسكرا، وأنعم عليه بالمال والسلاح، وندب معه حاكم مدينة توقاته [(١)] لمحاصرة مدينة قيصرية، وأخذها من ابن قرمان. وجهز أيضا الأمير عيسى أخا إبراهيم بن قرقمان على عسكر آخر، وبعثه إلى بلاد قرمان؛ ليسير هو من وراء العسكرين، فأهم السلطان هذا الخبر، وجهز إلى كل من عنتاب وملطية وكختا وكركر المال والسلاح، وكتب إلى تركمان الطاعة بمعاونة إبراهيم بن قرقمان على عدوه.

وفى هذا الشهر: رسم أن يشترى من الغلال ثلاثون ألف أردب ليخزن، فأخذ الناس فى شراء الغلة من القمح والشعير والفول، خوفا من غلاء السعر.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير تمرباى الدوادار من الإسكندرية، بعدما باع بها ألف حمل من الفلفل، بحساب مائة دينار الحمل، وقيمته دون ذلك بكثير، بلغ ثمن ذلك مائة ألف دينار.

وفى تاسع عشره: قدم القاضى شرف الدين أبو بكر الأشقر المعروف بابن العجمى، كاتب سر حلب، وقدم من الغد السلطان تقدمة جليلة، ما بين ثياب حرير ووبر وخيل وبغال.

وفى عشرينه: رسم للأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير أينال الأجرود - الوارد من الرها - بالتوجه لحفر خليج الإسكندرية. وتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط ليرتب الأحوال فى ذلك، ثم يعود. فتوجه فى رابع عشرينه وسار الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ أيضا للنظر فى أمر الحفير.

وفى هذا الشهر: اتفقت نادرة لم نر ولا سمعنا بمثلها، وهى استقرار الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى قضاء دمياط، وكانت العادة أن يفوض قاضى القضاة الشافعى قضاء دمياط لمن يقع اختياره عليه من الفقهاء، فلما اتصل ولى الدين محمد بن قاسم المحلاوى بالسلطان، شره فى المال، وأخذ قضاء عدة بلاد، منها دمياط. وقرر

---

(١) تَوْقات: بلدة فى أرض الروم بين قونيا وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة، بينها وبين سيواس يومان. انظر معجم البلدان ٢/٥٩.

على من أقامه فى قضاء البلاد التى وليها مالا يحمله على سبيل الفريضة فى كل شهر أو كل سنة، كما هى ضرائب المكوس، سوى ما يتبع ذلك من هدايا الريف. وكان الجاه عريضا، فما عفت نوابه ولا كفت، فلما ذهب إلى الحجاز، نزل عن قضاء دمياط للقاضى جلال الدين عمر والقاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بمبلغ خمسين ألف درهم مصرية. فجرى على عادة ابن قاسم فى ذلك إلى أن عين السلطان القاضى كمال الدين لقضاء دمشق، سأله الأمير صفى الدين جوهر الخازندار أن ينزل له عن قضاء دمياط، فلم يجد بدًا من إجابته، ونزل له عن ذلك. فأمضى قاضى القضاة النزول رغما، وصار أحد نواب الحكم العزيز بدمياط، فاستناب عنه على العادة فى هذا، واستمر. وصار يكتب فى مكاتبته إلى نائبه بدمياط «الداعى جوهر الحنفى»، كما كان قاضى القضاة يكتب. وحمد أهل البلد سيرته بالنسبة لمن كان قد ابتدأ ذلك.

ولم يعهد فى مثل ذلك نزول، ولا ما يشبهه؛ فلله الأمر.

شهر رجب، أهل بيوم الثلاثاء:

وفيه خلع على القاضى كمال الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى. وأعيد إلى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن سراج الدين عمر الحمصى بغير مال يحمله، ولا سعى منه. وإنما كثرت القالة السيئة فى الحمصى، فعين السلطان عوضه القاضى كمال الدين ثم ولاه.

وفى ثالثه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم نعهد فيما تقدم أنه أدير قبل النصف من شهر رجب إلا فى هذه الدولة الأشرفية، فإنه أدير غير مرة قبل النصف منه. ونزل بالناس فى ليلة إدارته من المماليك السلطانية بلاء كثير من صفع أقفية المارة فى الشارع، ومن حرق لحاهم بالنار، وخطف عمائمهم، إلى غير ذلك مما لا نستجيز ذكره.

وفيه خلع على الأمير الوزير غرس الدين خليل، واستقر أمير الركب.

وفى يوم السبت خامسه: توجه القاضى زين الدين عبد الباسط لكشف قناطر اللاهون من عمل الفيوم، وقد خربت.

وفى سادسه: قدم الأمير يشبك الحاجب، والصاحب كريم الدين، والأمير أينال الأجرود، وقد قاسوا خليج الإسكندرية، فإذا عرضه عشرة قصبات فى طول ثلاث وعشرين ألف قصبة، منها ستة آلاف وأربعمائة قصبة تحتاج إلى أن تحفر، وبقيتها تحتاج إلى الإصلاح.

وفى سابعه: توجه جكم خازندار المقام الجمالى، وخاله إلى طرابلس، بانتقال الأمير الكبير بها. وهو تمربغا المحمودى إلى الحجوبية الكبرى بها. وانتقال الأمير آق قجا العلاى من الحجوبية إلى الإمرة الكبرى. وأن يقوم تمربغا بأربعة آلاف دينار وللمسفر المذكور بألف دينار. ورسم لجكم المذكور أن يكون مسفر قاضى القضاة كمال الدين ابن البارزى، فبعد جهد حتى أخذ منه فى يومه ثلاثمائة دينار. ولم تجر العادة بمثل ذلك.

وفى عاشره: [1] خلع على الأمير أينال العلاى الأجرود، واستقر فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير يونس، ورسم ليونس أن يقيم بالقدس بطالا [2] وخلع على الأمير طوخ بن بازق الجكمى [3] رأس نوبة ليخرج مسفر الأمير أينال إلى صفد [4].

وفى رابع عشره: أنعم بإقطاع الأمير أينال الأجرود وإمرته على الأمير قراجا شاد الشرابخاناه. واستقر أينال الخازندار أحد الأمراء الطبلخاناه شادا، عوضا عن قراجا، واستقر على باى الأشرفى الساقى الخاصكى خازندارا، عوضا عن أينال. وخلع على الأمير أقبغت التمرازى ليلى حفر خليج الإسكندرية [5].

وفى تاسع عشره: خلع على حسن بيك بن سالم الدكرى التركمانى، وأعيد إلى كشف البحيرة، عوضا عن دمرداش.

وفى سابع عشرينه: ركب الأمير جانبك أستادار إلى ناحية شبرا الخيام من ضواحى القاهرة، وهدم كنيسة النصارى بها، ونهبت حواصلها، وأحرقت عظام رمم كانت بها، يزعمون أنها رمم شهداء منهم.

وفى هذا الشهر: جبى ما فرض على نواحى الغربية والمنوفية والبحيرة، برسم حفر خليج الإسكندرية، وهو عن عبرة كل ألف دينار نصف راجل، يؤخذ عنه مبلغ ألفين وخمسمائة درهم من معاملة القاهرة. وندب للحفر ثلاثمائة رجل، تصرف أجورهم من هذا المتحصل، وعمل بالميدان تحت القلعة بين يدى السلطان من الجراريف والمقلقلات مائتى قطعة، وعشر قطع. وعين من البقر ستمائة وعشرين رأسا. وجهز ذلك لحفر الخليج المذكور.

---

(١) أى فى يوم الخميس.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٤.

(٣) فى النجوم «الأمير طُوخ مِن تِمراز المعروف بابن بازق» وهو لفظ تركى معناه غليظ الرقبة انظر الضوء اللامع ٤/٩.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٤.

شهر شعبان، أهل بيوم الخميس:

فى ثانيه: توجه قاضى القضاة كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته بدمشق.

وفى ثالثه: خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف، أحد موقعى الدست، وشيخ خانكاة قوصون. واستقر فى كتابة السر بحلب، عوضا عن والده القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر المعروف بابن العجمى الحلبى، وخلع على القاضى شرف الدين المذكور ليكون نائب كاتب السر على ما كان عليه قبل انتقاله إلى كتابة السر بحلب. وأنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك بتقدمة أرغون شاه وإقطاعه بدمشق. وأضيف إلى الأمير طوغان العثمانى نائب القدس أستادارية الشام، والتحدث فى الأغوار، عوضا عن أرغون شاه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: نودى باجتماع الجماعة التى قطعت أيديهم عندما أخذوا من الغراب، ليفرق فيهم السلطان مالا. فلما اجتمعوا جىء بهم ليأخذوا صدقات السلطان حتى صاروا بقلعة الجبل، قبض عليهم، وساقهم أعوان الظلمة بأسوأ حال. وأنزلوا فى مركب ليسيروا إلى بلاد الروم، وقد جعل كل اثنين منهم فى قرمة خشب، فكان هذا من شنيع الحوادث، ولو شاء ربك ما فعلوه.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

فى عاشره: عقد السلطان المشور. وقد ورد الخبر بأن ناصر الدين محمد بن دلغادر - ونزيله جانبك الصوفى - زحفا بمن معهما على بلاد قرمان، فقوى العزم على السفر إلى بلاد الشام، وأخذ الأمراء فى أهبة السفر، ثم انتقض ذلك فى ثامن عشره. وكتب بمسير نواب الشام إلى نحو بلاد قرمان نجدة لإبراهيم بن قرمان، فإن القوم أخذوا مدينة أقشهر، ونازلوا قلاعا أخر [١].

وفى هذا الشهر: كثر عبث المماليك السلطانية بالناس فى الليل.

شهر شوال، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاة القضاة، عوضا عن الحافظ شهاب أحمد بن حجر [٢].

---

(١) جاء فى النجوم «عمل السلطان مشورة بالأمراء، لما ورد عليه الخبر بأن ناصر الدين بك بن دلغادر ونزيله جانبك الصوفى زحفا بمن معهما على بلاد ابن قرمان». انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

وفى سادسه: خلع على القاضى نور الدين عمر بن مفلـح نـاظر المارستان، واستقر وكيل بيت المال، عوضا عن شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى بعد موته.

وفى تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير غرس الديـن خليـل. ورحـل مـن بركة الحاج فى ثالث عشرينه، بعدما رحل الركب الأول فى أمسه صحبـة الأمـير نـاصر الدين محمد ولد الأمير أركماس.

وفى هذا الشهر: نزلت صاعقة بجدة - بندر مكة - فأتلفت شيئا كثيرا، وهلك نحـو المائة نفس.

وفيه كانت بجدة أيضا وقعة بين القواد والأمير جانبك، قتل فيها وجرح عدة. ثم قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان، فساس الأمر حتى سكنت الفتنة.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه قدم سيف الأمير تمرباى الدوادار بحلب، وسيف الأمير أقباى نـائب الإسكندرية، وقد ماتا. فتقررت ولاية زين الدين عبد الرحمن ابـن كـاتب السر علـم الديـن داود بـن الكويز أحد دوادارية السلطان نيابة الإسكندرية، وخلع عليه فى ثانيه [1].

وفى عشرينه: قدم نائب حلب إليها، وكان قد سار عندما ورد الخبر بمشى مراد بـن عثمان ملك الروم على بلاد ابن قرمان، فلما تقرر الصلح بينه وبـين إبراهيـم بـن قرمـان عاد نائب حلب من مرعش.

وقدم الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف متملك بغـداد جمـع لحـرب حمـزة بـن قرايلـك حاكم ماردين، فجمع له حمـزة وحاربـه، فهـزم أصفهـان، بعدمـا قتـل عـدة مـن أمرائـه وجنده، وأن من بقى معه أرادوا قتله، فامتنع منهم بقلعة فولاد.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

فى حادى عشره - الموافق له سابع عشرين بوؤنة -: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع واستقر الماء القديم على خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا وتسميها الناس اليـوم القاعدة. واستمرت زيادة النيل؛ و لله الحمد.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد ابـن الصـاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر كاتب السر عوضا عن شيخ الشيوخ محب الديـن محمد بن شرف الدين الأشقر، مضافا لما بيده من حسبة القاهرة ونظر دار الضرب ونظـر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥.

الأوقاف ومنادمة السلطان، فنزل في موكب جليل، وقد لبس العمامة المدورة، والفرجية، هيئة أرباب الأقلام، فسر الناس به، وكان من خيره أنه نشأ من صغره بزى الأجناد، وبرع فى الحساب، وكتب الخط المنسوب، وصار أحد الحجاب فى الأيام الناصرية فرج بن برقوق. وتقلب مع والده فى مباشرة نظر الجيش، ونظر الخاص، والوزارة [1]. وشكرت مباشرته لذلك، بما طبع عليه من لين الجانب ، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وحسن السياسة، فصار فى الأيام المؤيدية شيخ من جملة الأمراء، وولى أستادارية السلطان فى الأيام الظاهرية ططر، وملك الأمراء. ثم عزل عن ذلك، وأعيد إليه فى الأيام الأشرفية برسباى، وكان ما كان من مصادرته ومصادرة والده الصاحب بدر الدين، على مال كبير، أخذ منهما حتى ذهب مالهما، إلا أنه لم يمسهما - بحمد الله - سوء، ولا أهينا، فلزما دارهما عدة سنين. ثم تنبه لهما الإقبال، فولى الحسبة، ومازال يترقى حتى عينه السلطان لمنادمته بعد ابن قاسم بن المحلاوى، وصار يبيت عنده، وشكرت خصاله، ولم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره، بل عف وكف، وأفضل وزاد فى الأفضال، إلى أن سعى بعض الناس فى كتابة السر بمال كبير جدًا، وأرجف بولايته، فاقتضى رأى السلطان ولاية الأمير صلاح الدين، وعرض عليه ذلك ليلا، وهو مقيم عنده على عادته، فاستعفى من ذلك، فلم يعفه، وصمم عليه، ورسم بتجهيز التشريف له، ثم أصبح فخلع عليه، وأقره على ما بيده. واستمر به فى منادمته، والمبيت عنده، فضبط أمره، وصار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدى السلطان، لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها، ومعرفة المصطلح، والدربة بمعاشرة الملوك، وتدبير الدول، ومقالبة الأحوال. فتميز بذلك عمن تقدمه من كتاب السر، بعد ابن فضل الله، فإنهم منذ عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يتولى كتابتها الموقعون بإملاء كاتب السر، حتى باشر هو، فاستبد بالكتابة، وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته، وتمام معرفته.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفى هذه السنة: شنع الموات بصعدة وصنعاء من بلاد اليمن، بحيث ورد إلى مكة كتاب موثوق به أنه مات بصعدة وصنعاء وأعمالهما زيادة على ثمانين ألف إنسان.

وفيها أيضا وقع الوباء بنواحى ديار بكر وآمد، وملك الديار، فمات منها بشر كثير.

وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر وما يليها؛ ولله عاقبة الأمور.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥.

ومات فيها ممن له ذكر

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله [١] - المعروف بابن الخراط - المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، أحد موقعى السلطان، فى ليلة الإثنين أول المحرم، عن نحو ستين سنة، بالقاهرة، ودفن من الغد.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر الكنانى. شهاب الدين البوصيرى الشافعى، أحد مشايخ الحديث، فى ليلة الأحد ثامن عشرين المحرم.

ومات الأمير قرمش الأعور أحد المماليك الظاهرية برقوق، ترقى فى الخدم حتى صار أحد الأمراء، وأخرج بعد قتل الناصر فرج بن برقوق إلى الشام. فلما خرج الأمير تنبك البجاسى على السلطان ثار معه، حتى قتل تنبك ففر وتشتت مدة، حتى ظهر الأمير جانبك الصوفى انضم إليه، فقوى به وسار فى جماعة يريد عنتاب، وبها من أمراء السلطان الأمير خجا سودن، فقاتله بمن معه وأخذه، وأخذ معه من أمراء حلب المخامرين كمشبغا فى طائفة ممن معهم. وحمل هو وكمشبغا إلى حلب، فقتلا بها. وحملت رءوسهما إلى قلعة الجبل، فألقتا فى قناة، بعد إشهارهما. وكان قتلهما فى المحرم.

ومات بدمشق قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن محمود، المعروف بابن الكشك، الحنفى، بدمشق، فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة، وهو معزول.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن صلاح، المعروف بابن المحمرة[٢]، الشافعى، بالقدس، فى ليلة السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر. ومولده فى صفر سنة تسع وستين وسبعمائة، خارج القاهرة. وقد ناب فى الحكم بالقاهرة، وولى مشيخة خانكاة سعيد السعداء، وقضاء القضاة بدمشق، ثم مشيخة الصلاحية بالقدس حتى مات بها.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد (٨٤٠هـ=١٤٣٥م)عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، أبو الفضل، زين الدين المعروف بابن الخراط: أديب شاعر، من القضاة مروزى الأصل، حموى المولد، حلبى المنشأ، نزيل القاهرة نادم نائب حلب وعمل فى يوسف بن مالك ألف مقطوعة سماها ألفية ابن مالك وولى القضاء بالباب، من أعمال حلب، ثم ولى كتابة السر بطرابلس وانتقل إلى القاهرة، فولى رياسة الإنشاء بعد تقى الدين بن حجة وصنف كتبا منها «المغانى التيمية والمثانى الرخيصة». انظر الضوء اللامع ١٣٠/٤، شذرات الذهب ٢٣٥/٧. الأعلام ٣٢١/٣.

(٢) انظر أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٤٠هـ) عقد الجمان.

ومات الأمير بردى بك الإسماعيلى [١] أحد العشرات، فى سابع عشر جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات مقتولا الأمير حمزة بك بن على بك بن دلغادر، فى ليلة الخميس سابع عشرين جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات الأمير أرغون شاه بدمشق، فى حادى عشرين رجب. وكان قد ولى الوزارة والأستادارية بديار مصر، ثم أخرج إلى الشام على إمرة، وباشر بها للسلطان. وكان ظلوما غشوما. وهو من مماليك الأمير نوروز الحافظى.

ومات شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوى الدمشقى، وكيل بيت المال، فى ليلة الجمعة سادس شوال. ومولده فى سنة خمس وستين وسبعمائة بدمشق.

ومات أمير الملأ قرقماس بن عذرا بن نعير بن حيار بن مهنا.

وماتت المرأة الفاضلة أم عبد الله عائشة، بنت قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح العسقلانى الحنبلى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. ومولدها سنة إحدى وستين وسبعمائة، حدثت عن غير واحد، فسمع عليها جماعة. وهى من بيت علم ورياسة. وذكرت منهم فى هذا الكتاب وغيره أباها وأخاه جمال الدين عبد الله، وزوجها قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلى[٢]، وولدها عز الدين أحمد ابن قاضى القضاة برهان الدين.

ومات صاحب صنعاء اليمن الإمام المنصور نجاح الدين أبو الحسن على ابن الإمام صلاح الدين أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن منصور بن حجاج بن

---

(١) انظر عقد الجمان (٨٦٢/٢٥) المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق ابن قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى العسقلانى قاضى قضاة الديار المصرية. كان مشكور السيرة، محمود الطريقة، ولد آخر شهر رجب سنة ثمان وستين وسبعماة بالقاهرة، وبها نشأ وتفقه بجماعة وناب فى الحكم عن أبيه، ثم استقل بوظيفة القضاء بعد موت والده فى يوم الخميس ثانى عشرين شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وعمره سبع وعشرون سنة، وحمدت سيرته لعفته ولصيانته ولدينه مع الشهامة والمهابة والتواضع وبشاشة الوجه، واستمر قاضيا إلى أن توفى فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة، رحمه الله. ولى بعده أخوه موفق الدين أحمد بن نصر الله انظر الدليل الشافى ٣٠/١، والنجوم الزاهرة ١٧/١٣، أنباء الغمر ١٣٣/٢، نزهة النفوس ٦٩/٢، والضوء اللامع ١٧٩/١، شذارت الذهب ١٤/٧.

يوسف، من ولد يحيى بن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فى سابع صفر، بعدما أقام فى الإمامة بعد أبيه ستا وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وأضاف إلى صنعاء وصعدة عدة من حصون الإسماعيلية أخذها منهم، بعد حروب وحصار، فقام من بعده ابنه الإمام الناصر صلاح الدين محمد بعهده إليه وبيعة الجماعة له. فمات بعد ثمانية وعشرين يوما فى خامس عشرين شهر ربيع الأول، فأجمع الزيدية بعده على رجل منهم يقال له صلاح بن على بن محمد بن أبى القاسم [1] وبايعوه، ولقبوه بالمهدى. وهو من بنى عم الإمام المنصور. وقام بأمره ابن سنقر على أن يكون الحكم له، فعارضه الإمام، وصار يحكم بما يؤدى إليه اجتهاده، ولا يلتفت إلى ابن سنقر، فثار عليه بعد ستة أشهر رجل يقال له محمد بن إبراهيم الساودى. وأعانه قاسم ابن سنقر، وقبضا عليه وسجناه فى قصر صنعاء. ووكل به محمد بن أسد الأسدى. وقام قاسم بالأمر. فدبرت زوجة الإمام المهدى فى خلاصه، ودفعت إلى الأسدى الموكل به ثلاثة آلاف أوقية، فأفرج عنه، وخرج به من القصر. وسار إلى معقل يسمى ظفار، وفيه زوجة المهدى. ومضى الأسدى إلى معقل يسمى دمر، وهو من أعظم معاقل الإسماعيلية التى انتزعها الإمام المنصور على بن صلاح. وأقام المهدى مع زوجته بظفار. ثم جمع الناس، ويسار إلى صنعاء، فوقع بينه وبين ابن سنقر وقعة، انكسر فيها الإمام، وتحصن بقلعة يقال لها تلى. فلما بلغ ذلك زوجته، ملكت صعدة [2]، وأطاعها من بها من الناس، فاضطرب أمر قاسم. وكان الناس مخالفين عليه، فأقام ولدًا صغيرًا وهو ابن بنت الإمام المنصور على، وأبوه من الأشراف الرسية، فازداد الناس نفورا عنه وإنكارا عليه. واستدعوا الإمام المهدى إلى صعدة، فقدمها وبايعه الأشراف بيعة ثانية، حتى تم أمره. وبعث إلى أهل الحصون يدعوهم إلى طاعته، فأجابوه، وانفرد قاسم بصنعاء وحدها على كره من أهلها، وبغض له.

* * *

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٨٤٦/٦، عقد الجمان (ج٢٥ق٤ورقة ٦٨٣).

(٢) سبق ترجمتها.

سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

شهر المحرم، أوله يوم السبت:

فى ليلة الأحد تاسعه: بلغ القاضى زين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص، أن المماليك السلطانية على عزم نهب دورهم، فوزعوا ما عندهم، واختفوا. ثم صعدوا إلى الخدمة السلطانية على تخوف، وعادوا إلى دورهم، والإرجاف مستمر إلى يوم الأحد سادس عشره، فنزل عدة من المماليك، فاقتحموا دار عبد الباسط ودار الأمير جانبك أستادار ودار الوزير، ونهبوا ما وجدوا فيها [1].

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج.

وقدم الخبر بأن نائب دوركى توجه فى خامس عشره فى عدة من نواب تلك الجهات وغيرهم، وعدتهم نحو الألفى فارس، حتى طرقوا بيوت الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادر. وقد نزل هو والأمير جانبك الصوفى على نحو يومين من مرعش، فنهبوا ما هنالك، وحرقوا. ففر ابن دلغادر وجانبك الصوفى فى نفر قليل. وذلك أن جموعهما كانت مع الأمير سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر على حصار قيصرية الروم [2].

شهر صفر، أوله يوم الأحد:

فيه توجه الأمير أينال الجكمى نائب الشام من دمشق يريد حلب. وقد سارت نواب الشام حتى يوافوا قيصرية، مددًا لابن قرمان على سليمان بن دلغادر.

وفى رابعه – الموافق له رابع عشرى مسرى – : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح خليج القاهرة على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى سابعه: قدمت تقدمة الأمير أينال الجكمى نائب الشام، وهى ذهب عشرة آلاف دينار، وخيول مائتا فرس، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنابيش ذهب،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥،٢٦٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٦.

وسمور عشرة أبدان، ووشق (١) عشرة أبدان، وقاقم عشرة أبدان، وسنجاب مائة بدن، وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب، وأقواس حلقة مائة قوس، وجمال بخاتى ثلاث قطر، وجمال عراب ثلاثمائة جمل، وصوف مربع مائة ثوب، ذات ألوان.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على جلال الدين أبى السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة خلعة الاستمرار. وكان قد قدم من مكة صحبة الحاج بطلب. وأرجف بعزله، فقام بأمره القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، حتى رضى عنه السلطان، وأقره على قضاء مكة، على مال قام به للسلطان، وهو نحو خمسمائة دينار، فكان ذلك من المنكرات التى لم ندرك مثلها قبل هذه الدولة.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: كان نوروز القبط بمصر، وهو أول توت رأس سنتهم، فنودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأصبع من عشرين ذراعا. وهذا فى زيادة النيل مما يندر وقوعه؛ و لله الحمد.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - كثر الوباء بحلب وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات بمدينة حلب فى اليوم مائة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الثلاثاء:

فيه استقر القاضى بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر فى نظر الجامع الطولونى ونظر المدرسة بين القصرين، نيابة عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى، بسؤال القاضى زين الدين عبد الباسط له فى ذلك، فأذن له حتى استنابه عنه.

وفى خامسه: خلع الأمير غرس الدين خليل الذى ولى الوزارة بعد نيابة الإسكندرية، واستقر فى نيابة الكرك. وسار بطلبه وأثقاله من ساعته(٢).

وفيه توجه قاضى مكة الجلال أبو السعادات يريد مكة.

وفى يوم السبت ثانى عشره: - وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة عشرين ذراعا وثمانية أصابع. هذا وقد فتحت السدود الصليبية فى يوم الجمعة أمسه. وكان هذا أيضا من نوادر زيادات النيل. ومازال يزيد حتى انتهت زيادته فى سادس عشره، الموافق له حادى عشرين بابه، إلى عشرين ذراعا وثلاثة عشر أصبعا.

---

(١) هو جلد الفهد.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٧٦.

وفى يوم السبت تاسع عشره: خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن بركة - المعروف بابن كاتب جكم - واستقر فى نظر الخاص، بعد موت أخيه سعد الدين إبراهيم [١].

وفى سادس عشرينه - وهو أول بابة: - بلغ ماء النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الأربعاء:

فى هذا الشهر: ثبت ماء النيل إلى نحو النصف من شهر بابة فكمل رى الأراضى والحمد لله. ثم انحط، فشرع الناس فى الزرع.

وفيه كملت عمارة الجامع الذى أنشأه السلطان بناحية خانكاة سرياقوس على الدرب المسلوك، وذرعه خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا. ورتب فيه إماما للصلوات الخمس، وخطيبًا وقراء يتناوبون القراءة فى مصاحف [٢].

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت فى الناس بمدينة حماة وأعمالها، حتى تجاوز عدة من يموت فى كل يوم مائة وخمسين إنسانا.

وقدم الخبر بأن عدن من بلاد اليمن احترقت بأجمعها، واحترقت دار الملك بزبيد مع جانب من المدينة، وأن الملك الظاهر يحيى - ملك اليمن - كانت بينه وبين المعازبة من عرب اليمن وقعة، وقتل فيها عدة من عسكره، ونجا بنفسه إلى تعز. وأن العرب اليمانية انتقضت عليه من باب عدن إلى الشحر، وأنه قبض على كبير دولته الأمير سيف الدين برقوق وسلبه ماله وسجنه، ثم أفرج عنه.

وفيه أيضا كانت بين المسلمين وبين ملك البرتقال وقعة على مدينة طنجة [٣] من أعمال المغرب.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الخميس:

فى ثالثه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٧.

(٣) طَنْجَة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البريد. انظر معجم البلدان ٤/٤٣.

باب القنطرة، فمضى إلى القليوبية لصيد الكراكى [١] وهذه أول ركبة ركبها فى هذه السنة للصيد[٢].

وفيه قدم الأمير تمراز المؤيدى نائب غزة.

وفى خامسه: قدم السلطان من الصيد، وعبر من باب القنطرة، وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة إلى القلعة، ولم يقع له صيد ألبتة.

وفى سادسه: قبض على الأمير تمراز نائب غزة، وحمل مقيدًا إلى الإسكندرية فسجن بها. واستدعى الأمير جرباش قاشق من دمياط، وهو مسجون بها ليلى نيابة غزة، فلم يتم له ذلك. ورجع إلى دمياط.

وفى ثامنه: ركب السلطان ليصطاد من بركة الحجاج. ومضى إلى جامعه بخانكاة سرياقوس، وعاد من يومه. ثم ركب فى ليلة السبت عاشره يريد أطفيح. فاصطاد، وعاد فى يوم الإثنين ثانى عشره.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير آقبردى القجماسى[٣]، واستقر فى نيابة غزة.

وفيه قدم مملوك نائب حلب برأس الأمير جانبك الصوفى ويده، فطيف بالرأس على رمح شارع القاهرة، ثم ألقيت فى قناة، وكان من خبره أنه لما كبسه نائب دوركى فى شهر الله المحرم - كما تقدم ذكره - فر هو وابن دلغادر، فمضى ابن دلغادر على وجهه يريد بلاد الروم، وقصد الأمير جانبك الصوفى أولاد قرايلك ونزل على محمد ومحمود ابنى قرايلك، وأقام عندهم، فأخذ الأمير تغرى برمش نائب حلب فى استمالة محمد ومحمود حتى مالا إليه، وواعداه أن يقبضا على جانبك على أن يحمل إليهما

---

(١) الكراكى جمع كُرْكُى طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحيانا. انظر المعجم الوسيط (كرك).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٧/١٤.

(٣) آقبردى بن عبد الله القجماسى، الأمير سيف الدين نائب غزة. نسبته إلى معتقه الأمير قجماسى ابن عم الملك الظاهر برقوق، والد أنيال باى، وتنقل فى الخدم إلى أن صار فى أواخر الدولة المؤيدية شيخ أمير عشرة، واستمر على ذلك سنين لا يلتفت إليه فى الدول إلى أن سعى فى أواخر الدولة الأشرفية بمال فى نيابة غزة، فوليها بعد القبض على نائبها الأمير تمراز المؤيدى فى سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتوجه إليها وباشرها مدة يسيرة، إلى أن توفى بها فى شهر ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الثمانين. وكان ضخما طويلا تركيا أشقر، لم يشهر بدين ولا فروسية، عفا الله عنه. انظر الدليل الشافى ١٤٠/١، والنجوم الزاهرة ٢١٧/١٥، الضوء اللامع ٣١٥/٢.

خمسة آلاف دينار، فنقل ذلك لجانبك، فبادر، وخرج ومعه بضعة وعشرون فارسا لينجو بنفسه، فأدركوه، وقاتلوه، فأصابه سهم، سقط منه عن فرسه، فأخذوه وسجنوه عندهم. وذلك فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر. فمات من الغد، فقطع رأسه، وحمل إلى السلطان، فكاد يطير فرحا، وظن أنه قد أمن، فأجرى الله على الألسنة أنه قد انقضت أيامه، وزالت دولته. فكان كذلك كما سيأتى هذا. وقد قابل نعمة الله تعالى عليه فى كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه، وساءت سيرته، فأخذه الله أخذًا وبيلا، وعاجله بنقمته ولم يهنيه.

وفى تاسع عشره: ركب السلطان إلى الصيد بالقليوبية، وعاد من الغد. وفيه ورد كتاب الحطى ملك الحبشة، وهو الناصر يعقوب بن داود ابن سيف أرعد، ومعه هدية، ما بين ذهب وزباد [(١)] وغير ذلك، فتضمن كتابه السلام والتودد، والوصية بالنصارى وكنائسهم.

وفى هذا الشهر: شنع الوباء بحماة، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم فى كل يوم ثلاثمائة إنسان، ولم يعهدوا مثل ذلك فى هذه الأزمنة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه رسم بنقل جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق إلى نظر الجيش بها، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، على أن يحمل أربعة آلاف دينار. وأن يستقر بن حجى فى كتابة السر، عوضا عن ابن الصفى، على أن يحمل ألف دينار.

وفى ثانيه: توجه السلطان إلى الصيد فى بركة الحجاج.

وقدم الخبر بوقوع الوباء فى مدينة طرابلس الشام.

وفى هذا الشهر: كثر ركوب السلطان إلى الصيد.

وفيه وقع الوباء بدمشق، وفشا الموت بالطاعون الوحى.

وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف نزل قريبا من مدينة تبريز [(٢)] فبرز إليه أخوه جهان شاه، المقيم بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق،

---

(١) نوع من الطيب يتخذ من دابة كالسنور. انظر لسان العرب (زبد).

(٢) سبق ترجمتها.

فكانت بينهما وقعة انهزم فيها إسكندر [١] إلى قلعة يلنجا [٢] من عمل تبريز، فنازله جهان شاه، وحصره بها. وأن الأمير حمزة بن قرايلك - متملك ماردين [٣] وأرزنكان[٤] - أخرج أخاه ناصر الدين على باك من مدينة آمد، وملكها منه. فقلق السلطان من ذلك. وعزم على أن يسافر بنفسه إلى بلاد الشام، وكتب بتجهيز الإقامات بالشام ثم أبطل ذلك.

شهر رجب، أوله الأحد:

فى خامسه: أدير محمل الحاج. وقد تقدم أنه إنما كان يدار بعد النصف من شهر رجب، وأنه أدير فى هذه الدولة قبل النصف، فجرت فى ليلة الإثنين ويوم الإثنين خامسه شنائع. وذلك أن مماليك السلطان - سكان الطباق بالقلعة - نشأوا على مقت السلطان لرعيته، مع ما عندهم من بغض الناس، فنزل كثير منهم فى أول الليل، وأخذوا فى نهب الناس، وخطف النساء والصبيان للفساد. واجتمع عدد كثير من العبيد السود، وقاتلوا المماليك فقتل من العبيد خمسة نفر، وجرح عدة من المماليك، وخطف من العمائم وأخذ من الأمتعة شىء كثير، فكان ذلك من أقبح ما سمعنا به.

وفيه قدم ولد محمود بن قرايلك بسيف الأمير جانبك الصوفى، الذى قتل.

وفى يوم السبت سابعه: رسم بخروج تجريدة إلى بلاد الشام، وعين من الأمراء المقدمين ثمانية، وهم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز الدقماقى رأس نوبة النوب، والأمير يشبك حاجب الحجاب، والأمير جانم أمير أخور، والأمير خجا سودن، والأمير قراجا الأشرفى.

وفى تاسعه: نودى بألا يحمل أحد من العبيد السلاح، ولا سيفا ولا عصى، ولا يمشى بعد المغرب. وأن المماليك لا تتعرض لأحد من العبيد. وذلك أنه لما وقع بين المماليك والعبيد فى ليلة المحمل ما وقع، أخذ المماليك فى تتبع العبيد، فقتلوا منهم جماعة، ففر كثير منهم من القاهرة، واختفى كثير منهم. فلما نودى بذلك سكن ذلك الشر، وأمن الناس على عبيدهم، بعد خوف شديد.

---

(١) انظر المنهل فى ترجمة «إسكندر بن قرايوسف».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٧٥٧/٦.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

وفيه رسم بمنع المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلى القاهرة، وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف طوائف إلى المواضع التى يجتمع بها العامة للنزهة، ويتفننوا فى العبث والفساد، من أخذ عمائهم الرجال واغتصاب النساء والصبيان، وتناول معايش الباعة، وغير ذلك، فلم يتم منعهم، ونزلوا على عادتهم السيئة.

وفى عاشره: حمل إلى الأمراء الثمانية نفقة السفر، وهى لكل أمير ألفا دينار أشرفية[١].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ركب السلطان إلى خليج الزعفران [٢] من الريدانية خارج القاهرة وعاد من يومه. فأصبح موعك البدن، ساقط الشهوة للغذاء، ولزم الفراش[٣].

وفى هذا الشهر: وقع الوباء ببلاد الصعيد من أرض مصر [٤] وكثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقوا حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع. ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان. واستمر الوباء الشنيع، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده.

شهر شعبان أوله، يوم الإثنين:

أهل هذا الشهر والسلطان مريض، وقد أخرج مالا فرق فى جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة، فمازال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، فخلع فيه على الأطباء لعافية السلطان. وركب من الغد، فزار القرافة، وفرق مالا فى الفقراء، وعاد والمرض بين فى وجهه [٥].

وفى هذا اليوم: - أعنى يوم الأربعاء عاشره - حدثت ريح شديدة فى معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها، واستمرت عدة أيام، فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.
(٢) فى النجوم « ونزل إلى خليج الزعفران فنزل به وأكل السماط» ٢٧١/١٤.
(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.
(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.
(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.

وفى يوم السبت ثالث عشره: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى ظاهر القاهرة ليسير إلى الطور ويركب البحر إلى جدة، وكان قدم من مكة، وصادره السلطان على مال حمله، ثم خلع عليه، واستقر فى نظر الخاص بجدة على عادته.وخلع معه على التاجر بدر الدين حسين بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى، ليكون عوضا عن الأمير المجرد إلى جدة.

وفيه ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ثم نزل بالجامع الحاكمى، وقد ذكر له أن بهذا الجامع دعامة قد ملئت ذهبا، فشره لذلك، وطمع فى أخذه. فقيل له: «إنك تحتاج إلى هدم جميع هذه الدعائم حتى تظفر بها، ثم لابد لك من إعادة عمارتها». فعلم عجزه عن ذلك، وخرج، فركب عائدا إلى القلعة [١].

وفيه قدم الخبر بأن الوباء شنع بدمشق، وأنه مات من الغرباء الذين قدموا من بغداد وتبريز والحلة والمشهد وتلك الديار - فرارا من الجور والظلم الذى هنالك - وسكنوا حلب وحماة ودمشق عالم عظيم، لا يحصرهم العاد لكثرتهم.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير أركماس الجاموس أمير شكار[٢]، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، واستقر ملك الأمراء ليحكم من الجيزة إلى أسوان.

وفيه أيضا حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر، اهتز بى البيت مرتين، إلا أنها كانت خفيفة جدا؛ ولله الحمد.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: هبت بدمشق ريح شديدة فى غاية من القوة. واستمرت يوم الجمعة ويوم السبت، فاقتلعت من شجر الجوز الكبار ما لا يمكن حصره لكثرته. وألقت أعالى دور عديدة، وألقت بعض المنارة الشرقية بالجامع الأموى، فكان أمرا مهولا، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور، وأتلفت شيئا كثيرا.

وفى عشرينه: استقل ابن المزلق وابن المرة بالمسير إلى الطور ليركبوا البحر من هناك إلى جدة. وبعث السلطان على يد ابن المزلق خمسة آلاف دينار، بسبب عمارة عين عرفة.

وفى يوم الخميس: خرج الأمير قرقماس - أمير سلاح - مقدم العسكر المجرد إلى

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.

(٢) أركماس بن عبد الله اليشبكى. نسبة إلى معتقة الأتابك يشبك الشعبانى، ترقى فى الدول إلى أن صار فى الدولة الظاهرية جقمق أمير عشرة، ونعم الرجل هو. انظر الترجمة فى: الضوء اللامع ٢٦٨/٢، والمنهل الصافى ٢/ ٣٣٥.

الشام، وصحبته الأمراء، من غير أن يرافقهم فى سفرهم أحد من المماليك السلطانية، لسوء سيرتهم. فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، إلى أن استقلوا بالمسير فى يوم السبت سابع عشرينه. وكتب لنائب الشام - الأمير أينال الجكمى، أن يتوجه بمن معه صحبة الأمراء إلى حلب، ويستدعوا حمزة باك ابن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان، فإن قدم إليهم خلع عليه بنيابة السلطنة فيما يليه، وإلا مشوا بأجمعهم عليه وقاتلوه وأخذوه[1].

وقدم الخبر بأن محمد بن قرايلك توجه إلى أخيه حمزة بالك باستدعائه، وقد حقد عليه قتله جانبك الصوفى، فإنه لما بلغه نزول جانبك على أخويه محمد ومحمود، كتب إلى أخيه محمد بأن يبعث به إليه؛ ليرهب به السلطان، فمال محمد إلى ما وعده به نائب حلب من المال، وقتل جانبك، فمازال حمزة يعد أخاه ويمنيه، حتى سار إليه، وفى ظنه أنه يوليه بعض بلاده، فما هو إلا أن صار فى قبضته، قتله وظهر عاجل عقوبة الله له على بغيه.

وفى هذا الشهر: وقع فى كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون، وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

وفيه كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا، وتزايدت عدتهم فى كل يوم حتى فشا فى الناس الموت بالطاعون فى القاهرة ومصر، لاسيما فى الأطفال والإماء والعبيد، فإنهم أكثر من يموت موتا وحيًا سريعًا. هذا وقد عم الوباء بالطاعون بلاد حلب[2] وحماة[3]، وطرابلس[4] وحمص[5]، ودمشق، وصفد[6]، والغور[7]، والرملة[8] وغزة[9]، وما بين ذلك،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.
(٢) سبق ترجمتها.
(٣) سبق ترجمتها.
(٤) سبق ترجمتها.
(٥) سبق ترجمتها.
(٦) سبق ترجمتها.
(٧) غَوْر: ما بين ذات عرق إلى بحر غور تهامة. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤.
(٨) سبق ترجمتها.
(٩) سبق ترجمتها.

حتى شنعت الأخبار بكثرة من يموت، وسرعة موتهم. وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر، ووقوعه قليلا بصعيد مصر (١).

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه: ختمت قراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل (٢)، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، وعدة من مشايخ العلم وجماعة من الطلبة، كما جرت العادة من الأيام المؤيدية شيخ. وهو منكر فى صورة معروف، ومعصية فى زى طاعة. وذلك أنه يتصدى للقراءة من لا عهد له بممارسة العلم، لكنه يصحح ما يقرأه، فيكثر مع ذلك لحنه وتصحيفه وخطاه وتحريفه. هذا، ومن حضر لا ينصتون لماعه، بل دائما دأبهم أن يأخذوا فى البحث عن مسأله يطول صياحهم فيها، حتى يفضى بهم الحال إلى الإساءات التى تؤول أشد العداوات. وربما كفر بعضهم بعضا، وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك. واتفق فى يوم هذا الختم أن السلطان لما كثر الوباء قلق من مداخلة الوهم له، فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلا ونهارا فى الأسواق. فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق. ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات، وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها. وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضا، فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا، ظنا منه أن بمنعهن يرتفع الوباء. وأمر باجتماعهم عنده من الغد، فاجتمعوا فى يوم الخميس، واتفقوا على ما مال إليه السلطان. فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن، وألا تمر امرأة فى شارع ولا سوق ألبتة، وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، فامتنع عامة النساء، فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذ والى القاهرة وبعض الحجاب فى تتبع الطرقات، وضرب من وجدوا من النساء، وأكدوا من الغد - يوم الجمعة - فى منعهن، وتشددوا فى الردع والتهديد، فلم تر امرأة فى شىء من الطرقات. فنزل بعدة من الأرامل وربات الصنائع، ومن لا قيم لها يقوم بشأنها، ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس، ضيق وضرر شديد. ومع ذلك فتعطل بيع كثير من البضائع والثياب والعطر، فازداد الناس وقوف حال، وكساد معايش، وتعطل أسواق، وقلة مكاسب.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٣.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أمر السلطان بإخراج أهل السجون من أرباب الجرائم، ومن عليه دين، فأخرجوا بأجمعهم، وأطلقوا بأسرهم.

ورسم بغلق السجون كلها، وألا يسجن أحد، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر. وانتشرت السراق والمفسدون فى البلد. وامتنع من له مال على آخر أن يطالبه به [١].

وفى سابع عشرينه: عزم السلطان على ولاية الحسبة لرجل ناهض، فذكر له جماعة، فلم يرضهم. ثم قال: «عندى واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله». وأمر فأحضر إليه الأمير دولت خجا، فخلع عليه واستقر به محتسب القاهرة، عوضا عن المقر الصلاحى محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، رغبة من السلطان فى جبروته، وقسوته، وشدة عقوبته وقلة رحمته [٢].

وفيه نودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن من الأسواق، وألا تنتقب واحدة منهن، بل يكن سافرات عن وجوههن، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن، وأن تخرج النساء إلى الحمامات، ولا يقمن بها إلى الليل، فكان فى ذلك نوع من أنواع الفرج.

وفيه قدم الأمراء المجردون إلى البحيرة بغير طائل، وقد أتلفوا كثيرا من زروع النواحى.

وفيه ابتدأ انتشار الجراد الكثير بالقاهرة وضواحيها، واستمر عدة أيام.

وفيه أقيم بعض سفلة العامة الأشرار فى التحدث على مواريث اليهود والنصارى، وخلع عليه، وكانت العادة أن بطرك النصارى ورئيس اليهود يتولى كل منهما أمر مواريث طائفته، فتوصل هذا السفلة إلى السلطان، والتزم له أن يحصل من هذه الطائفتين مالا كبيرا، فجرى السلطان على عادته فى الشره فى جمع المال، وولاه.

وفيه كشف عن بيوت اليهود والنصارى، وأحضروا ما فيها من جرار الخمر لتراق.

وفى هذا الشهر: هدم للنصارى دير المغطس عند الملاحات، قريب من بحيرة البرلس[٣] وكانت نصارى الإقليم - قبليا وبحريا - تحج إلى هذا الدير كما يحجون إلى كنيسة القيامة بالقدس، وذلك فى عيده من شهر بشنس، ويسمونه عيد الظهور، وقد

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٤/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٤/١٤.

(٣) بَرَلُّسُ: بُليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٤٠٢/١.

بسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار [١].

وفي هذا الشهر: شنع الموت بالطاعون في بلد عانة من بلاد العراق، بحيث لم يبق بها أحد. واستولى أمير الملا عاذر بن نعير على موجودهم جميعه. وشنع الموت أيضا في أهل الرحبة، حتى عجزوا عن مواراة الأموات، وألقوا منهم عددا كثيرا في الفرات. وشنع الموت أيضا في أزواق التركمان، وبيوت العربان بنواحي بلاد الفرات، حتى صار الفريق من العرب، أو الزوق من التركمان، ليس به إنسان. ودوابهم مهملة، لا راعي لها. وأحصى من مات بمدينة غزة في هذا الشهر، فبلغوا اثني عشر ألفا ونيف، ووردت الأخبار بخلو عدة مدن ببلاد المشرق لموت أهلها، وبكثرة الوباء ببلاد الفرنج.

شهر شوال، أهل بيوم الخميس:

وقد شمل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدة الأموات في كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم - وهو يوم العيد - من القاهرة مائة إنسان، ومن مصر اثنان وعشرون. هذا، وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لامتناعهن من المشي في الطرقات واستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم، وقلق الناس من عسف متولي الحسبة، وشدة بطشه، ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم؛ خوفا على أولادهم وخدمهم من الموت الوحي السريع بالطاعون، ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى، بحيث أني لم أدرك في طول عمري عيدًا كان أنكد على الناس من هذا العيد [٢].

وفي ليلة هذا العيد: اشتد برد الشتاء في بلاد الشام، فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر، إلى أرزن كان، وقد صقعت أشجارهم، بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا اسودت، ما عدا شجر الصفصاف، والجوز فتلفت الباقلاء المزروعة، والشعير والبيقياء والهليون [٣] وعامة الخضروات، فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشي في الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة، هلك بعدها من الناس والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار.

---

(١) ينظر المواعظ والاعتبار ٢/٥٠٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٩.

(٣) نبات تخرج منه عدة عيدان كثيرة القضبان، بيض في غاية البياض، تؤكل. نهاية الأرب ١١/٦٥/٦٦.

واتفق أيضا فى ليلة عيد الفطر أن هجم على مدينة فاس من بلاد المغرب الأقصى، سيل عظيم جدا، فأخذ خلائق وهدم عدة مساكن، فكان أمرًا مهولا وحادثًا شنيعًا.

وفى رابعه: قدم الأمراء المجردون إلى حلب.

وفيه خلع السلطان على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر حاجب ميسرة، عوضا عن جانبك الناصرى المتوفى بمكة، فأراق الخمور من دور النصارى وغيرهم.

وفى يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الإمام الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر، وأعيد إلى قضاء الشافعية بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى. وألزم أن يقوم لعلم الدين صالح بما حمله إلى الخزانة. هذا، وقد أظهر السلطان أنه لا يولى أحدا من القضاة بمال، فإنه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت الوحى السريع فى الناس، وموت كثير من المماليك السلطانية سكان الطباق من القلعة، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية، ومن جواريه وحظاياه وأولاده، فحمل إلى البلقينى من مال شهاب الدين بن حجر، لا من مال السلطان.

وفيه ركب السلطان من القلعة، وأقام يومه بخليج الزعفران خارج القاهرة.وعاد من آخره بعد أن فرق مالا فى الفقراء، فتكاثروا على متولى تفرقة ذلك، حتى سقط عن فرسه، فغضب السلطان من ذلك، وطلب سلطان الحرافيش، وشيخ الطوائف، وألزمهما بمنع الجعيدية [1] أجمعين من السؤال فى الطرقات، وإلزامهم بالتكسب، وأن من شحذ منهم يقبض الوالى عليه، وأخرج ليعمل فى الحفير. فامتنعوا من الشحاذة، وخلت الطرقات منهم، ولم يبق من السؤال إلا العميان والزمناء [2] وأرباب العاهات، ولم نسمع بمثل ذلك. فعم الضيق كل أحد، وانطلقت الألسنة بالدعاء على السلطان، وتمنى زواله، فأصبح فى يوم الأربعاء سابعه مريضا قد انتكس، ولزم الفراش.

وفى هذه الأيام: اشتد البلاء بأهل الذمة من اليهود والنصارى، وألزمهم الذى ولى أمر مواريثهم أن يعملوا له حساب من مات منهم من أول هذه الدولة الأشرفية، وإلى يوم ولايته. وأخرق بهم وأهانهم. وألزمهم أيضا أن يوقفوه على مستنداتهم فى الأملاك التى بأيديهم، فكثرت الشناعة عليه، وساءت القالة فى الدولة.

واتفق مع ذلك كله حوادث مؤلمة منها أن امرأة مات ولدها بالطاعون، ولم يكن لها سواه فلما غسل وكفن وأخرج به ليوضع فى التابوت ليدفن فى الصحراء أرادت أمه

(١)على هامش ط: أشبه بالزعر والحرافيش واللهماء.

(٢)على هامش ط: أصحاب العلل والأمراض والعاهات المزمنة.

أن تخرج وراء جنازته، فمنعت من ذلك؛ لأن السلطان رسم ألا تخرج امرأة من منزلها. فشق عليها منعها من تشنيع جنازة ولدها، وألقت نفسها من أعلى الدار إلى الأرض، فماتت. وخرجت امرأة أخرى من دارها لأمر مهم طرأ لها، فصدفها دولت خجا متولى الحسبة، فصاح بأعوانه بأن يأتوه بها ليضربها، فما هو إلا أن قبضوا عليها، إذ ذهب عقلها وسقطت مغشيا عليها من شدة الخوف، فشفع فيها بعض من حضر ألا يعاقبها، فتركها، وانصرف عنها. فحملت إلى دارها وقد اختلت وفسد عقلها فمرضت مع ذلك مدة.

وفى يوم الجمعة تاسعه: اتفقت حادثه لم ندرك مثلها، وهو أن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب، وأسمع الناس الخطبة - وأنا فيهم - حتى أتمها على العادة. وجلس للاستراحة بين الخطبتين، فلم يقم حتى طال جلوسه. ثم قام وجلس سريعا، واستند إلى جانب المنبر ساعة قدر ما يقرأ القارئ ربع حزب من القرآن، والناس فى انتظار قيامه، وإذا برجل من الحاضرين يقول: مات الخطيب. فارتج الجامع وضج الناس، وضربوا أيديهم بعضها على بعض؛ أسفا وحزنا، وأخذنى البكاء وقد اختلت الصفوف، وقام كثير من الناس يريدون المنبر، فقام الخطيب على قدميه، ونزل عن المنبر، فدخل المحراب وصلى من غير أن يجهر بالقراءة، وأوجز فى صلاته حتى أتم الركعتين، وقدمت عدة جنائز فلم أدر من صلى بنا عليها. وإذا بالناس فى حركة واضطراب، وعدة منهم يجهرون بأن الجمعة ما صحت. وتقدم رجل فأقام وصلى الظهر أربعا، وجماعة يأتمون به. فما هو إلا أن قضى هؤلاء صلاتهم إذا بجماعة أخر قد وثبوا وأمروا فأذن المؤذنون على سدة المؤذنين بين يدى المنبر، ورقى رجل المنبر، فخطب خطبتين، ونزل ليصلى فمنعوه من التقدم إلى المحراب، وأتوا بإمام الخمس، فقدموه حتى صلى بالناس جمعة ثانية. فلما انقضت صلاته بالناس ثار آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح، وأقاموا الصلاة، وصلى بهم رجل صلاة الظهر أربع ركعات، وكان فى هذا اليوم بالجامع الأزهر إقامة خطبتين وصلاة الجمعة مرتين، وصلاة الظهر مرتين، وانصرف الناس، وكل طائفة تخطئ الأخرى، وتطير كثير منهم على السلطان بزواله من أجل إقامة خطبتين فى موضع واحد هذا، وقد كان الناس عندما قيل: «مات الخطيب» قد ملكهم الوهم، فأرعد بعضهم، وبكى جماعة منهم، ودهش آخرون. وهبت عند ذلك ريح باردة، فظنوا أنهم جميعا ميتون حتى أنه لو قدر الله موت الخطيب على المنبر لهلك جماعة من الوهم . و لله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: تزايد بالسلطان مرضه. ومنذ ابتدأ به المرض، وهو آخذ فى

التزايد، إلا أنه يتجلد، ويظهر أنه عوفى. ويخلع على الأطباء، ويركب وسحنته متغيرة، ولونه مصفرًا، إلى أن عجز عن القيام من ليلة الأربعاء سابعه. هذا، وقد شنع الموت بالدور السلطانية فى أولاد السلطان الذكور والإناث، وفى حظاياه وجواريه، وجوارى نسائه، وفى الخدام الطواشية، وفى المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة. وشنع الموت أيضا فى الناس بالقاهرة ومصر وما بينهما، وفى سكان قلعة الجبل، سوى من ذكرنا، وفى بلاد الواحات والفيوم، وبعض بلاد الصعيد، وبعض الحوف بالشرقية [1].

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير أقبغا الناصرى - أحد الطبلخاناه - ونزل بركة الحجاج على العادة، فمات عدة ممن خرج بالطاعون، منهم ابن أمير الحاج وأبيه، فى هذا اليوم ومن الغد بعده.

وفى هذا الشهر: ثار عشير بلاد الشام - قيسها ويمنيها - وتحاربوا فى سادسه، فقتل من الفريقين جماعات يقول المكثر زيادة على ألف، ويقول المقل دون ذلك، فنزل بأهل الشام الخوف الشديد، مع ما بهم من البلاء العظيم بكثرة الموتان عندهم، حتى لا يكاد يوجد بها إلا حزين على ميت. ومع ما أصابهم من تلاف فواكههم عن آخرها.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: رفعت أوراق ديوان المواريث بعدة من مات فى هذا اليوم بالقاهرة، فكانوا ثلاثمائة وأربعا وأربعين ميتا. وضبطت عدة من صلى من الأموات فى المصليات، فبلغوا ما ينيف على ألف ميت.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على الأطباء لعافية السلطان.

وفى ثالث عشرينه: استقل الحاج من البركة بالمسير.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: وسط السلطان طبيبيه اللذين خلع عليهما بالأمس، وهما العفيف وزين خضر، وذلك أنه حرص على الحياة، وصار يستعجل فى طلب العافية، فلما لم تحصل له العافية ساءت أخلاقه، وتوهم أن الأطباء مقصرون فى مداواته، وأنهم أخطأوا التدبير فى علاجه، فطلب عمر بن سيفا والى القاهرة، فلما مثل بين يديه، وهو جالس - وبين يديه جماعة من خواصه، منهم صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار - فى خرف، وفيهم العفيف وخضر أمره أن يأخذ العفيف ويوسطه بالقلعة. فأقامه ليمضى فيه ما أمر به، وإذا الخضر فأمره أن يوسط خضر أيضا، فأخذ الآخر وهو يصيح. فقام أهل المجلس

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/ ٢٨٠،٢٨١.

يقبلون الأرض، ومنهم من يقبل رجل السلطان، ويضرعون إليه فى العفو، فلم يقبل، وبعث واحدًا بعد آخر يستعجل الوالى فى توسيطهما وهو يتباطأ، رجاء أن يقع العفو عنهما. فلما طال الأمر بعث السلطان من أشد أعوانه من يحضر توسيطهما فخرج وأغلظ للوالى فى القول. فقدم لعفيف فاستسلم، وثبت حتى وسط قطعتين بالسيف. وقدم خضر، فجزع جزعا شديًا، ودافع عن نفسه، وصاح، فتكاثروا عليه فوسطوه توسيطا شنيعا، لتلويه واضطرابه. ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة. فساء الناس ذلك، ونفرت قلوبهم من السلطان، وكثرت قالتهم، فكانت حادثة لم ندرك مثلها. ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان إلى يوم الخميس تاسع عشرينه، فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق العلاى الأتابك ومن تأخر من الأمراء المقدمين، وقال لهم: «انظروا فى أمركم»، وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الاختلاف وإتلاف أمرائه، فطال الكلام، وانفضوا عنه، على غير شىء عقدوه، ولا أمرًا أبرموه.

شهر ذى القعدة، أهل بيوم السبت:

والناس فى أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعا، وهو أن السلطان تزايدت أمراضه، وأرجف بموته غير مرة، وشنع الموت فى مماليكه سكان الطباق، حتى لقد مات منهم فى هذا الوباء نحو آلاف. ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشى، ومات من الجوارى بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدا، ذكورا وإناثا.

وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض، وكذلك جميع بلاد الشام من الفرات إلى غزة، حتى أن قفلا توجه من القاهرة يريد دمشق، فما نزل بالعريش حتى مات ممن كان سائرا فيه زيادة على سبعين إنسانا، منهم عدة من معارفنا. ومع هذا كساد المبيعات وتعطل الأسواق، إلا من بيع الأكفان وما لابد للموتى منه، كالقطن ونحوه، إلا أنه منذ أهل هذا الشهر أخذت عدة الأموات تتناقص فى كل يوم.

وفى أوله: وصل العسكر المجرد إلى مدينة أبلستين.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: عهد السلطان إلى ولده المقام الجمالى يوسف، وذلك أنه لما تزايد به المرض، حدث عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى أمر المقام الجمالى، وأشار له أن يفاوض السلطان فى وقت خلوته به، أن يعهد إليه بالسلطنة من بعد وفاته، ويحسن له ذلك، فاتفق أن السلطان أمر الأمير

جوهر أن يحرر له جملة ما يتحصل من أوقافه على أولاده، فلما أوقفه على ذلك، وجد السبيل إلى الكلام، فأعلمه بما أشار به القاضى زين الدين عبد الباسط من العهد إلى المقام الجمالى، فأعجبه ذلك، وأمر باستدعائه. فلما مثل بين يديه، سأله عما ذكر له جوهر عنه، فأخذ يحسن ذلك، ويقول: «فى هذا اجتماع الكلمة، وسد باب الفتن، وعمارة بيت السلطان، ومصلحة العباد، وعمارة البلاد» ونحو ذلك من القول. فأجاب السلطان إلى ذلك، ورسم له باستدعاء الخليفة والقضاة والأمراء والمماليك وأهل الدولة، وحضورهم فى غد، فمضى عنه القاضى زين الدين ون زل إلى داره بالقاهرة، وبعث إلى المذكورين أن يحضروا غدًا بين يدى السلطان بكرة النهار، وتقدم إلى القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر - نائب كاتب السر - بكتابة عهد المقام الجمالى، وذلك أن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر - من حين وسط العفيف وخضر - تغير مزاجه، واشتد جزعه إلى أن حم فى ليلة الجمعة، ونزل من القلعة، ولزم الفراش ومرضه يتزايد، وقد ظهر به الطاعون فى مواضع من بدنه، فبادر القاضى شرف الدين، وكتب العهد ليلا. وأصبح الجماعة فى يوم الثلاثاء رابعه وهم بالقلعة، فأخرج السلطان إلى موضع يشرف على الحوش، وقد وقف به الأمير خشقدم الطواشى مقدم المماليك، ومعه جميع من بقى من المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة، وجميع من هو أسفل القلعة، من المشتروات والمستخدمين. وجلس الخليفة أمير المؤمنين المعتضد با لله أبو الفتح داود، وقضاة القضاة الأربع على مراتبهم، والأمير الكبير جقمق العلاى أتابك العساكر، ومن تأخر من أمراء الألوف والمباشرون، ماعدا كاتب السر فإنه شديد المرض. ثم قام القاضى زين الدين عبد الباسط وفتح باب الكلام فى عهد السلطان من بعد وفاته لابنه المقام الجمالى بالسلطنة وقد حضر أيضا مع أبيه، فاستحسن الخليفة ذلك وأشار به. فتقدم القاضى شرف الدين الأشقر بالعهد إلى بين يدى السلطان، فأشهد السلطان على نفسه بأنه عهد إلى ولده الملك العزيز جمال الدين أبى المحاسن يوسف - من بعد وفاته - بالسلطنة فأمضى الخليفة العهد، وشهد بذلك القضاة. ثم إن السلطان التفت إلى مقدم المماليك وكلمه بالتركية - والمماليك تسمعه - كلاما طويلا؛ ليبلغه عنه إلى المماليك، حاصله أنه اشتراهم ورباهم، وأنهم أفسدوا فسادا كبيرا، عدد فيه ذنوبهم، وأنه تغير من ذلك عليهم ومازال يدعو ا لله عليهم حتى هلك منهم من هلك فى طاعون سنة ثلاث وثلاثين، ثم إنه اشترى بعدهم طوائف ورباهم، فشرعوا أيضا فى الفساد، كما فعل أولئك الهالكون بدعائه: «وأنه قد وقع فيكم الطاعون فمات منكم من مات، وقد عفوت عنكم، وأنا ذاهب إلى ا لله وتارك ولدى هذا وهو وديعتى

عندكم، وقد استخلفته عليكم، فاسمعوا له وأطيعوه، ولا تختلفوا، فيدخل بينكم غيركم فتهلكوا». وأوصاهم ألا يغيروا على أحد من الأمراء وأن يبقوا الأمراء المجردين على أمرياتهم، ولا يغيروا نواب الممالك. فاشتد عند ذلك بكاؤهم، وبكى الحاضرون أيضا ثم أقسم السلطان وأعيد إلى فراشه، وقد كتب الخليفة بإمضاء عهد السلطان، وشهد عليه فيه القضاة بذلك، ثم كتب القاضى شرف الدين الأشقر إشهادًا على السلطان بأنه جعل الأمير الكبير جقمق العلاى قائما بتدبير أمور الملك العزيز، وأخذ فيه خط الخليفة بالإمضاء، وشهادة القضاة عليه بذلك، فألصقه بالعهد، وانفضوا جميعهم.

وفى هذا اليوم: أنفق فى المماليك السلطانية كل واحد مبلغ ثلاثين دينارا، فكانت جملتها مائة وعشرون ألف دينار.

وفيه خلع على تغرى بردى - أحد أتباع التاج الشويكى - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن عمر بن سيفا أخى التاج، فإنه مرض بالطاعون من آخر نهار الجمعة.

وفى يوم الجمعة سادسه: [١] استدعى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله إلى القلعة. فلما مثل بين يدى مولانا السلطان أمر به، فخلع عليه، واستقر به فى كتابة السر، عوضا عن ولده صلاح الدين محمد، وقد توفى. فنزل فى موكب جليل على فرس رائع بقماش ذهب، أخرج له من الإسطبل السلطانى [٢]. وخلع معه أيضا على نور الدين على بن السويفى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن دولت خجا، وقد مات فى أول الشهر.

وفى هذا الشهر: أتلف الجراد بضواحى القاهرة كثيرا من المقاتى، كالخيار والبطيخ والقثاء والقرع. ووقع الطاعون فى الغنم والدواب. ووجد فى النيل سمك كثير طاف قد مات من الطاعون.

وأما الطاعون - فإنه كما تقدم - ابتدأ بالقاهرة من أول شهر رمضان، وكثر فى شوال حتى تجاوز عدة من يصلى عليه فى مصلى باب النصر كل يوم أربعمائة ميت، سوى بقية المصليات وعدتها بضع عشرة مصلى. ومع ذلك فلم تبلغ عدة من يرفع فى أوراق ديوان المواريث قط أربعمائة. وسببه أن الناس أعدوا توابيت للسبيل، ومعظم من يموت إنما هم الأطفال والإماء والعبيد، فلا يحتاج أهلهم إلى إطلاقهم من الديوان [٣].

---

(١) فى النجوم الزاهرة « سابع».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٣.

ومن أعجب ما وقع فى هذه الأيام أن رجلا نادى على قباء فى عدة أسواق، فلم يجد من يشتريه لكساد الأسواق. وكان سوق الرقيق قد أغلق وتعطل بيع الرقيق فيه لكثرة من يموت منهم، فاحتاج رجل إلى بيع عبد له، فأخذه بيده وصار ينادى عليه فى شارع القاهرة: «من يشترى هذا العبد» فلم يجبه أحد، مع كثرة الناس بالشارع، وإنما تركوا شراءه خوفا من سرعة موته بالطاعون.

وفى حادى عشره: رحل الأمراء المجردون من أبلستين، ومعهم نواب الشام وعساكرها من غزة إلى الفرات، وجميع تركمان الطاعة، وتوجهوا فى جميع كبير يريدون مدينة آقشهر، حتى نزلوا عليها وحصروها.

ومن يوم السبت خامس عشره: (١) اشتد مرض السلطان، ثم حجب عن الناس، فلم يدخل إليه أحد من الأمراء والمباشرين عدة أيام، سوى الأمير أينال شاد الشربخاناه، والأمير على بيه، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار، والأمير جوهر الزمام. فإذا صعد القاضى زين الدين عبد الباسط والمباشرون إلى القلعة، أعلمهم هؤلاء بحال السلطان. هذا، والإرجاف يقوى، والأمراء والمماليك السلطانية فى حركة، وقد صاروا فرقا مختلفة الآراء. والناس على تخوف من وقوع الحرب، وقد وزعوا فى دورهم، وأخفى أهل الدولة أولادهم ونساءهم خوفا من النهب، وأهل النواحى بالصعيد والوجه البحرى قد نجم النفاق فيهم، وخيفت السبل، شاما ومصرا. وقد تناقصت عدة الأموات بالقاهرة ومصر منذ أهل هذا الشهر، كما تقدم.

وفى أخريات هذا الشهر: هجم على المسجد الحرام بمكة سيل عظيم، ملأ الحرم من غير تقدم مطر بمكة.

شهر ذى الحجة، أهل بيوم الإثنين: والناس بديار مصر من قلة الخدم فى عناء وجهد، فإنه مات بالقاهرة ومصر وما بينهما فى مدة شهر رمضان وشوال وذى القعدة زيادة على مائة ألف إنسان، معظمهم الأطفال، وأكثر الأطفال البنات، ويلى الأطفال فى كثرة من مات الرقيق، وأكثر من مات من الرقيق الإماء، بحيث كادت الدور أن تخلو من الأطفال والإماء والعبيد. وكذلك جميع بلاد الشام بأسرها.

وأما السلطان فحدث له مع سقوط شهوة الغذاء مدة أشهر، ومع انحطاط قواه، ما ليخوليا (٢) فكثر هذيانه وتخليطه، ولولا أن الله تعالى أضعف قوته لما كان يؤمن مع ذلك من إفساد شىء كثير بيده، إلا أنه فى أكثر الأوقات غائب، فإذا أفاق هذى وخلط.

---

(١) جاء فى النجوم « فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى القعدة» ٢٨٤/١٤.

(٢) هو الانقباض واضطراب العقل.

وصار العسكر فى الجملة قسمين: قسم يقال عنهم أنهم قرانصة، وهم الظاهرية والناصرية والمؤيدية، وكلمتهم متفقة على طاعة الملك العزيز، وأن يكون الأمير الكبير جقمق العلاى نظام الملك، كما قرره السلطان، وأنهم لا يصعدون إلى القلعة خوفا على أنفسهم من المماليك الأشرفية. والقسم الآخر المماليك الأشرفية - سكان الطباق بالقلعة - ورأيهم أن يكون الملك العزيز مستبدًا بالأمر وحده، وأعيانهم الأمير أينال شاد الشرابخاناه، والأمير يخشى باى أمير أخور ثانى، والأمير على بيه الخازندار، والأمير مغلباى الجقمقى أستادار الصحبة، والأمير قرقماس قريب السلطان. وهذه الطائفة الأشرفية مختلفة بعضها على بعض. فلما اشتهر أمر هذين الطائفتين وشنعت القالة عنهما، قام عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط فى لم هذا الشعث، وإخماد نار الفتنة؛ ليصلح بين الفريقين. ووافقه على ذلك الأمير أينال الشاد، فاستدعى سكان الطباق من المماليك إلى جامع القلعة، وأرسل إلى القضاة (١).

فلما تكامل الجمع مازال بهم حتى أذعنوا إلى الحلف، فتولى تحليفهم القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر، على الإقامة على طاعة الملك العزيز، والاتفاق مع الأمير الكبير جقمق، وألا يتعرض أحد منهم لشر ولا فتنة، ولا يتعرضوا لأحد من الأمراء المقيمين بديار مصر، ولا إلى الأمراء المجردين ولا إلى كفلاء ممالك الشام فى نفس ولا مال ولا رزق. فلما حلف الأمير أينال والأمير على بيه، والأمير تمرباى الدوادار، وعامة المماليك، حلف القاضى زين الدين عبد الباسط أن يكون مع الفريقين، ولا يباطن طائفة على الأخرى، ثم قام الجميع، وقصد القاضى زين الدين دار الأمير الكبير جقمق، ومعه عدة من أعيان الأشرفية، حتى حلفه، وحلف بعده من بقى بديار مصر من الأمراء. ثم نزل بعد ذلك الأمير أينال ثم الأمير على بيه إلى الأمير الكبير جقمق، وقبل كل منهما يده، فابتهج بهما، وبالغ فى إكرامهما. وسكنت تلك الثائرة. و لله الحمد.

وفى يوم الأربعاء عاشره: - وهو يوم عيد النحر - خرج الملك العزيز، فصلى صلاة العيد بجامع القلعة، وقد صعد إلى خدمته بالجامع الأمير الكبير جقمق، ومن عداه من الأمراء. ثم مشوا فى الخدمة بعد الصلاة، حتى جلس على باب الستارة. وخلع على الأمير الكبير، وعلى من جرت عادته بالخلع فى يوم عيد النحر. ونزلوا إلى دورهم. فقام الملك العزيز، ودخل، وذبح، ونحر الضحايا بالحوش(٢) هذا، وقد توالت على السلطان نوب الصرع مرارا، وتخلت قواه، حتى صار كما قيل.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٤،٢٨٥.

(٢) فى النجوم « بالحوش السلطانى».

ولم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت

يرثى له الشامت مما به ياويح من يرثى له الشامت

حتى مات عصر يوم السبت ثالث عشره. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته[١].

* * *

السلطان الملك العزيز جمال الدين

أبو المحاسن يوسف ابن الأشرف برسباى [٢]

أقيم فى الملك بعد أبيه، وذلك أن السلطان برسباى لما مات بادر القاضى زين الدين عبد الباسط، والأمير أينال الشاد، والأمير على بيه، والأمير تمربباى الدوادار، وقد اجتمعوا بالقلعة، وبعثوا فى الحال القاضى شرف الدين الأشقر فى استدعاء الخليفة، وبعث القاضى زين الدين بعض غلمانه فى طلب القضاة، فأتوا جميعًا. ودخل الأمير جوهر الزمام، فأخرج بالملك العزيز إلى باب الستارة، وأجلس هناك، وطلب الأمير الكبير جقمق وبقية الأمراء، ونزل المماليك من الطباق. فلما تكامل جمعهم، وحضر الوزير وكاتب السر، وناظر الخاص، فوض الخليفة السلطنة للملك العزيز، وأفاض عليه التشريف الخليفتى، وقلده السيف وقد بقى لغروب الشمس نحو ساعة. وعمر السلطان يومئذ أربع عشرة سنة وسبعة أشهر، فقام من باب الستارة، وركب فرسه، ورفعت القبة والطير على رأسه، وقد حملها الأمير الكبير. وسار، والكل مشاة فى ركابه، حتى عبر إلى القصر، فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة، وقبل الأمراء وغيرهم الأرض له. وقرأ العهد بالسلطنة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر، فخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير، وعلى كاتب السر. وخرجوا من القصر، وقد غسل السلطان الملك الأشرف برسباى وكفن، وأخرج بالجنازة من الدور إلى باب القلة فوضعت هنالك. وتقدم قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الشافعى فصلى بالناس عليها قبيل الغروب، وشيع الأمراء والمماليك وغيرهم الجنازة حتى دفنت بالتربة التى أنشأها رحمه الله خارج باب المحروق بالصحراء، تحت القبة. وقد اجتمع من الناس ما لا يحصيهم إلا خالقهم، سبحانه. والناس بالقاهرة فى بيعهم وشرائهم بالأسواق فى أمن ودعة وسكون. ونودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وأن يترحموا على الملك الأشرف، والدعاء للسلطان الملك العزيز جمال الدين

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٥/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٦/١٤ ٣/١٥ وما بعدها.

أبى المحاسن. وأن النفقة فى يوم الإثنين مائة دينار، لكل واحد من المماليك، فازداد الناس طمأنينة. ولم يكن شيء مما كان يتوقع من الشر، والحمد لله.

وفى يوم الأحد رابع عشره: اجتمع أهل الدولة للصبحة عند قبر السلطان. وقد بات القراء يتناوبون القراءة، عند قبره ليلتهم، فختموا القرآن الكريم، ودعوا، ثم انفض الجمع. وأقام القراء للقراءة عند القبر سبعة أيام.

وفيه عملت الخدمة السلطانية بالقصر، وحضر الأمير الكبير وسائر أهل الدولة على العادة، فزاد السلطان الخليفة جزيرة الصابونى [١] زيادة على ما بيده.

وفيه كتبت البشائر إلى البلاد الشامية وأعمال مصر، بسلطنة الملك العزيز.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: جلس السلطان بالحوش من القلعة، وعنده الأمراء والمباشرون، وابتدئ فى النفقة على المماليك، فأنفق فيهم مائة دينار لكل واحد.

وفيه توجه الأمير أينال الأحمدى - المعروف بالفقيه - بالبشارة إلى البلاد الشامية، وعلى يده مع الكتب للنواب، الكتب للأمراء المجردين.

وفى سادس عشره: أنفق فيمن بقى من المماليك.

وفيه قدم مراد بك رسول الأمير حمزه بن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان، وصحبته شمس الدين القطماوى، ومعهما هدية، وكتاب يتضمن دخوله فى طاعة السلطان، وأنه أقام الخطبة وضرب السكة باسم السلطان الملك الأشرف، وجهز الدنانير والدراهم بالسكة السلطانية. وعلى يد شمس الدين القطماوى كتب الأمراء المجردين. وكان سبب ذلك أن الأمراء لما قدمت حلب، كاتبوا حمزة المذكور يدعوه إلى طاعة السلطان وقدومه إليهم، فأجاب بالسمع والطاعة، وأقام الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان، وجهز هديته وما ضربه من المال، فلم يتفق قدوم ذلك إلا بعد موت السلطان، فأكرم الرسولان وأنزلا ثم أعيدا بالجواب، ومعهما هدية وتشريف للأمير حمزة.

وفيه خلع على الأمير طوخ مازى، واستقر فى نيابة غزة، وكانت شاغرة منذ مات نائبها.

وفى يوم السبت عشرينه: وقع بين جكم الخاصكى - خال السلطان - وبين الأمير

---

(١) تقع تجاه رباط الآثار، وقد وقفها نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده، والآخر على الصوفية. انظر المواعظ والاعتبار ١٨٥/٢.

أينال مفاوضة، آلت إلى شر؛ وسبب ذلك أن الكلام والتحدث فى أمـور المملكـة صـار بين ثلاثة: الأمير الكبير نظام الملك جقمق، والقاضى زيـن الدين عبـد الباسـط، والأمـير أينال. ولزم السلطان السكوت، فلا يتكلـم فـأنكر جكـم على أينـال أمـره ونهيـه فيمـا يتعلق بأمر الدولة، وكونه أقام بالقلعة وصار يبيت بهـا، فغضـب منـه أينـال، ونـزل مـن القلعة إلى داره، فكان هذا ابتداء وقوع الخلف الذى آل إلى مـا سيأتى ذكـره، إن شـاء الله تعالى.

وفيه تجمع كثير من المماليك تحـت القلعـة، وأرادوا أن يفتكـوا بالقـاضى زيـن الدين عبد الباسط. فلما نزل من القلعة أحاطوا به، وجرت بينهم وبينه مقاولات، أغلظوا فيهـا عليه، ولم يقدروا على غير ذلك، وخلص منهم إلى بيته.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت بالطاعون فى الإسـكندرية، ودميـاط، وفوه، ودمنهور، وما حول تلك الأعمال، فمات بهـا عـالم كبـير. وتجـاوزت عـدة مـن يموت بالإسكندرية فى كل يوم مائة إنسان.

وفى يوم السبت سابع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فزاد خمسة أصابع.

وجاءت القاعدة خمسة أذرع وثلاثـة وعشـرين أصبعـا، واستمرت الزيـادة فـى كـل يوم. ولله الحمد.

وفيه أنعم بإقطاع السلطان على الأمير نظام الملك جقمق، بعدما سـئل السـلطان فـى ذلك فأبى، ثم غلب عليه حتى أخرجه له. وأنعم بإقطاع الأمير جقمق على الأمير تمـراز القرمشى أس نوبه أحد المجردين. وأنعم بإقطاع الأمير تمراز على الأمير تمربـاى الـدوادار، وأنعم بإقطاع الأمير تمرباى على الأمير على بيه. وأنعم باقطاع الأمير طوخ مازى نـائب غزة على الأمير يخشى بيه أمير أخـور ثـانى، وأنعـم باقطـاع يخشـى بيـه علـى يـل خجـا الساقى رأس نوبة، وأنعم باقطاع يل خجا وإمرتـه - وهـى إمـرة عشـرة - علـى قانبيـه الجركسى، وخلع على الأمير أينال، واستقر دوادارًا عوضا عن الأمير تمرباى.

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه: خلع على على بيه، واستقر شاد الشـرابخاناه، عوضـا عن الأمير أينال الدوادار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه: خلع على سـيف الدين دمـرداش - أحـد المـماليك الأشرفية - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن تغرى بردى التاجى.

وفيه تجمع كثير من المماليك تحت القلعة، وأحاطوا بالأمـير الكبـير نظـام الملـك عنـد

نزوله من الخدمة السلطانية بالقلعة إلى جهة بيته؛ ليوقعوا به، فتخلص منهم من غير سوء، هذا والقاضى زين الدين عبد الباسط من المماليك فى عناء شديد.

وقدم الخبر بأن العسكر المجرد لما قصد مدينة آقشهر [1] تلقاهم سلطان أحمد بن قليج أرسلان صاحب تلى صار - وقد رغب فى الطاعة السلطانية - وسار معهم حتى نازلوا مدينة آقشهر فى أول ذى الحجة، فهرب متملكها حسن الأيتاقى فى ليلة الثلاثاء ثانيه إلى قلعة برداش، فملك العسكر المدينة وقلعتها، وقبضوا على عدة من أعيانها، وبعثوا بسلطان أحمد بن قليج أرسلان على عسكر، فملك قلعتى فارس وتمشلى، فأقروه على نيابة السلطنة بهما. وساروا لمحاصرة حسن بقلعة برداش ففر منها إلى قلعة بزطلش، فنزل من العسكر عليها حتى أخذها فى ثامن عشره الأمير قرقماس أمير سلاح، بعد أن قاتل أهلها بضعة عشر يوما. ثم هدمها حتى سوى بها الأرض، وقد فر منها حسن أيتافى. ثم سار الأمير قرقماس بمن معه مع بقية العساكر يريدون أرزنكان، فقدم عليهم الأمير مرزا ابن الأمير يعقوب ابن الأمير قرايلك رسولا من أبيه يعقوب صاحب أرزنكان وكماخ [2] وقد خرج عن أرزنكان ونزل كماخ، وقدم مع مرزا زوجة أبيه وعدة من القضاة والأعيان بأرزنكان، يسألون العفو عن الأمير يعقوب وإعفائه من قدومه إليهم وأن يجهز لنيابة السلطنة بأرزنكان الأمير جهان كير ابن الأمير ناصر الدين على باك بن قرايلوك، فأجيبوا إلى ذلك كله، وخلع على الأمير مرزا، ودفع إليه خلعة لأبيه الأمير يعقوب، وفرس بقماش ذهب. وأعيد وصحبته الأمير جهان كير، وقد خلع عليه بنيابة أرزنكان. وساروا وقد جهز إلى أرزنكان بالأمير سودون النوروزى دوادار نائب حلب، ومعه نائب دوركى ونائب بهنسنى، فتسلموا أرزنكان بلا مانع، وأقاموا بها. ثم توجه القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين الأشقر كاتب السر بحلب، حتى حلف أهل أرزنكان بالإقامة على طاعة السلطان، ثم سارت العساكر من آقشهر فى ثانى عشرينه حتى نزلت على أرزنكان، وعسكروا هناك، فخرج إليهم أهلها، وباعوا عليهم ما أرادوا منهم، وفتحت أبواب المدينة، والعساكر يدخل منها المدينة من أراد ذلك، من غير ضرر ولا نهب، واستمروا على ذلك إلى آخر الشهر.

---

(١) آقشهر: تقع إلى الشمال الغربى من قونية على مسيرة ثلاثة أيام منها. انظر تقويم البلدان.

(٢) كماخ: كَمْخ: مدينة بالروم، وسأل ياقوت واحدًا من تلك النواحى فقال هى: كماخ بالألف لا شك فيها، وبين كماخ وأرزنجان يوم واحد. انظر معجم البلدان ٤/٤٧٩.

وقدم الخبر بأن ملك البرتقال صاحب مدينة شلب [١] من الأندلس سار يريد مدينة طنجة، فنزل على سبتة فى المحرم، ومضى منهما وهى بيده فى البر والبحر، ومعه فيما يقال ثمانية عشر ألف رام، وستة آلاف فارس، حتى نزل على طنجة فحصرها مدة شهر إلى أن أتته جموع المسلمين من فاس ومكناسة [٢] وأصيلا [٣] فى شهر ربيع الآخر، فكانت بينهم وبين البرتقال من النصارى حروب عظيمة، نصر الله فيها المسلمين، وقتل نحو الثلثين من النصارى. والتجأ باقيهم إلى محلتهم فضايقهم المسلمون حتى طلبوا الأمان على أن يسلموا المسلمين مدينة سبتة، ويفرجوا عن سبعمائة أسير من المسلمين، ويدفعوا ما بأيديهم من آلات الحرب للمسلمين فأمنوهم، وبعثوا برهائنهم على ذلك، فصار المسلمون يأخذون النصارى ويوصلونهم إلى أسطولهم بالبحر. فحسد أحمد اللحيانى - القائم بتدبير مكناسة - الأزرق وهو أبو زكريا حى بن زيان بن عمر الوطاسى - القائم بتدبير مدينة فاس - وقتل عدة من النصارى، ورحل، فحنق النصارى؛ من ذلك، وحطموا على المسلمين حطمة قتل فيها جماعة، وخلصوا إلى أصطولهم وبقى ابن ملكهم فى يد المسلمين، فلما وصلوا إلى بلادهم، لم يرض أكابرهم بتسليم سبتة للمسلمين، وبعثوا فى فداء ابن الملك بمال، فلم يقع بينهم وبين الرسول اتفاق، وسجنوه مع ابن الملك المرتهن عند صالح بن صالح بن حمو، بطنجة فيقول المكثر أن الذى قتل من النصارى فى هذه الواقعة خمسة وعشرون ألفا، وغنم المسلمون منهم أموالا كثيرة. و لله الحمد.

* * *

ومات فى هذه السنة

بالطاعون وفى الحرب عالم عظيم جدا من أهل الأرض، فممن له ذكر وشهرة: سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة [٤]، المعروف بابن كاتب جكم ناظر الخاص ابن ناظر الخاص، فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة. وكان من المترفين، المنهمكين فى اللذات المنغمسين فى الشهوات، ونزل السلطان فصلى عليه تحت القلعة، ودفن عند أبيه بالقرافة.

---

(١) شِلْبُ: وهى مدينة بغربى الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهى غربى قرطبة. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) تقع غربى طنجة، وبينهما مرحلة انظر معجم البلدان.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٤.

ومات الأمير تمراز المؤيدى [١] خنقا بالإسكندرية، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة، وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ، رباه صغيرًا إلى أن تغير عليه، وضربه، ونفاه إلى طرابلس، فتنقل بعد موت المؤيد إلى أن ركب مع الأمير قانباى، فقبض عليه، وسجن بقلعة الروم مدة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرة عشرة بحلب، ثم نقل بعد مدة على إمرة بدمشق. ثم ولى نيابة صفد، ونقل منها لنيابة غزة، ثم قبض عليه لما قدم على السلطان وسجن بالإسكندرية وبها قتل، ولم يكن مشكورا.

ومات الأمير جانبك الصوفى [٢] فى يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق. ترقى فى الخدم، وصار من أمراء الألوف، وتنقلت به الأحوال حتى قبض عليه الأشرف برسباى، وسجنه، ففر من سجنه بالإسكندرية، وأعيا السلطان تطلبه، وامتحن جماعة بسببه، إلى أن ظهر عند ابن دلغادر، وحاول ما لم يقدر عليه، فهلك دون بلوغ مراده. وحمل رأسه إلى السلطان، كما مر ذكره مشروحا. وكان ظالما، عاتيا، جبارا، لم يعرف بدين ولا كرم.

ومات شمس الدين محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب، المصرى شهرة، الحلبى الشافعى [٣] فى يوم الأحد النصف من شهر رجب، وكان خيرًا دينًا كثير التلاوة للقرآن، فاضلا، حسن المحاضرة وتصرف فى الكتابة بديوان الإنشاء مدة. ثم توجه إلى القدس بعدما أقام بالقاهرة سنين، فمات هناك. رحمه الله.

ومات بمكة - شرفها الله - الأمير جانبك الحاجب، المجرد على المماليك إلى مكة، فى حادى عشر شعبان. ومستراح منه.

ومات بدمشق الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى [٤] فى خامس شهر رمضان. وكان ورعا بارعا فى علوم، من عربية ومعان وبيان وغير ذلك، وله فى الدولة مكانة. سكن بلاد الهند، وعظم عند ملكها، ثم قدم القاهرة، وتصدر لإفادة العلم فقرأ عليه جماعة، وعظم قدره. ثم سكن دمشق حتى مات بها.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٦.

(٢) هو الأمير الكبير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى، صاحب الوقائع والأهوال والحروب. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٦ وقد كان دينا خيرا وله رواية عالية بسنن ابن ماجة وحدث وأسمع سنين.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٧.

ومات بالقاهرة الشيخ علاء الدين على بن موسى بن إبراهين الرومى الحنفى (١) فى يوم الأحد عشرين شهر رمضان، وكان قدم من بلاد الروم، وولى تدريس المدرسة الأشرفية برسباى، ومشيخة التصوف بها مدة، ثم عزل عنها، وكان فاضلا فى عدة علوم، مع طيش وخفة، وجرأة بلسانه على ما لا يليق، وفحش فى مخاطبته عند البحث معه. عفا الله عنه.

ومات الأمير آق بردى نائب غزة، فأراح الله بموته من جوره وطمعه.

ومات ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن بن سعد الدين محمد الفاقوسى (٢) موقع الدست، فى ليلة الإثنين تاسع عشر شوال، عن بضع وسبعين سنة. وكان حشما، رئيسا، له مروءة وفيه أفضال وبر وصدقات. رحمه الله.

ومات الأمير دولات خجا، أحد المماليك الظاهرية. ولى ولاية القاهرة ثم حسبتها. وكان عسوفا جبارًا كثير الشر، يصفه من يعرفه بأنه ليس بمسلم، وأنه لا يخاف الله، وكان موته يوم السبت أول ذى القعدة، وقد شاخ (٣).

ومات الأمير القاضى صلاح الدين محمد ابن الصاحب الأمير الوزير بدر الدين حسن بن نصر الله (٤) فى ليلة الأربعاء خامس ذى القعدة، وقد أناف على الخمسين، وكان جميل الصورة عاقلا، رزينا، يكتب الخط المنسوب، ويعرف الحساب معرفة جيدة. ولى الحجوبية من صغره مدة، ثم باشر أستادارية السلطان مرتين، وولى حسبة القاهرة ثم صار جليس السلطان وسميره. وولاه مع مجالسته كتابة السر مسئولا بها فباشرها مع الحسبة، ونظر دار الضرب، ونظر الأوقاف، وغير ذلك حتى مات. رحمه الله. فلقد أحزننا فقده. ومولده فى رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ومات شهاب الدين أحمد ابن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قرطاى، المعروف بابن بنت الأمير بكتمر الساقى (٥) سبى جده قرطاى من بلاد الروم، وجيء به إلى الديار المصرية - فترقى فى الخدم، حتى صار من جملة الأمراء. وولى ابنه

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٨.

(٢) كان حشما وقورًا، وله فضل وأفضال، وحدث سنين، وسمع منه خلائق وكان معدودًا من الرؤساء بالديار المصرية. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٩.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧١.

على بن قرطاى نقابة الجيش، وتزوج بابنة الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الساقى، فولد له منها أحمد فى يوم الأحد ثالث عشرين شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة. ونشأ فى عز وترف وحشمة ورياسة وسعة دنيا. فمال إلى الفضائل، وكتب على شيخنا علاء الدين عصفور، فبرع فى الكتابة وفنونها، حتى فاق فى كتابة المنسوب أبناء عصره. ونظم الشعر المليح، وأتقن صنائع عديدة. ونظر فى عدة علوم حتى مات، فى ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة. وكان مجموعًا حسنًا، ذا فضائل جمة، ووجه جميل، وشكل مليح، وخلق رضى، ونفس سمحة، وذكاء، وحسن تصور، وثراء واسع، وحشمة وافرة. رحمه الله، فلقد كان لى به أنس، ومنه نفع. كتب إلى وقد قدمت من الحجاز من شعره:

أيا مولاى دم أبدًا بخير ... وعزما جرت شمس النهار
لرؤيتك السنية مت شوقًا ... وقد دنت الديار، من الديار

ومات الأمير سليمن بن أورخان بك بن محمد كرشجى بن عثمان. ملك جدة محمد كرشجى بلاد الروم، وقبض عمه مراد بن محمد كرشجى ملك الروم على أبيه أورخن بك، وسجنه حتى مات. وقد ولد سليمان ففر به مملوك أبيه، حتى قدم على السلطان الأشرف برسباى فأكرمه ورباه. ثم فر به مملوك أبيه، يريد بلاد الروم، فقبض عليه برسباى وسجنه، ثم أفرج عنه، وتزوج السلطان بأخته شاه زاده.

ومات إسكندر بن قرايوسف ملك تبريز، بعدما تشتت مدة، ثم انهزم إلى قلعة يلنجا، فذبحه ابنه شاه قوماط، فى شهر ذى القعدة. وكان شجاعًا مقدامًا جريئًا، أهوج، لا يرجع إلى دين ولا عقل، بل خرب البلاد، وأكثر فى الأرض الفساد.

ومات نور الدين على بن مفلح، وكيل بيت المال وناظر المارستان، فى يوم الجمعة ثانى عشر ذى الحجة. كان أبوه عبدًا أسود للطواشى كافور الهندى، فأعتقه، وقرأ ابنه على القرآن، وخدم عدة من أهل الدولة، حتى تقرر يقرئ المماليك فى الطباق السلطانية بالقلعة. وأكثر من مداخلتهم، إلى أن تردد إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فارتفع به قدره، وولى الوكالة ونظر المارستان. وعد من رؤساء الناس، وكانت له مروة، وفيه عصبية، وتقعير [١] فى كلامه من غير إعراب ولا علم، إنما هو الحظ لا غيره.

---

(١) وقعر فى كلامه وتقعر تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه، وقيل: تكلم بأقصى حلقه. ورجل قيعر وقيعار: متقعر فى كلامه. والتقعير: التعميق. والتقعير فى كلام: التشدق فيه. والتقعير فى الكلام: التشدق فيه. والتقعير: التعمق. وقعر الرجل إذا روى فنظر فيما يغمض من الرأى حتى يستخرجه. ابن الأعرابى: القعر العقل التام. يقال: هو يتقعر فى كلامه إذا كان يتنحى وهو لحانة، ويتعاقل وهو هلباجة. انظر لسان العرب ٣٦٩١. انظر القاموس المحيط (قعر).

ومات السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى [١] فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة، وقد أناف على الستين. كان أبوه من أوضع أهل بلاده قدرًا، وأشدهم فقرًا، فأسلم ابنه هذا الحداد، فكان ينفخ عنده بالكير. ثم مات، فتزوجت امرأته برجل، فباع برسباى هذا - وهو صغير - من رجل يهودى اسمه صادق. فخدمه مدة، وتلقن أخلاقه، وتطبع بطباعه، حتى جلبه إلى ديار مصر، فابتاعه الأمير دقماق. ثم بعث به فى جملة تقدمه لما استقر فى نيابة ملطية. فأنزله السلطان الملك الظاهر برقوق فى جملة مماليك الطباق. ثم أخرج له قبل موته خيلا، وأنزله من الطباق، وقد أعتقه. فلما كانت الأيام الناصرية فرج، خرج فيمن خرج إلى الشام، وانتمى إلى الأمير نوروز، ثم إلى الأمير شيخ، فلما قدم الأمير شيخ بعد قتل الناصر إلى مصر، كان فيمن قدم معه، فرقاه، وصار من جملة أمراء الألوف، وعمل كشف التراب. ثم ولاه نيابة طرابلس، وعزله، وسجنه بقلعة المرقب. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق. فلما مات المؤيد شيخ، قبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه. ثم أفرج عنه الأمير ططر لما توجه بابن المؤيد إلى الشام. ثم أنعم عليه بإمرة ألف، وعمله دوادار السلطان، لما تسلطن، وقدم به إلى القاهرة، فلما مات الظاهر ططر قام بأمر ولده، ثم خلعه وتسلطن، فدانت له البلاد وأهلها، وخدمته السعود حتى مات. وكانت أيامه هدوء وسكون، إلا أنه كان له فى الشح والبخل والطمع، مع الجبن والجور وسوء الظن ومقت الرعية وكثرة التلون وسرعة التقلب فى الأمور وقلة الثبات، أخبار لم نسمع بمثلها، وشمل بلاد مصر والشام فى أيامه الخراب، وقلة الأموال بها. وافتقر الناس وساءت سير الحكام والولاة، مع بلوغه آماله ونيله أغراضه، وقه أعدائه وقتلهم بيد غيره؛ لتعلموا أن الله على كل شىء قدير.

ومات الأمير سودون بن عبد الرحمن [٢] وهو مسجون بثغر دمياط، فى يوم السبت العشرين من ذى الحجة. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق. ترقى فى الخدم حتى صار نائب الشام، ثم عزل، وسجن حتى مات، وكان مصرًا على ما لا تبيحه الشريعة من شهواته الخسيسة، وأحدث فى دمشق - أيام نيابته بها - عدة أماكن لبيع الخمر ووقوف البغايا والأحداث، وضمنها بمال فى كل شهر، فاستمرت من بعده. واقتدى به فى ذلك غير واحد، فعملوا فى دمشق خمارات مضمنة بأموال، من غير أن ينكر عليه أحد ذلك، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧٢.

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة ومعظم عساكر مصر والشام فى التجريدة، وبقيتهم بالقاهرة وظواهرها فى اختلاف.

شهر الله المحرم، أوله الثلاثاء:

فيه رحل العسكر المجرد عن مدينة أرزنكان، عائدًا إلى حلب.

وفى رابعه: توجه الأمير تغرى بردى المؤذى على عدة من المماليك السلطانية إلى البحيرة، بسبب قرب لبيد - عرب برقة - من البلاد.

وفيه خلع على جكم الخاصكى خال السلطان، واستقر خازندارًا، عوضًا عن على بيه.

وفى يوم الإثنين سابعه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثامنه: خلع على شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد المعروف بابن النسخة شاهد القيمة. واستقر فى وكالة بيت المال، وكانت شاغرة منذ وفاة نور الدين على بن مفلح. وخلع على نظام الدين بن مفلح الدمشقى الواعظ، وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: استدعى الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى المقدسى شيخ الجامع المؤيدى، وخلع عليه. وقد فوض إليه قضاء الحنفية بديار مصر، عوضًا عن بدر الدين محمود العينى، بعدما سئل بذلك مرارًا وهو يمتنع، ثم أجاب، وشرط على الأمراء أنه لا يقبل رسالة أحد منهم، وأن لا يتجوه[1] عليه فى شىء.

وفيه أنعم على سبعة من المماليك بأمريات عشرة، وهم قانبك الساقى، وقانم التاجر، وجانم الدوادار، وجانبك الساقى، وجكم المجنون، وجكم خال السلطان، وجرباش رأس نوبة الجمدارية.

وفى خامس عشره: أعيد مراد بك قاصد الأمير حمزة بن قرايلك صاحب ماردين

---

(١) يقال: نظر بجوة سوء بوحه سوء.انظر تاج العروس فى شرح القاموس (حوه).

وآمد، والقاضى شمس الدين القطماوى موقع الدست بحلب. وجهز صحبتهما مبارك شاه البريدى، وعلى يده جواب كتاب الأمير حمزه، بشكره والثناء عليه، وتشريف له بنيابة السلطنة، وفرس بقماش ذهب، وهدية ما بين ثياب سكندرى وغيره، وسلاح، ونسخة يمين ليحلف بها على طاعة السلطان ومناصحته. وأجيب الأمراء المجردون أيضًا عن كتبهم، وأن يسارعوا بالحضور.

وفى يوم السبت تاسع عشره: خلع على أزبك خجا المؤيدى رأس نوبة، وعين لتقليد الأمير الجكمى نائب الشام، واستقراره على عادته. وخلع على قانصوه الخاصكى، وعين لتقليد الأمير تغرى برمش نائب حلب، واستقراره على عادته. وعين لتقليد الأمير جلبان نائب طرابلس الأمير أينال الخاصكى، وعين دولات باى الخاصكى لتقليد الأمير قانياى الحمزاوى نائب حماة، ولتقليد على بن طغرق بن دلغادر التركمانى نائب حمص. وعين يشبك الخاصكى لتقليد الأمير أينال الأجرود نائب صفد. وخلع عليهم. هذا، والنواب المذكورين فى التجريدة. وكتب إليهم جميعًا بسرعة قدومهم.

وفيه حل بالقاضى زين الدين عبد الباسط حالة غير مرضية من بعض المماليك فى وقت الخدمة السلطانية، بعدما نزل به من المماليك فى هذه الأيام أنواع من المكاره، ما بين تهديد وإساءة، احتاج من أجل ذلك إلى بذل لأموال لهم ليكفوا من شرهم عنه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: قدم المماليك المجردون فى السنة الماضية إلى مكة، وقد مات أميرهم بها. وكثر شرهم بمكة، وإفسادهم، واستخفافهم بحرمة الكعبة.

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل فى يوم الخميس ثالث عشرينه ببقية الحجاج، بعدما نزل بالحاج بلاء عظيم، وهو أن ركب الغزاويين، ومن انضم إليهم من أهل الرملة، ومن أهل القدس، وبلاد الساحل، وأهل ينبع، لما نزلوا فى عودهم من مكة بوادى عنتر قريب من أزلم خرج عليهم من عرب بلى [1] نحو أربعين فارسًا، ومائة وعشرين راجلا، يطلبون منهم مالا، فأما الينابعة فإنهم جبوا لهم مبلغًا من الذهب دفعوه إليهم، فكفوا عنهم، وتركوهم، فلحقوا الركب، وأما الغزاويون فاستعد مقدمهم ورمى العرب بالنشاب، وقتل منهم ثلاثة، فحملوا عليه حملة منكرة، أخذوه فيها، ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون وينهبون، فما عفوا ولا كفوا، فيقول المكثر إنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها، وعليها من المال ما بين ذهب وفضة وبضائع وأزودة الحاج ما لا يقدر قدره كثرة. وخلص من تفلت من الركب،

---

(١) هم بطن من قضاعة من القحطانية. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص١٧٠.

وهم عراة حفاة، يريدون اللحاق بالمحمل، فمات منهم عدة، ولحق بالمحمل عدة، وتأخر بالبرية منهم عدة. قدم منهم إلى القاهرة من تأخرت منيته فيما بعد من البر والبحر، بأسوأ حال، وفقد الناس من الرجال والنساء والصبيان والبنات عددًا كبيرًا، فكانت هذه الحادثة من شنائع ما أدركناه. ولم يمتعض لها أحد لإهمال أهل الدولة الأمور، وإعراضهم عن عمل المصالح. ولا قوة إلا بالله.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الطواشى شاهين الساقى، واستقر فى مشيخة الخدام بالمسجد النبوى، عوضًا عن ولى الدين محمد بن قاسم المحلى، مضحك السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: (١) قدم مماليك نواب الشام، وعلى أيديهم المطالعات، تتضمن أنهم ملكوا مدينة أرزكنان على ما تقدم ذكره، ومن العجب أن مدينة آقشهر وقلاعها، ومدينة أرزنكان، أخذت للسلطان الملك الأشرف برسباى، وباسمه وهو ميت، وسطوته ومهابته فى قلوب أهل تلك البلاد، مع بعدها عنه، وأوامره نافذة فى تلك الرعايا، ولو علموا أنه قد مات لما أمكن العسكر السلطانية فعل شىء من ذلك ولكن الله يفعل ما يريد، وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له.

وفى هذا الشهر: - بعد رحيل العساكر السلطانية عن أرزنكان - سار الأمير حمزة ابن قرايلك من ماردين لأخذ أرزنكان. وقد تنكر على أخيه يعقوب من أجل أنه سالم العساكر السلطانية، حتى دخلوا المدينة، فخرج إليه جهان كير(٢) ابن أخيه، وأقام

(١) فى النجوم يوم الثلاثاء تاسع عشرين المحرم ١٥/١٢.

(٢) جهان كير بن على بك بن عثمان، المدعو قَرَايُلُك بن قطلوبك. الأمير سيف الدين، صاحب آمد ومادين وأرزنكان وغيرهم. مولده بديار بكر فى حدود العشرين ثمانمائة تقريبًا. ونشأ تحت كنف والده وجده قرايلك. وقدم مع والده إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بإمرة بحلب، فتوجه إلى حلب. وأقام بها مدة إلى أن ولاه الملك الظاهر حقمق نيابة الرها، فباشرها مدة طويلة، وعظم وكثرت جنوده، ثم ملك آمد بعد موت عمه حمزة بعد حروب، ثم أرزنكان، ثم ملك ماردين، ولازال يملك قلعة بعد قلعة حتى صار حاكم ديار بكر وأميرها. فلما ضخم وأثرى أظهر الخلاف على الملك الظاهر، ضرب بعض بلاد السلطان، وانضم عليه الأمير بَيْغُوت من صفر خُجَا المؤيدى الأعرج لما عُنى من نيابة حماة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ووافقهما خلائق، وعظم جمعه فبينما هو فى ذلك إلا طرف جَهضان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز بغداد وغيرهما فى السنة المذكورة، وشتت شمله «ومزق عساكره، وأباده» وأخذ منه أرزنكان ومدينة ماردين فى «سنة أربع وخمسين»، ووقع بين عساكر جَهَان شاه وبين جهان كير هذا حروب فى هذه المدة. فلما ضاق الأمر عليه أرسل بوالدته إلى البلاد الشامية، وتستأذن نواب البلاد الشامية - وكانوا جميعًا بالبلاد الحلبية - فى قدومها إلى=

جعفر ابن أخيه يعقوب بمدينة أرزنكان، فعندما التقى الجمعان خامر أكثر من مع حمزة، وصاروا إلى جهان كير، فانهزم بعد وقعة كانت بينهما، وقد جرح.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه تجمع عدة من المماليك على القاضى زين الدين عبد الباسط عند نزوله من القلعة. وهموا به، فولى يريد القلعة وهم فى طلبه، حتى امتنع منهم بدخوله القلعة، وقد حماه جماعة، فأقام يومه وبات بها، وهو يطلب الإعفاء من نظر الجيش والأستادارية(١). فلما أصبح يوم الجمعة طلع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، وجميع أهل الدولة، وخرج السلطان إلى الحوش، فاستدعى بالقاضى عبد الباسط. وجرت بينه وبين الأمير الكبير مخاطبات فى استمراره على عادته، وهو يطلب الإعفاء من المباشرة، إلى أن خلع عليه، وعلى مملوكه الأمير جانبك أستادار. ونزلا من القلعة على فرسين أخرجا لهما من الإسطبل، بقماش ذهب، وقد ركب معه إلى داره عظماء الدولة.

وفى يوم الأحد رابعه: وردت مطالعة الأمير أينال الجمكى نائب الشام، بقدومه حلب، هو والعساكر المجردة، فى العشرين من المحرم، إلا الأمير تغرى برمش نائب حلب، فإنه لما بلغه وفاة السلطان الملك الأشرف عزم أن يكبس الأمراء المصريين، فبلغهم ذلك، فاستعدوا له حتى دخلوا حلب، فبلغهم أنه كتب إلى نائب الغيبة ألا يمكنهم من المدينة، هذا وقد جمع عليه عدة من طوائف التركمان وأن الأمير أينال نائب الشام أخذ فى تخذيلهم عنه، وأرسل إليه يعتبه على انفراده عنهم، فاعتذر بتخوفه من الأمراء المصريين (٢).

وفى يوم السبت عاشره: رسم أن يقتصر فى حضور الخدمة السلطانية على أربعة

=الديار المصرية تسترضى الخواطر الشريفة على ولدها جهان كير المذكور. وكان جهان كير أيضًا أرسل بولده قبل تاريخه يسأل الدخول فى طاعة السلطان، فمنعوها نواب البلاد الشامية من قدومها إلى الديار المصرية، ثم عادت إلى آمد. وبعد عودها أرسل جهان كير هذا بأخيه حسن فى شرذمة من عسكره إلى عمه الشيخ حسن بن قرايلك. وكان الشيخ حسن المذكور فى عسكر كثيف من عسكر جهان كير، فطرقه حسن بنته، فظفر به وقتله وبعث رأسه إلى أخيه جهان كير، وقتل حسن أيضًا جماعة من عسكر جهان شاه الذين كانوا مع عمه الشيخ حسن. فلما بلغ جهان شاه ذلك غضب، واشتد حنقه، وقدم إلى آمد وحصرها وبها جهان كير هذا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٨: ٣٠، النجوم ١/ ٤٣٣.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ١٢/ ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ١٣.

أيام فى الأسبوع، وأن تكون الخدمة بالقصر فقط. ويتوفر حضور أهل الدولة إلى القلعة فى يوم الأحد ويوم الأربعاء ويوم الجمعة، وهى الأيام التى عمل فيها الخدمة بالحوش. ثم انتقض ذلك بعد قليل [(١)].

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قدم مملوك الأمير تغرى برمش نائب حلب بكتابه، يتضمن رحيل الأمراء ونائب الشام جميعًا عن حلب إلى جهة دمشق فى سادس عشرين المحرم، وأنه قدم بعدهم إلى حلب فى ثامن عشرينه.

وفى ثانى عشره: تجمع المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيهم الأمير أينال الدوادار، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلى داره، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد أينال وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فانفضوا، ووقف من الغد يوم الثلاثاء جماعة منهم تحت القلعة بغير سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة الأمير أينال وقعة بالدبابيس. ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواقفهم تحت القلعة، وقد صار العسكر قسمين: إحداهما مع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، ويقال لهم القرانصة، وهم الأمراء، والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية، ومعهم طائفة من الأشرفية قد فارقوا إخوتهم وصاروا مع هؤلاء. وكل من الأمير الكبير وممن معه يظهر أنه فى طاعة السلطان، وإنما يريد أن تنزل طائفة من الأشرفية - سموهم - إلى عند الأمير الكبير جقمق، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة. والقسم الآخر المماليك الأشرفية وهم بالقلعة مع السلطان، وعندهم الخليفة، وبأيديهم فى القلعة خزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا أنهم أغمار جهال، لم يجربوا الأمور، ولا أدربتهم الأيام، فلا ينقاد صغيرهم لكبيرهم. والقرانصة وإن كانوا أقل مالا ورجالا، إلا أنهم أقعد من الأشرفية بأعمال الحرب، وأعرف بتصاريف الأمور، وقد اجتمعوا على الأمير الكبير جقمق، وانقادوا له، وأجمعوا على الحرب معه. فلما أصبحوا يوم الخميس، لم يصعد الأمير الكبير جقمق إلى القلعة، وتحول من داره المطلة على بركة الفيل، ونزل فى بيت قوصون تجاه باب السلسلة، وجمع عليه من وافقه من القرانصة، ومن الزعر وأوغاد العامة. وقد وعدهم بالنفقة فيهم. فاستعد الأشرفية فى القلعة، وباتوا على ذلك. وظلوا نهار الجمعة سادس عشره على تعبئتهم إلى بعد صلاة العصر. ثم زحف أتباع الأمير جقمق على القلعة، وقد لبسوا أسلحتهم، وهم - فيما يظهر - دون أهل القلعة فى العَدد والعِدد، فرماهم الأشرفية بالنشاب حتى أبعدوهم، فمالوا نحو باب القرافة،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣/١٥.

وهدموا جانبًا من سور الميدان وعبروه. فنزل طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه. فحال بينهم الليل، وباتوا على حذر، وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئًا كثيرًا، ونصبوا مكاحل النفط على سور القلعة، وغدوا على حربهم يوم السبت، فهلك بينهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة. هذا، والقضاة وغيرهم تردد بينهم فى إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى الأمير الكبير - منهم جكم خال السلطان - إلى أن أذعنوا لذلك بعد امتناع كثير، فنزل جكم ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت، ظنًا من الأشرفية أنه لا يصيب جكم وأصحابه سوء، سوى أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط. فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير جقمق، أحيط بهم، وسجنوا، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائدًا إلى دار سكنه على بركة الفيل، فكان هذا أول وهن وقع فى الأشرفية (١).

وأصبحوا يوم الأحد ثامن عشره: والرسل تتردد من الأمير جقمق إلى الأشرفية بالقلعة، فى طلب جماعة أخرى حتى نزل إليه منهم الأمير على بيه الخازندار، والأمير يخشباى أمير أخور، وهما من عظماء الأشرفية وأعيانهم. فللحال طلب الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك، وألزمه بإنزال جميع الأشرفية من الطباق بالقلعة، فاستسلموا بأجمعهم، ونزلوا طبقة بعد طبقة، وقد حضر القضاة وأهل الدولة، فحلفوا للأمير الكبير جقمق، وحكم قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين. وزعم أن فى مذهبه نقلا بذلك. فكان هذا الحكم أيضًا مما لم نعهد مثله. ثم أمر جميع المماليك الأشرفية بإخلاء طباقهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط - فما منهم إلا من بادر وحول ما كان له بطبقته من القلعة من أثاث وغيره، حتى خلت منهم، فكان هذا من أعجب ما سمعنا به فى الخذلان، فإن عددهم يبلغ ألف وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجمة العدد، وحواصل الأسلحة العظيمة القدر فى الكثرة والقيمة، وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة، ومعهم السلطان، ولهم من الأمتاع والأموال والنعم ما لا يقدر قدره، إلا أنهم أغمار جهال، متفرقون فى إجتماعهم ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾ (٢).

ومن حينئذ تبين إدبار أمر الأشرفية، وزوال عزهم، وإقبال جد الأمير جقمق، وتجديد سعادته.

وسبب هذه الكائنة أن جكم خال السلطان اتفق هو وعدة من الأشرفية على أن

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥، ١٤، ١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٤.

يقبضوا على الأمير جقمق ومن معه من الأمراء، وعلى أخذ عبد الباسط وناظر الخاص، فلم يوافقهم الأمير أينال، ومنعهم من ذلك مرارًا. فلما علم جكم بمخالفة أينال له، أخذ يدبر مع أصحابه فى قتل أينال، فعندما أرادوا الإيقاع به، أعلمه بعض أصحابه بذلك، ففر منهم، وقد حماه منهم بعضهم كما تقدم ذكره، والتجأ إلى الأمير جقمق، وقص عليه الخبر. ومازال يوضحه للأمير حتى تبين له صحة مقالته، فاختص به، وباين من حينئذ أينال الأشرفية، وصار فى جملة الأمير جقمق، هو وجماعته، فكان هذا أول زوال دولة العزيز، وصار أينال يبكى فى خلواته ويقول: «ما كان جزاء الملك الأشرف منى أنه اشترانى وربانى وعلمنى القرآن، وخولنى فى نعمه، أن أخرب بيته بيدى» ولقد بلغنى من جهة صحيحة أن الأشرف برسباى نظر إلى أينال هذا فى مرض موته ثم قال لمن حضره عنده - وأينال قائم على قدميه - «هذا مخرب بيتى». وقد قيل قديمًا: «اتق شر من أحسنت إليه» [(١)].

وفى يوم الأحد هذا: قدم الأمير تغرى بردى المؤذى، ومن معه من التجريدة إلى البحيرة، بعدما عاثوا وأفسدوا كما هى عادتهم.

وفيه قدم الخبر بأن العسكر المجرد قدم إلى دمشق فى خامسه.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: أفرج عن جكم خال السلطان، ومن سجن معه، وخلع عليه بشفاعة السلطان فيهم.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: صعد الأمير الكبير جقمق، وسائر الأمراء والمباشرون، إلى الخدمة السلطانية. ومنع المماليك الأشرفية من العبور إلى القصر فى وقت الخدمة، وذلك أن الأمير الكبير لما ظهر عليهم، وأنزلهم من الطباق التى بالقلعة، كان مما حلفهم عليه ألا يدخل إلى القصر فى الخدمة منهم أحد إلا من له نوبة، فى يوم نوبته لا غير.

وفيه خلع على الأمير الكبير جقمق تشريف جليل، ونزل من القصر - بعد انقضاء الخدمة - إلى الحراقة بباب السلسلة، وسكنها على أنه على أمور الدولة وتدبير المملكة، وتخرج الإقطاعات على ما يريد ويختار، ويولى ويعزل، ومعنى هذا أن السلطان لا يبقى له أمر ولا نهى، ويقتصر من السلطنة على مجرد الاسم فقط. فشق ذلك على الأشرفية، وركب عدة منهم، ووقفوا تحت القلعة بالرميلة، وأكثروا من الكلام فى الإنكار، لما كان من سكنى الأمير الكبير بباب السلسلة. ثم انفضوا فأخذ الأمير الكبير يحصن

---

(١) مثل مازال محفوظًا حتى الآن.

الإصطبل، ويستعد بالسلاح والرجال، ونزل الخدمة السلطانية بالقلعة. فمال الناس بأجمعهم من الأمراء والقضاة والمباشرين إلى جهته، وترددوا إلى مجلسه، وتلاشى أمر السلطان، وأخذ فى الانحلال.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه - وسادس عشرى مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعًا وفتح فيه الخليج على العادة، وقد نزل لذلك الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب. وكان الناس لما أبطأ عليهم الوفاء أخذوا فى شراء الغلال، فارتفع سعرها قليلا.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: قدم الأمراء المجردون - ما عدا الأمير سودون خجا [(١)] - فصعد منهم ستة أمراء إلى الحراقة بباب السلسلة، وتأخر منهم الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه قدم ليلا فى محفة، ونزل داره، وهو موعوك البدن. وكان قد كتب إليهم الأمير الكبير نظام الملك جقمق بما قصده الأشرفية من القبض على الأمراء، وحذرهم منهم، فدخلوا مستعدين بأطلابهم، ولم تجر بذلك عادة، وكان الأمير نظام الملك قد ألزم السلطان أن يقعد للأمراء القادمين فى شباك القصر المطل على الإصطبل، فلم يجد بدًا من جلوسه، لأنه سلب جميع تعلقات السلطنة، حتى لم يبق له سوى مجرد الاسم، وبطل عمل الخدمة السلطانية بالقصر، وصارت عند الأمير نظام الملك. فلما قدم الأمراء من التجريدة بأطلابهم وطبولهم تدق حربيًا، صعدوا من باب السلسلة، حتى نزلوا عن خيولهم على درج الحراقة، وأطلابهم واقفة [(٢)]. فقام الأمير نظام الملك يسعى مهرولا إليهم، وهو فى جمع كبير جدًا من الأمراء والمماليك، حتى سلم عليهم، وهم وقوف على أرجلهم، وسار بهم يريد الإصطبل السلطانى. وقد جلس السلطان فى شباك القصر، فوقفوا على بعد من موضعه، وأومأوا برءوسهم كأنهم يقبلون الأرض، ففى الحال أحضرت التشاريف، فألبسوها وأمأوا ثانيا برءوسهم، عوضًا عن تقبيل الأرض. وقدمت إليهم الخيول التى أخرجت من الإصطبل بالقماش الذهب، فأومأوا برءوسهم مرة ثالثة، وولوا راجعين، بلا زيادة على ذلك. وقد رجع معهم الأمير نظام الملك، حتى صعدوا معه إلى الحراقة، فسلموا عليه خدمة له، ثم ركبوا الخيول السلطانية بتشاريفهم، ومضوا نحو دورهم. فازداد الأمير نظام الملك بهذا المحفل عزًا إلى عزه، وكثرت مهابته، وتضاعفت فى القلوب مكانته وحرمته. وتلاشى أمر السلطان، وظهر انحلال أمره.

---

(١) هو سودون بن عبد الله السيفى بلاط الأعرج (ت٨٤٢هـ) يقال له: خجا سودون. انظر الضوء اللامع ٣/٢٧٧، والمنهل الصافى (ترجمته).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٢.

وفى يوم الخميس سادسه: اجتمع الأمراء والمباشرون وأرباب الوظائف بالحراقة، فى خدمة الأمير الكبير نظام الملك. وقد تعين من الجماعة الأمير قرقماس أمير سلاح بجرأته واقتحامه على الرياسة بالتهور. وشارك الأمير نظام الملك فى مجلسه، وجلس من عداه على مراتبهم يمينًا وشمالا [١].

ونزل الطلب بمجىء جماعة من الأشرفية، فأحضروا سريعًا؛ فأشار قرقماس إلى جماعة - قد أعدهم - أن اقبضوا على هؤلاء، فقبض على الأمير جانم أمير أخور أحد من قدم أمس من التجريدة، وعلى الأمير الطواشى خشقدم مقدم المماليك، وعلى الطواشى فيروز الزينى نائب المقدم، وعلى الأمير على بيه شاد الشرابخاناه، وعلى الأمير جكم الخازندار خال السلطان، وعلى أخيه أبى يزيد، وعلى الأمير يخشى بك أمير أخور، وعلى الأمير دمرداش والى القاهرة، وعلى تانى بك الجقمقى نائب القلعة، وعلى جرباش أمير عشرة، وعلى خش كلدى رأس نوبة، وعلى أزبك البواب، وبيبرس الساقى، وتم الساقى، ويشبك الفقيه، وبيرم خجا أمير مشوى، وجانبك قلقسيرز [٢] وأرغون شاه الساقى، وتنبك الفيسى، وأوثقوهم، جميعهم بالحديد، وأمر الأمير تمرباى الدوادار أن يتوجه لنيابة الإسكندرية، فلم يجد بدًا من الموافقة - فخلع عليه عوضًا عن الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضى علم الدين داود بن الكويز. وطلب بعض أتباعه وهو قراجا العمرى الخاصكى الناصرى وخلع عليه بولاية القاهرة، عوضًا عن دمرداش. وندب من الأمراء الأمير تنبك السيفى أحد أمراء الألوف، ومعه الأمير أقطوه من العشرات فى عدة من المماليك، فصعدوا إلى القلعة لحفظها، فكان يومًا مهولا، أظهر فيه الأمير قرقماس من الخفة والتسرع إلى الشر، وكثرة الحماقة والرعونة، ما أبان به كمائن ما كان فى نفسه من محبة الوثوب على الأمر، ومنع الله لنظام الملك، فإنه أخذ أعاديه بيد غيره، فجنى قرقماس ثمرات ذلك.

وفى يوم الجمعة سابعه: توجه الأمير تمرباى سائرا إلى الإسكندرية.

وفى يوم السبت ثامنه: أخرج بمن ذكرنا من الممسوكين فى الحديد إلى الإسكندرية، وقد اجتمع لرؤيتهم من الناس عالم كبير، فمن باك رحمة لهم، ومن شامت بهم، ومن معتبر بتقلب الدهر، وتصاريف الأمور، ومن ساه لاه.

وفيه أنفق على الأمراء القادمين من التجريدة مال كبير.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٣.

(٢) فى النجوم الزاهرة كتبت « قلق سيز».

وفي يوم الأحد تاسعه: أحضر الطواشى عبد اللطيف العثمانى [١] وهو ممن كان مسخوطًا عليه فى الأيام الأشرفية برسباى، وأمر أن يصعد به إلى بين يدى السلطان ليخلع عليه، ويستقر مقدم المماليك، عوضًا عن خشقدم فخلع عليه.

وفى يوم الإثنين عاشره: ركب السلطان من الحوش بالقلعة، وركب معه القاضى زين الدين عظيم الدولة عبد الباسط ناظر الجيش، ونزلا إلى الميدان، وجميع المباشرين والأمير أينال الدوادار مشاة وراءهما، فركب الأمير نظام الملك جقمق، وفى خدمته الأمراء، من الحراقة بباب السلسلة، خلا الأمير قرقماس أمير سلاح، والأمير أركماس الدوادار، ودخلوا إلى السلطان بالميدان. فعندما رآهم القاضى عبد الباسط ترجل عن فرسه إلى الأرض، ونزل الأمراء أيضًا عن خيولهم. وقد وقف السلطان على فرسه، فقبلوا الأرض ووقفوا، فتقدم الأمير نظام الملك، فقبل رجل السلطان فى الركاب، وحادثه. ثم خلع بين يدى السلطان على الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه كان يوم قدوم الأمراء ملازمًا الفراش فى داره لوعك به [٢]. وانصرف الجميع عائدين فى خدمة الأمير نظام الملك. وكان سبب تأخر الأمير قرقماس عن هذه الخدمة أنه بلغه ما غير خاطره [٣]. وذلك أنه كان فى نفسه أن يتسلطن، فلما فهم هذا عنه، تقرب إليه عدة من الذين يوهمون جهلة الناس أنهم أولياء الله، ولهم اطلاع على علم الغيب وصاروا يعدوه بأنه لابد له من السلطنة، وتخبره جماعة أخرى بمنامات تدل له على ذلك، ويزعم له آخرون بأنهم اطلعوا على ذلك من علم الرمل ومن علم النجوم، فتقرر ذلك فى ذهنه، ولم يقدر على إظهار ذلك، حتى بلغه وهو مسافر فى التجريدة موت الأشرف برسباى، فرأى أن دولته قد طلعت، فأخذ يترفع على من معه من الأمراء ترفعًا زائدًا. هذا مع ما يعرفونه من تكبره وإفراط جبروته، وشدة بطشه، فزادهم ذلك نفورًا منه، وداروه، حتى قدموا ظاهر القاهرة، وهو - وهم - على تخوف من الأشرفية، لما بلغهم عنهم من أنهم على عزم الإيقاع بهم. فأخذ قرقماس يطلق القول، ويبدى شيئًا مما فى نفسه، وفعل ما لم يسبقه أمير لفعله من قلة الأدب فى دخوله مطلبا، وعدم مثوله بين يدى السلطان بالقلعة. بل وقف فى الإصطبل على بعد، كما تقدم، كل ذلك لرعونته وفرط رقاعته، ثم كان من فحشه وجرأته فى القبض على الأمراء ما كان، وأخذ مع

---

(١) هو الزينى عبد اللطيف الطواشى الرومى المنجكى المعروف بالعثمانى أحد الجمدارية. انظر النجوم الزاهرة ٢٥/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

ذلك يجلس فى داره ويأتيه من المماليك ما شاء الله، حتى تمتلأ داره بهم. والأخبار تنقل إلى الأمير نظام الملك، ويقال ذلك لقرقماس. فتأخر عن الركوب فى هذا اليوم. فلما خرج الأمير نظام الملك من بين يدى السلطان، أرسل الأمير تمراز رأس نوبة النوب والأمير قراجا، والقاضى زين الدين عبد الباسط إلى الأمير قرقماس، فأبدى لهم ما عنده من تغير خاطره، لما نقل عنه، فمازالوا به حتى ركب معهم، وطلع للأمير نظام الملك بالحراقة، فدخلا فى جماعة من ثقاتهما خلوة وتعاتبا وتحالفا، ثم خرجا فأركبه الأمير نظام الملك فرسًا بقماش ذهب. ونزل إلى داره، وفى خدمته الأمير تمراز، وقراجا. فأركب كل منهما من داره فرسًا بقماش ذهب، وأخذ من حينئذ يسلك طريقًا تضاد ما كان عليه من طلب الأمر لنفسه، وألح على الأمير نظام الملك فى جلوسه على تخت الملك؛ ليحقق قول الحكيم الجاهل «لا يقع إلا طرفًا». بينما قرقماس لزهوه وإعجابه بنفسه يريد أن يتسلطن، إذ خدعه من خدعه، فمشت عليه خدعه، حتى أفرط به الانخداع، وصار يريد أن من خدعه يتسلطن، ويصير هو من أتباعه تمضى فيه أوامره، بعد أن كانا كحليف يتصاولان، فيخشى قرنه صولته؛ ليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

وفى هذا اليوم: كتب عن السلطان وعن الأمير نظام الملك وعن الأمير قرقماس، باستدعاء المقر الكمالى محمد بن البارزى قاضى القضاة بدمشق؛ ليستقر فى كتابة السر، وجهز القاصد لإحضاره.

وفى يوم الخميس رابع عشره: [1] عملت الخدمة السلطانية بالقصر بين يدى السلطان، وحضرها الأمير نظام الملك جقمق، والأمير قرقماس، وعامة الأمراء والمباشرين وكانت الخدمة السلطانية قد تركت من مدة، وأطرح جانب السلطان، فتنبه له ذلك فى هذا اليوم المبارك.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: صلى الأمير قرقماس فى المقصورة مع السلطان صلاة الجمعة، ومضى و لم يكلم واحد منهما الآخر، وتأخر نظام الملك عن حضور الجمعة مع السلطان [2].

وفى يوم السبت سادس عشره: عملت الخدمة بالقصر على العادة.

وفى يوم الإثنين: عملت الخدمة أيضًا، و لم يحضرها الأمير نظام الملك [3].

---

(١) وقعت فى النجوم «ثالث عشره».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٩.

هذا والأمير قرقماس وسائر الأمراء وأرباب الوظائف تحضر عند الأمير نظام الملك الخدمة بالحراقة، وتأكل على سماطه، إلى أن خلع العزيز فى يوم الأربعاء تاسع عشره، فكانت مدته أربعة وتسعين يومًا، ومن الإتفاق الغريب أن عدة حروف عزيز - بالجمل - أربعة وتسعين.

* * *

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى الجركسى الظاهرى [1]

هذا الملك سبى صغيرا من بلاد الجركس، وجلب إلى القاهرة، وربى فى بيت الأمير أينال اليوسفى، وانتقل إلى الملك الظاهر برقوق من على ولد الأمير أينال، فتنقل فى الخدم إلى أن صار بعد الأشرف برسباى نظام الملك، كما تقدم ذكره.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: هذا، استدعى الخليفة والأمراء والقضاة وجميع أرباب الدولة إلى الحراقة بالإسطبل، وأثبت عدم أهلية الملك العزيز يوسف لأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطنة للأمير نظام الملك جقمق فى آخر الساعة الثانية، وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد، وأفيضت عليه الخلع الخليفتية، وقلد بالسيف. وركب من الحراقة، والجميع مشاة فى خدمته، وقد دقت البشائر حتى صعد إلى القصر. وجلس على تخت الملك فقبل الأمراء الأرض وانصرفوا. ونودى فى القاهرة وظواهرها بالدعاء للملك الظاهر، وأن النفقة مائة دينار لكل مملوك.

وسجن العزيز فى بعض دور القلعة، ونزل عنده دادته سر النديم الحبشية، وعدة من جواريه، ما بين سرارى وخدم، وطواشيه صندل الهندى. ومكنت مرضعته من التردد إليه والمبيت عنده. وأجرى له من اللحم والدجاج والأوز فى كل يوم ما يليق به، سوى عشرة آلاف درهم فى كل شهر من وقف أبيه. ورسم على بابه جماعة من المماليك. ثم بعد أيام رفع الترسيم عن بابه.

وكان القائم فى هذا الأمر قرقماس، فإنه لما قدم ترفع ترفعًا زائدًا إعجابًا بنفسه، وتكبرًا على غيره، وشرع يتصرف فى أمور الدولة بعجلة. وجلس للحكم بين الناس

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٢/١٥، المنهل الصافى ٧٠٥/٢، الضوء اللامع ٧١/٣، أبناء الغمر ٣٩/٩، ما بعدها، بدائع الزهور ٣٣٢-٣٤٣ حوادث الدهور ٣٤٩/٢، شذرات الذهب ٢٩١/٧، الأعلام ١٣٢/٢.

فى داره. وقام فى القبض على أعيان الأشرفية قيامًا تبين فيه حمقه وطيشه. ثم انقطع فى داره وأظهر أنه بلغه عن نظام الملك أنه يريد مسكه، إلى أن خدعوه وساروا به إلى نظام الملك، فخادعه أشد المخادعة، حتى انفعل لما عنده من الخفة والحدة، واستحال عما كان عليه من التعاظم والكبر إلى التواضع المفرط، إما مكرًا أو سرعة استحالة. وأخذ يحث نظام الملك على أن يتسلطن وهو يأبى عليه فى عدة مرار إلى أن حنق قرقماس وقام من مجلس نظام الملك مغضبًا، فتلافاه حتى جلس، وهو يلح فى التأكيد عليه فى السلطنة، إلى أن أذعن، فبادر قرقماس وركب إليه سحر يوم الأربعاء، وألزمه بطلب الخليفة والقضاء والأمراء، ولم عندهم علم من ذلك. فلما اجتمعوا قام قرقماس بأعباء هذا الأمر وحده، حتى خلع العزيز وتسلطن نظام الملك، فكأنما سعى فى هلاك نفسه.

وفى هذا اليوم: قبض على الطواشى جوهر الزمام اللالا - وهو مريض - وسجن بالبرج من القلعة. واستقر زمام الدار عوضه الطواشى فيروز الساقى وكان الأشرف قد سخط عليه وأمره بلزوم داره، فأقام يترقب الموت إلى أن مات الأشرف، فاستدعى الآن، وخلع عليه، وتولى سجن العزيز وخلع أيضًا على سودون الجكمى أخى الأمير أينال نائب الشام؛ ليتوجه بالبشارة إلى نواب الشام، وخلع على دمرداش العلاى ليتوجه بالقبض على الأمير خجا سودون المؤيدى - أحد المجردين - وحمله إلى القدس بطالا.

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير قرقماس، واستقر أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، وأنعم عليه باقطاع السلطان وهو نظام الملك، وزيد عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق. وخلع على الأمير أقبغا التمرازى [١] واستقر أمير سلاح عوضا عن الأتابك قرقماس. وخلع على الأمير تمراز، واستقر أمير أخور، عوضا عن الأمير جانم. وخلع على الأمير يشبك الحاجب، واستقر أمير مجلس، عوضا عن أقبغا التمرازى. وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير يشبك، وخلع على الأمير أركماس، واستقر على عادته دوادارا. وخلع على الأمير تنبك نائب القلعة فوقانى، وخلع على الأمير قراجا أيضا فوقانى، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى [٢] واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير تمراز أمير أخور [٣].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥، المنهل الصافى « ترجمة الأمير أقبغا بن عبد الله التمرازى»، الضوء اللامع ٣١٦/٢.

(٢) المنهل الصافى (ترجمة الأمير قراقجا بن عبد الله الحسنى الظاهرى) الضوء اللامع ٢١٦/٦، أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٤٢هـ).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه: خلع على الأمير تنم المؤيدى الخازندار، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن نور الدين على السويفى الإمام. وخلع على الأمير قانباى الجركسى رأس نوبة، واستقر شاد الشرابخاناه، عوضا عن على بيه. وخلع على قانبك الساقى، واستقر خازندارًا، عوضا عن جكم خال العزيز.

وفي هذا اليوم: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين أصبعا؛ وهو سادس عشر توت، فأصبح يوم الأحد ثالث عشرينه، وسابع عشر توت - ويقال له عند أهل مصر عيد الصليب - وقد نقص ماء النيل، واستقر فى النقص، فلم يتم رى النواحى، وشرق كثير من الأراضى.

وكان قد اتفق فى يوم الأربعاء تاسع عشره عندما تسلطن الملك الظاهر جقمق هبوب ريح شديدة عاصفة حارة أثارت غبارا ملأ آفاق السماء، حتى كادت الشمس تخفى عن الأبصار، أو اختفت، وتمادت هذه الريح يوم الخميس، وسكنت يوم الجمعة، واشتد الحر طول النهار، وأقبل الليل وقد طبق السحاب الآفاق، وأمطرت يسيرًا غير مرة، حتى أصبح يوم السبت. فتطير الناس من ذلك، وزعم من عنده أثارة من علم أن هبوب هذه الرياح يؤذن بحدوث فتن، وأن المطر فى هذا الوقت يخاف منه نقص النيل، فكان كذلك، ونقص النيل فى يومه ويخاف عاقبة هذا النقص. إلا أن يشاء الله.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: ابتدئ بالنفقة السلطانية، لكل واحد من المماليك مائة دينار.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من دمياط، وقد أفرج السلطان عنه، وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف، بعدما أقام عدة سنين مسجونا [١].

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة على عادة من تقدمه من الملوك الجركسية، فكان وقتًا حسنًا، وأسمطة جليلة بالنسبة إلى الوقت. وانفض الجمع بعد صلاة المغرب [٢].

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه: كسف من الشمس قريب من ثلثى جرمها، بعد نصف النهار، فاصفرت الأرض وما عليها، حتى انجلت، ولم تجتمع الناس ولا صلوا صلاة الكسوف. وزعم أهل علم الحدثان أن ذلك يدل على خروج أهل الشام وأهل صعيد مصر عن طاعة السلطان.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: تجمع تحت القلعة نحو الألف فارس من مماليك الأمراء يريدون إثارة الفتنة، من أجل أنه أنفق فى المماليك السلطانية و لم ينفق فيهم، ولم تجر العادة بالنفقة فى مماليك الأمراء، فأنفق فيهم لكل نفر [..[1]..] شهر ربيع الآخر، أوله الأحد.

فى يوم الثلاثاء ثالثه: خلع على شيخ الشيوخ القاضى محب الدين محمد بن الأشقر واستقر فى نظر المارستان، عوضا عن نور الدين على بن مفلح، وكانت شاغرة منذ مات.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين الخطير ناظر الإسطبل، وعلى ولده وأخذت خيولهما، وألزما بحمل عشرين ألف دينار؛ لتغير خاطر السلطان عليه من حين كان أمير أخور [2].

وفيه ثارت عدة من المماليك القرانصة الذين قاموا مع السلطان قبل ذلك على الأشرفيه كما تقدم، وطلبوا الآن من السلطان الزيادة فى جوامكهم ومرتب لحمهم ووقفوا تحت القلعة وأصبحوا يوم الأربعاء وقد كثر جمعهم، حتى نزل الأمراء من خدمة السلطان، فصاروا يجتمعون على واحد واحد منهم، ويذكرون له ما يريدون إلى أن نزل الأمير الكبير الأتابك قرقماس فأحاطوا به وحدثوه، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العود إلى القلعة، وأرادوه أن يوافقهم على محاربة السلطان وساروا معه بأجمعهم إلى داره، وتلاحق بهم جماعة فلم يزالوا به حتى وافقهم بعد جهد منهم وامتناع منه، ولبسوا سلاحهم ولبس هو الآخر أيضا، وأتاه كثير من الأشرفية وساروا به حتى وقف بالرميلة تجاه باب السلسلة، وهم فى اجتماعهم مختلفة آراؤهم، فمنهم من يقول: «الله ينصر الملك العزيز». فإذا سمع ذلك قرقماس منهم قال: «الله ينصر الحق». وآخرون سواهم يقولون: «الله ينصر السلطان». وفى عزم الأشرفية إذا أخذوا السلطان بقرقماس قتلوا قرقماس فى الحال، وأقاموا العزيز. وفى ظن قرقماس أن تكون السلطنة له. واتفق أنه لما خرج من داره، وسمعهم ينوهون بالدعاء للعزيز، كشف رأسه وقال: «الله ينصر الحق». فتطير من له خبرة وتجارب بزوال أمره؛ لكشفه رأسه فى الشارع خارج باب زويلة، بمرأى من العامة، ثم لما وقف بالرميلة سقطت درقته عن كتفه إلى الأرض، وأظلمت الدنيا فى عينيه، فتأكدت الطيرة عليه بسقوط عزه وعماه عن الرشد، فكان كذلك. وعندما وقف تجاه باب السلسلة من القلعة سار بعض أتباعه

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٣٨/١٥.

ونادى فى القاهرة على لسانه بمجىء المماليك إلى الأمير قرقماس، وأنه ينفق فيهم مائتى دينار لكل واحد، وبمجىء الزعر إليه وأنه يعطى كل واحد منهم عشرين دينارا. فعظم جمعه، بحيث توهم كثير من الناس أن الأمر له.

وكان السلطان عتد ذلك فى نفر قليل، فبادر بنزوله من القصر إلى المقعد الذى بجانب باب السلسلة، ومعه المال، وبعث بجماعة للقتال، فوقعت الحرب بين الفريقين مرارا، والجراح فاشية فيهم، وقد قتل جماعة وتعين الغلب لقرقماس ومن معه، إلا أن عدة من الأمراء فروا عنه، وصعدوا من باب السلسلة إلى السلطان، فسر بهم، ثم أقبل أيضا من جهة الصليبة عدة أمراء، ووقفوا تجاه قرقماس، فى هيئة أنهم جاءوا ليقاتلوا معه. ثم ساقوا خيولهم بمن معهم. ودخلوا باب السلسلة، وصاروا مع السلطان، فازداد بهم قوة، هذا وقد دقت الكوسات السلطانية حربيا بالطبلخاناه من القلعة، وقامت ثلاثة مشاعلية على سور القلعة تنادى من كان فى طاعة السلطان فليحضر وله من النفقة كذا وكذا. ونثر مع ذلك السلطان من المقعد على العامة ذهبا كثيرا. وصار يقف على قدميه ويحرض أصحابه على القتال، فأقبلت الفرسان نحوه شيئا بعد شىء داخلة فى طاعته، وتركت قرقماس. والحرب مع هذا كله قائمة بين الفريقين ضربا بالسيوف، وطعنا بالرماح إلا أن الرمى من القلعة على قرقماس ومن معه بالنشاب كثير جدا، مع رمى العامة لهم بالحجارة فى المقاليع لبغضها فى قرقماس وفى الأشرفية، فتناقص جمعهم، وتزايد جمع السلطان إلى قبيل العصر، فتوجه بعض الأشرفية وأخذوا فى إحراق باب مدرسة السلطان حسن؛ ليتمكنوا من الرمى على القلعة من أعلاها. فلم يثبت قرقماس، وفر وقد جرح، فثبتت الأشرفية وقاتلت ساعة، حتى غلبت بالكثرة عليها، فانهزمت بعدما قتل من الفرسان والرجالة، جماعة، وجرح الكثير. فمن جرح من السلطانية الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب من طعنة برمح فى شدقه، والأمير أسنبغا الطيارى الحاجب فى آخرين فكانت هذه الوقعة من الحروب القوية بحسب الوقت، إلا أن قرقماس جرى فيها على عادته فى العجلة والتهور، ففاته الحزم، وأخطأه التدبير من وجوه عديدة؛ ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾(١).

وعندما انهزم القوم ندب السلطان لأمير أقبغا التمرازى أمير سلاح فى جماعة لطلب المنهزمين، فتوجه نحو سرياقوس خشية أن يمضوا إلى الشام، فكانوا أعجز من ذلك، ولم يجد أحدًا فعاد (٢).

---

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨ وما بعدها.

وفى يوم الخميس خامسه: جلس السلطان على تخت الملك بالقصر، وعملت الخدمة على العادة، فهنأه الناس بالظفر والنصر على أعدائه. وقد وقف على باب القلة من القلعة عدة لمنع من بقى من الأشرفية من الدخول إلى الخدمة، فكان المملوك منهم إذا جاء منع من الدخول، فإن لم يمتنع ضرب على رأسه حتى يرجع من حيث أتى. ورسم بقطع مرتبهم من اللحم فى كل يوم، ثم أعيد بعد ذلك [١].

وفيه اجتمع القضاة بجامع القلعة، وحكم قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى بهدم سلالم مأذنتى مدرسة السلطان حسن، وهدم سلالم سطحها. وألزم الناظر فى مجلس الحكم بهدم ذلك فمضى وهدمه، فكان هذا الحكم أيضا من الأحكام التى لم نعهد من القضاة مثله [٢].

وفيه خلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وكان قد بلغ الغاية من الفقر والفاقة والضعة.

وفى يوم الجمعة سادسه: قبض على الأمير قرقماس، وذلك أنه لما فر أوى إلى موضع بقية نهاره وليلة الخميس. ثم أصبح فبعث عشاء إلى القاضى زين الدين عبد الباسط يعلمه بمكانه وأنه يأخذ له الأمان، ففعل ذلك، وتوجه ومعه المقام الناصرى محمد ولد السلطان فلما رآهما قرقماس، قام وانحط يقبل قدمى ابن السلطان ويد عبد الباسط، فوضعا فى عنقه منديل الأمان الذى قدما به من السلطان، وأركبوه فرسا ومروا به، وقد اجتمع الخلائق لرؤيته فمنهم من يسبه ومنهم من يدعو عليه، حتى صعد القلعة، فعندما عاين السلطان خر على وجهه يقبل الأرض، ثم قام ومشى قليلا، وخر يقبل الأرض، وقام فمشى ثم خر ثالث مرة يقبل الأرض، وقد قرب من السلطان. فوعده بخير، وأمر به فأدخل إلى مكان وقيد بالحديد وهو يشكو من الجوع، فأتى بطعام. هذا وقد لهجت العامة فى الأسواق تقول «الفقر والإفلاس، ولا ذلتك يا قرقماس».

وفيه قبض على جماعة من المماليك الأشرفية، وأخذت خيولهم وبغالهم، وسجنوا بالبرج من القلعة.

وفى يوم السبت سابعه: أخرج بقرقماس فى الحديد، ومضوا به إلى ساحل النيل، وأركب فى الحراقة حتى سجن بالإسكندرية. وسمع فى مروره من القلعة إلى النيل من

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٦.

العامة مكروها كثيرًا، وحل به فى هذه المحنة نكال شديد، وخزى زائد فإنه كان من الكبر والزهو والإعجاب وفرط الرقاعة على جانب كبير مع العسف والجبروت وشدة البطش، بحيث كان إذا عاقب يضرب الألف ضربة وأزيد، فعوقب من جنس فعله. وصار مع ذلك مثلا، فلقد أقامت العامة مدة، تجهر فى الأسواق بقولها لمن تدعو عليه «لك ذلة قرقماس» (١).

وفيه خلع على الأمير أقبغا التمرازى، واستقر كبيرًا أتابك العساكر، عوضا عن قرقماس. وأنعم عليه بإقطاع إحدى التقدمتين اللتين كانتا مع قرقماس.

وخلع على الأمير يشبك، واستقر أمير سلاح، عوضا عن الأتابك أقبغا التمرازى. وخلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر أمير مجلس، عوضا عن الأمير يشبك.

وفى يوم الإثنين تاسعه: اجتمع الأمراء والقضاة والمباشرون وسائر أهل الدولة للخدمة فى القصر على العادة، وقد جلس السلطان على التخت والخليفة والقضاة والأمراء على مراتبهم، وتقدم الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر فقرأ عهد أمير المؤمنين المعتضد بالله للسلطان، وهو من إنشاء القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر نائب كاتب السر.

ثم خلع على الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وكاتب السر ونائبه، بعدما جرى بين قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن شيخ الإسلام بن حجر الشافعى، وبين قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى كلام اقتضى عزل ابن حجر نفسه من القضاة، فأعاده السلطان إلى وظيفة القضاة، وجدد له ولاية ثانية عنه. وأضاف إليه ما خرج عنه فى الأيام الأشرفية من نظر الأوقاف ونظر وقف قراقوش، ونظر وقف بيبغا التركمانى، ونظر وقف المدرسة الطيبرسية (٢) بجوار الجامع الأزهر، وأكد عليه فى أنه لا يقبل رسالة متجوه، ولا يؤجر وقفا لذى جاه، فما أحسن ذلك لو تم ودام.

وفيه جهز توقيع برهان الدين إبراهيم بن الباعونى بقضاء دمشق عوضا عن المقر

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٤٨/١٥.

(٢) كانت تقع بجوار الجامع الأزهر، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى. انظر المواعظ والاعتبار ٣٨٣/٢، وهو طيبرس بن عبد الله الجند علاء الدين: أديب نحوى، من المماليك. اشتراه أحد الأمراء فى البيرة وعلمه القرآن والخط، وأعتقه، فقدم دمشق، فتفقه ومهر فى الأدب ونظم ألفية ابن مالك ومقدمة ابن الحاجب، جامعا بينهما فى أرجوزة سماها الطرفة تسعمائة بيت، وشرحها ومات بالطاعون فى صالحية دمشق. انظر الدرر الكامنة ٢٢٩/٢، شذرات الذهب ١٦١/٦، بغية الوعاة، الأعلام ٢٣٥/٣.

الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وحمل له التشريف أيضا بسفارة القاضى عبد الباسط.

وفي يوم السبت رابع عشره: أنعم على الأمير أينال بإقطاع إحدى تقدمتى قرقماس. وأنعم بإقطاع أينال على الأمير أسنبغا الطيارى، وأنعم على الأمير ألطنبغا المرقبى بإقطاع قراجا، واستقر من أمراء الألوف وكان قد خمل بعد موت المؤيد شيخ عدة سنين. وأنعم على الأمير قراجا بإقطاع الأتابك أقبغا التمرازى [1].

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره: خلع على المقر الكمالى محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، وقد قدم من الشام. وهذه ولايته الثالثة بديار مصر.

وعزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، خلع عليه جبة بفرو سمور، فنزل المقر الكمالى على فرس سلطانى بقماش ذهب فى موكب جليل إلى الغاية، وركب معه الأمير أركماس الدوادار، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وعامة أهل الدولة.

وفيه خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير أينال. وخلع على الأمير يلبغا البهائى أمير منزل أحد أمراء العشرات، واستقر حاجبًا ثانيًا عوضًا عن أسنبغا الطيارى، وأنعم عليه بإمرته.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: خلع على الأمير أينال، واستقر أمير الحاج. وأنعم عليه بعشرة آلاف دينار.

وفيه جهز المقر الكمالى كاتب السر تقدمة سنية للسلطان، ما بين خيل وثياب حرير وثياب صوف وفرو، وغير ذلك، مما قيمته زيادة على ألف وخمسمائة دينار (٢).

وفي هذا الشهر: شنع إفساد الدود للزروع، فإن الماء نزل سريعًا عن الأراضى قبل أوان نزوله، واشتد الحر مع ذلك فى هذه الأيام.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه: نفى عدة من المماليك الأشرفية إلى الواحات، فخرجت عيالاتهم وأصحابهم يصرخون، فكان شيئًا نكرًا.

وفيه نفى أيضًا عز الدين عبد العزيز البغدادى قاضى الحنابلة بدمشق وقد قدم منها بعد عزله بابن مفلح، واجتمع بالسلطان، فما وفق فى الخطاب فغضب منه ونفاه.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٤٩.

وفى هذا الشهر: هدم جانب من المعلقة - إحدى معابد النصارى بمدينة مصر - وقد حضر القضاة مع أمين من قبل السلطان.

وفيه ادعى على بطرك اليعاقبة عند قضاة القضاة بين يدى السلطان بما وضع عليه يده من أموال من مات من النصارى ولا وارث له، فأجاب بأن عنده مستندًا بأخذ ذلك، فخرج فى الترسيم على البيان، ثم انحل أمره فى ذلك.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالحميات إلا أنها فى الأكثر سليمة تقلع فى السابع.

وفى آخر هذا الشهر: أفرج عن الخطير، على مال يحمله بعد أن عوقب، وأخذت خيوله وجواريه.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: رسم بنقل الأمير خشقدم الطواشى ونائبه من سجن الإسكندرية إلى دمياط على حمل خمسة عشر ألف دينار. وقدم كتاب الأمير تغرى برمش نائب حلب بأنه مقيم على الطاعة، وأنه لبس التشريف المجهز إليه، وقبل الأرض على العادة فلم يوثق بذلك منه، وأخذ فى العمل فى إمساكه والقبض عليه بملطفات كتب إلى أمراء حلب فى الباطل خفية لكثرة الإشاعات بسلوكه طريق من هو خارج عن الطاعة، فإنه أكثر من استخدام المماليك واستمال عدة طوائف من التركمان، إلى غير ذلك.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على ولى الدين محمد السفطى مفتى دار العدل وأحد خواص السلطان واستقر فى وكالة بيت المال، عوضًا عن ابن النسخة شاهد القيمة.

وفى ثامنه: خلع على الشريف صخرة بن مقبل بن نخبار، واستقر فى إمرة ينبع، عوضًا عن الشريف عقيل بن وبير بن نخبار [١].

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - زالت نعم جماعة كثيرة من الأشرفية ما بين أمير ومملوك وكاتب وغير ذلك، فمنهم من قتل ومنهم من سجن، ومنهم من نهب، ومنهم من صودر، وآخرون يترقبون ما يحل بهم.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج، واستقر فى نظر الإسطبل على مال وعد به، وخلع على محمد الصغير معلم النشاب، أحد معارف السلطان، واستقر فى ولاية دمياط، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، وكان من قريب قد وليها فعزل بعد أيام [٢].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

وفي يوم السبت ثاني عشره: قبض على عمر أخى التاج والى القاهرة ورسم بنفيه إلى قوص. ثم أمر أن يلزم بيته على مال قرر عليه يقوم به.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره: ضرب الشيخ حسن العجمى بالمقارع ضربًا مبرحًا، وشهر بالقاهرة، ثم سجن، وهذا الرجل قدم القاهرة، ودار فى الأسواق يستجدى ويكدى، فيتصدق الناس عليه. ثم تعرف بالأشرف برسباى، واختص به اختصاصًا زائدًا، بحيث يدخل خلواته متى شاء بغير إذن، ويقف فوق الأمراء، فتمكن من السلطان وعظم قدره. وبذل له الأكابر الأموال خشية منه. ثم بنى له السلطان قبة كبيرة بالصحراء، ووقف عليها وقفًا له متحصل كثير، فثقل على أهل الدولة لكثرة أخذه المال منهم، ولسوء أثره فيهم عند السلطان إلى أن زالت الدولة الأشرفية، وبدا لهم سيئات ما كسبوا. قبض على حسن هذا، وضربه السلطان، وسجنه، ثم ادعى عليه عند قاضى القضاة المالكى بما يوجب إراقة دمه، فلم يثبت ما ادعى به عليه فضرب هذا الضرب الثانى، ثم نفى بعد سجنه إلى قوص، وأخذ ما وجد له [١] وفى هذه الأيام رسم باستقرار تقى الدين أبى بكر بن أحمد بن محمد - عرف بابن قاضى شهبة [٢]- فى قضاء دمشق، وذلك أن البرهان إبراهيم ابن الباعونى لما توجه إليه التوقيع والتشريف باستقراره فى قضاء القضاة بدمشق، عوضًا عن المقر الكمال محمد بن البارزى كاتب السر، امتنع من القبول، فأتاه الأمير أينال الجكمى نائب الشام إلى بيته، وسأله أن يقبل، فلم يجبه، وصمم على الامتناع، فبعث النائب بذلك.

فرسم لابن قاضى شهبة بالقضاء وجهز له التشريف والتوقيع، ورسم باستقرار أبى اليمن أمين الدين محمد بن جمال الدين أبى الخير محمد ابن الفقيه على النويرى[٣]

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥١.

(١) ابن قاضى شُهْبَة (٧٧٩- ٨٥١هـ= ١٣٧٧-١٤٤٠م) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدى الشهبى الدمشقى، تقى الدين: فقيه الشام فى عصره مؤرخها وعالمها، من أهل دمشق. اشتهر بابن قاضى شهبة، لأن أبا جده (نجم الدين عمر الأسدى) أقام قاضيا بشهبة (من قرى حوران) أربعين سنة من تصانيفه «الإعلام بتاريخ الإسلام: منتقى تاريخ الإسلام للذهبى وما أضيف إليه من تاريخى ابن كثير والكتبى وغيرهما و «مناقب الإمام الشافعى و الكواكب الدرية فى سيرة نور الدين الشهيد محمود بن زنكى و طبقات النحاة واللغويين و مدارس دمشق وحماتها وطبقات الحنفية». انظر الضوء اللامع ١١/٢١، ونظم العقبان ٩٤، شذرات الذهب ٧/٢٦٩ حوادث الدهور ١/٢٥، وآداب اللغة ٣/١٩٥ الفهرس التمهيدى ٣٢٢ و٤٠٥ و ٤٠٧ كشف الظنون ١٢٧، ١١٠١، إيضاح المكنون ١/٣٠٢ والأعلام ٢/٦١.

(٣) محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويرى (٨٠١-٨٥٧هـ=١٣٩٩-١٤٥٣) فقيه=

- خطيب الحرم - فى قضاء مكة وخطابتها، عوضًا عن أبى السعادات محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود ابن ظهيرة، وجهز له التشريف والتوقيع.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: أنفق فى خمسمائة من المماليك الأشرفية، كل واحد عشرة دنانير، ليخرجوا تجريدة لقتال هوارة، ببلاد الصعيد.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فيه برز الأمير سودون المحمدى، ومن معه: وذلك أن السلطان عزم علىَ غزو بلى، لما تقدم منهم من نهب الحجاب فندب سودون المحمدى لذلك، وعين معه مائة من المماليك الأشرفية، أنفق فيهم ثمانية آلاف دينار، سوى الخيل والجمال، حسابًا لكل مملوك ثمانون دينارًا، وأنعم على سودون المحمدى بثلاثة آلاف دينار، وولاه نظر الحرم بمكة، عوضًا عن ولى الدين محمد بن قاسم، ورسم بمسير عرب الكرك، وعرب ينبع معه.

وخلع على تاج الدين محمد بن حتى السمسار، واستقر فى نظر جدة، عوضًا عن سعد الدين إبراهيم بن المرة.

وفى يوم الجمعة ثانيه: أخرجت خطابة الجامع الطولونى ومشيخة الميعاد عن أبى اليسر محمد بن زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن بن النقاش، وخطب عوضه برهان الدين إبراهيم بن ميلق، لشىء فى نفس السلطان من أبيه.

وفى يوم الإثنين خامسه: استقل سودون المحمدى بالمسير نحو الحجاز بمن معه، وسار بعده أمير أحمد بن على بن أينال فى عدة من المماليك وغيرهم لإصلاح مناهل طريق الحجاج، وتوجهت المماليك الأشرفية إلى الصعيد لقتال هوارة، وخلع على الأمير أقبغا التركمانى واستقر فى نيابة الكرك، عوضًا عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ونقل خليل إلى صفد، واستقر بها أميرًا كبيرًا.

وفى سابع عشره: ورد الخبر بأن جيهان شاه بن قرا يوسف ملك قلعة النجا من

=مالكى عالم بالقراءات ولد فى الميمون من قرى صعيد مصر. وتعلم بالقاهرة، رجع مرارا وأقام بغزة والقدس ودمشق وغيرها. وتوفى بمكة وكان يتكسب بالتجارة مستغنيا عن وظائف الفقهاء. عرض عليه القضاء فامتنع وجعل له مرتب فى كل يوم دينار، فرده وقال: يريد جقمق أن يستعبدنى. له تصانيف، منها «شرح المقامات الكافية فى النحو والصرف والعروض والقافية خ» وهى أرجوزة له و«الغيات» منظومة فى القراءات الثلاثة الزائدة على السبع وشرحها «وشرح طيبة النشر فى القراءات العشر خ» وهى لشيخه ابن الجرزى و«القول الجاز لمن قرأ بالشاذ» شرح الدره الحصينة ـ خ «فى القراءات. انظر الأعلام ٤٧/٦.

عمل توريز، وكانت بيد ابن أخيه إسكندر، فعوضه عنها قلعة أونيك[١] وأنه طلب أيضًا أرزن الروم من صاحبها، وأن جوكى ابن القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك شتى على قرا باغ، وأن القان شاه رخ أرسل ثلاث خلع وشطفه[٢] إلى مراد بك بن عثمان ملك الروم، فخرج الوزراء إلى لقاء القادم بها، وأخروا إظهار الشطفة، ودخلوا بالرسل فى مجلس خاص، فلبس مراد الخلع، ودار بين الرسل وبينه حديث فى مصاهرة القان، بأن تكون بنات كل منهما لأولاد الآخر.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه أنفق المماليك نفقة الكسوة، وكانت عادتهم فى أيام الأشرف برسباى أن يدفع لكل واحد منهم خمسمائة درهم من الفلوس التى هى نقد مصر الآن، فوقفوا فى يوم الإثنين الماضى، وطلبوا أن ينفق فيهم عن ثمن الكسوة عشرة دنانير لكل واحد، فمازالوا بهم حتى أنفق فيهم ألف درهم لكل مملوك، وألف وخمسمائة لكل خاصكى.

وفيه رسم أن يكون نواب قاضى القضاة الشافعى خمسة عشر ونواب الحنفى عشرة، ونواب كل من المالكى والحنبلى أربعة، ثم ازدادت عدتهم بعد ذلك.

وفى يوم الأحد رابعه: ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بالقصر من القلعة، وزادت عدة من حضر ومنعوا من البحث، فإنه كان يقضى إلى خصام ومعاداة، فانكفوا عنه، و لله الحمد.

وفى يوم الخميس ثامنه: جمع القضاة والأمراء والمباشرون بالقصر وقت الخدمة وأقيم بعض نواب القاضى الشافعى وكيلا، فادعى على نقيب الحكم، وقد أقيم وكيلا عن الأمير قرقماس الشعبانى دعوى حسبة بين يدى قاضى شمس الدين محمد البساطى، المالكى، بأن الأمير قرقماس خرج عن طاعة السلطان، وحارب الله ورسوله، فقتل بسببه عدة أناس، وأن فى بقائه فى السجن مفسدة وإثارة فتن، وأن فى قتله مصلحة، فشهد بذلك جماعة من الأمراء، وحكم البساطى بموجب ذلك، فقيل له ما موجبه؟، فقال: «القتل»، فندب بعض المماليك لقتله، وجهز إلى الإسكندرية، فقتله فى يوم الإثنين ثانى عشره قتلة شنعاء، وهو أنه أخرج فى قيده من السجن إلى مجلس الأمير تمرباى نائب الإسكندرية، وقد جمع الناس، فأوقف على حكم البساطى بقتله، وقيل له «لك دافع أو مطعن فيما شهد به عليك؟»، فأجاب بعدم الدافع والمطعن، فأقيم قيامًا

(١) قلعة حصينة فى كورة ياسين من أرض أرزن الروم. انظر معجم البلدان.

(٢) هى العصابة أو المنديل الذى يتدلى خلف الرأس.

عنيفا وأخرج إلى ظاهر المدينة، وأقعد عريانا، وتقدم المشاعلى، فضربه بالسيف، فأخطأ عنقه، ووقعت الضربة على الكتف، ثم ضربه ثانيا فقدَّت تحت كتفه، حتى ظهر داخل صدره، ثم ضربه مرة ثالثة، فأصابت العنق، ولم تقطعه، فحزه غير مرة حتى انفصل الرأس عن البدن، ونزل فى موضعه حتى واراه بعض أتباعه، فكان فى ذلك عبرة، ولم نعهد مثل ذلك، لا من حيث هذه الدعوى وهذا الحكم الذى زعموا أنه من الأحكام الشرعية، ولا من حيث أن أميرا من عظماء الدولة ترشح للسلطنة يقتل هذه القتلة الشنيعة ثم لا يحسن قتله، ﴿وَإِذَا أَرَادَ ا للهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ (١).

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على يلبغا البهائى أحد الحجاب، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير تمرباى.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير سودون المحمدى توجه هو والشريف صخرة أمير ينبع، وأمير بنى عقبة، فى طلب بلى، حتى لقوهم بالقرب من أكره، فيما يلى الشرق عن يسار درب الحاج عند جبل الورد، فى يوم السبت ثالث شهر رجب وحاربهم بمن معه، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرا، فانهزموا، وقتل ممن معه جماعة وأنه مضى بجماعة يريد ينبع.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: قدم الأمير على باك بن قرايلك، وكان ببلاد الروم، فوصل منها إلى أرزنكان، وبها ولده جهان شاه، وأخوه يعقوب بن قرايلك، فثار به أخوه يعقوب، وأخرجه هو وابنه جهان كير، فقدما حلب. وأقام ابنه جهان شاه فى حصن منصور - قريبا من بهسنى - ومعه جماعة ألاق من قبائل التركمان، ثم تحول حتى نزل بمن معه الساجور(٢) قريبا من حلب وقدم هو راغبا فى طاعة السلطان، فخلع عليه، وأنزل، وأجرى عليه ما يليق به.

وفى سلخه: أقيم الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر عبد الله بن الأشرف إسماعيل ملكا بزبيد وتعز وعدن من بلاد اليمن، بعد موت أبيه، وله من العمر نحو العشرين سنة.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: هدمت دار الشيخ زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى إمامة محمد بن النقاش، من زيادة الجامع الطولونى، وكان من خبر ذلك أن أبا هريرة بن النقاش أخذ خطابة الجامع الطولونى ومشيخة الميعاد من ابن

---

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) ساجور: هو اسم نهر بمنبج. انظر معجم البلدان ٣/١٧٠.

السبكى ـ مغالبة ـ فأحب أن يكون سكنه بحذاء الجامع، فاستأجر قطعة أرض من زيادة الجامع وبنى بها دارًا بعد سنة ثمانين وسبعمائة، ثم فتح منها باب فى جدار الجامع، وصار يعبر منه إلى الجامع فى أوقات الصلوات وغيرها، ثم خرق فى جدار الجامع طاقات تشرف على الجامع فى مجلس عمله، وحفر فى هذه الدار صهريجا، وعمل بها إصطبلا لدوابه، فثار عليه جماعة، فإنه كان كثير الأعداء، وأنكروا عليه ذلك، فأخذ خطوط أهل العلم بجواز ما عمله، وكانت له ـ ولأخصامه ـ بسبب هذه الدار وقائع كثيرة ومنازعات طويلة، عقد له ولهم فيها مجالس عديدة فى كل دولة، وهو يستظهر عليهم فيها، وكان رحمه الله جلدا، صبورا، لا يصد ولا يرد، فمرت به من أجلها خطوب وكروب، حتى مات. وقد جعل هذه الدار وقفا على أولاده فجرى لهم بعده بسببها شرور كثيرة ومخاصمات طويلة، والحكام لا تقدم على هدمها، لما بأيدى أولاد ابن النقاش من فتاوى شيوخ العلم، وأحكام القضاة الذين كانوا لا يدرهنون[1] فى الفتوى ولا فى الحكم، إلى أن أظهر السلطان الوقيعة فى أبى هريرة بن النقاش وولديه، وأخرج عن أبى اليسر الخطابة ومشيخة الميعاد كما تقدم ذكره.

وعزم على هدم هذه الدار، فندب القضاة غير مرة للنظر فى أمرها، فلم يتجه لهم هدمها إلى أن أقدم البساطى على الحكم بذلك، فجمع هو وبقية القضاة بين يدى السلطان، وقام ولى الدين محمد السفطى وكيل بيت المال، وأدعى على أولاد أبى هريرة عند قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى بأن مدة إجارة الأرض الحاملة لبناء هذه الدار قد انقضت، وسأل رفع البناء عنها، فحكم البساطى على أولاد أبى هريرة برفع البناء الموقوف، ونزل حتى حضر هدمهم لها فى يوم الخميس غده. فكان هذا ـ مع ما تقدم ـ مما لم نسمع بمثله، غير أن فى ذلك عبرة لأولى النهى، وذلك أن شمس الدين أبا أمامة محمد بن النقاش قام على قطب الدين محمد بن الهرماس حتى هدم السلطان الملك الناصر حسن[2] داره من أجل أنه بناها فى زيادة جامع الحاكم، فعوقب بعد نحو ثمانين

---

(١) أى لا يدفعون تقول: درهت عن القوم دفعت عنهم. انظر لسان العرب (درأ).

(٢) الملك الناصر (٧٣٦-٧٦٢هـ =١٢٣٦-١٣٦١م) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر، صغيرا، بعد مقتل أخيه (حاجى المظفر) سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه «قمارى فقلما ولى السلطنة تسمى «حسنا» وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة، ووزعت العطايا باسم الناصر. واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ، فثار عليه بعض أمراء الجند، فخلعوه، وسجنوه بالقلعة فى دور الحرم، وولوا أخاه صالحا (الصالح الثانى) ثم خلعوه (سنة ٧٥٥هـ) وأعادوا الناصر، فقبض على زمام الأمور بحزم. وخافه الناس فأكمن له مملوكه الأمير «يلبغا» كمينا، وهو فى بر الجيزة، فأخذ على غرة، وقاتل بعد=

سنة، بأن هدمت دار ولده أبى هريرة من أجل أنها بنيت فى زيادة جامع ابن طولون، ولقد سمعت أمى أسماء ابنة محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ الحنفى - وكان ابن الصايغ من الأفراد فى أمور الدين والدنيا - يقول عن الله تعالى أنه قال: يا داود أنا الرب الودود، أعاقب الأبناء بما تفعله الجدود، فلقد عوقب فى هذه الحادثة أبو أمامة أبو اليسر، أبناء أبى هريرة - بما فعله جدهما أبو أمامة شمس الدين ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[1].

وفى يوم السبت ثامنه: جمع الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر، أعيان الدولة، وفيهم المقام الناصرى محمد ولد السلطان وغيره من الأمراء، وكاتب السر، وناظر الجيش، والوزير وناظر الجيش، والقضاة وشيوخ العلم فى عامة طلبة العلم وغيرهم، فاجتمعوا بأعلا الخمس الوجوه من أرض التاج خارج القاهرة.

وكان الوقت شتاء والأرض مخضرة بأنواع الزراعات، والخيول على مرابط ربيعها، وقدم لهم من أنواع الحلاوات وألوان الأطعمة الفاخرة ما يجل وصفه ويكثر مقداره، وقد أكمل تصنيف كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى عشرين مجلدة، ثم قرئ من آخره بمجلس خفيف، وقام بعده ختمه الشعراء، فقرأ عدة منهم قصائد فى مدحه، هذا وقد اجتمع بهذه المنظرة وحولها من أسفلها عالم كبير من الرجال وغيرهم، ونصبت هناك سوق، وضربت خيام عديدة، فكان من الأيام المذكورة التى لم نعهد فى معناه مثله، أنفق فيه مال جزيل على ما تقدم من المآكل، وما أجيز به الشعراء فى هذا اليوم.

وفى يوم آخر بعده: اجتمعوا فيه بخانكاة بيبرس من القاهرة، قام فيه شعراء أخر بمدائحهم، فأجيزوا بجوائز سنية عديدة، وفرق أيضًا مال جم فى جماعة كثيرة، كتبوا هذا الشرح ، والحافظ المشار إليه يمليه عليهم بهذه الخانكاة، حتى أكملوا نسخه فى أعوام، فكان هذا من المآثر السنية، والفضائل الجليلة التى زادت فى رفعته.

وفى تاسع عشره: ورد الخبر بأن العسكر المجرد ببلاد الصعيد حارب هوارة عدة مرار، وأنهم محتاجون إلى نجدة.

=قليل من حاشية، فنجا. وتنكر بذى أعرابى، وأراد السفر إلى الشام، فقبض عليه فى المطرية، فكان آخر العهد به وقيل: خنق ورمى فى النيل. انظر ابن إياس: ١/١٩٠، ٢٠٢ ووليم سوير ١٠١ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤-٢٧٨، ٢٧٩. والأعلام ٢/٢١٦.

(١) سورة الكهف، الآية ١٨.

وفى هذا الشهر: وقع الوباء بالوجه البحرى من أرض مصر، وقدم الخبر أن الوباء وقع فى فصل الصيف ببلاد إفريقية كلها.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه: توجه الأمير يشبك أمير سلاح على عسكر، نجدة لقتال هوارة، بعدما أنفق فيهم، وفيه.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: خلع على من قدم من مشايخ بلى الذين أخذوا الحجاج، وقد سألوا العفو، والتزموا بحفظ الحاج.

وفيه قدم الطواشى خشقدم ونائبه فيروز الركنى الرومى من دمياط، فأمر بالتوجه إلى المدينة صحبة ركب الحاج، والإقامة بها.

وفى حادى عشره: قدم كتاب الأمير قانبيه الحمزاوى نائب حماة، يتضمن ورود الأمير بردبك العجمى حاجب حلب، وصحبته من أمراء حلب أميران إلى حماة، وذلك أن الأمير تغرى برمش نائب حلب، أراد من الأمير حطط نائب القلعة أن يمكنه منها، فلم يوافقه، ورمى عليه من القلعة، فركب وركب عليه الأمراء واقتتلوا، فانهزم الأمير بردبك بمن معه فى ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان. ودخلوا حماة، فى آخر يوم السبت سلخه، فكتب باستقرار بردبك المذكور فى نيابة حماة، عوضًا عن الأمير قانباى الحمزاوى، وأن ينتقل قانباى إلى نيابة طرابلس، عوضًا عن الأمير جلبان المؤيدى، وأن ينتقل جلبان إلى نيابة حلب، عوضًا عن تغرى برمش، لخروجه عن الطاعة، وتوجه الأمير على باى رأس نوبة لنقل الأمير جلبان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريفه، وتوجه لتقليد قانباى نيابة طرابلس الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة، وكلاهما من أمراء العشرات.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: ورد الخبر من الأمير طوخ مازى - نائب غزة - بأن الأمير ناصر الدين محمد بن منجك لما وصل من عند السلطان بما على يده إلى جسر يعقوب، بعث ملك الأمراء الأمير أينال الجكمى نائب الشام ساعيًا باستعجاله، وأردفه بآخر، حتى قدم يوم السبت سابع شهر رمضان، فخرج إلى لقائه، ولبس التشريف المجهز على يده، وركب الفرس المحضر معه، وقبل الأرض على العادة، ودخل فى الموكب جليل حتى نزل دار السعادة، فاطمأن الناس، بعدما كانت الإشاعة قوية بمخامرته[1].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٧.

فلما كان يوم الإثنين تاسعه: ركب ملك الأمراء[١] فى الموكب على العادة، ودخل دار السعادة وجميع الأمراء وسائر المباشرين بين يديه، فما هو إلا أن استقر فى مجلسه، وإذا به قد قبض على الأمير برسباى حاجب الحجاب، وأغلق الباب، وقبض على الأمراء والمباشرين بأجمعهم، وأن جلبان وجانبك المتوجهين لتقليد نائب حلب ونائب طرابلس وصلا إلى غزة، وأقاما بها، فاضطرب السلطان لهذا الخبر وكثر قلقه، وجمع الأمراء، فأشاروا بسفره[٢].

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير قطج أتابك حلب قدم إلى حماة، فارًا من تغرى برمش، وأن تغرى برمش أخذ عنتاب وقلعتها، وأن عدة من قبض عليه أينال الجكمى بدمشق تسعة عشر أميرًا، وقبض أيضًا على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش، وعلى بهاء الدين محمد بن حجى كاتب السر، وأن جانبك وجلبان توجها من غزة إلى نحو صفد[٣].

وفى يوم الخميس عشرينه: ورد كتاب الأمير تغرى برمش، مؤرخ بثانى شهر رمضان، يتضمن أنه فى يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان لبس الأمير حطط نائب قلعة حلب ومن معه بالقلعة السلاح، وقاموا على سور القلعة، ونصبوا المكاحل وغيرها، وأمروا من تحت القلعة من أرباب المعايش وسكان الحوانيت بالنقلة من هناك وأنه لما رأى ذلك بعث يسأل حطط عن سبب هذا، فلم يجبه. إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه، ركب الأمير قطج الأتابك والأمير بردبك الحاجب فى عدة من الأمراء لابسين السلاح، ووقفوا تحت القلعة، فبعث إليهم جماعة من عسكره، فكانت بين الفريقين وقعة انهزم فيها قطج، وأنه باق على طاعة السلطان[٤].

وأنه بعث يسأل نائب القلعة عن سبب هذه الحركة، فأجاب بأن الأمير بردبك الحاجب ورد عليه مرسوم السلطان «بالركوب عليك وأخذك»، وجهز أيضًا محضرًا ثابتًا على قضاة حلب بمعنى ما ذكر وأنه باق على طاعة السلطان، ولم يتعرض إلى القلعة، فلم يعول على ذلك لما تقرر من خروجه عن الطاعة، وورد أيضًا الخبر من الأمير فارس نائب قلعة دمشق بأن الأمير أينال الجكمى أجهر النداء بدمشق وأعمالها بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى، وأن تقى الدين أبا بكر

---

(١) يقصد الأمير أينال الجكمى.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٧.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

ابن قاضى شهبة قاضى القضاة دعا للعزيز على منبر جامع بنى أمية فى يوم الجمعة، وأن الخطبة بقلعة دمشق للسلطان الملك الظاهر جقمق.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على القاضى بدر الدين محمد ابن شيخنا قاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى أحد خلفاء الحكم، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضًا عن شمس الدين محمد البساطى، وقد مات(١).

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه: نودى بعرض المماليك على السلطان.

وفيه عرضت الخاصكية على السلطان، فعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وعشرين خاصكيًا.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير الكبير الأتابك أقبغا التمرازى، واستقر فى نيابة الشام، عوضًا عن أينال الجكمى؛ لخروجه عن الطاعة(٢).

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بأن طائفة القطلان عمَّروا اثنى عشر غرابًا؛ لتسير فى البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم، وأن مراد بن عثمان ملك الروم عمر مائة غراب، وأن متملك انكرس من الفرنج مات.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: عرض السلطان المماليك، وعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وثلاثين مملوكًا لتتمة ستمائة وخمسة وخمسين.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: عين للسفر من الأمراء الألوف قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، وتمر باى الظاهرى ططر، ومن الطبلخاناه طوخ التمرازى رأس نوبة ثانى، ومن أمراء العشرات عشرة، وهم: أقطوه الموسوى (٣)، وتنم بن عبد الرازق

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٩.

(٣) أقطوه بن عبد الله الموساوى الظاهرى، الأمير سيف الدين. هو من أصاغر المماليك الظاهرية برقوق، ومن أنيات الأتابك يلبغا الناصرى، وممن صار من جملة الدوادارية الصغار فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، ثم صار مهمندارًا فى الدولة الأشرفية برسباى، ثم أرسله الملك الأشرف بعد سنة وثلاثين إلى القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، فغاب مدة تزيد على سنة، وقدم إلى الديار المصرية بعد أن قاسى خطوبًا فى طريقه. واستمر على إمرته إلى أن مات الملك الأشرف برسباى إلى الملك الظاهر حقمق، أنعم عليه بإمرة طلبخاناه عوضًا عن الأمير طوخ من تمراز الناصرى المعروف بابنى بازق بحكم انتقال طوخ إلى طلبخاناه غيرها. وأستمر آقطوه على ذلك مدة، إلى أن نفاه السلطان إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعة على الأمير ألطنبغا اللفاف الظاهرى زيادة على ما بيده، فأقام المذكور بالبلاد الشامية مدة، ثم شفع فيه وطلب إلى القاهرة؛ فأقام بها مدة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت الأمير=

المحتسب بالقاهرة ورأس نوبة، ثم أعفى بعد ذلك من السفر، ويشبك بن أزوباى رأس نوبة وبايزير بن صفر خجا رأس نوبة، وأقبردى الأشرفى أمير أخور ثالث، وطوغان السيفى ألان، وسودون قرقاش الأينالى[١] رأس نوبة، وسودون النوروزى السلاح دار رأس نوبة، وجانبك السيفى نوروز[٢] رأس نوبة، وخشكلدى الناصرى[٣].

=أبى يزيد الأشرفى فاستمر على ذلك مدة إلى أن خلع عليه بكشف الجسور وتوجه إلى ما ندب إليه، فلم تشكر سيرته، وشكاه بعض خواص الملك الظاهر له؛ فرسم بنفيه أيضًا، وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى برمش اليشبكى الزردكاش زيادة على ما بيده، ثم شفع فى أقطوه المذكور؛ ليقيم بالقاهرة بطالاً، فأمر له بذلك. قام بالقاهرة إلى أن توفى بعد مرض يسير فى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وسنه نيف على السبعين، وخلف مالاً جزيلاً وعدة أملاك. وكان تركى الجنس، متوسط القد، خفيف اللحية، مسيكًا، إلا أنه كان عفيفًا عن القاذورات، ويشارك فى بعض مسائل، وبذاكر بالتاريخ مذاكرة هينة، رحمه الله تعالى.انظر الدليل ١/١٤٤، والنجوم ١٥/٥٢٥، الضوء اللامع ٢/٣١٩، التبر المسبوك ٢٣٧، بدائع الزهور ٢/٢٦٢.

(١) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع ٣/٢٧٦.

(٢) جانبك بن عبد الله اليشبكى الساقى،والى القاهرة (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير الزردكاشى، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأمير يشبك الجمكى الأمير ىخور، واستمر بخدمة أستاذه المذكور إلى أن مات فى حبسه بثغر الإسكندرية، اتصل بخدمة الملك «الأشرف برسباى وصار خاصكيا، ثم صار ساقيا بعد موت الملك الأشرف إلى أن أنعم عليه الملك» الظاهر حقمق بعد سنة سبع وأربعين وثمانمائة بإمرة عشرة، ثم ولاه رأس نوبة من جملة رءوس النوب، ثم ولاه ولاية القاهرة على كره منه، بعد عزل منصور بن الطبلاوى، وأضيف إليه الحجوبية وشد الدواوين، كل ذلك زايادة على ما بيده. واستمر على ذلك إلى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، أضيف إليه أيضًا حسبة القاهرة مضافا إلى ما بيده من الوظائف المذكورة، عوضا عن زين الدين يحيى الإستادار، فباشر الحسبة مدة إلى أن عزل عنها بيار على الطويل الخراسانى فى سنة أربع وخمسين، وبقى على ما بيده من الولاية وغيرها إلى أن تسلطن الملك المنصور عمان أخلع عليه بالزردكاشية، عوضا عن الأمير لاحين «الظاهرى، بحكم انتقال لاحين» لشد الشراب خاناة، عوضا عن الأمير يونس القباى. فباشر جانبك المذكور الزردكاشية أقل من شهر، ومرض فى أول سلطنة الملك الأشرف أينال بيوم واحد إلى أن مات فى ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ودفن من الغد، وتولى الزردكاشية من بعد نوكار الناصرى. وكان جانبك المذكور شابا ظريفا، عارفا بأنواع الملاعبة، وفيه ذكاء وفطنة، وعنده مشاركة ومذاكرة حلوة، وكان متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه، وبالجملة كان نادرة فى أبناء جنسه. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٥: ٢٣٧، الدليل الشافى ١/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ١٦/ ١٦٣، الضوء اللامع ٣/ ٦١، بدائع الزهور ٢/ ٣١١.

(٣) خَشْكَلدى بن عبد الله من سيدى بك الناصرى (٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات فى الدولة الأشرفية برسباى، ورأس نوبة، المعروف بالجقمقى. أصله من=

وفيه كتب باستقرار الأمير موسى بن محمد بن حديثة فى إمرة الملا، عوضًا عن الغادر ابن عذراء بن نعير وجهز له تشريف.

وقدم الخبر من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الجكمى أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزيز، فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم فى ركونه، وطمأنينته إلى الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم. وقد قيل:

إذا وترت أمرًا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبًا
إن العدو وإن أبدى مسالمة إذا رأى منك يومًا فرصة وثبا

وكان كذلك.

وفيه ورد الخبر بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها، وأنه نزل بالرملة فى سابع عشره، بعدما دعاه أينال الجكمى إلى موافقته، وأعلمه أنه ما قام فى هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر، فلم يدخل فى طاعته، وخشى أن يكبس بصفد فأنزل حريمه بقلعة صفد، ونزل بالرملة مع من بها من نائب القدس وغيره.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: أنفق فى العسكر المجرد إلى الشام، وعدتهم ما بين خاصكى ومملوك ستمائة واثنان وخمسون فارسًا. كل واحد ثمانون دينارًا[١].

وقدم الخبر من مكة بأن الوباء شنع بمدينة صنعاء [٢] وصعدة[٣] من بلاد اليمن، حتى خلت من كبير وحاكم، لانقطاع الأئمة الزيدية منها بالفناء فبعث الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب زبيد وتعز وعدن بعض أمرائه، فأخذ له صعدة بغير ممانع، واستولى على ما فيهما من أموال من مات.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان المستقر فى نيابة حلب وصل إلى الرملة، فى يوم الإثنين

=مماليك الملك الناصر فرج ومن عتقائه، وخدم من بعده عند الأمير حقمق الأرغون شاوى الدوادار، وبه عرف، واتصل عند الملك الأشرف برسباى، وصار خاصكيا، ثم رأس نوبة الجمدارية، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، وجعله من جملة رءوس النوب. واستمر على ذلك إلى أن وقع بين الملك العزيز يوسف وبين الأتابك، ولازال من حزبه حتى قبض عليه الملك الظاهر حقمق، وحبسه بالإسكندرية، ثم أطلقه ونفاه غلى حلب بطالا، فدام بحلب إلى أن مات بعد سنة خمس وأربعين وثمانمائة تخمينا. وكان سكنًا، عاقلا، متواضعا، ضخمًا، إلا أنه كان مسرفًا على نفسه . انظر المنهل الصافى ٥/٢١٤، ٢١٥، الدليل ١/ ٢٨٧ النجوم ١٥/ ٢٣٨ -- ٢٤٦، الضوء ٣/ ١٧٧.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦١.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

ثالث عشرينه، وسبب ذلك أن تغرى برمش استدعى جماعة كثيرة من التركمان إلى حلب فأتوه، وعمل مكحلة عظيمة من نحاس ليرمى بها على القلعة، واستمال من أهل القلعة جماعة بمال كبير بذله لهم؛ ليمكنوه منها، وشرع فى حصار القلعة، وأخذ ينقب مواضع من أسفلها، والقتال بينه وبين من فيها مستمر، إلى أن فطن الأمير حطط الدقماقى نائب القلعة بمن وافق تغرى برمش من القلية فقبض عليهم، ورمى ببعضهم عليه فى المنجنيق، وقتل جماعة منهم، وعلق رءوسهم على القلعة، ففات تغرى برمش قصده، وجد فى النقب والحصار، حتى كاد يشرف على أخذ القلعة ـ أو أشرف ـ فاتفق أنه نادى فى المدينة بالأمان، فكأنما ألقى فى آذان الناس بالنهب، فثارت العامة عند ذلك بأسلحتها، وأحاطت بدار السعادة حيث سكن تغرى برمش، فلم يثبت، وخرج فارًا يريد أن يخرج من المدينة حتى وقف خارج السور فى نحو الأربعين فارسًا، وقد نهبت العامة جميع ما كان بدار السعادة من المال والسلاح وغير ذلك، وامتدت أيديهم إلى أتباع تغرى برمش يقتلونهم أفحش قتل، وينهبون ما تصل أيديهم إليه، وذلك فى يوم الثلاثاء عاشر رمضان بعدما حوصرت القلعة ثلاثة عشر يوما، وتلاحق عدة من أصحاب تغرى برمش به، فسار يريد طرابلس، وانضم إليه الأمير طرعلي بن صقل سيز التركمانى، فلما قارب مدينة طرابلس لم يثبت الأمير جلبان، وخرج منها نحو الرملة، وقد جد فى سيره حتى دخلها فى سادس يوم، فدخل تغرى برمش طرابلس فى عشرينه، وأخذ من أهلها مالا كبيرًا، وأما جلبان فإنه انضم إلى من بالرملة من الأمير أينال الأجرود نائب صفد والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ مازى نائب غزة، وكتبوا يستدعون السلطان للمسير بنفسه بعد تجهيز العساكر بين يديه سريعًا.

وكان الذى قدم بهذا الخبر صرغتمش دوادار الأمير جلبان، فخلع عليه فى يوم الأحد تاسع عشرينه، واستقر دوادارًا بحلب، عوضًا عن الأمير سودون النوروزى.

وفيه قدم الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة المتوجه لتقليد قانباى الحمزاوى نيابة طرابلس، بعد أن وصل إلى الرملة، ولم يتمكن من الوصول إلى حماة، فأثار عند قدومه شرورًا لها ما بعدها، فإنه زعم أنه ظفر بكتب جماعة من الأمراء وغيرهم إلى الثائرين ببلاد الشام، أوقف عليها السلطان.

وفى يوم الإثنين سلخه: عملت الخدمة بالقصر على العادة، ونزل الناس إلى دورهم، فبلغ السلطان أن الملك العزيز فقد من داره بالقلعة، فاشتد قلقه وتزايد اضطرابه، واستدعى الأمراء والمباشرين، وأعلمهم بذلك، فماج الناس، وكثرت أقاويلهم وترقبوا وقوع فتنة كبيرة، وكان سبب ذلك أن العزيز لما خلع أنزل فى بعض دور القلعة من

داخل باب الستارة حيث سكنى الحريم السلطانى، وأقرت عنده دادته التى ربته من صغره، ومعها عدة جوارى للعزيز، ما بين سرارى له وخدم، ومكنت مرضعته من التردد إليه، والإقامة عنده ما أحبت، وكان القائم بأمره فى قبض ما رتب له على السلطان من لحم ودجاج وأوز وحلوى فى كل يوم، وما فرض له من أوقاف أبيه فى كل شهر، طواشى من عتقاء أمه خوند جلبان هندى، لم يبلغ العشرين سنة، اسمه صندل، فيه يقظة وكيس، فاحتوى على جميع أحواله لانفراده بخدمته، وكان يشاع غير مرة الإرجاف بكحل العزيز وبنقله إلى الإسكندرية وهو يخبر العزيز بذلك، فيرتاع له إلى أن اشتهر أن بعض القضاة أفتى بأن فى قتل العزيز حقن الدماء وصيانة الأموال، فلم يطق صندل صبرًا على كتمان ذلك، وأكثر من إلقائه إلى العزيز وترويعه، وتحسين الفرار، إلى أن انفعل له.

وكان للعزيز طباخ أيام أبيه فداخله صندل فى إخراج العزيز فوافقه على أنه ينهض بإخراجه، وشرعت جوارى العزيز فى نقب موضع من الدار بمساعدة الطباخ من خارج، حتى تهيأ هذا، وصندل يحدث جماعة من الأشرفية فى القيام معه إذا خرج، وذلك أقصى مرادهم وغاية أملهم، فاتعدوا لذلك، حتى كان وقت الإفطار فى ليلة الإثنين، والناس فى شغل بأكلهم وقف الطباخ من خارج النقب، فخرج العزيز عريانا مكشوف الرأس، فألبسه الطباخ من خلقانه ثوبا مملوءًا بالدهن، وسواد القدور وجعل على رأسه قدرًا، وحمله على يده وعاء فيه طعام، بعد أن غير محاسن وجهه وبياض يديه ورجليه بسواد القدور، وخرج وهو معه، كأنه من جملة صبيان المطبخ، فلم يفطن أحد له، حتى خرج من باب القلعة، وقد خرج الأمراء من الفطر من عند السلطان، فضرب الطباخ العزيز ضربة منكرة وصادى به، ليرد بذلك الوهم، فمشى بين الأمراء على تلك الهيئة إلى أن نزل من باب القلعة، فإذا صندل وطوغان الزردكاش، وأزدمر فى آخرين من المماليك غير كثير، فقبلوا يده، ومضوا به إلى دار بعضهم.

وكان فى ظن العزيز ودادته وجواريه أنه إذا نزل من القلعة يجد مماليكه ومماليك أبيه مستعدين له، فإما يحارب بهم وإما يتوجه إلى الشام، فلما لم ير منهم ما كان يؤمل أراد أن يعود إلى موضعه، وليته عاد، فلم يمكنوه، وقام طوغان فى منعه من التوجه إلى الشام، والتزم أنه يمضى إلى بلاد الصعيد، ويأتى بمن هناك من المماليك الأشرفية، فى التجريدة لقتال هوارة، وهم سبعمائة فارس، ومضى من ليلته، فكان من أمره ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

واختفى العزيز - هو وطواشيه صندل الهندى ومملوكه أزدمر وطباخه - وصار ينتقل

من موضع إلى موضع، والقوم في طلبه، فمرت به فى مدة اختفائه أهوال وشدائد، حتى قبض عليه كما سنراه إن شاء الله تعالى[1].

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى ليلة الثلاثاء: كانت بالقلعة حركات مزعجة، خرج فيها السلطان من الدور إلى القصر واجتمع معه من ثقاته غير واحد، ومرج أيضًا أمر من كان تحت القلعة، فصلى السلطان صلاة العيد بالقصر وهو على تخوف، وقد وقف جماعة بالسلاح مصلتا على رأسه، حتى قضى صلاته، ثم صعد قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر - بعدما صلى إمامًا - على كرسى، فخطب وأوجز فى خطبته، كما أسرع فى صلاته، فما هو إلا أن فرغ من الخطبة إذ جاء الخبر بأن الأمير أينال قد تسحب ليلا، فعظم الخطب وجل الأمر، وكان سبب ذلك أن الطائفة المؤيدية لم يكن لها فى أيام الأشرف برسباى كبير حظ منه، فلما مات خافت المؤيدية من الأشرفية، وانضموا إذ ذاك على الأمير نظام الملك جقمق، وقاموا بأمره، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره، وأخرج الأشرفية إلى السجن بالإسكندرية، وإلى الحجاز، وإلى الصعيد، فأهينوا بعد عزمهم، واتضع جانبهم بعد رفعتهم، وصار المؤيدية هى المشار إليها، وإليهم الحل والعقد، فجدوا فى الإغراء بالعزيز، كى يستريحوا من الأشرفية، فإنهم غير آمنين من ثورتهم وإقامة العزيز.

فلما قام الأمير أينال الجكمى بدمشق، ودعا للعزيز، وحلف أمراء دمشق على طاعته - وكان الأمير تغرى برمش أيضًا ممن يميل إلى العزيز - شق ذلك على المؤيدية، وعلموا أنهم مقتولون شر قتلة، إن كانت للعزيز دولة، فأخذوا فى التحريض على قتله، حتى اشتهر أنه إذا فرغ شهر رمضان أمضى فيه ما أرادوه، ففر العزيز لما خامر قلبه من الخوف الشديد، وخاف الأمير أينال أن يتهم به، واجتمع عنده فى ليلة العيد عدة من الأشرفية، فلم ينهض بشىء لخوره وضعفه، وتركهم وخرج من جانب داره على بغل فى ظلام الليل، ثم نزل عن البغل، ومضى على قدميه، فلم يعلم خبره، فلما بلغ السلطان تسحبه، أمر فنودى بالقاهرة ألا يتخلف أحد من المماليك عن الخدمة، وهدد من تخلف بالقتل، وقبض على جماعة من المماليك الأشرفية، ثم نودى أيضًا بإصلاح الناس الدروب وغلقهم أبواب دورهم، وألا يخرج أحد إلى الشوارع بعد عشاء الآخرة، وغلقت أبواب القاهرة قبل عادة إغلاقها من الليل، فكانت ليلة هذا العيد ويومه من الأوقات النكدة، حتى كأنه ليس بعيد.

---

(١) انظر الخبر فى النجوم الزاهرة ١٤/١٥ وما بعدها.

وفى يوم الخميس ثالثه: خلع على الأمير تنبك من تنبك، واستقر أمير الحاج، عوضًا عن أينال، وخلع على قراجا البواب، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضًا عن علاء الدين على بن محمد بن الطبلاوى، فباشر الولاية بعسف، وخلع على الأمير ممجق[١] واستقر فى نيابة القلعة[٢].

وفيه قبض على عدة من الأشرفية.

وفيه دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير حطط نائب قلعة حلب بكسرة تغرى برمش، وخروجه من حلب، كما تقدم ذكره.

وفى يوم الجمعة: رابعه سار عسكر من القاهرة تزيد عدته على سبعين فارسًا، يريدون المحلة الغربية، لمسك الأمير قراجا الأشرفى.

وفى يوم السبت خامسه: أخذت خيول الأمير أركماس الظاهرى الدوادار، وعزل من الدوادارية الكبرى، وأخذ إقطاعه، وأخرج من داره، وأخذت خيول الأمير قراجا، وإقطاعه، وشون غلاله.

وفيه قبض العسكر المتوجه على الأمير قراجا، وحمل فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الإثنين سابعه: نودى بأن من وجد أحدًا من غرماء السلطان وطلع به فله خمسمائة دينار وإقطاع، ومن غمز عليه أنه أخفى أحدًا منهم حل ماله ودمه، هذا والمؤيدية قد تجردت للفحص عن العزيز وعن أينال، وعن المماليك الأشرفية فى جميع الأماكن، وقبض على الغلمان، حتى دلوهم على أماكن بعضهم.

وصاروا يكبسون الدور، والترب، وديارات النصارى، والبساتين، وضواحى القاهرة ومصر، ويرون بالليل فى الأزقة متنكرين إلى غير ذلك من أنواع الفحص والتفتيش، فإنهم صاروا هم الدولة فى هذه الأيام الظاهرية، و لله در القائل:

وإذا سخر الإله أناسًا ... لسعيد فإنهم سعداء

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: أنعم بإقطاع الأمير قراجا على المقام الناصرى محمد ابن السلطان[٣] وبإقطاع الأمير أركماس الدوادار على الأمير أسنبغا الطيارى، وبإقطاع

---

(١) هو الأمير ممجق بن عبد الله النوروزى (ق٨٤٤هـ). انظر المنهل الصافى (ترجمة ممجق بن عبد الله)، الضوء اللامع ١٠/١٧٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦٨.

(٣) محمد بن جقمق (٨٤٧هـ=١٤٤٤م).

الأمير أينال على الأمير جرباش[١] قاشق من عبد الكريم أمير مجلس، وأنعم بإقطاع جرباش هذا على الأمير شادى بك الظاهرى ططر، وبإقطاع شادى بك على الأمير جرباش كرت المحمدى[٢]، وبإقطاع أسنبغا الطيارى على الأمير دولات باى الساقى المؤيدى[٣]، وهو جمرة من جمراتهم.

---

(١) انظر الضوء اللامع ٣/٦٦، المنهل الصافى فى (ترجمة جرباش بن عبد الله).

(٢) جرباش بن عبد الله المحمدى الناصر (٨٧٧ هـ ــ ١٤٧٢ م)، الأمير سيف الدين، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، المعروف بكرد. أصله من مماليك الملك الناصر فرج بن برقوق، وتنقل فى الدول حتى صار فى الدولة الأشرفية برسباى رأس نوبة الجمدارية، ثم أمير عشرة ورأس نوبة وتزوج ببنت أستاذه الملك الناصر فرج خوند شقرا،واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر جقمق إلى إمرة طبلخاناه وجعله أمير آخورا ثانيا. عوضا عن الأمير دولات باى المحمدى بحكم انتقاله إلى الدوادارية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى المنتقل إلى تقدم ألف بالديار المصرية. فاستمر المذكور فى هذه الوظيفة من سنة اثنتين وأربعين إلى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة أنعم عليه بتقدم ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير تنم من عبد الرزاق المؤيدى أمير مجلس، بحكم انتقال تنم إلى إقطاع الأمير قراقجا الحسنى بعد وفاته. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٦٠، ٢٦٢، الدليل الشافى ١/ ٢٤٣، الضوء اللامع ٣/ ٦٦، بدائع الزهور ٣/ ٨٣.

(٣) دولات باى بن عبد الله المحمودى (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الساقى المؤيدى الدوادار، الأمير سيف الدين قدم به خواجا محمود من بلاد الجاركس فى جملة مماليك إلى ثغر الإسكندرية فاشتراه نائبها الأمير آقبردى المنقار المؤيدى، «وجعله فى طبقة الطواشى مرجان الخازندار. ثم أعتقه، وجعله خاصكيا، ثم صار خازندارًا، ثم ساقيًا فى آخر دولته، أو بعد موته واستمر على ذلك إلى أن عزل عن الساقية فى دولة الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر. واستمر على إقطاعه دهرًا طويلا. وكان إقطاعه حصة من حينين القصر، إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة بسفارة صهره زوج بنته الأمير جانم أمير آخور، وقريب الملك الأشرف برسباى، وذلك فى حدود سنين خمس وثلاثين وثمانمائة. ثم جعله من جملة رءوس النوب الصغار. ولازال على ذلك إلى أن مات الملك الأشرف، وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده، ثم وقع بين« العزيز وبين» الأتابك جقمق العلائى فانضم دولات باى هذا مع خشداشيته على الأتابك جقمق، وركبوا معه، وصاروا من حزبه إلى أن خلع الملك العزيز، وتسلطن جقمق، ولقب بالملك الظاهر، وأنعم على دولات باى المذكور بإمرة طبلخاناة، وجعله أمير آخور ثانيًا، عوضا عن الأمير تخشى باى الأشرفى المقبوض عليه. ثم نقله الملك الظاهر بعد مدة يسيرة إلى الدوادارية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بالديار المصرية. واستقر عوضه فى الأمير آخورية الثانية الأمير جرباش المحمدى، المعروف بكرد كل لك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فباشر المذكور وظيفة الدوادارية الثانية بحرمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة وأثرى، وعمر الأملاك الجيدة، وحصل الأموال الكثيرة، وطالت أيامه. وحج أمير الحج فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ثم عاد إلى القاهرة. واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة مائة وتقدمة=

وفى يوم الأربعاء تاسعه: دقت البشائر لورود الخبر من نائب غزة بقدوم الأمير برسباى الحاجب بدمشق، والأمير أينال الششمانى إلى الرملة، مفارقين لأينال الجكمى. ثم ظهر كذب هذا الخبر. هذا والأشرفية يقبض عليهم وتساق خيولهم وبغالهم إلى الإصطبل السلطانى، ويكتب إلى الأعمال بأخذ الطرقات عليهم برًا وبحرًا.

وفى يوم الخميس عاشره: برز الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بمن معه إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفيه خلع على الأمير تمراز أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضًا عن الأمير يشبك المجرد إلى بلاد الصعيد، وأنزل من الإصطبل، وسكن بالحراقة مكانه المقام الناصرى محمد ابن السلطان، وكتب للأمير يشبك باستقراره أميرًا كبيرًا أتابك العساكر، عوضًا عن الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، واستقر أمير أخور، عوضًا عن الأمير تمراز، وخلع على الأمير تمرباى نائب الإسكندرية - كان - واستقر رأس نوبة النوب، عوضًا عن قراقجا الحسنى، وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب، واستقر دوادارًا كبيرًا، عوضًا عن أركماس الظاهرى، فباشر الدوادارية بتجبر وترفع زائد، وخلع على الأمير دولات باى المؤيدى الساقى أحد أمراء الطبلخاناه، وأمير أخور ثانى، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن أسنبغا الطيارى، وخلع على الأمير جرباش كرت رأس نوبة واستقر أمير أخور ثانى، عوضًا عن دولات باى.

=ألف بالديار المصرية، بعد موت الأمير تمراز القرمشى أمير سلاح بالطاعون فى يوم الإثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وأنعم بطبلخانته على الأمير يونس السيفى آقباى شاد الشراب خاناة. واستقر عوضه فى الدوادارية الثانية الأمير تمربغا الظاهرى على إمرة عشرة، فلم يكن بعد أيام إلا وخلع عليه باستقراره فى الدوادارية الكبرى فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر المذكور، عوضا عن الأمير قانى باى الجاركسى بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الكبرى بعد موت الأمير قراقجا الحسنى بالطاعون أيضا. وقيل إن توليه دولات باى المذكور للدوادارية الكبرى كانت على بَدْلِهِ نحوا من عشرين ألف دينار للخزانة الشريفة. ولا يبعد ذلك. واستمر دولات باى هذا فى الدوادارية مدة، ورسم له فى سنة خمس وخمسين بنيابة حلب ليفيض بدلا من السلطان على الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب. ثم بطل ذلك من الغد، واستمر على وظيفته ألى أن قبض عليه المنصور عثمان بن جقمق فى صفر سنة سبع وخمسين، وحبسه بالإسكندرية مدة يسيرة، وبعد خلع عثمان أطلقه الأشرف أينال، فلم تطل مدته وتوفى فى السنة المذكورة وخلف مالا جما. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٢٦ وما بعدها والدليل ١/ ٢٩٩، النجوم ١٦/ ١٦٥، منتخبات من حوادث الدهور ص ٣٥٥، الضوء ٣/ ٢٢٠ بدائع الزهور ٢/ ٣١٢.

وفيه قدم الأمير يونس المؤيدى من دمشق، فارًا من أينال الجكمى، فأكرم وأنعم عليه.

وفى يوم السبت ثانى عشره: استقل الأمير أقبغا التمرازى، نائب الشام بالمسير من الريدانية.

وفيه نفى نور الدين على بن أحمد السويفى إمام الأشرف برسباى إلى دمياط.

وفيه دقت البشائر، لورود خبر سار.

وفى يوم الأحد ثالث عشره: كان مسير العساكر المخيمة بالرملة، إلى جهة دمشق.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: استقل الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور ومقدم العسكر بالمسير من الريدانية بمن معه من الأمراء والمماليك، وعدتهم ستمائة وخمسون فارسًا[١].

وفيه ورد الخبر بأن أينال الجكمى برز مخيمه إلى ظاهر مدينة دمشق. فلما كان يوم الخميس ثالث شوال هذا، عزم على الخروج من المدينة إلى المخيم ليسير نحو القاهرة، فركب عليه من أمراء دمشق الأمير برسباى الحاجب، والأمير قانباى البهلوان الأتابك فى عدة أمراء، وقاتلوه خارج المدينة، فقاتلهم وهزمهم، فوقفوا لحربه ثانيًا، فهزمهم بعد وقعة أخرى، فامتنعوا بالقلعة، وقد جرح منهم جماعة فأخذ خيولهم وأموالهم، ونزل بالميدان وأبطل الحركة للسفر، وسبب هذه الحركة أنه كتبت ملطفات سلطانية إلى أمراء دمشق، وجهزت إلى الأمير خشكلدى نائب قلعة صفد، فبعث بها على يد نصرانى إلى بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر، ففرقها فى الأمراء واستمالهم حتى وافقوا على الركوب على أينال الجكمى وأخذه، ثم اختفى من ليلته، فركبوا هم من الغد، وكان من أمرهم ما ذكر.

ولما ورد هذا الخبر تفرس من له بصر بالأمور، واطلاع على أحوال الوجود، بأن أمر أينال الجكمى لا يتم، فإنه أخطأ الرأى أولا فى القبض على الأمراء لظنه بهم السوء، ثم إطلاقهم والركوب إليهم، حتى إذا أمكنتهم الفرصة وثبوا عليه ليقتلوه، فكانت له عليهم، وأنى يفلح ملك لا توافقه أعوانه. هيهات ثم هيهات، لا يكون ذلك أبدًا.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير يشبك المستقر ـ أتابك العساكر ـ انتهى بمن معه من الأمراء والمماليك فى طلب هوارة إلى مدينة إسنا[٢] فلم يقع بهم، وأنه رجع بالعسكر إلى مدينة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٧٣.

(١) إسنا: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا إدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، وهى على شاطئ النيل من الجانب الغربى فى الإقليم الثانى. انظر معجم البلدان ١/١٨٩.

هو(١) فقدم عليه عدة من المشايخ الصلحاء ومعهم طائفة من مشايخ هوارة، راغبين في الطاعة، وحلفوا على ذلك، وأنه قدم على العسكر في يوم الأحد سادسه طوغان الزردكاش أحد الدوادارية، ودعا العسكر إلى طاعة الملك العزيز، والقيام بنصرته، فإنه أخرجه من حيث كان محبوسًا، ونزل من القلعة، واجتمع عليه جماعة من مماليكه، فلم يوافقوا على ذلك، وحلفوا أنهم مقيمون على طاعة السلطان. فدقت البشائر لذلك، وخلع على الواصل بهذا الخبر، وأجيب بحمل طوغان في الحديد، وكان قد وصل الخبر قبل ذلك بتوجه طوغان هذا إلى بلاد الصعيد، وكتب بحمله.

وفيه كتب توقيع باستقرار أبي السعادات بن ظهيرة في خطابة الحرم، عوضًا عن أبي اليمن ابن النويري قاضي مكة، وجهز إليه، ثم بطل ذلك، وكتب باستقرار أبي اليمن في الخطابة مع وظيفة القضاء.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: ورد الخبر من الأمير يشبك بأنه نازل على مدينة أسيوط(٢) وأن يونس الخاصكي ورد عليه بمرسوم شريف يتضمن القبض على طوغان قاصد العزيز، وأن المماليك لم يمكنوه من ذلك، فكثر القلق لورود هذا الخبر، وخشي الناس وقوع الفتنة، ظنًا بالأشرفية أنهم رجال وإذا هم أشبه بربات الحجال(٣).

وفيه قدم قود الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة ـ شرفها الله ـ وهو خمسة أفراس وطواشيان، وجاريتان، ومائتا شاش، وقطعتا ياقوت أحمر زنتهما خمسة عشر قيراطًا، وقطعة ماس زنتها تسعة عشر قيراطًا ونصف.

وفيه قدم الشريف عقيل بن وبير بن نخبار أمير ينبع المعزول بصحرة(٤) يسعى في الإمرة، فوعد بخير.

وفيه قبض على الأمير أركماس الظاهري المعزول عن الدوادارية الكبرى، وأخرج منفيًا إلى دمياط.

وفي هذا الشهر: وقع في الناس بالقاهرة الموت بالطاعون، وبلغت عدة من رفع اسمه من ديوان المواريث بالقاهرة في هذا اليوم أحد وعشرون إنسانًا.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهي كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أخميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسي ٤٨.

(٣) المقصود به النساء.

(٤) لقيته صحرة بحرة إذا لم يكن بينك وبينه شيء. انظر لسان العرب (صحر).

وفى يوم الخميس سابع عشره: خلع على الأمير تنبك بن تنبك أحد الأمراء الألوف، واستقر حاجب الحجاب، عوضًا عن الأمير تغرى بردى المؤذى المنتقل إلى الدوادارية الكبرى.

وفى هذه الأيام: كبست عدة أماكن فى طلب العزيز، وقبض على جماعة من الأشرفية، لكثرة الإرجاف بخروج من فى بلاد الصعيد من المماليك عن الطاعة، وأنهم عادوا يريدون القاهرة، فمنعت المراكب من التعدية فى النيل بكثير من الناس، وكثر الفحص والتفتيش، حتى كبست البساتين والترب، وغلقت بعض أبواب القاهرة نهارًا، وأخذ أهل الدولة من الأمراء ومن بالقلعة فى الاستعداد للحرب هذا مع ما فى الوجه البحرى من الوباء الشنيع فى سرعة الموتان الوحى السريع، وكثرة عدة الأموات لا سيما فى الأطفال والعبيد والإماء، بحيث مات من قرية واحدة مائتا صغير من أولاد أهلها، وحل بالتجار فى الإسكندرية ضيق شديد وبلاء عظيم، بسبب رمى الفلفل السلطانى عليهم. ونزل بأهل القاهرة ومصر خوف شديد بسبب اختفاء الأشرفية وتطلبهم، فإذا طرقت جهة من الجهات حل بأهلها من أنواع البلاء ما لا يوصف من النهب والهدم والعقوبة والغرامة، سواء وجد المطلوب أو لم يوجد، فما بقى أحد إلا وخامر قلبه الخوف خشية أن يرميه عدو له أو حاسد لنعمته أنه أخفى أحدًا من الأشرفية، فلا تتروى المؤيدية فى أمره، ولا تتمهل، بل تطرقه بغتة وتنزل به فجأة، وقد تبعها من غوغاء العامة عدد كالجراد المنتشر، وتهجم داره ودور من حوله، فيكون شيئًا مهولا، وكثيرًا ما فعلوا ذلك فلم يجدوا أحدًا، وكان من البلاء ما كان، حتى أنه هجم بعض المدارس، ونهبت، وكسر أبواب بيوتها، ونبش قبر كان بها، فلم يوجد بها أحد، ومع ذلك كله فالغلال ترمى على الناس من الديوان، فلا يقدر على ذى الجاه، ويهلك الضعيف من كثرة الغرامة.

وفى يوم السبت تاسع عشره: برز المحمل إلى الريدانية خارج القاهرة صحبة الأمير تنبك المستقر حاجب الحجاب فى عدة من المماليك السلطانية، ثم تبعه الحجاج شيئًا بعد شىء[1].

وفيه ورد الخبر بالقبض على طوغان الزردكاش وحمله فى الحديد، فقدم فى آخر النهار، وكان من خبره أن الأشرفية من حين كانت وقعة قرقماس لم يزالوا فى إدبار، وتقدمت المؤيدية عليهم - كما تقدم ذكره - فأخذوا فى التدبير لأنفسهم بغير معرفة ولا حفظ يسعدهم، فأخرجوا العزيز من موضعه، وأضاعوه، ثم قاموا مع الأمير أينال ليثوروا

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٧٦.

ليلا، فلما فطن بهم لعدم تحفظهم وقلة دربتهم، تسللوا من دار أينال وقد كاد يدركهم الطلب من السلطان، فلما وصل طوغان من عند العزيز لم يحسن التصرف فيما انتدب له، فإنه اشتهر فى مسيره، ثم لما وصل إلى من قصدهم، أعلم المماليك بأن العزيز خرج من سجنه ونزل من القلعة، فاجتمع عليه القوم وأنه محاصر للقلعة فأدركوه، فهيج هذا القول منه حفائظهم وحرك كوامنهم، هذا وقد ضيع نفسه بشهرته فى مدة توجهه من عند العزيز إلى أن وصل إلى المماليك.

وقد بلغ السلطان خبره ومروره بالبلاد التى نزل بها فى سفره، فكتب بالقبض عليه، فلم يدركه الطلب حتى وصل وروج على أصحابه بما لا حقيقة له، فبادر الأمير يشبك بمطالعة السلطان بخبر طوغان ثم ترادفت كتب السلطان وأخبار المسافرين بما تبين به كذب طوغان، وأن العزيز مخفى والمواضع تكبس عليه، فانحل ما عقده طوغان فى أنفس المماليك، وأثبت ما كان قد أوثقه بأيديهم، هذا وقد توجهوا من أسيوط يريدون القاهرة ليدركوا العزيز بزعمهم، فمازال الأمير يشبك يستميلهم ويخوفهم حتى أسلموه طوغان بعد إباء وامتناع، أفضى به - وبهم - أن جمع عليه الكاشف بالوجه القلبى وعدد كثيرة من عربان الطاعة وهم بمحاربتهم، فلم تكن لهم طاقة بمحاربته[1]، وتبين لهم فساد ما بنوا عليه أمرهم، فأذعنوا عند ذلك، وقادوه برمته حتى حمل فى الحديد، ورجعوا مع الأمير يشبك إلى ناحية جرجا، فبطل ما كانوا يعلمون، والله لا يصلح عمل المفسدين.

وعندما وصل طوغان تولى عقوبته المؤيدية، فما عفوا ولا كفوا، بل أنزلوا به أنواع العذاب المتلف، ما بين ضرب وعصر وغير ذلك، حتى أشفى على الموت، وعوقب معه ثلاثة نفر، فاجتمع من إقرارهم أن إبراهيم الطباخ لما أخرج العزيز بعد المغرب نزل من موضع بالمصنع تحت القلعة، وقد اجتمع عليه عدة من المماليك ليسيروا به إلى الشام، ثم انصرفوا عن هذا الرأى وتوجه طوغان ليأتى بالمماليك من الصعيد.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه: أخرج بطوغان محمولا لعجزه عن الحركة من شدة العقوبة، حتى وسط عند باب السلسلة. ومن العجب أن طوغان هذا، مات الأشرف وهو من جملة الزردكاشية، فاستحال على خشداشيته وصار من جملة الأمير أينال، وانتمى معه إلى السلطان، وهو إذا ذاك أمير، واختص به فعمله من جملة الدوادارية، ثم استحال على السلطان، وأخرج العزيز، فكانت منيته على يده. هذا، والبلاء يشتد على الناس بسبب العزيز، فقبض على جماعة وسجن جماعة، وعوقب كثير من الناس.

وفى هذا اليوم: استقل الركب الأول بالمسير من بركة الحجاج بعدما فتش

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٧٦/١٥.

الحجاج. ثم استقل المحمل بالمسير مع أمير الحاج ببقية الحجاج في يوم الأربعاء ثالث عشرينه.

وفيه قبض على سر النديم الحبشية دادة العزيز، بعدما كبس عليها عدة بيوت، وعوقب جماعة، ثم قبض على الطواشى صندل الهندى، فتحقق منهما أن العزيز وأينال لم يخرجا من البلد، وأن الذى أشيع بين الناس من توجههما إلى الشام كذب، وأن العزيز لم يجتمع مع أينال، وأنه كان هو، وصندل هذا، وطباخه إبراهيم، ومملوكه أزدمر - بغير زيادة على هؤلاء - ينتقل وهم معه من موضع إلى موضع وأن صندل فارقه من أربعة أيام، وقد طرده أزدمر المذكور فدفع إليه العزيز خمسين دينارًا، فانصرف عنهم، وصار يتردد إلى بيوت معارفه فى زى امرأة، فلم يؤوه أحد حتى دخل على بعض معارفه فى الليل فآوته حتى أصبح، فدل زوجها عليه حتى أمسك وعوقب، ثم سجن.

وطلبت خوند مغل ابنة البارزى دادة العزيز، فسلمت لها من غير عقوبة، فأقامت عندها، وقبض على مرضعة العزيز، وعلى زوجها، وبعض أقارب زوجها، وعلى جماعات من الرجال، والنساء ممن كان من جوارى الأشرف أو من معارفهن، وممن اتهم بأنه معرفة لإبراهيم الطباخ، وتعدى الحال إلى امرأة مسكينة تزعم أن لها تابعا من الجن يخبرها مما يكون، فتتكسب بذلك من النسوان ومن فى معناهن من ضعفة الرجال، ما تقيم به بعض أودها: وذلك أنه وشى بها إلى أحد المؤيدية أن بعض الطواشية كان يتردد إليها فتخبره أن العزيز يعود إلى ملكه، فقبض على هذه المسكينة، وعلى عدة من يلوذ بها، وعوقبت، وكان الطواشى الذى قيل عنه أنه يأتى إليها فتخبره بعود ملك العزيز إليه، قد توجه للحج مع الركب، فكتب بضربه وحمله إلى القاهرة، فضرب ثم شهر فى الركب، وكان قد كتب لإعفائه من الضرب والعود إلى القاهرة، فلم يدركه القاصد الثانى حتى ضرب وشهر، فتوجه بعد ذلك إلى الحج.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه: وسط مملوك آخر من الأشرفية، عند باب السلسلة.

وفيه عزل الأمير فيروز الجركسى زمام الدار، من أجل أنه فرط فى الحرص على العزيز حتى كان من أمره ما كان. وعين عوضه الأمير صفى الدين جوهر الخازندار.

وفى ليلة الجمعة ويوم الجمعة خامس عشرينه: كبست المؤيدية على مواضع متعددة بالقاهرة ومصر وظواهرهما، وكبست دور الصاحب أمين الدين بن الهيصم ودور جيرانه فى طلب العزيز، فلم يوجد، وهرب الصاحب ثم ظهر وخلع عليه بعد ذلك، وقد شمل الخوف كثيرا من الناس، وكادت الأسواق أن تتعطل لكثرة الإرجاف بأن بيوت الناس كافة تكبس، ويعاقبوا حتى يظهر العزيز.

وفيه قدم من الصعيد بضعة عشر رأسا، علقت على باب النصر، وذلك أن الأمير يشبك لما قبض على طوغان، وبعث به كما تقدم ذكره، رجع بمن معه من المماليك والأمراء لمحاربة هوارة فلقيهم على ناحية بوتيج في حادى عشرينه، وقاتلهم وهزمهم، بعدما قتل منهم مائه وستين رجلا، وأخذ لهم مائة فرس، فجهز من رءوس أعيانهم ستة عشر رأسا، هذا وقد خربت بلاد الصعيد، ورعيت زروعها، مع ما في أراضيها من الشراقى، وأكل الفأر الكثير جدا ـ معظم الزرع ـ وهدم العرب الدواليب.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: خلع على الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، واستقر زمام الآدر السلطانية، عوضا عن الطواشى فيروز مضافا للخازندارية.

وفي ليلة الأحد سابع عشرينه: قبض على الملك العزيز، وذلك أنه ضاقت عليه الأماكن لكثرة ما يكبس عليه، وهو يتنقل من موضع إلى موضع آخر ومعه أزدمر شاد شراب خاناته، وصندل طواشيه، وإبراهيم طباخه، فطرد أزدمر صندل الطواشى، ومازال به حتى فارقهم من أربع ليال، ثم طرد الطباخ وانفرد هو والعزيز فيقال إن العزيز بعث إلى خاله ـ أخى أمه، واسمه بيبرس ـ ليختفى عنده، فواعده على أنه يأتيه. وخاف عاقبة أمره، فأعلم جار له من المؤيدية ـ يقال له يلبيه[1] رأس نوبة، بأمر مجيء العزيز، وأنه يقبح به أن يكون مسكه على يديه، ولكن «افعل أنت ذلك».

فترصده يلبيه حتى مر به ومعه أزدمر بعد عشاء الآخره، في خط زقاق حلب[2] وهما في هيئة مغربيين. فوثب يلبيه بأزدمر ليقبض عليه، فامتنع منه، فضربه أدمى وجهه، وأعانه عليه أعوانه حتى أوثقوه وأخذوا العزيز وعليه جبة صوف، وقادوه وأزدمر إلى باب السلسلة وصعدوا بهما إلى السلطان ، والعزيز حاف، وقد أخذ رجل بأطواقه، يسحبه وجماعة محيطة به. فأوقف بين يدى السلطان ساعة، وهو يؤنبه ثم سجن في موضع، حتى أصبح، وطلع الأمراء وغيرهم إلى الخدمة، فأعلموا بخبر العزيز ثم أدخله السلطان إلى قاعة العواميد، وأسلمه لزوجته خوند مغل بنت البارزى، وأمرها أن تجعله في المخدع المعد لمبيت السلطان، ولا تبرح على بابه، وأن تتولى أمر أكله وشربه وحاجاته بنفسها، فأقام على ذلك حتى نقل من المخدع، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وأما أزدمر فإنه سجن بالبرج من القلعة، حيث كان صندل وغيره من الأشرفية، ولم يوقف للطباخ على خبر، ويقال إن العزيز دفع إليه مبلغ ستمائة دينار، ودفع لصندل خمسين دينارا.

---

(١) هو يلبان الأينالى المؤيدى. انظر ترجمته الضوء اللامع ٢٨٧/١٠.

(٢) خارج باب زويلة، وكانت قديما من جملة مساكن الأجناد. انظر المواعظ والاعتبار ٢٣/٢.

ووجد مع العزيز ثمانمائة دينار دفع السلطان منها إلى يلبيه خمسمائة دينـار، ولمملوكه الذى عاونه فى القبض على أزدمر مائة دينار، وفرق باقى ذلك، ونـزع عن العزيز ما كان عليه من الثياب المغربية، وألبس من ثياب السلطنة ما يليق به، ووعد يلبيه بإمرة طلبخاناه.

وعندما صعد العزيز إلى القلعة دقت البشائر ليلا ومن الغد، وركب الأعيان لتهنئة السلطان، فإنه وأتباعه من أهل الدولة كانوا فى قلق زائد وخوف شديد لما داخلهم من عود دولة العزيز بخروج نائبى دمشق وحلب عن طاعة السلطان، وقيام الأشرفية ببلاد الصعيد، وكلهم جميعا فى طاعة العزيز، والله يؤيد بنصره من يشاء.

وفى يوم الأحد: هذا، توجه جانم المؤيدى إلى البلام الشامية وعلى يده عدة مثالات سلطانية بالبشارة بالقبض على العزيز.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: أحضر بالأمير أينال البوبكرى الأشرفى[1] وذلك

---

(١) إينال عبد الله الأبوبكرى الأشرفى الفقيه(٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الألوف بديار مصر. هو من مماليك الأشرف برسباى، اشتراه فى أوائل دولته، ورقاه إلى أن، جعله خازندارًا، ثم أمره عشرة، بعد الأمير سنقر العزى فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، ثم ولاه الخازندارية الكبرى، بعد الأمير قراجا الأشرفى، ثم جعله أمير طبلخاناة، وشاد الشراب خاناة، بعد الأمير قراجا أيضا، بحكم إنتقال قراجا إلى تقدمة ألف. وتولى الخزندارية عوضه الأمير على باى الأشرفى الساقى، ثم نُقل فى الدولة العزيزية يوسف إلى الدوادارية الثانية، بعد انتقال الأمير تمرباى الدوادار إلى تقدمة ألف، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بتقدمة ألف بالديار المصرية، ورسم له بغمرة حاج المحمل، فأخذ المذكور فى أمر السفر وتجهيز احتياجه. وركب مسايرة الهجن فى شهر رمضان على عوائد أمراء الحج، فبينما هو ذلك، إذ تسحب الملك العزيز يوسف من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى القاهرة بحيلة دبرها، واختفى بها. وكثر الكلام فى أمر المماليك الأشرفية، وخافهم الملك الظاهر جقمق، وحسن إليه جماعة من المؤيدية القبض على أينال المذكور، فقبض عليه وأودعه سجن الإسكندرية مدة، ثم نقله إلى حبس آخر بالبلاد الشامية مع مَن نُقل من الأمراء الأشرفية وغيرهم، فدام أينال المذكور مدة سنين فى السجن، إلى أن أفرج عنه فى سنة تسع وأربعين تخمينا، وتوجه إلى القدس بطالا، فأقام به مدة ملازما للاشتغال والأشغال والعبادة إلى أن وشى به، فقبض عليه وحبس ثانيًا فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هو والأمير شادّبك الجكمى، ثم أفرج عنه فى سنة ثلاث، ورسم له بالتوجه إلى الحج وعوده إلى القدس، فسار صحبة الحاج الغزاوى، وحج وعاد، فمات فى عوده خارج مدينة الينبع، فرد أصحابه برمته ودفنوه بمدينة الينبع فى يوم الجمعة، أو آخر ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وهو فى حدود الأربعين سنة تخمينًا. وكان أميرا عاقلا، ساكنا، دينًا، فقيهًا، عالمًا، فاصلا، مقننًا حافظا للفقه وفروعه، كثير الاستحضار لفروع المذهب، أعجوبة فى ذلك. وله مشاركة فى العربية وغيرها. وكان، جيد التصور. هذا مع الشكالة الحسنة، والهيئة الجميلة،=

أنه مازال مختفيا حتى ظهر العزيز، فغرته الخدع التى خودع بها، من الثناء عليه وبسط عذره فى اختفائه، ودخل عشاء على الأمير جرباش قاشق أمير مجلس، واستجار به، فأجاره، وقد ظن أن السلطان يقبل شفاعته، ثم صعد به من الغد، وقد بعث يعلم السلطان به، فعندما وقع فى قبضة السلطان، أمر به فقيد وسجن حتى يحمل إلى الإسكندرية، والأمير جرباش يكرر تقبيل يد السلطان ورجله فى أن يشفعه فيه، فلم يفعل، وأخرج فى يومه إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى هذا الشهر: قدم ركب التكرور برقيق كثير وتبر، فسار أكثرهم إلى الحج، بعدما باعوا الرقيق، فهلك أكثره عند من اشتراهم.

وفيه ظهر فى السماء كوكب له ذنب نحو الذراعين، وكان يرى عشاء بحذاء كواكب برج السرطان، فأقام أياما.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر بدمشق، واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن تقى الدين أبى بكر بن قاضى شهبة، مع ما بيده من كتابة السر، وذلك أن الأمير أينال الجكمى لما ثار بدمشق على ابن حجى، وأخذ منه مالا، فكتب إلى ابن حجى حتى فرق الملطفات السلطانية فى الأمراء فكان من ركوبهم على النائب ما كان، وفر ابن حجى وقدم القاهرة، فجوزى على ما كان منه بإضافة القضاء إليه بسفارة حميه المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وعناية عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط به.

وفى يوم الأربعاء ثامنه: دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير ألابغا حاجب غزة، يتضمن قتال عساكر السلطان الأمير أينال الجكمى، فى يوم الأربعاء مستهله، بالقرب من الخزانة، وانهزامه.

وفى ليلة الأربعاء: المذكور نقل العزيز من حبسه بالمخدع من قاعة العواميد إلى سجن ضيق فى الحوش تحت الدهيشة، بعد أن سدت طاقاته، ووكل به من يحفظه، ومنع من جميع خدمه.

وفى يوم الأربعاء: هذا أخذ ما كان للعزيز بالقاهرة من الحواصل التى تشتمل على

=والمعرفة التامة بفنون الفروسية وأنواع الملاعيب، كالرمح والنشاب وغيره. غير أنه عنده بعض شمم. وكان شابًا طوالا، جميل الوجه، مدور اللحية، صغيرها، وهو صاحبنا من الصغر. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢١٣ وما بعدها.

سروج وثياب وحلى وفرش وأوانى وغير ذلك، مما حمل على نيف وسبعين حمالا، ولها قيمة تزيد على خمسين ألف دينار سوى خمسة آلاف دينار وجدت له لتتمة ستين ألف دينار، وسوى جواهر لها قيمة عظيمة، وسوى حلى للنساء يجل وصفه وقيمته، مما كان لأمه.

وفى يوم الخميس تاسعه: دقت البشائر لورود الخبر بمسك الأمير أينال الجكمى، وانبثت قصاد السلطان فى أهل الدولة يبشرونهم بذلك، ويأخذون ممن يأتوه مالا على هذه البشرى، فمنهم من يعطى البشير أربعين دينارا، أو أقل من ذلك أو أكثر، وفعلوا مثل ذلك فى الليلة التى قبض على العزيز فيها، فكسبوا مالا جزيلا.

وفى يوم الجمعة عاشره: وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، ومطالعات الأمراء بذكر واقعة أينال الجكمى. وملخصها أن العساكر المتوجهة من القاهرة، والمتجمعة بالرملة، نزلوا فى يوم الأربعاء مستهله بمنزلة الخربة، وقد قدموا بين أيديهم جماعة لكشف الأخبار فجاءت الكشافة وأخبرت بقرب أينال الجكمى منهم، فركبوا وقد عبوا جموعهم ستة أطلاب، وهم الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام والأمير جلبان نائب حلب[1]، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير غرس الدين خليل المستقر فى نيابة ملطية، وساروا بمن معهم من العربان والعشران جاليشا، حتى وصلوا إلى مضيق قرن الحرة، وإذا بجاليش أينال الجكمى، وهو الأمير قانصوه النوروزى، ومعه نائب بعلبك، وكاشف حوران، ومحمد الأسود بن القان، وشيخ العشير، وفرعلى الدكرى أمير التركمان، وخليل بن طور على بن سقل سيز التركمانى، وكثير من العربان، والجمع نحو ألف فارس، فكانت بين الفريقين وقعة كبيرة انهزمت فيها الأطلاب الستة، وإذا بالأمير أينال الجكمى قد أقبل، فركب أقفية القوم حتى أوصلهم إلى السنجق السلطانى، وتحته الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور، والأمير تمرباى رأس نوبة النوب، وبقية الأمراء المصريين والمماليك السلطانية فثبتوا له وقاتلوه، وهو يقاتلهم مقدار ساعة، فهزموه بعد أن قتل جماعة من الفريقين، يقول المكثر زيادة على خمسمائة رجل، منهم الأمير صرغتمش

---

(١) جُلُبّان بن عبد الله العمرى الظاهرى (٨٣٠ هـ = ١٤٢٦ م) الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات والحجاب بالقاهرة، ثم حاجب الحجاب بغزة. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق. وأيضا فى الدولة الأشرفية برسباى وهو من جملة الحجاب بالقاهرة. وكان سليم الباطن، تركى الجنس، يميل إلى دين وخير، ثم ولى حجوبية غزة، وبها توفى بعد الثلاثين وثمانمائة تخمينا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٧، الدليل ١/ ٢٤٨ الضوء ٣/ ٧٧.

المستقر دوادار حلب وجرح خلق كثير، وقبض على محمد بن الأمير قانصوه، وعلى الأمير تنم العلاى، والأمير خاير بك القوامى، والأمير بيرم صوفى، فى جماعة، وقد حال بينهم الليل، فلما أصبحوا يوم الخميس، ورد الخبر عليهم من دمشق بالقبض على أينال الجكمى من قرية حرستا[1] وقد اختفى بها فى مزرعة، ومعه نفر يسير، وذلك أن رجلا فطن به، فدل عليه نائب القلعة، فبعث فى طلبه جماعة طرقوه، فدافع عن نفسه، حتى طعن فى جنبه ودمى فى وجهه، فأخذ وجىء به على فرسه، وقد وقف من العى، فلم يصل إلى القلعة إلا بعد العصر، والناس فى جموع كثيرة لرؤيته، فسجن مقيدا فى القلعة، ودخل الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام إلى دمشق أوائل نهار الجمعة ثالثه فى العساكر، وهم بسلاحهم، فنزل دار السعادة بغير ممانع.

وفى هذا اليوم: قتل بدمشق محمد المعروف ببلبان شيخ كرك نوح، وولده محمد الخرباني، وكان من خبره أنه قدم بجموعه نصرة لعساكر السلطان، فلم يصل حتى انقضت الوقعة، فدخل فى خدمة النائب حتى عبر دار السعادة، وتفرق الأمراء وغيرهم فى منازلهم، فتوجه بلبان فيمن توجه حتى كان عند المصلى، والعامة قد ملأت الطرقات، فصاح به وبمن معه من العشير جماعة من أراذل عامة دمشق قائلين «أبا بكر، أبا بكر» يكررون ذلك مرارا، يريدون نكاية بلبان وجماعته، فإنهم يرمون بأنهم رفضة.

فلما كثر ذلك من العامة أخذ بعض العشير يضرب واحدا منهم، فوثبوا به، وألقوه عن فرسه ليقتلوه، فاجتمع أصحابه ليخلصوه من العامة، وقاتلوهم، فبادروا وذبحوا ذلك البائس، وتناولوا الحجارة يرمون بها بلبان وقومه، ووضعوا أيديهم فقتلوا بلبان وابنه وجماعته، وهم خمسمائة أو يزيدون، بغير سبب ولا أمر سلطان ولا حاكم، فلم ينتطح فى قتلهم عنزان، ولا تحرك لهم اثنان، فكان ذلك من الحوادث الشنعة، وما أراه إلا أمرًا له ما بعده، ولله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: رسم بعقوبة الأمير جكم خال العزيز فى سجنه بالإسكندرية حتى يعترف بمتحصل العزيز فى أيام أبيه من إقطاعه ومن حماياته ومستأجراته، ومن الهدايا والتقادم التى كانت تأتيه، فأجابهم عن ذلك، ورسم بعقوبة الأمير يخشى بك بالسجن أيضًا، وذلك أنه لما كان فى التجريدة ببلاد الصعيد أيام الأشرف، ضبط عليه أنه سب بعض من يدعى أنه شريفا، فلما مات الأشرف، وأنزل بالأشرفية من القلعة ـ كما تقدم ـ أرادوا أن يدعوا على يخشى بك عند القاضى المالكى بأنه سب أبا الشريف ليريق دمه،

---

(١) حرستا: قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. انظر معجم البلدان.

فبادر حتى حكم قاضى شافعى بحقن دمه، فاطمأن لذلك فلم يتركوه بعد سجنه، وأرادوا قتله، فأوصلوا القضية بالمالكى، وسمع البينة عليه، فلم يمض قتله بناء على أن هذه الدعوى هى التى حكم فيها بحقن دمه، ونازعه فى ذلك قوم، وزعموا أن الدعوى التى حكم فيها بحقن دمه غير هذه، وكثر الاختلاف فى ذلك، وعقد فيه مجالس والغرض قتله، والحكم الشرعى بذلك، فلم يتجه، وتمادى الحال فى ذلك عدة أشهر، ثم تحركوا لقتله، واستمالوا بعض من تمشيخ وتمصلح من المالكية، حتى أفتى بقتله، وأريد من القاضى العمل بفتياه، فلم يتجاسر على الحكم بالقتل، وجرت أمور آخرها أن قيل يفوض الحكم لهذا المفتى حتى يحكم كما أفتى بقتله، فبكى لما قيل له ذلك، ولم يقدم عليه، فلما وقع اليأس من قتله بيد قضاة الشرع، رسم بعقوبته حتى يعترف بماله من الأموال، فعوقب أشد عقوبة، بحيث لم يبق إلا إرهاق نفسه.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: كتب بقتل أينال الجكمى بسجنه من قلعة دمشق بعد تقريره على أمواله وذخائره، وبقتل جماعه ممن قبض عليه فى الوقعة.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير سودون المغربى، وأعيد إلى ولاية دمياط عوضا عن محمد الصغير.

وفيه ورد الخبر بأن الفأر مكثر بأراضى الزراعات، وأن فى ناحية البهنسى كانت للفيران حرب شهدها الناس، وقد اجتمع من الفيران عدد عظيم، اقتتلوا قتالا كبيرا، ثم تفرقوا، فوجدوا فى معتركهم من الفيران شىء كثير ما بين مقتول ومجروح ومقطوع بعض الأعضاء وأنه بلغهم أن ذلك كان بين الفيران فى موضع آخر. وعندى أن هذا منذر بحادث ينتظر.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: وصل محمد بن الأمير قنصوه، فعفى عنه بشفاعات وقعت فيه.

وقدم الخبر بأن العساكر توجهت من دمشق فى حادى عشره إلى حلب، بعد أن عاد الأمير طوغان نائب القدس إليها، وتأخر الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بدمشق، وأن المتوجه إلى حلب الأمير جلبان نائب حلب، والأمير أينال نائب صفد، والأمير طوخ نائب غزة، والأمير قراقجا الحسنى، والأمير تمرباى، والمماليك السلطانية، وأنه قبض بدمشق على الأمير فرعلى الدكرى، وشنق بها، وأن تغرى برمش نزل على حلب وصحبته الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير على بار بن أينال بجمائعهما من التركمان، والأمير غادر بن نعير بعربه من آل مهنا، والأمير فرج وأخيه إبراهيم ولدى صوجى، والأمير محمود بن الدكرى بجمائعهم من التركمان وعدة الجميع نحو ثلاثة

آلاف فارس، فى يوم الإثنين حادى عشرين شوال، وأن تغرى برمش خيم بالجوهرى وبعث عدة كبيرة إلى خارج باب المقام، فخرج إليهم الأمير برد بك نائب حماة، ومعه جماعة من أمراء حلب، ومن تركمان الطاعة، ومن العامة، فكانت بينهم وقعة قتل فيها وجرح جماعة من الفريقين، وعاد كل منهما إلى موضعه، ثم التقى الجمعان فى يوم الجمعة خامس عشرينه على باب النيرب[1] واقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدًا، قتل فيه عدة من الناس، وجرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجمع كبير من العامة، ورجع كل فريق إلى موضعه، فرحل تغرى برمش فى يوم الأحد سابع عشرينه من موضعه، ونزل بالميدان، والحرب مستمرة، والعامة تبذل جهدها فى قتاله إلى أن كان يوم الخميس ثانى ذى القعدة أحضر تغرى برمش آلات الحرب فى مكاحل النفط، والجنويات والسلالم إلى خارج باب الفرج[2] ونصب صيوانه تجاه السور، وزحف زحفا قويا.

وأهل حلب يدًا واحدة على محاربته طول ذلك النهار مع ليلة الجمعة بطولها، والناس يتضرعون ويدعون الله تعالى، فرحل تغرى برمش فى يوم الجمعة، وعاد إلى الميدان بعدما كانت القضاة وشيوخ العلم والصلاح وقوفًا بالمصاحف والربعات على رءوسهم، وهم ينادون من فوق الأسوار «الغزاة معاشر الناس فى العدو، فإنه من قتل منكم كان فى الجنة ، ومن قتل من العدو صار إلى النار ...» فى كلام كثير يحرضون به العامة على القتال، ويقوون عزائمهم على الثبات، إلى أن رحل تغرى برمش بمن معه من الميدان إلى الجهة الشمالية، فى يوم الأحد خامسه، بعدما رعت مواشيهم زروع الناس وبساتينهم وكرومهم وقطعوا ونهبوا القرى التى حول المدينة، وخربوا غالب العمارات التى هى خارج السور وقطعوا القناة التى تعبر المدينة من ثلاثة أماكن وكان أشد الناس قتالا أهل بانقوسا والحوارنة، فحرق العدو أسواق بانقوسا وبيوتها، وفتحوا جباب الغلال وغيرها، ونهبوها، فداخل الناس من الخوف والرعب ما لا يوصف وطلب الأعيان بحرمهم وأموالهم إلى القلعة، وقطع تغرى برمش أيدى جماعة كثيرة من عامة حلب، وبالغ فى الإضرار بالناس، فكانت هذه النوبة من شنائع الحوادث، و لله عاقبة الأمور.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه: خلع على علاء الدين على بن يوسف ـــ المعروف بالناسخ ـ قاضى المالكية بحلب، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق عوضا عن محيى الدين

---

(١) النيرب قرية قديمة فى الجنوب الشرقى من حلب، إليها ينسب هذا الباب. انظر زبدة الحلب ٢١١/٢.

(٢) كان يسمى باب العبارة، وهو فى الشمال الغربى من مدينة حلب القديمة. انظر زبدة الحلب ١٤٩/١.

يحيى بن حسن بن محمد الحيحانى[1] المغربى بعد موته، واستقر شرف الدين يعقوب بن يوسف على المكناسى المغربى - أحد نواب الحكم بالقاهرة - فى قضاء المالكية بحلب عوضا عن علاء الدين الناسخ.

وفى يوم الخميس المبارك خامس عشرينه: دقت البشائر لورود الخبر بأن العساكر لما سارت من دمشق فى حادى عشره - كما تقدم ذكره - لقيهم تغرى برمش قريبا من حماة فى جموعه التى كانت معه على حلب، فلقوه فى يوم الجمعة سابع عشره وقاتلوه، وكانت بينهم وقعة كبيرة، قتل فيها وجرح خلق كثير فانهزم بمن معه، وحازت العساكر منهم غنائم لا تحصى، منها مائتى ألف رأس من الغنم، سوى ما تمزق، وهو قريب من ذلك.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم النجاب برأس الأمير أينال الجكمى، فشهرت على رمح، ثم علقت على باب زويلة، وكان قتله فى ليلة الإثنين ثانى عشرينه، بعدما قرر على أمواله، ونودى عليه هذا جزاء من حارب الله ورسوله، وقتل معه بقلعة دمشق الأمير تنم العلاى.

وفى هذه الأيام: بعث السلطان إلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بألف دينار ذهبًا، فإنه كان قدم له كتبا وغيرها قبل ذلك.

وفيها حكم بقتل الأمير يخشى بك، وقد تقدم أنه ادعى عليه أنه سب شريفا، ولعن والديه، فالتجأ إلى قاضى القضاة الشافعى، فحكم بعض نوابه بحقن دمه، وسكن الحال مدة أشهر، ثم تحركوا عليه بعد سجنه، وراودوا القاضى المالكى على قتله، فاحتج بحكم الشافعى بحقن دمه، فعورض بأن المطلوب الآن من الدعوى عليه غير المحكوم فيه بحقن الدم، فصمم على أنهما قضية واحدة، ووافقه غير واحد من المالكية على ذلك، فسكنت الثائرة مدة، ثم تحركوا لإراقة دمه، وأفتى بقتله بعض المالكية، ممن يظهر للناس نسكا على وظيفة وعد بولايتها، وأرادوا قاضى القضاة المالكى أن يحكم بمقتضى الفتوى فامتنع، فعرضت على غير واحد من نواب المالكى، فلم يقدم أحد على الحكم، وكان منهم واحد لم يوله القاضى نيابة الحكم، وأقام مدة بطالا، فأذن له السلطان فى الحكم فأقدم على ما أحجم عنه غيره، وحكم بقتل يخشى بك.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع على ناصر الدين محمد ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن أمير طبر.

---

(١) انظر ترجمته الضوء اللامع ١٠/٢٢٥.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله الجمعة:

فيه دقت البشائر بقلعة الجبل لورود خبر من غزة بأن التركمان الصوجية قبضوا على تغرى برمش، وعلى طرعلى بن سقل سيز.

وفى يوم الأحد ثالثه: وردت مطالعة الأمير جلبان نائب حلب، وقرينها مطالعات بقية النواب، وأمراء العساكر، تتضمن أن تغرى برمش لما انهزم على حماة مضى نحو الجبل الأقرع، وقد فارقه الغادر بن نعير، فقبض عليه أحمد وقاسم ولدى صوجى، وقبضا معه على دواداره كمشبغا، وعلى خازنداره يونس، وعلى الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير صارم الدين إبراهيم بن الهذبانى نائب قلعة صهيون[1]، وكتبوا بذلك إلى نائب حلب، فورد الخبر على العسكر - وهم على خان طومان - فى يوم الإثنين من ذى القعدة، فجهز الأمير جلبان عند ذلك الأمير برد بك العجمى نائب حماة، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير قطج أتابك حلب، والأمير سودون النوروزى حاجب الحجاب بحلب، بإحضار المذكورين ورحل بمن بقى معه يريد حلب، فدخلها فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه وتسلم نائب حماة ومن معه من النواب تغرى برمش ومن قبض عليه معه، وأتوا بهم، فسمر طرعلى بن سقل سيز تسمير سلامة، وسمر الهذبانى ورفيقه تسمير العطب[2] وساروا بهم، وتغرى برمش راكب فى الحديد، حتى دخلوا مدينة حلب، وهو ينادى عليهم فى يوم الخميس ثالث عشرينه، وقد اجتمع من الناس عدد لا ينحصر، حتى أوقفهم تحت القلعة[3]، ثم وسط الهذبانى ورفيقه، وتسلم نائب القلعة تغرى برمش وطرعلى بن سقل سيز، وتسلم كمشبغا ويونس الأمير قراقجا الحسنى، فدقت البشائر بقلعة الجبل لورود هذا الخبر، وكتب بقتل تغرى برمش وطرعلى.

وفى يوم الأربعاء: جهز رجلان من موقعى الحكم بالقاهرة، وعلى يدهما الحكم بقتل يخشى بك. ودفع لهما ثلاثون دينارا، فمضيا إلى الإسكندرية، وأوصلا الحكم بقاضيها، فاستدعى يخشى بك من السجن، وضربت عنقه بعد صلاة الجمعة ثامنه، فى جمع عظيم وافر لرؤيته، وحسابه وحسابهم على الله، الذى يوفى كل عامل عمله.

وفى يوم الأحد سابع عشره: ابتدأ قاضى القضاة علم الدين صالح فى عمل الميعاد بين يدى السلطان.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) التسمير: هو صلب المعاقب بواسطة المسامير على حدار أو خشب، فإن كان المراد من العقوبة هلاكه سمى «تسمير عطب» وإن كان خلاف ذلك سمى «تسمير سلامة».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٠.

وفيه قتل تغرى برمش بقلعة حلب بعدما عوقب على أمواله، فظفر منها بخمسين ألف دينار عينا، وقتل معه طرعلى بن سقل سيز.

وفى يوم الأربعاء عشرينه: قبض على سودون المغربى متولى دمياط، وحمل مقيدًا حتى سجن بالإسكندرية. ورسم أن يعطى المسفر به مائة ألف درهم.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن سلام، واستقر فى ولاية دمياط، عوضا عن سودون المغربى.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه: قبض على عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وعلى ولده أبى بكر، وعلى زوجته شكربيه، وعلى دواداره أرغون، وعلى مباشره شرف الدين موسى بن البرهان، فى عدة من ألزامه. وقبض معه على الأمير جانبك أستادار، وأحيط بدورهما.

وأخذت خيولهما فكانت زيادة على سبعين فرسا، وأخذت بغالهما وجمالهما، وكتب بإيقاع الحوطة على ماله بالشام والإسكندرية والحجاز، من مال والبضائع، فكان بسبب ذلك انزعاج فى الناس بالقاهرة.

وفى يوم السبت سلخه: خلع على شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن عبد الباسط، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش، واستقر أستادارًا، عوضا عن جانبك الزينى عبد الباسط(١).

وفيه قدم رأس تغرى برمش، فطيف به على رمح، ثم علق بباب زويلة فتوالى على السلطان فى مدة أيام يسيرة الظفر بالملك العزيز، وبالمماليك الأشرفية الذين قاموا مع

---

(١) جنبك بن عبد الله، الزينى عبد الباسط (٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م)، الأمير سيف الدين الأستادار. هو مملوك عبد الباسط وداوداره، استمر بخدمة أستاذه دهرا إلى أن أراد الملك الأشرف أن يتولى عبد الباسط الأستدارية وإن نكبه، ففطن لها عبد الباسط وكان قد قال قبل ذلك: أنه لا يلها أبدا، استدرك فارطه،وصار لا يمكنه ولايتها فيعلم به كل أحد أنه ليس خوفا، فعند ذلك قال: يلبسها مملوكى جانبك، فقال الملك الأشرف: المقصود سد باب السلطان، فولى جانبك المذكور الأستدارية وصار حسا لا معنى، وبقى لا يتصرف فى أمر من أمور الدولة إلا بأمر أستاذه عبد الباسط، ودام على ذلك إلى أن قبض الملك الظاهر جقمق على أستاذه عبد الباسط، فقبض على جانبك هذا أيضًا مع جملة من قبض عليه من حواشى عبد الباسط، إلى أن انتهت مصادرته توجه أيضا صحبة أستاذه إلى مكة، ثم إلى دمشق، ودام إلى أن حضر بعد سلطنة الملك الأشرف أينال، وأقام بالقاهرة إلى أن توفى فى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. ولم يكن جانبك هذا من أعيان الأمراء حتى تشكر سيرته أو تذام. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠، الدليل الشافى ١/ ٢١٤، والنجوم الزاهرة ١٦/ ١٧٢، والضوء ٣/ ٥٦.

العزيز بالصعيد، وبأينال الجكمى نائب الشام، وبتغرى برمش نائب حلب، وهذا من النوادر الغريبة، و لله عاقبة الأمور.

فكانت هذه السنة ذات حوادث عظيمة، زالت فيها نعم خلائق بمصر والشام، فذلوا بعد عزهم، وأهينوا بعد تعاظمهم، جزاء بما كسبت أيديهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾(١).

ووقع فى هذه السنة بعدن وغيرها من بلاد اليمن وباء هلك فيه خلق كثير.

وفيها جمع الإمام صلاح بن محمد الناس بصعدة؛ ليحارب قاسم بن سنقر المتولى على صنعاء، فخافه ابن سنقر، وكتب إلى الظاهر عبد الله صاحب زبيد وتعز، يستنجده ليملكه صنعاء فبعث إليه عسكرا وصل إلى ذمار(٢) على مرحلتين من صنعاء، فبلغهم أن الظاهر أشرف على الموت فعادوا، فإذا هو قد مات، وصلاح هذا يعرف بالهدوى نسبة إلى الهادى من أئمتهم(٣).

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

محدث الشام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن على، المعروف بابن ناصر الدين القيسى الدمشقى الشافعى، فى ثامن عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده فى المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة(٤)، سمع على شيخنا أبو بكر بن المحب وغيره، وطلب الحديث، فصار حافظ بلاد الشام غير منازع، وصنف عدة مصنفات، و لم يخلف فى الشام بعده مثله.

ومات الطواشى صفى الدين جوهر الحبشى الزمام. وأصله من خدام الأمير بهادر المشرف، قدم به من مكة صغيرا، وأعطاه لأخته زوجة الأمير جلبان الحاجب، فربى عندها، وأعتقته، ثم خدم الأمير برسباى الدقماقى، فى أيام المؤيد شيخ وخرج معه لما ولى نيابة طرابلس، وخدمه لما سجن بقلعة المرقب.

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢) ذِمار: هو اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. انظر معجم البلدان ٧/٣.

(٣) نسبة إلى الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين القاسم الرس. انظر غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ص٢٢٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٥.

وصار يكاتب الطواشي جوهر، وهو إذ ذاك فى خدمة علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، فيقضى له حوائجه إلى أن خلص برسباى، وعاد إلى القاهرة، صحبة الظاهر ططر، ثم تسلطن وتلقب بالملك الأشرف، فجعل جوهر هذا لالا ولده، فعرف بجوهر اللالا مدة، واشتهر ذكره لتمكنه من السلطان، ورعى حق أخيه جوهر، فتحدث له مع السلطان حتى عمله خازندارًا وتعاضدا وتعاونا، ثم ولاه السلطان زمام الدار، فصار من جملة الأمراء الألوف حتى مات، فعظم فى أيام ولده الملك العزيز، وصار هو المشار إليه إلى أن خلع، وقام فى السلطنة الأمير الكبير جقمق، وتلقب بالملك الظاهر، قبض عليه وسجنه، ثم صادره على مال كبير، وهو مريض، حتى مات فى يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى عن ستين سنة أو نحوها، وكان متدينا، يحب أهل الخير، ويحسن إليهم ويعتقدهم[1].

ومات الأمير قرقماس الشعبانى، وأصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه صغيرا وأعطاه لولده الأمير فرج، فلما تسلطن بعد أبيه، وتلقب بالملك الناصر، رقاه فى خدمته، ثم خدم بعده المؤيد شيخ، وصار دوادارا، ثم أمير مائة فى أيام الأشرف، وعظم فى أيامه، وولاه حاجب الحجاب[2]، ثم ولاه نيابة حلب مدة، وأقدمه منها إلى ديار مصر، وعمله أمير سلاح، وأخرجه إلى التجريدة، وعمله مقدم العسكر، فسار وأخذ أرزنكان وغيرها فمات الأشرف وهو فى التجريدة، فقدم بعد موته، وبالغ فى خلع الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباى، فلما خلع وتسلطن الملك الظاهر جقمق، ركب عليه وقاتله، فلم يثبت وفر، فقبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضربت عنقه بها فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة، وقد بلغ الخمسين أو تجاوزها وكان يوصف بعفة عن القاذورات المحرمة، وبمعرفة، وخبرة، وفروسية، وشجاعة، إلا أنه أفسد أمره بزهوه وتعاظمه، وفرط رقاعته، وشدة إعجابه بنفسه، واحتقار الناس، والمبالغة فى العقوبة، وقلة الرحمة، لا جرم أن الله تعالى عامله فى محنته من جنس أعماله ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى المالكى. قدم من الريف وطلب العلم، وعرف بعلوم العجم فى المنطق ونحوه. وعاش دهرا فى بؤس وقلة، بحيث أخبرنى أنه ينام على قش القصب، ثم تحرك له الحظ فولاه الأمير جمال الدين يوسف أستادار

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

تدريس المالكية بمدرسته[١]، ثم ولى مشيخة التربة الناصرية فرج بالصحراء[٢]، واستنابه ابن عمه الجمال يوسف البساطى فى الحكم مدة ثم عزله، فلما مات الجمال عبد الله الأقفهسى قاضى المالكية، ولى المؤيد شيخ البساطى صاحب الترجمة قضاء القضاة المالكية بديار مصر، رغبة فى أنه فقير متعفف، فباشر ذلك نحو عشرين سنة، حتى مات ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان. ومولده فى محرم سنة ستين وسبعمائة، ولم يخلف بعده فى المالكية مثله، فيما نعلم.

ومات علم الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن كمال الدين محمد ابن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخناى المالكى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان. وكان فقيها حشما من بيت علم ورياسة[٣].

ومات الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، وقد فارق أخاه أمير مكة - شرفها الله - بركات بن حسن، وسار إلى اليمن، فمات بزبيد[٤].

ومات محيى الدين يحيى بن حسن بن محمد الحيحانى المغربى المالكى، قاضى المالكية بدمشق، فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة، وكان عفيفا فى أحكامه مهابا.

ومات أبو عبد الله ابن الفقيه على بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم العقيلى النويرى المكى المالكى، قاضى المالكية بمكة - شرفها الله تعالى - فى سابع عشر ذى القعدة بمكة، ومولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة بمكة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان عفيفا فى قضائه، حشما، جميل الهيئة، له مروءة وباشر حسبة مكة مدة.

ومات محمد - ويعرف ببلبان شيخ كرك نوح - قتله عامة دمشق وولده فى يوم الجمعة ثالث ذى القعدة، وقتلوا معه من قومه جماعة كبيرة بغيا وعدوانا، وكان يتهم بأنه رافضى، ولذلك قتلوه، وكان صاحب همة عالية ومروءة غزيرة، وأفضال وكرم من حال واسعة ومال جم.

ومات الأمير أينال الجكمى، وأصله من مماليك الأمير جكم، وانتقل بعده إلى الأمير شيخ المحمدى، وهو صغير، فربى عنده ورقاه فى خدمته لما تسلطن وعمله شاد الشرابخاناه، ثم صار بعد المؤيد شيخ من أمراء الألوف، وولاه الأشرف برسباى نيابة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٥.

(٢) فى المنهل: ولاه الملك الناصر فرج مشيخة خانكاته التى أنشأها بالصحراء، على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق. انظر: المنهل الصافى ٦٠٣/٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

الشام، فمات وهو على نيابتها[١]، فلما خلع العزيز بن برسباى، خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق ودعا بدمشق للملك العزيز، فبعث إليه السلطان العساكر فحاربته وهزمته، ثم قبض عليه وقتل بقلعة دمشق، فى ليلة الإثنين ثانى ذى القعدة، وكان مشهورا بالشجاعة، مشكور السيرة، إلا أنه لم يسعده جده.

ومات الأمير يخشى بك، أصله من المماليك المؤيدية، وصار من الأشرفية فرقاه الأشرف برسباى حتى صار من أمراء الطبلخاناه وعمله أمير آخور ثانيا، فلما مات الأشرف قبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضرب عنقه فى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة، بحكم بعض نواب قاضى المالكية بقتله من أجل أنه سب والدى بعض الأشراف، وكان جبار ظالما شريرًا.

ومات الأمير تغرى برمش، وهو من أهل مدينة بهسنى، واسمه حسين لم يمسه رق قط، وإنما قدم القاهرة وهو صبى، فحافظ بالأجرة فى الخط المعروف بالمصنع تحت قلعة الجبل، عند بعض الخياطين فى حانوت، وتسمى تغرى برمش[٢]، ثم خدم تبعا عند قراسنقر - من المماليك الظاهرية برقوق - مدة طويلة، وخدم بعده بعض الأمراء وصار معه إلى حلب، ثم خدم جقمق، فلما صار دوادار المؤيد شيخ، عمله دواداره إلى أن خرج لنيابة الشام، خرج معه، فلما مات المؤيد وقبض جقمق على الأمير برسباى الدقماقى وسجنه يريد قتله، قام تغرى برمش هذا فى مدافعة جقمق عنه، ومنعه من قتله، حتى كان من سلطنة الأمير ططر ما كان، وقدم من دمشق وقد عمل الأمير برسباى دوادار السلطان، رعى لتغرى برمش حق مدافعة جقمق عن قتله، وقربه، فلما تسلطن رقاه وجعله من جملة أمراء مصر، ثم ولاه أمير أخور كبيرًا، ومكنه من التصرف، واعتمد عليه، ثم ولاه نيابة حلب، فمات الأشرف برسباى وتغرى برمش عليها، وخرج مع العساكر فى التجريدة إلى أرزنكان، فاختلف مع الأمراء، وقدم حلب، فلما خلع العزيز بن برسباى خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق، فلم ينجح وقاتله أهل حلب وأخرجوه، ثم قاتلته عساكر السلطان وهزمته، ثم قبض عليه، وقتل بحلب فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة، بعد عقوبات شديدة، وقد أخرب فى حروبه هذه حلب وما حولها، وأكثر من الفساد، وقتل العباد، وقتل معه الأمير طرعلى بن سقل سيز من أمراء التركمان.

ومات بالقاهرة الأمير حسام الدين حسن، فى يوم الأحد ثالث عشرين ذى الحجة،

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٠٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢١٠، ٢١١.

وقد قدم من القدس وولى فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها عدة نيابات بغـزة والقـدس وغيرهما.

ومات ملك اليمن الملك الظاهر هزبر الدين عبد الله بن الأشرف[(١)] إسماعيل بن على ابن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، يوم الخميس سلخ شهر رجب وله فـى الملك نحو اثنتى عشر سنة، وضعفت مملكة اليمن فى أيامه لقلة مجـابى أموالهـا، واستيلاء العربان على أعمالها، وأقيم بعده ابنه الأشرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء، وأخذ الأموال، وغـير ذلـك مـن أنـواع الفسـاد، فقتـل برقـوق القائم بدولتهم فى عدة من الأتراك[(٢)].

ومات باليمن الرئيس شرف الدين موسى بـن نـور الديـن علـى بـن جميـع الصنعـانى الأصل، العدنى المولد والمنشأ، وقد جاوز الخمسين، وكان قد اسـتقر فـى منصـب أخيـه وجيه الدين عبد الرحمن، وختم به بيت ابن جميع. وكـان حاذقـا عارفـا بـالأمور، كثـير الاستحضار للنوادر، حسن المعاشرة، بعيد الغور.

ومات بعدن أيضا قاضيها الفقيه الفاضل الشافعى جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن الطبرى الأصل، العدنى، فى سابع شهر رمضان، وقد جاوز الستين. وكـان فـاضلا فـى الفقه وغيره حسن التأنى، لين الجانب.

ومات بزبيد الفقيه الشافعى المفتى موفق الدين على بن محمد بـن فخـر، فـى شـوال، ومولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقد انتهت إليه رياسة العلم والفتوى بزبيد.

ومات بزبيد الفقيه الحنفى الفاضل جمال الدين محمد بن على المعروف بـالمطيب، فـى عشر رمضان. وهو فى عشر السبعين. وقد انتهت إليه رياسة الحنيفية بزبيد.

* * *

---

(١) عبدالله، وقيل يحيى بن إسماعيل بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بـن رسـول (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م)، الملك الظاهر هزبر الدين، صاحب اليمن، ابن الملك الأشرف. ملك اليمـن فـى شهر رجب سنة ثلاثين وثمانمائة، فأقام فى الملك نحو اثنتى عشرة سنة، وضعفت مملكتـه، وخربـت ممالك اليمن فى أيامه لقلة محصوله بها من استيلاء العربان على أعمالها، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الخميس سلخ شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وملك بعده ابنه الملـك الأشـرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فساءت سيرته فـى المـالك مـن سـفك الدمـاء وأخـذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير سيف الدين برقوق - القائم فـى عـدة بدولتهـم فى عدة من الأتراك وغيرهم. انظر المنهـل الصـافى ٧/ ٨٠. والدليـل الشـافى ١/ ٣٨٣، النجـوم الزاهرة ١٥/ ٤٧٤، الضوء اللامع ٥/ ١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣١٢.

سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

شهر الله المحرم الحرام، أوله يوم الأحد:

فيه أفرج عن زوجة القاضى زين الدين عبد الباسط، وعن أرغون دواداره.

وفيه حمل عبد الباسط الخزانة السلطانية ثلاثين ألف دينار ذهبًا، وأحيط له بخمسين ألف أردب من الغلة، وبمائة هجين فيها ما تبلغ قيمة الواحد منها آلاف، وبهار قيمته خمسون ألف دينار، وبعدة كثيرة من الجمال.

وفى ثانيه: خلع على ولى الدين محمد السفطى مفتى دار العدل، وأحد خواص السلطان، واستقر فى نظر الكسوة المحمولة إلى الكعبة المشرفة، عوضًا عن زين الدين عبد الباسط، مضافًا لما بيده من وكالة بيت المال، فإن شرط الواقف أن يكون وكيل بيت المال ناظر الكسوة.

وخلع على فتح الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المحرقى[1]، واستقر فى نظر الجوالى، عوضًا عن عبد الباسط. وكانت بيده قديمًا فأعيدت إليه.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، ورخاء الأسعار.

وفى خامسه: أفرج عن أبى بكر بن عبد الباسط، وعن شرف الدين موسى بن البرهان إبراهيم الكازرونى ـ مباشر ديوان عبد الباسط ـ على مال يقوم به. هذا وعبد الباسط يورد المال شيئًا بعد شىء، والسلطان مصمم على أنه لا يقنع منه بأقل من ألف ألف دينار، ويتهدد بعقوبته، ويعدد له ذنوبًا يحقدها عليه.

وفى يوم الأحد ثامنه: ابتدأ بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة ـ وهى الماء القديم فى القياس ـ أربعة أذرع وعشرة أصابع، وأنه زاد ثلاثة أصابع.

وفى تاسعه: نقل الأمير جانبك الزينى أستادار من سجنه بقلعة الجبل إلى بيت الأمير تغرى بردى المؤذى الدوادار؛ ليحاسبه عما فى جهته للديوان المفرد، وألزم بحمل عشرة آلاف دينار، فلم يتأخر فى القلعة سوى زين الدين عبد الباسط بمفرده فى مقعد بالحوش من القلعة، وقد رسم عليه عدة من المماليك السلطانية، وأتباع تبيع أصناف أمواله وعقاره، وتورد أثمانها ذهبا إلى الخزانة السلطانية.

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء ١٥٨/٧.

وفى حادى عشره: أفرج عن الأمير جانبك الزينى، ونزل من بيت الأمير تغرى بردى الدوادار إلى بيته، وقد شطب عليه بمبلغ ألف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم، وجبت عليه لديوان، أكثرها تحامل عليه، فإنها بواق فى جهات متسحبين وغير ذلك، مما لو أنصف لم تلزمه، وذلك سوى العشرة آلاف دينار التى ألم بها[1].

وفى رابع عشره: قدم القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين أبى بكر كاتب السر بحلب، وحمل التقدمة فى خامس عشره، ما بين ثياب حرير، وفرو سمور وثياب صوف ، وثياب بعلبكى وخيل ، وبغال، قومت بألف وخمسمائة دينار.

وفيه رسم بنقل سودن المغربى من سجن الإسكندرية إلى القدس؛ ليقيم به بطالا، ورسم بسجن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق كبير تجار الشام فى قلعة دمشق، حتى يحمل ثلاثين ألف دينار للخزانة السلطانية، وعشرة آلاف دينار للديوان الخاص، فقدم ولده وصالح عن ذلك بخمسة آلاف دينار للخزانة وألف دينار للخاص، وخلع عليه.

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج ثم قدم محمل الحاج ببقية الحجاج فى غده، وأخبروا برخاء الأسعار فى بلاد الحجاز وأمنها من الفتن. وأن وميان أمير المدينة النبوية عزل بسليمان بن عزير، وأن جماعة من الحجاج لما قدموا المدينة الشريفة مضوا لزيارة البقيع فخرج عليهم عدة من العربان وقاتلوهم، فقتل ثلاثة نفر من المماليك المجردين.

وفى هذه الأيام كثرت القالة باختلاف أمراء الدولة والمماليك السلطانية، فنودى فى يوم الخميس سادس عشرينه بألا يخرج أحد فى الليل وأن يصلح الناس دروب الحارات ونحوها.

وفى سلخه: قدم الأمير يشبك من بلاد الصعيد بمن معه من الأمراء والمماليك المجردين، فخلع عليه، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر، وخلع على من قدم معه من الأمراء.

وفى هذا الشهر وقع الصلح بين الفنش ملك أشبيلية وقرطبة وغيرهما من ممالك الفرنج، وبين محمد بن الأحمر ملك المسلمين بغرناطة من بلاد الأندلس، بعدما امتدت الفتنة بين الفريقين عدة سنين، و لله الحمد.

شهر صفر، أوله يوم الإثنين:

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٣/١٥.

فيه قدم الأمير قانبيه البهلوان[١] أتابك العساكر بدمشق، فأكرم وخلع عليه لنيابة صفد، عوضا عن الأمير أينال الأجرود المستقر فى جملة أمراء الألوف بديار مصر، ورسم باستقرار الأمير أينال الششمانى أحد أمراء الألوف بدمشق فى الأتابكية بها، عوضا عن الأمير قانبيه البهلوان.

وفى يوم الخميس رابعه: طبق السحاب آفاق السماء بالقاهرة وما حولها، ثم أمطرت مطرا غزيرا كثيرا، فكان هذا مما يستغرب، فإن الزمان صيف، والشمس فى برج الأسد، والنيل ينادى عليه، وقد بلغ نحو عشرة أذرع، ونحن فى شهر أبيب أحد شهور القبط ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢].

وفى سادسه قدم الأمراء المجردين إلى الشام بمن معهم من المماليك السلطانية فخلع على الأمير قراقجا الحسنى أمير آخور، ونزل بباب السلسلة من القلعة، وعلى الأمير تمرباى رأس نوبة النوب[٣].

وفى حادى عشره: نقل زين الدين عبد الباسط من المقعد بالحوش من القلعة إلى برج بها، وكانت حاله فى مدة سجنه بالمقعد على أجمل ما عهد ممن نكب، فإنه أنزل بهذا المقعد - وهو أحد المواضع المعدة لجلوس السلطان - ورتب له فى كل يوم سماط من أول النهار، وسماط فى آخره يحمل إليه من المطبخ السلطانى، مع الحلوى والفاكهة، ولم يمنع أحد من التردد إليه، فكان أمراء الدولة ومباشروها وأعيان الناس وجميع أتباعه وألزامه لا يزالون يتناوبون بجلسه، ويكونون بين يديه، كما هى عادتهم فى أيام دولته، بحيث لم يفقد مما كان عليه سوى الحركة والركوب، وهو مطلوب بألف ألف دينار، والسلطان مصمم على ذلك.

وقد توسط بينه وبين السلطان المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وراجع السلطان فى أمره مرارًا وعبد الباسط يورد من أثمان ما يباع له من ثيابه وأثاثه وحلى نسائه وأمتعتهم ومن عقاراته، حتى وقف طلب السلطان - بعد اللتيا والتى - على أربعمائة ألف دينار، وأبى أن يضع عنه منها شيئًا، إلى أن كان يوم الخميس هذا، تحدث كاتب السر مع السلطان فى الحطيطة من الأربعمائة ألف دينار، وأعانه عدة من أعيان الدولة فى التلطف بالسلطان، وسؤاله فى ذلك، فغضب، وأمر أن يخرج إلى البرج على

---

(١) هو الأمير قانى باى الأبوبكرى المغامرى المعروف بالبهلوانى. انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٣.

(٢) سورة الحج، الآية ١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/ ٩٣.

حالة ردية، وأشار لبعض خواصه بالمضى لما رسم به، فأخرج فى الحال من المقعد، لكن على حالة غير ردية، ومضوا به ماشيًا حتى سجنوه بالبرج، ورسم له أن يدفع إلى المرسمين عليه بالمقعد - وهم ثمانية من خاصكية السلطان - مبلغ ألفى دينار ومائتى دينار، فدفعها إليهم، وإذا بوالى القاهرة قد دخل عليه بالبرج، وأمره أن يخلع جميع ما عليه من الثياب، فإنه نقل للسلطان أن معه الاسم الأعظم، ولذلك كلما هم بعقوبته صرفه الله عن ذلك. فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة، ومضى بها الوالى، وبما فى أصابع يديه من الخواتيم، فواجد فى عمامته قطعة أديم، ذكر لما سئل أنها من نعل النبىﷺ، ووجدت فيها أوراق بها أدعية ونحوها.

وفى يوم السبت ثالث عشره: وهو أول مسرى نودى على النيل بزيادة خمسين إصبعًا، لتتمة أربعة عشره ذراعًا وإصبعين، وهذا المقدار مما يستكثر مثله فى أول مسرى، ولله الحمد.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال، فارتفع سعر القمح من مائة وأربعين درهمًا الأردب إلى مائة وتسعين، والشعير من ثمانين درهمًا الأردب إلى مائة وخمسين، وبلغ الفول نحو مائتى درهم الأردب، وشره الناس فى خزن الغلال، ظنًا منهم أن أسعارها تعلو من أجل أن أكثر أراضى الزرع كانت شراقى، ومع ذلك فتولد من الفأر شىء عظيم أفسد فى الزروع فسادًا كبيرًا، ووقعت ببلاد الصعيد فتن كبيرة، رعى فيها من الزروع ما شاء الله، فلذلك نقص متحصل غلال النواحى حتى أرجف المشنعون بوقوع الغلاء، ولهجوا بذكره، فأغاث الله العباد والبلاد، وأجرى النيل سريعًا غزيرًا، فضعفت قلوب خزان الغلال، واطمأنت قلوب الكفاية، فانكفوا عن كثرة الطلب لها **﴿إِنَّ الله بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيْم﴾**(١).

وفى هذا اليوم: قدم الأمير أينال الأجرود من صفد، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ أتابك العسكر بغزة، وقد صار من جملة مقدمى الألوف بدمشق على تقدمة مغلبية الجقمقى ، فخلع عليهم وأركبوا خيولا بقماش ذهب ، ونزلوا إلى دورهم.

وفى هذه الأيام: ندب السلطان من جرف جميع الأتربة التى كانت بالرميلة تحت القلعة، ونقلها إلى الكيمان، وجرف الأتربة التى كانت بالصوة تحت القلعة إلى قريب مدرسة الأمير أيتمش بطرف التبانة.

وفى رابع عشره: رسم بإحضار من فى سجن الإسكندرية، وهم جانم أمير آخور،

(١) سورة الحج، الآية ٦٥.

وأينال البوبكرى، وعلى باى الدوادار، وجكم، وبيبرس ـ خالى العزيز ـ وتنم ويشبك الدواداران، وتنبك القيسى، ويشبك الخاصكيان، وبيرم خجا أمير مشوى، وأزبك خجا رأس نوبة، وأن يترك الأمير قراجا بالسجن، فسار الأمير أسنبغا الطيارى لذلك.

وفيه توجه الأمير قانبيه البهلوان إلى محل كفالته بصفد[١] بعد ما أنعم عليه بمال جزيل[٢].

وفى يوم الخميس ثامن عشره: ـ الموافق له سادس مسرى: ـ نودى على النيل بزيادة عشر أصابع، فوفاه الله تعالى ستة عشر ذراعًا وإصبعين من سبعة عشره ذراعًا، وهذا أيضًا من النوادر فى وقت الوفاء، فركب الأمير الكبير يشبك الأتابك حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير أسنبغا الطيارى بمن معه من المسجونين بالإسكندرية إلى بلبيس، وكلهم فى الحديد، وعدتهم أربعة عشر، فأفرج منهم عن بيرم خجا أمير مشوى، ونفى إلى طرابلس، وأخرج من البرج بقلعة الجبل رجلان أضيفا مع الثلاثة عشر، فصاروا خمسة عشر، فرسم أن يتوجه منهم سبعة نفر إلى قلعة صفد ليسجنوا بها، وهم: أينال، وعلى بيه، وتنبك القيسى، وأزبك حجا، وجرباش، وحزمان، وقانبيه اليوسفى، ومتسفرهم الأمير سمام[٣]، وأن يتوجه ثلاثة منهم إلى قلعة الصبيبة ليسجنوا بها، وهم جانم أمير أخور، وبيبرس خال العزيز، ويشبك بشقشى ومتسفرهم، هم ومن يمضى إلى المرقب، وهم خمسة نفر: أزبك البواب، وجكم خال العزيز، وتنم الساقى، ويشبك الفقيه، وجانبك قلقسيز، والأمير أينال أخو قشتمر، فساروا فى حالة سيئة ﴿**ولا يظلم ربك أحدًا**﴾[٤].

وفى سابع عشرينه: قدم الأمير طوخ مازى نائب غزة فخلع عليه، وأنزل فى بيته.

وفى تاسع عشرينه: نقل زين الدين عبد الباسط من البرج إلى موضع يشرف على باب القلعة، ووعد بخير بعد ما كان يوعد بالعقوبة.

وفى سلخه – وهو ثامن عشر مسرى –: نودى بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة عشرة ذراعًا وإصبعين من عشرين، وهذا مقدار يندر وقوع مثله فى ثامن عشر مسرى و لله الحمد.

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٥.

(٣) هو الأمير سهام الحسنى الظاهرى برقوق. انظر الضوء اللامع ٣/٢٧٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٩.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء:

فى سادسه: خلع على الأمير طوخ مازى، وتوجه عائدًا إلى محل كفالته بغزة. وقد أنعم عليه، وأكرم(١).

وفى عاشره: نودى بتجهيز الناس للسفر إلى مكة - شرفها الله - فى شهر رجب، فسر الناس بذلك وأخذوا فى أسباب السفر.

وفيه توجه الكاشف محمد الصغير - ومعه جماعة - لأخذ سواكن بعد ما أنفق فيهم.

وفى ليلة السبت حادى عشره: أخرج بالعزيز يوسف من محبسه بالقلعة، وأركب فرسا، وقد وكل به جماعة، حتى أنزل فى الحراقة، ومضوا به إلى الإسكندرية، ومعه جانبك القرمانى(٢) أحد أمراء العشرات ليودعه بالبرج، محتفظًا به، ورسم أن يصرف له من مال أوقاف الأشرف ألف دينار، وحمل مع العزيز ثلاث جوارى لخدمته، وجهز من أوقافه بما لابد منه بحسب الحال، ورتب له فى كل يوم ألف درهم من أوقافه، وخرج عدة من جوارى أبيه يبكين، وعدن بعد انحداره فى النيل، فجمعن من رفاقهن وصواحباتهن كثيرا، وعملن عزاء فى تربة الأشرف برسباى، وتربة جلبان أم العزيز.

وفى حادى عشره: خلع على شمس الدين أبى المنصور نصر الله كاتب اللالا، واستقر فى نظر الإصطبل، عوضًا عن زين الدين يحيى قريب بن أبى الفرج(٣).

وفى يوم الأحد ثانى عشره: عمل المولد النبوى بين يدى السلطان بالحوش من القلعة.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٦.

(٢) جانبك بن عبد الله القرمانى الظاهرى (٨٦١ هـ = ١٤٥٦ م)، الأمير سيف الدين حاجب الحجاب بالديار المصرية. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، وتأمر عشرة بعد موت الملك المؤيد شيخ، بعد أن قاسى خطوب الدهر ألوانا حتى أنه سمر على جمل ورسم بتوسيطه فى الدولة الناصرية فرج، ثم شفع فيه وحبس ثم أطلق، ولما تسلطن الأشرف برسباى جعله من جملة معلمى الرمح، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق غير إقطاعه بعد مدة، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم ولاه رأس نوبة ثانيا بعد طوخ الجكمى، بحكم تعطله لرمد أصابه عمى منه، فدام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف أينال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ثم بعد أيام قليلة نقل حجوبية بالديار المصرية، بعد الأمير قراجا الظاهرى، الخازندار بعد توجهه إلى القدس بطالا، وكان قراجا المذكور من خيار الناس.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٦.

وفى سابع عشره ـ وهو خامس أيام النسيء: ـ نودى بزيادة إصبع واحد تكملة عشرين ذراعًا، وهذا المقدار من زيادة النيل قبل النوروز مما يندر وقوعه، وربنا المحمود على جزيل نعمائه.

وفى هذه الأيام أخرج بجماعة من الأشرفية منفيين.

وفى ثامن عشره: أخرج عز الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المالكى أحد نواب القضاة المالكية، وناصر الدين محمد الشنشى أحد نواب القضاة الحنفية فى الترسيم إلى بلاد الصعيد منفيين. ثم أعيد البساطى بشفاعة وقعت فيه، ومضى الشنشى وابنه إلى قوص، ونفى أيضًا أربعة من المماليك الأشرفية.

وفى تاسع عشره: سارت تجريدة فى النيل، تريد ثغر رشيد، وقد ورد الخبر بأن أربع شوانى للفرنج قاربت رشيد، وأخذت أبقارا أو غيرها، فأخرج لذلك الأمير شادى بك الظاهرى ططر، والأمير أسنبغا الطيارى، وهما من أمراء الألوف، وحمل لكل منهما خمسمائة دينار، فما هو إلا أن انحدرت سفنهم احترق مركب الطيارى من مدفع نفط رموا به، فعاد عليهم، وأحرق كثيرا مما معهم، وأصاب بعضهم، فألقى الطيارى بنفسه فى النيل حتى نجا، ثم ركب فى السفينة وساروا.

وفى عشرينه صعد الخليفة المعتضد أبو الفتح داود إلى السلطان، ومعه الأمير بيبرس ابن بقر، وقد استجار به، فقبل السلطان شفاعته، وأمنه، ونزل مع الخليفة، و لم يتعرض له بعد ذلك.

وفى العشر الثالث من هذا الشهر: اتفق حادث شنيع، وهو أن طباخًا خارج باب الفتوح من القاهرة يطبخ كروش البقر ويبيعها مدة سنين فى كل يوم، فباع على عادته فى بعض أيام هذا العشر، فما دخل الليل إلا وعدة كثيرة ممن اشترى منه وأكل قد مرضوا، وتتابع الموت فيهم، بحيث أنه مات فى يومين سبعة نفر، وبقى نحو الأربعين مرضى، لم ينضبط لى ما جرى لهم، ثم بلغنى أنه مات منهم جماعة.

وفى سادس عشرينه: رسم بتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط إلى الحجاز بأهله وأولاده، فأخذ يتجهز للسفر.

وفيه وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، يشكو فيها من بهاء الدين محمد بن حجى قاضى القضاة وكاتب السر بدمشق، فرسم بعزله وإخراجه من دمشق إلى القدس، ثم رسم له بتدريس الصلاحية بالقدس ونظرها، عوضًا عن عز الدين

القدسى، وتوجه الأمير يلبغا الجركسى رأس نوبة وأحد خواص السلطان لذلك، وأن يكشف عن شكوى نائب الشام من أرباب الوظائف بدمشق.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أقبغا التركمانى الناصرى نائب الكرك، لما قدم عليه من الأبواب السلطانية - جائرًا من بنى عقبة - ابن منجد أمير بنى عقبة، وعليه الخلعة السلطانية، ونزعها عنه وقتله.

وفى سابع عشرينه: رسم بسفر خمسين من المماليك السلطانية صحبة زين الدين عبد الباسط، وأقيم عليهم منهم رأس باش.

وفى تاسع عشرينه: جهز إلى الأمير أركماس الظاهرى الدوادار(١) - كان - فرس

(١) أركماس بن عبد الله الظاهرى الدوادار، الأمير سيف الدين. أحد المماليك الظاهرية برقوق، مات أستاذه وهو من جملة المماليك السلطانية ودام على ذلك دهرا إلى أن آلت السلطنة إلى الملك الظاهر ططر جعله نائب قلعة دمشق، فاستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن استدعاه الملك الأشرف برسباى إلى الديار المصرية وأنعم عليه بتقدمة ألف بها، وولى مكانه فى نيابة قلعة دمشق، صرغتمش السيفى تغرى بردى المدعو يابو، أعنى مملوك والدى، فدام أركماس المذكور على ذلك مدة طويلة إلى أن خلع عليه باستقراره رأس نوبة النوب بعد مسك الأمير تغرى بردى المحمودى، وأنعم بإقطاعه عليه أيضا، وأنعم باقطاع أركماس هذا وهى تقدمة ألف على الأمير قطج من تمراز، وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، فاستمر فى وظيفته إلى أن نقله الملك الأشرف إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير تمراز القرشى الظاهرى المعزول عن نيابة عزة قبل تاريخه بمدة يسيرة. ولما ولى أركماس الدوادارية عظم فى الدولة وضخم وأثرى، ودامت أيامه، وهو فى غالب أيامه ملازم للفراش لما كان يعتريه من ألم المفاصل، لا يباشر الوظيفة فى السنة إلا أياما يسيره، وكان غيره عارف، ليس له دربة بهذه الوظيفة ولا بغيرها، فإنه كان لا يحسن الكلام باللغة التركية فكيف العربية، وكان فى أحكامه أعجوبة، حضرته غير مرة فكان إذا دخل قاصد، أو محاكمة نظر إلى وجه دواداره سودون وإلى وجه رأس نوبته، وموقعة، فمهما حكموا به أمضى لهم ذلك، وقال كقولهم، أو أشار بيده، وهو مع ذلك له حرمة وكلمة نافذة فى الدولة، وسافر عدة تجاريد إلى البلاد الشامية، غالبها فى محفة، حتى لما سافر إلى آمد صحبة السلطان الملك الأشرف برسباى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، كان أيضا فى غالب أيامه فى المحفة. وكان بخيلا مسيكا، كان يضعف المدة الطويلة وينقطع عن الخدمة السلطانية إلى شهر رمضان يتعافى ويلازم الخدمة ويبيت بالقلعة من أجل أنه يفطر على سماط السلطان، ويحيل مماليكه على عاداتهم من سماطه فى السنة، إلا أنه كان عفيفا عن المنكرات والفروج، وأيضا عن البر والصدقات، وكان متوسط السيرة لا يميل لا لخير صحبة الأمراء المصريين إلى أرزنكان فى سنة إحدى وأربعين ومرض السلطان وهم فى تلك البلاد ومات فى ذى الحجة من السنة وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف، ووقع ما سنحكيه فى غير موضع، إلى أن عادوا من التجريدة، وقد استفحل أمر الأتابك حقمق، وأخذ أمر العزيز فى انحطاط، فقبلوا الأرض من الإسطبل السلطانى والملك العزيز واقف بالقصر الأبلق، وخلع عليهم، ونزلوا إلى دورهم، فلم يكن إلا بعد أيام قلائل=

وبغل بقماش من الإصطبل السلطانى، وأذن له أن يركب من دمياط، ويسير حيث شاء من أقطار البلد، فقط.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الجمعة:

فيه خلع على شهاب الدين أحمد العجلونى[1] موقع الأمير أركماس الدوادار - كان - واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن حجى، ورسم باستمرار عز الدين عبد السلام القدسى[2] على عادته فى تدريس الصلاحية بالقدس ونظرها، وأن يحضر ابن حجى إلى القاهرة، ورسم بنقل صلاح الدين خليل بن محمد ابن محمد بن محمود بن سابق من كتابة السر بحماة إلى نظر الجيش بحلب، عوضًا عن سراج الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن السفاح.

وفى ثانيه: خلع على ابن السفاح المذكور، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، وكان قد قدم القاهرة.

وفيه - وهو رابع عشر مسرى -: بلغ النيل عشرين ذراعا وعشرة أصابع.

وفيه ادعى رجل على بعض نواب القاضى الشافعى أنه سجن غريمًا له على دين ثبت له عليه، فأثبت الغريم إعساره على آخر من نواب القاضى، فأخرجه من السجن، فأنكر السلطان إخراج الغريم من السجن بغير إعذار رب الدين وأمر بالقاضى الذى أخرجه من السجن أن يسجن حتى يدفع لرب الدين دينه - وهو ثمانية آلاف درهم - فسجن بالبرج من قلعة الجبل، حتى دفع ذلك إليه من ماله، وهذا من نوادر الأحكام.

=وقد خلع العزيز وتسلطن الأتابك حقمق، فمن ثم أخذ أمر أركماس هذا إلى خلف، فخلع عليه الملك الظاهر حقمق باستقراره على وظيفته الدودارية، ونزل إلى داره، وكل أحد يعلم أنه سيعزل عن قريب، فدام مدة يسيرة وأشيع بالقاهرة بمسكه، ولهج الناس بذلك، فبادر أركماس المذكور وطلب الإقالة واستعفى من الإمرة والوظيفة، وأراد التوجه إلى دمياط فرسم له بلك، فتوجه إلى الثغر المذكور وأقام به سنين طويلة إلى ان طلب العود إلى القاهرة بطالا، فأجيب إلى ذلك وعاد إلى الديار المصرية، وقبل الأرض للسلطان الملك الظاهر حقمق، فحصل له إكرام زائد، وخلع عليه كاملية بسمور، وقيد له فرس من مراكب السلطان، ونزل ملازما لداره إلى أن توفى يوم الجمعة ثامن عشرين شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنين، وسنه نيف على السبعين، وكان قدومه ثغر دمياط بعد سنة خمسين وثمانمائة تخمينا، رحمه الله تعالى، وخلف ولدا ذكرا. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١٠٩/١، والنجوم الزاهرة ٥٤٤/١٥، والضوء اللامع ٢٦٩/٢. والمنهل الصافى ٣٢٩.

(١) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شرف بن منصور الشهاب ابن الزين الدمشقى الشافعى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٣٣٥/١.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٢٠٣/٤.

وفيه رسم بعزل نواب القضاة الأربع بأجمعهم. وألا يستنيب الشافعى سوى أربعة فقط، وكل من الثلاثة لا يستنيب إلا اثنين لا غير.

وفى سابعه: أنفق فى المماليك المجردين إلى مكة صحبة زين الدين عبد الباسط - وهم خمسون فارسًا - مبلغ خمسين دينارًا لكل واحد، سوى الخيل والجمال.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الونائى[(١)] واستقر فى قضاء الشافعية بدمشق، عوضًا عن ابن حجى، وأنعم عليه السلطان بخيل وجمال، ورسم بتجهيزه. والونائى هذا مولده فى شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بقرية ونا[(٢)] من عمل الفيوم، وقدم القاهرة، واشتغل بها - من سنة سبع وثمانمائة، فبرع فى الفقه والعربية، وتكسب بتحمل الشهادة مدة، ثم اشتهر وتصدى للأشغال، فقرأ عليه جماعة، وصحب عدة من أعيان الدولة الأشرفية برسباى، منهم الأمير جقمق فلما تسلطن جقمق لزم الترداد إلى مجلسه حتى ولاه مسئولا بالولاية، ونعم الرجل هو علمًا ودينًا.

وفى عاشره: استدعى السلطان بأولاد القاضى زين الدين عبد الباسط الثلاثة، وخلع عليهم كوامل حرير بفرو سمور وقاقم، ونزلوا إلى دورهم مكرمين.

وفى حادى عشره: ورد الخبر من دمياط بأن العامة قتلوا رجلا نصرانيًا اسمه جرجس ابن ضو الطرابلسى - بعد ما أظهر الإسلام - ثم نهبوا كنائس النصارى.

وفى ثانى عشره: استدعى السلطان بزين الدين عبد الباسط من محبسه، فدخل فى جماعة من أعيان الدولة إلى السلطان، فبالغ فى إكرامه، وخلع عليه وعلى عتيقه الأمير جانبك، ونزل من القلعة وفى خدمته أعيان الدولة، وقد اجتمع خلائق لرؤيته فرحًا به، حتى نزل بمخيمه قريبًا من قبة النصر ليتوجه إلى الحجاز بأولاده ونسائه وأتباعه، بعد ما حمل إلى الخزانة السلطانية مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهبًا، سوى ما أخذ له من الخيول والجمال وغير ذلك وسوى تحفًا جليلة قدمها، فحماه الله فى محنته فلم يسمع فيها ما يكره، بل كان فى هذه المدة يتردد إليه أمراء الدولة ومباشروها، وهو من العز والكرامة على حاله فى أيام دولته، ولا أعلم أحدا رأى من الإجلال والاحترام فى أيام نكبته ما رآه، ورأى ذلك بما كان يجريه الله على يديه من الصدقات، سرا وجهرًا.

وفى ثالث عشره: عزل أبو المنصور من نظر الإصطبل، بعد ما حمل مما التزم به نحو

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١٤٠/٧.

(٢) من القرى القديمة من أعمال البهنساوية. انظر التحفة السنية، القاموس الجغرافى ج٣ القسم٢ص١٣٣.

سبعمائه دينار، واستقر عوضه تاج الدين محمد بن نور الدين على بن القلاقسى الفـوى، على مال التزم به.

وفى سحر يوم الجمعة خامس عشره: رحل زين الدين عبد الباسط من منزلتـه بقبـة النصر، حتى أناخ ببركة الحجاج، ورافقه فى سفره جماعات من الرجال والنساء، فصـار فى ركب من الحجاج، وكان يتردد إليه فى منزلته هذه عامة الأمـراء، والمقـام النـاصرى محمد ولد السلطان، وجميع مباشرى الدولة، من الوزير، وكاتب السـر، ونـاظر الجيش، وناظر الخاص، ومعظم أعيان القاهرة من القضاة، ومشايخ العلم، والتجار، وغـيرهم مـن سائر طبقات الناس، فأقام ببركة الحجاج وهم يترددون إليه، ويحملون لـه المبـالغ الكثـيرة من الذهب والثياب والخيول والأغنام وغير ذلك، حتى اسـتقل بالمسـير فـى ليلـة الإثنـين ثامن عشره، فما زادته هذه المحنة إلا رفعة وعزا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء، والله ذو الفضل العظيم.

وفى خامس عشرينه: عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عـن ولايـة دميـاط، ولعزله خبر يذكر، وهـو أن جماعـة مـن المطوعـة بدميـاط ركبـوا البحـر يريـدون جهـاد الفرنج، فمضوا من دمياط حتى أرسوا بميناء بيروت، وهم فـى ثلاثـة مراكـب، فـاجتمع عليهم عدة من الغزاة، وساروا غير بعيد، وإذا بطائفة كبيرة من الفرنج فى أربعة مراكب قد أقبلوا فاحتربوا معهم حربًا شديدة، حتى استشهدوا بأجمعهم، إلا طائفة مـن البحـارة فإنهم ألقوا أنفسهم فى البحر، وأخذ الفرنج مراكب المسلمين بما فيها وأقلعوا، فمـا هـو إلا أن وصل الخبر بذلك إلى دمياط وإذا بالعزاء والمآتم قد أقيمت على من فقد من الغـزاة حيث عم ذلك أهل البلد بأسرهم، إلا رجلا من نصارى دميـاط يقـال لـه جرجـس بـن ضو، فإنه فى وقت عزاء الناس عمل فرحًا، وجمع على طعامه عدة أناس، وأظهر الشماتة والمسرة بما أصاب المسلمين، وكان قبل يتهمه الناس بدمياط أنه يكـاتب الفرنـج ويدلهـم على عورات المسلمين، ويحضهم على محاربتهم، فلما عمل هذا المجتمع، لم تصـبر العامـة على ذلك، وثاروا به وأخرجوه، وادعوا عليـه عنـد القـاضى بقـوادح، قـامت عليـه بهـا بينات أوجبت قتله، فلما أيقن بالهلاك أظهر الإسلام، وتلفظ بالشهادتين، فقام ابن سلام على العامة، وتخلصه من بين أيديهم على مال فيما زعموا أنه وعده به، فتعصبت العامة، وقتلت النصرانى الأسلمى، وأحرقوه بالنار، ونهبوا كنائس النصارى، فحنق ابـن سـلام، وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص، وهو يشنع الأمر، ويذكر أن حرمة السـلطان قـد انكسرت، وضـاع مـال السلطان، وتعطـل استخراجه، فاشتد غضـب نـاظر الخـاص، وأغرى السلطان بأهل دمياط، حتى غضب عليهم، وبعث ثلاثين مملوكًا صحبة بعض

الأمراء ليقبضوا على التجار بدمياط، وعلى أعيانها، فدخلوا دمياط وقد طار الخبر إليها، فرحل جمهور أهلها، وتركوا دورهم وضعفة أهاليهم.

هذا، وكتب ابن سلام تتواتر مرة بعد أخرى بإغراء السلطان بأهل دمياط، وقد طار الخبر إليها، والسلطان يشتد غضبه على العامة، ويهم أن يفتك بهم، فأخذ جماعة من أعيان الدولة فى تسكين غضبه، وبالغوا فى تقبيل يديه، وسألوه العفو عنهم، حتى تمهل عن قتلهم، ورسم بعزل ابن سلام، وقد اتضح أمره.

وفى خامس عشرينه: قدم أحد حجاب دمشق بسيف الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، وقد مات فجأة، فى سادس عشره، فرسم لنائب حلب الأمير جلبان باستقراره فى نيابة الشام، وأن ينتقل نائب طرابلس الأمير قانباى الحمزاوى إلى نيابة حلب، وينتقل الأمير برسباى الناصرى[1] - حاجب الحجاب بدمشق - إلى نيابة طرابلس، ويستقر عوضه فى الحجوبية الكبرى بدمشق الأمير سودون النوروزى حاجب حلب، وينتقل حاجب حماة الأمير سودون المؤيدى إلى الحجوبية الكبرى بحلب، وأن يستقر الأمير جمال الدين يوسف بن قلندور نائب خرت برت[2] فى نيابة ملطية، عوضًا عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ويستقر خليل المذكور أحد أمراء الألوف بدمشق، عوضًا عن الأمير

---

(١) برسباى بن عبد الله من حمزة الناصرى (٨٥١ هـ = ١٤٤٧ م)، نائب حلب، الأمير سيف الدين هو من مماليك الملك الناصر فرج ومن خاصكيته، وحبس بعد موت أستاذه مدة، ثم أطلق، وأنعم عليه بإمرة بالبلاد الشامية، ثم صار حاجب حجاب دمشق فى دولة الأشرف برسباى بكمالها إلى أن خرج الأمير أينال الجمكى نائب دمشق عن طاعة الملك الظاهر جقمق وقبض على أمراء دمشق الأكابر. كان برسباى هذا ممن قبض عليه، وحبس بقلعة دمشق إلى أن أطلقهم الأمير أينال المذكور بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق. فلما خرجوا من الحبس فروا من عنده، وصاروا من حزب الملك الظاهر جقمق إلى أن ظفر الظاهر بأينال. استقر برسباى المذكور على عادته فى حجوبية دمشق إلى أن نقله إلى نيابة طرابلس وبعد انتقال الأمير قانى باى الحمزاوى إلى نيابة حلب بعد الأمير جُلبان، بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير آقبغا التمرازى، فباشر نيابة طرابلس سنين إلى أن برز المرسوم الشريف باستقراره فى نيابة حلب بعد موت الأمير قانى باى البهلوان فى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فتوجه إلى حلب مريضًا، فأرسل يستعفى، فأعفى. وتوفى بعد أن خرج من حلب فى السنة المذكورة، وكان دينًا، خيرًا، عفيفًا عن المنكرات، عاقلا، سيوسًا، مشكور السيرة، إلا أنه كان يحب جمع المال، ويستكثر من العمائر، وكان يقيم أشهرا لا يتناول شرب الماء - على ما قيل - وقد شهر عنه ذلك. وكان للطويل أقرب، طويل اللحية، مليح الشكل، تام الخلقة، حسن الخلق. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) سبق ترجمتها.

ألطنبغا الشريفى[1]، ويستقر الشريفى المذكور أميرا كبيرًا بحلب، عوضًا عن الأمير قطج وأن يحضر الأمير قطج إلى القاهرة، وجهزت تقاليدهم ومناشيرهم فى سابع عشرينه، ورسم للأمير دولات باى المؤيدى الدوادار أن يكون متسفر الأمير جلبان نائب الشام، وأن يكون الأمير أرنبغا اليونسى رأس نوبة متسفر الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب، وأن يكون الأمير سودون المحمدى ـ المعروف بأتمكجى[2] ـ رأس نوبة ـ متسفر الأمير برسباى نائب طرابلس[3]، وخلع عليهم فى تاسع عشرينه خلع السفر، فسافروا.

وثبتت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء سابع عشرينه ـ الموافق له ثامن بابة ـ على أصابع من عشرين ذراعًا، وقد انقضت أيام الزيادة وشمل الرى أراضى الزراعات بالنواحى، ولم نعهد منذ سنين أن زيادة النيل ثبتت إلى هذا التاريخ من شهور القبط على هذا المقدار، إلا أن أسعار الغلال ارتفعت عما كانت عليه، لا سيما الفول، فإنه تجاوز المائتى درهم الأردب، بعد ثمانين، وقل وجود اللحم الضأن من قلة مراعى بلاد الصعيد، ولما وقع بها من الفتن.

وفى يوم الخميس ـ ويوم الجمعة سلخه: ـ طبق الأفق بالقاهرة جراد منتشر، فأضرب ببعض الزروع، وهلك سريعًا.

وفيه أعيد محمد الصغير إلى ولاية دمياط، عوضًا عن ابن سلام.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم السبت:

---

(١) ألطنبغا بن عبد الله الشريفى (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالجمقدار، أحد الأمراء المقدمين بدمشق. أصله من مماليك الملك الناصر فرج، ونسبته بالشريفى إلى تاجره. كان من أعيان المماليك الناصرية، وتأمر فى أواخر دولة أستاذه، ثم حُبس بعد قتل أستاذه وتعطُّل الدولة المؤيدية شيخ بكاملها، وإلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة، ثم جعله من جملة رءوس النوب. واستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق - بعد موت طوغان عتيق والدى - وتوجه إلى دمشق، ودام بها إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى وافتضت السلطنة بعد خلع الملك العزيز إلى الملك الظاهر جقمق قدم الأمير ألطنبغا المذكور إلى القاهرة هو والأمير أينال الششمانى الناصرى أتابك دمشق، فأكرمهما الملك الظاهر وأنعم عليهما، وعادا إلى محل إقامتهما، فلم تطل إقامة الأمير ألطنبغا الشريفى بدمشق بعد ذلك. ومات فى سنين نيف وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الستين تخمينًا. وكان تركى الجنس، للقصر أقرب، ذا لحية مليحة، مع سكون وعقل تام وسلامة باطن، وكان مشهورًا بالشجاعة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٨٢، وما بعدها.

(٢) أتمكجى تعنى الخباز. انظر الضوء اللامع ٣/٢٨٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٩٧، ٩٨.

فيه نودى من أراد السفر فى رجب إلى الحجاز فليتجهز على المسير فى نصفه، فسر الناس، وجدوا فى أمر سفرهم.

وفى عاشره: برز الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير أينال أحد خواص السلطان، ليتوجه - وصحبته أربعين مملوكًا - لقتال بلى من عرب الحجاز.

وفى خامس عشره: استقر الأمير مازى - أحد الأمراء الألوف بدمشق - فى نيابة الكرك، عوضًا عن أقبغا التركمانى، وقد قبض عليه وسجن بقلعة الكرك(١).

وفيه استقر محمد الصغير والى قوص فى كشف الوجه القبلى، عوضًا عن أركماس الجاموس، وجهز له التشريف.

وفى عشرينه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضًا عن يلبغا البهائى بعد وفاته، وأقر إقطاعه بيده.

ومضى فى هذا الشهر عدة أيام من هتور - أحد شهور القبط -: والنيل ثابت على تسعة عشر ذراعًا، وهذا من النوادر.

وفى خامس عشرينه: رسم بالإفراج عن الأمير قراجا الأشرفى برسباى، وحضروه ليستقر أميرًا كبيرًا بحلب.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأحد:

فى خامسه: اتفقت بالقاهرة حادثة شنيعة، وهى أن بعض التجار تردد إليه قبانى لوزن بضائعه مرارا وسافر معه إلى الحجاز، فعرف بكثرة ملازمته له كثيرا من ماله، وداخله الطمع، بحيث عزم على أنه يقتله ويأخذ ماله. ثم جاء إليه فى الليل ومعه سكين ماضية قد أعدها لقتله، وأخفاها بين ثيابه، وقال. «قد وقع بينى وبين زوجتى مخاصمة، وجئت لأبيت عندكم». فأقام يحادث عبيده طائفة من الليل، وكان قد ورد إلى التاجر رجل مغربى من أصحابه وبات عنده، فلما ناموا، وهو يراقبهم حتى جن الليل، دخل على التاجر وذبحه، فانتبه من نومه، وقد مضت السكين على حلقه، ولم تفرى وديجيه، ودافعه عن نفسه، ومر لينجو وهو يصيح، فخرج البائس وذبح المغربى وهو نائم فقتله، ومال على عبد صغير فذبحه أيضًا، فثار به، وهذا البائس يضربه بالسكين مرارا حتى مات، هذا وقد قام التاجر ودماؤه تشخب حتى صعد سطح الدار، وصاح بالجيران يغيثوه، فخرج إليه منهم طائفة، وإذا هم بهذا البائس قد خرج من بيت التاجر لينجو

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٨/١٥.

بنفسه، فقبضوا عليه، وأخذوا منه السكين، فقال إن «عبد التاجر قام وذبح أستاذه وأراد ذبحى فدافعته عنى وقتلته»، فرابهم أمره لكثرة ما رأوه عليه من دماء، ودخلوا به إلى بيت التاجر، فرأوا المغربى والعبد مذبوحين، والتاجر قد قطع خده وبعض رقبته، وكانوا قد بعثوا فى طلب والى القاهرة، فأدركهم سريعًا، ورأى ما هنالك، وأعلمه التاجر بما جرى عليه من القبانى، فتسلمه وأوثقه بالحديد، وطلع به بكرة إلى السلطان، فبعث على أنه إنما قتل العبد دفعًا عن نفسه، وأن العبد هو الذى قتل المغربى، وفعل بالتاجر ما فعل «وأنى صرخت فى العبد لما انحط على، فأخطأت يده حلقى، وقام عنى، فثرت به عند ذلك»، فأمر السلطان أن ينظر القضاة فى أمره، فحكم بعضهم نواب الحنفية بقتله، لأنه اعترف أنه قتل عبد التاجر ومذهبهم أن الحر يقتل بالعبد.

فسمره عند ذلك الوالى، وشهره على جمل، ثم وسطه، وقد اجتمع لرؤيته عالم لا يحصيهم إلا الذى خلقهم، فأكدت هذه الحادثة قول الأول «وإذا كان الغدر فى الناس طباعًا فالثقة بكل أحد عجز»، وكان هذا القبانى شابًا عمره نحو العشرين سنة، وهو نحيف الجسم، وهو وأبوه وأمه وزوجته معروفون، فتكشف عن جرأة عظيمة، وتهور زائد، نعوذ با لله من سوء عاقبة القضاء.

وفى هذا اليوم: قدم رسول القان معين شاه رخ ملك المشرق.

وفى ثانيه: قدم الأمير قراجا فخلع عليه، واستقر أميرا كبيرا بحلب وسار إليها فى ثانى عشره.

وفيه أحضر رسول القان وقت الخدمة السلطانية بالقصر، فقدم كتابه، فإذا فيه أنه بلغه موت الأشرف وجلوس السلطان على تخت الملك، فأراد أن يتحقق علم ذلك فأكرم وأنزل، ورسم بكتابة جوابه.

وفى هذا الشهر – والذى قبله –: ارتفعت أسعار كثير من المأكولات، وقل وجود الأجبان والألبان والسمن واللحم، وعاشت الدودة فى الزروع فأكلتها، وأعيد البذر مرة، وفى بعض النواحى أكلت الدودة ما زرع ثانيًا، فزرع ثالث مرة، وغلا أيضًا سعر التبن والفول والشعير، ثم انحل فى هذا الشهر سعر الغلال.

وفى هذا الشهر: كان بين أصبهان بن قرا يوسف التركمانى متملك بغداد وبين عليان أمير عرب العراق قتال انهزم فيه أصبهان أقبح هزيمة، ولحق ببغداد وقد خرجت بأجمها، ولم يبق بها من أهلها إلا من لا يؤبه له، وهم قليل جدا. وتعطلت منها الأسواق جملة، وجف معظم نخلها وانقطعت مياه أنهارها، وصارت دون أقل القرى، بعد أن

أربت فى العمارة على جميع مدائن الدنيا، حقًا على الله ما رفع شيئًا من هذه الدنيا إلا وضعه.

شهر رجب، وأوله يوم الثلاثاء:

فيه خرج ثقل الأمير قانبك المحمدى أمير الرجبية ومقدم المجردين إلى مكة، وأناخ ببركة الحجاج، وتلاحق به المسافرين طائفة بعد طائفة، ثم استقلوا بالمسير من البركة فى خامسه.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، وزاد السلطان فى عدة الصبيان الذين يلعبون بالرمح عما كانوا عليه فى الأيام الأشرفية، وأنفق فى الفرسان الذين ركبوا فى هذا اليوم قدام المحمل مالا، ولم تجر بذلك عادة، وكان الحال فى هذا اليوم، وفى ليلته الماضية جميلا، ولم يقع فيه شيء من الشناعات التى كانت تقع فى الأيام الأشرفية، من فساد المماليك، ولله الحمد.

وفيه استقر فى نيابة غزة الأمير طوخ المؤيدى أحد أمراء الألوف بدمشق.

وفى عشرينه: قدم الأمير دولات باى الدوادار من دمشق، وقد كثرت أمواله مما حصل له فى هذه السفرة، فاستقر على ما هو عليه من الدوادارية.

وفى حادى عشرينه: قدم ابن أينال[1] من التجريدة إلى عرب بلى بالحجاز، ومعه أحد عشر رجلا، سمروا على الجمال، ثم طيف بهم القاهرة، ووسطوا، وكان من خبر ابن أينال معهم أنه لما سار من القاهرة لقيه الشريف عقيل المعزول عن إمرة ينبع، وقد كتب له بمساعدة المجردين على قتال بلى، فبعث أخاه ليأتى بأكابرهم إليه، وكتب يرغبهم فى طاعة السلطان، فلم يطمئنوا إليه، فسار هو وابن أينال بمن معهم من المماليك والعرب، حتى طرقوا بلى، وقبضوا منهم على الجماعة المذكورين، وفر باقيهم، فنهبوا من بيوت بلى ما قدروا عليه، وخرجوا من أوديتهم، ومضى من المماليك ثلاثون فارسًا

---

(١) الملك المؤيد (٨٢٧-٨٩٣هـ=١٤٢٤-١٤٨٨م). أحمد (المؤيد) بن أينال (الأشرف) العلائى الظاهرى، أبو الفتح، شهاب الدين: من ملوك دولة الجراكسة فى مصر والشام والحجاز. كان أتابكى أبيه وبويع بالسلطنة فى القاهرة لما أشرف أبوه على الموت، وألبس شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبة السوداء بالطراز المذهب، والسيف البدوى، وكان محببا للناس، قليل الأذى ثار عليه المماليك فخلعوه، ومدة سلطنته أربعة أشهر وثلاثة أيام وأرسله الظاهر خشقدم إلى سجن الإسكندرية، فأقام به مدة، وأطلق وأسكن بالإسكندرية، مرعى الكرامة إلى أن توفى ونقلت جثته إلى القاهرة. انظر ابن إياس ٢٨٤،٦٥٢ وحوادث الدهور: حوادث٨٦٥ وصفات لم تنتشر ٨٦ والأعلام ١٠٢/١.

إلى المدينة النبوية، بدلا من المماليك المجردة إليها صحبة الأمير خشقدم المقدم، وقدم من المماليك المتوجهة صحبة الأمير سودون المحمدى إلى مكة خمسون فارسًا، وعادوا إلى القاهرة.

وفى هذا الشهر - والذى قبله - : قل وجود اللحم بأسواق القاهرة، وارتفع سعر أكثر المأكولات، وتوالى هبوب الرياح المريسية أيامًا كثيرة، خيف على الزرع منها أن يجف ليبسها، وعدم وقوع المطر، هذا مع إتلاف الدودة كثيرا مما زرع.

وفيه أيضًا غرق فى البحر ما بين طرابلس الشام من دمياط بضعة عشر مركبًا موسوقة دبسًا وزبيبًا وغير ذلك، فارتفع سعر الدبس من سبعة دراهم الرطل إلى عشرة، وغرق أيضًا فيما بين جدة(١) والسويس(٢) عدة مراكب، هلك فيها خلق من الحجاج، وتلف بها من الدقيق وغيره شيء كثير، و لله الأمر من قبل ومن بعد.

شهر شعبان، أوله يوم الأربعاء:

فى يوم الجمعة عاشره: تعذر وجود الخبز بأسواق القاهرة ومصر، وتمادى على ذلك من الغد وبعده.

وفى حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، وكان قدم إلى القاهرة واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن سراج الدين عمر بن أحمد ابن السفاح الحلبى، ورسم لابن السفاح بنظر الجيش بحلب على ما كان عليه فى الأيام الأشرفية، عوضًا عن صلاح الدين بن سابق.

وفيه خلع أيضًا على جمال الدين يوسف بن أحمد الباعونى(٣) واستقر فى قضاء

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سويس: بليدة على ساحل بحر القلزم (الأحمر حاليا) من نواحى مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٦.

(٣) يوسف بن أحمد الباعونى (٨٣٢هـ=١٤٢٩م) يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى المقدسى الشافعى، ثم الصالحى الدمشقى، أبو المحاسن، جمال الدين: فاضل. مولده بالقدس، ومنشأه ووفاته بدمشق تعلم بها وبالقاهرة. وولى كتابة السر بصفد ثم القضاء بها. وتنقل فى القضاء بين طرابلس ودمشق وحلب، وحمدت سيرته. ولما عزل قال الشهاب المنصورى: «يقول منصب حكم الشرع: كيف جرى حتى يغير جمال الدين باعونى؟» ومات منفصلا عن القضاء. كان فقيه النفس، سريع النظم مع حسنه ـ كما يقول السخاوى ـ بدأ ينظم «المنهاج» للنووى، ولم يكمله، وشرع فى عمل «كتاب» على نمط «عنوان الشرف الوافى» بزيادة علم الهندسة، فكتب منه أوراقا وتركه. انظر نظم العقيان ١٧٨ والضوء اللامع ١٠:٢٩٨ وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٥٦ وحوادث الدهور، لابن تغرى بردى: انظر فهرسته. الأعلام ٨-٢١٥.

طرابلس، وكان ولى منذ أيام رجل من أهل دمشق يعرف بابن الزهرى وتوجه من القاهرة، فعزل بابن الباعونى قبل وصوله إلى طرابلس، وكلاهما تكلف مالا، ولا قوة إلا با لله.

وقدم الخبر بأن دوكات ميلان ـ يعنى صاحب ميلان ـ وهى طائفة من الفرنج، تجاوز مملكة البندقية، ولم يزالوا يحاربونهم، ولدوكات هذا مملكة متسعة، وله سطوة، ويوصف بعقل ومعرفة، وكان قد ملك جنوه مدة، ثم انتزعت منه فى سنة أربعين وثمانمائة، فلما كان فى هذه الأيام كتب إلى البابا بروميه يسأله ويرغب إليه فى أن يجتمع به فى محفل يجتمع فيه القسيسون والرهبان وأعيان الروم والفرنج؛ ليتفقوا جميعًا على أمر دينى يعقدوه، فأجابه إلى ذلك، فساروا جميعًا حتى توافوا على فرارة ـ وهى فى طرف مملكة دوكات ميلان بجوار مملكة فرنتين، وكان ذلك جمعًا عظيمًا بحيث ضاق بهم الفضاء، فساروا بأجمعهم ونزلوا أرض مدينة فرنتين، وذلك فى فصل الصيف وفصل الخريف، ثم افترقوا، وعاد كل منهم إلى وطنه، فبينما الدوك سائر إذ طرقه البنادقة على حين غفلة، فكانت بينهما وقعة عظيمة، قتل فيها ما شاء ا لله، وانهزم دوكات أقبح هزيمة، وقد فنى معظم عسكره ونهبت أمواله، و لله الحمد، فإنه يقال إن اجتماعه بالبابا كان بسبب محاربته للمسلمين، وأن يفوض إليه التصرف والحكم، فكفى ا لله أمره.

وفى ثالث عشره: خلع على القاضى علاء الدين على بن محمد بن سعد المعروف بابن خطيب الناصرية، وأعيد إلى قضاء حلب ، وكان قدم القاهرة وعزل ابن الجزرى.

وفى يوم الجمعة: استقر وجود الخبز بحوانيت الأسواق بعد ما كان تعذر وجوده خمسة عشر يومًا بعامة أسواق القاهرة ومصر والجيزة، وتكالب الناس على طلبَ الدقيق من الطواحين، وكثر ازدحامهم على أبوابها، وقل وجود الغلال، وارتفع سعرها، حتى بلغ سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب. وتجاوزت البطة من الدقيق مائة درهم، وقل مع ذلك وجود الشعير والفول والتبن، فقلق أرباب الدواب، وعزت المأكولات، لاسيما الألبان، فإنا لم نعهد فيما أدركناه من الغلوات أن اللبن قل كما قل فى هذه السنة، و لله عاقبة الأمور.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

والقمح بثلاثمائة وثلاثين درهمًا الأردب، والبطة من الدقيق بمائة عشرة دراهم، والخيول مرتبطة على البراسيم، وقد بلغ الفدان البرسيم زيادة على ألفى درهم، وقل وجود اللحم من الضأن بالأسواق عدة أيام فى هذا الشهر، ولم يكد يوجد السمن ولا

عسل النحل، هذا مع علو النيل وطول مكثه، ومع ذلك فلم تنجب عدة أنواع من الزروع، كاللفت، والفجل، والكزبرة، ونحو ذلك.

وفى حادى عشره: رسم بعزل معين الدين عبد اللطيف[١] بن شرف الدين أبى بكر الأشقر من كتابة السر بحلب، وأضيفت لابن السفاح مع نظر الجيش، على مبلغ ستة آلاف دينار يقوم بحملها.

وفى ثامن عشره: رسم لوالى القاهرة أن يستخدم مائة ماش يسعون فى ركابه، وبين يديه إذا ركب، ونودى بألا يخرج أحد من المماليك السلطانية بالليل، وكانت الإشاعة بين الناس قد قويت باختلاف أهل الدولة.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان نائب الشام ركب فى الموكب يوم السبت تاسعه على العادة، فوقفت العامة له تستغيث من غلاء اللحم، فإنه بلغ الرطل سبعة دراهم بعد ثلاثة دراهم، فلم يلتفت لهم، بل أمر مماليكه بضربهم، وكان جمع العامة كثيرا فما هو إلا أن ضرب بعضهم إذا هم قد رجموا النائب ومن معه رجمًا متتابعًا، فانهزم منهم من باب الجابية[٢] وقد ركبوا قفاه، وأقفية أصحابه، حتى عبروا من باب النصر إلى دار السعادة، وأغلق أبوابها، فتسوروا الحيطان، وعبثوا بطبلخاناته يدقوها، وجمعوا الأحطاب وألقوها

---

(١) عبد اللطيف بن أبى بكر بن سليمان (٨١٢ - ٨٦٣ هـ = ١٤٠٩ - ١٤٥٨ م) القاضى معين الدين بن القاضى شرف الدين الحلبى الأصل، المصرى المولد والمنشأ، الشافعى، نائب كاتب السر بالديار المصرية، وكاتب سر حلب، وابن كاتب سرها، المعروف بابن العجمى، وبابن شرف الدين الأشقر. مولدها بالقاهرة فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة تخمينا، ونشأ بها تحت كنف والده، وحفظ القرآن العزيز، وصلى بالناس فى سنة أربع وعشرين، وحفظ عدة مختصرات، وتفقه على الشيخ شرف الدين السبكى، وقرأ المعقول على شيخنا العلامة تقى الدين الشمنى، وعلى الشيخ شمس الدين الرومى، وكتب الخط المنسوب، وشارك فى الفقه والعربية، وتدرب بوالده وغيره، وكتب فى التوقيع بديوان الإنشاء بالديار المصرية، وخدم عند الأمير تمراز القرمشى رأس نوبة النوب، ثم ولى كتابة سر حلب بعد عزل والده فى أواخر الدولة الأشرفية برسباى، فباشر كتابة سر حلب على أحسن وجه، وحظى عند نائبها الأمير تغرى برمش بن أحمد، واستمر إلى أن توفى الملك الأشرف، وخرج تغرى برمش المذكور عن طاعة الملك الظاهر حقمق فعرف المكور كيف سار فى تلك الأيام حتى طلب إلى الديار المصرية وعزل عن كتابة سر حلب وعاد إلى توقيع الدست بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفى والده القاضى شرف الدين الأشقر فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانمائة وأخلع عليه واستقر عوضه فى نيابة كتابة السر بالديار المصرية. انظر المنهل الصافى ٣٥٢/٧، ٣٥٣. والدليل الشافى ٤٢٦/١، النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٦، الضوء اللامع ٣٢٥/٤.

(٢) الجابية: هى قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مدرج الصفر فى شمالى حوران. انظر معجم البلدان ٩١/٢.

ليضرموا النار فيها، فأدركه الأمراء والقضاة، وكتبوا محضرا بصورة الحال، وبعثوا بـه إلى السلطان، وتلطفوا بالعامة حتى تفرقوا، فورد المحضر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه، فاشتد غضب السلطان على عامة دمشق، وجمع فـى يـوم الأحـد رابـع عشـرينه أمـراء الدولـة، واستدعى بالقضاة الأربع فحضر قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين محمد التنسى المـالكى، وتـأخر حضـور قـاضى القضـاة شـيخ الإسـلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجـر الشـافعى، وقـاضى القضـاة محـب الديـن أحمـد الحنبلى، حتى حنق السلطان، وأمر فقرئ المحضر الوارد من دمشـق، وأخـذ يعـدد لعامـة دمشق ذنوبًا، منها قيامهم مع أينال الجكمى مدة عصيانه، ونهبهم بيوت الأمراء، وقتلهم جلبان شيخ كرك نوح، وصمم على وضع السيف فيهم، واستلحامهم[1] عـن آخرهـم، فكثرت مراجعة الأمراء فى طلب العفو عنهم، والتأنى بهم، إلى أن تقـررت الحـال علـى أن يجهز للنائب تشريف وفرس بقماش ذهب، وتقوى يـده، وأن يكتـب بالإنكـار علـى العامة وتهديدهم، وبينما هم فى ذلك إذ استؤذن على القاضيين أحمد بـن حجـر ومحـب الدين البغدادى، فلم يؤذن لهما، وأظهر السلطان الغضب لبطئهما، وانفض الجمع.

وفيه رسم بعزل الونائى، واستقرار ابن قاضى شهبة فى قضاء دمشق عوضـه، ورسـم بحضور الأمير أينال الششمانى والأمير ألطنبغا الشريفى، وجهـزت المراسيم بذلـك، وأن يقرأ كتاب العامة فى يوم الجمعة بجامع بنى أمية.

وفى هذا الشهر: ختمت قـراءة صحيـح البخـارى بـالقصر مـن قلعـة الجبـل بحضـرة السلطان، وخلع على قضاة القضـاة الأربـع، ومشـايخ العلـم الحـاضرين، وفرقـت صـرر الدراهم فى جميع من حضر، وزادت عدتهم فـى هـذه السـنة عـن عـدة الحـاضرين عـن السنين الماضية زيادة كبيرة.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين على بـن محمـد بـن الطبـلاوى والى القاهرة ـ كان ـ واستقر نقيب الجيش، بعد موت ناصر الدين محمد أمير طبر.

وفيه ورد كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن منجك من دمشق، يخبر بـورود كتـاب القاضى زين الدين عبد الباسط إليه من مكة يشكو من ثقل الإقامة عليه بمكـة، وأنهـا لم توافقه ولا أهله، وأنه يرغب فى النقلة من مكة إلى القدس، فمازال القاضى كمال الدين محمد بن البارزى يتلطف بالسلطان حتى سمح بذلك، فكتب لابن منجك بأنـه إذا توجـه للحج فى الموسم ينقله بأهله وولده ومملوكه الأمير جانبك إلى القـدس، علـى أنـه يكـون

---

(١) يقال: لحم رجلا من العدو: قتله. انظر لسان العرب (لحم).

فى ضمانه، وكتب إلى الشريف بركات أمير مكة بذلك، وجهزت الكتب إلى ابن منجك.

وفى هذا الشهر - والذى قبله: - وقع بالطائف[1] ووج[2] ولية[3] وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم، هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، بحيث صارت أنعامهم هملا، وأخذها من ظفر بها. وامتد الوباء إلى نخلة على يوم من مكة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى هذا الشهر: انحل سعر الغلة، وكثر وجودها، وأبيع القمح من مائتى درهم إلى مائتين وخمسين درهمًا الأردب.

فى هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال، ودخلت الغلة الجديدة، ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وارتفع ثم اتضع.

وفى يوم الخميس رابعه: عقد السلطان على الخاتون بنت الأمير ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر، بعد أن حمل لها المهر ألف دينار وشقق حرير وغير ذلك، وكانت تحت الأمير جانبك الصوفى، وأتت منه بابنة لها من العمر نحو الثلاث سنين.

وفيه خلع على الشيخ على بن العجمى - أحد خواص السلطان - كاملية بفرو سمور، واستقر فى حسبة مصر، فسار فيها سيرة حسنة، بعفة ونهضة.

وفيه نودى بعرض أجناد الحلقة، فابتدئ بعرضهم على السلطان فى يوم السبت سادسه، فامتحنهم فى رمى النشاب، وأكد عليهم فى تعليمه، ولم يبد لهم منه إلا الجميل، ثم فوض عرضهم إلى الأمير تغرى بردى الدودار.

واتفق فى هذا الشهر حادث شنيع، وهو أن السلطان يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى أهل العلم، وهو يعلم أن القان معين الدين شاه رخ ملك المشرق كان يعث بالإنكار على الأشرف برسباى لأخذه بجدة ساحل مكة من التجار الواردين إليها من

---

(١) الطائف: مخلاف من مخاليف مكة على مرحلتين من مكة، وقيل بينهما ستون ميلاً، وهى إحدى القريتين المذكورتين فى القرآن، وكان اسم الطائف وج، سميت بوج بن عبد الحى من العمالقة، ثم سكنتها ثقيف، فبنوا عليها حائطًا مطيفًا بها فسموه الطائف. انظر معجم البلدان ٩/٤ وما بعدها، والروض المعطار ٣٧٩، ٣٨٠، ونزهة المشتاق ٥١، وفى صبح الأعشى ٢٥٨/٤.

(٢) وج: موضع عند الطائف، وقيل هو الطائف ذاتها. انظر معجم البلدان ١٠/٤.

(٣) لية: موضع من نواحى الطائف. انظر معجم البلدان.

الهند والصين، وهو من عشور أموالهم. وأن ذلك من المكس المحرم أخذه، فنمق بعض الفقهاء سؤالا يتضمن أن التجار المذكورين كانوا يردون إلى عدن من بلاد اليمن فيظلمون بأخذ أكثر أموالهم، وأنهم رغبوا فى القدوم إلى جدة ليحتموا بالسلطان، وسألوا أن يدفعوا عشر أموالهم، فهل يجوز ذلك منهم فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كبير فى عسكر يبعثه إلى مكة، فكتب قضاة القضاة الأربع بجواز أخذه وصرفه فى المصالح، وتمحلوا لذلك ما قووا به فتواهم.

فانطلقت الألسنة بالوقيعة فى القضاة، وأنهم اعتادوا اتباع أهواء الملوك، خوفًا على مناصبهم أن يعزلوا منها، وأن هذه الفتوى بهذه الحادثة من جنس ما تقدم من الفتاوى فى قرقماس يخشى بك وإيمان المماليك وأى فرق بين ما يؤخذ بقطيًا من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق، وما يؤخذ بالإسكندرية من التجار، وما يؤخذ بالقاهرة ومصر ودمشق وسائر بلاد الشام من الناس عند بيعهم العبيد والإماء والخيل والبغال والحمير والجمال وغير ذلك، وبين ما يؤخذ من أموال التجار الواردين إلى جدة فإن كل أحد يعلم أن ذلك كله مكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه، وأن الآكل منه فاسق، لا تقبل شهادته لسقوط عدالته، ولكن الهوى يعمى ويصم، وما كفتهم وما أغنتهم هذه الحالة حتى بعثوا بالفتاوى، فقرئت بالمسجد الحرام على رءوس الأشهاد، ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

وفى يوم الخميس عاشره: كتب باستقرار برهان الدين إبراهيم بن الباعونى فى خطابة الجامع الأموى بدمشق، عوضًا عن ابن قاضى شهبة.

وفى سادس عشره: قدمت رسل ملك الروم خوند كار مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير أينال الششمانى، والأمير ألطنبغا الشريفى من دمشق.

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر خلعة السفر، وسافر يوم الإثنين ثانى عشرينه، بعد أن بلغت النفقة عليه ثلاثين ألف دينار.

وفيه حضرت رسل مراد بن عثمان وقت الخدمة بالقصر، وقدموا هديته، وهى عشرة مماليك، وثياب حرير، وفرو سمور، وغير ذلك مما تبلغ قيمته نحو خمسة آلاف دينار، وتضمن كتبه السلام، وتهنئة السلطان بجلوسه على تخت الملك، وإن تأخر إرساله بالتهنئة لاشتغاله بمحاربة بنى الأصفر حتى ظفره الله بهم.

وفيه رسم بفك قيد الأمير أينال، ونقله من سجنه بصفد إلى موضع أوسع منه، وأن يتوجه إليه من جواريه من تخدمه.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله يوم الثلاثاء:

فيه خلع على نور الدين على بن أقبرس، أحد نواب الشافعية، واستقر فى نظر الأوقاف، عوضًا عن تقى الدين بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، وهذا الرجل نشأ بالقاهرة فى سوق العنبرانيين[1] وطلب العلم، وناب فى الحكم عن الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وصحب السلطان منذ سنين، وصار ممن يتردد إلى مجلسه أيام سلطنته، فداخل الناس منه وهم كبير، ولم يبد منه إلا خيرًا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: نودى بمنع المعاملة بالدراهم الأشرفية، وأن تكون المعاملة بالدراهم الظاهرية الجدد، وهدد من خالف ذلك، فاضطرب الناس لتوقف أحوالهم فى المبيعات، فنودى آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع إلى الصيارف بسعرها، وهو كل درهم بعشرين درهمًا من الفلوس، وأن تكون المعاملة بالظاهرية الجدد، وهى دراهم ضربت باسم السلطان، على أن يكون وزن كل درهم فضة بأربعة وعشرين درهمًا من الفلوس، وجعلت عددًا لا وزنًا، فمنها ما هو نصف درهم عن اثنا عشر درهمًا ومنها ما هو ربع درهم فيصرف بستة دراهم، على أن كل دينار من الدنانير الأشرفية - التى هى الآن النقد الرائج - بمائتين وخمسة وثمانين درهمًا من الفلوس وكانت الصيارف قد جمعت، ودفع إليها من الدراهم الظاهرية المذكورة جملة ليفرقوها فى الناس، فجلسوا لذلك، وصاروا يأخذون الأشرفية على عادتها بعشرين درهمًا، كل درهم وزنًا، ويعوضون عنها من الظاهرية الجدد كل درهم بأربعة وعشرين، لكنها بالعدد لا بالوزن.

ثم يدخلون بالأشرفية إلى دار الضرب ويعيدونها ظاهرية، هذا والناس مع ذلك يتعاملون فى بيعهم وشرائهم وقيم أعمالهم بالأشرفية على عادتهم وزنًا، فصار للناس بالقاهرة ستة نقود، ثلاثة من الذهب، واثنان من الفضة، وواحد من الفلوس، فأما الذهب فإنه هرجة، وهو قليل جدا، وأفرنتى من ضرب الفرنج، وقد قل عما كان عليه منذ أخذ الأشرف برسباى فى ضرب الأشرفية وسبك الأفرنتية وإعادتها أشرفية، والنقد الثالث من الذهب الدنانير الأشرفية وهى النقد الرائج، وقد كثرت بأيدى الناس لاسيما منذ أنفق السلطان ذخائر الأشرف فى المماليك وغيرهم.

---

(١) يقع بين سوق الحرير وبين قيسارية العصفر، تجاه الخراطين. انظر المواعظ والاعتبار ١٠٢/٢.

وأما الفضة فإن الدراهم الأشرفية دائرة فى أيدى الناس على ما هى عليه وزنا لعشرين درهما كل درهم، والدراهم الظاهرية الجدد يتعامل بها عددا بحساب كل درهم بأربعة وعشرين درهما، وأما الفلوس الأشرفية والظاهرية، فإنها عددا لا وزنا، يعد فى كل درهم ثمانية فلوس، فيصرف الدرهم الأشرفى بمائة وستين فلسا، ويصرف الدرهم الظاهرى الجديد بمائة واثنين وتسعين فلسا، وإذا اعتبرت بالوزن كان كل رطل منها بستة وثلاثين درهما من الفلوس، ولا أعلم أنه وقع فى تعدد النقود المتعامل بها مثل ذلك، وإنما كان الناس قديما وحديثا نقدهم الرائج الذى تنسب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال الذهب الهرجة المضروب بالسكة الإسلامية، ومع هذا الذهب الدراهم والفلوس، ثم كثرت الدراهم الكاملية والظاهرية بمصر والشام والحجاز فى الدولة التركية، حتى صارت هى النقد الرائج، وإليها ينسب سعر الدينار الهرجة وأثمان المبيعات كلها وقيم الأعمال بأسرها، والفلوس مع ذلك إنما هى لشراء المحقرات من المبيعات.

فلما أكثر الأمير محمود الأستادار ـ فى الأيام الظاهرية برقوق ـ من ضرب الفلوس، صارت الفلوس هى النقد الرائج دون الذهب والفضة، ونسب إليها سعر الدينار الذهب والدرهم الفضة، وجميع أثمان المبيعات بأسرها، وعامة قيم الأعمال إلى أن ضرب المؤيد شيخ الدراهم، صار للناس ثلاثة نقود وهى الذهب والفضة والفلوس.

وكان الذهب أربعة أقسام: هرجة وهو قليل جدا، وسالمى وهو قليل لا يوجد منه إلا فى النادر، وأفرنتى وهو كثير جدا قد طبق الأرض وكثر بعامة بلاد الله، والدينار الناصرى وهو أقل من الأفرنتى، والنقد الثانى الدراهم المؤيدية وتعامل الناس بها عددًا لا وزنا، والنقد الثالث الفلوس، ويتعامل بها وزنا كل رطل بستة دراهم، وربما زاد الرطل عن الستة دراهم، وهذه الفلوس هى النقد الرائج المنسوب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال، وأراد المؤيد شيخ أن يجعل قيم الأعمال وأثمان المبيعات منسوبة إلى الدراهم المؤيدية، فعمل ذلك مدة يسيرة، ثم عادت الفلوس هى المنسوب إليها قيم الأعمال وثمن المبيعات فلما كانت الأيام الأشرفية برسباى، وضرب الدراهم الأشرفية عملها وزنا كل درهم بعشرين درهما من الفلوس، فبطلت الدراهم المؤيدية.

وضرب أيضا الدنانير الأشرفية، وجد فى إبطال الدنانير الأفرنتية، حتى قلت، وجدد أيضا ضرب الفلوس الأشرفية عددًا، ومات والنقود على هذا، فمازالت كذلك حتى جدد السلطان الآن هذه الدراهم الظاهرية الجدد، وقد تقدم فى هذا الكتاب تفصيل هذه الجملة فى أوقاتها.

وفي ثاني عشرينه: خلع على غرس الدين خليل بن أحمد بن على السخاوى ـ أحد خواص السلطان ـ واستقر فى نظر القدس والخليل عوضا عن الأمير طوغان نائب القدس، وهذا الرجل قدمت به وبأخيه أمهما إلى القدس صبيان، فنشأ بها، ثم قدم القاهرة واستوطنها مدة وعانى المتجر وتعرف بالأمير جقمق وصحبه سنين، وتحدث فى إقطاعه وما يليه من نظر الأوقاف، فعرض بالنهضة، وشهر بالخير والديانة، فلما تسلطن الأمير جقمق لازم حضور مجلسه حتى ولاه نظر القدس والخليل.

وفي هذا اليوم: توجه الأمير علاء الدين على بن أينال[1] ـ أحد خواص السلطان ـ إلى ملك الروم مراد بن عثمان بهدية جليلة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن كراء الجمال بلغ الغاية لكثرة من بمكة من المجاورين، بحيث بلغ كراء الجمل أربعين دينارا. وأن الشريف بركات بن حسن بن عجلان أعفى من تقبيل خف جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وأن الفتاوى الذى تقدم ذكرها بسبب أخذ العشور من التجار بجدة قرئت بالمسجد الحرام على رءوس الأشهاد، وقرئ المرسوم السلطانى أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين فى البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنفا لا مالا من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم، فكان هذا من جميل ما فعل، ورسم أيضا بأن تمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت فى المسعى وحكروا المعايش، وتلقوا الجلب من ذلك، وأن يخرجوا من مكة، فشكر ذلك أيضا، فإن هؤلاء الباغين كثر ضررهم، واستقووا بحماية المماليك لهم، فغلوا الأسعار وأحدثوا بمكة ما لم يعهد بها، وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم بما يأخذونه منهم من المال.

وفي تاسع عشرينه: أفرج عن ابن أبى الفرج أستادار، وخلع عليه.

وفي هذا العام: جرت حروب بأفريقية من بلاد المغرب، وذلك أنه لما مات أبو فارس عبد العزيز، وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله ولى عمه أبا الحسن على بن أبى فارس بجاية وأعمالها، فلما مات المنتصر، وقام من بعده أخوه أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله، امتنع عمه أبو الحسن من مبايعته، ورأى أنه أحق منه، ووافقه فقيه بجاية منصور بن على بن عثمان ـ وله عصبة وقوة ـ فاستبد بأمر

---

(١) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١٩٥/٥.

بجاية وأعمالها، فسار أبو عمرو من تونس فى جمع كبير لقتاله، فالتقيا قريبا من تبسة[١] وتحاربا، فانهزم أبو الحسن إلى بجاية، ورجع أبو عمرو إلى تونس، ثم خرج أبو الحسن من بجاية، وضم إليه عبد الله بن صخر من شيوخ إفريقية، ونزل بقسطنطينة وحصرها وقاتل أهلها مدة، فسار إليه أبو عمرو من تونس فى جمع كبير، فلما قرب منه سار أبو الحسن عائدا إلى جهة بجاية، فتبعه أبو عمرو حتى لقيه وقاتله، فانهزم منه بعد ما قتل أبو الحسن عدة من أصحابه، وعاد كل منهما إلى بلده، فلما كان فى هذه السنة أعمل أبو عمرو الحيلة فى قتل عبد الله بن صخر حتى قتله، وحملت رأسه إليه بتونس، ففت ذلك فى عضد أبى الحسن، ثم جهز أبو عمرو العساكر من تونس فى إثر ذلك، فنازلت بجاية عدة أيام، حتى خرج الفقيه منصور بن على إلى قائد العسكر، وعقد معه الصلح ودخل به إلى بجاية، وعبر الجامع وقد اجتمع به الأعيان.

وجاء أبو الحسن ووافق على الصلح وأن تكون الخطبة لأبى عمرو، ويكون هو ببجاية فى طاعته، وترجع العساكر عن بجاية إلى تونس، فلما تم عقد الصلح أقيمت الخطبة باسم أبى عمرو، وعادت العساكر تريد تونس فبلغهم أن أبا عمرو خرج من تونس نحوهم لقتال أبى الحسن، فأقاموا حتى وافاهم، ووقف على ما كان من أمر الصلح، فرضى به، وأخذ فى العود إلى جهة تونس، فورد عليه الخبر بأن أبا الحسن خاف على نفسه من أهل بجاية، فخرج ليلا حتى نزل جبل عجيسة[٢] فأقر عساكره حيث ورد عليه الخبر، وسار جريدة فى ثقاته، ودخل مدينة بجاية، فسر أهلها بقدومه، وزينوا البلد، فرتب أحوالها واستخلف بها أصحابه، وعاد إلى معسكره، واستدعى شيوخ عجيسة فأتاه طائفة منهم فأرادهم على تسليم أبى الحسن إليه، وبذل لهم المال، فأبوا أن يسلموه، فتركهم وعاد إلى تونس فكثر جمع أبى الحسن بالجبل، وأقام به مدة، ثم خاف من عجيسة أن تغدر به، و لم يأمنهم على نفسه، فسار ونزل جبل عياض قريبًا من الصحراء، و لله عاقبة الأمور.

وفى هذا الشهر: قدم عسكر من مدينة طرابلس، فنازلوا قلعة الكهف ومدينتها ـ وبها إسماعيل بن العجمى أمير الإسماعيلية ـ مدة أيام، حتى أخذوها، وهدموا القلعة حتى سووا بها الأرض، وأنعم على إسماعيل المذكور بإمرة فى طرابلس، فزالت قلعة الكهف،

---

(١) تبسة: بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل فى قفر سبيبة وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) بنى عجيسة: هم بطن من البرانس من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص٣٢٥.

وكانت أحد الحصون الإسماعيلية المنيعة وذلك بسعاية ناصر الدين محمد، وحجى، وفرج، أولاد عز الدين الداعى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام[١] وهو من مماليك الأمير تمراز أحد مماليك الظاهر برقوق، ترقى بعد موت أستاذه حتى صار من الأمراء، وولى نيابة الإسكندرية مدة، ثم عاد إلى القاهرة، حتى ولى نيابة الشام فلم تطل مدته بها حتى مات فى يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر من غير تقدم مرض، بل ركب ولعب بالكرة فى الميدان، ثم لعب بالرمح، وإذا به مال عن سرجه، فتلقوه ووضعوه فى بيت، ثم حملوه - وهو غائب - إلى دار السعادة فمات فى آخر النهار، وكان مشهورا بالفروسية، معروفا بالديانة، وقيام الليل، والعقل، والتؤدة.

ومات الأمير يلبغا البهائى نائب الإسكندرية، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير طوخ مازى نائب غزة، وأحد المماليك الناصرية فرج، فى ليلة السبت خامس شهر رجب، ومستراح منه، فقد كان من شرار خلق الله، فسقا، وظلما، وطمعا[٢].

ومات الأمير قطج الناصرى[٣] فى يوم الإثنين ثامن عشر شهر رمضان، وهو أحد المماليك الناصرية فرج، ترقى فى الخدم حتى صار من الأمراء مقدمى الألوف ثم أخرج إلى الشام فتنقل فى إمريات بحلب ودمشق، ثم قدم القاهرة ووعد بإمرة، فلم تطل إقامته حتى مات، وترك مالا جزيلا، وكان من الشح المفرط والطمع الزائد فى غاية يستحى من ذكرها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد أمير طبر ونقيب الجيش، ليلة الخميس ثامن عشرين رمضان، وكان مشكورا.

ومات قاضى حلب علاء الدين على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٣/١٥ وما بعدها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٥/١٥.

(٣) هو سيف الدين قطج بن عبد الله بن تمراز الظاهرى.

عثمان(١) المعروف بابن خطيب الناصرية الحلبي الشافعي، في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة بحلب، ومولده سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وكان بارعا في الفقه والأصول والعربية، مشاركا في الحديث والتاريخ، وغير ذلك مع الرياسة، وشهرة الذكر، وكثرة المال. قدم القاهرة غير مرة، وبلونا منه علما جما واستحضارًا كثيرًا ، مع الإتقان وحسن المحاضرة، ولم يخلف بعده بحلب مثله، وكتب تاريخا لحلب، ذيل به على تاريخ ابن العديم.

ومات جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزبة الكازروني(٢) الأصل، المدني المولد والمنشأ والوفاة، الشافعي، في يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة، بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع، مولده في ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالمدينة. برع في الفقيه وغيره، وولي قضاء المدينة مدة يسيرة، ثم عزل، ولم يعد إلى ولايتها وقدم القاهرة مرارًا، وصحبني سنين، رحمه الله.

ومات مجد الدين ماجد بن النحال كاتب المماليك، في ليلة السبت سادس ذي الحجة، وكان من نصارى مصر، وتخرج في الحساب على الأسعد البحلاق، وخدم بديوان الأمير نوروز الحافظي بدمشق، ثم بديوان الأمير جقمق الدوادار في أيام المؤيد شيخ، وأظهر الإسلام، ثم ولي كتابة المماليك، ولا دين ولا دنيا.

ومات نائب الكرك الأمير أقبغا التركماني، وهو في السجن بالكرك.

ومات سودون المغربي متولي دمياط بالقاهرة بطالا، وقد أعيد من النفي في ذي الحجة، وكان عفيفا عن الفواحش.

* * *

---

(١) علي بن محمد بن سعد (٧٧-٨٤٣هـ =١٣٧٢-١٤٤٠م) علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية: مؤرخ، من القضاة. من أهل حلب مولدا ووفاة أصله من بيت جبرين الفستق بشرقي حلب. من كتبه «الدر المنتخب في تاريخ حلب» «وسيرة المؤيد» وتفسير الفاتحة وغير ذلك.

انظر الضوء اللامع ٥/٣٠٣، البدر الطالع ١/٤٧٦، أعلام النبلاء ٥/٢٢٤ كشف الظنون ١/٢٤٩ نهر الذهب ١/٩. الأعلام ٥/٨.

(٢) نسبة إلى كازَرُون وهي مدينة بفارس بين البحر وشيراز. انظر معجم البلدان ٤/٤٢٩

سنة أربع وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة، والخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان الإسلام الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق، والأمير الكبير يشبك الظاهرى ططر، وأمير سلاح الأمير تمراز القرمشى، وأمير مجلس الأمير جرباش الكريمى قاشق، والمقام الناصرى محمد ابن السلطان أحد مقدمى الألوف، والدوادار الكبير الأمير تغرى بردى البكلمشى ويعرف بالمؤذى، وأمير أخور كبير الأمير قراجا الحسنى الناصرى، وحاجب الحجاب الأمير تنبك بن تنبك، ورأس نوبة الأمير تمرباى الظاهرى ططر، وبقية الأمراء المقدمين الأمير أينال العلاى الأجرود، والأمير شادى بك الظاهرى ططر، والأمير ألطنبغا المرقبى، والأمير أسنبغا الطيارى - وهو نائب الإسكندرية، ونائب الشام الأمير جلبان المؤيدى، ونائب حلب الأمير قانباى الحمزاوى ونائب طرابلس الأمير برسباى الناصرى، ونائب حماة الأمير برد بك العجمى، ونائب صفد الأمير قانبيه البهلوان، ونائب غزة الأمير طوخ المؤيد، ونائب القدس الأمير طوغان السيفى ألطنبغا العثمانى، ونائب الكرك الأمير مازى، ونائب الوجه القبلى من ديار مصر الأمير محمد الصغير، ونائب البحيرة الأمير قشتمر المؤيدى، وكاتب السر القاضى كمال الدين محمد بن البارزى، وناظر الجيش شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر، والوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، وناظر الخاص الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جكم، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج، وقضاة القضاة على حالهم، والمحتسب الأمير تنم المؤيدى، والوالى الأمير قراجا البواب، والأسعار رخية بحمد الله.

شهر الله المحرم الحرام، أهل بيوم الخميس:

ففى يوم الخميس ثامنه: خلع على طوغان السيفى علان ويقال له رقز، أحد أمراء العشرات، ومن جملة أمراء أخورية، واستقر أستادار السلطان عوضا عن ابن أبى الفرج، وقبض على ابن أبى الفرج، وعوق بالقلعة إلى يوم الأحد حادى عشره، تسلمه الصاحب الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونزل به إلى بيته.(١)

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على سراج الدين عمر الحمصى(٢) وأعيد إلى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠١/١٥.

(٢) هو عمر بن الذين الحمصى ثم الدمشقى أحد فضلاء دمشق فى مذهبه ممن يستحضر الكثير من الروضة مع الدين والخير وتكسبه من أنوال حرير يدولبها . انظر اضوء اللامع ١٣٦/٦.

قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن ابن قاضى شهبة. وكان قد قدم إلى القاهرة، وعنى به بعض أهل الدولة، حتى أعيد إلى وظيفة القضاء، وسار من القاهرة إلى محل ولايته بدمشق فى عشرينه.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع، وجاءت القاعدة وهى الماء القديم ست أذرع وأربع أصابع.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: قدم الأمير جرباش الكريمى قاشق من الحج، ومعه ابنته زوجة السلطان فى ركب من الحجاج، وحكيت عنه أمورا، منها أنه رسم على قاضى المدينة النبوية ليحضر لخوند ابنته خمسين صاعا من تمر، فبعد لأى أخذ منه ثلاثين صاع تمر وأشياء من هذا، مع المال الجم والشيخوخة. ثم قدم من الغد ركب ثان، وقدم محل الحاج بركب ثالث فى يوم الجمعة ثالث عشرينه، تتمة أربع ركوب، وقد مات جماعة كثيرة فى الطريق من حر بسموم محرق، وهلك معظم الجمال، بحيث مشى من لم يعتد بالمشى، ورمى الناس أمتعهم لعجزهم عن حملها، مع عسف أرماء الركب، فكانت رجعتهم مشقة لما نزل بهم من أنواع البلاء.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: خلع على زين الدين يحيى الأشقر قريب بن أبى الفرج، واستقر فى نظر الديوان المفرد رفيقا للأمير طوغان قز، عوضا عن عبد العظيم بن صدقة وقد قبض عليه ونقل ابن أبى الفرج من تسليم الوزير، وسلم - هو وعبد العظيم للأمير طوغان قز الأستادار، فعاقب ابن أبى الفرج، وأفحش فى عقوبته من غير تجمل ولا احتشام.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قبض على بهاء الدين أبى البركات الهيتمى، أحد نواب قاضى القضاة الشافعى، وسجن فى البرج بالقلعة، بغير موجب يقتضى ذلك. ثم أفرج عنه.

وفى يوم الجمعة سلخه: أمر شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر الشافعى أن يلزم بيته، واستدعى برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن ميلق أحد نواب القاضى الشافعى حتى خطب بجامع القلعة، وصلى السلطان صلاة الجمعة.

ونقل ابن أبى الفرج من بيت الأمير طوغان قز أستادار إلى تسليم الصاحب برهان الدين إبراهيم ابن كاتب جكم ناظر الخاص، بعدما حمل عشرة آلاف دينار وتأخر عليه أربعة آلاف دينار، مما ألزم به، وأسلم عبد العظيم إلى الوزير الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، ليحمل ألفى دينار.

وفى هذه الأيام: وقع الاهتمام بتجهيز تجريدة فى البحر لغزو الفرنج.

وفيها قدم القاضى زين الدين عبد الباسط بأهله وعتيقه الأمير جانبك أستادار من مكة إلى بيت المقدس، ليقيم به حسب ما رسم له به، فنزل بمدرسته التى أنشأها على مسجد بيت المقدس، فسكن جأشه، لأنه كان كثير القلق وهو بمكة.

شهر صفر، أوله يوم السبت:

فى يوم الإثنين ثالثه: خلع على الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر الشافعى واستمر على عادته، بعد أن عين شمس الدين محمد الونائى لولاية قضاء القضاة، فقام المقام الناصرى محمد ابن السلطان فى استقرار الحافظ شهاب الدين حتى استقر، ولله الحمد، فوالله ما يبلغ أحدهم فى العلم مده[1] ولا نصيفه، وكان سبب هذه الحادثة أن رجلا أسند وصيته بعد موته لامرأتيه، وأقام عليهما ناظرًا سماه فى وصيته. ومات الموصى، فأقام القاضى رجلا يتحدث مع الناظر، فاختلفا وترافعا إلى السلطان فأنكر السلطان إقامة الرجل المتحدث مع الناظر، وسجن أبا البركات الهيتمى من أجل أنه أثبت أهلية المذكور، وأذن له فى التحدث مع الناظر فى تركة الموصى. وأمر بالرجل المتحدث مع الناظر، فعمل فى الحديد، وسجن أيضا فكثرت الشناعة على ابن حجر بلا موجب، إلى أن فوض السلطان أمر تركة الموصى إلى من يثق به من أمرائه، فجمع الناظر على التركة والرجل الذى أقامه القاضى يتحدث معه وحسابهما، فلم يجد فى جهة المتحدث مع الناظر شيئا من التركة، وظهر أن تلك الشناعات كلها كذب. فلما تبين للسلطان حقيقة الأمر سكنت حدة غضبه، وأفرج عن الهيتمى وعن الرجل المتحدث مع الناظر، وأقر قاضى القضاة على عادته.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قدمت تقدمة القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس، على يد دوادره أرغون أحد مماليكه، وهى فرسان، وعشرون جملا، وشاشات، وأزر، وصينى، وثياب حرير، وتخت[2] يمانى، وغير ذلك مما تبلغ قيمة الجميع نحو الألفى دينار، فقبل السلطان ذلك، وقرئ عليه كتابه، فشكره، وخلع على أرغون.

---

(١) المُدّ : مكيال قديم اختلف الفقهاء فى تقديره بالكيل المصرى، فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان، والجمع أمداد، ومداد. وفى المنجد: ضرب من المكاييل سمى بذلك؛ لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله . والمد يساوى ١٨ لترا إفرنجيا على التقريب . انظر المنجد ص / ٧٥.

(٢) التخت : جمع تخوت : وهو لفظ فارسى، وهو وعاء تصان فيه الثياب، ومكان مرتفع للجلوس أو للنوم، والمقصود هنا المقعد، السرير . انظر المعجم الوسيط ٨٦/١، لسان العرب ٤٢٢ المنجد ص ٥٩.

وفيه أفرج عن ابن أبى الفرج، فلزم داره.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه - وهو أول مسرى - : نودى على النيل بزيادة ثلاثين إصبعا، لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين، وهذا القدر من الزيادة ومبلغ الأذرع مما يستكثر فى أول مسرى و لله الحمد.

وفيه خلع على الأمير عيسى بن يوسف بن عمر الهوارى أمير هوارة بالصعيد، وقد رضى السلطان عن بنى عمر بن عبد العزيز - أمراء هوارة - ورسم بإحضار أخيه الأمير إسماعيل من سجنه بمدينة الكرك، ليستقر على عادته فى إمرة هوارة، على أن يحمل سبعين ألف دينار، يعجل منها أربعين ألف دينار.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: رضى السلطان على الأمير أيتمش الخضرى، وخلع عليه بشفاعة بعض الأمراء.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه - ورابع مسرى - : نودى بوفاء النيل ست عشرة ذراعا وإصبعين، من سبع عشره، فركب المقام الناصرى محمد إلى المقياس حتى خلق العامود بين يديه على العادة، ثم فتح الخليج، وكان وفاء النيل فى رابع مسرى من النوادر التى يجب الحمد لله عليها.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأحد:

وفى هذا الشهر - والذى قبله -: كثرت الفواكه والبطيخ، بزيادة فى الطيب والخصب ورخص السعر، و لله الحمد.

وفى يوم الإثنين تاسعه: انحدر من ساحل بولاق - ظاهر القاهرة - خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج، بأحسن هيئة، وأكمل عدة، وأتم زاد، وفيها من الأجناد والمطوعة جماعة. فعلى الأجناد - وعدتهم مائتان - تغرى برمش الزردكاش من أمراء العشرات، ويونس المحمدى أمير آخور من العشرات أيضا، وسبب هذه التجريدة كثرة عبث المتجرمة من الفرنج، وأخذها مراكب التجار بما فيها، فأنشأ السلطان هذه الأغربة وشحنها بما تحتاج إليه من العدد والأسلحة والمقاتلة، وسيرها، عسى ا لله أن يظفرهم، فانضم إليهم طوائف من أوغاد العامة، وأراذل المفسدين، ومن الزعر المجرمين، حتى بلغوا ألفا أو يزيدون. و لم ينفق فى المماليك مال.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: ضربت رقبة رجل من سقاط العجم وسفلتهم، وقد ثبت عليه - بشهادة جماعة - قوادح وعظائم أوجبت إراقة دمه شرعا، وكان من

جملة أشياع الأمير قرقماس المقتول، وتكلم فى السلطان وفى الأنبياء وغيرهم تعجل به العقوبة ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾[١].

وفى يوم الخميس ثانى عشره: خلع على الأمير إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، واستقر فى إمرة هوارة على عادته، وكان قد عزل بيوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، وسجن وأشيع أنه يقتل، وخرجت العساكر إلى بلاد الصعيد لقتال هوارة، ثم نفى إلى الكرك[٢]، وسجن بها، فلم تطع هوارة ابن مازن، وجرت مفاسد ببلاد الصعيد آلت إلى فرار ابن مازن وعوده خائبا إلى السلطان، فقام عدة من الأمراء فى عود بنى عمر، حتى أجابهم السلطان بعد ما اختلت أحوال البلاد خللا فاحشا، و لله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: رسم بتتبع من فى القاهرة وظواهرها من العجم الذين يطوفون بالأسواق وفى الطرقات، يستجدون الناس تارة، ويظهرون الصلاح تارة، فقبض على عدة منهم، فضرب قوم نفى جماعة، وضرر هذه الطائفة كثير جدًا فإن كثيرًا منهم ينتحلون مذهب الإلحاد، ويصرحون بتعطيل الصانع تعالى[٣]، وينكرون شرائع الأنبياء، ويجهرون بإباحة المحرمات، فا لله يبيدهم، ويعجل بعقوبة من ينصرهم.

وفى يوم الأحد سادس عشره: عمل المولد النبوى بقلعة الجبل بين يدى السلطان على العادة فى مثل ذلك.

وفى خامس عشرينه: جهزت كاملية حرير بفرو سمور للقاضى زين الدين عبد الباسط، على يد مملوكه أرغون، وكتب بشكره على تقدمته.

وفيه تأخر المقر الكمالى محمد بن البارزى عن الركوب إلى الخدمة السلطانية، تبرمًا بثقل مقالبة الخدمة السلطانية، وطلبا للإعفاء من المباشرة، فأتاه عظماء الدولة يتلافوا خاطره، وهو مصمم على ترك المباشرة، فما زالوا به حتى ركب من الغد يوم الأربعاء سادس عشرينه إلى الخدمة، فخلع عليه، ونزل فى موكب جليل إلى داره، وأعيان الدولة وأماثلها بين يديه، فباشر الأمور، ونفذ أحوال الناس على عادته.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) يقصد مذهب المعطلة التى تعطل صفات ا لله تعالى، فيقولون قائل بلا قول عالم بلا علم ... إلخ تعالى ا لله عما يصفون علوا كبيرا، فصفاته تحمل على ما زراد بلا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه . انظر العقيدة الواسطية لابن تعجيمة، العقيدة التدمرية له، كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.

وفي يوم الأحد سلخه – وهو آخر أيام النسيء [١] **–** : نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا إلا إصبعا واحدًا، وهذا القدر من الزيادة فى مثل هذا الوقت من الشهور القبطية كثير جدًا، وهو مما يندر وقوعه، و لله الحمد.

وفيه كتب باستقرار صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد بن محمد بن سابق الحموى فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحمن العجلونى.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الثلاثاء:

فيه وقع الشروع فى الاهتمام بملاقاة رسل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كركان ملك المشرق.

وفي يوم الإثنين سابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى وأعيد إلى حسبة القاهرة، وكان منذ عزل عن قضاء القضاة الحنفية متوافرا على مباشرة نظر الأحباس.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: وردت تقدمة ثانية من زين الدين عبد الباسط من القدس، وهى ثمانية أفراس، ومائة درهم مينا فضة.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه – وخامس عشرين توت [٢] **–** : انتهت زيادة النيل إلى أحد وعشرين إصبعا من أحد وعشرين ذراعا، فشمل الرى الأراضى وعم به النفع، و لله الحمد.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: قدم رسل شاه رخ إلى القاهرة، وقد زينت الشوارع لقدومهم، وخرج المقام الناصرى ولد السلطان وعدة أمراء إلى لقائهم. واجتمع الناس لرؤيتهم، فكان يوما مشهودا، لم نعهد مثله لقدوم الرسل فى الدول المتقدمة، ثم أنزلوا فى دار أعدت لهم، ثم توجهوا من دارهم بخط بين القصرين إلى القلعة فى يوم الإثنين ثامن عشرينه، والمدينة مزينة بأحسن زينة، والشموع وغيرها تشعل، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم، وأوقفت العساكر من تحت القلعة إلى باب القصر فى وقت الخدمة، فلما مثل الرسل بين يدى السلطان بالقصر، قرئ كتاب القان، فإذا هو يتضمن السلام والتهنئة بجلوس السلطان على تخت الملك وسرير السلطنة، ثم

---

(١) يقصد أيام الأشهر الحرم.

(٢) أحد الشهور القبطية.

قدمت الهدية، وهى مائة فص فيروزج، وإحدى وثمانون قطعة من الحرير، وعدة ثياب، وفرو، ومسك، وثلاثون بختيا من الجمال، وغير ذلك، مما تبلغ قيمته خمسة آلاف دينار، ثم قدمت هدية جوكى بن القان وكتابه وأعيد الرسل إلى منزلهم، وأجرى لهم من المأكل والحلوى والفاكهة والمال ما عمهم، ثم قلعت الزينة فى يوم الثلاثاء سلخه، وكان الناس قد تفننوا فى أمور بديعة، أبدوها من أعمالهم فى الزينة، ونصبوا قلاع وفى ظنهم أنها تتمادى أيام، فانقضى أمرها بخير[1].

شهر جمادى الأولى، أهل بيوم الأربعاء:

وماء النيل آخذ فى النقص، والناس قد شرعوا فى زراعة الأراضى.

وفى يوم الإثنين سادسه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى، فامتنعن، ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة.

وفى يوم الخميس تاسعه: خلع على شمس الدين أبى المنصور كاتب اللالا، وأعيد إلى نظر الإسطبل، عوضا عن ابن القلانسى.

وفى يوم الجمعة عاشره: ورد الخبر بنصرة الغزاة المجردين على الفرنج[2].

وفى يوم الأحد ثانى عشره: جمع السلطان الرسل الواردين من القان بين يديه على وليمة عملها لهم، ثم خلع عليهم، ونزلوا فى تجمل زائد.

وفى يوم الإثنين عشرينه: خلع على القاضى بدر الدين أبى المحاسن محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادى، أحد نواب الحنابلة، واستقر قاضى القضاة الحنابلة، عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله بعد موته[3].

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه: قدم الغزاة فى البحر، وكان من خبرهم أنهم انحدروا فى النيل من ساحل بولاق إلى دمياط، ثم ركبوا بحر الملح من دمياط وساروا إلى جزيرة قبرس فقام لهم متملكها بزوادتهم، ومروا إلى العلايا فأمدهم صاحبها بطائفة فى غرابين. ومضوا إلى رودس، وقد استعد أهلها لقتالهم، فكانت بينهم محاربة طول يومهم، لم يكن فيها نصفه. وقتل من المسلمين اثنا عشر من المماليك، وجرح كثير، وقتل

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

وجرح من الفرنج كثير فلما خلص المسلمون بعد جهد، مروا بقرية من قرى رودس، فقتلوا وأسروا ونهبوا ما فيها، وقدموا دمياط، ثم ركبوا النيل إلى القاهرة، وأسفر وجه الأمراء أنهم لم يكن لهم طاقة بأهل رودس.

وفى ليلة الخميس ثالث عشرينه: سقطت قنطرة باب البحر خارج القاهرة، وهلك طائفة ممن كان عليها.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: ورد جواب السيد الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة، الذى جهز إليه بحضوره، يتضمن أنه تجهز للقدوم، ودخل المسجد الحرام ليطوف طواف الوداع، فتعلق به التجار، وجماعة المجاورين، وأهل مكة، يسألونه ويرغبون إليه فى أن يقيم ولا يسافر، فإنه حتى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه بعرض ذلك على الآراء الشريفة فإن اقتضت أن يحضر حضر، وإن اقتضت أن يقيم أقام، وورد قرين مطالعته مطالعة الأمير سودون المحمدى المقيم بمكة، يشير بأن المصلحة فى إقامة الشريف وعدم سفره، فبعد اللتيا واللتى أذن له فى الإقامة، وأعفى من الحضور، على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وجهز له تشريف.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: خلع على خواجا كلال - رسول القان شاه رخ - خلعة السفر، وقد اعتنى بها عناية لم تتقدم مثلها لرسول، وهى حرير مخمل بوجهين، وطراز زركش فيه خمس مائة مثقال من الذهب، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنفوش ذهب فيها ألف دينار ذهبا، وجهزت صحبته هدية، ما بين ثياب حرير سكندرى، وسرج وكنفوش ذهب وسيوف مغلفة بذهب وغير ذلك مما تبلغ قميته سبعة آلاف دينار، سوى الهدية المذكورة[1].

وفى هذا الشهر: ادعى على يهودى متزوج أنه زنى بيهودية، فعنى به بعض خواص السلطان حتى حكم له بعض نواب القضاء الحنفية برفع الرجم عنه. ونفذ حكمه من عداه من القضاة الذين مذهبهم رجمه، فكان هذا من شنيع ما حكم به زمننا. وهو وإن كان مذهب الحنفية أن الكتابى المتزوج لا يرجم، فإنه لم يحكم به قاض فيما أدركناه، لكن حكم بعض نواب القضاة الحنفية فى الأيام الأشرفية برسباى بشنعاء، وقد ضرب العفيف النصرانى بحضرة السلطان حتى أظهر الإسلام. وكان له أولاد بالغون، فكره إسلامهم، وخاف أن يكرهوا عليه، فرغب إلى من حكم له ببقائهم على النصرانية، وأن لا يدخلوا فى دين الإسلام، فجاء من حكمه بطامة لم يعص الله بأقبح منها، وعدت مع

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٤/١٥

ذلك أنها حكم شرعى، فيا لله، ما أخوفنى من سوء عاقبة هذه الأحكام، و لله در القائل:

إذا جار الأمير وصاحباه ... وقاض الحكم داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضى الأرض من قاضى السماء

شهر جمادى الآخرة، أهل بيوم الجمعة: وأهل النواحى مشغولون بزراعة الأراضى.

وفى يوم السبت ثانيه: ضرب شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى[(١)] الشافعى، ورسم بنفيه. وكان من خبره أنه قدم إلى القاهرة قبيل سنة أربعين وثمانمائة وهو فى فاقة، فاستدناه المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، ووالى إحسانه عليه، فتعرف بالناس، وتردد إلى الأمراء، واختص بالقاضى زين الدين عبد الباسط، وصارت له وظائف ومرتبات، وتردد إلى السلطان، وعرف بالفضيلة، فصار له أعداء، واتفق أن كانت بينه وبين شخص من الحنفية تعصب بسببها على الكورانى جماعة، وكأنه طاش فى رياسته، ونقم السلطان وغيره عليه أشياء، ساعدهم فيها سوء المقدور عليه، حتى أهين فى مجلس السلطان بحضرة القضاة، وأخرجت وظائف لغيره، ونفى إلى دمشق ثم أخرج منها، وقد عزم على الحج إلى جهة حلب، فلم يشعروا به إلا وقد وصل إلى الطور، فرسم عليه، وأخرج من الطور إلى الشام، ورسم أن يعدى به من الفرات، وكثر ذامه لسوء حظه، ولا قوة إلا با لله[(٢)].

وفى ثالثه: استقلت رسل شاه رخ بالمسير إلى بلادهم، بجواب كتابه، والهدية المذكورة.

وفيه نودى من كانت له مظلمة فعليه بالوقوف للسلطان فى يومى الثلاثاء والسبت.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على الأمير تمرباى رأس نوبة النوب، واستقر أمير الحاج.

---

(١) الكورانى (٨١٣ - ٨٩٣هـ = ١٤١٠ - ١٤٨٨م).

أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى شهاب الدين الشافعى ثم الحنفى: مفسر كردى الأصل، من أهل شهرزور. تعلم بمصر ورحل إلى بلاد الترك فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولى عهده محمد الفاتح وولى القضاء فى أيام الفاتح، وتوفى بالقسطنطينية، وصلى عليه السلطان بايزيد. له كتب منها «غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى - خ» و«الدرر اللوامع فى شرح جمع الجوامع للسبكى» فى الأصول والكوثر الجارى، وهو شرح البخارى فى عدة مجلدات وشرح الكافية لابن الحاجب فى النحو. انظر الشقائق النعمانية ١ / ٨٨، والضوء اللامع ١ / ٢٤١، ٢ / ٢٢٤، ونظم العقيان ٣٨، وتاريخ السليمانية ٢٣٣، وهدية العارفين ١ / ١٣٥، والأعلام ١ / ٩٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٤.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ السلطان بالجلوس للحكم بين الناس.

وفى يوم الخميس سابعه: خلع على الشريف بدر الدين حسين بن أبى بكر الفراء الحسينى[١] واستقر نقيب الأشراف، عوضا عن الشريف حسن بن على بن أحمد بن على بن حسين الحسنى المعروف بابن قاضى العسكر الأرموى.

وفى يوم الخميس رابع عشره: قدم الأمير سيف الدين جلبان المؤيدى نائب الشام، فركب السلطان من القلعة إلى لقائه، ومنذ تسلطن لم ينزل من القلعة إلا هذا اليوم، فلقيه بمطعم الطيور طرف الريدانية خارج القاهرة، وعاد والنائب فى خدمته، حتى أنزل فى بيت أعد له.

وفى يوم السبت سادس عشره: أحضر نائب الشام تقدمته، وهى ثمانون فرسا بغير سروج، وثلاثون بختيا، وعدة بغال، وقماش ما بين ثياب حرير وثياب بعلبكى وثياب صوف مربع، وفرو ما بين وشق[٢] وسمور (٣) وقاقم وسنجاب (٤)، وغير ذلك مما قيمة الجميع نحو عشرة آلاف دينار، وجلبان هذا من جملة مماليك الأمير تنبك أمير آخور الظاهرى برقوق، رباه صغيرا، ثم صار من بعد موته فى خدمة الأمير جركس المصارع، وانتقل من بعده إلى خدمة الأمير شيخ المحمودى، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن حتى تسلطن شيخ وتلقب بالملك المؤيد، فأنعم عليه بإمرة، ثم عمله أمير آخور، وولى نيابة حماة فى الأيام الأشرفية برسباى عدة سنين، كثر فيها شكاته، ثم نقل بعد موت الأشرف إلى نيابة حلب، ثم إلى نيابة الشام.

وفى ليلة الإثنين ثامن عشره: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد ابن على بن عمر الصفدى فى الترسيم، فسلم إلى المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتبَ السر، وقد رسم للذى أحضره من دمشق أن يأخذ تسفيره ألف دينار، توزعها وناظر

---

(١) هو حسين بن أبى بكر حسن البدر الحسينى القاهرى، نقيب الأشراف، وكان يلقب بالشاطر، وقيل : ابن الفراء . انظر الضوء اللامع ١٣٨/٢.

(٢) حيوان من فصيلة القِط، ورتبة اللواحم، من الثدييات، وهو بين القط والنمر رأسة كبير، وعلى طرفى كل من أذنيه خصلة من شعر، وذيلة قصير، يقطن الغابات، كما يوجد فى الصحارى والمناطق الزارعية انظر المعجم الوسيط (وشق).

(٣) السمور: حيوان ثدىيى ليلى، من الفصيلة السمورية، منآكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالى آسية. انظر المعجم الوسيط (سمر).

(٤) السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ، له ذنَب طويل، كثيف الشَعر يرفعه صعدا انظر المعجم الوسيط.

الجيش وكاتب السر بدمشق، وسبب ذلك أن رجلا بغداديا من فقهاء الحنفية - يذكر أنه من ولد الإمام أبى حنيفة رحمه الله - قدم من دمشق، وتردد إلى مجلس السلطان، فكانت محنة أحمد الكورانى بسببه كما هو مذكور فى ترجمته من كتاب «درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة» ثم أفرغ سمه ثانيا فى شمس الدين الصفدى، ووشى به إلى السلطان أنه سئل عن الحكمة فى كثرة جماع النبى ﷺ نساءه، فقال: «ليحصنهن من الزنا» وأن هذا كفر يوجب إراقه دمه، وشنع، وأبدى وأعاد﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾[1] فرسم بإحضاره، وفى الذهن أنه يقتل.

وفى هذه الأيام: مرت سحابة، فأصبح كثير من المزروعات وقد صقع وأسود، كالخيار والفول والجزر، فلم ينتفع به، وأفسدت الدودة كثيرا من البرسيم المزدرع بالوجه البحرى، فأعيد بذره.

وفيه أيضا غلا سعر اللبن والجبن واللحم، وقل وجود ذلك بالأسواق.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، أحد موقعى الدست، وناظر دار الضرب، واستقر فى نظر جده، عوضا عن تاج الدين بن حتى السمسار، وخلع على شاهين - أحد المماليك - واستقر شاد جده، وخلع على الأمير جلبان نائب الشام خلعة السفر، وتوجه من الغد - يوم الثلاثاء سادس عشرينه إلى محل كفالته.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير ممجق [2]بعد موته على تغرى برمش بن جركس. ثم خلع فى يوم الإثنين ثالثه، واستقر نائب القلعة، عوضا عن ممجق وتغرى برمش من محاسن هذه الدولة، لمعرفته الحديث ورجاله المعرفة الجيدة إلى غير ذلك من الفضائل.

شهر رجب أوله يوم السبت:

فى يوم الإثنين ثالثه: ركب السلطان بثياب جلوسه، ومضى من القلعة، فمر من صليبة جامع ابن طولون إلى الميدان الكبير بخط موردة الحبس - وقد خرب - فكشف ما يحتاج إليه من العمارة، ورسم بمرمته، وعاد سريعا وهذه ثانى ركبة ركبها فى سلطنته[3].

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٤).

(٢) هو الأمير ممجق بن عبدالله الموروزى (ت٨٤٤ هـ) . انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٥/١٥.

وفى يوم الإثنين عاشره: أنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا المرقبى بعد موته على الأمير طوخ الجمكى[1] رأس نوبة ثانيا، وأنعم بإقطاع الأمير طوخ على الأمير قانبيه الجركسى شاد الشراب خاناه، وأنعم بإقطاع قانبيه على ثلاثه نفر: الأمير تغرى برمش واستقر نائب القلة عوضا عن الأمير ممجق، وعلى الأمير يوسف بن محمد بن الأمير إسماعيل بن مازن واستقر شيخ لهانة بالبهنساوية، وعلى تغرى بردى دوادار قراسنقر وهو كاشف الجيزة.

وفى هذه الأيام: أيضا برزت التجريدة المتوجهة إلى المدينة النبوية، حتى أناخت بالريدانية خارج القاهرة، وعدتها خمسون مملوكا، عليهم الأمير جانبك المعروف بنائب بعلبك، أحد أمراء العشرات، واستقلت بالمسير فى يوم الجمعة رابع عشره وتوجه صحبتهم ناظر جدة وشادها، وعدة ممن يريد الحج والعمرة، وتوجه أيضا أحد خاصكيه السلطان لإحضار ولى الدين محمد بن قاسم - مضحك السلطان الملك الأشرف برسباى - وكان قد رسم بإحضاره غير مرة آخرها أن كتب للأمير سودون المحمدى بتجهيزه من مكة فى البحر إلى القاهرة، فأخرجه من مكة وأركبه البحر من جدة، فنزل ينبع، ومضى إلى المدينة النبوية. ثم عاد إلى ينبع، واعتذر عن الحضور، فلم يقبل عذره، وجهز له الخاصكى، ورسم به أن يأخذه تسفيره من ابن قاسم ألف دينار.

وفى يوم الأحد سادس عشره: عقد مجلس بن يدى السلطان، حضرة قضاة القضاة الأربع، وجيء بشمس الدين محمد الصفدى قاضى الحنفية بدمشق من منزله بجوار كاتب السر، فأوقف، وأدعى عليه غريمه حميد الدين بن أبى حنيفة عند قاضى القضاة

---

(١) طوخ بن عبد الله الجكمى، الأمير سيف الدين (٨٦٨ هـ = ١٤٦٣ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الطبلخاناه وثانى رأس نوبة. أصله من مماليك الأمير حكم من عوض المتغلب على حلب، ثم نقل فى الخدم بعد موت أستاذه سنين إلى أن تأمر فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى عشرة، ثم قبض عليه بعد مدة يسيرة، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة عشرة على عادته أولا ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى إمرة طبلخاناه بعد يلبغا البهائى بالإسكندرية بحكم وفاته، ثم صار نوبة ثانيا بعد خروج الأمير يلبغا الساقى إلى نيابة غزة فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخرج السلطان إقطاعه للأمير بيسق البشبكى وغيره، وبحكم ضعف بصره، وطول رمده، وأخلع على الأمير جانبك القرمانى باستقرار رأس نوبة ثانيا من بعده. واستمر طوخ المذكور ملازما لداره بالذل والقهر والصغار وهو مستحق لذلك، فإنه متجاهر بالمعاصى، مدمن للخمر- بلغ من السن ما بلغه وطالت أيامه فى الإمرة هذه المدة الطويلة وهو إلى الآن لم يحج ولا قضى الفرض هذا على ما اشتمل عليه من الكبر والجبن والبخل وعدم معرفته لأنواع الفروسية ولا يعرف فيه من المحاسن غير أنه كان حركسى الجنس من جنس الفرم لاغير. انظر المنهل الصافى ٧/ ١٦، ١٧، الدليل الشافى ١/ ٣٧٢، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٠.

شهاب الدين أحمد بن حجر بأنه قال: «أنا اتخير في الحكم، فتارة أحكم بقول أبي حنيفة، وتارة بمذهب الشافعي أو مالك» فأجاب: «بأني إنما قلت أتخير من قول أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد وزفر، وأحكم بما أختاره من ذلك»، فأجاب القضاة الأربع بأنه لا شيء عليه في ذلك، ودفعوا خصمه بحجاج وجدال طويل، وهو يأبى إلا أن يعزر، حتى قال الشافعي للسلطان: «وأي تعزير حمله من دمشق إلى مصر، وغرمه للمسفر ما غرم، ثم ها هو قائم على رجليه يدعى عليه» فانفضوا على ذلك، وجلس بين يدي السلطان وقبل يده، وانصرف منصورًا بعناية القاضي الشافعي وكاتب السر به، وإلا فما كان ظن المتعصبين مع حميد الدين إلا أنه ينكل بالصفدي، ويحكم بفسقه، وتخرج وظائفه، إلى غير ذلك، وكان قد كتب إلى دمشق بالكشف عما نسب إليه من قوله في أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أن رسول الله - ﷺ - يحصنهن من الزنا؛ فكتب جماعة من قضاتها وأعيان فقهائها بأنهم فحصوا عن ذلك فلم يجدوا له أصلا، وأبدوا مخاصمة وقعت بينهما، فلما سكن غضب السلطان عند قراءة ذلك عليه، علم حميد الدين وعصبته أنه قد نجا غريمهم من القتل برغمهم، فعدلوا إلى ما يوجب بزعمهم النكال به؛ فكان ما كان، ورد الله حاسده بغيظه، لم ينل بسعيه عرضا.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: عزل سراج الدين عمر الحمصي عن قضاء القضاة بدمشق؛ وقد وشى به شخص إلى السلطان من خواصه أنه أخذ على حكمه - في قضية ذكرها - مبلغا من المال، وكان السلطان لما ولى الحمصي لم يكلفه لمال، وشرط عليه أن لا يرتشي في أحكامه. وعين السلطان شمس الدين محمد بن الونائي لقضاء دمشق.

وفيه خلع على الأمير يوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، واستقر أمير هوارة البحرية، عوضا عن علي بن غريب، وذلك أنه كانت في هذه الأيام فتن بين فزارة ومحارب، وبين هوارة البحرية بناحية البهنساوية، فقبض الكاشف على ابن غريب، فولى السلطان عوضه ابن مازن، وعين معه تجريدة.

وفي يوم الخميس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن علي بن عمر الصفدي، واستقر على عادته في قضاء الحنفية بدمشق.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: ورد كتاب الغالب بالله عبد الله بن محمد بن الأمير أبي الجيوش نصر بن أمير المسلمين أبي عبد الله بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أبي الوليد إسماعيل بن نصر، متملك أغرناطة من الأندلس، يتضمن ما فيه المسلمون بغرناطة من الشدة مع النصارى أهل قرطبة وأشبيلية، ويسأل النجدة.

شهر شعبان، وأوله يوم الإثنين:

فيه ركب السلطان إلى الرصد المطل على بركة الجيش، خارج مدينة مصر الفسطاط، ومعه الأمراء ومباشرو الدولة، وعمل لهم مدة، فأكلوا وعادوا فى أثناء نهارهم.

وفيه توجه الأمير سيف الدين طوغا قز السيفى أستادار إلى ناحيتى الشرقية والغربية، لأخذ ضيافات أهلها التى أحدثوها على أهل النواحى، فيحل بالناس من ذلك بلاء لا يوصف.

وفيه أضيف نظر دار الضرب إلى نظر الخاص كما هى العادة القديمة، عوضا عن جوهر الخازندار والزمام بعد موته.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: سارت التجريدة مع ابن مازن إلى بلاد البهنساوية، وعدتها ثلاثمائة مملوك وعليهم بايزيد، أحد أمراء العشرات.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على الطواشى زين الدين هلال شاد الحوش(١) ونائب الزمام، وهو أحد خواص خدام السلطان الملك الظاهر برقوق، ربى فى داره بين حرمه، واستقر زمام الدار، عوضا عن جوهر السيفى قناق باى(٢) بعد موته(٣).

وفى يوم الأحد سابعه: خلع على الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضى علم الدين داود بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، واستقر أستادار الذخيرة عوضا عن الجوهر المذكور وخلع على الطواشى جوهر التمرازى الحبشى(٤)، واستقر خازندارًا عوضا عن جوهر السيفى المتوفى(٥).

---

(١) هو هلال الذين الرومى الظاهرى برقوق الطواشى (ت٨٦٤ هـ) . انظر الضوء اللامع ١٠/١٠٨.

(٢) هو جوهر بن عبدا لله القنقباى . انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥.

(٤) جوهر بن عبد ا لله التمرازى الخازندار (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م)، الأمير صفى الدين الطواشى الحبشى. كان أصله من خدام الأمير تِمْراز الناصرى نائب السلطنة بالديار المصرية، واتصل من بعده بخدمة الملك المؤيد شيخ، وصار من جملة الجمدارية الكبار ودام على ذلك دهرا إلى أن ولاه الملك الظاهر جقمق الخازندارية، بعد موت جوهر القُنْقَبائى فباشر وظيفة الخازندارية، إلى أن عزل عنها بالأمير فيروز فى سنة ست وأربعين وثمانمائة. وَرَسَّمَ السلطان عليها، وأخذ منه مبلغًا ليس بذاك، فلزم المذكور داره إلى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر باستقراره فى مشيخة الخُدام بالحرم النبوى عى ساكنه أفضل الصلاة والسلام – بعد موت الأمير فيروز الركنى نائب مقدم المماليك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباى. فتوجه المذكور إلى المدينة، ودام إلى أن مات فى سنة خمسين وثمانمائة، وهو فى الخمسين من العمر تقريبًا.وكان صبيحًا، بشوشا، مليح الشكل، عنده كرم، وحشمة وأدب. انظر المنهل الصافى ٥/ ٤٢ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٥٤ النجوم ١٥/ ٥١٨، الضوء ٣/ ٨، منتخبات من حوادث الظاهرى ص ٥٦٢، بدائع الزهور ٢/ ٢٥٦ عقد الجمان حوداث سنة ٨٥٠ هـ.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥.

وفى تاسعه: هبت ريح شرقية بطرابلس الشام وأعمالها، واشتدت، فهدمت الدور والموادن وصعقت أقصاب السكر بإجمعها.

وفى هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة، حتى جمدت المياه بعدة مواضع، وأبيع الجليد بالأسواق فى يوم الخميس حادى عشره، وجمدت بركة من مستنقع ماء النيل فى بعض الضواحى بحيث صارت قطعة واحده، ومشى فوقها الأوز، وأصبحت زروع كثيرة من الفول وقد اسودت وجفت، فحملت وأوقدت فى الأفران، واسود ورق كثير من شجر الجميز وغيره.

وفى يوم الأربعاء سابع عشره: ولى شمس الدين محمد الونائى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن الحمصى، و لم يخلع عليه، وحملت له الخلعة ليلبسها إذا قدم دمشق بسؤاله ذلك، وأمهل بالسفر إلى أثناء شوال، وأضيف إليه عدة وظائف، منهما خطابة الجامع الأموى، عوضا عن البرهان إبراهيم بن الباعونى، ونظر الأسوار، ونظر الأسرى، وأخرج له من الإسطبل السلطانى بغلة بقماش كامل وزنارى، وهذا شىء قد بطل منذ سنين، فجدد له عناية من السلطان به.

وفى يوم السبت عشرينه: ركب السلطان من القلعة ونزل بخليج الزعفران، كعادة المؤيد شيخ والأشرف برسباى، ومدت للأمراء أسمطة جليله بحسب الوقت، وحمل جماعة من المباشرين أنواعا من الحلوى والفواكه وغيرها، ثم ركب بعد صلاة الظهر، ودخل من باب النصر، فشق شارع القاهرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وهذه أول مرة شق فيها القاهرة بعد سلطنته، وكان هذا وهو بثياب جلوسه، و لم يكن هذا فى القديم، وأول من ترخص فيه الناصر فرج، فإنه ركب بثياب جلوسه، ثم اقتدى به فى ذلك الملك المؤيد شيخ، ومن بعده، وعد هذا مما ضيع من قوانين المملكة، وبطل من رسومها[١].

وفى هذا الشهر: هم السلطان بإخراج الرزق الأحباسية عمن هى بيده. ثم استقر الحال على أن جبى من الرزق الأحباسية التى بأراضى الجيزة التى ببلاد الملك من ضواحى القاهرة، عن كل فدان مائة درهم من الفلوس، فجبيت، وأنعم بما يجبى من الجيزة على الوزير إعانة له، وما يجبى من الضواحى يصرف فى عمل الجسور.

وفيه أيضا رسم بفك قيد الأمير جانم أمير آخور الأشرفى، ففك وبقى فى سجنه بالمرقب بغير قيد.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥،١٠٦.

وفى ثامن عشره: قبض بمكة على أمين الدين محمد بن قاسم، فألزمه المتسفر لإحضاره ألف دينار، فأورد له منها، ونزلا فى البحر يريدان القاهرة.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه ورد الخبر بأنه قبض على الأمير قانصوه بدمشق، فرسم بسجنه فى القلعة.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على شمس الدين محمد بن عامر أحد نواب الحكم المالكية، واستقر فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن جمال الدين عبد الله الدمامينى.

وفى يوم السبت ثانى عشره: خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف بن شرف الدين أبى بكر الأشقر، واستقر فى نيابة كتابة السر وغيرها من وظائف أبيه بعد موته[١].

وفى هذه الأيام: ألزم القاضى زين الدين عبد الباسط بحمل خمسة آلاف دينار. وذلك أنه وجد فى تركة جوهر الخازندار الزمام أنه حمل إلى عبد الباسط فى أيام مصادرته خمسة آلاف دينار، فتوجه القاصد إليه بحملها فعوض عنها قماشا، وأذن أن يباع من عقاره بالقاهرة ما يكمل تتمة ذلك، فسامحه السلطان بألف دينار، فأورد إلى الخزانه أربعة آلاف دينار.

وفيها أيضا فوض السلطان نظر الجامع الحاكمى بالقاهرة إلى الأمير دولت بيه الدوادار. وأنعم برسم عمارته بألف دينار، وحملت إليه من الخزانة السلطانية فركب وكشف أحواله، فوجد سقوفه قد سقط منها مواضع، وفيها مواضع ساقطة، وبلاطه قد تلف منه كثير، ومقاصيره الخشب قد تلف كثير منها، وميضات الجامع متهدمة، وأحوال الجامع بمرور النساء والصبيان وغيرهم ملعبة فمنع دخول النساء الجامع وألزم بوابيه أن لا يمكنوا امرأة ولا صغيرا من الجلوس فيه، ولا المرور منه، وكان هذا الجامع قد فسدت أحواله، فأصلحه الله على يد هذا الأمير، وغلقت أبوابه عدة أيام، سوى بابين، ثم فتحت أبوابه كلها، وامتنع الناس كافة من المرور فى صحن الجامع بنعالهم، وشرع فى عمارة السقوف والمقاصير والبلاط، وهدم الميضأة بأسرها، وأنشأها إنشاء جديدًا وتشدد فى جباية ريعه، واستولى على جميع ما هو موقوف عليه، وهو ثلاث جهات: إحدها الوقف القديم، وهو ما بين مساكن وأحكار، وكان من القديم إلى آخر وقت بيد قضاة القضاة الشافعية، ومنه تصرف معاليم المؤذنين، والإمام والخطيب، والقومة

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٦/١٥.

ونحو ذلك، وهو وقف ضعيف متهدم، والجهة الثانية: وقف المظفر بيبرس الجاشنكير[1] على أرباب وظائف - سماها فى كتاب وقفة - ما بين دروس فقه وحديث وقراء وملء صهريج بالجامع، ونظره أيضا للقاضى الشافعى، والجهة الثالثة: رزقة وقفها الناصر حسن، على الهرماس وذريته، وأن يشترى منها حصر وزيت للجامع، ونظرها لهم، فاستوى دولت بيه على جميع ذلك.

وفى هذا الشهر: أيضا رسم بنقل الطواشى خشقدم المقدم من المدينة النبوية إلى القدس، وإقامته هناك بطالا.

وفى سلخه: قدم الأمير طوغان قز أستادار من الوجه البحرى، وقد جبى من أموال أهله الضيافات التى أحدثوها، وحمل تقدمته ما بين خيل وجمال وغير ذلك مما تبلغ قيمته زيادة على عشرة آلاف دينار.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة على العادة، وعندما سلم الإمام فى آخر الصلاة، وثب كثير من المماليك يدًا واحدة يريدون المبادرة لدخول القصر حتى تلبس أرباب الخلع خلعهم، وقام بقيامهم جماعة، فاشتد زحام الناس بحيث مات والى باب القلة، وسقط جماعة أشفوا على الموت مغمى عليهم، فأفاق أكثرهم، ومات بعضهم.

---

(١) بيبرس بن عبد الله (٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م)، الملك المظفر ركن الدين بيبرس البُرْجى المنصورى الجاشنكير. أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وعتقائه، وتنقل فى الخدم حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية. وتولى الأستادارية لملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان إقطاعه كبير، فيه عدةة إقطاعات لأمراء. ولما كان أستادار مان سلار نائبا بالديار المصرية، فحكما فى البلاد وتصرفا فى المماليك، وصار الملك الناصر ليس له من السلطنة إلا الاسم فقط. وكان نواب البلاد الشامية خشداشية الجاشنكير من البرجية، فقوى أمره بهم، إلى أن توجه الملك الناصر إلى الحجاز ورد من الطريق إلى الكرك وأقام بها وأرسل يعلم أمراء الديار المصرية، ليقيمو سلطانًا. لعب الأمير سيف الدين سلار بالجاشنكير هذا، وحسن له السلطنة حتي تسلطن، ولقب بالملك المظفر بعد أن أفتى له جماعة من القضاة والفقهاء بذلك وكتب محضرًا مثبوتًا على القضاة، ونائب سلار له، وأستوفى له الأمر. وكانت سلطنته فى يوم السبت بعد العصر ثالث عشرين شوال سنة ثمان وسبعمائة - وقيل فى ذى الحجة فى بيت سلار -، وكتب من بيت سلار بخلعة السلطنة إلى القلعة، ومشوا الأمراء بين يديه، ودقت البشائر، وسارت البريدية بذلك إلى سائر الممالك، وكتب له الخليفة المستكفى بالله على تقليده بخطه. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٦٧ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٠٣، والنحوم، ٨/ ٢٢: ٢٧٧، مورد اللطافة ق ٧٨٠، الدرر ٢/ ٣٦، الوافى ١٠/ ٣٤٨، تذكرة النبية ٢/ ١٧، البداية ١٤/ ٥٥، الخطط ٢/ ٣١٦ - ٤١٧، كنز الدرر ٩/ ١٥٦: ٢٠٥، بدائع الزهور ١/ ٤٢٣: ٤٣٥.

وفى يوم الجمعة ثانيه: كتب بعزل ابن عامر عن قضاء الإسكندرية، وطلب ابن الدمامينى.

وفى ثالثه: قدم الأمير بايزيد ومن معه من المجردين بالبهنساوية، وقد قرروا على هوارة ما لا يقومون به.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم قود الشريف بركات أمير مكة، وأخبر قاصده بوصول ما رسم به - وهو فلفل بعشرة آلاف دينار- إلى الطور، فبطل الأرجاف بعزله وولاية أخيه، وقدم أيضا القاضى جمال الدين عبد الله بن الدمامينى من الإسكندرية، فخلع عليه فى يوم الخميس نصفه، واستقر فى قضاء الإسكندرية على عادته، وعاد بن عامر إلى منزله، فلزمه بطالا، لا حاجتك قضيت ولا صديقك أبقيت.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير تمرباى رأس نوبة النوب[١]. وخرج فى هذه السنة للحج ثلاثة من أمراء الألوف: تمرباى هذا، وطوخ، وتمراز أمير سلاح، وسبعة أمراء ما بين عشرات وطبلخاناه، منهم والى القاهرة، ومنهم سودون قرقاش النوروزى أحد رءوس النوب، وأمير عشرة وهو أمير الركب الأول، فرحل من بركة الحجاج الأمير تمراز فى حادى عشرينه، وتبعه كثير من الحجاج، ورحل سودون قرقاش فى ركب كبير من الغد، ورحل الأمير تمرباى بمحمل الحاج فى ثالث عشرينه، وكتب إلى الشريف بركات، وإلى أمير المدينة النبوية، وإلى أمير ينبع بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب فى كل سنة، وأكد السلطان على الأمراء عندما ودعوه أن لا يأخذوا من المذكورين شيئا، فما أجمل هذا وأحسنه إن عمل به[٢].

وفى حادى عشرينه: قدم بن قاسم من مكة، فسلم إلى الأمير دولت بيه الدوادار.

وفى هذا الشهر: خربت مدينة الفيوم، وجلا أهلها عنها، لغلبة ماء بحر يوسف[٣].

شهر ذى القعدة أوله يوم الجمعة:

فى ثالثه: ركب مولانا السلطان لهدم ميضأتين ودور فى زيادة الجامع الطولونى، كما هدم دار ابن النقاش، فصرف الله قلبه عن ذلك، ومضى من الجامع، بعدما كشف أحواله إلى الميدان الكبير، فنظر ما عمر فى سورة، وعاد سريعا.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٦/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠٦/١٥.

(٣) هو أحد فروع النيل، وهو يمر بمدينة الفيوم، ومازال يعرف ببحر يوسف حتى الآن.

وفى يوم السبت تاسعه: قدم الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب باستدعاء، فركب السلطان إلى مطعم الطيور ونزل به، وتقدم الأمير الكبير الأتابك فى عدة من الأمراء حتى قدموا به، فخلع عليه، وعاد السلطان وهو فى الخدمة، فصعد السلطان إلى القلعة، ومضى النائب إلى دار أعدت له، فنزلها، وقدم من الغد تقدمته، وهى مماليك، وخيول، وجمال، وقماش، وفرو، وغير ذلك مما قيمته نحو عشرة آلاف دينار.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: توجه الأمير أينال الأجرود مجردا فى جماعة من المماليك نحو بلاد الصيد، لقتال محارب.

وفى هذه الأيام: أفرج عن ولى الدين محمد بن قاسم من عاقته ببيت الأمير دولت بيه، على أن يحمل خمسة عشر ألف دينار، ضمنه فيها جماعة.

وفيها زاد النيل نحو ذراعين ونصف، حتى صار فى اثنى عشر ذراعا ونصف، والوقت زمن الربيع، والشمس فى برج الحمل، ويوافق من شهور القبط برمودة، وجرت العادة أن فى مثل هذا الزمان يأخذ النيل فى النقصان، ويسمى الاحتراق، وهذا من النوادر، إلا أنه وقع مثل ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وكثر فى هذا الزمان تخاصم الناس، وتعدى بعضهم على بعض، وتزايد وقوع الشر فيما بينهم، وشنع جهرهم بالسوء، وتناجيهم بالإثم والعدوان، فالله تعالى يكفى شر ذلك. وقدم الخبر بأن صاحب قشتيلة[1] من بلاد الفرنج عمر أربعين بيونى[2] وعشرة أغربة يريد رودس، ليأخذ بثأرهم من المسلمين.

وفيها منع الأمير أيتمش الخضرى من الاجتماع بالسلطان،وأمر بلزوم بيته، وهذا ثانى مرة منع فيها.

وفى حادى عشرينه: استقل نائب حلب بالمسير عائدا إلى محل كفالته على عادته، بعد أن خلع عليه.

وفى رابع عشرينه: قدم الخبر أيضا من طرابلس بأن أهل رودس قد استعدوا للحرب، وهم فى انتظار عمارة الفنش صاحب قشتيلة، وأن كثيرا من المسلمين سكان الساحل قد أخلوا ضياعهم، وصعدوا إلى الجبال.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: ورد الخبر بأن عشرة أغربة من عمارة الفنش

---

(١) سبق ترجمتها.

(٢) على هامش ط: نوع من السفن.

وصلت إلى ساحل بيروت، فأخذت مركبا مشحونا بالبضائع، وأنهم باعوا ممن أسروا منه من المسلمين أربعين رجلا، وأقلعوا من غير أن يقاتلهم أحد، فأمر بعرض أجناد ليخرجوا إلى السواحل، فبدأ الأمير تغرى بردى الدوادار.

فى يوم السبت سلخه: بعرضهم، على أيخرج منهم مائة جندى إلى رشيد والطينة.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الأحد:

فى يوم الأربعاء رابعه: عرض الأمير تغرى بردى الدوادار أجناد الحلقة المجردين، ولم يعين إلا من كان سجل إقطاعه بثلاثين ألف درهم فما فوقها، ثم عفوا من التجريدة لما جرت به عادتهم من تداول كلمة ألقاها الشيطان بينهم، أن من تعرض لأجناد الحلقة زالت دولته.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبرت كتبهم بكثرة المراعى ورخاء الأسعار وأمن الحجاج وسلامتهم، وأن الشريف بركات أمير مكة قابل الأمراء ولبس التشريف السلطانى على العادى، إلا أنه كانت وقعة قريب خليص[1] بين أمير ركب الكركيين وبين حجاج ينبع، قتل فيها من الينابعة زيادة على عشرين رجلا، ونهبت أموالهم، وبلغت نفقات السلطان فى نفقات المماليك وصلات الأمراء والتراكمين وغيرهم وفى أثمان مماليك اشتراهم ونفقات تجاريد جردها وغير ذلك، فى مدة أولها موت الأشرف برسباى وآخرها سلخ هذه السنة، وذلك مدة ثلاث سنين، مبلغ ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبا، وهى ما خلفه الأشرف برسباى من الذهب والدراهم والبهار، والجمال، والخيل، وثياب الحرير، والبعلبكى، وأنواع الفرو، ومن الغلال والقنود، والأعسال، والسلاح، وغير ذلك، مع ما دخل إلى الخزانة فى أيام سلطنته وهو نحو خمسمائة ألف دينار، نفذ ذلك كله، وعلى الله العوض.

وفى هذا الشهر: زاد النيل بعد نقصه حتى تجاوز اثنى عشر ذراعان وذلك فى بشنس.

وفيه وردت تقدمة أربعة من القاضى زين الدين عبد الباسط، بعد ما وصلت له كاملية بفرو سمور، وحجرة بقماش كامل، فكانت تقدمته هذه خيلا وفروا وثياب وحرير.

وفى هذه السنة: تجددت عمارة مواضع عديدة، منها مشهد السيدة رقية - قريبا من

---

(١) حصن يقع بين مكة والمدينة، على ثلاث مراحل من مكة . انظر معجم البلدان.

المشهد النفيسى - كان قد اتخذه بعض الناس سكنا، وتعطلت زيارته مدة سنين، فجدد عمارته السيد بدر الدين حسين بن الفراء نقيب الأشراف، فى أول شعبان.

وفى هذا الشهر: أيضا جددت عمارة جامع الصالح طلائع بن رزيك خارج باب زويلة، وقام بذلك رجل من الباعة وجدد أيضا جامع الفاكهيين[١] بالقاهرة، وجامع الفخر بخط سويقة الموفق قريب من بولاق[٢] وجدد أيضا عمارة جامع الصارم قريب من بولاق[٣].

وفى يوم الجمعة رابع شهر رمضان: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه فى هذه السنة الطواشى جوهر نائب مقدم المماليك بالرميلة تحت القلعة.

وفى أول شوال: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه الأمير تغرى بردى البكلمشى الدوادار المعروف بالمؤذى، بخط الصليبة.

وأما اليمن فقد خرج عن متملكها ضياع تعز[٤]، وحسبه أنه يحفظها، فإن البلاد خرجت عنه من زبيد[٥] إلى بيت حسين، وصارت العرب المعازبة تركب فى نحو ألف فارس.

* * *

ومات فى هذه السنة مما له ذكر

موفق الدين على بن أبى بكر الناشرى، قاضى القضاة ببلاد اليمن، فى خامس عشرين صفر بمدينة تعز عن تسعين سنة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير منجك

---

(١) هذا الجامع كان يعرف أولا بجامع الظافر، ثم عرف بهذا الاسم بعد، وهو يقع بالقاهرة وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٢٩٣. وينظر الخطط التوفيقية.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٢/٣١١.

(٣) انظر المواعظ والاعتبار ٢/٣٢٥.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) زبيد: مدينة باليمن بقرب الجند ومعاثر، تسير فى صحراء ورمال حتى تنتهى إلى زبيد، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنى أهلاً ولا أكثر خيرًا منها. انظر الروض المعطار ٢٨٤، ٢٨٥، والبكرى ٦٧، ونزهة المشتاق ٢٠، والمقدسى ٨٤، وابن الوردى ٤٢.

اليوسفى[١]، فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة بدمشق، وكان يوصف بدين وعفة، وحظى فى الدولة المؤيدية شيخ، والدولة الأشرفية برسباى، وكان يقدم فى كل سنة إلى السلطان بهدية، ويشاور فى الأمور، وكان له غنى وثراء، وأفضال على قوم يعتقدهم بدمشق.

ومات سعد الدين إبراهيم بن المرة فى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر بالقاهرة، وقد أناف على الستن سنة بعد ما تعطل من المباشرة، ولزمه دين كبير، حبس من أجله مدة، احتاج فيها إلى سؤال الناس، وكان له بر وأفضال، وكان حشما، يحب الفخر ويكثر من إتلاف المال، فالله يعفو عنه.

ومات مبارك شاه رسول القان شاه رخ مات بغزة فى يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، وكان يوصف بمعرفة وفضيلة وعقل.

ومات الخواجا كلان بن مبارك شاه المذكور، قام بعد موت أبيه، وقدم بالهدية والكتاب إلى السلطان وهو متمرض، فمثل بين يدى السلطان حتى ثقل مرضه، ومات فى يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى، فدفن خارج باب النصر من القاهرة؛ ثم نقل هو وأبوه إلى القدس، فدفنا هناك.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن رسلان البلقينى، المعروف بالعجمى الشافعى [٢]، قاضى المحلة، فى يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، وكان من فضلاء الشافعية.

ومات قاضى القضاة محب الدين أبو الفضل أحمد ابن شيخنا جلال الدين نصر الله ابن أحمد بن محمد بن عمر الششترى الأصل، البغدادى المولد والمنشأ، الحنبلى، فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى، ومولده ببغداد فى شهر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة، وقدم القاهرة فى سنة ثمان وثمانين، ولزم شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى، وتفقه به، وواظب شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى[٣]

(١) انظر الضوء اللامع ٥/ ٢٠٥.

(٢) أحمد بن أبى بكر بن رسلان، القاضى شهاب الدين المعروف بالعجيمى، الشافعى قاضى المحلة. كان فقيهاه عالما فاضلا، ولى نيابة الحكم بالحكم وغيرها عدة سنين، وأكثر ما له من ذلك، وكان له ثروة ووجاهة، واستمر على ذلك إلى أن توفى يوم الثلاثاء رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة. انظر ترجمة فى: الدليل الشافى ١/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٤٨٥، والضوء اللامع ١/ ٢٥٣.

(٣) عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥هـ = ١٣٢٤ - ١٤٠٣م). عمر بن رسلان بن نصير بن=

وشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن، وبرع فى الفقه والأصول والحديث والعربية، وقرأ بنفسه وسمع على شيوخنا عدة كتب، وناب فى الحكم عن ابن المغلى، ثم ولى القضاء مستقلا عدة سنين حتى مات، ودرس فى عدة مواضع، ولم يخلف فى الحنابلة بعده مثله، ولا أعلم فيه ما يعاب به، لكثرة نسكه ومتابعته للسنة، إلا أنه ولى القضاء، فالله تعالى يرضى عنه أخصامه.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بوالى[1] بدمشق فى سابع عشره، وقد ولى أستادارًا فى الأيام المؤيدية شيخ، ثم استمر أستادارًا بدمشق، وهو معدود من الظلمة.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن عيسى الحنبلى، أحد نواب الحكم بالقاهرة، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى، وقد رأس، وشكرت سيرته، واشتهر بالعفة.

ومات أمين الدين عبد الله بن سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى، فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة وكانت له رياسة ضخمة فى أيام أبيه سعد الدين ناظر الخاص، وتولى بعده نظر الإصطبل، ثم انحط قدره، وتكسح، وعرف بصحبة جماعة من أهل الدول، فإذا دخل إليهم خدمه حتى يجلس ثم يحملوه إذا ركب، وحج غير مرة، وشاهدته وهو محمول يطوف بالبيت، وبلوت منه مروءة وخفة روح، عفى الله عنه.

ومات الأمير سيف الدين الطنبغا المرقبى فى يوم الإثنين عاشر شهر رجب، وهو من جملة المؤيدية، عمله المؤيد شيخ فى أيام تلك الفتن بقلعة المرقب من عمل طرابلس، فأقام بها مدة فعرف بينهم بالمرقبى، فلما تسلطن، رقاه حتى صار أمير مائة مقدم ألف حاجب الحجاب، ثم حمل بعد موت المؤيد طول الأيام الأشرفية، وتلاشت أحواله. فلما كانت أيام السلطان الملك الظاهر جقمق، انتعش وصار من جملة الأمراء الألوف حتى مات بها.

ومات زين الدين قاسم بن البشتكى، فى يوم السبت ثامن رجب، بناحية يبنا من عمل فلسطين، ولم يدفن إلا فى يوم الإثنين عاشره، وكان حشما سريا فخورا، له ثراء

=صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء الدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة، وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب فى فقه الشافعية، لم يتمه»، «وتصحيح المنهاج والملمات برد المهمات»، «محاسن الاصطلاح» فى الحديث وغيرها. انظر لحظ الألحاظ وذيل طبقات الحفاظ. والتبيان - خ -والضوء اللامع ٦ / ٨٥. شذرات الذهب ٧ / ٥١، حسن المحاضرة ١٨٣/١. الأعلام ٤٦/٥.

(١) هو الأمير ناصر الدين، محمد المعروف بابن بوالى . انظر النجوم الزاهرة أحداث سنة ٨٤٤هـ، الضوء اللامع ٢٠٧/٧

واسع ومال جم، ورثه، وإفضال كثير، وفضيلة، ثم تردد إلى مجلس السلطان الملك المؤيد، واختص به مدة، إلى أن تنكر له وضربه وشهره، فاتضع جانبه، وصار يكثر من التردد إلى بينا، حتى مات بها، فالله يرحمه، فلقد شاهدنا منه كرما جما، وإفضالا زائدا، ومروءة غزيرة، ونعمة ضخمة.

ومات الأمير ممجق نائب قلعة الجبل فى أول يوم من رجب، وهو ممن انتشأ فى الأيام الظاهرية جقمق.

ومات الأمير الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنقباى اللالا[1] زمام الدور خازندار السلطان فى ليلة الإثنين أول شعبان عن نحو سبعين سنة، وصلى عليه السلطان، ودفن بمدرسته، بجوار الجامع الأزهر. وكان من جملة هدية الحطى داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة إلى السلطان الملك الظاهر برقوق، فأنعم به على الأمير قنقباى اللالا،

(١) جوهر بن عبد الله القنقبائى الطواشى الحبشى، الأمير صفى الدين الخازندار، والزمام، وعظيم الدولة الأشرفية برسباى، والعزيزية يوسف، والظاهرية جقمق. لأصله من خادم داود بن سيف أرعد متملك بلاد الحبشة، أرسله فى جملة تقدمة إلى الملك الظاهر برقوق؛ فأنعم به الظاهر بعد مدة على الأمير قنقبائى الأجائى اللالا؛ فأعتقه قنقبائى المذكور، ودام بخدمته إلى أن مات. تنقل جوهر فى مدة خدم، وقاسى من الفقر إلى أن اتصل بخدمة علم الدين داود بن الكُوَيْز، وكاتب السر، ودام عنده إلى أن مات علم الدين ابن الكويز. وكان ابن جوهر هذا وبين جوهر الجلبانى اللالا صحبة وأخوة قديمة، وحب زائد. فصار جوهر يحسن جوهر هذا حسانًا زائدًا، ونزله بباب السلطان من جملة الخدام. واستمر على ذلك دهرا إلى أن مات الأمير الطواشى كافور الصرغمشى الزقام فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة. واستقر زمَّامًا من بعده الأمير خشقدم الظاهرى الخازندار، وشغرت وظيفة الخازندارية من بعد مدة يسيرة، وطلب الملك الأشرف من يوليه الخازندارية من بعده، فذكر له أرباب الدولة عدة من أعيان الخدام، فلم يرضى بأحد منهم، وقال: أريد أن يكون عاقلا، عارفا له جوهر اللالا يامولانا السلطان عندى مَن هو غرض السلطان ، غير أن لم يكن من أعيان الخادم. فقال الأشر: من هُوَ قال: أخى جوهر القنقبائى، ويُجرِّبه السلطان، ويحدثه فيما يختار. فطلبه السلطان فى الوقت، وكلمه فأعجبه كلامه، وولاه الخازندارية، «وتسلم الخزانة» الشريفة، وضبط الأموال، وساس الأمور.وكان حاذق، عاقلا، عارفا، وعنده سكون ووزانة. فلما رأى الأشرف منه ذلك أضاف إليه التكلم فى الذخيرة وغيرها. وعظم فى الدولة، ونالته السعادة، وحظى عند الأشرف، وانقاد إليه بكليته، وكثر ترداد النائب « إلى بابه، وبل صار هو صاحب العقد والحل، والمشار إليه فى الممالك».... وكانت وفاته فى ليلة الإثنين أول شعبان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، وعمره نحوا من سبعين سنة تخمينا، ودفن بمدرسته التى أنشاها بالقرب من حامع الأزهر. وحضر السلطان الصلاة عليه. وكان عاقلا، دينًا تاليا لكتاب الله، عارفا بالقراءات. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٨ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٥٤، النجوم ١٥/ ٤٨٥، الضوء ٣/ ٨٢، بدائع الزهور ٢/ ٢٢٧، عقد الجمان حوادث سنة ٨٤٤ هـ.

لالا المقام الناصرى محمد ولد السلطان، فرباه وهو صغير، وأقرأه القرآن العظيم، ثم خدم من بعد قنقباى جماعة من الأمراء، زماما لدورهم، وعارك خطوب الدهر ألوانا، حتى استدعاه الأشرف برسباى، وعمله خازندارًا، فتمكن منه تمكنا زائدا، وانبسطت يده فى تحصيل الأموال للذخيرة بقوة وشهامة وضبط، فلما مات الأشرف أضيفت إليه أزمة الدور، فباشر ذلك حتى مات، ولم يخلف فى أبناء جنسه بعده مثله، وكان عفيفا، له بر وأفضال مع رصانة عقل، وجد من غير هزل، وكان مهابا يتلو القرآن بالسبع، إلا أنه فتن بصحبة السلطان، فحرص على رضاه، واقتحم المهالك، بحيث أنه لم يكن فى الدولة الأشرفية أحد أخص منه بالسلطان ولا أقوى تمكنا، فا لله يعفو عنه بمنه.

ومات القاضى شرف الدين الأشقر، واسمه أبو بكر بن سليمان، المعروف بابن العجمى الحلبى، نائب كاتب السر، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان، وقد أناف على الستين، قدم من حلب فى أيام الأمير جمال الدين يوسف أستادار، وعنده يومئذ بنت أخى جمال الدين، فنوه به، وأقره فى توقيع الدوادار الكبير، فيعد من رؤساء القاهرة، حتى زالت دولة جمال الدين، فنكب فى جملة من نكب من ألزامه نكبة نجاه ا لله منها، بعدما أشفى على الهلاك، فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ عاد إلى ما كان عليه من مباشرة التوقيع عند الأستادارية مدة سنين ثم رغب عن ذلك، وباشر فى ديوان الإنشاء مع ابن مزهر كاتب السر ومن بعده، وصار نائب كاتب السر، به حل الديون وعقده، ثم ولى كتاب السر بحلب مدة، وتركها لولده معين الدين، وعاد إلى نيابة كتابة السر حتى مات، وكان ماهرًا بصناعة الإنشاء، جميل المحاضرة، بشوشا، متوددا، حشما، فخورا، له فضيلة، وسيرته مشكورة.

ومات العبد الصالح شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن رسلان(١) الفقيه الشافعى المحدث المفسر بمدينة القدس، فى يوم الإثنين عشرين شهر رمضان عن إحدى وسبعين سنة، ولم يخلف بتلك الديار بعده مثله علما ونسكا.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن شعبان فى حادى عشرين شوال عن نيف وستين سنة وولى حسبة القاهرة مرارًا عديدة، ولا فضل ولا فضيلة.

---

(١) أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان، الشيخ الإمام العالم الصالح شهاب الدين المقدسى الشافعى. كان إماما بارعا صالحا، عالما بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، مع التدين والعبادة والصلاح. توفى بالقدس فى يوم الإثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، عن إحدى وسبعين سنة، ولم يخلف بعده بتلك الديار مثله، رحمه ا لله تعالى وعفا عنه. انظر أنباء الغمر، وفيات سنة ٨٤٤هـ، الأنس الجليل ٢/ ٥١٥ وديوان الإسلام - خ -، البدر الطالع ١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٢٤٨/٧، الأعلام ١١٧/١.

ومات الشيخ نور الدين على بن عمر بن حسن بن حسين التلوانى، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى القعدة، وقد أناف على الثمانين، وأصل آبائه من بلاد المغرب، وسكن أبوه ناحية جروان، وأقرأ الأطفال القرآن. ثم تحول إلى تلوانه[١] وولد له بها على وغيره، ثم قدم على القاهرة وتفقه على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - حتى درس وأفتى، وولى مشيخة الخانقاه الركنية بيبرس ثم عزل عنها وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعي من القرافة مدة سنين. وكان دينًا خيرًا، له مروءة وفيه قوة، وله أفضال، رحمه الله.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن عمار محمد المالكى[٢] فى يوم السبت رابع عشر شهر ذى الحجة عن نيف وثمانين سنة، وقد كتب على الفتوى ودرس، وصار ممن يعتقد فيه الخير.

ومات الرئيس إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الإسرائيلى اليهودى الداودى العافانى، فى يوم الجمعة عشرين ذى الحجة، وقد أناف على السبعين و لم يخلف بعده من يهود مصر مثله فى كثرة حفظ نصوص التوارة، وكتب الأنبياء، وفى تنسكه فى دينه، مع حسن علاجه لمعرفته بالطب وتكسبه به. وكان يقر بنبوة رسول الله ﷺ، ويجهر بأنه رسول إلى العرب، ويقول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إنه صدق، وهذا خلاف ما يقوله اليهود - لعنهم الله وخزاهم - فما أكثر طعنهم فى أنبياء الله ورسله، على ما وقفت عليه من أقوالهم من كتبهم.

ومات شهاب الدين أبى العباس أحمد بن صالح بن تاج الدين المحلى الشافعي[٣]، فى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة، وكان فاضلا فى الفقه والفرائض [٤] والنحو وله سلوك ونسك، وللناس فيه اعتقاد، ودرس وخطب مدة، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) قرية قديمة من أعمال المنوفية. ينظر قوانين الدواوين.

(٢) انظر الضوء اللامع ١/١١٦،١١٧.

(٣) أحمد بن صالح، الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس المحلى الشافعي. مولده. كان إماما بارعا فى الفقه والصول والفرائض والنحو والتصريف، وتصدر للتدريس عدة سنين، وخطب مدة مع سلوك ونسك وعبادة وصلاح، وكان للناس فيه إعتقاد حسن، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الأربعاء تامن عشرين ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثمانمائة. رحمه الله. والمحلة المدينة كبيرة من قرى الغربية من أعمال القاهرة. انتهى. انظر الترجمة فى: الدليل الشامى ١/٥٠، الضوء اللامع ١/٣١٥، شذرات الذهب ٧/٢٥٠.

(٤) الفرائض: جمع فريضة، وهو علم تعرف به قسمة المواريث الشرعية. انظر المعجم الوسيط (فرض).

فهرس محتويات

الجزء السابع
من
السلوك لمعرفة دول الملوك

المحتويات

فهارس
السلوك
لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر

العبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

إعداد

محمد عبد القادر عطا

الجزء الثامن

١ - فهرس الأعلام

٢ - فهرس البلدان والقبائل

٣ - فهرس الظواهر الطبيعية والكوارث

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الأعلام

حرف الباء

حرف التاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزين

حرف السين

حرف الشين

حرف الضاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف اللام

حرف النون

حرف الهاء

* * *

فهرس البلدان والقبائل والجبال والبحار والأنهار والشوارع

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

* * *

فهرس الظواهر الطبيعية والكوارث

فهرس كسوف الشمس

* * *

فهرس الحرائق

* * *

فهرس الأوبئة

الذى ملكوه عليهم رابعا بجماعته فى مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم فى البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم فى المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن آخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا.................................... ٨٣/٤

قدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس فى برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح فى نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى مَن بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فى وادى دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة فى البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضى دمشق تقى الدين السبكى رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول ﷺ، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره ﷺ أن يقول لهم: اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه؛ فعرفهم قاضى دمشق ذلك. فاجتمع الناس فى المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقارًا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودى فى دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.................................... ٨٦/٤

فشت الأمراض الحادة، والطواعين بالناس فى القاهرة ومصر، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفسوفى يوم الجمعة ثانى عشريه: وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القاهرة، فأحرقت دار هناك. فركب الأمير علاء الدين على بن الكورانى لإطفائها على العادة، وكان الهواء شديدًا، والدور متلاصقة، فاشتدّ لهب النار بحيث رؤى من القلعة. فركب الوزير منجك، والأمير بيبغا روس النائب، والأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير مغلطاى، والأمير قبلاى حاجب الحجاب، وغيرهم من الأمراء بمماليكهم، وأتوا إلى الحريق، ونزلوا عن خيولهم، ومنعوا العامة من النهب فامتدت النار من دكاكين البندقانيين إلى دكاكين الرسامين ودكاكين الفقاعين والفندق المجاور لها، والربع علوه. وتعلقت بما نجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير، فأحرقت الربع، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين، إلى بير الدلاء التى كانت تعرف قديما ببئر زويلة فأحرقت النار الدكاكين والربع المجاور لدار الجوكندار، ولم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وعظم الأمر، والأمراء جميعهم على أرجلهم بمن معهم، والمقيدون بالمساحى بين أيديهم تهدم الدور وتطفى النار، والناس فى أمر مريج.................................... ١١٩/٤

شمل الوباء أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى

قدم الخبر بوقوع الوباء بالإسكندرية، وأنه تجاوز عدة من يموت بها فى كل يوم مائة إنسان ٥/١٨٤

كان بحلب وباء، بلغ عدة من مات فى كل يوم ألف إنسان وزيادة ٥/١٧٩

وقع بالقاهرة، ومصر وضواحيهم طاعون وحميات حادة، وفشى الموت بذلك فى الناس.......... ٥/٢٠٦

وقع وباء فى البقر، حتى أُبيعت البقرة بعشرين بعدما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذارا له. وعم الوباء فى البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر ٥/٣٢٧

كان بالقاهرة ومصر من أول ربيع الأول إلى آخر جمادى الآخرة أمراض فاشية فى الناس من الحمى والبرد. ومات فيه عدة كبيرة مع توقف الأحوال، وتعطل المعايش. وتزايد الأسعار فى كل ما يباع. وصار الخبز كل خمس أواقى بثمن درهم. وانقطع الواصل من البلاد الشامية، فبلغ الفستق عشرة دراهم الرطل، واللوز أربعة دراهم الرطل، والكمثرا سبعة دراهم الرطل. والسفرجلة الواحدة بعشرة دراهم. ومع ذلك خوف الناس من وقوع الفتن؛ لشدة اختلاف أهل الدولة ٦/٢٠

حدث فى الناس بالقاهرة ومصر وضواحيهما سعال، بحيث لم ينج أحد منه. وتبع السعال حُمًّى، فكان الإنسان يوعك نحو أسبوع ثم يبرأ، ولم يمت منه أحد. وكان هذا بعقب هبوب ريح غريبة، تكاد من كثرة رطوبتها تبل الثياب والأجسام.. ٦/١٠٧

فشى الطاعون بصعيد مصر، حتى خلت عدة بلاد، وأحصى من مات من سيوط ممن له ذكر، فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفطن له. وهم كثير. وأحصى من مات فى بوتيج، فبلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة، وكان الزمان ربيعا، فلما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء........................ ٦/١٦١

ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومصر. وتزايد حتى فشا فى الناس وكثر الموت الوحى ، وبلغ عدد من يرد اسمه الديوان إلى مائتين وخمسين فى كل يوم، وترجف العامة بأن عددهم أضعاف ذلك وشبهتهم أن الحوانيت المعدة لإطلاق الأموات أحد عشر حانوتا، فى كل حانوت نحو الخمسين تابوت، ما منها تابوت إلا ويتردد إلى الترب كل يوم ثلاث مرات وأكثر، مع كثرة ازدحام الناس عليها، وعز وجودها، فيكون على هذا عدة من يموت لا يقصر عن ألف وخمسمائة فى اليوم، سوى من لا يرد اسمه الديوان من مرضى المارستان، ومن يطرح على الطرقات، وغالب من يموت الشباب والنساء. ومات بمدينة منوف العليا أربعة آلاف وأربعمائة إنسان، كان يموت بها فى كل يوم مائة وأربعون نفرا. واتفق فى هذا الشهر أنه كان لبعض الأمراء صاحب من فقراء العجم، وكان له أيضا ولد صغير كيس، فكان الفقير يحب ذلك الصغير ويكثر أن يقول: لو مات هذا الصغير لمت من الأسف عليه، فقدر الله موت الصغير، فما فرغوا من غسله حتى مات الفقير، فساروا بالجنازتين معا، ودفنا متجاورين.. ٦/١٨٢

كثر الموتان فى الناس، وعز وجود البطيخ الصيفى من كثرة طلبه للمرضى. فبيعت بطيخة بمائتى درهم وسبعين درهما ٦/١٨٣

قدم الخبر بأن الطاعون قد فشى بحمص، ومات بها - وبحماة - ألوف من الناس، وأنه حدث بطرابلس طاعون.. ٦/٢٣٢

فشت الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى، عند انحطاط ماء النيل فى فصل الخريف ٦٩/٧

أن الوباء بمكة ابتدأ من نصف ذى الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت فى اليوم خمسون إنسانا عدة أيام، وأن الوباء تناقص من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء فى ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى صار المسجد الحرام بحرًا، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار فى المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن فى سابع جمادى الأولى، بعدما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم ٩٨/٧

فشى الطاعون فى الوجه البحرى، سيما فى النحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جدا، بحيث أحصى من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. ومن ناحية صا زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق فى شعبان فى السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر. وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدركناه وقوع الطاعون إلا فى فصل الربيع. ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط فى الربيع، وجمودها فى الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد. وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها فى كل يوم على ألف وخمسمائة إنسان. وأما القاهرة فإنه جرى على ألسنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع فى الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا فى الطرقات ٢٠٦/٧

شنع الموتان الوحى السريع بالطاعون، والنزلات التى تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان فى أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر هذا فى الأطفال والشباب، ثم فى العبيد والإماء، وأقله فى النساء والرجال. وتجاوز فى مدينة مصر الفسطاط المائتين فى كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز فى القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه فى مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه فى ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية - خاصة - إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثير جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية فى كل يوم نحو المائة. وشمل الوباء عامة البحيرة والغربية والقليوبية ٢٠٧/٧

وجد بالنيل والبرك التى بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بُنية كبيرة، فإذا هى كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد فى البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والذياب موتى. وقدم الخبر بوقوع الوباء ببلاد الفرنج ٢٠٨/٧

كثر الوباء بحلب وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات بمدينة حلب فى اليوم مائة ٣٤٢/٧

شنع الوباء بحماة، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم فى كل يوم ثلاثمائة إنسان، ولم يعهدوا مثل ذلك فى هذه الأزمنة ٣٤٥/٧

وقع فى كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون، وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا ٣٤٩/٧

شنع الموت بالطاعون فى بلد عانة من بلاد العراق، بحيث لم يبق بها أحد. واستولى أمير الملا عاذر بن

* * *

فهرس خسوف القمر

* * *

فهرس أحوال الكواكب

* * *

فهرس الأمطار والسيول والرياح والصواعق

وثلاثون بلدًا بالبحيرة ٦١/٣

هبت ريح سوداء حارة بدمشق، مات منها جماعة من الناس فجأة، وفسدت الثمار وجفت المياه، فتحسن سعر الغلال. ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر، فتغيرت أمزجة الناس، وفشت الأمراض، وكثر الموت مدة شهر، وفسدت الثمار، وتحسن السعر لهيف الغلة وقلة وقوعها............ ٦٨/٣

هبت ريح والناس فى الصلاة، حتى ظن الناس أن الساعة قامت، واستمرت بقية النهار وطول الليل، فهدم بها دور كثيرة، وامتلأت الأرض بتراب أسود. وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص إلى أسوان، واقتلعت فى ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة، وخربت الديار........................ ٧٤/٣

قدم الخبر بهبوب الريح فى بلاد الصعيد، وأنها اقتلعت من ناحية عرب قمولة زيادة على أربعة آلاف نخلة فى ساعة واحدة، وأخرجت عدة أماكن بأخميم وأسيوط وأسوان وبلاد السودان، وهلك منها كثير من الناس والدواب........................ ٧٧/٣

نزل سيل عظيم فى النيل حتى اصفر ماؤه، وزاد ستة أصابع........................ ٨٤/٣

قدم الخبر بحصول سيل عظيم فى الفرات، أعقبه مطر، وأنه حدث وخم وفناء عم الناس من الفرات إلى دمشق، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثر بها المرض والموت، وباع بعض عطارى دمشق فى كل يوم أدوية للمرضى بنحو الألف درهم، وأبيع قدر فيه حسو شعير بزيادة على ثلاثين درهما، وأخذ حجام فى أجرة فصد وشراطة آذان فى كل يوم أربعمائة درهم، فإنه كان فصلا زموما، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل........................ ٩٣/٣

هبّت بها فى الليل ريح شديدة جدا ألقت الخيم كلها؛ وتزايد اضطراب الناس، وفرّ منهم عدة من المماليك؛ واشتدّت ظلمة الجوّ، فكان أمرا مهولا. فلما كان النهار سكن الريح........................ ١٦٥/٣

جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالا كثيرة وعشرين فرسا، وخربت عدة دور............ ١٨١/٣

سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم مدة ستة أيام، فتهدّم منه عدة أماكن، وسال الجبل وأعقب المطر رياحا عاصفة؛ واشتدّ البرد بخلاف العادة، وسقط الثلج بسبخة بردويل حتى جهلت الطريق، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهما وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهما. واشتدّ الريح بناحية دمياط فى بحر الملح حتى غلب على النيل، ووصل الماء إلى شار مساح وفارس كور........................ ٢٤٦/٣

قدم البريد من قوص بأن السماء أحمرت فى شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمرّ ساعة وتسود ساعة وتبيضُّ ساعة، إلى أن طلع الفجر؛ فجاء مطر لم يعهد فى تلك البلاد. وقدم البريد أيضا بأنه هبت ريح بأسوان ألقت عامة البيوت وكثيرا من النخل؛ وهبت أيضا بعرب قمولة ، فألقت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة؛ وقدم بذلك محضر ثابت على قاضيها............ ٢٥٢/٣

هبّت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية، وأظلم الجو منها؛ وسقطت دور كثيرة. ثم سقط برد أسود مرّ الطعم، جاءت به الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهما؛ ووجد فيه واحدة على قدر النارنجة، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك إلى قدر البندقة. وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحصد كثير منه من أصله، وهلكت منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة جميز فى غاية الكبر وقد سقط فى وسطها برده على هيئة الرغيف -

سيس، وهدم سورها ومساكنها، وهلك كثير من أهلها، وعجز تكفور عن بنائها ١٨/٤

اتفق حدوث حر شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام، ثم أعقب الحر ريح من جهة برقة مرت ببلاد البحيرة والغربية تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس الزرع لبسا حتى أيس الناس منه. فبعث الله مطرا مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشد من الأول والزرع مبتل، فلصق بالزروع واستمر عليها. وقد خامر اليأس من الزروع قلوب الناس، وتيقنوا الهلاك، فتدارك الله الناس بلطفه، وبعث ندًا كثيرًا في الأسحار، فانحل التراب عن آخره، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف ٦٤/٤

وقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، ولم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين ٨٢/٤

كانت الأمطار بأراضٍ كثيرة جدا، وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل، وبأراضي الجيزة ١٧٢/٤

هبت الريح بمكة من قبل اليمن، أظلم عقبيها الحرم، وفشت الأمراض في الناس، حتى لم يكن أحد إلا وبه وعك، إلا أنه كان سليما حصل البرء منه بعد أسبوع. فلما كان شهر شوال ظهر بعد العشاء الآخرة من قبل جبل أبي قبيس، كوكب في قدر الهلال، وأكثر نورا منه، ومر على الكعبة ثم اختفى بعد ثلاثة درج، فسمع من فقير يماني وهو يقول: لا إله إلا الله، القادر على كل شيء، هذا يدل على رجل يكون في شدة، يفرج الله عنه، ورجل يكون في فرج يصير إلى شدة، والله يدبر الأمر بقدرته. وقدم الخبر في أخريات شوال بخلع الصالح وإعادة السلطان حسن. وكان اتفق أيضًا أن الشيخ المعتقد أبا طرطور قال يوما: لا إله إلا الله، اليوم جلس حسن في دست مملكة مصر ٢١٣/٤

قدم الخبر بأن في شهر ربيع الآخر أمطرت السماء بأرض الروم بردا أهلك منه نحو مائة وخمسين قرية، فجعلها دكا، وكان وزن البردة الواحدة نحو رطل وثلث بالحلبي، وذلك في شهر نيسان .. ٢٢٢/٤

سقط مطر في غير أوانه، عم الوجه البحري، ونزل معه برد قتل عدة أغنام كثيرة، بلغ وزن البردة أوقية وأوقيتين، ومنها ما نزل في قدر الرغيف الكبير. وتلف زرع كثير من السيل. وهبت قبل هذه المطرة ريح عاصفة غرق منها عدة مراكب ٢٢٢/٤

هبت بالقاهرة ومصر ريح غربية، من أول النهار إلى المغرب، اصفر منها الجو، ثم احمر ثم أسود. واستمرت الريح إلى نصف الليل، فسقطت عدة أماكن، وامتلأت الأرض من تراب أصفر، ثم أمطرت السماء وسكن الريح ٢٢٧/٤

اشتد البرد ببلاد الشام، وجمدت المياه حتى ماء الفرات، ومر المسافرون عليه بأثقالهم، فرأوا منه منظرا عجيبا. وهذا الأمر لم يعهد في هذه الأعصار مثله ٢٦٣/٤

هبت بالقاهرة وأعمالها رياح عاصفة، سقط منها نخيل كثيرة، وأعالي عدة من الدور، وغرقت سفن متعددة، فهلك تحت الردم جماعة من الناس، وكان أمرا مهولا عامة تلك الليلة ٣٢٨/٤

مطبق، ورعود ومطر قليل، غرق منها عدة سفن ببحر الملح، وفى نيل مصر، هلك فيها خلائق. واشتدت الأمراض بديار مصر، وفشت فى الناس حتى عمت، وتتابع الموتان. ثم عقب هذا الريح الحارة هواء شمالى رطب، تارة مع غيم، ومرة بصحو، حتى صار الربيع خريفًا باردًا، فكانت الأمراض فى الأيام الباردة تقف ويقل عدد الموتى، فإذا هبت السمائم الحارة كثر عدد الموتى. وكانت الأمراض حادة، فطُلبت الأدوية حتى تجاوز ثمنها المقدار، فبيع القدح من لب القرع بمائة درهم، والويبة من بذر الرجلة بسبعين درهمًا بعد درهمين. والرطل من الشير خشك بمائة وثلاثين. والأوقية من السكر النبات بثمانية دراهم، ومن السكر البياض بأربعة دراهم، ثم بلغ الرطل إلى ثمانين درهمًا. والرطل البطيخ بثمانية دراهم، والرطل الكمثرى الشامى بخمسة وخمسين درهمًا، والعقيد بستين درهما الرطل، وعضد الخروف الضأن المسموط بأربعة دراهم، والزهرة الواحدة من اللينوفر بدرهم، والخيارة الواحدة بدرهم ونصف. وزكت الغلال بخلاف المعهود، فأخرج الفدان الواحد من أرض انحسر عنها ماء بركة الفيوم - المعروفة ببحر يوسف الصديق - أحدا وسبعين أردبًا شعيرًا بكيل الفيوم، وهو أردب ونصف، فبلغ بالمصرى مائة وستة أرادب كل فدان. وهذا من أعجب ما وقع فى زمننا. وأخرج الفدان مما روى - سوى هذه الأرض - ثلاثين أردبًا شعيرًا، ودون ذلك من القمح. وأقل ما أبيع القمح الجديد بمائتى درهم وخمسين درهمًا الأردب.... ١١١/٦

أقبلت سحابتان من جهة برية أيلة والطور، حتى حاذتا بلد العريش، ومرتا فى البحر، فإذا فى وسطهما تنينان مثل عامودين عظمين، لا يرى أعلاهما وأسفلهما مما يلى الماء، وفى كل عمود منهما خط أبيض بطوله من أعلاه إلى أسفله، فيرتفعان عن الماء قدر ساعة ثم ينحطان، فيضرب كل منهما بذنبه فى البحر، فيضطرب اضطرابا شديدا، ثم يرتفعان وذنب كل منهما بقدر جامور المنارة التى يؤذن عليها، فلم يزالا على ذلك حتى غابا عن العين.................... ٢٠١/٦

وقع بَرَد بناحية قصر عفرا من بلاد حوران بالشام، فكان فيه شبه خنافس وعقارب وضفادع.... ٥٢/٧

أغاث الله الزروع فى الوجه البحرى، وأسقاها، فأخصبت بعدما كانت جافة، فانحل السعر قليلا. ٦/٧

كثرت الأمطار بأرض الحجاز وبلاد الشام، وسقط بقرية تسمى حداثا من جبال صفد برد لم يعهدوا مثله، بلغ وزن بردة واحدة سبعة أرطال ونصف بالدمشقى، عنها ثلاثون رطلا مصرية، ووجدت بردة على باب دار قدر الثور. وكان سقوط هذا البرد ليلة السبت سادس ذى الحجة هذا.... ٦٩/٧

أمطرت السماء مطرًا كبيرًا من أول يوم الجمعة أمسه، حتى مضى السبت، وكانت عامة فى معظم أرض مصر قبليها وبحريها، فسالت الأودية، وظهرت فى النيل زيادة نحو ذراع، ودثرت مقابر كثيرة وسقط ببلاد البحيرة برد كبار جدًا، يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعًا............ ٧٧/٧

هبت رياح قوية ألقت مبانى عديدة وعم هبوبها فى أكثر أرض مصر، فسقط فى ناحية أبيار ألف ومائتا نخلة، وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألقتها ببعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة.............................. ٧٨/٧

اتفق ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس فى جميع الجهة الشمالية، التى يسميها المصريون وجه بحرى؛ وانتشار الحمرة فى الجهة الشمالية أيضًا بعد غروب الشمس

بالوجه القبلى لرعى الكتيح من الأراضى البور. وكان قد كتب إلى الكاشف بألا يمكنهم من المراعى حتى يأخذ منهم مالاً، فأنفوا من ذلك؛ لأنه حادث لم يعهد قبل ذلك، وأظهروا الخلاف، فخرجت إليهم هذه التجريدة ٢٨٤/٧

وقع بالقاهرة ومصر مطر كثير غزير، دلفت منه سقوف البيوت، وسال جبل المقطم سيلا عظيما، أقام منه الماء بالصحراء عدة أيام. وهذا أيضا فى هذا الوقت مما يندر وقوعه بأرض مصر ٢٨٨/٧

اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها، حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها، وأُبيع الجليد فى الأسواق مدة أيام، ولم نعهد هذا، ولا سمعنا به.............................. ٣٠٥/٧

حدثت ريح شديدة فى معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها، واستمرت عدة أيام، فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر ٣٤٧/٧

هبت بدمشق ريح شديدة فى غاية من القوة. واستمرت يوم الجمعة ويوم السبت، فاقتلعت من شجر الجوز الكبار ما لا يمكن حصره لكثرته. وألقت أعالى دور عديدة، وألقت بعض المنارة الشرقية بالجامع الأموى، فكان أمرا مهولا، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور، وأتلفت شيئا كثيرا ٣٤٨/٧

اشتد برد الشتاء فى بلاد الشام، فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر، إلى أرزن كان، وقد صقعت أشجارهم، بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا اسودت، ما عدا شجر الصفصاف، والجوز فتلفت الباقلاء المزروعة، والشعير والبيقياء والهليون وعامة الخضروات، فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشى فى الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة، هلك بعدها من الناس والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار ٣٥٢/٧

نزلت صاعقة بجدة – بندر مكة – فأتلفت شيئا كثيرا، وهلك نحو المائة نفس ٣٣٦/٧

كان قد اتفق فى يوم الأربعاء تاسع عشره عندما تسلطن الملك الظاهر جقمق هبوب ريح شديدة عاصفة حارة أثارت غبارا ملأ آفاق السماء، حتى كادت الشمس تخفى عن الأبصار، أو اختفت، وتمادت هذه الريح يوم الخميس، وسكنت يوم الجمعة، واشتد الحر طول النهار، وأقبل الليل وقد طبق السحاب الآفاق، وأمطرت يسيرًا غير مرة، حتى أصبح يوم السبت. فتطير الناس من ذلك، وزعم من عنده أثارة من علم أن هبوب هذه الرياح يؤذن بحدوث فتن، وأن المطر فى هذا الوقت يخاف منه نقص النيل، فكان كذلك، ونقص النيل فى يومه ويخاف عاقبة هذا النقص. إلا أن يشاء الله ٣٨٤/٧

طبق السحاب آفاق السماء بالقاهرة وما حولها، ثم أمطرت مطرا غزيرا كثيرا، فكان هذا مما يستغرب، فإن الزمان صيف، والشمس فى برج الأسد، والنيل ينادى عليه، وقد بلغ نحو عشرة أذرع، ونحن فى شهر أبيب أحد شهور القبط ٤٣١/٧

مرت سحابة، فأصبح كثير من المزروعات وقد صقع وأسود، كالخيار والفول والجزر، فلم ينتفع به، وأفسدت الدودة كثيرا من البرسيم المزدرع بالوجه البحرى، فأعيد بذره ٤٦٧/٧

اشتد البرد بالقاهرة، حتى جمدت المياه بعدة مواضع، وأبيع الجليد بالأسواق فى يوم الخميس حادى عشره، وجمدت بركة من مستنقع ماء النيل فى بعض الضواحى بحيث صارت قطعة واحده،

* * *

فهرس الأحداث الغريبة وأحوال الأمراء والجند

دعاءه. وعندما ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو - حتى كاد الرجل لا يرى صاحبه - مقدار ساعة، ثم انقشع الظلام، وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بحمرة، وأعقبه رمل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم، ونزل من بعده حيات كبيرة جدًا، فقتلت منهم عالما كثيرًا. فعاد بقيتهم من حيث أتوا، وهلك فى عودهم معظمهم دوابهم، وكثير منهم ١٥٥/٤

ادعى شخص بالقاهرة النبوة، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدًا ذكرًا يخبر بصحة نبوته. فقيل له: إنك لبئس النبى. فقال: لكونكم لبئس الأمة. فسُجن، وكشف عن أمر؛ فوجد له اثنا عشر يومًا منذ خرج من عند الممرورين بالمارستان، وأنه أخذ غير مرّة وهو مجنون، فعمل عند الممرورين ١٥٩/٤

ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس، ومعه محضر ثابت على قاضيها، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت بثلاثة أزواج ولم يقدر واحد منهم على بكارتها، من غير مانع منهم، وظنوا أنها رتقاء وطبقوها واحدًا بعد واحد. فلما بلغت خمس عشرة سنة غر ثدياها، واعتراها النوم ليلا ونهارًا، وصار يخرج من فرجها شيء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وأنثيين فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع، ولم يبق إلا العقد عليها، فأطلعت أمها على أمرها، فاشتهر ذلك بطرابلس، وأعلم به الأمير أيتمش النائب، فكتب به محضرًا وجهزه إلى السلطان ١٨٣/٤

ولدت امرأة طفلين ملتصقين، لكل منهما ثلاثة أيدى وثلاثة أرجل، وليس لهما قُبُل ولا دُبُر.... ١٨٦/٤

اتفق أمر غريب، قد وقع مثله فيما تقدم، وهو أن الأمير شرف الدين عيسى بن باب جَك - والى الأشمونين - كان له ابنة، فلما أن تم لها من العمر خمس عشرة سنة، استد فرجها، وتدلى لها ذكر وأنثيان، واحتملت كما تحتلم الرجال، واشتهر ذلك بالحسينية - حيث سكنه - وبالقاهرة، حتى بلغ منجك، فاستدعى بها، ووقف على حقيقة خبرها، فأمر بنزع ثياب النسوان عنها، وألبسها ثياب الرجال من الأجناد، وسماها محمدا، وجعله من حملة مشاة خدمته، وأنعم عليه بإقطاع، فشاهده كل أحد ٣٧٥/٤

اشتد الغلاء، فبلغ الأردب القمح ماية وخمسة وعشرين درهما، والإردب الشعير تسعين درهما، والأردب الفول ثمانين درهما، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت فى الفقراء من شدة البرد والجوع والعرى، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدى الناس، ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا ٣٧٧/٤

قدم الخبر بغلاء الأسعار بمكة، حتى بيعت الغرارة القمح - وهى مائة قدح مصرى - بأربعمائة درهم وثمانين درهما، وعز وجود الأقوات بها فهلك جماعة كثيرة جوعا، ونزع أكثر أهلها عنها، فجهز الأمير يلبغا الأتابك فى جمادى الأولى إلى مكة ألفى أردب قمحا، وواصل الإرسال حتى حمل من مصر إليها اثنى عشر ألف أردب. فرقت كلها فى الناس، فعم النفع بها ٢٧٨/٤

قدم البريد من ناحية المشرق إلى دمشق بقماقم فيها ماء من عين هناك، من خاصيته أن يتبعه طير يسمى

السمرمر، فى قدر الزرزور ولونه، وفيه ريش أصفر، يأكل الجراد. فعلق بطارمة القلعة، وبمأذنة العروس وقبة النصر من الجامع الأموى، وكان الجراد قد كثر بأعمال دمشق، وأضر بمزارعها، فبعث الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام لإحضار هذا الماء. فلما جىء به وعلق كثر السمرمر بدمشق، وأفنى ما كان الجراد هناك، حتى لم يبق منه شيئًا. وأقامت قماقم الماء معلقة بتلك الأماكن إلى أن جف ما فيها، والطير موجود ٢٨٠/٤

قدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وأن الغرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم، وأبيع الخبز بحلب كل رطل حلبى بستة دراهم، والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، وعم الغلاء ببلاد الشام كلها، حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها ٣٩٣/٤

قدم الخبر بأن رجلا بدمشق من آحاد العامة مات بالمارستان فغُسل وكفن، وأرخى فى قبره بمقبرة باب الفراديس، فعندما أضجع بالقبر عطس، فأخرج وعوفى، وحدث الناس بما جرى له، وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنين........................ ٥٢/٥

اتفقت حادثة مستغربة ، وهى أن بعض من يتكسب بتحمل الشهادة بجلوسه فى حوانيت الشهود من رحبة باب العيد بالقاهرة، يعرف بالشهاب أحمد بن الفيشى، من الحنفية دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتا من جدار بيته يقول له: اتق الله، وعاشر زوجتك بالمعروف فظن أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئا، وحدث أصحابه بذلك فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار، فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئا، فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه فى الناس، فارتجت القاهرة ومصر، وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشى لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط بزعمهم ويحادثهم، فكثر بين الناس قولهم: يا سلام سلم الحائط بيتكلم، وكاد الناس أن يفتتنوا بهذا، وجلبوا إلى ذلك الجدار من الطيب شيئًا كثيرًا، وحضرت العذراء من خدرها إليه. فركب محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمى إلى بيت ابن الفيشى هذا، ليختبر ما يقال، ووكل بابن الفيشى أحد أعوانه، فإذا بالبيت مرتفع، وتحته اصطبل فيه بعض الأجناد، فوكل به أيضًا، وطلع إلى عند الحائط، وحدثه فحادثه، فأمر بهدم الحائط، فقال له: اخرب فإنه ما ينزل على شىء، ولا أبالى فلما هدم الحائط لم ير شيئا ، فعاد إلى بيته وقد كثر تعجبه، وازدادت فتنة الناس بالحائط........................ ٦٩/٥

قبض على رجل ادعى النبوة، وأنه النبى الأمى، وأنه مصدق بنبوة نبينا ﷺ........................ ٧٣/٥

قدم أيضا بعض رهبان النصارى وقدح فى لإسلام، وأصر على قبيحه، فضربت عنقه، وكان هناك ثلاث نسوة، فرفعن أصواتهن بلقلقة ألسنتهن، كما تفعل النساء عند فرحهن، واستبشارا بقتل الراهب، وأظهرن شغفا به، وهياما لما جرى له، وصنعن كصنيعه، من القدح فى الإسلام، وأردن تطهيرهن بالسيف أيضا. ثم ضربت رقبة رفيق الراهب فى يوم الجمعة ثانى عشرينه تحت شباك الصالحية، وضربت رقاب النسوة الثلاث من الغد، يوم السبت ثالث عشرينه تحت القلعة بيد الأمير سودن الشيخونى الحاجب، وأحرقت جثثهن بحكم أنهن ارتددن عن الإسلام، وأظهرن أنهن فعلن هذا لعشقهن فى الراهب المذكور. وكان يعرف بأبى نُفيْفَة. ولم نسمع فى أخبار العشاق خبرًا

سافلها. ولا حول ولا قوة إلا با لله ٥/٢٧٠

اتفق أن الأمراء والمماليك الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا فى قصريتين فخار وسقوه، فنجب بصل إحدى القصريتين ولم ينجب الآخر، فرفعوا القصرية التى لم ينجب بصلها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها، وتحتها حجر يخرج من شقوق ما بينه وبين حجر آخر هواء، ففكوا الطاقة ورفعوه فوجدوا تحته خلوا، فما زالوا به حتى اتسع، وأفضى بهم إلى سرداب، مشوا فيه حتى صعدوا الأشرفية، من قصور القلعة ٥/٢٧٩

قدم البريد بنزول عدة مراكب للإفرنج على طرابلس، فعندما أشرفوا على الميناء بعث ا لله عليهم ريحا غرقت مركبا، وفرقت البقية، وكانت نحو السبعين، فردوا خائبين ٥/٢٩٥

خرج جماعة من بلاد المغرب يريدون أرض مصر لأداء فريضة الحج، وساروا فى بحر الملح، فألقتهم الريح إلى جزيرة صقلية ، فأخذهم النصارى وما معهم، وأتوا بهم إلى ملك صقلية، فأوقفهم بين يديه وسألهم عن حالهم، فأخبروه أنهم خرجوا يريدون الحج، فألقاهم الريح إلى هنا، فقال: أنتم غنيمة قد ساقكم ا لله إلىَّ، وأمر بهم أن يقيدوا حتى يباعوا ويستخدموا فى مهنهم، وكان من جملتهم رجل شريف، فقال له على لسان ترجمانه: أيها الملك إذا قدم عليك ابن ملك ماذا تصنع به؟ قال: أكرمه قال: وإن كان على غير دينك. قال: وما كرامته إلا إذا كان على غير دينى، وإلا فأهل دينى واجب كرامتهم. قال: فإنى ابن أكبر ملوك الأرض. قال: ومن أبوك؟ قال: على بن أبى طالب رضى ا لله عنه. قال: و لم لا. قلت: أبى محمد - ﷺ - قال: خشيت أن تشتموه. قال: لا نشتمه أبدا. قال: بيِّنْ لى صدق ما ادعيت به، فأخرج له نسبته - وكانت معه فى رق - فأمر بتخليته وتخلية من معه لسبيلهم، وجهزهم. ثم بلغه أن بعض النصارى من أجناده بال على هذا الشريف، فأمر به فأحرق، وشهر فى بلده. ونودى عليه: هذا جزاء من يشتم الملوك، فإنه كان شتم أبا الشريف أيضا ٥/٣٣٠

اتفق بالقاهرة ومصر وظواهرهما أنه أشيع بأن امرأة طال دوام رمد عينها، وأيس الأطباء من برئها، فرأت فى منامها كأنها تشكو ما بها إلى النبى - ﷺ - وأنه أمرها أن تمضى إلى سفح جبل المقطم، وتأخذ من حصى هناك وتكتحل به بعد سحقه، وأنها عملت ذلك، فزال ما فى عينيها من الرمد، فلم يبق من الناس إلا من أخذ من الحصى الذى بالجبل واكتحل به، وعملوا منه فى الأثمد وغيره، حتى أفنوا من ذلك لما لا يقدر قدره، وأقاموا على هذا مدة، وزعموا أنه شفى به خلق كثير ٥/٣٥٩

عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبى حنيفة، يقال له مصطفى القرمانى، وأنه كتب شيئا فى الفقه، قال فيه: لا يؤول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون ا لله، ونسب إبراهيم - صلى ا لله عليه وسلم - إلى ما نزهه ا لله من عبادتهما. فأراد قاضى المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسى الحكم بقتله، فأعتنى به جماعة من الأمراء، وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فعزره بأن أقامه وبعث به إلى السجن، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، وضربه ثم خلاه لسبيله ٥/٣٦٨

عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بنى آدم شيئا كثيرًا، فحملوا إلى الوالى، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت فى الماء بنار شديدة، حتى ينهرى لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونُسى خبرهم بعدما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأوانى التى بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها وشق بها القاهرة.................................... ٩٦/٧

غرقت إمرأة لها ولزوجها شهرة، لقالة سيئة عنها ١١١/٧

اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر فى سفره ببلاد الغربية على أتان له، وتحته خرج فيه قماش، فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألقاه إلى الأرض ليذبحه، فقال له: با لله اسقنى شربة ماء قبل أن تذبحنى فألقى الله تعالى فى قلبه عليه رحمة، لما يريده به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر فى الماء حتى يغترف فى الإناء منه، فاختطفه تمساح، وذهب فى الماء فكسره، وأكله، والرجل يراه وهو مكتوف، وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق، قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد، فصاح بهم إلى أن أتوه، فأعلمهم بما جرى له، وما كان من هلاك عدوه، فحلوا أكتافه وأتوا به وبالفرس والأتان، والخرج، إلى الوالى، فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخُرجه، فكان فى هذا موعظة لمن اتعظ. وكفى با لله نصيرًا. ١١٩/٧

فعلم الوالى ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرًا حتى يواريها، فقتله الله بها. وكان فى هذه تذكرة لمن وعى أن الجزاء واقع ١١٩/٧

اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها، وهى أن رجلا من العشير ببيروت من سواحل الشام - يقال له شعث بن أبى بكر بن الحمراء - قدم ليسعى فى بعض تعلقاته، فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه، ومعه غلامه، وقد سايره رجل من أهل بلاده، وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس، فأخرج الرجل خنجرًا وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقى ابن الحمراء طريحًا عدة ساعات، ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان، فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة، وابنه هذا صبى، فتحول إلى القاهرة، وربى بها، وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء فى هذه الأيام القاهرة، تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده، فأنس به وغفل عما كان منه، إلى أن جاءه الرجل فى هذا اليوم على عادته، وركب معه، فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه، ففعل ما فعل، وأخذ بثأره ١٢٢/٧

ظهر رجلان أبديا صنائع بديعة أحدهما من مسلمة الفرنج الذين يتزيوا بزى الأجناد فإنه نصب حبلا أعلى مأذنة المدرسة الناصرية حسن بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ومده حتى ربطه بأعلى الأشرفية من قلعة الجبل، ومسافة ذلك رمية سهم أو أزيد، فى ارتفاع ما ينيف على مائة ذراع فى السماء، ثم إنه برز من رأس المأذنة، ومشى على هذا الحبل، حتى وصل إلى الأشرفية، وهو يبدى فى مشيه أنواعا من اللعب، وقد جلس السلطان لرؤيته، وحشر الناس من أقطار المدينة، فعُد فعله من النوادر التى لو لم تشاهد لما صدقت، ثم خلع عليه السلطان، وبعثه إلى الأمراء، فما منهم إلا أنعم ١٣٢/٧

* * *

فهرس الزلازل

* * *

مراجع التحقيق

١ - خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

٢ - آثار الأدهار: تأليف سليم بن جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاته. الجزء الأول منه، وقسم من الثاني. طبع في بيروت ١٨٧٥ - ١٨٧٧.

٣ - الآثار الباقية عن القرون الخالية: لمحمد بن أحمد البيروني. طبع في ليبسك ١٩٢٣.

٤ - آثار المدينة المنورة: لعبد القدوس الأنصارى. طبع بدمشق ١٩٣٥.

٥ - آداب العصر فى شعراء الشام والعراق ومصر: لسعد ميخائيل. طبع.

٦ - أبجد العلوم: لصديق حسن خان القنوجى. طبع فى بهوبال ١٢٩٥هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٧ - الأبحاث المسددة فى فنون متعددة: للمقبلى؛ صاحب العلم الشامخ. مخطوط.

٨ - إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن: لمحمد بن على، ابن المحب الطبرى. مخطوط فى مكتبة محمد ماجد الكردى، بمكة.

٩ - إتحاف المطالع: لعبد السلام بن سودة: مخطوط.

١٠ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: للمقريزى. طبع بمصر ١٣٦٧هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١١ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: لسيوطى. بدار الكتب العلمية بيروت.

١٢ - الإحاطة فى أخبار غرناطة: لابن الخطيب. طبع فى مصر ١٣١٩هـ.

١٣ - أحسن الأثر، فيمن أدركناه فى القرن الرابع عشر: لمحمد صالح الكاظمى. طبع بغداد.

١٤ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: للبشارى. طبع فى ليدن ١٩٠٩.

١٥ - أحسن الوديعة فى تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة: لمحمد مهدى الكاظمى. حزآن. تتمة لكتاب «روضات الجنات» طبع ببغداد ١٣٤٧هـ.

١٦ - أخبار الأعيان فى جبل لبنان: لطنوس بن يوسف الشدياق الحدثى المارونى. طبع ببيروت ١٨٥٩.

١٧ - أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم إلى اختلاف كلمتهم. طبع فى همبورغ ١٩٣٨/١٣٥٧.

١٨ - أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول: لمحمد بن عبد المعطى الإسحاقى طبع فى مصر (على الحجر) ١٢٧٦هـ.

١٩ - أخبار أبى تمام: لأبى بكر الصولى. طبع فى مصر ١٩٣٧/١٣٥٦.

٢٠ - أخبار الدول وآثار الأول: للقرمانى. طبع على هامش الكامل لابن الأثير (بولاق) ١٢٩٠هـ.

٢١ - أخبار الدولة السلجوقية: لعلى بن ناصر بن على الحسينى. طبع فى لاهور ١٩٣٣.

٢٢ - أخبار الراضى با لله والمتقى لله، من كتاب الأوراق لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى طبع بمصر ١٩٣٥.

٢٣ – الأخبار السنية فى الحروب الصليبية: لسيد على الحريرى. طبع فى مصر ١٣١٧هـ.
٢٤ – الأخبار الطوال: للدينورى. طبعة مصر ١٣٣٠هـ.
٢٥ – أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر: نظر «آخر بنى سراج».
٢٦ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطى. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.
٢٧ – أخبار القضاة: لوكيع. طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦- ١٣٦٩هـ.
٢٨ – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : للأزرقى. مجلدان. طبع بمكة ١٣٥٢-١٣٥٧هـ.
٢٩ – أخبار النحويين البصريين: لأبى سعيد السيرافى. من مطبوعات معهد المباحث الشرقية بالجزائر ١٩٣٦.
٣٠ – أدب الإملاء والاستملاء: لعبد الكريم بن محمد السمعانى. طبع فى لندن ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣١ – أدباء حلب ذوو الأثر فى القرن التاسع عشر: لقسطاكى الحمصى. طبع بحلب ١٩٢٥.
٣٢ – الأرج المسكى والتاريخ المكى: لعلى بن عبد القادر الطبرى المكى. مخطوط.
٣٣ – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء: لياقوت الحموى. سبعة أجزاء، طبعة مرجليوث، بمصر ١٩٠٧-١٩٢٥. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٤ – أزهار الرياض فى أخبار عياض: لأحمد بن محمد المقرى. أربعة أجزاء، طبع ثلاثة منها بمصر ١٣٥٨-١٣٦١هـ.
٣٥ – الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية: لسليمان بن عبد الله البارونى، الجزء الثانى طبع بمطبعة الأزهار البارونية.
٣٦ – الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: لأحمد بن خالد الناصرى السلاوى أربعة أجزاء طبع بمصر ١٣١٢هـ.
٣٧ – الاستيعاب فى أسماء الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، أربعة أجزاء طبعت على هامش «الإصابة» بمصر ١٩٣٩/١٣٥٨. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٨ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة: لابن الأثير. خمسة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٩ – إسعاف المبطأ برجال الموطأ: لجلال الدين السيوطى. طبعة الهند ١٣٢٠هـ. بآخر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطى أيضًا. طبعة مصر ١٣٤٤. ودار الكتب العلمية بيروت.
٤٠ – الإسلام والتجديد فى مصر: للمستشرق تشارلز آدمس. نقله إلى العربية عباس محمود. طبع بمصر ١٩٣٥/١٣٥٣.
٤١ – أسماء جبال تهامة وسكانها: لعرام بن الأصبغ السلمى. طبع بمصر ١٣٧٣هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٤٢ – أسماء خيل العرب وفرسانها: للجواليقى . طبع مع نسب الخيل للكلبى، بليدن ١٩٢٨.
٤٣ – أسماء الصحابة الرواية: لابن حزم. طبع مع «جوامع السيرة». ودار الكتب العلمية بيروت.
٤٤ – أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمد بن حبيب. طبع فى نوادر المخطوطات ٢:١٠٥

٤٥ - الأسماء المفردة: لأبى بكر أحمد بن هارون ابن روح، البرديجى، المتوفى سنة ٣٠٠. رسالة مخطوطة فى المكتبة الخالدية بالقدس.

٤٦ - الأسماء والكنى: للحافظ الحاكم محمد بن محمد النيسابورى.

٤٧ - أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام: لسعيد الأفغانى. طبع فى دمشق ١٩٣٧/١٣٥٦.

٤٨ - الاشتقاق: لابن دريد الأزدى. طبع فى جوتنجن ١٨٥٤.

٤٩ - الإشراف فى منازل الأشراف: لابن أبى الدنيا. دار الكتب العلمية بيروت. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٥٠ - إشراق التواريخ: لمحمد البركوى. مخطوط فى مكتبة البلدية بالإسكندرية.

٥١ - الإصابة فى تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلانى. أربعة مجلدات . طبع بمصر ١٩٣٩/١٣٥٨. ودار الكتب العلمية بيروت.

٥٢ - الأصمعيات: اختيار الأصمعى. طبع فى مصر ١٩٥٥/١٣٧٥.

٥٣ - إعجام الأعلام: لمحمود مصطفى. طبع فى مصر ١٩٣٥/١٣٥٤. ودار الكتب العلمية بيروت.

٥٤ - الأعلام الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة: لمحمد بن على ابن شداد. والجزء الثانى منه فى «تاريخ مدينة دمشق» طبع بها ١٩٥٦/١٣٧٥).

٥٥ - الأعلاق النفيسة: لابن رسته. طبع فى ليدن ١٨٩١.

٥٦ - أعلام الأدب والفن: لأدهم الجندى. طبع بدمشق ١٩٥٤.

٥٧ - الإعلام بتاريخ الإسلام : لأبى بكر بن أحمد، ابن قاضى شهبة الأسدى، المتوفى سنة ٨٥١هـ.

٥٨ - الإعلام بفضائل الشام: لأحمد بن على المنينى. طبع فى القدس.

٥٩ - الإعلام بما وقع فى مشتبه الذهبى من الأوهام: جردها من توضيح المشتبه مؤلفهما محمد ابن أبى بكر عبد الله بن محمد، المعروف بابن ناصر الدين. مخطوط كتب سنة ٨٢٩ وطرته بخط مؤلفه. فى المكتبة العربية بدمشق.

٦٠ - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: لعباس (بن محمد بن محمد) بن إبراهيم المراكشى. خمسة مجلدات منه، طبعت بفاس ابتداء من سنة ١٩٣٦.

٦١ - أعلام الجيش والبحرية فى مصر، أثناء القرن التاسع عشر: للبكباشى عبد الرحمن زكى الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٦٦هـ.

٦٢ - إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين: لمحمد بن على ابن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨هـ.

٦٣ - الأعلام الشرقية فى المئة الرابعة عشرة الهجرية: لزكى محمد مجاهد. ثلاثة أجزاء منه. طبع بمصر ١٣٦٨-١٣٧٤هـ.

٦٤ - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمد راغب الطباخ الحلبى. سبعة مجلدات. طبع فى حلب ١٣٤٢هـ.

٦٥ - أعلام النساء: لعمر رضا كحالة. ثلاثة مجلدات. طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ.

٦٦ - الإعلان بالتواريخ لمن ذم التاريخ: للسخاوى. طبع بدمشق ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية

بيروت.

٦٧ - أعمار الأعيان: لأبى الفرج ابن الجوزى. رسالة مخطوطة، كتبت سنة ٥٩٢ وقرئت على مؤلفها.

٦٨ - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام: للسان الدين ابن الخطيب. فصل منه نشره حسن حسنى عبد الوهاب. طبع فى بالرمو ١٩١٠.

٦٩ - الأغانى: لأبى الفرج الأصفهانى. طبعة الساسى بمصر ٢١ جزءًا، عدا الفهارس وهى ٤ أجزاء. سنة ١٣٢٣. ودار الكتب العلمية بيروت.

٧٠ - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط: لأبى عبد الله محمد بوجندار الرباطى الدار. ومخطوط، جزآن فى مجلد واحد. نسخة عبد الله بن العباس الجرارى، فى الرباط.

٧١ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: لإدورد فنديك. طبع بمصر ١٨٩٦/١٣١٣.

٧٢ - الإكليل: للهمدانى. الجزء الثامن. طبع فى بغداد ١٩٣١ وفى برنستن ١٩٤٠.

٧٣ - الإكمال فى رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب: للأمير على بن هبة الله ابن ماكولا. مخطوط فى مجلدين ضخمين. كتب سنة ٥٩١ هـ . وطبع بدار الكتب العلمية بيروت.

٧٤ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه: لمحمد بن حبيب . طبع بمصر ١٩٥٤/١٣٧٤ (فى نوادر المخطوطات ٢:٢٧٩).

٧٥ - الأمالى: لإسماعيل بن القاسم القالى. جزآن. طبع فى مصر ١٩٢٦/١٣٤٤. ودار الكتب العلمية بيروت.

٧٦ - إمتاع الأسماع: للمقريزى. المجلد الأول منه. طبع فى القاهرة ١٩٤١.

٧٧ - الإمتاع والمؤانسة: لأبى حيان التوحيدى. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٣٩.

٧٨ - أمثال العرب: للمفضل الضبى. طبع بالآستانة ١٣٠٠هـ.

٧٩ - أمراء دمشق فى الإسلام: لصلاح الدين الصفدى. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٥/١٣٧٤.

٨٠ - أنباء الزمن فى تاريخ اليمن: ليحيى بن الحسين بن الإمام القاسم، المتوفى بعد سنة ١٠٩٩هـ. مخطوط مرتب على السنين . فى دار الكتب المصرية. تجد وصفه فى فهرسها (٥:٣٩) باسم «أنباء أنباء الزمن» كذا، والذى فى نهايته: «المسمى بأنباء الزمن» ابتدأه بمولد النبى ﷺ وختمه بأخبار سنة ١٠٤٦هـ، وأنجز تأليفه سنة ١٠٦٥ .

٨١ - الأنساب: للسمعانى. طبع بالزنكوغراف، بليدن ١٩١٢. ودار الكتب العلمية بيروت.

٨٢ - أنساب الخيل: لابن الكلبى. طبع فى مصر ١٩٤٦.

٨٣ - الأنساب المتفقة فى الخط، المتماثلة فى النقط والضبط: لابن القيسرانى. طبع فى ليدن ١٨٦٥.

٨٤ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون: لعلى بن برهان الدين الحلبى. يعرف بالسيرة الحلبية. ثلاث مجلدات. طبع بمصر ١٢٩٢هـ.

٨٥ - الأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس: لأبى عبد الله محمد بن عبد

الحليم المعروف بابن أبى زرع. مطبوع على الحجر بفاس ١٣٠٥هـ.

٨٦ - أيام العرب فى الجاهلية: لمحمد أحمد جاد المولى، وعلى البجاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم. طبع فى مصر ١٣٦١/١٩٤٢.

٨٧ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا ابن محمد أمين البابانى البغدادى. مجلدان. طبع فى استانبول، الأول ١٣٦٤/١٩٤٥ والثانى ١٣٦٦/١٩٤٧.

٨٨ - بحر الأنساب، المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف: لمحمد بن أحمد بن عميد الدين الحسينى النجفى. طبع بمصر، على الحجر ١٣٥٦هـ.

٨٩ - البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر: لمحمود فهمى المهندس. أربعة أجزاء. طبع فى بولاق ١٣١٢-١٣١٣هـ.

٩٠ - البخلاء: للجاحظ. طبع بمصر ١٩٤٨. ودار الكتب العلمية بيروت.

٩١ - البدء والتاريخ: المنسوب لأحمد بن سهل البلخى، وهو لمطهر بن طاهر المقدسى. ستة أجزاء. طبع فى شالون ١٩١٦.

٩٢ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور: لابن إياس . ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣١١هـ. والرابع والخامس منه: طبعا فى استانبول ١٩٣١و١٩٣٢.

٩٣ - البداية والنهاية فى التاريخ: لابن كثير. أربعة عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥١-١٣٥٨هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٩٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكانى مجلدان . طبع بمصر ١٣٤٨هـ.

٩٥ - بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد: ليحيى بن محمد ابن خلدون. مجلدان. طبع فى الجزائر مع ترجمة فرنسية ١٣٢١/١٩٠٣.

٩٦ - بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد: لعبد الرحمن بن على الشيبانى المعروف بابن الديبع. مطبوع بالكويت.

٩٧ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس: لابن عميرة الضبى . طبع فى مجريط ١٨٨٤. ودار الكتب العلمية بيروت.

٩٨ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطى . طبع بمصر ١٣٢٦هـ.

٩٩ - بلاغات النساء: لأحمد بن طيفور. طبع بمصر ١٣٢٦/١٩٠٨.

١٠٠ - بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب: لمحمود شكرى الآلوسى البغدادى. الطبعة الثانية، بمصر ١٣٤٢/١٩٢٤ ثلاثة أجزاء. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٠١ - بلوغ المرام، فى شرح مسك الختام، فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام: لحسين بن أحمد العرشى. ختم حوادثه سنة ١٣١٨هـ، وزاد عليه الأب أنستاس مارى الكرملى، فاوصله إلى ١٣٥٨هـ. طبع بمصر ١٩٣٩.

١٠٢ - بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين: لمحمد بن أحمد بن عبد الله الغزى الشافعى الدمشقى. مخطوط. فى الظاهرية بدمشق.

١٠٣ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: للمقريزى. رسالة طبعت بمصر ١٣٣٤/

١٩١٦. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٠٤ - البيان والتبيين: للجاحظ. أربعة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٦٧ - ١٣٦٩ هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٠٥ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشى. أربعة أجزاء، الأول والثانى طبعة ليدن ١٩٤٨و١٩٥١ والثالث طبعة باريس ١٩٣٠ والرابع طبعة تطوان ١٩٥٦.

١٠٦ - تاج التراجم : لقاسم بن قطلوبغا الحنفى. مخطوط ناقص الآخر. فى المكتبة الخالدية بالقدس. (طبع فى ليبسيك ١٨٦٢).

١٠٧ - تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدى. عشر مجلدات. طبع بمصر ١٣٠٦-١٣٠٧هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٠٨ - تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهرى. مجلدان. طبع بمصر ١٢٨٢هـ.

١٠٩ - تاريخ آداب العرب: لمصطفى صادق الرافعى. ثلاثة أجزاء طبع اثنان منها بمصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ. ثم طبع الثالث بعد وفاة مؤلفه.

١١٠ - تاريخ الآداب العربية، فى الربع الأول من القرن العشرين: للويس شيخو. طبع فى بيروت ١٩٢٦.

١١١ - تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية: محاضرات لكارلو نالينو. نسقتها وترجمت بعض حواشيها الإيطالية، إلى العربية ، ابنته مريم نالينو. طبع فى مصر ١٩٥٤.

١١٢ - تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا: للفيف من الأساتذة بمدارس «الفرير». طبع بالإسكندرية ١٩٢٥هـ.

١١٣ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: للذهبى طبع منه بمصر، خمسة أجزاء.

١١٤ - تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبرى. ودار الكتب العلمية بيروت.

١١٥ - تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابى: المسمى بالغرر الحسان فى تواريخ حوادث الأزمان ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٠٠.

١١٦ - تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين: ليوسف أشباخ (الألمانى) . ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٩/١٩٤٠.

١١٧ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادى. أربعة عشر مجلدًا. طبع بمصر ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١١٨ - تاريخ حماة: لأحمد الصابونى. طبع فى حماة ١٣٣٢هـ. وأعيد طبعه فيها ١٩٥٦ معلقًا عليه، ومصدرًا بترجمة لمؤلفه.

١١٩ - تاريخ الحياة النيابية فى مصر: لمحمد خليل صبحى. ستة أجزاء. أخذت عن الجزء السادس منها، وهو مطبوع بمصر ١٩٣٩.

١٢٠ - تاريخ الخط العربى وآدابه: لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط. طبع فى مصر ١٣٥٨/١٩٣٩.

١٢١ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد الديار بكرى. مجلدان . طبع فى

مصر ١٢٨٣هـ.

١٢٢ - تاريخ دولة المماليك فى مصر: لوليم موير. ترجمه إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن طبع بمصر ١٣٤٢ هـ.

١٢٣ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: لمحمد بن ابراهيم اللؤلؤى المعروف بالزركشى طبع بتونس ١٢٨٩هـ.

١٢٤ - تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغورى: لأحمد بن زنبل الرمال. طبع بمصر ١٢٧٨.

١٢٥ - تاريخ السليمانية: لمحمد أمين زكى. طبع ببغداد ١٩٥١/١٣٧٠.

١٢٦ - تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء: لحمزة بن الحسن الأصفهانى. طبع فى برلين ١٣٤٠هـ.

١٢٧ - تاريخ السودان: لعبد الرحمن عبد الله بن عمر السعدى. طبع فى باريس ١٨٩٨.

١٢٨ - تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله بن محمد بن حامد السقاف. خمسة أجزاء. طبع بمصر ابتداء من ١٣٥٣هـ.

١٢٩ - تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلن. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى. خمسة أجزاء . طبع فى بيروت ١٩٤٨-١٩٥٠.

١٣٠ - تاريخ طرابلس الغرب، المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار: وهو شرح لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسى، على قصيدة أحمد بن عبد الدائم الأنصارى. طبع فى مصر ١٣٤٩هـ.

١٣١ - تاريخ العرب قبل الإسلام: لجواد على . طبع منه سبعة مجلدات، ببغداد ١٩٥٠-١٩٥٨.

١٣٢ - تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب: لروحى الخالدى. طبع بمصر ١٩١٢.

١٣٣ - تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضى. جزآن . طبع فى مدريد ١٨٩٠. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٣٤ - تاريخ علماء أهل مصر: لأبى القاسم يحيى بن على ابن الطحان. جزء صغير منه. مخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق.

١٣٥ - تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار: لمحمد بن رافع السلامى، ذيل به على تاريخ ابن النجار. انتخبه التقى الفاسى المكى . طبع ببغداد ١٩٣٨/١٣٥٧.

١٣٦ - تاريخ فتح الأندلس: لابن القوطية. قطعة منه طبعت بمصر.

١٣٧ - تاريخ الفتح العربى فى ليبيا: للطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى. طبع فى مصر ١٩٥٤/١٣٧٣.

١٣٨ - تاريخ ابن الفرات: لمحمد بن عبد الرحيم بن الفرات. المجلدات ٧،٨،٩ وطبعت فى بيروت ١٩٣٦-١٩٤٢.

١٣٩ - تاريخ القادرى: لمحمد بن الطيب القادرى الحسنى. مخطوط فى جزء واحد، مرتب على السنين. اختصره من كتابه «التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر فى أخبار أعيان أهل المئة الحادية والثانية عشر» الذى جعله ذيلاً لكتاب لقط الفرائد لابن القاضى ذيل كتاب شرف الطالب لابن الخطيب القسنطينى. فى الخزانة العامة بالرباط، رقم د١٨٤.

١٤٠ - تاريخ ابن قاضى شهبة: لتقى الدين أبى بكر ابن قاضى شهبة الأسدى. مرتب على السنين

لحوادث والوفيات، يبدأ بحوادث ٧٤١ وينتهى بنهاية ٧٨٥هـ. ومخطوط فى مجلدين. كتب سنة ٤٨٠ على يد على بن موسى بن محمد ابن القابونى. أوله بعد البسملة: «رب يسر وأعن يا كريم الحمد لله مميت الأحياء ومحى الأموات، ومبدى الأشياء ومبيد البريات» مخطوط محفوظ فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

١٤١ - تاريخ القضاء فى الإسلام: لمحمود عرنوس. طبع فى مصر ١٩٣٤/١٣٥٢.

١٤٢ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو احتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. مخطوط.

١٤٣ - تاريخ المساجد الأثرية (فى مصر) : لحسن عبد الوهاب. طبع بمصر ١٩٤٦.

١٤٤ - تاريخ مصر: لعمر الإسكندرى وسفدج. جزآن. طبع بمصر ١٩١٥.

١٤٥ - تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل: لإلياس الأيوبى. مجلدان. طبع بمصر ١٩٢٣/١٣٤١.

١٤٦ - تاريخ الموصل: لابن إياس الأزدى. مخطوط

١٤٧ - تاريخ الموصل: لسليمان صائغ الموصلى. جزآن. طبع الأول فى مصر ١٩٢٣ والثانى فى بيروت ١٩٢٨.

١٤٨ - تاريخ نجد الحديث وملحقاته: تأليف أمين الريحانى. طبع فى بيروت ١٩٢٨.

١٤٩ - تاريخ نصارى العراق: لرفائيل أبو اسحق . طبع فى بغداد ١٩٤٨.

١٥٠ - تاريخ اليعقوبى: لأحمد بن إسحاق ابن واضح اليعقوبى. ثلاثة أجزاء. طبعة النجف ١٣٥٨هـ.

١٥١ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك: للسخاوى. طبع بمصر ١٨٩٦.

١٥٢ - التبيان فى تخطيط البلدان: لإسماعيل رأفت. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

١٥٣ - تتمة اليتيمة: لأبى منصور الثعالبى. جزآن صغيران. طبع فى طهران ١٣٥٣هـ.

١٥٤ - تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات: لعلى بن أحمد السخاوى. طبع بمصر ١٣٥٦هـ.

١٥٥ - تحفة الإخوان: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع بمصر ١٣٦٥هـ.

١٥٦ - تحفة الأديب بأسماء سلاطين محلديب: لمحمد سعيد ديدى. طبع بمصر ١٣٥٤ هـ.

١٥٧ - تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان: لعبد الله بن حميد السالمى. جزآن طبع أولهما سنة ١٣٣٢ والثانى ١٣٤٧ بمصر .

١٥٨ - تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء: لهلال بن المحسن الصابى. طبع فى بيروت ١٩٠٤.

١٥٩ - تحفة الدهر ونفحة الزهر فى أعيان المدينة من أهل العصر: لعمر بن المدرس عبد السلام الداغستانى المدنى. مخطوط.

١٦٠ - تحفة ذوى الأرب: لابن خطيب الدهشة. طبع بليدن ١٩٠٥.

١٦١ - تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين: لعبد الله الشرقاوى. طبع بمصر على هامش «أخبار الأول» للإسحاقى ١٣٠٣هـ.

١٦٢ - تذكرة الحفاظ: للذهبى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٣-١٣٣٤هـ. ودار الكتب

العلمية بيروت.
١٦٣ - التذكرة الكمالية مخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بمصر.
١٦٤ - تذكرة النسيان، فى أخبار ملوك السودان: طبع مع ترجمة فرنسية، فى باريس ١٨٩٩-١٩٠١.
١٦٥ - تذكرة النوادر من المخطوطات العربية: رتبت وطبعت بأمر جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ.
١٦٦ - تراث الإسلام: لجمهرة من المستشرقين، بإشراف توماس أرنولد. ترجمه إلى العربية جرجيس فتح الله. حزآن. طبع فى الموصل ١٩٥٤.
١٦٧ - تراجم الأعيان، من أبناء الزمان: للحسن بن محمد البورينى . مخطوط، فى دار الكتب المصرية.
١٦٨ - تراجم بعض أعيان دمشق: لعبد الرحمن بن شاشو. طبع ببيروت ١٨٨٦.
١٦٩ - تراجم علماء طرابلس وأدبائها: لعبد الله حبيب نوفل، طبع فى طرابلس ١٩٢٩.
١٧٠ - تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر: لجرجى زيدان. حزآن. طبع فى مصر ١٩٢٢.
١٧١ - ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضى عياض، بجلدان.
١٧٢ - تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. طبع فى دهلى ١٢٩٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
١٧٣ - تقويم البلدان: للملك المؤيد أبى الفداء إسماعيل بن على ابن أيوب. طبع فى باريس ١٨٤٠.
١٧٤ - التكملة لوفيات النقلة: إملاء الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى. مخطوط.
١٧٥ - تلخيص مجمع الآداب: لابن الفوطى. مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن نسخة فى الظاهرية بدمشق ، بخط المؤلف.
١٧٦ - تلفيق الأخبار، وتلقيح الآثار، فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار: تأليف م.م. الرمزى. مجلدان. طبع فى أورنبورغ ١٩٠٨.
١٧٧ - تلقيح فهوم أهل الأثر، فى عيون التاريخ والسير: لابن الجوزى. طبع مختصرًا فى ليدن ١٨٩٢ وكاملاً فى دهلى ١٨٦٩/١٢٨٦.
١٧٨ - تمام المتون، فى شرح رسالة ابن زيدون: لصلاح الدين الصفدى. طبع فى دمشق ١٣٢٧هـ.
١٧٩ - التنبيه، على أوهام أبى على فى أماليه: لأبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكرى. طبع بمصر مع كتاب «ذيل الأمالى والنوادر» ١٩٢٦/١٣٤٤.
١٨٠ - التنبيه والإشراف: للمسعودى. طبع بمصر ١٩٣٨/١٣٥٧.
١٨١ - التنبيه والإيقاظ، لما فى ذيول تذكرة الحفاظ: لأحمد رافع الطهطاوى. طبع بدمشق ١٣٤٨هـ.
١٨٢ - التنقيح، لألفاظ الجامع الصحيح: لبدر الدين الزركشى مطبوع.
١٨٣ - تهذيب الأسماء واللغات: لأبى زكريا النووى. طبع بمصر. أربعة أجزاء. ودار الكتب العلمية بيروت.
١٨٤ - تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران. طبع منه سبعة أجزاء، فى دمشق ١٣٢٩-

١٣٥١هـ.

١٨٥ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى حيدر آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.

١٨٦ - التوفيقات الإلهامية: فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية: لمحمد مختار باشا. طبع فى بولاق ١٣١١ هـ.

١٨٧ - الثغر الباسم فى مناقب أبى القاسم: لأحمد رافع الطهطاوى، فى تراجم أسرته طبع بمصر ١٣٣٣هـ.

١٨٨ - الثمرة البهية: لمحمد بن سالم الحنفى. رسالة فى أسماء أهل بدر. طبعت بمصر.

١٨٩ - الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بتفسير القرطبى: عشرون جزءًا . طبع فى مصر ١٣٥٤-١٣٦٩هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٩٠ - جامع التصانيف المصرية الحديثة، من ١٣٠١ إلى ١٣١٠هـ: لعبد الله الأنصارى. رسالة طبعت بمصر ١٣١٢هـ.

١٩١ - جامع التواريخ، المسمى بكتاب «نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة»: للمحسن بن على ابن أبى الفهم التنوخى. طبع الأول منه، بمصر ١٩٢١ والثانى والثامن بدمشق ١٣٤٨/١٩٣٠.

١٩٢ - جامع العلوم، الملقب بدستور العلماء فى اصطلاحات العلوم والفنون: لعبد النبى ابن عبد الرسول الأحمد نكرى: أربعة اجزاء . طبع فى حيدر آباد ١٣٢٩-١٣٣١هـ.

١٩٣ - جامع كرامات الأولياء: ليوسف النبهانى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

١٩٤ - جامع مسانيد الإمام الأعظم أبى حنيفة: لمحمد بن محمود الخوارزمى. جزآن. طبع فى حيدر آبار ١٣٣٢هـ.

١٩٥ - جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: لابن القاضى. طبع بفاس، على الحجر ١٣٠٩هـ.

١٩٦ - جذوة المقتبس، فى ذكر ولاة الأندلس: للحميدى. طبع بمصر ١٣٧٢/١٩٥٢. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٩٧ - الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازى. أربعة مجلدات ضخمة . طبع فى ثمانية أجزاء، فى حيدر آباد ١٣٧١/١٩٥٢-١٣٧٣/١٩٥٣. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٩٨ - جزيرة العرب فى القرن العشرين: لحافظ وهبة. طبع بمصر ١٣٥٤/١٩٣٥.

١٩٩ - الجمل، أو النصرة فى حرب البصرة: لمحمد بن محمد بن النعمان العكبرى، المعروف بالشيخ المفيد. طبع فى النجف ١٣٦٨هـ.

٢٠٠ - جمهرة أشعار العرب: لابن أبى الخطاب. طبع بمصر ١٣٠٨هـ.

٢٠١ - جمهرة اللغة: لابن دريد، أربعة مجلدات، الأخير منها فهارس. طبع فى حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ.

٢٠٢ - الجواهر المضية فى طبقات الحنيفة: لعبد القادر بن محمد القرشى. مجلدان. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.

٢٠٣ - حديقة الأفراح، لإزالة الأتراح: لأحمد بن محمد الشرواني اليمني. طبع في بولاق ١٢٨٢هـ.

٢٠٤ - حسن البيان، عما بلغته إفريقية في الإسلام من السطرة والعمران: لمحمد النيفر. الجزء الأول. طبع في تونس ١٣٥٣هـ.

٢٠٥ - حسن الصحابة ، في شرح أشعار الصحابة: لعلي فهمي الموستاري. طبع الأول منه بالآستانة ١٣٢٤ رومية.

٢٠٦ - حسن المحاضرة، في اخبار مصر والقاهرة: لجلال الدين السيوطي. جزآن . طبع بمصر ١٢٩٩هـ.

٢٠٧ - حضارة الإسلام، في دار السلام: لجميل نخلة المدور. طبع بمصر ١٣٢٣هـ.

٢٠٨ - الحضارة الإسلامية، في القرن الرابع الهجري: لأدم متز. ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة. جزءان. طبع بمصر ١٩٤٧/١٣٦٦.

٢٠٩ - حضارة العرب: لغوستاف لوبون. نقله إلى العربية عادل زعيتر. طبع بمصر ١٩٤٨/١٣٦٧.

٢١٠ - حقائق الأخبار، عن دول البحار: لإسماعيل سرهنك. مجلدان وقسم من الثالث. طبع بمصر ١٣١٤-١٣٤١هـ.

٢١١ - الحقيقة والمجاز، في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز: لعبد الغني النابلسي. مخطوط في ثلاثة أجزاء، الأول في بقاع الشام، والثاني في زيادات مصر، والثالث في ديار الحجاز.

٢١٢ - الحلل السندسية، في الأخبار والآثار الأندلسية: لشكيب أرسلان. طبع منه ثلاثة مجلدات بمصر ١٣٥٥-١٣٥٨هـ.

٢١٣ - الحلل السندسية، في الأخبار التونسية: لمحمد بن محمد الوزير. قطعة من الجزء الأول منه. طبعت في تونس ١٢٨٧هـ.

٢١٤ - الحلل الموشية، في ذكر الأخبار المراكشية : للسان الدين ابن الخطيب (كذا) طبع في تونس ١٩١١/١٣٢٩.

٢١٥ - الحلة السيراء: لابن الأبار. قطعة منه. طبعت في ليدن ١٨٤٧-١٨٥١.

٢١٦ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني. عشرة مجلدات. طبع بمصر ١٣٥١هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢١٧ - حلية البشر، في تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق البيطار. مخطوط في مكتبته بدمشق ثلاثة مجلدات.

٢١٨ - الحماسة: لابن الشجري. طبع في حيدر آبار ١٣٤٥هـ.

٢١٩ - حوادث الدهور، في مدى الأيام والشهور: لابن تغري بردي. منتخبات منه. أربعة أجزاء. طبعت في بركلي (كليفورنيا) ١٩٣٠.

٢٢٠ - الحور العين: لنشوان الحميري. طبع بمصر ١٩٤٨.

٢٢١ - الحيوان: للجاحظ جزآن طبع بمصر ١٣٢٣-١٣٢٤هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٢٢ - الخطط التوفيقية الجديدة: لعلي مبارك. عشرون جزءًا. طبع بمصر ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.

٢٢٣ - خطط الشام: لمحمد كرد علي. ستة أجزاء. طبع في دمشق ١٣٤٣ - ١٣٤٧هـ.

٢٢٤ - خلاصة الأثر، فى أعيان القرن الحادى عشر: للمحبى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٤هـ.
٢٢٥ - خلاصة تاريخ تونس: لحسن حسنى عبد الوهاب. طبع بتونس ١٣٧٣هـ.
٢٢٦ - خلاصة تاريخ العرب فى الأندلس: لشكيب أرسلان. انظر «آخر بنى سراج».
٢٢٧ - دائرة المعارف: وتعرف بدائرة المعارف البستانية. أحد عشر مجلدًا. طبعت فى بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.
٢٢٨ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتناوى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدًا، فى مصر ١٩٣٣ - ١٩٥٧.
٢٢٩ - دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): لمحمد فريد وجدى. عشرة أجزاء، طبعت فى مصر ١٣٥٦/ ١٩٣٧.
٢٣٠ - الدارس فى تاريخ الدارس: لعبد القادر النعيمى الدمشقى. مجلدان. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٦٧ - ١٣٧٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٢٣١ - الدر الثمين، فى ادباء القرن العشرين: لعيسى اسكندر المعلوف. مخطوط.
٢٣٢ - در الحبب، فى تاريخ أعيان حلب: لرضىّ الدين ابن الحنبلى. مخطوط، مصور فى الخزانة التيمورية بمصر.
٢٣٣ - الدر الفريد، الجامع لمتفرقات الأسانيد: لعبد الواسع بن يحيى الواسعى. طبع فى مصر ١٣٥٧هـ.
٢٣٤ - الدر الكمين، فى علماء دمشق سنة ١٣٤٠: لمحمد جميل الشطى: رسالة بخطه، اشتملت على ٤٠ ترجمة. فى المكتبة العربية بدمشق.
٢٣٥ - الدر المنتخب، فى تاريخ المصريين والعرب: لإتربى أبى العز. الجزء الأول منه، طبع بمصر ١٣١١/ ١٨٩٤.
٢٣٦ - الدرر البهية، والجواهر النبوية فى الفروع الحسنية والحسينية: لإدريس بن احمد الحسنى العلوى. مجلدان. مطبوع على الحجر بفاس، بالخط المغربى، فى حياة مؤلفه ١٣١٤هـ.
٢٣٧ - الدرر السنية، فى أخبار السلالة الإدريسية: لمحمد بن على السنوسى الخطابى. طبع بمصر ١٣٤٩هـ.
٢٣٨ - الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: لعبد الرحمن ابن زيدان الحسنى العلوى. طبع فى الرباط ١٣٥٦/١٩٣٧.
٢٣٩ - الدرر الكامنة، فى اعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلانى: أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠. ودار الكتب العلمية بيروت.
٢٤٠ - دمية القصر، وعصرة أهل العصر: لعلى بن الحسن الباخرزى. طبع فى حلب ١٣٤٩ هـ.
٢٤١ - دول الإسلام للذهبى: جزآن فى مجلد. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧هـ.
٢٤٢ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب (المالكى): لابن فرحون. طبع بمصر ١٣٢٩ و ١٣٥١هـ.
٢٤٣ - ديوان الإسلام: لشمس الدين الغزى. مخطوط. فى الخزانة التيمورية بمصر.

٢٤٤ - ديوان الحماسة: لأبى تمام. جزآن. طبعة مصر ١٣٣٥هـ.

٢٤٥ - ديوان المعانى: لأبى هلال العسكرى. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٢هـ.

٢٤٦ - ديوان المفضليات: لأبى العباس المفضل بن محمد الضبى، مع شرحه لأبى محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى. طبعة كارلوس يعقوب لايل. فى بيروت ١٩٢٠ مجلدان.

٢٤٧ - ذخائر العقبى، فى مناقب ذوى القربى: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى. طبع بمصر ١٣٥٦ هـ.

٢٤٨ - ذخائر القصر، فى تراجم أبناء العصر: لابن طولون. مخطوط بمعهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية.

٢٤٩ - الذخيرة، فى محاسن أهل الجزيرة: لعلى بن بسام. أقسام منه فى ثلاثة أجزاء، طبعت بمصر ١٣٥٨ - ١٣٦٤ هـ.

٢٥٠ - ذخيرة الدارين، فيما يتعلق بسيدنا الحسين: للسيد عبد المجيد. طبع فى النجف (على الحجر) ١٣٤٥ هـ.

٢٥١ - الذخيرة السنية، فى تاريخ الدولة المرينية: مجهول المصنف. كتب فى عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق (فى القرن السابع للهجرة) طبع فى الجزائر ١٣٣٩هـ.

٢٥٢ - ذكر أخبار أصبهان: للحافظ أبى نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى. مجلدان. طبع فى ليدن ١٩٣١.

٢٥٣ - ذكريات مشاهير المغرب: لعبد الله كنون. سبع عشرة رسالة. طبعت فى تطوان.

٢٥٤ - الذهب المسبوك، فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك: رسالة. للمقريزى. نشرت فى المجلد السادس من مجلة الحج بمكة. ثم طبعت مستقلة فى مصر ١٩٥٥.

٢٥٥ - الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب. الجزء الأول منه. طبع فى بيروت ١٩٥١/١٣٧٠ ونشر كاملاً، فى جزأين بمصر ١٣٧٢ هـ.

٢٥٦ - ذيل المذيَّل فى تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبرى. مختارات منه. طبعت فى مصر ١٣٢٦ هـ، فى آخر كتابه «تاريخ الأمم والملوك».

٢٥٧ - الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة: لمحمد بن محمد ابن عبد الملك. ثلاثة أجزاء مخطوطة منه. أطلعنى على تصويرها أبو بكر التطوانى، فى سلا (المغرب) أحدها مبدوء بعبد القادر، وآخره على بن محمد، والثانى مبدوء بعلى بن عبد الرحمن، ومنته بمحمد بن محمد، والثالث مبدوء بمحمد بن موسى، وهو آخر أجزاء الكتاب.

٢٥٨ - الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوزان القشيرى. طبعت بمصر ١٢٨٤ هـ.

٢٥٩ - رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا: لمرتضى الحسينى الزبيدى. مخطوط فى عشرين ورقة.

٢٦٠ - الروض الأنف، فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلى. جزآن. طبع بمصر ١٩١٤/١٣٣٢.

٢٦١ - الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم: لعبد الباسط بن خليل الملطى. طبعت فى الجزائر

١٩٣٦.

٢٦٢ - الروض المعطار فى أخبار الأقطار: لأبى عبد الله محمد بن محمد ابن عبد المنعم الحميرى.

٢٦٣ - روض المناظر، فى علم الأوائل والأواخر: لابن الشحنة. طبع على هامش الجزأين ١١، ١٢ من الكامل لابن الأثير، فى مصر ١٣٠٣ هـ، باسم «روضة المناظر».

٢٦٤ - الروض الهتون، فى أخبار مكناسة الزيتون: لمحمد بن احمد بن غازى العثمانى المكناسى مطبوع على الحجر، بفاس ١٣٣١ هـ.

٢٦٥ - روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوى الخونسارى الأصبهانى أربعة أجزاء فى مجلد واحد. الطبعة الثانية على الحجر ١٣٤٧ هـ.

٢٦٦ - روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوى الإسلام: لحسين بن غنام. جزآن فى مجلد. طبع على الحجر فى بمى (غير مؤرخ) وأعادت المكتبة الأهلية (فى الرياض) طبعه بالحروف ١٣٦٨.

٢٦٧ - الروضة الفيحاء، فى تاريخ النساء: لياسين الخطيب العمرى. مخطوط فى الخزانة التيمورية بمصر.

٢٦٨ - الرياض النضرة فى مناقب العشرة: للمحب الطبرى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٢٦٩ - رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية (إلخ): للمالكى. الجزء الأول منه، طبع فى مصر ١٩٥١.

٢٧٠ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: للخفاجى. طبع فى مصر ١٢٧٣هـ.

٢٧١ - زهرة الآس فى بناء مدينة فاس: لأبى الحسن على الجزنائى. طبع فى الجزائر ١٣٤١/١٩٢٣.

٢٧٢ - سراج الملوك: للطرطوشى. طبع بمصر ١٢٨٩هـ.

٢٧٣ - سلك الدرر، فى أعيان القرن الثانى عشر: للمرادى.. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٠١ هـ.

٢٧٤ - السلوك فى طبقات العلماء والملوك، ويعرف بطبقات الجنَدى: لمحمد بن يوسف الجنَدى اليمانى مخطوط.

٢٧٥ - سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتانى. ثلاثة أجزاء. طبع بفاس ١٣١٦هـ.

٢٧٦ - سمط الآلى: يحتوى على «اللآلى فى شرح أمالى القالى» لأبى عبيد البكرى، جزآن فى مجلد متسلسل الأرقام، و«شرح ذيل الأمالى وصلة ذيله والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما» فى جزء ثالث منفرد، و«فهارس سمط اللآلى» فى جزء آخر. نسَّقه وأكثر من التعليق عليه عبد العزيز الميمنى (الراجكوتى). طبع فى مصر ١٣٥٤/١٩٣٦.

٢٧٧ - سير النبلاء: للذهبى. مخطوط فى ١٥ مجلدًا.

٢٧٨ - سيرة أحمد بن طولون: لعبد الله بن محمد المدينى البلوى. طبع فى دمشق ١٣٥٨هـ.

٢٧٩ - السيرة النبوية: لابن هشام. «شرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى». ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٨٠ - شذا الند، فى تاريخ نجد: لمطلق بن صالح. مخطوط صغير.

٢٨١ - شرح ديوان الحماسة: للتبريزى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٢٩٦ هـ.
٢٨٢ - شرح شواهد المغنى: للسيوطى. طبع بمصر ١٣٢٢ هـ.
٢٨٣ - شرح نهج البلاغة: لابن أبى الحديد. أربعة مجلدات. طبع فى بيروت ١٣٧٤ هـ.
٢٨٤ - الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية: لطاشكبرى زاده. مطبوع على هامش وفيات الأعيان، طبعة مصر ١٣١٠ هـ.
٢٨٥ - صاحب الأغانى: لمحمد أحمد خلف الله. طبع فى مصر ١٩٥٣.
٢٨٦ - صبح الأعشى: للقلقشندى. أربعة عشر مجلدًا. طبع فى مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٢٨٧ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار: لمحمد بن عبد الله بن بليهد النجدى. خمسة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٧٠ - ١٣٧٢ هـ.
٢٨٨ - صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار، لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى. طبع بمصر ١٩٣٧.
٢٨٩ - صفة جزيرة العرب: للهمدانى. طبع فى ليدن ١٨٨٤ ثم بمصر.
٢٩٠ - صفوة الاعتبار، بمستودع الأمصار والأقطار: لمحمد بيرم (الخامس) خمسة أجزاء طبع بمصر ١٣٠٢ - ١٣١١ هـ.
٢٩١ - صفوة العصر، فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر: لزكى فهمى. الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٤٤/ ١٩٢٦.
٢٩٢ - صلة تاريخ الطبرى: لعريب بن سعد القرطبى. طبع فى مصر ١٣٢٦ باسم «الجزء الثانى عشر» من تاريخ الطبرى.
٢٩٣ - صلة التكملة، فى وفيات النقلة: للحافظ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسينى: مخطوط.
٢٩٤ - صلة الصلة: لابن الزبير. مخطوط فى مجلد.
٢٩٥ - صورة الأرض: لابن حوقل. طبع القسم الأول منه، فى ليدن ١٩٣٨.
٢٩٦ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥٣.
٢٩٧ - الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد: للأدفوى. طبع فى مصر ١٣٣٢/١٩١٤.
٢٩٨ - طبقات الأطباء والحكماء: لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى، المعروف بابن جلجل.
٢٩٩ - طبقات الحفاظ: للسيوطى. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٠٠ - طبقات الحنابلة: لابن أبى يعلى. حرآن. طبعة الفقى بمصر ١٣٧١/١٩٥٢.
٣٠١ - طبقات الشافعية: لأبى بكر بن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف. طبع فى بغداد.
٣٠٢ - الطبقات الصغرى: لتاج الدين عبد الوهاب السبكى. مخطوط فى جزء واحد.
٣٠٣ - طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحى. شرحه محمود محمد شاكر. طبع فى مصر ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٠٤ - طبقات المفسرين: لمحمد بن على الداوودى المالكى. طبع بدار الكتب العلمية بيروت.

٣٠٥ - طبقات النحاة واللغويين: لابن واللغويين: لابن قاضى شهبة. مخطوط فى معهد المخطوطات.
٣٠٦ - الطبقات الوسطى: لمحمد بن إبراهيم المناوى. مخطوط.
٣٠٧ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: ويعرف بتاريخ الجبرتى. مطبوع.
٣٠٨ - عدة الأديب: لسليم الجندى ومحمد الداوودى. ثلاثة أجزاء صغير. طبع فى دمشق ١٩٢٦/١٣٤٥.
٣٠٩ - العسجد المسبوك فى من تولى اليمن من الملوك: لأبى الحسن على بن الحسن الخزرجى الأنصارى. مخطوط.
٣١٠ - عصر سلاطين المماليك: لمحمود رزق سليم. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٦٦ - ١٣٦٩هـ
٣١١ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: لتقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى. مخطوط فى مكتبة الحرم بمكة.
٣١٢ - عقد الدرر، فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر والرابع: جمعه إبراهيم ابن صالح بن عيسى. طبع فى دمشق ١٩٥٢/١٣٧٢ صفحة.
٣١٣ - العقد الفريد: لابن عبد ربه. سبعة أجزاء. سابعها للفهارس. طبع بمصر ١٣٥٩ - ١٣٧٢هـ.
٣١٤ - العقد المفصل: لحيدر الحسينى الحلى. جزآن. طبع فى بغداد ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ.
٣١٥ - العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم: للشقائق النعمانية. مطبوع على هامش الجزء الثانى من «وفيات الأعيان» فى مصر ١٣١٠هـ.
٣١٦ - عقود الجمان، فى أيام آل سعود فى عمان: جمعه عبد الله بن صالح المطوع من أهالى بلدة الشارقة فى ساحل عمان، سنة ١٣٧٤هـ. مخطوط، فى ٢٢٠ صفحة. اقتنيته مصورًا.
٣١٧ - عقود الجمان، فى شعراء هذا الزمان (أى عصر المؤلف): لابن الشعار، من أهل أواخر القرن السادس وأوائل السابع. مخطوط فى معهد المخطوطات بالقاهرة.
٣١٨ - العمدة: لابن رشيق القيروانى. طبع بمصر ١٣٢٥/ ١٩٠٧.
٣١٩ - عمدة الأخبار، فى مدينة المختار: لحمد بن عبد الحميد العباسى. نشره أسعد درابزونى، بمكة.
٣٢٠ - عنوان الأريب، عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: لمحمد النيفر. جزآن. طبع فى تونس ١٣٥١ هـ.
٣٢١ - عيون الأخبار: لابن قتيبة. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٢٢ - غاية الأرب، فى خلاصة تاريخ العرب: ترجمه عن الفرنسية محمد بن أحمد بن عبد الرزاق. طبع بمصر ١٢٨٩ هـ.
٣٢٣ - غاية المرام، فى رجال البخارى إلى سيد الأنام: لمحمد بن داود البازلى. مخطوط.
٣٢٤ - غاية النهاية فى طبقات القراء: لشمس الدين أبى الخير ابن الجزرى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٥١ هـ. ويسمى «طبقات القراء».
٣٢٥ - الفُلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون: من تأليفه. طبع فى دمشق ١٣٤٨ هـ.
٣٢٦ - الفهرست: لأبى جعفر الطوسى. طبع فى النجف ١٣٥٦ هـ.

٣٢٧ - القاموس: للفيروزابادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٣٠ هـ.
٣٢٨ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية: لمحمد رمزى. ثلاثة أجزاء منه. طبع فى مصر ١٩٥٣ - ١٩٥٨.
٣٢٩ - قبول الأخبار ومعرفة الرجال: لأبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود (الكعبى) البلخى. مخطوط.
٣٣٠ - قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس (أو عرائس المجالس): لأحمد بن محمد الثعلبى. طبع فى مصر ١٢٨٢ هـ.
٣٣١ - القلائد الجوهرية، فى تاريخ الصالحية: لابن طولون. جزآن. طبع فى دمشق ١٣٦٨/ ١٩٤٩.
٣٣٢ - قلائد العقيان، للفتح بن خاقان: طبعة سليمان الحرائرى، بباريس ١٢٧٧ هـ. طبع مصر ١٢٨٣ هـ).
٣٣٣ - قلائد العقيان فى مفاخر دولة آل عثمان: لإبراهيم بن عامر بن على العبيدى المالكى. مخطوطة ناقصة الآخر. عندى. (قرأت أنه طبع بمصر ١٣١٧ هـ ، ولم أره).
٣٣٤ - الكافى، فى تاريخ مصر القديم والحديث: لميخائيل شاروبيم. أربعة اجزاء. طبع فى ممصر ١٣١٥/ ١٨٩٨.
٣٣٥ - الكامل: لابن الأثير ١٢ جزءًا. طبع فى مصر ١٣٠٣ هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.
٣٣٦ - كتاب الروضتين، فى أخبار الدولتين: لأبى شامة. جزآن. طبع بمصر ١٢٨٧ هـ.
٣٣٧ - كتاب المعانى الكبير: فى أبيات المعانى. لابن قتيبة. مجلدان، متسلسلا الأرقام. طبع في حيدر آباد ١٣٦٨/ ١٩٤٩.
٣٣٨ - كتاب المعمرين: لسهل بن محمد السجستانى. طبع بمصر ١٣٢٣ هـ.
٣٣٩ - كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوى. مجلدان. طبع بالهند ١٨٦٢.
٣٤٠ - كشف الأستار عن رجال معانى الآثار: للطحاوى. تلخيص رشد الله شاه السندهى. طبع على الحجر فى دهلى ١٣٤٩ هـ.
٣٤١ - كشف الحجب والأستار، عن أسماء الكتب والأسفار: لإعجاز حسين النيسابورى الكنتورى. طبع فى كلكتة ١٣٣٠ هـ.
٣٤٢ - كشف الظنون، عن أسامى الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب حلبى. مجلدان طبع فى استنبول ١٣٦٠/ ١٩٤١.
٣٤٣ - كشف النقاب، عما روى الشيخان للأصحاب: للحافظ خليل العلائى الشافعى، رسالة مخطوطة فى الخزانة البديرية بالقدس.
٣٤٤ - كشف النقاب عن وجه التلفظ بالكنى والألقاب: لمحمد بن إسماعيل الصفايحى التونسى.
٣٤٥ - الكنى والأسماء: للدولابى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٢٢ هـ.
٣٤٦ - الكواكب الدرية، فى تراجم السادة الصوفية: لعبد الرؤوف المناوى. الجزء الأول. طبع فى مصر ١٣٥٧ هـ.

٣٤٧ - الكواكب السائرة، فى أعيان المئة العاشرة: لنجم الدين الغزى. مخطوط فى مجلد ضخم. كتب سنة ١١٧٣ هـ.

٣٤٨ - لب الألباب: لمحمد صالح السهروردى. جزآن فى مجلد واحد متسلسل الأرقام. طبع فى بغداد ١٣٥١/ ١٩٣٣.

٣٤٩ - لب اللباب، فى تحرير الأنساب: للسيوطى. طبع فى ليدن ١٨٦٠ - ١٨٦٢. ودار الكتب العلمية بيروت.

٣٥٠ - لب الآداب: لأسامة بن منقذ. طبع بمصر ١٣٥٤/ ١٩٣٥.

٣٥١ - اللباب، فى تهذيب الأنساب: لابن الأثير (المؤرخ). ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣٥٦ - ١٣٦٩ هـ.

٣٥٢ - لسان العرب: لابن منظور. عشرون جزءًا. طبعة بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨ هـ.

٣٥٣ - لسان الميزان: لابن حجر العسقلانى. ستة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣١ هـ.

٣٥٤ - اللطائف، فى تاريخ الطائف: لحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى. رسالة فى خمسة كراريس، مخطوط.

٣٥٥ - لطف السمر، وقطف الثمر، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر: لنجم الدين الغزى. ذيل على كتابه «الكواكب السائرة» مخطوط فى ١١٦ ورقة. فى معهد المخطوطات عن الأصل المحفوظ فى مكتبة أحمد عارف، بالمدينة.

٣٥٦ - لقط الفرائد: لابن القاضى. مخطوط مختصر.

٣٥٧ - مثير الوجد، فى معرفة أنساب ملوك نجد: لراشد بن على بن جُرَيس النجدى النعامى الحنبلى. رسالة مخطوطة.

٣٥٨ - مرآة الجنان: لليافعى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ.

٣٥٩ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزى. مخطوط.

٣٦٠ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لعبد المؤمن بن عبد الحق. ثلاثة مجلدات. طبعة بريل ١٨٥٢ - ١٨٥٤.

٣٦١ - المرادفات من قريش: لأبى الحسن، على بن محمد المدائنى. رسالة طبعت بمصر ١٣٧٠/ ١٩٥١ (فى نوادر المخطوطات ١: ٥٧).

٣٦٢ - المزهر: لجلال الدين السيوطى. جزآن. طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ.

٣٦٣ - مسالك الممالك: للإصطخرى. طبع فى ليدن ١٩٢٧.

٣٦٤ - مسامرات الظريف بحسن التعريف، تاريخ فقهاء الدولة الحسينية بتونس: لمحمد السنوسى. النصف الأول منه، مطبوع فى تونس.

٣٦٥ - المستطرف فى كل فن مستظرف: للأبشيهى. جزآن. طبع بمصر ١٢٧٢ هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٣٦٦ - مطالع البدور فى منازل السرور: لعلاء الدين البهائى الغزولى. جزآن. طبع فى مصر ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ.

٣٦٧ - المعارف: لابن قتيبة الدينورى. طبع فى مصر ١٣٥٣/ ١٩٣٤. ودار الكتب العلمية بيروت.

٣٦٨ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى: للمستشرق زامباور. أخرجه جماعة برئاسة زكى محمد حسن. جزآن، متسلسلا الأرقام. طبع فى مصر ١٩٥١.

٣٦٩ - معجم البلدان: لياقوت الحموى. ثمانية أجزاء. طبع فى مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ ودار الكتب العلمية بيروت.

٣٧٠ - معجم الشعراء: للمرزبانى. طبع فى مصر ١٣٥٤ هـ، ملحقًا بكتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدى.

٣٧١ - معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب: لعبد الحفيظ الفاسى. جزآن. طبع فى الرباط ١٣٥٠ هـ.

٣٧٢ - المعزة فيما قيل فى المزة: لمحمد بن على ابن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨ هـ.

٣٧٣ - المغنى، فى أسماء رجال الحديث: لمحمد طاهر الفتنى. طبع فى دهلى، على هامش «تقريب التهذيب» ١٢٩٠ هـ.

٣٧٤ - مقاتل الطالبيين: لأبى الفرج الأصفهانى. طبع فى مصر ١٣٦٨/ ١٩٤٩ (وسبق الأخذ عن طبعة النجف ١٣٥٣ هـ).

٣٧٥ - المقاصد النحوية: لمحمود بن احمد العينى. أربعة أجزاء. طبع على هامش خزانة الأدب للبغدادى، فى مصر ١٢٩٩ هـ.

٣٧٦ - المقتطف من تاريخ اليمن: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع فى مصر ١٣٧٠/ ١٩٥١.

٣٧٧ - المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين إبراهيم بن محمد، ابن مفلح الحنبلى. مخطوط فى مجلد. فى المكتبة العربية بدمشق.

٣٧٨ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: لأبى الفرج ابن الجوزى. طبع دار الكتب العلمية بيروت. تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا.

٣٧٩ - المنهل الصافى، والمستوفى بعد الوافى: لابن تغرى بردى. طبع فى مصر ١٣٧٥/١٩٥٦.

٣٨٠ - المنهل العذب، فى تاريخ طرابلس الغرب: لأحمد بن حسين النائب الأوسى الأنصارى. طبع فى الآستانة ١٣١٧هـ.

٣٨١ - المهدية فى الإسلام: لسعد محمد حسن. طبع فى مصر ١٣٧٣/١٩٥٣.

٣٨٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزى: طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٣٨٣ - المؤتلف والمختلف: للآمدى. طبع فى مصر ١٣٥٤هـ.

٣٨٤ - المؤتلف والمختلف، فى أسماء نقلة الحديث: لعبد الغنى الأزدى. طبع فى الهند ١٣٢٧هـ.

٣٨٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: للذهبى. ثلاثة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٢٥هـ.

٣٨٦ - نثار الأفكار: جزآن، أصدرتهما جريدة الهدى فى نيويورك ١٩١٣.

٣٨٧ - النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة: لابن تغرى بردى. طبع فى دار الكتب المصرية.

٣٨٨ - النزاع والتخاصم، فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: للمقريزى. رسالة. طبعت فى مصر ١٩٣٧.

٣٨٩ - نزهة الألباب، فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب: لمحمد حسنى العامرى. طبع بمصر ١٣١٤هـ.

٣٩٠ - نزهة الأنام، فى محاسن الشام: لعبد الله بن محمد البدرى. طبع بمصر ١٣٤١هـ.

٣٩١ - نزهة الأنظار، فى فضل علم التاريخ والأخبار، ويعرق بالرحلة والورثيلانية: للحسن بن محمد الورثيلانى. طبع فى الجزائر ١٩٠٨/١٣٢٦.

٣٩٢ - نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس: للعباس بن على الموسوى. مجلدان طبع فى مصر١٢٩٣هـ.

٣٩٣ - نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر: للشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى. ثلاثة أجزاء طبعت فى حيدر آباد.

٣٩٤ - نسب قريش: للمصعب بن عبد الله الزبيرى. طبع فى مصر ١٩٥٣.

٣٩٥ - نشر اللطائف فى قطر الطائف: لابن عراق. مخطوط بدار الكتب المصرية.

٣٩٦ - نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى «عشر»: لمحمد بن الطيب القادرى. جزآن فى مجلد. طبع بفاس ١٣١٥هـ.

٣٩٧ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقرى. أربعة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٠٢هـ.

٣٩٨ - نفحة البشام: فى رحلة الشام: لمحمد عبد الجواد القاياتى. طبع فى مصر ١٣١٩هـ.

٣٩٩ - نكت الهميان، فى نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى. طبع فى مصر ١٩١١/١٣٢٩.

٤٠٠ - نهاية الأرب، فى معرفة أنساب العرب: للقلقشندى. طبع فى بغداد.

٤٠١ - نهاية الأندلس: لمحمد عبد الله عنان. طبع فى مصر ١٩٤٩/١٣٦٨.

٤٠٢ - نهاية الإيجار، فى سيرة ساكن الحجاز: لرفاعة رافع (الطهطاوى) طبع فى مصر ١٢٩١هـ.

٤٠٣ - النهج السديد، والدر الفريد، فيما بعد تاريخ ابن العميد: لمفضل بن أبى الفضائل. طبع مع ترجمة إلى الفرنسية ١٩١٢.

٤٠٤ - النوادر السلطانية، والمحاسن اليوسفية، المسمى سيرة صلاح الدين الأيوبى: لابن شداد. طبع فى مصر ١٣١٧.

٤٠٥ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: لعبد القادر بن شيخ العيدروس. طبع فى بغداد ١٩٣٤/١٣٥٣.

٤٠٦ - هدى السارى ، مقدمة فتح البارى: لابن حجر العسقلانى. جزآن. طبع بمصر ١٣٤٧هـ.

٤٠٧ - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل «باشا» البغدادى. مجلدان. طبع فى اسانبول ١٥٩١ - ١٩٥٥.

٤٠٨ - الوافى بالوفيات: للصفدى. طبع منه أربعة أجزاء، أولها استانبول ١٩٣١.

٤٠٩ - الوسيط، فى الأدب العربى وتاريخه: لأحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى. طبع فى مصر. ١٩٢٨/١٣٤٧.

٤١٠ - الوسيط، فى تراجم أدباء شنقيط: لأحمد بن الأمين الشنقيطى. طبع فى مصر

١٣٢٩/١٩١١.

٤١١ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لعلى بن عبد الله السهرودى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.

٤١٢ - وفيات الأعيان: لابن خلكان. بجلدان. طبع فى مصر ١٣١٠هـ.

٤١٣ - الولاة والقضاة: لمحمد بن يوسف الكندى. طبع فى بيروت ١٩٠٨.

٤١٤ - يتيمة الدهر: للثعالبى. أربعة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٠٣هـ.

٤١٥ - اليواقيت الثمينة، فى أعيان مذهب عالم المدينة: لمحمد البشير ظافر الأزهرى. طبع فى مصر ١٣٢٤هـ.

* * *

فهرس المحتويات